الأغاني

أبي الفرج الأصفهاني

to pdf: www.al-mostafa.com

ذكر المائة الصوت المختارة
الرشيد يأمر المغنين باختيار ثلاثة أصوات
أخبرنا أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى المنجم قال حدثني أبي قال
حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي أن أباه أخبره أن الرشيد رحمة الله عليه أمر المغنين وهم يومئذ متوافرون أن يختاروا له ثلاثة أصوات من جميع الغناء فأجمعوا على ثلاثة أصوات أنا أذكرها بعد هذا إن شاء الله قال إسحاق فجرى هذا الحديث يوما وأنا عند أمير المؤمنين الواثق بالله فأمرني باختيار أصوات من الغناء القديم فاخترت له من غناء أهل كل عصر ما اجتمع علماؤهم على براعته وإحكام صنعته ونسبته إلى من شدا به ثم نظرت إلى ما أحدث الناس بعد ممن شاهدناه في عصرنا وقبيل ذلك فاجتبيت منه ما كان مشبها لما تقدم أو سالكا طريقه فذكرته ولم أبخسه ما يجب له وإن كان قريب العهد لأن الناس قد يتنازعون الصوت في كل حين وزمان وإن كان السبق للقدماء إلى كل إحسان
وأخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني هارون بن الحسن بن سهل وأبو العبيس بن حمدون وابن دقاق وهو محمد بن أحمد بن يحيى المعروف بابن دقاق بهذا الخبر فزعم
أن الرشيد أمر هؤلاء المغنين أن يختاروا له مائة صوت فاختاروها ثم أمرهم باختيار عشرة منها فاختاروها ثم أمرهم أن يختاروا منها ثلاثة ففعلوا
وذكر نحو ما ذكره يحيى بن علي ووافقه في صوت من الثلاثة الأصوات وخالفه في صوتين وذكر يحيى بن علي بإسناده المذكور أن منها لحن معبد في شعر أبي قطيفة وهو من خفيف الثقيل الأول
(القَصْرُ فالنَّخْلُ فالجَمَّاءُ بينهما ... أشْهى إلى القلب من أبواب جَيْرُونِ)
ولَحْنَ ابن سريج في شعر عمر بن أبي ربيعة ولحنه من الثقيل الثاني
(تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجَرْيَ لمّا جَهدتُه ... وبيّن لو يَسْتطيعُ أن يتكلّما)
ولَحْن ابن محرز في شعر نصيب وهو من الثّقيل الثاني أيضا
(أهَاجَ هواكَ المنزلُ المتقادمُ ... نَعَمْ وبه ممّن شَجَاك مَعَالِمُ)
وذكر جحظة عمن روى عنه أن من الثلاثة الأصوات لحن ابن محرز في شعر
المجنون وهو من الثقيل الثاني
(إذا ما طَوَاكِ الدهرُ يا أُمّ مالكٍ ... فشأنَ المنايا القاضياتِ وشانِيا)
ولحن إبراهيم الموصلي في شعر العرجي وهو من خفيف الثقيل الثاني
(إلى جَيْداء قد بَعثوا رسولاً ... ليُحْزِنَها فلا صُحِبَ الرسولُ)
ولحن ابن محرز في شعر نُصَيب وهو على ما ذكر هزج
(أهاج هواك المنزل المتقادمُ ... نعم وبه ممن شجاك معالمُ)
وحكي عن أصحابه أن هذه الثلاثة الأصوات على هذه الطرائق لا تبقي نغمة في الغناء إلا وهي فيها
المغنون يختارون لحن ابن محرز
أخبرني الحسن بن علي الأدمي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد الوراق قال حدثني أبو توبة صالح بن محمد قال حدثني محمد بن جبر المغني قال حدثني إبراهيم بن المهدي
أن الرشيد أمر المغنين أن يختاروا له أحسن صوت غُنّي فيه فاختاروا له لحن ابن محرز في شعر نُصَيب
(...أهاج هواك المنزل المتقادمُ)
قال وفيه دور كثير أي صنعة كثيرة والذي ذكره أبو أحمد يحيى بن علي أصح عندي ويدل على ذلك تباين ما بين الأصوات التي ذكرها والأصوات الأُخر في جودة الصنعة وإتقانها وإحكام مباديها ومقاطعها وما فيها من العمل وأن الأخرى ليست مثلها ولا قريبة منها وأخرى هي أن جحظة حكى عمن روى عنه أن فيها صوتا لإبراهيم الموصلي وهو أحد من كان اختار هذه الأصوات للرشيد وكان معه في اختيارها إسماعيل بن جامع وفُليح بن أبي العوراء وليس أحد منهما دونه إن لم يَفُقْهُ فكيف يمكن أن يقال إنهما ساعدا إبراهيم على اختيار لحن من صنعته في ثلاثة أصوات اختيرت من سائر الأغاني وفضلت عليها ألم يكونا لو فعلا ذلك قد حكما لإبراهيم على أنفسهما بالتقدم والحِذق والرياسة وليس هو كذلك عندهما
اختلاف وجهتي نظر إبراهيم بن ميمون وولده في غناء ابن جامع
ولقد أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى المنجم عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه
أنه أتى أباه إبراهيم بن ميمون يوما مسلّما فقال له أبوه يا بني ما أعلم أحدا بلغ من بر ولده ما بلغته من برك وإني لأستقل ذلك لك فهل من حاجة أصير فيها إلى محبتك قلت قد كان جعلت فداك كل ما ذكرت فأطال الله لي بقاءك ولكني أسألك واحدة يموت هذا الشيخ غدا أو بعد غد ولم أسمعه فيقول الناس لي ماذا وأنا أحل منك هذا المحل قال لي ومن هو قلت ابن جامع قال صدقت يا بني أسرجوا لنا فجئنا ابن جامع فدخل عليه أبي وأنا معه فقال يا أبا القاسم قد جئتك في حاجة فإن شئت فاشتمني وإن شئت فاقذفني غير أنه لا بد لك من قضائها هذا عبدك وابن أخيك إسحاق قال لي كذا وكذا فركبت
معه أسألك أن تُسعفه فيما سأل فقال نعم على شريطة تقيمان عندي أطعمكما مَشْوشةً وقَلِيّة وأسقيكما من نبيذي التمري وأغنيكما فإن جاءنا رسول الخليفة مضينا إليه وإلا أقمنا يومنا فقال أبي السمع والطاعة وأمر بالدواب فردت فجاءنا ابن جامع بالمشوشة والقلية ونبيذه التمري فأكلنا وشربنا ثم اندفع فغنانا فنظرت إلى أبي يقل في عيني ويعظم ابن جامع حتى صار أبي في عيني كلا شيء فلما طربنا غاية الطرب جاء رسول الخليفة فركبا وركبت معهما فلما كنا في بعض الطريق قال لي أبي كيف رأيت ابن جامع يا بني قلت له أو تعفيني جعلت فداك قال لست أعفيك فقل فقلت له رأيتك ولا شيء أكبر عندي منك قد صغرت عندي في الغناء معه حتى صرت كلا شيء ثم مضينا إلى الرشيد وانصرفت إلى منزلي وذلك لأني لم أكن بعد وصلت إلى الرشيد فلما أصبحت أرسل إلي أبي فقال يا بني هذا الشتاء قد هجم عليك وأنت تحتاج فيه إلى مؤونة وإذا مال عظيم بن يديه فاصرف هذا المال في حوائجك فقمت فقبلت يده ورأسه وأمرت بحمل المال واتبعته فصوت بي يا إسحاق ارجع فرجعت فقال لي أتدري لم وهبت لك هذا المال قلت نعم جعلت فداك قال لم قلت لصدقي فيك وفي ابن جامع قال صدقت يا بني امض راشدا ولهما في هذا الجنس أخبار كثيرة تأتي في غير هذا الموضع متفرقة في أماكن تحسن فيها ولا يستغنى بما ذكر هاهنا عنها فإبراهيم يحل ابن جامع هذا المحل مع ما كان

بينهما من المنافسة والمفاخرة ثم يقدم على أن يختار فيما هو معه فيه صوتا لنفسه يكون مقدما على سائر الغناء ويطابقه هو وفليح عليه خطأ لا يتخيل وعلى ما به فإنا نذكر الصوتين اللذين رويناهما عن جحظة المخالفين لرواية يحيى بن علي بعد ذكرنا ما رواه يحيى ثم نتبعهما باقي
الاختيار فأول ذلك من رواية أبي الحسن علي بن يحيى
الكلام على أحد هذه الأصوات الثلاثة
صوت فيه لحنان
(القَصْرُ فالنَّخْلُ فالجَمَّاءُ بينهما ... أشْهَى إلى القلبِ من أبوابِ جَيْرُونِ)
(إلى البَلاطِ فما حازت قَرائنُهُ ... دُورٌ نَزَحْنَ عن الفَحْشاء والهُونِ)
(قد يَكْتُم الناسُ أسراراً فأعلمُها ... ولا يَنَالون حتى الموتِ مَكْنُوني)
عروضه من أول البسيط القصر الذي عناه هاهنا قصر سعيد بن العاص بالعرصة والنخل الذي عناه نخل كان لسعيد هناك بين قصره وبين الجماء وهي أرض كانت له فصار جميع ذلك لمعاوية بن أبي سفيان بعد وفاة سعيد ابتاعه من ابنه عمرو باحتمال دينه عنه ولذلك خبر يذكر بعد وأبواب جيرون بدمشق ويروى حاذت قرائنه من المحاذاة والقرائن دور كانت لبني سعيد بن العاص متلاصقة سميت بذلك لاقترانها ونزحن بعدن والنازح
البعيد يقال نزح نزوحا والهون الهوان قال الراجز
(لم يُبْتَذلْ مِثلُ كريمٍ مَكْنونْ ... أبيضَ ماضٍ كالسِّنان المَسنْون)
(... كان يُوَقِّي نفسَه من الهُونْ)
والمكنون المستور الخفي وهو مأخوذ من الكن الشعر لأبي قطيفة المعيطي والغناء لمعبد وله فيه لحنان أحدهما خفيف ثقيل أول بالوسطى في مجراها من رواية إسحاق وهو اللحن المختار والآخر ثقيل أول بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة
خبر أبي قطيفة ونسبه
هو عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط واسم أبي معيط أبان بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب هذا الذي عليه النسابون
وذكر الهيثم بن عدي في كتاب المثالب أن أبا عمرو بن أمية كان عبدا لأمية اسمه ذكوان فاستلحقه وذكر أن دغفلا النَّسابة دخل على معاوية فقال له من رأيت من علية قريش فقال رأيت عبد المطلب بن هاشم وأمية بن عبد شمس فقال صفهما لي فقال كان عبد المطلب أبيض مديد القامة حسن الوجه في جبينه نور النبوة وعز الملك يطيف به عشرة من بنيه كأنهم أسد غاب قال فصف أمية قال رأيته شيخا قصيرا نحيف الجسم ضريرا يقوده عبده ذكوان فقال مه ذاك ابنه أبو عمرو فقال هذا شيء قلتموه بعد وأحدثتموه وأما الذي عرفت فهو الذي أخبرتك به ثم نعود إلى سياقة النسب من لؤي بن
غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة والنضر عند أكثر النَّسابين أصل قريش فمن ولده النضر عد منهم ومن لم يلده فليس منهم وقال بعض نسّابي قريش بل فهر بن مالك أصل قريش فمن لم يلده فليس من قريش ثم نعود للنسب إلى النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار وولد إلياس يقال له خِنْدَفُ لهم سموا بأمهم خندف وهو لقبها واسمها ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وهي أم مدركة وطابخة وقمعة بني إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد بن الهميسع بن يشجب وقيل أشجب بن نبت بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم هذا النسب الذي رواه نسّابو العرب وروي عن ابن شهاب الزهري وهو من علماء قريش وفقهائها
وقال قوم آخرون من النسابين ممن أخذ فيما يزعم عن دغفل وغيره معد بن عدنان بن أدد بن آمين بن شاجيب بن نبت بن ثعلبة بن عنز بن سريح بن محلم بن العوام بن المحتمل بن رائمة بن العقيان بن غلة بن شحدود بن الضرب بن عيفر بن إبراهيم بن إسماعيل بن رزين بن أعوج بن المطعم بن الطمح بن القسور بن عتود بن دعدع بن محمود بن الرائد بن بدوان بن أمامة بن دوس بن حصين بن النَّزّال بن الغمير بن محشر بن معذر بن صيفي بن نبت بن قيدار بن إسماعيل ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله صلى الله عليهما وعلى أنبيائه أجمعين وسلم تسليما ثم أجمعوا أن إبراهيم بن آزر وهو اسمه بالعربية كما ذكره
الله تعالى في كتابه وهو في التوراة بالعبرانية تارح بن ناحور وقيل الناحر بن الشارع وهو شاروع بن أرغو وهو الرامح بن فالغ وهو قاسم الأرض الذي قسمها بين أهلها بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ وهو الرافد بن سام بن نوح صلى الله عليه وسلم بن لامك وهو في لغة العرب ملكان بن المتوشلخ وهو المنوف بن أخنخ وهو إدريس نبي الله عليه السلام بن يارد وهو الرائد بن مهلايل بن قينان وهو قنان بن أنوش وهو الطاهر بن شيث وهو هبة الله ويقال له أيضا شاث بن آدم أبي البشر صلى الله عليه وعلى سائر الأنبياء وعلى نبينا محمد خاصة وسلم تسليما هذا الذي في أيدي الناس من النسب على اختلافهم فيه
وقد روي عن النبي تكذيب للنسابين ودفع لهم وروي أيضا خلاف لأسماء بعض الآباء وقد شرحت ذلك في كتاب النسب شرحا يستغنى به عن غيره
العنابس والأعياص
وأبو قطيفة وأهله من العنابس من بني أمية وكان لأمية من الولد أحد عشر ذكرا كل واحد منهم يكنى باسم صاحبه وهم العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص وعمرو وأبو عمرو وحرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان والعويص لا
كنى له فمنهم الأعياص فيما أخبرنا حرمي بن أبي العلاء واسمه أحمد بن محمد بن إسحاق والطوسي واسمه أحمد بن سليمان قالا حدثنا الزبير بن بكار عن محمد بن الضحاك الحزامي عن أبيه قال الأعياص العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص والعويص ومنهم العنابس وهم حرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان وعمرو وأبو عمرو وإنما سموا العنابس لأنهم ثبتوا مع أخيهم حرب بن أمية بعكاظ وعقلوا أنفسهم وقاتلوا قتالا شديدا فشبهوا بالأسد والأسد يقال لها العنابس واحدها عنبسة وفي الأعياص يقول عبد الله بن فضالة الأسدي
(مِن الأعياص أو مِن آل حربٍ ... أغَرَّ كغُرة الفرس الجَوَادِ)
والسبب في قوله هذا الشعر ما أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة وحدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال حدثنا المدائني وابن غزالة قالوا

أتى عبد الله بن فضالة بن شريك الوالبي ثم الأسدي من بني أسد بن خزيمة عبد الله بن الزبير فقال له نفدت نفقتي ونقبت راحلتي قال أحضرها
فأحضرها فقال أقبل بها أدبر بها ففعل فقال ارقعها بسبت واخصفها بهلب وأنجد بها يبرد خفها وسر البردين تصح فقال ابن فضالة إني أتيتك مستحملا ولم آتك مستوصفا فلعن الله ناقة حملتني إليك قال ابن الزبير إن وراكبها فانصرف عنه ابن فضالة وقال
عبد الله بن فضالة يهجو ابن الزبير
(أقول لغِلْمتي شُدُّوا ركابِي ... أُجَاوِزْ بَطْنَ مكةَ في سَوَادِ)
(فما لي حين أَقْطَع ذات عِرْقٍ ... إلى ابن الكَاهِلِيَّة من مَعَاد)
(سيُبْعِدُ بيننا نَصُّ المَطَايا ... وتعليقُ الأَدَاوَى والمَزادِ)
(وكلُّ مُعَبَّدٍ قد أَعْلَمْته ... مَنَاسِمُهُن طُلَّاعَ النِّجادِ)
((أَرَى الحاجاتِ عند أبي خُبَيْبٍ ... نَكِدْنَ ولا أُمَيَّةَ بالبلادِ
(من الأَعْياص أو من آل حربٍ ... أغرَّ كغُرَّة الفرس الجوادِ)
أبو خبيب عبد الله بن الزبير كان يكنى أبا بكر وخبيب ابن له هو أكبر ولده ولم يكن يكنيه به إلا من ذمه يجعله كاللقب له قال فقال ابن الزبير لما بلغه هذا الشعر علم أنها شر أمهاتي فعيرني بها وهي خير عماته قال اليزيدي إن هاهنا بمعنى نعم كأنه إقرار بما قال ومثله قول ابن قيس الرقيات
(ويَقُلْنَ شيبٌ قد علاكَ ... وقد كَبِرتَ فقلتُ إنَّه)
وأم أبي معيط آمنة بنت أبان بن كليب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ولها يقول نابغة بني جعدة
(وشارَكْنا قريشاً في تُقاها ... وفي أنسابها شِرْكَ العِنَانِ)
((بما وَلدتْ نساءُ بني هِلاَلٍ ... وما ولدت نساءُ بني أَبَانِ
وكانت آمنة هذه تحت أمية بن عبد شمس فولدت له العاص وأبا العاص وأبا العيص والعويص وصفية وتوبة وأروى بني أمية فلما مات أمية تزوجها بعده ابنه أبو عمرو وكان أهل الجاهلية يفعلون ذلك يتزوج الرجل امرأة أبيه بعده فولدت له أبا معيط فكان بنو أمية من آمنة إخوة أبي معيط وعمومته أخبرني بذلك كله الطوسي عن الزبير بن بكار
قال الزبير وحدثني عمي مصعب قال زعموا أن ابنها أبا العاص زوّجها أخاه أبا عمرو وكان هذا نكاحا تنكحه الجاهلية فأنزل الله تعالى تحريمه قال الله تعالى (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا) فسمي نكاح المقت
مقتل عقبة والحارث
وأسر عقبة بن أبي معيط في يوم بدر فقتله رسول الله صبرا حدثنا بذلك محمد بن جرير الطبري قال حدثنا محمد بن حميد الرازي قال حدثنا سلمة ابن الفضل عن محمد بن إسحاق في خبر ذكره طويل وحدثني به أحمد بن محمد بن الجعد قال حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي قال حدثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب الزهري قالوا جميعا
قتله رسول الله صبرا فقال له وقد أمر بذلك فيه يا محمد أأنا خاصة من قريش قال نعم قال فمن للصبية بعدي قال النار فلذلك يسمى بنو أبي معيط صبية النار واختلف في قاتله فقيل إن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه تولى قتله وهذا من رواية بعض الكوفيين حدثني به أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة قال أخبرني المنذر بن محمد اللخمي قال حدثنا سليمان بن عباد قال حدثني عبد العزيز بن أبي ثابت المدني عن أبيه عن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب عليهم السلام
أن النبي أمر علياً يوم بدر فضرب عنق عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث وروى ابن إسحاق أن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري قتله وأن الذي قتله علي بن أبي طالب عليه السلام النضر بن الحارث بن كلدة
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني الحسن بن عثمان قال حدثني ابن أبي زائدة عن محمد بن إسحاق عن أصحابه وحدثنا محمد بن جرير قال حدثنا أحمد بن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق عن أصحابه قالوا
قُتيلة بنت الحارث ترثي أخاها
قتل رسول الله يوم بدر عقبة بن أبي معيط صبرا أمر عاصم بن ثابت
فضرب عنقه ثم أقبل من بدر حتى إذا كان ب الصفراء قتل النضر بن الحارث بن كلدة أحد بني عبد الدار أمر علياّ عليه السلام أن يضرب عنقه قال عمر بن شبة في حديثه ب الأُثَيل فقالت أخته قُتيلة بنت الحارث ترثيه
(يا راكباً إنّ الأُثَيْلَ مَظِنَّةٌ ... مِن صُبْحِ خامسةٍ وأنتَ مُوفَّقُ)
(أبلِغْ به مَيْتاً بأنّ تحيّةً ... ما إن تزالُ بها النجائبُ تخْفُقُ)
(مِنِّي إليكَ وعَبْرةً مسفوحةً ... جادتْ بِدرَّتِها وأخرى تَخْنُقُ)
(هل يسمَعَنِّ النضرُ إن ناديتُه ... إن كان يسمعُ هالكٌ لا ينطِقُ)
(ظَلَّتْ سيوفُ بني أبيهِ تنوشُه ... للهِ أرحامٌ هناكَ تُشَقَّقُ)
(صبراً يُقادُ إلى المنيّة متُعَباً ... رَسْفَ المقيَّدِ وهو عانٍ مُوثَقُ)
((أمحمدٌ ولأنتَ نَسْلُ نَجيبةٍ ... في قومها والفحلُ فَحلٌ مُعْرِقُ
(ما كان ضرَّكَ لو مَنَنْتَ وربّما ... مَنَّ الفتى وهو المَغيظُ المُحْنَقُ)
(أوْ كُنتَ قابلَ فديةٍ فَليأتِيَنْ ... بأعزِّ ما يَغْلو لديكَ ويَنفُقُ)
(والنضرُ أقربُ مَنْ أخذتَ بِزَلّةٍ ... وأحقُّهم إن كان عِتقٌ يُعْتَقُ)
فبلغنا أن النبي قال لو سمعت هذا قبل أن أقتله ما قتلته فيقال إن شعرها أكرم شعر موتورة وأعفه وأكفه وأحلمه قال ابن إسحاق وحدثني أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر أن رسول الله لما كان بعرق الظبية قتل عقبة بن أبي معيط قال حين أمر به أن يقتل فمن للصبية يا محمد قال النار فقتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح أحد بني عمرو بن عوف
حدثني أحمد بن الجعد قال حدثنا عبد الله بن محمد بن إسحاق الأدمي قال حدثنا الوليد بن مسلم قال حدثني الأوزاعي

قال حدثني يحيى بن أبي كثير عن محمد بن إبراهيم التيمي قال حدثني عروة بن الزبير قال
سألت عبد الله بن عمرو فقلت أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله فقال بينا رسول الله يصلي في حجر الكعبة إذا أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنق رسول الله
فخنقه به خنقا شديدا فأقبل أبو بكر رحمة الله عليه حتى أخذ بمنكبه فدفعه عن رسول الله وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله

الوليد بن عقبة يتولى الكوفة

وكان الوليد بن عقبة أخا عثمان بن عفان لأمه أمهما أروى بنت عامر بن كريز وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف والبيضاء وعبد الله أبو رسول الله توءمان وكان عقبة بن أبي معيط تزوج أروى بعد وفاة عفان فولدت له الوليد وخالدا وعمارة وأم كلثوم كل هؤلاء أخوه عثمان لأمه وولى عثمان الوليد بن عقبة في خلافته الكوفة فشرب الخمر وصلى بالناس وهو سكران فزاد في الصلاة وشهد عليه بذلك عند عثمان فجلده الحد وسيأتي خبره بعد هذا في موضعه وأبو قطيفة عمرو بن الوليد يكنى أبا الوليد وأبو قطيفة لقبٌ لُقِّب به وأمه بنت الربيع بن ذي الخمار من بني أسد بن خزيمة
وقال أبو قطيفة هذا الشعر حين نفاه ابن الزبير مع بني أمية عن المدينة مع نظائر له تشوقا إليها حدثني بالسبب في ذلك أحمد بن محمد بن شبيب بن أبي شيبة البزار قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائنيّ وأخبرني ببعضه أحمد بن محمد بن الجعد قال حدثنا أحمد بن زهير بن حرب قال حدثني أبي قال
حدثني وهب بن جرير عن أبيه في كتابه المسمى كتاب الأزارقة ونسخت بعضه من كتاب منسوب إلى الهيثم بن عدي واللفظ للمدائنيّ في الخبر ما اتسق فإذا انقطع أو اختلف نسبت الخلاف إلى راويه قال الهيثم بن عدي أخبرنا ابن عياش عن مجالد عن الشعبي وعن ابن أبي الجهم ومحمد بن المنتشر

خروج ابن الزبير على بني أمية

أن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه وعلى أبيه السلام لما سار إلى العراق شمر ابن الزبير للأمر الذي أراده ولبس المعافري وشبر بطنه وقال إنما بطني شِبْرٌ وما عسى أن يسع الشّبرُ وجعل يظهر عيب بني أمية ويدعو إلى خلافهم فأمهله يزيد سنة ثم بعث إليه عشرة من أهل الشام عليهم النعمان بن بشير وكان أهل الشام يسمون أولئك العشرة النفر الركب منهم عبد الله بن عضاه الأشعري وروح بن زنباع الجذامي وسعد بن حمزة الهَمْدانيّ ومالك ابن هبيرة السكوني وأبو كبشة السكسكي وزمل بن عمرو العذري وعبد الله بن مسعود وقيل ابن مسعدة الفزاري وأخوه عبد الرحمن وشريك بن عبد الله
الكناني وعبد الله بن عامر الهمداني وجعل عليهم النعمان بن بشير فأقبلوا حتى قدموا مكة على عبد الله بن الزبير وكان النعمان يخلو به في الحجر كثيرا فقال له عبد الله بن عضاه يوما يابن الزبير إن هذا الأنصاري والله ما أمر بشيء إلا وقد أمرنا بمثله إلا أنه قد أمر علينا إني والله ما أدري ما بين المهاجرين والأنصار فقال ابن الزبير يابن عضاه مالي ولك إنما أنا بمنزلة حمامة من حمام مكة أفكنت قاتلا حماما من حمام مكة قال نعم وما حرمة حمام مكة يا غلام ائتني بقوسي وأسهمي فأتاه بقوسه وأسهمه فأخذ سهما فوضعه في كبد القوس ثم سدده نحو حمامة من حمام المسجد وقال يا حمامة أيشرب يزيد بن معاوية الخمر قولي نعم فوالله لئن فعلت لأرمينك يا حمامة أتخلعين يزيد بن معاوية وتفارقين أمة محمد وتقيمين في الحرم حتى يستحل بك والله لئن فعلت لأرمينك فقال ابن الزبير ويحك أو يتكلم الطائر قال لا ولكنك يا بن الزبير تتكلم أقسم بالله لتبايعن طائعا أو مكرها أو لتتعرفن راية الأشعريين في هذه البطحاء ثم لا أعظم من حقها ما تعظم فقال ابن الزبير أو تستحل الحرم قال إنما يستحله من ألحد فيه فحبسهم شهرا ثم ردهم إلى يزيد بن معاوية ولم يجبه إلى شيء وفي رواية أحمد بن الجعد وقال بعض الشعراء وهو أبو العباس الأعمى واسمه السائب بن فروخ يذكر ذلك وشبر ابن الزبير بطنه
(ما زال في سُورةِ الأعراف يدرسُها ... حتى بدا ليَ مثلَ الخزِّ في اللِّين)
(لو كان بطنُكَ شِبْراً قد شَبِعتَ وقد ... أفْضلتَ فضلاً كثيراً للمساكين)
قال الهيثم ثم إن ابن الزبير مضى إلى صفية بنت أبي عبيد زوجة عبد الله
ابن عمر فذكر لها أن خروجه كان غضبا لله تعالى ورسوله والمهاجرين والأنصار من أثرة معاوية وابنه وأهله بالفيء وسألها مسألته أن يبايعه فلما قدمت له عشاءه ذكرت له أمر ابن الزبير واجتهاده وأثنت عليه وقالت ما يدعو إلا إلى طاعة الله جل وعز وأكثرت القول في ذلك فقال لها أما رأيت بغلات معاوية اللواتي كان يحج عليهن الشهب فإن ابن الزبير ما يريد غيرهن قال المدائنيّ في خبره وأقام ابن الزبير على خلع يزيد ومالأه على ذلك أكثر الناس فدخل عليه عبد الله بن مطيع وعبد الله بن حنظلة وأهل المدينة المسجد وأتوا المنبر فخلعوا يزيد فقال عبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي خلعت يزيد كما خلعت عمامتي ونزعها عن رأسه وقال إني لأقول هذا وقد وصلني وأحسن جائزتي ولكن عدو الله سكير خمير وقال آخر خلعته كما خلعت نعلي وقال آخر خلعته كما خلعت ثوبي وقال آخر قد خلعته كما خلعت خفي حتى كثرت العمائم والنعال والخفاف وأظهروا البراءة منه وأجمعوا على ذلك وامتنع منه عبد الله بن عمر ومحمد بن علي بن أبي طالب عليهما السلام وجرى بين محمد خاصة وبين أصحاب ابن الزبير فيه
قول كثير حتى أرادوا إكراهه على ذلك فخرج إلى مكة وكان هذا أول ما هاج الشر بينه وبين ابن الزبير

وقعة الحرة

قال المدائني واجتمع أهل المدينة لإخراج بني أمية عنها فأخذوا عليهم العهود ألا يعينوا عليهم الجيش وأن يردوهم عنهم فإن لم يقدروا على ردهم لا يرجعوا إلى المدينة معهم فقال لهم عثمان بن محمد بن أبي سفيان أنشدكم الله في دمائكم وطاعتكم فإن الجنود تأتيكم وتطؤكم وأعذر لكم ألا تخرجوا أميركم إنكم إن ظفرتم وأنا مقيم بين أظهركم فما أيسر شأني وأقدركم علي إخراجي وما أقول هذا إلا نظرا لكم أريد به حقن دمائكم فشتموه وشتموا يزيد وقالوا لا نبدأ إلا بك ثم نخرجهم بعدك فأتى مروان عبد الله بن عمر فقال يا أبا عبد الرحمن إن هؤلاء القوم قد ركبونا بما ترى فضم عيالنا فقال لست من أمركم وأمر هؤلاء في شيء فقام مروان وهو يقول قبح الله هذا أمرا وهذا دينا ثم أتى علي بن الحسين عليهما السلام فسأله أن يضم أهله وثقله ففعل ووجههم وامرأته أم أبان بنت عثمان إلى الطائف ومعها ابناه عبد الله ومحمد فعرض حريث رقاصة وهو مولى لبني بهز من سليم كان بعض عمال المدينة قطع رجله فكان إذا مشى كأنه يرقص فسمي رقاصة لثقل مروان وفيه أم عاصم بنت عاصم

ابن عمر بن الخطاب فضربته بعصا فكادت تدق عنقه فولى ومضى ومضوا إلى الطائف وأخرجوا بني أمية فحس بهم سليمان بن أبي الجهم العدوي وحريث رقاصة فأراد مروان أن يصلي بمن معه فمنعوه وقالوا لا يصلي والله بالناس أبدا ولكن إن أراد أن يصلي بأهله فليصل فصلى بهم ومضى فمر مروان بعبد الرحمن بن أزهر الزهري فقال له هلم إلي يا أبا عبد الملك فلا يصل إليك مكروه ما بقي رجل من بني زهرة فقال له وصلتك رحم قومنا على أمر فأكره أن أعرضك لهم وقال ابن عمر بعد ذلك لما أخرجوا وندم على ما كان قاله لمروان لو وجدت سبيلا إلى نصر هؤلاء لفعلت فقد ظلموا وبغي عليهم فقال ابنه سالم لو كلمت هؤلاء القوم فقال يا بني لا ينزع هؤلاء القوم عما هم عليه وهم بعين الله إن أراد أن يغير غير قال فمضوا إلى ذي خشب وفيهم عثمان بن محمد بن أبي سفيان والوليد بن عتبة بن أبي سفيان واتبعهم العبيد والصبيان والسفلة يرمونهم ثم رجع حريث رقاصة وأصحابه إلى المدينة وأقامت بنو أمية ب ذي خُشُب عشرة أيام وسرحوا حبيب بن كرة إلى يزيد بن معاوية يعلمونه وكتبوا إليه يسألونه الغوث وبلغ أهل المدينة أنهم وجهوا رجلا إلى يزيد فخرج محمد بن عمرو بن حزم ورجل من بني سليم من بهز وحريث رقاصة وخمسون راكبا فأزعجوا بني أمية منها فنخس حريث بمروان فكاد يسقط عن ناقته فتأخر عنها وزجرها وقال اعلي واسلمي فلما كانوا بالسويداء عرض لهم مولى لمروان فقال جعلت فداك لو نزلت فأرحت وتغديت فالغداء حاضر كثير قد أدرك فقال لا يدعني رقاصة وأشباهه وعسى أن يمكن الله منه

فتقطع يده ونظر مروان إلى ماله ب ذي خُشُب فقال لا مال إلا ما أحرزته العياب فمضوا فنزلوا حقيلا أو وادي القرى وفي ذلك يقول الأحوص

(لا تَرْثِيَنَّ لحَزْمِيٍّ رأيتَ به ... ضُرّاً ولو سقَط الحزميُّ في النار)

(الناخسين بمَرْوانٍ بذي خُشُبٍ ... والمُقْحِمِينَ على عثمانَ في الدار)

قال المدائني فدخل حبيب بن كرة على يزيد وهو واضع رجله في طست لوجع كان يجده بكتاب بني أمية وأخبره الخبر فقال أما كان بنو أمية ومواليهم ألف رجل قال بلى وثلاثة آلاف قال أفعجزوا أن يقاتلوا ساعة من نهار قال كثرهم الناس ولم تكن لهم بهم طاقة فندب الناس وأمر عليهم صخر بن أبي الجهم القيني فمات قبل أن يخرج الجيش فأمر مسلم بن عقبة الذي يسمى مسرفا قال وقال ليزيد ما كنت مرسلا إلى المدينة أحدا إلا قصر وما صاحبهم غيري إني رأيت في منامي شجرة غرقد تصيح على يدي مسلم فأقبلت

نحو الصوت فسمعت قائلا يقول أدرك ثأرك أهل المدينة قتلة عثمان فخرج مسلم وكان من قصة الحرة ما كان على يده وليس هذا موضعه فقال أبو قطيفة في ذلك لما أخرجوا عن المدينة

حنين أبي قطيفة إلى المدينة وأهلها

صوت من غير المائة فيه لحنان

(بَكَى أحُدٌ لمّا تحمّل أهلُه ... فكيفَ بذي وَجْدٍ من القومِ آلِفِ)

(من أجل أبي بَكْرٍ جَلَتْ عن بلادها ... أُميَّةُ والأيّامُ ذاتُ تَصَارفِ)

عروضه من الطويل وفيه ثقيل أول والغناء لسائب خاثر خفيف ثقيل أول بالوسطى ذكر ذلك حماد عن أبيه وذكر أن فيه لحنا آخر لأهل المدينة لا يعرف صاحبه قال الهيثم في خبره وقال أبو العباس الأعمى في ذلك

(قد حَلَّ في دار البَلاَطِ مُجَوَّعٌ ... ودار أبي العَاص التّميميُّ حَنْتَفُ)

(فلم أرَ مثلَ الحيّ حين تحمّلوا ... ولا مثلَنا عن مثلِهم يَتَنكَّفُ)

وقال أبو قطيفة أيضا

صوت من غير المائة فيه ثلاثة ألحان

(بَكَى أحُدُ لمّا تحمّل أهلُه ... فسَلْعٌ فدارُ المال أمستْ تصَدَّعُ)

(وبالشام إخواني وجُلُّ عَشِيرتي ... فقد جَعَلتْ نفسِي إليهم تَطَلّعُ)

عروضه من الطويل غنى فيه دحمان ولحنه ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر من رواية إسحاق وفيه لمعبد ثقيل أول بالوسطى من رواية حبش وذكر إسحاق أن فيه لحنا فيه خفيف الثقيل الأول بالخنصر في مجرى البنصر مجهول الصانع وقال أبو قطيفة أيضا

صوت من غير المائة المختارة

(ليتَ شِعْري هَل البَلاَطُ كعهْدي ... والمُصَلَّى إلى قصورِ العَقِيق)

(لأَمَنِي في هَواكِ يا أُمَّ يحيى ... من مُبِينٍ بغشّه أو صَدِيق)

عروضه من الخفيف غناه معبد ويقال دحمان ولحنه ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى وذكر إسحاق أنه لا يعرف صاحبه

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني محمد بن يونس بن الوليد قال

كان ابن الزبير قد نفى أبا قطيفة مع من نفاه من بني أمية عن المدينة إلى الشأم فلما طال مقامه بها

(ألا ليتَ شِعْري هل تغير بعدنا ... قُبَاءٌ وهل زَالَ العقيقُ وحاضِرُهْ)

(وهل بَرِحَتْ بَطْحَاء قبرِ محمدٍ ... أراهِطُ غُرٌّ من قُريشٍ تُباكِرُهْ)

(لهم منتهى حبّي وصفْو مودّتي ... ومَحْضُ الهوَى منّي وللناس سائرُهْ)

قال وقال أيضا

صوت من غير المائة المختارة

(ليتَ شِعْري وأينَ منّيَ لَيْتٌ ... أعَلَى العَهْد يَلْبَنٌ فبَرامُ)

(أم كعَهْدِي العَقِيقُ أم غيّرتْه ... بَعْدِيَ الحادثاتُ والأيّامُ)

(وبأهلي بُدِّلْتُ عَكّاً ولخماً ... وجُذَاماً وأينَ منّي جُذَامُ)

(وتبدَّلْتُ مِنْ مساكنِ قَوْمِي ... والقُصُورِ التي بها الآطَامُ)

(كلِّ قَصْرٍ مُشَيَّدٍ ذي أَوَاسٍ ... يتغنَّى على ذُرَاهُ الحَمَامُ)

(اقْرِ مِنّي السَّلامَ إن جئت قومي ... وقليلٌ لهمْ لَديّ السلامُ)

عروضه من الخفيف غناه معبد ولحنه ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر ويَلْبَنُ وبَرامُ موضعان والآطام جمع أطم وهي القصور والحصون وقال الأصمعي الآطام الدور المسطحة السقوف وفي رواية ابن عمار ذي أواش بالشين معجمة كأنه أراد

به أن هذه القصور موشية أي منقوشة ورواه إسحاق أواس بالسين غير معجمة وقال واحدها آسي وهو الأصل قال ويقال فلان في آسيه أي في أصله والآسي والأساس واحد وذرا كل شيء أعاليه وهو جمع واحدته ذروة ويروى
(... أَبْلِغَنَّ السَّلامَ إن جئتَ قَوْمِي)
وروى الزبير بن بكار هذه الأبيات لأبي قطيفة وزاد فيها
(أَقْطَعُ الليلَ كلَّه باكتئابٍ ... وزَفِيرٍ فما أكادُ أنامُ)
(نحوَ قَوْمي إذ فرَّقَتْ بيننا الدارُ ... وحادتْ عن قَصْدِها الأحلامُ)
(خشيةً أن يُصيبَهم عنتُ الدّهر ... وحربٌ يَشِيبُ منها الغلامُ)
(فلقدْ حانَ أن يكونَ لهذا الدَّهر ... عنَّا تباعُدٌ وانْصِرَامُ)
ابن الزبير يعفو عن أبي قطيفة
رجع الخبر إلى سياقته من رواية ابن عمار وأخبرنا بمثله من هذا الموضع الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن الحزامي وهو إبراهيم بن المنذر عن مطرف بن عبد الله المدني قالا إن ابن الزبير لما بلغه شعر أبي قطيفة هذا قال حنّ والله أبو قطيفة وعليه السلام ورحمة الله من لقيه فليخبره أنه آمن
فليرجع فأخبر بذلك فانكفأ إلى المدينة راجعا فلم يصل إليها حتى مات قال ابن عمار فحدثت عن المدائنيّ أن امرأة من أهل المدينة تزوجها رجل من أهل الشام فخرج بها إلى بلده على كره منها فسمعت منشدا ينشد شعر أبي قطيفة هذا فشهقت شهقة وخرت على وجهها ميتة هكذا ذكر ابن عمار في خبره
وأخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد قرأت على أبي عن أيوب بن عباية قال قال حدثني سعيد بن عائشة مولى آل المطلب بن عبد مناف قال
خرجت امرأة من بني زهرة في خف فرآها رجل من بني عبد شمس من أهل الشام فأعجبته فسأل عنها فنسبت له فخطبها إلى أهلها فزوجوه إياها بكره منها فخرج بها إلى الشام وخرجت مخرجا فسمعت متمثلا يقول
صوت من غير المائة المختارة
(ألا ليتَ شِعري هل تغيَّر بعدنا ... جَبُوبُ المصلَّى أم كعهْدي القرائنُ)
(وهل أدْؤُرٌ حولَ البلاط عَوامِرٌ ... من الحَيِّ أم هل بالمدينة ساكنُ)
(إذا برقَتْ نحوَ الحِجاز سحابةٌ ... دعا الشوقَ منِّي برقُها المتيامِنُ)
(فلَمْ أتْرُكْها رغْبَةً عن بلادها ... ولكنَّه ما قدَّر اللهُ كائنُ)
عروضه من الطويل يقال إن لمعبد فيه لحنا قال فتنفست بين النساء فوقعت ميتة قال أيوب فحدثت بهذا الحديث عبد العزيز بن أبي ثابت الأعرج فقال أتعرفها قلت لا قال هي والله عمتي حميدة بنت عمر بن عبد الرحمن بن عوف
أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الرياشي قال أخبرني ابن عائشة قال لما أجلى ابن الزبير بني أمية عن الحجاز قال أيمن بن خريم الأسدي
(كأنّ بني أُميّةَ يومَ رَاحُوا ... وعُرِّي عن منازلهم صِرَارُ)
(شَمَاريخُ الجبالِ إذا تردَّتْ ... بزينتها وجادَتْها القِطَارُ)
وأخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا محمد بن سعد الكراني قال حدثنا العمري عن العتبي قال
كتب أبو قطيفة عمرو بن الوليد بن عقبة إلى أبيه وهو متولي الكوفة لعثمان بن عفان
(مَنْ مُبْلِغٌ عنِّي الأميرَ بأنني ... أرِقٌ بلا داء سوى الإنْعاظِ)
(إن لم تُغِثْني خِفْتُ إثمَكَ أو أرَى ... في الدار محدوداً بزُرْقِ لِحَاظِ)
يعني دار عثمان التي تقام فيها الحدود فابتاع له جارية بالكوفة وبعث بها إليه
أخبرني عبد الله بن محمد الرازي قال حدثنا الخراز عن المدائنيّ قال
كان أبو قطيفة من شعراء قريش وكان ممن نفاه ابن الزبير مع بني أمية إلى الشام فقال في ذلك
(وما أخْرَجتْنا رغْبَةٌ عن بلادنا ... ولكنَّه ما قدَّر اللهُ كائنُ)
(أحِنُّ إلى تلك الوجوه صَبَابةً ... كأنّي أسيرٌ في السَّلاسِلِ راهنُ)
وكان يتحرق على المدينة فأتى عباد بن زياد ذات يوم عبد الملك فقال له إن خاله أخبره أن العراقين قد فتحا فقال عبد الملك لأبي قطيفة لما يعلمه من حبه المدينة أما تسمع ما يقوله عباد عن خاله قد طابت لك المدينة الآن فقال أبو قطيفة
(إنِّي لأحْمَقُ مَنْ يَمْشِي على قَدَمٍ ... إن غَرَّني من حياتي خالُ عَبَّاد)
(أنْشَا يقول لنا المِصْرانِ قد فُتِحا ... ودونَ ذلكَ يومٌ شَرُّهُ بَادِي)
قال وأَذِنَ له ابن الزبير في الرجوع فرجع فمات في طريقه
وصية سعيد بن العاص
وأما خبر القصر الذي تقدم ذكره وبيعه من معاوية فأخبرني الحسين بن
يحيى عن حماد عن أبيه قال ذكر مصعب بن عمار بن مصعب بن عروة بن الزبير
أن سعيد بن العاص لما حضرته الوفاة وهو في قصره هذا قال له ابنه عمرو لو نزلت إلى المدينة فقال يا بني إن قومي لن يضنوا علي بأن يحملوني على رقابهم ساعة من نهار وإذا أنا مت فآذنهم فإذا واريتني فانطلق إلى معاوية فانعني له وانظر في ديني واعلم أنه سيعرض عليك قضاءه فلا تفعل واعرض عليه قصري هذا فإني إنما اتخذته نزهة وليس بمال فلما مات آذن به الناس فحملوه من قصره حتى دفن بالبقيع ورواحل عمرو بن سعيد مناخة فعزاه الناس على قبره وودعوه فكان هو أول من نعاه لمعاوية فتوجع له وترحم عليه ثم قال هل ترك دينا قال نعم قال كم هو قال ثلثمائة ألف درهم قال هي علي قال قد ظن ذلك وأمرني ألا أقبله منك وأن أعرض عليك بعض ماله فتبتاعه فيكون قضاء دينه منه قال فاعرض علي قال قصره بالعرصة قال قد أخذته بدينه قال هو لك على أن تحملها إلى المدينة وتجعلها بالوافية قال نعم فحملها له إلى المدينة وفرقها في غرمائه وكان أكثرها عدات فأتاه شاب من قريش بصك فيه عشرون ألف درهم بشهادة سعيد على نفسه وشهادة مولى له عليه فأرسل إلى المولى فاقرأه الصك فلما قرأه بكى وقال نعم هذا خطه وهذه شهادتي عليه فقال له عمرو من أين يكون لهذا الفتى عليه عشرون ألف درهم وإنما هو صعلوك من صعاليك قريش قال أخبرك عنه مرسعيد بعد عزله فاعترض له هذا الفتى ومشى معه حتى صار إلى منزله فوقف له سعيد فقال ألك حاجة

قال لا إلا أني رأيتك تمشي وحدك فأحببت أن أصل جناحك فقال لي ائتني بصحيفة فأتيته بهذه فكتب له على نفسه هذا الدين
وقال إنك لم تصادف عندنا شيئا فخذ هذا فإذا جاءنا شيء فأتنا فقال عمرو لا جرم والله لا يأخذها إلا بالوافية أعطه إياها فدفع إليه عشرين ألف درهم وافية
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا الصلت بن مسعود قال حدثنا سفيان بن عيينة قال حدثنا هارون المدائني قال
كان الرجل يأتي سعيد بن العاص يسأله فلا يكون عنده فيقول ما عندي ولكن اكتب علي به فيكتب عليه كتابا فيقول تروني أخذت منه ثمن هذا لا ولكنه يجيء فيسألني فينزو دم وجهه في وجهي فأكره رده فأتاه مولى لقريش بابن مولاه وهو غلام فقال إن أبا هذا قد هلك وقد أردنا تزويجه فقال ما عندي ولكن خذ ما شئت في أمانتي فلما مات سعيد بن العاص جاء الرجل إلى عمرو بن سعيد فقال إني أتيت أباك بابن فلان وأخبره بالقصة فقال له عمرو فكم أخذت قال عشرة آلاف فأقبل عمرو على القوم فقال من رأى أعجز من هذا يقول له سعيد خذ ما شئت في أمانتي فيأخذ عشرة آلاف لو أخذت مائة ألف لأديتها عنك
أبو قطيفة يهجو عبد الملك بن مروان
أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن ابن الكلبي قال
قال أبو قطيفة وكانت أمه وأم خالد بن الوليد بن عقبة عمة أروى بنت أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب
(أنا ابن أبي مُعَيْطٍ حينَ أُنْمى ... لأكرَمِ ضِئْضِيءٍ وأعزِّ جِيلِ
(وأُنْمَى للعقائلِ من قُصَيٍّ ... ومَخْزُومٍ فما أنا بالضَّئِيلِ)
(وأرْوَى مِن كُرَيْزٍ قد نَمتْنِي ... وأرْوَى الخيرِ بنتُ أبي عَقِيلِ)
(كِلاَ الحَيَّيْنِ من هذا وهذا ... لعمرُ أبيكَ في الشَّرَفِ الطويلِ)
(فعدِّدْ مثلَهن أبا ذُبَابٍ ... ليَعْلَمَ ما تقولُ ذوو العقولِ)
(فما الزَّرْقاءُ لي أمّاً فأَخْزَى ... ولا لِيَ في الأزارقِ مِنْ سبيلِ)
قال يعني بأبي الذباب عبد الملك والزرقاء إحدى أمهاته من كندة وكان يعير بها
أخبرني الحسن بن علي قال أخبرني محمد بن زكريا قال حدثنا قعنب بن المحرز قال حدثنا المدائني قال
بلغ أبا قطيفة أن عبد الملك بن مروان يتنقصه فقال
(نُبِّئْتُ أنَّ ابنَ العَمَلَّسِ عابَنِي ... ومَنْ ذامن الناسِ البَرِيءُ المسلَّمُ)
(مَن أنتمْ من انتم خبِّرونا مَنْ أنتُم ... فقد جَعَلتْ أشياء تبدو وتُكْتَم)
فبلغ ذلك عبد الملك فقال ما ظننت أنا نجهل والله لولا رعايتي لحرمته لألحقته بما يعلم ولقطعت جلده بالسياط
أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن العتبي قال
طلق أبو قطيفة امرأته فتزوجها رجل من أهل العراق ثم ندم بعد أن رحل بها الرجل وصارت له فقال
(فيا أسفَا لفُرْقة أمِّ عمرو ... ورحْلةِ أهلِها نحوَ العِرَاقِ)
(فليس إلى زيارتها سبيلٌ ... ولا حتَّى القيامةِ من تَلاَقِي)
(وَعلَّ اللهَ يَرْجِعُها إلينا ... بموتٍ مِن حَلِيلٍ أو طلاقِ)
(فأَرْجِع شامتاً وتَقَرَّ عيني ... ويجْمَعَ شملَنا بعدَ افْتراق)
مقتل سعيد بن عثمان
أخبرني عمي ومحمد بن جعفر قالا حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا محمد بن علي بن أبي حسان عن هشام بن محمد عن خالد بن سعيد عن أبيه قال
استعمل معاوية سعيد بن عثمان على خُراسان فلما عزله قدم المدينة بمال وسلاح وثلاثين عبدا من السغد فأمرهم أن يبنوا له دارا فبينا هو جالس فيها ومعه ابن سيحان وابن زينة وخالد بن عقبة وأبو قطيفة إذ تآمروا بينهم فقتلوه فقال أبو قطيفة يرثيه وقيل إنها لخالد بن عقبة
(يا عينِ جُودِي بدمعٍ منكِ تَهْتَانَا ... وابْكي سعيدَ بنَ عثمانَ بنِ عفّانا)
(إن ابنَ زينَةَ لم تَصْدُقْ مودَّتُه ... وفرَّ عنه ابنُ أرْطَاةَ بنِ سَيْحَانَا)
ذكر معبد وبعض أخباره
هو معبد بن وهب وقيل ابن قطني مولى ابن قطر وقيل ابن قطن مولى العاص بن وابصة المخزومي وقيل بل مولى معاوية بن أبي سفيان
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري قال معبد المغني ابن وهب مولى عبد الرحمن بن قطر
وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال قال ابن الكلبي معبد مولى ابن قطر والقطريون موالي معاوية بن أبي سفيان
وأخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو غسان قال معبد بن وهب مولى ابن قطن وهم موالي آل وابصة من بني مخزوم وكان أبوه أسود وكان هو خلاسيا مديد القامة أحول
وذكر ابن خُرْداذبه أنه غنى في أول دولة بني أمية وأدرك دولة بني العباس وقد أصابه الفالج وارتعش وبطل فكان إذا غنى يضحك منه ويهزأ به وابن خُرْدَاذْبَه قليل التصحيح لما يرويه ويضمنه كتبه والصحيح أن معبدا مات في أيام الوليد بن يزيد بدمشق وهو عنده وقد قيل إنه أصابه الفالج قبل موته وارتعش وبطل صوته فأما إدراكه دولة بني العباس فلم يروه أحد سوى ابن خُرْدَاذْبه ولا قاله ولا رواه عن أحد وإنما جاء به مجازفة
سلامة القس ترثي معبدا
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أيوب ابن عمر أبو سلمة المديني قال حدثنا عبد الله بن عمران بن أبي فروة قال حدثني كردم بن معبد المغني مولى ابن قطن قال
مات أبي وهو في عسكر الوليد بن يزيد وأنا معه فنظرت حين أُخْرِجَ نعشه إلى سلامة القس جارية يزيد بن عبد الملك وقد أضرب الناس عنه ينظرون إليها وهي آخذة بعمود السرير وهي تبكي أبي وتقول

(قد لَعَمْري بِتُّ لَيْلي ... كأخي الدّاءِ الوَجِعِ)
(ونَجِيُّ الهَمِّ مِنّي ... بات أدنى من ضَجِيعِي)
(كُلَّما أبصرتُ رَبْعاً ... خالياً فاضتْ دُموعي)
(قد خَلاَ من سَيِّدٍ كان ... لنا غيرَ مُضِيعِ)
(لا تَلُمْنا إن خَشَعْنا ... أو هَمَمْنا بخُشُوعِ)
قال كردم وكان يزيد أمر أبي أن يعلمها هذا الصوت فعلمها إياه فندبته به يومئذ قال فلقد رأيت الوليد بن يزيد والغمر أخاه متجردين في قميصين ورداءين يمشيان بين يدي سريره حتى أخرج من دار الوليد لأنه تولى أمره وأخرجه من داره إلى موضع قبره
فأما نسبة هذا الصوت فإن الشعر للأحوص والغناء لمعبد ذكره يونس ولم يجنسه وذكر الهشامي أنه ثاني ثقيل بالوسطى قال وفيه لحبابة خفيف ثقيل ولابن المكي ثقيل أول نشيد وفيه لسلامة القس عن إسحاق لحن من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالوسطى في مجراها
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال قال أبو عبيدة
ذكر مولى لآل الزبير وكان منقطعا إلى جعفر ومحمد ابني سليمان بن علي أن معبدا عاش حتى كبر وانقطع صوته فدعاه رجل من ولد عثمان فلما غنى الشيخ لم يطرب القوم وكان فيهم فتيان نزول من ولد أسيد بن أبي العيص بن أمية فضحكوا منه وهزئوا به فأنشأ يغني
(فضَحْتم قريشاً بالفِرار وأنتمُ ... قُمُدُّونَ سُودَانٌ عِظَامُ المَنَاكِبِ)
(فأمّا القتالُ لا قتالَ لديكمُ ... ولكنَّ سيراً في عِرَاضِ المَوَاكِبِ)
وهذا شعر هجوا به قديما فقاموا إليه ليتناولوه فمنعهم العثماني من ذلك وقال ضحكتم منه حتى إذا أحفظتموه أردتم أن تتناولوه لا والله لا يكون ذلك قال إسحاق فحدثني ابن سلام قال أخبرني من رآه على هذه الحال فقال له أصرت إلى ما أرى فأشار إلى حلقه وقال إنما كان هذا فلما ذهب ذهب كل شيء

معبد أمير الغناء

قال إسحاق كان معبد من أحسن الناس غناء وأجودهم صنعة وأحسنهم حلقا وهو فحل المغنين وإمام أهل المدينة في الغناء وأخذ عن سائب خاثر ونشيط مولى عبد الله بن جعفر وعن جميلة مولاة بهز بطن من سليم وكان زوجها مولى لبني الحارث بن الخزرج فقيل لها مولاة الأنصار لذلك وفي معبد يقول الشاعر
(أجاد طُوَيْسٌ والسُّرَيْجيُّ بعده ... وما قَصَبَاتُ السَّبْقِ إلا لمَعْبَدِ)
قال إسحاق قال ابن الكلبي عن أبيه كان ابن أبي عتيق خرج إلى مكة فجاء معه ابن سريج إلى المدينة فأسمعوه غناء معبد وهو غلام وذلك في أيام مسلم بن عقبة المري وقالوا ما تقول فيه فقال إن عاش كان مغني بلاده ولمعبد صنعة لم يسبقه إليها من تقدم ولا زاد عليه فيها من تأخر وكانت صناعته التجارة في أكثر أيام رقه وربما رعى الغنم لمواليه وهو مع ذلك يختلف إلى نشيط
الفارسي وسائب خاثر مولى عبد الله بن جعفر حتى اشتهر بالحذق وحسن الغناء وطيب الصوت وصنع الألحان فأجاد واعترف له بالتقدم على أهل عصره
أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد قرأت على أبي
قال الجمحي بلغني أن معبدا قال والله لقد صنعت ألحانا لا يقدر شبعان ممتلىء ولا سقاء يحمل قربة على الترنم بها ولقد صنعت ألحانا لا يقدر المتكىء أن يترنم بها حتى يقعد مستوفزا ولا القاعد حتى يقوم
قال إسحاق وبلغني أن معبدا أتى ابن سريج وابن سريج لا يعرفه فسمع منه ما شاء ثم عرض نفسه عليه وغناه وقال له كيف كنت تسمع جعلت فداءك فقال له لو شئت كنت قد كفيت بنفسك الطلب من غيرك قال وسمعت من لا أحصي من أهل العلم بالغناء يقولون لم يكن فيمن غنى أحد أعلم بالغناء من معبد قال وحدثني أيوب بن عباية قال دخلت على الحسن بن مسلم أبي العراقيب وعنده جاريته عاتكة فتحدث فذكر معبدا فقال أدركته يلبس ثوبين ممشقين وكان إذا غنى علا منخراه فقالت عاتكة يا سيدي أو أدركت معبدا قال إي والله وأقدم من معبد فقالت استحييت لك من هذا الكبر أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حماد قرأت على أبي أخبرني محمد بن سلام قال حدثني جرير قال قال معبد قدمت مكة فقيل لي إن ابن صفوان قد سبق بين المغنين جائزة فأتيت بابه فطلبت الدخول فقال لي آذنه قد تقدم إلي ألا آذن لأحد عليه ولا أؤذنه به قال فقلت دعني أدنو من الباب فأغني صوتا قال أما هذا فنعم فدنوت من الباب فغنيت صوتا فقالوا معبد وفتحوا لي فأخذت الجائزة يومئذ
أخبرني الحسين قال نسخت من كتاب حماد قال أبي وذكر عورك وهو الحسن بن عتبة اللهبي أن الوليد بن يزيد كان يقول ما أقدر على الحج فقيل له وكيف ذاك قال يستقبلني أهل المدينة بصوتي معبد
(... القصرُ فالنخلُ فالجَمَّاءُ بينهما)
وقتيلة يعني حنه
(يوم تُبْدِي لنا قُتَيْلةُ عن جِيدٍ ... تَلِيعٍ تزينُه الأطْواقُ)
كيف يغني معبد
قال إسحاق قيل لمعبد كيف تصنع إذا أردت أن تصوغ الغناء قال أرتحل قعودي وأوقع بالقضيب على رحلي وأترنم عليه بالشعر حتى يستوي لي الصوت فقيل له ما أبين ذلك في غنائك
قال إسحاق وقال مصعب الزبيري قال يحيى بن عباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير حدثني أبي قال
قال معبد كنت غلاما مملوكا لآل قطن مولى بني مخزوم وكنت أتلقى الغنم بظهر الحرة وكانوا تجارا أعالج لهم التجارة في ذلك فآتي صخرة بالحرة ملقاة بالليل فأستند إليها فأسمع وأنا نائم صوتا يجري في مسامعي فأقوم من النوم فأحكيه فهذا كان مبدأ غنائي
أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حماد قال أبي قال محمد بن سعيد الدوسي عن أبيه ومحمد بن يزيد عن سعيد الدوسي عن الربيع بن أبي الهيثم قال
كنا جلوسا مع عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فقال إنسان لمالك أنشدك الله أنت أحسن غناء أم معبد فقال مالك والله ما بلغت شراكه قط والله لو لم يغن معبد إلا قوله

(لَعَمْرُ أبيها لا تقولُ حَلِيلَتي ... ألاَ فَرَّ عَنِّي مالكُ بن أبي كَعْبِ)
(وهُمْ يضربون الكَبْشَ تَبْرُقُ بيضُه ... تَرَى حَوْلَه الأبطالَ في حَلَقٍ شُهْبِ
لكان حسبه قال وكان مالك إذا غنى غناء معبد يخفف منه ثم يقول أطال الشعر معبد ومططه وحذفته أنا وتمام هذا الصوت
صوت من غير المائة المختارة
(لعمر أبيها لا تقول حليلتي ... ألاَ فَرَّ عَنِّي مالكُ بن أبي كعبِ)
(وهُمْ يضربون الكبشَ تَبْرُقُ بيضُه ... تَرَى حولَه الأبطالَ في حَلَق شُهْبِ)
(إذا أنْفَدُوا الزِّقَّ الرَّوِيَّ وصُرِّعُوا ... نَشَاوَى فلم أقْطَعْ بقولي لهم حسْبي)
(بعثتُ إلى حانُوتها فَسبأْتُها ... بغير مكاسٍ في السُّوَام ولا غَصْبِ)
عروضه من الطويل والشعر لمالك بن أبي كعب بن القين الخزرجي أحد بني سلمة هكذا ذكر إسحاق وغيره يذكر أنه من مراد ولهذا الشعر خبر طويل يذكر بعد هذا والغناء في البيتين الأولين لمعبد ثقيل أول بالوسطى ومن الناس من ينسبه إلى ابن سريج ولمالك في الثالث والرابع من الأبيات لحن من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ومن الناس من ينسب هذا اللحن إلى معبد ويقول إن مالكا أخذ لحنه منه فحذف بعض نغمه وانتحله وإن اللحن لمعبد في الأبيات الأربعة وقد ذكر أن هذا الشعر لرجل من مراد وروي له فيه حديث طويل وقد أخرج خبره في ذلك وخبر مالك بن أبي كعب الخزرجي أبي كعب بن مالك صاحب رسول الله في موضع آخر أفرد له إذ كانت له أخبار
كثيرة ولأجله لا تصلح أن تذكر هاهنا
رجع الخبر إلى معبد أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو غسان عن يونس الكاتب قال أقبلت من عند معبد فلقيني ابن محرز ببطحان فقال من أين أقبلت قلت من عند أبي عباد فقال ما أخذت عنه قلت غنى صوتا فأخذته قال وما هو قلت
(ماذا تأمَّلَ واقفٌ جَمَلاً ... في رَبْع دارٍ عابَه قِدَمُهْ)
الشعر لخالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد فقال لي ادخل معي دار ابن هرمة وألقه علي فدخلت معه فما زلت أردده عليه حتى غناه ثم قال إرجع معي إلى أبي عباد فرجعنا فسمعه منه ثم لم تفترق حتى صنع فيه ابن محرز لحنا آخر نسبة هذا الصوت
صوت
(ماذا تأمّل واقفٌ جَمَلاً ... في رَبْع دارٍ عابَه قِدَمُهْ)
(أقْوَى وأقْفَرَ غيرَ مُنْتَصِبٍ ... لِبَدِ الرَّمادَةِ ناصعٍ حُمَمُهْ)
غناه معبد ولحنه ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى وفيه خفيف ثقيل أول بالوسطى ينسب إلى الغريض وإلى ابن محرز وذكر عمرو بن بانة أن الثقيل الأول للغريض وذكر حبش أن فيه لمالك ثاني ثقيل بالوسطى وفيه رمل بالوسطى ينسب إلى سائب خاثر وذكر حبش أنه لإسحاق
غناء معبد يصدم ابن سريج والغريض
أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حماد قال أبي قال ابن الكلبي
قدم ابن سريج والغريض المدينة يتعرضان لمعروف أهلها ويزوران من بها من صديقهما من قريش وغيرهم فلما شارفاها تقدما ثقلهما ليرتادا منزلا حتى إذا كانا بالمغسلة وهي جبانة على طرف المدينة يغسل فيها الثياب إذا هما بغلام ملتحف بإزار وطرفه على رأسه بيده حبالة يتصيد بها الطير وهو يتغنى ويقول
(القصرُ فالنخلُ فالجَمَّاء بينهما ... أشْهَى إلى النفس من أبواب جَيْرونِ)
وإذا الغلام معبد قال فلما سمع ابن سريج والغريض معبدا مالا إليه واستعاداه الصوت فأعاده فسمعا شيئا لم يسمعا بمثله قط فأقبل أحدهما على صاحبه فقال هل سمعت كاليوم قط قال لا والله فما رأيك قال ابن سريج هذا غناء غلام يصيد الطير فكيف بمن في الجوبة يعني المدينة قال أما أنا فثكِلته والدته إن لم أرجع قال فكرا راجعين
قال وقال معبد قدمت مكة فذهب بي بعض القرشيين إلى الغريض فدخلنا عليه وهو متصبح فانتبه من صحبته وقعد فسلم عليه القرشي وسأله فقال له هذا معبد قد أتيتك به وأنا أحب أن تسمع منه قال هات فغنيته أصواتا فقال بمدرى معه في رأسه ثم قال إنك يا معبد لمليح الغناء قال فأحفظني ذلك فجثوت على ركبتي ثم غنيته من صنعتي عشرين صوتا لم يسمع بمثلها قط وهو مطرق واجم قد تغير لونه حسدا وخجلا
معبد وحكم الوادي والعبد الأسود
قال إسحاق وأخبرت عن حكم الوادي قال كنت أنا وجماعة من المغنين نختلف إلى معبد نأخذ عنه ونتعلم منه فغنانا يوما صوتا من صنعته وأعجب به وهو
(... القصرُ فالنخلُ فالجَمَّاء بينهما)
فاستحسناه وعجبنا منه وكنت في ذلك اليوم أول من أخذه عنه واستحسنه مني فأعجبتني نفسي فلما انصرفت من عند معبد عملت فيه لحنا آخر وبكرت على معبد مع أصحابي وأنا معجب بلحني فلما تغنينا أصواتا قلت له إني قد عملت بعدك في الشعر الذي غنيتناه لحنا واندفعت فغنيته صوتي فوجم معبد ساعة يتعجب مني ثم قال قد كنت أمس أرجى مني لك اليوم وأنت اليوم عندي أبعد من الفلاح قال حكم فأنسيت يعلم الله صوتي ذلك منذ تلك الساعة فما ذكرته إلى وقتي هذا
قال إسحاق وقال معبد بعث إلي بعض أمراء الحجاز وقد كان جمع له الحرمان أن أشخص إلى مكة فشخصت قال فتقدمت غلامي في بعض تلك الأيام واشتد علي الحر والعطش فانتهيت إلي خِباء فيه أسود وإذا حِباب ماء قد بُرِّدت فملت إليه فقلت يا هذا اسقني من هذا الماء فقال لا فقلت فأذن لي في الكِنّ ساعة قال لي فأنخت ناقتي ولجأت إلى ظلها فاستترت به وقلت لو أحدثت لهذا الأمير شيئا من الغناء أقدم به عليه ولعلي إن حركت لساني أن يبل حلقي ريقي فيخفف عني بعض ما أجده من العطش فترنمت بصوتي
(... القصرُ فالنخلُ فالجَمَّاء بينهما)
فلما سمعني الأسود ما شعرت به إلا وقد احتملني حتى أدخلني خباءه ثم قال أي بأبي أنت وأمي هل لك في سَويق السُّلت بهذا الماء البارد فقلت قد منعتني أقل من ذلك وشربة ماء تجزئني قال فسقاني حتى رويت وجاء الغلام فأقمت

عنده إلى وقت الرواح فلما أردت الرحلة قال أي بأبي أنت وأمي الحر شديد ولا آمن عليك مثل الذي أصابك فأذن لي في أن أحمل معك قربة من ماء على عنقي وأسعى بها معك فكلما عطشت سقيتك صحنا وغنيتني صوتا قال قلت ذاك لك فوالله ما فارقني يسقيني وأغنيه حتى بلغت المنزل
نسخت من كتاب جعفر بن قدامة بخطه حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه
عن الزبير عن جرير قال

التقاء معبد وابن سريج ببطن مر

كان معبد خارجا إلى مكة في بعض أسفاره فسمع في طريقه غناء في بطن مر فقصد الموضع فإذا رجل جالس على حرف بركة فارق شعره حسن الوجه عليه دُرَّاعةٌ قد صبغها بزعفران وإذا هو يتغنى

صوت

(حَنَّ قلبي من بعد ما قد أَنَابَا ... ودَعَا الهَمَّ شَجْوُه فأجَابا)
(ذاكَ مِنْ منزلٍ لسَلْمَى خَلاء ... لابِسٍ من خَلائه جِلبابا)
(عُجْتُ فيه وقلتُ للرَّكْبِ عُوجُوا ... طَمَعاً أن يَرُدَّ ربعٌ جوابا)
(فاستَثَار المنسِيَّ من لَوْعة الحب ... وأبْدَى الهمومَ والأوْصَابَا)

فقرع معبد بعصاه وغنى

(مَنَع الحياةَ من الرجالِ ونَفْعَها ... حَدَقٌ تُقَلِّبُها النساءُ مِراضُ)
(وكأنَّ أفئدةَ الرجالِ إذا رَأَوْا ... حَدَقَ النِّساءِ لنَبْلِها أغْرَاضُ)

فقال له ابن سريج بالله أنت معبد قال نعم وبالله أنت ابن سريج قال نعم ووالله لو عرفتك ما غنيت بين يديك

نسبة هذين الصوتين وأخبارهما

صوت

(حَنَّ قلبي من بعدِ ما قد أنابا ... ودعا الهمَّ شجْوُهُ فأجابا)
(فاستثار المنسيَّ من لوعة الحبِّ ... وأبْدَى الهمومَ والأوصابا)
(ذاكَ من منزلٍ لسَلْمى خَلاَءٍ ... مُكْتَسٍ من عَفَائه جِلْبَابا)
(عُجْتُ فيه وقلتُ للرَّكْبِ عُوجُوا ... طمعاً أن يَرُدَّ رَبْعٌ جوابا)
(ثانياً من زِمَامِ وَجْنَاءِ عَنْسٍ ... قَانِياً لونُها يُخَال خِضَابا)
(جَدُّها الفَالِجُ الأشَمُّ من البُخْتِ ... وخَالاَتُها انْتُخِبْنَ عِرَابا)

الشعر لعمر بن أبي ربيعة والغناء لابن سريج وله فيه لحنان رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وخفيف ثقيل أول بالبنصر عن عمرو

صوت

(مَنع الحياةَ من الرجال ونَفْعَها ... حَدَقٌ تُقلِّبها النساءُ مِراضُ)
(وكأنَّ أفئدةَ الرجال إذا رأوْا ... حَدَقَ النِّساء لنبلِها أغراضُ)

الشعر للفرزدق والغناء لمعبد ثقيل أول عن الهشامي
أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن سياط قال حدثني يونس الكاتب قال

معبد مع الجواري في السفينة

كان معبد قد علم جارية من جواري الحجاز الغناء تدعى ظبية وعني بتخريجها فاشتراها رجل من أهل العراق فأخرجها إلى البصرة وباعها هناك فاشتراها رجل من أهل الأهواز فأعجب بها وذهبت به كل مذهب وغلبت عليه ثم ماتت بعد أن أقامت عنده برهة من الزمان وأخذ جواريه أكثر غنائها عنها فكان لمحبته إياها وأسفه عليها لا يزال يسأل عن أخبار معبد وأين مستقره ويظهر التعصب والميل إليه والتقديم لغنائه على سائر أغاني أهل عصره إلى أن عرف ذلك منه وبلغ معبدا خبره فخرج من مكة حتى أتى البصرة فلما وردها صادف الرجل قد خرج عنها في ذلك اليوم إلى الأهواز فاكترى سفينة وجاء معبد يلتمس سفينة ينحدر فيها إلى الأهواز فلم يجد غير سفينة الرجل وليس يعرف أحد منهما صاحبه فأمر الرجل الملاح أن يجلسه معه ففعل وانحدروا فلما صاروا في فم نهر الأبلة تغدوا وشربوا وأمر جواريه فغنين ومعبد ساكت وهو في ثياب السفر وعليه فرو وخفان غليظان وزي جاف من زي أهل الحجاز إلى أن غنت إحدى الجواري

صوت

(بانت سُعادُ وأمْسَى حبلُها انْصرَمَا ... واحْتَلَّتِ الغَوْرَ فالأجْزَاعَ من إضَمَا)
((إحْدَى بَلِيٍّ هام الفؤاد بها ... إلاَّ السَّفَاه وإلاَّ ذِكْرَةً حُلُمَا

قال حماد والشعر للنابغة الذبياني والغناء لمعبد خفيف ثقيل أول بالبنصر وفيه لغيره ألحان قديمة ومحدثة فلم تجد أداءه فصاح بها معبد يا جارية إن غناءك هذا ليس بمستقيم قال فقال له مولاها وقد غضب وأنت ما يدريك الغناء ما هو ألا تمسك وتلزم شأنك فأمسك ثم غنت أصواتا من غناء غيره وهو ساكت لا يتكلم حتى غنت

صوت

(بأبنةِ الأزْدِيّ قَلْبي كَئِيبُ ... مُسْتَهامٌ عندها ما يُنِيبُ)
(ولقد لاموا فقلتُ دَعُوني ... إنّ مَنْ تَنْهَوْن عنه حبيبُ)
(إنّما أبْلَى عِظَامِي وجِسْمي ... حُبُّها والحبُّ شيءٌ عَجِيبُ)
(أيُّها العائبُ عندِي هَوَاها ... أنت تَفْدِي مَنْ أرَاكَ تَعِيبُ)

والشعر لعبد الرحمن بن أبي بكر والغناء لمعبد ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر قال فأخلت ببعضه فقال لها معبد يا جارية لقد أخللت بهذا الصوت إخلالا شديدا فغضب الرجل وقال له ويلك ما أنت والغناء ألا تكف عن هذا الفضول فأمسك وغنى الجواري مليا ثم غنت إحداهن

صوت

(خَلِيلَيَّ عُوجَا فأبكِيَا ساعةً معي ... على الرَّبْع نَقْضِي حاجةً ونُوَدِّعِ)
(ولاَ تُعْجِلاَني أنْ أُلِمَّ بدِمْنَةٍ ... لِعَزَّةَ لاحَتْ لي بِبَيْدَاءَ بَلْقَعِ)
((وقُولاَ لِقلبٍ قد سَلاَ راجِعِ الهوى ... وللعَيْن أذْرِي من دموعكِ أو دَعِي

(فلا عَيْشَ إلا مثلُ عيشٍ مضَى لنا ... مَصِيفاً أَقَمْنَا فيه مِن بعد مَرْبَعِ)
الشعر لكثير والغناء لمعبد خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى وفيه رمل للغريض
إعجاب الجواري بغناء معبد
قال فلم تصنع فيه شيئا فقال لها معبد يا هذه أما تقوين على أداء صوت واحد فغضب الرجل وقال له ما أراك تدع هذا الفضول بوجه ولا حيلة وأقسم بالله لئن عاودت لأخرجنك من السفينة فأمسك معبد حتى إذا سكتت الجواري سكتة اندفع يغني الصوت الأول حتى فرغ منه فصاح الجواري يا رجل فأعده فقال لا والله ولا كرامة ثم اندفع يغني الثاني فقلن لسيدهن ويحك هذا والله أحسن الناس غناء فسله أن يعيده علينا ولو مرة واحدة لعلنا نأخذه عنه فإنه إن فاتنا لم نجد مثله أبدا فقال قد سمعتن سوء رده عليكن وأنا خائف مثله منه وقد أسلفناه الإساءة فاصبرن حتى نداريه ثم غنى الثالث فزلزل عليهم الأرض فوثب الرجل فخرج إليه وقبل رأسه وقال يا سيدي أخطأنا عليك ولم نعرف موضعك فقال له فهبك لم تعرف موضعي قد كان ينبغي لك أن تتثبت ولا تسرع إلي بسوء العشرة وجفاء القول فقال له قد أخطأت وأنا أعتذر إليك مما جرى وأسألك أن تنزل إلي وتختلط بي فقال أما الآن فلا فلم يزل يرفق به حتى نزل إليه فقال له الرجل ممن أخذت هذا الغناء قال من بعض أهل الحجاز فمن أين أخذه من جارية كانت لي ابتاعها رجل من أهل البصرة من مكة وكانت قد أخذت عن أبي عباد معبد وعني
بتخريجها فكانت تحل مني محل الروح من الجسد ثم استأثر الله عز وجل بها وبقي هؤلاء الجواري وهن من تعليمها فأنا إلى الآن أتعصب لمعبد وأفضله على المغنين جميعا وأفضل صنعته على كل صنعة فقال له معبد أو إنك لأنت هو أفتعرفني قال لا قال فصك معبد بيده صلعته ثم قال فأنا والله معبد وإليك قدمت من الحجاز ووافيت البصرة ساعة نزلت السفينة لأقصدك بالأهواز ووالله لا قصرت في جواريك هؤلاء ولأجعلن لك في كل واحدة منهن خلفا من الماضية فأكب الرجل والجواري على يديه ورجليه يقبلونها ويقولون كتمتنا نفسك طول هذا اليوم حتى جفوناك في المخاطبة وأسأنا عشرتك وأنت سيدنا ومن نتمنى على الله أن نلقاه ثم غير الرجل زيه وحاله وخلع عليه عدة خلع وأعطاه في وقته ثلثمائة دينار وطيبا وهدايا بمثلها وانحدر معه إلى الأهواز فأقام عنده حتى رضي حذق جواريه وما أخذنه عنه ثم ودعه وانصرف إلى الحجاز
معبد يغني للوليد بن يزيد
أخبرني الحسن بن علي الخفاف وعبد الباقي بن قانع قالا حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدثني مهدي بن سابق قال حدثني سليمان بن غزوان مولى هشام قال حدثني عمر القاري بن عدي قال
قال الوليد بن يزيد يوما لقد اشتقت إلى معبد فوجه البريد إلى المدينة
فأتي بمعبد وأمر الوليد ببركة قد هيئت له فملئت بالخمر والماء وأتي بمعبد فأمر به فأجلس والبركة بينهما وبينهما ستر قد أرخي فقال له غنني يا معبد
صوت
(لَهْفِي على فِتْية ذَلَّ الزمانُ لهمْ ... فما أصابَهُمُ إلا بما شاؤوا)
(ما زال يَعْدُو عليهم رَيْبُ دَهْرِهِمُ ... حتى تَفَانَوْا وريبُ الدهر عَدَّاءُ)
(أبْكَى فِراقُهُمُ عَيْني وأرّقها ... إنّ التفرُّق للأحباب بَكَّاءُ)
الغناء لمعبد خفيف ثقيل وفيه ليحيى المكي رمل ولسليمان هزج كلها رواية الهشامي قال فغناه إياه فرفع الوليد الستر ونزع ملاءة مطيبة كانت عليه وقذف نفسه في تلك البركة فنهل فيها نهلة ثم أتي بأثواب غيرها وتلقوه بالمجامر والطيب ثم قال غنني
صوت
(يا رَبْعُ مالكَ لا تُجيبُ متيّما ... قد عاج نحوَك زائراً ومُسَلِّما)
(جادتْكَ كلُّ سحابةٍ هَطَّالةٍ ... حتى تُرَى عن زَهْرةٍ متبسِّما)
الغناء لمعبد ثاني ثقيل بالوسطى والخنصر عن ابن المكي وفيه لعلوية ثاني ثقيل آخر بالبنصر في مجراها عنه قال فغناه فدعا له بخمسة عشر ألف دينار فصبها بين يديه ثم قال انصرف إلى أهلك واكتم ما رأيت
وأخبرني بهذا الخبر عمي فجاء ببعض معانيه وزاد فيه ونقص قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني سليمان بن سعد الحلبي قال
سمعت القاري بن عدي يقول اشتاق الوليد بن يزيد إلى معبد فوجه إليه إلى المدينة فأحضر وبلغ الوليد قدومه فأمر ببركة بين يدي مجلسه فملئت ماء ورد قد خلط بمسك وزعفران ثم فرش للوليد في داخل البيت على حافة البركة وبسط لمعبد مقابله على حافة البركة ليس معهما ثالث وجيء بمعبد فرأى سترا مرخى ومجلس رجل واحد فقال له الحجاب يا معبد سلم على أمير المؤمنين واجلس في هذا الموضع فسلم فرد عليه الوليد السلام من خلف الستر ثم قال له حياك الله يا معبد أتدري لم وجهت إليك قال الله أعلم وأمير المؤمنين قال ذكرتك فأحببت أن أسمع منك قال معبد أأغني ما حضر أم ما يقترحه أمير المؤمنين قال بل غنني
(ما زال يَعْدُو عليهم ريبُ دهرهِمُ ... حتى تفانَوْا وريبُ الدهر عَدّاءُ)
فغناه فما فرغ منه حتى رفع الجواري السجف ثم خرج الوليد فألقى نفسه في البركة فغاص فيها ثم خرج منها فاستقبله الجواري بثياب غير الثياب الأولى ثم شرب وسقى معبدا ثم قال له غنني يا معبد
(يا رَبْعُ مالك لا تُجيبُ متيّما ... قد عاج نحوَك زائراً ومسلِّما)
(جادتكَ كلُّ سحابة هَطَّالة ... حتى تُرَى عن زَهْرةٍ متبسِّما)
(لو كنتَ تَدْري مَنْ دعاك أجبتَه ... وبكيتَ من حُرَقٍ عليه إذاً دَما)
قال فغناه وأقبل الجواري فرفعن الستر وخرج الوليد فألقى نفسه في البركة فغاص فيها ثم خرج فلبس ثيابا غير تلك ثم شرب وسقي معبدا ثم قال له غنني فقال بماذا يا أمير المؤمنين قال غنني
((عَجِبتْ لمّا رأتني ... أندبُ الربعَ المُحيلا)
(واقفاً في الدار أبكِي ... لا أرى إلا الطُّلولا)
(كيف تَبْكِي لأُناسٍ ... لا يَمَلُّون الذَّمِيلاَ)
(كلّما قلتُ اطمأنَّتْ ... دارُهم قالوا الرَّحيلا)

قال فلما غناه رمى نفسه في البركة ثم خرج فردوا عليه ثيابه ثم شرب وسقى معبدا ثم أقبل عليه الوليد فقال له يا معبد من أراد أن يزداد عند الملوك حظوة فليكتم أسرارهم فقلت ذلك ما لا يحتاج أمير المؤمنين إلى إيصائي به فقال يا غلام احمل إلى معبد عشرة آلاف دينار تُحَصَّلُ له في بلده وألفي دينار لنفقة طريقه فحملت إليه كلها وحمل على البريد من وقته إلى المدينة
معبد والرجل الشامي
قال إسحاق وقال معبد أرسل إلي الوليد بن يزيد فأُشْخِصتُ إليه فبينا أنا يوما في بعض حمامات الشأم إذ دخل علي رجل له هيبة ومعه غلمان له فاطّلى واشتغل به صاحب الحمام عن سائر الناس فقلت والله لئن لم أُطْلِع هذا على بعض ما عندي لأكونن بمزجر الكلب فاستدبرته حيث يراني ويسمع مني ثم ترنمت فالتفت إلي وقال للغلمان قدموا إليه جميع ما هاهنا فصار جميع ما
كان بين يديه عندي قال ثم سألني أن أسير معه إلى منزله فأجبته فلم يدع من البر والإكرام شيئا إلا فعله ثم وضع النبيذ فجعلت لا آتي بحسن إلا خرجت إلى ما هو أحسن منه وهو لا يرتاح ولا يَحْفِلُ لما يرى مني فلما طال عليه أمري قال يا غلام شيخنا شيخنا فأتي بشيخ فلما رآه هش إليه فأخذ الشيخ العود ثم اندفع يغني
(سِلَّوْرُ في القِدْرِ ويْلي عَلُوْه ... جاء القِطُّ أكلَهْ وَيْلي عَلُوهْ)
السِّلَّوْر السمكُ الجِرِّيُّ بلغة أهل الشأم قال فجعل صاحب المنزل يصفق ويضرب برجله طربا وسرورا قال ثم غناه
(وتَرْمِيني حَبِيبةُ بالدَّرَاقِنْ ... وتَحْسِبُني حبيبةُ لا أراها)
الدَّرَاقِن اسم الخَوْخ بلغة أهل الشأم قال فكاد أن يخرج من جلده طربا قال وانسللت منهم فانصرفت ولم يعلم بي فما رأيت مثل ذلك اليوم قط غناء أضيع ولا شيخا أجهل
ابن عائشة يقتبس من غناء معبد
قال إسحاق وذكر لي شيخ من أهل المدينة عن هارون بن سعد أن ابن عائشة كان يلقي عليه وعلى ربيحة الشماسية فدخل معبد فألقى عليهما صوتا
فاندفع ابن عائشة يغنيه وقد أخذه منه فغضب معبد وقال أحسنت يابن عاهرة الدار تفاخرني فقال لا والله جعلني الله فداءك يا أبا عباد ولكني أقتبس منك وما أخذته إلا عنك ثم قال أنشدك الله يا ابن شماس هل قلت لك قد جاء أبو عباد فاجمع بيني وبينه أقتبس منه قال اللهم نعم
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال
قيل لابن عائشة وقد غنى صوتا أحسن فيه فقال أصبحت أحسن الناس غناء فقيل له وكيف أصبحت أحسن الناس غناء قال وما يمنعني من ذلك وقد أخذت من أبي عباد أحد عشر صوتا وأبو عباد مغني أهل المدينة والمقدم فيهم
أخبرنا وكيع قال حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني أبي قال حدثني أيوب ابن عباية عن رجل من هذيل قال
معبد مع المغنين في مكة
قال معبد غنيت فأعجبني غنائي وأعجب الناس وذهب لي به صيتٌ وذكر فقلت لآتين مكة فلأسمعن من المغنين بها ولأغنينهم ولأتعرفن إليهم فابتعت حمارا فخرجت عليه إلى مكة فلما قدمتها بعت حماري وسألت عن المغنين أين يجتمعون فقيل بقعيقعان في بيت فلان فجئت إلى منزله بالغلس فقرعت
الباب فقال من هذا فقلت انظر عافاك الله فدنا وهو يسبح ويستعيذ كأنه يخاف ففتح فقال من أنت عافاك الله قلت رجل من أهل المدينة قال فما حاجتك قلت أنا رجل أشتهي الغناء وأزعم أني أعرف منه شيئا وقد بلغني أن القوم يجتمعون عندك وقد أحببت أن تنزلني في جانب منزلك وتخلطني بهم فإنه لا مؤونة عليك ولا عليهم مني فلوى شيئا ثم قال انزل على بركة الله قال فنقلت متاعي فنزلت في جانب حجرته ثم جاء القوم حين أصبحوا واحدا بعد واحد حتى اجتمعوا فأنكروني وقالوا من هذا الرجل قال رجل من أهل المدينة خفيف يشتهي الغناء ويطرب عليه ليس عليكم منه عناء ولا مكروه فرحبوا بي وكلمتهم ثم انبسطوا وشربوا وغنوا فجعلت أعجب بغنائهم وأظهر ذلك لهم ويعجبهم مني حتى أقمنا أياما وأخذت من غنائهم وهم لا يدرون أصواتا وأصواتا وأصواتا ثم قلت لابن سريج أي فديتك أمسك علي صوتك
(قُلْ لهندٍ وتِرْبِها ... قبلَ شَحْطِ النَّوَى غَدا)
قال أو تحسن شيئا قلت تنظر وعسى أن أصنع شيئا واندفعت فيه فغنيته فصاح وصاحوا وقالوا أحسنت قاتلك الله قلت فأمسك علي صوت كذا فأمسكوه علي فغنيته فازدادوا عجبا وصياحا فما تركت واحدا منهم إلا غنيته من غنائه أصواتا قد تخيرتها قال فصاحوا حتى علت أصواتهم وهرفوا بي
وقالوا لأنت أحسن بأداء غنائنا عنا منا قال قلت فأمسكوا علي ولا تضحكوا بي حتى تسمعوا من غنائي فأمسكوا علي فغنيت صوتا من غنائي فصاحوا بي ثم غنيتهم آخر وآخر فوثبوا إلي وقالوا نحلف بالله إن لك لصيتا واسما وذكرا وإن لك فيما هاهنا لسهما عظيما فمن أنت قلت أنا معبد فقبلوا رأسي وقالوا لفقت علينا وكنا نتهاون بك ولا نعدك شيئا وأنت أنت فأقمت عندهم شهرا آخذ منهم ويأخذون مني ثم انصرفت إلى المدينة
نسبة هذا الصوت
صوت
(قُلْ لِهِندٍ وتِربِها ... قبلَ شَحْطِ النَّوَى غَدَا)
(إنْ تجودِي فطالما ... بِتُّ لَيْلِي مُسهَّدَا)
(أنتِ في وُدِّ بينِنا ... خيرُ ما عندَنا يدا)
(حينَ تُدْلِي مُضَفَّراً ... حالِكَ اللَّونِ أسْودا)
الشعر لعمر بن أبي ربيعة والغناء لابن سريج عن حماد ولم يجنسه وفيه لمالك خفيف ثقيل أول بالبنصر في مجراها عن إسحاق وقال الهشامي فيه لابن محرز خفيف ثقيل بالوسطى
ومن الثلاثة الأصوات المختارة
صوت فيه أربعة ألحان من رواية علي بن يحيى
(تَشَكَّى الكُمَيتُ الجَرْيَ لمَّا جَهَدْتُه ... وبَيَّن لو يَسْطِيعُ أن يتكلَّما)
(لذلك أُدْني دونَ خَيْلي مَكَانَهُ ... وأُوصي به ألاَّ يُهَانَ ويُكرمَا)
(فقلتُ له إنْ ألقَ للعين قُرَّةً ... فهان عليّ أن تَكِلَّ وتَسْأمَا)

((عَدِمتُ إذاً وفْري وفارقتُ مُهجتي ... لئن لم أقِلْ قَرْناً إنِ اللهُ سَلَّمَا
عروضه من الطويل قوله لئن لم أقل قرنا يعني أنه يجد في سيره حتى يقيل بهذا الموضع وهو قرن المنازل وكثيرا ما يذكره في شعره
الشعر لعمر بن أبي ربيعة المخزومي والغناء في هذا اللحن المختار لابن سريج ثاني ثقيل مطلق في مجرى الوسطى وفيه لإسحاق أيضا ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو بن بانة وفيه ثقيل أول يقال إنه ليحيى المكي وفيه خفيف رمل يقال إنه لأحمد بن موسى المنجم وفيه للمعتضد ثاني ثقيل آخر في نهاية الجودة وقد كان عمرو بن بانة صنع فيه لحنا فسقط لسقوط صنعته
أخبرني جحظة قال حدثني أبو عبد الله الهشامي قال
صنع عمرو بن بانة لحنا في تَشَكَّى الكميتُ الجريَ فأخبرني بعض عجائزنا بذلك قالت فأردنا أن نعرضه على مُتَيَّمَ لنعلم ما عندها فيه فقلنا لبعض من أخذه عن عمرو غنِّ تشكَّى الكميتُ الجريَ في اللحن الجديد فقالت متيَّمُ أيش هذا اللحن الجديد والكَميْت المحدث قلنا لحن صنعه عمرو بن بانة فغنته الجارية فقالت متيَّمُ لها اقطعي اقطعي حسبك حسبك هذا والله لحمار حنين المكسور أشبه منه بالكُمَيت
ذكر خبر عمر بن أبي ربيعة ونسبه
هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة واسم أبي ربيعة حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهر وقد تقدم باقي النسب في نسب أبي قطيفة ويكنى عمر بن أبي ربيعة أبا الخطاب وكان أبو ربيعة جده يسمى ذا الرُّمْحين سمي بذلك لطوله كان يقال كأنه يمشي على رمحين
أخبرني بذلك الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي ومحمد بن الضحاك عن أبيه الضحاك عن عثمان بن عبد الرحمن اليربوعي وقيل إنه قاتل يوم عكاظ برمحين فسمي ذا الرُّمْحين لذلك
وأخبرني بذلك أيضا علي بن صالح بن الهيثم قال حدثني أبو هفان عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن مصعب الزبيري والمدائني والمُسَيَّبيّ ومحمد بن سلام قالوا وفيه يقول عبد الله بن الزِّبَعْرَى
((ألاَ للّهِ قومٌ وَلَدَتْ ... أُختُ بني سَهْمِ
(هِشَامٌ وأبو عَبْدٍ ... مَنَافٍ مِدْرَهُ الخَصْمِ)
(وذو الرُّمْحين أشْباكَ ... على القوّة والحَزْمِ)
(فهذانِ يَذُودانِ ... وذا مِنْ كَثَبٍ يَرْمي)
(أُسُودٌ تَزْدَهي الأقرانَ ... منَّاعونَ للهضْمِ)
(وهم يومَ عُكَاظٍ منعوا ... الناسَ من الهَزْمِ)
(وهم مَنْ وَلَدُوا أشْبَوْا ... بسِرِّ الحَسَبِ الضَّخْمِ)
(فإن أحلِفْ وبيتِ الله ... لا أحلفْ على إثمِ)
(لما مِنْ إخوَةٍ بين ... قصور الشأم والرَّدْمِ)
(بأزْكى من بني رَيْطَةَ ... أو أوْزَنَ في الحِلْمِ)
أبو عبد مناف الفاكه بن المغيرة وريطة هذه التي عناها هي أم بني المغيرة وهي بنت سعيد بن سعد بن سهم ولدت من المغيرة هشاما وهاشما وأبا ربيعة والفاكه
وأخبرني أحمد بن سليمان بن داود الطُّوسيّ والحرمي بن أبي العلاء قالا
حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن أبي ثابت قال أخبرني محمد بن عبد العزيز عن ابن أبي نهشل عن أبيه قال
قال لي أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وجئته أطلب منه مغرما يا خال هذه أربعة آلاف درهم وأنشد هذه الأبيات الأربعة وقل سمعت حسان ينشدها رسول الله فقلت أعوذ بالله أن أفتري على الله ورسوله ولكن إن شئت أن أقول سمعت عائشة تنشدها فعلت فقال لا إلا أن تقول سمعت حسان ينشدها رسول الله ورسول الله جالس فأبى علي وأبيت عليه فأقمنا لذلك لا نتكلم عدة ليال فأرسل إلي فقال قل أبياتا تمدح بها هشاما يعني ابن المغيرة وبني أمية فقلت سمهم لي فسماهم وقال اجعلها في عكاظ واجعلها لأبيك فقلت
(ألا للّهِ قومٌ ولدتْ ... أُختُ بني سَهْمِ)
الأبيات قال ثم جئت فقلت هذه قالها أبي فقال لا ولكن قل قالها ابن الزِّبَعْرَى قال فهي إلى الآن منسوبة في كتب الناس إلى ابن الزِّبَعْرى
قال الزبير وأخبرني محمد بن الحسن المخزومي قال أخبرني محمد بن طلحة أن عمر بن أبي ربيعة قائل هذه الأبيات
(ألا للّهِ قومٌ ولدتْ ... أُختُ بني سَهْمِ)
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا
حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن يحيى قال حدثني عبد العزيز بن عمران قال حدثني محمد بن عبد العزيز عن ابن أبي نهشل عن أبيه بمثل ما رواه الزبير عنه وزاد فيه عمر بن شبة قال محمد بن يحيى وأخت بني سهم التي عناها رِيْطةُ بنت سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب وهي أم بني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهم هشام وهاشم وأبو ربيعة والفاكه وعدة غيرهم لم يعقبوا وإياهم يعني أبو ذؤيب بقوله
عبد الله بن أبي ربيعة يكسو الكعبة من ماله
(صَخِبُ الشَّوارِبِ لا يزالُ كأنه ... عبدٌ لآل أبي رَبيعةَ مُسْبَعُ)
ضرب بعزهم المثل قال وكان اسم عبد الله بن أبي ربيعة في الجاهلية بحيرا فسماه رسول الله عبد الله وكانت قريش تلقبه العدل لأن قريشا كانت تكسو الكعبة في الجاهلية بأجمعها من أموالها سنة ويكوسوها هو من ماله سنة فأرادوا بذلك أنه وحده عدل لهم جميعا في ذلك وفيه يقول ابن الزِّبَعْرَى
(بَحِيرُ بنُ ذي الرُّمحين قرَّب مجلسي ... وراح عليّ خيرُه غيرَ عاتِمِ)
وقد قيل إن العدل هو الوليد بن المغيرة
وكان عبد الله بن أبي ربيعة تاجرا موسرا وكان متجره إلى اليمن وكان من
أكثرهم مالا وأمه أسماء بنت مخربة وقيل مخرمة وكانت عطارة يأتيها العطر من اليمن وقد تزوجها هشام بن المغيرة أيضا

فولدت له أبا جهل والحارث ابني هشام فهي أمهما وأم عبد الله وعياش ابني أبي ربيعة
أخبرني الحرمي والطوسي قالا حدثنا الزبير قال حدثني عمي عن الواقدي قال
كانت أسماء بنت مخربة تبيع العطر بالمدينة فقالت الربيع بنت معوذ بن عفراء الأنصارية وكان أبوها قتل أبا جهل بن هشام يوم بدر واحتز رأسه عبد الله ابن مسعود وقيل بل عبد الله بن مسعود هو الذي قتله فذكرت أن أسماء بنت مخربة دخلت عليها وهي تبيع عطرا لها في نسوة قالت فسألت عنا فانتسبنا لها فقالت أأنت ابنة قاتل سيده تعني أبا جهل قلت بل أنا بنت قاتل عبده قالت حرام علي أن أبيعك من عطري شيئا قلت وحرام علي أن أشتري منه شيئا فما وجدت لعطر نتنا غير عطرك ثم قمت لا والله ما رأيت عطرا أطيب من عطرها ولكني أردت أن أعيبه لأغيظها

رأي النبي في حبش بني المغيرة

وكان لعبد الله بن أبي ربيعة عبيد من الحبشة يتصرفون في جميع المهن وكان عددهم كثيرا فروي عن سفيان بن عيينة أنه قيل لرسول الله حين خرج إلى حنين هل لك في حبش بني المغيرة تستعين بهم فقال لا خير في الحبش إن جاعوا سرقوا وإن شبعوا زنوا وإن فيهم لخلتين حسنتين إطعام
الطعام والبأس يوم البأس واستعمل رسول الله عبد الله بن أبي ربيعة على الجند ومخاليفها فلم يزل عاملا عليها حتى قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذا من رواية الزبير عن عمه قال وحدثني ابن الماجشون عن عمه أن عثمان بن عفان رحمه الله استعمله أيضا عليها
وأم عمر بن أبي ربيعة أم ولد يقال لها مجد سبيت من حضرموت ويقال من حمير قال أبو محلم ومحمد بن سلام هي من حمير ومن هناك أتاه الغزل يقال غزل يمان ودل حجازي
وقال عمر بن شبة أم عمر بن أبي ربيعة أم ولد سوداء من حبش يقال لهم فرسان وهذا غلط من أبي زيد تلك أم أخيه الحارث بن عبد الله الذي يقال له القُباعُ وكانت نصرانية وكان الحارث بن عبد الله شريفا كريما دينا وسيدا من سادات قريش
قال الزبير بن بكار ذكره عبد الملك بن مروان يوما وقد ولاه عبد الله بن الزبير فقال أرسل عوفا وقعد لا حر بوادي عوف فقال له يحيى بن الحكم ومن الحارث بن السوداء فقال له عبد الملك ما ولدت والله أمة خيرا
مما ولدت أمه
وأخبرني عليّ بن صالح عن أبي هفان عن إسحاق بن إبراهيم عن الزبير والمدائني والمسيبي أن أمه ماتت نصرانية وكانت تسر ذلك منه فحضر الأشراف جنازتها وذلك في عهد عمر بن الخطاب رحمة الله عليه فسمع الحارث من النساء لغطا فسأل عن الخبر فعرف أنها ماتت نصرانية وأنه وجد الصليب في عنقها وكانت تكتمه ذلك فخرج إلى الناس فقال انصرفوا رحمكم الله فإن لها أهل دين هم أولى بها منا ومنكم فاستحسن ذلك منه وعجب الناس من فعله

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

صوت

(ألاَ للّه قومٌ ولدتْ ... أُختُ بني سَهْمْ)
(هِشَامٌ وأبو عَبْدٍ ... مَنَافٍ مِدْرهُ الخَصْمْ)
(وذو الرُّمْحين أشْبَاكَ ... على القوّة والحَزْمْ)
(فهذان يَذُودان ... وذا من كَثَب يَرْمي)
عروضه من مكفوف الهزج الغناء لمعبد خفيف رمل من رواية حماد
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال قال إسماعيل بن مجمع أخبرنا المدائني عن رستم بن صالح قال

رأي يزيد بن عبد الملك في غناء معبد وابن سريج

قال يزيد بن عبد الملك يوما لمعبد يا أبا عباد إني أريد أن أخبرك عن نفسي وعنك فإن قلت فيه خلاف ما تعلم فلا تتحاش أن ترده علي فقد أذنت لك قال يا أمير المؤمنين لقد وضعك ربك بموضع لا يعصيك إلا ضال ولا يرد عليك إلا مخطئ قال إن الذي أجده في غنائك لا أجده في غناء ابن سريج أجد في غنائك متانة وفي غنائه انخناثا ولينا قال معبد والذي أكرم أمير المؤمنين بخلافته وارتضاه لعباده وجعله أمينا على أمة نبيه ما عدا صفتي وصفة ابن سريج وكذا يقول ابن سريج وأقول ولكن إن رأى أمير المؤمنين أن يعلمني هل وضعني ذاك عنده فعل قال لا والله ولكني أوثر الطرب على كل شيء قال يا سيدي فإذا كان ابن سريج يذهب إلى الخفيف من الغناء وأذهب أنا إلى الكامل التام فأغرب أنا ويشرق هو فمتى نلتقي قال أفتقدر أن تحكي رقيق ابن سريج قال نعم فصنع من وقته لحنا من الخفيف في
(ألاَ للّه قومٌ ولَدتْ ... أُختُ بني سَهْمِ)
الأربعة الأبيات فغناه فصاح يزيد أحسنت والله يا مولاي أعد فداك أبي وأمي فأعاد فرد عليه مثل قوله الأول فأعاد ثم قال أعد فداك أبي وأمي فأعاد فاستخفه الطرب حتى وثب وقال لجواريه افعلن كما أفعل وجعل يدور في الدار ويدرن معه وهو يقول
(يا دارُ دَوِّريني ... يا قَرْقَرُ امْسِكِيني)
(آلَيْتِ مُنْذُ حين ... حقّاً لَتَصْرِميني)
(ولا تُوَاصِليني ... باللّهِ فَارْحَمِيني)
(... لَمْ تَذْكُري يَميني)
قال فلم يزل يدور كما يدور الصبيان ويدرن معه حتى خر مغشيا عليه ووقعن فوقه ما يعقل ولا يعقلن فابتدره الخدم فأقاموه وأقاموا من كان على ظهره من جواريه وحملوه وقد جادت نفسه أو كادت

ولدا عمر جوان وأمة الواحد

رجع الخبر إلى ذكر عمر بن أبي ربيعة وكان لعمر بن أبي ربيعة ابن صالح يقال له جوان وفيه يقول العرجي
(شَهيدي جُوانٌ على حبِّها ... أليس بعَدْلٍ عليها جُوَان)
فأخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا يحيى بن محمد بن عبد الله بن ثوبان قال
جاء جوان بن عمر بن أبي ربيعة إلى زياد بن عبد الله الحارثي وهو إذ ذاك أمير على الحجاز فشهد عنده بشهادة فتمثل
(شَهيدي جُوانٌ على حبِّها ... أليس بعدلٍ عليها جُوَان)
وهذا الشعر للعرجي ثم قال قد أجزنا شهادتك وقبله وقال غير الزبير إنه جاء إلى العرجي فقال له يا هذا ما لي ومالك

تشهرني في شعرك متى أشهدتني على صاحبتك هذه ومتى كنت أنا أشهد في مثل هذا قال وكان أمرأً صالحا
وأخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني بكار بن عبد الله قال استعمل بعض ولاة مكة جوان بن عمر على تبالة فحمل على خثعم في صدقات أموالهم حملا شديدا فجعلت خثعم سنة جوان تاريخا فقال ضبارة بن الطفيل
(أتَلْبَسُنا ليلَى على شَعَثٍ بنا ... من العامِ أو يُرمَى بنا الرَّجَوانِ)
صوت
(رأتْني كأشْلاءِ اللِّجامِ وراقَها ... أخو غَزَلٍ ذو لِمَّةٍ ودِهَانِ)
(ولو شَهِدَتْني في ليالٍ مَضَيْنَ لي ... لِعَامَيْنِ مرَّا قبلَ عامِ جُوَانِ)
(رأتْنا كريمي معشرٍ حُمَّ بينَنا ... هوىً فحفِظْنَاه بحُسْنِ صِيَانِ)
(نَذُودُ النفوسَ الحائِمَاتِ عن الصِّبا ... وهُنَّ بأعناقٍ إليه ثَوَانِي)
ذكر حبش أن الغناء في هذه الأبيات للغريض ثاني ثقيل بالبنصر وذكر الهشامي أنه لقراريط
قالوا وكان لعمر أيضا بنت يقال لها أمة الواحد وكانت مسترضعة في هذيل وفيها يقول عمر بن أبي ربيعة وقد خرج يطلبها فضل الطريق
((لم تَدْرِ ولْيَغْفِرِ لها ربُّها ... ما جَشَّمَتْنا أمَةُ الواحدِ
(جَشَّمَتِ الهَوْلَ براذِينَنا ... نسألُ عن بيتِ أبي خالدِ)
(نسألُ عن شيخ بني كاهلٍ ... أعْيا خَفَاءً نِشْدَةَ الناشدِ)
أخبرني بذلك محمد بن خلف بن المرزبان عن أبي بكر العامري أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني يعقوب بن القاسم قال حدثني أسامة بن زيد بن الحكم بن عوانة عن عوانة بن الحكم قال أراه عن الحسن قال
ولد عمر بن أبي ربيعة ليلة قتل عمر بن الخطاب رحمة الله عليه فأي حق رفع وأي باطل وضع قال عوانة ومات وقد قارب السبعين أو جاوزها
أخبرني الجوهري والمهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني يعقوب بن القاسم قال حدثنا عبد الله بن الحارث عن ابن جريج عن عطاء قال
كان عمر بن أبي ربيعة أكبر مني كأنه وُلد في أول الإسلام
عمر ينشد ابن العباس أمن آل نعم في المسجد الحرام
أخبرني الجوهري والمهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني هارون بن عبد الله الزهري قال حدثنا ابن أبي ثابت وحدثني به علي بن صالح بن الهيثم عن أبي هفان عن إسحاق عن المسيبي والزبيري والمدائني ومحمد بن سلام قالوا قال أيوب بن سيار وأخبرني به الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن الحسن المخزومي عن عبد العزيز بن عمران عن أيوب بن سيار عن عمر الركاء قال
بينا ابن عباس في المسجد الحرام وعنده نافع بن الأزرق وناس من الخوارج يسألونه إذ أقبل عمر بن أبي ربيعة في ثوبين مصبوغين موردين أو ممصرين حتى دخل وجلس فأقبل عليه ابن عباس فقال أنشدنا فأنشده
(أمِن آل نُعْمٍ أنت غادٍ فمُبْكِرُ ... غداةَ غدٍ أم رائحٌ فمُهجِّرُ)
حتى أتى على آخرها فأقبل عليه نافع بن الأزرق فقال الله يا ابن عباس إنا نضرب إليك أكباد الإبل من أقاصي البلاد نسألك عن الحلال والحرام فتتثاقل عنا ويأتيك غرلام مترف من مترفي قريش فينشدك
((رأتْ رجُلاً أمّا إذا الشمسُ عارضت ... فَيخْزَى وأمّا بالعشيّ فَيَخْسَرُ
فقال ليس هكذا قال قال فكيف قال فقال قال
(رأتْ رجُلاً أمّا إذا الشمسُ عارضتْ ... فَيَضْحَى وأمّا بالعَشيّ فَيَخْصَرُ)
فقال ما أراك إلا وقد حفظت البيت قال أجل وإن شئت أن أنشدك القصيدة أنشدتك إياها قال فإني أشاء فأنشده القصيدة حتى أتى على آخرها وفي غير رواية عمر بن شبة أن ابن عباس أنشدها من أولها إلى آخرها ثم أنشدها من آخرها إلى أولها مقلوبة وما سمعها قط إلا تلك المرة صفحا قال وهذا غاية الذكاء فقال له بعضهم ما رأيت أذكى منك قط فقال لكني ما رأيت قط أذكى من علي بن أبي طالب عليه السلام وكان ابن عباس يقول ما سمعت شيئا قط إلا رويته وإني لأسمع صوت النائحة فأسد أذني كراهة أن أحفظ ما تقول قال ولامه بعض أصحابه في حفظ هذه القصيدة أمن آل نعم فقال إنا نستجيدها وقال الزبير في خبره عن عمه فكان ابن عباس بعد ذلك كثيرا ما يقول هل أحدث هذا المغيري شيئا بعدنا قال وحدثني عبد الله بن نافع بن ثابت قال
كان عبد الله بن الزبير إذا سمع قول عمر بن أبي ربيعة
(... فيَضْحَى وأمّا بالعشيّ فيَخْصَرَ)
قال لا بل
(... فيَخزَى وأمَّا بالعشيّ فيخسَرُ)
قال عمر بن شبة وأبو هفان والزبير في حديثهم ثم أقبل على ابن أبي ربيعة فقال
أنشد فأنشده
(... تَشُطُّ غداً دارُ جيرانِنا)
وسكت فقال ابن عباس
(... وَلَلدّارُ بعدَ غدٍ أبعدُ)
فقال له عمر كذلك قلت أصلحك الله أفسمعته قال لا ولكن كذلك ينبغي
اختلاف الآراء في شعر عمر
أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني يعقوب ابن إسحاق قال
العرب تقر لقريش بالتقدم في كل شيء عليها إلا في الشعر فإنها كانت لا تقر لها به حتى كان عمر بن أبي ربيعة فأقرت لهما الشعراء بالشعر أيضا ولم تنازعها شيئا
قال الزبير وسمعت عمي مصعبا يحدث عن جدي أنه قال مثل هذا القول قال وحدثني عدة من أهل العلم أن النصيب قال لعمر بن أبي ربيعة أوصفنا لربات الحجال

قال المدائني قال سليمان بن عبد الملك لعمر بن أبي ربيعة ما
يمنعك من مدحنا قال إني لا أمدح الرجال إنما أمدح النساء قال وكان ابن جريج يقول ما دخل على العواتق في حجالهن شيء أضر عليهن من شعر عمر بن أبي ربيعة
قال الزبير وحدثني عمي عن جدي وذكره أيضا إسحاق فيما رويناه عن أبي هفان عنه عن المدائني قال قال هشام بن عروة لا ترووا فتياتكم شعر عمر بن أبي ربيعة لا يتورطن في الزنا تورطا وأنشد
(لقد أرسلتُ جاريتي ... وقلتُ لها خُذِي حَذَرَكْ)
(وقُولي في مُلاطفةٍ ... لزينَب نَوِّلي عُمَرَكْ)
أخبرنا علي بن صالح قال حدثني أبو هفان عن إسحاق عن الزبيري قال حدثني أبي عن سمرة الدوماني من حمير قال إني لأطوف في بالبيت فإذا أنا بشيخ في الطواف فقيل لي هذا عمر بن أبي ربيعة فقبضت على يده وقلت له يابن أبي ربيعة قال ما تشاء قلت أكل ما قلته من شعرك فعلته قال إليك عني قلت أسألك بالله قال نعم وأستغفر الله
قال إسحاق وحدثني الهيثم بن عدي عن حماد الرواية أنه سئل عن شعر عمر بن أبي ربيعة فقال ذاك الفستق المقشر
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير عن عمه قال
سمع الفرزدق شيئا من نسيب عمر فقال هذا الذي كانت الشعراء تطلبه فأخطأته وبكت الديار ووقع هذا عليه قال وكان بالكوفة رجل من الفقهاء تجتمع إليه الناس فيتذاكرون العلم فذكر يوما شعر عمر بن أبي ربيعة فهجنه فقالوا له بمن ترضى ومر بهم حماد الراوية فقال قد رضيت بهذا فقالوا له ما تقول فيمن يزعم أن عمر بن أبي ربيعة لم يحسن شيئا فقال أين هذا اذهبوا بنا إليه قالوا نصنع به ماذا قال ننزو على أمه لعلها تأتي بمن هو أمثل من عمر
قال إسحاق وقال أبو المقوم الأنصاري ما عصي الله بشيء كما عصي بشعر عمر بن أبي ربيعة
قال إسحاق وحدثني قيس بن داود قال حدثني أبي قال سمعت عمر بن أبي ربيعة يقول لقد كنت وأنا شاب أُعْشَق ولا أَعْشَق فاليوم صرت إلى مداراة الحسان إلى الممات ولقد لقيتني فتاتان مرة فقالت لي إحداهما ادن مني يابن أبي ربيعة أسر إليك شيئا فدنوت منها ودنت الأخرى فجعلت تعضني فما شعرت بعض هذه من لذة سرار هذه
قال إسحاق وذكر عبد الصمد بن المفضل الرقاشي عن محمد بن فلان الزهري سقط اسمه عن إسحاق عن عبد الله بن مسلمة بن أسلم قال لقيت جريرا فقلت له يا أبا حزرة إن شعرك رفع إلى المدينة وأنا أحب أن تسمعني منه شيئا فقال إنكم يا أهل المدينة يعجبكم النسيب وإن أنسب الناس المخزومي يعني ابن أبي ربيعة
قال إسحاق وذكر محمد بن إسماعيل الجعفري عن أبيه عن خاله عبد العزيز بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة قال أشرف عمر بن أبي ربيعة على أبي قبيس وبنو أخيه معه وهم محرمون فقال لبعضهم خذ بيدي فأخذ بيده وقال ورب هذه البنية ما قلت لامرأة قط شيئا لم تقله لي وما كشفت ثوبا عن حرام قط قال ولما مرض عمر مرضه الذي مات فيه جزع أخوه الحارث جزعا شديدا فقال له عمر أحسبك إنما تجزع لما تظنه بي والله ما أعلم أني ركبت فاحشة قط فقال ما كنت أشفق عليك إلا من ذلك وقد سليت عني
قال إسحاق حدثني مصعب الزبيري قال قال مصعب بن عروة بن الزبير خرجت أنا وأخي عثمان إلى مكة معتمرين أو حاجين فلما طفنا في بالبيت مضينا إلى الحجر نصلي فيه فإذا شيخ قد فرج بيني وبين أخي فأوسعنا له فلما قضى صلاته أقبل علينا فقال من أنتما فأخبرناه فرحب بنا وقال يا ابني أخي إني موكل بالجمال أتبعه وإني رأيتكما فراقني حسنكما وجمالكما فاستمتعا بشبابكما قبل أن تندما عليه ثم قام فسألنا عنه فإذا هو عمر بن أبي ربيعة
أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن الضحاك قال
عاش عمر بن أبي ربيعة ثمانين سنة فتك منها أربعين سنة ونسك أربعين سنة
قال الزبير وحدثني إبراهيم بن حمزة ومحمد بن ثابت عن المغيرة بن عبد الرحمن عن أبيه قال
حججت مع أبي وأنا غلام وعلي جمة فلما قدمت مكة جئت عمر بن أبي ربيعة فسلمت عليه وجلست معه فجعل يمد الخصلة من شعري ثم يرسلها فترجع على ما كانت عليه ويقول واشباباه حتى فعل ذلك مرارا ثم قال لي يابن أخي قد سمعتني أقول في شعري قالت لي وقلت لها وكل مملوك لي حر إن كنت كشفت عن فرج حرام قط فقمت وأنا متشكك في يمينه فسألت عن رقيقه فقيل لي أما في الحوك فله سبعون عبدا سوى غيرهم
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثتني ظبية مولاة فاطمة بنت عمر بن مصعب قالت مررت بجدك عبد الله بن مصعب وأنا داخلة منزله وهو بفنائه ومعي دفتر فقال ما هذا معك ودعاني فجئته وقلت شعر عمر بن أبي ربيعة فقال ويحك تدخلين على النساء بشعر عمر بن أبي ربيعة إن لشعره لموقعا من القلوب ومدخلا لطيفا لو كان شعر يسحر لكان هو فارجعي به قالت ففعلت
قال إسحاق وأخبرني الهيثم بن عدي قال
قدمت امرأة مكة وكانت من أجمل النساء فبينا عمر بن أبي ربيعة يطوف إذ نظر إليها فوقعت في قلبه فدنا منها فكلمها فلم تلتفت إليه فلما كان في الليلة الثانية جعل يطلبها حتى أصابها فقالت له إليك عني يا هذا فإنك في حرم الله وفي أيام عظيمة الحرمة فألح عليها يكلمها حتى خافت أن يشهرها فلما كان في الليلة الأخرى قالت لأخيها اخرج معي يا أخي فأرني المناسك فإني لست أعرفها فأقبلت وهو معها فلما رآها عمر أراد أن يعرض لها فنظر إلى أخيها معها فعدل عنها فتمثلت المرأة بقول النابغة
(تَعْدُو الذئابُ على مَنْ لا كِلاَبَ له ... وتَتّقي صَوْلَةَ المُسْتأسِدِ الحامي
قال إسحاق فحدثني السندي مولى أمير المؤمنين أن المنصور قال وقد حدث بهذا الخبر وددت أنه لم تبق فتاة من قريش في خدرها إلا سمعت بهذا الحديث
قال إسحاق قال لي الأصمعي عمر حجة في العربية ولم يؤخذ عليه إلا قوله
(ثم قالوا تُحِبُّها قلْتُ بَهْراً ... عَدَدَ الرَّمْلِ والحَصَى والتُّرابِ)
وله في ذلك مخرج إذ قد أتى به على سبيل الاخبار قال ومن الناس من يزعم أنه إنما قال
(... قيل لي هل تُحبُّها قلت بهرا)
نسبة ما مضى من في هذه الأخبار من الأشعار التي قالها عمر بن أبي ربيعة وغنى فيها المغنون
إذ كانت لم تنسب هناك لطول شرحها
منها ما يغنى فيه من قوله

صوت
(أَمِنْ آلِ نُعْمٍ أنتَ غادٍ فمُبْكِرُ ... غداةَ غدٍ أم رائحٌ فمهجِّرُ)
(لحاجةِ نفسٍ لم تَقُلْ في جَوابِها ... فتُبْلِغَ عُذراً والمقالةُ تُعْذِرُ)
(أشارتْ بمِدْراها وقالت لأُختِها ... أهذا المُغِيريُّ الذي كان يُذْكَرُ)
(فقالتْ نعمْ لا شكَّ غيَّر لونَه ... سُرَى الليلِ يطوي نصَّه والتهجُّرُ)
(رأتْ رجلاً أمّا إذا الشمسُ عارضتْ ... فيَضْحَى وأمّا بالعشيِّ فيَخصَرُ)
(أخا سفرٍ جَوّابَ أرضٍ تقاذفتْ ... به فَلَواتٌ فَهْوَ أشْعَثُ أغْبَرُ)
(وليلةَ ذي دَوْرانَ جَشَّمْتِني السُّرَى ... وقد يَجْشَمُ الهولَ المُحِبُّ المغرِّرُ)
(فقلتُ أُباديهم فإمَّا أفُوتُهم ... وإمَّا يَنالُ السيفُ ثأراً فيثْأرُ)
هذه الأبيات جمعت على غير توال لأنه إنما ذكر منها ما فيه صنعة غنى في الأول والثاني من الأبيات ابن سريج خفيف رمل بالبنصر عن أحمد بن المكيّ
وذكر حبش أن فيهما لمعبد لحنا من الثقيل الأول بالبنصر وغنى ابن سريج في الثالث والرابع أيضا خفيف ثقيل بالوسطى وذكر حبش أن فيهما لحنا من الهزج بالوسطى لحكم وغنى ابن سريج في الخامس والسادس لحنا من الرمل بالوسطى عن عمرو بن بانة وذكر يونس أن في السابع والثامن لابن سريج لحنا ولم يذكر طريقته وذكر حبش أن فيهما لمالك لحنا من الثقيل الثاني بالبنصر
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال أخبرني محمد بن إسحاق قال أخبرني محمد بن حبيب عن هشام بن الكلبي أن عمر بن أبي ربيعة أتى عبد الله بن عباس وهو في المسجد الحرام فقال متعني الله بك إن نفسي قد تاقت إلى قول الشعر ونازعتني إليه وقد قلت منه شيئا أحببت أن تسمعه وتستره علي فقال أنشدني فأنشده
(... أمِنْ آلِ نُعْمٍ أنتَ غادٍ فمُبْكِرُ)
فقال له أنت شاعر يابن أخي فقل ما شئت قال وأنشد عمر هذه القصيدة طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري وهو راكب فوقف وما زال شانقا ناقته حتى كتبت له
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني الحسين بن إسماعيل قال حدثنا ابن عائشة عن أبيه قال
كان جرير إذا أنشد شعر عمر بن أبي ربيعة قال هذا شعر تهامي إذا أنجد وجد البرد حتى أنشد قوله
(رأتْ رجُلاً أمّا إذا الشمسُ عارضَتْ ... فيَضْحَى وأمّا بالعشيِّ فَيَخْصَرُ)
(قليلاً على ظَهرِ المطيَّة ظِلُّه ... سوى ما نَفَى عنه الرداءُ المُحَبَّرُ)
(وأعجَبها من عيشها ظِلُّ غُرفةٍ ... وريّانُ مُلتفُّ الحدائق أخضَرُ)
(وَوَالٍ كَفَاها كلَّ شيء يهمُّها ... فليستْ لشيءٍ آخر الليل تَسهَرُ)
فقال جرير ما زال هذا القرشي يهذي حتى قال الشعر
أخبرني محمد بن خلف قال أخبرني أبو عبد الله اليمامي قال حدثني الأصمعي قال
قال لي الرشيد أنشدني أحسن ما قيل في رجل قد لوحه السفر فأنشدته قول عمر بن أبي ربيعة
(رأتْ رجلاً أمّا إذا الشمسُ عارضت ... فيضحى وأمّا بالعشيّ فَيَخْصَرُ)
(أخا سَفَرٍ جَوّابَ أرضٍ تقاذفتْ ... به فَلَواتٌ فهو أشْعَثُ أغبرُ)
الأبيات كلها قال فقال لي الرشيد أنا والله ذلك الرجل قال وهذا بعقب قدومه من بلاد الروم
أخبرني الفضل بن الحباب الجمحي أبو خليفة في كتابه إلي قال حدثنا محمد ابن سلام قال أخبرني شعيب بن صخر قال كان بين عائشة بنت طلحة وبين زوجها عمر بن عبيد الله بن معمر كلام فسهرت ليلة فقالت إن ابن أبي ربيعة لجاهل بليلتي هذه حيث يقول
(ووالٍ كَفاها كلَّ شيءٍ يَهُمُّها ... فليستْ لشيءٍ آخرَ الليل تَسْهَرُ)
أخبرني علي بن صالح قال حدثنا أبو هفان قال حدثني إسحاق عن المدائني قال
عرض يزيد بن معاوية جيش أهل الحرة فمر به رجل من أهل الشام معه ترس خلق سمج فنظر إليه يزيد وضحك وقال له ويحك ترس عمر بن أبي ربيعة كان أحسن من ترسك يريد قول عمر
(فكان مِجَنّي دونَ مَنْ كنتُ أتّقي ... ثلاثُ شُخُوصٍ كَاعِبانِ ومُعْصِرُ)
أخبرنا جعفر بن قدامة قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي قال سمع أبو الحارث جميز مغنية تغني
(أشارت بِمِدْراها وقالت لأُختها ... أهذا المُغِيريّ الذي كان يُذْكَرُ)
فقال جميز امرأته طالق إن كانت أشارت إليها بمدراها إلا لتفقأ بها عينه هلا أشارت إليه بنقانق مطرف بالخردل أو سَنْبُوسَجَة مغموسة في الخل أو
لَوْزِينَجَة شرقة بالدهن فإن ذلك أنفع له وأطيب لنفسه وأدل على مودة صاحبته
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد العزيز بن أبي أويس عن عطاف بن خالد الوابصي عن عبد الرحمن بن حرملة قال
أنشد سعيد بن المسيب قول عمر بن أبي ربيعة
(وغابَ قُمَيْرٌ كنتُ أرجو غُيُوبَه ... وروَّحَ رُعْيانٌ ونَوَّمَ سُمَّرُ)
(فقال ما له قاتله الله لقد صغر ما عظم الله يقول الله عز وجل (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم
شعر عمر في فاطمة الكندية
ومنها ما فيه غناء لم ينسب في موضعه من الأخبار فنسب هاهنا
صوت
(تَشِطُّ غداً دارُ جيرانِنا ... ولَلدَّارُ بعدَ غدٍ أبعدُ)
(إذا سَلَكَتْ غَمْرَ ذي كِنْدَةٍ ... مع الصُّبْحِ قَصْدٌ لها الفَرْقَدُ)
(عِرَاقِيَّةٌ وتِهَامِي الهوَى ... يَغُورُ بمكةَ أو يُنْجِدُ
(وحَثَّ الحُداةُ بها عِيرَها ... سِرَاعاً إذا ما ونَتْ تُطْرَدُ)
(هُنالِكَ إمّا تُعَزّي الفؤادَ ... وإمَّا على إثْرها تَكْمَدُ)

(وليبسْ يبدْعٍ إذا دارُها ... نأتْ والعَزاءُ إذاً أجْلَدُ)
(صَرمْتُ وواصلتُ حتّى علمتُ ... أينَ المَصادرُ والمَوْردُ)
(وجَرّبتُ من ذاك حتّى عرفتُ ... ما أتوقّى وما أحمَدُ)
(فلما دَنَوْنا لجَرْسِ النُّباح ... والضوءِ والحيُّ لم يَرْقُدُوا)
(نأيْنا عن الحيِّ حتّى إذا ... تَودَّعَ من نارِها المَوْقِدُ)
(بَعثنا لها باغياً ناشِداً ... وفي الحيِّ بُغيةُ مَنْ يَنْشُدُ)
(أتتْنا تَهادَى على رِقْبَةٍ ... من الخوف أحشاؤها تُرْعَدُ)
(تقول وتُظْهِر وَجْداً بنا ... وَوَجْدِي وإن أظهرتْ أوْجَدُ)
(لَمِمَّا شَقَائي تَعلَّقْتُكم ... وقد كان لي عندكُمْ مَقْعَدُ)
(وكَفَّتْ سَوَابِقَ من عَبْرةٍ ... على الخَدِّ يَجْري بها الإثْمِدُ)
(فإنّ التي شَيَّعَتْنا الغَداةَ ... مع الفجر قلبي بها مُقْصَدُ)
(كأنَّ أقاحيَّ مَوْليَّةً ... تَحَدَّرُ من ماء مُزْنٍ نَدِي)
غنى معبد في الأول والثاني والثالث من الأبيات خفيف ثقيل من أصوات قليلات الأشباه عن إسحاق وغنى فيها أشعب المعروف بالطامع ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشامي وللغريض في الأبيات الأربعة الأول ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو ولابن سريج في الرابع عشر وهو
(... وكفّتْ سوابقَ من عَبْرة)
ثم الأول والتاسع رمل بالوسطى عن ابن المكي ولمالك ويقال إنه لمعبد خفيف ثقيل في الرابع عشر والثالث عشر والأول عن الهشامي وفي السابع والثامن والأول لابن جامع ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي وفي الأول والحادي عشر لابن سريج رمل بالبنصر في مجراها عن إسحاق وفيهما ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ولم ينسبه إلى أحد وذكر أحمد بن المكي أنه لأبيه وفي الرابع والخامس رمل لمعبد عن ابن المكي وقيل إنه من منحول أبيه إلى معبد وفي الثالث عشر والسادس ليونس خفيف رمل عن الهشامي وفي الأول والثاني عشر ثاني ثقيل تشترك فيه الأصابع عن ابن المكي وقال أيضا فيه للأبجر لحن آخر من الثقيل الثاني ولمعبد في الرابع والسادس ثاني ثقيل آخر عنه وفيهما أيضا رمل لابن سريج عنه وعن حبش ولإسحاق في الأول والثاني رمل من كتابه ولعلية بنت المهدي في الثالث عشر والأول ثقيل أول ولابن
مسجح في الثاني عشر والأول رمل ويقال إنه للرطاب وذكر حبش أنه لابن سريج وفي الخمسة الأبيات الأولى متوالية خفيف رمل بالوسطى ينسب إلى معبد وإلى يحيى المكي وزعم حبش أن فيها رملا بالوسطى لابن محرز والذي ذكره يونس في كتابه أن في
(... تَشُطُّ غداً دارُ جيرانِنا)
خمسة ألحان اثنان لمعبد واثنان لمالك وواحد ليونس وذكر أحمد بن عبيد أن الذي عرف صحته من الغناء فيه سبعة ألحان ثقيل أول وثاني ثقيل وخفيف ثقيل ورمل وخفيفه
أخبرني بعض أصحابنا عن أبي عبد الله بن المرزبان أن الذي أحصي فيه إلى وقته ستة عشر لحنا والذي وجدته فيه مما جمعته هاهنا سوى ما لم يذكر يونس طريقته تسعة عشر لحنا منها في الثقيل الأول لحنان وفي خفيف الثقيل لحنان وفي الثقيل الثاني ستة وفي الرمل سبعة وفي خفيف الرمل لحنان
وهذا الشعر يقوله عمر بن أبي ربيعة في امرأة من ولد الأشعث بن قيس حجت فهويها وراسلها فواصلته ودخل إليها وتحدث معها وخطبها فقالت أما
هاهنا فلا سبيل إلى ذلك ولكن إن قدمت إلى بلدي خاطبا تزوجتك فلم يفعل
أخبرني بهذا الخبر الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثنا محمد ابن الحسن المخزومي عن محرز بن جعفر مولى أبي هريرة عن أبيه قال
سمعت بديحا يقول حجت بنت محمد بن الأشعث الكندية فراسلها عمر بن أبي ربيعة ووعدها أن يتلقاها مساء الغد وجعل الآية بينه وبينها أن تسمع ناشداً ينشد إن لم يمكنه أن يرسل رسولا يعلمها بمصيره إلى المكان الذي وعدها قال بديح فلم أشعر به إلا متلثما فقال لي يا بديح ائت بنت محمد ابن الأشعث فأخبرها أني قد جئت لموعدها فأبيت أن أذهب وقلت مثلي لا يعين على مثل هذا فغيب بغلته عني ثم جاءني فقال لي قد أضللت بغلتي فانشدها لي في زقاق الحاج فذهبت فنشدتها فخرجت علي بنت محمد بن الأشعث وقد فهمت الآية فأتته لموعده وذلك قوله
(وآيةُ ذلكِ أن تسمَعي ... إذا جئتُكم ناشداً يَنْشُدُ)
قال بديح فلما رأيتها مقبلة عرفت أنه قد خدعني بنشدي البغلة فقلت له يا عمر لقد صدقت التي قالت لك
(فهذا سِحْرُكَ النِّسْوانَ ... قد خَبَّرْنَنِي خَبرَكْ)
قد سحرتني وأنا رجل فكيف برقة قلوب النساء وضعف رأيهن وما آمنك بعدها ولو دخلت الطواف ظننت أنك دخلته لبلية قال وحدثها بحديثي فما زالا
ليلتهما يفصلان حديثهما بالضحك مني
قال الزبير فحدثني أبو الهندام مولى الربعيين عن أبي الحارث بن عبد الله الربعي قال
لقي ابن أبي عتيق بديحا فقال له يا بديح أخدعك ابن أبي ربيعة أنه قرشي فقال بديح نعم وقد أخطأه ذلك عند القسري وصواحبه فقال ابن أبي عتيق ويحك يا بديح إن من تغابى لك ليغبى عنك فقد ضمت عليه قبضتك إن كان لك ذهن أما رأيت لمن كانت العاقبة والله ما بالى ابن أبي ربيعة أوقع عليهن أم وقعن عليه
أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعد الكراني قال حدثنا العمري عن كعب ابن بكر المحاربي أن فاطمة بنت محمد بن الأشعث حجت فراسلها عمر بن أبي ربيعة فواعدته أن تزوره فأعطى الرسول الذي بشره بزيارتها مائة دينار
أخبرني علي بن صالح عن أبي هفان عن إسحاق عن رجاله المذكورين قالوا
حجت بنت لمحمد بن الأشعث هكذا قال إسحاق وهو عندي الصحيح وكانت معها أمها وقد سمعت بعمر بن أبي ربيعة فأرسلت إليه فجاءها فاستنشدته فأنشدها
(تَشُطُّ غَداً دارُ جيرانِنا ... ولَلدّارُ بعدَ غدٍ أبعدُ)

وذكر القصة بطولها قال وقد كانت لما جاءها أرسلت بينها وبينه سترا رقيقا تراه
من ورائه ولا يراها فجعل يحدثها حتى استنشدته فأنشدها هذه القصيدة فاستخفها الشعر فرفعت السجف فرأى وجها
حسنا في جسم ناحل فخطبها وأرسل إلى أمها بخمسمائة دينار فأبت وحجبته وقالت للرسول تعود إلينا فكأن الفتاة
غمها ذلك فقالت لها أمها قد قتلك الوجد به فتزوجيه قالت لا والله لا يتحدث أهل العراق عني أني جئت ابن أبي ربيعة
أخطبه ولكن إن أتاني إلى العراق تزوجته قال ويقال إنها راسلته وواعدته أن تزوره فأجمر بيته وأعطى المبشر مائة دينار
فأتته وواعدته إذا صدر الناس أن يشيعها وجعلت علامة ما بينهما أن يأتيها رسوله ينشدها ناقة له فلما صدر الناس فعل
ذلك عمر وفيه يقول وقد شيعها
صوت
(قال الخَلِيطُ غداً تَصَدُّعُنا ... أو بعدَه أفلا تُشَيِّعُنا)
(أمّا الرَّحيلُ فدونَ بعدِ غدٍ ... فمتى تقولُ الدارُ تَجْمَعُنا)
(لِتَشُوقَنا هندٌ وقد علمتْ ... علماً بأنّ البين يُفزِعُنا)
(عجباً لمَوْقفنا وموقِفِها ... وبِسَمْعِ تِرْبَيْها تُراجِعُنا)
(ومَقالِها سِرْ ليلةً معنا ... نَعْهَدْ فإنّ البينَ فاجِعُنا)
(قلتُ العيونُ كثيرةٌ معكم ... وأظنُّ أنَّ السَّيْرَ مانِعُنا)
((لا بل نَزورُكُم بأرضكُم ... فيُطاعُ قائِلُكم وشافِعُنا)
(قالتْ أشيءٌ أنت فاعلُه ... هذا لعَمْرُكَ أم تُخادِعُنا)
(باللهِ حَدِّثْ ما تُؤَمِّلُه ... واصدُقْ فإنّ الصِّدْقَ واسِعُنا)
(إضْرِبْ لنا أجَلاً نَعُدُّ له ... إخْلاَفُ مَوْعِده تَقَاطُعُنا)
الغناء لابن سريج ثقيل أول مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق وذكر عمرو أنه للغريض بالوسطى وفيه لابن سريج
خفيف رمل عن الهشامي وذكر حبش أنه لموسى شهوات
شعر عمر في زينب الجمحية
ومنها مما لم ينسب أيضا
صوت
(لقد أرْسلتُ جاريتي ... وقلتُ لها خُذِي حَذَرَكْ)
(وقُولِي في مُلاطفةٍ ... لزينبَ نَوِّلِي عُمَرَكْ)
(فهزَّتْ رأسَها عجباً ... وقالت مَنْ بِذَا أَمَرَكْ)
(أهذا سِحْرُكَ النّسوانَ ... قد خبَّرْنَني خَبَرَكْ)
غنى فيها ابن سريج خفيف رمل بالبنصر عن عمرو وقال قوم إنه للغريض وفيها لمالك خفيف ثقيل عن ابن المكي وفي
هذا الشعر ألحان كثيرة والشعر فيها على غير هذه القافية لأن هذه الأبيات لعمر من قصيدة رائية موصولة الراءات بألف إلا
أن المغنين غيروا هذه الأبيات في هذين اللحنين
فجعلوا مكان الألف كافا وإنما هي
(لقد أرسلتُ جاريتي ... وقلتُ لها خُذي حَذَرَا)
وأول القصيدة
صوت
(تَصَابَى القلبُ وادَّكَرا ... صِبَاهُ ولم يكن ظَهَرا)
(لزينبَ إذ تُجِدُّ لنا ... صفاءً لم يكن كَدِرا)
(أليستْ بالتي قالتْ ... لمولاةٍ لها ظُهُرَا)
(أشِيرِي بالسّلامِ له ... إذا هُوَ نحوَنا خَطَرا)
(لقد أرْسلتُ جاريتي ... وقلتُ لها خُذِي حَذَرا)
(وقُولِي في مُلاطفةٍ ... لزينبَ نَوِّلِي عُمَرا)
(فهزَّتْ رأسَها عجباً ... وقالت مَنْ بِذَا أمَرا)
(أهذا سِحْرُكَ النسوانَ ... قد خبَّرْنني الخبرَا)
غنى ابن سريج في الثالث والرابع والخامس والأول خفيف ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر من رواية إسحاق
وذكر عمرو بن بانة في نسخته الأولى أنه لابن سريج وأبو إسحاق ينسبه في نسخته الثانية إلى دحمان وللغريض في
الأول من الأبيات لحن من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالوسطى في مجراها أضاف إليه بيتين ليسا من هذه القصيدة
وهما
((طَرِبتَ وَرَدَّ مَنْ تَهوَى ... جِمالُ الحَيِّ فابتَكرا
(فقُلْ للمالكيَّةِ لا ... تلومي القلبَ إن جَهَرا)
وذكر يونس أن لمعبد في هذا الشعر الذي أوله
تَصَابَى القلبُ وادّكرا ...) لحنين لم يذكر جنسيهما وذكر الهشامي أن أحدهما خفيف ثقيل والآخر رمل وفي الأبيات)
التي غنى فيها الغريض رمل لدحمان عن الهشامي قال ويقال إنه لابنة الزبير وزينب التي ذكرها عمر بن أبي ربيعة هاهنا
يقال لها زينب بنت موسى أخت قدامة بنت موسى الجمحي
أخبرني بذلك محمد بن خلف بن المرزبان عن أبي بكر العامري وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار
قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزهري قال حدثني عمي عمران بن عبد العزيز قال
شبب عمر بن أبي ربيعة بزينب بنت موسى الجمحية في قصيدته التي يقول فيها
صوت
(يا خَلِيليَّ مِنْ مَلامٍ دَعَانِي ... وأَلِمَّا الغَدَاةَ بالأظْعانِ)
(لا تلومَا في آلِ زينَبَ إنَّ القلبَ ... رَهْنٌ بآلِ زينبَ عانِي)
(ما أرَى ما بقيتُ أنْ أذكُرَ الموقِفَ ... منها بالخَيْفِ إلاّ شجانِي)

غنى في هذه الأبيات الغريض خفيف رمل بالبنصر عن عمرو
(لم تَدَعْ للنساءِ عندِيَ حظًّا ... غيرَ ما قلتُ مازحاً بلساني)
(هي أهلُ الصَّفَاء والوُدِّ منِّي ... وإليها الهَوَى فلا تَعْذُلاني)
(حين قالت لأُختها ولأُخرى ... مِن قَطِينٍ مُوَلَّدٍ حَدِّثاني)
(كيفَ لي اليومَ أن أرَى عُمَرَ المُرْسِلَ ... سِراً في القول أن يَلْقَانِي)
(قالتَا نَبْتغِي رسولاً إليه ... ونُميتُ الحديثَ بالكِتمانِ)
(إنّ قلبي بعدَ الذي نِلْتُ منها ... كالمُعَمَّى عن سائر النِّسْوانِ)
قال وكان سبب ذكره لها أن ابن أبي عتيق ذكرها عنده يوما فأطراها ووصف من عقلها وأدبها وجمالها ما شغل قلب عمر وأماله إليها فقال فيها الشعر وشبب بها فبلغ ذلك ابن أبي عتيق فلامه فيه وقال له أتنطق الشعر في ابنة عمي فقال عمر
صوت
(لا تَلُمْنِي عتيقُ حَسْبِي الذي بي ... إنّ بي يا عتيقُ ما قد كَفَانِي)
(لا تَلُمْنِي وأنت زَيَّنْتَها لي ... أنتَ مثلُ الشيطانِ للإنسانِ)
(إنّ بي داخلاً من الحبّ قد أبْلَى ... عِظَامِي مكنونُهُ وبَرَانِي)
(لو بعينيكَ يا عتيقُ نَظَرْنا ... ليلةَ السَّفْحِ قَرَّتِ العينانِ)
(إذا بدا الكَشْحُ والوشاحُ من الدُّرِّ ... وَفَصْلٌ فيه من المَرْجانِ)
(قد قَلَى قلبيَ النساءَ سواها ... غيرَ ما قلتُ مازحاً بلساني
وأول هذه القصيدة
(إنّني اليومَ عادَ لي أحزاني ... وتَذكَّرتُ ما مضَى من زماني)
(وتَذكَّرتُ ظبيةً أُمَّ رئمٍ ... هاج لي الشوقَ ذِكرُها فشجاني)
غنى أبو العبيس بن حمدون في لا تلمني عتيق لحنا من الثقيل الأول المطلق وفيه رمل طُنْبُورِيٌّ مجهول
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال أخبرني عبد الملك بن عبد العزيز عن يوسف بن الماجشون قال أنشد عمر بن أبي ربيعة قوله
(يا خليليَّ من ملامٍ دعاني ... وألِمَّا الغداةَ بالأظْعانِ)
(لا تلوما في آل زينبَ إنّ القَلبَ ... رَهْنٌ بآل زينبَ عانِي)
القصيدة قال فبلغ ذلك أبا وداعة السهمي فأنكره وغضب وبلغ ذلك ابن أبي عتيق وقيل له إن أبا وداعة قد اعترض لابن أبي ربيعة من دون زينب بنت موسى وقال لا أقر لابن أبي ربيعة أن يذكر امرأة من بني هصيص في شعره فقال ابن أبي عتيق لا تلوموا أبا وداعة أن ينعظ من سمرقند على أهل عدن
قال الزبير وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزهري قال حدثني عمي عمران بن عبد العزيز قال شبب عمر بن أبي ربيعة بزينب بنت موسى في أبياته التي يقول فيها
لا تلوما في آل زينبَ إنّ القلبَ ... رهنٌ بآل زينبَ عاني) فقال له ابن أبي عتيق أما قلبك فقد غيب عنا وأما لسانك فشاهد عليك
قال عبد الرحمن بن عبد الله قال عمران بن عبد العزيز عذل ابن أبي عتيق عمر في ذكره زينب في شعره فقال عمر
(لا تَلُمْني عتيقُ حَسْبِي الذي بي ... إنّ بي يا عَتيقُ ما قد كفاني)
(... لا تلمني وأنت زينتها لي)
قال فبدره ابن أبي عتيق فقال
أنَت مثلُ الشيطان للإنسانِ ...) فقال ابن أبي ربيعة هكذا ورب البيت قلته فقال ابن أبي عتيق إن شيطانك ورب القبر ربما ألم بي فيجد عندي من عصيانه خلاف ما يجد عندك من طاعته فيصيب مني وأصيب منه
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز قال حدثني قدامة بن موسى قال خرجت بأختي زينب إلى العمرة فلما كنت بسرف لقيني عمر بن أبي ربيعة على فرس فسلم علي فقلت له إلى أين أراك متوجها يا أبا الخطاب فقال ذكرت لي امرأة من قومي برزة الجمال فأردت الحديث معها فقلت هل علمت أنها أختي فقال لا واستحيا وثنى عنق فرسه راجعا إلى مكة
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم قال حدثنا العمري عن لقيط بن بكر المحاربي قال أنشدني ابن أبي عتيق قول عمر
صوت
(مَنْ لسَقِيمٍ يكتُم الناسَ ما به ... لزينبَ نَجْوَى صدره والوَساوسُ)
(أقولُ لمن يَبْغِي الشِّفاءَ متى تَجِيءْ ... بزينبَ تُدركْ بعضَ ما أنتَ لامِسُ)
(فإنّكَ إن لم تَشْفِ من سَقَمِي بها ... فإنّي من طِبِّ الأطبَّاء آيِسُ)
(ولستُ بناسٍ ليلةَ الدارِ مجلساً ... لزينبَ حتى يَعْلُوَ الرأسَ رَامِسُ)
(خَلاَءً بَدَتْ قَمْراؤُه وتَكشَّفَتْ ... دَجُنَّتُه وغابَ مَنْ هو حارسُ)
(وما نِلْتُ منها مَحْرَماً غير أنّنا ... كِلانا من الثوبِ المورَّدِ لابِسُ)
(نَجِيَّيْن نَقْضِي اللهوَ في غير مَأْثمٍ ... وإن رَغِمَتْ مِ الكاشِحِينَ المَعَاطِسُ)
قال فقال ابن أبي عتيق أمنا يسخر ابن أبي ربيعة فأي محرم بقي ثم أتى عمر فقال له يا عمر ألم تخبرني أنك ما أتيت حراما قط قال بلى قال فأخبرني عن قولك
كِلاَنا من الثَّوْبِ المورَّد لابسُ ...) ما معناه قال والله لأخبرنك خرجت أريد المسجد وخرجت زينت تريده فالتقينا فاتعدنا لبعض الشعاب فلما توسطنا الشعب أخذتنا السماء فكرهت أن يرى بثيابها بلل المطر فيقال لها ألا استترت بسقائف المسجد أن كنت فيه فأمرت غلماني فستروا بكساء خز كان علي فذلك حين أقول
(... كلانا مِنَ الثوب المَطَارِفِ لابسُ)
فقال له ابن أبي عتيق يا عاهر هذا البيت يحتاج إلى حاضنة

الغناء في هذه الأبيات التي أولها
(... مَنْ لِسَقِيم يكتُم النّاسَ ما به)
لرذاذ ثقيل أول وكان بعض المحدثين ممن شاهدناه يدعي أنه له ولم يصدق
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز عن يوسف بن الماجشون قال
قال عمر بن أبي ربيعة في زينب بنت موسى
الصبي العاشق
صوت
(طال من آل زينبَ الإعراضُ ... للتعدِّي وما بها الإبغاضُ)
(ولَيَدَيْن كان عَلّقَها القلبُ ... إلى أن علا الرؤوسَ بياضُ)
(حبلُها عندَنا متينٌ وحَبْلي ... عندها واهِنُ القُوَى أنْقاضُ)
الغناء في هذه الأبيات لابن محرز خفيف رمل بالبنصر عن عمرو وقال الهشامي فيه لابن جامع خفيف رمل آخر
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال عبد الرحمن بن عبد الله وحدثني إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز عن أبيه قال
لما قال عمر بن أبي ربيعة في زينب
(لم تَدَعْ للنساء عندي نصيباً ... غيرَ ما قلتُ مازحاً بلِساني)
قال له ابن أبي عتيق رضيت لها بالمودة وللنساء بالدَّهْقَشَة قال والدهفشة التَّجْميشُ والخديعة بالشيء اليسير وقال غير الزبير في هذا الخبر الدهقشة مكان الدهفشة
عمر يقول في زينب
صوت
(أيُّها الكَاشِحُ المعيِّر بالصُّرْمِ ... تَزَحْزَحْ فما لها الهِجْرَانُ)
(لا مُطَاعٌ في آل زينبَ فارجِعْ ... أو تَكَلَّمْ حتّى يَمَلَّ اللّسانُ)
(نجعلُ الليلَ موعِداً حينَ نُمسي ... ثم يُخْفِي حديثَنا الكِتْمانُ)
(كيفَ صَبْري عن بعضِ نَفْسِي وهل يَصْبِرُ ... عن بعضِ نفسه الإنسانُ)
(ولقد أشهدُ المحدَّثَ عند القَصْرِ ... فيه تَعَفُّفٌ وبَيَانُ)
(في زمانٍ من المعيشة لَدْنٍ ... قد مضى عَصْرُه وهذا زمانُ)
الغناء في هذه الأبيات لابن سريج رمل بالوسطى عن عمرو ودنانير وذكر يونس
أن فيه لحنا لابن محرز ولحنا لابن عباد الكاتب أول لحن ابن عباد الكاتب
(... لا مُطَاعٌ في آل زينبَ)
وأول لحن ابن محرز
(... ولقد أشهد المحدَّث)
ومما غني فيه لابن محرز من أشعار عمر بن أبي ربيعة في زينب بنت موسى قوله
صوت
(يا مَنْ لقلبٍ مُتَيَّمٍ كَلِف ... يَهْذِي بخَوْدٍ مريضةِ النَّظَرِ)
(تمشي الهُوَيْنَى إذا مشتْ فُضُلاً ... وهْيَ كمِثْلِ العُسْلُوج في الشَّجَر)
للغريض في هذين البيتين خفيف رمل بالوسطى ولابن سريج رمل بالبنصر عن الهشامي وحبش
براعة الوصف عند عمر
(ما زال طَرْفِي يحَار إذ بَرَزَت ... حتى رأيتُ النقصانَ في بَصري)
(أبصرتُها ليلةً ونسوَتَها ... يَمْشين بين المَقَامِ والحَجَر)
((ما إن طمِعْنا بها ولا طَمِعتْ ... حتى التقينا ليلاً على قَدر
(بِيضاً حِساناً خَرَائِداً قُطُفاً ... يَمْشِينَ هَوْناً كمِشْيةِ البقرِ)
(قد فُزْنَ بالحسن والجَمال معاً ... وفُزن رِسْلاً بالدَّلِّ والخَفَر)
(يُنْصِتْنَ يوماً لها إذا نطقتْ ... كيْما يُشرِّفْنها على البَشَر)
(قالت لتربٍ لها تُحَدّثها ... لنُفْسِدَنّ الطَّوَافَ في عُمر)
(قُومِي تَصَدَّيْ له ليعرفنا ... ثم اغمِزِيه يا أختِ في خَفَر)
(قالت لها قد غمزتُه فأبى ... ثم اسْبَطَرَّتْ تسعَى على أثري)
(من يُسْقَ بعد المنامِ ريقتَها ... يُسْقَ بمِسْكٍ وبارِدٍ خَصِر)
غنى في هذا الشعر الغريض خفيف رمل بالوسطى عن عمرو وغنى فيه
ابن سريج رملا بالبنصر عن الهشامي وحبش
ومنها
خيال زينب الجمحية يقض مضجع عمر
صوت
(ألا يا بَكْرُ قد طَرَقا ... خيالٌ هاج لي الأرقَا)
(لزينبَ إنها همِّي ... فكيفَ بحبلِها خَلَقا)
(خَدَلَّجةٌ إذا انصرفتْ ... رأيتَ وِشَاحَها قَلِقا)
(وساقاً تمْلأ الخَلْخالَ ... فيه تَراه مُخْتَنِقا)
(إذا ما زينبٌ ذُكِرَتْ ... سكَبتُ الدمعَ مُتَّسقا)
(كأنَّ سحابةً تَهْمِي ... بماءٍ حُمِّلَتْ غَدَقَا)
الغناء لحنين رمل عن الهشامي وفيه لابن عباد خفيف ثقيل ويقال إنه ليونس ومما قاله فيها أيضا وغنى فيه
عمر يغالي في مدح نفسه على لسان زينب

صوت

(أَلْمِمْ بزينبَ إنّ البَيْنَ قد أفِدَا ... قَلَّ الثَّواءُ لَئِن كان الرَّحيلُ غَدَا)
(قد حَلَفتْ ليلةَ الصَّوْرين جاهدة ... وما على المرءِ إلا الحِلْفُ مجتهِدَا)
(لأُختِها ولأخرى من مَنَاصِفِها .. لقد وَجدتُ به فوقَ الذي وَجَدا)
(لو جُمِّعَ الناسُ ثم اختير صَفْوهُمُ ... شخصاً من الناس لم أعدِلْ به أحدا)

الغناء لابن سريج رمل بالسبابة والبنصر في الأول والثاني عن يحيى المكي وله فيه أيضا خفيف رمل بالوسطى في الثاني والثالث والرابع عن عمرو

ولمعبد ثقيل أول في الأول والثاني عن الهشامي وفيه خفيف ثقيل ينسب إلى الغريض ومالك

أخبرني علي بن صالح قال حدثنا أبو هفان عن إسحاق عن مصعب الزبيري قال

اجتمع نسوة فذكرن عمر بن أبي ربيعة وشعره وظرفه ومجلسه وحديثه فتشوقن إليه وتمنينه فقالت سكينة أنا لكن به فبعثت إليه رسولا أن يوافي الصورين ليلة سمتها فوافاهن على رواحله فحدثهن حتى طلع الفجر وحان انصرافهن فقال لهن والله إني لمحتاج إلى زيارة قبر النبي والصلاة في مسجده ولكني لا أخلط بزيارتكن شيئا ثم انصرف إلى مكة وقال في ذلك

(...ألمِمْ بزينبَ إنّ البينَ قد أفدا)

وذكر الأبيات المتقدمة

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن لقيط قال أنشد جرير قول عمر بن أبي ربيعة

عمر يصيب شعره ما أخطأ الآخرون

صوت

(سَائِلاَ الربعَ بالبُليّ وقُولا ... هِجْتَ شوقاً لِي الغداةَ طويلا)
(أين حَيٌّ حَلُّوكَ إذ أنت مَحْفُوفٌ ... بهم آهِلٌ أراكَ جَميلا)
(قال سَارُوا فأَمْعَنُوا واسْتَقلُّوا ... وبِرَغْمِي لو استطعتُ سبيلا)
(سئمُونا وما سئمنا مُقَاماً ... وأحبُّوا دماثة وسُهُولا)

فقال جرير إن هذا الذي كنا ندور عليه فأخطأناه وأصابه هذا القرشي وفي هذه الأبيات رملان أحدهما لابن سريج بالسبابة في مجرى الوسطى والآخر لإسحاق مطلق في مجرى البنصر جميعا من روايته وذكر عمرو أن فيها رملا ثالثا بالوسطى لابن جامع وقال الهشامي فيها ثلاثة أرمال لابن سريج وابن جامع وإبراهيم ولأبي العبيس بن حمدون فيها ثاني ثقيل وفيها هزج

لإبراهيم الموصلي من جامع أغانيه

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال وجدت كتابا بخط محمد بن الحسن ذكر فيه أن فليح بن إسماعيل حدثه عن معاذ صاحب الهروي أن النصيب قال

عمر بن أبي ربيعة أوصفنا لربات الحجال

أخبرني الطوسي قال حدثنا الزبير قال حدثتني ظمياء مولاة فاطمة بنت عمر بن مصعب قالت سمعت جدك يقول وقد أنشد قول عمر بن أبي ربيعة

سلام بن الغساني يغني لعمر

صوت

(يا ليتني قد أجَزْتُ الحبلَ نَحْوَكُمُ ... حَبْلَ المُعَرَّفِ أو جاوزت ذا عُشَرَ)
(إنّ الثَّوَاءَ بأرضٍ لا أراكِ بها ... فاستْيقنيه ثَواءٌ حَقٌّ ذي كَدَرِ)
(وما مَلِلْتُ ولكن زاد حُبُّكُمُ ... وما ذكرتُكِ إلا ظَلْتُ كالسَّدِرِ)
(ولا جَذِلْتُ بشيءٍ كان بعدَكُمُ ... ولا مَنَحْتُ سواكِ الحبَّ من بَشَرَ)

الغناء في هذه الأربعة الأبيات لسلام بن الغساني رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق وفيه لابن جامع وقفا النجار لحنان من كتاب إبراهيم ولم يجنسهما وتمام الأبيات

(أَذْرِي الدموعَ كذي سُقْمٍ يُخَامِرُه ... وما يُخامرني سُقْمٌ سوى الذِّكَرِ)
(كم قد ذكرتُكِ لو أُجْدَى تذكُّرُكُمْ ... يا أشبهَ الناسِ كلِّ الناسِ بالقمرِ)

قالت فقال جدك إن لشعر عمر بن أبي ربيعة لموقعا في القلب ومخالطة للنفس ليسا لغيره ولو كان شعر يسحر لكان شعره سحرا

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمامة بن عمر قال رأيت عامر بن صالح بن عبد الله بن عروة بن الزبير يسأل المسور بن عبد الملك عن شعر عمر بن أبي ربيعة فجعل يذكر له شيئا لا يعرفه فيسأله أن يكتبه إياه فيفعل فرأيته يكتب ويده ترعد من الفرح

ابن أبي عتيق يقول رأيه في شعر عمر

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون عن عمه يوسف قال

ذكر شعر الحارث بن خالد وشعر عمر بن أبي ربيعة عن ابن أبي عتيق في مجلس رجل من ولد خالد بن العاصي بن هشام فقال صاحبنا يعني الحارث

ابن خالد أشعرهما فقال له ابن أبي عتيق بعض قولك يابن أخي لشعر عمر بن أبي ربيعة نوطة في القلب وعلوق بالنفس ودرك للحاجة ليست لشعر وما عصي الله جل وعز بشعر أكثر مما عصي بشعر ابن أبي ربيعة فخذ عني ما أصف لك أشعر قريش من دق معناه ولطف مدخله وسهل مخرجه ومتن حشوه وتعطفت حواشيه وأنارت معانيه وأعرب عن حاجته فقال المفضل للحارث أليس صاحبنا الذي يقول

(إنِّي وما نَحَرُوا غَدَاةَ مِنىً ... عند الجِمَار يؤودها العَقْلُ)
(لو بُدِّلَتْ أعلَى مساكِنِها ... سُفْلاً وأصبح سُفْلُها يَعْلُو)
(فَيَكادُ يعرِفُها الخَبِيرُ بها ... فَيُردُّه الإقْواءُ والمَحْلُ)
(لعَرفْتُ مَغْنَاها بما احتمَلَتْ ... منِّي الضلوعُ لأهلها قَبْلُ)

فقال له ابن أبي عتيق يابن أخي استر على نفسك واكتم على صاحبك
ولا تشاهد المحافل بمثل هذا أما تطير الحارث عليها حين قلب ربعها فجعل عاليه سافله ما بقي إلا أن يسأل الله تبارك وتعالى لها حجارة من سجيل ابن أبي ربيعة كان أحسن صحبة للربع من صاحبك وأجمل مخاطبة حيث يقول
(سائلاَ الربعَ بالبُلَيِّ وقولاَ ... هِجْتَ شوقاً لِيَ الغداةَ طويلا)
وذكر الأبيات الماضية قال فانصرف الرجل خجلا مذعنا
أخبرني علي بن صالح قال حدثني أبو هفان عن إسحاق عن رجاله المسمين وأخبرني به الحرمي عن الزبير عن عمه عن جده قالوا
كان الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة أخو عمر بن أبي ربيعة رجلا صالحا دينا من سروات قريش وإنما لقب القباع لأن عبد الله بن الزبير كان ولاه البصرة فرأى مكيالا لهم فقال إن مكيالكم هذا لقباع قال وهو الشيء الذي له قعر فلقب بالقباع
وأخبرني محمد بن خلف بن المرزبان وأحمد بن عبد العزيز الجوهري
وحبيب بن نصر المهلبي قالوا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني عبد الله بن محمد الطائي قال حدثنا خالد بن سعيد قال

أبو الأسود الدؤلي يهجو الحارث بن عبد الله

استعمل ابن الزبير الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة على البصرة فأتوه بمكيال لهم فقال لهم إن مكيالكم هذا لقباع فغلب عليه وقال أبو الأسود الدؤلي وقد عتب عليه يهجوه ويخاطب ابن الزهير
(أميرَ المؤمنين جُزِيْتَ خيراً ... أرِحْنَا من قُبَاعِ بني المُغِيرهْ)
(بَلَوْناه ولُمْنَاه فأعْيَا ... علينا ما يُمِرُّ لنا مريرهْ)
(على أنّ الفتى نِكْحٌ أكولٌ ... ووَلاَّجٌ مذاهبُه كثيرهْ)
قالوا وكان الحارث ينهى أخاه عن قول الشعر فيأبى أن يقبل منه فأعطاه ألف دينار على ألا يقول شعرا فأخذ المال وخرج إلى أخواله بلحج وأبين مخافة أن يهيجه مقامه بمكة على قول الشعر فطرب يوم فقال

صوت

(هيهاتَ من أمَةِ الوَهَّاب منزلُنا ... إذا حَلَلْنا بسِيفِ البحر من عَدَنِ)
(واحتلَّ أهلُكِ أجْياداً وليس لنا ... إلا التذكُّرُ أو حظٌّ من الحَزَنِ)
(لو أنها أبصرتْ بالجَزْع عَبْرَتَه ... من أنْ يُغرِّد قُمْرِيٌّ على فَنَنِ
(إذاً رأتْ غير ما ظَنَّتْ بصاحبها ... وأيقنتْ أنّ لحجاً ليس من وطَني)
(ما أنْسَ لا أنْسَ يومَ الخَيْفِ موقفَها ... وموقفي وكلانا ثَمَّ ذو شَجَنِ)
(وقولَها للثُّريَّا وهي باكيةٌ ... والدمع منها على الخدَّين ذو سَنَنِ)
(باللّه قُولي له في غير مَعْتَبَةٍ ... ماذا أردتَ بطول المُكْث في اليمنِ)
(إن كنتَ حاولتَ دنيا أو ظَفِرْتَ بها ... فما أخذتَ بتَرْك الحج من ثمنِ)
قال فسارت القصيدة حتى سمعها أخوه الحارث فقال هذا والله شعر عمر قد فتك وغدر قال وقال ابن جريج ما ظننت أن الله عز وجل ينفع أحدا بشعر عمر بن أبي ربيعة حتى سمعت وأنا باليمن منشدا ينشد قوله
(بالله قولي له في غير معتبة ... ماذا أردتَ بطولِ المكث في اليمنِ)
(إن كنتَ حاولتَ دنيا أو ظفرت بها ... فما أخذتَ بترك الحج من ثمنِ)
فحركني ذلك على الرجوع إلى مكة فخرجت مع الحاج وحججت
غنى في أبيات عمر هذه ابن سريج ولحنه رمل بالبنصر في مجراها عن إسحاق وفيها للغريض ثقيل أول بالوسطى عن عمرو

الوليد بن عبد الملك يسأل عمر عن سبب الأثر الذي في منكبه

أخبرني علي بن صالح قال حدثنا أبو هفان قال حدثني إسحاق عن السعدي قال قدم الوليد بن عبد الملك مكة فأراد أن يأتي الطائف فقال
هل لي في رجل علم بأموال الطائف فيخبرني عنها فقالوا عمر بن أبي ربيعة قال لا حاجة لي به ثم عاد فسأل فذكروه له فرده ثم عاد فسأل فذكروه له ثم رده ثم عاد فسأل فذكروه له فقال هاتوه فركب معه يحدثه ثم حرك عمر رداءه ليصلحه على كتفه فرأى على منكبه أثرا فقال ما هذا الأثر فقال كنت عند جارية إذ جاءتني جارية برسالة من عند جارية أخرى فجعلت تسارني فغارت التي كنت أحدثها فعضت منكبي فما وجدت ألم عضها من لذة ما كانت تلك تنفث في أذني حتى بلغت ما ترى والوليد يضحك فلما رجع عمر قيل له ما الذي كنت تضحك أمير المؤمنين به فقال ما زلنا في حديث الزنا حتى رجعنا
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن عبد الله البكري وغيره عن عبد الجبار بن سعيد المساحقي عن أبيه قال
دخلت مسجد رسول الله مع نوفل بن مساحق فإنه لمعتمد على
يدي إذ مررنا بسعيد بن المسيب في مجلسه وحوله جلساؤه فسلمنا عليه فرد علينا ثم قال لنوفل يا أبا سعيد من أشعر صحابنا أم صاحبكم يريد عبد الله ابن قيس أو عمر بن أبي ربيعة فقال نوفل حين يقولان ماذا يا أبا محمد قال حين يقول صاحبنا
(خليليّ ما بال المَطايا كأنّما ... نَرَاها على الأدْبار بالقوم تَنْكِصَ)
(وقد قُطِعَتْ أعناقُهن صَبَابةً ... فأنفُسنُا مما يُلاقِين شُخَّصُ)
(وقد أتعبَ الحادي سُراهُنَّ وانْتَحَى ... بِهِنّ فما يَألُو عَجولٌ مُقَلِّصُ)
(يَزِدْنَ بنا قرباً فيزدادُ شَوْقُنا ... إذا زاد طولُ العهد والبعدُ يَنْقُصُ)
ويقول صاحبك ما شئت فقال له نوفل صاحبكم أشعر في الغزل وصاحبنا أكثر أفانين شعر فقال سعيد صدقت فلما انقضى ما بينهما من ذكر الشعر جعل سعيد يستغفر الله ويعقد بيده حتى وفى مائة فقال البكري في حديثه عن عبد الجبار قال مسلم فلما انصرفنا قلت لنوفل أتراه استغفر الله من إنشاد الشعر في مسجد رسول الله فقال كلا هو كثير الإنشاد والاستنشاد للشعر فيه ولكن أحسب ذلك للفخر بصاحبه
الوليد بن يزيد يفضل غزل عمر على غزل جميل بن معمر

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال قال أبو عبيدة
حدثنا عوانة بن الحكم وأبو يعقوب الثقفي أن الوليد بن يزيد بن عبد الملك قال لأصحابه ذات ليلة أي بيت قالته العرب أغزل فقال بعضهم قول جميل
(يموتُ الهوى منّي إذا ما لَقِيتُها ... ويَحْيا إذا فارقتُها فيعودُ)
وقال آخر قول عمر بن أبي ربيعة
(كأنّني حينَ أُمْسِي لا تُكلِّمُنِي ... ذُو بُغْيةٍ يَبْتَغِي ما ليس موجودا)
فقال الوليد حسبك والله بهذا
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن إسماعيل ابن إبراهيم بن عبد الحميد عن شيخ من أهله عن أبي الحارث مولى هشام بن الوليد بن المغيرة قال وهو الذي يقول فيه عمر بن أبي ربيعة
(يا أبا الحارثِ قلبي طائرٌ ... فأْتَمِرْ أمرَ رَشيدٍ مُؤْتَمنْ)
قال شهدت عمر بن أبي ربيعة وجميل بن عبد الله بن معمر العذري وقد اجتمعا بالأبطح فأنشد جميل قصيدته التي يقول فيها
((لقد فَرِحَ الوَاشُونَ أنْ صَرَمَتْ حبلِي ... بُثَينةُ أو أبدتْ لنا جانبَ البُخْلِ
(يقولون مَهْلاً يا جميلُ وإنَّني ... لأُقْسِمُ مالي عن بُثَيْنَةَ من مَهْلِ)
حتى أتى على آخرها ثم قال لعمر يا أبا الخطاب هل قلت في هذا الروي شيئا قال نعم قال فأنشدنيه فأنشده قوله
(جرَى ناصحٌ بالوُدِّ بيني وبينَها ... فقرَّبَنِي يومَ الحِصَابِ إلى قَتْلِي)
(فطارتْ بحدٍّ من فؤادي وقارنتْ ... قرينتُها حبلَ الصَّفَاءِ إلى حبلي)
(فلمّا تَوَاقَفْنا عرفتُ الذي بها ... كمثلِ الذي بي حَذْوَكَ النعلَ بالنعلِ)
(فقُلْنَ لها هذا عِشاءٌ وأهلُنا ... قريبٌ ألَمَّا تَسأَمي مَركبَ البَغْلِ)
(فقالتْ فما شِئْتُنّ قلن لها انزلي ... فلَلأرضُ خيرٌ من وقوفٍ على رَحْلِ)
(نُجومٌ دَرارِيٌّ تَكَنَّفْنَ صورةً ... من البدر وافتْ غيرَ هُوجٍ ولا عُجْلِ)
(فسلَّمْتُ واستأنستُ خِيفَةَ أن يرى ... عدوٌّ مُقامِي أو يرى كاشِحٌ فِعْلِي)
(فقالتْ وأرْخَتْ جانبَ السِّتْرِ إنّما ... معي فَتَكَلَّمْ غيرَ ذي رِقْبَةٍ أهْلِي)
(فقلتُ لها ما بي لهم من تَرقُّبٍ ... ولكنّ سِرِّي ليس يَحْمِلُه مثلي)
(فلمّا اقتصرْنا دونهنّ حديثَنا ... وهُنّ طَبيباتٌ بحاجة ذي الشَّكْلِ)
(عَرَفْنَ الذي تَهْوَى فقلنَ ائذَنِي لنا ... نَطُفْ ساعةً في بَرْدِ ليلٍ وفي سَهْلِ)
((فقالتْ فلا تَلْبَثْنَ قُلْنَ تَحَدَّثِي ... أتيناكِ وانْسَبْنَ انسياب مَهَا الرَّمْلِ
(وقُمْنَ وقد أفهمْنَ ذا اللُّبِّ أنّما ... أتَيْنَ الذي يأتِينَ من ذاك من أجْلي)
فقال جميل هيهات يا أبا الخطاب لا أقول والله مثل هذا سجيس الليالي والله ما يخاطب النساء مخاطبتك أحد وقام مشمرا
قال أبو عبد الله الزبير قال عمي مصعب كان عمر يعارض جميلا فإذا قال هذا قصيدة قال هذا مثلها فيقال إنه في الرائية والعينية أشعر من جميل وإن جميلا أشعر منه في اللامية وكلاهما قد قال بيتا نادرا ظريفا قال جميل
(خليليَّ فيما عِشْتُما هل رأيتُما ... قتيلاً بكى من حبِّ قاتِله قبلي)
وقال عمر
(فقالتْ وأرختْ جانبَ السِّتْر إنّما ... معي فتكلّم غيرَ ذي رِقْبةٍ أهلي)
الفرزدق يشهد لعمر
أخبرني علي بن صالح قال حدثنا أبو هفان عن إسحاق عن المدائني قال سمع الفرزدق عمر بن أبي ربيعة ينشد قوله
(جرَى ناصحٌ بالوُدِّ بيني وبينها ... فقرّبني يوم الحِصابِ إلى قتلي)
ولما بلغ قوله
(فَقُمْنَ وقد أفهمنَ ذا اللبّ أنما ... أَتَيْنَ الذي يأتينَ من ذاك من أجلي)
صاح الفرزدق هذا والله الذي أرادته الشعراء فأخطأته وبكت على الديار
نسبة ما في هذه الأشعار من الغناء
منها في قصيدة جميل التي أنشدها عمر واستنشده ماله في وزنها
صوت
(خليليَّ فيما عِشْتُما هل رأيتُما ... قتيلاً بكى من حبِّ قاتِله قبلي)
(أبِيتُ مع الهُلاَّكِ ضيفاً لأهلِها ... وأهلي قريبٌ مُوسِعُون ذوو فضلِ)
(أفِقْ أيها القلبُ اللَّجُوجُ عن الجَهْلِ ... ودَعْ عنك جُمْلاً لا سبيلَ إلى جُمْلِ)
(فلو تركتْ عقلي معي ما طلبتُها ... ولكنْ طِلاَبِيها لِمَا فات من عَقْلي)
الغناء للغريض ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو في الأول والثاني من الأبيات وذكر الهشامي الأبيات كلها ووصف أن الثقيل الثاني الذي يغنى به فيها لمعبد وذكر يحيى المكي أن لابن محرز في الثالث وما بعده من الأبيات ثاني ثقيل بالخنصر والبنصر وفي هذه الأبيات التي أولها الثالث هزج بالبنصر يمان عن عمرو وفي الرابع والخامس لابن طُنْبورة خفيف رمل عن الهشامي وفيها لإسحاق ثقيل أول عن الهشامي أيضا وذكر حماد عن أبيه أن لنافع الخير مولى عبد الله بن جعفر في هذه الأبيات لحنا ولم يحبسنه وذكر حبش أن الثقيل الأول لابن طُنْبورة
ومنها في شعر جميل أيضاً
صوت
(لقد فَرِح الواشونَ أنْ صَرَمَتْ حبلي ... بُثَينةُ أو أبدتْ لنا جانبَ البخلِ)
(فلو تركتْ عقلي معي ما طلبتُها ... ولكن طِلاَبِيها لِمَا فات من عقلي)
الغناء لابن مِسْجَح ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي
ومنها في شعر عمر بن أبي ربيعة المذكور في أول الخبر

صوت
(فقالتْ وأرْخَتْ جانبَ السِّترِ إنّما ... معي فتحدّثْ غَيرَ ذي رِقْبةٍ أهلي)
(فقلتُ لها ما بي لهم من تَرقُّبٍ ... ولكنّ سرِّي ليس يحمله مثلي)
(جرى ناصحٌ بالوُدّ بيني وبينها ... فقرّبني يوم الحِصَابِ إلى قتلي)
غنى في هذه الأبيات ابن سريج ولحنه رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق وعمرو وذكر يونس أن فيه لحنا لمالك لم يجنسه وذكر الهشامي أن
لحن مالك خفيف ثقيل وذكر حبش أن لمعبد فيه لحنا من الثقيل الأول بالبنصر ولابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى وليس حبش ممن يعتمد في هذا على روايته
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال
أدركت مشيخة من قريش لا يزنون بعمر بن أبي ربيعة شاعرا من أهل دهره في النسيب ويستحسنون منه ما كانوا يستقبحونه من غيره من مدح نفسه والتحلي بمودته والإبتيار في شعره والابتيار أن يفعل الإنسان الشيء فيذكره ويفخر به والابتهار أن يقول ما لم يفعل
أخبرني محمد بن خلف قال أخبرني عبد الله بن عمر وغيره عن إبراهيم بن المنذر الحزامي عن عبد العزيز بن عمران قال قال ابن أبي عتيق لعمر وقد أنشده قوله
صوت
(بينما يَنْعَتْنَني أبْصَرْنَنِي ... دونَ قِيدِ المِيلِ يَعْدُو بي الأغَرْ)
(قالتِ الكبرى أتَعْرِفْنَ الفَتَى ... قالتِ الوُسْطَى نعم هذا عمرْ)
(قالتِ الصغرى وقد تَيَّمْتُها ... قد عرفناه وهل يَخْفَى القمرْ)
الغناء في هذه الأبيات لابن سريج خفيف رمل بالبنصر فقال له ابن أبي عتيق وقد أنشدها أنت لم تنسب بها وإنما نسبت بنفسك كان ينبغي أن
تقول قلت لها فقالت لي فوضعت خدي فوطئت عليه
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال
تفضيل شعر عمر على شعراء عصره
لم يذهب على أحد من الرواة أن عمر كان عفيفا يصف ولا يقف ويحوم ولا يرد
أخبرني محمد بن خلف قال حدثنا أحمد بن منصور عن ابن الأعرابي وحدثني علي بن صالح قال حدثنا أبو هفان عن إسحاق الموصلي عن رجاله قالوا قالوا
كان ابن أبي ربيعة قد حج في سنة من السنين فلما انصرف من الحج ألفى الوليد بن عبد الملك وقد فرش له في ظهر الكعبة وجلس فجاءه عمر فسلم عليه وجلس إليه فقال له أنشدني شيئا من شعرك فقال يا أمير المؤمنين أنا شيخ كبير وقد تركت الشعر ولي غلامان هما عندي بمنزلة الولد وهما يرويان كل ما قلت وهما لك قال ائتني بهما ففعل فأنشده قوله
(... أمِنْ آلِ نُعْمٍ أنتَ غادٍ فمُبْكِرُ)
فطرب الوليد واهتز لذلك فلم يزالا ينشدانه حتى قام فأجزل صلته ورد الغلامين إليه
حدثني علي بن صالح بن الهيثم الأنباري الكاتب الملقب كِيلجَة قال حدثني أبو هفان قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن مصعب بن عبد الله الزبيري وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار عن عمه مصعب أنه قال
خصائص شعر عمر ومميزاته
راق عمر بن أبي ربيعة الناس وفاق نظراءه وبرعهم بسهولة الشعر وشدة الأسر وحسن الوصف ودقة المعنى وصواب المصدر والقصد للحاجة واستنطاق الربع وإنطاق القلب وحسن العزاء ومخاطبة النساء وعفة المقال وقلة الانتقال وإثبات الحجة وترجيح الشك في موضع اليقين وطلاوة الاعتذار وفتح الغزل ونهج العلل وعطف المساءة على العذال وأحسن التفجع وبخل المنازل واختصر الخبر وصدق الصفاء إن قدح أورى وإن اعتذر أبرا وإن تشكى أشجى وأقدم عن خبرة ولم يعتذر بغرة وأسر النوم وغم الطير وأغذ السير وحيرماء الشباب وسهل وقول وقاس الهوى فأربى وعصى وأخلى وحالف بسمعه وطرفه وأبرم نعت الرسل وحذر وأعلن الحب وأسر وبطن به وأظهر وألح وأسف وأنكح النوم وجنى الحديث وضرب ظهره لبطنه وأذل صعبه وقنع بالرجاء من الوفاء وأعلى قاتله واستبكى عاذله ونفض النوم وأغلق رهن منى وأهدر قتلاه وكان بعد هذا كله فصيحا
فمن سهولة شعره وشدة أسره قوله
صوت
(فلمّا تَوَاقَفْنا وسلّمتُ أشرقَتْ ... وجوهٌ زهاها الحسنُ أن تَتَقنَّعا)
(تَبَالَهْنَ بالعِرفان لَمّا رأينَنِي ... وقُلْنَ امرؤٌ باغٍ أكَلَّ وأوْضَعا)
الغناء لابن عباد رمل عن الهشامي وفيه لابن جامع لحن غير مجنس عن إبراهيم
ومن حسن وصفه قوله
(لها من الرِّيم عيناه وسُنَّتُهُ ... ونَخْوةُ السابق المُخْتَال إذ صَهَلا)
ومن دقة معناه وصواب مصدره قوله
صوت
(عُوجَا نُحَيِّ الطَّلَلَ المُحْولاَ ... والرَّبْعَ مِنْ أسماء والمنزلاَ)
(بسابِغِ البَوْبَاةِ لم يَعْدُه ... تَقَادُمُ العهدِ بأن يُؤْهَلاَ)
الغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق قال إسحاق ابن إبراهيم يعني أنه لم يؤهل فيعدوه تقادم العهد وقال الزبير قال بعض المدنيين يحييه بأن يؤهل أي يدعو له بذلك
ومن قصده للحاجة قوله
الثريا وسهيل

صوت
(أيُّها المُنْكِحُ الثُّرَيَّا سُهَيْلاَ ... عَمْرَكَ اللّهَ كيف يلتقيانِ)
(هي شاميّةٌ إذا ما اسْتَقَلَّتْ ... وسُهَيْلٌ إذا استقلّ يَمانِي
ويروى هي غَوْرِيّة الغناء للغريض خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو وابن المكي
ومن استنطاقه الربع قوله
صوت
(سائلاَ الرَّبْعَ بالبُلَيّ وقُولاَ ... هِجتَ شوقاً ليَ الغداةَ طويلا)
(أين حيٌّ حلُّوكَ إذ أنت محفوفٌ ... بِهِم آهلٌ أراكَ جميلا)
(قال ساروا فأمْعَنوا واستقلُّوا ... وبِرَغْمِي لو قد وجدتُ سبيلا)
ويروى
(... ويكُرْهِي لَو استطعتُ سبيلا)
(سَئِمُونا وما سَئِمْنا جِوَاراً ... وأحبُّوا دَمَاثَةً وسُهولا)
فيه رملان أحدهما لابن سريج بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق والآخر لإسحاق مطلق في مجرى البنصر وفيه لأبي العبيس بن حمدون ثاني ثقيل وقد شرحت نسبته مع خبره في موضع آخر قال إسحاق أنشد جرير هذه الأبيات فقال إن هذا الذي كنا ندور عليه فأخطأناه
المقال المبكي والقلب المتكلم
(قال لي فيها عَتِيقٌ مقالاً ... فجرتْ مما يقولُ الدموعُ)
(قال لي وَدِّعْ سُلَيْمى ودَعْها ... فأجاب القلبُ لا أستطيعُ)
الغناء للهذلي ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشامي قال وفيه ليحيى المكي ثقيل أول نسب إلى معبد وهو من منحوله
ومن حسن عزائه قوله
صوت
(أألحقُّ إنْ دارُ الرَّباب تباعدتْ ... أو انْبَتَّ حبلٌ أنّ قلبَك طائرُ)
(أَفِقْ قد أفاق العاشقون وفارقوا الهوى ... واستمرَّتْ بالرِّجال المرائرُ)
(زَعِ النفسَ واستبقِ الحياءَ فإنّما ... تُباعِدُ أو تُدنِي الرَّبابَ المَقَادِرُ)
(أَمِتْ حُبَّها واجعلْ قَدِيمَ وِصَالِها ... وعِشْرَتَها كمثلِ مَنْ لا تُعاشِرُ)
(وهَبْها كشيءٍ لم يكن أو كنازحٍ ... به الدارُ أو مَنْ غَيَّبَتْه المقابرُ)
(وكالناسِ عُلِّقْتَ الرَّبابَ فلا تكن ... أحاديثَ مَنْ يبدُو ومن هو حاضرُ)
الغناء في بعض هذه الأبيات وأوله زع النفس لابن سريج ثقيل أول بالبنصر عن عمرو وفيه لعمر الوادي رمل بالبنصر عن ابن المكي وفيه ل قُدَارٍ لحن من كتاب إبراهيم غير مجنس وهذه الأبيات يرويها بعض أهل الحجاز لكثير ويرويها الكوفيون للكميت بن معروف الأسدي وذكر بعضها الزبير بن بكار عن أبي عبيدة لكثير في أخباره
ومن حسن غزله في مخاطبة النساء قال مصعب الزبيري وقد أجمع أهل بلدنا ممن له علم بالشعر أن هذه الأبيات أغزل ما سمعوا قوله
عمر يتودد للرباب
صوت
(تقولُ غَدَاةَ التقَيْنا الرَّبَابُ ... أياذا أَقَلْتَ أفولَ السِّماكِ)
(وكَفَّتْ سوابِقَ من عَبْرةٍ ... كما ارْفَضَّ نظمٌ ضعيفُ السِّلاَكِ)
(فقلتُ لها مَنْ يُطِعْ في الصَّديق ... أعداءه يجْتَنِبْه كذاكِ)
(أغَرَّكِ أنّي عصيتُ المَلاَمَ ... فيكِ وأنّ هَوَانا هواكِ)
(وألاّ أرى لَذّةً في الحياةِ ... تَقَرُّ بها العينُ حتى أراكِ)
(فكان مِن الذنبِ لي عندكم ... مُكارَمتِي واتِّباعِي رِضَاكِ)
(فليتَ الذي لاَمَ في حبّكم ... وفي أن تُزارِي بِقَرْن وَقَاكِ
(هُمُومَ الحياةِ وأسقامَها ... وإن كان حَتْفٌ جهيزٌ فَدَاكِ)
الغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى وذكر إبراهيم أن فيه لحنا لحكم وقيل إن فيه لحنا آخر لابن جامع
ومن عفة مقاله قوله
صوت
(طَالَ لَيْلِي واعتادَنِي اليومَ سُقْمُ ... وأصابتْ مَقَاتِلَ القلبِ نُعْمُ)
(حُرَّةُ الوجهِ والشمائلِ والجوهرِ ... تكليمُها لمن نال غُنْمُ)
(وحديثٍ بمثله تُنْزَلُ العُصْمُ ... يَشُوبُ ذلك حِلْمُ)
(هكذا وَصْفُ ما بدا لِيَ منها ... ليس لي بالذي تَغيَّبَ عِلْمُ)
(إن تَجُودي أو تَبْخَلي فبحَمْدٍ ... لستِ يا نُعْمُ فيهما مَنْ يُذَمُّ)
الغناء لابن سريج رمل عن الهشامي
ومن قلة انتقاله قوله
صوت
(أيها القائلُ غيرَ الصوابِ ... أمْسِكِ النُّصْحَ وأقِلْ عِتَابِي)
(واجتَنِبنِي واعلَمَنْ أن ستُعْصَى ... ولخَيْرٌ لكَ طولُ اجتنابِي)
(إن تَقُلْ نُصْحاً فعن ظهرِ غِشٍّ ... دائِم الغِمْرِ بعيدِ الذَّهَابِ
(ليس بي عِيٌّ بما قلتَ إنّي ... عالمٌ أفقه رَجْعَ الجوابِ)
(إنّما قُرَّةُ عيني هواها ... فدَعِ اللّومَ وكِلْنِي لِمَا بِيْ)
(لا تَلُمْنِي في الرَّبابِ وأمستْ ... عَدَلَتْ للنفس بَرْدَ الشَّرَابِ)

(هي واللهِ الذي هو ربِّي ... صادقاً أحلِفُ غيرَ الكِذَابِ)
(أكرمُ الأحياء طُرًّا علينا ... عند قُرْبٍ منهمُ واجتنابِ)
(خاطبتْني ساعةً وهي تبكِي ... ثم عزَّتْ خُلّتي في الخِطَابِ)
(وكَفَى بي مِدْرَهاً لخُصومٍ ... لِسوَاها عند حدِّ تَبَابِي)
الغناء لكردم ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق في الأول والخامس ثم الثاني والثالث وفيه لمعبد خفيف ثقيل بالبنصر عن يحيى المكي
ومن إثباته الحجة قوله
(خليليَّ بعضَ اللومِ لا تَرْحَلا به ... رفيقَكما حتى تَقُولاَ على عِلْمِ)
(خليليّ مَنْ يَكْلَفْ بآخَرَ كالذي ... كَلِفْتُ به يَدْمُلْ فؤاداً على سُقْمِ)
((خليليّ ما كانت تُصَابُ مَقَاتِلِي ... ولا غِرَّتِي حتى وَقَعْتُ على نُعْمِ
(خليليّ حتى لَفَّ حَبْلِي بخادِعٍ ... مُوقَّى إذا يُرْمَى صَيُودٍ إذا يَرْمِي)
(خليليّ لو يُرْقَى خليلٌ من الهوى ... رُقيتُ بما يُدْنِي النَّوارَ من العُصْمِ)
(خليليّ إن باعدتُ لانَتْ وإن ألِنْ ... تَبَاعِدْ فلم أنْبُلْ بحَرْبٍ ولا سِلْمِ)
المعاصم الفضة والوجه النضير
صوت
(نظرتُ إليها بالمُحصَّب من مِنىً ... ولي نظرٌ لولا التَّحَرُّجُ عارمُ)
(فقلتُ أشمسٌ أم مصابيحُ بِيعَةٍ ... بدتْ لك خَلْفَ السَّجْف أم أنتِ حالمُ)
(بعيدةُ مَهْوَى القُرْطِ إمّا لِنَوفَلٍ ... أبوها وإمّا عبدُ شمسٍ وهاشمُ)
(ومدَّ عليها السَّجْفَ يومَ لَقِيتُها ... على عَجَلٍ تُبَّاعها والخَوادِمُ)
(فلم أسْتَطِعْها غيرَ أنْ قد بدا لنا ... عَشيّةَ راحتْ وجهُها والمعاصِمُ)
(مَعَاصِمُ لم تَضربْ على البَهم بالضُّحى ... عصَاها ووجهٌ لم تَلُحْهُ السَّمَائِمُ)
(نُضَارٌ تَرَى فيه إساريعَ مائه ... صَبِيحٌ تُغاديه الأكُفُّ النَّواعمُ)
(إذا ما دَعتْ أترابَها فاكْتنفْنَها ... تَمَايَلْنَ أو مالتْ بهنَّ المآكِمِ)
(طَلَبن الصِّبا حتى إذا ما أصَبْنه ... نَزَعْنَ وهنّ المُسْلِمَات الظّوالمُ) الغناء لمعبد ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وابن المكي وفيها لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق أيضا وفيها للغريض خفيف ثقيل بالوسطى عن الهشامي
الاعتذار اللطيف
ومن طلاوة اعتذاره قوله
صوت
(عاودَ القلبَ بعضُ ما قد شَجَاهُ ... مِن حبيبٍ أمسى هَوانَا هواه)
(يا لقَومِي فكيف أصبِرُ عمَّن ... لا تَرى النفسُ طِيبَ عيشٍ سِواهُ)
(أرسَلَتْ إذ رأتْ بِعادِيَ ألاّ ... يَقْبَلَنْ بي مُحرِّشاً إن أتاه)
(دونَ أن يسمعَ المقالةَ مِنّا ... ولْيُطِعْنِي فإنّ عندي رِضاه)
(لا تُطِعْ بي فَدَتْك نَفْسِي عدواً ... لحديثٍ على هَواهُ افْتَرَاه)
(لا تُطِعْ بي مَنْ لو رآني وإيَّاكَ ... أسِيرَيْ ضَرُورةٍ ما عَنَاه)
(ما ضِراري نفسي بهَجْرِيَ مَنْ ليس ... مُسيئاً ولا بعيداً ثَرَاه)
(واجتنابي بيتَ الحبيبِ وما الخُلْدُ ... بأشْهَى إليّ من أن أراه)
الغناء لمعبد خفيف ثقيل بالخنصر في مجرى الوسطىعن إسحاق وفيه لابن جامع ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو وقال عمرو فيه خفيف ثقيل بالوسطى
للهذلي وفيه لابن محرز ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو وابتداؤه نشيد أوله ما ضراري نفسي وقال الهشامي وفيه لعلية بنت المهدي وسعيد بن جابر لحنان من الثقيل الثاني
الدليل الصادق
(وآيةُ ذلكِ أنْ تسمَعي ... إذا جئتُكم ناشداً يَنْشُدُ)
(فرُحْنا سِراعاً وراح الهوى ... دليلاً إليها بنا يَقْصِدُ)
(فلمّا دَنَوْنا لِجَرس النباح ... والصوتِ والحيُّ لم يَرْقُدوا)
(بَعَثْنا لها باغياً ناشداً ... وفي الحيّ بُغْيَةُ من يَنشُدُ)
وقد نسبت هذه الأبيات إلى من غنى فيها مع
(... تَشُطُّ غداً دارُ جيراننا)
ومن فتحه الغزل قوله
(إذا أنت لم تَعْشَقْ ولم تَدْرِ ما الهوى ... فكُنَّ حجراً من يابس الصَّخْرِ جَلْمَدَا)
ومن عطفه المساءة على العذال قوله
صوت
(لا تَلُمْني عَتِيقُ حَسْبي الذي بي ... إنّ بي يا عَتِيقُ ما قَد كَفَانِي)
(لا تَلُمْني وأنت زيَّنْتَها لي ... أنت مثلُ الشيطان للإنسان)
الغناء لأبي العبيس بن حمدون ثقيل أول مطلق من مجموع أغانيه وفيه رمل طُنْبوريّ محدث وفيه هزج لأبي عيسى بن المتوكل
الهجر القاسي
ومن حسن تفجعه قوله
صوت

(هَجرتَ الحبيبَ اليومَ من غير ما اجْتَرَمْ ... وقَطَّعْتَ مِن ذي وُدِّكَ الحبلَ فانصرم)
(أطعتَ الوُشاةَ الكاشحين ومن يُطِعْ ... مَقالةَ واشٍ يَقْرَع السِّنَّ مِنْ نَدَمْ)
(أتاني رسولٌ كنتُ أحسِبُ أنه ... شَفيقٌ علينا ناصحٌ كالذي زَعَمْ)
(فلما تَبَاثَثْنَا الحديثَ وصَرَّحَتْ ... سَرائرُه عن بعض ما كان قد كَتَمْ)
(تَبَيَّنَ لي أنّ المُحَرِّشَ كاذبٌ ... فعندي لكِ العُتْبَى على رَغْمِ مَنْ رَغَمْ)
((فمِلآنَ لُمْتُ النفس بعد الذي مَضَى ... وبعد الذي آلتْ وآليتُ مِنْ قَسَمْ
(ظلمْتَ ولم تُعْتِبْ وكان رسولُها ... إليكَ سريعاً بالرِّضا لكَ إذ ظَلَمْ)
الغناء لابن سريج رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق وقال يونس فيه لابن سريج لحنان وذكر الهشامي أن لحنه الآخر ثقيل أول وأن لعلوية فيه رملا آخر
ومن تبخيله المنازل قوله
صوت
(عرَفْتُ مَصِيفَ الحيِّ والمُتَرَبَّعا ... ببَطْنِ حُلَيَّاتٍ دَوَارِسَ بَلْقعا)
(إلى السَّرْحِ من وادي المُغَمَّس بُدِّلَتْ ... مَعالِمُها وَبْلاً وَنَكْباءَ زَعْزَعا)
(فيَبْخَلْنَ أو يُخْبِرنَ بالعلم بعدما ... نَكَأْنَ فؤاداً كان قِدْماً مُفَجَّعا)
الغناء للغريض ثاني ثقيل بالوسطى
ومن اختصاره الخبر قوله
صوت
(أمِن آلِ نُعْمٍ أنت غادٍ فمُبكِرُ ... غَداةَ غدٍ أم رائحٌ فمُهَجِّرُ)
(بحاجةِ نفسٍ لم تَقُلْ في جوابها ... فتُبلِغَ عذراً والمقالةُ تُعْذِرِ)
(أشارت بمِدْراها وقالت لتربْها ... أهذا المغِيريُّ الذي كان يُذكَرُ)
(لئن كان إيّاه لقد حال بعدنا ... عن العهد والإنسانُ قد يَتَغَيَّرُ)
الغناء لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى البنصر وله في بيتين آخرين من هذه القصيدة وهما
(وليلةَ ذي دَوْرانَ جَشّمتِني السُّرَى ... وقد يَجْشَمُ الهولَ المحبُّ المُغَرِّرُ)
(فقلتُ أبادِيهم فإمّا أفوتُهم ... وإمّا ينالُ السَّيفُ ثأراً فيثأرُ)
رمل آخر بالوسطى عن عمرو قال الزبير حدثني إسحاق الموصلي قال قلت لأعرابي ما معنى قول ابن أبي ربيعة
(بحاجة نفسٍ لم تَقُلْ في جوابها ... فتُبلِغَ عُذْراً والمقالةُ تُعذِرُ)
فقال قام كما جلس
ومن صدقه الصفاء قوله
(كلُّ وصلٍ أمسى لديك لأُنثَى ... غيرِها وصلُها إليها أداءُ)
(كلُّ أنثَى وإن دنتْ لوصالٍ ... أو نأتْ فَهْيَ للرَّباب الفِداءُ)
تذلله في الحب
وقوله
صوت
(أُحِبُّ لحبِّكِ مَن لم يكنْ ... صَفِياً لنفسي ولا صاحِبَا)
(وأبذُلُ مالي لمَرْضاتِكم ... وأُعْتِبُ مَنْ جاءكم عاتبا)
(وأرغَبُ في وُدِّ مَنْ لم أكن ... إلى وُده قبلَكم راغبا)
(ولو سَلَكَ الناسُ في جانبٍ ... من الأرضِ واعتزلتْ جانبَا)
(لَيَمَّمْتُ طيَّتَها إنني ... أرى قُرْبَها العجبَ العاجِبَا)
الغناء لابن القفاص رمل عن الهشامي ويحيى المكي وفيه للربعي لحن من كتاب إبراهيم غير مجنس
صوت
(طالَ لَيْلي وتَعَنَّاني الطَّرَبِ ... واعتراني طولُ هَمٍّ ووَصَبْ)
((أرْسَلَتْ أسماءُ في مَعْتَبَة ... عَتَبَتْها وهي أحلَى مَنْ عَتَبْ
(أنْ أتى منها رسولٌ مَوْهِناً ... وجَد الحيَّ نياماً فانقلبْ)
(ضربَ البابَ فلم يَشْعُرْ به ... أحدٌ يفتح باباً إذ ضَرَبْ)
(قال أيقاظٌ ولكن حاجةٌ ... عَرَضَتْ تُكْتَمُ منّا فاحتجبْ)
(ولَعَمْداً ردَّني فاجْتَهدَتْ ... بيمينٍ حَلْفَةً عند الغضبْ)
(يشهَدِ الرحمنُ لا يجمعُنا ... سَقْفُ بيتٍ رَجَباً بعد رجبْ)
(قلتُ حِلاًّ فاقْبَلِي مَعْذِرتي ... ما كذا يَجزِي مُحبٌّ مَنْ أحبْ)
(إنّ كَفِّي لكِ رَهْنٌ بالرِّضا ... فاقْبَلي يا هندُ قالت قد وجَبْ)
الغناء لمالك خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق وفيه لدحمان ثقيل أول بالبنصر عن عمرو وفيه لمعبد لحن من كتاب يونس لم يجنسه وذكر الهشامي أنه خفيف ثقيل وفيه لابن سريج رمل عن الهشامي
قال من حكينا عنه في صدر أخبار عمر روايته التي رواها علي بن صالح عن أبي هفان عن إسحاق عن رجاله والحرمي عن الزبير عن عمه
كان عمر بن أبي ربيعة يهوى امرأة يقال لها أسماء فكان الرسول يختلف بينهما زمانا وهو لا يقدر عليها ثم ودعته أن تزوره فتأهب لذلك وانتظرها فأبطأت عنه حتى غلبته عينه فنام وكانت عنده جارية له تخدمه فلم تلبث أن
جاءت ومعها جارية لها فوقفت حجرة وأمرت الجارية أن تضرب الباب فضربته فلم يستيقظ فقالت لها تطلعي فانظري ما الخبر فقالت لها هو مضطجع وإلى جنبه امرأة فحلفت لا تزوره حولا فقال في ذلك
(... طال لَيلي وتَعَنّاني الطَّرَبْ)
قال أبو هفان في حديثه وبعث إليها امرأة كانت تختلف بينه وبين معارفه وكانت جزلة من النساء فصدقتها عن قصته

وحلفت لها أنه لم يكن عنده إلا جاريته فرضيت وإياها يعني عمر بقوله
(فأتتها طَبَّةٌ عالمةٌ ... تَخلِطُ الجِدَّ مِراراً باللّعِبْ)
(تُغْلِظُ القولَ إذا لانتْ لها ... وتُراخي عندَ سَوْراتِ الغضبَ)
(لم تَزَلْ تَصْرِفُها عن رأيها ... وتأتّاها برِفْقٍ وأدبُ)
الوليد بن يزيد يطرب لقصيدة عمر
قال إسحاق في خبره وحدثني ابن كناسة قال أخبرني حماد الراوية قال استنشدني الوليد بن يزيد فانشدته نحوا من ألف قصيدة فما استعادني إلا
قصيدة عمر بن أبي ربيعة
(... طال ليلي وتعنّاني الطربْ)
فلما انشدته قوله
(فأتتْها طَبَّةٌ عالمَةٌ ... تَخْلِطُ الجِدّ مِراراً باللّعِبْ)
إلى قوله
(إنّ كفّي لك رَهْنٌ بالرِّضا ... فاقبَلي يا هندُ قالت قد وجبْ)
فقال الوليد ويحك يا حماد اطلب لي مثل هذه أرسلها إلى سلمى يعني امرأته سلمى بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان وكان طلقها ليتزوج أختها ثم تتبعتها نفسه
قال إسحاق وحدثني جماعة منهم الحرمي والزبيري وغيرهما أن عمر أنشد ابن أبي عتيق هذه القصيدة فقال له ابن أبي عتيق الناس يطلبون خليفة مذ قتل عثمان في صفة قوادتك هذه يدبر أمورهم فما يجدونه
رجع إلى خبر عمر الطويل
لقاء فترحيب فصفاء
(فالتقينا فرَحَّبَتْ حين سلَّمتُ ... وكَفَّتْ دمعاً من العين مَارَا)
(ثم قالتْ عند العِتَابِ رأينا ... منكَ عنَّا تَجَلُّداً وازْوِرارا)
(قلتُ كلاَّلاهِ ابنُ عمِّكِ بل خِفْنا
(أموراً كنَّا بها أغْمَارا
(فجعلْنا الصُّدُودَ لمّا خَشِينا ... قَالَةَ الناسِ للهوى أسْتَارَا)
(ليس كالعهدِ إذ عَهِدْتِ ولكن ... أوقد الناسُ بالنميمة نارا)
فلِذاكِ الإعراضُ عنكِ وما آثر)
(قلبي عليكِ أخرى اختيارا
(ما أُبالي إذا النَّوَى قَرَّبَتْكم ... فدنَوْتم مَنْ حَلّ أو مَنْ سارا)
(فاللّيالي إذا نَأَيتِ طِوَالٌ ... وأرَاها إذا قَرُبْتِ قِصَارا)
ومن تشكيه الذي أشجى فيه قوله
صوت
(لَعَمْرُكِ ما جاورتُ غُمْدانَ طائعاً ... وقَصْرَ شَعُوبٍ أن أكون به صَبَّا)
(ولكنَّ حُمَّى أضْرَعَتْني ثلاثةً ... مُجَرَّمَةً ثم استمرّتْ بنا غِبَّا)
(وحتّى لَو ان الخُلْدَ تَعرِضُ إن مشيت ... إلى الباب رِجْلي ما نقلتُ لها إرْبا)
((فإنّكِ لو أبصرتِ يومَ سُوَيْقةٍ ... مُنَاخِي وحَبْسِي العيس داميةً حُدْبًا
(ومَصْرَعَ إخوانٍ كأنَّ أنينَهم ... أنينُ المَكَاكي صادفتْ بلداً خِصْبًا)
(إذا لاقْشَعَرَّ الرَّأسُ منك صَبَابةً ... ولاستفرغتْ عيناكِ من سَكْبةٍ غَرْبا)
غنى في الأول والثاني من هذه الأبيات معبد ولحنه خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو وفيهما لمالك ثقيل أول عن الهشامي ونسبه يونس إلى مالك ولم يجنسه
ومن إقدامه عن خبرة ولم يعتذر بغِرة قوله
(صَرمْتُ وواصلتُ حتّى عرفت ... أين المَصَادِرُ والمَوْرِدُ)
(وجَرَّبتُ من ذاك حتّى عرفت ... ما أتوقّى وما أعمَدُ)
ومن أسره النوم قوله
(نام صَحْبِي وبات نومي أسيراً ... أرقُب النَّجمَ مَوْهِناً أن يغُورا)
ومن غمه الطير قوله
(فَرِحْنَا وقلنا للغلامِ اقضِ حاجةً ... لنا ثم أدْرِكْنا ولا تتغبَّر)
(سِراعاً نَغُمُّ الطيرَ إن سَنَحَتْ لنا ... وإن تَلْقَنا الرُّكْبانُ لا نَتَخَبَّرِ)
نتغبر من قولهم غبر فلان أي لبث
الغاية والهدف
(قلتُ سِيرا ولا تُقيما ببُصْرَى ... وحَفِيرٍ فما أُحِبّ حَفِيراً)
(وإذا ما مررتُما بمَعَانٍ ... فأقِلا به الثَّواءَ وسِيرا)
(إنّما قَصْرُنا إذا حَسَّر السير ... بعيراً أن نَستجِدَّ بَعِيرَا)
ومن تحييره ماء الشباب قوله
صوت
(أبرزوها مثلَ المَهَاةِ تَهادَى ... بين خَمْسٍ كَوَاعِبٍ أتْرابِ)
(ثم قالوا تحبُّها قلتُ بَهراً ... عددَ القَطْرِ والحَصَى والترابِ)
(وهي مكنونةٌ تحيّر منها ... في أدِيم الخدَّيْن ماءُ الشباب)
الغناء لمحمد بن عائشة خفيف ثقيل بالبنصر وفيه لمالك خفيف ثقيل آخر عن الهشامي وقيل بل هو هذا
ومن تقويله وتسهله قوله

(قالتْ على رِقْبَةٍ يوماً لجارتِها ... ما تأمُرينَ فإنْ القلبَ قد تُبِلاَ)
(وهل ليَ اليومَ مِنْ أختٍ مُوَاخِيةٍ ... منكنَّ أشْكُو إليها بعضَ ما فَعلا)
((فراجعتْها حَصَانٌ غيرُ فاحشةٍ ... بَرجع قولٍ ولُبٍّ لم يكن خَطِلا
(لا تذكُري حُبَّه حتى أُراجِعَه ... إنّي سأكْفِيكه إنْ لم أمُتْ عَجَلا)
(فاقْنَى حياءَكِ في سَتْرٍ وفي كَرَمٍ ... فلستِ أوّلَ أُنثى عَلَّقتْ رجُلا)
وأما ما قاس فيه الهوى فقوله
(وقَرَّبْنَ أسبابَ الهوى لمتيم ... يَقِيسُ ذراعاً كلّما قِسْنَ إصبعَا)
ومن عصيانه وإخلائه قوله
(وأنُصُّ المَطِيَّ يَتْبَعْنَ بالرَّكْبِ ... سِرَاعاً نَوَاعِمَ الاظْعَانِ)
(فَنَصِيدُ الغَريرَ من بقر الوَحش ...ِ ونَلْهُو بلذّة الفِتْيانِ)
(في زمانٍ لو كنتِ فيه ضَجِيعِي ... غيرَ شَكٍّ عَرَفتِ لي عِصياني)
(وتَقَلّبتِ في الفِراش ولا تَدْرِينَ ... إلا الظُّنونَ أين مكاني)
ومن مخالفته بسمعه وطرفه قوله
(سَمْعِي وطَرْفِي حَلِيفَاها على جسدي ... فكيف أصْبِرُ عن سَمْعي وعن بَصَري)
(لو طاوعاني على ألاّ أُكَلِّمَها ... إذاً لَقَضَّيْتُ من أوْطَارِها وَطَرِي)
ومن إبرامه نعت الرسل قوله
(فبعثتُ كاتمةَ الحديثِ ... رَفِيقةً بجَوَابِها)
((وحْشِيَّةً إنسيَّةً ... خَرَّاجةً من بابها
(فَرَقَتْ فسهَّلتِ المعارضَ ... من سبيل نِقَابِها)
ومن تحذيره قوله
صوت
(لقد أرسلتُ جاريتي ... وقلتُ لها خُذِي حَذَرَكْ)
(وقُولي في مُلاَطَفَةٍ ... لزينبَ نَوِّلي عُمَرَكْ)
(فإنْ داويتِ ذا سَقَمٍ ... فأخزَى اللهُ مَنْ كَفَرَكْ)
(فَهزَّتْ رأسَها عجباً ... وقالتْ مَنْ بذا أمَرَكْ)
(أهذا سِحْرُكِ النِّسْوانَ ... قد خبرنْني خَبَرَكْ)
(وقُلْنَ إذا قضَى وطَراً ... وأدْرَكَ حاجةً هَجَرَكْ)
غنى ابن سريج في هذه الأبيات ولحنه خفيف ثقيل ولابن المكي فيها هزج بالوسطى وفيها رمل ذكر ذكاء وجه الرزة عن أحمد بن أبي العلاء عن مخارق أنه لابن جامع وذكر قمري أنه له وأن ذكاء أبطل في هذه الحكاية
تحذير النساء من رواية شعر عمر
قال الزبير حدثني عمي قال حدثني أبي قال قال شيخ من قريش لا ترووا نساءكم شعر عمر بن أبي ربيعة لا يتورطن في الزنا تورطا وأنشد
((لقد أرسلتُ جاريتي ... وقلتُ لها خُذِي حَذَرَكْ
الأبيات
ومن إعلانه الحب وإسراره قوله
(شكوتُ إليها الحبَّ أُعْلِنُ بعضَه ... وأخفيتُ منه في الفؤاد غَلِيلاَ)
ومما بطن به وأظهر قوله
(حُبُّكم يا آلَ لَيْلَى قاتِلِي ... ظهرَ الحبُّ بجسمي وبَطَنْ)
(ليس حُبٌّ فوقَ ما أحببتُكُم ... غيرَ أنْ أقْتل نفسي أو أُجَنْ)
ومما ألح فيه وأسف قوله
(ليت حَظِّي كَطَرْفة العين منها ... وكثيرٌ منها القليلُ المُهَنّا)
(أو حديثٌ على خَلاَءٍ يُسَلِّي ... ما يُجِنُّ الفؤادُ منها ومِنّا)
(كَبُرَتْ رَبِّ نعمةً منكَ يوماً ... أنْ أراها قبل المماتِ ومِنّا)
العاشقة المتسللة
ومن إنكاحه النوم قوله
صوت
(حتّى إذا ما الليلُ جَنّ ظَلامُه ... ونظرتُ غَفْلَةَ كاشِحٍ أن يَعْقِلاَ)
(واستنكحِ النومُ الذين نَخافُهم ... وسَقَى الكرَى بَوَّابَهُمْ فاستُثْقِلاَ)
(خرجتْ تأطَّرُ في الشباب كأنّها ... أيْمٌ يَسِيبُ على كَثِيبٍ أهْيَلاَ)
الغناء لمعبد خفيف ثقيل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق وفيه ألحانٌ لغيره وقد نسبت في غير هذا الموضع مع قوله
(... وَدِّعْ لُبَابَةَ قبل أن تترحَّلا)
ومن جنيه الحديث قوله
(وجَوارٍ مُسَاعِفَاتٍ على اللّهو ... مُسِرَّاتِ باطنِ الأضغانِ)
(صُيَّدٍ للرجال يَرْشُقْن بالطَّرْف ...ِ حِسانٍ كخُذَّلِ الغِزْلاَنِ)
(قد دَعَانِي وقد دَعَاهُنَّ لِلَّهو ...ِ شَجُونٌ مُهِمَّةُ الأشجانِ)
(فاجتنَيْنا من الحديث ثِماراً ... ما جنَى مثلها لعَمرُك جَانِي)
ومن ضربه الحديث ظهره لبطنه قوله
(في خَلاَءٍ من الأنِيس وأمْنٍ ... فَبَثَثْنَا غَلِيلَنا واشْتَفَيْنا)

(وضربْنا الحديثَ ظهراً لبطن ... وأتينا من أمرنا ما اشْتَهيْنا)
(فمكثنا بذاك عَشْرَ ليالٍ ... في قضاءٍ لِدَيْنِنَا واقتضَيْنا)
ومن إذلاله صعب الحديث قوله
(فلمنا أَفَضْنَا في الهوى نستبينهُ ... وعاد لنا صعبُ الحديث ذَلُولاَ)
(شكوتُ إليها الحبَّ أُظْهِرُ بعضَه ... وأخفيتُ منه في الفؤاد غَلِيلاَ)
ومن قناعته بالرجاء من الوفاء قوله
(فعِدِي نائلاً وإن لم تُنِيلي ... إنه ينفع المُحِبَّ الرجاءُ)
قال الزبير هذا أحسن من قول كثير
(ولستُ براضٍ من خليلٍ بنائلٍ ... قليلٍ ولا أرضَى له بقليل)
ومن إعلائه قاتله قوله
(فبعثتُ جاريتي وقلتُ لها اذهَبي ... فاشكِي إليها ما علمتِ وسَلِّمِي)
(قُولي يقولُ تَحَرّجِي في عاشقٍ ... كَلِفٍ بكم حتى المماتِ مُتَيَّمِ)
الهوى المتجدد
(ويقول إنّكِ قد علمتِ بأنّكُم ... أصبحتُمُ يا بِشْرُ أَوْجَهَ ذي دمٍ)
(فُكِّي رَهِينَتَه فإنْ لم تَفْعَلي ... فاعْلَيْ على قَتْلِ ابنِ عمِّك واسْلمي)
(فتضاحكتْ عَجَباً وقالتْ حقُّه ... ألاّ يُعلِّمَنا بما لم نَعْلَمِ)
(علمي به واللهِ يَغْفِرُ ذنبه ... فيما بدا لي ذو هَوىً مُتَقَسَّمِ)
(طَرِفٌ يُنازِعُه إلى الأَدْنَى الهوى ... ويَبُتُّ خُلَّةَ ذي الوِصَالِ الأَقْدَمِ)
ومن تنغيصه النوم قوله
(فلمّا فَقَدْتُ الصوتَ منهم وأُطفئتْ ... مَصَابِيحُ شُبَّتْ بالعِشَاءِ وأَنْوُرُ)
(وغاب قُمَيْرٌ كنتُ أرجو غُيوبَه ... وروَّحَ رُعْيانٌ ونَوَّمَ سُمَّرُ)
(ونَفَّضْتُ عنّي النومَ أقبلْتُ مِشْيةَ الحُبَاب ... وركْني خَشْيةَ القومِ أَزْوَرُ)
ومن إغلاقه رهن منيً وإهداره قتلاه قوله
(فكم من قَتِيلٍ ما يُبَاءُ به دمٌ ... ومن غَلِقٍ رَهْناً إذا لفَّه مِنَى)
(ومن مالىءٍ عينيه من شيءِ غيره ... إذا راح نحو الجَمْرةِ البِيضُ كالدُّمى)
وكان بعد هذا كله فصيحا شاعرا مقولا
عمر ينظر إلى رجل يكلم امرأة في الطواف فيعيب عليه ذلك وينكره
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي وأخبرنا به علي بن صالح عن أبي هفان عن إسحاق عن رجاله
أن عمر بن أبي ربيعة نظر إلى رجل يكلم امرأة في الطواف فعاب ذلك عليه وأنكره فقال له إنها ابنة عمي قال ذاك أشنع لأمرك فقال إني خطبتها إلى عمي فأبى علي إلا بصداق أربعمائة دينار وأنا غير مطيق ذلك وشكا إليه من حبها وكلفه بها أمرا عظيما وتحمل به على عمه فسار معه إليه فكلمه فقال له هو مملق وليس عندي ما أصلح به أمره فقال له عمر وكم الذي تريده
منه قال أربعمائة دينار فقال له هي علي فزوجه ففعل ذلك
وقد كان عمر حين أسن حلف ألا يقول بيت شعر إلا أعتق رقبة فانصرف عمر إلى منزله يحدث نفسه فجعلت جارية له تكلمه فلا يرد عليها جوابا فقالت له إن لك لأمرا وأراك تريد أن تقول شعرا فقال
صوت
(تقولُ وَليدتي لمّا رأتْني ... طَرِبْتُ وكنتُ قد أقصرتُ حِينَا)
(أراكَ اليومَ قد أحدثَت شوقاً ... وهاج لكَ الهوى داءً دَفِينَا)
(وكنتَ زعمتَ أنّكَ ذو عَزَاءٍ ... إذا ما شئتَ فارقتَ القَرِينَا)
بعض ما قاله عمر من شعر بعد أن أسن
(بربِّكَ هل أتاكَ لها رسولٌ ... فشاقَكَ أم لَقِيتَ لها خَدِينَا)
(فقلتُ شكا إليّ أخٌ مُحِبٌّ ... كبَعضِ زَمانِنا إذ تَعْلَمِينَا)
(فقَصَّ عليّ ما يَلْقَى بهندٍ ... فذكَّر بعضَ ما كنَّا نَسِينَا)
(وذو الشَّوْقِ القديمِ وإنْ تَعَزَّى ... مَشُوقٌ حين يلقَى العاشقينَا)
(وكم من خُلَّةٍ أعرضتُ عنها ... لغيرِ قِلىً وكنتُ بها ضَنِينَا)
(أردتُ بِعادَها فصَدَدْتُ عنها ... ولو جُنَّ الفؤادُ بها جنونَا)
ثم دعا تسعة من رقيقه فأعتقهم لكل بيت واحد الغناء لابن سريج رمل بالبنصر عن عمرو والهشامي وفيه ثقيل أول يقال إنه للغريض وذكر عبد الله بن موسى أن فيه لدحمان خفيف رمل
أخبرني الحرمي قال حدثنا أحمد بن عبيد أبو عصيدة قال
ذكر ابن الكلبي أن عمر بن أبي ربيعة كان يساير عروة بن الزبير ويحادثه فقال له وأين زين المواكب يعني ابنه محمد بن عروة وكان يسمى بذلك لجماله فقال له عروة هو أمامك فركض يطلبه فقال له عروة يا أبا الخطاب أولسنا أكفاء كراما لمحادثتك ومسايرتك فقال بلى بأبي أنت وأمي ولكني مغرى بهذا الجمال أتبعه حيث كان ثم التفت إليه وقال
(إنّي امرؤ مُولَعٌ بالحسن اتبعُه ... لاحظَّ لي فيه إلا لَذّةُ النَّظَر)
ثم مضى حتى لحقه فسار معه وجعل عروة يضحك من كلامه تعجبا منه
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا
مصعب بن عبد الله قال
رأى عمر بن أبي ربيعة رجلا يطوف بالبيت قد بهر الناس بجماله وتمامه فسأل عنه فقيل له هذا مالك بن أسماء بن خارجة فجاءه فسلم عليه وقال له يابن أخي ما زلت أتشوقك منذ بلغني قولك

(إنَّ لي عند كلِّ نَفْحَةِ بستان ... ٍ من الوَرْد أو من اليَاسمِينَا)
(نظرةً والتفاتةً أتمنَّى ... أنْ تكوني حَلَلْتِ فيما يَلينَا)
ويروى
(... أترجَّى أن تكوني حللت)
عمر يتعرض لامرأة أبي الأسود الدؤلي في الطواف
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا العباس بن هشام عن أبيه قال أخبرني مولى لزياد قال
حج أبو الأسود الدؤلي ومعه امرأته وكانت جميلة فبينا هي تطوف بالبيت إذ عرض لها عمر بن أبي ربيعة فأتت أبا الأسود فأخبرته فأتاه أبو الأسود فعاتبه فقال له عمر ما فعلت شيئا فلما عادت إلى المسجد عاد فكلمها فأخبرت أبا الأسود فأتاه في المسجد وهو مع قوم جالس فقال له
(وإنِّي لَيَثْنِيني عن الجهل والخَنَا ... وعن شَتْمِ أقوامٍ خلائقُ أربعُ)
(حياءٌ وإسلامٌ وبُقْيَا وأنَّني ... كريمٌ ومثلي قد يَضُرُّ وينفع)
((فشتَّانَ ما بيني وبينك إنَّني ... على كل حالٍ أستقيمُ وتَظْلَعُ)
فقال له عمر لست أعود يا عم لكلامها بعد هذا اليوم ثم عاود فكلمها فأتت أبا الأسود فأخبرته فجاء إليه فقال له
(أنت الفتى وابنُ الفتى وأخو الفتى ... وسيِّدُنا لولا خَلائِقُ أربع)
(نُكُولٌ عن الجُلَّى وقُرْبٌ من الخَنَا ... وبُخْلٌ عن الجدْوَى وأنك تُبَّعُ)
ثم خرجت وخرج معها أبو الأسود مشتملا على سيف فلما رآهما عمر أعرض عنها فتمثل أبو الأسود
(تَعْدُو الذِّئابُ على من لا كِلاَبَ له ... وتَتَّقِي صَوْلَةَ المستأسِدِ الحامي)
أخبرني ابن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم الفراسي قال حدثنا العمري قال أخبرنا الهيثم بن عدي قال
قدم الفرزدق المدينة وبها رجلان يقال لأحدهما صُوَيْمٌ وللآخر ابن أسماء وصفا له فقصدهما وكان عندهما قيان فسلم عليهما وقال لهما من أنتما فقال أحدهما أنا فرعون وقال الآخر أنا هامان قال فأين منزلكما في النار حتى أقصدكما فقالا نحن جيران الفرزدق الشاعر فضحك ونزل فسلم عليهما وسلما عليه وتعاشروا مدة ثم سألهما أن يجمعا بينه وبين عمر بن أبي ربيعة ففعلا واجتمعا وتحادثا وتناشدا إلى أن أنشد عمر قصيدته التي يقول فيها
((فلماّ التَقَيْنا واطمأنَّتْ بنا النَّوَى ... وغُيِّب عنَّا مَنْ نخافُ ونُشْفِقُ
حتى انتهى إلى قوله
الفرزدق يعترف بأن عمر أغزل الناس
(فقُمْنَ لكي يُخْلِينَا فترقرقتْ ... مَدامِعُ عَيْنَيْها وظلَّتْ تَدَفَّقُ)
(وقالت أمَا ترحَمْنِي لا تَدَعْنِي ... لَدَى غَزِلٍ جَمِّ الصَّبابة يَخْرُقُ)
(فقلنَ اسْكُتِي عنَّا فلَسْتِ مُطَاعةً ... وخِلُّكِ منَّا فاعلمي بكِ أَرْفَقُ)
فصاح الفرزدق أنت والله يا أبا الخطاب أغزل الناس لا يحسن والله الشعراء أن يقولوا مثل هذا النسيب ولا أن يرقوا مثل هذه الرقية وودعه وانصرف
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الجبار بن سعيد المساحقي عن المغيرة بن عبد الرحمن عن أبيه أنه حج مع أبيه الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة فأتى عمر بن أبي ربيعة وقد أسن وشاخ فسلم عليه وسأله ثم قال له أي شيء أحدثت بعدي يا أبا الخطاب فأنشده
مما قاله عمر في شيخوخته
(يقولون إنِّي لستُ أصدُقُكِ الهوى ... وإنِّيَ لا أرعاكِ حين أغيبُ)
(فما بالُ طَرْفِي عَفَّ عما تَساقطتْ ... له أعينٌ من مَعْشَرٍ وقُلُوبُ)
(عَشيَّةَ لا يَستَنْكِفُ القومُ أن يَرَوْا ... سَفَاهَ امرىءٍ ممن يقال لبيبُ)
(ولا فِتْنَةً من ناسِكٍ أَوْمَضَتْ له ... بعين الصِّبَا كَسْلَى القيامِ لَعُوبُ)
(تَرَوَّحَ يَرْجُو أن تُحَطَّ ذُنوبُه ... فآبَ وقد زِيدتْ عليه ذنوبُ)
(وما النُّسْكُ أسْلاَنِي ولكنَّ للهوى ... على العين منِّي والفؤادِ رقيبُ)
عمر والكساء والبردين
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل عن القحذمي قال واعد عمر بن أبي ربيعة نسوة من قريش إلى العقيق ليتحدث معه فخرج إليهن ومعه الغريض فتحدثوا مليا ومطروا فقام عمر والغريض وجاريتان للنسوة فأظلوا عليهن بمطرفه وبردين له حتى استترن من المطر إلى أن سكن ثم انصرفن فقال له الغريض قل في هذا شعرا حتى أغني فيه فقال عمر
صوت
(ألم تسألِ المنزلَ المُقْفِرا ... بياناً فيكتُمَ أو يُخْبِرَا)
(ذكرتَ به بعضِ ما قد شجَاكَ ... وحَقٌّ لذي الشَّجْوِ أن يَذْكُرَا)
((مُقَامَ المُحِبَّيْن قد ظاهَرا ... كِساءً وبُرْدَيْن أن يُمْطَرَا
(ومَمْشَى الثلاثِ به مَوْهِناً ... خرجن إلى زائرٍ زُوِّرَا)
(إلى مجلسٍ من وراء القِبَاب ... سَهْلِ الرُّبَا طيِّبٍ أعْفَرَا)
(غَفَلْنَ عن اللَّيل حتَّى بدتْ ... تَباشيرُ من واضحٍ أسْفَرَا)
(فقُمْنَ يُعفِّينَ آثارَنا ... بأكسية الخَزِّ أن تُقْفَرَا)
(مهَاتانِ شيَّعتا جُؤْذُراً ... أسِيلاً مُقَلَّدُه أحْوَرَا)
(وقُمْن وقُلْنَ لوَ انَّ النهار ... مُدَّ له اللَّيلُ فاستأخَرَا)
(قَضَيْنا به بعضَ أشْجانِنا ... وكان الحديثُ به أجْدَرَا)
ذكر ابن المكي أن الغناء في الخمسة الأبيات الأولى لابن سريج ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر وذكر الهشامي أن هذا اللحن للغريض وأن لحن ابن سريج رمل بالوسطى قال ولدحمان فيه أيضا ثاني ثقيل آخر بالوسطى وفيها لابن

الهزيد خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى وقال حبش فيها لمعبد خفيف ثقيل بالوسطى
أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أبو العباس المديني قال أخبرنا ابن عائشة قال
حضر ابن أبي عتيق عمر بن أبي ربيعة وهو ينشد قوله
(وَمَنْ كان مَحْزوناً بإهراق عَبْرةٍ ... وَهَى غَرْبُها فَلْيأْتِنا نُبْكِه غَدَا
(نُعِنْه على الإِثْكَال إنْ كان ثاكلاً ... وإن كان مَحْرُوباً وإن كان مُقْصَداً)
ابن أبي عتيق وخالد بن عبد الله القسري يأتيان عمر
قال فلما أصبح ابن أبي عتيق أخذ معه خالدا الخِرِّيتَ وقال له قم بنا إلى عمر فمضيا إليه فقال له ابن أبي عتيق قد جئناك لموعدك قال وأي موعد بيننا قال قولك فليأتنا نبكه غدا قد جئناك والله لا نبرح أو تبكي إن كنت صادقا في قولك أو ننصرف على أنك غير صادق ثم مضى وتركه قال ابن عائشة خالد الخريت هو خالد بن عبد الله القسري
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا دماذ عن الهيثم بن عدي عن عبد الله بن عياش الهمداني قال
لقيت عمر بن أبي ربيعة فقلت له يا أبا الخطاب أكل ما قلته في شعرك فعلته قال نعم وأستغفر الله
عمر ينزل عند عبد الله بن هلال في الكوفة
أخبرني علي بن صالح عن أبي هفان عن إسحاق عن عبد الله بن مصعب قال
قدم عمر بن أبي ربيعة الكوفة فنزل على عبد الله بن هلال الذي كان يقال
له صاحب إبليس وكان له قينتان حاذقتان وكان عمر يأتيهما فيسمع منهما فقال في ذلك
(يا أهلَ بَابِلَ ما نَفِسْتُ عليكُمُ ... من عَيْشِكم إلاّ ثلاثَ خِلاَلِ)
(ماءَ الفُرَاتِ وطِيبَ ليلٍ باردٍ ... وغِناءَ مُسْمِعَتَيْنِ لابن هِلاَلِ)
عمر وبعض الشعراء يصفون البرق
أخبرني علي بن صالح عن أبي هفان عن إسحاق عن رجاله
أن عمر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد وأبا ربيعة المصطلقي ورجلا من بني مخزوم وابن أخت الحارث بن خالد خرجوا يشيعون بعض خلفاء بني أمية فلما انصرفوا نزلوا بسرف فلاح لهم برق فقال الحارث كلنا شاعر فهلموا نصف البرق فقال أبو ربيعة
(أرِقْتُ لبرقٍ آخِرَ الليلِ لامعٍ ... جَرَى من سَنَاه ذو الرُّبَا فيُنَايِعُ)
فقال الحارث
(أرقتُ له ليلَ التِّمَامِ ودونَه ... مَهَامِهُ مَوْمَاةٍ وأرضٌ بَلاَقِعُ)
فقال المخزومي
(يُضِيءُ عِضَاهَ الشَّوْكِ حتّى كأنّه ... مَصَابِيحُ أو فجرٌ من الصُّبْح ساطِعُ)
فقال عمر
(أيا ربِّ لا آلُو المودَّةَ جاهِداً ... لأسماءَ فاصْنَعْ بي الذي أنتَ صانعُ)
ثم قال ما لي وللبرق والشوك
هند وأسماء وخالد القسري وعمر
أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي قال
كان عمر بن أبي ربيعة وخالد القسري معه وهو خالد الخِرِّيتُ ذات يوم يمشيان فإذا هما بهند وأسماء اللتين كان يشبب بهما عمر بن أبي ربيعة تتماشيان فقصداهما وجلسا معهما مليا فأخذتهم السماء ومطروا ثم ذكر مثل خبر تقدم ورويته آنفا عن هاشم بن محمد الخزاعي وذكر الأبيات الماضية ولم يذكر فيها خبر الغريض وحكى أنه قال في ذلك
عمر يذكر البرق والمطر والفتاة والكساء
صوت
(أفِي رَسْمِ دارٍ دَمْعُكَ المُتَرَقْرِقُ ... سَفَاهاً وما استنطاقُ ما ليس يَنْطِقُ)
(بحيثُ الْتَقَى جَمْعٌ ومفضى مُحسَّرٍ ... مَغانيَ قد كادتْ على العَهْدِ تَخْلَقُ)
(ذكرتُ به ما قد مضى من زماننا ... وذِكْرُكَ رَسْمَ الدارِ مِمَّا يُشَوِّقُ)
(مَقَاماً لنا عند العِشاء ومجلساً ... به لم يُكَدِّرْه علينا مُعَوِّقُ)
(ومَمْشَى فَتَاةٍ بالكِساء تَكُنُّنا ... به تحت عَيْنٍ بَرْقُها يتألّقُ)
(يَبُلُّ أعالي الثوبِ قَطْرٌ وتحتَه ... شعاعٌ بَدَا يُعْشِي العيونَ ويُشْرِقُ)
(فأحسنُ شيءٍ بَدْءُ أوّلِ ليلِنا ... وآخِرُه حُزْنٌ إذا نتفرّقُ)
ذكر يحيى بن المكي أن الغناء في ستة أبيات متوالية من هذا الشعر لمعبد خفيف ثقيل بالسبابة والوسطى وذكر الهشامي أنه من منحول يحيى
عمر يقول الشعر في ليلى البكرية
أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال أخبرني مصعب قال
لقي عمر بن أبي ربيعة ليلى بنت الحارث بن عمرو البكرية وهي تسير على بغلة لها وقد كان نسب بها فقال جعلني الله فداك عرجي هاهنا أسمعك بعض ما قلته فيك قالت أوقد فعلت قال نعم فوقفت وقالت هات فأنشدها
صوت
(ألاَ ياليَلُ إنّ شِفَاءَ نفسي ... نَوَالُكِ إن بَخِلْتِ فَنَوِّلِينَا)
(وقد حضر الرَّحِيلُ وحان منّا ... فِرَاقُكِ فانْظُري ما تأْمُرِينَا)
فقالت آمرك بتقوى الله وإيثار طاعته وترك ما أنت عليه ثم صاحت ببغلتها ومضت
وفي هذين البيتين لابن سريج خفيف ثقيل بالوسطى عن يحيى المكي وذكر الهشامي أنه من منحوله إلى ابن سريج وفيهما رمل طُنْبُوريٌّ لأحمد بن صدقة
ليلى بنت الحارث البكرية تعنف عمر لتشبيبه بالنساء
أخبرني بذلك جحظة عنه وأخبرني بهذا الخبر عبد الله بن محمد الرازي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن ابن الأعرابي أن ليلى هذه كانت جالسة في المسجد الحرام فرأت عمر بن أبي ربيعة فوجهت إليه مولى لها فجاءها به

فقالت له يابن أبي ربيعة حتى متى لا تزال سادرا في حرم الله تشبب بالنساء وتشيد بذكرهن أما تخاف الله قال دعيني من ذاك واسمعي ما قلت قالت ما قلت فأنشدها الأبيات المذكورة فقالت له القول الذي تقدم أنها أجابته به قال وقال لها اسمعي أيضا ما قلت فيك ثم أنشدها قوله
(أمِنَ الرَّسْمِ وأطْلاَلِ الدِّمَنْ ... عَاد لي وَجْدِي وعاودتُ الحَزَنْ)
(إنَّ حبِّي آلَ ليلَى قاتلي ... ظهر الحبُّ بجسمي وبَطَنْ)
(يا أبا الحارث قلبي طائرٌ ... فأْتمِرْ أمرَ رشيدٍ مؤتَمنْ)
(الْتَمِسْ للقلب وصلاً عندها ... إنّ خيرَ الوصْل ما ليس يُمَنْ)
(عَلِقَ القلبُ وقد كان صَحا ... من بني بَكْرٍ غزالاً قد شَدَنْ)
(أحورَ المُقْلَةِ كالبدر إذا ... قُلِّد الدُّرَّ فقلبي مُمْتَحَنْ)
(ليس حُبٌّ فوقَ ما أحببتُكم ... غيرَ أنْ أقتُلَ نفسي أو أُجَنّ)
(خُلِقَتْ للقلب منِّي فِتْنةً ... هكذا يُخْلَقُ معروضُ الفِتَنْ)
قال وفيها يقول
(إنّ ليلَى وقد بلغتُ المَشيبا ... لم تَدَعْ للنساء عندي نصيبًا)
(هاجِرٍ بيتَها لأنْفِيَ عنها ... قولَ ذي العيب إن أرادَ عيوبا)
اجتماع المغنين على شعر عمر
الغناء في الأبيات الأولى النونية لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو وفيها لابن عائشة ثقيل أول يقال إنه أول ثقيل غناه كان يغني الخفيف فعيب بذلك فصنع هذا اللحن وفيه لعبد الله بن يونس الأَيْلِّي رمل عن الهشامي والغناء في
(... إنّ ليلَى وقد بلغتُ المشيبا)
لابن سريج رمل بالوسطى عن عمر وفيه لكردم ثقيل أول بالوسطى عن عمرو أيضا وذكر إبراهيم أن فيه لحنا لعَطَرَّد ولم يجنسه
عمر يشبب بالنوار
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني محمد بن منصور الأزدي قال حدثني أبي عن الهيثم بن عدي قال بينما عمر بن أبي ربيعة منصرف من المزدلفة يريد منى إذ بصر بامرأة في رحالة ففتن وسمع عجوزاً معها تناديها يا نوار استتري لا يفضحك ابن أبي ربيعة فاتبعها عمر وقد شغلت قلبه حتى نزلت بمنى في مضرب قد ضرب لها فنزل إلى جنب المضرب ولم يزل يتلطف حتى جلس معها وحادثها وإذا أحسن الناس وجها وأحلاه منطقا فزاد ذلك في إعجاب عمر بها ثم أراد معاودتها فتعذر ذلك عليه وكان آخر عهده فقال فيها
صوت
(عَلِقَ النَّوارَ فُؤادُهُ جَهْلاَ ... وصَبَا فلم تترك له عقلا)
(وتعرضتْ لي في المسير فما ... أمسى الفؤادُ يرى لها مِثْلا)
(ما نعجةٌ من وحش ذِي بَقرٍ ... تَغْذُو بسَقْط صَريمةٍ طِفْلا)
(بألَذَّ منها إذ تقول لنا ... وأردتُ كَشْفَ قِناعِها مَهْلا)
(دعْنا فإنك لا مُكارِمةً ... تَجزي ولَسْتَ بواصلٍ حَبْلا)
(وعليكَ مَنْ تَبَلَ الفؤادَ وإن ... أمسَى لقلبك ذِكرهُ شُغْلا)
(فأجبتُها إنّ المحبّ مُكَلَّفٌ ... فدَعِي العِتابَ وأحدِثِي بَذْلا)
الغناء لابن محرز خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وفيه ثاني ثقيل بالبنصر ينسب إلى ابن عائشة
قصة عمر مع أم الحكم الأموية وما قاله فيها من الشعر
أخبرني محمد بن خلف قال حدثني أبو عبد الله السدوسي عن عيسى بن إسماعيل العتكي عن هشام بن الكلبي عن أبيه قال
حجت امرأة من بني أمية يقال لها أم الحكم فقدمت قبل أوان الحج معتمرة فبينا هي تطوف على بغلة لها إذ مرت على عمر بن أبي ربيعة في نفر من بني مخزوم وهم جلوس يتحدثون وقد فرعهم طولا وجهرهم جمالا وبهرهم شارة وعارضة وبيانا فمالت إليهم ونزلت عندهم فتحدثت معهم طويلا ثم انصرفت ولم يزل عمر يتردد إليها إلى أن انقضت أيام الحج فرحلت إلى الشأم وفيها يقول عمر
(تأوب لَيْلِي بنَصبٍ وهَمّ ... وعاودتُ ذِكْرَى لأُمّ الحَكَمْ)
(فبِتُّ أراقِبُ ليلَ التَّمامِ ... مَنْ نام من عاشقٍ لم أنَمْ)
(فإنما تَرَيْنِي على ما عَرَا ... ضعيفَ القِيامِ شديدَ السَّقَمْ)
(كثير التقلّب فوقَ الفِرَاش ... ما إن تُقِلُّ قيامِي قَدَمْ)
(بآنسةٍ طيب نشرها ... هضيم الحَشاَ عَذْبةِ المُبتَسمْ)
في أول الأبيات الثلاثة غناء وقبلها وهو أول الصوت
صوت
(وفتيانِ صِدقٍ صِباحِ الوجوه ... لا يَجِدُون لشيءٍ ألَمْ)
(مِن آل المُغِيرة لا يَشْهدُون ... عند المَجَازِر لَحْمَ الوَضَمْ)
الغناء في هذه الأبيات لمالك خفيف ثقيل الثاني بالبنصر وهو الذي يقال له المَاخُوريُّ عن عمرو وفيه ثاني ثقيل ينسب إلى ابن سريج والغريض ودحمان وفيه لابن المكي خفيف رمل
رسول سكينة بنت الحسين (ع) إلى عمر
أخبرني علي بن صالح قال حدثنا أبو هفان عن إسحاق عن أبي عبد الله الزبيري قال
اجتمع نسوة من أهل المدينة من أهل الشرف فتذاكرن عمر بن أبي ربيعة وشعره وظرفه وحسن حديثه فتشوقن إليه وتمنينه فقالت سكينة بنت الحسين عليهما السلام أنا لكن به فأرسلت إليه رسولا وواعدته الصورين وسمت له الليلة والوقت وواعدت صواحباتها فوافاهن عمر على راحلته فحدثهن حتى أضاء الفجر وحان انصرافهن فقال لهن والله إني

لمحتاج إلى زيارة قبر رسول
الله والصلاة في مسجده ولكن لا أخلط بزيارتكن شيئا ثم انصرف إلى مكة وقال
صوت
(قالت سُكَينةُ والدموعُ ذَوَارِفٌ ... منها على الخَدَّيْنِ والجِلْبابِ)
(ليتَ المُغيريَّ الذي لم أجزه ... فيما أطال تصيُّدي وطِلاَبي)
(كانت تردُّ لنا المُنَى أيّامنا ... إذ لا نُلاَمُ على هَوًى وتَصَابِي)
(خُبِّرتُ ما قالتْ فبِتُّ كأنّما ... تَرْمِي الحَشَا بنَوافِذِ النُّشَّابِ)
(أسُكَيْنُ ما ماءُ الفُراتِ وطِيبُه ... مِنّي على ظمأٍ وفَقْدِ شَرابِ)
(بألذَّ منكِ وإن نأيتِ وقَلَّما ... ترعَى النساءُ أمانةَ الغُيَّابِ)
الغناء للهذلي رمل بالوسطى عن الهشامي وفيه للغريض خفيف ثقيل بالوسطى عن حبش قال وقال فيها
عمر يقول الشعر في سكينة
صوت
(أُحِبُّ لحبِك مَنْ لم يكن ... صَفِيًّا لنفسي ولا صاحبَا)
(وأبْذُلُ نفسي لمَرْضاتكم ... وأُعتِبُ مَنْ جاءكم عاتِبا)
(وأرغَبُ في وُدِّ مَنْ لم أكن ... إلى ودِّه قبلَكم راغبا)
(ولو سلَكَ الناسُ في جانبٍ ... من الأرض واعتزلتْ جانبا)
((ليَمَّمْتُ طِيَّتَها إنَّني ... أرى قُرْبَها العَجَبَ العاجبا
(فما نَعْجةٌ من ظِباء الأراك ... تَقْرُو دَمِيثَ الرُّبَا عاشِبا)
(بأحسنَ منها غَدَاةَ الغَمِيم ... وقد أبدتِ الخدَّ والحاجبا)
(غداةَ تقولُ على رِقْبَةٍ ... لِخادمِها يا احْبِسي الراكبا)
(فقالت لها فِيمَ هذا الكلامُ ... وأبدت لها عابساً قاطِبا)
(فقالت كريمٌ أتى زائراً ... يَمُرُّ بكم هكذا جانبا)
(شريفٌ أتى رَبْعَنا زائراً ... فأكْرِهْ رجعتَه خائبَا)
غنى في الأول والثاني والرابع والخامس من هذه الأبيات ابن القفاص المكي ولحنه رمل من رواية الهشامي
وحدثني وكيع وابن المرزبان وعمي قالوا حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي قال حدثنا
محمد بن معن الغفاري قال حدثني سفيان بن عيينة قال
بينا أنا ومسعر بن كدام مع إسماعيل بن أمية بفناء الكعبة إذا بعجوز قد طلعت علينا عوراء متكئة على عصا يصفق أحد
لَحْيَيْها على الآخر فوقفت على إسماعيل فسلمت عليه فرد عليها السلام وسألها فأحفى المسألة ثم انصرفت فقال
إسماعيل لا إله إلا الله ماذا تفعل الدنيا بأهلها ثم أقبل علينا فقال أتعرفان هذه قلنا لا والله ومن هي قال هذه بَغُومُ ابن
أبي ربيعة التي يقول فيها
(حَبَّذا أنتِ يا بَغُومُ وأسماءُ ... وعِيصٌ يَكُنُّنا وخَلاَءُ)
انظرا كيف صارت وما كان بمكة امرأة أجمل منها قال فقال له مسعر لا ورب هذه البنية ما أرى أنه كان عند هذه خير قط
وفي هذه الأبيات يقول عمر
عمر والبغوم وأسماء والرباب
صوت
(صَرَمتْ حَبْلَكَ البغومُ وصَدَّتْ ... عنكَ في غير ريبةٍ أسماءُ)
(والغَوَاني إذا رأينَكَ كَهْلاً ... كان فيهنّ عن هَواكَ الْتِوَاءُ)
(حَبَّذَا أنتِ يا بَغومُ وأسما ... ءُ وعِيصٌ يكنُّنا وخَلاَءُ)
(ولقد قلتُ ليلةَ الجَزْلِ لمّا ... أخضلتْ رَيْطتي عليَّ السماءُ)
((ليتَ شِعْري وهل يَرُدَّنَّ لَيْتٌ ... هل لهذا عند الرَّباب جزاءُ
(كُلُّ وَصْلٍ أمْسى لديَّ لأنثى ... غيرها وَصْلُها إليها أداءُ)
(كل خَلْقٍ وإنْ دنا لوِصَالٍ ... أو نأى فهو للرَّبَاب الفِدَاءُ)
(فعِدِي نائلاً وإن لم تُنِيلي ... إنّما يَنْفَعُ المحب الرجاءُ)
لمعبد في ولقد قلت ليلة الجزل والذي بعده خفيف ثقيل مطلق في مجرى الوسطى عن يونس وإسحاق ودنانير وهو من
مشهور غنائه
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثتني ظبية مولاة فاطمة بنت عمر بن مصعب عن ذهيبة مولاة محمد بن مصعب
بن الزبير قالت
البغوم وأسماء تغنيان لعمر
كنت عند أمة الواحد أو أمة المجيد بنت عمر بن أبي ربيعة في الجنبذ الذي في بيت سكينة بنت خالد بن مصعب أنا
وأبوها عمر وجاريتان له تغنيان يقال لإحداهما البغوم والأخرى أسماء وكانت أمة المجيد بنت عمر تحت محمد ابن مصعب
بن الزبير قالت فقال عمر بن أبي ربيعة وهو معهم في الجنبذ هذه الأبيات فلما انتهى إلى قوله
(ولقد قلتُ ليلةَ الجَزْلِ لمّا ... أخْضَلتْ رَيْطتِي عليَّ السماءُ)
خرجت البغوم ثم رجعت إليه فقالت ما رأيت أكذب منك يا عمر تزعم أنك
بالجزل وأنت في جنبذ محمد بن مصعب وتزعم أن السماء أخضلت ريطتك وليس في السماء قزعة قال هكذا يستقيم
هذا الشأن
وأخبرني علي بن صالح عن أبي هفان عن إسحاق عن المسيبي ومحمد بن سلام أن عمر أنشد ابن أبي عتيق قوله
(حَبّذا أنتِ يا بغومُ وأسماءُ ... وعِيصٌ يَكُنُّنا وخلاءُ)
فقال له ما أبقيت شيئا يتمنى يا أبا الخطاب إلا مرجلا يسخن لكم فيه الماء للغسل
أخبرني ابن المرزبان قال حدثني إسماعيل بن جعفر عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال

حجت أم محمد بنت مروان بن الحكم فلما قضت نسكها أتت عمر بن أبي ربيعة وقد أخفت نفسها في نسوة فحدثها مليا فلما انصرفت أتبعها عمر رسولا عرف موضعها وسأل عنها حتى أثبتها فعادت إليه بعد ذلك فأخبرها بمعرفته إياها فقالت نشدتك الله أن تشهرني بشعرك وبعثت إليه بألف دينار فقبلها وابتاع بها حللا وطيبا فأهداه إليها فردته فقال لها والله لئن لم تقبليه
لأنهبنه فيكون مشهورا فقبلته ورحلت فقال فيها
صوت
(أيُّها الراكبُ المُجِدُّ ابْتِكَارَا ... قد قَضَى من تِهَامَةَ الأوْطَارَا)
(من يَكُنْ قلبُه صَحِيحاً سَلِيماً ... ففُؤَادِي بالخَيْفِ أمْسَى مُعَارَا)
(ليتَ ذا الدهرَ كان حَتْماً علينا ... كلَّ يومين حِجَّةً واعتِمارَا)
الغناء لابن محرز ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق وفيه أيضا له خفيف ثقيل بالوسطى عن ابن المكي وفيه لذكاء وجه الرزة المعتمدي ثقيل أول من جيد الغناء وفاخر الصنعة ليس لأحد من طبقته وأهل صنعته مثله وأنشد ابن أبي عتيق قول عمر هذا فقال الله أرحم بعباده أن يجعل عليهم ما سألته ليتم لك فسقك
القسم الكاذب
أخبرني ابن المرزبان قال أخبرني أحمد بن يحيى القرشي عن أبي الحسن الأزدي عن جماعة من الرواة
أن عمر كان يهوى حميدة جارية ابن تفاحة وفيها يقول
صوت
(حُمِّلَ القلبُ من حُمَيدةَ ثِقْلاَ ... إنّ في ذاك للفؤاد لشُغْلاَ)
(إنْ فعلتُ الذي سألتِ فقولي ... حَمْدُ خيراً وأتْبِعي القولَ فِعْلا)
(وصِلِيني فأُشْهِدُ اللهَ أنّي ... لستُ أُصْفِي سواكِ ما عشتُ وَصْلاَ)
الغناء لمعبد خفيف ثقيل بالوسطى عن يحيى المكي والهشامي وفيها يقول
صوت
(يا قلبُ هل لك عن حُمَيدةَ زاجرُ ... أم أنت مُدَّكِرُ الحياء فصابر)
(فالقلبُ من ذِكْرَى حمَيدةَ مُوجَعٌ ... والدَّمْعُ مُنْحدِرٌ وعظْمِي فاترُ)
(قد كنتُ أحسِبُ أنّني قبل الذي ... فعلتْ على ما عند حَمْدَةَ قادرُ)
(حتى بَدَا لي من حُمَيدةَ خُلَّتِي ... بَيْنٌ وكنتُ من الفِراق أُحاذرُ)
الغناء لمعبد خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق
عمر وبعض جواري بني أمية في موسم الحج وما دار بينهم من حديث
أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبو مسلم المستملي عن ابن أخي زرقان عن أبيه قال
أدركت مولى لعمر بن أبي ربيعة شيخا كبيراً فقلت له حدثني عن عمر بحديث غريب فقال نعم كنت معه ذات يوم فاجتاز به نسوة من جواري بني أمية قد حججن فتعرض لهن وحادثهن وناشدهن مدة أيام حجهن ثم قالت له إحداهن يا أبا الخطاب إنا خارجات في غد فابعث مولاك هذا إلى منزلنا ندفع إليه تذكرة تكون عندك تذكرنا بها فسر بذلك ووجه بي إليهن في السحر
فوجدتهن يركبن فقلن لعجوز معهن يا فلانة ادفعي إلى مولى أبي الخطاب التذكرة التي أتحفناه بها فأخرجت إلي صندوقا لطيفا مقفلا مختوما فقلن ادفعه إليه وارتحلن فجئته به وأنا أظن أنه قد أودع طيبا أو جوهرا ففتحه عمر فإذا هو مملوء من المضارب وهي الكيرنْجَاتُ وإذا على كل واحد منها اسم رجل من مجان مكة وفيها اثنان كبيران عظيمان على أحدهما الحارث بن خالد وهو يومئذ أمير مكة وعلى الآخر عمر بن أبي ربيعة فضحك وقال تماجن علي ونفذ لهن ثم أصلح مأدبة ودعا كل واحد ممن له اسم في تلك المضارب فلما أكلوا واطمأنوا للجلوس قال هات يا غلام تلك الوديعة فجئته بالصندوق ففتحه ودفع إلى الحارث الكِيرنْجَ الذي عليه اسمه فلما أخذه وكشف عنه غطاءه فرع وقال ما هذا أخزاك الله فقال له رويدا اصبر حتى ترى ثم أخرج واحدا واحدا فدفعه إلى من عليه اسمه حتى فرقها فيهم ثم أخرج الذي باسمه وقال هذا لي فقالوا له ويحك ما هذا فحدثهم بالخبر فعجبوا منه وما زالوا يتمازحون بذلك دهرا طويلا ويضحكون منه
المرأة التي تأمر تربها بالتصدي لعمر في طوافه
قال وحدثني هذا المولى قال كنت مع عمر وقد أسن وضعف فخرج يوما يمشي متوكئا على يدي حتى مر بعجوز جالسة فقال لي هذه فلانة وكانت إلفا
لي وعدل إليها فسلم عليها وجلس عندها وجعل يحادثها ثم قال هذه التي أقول فيها
صوت
(أبصرتْها ليلةً ونِسوَتَها ... يَمْشِينَ بين المَقَام والحَجَرِ)
(بِيضاً حِساناً نَوَاعِماً قُطُفاً ... يَمْشِينَ هَوْناً كمِشْيَةِ البَقَرِ)
(قالت لِتِرْبٍ لها تُلاطِفُها ... لَنُفْسِدَنَّ الطَّوافَ في عُمَرِ)
(قُومِي تَصَدَّيْ له ليعرِفَنا ... ثم اغمزِيه يا أُختِ في خَفَرِ)
(قالتْ لها قد غَمَزْتُه فأبَى ... ثم اسبطَرَّتْ تَشْتَدُّ في أثَرِي)
(بل يا خليليَّ عادني ذِكَري ... بل اعترتْنِي الهُمُومُ بالسَّهَرِ)
الغناء لابن سريج في السادس والأول والثاني خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو وفيها لسنان الكاتب رمل بالوسطى عنه وعن يونس وفيه للأبجر خفيف رمل بالوسطى عنه وفي
(... قالت لتربٍ لها تُلاطِفها)
لعبد الله بن العباس خفيف رمل بالبنصر عن الهشامي وفيه للدلال خفيف ثقيل عنه أيضا ولأبي سعيد مولى فائد في الأول والثاني ثقيل أول عن الهشامي أيضا ومن الناس من ينسب لحنه إلى سنان الكاتب وينسب لحن سنان إليه
حكاية عمر مع البنات اللاتي ينظرن إليه من ثقب المضرب

قال وجلس معها يحادثها فأطلعت رأسها إلى البيت وقالت يا بناتي هذا أبو الخطاب عمر بن أبي ربيعة عندي فإن كنتن تشتهين أن ترينه فتعالين فجئن إلى مضرب قد حجزن به دون بابها فجعلن يثقبنه ويضعن أعينهن عليه يبصرن فاستسقاها عمر فقالت له أيَّ الشراب أحب إليك قال الماء فأتي بإناء فيه ماء فشرب منه ثم ملأ فمه فمجه عليهن في وجوههن من وراء الحاجز فصاح الجواري وتهاربن وجعلن يضحكن فقالت له العجوز ويلك لا تدع مجونك وسفهك مع هذه السن فقال لا تلوميني فما ملكت نفسي لما سمعت من حركاتهن أن فعلت ما رأيت
عمر يرتحل إلى العراق في طلب امرأة رآها في الطواف ثم يعود خائبا
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أحمد بن منصور بن أبي العلاء الهمداني قال حدثني علي بن طريف الأسدي قال
سمعت أبي يقول بينما عمر بن أبي ربيعة يطوف بالبيت إذ رأى امرأة من أهل العراق فأعجبه جمالها فمشى معها حتى عرف موضعها ثم أتاها فحادثها وناشدها وناشدته وخطبها فقالت إن هذا لا يصلح هاهنا ولكن إن جئتني إلى بلدي وخطبتني إلى أهلي تزوجتك فلما ارتحلوا جاء إلى صديق له من بني سهم وقال له إن لي إليك حاجة أريد أن تساعدني عليها فقال له نعم فأخذ بيده ولم يذكر له ما هي ثم أتى منزله فركب نجيبا له وأركبه نجيبا آخر وأخذ معه ما يصلحه وسارا لا يشك السهميَّ في أنه يريد سفر يوم أو يومين فما زال يحفد حتى لحق بالرفقة ثم سار بسيرهم يحادث المرأة طول طريقه ويسايرها وينزل عندها إذا نزلت حتى ورد العراق فأقام أياما ثم راسلها يتنجزها وعدها فأعلمته أنها كانت متزوجة ابن عم لها وولدت منه أولادا ثم مات وأوصى بهم وبماله إليها ما لم تتزوج وأنها تخاف فرقة أولادها وزوال النعمة وبعثت إليه بخمسة آلاف درهم واعتذرت فردها عليها ورحل إلى مكة وقال في ذلك قصيدته التي أولها
صوت
(نام صَحْبِي ولم أَنَمْ ... من خَيال بنا أَلَمّْ)
(طافَ بالركبِ مَوْهِناً ... بين خَاخٍ إلى إِضَمْ)
(ثم نَبّهتُ صاحباً ... طَيِّبَ الخِيم والشِّيَمْ)
(أَرْيَحِيًّا مُساعِداً ... غيرَ نِكْسٍ ولا بَرَمْ)
(قلتُ يا عَمْرُو شَقَّني ... لاعجُ الحُبِّ والألَمْ)
(إيتِ هِنداً فقُلْ لها ... ليلةَ الخَيْف ذي السَّلَمْ
الغناء لمالك خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس وفيه لعبد الله بن العباس الربيعي خفيف رمل من رواية عمرو بن بانة وذكر حبش أن لحن عبد الله بن العباس رمل آخر عن الهشامي
جرير يشهد لعمر بالشعر
أخبرني محمد بن خلف قال حدثنا الحسين بن إسماعيل عن ابن عائشة عن أبيه قال
كان جرير إذا أنشد شعر عمر بن أبي ربيعة قال شعر تهامي إذا أنجد وجد البرد حتى أنشد قوله
(رأتْ رجُلاً أمّا إذا الشمسُ عارضتْ ... فَيضْحَى وأمّا بالعَشِيِّ فَيَخْصَرُ)
الأبيات فقال مازال هذا يهذي حتى قال الشعر
حنين عمر إلى الماضي
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي عن عثمان بن إبراهيم الخاطبي وأخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني إسحاق بن إبراهيم عن محمد بن أبان قال أخبرني العتبي عن أبي زيد الزبيري عن عثمان بن إبراهيم الخاطبي قال
أتيت عمر بن أبي ربيعة بعد أن نسك بسنين وهو في مجلس قومه من بني
مخزوم فانتظرت حتى تفرق القوم ثم دنوت منه ومعي صاحب لي ظريف وكان قد قال لي تعال حتى نهيجه على ذكر الغزل فننظر هل بقي في نفسه منه شيء فقال له صاحبي يا أبا الخطاب أكرمك الله لقد أحسن العذري وأجاد فيما قال فنظر عمر إليه ثم قال له وماذا قال قال حيث يقول
(لو جُدَّ بالسَّيف رأسي في مَوَدَّتها ... لمَرّ يَهْوِي سريعاً نحوَها رَاسِي)
قال فارتاح عمر إلى قوله وقال هاه لقد أجاد وأحسن فقلت ولله در جنادة العذري فقال عمر حيث يقول ماذا ويحك فقلت حيث يقول
(سَرَتْ لِعَيْنِكَ سَلْمَى بعد مَغْفَاها ... فبِتَّ مُستنِيهاً من بعد مَسْرَاها)
(وقلتُ أهلاً وسهلاً مَنْ هداكِ لنا ... إن كنتِ تِمْثَالها أو كنتِ إيَّاها)
(مِن حبِّها أتمنَّى أن يلاقيني ... مِنْ نَحْوِ بلدتها ناعٍ فيَنْعَاها)
(كيما أقول فراقٌ لا لِقاءَ له ... وتُضْمِرُ النفسُ يأساً ثم تَسْلاَها)
(ولو تموتُ لراعتْني وقُلْتُ ألاَ ... يا بُؤْسَ للموتِ ليتَ الموتَ أبقاها)
قال فضحك عمر ثم قال وأبيك لقد أحسن وأجاد وما أبقى ولقد هيجتما علي ساكنا وذكرتماني ما كان عني غائبا ولأحدثنكما حديثا حلوا
عمر يجتمع متنكرا مع هند بنت الحارث المرية ورفيقاتها
بينا أنا منذ أعوام جالس إذ أتاني خالد الخريت فقال لي يا أبا الخطاب مرت بي أربع نسوة قبيل العشاء يردن موضع كذا وكذا لم أر مثلهن في بدو ولا
حضر فيهن هند بنت الحارث المرية فهل لك أن تأتيهن متنكرا فتسمع من حديثهن وتتمتع بالنظر إليهن ولا يعلمن من أنت فقلت له ويحك وكيف لي أن أخفي نفسي قال تلبس لبسة أعرابي ثم تجلس على قعود ثم ائتهن فسلم عليهن فلا يشعرن إلا بك قد هجمت عليهن ففعلت ما قال وجلست على قعود ثم أتيتهن فسلمت عليهن ثم وقفت بقربهن فسألنني أن أنشدهن وأحدثهن فأنشدتهن لكثير وجميل والأحوص ونصيب وغيرهم فقلن لي ويحك يا أعرابي ما أملحك وأظرفك لو نزلت فتحدثت معنا يومنا هذا فإذا أمسيت انصرفت في حفظ الله قال فأنخت بعيري ثم تحدثت معهن وأنشدتهن فسررن بي وجذلن بقربي وأعجبهن حديثي قال ثم إنهن تغامزن وجعل بعضهن يقول لبعض كأنا نعرف هذا الأعرابي ما أشبهه بعمر بن أبي ربيعة فقالت إحداهن فهو والله عمر فمدت هند يدها فانتزعت عمامتي فألقتها عن رأسي ثم قالت لي هيه يا عمر أتراك خدعتنا منذ اليوم بل نحن والله خدعناك واحتلنا عليك بخالد فأرسلناه إليك لتأتينا

في أسوإ هيئة ونحن كما ترى قال عمر ثم أخذنا في الحديث فقالت هند ويحك يا عمر اسمع مني لو رأيتني منذ أيام وأصبحت عند أهلي فأدخلت رأسي في جيبي فنظرت إلى حري فإذا هو ملء الكف ومنية المتمني فناديت يا عمراه يا عمراه قال عمر فصحت يا لبيكاه يا لبيكاه ثلاثا ومددت في الثالثة صوتي فضحكت وحادثتهن ساعة ثم ودعتهن وانصرفت فذلك قولي

صوت

(عَرفتُ مَصِيفَ الحيِّ والمتربَّعا ... بِبَطْنِ حُلَيَّاتٍ دوارسَ بَلْقَعَا)
(إلى السَّفْح من وادي المُغَمَّس بُدِّلَتْ ... معالمُهُ وَبْلاً ونَكْباءَ زَعْزَعَا)
(لهندٍ وأترابٍ لِهندٍ إذِ الهوى ... جميعٌ وإذ لم نَخْشَ أن يَتصدَّعَا)
(وإذ نحن مثلُ الماء كان مِزاجُه ... كما صَفَّقَ الساقي الرحِيقَ المُشَعْشَعَا)
(وإذ لا نُطِيعُ الكاشحين ولا نرى ... لواشٍ لدينا يطلب الصَّرْمَ موضِعَا)

الغناء للغريض ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشامي ومن نسخة عمرو الثانية وفيه لابن جامع وابن عباد لحنان من كتاب إبراهيم وفيها يقول وفيه غناء

صوت

(فلمّا تواقفنا وسلَّمتُ أشرقتْ ... وجوهٌ زَهَاها الحسنُ أن تَتَقنَّعَا)
(تَبَالَهْنَ بالعِرْفانِ لمّا رَأيْنَني ... وقُلْنَ امرؤ باغٍ أَكَلَّ وأوضَعَا)
(وقَرَّبْنَ أسبابَ الهوى لِمُتَيَّمٍ ... يقيسُ ذِراعاً كلّما قِسْنَ إصبَعَا)

الغناء لابن عباد رمل عن الهشامي وفيه لابن جامع لحن من كتاب إبراهيم غير مجنس هذه الأبيات مقرونة بالأولى والصنعة في جميعها مختلفة يغني المغنون بعض هذه وبعض تلك ويخلطونهما والصنعة لمن قدمت ذكره وهي قصيدة طويلة ذكرت منها ما فيه صنعة

ومما قاله في هند هذه وغني فيه قوله

صوت

(ألم تسألِ الأطْلالَ والمنزلَ الخَلَق ... بِبُرْقَةِ ذي ضَالٍ فَيُخبِرَ إنْ نَطَقْ)
(ذكرتُ به هنداً فَظِلْتُ كأنّني ... أخو نَشْوَةٍ لاقَى الحوانيت فاغتَبَقْ)

الغناء لعطرد ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق وفيه لمعبد ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي وذكر حبش أن فيه للغريض ثاني ثقيل بالوسطى ومنها

من بديع شعره في هند

صوت

(أصبحَ القلبُ مَهِيضا ... رَاجَعَ الحُبَّ الغَرِيضَا)
((وأجدَّ الشوقَ وَهْناً ... أن رأى بَرْقاً وميضَا)
(ثم باتَ الرَّكْبُ نُوّاماً ... ولم أطْعَمْ غُموضَا)
(ذاك من هندٍ قديماً ... تَرْكُها القلبَ مَهِيضَا)
(وتَبدَّتْ ثم أبْدتْ ... واضحَ اللَّوْنِ نَحِيضَا)
(وعِذَابَ الطَّعْمِ غُرّاً ... كأقَاحِي الرّملِ بِيضَا)

الغناء لابن محرز خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر وفيه لحكم هزج بالوسطى عن عمرو وقيل إنه يمان ومن الناس من ينسب لحن ابن محرز إلى ابن مسجح ومنها

صوت

(أَرَيْتُ إلى هندٍ وتِربَيْنِ مرةً ... لها إذ تواقَفْنا بِفَرْعِ المُقطَّعِ)
(لِتَعْرِيج يومٍ أو لتَعْريس ليلةٍ ... علينا بَجْمع الشَّمْل قبلَ التَّصَدُّعِ)
(فقُلْنَ لها لولا ارتقابُ صَحَابةٍ ... لنا خَلْفَنا عُجْنا ولم نَتَورَّعِ)
(وقالت فتاةٌ كنتُ أحسِبُ أنّها ... مُغَفَّلةٌ في مِئْزَرٍ لم تُدَرَّعِ)
(لهنّ وما شاوَرْنها ليس ما أرى ... بحُسْن جزاءٍ للحبيبِ المودِّعِ)
((فقلن لها لا شَبَّ قَرْنُكِ فافْتَحي ... لنا باب ما يَخْفَى من الأمر نَسْمَعِ

وهي أبيات الغناء للغريض ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق وذكر ابن المكي أنه لابن سريج ومنها

صوت

(لمَّا ألَمَّتْ بأصحابي وقد هَجَعُوا ... حَسِبْتُ وَسْطَ رحَالِ القوم عَطَّارَا)
(فقلتُ مَنْ ذا المُحَيِّي وانتبهتُ له ... ومَنْ مُحَدِّثُنا هذا الذي زارَا)
(ألا انزلوا نَعِمَتْ دارٌ بقربكُم ... أهلاً وسهلاً بكم مِنْ زائرٍ زارَا)
(فَبُدِّلَ الرَّبْعُ ممّن كان يسكُنُه ... عُفْرَ الظِّباء به يَمْشينَ أسطَارَا)

الغناء لابن سريج رمل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق وفيه ليونس خفيف ثقيل وفيه لأبي فارة هزج بالنبصر وأول هذه القصيدة التي فيها ذكر هند قوله

هند التي لا شبيه لها

(يا صاحبيَّ قِفَا نَستَخْبِرِ الدارا ... أَقْوتْ وهاجتْ لنا بالنَّعْفِ تَذْكَارَا)
(وقد أرَى مَرّةً سِرْباً بها حَسَناً ... مثلَ الجَآذِرِ لم يُمْسَسْنَ أبكارَا)
(فِيهن هندٌ وهندٌ لا شبيهَ لها ... فيمنْ أقام من الأحياء أو سَارَا)
(تقول ليت أبا الخَطَّاب وافقنا ... كي نَلْهُوَ اليومَ أو نُنْشِدَ أشعارا)
(فلم يَرُعْهُنَّ إلاّ العيسُ طالعةً ... بالقومِ يحمِلْنَ رُكْباناً وأكْوَارا)
(وفارسٌ يَحْمِلُ البازي فقُلْنَ لها ... هَاهُمُ أولاءِ وما أكثرْنَ إكْثَارَا)
(لما وَقَفْنا وَعنَّنَّا ركائبَنا ... بُدِّلْن بالعُرْفِ بعد الرَّجْعِ إنكارَا)

ومنها
صوت
(ألمْ تَرْبَعْ على الطَّلَلِ ... ومَغْنَى الحيِّ كالخِلَلِ)
((لِهندٍ إنّ هنداً حُبُّها ... قد كان من شُغُلِي
(فلمَّا أن عرَفْتُ الدارَ... عُجْتُ لِرَسْمِها جَمَلِي)
(وقلتُ لصُحْبتي عُوجوا ... فعَاجُوا هِزَّةَ الإِبِلِ)
(وقالوا قِفْ ولا تَعْجَلْ ... وإن كُنَّا على عَجَلِ)
(قليلٌ في هواكَ اليومَ ... ما تَلْقَى من العَمَلِ)
الغناء لابن سريج ثاني ثقيل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق وفيه له أيضا رمل عن الهشامي وحبش ومنها
صوت
(هاج ذا القلبَ منزلُ ... بالْبُلَيَّيْنِ مُحْوِلُ)
(غيَّرتْ آيَهُ الصَّبا ... وجَنُوبٌ وشَمْأَلُ)
(إنّ هنداً قدَ ارسَلتْ ... وأخو الشوقِ مُرْسِلُ)
(أرسَلتْ تَستَحِثُّني ... وتَفَدِّي وتَعْذُلُ)
((أيْنَا باتَ ليلِه ... بين غُصْنَيْن يُوبَلُ
(تحتَ عَيْنٍ يَكُنُّنا ... بُرْدُ عَصْبٍ مُهَلْهَلُ)
في هذه الأبيات خفيف ثقيل مطلق في مجرى البنصر ذكر إسحاق أنه لمالك وذكر عمرو أنه لابن محرز وذكر يونس أن فيها لحنا لابن محرز ولحنا لمالك وقال عمر في نسخته الثانية أنه لابن زرزر الطائفي خفيف ثقيل بالوسطى وروت مثل ذلك دنانير عن فليح وفيها لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وفيها لعبد الله بن موسى الهادي ثاني ثقيل من مجموعة ورواية الهشامي وفيه لحكم هزج بالخنصر والبنصر عن ابن المكي وفيه للحجبي رمل عن الهشامي وفيه ثقيل أول نسبه ابن المكي إلى ابن محرز وذكر الهشامي أنه منحول وفيه خفيف رمل ذكر الهشامي أنه لحن ابن محرز ومنها
صوت
(يا صَاحِ هل تَدْري وقد جَمَدتْ عيني ... بِما ألْقَى من الوَجْدِ)
(لمّا رأيتُ دِيارَها دَرَستْ ... وتَبدَّلَتْ أعلامُها بَعْدِي)
((وذكرتُ مَجْلِسَها ومجلسنا ... ذاتَ العِشاء بمَهْبِط النَّجْدِ
(ورسالةً منها تُعَاتبني ... فرددتُ مَعْتَبَةً على هِنْدِ)
الغناء ليحيى المكي رمل بالوسطى وفيه لغيره ألحان أخر ومنها
عمر يتغزل بهند
صوت
(ليتَ هنداً أنْجَزَتْنا ما تَعِدْ ... وشَفَتْ أنفسَنا مما تَجِدْ)
(واستَبدَّتْ مرّةً واحدةً ... إنّما العاجزُ مَنْ لا يَستَبِدّ)
(ولقد قالتْ لجاراتٍ لها ... ذات يومٍ وتَعرَّتْ تَبْتَرِدْ)
ويروى
(... زعَمُوها سألتْ جاراتها)
(أكَمَا يَنْعَتِني تُبْصِرْنَنِي ... عَمْرَكُنَّ اللهَ أم لا يَقْتَصِدْ)
(فَتَضَاحَكْنَ وقد قُلْنَ لها ... حَسَنٌ في كلِّ عينٍ من تَوَدّ)
(حسداً حُمِّلْنَه من أجْلِها ... وقديماً كان في الناسِ الحَسَدْ)
الغناء لابن سريج رمل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق وفيه لحن لمالك من كتاب يونس غير مجنس وفيه لابن سريج خفيف رمل بالبنصر عن
عمرو وذكره إسحاق في خفيف الثقيل بالخنصر في مجرى البنصر ولم ينسبه إلى أحد وفيه ثاني ثقيل يقال إنه لحن لمالك ويقال إنه لمتيم ومنها
صوت
(هاج القَرِيضَ الذِّكَرُ ... لمَا غَدَوْا فانْشَمَرُوا)
(على بِغَالٍ شُحَّجٍ قد ضَمَّهُنَّ السَّفَرُ)
(فيهنّ هندٌ ليتني ... ما عُمِّرتْ أعَمَّرُ)
(حتّى إذا ما جاءها ... حَتْفٌ أتانِي القَدَرُ)
لابن سريج فيه لحنان رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق وخفيف رمل عن الهشامي ومنها
صوت
(يا مَنْ لِقَلْبٍ دَنِفٍ مُغْرَمٍ ... هَامَ إلى هِنْدٍ ولم يَظْلِمِ)
(هَامَ إلى ريمٍ هَضِيمِ الحَشا ... عذبِ الثَّنَايا طَيِّبِ المَبْسِمِ)
(لم أحْسِبِ الشمسَ بليلٍ بَدَتْ ... قَبْلِي لِذِي لَحْمٍ ولا ذي دَمِ)
((قالت ألاَ إنَّكَ ذو مَلَّةٍ ... يَصْرِفُكَ الأدْنَى عن الأقْدَمِ
(قلتُ لها بل أنتِ مُعْتَلَّةٌ ... في الوَصْلِ يا هندُ لكي تَصْرِمِي)
الغناء لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق وفيه لبديح لحن قديم وقيل إن فيه رملا آخر لعمارة مولاة عبد الله بن جعفر ومنها
الحب المقيم
صوت
(تَصَابَى وما بعضُ التَّصَابِي بطَائِلِ ... وعاوَد من هندٍ جَوًى غيرُ زائِلِ)

(عَشِيَّةَ قالتْ صَدَّعَتْ غَرْبةُ النَّوَى ... فما من تَلاَقٍ قد أرَى دونَ قَابِلِ)
(وما أنْسَ مِ الأشياءِ لا أنْسَ مَجْلِساً ... لنا مَرّةً منها بقَرْنِ المنازلِ)
(بنَخْلَةَ بين النَّخْلتينِ يَكُنُّنا ... من العَيْن عند العَيْن بُرْدُ المَرَاجِلِ)
الغناء للغريض ثقيل أول بالبنصر عن عمرو وفيه للعماني خفيف ثقيل عن دنانير والهشامي ومنها
صوت
(لَجَّ قلبي في التَّصَابي ... وازْدَهَى عنّي شَبَابِي)
((ودَعَاني لِهوَى هندٍ ... فؤادٌ غيرُ نابي
(قلتُ لَمَّا فاضَتِ العَيْنانِ ... دَمْعاً ذا انْسِكَابِ)
(إنْ جفَتْني اليومَ هندٌ ... بعدَ وُدٍّ واقترابِ)
(فسبيلُ الناس طُرّاً ... لفَناءٍ وذهابِ)
الغناء لأهل مكة رمل بالوسطى
عمر وفاطمة بنت عبد الملك بن مروان
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أبو علي الأسدي وهو بشر بن موسى بن صالح قال حدثني أبي موسى بن صالح عن أبي بكر القرشي قال
كان عمر بن أبي ربيعة جالسا بمنى في فناء مضربه وغلمانه حوله إذ أقبلت امرأة برزة عليها أثر النعمة فسلمت فرد عل يها عمر السلام فقالت له أنت عمر بن أبي ربيعة فقالت لها أنا هو فما حاجتك قالت له حياك الله وقربك هل لك في محادثة أحسن الناس وجها وأتمهم خلقا وأكملهم أدبا وأشرفهم حسبا قال ما أحب إلي ذلك قالت على شرط قال قولي قالت تمكنني من عينيك حتى أشدهما وأقودك حتى إذا توسطت الموضع الذي أريد حللت الشد ثم أفعل ذلك بك عند إخراجك حتى انتهي بك إلى مضربك قال
شأنك ففعلت ذلك به قال عمر فلما انتهت بي إلى المضرب الذي أرادت كشفت عن وجهي فإذا أنا بامرأة على كرسي لم أر مثلها قط جمالا وكمالا فسلمت وجلست فقالت أأنت عمر بن أبي ربيعة قلت أنا عمر قالت أنت الفاضح للحرائر قلت وما ذاك جعلني الله فداءك قالت ألست القائل
صوت
(قالت وعَيْشِ أخي ونعمةِ والدي ... لأُنَبِّهنّ الحيَّ إن لم تَخْرُجِ)
(فخرجتُ خَوْفَ يمينِها فتبسَّمَتْ ... فعلِمتُ أن يمينَها لم تَحْرَجِ)
(فتناولتْ رأسي لِتعرِفَ مَسَّه ... بمُخَضَّبِ الأطراف غيرِ مُشَنَّجِ)
(فَلثمْتُ فاها آخِذاً بقُرونِها ... شُرْبَ النَّزِيف ببَرْدِ ماء الحَشْرَجِ)
الغناء لمعبد ثقيل أول بالبنصر عن يونس وعمرو
ثم قالت قم فاخرج عني ثم قامت من مجلسها وجاءت المرأة فشدت عيني ثم أخرجتني حتى انتهت بي إلى مضربي وانصرفت وتركتني فحللت
عيني وقد دخلني من الكآبة والحزن ما الله به أعلم وبت ليلتي فلما أصبحت إذا أنا بها فقالت هل لك في العود فقلت شأنك ففعلت بي مثل فعلها بالأمس حتى انتهت بي إلى الموضع فلما دخلت إذا بتلك الفتاة على كرسي فقالت إيه يا فضّاح الحرائر قلت بماذا جعلني الله فداءك قالت بقولك
صوت
(وناهِدَةِ الثَدْيَيْن قلتُ لها اتَّكِي ... على الرملِ من جَبَّانةٍ لم تَوَسَّدِ)
(فقالتْ على اسمِ اللهِ أمرُك طاعةٌ ... وإن كنتُ قد كُلِّفتُ ما لم أُعَوَّدِ)
(فلمّا دنا الإصباحُ قالت فضحتني ... فَقُمْ غيرَ مطرودٍ وإن شئتَ فازدَدِ)
الغناء لأهل مكة ثقيل أول عن الهشامي ثم قالت قم فاخرج عني فقمت فخرجت ثم رددت فقالت لي لولا وشك الرحيل وخوف الفوت ومحبتي لمناجاتك والاستكثار من محادثتك لأقصيتك هات الآن كلمني وحدثني وأنشدني فكلمت آدب الناس وأعلمهم بكل شيء ثم نهضت وأبطأت العجوز وخلا لي البيت فأخذت أنظر فإذا أنا بتور فيه خلوق فأدخلت يدي فيه ثم خبأتها
في ردني وجاءت تلك العجوز فشدت عيني ونهضت بي تقودني حتى إذا صرت على باب المضرب أخرجت يدي فضربت بها على المضرب ثم صرت إلى مضربي فدعوت غلماني فقلت أيكم يقفني على باب مضرب عليه خلوق كأنه أثر كف فهو حر وله خمسمائة درهم فلم ألبث أن جاء بعضهم فقال قم فنهضت معه فإذا أنا بالكف طرية وإذا المضرب مضرب فاطمة بنت عبد الملك ابن مروان فأخذت في أهبة الرحيل فلما نفرت نفرت معها فبصرت في طريقها بقباب ومضرب وهيئة جميلة فسألت عن ذلك فقيل لها هذا عمر بن أبي ربيعة فساءها أمره وقالت للعجوز التي كانت ترسلها إليه قولي له نشدتك الله والرحم أن تصحبني ويحك ما شأنك وما الذي تريد انصرف ولا تفضحني وتشيط بدمك فسارت العجوز إليه فأدت إليه ما قالت لها فاطمة فقال لست بمنصرف أو توجه إلي بقميصها الذي يلي جلدها فأخبرتها ففعلت ووجهت إليه بقميص من ثيابها فزاده ذلك شغفا ولم يزل يتبعهم لا يخالطهم حتى إذا صاروا على أميال من دمشق انصرف وقال في ذلك
(ضاق الغَدَاةَ بحاجتِي صدْري ... ويئستُ بعد تَقَارُبِ الأمر)
(وذكرتُ فاطمةَ التي علِّقتُها ... عَرَضاً فيا لِحَوَادث الدَّهْر)
وفي هذه القصيدة مما يغنى فيه قوله
صوت
(ممْكُورةٌ رَدْعُ العَبِيرِ بها ... جَمُّ العِظَام لطيفةٌ الخصرِ)
(وكأنَّ فاها عند رَقْدتِها ... تَجْري عليه سُلاَفَةُ الخَمْرِ)
الغناء لإبراهيم بن المهدي ثاني ثقيل من جامعه وفيه لمتيم رمل من جامعها أيضا وتمام الأبيات وليست فيه صنعة
(فسبَتْ فؤادي إذ عرضْتُ لها ... يومَ الرَّحِيلِ بساحة القَصْرِ)
(بمُزَيَّنٍ رَدْعُ العَبِير به ... حَسَنِ التَّرائِبِ واضِحِ النَّحْرِ)
(وبجيدِ آدَمَ شادِنٍ خَرِق ... يَرْعَى الرِّيَاض ببلدةٍ قَفْرِ)

(لمّا رأيتُ مَطِيّها حِزَقاً ... خَفَقَ الفؤادُ وكنتُ ذا صبر)
(وتبادرتْ عَيْنَايَ بعدهُم ... وانهلَّ دمعُهما على الصَّدْر)
(ولقد عَصَيتُ ذوي القَرَابَةِ فيكمُ ... طُرّاً وأهلَ الوُدّ والصِّهْر)
(حتى لقد قالوا وما كَذبوا ... أجُنِنتَ أم بكَ داخلُ السِّحْر)
أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني إسحاق عن محمد بن أبان قال حدثني الوليد بن هشام القحذمي عن أبي معاذ القرشي قال
لما قدمت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان مكة جعل عمر بن أبي ربيعة يدور حولها ويقول فيها الشعر ولا يذكرها باسمها فرقا من عبد الملك بن مروان ومن الحجاج لأنه كان كتب إليه يتوعده إن ذكرها أو عرض باسمها فلما قضت حجها وارتحلت أنشأ يقول
صوت
(كِدْتُ يومَ الرَّحِيل أقضِي حياتي ... ليتَني مُتُّ قبلَ يومِ الرَّحِيل)
(لا أُطِيقُ الكلامَ من شِدّة الخوفِ ... ودَمْعِي يَسِيلُ كلَّ مَسِيل)
(ذَرَفَتْ عينُها وفاضتْ دُموعِي ... وكِلانا يَلْقَى بلُبٍّ أصِيل)
(لو خَلَتْ خُلَّتِي أصبتُ نَوالاً ... أوْ حديثاً يشفِي مِنَ التَّنْوِيل)
(ولَظَلَّ الخَلْخَالُ فوقَ الحَشَايَا ... مثلَ أثناءِ حَيَّةٍ مَقْتُولِ)
(فلقَدْ قالَتِ الحبيبَةُ لولاَ ... كثرةُ الناسِ جُدْتُ بالتَّقْبِيل)
غنى فيه ابن محرز ولحنه ثقيل أول من أصوات قليلة الأشباه عن إسحاق وفيه لعبادل خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو ويقال إنه للهذلي وفيه لعبيد الله بن أبي غسان ثاني ثقيل عن الهشامي
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال أخبرني أبو علي الحسن بن لصباح عن محمد بن حبيب أنه أخبره أن عمر بن أبي ربيعة قال في فاطمة بنت عبد الملك بن مروان
صوت
(يا خَلِيلي شَفَّنِي الذِّكَرُ ... وحُمُولُ الحيّ إذ صَدَرُوا)
(ضَرَبُوا حُمْرَ القِبَابِ لها ... وأُدِيرتْ حولَها الحُجَرُ)
(سلَكُوا شِعْبَ النِّقَابِ بها ... زُمَراً تَحْتَثُّها زُمَرُ)
(وطَرَقْتُ الحيَّ مُكتَتِماً ... ومعِي عَضْبٌ به أثَرُ)
(وأخٌ لم أخشَ نَبْوتَه ... بنَوَاحي أمرهِم خَبِرُ)
(فإذا رِيمٌ على فُرُشٍ ... في حِجَالِ الخَزّ مُخْتَدِرُ)
(حوْلَه الأحْراسُ ترقُبه ... نُوَّمٌ من طول ما سَهِرُوا)
(شِبَهُ القَتْلى وما قُتِلُوا ... ذاكَ إلاّ أنهم سَمَرُوا)
(فدعَتْ بالوَيْل ثم دعَتْ ... حُرَّةً من شأنها الخَفَرُ)
(ثم قالتْ للّتي معَها ... وَيْحَ نَفسِي قد أتى عُمَرُ)
(مَا لَه قد جاء يطْرُقُنا ... ويرى الأعداءَ قد حضَرُوا)
((لِشَقائِي كانَ عُلِّقنَا ... ولِحَيْنِي ساقه القدَرُ
(قلتُ عِرضِي دُونَ عِرضِكُم ... ولِمَنْ نَاوَاكُمُ الحَجَرُ)
هذا البيت الأخير مما فيه غناء مع
(... وطَرَقْتُ الحيَّ مكتتِما)
للغريض
وفي
(... يا خَليلي شَفَّني الذِّكَرُ)
وفي
(قلتُ عِرْضِي دونَ عِرْضِكُم)
وفي
(... ثمَّ قالتْ للتي معها)
وفي
(... ما له قد جاء يطرقُنا)
ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو
وفي
(... ضربُوا حُمْرَ القِبَاب لها)
وما بعده أربعة متوالية خفيف رمل بالوسطى للهذلي
وفي وطرقت وبعده فإذا ريم وبعده حوله الأحراس والبيتين اللذين بعده لابن سريج خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو وفيها بعينها ثقيل أول يقال إنه للأبجر وينسب إلى غيره عن الهشامي
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال أخبرني عبد الملك بن عبد العزيز عن رجل من قريش قال بينا عمر بن أبي ربيعة يطوف بالبيت إذ رأى عائشة بنت طلحة بن عبيد الله وكانت من أجمل أهل دهرها وهي تريد الركن تستلمه فبهت لما رآها ورأته وعلمت أنها قد وقعت في نفسه فبعثت إليه بجارية لها وقالت قولي له اتق الله ولا تقل هجرا فإن هذا مقام لا بد فيه مما رأيت فقال للجارية أقرئيها السلام وقولي لها ابن عمك لا يقول إلا خيرا وقال فيها
صوت
(لعائشة ابنةِ التَّيْميّ عندي ... حِمىً في القلبِ ما يُرْعَى حِمَاها)
(يُذَكِّرُني ابنةَ التَّيْمي ظبيٌ ... يَرُودُ بِروْضَةٍ سَهْلٍ رُبَاها)
(فقلتُ له وكاد يُرَاعُ قلبي ... فلم أرَ قَطُّ كاليوم اشتِباهَا)

(سِوَى حَمْشٍ بِساقِكَ مُستبينٍ ... وأن شِوَاكَ لم يُشْبِهْ شَوَاها)
(وأنَّكَ عاطِلٌ عارٍ وليستْ ... بعاريةٍ ولا عُطُلٍ يَدَاها)
(وأنّكَ غيرُ أفْرَعَ وهي تُدْلِي ... على المَتْنَيْنِ أسْحَمَ قد كَسَاها)
(ولو قَعَدتْ ولم تكْلَفْ بوُدٍّ ... سِوَى ما قد كَلِفتُ به كفَاهَا)
(أظَلُّ إذا أُكَلِّمُها كأنّي ... أُكلِّم حيّةً غَلَبَتْ رُقَاها)
(تَبِيتُ إليَّ بعد النوم تَسْري ... وقد أمسيتُ لا أخشَى سُرَاهَا)
الغناء في البيتين الأولين من هذه الأبيات لأبي فارة ثقيل أول وفيهما لعبد الله بن العباس الربيعي خفيف ثقيل جميعا عن الهشامي وذكر إسحاق أن هذا الصوت مما ينسب إلى معبد وهو يشبه غناءه إلا أنه لم يروه عن ثبت ولم يذكر طريقته قال وقال فيها أشعاراً كثيرة فبلغ ذلك فتيان بني تيم أبلغهم إياه فتى منهم وقال لهم يا بني تيم من مرة هالله ليقذفن بنو مخزوم بناتنا بالعظائم وتغفلون فمشى ولد أبي بكر وولد طلحة بن عبيد الله إلى عمر بن أبي ربيعة فأعلموه بذلك وأخبروه بما بلغهم فقال لهم والله لا أذكرها في شعر أبدا ثم قال بعد ذلك فيها وكنى عن اسمها قصيدته التي أولها
صوت
(يا أمَّ طَلْحَةَ إنّ البَيْنَ قد أفِدَا ... قَلَّ الثَّواءُ لَئِن كان الرحيلُ غَدَا)
(أمسَى العِراقيّ لا يَدْري إذا بَرَزتْ ... مَنْ ذا تَطَوّفَ بالأركان أو سَجَدا)
الغناء لمعبد ثقيل أول بالبنصر عن عمرو ويونس قال ولم يزل عمر ينسب بعائشة أيام الحج ويطوف حولها ويتعرض لها وهي تكره أن يرى وجهها حتى وافقها وهي ترمي الجمار سافرة فنظر إليها فقالت أما والله لقد كنت لهذا منك كارهة يا فاسق فقال
صوت
(إنِّي وأوّلَ ما كَلِفتُ بذِكْرِها ... عَجَبٌ وهل في الحبِّ من مُتَعَجَّبِ)
(نَعَتَ النساءُ فقلتُ لستُ بمُبْصِرٍ ... شَبَهاً لها أبداً ولا بمُقرِّبِ)
(فمكَثْنَ حِيناً ثم قُلْنَ تَوجَّهَتْ ... للحجِّ موعِدُها لِقَاءُ الأخْشَبِ)
(أقبلتُ أنظرُ ما زَعَمْنَ وقُلْنَ لي ... والقلبُ بين مُصَدِّقٍ ومُكَذِّبِ)
(فلَقِيتُها تَمْشِي تَهَادَى مَوْهِناً ... ترمِي الجِمَار عَشيَّةً في مَوْكِبِ)
(غَرَّاءَ يُعْشِي الناظرين بياضُها ... حَوْرَاءَ في غُلَوَاءِ عيشٍ مُعْجِبِ)
(إنَّ الّتي مِنْ أرضِها وسمائِها ... جُلِبتْ لحَيْنِك ليتها لم تُجْلَبِ)
الغناء لمعبد في الأول والثاني والرابع والسابع ثقيل أول بالوسطى عن عمرو وفيها للغريض خفيف ثقيل عن الهشامي يبدأ فيه بالثالث
أخبرني علي بن صالح قال حدثنا أبو هفان عن إسحاق قال أخبرني مصعب الزبيري أن عمر بن أبي ربيعة لقي عائشة بنت طلحة بمكة وهي تسير على بغلة لها فقال لها قفي حتى أسمعك ما قلت فيك قالت أوقد قلت يا فاسق قال نعم فوقفت فأنشدها
صوت
(يا ربَّةَ البغلة الشَّهْباءِ هل لكِ في ... أن تُنْشِرِي مَيِّتاً لا تُرْهِقي حَرَجَا)
ويروى
((هل لكُمُ ... في عاشقٍ دَنِفٍ
(قالتْ بدائك مُتْ أو عِشْ تُعَالِجُه ... فما نَرَى لكَ فِيما عندنا فَرَجا)
(قد كنتَ حمَّلتَنا غيظاً نُعالِجُه ... فإن تُقِدْنا فقد عَنَّيْتَنا حِجَجَا)
(حتَّى لَو أستطيعُ مما قد فعلتَ بنا ... أكلتُ لحمَكَ من غيظٍ وما نَضِجَا)
الغناء لابن سريج ثقيل أول مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق وفيه لابن سريج ثلاثة ألحان ذكرها إسحاق ولم يجنس منها إلا واحدا وذكر الهشامي أن أحدها خفيف رمل بالوسطى وذكر عمرو أن الثالث هزج بالوسطى ولإسحاق فيها هزج من مجموع صنعته فقالت لا ورب هذه البنية ما عنيتنا طرفة عين قط ثم قالت لبغلتها عدس وسارت وتمام هذه الأبيات
(فقلتُ لا والذي حَجَّ الحَجِيجُ له ... ما مَجَّ حُبَّكِ من قلبي ولا نَهِجَا)
(ولا رأى القلبُ من شيءٍ يُسَرُّ به ... مُذْ بَانَ منزلُكم منّا ولا ثَلِجا)
(ضَنَّتْ بنائلها عنه فقد تَركتْ ... في غير ذنبٍ أبا الخَطَّاب مُخْتَلَجَا)
قال فلم تزل عائشة تداريه وترفق به خوفا من أن يتعرض لها حتى قضت حجها وانصرفت إلى المدينة فقال في ذلك
(إنّ من تَهْوَى مع الفجر ظَعَنْ ... لِلْهَوَى والقلبُ مِتْبَاعُ الوَطَنْ)
(بانتِ الشمسُ وكانت كلّما ... ذُكِرتْ للقلبِ عاودتُ الدَّدَنْ)
صوت
(يا أبا الحارثِ قلبي طائرٌ ... فأْتَمِرْ أمرَ رشيدٍ مُؤْتَمَنْ)
(نَظَرَتْ عيني إليها نظرةً ... تَركتْ قلبي لَدَيْها مرتَهنْ)
(ليس حبٌّ فوقَ ما أحببتُها ... غيرَ أنْ أقتُلَ نفسي أو أُجَنّ)
فيها ثاني ثقيل بالوسطى نسبه عمرو بن بانة إلى ابن سريج ونسبه ابن المكي إلى الغريض وفيها رمل لأهل مكة ومما يغنى فيه من أشعاره في عائشة بنت طلحة قوله في قصيدته التي أولها
صوت
(مَنْ لقلبٍ أمْسَى رهيناً مُعَنَّى ... مُستكيناً قد شَفَّه ما أجَنَّا)
(إثْرَ شخصٍ نفسي فَدَتْ ذاك شخصاً ... نازحِ الدَّارِ بالمدينةِ عنّا)
(ليتَ حَظِّي كطَرْفةِ العينِ منها ... وكثيرٌ منها القليلُ المُهَنَّا)
الغناء لإبراهيم خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق
أخبرني الحسن بن علي الخفاف ومحمد بن خلف قالا حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدثني محمد بن عبد الرحمن التيمي عن هشام بن سليمان بن عكرمة بن خالد المخزومي قال

كان عمر بن أبي ربيعة يهوى كلثم بنت سعد المخزومية فأرسل إليها رسولا فضربتها وحلقتها وأحلفتها ألا تعاود ثم أعادها ثانية ففعلت بها مثل ذلك فتحاماها رسله فابتاع أمة سوداء لطيفة رقيقة وأتى بها إلى منزله فأحسن إليها وكساها وآنسها وعرفها خبره وقال لها إن أوصلت لي رفعة إلى كثلم فقرأتها فأنت حرة ولك معيشتك ما بقيت فقالت اكتب لي مكاتبة واكتب حاجتك في آخرها ففعل ذلك فأخذتها ومضت بها إلى باب كلثم فاستأذنت فخرجت إليها أمة لها فسألتها عن أمرها فقالت مكاتبة لبعض أهل مولاتك جئت أستعينها في مكاتبتي وحادثتها وناشدتها حتى ملأت قلبها فدخلت إلى كلثم وقالت إن بالباب مكاتبة لم أر قط أجمل منها ولا أكمل ولا آدب فقالت ائذني لها فدخلت فقالت من كاتبك قالت عمر بن أبي ربيعة الفاسق فاقرئي مكاتبتي فمدت يدها لتأخذها فقالت لها لي عليك عهد الله أن تقرئيها فإن كان منك إلى شيء مما أحبه وإلا لم يلحقني منك مكروه فعاهدتها وفطنت وأعطتها الكتاب فإذا أوله

(مِن عاشقٍ صَبٍّ يُسِرُّ الهوى ... قد شَفَّه الوجدُ إلى كَلْثَمِ)
(رأتكِ عَيْنِي فدعاني الهوى ... إليكِ للحَيْن ولم أعْلَمِ)
(قَتَلْتِنا يا حبَّذا أنتُم ... في غيرِ ما جُرْمٍ ولا مأْثَمِ)
(واللَّهُ قد أنْزَلَ في وَحْيِه ... مُبيناً في آيِهِ المُحْكَمِ)
(مَنْ يَقْتُلِ النفسَ كذا ظالماً ... ولم يُقِدْها نفسَه يَظْلِمِ)
(وأنتِ ثأرِي فَتَلاَفَيْ دَمِي ... ثم اجعليه نعمةً تُنْعِمِي)
(وحَكِّمي عَدْلاً يكُنْ بيننا ... أو أنتِ فيما بيننا فاحْكُمِي)
(وجالِسِينِي مَجْلِساً واحداً ... من غير ما عارٍ ولا مَحْرَمِ)
(وخَبِّريني ما الذي عندكم ... باللهِ في قتلِ امرئٍ مُسْلِمِ)

قال فلما قرأت الشعر قالت لها إنه خداع ملق وليس لما شكاه أصل قالت يا مولاتي فما عليك من امتحانه قالت قد أذنت له وما زال حتى ظفر ببغيته فقولي له إذا كان المساء فليجلس في موضع كذا وكذا حتى يأتيه رسولي فانصرفت الجارية فأخبرته فتأهب لها فلما جاءه رسولها مضى معه حتى دخل إليها وقد تهيأت أجمل هيئة وزينت نفسها ومجلسها وجلست له من وراء ستر فسلم وجلس فتركته حتى سكن ثم قالت له أخبرني عنك يا فاسق ألست القائل

(هلاَّ اسْتَحيْتِ فتَرْحَمِي صَبًّا ... صَدْيانَ لم تَدَعي له قَلْبَا)
(جَشِمَ الزيارةَ في مودّتكم ... وأراد ألاّ تُرْهِقِي ذَنْبَا)
(ورجَا مُصَالَحةً فكان لكم ... سِلْماً وكنتِ تَرَيْنَه حَرْبَا)
(يا أيها المُعْطِي مودّتَه ... مَنْ لا يَرَاكَ مُسامياً خِطْبَا)
(لا تَجْعَلَنْ أحداً عليكَ إذا ... أحببتَه وهَوِيتَه ربَّا)
(وصِلِ الحبيبَ إذا شُغِفْتَ به ... واطوِ الزيارةَ دونَه غِبَّا)
(فلَذَاكَ أحسنُ من مُوَاظَبَةٍ ... ليستْ تَزيدُكَ عنده قُرْبَا)
(لا بل يَمَلُّكَ عند دَعْوته ... فيقولُ هَاهِ وطالمَا لبَّى)

فقال لها جعلت فداك إن القلب إذا هوي نطق اللسان بما يهوى فمكث عندها شهرا لا يدري أهله أين هو ثم استأذنها في الخروج فقالت له بعد أن فضحتني لا والله لا تخرج إلا بعد أن تتزوجني ففعل وتزوجها فولدت منه ابنين أحدهما جوان وماتت عنده

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الجبار بن سعيد قال حدثني إبراهيم بن يعقوب بن أبي عبد الله عن أبيه عن جده

أن عمر رأى لبابة بنت عبد الله بن العباس امرأة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان تطوف بالبيت فرأى أحسن خلق الله فكاد عقله يذهب فسأل عنها فأخبر بنسبها فنسب بها وقال فيها

صوت

(وَدِّعْ لُبَابَةَ قبلَ أن تَترحَّلا ... واسْأَلْ فإنَّ قُلالَه أن تَسأَلاَ)
(إلبَثْ بعَمْرِك ساعةً وتأنَّها ... فلعلَّ ما بَخِلَتْ بِه أن يُبْذَلاَ)
(قال ائتمِرْ ما شئتَ غيرَ مُخَالفٍ ... فيما هَوِيتَ فإنّنا لن نَعْجَلاَ)
(لَسْنَا نُبالِي حين نَقْضِي حاجةً ... ما باتَ أو ظَلَّ المَطِيّ مُعَقَّلا)
(حتى إذا ما اللَّيلُ جَنَّ ظَلاَمُه ... ورقَبْتُ غفلةَ كاشحٍ أن يَمحُلاَ)
(خرجتْ تأطَّرُ في الثيابِ كأنّها ... أيْمٌ يسيبُ على كثِيبٍ أهْيَلا)
(رحَّبْتُ حين رأيتُها فتبسَّمَتْ ... لتحيَّتِي لمّا رأتْني مُقْبِلاَ)
(وجلاَ القِنَاعُ سحابةً مشهورةً ... غرَّاءَ تُعْشِي الطَّرْفَ أن يتأمّلاَ)
(فَلَبِثْتُ أرْقِيها بما لو عاقِلٌ ... يُرْقَى به ما اسطاعَ ألاّ يَنْزلاَ)

غنى في هذه الأبيات معبد خفيف ثقيل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق ابتداؤه نشيد وفيها لابن سريج ثقيل أول بالوسطى في مجراها عن إسحاق أيضا وفيها لابن سريج في الأول والرابع من الأبيات رمل عن ابن المكي ولابي دلف القاسم بن عيسى في هذين البيتين خفيف ثقيل بالسبابة والبنصر وابتداؤه نشيد من رواية ابن المكي وفيه لمحمد بن الحسن بن مصعب هزج

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال لما حج الغمر بن يزيد بن عبد الملك دخل إليه معبد فغناه

(... وَدِّعْ لبابةَ قبل أن تترحَّلا)

فلم يزل يردده عليه ثم أخرجه معه لما رحل عن المدينة فغناه في المنزل به حتى أراد الرحيل فحمله على بغلة له وذهب غلام له يتبعه فقال إلى أين فقال أمضي معه حتى أجيء بالبغلة فقال هيهات ارجع يا بني ذهبت والله لبابة ببغلة مولاك وقد روي هذا الخبر لغير الغمر بن يزيد

نسب الثريا بنت علي

وهذه الأبيات التي فيها الغناء المختار وهو

(... تشكَّى الكُميَتُ الجَرْيَ لمّا جَهَدْتُه)
يقولها عمر بن أبي ربيعة في الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية
الأصغر بن عبد شمس بن عبد مناف وهم الذين يقال لهم العبلات سموا بذلك لجدة لهم يقال لها عبلة بنت عبيد بن خالد بن خازل بن قيس بن مالك بن حنظلة ابن مالك بن زيد مناة بن تميم وهي من بطن من تميم يقال لهم البراجم غير براجم بني أسد
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال
كانت عبلة بنت عبيد بن خالد بن خازل بن قيس بن حنظلة عند رجل من بني جُشَم بن معاوية فبعثها بأنحاء سمن تبيعها له بعكاظ فباعت السمن وراحلتين كان عليهما وشربت بثمنها الخمر فلما نفد ثمنها رهنت ابن أخيه وهربت فطلقها وقالت في شربها الخمر
(شَربتُ براحلَتَيْ مِحْجَنٍ ... فيَا وَيْلتِي مِحْجَنٌ قاتِلي)
(وبابن أخيه على لذّةٍ ... ولم أحْتَفِلْ عَذَلَ العاذِلِ)
قال فتزوجها عبد شمس بن عبد مناف فولدت له أمية الأصغر وعبد أمية ونوفلا وهم العبلات
وقد ذكر الزبير بن بكار عن عمه أن الثريا بنت عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر وأنها أخت محمد بن عبد الله المعروف بأبي جراب العبلي الذي قتله داود بن علي وهو الذي يقول فيه ابن زياد المكي
(ثلاثُ حوائجٍ ولهُنَّ جِئنا ... فقُمْ فيهِنّ يابن أبي جِرابِ)
(فإنّكَ ماجدٌ في بيت مجدٍ ... بقِيّةُ معْشرٍ تحتَ التراب)
قال وله يقول ابن زياد المكي أيضا
(إذا مُتَّ لم تُوصَلْ بعُرْفٍ قرابةٌ ... ولم يَبْقَ في الدنيا رجاءٌ لسائِل)
قال الزبير وهذا أشبه من أن تكون بنت عبد الله بن الحارث وعبد الله إنما أدرك سلطان معاوية وهو شيخ كبير وورث بقُعْدُدِه في النسب دار عبد شمس ابن عبد مناف وحج معاوية في خلافته فجعل ينظر إلى الدار فخرج إليه عبد الله بن الحارث بمحجن ليضربه به وقال لا أشبع الله بطنك أما تكفيك الخلافة حتى تطلب هذه الدار فخرج معاوية يضحك
قال مؤلف هذا الكتاب وهذا غلط من الزبير عندي والثريا أن تكون بنت عبد الله بن الحارث أشبه من أن تكون أخت الذي قتله داود بن علي لأنها ربت الغريض المغني وعلمته النوح بالمراثي على من قتله يزيد بن معاوية من أهلها يوم الحرة وإذا كانت قد ربت الغريض حتى كبر وتعلم النوح على قتلى الحرة وهو رجل وهي وقعة كانت بعقب موت معاوية فقد كانت في حياة معاوية امرأة كبيرة وبين ذلك وبين من قتله داود بن علي من بني أمية نحو ثمانين سنة وقد شبب بها عمر بن أبي ربيعة في حياة معاوية وأنشد عبد الله بن عباس شعره فيها فكيف تكون أخت الذي قتله داود بن علي وقد أدركت عبد الله بن عباس وهي امرأة كبيرة وقد اعترف الزبير أيضا في خبره بأن عبد الله بن الحارث أدرك خلافة معاوية وهو شيخ كبير فقول من قال إنها بنته أصوب من قول من قرنها بمن قتله داود بن علي وهذا القول الذي قلته قول ابن الكلبي وأبي اليقظان
أخبرني به الحسن بن علي عن أحمد بن الحارث عن المدائني عن أبي اليقظان قال وحدثني به جماعة من أهل العلم بنسب قريش

الثريا تختبر عمر في مدى حبه إياها

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني مسلمة ابن إبراهيم بن هشام المخزومي عن أيوب بن مسلمة أنه أخبره أن عمر بن أبي ربيعة كان مُسْهَباً بالثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر وكانت عرضة ذلك جمالا وتماما وكانت تصيف بالطائف وكان عمر يغدو عليها كل غداة إذا كانت بالطائف على فرسه فيسأل الركبان الذين يحملون الفاكهة من الطائف عن الأخبار قبلهم فلقي يوما بعضهم فسأله عن أخبارهم فقال ما استطرفنا خبرا إلا أنني سمعت عند رحيلنا صوتا وصياحا عاليا على امرأة من قريش اسمها اسم نجم في السماء وقد سقط عني اسمه فقال عمر الثريا قال نعم وقد كان بلغ عمر قبل ذلك أنها عليلة فوجه فرسه على وجهه إلى الطائف يركضه ملء فروجه وسلك طريق كداء وهي أخشن الطرق وأقربها حتى انتهى إلى الثريا وقد توقعته وهي تتشوف له وتشرف فوجدها سليمة عميمة ومعها أختاها رُضَيّا وأم عثمان فأخبرها الخبر فضحكت وقالت أنا والله أمرتهم لأختبر مالي عندك فقال عمر في ذلك هذا الشعر
(تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجَرْيَ لمّا جَهَدْتُه ... وبيّن لو يَسْطِيعُ أن يَتكَلّما)
(فقلتُ له إنْ ألْقَ للعَيْنِ قُرَّةً ... فَهَانَ عليّ أن تَكِلَّ وتَسْأمَا)
(لذلكَ أُدْني دونَ خَيْلي رِبَاطَه ... وأوصِي به ألاّ يُهَانَ ويُكْرمَا)
(عَدِمْتُ إذاً وَفْري وفارقتُ مُهْجَتِي ... لئن لم أقِلْ قَرْناً إن اللهُ سلَّما)
قال مسلمة بن إبراهيم قلت لأيوب بن مسلمة أكانت الثريا كما يصف عمر بن أبي ربيعة فقال وفوق الصفة كانت والله كما قال عبد الله بن قيس
(حَبَّذَا الحجُّ والثُّرَيَّا ومَنْ بالخَيْفِ ... مِن أجلِها ومُلْقَى الرِّحَالِ)
(يا سليمانُ إن تُلاَقِ الثريّا ... تَلْقَ عَيْشَ الخُلُودِ قبلَ الهلالِ)
(دُرّةٌ من عَقَائِلِ البحرِ بِكْرٌ ... لم تشِنْها مَثَاقِبُ اللآّلِ)
(تَعْقِدِ المِئْزَرَ السُّخَامَ من الخَزِّ ... على حَقْوِ بَادنٍ مِكْسَالِ)

شعر عمر في رملة الخزاعية

قال إسحاق في خبره عمن أسند إليه أخبار عمر بن أبي ربيعة وذكر مثله الزبير بن بكار فيما حدثنا به عنه الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني مؤمن بن عمر ابن أفلح مولى فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم قال حدثني بلال مولى ابن أبي عتيق
أن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة قدم للحج فأتاه ابن أبي عتيق فسلم عليه وأنا معه فلما قضى سلامه ومساءلته عن حجه وسفره قال له كيف تركت أبا الخطاب عمر بن أبي ربيعة قال تركته في بُلَهْنِيَةٍ من العيش قال وأنى ذلك قال حجت رملة بنت عبد الله بن خلف الخزاعية فقال فيها

صوت

(أَصْبَحَ القلبُ في الحِبالِ رَهِينَا ... مُقْصَداً يومَ فارَقَ الظَّاعِنِينَا)
(قلتُ مَنْ أنتُمُ فصَدَّتْ وقالتْ ... أمُبِدٌّ سؤالَك العالَمِينَا)
(نحن من ساكني العِرَاق وكُنَّا ... قبلَه قاطنين مكةَ حِينَا)
(قد صَدَقْنَاكَ إذ سألتَ فمن أنتَ ... عسى أن يَجُرَّ شأنٌ شُؤونا)
(ونَرَى أننا عَرَفْنَاك بِالنَّعْتِ ... بِظَنٍّ وما قَتَلْنَا يَقينَا)
(بسَوَادِ الثَّنيَّتين ونَعْتٍ ... قد نَرَاه لناظرٍ مُسْتَبِينَا)
هجران الثريا عمر بعد أن بلغها شعره في رملة
غنى معبد في البيتين الأولين خفيف ثقيل أول بالوسطى في مجراها عن إسحاق وغنى في الثاني وما بعده ابن سريج خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عنه أيضا وذكر حبش أن فيه للغريض أيضا لحنا من الثقيل الأول بالبنصر قال فبلغ ذلك الثريا بلغتها إياه أم نوفل وكانت غضبى عليه وقد كان انتشر خبره عن الثريا حتى بلغها من جهة أم نوفل وأنشدتها قوله
(أصبَح القلبُ في الحِبال رَهِينَا ... مُقْصداً يومَ فارَق الظاعنِيَنا)
فقالت إنه لوقاح صنع بلسانه ولئن سلمت له لأردن من شأوه ولأثنين من عنانه ولأعرفنه نفسه فلما بلغت إلى قوله
(قُلتُ من أنتم فصدّتْ وقالتْ ... أمُبِدٌّ سُؤالك العالِمَينا)
فقالت إنه لسأل ملح قبحا له ولقد أجابته إن وفت فلما بلغت إلى قوله
(نحن من ساكني العراقِ وكنّا ... قبلَه قاطنين مكةَ حِينا)
قالت غمزته الجهمة فلما بلغت إلى قوله
(قد صَدقْناك إذ سألتَ فمن أنتَ ... عسى أن يَجُرَّ شأنٌ شُؤونا)
قالت رمته الورهاء بآخر ما عندها في مقام واحد وهجرت عمر
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب أن رملة بنت عبد الله بن خلف حجت فتعرض لها عمر بن أبي ربيعة فقال فيها
(أصبح القلب في الحبال رهينا ... مُقْصَداً يوم فارق الظاعنينا)
وقال في هذه القصيدة
(فرأتْ حِرْصِيَ الفتاةُ فقالتْ ... خَبِّريهِ من أجْلِ من تَكْتُمِينا)
(نحن من ساكني العراق وكنّا ... قلبه قاطنين مكة حينا)
((قد صدقناك إذ سألت فمن أنت ... عسى أن يجرّ شأن شؤونا
قال الزبير ورملة هذه أم طلحة بن عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي وهي أخت طلحة الطلحات بن عبد الله بن خلف الخزاعي
كثير يغضب إثر سماعه شعر عمر في رملة
قال فبلغت هذه الأبيات كثيرا فغضب لذلك وقال وأنا والله لا أتمارى أن سيجر شأن شؤونا ثم ذكر نسوة من قريش فساقهن في شعره من الحج حتى بلغ بهن إلى ملل ثم أشفق فجاز ولم يزد على ذلك وهو قوله في قصيدته التي أولها
(ما عَنَاكَ الغداةَ من أَطْلالِ ... دَارِساتِ المُقَامِ مُذْ أَحْوالِ)
صوت
(قُمْ تأمَّلْ فأنتَ أَبْصَرُ منّي ... هل تَرَى بالغَمِيمِ من أَجْمَالِ)
(قاضياتٍ لُبَانةً من مُنَاخٍ ... وطَوَافٍ ومَوْقِفٍ بالحِبَالِ)
(قِلْنَ عُسفَانَ ثمّ رُحْنَ سِراعاً ... هابطاتٍ عَشيَّةً من غَزَالِ)
(وارداتِ الكَدِيدِ مُجْتزِعاتٍ ... جُزْنَ وَادي الحَجُونِ بالأَثْقَالِ)
(قَصْدَ لِفْتٍ وهُنّ مُتّسِقَاتٌ ... كالعَدَوْلِيّ لاحِقَاتِ التَّوَالِي)
((طالعاتِ الغمِيس من عَبُّودٍ ... سالكاتِ الخَويِّ من أَمْلالِ
(فسقَى اللهُ منتَوى أُمّ عمروٍ ... حيث أمَّتْ بها صُدورُ الرِّحالِ)
(حَبَّذَا هُنّ مِنْ لُبَانَةِ قلبي ... وجَديدُ الشَّباب من سِرْبالي)
(رُبَّ يومٍ أتيتهنّ جميعاً ... عند بَيْضاءَ رَخْصَةٍ مِكْسَالِ)
(غيرَ أنّي امرؤٌ تَعَمَّمْتُ حِلْماً ... يَكْرَه الجهلَ والصِّبَا أمثالي)
غنى ابن سريج في الثلاثة الأبيات الأول خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو ويونس وذكر الهشامي أن فيها للحجبي رملاً بالبنصر
قالوا فلما هجرت الثريا عمر قال في ذلك
(مَنْ رَسُولِي إلى الثُّرَيَّا فإنِّي ... ضِقْتُ ذَرْعاً بهَجْرِها والكتابِ)
ابن أبي عتيق يسعى للصلح بين عمر والثريا
فبلغ ابن أبي عتيق قوله فمضى حتى أصلح بينهما وهذه الأبيات تذكر مع ما فيها من الغناء ومع خبر إصلاح ابن أبي عتيق بينهما بعد انقضاء خبر رملة التي ذكرها عمر في شعره
قال مصعب بن عبد الله في خبره وكانت رملة جهمة الوجه عظيمة الأنف حسنة الجسم وتزوجها عمر بن عبيد الله بن معمر وتزوج عائشة بنت طلحة بن عبيد الله وجمع بينهما فقال يوما لعائشة فعلت في محاربة الخوارج مع أبي فُدَيْكٍ كذا وصنعت كذا يذكر له شجاعته وإقدامه فقالت له عائشة أنا أعلم أنك أشجع الناس وأعرف لك يوما هو أعظم من هذا اليوم الذي ذكرته قال وما هو قالت يوم اجتليت رملة وأقدمت على وجهها وأنفها
قال مصعب وحدثني يعقوب بن إسحاق قال لما بلغ الثريا قول عمر بن أبي ربيعة في رملة
(وجَلاَ بُرْدُها وقد حَسِرتْه ... نُورَ بدرٍ يُضيء للناظرينَا)
قالت أف له ما أكذبه أو ترتفع حسناء بصفته لها بعد رملة
خبر عمر مع المرأة الجمحية
وذكر ابن أبي حسان عن الرياشي عن العباس بن بكار عن ابن دأب أن هذا الشعر قاله عمر في امرأة من بني جمح كان

أبوها من أهل مكة فولدت له جارية لم يولد مثلها بالحجاز حسنا فقال أبوها كأني بها وقد كبرت فشبب بها عمر بن أبي ربيعة وفضحها ونوه باسمها كما فعل بنساء قريش والله لا أقمت بمكة فباع ضيعة له بالطائف ومكة ورحل بابنته إلى البصرة فأقام بها وابتاع هناك ضيعة ونشأت ابنته من أجمل نساء زمانها ومات أبوها فلم تر أحدا من بني جمح حضر جنازته ولا وجدت لها مُسْعِداً ولا عليها داخلا فقالت لداية لها سوداء من نحن ومن أي البلاد نحن فخبرتها فقالت لا جرم والله لا أقمت في هذا
البلد الذي أنا فيه غريبة فباعت الضيعة والدار وخرجت في أيام الحج وكان عمر يقدم فيعتمر في ذي القعدة ويحل ويلبس تلك الحلل والوشي ويركب النّجَائِبَ المخضوبة بالحناء عليها القُطُوع والديباج ويسبل لمته ويلقى العراقيات فيما بينه وبين ذات عرق محرمات ويتلقى المدنيات إلى مر ويتلقى الشاميات إلى الكديد فخرج يوما للعراقيات فإذا قبة مكشوفة فيها جارية كأنها القمر تعادلها جارية سوداء كالسَّبْجة فقال للسوداء من أنت ومن أين أنت يا خالة فقالت لقد أطال الله تعبك إن كنت تسأل هذا العالم من هم ومن أين هم قال فأخبريني عسى أن يكون لذلك شأن قالت نحن من أهل العراق فأما الأصل والمنشأ فمكة وقد رجعنا إلى الأصل ورحلنا إلى بلدنا فضحك فلما نظرت إلى سواد ثنيته قالت قد عرفناك قال ومن أنا قالت عمر بن أبي ربيعة قال وبم عرفتني قالت بسواد ثنيتيك وبهيئتك التي ليست إلا لقريش فأنشأ يقول
(قلتُ من أنتم فصَدَّتْ وقالتْ ... أمبِدٌّ سؤالك العالَمينا)
وذكر الأبيات فلم يزل عمر بها حتى تزوجها وولدت له
قال فلما صرمت الثريا عمر قال فيها
صوت
(مَنْ رَسُولي إلى الثريا فإنِّي ... ضِقْتُ ذَرْعاً بهَجْرها والكتابِ)
(سلبتْني مَجَّاجَةُ المِسْكِ عَقْلِي ... فسَلُوها ماذا أحَلَّ اغتصابِي)
(وهي مَكنونَةٌ تحيَّر منها ... في أديم الخدَّين ماءُ الشبابِ)
(أبْرَزُوها مثلَ المَهَاةِ تَهَادَى ... بين خَمْسٍ كَوَاعبٍ أتْرابِ)
(ثم قالوا تُحِبُّها قلتُ بَهْراً ... عددَ القَطْرِ والحَصَى والترابِ)
الغناء لابن عائشة خفيف ثقيل أول بالبنصر عن عمرو وذكر حبش أنه لمالك
نجاح الصلح الذي سعى به ابن أبي عتيق
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني مؤمن بن عمر بن أفلح مولى فاطمة بنت الوليد قال أخبرني بلال مولى ابن أبي عتيق قال أنشد ابن أبي عتيق قول عمر
(مَنْ رسولي إلى الثريّا فإني ... ضقتُ ذَرْعاً بهجرها والكتابِ)
فقال ابن أبي عتيق إياي أراد وبي نوه لا جرم والله لا أذوق أكلا حتى أشخص فأصلح بينهما ونهض ونهضت معه فجاء إلى قوم من بني الديل بن بكر لم تكن تفارقهم نجائب لهم فره يكرهونها فاكترى منهم راحلتين وأغلى لهم فقلت له استوضعهم أو دعني أماكسهم فقد اشتطوا عليك فقال ويحك أما علمت أن المكاس ليس من أخلاق الكرام ثم ركب إحداهما وركبت الأخرى فسار
سيرا شديدا فقلت أبق على نفسك فإن ما تريد ليس يفوتك فقال ويحك
(... أُبَادِرُ حَبْلَ الوُدّ أن يَتَقَضَّبا)
وما حلاوة الدنيا إن تم الصدع بين عمر والثريا فقدمنا مكة ليلا غير محرمين فدق على عمر بابه فخرج إليه وسلم عليه ولم ينزل عن راحلته فقال له اركب أصلح بينك وبين الثريا فأنا رسولك الذي سألت عنه فركب معنا وقدمنا الطائف وقد كان عمر أرضى أم نوفل فكانت تطلب لها الحيل لإصلاحها فلا يمكنها فقال ابن أبي عتيق للثريا هذا عمر قد جشمني السفر من المدينة إليك فجئتك به معترفا لك بذنب لم يجنه معتذرا إليك من إساءته إليك فدعيني من التعداد والترداد فإنه من الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون فصالحته أحسن صلح وأتمه وأجمله وكررنا إلى مكة فلم ينزلها ابن أبي عتيق حتى رحل وزاد عمر في أبياته
(أزْهَقَتْ أمُّ نوفلٍ إذ دَعَتْها ... مُهْجَتِي ما لِقَاتِلي مِنْ مَتَابِ)
(حين قالتْ لها أجيبي فقالتْ ... مَنْ دعاني قالت أبو الخَطَّابِ)
(فاستجابتْ عند الدعاء كما لبَّى ... رجالٌ يرْجُون حسنَ الثوابِ)
قال الزبير وما دعتها أم نوفل إلا لابن أبي عتيق ولو دعتها لعمر ما أجابت قال وسألت عمي عن أم نوفل فقال هي أم ولد عبد الله بن الحارث أبي الثريا وسألته عن قوله
(... كما لبَّى رجال يرجون حسنَ الثوابِ)
فقال كررت في التلبية كما يفعل المحرم فقالت لبيك لبيك
وأخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا الزبير بن بكار عن عمه أن بعض المكيين قال كانت الثريا تصب عليها جرة ماء وهي قائمة فلا يصيب ظاهر فخذيها منه شيء من عظم عجيزتها
وأخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو غسان محمد ابن يحيى بخبر الثريا هذا مع عمر فذكر نحوا مما ذكره الزبير وقال فيه لما أناخ ابن أبي عتيق بباب الثريا أرسلت إليه ما حاجتك قال أنا رسول عمر بن أبي ربيعة وأنشدها الشعر فقالت ابن أبي ربيعة فارغ ونحن في شغل وقد تعبت فانزل بنا فقال ما أنا إذا برسول ثم كر راجعا إلى ابن أبي ربيعة بمكة فأخبره الخبر فأصلح بينهما
حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن نعيم قال حدثني إبراهيم بن إسحاق العنزي قال حدثني عبد الله بن إبراهيم الجمحي وأخبرني به الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أيوب بن عباية وأخبرني به الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير عن مؤمن بن عمر بن أفلح بن عبد العزيز بن عمران قالوا
قدم عمر بن أبي ربيعة المدينة فنزل على ابن أبي عتيق وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر فلما استلقى قال أوه
(مَنْ رسولي إلى الثريّا فإنِّي ... ضِقْتُ ذَرْعاً بهَجْرها والكتابِ)
ابن أبي عتيق يبلغ رسالة نصيب إلى سلمى في طريقه إلى الثريا
فقال ابن أبي عتيق كل مملوك لي حر إن بلغها ذاك غيري فخرج حتى

إذا كان بالمصلى مر بنصيب وهو واقف فقال يا أبا محجن قال لبيك قال أتودع إلى سلمى شيئا قال نعم قال وما ذاك قال تقول لها يابن الصديق إنك مررت بي فقلت لي أتودع إليها شيئا فقلت
(أتصبِرُ عن سَلْمَى وأنت صَبُورُ ... وأنت بحُسْنِ العَزْمِ منكَ جَدِيرُ)
(وكِدْتُ ولم أُخْلَقْ من الطير إن بَدا ... سَنَى بَارِقٍ نحوَ الحِجَازِ أطيرُ)
قال فمر بسلمى وهي في قرية يقال لها القَسْرِيَّةُ فأبلغها الرسالة فزفرت زفرة كادت أن تفرق أضلاعها فقال ابن أبي عتيق كل مملوك لي حر إن لم يكن جوابك أحسن من رسالته ولو سمعك الآن لنعق وصار غرابا ثم مضى إلى الثريا فأبلغ الكتاب فقالت له أما وجد رسولا أصغر منك انزل فأرح فقال لست إذا برسول وسألها أن ترضى عنه ففعلت وقال الزبير في خبره فقال لها أنا رسول ابن أبي ربيعة إليك وأنشدها الأبيات وقال لها خشيت أن تضيع هذه الرسالة قالت أدى الله عنك أمانتك قال فما جواب ما تجشمته إليك قالت تنشده قوله في رملة
(وَجَلاَ بُرْدُها وقد حَسَرَتْهُ ... ضوءَ بدرٍ أضاء للناظرينَا)
فقال أعيذك بالله يابنة أخي أن تغلبيني بالمثل السائر قالت وما هو قال حريص لا يرى عمله قالت فما تشاء قال تكتبين إليه بالرضا عنه كتابا يصل على يدي ففعلت فأخذ الكتاب ورجع من فوره حتى قدم مكة فأتى عمر فقال له من أين أقبلت قال من حيث أرسلتني قال وأنى ذلك قال من عند الثريا أفرخ روعك هذا كتابها بالرضا عنك إليك
حسن بن حسن بن علي يطلب إلى ابن عائشة أن يغني له
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أيوب بن عباية قال
اجتمع ابن عائشة ويونس ومالك عند حسن بن حسن بن علي عليهم السلام فقال الحسن لابن عائشة غنني من رسولي إلى الثريا فسكت عنه فلم يجبه فقال له جليس له أيقول لك غنني فلا تجيبه فسكت فقال له الحسن ما لك ويحك أبك خبال كان والله ابن أبي عتيق أجود منك بما عنده فإنه لما سمع هذا الشعر قال لابن أبي ربيعة أنا رسولك إليها فمضى نحو الثريا حتى أدى رسالته وأنت معنا في المجلس تبخل أن تغنيه لنا فقال له لم أذهب حيث ظننت إنما كنت أتخير لك أي الصوتين أغني أقوله
(مَنْ رسولي إلى الثريّا فإنّي ... ضَافَنِي الهَمُّ واعتَرَتْنِي الهُمُومُ)
(يَعْلَمُ اللهُ أنَّنِي مُستَهامٌ ... بهَوَاكُمْ وأنّني مرحومُ)
أم قوله
مَنْ رسولي إلى الثريّا فإنّي ... ضِقْتُ ذَرْعاً بِهَجْرِها والكتابِ)
فقال له الحسن أسأنا بك الظن أبا جعفر غن بهما جميعا فغناهما فقال له الحسن لولا أنك تغضب إذا قلنا لك أحسنت لقلت لك أحسنت والله قال ولم يزل يرددهما بقية يومه
عمر ينشد ابن أبي عتيق شعره في الثريا
أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني يعقوب بن إسحاق الربعي عن أبيه قال
أنشد عمر بن أبي ربيعة ابن أبي عتيق قوله
(لم تَرَ العينُ للثريّا شَبِيهاً ... بمسيلِ التِّلاَعِ يومَ التَقَيْنَا)
فلما بلغ إلى قوله
(ثم قالتْ لأُختها قد ظَلَمْنا ... إن رَدَدْناه خائباً واعتدَيْنَا)
قال أحسنت والهدايا وأجادت ثم أنشده ابن أبي عتيق متمثلا قول الشاعر
(أرِينِي جَوَاداً مات هُزْلاً لعلَّنِي ... أرَى ما تَرَيْنَ أو بخيلاً مُخَلَّدَا)
فلما بلغ عمر إلى قوله في الشعر
(... في خَلاَءٍ من الأَنِيس وأَمْنِ)
قال ابن أبي عتيق أمكنت للشارب الغدر من عال بعدها فلا انجبر
فلما بلغ إلى قوله
(فمكَثْنَا كذاك عَشْراً تِبَاعاً ... في قضاءٍ لِدَيْنِنَا واقْتَضَيْنَا)
قال أما والله ما قضيتها ذهبا ولا فضة ولا اقتضيتها إياه فلا عرفكما الله قبيحا فلما بلغ إلى قوله
(كان ذا في مَسِيرنا إذ حَجَجْنا ... علِمَ اللهُ فيه ما قد نَوَيْنَا)
قال إن ظاهر أمرك ليدل على باطنه فأرود التفسير ولئن مت لأموتن معك أف للدنيا بعدك يا أبا الخطاب فقال له عمر بل عليها بعدك العفاء يا أبا محمد قال فلقي الحارث بن خالد ابن أبي عتيق فقال قد بلغني ما دار بينك وبين ابن أبي ربيعة فكيف لم تتحللا مني فقال له ابن أبي عتيق يغفر الله لك يا أبا عمرو إن ابن أبي ربيعة يبرئ القرح ويضع الهناء مواضع النقب وأنت جميل الخفض فضحك الحارث بن خالد وقال حبك الشيء يعمي ويصم فقال هيهات أنا بالحسن عالم نظار خبر السواد في ثنيتي عمر
وأما خبر السواد في ثنيتي عمر فإن الزبير بن بكار ذكره عن عمه مصعب في خبره أن امرأة غارت عليه فاعترضته بمسواك كان في يدها فضربت به ثنيتيه فاسودتا
وذكر إسحاق الموصلي عن أبي عبد الله المسيبي وأبي الحسن المدائني أنه
أتى الثريا يوما ومعه صديق له كان يصاحبه ويتوصل بذكره في الشعر فلما كشفت الثريا الستر وأرادت الخروج إليه رأت صاحبه فرجعت فقال لها إنه ليس ممن أحتشمه ولا أخفي عنه شيئا واستلقى فضحك وكان النساء إذ ذاك يتختمن في أصابعهن العشر فخرجت إليه فضربته بظاهر كفها فأصابت الخواتيم ثنيتيه العُلْيَيَيْن فَنَغَضَتَا وكادتا تسقطان فقدم البصرة فعولجتا له فثبتتا واسودتا فقال الحزين الكناني يعيره بذلك وكان عدوه وقد بلغه خبره
(ما بالُ سِنَّيْكَ أمْ ما بالُ كَسرْهما ... أهكذا كُسِرَا في غيرِ ما بَاسِ)
(أم نَفْحَةٌ من فتاةٍ كنتَ تأْلَفُها ... أم نالَها وَسْطَ شَرْبٍ صَدْمةُ الكاسِ)
قال ولقيه الحزين الكناني يوما فأنشده هذين البيتين فقال له عمر اذهب اذهب ويلك فإنك لا تحسن أن تقول
صوت
(ليتَ هنداً أنجزتْنا ما تَعِدْ ... وشَفَتْ أنفسَنا مما تَجِدْ)
(واستبدّتْ مرةً واحدةً ... إنّما العاجزُ مَنْ لا يَستبدّ)

لابن سريج في هذا الشعر رمل بالخنصر في مجرى البصر عن إسحاق
وخفيف رمل أيضا في هذه الإصبع وهذا المجرى عن ابن المكي ولمالك فيه ثقيل أول عن الهشامي ولمتيم ثاني ثقيل عن ابن المعتز وذكر أحمد ابن أبي العلاء عن مخارق أن خفيف الرمل ليحيى المكي صنعه وحكى فيه لحن هذا الصوت
(... اسْلَمِي يا دارُ مِنْ هند)
خبر الثريا مع الحارث القباع
حدثني علي بن صالح قال حدثني أبو هفان عن إسحاق الموصلي عن رجاله المذكورين
أن الثريا واعدت عمر بن أبي ربيعة أن تزوره فجاءت في الوقت الذي ذكرته فصادفت أخاه الحارث قد طرقه وأقام عنده ووجه به في حاجة له ونام مكانه وغطى وجهه بثوبه فلم يشعر إلا بالثريا قد ألقت نفسها عليه تقبله فانتبه وجعل يقول اعزبي عني فلست بالفاسق أخزاكما الله فلما علمت بالقصة انصرفت ورجع عمر فأخبره الحارث بخبرها فاغتم لما فاته منها وقال أما والله لا تمسك النار أبدا وقد ألقت نفسها عليك فقال له الحارث عليك وعليها لعنة الله
وأخبرني بهذه القصة الحرمي ابن أبي العلاء عن الزبير بن بكار عن يعقوب ابن إسحاق الربعي عن الثقة عنده عن ابن جريج عن عثمان بن حفص الثقفي
أن الحارث بن عبد الله زار أخاه ثم ذكر نحوا من الذي ذكره إسحاق وقال فيه فبلغ عمر خبرها فجاء إلى أخيه الحارث وقال له جعلت فداءك ما لك ولأمة الوهاب ابنتك أتتك مسلمة عليك فلعنتها وزجرتها وتهددتها وها هي تيك باكية فقال وإنها لهي قال ومن تراها تكون قال فانكسر الحارث عنه وعن لومه
خبر زواج الثريا
أخبرني علي بن صالح قال حدثني أبو هفان عن إسحاق بن إبراهيم عن جعفر ابن سعيد عن أبي سعيد مولى فائد هكذا قال إسحاق وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني جعفر بن سعيد عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار ورواه أيضا حماد بن إسحاق عن أبيه عن جعفر بن سعيد فقال فيه عن أبي عبيدة العماري ولم يذكر أبا سعيد مولى فائد قالوا
تزوج سهيل بن عبد العزيز بن مروان الثريا وقال الزبير بل تزوجها أبو الأبيض سهيل بن عبد الرحمن بن عوف فحملت إليه وهو بمصر والصواب قول من قال سهيل بن عبد العزيز لأنه كان هناك منزله ولم يكن لسهيل بن عبد الرحمن هناك موضع فقال عمر
صوت
(أيُّها المُنْكِحُ الثريَّا سُهَيلاً ... عَمْرَكَ اللهَ كيف يَلْتقيانِ)
(هي شاميَّةٌ إذَا ما اسْتَقَلَّتْ ... وسُهَيلٌ إذا استقَلَّ يَمَانِي)
الغناء للغريض خفيف ثقيل بالبنصر وفيه لعبد الله بن العباس ثاني ثقيل بالبنصر وأول هذه القصيدة
(أيُّها الطارق الذي قد عَنَانِي ... بعد ما نام سَامِرُ الرُّكْبَانِ)
(زار مِنْ نازحٍ بغير دليلٍ ... يَتَخَطَّى إليَّ حتى أَتَانِي)
عمر يعلم بزواج الثريا وهو في اليمن
وذكر الرياشي عن ابن زكريا الغلابي عن محمد بن عبد الرحمن التيمي عن أبيه عن هشام بن سليمان بن عكرمة بن خالد المخزومي قال
كان عمر بن أبي ربيعة قد ألح على الثريا بالهوى فشق ذلك على أهلها ثم إن مسعدة بن عمرو أخرج عمر إلى اليمن في أمر عرض له وتزوجت الثريا وهو غائب فبلغه تزويجها وخروجها إلى مصر فقال
(أيّها المنكح الثريّا سهيلاً ... عمرك الله كيف يلتقيانِ)
وذكر الأبيات وقال في خبره ثم حمله الشوق على أن سار إلى المدينة فكتب إليها
(كتبتُ إليكِ من بلدي ... كتابَ مُوَلَّهٍ كَمِدِ)
(كَئِيبٍ وَاكِفِ العينينِ ... بالحَسَراتِ منفردِ)
(يُؤَرِّقُه لَهِيبُ الشَّوقِ ... بينَ السَّحْرِ والكِبِدِ)
(فيُمسِكُ قلبَه بيدٍ ... ويَمْسحُ عينَه بيدِ)
وكتبه في قوهية وشنفه وحسنه وبعث به إليها فلما قرأته بكت بكاء شديدا ثم تمثلت
(بنفسيَ مَنْ لا يستقِلُّ بنفسِه ... ومَنْ هو إن لم يَحْفَظِ اللهُ ضائعُ)
وكتبت إليه تقول
(أتاني كتابٌ لم يَرَ الناسُ مثلَه ... أُمِدَّ بكَافُورٍ ومِسْكٍ وعَنْبَر)
(وقِرْطَاسُه قُوهِيَّةٌ ورِبَاطُه ... بعِقْدٍ من الياقوتِ صافٍ وجَوْهرِ)
(وفي صَدْرِه مِنِّي إليكِ تحيَّةٌ ... لقد طال تَهْيامِي بكم وتذكُّرِي)
(وعُنْوانُه منْ مُستَهامٍ فؤادُهُ ... إلى هائمٍ صَبٍّ من الحُزْنِ مُسْعَرِ)
قال مؤلف هذا الكتاب وهذا الخبر عندي مصنوع وشعره مضعف يدل على ذلك ولكني ذكرته كما وقع إلي
قال أبو سعيد مولى فائد ومن ذكر خبره مع الثريا فمات عنها سهيل أو طلقها فخرجت إلى الوليد بن عبد الملك وهو خليفة بدمشق في دين عليها فبينا
هي عند أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان إذ دخل عليها الوليد فقال من هذه فقالت الثريا جاءتني تطلب إليك في قضاء دين عليها وحوائج لها فأقبل عليها الوليد فقال أتروين من شعر عمر بن أبي ربيعة شيئا قالت نعم أما إنه يرحمه الله كان عفيفا عفيف الشعر أروي قوله
صوت
(ما عَلَى الرَّسْمِ بالبُلَيَّيْنِ لو بيَّن ... رَجْعَ السَّلاَمِ أو لو أجَابَا)
(فإلى قَصْرِ ذي العُشَيرةِ فالصائِفِ ... أمْسَى من الأنيس يَبَابَا)
(وبما قد أرَى به حَيَّ صِدْقٍ ... ظاهري العيش نَعْمةً وشبابَا)
(إذ فؤادي يَهْوَى الرَّبَابَ وأنَّى الدَّهرَ ... حتَّى المَمَاتِ أنْسَى الرَّبَابَا)
(وحِسَاناً جَوَارياً خَفِرَاتٍ ... حافظاتٍ عند الهوى الأَحْسَابَا)

(لا يُكثِّرْنَ في الحديثِ ولا يتبعن ... يَنْعِقْنَ بالبِهَامِ الظِّرَابَا)
فقضي حوائجها وانصرفت بما أرادت منه فلما خلا الوليد بأم البنين قال لها لله درٌّ
الثريا أتدرين ما أرادت بإنشادها ما أنشدتني من شعر عمر قالت لا قال إني لما عرضت لها به عرضت لي بأن أمي
أعرابية وأم الوليد وسليمان ولادة بنت العباس بن جزي بن الحارث بن زهير بن جذيمة العبسي
الغناء في الأبيات التي أنشدتها الثريا الوليد بن عبد الملك لمالك بن أبي السمح خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى
البنصر وفيها لابن سريج رمل بالخنصر في مجرى البنصر وفيه لإبراهيم خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر عن
إسحاق وذكر حبش أيضا أن فيها لابن مسجح خفيف رمل بالوسطى وذكر عمرو بن بانة أن لابن محرز فيها خفيف ثقيل
بالوسطى
ومما يغنى فيه من أشعار عمر بن أبي ربيعة التي قالها في الثريا من القصيدة التي أولها من رسولي
صوت
(وتَبَدَّتْ حتّى إذا جُنَّ قلبي ... حال دوني وَلاَئِدٌ بالثِّيَابِ)
(يا خليليَّ فاعلَما أنَّ قلبي ... مُستَهامٌ بربَّةِ المِحْرابِ)
الغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو ومنها
صوت
(أقْتُلِيني قتلاً سريعاً مُريحاً ... لا تَكُوني عليَّ سَوْطَ عَذَابِ)
(شفَّ عنها مُحَقَّقٌ جَنَدِيٌّ ... فهي كالشمس من خِلاَلِ السَّحَاب)
الغناء للغريض ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو ومنها
صوت
(قال لي صاحبي لِيَعْلَمَ ما بي ... أتُحِبُّ البَتُولَ أُختَ الرَّبَابِ)
(قلتُ وَجْدِي بها كَوَجْدِك بالماءِ ... إذا ما مُنِعْتَ بَرْدَ الشَّرَابِ)
الغناء لمالك رمل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق ومنها
صوت
(أذْكَرَتْني من بَهْجةِ الشمس لَمَّا ... بَرَزَت من دُجُنَّةٍ وسَحَابِ)
(أزْهَقَتْ أمُّ نَوْفَلٍ إذ دعتْها ... مُهْجَتي ما لقاتلي مِنْ مَتَابِ)
(حين قالت لها أجيبي فقالتْ ... مَنْ دعاني قالتْ أبو الخَطَّابِ)
الغناء للغريض خفيف رمل عن الهشامي وحماد بن إسحاق
ومنها
صوت
(مَرْحَباً ثم مرحباً بالّتي قالتْ ... غَدَاةَ الوَدَاعِ عند الرَّحِيلِ)
(للثُّرَيَّا قُولِي له أنتَ هَمِّي ... ومُنَى النَّفْسِ خالياً وخَلِيلي)
الغناء لابن محرز ثقيل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق وفيه لابن سريج خفيف رمل بالوسطى عن عمرو
ومنها
صوت
(زَعَمُوا بأنّ البَيْنَ بعدَ غَدٍ ... فالقلبُ مما أزْمعُوا يجِفُ)
(تَشْكُو ويشكو ما أشتَّ بنا ... كلٌّ لِوَشْكِ البَيْنِ يَعْترِفُ)
(حَلَفُوا لقد قَطَعُوا بِبَيْنِهِمُ ... وحلَفْتُ ألفاً مثلَ ما حلَفُوا)
الغناء للغريض خفيف ثقيل بالوسطى
ومنها
صوت
(فَلَوتْ رأسَها ضِرَاراً وقالتْ ... لا وَعَيْشِي ولو رأيتُك مِتَّا)
(حِينَ آثَرْتَ بالمودَّةِ غَيْري ... وتَنَاسَيْتَ وَصْلَنا ومَلِلْتَا)
(قد وَجَدْنَاكَ إذ خُبِرْتَ مَلُولاً ... طَرِفاً لم تَكُنْ كما كنتَ قُلْتَا)
الغناء لمالك رمل ثقيل أول بالوسطى عن عمرو وفيه لابن سريج خفيف ثقيل عن الهشامي وكذا روته دنانير عن فليح وقد
نسب قوم لحن مالك إلى الغريض
ومنها
صوت
(يا خَلِيلَيَّ سائلا الأطْلالا ... ومَحَلاًّ بالرَّوْضَتَيْنِ أحَالا)
ويروى
(... بالبُلَيَّيْنِ إن أحَرْنَ سؤُالاَ)
(وسَفَاهٌ لولا الصَّبَابَةُ حَبْسِي ... في رُسُومِ الدِّيارِ رَكْباً عِجَالاَ)
(بعدَما أقْفَرتْ من آلِ الثريَّا ... وأجَدَّتْ فيها النِّعَاجُ ظِلاَلاَ)
الغناء لابن سريج هزج خفيف مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق وفيه لحكم الوادي ثقيل أول من جامع أغانيه وذكر ابن
دينار أن فيه لابن عائشة لحنا لم يذكر طريقته وذكر إبراهيم أن فيه لدحمان لحنا ولم يجنسه وقال حبش فيه لإسحاق
ثقيل أول بالوسطى
عمر يتبع الثريا في أثناء ارتحالها إلى الشام مع زوجها
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أبو عبد الله التميمي يعني أبا العيناء عن القحذمي عن أبي صالح
السعدي قال
لما تزوج سهيل بن عبد العزيز الثريا ونقلها إلى الشأم بلغ عمر بن أبي ربيعة الخبر فأتى المنزل الذي كانت الثريا تنزله
فوجدها قد رحلت منه يومئذ فخرج في أثرها فلحقها على مرحلتين وكانت قبل ذلك مهاجرته لأمر أنكره عليه فلما

أدركهم نزل عن فرسه ودفعه إلى غلامه ومشى متنكرا حتى مر بالخيمة فعرفته الثريا وأثبتت حركته ومشيته فقالت لحاضنتها كلميه فسلمت عليه وسألته عن حاله وعاتبته على ما بلغ الثريا عنه فاعتذر وبكى فبكت الثريا فقالت ليس هذا وقت العتاب مع وشك الرحيل فحادثها إلى وقت طلوع الفجر ثم ودعها وبكيا طويلا وقام فركب فرسه ووقف ينظر إليهم وهم يرحلون ثم أتبعهم بصره حتى غابوا وأنشأ يقول

(يا صاحبيَّ قِفَا نَستَخبِرِ الطَّلَلاَ ... عن حالِ مَنْ حلَّه بالأمسِ ما فَعَلاَ)
(فقال لي الرَّبْعُ لمّا أن وَقَفْتُ به ... إنَّ الخَلِيطَ أَجَدَّ البَيْنَ فاحْتَمَلاَ)
(وخادَعتْكَ النَّوَى حتى رأيتَهمُ ... في الفَجْرِ يَحْتَثُّ حَادِي عِيسِهم زَجِلا)
(لمّا وَقَفْنا نُحيِّيهم وقد صَرَخَتْ ... هَوَاتِفُ البَيْنِ واستولتْ بهم أُصُلاَ)
(صَدّتْ بِعَاداً وقالتْ لِلّتي معها ... باللّه لُومِيهِ في بعضِ الذي فَعَلاَ)
(وحَدِّثِيه بما حُدِّثْتِ واستَمِعي ... ماذا يقولُ ولا تَعْيِي به جَدَلاَ)
(حتى يرى أنّ ما قال الوُشاةُ له ... فينا لَدَيْه إلينا كلُّه نُقِلاَ)
(وعَرِّفِيه به كالهَزْلِ واحتفظي ... في بعضِ مَعْتَبةٍ أن تُغْضِبي الرجُلاَ)
(فإنّ عَهْدِي بهِ واللّهِ يحْفَظُه ... وإن أتَى الذنبَ ممن يَكْرَه العَذَلا)
(لو عندنا اغْتِيبَ أو نِيلَتْ نقيصتُه ... ما آبَ مُغتابُه من عندِنا جَذِلاَ)
(قلتُ اسمعي فلقد أَبْلَغْتِ في لَطَفٍ ... وليس يَخْفَى على ذي اللُّبِّ مَنْ هَزَلاَ)
(هذا أرادتْ به بُخْلاً لأعْذِرَها ... وقد أرَى أنها لن تَعْدَمَ العِللاَ)
((ما سُمِّي القلبُ إلاّ من تَقَلُّبه ... ولا الفؤادُ فؤاداً غيرَ أنْ عَقَلاَ
(أمّا الحديثُ الذي قالت أُتِيتَ به ... فما عَبَأْتُ به إذ جاءني حِوَلاَ)
(ما إن أطَعْتُ بها بالغَيْبِ قد عَلِمتْ ... مقالةَ الكاشحِ الواشي إذا مَحُلاَ)
(إني لأرْجِعُه فيها بسَخْطَته ... وقد يرىَ أنّه قد غرني زَلَلاَ)

وهي قصيدة طويلة مذكورة في شعره

الغريض يطلب شعرا ينوح به على الثريا

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر ومحمد بن خلف بن المرزبان قالوا حدثنا عمر بن شبة قال أخبرنا محمد بن يحيى قال زعم عبيد بن يعلى قال حدثني كثير بن كثير السهمي قال

لما ماتت الثريا أتاني الغريض فقال لي قل أبيات شعر أنح بها على الثريا فقلت

صوت

(أَلا يا عينُ مالَكِ تَدْمَعِينا ... أمن رَمَدٍ بَكَيْتِ فتُكْحَلِينَا)
(أمَ أنت حزينةٌ تَبْكِينَ شَجْواً ... فشَجْوُكِ مثلُه أبكَى العيونَا)

غنى الغريض في هذين البيتين لحنا من خفيف الثقيل الأول بالوسطى عن عمرو ويحيى المكي والهشامي وغيرهم

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الجبار بن سعيد المساحقي قال حدثني إبراهيم بن يعقوب بن أبي عبد الله عن أبيه

عن جده عن ثعلبة بن عبد الله بن صعير

أن عمر بن أبي ربيعة نظر في الطواف إلى امرأة شريفة فرأى أحسن خلق الله صورة فذهب عقله عليها وكلمها فلم تجبه فقال فيها

(الرِّيحُ تَسحَب أذْيالاً وتَنْشُرها ... يا ليتني كنتُ ممَّن تَسحَبُ الريحُ)
(كَيْما تَجُرُّ بنا ذَيْلاً فتَطْرَحُنا ... على التي دونَها مُغْبَرَّةٌ سُوحُ)
(أَنَّى بِقُرْبِكُم أم كيفَ لي بِكُمُ ... هَيْهاتَ ذلكَ ما أَمْسَتْ لنا رُوحُ)
(فليتَ ضِعْفَ الذي أَلْقَى يكونُ بها ... بل ليت ضِعْفَ الذي أَلْقَى تَبَارِيحُ)
(إحْدَى بُنَيَّاتِ عَمّي دون منزلها ... أرضٌ بقيعانِها القَيْصُومُ والشِّيحُ)

فبلغها شعره فجزعت منه فقيل لها اذكريه لزوجك فإنه سينكر عليه قوله فقالت كلا والله لا أشكوه إلا إلى الله ثم قالت اللهم إن كان نوه باسمي ظالما فاجعله طعاما للريح فضرب الدهر من ضربه ثم إنه غدا يوما على فرس فهبت ريح فنزل فاستتر بسلمة فعصفت الريح فخدشه غصن منها فدمي وورم به ومات من ذلك

أخبار ابن سريج ونسبه

نسب ابن سريج

هو عبيد بن سريج ويكنى أبا يحيى مولى بني نوفل بن عبد مناف وذكر ابن الكلبي عن أبيه وأبي مسكين أنه مولى لبني الحارث بن عبد المطلب

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن يحيى أبو غسان قال ابن سريج مولى لبني الحارث بن عبد المطلب

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن يحيى أبو غسان قال ابن سريج مولى لبني ليث ومنزله مكة

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال سألت الحسن بن عتبة اللهبي عن ابن سريج فقال هو مولى لبني عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وفي بني عائذ يقول الشاعر

(فإن تَصْلُحْ فإنّكَ عائِذيٌّ ... وصُلْحُ العائِذِيِّ إلى فَسَادِ)

قال إسحاق وقال سلمة بن نوفل بن عمارة بن سريج مولى عبد الرحمن ابن أبي حسين بن الحارث بن نوفل أو ابن عامر بن الحارث بن نوفل بن عبد مناف

أخبرني أحمد بن عبد العزيز عن أبي أيوب المديني قال ذكر إبراهيم بن زياد بن عنبسة بن سعيد بن العاص

بعض من أوصافه

أن ابن سريج كان آدم أحمر ظاهر الدم سِنَاطاً في عينيه قَبَلٌ بلغ خمسا وثمانين سنة وصلع فكان يلبس جمة مركبة وكان أكثر ما يرى مقنعا وكان منقطعا إلى عبد الله بن جعفر

وقال ابن الكلبي عن أبيه قال كان ابن سريج مخنثا أحول أعمش يلقب وجه الباب وصلع فكان يلبس جمة وكان لا يغني إلا مقنعا يسبل القناع على وجهه
وقال ابن الكلبي عن أبيه وأبي مسكين كان ابن سريج أحسن الناس غناء وكان يغني مرتجلا ويوقع بقضيب وغنى في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه ومات في خلافة هشام بن عبد الملك
قال إسحاق وكان الحسن بن عتبة اللهبي يروي مثل ذلك فيه وذكر أن قبره بنخلة قريبا من بستان ابن عامر
قال إسحاق وحدثني الهيثم بن عدي عن صالح بن حسان قال كان عبيد بن
سريج من أهل مكة وكان أحسن الناس غناء قال إسحاق قال عمارة بن أبي طرفة الهذلي سمعت ابن جريج يقول عبيد بن سريج من أهل مكة مولى آل خالد ابن أسيد
قال إسحاق وحدثني إبراهيم بن زياد عن أيوب بن سلمة المخزومي قال كان في عين ابن سريج قبل حلو لا يبلغ أن يكون حولا وغنى في خلافة عثمان رضي الله عنه ومات بعد قتل الوليد بن يزيد وكان له صلع في جبهته وكان يلبس جمة مركبة فيكون فيها أحسن شيء وكان يلقب وجه الباب ولا يغضب من ذلك وكان أبوه تركيا
وقال أبو أيوب المديني كان ابن سريج فيما روينا عن جماعة من المكيين مولى بني جندع بن ليث بن بكر وكان إذا غنى سدل قناعه على وجهه حتى لا يرى حوله وكان يوقع بقضيب وقيل إنه كان يضرب بالعود وكانت علته التي مات منها الجذام
قال إسحاق وحدثني أبي قال أخبرني من رأى عود ابن سريج وكان على صنعة عيدان الفرس وكان ابن سريج أول من ضرب به على الغناء العربي بمكة وذلك أنه رآه مع العجم الذين قدم بهم ابن الزبير لبناء الكعبة فأعجب أهل مكة غناؤهم فقال ابن سريج أنا أضرب بهم على غنائه فضرب به فكان أحذق الناس
قال إسحاق وذكر الزبيري أن أم ابن سريج مولاة لآل المطلب يقال لها رائقة وقيل بل أمه هند أخت رائقة فمن ثم قيل إنه مولى بني المطلب بن حنطب وكان ابن سريج بعد وفاة عبد الله بن جعفر قد انقطع إلى الحكم بن
المطلب بن عبد الله بن المطلب بن حنطب أحد بني مخزوم وكان من سادة قريش ووجوهها وأخذ ابن سريج الغناء عن ابن مسجح

المغنون الأربعة المعدودون أصولا للغناء العربي

قال إسحاق وأصل الغناء أربعة نفر مكيان ومدنيان فالمكيان ابن سريج وابن محرز والمدنيان معبد ومالك
قال إسحاق وقال سلمة بن نوفل بن عمارة أخبرني بذلك من شئت من مشيختنا أن يوما شهر فيه ابن سريج بالغناء في ختان ابن مولاه عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين قال لأم الغلام خفضي عليك بعض الغرم والكلفة فوالله لألهين نساءك حتى لا يدرين ما جئت به ولا ما عزمت عليه
قال إسحاق وسألت هشام بن المرية وكان قد عمر وكان عالما بالغناء فلا يبارى فيه فقلت له من أحذق الناس بالغناء فقال لي أتحب الإطالة أم الاختصار فقلت أحب الاختصار الذي يأتي على سؤالي قال ما خلق الله تعالى بعد داود النبي عليه الصلاة والسلام أحسن صوتا من ابن سريج ولا صاغ الله عز وجل أحدا أحذق منه بالغناء ويدلك على ذلك أن معبدا كان إذا أعجبه
غناؤه قال أنا اليوم سريجي
قال وأخبرني إبراهيم يعني أباه قال أدركت يونس بن محمد الكاتب فحدثني عن الأربعة ابن سريج وابن محرز والغريض ومعبد فقلت له من أحسن الناس غناء فقال أبو يحيى قلت عبيد بن سريج قال نعم قلت وكيف ذاك قال إن شئت فسرت لك وإن شئت أجملت قلت أجمل قال كأنه خلق من كل قلب فهو يغني لكل إنسان ما يشتهي
أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال قال حماد بن إسحاق أخبرني أبي عن الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك قال سألت إبراهيم الموصلي ليلة وقد أخذ منه النبيذ من أحسن الناس غناء فقال لي من الرجال أم من النساء فقلت من الرجال فقال ابن محرز قلت ومن النساء قال ابن سريج ثم قال لي إن كان ابن سريج إلا كأنه خلق من كل قلب فهو يغني له ما يشتهي
أخبرني جحظة قال حدثني علي بن يحيى المنجم قال أرسلني محمد بن الحسين بن مصعب إلى إسحاق أسأله عن لحنه ولحن ابن سريج في
(... تَشَكَّى الكُمَيتُ الجَرْيَ لمَّا جَهَدْتُه)
أيهما أحسن فصرت إليه فسألته عن ذلك فقال لي يا أبا الحسن والله لقد أخذت بخطام راحلته فزعزعتها وأنختها وقمت بها فما بلغته فرجعت إلى محمد بن الحسين فأخبرته فقال والله إنه ليعلم أن لحنه أحسن من لحن ابن
سريج ولقد تحامل لابن سريج على نفسه ولكن لا يدع تعصبه للقدماء وقد أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى هذا الخبر عن أبيه فذكر نحو ما ذكره جحظة في خبره ولم يقل أرسلني محمد بن الحسين إلى إسحاق وقال جحظة في خبره قال علي بن يحيى وقد صدق محمد بن الحسين لأنه قلما غني في صوت واحد لحنان فسقط خيرهما والذي في أيدي الناس الآن من اللحنين لحن إسحاق وقد ترك لحن ابن سريج فقل من يسمعه إلا من العجائز المتقدمات ومشايخ المغنين هذا أو نحوه
وأخبرني يحيى بن علي قال حدثنا أبو أيوب المديني عن إبراهيم بن علي بن هشام قال يقولون إن ابتداء غناء إسحاق الذي في
(... تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجَرْيَ لمّا جَهَدْتُه)
إنما أخذه من صوت الأبجر
(... يقولون ما أَبْكاكَ والمالُ غَامِرٌ)
نسبة هذا الصوت
صوت
(يقولون ما أبكاكَ والمالُ غامِرٌ ... عليكَ وضاحِي الجِلدِ منكَ كَنِينُ)
(فقلتُ لهم لا تَسأَلُونِيَ وانظُروا ... إلى الطَّرِبِ النَّزّاعِ كيفَ يكونُ)
غناه الأبجر ثقيلا أول بالبنصر عن عمرو ودنانير وذكر الهشامي أن فيه لعزة المرزوقية ثاني ثقيل بالوسطى

اشتغال ابن سريج بالغناء بعد أن كان نائحا

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال حدثني إبراهيم بن المهدي قال حدثني إسماعيل بن جامع عن سياط قال
كان ابن سريج أول من غنى الغناء المتقن بالحجاز بعد طويس وكان مولده في خلافة عمر بن الخطاب وأدرك يزيد بن عبد الملك وناح عليه ومات في خلافة هشام قال وكان قبل أن يغني نائحا ولم يكن مذكورا حتى ورد الخبر مكة بما فعله مسرف بن عقبة بالمدينة فعلا على أبي قبيس وناح بشعر هو اليوم داخل في أغانيه وهو
(يا عينُ جُودِي بالدُّمُوعِ السِّفَاحِ ... وابكي على قَتْلَى قُرَيْشِ البِطَاحِ)
فاستحسن الناس ذلك منه وكان أول ما ندب به
سكينة بنت الحسين وابن سريج
قال بن جامع وحدثني جماعة من شيوخ أهل مكة أنهم حدثوا أن سكينة بنت الحسين عليهما السلام بعثت إلى ابن سريج بشعر أمرته أن يصوغ فيه لحنا يناح به فصاغ فيه وهو الآن داخل في غنائه والشعر
((يا أرضُ وَيْحَكِ اكْرِمِي أمواتِي ... فلقد ظَفِرْتِ بسادتِي وحُمَاتِي
فقدمه ذلك عند أهل الحرمين على جميع ناحة مكة والمدينة والطائف
قال وحدثني ابن جامع وابن أبي الكنات جميعا أن سكينة بعثت إليه بمملوك لها يقال له عبد الملك وأمرته أن يعلمه النياحة فلم يزل يعلمه مدة طويلة ثم توفي عمها أبو القاسم محمد بن الحنفية عليه السلام وكان ابن سريج عليلا علة صعبة فلم يقدر على النياحة فقال لها عبدها عبد الملك أنا أنوح لك نوحا أنسيك به نوح ابن سريج قالت أو تحسن ذاك قال نعم فأمرته فناح فكان نوحه في الغاية من الجودة وقال النساء هذا نوح غريض فلقب عبد الملك الغريض وأفاق ابن سريج من علته بعد أيام وعرف خبر وفاة ابن الحنفية فقال لهم فمن ناح عليه قالوا عبد الملك غلام سكينة قال فهل جوز الناس نوحه قالوا نعم وقدمه بعضهم عليك فحلف ابن سريج ألا ينوح بعد ذلك اليوم وترك النوح وعدل إلى الغناء فلم ينح حتى ماتت حبابة وكانت قد أخذت عنه وأحسنت إليه فناح عليها ثم ناح بعدها على يزيد بن عبد الملك ثم لم ينح بعده حتى هلك قال ولما عدل ابن سريج عن النوح إلى الغناء عدل معه الغريض إليه فكان لا يغني صوتا إلا عارضه فيه
ابن سريج وعطاء بن أبي رباح
أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال
حدث إسحاق بن إبراهيم الموصلي أبا إسحاق إبراهيم بن المهدي وأنا حاضر أن يحيى المكي حدثه أن عطاء بن أبي رباح لقي ابن سريج بذي طوى وعليه ثياب مصبغة وفي يده جرادة مشدودة الرجل بخيط يطيرها ويجذبها به كلما تخلفت فقال له عطاء يا فتان ألا تكف عما أنت عليه كفى الله الناس مؤنتك فقال ابن سريج وما على الناس من تلويني ثيابي ولعبي بجرادتي فقال له تفتنهم أغانيك الخبيثة فقال له ابن سريج سألتك بحق من تبعته من أصحاب رسول الله وبحق رسول الله عليك إلا ما سمعت مني بيتا من الشعر فإن سمعت منكرا أمرتني بالإمساك عما أنا عليه وأنا أقسم بالله وبحق هذه البنية لئن أمرتني بعد استماعك مني بالإمساك عما أنا عليه لأفعلن ذلك فأطمع ذلك عطاء في ابن سريج وقال قل فاندفع يغني بشعر جرير
صوت
(إنّ الذين غَدَوْا بُلبِّكَ غادَرُوا ... وَشَلاً بعينِك لا يزال مَعِينَا)
(غَيَّضْنَ مِن عَبَراتِهِنّ وقُلْنَ لي ... ماذا لَقِيتَ من الهوى ولَقِينَا)
لحن ابن سريج هذا ثقيل أول بالوسطى عن ابن المكي والهشامي وله أيضا فيه رمل وللإسحاق فيه رمل آخر بالوسطى وفيه هزج بالوسطى ينسب إلى ابن سريج والغريض قال فلما سمعه عطاء اضطرب إضطراباً شديدا ودخلته أريحية فحلف ألا يكلم أحدا بقية يومه إلا بهذا الشعر وصار إلى مكانه من المسجد الحرام فكان كل من يأتيه سائلا عن حلال أو حرام أو خبر من الأخبار لا
يجيبه إلا بأن يضرب إحدى يديه على الأخرى وينشد هذا الشعر حتى صلى المغرب ولم يعاود ابن سريج بعد هذا ولا تعرض له
ابن سريج ويزيد بن عبد الملك
أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه وأخبرني الحسن بن علي قال حدثني الفضل بن محمد اليزيدي قال حدثني إسحاق عن ابن جامع عن سياط عن يونس الكاتب قال
لما قال عمر بن أبي ربيعة
(نظَرتُ إليها بالمُحَصَّبِ من مِنًى ... ولي نَظَرٌ لولا التَّحَرُّجُ عَارِمُ)
غني فيه ابن سريج
قال وحج يزيد بن عبد الملك في تلك السنة بالناس وخرج عمر بن أبي ربيعة ومعه ابن سريج على نجيبين رحالتاهما ملبستان بالديباج وقد خضبا النجيبين ولبسا حلتين فجعلا يتلقيان الحاج ويتعرضان للنساء إلى أن أظلم الليل فعدلا إلى كثيب مشرف والقمر طالع يضيء فجلسا على الكثيب وقال عمر لابن سريج غنني صوتك الجديد فاندفع يغنيه فلم يستتمه إلا وقد طلع عليه رجل راكب على فرس عتيق فسلم ثم قال أيمكنك أعزك الله أن ترد هذا الصوت قال نعم ونعمة عين على أن تنزل وتجلس معنا قال أنا أعجل من ذلك فإن أجملت وأنعمت أعدته وليس عليك من وقوفي شيء ولا مؤنة فأعاده فقال له بالله أنت ابن سريج قال نعم قال حياك الله وهذا عمر بن أبي ربيعة قال نعم قال حياك الله يا أبا الخطاب فقال له وأنت فحياك الله قد
عرفتنا فعرفنا نفسك قال لا يمكنني ذلك فغضب ابن سريج وقال والله لو كنت يزيد بن عبد الملك لما زاد فقال له أنا يزيد بن عبد الملك فوثب إليه عمر فأعظمه ونزل ابن سريج إليه فقبل ركابه فنزع حلته وخاتمه فدفعهما إليه ومضى يركض حتى لحق ثقله فجاء بهما ابن سريج إلى عمر فأعطاه إياهما وقال له إن هذين بك أشبه منهما بي فأعطاه عمر ثلثمائة دينار وغدا فيهما إلى المسجد فعرفهما الناس وجعلوا يتعجبون ويقولون كأنهما والله حلة يزيد بن عبد الملك وخاتمه ثم يسألون عمر عنهما فيخبرهم أن يزيد بن عبد الملك كساه ذلك
ابن سريج يغني في طريق الحاج
وأخبرني بهذا الخبر جعفر بن قدامة أيضا قال وحدثني ابن عبد الله بن أبي سعيد قال حدثني علي بن الصباح عن ابن الكلبي قال

حج عمر بن أبي ربيعة في عام من الأعوام على نجيب له مخضوب بالحناء مشهر الرحل بقراب مذهب ومعه عبيد بن سريج على بغلة له شقراء ومعه غلامه جناد يقود فرسا له أدهم أغر محجلا وكان عمر بن أبي ربيعة يسميه الكوكب في عنقه طوق ذهب وجناد هذا هو الذي يقول فيه
صوت
(فقلتُ لِجَنَّادٍ خُذِ السيفَ واشتملْ ... عليه برِفْقٍ وارقُبِ الشمسَ تَغْرُبِ)
(وأسرِجْ لي الدَّهْماءَ واعجَلْ بممطري ... ولا تُعلِمَنْ خَلْقاً مِن الناس مَذْهَبي)
الغناء لزرزر غلام المارقي خفيف ثقيل وهو أجود صوت صنعه قال ومع عمر جماعة من حشمه وغلمانه ومواليه وعليه حلة موشية يمانية وعلى ابن سريج ثوبان هرويان مرتفعان فلم يمرّوا بأحد إلا عجب من حسن هيئتهم وكان عمر من أعطر الناس وأحسنهم هيئة فخرجوا من مكة يوم التروية بعد العصر يريدون منى فمروا بمنزل رجل من بني عبد مناف بمنى قد ضربت عليه فساطيطه وخيمه ووافى الموضع عمر فأبصر بنتا للرجل قد خرجت من قبتها وستر جواريها دون القبة لئلا يراها من مر فأشرف عمر على النجيب فنظر إليها وكانت من أحسن النساء وأجملهن فقال لها جواريها هذا عمر بن أبي ربيعة فرفعت رأسها فنظرت إليه ثم سترتها الجواري وولائدها عنه وبطن دونها بسجف القبة حتى دخلت ومضى عمر إلى منزله وفساطيطه بمنى وقد نظر من الجارية إلى ما تيمه ومن جمالها إلى ما حيره فقال فيها
(نظَرتُ إليها بالمُحَصَّبِ من مِنى ... ولي نَظَرٌ لولا التَّحَرُّجُ عارِمُ)
(فقلتُ أشمسٌ أم مصابيحُ بِيعَةٍ ... بدتْ لك خَلْفَ السَّجْفِ أم أنتَ حالمُ)
(بعيدةُ مهوى القُرْطِ إمّا لَنَوْفَلٍ ... أبوها وإما عبدُ شمسٍ وهاشمُ)
(ومَدّ عليها السِّجْفَ يومَ لَقِيتُها ... على عَجَلٍ تُبّاعُها والخَوادِمُ)
(فلم استطِعْها غير أن قد بدا لنا ... على الرّغْمِ منها كَفُّها والمَعاصِمُ)
(معاصِمُ لم تَضْربْ على البَهْمِ بالضُّحى ... عصَاها ووجهٌ لم تَلحْه السَّمائِمُ)
(نَضِيرٌ تَرَى فيه أساريعَ مائه ... صَبيحٌ تُغَاديه الأكُفُّ النَّواعِمُ)
((إذا ما دعتْ أترابَها فاكتَنَفْنَها ... تَمايَلْنَ أو مالتْ بهنّ المآكِمُ
(طَلَبْنَ الصِّبَا حتى إذا ما أصَبْنَه ... نَزَعْنَ وهنّ المُسْلِماتُ الظَّوالمُ)
ثم قال عمر لابن سريج يا أبا يحيى إني تفكرت في رجوعنا مع العشية إلى مكة مع كثرة الزحام والغبار وجلبة الحاج فثقل علي فهل لك أن تروح رواحا طيبا معتزلا فنرى فيه من راح صادرا إلى المدينة من أهلها ونرى أهل العراق وأهل الشام ونتعلل في عشيتنا وليلتنا ونستريح قال وأنى ذلك يا أبا الخطاب قال على كثيب أبي شحوة المشرق على بطن يأجج بين منى وسرف فنبصر مرور الحاج بنا ونراهم ولا يرونا قال ابن سريج طيب والله يا سيدي فدعا بعض خدمه فقال اذهبوا إلى الدار بمكة فاعملوا لنا سفرة واحملوها مع شراب إلى الكثيب حتى إذا أبردنا ورمينا الجمرة صرنا إليكم قال والكثيب على خمسة أميال من مكة مشرف على طريق المدينة وطريق الشام وطريق العراق وهو كثيب شامخ مستدق أعلاه منفرد عن الكثبان فصارا إليه فأكلا وشربا فلما انتشيا أخذ ابن سريج الدف فنقره وجعل يغني وهم ينظرون إلى الحاج فلما أمسيا رفع ابن سريج صوته يغني في الشعر الذي قاله عمر فسمعه الركبان فجعلوا يصيحون به يا صاحب الصوت أما تتقي الله قد حبست الناس عن مناسكهم فيسكت قليلا حتى إذا مضوا رفع صوته وقد أخذ فيه الشراب فيقف آخرون إلى أن مرت قطعة من الليل فوقف عليه في الليل رجل على فرس عتيق عربي مرح مستن
فهو كأنه ثمل حتى وقف بأصل الكثيب وثنى رجله على قربوس سرجه ثم نادى يا صاحب الصوت أيسهل عليك أن ترد شيئا مما سمعته قال نعم ونعمة عين فأيها تريد قال تعيد علي
(ألاَ يا غُرَابَ البَيْنِ مالكَ كلما ... نَعَبْتَ بفِقْدانٍ عليّ تَحُومُ)
(أبالبين من عَفْرَاءَ أنت مُخَبِّري ... عَدِمتُك مِنْ طيرٍ فأنت مَشُومُ)
قال والغناء لابن سريج فأعاده ثم قال ابن سريج ازدد إن شئت فقال غني
(أمَسْلَم إنِّي يابنَ كلِّ خَلِيفَةٍ ... ويا فارسَ الهَيْجَا ويا قمَرَ الأرض)
(شكرتُك إنّ الشكر حَبْلٌ من التُّقَى ... وما كلُّ مَنْ أقْرَضْتَه نعمةً يَقْضِي)
(ونَوَّهْتَ لي باسْمي وما كان خاملاً ... ولكنّ بعضَ الذكر أنْبَهُ من بعض)
فغناه فقال له الثالث ولا أستزيدك فقال قل ما شئت فقال تغنيني
(يا دارُ أقْوَتْ بالجزعِ فالكَثَبِ ... بين مَسِيلِ العُذَيْبِ فالرُّحَبِ)
(لم تَتَقَنَّعْ بفَضْلِ مِئْزَرِها ... دَعْدُ ولم تُسْقَ دَعْدُ في العُلَبِ)
فغناه فقال له ابن سريج أبقيت لك حاجة قال نعم تنزل إلي لأخاطبك شفاها بما أريد فقال له عمر انزل إليه فنزل فقال له لولا أني أريد وداع الكعبة وقد تقدمني ثقلي وغلماني لأطلت المقام معك ولنزلت عندكم ولكني أخاف أن يفضحني الصبح ولو كان ثقلي معي لما رضيت لك بالهوينى ولكن خذ حلتي هذه وخاتمي ولا تخدع عنهما فإن شراءهما ألف وخمسمائة دينار وذكر باقي الخبر مثل ما ذكره حماد بن إسحاق
نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني
صوت
(نظَرتُ إليها بالمحصَّب من مِنًى ... ولي نظرٌ لولا التَّحَرُّجُ عارِمُ)
(فقلتِ أشمسٌ أم مصابيحُ بِيعَةٍ ... بدتْ لك خلفَ السَّجْفِ أم أنتِ حالم)
(بعيدةُ مَهْوَى القُرط إمّا لنَوْفَلٍ ... أبوها وإمّا عبدُ شمس وهاشمُ)
الشعر لعمر بن أبي ربيعة والغناء لمعبد ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وفيه لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى البنصر عنه وقد نسب في مواضع من هذا الكتاب
صوت
(ألا يا غُرابَ البَيْنِ مالكَ كُلَّمَا ... نَعَبْتَ بفِقْدَانٍ عليَّ تَحُومُ)
(أبالبَيْنِ من عَفْراءَ أنت مُخَبِّري ... عَدِمتك من طيرٍ فأنت مَشُومُ)
الشعر لقيس بن ذريح وقيل إنه لغيره والغناء لابن سريج رمل بالوسطى عن الهشامي
صوت

(أَمَسْلَم إنّي يابنَ كلِّ خليفةٍ ... ويا فارسَ الهَيْجا ويا قمر الأرضِ)
(شكرتُك إنّ الشكر حَبْلٌ من التُّقَى ... وما كلُّ مَنْ أوليتَه نعمةً يَقْضي)
(ونوّهتَ لي باسمي وما كان خاملاً ... ولكنّ بعضَ الذكر أنبهُ من بعضِ)
الشعر لأبي نخيلة الحماني والغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى وقد أخرج هذا الصوت مع سائر أخبار أبي نخيلة في موضع آخر

مكانة ابن سريج بين المغنين

حدثني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد ابن سلام الجمحي قال حدثني عمر بن أبي خليفة قال
كان أبي نازلا في علو فكان المغنون يأتونه قال فقلت فأيهم كان أحسن غناء قال لا أدري إلا أني كنت أراهم إذا جاء ابن سريج سكتوا

ابن الزبير يؤخذ بغناء ابن سريج

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال حدثني الزبيري يعني عبد الله بن مصعب عن عمرو بن الحارث قال إسحاق وحدثنيه المدائني ومحمد بن سلام عن المحرز ابن جعفر عن عمر بن سعد مولى الحارث بن هشام قال
خرج ابن الزبير ليلة إلى أبي قبيس فسمع غناء فلما انصرف رآه أصحابه وقد حال لونه فقالوا إن بك لشرا قال إنه ذاك قالوا ما هو قال لقد سمعت صوتا إن كان من الجن إنه لعجب وإن كان من الإنس فما انتهى منتهاه شيء قال فنظروا فإذا هو ابن سريج يتغنى

صوت

(أَمِنْ رَسْمِ دارٍ بوادِي غُدَرْ ... لجاريةٍ مِن جَوَاري مُضَرْ)
(خَدَلَّجةِ السَّاقِ مَمْكُورَةٍ ... سَلُوسِ الوشَاحِ كمثلِ القمَرْ)
(تَزِينُ النساءَ إذا ما بَدَتْ ... ويُبْهَتُ في وجهها مَنْ نَظَرْ)
الشعر ليزيد بن معاوية والغناء لابن سريج رمل بالبنصر عن يونس وحبش
قال إسحاق وذكر المدائني في خبره أن عمر بن عبد العزيز مر أيضا فسمع صوت ابن سريج وهو يتغنى
(... بَتَّ الخليطُ قُوَى الحَبْلِ الذي قَطَعُوا)
فقال عمر لله در هذا الصوت لو كان بالقرآن قال المدائني وبلغني من وجه آخر أنه سمعه يغني
(قَرَّبَ جيرانُنا جِمَالَهُمُ ... ليلاً فأضْحَوا معاً قَدِ ارتَفَعُوا)
(ما كنتُ أدْري بوشْكِ بَينِهِمُ ... حتى رأيتُ الحُدَاةَ قد طَلَعُوا)
فقال هذه المقالة

نسبة هذين الصوتين

صوت
(بَتَّ الخَلِيطُ قُوَى الحَبْلِ الذي قَطَعُوا ... إذ وَدَّعُوكَ فَوَلَّوْا ثم ما رجَعُوا)
(وآذَنُوكَ بِبَيْنٍ من وِصَالِهِمُ ... فما سَلَوْتَ ولا يُسْلِيكَ ما صَنَعوا)
(يابنَ الطَّوِيلِ وكم آثَرْتَ من حَسَنٍ ... فينا وأنت بما حُمِّلْتَ مُضْطَلِعُ)
(نَحْظَى ونبقَى بخيرٍ ما بَقِيتَ لنا ... فإن هلَكْتَ فما في مَلْجَأٍ طَمَعُ)
الشعر للأحوص والغناء لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وذكر حبش أن فيه رملا بالوسطى عن الهشامي
نسبة الصوت الآخر
صوت
(قَرَّبَ جيرانُنا جِمَالَهُمُ ... ليلاً فأضْحَوْا معاً قد ارتفَعُوا)
(ما كنتُ أدْري بوشكِ بَيْنِهِمُ ... حتى رأيتُ الحُدَاةَ قد طلعوا)
(على مِصَكِّينَ من جِمالِهِم ... وعَنْتَرِيسَيْن فيهما خَضَعُ)
(يا قلبُ صَبْراً فإنه سَفَهٌ ... بالحُرِّ أن يَستَفِزّه الجَزَعُ)
الغناء لان سريج ثقيل أول من أصوات قليلة الأشباه عن إسحاق وفيه رمل بالسبابة في مجرى الوسطى ذكره إسحاق ولم ينسبه إلى أحد وذكر أيضا فيه خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى ولم ينسبه وذكر الهشامي أن الرمل للغريض وخفيف الرمل لابن المكي وذكرت دنانير والهشامي أن فيه لمعبد ثاني ثقيل وذكر عمرو بن بانة أن الثقيل الأول للغريض وذكر عبد الله بن موسى أن لحن ابن سريج خفيف ثقيل
عدد الأصوات التي غنى فيها ابن سريج
أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني قال حدثني يوسف بن إبراهيم قال
حضرت أبا إسحاق إبراهيم بن المهدي وعنده إسحاق الموصلي فقال إسحاق غنى ابن سريج ثمانية وستين صوتا فقال له أبو إسحاق ما تجاوز قط ثلاثة وستين صوتا فقال بلى ثم جعلا ينشدان أشعار الصحيح منها حتى بلغا ثلاثة وستين صوتا وهما يتفقان على ذلك ثم أنشد إسحاق بعد ذلك أشعار خمسة أصوات أيضا فقال أبو إسحاق صدقت هذا من غنائه ولكن لحن هذا الصوت نقله من لحنيه في الشعر الفلاني ولحن الثاني من لحنه الفلاني حتى عد له الخمسة الأصوات فقال له إسحاق صدقت ثم قال له إبراهيم إن ابن سريج كان رجلا عاقلا أديبا وكان يغني الناس بما يشتهون فلا يغنيهم صوتا مدح به أعداؤهم ولا صوتا عليهم فيه عار أو غضاضة ولكنه يعدل بتلك الألحان إلى أشعار في أوزانها فالصوتان واحد لا ينبغي أن نعدهما اثنين عند التحصيل منا لغنائه فصدقه إسحاق فقال له إبراهيم فأيها أولى عندك بالتقدمة فقال
(وإذا ما عَثَرتْ في مِرْطِها ... نَهَضَتْ باسمِي وقالتْ يا عُمَرْ)
فقال له إبراهيم أحسبك يا أبا محمد متعت بك ما أردت إلا مساعدتي فقال لا والله ما إلى هذا قصدت وإن كنت أهوى كل ما قربني من محبتك فقال له هذا أحب أغانيه إلي وما أحسبه في مكان أحسن منه عندي ولا كان ابن سريج يتغناه أحسن مما يتغناه جواري ولئن كان كذلك فما هو عندي في حسن التجزئة والقسمة وصحتهما مثل لحنه في

صوت من المائة المختارة من رواية جحظة
(حَيِّيَا أُمَّ يَعْمَرا ... قبلَ شَحْطٍ من النَّوَى)
((أَجْمَعَ الحيُّ رِحْلَةً ... ففُؤَادِي كَذِي الأَسَى
(قلتُ لا تُعجِلُوا الرَّوَاحَ ... فقالوا ألا بَلَى)
الغناء لابن سريج من القدر الأوسط من الثقيل الأول مطلق في مجرى الوسطى وفيه للهذلي خفيف ثقيل بالبنصر عن ابن المكي وفيه لمالك ثقيل أول بالبنصر عن عمرو وفيه لحنان من الثقيل الثاني أحدهما لإسحاق والآخر لأبيه ونسبه قوم إلى ابن محرز ولم يصح ذلك قال فاجتمعا معا على أنه أول أغانيه وأحقها بالتقديم وأمرني أبو إسحاق بتدوين ما يجري بينهما ويتفقان عليه فكتبت هذا الشعر ثم اتفقا على أن الذي يليه
(وإذا ما عَثَرتْ في مِرْطِها ... نَهَضَتْ باسمِي وقالتْ يا عُمَرْ)
فأثبته أيضا ثم تناظرا في الثالث فاجتمعا على أنه
(فتركتُه جَزَرَ السِّباع يَنُشْنَهُ ... ما بين قُلَّة رأسِه والمِعْصَمِ)
فقال إسحاق لو قدمناه على الأغاني التي تقدمته كلها لكان يستحق ذلك فقال أبو إسحاق ما سمعته منذ عرفته إلا أبكاني لأني إذا سمعته أو ترنمت به وجدت غمرا على فؤادي لا يسكن حتى أبكي فقال إسحاق إن مذهبه فيه ليوجب ذلك فدونته ثالثا ثم اتفقا على الرابع وأنه
(فلم أرَ كالتَّجْمِيرِ مَنْظَرَ ناظِرٍ ... ولا كلَيالِي الحجِّ أَفْتَنَّ ذَا هَوَى)
وتحدثا بأحاديث لهذا الصوت مشهورة ثم تناظرا في الخامس فاتفقا على أنه
(عُوجِي علينا رَبَّةَ الهَوْدَجِ ... إنّكِ إلاَّ تَفْعَلِي تَحْرَجِي)
فأثبته ثم تناظرا في السادس واتفقا على أنه
(ألاَ هلْ هَاجَكَ الأَظْعَانُ ... إذ جاوَزْنَ مُطَّلَحَا)
فأثبته ثم تناظرا في السابع فاتفقا على أنه
(غَيَّضْنَ من عَبَراتِهِنَّ وقُلْنَ لي ... ماذا لَقِيتَ من الهَوى ولَقِينَا)
فأثبته وتناظرا في الثامن فاتفقا على أنه
(تُنْكِرُ الإِثْمِدَ لا تَعْرِفهُ ... غيرَ أنْ تَسْمَعَ منهُ بخَبَرْ)
فأثبته وتناظرا في التاسع فاتفقا على أنه
(ومِن أَجْلِ ذاتِ الخالِ أَعملْتُ ناقتي ... أُكَلِّفُها سَيْرَ الكَلاَلِ مع الظَّلْعِ)
نسبة هذه الأصوات وأجناسها
منها
صوت
(وإذا ما عَثَرتْ في مِرْطِها ... نَهَضَتْ باسمِي وقالتْ يا عُمَرْ)
الشعر لعمر بن أبي ربيعة والغناء لابن سريج خفيف رمل بالوسطى عن الهشامي
ومنها
صوت
(فتركتُه جَزَرَ السِّباع يَنُشْنُ ... ما بين قُلَّة رأسِه والمِعصَمِ)
الشعر لعنترة بن شداد العبسي والغناء لابن سريج ثقيل أول بالوسطى عن عمرو
ومنها
صوت
(فَلمْ أَرَ كالتَّجْمِيرِ مَنْظَرَ ناظِرٍ ... ولا كليالي الحجِّ أَفْتَنَّ ذا هَوَى)
الشعر لعمر بن أبي ربيعة والغناء لابن سريج رمل بالوسطى عن عمرو
ومنها
صوت
(عُوجِي علينا رَبَّةَ الهَوْدجِ ... إنّكِ إلاَّ تفعَلي تَحْرَجِي)
الشعر للعرجي والغناء لابن سريج ثقيل بالوسطى عن عمرو
ومنها
صوت
(أَلاَ هَلْ هاجكَ الأظعانُ ... إذ جاوَزْنَ مُطَّلَحَا)
الشعر لعمر والغناء لابن سريج ثقيل أول مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق وفيه للغريض لحنان ثقيل ثقيل أول بالوسطى في مجراها عن إسحاق وخفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو وفيه لمعبد ثقيل أول ثالث بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق
ومنها
صوت
(غَيَّضْنَ من عَبَراتِهِنَّ وقُلْنَ لي ... ماذا لَقِيتَ من الهوى ولَقِينَا)
الشعر لجرير والغناء لابن سريج رمل بالبنصر وفيه لإسحاق رمل بالوسطى وفيه للهذلي ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشامي
ومنها
صوت
(تُنْكِرِ الإِثْمدَ لا تَعْرِفُه ... غيرَ أن تَسْمَعَ منه بخَبَرْ)
الشعر لعبد الرحمن بن حسان والغناء لابن سريج رمل بالوسطى
ومنها
صوت

(ومنْ أجل ذاتِ الخَالِ أعملتُ ناقتي ... أُكَلِّفُها سَيْرَ الكَلاَلِ مع الظَّلْعِ)
الشعر لعمر بن أبي ربيعة والغناء لابن سريج رمل بالبنصر وفيه لإسحاق رمل بالوسطى

مالك ومعبد يحتكمان إلى ابن سريج في صوتين لهما

أخبرني رضوان بن أحمد قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي قال حدثني الزبير بن دحمان أن أباه حدثه
أن معبدا تغنى
(آبَ لَيْلِي بِهُمُومٍ وفِكَرْ ... من حَبِيبٍ هاج حُزْنِي والسَّهَرْ)
(يومَ أبصرتُ غراباً واقعاً ... شرَّ ما طارَ على شرِّ الشَّجَرْ)
فعارضه مالك فغنى في أبيات من هذا الشعر وهي
(وجَرَتْ لي ظبيةٌ يتبَعُها ... لَيِّنُ الأظْلاَفِ من حُورِ البَقَرْ)
(كلَّما كَفْكَفْتُ منِّي عَبْرَةً ... فاضتِ العينُ بمُنْهَلٍّ دِرَر)
قال فتلاحيا جميعا فيما صنعاه من هذين الصوتين فقال كل واحد منهما لصاحبه أنا أجود صنعة منك فتنافرا إلى ابن سريج فمضيا إليه بمكة فلما قدماها سألا عنه فأخبرا أنه خرج يتطرف بالحناء في بعض بساتينها فاقتفيا أثره حتى وقفا عليه وفي يده الحناء فقالا له إنا خرجنا إليك من المدينة لتحكم بيننا في صوتين صنعناهما فقال لهما ليغن كل واحد منكما صوته فابتدأ معبد يغني لحنه فقال له أحسنت والله على سوء اختيارك للشعر يا ويحك ما حملك على أن ضيعت هذه الصنعة الجيدة في حزن وسهر وهموم وفكر أربعة ألوان من الحزن في بيت واحد وفي البيت الثاني شران في مصراع واحد وهو قولك
(... شرَّ ما طار على شرِّ الشَّجَرْ)
ثم قال لمالك هات ما عندك فغناه مالك فقال له أحسنت والله ما شئت فقال له مالك هذا وإنما هو ابن شهره فكيف تراه يا أبا يحيى يكون إذا حال عليه الحول قال دحمان فحدثني معبد أن ابن سريج غضب عند ذلك غضبا شديدا ثم رمى بالحناء من يديه وأصابعه وقال له يا مالك إلي تقول ابن شهره اسمع مني ابن ساعته ثم قال يا أبا عباد أنشدني القصيدة التي تغنيتما فيها فأنشدته القصيدة حتى انتهيت إلى قوله
(تُنْكِرِ الإثْمِدَ لا تَعْرِفُه ... غيرَ أن تَسْمَعَ منه بخَبَرْ)
فصاح بأعلى صوته هذا خليلي وهذا صاحبي ثم تغنى فيه فانصرفنا مفلولين مفضوحين من غير أن نقيم بمكة ساعة واحدة

نسبة هذه الأغاني كلها

صوت
(آبَ لَيْلِي بِهُمُومٍ وفِكَرْ ... من حَبِيبٍ هاج حُزْنِي والسَّهَرْ)
(يومَ أبصرتُ غراباً واقعاً ... شرَّ ما طارَ على شرِّ الشَّجَرْ)
(ينتِف الرِّيشَ على عُبْرِيَّةٍ ... مُرَّةِ المَقْضَمِ من دَوْحِ العُشَرْ)
الشعر لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت يقوله في رملة بنت معاوية بن أبي سفيان وله معها ومع أبيها وأخيها في تشبيبه بها أخبار كثيرة ستذكر في موضعها إن شاء الله ومن الناس من ينسب هذا الشعر إلى عمر بن أبي ربيعة وهو غلط وقد بين ذلك مع أخبار عبد الرحمن في موضعه
والغناء لمعبد خفيف ثقيل أول بالوسطى عن يحيى المكي وذكر عمرو بن بانة أنه للغريض وله لحن آخر في هذه الطريقة
صوت
(وجَرَتْ لي ظَبْيَةٌ يتبعُها ... لَيِّنُ الأظلاف من حُورِ البَقَرْ)
(خلفَها أطْلَسُ عَسَّالُ الضُّحَى ... صادفتْه يوم طَلٍّ وخَصَرْ)
الغناء لمالك خفيف ثقيل بالبنصر في مجراها عن إسحاق
صوت
(إنّ عَيْنَيْها لعَيْنَا جُؤْذَرٍ ... أهْدَبِ الأشْفَارِ من حُورِ البَقَرْ)
(تُنْكِرُ الإثْمِدَ لا تعرفُه ... غيرَ أنْ تسمعَ منه بخَبَرْ)
الغناء لابن سريج رمل بالسبابة عن عمرو ويحيى المكي

نقائض الغريض وابن سريج

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد قال أبي قال محمد بن سعيد
لما ضاد ابن سريج الغريض وناوأه جعل ابن سريج لا يغني صوتا إلا عارضه فيه الغريض فغنى فيه لحنا غيره وكانت ببعض أطراف مكة دار يأتيانها في كل جمعة ويجتمع لهما ناس كثير فيوضع لكل واحد منهما كرسي يجلس عليه ثم يتناقضان الغناء ويترادانه قال فلما رأى ابن سريج موقع الغريض وغنائه من الناس لقربه من النوح وشبهه به مال إلى الأرمال والأهزاج فاستخفها الناس فقال له الغريض يا أبا يحيى قصرت الغناء وحذفته وأفسدته فقال له نعم يا مخنث جعلت تنوح على أبيك وأمك ألي تقول هذا والله لأغنين غناء ما غنى أحد أثقل منه ولا أجود ثم تغنى
(... تشكَّى الكُمَيْتُ الجَرْيَ لمّا جَهَدْتُه)
قال حماد وقرأت على أبي عن هشام بن المرية قال كان ابن أبي عتيق
يسوق في كل عام عن ابن سريج بدنة وينحرها عنه ويقول هذا أقل حقه علينا

معبد يعترف لابن سريج بالسبق

قال حماد قال أبي وقال مخلد بن خداش المهلبي كنا بالمدينة في مجلس لنا ومعنا معبد فقدم قادم من مكة إلى المدينة فدخل علينا ليلا فجلس معبد يسائله عن الأخبار وهو يخبره ولا نسمع ما يقول فالتفت إلينا معبد فقال أصبحت أحسن الناس غناء فقيل له أو لم تكن كذلك قال لا حيث كان ابن سريج حيا إن هذا أخبرني أن ابن سريج قد مات ثم كان بعد ذلك إذا غنى صوتا فأعجبه غناؤه قال أصبحت اليوم سريجيا

أبو السائب المخزومي وأغاني ابن سريج

قال حماد حدثني أبي قال حدثني أبو الحسن المدائني قال قال معبد أتيت أبا السائب المخزومي وكان يصلي في كل

يوم وليلة ألف ركعة فلما رآني تجوز وقال ما معك من مبكيات ابن سريج قلت قوله
(وَلَهُنَّ بالبيتِ العَتِيقِ لُبَانَةٌ ... والبيتُ يَعْرِفُهنّ لو يَتَكَلَّمُ)
(لو كان حَيّا قبلَهن ظَعَائناً ... حيّا الحَطِيمُ وجوهَهن وزَمْزَمُ)
(لَبِثُوا ثلاثَ مِنىً بمنزلِ غِبْطَةٍ ... وهُمُ على سَفَرٍ لعَمْرُكَ ما هُمُ)
(مُتجاورينَ بغير دارِ إقامةٍ ... لو قد أجدَّ تفرّقٌ لم يَنْدَمُوا)
فقال لي غنه فغنيته ثم قام يصلي فأطال ثم تجوز إلي فقال ما معك من مطرباته ومشجياته فقلت قوله
(لسنا نُبَالِي حين نُدرِكُ حاجةً ... ما بات أو ظَلَّ المَطِيُّ مُعَقَّلاَ)
فقال لي غنه فغنيته ثم صلى وتجوز إلي وقال ما معك من مرقصاته فقلت
(فلم أرَ كالتَّجْمِيرِ منْظَرَ ناظرٍ ... ولا كَلَيالي الحجِّ أفْتَنَّ ذا هَوى)
فقال كما أنت حتى أتحرم لهذا بركعتين
تفضيل عطاء بن أبي رباح ابن سريج على الغريض
قال حماد وأخبرني أبي عن إبراهيم بن المنذر الحزامي وذكر أبو أيوب المديني عن الحزامي قال حدثني عبد الرحمن بن إبراهيم المخزومي قال
أرسلتني أمي وأنا غلام أسأل عطاء بن أبي رباح عن مسألة فوجدته في دار يقال لها دار المعلى وقال أبو أيوب في خبره دار المقل وعليه ملحفة مُعَصْفَرةٌ وهو جالس على منبر وقد ختن ابنه والطعام يوضع بين يديه وهو يأمر به أن يفرق في الخلق فلهوت مع الصبيان ألعب بالجوز حتى أكل القوم وتفرقوا وبقي مع عطاء خاصته فقالوا يا أبا محمد لو أذنت لنا فأرسلنا إلى الغريض وابن سريج فقال ما شئتم فأرسلوا إليهما فلما أتيا قاموا معهما وثبت عطاء في مجلسه فلم يدخل فدخلوا بهما بيتا في الدار فتغنيا وأنا أسمع فبدأ ابن سريج فنقر بالدف وتغنى بشعر كثير
(بلَيْلَى وجاراتٍ لِليلَى كأنها ... نِعاجُ المَلاَ تُحْدَى بهن الأباعِرُ)
(أمُنقطعٌ يا عَزّ ما كان بينَنا ... وشَاجَرَني يا عَزّ فيكِ الشَّوَاجِرُ)
(إذا قِيلَ هذا بيتُ عزّة قَادَنِي ... إليه الهوى واستعجلتني البوادِرُ)
(أصُدُّ وبي مثلُ الجُنون لكي يَرى ... رُواةُ الخنَا أنّي لِبيتِكِ هاجِرُ)
فكأن القوم قد نزل عليهم السبات وأدركهم الغشي فكانوا كالأموات ثم أصغوا إليه بآذانهم وشخصت إليه أعينهم وطالت أعناقهم ثم غنى الغريض بصوت أنسيته بلحن آخر ثم غنى ابن سريج وأوقع بالقضيب وأخذ الغريض الدف فغنى بشعر الأخطل
(فَقلتُ اصْبَحُونا لا أبَا لأبيكُمُ ... وما وَضَعُوا الأثقالَ إلا ليَفْعَلُوا)
(وقلتُ اقتُلوها عنكُمُ بمزاجِها ... فأكْرِمْ بها مَقْتُولةً حين تُقْتَلُ)
(أَنَاخُوا فجَرُّوا شاصِياتٍ كأنها ... رِجَالٌ من السُّودانِ لَم يَتَسرْبَلُوا)
فوالله ما رأيتهم تحركوا ولا نطقوا إلا مستمعين لما يقول ثم غنى الغريض بشعر آخر وهو
(هل تعرفُ الرَّسْمَ والأطْلاَلَ والدِّمَنَا ... زِدْنَ الفؤادَ على ما عندَه حَزَنَا)
(دارٌ لصَفْرَاءَ إذ كانت تَحُلُّ بها ... وإذ تَرَى الوَصْلَ فيما بينَنا حَسَنَا)
(إذ تَستَبِيك بمَصْقُولٍ عوارِضُه ... ومُقْلَتَيْ جُؤْذُرٍ لم يَعْدُ أن شَدَنَا)
ثم غنيا جميعا بلحن واحد فلقد خيل لي أن الأرض تميد وتبينت ذلك في عطاء أيضا وغنى الغريض في شعر عمر بن أبي ربيعة وهو قوله
(كَفَى حَزَناً أن تجمَعَ الدارُ شَمْلَنا ... وأُمْسِي قريباً لا أزُورُكِ كَلْثما)
(دَعِي القلبَ لا يَزْدَدْ خَبَالاً مع الذي ... به منكِ أو دَاوِي جَواه المُكَتَّما)
(ومَنْ كان لا يَعْدُو هواه لسانَه ... فقد حَلَّ في قلبي هواكِ وخَيَّما)
(وليس بتَزْوِيقِ اللسانِ وصَوْغِه ... ولكنَّه قد خالطَ اللحمَ والدَّمَا)
وغنى ابن سريج أيضا
(خَلِيلَيَّ عُوجَا نَسْأَلِ اليومَ مَنْزِلاَ ... أَبَى بالبِراقِ العُفْرِ أن يَتَحَوَّلاَ)
(ففَرْعِ النَّبِيتِ فالشَّرَى خَفَّ أهلُه ... وبدَّلَ أرْوَاحاً جَنُوباً وشَمْأَلا)
(أرادتْ فلم تَسْطِعْ كلاماً فأومأتْ ... إلينا ولم تأمَنْ رَسُولاً فتُرْسِلاَ)
(بأنْ يتْ عَسَى أن يستُرَ الليلُ مجلساً ... لنا أو تنامَ العين عنَّا فتُقْبِلاَ)
وغنى الغريض أيضا
(يا صاحِبَيَّ قِفَا نُقَضِّ لُبَانَةً ... وعلى الظَّعائِنِ قبلَ بَيْنِكما اعْرِضَا)
(لا تُعْجِلاني أن أقولَ بحاجةٍ ... رِفْقاً فقد زوَّدْتُ زاداً مُجْرِضاَ)
(ومقالَها بالنَّعْفِ نَعْفِ مُحَسِّرٍ ... لِفَتاتِها هل تعْرِفينَ المُعْرِضَا)
(هذا الذي أعْطَى مَوَاثِقَ عهدِهِ ... حتى رَضِيتُ وقُلتِ لي لن يَنْقُضَا)
وأغاني أنسيتها وعطاء يسمع على منبره ومكانه وربما رأيت رأسه قد مال وشفتيه تتحركان حتى بلغته الشمس فقام يريد منزله فما سمع السامعون شيئا أحسن منهما وقد رفعا أصواتهما وتغنيا بهذا ولما بلغت الشمس عطاء قام وهم على طريقة واحدة في الغناء فاطلع في كوة البيت فلما رأوه قالوا يا أبا محمد أيهما أحسن غناء قال الرقيق الصوت يعني ابن سريج
نسبة ما في هذه الأخبار من الأصوات
صوت
(ولَهُنَّ بالبيتِ العَتِيقِ لُبَانَةٌ ... والبيتُ يعرِفهنّ لو يتكلَّمُ)
(لو كان حَيّا قبلَهنّ ظعائناً ... حيّا الحَطِيمُ وجوهَهنّ وزمزمُ)
(وكأنهنَّ وقد حسَرْنَ لَوَاغِباً ... بيْضٌ بأكنافِ الحَطِيمِ مُركَّمُ)
(لَبِثوا ثلاثَ مِنىً بمنزلِ غِبْطَةٍ ... وهمُ على سَفَرٍ لعمركَ ما همُ)
(مُتجاورينَ بغير دارِ إقامةٍ ... لو قد أجدَّ رحيلُهم لم يَنْدَمُوا)

عروضه من الكامل الشعر لابن أذينة والغناء لابن سريج ثاني ثقيل مطلق
في مجرى البنصر عن إسحاق وأخبار ابن أذينة تأتي بعد هذا في موضعها إن شاء الله
ومنها الصوت الذي أوله في الخبر
(... لسنا نُبَالِي حين نُدْرِكُ حاجةً)
صوت
(وَدِّعْ لُبَابَةَ قبلَ أن تَتَرحَّلاَ ... واسألْ فإن قَلِيلَه أن تَسألا)
(وانظُرْ بعينكَ ليلةً وتأنَّها ... فلعلَّ ما بَخِلَتْ به أن يُبْذَلا)
(لسنا نُبَالِي حين نُدْرِكُ حاجةً ... ما راحَ أو ظلَّ المَطِيُّ مُعَقَّلا)
(حتّى إذا ما الليلُ جَنَّ ظلامُه ... ورجوتُ غفلةَ حارسٍ أن يَعْقِلا)
(خرجَتْ تأطَّرُ في الثيابِ كأنَّها ... أَيْمٌ يَسِيبُ على كثيبٍ أهْيَلا)
الشعر لعمر بن أبي ربيعة والغناء لابن سريج ثقيل أول بالوسطى في مجراها وفيه لمعبد لحن من خفيف الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى وهو من مختار أغانيه ونادرها وصدور صنعته وما يقدم على كثير منها
الغمر بن يزيد وشعر عمر بن أبي ربيعة
أخبرني أحمد بن محمد بن إسحاق الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري عن عبد الله بن عمران بن أبي فروة قال
كنت أسير مع الغمر بن يزيد فاستنشدني فأنشدته لعمر بن أبي ربيعة
(وَدِّعْ لُبَابَةَ قبلَ أن تترحَّلا ... واسألْ فإنّ قَلِيلَه أن تَسألا)
(قال ائْتَمِرْ ما شئتَ غيرَ مُخَالَفٍ ... فيما هَويت فإنّنا لن نَعْجَلا)
(نَجْزي أيادِي كنتَ تَبْذُلُها لنا ... حقٌّ علينا واجبٌ أن نَفعَلا)
((حتّى إذا ما الليلُ جنَّ ظلامُه ... ورجوتُ غفلةَ حارسٍ أن يَعْقِلا
(خرجتْ تأطَّرُ في الثيابِ كأنَّها ... أيْمٌ يسيبُ علي كثيبٍ أهْيَلا)
(رَحَّبْتُ لمّا أقبلتْ فتَعَلَّلَتْ ... لتحيَّتِي لمّا رأتْني مُقْبِلا)
(فجَلا القِنَاعُ سحابةً مشهورةً ... غَرَّاءَ تُعْشِي الطَّرْفَ أن يتأمَّلا)
(فظَلِلْتُ أَرْقِيها بما لو عَاقِلٌ ... يُرْقَى به ما اسْطاعَ ألاّ يَنْزلا)
(تَدْنُو فأطْمعُ ثم تمنعُ بَذْلَها ... نفسٌ أبتْ للجُودِ أن تتبخَّلا)
قال فأمر غلامه فحملني على بغلته التي كانت تحته فلما أراد الانصراف طلب الغلام مني البغلة فقلت لا أعطيكها هو أكرم وأشرف من أن يحملني عليها ثم ينتزعها مني فقال للغلام دعه يا بني ذهبت والله لبابة ببغلة مولاك
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه وأخبرنيه الحسن بن علي عن هارون بن الزيات عن حماد عن أبيه قال حدثني عثمان بن حفص الثقفي عن إبراهيم بن عبد السلام بن أبي الحارث عن ابن تيزن المغني قال
قال أبو نافع الأسود وكان آخر من بقي من غلمان ابن سريج إذا أعجزك أن تطرب القرشي فغنه غناء ابن سريج في شعر عمر بن أبي ربيعة فإنك ترقصه قال وأبو نافع هذا أحذق غلمان ابن سريج ومن أخذ عنه وكان أحسن رواته صوتا ومنها
صوت
(بِلَيْلَى وجاراتٍ لِلَيلَى كأنَّها ... نِعَاجُ المَلا تُحْدَى بهنَّ الأَبَاعِرُ)
(أمُنقطعٌ يا عزّ ما كان بينَنا ... وشاجَرَني يا عزّ فيكِ الشَّوَاجِرُ)
((إذا قيل هذا بيتُ عَزّةَ قادني ... إليه الهوى واستعجلتني البَوَادِرُ
(أصُدّ وبي مثلُ الجنون لكي يَرى ... رُوَاةُ الخَنَا أنّي لبيتكِ هاجِرُ)
(ألاَ ليتَ حَظِّي منكِ يا عزّ أنّني ... إذا بِنْتِ باع الصبرَ لي عنكِ تاجرُ)
عروضه من الطويل الشعر لكثير والغناء لمعبد ثقيل أول بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو وفيه لابن سريج لحن أوله أصد وبي مثل الجنون خفيف رمل بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق
ومنها
صوت
(أناخُوا فجَرُّوا شَاصِيَاتٍ كأنَّها ... رجالٌ من السُّودانِ لم يَتَسَرْبَلُوا)
(فقلتُ اصبَحُوني لا أبا لأبيكُمُ ... وما وضَعُوا الأثقالَ إلاّ ليفعَلُوا)
(تمُرّ بها الأيْدِي سَنِيحاً وبارحاً ... وتُرْفَع باللَّهُمَّ حيِّ وتُنْزَلُ)
عروضه من الطويل الشاصيات الشائلات قوائمها من امتلائها يعني الزقاق يقال شصا يشصو وشصا ببصره إذا رفعه كالشاخص وأنشد
(وَبَرْبَرٍ خِمَاصِ ... يَطْعَنُ بالصَّيَاصِي)
(ينظُر من خَصَاص ... بأعْيُنٍ شَوَاصِي)
(كَفِلَقِ الرَّصَاص ... تَسْمُو إلى القَنَّاصِ)
الشعر للأخطل وذكره يأتي في غير هذا الموضع من قصيدة يمدح بها خالد بن عبد الله بن أسيد بن أبي العيص بن أمية والغناء لمالك وله فيه لحنان أحدهما في الأول والثاني رمل بالبنصر في مجراها عن إسحاق والآخر في الثالث والأول والثاني خفيف رمل بالوسطى عن عمرو وفيه لابن سريج رمل بالوسطى عن عمرو وفيه لابن محرز خفيف ثقيل أول بالبنصر في مجراها وفيه رمل آخر لإبراهيم عن عمرو أيضا
ومنها
صوت
(... هل تعرفُ الرسمَ والأطْلالَ والدِّمَنَا)
وذكر الأبيات الثلاثة وقد تقدمت عروضه من البسيط الشعر لذي الإصبع العدواني والغناء لابن عائشة ثاني ثقيل بالبنصر
ومنها
صوت

(... كَفَى حَزَناً أن تجمعَ الدارُ شَمْلَنَا)
صوت
وهو من المائة المختارة في رواية جحظة عن أصحابه
(دَعِي القلبَ لا يَزْدَدْ خَبَالاً مع الذي ... به مِنْكِ أو دَاوي جَوَاه المُكَتَّما)
(وَمَنْ كان لا يَعْدُو هواه لِسانَه ... فقد حلَّ في قلبِي هَواكِ وخَيَّما)
(وليس بتَزْويقِ اللسانِ وصَوْغِه ... ولكنَّه قد خالَطَ اللَّحمَ والدَّما)
عروضه من الطويل الشعر للأحوص وقيل إنه لسعيد بن عبد الرحمن
ابن حسان والغناء لمعبد ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر وذكر يونس أن لمالك لحنا فيه
(أَكَلْثَمُ فُكِّي عانياً بكِ مُغْرَمَا ... وشُدِّي قُوَى حَبْلٍ لنا قد تَصَرَّما)
(فإن تُسعِفِيه مَرَّةً بنَوالِكم ... فقد طَالَما لم يَنْجُ منكِ مُسَلَّمَا)
(كَفَى حَزَناً أن تَجْمَعَ الدارُ شَمْلَنا ... وأُمْسي قريباً لا أَزُورُك كَلْثَما)
وبعده هذه الأبيات التي مضت
إجماع المغنين على تفضيل لحن ابن سريج وليس بتزويق اللسان
أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد وذكر الثقفي عن دحمان قال
تذاكرنا ونحن في المسجد أنا والربيع بن أبي الهيثم الغناء أيه أحسن فجعل يقول وأقول فلا نجتمع على شيء فقلت اذهب بنا إلى مالك بن أبي السمح فذهبنا إليه فوجدناه في المسجد فقال ما جاء بكما فأخبرناه فقال قد جرى هذا بيني وبين معبد وقال وقلت فجاءني معبد يوما وأنا في المسجد وقال قد جئتك بشيء لا ترده فقلت وما هو قال لحن ابن سريج
(وليس بتزويقِ اللسانِ وصَوْغِه ... ولكنَّه قد خالَط اللحمَ والدَّمَا)
ثم قال لي معبد أسمعكه قلت نعم وأريته أني لم أسمعه قبل فقال اسمعه مني فغنى فيه ونحن في المسجد فما سمعت شيئا قط أحسن منه فافترقنا وقد اجتمعنا عليه
وقرأت في فصل لإبراهيم بن المهدي إلى إسحاق الموصلي وكتبت رقعتي هذه وأنا في غمرة من الحمى تصدف عن المفترضات ولولا خوفي في تشنيعك وتجنيك لم يكن في للإجابة فضل غير أني قد تكلفت الجواب على ما الله به عالم من صعوبة علتي وما أقاسيه من الحرارة الحادثة بي
(وليس بتزويقِ اللّسانِ وصَوغِه ... ولكنّه قد خالطَ اللّحمَ والدّما)
تفضيل غناء ابن سريج على غناء معبد ومالك
وقال إسحاق حدثني شيخ من موالي المنصور قال قدم علينا فتيان من بني أمية يريدون مكة فسمعوا معبدا ومالكا فأعجبوا بهما ثم قدموا مكة فسألوا عن ابن سريج فوجدوه مريضا فأتوا صديقا له فسألوه أن يسمعهم غناءه فخرج معهم حتى دخلوا عليه فقالوا نحن فتيان من قريش أتيناك مسلمين عليك وأحببنا أن نسمع منك فقال أنا مريض كما ترون فقالوا إن الذي نكتفي منك به يسير وكان ابن سريج أديبا طاهر الخلق عارفا بأقدار الناس فقال يا جارية هاتي جلبابي وعودي فأتته خادمه بخامة فسدلها على وجهه وكان يفعل ذلك إذا تغنى لقبح وجهه ثم أخذ العود فغناهم فأرخى ثوبه على عينيه وهو يغني حتى إذا اكتفوا ألقى عوده وقال معذرة فقالوا نعم قد قبل الله عذرك فأحسن الله إليك ومسح ما بك وانصرفوا يتعجبون مما سمعوا فمروا بالمدينة منصرفين فسمعوا من معبد ومالك فجعلوا لا يطربون لهما ولا يعجبون بهما كما كانوا يطربون فقال أهل المدينة نحلف بالله لقد سمعتم بعدنا ابن سريج قالوا أجل لقد سمعناه فسمعنا ما لم نسمع مثله قط ولقد نغص علينا ما بعده
ذكر العتابي أن زكريا بن يحيى حدثه قال حدثني عبد الله بن محمد بن عثمان العثماني عن بعض أهل الحجاز قال التقى قنديل الجصاص وأبو الجديد بشعب الصفراء فقال قنديل لأبي الجديد من أين وإلى أين قال مررت برقطاء الحبطية رائحة تترنم برمل ابن سريج في شعر ابن عمارة السلمي
صوت
(سَقَى مَأْزِمَيْ نَجْدٍ إلى بِئرِ خَالدٍ ... فوادِي نِصَاعٍ فالقُرُونِ إلى عَمْدِ)
(وجادتْ بُرُوقُ الرائحاتِ بمُزْنَةٍ ... تَسحُّ شآبِيباً بمُرتَجِزِ الرَّعْدِ)
(منازلَ هِنْدٍ إذ تُوَاصِلُني بها ... ليالِيَ تَسْبِيني بمُسْتَطْرَفِ الوُدِّ)
(يُنِيرُ ظلامُ الليلِ من حسنِ وجهِها ... وتَهْدِي بطِيبِ الرِّيح مَنْ جاء مِنْ نَجْدِ)
الغناء لابن سريج رمل بالبنصر عن الهشامي فزفقت خلفها زفيف النعامة فما انجلت غشاوتي إلا وأنا بالمشاش حسير فأودعتها قلبي وخلفته لديها وأقبلت أهوي كالرخمة بغير قلب فقال لي قنديل ما دفع أحد من المزدلفة أسعد منك سمعت شعر ابن عمارة في غناء ابن سريج من رقطاء الحبطية لقد أوتيت جزءا من النبوة قال وكانت رقطاء هذه من أضرب الناس فدخل رجل من أهل المدينة منزلها فغنته صوتا فقال له بعض من حضر هل رأيت قط أو ترى أفصح من وتر هذه فطرب المدني وقال علي العهد إن لم يكن وترها من معي
بشكست النحوي فكيف لا يكون فصيحا وبشكست هذا كان نحويا بالمدينة وقتل مع الشراة الخارجين مع أبي حمزة صاحب عبد الله بن يحيى الكندي الشاري المعروف بطالب الحق
غناء ابن سريج مخلوق من قلوب الناس جميعا
قال محمد بن الحسن وحدث عن إسحاق عن أبيه أنه كان يقول
غناء كل مغن مخلوق من قلب رجل واحد وغناء ابن سريج مخلوق من قلوب الناس جميعا وكان يقول الغناء على ثلاثة أضرب فضرب مله مطرب يحرك ويستخف وضرب ثان له شجا ورقة وضرب ثالث حكمة وإتقان صنعة قال وكل هذا مصنوع في غناء ابن سريج
قال العتابي وحدثني زكريا بن يحيى عن عبد الله بن محمد العثماني قال ذكر بعض أصحابنا الحجازيين قال التقى ابن سلمة الزهري والأخضر الجدي ببئر الفصح فقال ابن سلمة هل لك في الاجتماع نستمتع بك فقال له الأخضر لقد كنت إلى ذلك مشتاقا قال فقعدا يتحدثان فمر بهما أبو السائب فقال يا مطرب الحجاز ألشيء كان اجتماعكما فقالا لغير موعد كان ذلك أفتؤنسنا قال فقعدوا يتحدثون

فلما مضى بعض الليل قال الأخضر لابن سلمة يا أبا الأزهر قد ابهار الليل وساعدك القمر فأوقع بقهقهة ابن سريج وأصب معناك فاندفع يغني

صوت

(تَجَنَّتْ بِلا جُرْمٍ وصَدّتْ تغضُّباً ... وقالت لِتِرْبَيْها مقالةَ عاتِبِ)

(سيَعْلَمُ هذا أنّني بنتُ حُرَّةٍ ... سأمنَعُ نَفسِي من ظُنُونٍ كَوَاذِبِ)

(فقولي له عنّا تَنحَّ فإنّنا ... أبِيّاتُ فُحْشٍ طاهراتُ المَنَاسِبِ)

الغناء لابن سريج ولم يذكر طريقته قال فجعل أبو السائب يزفن ويقول أبشر حبيبي فلأنت أفضل من شهداء قزوين قال ثم قال ابن سلمة للأخضر نعم المساعد على هم الليل أنت فأوقع بنوح ابن سريج ولا تعد معناك فاندفع يغني

صوت

(فلمّا التَقَيْنا بالحَجُون تَنَفَّسَتْ ... تَنَفُّسَ محزونِ الفُؤَاد سَقِيمِ)

(وقالتْ وما يَرْقَا من الخَوْفِ دمعُها ... أَقَاطِنُها أم أنتَ غيرُ مُقِيم)

(فإنّا غداً تُحْدَى بنا العِيسُ بالضُّحى ... وأنت بما نَلْقَاه غيرُ عَلِيمِ)

(فقطَّعَ قَلْبي قولُها ثم أسْبَلَتْ ... مَحَاجِرُ عَيْني دمعَها بسُجُومِ)

قال فجعل أبو السائب يتأفف ويقول أعتق ما أملك إن لم تكن فردوسية الطينة وإنها بعلمها لأفضل من آسية امرأة فرعون

تغني الذلفاء بلحن ابن سريج

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي قال

بلغني أن أبا دهبل الجمحي قال كنت أنا وأبو السائب المخزومي عند مغنية بالمدينة يقال لها الذلفاء فغنتنا بشعر جميل بن معمر العذري واللحن لابن سريج

صوت

(لَهُنّ الوَجَى لِمْ كُنّ عَوناً على النَّوَى ... ولا زالَ منها ظالِعٌ وكَسِير)

(كأنّي سُقِيتُ السَّمّ يومَ تحمّلوا ... وجَدّ بهم حادٍ وحانَ مَسِيرُ)

فقال أبو السائب يا أبا دهبل نحن والله على خطر من هذا الغناء فنسأل الله السلامة وأن يكفينا كل محذور فما آمن أن يهجم بي على أمر يهتكني قال وجعل يبكي

غناء ابن سريج في موسم الحج

أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدثنا الزبير بن بكار عن بكار بن رباح عن إسحاق بن مقمة عن أمه قالت سمعت ابن سريج على أخشب منى غداة النفر وهو يغني

((جَدّدِي الوصلَ يا قريبَ وجُودِي ... لمحبٍّ فِرَاقُه قد أَلَمَّا)

(ليس بينَ الحياةِ والموتِ إلاّ ... أن يَرُدُّوا جِمَالَهُمْ فتُزَمَّا)

ونسبة هذا الصوت تأتي بعد هذه الأخبار قالت فما تشاء أن تسمع من خباء ولا مضرب حنينا ولا أنينا إلا سمعته

ذكر يوسف بن إبراهيم أنه حضر إسحاق بن إبراهيم الموصلي ليلة وهو يذاكر إبراهيم بن المهدي إلا أن قال إسحاق في بعض مخاطبته إياه هذا صوت قد تمعبد فيه ابن سريج فقال له إبراهيم ما ظننت أنك يا أبا محمد مع علمك وتقدمك تقول مثل هذا في ابن سريج فكيف يجوز أن تقول تمعبد ابن سريج وإنما معبد إذا أحسن قال أصبحت سريجيا قد أغنى الله ابن سريج عن هذا ورفع قدره عن مثله وأعيذك بالله أن تستشعر مثله في ابن سريج قال فما رأيت إسحاق دفع ذلك ولا أباه ولا زاد على أن قال هي كلمة يقولها الناس لم أقلها اعتقادا لها فيه وإنما تكلمت بها على العادة

تفوق ابن سريج على سائر المغنين

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا محمد بن إسماعيل قال حدثنا محمد بن سلام قال قال لي شعيب بن صخر كان معبد إذا غنى فأجاد قال أنا اليوم سريجي

حدثني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد ابن سلام قال حدثنا شعيب بن صخر قال كان نعمان المغني عندي نازلا وكان يغني وكنت أراه يأتيه قوم قال أبو عبد الله فقلت له فأيهم كان أحذق قال

لا أدري إلا أنهم كانوا إذا جاء ابن سريج سكتوا

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني الهيثم بن عياش قال حدثني عبد الرحمن بن عيينة قال بينما نحن بمنى ونحن نريد الغدو إلى عرفات إذ أتانا الأحوص فقال أبيت بكم الليلة قلنا بالرحب والسعة فلما جنه الليل لم يلبث أن غاب عنا ثم عاد ورأسه يقطر ماء قلت ما لك قال

صوت

(تَعَرَّضُ سَلْمَاكَ لماّ حَرَمتَ ... ضَلَّ ضَلاَلُكَ مِنْ مُحْرِمِ)

(تُرِيد به البِرَّ يا لَيْتَه ... كَفَافاً من البِرِّ والمَأْثم)

الغناء لابن سريج ولم يجنسه قال قلت زنيت ورب الكعبة قال قل ما بدا لك ثم لقي ابن سريج فقال إني قد قلت بيتين حسنين أحب أن تغنيني بهما قال ما هما فأنشده إياهما فغنى بهما من ساعته ففتن من حضر ممن سمع صوته

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني إسحاق بن يحيى ابن طلحة قال

قدوم جرير المدينة وارتحاله إلى مكة ليسمع ابن سريج

قدم جرير بن الخطفي المدينة ونحن يومئذ شباب نطلب الشعر فاحتشدنا له ومعنا أشعب فبينا نحن عنده إذ قام لحاجة وأقمنا لم نبرح وجاء

الأحوص بن محمد الشاعر من قباء على حمار فقال أين هذا فقلنا قام لحاجة فما حاجتك إليه قال أريد والله أن أعلمه أن الفرزدق أشعر منه وأشرف قلنا ويحك لا تعرض له وانصرف فانصرف وخرج فجاء جرير فلم يكن بأسرع من أن أقبل الأحوص الشاعر فأقبل عليه فقال السلام عليك يا جرير قال جرير وعليك السلام فقال الأحوص يابن الخطفي الفرزدق أشرف منك وأشعر قال جرير من هذا أخزاه الله قلنا الأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح فقال نعم هذا الخبيث ابن الطيب أأنت القائل

(يَقَرُّ بعَيْني ما يَقَرُّ بعَيْنِها ... وأحسنُ شيء ما به العينُ قَرَّتِ)

قال نعم قال فإنه يقر بعينها أن يدخل فيها مثل ذراع البكر أفيقر ذلك بعينك قال وكان الأحوص يرمي بالحلاق فانصرف

فبعث إليهم بتمر وفاكهة وأقبلنا على جرير نسائله وأشعب عند الباب وجرير في مؤخر البيت فألح عليه أشعب يسأل فقال والله إني لأراك أقبحهم وجها وأراك ألأمهم حسبا فقد أبرمتني منذ اليوم قال إني والله أنفعهم وخيرهم لك فانتبه جرير وقال ويحك كيف ذاك قال إني أملح شعرك وأجيد مقاطعه ومبادئه فقال قل ويحك فاندفع أشعب فنادى بلحن ابن سريج

(يا أُختَ نَاجِيَةَ السلامُ عليكُم ... قبلَ الرَّحيل وقبل عَذْلِ العُذَّلِ)
(لو كنتُ أعلمَ أنَّ آخرَ عهدِكم ... يومُ الرَّحيل فعلتُ ما لم أفعلِ)

فطرب جرير وجعل يزحف نحوه حتى ألصق بركبته ركبته وقال لعمري لقد صدقت إنك لأنفعهم لي وقد حسنته وأجدته وزينته أحسنت والله ثم وصله

وكساه فلما رأينا إعجاب جرير بذلك الصوت قال له بعض أهل المجلس فكيف لو سمعت واضع هذا الغناء قال أو إن له لواضعا غير هذا فقلنا نعم قال فأين هو قلنا بمكة قال فلست بمفارق حجازكم حتى أبلغه فمضى ومضى معه جماعة ممن يرغب في طلب الشعر في صحابته وكنت فيهم فأتيناه جمعيا فإذا هو في فتية من قريش كأنهم المها مع ظرف كثير فأدنوا ورحبوا وسألوا عن الحاجة فأخبرناهم الخبر فرحبوا بجرير وأدنوه وسروا بمكانه وأعظم عبيد بن سريج موضع جرير وقال سل ما تريد جعلت فداءك قال أريد أن تغنيني لحنا سمعته بالمدينة أزعجني إليك قال وما هو قال

(يا أُختَ ناجيةَ السلامُ عليكُمُ ... قبلَ الرَّحيل وقبلَ عَذْلِ العُذَّلِ)

فغناه ابن سريج وبيده قضيب يوقع به وينكت فوالله ما سمعت شيئا قط أحسن من ذلك فقال جرير لله دركم يا أهل مكة ما أعطيتم والله لو أن نازعا نزع إليكم ليقيم بين أظهركم فيسمع هذا صباح مساء لكان أعظم الناس حظا ونصيبا فكيف ومع هذا بيت الله الحرام ووجوهكم الحسان ورقة ألسنتكم وحسن شارتكم وكثرة فوائدكم

الوليد بن عبد الملك وابن سريج

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن جده إبراهيم قال

كتب الوليد بن عبد الملك إلى عامل مكة أن أشخص إلي ابن سريج فأشخصه فلما قدم مكث أياما لا يدعو به ولا يلتفت إليه قال ثم إنه ذكره فقال ويلكم أين ابن سريج قالوا هو حاضر قال علي به فقالوا أجب أمير المؤمنين فتهيأ ولبس وأقبل حتى دخل عليه فسلم فأشار إليه أن اجلس فجلس

بعيدا فاستدناه فدنا حتى كان منه قريبا وقال ويحك يا عبيد لقد بلغني عنك ما حملني على الوفادة بك من كثرة أدبك وجودة اختيارك مع ظرف لسانك وحلاوة مجلسك فقال جعلت فداءك يا أمير المؤمنين تسمع بالمعيدي خير من أن تراه قال الوليد إني لأرجو ألا تكون أنت ذاك ثم قال هات ما عندك فاندفع ابن سريج فغنى بشعر الأحوص

(أمَنزِلَتَيْ سَلْمَى على القِدَمِ اسْلَمَا ... فقد هِجْتُما للشوقِ قلباً متيَّما)
(وذكَّرتُما عَصْرَ الشَّبَابِ الذي مَضى ... وجِدَّةَ وَصْلٍ حَبْلُه قد تَجذَّما)
(وإني إذا حَلَّتْ بِبيشٍ مقيمةً ... وحَلَّ بوجٍ جالساً أو تَتهَّمَا)
(يَمَانِيةً شَطَّتْ فأصبحَ نَفْعُها ... رَجَاءً وظَنّاً بالمَغِيبِ مُرَجَّمَا)
(أُحِبُّ دُنُوَّ الدار منها وقد أبَى ... بها صَدْعُ شَعْبِ الدار إلاّ تَثلُّما)
(بَكَاها وما يَدْري سِوَى الظَنِّ مَنْ بَكَى ... أحيّاً يُبَكِّي أم تُراباً وأعظُمَا)
(فدَعْها وأَخْلِفْ للخَلِيفَةِ مِدْحَةً ... تُزِلْ عنكَ بُؤْسَى أو تُفِيدُكَ أنْعُمَا)
(فإنَّ بِكَفَّيْه مَفَاتِيحَ رحمةٍ ... وغيثَ حَياً يحيا به الناس مُرْهِمَا)
(إمامٌ أتاه المُلْكُ عفواً ولم يُثِبْ ... على مُلْكِه مالاً حَرَاماً ولا دَمَا)
(تَخيَّرَه ربُّ العِبَاد لخَلْقِه ... وليّاً وكان اللّهُ بالناس أعْلَمَا)
(فلمّا قَضَاه اللّهُ لم يَدْعُ مُسْلِماً ... لبَيْعَتِه إلاّ أجابَ وسَلَّمَا)
((يَنَالُ الغِنَى والعِزَّ مَنْ نال وُدَّه ... ويَرْهَبُ موتاً عاجلاً مَنْ تَشأَّمَا

فقال الوليد أحسنت والله وأحسن الأحوص علي بالأحوص ثم قال يا عبيد هيه فغناه بشعر عدي بن الرقاع العاملي يمدح الوليد

صوت

(طَارَ الكَرَى وأَلَمَّ الهَمُّ فاكْتَنَعا ... وحِيلَ بَيْني وبينَ النَّوم فامتنَعا)
(كان الشَّبابُ قِنَاعاً أَسْتَكِنُّ به ... وأَسْتَظِلُّ زماناً ثُمَّت انْقشَعَا)
(فاستَبْدَلَ الرأسُ شَيْباً بعد دَاجِيَةٍ ... فَيْنَانةٍ ما تَرَى في صُدْغِها نَزَعَا)
(فإن تكُنْ مَيْعَةٌ من باطِلٍ ذَهَبَتْ ... وأعْقَبَ اللّهُ بعد الصَّبْوَةِ الوَرَعا)
(فقد أَبِيتُ أُراعِي الخَوْدَ رَاقِدةً ... على الوَسَائِدِ مسروراً بها وَلِعَا)
(بَرَّاقَةَ الثَّغر تَشفِي القلبَ لذَّتُها ... إذا مُقَبِّلُها في رِيقِها كَرَعَا)
(كالأُقْحُوانِ بضَاحِي الرَّوْضِ صَبَّحه ... غَيْثٌ أَرَشَّ بتَنْضَاحٍ وما نَقَعا)
(صَلَّى الذي الصَّلواتُ الطَّيِّباتُ له ... والمؤمِنُونَ إذا ما جَمَّعُوا الجُمَعَا)
(على الذي سَبَقَ الأقوامَ ضَاحِيَةً ... بالأجْرِ والحَمْدِ حتى صاحبَاه مَعا)
(هو الذي جَمع الرحمنُ أُمَّتَه ... على يَدَيْه وكانوا قبلَه شِيعَا)
(عُذْنَا بذي العَرْش أن نَحْيَا ونَفْقِدَه ... وأنْ نكونَ لِرَاعٍ بعدَه تَبَعا)
(إنّ الوليدَ أميرَ المؤمنين له ... مُلْكٌ عليه أعان اللّهُ فارتَفَعا)
(لا يَمْنَع الناسُ ما أَعْطَى الذين هُم ... له عِبَدٌ ولا يُعْطُونَ ما مَنَعا)

فقال له الوليد صدقت يا عبيد أنّى لك هذا قال هو من عند الله قال الوليد لو غير هذا قلت لأحسنت أدبك قال ابن سريج ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء قال الوليد يزيد في الخلق ما يشاء قال ابن سريج هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر قال الوليد لعلمك والله أكبر وأعجب إلي من غنائك غنني فغناه بشعر عدي بن الرقاع العاملي يمدح الوليد

(عرَفَ الدِّيارَ تَوَهُّماً فاعتَادَها ... من بعدِ ما شَمِلَ البِلَى أَبْلاَدَها)
(ولربَّ واضحةِ العَوَارِض طَفلةٍ ... كالرِّيم قد ضَرَبَتْ بها أَوتادَها)
(إنّي إذا ما لم تَصِلْني خُلَّتِي ... وتباعَدتْ منّي اغتفرتُ بِعَادَها)

(صلى الإلهُ على امرِىءٍ ودّعْتُه ... وأتَمَّ نِعْمَته عليه وزَادَهَا)
(وإذا الرَّبِيعُ تتابعتْ أنْواؤُه ... فسَقَى خُنَاصِرَةَ الأحَصِّ فجادَها)
(نزَل الوليدُ بها فكان لأهلِها ... غيثاً أغاثَ أنيسَها وبِلادَها)
(أوَ لا تَرَى أنَّ البَرِيَّةَ كلَّها ... ألقتْ خزَائِمَها إليه فقادَها)
(ولقد أرادَ اللهُ إذ وَلاَّكَها ... مِن أُمَّةٍ إصلاَحِها ورشَادَها)
(أعْمَرْتَ أرضَ المسلمين فأقْبَلَتْ ... وكَفَفْتَ عنها مَنْ يَرُومُ فسادَها)
(وأصَبْتَ في أرضِ العَدُوِّ مُصِيبةً ... عَمَّتْ أقَاصِيَ غَوْرِها ونِجَادَها)
(ظَفَراً ونَصْراً ما تناولَ مثلَه ... أحدٌ من الخُلَفاءِ كان أرادَها)
((فإذا نَشَرْتُ له الثناءَ وجدتُه ... جَمع المَكَارِمِ طِرْفَها وتِلاَدَها
الوليد يأمر بإحضار الأحوص وعدي بن الرقاع
فأشار الوليد إلى بعض الخدم فغطوه بالخلع ووضعوا بين يديه كيسا من الدنانير وبدرا من الدراهم ثم قال الوليد بن عبد الملك يا مولى بني نوفل بن الحارث لقد أوتيت أمرا جليلا فقال ابن سريج يا أمير المؤمنين لقد آتاك الله ملكا عظيما وشرفا عاليا وعزا بسط يدك فيه فلم يقبضه عنك ولا يفعل إن شاء الله فأدام الله لك ما ولاك وحفظك فيما استرعاك فإنك أهل لما أعطاك ولا نزعه منك إذ رآك له موضعا قال يا نوفلي وخطيب أيضا قال ابن سريج عنك نطقت وبلسانك تكلمت وبعزك بينت وقد كان أمر بإحضار الأحوص بن محمد الأنصاري وعدي بن الرقاع العاملي فلما قدما عليه أمر بإنزالهما حيث ابن سريج فأنزلا منزلا إلى جنب ابن سريج فقالا والله لقرب أمير المؤمنين كان أحب إلينا من قربك يا مولى بني نوفل وإن في قربك لما يلذنا ويشغلنا عن كثير مما نريد فقال لهما ابن سريج أو قلة شكر فقال له عدي كأنك يابن اللخناء تمن علينا علي وعلي إن جمعنا وإياك سقف بيت أو صحن دار إلا عند أمير المؤمنين وأما الأحوص فقال أو لا تحتمل لأبي يحيى الزلة
والهفوة وكفارة يمين خير من عدم المحبة وإعطاء النفس سؤلها خير من لجاج في غير منفعة فتحول عدي وبقي عنده الأحوص وبلغ الوليد ما جرى بينهم فدعا ابن سريج وأدخله بيتا وأرخى دونه سترا ثم أمره إذا فرغ الأحوص وعدي من كلمتيهما أن يغني فلما دخلا وأنشداه مدائح فيه رفع ابن سريج صوته من حيث لا يرونه وضرب بعوده فقال عدي يا أمير المؤمنين أتأذن لي أن أتكلم فقال قل يا عاملي قال أمثل هذا عند أمير المؤمنين ويبعث إلى ابن سريج يتخطى به رقاب قريش والعرب من تهامة إلى الشأم ترفعه أرض وتخفضه أخرى فيقال من هذا فيقال عبيد بن سريج مولى بني نوفل بعث أمير المؤمنين إليه ليسمع غناءه فقال ويحك يا عدي أو لا تعرف هذا الصوت قال لا والله ما سمعته قط ولا سمعت مثله حسنا ولولا أنه في مجلس أمير المؤمنين لقلت طائفة من الجن يتغنون فقال اخرج عليهم فخرج فإذا ابن سريج فقال عدي حق لهذا أن يحمل حق لهذا أن يحمل ثلاثا ثم أمر لهما بمثل ما أمر به لابن سريج وارتحل القوم وكان الذي غناه ابن سريج من شعر عمر بن أبي ربيعة
(باللهِ يا ظَبْيَ بني الحَارثِ ... هل مَنْ وَفَى بالعَهْدِ كالنَّاكِثِ)
(لا تَخْدَعَنِّي بالمُنَى باطِلاً ... وأنت بي تَلْعَبُ كالعَابِث)
(حتّى متى أنتَ لنا هكذا ... نَفْسِي فِداءٌ لكَ يا حارثي)
(يا مُنْتَهى هَمِّي ويا مُنْيَتي ... ويا هَوَى نَفْسي ويا وَارِثي)
(عودة الناس عن لوم ابن سريج على صنعة الغناء بعد سماع صوته
قال وبلغني أن رجلا من الأشراف من قريش من موالي ابن سريج عاتبه يوما على الغناء وأنكره عليه وقال له لو أقبلت على غيره من الآداب لكان أزين
بمواليك وبك فقال جعلت فداك امرأته طالق إن أنت لم تدخل الدار فقال الشيخ ويحك ما حملك على هذا قال جعلت فداك قد فعلت فالتفت النوفلي إلى بعض من كان معه متعجبا مما فعل فقال له القوم قد طلقت امرأته إن أنت لم تدخل الدار فدخل ودخل القوم معه فلما توسطوا الدار قال امرأته طالق إن أنت لم تسمع غنائي قال اعزب عني يا لكع ثم بدر الشيخ ليخرج فقال له أصحابه أتطلق امرأته وتحمل وزر ذلك قال فوزر الغناء أشد قالوا كلا ما سوى الله عز وجل بينهما فأقام الشيخ مكانه ثم اندفع ابن سريج يغني في شعر عمر بن أبي ربيعة في زينب
(أليستْ بالَّتِي قالتْ ... لمولاةٍ لهَا ظهرا)
(أشِيرِي بالسَّلاَمِ لهُ ... إذا هُوَ نحونَا خَطَرَا)
(وقُولِي في مُلاَطفةٍ ... لِزينبَ نَوِّلِي عمرَا)
(أهذا سِحرُك النِّسوانَ ... قد خَبَّرْنني الخَبَرا)
فقال للجماعة هذا والله حسن ما بالحجاز مثله ولا في غيره وانصرفوا
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الأصمعي قال قال عبد الله ابن عمير الليثي لابن سريج لو تركت الغناء وعاتبه على ذلك فقال جعلت فداك لو سمعته ما تركته ثم قال امرأته طالق ثلاثا إن لم تدخل الدار حتى تسمع غنائي فالتفت عبد الله إلى رفيق له كان معه فقال ما تنتظر أدخل بنا وإلا طلقت امرأة الرجل فدخلا مع ابن سريج فغنى بشعر الأحوص
صوت
(لقدْ شاقَكَ الحيُّ إذ ودعوا ... فعينُكِ في إثْرِهِم تَدْمَعُ)
((وناداكَ للبَيْنِ غِرْبانُه ... فَظَلْتَ كأنَّكَ لا تَسمَعُ
ثم قال امرأته طالق إن أنت لم تستحسنه لأتركنه فتبسم عبد الله وخرج
نسبة ما في هذه الأخبار من الأصوات
منها الصوت الذي أوله في الخبر
(... جَدّدِي الوَصْلَ يا قريب وجُودي)
قوله
صوت
(إنَّ طَيْفَ الخَيَالِ حينَ ألَّما ... هاجَ لي ذُكْرَةً وأحدثَ هَمَّا)

(جَدِّدِي الوَصْلَ يا قريب وجُودِي ... لمُحِبٍّ فِرَاقُه قد ألمَّا)
(ليس بين الحياةِ والموتِ إلاّ ... أن يَرُدُّوا جِمَالَهم فتُزَمَّا)
(ولقد قُلْتُ مُخْفِياً لِغَريضٍ ... هل تَرَى ذلك الغَزَال الأَحَمَّا)
(هل تَرَى مثلَه من الناس شَخْصاً ... أكمَلَ الناس صورةً وأتَمَّا)
عروضه من الخفيف الشعر لعمر بن أبي ربيعة والغناء لابن سريج ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي وفيه للغريض أيضا ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثنا الزبير قال
أنشد جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام قول عمر
(ليس بين الحياة والموت إلاّ ... أن يَرُدُّوا جِمَالَهم فتُزَمَّا)
فطرب وارتاح وجعل يقول لقد عجلوا البين أفلا يوكون قربة أفلا يودعون صديقا أفلا يشدون رحلا حتى جرت دموعه
وحدثنا الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير فذكر مثله
ومنها
صوت
(يا أختَ نَاجيةَ السلامُ عليكُم ... قبلَ الرَّحيل وقبلَ عَذْلِ العُذَّلِ)
(لو كنتُ أعلمُ أنّ آخرَ عَهْدِكم ... يومُ الرَّحيل فعلتُ ما لم أفعَلِ)
عروضه من الكامل الشعر لجرير والغناء لابن سريج ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن ابن المكي وذكر إسحاق في هذه الطريقة ولم ينسبه إلى أحد وفيه للغريض ثاني ثقيل بالوسطى عن ابن المكي أيضا ومما يشك فيه أنه لمعبد أو لكردم ابنه في البيت الثاني والأول ثاني ثقيل ولعريب في هذين البيتين لحن من رواية ابن المعتز غير مجنس
ومنها
صوت
(أمَنزِلَتَيْ سَلْمَى على القِدَم أسلَمَا ... فقد هِجْتُما للشوق قلباً مُتَيَّما)
(وذَكَّرتُما عصرَ الشَّباب الذي مضَى ... وجِدَّةَ وَصْلٍ حَبْلُه قد تَجَذَّمَا)
عروضه من الطويل والشعر للأحوص والغناء لكردم ثاني ثقيل بالوسطى وقيل إن هذا الثقيل الثاني لمحمد الرف وإن فيه لحنا من الثقيل الأول لكردم
ومنها
صوت
(عَرَفَ الديارَ توهُّماً فاعتادَها ... من بَعْدِ ما شَمِلَ البِلَى أبْلاَدَهَا)
(إلاّ رَوَاكِدَ كُلُّهنّ قَدِ اصْطَلَى ... حَمْرَاءَ أَكثَر أهلُهَا إيقادَها)
عروضه من الكامل الشعر لعدي بن الرقاع العاملي والغناء لابن محرز ثقيل أول مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق وفيه لمالك ثقيل أول بالبنصر عن عمرو وفيه لحن لإبراهيم وفي هذه الأخبار أنه لابن سريج وذكر حماد في كتاب ابن محرز أنه مما ينسب إلى ابن مسجح أو إلى ابن محرز
ومنها
صوت
(باللّهِ يا ظَبْيَ بني الحارثِ ... هل مَنْ وَفَى بالعهدِ كالنَّاكِثِ)
(لا تَخْدَعَنّي بالمُنَى بَاطِلاً ... وأنت بي تلعَب كالعَابِثِ)
عروضه من السريع الشعر لعمر بن أبي ربيعة والغناء لابن سريج ولحنه خفيف ثقيل أول بالوسطى وذكر عمرو بن بانة أنه لسياط وذكر الهشامي وبذل أن فيه لإبراهيم الموصلي لحنا آخر وفيه خفيف رمل بالبنصر ذكر حبش أنه لإبراهيم بن المهدي وغيره ينسبه إلى إسحاق
ومنها
صوت
وهو الذي أوله في الخبر أليست بالتي قالت لمولاة لها ظهرا
(تَصَابَى القلبُ فادَّكَرا ... هَوَاه ولم يَكُن ظَهَرَا)
(لزينبَ إذ تُجِدُّ لنا ... صَفَاء لم يكن كَدِرا)
(أليستْ بالتي قالتْ ... لمولاةٍ لها ظهرا)
(أشِيري بالسَّلاَمِ له ... إذا هو نحوَنا نَظَرا)
(وقُولِي في مُلاَطَفَةٍ ... لزينبَ نَوِّلي عُمَرا)
(فهزّتْ رأسها عَجَباً ... وقالتْ مَنْ بِذَا أمَرا)
(أهذا سِحْرُكَ النِّسْوانَ ... قد خَبَّرْنني الخَبَرا)
(طَرِبْتَ ورَدَّ مَن تَهْوَى ... جِمَالُ الحَيِّ فابتكَرا)
(فقُلْ للبَرْبَريَّةِ لا ... تلُومِي القلبَ إن جَهَرا)
(بَطِرْتَ وهكذا الإنسانُ ... ذو بَطَرٍ إذا ظَفِرا)
(فأينَ العَهْدُ والميثاقُ ... لا تُخْبِرْ بنا بَشَرا)
عروضه من الوافر الشعر لعمر بن أبي ربيعة والغناء لابن سريج في الثالث والرابع والخامس والأول خفيف ثقيل أول مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق وللغريض في السابع والثامن والأول لحن من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالوسطى في مجراها عن إسحاق ولمعبد في هذه الأبيات كلها لحن عن يونس ودنانير ولم يجنساه وذكر الهشامي أنه خفيف ثقيل وفي السابع والثامن والتاسع رمل لدحمان ويقال إنه للزبير ابنه ولمالك لحن أوله
صوت
(لقدْ أرسلتُ جَارِيَتِي ... وقلتُ لها خُذِي حَذَرَكْ)
(وقُولِي في مُلاَطَفَةٍ ... لزينَبَ نَوِّلي عُمَرَكْ)

(فهزَّتْ رَأسَها عَجَباً ... وقالتْ مَن بذا أمَرَكْ)
(أهذا سحرُك النسوان ... قد خبّرنني خبرَكْ)
ولحن مالك هذا خفيف ثقيل بالوسطى من رواية ابن المكي وهذا يروي الشعر ويجعل قوافيه كلها على الكاف وفي هذه الأبيات بعينها على هذه القافية خفيف رمل ينسب إلى ابن سريج وإلى الغريض وذكر حبش أن فيه لمعبد لحنا من الرمل أوله الثالث من الأبيات الأول المذكورة

رجع الخبر إلى سياقة أحاديث ابن سريج

ابن سريج أحسن الناس غناء

أخبرنا يحيى بن علي ووكيع وجحظة قالوا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال قال لي الفضل بن يحيى سألت أباك ليلة وقد أخذ منه الشراب عن أحسن الناس غناء فقال لي من النساء أم من الرجال قلت من الرجال قال ابن محرز فقلت فمن النساء قال ابن سريج قال إسحاق لي ويقال أحسن الرجال غناء من تشبه بالنساء وأحسن النساء غناء من تشبه بالرجال قال يحيى بن علي خاصة ثم كان ابن سريج كأنه خلق من قلب كل واحد فهو يغني له بما يشتهي
أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد قرأت على أبي عن الهيثم بن عدي قال
قال ابن سريج مررت ببعض أندية مكة وفيه جماعة فحصرت فقلت
كيف أجوزهم مع تعبي وما أنا فيه فسمعتهم يقولون قد جاء ابن سريج فقال بعضهم ممن لم يعرفني ومن ابن سريج فقال الذي يغني
(ألاَ هل هاجَكَ الأظعانُ ... إذ جاوَزْنَ مُطَّلَحَا)
قال ابن سريج فلما سمعت ذلك قويت نفسي واشتدت منتي ومررت بها أخطر في مصبغاتي فلما حاذيتهم قاموا بأجمعهم فسلموا علي ثم قالوا لأحداثهم امشوا مع أبي يحيى
ابن سريج يغني فتية من بني مروان
وقد حدثني عمي بهذا الخبر فقال حدثني أبو أيوب المديني قال حدثني محمد بن سلام عن جرير قال
قال لي ابن سريج دعاني فتية من بني مروان فدخلت إليهم وأنا في ثياب الحجاز الغلاظ الجافية وهم في القوهي والوشي يرفلون كأنهم الدنانير الهرقلية فغنيتهم وأنا محتقر لنفسي عندهم لحنا لي وهو
صوت
(أبِالفُرْعِ لم تَظْعَنْ مع الحيِّ زينبُ ... بِنَفْسِي عن النَّأْيِ الحَبِيبُ المُغَيَّبُ)
(بوجْهِكِ عن مَسِّ التُّرَابِ مَضَنَّةٌ ... فلا تَبْعَدِي إذ كلُّ حَيٍّ سَيَعْطَبُ)
ولحن ابن سريج هذا رمل بالخنصر في مجرى البنصر قال فتضاءلوا في عيني حتى ساويتهم في نفسي لما رأيتهم عليه من الإعظام لي ثم غنيتهم
((وَدِّعْ لُبَابَةَ قبل أن تَترحَّلاَ ... واسألْ فإن قُلاَلَه أن تَسأَلاَ
فطربوا وعظموني وتواضعوا لي حتى صرت في نفسي بمنزلتهم لما رأيتهم عليه وصاروا في عيني بمنزلتي ثم غنيتهم
(ألاَ هَلْ هاجكَ الأظْعَانُ ... إذ جَاوَزْنَ مُطَّلَحَا)
فطربوا ومثلوا بين يدي ورموا بحللهم كلها علي حتى غطوني بها فمثلت لي نفسي أنها نفس الخليفة وأنهم لي خول فما رفعت طرفي إليهم بعد ذلك تيها وقد مضت نسبة ودِّعْ لُبَابَةَ في أخبار عمر بن أبي ربيعة وغيره وأما
(... ألاَ هَلْ هَاجَكَ الأظْعَانُ)
فنذكر نسبته
نسبة هذا الصوت
صوت
(ألاَ هَلْ هاجَكَ الأظعانُ ... إذ جاوَزْنَ مُطَّلَحَا)
(نَعَمْ ولوَشْكِ بينهِمُ ... جَرَى لكَ طائرٌ سُنُحَا)
(أجَزْنَ الماءَ من رَكَكٍ ... وضوءُ الفَجْرِ قد وَضَحا)
((فقُلْنَ مَقِيلُنا قَرْنٌ ... نُبَاكِرُ ماءه صبُحَا
(تَبِعْتُهُم بطَرْفِ العَيْن ... حتّى قِيلَ لي افتَضَحَا)
(يُوَدِّعِ بَعْضُنا بعضاً ... وكلٌّ بالهوَى جُرِحَا)
(فمَنْ يَفْرَحْ بِبَيْنِهِمُ ... فغَيْري إذ غَدَوْا فَرِحَا)
عروضه من الوافر الشعر لأبي دهبل الجمحي والغناء لمالك وله فيه لحنان ثقيل أول بالبنصر عن إسحاق وخفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو ولمعبد فيه ثقيل أول بالخنصر في مجرى الوسطى ولابن سريج في الخامس وما بعده ثقيل أول مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق وفيه للغريض ثاني ثقيل بالوسطى عن حبش
جرير يمدح غناء ابن سريج
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال قدم جرير المدينة أو مكة فجلس مع قوم فجعلوا يعرضون عليه غناء رجل رجل من المغنين حتى غنوه لابن سريج فطرب وقال هذا أحسن ما أسمعتموني من الغناء كله قالوا وكيف قلت ذاك يا أبا حزرة قال مخرج كل ما أسمعتموني من الغناء من الرأس ومخرج هذا من الصدر
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبي قال حدثني إبراهيم بن محمد الشافعي قال
جاء سندة الخياط المغني إلى الأفلح المخزومي وكان يوصف بعقل وفضل فقال له من أين أقبلت وإلى أين تمضي فقال إليك قصدت من
مجلس لبعض القرشيين أقبلت محاكما إليك قال فيماذا قال كنت عند هذا الرجل وحضرت مجلسه رقطاء الحبطيين وصفراء العلقميين فتناولتا بينهما رمل ابن سريج
(ليتَ شِعْري كيفَ أبْقَى ساعةً ... مع ما ألْقَى إذا الليلُ حَضَرْ)
(من يَذُقْ نوماً ويَهْدأ ليلَه ... فلقد بُدِّلْتُ بالنومِ السَّهَرْ)
(قلتُ مَهْلاً إنها جِنِّيَّةٌ ... إن تُخَالِطْها تَفُزْ منها بِشَرّ)

فغنتاه جميعا واختلفنا في تفضيلهما ففضل كل فريق منا إحداهما فرضينا جميعا بحكمك فاحكم بيننا وبينهما فوجم ساعة وأهل الحجاز إذا أرادوا أن يحكموا تأملوا ساعة ثم حكموا فإذا حكم المحكم مضى حكمه كائنا ما كان ففضل من فضله وأسقط من أسقطه إذا تراضى الخصمان به فكره الأفلح أن يرضي قوما ويسخط آخرين فقال لسندة صفهما أنت لي كيف كانتا إذ غنتاه واشرح لي مذهبهما فيه كما سمعت وأنا أحكم بعد ذلك فقال سندة أما جارية الحبطيين فإنها كانت تلوك لحنه كما يلوك الفرس العتيق لجامه ثم تلقيه في هامة لدنة ثم تخرجه من منخر أغن والله ما ابتدأته فتوسطته وأنا أعقل ولا فرغت منه فأفقت إلا وأنا أظن أني رأيته في نومي وأما صفراء العلقميين فإنها أحسنهما حلقا وأصحهما صوتا وألينهما تثنيا والله ما سمعها أحد قط فانتفع بنفسه ولا دينه هذا ما عندي فاحكم أنت يا أخا بني مخزوم فقال قد حكمت بأنهما بمنزلة العينين في الرأس فبأيهما نظرت أبصرت ولو كان في

الدنيا من عبيد بن سريج خلف لكانتا قال فانصرفوا جميعا راضين بحكمه

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن محمد بن سلام قال

سألت جريرا المديني عن ابن سريج فقال أتذكره ويحك باسمه ولا تقول سيد من غنى وواحد من ترنم

قال حماد وحدثني أبي عن هارون بن مسلم عن محمد بن زهير السعدي الكوفي عن أبي بكر بن عياش عن الحسن بن عمرو الفقيمي قال

دخلت على الشعبي فبينا أنا عنده في غرفته إذ سمعت صوت غناء فقلت أهذا في جوارك فأشرف بي على منزله فإذا بغلام كأنه فلقة قمر يتغنى قال إسحاق وهذا الغناء لابن سريج

(وقُمَيرٌ بَدَا ابنَ خمسٍ وعشرين ... له قالت الفَتَاتَانِ قُوماَ)

قال فقال لي الشعبي أتعرف هذا قلت لا فقال هذا الذي أتي الحكم صبيا هذا ابن سريج

وأخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني أبو أيوب المديني قال حدثني الهشامي الربعي عن إسحاق الموصلي قال

تغنى ابن سريج في شعر لعمر بن أبي ربيعة وهو

صوت

(خَانَكَ مَنْ تَهْوَى فلا تَخُنْهُ ... وكُنْ وَفِيّاً إن سَلَوْتَ عنهُ)

(واسلُكْ سَبِيلَ وَصْلِه وصُنْهُ ... إن كان غَدَّاراً فلا تكُنْهُ)

((عسى تَبَاريحُ تَجِيءُ منه ... فيرجِعَ الوَصْلُ ولم تَشِنْهُ

قال المكيون قال ابن سريج ما تغنيت بهذا الشعر قط إلا ظننت أني أحل محل الخليفة

قال مؤلف هذا الكتاب أبو الفرج الأصفهاني وجدت في هذا الشعر لحنين أحدهما ثقيل أول والآخر رمل مجهولين جميعا فلا أدري أيهما لحنه

ابن سريج يعدد صفات المغني المحسن والمصيب

ونسخت من كتاب العتابي أخبرني عون بن محمد قال حدثني عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع عن جده الفضل عن ابن جامع عن سياط عن يونس الكاتب عن مالك بن أبي السمح قال

سألت ابن سريج عن قول الناس فلان يصيب وفلان يخطئ وفلان يحسن وفلان يسيء فقال المصيب المحسن من المغنين هو الذي يشبع الألحان ويملأ الأنفاس ويعدل الأوزان ويفخم الألفاظ ويعرف الصواب ويقيم الإعراب ويستوفي النغم الطوال ويحسن مقاطيع النغم القصار ويصيب أجناس الإيقاع ويختلس مواقع النبرات ويستوفي ما يشاكلها في الضرب من النقرات فعرضت ما قال على معبد فقال لو جاء في الغناء قرآن ما جاء إلا هكذا

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثني أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثني الزبير بن بكار عن ظبية

أن يزيد بن عبد الملك قال لحبابة يوما أتعرفين أحدا هو أطرب مني قالت نعم مولاي الذي باعني فأمر بإشخاصه فأُشخص إليه مقيدا وأعلم

بحاله فأذن في إدخاله فمثل بين يديه وحبابة وسلامة تغنيان فغنته سلامة لحن الغريض في

(... تَشُطُّ غداً دارُ جيراننا)

فطرب وتحرك في أقياده ثم غنته حبابة لحن ابن سريج المجرد في هذا الشعر فوثب وجعل يحجل في قيده ويقول هذا وأبيكما ما لا تعذلاني فيه حتى دنا من الشمعة فوضع لحيته عليها فاحترقت وجعل يصيح الحريق الحريق يا أولاد الزنا فضحك يزيد وقال هذا والله أطرب الناس حقا ووصله وسرّحه إلى بلده

ابن سريج يطلب إلى عطاء وابن جريج أن يسمعاه

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا فضل اليزيدي عن إسحاق

أن ابن سريج كان جالسا فمر به عطاء وابن جريج فحلف عليهما بالطلاق أن يغنيهما على أنهما إن نهياه عن الغناء بعد أن يسمعا منه تركه فوقفا له وغناهما

(إخوتي لا تبْعُدُوا أبداً ... وبَلَى والله قد بعِدُوا)

فغشي على ابن جريج وقام عطاء فرقص ونسبة هذا الصوت وخبره يذكر في موضع آخر

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا فضل اليزيدي عن إسحاق

أن ابن سريج كان عند بستان ابن عامر يغني

(لِمَنْ نارٌ بأعلى الخَيْفِ ... دونَ البئر ما تَخْبُو)

(أرِقْتُ لذكرِ موقِعِها ... فحَنَّ لذكرِها القَلْبُ)

((إذا ما أخْمِدَتْ أُلْقِي ... عليها المَنْدَلُ الرَّطْبُ

فجعل الحاج يركب بعضهم بعضا حتى جاء إنسان من آخر القطرات فقال يا هذا قد قطعت على الحاج وحبستهم والوقت قد ضاق فاتق الله وقم عنهم فقام وسار الناس

استحق جائزة سليمان بن عبد الملك لسبقه في الغناء

أخبرني الحسن قال حدثني محمد بن زكريا قال حدثني يزيد بن محمد عن إسحاق الموصلي

أن سليمان بن عبد الملك لما حج سبق بين المغنين بَدْرَةً فجاء ابن سريج وقد أغلق الباب فلم يأذن له الحاجب فأمسك حتى سكتوا وغنى

(... سَرَى هَمِّي وهَمُّ المرء يَسْري)
فأمر سليمان بدفع البدرة إليه
نسبة هذا الصوت
صوت
(سَرَى همِّي وهَمُّ المرءِ يْسِري ... وغابَ النَّجْمُ إلا قِيسَ فِتْر)
(أُراقِبُ في المجَرَّةِ كلَّ نَجْمٍ ... تعرَّضَ للمجَرَّةِ كيفَ يَجْري)
(لِهَمٍّ لا أَزالُ له مُدِيماً ... كأنّ القلبَ أُسْعِرَ حَرَّ جَمْرِ
(على بَكْرٍ أخي وَلَّى حَمِيداً ... وأيُّ العَيْشِ يَصْفُو بعدَ بَكْرِ)
الشعر لعروة بن أذينة والغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى وفيه لأبي عباد رمل بالوسطى وذكر الهشامي أن هذا اللحن لصاحب الحرون
مرض ابن سريج وموته
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال
قال ابن مِقَمَّة دخلت على ابن سريج في مرضه الذي مات فيه فقلت كيف أصبحت يا أبا يحيى فقال أصبحت والله كما قال الشاعر
(كأنّي مِن تَذَكُّرِ ما أُلاقي ... إذا ما أَظْلَم الليلُ البهِيمُ)
(سَقيمٌ مَلَّ منه أَقْرَبُوه ... وأَسْلَمَه المُداوي والحمِيمُ)
ثم مات
قال إسحاق قال ابن مِقَمَّةَ لما احتضر ابن سريج نظر إلى ابنته تبكي فبكى وقال إن من أكبر همي أنت وأخشى أن تضيعي بعدي فقالت لا تخف فما غنيت شيئا إلا وأنا أغنيه فقال هاتي فاندفعت تغني أصواتا وهو مصغ إليها فقال قد أصبت ما في نفسي وهونت علي امرك ثم دعا سعيد بن مسعود الهذلي فزوجه إياها فأخذ عنها أكثر غناء أبيها وانتحله فهو الآن ينسب إليه قال إسحاق فقال كثر بن كثير السهمي يرثيه
(ما اللهوُ بعدَ عُبَيْد حين يَخْبُرُه ... مَنْ كانَ يَلْهُو به منه بمُطَّلَبِ)
((للهِ قبرُ عُبَيدٍ ما تضمَّن من ... لَذَاذَة العَيْش والإحسانِ والطرب
(لولا الغَرِيضُ ففيه من شمَائِلِهِ ... مَشَابِهٌ لم أكُن فيها بذي أَرَب)
قال إسحاق وحدثني هشام بن المرية أن قادما قدم المدينة فسار معبدا بشيء فقال معبد أصبحت أحسن الناس غناء فقلنا أو لم تكن كذلك فقال ألا تدرون ما أخبرني به هذا قالوا لا قال أعلمني أن عبيد بن سريج مات ولم أكن أحسن الناس غناء وهو حي وفي ابن سريج يقول عمر بن أبي ربيعة
صوت
(قالتْ وَعيْنَاها تَجُودَانِها ... صُوحِبْتَ واللهُ لكَ الرَّاعِي)
(يابنَ سُرَيج لا تُذِعْ سِرَّنا ... قد كنتَ عندي غيرَ مِذْياعِ)
غنى فيه ابن سريج من رواية يونس
قال أبو أيوب المديني توفي ابن سريج بالعلة التي أصابته من الجذام بمكة في خلافة سليمان بن عبد الملك أو في آخر خلافة الوليد بمكة ودفن في موضع بها يقال له دَسْمٌ
رجلان يسألان الوقوف على قبر ابن سريج
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال أخبرني هارون ابن أبي بكر قال حدثني إسحاق بن يعقوب العثماني مولى آل عثمان عن أبيه قال
إنا لبفناء دار عمرو بن عثمان بالأَبْطَح في صبح خامسة من الثمان يعني أيام الحج قال كنت جالسا أيام الحج فما إن دريت إلا برجل على راحلة على رحل
جميل وأداة حسنة معه صاحب له على راحلة قد جنب إليها فرسا وبغلا فوقفا علي وسألاني فانتسبت لهما عثمانيا فنزلا وقالا رجلان من أهلك لهما حاجة ونحب أن تقضيها قبل أن نشده بأمر الحج فقلت ما حاجتكما قالا نريد إنساناً يقفنا على قبر عبيد بن سريج قال فنهضت معهما حتى بلغت بهما محلة بني أبي قارة من خزاعة بمكة وهم موالي عبيد بن سريج فالتمست لهما إنسانا يصحبهما حتى يقفهما على قبره بدَسْم فوجدت ابن أبي دُبَاكِلٍ فأنهضته معهما فأخبرني بعد أنه لما وقفهما على قبره نزل أحدهما عن راحلته فحسر عمامته عن وجهه فإذا هو عبد الله بن سعيد بن عبد الملك بن مروان فعقر ناقته واندفع يندبه بصوت شجي كليل حسن ويقول
(وقَفْنَا على قبرٍ بدَسْمٍ فَهاجَنَا ... وذَكَّرنا بالعَيْشِ إذ هو مُصْحِبُ)
(فجالتْ بأرجاءِ الجُفُونِ سوافِحٌ ... من الدَّمْعِ تَستَتْلِي الذي يتعقَّبُ)
(إذا أبطأتْ عن ساحةِ الخدِّ ساقَها ... دمٌ بعدَ دمعٍ إثْرَه يتَصَبَّبُ)
(فإن تُسْعِدَا نَنْدُبْ عُبيداً بَعْوَلةٍ ... وقَلَّ له منَّا البُكَا والتَّحَوُّبُ)
ثم نزل صاحبه فعقر ناقته وقال له القرشي خذ في صوت أبي يحيى فاندفع يتغنى
(أَسْعِدَانِي بعَبْرَةٍ أَسْرَابِ ... من دُمُوعٍ كَثِيرةِ التَّسْكَابِ)
(إنّ أَهْلَ الحِصَابِ قد تركُوني ... مُولَعاً مُولَعاً بأهلِ الحِصَابِ)
((أهلِ بيتٍ تتابَعوا للمَنَايَا ... ما على الموت بعدَهم من عِتَابِ
(فَارَقُوني وقد علمتُ يقيناً ... ما لِمَنْ ذَاقَ مِيتَةً من إِيَابِ)
(كم بذاكَ الحَجُونِ من أهلِ صِدْقٍ ... وكُهُولٍ أَعِفَّةٍ وشَبَابِ)
(سكَنُوا الجِزْعَ جِزْعَ بيتِ أَبِي موسى ... إلى النَّخْلِ من صُفِيِّ السِّبَابِ)
(فلِيَ الويلُ بعدَهم وعليهمْ ... صِرْتُ فرداً ومَلَّني أصْحَابي)
قال ابن أبي دُبَاكِلٍ فوالله ما تمم صاحبه منها ثلاثا حتى غشي على صاحبه وأقبل يصلح السرج على بغلته وهو غير معرج عليه فسألته من هو فقال رجل من جذام قلت بمن تعرف قال بعبد الله بن المنتشر قال ولم يزل القرشي على حاله ساعة ثم أفاق ثم جعل الجذامي ينضح الماء على وجهه ويقول كالمعاتب له أنت أبدا مصبوب على نفسك ومن

كلفك ما ترى ثم قرب إليه الفرس فلما علاه استخرج الجذامي من خرج على بغل قدحا وإداوَةَ ماء فجعل في القدح ترابا من تراب قبر ابن سريج وصب عليه ماء من الإداوة ثم قال هاك فاشرب هذه السَّلْوَةَ فشرب ثم فعل هو مثل ذلك وركب على البغل وأردفني فخرجا والله ما يعرضان بذكر شيء مما كنا فيه ولا أرى في وجوههما شيئا مما كنت أرى قبل ذلك فلما اشتمل علينا أبطح مكة قالا انزل يا خزاعي فنزلت وأومأ الفتى إلى الجذامي بكلام فمد يده إلي وفيها شيء فأخذته فإذا هو عشرون دينارا ومضيا فانصرفت إلى قبره ببعيرين فاحتملت عليهما أداة الراحلتين اللتين عقراهما فبعتها بثلاثين دينارا

صوت من المائة المختارة

وهو الثالث من الثلاثة المختارة

(أهاجَ هواكَ المنزلُ المُتَقَادم ... نعمْ وبه مِمَّنْ شَجَاكَ مَعَالِمُ)

(مَضَاربُ أوْتادٍ وأشْعَثُ داثِرٌ ... مُقِيمٌ وسُفْعٌ في المَحَلِّ جَوَاثِمُ)

عروضه من الطويل الشعر لنصيب والغناء في اللحن المختار لابن محرز ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر وله فيه أيضا هزج بالسبابة في مجرى البنصر وذكر جحظة عن أصحابه أنه هو المختار وحكى عن أصحابه أنه ليس في الغناء كله نغمة إلا وهي في الثلاثة الأصوات المختارة التي ذكرها

ومن قصيدة نصيب هذه مما يغني فيه قوله

(لقد راعَني للبَيْنِ نَوْحُ حمامةٍ ... على غُصْنِ بَانٍ جاوَبَتْها حَمَائمُ)

(هَوَاتِفُ أمّا منْ بَكَيْن فعهدُه ... قَديمٌ وأمّا شجْوُهُنَّ فَدائِمُ)

الغناء لابن سريج ثاني ثقيل مطلق في مجرى البنصر عن يونس ويحيى المكي وإسحاق وأظنه مع البيتين الأولين وأن الجميع لحن واحد ولكنه تفرق لصعوبة اللحن وكثرة ما فيه من العمل فجعلا صوتين

ذكر نُصَيْبٍ وأخباره

هو نصيب بن رباح مولى عبد العزيز بن مروان وكان لبعض العرب من بني كنانة السكان بودان فاشتراه عبد العزيز منهم وقيل بل كانوا أعتقوه فاشترى عبد العزيز ولاءه منهم وقيل بل كاتب مواليه فأدى عنه مكاتبته

وقال ابن دأب كان نصيب من قضاعة ثم من بلي وكانت أمه سوداء فوقع عليها سيدها فحبلت بنصيب فوثب عليه عمه بعد وفاة أبيه فباعه من عبد العزيز

وقال أبو اليقظان كان أبوه من كنانة من بني ضمرة وكان شاعرا فحلا فصيحا مقدما في النسيب والمديح ولم يكن له حظ في الهجاء وكان عفيفا وكان يقال إنه لم ينسب قط إلا بامرأته

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال كتب إلي عبد الله بن عبد العزيز بن محجن بن نصيب بن رباح يذكر عن عمته غرضة بنت النصيب

أن النصيب كان ابن نوبيين سبيين كانا لخزاعة ثم اشترت سلامة أم نصيب امرأة من خزاعة ضمرية حاملا بالنصيب فأعتقت ما في بطنها

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن محمد بن كناسة قال

كان نصيب من أهل ودان عبدا لرجل من كنانة هو وأهل بيته وكان أهل البادية يدعونه النصيب تفخيما له ويروون شعره وكان عفيفا كبير النفس مقدما عند الملوك يجيد مديحهم ومراثيهم

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن ابن الكلبي قال

كان نصيب من بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة وكانت أمه أمة سوداء وقع فحملت ثم مات فباعه عمه أخو أبيه من عبد العزيز بن مروان

النصيب يقول شعرا ثم ينسبه إلى شعراء

قال حماد وأخبرني أبي عن أيوب بن عباية وأخبرنا الحرمي عن الزبير عن عمه وعن إسحاق بن إبراهيم جميعا عن أيوب بن عباية قال حدثني رجل من خزاعة من أهل كلية وهي قرية كان فيها النصيب وكثير قال

بلغني أن النصيب قال قلت الشعر وأنا شاب فأعجبني قولي فجعلت آتي مشيخة من بني ضمرة بن بكر بن عبد مناة وهم موالي النصيب ومشيخة من خزاعة فأنشدهم القصيدة من شعري ثم أنسبها إلى بعض شعرائهم الماضين فيقولون أحسن والله هكذا يكون الكلام وهكذا يكون الشعر فلما سمعت ذلك منهم علمت أني محسن فأزمعوا وأزمعت الخروج إلى عبد العزيز بن مروان وهو يومئذ بمصر فقلت لأختي أمامة وكانت عاقلة جلدة أي أخية إني قد قلت شعرا وأنا أريد عبد العزيز بن مروان وأرجو أن يعتقك الله عز وجل به وأمك ومن كان مرقوقا من أهل قرابتي قالت إنا لله وإنا إليه راجعون يابن أم أتجتمع عليك الخصلتان السواد وأن تكون ضحكة للناس قال قلت

فاسمعي فأنشدتها فسمعت فقالت بأبي أنت أحسنت والله في هذا والله رجاء عظيم فاخرج على بركة الله فخرجت على قعود لي حتى قدمت المدينة فوجدت بها الفرزدق في مسجد رسول الله فعرجت إليه فقلت أنشده وأستنشده وأعرض عليه شعري فأنشدته فقال لي ويلك أهذا شعرك الذي تطلب به الملوك قلت نعم قال فلست في شيء إن استطعت أن تكتم هذا على نفسك فافعل فانفضحت عرقا فحصبني رجل من قريش كان قريبا من الفرزدق وقد سمع إنشادي وسمع ما قال لي الفرزدق فأومأ إلي فقمت إليه فقال ويحك أهذا شعرك الذي أنشدته الفرزدق قلت نعم فقال قد والله أصبت والله لئن كان هذا الفرزدق شاعرا لقد حسدك فإنا لنعرف محاسن الشعر فامض لوجهك ولا يكسرنك قال فسرني قوله وعلمت أنه قد صدقني فيما قال فاعتزمت على المضي قال فمضيت فقدمت مصر وبها عبد العزيز ابن مروان فحضرت بابه مع الناس فنحيت عن مجلس الوجوه فكنت وراءهم ورأيت رجلا جاء على بغلة حسن الشارة سهل المدخل يؤذن له إذا جاء فلما انصرف إلى منزله انصرفت معه أماشي بغلته فلما رآني قال ألك حاجة قلت نعم أنا رجل من أهل الحجاز شاعر وقد مدحت الأمير وخرجت إليه راجيا معروفه وقد ازدريت فطردت من الباب ونحيت عن الوجوه قال فأنشدني فأنشدته فأعجبه شعري فقال ويحك أهذا شعرك فإياك أن تنتحل فإن الأمير راوية عالم بالشعر وعنده رواة فلا تفضحني ونفسك فقلت والله ما هو إلا شعري فقال ويحك فقل أبياتا تذكر فيها حوف مصر وفضلها على غيرها والقني بها غدا فغدوت عليه من غد فأنشدته قولي

(سَرَى الهَمُّ تَثْنِينِي إليكَ طَلَائعهْ ... بمصرَ وبالخَوْف اعتَرَتْنِي رَوَائعُهْ)

(وبات وسادِي ساعدٌ قَلَّ لحمُه ... عن العَظْمِ حتى كاد تَبْدُو أشاجعُهْ)

قال وذكرت فيها الغيث فقلت
(وكم دونَ ذاكَ العارِضِ البارِقِ الذي ... له اشتَقْتُ مِن وَجْهٍ أسِيلَ مَدَامِعُهْ)
(تَمشّي به أفْناءُ بَكْرٍ ومَذْحِجٍ ... وأفناءُ عَمْرٍو وهو خِصْبٌ مَرابِعُهْ)
(فكلُّ مسيلٍ من تِهامَةَ طيِّبٌ ... دَمِيثُ الرُّبَا تَسْقِي البحارَ دَوَافِعه)
(أعنِّي على بَرْقٍ أُرِيكَ وَمِيضَه ... تُضِيءُ دُجُنَّاتِ الظَّلاَمِ لوَامِعُهْ)
(إذا اكْتَحَلَتْ عَيْنَا محِبٍّ بضَوْئِه ... تَجَافَتْ به حتّى الصَّبَاحِ مضَاجِعُهُ)
(هَنِيئاً لأُمِّ البَخْتَرِيِّ الرِّوَى به ... وإن أنْهَجَ الحَبْلَ الذي أنا قَاطِعُهْ)
(وما زِلْتُ حتّى قُلْتُ إنّي لَخَالِعٌ ... وَلاَئِي مِنْ مَوْلىً نَمَتَنِي قَوَارِعُه)
(ومانِحُ قومٍ أنتَ منهم مودَّتِي ... ومتَّخِذٌ مَوْلاَكَ مَوْلىً فتابِعُهْ)
عبد العزيز بن مروان يقول لأيمن بن خريم والله لنصيب أشعر منك
قال أنت والله شاعر احضر بالباب حتى أذكرك للأمير قال فجلست على الباب ودخل فما ظننت أنه أمكنه أن يذكرني حتى دعي بي فدخلت فسلمت على عبد العزيز فصعد في بصره وصوب ثم قال أنت شاعر ويلك قلت نعم أيها الأمير قال فأنشدني فأنشدته فأعجبه شعري وجاء الحاجب
فقال أيها الأمير هذا أيمن بن خريم الأسدي بالباب فقال ائذن له فدخل فاطمأن فقال له الأمير يا أيمن بن خريم كم ترى ثمن هذا العبد فنظر إلي فقال والله لنعم الغادي في أثر المخاض هذا أيها الأمير أرى ثمنه مائة دينار قال فإنَّ له شعرا وفصاحة فقال لي أيمن أتقول الشعر قلت نعم قال قيمته ثلاثون دينارا قال يا أيمن أرفعه وتخفضه أنت قال لكونه أحمق أيها الأمير ما لهذا وللشعر أمثل هذا يقول الشعر أو يحسن شعراً فقال أنشده يا نصيب فأنشدته فقال له عبد العزيز كيف تسمع يا أيمن قال شعر أسود هو أشعر أهل جلدته قال هو والله أشعر منك قال أمني أيها الأمير قال إي والله منك قال والله أيها الأمير إنك لملول طرف قال كذبت والله ما أنا كذلك ولو كنت كذلك ما صبرت عليك تنازعني التحية وتؤاكلني الطعام وتتكىء على وسائدي وفرشي وبك ما بك يعني وضحا كان بأيمن قال ائذن لي أن أخرج إلى بشر بالعراق واحملني على البريد قال قد أذنت لك وأمر به فحمل على البريد قال قد أذنت له وأمر به فحمل على البريد إلى بشر فقال أيمن بن خريم
(ركبتُ من المُقَطَّمِ في جُمَادَى ... إلى بِشْرِ بنِ مَرْوان البَرِيدَا)
(ولو أعطاكَ بِشْرٌ ألْفَ ألْفٍ ... رأى حَقّاً عليه أن يَزِيدَا)
(أميرَ المؤمنين أقِمْ بِبِشْرٍ ... عَمُودَ الحق إنّ له عَمُودَا)
((ودَعْ بِشْراً يُقَوِّمْهُمْ ويُحدِثْ ... لأهلِ الزَّيْغِ إسلاماً جَدِيدَا)
(كأنّ التاجَ تاجَ بني هِرَقْلٍ ... جَلَوْه لأعْظَمِ الأيّامِ عِيدَا)
(... عَلى دِيبَاجِ خَدَّيْ وَجْهِ بِشْرٍ ... إذا الألوانُ خالفتِ الخُدُودَا)
قال أيوب يعني بقوله
(إذا الألوان خالَفتِ الخُدُودَا)
أنه عرض بكلف كان في وجه عبد العزيز
(وأعْقَبَ مِدْحتِي سَرْجاً مليحاً ... وأبْيضَ جُوزَجانياً عَقُودَا)
(وإنّا قد وَجَدْنا أمَّ بِشْرٍ ... كأُمِّ الأسدِ مِذْكاراً وَلُودَا)
قال فأعطاه بشر مائة ألف درهم
عبد الله بن أبي فروة أول من وصل النصيب بعبد العزيز بن مروان
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري عن عبد الله بن عمران بن أبي فروة قال أول من نوه باسم نصيب وقدم به على عبد العزيز بن مروان عبد الله بن أبي فروة قدم به عليه وهو وصيف حين بلغ وأول ما قال الشعر قال أصلح الله الأمير جئتك بوصيف نوبي يقول الشعر وكان نصيب ابن نوبيين فأدخله عليه فأعجبه شعره وكان معه أيمن بن خريم الأسدي فقال عبد العزيز إذا دعوت بالغداء فأدخلوه علي في جبة صوف محتزما بعقال فإذا قلت قوموه فقوموه وأخرجوه وردوه علي في جبة وشيٍ ورداء وشيٍ فلما جلس للغداء ومعه أيمن بن خريم أدخل نصيب في جبة صوف محتزما بعقال فقال قوموا هذا الغلام فقالوا عشرة عشرون ثلاثون ديناراً فقال ردوه فأخرجوه ثم ردوه في جبة وشيٍ ورداء وشي فقال أنشدنا فأنشدهم فقال قوموه قالوا ألف دينار فقال أيمن والله ما كان قط أقل في عيني منه الآن وإنه لنعم راعي المخاض فقال له فكيف شعره قال هو أشعر أهل جلدته فقال له عبد العزيز هو والله أشعر منك قال أمني أيها الأمير قال نعم فقال أيمن إنك لملول طرف فقال له والله ما أنا بملول وأنا أنازعك الطعام منذ كذا وكذا تضع يدك حيث أضعها وتلتقي يدك مع يدي على مائدة كل ذلك احتملك وكان بأيمن بياض فقال له أيمن ائذن لي أن أخرج إلى بشر فأذن له فخرج وقال أبياته التي أولها
(رَكِبْتُ من المقطَّم في جُمَادَى)
وقد مضت الأبيات قال فلما جاز بعبد الملك بن مروان قال أين تريد قال أريد أخاك بشرا قال أتجوزني قال إي والله أجوزك إلى من قدم إلي وطلبني قال فلم فارقت صاحبك قال رأيتكم يا بني مروان تتخذون للفتى من فتيانكم مؤدبا وشيخكم والله محتاج إلى خمسة مؤدبين فسر ذلك عبد الملك وكان عازما على أن يخلعه ويعقد لابنه الوليد
(عبد العزيز بن مروان يبتاع نصيبا ويعتقه
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال
يقال إن نصيبا أضل إبلا له فخرج في بغائها فلم يصبها وخاف مواليه أن يرجع إليهم فأتى عبد العزيز بن مروان فمدحه وذكر له قصته فأخلف عليه ما ضل لمواليه وابتاعه وأعتقه
أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا عبد الله بن إبراهيم الهلالي ثم الدوسي قال
أراد النصيب الخروج إلى عبد العزيز بن مروان وهو عبد لبني محرز الضمري فقالت أمه له إنك سترقد ويأخذك ابن محرز يذهب بك فذهب ولم يبال بقولها حتى إذا كان بمكان ماء يعرف بالدَّوِّ فبينا هو راقد إذ هجم عليه ابن محرز فقال حين رآه
(إنِّي لأخْشَى من قِلاَصِ ابنِ مُحْرِزٍ ... إذا وَخَدَتْ بالدَّوِّ وَخْدَ النَّعَائِمِ)
(يَرُعْنَ بَطِينَ القَوْمِ أيَّةَ رَوْعَةٍ ... ضُحَيّاً إذا استَقْبَلْنَهُ غير نائِمِ)

فأطلقوه فرجع فأتى أمه فقالت أخبرتك يا بني أنه ليس عندك أن تعجز القوم فإن كنت يا بني قد غلبتني أنك ذاهب فخذ بنت الفلانة فإني رأيتها وطئت أفحوص بيضات قطاة فلم تفلقهن فركبها فهي التي بلغته ابن مروان
قال أبو عبد الله بن الزبير عندنا أن التي اعتقته امرأة من بني ضمرة ثم من بني حنبل
حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثنا عبد الله بن صالح بن مسلم قال حدثنا كليب بن إسماعيل مولى بني أمية وكان حدثا أي حسن الحديث قال
بلغني أن نصيبا كان حبشيا يرعى إبلا لمواليه فأضل منها بعيرا فخرج في طلبه حتى أتى الفسطاط وبه إذ ذاك عبد العزيز بن مروان وهو ولي عهد عبد الملك بن مروان فقال نصيب ما بعد عبد العزيز واحد أعتمده لحاجتي فأتى الحاجب فقال استأذن لي على الأمير فإني قد هيأت له مديحا فدخل الحاجب فقال أصلح الله الأمير بالباب رجل أسود يستأذن عليك بمديح قد هيأه لك
فظن عبد العزيز أنه ممن يهزأ به ويضحكهم فقال مره بالحضور ليوم حاجتنا إليه فغدا نصيب وراح إلى باب عبد العزيز أربعة أشهر وأتاه آت من عبد الملك فسره فأمر بالسرير فأبرز للناس وقال علي بالأسود وهو يريد أن يضحك منه الناس فدخل فلما كان حيث يسمع كلامه قال
(لعبدِ العزيزِ على قومِهِ ... وغيرِهمُ نِعَمٌ غَامِرَهْ)
(فبابُكَ ألينُ أبوابِهِم ... ودارُك مأهولةٌ عامِرَهْ)
(وكلبُكَ آنَسُ بِالمُعْتَفِينَ ... من الأمِّ بالإبْنَةِ الزائرهْ)
(وكَفُّكَ حينَ تَرَى السائلين ... أنْدَى مِن اللّيلةِ الماطرهْ)
(فمنكَ العطاءُ ومنِّي الثَّنَاءُ ... بكلِّ مُحَبَّرةٍ سائرهْ)
فقال أعطوه فقال إني مملوك فدعا الحاجب فقال اخرج فابلغ في قيمته فدعا المقومين فقال قوموا غلاما أسود ليس به عيب قالوا مائة دينار قال إنه راع للإبل يبصرها ويحسن القيام عليها قالوا حينئذ مائتا دينار قال إنه يبري القسي ويثقفها ويرمي النبل ويريشها قالوا أربعمائة دينار قال إنه راوية للشعر بصير به قالوا ستمائة دينار قال إنه شاعر لا يلحق حذقا قالوا ألف دينار قال عبد العزيز ادفعوا إليه قال أصلح الله الأمير ثمن بعيري الذي أضللت قال وكم ثمنه قال خمسة وعشرون دينارا قال ادفعوا إليه قال أصلح الله الأمير جائزتي لنفسي عن مديحي إياك قال اشتر نفسك ثم عد إلينا فأتى الكوفة وبها بشر بن مروان فاستأذن عليه فاستصعب الدخول إليه وخرج بشر بن مروان متنزها فعارضه فلما ناكبه أي صار حذاء منكبه ناداه
(يا بشرُ يابنَ الجَعْفَرِيَّة ما ... خلَق الإلهُ يَدَيْك للبُخْلِ)
((جاءتْ به عُجُزٌ مُقَابَلَةٌ ... ما هُنّ من جَرْمٍ ولا عُكْلِ)
قال فأمر له بشر بعشرة آلاف درهم الجعفرية التي عناها نصيب أم بشر ابن مروان وهي قطية بنت بشر بن عامر ملاعب الأسنة بن مالك بن جعفر بن كلاب
أخبرنا اليزيدي عن الخراز عن المدائني عن عبد الله بن مسلم وعامر بن حفص وغيرهما
أن مروان بن الحكم مر ببادية بني جعفر فرأى قطية بنت بشر تنزع بدلو على إبل لها وتقول
(ليس بنا فَقْرٌ إلى التَّشَكِّي ... جَرَبَّةٌ كحُمُرِ الأَبَكِّ ... لا ضَرَعٌ فيها ولا مُذَكِّي)
ثم يقول
(عامانِ تَرْقيقٌ وعامٌ تَمَّمَا ... لم يَتَّرِك لَحْماً ولم يتْرُكْ دمَا)
(ولم يَدَعْ في رأسِ عَظْمٍ ملدما ... إلا رَذَايَا ورجالاً رُزَّمَا)
فخطبها مروان فتزوجها فولدت له بشر بن مروان
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أحمد بن معاوية عن إسحاق بن أيوب عن خليل بن عجلان في خبر النصيب مثل ما ذكره الزبير وإسحاق سواء
أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن العتبي قال
دعا النصيب مواليه أن يستلحقوه فأبى وقال والله لأن أكون مولى لائقا أحب إلي من أن أكون دعيا لاحقا وقد علمت أنكم تريدون بذلك مالي ووالله لا أكسب شيئا أبدا إلا كنت أنا وأنتم فيه سواء كأحدكم لا أستأثر عليكم منه بشيء أبدا قال وكان كذلك معهم حتى مات إذا أصاب شيئا قسمه فيهم فكان فيه كأحدهم
(النصيب يلتقي الفرزدق عند سليمان بن عبد الملك
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبيري وحدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال حدثنا الزبير قال حدثنا محمد بن إسماعيل الجعفري قال
دخل النصيب على سليمان بن عبد الملك وعنده الفرزدق فاستنشد الفرزدق وهو يرى أنه سينشده مديحا له فأنشده قوله يفتخر
((ورَكْبٍ كأنَّ الريح تطلُب عندهم ... لها تِرَةً من جَذْبِها بالعَصَائبِ
(سرَوْا يرْكَبُونَ الريحَ وهي تَلُفُّهم ... على شُعَبِ الأكْوارِ من كلِّ جانبِ)
(إذا استْوضَحُوا ناراً يقولون ليتَها ... وقد خَصِرَتْ أيديهم نارُ غالبِ)
قال وعمامته على رأسه مثل المنسف فغاظ سليمان وكلح في وجهه وقال لنصيب قم فأنشد مولاك ويلك فقام نصيب فأنشده قوله
(أقولُ لرَكْبٍ صَادِرِينَ لَقِيتُهم ... قَفَا ذاتِ أوْشالٍ ومَوْلاَك قاربُ)
(قِفُوا خبِّروني عن سليمانَ إنّني ... لمعروفِهِ من أهلِ وَدَّانَ طالبُ)
(فعَاجُوا فأثْنَوْا بالذي أنت أهلُهُ ... ولو سكتوا أثْنتْ عليكَ الحقائبُ)
(وقالوا عَهِدْناهُ وكلَّ عشيَّةٍ ... بأبوابه من طالبِ العُرْفِ راكبُ)
(هو البدرُ والناسُ الكَوَاكِبُ حولَه ... ولا تُشْبِهُ البدرَ المضيءَ الكواكبُ)
فقال له سليمان أحسنت والله يا نصيب وأمر له بجائزة ولم يصنع ذلك بالفرزدق فقال الفرزدق وقد خرج من عنده
((وخيرُ الشّعْرِ أكرمُه رجالاً ... وشرُّ الشعر ما قال العَبِيدُ
أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري عن عمه موسى بن عبد العزيز قال

حمل عبد العزيز بن مروان النصيب بالمقطم مقطم مصر على بختي قد رحله بغبيط فوقه وألبسه مقطعات وشي ثم أمره أن ينشد فاجتمع حوله السودان وفرحوا به فقال لهم أسررتكم قالوا إي والله قال والله ما لما يسوءكم من أهل جلدتكم أكثر
جرير يعترف بشاعرية النصيب
أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال حدثني أبو العراف قال
مر جرير بنصيب وهو ينشد فقال له اذهب فأنت أشعر أهل جلدتك قال وجلدتك يا أبا حزرة
أخبرنا الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني أيوب بن عباية قال
بلغني أن النصيب كان إذا قدم على هشام بن عبد الملك أخلى له مجلسه واستنشده مراثي بني أمية فإذا أنشده بكى وبكى معه فأنشده يوما قصيدة له مدحه بها يقول فيها
(إذا اسْتَبَق الناسُ العُلاَ سَبَقَتْهمُ ... يَمِينُك عَفْواً ثم صَلَّتْ شِمالُها)
فقال له هشام يا أسود بلغت غاية المدح فسلني فقال يدك بالعطية أجود وأبسط من لساني بمسألتك فقال هذا والله أحسن من الشعر وحباه وكساه وأحسن جائزته
النصيب يعتق ذوي قرابته
أخبرني الحسين بن يحيى قال أخبرنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب بن عباية قال
أصاب نصيب من عبد العزيز بن مروان معروفا فكتمه ورجع إلى المدينة في هيئة بذةٍ فقالوا لم يصب بمدحه شيئا فمكث مدة ثم ساوم بأمه فابتاعها وأعتقها ثم ابتاع أم أمه بضعف ما ابتاع به أمه فأعتقها وجاءه ابن خالة له اسمه سحيم فسأله أن يعتقه فقال له ما معي والله شيء ولكني إذا خرجت أخرجتك معي لعل الله أن يعتقك فلما أراد الخروج دفع غلاما له إلى مولى سحيم يرعى إبله وأخرجه معه فسأل في ثمنه فأعطاه وأعتقه فمر به يوما وهو يزفن ويزمر مع السودان فأنكر ذلك عليه وزجره فقال له إن كنت أعتقتني لأكون كما تريد فهذا والله ما لا يكون أبدا وإن كنت أعتقتني لتصل رحمي وتقضي حقي فهذا والله الذي أفعله هو الذي أريده أزفن وأزمر وأصنع ما شئت فانصرف النصيب وهو يقول
(إنِّي أرانِي لِسُحَيْمٍ قائِلاَ ... إن سُحيماً لم يثبني طائلا)
(نَسِيتَ إعْمالي لكَ الرَّواحلاَ ... وضَرْبيَ الأبوابَ فيك سَائلاَ)
(عند الملوك أسْتَثِيبُ النائلا ... حتى إذا آنستَ عتْقاً عاجلاَ)
(ولَّيتنَي منك القَفَا والكاهِلاَ ... أخْلُقاً شكْساً ولوناً حَائِلاَ)
النصيب يستعجل جائزة عند عبد العزيز بن مروان
قال إسحاق وأبطأت جائزة النصيب عند عبد العزيز فقال
(وإنَّ وراءَ ظَهْري يابنَ لَيْلَى ... أُناساً يَنْظُرونَ متى أؤُوبُ)
(أُمَامَةُ منهمُ ولِمَأْقَيِيها ... غَدَاةَ البَيْنِ في أثَري غُروبُ)
(تركتُ بِلاَدَها ونأيتُ عنها ... فأشبهُ ما رأيتُ بها السَّلُوب)
(فأتْبِعْ بعضَنا بعضاً فلَسْنا ... نُثِيبُك لكِن اللهُ المُثِيبُ)
فعجل جائزته وسرحه قال إسحاق فحدثني ابن كناسة قال ليلى أم عبد العزيز كلبية وبلغني عنه أنه قال لا أعطي شاعرا شيئا حتى يذكرها في مدحي لشرفها فكان الشعراء يذكرونها باسمها في أشعارهم
أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن ابن عباية قال
وقفت سوداء بالمدينة على نصيب وهو ينشد الناس فقالت بأبي أنت يابن عمي وأمي ما أنت والله علي بخزي فضحك وقال والله لمن يخزيك من بني عمك أكثر ممن يزينك
قال إسحاق وحدثني ابن عباية وغيره أن ابنا لنصيب خطب بعد وفاة سيده الذي أعتقه بنتا له من أخيه فأجابه إلى ذلك وعرف أباه فقال له اجمع وجوه الحي لهذا الحال فجمعهم فلما حضروا أقبل نصيب على أخي سيده فقال أزوجت ابني هذا من ابنة أخيك قال نعم فقال لعبيد له سود خذوا برجل ابني هذا فجروه فاضربوه ضربا مبرحا ففعلوا وضربوه ضربا مبرحا وقال لأخي سيده لولا أني أكره أذاك لألحقتك به ثم نظر إلى شاب من أشراف الحي فقال زوج هذا ابنة أخيك وعلي ما يصلحهما في مالي ففعل
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال
دخل نصيب على عبد الملك فتغدى معه ثم قال هل لك فيما نتنادم عليه فقال تؤمنني ففعل فقال لوني حائل وشعري مفلفل وخلقتي مشوهة ولم أبلغ ما بلغت من إكرامك إياي بشرف أب أو أم أو عشيرة وإنما بلغته بعقلي ولساني فأنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تحول بيني وبين ما بلغت به هذه المنزلة منك فأعفاه
سبب تسمية النصيب بهذا الاسم
أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثني محمد بن صالح بن النطاح قال بلغني عن خلاد بن مرة عن أبي بكر بن مزيد قال لقيت النصيب يوما بباب هشام فقلت له يا أبا محجن لم سميت نصيبا ألقولك في شعرك عاينها النصيب فقال لا ولكني ولدت عند أهل بيت من ودان فقال سيدي إيتونا بمولودنا هذا لننظر إليه فلما رآني قال إنه لمنصب الخلق فسميت النصيب ثم اشتراني عبد العزيز بن مروان فأعتقني
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن محمد بن كناسة أبي يحيى الأسدي قال
قال أبو عبد الله بن أبي إسحاق البصري لإن وليت العراق لأستكتبن نصيبا لفصاحته وتخلصه إلى جيد الكلام
أخبرني الأسدي قال حدثني محمد بن صالح عن أبيه عن محمد بن عبد العزيز الزهري قال حدثني نصيب قال
دخلت على عبد العزيز بن مروان فقال أنشدني قولك
(إذا لم يكن بينَ الخليلَيْنِ رِدَّةٌ ... سِوى ذكر شيء قد مضَى دَرَسَ الذِّكْرُ)
فقلت ليس هذا لي هذا لأبي صخر الهذلي ولكني الذي أقول
(وقَفْتُ بذي دَوْرانَ أنْشُدُ ناقَتِي ... وما إنْ بها لِي مِنْ قَلُوصٍ ولا بَكْرِ)
فقال لي عبد العزيز لك جائزة على صدق حديثك وجائزة على شعرك فأعطاني على صدق حديثي ألف دينار وعلى شعري ألف دينار
أوصاف نصيب الجسدية

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن عثمان بن حفص عن أبيه قال رأيت النصيب وكان أسود خفيف العارضين ناتىء الحنجرة
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير قال حدثني إبراهيم بن يزيد السعدي عن جدته جمال بنت عون بن مسلم عن أبيها عن جدها قال
رأيت رجلا أسود مع امرأة بيضاء فجعلت أعجب من سواده وبياضها فدنوت منه وقلت من أنت قال أنا الذي أقول
(ألا ليتَ شِعْري ما الذي تُحْدِثِينَ بي ... غداً غُرْبةَ النأيِ المفرّقِ والبعدِ)
(لَدَى أُمِّ بَكْرٍ حين تَقترِبُ النَّوَى ... بنا ثم يَخْلُو الكاشحون بها بَعْدِي)
(أتَصْرِمُنِي عند الأُلَى هُمْ لنا العِدَا ... فتُشْمِتَهم بي أم تدومُ على العهد)
قال فصاحت بل والله تدوم على العهد فسألت عنهما فقيل هذا نصيب وهذه أم بكر
عبد الله بن جعفر يسخو في عطائه للنصيب
أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا محمد بن صالح بن النطاح قال حدثني أبو اليقظان عن جويرية بن أسماء قال
أتى النصيب عبد الله بن جعفر فحمله وأعطاه وكساه فقال له قائل يا أبا جعفر أعطيت هذا العبد الأسود هذه العطايا فقال والله لئن كان أسود إن ثناءه لأبيض وإن شعره لعربي ولقد استحق بما قال أكثر مما نال وما ذاك إنما هي رواحل تُنضى وثياب تبلى ودراهم تفنى وثناء يبقى ومدائح تروى
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المدائنيّ قال قال أبو الأسود امتدح نصيب عبد الله بن جعفر وذكر مثله
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الخراز عن المدائني قال
قيل لنصيب إن هاهنا نسوة يردن أن ينظرن إليك ويسمعن منك شعرك قال وما يصنعن بي يرين جلدة سوداء وشعرا أبيض ولكن ليسمعن شعري من وراء ستر
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن عثمان بن حفص عن رجل ذكره قال
أتاني منقذ الهلالي ليلا فضرب علي الباب فقلت من هذا فقال منقذ الهلالي فخرجت إليه فزعا فقال البشرى فقلت وأي بشرى أتتني بك في هذا الليل فقال خير أتاني أهلي بدجاجة مشوية بين رغيفين فتعشيت بها ثم
أتوني بقنينة من نبيذ قد التقى طرفاها صفاء ورقة فجعلت أشرب وأترنم بقول نصيب
(... بزينبَ ألْمِمْ قبلَ أن يَظْعَنَ الرَّكْبُ)
ففكرت في إنسان يفهم حسنه ويعرف فضله فلم أجد غيرك فأتيتك مخبرا بذلك فقلت ما جاء بك إلا هذا فقال أولا يكفى ثم انصرف
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال
قال مسلمة لنصيب أنت لا تحسن الهجاء فقال بلى والله أتراني لا أحسن أن أجعل مكان عافاك الله أخزاك الله قال فإن فلانا قد مدحته فحرمك فاهجه قال لا والله ما ينبغي أن أهجوه وإنما ينبغي أن أهجو نفسي حين مدحته فقال مسلمة هذا والله أشد من الهجاء
عمر بن عبد العزيز يطلب إلى النصيب إنشاده
أخبرني الحسين قال قال حماد قرأت على أبي عن ابن عباية عن الضحاك الحزامي قال
دخل نصيب مسجد رسول الله وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يومئذ أمير المدينة وهو جالس بين قبر النبي ومنبره فقال أيها الأمير ائذن لي أن أنشدك من مراثي عبد العزيز فقال لا تفعل فتحزنني ولكن أنشدني قولك قفا أخوي فإن شيطانك كان
لك فيها ناصحا حين لقنك إياها فأنشده
صوت
(قِفا أخَوَيَّ إنّ الدارَ ليستْ ... كما كانتْ بعهدِكُما تكونُ)
(ليالِي تَعْلمانِ وآلُ لَيْلَى ... قَطِينُ الدار فاحتملَ القَطِينُ)
(فعُوجَا فانظرا أتُبِينُ عمَّا ... سألناها بِه أم لا تُبِينُ)
(فظَلاَّ واقفَيْنِ وظَلَّ دَمْعِي ... على خَدِّي تجودُ به الجُفُونُ)
(فلولا إذ رأيتَ اليأسَ منها ... بَدا أنْ كِدْتَ تَرْشَقُكَ العيونُ)
(بَرِحْتَ فلم يَلُمْكَ الناسُ فيها ... ولم تغْلَقْ كما غَلِقَ الرَّهينُ)
في البيتين الأولين من هذه الأبيات والأخيرين لابن سريج خفيف رمل بالوسطى عن عمرو وفيه للغريض خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو ويونس
قصة النصيب مع ابنة العجوز في الجحفة
أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن أيوب بن عباية قال
كان نصيب ينزل على عجوز بالجحفة إذا قدم من الشام وكان لها بنية صفراء وكان يستحليها فإذا قدم وهب لها دراهم وثيابا وغير ذلك فقدم عليهما قدمة وبات بهما فلم يشعر إلا بفتى قد جاءها ليلا فركضها برجله فقامت معه فأبطأت ثم عادت وعاد إليها بعد ساعة فركضها برجله فقامت معه فأبطأت ثم عادت فلما أصبح نصيب رأى أثر معتركهما ومغتسلهما فلما أراد أن يرتحل قالت
له العجوز وبنتها بأبي أنت عادتك فقال لها
(أَرَاكِ طَمُوحَ العينِ مَيَّالةَ الهوى ... لهذا وهذا منكِ وُدٌّ مُلاَطِفُ)
(فإن تحْمِلِي رِدْفَيْن لا أكُ منهما ... فَحبِّيَ فردٌ لستُ ممن يُرادِفُ)
ولم يعطها شيئا ورحل
قال أيوب وكانت بملل امرأة ينزل بها الناس فنزل بها أبو عبيدة بن عبد الله ابن زمعة وعمران بن عبد الله بن مطيع ونصيب فلما رحلوا وهب لها القرشيان ولم يكن مع نصيب شيء فقال لها اختاري إن شئت أن أضمن لك مثل ما أعطياك إذا قدمت وإن شئت قلت فيك أبياتا تنفعك قالت بل الشعر أحب إلي فقال
(ألاَ حَيِّ قبلَ البَيْن أُمَّ حَبِيبِ ... وإن لم تكُنْ منّا غداً بقَرِيبِ)
(لئن لم يكن حُبِّيك حُبّاً صَدَقْتُه ... فما أحدٌ عندي إذاً بحَبِيبِ)

(تَهَامٍ أصابتْ قلبَه ملَليَّةٌ ... غَريبُ الهَوَى يا وَيْحَ كلِّ غَريبِ)
فشهرها بذلك فأصابت بقوله ذلك فيها خيرا
النصيب يعاهد الله ألا يقول نسيبا
قال أيوب ودخل النصيب على عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه بعد ما ولي الخلافة فقال له إيه يا أسود أنت الذي تشهر النساء بنسيبك فقال إني قد تركت ذلك يا أمير المؤمنين وعاهدت الله عز وجل ألا أقول نسيبا وشهد له بذلك من حضر وأثنوا عليه خيرا فقال أما إذ كان الأمر هكذا فسل حاجتك فقال بنيات لي نفضت عليهن سوادي فكسدن أرغب بهن عن السودان ويرغب عنهن البيضان قال فتريد ماذا قال تفرض لهن ففعل قال ونفقة لطريقي قال فأعطاه حلية سيفه وكساه ثوبيه وكانا يساويان ثلاثين درهما
أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة عن إسحاق الموصلي عن ابن كناسة قال
اجتمع النصيب والكميت وذو الرمة فأنشدهما الكميت قوله
(... هل أنتَ عن طلبِ الأيْفَاعِ مُنْقَلِبُ)
حتى بلغ إلى قوله فيها
(أم هلْ ظَعَائِنُ بالعَلياءِ نافعةٌ ... وإن تكَاملَ فيها الأُنْسُ والشَّنَبُ)
فعقد نصيب واحدة فقال له الكميت ماذا تصحي قال خطأك باعدت في القول ما الأنس من الشنب ألا قلت كما قال ذو الرمة
(لَمْيَاءُ في شَفَتَيْها حُوَّةٌ لَعَسٌ ... وفي اللِّثاثِ وفي أنْيابِها شَنَبُ)
ثم أنشدهما قوله
(... (أبَتْ هذه النفسُ إلاّ ادِّكَارا
حتى بلغ إلى قوله
(إذا ما الهجَارسُ غَنَّيْنَها ... تُجَاوِبْنَ بالفَلَوَاتِ الوِبَارا)
فقال له النصيب والوبار لا تسكن الفلوات ثم أنشد حتى بلغ منها
(كأنّ الغُطَامِط من غَلْيِها ... أراجِيزُ أسْلَمَ تَهْجُو غِفَارا)
فقال النصيب ما هجت أسلم غفارا قط فانكسر الكميت وأمسك
النصيب يمدح عبد الرحمن بن الضحاك
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن ابن الكلبي
أن نصيبا مدح عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري فأمر له بعشر قلائص وكتب بها إلى رجلين من الأنصار واعتذر إليه وقال له والله ما أملك إلا رزقي وإني لأكره أن أبسط يدي في أموال هؤلاء القوم فخرج حتى أتى الأنصاريين فأعطاهما الكتاب مختوما فقرآه وقالا قد أمر لك بثمان قلائص ودفعا ذلك إليه ثم عزل وولي مكانه رجل من بني نصر بن هوازن فأمر بأن يتتبع ما أعطى ابن الضحاك ويرتجع فوجد باسم نصيب عشر قلائص فأمر بمطالبته بها فقال والله ما دفع إلي إلا ثماني قلائص فقال والله ما تخرج من الدار حتى تؤدي عشر قلائص أو أثمانها فلم يخرج حتى قبض ذلك منه فلما قدم على هشام سمر عنده ليلة وتذاكروا النصري فأنشده قوله فيه
((أفِي قِلائِص جُرْبٍ كُنَّ من عملٍ ... أُرْدَى وتُنْزَعُ من أحشائِي الكَبِدُ
(ثمانياً كُنَّ في أهلي وعندهُم ... عَشرٌ فأيَّ كتابٍ بعدَنا وَجَدُوا)
(أخانَيِي أخَوَا الأنصارِ فانتقصا ... منها فعندهما الفَقْدُ الذي فَقَدُوا)
(وإنّ عامِلَك النَّصْرِيَّ كلَّفَنِي ... في غير نائرةٍ دَيْناً له صَعَدُ)
(أذْنَبَ غيري ولم أُذْنِبْ يُكلّفني ... أم كيف أُقْتَلُ لا عَقْلٌ ولا قَوَدُ)
قال فقال هشام لا جرم والله لا يعمل لي النصري عملا أبدا فكتب بعزله عن المدينة
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال أخبرنا الزبير بن بكار إجازة عن هارون بن عبد الله الزبيري عن شيخ من الجفر قال قدم علينا النصيب فجلس في هذا المجلس وأومأ إلى مجلس حذاءه فاستنشدناه فأنشدنا قوله
(ألا يا عُقَابَ الوَكْرِ وَكْرِ ضَرِيّة ... سَقَتْكِ الغَوَادِي من عُقَابٍ ومن وَكْرِ)
(تَمُرّ اللياليِ ما مَرَرْنَ ولا أرَى ... مُرُورَ الليالي مُنْسِياتي ابنةَ النَّضْرِ)
(وَقفتُ بذي دَوْرَانَ أنشدُ ناقتِي ... ومالي لَدَيْها من قَلُوصٍ ولا بَكْرِ)
((وما أنشدُ الرُّعْيَان إلاّ تَعِلَّةً ... بواضحةِ الأنْيابِ طَيِّبةِ النَّشْرِ
(أما والذي نادَى من الطُّورِ عبدَه ... وعلَّم أيّامَ المَنَاسِكِ والنَّحْرِ)
(لقد زَادَنِي للجَفْرِ حبّاً وأهلِه ... لَيَالٍ أقامتْهُنَّ لَيْلَى على الجَفْرِ)
النصيب يصف ابنة عم له نوبية
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال أخبرني عمر بن إبراهيم السعدي عن يوسف بن يعقوب بن العلاء بن سليمان عن سلمة بن عبد الله بن أبي مسروح قال
قال عبد الملك بن مروان لنصيب أنشدني فأنشده قصيدته التي يقول فيها
(ومُضْمَرِ الكَشْحِ يَطْوِيه الضَّجِيعُ به ... طَيَّ الحَمَائِل لا جَافٍ ولا فَقِرُ)
(وَذِي رَوَادِفَ لا يُلْفَى الإزارُ بها ... يُلْوَى ولو كان سبعاً حين يَأْتزِرُ)
فقال له عبد الملك يا نصيب من هذه قال بنت عم لي نوبية لو رأيتها ما شربت من يدها الماء فقال له لو غير هذا قلت لضربت الذي فيه عيناك
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا الحارث بن محمد بن أسامة قال حدثنا المدائني قال
كان عبد العزيز بن مروان اشترى نصيبا وأهله وولده فأعتقهم وكان نصيب يرحل إليه في كل عام مستميحا فيجيزه ويحسن صلته فقال فيه نصيب
((يقولُ فيُحسِنِ القولَ ابنُ ليلَى ... ويفعَلُ فَوقَ أحْسنِ ما يقُولُ
(فتىً لا يَرزأُ الخُلاّنَ إلاّ ... مَوَدَّتَهمْ ويَرْزَؤُهُ الخليلُ)
(فبَشِّرْ أهلَ مصرَ فقدْ أتاهُمْ ... مَعَ النِّيلِ الذي في مصرَ نِيلُ)

شاعر من أهل الحجاز يهجو النصيب
أخبرني هاشم بن محمد بن هارون بن عبد الله بن مالك الخزاعي أبو دلف قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال
كان نصيب يكنى أبا الحجناء فهجاه شاعر من أهل الحجاز فقال
(رَأيتُ أبا الحَجْنَاءِ في الناسِ حائراً ... ولونُ أبي الحَجْناء لونُ البهائمِ)
(تراه على ما لاَحَه من سَوَادِهِ ... وإن كانَ مظلُوماً لهُ وجهُ ظالِمِ)
فقيل لنصيب ألا تجيبه فقال لا ولو كنت هاجيا لأحد لأجبته ولكن الله أوصلني بهذا الشعر إلى خير فجعلت على نفسي ألا أقوله في شر وما وصفني إلا بالسواد وقد صدق أفلا أنشدكم ما وصفت به نفسي قالوا بلى فأنشدهم قوله
(ليس السوادُ بناقصي ما دام لي ... هذا اللسانُ إلى فؤادٍ ثابتِ)
(مَنْ كان ترفَعُه مَنَابتُ أصلِه ... فبيوتُ أشعاري جُعِلْنَ مَنَابِتي)
(كم بين أسودَ ناطقٍ ببيانِه ... ماضي الجَنانِ وبين أبيضَ صامتِ)
(إني لَيَحْسُدني الرفيعُ بناؤُه ... من فضل ذاكَ وليس بي مِنْ شامِتِ)
ويروى مكان من فضل ذاك فضل البيان وهو أجود
أخبرني عمي ومحمد بن خلف قالا حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني سعيد بن يحيى الأموى قال حدثني عمي عن محمد بن سعد قال
قال قائل للنصيب أيها العبد مالك وللشعر فقال أما قولك عبد فما
ولدت إلا وأنا حر ولكن أهلي ظلموني فباعوني وأما السواد فأنا الذي أقول
(وإنْ أكُ حَالِكاً لَوْني فإنِّي ... لِعَقْلٍ غيرِ ذي سَقَطٍ وِعَاءُ)
(وما نزلتْ بيَ الحاجاتُ إلاّ ... وفي عِرضِي من الطَّمع الحياءُ)
النصيب يشبب بجارية سقته ماء
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد عن أبيه قال حدثت عن السدوسي قال
وقف نصيب على أبيات فاستسقى ماء فخرجت إليه جارية بلبن أو ماء فسقته وقالت شبب بي فقال وما اسمك فقالت هند ونظر إلى جبل وقال ما اسم هذا العلم قالت قنا فأنشأ يقول
(أُحِبُّ قَناً من حُبِّ هندٍ ولم أكُنْ ... أبالِي أقُرْباً زادَه الله أم بُعْدَا)
(ألاَ إنَّ بالقِيعانِ من بطنِ ذي قَناً ... لنا حاجةً مالتْ إليه بنا عَمْدَا)
(أرُونِي قَناً أنظُرْ إليه فإنَّني ... أُحِبُّ قَناً إنِّي رأيتُ به هِنْدا)
قال فشاعت هذه الأبيات وخطبت هذه الجارية من أجلها وأصابت بقول نصيب فيها خيرا كثيرا
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل بن نبيه قال حدثنا محمد بن سلام قال
دخل نصيب على يزيد بن عبد الملك فقال له حدثني يا نصيب ببعض ما مر عليك فقال نعم يا أمير المؤمنين علقت جارية حمراء فمكثت زمانا تمنيني بالأباطيل فلما ألححت عليها قالت إليك عني فوالله لكأنك من طوارق
الليل فقلت لها وأنت والله لكأنك من طوارق النهار فقالت ما أظرفك يا أسود فغاظني قولها فقلت لها هل تدرين ما الظرف إنما الظرف العقل ثم قالت لي انصرف حتى أنظر في أمرك فأرسلت إليها هذه الأبيات
(فإن أكُ حالِكاً فالمِسْكُ أحوَى ... وما لِسواد جِلْدِي من دَواءِ)
(ولي كَرَمٌ عن الفَحْشاء ناءٍ ... كبُعْدِ الأرض مِن جَوّ السَّماءِ)
(ومِثْلي في رِجالِكُم قليلٌ ... ومثلُك ليس يُعْدَم في النِّساءِ)
(فإنْ تَرضي فَرُدِّي قولَ راضٍ ... وإن تأبي فنحنُ على السَّواءِ)
قال فلما قرأت الشعر قالت المال والشعر يأتيان على غيرهما فتزوجتني
الأصمعي ينشد شعرا للنصيب
أخبرنا هاشم بن محمد قال حدثنا الرياشي قال
أنشدنا الأصمعي لنصيب وكان يستجيد هذه الأبيات ويقول إذا أنشدها قاتل الله نصيبا ما أشعره
(فإنْ يَكُ من لوني السّوادُ فإنّني ... لَكا لمسكِ لا يَرْوَى من المِسْكِ ذائقُهْ)
(وما ضَرّ أثوابي سَوادِي وتحتَها ... لِباسٌ من العَلْياء بِيضٌ بنائقُهْ)
(إذا المرءُ لم يَبْذُلْ من الودّ مثلَ ما ... بذلتُ له فاعلمْ بأنّي مَفارِقُهْ)
أخبرني الفضل بن الحباب أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام عن خلف أن نصيبا أنشد جريرا شيئا من شعره فقال له كيف ترى يا أبا حزرة فقال له أنت أشعر أهل جلدتك
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد ابن إسماعيل عن عبد العزيز بن عمران بن محمد عن المسور بن عبد الملك قال قال نصيب لعبد الرحمن بن أزهر أنشدت الوليد بن عبد الملك فقال لي أنت أشعر أهل جلدتك والله ما زاد عليها فقال لي عبد الرحمن يا أبا محجن أفرضيت منه أن جعلك أشعر السودان فقط فقال له وددت والله يابن أخي أنه أعطاني أكثر من هذا ولكنه لم يفعل ولست بكاذبك
النصيب يصنف شعره وشعر معاصريه
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم قال أخبرنا أبو عبيدة قال
قال لي محمد بن عبد ربه دخلت مسجد الكوفة فرأيت رجلا لم أر قط مثله ولا أشد سوادا منه ولا أنقى ثيابا منه ولا أحسن زيا فسألت عنه فقيل هذا نصيب فدنوت منه فحدثته ثم قلت له أخبرني عنك وعن أصحابك فقال جميل إمامنا وعمر بن أبي ربيعة أوصفنا لربات الحجال وكثير أبكانا على الدمن وأمدحنا للملوك وأما أنا فقد قلت ما سمعت فقلت له إن الناس يزعمون أنك لا تحسن أن تهجو فضحك ثم قال أفتراهم يقولون إني لا أحسن أن أمدح فقلت لا فقال أفما تراني أحسن أن أجعل مكان عافاك الله أخزاك
الله قال قلت بلى قال فإني رأيت الناس رجلين إ ما رجل لم أسأله شيئا فلا ينبغي أن أهجوه فأظلمه وإما رجل سألته فمنعني فنفسي كانت أحق بالهجاء إذ سولت لي أن أسأله وأن أطلب ما لديه
نصيب وكثير والأحوص ينزلون في مجلس امرأة من بني أمية

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني عبد الله بن إسماعيل بن أبي عبيد الله كاتب المهدي قال وجدت في كتاب أبي بخطه حدثني أبو يوسف التجيبي قال حدثني إسماعيل بن المختار مولى آل طلحة وكان شيخا كبيرا قال حدثني النصيب أبو محجن أنه خرج هو وكثير والأحوص غب يوم أمطرت فيه السماء فقال هل لكم في أن نركب جميعا فنسير حتى نأتي العقيق فنمتع فيه أبصارنا فقالوا نعم فركبوا أفضل ما يقدرون عليه من الدواب ولبسوا أحسن ما يقدرون عليه من الثياب وتنكروا ثم ساروا حتى أتوا العقيق فجعلوا يتصفحون ويرون بعض ما يشتهون حتى رفع لهم سواد عظيم فأموه حتى أتوه فإذا وصائف ورجال من الموالي ونساء بارزات فسألنهم أن ينزلوا فاستحيوا أن يجيبوهن من أول وهلة فقالوا لا نستطيع أو نمضي في حاجة لنا فحلفنهم أن يرجعوا إليهن ففعلوا وأتوهن فسألنهم النزول فنزلوا ودخلت امرأة من النساء فاستأذنت لهم فلم تلبث أن جاءت المرأة فقالت ادخلوا فدخلنا على امرأة جميلة برزة على فرش لها فرحبت وحيت وإذا كراسي موضوعة فجلسنا جميعا في صف واحد كل إنسان على كرسي فقالت إن أحببتم أن ندعو بصبي لنا فنصيحه ونعرك أذنه فعلنا وإن شئتم بدأنا بالغداء فقلنا بل تدعين بالصبي ولن يفوتنا الغداء
فأومأت بيدها إلى بعض الخدم فلم يكن إلا كلا ولا حتى جاءت جارية جميلة قد سترت بمطرف فأمسكوه عليها حتى ذهب بهرها ثم كشف عنها وإذا جارية ذات جمال قريبة من جمال مولاتها فرحبت بهم وحيتهم فقالت لها مولاتها خذي ويحك من قول النصيب عافى الله أبا محجن
(ألاَ هل مِن البَيْن المُفَرِّقِ من بُدِّ ... وهل مثلُ أيّام بمُنْقَطَع السَّعْد)
(تمَنَّيتُ أيّامِي أولئكَ والمُنَى ... على عَهِد عَادٍ ما تُعِيدُ ولا تُبْدِي)
فغنته فجاءت به كأحسن ما سمعته قط بأحلى لفظ وأشجى صوت ثم قالت لها خذي أيضا من قول أبي محجن عافى الله أبا محجن
(أرِقَ المُحِبُّ وعادَه سَهَدُهْ ... لِطَوَارِقِ الهمِّ التي تَرِدُهْ)
(وذكرتُ مَنْ رَقّتْ له كَبِدِي ... وأَبَى فليس تَرِقُّ لي كَبِدُهْ)
(لا قَومُه قَومِي ولا بلَدِي ... فَنَكُونَ حيناً جِيرة بَلدُهْ)
(وَوجدْتُ وَجْداً لم يكن أحدٌ ... قَبْلِي مِنَ اجْلِ صَبابةٍ يَجِدُهْ)
(إلاّ ابنُ عَجْلاَنَ الذي تَبَلَتْ ... هِنْدٌ فَفَاتَ بنفسِه كَمَدُهْ)
قال فجاءت به أحسن من الأول فكدت أطير سرورا ثم قالت لها ويحك خذي من قول أبي محجن عافى الله أبا محجن
(فَيَا لَكَ من ليلٍ تمتَّعتُ طُولَه ... وهل طائفٌ من نائمٍ مُتَمَتِّعُ)
(نَعَمْ إنّ ذا شَجْوٍ متى يَلْقَ شَجْوَه ... ولو نائماً مُسْتَعْتِبٌ أو مُوَدِّعُ)
(له حاجةٌ قد طَالَمَا قد أَسرَّها ... من الناسِ في صَدْرٍ بها يتَصدَّعُ)
(تحمَّلَها طُولَ الزمانِ لعلَّها ... يكونُ لها يوماً من الدهرِ مَنْزَعُ)
(وقد قُرِعتْ في أمّ عمرٍو لِيَ العَصَا ... قَدِيماً كما كانتْ لذِي الحِلْمِ تُقْرَعُ)
قال فجاءت والله بشيء حيرني وأذهلني طربا لحسن الغناء وسرورا باختيارها الغناء في شعري وما سمعت فيه من حسن الصنعة وجودتها وإحكامها ثم قالت لها خذي أيضا من قول أبي محجن عافى الله أبا محجن
(يا أيُّها الرَّكبُ إنِّي غيرُ تابِعِكُمْ ... حتى تُلِمُّوا وأنتمْ بِي مُلِمُّونا
(فَمَا أَرَى مِثلَكُمْ رَكْباً كشَكْلِكُمُ ... يَدعوهمُ ذُو هوًى إلاّ يُعَوِّجُونا)
(أم خبِّرونِيَ عن دائي بعلمِكُمُ ... وأعلمُ النّاسِ بالداءِ الأطَبُّونَا)
غضب الأحوص وكثير لأن المرأة لم تهتم بهما
قال نصيب فوالله لقد زهيت بما سمعت زهوا خيل إلي أني من قريش وأن الخلافة لي ثم قالت حسبك يا بنية هات الطعام يا غلام فوثب الأحوص وكثير وقالا والله لا نطعم لك طعاما ولا نجلس لك في مجلس فقد أسأت عشرتنا واستخففت بنا وقدمت شعر هذا على أشعارنا واستمعت الغناء فيه وإن في أشعارنا لما يفضل شعره وفيها من الغناء ما هو أحسن من هذا فقالت على معرفة كل ما كان مني فأي شعركما أفضل من شعره أقولك يا أحوص
(يَقَرُّ بعينِي ما يقَرّ بعينها ... وأحسنُ شيء ما به العينُ قَرّتِ)
أو قولك يا كثير في عزة
(وما حَسِبَتْ ضَمْرِيَّةٌ جَدَوِيَّةٌ ... سِوَى التَّيْس ذي القَرْنين أنّ لها بَعْلاَ)
أم قولك فيها
(إذا ضَمْرِيَّةٌ عطَستْ فنِكْهَا ... فإن عُطَاسَها طَرَفُ السِّفَادِ)
قال فخرجنا مغضبين واحتبستني فتغديت عندها وأمرت لي بثلثمائة دينار
وحلتين وطيب ثم دفعت إلي مائتي دينار وقالت ادفعها إلى صاحبيك فإن قبلاها وإلا فهي لك فأتيتهما منازلهما فأخبرتهما القصة فأما الأحوص فقبلها وأما كثير فلم يقبلها وقال لعن الله صاحبتك وجائزتها ولعنك معها فأخذتها وانصرفت فسألت النصيب ممن المرأة فقال من بني أمية ولا أذكر اسمها ما حييت لأحد
رثاء نصيب عبد العزيز بن مروان وقد مات بسكر من قرى الصعيد
أخبرني عيسى بن يحيى الوراق عن أحمد بن الحارث الخراز قال حدثنا المدائني قال
وقع الطاعون بمصر في ولاية عبد العزيز بن مروان إياها فخرج هاربا منه فنزل بقرية من الصعيد يقال لها سُكَرُ فقدم عليه حين نزلها رسول لعبد الملك فقال له عبد العزيز ما اسمك فقال طالب بن مدرك فقال أوه ما أراني راجعا إلى الفسطاط أبدا ومات في تلك القرية فقال نصيب يرثيه
(أصِبتُ يومَ الصعيد من سُكَرٍ ... مصيبةً ليس لي بها قِبَلُ)
((تاللّهِ أنْسَى مصيبتي أبداً ... ما أسمَعَتْني حَنِينَها الإبلُ)
(ولا التَّبكِّي عليه أعْوِلُه ... كلُّ المصيباتِ بعدَه جَلَلُ)
(لم يعلمِ النَّعْشُ ما عليه مِن العُرْفِ ... ولا الحاملون ما حمَلُوا)
(حتى أجَنُّوه في ضَرِيحِهِمُ ... حِينَ انتهى من خليلِكَ الأملُ)
غنى في هذه الأبيات ابن سريج ولحنه رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق وذكر الهشامي أن له فيه لحنا من الهزج وذكر ابن بانة أن الرمل لابن الهربذ

نصيب ينشد عبد الملك بن مروان رثاء في أخيه عبد العزيز
أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن مصعب الزبيري عن مشيخة من أهل الحجاز
أن نصيبا دخل على عبد الملك بن مروان فقال له أنشدني بعض ما رثيت به أخي فأنشده قوله
(عرفتُ وجرّبتُ الأمورَ فما أرَى ... كماضٍ تَلاَه الغابرُ المتأخّرُ)
(ولكنّ أهلَ الفضل من أهل نِعْمَتِي ... يمرُّون أسْلافاً أمامِي وأغْبُرُ)
(فإن أبْكِهِ أُعْذَرَ وإن أغلِبِ الأسَى ... بصبرٍ فمِثْلي عندما اشتدَّ يَصْبِرُ)
(وكانت ركَابِي كلّما شئتُ تَنْتَحِي ... إليكَ فَتَقْضِي نَحْبَها وهي ضُمّرُ)
((تَرَى الوِرْدَ يُسْراً والثَّوَاءَ غنيمةً ... لديكَ وتُثْنَى بالرِّضَا حين تَصْدُرُ)
(فقد عَرِيتْ بعدَ ابنِ لَيْلَى فإنّما ... ذُرَاها لمن لاقتْ من الناس مَنْظَرُ)
(ولو كان حيًّا لم يَزَلْ بدُفُوفِها ... مَرَادٌ لغِرْبَانِ الطريق ومَنْقَرُ)
(فإن كُنَّ قد نِلْنَ ابنَ ابنَ لَيْلَى فإنّه ... هو المصطفى من أهلِه المُتَخَيَّرُ)
فلما سمع عبد الملك قوله
(فإن أبكِه أُعْذَرْ وإن أغلِبِ الأسَى ... بصبرٍ فمِثلي عندَما اشتدّ يصيرُ)
قال له ويلك أنا كنت أحق بهذه الصفة في أخي منك فهلا وصفتني بها وجعل يبكي
نصيب وعبد الله بن إسحاق البصري
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي يحيى محمد بن كناسة قال
قال لي عبد الله بن إسحاق البصري لو وليت العراق لاستكتبت نصيبا قالت لماذا قال لفصاحته وحسن تخلصه إلى جيد الكلام ألم تسمع قوله
(فلا النفسُ مَلّتْها ولا العينُ تنتهي ... إليها سوام الطَّرْف عنها فتَرْجعُ)
((رأتْها فما تَرْتَدُّ عنها سآمةً ... ترى بدلاً منها به النَّفْسُ تَقْنَعُ
نصيب يمدح إبراهيم بن هشام فلا يعجبه المديح
أخبرني الحرمي عن الزبير عن محمد بن الحسن قال
دخل نصيب على إبراهيم بن هشام فأنشده مديحا له فقال إبراهيم ما هذا بشيء أين هذا من قول أبي دهبل لصاحبنا ابن الأزرق حيث يقول
(إن تَغْدُ من مَنْقَلَيْ نَخْلاَنَ مُرْتَحِلاً ... يَرْحَلْ من اليمنِ المعروفُ والجودُ)
قال فغضب نصيب ونزع عمامته وبرك عليها وقال لئن تأتونا برجال مثل ابن الأزرق نأتكم بمثل مديح أبي دهبل أو أحسن إن المديح والله إنما يكون على قدر الرجال قال فأطرق ابن هشام وعجبوا من إقدام نصيب عليه ومن حلم ابن هشام وهو غير حليم
نصيب وأم بكر الخزاعية
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري أن نصيبا كان ربما قدم من الشام فيطرح في حجر أم بكر الخزاعية أربعمائة دينار وأن عبد الملك بن مروان ظهر على تعلقه بها ونسيبه فيها فنهاه عن ذلك حتى كف
نصيب ينشد شعرا في مديح ابن هشام في مجلس ثقيف
أخبرني محمد بن يزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن عثمان بن حفص الثقفي عن أبيه قال
رأيت النصيب بالطائف فجاءنا وجلس في مجلسنا وعليه قميص قوهي ورداء وحبرة فجعل ينشدنا مديحا لابن هشام ثم قال إن الوادي مسبعة فمن أهل المجلس قالوا ثقيف فعرف أنا نبغض ابن هشام ويبغضنا فقال إنا لله أبعد ابن ليلى أمتدح ابن جيداء فقال له أهل المجلس يا أبا محجن أتطلب القريض أحيانا فيعسر عليك فقال إي والله لربما فعلت فآمر براحلتي فيشد بها رحلي ثم أسير في الشعاب الخالية وأقف في الرباع المقوية فيطربني ذلك ويفتح لي الشعر والله إني على ذلك ما قلت بيتا قط تستحي الفتاة الحيية من إنشاده في ستر أبيها قال إسحاق قال عثمان بن حفص فوصفه أبي وقال كأني أراه صدعا خفيف العارضين ناتىء الحنجرة
نصيب وابن أبي عتيق
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد عن أبيه عن محمد بن كناسة قال أنشد نصيب قوله
((وكِدْتُ ولم أُخْلَقْ من الطير إن بدا ... لها بارقٌ نحوَ الحجاز أطير
فسمعه ابن أبي عتيق فقال يابن أم هل غاق فإنك تطير يعني أنه غراب أسود
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال أخبرني أحمد بن محمد الأسدي أسد قريش قال
قال ابن أبي عتيق لنصيب إني خارج أفترسل إلى سعدى بشيء قال نعم بيتي شعر قال قل فقال
(أتصبِرُ عن سُعْدَى وأنت صَبُورُ ... وأنت بِحُسْنِ الصبرِ منك جديرُ)
(وكدتُ ولم أُخْلَق من الطير إن بدا ... سَنَى بارقٍ نحوَ الحجاز أطيرُ)
قال فأنشد ابن أبي عتيق سعدى البيتين فتنفست تنفسة شديدة فقال ابن أبي عتيق أوه أجبته والله بأجود من شعره ولو سمعك خليلك لنعق وطار إليك
نصيب والحكم بن المطلب
أخبرني علي بن صالح بن الهيثم الكاتب قال حدثني أبو هفان عن إسحاق الموصلي عن المسيبي قال
قال أبو النجم أتيت الحكم بن المطلب فمدحته وخرج إلى السعاية فخرجنا معه ومعه عدة من الشعراء فبينا هو مع أصحابه يوما واقف إذا براكب يوضع في السراب وإذا هو نصيب فتقدم إليه فمدحه فأمر بإنزاله فمكث أياما حتى أتاه فقال إني قد خلفت صبية صغارا وعيالا ضعافا فقال له ادخل
الحظيرة فخذ منها سبعين فريضة فقال له جعلني الله فداك قد أحسنت ومعي ابن لي أخاف أن يثلمها علي قال فادخل فخذ له سبعين فريضة أخرى فانصرف بمائة وأربعين فريضة
أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير عن محمد بن الضحاك عن عثمان عن أبيه قال

قيل لنصيب هرم شعرك قال لا والله ما هرم ولكن العطاء هرم ومن يعطيني مثل ما أعطاني الحكم بن المطلب خرجت إليه وهو ساع على بعض صدقات المدينة فلما رأيته قلت
(أبا مَرْوانَ لستَ بخارجيٍّ ... وليس قديمُ مجدِك بانتحال)
(أغَرُّ إذا الرِّوَاقُ انجابَ عنه ... بَدا مثلَ الهلالِ على المِثَالِ)
(تَرَاءاه العيونُ كما تَرَاءى ... عَشيَّةَ فِطْرِها وَضَحَ الهلالِ)
قال فأعطاني أربعمائة ضائنة ومائة لقحة وقال ارفع فراشي فرفعته فأخذت من تحته مائتي دينار
نصيب وكثير عند أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة
أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا الزبير قال حدثني أسعد بن عبد
الله المري عن إبراهيم بن سعيد بن بشر بن عبد الله بن عقيل الخارجي عن أبيه قال
والله إني لمع أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة في حواء له إذ جاءه كثير فحياه فاحتفى به ودعا بالغداء فشرعنا فيه وشرع معنا كثير وجاء رجل فسلم فرددنا عليه السلام واستدنيناه فإذا نصيب في بزة جميلة قد وافى الحج قادما من الشام فأكب على أبي عبيدة فعانقه وسأله ثم دعاه إلى الغداء فأكل مع القوم فرفع كثير يده وأقلع عن الطعام وأقبل عليه أبو عبيدة والقوم جميعا يسألونه أن يأكل فأبى فتركوه وأقبل كثير على نصيب فقال والله يا أبا محجن إن أثر أهل الشام عليك لجميل لقد رجعت هذه الكرة ظاهر الكبر قليل الحياء فقال له نصيب لكن أثر الحجاز عليك يا أبا صخر غير جميل لقد رجعت وإنك لزائد النقص كثير الحماقة فقال كثير أنا والله أشعر العرب حيث أقول لمولاتك
(إذا أمْسَتْ بَطْنُ مَجَاحَ دُوني ... وعَمْقٌ دون عَزَّةَ فالبَقِيعُ)
(فليس بلائِمي أحدٌ يُصَلِّي ... إذا أخذتْ مَجَارِيَهَا الدموعُ)
فقال له نصيب أنا والله أشعر منك حيث أقول لابنة عمك
(خَلِيليَّ إنْ حَلّتْ كُلَيَّةَ فالرُّبَا ... فذا أَمَجٍ فالشِّعْبَ ذا الماءِ والحَمْضِ)
(فأصبح من حَوْرَانَ رَحْلي بمنزلٍ ... يُبَعِّده من دونها نازحُ الأرضِ)
((وأيْأَسْتما أنْ يجمعَ الدهرُ بيننا ... فخُوضَا لِيَ السمَّ المُصَرَّحَ بالمَحْضِ)
(ففي ذاك من بعض الأمور سلامةٌ ... ولَلْمَوْتُ خيرٌ من حياةٍ على غَمْضِ)
قال فاقتحم إليه كثير وثبت له النصيب فلما نالته رجلاه رمحه نصيب بساقه رمحة طاح منها بعيداً عنه فما زال راقدا حتى أيقظناه عشيا لرمي الجمار
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير عن محمد بن موسى بن طلحة عن عبد الله بن عمر بن عثمان النحوي عن أنيس بن ربيعة الأسلمي أنه قال
غدوت يوما إلى أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة وهو محتل بالرحبة فألفيت عنده جماعة منا ومن غيرنا فأتاه آت فقال له ذاك النصيب منذ ثلاث بالفرش من ملل متلدد كأنه واله في أثر قوم ظاعنين فنهض أبو عبيدة ونهضنا معه فإذا نصيب على المنحر من صفر فلما عايننا وعرف أبا عبيدة هبط فسأله عن أمره فأخبره أنه تبع قوما سائرين وأنه وجد آثارهم ومحلهم بالفرش فاستولهه ذلك فضحك به أبو عبيدة والقوم وقالوا له إنما يهتر إذا
عشق من انتسب عذريا فأما أنت فما لك ولهذا فاستحيا وسكن وسأله أبو عبيدة هل قلت في مقامك شعرا قال نعم وأنشد
(لعَمْري لئن أمْسيتَ بالفَرش مُقْصَداً ... ثَوِيَّاكَ عَبُّودٌ وعُدْنَةُ أو صَفَرْ)
(ففَرِّعٍ صَبًّا أو تَيَمَّم مُصْعِداً ... لِربْعٍ قديمِ العهدِ ينتَكِفُ الأثَرْ)
(دَعَا أهلَه بالشام بَرْقٌ فأوْجَفُوا ... ولم أرَ متبوعاً أضَرَّ من المَطَرْ)
(لتَسْتَبْدِلَنْ قلباً وعيناً سِوَاهُما ... وإلا أتَى قصداً حُشَاشَتَكَ القَدَرْ)
(خَلِيليَّ فيما عِشْتُما أو رأيتُما ... هل اشتاق مَضْرورٌ إلى من به أضَرّ)
(نعمْ ربَّما كان الشَّقاءُ مُتَيَّحاً ... يُغَطِّي على سَمْعِ ابن آدمَ والبَصَرْ)
قال فانصرف به أبو عبيدة إلى منزله وأطعمه وكساه وحمله وانصرف وهو يقول
(أصابَ دواءَ عِلَّتِك الطبيبُ ... وخاض لَكَ السُّلُوَّ ابنُ الرَّبيبِ)
(وأبْصَرَ مِنْ رُقَاكَ مُنَفِّثاتٍ ... وداؤك كان أعْرَفَ بالطَّبيبِ)

نصيب ويزيد بن عبد الملك

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال
دخل نصيب على يزيد بن عبد الملك ذات يوم فأنشده قصيدة امتدحه بها فطرب لها يزيد واستحسنها فقال له أحسنت يا نصيب سلني ما شئت فقال يدك يا أمير المؤمنين بالعطاء أبسط من لساني بالمسألة فأمر به فملىء فمه جوهرا فلم يزل به غنيا حتى مات

هشام بن محمد يكرم نصيبا

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثنا أبو غزية عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال دخل نصيب على إبراهيم بن هشام وهو وال على المدينة فأنشده قوله
(يابنَ الهِشَامَيْن لا بَيْتٌ كَبَيْتِهما ... إذا تَسامَتْ إلى أحسابِها مُضَرُ)
فقال له إبراهيم قم يا أبا محجن إلى تلك الراحلة المرحولة فخذها برحلها فقام إليها نصيب متباطئا والناس يقولون ما رأينا عطية أهنأ من هذه ولا أكرم ولا أعجل
ولا أجزل فسمعهم نصيب فأقبل عليهم وقال والله إنكم قلما صاحبتم الكرام وما راحلة ورحل حتى ترفعوهما فوق قدرهما

هشام بن عبد الملك يعفو عن نصيب ويصله

أخبرني الحرمي وعيسى بن الحسين قالا حدثنا الزبير عن عبد الله بن محمد ابن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان عن أبيه قال
استبطأ هشام بن عبد الملك حين ولي الخلافة نصيبا ألا يكون جاءه وافدا عليه مادحا له ووجد عليه وكان نصيب مريضا فبلغه ذلك حين برأ فقدم عليه وعليه أثر المرض وعلى راحلته أثر النصب فأنشده قصيدته التي يقول فيها
(حَلَفتُ بمَنْ حَجَّت قريشٌ لبيتِه ... وأهْدَتْ له بُدْناً عليها القلائدُ)

(لئن كنتُ طالتْ غَيْبَتي عنكَ إنَّني ... بمَبْلغِ حَوْلي في رِضاكَ لجَاهِدُ)
(ولكنَّني قد طال سُقْمِي وأكثرتْ ... عليَّ العِهادَ المُشفِقَاتُ العَوائِدُ)
(صَريعُ فِرَاشٍ لا يَزَلْنَ يَقُلْنَ لي ... بنُصْحٍ وإشفاقٍ متى أنت قاعدُ)
(فلمّا زَجَرْتُ العِيسَ أسْرَتْ بحاجتي ... إليكَ وذلَّتْ للّسانِ القصائدُ)
(وإنّي فلا تَستَبْطِنِي بمَودّتِي ... ونُصْحِي وإشْفَاقِي إليكَ لعَامِدُ)
((فلا تُقْصِني حتى أكونَ بصرعَةٍ ... فييأس ذو قُرْبى ويشْمتَ حاسدُ
(أنِلْنِي وقَرِّبني فإنِّيَ بالغٌ ... رضَاكَ بعَفْوٍ من نَدَاكَ وزائدُ)
(أبِتْ نائماً أمّا فؤادِي فهَمُّه ... قليلٌ وأمّا مَسُّ جِلْدِي فباردُ)
(وقد كان لي منكم إذا ما لَقِيتُكُمْ ... لَيَانٌ ومعروفٌ وللخيرِ قائدُ)
(إليكَ رَحَلْتُ العِيسَ حتّى كأنَّها ... قِسِيٌّ السُّرَى ذُبْلاً بَرَتْها الطَّرائِدُ)
(وحتّى هَوَادِيها دِقاقٌ وشِكْوُها ... ضَريفٌ وباقي النِّقْيِ منها شَرائِدُ)
(وحتى وَنَتْ ذاتُ المِراحِ فأذعنتْ ... إليكَ وكلُّ الرَّاسِمَاتُ الحَوَافِدُ)
قال فرق له هشام وبكى وقال له ويحك يا نصيب لقد أضررنا بك وبرواحلك ووصله وأحسن صلته واحتفل به
نصيب عند عبد الواحد النصري أمير المدينة
أخبرنا الحرمي عن الزبير عن عمه عن أيوب بن عباية قال
قدم نصيب على عبد الواحد النصري وهو أمير المدينة بفرش من أمير المؤمنين يضعه في قومه من بني ضمرة فأدخلهم عليه ليفرض لهم وفيهم أربعة غلمة لم يحتلموا فردهم النصري فكلمه نصيب كلاما غليظا إدلالا بمنزلته عند الخليفة فأشار إليه إبراهيم بن عبد الله بن مطيع أن اسكت وكف واخرج فإني كافيك فلما خرج إبراهيم لقيه نصيب فقال له أشرت إلي فكرهت أن أغضبك
فما كرهت لي من مراجعته والصلابة له ومن ورائي المستعتب من أمير المؤمنين فقال إبراهيم هو رجل عربي حديد غلق وخشيت إن جاذبته شيئا ألا يرجع عنه وأن يمضي عليه ويلج فيه وهو مالك للأمر وله فيه سلطان فأردت أن تخرج قبل أن يلج ويظهر منه ما لا يرجع عنه فيمضى عليه ويلج فيه فتنتظر لتصادف منه طيب نفس فتكلمه ونرفدك عنده فقال نصيب
(يَوْمانِ يومٌ لِرُزَيْقٍ فَسْلُ ... ويومُه الآخرُ سَمْحٌ فَضْلُ)
أنا جعلت فداءك فاعل ذلك فإذا رأيت القول فأشر إلي حتى أكلمه قال ودخل إليه نصيب عشيات كل ذلك يشير إليه ابن مطيع ألا يكلمه حتى صادف عشية من العشيات منه طيب نفس فأشار إليه أن كلمه فكلمه نصيب فأصاب مختله بكلامه ثم قال إني قد قلت شعرا فاسمعه أيها الأمير وأجزه ثم قال
(أهاجَ البُكَا رَبْعٌ بأسْفَلِ ذي السِّدْرِ ... عَفَاهُ اختلافُ العَصْرِ بعدَكَ والقَطْرِ)
(نَعمْ فَثَنانِي الوجدُ فاشتقتُ لِلّذي ... ذكرت وليسَ الشوقُ إلا معَ الذِّكرِ)
(حَلفتُ بِربِّ المُوضِعِين لِربِّهِمْ ... وحُرمةِ ما بينَ المقَامِ إلى الحِجْرِ)
(لئن حاجتي يوماً قَضَيتَ ورِشْتَنِي ... بنَفحةِ عُرْفٍ من يدَيْكَ أبا بِشْرِ)
(لَتَعْتَرِفَنَّ الدهرَ مِنِّي مودّةً ... ونُصحاً على نُصْحٍ وشُكْراً على شُكرِ)
((سَقَى اللهُ صَوبَ المُزنِ أرضاً عَمَرْتَها ... بريٍّ وأسْقَاها بِلادَ بني نَصْر
(بوجهِكَ فاستَعْمِلْتَ ما دُمْتَ خائفاً ... لِربِّكَ تَقْضِي رَاشِداً آخرَ الدَّهْرِ)
(لِتَنْقِذَ أصحابِي وتَسترَ عَورةً ... بَدتْ لكَ من صَحْبِي فإنكَ ذو سَتْرِ)
(فما بأمير المؤمنين إلى الّتي ... سألتُ فأعطاني لقومِيَ من فَقْرِ)
(وقد خرجتْ منهُ إليكَ فلا تكنْ ... بموضِعِ بَيْضَاتِ الأنُوقِ من الوَكْرِ)
قال فقال عثمان بن حيان المري وهو عنده وكان قد جاءه بالقود من ابن حزم قد احتلم الآن القوم أيها الأمير واستوجبوا الفرض ورفده ابن مطيع فأحسن واشتد عليه أن شركه ابن حيان في رفده وتشييعه وقال النصري لابن مطيع وابن حيان صدقتما ما قد احتلموا واستوجبوا الفرض افرض لهم يا فلان لكاتب من كتابه ففرض لهم
حديث نصيب عن نفسه أنه عشق أمة لبني مدلج وشعره فيها
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني جعفر بن علي اليشكري
قال حدثني الرياشي عن العتبي قال
دخل نصيب على عبد العزيز بن مروان فقال له عبد العزيز وقد طال الحديث بينهما هل عشقت قط قال نعم أمة لبني مدلج قال فكنت تصنع ماذا قال كانوا يحرسونها مني فكنت أقنع أن أراها في الطريق وأشير إليها بعيني أو حاجبي وفيها أقول
(وقَفْتُ لها كَيْما تَمُرَّ لعلّني ... أُخالِسُها التّسليمَ إن لم تُسَلّمِ)
(ولمّا رأتني والوُشَاةَ تحدّرتْ ... مَدامعُها خوفاً ولم تتكلّمِ)
(مساكينُ أهلُ العِشقِ ما كُنتُ أشتَري ... جميعَ حَياةِ العاشقِين بِدرْهَمِ)
فقال عبد العزيز ويحك فما فعلت قال بيعت فأولدها سيدها قال فهل في نفسك منها شيء قال نعم عقابيل أحزان
عبد العزيز بن مروان يحمل دينا عن نصيب
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني بهلول بن سليمان بن قرضاب البلوي
أن إبلا لنصيب أجدبت وحالت وكان لرجل من أسلم عليه ثمانية آلاف درهم قال فأخبرني أبي وعمي أنه وفد على عبد العزيز بن مروان فقال له
جعلني الله فداءك إني حملت دينا في إبل ابتعتها مجدبات حيال وقد قلت فيها شعرا قال أنشده فأنشده
(فلمّا حَمَلْتُ الدَّيْنَ فيها وأصبحتْ ... حِيَالاً مُسِنَّاتِ الهوى كِدْتُ أندَمُ)
(على حينِ أن رَاثَ الرَّبيعُ ولم يكن ... لها بصَعِيدٍ من تِهامَةَ مَقْضَمُ)
(ثمانيةٌ للأسْلَمِيِّ وما دَنَا ... لفُحْشٍ ولا تدنو إلى الفُحْشِ أسْلَمُ)
فقال له عبد العزيز فما دينك ويحك قال ثمانية آلاف فأمر له بثمانية آلاف درهم فلما رجع أنشد الأسلمي الشعر فترك

ماله عليه وقال الثمانية الآلاف لك
نصيب ونسوة كن يتناشدن الشعر في المسجد الحرام
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني الموصلي عن ابن أبي عبيدة قال
أتى نصيب مكة فأتى المسجد الحرام ليلا فبينما هو كذلك إذ طلع ثلاث نسوة فجلسن قريبا منه وجعلن يتحدثن ويتذاكرن الشعر والشعراء وإذا هن من أفصح النساء وآدبهن فقالت إحداهن قاتل الله جميلا حيث يقول
(وبينَ الصَّفا والمَرْوتينِ ذكرتُكم ... بمخْتَلِفٍ ما بين سَاعٍ ومُوجِف)
(وعند طَوَافِي قد ذكرتُكِ ذُكْرةً ... هي الموتُ بل كادتْ على الموتِ تَضْعُف)
فقالت الأخرى بل قاتل الله كثير عزة حيث يقول
(طلَعْنَ علينا بين مَرْوَةَ والصَّفَا ... يَمُرْنَ على البَطْحَاءِ مَوْرَ السحائب)
((فكِدْنَ لعَمْرُ اللّه يُحْدِثْنَ فتنةً ... لمُخْتَشِعٍ من خَشْيَةِ اللّه تائِب
فقالت الأخرى قاتل الله ابن الزانية نصيبا حيث يقول
(ألاَمُ على لَيْلَى ولو أستطيعُها ... وحُرْمةِ ما بين البَنِيَّةِ والسِّتْرْ)
(لمِلْتُ على لَيْلَى بنفسيَ مَيْلةً ... ولو كان في يوم التَّحَالُق والنَّحْرْ)
فقام نصيب إليهن فسلم عليهن فرددن عليه السلام فقال لهن إني رأيتكن تتحادثن شيئا عندي منه علم فقلن ومن أنت فقال اسمعن أولا فقلن هات فأنشدهن قصيدته التي أولها
(ويومَ ذي سَلَمٍ شَاقَتْكَ نائحةٌ ... وَرْقَاءُ في فَنَنٍ والريحُ تضطربُ)
فقلن له نسألك بالله وبحق هذه البنية من أنت فقال أنا ابن المظلومة المقذوفة بغير جرم نصيب فقمن إليه فسلمن عليه ورحبن به واعتذرت إليه القائلة وقالت والله ما أردت سوءا وإنما حملني الاستحسان لقولك على ما سمعك فضحك وجلس إليهن فحادثهن إلى أن انصرف
أخبار ابن محرز ونسبه
نسب ابن محرز
هو مسلم بن محرز فيما روى ابن المكي ويكنى أبا الخطاب مولى بني عبد الدار بن قصي وقال ابن الكلبي اسمه سلم قال ويقال اسمه عبد الله وكان أبوه من سدنة الكعبة أصله من الفرس وكان أصفر أحنى طويلا
أخذه عن الفرس والروم
وأخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني أخي هارون عن عبد الملك ابن الماجشون قال
اسم ابن محرز سلم وهو مولى بني مخزوم وذكر إسحاق أنه كان يسكن المدينة مرة ومكة مرة فإذا أتى المدينة أقام بها ثلاثة أشهر يتعلم الضرب من عزة الميلاء ثم يرجع إلى مكة فيقيم بها ثلاثة أشهر ثم شخص إلى فارس فتعلم ألحان الفرس وأخذ غناءهم ثم صار إلى الشام فتعلم ألحان الروم وأخذ غناءهم فأسقط من ذلك ما لا يستحسن من نغم الفريقين وأخذ محاسنها فمزج بعضها
ببعض وألف منها الأغاني التي صنعها في أشعار العرب فأتى بما لم يسمع مثله وكان يقال له صناج العرب
ابن محرز أول من غنى الرمل
أخبرني عمي قال حدثني أبو أيوب المديني عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال
قال أبي أول من غنى الرمل ابن محرز وما غني قبله فقلت له ولا بالفارسية قال ولا بالفارسية وأول من غنى رملا بالفارسية سلمك في أيام الرشيد استحسن لحنا من ألحان ابن محرز فنقل لحنه إلى الفارسية وغنى فيه
بعده عن الناس وخمول ذكره إلا غناءه
قال أبو أيوب وقال إسحاق كان ابن محرز قليل الملابسة للناس فأخمل ذلك ذكره فما يذكر منه إلا غناؤه وأخذت أكثر غنائه جارية كانت لصديق له من أهل مكة كانت تألفه فأخذه الناس عنها ومات بداء كان به وسقط إلى فارس فأخذ غناء الفرس وإلى الشام فأخذ غناء الروم فتخير من نغمهم ما تغنى به غناءه وكان يقدم بما يصيبه فيدفعه إلى صديقه ذاك فينفقه كيف شاء لا يسأله عن
شيء منه حتى إذا كاد أن ينفد جهزه وأصلح من أمره وقال له إذا شئت فارحل فيرحل ثم يعود فلم يزل كذلك حتى مات قال وهو أول من غنى بزوج من الشعر وعمل ذلك بعده المغنون اقتداء به وكان يقول الأفراد لا تتم بها الألحان وذكر أنه أول ما أخذ الغناء أخذه عن ابن مسجح قال إسحاق وكانت العلة التي مات به الجذام فلم يعاشر الخلفاء ولا خالط الناس لأجل ذلك
قال أبو أيوب قال إسحاق قدم ابن محرز يريد العراق فلما نزل القادسية لقيه حنين فقال له كم منتك نفسك من العراق قال ألف دينار قال فهذه خمسمائة دينار فخذها وانصرف واحلف ألا تعود
أخبار في حسن غنائه
وقال إسحاق وقلت ليونس من أحسن الناس غناء قال ابن محرز قلت وكيف قلت ذاك قال إن شئت فسرت وإن شئت أجملت قلت أجمل قال كأنه خلق من كل قلب فهو يغني لكل إنسان بما يشتهي وهذه الحكاية بعينها قد حكيت في ابن سريج ولا أدري أيهما الحق
قال إسحاق وأخبرني الفضل بن يحيى بن خالد أنه سأل بعض من يبصر الغناء من أحسن الناس غناء فقال أمن الرجال أم من النساء فقلت من الرجال فقال ابن محرز فقلت فمن النساء فقال ابن سريج قال وكان إسحاق يقول الفحول ابن سريج ثم ابن محرز ثم معبد ثم الغريض
ثم مالك
أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد قرأت على أبي حدثنا بعض أهل المدينة وأخبرني بهذا الخبر الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني أخي هارون عن عبد الملك بن الماجشون قال
كان ابن محرز أحسن الناس غناء فمر بهند بنت كنانة بن عبد الرحمن بن نضلة بن صفوان بن أمية بن محرث الكناني حليف قريش فسألته أن يجلس لها ولصواحب لها ففعل وقال أغنيكن صوتا أمرني الحارث بن خالد بن العاص ابن هشام أن أغنيه عائشة بنت طلحة بن عبيد الله في شعر له قاله فيها وهو يومئذ أمير مكة قلن نعم فغناهن
صوت

(فَوَدِدْتُ إذ شَحَطُوا وشَطَّتْ دارُهُمْ ... وعَدَتْهُمُ عَنَّا عَوَادٍ تَشْغَلُ)
(أَنَّا نُطَاعُ وأن تُنَقَّلَ أرضُنا ... أو أنَّ أرضَهُم إلينا تُنْقَلُ)
(لِتُردَّ مِنْ كُتُبٍ إليكِ رسَائِلي ... بجَوابِها ويعودَ ذاكَ المُرْسَلُ)
عروضه من الكامل الغناء في هذه الأبيات خفيف رمل مطلق في مجرى البنصر ذكر عمرو بن بانة أنه لابن محرز وذكر إسحاق أنه لابن سريج
ابن محرز وحنين الحيري
وقال أبو أيوب المديني في خبره بلغني أن ابن محرز لما شخص يريد العراق لقيه حنين فقال له غنني صوتا من غنائك فغناه
صوت
(وحُسْنُ الزَّبَرْجَدِ في نَظْمِه ... على وَاضِحِ اللَّيتِ زانَ العُقُودَا)
(يُفَصِّلُ ياقوتُه دُرَّه ... وكالجَمْرِ أبصرتَ فيه الفَرِيدَا)
عروضه من المتقارب الشعر لعمر بن أبي ربيعة والغناء لابن محرز ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر قال فقال له حنين حينئذ كم أملت من العراق قال ألف دينار فقال له هذه خمسمائة دينار فخذها وانصرف ولما شاع ما فعل لامه أصحابه عليه فقال والله لو دخل العراق لما كان لي معه فيه خبز آكله ولا طرحت وسقطت إلى آخر الدهر وهذا الصوت أعني
(... وحسنُ الزبرجدِ في نظمه)
من صدور أغاني ابن محرز وأوائلها وما لا يتعلق بمذهبه فيه ولا يتشبه به أحد
ومما يغنى فيه من قصيدة نصيب التي أولها
(...أهاجَ هواكَ المنزلُ المتقادمُ)
صوت
(لقد رَاعَني لِلْبَيْنِ نَوْحُ حمامةٍ ... على غُصْنِ بانٍ جاوَبَتْها حَمَائِمُ)
(هَواتِفُ أمّا مَنْ بَكَيْن فعهدُه ... قديمٌ وأمّا شَجْوُهُنّ فدائمُ)
الغناء لابن سريج من رواية يونس وعمرو وابن المكي وهو ثاني ثقيل بالبنصر وهو من جيد الألحان وحسن الأغاني وهو مما عارض ابن سريج فيه ابن محرز وانتصف منه
ذكر الأصوات التي رواها جحظة عن أصحابه وحكى أنها من الثلاثة المختارة
صوت
(إلى جَيْدَاءَ قد بَعثُوا رسولاً ... ليَحْزُنَها فلا صُحِبَ الرَّسُولُ)
(كأنّ العامَ ليس بعامِ حَجٍّ ... تغيَّرتِ المواسمُ والشُّكُولُ)
الشعر للعرجي والغناء لإبراهيم الموصلي ولحنه المختار ماخوري بالوسطى وهو من خفيف الثقيل الثاني على مذهب إسحاق وفيه لابن سريج ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر وذكر عمرو بن بانة أن الماخوري لابن سريج
أخبار العرجي ونسبه
نسب العرجي من قبل أبويه
هو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس وقد شرح هذا النسب في نسب أبي قطيفة وأم عفان وجميع بني أبي العاصي آمنة بنت عبد العزى بن حرثان بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب وأم عثمان أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس وأمها البيضاء أم حكيم بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وهي أخت عبد الله بن عبد المطلب أبي رسول الله لأمه وأبيه ولدا في بطن واحد وأم عمرو بن عثمان أم أبان بنت جندب الدوسية
خبر أم أبان جدة أبيه عمر
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء والطوسي قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني علي بن صالح عن يعقوب بن محمد عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال حدثني محرز بن جعفر عن أبيه عن جده قال
قدم جندب بن عمرو بن حممة الدوسي المدينة مهاجرا في خلافة عمر بن
الخطاب ثم مضى إلى الشأم وخلف ابنته أم أبان عند عمر وقال له يا أمير المؤمنين إن وجدت لها كفئا فزوجه بها ولو بشراك نعله وإلا فأمسكها حتى تلحقها بدار قومها بالسراة فكانت عند عمر واستشهد أبوها فكانت تدعو عمر أباها ويدعوها ابنته قال فإن عمر على المنبر يوما يكلم الناس في بعض الأمر إذ خطر على قلبه ذكرها فقال من له في الجميلة الحسيبة بنت جندب بن عمرو بن حممة وليعلم امرؤ من هو منه فقام عثمان فقال أنا يا أمير المؤمنين فقال أنت أنا لعمر الله كم سقت إليها قال كذا وكذا قال قد زوجتكها فعجله فإنها معدة قال ونزل عن المنبر فجاء عثمان رضي الله عنه بمهرها فأخذه عمر في ردنه فدخل به عليها فقال يا بنية مدي حجرك ففتحت حجرها فألقى فيه المال ثم قال يا بنية قولي اللهم بارك لي فيه فقالت اللهم بارك لي فيه وما هذا يا أبتاه قال مهرك فنفحت به وقالت واسوأتاه فقال احتبسي منه لنفسك ووسعي منه لأهلك وقال لحفصة يا بنتاه أصلحي من شأنها واصبغي ثوبها ففعلت ثم أرسل بها مع نسوة إلى عثمان فقال عمر لما فارقته إنها أمانة في عنقي أخشى أن تضيع بيني وبين عثمان فلحقهن فضرب على عثمان بابه ثم قال خذ أهلك بارك الله لك فيهم فدخلت على عثمان فأقام عندها مقاما طويلا لا يخرج إلى حاجة فدخل عليه سعيد بن العاص فقال له يا أبا عبد الله لقد أقمت عند هذه الدوسية مقاما ما كنت تقيمه عند النساء فقال أما إنه ما بقيت خصلة كنت أحب أن تكون في امرأة إلا صادفتها فيها ما خلا خصلة واحدة
قال وما هي قال إني رجل قد دخلت في السن وحاجتي في النساء الولد وأحسبها حديثة لا ولد فيها اليوم قال فتبسمت فلما خرج سعيد من عنده قال لها عثمان ما أضحكك قالت قد سمعت قولك في الولد وإني لمن نسوة ما دخلت امرأة منهن على سيد قط فرأت حمراء حتى تلد سيد من هو منه قال فما رأت حمراء حتى ولدت عمرو بن عثمان وأم عمر بن عمرو بن عثمان أم ولد وأم العرجي آمنة بنت عمر بن عثمان وقال إسحاق بنت سعيد بن عثمان وهي لأم ولد
سبب تلقبه بالعرجي ونحوه نحو عمر بن أبي ربيعة في شعره

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي
أنه إنما لقب العرجي لأنه كان يسكن عرج الطائف وقيل بل سمي بذلك لماء كان له ومال عليه بالعرج وكان من شعراء قريش ومن شهر بالغزل منها ونحا نحو عمر بن أبي ربيعة في ذلك وتشبه به فأجاد وكان مشغوفا باللهو والصيد حريصا عليهما قليل المحاشاة لأحد فيهما ولم يكن له نباهة في أهله وكان أشقر أزرق جميل الوجه وجيداء التي شبب بها هي أم محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي وكان ينسب بها ليفضح ابنها لا لمحبة كانت بينهما فكان ذلك سبب حبس محمد إياه وضربه له حتى مات في السجن
وأخبرني محمد بن مزيد إجازة عن حماد بن إسحاق فذكر أن حمادا حدثه عن إسحاق عن أبيه عن بعض شيوخه
أن العرجي كان أزرق كوسجا ناتىء الحنجرة وكان صاحب غزل
وفتوة وكان يسكن بمال له في الطائف يسمى العرج فقيل له العرجي ونسب إلى ماله وكان من الفرسان المعدودين مع مسلمة بن عبد الملك بأرض الروم وكان له معه بلاء حسن ونفقة كثيرة
قال إسحاق قد ذكر عتبة بن إبراهيم اللهبي أن العرجي فيما بلغه باع أموالا عظاما كانت له وأطعم ثمنها في سبيل الله حتى نفد ذلك كله وكان قد اتخذ غلامين فإذا كان الليل نصب قدره وقام الغلامان يوقدان فإذا نام واحد قام الآخر فلا يزالان كذلك حتى يصبحا يقول لعل طارقا يطرق

العرجي خليفة عمر بن أبي ربيعة

أخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال حدثني مصعب وأخبرنا الحرمي عن الزبير عن عمه مصعب وعن محمد بن الضحاك بن عثمان عن أبيه قال دخل حديث بعضهم في بعض وأخبرني محمد بن مزيد عن حماد عن أبيه عن مصعب قال
كانت حبشية من مولدات مكة ظريفة صارت إلى المدينة فلما أتاهم موت عمر بن أبي ربيعة اشتد جزعها وجعلت تبكي وتقول من لمكة وشعابها وأباطحها ونزهها ووصف نسائها وحسنهن وجمالهن ووصف ما فيها فقيل لها خفضي عليك فقد نشأ فتى من ولد عثمان رضي الله عنه يأخذ مأخذه ويسلك مسلكه فقالت أنشدوني من شعره فأنشدوها فمسحت عينها وضحكت وقالت الحمد لله الذي لم يضيع حرمه

العرجي وكلابة مولاة عبد الله بن القاسم العبلي

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب وأخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن عورك اللهبي
أن مولاة لثقيف يقال لها كلابة كانت عند عبد الله بن القاسم الأموي العبلي وكان يبلغها تشبيب العرجي بالنساء وذكره لهن في شعره وكانت كلابة تكثر أن تقول لشد ما اجترأ العرجي على نساء قريش حين يذكرهن في شعره ولعمري ما لقي أحدا فيه خير ولئن لقيته لأسودن وجهه فبلغه ذلك عنها قال إسحاق في خبره وكان العبلي نازلا على ماء لبني نصر بن معاوية يقال له الفتق على ثلاثة أميال من مكة على طريق من جاء من نجران أو تبالة إلى مكة والعرج أعلاها قليلا مما يلي الطائف فبلغ العرجي أنه خرج إلى مكة فأتى قصره فأطاف به فخرجت إليه كلابة وكان خلفها في أهله فصاحت به إليك ويلك وجعلت ترميه بالحجارة وتمنعه أن يدنو من القصر فاستسقاها ماء فأبت أن تسقيه وقالت لا يوجد والله أثرك عندي أبدا فيلصق بي منك شر فانصرف وقال ستعلمين وقال

صوت

(حُورٌ بعَثْنَ رسولاً في مُلاَطَفَةٍ ... ثَقْفاً إ ذا غَفَل النَّسَّاءةُ الوَهِمُ)
((إليَّ أنْ إيتِنَا هدأً إذا غَفَلَتْ ... أحراسنا وافتضحنا إنْ همُ عَلِموا
(فجئتُ أمْشِي على هَوْلٍ أُجشمهُ ... تَجَشُّمُ المرءِ هولاً في الهوى كَرَمُ)
(إذا تخوّفتُ من شيءٍ أقولُ له ... قد جفَّ فامْضِ بشيءٍ قُدِّر القلَمُ)
(أمْشِي كما حرّكتْ ريحٌ يمانِيَةٌ ... غُصْناً من البانِ رَطْباً طَلَّه الدِّيمُ)
(في حُلَّةٍ من طِرازِ السُّوسِ مُشْرَبَةٍ ... تَعْفُو بهُدّابِها ما أثَّرتْ قَدَمُ)
(خَلَّتْ سَبِيلِي كما خَلَّيْتُ ذا عُذُرٍ ... إذا رأته عِتَاقُ الخيلِ ينتحمُ)
(وهُنّ في مجلسٍ خالٍ وليس له ... عينٌ عليهِنّ أخْشَاهَا ولا نَدَمُ)
(حتى جلستُ إزاءَ البابِ مكتتِماً ... وطالبُ الحاجِ تحت الليلِ مُكْتَتِمُ)
(أبْدَيْنَ لي أعيُناً نُجْلاً كما نَظَرتْ ... أُدْمٌ هِجَانٌ أتاها مُصْعَبٌ قَطِمُ)
((قالتْ كُلاَبَةُ من هذا فقلتُ لها ... أنا الذي أنتِ من أعدائه زَعَمُوا
(أنا امرؤٌ جدَّ بي حبٌّ فأحْرَضَنِي ... حتى بَلِيتُ وحتى شَفَّنِي السَّقَمُ)
(لا تَكِلِيني إلى قومٍ لو انَّهم ... من بُغْضِنا أُطْعِمُوا لحمِي إذاً طَعِمُوا)
(وأنْعِمِي نِعْمةً تُجْزَيْ بأحسنِها ... فطالما مَسَّني من أهلِكِ النِّعمُ)
(سَتْرُ المُحِبِّينَ في الدنيا لعَلَّهم ... أن يُحْدِثُوا توبةً فيها إذا أثمُوا)
(هذِي يَميني رَهْنٌ بالوَفاءِ لكم ... فارْضَيْ بها ولأنْفِ الكاشِحِ الرَّغَمُ)
(قالت رَضِيتُ ولكن جئتَ في قمرٍ ... هَلاَّ تلبَّثْتَ حتى تدخُلَ الظُّلَمُ)
(فبِتُّ أُسْقَى بأكْواسٍ أُعَلُّ بها ... من باردٍ طابَ منها الطَّعْمُ والنَّسَمُ)
(حتَّى بدَا ساطِعٌ للفجرِ نَحْسَبُه ... سَنَى حريقٍ بلَيْلٍ حين يَضْطَرِمُ)
(كَغُرَّةِ الفرسِ المَنْسُوبِ قد حُسِرتْ ... عنه الجِلاَلُ تَلأْلاَ وهو يَلْتَجِمُ)
(ودّعتهنّ ولا شيءٌ يُراجعني ... إلا البَنَانُ وإلا الأعينُ السُّجُمُ)
(إذا أرَدْنَ كلامِي عنده اعترضتْ ... من دُونِه عَبَراتٌ فانثَنَى الكَلِمُ)
(تكاد إذ رُمْنَ نَهْضاً للقيام معي ... أعجازُهنّ من الأنْصافِ تنْقصمُ)

قال فسمع ابن القاسم العبلي بالشعر يغني به وكان العرجي قد أعطاه جماعة من المغنين وسألهم أن يغنوا فيه فصنعوا في أبيات منه عدة ألحان وقال والله لا أجد لهذه الأمة شيئا أبلغ من إيقاعها تحت التهمة عند ابن القاسم ليقطع مأكلتها من ماله قال فلما سمع العبلي بالشعر يغنى به أخرج كلابة واتهمها ثم أرسل بها بعد زمان على بعير بين غزارتي بعر فأحلفها بمكة بين الركن والمقام أن العرجي كذب فيما قاله فحلفت سبعين يمينا فرضي عنها وردها فكان بعد ذلك إذا

سمع قول العرجي
(... فطالما مَسَّني من أهلِكِ النِّعَمُ)
قال كذب والله ما مسه ذلك قط وقال إسحاق وقد قيل إن صاحب هذه القصيدة والقصة أبو حراب العبلي وأن كلابة كانت أمة لسعدة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان وكان العرجي قد خطبها وسميت به ثم خطبها يزيد بن عبد الملك أو الوليد بن يزيد فزوجته فقال العرجي هذا الشعر فيها غنى في قوله
(... أمْشِي كما حَرَّكَتْ ريحٌ يمانية)
علي بن هشام هزجا مطلقا بالبنصر وفيه للمسدود هزج آخر طنبوري ذكر ذلك جحظة وفي
(...لا تَكِليني إلى قومٍ لوَ انهُمُ)
رمل لابن سريج عن ابن المكي وإسحاق في السبابة في مجرى الوسطى وفي قالت كلابة والذي بعده لعبيد الله بن أبي غسان لحن من خفيف الرمل ولنبيه في أنا امرؤ جد بي وما بعده هزج بالوسطى ولدحمان في حور بعثن وما بعده هزج بالوسطى وروى عنه الهشامي فيه ثقيلا أول ولأبي عيسى بن المتوكل في وأنعمي نعمة وبيتين بعده ثقيل أول وأخبرني بخبر العرجي وكلابة هذه الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار عن عمه مصعب وأخبرني به وكيع عن أبي أيوب المديني عن مصعب وذكر نحوا مما ذكره إسحاق وزعما أن كلابة كانت قيمة لأبي حراب العبلي وهو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر بن عبد شمس

أيوب بن مسلمة وأشعب يتذكران شعرا للعرجي

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال أخبرني مسلمة ابن إبراهيم بن هشام قال
كنت عند أيوب بن مسلمة ومعنا أشعب فذكر قول العرجي
(أينَ ما قلتِ مُتُّ قبلَكَ أيَنَا ... أين تصديقُ ما وَعَدْتِ إلينا)
(فلقد خِفْتُ منكِ أن تَصْرِمي الحَبْلَ ... وأن تَجمعي مع الصَّرْمِ بَيْنَا)
((ما تقولين في فتىً هامَ إذ هامَ ... بمن لا يُنَالُ جهلاً وحَيْنَا)
(فاجْعَلِي بيننا وبينكِ عَدْلاً ... لا تَحِيفي ولا يَحِيفُ علينَا)
(واعلَمي أنّ في القَضَاءِ شُهوداً ... أو يميناً فأحْضِري شاهِدَيْنا)
(خُلّتي لو قَدرتُ منكِ على ما ... قُلْتِ لي في الخَلاءِ حِينَ التقَينا)
(ما تَحرّجتُ من دَمِي عَلِمَ اللّهُ ... ولو كنتُ قد شهدتُ حُنَيْنا)
قال فقال أيوب لأشعب ما تظن أنها وعدته قال أخبرك يقينا لا ظنّاً أنها وعدته أن تأتيه في شعب من شعاب العرج يوم الجمعة إذا نزل الرجال إلى الطائف للصلاة فعرض لها عارض شغل فقطعها عن موعده قال فمن كان الشاهدان قال كسير وعوير وكل غير خير فند أبو زيد مولى عائشة بنت سعد وزور الفرق مولى الأنصار قال فمن العدل الحكم قال حصين بن غرير الحميري قال فما حكم به قال أدت إليه حقه وسقطت المؤنة عنه قال يا أشعب لقد أحكمت صناعتك قال سل علامة عن علمه

شعره في عاتكة زوجة طريح بن إسماعيل الثقفي

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن عورك اللهبي قال
قال العرجي في امرأة من بني حبيب بطن من بني نصر بن معاوية يقال لها عاتكة وكانت زوجة طريح بن إسماعيل الثقفي
(يا دارَ عاتِكةَ التي بالأزْهَرِ ... أو فَوْقَه بقَفَا الكَثِيب الأحْمرِ)
(لم ألقَ أهلك بعدَ عامَ لقِيتُهمْ ... يا ليتَ أنّ لِقاءَهم لم يُقدَرِ)

صوت

(بِفِنَاء بيتك وابنُ مِشْعَبَ حاضرٌ ... في سامِرٍ عَطِرٍ وليلٍ مُقْمِرِ)
(مستشعرين مَلاَحفاً هَرَوِيّةً ... بالزَّعْفَران صِبَاغُها والعُصْفُرِ)
((فتَلاَزَما عندَ الفراقِ صَبَابةً ... أخْذَ الغَريم بفَضْلِ ثَوبِ المُعْسِرِ
الأزهر على ثلاثة أميال من الطائف وابن مشعب الذي عناه مغن من أهل مكة كان في زمن ابن سريج والغناء في هذه الأبيات له رمل بالوسطى قال إسحاق كان ابن مشعب من أحسن الناس وجها وغناء ومات في تلك الأيام فأدخل الناس غناءه في غناء ابن سريج والغريض قال وهذا الصوت ينسبه من لا يعلم إلى ابن محرز يعني
(... بِفناءِ بيتك وابن مشعب حاضرٌ)
قال وهو الذي غنى
(أقْفَرَ ممّن يَحُلُّه السَّنَدُ ... فالمُنحَنَي فالعَقِيقُ فالجُمُدُ)
(وَيْحي غداً إنْ غَدَا عليّ بمَا ... أحذَرُ من فُرْقة الحَبيب غَدُ)
والناس ينسبونه إلى ابن سريج
العرجي يواقع امرأة في عرج الطائف
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثنا محمد بن ثابت بن إبراهيم الأنصاري قال حدثني ابن مخارق قال واعد العرجي هوى له شعبا من شعاب عرج الطائف إذا نزل رجالها يوم
الجمعة إلى مسجد الطائف فجاءت على أتان لها معها جارية لها وجاء العرجي على حمار معه غلام له فواقع المرأة وواقع الغلام الجارية ونزا الحمار على الأتان فقال العرجي هذا يوم قد غاب عذاله
أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا النضر بن عمرو عن ابن داحة قال
كان العرجي يستقي على إبله في شملتين ثم يغتسل ويلبس حلتين بخمسمائة دينار ثم يقول
(يَوماً لأصْحابي ويوماً للمالْ ... مِدرعةٌ يوماً ويوماً سِرْبالْ)
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن بعض رجاله
أن العرجي كان غازيا فأصابت الناس مجاعة فقال للتجار أعطوا الناس وعلي ما تعطون فلم يزل يعطيهم ويطعم الناس حتى أخصبوا فبلغ ذلك عشرين ألف دينار فألزمها العرجي نفسه وبلغ الخبر عمر بن عبد العزيز فقال بيت المال أحق بهذا فقضى التجار ذلك المال من بيت المال

العرجي وأم الأوقص
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير عن عمه وأخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الزبيري وغيره
أن العرجي خرج إلى جنبات الطائف متنزها فمر ببطن النقيع فنظر إلى أم الأوقص وهو محمد بن عبد الرحمن المخزومي القاضي وكان يتعرض لها فإذا رآها رمت بنفسها وتسترت منه وهي امرأة من بني تميم فبصر بها في نسوة جالسة وهن يتحدثن فعرفها وأحب أن يتأملها من قرب فعدل عنها ولقي أعرابيا من بني نصر على بكر له ومعه وطبا لبن فدفع إليه دابته وثيابه وأخذ قعوده ولبنه ولبس ثيابه ثم أقبل على النسوة فصحن به يا أعرابي أمعك لبن قال نعم ومال إليهن وجلس يتأمل أم الأوقص وتواثب من معها إلى الوطبين وجعل العرجي يلحظها وينظر أحيانا إلى الأرض كأنه يطلب شيئا وهن يشربن من اللبن فقالت له امرأة منهن أي شيء تطلب يا أعرابي في الأرض أضاع منك شيء قال نعم قلبي فلما سمعت التميمية كلامه نظرت إليه وكان أزرق فعرفته فقالت العرجي بن عمر ورب الكعبة ووثبت وسترها نساؤها وقلن انصرف عنا لا حاجة بنا إلى لبنك فمضى منصرفا وقال في ذلك
(أقول لصاحِبَيَّ ومثلُ ما بي ... شكاهُ المرءُ ذو الوَجْدِ الأليم)
(إلى الأخَوَيْن مثلِهما إذا ما ... تأوّبه مُؤَرِّقةُ الهمومِ)
(لِحَيني والبلاءِ لقيتُ ظُهْراً ... بأعلَى النَّقْعِ أختَ بني تمِيم)
((فلمّا أن رأتْ عيناي منها ... أسيلَ الخَدِّ في خَلْقٍ عَمِيم
(وعَيْنَي جُؤذَرٍ خَرِقٍ وثَغْراً ... كلَونِ الأُقْحُوانِ وجيدَ رِيم)
(حَنَا أترابُها دُوني عليها ... حُنوّ العائداتِ على السَّقيمِ)
قال إسحاق في خبره فقال رجل من بني جمح يقال له ابن عامر للأوقص وقضى عليه بقضية فتظلم منه والله لو كنت أنا عبد الله بن عمر العرجي لكنت قد أسرفت علي فضربه الأوقص سبعين سوطاً
أبو السائب المخزومي وشعر العرجي
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا مصعب بن عبد الله عن أبيه قال
أتاني أبو السائب المخزومي ليلة بعد ما رقد السامر فأشرفت عليه فقال سهرت وذكرت أخا لي أستمتع به فلم أجد سواك فلو مضينا إلى العقيق فتناشدنا وتحدثنا فمضينا فأنشدته في بعض ذلك بيتين للعرجي
(باتَا بأنعَم ليلةٍ حتّى بدا ... صُبْحٌ تَلوّح كالأغَرّ الأشقَر)
(فتَلازما عندَ الفِراق صبابةً ... أخْذَ الغريم بفَضل ثوب المعُسِر)
فقال أعده علي فأعدته فقال أحسن والله امرأته طالق إن نطق بحرف غيره حتى يرجع إلى بيته قال فلقينا عبد الله بن حسن بن حسن فلما صرنا إليه وقف بنا وهو منصرف من ماله يريد المدينة فسلم ثم قال كيف أنت يا أبا السائب فقال
((فتلازما عند الفِراق صبابةً ... أخْذَ الغريم بفَضل ثوب المعسر
فالتفت إلي فقال متى أنكرت صاحبك فقلت منذ الليلة فقال إنا لله وأي كهل أصيبت منه قريش ثم مضينا فلقينا محمد بن عمران التيمي قاضي المدينة يريد مالا له على بغلة له ومعه غلام على عنقه مخلاة فيها قيد البغلة فسلم ثم قال كيف أنت يا أبا السائب فقال
(فتلازما عندَ الفِراق صبابةً ... أخْذَ الغريمِ بفَضل ثوبِ المُعسر)
فالتفت إلي فقال متى أنكرت صاحبك قلت آنفا فلما أراد المضي قلت أفتدعه هكذا والله ما آمن أن يتهور في بعض آبار العقيق قال صدقت يا غلام قال قيد البغلة فأخذ القيد فوضعه في رجله وهو ينشد البيت ويشير بيده إليه يري أنه يفهم عنه قصته ثم نزل الشيخ وقال لغلامه يا غلام احمله على بغلتي وألحقه بأهله فلما كان بحيث علمت أنه قد فاته أخبرته بخبره فقال قبحك الله ماجنا فضحت شيخا من قريش وغررتني
ابن أبي عتيق وشعر العرجي
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عروة بن عبد الله بن عروة بن الزبير عن عروة بن أذينة قال
أنشد ابن جندب الهذلي ابن أبي عتيق قول العرجي
(وما أنْسَ مِ الأشياءِ لا أنْسَ قولَها ... لخادمها قُومي اسْألي لي عن الوتْرِ)
(فقالت يقول الناسُ في سِتّ عَشْرةً ... فلا تعجَلي منهُ فإنّكِ في أجْرِ)
((فمَا ليلةٌ عندي وإن قيل جمعةٌ ... ولا ليلةُ الأضْحَى ولا ليلةُ الفِطْرِ
(بعادلةِ الاثنين عندي وبالحَرَى ... يكونُ سواءً منهما ليلةُ القَدْرِ)
فقال ابن أبي عتيق أشهدكم أنها حرة من مالي إن أجاز ذلك أهلها هذه والله أفقه من ابن شهاب
شعر العرجي في زوجته أم عثمان
أخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال
تزوج العرجي أم عثمان بنت بكير بن عمرو بن عثمان بن عفان وأمها سكينة بنت مصعب بن الزبير فقال فيها
(إنّ عثمانَ والزُّبَيْرَ أحلاَّ ... دَارها باليفاع إذ وَلَداها)
(إنّها بنتُ كلِّ أبْيضَ قَرْمٍ ... نال في المجد من قُصَيٍّ ذُرَاها)
(سكَنَ الناسُ بالظَّواهرِ منها ... وتَبَوَّا لنفسِه بَطْحَاها)
قال إسحاق ولما تزوج الرشيد زوجته العثمانية أعجب بها فكان كثيرا ما يتمثل بهذه الأبيات
العرجي وأبو عدي العبلي
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال
حدثت أن أبا عدي العبلي خرج يريد واديا نحو الطائف يقال له جلدان فمر بعبيد الله بن عمر العرجي وهو نازل هناك بواد يقال له العرج فأرسل إليه غلاماً له فأعلمه بمكانه فأتاه الغلام فقال له هذا أبو عدي فأمر أن ينزله في مسجد الخيف فأنزله وأبطأ عليه في الخروج فقال للغلام ويحك ما يحبس مولاك قال عنده ابن وردان مولى معاوية وهما يأكلان القسب والجلجلان ثم بعث إليه بخبز ولبن وبعث لرواحله بحمض وقدم إلى رواحل ابن وردان القت والشعير فكتب إليه أبو عدي
(أبا عُمَرٍ لمْ تُنْزل الركبَ إذ أتَوْا ... منازلَهم والرَّكْبُ يَحْفُونَ بالرَّكْب)

(رفعتَ لِئَامَ الناس فوق كِرَامِهمْ ... وآثَرْتَهُمْ بالجِلجُلانِ وبالقَسْبِ)
(فأمّا بَعِيرانَا فبالحمْض غُذِّيَا ... وأُوثِرَ عَبَّادُ بنُ وَرْدَان بالقَضْبِ)
فكتب إليه العرجي
(أتانا فلم نَشْعُرْ به غيرَ أنّه ... له لِحيَةٌ طالتْ على حَمِق القلبِ)
(كِرايةِ بَيْطارٍ بأعْلَى حديدةٍ ... إذا نُصِبتْ لم تَكْسِبِ الحمدَ بالنَّصْبِ)
(أتانا على سغْبٍ يُعرِّض بالقِرَى ... وهل فوق قُرْصٍ من قِرًى صَاحبِ السَّغْبِ)
قال فارتحل أبو عدي مغضبا وقال مزحت معه فهجاني وأنشأ يقول في العرجي
(سرتْ ناقتِي حتّى إذا مَلّتِ السُّرَى ... وعارَضها عَرْجُ الجبَانة والخِصْبِ)
(طَوَاها الكَرى بعدَ السُّرَى بمُعَرَّسٍ ... جَديبٍ وشيخٍ بئس مُستعْرضُ الرَّكْبِ)
(وهمَّتْ بتعريسٍ فحلّتْ قُيُودَها ... إلى رجلٍ بالعَرْجِ ألأمَ من كَلْبِ)
(تَمطّي قليلاً ثم جاء بصَرْبَةٍ ... وقُرصِ شعيرٍ مثلِ كِرْكِرةِ السَّقْبِ)
(فقلتُ له أُرْدُدْ قِرَاكَ مُذَمَّمَا ... فلستُ إليه بالفقِير ولا صَحْبِي)
(جَزَى اللهُ خيراً خيرَنا عند بيتِه ... وأنْحَرَنا للكُومِ في اليومِ ذي السَّغْبِ)
(لقد عَلِمَتْ فِهْرٌ بأنّك شرُّها ... وآكَلُ فهرٍ للخبيثِ من الكَسْبِ)
(وتلبَس للجاراتِ إتْباً ومِئزَراً ... ومِرْطاً فبئس الشيخُ يرْفُل في الإتب)
(يُدخِّنُّ بالعُودِ اليلَنْجوجِ مرةً ... وبالضرْوِ والسَّوْداءِ والمائعِ الرَّطْبِ)
(فإنْ قلتَ عثمانُ بنُ عَفّانٍ والدي ... فقد كان عثمانٌ بريئاً من الوشْبِ
(وقِدْماً يَجيءُ الحيُّ بالنَّسْلِ مَيّتاً ... ويأتي كريمُ الناسِ بالوَكَلِ الثِّلْبِ)
(له لِحْيَةٌ قد مُزِّقَت فكأنّها ... مِقَمَّةُ حشّاشٍ مَحَالِفَهُ العُشْبُ)
فلما بلغ ذلك العرجي أتى عمه علي بن عبد الله بن علي العبلي فشق قميصه بين يديه وشكاه إليه فبعث إلى أبي عدي فنهاه عنه وقال لئن عدت لا كلمتك أبدا فكف عنه
كان العرجي من أفرس الناس وأرماهم
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن سليمان بن عثمان بن يسار رجل من أهل مكة وكان هيبا أديبا قال
كان للعرجي حائط يقال له العرج في وسط بلاد بني نصر بن معاوية فكانت إبلهم وغنمهم تدخل فيه فيعقر كل ما دخل منها فكانت تضر به ويضر بأهلها ويشكونه ويشكوهم وكان من أفرس الناس وأرماهم وأبراهم لسهم فكان ربما برى مائة سهم من الرمان ثم يقول والله لا أنقلب حتى أقتل بها مائة خلفة من إبل بني نصر فيفعل ذلك
حبس العرجي
قال إسحاق فحدثني ابن غرير قال لما حبس العرجي وضرب وأقيم على البلس قال
(مَعِي ابنُ غُرَيْرٍ واقِفاً في عَبَاءةٍ ... لعَمْري لقدْ قَرّتْ عُيُونُ بني نَصْرِ)
فقال فتى من بني نصر يجيبه وكان حاضرا لضربه وإقامته
(أجَلْ قد أقَرّ اللهُ فيك عُيُونَنا ... فبِئسَ الفتَى والجارُ في سالفِ الدّهْرِ)
وقال إسحاق في خبره قال رجل للعرجي جئتك أخطب إليك مودتك قال بل خذها زنا فإنها أحلى وألذ
امرأة تمثلت بشعر العرجي وقد ليمت على رفثها في الحج
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا إسماعيل بن مجمع عن المدائني عن عبد الله بن سلم قال
قال عبد الله بن عمر العمري خرجت حاجاً فرأيت امرأة جميلة تتكلم بكلام أرفثت فيه فأدنيت ناقتي منها ثم قلت لها يا أمة الله ألست حاجة أما
تخافين الله فسفرت عن وجه يبهر الشمس حسنا ثم قالت تأمل يا عم فإنني ممن عنى العرجي بقوله
صوت
(أماطَتْ كِساءَ الخَزِّ عن حُرِّ وجْهِها ... وأدْنَتْ على الخَدَّيْن بُرْداً مُهَلْهَلاَ)
(مِن اللاءِ لم يَحْجُجْن يَبغِين حِسْبَةً ... ولكِن ليقتُلْنَ البَرِيءَ المُغَفَّلاَ)
قال فقلت لها فإني أسأل الله ألا يعذب هذا الوجه بالنار قال وبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال أما والله لو كان من بعض بغضاء العراق لقال لها أعزبي قبحك الله ولكنه ظرف عباد أهل الحجاز وقد رويت هذه الحكاية عن أبي حازم الأعرج وهو سلمة بن دينار وقد روى أبو حازم عن أبي هريرة وسهل بن سعد وغيرهما وروى عنه مالك وابن أبي أيوب والحكاية عنه في هذا أصح منها عن عبد الله العمري حدثنا بهذا وكيع والغناء في هذه الأبيات لعزار المكي ثاني ثقيل وفيه خفيف ثقيل لمعبد وفيها لعبد الله بن العباس الربيعي ثقيل أول ويقال إن خفيف الثقيل لابن سريج ويقال للغريض
غناء عبد الله بن العباس الربيعي في شعر العرجي
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أبو توبة قال
قال عبد الله بن العباس دعاني المتوكل فلما جلست مجلس المنادمة قال لي يا عبد الله تغن فغنيته في شعر مدحته به فقال أين هذا من غنائك في
(... أماطَتْ كِساءَ الخَزِّ عن حُرِّ وجهها)
ومن صنعتك في
(... أقْفَرَ ممَّنْ يَحُلُّه سَرِفُ)
فقلت يا أمير المؤمنين إن صنعتي حينئذ كانت وأنا شاب عاشق فإن استطعت رد شبابي وعشقي صنعت مثل تلك الصنعة فقال هيهات وقد لعمري صدقت ووصلني والأبيات التي فيها الغناء المذكور من شعر العرجي يقوله في جيداء أم محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي وكان يهجوه ويشبب بأمه وبامرأته وكان محمد تياها شديد الكبر جبارا فلم يزل يتطلب عليه العلل حتى حبسه وقيده بعد أن ضربه بالسوط وأقامه على البلس للناس واختلف الرواة في السبب الذي اعتل به عليه وقد ذكرت ذلك في رواياتهم
هجاء العرجي محمد بن هشام المخزومي وتشبيبه بأمه

أخبرني بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة وأخبرنا أحمد بن محمد بن إسحاق قال أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب ومحمد بن الضحاك الحزامي عن الضحاك بن عثمان وذكره حماد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب بن
عباية ونسخته أيضا من رواية محمد بن حبيب قالوا
كان محمد بن هشام خال هشام بن عبد الملك فلما ولي الخلافة ولاه مكة وكتب إليه أن يحج بالناس فهجاه العرجي بأشعار كثيرة
منها قوله فيه
(كأنّ العامَ ليس بعامِ حَجٍّ ... تَغيَّرتِ المواسمُ والشُّكُولُ)
(إلى جَيْدَاء قد بعثوا رسولاً ... ليُخْبِرَها فلا صُحِبَ الرّسولُ)
ويروى ليحزنها وهكذا يغنى
ومنها قوله
(ألاَ قُلْ لِمنْ أِمْسَى بمكة قاطناً ... ومن جاء من عَمْقٍ ونَقْبِ المُشَلَّلِ)
(دَعُوا الحَجَّ لا تَستَهْلِكُوا نفقاتِكم ... فما حَجُّ هذا العامِ بالمتَقبَّلِ)
(وكيف يُزَكَّى حَجُّ مَنْ لم يكنْ له ... إمامٌ لدى تجْمِيره غيرُ دُلْدُلِ)
(يَظَلُّ يُرائي بالصِّيام نَهارَه ... ويَلبَسُ في الظَّلماءِ سِمْطَيْ قرنْفُلِ)
فلم يزل محمد يطلب عليه العلل حتى وجدها فحبسه
قال الزبير في خبره عن عمه ومحمد بن الضحاك وقال إسحاق في خبره عن
أيوب بن عباية كان العرجي يشبب بأم محمد بن هشام وهي من بني الحارث بن كعب ويقال لها جيداء
صوت
(عُوجِي علينا رَبَّةَ الهَوْدَجِ ... إنَّكِ إن لا تفْعَلِي تحْرجِي)
(إنّي أُتِيحتْ لي يمانيةٌ ... إحدى بني الحارث من مَذْحِجِ)
(نَلْبَثُ حولاً كاملاً كلَّه ... ما نلتقي إلا على مَنْهَجِ)
(في الحَجِّ إن حَجَّتْ وماذا منىً ... وأهلُهُ إن هي لم تُحْجُجِ)
(أيسرُ ما نال مُحِبٌّ لدَى ... بَيْنِ حَبيبٍ قولُه عَرِّجِ)
(نَقْضِ إليكم حاجةً أو نَقُلْ ... هل لي ممَّا بِيَ من مَخْرَجِ)
تعليق عطاء بن أبي رباح على هذا الشعر
قال إسحاق في خبره فحدثني حمزة بن عتبة اللهبي قال أنشد عطاء بن أبي رباح قول العرجي
(في الحَجِّ إن حَجَّتْ وماذا مِنىً ... وأهلُه إنْ هي لم تَحْجُجِ)
فقال الخير والله كله بمنى وأهله حجت أو لم تحج قال ولقي ابن سريج
عطاء وهو راكب بمنى على بغلته فقال له سألتك بالله إلا وقفت لي حتى أسمعك شيئا قال ويحك دعني فإني عجل قال امرأته طالق لئن لم تقف مختارا للوقوف لأمسكن بلجام بغلتك ثم لا أفارقها ولو قطعت يدي حتى أغنيك وأرفع صوتي لا أسره قال هات وعجل فغناه
(في الحجِّ إن حَجَّتْ وماذا مِنىً ... وأهلُه إن هي لم تَحْجُجِ)
فقال الخير كله والله بمنى لا سيما وقد غيبها الله عن مشاعره خل سبيل البغلة
أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا إبراهيم بن المنذر قال حدثني حمزة بن عتبة اللهبي عن عبد الوهاب بن مجاهد أو غيره قال
كنت مع عطاء بن أبي رباح فجاءه رجل فأنشده قول العرجي
(إنّي أُتِيحتْ لي يمانِيَةٌ ... إحدى بني الحارثِ من مَذْحج)
(نلبَث حولاً كاملاً كلَّه ... لا نلتقي إلا على مَنْهَجِ)
(في الحجِّ إن حجَّتْ وماذا مِنىً ... وأهلُه إنْ هي لم تَحْجُجِ)
فقال عطاء خير كثير بمنى إذ غيبها الله عن مشاعره
تشبيبه بزوجة محمد بن هشام
قال وقال في زوجته جبرة المخزومية يعني زوجة محمد بن هشام
صوت
(عُوجِي عليّ فسلِّمي جَبْرُ ... فِيمَ الصدودُ وأنتمُ سَفْرُ)
(ما نلْتَقِي إلا ثلاثَ مِنىً ... حتى يُفرِّقَ بيننا النَّفْرُ)
(الحولُ بعد الحول يَتْبَعُه ... ما الدهرُ إلا الحولُ والشهرُ
قال حماد بن إسحاق في خبره حدثني ابن أبي الحويرث الثقفي عن ابن عم لعمارة بن حمزة قال حدثنا سليمان الخشاب عن داود المكي قال كنا في حلقة ابن جريج وهو يحدثنا وعنده جماعة فيهم عبد الله بن المبارك وعدة من العراقيين إذ مر به ابن تيزن المغني وقد ائتزر بمئزر على صدره وهي إزرة الشطار عندنا فدعاه ابن جريج فقال له أحب أن تسمعني قال إني مستعجل فألح عليه فقال امرأته طالق إن غناك أكثر من ثلاثة أصوات فقال له ويحك ما أعجلك إلى اليمين غنني الصوت الذي غناه ابن سريج في اليوم الثاني من أيام منى على جمرة العقبة فقطع طريق الذاهب والجائي حتى تكسرت المحامل فغناه
(... عُوجِي عليّ فسلِّمي جَبْر)
فقال له ابن جريج أحسنت أحسنت والله ثلاث مرات ويحك أعده قال من الثلاثة فإني قد حلفت قال أعده فأعاده فقال أحسنت فأعده من الثلاثة فأعاده وقام ومضى وقال لولا مكان هؤلاء الثقلاء عندك لأطلت معك حتى تقضي وطرك فالتفت ابن جريج إلى أصحابه فقال لعلكم أنكرتم ما فعلت فقالوا
إنا لننكره عندنا بالعراق ونكرهه قال فما تقولون في الرجز يعني الحداء قالوا لا بأس به عندنا قال فما الفرق بينه وبين الغناء

حقد محمد بن هشام على العرجي وحبسه حتى مات

قال إسحاق في خبره بلغني أن محمد بن هشام كان يقول لأمه جيداء بنت عفيف أنت غضضت مني بأنك أمي وأهلكتني وقتلتني فتقول له ويحك وكيف ذاك قال لو كانت أمي من قريش ما ولي الخلافة غيري قالوا فلم يزل محمد بن هشام مضطغنا على العرجي من هذه الأشعار التي يقولها فيه ومتطلبا سبيلا عليه حتى وجده فيه فأخذه وقيده وضربه وأقامه للناس ثم حبسه وأقسم لا يخرج من الحبس ما دام لي سلطان فمكث في حبسه نحوا من تسع سنين حتى مات فيه

روايات أخرى في سبب الخصومة بين محمد بن هشام والعرجي

وذكر إسحاق في خبره عن أيوب بن عباية ووافقه عمر بن شبة ومحمد بن حبيب أن السبب في ذلك أن العرجي لاحى مولى كان لأبيه فأمضه العرجي فأجابه المولى بمثل ما قاله له فأمهله حتى إذا كان الليل أتاه مع جماعة من مواليه وعبيده فهجم عليه في منزله وأخذه وأوثقه كتافا ثم أمر عبيده أن ينكحوا امرأته بين يديه ففعلوا ثم قتله وأحرقه بالنار فاستعدت امرأته على العرجي محمد بن هشام فحبسه

وذكر الزبير في خبره عن الضحاك بن عثمان أن العرجي كان وكل بحرمه مولى له يقوم بأمورهن فبلغه أنه يخالف إليهن فلم يزل يرصده حتى

وجده يحدث بعضهن فقتله وأحرقه بالنار فاستعدت عليه امرأة المولى محمد بن هشام المخزومي وكان والياً على مكة في خلافة هشام وكان العرجي قد هجاه قبل ذلك هجاء كثيرا لما ولاه هشام الحج فأحفظه فلما وجد عليه سبيلا ضربه وأقامه على البُلُس للناس وسجنه حتى مات في سجنه

وذكر الزبير أيضا في خبره عن عمه وغيره أن أشعب كان حاضرا للعرجي وهو يشتم مولاه هذا وأنه طال شتمه إياه فلما أكثر رد المولى عليه فاختلط من ذلك فقال لأشعب اشهد على ما سمعت قال أشعب وعلام أشهد قد شتمته ألفا وشتمك واحدة والله لو أن أمك أم الكتاب وأمه حمالة الحطب ما زاد على هذا

شعر للعرجي قاله في تعذيب محمد بن هشام له

قال الزبير وحدثني حمزة بن عتبة اللهبي قال

لما أخذ محمد بن هشام المخزومي العرجي أخذه وأخذ معه الحصين بن غرير الحميري فجلدهما وصب على رؤوسهما الزيت وأقامهما في الشمس على البُلُس في الجناطين بمكة فجعل العرجي ينشد

(سينصُرني الخليفةُ بعد ربِّي ... ويغضَبُ حين يُخْبَرِ عن مَساقِي)
(عليَّ عَبَاءةٌ بَلْقَاءُ ليستْ ... مع البَلْوَى تُغَيِّب نِصْفَ ساقِي)
(وتغضَب لي بأجْمَعها قُصَيٌّ ... قَطِينُ البيتِ والدُّمْثِ الرِّقَاق)

ثم يصيح يا غرير أجياد يا غرير أجياد فيقول له الحميري المجلود معه ألا

تدعنا ألا ترى ما نحن فيه من البلاء يعني بقوله يا غرير الحصين بن غرير الحميري المجلود معه وكان صديقا للعرجي وخليطا وذكر إسحاق تمام هذه الأبيات وأولها

(وكَمْ مِنْ كَاعِبٍ حَوْرَاء بِكْرٍ ... ألُوف السِّتْرِ واضحةِ التَّراقِي)
(بَكَتْ جَزَعاً وقد سُمِرَتْ كُبُولٌ ... وجامِعَةٌ يُشَدُّ بها خِنَاقِي)
(على دَهْمَاءَ مُشْرِفَةٍ سَمُوقٍ ... ثَنَاها القَمْحُ مُزْلَقَةِ التَّرَاقِي)
(عليَّ عَبَاءةٌ بَلْقَاءُ ليستْ ... مع البَلْوَى تُغَيِّب نصفَ ساقِي)
(كأنّ على الخدُود وهُنّ شُعْثٌ ... سِجَالَ الماءِ يُبْعَث في السَّوَاقِي)
(فقلتُ تجلُّداً وحَلَفتُ صبراً ... أَبَالي اليومَ ما دَفعتْ مآقِي)
(سَيَنْصُرني الخليفةَ بعد ربِّي ... ويغضَب حين يُخْبَر عن مَسَاقِي)
(وتغضَب لي بأجْمَعِها قُصَيٌّ ... قَطِينُ البيت والدُّمْثِ الرِّقَاق)
(بِمُجْتَمَعِ السُّيُول إذا تَنَحَّى ... لِئَامُ الناسِ في الشُّعَبِ العِمَاقِ)

قال فكان إذا أنشد هذا البيت التفت إلى ابن غرير فصاح به يا غرير أجياد يا غرير أجياد يعني بني مخزوم وكانت منازلهم في أجياد فعيرهم بأنهم ليسوا من أهل الأبطح

وقال الزبير في خبره ووافقه إسحاق فذكر أن رجلا مر بالعرجي وهو واقف على البلس ومعه ابن غرير وقد جلدا وحلقا وصب الزيت على رؤوسهما وألبسا

عباءتين واجتمع الناس ينظرون إليهما قال وكان الرجل صديقا للعرجي وكان فأفاء فوقف عليه فأراد أن يتوجع لما ناله ويدعو له فلجلج لما كان في لسانه كما يفعل الفأفاء فقال له ابن غرير عني لا خرجت من فيك أبدا فقال له الرجل فمكانك إذا لا برحت منه أبدا

قال ومر به صبيان يلقطون النوى فوقفوا ينظرون إليه فالتفت إلى ابن غرير وقال له ما أعرف في الدنيا سخلين أشأم مني ومنك إن هؤلاء الصبيان لأهلهم عليهم في كل يوم على كل واحد منهم مد نوى فقد تركوا لقطهم للنوى وقد وقفوا ينظرون إلي وإليك وينصرفون بغير شيء فيضربون فيكون شؤمنا قد لحقهم

قال وقال العرجي في حبسه

صوت

(أَضَاعُوني وأيَّ فتىً أَضَاعُوا ... ليومِ كَرِيهةٍ وسِدَادِ ثَغْرِ)
(وصبرٍ عند مُعْتَرَكِ المَنَايَا ... وقد شرِعتْ أسِنَّتُها بنَحْرِي)
(أُجَرَّرُ في الجَوَامِعِ كلَّ يومٍ ... فيَا للّهِ مَظْلِمتي وصَبْرِي)
(كأنّي لم أكُنْ فيهم وَسِيطاً ... ولم تَكُ نِسْبَتي في آلِ عَمْرِو)

أبو حنيفة وجار له كان يغني بشعر العرجي

أخبرني محمد بن زكريا الصحاف قال حدثنا قعنب بن المحرز الباهلي عن الأصمعي قال

كان لأبي حنيفة جار بالكوفة يغني فكان إذا انصرف وقد سكر يغني في غرفته ويسمع أبو حنيفة غناءه فيعجبه وكان كثيرا ما يغني

(أضَاعُوني وأيَّ فتًى أضاعُوا ... ليومِ كَريهةٍ وسِدَادِ ثَغْرِ)
فلقيه العسس ليلة فأخذوه وحبس ففقد أبو حنيفة صوته تلك الليلة فسأل عنه من عد فأخبر فدعا بسواده وطويلته فلبسهما وركب إلى عيسى بن موسى فقال له إن لي جارا أخذه عسسك البارحة فحبس وما علمت منه إلا خيرا فقال عيسى سلموا إلى أبي حنيفة كل ما أخذه العسس البارحة فأطلقوا جميعا فلما خرج الفتى دعا به أبو حنيفة وقال له سرا ألست كنت تغني يا فتي كل ليلة
(... أضَاعُوني وأيَّ فَتًى أضَاعُوا)
فهل أضعناك قال لا والله أيها القاضي ولكن أحسنت وتكرمت أحسن الله جزاءك قال فعد إلى ما كنت تغنيه فإني كنت آنس به ولم أر به بأسا قال أفعل

عبد الله بن علي كان كثير التمثل في حبسه بقول العرجي أضاعوني

وقال إسحاق في خبره لما حبس المنصور عبد الله بن علي كان يكثر التمثل بقول العرجي
(أضاعوني وأيَّ فتًى أضاعوا ... ليوم كريهةٍ وسِدَادِ ثَغْرِ)
فبلغ ذلك المنصور فقال هو أضاع نفسه بسوء فعله فكانت أنفسنا عندنا آثر من نفسه

الأصمعي وكناس بالبصرة كان يتمثل بهذا البيت

قال إسحاق وقال الأصمعي مررت بكناس بالبصرة يكنس كنيفا ويغني
(أضاعُوني وأيَّ فتًى أضاعوا ... ليوم كريهةٍ وسِدَادِ ثَغْرِ)
فقلت له أما سداد الكنيف فأنت مليء به وأما الثغر فلا علم لي بك كيف أنت فيه وكنت حديث السن فأردت العبث به فأعرض عني مليا ثم أقبل علي فأنشد متمثلا
(وأُكْرِمُ نفسِي إنَّني إن أهنتُها ... وحَقِّكَ لم تَكْرُمْ على أحدٍ بَعْدِي)
قال فقلت له والله ما يكون من الهوان شيء أكثر مما بذلتها له فبأي شيء أكرمتها فقال بلى والله إن من الهوان لشرا مما أنا فيه فقلت وما هو فقال الحاجة إليك وإلى أمثالك من الناس فانصرفت عنه أخزى الناس قال
محمد بن مزيد فحدثني حماد قال قال لي أبي اختصر الأصمعي فيما أرى الجواب وستر أقبحه على نفسه وإلا فكناس كنيف قائم يكنسه ويعبث به هذا العبث فيرضى بهذا الجواب الذي لا يجيب بمثله الأحنف بن قيس لو كانت المخاطبة له

اقتصاص الوليد بن يزيد من محمد وإبراهيم ابني هشام

وقال إسحاق في خبره كان الوليد بن يزيد مضطغنا على محمد بن هشام لأشياء كانت تبلغ عنه في حياة هشام فلما ولي الخلافة قبض عليه وعلى أخيه إبراهيم بن هشام وأشخصا إليه إلى الشام ثم دعا بالسياط فقال له محمد أسألك بالقرابة قال وأي قرابة بيني وبينك وهل أنت إلا من أشجع قال فأسألك بصهر عبد الملك قال لم تحفظه فقال له يا أمير المؤمنين قد نهى رسول الله أن يضرب قرشي بالسياط إلا في حد قال ففي حد أضربك وقود أنت أول من سن ذلك على العرجي وهو ابن عمي وابن أمير المؤمنين عثمان فما رعيت حق جده ولا نسبه بهشام ولا ذكرت حينئذ هذا الخبر وأنا ولي ثأره اضرب يا غلام فضربهما ضربا مبرحا وأثقلا بالحديد ووجه بهما إلى يوسف بن عمر بالكوفة وأمره باستصفائهما وتعذيبهما حتى يتلفا وكتب إليه احبسهما مع ابن النصرانية يعني خالدا
القسري ونفسك نفسك إن عاش أحد منهم فعذبهم عذابا شديدا وأخذ منهم مالا عظيما حتى لم يبق فيهم موضع للضرب فكان محمد بن هشام مطروحا فإذا أرادوا أن يقيموه أخذوا بلحيته فجذبوه بها ولما اشتدت عليهما الحال تحامل إبراهيم لينظر في وجه محمد فوقع عليه فماتا جميعا ومات خالد القسري معهما في يوم واحد فقال الوليد بن يزيد لما حملهما إلى يوسف بن عمر
(قد راحَ نحو العِرَاقِ مُشْخَلَبَهْ ... قُصَارُه السِّجْنُ بعدَه الخَشَبَهْ)
(يركَبُها صاغِراً بلا قَتَبٍ ... ولا خِطَامٍ وحَوْلَه جَلَبَهْ)
(فَقُلْ لِدَعْجَاءَ إن مررتَ بها ... لن يُعْجِزَ اللّهَ هاربٌ طَلَبَهْ)
(قد جَعَلَ اللّهُ بعدَ غَلْبَتِكم ... لنا عليكم يا دُلْدُلُ الغَلَبَهْ)
(لستَ إلى هاشمٍ ولا أسَدٍ ... ولا إلى نَوْفَلٍ ولا الحَجَبَهْ)
(لكنَّما أشْجَعٌ أبوكَ سَلِ الكَلْبِيَّ ... لا ما يُزَوِّقُ الكَذَبَهْ)
الرشيد وإسحاق حين غناه قول العرجي أضاعوني
قال إسحاق في خبره غنيت الرشيد يوما في عرض الغناء
((أضَاعُوني وأيَّ فتًى أضاعُوا ... ليوم كريهةٍ وسِدَادِ ثَغْرِ
فقال لي ما كان سبب هذا الشعر حتى قاله العرجي فأخبرته بخبره من أوله إلى أن مات فرأيته يتغيظ كلما مر منه شيء فأتبعته بحديث مقتل ابني هشام فجعل وجهه يسفر وغيظه يسكن فلما انقضى الحديث قال لي يا إسحاق والله لولا ما حدثتني به من فعل الوليد لما تركت أحداً من أماثل بني مخزوم إلا قتلته بالعرجي
والصوت الآخر من رواية جحظة عن أصحابه
صوت
(إذا ما طَوَاكِ الدهرُ يا أُمَّ مالكٍ ... فشأنَ المنايا القاضِيَاتِ وشَانيَا)
(تمرُّ الليالي والشهورُ وتَنْقَضِي ... وحُبُّكِ ما يَزْدَادُ إلا تَمَادِيَا)
(خليليَّ إن دارتْ علي أُمِّ مالكٍ ... صُرُوفُ الليالي فابغِيا لِي نَاعيَا)
(ولا تترُكَانِي لا لخيرٍ مُعَجَّلٍ ... ولا لبقاء تَنْظُرانِ بَقَائِيَا)
الشعر للمجنون ومن الناس من يروي البيت الأول منها لقيس بن الحدادية وهو جاهلي والغناء لابن محرز ثاني ثقيل بالوسطى وذكر حبش وابن المكي أن فيه لإسحاق لحنا آخر من الثقيل الثاني بالخنصر والبنصر
إلى هنا انتهى الجزء الأول من كتاب الأغاني ويليه الجزء الثاني منه وأوله أخبار مجنون بني عامر ونسبه

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبار مجنون بني عامر ونسبه

هو على ما يقول من صحح نسبه وحديثه قيس وقيل مهدي والصحيح أنه قيس بن الملوح بن مزاحم بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة

ومن الدليل على أن اسمه قيس قول ليلى صاحبته فيه
(ألا ليتَ شِعْري والخطوبُ كثيرةٌ ... متى رَحْلُ قَيْسٍ مُستقِلٌّ فراجعُ)
وأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال سمعت من لا أحصي يقول اسم المجنون قيس بن الملوح
وأخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي وأخبرني الجوهري عن عمر بن شبة أنهما سمعا الآصمعي يقول وقد سئل عنه لم يكن مجنونا ولكن كانت به لوثة كلوثة أبي حية النميري

اختلاف الرواة في وجود قيس وجنونه

وأخبرني حبيب ابن نصر المهلبي وأحمد بن عبد عزيز الجوهري عن ابن شبة عن الحزامي قال حدثني أيوب بن عباية قال سألت بني عامر بطنا بطنا عن مجنون بني عامر فما وجدت أحدا يعرفه
وأخبرني عمي قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني عن ابن دأب قال قلت لرجل من بني عامر أتعرف المجنون وتروي من شعره شيئا قال أوقد فرغنا من شعر العقلاء حتى نروي أشعار المجانين إنهم لكثير فقلت ليس هؤلاء أعني إنما أعني مجنون بني عامر الشاعر الذي قتله العشق فقال هيهات بنو عامر أغلظ أكبادا من ذاك إنما يكون هذا في هذه اليمانية الضعاف قلوبها السخيفة عقولها الصعلة رؤوسها فأما نزار فلا
أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا الرياشي قال سمعت الآصمعي يقول رجلان ما عرفا في الدنيا قط إلا بالاسم مجنون بني عامر وابن القرية وإنما وضعهما الرواة
وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني عبد الله بن أبي سعد عن الحزامي قال ولم أسمعه من الحزامي فكتبته عن ابن أبي سعد قال أحمد وحدثنا به ابن أبي سعد عن الحزامي قال حدثنا عبد الجبار بن سعيد بن سليمان بن نوفل بن مساحق عن أبيه عن جده قال سعيت على بني عامر فرأيت المجنون وأتيت به وأنشدني
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أبو سعيد السكري قال حدثنا إسماعيل بن مجمع عن المدائني قال المجنون المشهور بالشعر عند الناس صاحب ليلى قيس بن معاذ من بني عامر ثم من بني عقيل أحد بني نمير بن عامر ابن عقيل قال ومنهم رجل آخر يقال له مهدي بن الملوح من بنى جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة
وأخبرني عمي عن الكراني قال حدثنا ابن أبي سعد عن علي بن الصباح عن ابن الكلبي قال حدثت أن حديث المجنون وضعه فتى من بني أمية كان يهوى ابنة عم له وكان يكره أن يظهر ما بينه وبينها فوضع حديث المجنون وقال الأشعار التي يرويها الناس للمجنون ونسبها إليه
أخبرني الحسين بن يحيى وأبو الحسن الأسدي قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال اسم المجنون قيس بن معاذ أحد بني جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة

اختلاف الآراء حول اسم المجنون

وأخبرني أبو سعد الحسن بن علي بن زكريا العدوي قال حدثنا حماد بن طالوت بن عباد أنه سأل الآصمعي عنه فقال لم يكن مجنونا بل كانت به لوثة أحدثها العشق فيه كان يهوى امرأة من قومه يقال لها ليلى واسمه قيس بن معاذ
وذكر عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه أن اسمه قيس بن معاذ
وذكر شعيب بن السكن عن يونس النحوي أن اسمه قيس بن الملوح قال أبو عمرو الشيباني وحدثني رجل من أهل اليمن أنه رآه ولقيه وسأله عن اسمه ونسبه فذكر أنه قيس بن الملوح
وذكر هشام بن محمد الكلبي أنه قيس بن الملوح وحدث أن أباه مات قبل اختلاطه فعقر على قبره ناقته وقال في ذلك
(عقرتُ على قبر الملوّح ناقتي ... بذي السَّرْح لما أن جفاه الأقاربُ)
(وقلتُ لها كوني عَقِيراً فإنني ... غداً راجلٌ أمشي وبالأمسِ راكبُ)
(فلا يُبعِدَنْكَ اللّهُ يابنَ مُزَاحِمٍ ... فكلٌّ بكأس الموت لاشكَّ شاربُ)
وذكر إبراهيم بن المنذر الحزامي وأبو عبيدة معمر بن المثنى أن
اسمه البحتري بن الجعد
وذكر مصعب الزبيري والرياشي وأبو العالية أن اسمه الأقرع بن معاذ
وقال خالد بن كلثوم اسمه مهدي بن الملوح
وأخبرني الأخفش عن السكري عن أبي زياد الكلابي قال ليلى صاحبة المجنون هي ليلى بنت سعد بن مهدي بن ربيعة بن الحريش بن كعب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا أبو قلابة الرقاشي قال حدثني عبد الصمد بن المعدل قال سمعت الأصمعي وقد تذاكرنا مجنون بني عامر يقول لم يكن مجنونا وإنما كانت به لوثة وهو القائل
(أخذَتْ محاسنَ كلِّ ما ... ضَنَّتْ محاسِنُه بحُسنِهْ)
(كادَ الغزالُ يكونُها ... لولاالشَّوَى ونُشُوزُ قَرنِهْ)
وأخبرني عمر بن عبد الله بن جميل العتكي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا الأصمعي قال
سألت أعرابيا من بني عامر بن صعصعة عن المجنون العامري فقال عن أيهم تسألني فقد كان فينا جماعة رموا بالجنون فعن أيهم تسأل فقلت عن الذي كان يشبب بليلى فقال كلهم كان يشبب بليلى قلت فأنشدني لبعضهم فأنشدني لمزاحم بن الحارث المجنون
(ألا أيُّها القلبُ الذي لجَّ هائماً ... بلَيْلى وليداً لم تُقطَّعْ تمائِمُهْ)
(أفِقْ قد أفاق العاشقون وقد أنَى ... لَكَ اليومَ أن تَلْقَى طبيباً تُلائِمُهْ)
(أجدّكَ لا تُنسِيكَ لَيْلَى مُلِمَّةٌ ... تُلِمُّ ولا عهدٌ يطُولُ تَقَادُمُهْ)
قلت فأنشدني لغيره منهم فأنشدني لمعاذ بن كليب المجنون
(ألا طَالَما لاعَبْتُ لَيْلَى وقادَني ... إلى اللَّهوِ قلبٌ للحِسَانِ تَبُوعُ)
(وطال امتراءُ الشّوقِ عيني كلّما ... نَزَفتُ دُموعاً تَستَجِدُّ دُموعُ)
(فقد طال إمساكِي على الكَبِد التي ... بها مِن هَوَى لَيْلَى الغَدَاةَ صُدُوعُ)
قلت فأنشدني لغير هذين ممن ذكرت فأنشدني لمهدي بن الملوح
(لو أنّ لك الدنيا وما عُدِلتْ به ... سِوَاهَا وليلى بائنٌ عنك بينُها)

(لكنتَ إلى ليلى فقيراً وإنما ... يقود إليها وُدَّ نفسكِ حَينُها)
قلت له فأنشدني لمن بقي من هؤلاء فقال حسبك فوالله إن في واحد من هؤلاء لمن يوزن بعقلائكم اليوم
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال قال ابن الأعرابي كان معاذ بن كليب مجنونا وكان يحب ليلى وشركه في حبها مزاحم بن الحارث العقيلي فقال مزاحم يوما للمجنون
(كِلانا يا مُعاذُ يُحِبُّ لَيْلَى ... بِفِيّ وفيكَ مِن لَيْلَى التُّرابُ)
(شَرِكْتُكَ في هَوَى من كان حظِّي ... وحظُّكَ مِن مودتها العَذَابُ)
(لقد خَبَلَتْ فؤادَك ثم ثَنَّت ... بقلبي فهو مخبولٌ مُصابُ)
قال فيقال إنه لما سمع هذه الأبيات التبس وخولط في عقله
وذكر أبو عمرو الشيباني أنه سمع في الليل هاتفا يهتف بهذه الأبيات فكانت سبب جنونه
وذكر إبراهيم بن المنذر الحزامي عن أيوب بن عباية أن فتى من بني مروان كان يهوى امرأة منهم فيقول فيها الشعر وينسبه إلى المجنون وأنه عمل له أخبارا وأضاف إليها ذلك الشعر فحمله الناس وزادوا فيه

إنكار وجود المجنون

وأخبرني عمي عن الكوراني عن العمري عن العتبي عن عوانة أنه قال المجنون اسم مستعار لا حقيقة له وليس له في بني عامر أصل ولا نسب فسئل من قال هذه الأشعار فقال فتى من بني أمية
وقال الجاحظ ما ترك الناس شعرا مجهول القائل قيل في ليلى إلا نسبوه إلى المجنون ولا شعرا هذه سبيله قيل في لبنى إلا نسبوه إلى قيس بن ذريح
وأخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثني أبو أيوب المديني قال حدثني الحكم بن صالح قال قيل لرجل من بني عامر هل تعرفون فيكم المجنون الذي قتله العشق فقال هذا باطل إنما يقتل العشق هذه اليمانية الضعاف القلوب
أخبرنا أحمد بن عمر بن موسى قال حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي قال حدثني أيوب بن عباية قال حدثني من سأل بني عامر بطنا بطنا عن المجنون فما وجد فيهم أحدا يعرفه
أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا أحمد بن الحارث عن ابن الأعرابي أنه ذكر عن جماعة من بن عامر أنهم سئلوا عن المجنون فلم يعرفوه وذكروا أن هذا الشعر كله مولد عليه
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ عن أبيه عن محمد بن الحكم عن عوانة قال ثلاثة لم يكونوا قط ولا عرفوا ابن أبي العقب صاحب قصيدة الملاحم وابن القرية ومجنون بنى عامر
أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا الرياشي قال سمعت الأصمعي يقول الذي ألقي على المجنون من الشعر وأضيف أليه أكثر مما قاله هو
أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق قال أنشدت أيوب بن عباية هذين البيتين
(وخبَّرتُماني أنّ تَيمَاءَ منزلٌ ... لِلَيْلَى إذا ما الصَّيفُ أَلْقَى المَرَاسِيَا)
(فهذِهِ شهورُ الصَّيْفِ عنّا قد انقضتْ ... فما لِلنّوَى تَرمِي بلَيْلَى المَرامِيَا)
وسألته عن قائلهما فقال جميل فقلت له إن الناس يروونهما للمجنون فقال ومن هو المجنون فأخبرته فقال ما لهذا حقيقة ولا سمعت به
وأخبرني عمي عن عبد الله بن شبيب عن هارون بن موسى الفروي قال
سألت أبا بكر العدوي عن هذين البيتين فقال هما لجميل ولم يعرف المجنون فقلت فهل معهما غيرهما قال نعم وأنشدني
وإنّي لأخشى أن أموتَ فُجَاءةً ... وفي النفسِ حاجاتٌ إليكِ كما هِيَا))
(وإني ليُنْسِينِي لِقاؤكِ كلَّما ... لقِيتُكِ يوماً أنْ أبُثَّكِ ما بِيَا)
(وقالوا به داءٌ عَيَاءٌ أصابه ... وقد علِمتْ نفسي مكانَ دوائِيا)
وأنا أذكر مما وقع إلي من أخباره جملا مستحسنة متبرئا من العهدة فيها فإن أكثر أشعاره المذكورة في أخباره ينسبها بعض الرواة إلى غيره وينسبها من حكيت عنه إليه وإذا قدمت هذه الشريطة برئت من عيب طاعن ومتتبع للعيوب
أخبرني بخبره في شغفه بليلى جماعة من الرواة ونسخت ما لم أسمعه من
الروايات وجمعت ذلك في سياقة خبره ما اتسق ولم يختلف فإذا اختلف نسبت كل رواية إلى راويها

العاشقان الصغيران ليلى والمجنون

فممن أخبرني بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة عن رجاله وإبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة ونسخت أخباره من رواية خالد بن كلثوم وأبي عمرو الشيباني وابن دأب وهشام بن محمد الكلبي وإسحاق بن الجصاص وغيرهم من الرواة
وقال أبو عمرو الشيباني وأبو عبيدة كان المجنون يهوى ليلى بنت مهدي بن سعد بن مهدي بن ربيعة بن الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وتكنى أم مالك وهما حينئذ صبيان فعلق كل واحد منهما صاحبه وهما يرعيان مواشي أهلهما فلم يزالا كذلك حتى كبرا فحجبت عنه قال ويدل على ذلك قوله

صوت

(تَعَلّقتُ لَيْلَى وهي ذاتُ ذُؤَابةٍ ... ولم يَبْدُ للأتراب من ثَدْيِها حجمُ)
(صغيرَيْن نَرعَى البَهْمَ ياليتَ أننا ... إلى اليوم لم نَكْبَرْ ولم تَكْبَرالبَهْمُ)
في هذين البيتين للأخضر الجدي لحن من الثقيل الثاني بالوسطى ذكره هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات والهشامي
أخبرنا الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب بن عباية ونسخت هذا الخبر بعينه من خط هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثنا عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال حدثنا الحسن بن علي قال حدثني أبو عتاب البصري عن إبراهيم بن محمد الشافعي قال بينا ابن مليكة يؤذن إذ سمع الأخضر الجدي يغني من دار العاص بن وائل
(وعُلِّقتُها غَرَّاءَ ذاتَ ذوائبٍ ... ولم يَبدُ للأتراب من ثديها حجمُ)

(صغيرين نرعى البَهْمَ ياليتَ أننا ... إلى اليوم لم نكْبَرْ ولم تَكبر البَهمُ)
قال فأراد أن يقول حي على الصلاة فقال حي على البهم حتى سمعه أهل مكة فغدا يعتذر إليهم
وقال ابن الكلبي حدثني معروف المكي والمعلى بن هلال وإسحاق بن الجصاص قالوا
كان سبب عشق المجنون ليلى أنه أقبل ذات يوم على ناقة له كريمة وعليه حلتان من حلل الملوك فمر بامرأة من قومه يقال لها كريمة وعندها جماعة نسوة يتحدثن فيهن ليلى فأعجبهن جماله وكماله فدعونه إلى النزول والحديث فنزل وجعل يحدثهن وأمر عبدا له كان معه فعقر لهن ناقته وظل يحدثهن بقية يومه فبينا هو كذلك إذ طلع عليهم فتى عليه بردة من برد الأعراب يقال له منازل يسوق معزى له فلما رأينه أقبلن عليه وتركن المجنون فغضب وخرج من عندهن وأنشأ يقول
(أأعقِرُ مِنْ جَرَّا كَريمةَ ناقَتِي ... وَوَصْلِيَ مَفْروشٌ لِوَصْلِ مُنَازِلِ)
(إذا جاء قَعْقَعْنَ الْحليَّ ولم أكُنْ ... إذا جئتُ أرضَى صوتَ تلكَ الخلاخِلِ)
(متى ما انتضَلْنا بالسهام نَضَلْته ... وإن نَرْمِ رَشْقاً عندها فهو ناضِلِي)
قال فلما أصبح لبس حلته وركب ناقة له أخرى ومضى متعرضا لهن فألفى ليلى قاعدة بفناء بيتها وقد علق حبه بقلبها وهويته وعندها جويريات يتحدثن معها فوقف بهن وسلم فدعونه إلى النزول وقلن له هل لك في محادثة من لا يشغله عنك منازل ولا غيره فقال إي لعمري فنزل وفعل مثل ما فعله بالأمس فأرادت أن تعلم هل لها عنده مثل ما له عندها فجعلت تعرض عن حديثه ساعة بعد ساعة وتحدث غيره وقد كان علق بقلبه مثل حبها إياه وشغفته واستملحها فبينا هي تحدثه إذ أقبل فتى من الحي فدعته وسارته سرارا طويلا ثم قالت له انصرف ونظرت إلى وجه المجنون قد تغير وانتقع لونه وشق عليه فعلها
فأنشأت تقول
(كلانا مُظهِرٌ للناس بغضاً ... وكلٌّ عندَ صاحبهِ مَكِينُ)
(تُبلِّغُنَا العيونُ بما أردنا ... وفي القلبين ثَمَّ هَوىً دَفِينُ) فلما سمع البيتين شهق شهقة شديدة وأغمي عليه فمكث على ذلك ساعة ونضحوا الماء على وجهه حتى أفاق وتمكن حب كل واحد منهما في قلب صاحبه حتى بلغ منه كل مبلغ
المجنون يخطب ليلى وأهلها يزوجونها وردا
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني هارون بن محمد بن عبدالملك قال حدثني عبد الرحمن بن إبراهيم عن هشام بن محمد بن موسى المكي عن محمد بن سعيد المخزومي عن أبي الهيثم العقيلي قال
لما شهر أمر المجنون وليلى وتناشد الناس شعره فيها خطبها وبذل لها خمسين ناقة حمراء وخطبها ورد بن محمد العقيلي وبذل لها عشرا من الأبل وراعيها فقال أهلها نحن مخيروها بينكما فمن اختارت تزوجته ودخلوا إليها فقالوا والله لئن لم تختاري وردا لنمثلن بك فقال المجنون
(ألا يا لَيلَ إن مُلِّكْتِ فِينا ... خِيارَكِ فانظُرِي لِمَنِ الخِيارُ)
(ولا تستَبْدِلِي منّي دَنيّاً ... ولا بَرِماً إذا حبَّ القُتَارُ)
(يُهَرْوِلُ في الصغير إذا رآه ... وتُعجِزُه مُلِمَّاتٌ كِبَارُ)
(فمثلُ تأيُّم منه نكاحٌ ... ومثلُ تَمَوُّلٍ منه افتِقَارُ) فاختارت وردا فتزوجته على كره منها
وأخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالا حدثنا عمر بن شبة قال ذكر الهيثم بن عدي عن عثمان بن عمارة بن حريم المري قال خرجت إلى أرض بني عامر لألقى المجنون فدللت عليه وعلى محلته فلقيت أباه شيخا كبيرا وحوله إخوة للمجنون مع أبيهم رجالا فسألتهم عنه فبكوه وقال الشيخ أما والله لهو كان آثر عندي من هؤلاء جميعا وإنه عشق امرأة من قومه والله ما كانت تطمع في مثله فلما فشا أمره وأمرها كره أبوها أن يزوجه إياها بعد ما ظهر من أمرهما فزوجها غيره وكان أول ما كلف بها يجلس إليها في نفر من قومها فيتحدثون كما يتحدث الفتيان وكان أجملهم وأظرفهم وأرواهم لأشعار العرب فيفيضون في الحديث فيكون أحسنهم فيه إفاضة فتعرض عنه وتقبل على غيره وقد وقع له في قلبها مثل ما وقع لها في قلبه فظنت به ما هو عليه من حبها فأقبلت عليه يوما وقد خلت فقالت
صوت
(كلانا مُظهِرٌ للناس بغضاً ... وكلٌّ عند صاحبه مَكِينُ)
(وأسرارُ المَلاَحِظِ ليس تَخْفَى ... إذا نَطَقتْ بما تُخْفِي العيونُ)
غنت في الأول عريب خفيف رمل وقيل إن هذا الغناء لشارية والبيت
الأخير ليس من شعره قال فخر مغشيا عليه ثم أفاق فاقدا عقله فكان لا يلبس ثوبا إلا خرقه ولا يمشي إلا عاريا ويلعب بالتراب ويجمع العظام حوله فإذا ذكرت له ليلى أنشأ يحدث عنها عاقلا ولا يخطىء حرفا وترك الصلاة فإذا قيل له مالك لا تصلي لم يرد حرفا وكنا نحبسه ونقيده فيعض لسانه وشفته حتى خشينا عليه فخلينا سبيله فهو يهيم
المجنون الهائم وعمر بن عبد الرحمن بن عوف
قال الهيثم فولى مروان بن الحكم عمر بن عبد الرحمن بن عوف صدقات بني كعب وقشير وجعدة والحريش وحبيب وعبد الله فنظر إلى المجنون قبل أن يستحكم جنونه فكلمه وأنشده فأعجب به فسأله أن يخرج معه فأجابه إلى ذلك فلما أراد الرواح جاءه قومه فأخبروه خبره وخبر ليلى وأن أهلها استعدوا السلطان عليه فأهدر دمه إن أتاهم فأضرب عما وعده وأمر له بقلائص فلما علم بذلك وأتي بالقلائص ردها عليه وانصرف
وذكر أبو نصر أحمد بن حاتم عن جماعة من الرواة أن المجنون هو الذي سأل عمر بن عبد الرحمن أن يخرج به قال له أكون معك في هذا الجمع الذي تجمعه غدا فأرى في أصحابك وأتجمل في عشيرتي بك وأفخر بقربك فجاءه رهط من رهط ليلى وأخبروه بقصته وأنه لا يريد التجمل به وإنما يريد أن يدخل عليهم بيوتهم ويفضحهم في امرأة منهم يهواها وأنهم قد شكوه إلى السلطان فأهدر دمه إن دخل عليهم فأعرض عما أجابه إليه من أخذه معه وأمر له بقلائص فردها وقال في ذلك
(رددتُ قلائصْ القرشيّ لمّا ... بدا لي النقضُ منه للعهودِ)
وراحوا مُقْصِرِينَ وخلّفوني ... إلى حُزنٍ أُعالجُه شديد) قال ورجع آيسا فعاد إلى حاله الأولى قال فلم تزل تلك حاله إلا أنه غير مستوحش إنما يكون في جنبات الحي منفردا عاريا لا يلبس ثوبا إلا خرقه ويهذي ويخطط في الأرض ويلعب

بالتراب والحجارة ولا يجيب أحدا سأله عن شيء فإذا أحبوا أن يتكلم أو يثوب عقله ذكروا له ليلى فيقول بأبي هي وأمي ثم يرجع إليه عقله فيخاطبونه ويجيبهم ويأتيه أحداث الحي فيحدثونه عنها وينشدونه الشعر الغزل فيجيبهم جوابا صحيحا وينشدهم أشعارا قالها حتى سعى عليهم في السنة الثانية بعد عمر بن عبد الرحمن نوفل بن مساحق فنزل مجمعا من تلك المجامع فرآه يلعب بالتراب وهو عريان فقال لغلام له يا غلام هات ثوبا فأتاه به فقال لبعضهم خذ هذا الثوب فالقه على ذلك الرجل فقال له أتعرفه جعلت فداك قال لا قال هذا ابن سيد الحي لا والله ما يلبس الثياب ولا يزيد على ما تراه يفعله الآن واذا طرح عليه شيء خرقه ولو كان يلبس ثوبا لكان في مال أبيه ما يكفيه وحدثه عن أمره فدعا به وكلمه فجعل لا يعقل شيئا يكلمه به فقال له قومه إن أردت أن يجيبك جوابا صحيحا فاذكر له ليلى فذكرها له وسأله عن حبه إياها فأقبل عليه يحدثه بحديثها ويشكو إليه حبه إياها وينشده شعره فيها فقال له نوفل الحب صيرك إلى ما أرى قال نعم وسينتهي بي إلى ما هو أشد مما ترى فعجب منه وقال له أتحب أن أزوجكها قال نعم وهل إلى ذلك من سبيل قال انطلق معي حتى أقدم على أهلها بك وأخطبها عليك وأرغبهم في المهر لها قال أتراك فاعلا قال نعم قال انظر ما تقول قال لك علي أن أفعل بك ذلك ودعا له بثياب فألبسه إياها وراح
معه المجنون كأصح أصحابه يحدثه وينشده فبلغ ذلك رهطها فتلقوه في السلاح وقالوا له يابن مساحق لا والله لا يدخل المجنون منازلنا أبدا أو يموت فقد أهدر لنا السلطان دمه فأقبل بهم وأدبر فأبوا فلما رأى ذلك قال للمجنون انصرف فقال له المجنون والله ما وفيت لي بالعهد قال له انصرافك بعد أن آيسني القوم من إجابتك أصلح من سفك الدماء فقال الممجنون
صوت
(أيا وَيْح مَنْ أَمْسى تُخُلِّسَ عقلُه ... فأصبح مذهوباً به كلَّ مذهب)
خليّاً من الخُلاَّنِ إلا مُعَذِّراً ... يُضَاحِكني مَنْ كان يَهوَى تَجَنُّبي) الغناء للحسين بن محرز ثقيل أول بالوسطى من جامع أغانيه
(إذا ذُكرتْ ليلى عَقَلَتُ وراجعَتْ ... روائعُ عقلي مِن هَوىَ مُتَشَعِّب)
(وقالوا صحيحٌ ما به طيفُ جِنَّةٍ ... ولا الهمٌّ إلا بافتراء التكذّبِ)
(وشاهدُ وجْدِي دمعُ عيني وحُبُّها ... بَرَى اللحمَ عن أحناءِ عظمي ومنكِبي)
صوت
(تجنَّبتَ ليلى أن يَلِجَّ بكَ الهوى ... وهيهاتَ كان الحبُ قبل التجنُّبِ)
(ألا إنّما غادرْتِ يا أمّ مالكٍ ... صدىً أينما تذْهبْ به الريحُ يَذْهبِ
الغناء لإسحاق خفيف ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر وفيه لابن جامع هزج من رواية الهشامي وهي قصيدة طويلة
ومما يغنى فيه منها قوله
صوت
(فلم أرَ لَيلَى بعد مَوْقفِ ساعةٍ ... بخَيْفِ مِنًى تَرمي جمارَ المحصَّب)
(ويُبدِي الحصى منها إذا قَذَفَتْ به ... من البُرْدِ أطرافَ البَنانِ المخضَّب)
(فأصبحتُ من لَيْلَى الغداةَ كناظرٍ ... مع الصبح في أعقابِ نجمٍ مُغرِّبِ)
(ألا إنما غادرتِ يا أمَّ مالكٍ ... صَدىً أينما تذهبْ به الريحُ يذهب)
فيه ثقيل أول مطلق باستهلال ذكر ابن المكي أنه لأبيه يحيى وذكر الهشامي أنه للواثق وذكر حبش أنه لابن محرز وهو في جامع أغاني سليمان
منسوب إليه
أنشدني الأخفش عن أبي سعيد السكري عن محمد بن حبيب للمجنون
(فواللهِ ثم اللهِ إنّي لدائبٌ ... أُفَكِّر ما ذنبِي إليها وأعجَبُ)
(وواللهِ ماأدري عَلاَمَ قتلتِني ... وأيَّ أموري فيكِ يا ليلَ أركبُ)
(أأقطَعُ حبل الوصل فالموتُ دونه ... أم أشربُ رَنْقاً منكُم ليس يُشرَبُ)
(أم أهرُبُ حتى لا أرَى لي مجاوراً ... أم أصنعُ ماذا أم أبوحُ فأُغلَبُ)
(فأيهما يا ليلَ ما ترتضِينَه ... فإنّي لمظلومٌ وإنّي لَمُعْتِبُ)
المجنون في الحج اللهم زدني لليلى حبا
وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال ذكر هشام ابن الكلبي ووافقه في روايته أبو نصر أحمد بن حاتم وأخبرنا الحسن بن علي حدثنا ابن أبي سعد قال حدثني علي بن الصباح عن هشام بن الكلبي عن أبيه
أن أبا المجنون وأمه ورجال عشيرته اجتمعوا إلى أبي ليلى فوعظوه وناشدوه الله والرحم وقالوا له إن هذا الرجل لهالك وقبل ذلك ففي أقبح من الهلاك بذهاب عقله وإنك فاجع به أباه وأهله فنشدناك الله والرحم أن تفعل ذلك
فوالله ما هي أشرف منه ولا لك مثل مال أبيه وقد حكمك في المهر وإن شئت أن يخلع نفسه إليك من ماله فعل فأبى وحلف بالله وبطلاق أمها إنه لا يزوجه إياها أبدا وقال أفضح نفسي وعشيرتي وآتي ما لم يأته أحد من العرب وأسم ابنتي بميسم فضيحة فانصرفوا عنه وخالفهم لوقته فزوجها رجلا من قومها وأدخلها إليه فما أمسى إلا وقد بنى بها وبلغه الخبر فأيس منها حينئذ وزال عقله جملة فقال الحي لأبيه احجج به إلى مكة وادع الله عز وجل له ومره أن يتعلق بأستار الكعبة فيسأل الله أن يعافيه مما به ويبغضها إليه فلعل الله أن يخلصه من هذا البلاء فحج به أبوه فلما صاروا بمنى سمع صائحا في الليل يصيح يا ليلى فصرخ صرخة ظنوا أن نفسه قد تلفت وسقط مغشيا عليه فلم يزل كذلك حتى أصبح ثم أفاق حائل اللون ذاهلا فأنشأ يقول
صوت
(عرَضتُ على قلبي العزاءَ فقال لي ... من الآنَ فايأسْ لا أعزّكِ مِن صَبْر)
(إذا بان مَنْ تهوَى وأصبح نائياً ... فلا شيءَ أجدَى من حُلُولكَ في القبر)
(وداع دعا إذ نحن بالَخْيفِ مِن منىً فهيَّجَ أطرابَ الفؤاد وما يدري)
(دعا باسم ليلى غيرهَا فكأنَّما ... أطاراً بليلى طائراً كان في صدري)

((دعا باسم ليلى ضَلَّل اللهُ سعيَه ... وليلَى بأرضٍ عنه نازحةٍ قفر
الغناء لعريب خفيف ثقيل ثم قال له أبوه تعلق بأستار الكعبة واسأل الله أن يعافيك من حب ليلى فتعلق بأستار الكعبة وقال اللهم زدني لليلى حبا وبها كلفا ولا تنسني ذكرها أبدا فهام حينئذ واختلط فلم يضبط قالوا فكان يهيم في البرية مع الوحش ولا يأكل إلا ما ينبت في البرية من بقل ولا يشرب إلا مع الظباء إذا وردت مناهلها وطال شعر جسده ورأسه وألفته الظباء والوحوش فكانت لا تنفر منه وجعل يهيم حتى يبلغ حدود الشأم فإذا ثاب إليه عقله سأل من يمر به من أحياء العرب عن نجد فيقال له وأين أنت من نجد قد شارفت الشام أنت في موضع كذا فيقول فأروني وجهة الطريق فيرحمونه ويعرضون عليه أن يحملوه أو يكسوه فيأبى فيدلونه على طريق نجد فيتوجه نحوه
وريح الخزامى هل تهب على نجد
أخبرني عمي قال حدثني الكراني قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي وأخبرنا حبيب بن نصر المهلبي وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة قال ذكر الهيثم بن عدي عن أبي مسكين قال
خرج منا فتى حتى إذا كان ببئر ميمون إذا جماعة فوق بعض تلك الجبال وإذا معهم فتى أبيض طوال جعد كأحسن من رأيت من الرجال على هزال منه
وصفرة وإذا هم متعلقون به فسألت عنه فقيل لي هذا قيس المجنون خرج به أبوه يستجير له بالبيت وهو على أن يأتي به قبر رسول اللهليدعو له هناك لعله يكشف ما به فإنه يصنع بنفسه صنيعا يرحمه منه عدوه يقول أخرجوني لعلني أتنسم صبا نجد فيخرجونه فيتوجهون به نحو نجد ونحن مع ذلك نخاف أن يلقي نفسه من الجبل فإن شئت الأجر دنوت منه فأخبرته أنك أقبلت من نجد فدنوت منه وأقبلوا عليه فقالوا له يا أبا المهدي هذا الفتى أقبل من نجد فتنفس تنفسة ظننت أن كبده قد انصدعت ثم جعل يسألني عن واد واد وموضع موضع وأنا أخبره وهو يبكي أحر بكاء وأوجعه للقلب ثم أنشأ يقول
(ألا ليت شِعري عن عُوَارِضَتَيْ قَناً ... لطول الليالي هل تغيَّرتَا بعدي)
(وهل جارتانا بالبَتِيل إلى الحِمَى ... على عَهْدِنا أم لم تَدُوما على العهدِ)
(وعن عُلُويَّاتِ الرياح إذا جرتْ ... بريح الخُزَامَى هل تَهُبُّ على نجد)
(وعن أُقْحُوانِ الرمل ما هو فاعلٌ ... إذا هو أسرَى ليلةً بِثَرىً جَعد)
(وهل أنفُضَنَّ الدهرَ أفنانَ لِمَّتِي ... على لاحقِ المتنين مُندَلِق الوَخْدِ)
((وهل أسمعنّ الدهرَ أصواتَ هَجْمةٍ ... تحدَّرُ من نَشْزٍ خَصِيبٍ إلى وَهْدِ
أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي والعتبي قالا
مر المجنون بزوج ليلى وهو جالس يصطلي في يوم شات وقد أتى ابن عم له في حي المجنون لحاجة فوقف عليه ثم أنشأ يقول
صوت
(بِرَبِّك هل ضَمَمْتَ إليكَ لَيلَى ... قُبيلَ الصبحِ أو قَبَّلْتَ فاها)
(وهل رَفَّتْ عليك قُرونُ ليلى ... رَفِيفَ الأُقْحُوانة في نَدَاها)
فقال اللهم إذ حلفتني فنعم قال فقبض المجنون بكلتا يديه قبضتين من الجمر فما فارقهما حتى سقط مغشيا عليه وسقط الجمر مع لحم راحتيه وعض على شفته فقطعها فقام زوج ليلى مغموما بفعله متعجبا منه فمضى
غنى في البيتين المذكورين في هذا الخبر الحسين بن محرز ولحنه رمل بالوسطى عن الهشامي
أخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال قال محمد بن الحكم عن عوانة إنه حدثه ووافقه ابن نصر وابن حبيب قالوا
إن أهل المجنون خرجوا به معهم إلى وادي القرى قبل توحشه ليمتاروا
خوفا عليه من أن يضيع أو يهلك فمروا في طريقهم بجبلي نعمان فقال له بعض فتيان الحي هذان جبلا نعمان وقد كانت ليلى تنزل بهما قال فأي الرياح يأتي من ناحيتهما قالوا الصبا قال فوالله لا أريم هذا الموضع حتى تهب الصبا فأقام ومضوا فامتاروا لأنفسهم ثم أتوا عليه فأقاموا معه ثلاثة أيام حتى هبت الصبا ثم انطلق معهم فأنشأ يقول
صوت
(أيا جَبَلَيْ نَعمانَ باللهِ خَلِّيَا ... سبيل الصَّبا يَخْلُص إليّ نَسيمُها)
(أجِدْ بردَها أو تَشْفِ منّي حرارَةً ... على كَبِدٍ لم يبقَ إلا صَمِيمُها)
(فإنّ الصَّبَا ريحٌ إذا ما تنسّمَتْ ... على نَفْسِ محزونٍ تجلَّتْ هُمُومُها)
المجنون والديار الخوالي
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن الحسين بن الحرون قال حدثني الكسروي عن جماعة من الرواة قال
لما منع أبو ليلى المجنون وعشيرته من تزويجه بها كان لا يزال يغشى بيوتهم ويهجم عليهم فشكوه إلى السلطان فأهدر دمه لهم فأخبروه بذلك فلم يرعه وقال الموت أروح لي فليتهم قتلوني فلما علموا بذلك وعرفوا أنه لا يزال يطلب غرة منهم حتى إذا تفرقوا دخل دورهم فارتحلوا عنها وأبعدوا وجاء المجنون عشية فأشرف على دورهم فإذا هي منهم بلاقع فقصد منزل ليلى
الذي كان بيتها فيه فألصق صدره به وجعل يمرغ خديه على ترابه ويبكي ثم أنشأ يقول وذكر هذه الأبيات ابن حبيب وأبو نصر له بغير خبر
(أيا حَرَجَاتِ الحيّ حيثُ تحمّلوا ... بذي سَلَمٍ لا جَادَكُنَّ رَبِيعُ)
(وخَيماتُكِ اللاتي بمُنعرَجِ اللِّوَى ... بَلِينَ بِلىً لم تَبلَهنّ رُبوعُ)
(نَدِمتُ على ما كان مِنّي ندامةً ... كما يَندمُ المغبونُ حين يبيعُ)
(فَقَدتُكِ من نفسٍ شعَاعٍ فإنّني ... نهيتُكِ عن هذا وأنتِ جميعُ)
(فقرّبْتِ لي غيرَ القريب وأشرفتْ ... إليكِ ثَنايا ما لهنّ طُلُوعُ)
وذكر خالد بن جميل وخالد بن كلثوم في أخبارهما التي صنعاها أن ليلى وعدته قبل أن يختلط أن تستزيره ليلة إذا وجدت فرصة لذلك فمكث مدة يراسلها في الوفاء وهي تعده وتسوفه فأتى أهلها ذات يوم والحي خلوف فجلس إلى نسوة من

أهلها حجرة منها بحيث تسمع كلامه فحادثهن طويلا ثم قال ألا
أنشدكن أبياتا أحدثتها في هذه الأيام قلن بلى فأنشدهن
صوت
(يا للرِّجالِ لِهَمٍّ باتَ يَعْروني ... مُستَطْرَفٍ وقَدِيمٍ كادَ يُبْلِيني)
(مَنْ عاذِرِي مِن غَرِيمٍ غيرِ ذِي عُسُرٍ ... يأبَى فيمطُلُني دَيني ويَلْويني)
(لا يبعدُ النقدُ مِنْ حقّي فينكره ... ولا يُحدِّثني أنْ سوفَ يقضيني)
(وما كشُكريَ شكرٌ لو يوافِقُني ... ولا مُنايَ سِواه لو يُوافِيني)
(أطعتُه وعصيتُ الناس كلَّهمُ ... في أمره وهواه وهو يَعْصِيني)
قال فقلن له ما أنصفك هذا الغريم الذي ذكرته وجعلن يتضاحكن وهو يبكي فاستحيت ليلى منهن ورقت له حتى بكت وقامت فدخلت بيتها وانصرف هو
في الثلاثة الأبيات الأول من هذه الأبيات هزج طنبوري للمسدود قالا في خبرهما هذا وكان للمجنون ابنا عم يأتيانه فيحدثانه ويسليانه ويؤانسانه فوقف عليهما يوما وهما جالسان فقالا له يا أبا المهدي ألا تجلس قال لا بل أمضي إلى منزل ليلى فأترسمه وأرى آثارها فيه فأشفي بعض ما في صدري بها فقالا له فنحن معك فقال إذا فعلتما أكرمتما وأحسنتما فقاما معه حتى أتى دار ليلى فوقف بها طويلا يتتبع آثارها ويبكي ويقف في موضع موضع منها ويبكي ثم قال
صوت
(يا صاحِبيّ أَلِمَّا بِي بمنزلةٍ ... قد مرّ حينٌ عليها أيُّمَا حين)
(إني أرَى رَجَعَاتِ الحبّ تَقتُلُني ... وكان في بدئِها ما كان يَكْفِينِي)
(لا خيرَ في الحبّ ليستْ فيه قارِعةٌ ... كأنّ صاحبَها في نَزْعِ مَوتون)
(إن قال عُذَّالُهُ مَهْلاً فلانُ لهم ... قال الهوى غيرُ هذا القولِ يَعنِيني
(أُلقَى من اليأس تاراتٍ فتقتُلُني ... وللرجاء بشاشاتٌ فتُحْيِيني)
الغناء لإبراهيم خفيف ثقيل من جامع غنائه
إذا جاء قعقعن الحلي
وقال هشام بن الكلبي عن أبي مسكين إن جماعة من بني عامر حدثوه قالوا كان رجل من بني عامر بن عقيل يقال له قيس بن معاذ وكان يدعى المجنون وكان صاحب غزل ومجالسة للنساء فخرج على ناقة له يسير فمر بامرأة من بني عقيل يقال لها كريمة وكانت جميلة عاقلة معها نسوة فعرفنه ودعونه إلى النزول والحديث وعليه حلتان له فاخرتان وطيلسان وقلنسوه فنزل فظل يحدثهن وينشدهن وهن أعجب شيء به فيما يرى فلما أعجبه ذلك منهن عقر لهن ناقته وقمن إليها فجعلن يشوين ويأكلن إلى أن أمسى فأقبل غلام شاب حسن الوجه من حيهن فجلس إليهن فأقبلن عليه بوجوههن يقلن له كيف ظللت يا منازل اليوم فلما رأى ذلك من فعلهن غضب فقام وتركهن وهو يقول
(أأعقِرُ من جَرَّا كريمةَ ناقتي ... وَوَصْلِي مَفْرُوشٌ لِوَصْلِ مُنَازِلِ)
(إذا جاء قَعْقَعْنَ الحُلِيَّ ولم أكُنْ ... إذا جئتُ أرضي صوتَ تلكَ الخلاخِلِ)
قال فقال له الفتى هلم نتصارع أو نتناضل فقال له إن شئت ذلك فقم إلى حيث لا تراهن ولا يرينك ثم ما شئت فافعل وقال
(إذا ما انتضَلْنا في الخلاء نَضَلْتُه ... وإن يَرْمِ رشْقاً عندها فهو ناضِلي)
وقال ابن الكلبي في هذا الخبر فلما أصبح لبس حلته وركب ناقته ومضى متعرضا لهن فألفى ليلى جالسة بفناء بيتها وكانت معهن يومئذ جالسة وقد علق بقلبها وهويته وعندها جويريات يحدثنها فوقف بهن وسلم فدعونه إلى النزول وقلن له هل لك في محادثة من لا يشغله عنك منازل ولا غيره قال إي لعمري
فنزل وفعل فعلته بالأمس فأرادت أن تعلم هل لها عنده مثل ما عندها فجعلت تعرض عن حديثه ساعة بعد ساعة وتحدث غيره وقد كان علق حبها بقلبه وشغفه واستملحها فبينما هي تحدثه إذ أقبل فتى من الحي فدعته فسارته سرارا طويلا ثم قالت له إنصرف فانصرف ونظرت إلى وجه المجنون قد تغير وامتقع وشق عليه ما فعلت فأنشأت تقول
(كِلاَنَا مُظهرٌ للناسِ بُغضاً ... وكلٌّ عند صاحِبه مَكِينُ)
(تُبَلِّغُنَا العيونُ مَقَالَتَيْنا ... وفي القلبين ثمَّ هَوىً دَفِينُ)
قد نسبت هذا الشعر متقدما فلما سمع هذين البيتين شهق شهقة عظيمة وأغمي عليه فمكث كذلك ساعة ونضحوا الماء على وجهه حتى أفاق وتمكن حب كل واحد منهما في قلب صاحبه وبلغ منه كل مبلغ
حدثني عمي عن عبد الله بن أبي سعد عن إبراهيم بن محمد بن إسماعيل القرشي قال حدثنا أبو العالية عن أبي ثمامة الجعدي قال
لا يعرف فينا مجنون إلا قيس بن الملوح
خبر اتصال المجنون بليلى
قال وحدثني بعض العشيرة قال قلت لقيس بن الملوح قبل أن يخالط ما أعجب شيء أصابك في وجدك بليلى قال طرقنا ذات ليلة أضياف ولم يكن عندنا لهم أدم فبعثني أبي إلى منزل أبي ليلى وقال لي اطلب لنا منه أدما فأتيته فوقفت على خبائه فصحت به فقال ما تشاء فقلت طرقنا ضيفان ولا أدم عندنا لهم فأرسلني أبي نطلب منك أدما فقال يا ليلى أخرجي إليه ذلك النحي فاملئي له إناءه من السمن فأخرجته ومعي قعب فجعلت تصب
السمن فيه ونتحدث فألهانا الحديث وهي تصب السمن وقد امتلأ القعب ولا نعلم جميعا وهو يسيل حتى استنقعت أرجلنا في السمن قال فأتيتهم ليلة ثانية أطلب نارا وأنا متلفع ببرد لي فأخرجت لي نارا في عطبة فأعطتنيها ووقفنا نتحدث فلما احترقت العطبة خرقت من بردي خرقة وجعلت النار فيها فكلما احترقت خرقت أخرى وأذكيت بها النار حتى لم يبق علي من البرد إلا ما وارى عورتي وما أعقل ما أصنع وأنشدني
(أمُسْتَقْبِلي نَفْحُ الصَّبَا ثم شائقي ... ببَرْدِ ثَنَايَا أُمِّ حَسّانَ شائِقِ)
(كأنَّ على أنيابها الخمرَ شجَّهَا ... بماء الندى من آخر الليل غَابِقُ)
(وما شِمْتُهُ إلا بعيني تَفَرُّساً ... كما شِيم في أعلى السَّحابة بَارِقُ)
ومن الناس من يروي هذه الأبيات لنصيب ولكن هكذا روي في هذا الخبر

أخبرنا محمد بن خلف وكيع عن عبد الملك بن محمد الرقاشي عن عبد الصمد بن المعذل قال
سمعت الأصمعي يقول وقد تذاكرنا مجنون بني عامر قال هو قيس بن معاذ العقيلي ثم قال لم يكن مجنونا إنما كانت به لوثة وهو القائل
(أَخَذَتْ محاسنَ كلِّ ما ... ضَنَّتْ محاسنُه بحُسنِهْ)
(كادَ الغزالُ يكونُها ... لولاالشَّوَى ونُشُوزُ قَرنِهْ)
قال وهو القائل
صوت
(ولم أرَ لَيْلَى بعد مَوْقفِ ساعةٍ ... بخَيْفِ مِنْى تَرمي جمارَ المحصَّبِ)
(ويُبدِي الحصَى منها إذا قَذَفَتْ به ... من البُرْدِ أطرافَ البَنانِ المخضَّبِ)
(فأصبحتُ من لَيْلَى الغَداةَ كناظرٍ ... مع الصبح في أعقابِ نجمٍ مُغرِّبِ)
(ألا إنما غادرتِ يا أمَّ مالكٍ ... صَدىً أينما تذهبْ به الريحُ يَذهبِ)
في هذه الأبيات لحن من الثقيل الأول ابتداؤه نشيد من صنعة الواثق وهو المشهور وذكره ابن المكي لأبيه يحيى وهو في جامع غناء سليم بن سلام له
وذكره حبش في موضعين من كتابه فنسبه في طريقة الثقيل الأول في أحدهما إلى ابن محرز والآخر إلى يحيى المكي وزعم الهشامي أن فيه لسليم بن سلام لحنا آخر من الثقيل الأول
أخبرنا الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن عبد الجبار الصوفي قال حدثني إبراهيم بن سعد الزهري قال أتاني رجل من عذرة لحاجة فجرى ذكر العشق والعشاق فقلت له أنتم أرق قلوبا أم بنو عامر قال إنا لأرق الناس قلوبا ولكن غلبتنا بنو عامر بمجنونها
أخبرني أحمد بن عمر بن موسى بن زكويه القطان إجازة قال حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي قال أخبرني عبد الجبار بن سليمان بن نوفل بن مساحق عن أبيه عن جده قال أنا رأيت مجنون بني عامر وكان جميل الوجه أبيض اللون قد علاه شحوب واستنشدته فأنشدني قصيدته التي يقول فيها
(تَذَكَّرْتُ لَيْلَى والسِّنينَ الخواليا ... وأيامَ لا أَعْدِي على اللَّهو عادِيا)
أخبرني محمد بن الحسن الكندي خطيب مسجد القادسية قال حدثنا
الرياشي قال سمعت أبا عثمان المازني يقول سمعت معاذا وبشر بن المفضل جميعا ينشدان هذين البيتين وينسبانهما لمجنون بني عامر
(طمِعْتُ بليلَى أن تَرِيعَ وإنَّما ... تُقَطِّعُ أعناقَ الرجالِ المطامِعُ)
(وداينتُ ليلَى في خَلاَءٍ ولم يكن ... شهودٌ على ليلى عُدُولٌ مَقَانِعُ)
وحدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا أبو خليفة الفضل بن الحباب عن ابن سلام قال قضى عبيد الله بن الحسن بن الحصين بن أبي الحر العنبري على رجل من قومه قضية أوجبها الحكم عليه وظن العنبري أنه تحامل عليه وانصرف مغضبا ثم لقيه في طريق فأخذ بلجام بغلته وكان شديدا أيدا ثم قال له إيه يا عبيد الله
طمِعْتُ بليلى أن تَرِيعَ وإنَّما ... تُقَطِّعُ أعناقَ الرجالِ المطامِعُ) فقال عبيد الله)
(وبايعتُ ليلَى في خلاءٍ ولم يكنْ ... شهودٌ عدولٌ عند ليلى مَقَانِعُ)
خل عن البغلة
قال الصولي في خبره هذا والبيتان للبعيث هكذا قال فلا أدري أمن قوله هو أم حكاية عن أبي خليفة
ليلى للمجنون ابق الله وأتق على نفسك
أخبرنا محمد بن القاسم الأنباري عن عبد الله بن خلف الدلال قال حدثنا زكريا بن موسى عن شعيب بن السكن عن يونس النحوي قال
لما اختلط عقل قيس بن الملوح وترك الطعام والشراب مضت أمه إلى ليلى فقالت لها إن قيسا قد ذهب حبك بعقله وترك الطعام والشراب فلو جئته وقتا لرجوت أن يثوب إليه بعض عقله فقالت ليلى أما نهارا فلا لأنني لا آمن قومي على نفسي ولكن ليلا فأتته ليلا فقالت له يا قيس إن أمك تزعم أنك جننت من أجلي وتركت المطعم والمشرب فاتق الله وأبق على نفسك فبكى وأنشأ يقول
(قالتْ جُنِنتَ على أَيْشٍ فقلتُ لها ... الحبُّ أعظمُ ممّا بالمجانين)
(الحبُّ ليس يُفيقُ الدهرَ صاحبُه ... وإنما يُصرَعُ المجنونُ في الحِين)
قال فبكت معه وتحدثا حتى كاد الصبح أن يسفر ثم ودعته وانصرفت فكان آخر عهده بها
هل جن قيس بن الملوح
أخبرنا ابن المرزبان قال قال القحذمي لما قال المجنون
(قضاها لغيري وابتلاني بحبِّها ... فهلاَّ بشيءٍ غير ليلى ابتلانِيَا)
سلب عقله
الغناء لحكم ثقيل أول وقيل إنه لابن الهربذ وفيه لمتيم خفيف ثقيل أول من جامع أغانيها وحدثني جحظة بهذا الخبر عن ميمون بن هارون أنه بلغه أنه لما قال هذا البيت برص
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن طاهر القرشي عن ابن عائشة قال إنما سمي المجنون بقوله
(ما بالُ قلبِكَ يا مجنونُ قد خُلِعَا ... في حبِّ مَنْ لا تَرَى في نَيْلِه طَمَعَا)
(الحبُّ والودّ نِيطا بالفؤاد لها ... فأصبحا في فؤادِي ثابتَيْنِ معَا)
حدثنا وكيع عن ابن يونس قال قال الأصمعي لم يكن المجنون مجنونا إنما جننه العشق وأنشد له
(يُسَمُّونني المجنونَ حين يَرَوْنَني ... نعم بِيَ مِن ليلى الغَداةَ جنونُ)
(لَيَالِيَ يُزْهَى بي شَبَابٌ وشِرَّةٌ ... وإذا بي مِنْ خَفْضِ المَعيشةِ لِينُ)
أخبرني محمد بن المرزبان عن إسحاق بن محمد بن أبان قال حدثني علي ابن سهل عن المدائني أنه ذكر عنده مجنون بني عامر فقال لم يكن مجنونا وإنما قيل له المجنون بقوله
(وإنِّي لمجنونٌ بليلَى مُوَكَّلٌ ... ولستُ عَزُوفاً عن هواها ولا جَلْدَا)

(إذا ذُكِرَتْ ليلَى بكيتُ صَبَابةً ... لِتَذْكِارها حتى يَبُلَّ البُكَا الخدَّا)
أخبرني عمر بن جميل العتكي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عون ابن عبد الله العامري أنه قال ما كان والله المجنون الذي تعزونه إلينا مجنونا إنما كانت به لوثة وسهو أحدثهما به حب ليلى وأنشد له
(وبي مِنْ هوى ليلَى الذي لو أَبُثُّه ... جماعةَ أعدائي بكتْ لي عُيونُها)
(أرى النفس عن ليلى أبتْ أن تُطِيعَني ... فقد جُنَّ مِن وَجْدِي بليلَى جُنونُها)
أخبرني ابن المرزبان قال قال العتبي إنما سمي المجنون بقوله
(يقولُ أُناسٌ عَلَّ مجنونَ عامرٍ ... يرومُ سُلُوًّا قلتُ أنّي لِمَا بِيَا)
(وقد لامني في حُبِّ ليلَى أقاربي ... أخِي وابنُ عمّي وابنُ خالِي وخالِيَا)
(يقولون ليلَى أهلُ بيتِ عَداوةٍ ... بنفسيَ ليلَى مِن عَدُوٍّ ومالِيَا)
(ولو كان في ليلى شَذاً مِن خصومةٍ ... لَلَوَّيتُ أعناقَ المَطِيِّ المَلاوِيَا)
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي عن عيسى بن إسماعيل قال قال ابن سلام لو حلفت أن مجنون بني عامر لم يكن مجنونا لصدقت ولكن توله لما زوجت ليلى وأيقن اليأس منها ألم تسمع إلى قوله
(أيا ويحَ مَنْ أمسى تُخُلِّسَ عَقلُه ... فأصبح مذهوباً به كلَّ مذهبِ)
(خَلِيعاً مِنَ الخُلاَّنِ إلا مُجَامِلا ... يُساعِدني مَنْ كان يَهْوَى تَجنُّبِي)
(إذا ذُكِرتْ ليلَى عَقَلتُ وراجَعَتْ ... عَوازبُ قلبي مِنْ هَوىً مُتَشَعِّبِ)
أخبرني به الحسن بن علي عن دينار بن عامر التغلبي عن مسعود بن سعد عن ابن سلام ونحوه
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال أنشدني صالح بن سعيد قال أنشدني يعقوب بن السكيت للمجنون
يُسَمُّونَنِي المجنونَ حين يرونَني ... نَعَمْ بيَ مِن ليلَى الغداةَ جُنُونُ) قال وأنشدنا له أيضا)
صوت
(وشُغِلْتُ عن فهمِ الحديثِ سوَى ... ما كان فيكِ فإنه شُغْلي)
(وأُدِيمُ لَحْظَ مُحَدِّثي لِيَرَى ... أنْ قد فهِمتُ وعِندكُم عَقْلي)
شجون المجنون مع أم مالك
أخبرني ابن المرزبان عن محمد بن الحسن بن دينار الأحول عن علي بن المغيرة الأثرم عن أبي عبيدة
أن صاحبة مجنون بني عامر التي كلف بها ليلى بنت مهدي بن سعد بن مهدي بن ربيعة بن الحريش وكنيتها أم مالك وقد ذكر هذه الكنية المجنون في شعره فقال
تكادُ بلادُ اللهِ يا أمَّ مالكٍ ... بما رحُبَتْ يوماً عليَّ تَضِيقُ) وقال أيضا)
(فإنّ الذي أمّلتُ مِن أمِّ مالكٍ ... أشابَ قَذَالي واستهامَ فُؤادِيَا)
(خليلَيَّ أن دارَتْ على أمِّ مالكٍ ... صُرُوفُ اللّيالي فابغِيَا ليَ ناعِيَا)
وقال أبو عمرو الشيباني علق المجنون ليلى بنت مهدي بن سعد من بني الحريش وكنيتها أم مالك فشهر بها وعرف خبره فحجبت عنه فشق ذلك عليه فخطبها إلى أبيها فرده وأبى أن يزوجه إياها فاشتد به الأمر حتى جن وقيل له مجنون بني عامر فكان على حاله يجلس في نادي قومه فلا يفهم ما يحدث به ولا يعقله إلا إذا ذكرت ليلى وأنشد له أبو عمرو
صوت
(ألا ما لِليلَى لا تُرَى عند مَضْجَعِي ... بليلٍ ولا يَجْري بذلكَ طائرُ)
(بَلَيْ إنّ عُجْمَ للطيرَ تَجري إذا جرَتْ ... بليلَى ولكنْ ليس الطير زاجرُ)
(أزالَتْ عن العهد الذي كان بيننا ... بِذِي الأثْلِ أم قد غيَّرتْها المقادِرُ)
(فواللهِ ما في القربِ لي منكِ راحةٌ ... ولا البعدُ يُسْلِيني ولا أنا صابرُ)
(وواللهِ ما أدري بأيّةِ حِيلَةٍ ... وأيِّ مَرامٍ أو خِطارٍ أُخاطِرُ)
(وتاللهِ إنَّ الدهرَ في ذاتِ بيننا ... عليَّ لها في كلِّ حالٍ لجائرُ)
(فلو كنتِ إذا أزمعتِ هَجرِي تركتِني ... جميعَ القُوَى والعقلُ مِنّيَ وافرُ)
(ولكنَّ أيامِي بِحَقْلِ عُنَيزَةٍ ... وبالرَّضْمِ أيامٌ جناها التَّجاوُرُ)
(وقد أصبحَ الوُدُّ الذي كان بيننا ... أمانِيَّ نفسٍ والمؤمِّلُ حائِرُ)
(لَعَمْري لقد رنَّقْتِ يا أمّ مالكٍ ... حياتي وساقَتْني إليكِ المقادرُ)
قال أبو عمرو وأخبرني بعض الشاميين قال دخلت أرض بني عامر فسألت عنه المجنون الذي قتله الحب فخبروني عن أنه كان عاشقا لجارية منهم يقال لها ليلى ربا معها ثم حجبت عنه فاشتد ذلك عليه وذهب عقله فأتاه إخوان
من إخوانه يلومونه على ما يصنع بنفسه فقال
صوت
(يا صاحِبيّ أَلِمَّا بي بمنزلةٍ ... قد مرَّ حينٌ عليها أيُّما حينِ)
(في كل منزلةٍ ديوانُ مَعْرِفةٍ ... لم يُبقِ باقيةً ذِكرُ الدواوينِ)
إني أرَى رَجَعَاتِ الحبِّ تقتلُني ... وكان في بدئها ما كان يكفيني) الغناء لابن جامع خفيف ثقيل)
قيس الهائم على وجهه
أخبرني هاشم الخزاعي عن العباس بن الفرج الرياشي قال
ذكر العتبي عن أبيه قال كان المجنون في بدء أمره يرى ليلى ويألفها ويأنس بها ثم غيبت عن ناظره فكان أهله يعزونه عنها ويقولون نزوجك أنفس جارية في عشيرتك فيأبى إلا ليلى ويهذي بها ويذكرها فكان ربما استراح إلى أمانيهم وركن إلى قولهم وكان ربما هاج عليه الحزن والهم فلا يملك مما هو فيه أن يهيم على وجهه وذلك قبل أن يتوحش مع البهائم في القفار فكان قومه يلومونه ويعذلونه فأكثروا عليه في الملامة والعذل يوما فقال
صوت
(يا لَلرِّجال لهمٍّ بات يَعْرُوني ... مُستطرفٍ وقديمٍ كان يَعْنِيني)
(على غَريم مَليء غيرذِي عُدُمٍ ... يأبَى فيمْطُلُني دَيْنِي ويَلْوِيني)
(لا يذكُر البعضَ من دَينِي فيُنكِره ... ولا يُحَدِّثِني أنْ سوف يَقْضِيني)

(وما كَشُكْرِي شُكرٌ لو يُوافِقُنِي ... ولا مُنَى كَمُنَاهُ إذ يُمَنّيِنِي)
(أطِعتُه وعَصَيتُ الناسَ كُلّهُمُ ... في أمره ثم يأبَى فهو يَعصِينِي)
(خَيرِي لمن يبتغِي خيرِي ويأمُلُه ... من دون شرّي وشرّي غيرُ مأمونِ)
((وما أُشارِكُ في رأيي أخا ضَعَفٍ ... ولا أقولُ أخِي مَنْ لا يُوَاتِينِي
في هذه الأبيات هزج طنبوري للمسدود من جامعه
وقال أبو عمرو الشيباني حدثني رياح العامري قال كان المجنون أول ما علق ليلى كثير الذكر لها والإتيان بالليل إليها والعرب ترى ذلك غير منكر أن يتحدث الفتيان إلى الفتيات فلما علم أهلها بعشقه لها منعوه من إتيانها وتقدموا إليه فذهب لذلك عقله وبئس منه قومه واعتنوا بأمره واجتمعوا إليه ولاموه وعذلوه على ما يصنع بنفسه وقالوا والله ما هي لك بهذه الحال فلو تناسيتها رجونا أن تسلوا قليلا فقال لما سمع مقالتهم وقد غلب عليه البكاء
صوت
(فواكبِدَا مِن حب من لا يُحِبّنِي ... ومِن زَفَرَاتٍ مالهنَّ فَنَاءُ)
(أرَيتِكِ إن لم أُعطِكِ الحبَّ عن يدٍ ... ولم يكُ عندي إذ أبَيْتِ إباءُ)
(أتارِكَتِي للموت أنتِ فميّتٌ ... وماللنفوس الخائفاتِ بَقَاءُ)
ثم أقبل على القوم فقال إن الذي بي ليس بهّين فأقلوا من ملامكم فلست بسامع فيها ولا مطيع لقول قائل
أخبرني عمي ومحمد بن حبيب وابن المرزبان عن عبد الله بن أبي سعد عن عبد العزيز بن صالح عن أبيه عن ابن دأب عن رياح بن حبيب العامري
أنه سأله عن حال المجنون وليلى فقال كانت ليلى من بني الحريش وهي
بنت مهدي بن سعيد بن مهدي بن ربيعة بن الحريش وكانت من أجمل النساء وأظرفهن وأحسنهن جسما وعقلا وأفضلهن أدبا وأملحهن شكلا وكان المجنون كلفا بمحادثة النساء صبأبهن فبلغه خبرها ونعتت له فصبا إليها وعزم على زيارتها فتأهب لذلك ولبس أفضل ثيابه ورجل جمته ومس طيبا كان عنده وارتحل ناقة له كريمة برحل حسن وتقلد سيفه وأتاها فسلم فردت عليه السلام وتحفت في المسألة وجلس إليها فحادثته وحادثها فأكثرا وكل واحد منهما مقبل على صاحبه معجب به فلم يزالا كذلك حتى أمسيا فانصرف إلى أهله فبات بأطول ليلة شوقا إليها حتى إذا أصبح عاد إليها فلم يزل عندها حتى أمسى ثم انصرف إلى أهله فبات بأطول من ليلته الأولى واجتهد أن يغمض فلم يقدر على ذلك فأنشأ يقول
(نَهارِي نهارُ الناسِ حتى إذا بدا ... ليَ الليلُ هَزَّتني إليكِ المضاجِعُ)
(أُقَضِّي نهاري بالحديث وبالمُنى ... ويجمَعُنِي والهمَّ بالليل جامِعُ)
(لَقَد ثَبَتَتْ في القلب منكِ محبَّةٌ ... كما ثَبَتتْ في الراحتين الأصابعُ)
عروضه من الطويل والغناء لإبراهيم الموصلي رمل بالوسطى عن
عمرو قال وأدام زيارتها وترك من كان يأتيه فيتحدث إليه غيرها وكان يأتيها في كل يوم فلا يزال عندها نهاره أجمع حتى إذا أمسى انصرف فخرج ذات يوم يريد زيارتها فلما قرب من منزلها لقيته جارية عسراء فتطير منها وأنشأ يقول
(وكيف يُرَجّى وصلُ لَيْلَى وقد جرى ... بِجَدِّ القُوَى والوصلِ أعسرُ حاسرُ)
(صديعُ العصا صعْبُ المرام إذا انتحى ... لوصلِ امرىءٍ جُذَّت عليه الأواصِرُ)
ثم سار إليها في غد فحدثها بقصته وطيرته ممن لقيه وأنه يخاف تغير عهدها وانتكاثه وبكى فقالت لا ترع حاش لله من تغير عهدي لا يكون والله ذلك أبدا إن شاء الله فلم يزل عندها يحادثها بقية يومه ووقع له في قلبها مثل ما وقع لها في قلبه فجاءها يوما كما كان يجيء وأقبل يحدثها فأعرضت عنه وأقبلت على غيره بحديثها تريد بذلك محنته وأن تعلم ما في قلبه فلما رأى ذلك جزع جزعا شديدا حتى بان في وجهه وعرف فيه فلما خافت عليه أقبلت عليه كالمسرة إليه فقالت كِلاَنا مُظهرٌ للناس بغضا ... وكلٌّ عند صاحبه مَكِينُ) فسري عنه وعلم ما في قلبها فقالت له إنما أردت أن أمتحنك)
والذي لك عندي أكثر من الذي لي عندك وأعطي الله عهدا إن جالست بعد يومي هذا رجلا
سواك حتى أذوق الموت إلا أن أكره على ذلك قال فانصرفت عنه وهو من أشد الناس سرورا وأقرهم عينا وقال
(أظُنُّ هواها تارِكِي بِمَضَلّةٍ ... من الأرض لا مالٌ لديَّ ولا أهلُ)
(ولا أحدٌ أُفضِي إليه وصيّتي ... ولا صاحبٌ إلا المطيّةُ والرَّحْلُ)
(مَحَا حبُّها حبَّ الأُلَى كُنَّ قبلها ... وحَلّتْ مكانا لم يكن حُلَّ مِنْ قبلُ)
زواج ليلى ودعاء المجنون بطلاقها
أخبرني جعفر بن قدامة عن أبي العيناء عن العتبي قال
لما حجبت ليلى عن المجنون خطبها جماعة فلم يرضهم أهلها وخطبها رجل من ثقيف موسر فزوجوه وأخفوا ذلك عن المجنون ثم نمي إليه طرف منه لم يتحققه فقال
(دعَوْتُ إلهِي دعوةً ما جهلتُها ... وربِّي بما تُخفِي الصدورُ بصيرُ)
(لئن كنتَ تُهدِي بردَ أنيابِها العُلا ... لأفقرَ مِنّي إنّني لَفَقِيرُ)
فقد شاعتِ الأخبارُ أنْ قد تَزَوجتْ ... فهل يأتِيَنّي بالطلاق بشيرُ) وقال أيضا)
(ألا تِلكَ لَيلَى العامِرِيَّةُ أصبَحَتْ ... تَقَطَّعُ إلا من ثَقِيفٍ حِبالُها)
((هُم حبسوُها مَحْبِسَ البُدْنِ وابتغى ... بها المالَ أقوامٌ ألا قلَّ مالُها
إذا التفتتْ والعيسُ صُعْرٌ من البُرى ... بنخلة جلّت عبرة العينِ حالُها) قال وجعل يمر ببيتها فلا يسأل عنها ولا يلتفت)
إليه ويقول إذا جاوزه
صوت
(ألا أيُّها البيتُ الذي لا أزُوره ... وإن حَلَّه شخصٌ إليّ حبيبُ)
(هجرتُكَ إشفاقاً وزرتُك خائفاً ... وفيك عليّ الدهرَ منكَ رقيبُ)
(سأستعتِبُ الأيامَ فيكَ لعلّها ... بيومِ سرورٍ في الزمان تؤوبُ)
الغناء لعريب ثاني ثقيل بالوسطى قال وبلغه أن أهلها يريدون نقلها إلى الثقفي فقال
صوت

(كأنّ القلبَ ليلةَ قِيلَ يُغدَى ... بلَيْلَى العامريَّةِ أو يُرَاحُ)
(قَطَاةٌ عَزَّها شَرَكٌ فباتَتْ ... تُجاذِبُه وقد عَلِقَ الجَناحُ)
عروضه من الوافر الغناء لابن المكي خفيف ثقيل أول بالوسطى في
مجراها عن إسحاق وفيه خفيف ثقيل آخر لسليمان مطلق في مجرى البنصر وفيه لإبراهيم رمل بالوسطى في مجراها
عن الهشامي قال فلما نقلت ليلى إلى الثقفي قال
(طربتَ وشاقتكَ الحُمولُ الدّوافعُ ... غداةَ دعا بالبين أسْفَعُ نازعُ)
(شحَا فَاهُ نعباً بالفراق كأنه ... حريبٌ سليبٌ نازحُ الدارِ جازعُ)
(فقلتُ ألا قد بَيَّنَ الأمرُ فانصرف ... فقد راعَنا بالبين قبلَك رائعُ)
(سُقِيتَ سُمُوماً من غراب فإنّني ... تبيّنتُ ما خبَّرتَ مذ أنتَ واقعُ)
(ألم تَرَ أنّي لا مُحِبٌّ ألومُه ... ولا ببديلٍ بعدهم أنا قانعُ)
(ألم تر دارَ الحيِّ في رونق الضحى ... بحيثُ انحنتْ للهَضْبتين الأَجَارعُ)
(وقد يتناءى الإلْفُ من بعد أُلْفةٍ ... ويصدَعُ ما بين الخليطين صادعُ)
(وكم من هَوىً أو جِيرةٍ قد ألِفتهم ... زماناً فلم يمنعهم البَين مانعُ)
(كأنّي غداةَ البين مَيْتٌ جويةٍ ... أخو ظمأ سُدَّتْ عليه المشارعُ)
(تَخَلَّسَ من أوشال ماءٍ صُبَابةً ... فلا الشُّربُ مبذولٌ ولا هو ناقعُ)
(وبيضٍ تَطَلَّى بالعَبير كأنها ... نِعاجُ المَلاَ جِيبَتْ عليها البراقعُ)
(تحمَّلْنَ من وادي الأراكِ فأومضَت ... لهنّ بأطرافِ العيونِ المدامعُ
(فما رمْنَ ربعَ الدارِ حتى تشابهتْ ... هجائنُها والجُونُ منها الخواضعُ)
(وحتى حملنَ الحُورَ من كُلِّ جانب ... وخاضت سُدُولَ الرَّقْمِ منها الأكارعُ)
(فلما استوتْ تحتَ الخدورِ وقد جرى ... عَبيرٌ ومسكٌ بالعرانين رَادعُ)
(أشَرْنَ بأن حُثُّوا الجِمالَ فقد بدا ... من الصيفِ يومٌ لافحُ الحرِّ ماتِعُ)
(فلمّا لَحِقْنَا بالحُمول تباشَرتْ ... بنا مُقْصِرَاتٌ غابَ عنها المطامعُ)
(يُعرِّضنَ بالدَّلِّ المَلِيحِ وإن يُرِدْ ... جَنَاهُنَّ مشغوفٌ فهنَّ مَوَانعُ)
(فقلتُ لأصحابي ودمعِي مُسْبَلٌ ... وقد صَدَعَ الشملَ المشتَّتَ صَادعُ)
(أليلَى بأبواب الخدور تعرضتْ ... لعَيني أم قرنٌ من الشمس طالعُ)
حمام الأيك يهيج أحزان المجنون
أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا الهيثم بن فراس قال حدثني العمري عن الهيثم بن عدي
أن أبا المجنون حج به ليدعو الله عز وجل في الموقف أن يعافيه فسار ومعه ابن عمه زياد بن كعب بن مزاحم فمر بحمامة
تدعو على أيكة فوقف يبكي فقال له زياد أي شيء هذا ما يبكيك أيضا سر بنا نلحق الرفقة فقال
((أأن هَتَفَتْ يوماً بوادٍ حمامةٌ ... بكيتَ ولم يَعْذِرك بالجهل عاذِرُ
(دَعَتْ ساقَ حُرٍّ بعد ما عَلَتِ الضُّحَى ... فهاج لكَ الأحزانَ أن ناح طائرُ)
(تُغنِّي الضُّحَى والصبْحَ في مُرْجَحِنَّةٍ ... كِثافِ الأعالي تحتها الماءُ حائرُ)
(كأن لم يكن بالغَيْل أو بطن أيْكةٍ ... أو الجزعِ من تول الأشاءةِ حاضِرُ)
(يقول زيادٌ إذ رأى الحيَّ هجَّروا ... أرَى الحيَّ قد ساروا فهل أنتَ سائرُ)
(وإنّي وإن غالَ التقادمُ حاجتي ... مُلِمٌّ على أوطان لَيْلَى فَناظِرُ)
أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر عن الزبير عن محمد بن عبد الله البكري عن موسى بن جعفر بن أبي كثير
وأخبرني عمي عن عبد الله بن شبيب عن هارون بن موسى الفروي عن موسى بن جعفر بن أبي كثير وأخبرني ابن
المرزبان عن ابن الهيثم عن العمري عن العتبي قالوا جميعا
يا جبل التوباد
كان المجنون وليلى وهما صبيان يرعيان غنما لأهلهما عند جبل في بلادهما يقال له التوباد فلما ذهب عقله وتوحش كان
يجيء إلى ذلك الجبل فيقيم به
فإذا تذكر أيام كان يطيف هو وليلى به جزع جزعاً شديدا واستوحش فهام على وجهه حتى يأتي نواحي الشأم فإذا ثاب
إليه عقله رأى بلدا لا يعرفه فيقول للناس الذين يلقاهم بأبي أنتم أين التوباد من أرض بني عامر فيقال له وأين أنت من
أرض بني عامر أنت بالشام عليك بنجم كذا فأمه فيمضي على وجهه نحو ذلك النجم حتى يقع بأرض اليمن فيرى بلادا
ينكرها وقوما لا يعرفهم فيسألهم عن التوباد وأرض بني عامر فيقولون وأين أنت من أرض بني عامر عليك بنجم كذا و كذا
فلا يزال كذلك حتى يقع على التوباد فإذا رآه قال في ذلك
(وأجْهَشْتُ للتَّوبادِ حين رأيتُه ... وكَبَّرَ للرحمن حينَ رآني)
(وأذرَيتُ دمعَ العين لمّا عرفتُه ... ونادى بأعلى صوته فدعاني)
(فقلتُ له قد كان حولَك جيرةٌ ... وعهدِي بذاكَ الصرمِ منذ الزمانِ)
(فقال مَضَوْا واستودَعُوني بلادَهم ... ومَنْ ذا الذي يبقَى على الحَدَثانِ)
(وإني لأبكي اليومَ من حَذَرِي غداً ... فِراقَكَ والحيَّانِ مُجْتَمِعانِ)
(سِجَالاً وَتهتاناً ووبْلاً وديمَةً ... وسَحًّا وتسْجاماً إلى هَمَلانِ)
أخبرني عمي عن عبد الله بن شبيب عن هارون بن موسى الفروي عن موسى بن جعفر بن أبي كثير قال لما قال
المجنون
(خليليّ لا واللهِ لا أملكُ الذي ... قضى اللهُ في ليلى ولا ما قَضَى لِيَا)
قضاها لغيري وابتلاني بحبّها ... فَهَلاَّ بشيءٍ غير لَيلى ابتلانِيَا) سلب عقله)
وحدثني جحظة عن ميمون بن هارون عن إسحاق الموصلي أنه لما قالهمابرص
قال موسى بن جعفر في خبره المذكور وكان المجنون يسير مع أصحابه فسمع صائحا يصيح يا ليلى في ليلة ظلماء أو
توهم ذلك فقال لبعض من معه أما تسمع هذا الصوت فقال ما سمعت شيئا قال بلى والله هاتف يهتف بليلى ثم أنشأ

يقول
(أقولُ لأدْنى صاحِبَيَّ كُلَيمةٌ ... أُسِرَّتْ مِن الأقصى أجِبْ ذا المَنادِيَا)
(إذا سِرْتُ في الأَرْضِ الفضاءِ رأيتني ... أُصانِعُ رَحْلي أن يَمِيلَ حِيَالِيَا)
(يميناً إذا كانت يميناً وإن تكن ... شِمالاً يُنازِعْني الهوَى عن شِمَالِيَا)
وقال ابن شبيب وحدثني هارون بن موسى قال قلت لغرير بن طلحة الخزومي من أشعر الناس ممن قال شعرا في منى ومكة وعرفات فقال أصحابنا القرشيون ولقد أحسن المجنون حيث يقول
وداعٍ دعا إذ نحن بالخَيفِ من مِنىً ... فهيَّجَ أحزانَ الفؤادِ وما يدري) (دعا باسم ليلى غيرَها فكأنما ... أطارَ بليلى طائراً) (كان في صدري
فقلت له هل تروي للمجنون غير هذا قال نعم وأنشدني له
(أما والذي أَرْسَى ثَبِيراً مكانه ... عليه السَّحابُ فوقه يَتَنَصَّبُ)
حذف
((وما سَلَكَ الموماةَ من كلِّ جَسْرةٍ ... طليحٍ كجفن السّيف تَهْوي فتُركبُ)
(لقد عِشْتُ مِنْ ليلى زمانا أُحِبُها ... أخا الموت إذ بعضُ المحبين يكذِبُ)
أخبرني محمد بن مزيد عن حماد بن أسحاق عن أبيه قال كانت كنية ليلى أم عمرو وأنشد للمجنون
صوت
(أبى القلبُ إلا حُبَّهُ عامريَّةً ... لها كنيةٌ عمرٌو وليس لها عمرُو)
تكادُ يدي تَنْدَى إذا ما لمستُها ... ويُنبتُ في أطرافها الورقُ الخُضْرُ) الغناء لعريب ثقيل أول وقال حبش فيه لإسحاق) خفيف ثقيل
ليلى المنيحة
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي عن دماذ عن أبي عبيدة قال خطب ليلى صاحبة المجنون جماعة من قومها فكرهتهم فخطبها رجل من ثقيف موسر فرضيته وكان جميلا فتزوجها وخرج بها فقال المجنون في ذلك
(ألا إنّ ليلى كالمَنيحةِ أصبحَتْ ... تَقَطَّعُ إلا من ثقيفٍ حِبالُها)
(فقد حبسوها مَحْبَسَ البُدْنِ وابتغَى ... بها الريحَ أقوامٌ تساحت مالُها)
(خليليّ هل مِنْ حيلةٍ تعلمانها ... يُدَنّي لنا تكليم ليلى احتيالُها)
(فإن أنتما لم تَعْلَمَاها فلستُما ... بأوّلِ باغٍ حاجةً لا ينالُها)
((كأنّ مع الركب الذين أغتَدَوْا بها ... غمامةَ صيفٍ زعزعَتْها شَمَالُها)
(نظرتُ بمفْضَى سَيلِ حَوْشَنَ إذ غَدَوْا ... تَخُبُّ بأطراف المَخَارم آلُها)
(بشافيةِ الأحزان هيَّج شوقَها ... مُجامَعَةُ الأُلاَّفِ ثم زِيالُها)
(إذا التفتتْ من خَلْفِها وهي تَعْتَلي ... بها العِيسُ جَلَّى عَبْرَةَ العين حَالُها)
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال أنشدني أحمد بن يحيى ثعلب عن أبي نصر أحمد بن حاتم قال وأنشدناه المبرد للمجنون فقال
صوت
(وأَحْبِسُ عنكِ النفسَ والنفسُ صَبَّةٌ ... بِذِكْراكِ وَالمَمْشَى إليكِ قريبُ)
(مخافةَ أن تسعى الوُشَاةُ بِظَنَّةٍ ... وأَحْرُسُكم أن يستريبَ مُريبُ)
(فقد جعلتْ نفسي وأنتِ اجترمتِه ... وكنتِ أعزَّ الناسِ عنكِ تَطيبُ)
(فلو شئتِ لم أَغْضَبْ عليكِ ولم يزل ... لكِ الدهرَ منّي ما حييتُ نصيبُ)
(أمَا والذي يَبْلو السرائر كُلَّها ... ويعلَمُ ما تُبْدِي به وتَغِيبُ)
(لقد كنتِ ممن تَصْطَفِي النفسُ خُلَّةً ... لها دون خُلاَّنِ الصَّفاء حُجُوبُ)
ذكر يحيى المكي أنه لابن سريج ثقيل أول وقال الهشامي إنه من منحول يحيى إليه
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الحسن بن محمد بن طالب
الديناري قال حدثني إسحاق الموصلي وأخبرني به محمد بن مزيد والحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني سعيد بن سليمان عن أبي الحسن البغاء قال
بينا أنا وصديق لي من قريش نمشي بالبلاط ليلا إذا بظل نسوة في القمر فسمعت إحداهن تقول أهو هو فقالت لها أخرى معها إي والله إنه لهو هو فدنت مني ثم قالت يا كهل قل لهذا الذي معك
(ليستْ لياليكَ في خاخٍ بعائدةٍ ... كما عهِدتَ ولا أيامُ ذي سَلَمِ)
فقلت أجب فقد سمعت فقال قد والله قطع بي وأرتج علي فأجب عني فقلت
(فقلتُ لها يا عزّ كلُّ مصيبةٍ ... إذا وُطّنتْ يوماً لها النفسُ ذَلَّتِ)
ثم مضينا حتى إذا كنا بمفرق طريقين مضى الفتى إلى منزله ومضيت إلى منزلي فإذا أنا بجويرية تجذب ردائي فالتفت فقالت لي المرأة التي كلمتها تدعوك فمضيت معها حتى دخلت دارا واسعة ثم صرت إلى بيت فيه حصير وقد ثنت لي وسادة فجلست عليها ثم جاءت جارية بوسادة مثنية فطرحتها ثم جاءت المرأة فجلست عليها فقالت لي أنت المجيب قلت نعم قالت ما كان أفظ لجوابك وأغلظه فقلت لها ما حضرني غيره فسكتت ثم قالت لا والله ما خلق الله خلقا أحب إلي من إنسان كان معك فقلت لها أنا الضامن لك عنه ما
تحبين فقالت هيهات أن يقع بذلك وفاء فقلت أنا الضامن وعلي أن آتيك به في الليلة القابلة فانصرفت فإذا الفتى ببابي فقلت ما جاء بك قال ظننت أنها سترسل إليك وسألت عنك فلم أعرف لك خبرا فظننت أنك عندها فجلست أنتظرك فقلت له وقد كان الذي ظننت وقد وعدتها أن آتيك فأمضي بك إليها في الليلة المقبلة فلما أصبحنا تهيأنا وانتظرنا المساء فلما جاء الليل رحلنا إليها فإذا الجارية منتظرة لنا فمضت أمامنا حين رأتنا حتى دخلت تلك الدار ودخلنا معها فإذا رائحة طيبة ومجلس قد أعد ونضد فجلسنا على وسائد قد ثنيت لنا وجلست مليا ثم أقبلت عليه فعاتبته مليا ثم قالت
صوت
(وأنتَ الذي أخلفتَني ما وعدتَني ... وأشْمَتَّ بي مَنْ كان فيكَ يلومُ)

(وأبرزتني للناس ثم تركْتِني ... لهم غَرَضاً أُرمَى وأنتَ سَليمُ)
(فلو كان قولُ يَكلُمُ الجِلدَ قد بدا ... بِجِلْدِيَ من قول الوشاة كُلُومُ)
هذه الأبيات لأميمة امرأة ابن الدمينة وفيها غناء لإبراهيم الموصلي ذكره إسحاق ولم يجنسه
وقال الهشامي هو خفيف رمل
وفيه لعريب خفيف ثقيل أول ينسب إلى حكم الوادي وإلى يعقوب
قال ثم سكتت وسكت الفتى هنيهة ثم قال
(غَدَرْتِ ولم أغدِرِ وخُنْتِ ولم أخُنْ ... وفي بعض هذا للمحبّ عَزَاءُ
(جزيتُكِ ضِعْفَ الودّ ثم صرمتِني ... فحبُّكِ من قلبي إليكِ أداءُ)
فالتفتت إلي فقالت ألا تسمع ما يقول قد خبرتك فغمزته أن كف فكف ثم أقبلت عليه وقالت صوت
(تجاهَلْتَ وَصلي حين جَدّتْ عَمَايتي ... فهلاّ صَرَمتَ الحبلَ إذ أنا أُبصِرُ)
(ولي من قُوَى الحبل الذي قد قطعته ... نصيب وإذ رأيي جميعٌ مُوفّرٌ)
(ولكنما آذنتَ بالصَّرْمِ بغتةً ... ولستُ على مثل الذي جئتَ أَقدِرُ)
الغناء لإبراهيم ثقيل أول بالوسطى عن عمرو فقال
(لقد جعلتْ نفسي وأنتِ اجترمتِه ... وكنت أعزَّ الناس عنكِ تطيبُ)
قال فبكت ثم قالت أو قد طابت نفسك لا والله ما فيك بعدها خير ثم التفتت إلي وقالت قد علمت أنك لا تفي بضمانك ولا يفي به عنك
وهذا البيت الأخير للمجنون وإنما ذكر هذا الخبر هنا وليس من أخبار المجنون لذكره فيه
رجع الخبر إلى سياقة أخبار المجنون
أخبرني عمي قال حدثنا الكراني عن العمري عن الهيثم بن عدي أن رهط المجنون اجتازوا في نجعة لهم بحيّ ليلى وقد جمعتهم نُجعةٌ فرأى أبيات أهل ليلى ولم يقدم على الإلمام بهم وعدل أهله إلى جهة أخرى فقال المجنون
(لعمرُكَ إنّ البيتَ بالقِبَلِ الذي ... مررتُ ولم أُلْمِم عليه لَشَائِقُ)
حذف
((وبالجَزْعِ مِن أعلى الجنينةِ منزلٌ ... شَجَا حَزنٍ صدري به مُتَضايقُ
(كأني إذا لم ألق ليلى مُعَلَّقٌ ... بِسبِّينِ أَهْفُو بين سَهْلٍ وحَالِق)
(علي أنني لو شئتُ هاجت صبابتي ... عليّ رسومٌ عيٌّ فيها التَّناطُقُ)
(لَعمرُكِ إن الحبَّ يا أمَّ مالكٍ ... بقلبي براني اللهُ منه لَلاَصِقُ)
(يَضمُّ عليّ الليلُ أطرافَ حُبِّكم ... كما ضمَّ أطرافَ القمِيص البَنَائِقُ)
صوت
(وماذا عسى الواشونَ أن يتحدّثوا ... سوى أن يقولوا إنني لكِ عاشِقُ)
(نَعم صدق الواشونَ أنتِ حبيبةٌ ... إليّ وإن لم تَصْفُ منكِ الخلائِقُ)
الغناء لمتيم ثقيل أول من جامعها
وفيه لدعامة رمل عن حبش
أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني أحمد بن الطيب قال قال ابن الكلبي دخلت ليلى على جارة لها من عقيل وفي يدها مسواك تستاك به فتنفست ثم قالت سقى الله من أهدى لي هذا المسواك فقالت لها جارتها من هو قالت قيس بن الملوح وبكت ثم نزعت ثيابها تغتسل فقالت ويحه لقد علق مني ما أهلكه من غير أن أستحق ذلك فنشدتك الله أصدق في صفتي أم كذب فقالت لا والله بل صدق قال وبلغ المجنون قولها فبكى ثم انشأ يقول
(نُبِّئْتُ ليلى وقد كنَّا نبخّلها ... قالت سقى المزنُ غيثاً منزلاً خرِبا)
(وحبَّذَا راكبٌ كُنَّا نَهَشُّ به ... يُهدِي لنا من أراكِ الموسم القُضُبَا)
((قالتْ لجارتِها يوما تُسائِلُها ... لَمّا استحَمّت وألقَتْ عندها السَّلَبَا
(يا عَمْرُكِ اللهَ ألاّ قُلْتِ صادقةً ... أصَدَقَتْ صِفةُ المجنون أم كذبا)
ويروى نشدتك الله ويروى أصادقا وصف المجنون أم كذبا
وقال أبو نصر في أخباره لما زوجت ليلى بالرجل الثقفي سمع المجنون رجلا من قومها يقول لآخر أنت ممن يشيع ليلى قال ومتى تخرج قال غدا ضحوة أو الليلة فبكى المجنون ثم قال
صوت
(كأنّ القلبَ ليلةَ قِيل يُغدَى ... بليلى العامرِيّةِ أو يُراحُ)
(قطاةٌ عَزَّها شرَكٌ فباتتْ ... تُجاذِبه وقد عَلِقَ الجناحُ)
الغناء ليحيى المكي خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو وفيه رمل ينسب إلى إبراهيم وإلى أحمد بن يحيى المكي وقال حبش فيه خفيف ثقيل بالوسطى لسليم
غريب الدار
وقال الهيثم بن عدي في خبره حدثني عبد الله بن عياش الهمداني قال حدثني رجل من بني عامر قال مطرنا مطرا شديدا في ربيع ارتبعناه ودام المطر ثلاثا ثم أصبحنا في اليوم الرابع على صحو وخرج الناس يمشون على الوادي فرأيت رجلا جالسا حجرة وحده فقصدته فإذا هو المجنون جالس وحده يبكي فوعظته وكلمته طويلا وهو ساكت لم يرفع رأسه إلي ثم أنشدني بصوت حزين لا أنساه أبدا وحرقته
صوت
(جرى السَّيلُ فاستبكانِيَ السيلُ إذا جرى ... وفاضَتْ له من مُقْلَتَيَّ غُروبُ)
(وما ذَاكَ إلا حينَ أيقنتُ أنه ... يكون بوادٍ أنتِ فيه قريبُ)
(يكون أُجَاجاً دونكم فإذا انتهى ... إليكم تَلَقَّى طيبَكم فيطيبُ)
(أَظَلُّ غريبَ الدار في أرض عامرٍ ... ألا كلُّ مهجورٍ هناكَ غَريبُ)
(وإن الكئيبَ الفردَ من أيمن الحمى ... إليّ وإن لم آته لحبيبُ)

(فَلا خَيرَ في الدنيا إذا أنتَ لم تَزُر ... حبيباً ولم يَطرَبْ إليكَ حبيبُ)
وأول هذه القصيدة وفيه أيضا غناء
صوت
(ألا أيّها البيتُ الذي لا أزوره ... وهِجْرانُه منّي إليه ذُنوبُ)
(هجرتُكَ مشتاقاً وزرتُكَ خائفاً ... وفيكَ عليّ الدهرَ منكَ رقيبٌ)
(سأستَعْطِفُ الأيامَ فيكَ لعلّها ... بيوم سرورٍ في هواكَ تُثِيبُ)
هذه الأبيات في شعر محمد بن أمية مروية ورويت هاهنا للمجنون في هذه القصيدة
وفيها لعريب ثقيل أول
ولعبد الله بن العباس ثاني ثقيل
ولأحمد بن المكي خفيف ثقيل
(وأُفردْتُ إفرادَ الطريد وباعدتْ ... إلى النفس حاجاتٌ وهنّ قريبُ)
صوت
(جرى السَّيلُ فاستبكانِيَ السيلُ إذ جرى ... وفاضَتْ له من مُقْلَتَيَّ غُروبُ)
(وما ذاكَ إلا حينَ أيقنتُ أنه ... يكون بوادٍ أنتِ فيه قريبُ)
(يكونُ أُجاجاً دونكم فإذا انتهى ... إليكم تَلَقَّى طيبَكم فيطيبُ)
(أظَلُّ غريبَ الدارِ في أرض عامرٍ ... ألا كلُّ مهجورٍ هناكَ غَريبُ)
(وإن الكثيبَ الفردَ من أيمنِ الحِمى ... إليّ وإن لم آته لحبيبُ)
(فَلا خَيرَ في الدنيا إذا أنتَ لم تَزُر ... حبيباً ولم يَطرَبْ إليكَ حبيبُ)
وأول هذه القصيدة وفيه أيضا غناء
صوت
(ألا أيّها البيتُ الذي لا أزوره ... وهِجْرانُه منّي إليه ذُنوبُ)
(هجرتُكَ مشتاقاً وزرتُكَ خائفاً ... وفيكَ عليّ الدهرَ منكَ رقيبٌ)
(سأستَعْطِفُ الأيامَ فيكَ لعلّها ... بيوم سرورٍ في هواكَ تُثِيبُ)
هذه الأبيات في شعر محمد بن أمية مروية ورويت هاهنا للمجنون في هذه القصيدة
وفيها لعريب ثقيل أول
ولعبد الله بن العباس ثاني ثقيل
ولأحمد بن المكي خفيف ثقيل
(وأُفردْتُ إفرادَ الطريد وباعدتْ ... إلى النفس حاجاتٌ وهنّ قريبُ)
((لئن حال يأسٌ دون لَيْلَى لربّما ... أتى اليأسُ دون الأمر فهو عَصِيبُ
(ومنّيتِني حتى إذا ما رأيتِني ... على شَرَفٍ للناظرين يُريبُ)
(صددتِ وأشمتِّ العدوَّ بصرْمِنا ... أثابكِ يا لَيْلَى الجزاءَ مُثيبُ)
أبلغيها السلام وقولي لها هيهات
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدثنا مهدي بن سابق قال حدثنا بعض مشايخ بني عامر أن المجنون مر في توحشه فصادف حي ليلى راحلا ولقيها فجأة فعرفها وعرفته فصعق وخر مغشيا على وجهه وأقبل فتيان من حي ليلى فأخذوه ومسحوا التراب عن وجهه وأسندوه إلى صدورهم وسألوا ليلى أن تقف له وقفة فرقت لما رأته به وقالت أما هذا فلا يجوز أن أفتضح به ولكن يا فلانة لأمة لها اذهبي إلى قيس فقولي له ليلى تقرأ عليك السلام وتقول لك أعزز علي بما أنت فيه ولو وجدت سبيلا إلى شفاء دائك لوقيتك بنفسي منه فمضت الوليدة إليه وأخبرته بقولها فأفاق وجلس وقال أبلغيها السلام وقولي لها هيهات إن دائي ودوائي أنت وإن حياتي ووفاتي لفي يديك ولقد وكلت بي شقاء لازما وبلاء طويلا
ثم بكى وأنشأ يقول
(أقول لأصحابي هي الشمس ضوءُها ... قريبٌ ولكن في تَنَاوُلِها بُعدُ)
(لقد عرضَتْنا الريحُ منها بنفحةٍ ... على كَبِدِي من طيبِ أرواحها بَرْدُ)
(فما زلتُ مَغْشياً عليَّ وقد مَضتْ ... أناةٌ وما عندي جوابٌ ولا رَدُّ)
(أُقَلَّبُ بالأيدي وأهلي بِعَولَةٍ ... يُفَدُّونني لو يستطيعون أن يَفْدُوا)
(ولم يبقَ إلا الجلدُ والعظمُ عاريا ... ولا عظمَ لي إن دام ما بي ولا جِلدُ)
(أدُنيايَ مالي في انقطاعي وغُربتي ... إليكِ ثوابٌ منكِ دَينٌ ولا نَقْدُ)
(عِدِيني بنفسِي أنتِ وعداً فربّما ... جلاَ كُربَةَ المكروب عن قلبه الوعدُ)
(وقد يُبتلَى قومٌ ولا كَبليّتي ... ولا مثلَ جَدّي في الشقاءِ بكم جَدُّ)
(غزَتني جنودُ الحبّ من كلّ جانبٍ ... إذا حان من جندٍ قُفُولٌ أتى جُندُ)
وقال أبو نصر أحمد بن حاتم كان أبو عمرو المدني يقول قال نوفل بن مساحق أخبرت عن المجنون أن سبب توحشه أنه كان يوما بضرية جالسا وحده إذ ناداه مناد من الجبل
(كِلانَا يا أُخَيَّ يُحِبُ لَيْلَى ... بفِيَّ وفِيكَ من لَيْلَى الترابُ)
لقد خَبَلَتْ فؤادكَ ثم ثنّتْ ... بقلبي فهو مَهمومٌ مُصاب)
(شرَكتُكَ في هَوَى مَن ليس تُبدِي ... لنا الأيامُ منه سوَى اجتنابِ)
نوفل بن مساحق يروي أخبار المجنون
قال فتنفس الصعداء وغشي عليه وكان هذا سبب توحشه فلم ير له أثر حتى وجده نوفل بن مساحق قال نوفل قدمت البادية فسألت عنه فقيل لي
توحش ومالنا به عهد ولا ندري إلى أين صار فخرجت يوما أتصيد الأروى ومعي جماعة من أصحابي حتى إذا كنت بناحية الحمى إذا نحن بأراكة عظيمة قد بدا منها قطيع من الظباء فيها شخص إنسان يرى من خلل تلك الأراكة فعجب أصحابي

من ذلك فعرفته وأتيته وعرفت أنه المجنون الذي أخبرت عنه فنزلت عن دابتي وتخففت من ثيابي وخرجت أمشي رويدا حتى أتيت الأراكة فارتقيت حتى صرت على أعلاها وأشرفت عليه وعلى الظباء فإذا به وقد تدلى الشعر على وجهه فلم أكد أعرفه إلا بتأمل شديد وهو يرتعي في ثمر تلك الأراكة فرفع رأسه فتمثلت ببيت من شعره
(أتبكي على ليلى ونفسُك باعدتْ ... مَزارَكَ من ليلى وشِعْباكما معَا)
قال فنفرت الظباء واندفع في باقي القصيدة ينشدها فما أنسى حسن نغمته وحسن صوته وهو يقول
(فما حَسَنٌ أن تأتيَ الأمرَ طائعا ... وتَجْزَعَ أن داعي الصبابة أسمعا)
(بكتْ عَينيَ اليسرى فلما زجرتُها ... عن الجهل بعد الحلم أسبلَتا معَا)
(وأذكرُ أيامَ الحِمَى ثم أنثَني ... على كبدي من خَشيةٍ أن تَصدَّعا)
(فليستْ عَشيَّاتُ الحِمَى برواجعٍ ... عليك ولكن خَلِّ عينيكَ تَدمَعَا)
(معي كلُ غِرٍّ قد عصَى عاذلاته ... بوصل الغواني من لَدُنْ أن تَرعرَعَا)
(إذ راحَ يمشِي في الرداءين أسرَعتْ ... إليه العيونُ الناظراتُ التطلُّعَا)
قال ثم سقط مغشيا عليه فتمثلت بقوله
(يا دارَ ليلى بِسِقْطِ الحيّ قد دَرَستْ ... إلا الثُّمَامَ وإلا مَوْقِدَ النَّار)
(ما تفتأ الدهر من ليلى تموت كذا ... في موقف وقفته أو على دار)
أبْلَى عظامَكَ بعد اللحمِ ذِكْرُكَهَا ... كما يُنَحّتُ قِدْحَ الشَّوْحَطِ الباري) فرفع رأسه إلي وقال من أنت حياك الله فقلت أنا نوفل بن مساحق فحياني فقلت له ما أحدثت بعدي في يأسك منها فأنشدني يقول
(ألا حُجِبَتْ ليلى وآلى أميرُها ... عليّ يميناً جاهداً لا أزورُها)
(وأوعدني فيها رجالٌ أبوهُمُ ... أبي وأبوها خُشّنَتْ لي صُدورُها)
(على غير جُرمٍ غيرَ أني أُحِبُّها ... وأنَّ فؤادي رهنُها وأسيرُها)
قال ثم سنحت له ظباء فقام يعدو في أثرها حتى لحقها فمضى معها
حدثني الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني علي بن الصباح عن ابن الكلبي قال لما قال مجنون بني عامر
قضاها لغيري وابتلاني بحبّها ... فهلاّ بشيءٍ غير ليلى ابتلانيا) نودي في الليل أنت المتسخط لقضاء الله والمعترض في أحكامه واختلس عقله فتوحش منذ تلك الليلة وذهب مع الوحش على وجهه وهذه القصيدة التي قال فيها هذا البيت من أشهر أشعاره والصوت المذكور بذكره أخبار المجنون هاهنا منها
وفيها أيضا عدة أبيات يغنى فيها فمن ذلك
صوت
(أَعُدُّ الليالي ليلةً بعد ليلةٍ ... وقد عِشتُ دهراً لا أَعُدُّ اللّياليَا)
(أَراني إذا صَلّيتُ يمّمتُ نحوَها ... بوجْهي وإن كان المصلَّى ورائِيَا)
(وما بي إشراكٌ ولكنّ حبَّها ... كعُود الشجا أعيا الطبيبَ المُداوِيَا)
(أُحِبُّ من الأسماء ما وافق اسمَها ... وأشبَهه أو كان منه مُدَانِيَاي)
في هذه الأبيات هزج خفيف لمعان معزفي
صوت
(وخبّرتمانِي أنّ تيماءَ منزلٌ ... لليلي إذا ما الصيفُ ألقَى المراسيَا)
فهذي شهورُ الصيّف عنّي قد انقضَتْ ... فما للنّوى تَرمِي بليلَى المرامِيَا) في هذين البيتين لحن من الرمل صنعته عجوز عمير الباذغيسي على لحن إسحاق
... أمَاويَّ إنّ المالَ غادٍ ورائحُ)
وله حديث قد ذكر في أخبار إسحاق
وهذا اللحن إلى الآن يغنى لأنه أشهر في أيدي الناس وإنما هو لحن إسحاق أخذ فجعل على هذه الأبيات وكيد بذلك
صوت
(فلو كان واشٍ باليمامة بيتُه ... وداري بأعلَي حَضْرَمَوْتَ أهتدَي لِيَا)
(وماذا لهم لا أحسنَ اللهُ حالَهُمْ ... من الحظ في تَصْريم ليلى حِباليَا)
(فأنتِ التي إن شئتِ أشقَيتِ عِيشتي ... وإن شئتِ بعدَ اللهِ أنعمتِ باليَا)
(وأنتِ التي ما من صديقٍ ولا عِداً ... يرى نِضْوَ ما أبقيتِ إلا رَثَي لِيَا)
أمَضروبةٌ ليلى على أن أزورَها ... ومُتَّخَذٌ ذنباً لها أن تَرانيَا) ي)
(إذا سِرْتُ في الأرض الفضاءِ رأيتُني ... أُصانِعُ رَحْلي أن يَميلَ حِيَاليَا)
(يميناً إذا كانت يميناً وإن تكن ... شِمالاً يُنازِعْنِي الهوى عن شِمالِيَا)
(أُحِبُّ من الأسماء ما وافق اسمَها ... وأشبَهه أو كان منه مُدانيَا)
(هي السحرُ إلا أنّ للحسر رُقْيَةً ... وإنّيَ لا أُلْفِي لها الدهرَ راقِيَا)
وأنشد أبو نصر للمجنون وفيه غناء
صوت
(تكاد يدِي تَنْدَى إذا ما لمستُها ... وينبُتُ في أطرافها الورَقُ الخُضرُ)
(أبى القلبُ إلا حبَّها عامريَّةً ... لها كنيةٌ عمرو وليس لها عمرُو)
الغناء لعريب ثقيل أول وذكر الهشامي أن فيه لإسحاق خفيف ثقيل
المجنون بعد موت أبيه كنت سيفا لا تفل مضاربه
أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه
عن الهيثم بن عدي قال أنشدني جماعة من بني عقيل للمجنون يرثي أباه ومات قبل اختلاطه وتوحشه فعقر على قبره ورثاه بهذه الأبيات
(عقَرتُ على قبر الملوّح ناقتي ... بِذي السَّرْحِ لمّا أن جَفتْه أقاربُهْ)

(وقلتُ لها كوني عقيراً فإنّني ... غداةَ غدٍ ماشٍ وبالأمس راكبُهْ)
(فلا يُبعِدَنْكَ اللهُ يابنَ مزاحِمٍ ... وكلُّ امرىءٍ لِلْموتِ لا بدّ شاربُهْ)
(فقد كنتَ طَلاّعَ النِّجادِ ومُعْطِيَ الْجِياد ... وسيفاً لا تُفَلُّ مَضَارِبُهْ)
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الله بن شبيب عن الحزامي عن محمد بن معن قال بلغني أن رجلا من بني جعدة بن كعب كان أخا وخلا للمجنون مر به يوما وهو جالس يخط في الأرض ويعبث بالحصى فسلم عليه وجلس عنده فأقبل يخاطبه ويعظه ويسليه وهو ينظر إليه ويلعب بيده كما كان وهو مفكر قد غمره ما هو فيه فلما طال خطابه إياه قال يا أخي أما لكلامي جواب فقال له والله يا أخي ما علمت أنك تكلمني فاعذرني فإني كما ترى مذهوب العقل مشترك اللب وبكى ثم أنشأ يقول
صوت
(وشُغِلتُ عن فَهمِ الحديث سوى ... ما كان منكِ فإنه شُغْلي)
(وأُدِيمُ لَحْظَ مُحَدِّثي ليَرى ... أنْ قد فهمتُ وعندكم عَقْلِي)
الغناء لعلويه
وقال الهيثم مر المجنون بواد في أيام الربيع وحمامه يتجاوب فأنشأ يقول
صوت
ألا يا حَمَامَ الأيكِ ما لَكَ باكياً ... أفارقْتَ إلفاً أم جفاك حبيب)
(دعاكَ الهوى والشوقُ لما ترنَّمَتْ ... هَتُوفُ الضحى بين الغصون طَروبُ)
(تُجاوبُ وُرْقاً قد أذِنَّ لصوتها ... فكلٌّ لِكلّ مُسْعِدٌ ومُجيبُ)
الغناء لرذاذ ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى
وقال خالد بن حمل حدثني رجال من بني عامر أن زوج ليلى وأباها خرجا في أمر طرق الحي إلى مكة فأرسلت ليلى بأمة لها إلى المجنون فدعته فأقام عندها ليلة فأخرجته في السحر وقالت له سر إلي في كل ليلة ما دام القوم سفرا فكان يختلف إليها حتى قدموا
وقال فيها في آخر ليلة لقيها وودعته
(تمتّعْ بليلى إنما أنتَ هامةٌ ... من الهام يدنو كلَّ يومٍ حِمَامُها)
(تمتّعْ إلى أن يرجعَ الركبُ إنهم ... متى يرجعوا يَحْرُمْ عليكَ كلامُها)
مرض المجنون ولم تعده ليلى
وقال الهيثم مرض المجنون قبل أن يختلط فعاده قومه ونساؤهم ولم تعده ليلى فيمن عاده فقال
صوت
(ألا ما لِليلَى لا تُرَى عند مَضْجَعي ... بليلٍ ولا يَجْرِي بها لِيَ طائرُ)
(بلى إنّ عُجْمَ الطير تجري إذا جرَتْ ... بليلَى ولكن ليس للطيرِ زاجرُ)
((أحالَتْ عن العهد الذي كان بيننا ... بذي الرِّمْثِ أم قد غيّبتْها المقابرُ
الغناء لسليم ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشامي
(فوالله ما في القرب لي منكِ راحةٌ ... ولا البُعدُ يُسْلِيني ولا أنا صابرُ)
(ووالله ما أدري بأيّةِ حِيلةٍ ... وأيّ مَرامٍ أو خِطارٍ أُخاطِرُ)
(ووالله إنّ الدهرَ في ذات بيننا ... عليَّ لها في كلّ أمرٍ لجائرُ)
(فلوكنتِ إذا أزمعْتِ هَجْري تركتِني ... جميعَ القُوى والعقلُ منّيَ وافرُ)
(ولكنَّ أيامي بحَفْل عُنَيزَةٍ ... وذِي الرِّمثِ أيامٌ جناها التجاوُرُ)
(فقد أصبح الودُّ الذي كان بيننا ... أمانيَّ نفس إن تَخَبَّرَ خابرُ)
(لَعَمْري لقد أرْهَقْتِ يا أمَّ مالكٍ ... حياتي وساقَتْني إليكِ المقادرُ)
أخبرني عمي قال حدثني محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه قال حدثني بعض بني عقيل قال قيل للمجنون أي شيء رأيته أحب إليك قال ليلى قيل دع ليلى فقد عرفنا ما لها عندك ولكن سواها قال والله ما أعجبني شيء قط فذكرت ليلى إلا سقط من عيني وأذهب ذكرها بشاشته عندي غير أني رأيت ظبيا مرة فتأملته وذكرت ليلى فجعل يزداد في عيني حسنا ثم إنه عارضه ذئب وهرب منه فتبعته حتى خفيا عني فوجدت
الذئب قد صرعه وأكل بعضه فرميته بسهم فما أخطأت مقتله وبقرت بطنه فأخرجت ما أكل منه ثم جمعته إلى بقية شلوه ودفنته وأحرقت الذئب وقلت في ذلك
(أبى اللُّه أن تبقَى لحيّ بشاشةٌ ... فصبراً على ما شاءه اللُّه لي صبرَا)
(رأيتُ غزالاً يرتَعِي وَسْطَ روضةٍ ... فقلتُ أرَى ليلي تراءتْ لنا ظُهْرا)
(فيا ظبيُ كُلْ رَغْداً هنيئاً ولا تخفْ ... فإنكَ لي جارٌ ولا تَرْهَبِ الدهرا)
(وعندي لكم حِصنٌ حصينٌ وصارمٌ ... حُسَامٌ إذا أعملتُه أحسنَ الهَبْرا)
(فما راعني إلا وذئبٌ قدانتَحَى ... فأعلقَ في أحشائه النابَ والظُّفْرا)
(ففوّقتُ سهمي في كَتُوم غَمَزْتُها ... فخالط سهمي مُهجَةَ الذئبِ والنَّحْرَا)
(فأذهب غيظي قتلُه وشفى جوًى ... بقلبَي إن الحرَّ قد يُدرِكُ الوَتْرا)
قال أبو نصر بلغ المجنون قبل توحشه أن زوج ليلى ذكره وعضهه وسبه وقال أو بلغ من قدر قيس بن الملوح أن يدعي محبة ليلى وينوه باسمها فقال ليغيظه بذلك
(فإن كان فيكم بعلُ ليلى فإنّني ... وذي العرش قد قبّلتُ فاها ثمانيا)
((وأشهَدُ عند الله أنّي رأيتُها ... وعشرون منها أصبعا مِنْ وَرَائِيا
(أليس من البلوى التي لا شَوَى لها ... بأن زُوِّجتْ كلباً وما بُذِلتْ لِيا)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح عن ابن الكلبي قال خرج المجنون في عدة من قومه يريدون سفرا لهم فمروا في طريق يتشعب وجهتين إحداهما ينزلها رهط ليلى وفيها زيادة

مرحلة فسألهم أن يعدلوا معه إلى تلك الوجهة فأبوا فمضى وحده وقال
صوت
(أَأَتركُ ليلى ليس بيني وبينها ... سوَى ليلةٍ إني إذاً لَصَبُورُ)
(هَبُوني امرأً منكم أضلَّ بعيَره ... له ذِمَّةٌ إنّ الذِّمام كبيُر)
(وَللصَّاحبُ المتروكُ أعظمُ حرمةً ... على صاحبٍ مِنْ أن يَضِلَّ بعيُر)
(عفا اللهُ عن ليلَى الغداةَ فإنها ... إذا وَلِيَتْ حُكماً عليّ تَجُورُ)
الغناء لابن سريج خفيف رمل بالوسطى عن عمرو وفيه للغريض ثاني ثقيل بالوسطى عن حبش وفيه لابن المارقي خفيف ثقيل عن الهشامي وفيه لعلويه رمل بالبنصر
وذكر عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه أن المجنون كان ذات ليلة جالسا مع أصحاب له من بني عمه وهو وله يتلظى ويتململ وهم يعظونه
ويحادثونه حتى هتفت حمامة من سرحة كانت بإزائهم فوثب قائما وقال
صوت
(لقد غَرَّدَتْ في جنح ليلٍ حمامةٌ ... على إلفها تبكي وإني لنائمُ)
(كَذَبتُ وبيتِ اللهِ لو كنتُ عاشقاً ... لماَ سَبَقَتْني بالبكاء الحمائمُ)
ثم بكى حتى سقط على وجهه مغشيا عليه فما أفاق حتى حميت الشمس عليه من غد
الغناء في هذين البيتين لعبد الله بن ذحمان ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى
وذكر أبو نصر عن أصحابه أن رجلا مر بالمجنون وهو برمل يبرين يخطط فيه فوقف عليه متعجبا منه وكان لا يعرفه فقال له ما بك يا أخي فرفع رأسه إليه وأنشأ يقول
(بِي اليأسُ والداءُ الهُيَامُ أصابني ... فإيّاكَ عنّي لايكُنْ بكَ ما بِيَا)
(كَأنّ جفونَ العينِ تهمي دموعُها ... غداةَرأتْ أظعانَ ليلى غوادِيَا)
(غُروبٌ أمرَّتْها نواضحُ بُزَّلٌ ... على عَجَلٍ عُجْم يُروّينَ صادِيا)
وقال خالد بن جمل ذكر حماد الرواية أن نفرا من أهل اليمن مروا بالمجنون فوقفوا ينظرون إليه فأنشأ يقول
(ألا أيها الركبُ اليَمَانُونَ عرِّجوا ... علينا فقد أمسى هوانَا يمانِيَا
(نُسائِلْكُم هل سالَ نَعْمانُ بعدنا ... وحبَّ إلينا بطنُ نَعْمانَ وادِيَا)
يقول في هذه القصيدة
صوت
(ألا يا حَمَامَيْ قَصْرِ وَدّانَ هِجْتُما ... عليّ الهوَى لمَّا تغنَّيْتُما لِيَا)
(فأبكيتُماني وسْطَ صَحْبي ولم أكن ... أبالِي دُموعَ العينِ لو كنتُ خالِيَا)
غنى في هذين البيتين علويه غناء لم ينسب
(فواللهِ إنّي لا أُحِبُّ لغير أن ... تَحُلّ بها ليلى البِرَاقَ الأعَالِيَا)
(ألا يا خليلي حُبُّ لَيْلَى مُجشِّمِي ... حياضَ المنايا أو مُقِيدي الأعادِيَا)
(ويا أيُّها القُمريَّتان تَجاوَبَا ... بلَحْنيكما ثم اسجَعَا عَلّلاَ نِيا)
(فإن أنتما استَطْربتما وأردتُمَا ... لَحَاقاً بأطراف الغَضَى فاتْبعانِيَا)
نشيج العاشقين
قال أبو نصر وذكر خالد بن كلثوم أن زوج ليلى لما أراد الرحيل بها إلى بلده
بلغ المجنون أنه غاد بها فقال
صوت
(أمُزمِعةٌ للبين ليلَى ولم تَمُتْ ... كأنكَ عما قد أظلَّك غافِلُ)
(ستَعلم إن شطَّتْ بهم غُرْبَةُ النّوَى ... وزالوا بليلَى أنّ لُبَّك زائل)
الغناء للزبير بن دحمان ثقيل بالوسطى
قال أبو نصر قال خالد وحدثني جماعة من بني قشير أن المجنون سقم سقاما شديدا قبل اختلاطه حتى أشفى على الهلاك فدخل إليه أبوه يعلله فوجده ينشد هذه الأبيات ويبكي أحر بكاء وينشج أحر نشيج
(ألا أيُّها القلبُ الذي لَّج هائماً ... بليلَى وليداً لم يُقطّع تمائمُه)
(أَفِقْ قد أفاقَ العاشقون وقد أَنَي ... لحالكَ أن تلقَى طبيبا تلائمُه)
(فمالَكَ مسلوبَ العَزاء كأنّما ... تَرى نأيَ ليلَى مَغْرَماً أنت غارِمُه)
(أجِدَّكَ لا تُنسيكَ لَيْلَى مُلِمَّةٌ ... تُلِمُّ ولا يُنسيك عهدا تقادُمُه)
قال ووقف مستترا ينظر إلى أظعان ليلى وقد رحل بها زوجها وقومها فلما رآهم يرتحلون بكى وجزع فقال له أبوه ويحك إنما جئنا بك متخفيا ليتروح بعض ما بك بالنظر إليهم فإذا فعلت ما أرى عرفت وقد أهدر السلطان دمك إن مررت بهم فأمسك أو فانصرف فقال مالي سبيل إلى النظر إليهم يرتحلون وأنا ساكن غير جازع ولا باك فانصرف بنا فانصرف وهو يقول
صوت
(ذَدِ الدّمعَ حتى يظعَنَ الحيّ إنّما ... دموعُكَ إن فاضت عليكَ دليلُ)
(كأنَّ دموعَ العين يومَ تحمَّلوا ... جُمانٌ على جَيب القميص يسيلُ
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال أنشدني إسحاق بن محمد عن بعض أصحابه عن ابن الأعرابي للمجنون
صوت
(ألا ليتَ ليلَى أطفأتْ حَرَّ زَفْرَةٍ ... أُعالجها لا أستطيع لها رَدَّاَ)
(إذا الرّيحُ من نَحو الحِمَى نَسمَتْ لنا ... وجدتُ لمِسراها ومَنْسَمِها بَرْدَا)
(على كَبِد قد كاد يُبدي بها الهوَى ... نُدُوباً وبعضُ القوم يحسَبُني جَلْدَا)
هذا البيت الثالث خاصة يروى لابن هرمة في بعض قصائده وهو من المائة المختارة التي رواها إسحاق أوله
(... أفاطم إنّ النّأيَ يُسلي من الهَوى)

وقد أخرج في موضع آخر
غني في هذين البيتين عبد آل الهذلي ولحنه المختار على ما ذكره جحظة ثاني ثقيل وهما في هذه القصيدة
(وإنّي يَمانيُّ الهوى مَنجِدُ النَّوَى ... سبيلان ألقى من خلافهما جُهْدَا)
(سقى اللهُ نَجداً من رَبيعٍ وصَيِّفٍ ... وماذا يُرَجَّى من ربيع سقَى نَجْدَا)
(بلى إنّه قد كانَ للعيش قُرَّةً ... وللصَّحب والرُّكبان منزلةً حَمْدَا)
(أبَى القلبُ أن ينفكَّ من ذِكرِ نِسوةٍ ... رِقاقٍ ولم يُخلَقنَ شُؤْمَاً ولا نُكْدا)
((أيا شبهَ ليلَى لا تُراعِي فإنّني ... لكِ اليومَ من وَحْشيَّةٍ لَصَديقُ
(ويا شِبهَ ليلي لو تَلَبَّثتِ ساعةً ... لعلَّ فؤادي من جَوَاه يُفيقُ)
(تَفِرُّ وقد أطلقتُها من وَثَاقِها ... فأنتِ لليلى لو علِمْتِ طَلِيقُ)
قمرٌ توسَّط جنح ليلٍ مبردِ
وذكر أبو نصر عن جماعة من الرواة وذكر أبو مسلم ومحمد بن الحسن الأحولُ أن ابن الأعرابيّ أخبرهما أن نسوةً جلسن إلى المجنون فقلن له ما الذي دعاك إلى أن أحللتَ بنفسك ما ترى في هَوَى ليلى وإنما هي امرأة من النساء هل لك في أن تصرفَ هواك عنها إلى إحدانا فنُساعِفَكَ ونَجزيَكَ بهواكَ ويَرجِعَ إليك ما عَزَبَ من عقلك وجسمك فقال لهنّ لو قَدَرتُ على صرف الهوى عنها إليكنّ لصرفتهُ عنها وعن كلّ أحد بعدها وعِشتُ في الناس سويّاً مستريحاً فقلن له ما أعجبك منها فقال كلِ شيءٍ رأيتُه وشاهدتُه وسمعتُه منها أعجبني والله ما رأيتُ شيئاً منها قطّ إلا كان في عيني حَسَناً وبقلبي عَلِقاً ولقد جهدتُ أن يَقبُحَ منها عندي شيءٌ أو يَسمُجَ أو يُعاب لأسلُو عنها فلم أجده فقلن له فَصِفها لنا فأنشأ يقول
(بيضاءُ خالصةُ البياض كأنها ... قمرٌ توسّط جُنحَ ليلٍ مُبرَدِ)
(موسومةٌ بالحسنِ ذاتُ حواسدٍ ... إنَّ الجمالَ مظنّةٌ للحسَّد)
(وترى مدامعها ترقرقُ مقلةٍ ... سوداءَ ترغبُ عن سواد الأثمد)
(خودٌ إذا كثر الكلامُ تعوّذتْ ... بحِمى الحياء وإن تكلّم تقصِدِ)
((إذا رُحْنَ يَسحَبنَ الذُّيولَ عَشيّةً ... ويقتُلْنَ بالألحاظ أنفُسَنا عَمْداَ
(مَشَى عَيطَلاتٌ رُجَّحٌ بخصورها ... رَوادفُ وَعْثاتٌ تردُّ الخُطَا رَدَّا)
(وتَهتزُّ ليلَى العامريّةُ فوقَها ... ولاثتْ بسِبٍّ القَزّ ذا غُدُرٍ جَعْدَا)
(إذا حَرَّكَ المِدرَى ضَفَائرها العُلاَ ... مَجَجْنَ نَدَى الريحانِ والعنبرَ الوَرْدَا)
وأخبار الهذليين تذكر في غير هذا الموضع إن شاء الله لئلا تنقطع أخبار المجنون ولهما في المائة الصوت المختارة أغان تذكر أخبارها معا إن شاء الله
أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال ذكر الهيثم بن عدي وأخبرني محمد بن خلف بن المرزبان عن أحمد بن الهيثم عن العمري عن الهيثم بن عدي قال مر المجنون برجلين قد صادا ظبية فربطاها بحبل وذهبا بها فلما نظر إليها وهي تركض في حبالهما دمعت عيناه وقال لهما حلاها وخذا مكانها شاة من غنمي وقال ميمون في خبره وخذا مكانها قلوصا من إبلي فأعطاهما وحلاها فولت تعدو هاربة
وقال المجنون للرجلين حين رآها في حبالهما
(يا صاحِبيَّ اللّذَين اليومَ قد أخذا ... في الحبلِ شِبْهاً لليلى ثم غَلاَّها)
إني أرى اليوم في أعطاف شاتِكُما ... مشَابِهاً أشبهتْ ليلَى فَحُلاَّها قال وقال فيها وقد نظر إليها وهي تعدو أشد عدو) هاربة مذعورة
((إذا رُحْنَ يَسحَبنَ الذُّيولَ عَشيّةً ... ويقتُلْنَ بالألحاظ أنفُسَنا عَمْداَ
(مَشَى عَيطَلاتٌ رُجَّحٌ بخصورها ... رَوادفُ وَعْثاتٌ تردُّ الخُطَا رَدَّا)
(وتَهتزُّ ليلَى العامريّةُ فوقَها ... ولاثتْ بسِبٍّ القَزّ ذا غُدُرٍ جَعْدَا)
(إذا حَرَّكَ المِدرَى ضَفَائرها العُلاَ ... مَجَجْنَ نَدَى الريحانِ والعنبرَ الوَرْدَا)
وأخبار الهذليين تذكر في غير هذا الموضع إن شاء الله لئلا تنقطع أخبار المجنون ولهما في المائة الصوت المختارة أغان تذكر أخبارها معا إن شاء الله
أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال ذكر الهيثم بن عدي وأخبرني محمد بن خلف بن المرزبان عن أحمد بن الهيثم عن العمري عن الهيثم بن عدي قال مر المجنون برجلين قد صادا ظبية فربطاها بحبل وذهبا بها فلما نظر إليها وهي تركض في حبالهما دمعت عيناه وقال لهما حلاها وخذا مكانها شاة من غنمي وقال ميمون في خبره وخذا مكانها قلوصا من إبلي فأعطاهما وحلاها فولت تعدو هاربة
وقال المجنون للرجلين حين رآها في حبالهما
(يا صاحِبيَّ اللّذَين اليومَ قد أخذا ... في الحبلِ شِبْهاً لليلى ثم غَلاَّها)
إني أرى اليوم في أعطاف شاتِكُما ... مشَابِهاً أشبهتْ ليلَى فَحُلاَّها قال وقال فيها وقد نظر إليها وهي تعدو أشد عدو) هاربة مذعورة
قال ثم قال ابن الأعرابي هذا والله من حسن الكلام ومنقح الشعر وأنشد أبو نصر للمجنون أيضا وفيه غناء قال
(كأنّ فؤادي في مخالبِ طائرٍ ... إذا ذُكِرتْ ليلَى يَشدُّ بها قَبْضَا)
(كأنّ فِجَاجَ الأرض حَلْقة خاتَمٍ ... عليّ فما تزدادُ طولاً ولا عَرضَاَ)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا أبو مسلم عن القحذمي قال قال رجل من عشيرة المجنون له إني أريد الإلمام بحي ليلى فهل تودعني إليها شيئا فقال نعم قف بحيث تسمعك ثم قل صوت
(اللّهُ يعلمُ أنّ النفسَ هالكةٌ ... باليأس منكِ ولكنّي أُعنِّيها)
(مَنّيتُكِ النفسَ حتى قد أضرَّ بها ... واستيقَنَتْ خُلُفاً ممّا أُمنِّيها)
وساعةٌ منكِ أَلْهُوهَا وإن قَصُرتْ ... أشْهَى إليّ من الدنيا وما فيها) قال فمضى الرجل ولم يزل يرقب خلوة حتى وجدها فوقف عليها ثم قال لها يا ليلى لقد أحسن الذي يقول
اللّهُ يعلم أنّ النفسَ هالكةٌ ... باليأس مِنكِ ولكنيّ أُعنّيها) وأنشد الأبيات فبكت بكاء طويلا ثم قالت أبلغه السلام وقل له)

(نفسِي فداؤكَ لو نفسي ملكتُ إذاً ... ما كان غيرُك يَجْزيها ويُرضِيها)
صبراً على ما قضاه الله فيكَ على ... مرارةٍ في اصطباري عنكَ أخفِيها) قال فأبلغه الفتى البيتين وأخبره بحالها فبكى حتى سقط على وجهه مغشيا عليه ثم أفاق وهو يقول
(عَجِبتُ لعُروةَ العُذْريّ أضحى ... أحاديثاً لقومٍ بعدَ قومِ
(وعروةُ مات موتاً مُستَريحاً ... وها أنا ميّتٌ في كلّ يومِ)
أخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال أنشدنا أحمد بن يحيى ثعلب عن أبي نصر للمجنون
صوت
(أيا زينةَ الدنيا التي لا ينالهُا ... مُنايَ ولا يبدو لقلبي صريمُها)
(بعيني قَذاةٌ من هواكِ لَوَ انّها ... تَداوَى بمن تَهوَى لصحَّ سقيمها)
(وما صبَرت عن ذكرك النفسُ ساعةً ... وإن كنتُ أحياناً كثيرًا ألومها)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح عن ابن الكلبي قال سأل الملوح أبو المجنون رجلا قدم من الطائف أن يمر بالمجنون فيجلس إليه فيخبره أنه لقي ليلى وجلس إليها ووصف له صفات منها ومن كلامها يعرفها المجنون وقال له حدثه بها فإذا رأيته قد اشرأب لحديثك واشتهاه فعرفه أنك ذكرته لها ووصفت ما به فشتمته وسبته وقالت إنه يكذب عليها ويشهرها بفعله وإنها ما اجتمعت معه قط كما يصف ففعل الرجل ذلك وجاء إليه فأخبره بلقائه إياها فأقبل عليه وجعل يسائله عنها فيخبره بما أمره به الملوح فيزداد نشاطا ويثوب إليه عقله إلى أن أخبره بسبها إياها وشتمها له فقال وهو غير مكترث لما حكاه عنها
صوت
(تمرّ الصَّبَا صَفْحاً بساكِنِ ذِي الغَضَى ... ويَصدَعُ قلبي أن يَهُبَّ هُبُوبُها)
(إذا هبَّتِ الريحُ الشَّمَالُ فإنّما ... جوايَ بما تُهدِي إليّ جَنُوبُها)
(قريبةُ عهدٍ بالحبيب وإنما ... هَوَى كلّ نفسٍ حيثُ كان حبيبُها)
وحسبُ الليالي أن طَرَحْنَكَ مَطْرَحاً ... بدار قِلىً تُمسِي وأنتَ غَريبُها) حلال لليلى شتمنا وانتقصنا ... هنيئا ومغفورٌ) لليلى ذنوبها
ذكر أبو أيوب المديني أن الغناء في هذا الشعر لابن سريج ولم يذكر طريقته
وفيه لمتيم غناء ينسب
وذكر الهيثم بن عدي أن المجنون قال وفيه غناء
صوت
(كأن لم تكن ليلى تُزارُ بِذي الأَثْلِ ... وبالجِزْعِ من أجزاع وَدّانَ فالنخلِ)
((صديقٌ لنا فيما نَرَى غير أنها ... تَرى أن حبّي قد أحلّ لها قَتلي
تبكي وتقول أنا ليلى
أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي عن عثمان بن عمارة بن حريم عن أشياخ من بني مرة قالوا خرج منا رجل إلى ناحية الشام والحجاز وما يلي تيماء والسراة وأرض نجد في طلب بغية له فإذا هو بخيمة قد رفعت له وقد أصابه المطر فعدل إليها وتنحنح فإذا امرأة قد كلمته فقالت انزل فنزل
قال وراحت إبلهم وغنمهم فإذا أمر عظيم فقالت سلوا هذا الرجل من أين أقبل فقلت من ناحية تهامة ونجد فقالت ادخل أيها الرجل فدخلت إلى ناحية من الخيمة فأرخت بيني وبينها سترا ثم قالت لي يا عبد الله أي بلاد نجد وطئت فقلت كلها قالت فبمن نزلت هناك قلت ببني عامر فتنفست الصعداء ثم قالت فبأي بني عامر نزلت فقلت ببني الحريش فاستعبرت ثم قالت فهل سمعت بذكر فتى منهم يقال له قيس بن الملوح ويلقب بالمجنون قلت بلى والله وعلى أبيه نزلت وأتيته فنظرت إليه يهيم في تلك الفيافي ويكون مع الوحش لا يعقل ولا يفهم إلا أن تذكر له امرأة يقال لها ليلى فيبكي وينشد أشعارا قالها فيها
قال فرفعت الستر بيني وبينها فإذا فلقة قمر لم ترعيني مثلها فبكت حتى ظننت والله أن قلبها قد انصدع فقلت أيتها المرأة اتقي الله فما قلت بأسا فمكثت طويلا على تلك الحال من البكاء والنحيب ثم قالت
(ألا ليتَ شِعرِي والخُطُوبُ كثيرةٌ ... متى رَحْلُ قيسٍ مُستْقِلٌ فراجعُ)
(بنفسي مَنْ لا يستقلّ برَحْلِه ... ومَنْ هو إن لم يحفَظِ اللهُ ضائعُ)
ثم بكت حتى سقطت مغشيا عليها فقلت لها من أنت يا أمة الله وما قصتك قالت أنا ليلى صاحبته المشؤومة والله عليه غير المؤنسة له فما رأيت مثل حزنها ووجدها عليه قط
نهاية عاشق
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال ذكر الهيثم بن عدي عن عثمان بن عمارة وأخبرني عثمان عن الكراني عن العمري عن لقيط وحدثنا إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم قال ذكر الهيثم بن عدي عن عثمان بن عمارة وذكر أبو نصر أحمد بن حاتم صاحب الأصمعي وأبو مسلم المستملي عن ابن الأعرابي يزيد بعضهم على بعض
أن عثمان بن عمارة المري أخبرهم أن شيخا منهم من بني مرة حدثه أنه خرج إلى أرض بني عامر ليلقى المجنون قال فدللت على محلته فأتيتها فإذا أبوه شيخ كبير وإخوة له رجال وإذا نعم كثير وخير ظاهر فسألتهم عنه فاستعبروا جميعا وقال الشيخ والله لهو كان آثر في نفسي من هؤلاء وأحبهم إلي وإنه هوي امرأة من قومه والله ما كانت تطمع في مثله فلما أن فشا أمره وامرها كره أبوها أن يزوجها منه بعد ظهور الخبر فزوجها من غيره فذهب عقل ابني ولحقه خبل وهام في الفيافي وجدا عليها فحبسناه وقيدناه فجعل يعض لسانه وشفتيه حتى خفنا عليه أن يقطعها فخلينا سبيله فهو يهيم في هذه الفيافي مع الوحوش يذهب إليه كل يوم بطعامه فيوضع له حيث يراه فإذا تنحوا عنه جاء فأكل منه
قال فسألتهم أن يدلوني عليه فدلوني على فتى من الحي كان صديقا له وقالوا إنه لا يأنس إلا به ولا يأخذ أشعاره عنه غيره فأتيته فسألته أن يدلني عليه فقال إن كنت تريد شعره فكل شعر إلى أمس عندي وأنا ذاهب إليه غدا فإن كان قال شيئا أتيتك به فقلت بل أريد أن تدلني عليه لآتيه فقال
لي إنه إن نفر منك نفر مني فيذهب شعره فأبيت إلا أن يدلني عليه فقال اطلبه في هذه الصحارى فإذا رأيته فادن منه

مستأنسا ولا تره أنك تهابه فإنه يتهددك ويتوعدك أن يرميك بشيء فلا يروعنك واجلس صارفا بصرك عنه والحظه أحيانا فإذا رأيته قد سكن من نفاره فأنشده شعرا غزلا وإن كنت تروي من شعر قيس بن ذريح شيئا فأنشده إياه فإنه معجب به فخرجت فطلبته يومي إلى العصر فوجدته جالسا على رمل قد خط فيه بأصبعه خطوطا فدنوت منه غير منقبض فنفر مني نفور الوحش من الإنس وإلى جانبه أحجار فتناول حجرا فأعرضت عنه فمكث ساعة كأنه نافر يريد القيام فلما طال جلوسي سكن وأقبل يخط بأصبعه فأقبلت عليه وقلت أحسن والله قيس بن ذريح حيث يقول

(ألا يا غرابَ البين ويحك نبِّني ... بعلمك في لُبنى وأنت خبيرُ)

(فإن أنتَ لم تُخبر بشيءٍ علمته ... فلا طِرْتَ إلا والجناحُ كسيرُ)

ودُرْتَ بأعداد حبيبك فيهمُ ... كما قد تَراني بالحبيب أدورُ) فأقبل علي وهو يبكي فقال أحسن والله وأنا أحسن منه قولا حيث أقول

(كأنّ القلبَ ليلةَ قِيلَ يغُدَى ... بليلى العامريَّةِ أو يُراحُ)

قطاةٌ عزّها شَرَكٌ فباتت ... تُجاذِبه وقد عَلِقَ الجناحُ) فأمسكت عنه هنيهة ثم أقبلت عليه فقلت وأحسن والله قيس بن ذريح حيث يقول

(وإني لَمُفْنٍ دمعَ عَيْنَيَّ بالبكا ... حِذَاراً لِمَا قد كان أو هو كائنُ)

((وقالوا غداً أو بعد ذاكَ بليلةٍ ... فراقُ حبيبٍ لم يَبِن وهو بائنُ

وما كنتُ أخشى أن تكونَ منيّتي ... بكفّيكِ إلا أن مَنْ حَانَ حَائِنُ) قال فبكى والله حتى ظننت أن نفسه قد فاضت وقد رأيت دموعه قد بلت الرمل الذي بين يديه ثم قال أحسن لعمر الله وأنا والله أشعر منه حيث أقول

صوت

(وأدْنيتِني حتى إذا ما سَبَيْتِني ... بقولٍ يُحِلُ العُصْمَ سَهْلَ الأباطِحِ)

(تناءيْتِ عنّي حِينَ لا لِي حيلةٌ ... وخلّفتِ ما خلّفتِ بين الجوانح)

ويروى وغادرت ما غادرت ثم سنحت له ظبية فوثب يعدو خلفها حتى غاب عني وانصرفت وعدت من غد فطلبته فلم أجده وجاءت امرأة كانت تصنع له طعامه إلى الطعام فوجدته بحاله فلما كان في اليوم الثالث غدوت وجاء أهله معي فطلبناه يومنا فلم نجده وغدونا في اليوم الرابع نستقري أثره حتى وجدناه في واد كثير الحجارة خشن وهو ميت بين تلك الحجارة فاحتمله أهله فغسلوه وكفنوه ودفنوه

ما علمنا أن الأمر يبلغ كل هذا

قال الهيثم فحدثني جماعة من بني عامر أنه لم تبق فتاة من بني جعدة ولا بني الحريش إلا خرجت حاسرة صارخة عليه تندبه واجتمع فتيان الحي يبكون عليه أحر بكاء وينشجون عليه أشد نشيج وحضرهم حي ليلى معزين وأبوها معهم فكان أشد القوم جزعا وبكاء عليه وجعل يقول ما علمنا أن الأمر يبلغ كل

هذا ولكني كنت امرأ عربيا أخاف من العار وقبح الأحدوثة ما يخافه مثلي فزوجتها وخرجت عن يدي ولو علمت أن أمره يجري على هذا ما أخرجتها عن يده ولا احتملت ما كان علي في ذلك قال فما رئي يوم كان أكثر باكية وباكيا على ميت من يومئذ

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

منها الصوت الذي أوله

(ألاَ يا غرابَ البين ويحكَ نَبِّني ... بعِلمكَ في لُبْنَى وأنتَ خبيرُ)

الغناء لابن محرز ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي وذكر إبراهيم أن فيه لحنا لحكم

وفي رواية ابن الأعرابي أنه أنشده مكان

(ألاَ يا غرابَ البين ويحكَ نَبِّني ... بعلمكَ في لُبنَى وأنتَ خبيرُ)

صوت

(ألاَ يا غرابَ البين هل أنتَ مُخْبِري ... بخيرٍ كما خَبَّرْتَ بالنأي والشَّرِّ)

(وخبَّرتَ أن قد جَدّ بَيْنٌ وقرَّبُوا ... جِمالاً لبينٍ مُثْقَلاتٍ من الغَدْرِ)

(وهِجتَ قذَى عينٍ بلُبنى مريضةٍ ... إذا ذُكِرَتْ فاضتْ مدامعها تجري)

(وقلتَ كذاكَ الدهرُ ما زال فاجعاً ... صدقتَ وهل شيءٌ بباقٍ على الدهرِ)

الشعر لقيس بن ذريح والغناء لابن جامع ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق

وفيه لبحر ثقيل أول بالوسطى عن عمرو

وفيه لدحمان ثاني ثقيل عن الهشامي وعبد الله بن موسى

ومنها صوت الذي أوله

(كأنّ القلبَ ليلةَ قِيلَ يُغْدَى ... بليلى العامريّةِ أو يُرَاحُ)

ومنها الصوت الذي أوله

وأدنيتِني حتى إذا ما سبيتِني ... بقولٍ يُحلّ العُصْمَ سهلَ الأباطِحِ) الغناء لإبراهيم خفيف ثقيل بالوسطى عن الهشامي

أخبرنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثنا الفضل الربعي عن محمد بن حبيب قال

لما مات مجنون بني عامر وجد في أرض خشنة بين حجارة سود فحضر أهله وحضر معهم أبو ليلى المرأة التي كان يهواها وهو متذمم من أهله فلما رآه ميتا بكى واسترجع وعلم أنه قد شرك في هلاكه فبينما هم يقلبونه إذ وجدوا خرقة فيها مكتوب

(ألاَ أيها الشيخُ الذي ما بنا يرضَى ... شَقِيتَ ولا هُنِّيتَ من عَيشِكَ الغَضّا)

(شَقِيت كما أشقيتَني وتركتَني ... أهِيمُ مع الهُلاّكِ لا أطْعَمُ الغَمْضَا)

صوت

(كأنّ فؤادي في مخالبِ طائرٍ ... إذا ذُكِرَتْ ليلَى يَشُدُّ بها قَبْضَا)

(كأن فِجاجَ الأرضِ حَلْقَةُ خاتَمٍ ... عليّ فما تزدادُ طُولاً ولا عَرْضا)

في هذين البيتين رمل ينسب إلى سليم وإلى ابن محرز وذكر حبش والهشامي أنه لإسحاق

أخبرني محمد بن خلف قال حدثني أبو سعيد السكري عن محمد ابن
حبيب قال حدثني بعض القشيريين عن أبيه قال
مررت بالمجنون وهو مشرف على واد في أيام الربيع وذاك قبل أن يختلط وهو يتغنى بشعر لم أفهمه فصحت به يا قيس أما تشغلك ليلى عن الغناء والطرب فتنفس تنفسا ظننت أن حيازيمه قد انقدت ثم قال
صوت
(وما أُشرفُ الأيْفاعَ إلا صبابَةً ... ولا أُنشِدُ الأشعارَ إلا تداويا)
(وقد يجمعُ اللهُ الشتيتَين بعدما ... يظنّان جهدَ الظنّ أن لا تلاقِيا)
(لحى اللهُ أقواماً يقولون إنّني ... وجدتُ طَوَالَ الدّهرِ للحبّ شافِيا)
والتقى القيسان ابن الملوح وابن ذريح
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا إسماعيل بن أبي أويس قال اجتاز قيس بن ذريح بالمجنون وهو جالس وحده في نادي قومه وكان كل واحد منهما مشتاقا إلى لقاء الآخر وكان المجنون قبل توحشه لا يجلس إلا منفردا ولا يحدث أحدا ولا يرد على متكلم جوابا ولا على مسلم سلاما فسلم عليه قيس بن ذريح فلم يرد عليه السلام فقال له يا أخي أنا قيس بن ذريح فوثب إليه فعانقه وقال مرحبا بك يا أخي أنا والله مذهوب بي مشترك اللب فلا تلمني فتحدثا ساعة وتشاكيا وبكيا ثم قال له المجنون يا أخي إن حي ليلى منا قريب فهل لك أن تمضي إليها فتبلغها عني السلام فقال له أفعل
فمضى قيس بن ذريح حتى أتى ليلى فسلم وانتسب فقالت له حياك الله ألك
حاجة قال نعم ابن عمك أرسلني إليك بالسلام فأطرقت ثم قالت ما كنت أهلا للتحية لو علمت أنك رسوله قل له عني أرأيت قولك
(أبتْ ليلةُ بالغَيلِ يا أمّ مالكٍ ... لكم غيرَ حب صادقٍ ليس يكذبُ)
(ألا إنما أبقيتِ يا أمَّ مالكٍ ... صدىً أينما تذهبْ به الريحُ يذهبِ)
أخبرني عن ليلة الغيل أي ليلة هي وهل خلوت معك في الغيل أو غيره ليلا أو نهارا فقال لها قيس يا ابنة عم إن الناس تأولوا كلامه على غير ما أراد فلا تكوني مثلهم إنما أخبر أنه رآك ليلة الغيل فذهبت بقلبه لا أنه عناك بسوء قال فأطرقت طويلا ودموعها تجري وهي تكفكفها ثم انتحبت حتى قلت تقطعت حيازيمها ثم قالت اقرأ على ابن عمي السلام وقل له بنفسي أنت والله إن وجدي بك لفوق ما تجد ولكن لا حيلة لي فيك فانصرف قيس إليه ليخبره فلم يجده
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني عمي عن ابن الصباح عن ابن الكلبي عن أبيه قال مر المجنون بعد اختلاطه بليلى وهي تمشي في ظاهر البيوت بعد فقد لها طويل فلما رآها بكى حتى سقط على وجهه مغشيا عليه فانصرفت خوفا من أهلها أن يلقوها عنده فمكث كذلك مليا ثم أفاق وأنشأ يقول
(بكى فرحاً بليلى إذ رآها ... محبٌّ لا يرى حَسَنَاً سواها)
((لقد ظفِرَتْ يداه ونال مُلكاً ... لئن كانتْ تراه كما يراها
الغناء لابن المكي رمل بالبنصر
وفيه لعريب ثقيل أول عن الهشامي
وفيه خفيف رمل ليزيد حوراء وقد نسب لحنه إلى ابن المكي ولحن ابن المكي إليه
صوت
من المائة المختارة من رواية علي بن يحيى
(رُبَّ ركبٍ قد أناخوا عندنا ... يشربون الخمرَ بالماء الزّلالِ)
(عَصَفَ الدّهرُ بهم فانقرضوا ... وكذاكَ الدهرُ حالاً بعد حالِ)
الشعر لعدي بن زيد العبادي والغناء لابن محرز ولحنه المختار خفيف رمل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق وفيه خفيف رمل آخر بالبنصر ابتداؤه نشيد ذكر عمرو بن بانة أنه لابن طنبورة وذكر أحمد بن المكي أنه لأبيه
وهذه الأبيات قالها عدي بن زيد العبادي على سبيل الموعظة للنعمان بن المنذر فيقال إنها كانت سبب دخوله في النصرانية
حدثني بذلك أحمد بن عمران المؤدب قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن عمرو قال حدثني علي بن الصباح عن ابن الكلبي قال خرج النعمان بن المنذر إلى الصيد ومعه عدي بن زيد فمروا بشجرة فقال له عدي بن زيد أيها الملك أتدري ما تقول هذه الشجرة قال
لا قال تقول
(رُبَّ ركبٍ قد أناخوا عندنا ... يشربون الخمرَ بالماء الزُّلالِ)
عصفَ الدهْرُ بهم فانقرضوا ... وكذاكَ الدهرُ حالاً بعد حالِ) قال ثم جاوز الشجرة فمر بمقبرة فقال له عدي أيها الملك) أتدري ما تقول هذه المقبرة قال لا قال تقول
(أيها الركبُ المُخبُونَ ... على الأرضِ المُجِدّون)
فكما أنتم كُنّا ... وكما نحن تكونونَ) فقال له النعمان إن الشجرة والمقبرة لا يتكلمان وقد علمت أنك إنما أردت عظتي) فما السبيل التي تدرك بها النجاة قال تدع عبادة الأوثان وتعبد الله وتدين بدين المسيح عيسى بن مريم قال أوفي هذا النجاة قال نعم فتنصر يومئذ وقد قيل إن هذه القصة كانت لعدي مع النعمان الأكبر بن المنذر وإن النعمان الذي قتله هو ابن المنذر بن النعمان الأكبر الذي تنصر
وخبر هذا يأتي مع أحاديث عدي
ذكر عدى بن زيد ونسبه وقصته ومقتله
هو عدي بن زيد بن حماد بن زيد بن أيوب بن محروف بن عامر بن عصية بن امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار
وكان أيوب هذا فيما زعم ابن الأعرابي أول من سمي من العرب أيوب شاعر فصيح من شعراء الجاهلية وكان نصرانيا وكذلك كان أبوه وأمه وأهله وليس ممن يعد في الفحول وهو قروي
وكانوا قد أخذوا عليه أشياء عيب فيها

وكان الأصمعي وأبو عبيدة يقولان عدي بن زيد في الشعراء بمنزلة سهيل في النجوم يعارضها ولا يجري معها مجراها
وكذلك عندهم أمية بن أبي الصلت ومثلهما كان عندهم من الإسلاميين الكميت والطرماح قال العجاج كانا يسألاني عن الغريب فأخبرهما به ثم أراه في شعرهما وقد وضعاه
في غير مواضعه فقيل له ولم ذاك قال لأنهما قرويان يصفان ما لم يريا فيضعانه في غير موضعه وأنا بدوي أصف ما رأيت فأضعه في مواضعه
وكذلك عندهم عدي وأمية

آل عدي في الحيرة

قال ابن الأعرابي فيما أخبرني به علي بن سليمان الأخفش عن السكري عن محمد بن حبيب عنه وعن هشام بن الكلبي عن أبيه قال سبب نزول آل عدي بن زيد الحيرة أن جده أيوب بن محروف كان منزله اليمامة في بني امرىء القيس بن زيد مناة فأصاب دما في قومه فهرب فلحق بلبن قلام أحد بني الحارث بن كعب بالحيرة
وكان بين أيوب بن محروف وبين أوس بن قلام هذا نسب من قبل النساء فلما قدم عليه أيوب بن محروف أكرمه وأنزله في داره فمكث معه ما شاء الله أن يمكث ثم أن أوسا قال له يا بن خال أتريد المقام عندي وفي داري فقال له أيوب نعم فقد علمت أني أن أتيت قومي وقد أصبت فيهم دما لم أسلم وما لي دار إلا دارك آخر الدهر قال أوس إني إن قد كبرت وأنا خائف أن أموت فلا يعرف ولدي لك من الحق مثل ما أعرف وأخشى أن يقع بينك وبينهم أمر يقطعون فيه الرحم فانظر أحب مكان في الحيرة إليك فأعلمني به لأقطعكه أو أبتاعه لك قال وكان لأيوب صديق في الجانب الشرقي من الحيرة وكان منزل أوس في الجانب الغربي فقال له قد أحببت أن يكون
المنزل الذي تسكننيه عند منزل عصام بن عبدة أحد بني الحارث بن كعب فابتاع له موضع داره بثلثمائة أوقية من الذهب وأنفق عليها مائتي أوقية ذهب وأعطاه مائتين من الإبل برعائها وفرسا وقينة فمكث في منزل أوس حتى هلك ثم تحول إلى داره التي في شرقي الحيرة فهلك بها
وقد كان أيوب اتصل قبل مهلكه بالملوك الذين كانوا بالحيرة وعرفوا حقه وحق ابنه زيد بن أيوب وثبت أيوب فلم يكن منهم ملك يملك إلا ولولد أيوب منه جوائز وحملان

مقتل زيد بن أيوب

ثم إن زيد بن أيوب نكح امرأة من آل قلام فولدت له حمادا فخرج زيد بن أيوب يوما من الأيام يريد الصيد في ناس من أهل الحيرة وهم منتدون بحفير المكان الذي يذكره عدي بن زيد في شعره فانفرد في الصيد وتباعد من أصحابه فلقيه رجل من بني امرىء القيس الذين كان لهم الثأر قبل أبيه فقال له وقد عرف فيه شبه أيوب ممن الرجل قال من بني تميم قال من أيهم قال مرئي قال له الأعرابي وأين منزلك قال الحيرة قال أمن بني أيوب أنت قال نعم ومن أين تعرف بني أيوب واستوحش من الأعرابي وذكر الثأر الذي هرب أبوه منه فقال له سمعت بهم ولم يعلمه أنه قد عرفه فقال له زيد بن أيوب فمن أي العرب أنت قال أنا امرؤ من طيىء فأمنه زيد وسكت عنه ثم إن الأعرابي اغتفل زيد بن أيوب فرماه بسهم فوضعه بين كتفيه ففلق قلبه فلم يرم حافر دابته حتى مات فلبث أصحاب زيد حتى إذا كان الليل طلبوه وقد افتقدوه وظنوا أنه قد أمعن في طلب الصيد فباتوا يطلبونه حتى يئسوا منه ثم غدوا في طلبه فاقتفوا أثره حتى وقفوا عليه ورأوا معه أثر راكب يسايره فاتبعوا الأثر حتى وجدوه قتيلا فعرفوا أن صاحب الراحلة قتله فاتبعوه وأغذوا السير فأدركوه مساء الليلة الثانية فصاحوا
به وكان من أرمى الناس فامتنع منهم بالنبل حتى حال الليل بينهم وبينه وقد أصاب رجلا منهم في مرجع كتفيه بسهم فلما أجنه الليل مات وأفلت الرامي فرجعوا وقد قتل زيد بن أيوب ورجلا آخر معه من بني الحارث بن كعب فمكث حماد في أخواله حتى أيفع ولحق بالوصفاء فخرج يوما من الأيام يلعب مع غلمان بني لحيان فلطم اللحياني عين حماد فشجه حماد فخرج أبو اللحياني فضرب حمادا فأتى حماد أمه يبكي فقالت له ما شأنك فقال ضربني فلان لأن ابنه لطمني فشججته فجزعت من ذلك وحولته إلى دار زيد بن أيوب وعلمته الكتابة في دار أبيه فكان حماد أول من كتب من بنى أيوب فخرج من أكتب الناس وطلب حتى صار كاتب الملك النعمان الأكبر فلبث كاتبا له حتى ولد له ابن من امرأة تزوجها من طيىء فسماه زيدا باسم أبيه وكان لحماد صديق من الدهاقين العظماء يقال له فروخ ماهان وكان محسنا إلى حماد فلما حضرت حمادا الوفاة أوصى بابنه زيد إلى الدهقان وكان من المرازبة فأخذه الدهقان إليه فكان عنده مع ولده وكان زيد قد حذق الكتابة والعربية قبل أن يأخذه الدهقان فعلمه لما أخذه الفارسية فلقنها وكان لبيبا فأشار الدهقان على كسرى أن يجعله على البريد في حوائجه ولم يكن كسرى يفعل ذلك إلا بأولاد المرازبة فمكث يتولى ذلك لكسرى زمانا ثم إن النعمان النصري اللخمي هلك فاختلف أهل الحيرة فيمن يملكونه إلى أن يعقد كسرى الأمر لرجل ينصبه فأشار عليهم المرزبان
بزيد بن حماد فكان على الحيرة إلى أن ملك كسرى المنذر بن ماء السماء ونكح زيد بن حماد نعمة بنت ثعلبة العدوية فولدت له عديا وملك المنذر وكان لا يعصيه في شيء وولد للمرزبان ابن فسماه شاهان مرد
فلما تحرك عدي بن زيد وأيفع طرحه أبوه في الكتاب حتى إذا حذق أرسله المرزبان مع ابنه شاهان مرد إلى كتاب الفارسية فكان يختلف مع ابنه ويتعلم الكتابة والكلام بالفارسية حتى خرج من أفهم الناس بها وأفصحهم بالعربية وقال الشعر وتعلم الرمي بالنشاب فخرج من الأساورة الرماة وتعلم لعب العجم على الخيل بالصوالجة وغيرها
ثم إن المرزبان وفد على كسرى ومعه ابنه شاهان مرد فبينما هما واقفان بين يديه إذ سقط طائران على السور فتطاعما كما يتطاعم الذكر والأنثى فجعل كل واحد منقاره في منقار الآخر فغضب كسرى من ذلك ولحقته غيرة فقال للمرزبان وابنه ليرم كل واحد منكما واحدا من هذين الطائرين فإن قتلتماهما أدخلتكما بيت المال وملأت أفواهكما بالجوهر ومن أخطأ منكما عاقبته فاعتمد كل واحد منهما طائرا منهما ورميا فقتلاهما جميعا فبعثهما إلى بيت المال فملئت أفواههما جوهرا وأثبت شاهان مرد وسائر أولاد المرزبان في صحابته فقال فروخ ماهان عند ذلك للملك

عدي كاتب كسرى وموفده إلى ملك الروم

إن عندي غلاما من العرب مات أبوه وخلفه في حجري فربيته فهو أفصح الناس وأكتبهم بالعربية والفارسية والملك محتاج إلى مثله فإن رأى أن يثبته في ولدي فعل فقال ادعه فأرسل إلى عدي بن زيد وكان جميل الوجه فائق الحسن وكانت الفرس تتبرك بالجميل الوجه فلما كلمه وجده أظرف الناس وأحضرهم جوابا فرغب فيه وأثبته مع ولد المرزبان فكان عدي أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى فرغب أهل الحيرة إلى عدي ورهبوه فلم يزل بالمدائن في ديوان كسرى يؤذن له

عليه في الخاصة وهو معجب به قريب منه وأبوه زيد بن حماد يومئذ حي إلا أن ذكر عدي قد ارتفع وخمل ذكر أبيه فكان عدي إذا دخل على المنذر قام جميع من عنده حتى يعقد عدي فعلا له بذاك صيت عظيم فكان إذا أراد المقام بالحيرة في منزله ومع أبيه وأهله استأذن كسرى فأقام فيهم الشهر والشهرين وأكثر وأقل ثم إن كسرى أرسل عدي بن زيد إلى ملك الروم بهدية من طرف ما عنده فلما أتاه عدي بها أكرمه وحمله إلى عماله على البريد ليريه سعة أرضه وعظيم ملكه وكذلك كانوا يصنعون فمن ثم وقع عدي بدمشق وقال فيها الشعر
فكان مما قاله بالشأم وهي أول شعر قاله فيما ذكر
(رُبَّ دارٍ بأسفلِ الجِزْعِ مِنْ دُومَةَ ... أشْهَى إليّ مِنْ جَيْرُون)
((ونَدامَى لا يَفرحونَ بما نالُوا ... ولا يرهَبُونَ صَرْفَ المَنُونِ
قد سُقِيتُ الشَّمُولَ في دارِ بِشْرٍ ... قَهْوَةً مُرَّةً بماء سَخِينِ) ثم كان أول ما قاله بعدها قوله)
(لمِنِ الدارُ تعفَّتْ بخِيَمْ ... أصبحَتْ غيَّرها طولُ القِدَمْ)
(ما تَبِينُ العينُ من آياتها ... غيرَ نُؤْيٍ مثلِ خطٍّ بالقَلَمْ)
(صالحا قد لفَّها فاستوسقَتْ ... لفَّ بازيٍّ حَمَاماً في سَلَمْ)
قال وفسد أمر الحيرة وعدي بدمشق حتى أصلح أبوه بينهم لأن أهل الحيرة حين كان عليهم المنذر أرادوا قتله لأنه كان لا يعدل فيهم وكان يأخذ من
أموالهم ما يعجبه فلما تيقن أن أهل الحيرة قد أجمعوا على قتله بعث إلى زيد بن حماد بن زيد بن أيوب وكان قبله على الحيرة فقال له يا زيد أنت خليفة أبي وقد بلغني ما أجمع عليه أهل الحيرة فلا حاجة لي في ملككم دونكموه ملكوه من شئتم فقال له زيد إن الأمر ليس إلي ولكني أسبر لك هذا الأمر ولا آلوك نصحا فلما أصبح غدا إليه الناس فحيوه تحية الملك وقالوا له ألا تبعث إلى عبدك الظالم يعنون المنذر فتريح منه رعيتك فقال لهم أولا خير من ذلك قالوا أشر علينا قال تدعونه على حاله فإنه من أهل بيت ملك وأنا آتيه فأخبره أن أهل الحيرة قد اختاروا رجلا يكون أمر الحيرة إليه إلا أن يكون غزو أو قتال فلك اسم الملك وليس إليك سوى ذلك من الأمور قالوا رأيك أفضل
فأتى المنذر فأخبره بما قالوا فقبل ذلك وفرح وقال إن لك يا زيد علي نعمة لا أكفرها ما عرفت حق سبد وسبد صنم كان لأهل الحيرة فولى أهل الحيرة زيدا على كل شيء سوى اسم الملك فإنهم أقروه للمنذر وفي ذلك يقول عدي
(نحن كنّا قد عِلِمْتُمْ قبلَكُمْ ... عَمَدَ البيتِ وأوتادَ الإصَارِ)
قال ثم هلك زيد وابنه عدي يومئذ بالشأم وكانت لزيد ألف ناقة الحمالات كان أهل الحيرة أعطوه إياها حين ولوه ما ولوه فلما هلك أرادوا أخذها فبلغ ذلك المنذر فقال لا واللات والعزى لا يؤخذ مما كان في يد زيد ثفروق وأنا أسمع الصوت
ففي ذلك يقول عدي بن زيد لابنه النعمان بن المنذر
((وأبوكَ المرءُ لم يُشْنَأْ به ... يومَ سِيمَ الخَسْفَ منّا ذو الخَسَارِ
قال ثم إن عديا قدم المدائن على كسرى بهدية قيصر فصادف أباه والمرزبان الذي رباه قد هلكا جميعا فاستأذن كسرى في الإلمام بالحيرة فأذن له فتوجه إليها وبلغ المنذر خبره فخرج فتلقاه في الناس ورجع معه
وعدي أنبل أهل الحيرة في أنفسهم ولو أراد أن يملكوه لملكوه ولكنه كان يؤثر الصيد واللهو واللعب على الملك فمكث سنين يبدو في فصلي السنة فيقيم في جفير ويشتو بالحيرة ويأتي المدائن في خلال ذلك فيخدم كسرى فمكث كذلك سنين وكان لا يؤثر على بلاد بني يربوع مبدى من مبادي العرب ولا ينزل في حي من أحياء بني تميم غيرهم وكان أخلاؤه من العرب كلهم بني جعفر وكانت إبله في بلاد بني ضبة وبلاد بني سعد و كذلك كان أبوه يفعل لا يجاوز هذين الحيين بإبله ولم يزل على حاله تلك حتى تزوج هند بنت النعمان بن المنذر وهي يومئذ جارية حين بلغت أو كادت وخبره يذكر في تزويجها بعد هذا
قال ابن حبيب وذكر هشام بن الكلبي عن إسحاق بن الجصاص وحماد
الراوية وأبي محمد بن السائب قال كان لعدي بن زيد أخوان أحدهما اسمه عمار ولقبه أبي والآخر اسمه عمرو ولقبه سمي وكان لهم أخ من أمهم يقال له عدي بن حنظلة من طيىء وكان أبي يكون عند كسرى وكانوا أهل بيت نصارى يكونون مع الأكاسرة ولهم معهم أكل وناحية يقطعونهم القطائع ويجزلون صلاتهم
وكان المنذر لما ملك جعل ابنه النعمان بن المنذر في حجر عدي بن زيد فهم الذين أرضعوه وربوه وكان للمنذر ابن آخر يقال له الأسود أمه مارية بنت الحارث بن جلهم من تيم الرباب فأرضعه ورباه قوم من أهل الحيرة يقال لهم بنو مر ينا ينتسبون إلى لخم وكانوا أشرافا
وكان للمنذر سوى هذين من الولد عشرة وكان ولده يقال لهم الأشاهب من جمالهم فذلك قول أعشى بن قيس بن ثعلبة
(وبنو المنذر الأشاهب في الحِيْرَة ...يمشونَ غُدْوَةً كالسيوفِ)
دهاء عدي وسعيه في ولاية النعمان
وكان النعمان من بينهم أحمر أبرش قصيرا وأمه سلمى بنت وائل بن عطية الصائغ من أهل فدك فلما احتضر المنذر وخلف أولاده العشرة وقيل بل كانوا ثلاثة عشر أوصى بهم إلى إياس بن قبيصة الطائي وملكه على الحيرة إلى
أن يرى كسرى رأيه فمكث مملكا عليها أشهرا وكسرى في طلب رجل يملكه عليهم وهو كسرى بن هرمز فلم يجد أحدا يرضاه فضجر فقال لأبعثن إلى الحيرة اثني عشر الفا من الأساورة ولأملكن عليهم رجلا من الفرس ولآمرنهم أن ينزلوا على العرب في دورهم ويملكوا عليهم أموالهم ونساءهم وكان عدي بن زيد واقفا بين يديه فأقبل عليه وقال ويحك يا عدي من بقي من آل المنذر وهل فيهم أحد فيه خير فقال نعم أيها الملك السعيد إن في ولد المنذر لبقية وفيهم كلهم خير فقال ابعث إليهم فأحضرهم فبعث عدي إليهم فأحضرهم وأنزلهم جميعا عنده ويقال بل شخص عدي بن زيد إلى الحيرة حتى خاطبهم بما أراد وأوصاهم ثم قدم بهم على كسرى قال فلما نزلوا على عدي بن زيد أرسل إلى النعمان لست أملك غيرك فلا يوحشنك ما أفضل به إخوتك عليك من الكرامة فإني إنما أغترهم بذلك ثم كان يفضل إخوته جميعا عليه في النزل والإكرام والملازمة ويريهم تنقصا للنعمان وأنه غير طامع في تمام أمر على يده وجعل يخلو بهم رجلا رجلا فيقول أذا أدخلتكم على الملك فالبسوا أفخر ثيابكم وأجملها وإذا دعا لكم بالطعام لتأكلوا فتباطؤوا في الأكل وصغروا اللقم ونزروا ما تأكلون فأذا قال لكم أتكفونني العرب فقولوا نعم فإذا قال لكم فإن شذ أحدكم عن الطاعة وأفسد أتكفوننيه فقولوا لا إن بعضنا لا يقدر على بعض ليهابكم ولا يطمع في تفرقكم ويعلم أن للعرب منعة وبأسا فقبلوا منه وخلا بالنعمان فقال

له البس ثياب السفر وادخل متقلدا بسيفك وإذا جلست للأكل فعظم اللقم وأسرع المضغ والبلع وزد في الأكل وتجوع قبل ذلك فإن كسرى يعجبه كثرة الأكل من العرب خاصة ويرى أنه لا خير في العربي إذا لم يكن أكولا شرها ولا سيما إذا رأى غير طعامه وما لا عهد له بمثله وإذا سألك هل تكفيني العرب فقل نعم فإذا قال لك فمن لي بإخوتك فقل له إن عجزت عنهم فإني عن غيرهم لأعجز قال وخلا ابن مرينا بالأسود فسأله عما أوصاه به
عدي فأخبره فقال غشك والصليب والمعمودية وما نصحك ولئن أطعتني لتخالفن كل ما أمرك به ولتملكن ولئن عصيتني ليملكن النعمان ولا يغرنك ما أراكه من الإكرام والتفضيل على النعمان فإن ذلك دهاء فيه ومكر وإن هذه المعَدِّية لا تخلو من مكر وحيلة فقال له إن عدياً لم يألُني نصحاً وهو أعلم بكسْرى منك وإن خالفتُه أوحشتُه وأفسد عليّ وهو جاء بنا ووصَفَنا وإلى قوله يرجع كسْرى فلمَّا أيس ابن مَرينَا من قبوله منه قال ستَعلمُ ودعا بهم كسْرى فلما دخلوا عليه أعجبه جمالُهم وكمالُهم ورأى رجالاً قلَّما رأى مثلَهم فدعا لهم بالطعام ففعلوا ما أمرهم به عديّ فجعل ينظر إلى النعمان مِنْ بينهم ويتأمّلُ أكله فقال لعديّ بالفارسية إن يكن في أحد منهم خيرٌ ففي هذا فلما غسلوا أيديَهم جعل يدعو بهم رجلا رجلا فيقول له أتكفيني العرب فيقول نعم أكفيكها كلها إلا إخوتي حتى انتهى إلى النعمان آخرهم فقال له أتكفيني العرب قال نعم قال كلها قال نعم قال فكيف لي بإخوتك قال إن عجزت عنهم فأنا عن غيرهم أعجز فملكه وخلع عليه وألبسه تاجا قيمته ستون ألف درهم فيه اللؤلؤ والذهب

توعد ابن مرينا لعدي وتدبير المكيدة له

فلما خرج وقد ملك قال ابن مرينا للأسود دونك عقبى خلافك لي ثم إن عديا صنع طعاما في بيعة وأرسل إلى ابن مرينا أن ائتني بمن أحببت فإن لي حاجة فأتى في ناس فتغدوا في البيعة فقال عدي بن زيد لابن مرينا ياعدي إن أحق من عرف الحق ثم لم يلم عليه من كان مثلك وإني قد عرفت أن صاحبك الأسود بن المنذر كان أحب إليك أن يملك من صاحبي النعمان فلا تلمني على شيء كنت على مثله وأنا أحب ألا تحقد علي شيئا لو قدرت عليه ركبته وأنا أحب أن تعطيني من نفسك ما أعطيك من نفسي فإن نصيبي في هذا الأمر ليس بأوفر من نصيبك وقام إلى البيعة فحلف ألا يهجوه أبدا ولا يبغيه غائلة ولا يزوي عنه خيرا
أبدا
فلما فرغ عدي بن زيد قام عدى بن مرينا فحلف مثل يمينه ألا يزال يهجوه أبدا ويبغيه الغوائل ما بقي
وخرج النعمان حتى نزل منزل أبيه بالحيرة فقال عدي بن مرينا لعدي بن زيد
(ألا أبلغ عديّاً عن عديٍّ ... فلا تجزَعْ وإن رَثَّتْ قُوَاكا)
(هياكلَنا تَبَرُّ لغير فَقْرٍ ... لِتُحمَدَ أو يتِمَّ به غِنَاكَا)
(فإن تظفَرْ فلم تظفر حميداً ... وإن تَعطَبْ فلا يَبْعُدْ سِوَاكا)
(نَدِمتَ نَدامةَ الكُسعيّ لمَّا ... رأتْ عيناكَ ما صنعتْ يداكا)
قال ثم قال عدي بن مرينا للأسود أما إذا لم تظفر فلا تعجزن أن تطلب بثأرك من هذا المعدي الذي فعل بك ما فعل فقد كنت أخبرك أن معدا لا ينام كيدها ومكرها وأمرتك أن تعصيه فخالفتني قال فما تريد قال أريد ألا تأتيك فائدة من مالك وأرضك إلا عرضتها علي ففعل
وكان ابن مرينا كثير المال والضيعة فلم يكن في الدهر يوم يأتي إلا على باب النعمان هدية من ابن مرينا فصار من أكرم الناس عليه حتى كان لا يقضي في ملكه شيئا إلا بأمر ابن مرينا وكان إذا ذكر عدي بن زيد عند النعمان أحسن الثناء عليه وشيع ذلك بأن يقول إن عدي بن زيد فيه مكر وخديعة والمعدي لا يصلح إلا هكذا
فلما رأى من يطيف بالنعمان منزلة ابن مرينا عنده لزموه وتابعوه فجعل يقول لمن يثق به من أصحابه إذا رأيتموني أذكر عديا عند الملك بخير فقولوا إنه لكذلك ولكنه لا يسلم عليه أحد وإنه ليقول إن الملك يعني النعمان عامله وإنه هو ولاه ما ولاه فلم يزالوا بذلك حتى أضغنوه عليه فكتبوا كتابا على لسانه إلى قهرمان له
ثم دسوا إليه حتى أخذوا الكتاب منه وأتوا به النعمان فقرأه فاشتد غضبه فأرسل إلى عدي بن زيد

عدي في حبس النعمان يقول شعرا

عزمت عليك إلا زرتني فإني قد اشتقت إلى رؤيتك وعدي يومئذ عند كسرى فاستأذن كسرى فأذن له
فلما أتاه لم ينظر إليه حتى حبسه في محبس لا يدخل عليه فيه أحد فجعل عدي يقول الشعر وهو في الحبس فكان أول ما قاله وهو محبوس من الشعر
(ليتَ شِعْري عن الهمام ويأتيكَ ... بخُبْرِ الأنباء عطفُ السُّؤالِ)
(أين عنَّا إخطارُنا المالَ والأنفُسَ ... إذ ناهَدُوا ليومِ المِجال)
(ونِضَالي في جنبكَ الناسَ يرمُون ... وأرْمِي وكُلُّنا غيرُ آلي)
(فأُصيبُ الذي تُريدُ بلا غِشٍّ ... وأُرْبي عليهِمُ وأُوالي)
((ليتَ أنّي أخذتُ حَتْفِي بكَفَّيّ ... ولم ألْقَ مِيتَةَ الأَقْتَالِ
(حَلَوا مَحْلَهُمْ لصَرْعَتِنَا العامَ ... فقد أوقَعُوا الرحا بالثِّفَال)
وهي قصيدة طويلة
قالوا وقال أيضا وهو محبوس
(أرِقْتُ لمكفَهِرٍّ بات فيه ... بَوَارِقُ يَرْتَقِينَ رُؤُوسَ شِيبِ)
تَلُوح المشرَفِيَّةُ في ذُرَاه ... ويجلو صفحَ دَخدار قَشيبِ) ويروى تخال المشرفية الدخدار فارسية معربة وهو الثوب المصون
يقول فيها
(سعى الأعداءُ لا يألون شراًّ ... عليّ وربِّ مكة والصليبِ)
(أرادوا كي تُمهِّلَ عن عديٍّ ... ليُسجنَ أو يُدهْدَه في القليبِ)
(وكنتُ لِزازَ خَصمِكَ لم أُعَرِّدْ ... وقد سلكوكَ في يومٍ عصِيب)
((أعَالِنُهمْ وأُبطِنُ كلّ سرٍّ ... كما بينَ اللِّحاء إلى العَسِيبِ
(فَفُزْتُ عليهِمُ لمَّا التَقينَا ... بتاجِكَ فوزَةَ القِدْحِ الأريبِ)
(وما دَهْري بأن كُدِّرتُ فضلاً ... ولكن ما لقيتُ من العَجِيبِ)

(ألا مَنْ مُبلغُ النعمانِ عنّي ... وقد تُهْدَى النَّصيحةُ بالمغيبِ)
(أحظّي كان سِلْسِلةً وقَيْداً ... وغُلاًّ والبيانُ لَدى الطبيبِ)
(أتاكَ بأنّني قد طالَ حبسِي ... ولم تَسأَم بمسجونٍ حَريبِ)
(وبَيْتِي مُقْفِرٌ إلا نساءً ... أراملَ قد هَلَكْنَ من النّحِيبِ)
(يُبادِرْنَ الدموعَ على عَدِيٍّ ... كشَنٍّ خانَه خَرْزُ الرَّبيبِ)
(يُحاذِرْنَ الوُشاةَ على عَدِيّ ... وما اقترفُوا عليه من الذُّنُوبِ)
(فإن أخطأتُ أو أوهمْتُ أمراً ... فقد يهِمُ المصافي بالحبيبِ)
(وإن أظْلِمْ فقد عاقَبْتُموني ... وإن أُظْلَمْ فذلِكَ من نصيبي)
(وإن أهلِكْ تجِدْ فقدي وتُخذَلْ ... إذا التَقتِ العَوالي في الحروبِ)
(فهل لكَ أن تَدارَكَ ما لدينا ... ولا تُغْلَبْ على الرأي المصيبِ)
فإني قد وَكَلْتُ اليومَ امري ... إلى ربٍّ قريبٍ مستجيبِ) قالوا وقال فيه أيضا طال ذا الليلُ علينا واعتكَرْ ... وكأني ناذرُ)
(الصبحِ سَمَرْ
((مِنْ نجيِ الهمّ عندي ثاوياً ... فوقَ ما أُعْلِنُ منه وأُسِرُّ
(وكأن الليلَ فيه مثلُه ... ولَقدْماً ظُنَّ بالليلِ القِصَرْ)
(لم أُغَمِّضْ طولَه حتى انقضى ... أتمنّى لو أرَى الصُّبحَ جَشَرْ)
(غيرَ مَا عِشقٍ ولكن طارَقٌ ... خَلَسَ النومَ وأجداني السَّهَرْ)
وفيها يقول
(أبلِغ النُّعمانَ عَنّي مَأْلُكاً ... قولَ مَنْ قد خافَ ظَنّاً فاعتذَرْ)
(أنّنِي واللهِ فاقبلْ حَلِفِي ... لأبِيلٌ كُلَّما صَلَّى جأَرْ)
(مُرْعَدٌ أحشاؤُه في هَيكَلٍ ... حَسَنٍ لِمتُه وافي الشَّعَرْ)
(ما حَمَلْتُ الغِلَّ مِنْ أعدائِكم ... ولَدَى اللهِ مِنَ العِلْمِ المُسَرّ)
(لا تكونَنَّ كَآسِي عَظْمِه ... بِأَساً حتى إذا العَظْمُ جَبَرْ)
(عَادَ بعدَ الجَبْرِ يَبْغي وَهْنَهُ ... يَنْحُوَنَّ المَشيَ مِنه فانكَسَرْ)
واذْكُرِ النُّعمَى التي لم أنسَها ... لكَ في السَّعْيِ إذا العبدُ كَفَرْ) وقا ل له أيضا وهي قصيدة طويلة)
(أبلِغ النُّعمانَ عنّي مَألُكاً ... أنه قد طالَ حَبسِي وانتِظَارِي)
((لو بغيرِ الماءِ حَلْقِي شَرِقٌ ... كنتُ كالغَصَّانِ بالماءِ اعِتِصَارِي
(ليتَ شِعرِي عن دخيلٍ يفتري ... حيثما أدركَ لَيلي ونَهارِي)
(قاعِداً يكرُبُ نفسِي بَثُّها ... وحراماً كان سِجْني واحتِصَارِي)
أجْلَ نُعْمَى ربَّها أوَّلُكمْ ... ودُنُوّي كان مِنكم واصْطِهَارِي) في قصائد كثيرة كان يقولها فيه ويكتب بها إليه فلا تغني عنده)
شيئا
هذه رواية الكلبي
لماذا حبس النعمان عديا
وأما المفضل الضبي فإنه ذكر أن عدي بن زيد لما قدم على النعمان صادفه لا مال عنده ولا أثاث ولا ما يصلح لملك وكان آدم إخوته منظرا وكلهم أكثر مالا منه فقال له عدي كيف أصنع بك ولا مال عندك فقال له النعمان ما أعرف لك حيلة إلا ما تعرفه أنت فقال له قم بنا نمض إلى ابن قردس رجل من أهل الحيرة من دومة فأتياه ليقترضا منه مالا فأبى أن يقرضهما وقال ما عندي شيء فأتيا جابر بن شمعون وهو الأسقف أحد بني الأوس بن قلام بن بطين بن جمهير ابن لحيان من بني الحارث بن كعب فاستقرضا منه مالا فأنزلهما عنده ثلاثة أيام يذبح لهم ويسقيهم الخمر فلما كان في اليوم الرابع قال لهما ما تريدان فقال له عدي تقرضنا أربعين ألف درهم يستعين بها النعمان على أمره عند كسرى فقال لكما عندي ثمانون ألفا ثم أعطاهما إياها فقال النعمان لجابر لا جرم لا
جرى لي درهم إلا على يديك إن أنا ملكت
قال وجابر هو صاحب القصر الأبيض بالحيرة ثم ذكر من قصة النعمان وإخوته وعدي وابن مرينا مثل ما ذكره ابن الكلبي وقال المفضل خاصة إن سبب حبس النعمان عدي بن زيد أن عديا صنع ذات يوم طعاما للنعمان وسأله أن يركب إليه ويتغدى عنده هو وأصحابه فركب النعمان إليه فاعترضه عدي بن مرينا فاحتبسه حتى تغدى عنده هو وأصحابه وشربوا حتى ثملوا ثم ركب إلى عدي ولا فضل فيه فأحفظه ذلك ورأى في وجه عدي الكراهة فقام فركب ورجع إلى منزله فقال عدي بن زيد في ذلك من فعل النعمان
(... أحسِبتَ مجلِسَنا وحُسْنَ حديثِنا يُودِي بمالِكْ)
(فالمالُ والأهلون مَصْرَعةٌ لأمرِكَ أو نَكالِك ...)
(... ما تأمُرَنْ فينا فأمرُكَ في يمينكَ أو شِمالِكْ)
قال وأرسل النعمان ذات يوم إلى عدي بن زيد فأبى أن يأتيه ثم أعاد رسوله فأبى أن يأتيه وقد كان النعمان شرب فغضب وأمر به فسحب من منزله حتى انتهي به إليه فحبسه في الصنين ولج في حبسه وعدي يرسل إليه بالشعر فما قاله له
(لَيس شيءٌ على المنونِ بباقِ ... غيرُ وجهِ المسبَّحِ الخَلّاقِ)
(إن نَكُنْ آمِنِينَ فاجأنا شَرٌّ ... مُصيبٌ ذا الوُدِّ والإشفَاقِ)
(فبريءٌ صدري من الظلمِ للرَّبِّ ... وحِنْثٍ بمُعْقَدِ الميثاقِ)
(ولقد ساءني زيارةُ ذي قُرْبى ... حبيبٍ لودّنا مُشتاقِ)
((ساءه ما بنا تَبيَّنَ في الأيدي ... وإشناقُها إلى الأعناق
(فاذهبِي يا أُمَيمَ غيرَ بعيدٍ ... لايُؤاتِي العِنَاقُ مَنْ في الوَثاقِ)
(واذهَبِي يا أميمَ إن يشأ اللّهُ ... ينفِّسْ مِنْ أزْمِ هذا الخِناق)
أو تكنْ وجهةٌ فتلكَ سبيلُ الناس ... لا تَمنَعُ الحتوفَ الرَّواقِي) ويقول فيها)
(وتقول العُداةُ أودَى عديٌّ ... وبنوه قد أيقنوا بغَلاَقِ)

(يا أبا مُسْهِرٍ فَأَبلِغْ رسولاً ... إخوتي إن أتيتَ صَحْنَ العِرَاق)
(أبلِغاً عامراً وأبلِغْ أخاه ... أنّني مُوثَقٌ شَديدٌ وَثَاقِي)
(في حديد القِسْطَاس يرقُبني الحارسُ ... والمرءُ كلَّ شيءٍ يُلاَقي)
(في حديدٍ مُضَاعَفٍ وغُلُولٍ ... وثيابٍ مُنَضَّحَاتٍ خِلاَقِ)
فاركبُوا في الحرام فُكُّوا أخاكم ... إنَّ عِيراً قد جُهِّزَتْ لانِطَلاَقِ) يعني الشهر الحرام)
قالوا جميعا وخرج النعمان إلى البحرين فأقبل رجل من غسان فأصاب في الحيرة ما أحب ويقال إنه جفنة بن النعمان الجفني فقال عدي بن زيد في ذلك
سما صَقْرٌ فَأَشْعَلَ جانِبَيْها ... وألهاك المروَّحُ والعَزيبُ) المروح الإبل المروحة إلى أعطانها)
والعزيب ما ترك في مراعيه
(وثَبْنَ لدي الثَّوِيّة مُلْجَمَاتٍ ... وصبَّحْنَ العِبَادَ وهُنَّ شِيبُ)
((ألا تلكَ الغَنِيمةُ لا إفالٌ ... تُرَجِّيها مَسوَّمةٌ ونِيبُ
(تُرجِّيها وقد صابَتْ بِقُرٍّ ... كما ترجو أصاغرَها عَتِيبُ)
عدي يخاطب أخاه شعرا وأخوه يرد
وقالوا جميعا فلما طال سجن عدي بن زيد كتب إلي أخيه أبي وهو مع كسرى بهذا الشعر
(أبلِغْ أُبَيّاً على نَأيِهِ ... وهل ينفعُ المرءَ ما قد عَلِمْ)
(بأنّ أخاكَ شَقيقَ الفُؤَاد ... كنتَ به واثقاً ما سَلِمْ)
(لَدَى مَلِكٍ مُوثَقٌ في الحديدِ ... إمّا بحقّ وإمّا ظُلِمْ)
(فلا أعْرِفَكْ كذاتِ الغُلامِ ... ما لم تجِدْ عارماً تَعْتَرِمْ)
فأرضَكَ أرضَكَ إن تأتِنَا ... تَنَمْ نومةً لَيس فيها حُلُمْ) قال فكتب إليه أخوه أبي)
(إن يكن خانكَ الزمانُ فلا عاجزٌ ... باعٍ ولا أَلَفٌّ ضعيفُ)
(ويمينِ الإلهِ لو أنّ جَأْوَاءَ ... طَحُونا تُضِيءُ فيها السيوفُ)
(ذاتَ رِزَّمجتابةً غمرةَ الموتِ ... صحيحٌ سِرْبالُها مكفوفُ)
(كنتَ في حَمْيِها لجئتُكَ أسعى ... فاعلمن لو سمعتُ إذ تَستَضِيف)
(أو بمالٍ سألتَ دونكَ لم يُمنَعْ ... تِلادٌ لحاجةٍ أو طَرِيفُ)
(أو بأرضٍ أستطِيعُ آتِيكَ فيها ... لم يَهُلْنِي بُعْدٌ بها أو مَخُوف)
(إن تَفُتْني واللهِ إلْفاً فَجُوعاً ... لا يُعقِّبْكَ ما يَصوبُ الخريفُ)
(في الأعادي وأنتَ منّي بعيدٌ ... عزَّ هذا الزمانُ والتعنيفُ)
((ولعَمْري لئن جزِعتُ عليه ... لجزوعٌ على الصديقِ أَسُوفُ
(ولعَمْري لئن ملكتُ عَزائي ... لقليلٌ شَرْوَاكَ فيما أطُوفُ)
كسرى يأمر باطلاق عدي والنعمان يقتله
قالوا جميعا فلما قرأ أبي كتاب عدي قام إلى كسرى فكلمه في أمره وعرفه خبره فكتب إلى النعمان يأمره بإطلاقه وبعث معه رجلا وكتب خليفة النعمان إليه إنه قد كتب إليك في أمره فأتى النعمان أعداء عدي من بني بقيلة وهم من غسان فقالوا له اقتله الساعة فأبى عليهم وجاء الرسول وقد كان أخو عدي تقدم إليه ورشاه وأمره أن يبدأ بعدي فيدخل إليه وهو محبوس بالصنين فقال له ادخل عليه فانظر ما يأمرك به فامتثله فدخل الرسول على عدي فقال له إني قد جئت بإرسالك فما عندك قال عندي الذي تحب ووعده بعدة سنية وقال له لا تخرجن من عندي وأعطني الكتاب حتى أرسله إليه فإنك والله إن خرجت من عندي لأقتلن فقال لا أستطيع إلا أن آتي الملك بالكتاب فأوصله إليه فانطلق بعض من كان هناك من أعدائه فأخبر النعمان أن رسول كسرى دخل على عدي وهو ذاهب به وإن فعل والله لم يستبق منا أحدا أنت ولا غيرك فبعث إليه النعمان أعداءه فغموه حتى مات ثم دفنوه
ودخل الرسول إلى النعمان فأوصل الكتاب إليه فقال نعم وكرامة وأمر له بأربعة آلاف مثقال ذهبا وجارية حسناء وقال له إذا أصبحت فادخل أنت بنفسك فأخرجه فلما أصبح ركب فدخل السجن فأعلمه الحرس أنه قد مات منذ أيام ولم نجترىء على إخبار الملك خوفا منه وقد عرفنا كراهته لموته
فرجع إلى النعمان وقال له إني كنت أمس
دخلت على عدي
وهو حي وجئت اليوم فجحدني السجان وبهتني وذكر أنه قد مات منذ أيام
فقال له النعمان أيبعث بك الملك إلي فتدخل إليه قبلي كذبت ولكنك أردت الرشوة والخبث فتهدده ثم زاده جائزة وأكرمه وتوثق منه ألا يخبر كسرى إلا أنه قد مات قبل أن يقدم عليه
فرجع الرسول إلى كسرى وقال إني وجدت عديا قد مات قبل أن أدخل عليه
وندم النعمان على قتل عدي وعرف أنه احتيل عليه في أمره واجترأ أعداؤه عليه وهابهم هيبة شديدة
ثم إنه خرج إلى صيده ذات يوم فلقي ابنا لعدي يقال له زيد فلما رآه عرف شبهه فقال له من أنت فقال أنا زيد بن عدي بن زيد فكلمه فإذا غلام ظريف ففرح به فرحا شديدا وقربه وأعطاه ووصله واعتذر إليه من أمر أبيه وجهزه ثم كتب إلى كسرى إن عديا كان ممن أعين به الملك في نصحه ولبه فأصابه ما لابد منه وانقطعت مدته وانقضى أجله ولم يصب به أحد أشد من مصيبتي وأما الملك فلم يكن ليفقد رجلا إلا جعل الله له منه خلفا لما عظم الله من ملكه وشأنه وقد بلغ ابن له ليس بدونه رأيته يصلح لخدمة الملك فسرحته إليه فإن رأى الملك أن يجعله مكان أبيه فليفعل وليصرف عمه عن ذلك إلى عمل آخر
وكان هو الذي يلي المكاتبة عن الملك إلى ملوك العرب في أمورها وفي خواص أمور الملك
وكانت له من العرب وظيفة موظفة في كل سنة مهران أشقران يجعلان له هلاما والكمأة الرطبة في حينها واليابسة والأقط والإدم وسائر تجارات
العرب فكان زيد بن عدي يلي ذلك له وكان هذا عمل عدي
فلما وقع زيد بن عدي عند الملك هذا الموقع سأله كسرى عن النعمان فأحسن الثناء عليه

ومكث على ذلك سنوات على الأمر الذي كان أبوه عليه
وأعجب به كسرى فكان يكثر الدخول عليه والخدمة له

صفات نساء ملوك العجم

وكانت لملوك العجم صفة من النساء مكتوبة عندهم فكانوا يبعثون في تلك الأرضين بتلك الصفة فإذا وجدت حملت إلى الملك غير أنهم لم يكونوا يطلبونها في أرض العرب ولا يظنونها عندهم
ثم إنه بدا للملك في طلب الصفة وأمر فكتب بها إلى النواحي ودخل إليه زيد بن عدي وهو في ذلك القول فخاطبه فيما دخل إليه فيه ثم قال إني رأيت الملك قد كتب في نسوة يطلبن له وقرأت الصفة وقد كنت بآل المنذر عارفا وعند عبدك النعمان من بناته وأخواته وبنات عمه وأهله أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة قال فاكتب فيهن قال أيها الملك إن شر شيء في العرب وفي النعمان خاصة أنهم يتكرمون زعموا في أنفسهم عن العجم فأنا أكره أن يغيبهن عمن تبعث إليه أو يعرض عليه غيرهن وإن قدمت أنا عليه لم يقدر على ذلك فابعثني وابعث معي رجلا من ثقاتك يفهم العربية حتى أبلغ ما تحبه فبعث معه رجلا جلدا فهما فخرج به زيد فجعل يكرم الرجل ويلطفه حتى بلغ الحيرة فلما دخل عليه أعظم الملك وقال إنه قد احتاج إلى نساء لنفسه وولده وأهل بيته وأراد كرامتك بصهره فبعث إليك فقال ما هؤلاء النسوة فقال هذه صفتهن قد جئنا بها وكانت الصفة أن المنذر الأكبر أهدى إلى أنوشروان جارية كان أصابها إذ أغار على الحارث الأكبر بن أبي شمر الغساني فكتب إلى أنوشروان بصفتها وقال إني قد وجهت إلى الملك جارية معتدلة الخلق نقية اللون والثغر بيضاء قمراء وطفاء كحلاء دعجاء حوراء عيناء قنواء شماء برجاء زجاء أسيلة الخد شهية المقبل جثلة الشعر عظيمة الهامة بعيدة مهوى القرط عيطاء
عريضة الصدر كاعب الثدي ضخمة مشاش المنكب والعضد حسنة المعصم لطيفة الكف سبطة البنان ضامرة البطن خميصة الخصر غرثى الوشاح رداح الأقبال رابية الكفل لفاء الفخذين ريا الروادف ضخمة المأكمتين مفعمة الساق مشبعة الخلخال لطيفة الكعب والقدم قطوف المشي مكسال الضحى بضة المتجرد سموعا للسيد ليست بخنساء ولا سفعاء رقيقة الأنف عزيزة النفس لم تغذ في
بؤس حيية رزينة حليمة ركينة كريمة الخال تقتصر على نسب أبيها دون فصيلتها وتستغني بفصيلتها دون جماع قبيلتها قد أحكمتها الأمور في الأدب فرأيها أهل الشرف وعملها عمل أهل الحاجة صناع الكفين قطيعة اللسان رهوة الصوت ساكنته تزين الولي وتشين العدو إن أردتها اشتهت وإن تركتها انتهت تحملق عيناها وتحمر وجنتاها وتذبذب شفتاها وتبادرك الوثبة إذا قمت ولا تجلس إلا بأمرك إذا جلست
قال فقبلها أنوشروان وأمر بإثبات هذه الصفة في دواوينه فلم يزالوا يتوارثونها حتى أفضى ذلك إلى كسرى ابن هرمز فقرأ زيد هذه الصفة على النعمان فشقت عليه وقال لزيد والرسول يسمع أما في مها السواد وعين فارس ما يبلغ به كسرى حاجته فقال الرسول لزيد بالفارسية ما المها والعين فقال له بالفارسية كاوان أي البقر فأمسك الرسول وقال زيد للنعمان إنما أراد الملك كرامتك ولو علم أن هذا يشق عليك لم يكتب إليك به
فأنزلهما يومين عنده ثم كتب إلى كسرى إن الذي طلب الملك ليس عندي وقال لزيد اعذرني عند الملك
فلما رجعا إلى كسرى قال زيد للرسول الذي قدم معه أصدق الملك عما سمعت فإني سأحدثه بمثل حديثك ولا أخالفك فيه
فلما دخلا على كسرى قال زيد هذا
كتابه إليك فقرأه عليه
فقال له كسرى وأين الذي كنت خبرتني به قال قد كنت خبرتك بضنتهم بنسائهم على غيرهم وإن ذلك من شقائهم واختيارهم الجوع والعري على الشبع والرياش وإيثارهم السموم والرياح على طيب أرضك هذه حتى إنهم ليسمونها السجن فسل هذا الرسول الذي كان معي عما قال فإني أكرم الملك عن مشافهته بما قال وأجاب به
قال للرسول وما قال فقال له الرسول أيها الملك إنه قال أما كان في بقر السواد وفارس ما يكفيه حتى يطلب ما عندنا فعرف الغضب في وجهه ووقع في قلبه منه ما وقع لكنه لم يزد على أن قال رب عبد قد أراد ما هو أشد من هذا ثم صار أمره إلى التباب
وشاع هذا الكلام حتى بلغ النعمان وسكت كسرى أشهرا على ذلك

النعمان يستجير بقبائل العرب

وجعل النعمان يستعد ويتوقع حتى أتاه كتابه أن أقبل فإن للملك حاجة إليك فانطلق حين أتاه كتابه فحمل سلاحه وما قوي عليه ثم لحق بجبلي طيىء وكانت فرعة بنت سعد بن حارثة بن لأم عنده وقد ولدت له رجلا وامرأة وكانت أيضا عنده زينب بنت أوس بن حارثة فأراد النعمان طيئا على أن يدخلوه الجبلين ويمنعوه فأبوا ذلك عليه وقالوا له لولا صهرك لقتلناك فإنه لا حاجة بنا إلى معاداة كسرى ولا طاقة لنا به وأقبل يطوف على قبائل العرب ليس أحد منهم يقبله غير أن بني رواحة بن قطيعة بن عبس قالوا إن شئت قاتلنا معك لمنة
كانت له عندهم في أمر مروان القرظ قال ما أحب أن أهلككم فإنه لا طاقة لكم بكسرى فأقبل حتى نزل بذي قار في بني شيبان سرا فلقي هانىء بن قبيصة وقيل بل هانىء بن مسعود بن عامر بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان وكان سيدا منيعا والبيت يومئذ من ربيعة في آل ذي الجدين لقيس بن مسعود بن قيس بن خالد ذي الجدين وكان كسرى قد أطعم قيس بن مسعود الأبلة فكره النعمان أن يدفع إليه أهله لذلك وعلم أن هانئا يمنعه مما يمنع منه نفسه وقال حماد الراوية في خبره إنه إنما استجار بهانىء كما استجار بغيره فأجاره وقال له قد لزمني ذمامك مما أمنع نفسي وأهلي وولدي منه ما بقي من عشيرتي الأدنين رجل وإن ذلك غير نافعك لأنه مهلكي ومهلكك وعندي رأي لك لست أشير به عليك لأدفعك عما تريده من مجاورتي ولكنه الصواب فقال هاته فقال إن كل أمر يجمل بالرجل أن يكون عليه إلا أن يكون بعد الملك سوقة والموت نازل بكل واحد ولأن تموت كريما خير من أن تتجرع الذل أو تبقى سوقة بعد الملك هذا إن بقيت فامض إلى صاحبك وأرسل إليه هدايا
ومالا وألق نفسك بين يديه فإما أن صفح عنك فعدت ملكا عزيزا وإما أن أصابك فالموت خير من أن يتلعب بك صعاليك العرب ويتخطفك ذئابها وتأكل مالك وتعيش فقيرا مجاورا أو تقتل مقهورا فقال كيف بحرمي قال هن في ذمتي لا يخلص إليهن حتى يخلص إلى بناتي فقال هذا وأبيك الرأي الصحيح ولن أجاوزه
ثم أختار خيلا وحللا من عصب اليمن وجوهرا وطرفا كانت عنده ووجه بها إلى كسرى وكتب إليه يعتذر ويعلمه أنه صائر

إليه ووجه بها مع رسوله فقلبها كسرى وأمره بالقدوم فعاد إليه الرسول فأخبره بذلك وأنه لم ير له عند كسرى سوءا فمضى إليه حتى إذا وصل إلى المدائن لقيه زيد بن عدي على قنطرة ساباط فقال له انج نعيم إن استطعت النجاء فقال له أفعلتها يا زيد أما والله لئن عشت لك لأقتلنك قتلة لم يقتلها عربي قط ولألحقنك بأبيك فقال له زيد امض لشانك نعيم فقد والله أخيت لك أخية لا يقطعها المهر الأرن

نهاية النعمان في سجن كسرى

فلما بلغ كسرى أنه بالباب بعث إليه فقيده وبعث به إلى سجن كان له بخانقين فلم يزل فيه حتى وقع الطاعون هناك فمات فيه

وقال حماد الراوية والكوفيون بل مات بساباط في حبسه

وقال ابن الكلبي ألقاه تحت أرجل الفيلة فوطئته حتى مات واحتجوا بقول الأعشى

(فذاك وما أنجى من الموت ربّه ... بساباطَ حتى ماتَ وهو مُحَزْرَقُ)

قال المحزرق المضيق عليه

وأنكر هذا من زعم أنه مات بخانقين وقالوا لم يزل محبوسا مدة طويلة وإنه إنما مات بعد ذلك لحين قبيل الإسلام وغضبت له العرب حينئذ وكان قتله سبب وقعة ذي قار

عدي يتزوج هند بنت النعمان

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح وأخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن ممهرويه قال قال علي بن الصباح حدثني هشام بن الكلبي عن أبيه قال

كان عدي بن زيد بن حماد بن زيد بن أيوب الشاعر العبادي يهوى هند بنت النعمان بن المنذر بن المنذر بن امرىء القيس بن النعمان بن امرىء القيس ابن عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن مسعود بن مالك بن غنم بن نمارة بن لخم وهو مالك بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ولها يقول

عَلِقَ الأحشاءَ من هِندٍ عَلَقْ ... مُستسِرٌّ فيه نَصْبٌ وأَرَقْ) وهي قصيدة طويلة)

وفيها أيضا يقول

مِنْ لِقَلْب دَنِفٍ أو مُعتَمَدْ ... قد عَصَى كُلَّ نَصُوحٍ ومُفَدّ) وهي طويلة)

وفيها أيضا يقول

(يا خليليّ يَسِّرَا التعسيرَا ... ثم رُوحَا فهجِّرا تهجيرَا)

(عرِّجا بي على ديارٍ لهندٍ ... ليس أن عُجْتُما المَطِيَّ كبيرَا)

قال ابن الكلبي وقد تزوجها عدي

وقال ابن أبي سعد وذكر ذلك خالد

ابن كلثوم أيضا قالا كان سبب عشقه إياها أن هندا كانت من أجمل نساء أهلها وزمانها وأمها مارية الكندية فخرجت في خميس الفصح وهو بعد السعانين بثلاثة أيام تتقرب في البيعة ولها حينئذ أحدى عشرة سنة وذلك في ملك المنذر وقد عدي حينئذ بهدية من كسرى إلى المنذر والنعمان يومئذ فتى شاب فاتفق دخولها البيعة وقد دخلها عدي ليتقرب وكانت مديدة القامة عبلة الجسم فرآها عدي وهي غافلة فلم تنتبه له حتى تأملها وقد كان جواريها رأين عديا وهو مقبل فلم يقلن لها ذلك كي يراها عدي وإنما فعلن هذا من أجل أمة لهند يقال لها مارية وقد كانت أحبت عديا فلم تدر كيف تأتي له فلما رأت هند عديا ينظر إليها شق ذلك عليها وسبت جواريها ونالت بعضهن بضرب فوقعت هند في نفس عدي فلبث حولا لا يخبر بذلك أحدا فلما كان بعد حول وظنت مارية أن هندا قد أضربت عما جرى وصفت لها بيعة دومة وقال خالد بن كلثوم بيعة توما وهو الصحيح ووصفت لها من فيها من الرواهب ومن يأتيها من جواري الحيرة وحسن بنائها وسرجها وقالت لها سلي أمك الإذن لك في إتيانها فسألتها ذلك فأذنت لها وبادرت مارية إلى عدي فأخبرته الخبر فبادر فلبس يلمقا كان فرخانشاه مرد قد كساه إياه وكان مذهبا لم ير مثله حسنا

وكان عدي حسن الوجه مديد القامة حلو العينين حسن المبسم نقي الثغر

وأخذ معه جماعة من فتيان الحيرة فدخل البيعة فلما رأته مارية قالت لهند انظري إلى هذا الفتى فهو والله أحسن من كل ما ترين من السرج وغيرها قالت ومن هو قالت عدي بن زيد قالت أتخافين أن يعرفني إن دنوت منه لأراه من قريب قالت ومن أين يعرفك وما رآك قط من حيث يعرفك فدنت منه وهو يمازح الفتيان الذين معه وقد برع عليهم بجماله وحسن كلامه وفصاحته وما عليه من الثياب فذهلت لما رأته وبهتت تنظر إليه

وعرفت مارية ما بها وتبينته في وجهها فقالت لها كلميه فكلمته وانصرفت وقد تبعته نفسها وهويته وانصرف بمثل حالها فلما كان الغد تعرضت له مارية فلما رآها هش لها وكان قبل ذلك لا يكلمها وقال لها ما غدا بك قالت حاجة إليك قال اذكريها فوالله لا تسأليني شيئا إلا أعطيتك إياه فعرفته أنها تهواه وأن حاجتها الخلوة به على أن تحتال له في هند وعاهدته على ذلك فأدخلها حانوت خمار في الحيرة ووقع عليها ثم خرجت فأتت هندا فقالت أما تشتهين أن تري عديا قالت وكيف لي به قالت أعده مكان كذا وكذا في ظهر القصر وتشرفين عليه قالت افعلي فواعدته إلى ذلك المكان فأتاه وأشرفت هند عليه فكادت تموت وقالت إن لم تدخليه إلي هلكت

فبادرت الأمة إلى النعمان فأخبرته خبرها وصدقته وذكرت أنها قد شغفت به وأن سبب ذلك رؤيتها إياه في يوم الفصح وأنه إن لم يزوجها به افتضحت في أمره أو ماتت فقال لها ويلك وكيف أبدؤه بذلك فقالت هو أرغب في ذلك من أن تبدأه أنت وأنا أحتال في ذلك من حيث لا يعلم أنك عرفت أمره

وأتت عديا فأخبرته الخبر وقالت ادعه فإذا أخذ الشراب منه فاخطب إليه فإنه غير رادك قال أخشى أن يغضبه ذلك فيكون سبب العداوة بيننا قالت ما قلت لك هذا حتى فرغت منه معه فصنع عدي طعاما واحتفل فيه ثم أتى النعمان بعد الفصح بثلاثة أيام وذلك في يوم الإثنين فسأله أن يتغدى عنده هو وأصحابه ففعل فلما أخذ منه الشراب خطبها إلى النعمان فأجابه وزوجه وضمها إليه بعد ثلاثة أيام

هند حبيسة الدير

قال خالد بن كلثوم فكانت معه حتى قتله النعمان فترهبت وحبست نفسها في الدير المعروف بدير هند في ظاهر الحيرة وقال ابن الكلبي بل ترهبت بعد ثلاث سنين ومنعته نفسها واحتبست في الدير حتى ماتت وكانت وفاتها بعد الإسلام

بزمان طويل في ولاية المغيرة بن شعبة الكوفة وخطبها المغيرة فردته
أخبرني عمي قال حدثني ابن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح عن هشام ابن محمد بن الكلبي عن أبيه والشرفي بن القطامي قالا
مر المغيرة بن شعبة لما ولاه معاوية الكوفة بدير هند فنزله ودخل على هند بنت النعمان بعد أن استأذن عليها فأذنت له وبسطت له مسحا فجلس عليه ثم قالت له ما جاء بك قال جئتك خاطبا قالت والصليب لو علمت أن في خصلة من جمال أو شباب رغبتك في لأجبتك ولكنك أردت أن تقول في المواسم ملكت مملكة النعمان بن المنذر ونكحت ابنته فبحق معبودك أهذا أردت قال أي والله قالت فلا سبيل إليه فقام المغيرة وانصرف وقال فيها
(أدرِكتِ ما منّيتُ نفسِيَ خالِياً ... للهِ درُّكِ يا بِنةَ النعمانِ
فلقد رَدَدْتِ على المغيرة ذِهْنَهُ ... إنّ الملوكَ نَقِيَّةُ الأذهانِ) وفي رواية أخرى
(... إنَّ الملوكَ بَطِيَّةُ الإذعانِ)
(يا هندُ حسبُكِ قد صَدَقْتِ فأمسِكِي ... فالصِّدقُ خيرُ مَقَالَةِ الإنسانِ)
وقد روى عن ابن الكلبي غير علي بن الصباح في هند أنها كانت تهوى زرقاء اليمامة وأنها أول امرأة أحبت امرأة في العرب فإن الزرقاء كانت ترى الجيش من مسيرة ثلاثين ميلا فغزا قوم من العرب اليمامة فلما قربوا من مسافة نظرها قالوا كيف لكم بالوصول مع الزرقاء فاجتمع رأيهم على أن يقتلعوا شجرا تستر كل شجرة منها الفارس إذا حملها فقطع كل واحد منهم بمقدار طاقته وساروا بها فأشرفت كما كانت تفعل فقال لها قومها ما ترين يا زرقاء وذلك في آخر النهار قالت أرى شجرا يسير فقالوا كذبت أو كذبتك عينك واستهانوا بقولها فلما أصبحوا صبحهم القوم فاكتسحوا أموالهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وأخذوا الزرقاء فقلعوا عينها فوجدوا فيها عروقا سوداء فسئلت عنها فقالت إني كنت أديم الإكتحال بالإثمد فلعل هذا منه وماتت بعد ذلك بأيام وبلغ هندا خبرها فترهبت ولبست المسوح وبنت ديرا يعرف بدير هند إلى الآن فأقامت فيه حتى ماتت
وروى ابن حبيب عن ابن الأعرابي أن النعمان لما حبس عديا أكرهه في أمرها على طلاقها ولم يزل به حتى طلقها
قال ابن حبيب وذكر عدي بن زيد صهره هذا للنعمان في قصائده وكان زوج أخته هكذا العلماء من أهل الحيرة
وقالت رواة العرب إنه كان زوج ابنته هند فمن ذلك قوله في قصيدته التي أوله
أبصَرَتْ عينِي عِشاءً ضَوءَ نَار ...) فقال فيها)
(أجْلَ نُعمى رَبِّهَا أَولُكُمْ ... ودُنُوِّي كان منكم واصْطِهَاري)
(نحن كنَّا قد علِمتُم قبلها ... عَمَدَ البيتِ وأوتادَ الإِصَار)
سبب تنصر النعمان
أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا إبراهيم بن فهد قال حدثنا خليفة ابن خياط شباب العصفري قال حدثنا هشام بن محمد قال حدثني يحيى بن أيوب البجلي قال حدثنا أبو زرعة بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلي قال سمعت جدي جرير بن عبد الله يقول وأخبرني به عمي قال حدثنا أحمد بن عبيد الله قال أخبرنا محمد بن يزيد بن زياد الكلبي أبو عبد الله قال حدثني معروف بن خربوذ عن يحيى بن أيوب عن أبي زرعة بن عمرو قال سمعت جدي جرير بن عبد الله ولفظ هذا الخبر لأحمد بن عبيد الله وروايته أتم قال
كان سبب تنصر النعمان وكان يعبد الأوثان قبل ذلك وقال أحمد بن عبيد الله في خبره النعمان بن المنذر الأكبر أنه كان قد خرج يتنزه بظهر الحيرة ومعه عدي بن زيد فمر على المقابر من ظهر الحيرة ونهرها فقال له عدي بن زيد أبيت اللعن أتدري ما تقول هذه المقابر قال لا وقال أحمد بن عبيد الله في خبره فقال له تقول
صهره هذا للنعمان في قصائده وكان زوج أخته هكذا العلماء من أهل الحيرة
وقالت رواة العرب إنه كان زوج ابنته هند فمن ذلك قوله في قصيدته التي أولها
أبصَرَتْ عينِي عِشاءً ضَوءَ نَار ...) فقال فيها)
(أجْلَ نُعمى رَبِّهَا أَولُكُمْ ... ودُنُوِّي كان منكم واصْطِهَاري)
(نحن كنَّا قد علِمتُم قبلها ... عَمَدَ البيتِ وأوتادَ الإِصَار)
سبب تنصر النعمان
أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا إبراهيم بن فهد قال حدثنا
((أيُّها الركبُ المخِبُّونَ ... على الأرض المجدُّونْ
كما أنتُمُ كُنَّا ... كما نحن تكونُونْ) وقال الصولي في خبره فقال له تقول)
(كُنَّا كما كنتُمُ حيناً فَغيَّرنَا ... دهرٌ فسوفَ كما صِرنَا تصيرونَا)
قال فانصرف وقد دخلته رقة فمكث بعد ذلك يسيرا ثم خرج خرجة أخرى فمر على تلك المقابر ومعه عدي فقال له أبيت اللعن أتدري ما تقول هذه المقابر قال لا قال فإنها تقول
(مَنْ رآنا فَلْيُحَدِّثْ نفْسَه ... أنه مُوفٍ على قَرْنِ زَوَالِ)
(وصروفُ الدَّهرِ لا يَبقَى لها ... ولِمَا تأتِي به صُمُّ الجبالِ)
(رُبَّ ركبٍ قد أناخوا عِندنا ... يشربون الخمرَ بالماء الزُّلالِ)
(والأباريقُ عليها فُدُمٌ ... وجيادُ الخيلِ تَرْدِي في الجِلاَلِ)
(عَمِرُوا دهراً بِعيشٍ حَسنٍ ... آمِنِي دَهْرِهِمُ غير عِجَالِ)
(ثم أضْحَوْا عصفَ الدَّهر بهم ... وكذاكَ الدهرُ يُودِي بالرِّجالِ)
(وكذاكَ الدهرُ يرمِي بالفتى ... في طِلاَبِ العيشِ حالاً بعدَ حال)
قال الصولي في خبره وهو الصحيح فرجع النعمان فتنصر وقال أحمد بن عبيد الله في خبره عن الزيادي الكلبي فرجع النعمان من وجهه وقال لعدي ائتني الليلة إذا هدأت الرجل لتعلم حالي فأتاه فوجده قد لبس المسوح وتنصر وترهب وخرج سائحا على وجهه فلا يدرى ما كانت حاله فتنصر ولده بعده وبنوا البيع والصوامع وبنت هند بنت النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر الدير الذي بظهر الكوفة ويقال له دير هند فلما حبس كسرى النعمان الأصغر أباها ومات في حبسه ترهبت هند ولبست المسوح وأقامت في ديرها مترهبة حتى ماتت فدفنت فيه
رأي المؤلف في تنصر النعمان

قال مؤلف هذا الكتاب إنما ذكرت الخبر الذي رواه الزيادي على ما فيه من التخليط لأني إذا أتيت بالقصة ذكرت كل ما يروى في معناها
وهو خبر مختلط لأن عدي بن زيد إنما كان صاحب النعمان بن المنذر وهو المحبوس والنعمان الأكبر لا يعرفه عدي ولا رآه ولا هو جد النعمان الذي صحبه عدي كما ذكر ابن زياد وقد ذكرت نسب النعمان آنفا ولعل هذا النعمان الذي ذكره عم النعمان بن المنذر الأصغر بن المنذر الأكبر والمتنصر السائح على وجهه ليس عدي بن زيد أدخله في النصرانية وكيف يكون هو المدخل له في النصرانية وقد ضربه مثلا للنعمان في شعره
لما حبسه مع من ضربه مثلا له من الملوك السالفة
حدثنا بخبر ذلك الملك جعفر بن محمد الفريابي وأحمد بن عبد العزيز ابن الجعد الوشاء قالا حدثنا إسحاق بن البهلول الأنباري قال حدثنا أبي البهلول
ابن حسان التنوخي قال حدثني إسحاق بن زياد من بني سامة بن لؤي عن شبيب بن شيبة عن خالد بن صفوان بن الأهتم قال
أوفدني يوسف بن عمر إلى هشام بن عبد الملك في وفد أهل العراق قال فقدمت عليه وقد خرج بقرابته وحشمه وغاشيته وجلسائه فنزل في أرض قاع صحصح منيف أفيح في عام قد بكر وسميه وتتابع وليه وأخذت الأرض فيه زينتها على اختلاف ألوان نبتها من نور ربيع مونق فهو في أحسن منظر وأحسن مختبر وأحسن مستمطر بصعيد كأن ترابه قطع الكافور قال وقد ضرب له سرادق من حبرة كان يوسف بن عمر صنعه له باليمن فيه فسطاط فيه أربعة أفرشة من خز أحمر مثلها مرافقها وعليه دراعة من خز أحمر مثلها عمامتها وقد أخذ الناس مجالسهم قال فأخرجت رأسي من ناحية السماط فنظر إلي شبه المستنطق لي فقلت أتم الله عليك يا أمير المؤمنين نعمه وجعل ما قلدك من هذا الأمر رشدا وعاقبة ما يؤول إليه حمدا وأخلصه لك بالتقى وكثره لك بالنماء ولا كدر عليك منه ما صفا ولا خالط سروره بالردى فلقد أصبحت للمؤمنين ثقة ومستراحا إليك يقصدون في مظالمهم ويفزعون في أمورهم وما
أجد شيئا يا أمير المؤمنين هو أبلغ في قضاء حقك وتوقير مجلسك وما من الله جل وعز علي به من مجالستك من أن أذكرك نعم الله عليك وأنبهك لشكرها وما أجد في ذلك شيئا هو أبلغ من حديث من سلف قبلك من الملوك فإن أذن أمير المؤمنين أخبرته به قال فاستوى جالسا وكان متكئا ثم قال هات يابن الأهتم قال قلت يا أمير المؤمنين إن ملكا من الملوك قبلك خرج في عام مثل عامك هذا إلى الخورنق والسدير في عام قد بكر وسميه وتتابع وليه وأخذت الأرض فيه زينتها على اختلاف ألوان نبتها في ربيع مونق فهو في أحسن منظر وأحسن مختبر بصعيد كأن ترابه قطع الكافور وقد كان أعطي فتاء السن مع الكثرة والغلبة والقهر فنظر فأبعد النظر ثم قال لجلسائه لمن مثل هذا هل رأيتم مثل ما أنا فيه وهل أعطي أحد مثل ما أعطيت قال وعنده رجل من بقايا حملة الحجة والمضي على أدب الحق ومنهاجه قال ولم تخل الأرض من قائم لله بحجة في عباده فقال أيها الملك إنك سألت عن أمر أفتأذن في الجواب عنه قال نعم قال أرأيت هذا الذي أنت فيه أشيء لم تزل فيه أم شيء صار إليك ميراثا وهو زائل عنك وصائر إلى غيرك كما صار إليك قال كذلك هو قال فلا أراك إلا عجبت بشيء يسير تكون فيه قليلا وتغيب عنه طويلا وتكون غدا بحسابه مرتهنا قال ويحك فأين المهرب وأين المطلب قال إما أن تقيم في ملكك فتعمل فيه بطاعة الله ربك على ما ساءك
وسرك وأومضك وأرمضك وإما أن تضع تاجك وتخلع أطمارك وتلبس أمساحك وتعبد ربك حتى يأتيك أجلك قال فإذا كان السحر فاقرع علي بابي فإني مختار أحد الرأيين وربما قال إحدى المنزلتين فإن اخترت ما أنا فيه كنت وزيرا لا يعصى و إن اخترت فلوات الأرض وقفر البلاد كنت رفيقا لا يخالف قال فقرع عليه عند السحر بابه فإذا هو قد وضع تاجه وخلع أطماره ولبس أمساحه و تهيأ للسياحه فلزما و الله الجبل حتى أتاهما أجلهما وهو حيث يقول عدي بن زيد أخو بني تميم
(أيُّها الشَّامِتُ المعَيِّر بالدَّهر ... أأنتَ المبرَّأُ الموفُورُ)
(أم لديكَ العهدُ الوثيقُ من الأيام ... بل أنتَ جاهلٌ مغرورُ)
(مَنْ رأيتَ المَنُونَ خَلَّدْنَ أم مَنْ ذا ... عليه مِنْ أن يُضَامَ خَفيرُ)
(أين كسرى كسرى الملوكِ أنُو شِيرْوانُ ... أم أينَ قبلَه سَابورُ)
(وبنو الأصفر الكرامُ ملوكُ الرومِ ... لم يبق منهمُ مَذْكورُ)
(وأخو الحَضرِ إذ بناه و إذ دِجْلَةُ ... تُجْبَى إليه والخَابُورُ)
(... (شَادَهُ مَرْمراً وجَلَّلَه كِلْساً فَلِلطير في ذُراه وكُورُ
(... لم يَهَبْه رَيبُ المنونِ فبادَ الْمُلكُ عنه فبابُه مَهجُورُ)
(... وتَذَكَّرْ رَبَّ الخَوَرْنَقِ إذ ا أشْرَفَ يوماً وللهُدَى تَفكيرُ)
(... سرَّه مالُه وكثرةُ ما يملِكُ والبحرُ مُعرضاً والسديرُ)
(... فَارعوَى قلبُه فقال و ما غِبْطَةُ حيٍّ إلى المماتِ يصيرُ)
(... ثم بعد الفلاح و الملكِ و الإمةِ وارَتهمْ هناكَ القُبُورُ)
ثم صاروا كأنهم ورقٌ جَفّ فألوَت به الصَّبا و الدَّبُورُ ...) قال فبكى و الله هشام حتى أخضل لحيته وبل عمامته وأمر بنزع أبنيته و بنقلان قرابته وأهله وحشمه وغاشيته من جلسائه و لزم قصره فأقبلت الموالي والحشم على خالد بن صفوان فقالوا ما أردت إلى أمير المؤمنين أفسدت عليه لذته و نغصت عليه مأدبته فقال إليكم عني فإني عاهدت الله عز وجل ألا أخلو بملك إلا ذكرته الله عز وجل

أخبار الحضر والخورنق

فأما خبر الحضر وصاحبه والخورنق وصاحبه فإني أذكر خبرهما هاهنا لأنه مما يحسن ذكره بعقب هذه الأخبار ولايستغنى عنه والشيء يتبع الشيء أخبري بخبره إبراهيم بن السري عن أبيه عن شعيب عن سيف و أخبرني به الحسن بن علي قال حدثنا الحارث بن محمد قال حدثنا محمد بن سعد عن الواقدي و أخبرني به علي بن سليمان الأخفش في كتاب المغتالين عن السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل بن سلمه الضبي و هشام بن الكلبي عن أبيه و إسحاق بن الجصاص عن الكوفيين
أن الحضر كان قصرا بحيال تكريت بين دجله والفرات وأن أخا الحضر الذي ذكره عدي بن زيد هو الضيزن بن معاوية بن العبيد بن الأجرام بن عمرو بن النخع بن سليح من بني تزيد بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعه و أمه جبهلة امرأة من بني تزيد بن حلوان أخي سليح بن حلوان وكان لا يعرف إلا بأمه هذه وكان ملك تلك الناحية وسائر أرض الجزيرة وكان

معه من بني الأجرام ثم من بني العبيد بن الأجرام وسائر قبائل قضاعة ما لا يحصى وكان ملكه قد بلغ الشأم
فأغار الضيزن فأصاب أختا لسابور ذي الأكتاف وفتح مدينة نهر شير و فتك فيهم فقال في ذلك عمرو بن السليح بن حدي بن الدها بن غنم بن حلوان ابن عمران بن الحاف بن قضاعة
(لَقِينَاهم بجَمْعٍ مِن عِلاَفٍ ... وبالخيلِ الصَّلادِمِه الذكور)
(فلاقَتْ فارسٌ منّا نَكالاً ... وقَتَّلنا هَرَابِذَ شَهْرَزُورِ)
(دَلَفْنَا للاعاجم من بعيدٍ ... بجمع مِ الجزيرة كالسَّعِيرِ)
قالوا ثم إن سابور ذا الأكتاف جمع لهم وسار إليهم فأقام على الحضر أربع سنين لا يستغل منهم شيئا ثم إن النضيرة بنت الضيزن عركت أي حاضت فأخرجت إلى الربض وكانت من أجمل أهل دهرها وكذلك كانوا يفعلون
بنسائهم إذا حضن وكان سابور من أجمل أهل زمانه فراها وراته وعشقها وعشقته فأرسلت إليه ما تجعل لي إن دللتك على ما تهدم به هذه المدينة وتقتل أبي قال أحكمك وأرفعك على نسائي وأخصك بنفسي دونهن قالت عليك بحمامة مطوقة ورقاء فاكتب في رجليها بحيض جارية بكر تكون زرقاء ثم أرسلها فإنها تقع على حائط المدينة فتتداعى المدينة وكان ذلك طلسمها لايهدمها إلا هو ففعل و تأهب لهم و قالت له أنا أسقي الحرس الخمر فإذا صرعوا فاقتلهم وادخل المدينة ففعل فتداعت المدينة وفتحها سابور عنوة فقتل الضيزن يومئذ وأباد بني العبيد وأفنى قضاعة الذين كانوا مع الضيزن فلم يبق منهم باق يعرف إلى اليوم وأصيب قبائل حلوان و انقرضوا و درجوا فقال في ذلك عمرو بن آلة وكان مع الضيزن
(ألَمْ يَحْزُنْكَ والأنباءُ تنْمِي ... بما لاقتْ سَرَاةُ بَنِي العَبِيدِ)
(ومصرعُ ضَيْزَنٍ وبني أبيه ... وأحْلاسِ الكتائبِ مِنْ تَزيدِ)
(أتاهُم بالفُيولِ مجلّلاتٍ ... و بالأبطال سابورُ الجنود)
(فهدَّمَ من أواسِي الحضْر صخْرا ... كأنّ ثِقالَه زُبَرُ الحديدِ)
قال فأخرب سابور المدينة واحتمل النضيرة بنت الضيزن فأعرس بها بعين التمر فلم تزل ليلتها تتضور من خشانة في فرشها وهي من حرير محشو بالقز فالتمس ما كان يؤذيها فإذا هي ورقة آس ملتصقة بعكنة من عكنها قد أثرت فيها قال وكان ينظر إلى مخها من لين بشرتها فقال لها سابور ويحك بأي شيء كان أبوك يغذيك قالت بالزبد والمخ وشهد الأبكار من النحل وصفوة الخمر
فقال وأبيك لأنا أحدث عهدا بمعرفتك وآثر لك من أبيك الذي غذاك بما تذكرين ثم أمر رجلا فركب فرسا جموحا وضفر غدائرها بذنبه ثم استركضه فقطعها قطعا فذلك قول الشاعر
(أقفرَ الحَضْرُ من نضيرةَ فالمِرْبَاعُ ... مِنهَا فجانبُ الثَّرْثَارِ)
قالوا وكان الضيزن صاحب الحضر يلقب الساطرون وقال غيرهم بل الساطرون صاحب الحضر كان رجلا من أهل باجرمى والله أعلم أي ذلك كان
هذا خبر صاحب الحضر الذي ذكره عدي
وأما صاحب الخورنق فهو النعمان بن الشقيقة وهو الذي ساح على وجهه فلم يعرف له خبر والشقيقة أمه بنت أبي ربيعة بن زهر بن شيبان
وهو النعمان ابن امرىء القيس بن عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة بن الضخم اللخمي وهو صاحب الخورنق فذكر ابن الكلبي في خبره الذي قدمنا ذكره ورواية علي بن الصباح إياه عنه أنه كان سبب بنائه الخورنق أن يزدجرد بن سابور كان لا يبقى له ولد فسأل عن منزل مريء صحيح من الأدواء والأسقام فدل على ظهر الحيرة فدفع ابنه بهرام جور بن يزدجرد إلى النعمان بن الشقيقة وكان عامله على أرض العرب وأمره بأن يبني الخورنق مسكنا له ولابنه وينزله إياه معه وأمره بإخراجه إلى بوادي العرب وكان الذي بنى الخورنق رجلا يقال له سنمار فلما فرغ من بنائه عجبوا من حسنه وإتقان عمله فقال لو علمت أنكم توفوني أجرتي وتصنعون بي ما أستحقه لبنيته بناء يدور مع الشمس حيثما دارت فقالوا وإنك لتبني ما هو أفضل منه ولم تبنه ثم أمر به فطرح من أعلى الجوسق
وقال في بعض الروايات أنه قال له إني لأعرف في هذا القصر موضع عيب إذا هدم تداعى القصر أجمع فقال له أما والله لا تدل عليه أحدا أبدا ثم رمي به من أعلى القصر فقالت الشعراء في ذلك أشعارا كثيرة منها قول أبي الطمحان القيني
(جَزَاءَ سِنِمَّارٍ جَزَوْها وربِّها ... وباللّلاتِ والعُزَّى جزاءَ المكفَّرِ)
ومنها قول سليط بن سعد
(جزى بنوه أبا الغِيلان عن كِبَرٍ ... وحُسْنِ فعلٍ كما يُجَزى سِنِمَارُ)
وقال عبد العذى بن امرىء القيس الكلبي وكان أهدى إلى الحارث بن مارية الغساني أفراسا ووفد إليه فأعجب به واختصه وكان للملك ابن مسترضع في بني عبد ود من كلب فنهشته حية فظن الملك أنهم اغتالوه فقال لعبد العزى جئني بهؤلاء القوم فقال هم قوم أحرار ليس لي عليهم فضل في نسب ولا فعل فقال لتأتيني بهم أو لأفعلن وأفعلن فقال له رجونا من حبائك أمرا حال دونه عقابك ودعا ابنيه شراحيل وعبد الحارث فكتب معهما إلى قومه
(جزاني جزاه اللهُ شرَّ جزائه ... جزاءَ سِنِمَّارٍ وما كان ذَا ذنبِ)
سوى رَصِّه البنيانَ عِشرينَ حِجةً ... يُعَلِّي عليه بالقَرَامِيدِ والسَّكْبِ) وهي أبيات قال فقتله النعمان وكان أمره قد عظم)
وحعل معه كسرى كتيبتين إحداهما يقال لها دوسر وهي لتنوخ والأخرى الشهباء وهي للفرس وكانتا أيضا تسميان القبيلتين وكان يغزو بهما بلاد الشأم وكل من لم يدن له من العرب
فجلس يوما يشرف من الخورنق فأعجبه ما رأى من ملكه ثم
ذكر باقي خبره مثل ما ذكره خالد بن صفوان لهشام من مخاطبة الواعظ وجوابه وما كان من اختياره السياحة وتركه ملكه
رثاء النابغة للنعمان
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني عبد الله بن عمرو قال ذكر ابن حمزة عن مشايخه
أن النعمان بن المنذر لما نعي إلى النابغة الذبياني وحدث بما صنع به كسرى قال طلبه من الدهر طالب الملوك ثم تمثل
(مَنْ يَطْلُبِ الدهرُ تدكه مَخالِبُه ... والدَّهرُ بالوتْرِ ناجٍ غيرُ مطلوبِ)

(ما منْ أُناسٍ ذَوي مجدٍ ومَكرُمةٍ ... إلا يَشدُّ عليهم شَدَّةَ الذِّيبِ)
(حتى يبُيدَ على عَمْدٍ سَرَاتَهُمُ ... بالنافذاتِ من النَّبْل المَصَابِيبِ)
(إني وجدتُ سهامَ الموت مُعرِضةً ... بكلّ حَتْفٍ من الآجال مكتوبِ)
وفي سائر قصائد عدي بن زيد التي كتب بها إلى النعمان يستعطفه ويعتذر إليه أغان منها
صوت
(لم أرِ مثلَ الفِتيانِ في غَبَنِ الأيام ... يَنْسَوْنَ ما عواقِبُها)
(ينسَوْنَ إخوانَهم ومصرعَهم ... وكيف تَعْتَاقُهمْ مَخَالِبُها)
(ماذا تُرجِّي النفوسُ من طلبِ الخير ... وحبُّ الحياةِ كاربُها
(تظنّ أن لن يصيبها عَنَتُ الدهر ... وريبُ المنونِ صَائِبُها)
ويروى عقب الدهر يقول الأيام تغبن الناس فتخدعهم وتختلهم مثل الغبن في البيع
وتعتاقهم تحبسهم يقال اعتاقه واعتقاه
وكاربها هاهنا غامها وهو في موضع آخر القريب منها يقال كربه الأمر وكرثه وبهضه وغنظه إذا غمه الغناء في هذه الأبيات
لابن محرز خفيف رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة
وفيها رمل بالبنصر نسبه حبش ودنانير إلى حنين ونسبه الهشامي وابن المكي إلى الهذلي ومنها
صوت
(يا لُبينَي أوقِدِي النَّارَا ... إنّ مَنْ تَهْوَيْنَ قد حَارَا)
(رُبَّ نارٍ بِتُّ أَرْمُقُهَا ... تَقْضِمُ الهِندِيَّ والغَارَا)
(عندها ظبيٌ يؤرِّثُها ... عاقِدٌ في الجيدِ تِقْصَارَا)
عروضه من المديد حار يحير هنا ضل وحار في موضع آخر رجع
والغار شجر طيب الريح والغار أيضا شجر السوس والغار الغيرة
ويؤرثها يوقدها ويكثر حطبها
والتقصار المخنقة الغناء لحنين خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق
وفيه خفيف رمل يقال إنه لعريب
أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق وأخبرنا
به يحيى بن علي عن داود بن محمد عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن ابن عائشة عن يونس النحوي قال
مات رجل من جند أهل الشأم عظيم القدر له فيهم عز وعدد فحضر الحجاج جنازته وصلى عليه وجلس على قبره وقال
لينزل إليه بعض إخوانه فنزل نفر منهم فقال أحدهم وهو يسوي عليه رحمك الله أبا قنان إن كنت ما علمت لتجيد الغناء
وتسرع رد الكأس ولقد وقعت في موضع سوء لا تخرج منه والله إلى يوم القيامة
قال فما تمالك الحجاج أن ضحك وكان لا يكثر الضحك في جد ولا هزل
فقال له أهذا موضع هذا لا أم لك فقال أصلح الله الأمير فرسه حبيس في سبيل الله لو سمعه الأمير وهو يغني
يا لُبَيْنَى أوقِدِي النارا ... إن مَنْ تَهْوَيِن قد حارَا) لانتشر الأمير على سعنة وكان الميت يلقب بسعنة فقال إنا لله أخرجوه)
من القبر ما أبين حجة أهل العراق في جهلكم يا أهل الشأم قال وكان سعنة هذا الميت من أوحش خلق الله كلهم صورة
وأذمهم قامة فلم يبق أحد حضر القبر إلا استفرغ ضحكا
ومنها من قصيدة التي أولها
(... لِمَنْ الدارُ تَعفَّتْ بِخِيمْ)
صوت
(وثلاثٍ كالحماماتِ بها ... بين مجْثَاهُنَّ توشيمُ االحُممْ)
(أسأل الدارَ وقد أنكرتُها ... عن حبيبي فإذا فيها صممْ)
ويروى توشيم العجم
والتوشيم أراد به آثار الوقود قد صار فيها كالوشم
والثلاث يعني الأثافي التي تنصب عليها القدر الغناء لإبراهيم خفيف ثقيل أول مطلق في مجرى البنصر عن عمرو وابن
المكي
وفيه لحكم لحن من كتاب إبراهيم غير مجنس
وهذه القصيدة التي أولها
(لمن الدارُ تعفَّتْ بِخِيمْ ... أصبحت غيَّرها طولُ القِدَمْ)
ما تبِينُ العينُ من آياتها ... غيرَ نُؤْيٍ مثلِ خطٍّ بالقلمْ) وبعده)
(وثلاثٍ كالحمامات بها ... بين مَجثاهنّ توشيمُ الحُمَمْ)
وعلى هذا خفض قوله وثلاث كالحمامات
ومنها قوله
(... كفى غِيَرُ الأيام للمرءِ وازعا)
صوت
(بناتِ كِرَامٍ لم يُرَبْنَ بضُرَّةٍ ... دُمًى شَرِقاتٍ بالعَبِير رَوادِعَا)
يُسارِقْنَ مِ الأستار طَرْفاً مُفَتَّراً ... ويُبرِزْنَ من فَتْقِ الخدُورِ الأصابعَا) بنات كرام موضعه نصب وهو يتبع ما قبله وينصب به)
وهو قوله
وأُصبِي ظِباءً في الدِّمَقْسِ خواضِعَا ...) بنات كرام هكذا في القصيدة على تواليها وقد يجوز رفعه على الابتداء)
ويروى بضرة وبضرة جمعا بالضم والفتح
والدمى الصور واحدتها دمية الغناء في
هذين البيتين لابن قندح ثقيل أول بالبنصر عن عمرو وذكر الهشامي أنه لمحمد ابن إسحاق بن عمرو بن بزيع وذكر حبش
أنه لإبراهيم

ومنها
صوت
(أرِقْتُ لمكفهِرٍّ بات فيه ... بَوَارِقُ يَرتَقِينَ رُؤوس شِيبِ)
تروحُ المشرَفِيَّةُ في ذُرَاهُ ... ويَجْلُو صفحةَ الذَّيلِ القَشِيبِ) والمكفهر والمكرهف السحاب المتوالي المتراكب والشيب)
السحائب التي فيها سواد وبياض شبهها بالرؤوس الشيب وقال قوم بل شيب جبل معروف
شبه البرق في السحاب بلمعان السيوف
ورواه ابن الأعرابي
ويجلو صفحَ دَخْدَارٍ قَشِيبِ ...) وقال الدخدار الثوب المصون وهو أعجمي معرب أصله تخت دار)
والقشيب الجديد
الغناء لعريب ثقيل أول بالبنصر
ومنها من قصيدة التي أولها
(... الأيا طالَ ليلِي والنهارُ)
صوت
(ألا مَنْ مُبلِغُ النعمانِ عنِّي ... علانيةً فقد ذهب السِّرارُ)
(بأنّ المرءَ لم يُخلَقْ جَديداً ... ولا هَضْباً تَوَقَّاه الوبارُ)
(ولكنْ كالشِّهاب فثمَّ يَخْبُو ... وحادِي الموتِ عنه مايحارُ)
فهل مِن خالدٍ إما هلكنا ... وهل بالموتِ يالَلنَّاسِ عارُ) الهضب الجبل)
الوبارجمع وبر
والشهاب السراج
ويخبو يطفأ
الغناء لبابويه ثقيل أول بالبنصر عن حبش والهشامي
صوت
(ألا مَن مُبلِغُ النعمانِ عنِّي ... فبينَا المرءُ أَغْرَبَ إذ أَرَاحَا)
(أَطَعْتَ بني بُقَيْلَةَ في وَثَاقي ... وكنا في حُلوقِهمُ ذُبَاحاً)
مَنَحتَهُم الفُراتَ وجانبيْه ... وتَسقِينَا الأواجِنَ والمِلاَحَا) الغناء لحنين خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن)
إسحاق ومنها
صوت
(مَنْ لقلبٍ دَنِفٍ أو مُعْتَمَدْ ... قَد عَصَى كلَّ نَصِيحٍ ومُفَدّ)
لستُ إن سَلْمَى نأتني دارُها ... سامعاً فيها إلى قول أحدْ) المعتمد الذي عمده الوجع يعمده عمدا)
غناه ابن محرز ولحنه خفيف ثقيل
الوبارجمع وبر
والشهاب السراج
ويخبو يطفأ
الغناء لبابويه ثقيل أول بالبنصر عن حبش والهشامي
ومنها
صوت
(ألا مَن مُبلِغُ النعمانِ عنِّي ... فبينَا المرءُ أَغْرَبَ إذ أَرَاحَا)
(أَطَعْتَ بني بُقَيْلَةَ في وَثَاقي ... وكنا في حُلوقِهمُ ذُبَاحاً)
مَنَحتَهُم الفُراتَ وجانبيْه ... وتَسقِينَا الأواجِنَ والمِلاَحَا) الغناء لحنين خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن)
إسحاق ومنها
صوت
(مَنْ لقلبٍ دَنِفٍ أو مُعْتَمَدْ ... قَد عَصَى كلَّ نَصِيحٍ ومُفَدّ)
لستُ إن سَلْمَى نأتني دارُها ... سامعاً فيها إلى قول أحدْ) المعتمد الذي عمده الوجع يعمده عمدا)
غناه ابن محرز ولحنه خفيف ثقيل
بالسبابة في مجرى النصر عن إسحاق
وفيه لمالك خفيف ثقيل أخر بالوسطى عن عمرو
وذكر يونس أن فيه لمالك لحنا ولسنان الكاتب لحنا وهو ثقيل أول بالوسطى عن حبش
ومنها
صوت
(أَرَوَاحٌ مُوَدِّعٌ أم بُكورُ ... لك فاعمِدْ لأيّ حالٍ تصيرُ)
(ويقولُ العُداةَ أوْدى عديٌّ ... وعديٌّ بسُخْطِ ربٍّ أسيرُ)
(أيها الشامتُ المعيِّرُ بالدهر ... أأنت المبرأُ الموفورُ)
أم لديك العهدُ الوثيق من الأيام ... بل أنت جاهلٌ مغرُورُ) يريد أرواح نودعك فيه أم بكور أيهما تريد فاعمد للذي تصير إليه)
من أمر آخرتك
والموفور الذي لم تصبه نوائب الدهر
الغناء لحنين من كتاب يونس ولم يذكر طريقته وذكر حماد بن إسحاق عن أبيه أن حنينا غناه خالدا القسري أيام حرم
الغناء فرق له وقال غني ولا تعاشر سفيها ولا معربدا
والخبر في ذلك يذكر في أخبار حنين
ومما يغنى فيه أيضا من شعر عدي

صوت
(...ألا يّا ربما عزَّ خليلي فتهاونْتُ)
(... (ولو شئتُ على مقْدرةٍ مِنّي لعاقبتُ
(ولكن سرَّني أن يعلَمُوا ... قَدْرِي فأقْلعتُ)
(ألآ لا فاسألوا الفتية ... ما قالوا وقد قمتُ)
الغناء لسياط رمل عن الهشامي
وفيه ليحيى المكي خفيف ثقيل نسبه إلى مالك وليس له
ولعريب في البيتين الأولين ثقيل أول
وبعدهما بيت ليس من الشعر وهو
(... ولكنَّ حبيبى جلّ عندي فتغَافلتُ)
ومما يغنى فيه شعره
صوت
تَعرِفُ أمْسِ منْ لَميسَ الطَّلَلْ ... مثلَ الكتابِ المدارِسِ الأحْوَلْ) الذي قد درس فلا يقرأ)
(أنعِمْ صَباحاً عَلْقمَ بنَ عَدِيٌّ ... أثْوَيْتَ اليومَ أم تَرْحَلْ)
(قد رحَّلَ الفِتيانُ عِيرَهُمُ ... واللحمُ بالغِيطانِ لم يُنْشَلْ)
إذ هي تَسْبِي الناظرين وتجلوا ... واضحاً كالأُقْحُوانِ رَتِلْ) الرتل المستوي البنية)
عذباً كما ذقتُ الجَنِيَّ من التفاح ... مَسْقِيًّا ببردِ الطَّلْ) هكذا يغنى)
والذي قاله عدي يسقيه برد الطل
الغناء لحنين رمل بالوسطى عن عمرو
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن ابن الكلبي أن عمرو بن امرىء القيس المكنى بأبي سريح وعلقمة بن عدي وقيل علقم بن عدي بن كعب وعمرو بن هند خرجوا إلى الصيد فأتوا قصر ابن مقاتل فمكثوا فيه يتصيدون فزعموا أن علقمة بن عدي تبع حمارا فصرعه والشمس لم تطلع ثم لحق آخر فطعنه فانقصف الرمح فيه ومر به فرسه يركض فجال به العير فضربه فأصاب صدره فقتله وقيل إن الرمح المنقصف دخل في صدره فقتله وذلك في أيام الربيع وكان عدي بن زيد معهم وإليه قصدوا وكان نازلا في قصر ابن مقاتل فقال عدي هذه القصيدة يرثيه بها
صوت
من المائة المختارة
(عَفَا مِنْ سُلَيمَى مُسحُلَانُ فحامِرُهْ ... تَمَشَّى به ظُلْمَانُه وجاذِرُهْ)
(بمستأسِدِ القُرْيَانِ عافٍ نَبَاتُه ... فَنُوَّارُه مِيلٌ إلى الشمس زاهِرُهْ)
(رأتْ عارِضاً جَوْناً فقامَتْ غريرةً ... بمِسْحَاتِها قبل الظلامِ تبادِرُهْ)
(فما بَرِحتْ حتى أتى الماءُ دونها ... وسُدّت نواحِيه ورُفِّعَ دابِرُهْ)
عروضه من الطويل
عفا درس
مسحلان موضع
وحامره موضع أضافه إلى مسحلان
والظلمان ذكور النعام واحدها ظليم
والجآذر أولاد البقر وأحدها جؤذر وجؤذر بضم الذال وفتحها
وتمشى تكثر المشي
والقريان مجاري الماء إلى الرياض واحدها قري
والمستأسد ما ألتف منها وطال
والنوار يقال إنه يكون أبدا حيال الشمس يستقبلها بوجهه فيقول إن نوار هذه الروضة يميل زاهره حيال الشمس
والعارض السحاب
والجون الأسود
والغريرة الناعمة التي لم تجرب الأمور يقول لما رأت هذه المرأة السحابة السوداء قامت بمسحاتها تصلح النؤي حوالي بيتها وهو الحاجز بينه وبين الأرض المستوية
وقوله رفع دابره أي مؤخره الذي يلي الماء من النؤي
الشعر للحطيئة يهجو الزبرقان بن بدر
والغناء لابن عائشة ولحنه المختار خفيف رمل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق وذكر حبش أن له فيه لحنا آخر من الثقيل الثاني
خبر الحطيئة ونسبه
والسبب الذي من أجله هجا الزبرقان بن بدر
الحطيئة لقب لقب به وامه جرول بن أوسمه بن مالك بن جؤية بن مخزوم ابن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن الريث بن غطفان بن سعد ابن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار
وهو من فحول الشعراء ومتقدميهم وفصحائهم متصرف في جميع فنون الشعر من المديح والهجاء والفخر والنسيب مجيد في ذلك أجمع وكان ذا شر وسفه ونسبه متدافع بين قبائل العرب وكان ينتمي إلى كل واحدة منها إذا غضب على الآخرين
وهو مخضرم أدرك الجاهلية والأسلام فأسلم ثم ارتد وقال في ذلك
(أطعنا رسولَ اللّه إذ كان بيننا ... فيا لَعِبادِ اللّه ما لأبي بكْرِ)
(أيُورثُها بكراً إذا مات بعده ... وتلك لعمرُ اللّه قاصِمةُ الظهر)
ويكنى الحطيئة أبا مليكة وقيل إن الحطيئة غلب عليه ولقب به لقصره وقربه من الأرض

وقال حماد الراوية قال أبو نصر الأعرابي سمي الحطيئة لأنه ضرط ضرطة بين قوم فقيل له ما هذا فقال إنما هي حطيئة فسمي الحطيئة
وقال المدائني قال أبو اليقظان كان الحطيئة يدعي أنه ابن عمرو بن
علقمة أحد بني الحارث بن سدوس قال وسمي الحطيئة لقربه من الأرض
أخبرني الفضل بن الحباب الجمحي أبو خليفة في كتابه إلي بإجازته لي يذكر عن محمد بن سلام أن الحطيئة كان ينتمي إلى بني ذهل بن ثعلبة فقال
(إنّ اليمامةَ خيرُ ساكنِها ... أهلُ القُرَيَّةِ من بني ذُهْلِ)
قال والقرية منازلهم ولم ينبت الحطيئة في هؤلاء
وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني عمي عن ابن الكلبي قال سمعت خراش بن إسماعيل وخالد بن سعيد يقولان كان الحطيئة إذا غضب على بني عبس يقول أنا من بني ذهل وإذا غضب على بني ذهل قال أنا من بني عبس
أخبرني الحسين بن يحيى الرداسي قال قال حماد بن إسحاق قال أبي قال ابن الكلبي كان الحطيئة مغموز النسب وكان من أولاد الزنا الذين شرفوا
قال إسحاق وقال الأصمعي كان الحطيئة يضرب بنسبه إلى بكر بن وائل فقال في ذلك
(... قومي بنو عَوْفِ بن عمرو إن أراد العلمَ عالِمْ)
(... قومٌ إذاذَهَبَتْ خَضَرِمُ ... منهمُ خَلَفَتْ خَضَارِمْ)
(... لا يفشَلُون ولا تَبيتُ على أنوفِهِمُ المَخَاطِمْ)
قال الأصمعي وقدم الحطيئة الكوفة فنزل في بني عوف بن عامر بن ذهل يسألهم وكان يزعم أنه منهم وقال في ذلك
(سِيرِي أُمامَ فإنَّ المالَ يجمعُه ... سَيْبُ الإله وإقْبَالي وإدبَارِي
(إلى معاشرَ منهم يا أُمامَ أبي ... من آ ' ل عَوْفٍ بُدُوءٍ غيرِ أشْرارِ)
(نمشي على ضوءِ أحسابٍ أضَأْنَ لنا ... ما ضَوَّأتْ ليلةُ القَمْرَاءِ لِلسَّارِي)
الحطيئة وقصته مع اخوته وأمه
وقال ابن دريد في خبره عن عمه عن ابن الكلبي عن أبيه وحماد بن إسحاق عن أبيه عن ابن الكلبي عن أبيه قال كان أوس بن مالك بن جؤية بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس تزوج بنت رياح بن عمرو بن عوف ابن الحارث بن سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة وكان له أمة يقال لها الضراء فأعلقها بالحطيئة ورحل عنها
وكان لبنت رياح أخ يقال له الأفقم وكان طويلا أفقم صغير العينين مضغوط اللحيين فولدت الضراء الحطيئة فجاءت به شبيها بالأفقم فقالت لها مولاتها من أين هذا الصبي فقالت لها من أخيك وهوابت أن تقول لها من زوجك فشبهته بأخيها فقالت لها صدقت
ثم مات أوس وترك ابنين من الحرة وتزوج الضراء رجل من بني عبس فولدت له رجلين فكانا أخوي الحطيئة من أمه
فأعتقت بنت رياح الحطيئة وربته فكان كأنه أحدهما
وترك الأفقم نخلا باليمامة
فأتى الحطيئة أخويه من أوس بن مالك وقد كانت أمه لما أعتقتها بنت رياح اعترفت أنها اعتلقت من أوس بن مالك فقال لهم
أفردوا إلي من مالكم قطعة فقالا لا ولكن أقم معنا فنحن نواسيك فقال
(أأمرْتُماني أن أُقِيمَ عليكما ... كلاَّ لَعَمْرُ أبيكما الحَبَّاقِ)
عبدَانِ خيرُهما يُشَلُّ بضَبْعِه ... شَلَّ الأجير قلائصَ الوَرَّاقِ) قال وسأل الحطيئة أمه من أبوه فخلطت عليه فقال)
(تقول ليَ الضَّرَّاءُ لستَ لواحِدٍ ... ولا اثنينِ فانظر كيفَ شِرْكُ أُولئكَا)
(وأنتَ امرؤ تَبغِي أباً قد ضَلَلْتَه ... هَبِلْتَ ألَمَّا تَستَفِقْ مِن ضَلاَلِكَا)
قال وغضب عليها فلحق بإخوته بني الأفقم فقال
(سِيري أُمَامَ فإن المال يجمعُه ... سَيَبُ الإله وإقبالي وإدباري)
قال فلم يدفعوه ولم يقبلوه فقال
إنّ اليمامةَ خيرُ ساكِنِها ... أهلُ القُرَيَّةِ من بني ذُهلِ) وسألهم ميراثه من الأفقم فأعطوه نخلات من نخل أبيهم تدعى)
نخلات أم مليكة وأم مليكة امرأة الحطيئة فقال
(لِيَهْنِى تُراثِي لامرىءٍ غيرَ ذِلَّةٍ ... صَنَابيرُ أُحْدَانٌ لهنّ حَفيفُ)
قال ثم لم تقنعه النخيلات وقد أقام فيهم زمانا فسألهم ميراثه كاملا من الأفقم فلم يعطوه شيئا وضربوه فغضب عليهم وقال
((تمنَّيتُ بكراً أن يكونوا عِمارتي ... وقومِي وبكرٌ شرُّ تلك القبائل
إذا قلتُ بَكْرِيٌّ نَبوْتُمْ بحاجتي ... فياليتني مِن غير بكر بن وائِل) فعاد إلى بني عبس وانتسب إلى أوس بن مالك)
وقال الأصمعي في خبره لما أتى أهل القرية وهم بنو ذهل يطلب ميراثه من الأفقم مدحهم فقال
(إنّ اليمامة خيرُ ساكنِها ... أهلُ القُرَيَّة من بني ذُهْلِ)
(الضامنون لمالِ جارِهِمُ ... حتى يتمّ نواهضُ البقلِ)
قوم إذا انتسبوا ففرعُهُم ... فَرعِي وأثبِتُ أصْلِهم أصْلِي) قال فلم يعطوه شيئا فقال يهجوهم)
(إنّ اليمامة شرُّ ساكنها ... أهلُ القُرَيَّة من بني ذُهْلِ)
وقال أبو اليقظان في خبره كان الرجل الذي تزوج أم الحطيئة أيضا ولد زنا اسمه الكلب بن كنيس بن جابر بن قطن بن نهشل وكان كنيس زنى بأمة لزرارة يقال لها رشية فولدت له الكلب ويربوعا فطلبهم من زرارة فمنعه منهم فلما مات طلبهم من أبيه لقيط فمنعه وقال لقيط في ذلك
أفي نصفْ شهر ما صَبَرتم لحقِّنا ... ونحن صبرنا قبل ذاك سِنِينَا) وهي ابيات)
فتزوج الكلب الضراء أم الحطيئة فهجاه الحطيئة وهجا أمه فقال
((ولقد رأيتُكِ في النساءِ فسُؤتني ... وأبا بنيكِ فساءني في المجلِسِ
(أنّ الذليل لمن تَزُور ركابُه ... رهطَ ابن جَحْشٍ في الخطوب الحُوّسِ)

(قَبح الإلهُ قبيلةً لم يمنَعُوا ... يومَ المُجَيْمِر جارَهم من فَقْعَسِ)
أبلغ بني جَحْشٍ بأنّ نِجَارَهُم ... لؤم وأنّ أباهمُ كالهِجْرِسِ) وقال الحطيئة يهجو أمه)
(جزاكِ اللّهُ شرّاً من عجوزٍ ... ولقّاكِ العُقُوقَ من البنين)
(فقد مُلِّكتِ أمرَ بنيك حتى ... تركتِهِمُ أدقَّ من الطَّحين)
(فإن تُخْلَيْ وأمرَكِ لا تَصُولي ... بمِشْتَدٍّ قُواهُ ولا مَتين)
لسانُكِ مبْرَدٌ لا خيرَ فيه ... ودَرُّكِ دَرُّ جاذبةٍ دَهِينِ) وقال يهجو أمه أيضا)
(تَنَحَّيْ فاجلِسي مِنّي بعيداً ... أراحَ اللّهُ منكِ العالَمينا)
(أغِرْبالاً إذا استُودِعْتِ سِرًّا ... وكانوناً على المتحدّثينا
(حياتُكِ ما علمتُ حياةُ سُوءٍ ... وموتُكِ قد يسرُّ الصالحِينا)
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال
كان الحطيئة جشعا سؤولا ملحفا دنيء النفس كثير الشر قليل الخير بخيلا قبيح المنظر رث الهيئة مغموز النسب فاسد الدين وما تشاء أن تقول في شعر شاعر من عيب إلا وجدته وقلما تجد ذلك في شعره
أخبرني ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال بخلاء العرب أربعة الحطيئة وحميد الأرقط وأبو الأسود الدؤلي وخالد بن صفوان
أخبرنا ابن دريد قال حدثنا أبو حاتم قال قال أبوعبيدة كان الحطيئة بذيا هجاء فالتمس ذات يوم إنسانا يهجوه فلم يجده وضاق عليه ذلك فأنشأ يقول
أبَتْ شَفَتَايَ اليومَ إلا تكلُّماً ... بشرٍّ فما أدْرِي لِمن أنا قَائِلُهْ) وجعل يدهور هذا البيت في أشداقه ولا يرى إنسانا إذ) اطلع في ركي أو
حوض فرأى وجهه فقال
(أرَى لِيَ وجهاً شَوَّهَ اللّهُ خَلْقَه ... فقُبِّحَ من وجهٍ وقُبِّحَ حَامِلُهْ)
هجاء الحطيئة يخيف قريش وسادات العرب
نسخت من كتاب الحرمي بن أبي العلاء حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي قال
قدم الحطيئة المدينة فأرصدت قريش له العطايا خوفا من شره فقام في المسجد فصاح من يحملني على بغلين
أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام وأخبرني الحسين بن يحيى المرداسي قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال قال أبو عبيدة والمدائني ومصعب
كان الحطيئة سؤولا جشعا فقدم المدينة وقد أرصدت له قريش العطايا والناس في سنة مجدبة وسخطة من خليفة فمشى أشراف أهل المدينة بعضهم إلى بعض فقالوا قد قدم علينا هذا الرجل وهو شاعر والشاعر يظن فيحقق وهو يأتي الرجل من أشرافكم يسأله فإن أعطاه جهد نفسه بهرها وإن حرمه هجاه فأجمع رأيهم على أن يجعلوا له شيئا معدا يجمعونه بينهم له فكان أهل البيت من قريش والأنصار يجمعون له العشرة والعشرين والثلاثين دينارا حتى جمعوا له اربعمائة دينار وظنوا أنهم قد أغنوه فأتوه فقالوا له هذه صلة آل فلان
وهذه صلة آل فلان وهذه صلة فلان فأخذها فظنوا أنهم قد كفوه عن المسألة فإذا هو يوم الجمعة وقد استقبل الإمام مائلا ينادي من يحملني على بغلين وقاه الله كبة جهنم
ووصف أبو عبيدة ومحمد بن سلام شعر الحطيئة فجمعت متفرق ما وصفاه به في هذا الخبر أخبرنا به أبو خليفة عن محمد بن سلام وابن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قالا
كان الحطيئة متين الشعر شرود القافية وكان دنيء النفس وما تشاء أن تطعن في شعر شاعر إلا وجدت فيه مطعنا وما أقل ما تجد ذلك في شعره
قالا فبلغ من دناءة نفسه أنه أتى كعب بن زهير وكان الحطيئة راوية زهير وآل زهير فقال له قد علمت روايتي لكم أهل البيت وانقطاعي إليكم وقد ذهب الفحول غيري وغيرك فلو قلت شعرا تذكر فيه نفسك وتضعني موضعا بعدك وقال أبو عبيدة تبدأ بنفسك فيه ثم تثني بي فإن الناس لأشعاركم أروى وإليها أسرع فقال كعب
(فمن للقوافي شَانَها مَنْ يحوكُها ... إذا ما ثَوَى كعبٌ وفَوّزَ جَرْوَلُ)
(كَفَيتُكَ لا تلقى من الناسِ واحداً ... تَنَخَّلَ منها مثل ما نَتَنخَّلُ)
(نقولُ فلا نعيا بشيءٍ نقولُه ... ومِن قائليها مَنْ يُسيءِ ويُجْمِلُ)
(نُثَقِّفُها حتى تَلِينَ مُتُونُها ... فيقصُرُ عنها كلُّ ما يُتمثَّلُ
قال فاعترضه مزرد بن ضرار واسمه يزيد وهو أخو الشماخ وكان عريضا أي شديد العارضة كثيرها فقال
(باستكَ إذ خلّفتَني خلفَ شاعرٍ ... من الناسِ لم أُكْفِيءِ ولم أتنحّلِ)
(فإن تَخْشيا أخْشِبِ وإن تتنخَّلا ... وإن كنتُ أفْتَى منكما أتنخَّلِ)
(فلستَ كحسّانَ الحُسامِ ابن ثابتٍ ... ولستَ كَشمّاخٍ ولا كالمُخَبَّلِ)
نسخت من كتاب الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن الضحاك قال
أنشد الحطيئة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قصيدة نال فيها من قومه ومدح إبله فقال
(مَهارِيسُ يُرْوِي رِسْلُها ضيفَ أهلِها ... إذا الريحُ أبدتْ أوجُهَ الخَفِرَاتِ)
(يُزِيلُ القَتادَ جذبُها بأصوله ... إذا أصبحتْ مُقْوَرَّةً خَرِصَاتِ)
الحطيئة مكرم أينما حل
أخبرني عمي قال حدثنا الكراني عن التوزي عن أبي عبيدة قال بينا سعيد ابن العاص يعشي الناس بالمدينة والناس يخرجون أولا أولا إذ نظر على بساطه إلى رجل قبيح المنظر رث الهيئة جالس مع أصحاب سمره فذهب الشرط يقيمونه فأبى أن يقوم وحانت من سعيد التفاتة فقال دعوا الرجل فتركوه وخاضوا في أحاديث العرب وأشعارها مليا فقال لهم الحطيئة والله ما أصبتم جيد الشعر ولا شاعر العرب فقال له سعيد أتعرف من ذلك شيئا قال نعم قال فمن أشعر العرب قال الذي يقول
لا أَعُدُّ الإقتارَ عُدماً ولكن ... فَقْدُ مَنْ قد رُزِئتُه الإعدَامُ) وأنشدها حتى أتى عليها فقال له من يقولها قال أبو داود الإيادي) قال ثم من قال الذي يقول

أَفْلِحْ بما شئتَ فقد يُدرَكُ بالجهل ... وقد يُخدَّعُ الأريبُ) ثم أنشدها حتى فرغ منها قال ومن يقولها قال عبيد بن الأبرص)
قال ثم من قال والله لحسبك بي عند رغبة أو رهبة إذا رفعت إحدى رجلي علي
الأخرى
ثم عويت في أثر القوافي عواء الفصيل الصادي قال ومن أنت قال الحطيئة قال فرحب به سعيد ثم قال أسأت بكتماننا
نفسك منذ الليلة ووصله وكساه
ومضى لوجهه إلى عتيبة بن النهاس العجلي فسأله فقال له ما أنا على عمل فأعطيك من عدده ولا في مالي فضل عن
قومي قال له فلا عليك وانصرف فقال له بعض قومه لقد عرضتنا ونفسك للشر قال وكيف قالوا هذا الحطيئة وهو هاجينا
أخبث هجاء فقال ردوه فردوه إليه فقال له لم كتمتنا نفسك كأنك كنت تطلب العلل علينا اجلس فلك عندنا ما يسرك
فجلس فقال له من أشعر الناس قال الذي يقول
ومَنْ يَجعَلِ المعروفَ من دون عِرْضِهِ ... يَفِرْهُ ومَنْ لا يَتَّقِ الشَّتمَ يُشتَمِ) فقال له عتيبة إن هذا من مقدمات أفاعيك ثم)
قال لوكيله اذهب معه إلى السوق فلا يطلب شيئا إلا اشتريته له فجعل يعرض عليه الخز ورقيق الثياب فلا يريدها
ويومىء إلى الكرابيس والأكسية الغلاظ فيشتريها له حتى قضى أربه ثم مضى فلما جلس عتيبة في نادي قومه أقبل
الحطيئة فلما رآه عتيبة قال هذا مقام العائذ بك يا أبا مليكة من خيرك وشرك قال قد كنت قلت بيتين فاستمعهما ثم أنشأ
يقول
(سُئِلتَ فلم تبخَل ولم تُعْطِ طائلاً ... فَسِيّانِ لا ذمٌّ عليكَ ولا حمدُ)
(وأنتَ امرؤ لا الجودُ منكَ سَجيّةٌ ... فتُعطِي ولا يُعدِي على النائل الوُجْدُ)
ثم ركض فرسه فذهب
أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مزيد البوشنجي قالا حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني محمد بن عمرو
الجرجرائي عن أبي صفوان الأحوزي قال
ما من أحد إلا لو أشاء أن أجد في شعره مطعنا لوجدته إلا الحطيئة
قال حماد وسمعت أبي يقول وقد أنشد قول الحطيئة
(وفتيانِ صدقٍ من عَدِيٍّ عليهمُ ... صفائحُ بُصْرَى عُلِّقتْ بالعَواتِقِ)
(إذا ما دُعُوا لم يَسألوا مَنْ دعاهمُ ... ولم يُمْسِكوا فَوقَ القلوبِ الخَوافِقِ)
(وطاروا إلى الجُرْدِ العِتاقِ فألْجموا ... وشَدُّوا على أوساطهم بالمَنَاطق)
(أولئكَ آباءُ الغَريب وغَاثَةُ الصَّريخ ... ومأوى المُرمِلين الدَّرَادِق)
(أحَلُّوا حِياضَ الموت فوق جِباههم ... مكانَ النَّواصي من وجوه السَّوابق)
ويروى
(إذا استلحموا . . . . وإذا ركبوا لم ينظروا عن شِمالهم)
ويروى أولئك أبناء العزيف ثم قال أما إني ما أزعم أن أحدا بعد زهير أشعر من الحطيئة
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال بلغني أنه لما قال ابن ميادة
تَمشّى به ظُلْمانه وجآذِرُهْ ...) قيل له لقد سبقك الحطيئة إلى هذا فقال والله ما علمت أن الحطيئة قال هذا قط والآن)
علمت والله أني شاعر حين واطأت الحطيئة
قال حماد قال أبي وقال لي الأصمعي وقد أنشدني شيئا من شعر الحطيئة أفسد مثل هذا الشعر الحسن بهجاء الناس
وكثرة الطمع
قال حماد قال أبي وبلغني عن عبد الرحمن بن أبي بكرة أنه قال لقيت الحطيئة بذات عرق فقلت له يا أبا مليكة من أشعر
الناس فأخرج لسانه كأنه لسان الحية ثم قال هذا إذا طمع
ونسخت من كتاب أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثنا الزبير قال حدثني يحيى بن محمد بن طلحة وكان قد قارب
ثمانين سنة قال
أخبرني بعض أشياخنا أن أعرابيا وقف على حسان بن ثابت وهو ينشد فقال
له حسان كيف تسمع يا أعرابي قال ما أسمع بأسا قال حسان أما تسمعون إلى الأعرابي ما كنيتك أيها الرجل قال أبو
مليكة قال ما كنت قط أهون علي منك حين اكتنيت بامرأة فما اسمك قال الحطيئة فأطرق حسان ثم قال له أمض بسلام

بعض صفات الحطيئة

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المدائني قال
مر ابن الحمامة بالحطيئة وهو جالس بفناء بيته فقال السلام عليكم فقال قلت ما لا ينكر قال إني خرجت من عند أهلي
بغير زاد فقال ما ضمنت لأهلك قراك قال أفتأذن لي أن آتي ظل بيتك فأتفيأ به قال دونك الجبل يفيء عليك قال أنا ابن
الحمامة قال انصرف وكن ابن أي طائر شئت
وأخبرنا بهذا الخبر اليزيدي عن الخزاز عن المدائني فحكى ما ذكرناه من قول الحطيئة عن أبي الأسود الدؤلي
وأخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن أبي عبيدة والمدائني قالا
أتى رجل الحطيئة وهو في غنم له فقال له يا صاحب الغنم فرفع الحطيئة العصا وقال إنها عجراء من سلم فقال الرجل
إني ضيف فقال للضيفان أعددتها فانصرف عنه قال إسحاق وقال غيرهما إن الرجل قال له السلام عليكم فقال له عجراء
من سلم فقال السلام عليكم فقال أعددتها للطراق فأعاد السلام فقال له إن شئت قمت بها إليك فانصرف الرجل عنه
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال زعم الجاحظ أن الحطيئة كان يقول إنما أنا حسب
موضوع فسمع عمرو بن عبيد رجلا يحكي ذلك عنه يقال له عبد الرحمن بن صديقة فقال عمرو كذب ترحه الله إنما ذلك
التقوى
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال قال الأصمعي لم ينزل ضيف قط بالحطيئة إلا هجاه فنزل به
رجل من بني أسد لم يسمه الأصمعي وذكر أبو عبيدة أنه صخر بن أعيى الأسدي أحد بني أعيى بن طريف بن عمرو بن
قعين فسقاه شربة من لبن فلما شربها قال
(لما رأيتُ أنّ مَنْ يبتغي القِرَى ... وأنَ ابن أعْيَى لا محالةَ فاضِحِي)
(شَدَدْتُ حَيَازيمَ ابنِ أعيى بشربةٍ ... على ظَمَإ سَدَّتْ أصولَ الجوانح)

وروى الأصمعي شدت بالشين المعجمة
(ولم أكُ مثلَ الكاهِليِّ وعِرْسِه ... بَغَى الوُدَّ من مطْروفَةِ العينِ طَامِحِ)
(غدا باغيا يَبْغِي رِضاهاووُدَّها ... وغابت له غيبَ امرىء غيرِ ناصِحِ)
دعَتْ ربَّها ألاّ يزالَ بفاقةٍ ... ولا يغتدي إلا على حدِّ بارحِ) قال فأجابه صخر بن أعيى فقال
(ألا قَبَّحَ اللهُ الحطيئةَ إنه ... على كلّ ضيف ضافه هو سالِحُ)
(دُفِعْتَ إليه وهو يخنُق كلبَه ... ألا كلُّ كلبٍ لا أبَا لَكَ نابحُ)
بَكَيتَ على مَذْقٍ خبيثٍ قَرَيْتَه ... ألا كلُّ عَبْسِيٍّ على الزاد شَائِحُ) قال أبو عبيدة وهجا الحطيئه أيضا رجلا من أضيافه فقال
(وسَلَّمَ مرّتين فقلتُ مهلاً ... كفتكَ المرّةُ الأولى السَّلامَا)
(ونقْنَقَ بطنُه ودعا رُؤَاساً ... لِمَا قد نالَ من شِبَعٍ وناما)
وأخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام عن يونس أن الحطيئة خرج في سفر له ومعه امراته أمامة وابنته مليكة فنزل منزلا وسرح ذودا له ثلاثا فلما قام للرواح فقد إحداها فقال
((أذئبُ القفرِ أم ذِئبٌ أنيسٌ ... أصاب البَكْرَ أم حَدَثُ الليالي
(ونحن ثلاثةٌ وثَلاثُ ذَوْدٍ ... لقد جارَ الزمانُ على عِيالِي)
لا يذهب العرف بين الله والناس
أخبرني محمد بن خلف وكيع والحسين بن يحيى قالا حدثنا حماد عن أبيه قال قال أبو عمرو بن العلاء لم تقل العرب بيتا قط أصدق من بيت الحطيئة
مَنْ يَفعلِ الخيرَ لا يعدمْ جَوَازيَه ... لا يَذْهَبُ العُرفُ بينَ اللهِ والنّاسِ) فقيل له فقول طرفة)
ستُبدي لكَ الأيامُ ما كنتَ جاهلاً ... ويأتيكَ بالأخبارِ مَنْ لم تُزوِّدِ) فقال من يأتيك بها ممن زودت أكثر وليس بيت مما قالته الشعراء إلا وفيه مطعن إلا قول الحطيئة
لا يذهبُ العرفُ بين اللهِ والناسِ ...) قال إسحاق قال المدائني قال سلم بن قتيبة ما أعلم قافية تستغني عن صدرها وتدل عليه وإن لم ينشد مثل قول الحطيئة
(لا يذهبُ العرفُ بين الله والناس)
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا الرياشي قال سمعت
الأصمعي يقول كتبت للحطيئة في ليلة أربعين قصيدة
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي عبيدة قال
بلغني أن هذا البيت في التوراة ذكره غير واحد عن أبي بن كعب يعني قول الحطيئة
(... لا يذهب العرف بين الله والناس)
قال إسحاق وذكر عبد الله بن مروان عن أيوب بن عثمان الدمشقي عن عثمان ابن أبي عائشة قال سمع كعب الحبر رجلا ينشد بيت الحطيئة
من يفعلِ الخيرَ لا يَعدَمْ جوازيَه ... لا يذهبُ العُرفُ بين اللهِ والناسِ ...) فقال والذي نفسي بيده إن هذا البيت لمكتوب في التوراة
قال إسحاق قال العمري والذي صح عندنا في التوراة لا يذهب العرف بين الله والعباد
أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه قال قال أبو عدنان لما حضرت عبيد الله ابن شداد الوفاة دعا ابنه محمد فأوصاه وقال له يا بني أرى داعِي الموت لا يقلع ويحق أن من مضى لا يرجع ومن بقي فإليه ينزع
يا بني ليكن أولى الأمور بك تقوى الله في السر والعلانية والشكر لله وصدق الحديث والنية فإن للشكر مزيدا والتقوى خير زاد كما قال الحطيئة
((ولستُ أرى السعادةَ جمعَ مال ... ولكنّ التقيّ هو السعيدُ)
(وتقوَى اللهِ خيرُ الزاد ذخرا ... وعند الله للأتقَى مَزيدُ)
(وما لا بدّ أن يأتي قريبٌ ... ولكنّ الذي يمضي بعيدُ)
أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال أخبرني أبو عبيدة عن يونس قال
قدم حماد الراوية البصرة على بلال بن أبي بردة وهو عليها فقال له ما أطرفتني شيئا يا حماد قال بلى ثم عاد إليه فأنشده للحطيئة في أبي موسى الأشعري يمدحه
(جمعتَ من عامرٍ فيه ومن جُشَمٍ ... ومن تميمٍ ومن حاءٍ ومن حَامِ)
مُسْتَحقباتٍ رَوَاياها جَحافِلَها ... يَسْمُو بها أشْعَرِيٌّ طَرْفُه سَامِي) فقال له بلال ويحك أيمدح الحطيئة أبا موسى الأشعري وأنا أروي شعر
الحطيئة كله فلا أعرفها ولكن أشعها تذهب في الناس
وذكر المدائني أن الحطيئة قال هذه القصيدة في أبي موسى وأنها صحيحة
قالها فيه وقد جمع جيشا للغزو فأنشده
(... جمعتَ من عامرٍ فيه ومن أسَدٍ)
وذكر البيتين وبينهما هذا البيت وهو
فما رضيتَهمُ حتى رَفدتَهُم ... بوائلٍ رهطِ ذي الجَدَّين بِسْطَامِ) فوصله أبو موسى فكتب إليه عمر رضي الله عنه يلومه على ذلك فكتب إليه إني اشتريت عرضي منه بها فكتب إليه عمر إن كان هذا هكذا وإنما فديت عرضك من لسانه ولم تعطه للمدح والفخر فقد أحسنت
ولما ولى بلال بن أبي بردة أنشده إياها حماد الراوية فوصله أيضا
ونسخت من كتاب لحماد بن إسحاق حدثني به أبي وأخبرني به عمي عن الكراني عن الرياشي قال حدثني محمد بن الطفيل عن أبي بكر بن عياش عن الحارث بن عبد الرحمن عن مكحول قال
سبق رسول اللهعلى فرس له فجثا على ركبتيه وقال إنه لبحر قال عمر كذب الحطيئة حيث يقول
وإنّ جيادَ الخيل لا تستفِزُّنا ... ولا جاعلاتُ الرَّيْطِ فوقَ المَعَاصِمِ) لو ترك هذا أحد لتركه الرسول)

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي عبيدة أن الحطيئة أراد سفرا فأتته امرأته وقد قدمت راحلته ليركب فقالت
(أذكرْ تحنُّنَنَا إليك وشوقَنا ... واذكرْ بناتِك إنهنّ صِغَارُ) فقال حطوا لا رحلتُ لسفر ابدا
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي ومحمد بن الحسن بن دريد قالا حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه عن أبيه قال
قال رجل ضفت قوما في سفر وقد ضللت الطريق فجاؤوني بطعام أجد طعمه في فمي وثقله في بطني ثم قال شيخ منهم لشاب أنشد عمك فأنشدني
عفا من سُلَيمى مُسْحُلاَنُ فَحامِرُهْ ... تَمَشَّى به ظُلْمانُه وجَآذِرُهْ) فقلت له أليس هذا للحطيئة فقال بلى وأنا صاحبه) من الجن
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال
قال ابن عيينة سمعت ابن شبرمة يقول أنا والله أعلم بجيد الشعر لقد أحسن الحطيئة حيث يقول
(أولئك قوم إن بَنَوْا أحسنوا البُنَى ... وإن عاهدوا أوفَوْا وإن عقَدوا وشَدُّوا)
(وإن كانتِ النَّعْماءُ فيهم جَزَوْا بها ... وإن أَنْعموا لا كَدَّرُوها ولا كَدُّوا)
(وإن قال مَوْلاهم على جُلِّ حادثٍ ... من الدهر رُدُّوا فضلَ أحلامكم رَدُّوا)
قال وقال الأصمعي وقد سأله أبو عدنان عن هذا البيت ما واحد البنى قال بنية فقال له أتجمع فعلة على فعل قال نعم مثل رشوة ورشى وحبوة وحبى
حدثنا أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني محمد بن أحمد بن صدقة الأنباري قال حدثنا ابن الأعرابي عن المفضل إن الحطيئة أقحمته السنة فنزل ببني مقلد بن يربوع فمشى بعضهم إلى بعض وقالوا إنِ هذا الرجل لا يسلم أحد من لسانه فتعالوا حتى نسأله عما يحب فنفعله وعما يكره فنجتنبه فأتوه فقالوا له يا أبا مليكة إنك اخترتنا على سائر العرب ووجب حقك علينا فمرنا بما تحب أن نفعله وبما تحب أن ننتهي عنه فقال لا تكثروا زيارتي فتملوني ولا تقطعوها فتوحشوني ولا تجعلوا فناء بيتي مجلسا لكم ولا تسمعوا بناتي غناء شبانكم فإن الغناء رقية الزنا
قال فأقام عندهم وجمع كل رجل منهم ولده وقال أمكم الطلاق لئن تغنى أحد منكم والحطيئة مقيم بين أظهرنا لأضربنه ضربة بسيفي أخذت منه ما أخذت
فلم يزل مقيما فيما يرضى حتى انجلت عنه السنة فارتحل وهو يقول
(جاورتُ آلَ مُقَلَّدٍ فَحمِدتُهم ... إذ ليس كلُّ أخي جِوارٍ يَحْمَدُ)
(أيامَ مَنْ يُرِدِ الصنيعةَ يَصْطَنِعْ ... فينا ومن يُرِدِ الزَّهادةَ يَزْهَدُ)
الحطيئة والزبرقان
فأما خبره مع الزبرقان بن بدر والسبب في هجائه إياه فأخبرني به أبو خليفة عن محمد بن سلام ولم يتجاوزه به وأخبرني الحسين ين يحيى عن حماد عن أبيه عن محمد بن سلام عن يونس وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة وأخبرني اليزيدي عن عمه عبيد الله عن أبي حبيب عن ابن
الأعرابي وقد جمعت رواياتهم وضممت بعضها إلى بعض أن النبيكان ولى الزبرقان بن بدر بن امرىء القيس بن خلف بن بهدلة بن عوف ببن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم عملا وذكر مثل ذلك الأصمعي وقال الزبرقان القمر والزبرقان الرجل الخفيف اللحية
قال وأقره أبو بكر رضي الله عنه بعد النبيعلى عمله ثم قدم على عمر في سنة مجدبة ليؤدي صدقات قومه فلقيه الحطيئة بقرقرى ومعه ابناه أوس وسوادة وبناته وامرأته فقال له الزبرقان وقد عرفه ولم يعرفه الحطيئة أين تريد قال العراق فقد حطمتنا هذه السنة قال وتصنع ماذا قال وددت أن أصادف بها رجلا يكفيني مؤونة عيالي وأصفيه مدحي أبدا فقال له الزبرقان قد أصبته فهل لك فيه يوسعك لبنا وتمرا ويجاورك أحسن جوار وأكرمه فقال له الحطيئة هذا وأبيك العيش وما كنت أرجو هذا كله قال فقد أصبته قال عند من قال عندي قال ومن أنت قال الزبرقان بن بدر قال وأين محلك قال اركب هذا الإبل واستقبل مطلع الشمس وسل عن القمر حتى تأتي منزلي
قال يونس وكان اسم الزبرقان الحصين بن بدر وإنما سمي الزبرقان لحسنه شبه بالقمر
وقيل بل لبس عمامة مزبرقة بالزعفران فسمي الزبرقان لذلك
وقال أبو عبيدة في خبره فقال له سر إلى أم شذرة وهي أم الزبرقان وهي أيضا عمة الفرزدق وكتب إليها أن أحسني إليه وأكثري له من التمر واللبن
وقال آخرون بل وكله إلى زوجته
فلحق الحطيئة بزوجته على رواية ابن سلام وهي بنت صعصعة بن ناجية المجاشعية واسمها هنيدة وعلى رواية أبي عبيدة أنها
أمه وذلك في عام صعب مجدب فأكرمته المرأة وأحسنت إليه فبلغ ذلك بغيض بن عامر بن شماس بن لأي بن جعفر وهو أنف الناقه بن قريع بن عوف ابن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم وبلغ إخوته وبني عمه فاغتنموها
وفي خبر اليزيدي عن عمه قال ابن حبيب عن ابن الأعرابي وكانوا يغضبون من أنف الناقة وإنما سمي جعفر أنف الناقة لأن أباه قريعا نحر ناقة فقسمها بين نسائه فبعثت جعفرا هذا أمه وهي الشموس من وائل ثم من سعد هذيم فأتى أباه ولم يبق من الناقة إلا رأسها وعنقها فقال شأنك بهذا فأدخل يده في أنفها وجر ما أعطاه فسمي أنف الناقة
وكان ذلك كاللقب لهم حتى مدحهم الحطيئة فقال
(قوم هم الأنفُ والأذنابُ غيرُهُمُ ... ومن يسوِّي بأنفِ الناقة الذنَبا)
فصار بعد ذلك فخرا لهم ومدحا وكانوا ينازعون الزبرقان الشرف يعني بغيضا وإخوته وأهله وكانوا أشرف من الزبرقان إلا أنه قد كان استعلاهم بنفسه
وقال أبو عبيدة في خبره كان الحطيئة دميما سيء الخلق لا تأخذه العين ومعه عيال كذلك فلما رأت أم شذرة حاله هان عليها وقصرت به ونظر بغيض وبنو أنف الناقة إلى ما تصنع به أم شذرة فأرسلوا إليه إن ائتنا فأبى عليهم وقال إن من شأن النساء التقصير والغفلة ولست بالذي أحمل على صاحبها ذنبها
فلما ألح عليه بنو أنف الناقة وكان رسولهم إليه شماس بن لأي وعلقمة بن هوذة وبغيض ابن شماس والمخبل الشاعر

قال لهم لست بحامل على الرجل ذنب غيره فإن
تركت وجفيت تحولت إليكم فأطمعوه ووعدوه وعد عظيما
وقال ابن سلام في خبره فلما لم يجبهم دسوا إلى هنيدة زوجة الزبرقان إنما يريد أن يتزوج ابنته مليكة وكانت جميلة كاملة فظهرت من المرأة للحطيئة جفوة وهي في ذاك تداريه
ثم أرادوا النجعة قال أبو عبيدة فقالت له أم شذرة وقال ابن سلام فقالت له هنيدة قد حضرت النجعة فاركب أنت وأهلك هذا الظهر إلى مكان كذا وكذا ثم اردده إلينا حتى نلحقك فإنه لا يسعنا جميعا فأرسل إليها بل تقدمي أنت فأنت أحق بذلك ففعلت وتثاقلت عن ردها إليه وتركته يومين أو ثلاثة وألح بنو أنف الناقة عليه وقالوا له قد تركت بمضيعة
وكان أشدهم في ذلك قولا بغيض بن شماس وعلقمة بن هوذة وكان الزبرقان قد قال في علقمة
(لي ابنُ عمٍّ لا يزال ... يَعِيبُني ويُعينُ عائبْ)
(وأعينُه في النائبات ... ولا يُعين على النوائبْ)
(تَسْري عَقَارِبُه إليَّ ... ولا تَدِبُّ له عقاربْ)
(لاَهِ ابنُ عَمِّكَ لا يَخَاف ... المُخْزِناتِ من العواقبْ)
قال فكان علقمة ممتلئا غيظا عليه
فلما ألحوا على الحطيئة أجابهم وقال أما الآن فنعم أنا صائر معكم
فتحمل معهم فضربوا له قبة وربطوا بكل طنب من أطنابها جلة هجرية وأراحوا عليه إبلهم وأكثروا له من التمر واللبن وأعطوه لقاحا وكسوة
قال فلما قدم الزبرقان سأل عنه فأخبر بقصته فنادى في بني بهدلة بن عوف وهم لأم دون قريع أمهم السفعاء بنت غنم بن قتيبة من باهلة فركب الزبرقان فرسه وأخذ رمحه وسار حتى وقف على نادي بني شماس القريعيين فقال ردوا علي جاري فقالوا ما هو لك بجار وقد اطرحته وضيعته فألم أن يكون بين الحيين حرب فحضرهم أهل الحجا من قومهم فلاموا بغيضا وقالوا اردد على الرجل جاره فقال لست مخرجه وقد آويته وهو رجل حر مالك لأمره فخيروه فإن اختارني لم أخرجه وإن اختاره لم أكرهه فخيروا الحطيئة فاختار بغيضا ورهطه فجاء الزبرقان ووقف عليه وقال له أبا مليكة أفارقت جواري عن سخط وذم قال لا فانصرف وتركه
هذه رواية ابن سلام وأما أبو عبيدة فإنه ذكر أنه كان بين الزبرقان ومن معه من القريعيين تلاح وتشاح
وزعم غيرهما أن الزبرقان استعدى عمر بن الخطاب على بغيض فحكم عمر بأن يخرج الحطيئة حتى يقام في موضع خال بين الحيين وحده ويخلى سبيله ويكون جار أيهما اختار ففعل ذلك به فاختار القريعيين قال وجعل الحطيئة يمدحهم من غير أن يهجو الزبرقان وهم يحضونه على ذلك ويحرضونه فيأبى ويقول لا ذنب للرجل عندي حتى أرسل الزبرقان إلى رجل من النمر بن قاسط يقال له دثار بن شيبان فهجا بغيضا فقال
(أرَى إبِلِي بجَوْف الماء حَلَّتْ ... وأَعْوزها به الماءُ الرَّواءُ)
(وقد وَرَدَتْ مِيَاهَ بني قُرَيع ... فما وصلُوا القرابةَ مذ أساؤوا
(تُحَلأَّ يومَ ورْدِ الناس إبْلِي ... وتَصْدُرُ وهي مُحْنِقةٌ ظِمَاءُ)
(ألم أكُ جارَ شمّاسِ بن لأي ... فأسلمني وقد نزل البَلاَءُ)
(فقلتُ تحوَّلِي يا أمَّ بَكْرٍ ... إلى حيثُ المكارمُ والعَلاَءُ)
(وجدنا بيتَ بَهْدَلَةَ بن عَوْفٍ ... تعالى سَمْكُه ودحا الفِنَاءُ)
(وما أضْحى لشَمَّاسِ بن لأي ... قَدِيمٌ في الفَعال ولا رَبَاءُ)
(سِوَى أن الحطيئَة قال قولاً ... فهذا من مقالتِه جزاءُ)
فحينئذ قال الحطيئة يهجو الزبرقان ويناضل عن بغيض قصيدته التي يقول فيها
(واللّه ما مَعْشَرٌ لامُوا امْرأً جُنُباً ... في آل لأي بن شَمَّاسٍ بأكْياس)
(ما كان ذنبُ بَغِيضٍ لا أبالكُم ... في بائسٍ جاء يحْدُو آخرَ الناس)
(لقد مَرَيْتُكُم لو أن دِرَّتَكم ... يوماً يَجيء بها مَسْحِي وإبْسَاسِي)
(وقد مدحتُكُم عمداً لأُرْشِدكم ... كيما يكون لكم مَتْحِي وإمراسي)
(لما بدا لي منكم غيبُ أنفسِكم ... ولم يكن لجِراحِي فيكمُ آسي)
(أزمعتُ يأساً مُبِيناً من نَوَالِكُمُ ... ولن يُرَى طارداً للحُرِّ كالياس)
(جارٌ لقومٍ أطَالُوا هُونَ منزلِه ... وغادرُوه مقيماً بينَ أرْماس
(مَلُّوا قِرَاه وهَرَّتْه كلابُهُم ... وجرَّحُوه بأنيابٍ وأضْراس)
(دَعِ المكارمَ لا ترحلْ لِبُغْيَتِها ... واقعُدْ فإنكَ أنتَ الطاعمُ الكاسِي)
(من يَفْعَل الخيرَ لا يَعْدَمْ جَوَازِيَه ... لا يذهبُ العُرْف بين اللهِ والناس)
(ما كان ذنبي أن فَلَّتْ مَعَاوِلَكم ... من آلِ لأي صَفَاةٌ أصلُها رَاسِي)
(قد ناضَلُوكَ فسَلُّوا من كنائِنهم ... مجداً تَلِيداً ونَبْلاً غير أنْكاس)
الجنب الغريب
الإبساس أن يسكنها عند الحلب
والماتح المستقي الذي يجذب الدلو من فوق والإمراس أن يقع الحبل في جانب البكرة فيخرجه فاستعدى عليه الزبرقان عمر بن الخطاب فرفعه عمر إليه واستنشده فأنشده فقال عمر لحسان أتراه هجاه قال نعم وسلح عليه فحبسه عمر
الحطيئة وعمر
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أحمد بن معاوية عن أبي عبد الرحمن الطائي عن عبد الله بن عياش عن الشعبي قال
شهدت زيادا وأتاه عامر بن مسعود بأبي علاثة التيمي فقال إنه هجاني قال وما قال لك قال قال
(وكيف أرجِّي ثَرْوها ونماءها ... وقد سار فيها خُصْيَةُ الكلبِ عامرُ)
فقال أبو علاثة ليس هكذا قلت قال فكيف قلت قال قلت
(وإني لأرجو ثَرْوها ونماءها ... وقد سار فيها ناجذ الحقِّ عامرُ)

قال زياد قاتل الله الشاعر ينقل لسانه كيف شاء والله لولا أن تكون سنة لقطعت لسانك فقام قيس بن فهد الأنصاري فقال أصلح الله الأمير ما أدري من الرجل فإن شئت حدثتك عن عمر بما سمعت منه قال وكان زياد يعجبه الحديث عن عمر رضي الله عنه قال هاته قال شهدته وأتاه الزبرقان بن بدر بالحطيئة فقال إنه هجاني قال وما قال لك قال قال لي
(دَعِ المكارمَ لا ترحلْ لبُغيتها ... واقعدْ فإنك أنت الطاعم الكاسِي)
فقال عمر ما أسمع هجاء ولكنهامعاتبة فقال الزبرقان أو ما تبلغ مروءتي إلا أن آكل وألبس فقال عمر علي بحسان فجيء به فسأله فقال لم يهجه ولكن سلح عليه قال ويقال إنه سأل لبيدا عن ذلك فقال ما يسرني أنه لحقني من هذا الشعر ما لحقه وأن لي حمر النعم فأمر به عمر فجعل في نقير في بئر ثم ألقي عليه شيء فقال
(ماذا تقولُ لأفراخٍ بذي مَرَخٍ ... زُغْبِ الحواصِلِ لا ماءٌ ولا شجَرُ)
(ألقيتَ كاسِبَهم في قعر مُظْلِمَةٍ ... فاغفرْ عليكَ سلامُ اللهِ يا عمرُ)
(أنت الإمامُ الذي من بعدِ صاحبهِ ... ألقَى إليك مقاليدَ النُّهي البَشَرُ)
(لم يُؤْثِروكَ بها إذ قدَّموك لها ... لكن لأنفسِهم كانتْ بكَ الأُثَرُ)
فأخرجه وقال له إياك وهجاء الناس قال إذا يموت عيالي جوعا هذا مكسبي ومنه معاشي قال فإياك والمقذع من القول قال وما المقذع قال أن تخاير بين الناس فتقول فلان خير من فلان وآل فلان خير من آل فلان قال فأنت والله أهجى مني ثم قال والله لولا أن تكون سنة لقطعت لسانك ولكن اذهب فأنت له خذه يا زبرقان فألقى الزبرقان في عنقه عمامة فاقتاده بها وعارضته غطفان فقالوا له يا أبا شذرة إخوتك وبنو عمك هبه لنا فوهبه لهم
فقال زياد لعامر بن مسعود قد سمعت ما روي عن عمر وإنما هي السنن فاذهب به فهو لك فألقى في عنقه حبلا أو عمامة وعارضته بكر بن وائل فقالوا له أخوالك وجيرانك فوهبه لهم
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة أن الحطيئة لما حبسه عمر قال وهو أول ما قاله
(أعُوذُ بجَدِّك إنّي امرؤٌ ... سَقتْني الأعادي إليكَ السِّجَالاَ)
(فإنك خيرٌ من الزبرقان ... أشدُّ نَكَالاً وأرْجَى نَوَالاَ)
(تحنَّنْ عليَّ هَدَاكَ المليكُ ... فإنّ لكلِّ مقامٍ مَقَالاَ)
(ولا تأخُذنِّي بقول الوُشاةِ ... فإنّ لكلِّ زمانٍ رجَالاَ)
(فإن كان ما زَعَموا صادقاً ... فسِيقَتْ إليكَ نسائي رجَالاَ)
حَوَاسِرَ لا يشتكينَ الوَجَا ... يُخفِّضْنَ آلاً ويرفَعْنَ آلاَ) فلم يلتفت عمر إليه حتى قال أبياته التي أولها)
(... ماذا تقول لأفراخ بذي مَرَخٍ)
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء ومحمد بن العباس اليزيدي وعمر بن عبد
العزيز بن أحمد وطاهر بن عبد الله الهشامي قالوا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن الضحاك بن عثمان الحزامي قال حدثني عبد الله بن مصعب عن ربيعة بن عثمان عن زيد بن أسلم عن أبيه قال
أرسل عمر إلى الحطيئة وأنا جالس عنده وقد كلمه فيه عمرو بن العاص وغيره فأخرجه من السجن فانشده قوله
(ماذا تقول لأفراخ بذي مَرَخٍ ... زغبِ الحواصِلِ لا ماء ولا شجرُ)
(ألقيت كاسبَهم في قعر مظلمةٍ ... فاغفرْ عليك سلامُ اللهِ يا عمرُ)
(أنت الإمامُ الذي من بعد صاحبِهِ ... ألقى إليك مقاليدَ النُّهي البشرُ)
(لم يؤثروك بها إذ قدَّموك لها ... لكن لأنفسِهم كانت بكَ الأُثَرُ)
(فامنُنْ على صِبيةٍ بالرزمل مسكنُهم ... بين الأباطحِ تَغْشاهم بها القِرَرُ)
(أهلي فداؤك كم بيني وبينهُم ... من عَرْض داويةٍ تَعْمَى بها الخُبُرُ)
قال فبكى حين قال
(... ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ)
فقال عمرو بن العاص ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أعدل من رجل يبكي على تركه الحطيئة فقال عمر علي بالكرسي فأتي به فجلس عليه ثم قال أشيروا علي في الشاعر فإنه يقول الهجر وينسب الحرم ويمدح الناس ويذمهم بغير ما فيهم ما أراني إلا قاطعا لسانه ثم قال علي بالطست فأتي بها
ثم قال علي بالمخصف علي بالسكين لا بل علي بالموسى فهو أوحى فقالوا لا يعود يا أمير المؤمنين فأشاروا إليه أن قل لا أعود فقال لا أعود يا أمير المؤمنين فقال له النجاء
قال فلما ولى قال له عمر يا حطيئة كأني بك عند فتى من قريش قد بسط لك نمرقة وكسر لك أخرى وقال غننا يا حطيئة فطفقت تغنيه بأعراض الناس قال ابن أسلم فما انقضت الدنيا حتى رأيت الحطيئة عند عبيد الله بن عمر قد بسط له نمرقة وكسر له أخرى وقال غننا يا حطيئة فجعل يغنيه فقلت له يا حطيئة أتذكر قول عمر ففزع وقال يرحم الله ذلك المرء أما إنه لو كان حيا ما فعلت قال وقلت لعبيد الله سمعت أباك يقول كذا وكذا فكنت أنت ذلك الرجل
وروي عن عبد الله بن المبارك أن عمر رضي الله عنه لما أطلق الحطيئة أراد أن يؤكد عليه الحجة فاشترى منه أعراض المسلمين جميعا بثلاثة آلاف درهم فقال الحطيئة في ذلك
(وأخذتَ أطرافَ الكلام فلم تَدَعْ ... شتْما يضرّ ولا مَديحاً ينفعُ)
(وحَمَيْتني عِرْضَ اللئيم فلم يخَفْ ... ذَمِّي وأصبح آمناً لا يَفْزَعُ)

خبر الحطيئة مع ابن عوف وبني قريع

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه عن نافع بن أبي نعيم
أن عبد الرحمن بن عوف هو الذي استرضى عمر بن الخطاب وكلمه في أمر الحطيئة حتى أخرجه من السجن قال حماد وأخبرني أبي عن أبي عبيدة أن عمر رضي الله عنه لما أطلقه قال الشاعر النمري الذي كان الزبرقان حمله على هجاء بغيض
(دَعَانِي الأثْبَجانِ ابنا بَغِيضٍ ... وأهْلِي بالعَلاَةِ فَمنَّيانِي)
(وقالوا سِرْ بأهلك فأْتِيَنّا ... ألى حَبٍّ وأنْعَامٍ سِمَانِ)
(فسرتُ إليهمُ عشرين شهراً ... وأربعةً فذلك حِجَّتَانِ)

(فلما أن أتيتُ ابنَيْ بغيضٍ ... وأسلمني بدائي الداعيانِ)
(يبيتُ الذئبُ والعَثْواءُ ضيفاً ... لنا بالليل بئس الضِائفانِ)
(أمارسُ منهما ليلاً طويلاً ... أُهَجْهِجُ عن بنيَّ ويَعْرُوانِ)
(تقولُ حليلتي لما اشتكينا ... سيدركُنا بنو القَرمْ الهِجَانِ)
((سيُدْرِكُنا بنو القمرِ بن بَدْرٍ ... سراج الليل للشمس الحَصَانِ
(فقلتُ ادْعي وأدْعُو إن أندى ... لصوتٍ أن ينادِيَ داعيانِ)
(فمن يَكُ سائلاً عنِّي فإنِّي ... أنا النَّمريُّ جارُ الزِّبْرِقانِ)
(طَرِيدُ عشيرةٍ وطريدُ حربٍ ... بما اجترمتْ يدي وجنَى لساني)
(كأنِّي إذ نزلتُ به طريداً ... نزلتُ على الممنَّع من أبَانِ)
(أتيتُ الزِّبْرقانَ فلم يُضِعْني ... وضيَّعَني يتريم مَنْ دَعَاني)
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبيدة قال
لم يزل الحطيئة في بني قريع يمدحهم حتى إذا أحيوا قالوا لبغيض ف لي بما كنت تضمنت فأتى بغيض علقمة بن هوذة فقال له قد جاء الله بالحيا فف لي بما قلت وكان قد ضمن له مائة بعير وأبرئني مما تضمنته عهدتي فقال نعم سل في بني قريع فمهما فضل بعد عطائهم أن يتم مائة أتممته ففعل فجمعوا له أربعين أو خمسين بعيرا كان الرجل يعطيه على قدر ماله البعير والبعيرين قال فأتمها علقمة له مائة وراعيين فدفعت إليه فلم يزل يمدحهم وهو مقيم بينهم حتى قال كلمته السينية واستعدى الزبرقان عليه عمر رضي الله عنه فلما رحل عنهم قال
(لا يُبْعِدِ اللهُ إذ ودّعتُ أرضَهُم ... أخي بَغِيضاً ولكن غيرُه بعدا)
(لا يُبْعِدِ اللهُ من يُعْطِي الجزيلَ ومن ... يَحْبو الجليلَ وما أكْدى ولا نَكِدَا)
((ومن تُلاَقِيه بالمعروف مبتهجاً ... إذا اجْرَهَدّ صَفَا المذمومِ أو صلَدا
(لاقيتُه ثَلِجاً تَنْدَى أنامِلُه ... إن يُعْطِكَ اليومَ لا يمنعْكَ ذاك غَدا)
(إنّي لرافدُه وُدّي ومَنْصَرَتي ... وحافظٌ غيبَه إن غاب أو شهِدا)
الحطيئة لابن عباس أعلي جناح في هجاء الناس
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن موسى قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني عن ابن دأب عن عبد الله بن عياش المنتوف قال
بينا ابن عباس جالس في مجلس رسول الله كف بصره وحوله ناس من قريش إذ أقبل أعرابي يخطر وعليه مطرف وجبة وعمامة خز حتى سلم على القوم فردوا عليه السلام فقال يا بن عم رسول الله أفتني قال فيماذا قال أتخاف علي جناحا إن ظلمني رجل فظلمته وشتمني فشتمته وقصر بي فقصرت به فقال العفو خير ومن انتصر فلا جناح عليه فقال يا بن عم رسول الله أرأيت امرأ أتاني فوعدني وغرني ومناني ثم أخلفني و استخف بحرمتي أيسعني أن أهجوه قال لا يصلح الهجاء لأنه لا بد لك من أن تهجو غيره من عشيرته فتظلم من لم يظلمك وتشتم من لم يشتمك وتبغي على من لم يبغ عليك والبغي مرتع وخيم وفي العفو ما قد علمت من الفضل قال صدقت وبررت فلم ينشب أن أقبل عبد الرحمن بن سيحان المحاربي حليف قريش فلما رأى الأعرابي أجله وأعظمه وألطف في مسألته وقال قرب الله دارك يا أبا مليكة فقال ابن عباس أجرول قال جرول فإذا هو الحطيئة فقال ابن
عباس لله أنت أي مردي قذاف وذائد عن عشيرة ومثن بعارفه تؤتاها أنت يا أبا مليكة والله لو كنت عركت بجنبك بعض ما كرهت من أمر الزبرقان كان خيرا لك ولقد ظلمت من قومه من لم يظلمك وشتمت من لم يشتمك قال إني والله بهم يا أبا العباس لعالم قال ما أنت بأعلم بهم من غيرك قال بلى والله يرحمك الله ثم أنشأ يقول
(أنا ابنُ بَجْدتِهم علماً وتجربةً ... فسَلْ بِسعدٍ تَجِدْنِي أعلمَ الناس)
(سعدُ بن زيدٍ كثيرٌ إن عددتَّهُم ... ورأسُ سعدِ بن زيد آلُ شَمَّاسِ)
(والزبرقان ذُناباهم وشرُّهُم ... ليس الذُّنابَى أبا العباس كالراس)
فقال ابن عباس أقسمت عليك ألا تقول إلا خيرا قال أفعل ثم قال ابن عباس يا أبا مليكة من أشعر الناس قال أمن الماضين أم من الباقين قال من الماضين قال الذي يقول
ومن يجعل المعروفَ من دون عرضه ... يَفِرْهُ ومن لا يَتّقِ الشتم يُشْتَمِ) وما بدونه الذي يقول)
(ولستَ بمستبقٍ أخاً لا تَلُمُّه ... على شَعَثٍ أيُّ الرجال المهذَّبُ)
ولكن الضراعة أفسدته كما أفسدت جرولا يعنى نفسه والله يا بن عم رسول الله لولا الطمع والجشع لكنت أشعر الماضين فأما الباقون فلا تشك أني أشعرهم وأصردهم سهما إذا رميت
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال روي لنا عن أبي عبيدة والهيثم بن عدي وغيرهما
أن عبد الله بن أبي ربيعة لما قدم من البحرين نزل على الزبرقان بن بدر بمائه فحلأه وهو الماء الذي يقال له بنيان فنزل على بني أنف الناقة بمائهم وهو الذي يقال له وشيع فأكرموه وذبحوا له شاة وقالوا لو كانت إبلنا منا قريبة لنحرنا لك فراح من عندهم يتغنى فيهم بقوله
(وما الزِّبرقانُ يومَ يمنَع ماءه ... بمُحْتَسِبِ التَّقْوى ولا متوكِّلِ)
(مقيمٌ على بُنْيانَ يمنع ماءه ... وماءُ وَشِيعٍ ماءُ ظمآنَ مُرْمِلِ)
قال فركب الزبرقان إلى عمر رضي الله عنه فاستعداه على عبد الله وقال إنه هجاني يا أمير المؤمنين فسأل عمر عن ذلك عبد الله فقال له ياأمير المؤمنين إني نزلت على مائه فحلأني عنه فقال عمر رضوان الله عليه يا زبرقان أتمنع ماءك من ابن السبيل قال يا أمير المؤمنين ألا أمنع ماء حفر آبائي مجاريه ومستقره وحفرته أنا بيدي فقال عمر والذي نفسي بيده لئن بلغني أنك منعت ماءك من أبناء السبيل لا ساكنتني بنجد أبدا فقال بعض بني أنف الناقة يعير الزبرقان ما فعله
(أتدري مِنْ منعت ورودَ حوضٍ ... سَليلَ خضارمٍ مَنعوا البِطَاحَا)
(أزادَ الركبِ تمنَع أم هِشَاماً ... وذا الرُّمْحين أمنعَهم سِلاحَا)
(هم مَنعوا الأباطحَ دون فِهْرٍ ... ومَنْ بالخَيْفِ والبُدْنَ اللِّقَاحَا)
(بضربٍ دونَ بَيْضَتِهم طِلَخْفٍ ... إذ الملهوفُ لاذ بهم وَصَاحَا)
(وما تَدْري بأيِّهِمُ تُلاَقي ... صدورَ المَشْرَفِيّة والرِّمَاحَا)

وصية الحطيئة الظريفة
وللحطيئة وصية ظريفة يأتي كل فريق من الرواة ببعضها وقد جمعت ما وقع إلي منها في موضع واحد وصدرت بأسانيدها أخبرني بها محمد بن العباس اليزدي قال حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال
حدثنا عيينة بن المنهال عن الأصمعي وأخبرني بها أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة ونسختها من كتاب محمد بن الليث عن محمد بن عبد الله العبدي عن الهيثم بن عدي عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبيه وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبيدة وأخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قالوا
لما حضرت الحطيئة الوفاة اجتمع إليه قومه فقالوا يا أبا مليكة أوص فقال ويل للشعر من راوية السوء قالوا أوص رحمك الله يا حطيء قال من الذي يقول
إذا أنْبَض الرامون عنها تَرَنَّمَتْ ... ترنُّمَ ثَكْلَى أوجعتَها الجنائزُ) قالوا الشماخ قال أبلغوا غطفان أنه أشعر العرب قالوا ويحك) أهذه وصية أوص بما ينفعك قال أبلغوا أهل ضابىء أنه شاعر حيث يقول
لكلِّ جديدٍ لذَّةٌ غيرَ أنّني ... رأيتُ جديدَ الموتِ غيرَ لذيذ) قالوا أوص ويحك بما ينفعك قال أبلغوا أهل امرىء القيس أنه) أشعر العرب
حيث يقول
فَيَا لَكَ من لَيْلٍ كأنَّ نجومَهُ ... بكلِّ مُغَار الفَتْل شُدَّتْ بِيَذْبُل) قالوا اتق الله ودع عنك هذا فقال أبلغوا الأنصار أن صاحبهم) أشعر العرب حيث يقول
يُغْشَوْنَ حتى ما تَهِرُّ كلابُهم ... لا يَسْألون عن السَّوَاد المُقْبِل) قالوا هذا لا يغني عنك شيئا فقل غير ما أنت فيه فقال)
(الشِّعْرُ صَعْبٌ وطويلٌ سلَّمُهْ ... إذا ارتقَى فيه الذي لا يَعْلَمُهْ)
زَلَّت به إلى الحَضِيض قَدَمُه ... يريدُ أن يعربه فَيُعْجِمُهْ) قالوا هذا مثل الذي كنت فيه قال)
(قد كنتُ أحياناً شديدَ المعتَمَدْ ... وكنتُ ذا غربٍ على الخَصْمِ ألَدّ)
فَوَرَدَتْ نفسي وما كادتْ تَرِدْ ...) قالوا يا أبا مليكة ألك حاجة قال لا والله و لكن أجزع على المديح الجيد يمدح به من) ليس له أهلا
قالوا فمن أشعر الناس فأومأ بيده إلى فيه وقال هذا الحجير إذا طمع في خير يعني فمه واستعبر باكيا فقالوا له قل لا إله إلا الله فقال
(قالتْ وفيها حَيْدَةٌ وذُعْرُ ... عَوْذٌ بِرَبِّي مِنْكُمُ وحُجْرُ) فقالوا له ما تقول في عبيدك وإمائك فقال هم عبيد قن ما عاقب الليل النهار قالوا فأوص للفقراء بشيء قال أوصيهم بالإلحاح في المسألة فإنها تجارة لا تبور وآست المسؤول أضيق قالوا فما تقول في مالك قال للأنثى من ولدي مثل حظ الذكر قالوا ليس هكذا قضى الله جل وعز لهن قال لكني هكذا قضيت
قالوا فما توصي لليتامى قال كلوا أموالهم ونيكوا أمهاتهم قالوا فهل شيء تعهد فيه غير هذا قال نعم تحملونني على أتان وتتركونني راكبها حتى أموت فإن الكريم لا يموت على فراشه والأتان مركب لم يمت عليه كريم قط فحملوه على أتان وجعلوا يذهبون به ويجيئون عليها حتى مات وهو يقول
(لا أحدٌ ألأمُ من حُطَيَّهْ ... هجا بَنِيهِ وهجا المُرَيَّهْ)
من لُؤمِه ماتَ على فُرَيَّهْ ...) والفرية الأتان)
شعر الحطيئة المغنى
ذكر ما غني فيه من القصائد التي مدح بها الحطيئة بغيضا وقومه وهجا الزبرقان وقومه
منها
صوت
(ألاَ طَرَقَتْنَا بعدَ ما هَجَعُوا هِنْدُ ... وقد جُزْنَ غَوْراً واستَبانَ لنا نَجْدُ)
(وإنّ التي نَكَّبْتُها عن مَعَاشِرٍ ... عَلَيَّ غِضَابٍ أنْ صَدَدْتُ كما صَدُّوا) الغناء لعلويه ثقيل أول بالوسطى عن عمرو وهذه القصيدة التي يقول فيها
(أتتْ آلَ شَمَّاس بن لأْيَ وإنما ... أتاهم بها الأحلامُ والحَسَبُ العِدُّ)
(فإنّ الشقيَّ من تُعادِي صدورُهم ... وذو الجَدِّ مَن لانُوا إليه ومَن وَدُّوا)
(يسوسون أحلاماً بعيداً أناتُها ... فإن غَضِبُوا جاءَ الحَفِيظَةُ والجِدُّ)
(أقِلُّوا عليهم لا أبا لأبيكُمُ ... من اللوم أو سُدُّوا المكانَ الذي سَدُّوا)
(أولئك قومٌ إن بَنْوا أحسنوا البُنَي ... وإن عاهدُوا أوْفَوْا وإن عَقَدُوا شَدُّوا)
(وإن كانت النُّعْمى عليهم جَزَوْا بها ... وإن أنعمُوا لا كدَّروها ولا كَدُّوا)
(وإن قال مَوْلاَهُمْ على جُلِّ حادثٍ ... من الدهرِ رُدُّوا فَضْلَ أحلامِكم رَدُّوا)
(مَطَاعِينُ في الهَيْجا مَكَاشِيفُ للدُّجَى ... بَنىَ لهم آباؤهم وبَنَى الجَدُّ)
ومنها
صوت
(وأدَماءَ حَرْجُوجٍ تَعَالَلْتُ مَوْهِناً ... بسَوْطِيَ فارمَدَّتْ نَجَاءَ الخَفَيْدَدِ)
((إذا آنَستْ وقْعاً من السَّوْط عارضَتْ ... به الجَوْرَ حتى يستقيم ضُحَى الغَدِ
(وتشربُ بالقَعْب الصغير وإن تُقَدْ ... بمِشْفَرِها يوماً إلى الحَوْض تَنْقَدِ)
الموهن وقت من الليل بعد مضى صدر منه
وارمدت نجت والارمداد النجاء والخفيدد الظليم
الغناء لابن محرزخفيف رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق
وذكر الهشامي أن فيه لإبراهيم خفيف رمل آخر وهو في جامع إبراهيم غير مجنس
وفيه خفيف ثقيل مجهول وذكر حبش أنه لمعبد ويشبه أن يكون ليحيى المكي
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني إبراهيم بن المنذر عن ابن عباية عن محمد بن مسلم

الجوسق عن رجل من كعب قال
جئت سوق الظهر فإذا بكثير وإذا الناس متقصفون عليه فتخلصت حتى دنوت منه فقلت أبا صخر قال ما تشاء قلت من أشعر الناس قال الذي يقول
(وآثرتُ إدلاَجِي علي لَيْلِ حُرَّة ... هَضِيمِ الحشا حُسَّانَة المتَجَرَّدِ
تُفَرِّقُ بالمِدْرَى أثِيثاً نباتُه ... على واضح الذِّفْرَى أسيل المُقَلَّدِ) قال قلت هذا الحطيئة قال هو ذاك
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن موسى قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني عن علي بن مجاهد عن هشام بن عروة
أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنشد قول الحطيئة
مَتَى تأتِهِ تَعْشُو إلى ضَوْءِ نارِهِ ... تَجِدْ خَيْرَ نارٍ عندها خَيْرُ مُوقِدِ) فقال عمر كذب بل تلك نار موسى نبي الله)
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية
أن رجلا دخل على الحطيئة وهو مضطجع على فراشه وإلى جانبه سوداء قد أخرجت رجلها من تحت الكساء فقال له ويحك أفي رجلك خف قال لا والله ولكنها رجل سوداء أتدري من هي قال لا قال وهي والله التي أقول فيها
(... وآثرتُ إدلاجي علي ليلِ حُرَّةٍ)
وذكر البيتين والله لو رأيتها يابن أخي لما شربت الماء من يدها قال
فجعلت تسبه أقبح سب وهو يضحك
ومنها
صوت
(ما كان ذنبُ بغيضٍ لا أبَا لَكُمُ ... في بائسٍ جاء يحدو أيْنُقاً شُزُبَا)
(طافتْ أُمامةُ بالرُّكبان آونةً ... يا حُسْنَها من خَيَالٍ زارَ مُنْتَقِبَا)
(إذ تَسْتَبِيكَ بمصقولٍ عَوَارِضُهُ ... حَمْشِ اللّثاتِ تَرَى في مائِهِ شَنَبَا)
قد أخلقتْ عهدَها من بعد جِدّته ... وكذّبتْ حُبَّ مَلْهوفٍ وما كَذَبَا) الغناء لابن سريج رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة)
ومنها
صوت
(جَزَى اللهُ خيرا والجزاءُ بكفّه ... بأحسنِ ما يَجْزِي الرجالَ بغيضا)
(فلو شاءَ إذ جئناه صَدَّ فلم يُلَمْ ... وصادفَ مَنْأًى في البلاد عريضا)
الغناء للهذلي ثقيل أول بالبنصر عن الهشامي
أخبار ابن عائشة ونسبه
محمد بن عائشة ويكنى أبا جعفر ولم يكن يعرف له أب فكان ينسب إلى أمه ويلقبه من عاداه أو أراد سبه ابن عاهة الدار
وكان هو يزعم أن اسم أبيه جعفر وليس يعرف ذلك
وعائشة أمه مولاة لكثير بن الصلت الكندي حليف قريش
وقيل إنها مولاة لآل المطلب بن أبي وداعة السهمي ذكر ذلك إسحاق عن محمد بن سلام
وحكى ابن الكلبي القول الأول وقال إسحاق هو الصحيح يعني قول ابن الكلبي
وقال إسحاق فيما رواه لنا الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه إن محمد بن معن الغفاري ذكر له عن أبي السائب المخزومي أن ابن عائشة مولى المطلب بن أبي وداعة السهمي وإنه كان لغير رشدة فأدركت المشيخة وهم إذا سمعوا له صوتا حسنا قالوا أحسن ابن المرأة
قال إسحاق وقال عمران بن هند الأرقمي بل كان مولى لكثير بن الصلت
قال إسحاق قال عبيد الله بن محمد بن عائشة قال الوليد بن يزيد لابن عائشة يا محمد ألغية أنت قال كانت أمي يا أمير المؤمنين ماشطة وكنت
غلاما فكانت إذا دخلت إلى موضع قالوا ارفعوا هذا لابن عائشة فغلبت على نسبي
المغني الذي يصلح لمنادمة الخلفاء والملوك
قال إسحاق وكان ابن عائشة يفتن كل من سمعه وكان فتيان من المدينة قد فسدوا في زمانه بمحادثته ومجالسته
وقد أخذ عن معبد ومالك ولم يموتا حتى ساواهما على تقديمه لهما واعترافه بفضلهما
وقد قيل إنه كان ضاربا ولم يكن بالجيد الضرب وقيل بل كان مرتجلا لم يضرب قط
و ابتداؤه بالغناء كان يضرب به المثل فيقال للإبتداء الحسن كائنا ما كان من قراءة قرآن أو إنشاد شعر أو غناء يبدأ به فيستحسن كأنه ابتداء ابن عائشة
قال إسحاق وسمعت علماءنا قديما وحديثا يقولون ابن عائشة أحسن الناس ابتداء وأنا أقول إنه أحسن الناس ابتداء
وتوسطا وقطعا بعد أبي عباد معبد وقد سمعت من يقول إن ابن عائشة مثله وأما أنا فلا أجسر على أن أقول ذلك
وكان ابن عائشة غير جيد اليدين فكان أكثر ما يغني مرتجلا
وكان أطيب الناس صوتا
قال إسحاق وحدثني محمد بن سلام قال قال لي جرير لا تخدعن عن أبي جعفر محمد بن عائشة فلولا صلف كان فيه لما كان بعد أبي عباد مثله
أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني محمد بن أحمد بن يحيى المكي عن أبيه عن جده قال ثلاثة من المغنين كانوا أحسن الناس حلوقا ابن عائشة وابن تيزن وابن أبي الكنات
حدثني عمي قال حدثنا محمد بن داود بن الجراح قال حدثنا أحمد بن زهير
قال حدثني مصعب الزبيري عن أبيه قال
رأى ابن أبي عتيق حلق ابن عائشة مخدشا فقال من فعل هذا بك قال فلان فمضى فنزع ثيابه وجلس للرجل على بابه فلما خرج أخذ بتلبيبه وجعل يضربه ضربا شديدا والرجل يقول له مالك تضربني أي شيء صنعت وهو لا يجيبه حتى بلغ منه ثم خلاه وأقبل على من حضر فقال هذا أراد أن يكسر مزامير داود شد على ابن عائشة فخنقه وخدش حلقه
قال إسحاق في خبره وحدثني أبي عن سياط عن يونس الكاتب قال ما عرفنا بالمدينة أحسن ابتداء من ابن عائشة إذا

غنى ولو كان آخر غنائه مثل أوله لقدمته على ابن سريج
قال إبراهيم هو كذاك عندي وقال إسحاق مثل قولهما
قال وقال يونس كان ابن عائشة يضرب بالعود ولم يكن مجيدا وكان غناؤه أحسن من ضربه فكان لا يكاد يمس العود إلا أن تجتمع جماعة من الضراب فيضربون عليه ويضرب هو ويغني فناهيك به حسنا
أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن صالح بن حسان أنه ذكر يوما المغنين بالمدينة فقال لم يكن بها أحد بعد طويس أعلم من ابن
عائشة ولا أظرف مجلسا ولا أكثر طيبا وكان يصلح أن يكون نديم خليفة أو سمير ملك
قال إسحاق فأذكرني هذا القول قول جميلة له وأنت يا أبا جعفر فمع الخلفاء تصلح أن تكون
قال إسحاق وحدثني المدائني قال حدثني جرير قال كان ابن عائشة تائها سيىء الخلق فإن قال له إنسان تغن قال ألمثلي يقال هذا وإن قال له إنسان وقد ابتدأ هو بغناء احسنت قال ألمثلي يقال أحسنت ثم يسكت فكان قليلا ما ينتفع به فسال العقيق مرة فدخل عرصة سعيد بن العاصي الماء حتى ملأها فخرج الناس إليها وخرج ابن عائشة فيمن خرج فجلس على قرن البئر فبينا هم كذلك إذ طلع الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام على بغلة و خلفه غلامان أسودان كأنهما من الشياطين فقال لهما امضيا رويدا حتى تقفا بأصل القرن الذي عليه ابن عائشة فخرجا حتى فعلا ذلك ثم ناداه الحسن كيف أصبحت يا بن عائشة قال بخير فداك أبي وأمي قال انظر من إلى جنبك فنظر فإذا العبدان فقال له أتعرفهما قال نعم قال فهما حران لئن لم تغنني مائة صوت لآمرنهما بطرحك في البئر وهما حران لئن لم يفعلا لأقطعن أيديهما فاندفع ابن عائشة فكان أول ما ابتدأ به صوتا له وهو
(ألا لله درُّكَ من ... فَتى قومٍ إذا رَهِبُوا) ثم لم يسكت حتى غنى مائة صوت فيقال إن الناس لم يسمعوا من ابن عائشة أكثر مما سمعوا في ذلك اليوم وكان آخر ما غنى
صوت
قل للمنازل بالظَّهْرَانِ قد حانا ... أن تنطقي فتُبِيني القول تِبْيَانَا) قال جرير فما رئي يوم أحسن منه ولقد سمع الناس) شيئا لم يسمعوا مثله وما بلغني أن أحدا تشاغل عن استماع غنائه بشيء ولا انصرف أحد لقضاء حاجة ولا لغير ذلك حتى فرغ ولقد تبادر الناس من المدينة وما حولها حيث بلغهم الخبر لاستماع غنائه فيقال إنه ما رئي جمع في ذلك الموضع مثل ذلك الجمع ولقد رفع الناس أصواتهم يقولون له أحسنت والله أحسنت والله ثم انصرفوا حوله يزفونه إلى المدينة زفا
نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني
منها
صوت
(ألا لله درُّكَ مِنْ ... فتى قومٍ إذا رَهِبُوا)
(وقالوا مَنْ فتىً للحرب ... يَرْقُبُنا ويرْتَقِبُ)
(فكنتَ فتاهمُ فيها ... إذا تُدْعَى لها تَثِبُ)
(ذكرتُ أخي فعاودَنِي ... رُدَاعُ السُّقْمِ والوَصَبُ)
((كما يعتاد ذاتِ البوِّ ... بعد سُلُوِّها الطَّربُ)
على عَبْد بن زُهْرَةَ بتٌّ ... طولَ الليل أنتحبُ) الشعر لأبي العيال الهذلي)
والغناء لمعبد وله فيه لحنان أحدهما ثقيل أول بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق يبدأ فيه بقوله
ذكرتُ أخي فعاودَني ... رداعُ السقم والوصبُ) والآخر خفيف رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة وفيه لابن عائشة خفيف) رمل آخر وقيل بل هو لحن معبد
وذكر حماد بن إسحاق أن خفيف الرمل لمالك
البو جلد يحشى تبنا ويجفف ليكلا تخبث رائحته ويدنى إلى الناقة التي قد نحر فصيلها أو مات لتشمه فتدر عليه
ومنها
صوت
(قل للمنازل بالظَّهْرانِ قد حانا ... أن تنطقي فتُبِيني القولِ تِبْيانَا)
قالت ومن أنت قل لي قلتُ ذو شَغَفٍ ... هِجْتِ له من دَوَاعِي الحبِّ أحْزانَا) الشعر لعمر بن أبي ربيعة)
والغناء لابن عائشة خفيف ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي وحبش
وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات حدثني عبد الرحمن بن
سليمان عن علي بن الجهم الشاعر قال حدثني رجل
أن ابن عائشة كان واقفا بالموسم متحيرا فمر به بعض أصحابه فقال له ما يقيمك هاهنا فقال إني أعرف رجلا لو تكلم لحبس الناس هاهنا فلم يذهب أحد ولم يجيء فقال له الرجل ومن ذاك قال أنا ثم اندفع يغني
جرتْ سُنُحاً فقلتُ لها أجِيزي ... نَوىً مشمولةً فمتى اللقاءُ) قال فحبس الناس واضطربت المحامل ومدت الإبل أعناقها) وكادت الفتنة أن تقع
فأتي به هشام بن عبد الملك فقال له يا عدو الله أردت أن تفتن الناس قال فأمسك عنه وكان تياها فقال له هشام ارفق بتيهك فقال حق لمن كانت هذه مقدرته على القلوب أن يكون تياها فضحك منه وخلى سبيله
نسبة هذا الصوت الذي غناه ابن عائشة
صوت
(جرتْ سُنُحاً فقلتُ لها أَجِيزي ... نَوىً مشمولةً فمتى اللقاءُ)
بنفْسِي مَنْ تذكُّره سَقَامٌ ... أعانيه ومَطْلَبُه عَنَاءُ) السانح ما أقبل من شمالك يريد يمينك والبارح ضده)
وقال أبو عبيدة سمعت
يونس بن حبيب يسأل رؤبة عن السانح والبارح فقال السانح ما ولاك ميامنه والبارح ما ولاك مشائمه
وقوله أجيزي أي انفذي
قال الأصمعي يقال أجزت الوادي إذا قطعته وخلفته وجزته أي سرت فيه فتجاوزته وجاوزته مثله

قال أوس بن مغراء
ولا يَريمُون في التعريف موقفهم ... حتى يقالَ أجيزُوا آلَ صوفانا) ومشمولة سريعة الانكشاف)
أخذه من السحابة المشمولة وهي التي تصيبها الشمال فتكشفها ومن شأن الشمال أن تقطع السحاب واستعارها
هاهنا في النوى لسرعة انكشافهم فيها عن بلدهم وأجرى ذلك مجرى الذم للسانح لأنه يتشاءم به
البيت الأول من الشعر لزهير بن أبي سلمى والثاني محدث ألحقه المغنون به لا أعرف قائله
والغناء لابن عائشة ولحنه خفيف ثقيل أول بالبنصر
الوليد يشرب وابن عائشة يغني ومعبد بمزجر الكلب
أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إسحاق
وأخبرني به محمد بن مزيد والحسين بن يحيى قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية قال
كتب الوليد بن يزيد إلى يوسف بن عمر أما بعد فإذا قرأت كتابي هذا فسرح إلي حمادا الراوية على ما أحب من دواب البريد وأعطه عشرة آلاف درهم يتهيأ بها
قال فأتاه الكتاب وأنا عنده فنبذه إلى فقلت السمع والطاعة فقال يادكين مر شجرة يعطيه عشرة آلاف درهم فأخذتها
فلما كان اليوم الذي أردت الخروج فيه أتيت يوسف بن عمر فقال يا حماد أنا بالموضع الذي قد عرفته من أمير المؤمنين ولست مستغنيا عن ثنائك فقلت أصلح الله الأمير إن العوان لا تعلم الخمرة وسيبلغك قولي وثنائي
فخرجت حتى انتهيت إلى الوليد وهو بالبخراء فاستأذنت عليه فأذن لي فإذا هو على سرير ممهد وعليه ثوبان أصفران إزار ورداء يقيئان الزعفران قيئا وإذا عنده معبد ومالك بن أبي السمح وأبو كامل مولاه فتركني حتى سكن جأشي ثم قال أنشدني
(...أمِنَ المنونَ ورَيْبِها تتوجّع)
فأنشدته حتى أتيت على آخرها فقال لساقيه يا سبرة اسقه فسقاني ثلاثة أكؤس خثرن ما بين الذؤابة والنعل
ثم قال يا مالك غنني
ألاَ هل هاجَكَ الأظعانُ ... إذ جاوزْنَ مُطَّلَحا) ففعل)
ثم قال له غنني
(جَلاَ أُمَيَّةُ عنِّي كلَّ مظْلَمَةٍ ... سَهْل الحجابِ وأوفى بالذي وَعَدا)
ففعل
ثم قال له غنني
أتَنسى إذ تُوَدِّعنا سُلَيْمَى ... بفَرْع بَشَامةٍ سُقِيَ البَشَامُ) ففعل ثم قال ياسبرة أو يا أبا سبرة اسقني بزب فرعون)
فأتاه بقدح معوج فسقاه به عشرين ثم أتاه الحاجب فقال أصلح الله أمير المؤمنين الرجل الذي طلبت بالباب قال ادخله
فدخل شاب لم أر شابا أحسن وجها منه في رجله بعض الفدع فقال يا سبرة اسقه فسقاه كأسا ثم قال له غنني
وهْي إذ ذاكَ عليها مِئْزَرٌ ... ولها بيتٌ جَوَارٍ من لُعَبْ) فغناه فنبذ إليه الثوبين)
ثم قال له غنني
(طاف الخيالُ فَمرْحَبا ... ألفاً برؤية زينَبا)
فغضب معبد وقال يا أمير المومنين إنا مقبلون عليك بأقدارنا وأسناننا وإنك تركتنا بمزجر الكلب وأقبلت على هذا الصبي
فقال والله يا أبا عباد ما جهلت قدرك ولا سنك ولكن هذا الغلام طرحني في مثل الطناجير من حرارة غنائه
قال حماد الراوية فسألت عن الغلام فقيل لي هو ابن عائشة
نسبه ما في هذا الخبر من الأغاني
صوت
(جَلاَ أميَّةُ عنِّي كل مظْلِمَةٍ ... سَهْلُ الحجابِ وأوْفَى بالذي وَعَدَا)
(إذا حَلَلْتُ بأرضٍ لا أراكَ بها ... ضاقتْ عليّ ولم أعرفْ بها أحدا)
الغناء لابن عباد الكاتب خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق
وذكر عمرو بن بانة أنه لعمر الوادي
وذكر حبش أن فيه لمالك لحنا من خفيف الثقيل الأول بالوسطى
ومنها
صوت
(أتَنْسَى إذ تودِّعُنا سُلَيْمَى ... بفَرْع بَشامةٍ سُقِيَ البَشَامُ)
(متى كان الخِيَامُ بذي طُلُوحٍ ... سُقِيتِ الغيثَ أيتُها الخِيَامُ)
((أتَمْضُون الخيامَ ولم نُسلِّم ... كلامُكُم عليّ إذاً حرامُ
(بنفسي مَنْ تجنُّبُه عزيزٌ ... عليّ ومَنْ زيارتُه لِمَامُ)
(ومن أمسِي وأُصبِح لا أراه ... ويطْرُقُني إذا رَقَدَ النِّيَامُ)
الشعر لجرير
والغناء لابن سريج وله في هذه الأبيات ثلاثة الحان أحدهما في الأول والرابع ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق والآخر في الثاني ثم الأول ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو والآخر في الثالث وما بعده رمل بالبنصر عن الهشامي وحبش وللدلال في الثاني والثالث ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق والمكي
وللغريض في الأول والثاني والثالث خفيف رمل بالبنصر عن عمرو
وفيها لمالك ثقيل أول بالبنصر عن الهشامي
ولابن جامع في الأول والثاني والرابع والخامس هزج عن الهشامي
وفيها لابن جندب خفيف ثقيل بالبنصر
ومنها الصوت الذي أوله في الخبر
وهي إذ ذاك عليها مِئْزَرٌ ...) وأوله)

صوت
(عِهِدَتْنِي ناشِئاً ذا غِرَّةٍ ... رَجِلَ الجُمَّةِ ذا بَطْنٍ أقبّ)
(أتبعُ الولدانَ أُرخِي مِئزري ... ابنَ عَشْرٍذا قُرَيْطٍ من ذهبْ)
(وهي إذ ذاك عليها مئزرٌ ... ولها بيتُ جَوَارٍ من لُعَبْ)
الشعر لامرىء القيس ويقال إنه أول شعر شبب فيه بالنساء
والغناء لابن عائشة ثاني ثقيل بالبنصر عن الهشامي ودنانير وحماد بن إسحاق
وفيه خفيف ثقيل بالبنصر ذكر حماد في أخبار جميلة أنه لها وذكر حبش والهشامي أنه لابن سريج وقيل إنه لغيرهما
ومنها
صوت
(ألاَ هل هاجكَ الأظعا ... نُ إذ جاوزْن مُطَّلَحَا)
(نعمْ ولِوَشكِ بَيْنِهِمُ ... جَرى لكَ طائرٌ سَنُحَا)
(أخَذْنَ الماءَ من رَكَكٍ ... وضوءُ الفجرِ قد وضَحا)
(يَقُلْنَ مَقِيلُنا قَرْنٌ ... نُباكِرُ ماءَه صُبُحَا)
(تبعتهمُ بِطَرْفِ العي ... نِ حتى قيل لي افتضَحا)
((وهي إذ ذاك عليها مئزرٌ ... ولها بيتُ جَوَارٍ من لُعَبْ
الشعر لامرىء القيس ويقال إنه أول شعر شبب فيه بالنساء
والغناء لابن عائشة ثاني ثقيل بالبنصر عن الهشامي ودنانير وحماد بن إسحاق
وفيه خفيف ثقيل بالبنصر ذكر حماد في أخبار جميلة أنه لها وذكر حبش والهشامي أنه لابن سريج وقيل إنه لغيرهما
ومنها
صوت
(ألاَ هل هاجكَ الأظعانُ ... إذ جاوزْن مُطَّلَحَا)
(نعمْ ولِوَشكِ بَيْنِهِمُ ... جَرى لكَ طائرٌ سَنُحَا)
(أخَذْنَ الماءَ من رَكَكٍ ... وضوءُ الفجرِ قد وضَحا)
(يَقُلْنَ مَقِيلُنا قَرْنٌ ... نُباكِرُ ماءَه صُبُحَا)
(تبعتهمُ بِطَرْفِ العين ... حتى قيل لي افتضَحا)
((يودِّع بعضُنا بعضاً ... وكلٌّ بالهوى جَرِحا
(فمن يفرحْ ببينِهمُ ... فغيري إذ غَدَوْا فَرِحَا)
الشعر ترويه الرواة جميعا لعمر بن أبي ربيعة سوى الزبير بن بكار فإنه رواه عن عمه وأهله لجعفر بن الزبير بن العوام وقد ذكر خبره في هذا مع أخباره المذكورة في آخر الكتاب
ورواه الزبير إذ جاوزن من طلحا وقال ليس على وجه الأرض موضع يقال له مطلح
والغناء لمالك وله فيه لحنان ثقيل أول بالبنصر عن إسحاق وخفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو
وفيه لمعبد ثقيل أول بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق
وفيه لابن سريج في الخامس وهو تبعتهم بطرف العين إلى آخر الأبيات ثقيل أول مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق
وفيها للغريض ثان ثقيل بالوسطى عن الهشامي قال وهو الذي فيه استهلال
وذكر ابن المكي أن الثقيل الثاني لمالك وخفيف الثقيل للغريض
ومنها
صوت
(طرَق الخيالُ فَمرْحبَا ... ألفاً برؤيةِ زينبَا)
(أنَّي اهتديتَ لِفتْيةٍ ... سَلَكُوا السَّبِيل فعلْيَبا)
عندما يغني ابن عائشة ينسى الناسك زهده
أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة عن محمد بن سلام قال حدثني جرير قال
أخذ بعض ولاة المدينة المغنين والمخنثين والسفهاء بلزوم مسجد رسول اللهوكان في المسجد رجل ناسك يكنى أبا جعفر مولى لابن عياش بن أبي ربيعة المخزومي يقرىء الناس القرآن وكان ابن عائشة يلازمه فخلا لابن عائشة يوما الموضع مع أبي جعفر فقرأ له فطرب ورجع فسمع الشيخ صوتا لم يسمع مثله قط فقال له يابن أخي أفسدت نفسك وضيعتها فلو أنك لزمت المسجد وتعلمت القرآن لأقمت للناس في مسجد رسول اللهفي شهر رمضان ولأصبت بذلك من الولاة خير فوالله ما دخل أذني قط صوت أحسن من صوتك فقال ابن عائشة فكيف لو سمعت يا أبا جعفر صوتي في الأمر الذي صنع له قال وما هو قال انطلق معي حتى أسمعكه فخرج معه إلى ميضأة ببقيع الغرقد عند دار المغيرة بن شعبة وكان أبو جعفر يتوضأ عندها كل يوم فاندفع ابن عائشة يغني
ألآنَ أبصرت الهدى ... وعلا المَشيبُ مَفَارِقِي) فبلغ ذلك من الشيخ كل مبلغ وقال يابن أخي هذا حسن وأنا أشتهي أن أسمعه ولكن لا أطلبه ولا أمشي إليه قال ابن عائشة فعلي أن أسمعكه فكان يرصده فإذا خرج أبو جعفر يتوضأ خرج ابن عائشة في أثره حتى يقف خلف جدار الميضأة بحيث يسمع غناءه فيغنيه أصواتا حتى يفرغ أبو جعفر من وضوئه
فلم يزل يفعل ذلك حتى أطلقوا من لزوم المسجد
نسبه هذا الصوت
صوت
(طَرقَ الخيالُ المُعْتري ... وَهْنَاَ فؤادَ العاشقِ)
(طَيْفٌ ألمّ فهاجَنِي ... للبَيْنِ أُمَّ مُسَاحِقِ)
(ألآنَ أبصرتُ الهدى ... وعلا المَشِيبُ مفارِقِي)
(وتركتُ أمر غَوَايتي ... وسلكتُ قصدَ طرائقي)
(ولقد رضيتُ بعيشنا ... إذ نحن بين حدائِقِ)

(وركائبٌ تَهْوي بنا ... بين الدُّروبِ فدَابق)
الشعر للوليد بن يزيد ويقال إنه لابن رهيمة
والغناء لابن عائشة رمل بالبنصر عن عمرو وذكره يونس أيضا له في كتابه
وفيه لأبي زكار الأعمى خفيف رمل بالوسطى عن عمرو والهشامي
وذكر ابن خرداذبه أنه لأبي زكار الأعمى وهو قديم وأنه وجد ذلك في كتاب يونس
وفيه لحكم الوادي في كتاب يونس غير مجنس ولا أدري أيها هو
وفي هذه الأبيات خفيف ثقيل متنازع فيه نسب إلى معبد وإلى مالك ولم أجده لهما عن ثقة وأظنه لحن حكم
الحسن بن الحسن مع ابن عائشة في البغيبغة
أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر البوشنجي والحسين بن يحيى الأعور المرداسي قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلام عن أبيه قال
كان الحسن بن الحسن مكرما لابن عائشة محبا له وكان ابن عائشة منقطعا
إليه وكان من أتيه خلق الله وأشده ذهابا بنفسه فسأله الحسن أن يخرج معه إلى البغيبغة فامتنع ابن عائشة من ذلك فأقسم عليه فأبى فدعا بغلمان له حبشان وقال نفيت من أبي لئن لم تسر معي طائعا لتسيرن كارها ونفيت من أبي لئن لم ينفذوا أمري فيك لأقطعن أيديهم
فلما رأى ابن عائشة ما ظهر من الحسن علم أنه لابد من الذهاب فقال له بأبي أنت وأمي أنا أمضي معك طائعا لا كارها فأمر الحسن بإصلاح ما يحتاج إليه وركب وأمر لابن عائشة ببغلة فركبها ومضيا حتى صارا إلى البغيبغة فنزلا الشعب وجاءهم ما أعدوا فأكلوا ثم أمر الحسن بأمره وقال يا محمد فقال له لبيك يا سيدي قال غنني فاندفع فغناه
صوت
(يدعو النَّبي بعمِّه فيُجيبُه ... يا خيرَ من يدعو النبيَّ جَلاَلاَ)
(ذهب الرجالُ فلا أُحِسّ رجالا ... وأرى الإقامةَ بالعِراق ضلالاَ)
(وأرى المرجِّيَ للعراق وأهلِه ... ظَمْآنَ هاجِرةٍ يؤمِّل آلاَ)
(وطَرِبتُ إذ ذكر المدينةَ ذاكرٌ ... يوم الخميس فهاج لي بَلْبالاَ)
(فَظَلِلْتُ أنظر في السماء كأنني ... أبغي بناحية السماء هلالاَ)
الشعر لابن المولى من قصيدة طويلة قالها وقد قدم إلى العراق
لبعض أمره فطال مقامه بها واشتاق إلى بلده
وقد ذكر خبره في موضعه من هذا الكتاب
والغناء لابن عائشة ثقيل أول بالبنصر عن حماد والهشامي وحبش
وقال الهشامي خاصة فيه لحن لقراريط فقال له الحسن أحسنت والله يابن عائشة فقال ابن عائشة والله لا غنيتك في يومي هذا شيئا فقال الحسن فوالله لا برحت البغيبغة ثلاثة أيام فاغتم ابن عائشة ليمينه وندم وعلم أنه لا حيلة له إلا المقام فأقاموا فلما كان اليوم الثاني قال له الحسن هات ما عندك فقد برت يمينك وكانوا جلوسا على شيء مرتفع فنظروا إلى ناقة تقدم جماعة إبل فاندفع ابن عائشة فغنى
(تَمُرّ كجَنْدلة المَنْجنيقِ ... يُرْمى بِها السورُ يوم القتالِ)
(فماذا تُخَطرف من قُلّة ... ومن حَدَبٍ وإكامٍ توالي)
(ومن سيرها العَنَقُ المُسْيطرُ ... والعَجْرفيّة بعد الكَلاَلِ)
فقال له الحسن ويلك يا محمد لقد أحسنت الصنعة فسكت ابن عائشة ثم قال له غنني فغناه
(إذا ما انتشيتُ طَرَحْتُ اللِّجامَ ... في شَدْقِ مُنْجَرِدٍ سَلْهَبِ)
(يبُذّ الجِياد بتَقْريبِه ... ويأوي إلى حُضُرٍ مُلْهِبِ)
((كُمَيْتٌ كأنّ على مَتْنِهِ ... سبائكَ من قِطَعِ المُذْهَبِ
كأنّ القَرَنْفُل والزنجبيل ... يُعَلُّ على ريقِها الأطيبِ) فقال له الحسن أحسنت يا محمد فقال له ابن عائشة لكنك بأبي أنت وأمي قد ألجمتني بحجر فما أطيق الكلام
فأقاموا باقي يومهم يتحدثون فلما كان اليوم الثالث قال الحسن هذا آخر أيامك يا محمد فقال ابن عائشة عليه وعليه إن غناك إلا صوتا واحدا حتى تنصرف وعليه عليه إن حلفت ألا أبر قسمك ولو في ذهاب روحه فقال له الحسن فلك الأمان على محبتك فاندفع فغناه
صوت
(أنعم الله لي بذا الوجهِ عيناً ... وبه مرحباً وأهلاً وسهلاً)
(حين قالت لا تذكرنْ حديثي ... يابن عمّي أقسمتُ قلتُ أجلْ لا)
لا أخون الصديقَ في السرِّ حتّى ... ينقلَ البحرُ بالغرابيل نقلا) قال ثم انصرف القوم فما رأى الحسن بن الحسن ابن عائشة بعدها
نسبة ما لم تمض نسبته في الخبر من هذه الأصوات
منها
صوت
(تَمُرّ كجَنْدلة المَنْجنيقِ ... يُرْمى بِها السورُ يوم القتالِ)
(فماذا تُخَطرف من قُلّة ... ومن حَدَبٍ وإكامٍ توالي)
(ومن سيرها العَنَقُ المُسْيطرُ ... والعَجْرفيّة بعد الكَلاَلِ)
(ألا يا لَقومٍ لِطَيْف الخيالِ ... أرّق من نازح ذي دَلالِ)
((يُثَنِّي التحيّة بعد السلا ... م ثمّ يُفدّي بعمٍّ وخالِ
(خيالٌ لسَلْمَى فقد عاد لي ... بنُكْسٍ من الحبّ بعد اندمال)
أما الذي قاله الشاعر في هذا الشعر فإنه قال يمر بالياء لأنه وصف به حمارا وحشيا ولكن المغنين جميعا يغنونه بالتاء على لفظ المؤنث وقد وصف في هذه القصيدة الناقة ولم يذكر من صفتها إلا قوله

ومن سيرها العَنَقُ المُسْبطرّ ...) ولكن المغنين أخذوا من صفة العير شيئا ومن صفة الناقة شيئا فخلطوهما وغنوا) فيهما
وقوله
فماذا تَخَطْرَف من قُلّة ...) يعني أنه يمر بالموضع المرتفع فيطفره)
وروي الأصمعي
فماذا تَخَطْرف من حالقٍ ... ومن قُلّة وحجابٍ وجال) فالحالق ما أشرف)
والحجاب ما حجب عنك ما بين يديك من ألارض
والجال حرف الشيء يقال له جال وجول
والعنق المسبطر المسترسل السهل
والعجرفية التعسف والإسراع
يقول إذا كلت وتعبت تعجرفت في السير من بقية نفسها وشدتها
وروى الأصمعي فيها
خَيالٌ لجَعْدَةَ قد هاج لِي ... نُكاساً من الحبّ بعد اندمالِ) يقال نكس ونكاس بمعنى واحد وهو عود المرض بعد الصحة)
والأندمال الإفاقة من العلة واندمال الجرح برؤه
فأما الأبيات التي يصف فيها الناقة فقوله
(فسَلّ الهمومَ بعَيْرانةٍ ... مُواشِكةِ الرَّجْعِ بعد انتقال)
((ذَمُولٍ تَزِفُّ زفِيفَ الظّليم ... شمرّ بالنَّعْفِ وَسْطَ الرِّئالِ)
(وتَرْمَدُّ هَمْلَجةً زَعْزعاً ... كما انخرط الحبلُ فوق المَحالِ)
(ومن سيرها العَنَقُ المُسْبَطِرّ ... والعَجْرَفيّةُ بعد الكَلالِ)
كأني ورحلي إذا رعتها ... على جمزى جازىءٍ بالرمال) وأما صفة الحمار في هذه القصيدة فقوله فيه وفي الأتن)
(فظَلّ يُسوّف أبوالَها ... ويُوفي زيازيَ حُدْبَ التِّلالِ)
(فطاف بتعشيره وانتحى ... جوائلَها وهو كالمُستَجالِ)
((تَهادى حوافرُها جَنْدَلاً ... زواهقَ ضربَ قُلاتٍ بِقالِ
(رمَى بالجَرَاميِز عُرْضَ الوَجِين ... وارمدّ في الجري بعد انفتال)
(بشأوٍ له كضَريم الحريق ... أوِ شِقّةِ البرق في عُرْض خالِ)
(يمرُ كجَنْدلة المَنْجَنيق ... يُرْمَى بها السورُ يوم القتالِ)
(فماذا تَخَطْرف من حالقٍ ... ومن حَدَبٍ وحجابٍ وَجالِ)
الشعر لأمية بن أبي عائذ الهذلي
والغناء لابن عائشة
ولحن ابن عائشة مشكوك فيه أي الألحان المصنوعة في هذا الشعر هو فيقال إنه خفيف الرمل ويقال إنه هو الثقيل الأول ويقال إنه الرمل
فأما خفيف الرمل فهو بالخنصر في مجرى الوسطى وذكره إسحاق في موضع فتوقف عنه ولم ينسبه ونسبه في موضع آخر إلى ابن أبي يزن المكي
ونسبه عمرو بن بانة إلى معبد وقال فيه خفيف رمل آخر لمالك
وذكره يونس في أغاني ابن أبي يزن المكي ونسبه ولم يجنسه
وذكر ابن خرداذبه والهشامي أن فيه لهشام بن المرية لحنا من الثقيل الأول ورأيت ذلك أيضا في بعض الكتب بخط علي بن يحيى المنجم كما ذكرا
وذكر إسحاق أن الرمل مطلق في مجرى الوسطى وأنه لابن عائشة
وذكر أحمد بن المكي أنه لأبيه وذكر غيره أنه غلط وأن لحن أبيه هو الثقيل الأول والرمل لابن عائشة
وقال حبش فيه لابن سريج هزج خفيف بالوسطى
ومنها وقد مضى تفسيره في الخبر واقتصر على البيت الأول منه
صوت
إذا ما انتشيتُ طَرحتُ اللِّجامَ ... في شَدْق مُنْجَردٍ سَلْهَبِ) الشعر للنابغة الجعدي والغناء لابن عائشة خفيف ثقيل) بالوسطى عن الهشامي وحماد
ومنها الصوت الذي أوله
(... أنعَمَ اللّه بذا الوجهِ عيناً)
وقد جمع مع سائر ما يغني فيه من القصيدة وهو
(أَثْلَ جُودِي على المتيِّم أثلالا ... تزيدي فؤادَه أثْلَ خَبْلاَ)
(أثْلَ إنّي والراقصات بجَمْعٍ ... يتبارَيْن في الأزمّة فُتْلا)
(سابحاتٍ يَقْطعْن من عرفاتٍ ... بين أيدي المَطيّ حَزْنا وسهلا)
(والأكفَّ المُطهّراتِ على الرُّكن ... لِشُعْثٍ سعَوْا إلى البيت رَجْلا)
(لا أخون الصديق في السرّ حتّى ... يُنْقلَ البحر بالغرابيل نَقْلا)
(أو تمورَ الجبالُ مَوْرَ سَحابٍ ... مرْتَقٍ قد وَعَى من الماء ثِقْلا)
(أنعم اللّه لي بذا الوجهَ عيناً ... وبه مرحباً وأهلاً وسهلاً)
(حين قالت لا تُفْشِيَنّ حديثي ... يابن عمّي أقسمتُ قلتُ أجَلْ لا)
((فاتقي اللّه واقبلي العذر منيّ ... وتجافي عن بعض ما كان زَلاّ
(إن أكن سؤتُكم به فلكِ العُتْبَى ... لَدَنيا وحقَّ ذاك وقلاّ)
(لم أُرحّب بأن سَخِطتِ ولكنْ ... مرحباً أن رضيتِ عنّا وأهلا)
(إنّ شخصاً رأيتُه ليلة البدر ... عليه ابتنَى الجمالُ وَحَلاّ)

(جعل الله كلّ أنثى فِداءً ... لكِ بل خدَّها لرجليْكِ نعلا)
(وجهُكِ الوجهُ لو سألتِ به المزنَ ... من الحسن والجمال استهلّا)
الشعر للحارث بن خالد املخزومي والغناء لمعبد في الأربعة الأبيات الأول خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو بن بانة لابن هوبر في الأول والثاني ثقيل أول عن إسحاق
ولابن سريج في الأول والثاني والخامس ثقيل أول وآخر بالبنصر أوله استهلال وللغريض في الخامس وما بعده إلى التاسع خفيف ثقيل بالوسطى
ولدحمان في التاسع والثالث عشر والرابع عشر خفيف ثقيل أول بالبنصر
ولمالك في التاسع إلى آخر الثاني عشر لحن من كتاب يونس ولم يقع إلي من يجنسه
ولابن سريج فيها بعينها رمل بالوسطى عن الهشامي وفيها أيضا للغريض خفيف رمل بالبنصر
ولابن عائشة في السابع والثامن لحن ذكره حماد عن أبيه ولم يجنسه
الوليد بن يزيد يطرب لغنائه
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وإسماعيل بن يونس الشيعي وحبيب بن نصر المهلبي قالوا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن سلام وأخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر والحسين بن يحيى قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلام عن أبيه عن شيخ من تنوخ ولم يقل عمر بن شبة في خبره محمد بن سلام عن أبيه ورواه عن محمد عن شيخ من تنوخ قال
كنت صاحب ستر الوليد بن يزيد فرأيت ابن عائشة عنده وقد غناه
صوت
(إنِّي رأيتُ صَبيحةَ النَّفْرِ ... حُوراً نَفَيْنَ عزيمةَ الصبرِ)
(مثلَ الكواكب في مطالعها ... بعد العشاء أطفْنَ بالبدرِ)
(وخرجتُ أبغِي الأجْرَ مُحتسباً ... فرجَعتُ مَوْفوراً من الوزْرِ)
قال إسحاق في خبره والشعر لرجل من قريش والغناء لمالك
هكذا في خبر إسحاق
وما وجدته ذكره لمالك في جامع أغانيه
ووجدته في غناء ابن سريج خفيف رمل بالوسطى عن الهشامي قال فطرب الوليد حتى كفر وألحد وقال يا غلام اسقنا بالسماء الرابعة وكان الغناء يعمل فيه عملا ضل عنه من بعده ثم قال أحسنت والله يا أميري أعد بحق عبد شمس فأعاد ثم قال أحسنت والله يا أميري أعد بحق أمية فأعاد ثم قال أعد بحق فلان أعد بحق فلان حتى بلغ من الملوك نفسه فقال أعد بحياتي فأعاده قال فقام إليه فأكب عليه فلم يبق عضو من أعضائه إلا قبله وأهوى إلى هنه فجعل ابن عائشة يضم فخذية عليه فقال والله العظيم لا تريم حتى أقبله فأبداه له فقبل رأسه ثم نزع ثيابه فألقاها عليه وبقي مجردا إلى أن أتوه بمثلها ووهب له ألف دينار وحمله على بغلة وقال اركبها بأبي أنت وانصرف فقد تركتني على مثل المقلى من حرارة غنائك فركبها على بساطه وانصرف
الوليد يكرم المحتاجين من متذوقي الغناء
أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن الحسن النخعي قال حدثني محمد بن الحارث بن كليب بن زيد الربعي قال
خرج ابن عائشة المدني من عند الوليد بن يزيد وقد غناه
(أبعدَك مَعْقِلاً أرجو وحِصْناً ... قد اعْيتني المَعاقلُ والحُصونُ)
وهي أربعة أبيات هكذا في الخبر ولم يذكر غير هذا البيت منها قال فأطربه فأمر له بثلاثين ألف درهم وبمثل كارة القصار كسوة فبينا ابن عائشة يسير إذ نظر إليه رجل من أهل وادي القرى كان يشتهي الغناء ويشرب النبيذ فدنا من غلامه وقال من هذا الراكب قال ابن عائشة المغني فدنا منه وقال جعلت فداءك أنت ابن عائشة أم المؤمنين قال لا أنا مولى لقريش وعائشة أمي وحسبك هذا فلا عليك أن تكثر قال وما هذا الذي أراه بين يديك من المال والكسوة قال غنيت أمير المؤمنين صوتا فأطربته فكفر وترك الصلاة وأمر لي بهذا المال وهذه الكسوة قال جعلت فداءك فهل تمن علي بأن تسمعني ما أسمعته إياه فقال له ويلك أمثلي يكلم بمثل هذا في الطريق قال فما أصنع قال الحقني بالباب
وحرك ابن عائشة بغلة شقراء كانت تحته لينقطع عنه فعدا معه حتى وافيا الباب كفرسي رهان ودخل ابن عائشة فمكث طويلا طمعا في أن يضجر فينصرف فلم يفعل فلما أعياه قال لغلامه أدخله فلما دخل قال له هل ويلك من أين صبك الله علي قال أنا رجل من أهل وادي وادي القرى أشتهي هذا الغناء فقال له هل لك فيما هو أنفع لك منه قال وما ذاك قال مائتا دينار وعشرة أثواب تنصرف بها إلى أهلك فقال له جعلت فداءك والله إن لي لبنية ما في أذنها علم الله حلقة من الورق فضلا عن الذهب وإن لي لزوجة ما عليها يشهد الله قميص ولو أعطيتني جميع ما أمر لك به أمير المؤمنين على هذه الخلة والفقر اللذين عرفتكهما وأضعفت لي ذلك لكان الصوت أعجب إلي
وكان ابن عائشة تائها لا يغني إلا لخليفة أو لذي قدر جليل من إخوانه فتعجب ابن عائشة منه ورحمه ودعا بالدواة وكان يغني مرتجلا فغناه الصوت فطرب له طربا شديدا وجعل يحرك رأسه حتى ظن أن عنقه سينقصف ثم خرج من عنده ولم يرزأه شيئا وبلغ الخبر الوليد بن يزيد فسأل ابن عائشة عنه فجعل يغيب عن الحديث
ثم جد الوليد به فصدقه عنه وأمر بطلب الرجل فطلب حتى أحضر ووصله صلة سنية وجعله في ندمائه ووكله بالسقي فلم يزل معه حتى مات
أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا أحمد بن زهير بن حرب قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثني عمر بن أبي خليفة قال
كان الشعبي مع أبي في أعلى الدار فسمعنا تحتنا غناء حسنا فقال له أبي هل ترى شيئا قال لا فنظرنا فإذا غلام حسن الوجه حديث السن يتغنى
(قالتْ عُبيْدُ تَجَرَّماً ... في القول فعلَ المازح)
فما سمعت غناء كان أحسن منه فإذا هو ابن عائشة فجعل الشعبي يتعجب من غنائه ويقول يؤتي الحكمة من يشاء
نسبة هذا الصوت

صوت
(قالتْ عُبَيْد تَجَرُّماً ... في القولِ فعلَ المازح)
(أنجِزْ بعَمْرك وعدَنا ... فأظنّ حبَّك فاضحِي)
(فأجبتُها لو تعلمينَ ... بما تُجِنّ جوانحي)
((فما أرى لَرَحْمتِنِي ... من حَمْل حُبٍّ فادح
(ما في البرية لي هوىً ... فاسمعْ مقالة ناصح)
أشكو إليه جَفاءكم ... إلاّ سلام مُصافِحي) زعم حبش أن الغناء لابن عائشة خفيف ثقيل بالبنصر)
ابن عائشة يتصدر المجلس ويغني
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني بعض أهل المدينة قال حدثني من رأى ابن عائشة حاجا وقد دعاه فتية من بني هاشم فأجابهم قال وكنت فيهم فلما دخلنا جعلوا صدر المجلس لابن عائشة فجلس فتحدثوا حتى حضر الطعام فلما طعموا دعا بشراب فشربوا وكان ابن عائشة إذا سئل أن يغني أبى ذلك وغضب فإذا تحدث القوم بحديث ومضى فيه شعر قد غني فيه ابتدأ هو فغناه فكان من فطن له يفعل ذلك به فقال رجل منهم حدثني اليوم رجل من الأعراب ممن كان يصاحب جميلا بحديث عجيب فقال القوم و ما هو فقال حدثني أن جميلا بينما هو يحدثه كما كان يحدثه إذ أنكره ورأى منه غير ما كان يرى فثار نافرا مقشعر الشعر متغير اللون الى ناقلة له مجتمعة قريبة من الارض موثقة الخلق فشد عليها رحله ثم أتاها بمحلب فيه لبن فشربته ثم ثنى فشربت حتى رويت ثم قال اشدد أداة رحلك واشرب واسق جملك فإني ذاهب بك إلى بعض مذاهبي ففعلت فجال في ظهر ناقته وركبت ناقتي فسرنا بياض يومنا وسواد ليلتنا ثم أصبحنا فسرنا يومنا لا والله ما نزلنا إلا للصلاة فلما
كان اليوم الثالث دفعنا إلى نسوة فمال إليهن فوجدنا الرجال خلوفا وإذا قدر لبأ وقد جهدت جوعا وعطشا فلما رأيت القدر اقتحمت عن بعيري وتركتهم جانبا ثم أدخلت رأسي في القدر ما يثنيني حرها حتى رويت فذهبت أخرج رأسي من القدر فضاقت علي وإذا هي على رأسي قلنسوة فضحكن مني وغسلن ما أصابني وأتي جميل بقرى فوالله ما التفت إليه فبينا هو يحدثهن إذا رواعي الابل وقد كان السلطان أحل لهم دمه إن وجدوه في بلادهم وجاء الناس فقلن ويحك انج وتقدم فو الله ما أكبرهم ذلك الاكبار فإذا بهم يرمونه ويطردونه فإذا غشوه قاتلهم ورمى فيهم وقام بي جملي فقال لي يسر لنفسك مركبا خلفي فأردفني خلفه لا والله ما انكسر ولا انحل عن فرصته حتى رجع إلى أهله وقد سار ست ليال وستة أيام وما التفت إلى طعام وقال في ذلك
إنّ المنازلَ هَيجَتْ أطرابي ... واسْتَعْجمتْ آياتُها بجوابي) وهي قصيدة طويلة)
وقال أيضا
وأحسنُ أيامي وأبهجُ عيشَتي ... إذا هِيجَ بي يَوْماً وهُنَّ قُعُودُ) قال فقال ابن عائشة أفر أغني لكم ذلك فقلنا بلى والله)
فاندفع فغناه فما سمع السامعون شيئا أحسن من ذلك وبقي أصحابنا يتعجبون من الحديث وحسنه والغناء وطيبه فقال له أصحابنا يا أبا جعفر إنا مستأذنوك فإن أذنت لنا سألناك وإن كرهت تركناك فقال سلوا فقالوا نحب أن تغنينا في مجلسنا هذا ما نشطت هذا الصوت فقط فقال لهم نعم ونعمة عين وكرامة فما زلنا في غاية السرور حتى انقضى المجلس
نسبة هذا الغناء
صوت
(إنّ المنازلَ هَيجَتْ أطرابي ... واسْتَعْجمتْ آياتُها بجوابي)
(قَفْرٌ تَلُوحُ بذي اللُّجين كأنها ... أنْضاءُ وَشْمٍ أو سُطُور كتابِ)
(لَمّا وقفتُ بها القَلُوصَ تبادرتْ ... مني الدموعُ لفُرقةِ الأحبابِ)
(وذكرتُ عصراً يا بُثَيْنَةُ شاقَنِي ... إذ فاتَنِي وذكرتُ شَرْخَ شبابِي)
الشعر لجميل
والغناء للهذلي ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق
أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أحمد بن يحيى المكي عن أبيه حدثني عمرو بن أبي الكنات الحكمي قال حدثني يونس الكاتب قال
كنا يوما متنزهين بالعقيق أنا وجماعة من قريش فبينا نحن على حالنا إذ أقبل ابن عائشة يمشي ومعه غلام من بني ليث وهو متوكىء على يده فلما رأى
جماعتنا وسمعني أغني جاءنا فسلم وجلس إلينا وتحدث معنا وكانت الجماعة تعرف سوء خلقه وغضبه إذا سئل أن يغني فأقبل بعضهم على بعض يتحدثون بأحاديث كثير وجميل وغيرهما من الشعراء يستجرون بذلك أن يطرب فيغني فلم يجدوا عنده ما ارادوا فقلت لهم أنا لقد حدثني اليوم بعض الأعراب حديثا يأكل الأحاديث فإن شئتم حدثتكم إياه قالوا هات قلت حدثني هذا الرجل أنه مر بناحية الربذة فإذا صبيان يتغاطسون في غدير وإذا شاب جميل منهوك الجسم عليه أثر العلة والنحول في جسمه بين وهو جالس ينظر إليهم فسلمت عليه فرد علي السلام وقال من أين وضح الراكب قلت من الحمى قال ومتى عهدك به قلت رائحا قال وأين كان مبيتك قلت ببني فلان فقال أوه وألقى بنفسه على ظهره وتنفس الصعداء تنفسا قلت إنه خرق حجاب قلبه ثم أنشأ يقول
صوت
(سَقَى بلداً أمستْ سُلَيْمَى تحَلُّهُ ... مِنَ المُزْنِ ما يَرْوِى به ويُسِيمُ)
(وإن لم أكن من قاطِنيه فإنّه ... يَحُلّ به شخصٌ عليّ كريمُ)
(ألا حَبّذا مَنْ لَيْسَ يَعْدِلُ قُرْبَهُ ... لَدَيَّ وإن شَطَّ المزارُ نَعِيمُ)
(ومَنْ لامَنِي فيهِ حَمِيمٌ وصاحبٌ ... فرُدَّ بغيظٍ صاحبٌ وحمِيمُ)
ثم سكن كالمغشي عليه فصحت بالصبية فأتوا بماء فصببته على وجهه فأفاق وأنشأ يقول
((إذا الصَّبُّ الغريبُ رأى خُشُوعِي ... وأنفاسِي تَزَيَّنَ بالخُشُوعِ
(ولي عَيْنٌ أضَرّ بها التفاتِي ... إلى الأجزاعِ مُطْلَقَةُ الدموعِ)
إلى الخَلَوات يأنسُ فِيك قلبي ... كما أنِسَ الغريبُ إلى الجميع) فقلت له ألا أنزل فأساعدك أو أكر عودي على بدئي)
إلى الحمى في حاجة إن كانت لك حاجة أو رسالة فقال جزيت خيرا وصحبتك السلامة امض لطيتك فلو أني علمت أنك

تغني عني شيئا لكنت موضعا للرغبة وحقيقا بإسعاف المسألة ولكنك أدركتني في صبابة من حياتي يسيرة فانصرفت وأنا لا أراه يمسي ليلته إلا ميتا فقال القوم ما أعجب هذا الحديث واندفع ابن عائشة فتغنى في الشعرين جميعا وطرب وشرب بقية يومه ولم يزل يغنينا إلى أن انصرفنا
فأما نسبة هذين الصوتين فإن في الأول منهما لحنا من خفيف الرمل الثقيل المطلق في مجرى الوسطى نسبه يحيى المكي إلى معبد وذكر الهشامي أنه منحول
وفي هذا الخبر أن ابن عائشة غناه وهو يغني في البيت الأول والثاني من الأبيات وفيه للضيزني الملقب بنبيكة لحن جيد من الثقيل الأول
وكان نبيكة هذا من حذاق المغنين وكبارهم وقد خدم المعتمد ثم شخص إلى مصر فخدم خمارويه بن أحمد ثم قدم بغداد في أيام المقتدر ورأيناه وشاهدناه وكانت في يده صبابة قوية من إفضال ابن طولون واستغنى بها حتى مات وله صنعة جيدة قد ذكرت ما وقع إلي منها في المجرد
وذكرت مما وقع إلي له في هذا الكتاب لحنا
جيدا في شعر سعد ذلفاء وهو
ولمَّا وَقَفْنا دُونَ سَرْحَةِ مَالِكٍ ...) في موضعه من أخباره)
وأما الشعر الثاني الذي ذكرت في هذا الخبر الماضي أن ابن عائشة غناه فما رأيت له نسبة في كتاب ولا سمعت فيه صنعة من أحد ولعله مما انطوى عني أو لم يشتهر فسقط عن الناس
تعددت الأسباب والموت واحد
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه وأخبرني به الحسن بن علي عن هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات عن حماد عن أبيه عن يعقوب بن طلحة الليثي عن بعض مشايخه من أهل المدينة قال
أقبل ابن عائشة من الشأم حتى نزل قصر ذي خشب ومعه مال وطيب وكسا فشرب فيه ثم تطرقوا إلى ظهر القصر فصعدوا ثم نظر فإذا بنسوة يتمشين في ناحية الوادي فقال لأصحابه هل لكم فيهن قالوا وكيف لنا بهن فنهض فلبس ملاءة مدلوكة ثم قام على شرفة من شرفات القصر فتغنى
((وقد قالتْ لأترابٍ ... لها زُهْرٍ تَلاَقَيْنَا
(تَعَالَيْنَ فقد طَابَ ... لنا العَيْشُ تَعَالَيْنَا)
فأقبلن إليه فطرب واستدار حتى سقط من السطح وهذا الخبر يذكر على شرحه في خبر وفاته
أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد قرأت على أبي عن محمد بن سلام عن جرير أبي الحصين قال
كان ابن عائشة إذا غنى في صوت له من شعر الحطيئة وهو
عَفَا من سُلَيْمَى مُسْحُلاَنُ فحامِرُهْ ...) نظر إلى أعطافه في كل رنة فسئل يوما وقد دب فيه الشراب عن ذلك فقال أنا) عاشق لهذا الصوت وعاشق لحديثه وعاشق لغريبه وعاشق لقول الحطيئة إن الغناء رقية من رقى النيك ويعجبني فهم الحطيئة بالغناء وليس هو من أهله ولا بصاحب غناء وكيف لا أعجب به ومحله مني هذا المحل وكان لا يسأله أحد إياه إلا غناه فمن فطن له أكثر سؤاله إياه
وكان جرير يقول إنه أحسن صوت له وأرقه وأجوده
وفاة ابن عائشة
وتوفي ابن عائشة فيما قيل في أيام هشام بن عبد الملك وقيل في أيام الوليد
وما أظن الصحيح إلا أنه توفي في أيام الوليد لأنه أقدمه إليه
وذكر من زعم أنه توفي في خلافة هشام أنه إنما وفد على الوليد وهو ولي عهد
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال
ذكر عمران بن هند أن الغمر بن يزيد خرج إلى الشأم فلما نزل قصر ذي خشب شرب على سطحه فغنى ابن عائشة صوتا طرب له الغمر فقال اردده فأبى وكان لا يرد صوتا لسوء خلقه فأمر به فطرح من أعلى السطح فمات ويقال بل قام من الليل وهو سكران ليبول فسقط من السطح فمات
قال إسحاق فحدثني المدائني قال حدثني بعض أهل المدينة قال أقبل ابن عائشة من عند الوليد بن يزيد وقد أجازه وأحسن إليه فجاء بما لم يأت به أحد من عنده فلما قرب من المدينة نزل بذي خشب على أربعة فراسخ من المدينة وكان واليها إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي ولاه هشام وهو خاله وكان في قصر هناك فقيل له أصلح الله الأمير هذا ابن عائشة قد أقبل من عند الوليد بن يزيد فلو سألته أن يقيم عندنا اليوم فيطربنا وينصرف من غد فدعا به فسأله المقام عنده فأجابه إلى ذلك فلما أخذوا في شربهم أخرج المخزومي جواريه فنظر إلى ابن عائشة وهو يغمز جارية منهن فقال لخادمه إذا خرج ابن عائشة يريد حاجته فارم به وكانوا يشربون فوق سطح ليس له إفريز ولا شرفات وهو يشرف على بستان فلما قام ليبول رمى به الخادم من فوق السطح فمات فقبره معروف هناك
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه وأخبرني به الحسن بن علي عن هارون بن محمد بن عبد الملك بن حماد بن إسحاق عن أبيه عن يعقوب بن طلحة الليثي عن بعض مشايخه من أهل المدينة قال
أقبل ابن عائشة من الشأم حتى نزل بقصر ذي خشب ومعه مال وطيب وكسا فشرب فيه ثم تطوقوا إلى ظهر القصر فصعدوا ثم نظر فإذا بنسوة يتمشين في ناحية الوادي فقال لأصحابه هل لكم فيهن قالوا وكيف لنا بهن فنهض فلبس ملاءة مدلوكة ثم قام على شرفة من شرف القصر فتغنى في شعر ابن أذينة
(وقد قالت لأترابٍ ... لها زُهْرٍ تلاقَيْنَا)
(تعاليْنَ فقد طاب ... لنا العيشُ تعالَيْنَا)
فأقبلن إليه وطرب فاستدار فسقط فمات
قال وقال قوم بل قدم المدينة فمات بها
قال ولما مات قال أشعب قد قلت لكم ولكنه لا يغني حذر من قدر زوجوا ابن عائشة ربيحة الشماسية تخرج لكم بينهما مزامير داود فلم تفعلوا وجعل يبكي والناس يضحكون منه
نسبة هذا الصوت الذي غناه ابن عائشة
صوت

(سُلَيْمَى أزْمعتْ بَيْنَا ... فأين تقولُها أيْنَا)
(وقد قالتْ لأترابٍ ... لها زُهْرٍ تلاقيْنَا)
(تعالَيْنَ فقد طاب ... لنا العيشُ تعالَيْنَا)
(وغاب البَرَم الليلة ... والعينُ فلا عَيْنَا)
(فأقبَلْنَ إليها مسرعاتٍ ... يتهادَيْنَا)
(إلى مثلِ مَهَاةِ الرملِ ... تَكْسُو المجلسَ الزَّيْنَا)
(إلى خَوْدٍ منعَّمةٍ ... حَفَفْنَ بها وفدَّيْنَا)
(تمنَّيْنَ مُناهن ... فكُنَّا ما تمنَّيْنَا)
الشعر لعروة بن اذينة والغناء لابن عائشة لحنان أحدهما رمل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق والآخر ثاني ثقيل بالوسطى عن حبش
أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مزيد قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال
سمعت إبراهيم بن سعد يحلف للرشيد وقد سأله عمن بالمدينة يكره الغناء فقال من قنعه الله بخزيه مالك بن أنس ثم حلف له إنه سمع مالكا يغني
(سُلَيمى أزمعتْ بينَا ... فأين تقولها أينا)
في عرس رجل من أهل المدينة يكنى أبا حنظلة
أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان محمد بن يحيى عن بعض أصحابه قال
مر ابن عائشة بابن أذينة فقال له قل أبياتا هزجا أعن فيها فقال له اجلس فجلس فقال
سليمى أزمعت بيننا ...) الأبيات)
قال أبو غسان فحدثت أن ابن عائشة رواها ثم ضحك لما سمع قوله
تمنَّيْن مُنَاهنّ ... فكنَّا ما تمنَّيْنا) ثم قال له يا أبا عامر تمنينك لما أقبل بخرك وأدبر ذفرك وذبل ذكرك فجعل يشتمه)
هذا لفظ إسماعيل بن يونس
أخبرني الجوهري وإسماعيل بن يونس قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان قال فحدثني حماد الخشبي قال
ذكر ابن أذينة عند عمر بن عبد العزيز فقال نعم الرجل أبو عامر على أنه الذي يقول
(وقد قالت لتراب ... لها زُهْرٍ تلاقَيْنَا)
ولي عهد المسلمين إذ ا طرب
أخبرني محمد بن مزيد والحسين بن يحيى قالا حدثنا حماد عن أبيه عن المدائني عن إسحاق بن أيوب القرشي قال
كان هشام بن عبد الملك مكرما للوليد بن يزيد وكان عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدبا للوليد وكان فيما يقال زنديقا فحمل الوليد على الشراب والاستخفاف بدينه فاتخذ ندماء وشرب وتهتك فأراد هشام قطعهم عنه فولاه
الموسم في سنة عشر ومائة فرأى الناس منه تهاونا واستخفافا بدينه وأمر مولاه عيسى فصلى بالناس وبعث إلى المغنين فغنوه وفيهم ابن عائشة فغناه
سُلَيمى أجمعتْ بَيْنَا ...) فنعر الوليد نعرة أذن لها أهل مكة)
وأمر لابن عائشة بألف دينار وخلع عليه عدة خلع وحمله
فخرج ابن عائشة من عنده بأمر أنكره الناس وأمر للمغنين بدون ذلك فتكلم أهل الحجاز وقالوا أهذا ولي عهد المسلمين
وبلغ ذلك هشاما فطمع في خلعه وأراده على ذلك فأبى وتنكر هشام للوليد وتمادى الوليد في الشرب واللذات فأفرط
وتعبث هشام بالوليد وخاصته ومواليه فنزل بالأزرق بين أرض بلقين وفزارة على ماء يقال له الأغدق حتى مات هشام
انقضت أخباره
ومما في المائة الصوت المختارة من أغاني ابن عائشة
صوت
من رواية علي بن يحيى
(حنَّتْ إلى بَرْقٍ فقلتُ لها قِرِي ... بعضَ الحَنِينِ فإن شَجْوَكِ شائِقي)
((بأبي الوليدُ وأمِّ نفسي كلَّما ... بدت النجومُ وذَرَّ قَرْنُ الشارقِ
(أثْوَى فأكرَمَ في الثَّوَاءِ وقَضَّيَتْ ... حاجاتُنا من عند أرْوَعَ باسِقِ)
(لا تَبْعَدنّ إداوةٌ مطروحةٌ ... كانت حَدِيثاً للشَّراب العاتقِ)
ويروى بالشراب العاتق
عروضه من الكامل
حنت يعني ناقته
وهذا البيت يبتع بيتا قبله وهو
فإلى الوليد اليومَ حنّتْ ناقتي ... تَهْوِي بمُغْبرِّ المُتُون سَمَالِقِ) وبعده حنت إلى برق وقوله قري من الوقار كأنها لما)
حنت أسرعت ونازعت إلى الوطن أو المقصد فقال يخاطبها قري
وذر قرن الشارق طلع قرن الشمس يريد بأبي الوليد وأمي في كل ليل ونهار أبدا
وأثوى أنزل
والثواء الإقامة قال الأعشى
لقد كان في حول ثَوَاء ثويته ... تُقَضَّى لُبانات ويَسأم سائمُ) والباسق الطويل قال الله عز وجل (والنخل باسقات) أي)
طوالا
ويروى
لا تَبْعَدنّ إداوةٌ مطروحةٌ ...) الشعر لعبد الرحمن بن أرطأة المحاربي)
والغناء لابن عائشة
ولحنه المختار ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق

وفيه للهذلي لحن آخر من
الثقيل الأول عن الهشامي وابن المكي
فأول لحن الهذلي استهلال في
حنت إلى برق فقلت لها قِري ...) وأول لحن ابن عائشة)
(بأبي الوليدُ وأمِّ نفسي كلّما ... بدت النجومُ وذَرّ قرنُ الشارق)
أخبار ابن أرطأة ونسبه
هو عبد الرحمن بن أرطأة وقيل عبد الرحمن بن سيحان بن أرطأة بن سيحان بن عمرو بن نجيد بن سعد بن لاحب بن ربيعة بن شكم بن عبد الله ابن عوف بن زيد بن بكر بن عمير بن علي بن جسر بن محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار
وأم جسر بن محارب كأس بنت لكيز بن أفصى بن عبد القيس وأم علي بن جسر ماوية بنت علي بن بكر بن وائل هذه رواية أبي عمرو الشيباني أخبرني بها عمي والصولي عن الحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو عن أبيه قال وشكم بن عبد الله أول محاربي ساد قومه وأبذهم رأسا بنفسه وكانوا جيرانا في هوازن وآل سيحان حلفاء حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وبمنزلة بعضهم عندهم خاصة وعند سائر بني أمية عامة
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن عمران قال
بنو سيحان من بنى جسر بن محارب وبنو عبد مناف تقوي حلفهم وهم عندي أعزاؤهم وليسوا بأحلافهم
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا
حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن يحيى أبو غسان قال
لما قتل هشام بن الوليد أبا أزيهر بعثت قريش أرطأة بن سيحان حليف حرب بن أمية إلى الشراة يحذر من بها من تجار قريش وخرج حاجز الأزدي ليخبر قومه فسبقه أرطأة وقال في ذلك وقد حذرهم فنجوا
(مثلُ الحليفِ يشدُّ عُرْوتَه ... يَثْني العِنَاجَ لها مع الكَرَبِ)
(زَلَمٌ إذا يَسِرُوا به يُسُرٌ ... ومناضلٌ يَحْمِي عن الحَسَبِ)
(هل تشكُرَنْ فِهْرٌ وتاجِرُها ... دَأْبَ السُّرَى بالليلِ والخَبَبِ)
(حتى جَلَوْتُ لهم يَقِينَهُمُ ... ببيان لا ألْسٍ ولا كَذِبِ)
فحل الخمرة وليس فحل الشعر
وكان عبد الرحمن شاعرا مقلا إسلاميا ليس من الفحول المشهورين ولكنه كان يقول في الشراب والغزل والفخر ومدح أحلافه من بني أمية وهو أحد المعاقرين للشراب والمحدودين فيه وكان مع بني أمية كواحد منهم إلا أن اختصاصه بآل أبي سفيان وآل عثمان خاصة كان أكثر وخصوصه بالوليد بن عثمان ومؤانسته إياه أزيد من خصوصه بسائرهم لأنهما كانا يتنادمان على الشراب
وهذه الأبيات التي فيها الغناء يقولها في الوليد بن عثمان وقيل بل في الوليد بن عتبة
وخبره في ذلك يذكر بعد هذا
أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال قال عتبة بن المنهال المهلبي حدثني غير واحد من أهل الحجاز قالوا
كان ابن سيحان حليفا لقريش ينزل بالمدينة وكان نديما للوليد بن عثمان فأصابه ذات يوم خمار فذهب لسانه وسكنت أطرافه وصرخ أهله عليه فأقبل الوليد إليه فزعا فلما رآه قال أخي مخمور ورب الكعبة ثم أمر غلاما له فأتاه بشراب من منزله في إداوة فأمر به فأسخن ثم سقاه إياه وقيأه وصنع له حساء وجعل على رأسه دهنا وجعل رجليه في ماء سخن فما لبث أن انطلق وذهب ما كان به
ومات الوليد بعد ذلك
فبينا ابن سيحان يوما جالس وبعض متاعه ينقل من بيت إلى بيت إذ مرت الخادم بإداوة الوليد التي كان داواه بما فيها من الشراب وقد يبست وتقبضت فانتحب وقال
لا تَبْعَدَنَّ إداوةٌ مطروحةٌ ... كانتْ حديثاً للشرابِ العاتِقِ) وذكر باقي الأبيات)
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أحمد بن معاوية عن الواقدي قال حدثنا عبد الله بن أبي عبيدة عن أبيه قال
كان الوليد بن عثمان بن عفان يشرب مع الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وابن سيحان وكان يخمر فأصابه من ذلك شيء شديد خيف عليه وشق النساء عليه الجيوب فدعي له ابن سيحان فلما رآه قال اخرجن عني وعن أخي فخرجن فقال له الصبوح أبا عبد الله فجلس مفيقا فذلك حيث يقول ابن سيحان
(بأبي الوليدُ وأمِّ نفسي كلّما ... بَدَتِ النجومُ وذَرّ قَرْنُ الشارقِ)
(أثْوَى فأكرمَ في الثَّوَاء وقُضِّيَتْ ... حاجاتُنا من عند أَرْوَعَ باسِقِ)
(كم عنده من نائلٍ وسماحةٍ ... وفضائلٍ معدودةٍ وخلائقِ)
(وسَمَاحةٍ للمُعْتَفِين إذا اعتَفَوْا ... في ماله حقًّا وقَوْلٍ صادقِ)
(لا تَبْعَدَنَّ إداوةٌ مطروحةٌ ... كانتْ حَديثاً للشرابِ العاتِقِ)
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال
كان الوليد بن عثمان يكنى أبا الجهم وكان لابن سيحان صديقا ونديما وكان صاحب شراب فمرض فعاده الوليد وقال ما تشتهي قال شرابا فبعث فجائه بشراب في إداوة
ثم ذكر باقي الخبر نحو الذي قبله
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن
(لا تَبْعَدَنَّ إداوةٌ مطروحةٌ ... كانتْ حديثاً للشرابِ العاتِقِ) وذكر باقي الأبيات
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أحمد بن معاوية عن الواقدي قال حدثنا عبد الله بن أبي عبيدة عن أبيه قال
كان الوليد بن عثمان بن عفان يشرب مع الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وابن سيحان وكان يخمر فأصابه من ذلك شيء شديد خيف عليه وشق النساء عليه الجيوب فدعي له ابن سيحان فلما رآه قال اخرجن عني وعن أخي فخرجن فقال له

الصبوح أبا عبد الله فجلس مفيقا فذلك حيث يقول ابن سيحان
(بأبي الوليدُ وأمِّ نفسي كلّما ... بَدَتِ النجومُ وذَرّ قَرْنُ الشارقِ)
(أثْوَى فأكرمَ في الثَّواء وقُضِّيتْ ... حاجاتُنا من عند أرْوَعَ باسِقِ)
(كم عنده من نائلٍ وسماحةٍ ... وفضائلٍ معدودةٍ وخلائقِ)
(وسماحةٍ للمُعْتَفِين إذا اعتَفَوْا ... في ماله حَقّاً وقَوْلٍ صادقِ)
(لا تَبْعَدَنّ إداوةٌ مطروحةٌ ... كانتْ حَديثاً للشرابِ العاتِقِ)
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال
كان الوليد بن عثمان يكنى أبا الجهم وكان لابن سيحان صديقا ونديما وكان صاحب شراب فمرض فعاده الوليد وقال ما تشتهي قال شرابا فبعث فجائه بشراب في إداوة
ثم ذكر باقي الخبر نحو الذي قبله
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن
حذف 240
أيوب بن عباية قال
كان الوليد بن عثمان ذا غلة في الحجاز يخرج إليها في زمان التمر بنفر من قومه يجنون له ويعاونونه فكان إذا حضر خروجهم دفع إليهم نفقات لأهليهم إلىرجعتهم فخرج بهم مرة كما كان يخرج وفيهم ابن سيحان فأتى ابن سيحان كتاب من أهله يسألونه القدوم لحاجة لا بد منها فاستأذنه فأذن له فقال له ابن سيحان زودوني من شرابكم هذا فزودوه إداوة ملأها له من شرابهم فكان يشربها في طريقه حتى قدم على أهله فألقاها في جانب بيته فارغة فمكث زمانا لا يذكرها ثم كنسوا البيت فرآها ملقاة في الكناسة فقال
(لا تَبْعَدَنّ إداوةٌ مطروحةٌ ... كانت حديثاً للشراب العاتِقِ)
(إن تُصْحِي لا شيءَ فيكِ فرُبّما ... أُتْرِعْتِ من كأسٍ تَلَذُّ لِذائقِ)
(بأبي الوليدُ وأمِّ نفسي كلّما ... بَدَتِ النجومُ وذَرّ قَرْنُ الشارقِ)
(كم عنده من نائلٍ وسماحةٍ ... وشمائلٍ ميمونةٍ وخلائِقِ)
(وكرامةٍ للمُعْتَفِين إذا اعْتَفَوْا ... في ماله حَقّاً وقَوْلٍ صادِقِ)
(أثْوَى فأكرمَ في الثَّواءِ وقُضِّيتْ ... حاجاتُنا من عندِ أرْوَعَ باسِقِ)
(لَمَّا أتيناه أتيناً ماجد الأخلاق ... سَبّاقاً لِقَرْمٍ سابِقِ)
(قال الوليدُ يَدِي لكم رَهْنٌ بما ... حاوَلْتُم من صامتٍ أو ناطِقِ)
(فإلى الوليدِ اليومَ حنّتْ ناقتي ... تَهْوي بمُغْبَرّ المتُونِ سَمالِقِ)
(حنّتْ إلى بَرْقٍ فقلتُ لها قِري ... بعضَ الحَنِين فإنّ شَجْوَكِ شائقي)
(مروان والوليد بن عثمان يضر بانه الحد
أخبرني عمي قال حدثني محمد بن عبد الله التميمي الأصبهاني المعروف بالحزنبل قال حدثني عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه وأخبرني الحسين بن يحيى المرداسي قال قال حماد بن إسحاق قرأت على أبي قالا جميعا
كان عبد الرحمن بن سيحان قد غاظ مروان بن الحكم أيام كان معاوية يعاقب بينه وبين سعيد بن العاص في ولاية الحرمين وأنكر عليه أشياء بلغته فغاظته من مدحه سعيدا وانقطاعه إليه وسروره بولايته فرصده حتى وجده خارجا من دار الوليد بن عثمان وهو سكران فضربه الحد ثمانين سوطا
وقدم البريد من المدينة على معاوية فسأله عن أخبار الناس فجعل يخبره بها حتى انتهى به الحديث إلى ابن سيحان فأخبره أن مروان ضربه الحد ثمانين فغضب معاوية وقال والله لو كان حليف أبي العاص لما ضربه ولكنه ضربه لأنه حليف حرب أليس هو الذي يقول
(وإني امرؤٌ حِلْفٌ إلى أفضل الوَرَى ... عَدِيداً إذا ارْفَضّتْ عَصا المتَحلّفِ)
كذب والله مروان لا يضربه في نبيذ أهل المدينة وشكهم وحمقهم ثم قال لكاتبه أكتب إلى مروان فليبطل الحد عن ابن سيحان وليخطب بذلك على المنبر وليقل إنه كان ضربه على شبهة ثم بان له أنه لم يشرب مسكرا وليعطه ألفي درهم فلما ورد الكتاب على مروان عظم ذلك عليه ودعا بابنه عبد الملك فقرأه عليه وشاوره فيه فقال له عبد الملك راجعه ولا تكذب نفسك ولا تبطل حكمك فقال مروان أنا أعلم بمعاوية إذا عزم على شيء أو أراده لا والله لا اراجعه
فلما كان يوم الجمعة وفرغ من الخطبة قال وابن سيحان فإنا كشفنا أمره فإذا هو لم يشرب مسكر وإذا نحن قد عجلنا عليه وقد أبطلت عنه الحد
ثم نزل فأرسل إليه بألفي درهم
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أحمد بن معاوية عن الواقدي قال حدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال
كان عبد الرحمن بن سيحان المحاربي شاعرا وكان حلو الأحاديث عنده أحاديث حسنة غريبة من أخبار العرب وأيامها وأشعارها وكان على ذلك يصيب من الشراب فكان كل من قدم من ولاة بني أمية وأحداثهم ممن يصيب الشراب يدعوه وينادمه فلما ولي الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وعزل مروان وجد مروان في نفسه وكان قد سبعه فحقد ذلك عليه مروان واضطغنه وكان الوليد يصيب من الشراب ويبعث إلى ابن سيحان فيشرب معه وابن سيحان لايظن أن مروان يفعل به الذي فعله وقد كان مدحه بان سيحان وصله مروان ولكن مروان أراد فضيحة الوليد فرصده ليلة في المسجد وكان ابن سيحان يخرج في السحر من عند الوليد ثملا فيمر في المقصورة من المسجد حتى يخرج في زقاق عاصم وكان محمد بن عمرو يبيت في المسجد يصلي وكذلك عبد الله بن حنظلة وغيرهما من القراء يبيتون في المسجد يتهجدون فلما خرج ابن سيحان ثملا من دار الوليد أخذه مروان وأعوانه ثم دعا له محمد بن عمرو وعبد الله بن حنظلة فأشهدهما على سكره وقد سأله أن يقرأ أم القرآن فلم يقرأها فدفعه إلى صاحب شرطته فحبسه فلما أصبح الوليد بلغه الخبر وشاع في المدينة وعلم أن مروان إنما أراد أن يفضحه وأنه لو لقي ابن سيحان ثملا خارجا من عند غيره لم يعرض له فقال الوليد لا يبرئني من هذا عند أهل المدينة إلا ضرب ابن سيحان فأمر صاحب شرطته فضربه الحد ثم أرسله فجلس ابن سيحان في بيته لا يخرج حياء من الناس فجاءه عبد الرحمن بن الحارث بن هشام في ولده وكان له جليسا فقال له ما يجلسك في بيتك

قال الإستحياء من الناس قال اخرج أيها الرجل وكان عبد الرحمن قد حمل له معه كسوة فقال له البسها ورح معنا إلى المسجد فهذا أحرى أن يكذب به مكذب ثم ترحل إلى أمير المؤمنين فتخبره بما صنع بك الوليد فإنه يصلك ويبطل هذا الحد عنك فراح مع عبد الرحمن في جماعة ولده متوسطا لهم حتى دخل المسجد فصلى ركعتين ثم تساند مع عبد الرحمن إلى الأسطوانة فقائل يقول لم يضرب وقائل يقول أنا رأيته يضرب وقائل يقول عزر أسواطا

معاوية يبطل الحد عن ابن أرطأة

فمكث أياما ثم رحل إلى معاوية فدخل إلى يزيد فشرب معه وكلم يزيد أباه معاوية في أمره فدعا به فأخبره بقصته وما صنعه به مروان فقال قبح الله الوليد ما أضعف عقله أما استحيا من ضربك فيما شرب وأما مروان فإني كنت لا أحسبه يبلغ هذا منك مع رأيك فيه ومودتك له ولكنه أراد أن يضع الوليد عندي ولم يصب وقد صير نفسه في حد كنا ننزهه عنه صار شرطيا ثم قال لكاتبه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة أما بعد فالعجب لضربك ابن سيحان فيما تشرب منه ما زدت على أن عرفت أهل المدينة ما كنت تشربه مما حرم عليك فإذا جاءك كتابي هذا فأبطل الحد عن ابن سيحان وطف به في حلق المسجد وأخبرهم أن صاحب شرطك تعدى عليه وظلمه وأن أمير المؤمنين قد أبطل ذلك عنه أليس ابن سيحان الذي يقول

(وإنِّي امرؤٌ أَنْمى إلى أفضل الورَى ... عديداً إذا ارفَضّتْ عصا المتحلّفِ)

((إلى نَضَدٍ من عبد شمسٍ كأنّهم ... هِضَابٌ أجَا أركانُها لم تَقَصَّفِ

(ميامين يَرْضَوْن الكِفَايَة إنْ كُفُوا ... وَيكْفُون ما وُلّوا بغير تكلّفِ)

(غَطَارفةٌ ساسوا البلاد فأحْسَنوا ... سياستها حتّى أقرّت لمُردِفِ)

(فمن يكُ منهم مُوسِراً يُفْشِ فضلَه ... ومن يكُ منهم مُعسِراً يتعفَّفِ)

(وإنْ تُبْسَطِ النُّعْمَى لهم يَبْسُطوا بها ... أكُفّاً سِبَاطاً نفعُها غيرُ مُقْرِفِ)

(وإن تُزْوَ عنهم لا يَضِجُّوا وتُلْفِهِم ... قليلي التشكّي عندها والتكلُّفِ)

(إذا انصرفوا للحقّ يوماً تصرّفوا ... إذا الجاهل الحيران لم يتصرّفِ)

(سَمَوْا فعلَوْا فوق البرية كلّها ... ببُنْيان عالٍ من مُنيفٍ ومُشْرِفِ)

قال وكتب له بأن يعطى أربعمائة شاة وثلاثين لقحة مما يوطن السيالة وأعطاه هو خمسمائة دينار وأعطاه يزيد مائتي دينار

ثم قدم بكتاب معاوية إلى الوليد فطاف به في المسجد وأبطل ذلك الحد عنه وأعطاه ما كتب به له معاوية

وكتب معاوية إلى مروان يلومه فيما فعله بابن سيحان وما أراده بذلك

ودعا الوليد عبد

الرحمن بن سيحان إلى أن يعود للشرب معه فقال والله لا ذقت معك شرابا أبدا

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو مسلم الغفاري قال حدثني موسى بن عبد العزيز قال أخذ ابن سيحان الجسري هكذا قال وهو غلط في شراب في إمارة مروان وكان حليفا لأبي سفيان بن حرب فضربه مروان ثمانين سوطاعلى رؤوس الناس فكتب إلى معاوية يشكوه فكتب إ ليه معاوية أما بعد فإنك أخذت حليف حرب فضربته ثمانين علي رؤوس الناس والله لتبطلنها عنه أو لأقيدنه منك فقال مروان لابنه عبد الملك ما ترى قال أرى والله ألا تفعل قال ويحك أنا أعلم بعزمات معاوية منك فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إنا كنا ضربنا ابن سيحان بشهادة رجل من الحرس ووجدناه غير عدل ولا رضا فاشهدوا أني قد أبطلت ذلك الحد عنه

أخبرني أحمد قال حدثنا عمر قال حدثني محمد بن يحيى قال حدثني عبد العزيز بن عمران قال

ضرب مروان عبد الرحمن بن سيحان في الخمر ثمانين سوطا فكتب إليه معاوية أما بعد فإنك ضربت عبد الرحمن في نبيذ أهل الشأم الذي يستعملونه وليس بحرام وإنما ضربته حيث كان حلفه إلى أبي سفيان بن حرب وايم الله لو كان حليفا للحكم ما ضربته فأبطل عنه الحد قبل أن أضرب من أخذ معه أخاك عبد الرحمن بن الحكم فأبطل مروان عنه الحد فقال ابن سيحان في ذلك يذكر حلفه

((إنّي امرؤ عَقْدي إلى أفضل الورَى ... عَديداً إذا ارفَضَّتْ عصا المُتَحلَّفِ

وقال الطوسي كان عبد الرحمن بن الحكم أخو مروان يشرب مع ابن سيحان فلما ضربه مروان الحد كتب إليه معاوية والله لتبطلنه عنه أو لأبعثن إلى أخيك من يضرب ظهره بالسوط في السوق أليس ابن سيحان الذي يقول

(سَمَوْتُ بِحِلْفِي للطِّوال مِن الرُّبَى ... ولم تَلْقَني قِنّاً لدَى مَبْرَك الجُرْبِ)

(إذا ما حَلِيف الذُّل أقْمأ شخصَه ... ودبّ كما دبّ الحَسير على نَقْبِ)

(وهَصْتُ الحَصَى لا أُخْنِسُ الأنفَ قابعاً ... إذا أنا رَاخَى لي خِنَاقِي بنو حَرْبِ)

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء وأحمد بن سليمان الطوسي قالا حدثنا الزبير ابن بكار قال حدثنا عمي مصعب وغيره قالوا ابن أرطأة يرثي سعيد بن عثمان

قدم سعيد بن عثمان المدينة فقتله غلمان جاء بهم من الصغد وكان معه عبد الرحمن بن أرطأة بن سيحان حليف بني حرب بن أمية فهرب عنه لما

قتلوه فقال خالد بن عقبة بن أبي معيط يرثي سعيد بن عثمان وعثمان أخوه لأمه

(يا عينُ جُودِي بدمعٍ منكِ تَهْتانَا ... وابكِي سعيدَ بنَ عثمانَ بن عَفَّانَا)

إنّ ابنَ زينَةَ لم تصدُق مودَّتُه ... وفرّ عنه ابنُ أرطأةَ بن سَيْحانَا) فقال ابن سيحان يعتذر من ذلك)

(يقول رجالٌ قد دعاك فلم تُجِبْ ... وذلك من تِلْقاءِ مثلِك رائعُ)

(فإن كان نادَى دعوةً فسمعتُها ... فَشَلَّتْ يدي واستَكَّ منّي المسامعُ)

(وإلا فكانتْ بالذي قال باطلاً ... ودارتْ عليه الدائراتُ القوارعُ)

يلومونني أن كنتُ في الدار حاسراً ... وقد فرّ عنه خالدٌ وهو دارعُ) فقال بعض الشعراء يجيبه)

(فإنك لم تسمَعْ ولكن رأيتَه ... بعينك إذ مَجْراك في الدار واسعُ)

(وأسلمتَه للصُّغْد تَدْمَى كُلُومُه ... وفارقتَه والصوتُ في الدارِ شائعُ)

(وما كان فيها خالدٌ بمعذَّرٍ ... سواء عليكم صَمّ أو هو سامعُ)

(فلا زلتُما في غُلِّ سَوْءٍ بِعِبْرَةٍ ... ودارتْ عليكم بالشَّمَاتِ القَوَارعُ)

أخبرني عمي قال حدثني الكراني قال حدثنا العمري عن العتبي قال
لما قتل سعيد بن عثمان بن عفان قالت أمه أشتهي أن يرثيه شاعر كما في نفسي حتى أعطيه ما يحتكم فقال ابن سيحان
((إن كنتِ باكيةً فتىً ... فأبكِي هَبِلْتِ على سعيدِ
(فارقتَ أهلَكَ بغتةً ... وجَلبتَ حَتْفَكَ من بعيدِ)
أذْري دموعَكِ والدِّماءَ ... على الشَّهيدِ ابن الشهيدِ) فقالت هكذا كنت أشتهي أن يقال فيه ووصلت ابن سيحان)
وكانت تندبه بهذا الشعر
قال أبو عمرو في روايته التي ذكرتها عن عمي عن الحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو عن أبيه قال
جلس ابن سيحان وخالد بن عقبة بعد مقتل سعيد بن عثمان يتحدثان فجرى ذكره فبكيا جميعا عليه فقال ابن سيحان يرثيه
(ألا إنّ خيرَ الناس إن كُنت سائلاً ... سعيدُ بنُ عثمانَ القَتِيلُ بلا ذَحْلِ)
تداعت عليه عُصْبَةٌ فارسيّةٌ ... فأضْحَى سعيدٌ لا يُمِرُّ ولا يُحْلِي) وقال خالد بن عقبة)
(ألا إنّ خيرَ الناس نفساً ووالداً ... سعيدُ بن عثمانٍ قتيلُ الأعاجِمِ)
(بكتْ عينُ من لم يَبْكِه وَسْطَ يَثْرِبٍ ... مدَى الدهر منه بالدموع السَّوَاجِمِ)
فإن تكن الأيامُ أرْدتْ صروفُها ... سعيداً فمَنْ هذا عليها بسالِمِ) قال الحزنبل أنشدني عمرو بن أبي عمرو عن أبيه لابن)
سيحان قال عمي وأنشدني السكري عن ابن حبيب والطوسي له
صوت
(رحِم اللهُ صاحِبَيَّ ابنَي الحارثِ ... إذ يَنْهَيَانِنِي أن أبُوحَا)
(بالتي تيَّمتْ فؤادي وأن أُذْرِي ... دموعي على ردائي سُفُوحَا)
(في مَغَانِي منازلٍ من حبيبٍ ... باشرتْ بعدَه قِطَاراً وريحَا)
(ولقد قلتُ للفؤاد ولكنْ ... كان قِدْماً إلى هواه جَمُوحَا)
(قلتُ أقْصِرْ عن بعض حُبِّك أرْوَى ... إن بعض الحِبَابِ كان فُضُوحَا)
(فعصاني فليس يسمَعُ قولاً ... من حَمامٍ على الأراكِ جُنُوحَا)
(أمَّ يحيَى تقبَّل اللهُ يحيى ... بقَبُول كما تَقَبَّلَ نُوحَا)
(أمَّ يحيى لولا طِلاَبُكِ قد سِحْتُ ... مع الوحش أو لَبِسْتُ المُسُوحَا)
(ولقد قلت لا أُحدِّثَ سِرّاً ... سرَّ أخرَى ما دمتُ أمشِي صحيحَا)
والغناء لمعبد خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس
وفيه للغريض ثقيل أول عن الهشامي
وفيه لزريق رمل
قال أبو عمرو وابن سيحان الذي يقول
(ألا هل هاجَكَ الأظعانُ ... إذ جاوزْنَ مُطَّلحَا)
هجاء ابن أرطأة لبني مطيع
والناس يروونه لعمر بن أبي ربيعة لغلبته على أهل الحجاز جميعا
وقال أبو عمرو في خبره كان ابن سيحان يحدث قال كنت آلف من قريش أهل بيتين سوى من كنت منقطعا إليه من بني أمية بني عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وبني
مطيع فلما ضربني مروان الحد جئت فجلست إلى بني مطيع كما كنت أجلس فلما رأوني عرفت الكراهة في وجوههم والله ما أقبلوا علي بحديثهم ولا وسعوا لي فانصرفت ورحت إلى بني عبد الرحمن فلما رأوني أقبلوا بوجوههم علي وحيوا ورحبوا وسهلوا ووسعوا ورفعوني إلى حيث لم أكن أجلس وأقبلوا علي بوجوههم يحدثونني وقالوا لعلك خشعت للذي لحقك أما والله لقد علم الناس أنك مظلوم وظلموا مروان في فعله ورأوا أنه قد أساء وأخطأ في شأنك وقالوا ما ضرك ذلك ولا نقصك ولا زادك إلا خيرا ولم يزالوا حتى بسطوني فقلت أمدحهم وأذم بني مطيع
(لقد حرِّمتْ وُدَّ بني مُطِيع ... حرَامَ الدُّهْن للرجل الحَرَامِ)
(وإن جنَف الزمانُ مددتُ حبلاً ... مَتِيناً من حبال بني هِشَامِ)
(رَطيبٌ عودُهم أبداً وَريقٌ ... إذا ما اغبرَّ عِيدانُ اللئامِ)
وقال أبو عمرو في خبره كان عبد الرحمن بن سيحان ينادم الوليد بن عثمان على الشراب فيبيت عنده خوفا من أن يظهر وهو سكران فيحد فقالت له امرأته قد صرت لا تبيت في منزلك وأظنك قد تزوجت وإلا فما مبيتك عن أهلك فقال لها
(لا تَعْذِمِيني نَديماً ماجِداً أَنِفاً ... لا قائلاً قاذِفاً خَلْقاً ببُهْتَانِ)
(أغرَّ رَوَاقُه مَلآنُ صافيةً ... تَنْفِي القَذَى عن جَبِينٍ غيرِ خَزْيانِ)
(سبيئة من قُرَى بَيْروتَ صافية ... عَذْراءِ أو سُبِئتْ من أرض بَيْسَانِ)
(إنّا لنَشربُها حتى تميلَ بنا ... كما تَمَايلَ وَسْنانٌ بوَسْنانِ)
يشرب الخمرة ويحث على شربها
أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحدثان قال
كان بن سيحان صاحب شراب فدخل على ابن عم له يقال له الحارث بن سريع فوجده يشرب نبيذ زبيب فجعل يعظه ويأمره بشرب الخمر وقال له يابن سريع إن كنت تشربه على أن نبيذ الزبيب حلال فإنك أحمق وإن كنت تشربه على أنه حرام تستغفر الله منه وتنوي التوبة فاشرب أجوده فإن الوزر واحد ثم قال
(دَعِ ابنَ سريعٍ شُرْبَ ما مات مرةً ... وخُذْها سُلافاً حيةً مُزَّةَ الطَّعْمِ)
(تَدَعْكَ على مُلْكِ ابن ساسَان قادراً ... إذا حرّمت قُرَّاؤنا حَلَبَ الكَرْمِ)
(فَشتَّان بين الحيِّ والمَيْتِ فاعتزِمْ ... على مُزَّةٍ صَفْراء راووقُها يَهْمِي)
(فإنْ سَرِيعاً كان أوصى بحبِّها ... بنِيه وعمِّي جاوز اللهُ عن عَمِّي)
(ويا رُبَّ يومٍ قد شهدتُ بني أبي ... عليها إلى أن غاب تاليةُ النَّجْمِ)

(حَسَوْها صلاةَ العصرِ والشمسُ حيّةٌ ... تُدَار عليهم بالصغير وبالضَّخْم)
(فماتوا وعاشوا والمُدامَة بينهم ... مُشَعْشَعَة كالنجم تُوصَف بالوَهْمِ)
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد عن أبيه عن عاصم بن الحدثان قال
كان ابن سيحان حليف حرب بن أمية ينادم الوليد بن عقبة بن أبي معيط ويشرب معه الخمر وهو القائل
(إصبحْ نديمكَ من صهْباء صافيةٍ ... حتى يروحَ كريماً ناعمَ البالِ)
(واشربْ هُدِيتَ أبا وَهْبٍ مُجَاهَرةً ... واختَلْ فإنك من قوم أولي خالِ)
(أنت الجوادُ أبا وَهْبٍ إذا جَمَدتْ ... أيدي الرجالِ بما تَحْويه من مالِ)
(لولا رِجاؤك قد شمَّرتُ مُرتحِلاً ... عَنْساً تُعَاقِبُ تَخْويداً بإرْقَالِ)
(لما تَواصَوْا بقتلي قمتُ معتزماً ... حتى حَمَيْتُ من الأعداء أوْصالي)
(عمّ الوليدُ بمعروفٍ عشيرتَه ... والأبعدون حَظُوا منه بإفضالِ)
قال وكان ابن سيحان قد ضرب رجلا من أخواله بالسيف فقطع يده ولم تقم عليه بينة فتآمر به القوم ومنع منه ابن خال له منهم وخاف الوليد بن عقبة أن يرجع إلى المدينة هاربا منهم وخوفا من جنايته عليهم فيفارقه وينقطع عنه فدعاهم وأرضاهم وأعطاهم دية صاحبهم فلم يزل عند الوليد حتى عزل وهو نديمه
وصفيه
وهو القائل في الوليد وفيه غناء
صوت
بات الوَليدُ يُعاطِينِي مُشَعشَعَةً ... حتى هَوَيْتُ صَريعاً بين أصحابِي) في الغناء بات الكريم يعاطيني)
(لا أستطيع نهوضاً إن هَمَمْتُ به ... وما أُنَهْنِهُ من حَسْوٍ وتَشْرابِ)
(حتى إذا الصبحُ لاحتْ لي جوانبُه ... وليّتُ أسحبُ نحوَ القومِ أثوابِي)
كأنّني من حُمَيَّا كأسِه جَمَلٌ ... صَحَّتْ قوائمُهُ من بعد أوْصاب) ويروى)
(... كأنني من حُمَيَّا كأسِه ظَلِعٌ)
الغناء ليحيى المكي وروي ضلع خفيف ثقيل بالبنصر عن الهشامي وبذل
قالت بذل وفيه لحن آخر ليحيى ولم تذكر طريقته
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني أبو فهيرة قال
دخل عبد الرحمن بن أرطأة على سعيد بن العاص وهو أمير المدينة فقال له ألست القائل
إنّا لنشربُها حتى تميل بنا ... كما تَمايل وَسْنانٌ بوَسْنانِ) فقال له عبد الرحمن معاذ الله أن أشربها وأنعتها ولكني الذي)
أقول
(سَموْتُ بحِلْفي للطِّوالِ من الذُّرَى ... ولِمِ تَلْقَنِي كالنَّسْرِ في ملتقىً جَدْبِ)
((إذا ما حَلِيفُ القومِ أقْعَى مكانَه ... ودَبَّ كما يمشي الحَسِيرِ من النَّقْبِ
(وهَصْتُ الحصى لا أرهبُ الضيمَ قائماً ... إذا أنا راخى لي خِنَاقي بنو حَرْبِ)
وقام يجر مطرفه بين الصفين حتى خرج
فأقبل عمرو بن سعيد على أبيه فقال لو أمرت بهذا الكلب فضرب مائتي سوط كان خيرا له فقال يا بني أضربه وهو حليف حرب بن أمية ومعاوية خليفة بالشام إذا لا يرضى فلما حج معاوية لقيه بمنى فقال إيه يا سعيد أمرك أحمقك بأن تضرب حليفي مائتي سوط أما والله لو جلدته سوطا لجلدتك سوطين فقال له سعيد ولم ذاك أولم تجلد أنت حليفك عمر بن جبلة فقال له معاوية هو لحمي آكله ولا أوكله
قال وكان ابن سيحان قد قال
(لا يَعْدَمَنِّي نديمي ماجِداً أنِفاً ... لا قائلاً خالطاً زوراً بِبُهْتانِ)
(أُمْسِي أُعاطِيهِ كأساً لَذَّ مَشْرَبُها ... كالمسكِ خُفَّتْ بِنِسْرِينٍ ورِيْحَانِ)
(سبيئةً من قُرَى بَيْرُوت صافيةً ... أو التي سُبِيَتْ من أرض بَيْسانِ)
إنّا لنشربُها حتى تميل بنا ... كما تَمايل وَسْنانٌ بوَسْنانِ) انقضت أخباره)
صوت
من المائةالمختارة من رواية علي بن يحيى
(يا خليليّ هَجِّرَا كيْ تَرُوحا ... هِجْتُما للرَّواح قَلْبا قريحا)
(إنْ تُرِيغا لِتَعْلَما سِرّ سُعْدى ... تَجِداني بِسرّ سُعْدى شَحِيحا)
(إنّ سُعْدى لمُنْيَةُ المُتَمنِّي ... جَمَعتْ عِفّة ووَجْها صَبِيحا)
((كلّمتني وذاك ما نِلْتُ منها ... إنّ سُعْدى ترى الكلامَ ربيحا
الشعر لابن ميادة والغناء لحنين ولحنه المختار من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق وذكر عمرو بن بانة أن فيه لدحمان لحنا من الثقيل الأول بالبنصر وأظنه هذا وأن عمرا غلط في نسبته إلى دحمان
أخبار ابن ميادة ونسبه
اسمه الرماح بن أبرد بن ثوبان بن سراقة بن حرملة هكذا قال الزبير بن بكار في نسبه وقال ابن الكلبي ثوبان بن سراقة بن سلمى بن ظالم ويقال سراقة بن قيس بن سلمى بن ظالم بن جذيمة بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف ابن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن زيد بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر
وأمه ميادة أم ولد بربرية وروي أنها كانت صقلبية
ويكنى أبا شرحبيل وقيل بل يكنى أبا شراحيل
وكان ابن ميادة يزعم أن أمه فارسية وذكر ذلك في شعره فقال)
(أنا ابْنُ سَلْمى وَجَدِّي ظالمُ ... وأُمّي حَصَانٌ أخلصتْها الأعاجمُ)
(أليس غلامٌ بين كسرى وظالمٍ ... بأكرمِ مَن نِيطتْ عليه التمائمُ)
أخبرني بذلك الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني أبو مسلمة مرهوب بن سيد وأخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني موسى بن زهير الفزاري قال أخبرني موسى بن سيار بن نجيح المزني قال أنشدني ابن

ميادة أبياته التي يقول فيها
(أليس غلامٌ بين كِسرى وظالم ... بأكرم من نِيطَتْ عليه التمائمُ)
فقلت له لقد أشحطت بدا العجوز وأبعدت بها النجعة فهلا غربت يريد
أنها صقلبية ومحلها بناحية المغرب فقال إي بأبي أنت إنه من جاع انتجع فدعها تسر في الناس فإنه من يسمع يخل قال
الزبير قال ابن مسلمة ولما قال ابن ميادة هذه الأبيات قال الحكم الخضري يرد عليه
(وما لكَ فيهم من أبٍ ذي دسِيعةٍ ... ولا وَلَدَتْكَ المُحْصَنَاتُ الكرائم)
(وما أنتَ إلاَّ عبدُهم إن تُرِبْهُمُ ... مِنَ الدهر يوماً تَستَرِبْكَ المقاسِمُ)
(رَمَى نَهْبَلٌ في فَرْجِ أمِّكَ رَمْيَةً ... يحَوْقَاءَ تَسْقِيهَا العُروقُ الثَّواجمُ)
قال أبو مسلمة ونهبل عبد لبني مرة كانت ميادة تزوجته بعد سيدها وكانت صقلبية
وابن ميادة شاعر فصيح مقدم مخضرم من شعراء الدولتين وجعله ابن سلام في الطبقة السابعة وقرن به عمر بن لجأ
والعجيف العقيلي والعجير السلولي

ابن ميادة يتعرض للمهاجاة

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا الحسن بن الحسين السكري قال حدثنا محمد بن حبيب عن ابن الأعربي
قال كان ابن ميادة عريضا للشر طالبا مهاجاة الشعراء ومسابة الناس
وكان يضرب بيده على جنب أمه ويقول
اعْرَنْزِمِي مَيّاد للقوافي ...) أي إني سأهجو الناس فيهجونك)
وأخبرنا يحيى بن علي عن أبي هفان بهذه الحكاية مثله وزاد فيها
(لإعْرَنْزِمِي مَيَّادَ للقوافي ... واسْتَسْمِعيهنّ ولا تَخَافِي)
(... ستجدِينَ ابنَكِ ذا قِذَافِ)
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا داود بن علفة الأسدي قال جاورت امرأة من الخضر رهط
الحكم الخضري أبيات ابن ميادة فجاءت ذات يوم تطلب رحي وثفالا لتطحن فأعاروها إياهما فقال لها ابن ميادة يا أخت
الخضر أتروين شيئا مما قاله الحكم الخضري لنا يريد بذلك أن تسمع أمه فجعلت تأبى فلم يزل حتى أنشدته
(أمَيَّادَ قد أفسدتِ سيفَ ابن ظالم ... بِبَظْرِك حتى عاد أثْلَمَ باليَا)
قال وميادة جالسة تسمع
فضحك الرماح وثارت ميادة إليها بالعمود تضربها به وتقول أي زانية هيا زانية أإياي تعنين وقام ابن ميادة يخلصها فبعد لأي
ما أنقذها وقد انتزعت منها الرحى والثفال
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني أبو حرملة منظور بن أبي عدي الفزاري قال حدثني
شماطيط وهو الذي يقول
(أنا شَماطِيطُ الذي حُدِّثتَ به ... متى أُنبَّهْ للغداء أنْتَبِهْ)
(... حتى يُقالُ شَرِهٌ ولستُ به)
قال كنت جالسا مع ابن ميادة فوردت عليه أبيات للحكم الخضري يقول فيها
(أأنت ابن أشبانِيّةٍ أدْلجَتْ به ... إلى اللؤم مِقْلاتٍ لئيمٍ جَنينُها)
أشبانية صقلبية قال وأمه ميادة تسمع فضرب جنبها وقال
(إعْرَنْزِمي مَيَّادَ للقوافِي)
فقالت هذه جنايتك يابن من خبث وشر وأهوت إلى عصا تريد ضربه بها ففر منها وهو يقول
(...يا صِدْقَها ولم تكن صَدُوقَا)
فصحت به أيهما المعني فقال أضرعهما خدين والأمهما جدين فضربت جنبها الآخر وقلت فهي إذا ميادة وخرجت أعدو في
أثر الرماح وتبعتنا ترمينا بالحجارة وتفتري علينا حتى فتناها
أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني أبو داود الفزاري أن ميادة كانت أمة
لرجل من كلب زوجة لعبد له يقال له نهبل فاشتراها بنو ثوبان بن سراقة فأقبلوا بها من الشام فلما قدموا وصبحوا بها
المليحة وهي ماءة لبني سلمى ورحل ابن ظالم بن جذيمة نظر رجل من بني سلمى إليها وهي ناعسة تمايل على
بعيرها فقال ما هذه قالوا اشتراها بنو ثوبان فقال وأبيكم إنها لميادة تميد وتميل على بعيرها فغلب عليها ميادة وكان أبرد
ضلة من الضلل ورثة من الرثث جلفا لا تخلص إحدى يديه من الاخرى يرعى على إخوته وأهله وكانت إخوته كلهم ظرفاء
غيره فأرسلوا ميادة ترعى الأبل معه فوقع عليها فلم يشعروا بها إلا حبلى قد أقعسها بطنها فقالوا لها لمن ما في بطنك
قالت لأبرد وسألوه فجعل يسكت ولا يجيبهم حتى رمت بالرماح فرأوا غلاما فدغما نجيبا فأقر به أبرد
وقالت بنو سلمى ويلكم يابني ثوبان ابتطنوه فلعله ينجب فقالوا والله ما له غير ميادة فبنوا لها
بيتا وأقعدوها فيه فجاءت بعد الرماح بثوبان وخليل وبشير بني أبرد وكانت أول نسائه و آخرهن و كانت امرأة صدق ما
رميت بشيء ولا سبت إلا بنهبل قال عبد الرحمن بن جهيم الأسدي في هجائه ابن مياده
(لَعمْري لئن شابتْ حَليلةُ نَهْبلٍ ... لبئس شبابُ المرءِ كان شبابُها)
(و لم تدر حمراءُ العِجان انْهَبلٌ ... أبوه أم المُرّيّ تَبّ تَبَابُها)
قال أبو داود وكان ابن ميادة هجا بني مازن وفزارة بن ذبيان وذلك أنهم ظلموا بني الصارد والصارد من مرة فأخذوا مالهم و
غلبوهم عليه حتى الساعة فقال ابن ميادة
(فلأوردنّ على جماعة مازنٍ ... خَيْلا مُقلَّصةَ الخُصَى ورجالا)
ظلّوا بذي أُرُكٍ كأنّ رؤسهم ... شجرٌ تخطّاه الربيع فحِالا) فقال رجل من بني مازن يرد عليه)
(يا بن الخبيثه يا بن طَلّة نَهْبلٍ ... هلاّ جمعت كما زَعمت رجالا)
(أبَظْرَ مَيْدَةَ أم بخُصيَيْ نَهْبلٍ ... أم بالفُساةُ تُنازِلُ الأبطالا)
و لئن وردتَ على جماعة مازنٍ ... تبغي القتال لَتَلْقَينّ قِتالا) قال وبنو مرة يسمون الفساه لكثرة امتيارهم التمر وكانت)
منازلهم بين
فدك وخيبر فلقبوا بذلك لأكلهم التمر وقال يحيى بن علي في خبره ولم يذكره عن أحد وقال ابن ميادة يفتخر بأمه

(أنا ابن مَيَّادَة تَهْوي نُجُبِي ... سَلْطُ الجبينِ حَسَنٌ مُرَكَّبي)
تَرفعني أمي و ينميني أبي ... فوق السحاب ودُوَيْنَ الكوكبِ) قال يحيى بن علي في خبره عن حماد أبيه عن أبي داود الفزاري إن ابن ميادة قال يفخر بنسب أبيه في العرب ونسب أمه في العجم
(أليس غلامٌ بين كِسرَى وظالم ... بأكرمِ مَن نِيطت عليه التَّمائمُ)
(لَوَ انَّ جميع الناس كانوا بتَلْعةٍ ... وجئتُ بجَدِّي ظالمٍ وابنِ ظالِمِ)
لظلَّت رقابُ الناس خاضِعةً لنا ... سُجوداً على أقدامنا بالجماجِمِ) فأخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أ بي عبيدة قال كان ابن ميادة واقفا في الموسم ينشد
(... لو انّ جميع الناس كانوا بتَلْعةٍ)
وذكر تمام البيت والذي بعده
قال والفرزدق واقف عليه في جماعة وهو متلثم فلما سمع هذين البيتين أقبل عليه ثم قال أنت يابن أبرد صاحب هذه الصفة كذبت والله وكذب من سمع ذلك منك فلم يكذبك فأقبل عليه فقال فمه يا أبا فراس فقال أنا والله أولى بهما منك ثم أقبل على راويته فقال اضممهما إليك
((لَوَ انَّ جميع الناس كانوا بتَلْعةٍ ... وجئتُ بجَدِّي دارمٍ وابنِ دارمِ
(لظلَّت رقابُ الناس خاضِعةً لنا ... سُجوداً على أقدامنا بالجماجِمِ)
قال فأطرق ابن ميادة فما أجابه بحرف ومضى الفرزدق فانتحلهما
أخبرنا يحيى قال حدثنا حماد عن أبيه عن أبي داود قال
أم بني ثوبان وهم أبرد أبو ابن ميادة والعوثبان وقريض وناعضة وكان العوثبان وقريض شاعرين أمهم جميعا سلمى بنت كعب بن زهير بن أبي سلمى
ويقال إن الشعر أتى ابن ميادة عن أعمامه من قبل جدهم زهير
قال اسحاق في خبره هذا وحدثني حميد بن الحارث أن عقبة بن كعب بن زهير نزل المليحة على بني سلمى بن ظالم فأكلوا له بعيرا وبلغ ابن ميادة أن عقبة قال في ذلك شعرا فقال ابن ميادة يرد عليه
(ولقد حلفتُ بربِّ مكةَ صادقاً ... لولا قرابةُ نِسوةٍ بالحاجر)
(لكسوتُ عُقْبَةَ كُسْوةً مشهورةً ... تُردُ المَنَاهلَ من كلامٍ عائر)
وهي قصيدة فقال له عقبة
(أَلَوْما أنني أصبحتُ خالاً ... وذكرُ الخال ينقُص أو يزيدُ)
(لقد قلَّدتُ من سَلْمَى رجالا ... عليهم مَسْحَةٌ وهُمُ العبيدُ)
فقال ابن ميادة
(إن تَكُ خالنا فقُبِحْتَ خالاً ... فأنت الخال تنقُص لاتزيدُ)
(فيوماً في مُزَينة أنت حُرٌّ ... ويوماً أنت مَحْتِدُك العبيدُ)
((أحقُّ الناس أن يَلْقَى هَوَاناً ... ويؤكلَ مالُه العبدُ الطَّرِيدُ
قال إسحاق فحدثني عجرمة قال كان ابن ميادة أحمر سبطا عظيم الخلق طويل اللحية وكان لباسا عطرا ما دنوت من رجل كان أطيب عرفا منه
قال إسحاق وحدثني أبو داود قال سمعت شيخا عالما من غطفان يقول كان الرماح أشعر غطفان في الجاهلية والاسلام وكان خيرا لقومه من النابغة لم يمدح غير قريش وقيس وكان النابغة إنما يهذي باليمن مضللا حتى مات
قال إسحاق وحدثني أبو داود أن بني ذبيان تزعم أن الرماح بن ميادة كان آخر الشعراء
قال إسحاق وحدثني أبو صالح الفزاري أن القاسم بن جندب الفزاري وكان عالما قال لابن ميادة والله لو أصلحت شعرك لذكرت به فإني لأراه كثير السقط فقال له ابن ميادة يابن جندب إنما الشعر كنبل في جفيرك ترمي به الغرض فطالع وواقع وعاصد وقاصد
أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال كان ابن ميادة حديث العهد لم يدرك زمان قتيبة بن مسلم ولا دخل فيمن عناه حين قال
أشعر قيس الملقبون من بني عامر والمنسوبون إلى أمهاتهم من غطفان
ولكنه شاعر مجيد كان في أيام هشام بن عبد الملك وبقي إلى زمن المنصور
أخبرنا يحيى بن علي قال كان ابن ميادة فصيحا يحتج بشعره وقد مدح بني أميه وبني هاشم مدح من بني أمية الوليد بن يزيد وعبد الواحد بن سليمان ومدح من بني هاشم المنصور وجعفر بن سليمان
وأخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي عن الأصمعي قال أخبرني طماح ابن أخي الرماح بن ميادة قال قال لي عمي الرماح ما علمت أني شاعر حتى وأطأت الحطيئة فإنه قال
(عفا مُسْحُلاَنُ من سُلَيمى فَحامِرُهْ ... تَمَشَّي به ظِلْمَانُه وجآذِرُهْ)
فو الله ما سمعته ولا رويته فواطآته بطبعي فقلت
(فذو العُشّ والممدورُ أصبح قاوياً ... تَمَشَّي به ظِلْمَانُهُ وجآذِرُهْ)
فلما أنشدتها قيل لي قد قال الحطيئة
(... تَمَشَّى به ظلمانه وجآذرهْ)
فعلمت أني شاعر حينئذ
ابن ميادة وأم جحدر
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني موسى ابن زهير بن مضرس قال كان الرماح بن أبرد المعروف بابن ميادة ينسب بأم جحدر بنت حسان المرية إحدى نساء بني جذيمة فحلف أبوها ليخرجنها إلى رجل من غير عشيرته ولا يزوجها بنجد فقدم عليه رجل من الشأم فزوجه إياها فلقي عليها ابن ميادة شدة فرأيته وما لقي عليها فأتاها نساؤها ينظرن إليها عند خروج الشامي بها قال فوالله ماذكرن منها جمالا بارعا ولا حسنا مشهورا ولكنها كانت أكسب الناس لعجب فلما خرج بها زوجها إلى بلاده اندفع ابن ميادة يقول
(ألاَ ليتَ شِعْري هل إلى أمّ جَحْدَرٍ ... سبيلٌ فأما الصبرُ عنها فلا صَبْرَا)

(إذا نزلتْ بُصْرَى تراخَى مَزارُها ... وأغلقَ بَوَّابَانِ مِن دُونها قَصْرَا)
فهل تأتيِّني الريحُ تَدرُجُ مَوْهِناً ... برياكِ تَعْرُوري بها جَرَعاً عُفْرَا) قال الزبير وزادني عمي مصعب فيها)
((فلو كان نَذْرٌ مُدْنِياً أمَّ جَحْدَرٍ ... إليَّ لقد أوْجَبتُ في عُنُقِي نَذْرَا
(ألا لا تَلُطِّي السِّتْرَ يا أمَّ جَحْدَرٍ ... كَفَى بذُرَا الأعلامِ مِنْ دُوننا سِتْرا)
(لَعمري لئن أمْسَيتِ يا أمَّ جَحْدَرٍ ... نأيتِ لقد أبليتُ في طلبٍ عُذرا)
(فَبَهْراً لقومي إذ يبيعون مُهْجتي ... بغانيةٍ بَهْراً لهم بعدها بَهْرَا)
قال الزبير بهرا هاهنا يدعو عليهم أن ينزل بهم من الأمور ما يبهرهم كما تقول جدعا وعقرا
وفي أول هذه القصيدة على ما رواه يحيى بن علي عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن حميد بن الحارث يقول
(ألا لا تَعُدْ لِي لَوْعَةٌ مثلُ لَوْعَتِي ... عليكِ بأَدْمَى والهوى يَرْجِعُ الذِّكْرَا)
(عَشِيَّةَ ألْوِي بالرِّداء على الحَشَا ... كأنَّ رِدَائي مُشْعَلٌ دونه جَمْرَا)
قال حميد بن الحارث وأم جحدر امرأة من بني رحل بن ظالم بن جذيمة ابن يربوع بن غيظ بن مرة
أخبرني يحيى بن علي قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه وأخبرني الحرمي ابن أبي العلاء عن الزبير عن موهوب بن رشيد عن جبر بن رباط النعامي أن أم جحدر كانت امرأة من بني مرة ثم من بني رحل وأن أباها بلغه مصير ابن ميادة إليها فحلف ليزوجنها رجلا من غير ذلك البلد فزوجها رجلا من أهل الشأم فاهتداها وخرج بها إلى الشأم فتبعها ابن ميادة حتى أدركه أهل بيته فردوه مصمتا لا يتكلم من الوجد بها فقال قصيدة أولها
(خَلِيليّ من أبْناء عُذْرَة بَلِّغَا ... رسائلَ منّا لا تَزيدكما وِقْرَا)
(ألِمَّا على تَيْماءَ نَسْألْ يَهُودَها ... فإنّ لدى تيماءَ من رَكْبِها خُبْرَا)
(وبالغَمْرِ قد جازتْ وجازَ مطِيُّها ... عليه فسَلْ عن ذاكِ نَيَّانَ فالغَمْرَا)
(ويا ليتَ شِعْري هل يَحُلَّنَّ أهلُها ... وأهلُكَ رَوْضاتٍ ببطن اللِّوَى خُضْرَا)
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني أبو سعيد يعني عبد الله بن شبيب قال حدثني أبو العالية الحسن بن مالك وأخبرني به الأخفش عن ثعلب عن عبد الله بن شبيب عن أبي العالية الحسن بن مالك الرياحي العذري قال حدثني عمر ابن وهب العبسي قال حدثني زياد بن عثمان الغطفاني من بني عبد الله بن غطفان قال كنا بباب بعض ولاة المدينة فغرضنا من طول الثواء فإذا أعرابي يقول يا معشر العرب أما منكم رجل يأتيني أعلله إذ غرضنا من هذا المكان فأخبره عن أم جحدر وعني فجئت إليه فقلت من أنت فقال أنا الرماح بن أبرد قلت فأخبرني ببدء أمركما قال كانت أم جحدر من عشيرتبي فأعجبتني وكانت بيني وبينها خلة هم إني عتبت عليها في شيء بلغني عنها فأتيتها فقلت يا أم جحدر إن الوصل عليك مردود فقالت ما قضى الله فهو خير
فلبثت على تلك
((خَلِيليّ من أبْناء عُذْرَة بَلِّغَا ... رسائلَ منّا لا تَزيدكما وِقْرَا
(ألِمَّا على تَيْماءَ نَسْألْ يَهُودَها ... فإنّ لدى تيماءَ من رَكْبِها خُبْرَا)
(وبالغَمْرِ قد جازتْ وجازَ مطِيُّها ... عليه فسَلْ عن ذاكِ نَيَّانَ فالغَمْرَا)
(ويا ليتَ شِعْري هل يَحُلَّنَّ أهلُها ... وأهلُكَ رَوْضاتٍ ببطن اللِّوَى خُضْرَا)
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني أبو سعيد يعني عبد الله بن شبيب قال حدثني أبو العالية الحسن بن مالك وأخبرني به الأخفش عن ثعلب عن عبد الله بن شبيب عن أبي العالية الحسن بن مالك الرياحي العذري قال حدثني عمر ابن وهب العبسي قال حدثني زياد بن عثمان الغطفاني من بني عبد الله بن غطفان قال كنا بباب بعض ولاة المدينة فغرضنا من طول الثواء فإذا أعرابي يقول يا معشر العرب أما منكم رجل يأتيني أعلله إذ غرضنا من هذا المكان فأخبره عن أم جحدر وعني فجئت إليه فقلت من أنت فقال أنا الرماح بن أبرد قلت فأخبرني ببدء أمركما قال كانت أم جحدر من عشيرتي فأعجبتني وكانت بيني وبينها خلة ثم إني عتبت عليها في شيء بلغني عنها فأتيتها فقلت يا أم جحدر إن الوصل عليك مردود فقالت ما قضى الله فهو خير
فلبثت على تلك
الحال سنة وذهبت بهم نجعة فتباعدوا واشتقت إليها شوقا شديدا فقلت لامرأة أخ لي والله لئن دنت دارنا من أم جحدر لآتينها ولأطلبن إليها أن ترد الوصل بيني وبينها ولئن ردته لا نقضته أبدا ولم يكن يومان حتى رجعوا فلما أصبحت غدوت عليهم فإذا أنا ببيتين نازلين إلى سند أبرق طويل وإذا امرأتان جالستان في كساء واحد بين البيتين فجئت فسلمت فردت إحداهما ولم ترد الأخرى فقالت ما جاء بك يا رماح إلينا ما كنا حسبنا إلا أنه قد انقطع ما بيننا وبينك فقلت إني جعلت علي نذرا لئن دنت بأم جحدر دار لآتينها ولأطلبن منها أن ترد الوصل بيني وبينها ولئن هي فعلت لا نقضته أبدا وإذا التي تكلمني امرأة أخيها وإذا الساكتة أم جحدر فقالت امرأة أخيها فادخل مقدم البيت فدخلت وجاءت فدخلت من مؤخره فدنت قليلا ثم إذا هي قد برزت فساعة برزت جاء غراب فنعب على رأس الأبرق فنظرت إليه وشهقت وتغير وجهها فقلت ما شأنك قالت لا شيء قلت بالله إلا أخبرتني قالت أرى هذا الغراب يخبرني أنا لا نجتمع بعد هذا اليوم إلا ببلد غير هذا البلد فتقبضت نفسي ثم قلت جارية والله ما هي في بيت عيافة ولا قيافة فأقمت عندها
ثم تروحت إلى أهلي فمكثت عندهم يومين ثم أصبحت غاديا إليها فقالت لي امرأة أخيها ويحك يا رماح أين تذهب فقلت إليكم فقالت وما تريد قد والله زوجت أم جحدر البارحة فقلت بمن ويحك قالت برجل من أهل الشأم من أهل بيتها جاءهم من الشأم فخطبها فزوجها وقد حملت إليه فمضيت إليهم فإذا هو قد ضرب سرادقات فجلست إليه فأنشدته وحدثته وعدت إليه أياما ثم إنه احتملها فذهب بها فقلت
(أجارتَنَا إنَّ الخطوبَ تَنوبُ ... علينا وبعضَ الآمنين تُصِيبُ)
(أجارتَنا لَسْتُ الغداةَ بِبارحٍ ... ولكنْ مُقِيمٌ ما أقامَ عَسِيبُ)
(فإنْ تسألِيني هل صَبَرْتَ فإنني ... صَبُورٌ على رَيْبِ الزمانِ صَلِيبُ)
قال علي بن الحسين هذه الأبيات الثلاثة أغار عليها ابن ميادة فأخذها بأعيانها أما البيتان الأولان فهما لامرىء القيس قالهما لما احتضر بأنقرة في بيت واحد هو
أجارتَنَا إنَّ الخطوبَ تَنُوبُ ... وإنّي مُقِيمٌ ما أقام عَسِيبُ) والبيت الثالث لشاعر من شعراء الجاهلية وتمثل به أمير) المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في رسالة كتب بها إلى أخيه عقيل بن أبي طالب فنقله ابن ميادة نقلا

ونرجع إلى باقي شعر ابن ميادة
(جَرَى بانْبِتَاتِ الحَبْلِ من أمِّ جَحْدَرٍ ... ظباءٌ وطيْرٌ بالفِرَاق نَعُوبُ)
((نظرتُ فلم أعْتَفْ وعافتْ فبيَّنَتْ ... لها الطيرُ قبلي واللبيبُ لبيبُ
(فقالت حرامٌ أن نُرَى بعد هذه ... جميعيْنِ إلا أن يُلِمَّ غريبُ)
(أجارتَنا صبراً فيا رُبَّ هالكٍ ... تَقَطَّعَ من وجدٍ عليه قلوبُ)
قال ثم انحدرت في طلبها وطمعت في كلمتها إلا أن نجتمع في بلد غير هذا البلد قال فجئت فدرت الشأم زمانا فتلقاني زوجها فقال م لك لا تغسل ثيابك هذه أرسل بها إلى الدار تغسل فأرسلت بها ثم إني وقفت أنتظر خروج الجارية بالثياب فقالت أم جحدر لجاريتها إذا جاء فأعلميني فلما جئت إذا أم جحدر وراء الباب فقالت ويحك يا رماح قد كنت أحسب أن لك عقلا أما ترى أمرا قد حيل دونه وطابت أنفسنا عنه انصرف إلى عشيرتك فإني أستحيي لك من هذا المقام فانصرفت وأنا أقول
صوت
(عسى إن حَجَجْنا أن نرى أمَّ جَحْدَرٍ ... ويجمَعَنا من نَخْلَتيْن طَريقُ)
(وتَصْطَكَّ أعضادُ المَطِيِّ وبينَنا ... حديثٌ مُسرٌّ دونَ كلّ رَفِيقِ)
شعر ابن ميادة في أم جحدر
في هذين البيتين لحن من الثقيل الثاني ذكر الهشامي أنه للحجبي
وقال حين خرج إلى الشأم هذه رواية ابن شبيب
((ألا حيِّيا رَسْماً بذي العُشِّ مُقْفِرا ... وربعاً بذي المَمْدورِ مستعجِماً قَفْرَاَ
(فأعجبُ دارٍ دارُها غيرَ أنني ... إذا مما ما أتيتُ الدار تَرْجِعُني صِفْرا)
(عشيةَ أثْني بالرِّداء على الحَشَى ... كأنّ الحَشَى من دُونه أُسْعِرتْ جَمْرَا)
(يَميلُ بنا شحْطُ النَّوَى ثم نلتقِي ... عِدَادَ الثُّريَّا صادفتْ ليلَةً بَدْرَا)
(وبِالغَمْرِ قد جازتْ وجازَ مطيُّها ... فأسْقَى الغَوادِي بَطْنَ نَيَّانَ فالغَمْرَا)
(خليليّ من غَيْظِ بن مُرَّةَ بلِّغا ... رسائلَ منّي لا تَزيدكُما وقْرَا)
(ألا ليت شعري هل إلى أمِّ جَحْدَرٍ ... سَبيلٌ فأما الصبرُ عنها فلا صَبْرَا)
(فإن يَكُ نَذْرٌ راجعاً أمَّ جَحْدَرٍ ... علي لقد أوْذَمتُ في عُنُقي نَذْرَا)
(وإني لاستنشي الحديثَ من اجْلِها ... لأسمعَ منها وهي نازحةٌ ذِكْرَا)
(وإني لأستحيي من الله أن أُرَى ... إذا غدرَ الخُلّانُ أنوي لها غَدْرَا)
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد عن أبيه قال أنشدني أبو داود لابن ميادة وهو يضحك منذ أنشدني إلى أن سكت
(ألم تَرَ أنْ الصارِدِيَّةَ جاورتْ ... لياليَ بالمَمْدور غيرَ كثير)
((ثلاثاً فلمّا أن أصابتْ فؤادَه ... بسهْمَيْن من كَحْلٍ دعتْ بهَجِير
(بأصهَبَ يَرْمِي للزِّمام برأسِه ... كأنَّ على ذِفْراه نَضْخَ عَبِير)
(جلتْ إذ جلت عن أهل نجدٍ حَميدةً ... جَلاَء غنيٍّ لا جلاءَ فقيرِ)
(وقالت وما زادتْ على أن تبسَّمتْ ... عَذيرَكَ من ذي شَيْبةٍ وعَذيري)
(عدِمتُ الهوى ما يَبْرَحِ الدهرَ مُقْصِداً ... لقلبي بسَهْمٍ في اليدين طَرير)
وقد كان قلبي مات للوجْد مَوْتةً ... فقد هَمَّ قلبي بعدَها بنشور) قال فقلت ما أضحكك فقال كذب ابن ميادة والله ما (جلت إلا على حمار وهو يذكر بعيرا ويصفه وأنها جلت جلاء غني لا جلاء فقير فأنطقه الشيطان بهذا كله كما سمعت
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني موسى بن زهير قال مكثت أم جحدر عند زوجها زمانا ثم مات زوجها عنها ومات ولدها منه فقدمت نجدا على إخوتها وقد مات أبوها
أخبرني سيار بن نجيح المزني قال لقيت ابن ميادة وهو يبكي فقلت له ويحك مالك قال أخرجتني أم جحدر وآلت يمينا ألا تكلمني فانطلق فاشفع لي عندها فخرجت حتى غشيت رواق بيتها فوجدتها وهي تدمك جريرا لها بين الصلاية والمدق تريد أن تخطم به بعيرا تحج عليه فقالت إن كنت جئت شفيعا لابن ميادة فبيتي حرام عليك أن تلقي فيه قدمك قال فحجت ولا والله ما كلمته ولا رآها ولا رأته
قال موسى قال سيار فقلت له اذكر لي يوما رأيته منها فقال لي أما والله لأخبرنك يا سيار بذلك بعثت إليها عجوزا منهم فقلت هل ترين من رجال فقالت لا والله ما رأيت من رجل فألقيت رحلي على ناقتي ثم أرسلتها حتى أنختها بين أطناب بيتهم ثم جعلت أقيد الناقة فما كان إلا ذاك حتى دخلت وقد ألقت لي فراشا مرقوما مطموما وطرحت لي وسادتين على عجز الفراش وأخريين على مقدمه قال ثم تحدثنا ساعة وكأنما تلعقني بحديثها الرب من حلاوته ثم إذا هي تصب في عس مخضوب بالحناء والزعفران من ألبان اللقاح فأخذت منها ذلك العس وكأنه قناة فراوحته بين يدي ما ألقمته فمي ولا دريت أنه معي حتى قالت لي عجوز ألا تصلي يابن مياد لا صلى الله عليك فقد أظلك صدر النهار ولا أحسب إلا أنني في أول البكرة قال فكان ذلك اليوم آخر يوم كلمتها فيه حتى زوجها أبوها وهو أظرف ما كان بيني وبينها
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني حكم بن
طلحة الفزاري ثم المنظوري قال
قال ابن ميادة أني لأعلم أقصر يوم مر بي من الدهر قيل له وأي يوم هو يا أبا الشرحبيل قال يوم جئت فيه أم جحدر باكرا فجلست بفناء بيتها فدعت لي بعس من لبن فأتيت به وهي تحدثني فوضعته علي يدي وكرهت أن أقطع حديثها أن شربت فما زال القدح على راحتي وأنا أنظر إليها حتى فاتتني صلاة الظهر وما شربت
قال الزبير وحدثني أبو مسلمة موهوب بن رشيد بمثل هذا وزاد في خبره وقال ابن ميادة فيها أيضا
(ألم تَرَ أنْ الصارِدِيَّةَ جاورتْ ... لياليَ بالمَمْدورِ غيرَ كَثير)
(ثلاثاً فلمّا أن أصابتْ فؤادَه ... بسهْمَيْن من كَحْلٍ دعتْ بهَجِير)
(بأحْمرَ ذَيَّالِ العَسِيبِ مُفَرَّجٍ ... كأنَّ على ذِفْراه نَضْخَ عَبِير)
(حلفْتُ بربِّ الراقصاتِ إلى مِنىً ... زَفِيفَ القَطَا يقطعْن بَطْنَ هَبِير)
(لقد كاد حبُّ الصارِدِيَّةِ بعدما ... علا في سَوَاد الرأسِ نَبْذُ قَتِير)

(يكون سَفَاهاً أو يكونُ ضمانة ... على ما مضى من نعمةٍ وعَصَورِ)
(عدِمتُ الهوى لا يَبْرَحُ الدهرَ مُقْصِداً ... لقلبي بسهمٍ في الفؤاد طَرِير
(وقد كان قلبي مات للحبِّ موتةً ... فقد هَمَّ قلبي بعدها بنشورِ)
جَلَتْ إذ جلت عن أهلِ نَجد حميدةً ... جلاءَ غنيٍّ لا جلاء فقير) ومما يغنى فيه من أشعار ابن ميادة في النسيب بأم (جحدر قوله
صوت
(ألاَ يا لَقَوْمِي للهوى والتذكُّرِ ... وعينٍ قَذَى أنسانِها أمُّ جَحْدَرِ)
فلم تَرَ عيني مثلَ قلبيَ لم يَطِرْ ... ولا كضلوعٍ فَوقَه لم تُكَسرَ) الغناء لإسحاق ثقيل أول بالوسطى)
أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا حكيم ابن طلحة الفزاري عن رجل من كلب قال
جنيت جناية فغرمت فيها فنهضت إلى أخوالي بني مرة فاستعنتهم فأعانوني فأتيت سيار بن نجيح أحد بني سلمى بن ظالم فأعانني ثم قال انهض بنا إلى الرماح بن أبرد يعني ابن ميادة حتى يعينك فدفعنا إلى بيتين له فسألنا عنه فقيل ذهب أمس فقال سيار ذهب إلى أمة لبني سهيل فخرجنا في طلبه فوقعنا عليه في قرارة بيضاء بين حرتين وفي القرارة غنم من الضأن سود وبيض وإذا حمار مقيد مع الغنم وإذا به معها فجلسنا فإذا شابة حلوة صفراء في دراعة مورسة فسلمنا وجلسنا فقال أنشديهم مما قلت فيك شيئا فأنشدتنا
(يُمَنُّونَنِي منكِ اللقاءَ وإنني ... لأعلمَ لا ألقاكِ من دونِ قَابِلِ)
(إلى ذاك ما حارتْ أمورُك وانجلتْ ... غَيَايةُ حُبِّيكِ انجلاء المَخَايِل)
(إذا حَلَّ أهلِي بالجِنابِ وأهلُها ... بحيثُ التقَى الغُلاَّنِ من ذي أرائل)
(أقلْ خُلَّةٌ بانَتْ وأدْبَر وصلُها ... تقطَّع منها باقياتُ الحَبَائِل)
(وحالتْ شهورُ الصيفِ بيني وبينها ... ورفعُ الأعادِي كلَّ حقٍّ وباطل)
(أقولُ لعَذَّاليَّ لما تَقَابَلا ... عليَّ بلَوْمٍ مثل طعن المَعَابِل)
(لا تُكْثِرا عنها السؤالَ فإنها ... مُصَلْصَلَةٍ من بعض تلكَ الصَّلاَصِل)
(من الصُّفْرِ لا وَرْهاءُ سَمْجٌ دَلاَلُها ... وليستْ من الشُّوْدِ القِصَارِ الحَوَائِل)
ولكنها ريحانةٌ طاب نَشْرُها ... وردتُ عليها بالضُّحَى والأصَائِل) ثم قال لها قومي فاطرحي عنك دراعتك فقالت لا حتى)
يقول لي سيار بن نجيح ذلك فأبى سيار فقال له ابن ميادة لئن لم تفعل لا قضيت حاجتكما فقال لها فقامت فطرحتها فما رأيت أحلى منها فقال له سيار فمالك يا أبا
الشرحبيل لا تشتريها فقال إذا يفسد حبها

ابن ميادة و ابن الجعد الخضري

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثتني مغيرة بنت أبي عدي بن عبد الجبار بن منظور بن زبان بن سيار الفزارية قالت أخبرني أبي قال
جمعني وابن ميادة و صخر بن الجعد الخضري مجلس فأنشدنا ابن ميادة قوله
يُمَنُّونَنِي منكِ اللقاءَ وإنني ... لأعلمَ لا ألقاكِ من دونِ قَابِلِ) فأقبل عليه صخر فقال له المحب المكب يرجو الفائت و (يغمِ الطيرِ و أراكِ حسنِ العزاءِ يا أبا الشرحبيل فأعرض عنه ابن ميادة قال أبو عدي فقلت
صادفَ دَرْءُ السَّيْلِ سيلاً يَرْدَعُهُ ... بهَضْبةٍ تَرُدُّهُ و تَدْفَعُهُ) و يروي درء السيل سيل فقال لي يا أبا عدي والله لا أتلطخ (بالخضر مرتين و قد قال أخو عذرة
هو العبدُ أقصى همِّه أن تسبَّه ... وكان سِبَابُ الحرِّ أقصَى مدى العَبْدِ) قال الزبير قوله يغم الطير يقول إذا رأى طيرا لم (يزجرها مخافة أن يقع ما يكره
قال فلم يحر إليه صخر بن الجعد جوابا
يعني بقوله لا أتلطخ بالخضر مرتين مهاجاته الحكم الخضري وكانا تهاجيا زمانا ثم كف ابن ميادة وسأله الصلح فصالحه الحكم
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني أبو مسلمة موهوب بن رشيد عن عبد الرحمن بن الأحول التغلبي ثم الخولاني قال كان أول ما بدأ الهجاء بين ابن ميادة وحكم بن معمر الخضري أن ابن ميادة مر بالحكم بن معمر وهو ينشد في مصلى النبي في جماعة من الناس قوله
لمن الديارُ كأنَّها لم تُعْمَرِ ... بين الكِنَاسِ وبين بُرْقِ مُحَجِّرِ) حتى انتهى إلى قوله)
(يا صاحبَيَّ ألم تَشِيمَا بارقاً ... نُضِحَ الصَّرادُ به فهَضْبُ المَنْحَرِ)
قد بتُّ أرْقُبُه وبات مصعِّداً ... نَهْضَ المقيَّد في الدَّهَاسِ المُوقَرِ) فقال له ابن ميادة ارفع إلي رأسك أيها المنشد فرفع (حكم إليه رأسه فقال له من أنت قال أنا حكم بن معمر الخضري قال فوالله ما أنت في بيت حسب ولا في أرومة شعر فقال له حكم و ماذا عبت من شعري عبت أنك أدهست وأوقرت قال له حكم ومن أنت أنا ابن ميادة قال ويحك ! فلم رغبت عن أبيك و انتسبت إلى أمك قبح الله والدين خيرهما ميادة أما و الله
لو وجدت في أبيك خيرا ما انتسبت إلى أمك راعية الضأن
وأما إدهاسي وإيقاري فإني لم آت خيبر إلا ممتارا لا متحاملا وما عدوت أن حكيت حالك وحال قومك فلو كنت سكت عن هذا لكان خيرا لك وأبقى عليك
فلم يفترقا إلا عن هجاء
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا عبد الله بن إبراهيم الجمحي قال حدثني عمر بن ضمرة الخضري قال
أول ما هاج الهجاء بين ابن ميادة وبين حكم بن معمر بن قنبر بن جحاش بن سلمة بن ثعلبة بن مالك بن طريف بن محارب قال والخضر ولد مالك بن طريف سموا بذلك لأن مالكا كان شديد الأدمة وكذلك خرج ولده فسموا والخضر أن حكما نزل بسمير بن سلمة بن عوسجة بن أنس بن يزيد بن معاوية بن ساعدة بن عمرو وهو خصيلة بن مرة
فأقبل ابن ميادة إلى حكم ليعرض عليه شعره وليسمع من شعره وكان حكم أسنهما فأنشدا جميعا جماعة القوم ثم قال ابن ميادة والله لقد أعجبني بيتان قلتهما يا حكم قال أو ما أعجبك من شعري إلا بيتان فقال والله لقد أعجباني يردد ذلك مرارا لا يزيده عليه فقال له حكم فأي بيتين هما قال حين تساهم بين ثوبيها وتقول

(فوالله ما أدري أزيدتْ مَلاحَةً ... وحُسناً على النِّسوَان أم ليس لي عقْلُ)
(تساهَم ثوباها ففي الدِّرع غادَةٌ ... وفي المِرْط لفَّاوانِ رِدْفُهما عَبْلُ)
فقال له حكم أو ما أعجبك غير هذين البيتين فقال له ابن ميادة قد أعجباني فقال أو ما في شعري ما أعجبك غيرهما
فقال لقد أعجباني فقال له حكم فإني سوف أعيب عليك قولك
(ولا برح المَمْدور ريّان مُخْصِباً ... وجِيدَ أعالي شِعْبه وأسافلُهْ)
فاستسقيت لأعلاه وأسفله وتركت وسطه وهو خير موضع فيه فقال وأي شئ تريد تركته لا يزال ريان مخصبا
وتهاترا فغضب حكم فارتحل ناقته وهدر ثم قال
(... فإنّه يومُ قَريضٍ ورجَزْ)
فقال رجل من بني مرة لابن ميادة اهدركما هدر يا رماح فقال إنما يغط البكر ثم قال الرماح
(فإنّه يومُ قَريضٍ ورجَزْ ... مَن كان منكم ناكِزاً فقد نَكَزْ)
(... وبيّن الطِّرْفُ النَّجيب فَبَرَزْ)
قال يريد بقوله ناكزا غائضا قد نزف
ل الزبير وسمعت رجلا من أهل البادية ينزع على إبل له كثيرة من قليب ويرتجز
(قد نَكَزَتْ أنْ لم تكنْ خَسيفَا ... أو يكن البحرُ لها حَليفَا)
أم جحدر تفضل ابن ميادة على الحكم وعملس
قال الزبير قال الجمحي قال عمير بن ضمرة فهذه أول ما هاج التهاجي
بينهما
قال الزبير قال الجمحي وحدثني عبد الرحمن بن ضبعان المحاربي قال كان ابن ميادة وحكم الخضري وعملس بن عقيل بن علفة متجاورين متحالين وكانوا جميعا يتحدثون إلى أم جحدر بنت حسان المرية وكانت أمها مولاة ففضلت ابن ميادة على الحكم وعملس فغضبا
وكان ابن ميادة قال في أم جحدر
(ألاَ ليت شِعْري هل إلى أمّ جَحْدَر ... سَبيلٌ فإمّا الصَّبْرُ عنها فلا صَبرا)
وياليت شِعْري هل يَحُلّنّ أهلُها ... وأهلُكَ رَوْضاتٍ ببطن اللِّوَى خُضْرا) وقال فيها أيضا)
إذا ركَدتْ شمسُ النهار ووضَّعَتْ ... طَنافِسَها ولَّينها الأعْيُنَ الخُزْرَا) الأبيات فقال عملس بن عقيل وحكم الخضري)
يهجوانها وهي تنسب إلى حكم
(لاَ عُوفِيتْ في قبرها أمّ جَحْدَرٍ ... ولا لَقِيَتْ إلاّ الكَلاليِب والجَمْرَا)
(كما حادثَتْ عبداً لئيماً وخِلْتُه ... مِن الزاد إلاّ حَشْوَ ريْطاته صِفْرا)
(فياليتَ شِعري هل رأت أمُّ جَحْدَرٍ ... أكُشَّكَ أو ذاقت مَغابنَك القُشْرَا)
(وهل أبصرتْ أرْساغَ أبْرَدَ أورأت ... قفا أمّ رَمَّاحٍ إذا ما استقت دَفْرا)
(وبالغَمْرِ قد صرّت لِقاحاً وحادثتْ ... عبيداً فَسلُ عن ذاك نَيّان بالغَمْرا) وقال عملس بن عقيل بن علفة ويقال بل قالها علفة بن عقيل
(فلا تَضعا عنها الطنافَس إنّما ... يُقَصِّر بالمِرْماة مَن لم يكن صَقْرَا)
وزاد يحيى بن علي مع هذا البيت عن حماد عن أبيه عن جرير بن رباط وأبي داود قال يعرض بقوله من لم يكن صقرا بابن ميادة أي إنه هجين ليس من أبوين متشابهين كما الصقر
وبعده بيت آخر من رواية يحيى ولم يروه الزبير معه
مُنَعَّمةُ لم تَلقَ بؤساً وشِقْوَةً ... بنجدٍ ولم يَكْشِف هَجينٌ لها سِتْرَا) قالوا جميعا فقال ابن ميادة يهجو علفة)
(أعُلَّفَ إنّ الصقر ليس بمُدْلِجٍ ... ولكنّه بالليل مُتَّخِذٌ وَكْرَا)
(ومُفْتَرِشٌ بين الجَنَاحين سَلْحَهُ ... إذا الليل ألقَى فوق خُرطومهِ كسرْا)
(فإنْ يكُ صقراً بعد ليلة أمّه ... وليلة جَحّافٍ فأُفٍّ له صقرا)
تَشُدُّ بكفّيْها على جِذْل أيْره ... إذا هي خافت من مَطيتِّها نَفْرا) يريد أن أم علفة من بني أنمار وكان أبوه عقيل بن علفة)
ضربها فأرسلت إلى رجل من بني أنمار يقال له جحاف فأتاها ليلا فاحتملها على جمل فذهب بها
وقال يحيى بن علي خاصة في خبره عن حماد عن أبيه عن أبي داود إن جحاف بن إياد كان رجلا من بني قتال بن يربوع بن غيظ بن مرة وكان يتحدث إلى امرأة عقيل ابن علفة وهي أم ابنه علفة بن عقيل ويتهم بها وهي امرأة من بني أنمار بن بغيض بن ريث بن غطفان يقال لها سلافة وكانت أحسن الناس وجها وكان
عقيل من أغير الناس فربطها بين أربعة أوتاد ودهنها بإهالة وجعلها في قرية نمل فمر بها جحاف بن إياد ليلا فسمع أنينها فأتاها فاحتملها حتى طرحها بفدك فاستعدت واليها على عقيل وقام عقيل من جوف الليل فأوقد عشوة ونظرها فلم يجدها ووجد أثرجحاف فعرفه وتبعه حتى صبح القرية وخنس جحاف عنها فأتى الوالي فقال إن هذه رأتني قد كبرت سني وذهب بصري فاجترأت علي وكان عقيل رجلا مهيبا فلم يعاقبه الوالي بما صنعه لموضعه من صهر بني مروان قال فعير ابن ميادة علفة بن عقيل بأمر جحاف هذا في قوله
فإنْ يكُ صقراً بعد ليلة أمّه ... وليلة جَحّافٍ فأُفٍّ له صقرا) قال ولج الهجاء بينهما وقال فيه ابن ميادة وفي حكم الخضري)
وقد عاون علفة
لقد ركِب الخُضْريُّ مِنّي وتربُه ... على مَرْكَبٍ من نابيات المَراكِبِ) وقال لعلفة)
(يابنَ عَقِيل لا تكن كَذُوبَا ... أأن شَرِبتَ الحَزْرَ والحَلِيبا)
من شَوْل زيد وشَمَمْتَ الطِّيبَا ... جَهْلاً تَجنّيت لِيَ الذنوبا) قال ثم لم يلبثه ابن ميادة أن غلبه وهاج التهاجي بينه وبين)
حكم الخضري وانقطع عنه علفة مفضوحا قال وماتت أم جحدر التي كان ينسب بها ابن ميادة
على تفيئة ما كان بينه وبين علفة من المهاجاة ونعيت له فلم يصدق حتى أتاه رجل من بني رحل يقال له عمار فنعاها له فقال
ما كنتُ أحسَبُ أن القوم قد صدقوا ... حتّى نعاها لِيّ الرَّحْليُّ عَمّارُ) وقال يرثيها)
(خَلَتْ شُعَبُ المَمْدُور لستَ بواجدٍ ... به غيرَ بالٍ من عِضاهٍ وحَرْمَلِ)

(تمنّيتَ أنْ تَلْقَى به أمَّ جَحْدَرٍ ... وماذا تَمَنَّى من صَدىً تحتَ جَنْدَلِ)
(فَلَلْموتُ خيرٌ من حياةٍ ذَميمةٍ ... ولَلْبُخلُ خيرٌ من عَناء مُطَوّل)
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الله بن إبراهيم عن ساعدة ابن مرمىء وذكره إسحاق أيضا عن أصحابه أن ابن ميادة وحكما الخضري تواعدا المدينة ليتواقفا بها فتواقفا بها وجاء نفر من قريش أمهاتهم من مرة إلى ابن ميادة فمنعوه من مواقفة حكم وقالوا أتتعرض له ولست بكفئه فيشتم أمهاتنا وأخوالنا وخالاتنا وهو رجل خبيث اللسان قال وكان حكم يسجع سجعا كثيرا فقال والله لئن واقفته لأسجعن به قبل المقارضة سجعا أفضحه به فلم يلقه
وذكر الزبير له سجعا طويلا غثا لا فائدة فيه لأنه ليس برجز منظوم ولا كلام فصيح ولا مسجع سجعا مؤتلفا كائتلاف القوافي إلا أن من أسلمه قوله والله لئن ساجعتني سجاعا لتجدني شجاعا للجار مناعا ولأجدنك هياعا للحسب مضياعا ولئن باطشتك بطاشا لأدهشنك إدهاشا ولأذقن منك مشاشا حتى يجيء بولك رشاشا وهذا من غث السجع ورذله وإنما ذكرته ليستدل به على ما هو دونه مما ألغيت ذكره قال
ورجز به فقال
(يا معدِنَ اللؤمِ وأنت جَبَلُه ... وآخرَ اللؤمِ وأنت أوّلُهْ)
(جاريتَ سَبَّاقاً بعيداً مَهَلُه ... كان إذا جارَى أباكَ يُفْشِلُهْ)
(فكيف ترجوه وكيف تأمُلُهْ ... وأنت شرُّ رجلٍ وأنْذَلُهْ)
(ألأ مُه في مأزقٍ وأجهلُهْ ... أدخله بيتَ المخازي مُدْخِلُهْ)
فاللؤمِ سِرْبالٌ له يُسَرْبِلُهْ ... ثوباً إذا أنْهجه يُبَدِّلُهْ) فأجابه حكم)
(يا بنَ التي جيرانُها كانت تَضُرّ ... وتَتْبَعُ الشَّوْلَ وكانت تَمْتَصِرْ)
كيف إذا مارستَ حُرَّاً تنتصِرْ ...) ولهما أراجيز كثيرة طويلة جدا أسقطتها لكثرتها وقلة فائدتها)
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير عن عبد الله بن إبراهيم قال
أخبرني بعض من لقيت من الخضر أن حكما الخضري خرج يريد لقاء ابن ميادة بالرقم من غير موعد فلم يلقه إما لأنه تغيب عنه وإما لأنه لم يصادفه فقال حكم
(فَرّ ابنُ مَيَّادةَ الرَّقْطاءِ من حَكَم ... بالصُّغْر مثلَ فِرار الأعْقد الدَّهِم)
((أصبحتَ في أُقُرٍ تَعْلُو أطاولَه ... تَفِرُّ منّي وقد أصبحتُ بالرَّقَمِ
وقال إسحاق في روايته عن أصحابه قال ابن ميادة يهجو حكما وينسب بأم جحدر
(يُمَنُّونَنِي منكِ اللقاءَ وإنني ... لأعلمُ لا ألقاكِ من دون قابِل)
وقد مضى أكثر هذه الأبيات متقدما فذكرت هاهنا منها ما لم يمض وهو قوله
(فياليتَ رَثَّ الوصلِ من أمّ جَحْدَرٍ ... لنا بجديدٍ من أولاكَ البَدَائل)
(ولم يَبْقَ مما كان بيني وبينها ... من الوُدِّ إلا مخْفَيَاتِ الرسائلِ)
(وإني إذا استَنْبهتُ من حُلْوِ رَقْدةٍ ... رُمِيتُ بُحبِّيها كَرْمِي المُنَاضِلِ)
صوت
(فما انْسَ مِ الأشياءِ لا أنسَ قولَها ... وأدمُعها يُذْرِينَ حَشْوَ المَكَاحِلِ
تمتّعْ بذا اليوم القصير فإنه ... رَهينٌ بأيام الدهور الأطاولِ) الغناء في هذين البيتين لعلي بن يحيى المنجم ولحنه من (الثقيل الثاني
(وكنتُ امرَأً أَرْمِي الزوائلَ مرّةً ... فأصبحتُ قد ودّعتُ رميَ الزوائِلِ)
(وعطّلتُ قوسَ اللهو من سَرِعانها ... وعادتْ سِهامِي بين رَثٍّ وناصِلِ) السرعان وتر يعمل من عقب المتن وهو أطول العقب
(إذا حَلَّ بَيْتِي بينْ بَدْرٍ ومازنٍ ... ومُرَّة نِلْتُ الشمسَ واشتدّ كاهِلِي)
يعني بدر بن عمرو بن جؤية بن لوذان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة بن ذبيان ومرة ابن عوف بن سعد بن ذبيان ومرة بن (فزارة ومازن بن فزارة
وهي طويلة
قال أبو الفرج الأصبهاني أخذ إسحاق الموصلي معنى بيت ابن ميادة في قوله
نلتُ الشمسَ واشتدّ كاهلي ...) فقال)
(عطَسْتُ بأنفٍ شامخ وتناولتْ ... يَدَايَ الثريّا قاعداً غيرَ قائمِ)
ولعمري لئن كان استعار معناه لقد اضطلع به وزاد فاحسن وأجاد
وفي هذه القصيدة يقول
(فَضَلْنا قريشاً غيرَ رَهْطِ محمدٍ ... وغيرَ بني مروان أهلِ الفضائلِ)
قال يحيى بن علي وأخبرني علي بن سليمان بن أيوب عن مصعب وأخبرني به الحسن بن علي عن أحمد بن زهير عن مصعب قال
قال إبراهيم بن هشام بن إسماعيل لابن ميادة أنت فضلت قريشا وجرده فضربه أسواطا
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال
لما قال ابن ميادة
(فَضَلْنا قريشاً غيرَ رَهْطِ محمدٍ ... وغيرَ بني مروان أهلِ الفضائلِ)
قال له الوليد بن يزيد قدمت آل محمد قبلنا فقال ما كنت يا أمير المؤمنين أظنه يمكن غير ذلك قال فلما أفضت الخلافة إلى بني هاشم وفد ابن ميادة إلى المنصور ومدحه فقال له أبو جعفر لما دخل إليه كيف قال لك الوليد فأخبره بما قال فجعل المنصور يتعجب

ابن ميادة والحكم الخضري بعريجاء

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الله بن إبراهيم الجمحي قال حدثني العباس بن سمرة بن عباد بن شماخ بن سمرة عن ريحان بن سويد الخضري وكان راوية حكم بن معمر الخضري قال
تواعد حكم وابن ميادة عريجاء وهي ماءة يتواقفان عليها فخرج كل واحد منهما في نفر من قومه وأقبل صخر بن الجعد

الخضري يؤم حكما وهو يومئذ عدو لحكم لما كان فرط بينهما من الهجاء في أركوب من بني مازن بن مالك بن طريف بن خلف بن محارب فلما لقيه قال له يا حكم أهؤلاء الذين عرضت للموت وهم وجوه قومك فوالله ما دماؤهم على بني مرة إلا كدماء جدايه فعرف حكم أن قول صخر هو الحق فرد قومه وقال لصخر قد وعدني ابن ميادة أن يواقفني غدا بعريجاء لأن أناشده فقال له صخر أنا كثير الإبل وكان حكم مقلا فإذا وردت إبلي فارتجز فإن القوم لا يشجعون عليك وأنت وحدك فإن لقيت الرجل نحر وأطعم فانحر وأطعم وإن أتيت على مالي كله
قال ريحان راويته فورد يومئذ عريجاء وأنا معه فظل على عريجاء ولم يلق رماحا ولم
يواف لموعده وظل ينشد يومئذ حتى أمسى ثم صرف وجوه إبل صخر وردها
وبلغ الخبر ابن ميادة وموافاة حكم لموعده فأصبح على الماء وهو يرتجز يقول
أنا ابنُ مَيَّادةَ عقّارُ الجُزُرْ ... كلِّ صَفِيَ ذاتِ نابٍ مُنْفَطِرْ) وظل على الماء فنحر وأطعم)
فلما بلغ حكا ما صنع ابن ميادة من نحره وإطعامه شق عليه مشقة شديدة
ثم إنهما بعد توافيا بحمى ضرية قال ريحان بن سويد وكان ذلك العام عام جدب وسنة إلا بقية كلأ بضرية
قال فسبقنا ابن ميادة يومئذ فنزلنا عى مولاة لعكاشة بن مصعب بن الزبير ذات مال ومنزلة من السلطان
قال وكان حكم كريما على الولاة هناك يتقى لسانه
قال ريحان فبينا نحن عند المولاة وقد حططنا براذع دوابنا إذا ركبان قد أقبلا وإذا نحن برماح وأخيه ثوبان ولم يكن لثوبان ضريب في الشجاعة والجمال فأقبلا يتسايران فلما رآهما حكم عرفهما فقال يا ريحان هذان ابنا أبرد فما رأيك أتكفيني ثوبان أم لا قال فأقبلا نحونا ورماح يتضاحك حتى قبض على يد حكم وقال مرحبا برجل سكت عنه ولم يسكت عني وأصبحت الغداة أطلب سلمه يسوقني الذئب والسنة وأرجو أن أرعى الحمى بجاهه وبركته ثم جلس إلى جنب حكم وجاء ثوبان فقعد إلى جنبي فقال له حكم أما ورب المرسلين يا رماح لولا أبيات جعلت
تعتصم بهن وترجع إليهن يعني أبيات ابن ظالم لاستوسقت كما استوسق من كان قبلك
قال ريحان وأخذا في حديث أسمع بعضه ويخفى علي بعضه فظللنا عند المرأة وذبح لنا وهما في ذلك يتحادثان مقبل كل واحد منهما على صاحبه لا ينظران شدنا حتى كان العشاء فشددنا للرواح نؤم أهلنا فقال رماح لحكم يا أبا منيع وكانت كنية حكم قد قضيت حاجتك وحاجة من طلبت له من هذا العامل وإن لنا إليه حاجة في أن يرعينا فقال له حكم قد والله قضيت حاجتي منه وإني لأكره الرجوع إليه وما من حاجتك بد ثم رجع معه إلى العامل فقال له بعد الحديث معه إن هذا الرجل من قد عرفت ما بيني وبينه وقد سأل الصلح وأناب إليه فأحببت أن يكون ذلك على يدك وبمحضرك
قال فدعا به عامل ضرية ول هل لك حاجة غير ذلك قال لا والله ونسي حاجة رماح فأذكرته إياها فرجع فطلبها واعتذر بالنسيان
ف العامل لابن ميادة ما حاجتك فقال ترعيني عريجاء لا يعرض لي فيها أحد فأرعاه إياها
فأقبل رماح على حكم فقال جزاك الله خيرا يا أبا منيع فوالله لقد كان ورائي من قومي من يتمنى أن يرعى عريجاء بنصف ماله
قال فلما عزما على الانصراف ودع كل واحد منهما صاحبه وانصرفا راضيين
وانصرف ابن ميادة إلى قومه فوجد بعضهم قد ركب إلى ابن هشام فاستغضبه على حكم في قوله
وما ولدتْ مُرِّيَّةٌ ذاتَ ليلةٍ ... من الدهر إلا زاد لؤماً جَنِينُها) فأطرده وأقسم لئن ظفر به ليسرجنه وليحملن عليه أحدهم)
فقال رماح وساءه ما صنعوا عمدتم إلى رجل قد صلح ما بيني وبينه وأرعيت بوجهه فاستعديتم عليه وجئتم بإطراده وبلغ الحكم الخبر فطار إلى الشأم فلم يبرحها حتى مات
قال العباس بن سمرة مات بالشأم غرقا وكان لا يحسن العوم فمات في بعض أنهارها
قال وهو وجهه الذي مدح فيه أسود بن بلال المحاربي ثم السوائي في قصيدته التي يقول فيها
(واستيقنتْ أن لا بَرَاحَ من السُّرَى ... حتى تُنَاخَ بأسْوَدَ بن بِلاَلِ)
(قَرْمٌ إذا نَزل الوُفودُ ببابه ... سَمَتْ العيونُ إلى أشَمَّ طُوَالِ)
مناقضات حكم وابن ميادة
ولحكم الخضري وابن ميادة مناقضات كثيرة وأراجيز طوال طويت ذكر أكثرها وألغيته وذكرت منها لمعا من جيد ما قالاه لئلا يخلو هذا الكتاب من ذكر بعض ما دار بينهما ولا يستوعب سائره فيطول
فمما قاله حكم في ابن ميادة قوله
(خَلِيليّ عُوجَا حَيِّيَا الدارَ بالجَفْرِ ... وقُولاَ لها سَقْياً لعَصْرِكِ من عَصْرِ)
وماذا تُحيّي من رُسومٍ تلاعبتْ ... بها حَرْجَفٌ تَذْرِي بأذيالِها الكُدْرِ) ومن جيد قوله فيها يفتخر)
(إذا يبستِ عِيْدانُ قومٍ وجدتَنا ... وعِيدانُنا تُغْشَى على الوَرَقِ الخُضْرِ)
(إذا الناسُ جاؤوا بالقُروم أتيتُهم ... بقَرم يُساوي رأسُه غُرَّةَ البدر)
لنا الغَوْرُ والأنْجاد والخَيْلُ والقَنَا ... عليكم وأيامُ المَكارِمِ والفخر) ومن جيد هجائه قوله)
(فيا مُرُّ قد أخزاكِ في كلِّ موطنٍ ... من اللؤم خَلاَّتٌ يزدْنَ على العَشْرِ)
((فمنهنّ أنّ العبدَ حامي ذِمارِكم ... وبئس المحامي العبدُ عن حَوْزةِ الثَّغْرِ
(ومنهنَّ أن لم تمسَحُوا وجهَ سابقٍ ... جَوَادٍ ولم تأتوا حَصَاناً على طُهْرِ)
(ومنهنَّ أن الميْتَ يُدْفَن منكمُ ... فَيَفْسُو على دُفَّانه وهو في القبر)
(ومنهنَّ أن الجارَ يسكُن وَسْطَكم ... بريئاً فيُلْقَى بالخيانة والغَدْرِ)
(ومنهنَّ أن عُذْتُم بأرْقَطَ كَوْدَنٍ ... وبئس المحامي أنت يا ضَرْطَةَ الجَفْرَ)
(ومنهنَّ أن الشيخَ يوجَدُ منكم ... يَدِبُّ إلى الحاراتِ مُحدَوْدِب الظهر)
(تَبيت ضِبَابُ الضِّغْنِ تَخْشَى احتراشَها ... وإن هي أمستْ دونها ساحلُ البحر)
فأجابه ابن ميادة بقصيدة طويلة منها قوله مجيبا له عن هذه الخصال التي سبهم بها
(لقد سَبَقتْ بالمُخْزيات مُحَارِبٌ ... وفازتْ بَخلاَّتٍ على قومِها عَشْرِ)
(فمنهنّ أن لم تَعْقِروا ذاتَ ذِرْوةٍ ... لحقٍّ إذا ما احْتِيج يوماً إلى العَقْرِ)
(ومنهنّ أن لم تمسَحُوا عربيَّةً ... من الخَيْل يوماً تحت جُلٍّ على مُهْرِ)

(ومنهنّ أن لم تضربوا بسيوفكم ... جَمَاجِمَ إلا فَيْشَلَ القُرّح الحُمْر
(ومنهنّ أن كانت شيوخُ محارب ... كما قد علمتم لا تَرِيشُ ولا تَبْري)
(ومنهنّ أخزى سَوءةٍ لو ذكرتُها ... لكنتم عبيداً تخدُمون بني وَبْر)
(ومنهنّ أن الضأن كانت نساءَكم ... إذا اخضرّ أطرافُ الثّمَام من القَطْر)
(ومنهنّ أن كانت عجوزُ مُحَاربٍ ... تُريغ الصِّبَا تحت الصَّفِيح من القَبْر)
ومنهنّ أنْ لو كان في البحر بعضُكمْ ... لخبَّثَ ضَاحِي جِلْدِهِ حَوْمَةَ البحر) ومما قاله ابن ميادة في حكم قوله من قصيدة) أولها
ألا حَيِّيَا الأطلالَ طالتْ سِنِينُها ... بحيثُ التقتْ رُبْدُ الجِنَاب وعِينُها) ويقول فيها)
(فلمّا أتاني ما تقولُ مُحاربٌ ... تغنَّتْ شياطيني وجُنَّ جُنُونُها)
(ألم تَرَ أنَّ اللهَ غَشَّى مُحارباً ... إذا اجتمعَ الأقوامُ لوناً يَشِينُها)
(ترى بوجوه الخُضْر خُضْرِ محاربٍ ... طوابعَ لؤمٍ ليس يَنْفَتُّ طِينُها)
(لقد ساهمَتْناكُمْ سُليمٌ وعامرٌ ... فَضِمنّاهمُ إنّا كذاكَ نَدِينُها)
(فصارتْ لنا أهلُ الضَّئِين مُحَاربٌ ... وصارتْ لهم جَسرٌ وذاكَ ثَمينُها)
((إذا أخذتْ خُضْرِيَّةٌ قائمَ الرحى ... تَحَرَّكُ قُنْباها فطارَ طَحِينُها
(وما حَمَلَتْ خُضْرِيَّةٌ ذاتِ ليلةٍ ... من الدهر إلاّ ازدادَ لؤما جَنِينُها)
فقال حكم يجيبه عن هذه بقصيدته
(لأنتَ ابنُ أشبانيّةٍ أدلجتْ به ... إلى اللّؤمِ مِقْلاتٍ لئيمٍ جَنِينُها)
(فجاءتْ بروّاثٍ كأنَّ جَبِينَه ... إذا ما صَغَا في خِرْقَتَيها جَبِينُها)
(فما حَمَلَتْ مُرّيّة قطُّ ليلةً ... من الدهر إلاّ ازداد لؤماً جنينُها)
(وما حَمَلَتْ إلا لألأمِ مَنْ مَشَى ... ولا ذُكرتْ إلاّ بأمرٍ يَشِينها)
(تزوّجُ عثوانُ الضَّئين وتَبْتَغِي ... بها الدَّرَّ لا دَرَّتْ بخيرٍ لبونُها)
(أظنّتْ بنو عثوان أن لستُ شاتماً ... بشَتْمِي وبعضُ القوم حَمْقَى ظُنُونُها)
(مَدَانِيسُ أبرامٌ كأنّ لِحَاهُمُ ... لِحَى مُسْتَهِباتٍ طِوَالٍ قُرُونُها)
قال الزبير فحدثني موهوب بن رشيد قال فسمع هذه القصيدة أحد بني قتال بن مرة فقال ماله أخزاه الله يهجو صبيتنا قال وهم أجفى قوم غضبا لصبيتهم وقد هجاهم بما هجاهم به
قال وبلغ إبراهيم بن هشام قوله في نساء بني مرة إذ يقول
(... وما حَمَلَتْ إلا لألأم مَنْ مشَى)
فغضب ثم نذر دمه فهرب من الحجاز إلى الشأم فمات بها
أخبرني الحرمي بن ابي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الرحمن بن ضبعان الخضري قال
لقي ابن ميادة صخر بن الجعد الخضري فقال له يا صخر أعنت علي ابن عمك الحكم بن معمر فقال له صخر لا والله يا أبا الشرحبيل ما أعنته عليك ولكن خيل إليك ما كان يخيل إلي ولقد هاجيته فكنت أظن أن شجر الوادي يعينه علي
ومن جيد قول ابن ميادة في حكم قصيدته التي أولها
صوت
(لقد سبَقَتْك اليومَ عَيْناك سَبْقَةً ... وأبكاكَ من عهد الشباب ملاعُبْه)
(فوالله ما أدري أيَغلِبُني الهوَى ... إذا جَدَّ جِدُّ البَيْن أم أنا غالِبُهْ)
(فإن أستطِعْ أغلِبْ وإن يَغلِب الهوَى ... فمثلُ الذي لاقيتُ يُغْلَبُ صاحبُهْ)
في هذه الأبيات غناء ينسب يقول فيها في هجاء حكم
(لقد طالَ حَبْسُ الوَفْدِ وَفْدِ مُحَاربٍ ... عن المجدلم يَأْذَنْ لهم بَعْدُ حاجِبُهْ)
(وقال لهم كُرُّوا فلستُ بآذنٍ ... لكم أبداً أو يُحْصِيَ التُّرْبَ حاسِبُهْ)
وهي قصيدة طويلة
منزلة ابن ميادة عند الوليد
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني جلال بن عبد العزيز المري ثم الصاردي عن أبيه
قال جلال وقد رأيت ابن ميادة في بيت أبي قال قال لي ابن ميادة وصلت أنا والشعراء إلى الوليد بن يزيد وهو خليفة وكان مولى من موالي خرشة
يقال له شقران يعيب ابن ميادة ويحسده على مكانه من الوليد فلما اجتمعت الشعراء قال الوليد بن يزيد لشقران يا شقران ما علمك في ابن ميادة قال علمي فيه يا أمير المؤمنين أنه
(لئيمٌ يُبَاري فيه أبْردُ نَهْبَلا ... لئيمٌ أتاه اللؤمُ من كلّ جانبِ)
فقال الوليد يا ابن ميادة ما علمك في شقران قال علمي يا أمير المؤمنين أنه عبد لعجوز من خرشة كاتبته على أربعين درهما ووعدها أو قال وعدته أن تجيزه بعشرين درهما فقبضته إياها فأغنه عني يا أمير المؤمنين فليس له أصل فأحتفره ولا فرع فاهتصره فقال له الوليد اجتنبه يا شقران فقد أبلغ إليك في الشتيمة فقصر صقران صاغرا ثم أنشدته فأقيمت الشعراء جميعا غيري وأمر لي بمائة لقحة وفحلها وراعيها وجارية بكر وفرس عتيق فاختلت ذلك اليوم وقلت
(أعطيْتَنِي مائةً صُفْرا مَدَامِعُها ... كالنخل زَيَّنَ أعلَى نَبْتِهِ الشَّرَبُ)
ويروى
(... كأنها النخلُ رَوَّى نَبْتَها الشَّرَبُ)
(يَسُوقُها يافع جَعْدٌ مفارقُهُ ... مثلُ الغُرَاب غَذَاه الصَّرُّ والحَلَبُ)
((وذا سَبِيبٍ صُهَيْبِيّاً له عُرُفٌ ... وهَامَةٌ ذاتُ فَرْقٍ نَابُها صَخِبُ
لم يذكر الزبير في خبره غير هذه الأبيات الثلاثة وهي من قصيدة للرماح طويلة يمدح فيها الوليد بن يزيد وقد أجاد فيها وأحسن وذكرت من مختارها هاهنا طرفا وأولها
(هل تَعرفُ الدارَ بالعَلْياء غَيَّرَها ... سَافِي الرِّيَاحِ ومُسْتَنٌّ له طُنُبُ)

(دارٌ لبيضاءَ مُسْوَدٌّ مسائحُها ... كأنّها ظَبْيَةٌ تَرْعَى وَتَنْتَصِبُ)
المسائح ما بين الأذن إلى الحاجب من الشعر وتنتصب تقف إذا ارتاعت منتصبة تتوجس
تحنُو لأكْحَلَ ألْقَتْهُ بمَضيعَةٍ ... فقَلْبُها شَفَقاً من حَوْلِه يَجِبُ) يقول فيها)
(يا أطيبَ الناسِ ريقاً بعدَ هَجْعَتِها ... وأملحَ الناسِ عَيْناً حينَ تَنْتَقِبُ)
(ليستْ تجودُ بنَيْلٍ حينَ أسألُها ... ولستُ عندَ خَلاء اللّهو أغتصبُ)
(في مِرْفَقَيْها إذا ما عُونِقَتْ جَمَمٌ ... على الضَّجيعِ وفي أنيابِها شَنَبُ)
(وليلةٍ ذاتِ أهوالٍ كواكبُها ... مثلُ القناديل فيها الزَّيتُ والعُطُبُ)
(قد جُبْتُها جَوْبَ ذي المِقْراضِ مُمْطِرَةً ... إذا استوى مُغْفَلاتُ البِيدِ والحَدَب
(بِعَنْتَريسٍ كأنّ الدَّبْرَ يَلْسَعُها ... إذا تَرَنَّمَ حادٍ خَلْفَها طَرِبُ)
إلى الوليد أبي العبّاسِ ما عجِلتْ ... ودونَه المُعْطُ من لُبْنانَ والكُثُبُ) وبعد هذا البيت قوله)
أعطيتَني مائةً صُفْراً مَدامِعُها ...) الخ)
(لمّا أتيتُك مِن نَجْدٍ وساكنِه ... نفحتَ لي نَفْحَةً طارتْ بِها العَرَبُ)
إنّي امرؤٌ أعتفي الحاجاتِ أطلُبُها ... كما اعتَفى سَنِقٌ يُلْقَى له العُشُبُ) السنق الذي قد شبع حتى بشم يقول أطلب)
الحاجة بغير حرص ولا كلب كما يعتفي هذا البعير البشم من غير شره ولا شدة طلب
(ولا أُلِحّ على الخُلاّنِ أسألُهم ... كما يُلِحّ بعظْمِ الغارِبِ القَتَبُ)
(ولا أُخادِع نَدْمانِي لأخدَعَه ... عن ماله حين يَسترخِي به اللَّبَبُ
(وأنت وابناك لم يوجد لك مَثَلٌ ... ثلاثة كلّهم بالتاج مُعْتَصِبُ)
(الطيّبون إذا طابتْ نفوسُهُم ... شُوسُ الحواجب والأبصارِ إنْ غَضِبُوا)
(قِسْنِي إلى شُعراء الناسِ كلِّهم ... وادعُ الرُّواة إذا ما غبَّ ما اجتَلَبُوا)
(إنّي وإن قال أقوامٌ مَديحَهُم ... فأحسنوه وما حابوا وما كَذَبوا)
(أجري أمامَهُم جَرْيَ امرء فَلَج ... عِنانُه حين يَجْري ليس يَضْطرِبُ)
اشتداد الهجاء بين ابن ميادة وشقران
أخبرني يحيى بن علي قال أخبرنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال أخبرني أبو الحسن أظنه المدائني قال أخبرني أبو صالح الفزاري قال
أقبل شقران مولى بني سلامان بن سعد هذيم أخي عذرة بن سعدا بن هذيم قال وهذيم عبد حبشي كان حضن سعدا فغلب عليه وهو ابن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة من اليمامة ومعه تمر قد امتاره فلقيه ابن ميادة فقال له ما هذا معك قال تمر امترته لأهلي يقال له زب رباح فقال له ابن ميادة يمازحه
(كأنّك لم تَقْفُلْ لأهلك تَمْرَةً ... إذا أنت لم تَقْفُل بزُبِّ رُباح)
فقال له شقران
فإنْ كان هذا زُبَّه فانطلق به ... إلى نِسْوةٍ سُودِ الوُجوه قِباح) فغضب ابن ميادة وأمضه وأنحى عليه بالسوط فضربه)
ضربات وانصرف مغضبا فكان ذلك سبب الهجاء بينهما
قال حماد عن أبيه وحدثني أبو علي الكلبي قال
اجتمع ابن ميادة وشقران مولى بني سلامان عند الوليد بن يزيد فقال ابن ميادة يا أمير المؤمنين أتجمع بيني وبين هذا العبد وليس بمثلي في حسبي ولا نسبي ولا لساني ولا منصبي فقال شقران
(لَعَمْري لئن كنت ابن شَيْخي عشيرتي ... هِرَقْلٍ وكِسْرى ما أُراني مُقَصِّرا)
(وما أتمنّى أنْ أكون ابن نزوةٍ ... نَزَاها ابن أرْضٍ لم تجِدْ مُتَمهرّا)
(على حائلٍ تَلْوي الصِّرار بكَفِّها ... فجاءتْ بخَوَّارٍ إذا عُضّ جَرْجرا)
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار وأخبرنا يحيى بن علي عن أبي أيوب المديني عن زبير قال حدثني جلال بن عبد العزيز وقال يحيى بن خلاد عن أبي أيوب بن عبد العزيز قال
استأذن ابن ميادة على الوليد بن يزيد وعنده شقران مولى قضاعة فأدخله في صندوق وأذن لابن ميادة فلما دخل أجلسه على الصندوق واستنشده هجاء شقران
فجعل ينشده ثم أمر بفتح الصندوق فخرج عليه شقران وجعل يهدر كما يهدر الفحل ويقول
(سأُكْعِمُ عن قُضاعةَ كَلْبَ قيسٍ ... عَلى حَجَرٍ فيُنْصِتُ للكِعَامِ)
أسيرُ أمامَ قيسٍ كلّ يومٍ ... وما قيسٌ بسائرةٍ أمامي) وقال أيضا وهو يسمع)
(إنّي إذا الشُعراءُ لاقَى بعضُهُمْ ... بعضاً ببَلْقَعةٍ يريدِ نِضالَهَا)
(وقفوا لمُرْتَجِزِ الهديرِ إذا دنتْ ... منه البِكارة قطّعتْ أبوالَها)
فتركتهمْ زُمراً تَرمَّزُ باللِّحى ... منها عَنَافِقُ قد حَلقتُ سِبالَهَا) فقال له ابن ميادة يا أمير المؤمنين اكفف عني هذا الذي)
ليس له أصل فأحفره ولا فرع فأهصره فقال الوليد أشهد أنك قد جرجرت كما قال شقران
(... فجاءتْ بخوّارٍ إذا عُضّ جرجرا)
قال يحيى في خبره واجتمع ابن ميادة وعقال بن هاشم بباب الوليد بن
يزيد و كان عقال شديد الرأي في اليمين فغمز عقال ابن ميادة واعتلاه فقال ابن ميادة
(فَجرنا ينابيعَ الكلامِ و بَحْرُهُ ... فأصبحَ فيه ذو الرِوايه يَسْبَحُ)
وما الشِّعرُ إلاّ شعرُ قيسٍ وخِنْدِفٍ ... وقولُ سِواهم كُلْفَةٌ وتملُّحُ) فقال عقال يجيبه)
(ألاَ أبْلِغِ الرَّمّاح نقضَ مَقالةٍ ... بها خَطِلَ الرَّمّاحُ أو كان يَمْزَحُ)
(لئن كان في قيسٍ وخِنْدَفَ ألْسنٌ ... طِوالٌ وشِعْرٌ سائرٌ ليس يُقْدَحُ)
(لقد خَرَق الحيُّ اليمانون قبلَهمْ ... بحورَ الكلام تُستَقي وهي تَطفَحُ)
(وهُمْ علّموا مَن بعدَهم فتعلّموا ... وهُمْ اعربوا هذا الكلامَ وأوضحوا)
(فللسابقين الفضلُ لا يُجْحَدُونه ... و ليس لمَخْلوقٍ عليهم تبجُّحُ)
الحنين إلى الوطن

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا جلال بن عبد العزيز عن أبيه قال حدثني ابن ميادة قال قلت وأنا عند الوليد بن يزيد بأباين وهو موضوع كان الوليد ينزله في الربيع
(لَعمرُكَ إني نازلٌ بأبايِنٍ ... لصوءَرَ مشتاقٌ وإن كُنْتُ مُكْرَما
أَبِيتُ كأنّي أرمَدُ العين ساهرٌ ... إذا بات أصحابي من الليل نُوَّما) قال فقال لي الوليد يا بن ميادة كأنك غرضت من قربنا) فقلت ما مثلك يا أمير المؤمنين يغرض من قربه ولكن
(ألا لَيتَ شِعرِي هل أبيتنَّ ليلةً ... بحرّةِ ليلَى حيث ربّتني أهلي)
(وهل أسمعَنّ الدهرَ أصواتَ هَجْمَةٍ ... تَطَالَعُ من هَجْلٍ خَصيبٍ إلى هَجْلِ)
(بلادٌ بها نِيطَتْ عليّ تَمائِمي ... وقُطِّعَن عنيّ حينَ أدركنِي عَقْلِي)
فإنْ كُنتَ عن تلك المواطنِ حابِسِي ... فأيْسِرْ عليّ الرزق واجمَع إذاً شَمْلي) فقال كم الهجمة مائة ناقة فقال قد صدرت بها كلها عشراء
قال ابن ميادة فذكرت ولدانا لي بنجد إذا استطعموا الله عز وجل أطعمهم و أنا و إذا استسقوه سقاهم الله وأنا وإذا استكسوه كساهم الله وأنا فقال يا بن ميادة وكم ولدانك فقلت سبعة عشر منهم عشرة نفر وسبع نسوة فذكرت ذلك منهم فأخذ بقلبي فقال يا بن ميادة قد أطعمهم الله وأمير المؤمنين وسقاهم الله وأمير المؤمنين وكساهم الله وأمير المؤمنين أما النساء فأربع حلل مختلفات الألوان
وأما الرجال فثلاث حلل مختلفات الألوان و أما السقي فلا أرى مائة لقحة إلا ستورويهم فإن لم تروهم زدتهم عينين من الحجاز قلت يا أمير المؤمنين لسنا بأصحاب عيون يأكلنا بها البعوض و تأخذنا بها الحميات قال فقد أخلفها الله عليك كل عام لك فيه مثل ما أعطيتك العام مائة لقحة و فحلها وجارية بكر وفرس عتيق
وأخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني شداد بن عقبة عن عبد السلام بن القتال قال عارضني ابن ميادة فقال أنشدني يابن القتال فأنشدته
(ألاَ ليت شِعري هل أبيتَنّ ليلةً ... بصحراءَ مَا بين التَّنُوفة والرّمْلِ)
(وهل أزجُرنّ العيسَ شاكيَةَ الوَجى ... كما عَسَلَ السِّرحانُ بالبلد المَحْلِ)
(وهل أسْمعَنَّ الدهرَ صوتَ حمامةٍ ... تُغنّي حمَاماتٍ على فَنَنٍ جَثْلِ)
(وهل أشربَنّ الدهر مُزْنَ سحابةٍ ... على ثَمِدِ الأفعاة حاضرُه أهلي)
(بلادٌ بها نيطتْ عليّ تمائِمي ... وقُطِّعَن عنّي حين أدركني عقْلي)
قال فأتاني الرواة بهذا البيت وقد اصطرفه ابن ميادة وحده
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم قال حدثني رجل من كلب وأخبرني يحيى بن علي بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي علي الكلبي قال
أمر الوليد بن يزيد لابن ميادة بمائة من الإبل من صدقات بني كلب فلما أتى الحول أرادوا أن يبتاعوها له من الطرائد وهي الغرائب وأن يمسكوا التلاد فقال ابن ميادة
(ألم يَبْلُغْكَ أنّ الحيّ كلباً ... أرادوا في عطيّتكَ ارتدادا)
وقالوا إنّها صُهْب ووُرْقٌ ... وقد أعطيتَها دُهْماً جِعادا) فعلموا أن الشعر سيبلغ الوليد فيغضبه فقالوا له انطلق فخذها صفرا جعادا
رثاء الوليد
وقال يحيى بن على في روايته لما قتل الوليد بن يزيد قال ابن ميادة يرثيه
(ألاَ يا لهْفَتَي على وليدٍ ... غداةَ أصابه القدَرُ المُتاحُ)
((ألاَ أبكي الوليد فتى قُرَيْشٍ ... وأسمَحها إذا عُدّ السِّماحُ)
(وأجبَرِها لذي عَظْمٍ مَهِيضٍ ... إذا ضنّت بدرتها اللِّقَاحُ)
لقد فعلَتْ بنو مَرْوانَ فِعْلاً ... وأمراً ما يسوغ به القَرَاحُ) قال يحيى وغنى فيه عمر الوادي ولم يذكر طريقة غنائه)
أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا محمد بن زهير بن مضرس الفزاري عن أبيه قال
أخصب جناب الحجاز الشامي فمالت لذلك الخصب بنو فزارة وبنو مرة فتحالوا جميعا به
فبينا ذات يوم أنا وابن ميادة جالسان على قارعة الطريق عشاء إذا راكبان يوجفان راحلتين حتى وقفا علينا فإذا أحدهما بحر الريح وهو عثمان بن عمرو بن عثمان بن عفان معه مولى له فنسبنا وانتسب لنا وقد كان ابن ميادة يعللني بشعره فلما انقضي كلامنا مع القرشي ومولاه استعدت ابن ميادة ما كنا فيه فأنشدني فخرا له يقول فيه
(وعلى المُلَيْحَة من جَذِيمَةَ فِتْيَةٌ ... يتمارضُون تمارضَ الأُسْدِ)
(وترى الملوكَ الغُرّ تحت قِبابهم ... يمشُون في الحَلَقَات والقِدِّ)
قال فقال له القرشي كذبت قال ابن ميادة أفي هذا وحده أنا والله في غيره أكذب فقال له القرشي إن كنت تريد في مديحك قريشا فقد كفرت بربك ودفعت قوله ثم قرأ عليه (لإ يلا ف قريش) حتى أتى على آخرها ونهض هو ومولاه وركبا راحلتيهما فلما فاتا أبصارنا قال ابن ميادة
(سمِينُ قريشٍ مانعٌ منكَ نفسَهُ ... وغَثُّ قريشٍ حيث كان سمينُ)
هجاء بني حميس
أخبرنا يحيى بن علي عن حماد عن أبيه عن أبي الحارث المري قال)
كان ابن ميادة قد هاجى سنان بن جابر أحد بنى حميس بن عامر بن جهينة ابن زيد بن ليث بن سود بن أسلم فقال ابن ميادة له فيما قال من هجائه
(لقد طالما عَلّلتَ حُجْراً وأهلَه ... بأعراض قيسٍ يا سِنانُ بنِ جابرِ)
أأهجُو قُرَيْشاً ثم تكرهُ ريبتي ... ويسرقُني عِرْضِي حُمَيْسُ بنُ عامِرِ) قال وقال فيهم أيضا)
(قِصارِ الخُطَى فُرْق الخُصَى زُمْرُ اللِّحَى ... كأنّهم ظِرْبَى اهْتَرشْنَ على لَحمْ)
(ذكرتُ حَمَامِ القَيْظِ لما رأيتَهم ... يُمَشّون حوْلي في ثيابهم الدُّسمِ)
(وتُبْدِي الحُمَيْسيَّاتُ في كلِّ زينةٍ ... فُروجاً كآثار الصِّغار من البَهْمِ)
قال ثم إن ابن ميادة خرج يبغي إبلا له حتى ورد جبارا وهو ماء لحميس بن عامر فأتى بيتا فوجد فيه عجوزا قد أسنت

فنشدها إبله فذكرتها له وقالت ممن أنت قال رجل من سليم بن منصور فأذنت له وقالت ادخل حتى نقريك وقد عرفته وهو لا يدري فلما قرته قال ابن ميادة وجدت ريح الطيب قد نفح علي من البيت فإذا بنت لها قد هتكت الستر ثم استقبلتني وعليها إزار أحمر وهي مؤتزرة به فأطلقته وقالت انظر يا بن ميادة الزانية أهذا كما نعت فلم أر امرأة أضخم قبلا منها فقالت أهذه كما قلت

وتُبْدِي الحُمَيْسيَّاتُ في كلّ زينةٍ ... فُروجاً كآثار الصِّغار من البَهْمِ) قال قلت لا والله يا سيدتي ما هكذا قلت ولكن قلت)

وتُبدِي الحُمَيْسيَّاتُ في كلّ زينةٍ ... فُروجاً كآثارِ المُقَيْسرَةِ الدُّهْمِ) وانصرف يتشبب بها فذلك حين يقول)

(نَظَرْنا فهاجَتْنا على الشَّوْقِ والهَوَى ... لزينبَ نارٌ أُوقِدَتْ بجُبَارِ)

(كأنّ سناَها لاحَ لي من خَصَاصةٍ ... على غير قَصْدٍ والمَطِيُّ سَوَارِي)

(حُمَيسيّةٌ بالرملتين مَحلُّها ... تَمُدّ بجِلْفٍ بيننا وجِوارِ)

قال أبو داود وكانت بنو حميس حلفاء لبنى سهم بن مرة ثم للحصين بن الحمام وتمد وتمت واحد

رجع إلى الشعر

(تُجاوِرُ من سهْمِ بن مُرّة نِسوةٍ ... بمُجْتَمَعِ النقبين غير عَواري)

(نواعمَ أبكاراً كأنّ عيونَها ... عيونُ ظِباءٍ أو عيونُ صُوارِ)

(كأنّا نراها وهي منّا قريبةٌ ... على متْنِ عصْماءِ اليَدَيْنِ نَوارِ)

(تَتبّعُ من حِجْرٍ ذُرا مُتَمنّعٍ ... لها مَعْقِلٌ في رأس كلّ طَمارِ)

(يَدُور بها ذو أسهُمٍ لا ينالها ... وذو كَلَبات كالقِسيّ ضَوَارِي)

(كأنّ على المَتْنَيْن منها وَدِيّةً ... سَقَتْها السواقي من وَدِيّ دَوارِ)

(يَظَلّ سحيقُ المِسْكِ يقطرُ حولَها ... إذا الماشِطاتُ احتفنه بمَدارِي)

(وما رَوْضَةٌ خضْراءُ يضربها الندى ... بها قُتّةٌ من حَنْوَةٍ وعَرارِ)

((بأطيبَ من ريح القَرَنْفُلِ ساطعاً ... بما التفّ من دِرْعٍ لها وخمَارِ

(وما ظبيةٌ ساقتْ لها الريحُ نَغْمَةً ... على غفلَةٍ فاستسمعت لخُوارِ)

(بأحسنَ منها يومَ قامتْ فأتْلعتْ ... على شَرَكٍ من رَوْعةٍ ونفارِ)

(فليتَكِ يا حسناءُ يابنةَ مالكٍ ... يَبيع لنا منكِ المَودّةَ شارِي)

(ابن ميادة وزينب بنت مالك

وأخبرني بهذا الخبر الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني أبو حرملة منظور بن أبي عدي الفزاري ثم المنظوري عن أبيه قال حدثني رماح بن أبرد قال

خرجت قافلا من السلع إلى نجد حتى إذا كنت ببعض أهضام الحرة هكذا في نسختى وأظنه هضاب الحرة رفع لي بيت كالطراف العظيم وإذ

بفنائه غنم لم تسرح فقلت بيت من بيوت بني مرة وبي من العيمة إلى اللبن ما ليس بأحد فقلت آتيهم فأسلم عليهم وأشرب من لبنهم فلما كنت غير بعيد سلمت فردت علي امرأة برزة بفناء البيت وحيت ورحبت واسنزلتني فنزلت فدعت بلبن ولبأ ورسل من رسل تلك الغنم ثم قالت هيا فلانة البسي شفا واخرجي فخرجت علي جارية كأنها شمعة ما رأيت في الخلق لها نظيرا قبل ولا بعد فإذا شفها ذاك ليس يواري منها شيئا وقد نبا عن ركبها ما وقع عليه من الثوب فكأنه قعب مكفأ ثم قالت يا بن ميادة الخبيثة ألأنت القائل

وتُبدِي الحُمَيْسيَّاتُ في كلّ زينةٍ ... فُروجاً كآثار الصِّغار من البَهْمِ) فقلت لا والله جعلني الله فداك يا سيدتي ما قلت) هذا قط وإنما قلت

(وتُبْدِي الحُمَيْسيَّاتُ في كلّ زينةٍ ... فُروجاً كآثار المُقَيْسرَةِ الدُّهْمِ)

قال وكان يقال للجارية الحميسية زينب بنت مالك وفيها قال ابن ميادة قصيدته

(... ألِمّا فَزُورَا اليومَ خيْرَ مَزارِ)

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني موهوب ابن رشيد الكلابي قال

أعطى الوليد بن زيد ابن ميادة جارية طبرية أعجمية لا تفصح حسناء جميلة كاملة لولا العجمة فعشقها وقال فيها

(جزاكَ اللّه خيرًا من أمير ... فقد أعطيتَ مِبْراداً سَخُونَا)

(بأهلي ما ألَذَّكِ عند نفسي ... لَوَ انّكِ بالكلام تُعَرّبِينا)

(كأنّكِ ظبيةٌ مَضغَتْ أراكاً ... بوادِي الجِزْعِ حين تُبَغِّمِينَا)

بعض أوصاف ابن ميادة

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني إسحاق بن شعيب بن إبراهيم ابن محمد بن طلحة قال

وردت على بني فزارة ساعيا فأتاني ابن ميادة مسلما على وجائتني بنو

فزارة ومعها رجل من بني جعفر بن كلاب كان لهم جارا وكان مخططا موسوما بجمال فلما رأيته أعجبني فأقبلت على بني فزارة وقلت لهم أي أخوالي هذا فو الله إنه ليسرني أن أرى فيكم مثله فقالوا هذا أمتع الله بك رجل من بني جعفر بن كلاب وهو لنا جار

قال فأصغى إلي ابن ميادة وكان قريبا مني وقال لا يغرنك بأبي أنت ما ترى من جسمه فإنه أجوف لا عقل له فسمعه الجعفري فقال أفي تقع يا بن ميادة وأنت لا تقري ضيفك فقال له بان ميادة إن لم أقره قراه ابن عمي وأنت لا تقري ولا ابن عمك

قال ابن عمران فضحكت مما شهد به ابن ميادة على نفسه

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن إسماعيل الجعفري عن المعلى بن نوح الفزاري قال حدثني خال لي كان شريفا من سادات بني فزارة قال

ضفت ابن ميادة فأكرمني وتحفى بي وفرغ لي بيتا فكنت فيه ليس معي أحد ثم جاءني بقدح ضخم من لبن إبله فشربته ثم ولى فلم ينشب أن جاءني بآخر فتناولت منه شيئا يسيرا فما لبث حتى عاد بآخر فقلت حسبك يا رماح فلا حاجة لي بشيء فقال اشرب بأبي أنت فوالله لربما بات الضيف عندنا مدحورا

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي مصعب عن جدي عبد الله بن مصعب قال
أتينا ابن ميادة نتلقى منه الشعر فقال لنا هل لكم في فضل شنة فظنناها تمرا فقلنا له هات لنبسطه بذلك فإذا شنة فيها فضلة من خمر قد شرب بعضها وبقي بعض فلما رأيناها قمنا وتركناه
أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني إبراهيم بن عبد الرحمن الكثيري قال حدثني نعمة الغفاري قال
قدم ابن ميادة المدينة فدعي في وليمة فجاء فوجد على باب الدار التي فيها الوليمة حرسا يضربون الزلالين بالسياط يمنعونهم من الدخول فرجع و هو يقول
(ولمّا رأيتُ الأَصْبَحِيَّةَ قنّعتْ ... مفارقَ شُمْطٍ حيث تُلْوَى العمائمُ)
(تركتُ دِفَاع الباب عمّا وراءَه ... وقلتُ صحيحٌ من نجا وهو سالُم)
أخبرني يحيى بن علي عن أبيه عن إسحاق قال
قال الوليد بن يزيد لابن ميادة في بعض وفاداته عليه من تركت عند نسائك قال رقيبين لا يخالفاني طرفة عين الجوع والعري
وهذا القول والجواب يروى أن عمر بن عبد العزيز وعقيل بن علفة تراجعاهما وقد ذكر في أخبار عقيل
مدح أبي جعفر المنصور
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب وأخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الزبير و أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا أبو أيوب المديني عن مصعب
أن ابن ميادة مدح أبا جعفر المنصور بقصيدته التي يقول فيها
(... طلعتْ علينا العِيسُ بالرَّمَّاح)
ثم خرج من عند أهله يريده فمر على إبله فحلبت له ناقة من إبله وراح عليه راعيه بلبنها فشربه ثم مسح على بطنه ثم قال سبحان الله إن هذا لهو الشره يكفيني لبن بكرة وأنا شيخ كبير ثم أخرج واغترب في طلب المال ثم رجع فلم يخرج
وهذه القصيدة من جيد شعر ابن ميادة أولها
(وكواعبٍ قد قلن يوم تَوَاعُدٍ ... قَوْلَ المُجِدّ وهُنّ كالمُزَّاح)
(يا ليتَنا في غير أمرٍ فَادِحٍ ... طَلَعَتْ عَلَيْنا العِيسُ بالرَّمّاح)
(بَيْنا كذاكَ رأيْنَني مُتَعَصِّباً ... بالخَزّ فوقَ جُلالةٍ سِرْداح)
(فيهنّ صفراءُ المَعاصِمِ طَفْلَةٌ ... بيضاءُ مثل غَرِيضةِ التُّفّاح)
(فنظَرنَ من خَلَل الحِجَال بأعينٍ ... مَرْضَى مُخالِطُها السَّقَامُ صِحاح)
وارتشنَ حين اردن أنْ يرمِينَني ... نَبْلاً بلا رِيشٍ ولا بِقداحِ) يقول فيها في مدح المنصور وبني هاشم)
(فلئنْ بقِيتُ لألحقَنّ بأبْحُرٍ ... يَنْمِينَ لا قُطُعٍ ولا أنْزاح)
(ولآتينّ بَني عليّ إنّهمْ ... مَن يأتِهم يَتَلَقّ بالإفلاح)
(قومٌ إذا جُلِب الثناء إليهمُ ... بِيعَ الثناء هناك بالأرباح)
ولأجْلسَنّ إلى الخليفة إنّه ... رحْبُ الفِناء بواسع بحباح) وهي قصيدة طويلة)
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا إسحاق بن أيوب بن سلمة قال اعتمرت في رجب سنة خمس ومائة فصادفني ابن ميادة بمكة وقدمها معتمرا فأصابنا مطر شديد تهدمت منه البيوت وتوالت فيه الصواعق فجلس إلي ابن ميادة الغد من ذلك اليوم فجعل يأتيني قوم من قومي وغيرهم فأستخبرهم عن ذلك الغيث فيقولون صعق فلان وانهدم منزل فلان فقال ابن ميادة هذا العيث لا الغيث فقلت فما الغيث عندك فقال
(سحائبُ لا مِن صَيّبٍ ذي صَوَاعِقٍ ... ولا مُحْرقات ماؤُهنّ حَمِيمُ)
(إذا ما هبطْنَ الأرضَ قد مات عُودُها ... بكَيْنَ بها حتّى يَعيش هَشِيمُ)
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني موسى بن زهير عن أبيه قال
جلست أنا وعيسى بن عميلة وابن ميادة ذات يوم فأنشدنا ابن ميادة شعره مليا ثم أنشدنا قوله
(ألا لَيتَ شِعري هل أبِيتنّ ليلةً ... بحرّةِ ليلَى حيث ربَّتني أهلِي)
(بلادٌ بها نِيطَتْ عليّ تَمائمي ... وقُطّعن عنيّ حين أدركَني عَقْلي)
(وهل أسمعَنّ الدهرَ أصواتَ هَجْمَةٍ ... تَطَالَعُ من هَجْلٍ خَصِيبٍ إلى هَجْل)
صُهَيْبِيّةٍ صفراء تُلْقي رباعها ... بمُنْعَرجِ الصَمّان والجَرَع السهل) تلقى راعها تطرح أولادها)
وواحد الرباع ربع
(وهل أجمعنّ الدهرَ كفّيَّ جَمْعةً ... بمَهْضومةِ الكَشْحَيْن ذاتِ شَوىً عَبْلِ)
(مُحلّلةٍ لي لا حَراماً أتيتُها ... من الطيبَات حين تَرْكُضُ في الحِجل)
تميلُ إذا مالَ الضجيع بعطفِها ... كما مالَ دِعْص من ذُرَاً عَقَدِ الرملِ) فقال له عيسى بن عميلة فأين قولك يا أبا) الشرحبيل
(لقد حرّمتْ أُميٍّ عليّ عَدِمْتُها ... كَرائمَ قومي ثّم قِلَّةُ ماليا) فقلت له فاعطف إذا إلى أمة بني سهيل فهي أعند وأنكد وقد كنت أظن أن ابن ميادة قد ضربت جأشك على اليأس من الحرائر وأنا أداعبه وأضاحكه فضحك وقال
(ألم تَر قوماً يَنْكِحون بمالِهمْ ... ولو خَطَبتْ أنسابُهم لم تُزَوّجْ)
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي مصعب وغيره
أن حسينة اليسارية كانت جميلة وآل يسار من موالي عثمان رضوان الله عليه يسكنون تيماء ولهم هناك عدد وجلد وقد انتسبوا في كلب إلى يسار بن أبي هند فقبلهم بنو كلب قال وكانت عند رجل من قومها يقال له عيسى بن إبراهيم ابن يسار وكان ابن ميادة يزورها وفيها
ستأتينا حُسينَةُ حيث شِئنا ... وإنْ رَغِمَتْ أُنوفُ بني يَسارِ) قال فدخل عليها زوجها يوما فوجد ابن ميادة عندها فهم به) هو وأهلها فقاتلهم وعاونته عليهم حسينة حتى أفلت ابن ميادة فقال في ذلك
(لقد ظلّتْ تُعاونني عليهمْ ... صَمُوتُ الحِجْلِ كاظمةُ السِّوار)
(وقد غادرتُ عيسى وهو كَلْبٌ ... يُقطّع سَلْحَه خَلْفَ الجِدار)

ابن ميادة يمدح عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك
أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني إبراهيم بن سعد بن شاهين قال حدثني عبد الله بن خالد بن دفيف التغلبي عن عثمان بن عبد الرحمن بن نميرة العدوي عن أبي العلاء بن وثاب قال
قدم ابن ميادة المدينة زائرا لعبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك وهو أميرها وكان يسمر عنده في الليل فقال عبد الواحد لأصحابه إني أهم أن أتزوج فابغوني أيما فقال له ابن ميادة أنا أدلك أصلحك الله أيها الأمير قال على من يا أبا الشرحبيل قال قدمت عليك أيها الأمير فدخلت مسجدكم فإذا أشبه شيء به وبمن فيه الجنة وأهلها فوالله لبينا أنا أمشي فيه إذ قادتني رائحة عطر رجل حتى وقفت بي عليه فلما وقع بصري عليه استلهاني حسنه فما أقلعت عنه حتى تكلم فخلته لما تكلم يتلو زبورا أو يدرس إنجيلا أو يقرأ قرآنا حتى سكت فلولا معرفتي بالأمير لشككت أنه هو ثم خرج من مصلاه إلى داره فسألت من هو فأخبرت أنه للحيين وبين الخليفتين وأن قد نالته ولادة من رسول الله لها نور ساطع من غرته وذؤابته فنعم المنكح ونعم حشو الرحل وابن العشيرة فإن اجتمعت أنت وهو على ولد ساد العباد وجاب ذكره البلاد
فلما قضى ابن ميادة كلامه قال عبد الواحد ومن حضره ذاك محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وأمه فاطمة بنت الحسين فقال ابن ميادة
لهم نَبْوَةٌ لم يُعْطِها اللهُ غيرَهم ... وكلُّ قضاء الله فهو مُقَسَّم) قال يحيى بن علي ومما مدح به عبد الواحد لما قدم عليه قوله
(مَن كان أخطأه الربيعُ فإنما ... نُصِرَ الحجازُ بغَيْثِ عبدِ الواحِدِ)
(إنّ المدينةَ أصبحتْ معمورةً ... بمُتَوَّجٍ حُلْوِ الشمائلِ ماجِدِ)
(ولقد بَلَغتَ بغير أمرِ تَكَلُّفٍ ... أعلَى الحظوظِ برغْمِ أنْفِ الحاسدِ)
(ومَلكتَ ما بين العراقِ ويثربٍ ... مُلْكاً أجارَ لمسلمٍ ومُعاهِدِ)
(مالَيْهِما ودَمَيْهِما مِن بعدِ ما ... غَشَّى الضعيفَ شُعاعُ سيفِ الماردِ)
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني سعيد بن زيد السلمي
إنا لنزول أنا وأصحاب لي قبل الفطر بثلاث ليال على ماء لنا فإذا راكب يسير على جمل ملتف بثوب والسماء تغسله حتى أناخ إلى أجم عرفته فلما رأيناه لثقا قمنا إليه فوضعنا رحله وقيدنا جمله فلما أقلعت السماء عنا وهو معنا قاعد قام غلمة منا يرتجزون والرجل لم ينتسب لناولا عرفناه فارتجز أحدهم فقال
أنا ابنُ ميَّادةَ لَبّاسُ الحُلَلْ ... أمَرُّ من مُرٍّ وأحْلَى من عَسَلْ) حتى قال له الرجل يابن أخي أتدري من قال هذا الشعر
قال نعم ابن ميادة قال فأنا هو ابن ميادة الرماح بن أبرد وبات يعللنا من شعره ويقطع عنا الليل بنشيده وسرينا راحلين فصبحنا مكة فقضينا نسكنا ولقيه رجلان من قومه من بني مرة فعرفهما وعرفاه وأفطرنا بمكة فلما انصرفنا من المسجد يوم الفطر إذا نحن بفارسين مسودين وراجلين مع المريين يقولون أين ابن ميادة فقلنا هاهو وقد برزنا من خيمة كنا فيها فقلنا لابن ميادة ابرز فلما نظر إلى المريين قال
(... إحدى عَشِيّاتِك يا شميرجْ)
قال وهذا رجز لبعض بني سليم يقوله لفرسه
(أقولُ والرّكبة فوقَ المِنْسَجْ ... إحدى عَشِيَّاتِك يا شميرجْ)
ويروى مشمرج فقالوا لابن ميادة أجب الأمير عبد الصمد بن علي وخذ معك من أصحابك من أحببت فخرج وخرج معه منا أربعة نفر أنا أحدهم حتى وقفنا على باب دار الندوة فدخل أحد المسودين ثم خرج فقال ادخل يا أبا شجرة فدخلت على عبد الصمد بن علي فوجدته جالسا متوشحا بملحفة موردة فقال لي من أنت قلت رجل من بني سليم فقال مالك تصاحب المري وقد قتلوا معاوية بن عمرو وقالت الخنساء
(ألاَ ما لِعيني ألاَ ما لَها ... لقد أخْضَلَ الدمعُ سِرْبالَها)
(فآلَيْتُ آسَى على هالكٍ ... وأسألُ نائحةً مالَها)
(أبعدَ ابنِ عمرٍو مِنَ آلِ الشَّريد ... حلّتْ به الأرضُ أثقالَها)
فإن تَكُ مُرّةُ أوْدَتْ به ... فقد كان يُكثِر تَقْتَالَها) أترويها قلت نعم أصلح الله الأمير وما زال من المعركة حتى قتل به خفاف ابن عمرو المعروف بابن ندبة كبش القوم مالك بن حمار الفزاري ثم
الشمخي أما سمع الأمير قول خفاف بن ندبة في ذلك
(فإن تَكُ خَيْلِي قد أُصِيب صَمِيمُها ... فعَمْداً على عينٍ تَيمّمْتُ مالِكَا)
(تيمّمت كَبْشَ القوم حين رأيْتُه ... وجانَبْتُ شُبّانَ الرِّجال الصَّعالكَا)
(أقولُ له والرمحُ يأطِرُ مَتْنَه ... تَأمّل خُفَافاً إنّني أنا ذَلِكَا)
وقد توسط معاوية بن عمرو خيلهم فأكثر فيهم القتل وقتل كبش القوم الذي أصيب بأيديهم فقال لله درك إذا ولدت النساء فليلدن مثلك وأمر لي بألف درهم فدفعت إلي وخلع علي
وأدخل ابن ميادة فسلم عليه بالإمرة فقال له لا سلم الله عليك يا ماص كذا من أمه فقال ابن ميادة ما أكثر الماصين فضحك عبد الصمد ودعا بدفتر فيه قصيدة ابن ميادة التي يقول فيها
لنا المُلْكُ إلاّ أنّ شيئاً تَعُدُّه ... قريشٌ ولو شئنا لداخَتْ رقابُها) ثم قال لابن ميادة أعتق ما أملك إن غادرت منها شيئا إن لم أبلغ غيظك فقال ابن ميادة أعتق ما أملك إن أنكرت منها بيتا قلته أو أقررت ببيت لم أقله فقرأها عبد الصمد ثم قال له أأنت قلت هذا قال نعم قال أفكنت أمنت يابن ميادة أن ينقض عليك باز من قريش فيضرب رأسك فقال ما أكثر البازين أفكان ذلك البازي آمنا أن يلقاه باز من قيس وهو يسير فيرميه فتشول رجلاه فضحك عبد الصمد ثم دعا بكسوة فكساهم
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الصمد بن شبيب قال قال أبو حذافة السهمي
سب رجل من قريش في أيام بني أمية بعض ولد الحسن بن علي عليهما السلام فأغلظ له وهو ساكت والناس يعجبون من صبره عليه فلما أطال أقبل الحسني عليه متمثلا بقول ابن ميادة
(أظَنَّتْ سَفَاهاً من سَفَاهة رأيِها ... أنَ اهْجُوهَا لمّا هَجَتْني مُحَارِبُ)
فلا وأبِيها إنّني بعَشِيرتِي ... ونَفْسِيَ عن ذاكَ المَقَامِ لراغِبُ) فقام القرشي خجلا وما رد عليه جوابا
مدح جعفر بن سليمان

أخبرني أبو خليفة إجازة عن محمد بن سلام قال
مدح ابن ميادة جعفر بن سليمان وهو على المدينة فأخبرني مسمع بن عبد الملك أنه قام له بحاجته عند جعفر وأوصلها إليه
قال فقال له جزاك الله خيرا ممن أنت رحمك الله قلت أحد بني مسمع قال ممن قلت من قيس بن ثعلبة قال ممن عافاك الله قلت من بكر بن وائل قال والله لو كنت سمعت ببكر بن وائل قط أو عرفتهم لمدحتك ولكني ما سمعت ببكر قط ولا عرفتهم ثم مدح جعفرا فقال
(لَعَمْرُكَ ما سيوفُ بني عليٍّ ... بنابِيَةِ الظُّبَاةِ ولا كِلاَلِ)
(هُمُ القومُ الأُلَى وَرِثُوا أباهُمْ ... تُرَاثَ محمدٍ غَيرَ انتحالِ)
(وهم تَرَكوا المقالَ لهم رفيعاً ... وما تَرَكوا عليهم من مَقَالِ)
(حَذَوتُمْ قومَكم ما قد حَذَوْتُمْ ... كما يُحْذَى المثالُ على المِثَالِ)
(فَرُدُّوا في جِراحِكُمُ أُسكم ... فقد أبْلَغتمُ مُرَّ النَّكالِ) يشير عليه بالعفو عن بني أمية ويذكره بأرحامهم
أخبرنا بهذا الخبر يحيى بن علي عن سليمان المديني عن محمد بن سلام قال يحيى قال أبو الحارث المري فيما ذكره إسحاق من أخباره
قال جعفر بن سليمان لابن ميادة أتحب أن أعطيك مثل ما أعطاك ابن عمك رياح بن عثمان فقال لا أيها الأمير ولكن أعطني كما أعطاني ابن عمك الوليد بن يزيد
ابن ميادة يهجو بني أسد وبني تميم
قال يحيى وأخبرنا حماد عن أبيه عن أبي الحارث قال قال جعفر بن سليمان لابن ميادة أأنت الذي تقول
بَني أسدٍ إن تَغْضَبوا ثّم تَغْضَبوا ... وتَغْضَبْ قُرَيشٌ تَحْمِ قَيْساً غِضَابُها) قال لا والله ما هكذا قلت قال فكيف قلت قال قلت
(بَني أسدٍ إن تَغْضَبوا ثّم تَغْضَبوا ... وتَعْدِل قُرَيشٌ تَحْمِ قَيْساً غِضَابُها)
قال صدقت هكذا قلت
وهذه القصيدة يهجو بها ابن ميادة بني أسد وبني تميم وفيها يقول بعد هذا البيت الذي ذكره له جعفر بن سليمان
(وأحقرُ محقورٍ تَميمٌ أخوكمُ ... وإن غَضِبتْ يَرْبوعُها وربَابُها)
((ألاَ ما أبالِي أن تُخَنْدِفَ خِنْدِفٌ ... ولستُ أُبالِي أن يَطِنَّ ذُبابُها
(ولو أنّ قَيساً قَيسَ عَيْلاَنَ أقسمتْ ... علي الشمسِ لم يَطْلُعْ عليكم حِجَابُها)
(ولو جاريْتنا الجنُّ لم نَرفعِ القَنَا ... عنِ الجنِّ حتى لا تَهِرّ كِلاَبُها)
(لنا المُلْكُ إلاّ أنّ شيئاً تَعُدُّه ... قُرَيش ولو شِئنا لَذَلّتْ رِقابُها)
(وإن غَضِبتْ من ذا قُرَيشٌ فقُلْ لها ... مَعَاذَ الإلهِ أن أكونَ أَهَابُها)
(وإني لقوّالُ الجوابِ وإنني لَمفتجرٌ أشياءَ يُعيي جوابُها)
إذا غَضِبتْ قيسٌ عليك تقاصرتْ ... يداكَ وفات الرِّجلَ منك ركابُها) قال إسحاق في خبره فحدثني جبر بن رباط بن عامر بن نصر قال فقال سماعة بن أشول النعامي يعارض ابن ميادة
(لعلّ ابنَ أشبانيّةٍ عارضتْ به ... رعاءَ الشَّوِيّ من مُرِيح وعازبِ)
يُسَامِي فروعاً من خُزَيمة أحرزتْ ... عليه ثنايا المجد من كل جانبِ) فقال ابن ميادة من هذا لقد أغلق على أغلق الله عليه قالوا سماعة بن أشول فقال سماعة يسمع بي وأشول يشول بي والله لا أهاجيه أبدا وسكت عنه
وقال عبد الرحمن بن جهيم الأسدي أحد بني الحارث بن سعد بن ثعلبة بن
دودان بن أسد يرد على ابن ميادة وهي قصيدة طويلة ذكرت منها أبياتا
(لقد كَذَبَ العبدُ ابنُ ميّادة الذي ... رَبَا وهي وَسْطَ الشَّوْلِ تَدْمَى كِعابُها)
(شَرَنْبَثة الأطرافِ لم يَقْنَ كَفَّها ... خِضَابٌ ولم تَشْرَقْ بعطرٍ ثِيابُها)
أرامّاح إن تَغْضَبْ صناديدُ خِندِفٍ ... يَهِجْ لك حَرْباً قَصْبُها واعتيابُها) ويروى اغتيابها من الغيبة واعتيابها من العيب
(ولو أغْضَبَتْ قَيْسٌ قُرَيشاً لَجَدَّعَتْ ... مَسَامِعَ قَيسٍ وهي خُضْعٌ رِقابُها)
(لقد جَرَّ رِمّاحُ ابنِ واهصةِ الخُصي ... على قومه حَرباً عظيماً عذابُها)
(وقد عَلِمَ المملوحُ بالشؤم رأسُهُ ... قُتَيبةُ أن لم تَحْمِ قَيْساً غِضابُها)
(ولم تَحْمِها أيامَ قَتْلِ ابنِ حازمٍ ... وأيامَ قَتْلَى كانَ خِزياً مُصابُها)
(ولا يومَ لاقينا نُميراً فقُتِّلَتْ ... نُمَيرٌ وفَرَّتْ كَعْبُها وكِلاَبُها)
(وإن تَدْعُ قَيْساً لا تُجِبْكَ وَحَولَها ... خُيُولُ تميمٍ سَعْدُها ورِبَابُها)
(ولو أنّ قيساً قيسَ عَيْلان أصحرت ... لأنواء غَنْمٍ غَرَّقتها شِعابُها)
(ولو أنْ قَرْنَ الشمسِ كان لمعشرٍ ... لكان لنا إشراقُها واحتجابُها)
(ولكنّها لله يَمْلك أمرَها ... بقُدْرته إصعادُها وانصبابُها)
(لَعَمْري لئن شابتْ حَليلةُ نَهْبَلٍ ... لبئسَ شبابُ المرءِ كان شبابُها)
(ولم تدرِ حَمْراءُ العِجَانِ أنَهْبَلٌ ... أبوهُ أم المُرّيّ تَبَّ تَبَابُها)
(فإن يكُ رَمّاحُ بنُ ميَّادةَ التي ... يُصِنّ إذا باتتْ بأرضٍ ترابُها
(جرَى جَرْيَ موهونِ القُوَى قَصَّرتْ به ... لئيمةُ أعراقٍ إليه انتسابُها)
(فلن تَسْبقَ المضمارَ في كلّ مَوطِنٍ ... من الخيل عندَ الجِدِّ إلاّ عِرابُها)
(ووالله لولا أنّ قَيْساً أذِلّةٌ ... لئامٌ فلا يُرْضَى لِحُرٍّ سِبابُها)
(لألْحقتُها بالزَّنْج ثم رَمَيْتُها ... بشنعاءَ يُعْيي القائلين جوابُها)
ابن ميادة وأبان بن سعيد
أخبرني يحيى بن علي عن حماد عن أبيه قال
وجدت في كتاب أبي عمرو الشيباني فعرضته على أبي داود فعرفه أو عامته قال
أنا لجلوس على الهجم في ظل القصر عشية إذ أقبل إلينا ثلاثة نفر يقودون ناقة حتى جلسوا إلى أبان بن سعيد بن

عيينة بن حصن وهو في جماعة من بني عيينة قال فرأيت أجلة ثلاثة ما رأيتهم قط فقلنا من القوم فقال أحدهم أنا ابن ميادة وهذان من عشيرتي فقال أبان لأحد بنيه اذهب بهذه الناقة فأطلق عنها عند بيت أمك فقال له ابن ميادة هذا يا أبا جعفر السعلاة أفلا أنشدك ما قلت فيها قال بلى فهات فقال
(قَعَدْتُ على السِّعلاة تَنقِضُ مِسْحَها ... وتُجْذَبُ مِثلَ الأَيْم في بُرة الصُّفْر)
((تُيَمِّم خيرَ الناس ماءً وحاضراً ... وتَحْمِلُ حاجاتٍ تضمَّنَّها صدري
(فإني على رَغْم الأعادي لقائلٌ ... وجدْتُ خِيارَ الناس حَيَّ بني بدر)
(لهم حاضرٌ بالهَجْم لم أرَ مِثلها ... من الناس حيًّا أهلَ بَدْوٍ ولا حَضْرْ)
(وخيرُ مَعَدٍّ مجلساً مجلسٌ لهم ... يَفِيءُ عليه الظلُّ من جانبِ القَصْر)
(أخُصُّ بها رَوْقَيْ عُيينة إنه ... كذاك ضحاحُ الماء يأوِي إلى الغَمْر)
(فأنتم أحقُّ الناس أن تتخيَّروا المياه ... وأن تَرْعَوْا ذُرَى البلد القَفْر)
قال فكان أول قائم من القوم ركضة بن علي بن عيينة وهو ابن عم أبان وعبدة بنت أبان وكانت إبله في العطن وهي أكرم نعم بني عيينة وأكثره قال ما سمعت كاليوم مديح قوم قط حكمك ماض في هذه الإبل ثم قام آخر فقال مثل ذلك وقام آخر وآخر فقال ابن ميادة يا بني عيينة إني لم آتكم لتتبارى لي شياطينكم في أموالكم إنما كان علي دين فأردت أن تعطوني أبكرا أبيعها في ديني
فأقام عند أبان بن سعيد خمسة عشر يوما ثم راح بتسع عشرة ناقة فيها ناقة لابن أبان عشراء أو رباعية
قال يحيى في خبره وقال يعقوب بن
جعفر بن أبان بن سعيد بن عيينة
إني على الهجم يوما إذ أقبل رجل فجعل يصرف راحلته في الحياض فيرده الرجل بعد الرجل فدعوته فقلت اشرع في هذا الحوض فلما شرع فسقى قال من هذا الفتى فقيل هذا جعفر بن أبان بن سعيد بن عيينة فقال
(بَنُو الصالحين الصالحون ومَن يكن ... لآباءِ سَوْءٍ يَلْقَهم حيث سَيَّرا)
فما العود إلا نابتٌ في أُرُومه ... أبى شَجَرُ العِيدان أن يتغيَّرا) قال إسحاق سألت أبا داود عن قوله
كذاك ضحاحُ الماءِ يَجْري إلى الغَمْر ...) فقال أراد أن الأمر كله والسؤدد يصير إليه كما يصير الماء إلى الغمرة حين كانت)
ابن ميادة وأيوب بن سلمة
أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا أبو أيوب المديني قال أخبرني مصعب بن الزبير قال
ضاف ابن ميادة أيوب بن سلمة فلم يقره وابن ميادة من أخوال أيوب بن سلمة فقال فيه
(ظَلِلْنا وُقُوفاً عند باب ابن أختنا ... وظَلَّ عن المعروف والمجدِ في شُغْلِ)
(صَفاً صَلَدٌ عند الندى ونَعامَةٌ ... إذا الحربُ أبدتْ عن نواجذها العُصْلِ)
قال أبو أيوب وأخبرني مصعب قال
قدم ابن ميادة على رياح بن عثمان وقد ولي المدينة وهو جاد في طلب محمد بن عبد الله بن حسن وإبراهيم أخيه فقال له اتخذ حرسا وجندا من غطفان واترك هؤلاء العبيد الذين تعطيهم دراهمك وحذار من قريش فاستخف بقوله ولم يقبل رأيه فلما قتل رياح قال ابن ميادة
(أمرتكَ يا رِياحُ بأمر حَزْمٍ ... فقلتَ هَشِيمةٌ من أهلِ نجد)
(وقلتُ له تحفَّظ من قُريشٍ ... ورَقِّع كل حاشيةٍ وبرِدِ)
(فوجداً ما وَجَدْتُ على رِياحٍ ... وما أغنيتُ شيئاً غيرَ وَجْدِي)
النساء في شعره
أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال حدثني أحمد بن إبراهيم ابن إسماعيل قال حدثني أكثم بن صيفي المري ثم الصاردي عن أبيه قال
كان ابن ميادة رأى امرأة من بني جشم بن معاوية ثم من بني حرام يقال لها أم الوليد وكانوا ساروا عليه فأعجب بها وقال فيها
ألاَ حَبَّذا أمُّ الوليدِ ومَرْبَعٌ ... لنا ولها نُشْتُو به ونَصِيفُ) ويروى)
(ومَربع ... لنا ولها بالمشتوى ومصيف . . . .)
(حَرَامِيَّةٌ أمّا مَلاَثُ إزارِها ... فَوَعْثٌ وأمّا خَصْرُها فلطيفُ)
((كأنَّ القُرونَ السُّودِ فوقَ مَقَذِّها ... إذا زَالَ عنها بُرْقُعٌ ونَصِيفُ
(بها زَرجُوناتٌ بقَفْرٍ تنسَّمت ... لها الريحُ حتى بينهنَّ رَفِيفُ)
قال فلما سمع زوجها هذه الأبيات أتاها فحلف بطلاقها لئن وجد ابن ميادة عندها ليدقن فخذها ثم أعرض عنها واغترها حتى وجده يوما عند بيتها فدق فخذها واحتمل فرحل ورحل بها معه فقال ابن ميادة
(أتانا عامَ سار بنو كلابٍ ... حَرَاميّون ليسَ لهم حَرَامُ)
(كأنّ بيوتهم شجرٌ صِغارٌ ... بقِيعانٍ تَقِيلُ بها النَّعامُ)
حَرَاميّون لا يَقْرُون ضَيْفاً ... ولا يَدْرون ما خُلُقُ الكرامِ) قال ثم سارت عليهم بعد ذلك بنو جعفر بن كلاب)
فأعجب بامرأة منهم يقال لها أم البختري وكان يتحدث إليها مدة مقامهم ثم ارتحلوا فقال فيها
(أرِقتُ لِبَرْقٍ لا يُفَتِّر لامعُهُ ... بشُهْب الرُّبى والليلُ قد نام هاجِعُهُ)
(أرِقتُ له من بعد ما نام صُحْبَتي ... وأعجبني إيماضُه وتتابعُه)
(يُضيءُ صَبِيراً من سَحابٍ كأنّه ... هِجَانٌ أرنَّتْ للحنين نوازِعُهْ)
(هَنِيئًا لأمّ البَخْتَرِيّ الرِّوَى به ... وإن أنْهَجَ الحبلُ الذي النأيُ قاطِعُهْ)
(لقد جَعَلَ المُستَبْضِعُ الغشّ بيننا ... ليَصرِمَ حَبْلينا تَجُوز بضائعُهْ)
((فما سَرْحةٌ تَجْرِي الجداولُ تحتها ... بمطَّرد القِيعَانِ عَذْبٍ ينابِعُهْ
(بأحسنَ منها يومَ قالتْ بذي الغَضَا ... أتَرعَى جديدَ الحبلِ أمْ أنتَ قاطعُهْ)
أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال حدثني أحمد بن إبراهيم قال
وذكر أبو الأشعث أن ابن ميادة خطب امرأة بني سلمى بن مالك بن جعفر ثم من بني البهثة وهم بطن يقال لهم البهثاء

فأبوا أن يزوجوه وقالوا أنت هجين ونحن أشرف منك فقال
(فلو طاوعَتْني آلُ سَلْمَى بن مالكٍ ... لأعطيتُ مَهْراً من مَسَرَّةَ غاليَا)
(وسِرْبٍ كسِرْبِ العِين من آل جَعْفر ... يُغَادِينَ بالكُحْلِ العُيُونَ السواجيَا)
(إذا ما هَبَطْنَ النِّيلَ أو كُنَّ دونه ... بسَرْو الحِمَى ألْقَيْنَ ثَمَّ المَرَاسِيَا)
مات في صدر خلافة المنصور
قال أحمد بن إبراهيم مات ابن ميادة في صدر من خلافة المنصور وقد كان مدحه ثم لم يفد إليه ولا مدحه لما بلغه من قلة رغبته في مدائح الشعراء وقلة ثوابه لهم

أخبار حنين الحيري ونسبه

حنين بن بلوع الحيري مختلف في نسبه فقيل إنه من العباديين من تميم وقيل إنه من بني الحارث بن كعب وقيل إنه من قوم بقوا من جديس وطسم فنزلوا في بني الحارث بن كعب فعدوا فيهم ويكنى أبا كعب وكان شاعرا مغنيا فحلا من فحول المغنين وله صنعة فاضلة متقدم وكان يسكن الحيرة ويكري الجمال إلى الشأم وغيرها وكان نصرانيا وهو القائل يصف الحيرة ومنزله بها

صوت

(أنا حُنَينٌ ومَنْزِلي النَّجَفُ ... وما نَديمي إلاّ الفَتَى القَصِفُ)
(أقْرَعُ بالكأسِ ثَغْرِ باطِيةٍ ... مُتْرَعَةٍ تارةً وأغترفُ)
(من قهوة باكَرَ التِّجارُ بها ... بيت يهود قرارُها الخَزَفُ)
(والعيشُ غضٌّ ومنزلي خَصِبٌ ... لم تَغْذُني شِقْوَةٌ ولا عُنُفُ)
الغناء والشعر لحنين ولحنه خفيف رمل بالبنصر
وفيه لابن المكي خفيف ثقيل قديم
ولعريب فيه خفيف ثقيل آخر عن الهشامي

غناء حنين وبعض من أوصافه

أخبرنا وكيع قال قال حماد حدثني أبي عن أبي الخطاب قال وحدثني ابن كناسة عن سليمان بن داود مولى ليحيى
وأخبرني بهذا الخبر الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن قعنب بن المحرز الباهلي عن المدائني قالوا جميعا
حج هشام بن عبد الملك وعديله الأبرش الكلبي فوقف له حنين بظهر الكوفة ومعه عوده وزامر له وعليه قلنسية طويلة فلما مر به هشام عرض له فقال من هذا فقيل حنين فأمر به فحمل في محمل على جمل وعديله زامره وسير به أمامه وهو يتغنى

صوت

(أَمِنْ سَلْمَى بِظَهْر الكوفَةِ ... الآياتُ والطَّلَلُ)
(يلوحُ كما تلوحُ على ... جفون الصَّيقلِ الخِلَلُ)
الصنعة في هذا الصوت لحنين ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو
وفيه خفيف ثقيل ينسب إلى حنين أيضا وإلى غيره قال فأمر له هشام بمائتي دينار وللزامر بمائة
وذكر إسحاق في خبره عن أبيه الخطاب أنه غنى هشاما
صوت
(صاحِ هل أبصرتَ بالخَبْتيْن ... من أسماءَ نَارَا)
(مَوهِناً شَبَّت لعينيكَ ... ولم تُوقَدْ نهارَا)
(كَتَلاَلي البَرْقِ في المُزْن ... إذا البَرْقُ اسْتَطَارَا)
(أذكَرَتْني الوصلَ من سُعْدَى ... وأيّاماً قِصَارَا)
الشعر للأحوص والغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق
ونسبه ابن المكي إلى الغريض
وقال يونس فيه لحنان لمالك ولم يجنسهما
وقال الهشامي فيه لمالك خفيف رمل قال فلم يزل هشام يستفيده حتى نزل من النجف فأمر له بمائتي دينار
وقال إسحاق قيل لحنين أنت تغني منذخمسين سنة ما تركت لكريم مالا ولا دارا ولا عقارإلا أتيت عليه فقال بأبي أنتم إنما هي أنفاسي أقسمها بين الناس أفتلومونني أن أغلي بها الثمن
وأخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مزيد قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه ومصعب بن الزبير عن بعض المكيين
وأخرني به الحرمي بن أبي العلاء وحبيب بن نصر قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب قال حدثني شيخ من المكيين يقال له شريس قال
إنا لبالأبطح أيام الموسم نشتري ونبيع إذ أقبل شيخ أبيض الرأس واللحية على بغلة شهباء ما ندري أهو أشد بياضا أم بغلته أم ثيابه فقال أين بيت
أبي موسى فأشرنا له إلى الحائط فمضى حتى انتهى إلى الظل من بيت أبي موسى ثم استقبلنا ببغلته ووجهه ثم اندفع يغني

صوت

(أسْعِدِيني بدمعةٍ أسْرابِ ... من دموعٍ كثيرة التَّسْكابِ)
(إنّ أهل الحَصاب قد تركوني ... مُغْرَماً مُولَعاً بأهل الحِصابِ)
(فارقوني وقد علمتُ يقيناً ... ما لِمَنْ ذاق ميتةً من إيابِ)
(سكنوا الجِزْعَ جزعَ بيْتِ أبي موسى ... إلى النخل من صُفِيّ السِّبابِ)
(كم بذاكَ الحَجُون من حَيّ صِدْقٍ ... وكهولٍ أعِفَّةٍ وشبابِ)
(أهل بيتٍ تتابعوا للمنايا ... ما عَلَى الموت بعدَهُم من عِتابِ)
((فلِيَ الوَيلُ بعدَهم وعليهم ... صِرتُ فردًا ومَلّني أصحابِي)
الشعر لكثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة السهمي

والغناء لمعبد ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى
وفيه لابن أبي دباكل الخزاعي ثاني ثقيل بالوسطى عن ابن خرداذبه قال ثم صرف الرجل بغلته وذهب فتبعناه حتى أدركناه فسألناه من هو فقال أنا حنين بن بلوع وأنا رجل جمال أكري الإبل ثم مضى أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد قرأت على أبي عن المدائني قال
كان حنين غلاما يحمل الفاكهة بالحيرة وكان لطيفا في عمل التحيات فكان إذا حمل الرياحين إلى بيوت الفتيان ومياسير أهل الكوفة وأصحاب القيان والمتطربين إلى الحيرة ورأوا رشاقته وحسن قده وحلاوته وخفة روحه استحلوه وأقام عندهم وخف لهم فكان يسمع الغناء ويشتهيه ويصغي إليه ويستمعه ويطيل الإصغاء إليه فلا يكاد ينتفع به في شيء إذا سمعه حتى شدا منه أصواتا فأسمعها الناس وكان مطبوعا حسن الصوت واشتهوا غناءه والاستماع منه وعشرته وشهر بالغناء ومهر فيه وبلغ منه مبلغا كبيرا ثم رحل إلى عمر بن داود الوادي وإلى حكم الوادي وأخذ منهما وغنى لنفسه في أشعار الناس فأجاد الصنعة وأحكمها ولم يكن بالعراق غيره فاستولى عليه في عصره وقدم ابن محرز حينئذ إلى الكوفة فبلغ خبره حنينا وقد كان يعرفه فخشي أن يعرفه الناس فيستحلوه ويستولي على البلد فيسقط هو فقال له كم منتك نفسك من العراق قال ألف دينار قال فهذه خمسمائة دينار عاجلة فخذها وانصرف واحلف لي أنك لا تعود إلى العراق فأخذها وانصرف
أخبرني عمي وعيسى بن الحسين قالا حدثنا أبو أيوب المدائني عن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل قال
كان ابن محرز قدم الكوفة وبها بشر بن مروان وقد بلغه أنه يشرب الشراب ويسمع الغناء فصادفه وقد خرج إلى البصرة بلغ خبره حنين بن بلوع فتلطف له حتى دعاه فغناه ابن محرز لحنه قال أحمد بن إبراهيم وهو من الثقيل الثاني من جيد الأغاني
صوت
(وحُرٌّ الزَّبَرْجَدِ في نَظْمِهِ ... على وَاضِحِ اللِّيتِ زَانَ العُقُودَا)
(يُفَصِّلُ ياقوتُه دُرَّهُ ... وكالجَمْرِ أبْصَرْتَ فيهِ الفَرِيدَا) قال فسمع شيئا هاله وحيره فقال له حنين كم منتك نفسك من العراق قال ألف دينار فقال هذه خمسمائة دينار حاصلة عاجلة ونفقتك في عودتك وبدأتك ودع العراق لي وامض مصاحبا حيث شئت قال وكان ابن محرز صغير الهمة لا يحب عشرة الملوك ولا يؤثر على الخلوة شيئا فأخذها وانصرف
حنين يغني في حمص متكسبا
وقال حماد في خبره قال أبي حدثني بعض أهل العلم بالغناء عن حنين قال
خرجت إلى حمص ألتمس الكسب بها وأرتاد من أستفيد منه شيئا فسألت عن الفتيان بها وأين يجتمعون فقيل لي عليك بالحمامات فإنهم يجتمعون بها إذا أصبحوا فجئت إلى أحدها فدخلته فإذا فيه جماعة منهم فأنست وانبسطت وأخبرتهم أني غريب ثم خرجوا وخرجت معهم فذهبوا بي إلى منزل أحدهم فلما قعدنا أتينا بالطعام فأكلنا وأتينا بالشراب فشربنا فقلت لهم هل لكم في مغن يغنيكم قالوا ومن لنا بذلك قلت أنا لكم به هاتوا عودا فأتيت به فابتدأت في هنيات أبي عباد معبد فكأنما غنيت للحيطان لا فكهوا لغنائي ولا سروا به فقلت ثقل عليهم غناء معبد بكثرة عمله وشدته وصعوبة مذهبه فأخذت في غناء الغريض فإذا هو عندهم كلا شيء وغنيت خفائف ابن سريج وأهزاج حكم والأغاني التي لي واجتهدت في أن يفهموا فلم يتحرك من القوم أحد وجعلوا يقولون ليت أبا منبه قد جاءنا فقلت في نفسي أرى أني سأفتضح اليوم بأبي منبه فضيحة لم يفتضح أحد قط مثلها
فبينا نحن كذلك إذ جاء أبو منبه وإذا هو شيخ عليه خفان أحمران كأنه جمال فوثبوا جميعا إليه وسلموا عليه وقالوا يا أبا منبه أبطأت علينا وقدموا له الطعام وسقوه أقداحا وخنست أنا حتى صرت كلا شيء خوفا منه فأخذ العود ثم اندفع يغني (طَرِبَ البحر فاعبُري يا سفينهْ ... لا تَشُقِّي على رجالِ المدينهْ) فأقبل القوم يصفقون ويطربون ثم أخذ في نحو هذا من الغناء فقلت في نفسي أنتم هاهنا لئن أصبحت سالما لا أمسيت في هذه البلدة
فلما أصبحت شددت رحلي على ناقتي واحتقبت ركوة من شراب ورحلت متوجها إلى الحيرة وقلت
(ليت شعري متى تَخُبُّ بيَ الناقةُ ... بين السَّدِير والصِّنَّينْ)
(مُحْقِباً رَكْوَةً وخُبْزَ رُقَاقٍ ... وبُقُولا وقطعةً من نُونِ)
(لستُ أبغِي زاداً سواها مِن الشامِ ... وحسبي عُلالةٌ تَكْفيني)
(فإذا أُبْتُ سالماً قلت سُحْقاً ... وبِعاداً لمعشرٍ فارقوني)
أخبرني محمد بن مزيد والحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه وأخبرنا به وكيع في عقب أخبار رواها عن حماد بن إسحاق عن أبيه فقال وقال لي إسحاق فلا أدري أأدرج الإسناد وهو سماعه أم ذكره مرسلا قال إسحاق وذكر ابن كناسة
أن خالد بن عبد الله القسري حرم الغناء بالعراق في أيامه ثم أذن للناس يوما في الدخول عليه عامة فدخل أليه حنين ومعه عود تحت ثيابه فقال أصلح الله الأمير كانت لي صناعة أعود بها على عيالي فحرمها الأمير فأضر ذلك بي وبهم فقال وما صناعتك فكشف عن عوده وقال هذا فقال له خالد غن فحرك أوتاره وغنى
صوت
(أيها الشامتُ المُعَيِّر بالدهر ... أأنت المُبَرَّأُ الموفورُ)
(أم لديك العهدُ الوثيقُ من الأيَّامِ ... بل أنت جاهلٌ مغرورُ)
(مَنْ رأيتَ المنونَ خَلَّدن أم مَنْ ... ذا عليه من أن يُضَامَ خَفِيرُ) قال فبكى خالد وقال قد أذنت لك وحدك خاصة فلا تجالسن سفيها ولا معربدا فكان إذا دعي قال أفيكم سفيه أو معربد فإذا قيل له لا دخل
شعر هذا الصوت المذكور لعدي بن زيد والغناء لحنين رمل بالوسطى عن عمرو
وقوله المبرأ يعني المبرأ من المصائب
الموفور الذي لم يذهب من ماله ولا من حاله شيء يقال وفر الرجل يوفر
ولديك بمعنى عندك هاهنا
حنين يغني بشر بن مروان
أخبرني أبو صالح محمد بن عبد الواحد الصحاف الكوفي قال حدثنا قعنب ابن المحرز الباهلي قال أخبرنا الهيثم بن عدي عن عبد الله بن عياش وعن مجالد عن الشعبي جميعا وأخبرني محمد بن مزيد وحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن

الهيثم بن عدي عن عبد الله بن عياش عن الشعبي قال
لما ولي بشر بن مروان الكوفة كنت على مظالمه فأتيته عشية وحاجبه أعين صاحب حمام أعين جالس فقلت له استأذن لي على الأمير فقال لي يا أبا عمرو هو على حال ما أظنك تصل إليه معها فقلت أعلمه وخلاك ذم فقد حدث أمر لا بد لي من إنهائه إليه وكان لا يجلس بالعشي فقال لا ولكن اكتب حاجتك في رقعة حتى أوصلها إليه فكتبت رقعة فما لبث أن خرج التوقيع على ظهرها ليس الشعبي ممن يحتشم منه فأذن له فأذن لي فقال ادخل فدخلت فإذا بشر بن مروان عليه غلالة رقيقة صفراء وملاءة تقوم قياما من شدة
الصقال وعلى رأسه إكليل من ريحان وعلى يمينه عكرمة بن ربعي وعلى يساره خالد بن عتاب بن ورقاء وإذا بين يديه حنين بن بلوع معه عوده فسلمت فرد علي السلام ورحب وقرب ثم قال يا أبا عمرو لو كان غيرك لم آذن له على هذه الحال فقلت أصلح الله الأمير عندي لك الستر لكل ما أرى منك والدخول معك فيما لا يجمل والشكر على ما توليني فقال كذاك الظن بك ثم التفت إلى حنين وعوده في حجره وعليه قباء خشك شوي وقال إسحاق خشكون ومستقة حمراء وخفان مكعبان فسلم علي فقلت له كيف أنت أبا كعب فقال بخير أبا عمرو فقلت احزق الزير وارخ البم ففعل وضرب فأجاد فقال بشر لأصحابه تلومونني على أن آذن له في كل حال ثم أقبل علي فقال أبا عمرو من أين وقع لك حزق الزير فقلت ظننت أن الأمر هناك فقال فإن الأمر كما ظننت هناك كله
ثم قال فمن أين تعرف حنينا فقلت هذا بطة أعراسنا فكيف لا أعرفه فضحك وغنى حنين فأجاد فطرب وأمر له بجائزة ثم ودعته وقمت بعد أن ذكرت له ما جئت فيه فأمر لي بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب فقمت مع الخادم حتى قبضت ذلك منه وانصرفت
وقد
وجدت هذا الخبر بخط أبي سعيد السكري يأثره عن محمد بن عثمان المخزومي عن أبيه عن جده أنه كان عند بشر بن مروان يوم دخل عليه الشعبي هذا المدخل وأن حنين بن بلوع غناه
هُمُ كتموني سَيْرَهمْ حين أزمعُوا ... وقالوا اتّعدنا للرَّواح وبَكَّرُوا) وهذا القول خطأ قبيح لأن هذا الشعر للعباس بن)
الأحنف والغناء لعلويه رمل بالوسطى وغني للمأمون فيه فقال سخروا من أبي الفضل أعزه الله
بعض من اوصاف الحيرة
أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد بن إسحاق قرأت على أبي وقال أبو عبيد الله الكاتب حدثني سليمان بن بشر بن عبد الملك بن بشر بن مروان قال
وكان بعض ولاة الكوفة يذم الحيرة في أيام بني أمية فقال له رجل من أهلها وكان عاقلا ظريفا أتعيب بلدة بها يضرب المثل في الجاهلية والإسلام قال وبماذا تمدح قال بصحة هوائها وطيب مائها ونزهة ظاهرها تصلح للخف والظلف سهل وجبل وبادية وبستان وبر وبحر محل الملوك ومزارهم ومسكنهم ومثواهم وقد قدمتها أصلحك الله مخفا فرجعت مثقلا ووردتها مقلا فأصارتك مكثرا قال فكيف نعرف ما وصفتها به من الفضل قال بأن تصير إلي ثم ادع ما شئت من لذات العيش فوالله لا أجوز
بك الحيرة فيه قال فاصنع لنا صنيعا واخرج من قولك قال أفعل فصنع لهم طعاما وأطعمهم من خبزها وسمكها وما صيد من وحشها من ظباء ونعام وأرانب وحبارى وسقاهم ماؤها في قلالها وخمرها في آنيتها وأجلسهم على رقمها وكان يتخذ بها من الفرش أشياء ظريفة ولم يستخدم لهم حرا ولا عبدا إلا من مولديها ومولداتها من خدم ووصائف ووصفاء كأنهم اللؤلؤ لغتهم لغة أهلها ثم غناهم حنين وأصحابه في شعر عدي بن زيد شاعرهم وأعشى همدان لم يتجاوزهما وحياهم برياحينها ونقلهم على خمرها وقد شربوا بفواكهها ثم قال له هل رأيتني استعنت على شيء مما رأيت وأكلت وشربت وافترشت وشممت وسمعت بغير ما في الحيرة قال لا والله ولقد أحسنت صفة بلدك ونصرته فأحسنت نصرته والخروج مما تضمنته فبارك الله لكم في بلدكم
قال إسحاق ولم يكن بالحيرة مذكور في الغناء سوى حنين إلا نفرا من السدريين يقال لهم عباديس وزيد بن الطليس وزيد بن كعب ومالك بن حممة وكانوا يغنون غناء الحيرة بين الهزج والنصب وهو إلى النصب أقرب
ولم يدون منه شيء لسقوطه وأنه ليس من أغاني الفحول
وما سمعنا نحن لأحد من هؤلاء خبرا إلا لمالك بن حممة أخبرني به عمي عن عبد الله بن أبي سعد
وقال وكيع في خبره عن إسحاق حدثني أبو بشر الفزاري قال حدثني بشر بن الحسين بن سليمان بن سمرة بن جندب قال
عاش حنين بن بلوع مائة سنة وسبع سنين وكان يقال إنه من جديس قال وقيل أيضا إنه من لخم وكان هو يزعم أنه عبادي وأخواله من بني الحارث بن كعب
أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قلا حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي قال
كنت مع الرشيد في السنة التي نزل فيها على عون العبادي فأتاني عون بابن ابن حنين بن بلوع وهو شيخ فغناني عدة أصوات لجده فما استحسنتها لأن الشيخ كان مشوه الخلق طن الغناء قليل الحلاوة إلا أنه كان لا يفارق عمود الصوت أبدا حتى يفرغ منه فغناني صوت ابن سريج
فَتَرَكْتُهُ جَزَرَ السِّباع يَنُشْنَهُ ... ما بين قُلَّةِ رأسِه والمِعْصَمِ) فما أذكر أني سمعته من أحد قط أحسن مما سمعته منه)
فقلت له لقد أحسنت في
هذا الصوت وما هو من أغاني جدك ولا من أغاني بلدك وإني لأعجب من ذلك فقال لي الشيخ والصليب والقربان ما صنع هذا الصوت إلا في منزلنا وفي سرداب لجدي ولقد كاد أن يأتي على نفس عمتي فسألته عن الخبر في ذلك فقال

حنين في ضيافة ابن سريج

حدثني أبي أن عبيد بن سريج قدم الحيرة ومعه ثلثمائة دينار
فأتى بها منزلنا في ولاية بشر بن مروان الكوفة وقال أنا رجل من أهل الحجاز من أهل مكة بلغني طيب الحيرة وجودة خمرها وحسن غنائك في هذا الشعر
(حَنَتْني حانياتُ الدهرِ حتّى ... كأنّي خاتِلٌ يَدْنُو لصَيْدِ)
قريبُ الخَطْو يَحْسَبُ مَنْ رآني ... ولستُ مُقَيَّداً أنّي بِقَيْدِ) فخرجت بهده الدنانير لأنفقها معك وعندك ونتعاشر حتى)
تنفد وأنصرف إلى منزلي

فسأله جدي عن اسمه ونسبه فغيرهما وانتمى إلى بني مخزوم فأخذ جدي المال منه وقال موفر مالك عليك ولك عندنا كل ما يحتاج إليه مثلك ما نشطت للمقام عندنا فإذا دعتك نفسك إلى بلدك جهزناك إليه ورددنا عليك مالك وأخلفنا ما أنفقته عليك إلى أن جئتنا وأسكنه دارا كان ينفرد فيها فمكث عندنا شهرين لا يعلم جدي ولا أحد من أهلنا أنه يغني حتى انصرف جدي من دار بشر ابن مروان في يوم صائف مع قيام الظهيرة فصار إلى باب الدار التي كان أنزل ابن سريج فيها فوجده مغلقا فارتاب بذلك ودق الباب فلم يفتح له ولم يجبه أحد فصار إلى منازل الحرم فلم يجد فيها ابنته ولا جواريه ورأى ما بين الدار التي فيها الحرم ودار ابن سريج مفتوحا فانتضى سيفه ودخل الدار ليقتل ابنته فلما دخلها رأى ابنته وجواريه وقوفا على باب السرداب وهن يومئن إليه بالسكوت وتخفيف
الوطء فلم يلتفت إلى إشارتهن لما تداخله إلى أن سمع ترنم ابن سريج بهذا الصوت فألقى السيف من يده وصاح به وقد عرفه من غير أن يكون رآه ولكن بالنعت والحذق أبا يحيى جعلت فداءك أتيتنا بثلثمائة دينار لتنفقها عندنا في حيرتنا فوحق المسيح لا خرجت منها إلا ومعك ثلثمائة دينار وثلثمائة دينار وثلثمائة دينار سوى ما جئت به معك ثم دخل إليه فعانقه ورحب به ولقيه بخلاف ما كان يلقاه به وسأله عن هذا الصوت فأخبره أنه صاغه في ذلك الوقت
فصار معه إلى بشر بن مروان فوصله بعشرة آلاف درهم أول مرة ثم وصله بعد ذلك بمثلها فلما أراد الخروج رد عليه جدي ماله وجهزه ووصله بمقدار نفقته التي أنفقها من مكة إلى الحيرة ورجع ابن سريج إلى أهله وقد أخذ جميع من كان في دارنا منه هذا الصوت

غنى للناس فمات بسبب الازدحام

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني حسان بن محمد الحارثي قال حدثنا عبد الله قال حدثنا عبيد بن حنين الحيري قال
كان المغنون في عصر جدي أربعة نفر ثلاثة بالحجاز وهو وحده بالعراق والذين بالحجاز ابن سريج والغريض ومعبد فكان يبلغهم أن جدي حنينا قد غنى في هذا الشعر
(هَلاَّ بكَيْتِ على الشبابِ الذاهبِ ... وكَفَفْتَ عن ذَمِّ المَشِيبِ الآئبِ)
(هذا ورُبَّ مُسوَّفِينَ سَقَيْتُهُمْ ... من خمر بابِلَ لذّةً للشاربِ)
(بَكَروا عَلَيَّ بسُحْرَةٍ فَصَبَحْتُهم ... من ذات كُوبٍ مثل قَعْبِ الحالِبِ)
(بزجاجةٍ مِلْءِ اليَدَيْن كأنّها ... قِنْديلُ فِصْحٍ في كَنِيسة راهِبِ) قال فاجتمعوا فتذاكروا أمر جدي وقالوا ما في الدنيا أهل صناعة شر منا لنا أخ بالعراق ونحن بالحجاز لا نزوره ولا نستزيره
فكتبوا إليه ووجهوا إليه نفقة وكتبوا يقولون نحن ثلاثة وأنت وحدك فأنت أولى بزيارتنا فشخص إليهم فلما كان على مرحلة من المدينة بلغهم خبره فخرجوا يتلقونه فلم ير يوم كان أكثر حشرا ولا جمعا من يومئذ ودخلوا فلما صاروا في بعض الطريق قال له معبد صيروا إلي فقال له ابن سريج إن كان لك من الشرف والمروءة مثل ما لمولاتي سكينة بنت الحسين عطفنا إليك فقال مالي من ذلك شيء وعدلوا إلى منزل سكينة
فلما دخلوا إليها أذنت للناس إذنا عاما فغصت الدار بهم وصعدوا فوق السطح وأمرت لهم بالأطعمة فأكلوا منها ثم إنهم سألوا جدي حنينا أن يغنيهم صوته الذي أوله
هَلاَّ بكيتَ على الشباب الذاهبِ ...) فغناهم إياه بعد أن قال لهم ابدأوا أنتم فقالوا ما كنا لنتقدمك ولا نغني قبلك حتى (نسمع هذا الصوت فغناهم إياه وكان من أحسن الناس صوتا فازدحم الناس على السطح وكثروا ليسمعوه فسقط الرواق على من تحته فسلموا جميعا وأخرجوا أصحاء ومات حنين تحت الهدم فقالت سكينة عليها السلام لقد كدر علينا حنين سرورنا انتظرناه مدة طويلة كأنا والله كنا نسوقه إلى منيته
نسبة ما في الخبر الأول من الغناء

صوت

(فَتَركْتُهُ جَزَرَ السِّباعِ يَنُشْنَهُ ... ما بينَ قُلّةِ رأسِه والمِعْصَمِ)
(إن تُغْدِفي دُوني القِناعَ فإنّني ... طَبٌّ بأخذ الفارس المُسْتَلْئِم)
الشعر لعنترة بن شداد العبسي والغناء فيه لحنين ثاني ثقيل
ومنها

صوت

(حَنَتْني حانياتُ الدهرِ حتّى ... كأنّي خاتِلٌ يَدْنُو لصَيْدِ)
(قريبُ الخَطْوِ يَحْسَبُ مَنْ رآني ... ولستُ مُقَيَّداً أنّي بِقَيْدِ)
الغناء لحنين الحيري ثقيل أول
وفيه لإبراهيم الموصلي ماخوري جميعا عن ابن المكي ووافقه عمرو بن بانة في لحن إبراهيم الموصلي ونسبة الشعر الذي غناه حنين في منزل سكينة عليها السلام يقال إنه لعدي بن زيد وقيل إن بعضه له وقد أضافه المغنون إليه ولحنه خفيف ثقيل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق

صوت

من المائة المختارة

(رَاعَ الفؤادَ تَفَرُّقُ الأحبابِ ... يَومَ الرحيل فهاجَ لي أطْرابي)
(فَظَلِلتُ مكتئباً أكَفْكِفُ عَبْرةً ... سَحّاً تَفِيضُ كواشِلِ الأسراب)
(لمّا تَنَادَوْا للرحيل وقَرَّبوا ... بُزْلَ الجِمَال لِطِيَّةٍ وذَهَابِ)
(كاد الأسى يَقْضي عليك صبابةً ... والوجهُ منك لِبَيْنِ إلفك كَابِي
عروضه من الكامل
والشعر لعمر بن أبي ربيعة
والغناء للغريض ولحنه المختار من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق
وقال حبش وفيه لأبي كامل ثاني ثقيل بالوسطى وذكر حبش أنّ للغريض أيضاً فيه خفيفَ ثقيل بالوُسْطى ولمالك ثقيلٌ أوّل بالوسطى
وهذه الأبيات قالها عمر ابن أبي ربيعة في بنت لعبد الملك بن مروان كانت حجت في خلافته

عمر بن أبي ربيعة وقصته مع بنت عبد الملك
أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال أخبرني أبو هفان عن إسحاق بن إبراهيم عن الزبيري والمدائني ومحمد بن سلام والمسيّبي
أن بنتا لعبد الملك بن مروان حجت فكتب الحجاج إلى عمر بن أبي ربيعة يتوعده إن ذكرها في شعره بكل مكروه وكانت تحب أن يقول فيها شيئا وتتعرض لذلك فلم يفعل خوفا من الحجاج
فلما قضت حجها خرجت فمر بها رجل فقالت له من أين أنت قال من أهل مكة قالت عليك وعلى أهل بلدك لعنة الله قال ولم ذاك قالت حججت فدخلت مكة ومعي من الجواري ما لم تر الأعين مثلهن فلم يستطع ابن أبي ربيعة أن يزودنا من شعره أبياتا نلهو بها في الطريق في سفرنا قال فإني لا أراه إلا قد فعل قالت فأتنا بشيء إن كان قاله ولك بكل بيت عشرة دنانير فمضى إليه فأخبره فقال لقد فعلت ولكن أحب أن تكتم علي قال أفعل فأنشده
(رَاعَ الفؤادَ تَفَرُّقُ الأحبابِ ... يومَ الرحيل فهاجَ لي أطْرابي)
وهي طويلة
وأنشده
(هَاجَ قلبي تَذَكُّرُ الأحبابِ ... واعترتْني نوائبُ الأطرابِ)
وهي طويلة أيضاً يقول فيها
(أُقْتُلِيني قَتْلاً سريعاً مُريحاً ... لا تكوني عليّ سَوْطَ عَذَابِ)
(شفَّ عنها مُحَقَّق جَنَدِيٌّ ... فهي كالشمس من خلال سَحَابِ)
ذكر حبش أن في هذه الثلاثة الأبيات للهذلي ثاني ثقيل بالبنصر قال فعاد إليها الرجل فأنشدها هاتين القصيدتين فدفعت إليه ما وعدته به
ذكر الغريض وأخباره
الغريض لقب لقب به لأنه كان طري الوجه نضرا غض الشباب حَسنَ المنظر فلقب بذلك
والفريض الطري من كل شيء
وقال ابن الكلبي شبه بالإغريض وهو الجمار فسمي به وثقل ذلك على الألسنة فحذفت الألف منه فقيل له الغريض
واسمه عبد الملك وكنيته أبو يزيد
وأخبرنا إسماعيل بن يونس الشيعى عن عمر بن شبة عن أبي غسان عن جماعة من المكيين
أنه كان يكنى أبا مروان
وهو مولى العبلات وكان مولدا من مولدي البربر
وولاؤه وولاء يحيى قيل وسمية للثريا صاحبة عمر بن أبي ربيعة وأخواتها الرضيا وقريبة وأم عثمان بنات علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر وقد مضت أخبارهن في صدر الكتاب
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني محمد بن نصر الضبعي قال حدثني عبد الكريم بن أبي معاوية العلابي عن هشام بن الكلبي عن أبيه وعن أبي مسكين وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان محمد بن يحيى وأخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن أبي
الأزهر حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الزبيري والمدائني ومحمد بن سلام وقد جمعت رواياتهم في قصة الغريض قالوا
الغريض يتعلم النوح وينوح في المآتم
كان الغريض يضرب بالعود وينقر بالدف ويوقع بالقضيب وكان جميلا وضيئا وكان يصنع نفسه ويبرقها وكان قبل أن يغني خياطا
وأخذ الغناء في أول أمره عن ابن سريج لأنه كان يخدمه
فلما رأى ابن سريج طبعه وظرفه وحلاوة منطقه خشي أن يأخذ غناءه فيغلبه عليه عند الناس ويفوقه بحسن وجهه وجسده فاعتل عليه وشكاه إلى مولياته وهن كن دفعنه إليه ليعلمه الغناء وجعل يتجنى عليه ثم طرده فشكا ذلك إلى مولياته وعرفهن غرض ابن سريج في تنحيته إياه عن نفسه وأنه حسده على تقدمه فقلن له هل لك في أن تسمع نوحنا في قبلانا فتأخذه وتغني عليه قال نعم فافعلن فأسمعنه المراثي فاحتذاها وخرج غناء عليها كالمراثي وكان ينوح مع ذلك فيدخل المآتم وتُضْرَب دونَه الحُجُب ثم يَنُوح فيفتن كل من سمعه
ولما كثر غناؤه اشتهاه الناس وعدلوا إليه لما كان فيه من الشجا فكان ابن سريج لا يغني صوتا إلا عارضه الغريض فيه لحنا آخر
فلما رأى ابن سريج موقع الغريض اشتد عليه وحسده فغنى الأرمال والأهزاج فاشتهاها الناس فقال له الغريض يا أبا يحيى قصرت الغناء وحذفته قال نعم يا مخنث حين جعلت تنوح على أمك وأبيك
قال إسحاق وحدثني أبو عبيدة قال لما غضب ابن سريج على الغريض فأقصاه وهجره لحق بحوراء وبغوم جاريتين نائحتين كانتا في شعب ابن
عامر بمكة ولم يكن قبلهما ولا بعدهما مثلهما فرأتاه يوما يعصر عينيه ويبكي فقالتا له مالك تبكي فذكر لهما ما صنع به ابن سريج فقالتا له لا أرقأ الله دمعك ألزز رأسك بين ما أخذته عنه وبين ما تأخذه منا فإن ضعت بعدها فأبعدك الله
الغريض من الأربعة المشهورين في الغناء
قال إسحاق وحدثني أبو عبد الله الزبيري قال رأيت جريرا في مجلس من مجالس قريش فسمعته يقول كان المغنون بمكة أربعة فسيد مبرز وتابع مسدد فسألناه عن ذاك فقال كان السيد أبو يحيى بن سريج والتابع أبو يزيد الغريض
وكان هناك رجل عالم بالصناعة فقال كان الغريض أحذق أهل زمانه بمكة بالغناء بعد ابن سريج وما زال أصحابنا لا يفرقون بينهما لمقاربتهما في الغناء
قال الزبيري وقال بعض أهلي لو حكمت بين أبي يحيى وأبي يزيد لما فرقت بينهما وإنما تفضيلي أبا يحيى بالسبق فأما غير ذلك فلا لأن أبا يزيد عنه أخذ ومن بحره اغترف وفي ميدانه جرى فكان كأنه هو ولذلك قالت سكينة لما غنى الغريض وابن سريج
(عُوجِي علينا رَبّة الهودَج ...) والله ما أفرق بينكما وما مثلكما عندي إلا كمثل اللؤلؤ والياقوت في أعناق الجواري)

الحسان لا يدري أي ذلك أحسن
قال إسحاق وسمعت جماعة من البصراء عند أبي يتذاكرونهما فأجمعوا على أن الغريض أشجى غناء وأن ابن سريج أحكم صنعة
قال إسحاق وحدثني أبو عبد الله الزبيري قال حدثني بعض أهلي قال حججنا فلما كنا بجمع سمعنا صوتا لم نسمع أحسن منه ولا أشجى فأصغى الناس كلهم إليه تعجبا من حسنه فسألت من هذا الرجل فقيل لي الغريض فتتابع جماعة من أهل مكة فقالوا ما نعرف اليوم أحدا أحسن غناء من الغريض ويدلك على ذلك أنه يعترض بصوته الحاج وهم في حجهم فيصغون إليه
فسألوا الغريض عن ذلك فقال نعم فسألوه أن يغنيهم فأجابهم وخرج فوقف حيث لا يرى ويسمع صوته فترنم ورجع صوته وغنى في شعر عمر بن أبي ربيعة
أيُّها الرائحُ المُجِدّ ابتِكَارَا ... قد قَضَى مِن تِهَامَةَ الأَوْطَارَ) فما سمع السامعون شيئا كان أحسن من ذلك الصوت وتكلم) الناس فقالوا طائفة من الجن حجاج
نسبة هذا الصوت
صوت
(أيُّها الرائحُ المُجِدّ ابتِكَارَا ... قد قَضَى مِن تِهَامَةَ الأَوْطَارَ)
(مَنْ يكنْ قلبُه الغَدَاةَ خَلِيًّا ... ففؤادي بالخَيْفِ أمْسَى مُعَارَا)
(ليت ذا الحجّ كان حَتْماً علينا ... كلَّ شهرين حِجَّةً واعتِمارَا)
عروضه من الخفيف
الشعر لعمر بن أبي ربيعة
والغناء لابن محرز ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الثاني بالخنصر في مجرى الوسطى
وفيه لحن للغريض من رواية حماد عن أبيه
أمير مكة ينفي الغريض
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وإسماعيل بن يونس قالا حدثنا عمد ابن شبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم قال بلغني أن معبدا وابن سريج والغريض اجتمعوا بمكة ذات ليلة فقالوا هلم نبك أهل مكة ووجدت هذا الخبر بغير إسناد مرويا عن يونس الكاتب أن أميرا من أمراء مكة أمر بإخراج المغنين من الحرم فلما كان في الليلة التي عزم بهم على النفي في غدها اجتمعوا على أبي قبيس وكان معبد قد زارهم فبدأ معبد فغنى كذا روي عن يونس ولم يذكره الباقون
صوت
(أتِرْبَيَّ مِن أعْلَى مَعَدّ هُدِيتُمَا ... أجِدّا البُكَا إنّ التفرُّقَ باكِرُ)
(فما مكْثُنا دام الجَمِيلُ عليكما ... يثَهْلان إلاّ أنْ تُزَمّ الأباعِرُ)
عروضه من الطويل
هكذا ذكره ولم ينسبه ولا جنسه قال فتأوه أهل مكة وأنوا وتمخطوا
واندفع الغريض يغني
أيُّها الرائحُ المُجِدّ ابتِكَارَا ... قد قَضَى مِن تِهَامَةَ الأَوْطَارَ) فارتفع البكاء والنحيب)
واندفع ابن سريج يغني
((جَدِّدِي الوصلَ يا قُرَيبُ وجُودِي ... لمُحِبٍّ فِراقُهَ قد ألَمَّا
ليس بين الحياة والموت إلاّ ... أن يَرُدُّوا جِمالَهُمْ فتُزَمَّا) فارتفع الصراخ من الدور بالويل والحرب)
قال يونس في خبره واجتمع الناس إلى الأمير فاستعفوه من نفيهم فأعفاهم
وذكر الباقون أن الغريض ابتدأ بلحنه
أيُّها الراكب المُجِدّ ابتِكارَا ...) وتلاه ابن سريج في جددي الوصل)
قال وارتفع الصراخ فلم يسمع من معبد شيء ولم يقدر على أن يغني
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال أخبرني عبد الرحمن بن محمد السعدي قال
حضرت شطباء المغنية جارية علي بن جعفر ذات يوم تغني
ليس بين الرَّحيل والبيْنِ إلاّ ... أنْ يَرُدُّوا جِمالَهم فتُزَمَّا) فطرب علي بن جعفر وصاح سبحان الله العظيم ألا يوكون قربة ألا) يشدون محملا ألا يعلقون سفرة ألا يسلمون على جار هذه والله العجلة
أخبرني أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن يحيى قال زعم عبيد بن يعلى قال
قال لي كثير بن كثير السهمي لما ماتت الثريا أتاني الغريض فقال لي قل لي شعرا أبك به عليها فقلت
صوت
(ألاَ يا عينُ مَالَكِ تَدْمَعِينَا ... أمِنْ رَمَدٍ بكيت فتُكْحَلِينَا)
أمَ انتِ مريضة تَبْكِينَ شجْواً ... فشجْوُكِ مثلُهُ أبكَى العيونا) فناح به عليها)
قال وأخبرني من رآه بين عمودي سريرها ينوح به
الغناء للغريض في هذين البيتين خفيف ثقيل بالوسطى عن ابن المكي وفيه ثقيل أول مجهول
سكينة بنت الحسين تساوي بين الغريض وابن سريج
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد ابن سلام وأخبرنا وكيع قال حدثنا محمد بن إسماعيل عن محمد بن سلام بن جرير ورواه حماد عن أبيه عن ابن سلام عن جرير أيضا
أن سكينة بنت الحسين عليه السلام حجت فدخل إليها ابن سريج والغريض وقد استعار ابن سريج حلة لامرأة من قريش فلبسها فقال لها ابن سريج يا سيدتي إني كنت صنعت صوتا وحسنته وتنوقت فيه وخبأته لك في حريرة في درج مملوء مسكا فنازعنيه هذا الفاسق يعني الغريض فأردنا أن نتحاكم إليك فيه فأينا قدمته فيه تقدم قالت هاته فغناها
عُوجِي علينا ربَّةَ الهَوْدَجِ ... إنّكِ إلاّ تَفْعَلِي تَحْرَجِي) فقالت هاته أنت يا غريض فغناها إياه فقالت لابن سريج أعده) فأعاده وقالت يا غريض أعده فأعاده فقالت ما أشبهكما إلا بالجديين الحار

والبارد لا يدري أيهما أطيب
وقال إسحاق في خبره ما أشبهكما إلا باللؤلؤ والياقوت في أعناق الجواري الحسان لا يدري أيهما أحسن
نسبة هذا الصوت
صوت
(عُوجِي علينا رَبَّةَ الهَوْدَجِ ... إنّكِ إلاّ تَفْعَلِي تَحْرَجِي)
(إنّي أُتِيحتْ لي يَمَانِيّةٌ ... إحدى بني الحارثِ من مَذْحِجِ)
(نَلْبَثُ حَوْلاً كاملاً كُلَّه ... لا نلتقي إلا على مَنْهَجِ)
(في الحجِّ إن حَجَّت وماذا مِنًى ... وأهلُه إن هِي لم تَحْجُجِ)
(أيسرُ ما نالَ مُحِبٌّ لدى ... بَيْنِ حبيبٍ قولُهُ عَرِّجِ)
عروضه من السريع
والشعر للعرجي
والغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو
وفيه للغريض ثقيل أول بالوسطى عن حبش
ولإسحاق في الأول والثالث ثقيل أول بالبنصر عن عمرو وللأبجر فيه ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى بالبنصر عن ابن المكي
ولعلويه خفيف ثقيل عن الهشامي
ولحكم خفيف رمل عنه أيضا
أخبرني محمد بن خلف قال وكيع قال حدثنا عبد الله بن عمر عمرو بن بشر قال حدثني إبراهيم بن المنذر قال حدثني حمزة بن عتبة اللهبي عن عبد الوهاب بن مجاهد أو غيره قال
كنت مع عطاء بن أبي رباح فجاءه رجل فأنشده قول العرجى
إنّي أُتِيحَتْ لي يمانِيّةٌ ...) وذكر الأبيات وختمها بقوله)
(في الحجِّ إن حجَّت وماذا مِنًى ... وأهلُه إن هي لم تَحْجُجِ)
قال فقال عطاء بمنى والله وأهله خير كثير إذ غيبها الله وإياه عن مشاعره
أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق قال
ولي قضاء مكة الأوقص المخزومي فما رأى الناس مثله في عفافه ونبله فإنه لنائم ليلة في جناح له إذ مر به سكران يتغنى
عُوجِي علينا رَبّة الهَوْدَجِ ...) فأشرف عليه فقال يا هذا شربت حراما وأيقظت نياما وغنيت خطأ خذه غني فأصلحه له) وانصرف
أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق عن حمزة بن عتبة اللهبي قال
مر الأبجر بعطاء وهو سكران فعذله وقال شهرت نفسك بالغناء واطرحتها وأنت ذو مروءة فقال امرأته طالق ثلاثا إن برحت أو أغنيك صوتا فإن قلت لي هو قبيح تركته فقال له عطاء هات ويحك فقد أضررت بي فغناه
في الحجِّ إن حَجَّت وماذا مِنًى ... وأهلُه إن هي لم تَحْجُجِ) فقال له عطاء الخير والله كله هناك حجت أولم تحج فاذهب) الآن راشدا فقد برت يمينك
الغريض وابن أبي عتيق
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني المغيرة بن محمد قال حدثني هارون بن موسى الفروي قال حدثني بعض المدنيين قال
خرج ابن أبي عتيق على نجيب له من المدينة قد أوقره من طرف المدينة
الصخرة ففعل ذلك مرارا فقالوا له ما هذا يا غريض قال كأني بها قد جاءت يوم القيامة رافعة ذيلها تشهد علينا بما كان منا إلى جانبها فأردت أن أجرح شهادتها على ذلك اليوم
نسبة هذا الصوت
صوت
(جَرَى ناصِحٌ بالوُدِّ بَيْني وبينها ... فقرَّبني يومَ الحِصَابِ إلى قَتْلي)
(فقالتْ وأَرْخَتْ جانبَ السِّتْرِ إنما ... معي فتحدَّثْ غَيْرَ ذي رِقْبَةٍ أهلي)
(فقلتُ لها ما بِي لهم من تَرقُّبٍ ... ولكِنَّ سِرِّي ليس يَحْمِلُهُ مِثْلي)
عروضه من الطويل
الشعر لعمر بن أبي ربيعة
والغناء لابن سريج رمل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق في الثلاثة الأبيات
وذكر يونس أن فيه لحنا لمالك وفيه للغريض خفيف ثقيل أول بالوسطى عن حبش والهشامي وعلي ابن يحيى وحماد بن إسحاق
ولمعبد فيه ثقيل أول بالبنصر عن حبش
ولابن محرز ثاني ثقيل بالوسطى عنه
عمر وجميل يتعارضان الشعر
حدثني علي بن صالح بن الهيثم قال حدثني أبو هفان عن إسحاق بن إبراهيم عن المسيّبيّ والمدائني وابن سلام أن عمر بن أبي ربيعة كان يعارض جميلا إذا قال هذا قصيدة قال هذا مثلها فيقال إن عمر في الرائية والعينية أشعر من جميل وإن جميلا أشعر منه في اللامية
وقال الزبير فيما أخبرني به الحرمي بن أبي العلاء عنه من الناس من
يفضل قصيدة جميل اللامية على قصيدة عمر وأنا لا أقول هذا لأن قصيدة جميل مختلفة غير مؤتلفة فيها طوالع النجد وخوالد المهد وقصيدة عمر بن أبي ربيعة ملساء المتون مستوية الأبيات آخذ بعضها بأذناب بعض ولو أن جميلا خاطب في قصيدته مخاطبة عمر لأرتج عليه وعثر كلامه به

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن إسماعيل بن إبراهيم قال حدثني شيخ من أهلي عن أبي الحارث بن نابتة مولى هشام بن الوليد المخزومي وهو الذي يقول له عمر بن أبي ربيعة
(يا أبا الحارث قَلْبي طائرٌ ... فاستمِعْ قَوْلَ رشيدٍ مؤْتَمَنْ)
قال شهدت عمر بن أبي ربيعة وجميلا بالأبطح فأنشد جميل قصيدته التي يقول فيها
لقد فَرِحَ الواشُونَ أنْ صَرَمَتْ حَبْلي ... بُثَيْنَةُ أو أبْدَتْ لنا جانبَ البُخْلِ) ثم قال يا أبا الخطاب هل قلت في هذا الوزن شيئا)
قال نعم فأنشده قوله
جَرَى ناصحٌ بالوُدِّ بَيْني وبَيْنَها ...) فقال جميل هيهات يا أبا الخطاب والله لا أقول مثل هذا سجيس الليالي والله ما)
خاطب النساء مخاطبتك أحد وقام مشمرا
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال
رأيت علماءنا جميعا لا يشكون في أن أحسن ما يروى في تعظيم السر قول عمر
(... ولكنَّ سِرِّي ليس يَحْمِله مِثْلي)
قال الزبير وحدثني محمد بن إسماعيل قال حدثني ابن أبي الزناد قال إنما اجتمع عمر بن أبي ربيعة وجميل بالجناب
أخبرني محمد بن أحمد الطلاس قال أخبرنا أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني
أن الفرزدق سمع عمر بن أبي ربيعة ينشد هذه القصيدة فلما بلغ إلى قوله
فقُمْنَ وقد أفْهَمْنَ ذا اللبِّ أنما ... فَعَلْنَ الذي يَفْعَلْنَ مِن ذاك مِن أجْلي) صاح الفرزدق وقال هذا والله الشعر الذي أرادته)
الشعراء فأخطأته وبكت الديار
نسبة ما في قصيدة عمر وسائر هذه الأخبار من الأغاني
سوى قصيدة جميل فإن لها أخبارا تذكر مع أخباره
فمن ذلك قصيدة عمر التي أولها
(... جَرَى ناصحٌ بالوُدِّ بَيْني وبينها)
صوت
(قِفِي البغلةَ الشهباءَ باللهِ سَلِّمِي ... عُزَيزة ذاتَ الدَّلِّ والخُلُقِ الجَزْلِ)
(فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا عَرَفْتُ الذي بِها ... كمِثْلِ الذي بي حَذْوَكَ النَّعلَ بالنَّعْلِ)
(فقُلْنَ لها هذا عِشَاءٌ وأهلُنا ... قريبٌ ألَمَّا تَسأمِي مَرْكَبَ البَغْلِ)
عروضه من الطويل
الشعر لعمر بن أبي ربيعة
و الغناء لمعبد في الأول و الثاني ثقيل أول و بالوسطى عن عمرو بن بانة و علي بن يحيى و قيل إنه لمالك ولابن محرز في الثاني و الثالث خفيف ثقيل أول بالبنصر عن الهشامي
ولإبن سريج في الأول ثقيل و الثاني خفيف اخر بالوسطى وهو الذي فيه استهلال
ولمالك في الثاني و الثالث ثاني ثقيل بالبنصر
و لابراهيم فيهما خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن ابن المكي
ومنها
صوت
(يا أبا الحارثِ قَلْبي طائرٌ ... فاستمِعْ قولَ رشيدٍ مؤتَمَنْ)
(ليسِ حبٌّ فوق ما أحببتُكم ... غيرَ أن أقتُلَ نفسي أو أُجَنّ)
(حَسَنُ الوجهِ نقيٌّ لونُهُ ... طيبُ النَّشْرِ لذيذُ المحتضَنْ)
عروضه من الرمل
الشعر لعمر بن أبي ربيعة
والغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو وقيل إنه لابن عائشة وذكر ابن المكي أنه للغريض في الثاني والثالث وفيهما رمل يقال إنه لأهل مكة ويقال إنه لعبد الله بن يونس صاحب أيلة
وفيه ثقيل أول ذكر حبش أنه لابن سريج وذكر غيره أنه لمحمد ابن السندي المكي وأنه غناه بحضرة إسحاق فأخذه عنه
أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو غسان محمد بن يحيىقال
كان ابن عائشة يغني الهزج والخفيف فقيل له إنك لا تستطيع أن تغني غناء شجياً ثقيلا فغنى
(... يا أبا الحارث قلْبي طائرٌ)
رجع الحديث إلى أخبار الغريض
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أيوب بن عباية عن مولى لآل الغريض قال
حدثني بعض مولياتي وقد ذكرن الغريض فترحمن عليه وقلن جاءنا يوما يحدثنا بحديث أنكرناه عليه ثم عرفنا بعد ذلك حقيقته وكان من أحسن الناس وجها صغيرا وكبيرا وكنا نلقى من الناس عنتا بسببه هو كان ابن سريج في جوارنا فدفعناه إليه فلقن الغناء وكان من أحسن الناس صوتا ففتن أهل مكة بحسن وجهه مع حسن صوته فلما رأى ذلك ابن سريج نحاه عنه وكانت بعض مولياته تعلمه النياحة فبرز فيها فجاءني يوما فقال نهتني الجن أن أنوح وأسمعتني صوتا عجيبا فقد ابتنيت عليه لحنا فاسمعيه مني واندفع فغنى بصوت عجيب في شعر المرار الأسدي
(حَلَفْتُ لها بِاللهِ ما بَيْنَ ذي الغَضَا ... وهضْبِ القَنَانِ من عَوانٍ ولا بِكْرِ)
(أحَبُّ إلينا منكِ دَلاّ وما نَرَى ... به عند لَيْلَى من ثوابٍ ولا أجرِ)
فكذبناه وقلنا شيء فكر فيه وأخرجه على هذا اللحن فكان في كل يوم يأتينا فيقول سمعت البارحة صوتا من الجن بترجيع وتقطيع قد بنيت عليه صوت كذا وكذا بشعر فلان فلم يزل على ذلك ونحن ننكر عليه فإنا لكذلك ليلة وقد اجتمع جماعة من نساء أهل مكة في جمع لنا سهرنا فيه ليلتنا والغريض يغنينا بشعر عمر بن أبي ربيعة
أمِنْ آلِ زينبَ جدُّ البُكُورُ ... نَعَمْ فلأيٍّ هواها تَصِيرُ) إذ سمعنا في بعض الليل عزيفا عجيبا وأصواتا مختلفة ذعرتنا)
وأفزعتنا فقال لنا الغريض إن في هذه الأصوات صوتا إذا نمت سمعته وأصبح فأبني عليه غنائي فأصغينا إليه فإذا نغمة نغمة الغريض بعينها فصدقناه تلك الليلة

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء
صوت
حلفت لها . . . .) البيتان)
عروضه من الطويل
غناه الغريض ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى عن حبش
قال ولعلويه فيه ثقيل أول آخر بالبنصر
ومنها
صوت
(أمِنْ آلِ زينبَ جدِّ البُكُورُ ... نَعَمْ فلأيّ هواها تَصِيرُ)
(أبا الغَوْرِ أم أنْجَدتْ دارُها ... وكانتْ حديثاً بعهدي تغُورُ)
(نَظَرتُ بخَيْفِ مِنيً نظرةً ... إليها فكاد فؤادي يَطِيرُ)
((هي الشمسُ تَسْري بها بَغْلَةٌ ... وما خِلْتُ شمساً بليلٍ تسيرُ
(ألم تَرَ أنك مستشرفٌ ... وأنّ عدوّك حَوْلي حضورُ)
عروضه من المتقارب
الشعر للنميري وقيل أنه ليزيد بن معاوية
والغناء لسياط خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو
ولابن سريج فيه خفيف ثقيل بالوسطى أوله
(... هي الشمسُ تَسْري بها بَغْلَةٌ)
وفيه للغريض ثاني ثقيل بالبنصر عن الهشامي وحماد ذكر غيرهما أنه لابن جامع
وذكر حبش أن فيها لابن محرز ثقيلا أول بالبنصر
الغريض وسكينة
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال قال أبو عبد الله مصعب الزبيري
اجتمع نسوة فذكرن عمر بن أبي ربيعة وشعره وظرفه وحسن مجلسه وحديثه وتشوقن إليه وتمنينه فقالت سكينة أنا لكن به فبعثت إليه رسولا ووعدته الصورين
لليلة سمتها فوافاها على رواحله ومعه الغريض فحدثهن حتى وافى الفجر وحان انصرافهن فقال لهن إني والله لمشتاق إلى زيارة قبر النبيوالصلاة في مسجده ولكن لا أخلط بزيارتكن شيئا ثم انصرف إلى مكة وقال
ألْمِمْ بزينَبَ إنّ البَيْنَ قد أفدا ... قلَّ الثَّواءُ لَئِنْ كان الرحيلُ غَدَا) قال وانصرف عمر بالغريض معه فلما كان بمكة قال عمر) يا غريض إني أريد أن أخبرك بشيء يتعجل لك نفعه ويبقى لك ذكره فهل لك فيه قال افعل من ذلك ما شئت وما أنت أهله قال إني قد قلت في هذه الليلة التي كنا فيها شعرا فامض به إلى النسوة فأنشدهن ذلك وأخبرهن أني وجهت بك فيه قاصدا قال نعم
فحمل الغريض الشعر ورجع إلى المدينة فقصد سكينة وقال لها جعلت فداك إن يا سيدتي ومولاتي إن أبا الخطاب أبقاه الله وجهني إليك قاصدا قالت أوليس في خير وسرور تركته قال نعم قالت وفيم وجهك أبو الخطاب حفظه الله قال جعلت فداك إن ابن أبي ربيعة حملني شعرا وأمرني أن أنشدك إياه قالت فهاته قال فأنشدها
ألْمِمْ بزينَبَ إنّ البَيْنَ قد أفدا ... قلَّ الثَّواءُ لَئِنْ كان الرحيلُ غَدَا) الشعر كله قالت فيا ويحه فما كان عليه ألا يرحل في) غده فوجهت إلى النسوة فجمعتهن وأنشدتهن الشعر وقالت للغريض هل عملت فيه شيئا قال قد غنيته ابن أبي ربيعة قالت فهاته فغناه الغريض فقالت سكينه أحسنت والله وأحسن ابن أبي ربيعه لولا أنك سبقت فغنيته عمر قبلنا لأحسنا جائزتك يا بنانة أعطيه بكل بيت ألف درهم فأخرجت اليه بنانة أربعة الاف درهم فدفعتها إليه وقالت سكينة لو زادنا عمر لزدناك
نسبة هذا الغناء
صوت
(ألْمِمْ بزينَبَ إنّ البَيْنَ قد أفدا ... قلَّ الثَّواءُ لَئِنْ كان الرحيلُ غَدَا)
(قد حَلَفَتْ ليلةَ الصَّوْرَيْن جاهدةً ... وما على الحُرِّ إلا الصَّبْرُ مُجتَهِدا)
(لأختِها ولأخرى من مَناصِفِها ... لقد وَجَدتُ به فوقَ الذي وَجَدَا)
(لَعَمْرُها ما أراني إن نَوىً نَزَحتْ ... وهكذا الحبُّ إلا مَيِّتاً كَمَدَا)
- عروضه - من البسيط
الشعر لعمر بن أبي ربيعة والغناء لابن سريج وله فيه لحنان أحدهما رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق والآخر خفيف رمل بالوسطى عن عمرو وفيه لحن للغريض خفيف ثقيل بالنصر عن الهشامي وحماد وذكر عمرو إنه لمالك أوله الرابع ثم الأول ومن الناس من ينسب هذا إلى معبد وأوله
(... يا أمَّ طَلْحَةَ إن البَيْنَ قد أفِدا)
وذلك خطأ اللحن الذي عمله معبد غير هذا وهو
صوت
(يا أمَّ طلحةَ إنّ البَيْنَ قد أفِدَا ... قَلَّ الثَوَاءُ لئن كان الرحيلُ غَدَا)
(أ مْسَى العِرَاقِيّ لا يدري إذا بَرَزَتْ ... مَنْ ذا تَطوَّفَ بالأركان أو سَجَدَا)
- عروضه - من البسيط
الشعر للأحوص ويقال إنه لعمر أيضا والغناء لمعبد ولحنه من الثقيل الأول بالبنصر عن عمرو والهشامي
الغريض وعائشة بنت طلحة
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن محمد بن سلام قال
حجت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله فجاءتها الثريا وأخواتها ونساء أهل مكة القرشيات وغيرهن وكان الغريض فيمن جاء فدخل النسوة عليها فأمرت لهن بكسوة وألطاف كانت قد أعدتها لمن يجيئها فجعلت تخرج كل واحدة ومعها جاريتهاومعها

ما أمرت لها به عائشة والغريض بالباب حتى خرج مولياته مع جواريهن الخلع والألطاف فقال الغريض فأين نصيبي من عائشة فقلن له أغفلناك وذهبت عن قلوبنا فقال ما أنا ببارح من بابها أو آخذ بحظي منها فإنها كريمة بنت كرام واندفع يغني بشعر جميل
تذكّرتُ ليلى فالفؤاد عَمِيد ... وشَطّتْ نواها فالمَزارُ بعيد) فقالت ويلكم هذا مولى العبلات بالباب يذكر بنفسه هاتوه)
فدخل فلما رأته ضحكت وقالت لم أعلم بمكانك ثم دعت له بأشياء أمرت له بها ثم قالت له إن أنت غنيتني صوتا في نفسي فلك كذا وكذا شيء سمته له ذهب عن ابن سلام قال فغناها في شعر كثير
(ومازلتُ من ليلى لَدُن طَرّ شاربي ... إلى اليوم أُخْفِي حبَّها وأُداجِنُ)
وأحمِل في ليلى لقومٍ ضَغِينةً ... وتُحمَل في ليلَى عليّ الضغائنُ) فقالت له ما عدوت ما في نفسي ووصلته فأجزلت)
قال إسحاق فقلت لأبي عبد الله وهل علمت حديث هذين البيتين ولم سألت الغريض ذلك قال نعم

الشعبي عند مصعب وزوجته عائشة

حدثني أبي قال قال الشعبي دخلت المسجد فإذا أنا بمصعب ابن الزبير على سرير جالس والناس عنده فسلمت ثم ذهبت لأنصرف فقال لي ادن فدنوت حتى وضعت يدي على مرافقه ثم قال إذا قمت فاتبعني فجلس قليلا ثم نهض فتوجه نحو دار موسى بن طلحة فتبعته فلما طعن في الدار التفت إلي فقال ادخل فدخلت معه ومضى نحو حجرته وتبعته فالتفت لي فقال ادخل فدخلت معه فإذا حجلة وإنها لأول حجلة رأيتها لأمير فقمت ودخل الحجلة فسمعت حركة فكرهت الجلوس ولم يأمرني بالانصراف فإذا جارية قد خرجت فقالت يا شعبي إن الأمير يأمرك أن تجلس فجلست على وسادة ورفع سجف الحجلة فإذا أنا بمصعب بن الزبير ورفع السجف الآخر فإذا أنا بعائشة بنت طلحة قال فلم أر زوجا قط كان أجمل منهما مصعب وعائشة فقال مصعب يا شعبي هل تعرف هذه فقلت نعم أصلح الله الأمير قال ومن هي قلت سيدة نساء
المسلمين عائشة بنت طلحة قال لا ولكن هذه ليلى التي يقول فيها الشاعر
(... ومازلتُ من ليلى لَدُنْ طَرّ شاربي)
وذكر البيتين ثم قال إذا شئت فقم فقمت
فلما كان العشي رحت وإذا هو جالس على سريره في المسجد فسلمت فلما رآني قال لي ادن فدنوت حتى وضعت يدي على مرافقه فأصغى إلي فقال هل رأيت مثل ذلك لإنسان قط قلت لا والله قال أفتدري لم أدخلناك قلت لا قال لتحدث بما رأيت ثم التفت إلى عبد الله بن أبي فروة فقال أعطه عشرة آلاف درهم وثلاثين ثوبا فما انصرف يومئذ أحد بمثل ما انصرفت به بعشرة آلاف درهم وبمثل كارة القصار ثيابا وبنظرة من عائشة بنت طلحة
عائشة بنت طلحة وأزواجها
قال وكانت عائشة عند عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر وكان أبا عذرتها ثم هلك فتزوجها مصعب فقتل عنها ثم تزوجها عمر بن عبيد الله بن معمر فبنى بها بالحيرة ومهدت له يوم عرسه فرش لم ير مثلها سبع أذرع في عرض أربع فانصرف تلك الليلة عن سبع مرات فلقيته مولاة لها حين أصبح فقالت يا أبا حفص كملت في كل شيء حتى في هذا فلما مات ناحت عليه وهي قائمة ولم تنح على أحد منهم قائمة وكانت العرب إذا ناحت المرأة قائمة على زوجها علم أنها لا تريد أن تتزوج بعده فقيل لها يا عائشة ما صنعت هذا بأحد من أزواجك قالت إنه كان فيه خلال ثلاث لم تكن في أحد منهم كان سيد بنى تيم وكان أقرب القوم بي قرابة وأردت ألا أتزوج بعده
وأخبرني بخبر مصعب والشعبي وعائشة أحمد بن عبيد الله بن عمار قال
حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال أخبرنا محمد بن الحكم عن عوانة قال خرج مصعب بن الزبير من دار الإمارة يريد دار موسى بن طلحة فمر بالمسجد فأخذ بيد الشعبي ثم ذكر باقي الحديث مثلَه ولم يذكر شيئاً من حديث المغنين
قال ابن عمار وأخبرني به داود بن جميل بن محمد بن جميل الكاتب عن ابن الأعرابي قال ابن عمار وأخبرني به أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني أن الشعبي قال
دخلت المسجد وفيه مصعب بن الزبير فاستدناني فدنوت حتى وضعت يدي على مرافقه فأصغى إلي وقال إذا قمت فاتبعني
ثم ذكر باقي الحديث أيضا مثل الذي تقدمه

نسبة هذا الصوت

صوت

(ومازلتُ من ليلى لَدُن طَرّ شاربي ... إلى اليوم أُخْفِي حبَّها وأُداجِنُ)
(وأحمِل في ليلى ضغائنَ معشرٍ ... وتُحمَل في ليلَى عليّ الضغائنُ)
- عروضه - من الطويل
الشعر لكثير بن عبد الرحمن
والغناء لمعبد ثقيل أول بالبنصر عن حبش
وفيه لحن للغريض

الغريض يغني عبد الملك في مكة

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال
كان الغريض إذا غنى بيتين لكثير قال أنا السريجي حقا ولم يكن يقول حذف
ذلك في شيء من غنائه وكان من جيد غنائه
و قدم يزيد بن عبد الملك مكة فبعث إلى الغريض سرا فأتاه فغناه بهذا اللحن وهو فيهما
(و إنّي لأرعَى قومَها من جَلالها ... وإن أظهروا غِشاً نَصحت لهم جَهْدي)
(ولو حاربوا قومي لكنتُ لقومها ... صديقاً ولم أحمِلْ على قومها حِقْدي)
فأشير إلى الغريض أن اسكت وفطن يزيد فقال دعوا أبا يزيد حتى يغنيني بما يريد فأعاد عليه الصوت مرارا ثم قال زدني مما عندك
فغناه بشعر عمرو بن شأس الأسدي

(فَوَانَدمي على الشباب ووانَدَمْ ... ندِمتُ وبان اليومَ منّي بغير ذمّ)
(أرادتْ عراراً بالهَوان ومن يُردْ ... عراراً لعَمْري بالهوان فقد ظَلَمْ)
قال فطرب يزيد وأمر له بجائزة سنية
قال إسحاق فحدثت أبا عبد الله هذا الحديث وقد أخذنا في أحاديث الخلفاء ومن كان منهم يسمع الغناء أيضاً فقال أبو عبد الله
كان قدوم يزيد مكة وبعثته إلى الغريض سراً قبل أن يستخلف فقلت له فلم أشير إلى الغريض أن يسكت حين غناه بشعر كثير
(... وإني لأرْعَى قومَها من جَلالها)
وما السبب في ذلك فقال أبو عبد الله أنا أحدثكه
قصة اختلاف عبد الملك مع زوجته عاتكة
حدثني أبي قال كان عبد الملك بن مروان من أشد الناس حبا لعاتكه امرأته وهي ابنة يزيد بن معاوية وأمها أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر بن كريز وهي أم يزيد بن عبد الملك فغضبت مرة على عبد الملك وكان بينهما باب
فحجبته واغلقت ذلك الباب فشق غضبها على عبد الملك وشكا إلى رجل من خاصته يقال له عمر بن بلال الأسدي فقال له مالي عندك إن رضيت قال حكمك
فأتى عمر بابها وجعل يتباكى وأرسل إليها بالسلام فخرجت إليه حاضنتها ومواليها وجواريها فقلن مالك قال فزعت إلى عاتكه ورجوتها فقد علمت مكاني من أمير المؤمنين معاوية ومن أبيها بعده قلن ومالك قال ابناي لم يكن لي غيرهما فقتل أحدهما صاحبه فقال أمير المؤمنين أنا قاتل الآخر به فقلت أنا الولي وقد عفوت قال لا أعود الناس هذه العادة
فرجوت أن ينجي الله ابني هذا على يدها فدخلن عليها فذكرن ذلك لها فقالت وكيف أصنع مع غضبي عليه وما أظهرت له قلن إذا والله يقتل فلم يزلن حتى دعت بثيابها فأجمرتها ثم خرجت نحو الباب فأقبل حديج الخصي قال يا أمير المؤمنين هذه عاتكة قد أقبلت قال ويلك ما تقول قال قد والله طلعت فأقبلت وسلمت فلم يرد عليها فقالت أما والله لولا عمر ما جئت إن أحد أبنية تعدى على الآخر فقتله فأردت قتل الأخر وهو الولي وقد عفا قال إني أكره أن أعود الناس هذه العادة
قالت أنشدك الله يا أمير المؤمنين فقد عرفت مكانه من أمير المؤمنين معاوية ومن أمير المؤمنين يزيد وهو ببابي فلم تزل به حتى أخذت برجله فقبلتها فقال هو لك ولم يبرحا حتى اصطلحا ثم راح عمر بن بلال إلى عبد الملك فقال يا لأمير المؤمنين كيف رأيت قال رأينا أثرك فهات حاجتك قال مزرعة بعدتها وما فيها وألف دينار وفرائض لولدي وأهل بيتي وعيالي قال ذلك لك ثم اندفع عبد الملك يتمثل بشعر كثير
(... وإني لأرعى قومها من جلالها)
البيتين فعلمت عاتكة ما أراد فلما غني يزيد بهذا الشعر كرهته مواليه إذ كان عبد الملك تمثل به في أمه ولم يكرهه يزيد وقال لو قيل هذا الشعر فيها ثم
غني به لما كان عيبا فكيف وإنما هو مثل تمثل به أمير المؤمنين في اجمل العالمين
قال أبو عبد الله وأما خبره لما غنى بشعر عمرو بن شأس فإن ابن الأشعث لما قتل بعث الحجاج إلى عبد الملك برأسه مع عرار بن عمرو بن شأس فلما ورد به وأوصل كتاب الحجاج جعل عبد الملك يقرأه فكلما شك في شيء سأل عراراً عنه فأخبره فعجب عبد الملك من بيانه وفصاحته مع سواده فقال متمثلا
(وإن عراراً إن يكن غيرَ واضِحٍ ... فإنّي أحِبّ الجَوْنَ ذا المَنْكِب العَمَمْ)
فضحك عرار من قوله ضحكاً غاظ عبد الملك فقال له مم ضحكت ويلك قال أتعرف عراراً يا أمير المؤمنين الذي قيل فيه هذا الشعر قال لا قال فأنا والله هو فضحك عبد الملك وقال حظ وافق كلمة ثم أحسن جائزته وسرحه
قال أبو عبد الله وإنما أراد الغريض أن يغني يزيد بمتمثلات عبد الملك في الأمور العظام فلما تبين كراهة مواليه غناءه فيما تمثل به في عاتكة أراد أن يعقبه ما تمثل به في فتح عظيم كان لعبد الملك فغناه بشعر عمرو بن شأس في عرار
نسبة ما في هذا الخبر من الغناء
صوت
(و إنّي لأرعَى قومَها من جَلالها ... وإن أظهروا غِشاً نَصحت لهم جَهْدي)
ولو حاربوا قومي لكنتُ لِقومها)
(صديقاً ولم أحمِل على قومها حِقدي
عروضه - من الطويل - الشعر لكثير والغناء للغريض ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وذكر حبش أن فيه لقفا النجار ثاني ثقيل بالوسطى وفيه لعلويه ثقيل أول
الغريض ومعبد
وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني إبراهيم عن يونس الكاتب قال حدثني معبد قال خرجت إلى مكة في طلب لقاء الغريض وقد بلغني حسن غنائه في لحنه
(وما أنْسَ مِ الأشياءِ لا أنْسَ شادِناً ... بمكّة مَكْحولا أسيلاً مَدامعُهْ)
وقد كان بلغني أنه أول لحن صنعه وان الجن نهته أن يغنيه لأنه فتن طائفة منهم فانتقلوا عن مكة من اجل حسنه فلما قدمت مكة سألت عنه فدللت على منزله فأتيته فقرعت الباب فما كلمني أحد فسألت بعض الجيران فقلت هل في الدار أحد قالوا لي نعم فيها الغريض فقلت إني قد أكثرت دق الباب فما أجابني أحد قالوا إن الغريض هناك فرجعت فدققت الباب فلم يجبني أحد فقلت إن نفعني غنائي يوما نفعني اليوم فاندفعت فغنيت لحني في شعر جميل
(عَلِقتُ الهوَى منها وَليداً فلم يزل ... إلى اليومِ يَنْمي حبُّها ويزيدُ)
فو الله ما سمعت حركة الباب فقلت بطل سحري وضاع سفري وجئت أطلب ما هو عسير علي واحتقرت نفسي وقلت لم يتوهمني لضعف غنائي عنده فما شعرت الإبصائح يصيح يا معبد المغني افهم وتلق عني شعر جميل الذي تغني فيه يا شقي البخت وغنّى
صوت
للغريض ولم تذكر طريقته
(وما أنْس مِ الأشياءِ لا أنْس قولَها ... وقد قرّبتْ نِضْوي أمِصْرَ تريد)

((ولا قولَها لولا العيونُ التي تَرى ... أتيتُك فاعذِرني فدَتْك جُدودُ
(خَليليّ ما أُخفي من الوجد باطن ... ودمعي بما قلتُ الغداةَ شَهيدُ)
(يقولون جَاهِد يا جميلُ بغزوةٍ ... وأيّ جِهادٍ غيرهن أُريدُ)
(لكلّ حديثٍ عندهنّ بشاشةٌ ... وكلّ قتيلٍ بينهنّ شَهيدُ)
عروضه - من الطويل - قال فلقد سمعت شيئاً لم أسمع أحس منه وقصر إلي نفسي وعلمت فضيلته علي بما أحسن من نفسه وقلت إنه لحري بالاستتار من الناس تنزيها لنفسه وتعظيماً لقدره وإن مثله لا يستحق الابتذال ولا أن تتداوله الرجال فأردت الانصراف إلى المدينة راجعا فلما كنت غير بعيد إذا بصائح يصيح بي يا معبد انتظر أكلمك فرجعت فقال لي إن الغريض يدعوك فأسرعت فرحا فدنوت من الباب فقال لي أتحب الدخول فقلت وهل إلى ذلك من سبيل فقرع الباب ففتح فقال لي ادخل ولا تطل الجلوس فدخلت فإذا شمس طالعة في بيت فسلمت فرد السلام ثم قال اجلس فجلست فإذا أنبل الناس وأحسنهم وجهاً وخلقاً وخلقا فقال يا معبد كيف طرأت إلى مكة فقلت جعلت فداءك وكيف عرفتني فقال بصوتك فقلت وكيف وأنت لم تسمعه قط قال لما غنيت عرفتك به وقلت إن كان معبد في الدنيا فهذا فقلت جعلت فداءك فكيف أجبتني بقولك
(وما أنْسَ مِ الأشياءِ لا أنْسَ قولَها ... وقد قرّبتْ نِضْوي أَمِصْرَ تريدُ)
فقال قد علمت أنك تريد أن أسمعك صوتي
(وما أنْسَ مِ الأشياءِ لا أنْسَ شادِناً ... بمكّة مَكْحولا أسيلاً مَدامعُهْ)
ولم يكن إلى ذلك سبيل لأنه صوت قد نهيت أن أغنيه فغنيتك هذا الصوت
جوابا لما سألت وغنيت فقلت والله ما عدوت ما أردت فهل لك حاجة فقال لي يا أبا عباد لولا ملالة الحديث وثقل إطالة الجلوس لاستكثرت منك فاعذر فخرجت من عنده وإنه لأجل الناس عندي ورجعت إلى المدينة فتحدثت بحديثه وعجبت من فطنته وقيافته فما رأيت إنسانا إلا وهو أجل منه في عيني وذكرت جميلا وبثينة فقلت ليتني عرفت إنسانا يحدثني بقصة جميل وخبر الشعر فأكون قد أخذت بفضيلة الأمر كله في الغناء والشعر

خبر لقاء جميل وبثينة

فسألت عن ذلك فإذا الحديث مشهور وقيل لي إن أردت أن تخبر بمشاهدته فأت بني حنظلة فإن فيهم شيخا منهم يقال له فلان يخبرك الخبر فأتيت الشيخ فسألته فقال نعم بينا أنا في الربيع إذا أنا برجل منطو على رحله كأنه جان فسلم علي ثم قال ممن أنت يا عبد الله فقلت أحد بني حنظلة قال فانتسب فانتسبت حتى بلغت إلى فخذي الذي أنا منه ثم سألني عن بني عذرة أين نزلوا فقلت له هل ترى ذلك السفح فإنهم نزلوا من ورائه قال يا أخا بني حنظلة هل لك في خير تصطنعه إلي فو الله لو أعطيتني ما أصبحت تسوق من هذه الإبل ما كنت بأشكر مني لك عليه فقلت نعم ومن أنت أولا قال لا تسألني من أنا ولا أخبرك غير أني رجل بيني وبين هؤلاء القوم مايكون بين بني العم فإن رأيت أن تأتيهم فإنك تجد القوم في مجلسهم فتنشدهم بكرة أدماء تجر خفيها غفلا من السمعة فإن ذكروا لك شيئاً فذاك وإلا استأذنتهم في البيوت وقلت إن المرأة والصبي قد يريان ما لايرى الرجال فتنشدهم ولا تدع أحد تصيبه عينك ولا بيتا من بيوتهم إلا نشدتها فيه فأتيت القوم فإذا هم على جزور يقتسمونها فسلمت وانتسبت لهم ونشدتهم ضالتي فلم يذكروا لي شيئاً فاستأذنتهم في البيوت وقلت إن الصبي والمرأة يريان ما لاترى الرجال فأذنوا فأتيت أقصاها بيتا ثم استقريتها بيتا بيتا أنشدهم فلا يذكرون شيئاً حتى إذا انتصف النهار وآذاني حر الشمس وعطشت وفرغت من البيوت وذهبت لأنصرف حانت مني التفاته فإذا بثلاثة أبيات فقلت ما عند هؤلاء إلا ما عند غيرهم ثم قلت لنفسي سوءة وثق بي رجل وزعم أن حاجته تعدل مالي ثم آتيه فأقول عجزت عن ثلاثة أبيات فأنصرفت عامدا إلى أعظمها بيتا فإذا هو قد أرخي مؤخره ومقدمه فسلمت فرد علي السلام وذكرت ضالتي فقالت جارية مهنم يا عبد الله قد أصبت ضالتك وما أظنك إلا قد اشتد عليك الحر واشتهيت الشراب قلت أجل قالت ادخل فدخلت فأتتني بصحفه فيها تمر من تمر هجر وقدح فيه لبن والصحفه مصرية مفضضة والقدح مفضض لم أر إناء قط أحسن منه فقالت دونك فتجمعت وشربت من اللبن حتى رويت ثم قلت يا أمة الله والله ما أتيت اليوم أكرم منك ولا أحق بالفضل فهل ذكرت من ضالتي شيئاً فقالت هل ترى هذه الشجرة فوق الشرف قلت نعم قالت فإن الشمس غربت أمس وهي تطيف حولها ثم حال الليل بيني وبينها فقمت وجزيتها الخير وقلت والله لقد تغذيت ورويت فخرجت حتى أتيت الشجرة فأطفت بها فو الله ما رأيت من أثر فأتيت صاحبي فإذا هو متشح في الإبل بكسائه ورافع عقيرته يغني قلت
السلام عليك قال وعليك السلام ما وراءك قلت ما ورائي من شيء قال لا عليك فأخبرني بما فعلت فاقتصصت عليه القصة حتى انتهيت إلى ذكر المرأة وأخبرته بالذي صنعت فقال قد أصبت طلبتك فعجبت من قوله وأنا لم أجد شيئاً ثم سألني عن صفة الإناءين الصحفة والقدح فوصفتهما له فتنفس الصعداء وقال قد أصبت طلبتك ويحك ثم ذكرت له الشجرة وأنها رأتها تطيف بها فقال حسبك فمكثت حتى إذا أوت إبلي إلى مباركها دعوته إلى العشاء فلم يدن منه وجلس مني بمزجر الكلب فلما ظن أني قد نمت رمقته فقام إلى عيبة له فاستخرج منها بردين فأتزر بأحدهما وتردى بالآخر ثم انطلق عامدا نحو الشجرة واستبطنت الوادي فجعلت أخفي نفسي حتى إذا خفت أن يراني انبطحت فلم أزل كذلك حتى سبقته إلى شجرات قريب من تلك الشجرة بحيث أسمع كلامهما فاستترت بهن وإذا صاحبته عند الشجرة فأقبل حتى كان منها غير بعيد فقالت اجلس فو الله لكأنه لصق بالأرض فسلم عليها وسألها عن حالها أكرم سؤال سمعت به قط وأبعده من كل ريبة وسألته مثل مسالته ثم أمرت جارية معها فقربت إليه طعاما فلما أكل وفرغ قالت أنشدني ما قلت فأنشدها
(عَلِقتُ الهَوى منها وَليداً فلم يزل ... إلى اليومِ يَنْمي حبُّها ويزيدُ)
فلم يزالا يتحدثان ما يقولان فحشا ولا هجرا حتى التفتت التفاتة فنظرت إلى الصبح فودع كل واحد منهما صاحبه أحسن وداع ما سمعت به قط ثم انصرفا فقمت فمضيت إلى إبلي فاضطجعت وكل واحد منهما يمشي خطوة ثم يلتفت إلى صاحبه فجاء بعدما أصبحنا فرفع برديه ثم قال يا أخا بني تميم حتى متى تنام فقمت وتوضأت وصليت وحلبت إبلي وأعانني عليها وهو أظهر الناس سرورا ثم
دعوته إلى الغداء فتغدى ثم قام إلى عيبته فافتتحها فإذا فيها سلاح وبردان مما كسته الملوك فأعطاني أحدهما وقال أما والله لو كان معي شيء ما ذخرته عنك وحدثني حديثه وانتسب لي فإذا هو جميل بن معمر والمرأة بثينة وقال لي إني قد قلت أبياتا في منصرفي من عندها فهل لك إن رأيتها أن تنشدها قلت نعم فأنشدني

(وما أنْس مِ الأشياءِ لا أنْس قولَها ... وقد قرّبتْ نِضْوي أَمِصْرَ تُرِيدُ)
الأبيات ثم ودعني وأنصرف فمكث حتى أخذت الإبل مراتعها ثم عمدت إلى دهن كان معي فدهنت به رأسي ثم ارتديت بالبرد وأتيت المرأة فقلت السلام عليكم إني جئت أمس طالبا واليوم زائرا أفتأذنون قالت نعم فسمعت جويزيه تقول لها يا بثينة عليه والله برد جميل فجعلت اثني على ضيفي وأذكر فضله وقلت إنه ذكرك فاحسن الذكر فهل أنت بارزة لي حتى أنظر إليك قالت نعم فلبست ثيابها ثم برزت ودعت لي بطرف ثم قالت يا أخا بني تميم والله ما ثوباك هذان بمشتبهين ودعت بعيبتها فأخرجت لي ملحفة مروية مشبعة من العصفر ثم قالت أقسمت عليك لتقومن إلى كسر البيت ولتخلعن مدرعتك ثم لتأتزرن بهذه الملحفة فهي أشبه ببردك ففعلت ذلك وأخذت مدرعتي بيدي فجعلتها إلى جانبي وأنشدتها الأبيات فدمعت عيناها وتحدثنا طويلا من النهار ثم انصرفت إلى إبلي بملحفة بثينة وبرد جميل ونظرة من بثينة
قال معبد فجزيت الشيخ خيرا وانصرفت من عنده وأنا والله أحسن الناس حالا بنظرة من الغريض واستماع لغنائه وعلم بحديث جميل وبثينة فيما غنيت أنا به وفيما غنى به الغريض على حق ذلك وصدقه فما رأيت ولا سمعت بزوجين قط احسن من جميل وبثينة ومن الغريض ومني
نسبة هذه الأصوات التي ذكرت في هذا الخبر
وهي كلها من قصيدة واحدة
منها
صوت
(عَلِقتُ الهوى منها وليداً فلم يزلْ ... إلى اليومِ يَنْمِي حبُّها ويَزِيدُ)
(وأفنيتُ عُمْرِي في انتظاري نوالَهَا ... وأفنتْ بذاكَ الدهْرَ وهو جديدُ)
(فلا أنا مردودٌ بما جِئتُ طالباً ... ولا حُبُّها فيما يَبِيدُ يَبِيدُ)
(وما أنسَ مَ الأشياءِ لا أنسَ قولَها ... وقد قَرّبت نِضْوي أمِصرَ تريدُ)
(ولا قولها لولا العيونُ التي ترى ... لَزُرتُك فاعذِرْني فدتْك جُدُودُ)
(إذا قلتُ ما بي يا بُثَيْنَةُ قاتِلِي ... من الحبّ قالتْ ثابتٌ ويَزيدُ)
(وإن قلتُ رُدِّي بعضَ عقلي اعِشْ به ... تَوَلَّتْ وقالتْ ذاك منكَ بَعِيدُ)
- عروضه - من الطويل
الشعر لجميل بن معمر
والغناء لمعبد في الأول والثاني والثالث والسادس والسابع
ولحنه ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق وعمرو بن بانه
وذكر عمرو والهشامي أن فيه ثقيلا أول آخر للهذلي وأن فيه خفيف ثقيل ينسب إلى معبد وإلى الغريض وإلى إبراهيم أوله وما أنس مِ الأشياء
وفي الأربعة الابيات الأول ثاني ثقيل بالبنصر لابن أبي قباحة
ولإسحاق في الثالث والسادس ثاني ثقيل آخر بالوسطى عن الهشامي
وأول هذه القصيدة فيه غناء أيضا وهو موصول بأبيات أخر
صوت
(ألا لَيتَ رَيْعانَ الشبابِ جديدُ ... ودهراً تَوَلّى يا بُثَيْنُ يعودُ)
(فنَغْنَى كما كنّا نكون وأنتم ... قريبٌ وما قد تَبْذُلِين زَهِيدُ)
(ألاَ ليتَ شِعْري هل أبيتَنّ ليلةً ... بوادي القُرَى إني إذاً لسعيدُ)
(وهل أَلْقَيْن سُعْدَى من الدهر ليلةً ... ومارثٌ من حبل الصفاء جديدُ)
(فقد تَلْتَقِي الأهواءُ بعد تَفاوُتٍ ... وقد تُطْلَبُ الحاجاتُ وهي بَعِيدُ)
في البيتين الأولين خفيف ثقيل مطلق في مجرى البنصر ذكر حبش أنه لإسحاق وليس يشبه أن يكون له
وفي الثالث وما بعده لابن سريج ثاني ثقيل بالبنصر عن حبش أيضا
أخبرني إسماعيل بن يونس إجازة قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان قال حدثني الوليد بن هشام عن محمد بن معن عن خالد بن سلمة المخزومي قال
خرجت مع أعمامي وأنا على نجيب ومعنا شيخ فلما أسحرنا قال لي أعمامي انزل عن نجيبك واحمل عليه هذا الشيخ واركب جملة ففعلت فإذا الشيخ قد أخرج عودا له من غلاف ثم ضرب به وغنى
(هاجَ الغَرِيضَ الذِّكَرُ ... لمّا غَدَوْا فانْشَمَرُوا)
فقلت لبعض أصحابنا من هذا قال الغريض
نسبة هذا الصوت
صوت
(هاجَ الغَرِيضَ الذِّكَرُ ... لمّا غَدَوْا فانْشَمَرُوا)
(عَلى بِغالٍ شُحَّجٍ ... قد ضَمَّهُنّ السفَرُ)
(فيهنّ هِنْدٌ ليتَنِي ... ما عُمِّرتْ أُعَمَّرُ)
(حتىإذاماجاءها ... حَتْفٌ أتانِي القَدَرُ)
عروضه من الرجز
الذي قال عمر
(... هاجَ القَرِيضَ الذِّكَرُ)
بالقاف فجعله الغريض لما غني فيه الغريض يعني نفسه
الشعر لعمربن أبي ربيعة
والغناء لابن سريج
ذكر يونس أن له فيه لحنين
وذكر إسحاق أن أحدهما رمل مطلق في مجرى البنصر ولم يذكر الآخر وذكر الهشامي أن الآخر خفيف رمل

وفيه للغريض ثقيل أول بالبنصر وقيل إنه لحن ابن سريج وإن خفيف الرمل للغريض
وأول هذا الصوت في كتاب يونس
(هاج فؤادي مَحْضَرٌ ... بذي عُكاظٍ مُقْفِرُ)
(حتّى إذا ما وازنوا المَرْوَةَ ... حين ائْتَمَروا)
(قيل انزلُوا فَعَرِّسُوا ... من لِيلِكم وانشمِرُوا)
(وقولُها لأختها ... أمطْمَئِنٌّ عُمرُ)
الغريض يغني الوليد في مكة
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال وذكر السعدي
أن الوليد بن عبد الملك قدم مكة فأراد أن يأتي الطائف فقال هل من رجل عالم يخبرني عنها فقالوا عمر بن أبي ربيعة قال لا حاجة لي به ثم عاد فسأل فذكروه ثم عاد فذكروه فقال هاتوه وركب معه فجعل يحدثه ثم حول عمر رداءه ليصلحه على نفسه فرأى الوليد على ظهره أثرا فقال ما هذا الأثر قال كنت عند جارية لي إذ جاءتني جارية برسالة من عند جارية أخرى وجعلت تسارني بها فغارت التي كنت عندها فعضت منكبي فما وجدت ألم عضتها من لذة ما كانت تلك تنفث في أذني حتى بلغت ماترى والوليد يضحك
فلما رجع عمر قيل له ما الذي كنت تضحك به أمير المؤمنين قال ما زلنا في حديث الزنا حتى رجع
وكان قد حمل الغريض معه فقال له يا أمير المؤمنين إن عندي أجمل الناس وجها وأحسنهم حديثا فهل لك أن تسمعه قال هاته فدعا به فقال أسمع أمير المؤمنين أحسن شيء قلته فاندفع يغني بشعر عمر ومن الناس من يرويه لجميل
صوت
(إني لأحفَظُ سِرَّكم وَيسُرُّني ... لو تعلمين بصالح أن تُذْكَري)
(ويكون يومٌ لا أرَى لكِ مُرْسَلاً ... أو نَلتقِي فيه عليّ كأشهُر)
(يا ليتني ألقَى المنيّةَ بغْتةً ... إنْ كان يومُ لقائكم لم يُقْدَرِ)
(ما كنتِ والوعدَ الذي تَعِدِينَنِي ... إلاّ كَبرْقِ سَحَابةٍ لم تَمْطُرِ)
(تُقْضَي الدّيونُ وليس يُنْجِزُ عاجلاً ... هذا الغريمُ لنا وليس بِمُعْسِرِ)
عروضه من الكامل وذكر حَبَش أن الغِنَاء للغَرِيض ولحنه ثقيل أوّل
بالبنصرقال فاشتد سرور الوليد بذلك وقال له ياعمر هذه رقيتك ووصله وكساه وقضى حوائجه
رأي نصيب في عمر وجميل وكثير
أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا الحارث بن محمد عن المدائني عن عوانة قال حدثني رجل من أهل الكوفة قال
قدم نصيب الكوفة فأرسلني أبي إليه وكان له صديقا فقال أقرئه مني السلام وقال له إن رأيت أن تهدي لنا شيئا مما قلت فأتيته في يوم جمعة وهو يصلي فلما فرغ أقرأته السلام وقلت له فقال قد علم أبوك أني لا أنشد في يوم الجمعة ولكن تلقاني في غيره فأبلغ ما تحب فلما خرجت وانتهيت إلى الباب رددت إليه فقال أترووي شيئا من الشعر قلت نعم قال فأنشدني فأنشدته قول جميل
(إني لأحفظُ غَيْبَكم ويَسرُّني ... لو تعلمين بصالِحٍ أن تُذْكَرِي)
الأبيات المتقدمة فقال نصيب أمسك أمسك لله دره ما قال أحد إلادون ما قال ولقد نحت للناس مثالا يحتذون عليه ثم قال أما أصدقنا في شعره فجميل وأما أوصفنا لربات الحجال فكثير وأما أكذبنا فعمر بن أبي ربيعة وأما أنا فأقول ما أعرف
وقال هارون بن محمد الزيات حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه
أن الغريض سمع أصوات رهبان بالليل في دير لهم فاستحسنها فقال له بعض من معه يا أبا يزيد صغ على مثل هذا الصوت لحنا فصاغ مثله في لحنه
(يا أمّ بكرٍ حُبِّك البادِي ... لا تَصْرِميني إنّني غادي) فما سمع بأحسن منه
نسبة هذا الصوت
صوت
(يا أمّ بكرٍ حُبِّك البادِي ... لا تَصْرِميني إنّني غادي)
(جَدّ الرحيلُ وحثَني صحْبي ... وأُريد إمتاعاً من الزّادِ)
- عروضه من مزاحف - الكامل
الشعر لسعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري
والغناء للغريض خفيف ثقيل أول بالوسطى
وفيه لابن المكي ثاني ثقيل بالوسطى عن حبش
وفيه لإبراهيم بن أبي الهيثم خرج
وأخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة عن أيوب بن عباية عن عمرو بن عقبة وكان يعرف بابن الماشطة قال
خرجت أنا وأصحاب لي فيهم إبراهيم بن أبي الهيثم إلى العقيق ومعنا رجل ناسك كنا نحتشم منه وكان محموما نائما وأحببنا أن نسمع من معنا من المغنين ونحن نهابه ونحتشمه فقلت له إن فينا رجلا ينشد الشعر فيحسن ونحن نحب أن نسمعه ولكنا نهابك قال فما علي منكم أنا محموم نائم فاصنعوا ما بدا لكم فاندفع إبراهيم بن أبي الهيثم فغنى
(يا أمّ بكرٍ حُبِّك البادِي ... لا تَصْرِميني إنّني غادي)
(جَدّ الرحيلُ وحثَني صحْبي ... وأُريد إمتاعاً من الزّادِ)
فأجاده وأحسنه
قال فوثب الناسك فجعل يرقص ويصيح أريد إمتاعا من الزاد والله أريد إمتاعا من الزاد ثم كشف عن أيره وقال أنا أنيك أم الحمى قال يقول لي ابن الماشطة اعتقت ما أملك إن كان ناك أم الحمى أحد قبله
أخبرني به الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أيوب فذكر الخبر ولم يذكر فيه كشف الناسك عن سوءته وما قاله بعد ذلك

وفاة الغريض
وكانت وفاة الغريض في أيام سليمان بن عبد الملك أو عمر بن عبد العزيز لم يتجاوزها والأشبة أنه مات في خلافة سليمان لأن الوليد كان ولي نافع بن علقمة مكة فهرب منه الغريض وأقام باليمن واستوطنها مدة ثم مات بها
وأخبرني بخبره الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المسيبي قال أخبرني بعض المخزوميين ايضا بخبره
وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان
أن نافع بن علقمة لما ولي مكة خافه الغريض وكان كثيرا ما يطلبه فلم يجئه فهرب منه واستخفى في بعض منازل اخوانه قال فحدثني رجل من أهل مكة كان يخدمه أنه دفع إليه يوما ربعة له وقال له صر بها إلى فلان العطار يملؤها لي طيبا قال فصرت بها إليه فلقيني نافع بن علقمة فقال هذه ربعة
الغريض والله فلم أقدر أن أكتمه فقلت نعم قال ما قصته فأخبرته الخبر فضحك وقال سر معي إلى المنزل ففعلت فملأها طيبا وأعطاني دنانير وقال أعطه وقل له يظهر فلا بأس عليه فسرت إليه مسرورا فأخبرته بذلك فجزع وقال الآن ينبغي أن أهرب إنما هذه حيلة احتالها علي لأقع في يده ثم خرج من وقته إلى اليمن فكان آخر العهد به
قال إسحاق فحدثني هذا المخزومي أن الغريض لما صار إلى اليمن وأقام به اجتزنا به في بعض أسفارنا قال فلما رآني بكى فقلت له ما يبكيك قال بأبي أنت وأمي وكيف يطيب لي أن أعيش بين قوم يرونني أحمل عودي فيقولون لي يا هناه أتبيع آخرة الرحل فقلت له فارجع إلى مكة ففيها أهلك فقال يابن أخي إنما كنت أستلذ مكة وأعيش بها مع أبيك ونحوه وقد أوطنت هذا المكان ولست تاركه ما عشت قلنا له فغننا بشيء من غنائك فتأبى ثم أقسمنا عليه فأجاب وعمدنا إلى شاة فذبحناها وخرطنا من مصرانها أوتارا فشدها على عوده واندفع فغنى في شعر زهير
جَرَى دَمْعي فهيَّج لي شُجُونا ... فقلبي يُسْتَجَنُّ به جُنونا) فما سمعنا شيئا أحسن منه فقلنا له ارجع إلى مكة فكل من بها يشتاقك
ولم نزل نرغبه في ذلك حتى أجاب إليه ومضينا لحاجتنا ثم عدنا فوجدناه عليلا فقلنا ما قصتك قال جاءني منذ ليال قوم وقد كنت أغني في الليل فقالوا غننا فأنكرتهم وخفتهم فجعلت أغنيهم فقال لي بعضهم غنني
(لقد حَثُّوا الجمالَ لَيهْرُبوا ... منّا فلم يَئِلُوا)
ففعلت فقام إلي هن منهم أزب فقال لي أحسنت والله ودق رأسي حتى سقطت لا أدري أين أنا فأقمتُ بعد ثالثة وأنا عليل كما ترى ولا أراني إلا سأموت قال فأقمنا عنده بقية يومنا ومات من غد فدفناه وانصرفنا
أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة عن أبي غسان قال
زعم المكيون أن الغريض خرج إلى بلاد عك فغنى ليلا
هُمُ رَكْبٌ لَقُوا ركباً ... كما قد تجمعُ السُّبُلُ) فصاح به صائح اكفف يا أبا مروان فقد سفهت حلماءنا وأصبيت سفهاءنا قال فأصبح ميتا أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن الخطاب قال حدثنا رجل من آل أبي قبيل يقال له محرز عن أبي قبيل قال رأيت الغريض وقال إسحاق في خبره المذكور حدثني محمد بن سلام عن أبي قبيل وهو مولى لآل الغريض قال
شهدت مجمعا لآل الغريض إما عروسا أو ختانا فقيل له تغن فقال هو ابن زانية إن فعل فقال له بعض مواليه فأنت والله كذلك قال أو كذلك أناقال نعم قال أنت أعلم بي والله ثم أخذ الدف فرمى به وتمشى مشية لم أر أحسن منها ثم تغنى
(تَشَرَّبَ لونَ الرَّازقيِّ بياضُه ... أو الزعفرانِ خالط المِسكَ رادعُهْ)
فجعل يغنيه مقبلا ومدبرا حتى التوت عنقه وخر صريعا وما رفعناه إلا ميتا وظننا أن فالجاً عاجله
قال إسحاق وحدثني ابن الكلبي عن أبي مسكين قال إنما نهته الجن أن يتغنى بهذا الصوت فلما أغضبه مواليه تغناه فقتلته الجن في ذلك
نسبة هذه الأصوات
صوت
منها
(جَرَى دَمْعي فهيَّج لي شُجُونَا ... فقلبي يُسْتَجَنُّ به جُنونا)
(أأبكي للفِراَق وكلُّ حيٍّ ... سيبكي حين يَفْتَقِد القَرينا)
(فإن تُصْبح طُلَيْحَةُ فارقتني ... بَبيْنٍ فالرزيّةُ أن تَبينا)
(فقد بانتْ بكُرْهِي يوم بانتْ ... مُفَارِقةً وكنتُ بها ضَنِينا)
الشعر لزهير والغناء للغريض عن حبش
وقيل إنه لدحمان وفيه لأبي الورد خفيف رمل بالوسطى عن حبش والهشامي
انقضت أخبار الغريض
ومنها
صوت
من المائة المختارة في رواية جحظة
(لقد حَثُّوا الجمالَ ليهربُوا ... منّا فلم يَئِلُوا)
(على آثارِهنَّ مُقَلّص ... السِّرْبال مُعْتَمِلُ)
(وفيهم قلبُك المَتبولُ ... بالحسناء مُخْتَبَلُ)
(مُخَفَّفة بحَمْل حمائل ... الدِّيباج والحُلَل)
(أسائل عاصما في السِّرِّ ... أيْن تُراهُمُ نَزَلُوا)
(فقال هُمُ قَريبٌ منكَ ... لو نفعوك إذ رَحَلُوا)
الشعر للحكم بن عبدل الأسدي والغناء في اللحن المختار للغريض ولحنه خفيف ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى في الأول والثاني من الأبيات
وذكر الهشامي أن فيهما لحنا لمعبد من الثقيل الأول
وفي الثالث وما بعده من الأبيات لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق
وفيها لإبراهيم ثقيل أول بالوسطى عن حبش

وذكر أحمد بن عبيد أن الذي صح فيه أربعة ألحان منها لحنان في خفيف الثقيل للغريض ومالك ولحنان في الرمل لابن سريج ومخارق
وذكر ابن الكلبي أن فيها لعريب رملا ثالثا وذكر حبش أن فيها لابن سريج خفيف رمل بالبنصر ولابن مسجح رملا بالبنصر ولابن سريج ثاني ثقيل بالبنصر
هذه الألحان كلها في لقد حثوا والذي بعده

أخبار الحكم بن عبدل ونسبه

هو الحكم بن عبدل بن جبلة بن عمرو بن ثعلبة بن عقال بن بلال بن سعد بن حبال بن نصر بن غاضرة بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة شاعر مجيد مقدم في طبقته هجاء خبيث اللسان من شعراء الدولة الأموية وكان أعرج أحدب
ومنزله ومنشؤه الكوفة

الأعمى الذي لا يرد طلبه

أخبرني محمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن إسرائيل قال حدثنا محمد بن إدريس القيسي بواسط قال حدثنا العتبي قال
كان الحكم بن عبدل الأسدي أعرج لا تفارقه العصا فترك الوقوف بأبواب الملوك وكان يكتب على عصاه حاجته ويبعث بها مع رسله فلا يحبس له رسول ولا تؤخر له حاجة فقال في ذلك يحيى بن نوفل
(عَصَا حَكَمٍ في الدار أوّلُ داخلٍ ... ونحنُ على الأبواب نُقْصى ونُحْجَبُ)
(وكانتْ عَصَا موسى لِفِرْعَوْنَ آيةً ... وهذي لعمرُ اللّه أدهَى وأعجبُ)
تُطاعُ فلا تُعْصى ويُحْذَرُ سُخْطُها ... ويُرْغَبُ في المَرْضاة منها وتُرْهَبُ) قال فشاعت هذه الأبيات بالكوفة وضحك الناس)
منها فكان ابن عبدل بعد ذلك يقول ليحيى يابن الزانية ما أردت من عصاي حتى صيرتها ضحكة واجتنب أن يكتب عليها كما كان يفعل وكاتب الناس بحوائجه في الرقاع
أخبرني عمي قال حدثنا الكراني وأخبرني ابن عمار قال حدثني يعقوب بن
نعيم قال حدثنا أبو جعفر القرشي قال
كان للحكم بن عبدل صديق أعمى يقال له أبو علية وكان ابن عبدل قد أقعد فخرجا ليلة من منزلهما إلى منزل بعض إخوانهما والحكم يحمل وأبو علية يقاد فلقيهما صاحب العسس بالكوفة فأخذهما فحبسهما فلما استقرا في الحبس نظر الحكم إلى عصا أبي علية موضوعة إلى جانب عصاه فضحك وأنشأ يقول
(حَبْسِي وحَبْسُ أبي عُلَيّة ... من أعاجيبِ الزمان)
(أعْمى يُقَادُ ومُقْعَدٌ ... الرِّجْلُ منه ولا اليَدَانِ)
(هذا بلا بَصَرٍ هناكَ ... وبي يَخُبُّ الحاملانِ)
(يا مَنْ رأى ضبَّ الفَلاَةِ ... قَرِينَ حُوتٍ في مكانِ)
(طِرْفِي وطِرْفُ أبي عُلَيَّةَ ... دَهْرَنا مُتَوافقانِ)
(مَنْ يَفْتَخِرْ بجوادِهِ ... فَجِيَادُنا عُكَّازتانِ)
(طِرْفانِ لا عَلَفَاهُمَا ... يُشْرَى ولا يَتَصَاوَلاَنِ)
(هَبْنِي وإيّاه الحريقَ ... أكان يَسْطَع بالدُّخانِ)
قال وكان اسم أبي علية يحيى فقال فيه الحكم أيضا
(أقول ليحيى ليلةَ الحبسِ ساهِراً ... ونَوْمِي به نَوْمُ الأسيرِ المُقَيَّدِ)
(أعِنِّي علي رَعْيِ النجومِ ولحْظِها ... أُعِنْكَ علي تحبيرِ شِعْرٍ مُقَصَّدِ)
((ففي حالتَيْنا عِبرةٌ وتَفَكُّرٌ ... وأعجبُ شيءٍ حَبْسُ أعمَى ومُقْعَدِ
(كِلاَنا إذا العُكَّازُ فارقَ كَفَّهُ ... يُنِيخ صَرِيعاً أو على الوجه يَسْجُدُ)
(فعُكَّازة تَهْدِي إلى السُّبْل أكْمَهاً ... وأُخْرى مَقَامَ الرِّجل قامت مع اليَدِ)
إجتماع العرجان
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل قال حدثني أحمد بن بكير الأسدي قال حدثني محمد بن أنس السلامي الأسدي عن محمد بن سهل راوية الكميت قال
ولي الشرطة بالكوفة رجل أعرج ثم ولي الإمارة آخر أعرج وخرج ابن عبدل وكان أعرج فلقي سائلاً اعرج وقد تعرض للأمير يسأله فقال ابن عبدل للسائل
(ألْقِ العصا ودَعِ التخامُعَ والتَمِسْ ... عَمَلاً فهَذِي دَوْلَةُ العُرْجَانِ)
(لأميرنا وأميرِ شُرْطَتِنَا معاً ... يا قَوْمَنا لِكلَيْهِمَا رِجْلاَنِ)
فإذا يكونُ أميرنا ووزيرُنا ... وأنَا فإنّ الرابعَ الشيطانُ) فبلغت أبياته ذلك الأمير فبعث إليه بمائتي درهم وسأله أن يكف)
عنه
وحدثنيه الأخفش عن عبيد الله اليزيدي عن سليمان بن أبي شيخ عن محمد بن الحكم عن عوانة عن عمر بن عبد العزيز قال
ولي عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب الكوفة وضم إليه رجل
من الأشعريين يقال له سهل وكانا جميعا ين ثم ذكر باقي الحديث مثل حديث يعقوب بن نعيم

الحكم وعبد الملك بن بشر بن مروان

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن بشر بن مروان فجعل قعنب بن المحرز الباهلي عن الهيثم الأحمري قال
كانت لابن عبدل الأسدي حاجة إلى عبد الملك بن إسرائيل عن يدخل عليه ولا يتهيأ له الكلام حتى جاءه رجل فقال إني رأيت لك رؤيا فقال هاتها فقصها عليه فقال ابن عبد وأنا قد رأيت أيضا قال هات ما رأيت فقال
(أَغْفيتُ قبلَ الصبح نومَ مُسَهَّدٍ ... في ساعةٍ ما كنتُ قبلُ أنامُها)
(فَحَبوتَني فيما أرى بوليدةٍ ... مَغْنوجةٍ حَسَنٍ عليّ قِيامُها)

(وبِبَدْرةٍ حُمِلتْ إليّ وبغلةٍ ... شَهْباء ناجيةٍ يَصِلُّ لِجامُها)
ليتَ المنابرَ يابنَ بشْرٍ أصبحتْ ... تُرقَى وأنتَ خطيبُها وإمامُها) فقال له ابن بشر إذا رأيت هذا في اليقظة أتعرفه قال)
نعم وإنما رأيته قبيل الصبح قال يا غلام ادع فلانا فجاء بوكيله فقال هات فلانة فجاءت فقال أين هذه مما رأيت قال هي
هي وإلا فعليه وعليه ثم دعا له ببدرة فقال مثل ذلك وببغلة فركبها وخرج فلقيه قهرمان عبد الملك قال أتبيعها قال نعم
قال بكم قال بستمائة قال هي لك فأعطاه ستمائة فقال له أما والله لو أبيت إلا ألفا لأعطيتك قال إياي تندم لو أبيت إلا
ستة لبعتك

الحكم يهجو محمد بن حسان

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن الهيثم عن ابن عياش عن لقيط قال
تزوج محمد بن حسان بن سعد التميمي امرأة من ولد قيس بن عاصم وهي ابنة مقاتل بن طلبة بن قيس زوجها إياه
رجل منهم يقال له زياد فقال ابن عبدل
أباعَ زيادٌ سوَّد الله وجهَهُ ... عَقيلَةَ قومٍ سادةٍ بالدراهم) (وما كان حسّانُ بن سعدٍ ولا ابُنه ... أبو المسك من أكفاء)
(قَيْسِ بن عاصمِ
(ولكنّه ردُ الزمانَ على استِهِ ... وضَيَّع أمرَ المُحصَناتِ الكرائم)
(خُذِي دِيَةً منه تكُنْ لكِ عُدَّةً ... وجيئي إلى بابِ الأمير فخاصمي)
(فلو كنتَ في رَوْحٍ لما قَلتُ خاصمِي ... ولكنَّما أُلْقِيت في سجن عارمِ)
قال فلما بلغ أهلها شعره أنفوا من ذلك فاجتمعوا على محمد بن حسان حتى فارقها
قال وكان محمد بن حسان عاملا على بعض كور السواد فسأله ابن عبدل حاجة فرده عنها فقال فيه هذا الشعر وغيره
وهجاه هجاءً كثيرا
أخبرني بهذا الخبر محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا أحمد بن بكير الأسدي عن
محمد بن بشر السلامي عن محمد بن سهل راوية الكميت فذكر نحوا مما ذكره عمي وزاد فيه قال
وكانت المرأة التي تزوجها معاذة بنت مقاتل بن طلبة فلما سمعت ما قال
حذف
ابن عبدل فيها نشزت على زوجها وهربت إلى أهلها فتوسطوا مابينهما وافتُدِيَتْ منه بمال وفارقها
أخبرني عمي قال حدثني الكراني عن العمري عن عطاء عن يحيى بن نصر أبي زكريا قال
سمع ابن عبدل الأسدي امرأة وهي تتمشى بالبلاط تتمثل بقوله
(أُعسِرُ أحياناً فتشتدّ عُسْرَتي ... وأُدْرِكُ ميسورَ الغِنَى ومَعي عِرْضي)
فقال لها ابن عبدل وكان قريبا منها يا أخيا أتعرفين قائل هذا الشعر قالت نعم ابن عبدل الأسدي قال أفتثبتينه معرفة
قالت لا قال فأنا هو وأنا الذي أقول
(وأُنْعِظُ أحياناً فينقدُّ جلدُهُ ... وأعذِلُهُ جُهْدِي فلا ينفعُ العَذْلُ)
(وأزدادُ نَعْظاً حين أُبصِرُ جارتي ... فأُوثِقُهُ كيما يَثُوبَ له عَقْلُ)
(وربَّتما لم أدْرِ ما حِيلَتي له ... إذا هو آذاني وغَرَّ به الجهلُ)
(فآويتُهُ في بطن جاري وجارتي ... مكابرةً قُدْما وإنْ رَغِم البَعْلُ)
فقالت له المرأة بئس والله الجار للمغيبة أنت فقال إي والله وللتي معها زوجها وأبوها وابنها وأخوها

ابن هبيرة لايخيب أمل الحكم

أخبرني محمد بن زكريا الصحاف قال حدثنا قعنب بن المحرز الباهلي قال حدثنا الهيثم بن عدي وأخبرني به حبيب بن
نصر المهلبي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني علي بن الحسن قال حدثني أبو خالد الخزاعي الأسلمي عن
الهيثم بن عدي عن ابن عياش قال : قدم الحكم بن عبدل الشاعر الكوفي واسطا على ابن هبيره وكان بخيلا فأقبل حتى
وقف بين يديه ثم قال
(أتيتك في أمرٍ مِنَ أمر عشيرتي ... وأَعْيَا الأمورِ المُفْظِعَاتِ جَسِيمُها)
فإن قلتَ لي في حاجتي أنا فاعلٌ ... فقد ثَلِجَتْ نفسي وولّتْ همومُها) قال أنا فاعل إن اقتصدت فما حاجتك قال غرم)
لزمني في حمالة قال وكم هي قال أربعة الاف قال نحن مناصفوكها قال أصلح الله الأمير أتخاف علي التخمة إن أتممتها
قال أكره أن أعود الناس هذه العادة قال فأعطني جميعها سرا وامنعني جميعها ظاهرا حتى تعود الناس المنع وإلا فالضرر
عليك واقع إن عودتهم نصف ما يطلبون فضحك ابن هبيرة قال ما عندنا غير ما بذلناه لك فجثا بين يديه وقال امرأته طالق
لاأخذت أقل من أربعة آلاف أو أنصرف وأنا غضبان قال أعطوه إياها قبحه الله فإنه ما علمت حلاف مهين فأخذها وانصرف
أخبرني حبيب بن نصرالمهلبي قال حدثنا العنزي قال حدثني محمد بن
معاوية الأسدي قال حدثني مشايخنا من بني أسد محمد بن أنس وغيره قالوا

طاعون الكوفة ورثاء ابن عبدل

لما وقع الطاعون بالكوفة أفنى بني غاضرة ومات فيه بنو زر بن حبيش الغاضري صاحب علي بن أبي طالب عليه السلام
وكانوا ظرفاء وبنو عم لهم فقال الحكم بن عبدل الغاضري يرثيهم
(أبعدَ بني زرٍّ وبعدَ ابن جَنْدَلٍ ... وعمرو أُرَجِّي لذَّة العيش في خَفْضِ)
(مَضَوْا وبَقِينا نأمُلُ العيشَ بعدَهم ... ألاَ إنّ مَنْ يَبْقَى على إثْرِ مَنْ يَمْضي)
(فقد كان حَوْلي من جِيَادٍ وسالمٍ ... كُهُولٌ مَسَاعِيرٌ وكلٌّ فتىً بَضِّ)
(يَرَى الشُّحَّ عاراً والسماحةَ رِفْعَةً ... أغرُّ كعودِ البانةِ الناعمِ الغَضِّ)

هجاء محمد بن حسان

قال أبو الفرج ونسخت من كتاب أبي محلم قال سأل الحكم بن عبدل أخو بني نصر بن قعين محمد بن حسان بن سعد
حاجة لرجل سأله مسألته إياها فرده ولم يقضها فقال فيه ابن عبدل
(رأيتُ محمداً شَرِهاً ظَلوماً ... وكنتُ أراهُ ذا وَرَعٍ وقَصْدِ)
(يقول أماتني ربِّي خِدَاعاً ... أماتَ اللهُ حسّانَ بن سَعْدِ)
(فلولا كَسْبُه لَوجِدْتَ فَسْلاً ... لَئِيم الكَسْب شأنُك شأنُ عَبْدِ)

(رَكِبتُ اليه في رَجُلٍ أتاني ... كريمٍ يَبْتغي المعروفَ عندي)
(فقلتُ له وبعضُ القولِ نُصْحٌ ... ومنه ما أُسِرُّ له وأُبْدِي)
(تَوَقَّ دراهمَ البَكْرِيِّ إني ... أخافُ عليك عاقِبَةَ التعدِّي)
(أُقَرِّبُ كلَّ اصِرةٍ ليدنو ... فما يزدادُ مِنِّي غيرَ بُعْدِ)
(فأُقسِمُ غيرَ مُسْتثنٍ يميناً ... أبا بَخْرٍ لتّخمَنَّ رَدِّي)
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني احمد بن بكير الأسدي قال حدثني محمد بن أنس السلامي قال حدثني محمد بن سهل الأسدي راوية الكميت
أن الحكم بن عبدل الأسدي أتى محمد بن حسان بن سعد التميمي وكان على خراج الكوفة فكلمه في رجل من العرب أن يضع عنه ثلاثين درهما من خراجه فقال أماتني الله إن كنت أقدر أن أضع من خراج أمير المؤمنين شيئا فانصرف ابن عبدل وهو يقول
(دَعِ الثلاثين لا تَعْرِض لصاحبها ... لا باركَ اللهُ في تلك الثلاثينا)
(لَمّا علا صوتُه في الدار مُبْتَكِرا ... كأشتفان يرى قوماً يَدُوسونا)
(أحسِنْ فإنّك قد أُعطيتَ مملكةً ... إمارةً صرتَ فيها اليومَ مَفتونا)
(لايُعطِك اللهُ خيراً مثلَها أبداً ... أقسمتُ بالله إلاّ قلتَ آمينا)
قال فلم يضع له شيئا مما على الرجل فقال فيه
(رأيتُ محمداً شَرِهاً ظَلُوماً ... وكنتُ أراهُ ذا وَرَعٍ وقَصْدِ)
(يقولُ أماتني ربِّي خداعاً ... أماتَ اللهُ حَسّانَ بنَ سَعْدِ)
(فما صادفتَ في قَحْطان مِثْلي ... ولا صادفتُ مِثْلَكَ في مَعَدِّ)
(أقلَّ براعةً وأشدَّ بُخْلاً ... وألأمَ عندَ مسألة وحَمْدِ)
(نجَوْتُ محمداً ودُخَانُ فيه ... كَريح الجَعْرِ فوقَ عَطِين جِلْدِ)
(فأُقسِمُ غيرَ مُسْتَثْنٍ يَمينا ... أبا بخرٍ لتَتَّخِمَنَّ ردِّي)
(فلو كنتَ المهذَّبَ من تميمٍ ... لَخِفْتَ ملامَتِي ورَجَوْتَ حَمْدِي
(نكهْتَ عليّ نَكْهَةَ أخْدَرِيٍّ ... شَتِيمٍ أعْصَلِ الأنياب وَرْدِ)
(فما يدنو إلى فَمِهِ ذُبابٌ ... ولو طُلِيَتْ مَشَافِرُهُ بِقَنْدِ)
(فإن أهديتَ لي من فِيك حَتْفا ... فإنِّي كالذي أهديتَ مُهْدِي)
قال محمد بن سهل وما زال ابن عبدل يزيد في قصيدته هذه الدالية حتى مات وهي طويلة جدا قال واشتهرت حتى إن كان المكاري ليسوق بغله أو حماره فيقول عد أمات الله حسان بن سعد فإذا سمع ذلك أبوه قال
بل أمات الله ابني محمدا فهو عرضني لهذا البلاء في ثلاثين درهما
ابن عبدل وأبو المهاجر وعمر الأسدي
أخبرني أحمد بن محمد بن زكريا الصحاف قال حدثنا قعنب بن محرز قال أخبرنا الهيثم بن عدي قال
دعا أبو المهاجر الحكم بن عبدل ليشرب عنده وله جارية تغني فغنت فقال ابن عبدل
(يا أبا المُهاجر قد أردتَ كرامتي ... فأهنتَني وضررتَني لو تَعْلَمُ)
(عند التي لو مَسَّ جِلْدِي جلدها ... يوماً بَقِيتُ مخلَّداً لا أهْرَمُ)
(أو كنتُ في أحْمَى جهنَّمَ بقعةً ... فرأيتُها بَرَدَتْ عليَّ جهنَّمُ)
قال فجعل أبو المهاجر يضحك ويقول له ويحك والله لو كان إليها سبيل لوهبتها لك ولكن لها مني ولد
أخبرنا الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني قال
كان عمر بن يزيد الأسدي مبخلا ووجده أبوه مع أمة له فكان يعير بذلك وجاءه الحكم بن عبدل الأسدي ومعه جماعة من قومه يسألونه حاجة فدخلوا إليه وهو يأكل تمرا فلم يدعهم إليه وذكروا له حاجتهم فلم يقضها فقال فيه ابن عبدل
(جِئْنا وبين يديه التمر في طَبَقٍ ... فما دعانا أبو حَفْصٍ ولا كادا)
(علا على جسمه ثوبان من دَنسٍ ... لؤمٌ وجُبْنٌ ولولا أيْرُه سادا)
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال أخبرنا محمد بن الحسن الأحول عن أبي نصر عن الأصمعي قال
كانت امرأة موسرة بالكوفة وكانت لها على الناس ديون بالسواد فاستعانت بابن عبدل في دينها وقالت إني امرأة ليس لي زوج وجعلت تعرض بأنها تزوجه نفسها
فقام ابن عبدل في دينها حتى اقتضاه فلما طالبها بالوفاء كتبت إليه
(سَيُخطئك الذي حاولتَ منّي ... فقطِّعْ حبلَ وصلك من حبالي)
(كما أخطاك معروفُ ابن بِشْرٍ ... وكنتَ تَعُدُّ ذلك رأسَ مالِ)
قال وكان ابن عبدل أتى ابن بشر بالكوفة فسأله فقال له أخمسمائة أحب إليك الآن عاجلة أم ألف في قابل قال ألف في قابل
فلما أتاه قال له ألف أحب إليك أم ألفان في قابل قال ألفان فلم يزل ذلك دأبة حتى مات ابن بشر وما أعطاه شيئا
أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن لقيط قال
دخل ابن عبدل على عبد الملك بن بشر فقال له ما أحدثت بعدي قال خطبت امرأة من قومي فردت علي جواب رسالتي ببيتي شعر قال وما هما قال قالت
(سخطئك الذي حاولتَ مني ... فقطّع حبلَ وصلك من حبالي)
كما أخطاك معروف ابن بشر ... وكنتَ تعدّ ذلك رأسَ مالِ) فضحك عبد الملك ثم قال لجاد ما أذكرت بنفسك وأمر له) بألفي درهم
ابن عبدل وبشر بن مروان
أخبرني أبو الحسن الأسدي وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا الحسن بن عليل قال حدثنا محمد بن معاوية الأسدي قال حدثني منجاب بن الحارث قال حدثني عبد الملك بن عفان قال
كان الحكم بن عبدل الأسدي ثم الغاضري صديقا لبشر بن مروان فرأى منه جفاء لشغل عرض له فغبر عنه شهرا ثم

التقيا فقال يابن عبدل مالك تركتنا وقد كنت لنا زوارا فقال ابن عبدل
(كنتُ أُثْني عليكَ خيراً فلمّا ... أضْمَرَ القلبُ من نَوالك ياسا)
(كنت ذا منْصِب قَنِيتُ حيائي ... لم أقُل غير أن هجرتُك باسا)
(لم أُطِق ما أردتَ بي يابن مروان ... سَتلقَى إذا أردتَ أناسا)
(يَقْبلون الخَسيس منك ويُثْنون ... ثناءً مُدَخْمَسا دِخْمَاسا)
فقال له لا نسومك الخسيس ولا نريد منك ثناء مدخمسا ووصله وحمله وكساه
أخبرني الأسدي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال وحدثني محمد بن معاوية قال حدثني منجاب بن الحارث عن عبد الملك بن عفان قال
أراد عمر بن هبيرة أن يغزي الحكم بن عبدل الغاضري فاعتل بالزمانة فحمل وألقي بين يديه فجرده فإذا هو أعرج مفلوج فوضع عنه الغزو وضمه إليه وشخص به معه إلى واسط فقال الحكم بن عبدل
(لعَمْري لقد جرّدتني فوجدتني ... كثير العيوب سيِّءَ المُتَجرَّدِ)
(فأعفيْتَنِي لمّا رأيتَ زَمانتي ... ووفّقت منّي للقضاء المُسَدَّدِ)
فلما وصل عمر إلى واسط شكا إليه الحكم بن عبدل الضبعة فوهب له جارية من جواريه فواثبها ليلة صارت إليه فنكحها تسعا أو عشرا طلقا فلما أصبحت قالت له جعلت فداك من أي الناس أنت قال امرؤ من أهل الشام قالت بهذا العمل نصرتم
أخبرني بهذا الخبر محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل
قال حدثنا أحمد بن بكير الأسدي عن محمد بن أنس السلامي عن محمد بن سهل راوية الكميت فقال فيه
ضرب الحجاج البعث على المحتلمين ومن أنبت من الصبيان فكانت المرأة تجيء إلى ابنها وقد جرد فتضمه إليها وتقول له بأبي جزعا عليه فسمي ذلك الجيش جيش بأبي وأحضر ابن عبدل فجرد فوجد أعرج فأعفي فقال في ذلك
لعمري لقد جرّدتني فوجدتني ...) البيتين وزاد معهما ثالثا وهو)
(ولستُ بذي شَيْخَيْن يلْتَزمانه ... ولكن يَتيمٌ ساقطُ الرِّجل واليدِ)
كره زوجته وقال فيها شعرا
أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا العنزي قال حدثنا محمد بن معاوية عن منجاب عن عبد الملك بن عفان قال
تزوج ابن عبدل امرأة من همدان فقالوا له على كم تزوجت فقال
(تزوّجْتُ همْدانيّةً ذات بهجةٍ ... على نَمَط عادية ووسائدِ)
(لعمري لقد غاليتُ بالمهْر إنه ... كذاك يُغَالَى بالنساء المَواجِدِ)
قال فلما دخل بها كرهها فقال
(أعاذِلتيّ من لومٍ دعاني ... أقِلاّ اللومَ إن لم تَعْذِراني)
(فإني قد دُلِلْتُ على عجوز ... مُبَرقَعةٍ مخَضّبة البَنانِ)
(تَغضّن جلدُها واخضرّ إلا ... إذا ما ضُرِّجَتْ بالزعفرانِ)
(فلما أن دخلتُ وحادثَتْني ... أظَلّتْني بيومٍ أرْوَنانِ)
(تُحدّثني عن الأزمان حتى ... سمعتُ نداءَ حُرٍّ بالأذان)
(فقالت قد نَكَحْتُ اثنين شتّى ... فلما صاحَباني طَلّقاني)
(وأربعةٌ نكحتُهم فماتوا ... فليتَ عَريف حَيٍّ قد نعناي)
(وقالت ما تِلادُك قلتُ مالي ... حمار ظالِع ومزَادتانِ)
(وبُوريٌّ وأربعةٌ زُيُوف ... وثَوْبا مُفْلسٍ مُتَخَرِّقان)
(وقِطعةُ جُلّة لا تَمْرَ فيها ... ودنّا عومةٍ مُتَقَايلانِ)
(فقالت قد رَضِيتُ فسمِّ ألفا ... ليسمعَ ما تقولُ الشّاهدانِ)
(وما لكِ عندنا ألفٌ عَتِيد ... ولا تِسْعٌ تُعَدّ ولا ثَمَانِ)
(ولا سَبْعٌ ولا سِتٌّ ولكن ... لكم عندي الطويلُ من الهَوانِ)
رثاء بشر بن مروان
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني عمي عن أبيه عن ابن الكلبي قال
كان الحكم بن عبدل الأسدي منقطعا إلي بشر بن مروان وكان يأنس به ويحبه ويستطيبه وأخرجه معه إلي البصرة لما وليها فلما مات بشر جزع عليه الحكم وقال يرثيه
(أصبحتُ جَمَّ بَلابِل الصَّدْر ... مُتَعجِّباً لتصرُّفِ الدّهر)
(مازلتُ أطلبُ في البلاد فتىً ... ليكون لي ذُخْراً من الذُّخْرْ)
(ويكون يسعدني وأُسعِده ... في كلّ نائبةٍ من الأمر)
(حتى إذا ظَفِرتْ يدايَ به ... جاء القضاءُ بحَيْنه يَجْري)
(إنّي لفي هَمٍ يباكرني ... منه وهمٍّ طارقٍ يسري)
(فلأصْبِرَنَّ وما رأيتُ دوىً ... للهمّ غيرَ عزيمةِ الصبرِ)
(واللهِ ما استعظمتُ فُرْقَتَه ... حتى أحاط بفضله خُبْري)
أخبرني ابن دريد قال حدثني عمي عن أبيه عن ابن الكلبي قال
لما ظفر ابن الزبير بالعراق وأخرج عنها عمال بني أمية خرج ابن عبدل معهم إلى الشأم وكان ممن يدخل لى عبد الملك ويسمر عنده فقال لعبد الملك ليلة
(يا ليتَ شِعْري وليتٌ ربَّمَا نفعتْ ... هل أبصِرنَّ بني العَوَّام قد شُمِلُوا)
(بالذلّ والأسْرِ والتشريد إنهمُ ... على البرِيّة حَتْف حيثما نزَلُوا)
أم هل أراكَ بأكنافِ العراق وقد ... ذلّت لِعزّك أقوامٌ وقد نَكَلُوا) فقال عبد الملك ويروى أنه قائل هذا الشعر)
(إن يُمكِن اللهُ من قَيْس ومن جَدَسٍ ... ومن جُذَام ويُقْتلْ صاحبُ الحَرَمِ)
((نَضْرب جَماجِمَ أقوامٍ على حَنَقٍ ... ضَرْباً يُنَكِّلُ عنّا سائر الأممِ

ابن هبيرة وبنت ابن عبدل
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني هارون بن علي بن يحيى المنجم عن أبيه قال حدثني محمد بن عمر الجرجاني عن رجل من بني أسد قال
خرج يزيد بن عمر بن هبيرة يسير بالكوفة فانتهى إلى مسجد بنى غاضرة وأقيمت الصلاة فنزل يصلي واجتمع الناس لمكانه في الطريق وأشرف النساء من السطوح فلما قضى صلاته قال لمن هذا المسجد قالوا لبني غاضرة فتمثل قول الشاعر
ما إن تَرَكْنَ من الغواضر مُعْصِراً ... إلا فَصَمْنَ بساقِها خَلْخَالا) فقالت له امرأة من المشرفات)
ولقد عَطَفْنَ على فَزارة عَطْفَةً ... كَرَّ المَنِيحِ وجُلْنَ ثَمّ مَجَالا) فقال يزيد من هذه فقالوا بنت الحكم بن عبدل فقال هل) تلد الحية إلا حية وقام خجلا
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أحمد بن الهيثم قال حدثنا العمري عن عطاء بن مصعب عن عاصم بن الحدثان قال
كان ابن عبدل الأسدي أعرج أحدب وكان من أطيب الناس وأملحهم فلقيه صاحب العسس ليلة وهو سكران محمول في محفة فقال له من أنت فقال
له يا بغيض أنت أعرف بي من أن تسألني من أنا فاذهب إلى شغلك فإنك تعلم أن اللصوص لا يخرجون بالليل للسرقة محمولين في محفة فضحك الرجل وانصرف عنه
أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا العباس بن ميمون طائع قال حدثني أبو عدنان عن الهيثم بن عدي عن ابن عياش قال
رأيت ابن عبدل الأسدي وقد دخل على ابن هبيرة فقال له أنشدني شيئا فقال أنشدك مقولة أيها الأمير قال هات فأنشده هذه الأبيات وهي قديمة وقد تمثل بها ابن الأشعث حين خرج ويروى أنها لأعشى همدان
(نجمّ ولا نُعطَي وتُعْطَى جُيُوشُهم ... وقد ملأوا من مالنا ذا الأكارع)
(وقد كلّفُونا عُدَّةً وروائعاً ... فَقَدْ وأبي رُعْنَاكُمُ بالرَّوائع)
ونحنُ جَلَبْنا الخيلَ من ألْفِ فَرْسخ ... إليكم بمحمرٍ من الموت ناقِع) قال فغضب ابن هبيرة من تعريضه به وقال له والله) لولا أني قد أمنتك واستنشدتك لضربت عنقك
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان أبو عبد الله قال حدثنا القاسم بن عبد الرحمن قال
كانت للحكم بن عبدل جارية سوداء وقد كان يميل إليها فولدت له ابنا أسود فكان من أعرم الصبيان فقال فيه
((يَا رُبَّ خالٍ لكَ مُسْوَدّ القَفَا ... لا يَشْتَكي من رِجْله مَسَّ الحَفَا
(كأنّ عَيْنَيْه إذا تشوَّفا ... عَيْنا غُرابٍ فوقَ نِيقٍ أشْرَفا)
أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان أبو عبد الله قال حدثنا عبيد الله بن محمد قال حدثنا المدائني قال
كان عمر بن يزيد الأسدي بخيلا على الطعام فدخل عليه الحكم بن عبدل الشاعر وهو يأكل بطيخا فسلم فلم يرد عليه السلام ولم يدعه إلى الطعام فقال ابن عبدل يهجوه
(في عمر بن يزيد خلّتا دَنَسٍ ... بُخلٌ وجُبْنٌ ولولا أيْرُه سادا)
جئْنَاه يأكل بطّيخاً على طَبَقٍ ... فما دعانا أبو حفصٍ ولا كادا) قال وكان عمر على شرطة الحجاج وكان بخيلا جدا)
فأصابه قولنج فحقنه الطبيب بدهن كثير فانحل ما في بطنه في الطست فقال الغلام ما تصنع به قال أصبه قال لا ولكن ميز منه الدهن واستصبح به
ابن عبدل وكاتب عبد الملك بن بشر
أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا أبو هفان قال
كان لعبد الملك بن بشر بن مروان كاتب يقال له محمد بن عمير وكان كلما مدحه ابن عبدل بشيْ وأمر له بجائزة دافعه بها وعارضه فيها فدخل يوما إلى عبد الملك وكاتبه هذا يساره فوقف وأنشأ يقول
((ألقيتَ نفسكَ في عَروض مَشَقَّةٍ ... وحَصَادُ أنفك بالمَناجِل أهْونُ
(فبحقِّ أُمِّكِ وهي غيرحقيقة ... باللِّين واللُّطف الذي لا يُخْزَن)
(لا تُدْنِ فاكَ إلى الأمير ونَحِّه ... حتى يُداوي نَتْنَه لكِ أهْونُ)
(إن كان للظَّرْبَان جُحْرٌ مُنْتِنٌ ... فلجُحْر أنفِكَ يا محمدُ أنتنُ)
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا العنزي قال حدثني أحمد بن بكير الأسدي عن محمد بن أنس السلامي عن محمد بن سهل راوية الكميت قال خطب ابن عبدل امرأة من همدان يقال لها أم رياح فلم تتزوجه فقال أما والله لأفضحنك ولأعيرنك فقال
(فلا خيرَ في الفِتْيان بعد ابنِ عَبْدلٍ ... ولا في الزواني بعد أُمِّ رياح)
(يُرى بحمدِ الله ماضٍ مُجَرَّبٌ ... وأمِ رِيَاحٍ عُرْضَةٌ لنِكَاحِي)
قال فتحاماها الناس فما تزوجت حتى أسنت وبهذا الإسناد عن محمد بن سهل قال ولد للحكم بن عبدل ابن فسماه بشرا ودخل على بشر بن مروان فأنشده
(سمّيْتُ بِشْراً ببشرِ النَّدَى ... فلا تَفْضَحنّي بتَصْداقِهَا)
(إذا ما قُرَيشُ قُريشُ البَطاح ... عند تجمُّع آفاقِها)
(تسامَتْ قُرُومُهم للنَّدى ... تُباري الرِّيَاحَ بأوْراقِها)
(فما لَكَ أنفعُ أموالِها ... وَخُلْقُكَ أكرمُ أخلاقِها)
فأمر له بألفي درهم وقال استعن بهذه على أمرك وبإسناده عن محمد بن سهل قال اقترض ابن عبدل مالا من التجار وحلف لهم بالطلاق ثلاثا أن يقضيهم المال عند طلوع الهلال فلما بقي من الشهر يومان قال
(قد باتَ هَمِّي قِرْناً أُكابِدُهُ ... كأنّما مَضْجَعِي على حَجَر)
(من رَهْبَةٍ أنْ يُرَى هلالُ غدٍ ... فإنْ رأوه فحقّ لي حَذَري)
(من فقدِ بيضاء غادةٍ كَمُلتْ ... كأنها صورةٌ من الصُّور)
أصبحتُ من أهلي الغداةَ ومِن ... مالي على مثل ليلةِ الصَّدر) فبلغ خبره عبد الملك بن بشر فأعطاهم ما لهم عليه)

وأضعفه له فقال فيه
(لمّا أتاه الذي أُصِبْتُ بِهِ ... وأنْشَدُوه إيّاه في شِعْرِي)
(جاد بضِعْفَيْ ما حلَّ من غُرمِي ... عفواً فزالت حرارةُ الصَّدْرِ)
(لأشكرنَّ الذي مَنَنْتَ بِهِ ... ما دُمْتُ حياً وطال لي عُمْرِي)
وقال محمد بن سهل بهذا الإسناد اجتمع الشعراء إلى الحجاج وفيهم ابن عبدل
فقالوا للحجاج إنما شعر ابن عبدل كله هجاء وشعر سخيف فقال له قد سمعت قولهم فاستمع مني قال هات فأنشده قوله
(وإنّي لأسْتَغْني فما أبْطَرُ الغِنَى ... وأعْرِضُ مَيْسُوري لمَنْ يبْتَغِي قَرْضي)
وأُعْسرُ أحياناً فتَشْتَدُّ عُسْرَتي ... فأُدْرِكُ مَيسُورَ الغِنى ومعي عِرْضي) حتى انتهى إلى قوله)
(ولستُ بذِي وَجْهَيْن فيمن عَرَفْتَه ... ولا البُخْلُ فاعلَمْ من سَمائي ولا أرْضي) فقال له الحجاج أحسنت وفضله في الجائزة عليهم بألفي درهم
صوت
من المائة المختارة
(أجَدّ بعَمْرَةَ غُنْيَانُها ... فتهجُرَ أم شأننا شانها)
(فإنْ تُمسِ شطّت بها دارُها ... وباحَ لك اليومَ هِجْرانُها)
(فما رَوْضةٌ من رياضِ القطا ... كأنّ المَصابيحَ حَوْذَانُها)
(بأحسنَ منها ولا مُزْنَةٌ ... دَلُوحٌ تَكَشَّفَ إدْجَانُها)
(وعَمْرَةُ من سَرَوات النّساء ... تَنْفَحُ بالمسك أردانُها)
أجد استمر وغنيانها استغناؤها أم شأننا شانها يقول أم هي على ما تحب وشطت بعدت قال ابن الأعرابي يقال شطت وشطنت وشسعت وتشسعت وبعدت ونأت وتزحزحت وشطرت قال الشاعر
لا تَتْرُكني فيهمُ شَطِيرا ...) ومنه سمي الشاطر وباح ظهر ومنه باحة الدار وأنشد)
(...أتكْتُمُ حُبّ سَلْمَى أم تَبُوحُ)
والروضة موضع فيه نبت وماء مستدير وكذلك الحديقة و قوله
كأنّ المصابيحَ حَوْذَانُها ...) أراد كأن حوذانها المصابيح فقلب و العرب تفعل ذلك قال الأعشى)
كأنّ الجَمْرَ مثلُ تُرابِها ...) أراد كأن ترابها مثل الجمر . . .)
والمزنة السحابة والدلوح الثقيلة يقال مر يدلح بحمله إذا مر مثقلا
والدجن إلباس الغيم السحاب برش و ندى يقال أدجنت السماء وقوله تكشف إدجانها إذا انكشف السواد عنها وذلك أحسن لها وأراد مزنة بيضاء
والأردان ما يلي الذراعين جميعا والإبطين من الكمين
الشعر لقيس بن الخطيم والغناء لطويس خفيف ثقيل أول باطلاق الوتر في مجرى الوسطى الى هنا انتهى الجزء الثاني من كتاب الأغاني ويليه إن شاء الله تعالى الجزء الثالث منه وأوله ذكر قيس بن الخطيم واخباره ونسبه
ذكر قيس بن الخطيم وأخباره ونسبه
هو قيس بن الخطيم بن عدي بن عمرو بن سود بن ظفر ويكنى قيس أبا يزيد
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا محمد بن موسى بن حماد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال
أنشد ابن أبي عتيق قول قيس بن الخطيم
(بينَ شُكُولِ النّساء خِلْقتُها ... حَذْواً فلا جَبْلَةٌ ولا قَضفُ)
فقال لولا أن أبا يزيد قال حذوا ما درى الناس كيف يحشون هذا الموضع
وكان أبوه الخطيم قتل وهو صغير قتله رجل من بني حارثة بن الحارث بن الخزرج فلما بلغ قتل قاتل أبيه ونشبت لذلك حروب بين قومه وبين الخزرج وكان سببها
خداش بن زهير يساعد قيس بن الخطيم على الأخذ بالثأر
فأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال أخبرني أحمد بن يحيى
ثعلب عن ابن الأعرابي عن المفضل قال
كان سبب قتل الخطيم أن رجلا من بني حارثة بن الحارث بن الخزرج يقال له مالك اغتاله فقتله وقيس يومئذ صغير وكان عدي أبو الخطيم أيضا قتل قبله قتله رجل من عبد القيس فلما بلغ قيس بن الخطيم وعرف أخبار قومه وموضع ثأره ولم يزل يلتمس غرة من قاتل أبيه وجده في المواسم حتى ظفر بقاتل أبيه بيثرب فقتله وظفر بقاتل جده بذي المجاز فلما أصابه وجده في ركب عظيم من قومه ولم يكن معه إلا رهط من الأوس فخرج حتى أتى حذيفة بن بدر الفزاري فاستنجده فلم ينجده فأتى خداش بن زهير فنهض معه ببني عامر حتى أتوا قاتل عدي فإذا هو واقف على راحلته في السوق فطعنه قيس بحربة فقتله ثم استمر فأراده رهط الرجل فحالت بنو عامر دونه فقال في ذلك قيس بن الخطيم
(ثأرتُ عَدِيّاً والخَطِيمَ فلم أُضِعْ ... ولايةَ أشياخٍ جُعِلتُ إزاءَها)
(ضربتُ بذي الزِّجَّيْن رِبْقَةَ مالكٍ ... فأُبتُ بنفسٍ قد أصبتُ شفاءَها)
(وسامَحَني فيها ابنُ عمرو بن عامرٍ ... خِدَاشٌ فأدَّى نعمةً وأفاءها)
((طعنتُ ابنَ عبد القَيْسِ طعنةَ ثائرٍ ... لها نَفَذٌ لولا الشُّعاعُ أضاءها
(ملكت بها كفِّي فأنْهَرْتُ فَتْقَها ... يرَى قائمٌ من دونِها ما وراءَها)
هذه رواية ابن الأعرابي عن المفضل
وأما ابن الكلبي فإنه ذكر أن رجلا من قريش أخبره عن أبي عبيدة أن محمد بن عمار بن ياسر وكان عالما بحديث الأنصار قال
كان من حديث قيس بن الخطيم أن جده عدي بن عمرو قتله رجل من بني عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة يقال له مالك وقتل أباه الخطيم بن عدي رجل من عبد القيس ممن يسكن هجر وكان قيس يوم قتل أبوه صبيا صغيرا وقتل الخطيم قبل أن يثأر بأبيه عدي فخشيت أم قيس على ابنها أن يخرج فيطلب بثأر أبيه وجده فيهلك فعمدت إلى

كومة من تراب عند باب دارهم فوضعت عليها أحجارا وجعلت تقول لقيس هذا قبر أبيك وجدك فكان قيس لا يشك أن ذلك على ذلك ونشأ أيدا شديد الساعدين فنازع يوما فتى من فتيان بني ظفر فقال له ذلك الفتى والله لو جعلت شدة ساعديك على قاتل أبيك وجدك لكان خيرا لك من أن تخرجها علي فقال ومن قاتل أبي وجدي قال سل أمك تخبرك فأخذ السيف ووضع قائمه على الأرض وذبابه بين ثدييه وقال لأمه أخبريني من قتل أبي وجدي قالت ماتا كما يموت الناس وهذان قبراهما بالفناء فقال والله لتخبرينني من قتلهما أو لأتحاملن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري فقالت أما جدك فقتله رجل من بني عمرو بن عامر بن ربيعة يقال له مالك وأما أبوك فقتله رجل من عبد القيس ممن يسكن هجر فقال والله لا أنتهي حتى أقتل

قاتل أبي وجدي فقالت يا بني إن مالكا قاتل جدك من قوم خداش بن زهير ولأبيك عند خداش نعمة هو لها شاكر فأته فاستشره في أمرك واستعنه يعنك

قيس بن الخطيم يخرج إلى خداش بن زهير

فخرج قيس من ساعته حتى أتى ناضحه وهو يسقي نخله فضرب الجرير بالسيف فقطعه فسقطت الدلو في البئر وأخذ برأس الجمل فحمل عليه غرارتين من تمر وقال من يكفيني أمر هذه العجوز يعني أمه فإن مت أنفق عليها من هذا الحائط حتى تموت ثم هوله وإن عشت فما لي عائد إلي وله منه ما شاء أن يأكل من تمره فقال رجل من قومه أنا له فأعطاه الحائط ثم خرج يسأل عن خداش بن زهير حتى دل عليه بمر الظهران فصار إلى خبائه فلم يجده فنزل تحت شجرة يكون تحتها أضيافه ثم نادى امرأة خداش هل من طعام فأطلعت إليه فأعجبها جماله وكان من أحسن الناس وجها فقالت والله ما عندنا من نزل نرضاه لك إلا تمرا فقال لا أبالي فأخرجي ما كان عندك فأرسلت إليه بقباع فيه تمر فأخذ منه تمرة فأكل شقها ورد شقها الباقي في القباع ثم أمر بالقباع فأدخل على امرأة خداش بن زهير ثم ذهب لبعض حاجاته ورجع خداش فأخبرته امرأته خبر قيس فقال هذا رجل متحرم

زهير بن خداش يخبر قيس بن الخطيم عن قاتلي أبيه وجده

وأقبل قيس راجعا وهو مع امرأته يأكل رطبا فلما رأى خداش رجله وهو على بعيره قال لامرأته هذا ضيفك قالت نعم قال كأن قدمه قدم الخطيم صديقي اليثربي فلما دنا منه قرع طنب البيت بسنان رمحه واستأذن فأذن له خداش فدخل إليه فنسبه فانتسب وأخبره بالذي جاء له وسأله أن يعينه وأن يشير عليه في أمره فرحب به خداش وذكر نعمة أبيه عنده وقال إن هذا الأمر ما زلت أتوقعه منك منذ حين

فأما قاتل جدك فهو ابن عم لي وأنا أعينك عليه فإذا اجتمعنا في نادينا جلست إلى جنبه وتحدثت معه فإذا ضربت فخذه فثب إليه فاقتله فقال قيس فأقبلت معه نحوه حتى قمت على رأسه لما جالسه خداش فحين ضرب فخذه ضربت رأسه بسيف يقال له ذو الخرصين فثار إلي القوم ليقتلوني فحال خداش بينهم وبيني وقال دعوه فإنه والله ما قتل إلا قاتل جده ثم دعا خداش بجمل من إبله فركبه وانطلق مع قيس إلى العبدي الذي قتل أباه حتى إذا كانا قريبا من هجر أشار عليه خداش أن ينطلق حتى يسأل عن قاتل أبيه فإذا دل عليه قال له إن لصا من لصوص قومك عارضني فأخذ متاعا لي فسألت من سيد قومه فدللت عليك فانطلق معي حتى تأخذ متاعي منه فإن اتبعك وحده فستنال ما تريد منه وإن أخرج معه غيره فاضحك فإن سألك مم ضحكت فقل إن الشريف عندنا لا يصنع كما صنعت إذا دعي إلى اللص من قومه إنما يخرج وحده بسوطه دون سيفه فإذا رآه اللص أعطى كل شيء أخذ هيبة له فإن أمر أصحابه بالرجوع فسبيل ذلك وإن أبي إلا أن يمضوا معه فأتني به فإني أرجو أن تقتله وتقتل أصحابه ونزل خداش تحت ظل شجرة وخرج قيس حتى أتى العبدي فقال له ما أمره خداش فأحفظه فأمر أصحابه فرجعوا ومضى مع قيس فلما طلع على خداش قال له اختر يا قيس إما أن أعينك وإما أن أكفيك قال لا أريد واحدة

منهما ولكن إن قتلني فلا يفلتنك ثم ثار إليه فطعنه قيس بالحربة في خاصرته فأنفذها من الجانب الآخر فمات مكانه فلما فرغ منه قال له خداش إنا إن فررنا الآن طلبنا قومه ولكن ادخل بنا مكانا قريبا من مقتله فإن قومه لا يظنون أنك قتلته وأقمت قريبا منه ولكنهم إذا افتقدوه اقتفوا أثره فإذا وجدوه قتيلا خرجوا في طلبنا في كل وجه فإذا يئسوا رجعوا قال فدخلا في دارات من رمال هناك وفقد العبدي قومه فاقتفوا أثره فوجدوه قتيلا فخرجوا يطلبونهما في كل وجه ثم رجعوا فكان من أمرهم ما قال خداش

وأقاما مكانهما أياما ثم خرجا فلم يتكلما حتى أتيا منزل خداش ففارقه عنده قيس بن الخطيم ورجع إلى أهله ففي ذلك يقول قيس

(تذكَّر ليلَى حسنَها وصفَاءَها ... وبانتْ فما إن يستطيعُ لقاءَها)

(ومِثْلُكِ قد أصبيتُ ليستِ بكَنَّةٍ ... ولا جارةٍ أفْضتْ إلي خِباءَها)

(إذا مااصطبحتُ أربعاً خَطّ مِئْزَري ... وأتْبعتُ دِلْوي في السَّماح رشاءَها)

(ثأرتُ عديّاً والخَطيمَ فلم أُضِعْ ... وصِيّة أشياخٍ جُعِلتُ إزاءَها)

وهي قصيدة طويلة

رسول الله يستنشد شعر قيس ويعجب بشجاعته

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن إسرائيل قال حدثنا زكريا بن يحيى المنقري قال حدثنا زياد بن بيان العقيلي قال حدثنا أبو خولة

الأنصاري عن أنس بن مالك قال

جلس رسول الله في مجلس ليس فيه إلا خزرجي ثم استنشدهم قصيدة قيس بن الخطيم يعني قوله

(أتعرف رسماً كاطّرادِ المذاهبِ ... لعَمْرَةَ وَحْشاً غيرَ موقِف راكِبِ)

فأنشده بعضهم إياها فلما بلغ إلى قوله

(أُجَالِدُهم يومَ الحَدِيقة حاسِراً ... كأن يدي بالسيف مِخْراقُ لاعبِ)

فالتفت إليهم رسول الله فقال هل كان كما ذكر فشهد له ثابت بن قيس بن شماس وقال له والذي بعثك بالحق يا رسول الله لقد خرج إلينا يوم سابع عرسه عليه غلالة وملحفة مورسة فجالدنا كما ذكر

وهكذا في هذه الرواية

وقد أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب قال

لم تكن بينهم في هذه الأيام حروب إلا في يوم بعاث فإنه كان عظيما وإنما كانوا يخرجون فيترامون بالحجارة ويتضاربون

بالخشب
قال الزبير وأنشدت محمد بن فضالة قول قيس بن الخطيم
(أجالدهم يوم الحديقة حاسراً ... كأن يدي بالسيف مخراقُ لاعبِ)
فضحك وقال ما اقتتلوا يومئذ إلا بالرطائب والسَّعَف
قال أبو الفرج وهذه القصيدة التي استنشدهم إياها رسول الله من جيد شعر قيس بن الخطيم ومما أنشده نابغة بني ذبيان فاستحسنه وفضله وقدمه من أجله
أخبرنا الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا أبو غزية قال حسان بن ثابت
قدم النابغة المدينة فدخل السوق فنزل عن راحلته ثم جثا على ركبتيه ثم اعتمد على عصاه ثم أنشأ يقول
(عرفتُ منازلاً بعُرَيْتنَاتٍ ... فأعلَى الجِزْعِ للحَيِّ المُبِنِّ)
فقلت هلك الشيخ ورأيته قد تبع قافية منكرة
قال ويقال إنه قالها في موضعه فما زال ينشد حتى أتى على آخرها ثم قال ألا رجل ينشد فتقدم قيس بن الخطيم فجلس بين يديه وأنشده
(... (أتعرف رَسْما كاطراد المذاهبِ
حتى فرغ منها فقال أنت أشعر الناس يابن أخي
قال حسان فدخلني منه وإني في ذلك لأجد القوة في نفسي عليهما ثم تقدمت فجلست بين يديه فقال أنشد فوالله إنك لشاعر قبل أن تتكلم قال وكان يعرفني قبل ذلك فأنشدته فقال أنت أشعر الناس
قال الحسن بن موسى وقالت الأوس لم يزد قيس بن الخطيم النابغة على
(... أتعرف رسما كاطّراد المذاهِبِ)
نصف البيت حتى قال أنت أشعر الناس
صفات قيس بن الخطيم الجسدية
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير قال قال سليمان بن داود المجمعي
كان قيس بن الخطيم مقرون الحاجبين أدعج العينين أحمر الشفتين براق الثنايا كأن بينها برقا ما رأته حليلة رجل قط إلا ذهب عقلها
أخبرني الحسن قال حدثنا محمد قال حدثنا الزبير قال حدثني حسن بن موسى عن سليمان بن داود المجمعي قال
قال حسان بن ثابت للخنساء اهجي قيس بن الخطيم فقالت لا أهجو
أحدا أبدا حتى أراه
قال فجاءته يوما فوجدته في مشرقة ملتفا في كساء له فنخسته برجلها وقالت قم فقام فقالت أدبر فأدبر ثم قالت أقبل فأقبل قال والله لكأنها تعترض عبدا تشتريه ثم عاد إلى حاله نائما فقالت والله لا أهجو هذا أبدا
قال الزبير وحدثني عمي مصعب قال
كانت عند قيس بن الخطيم حواء بنت يزيد بن سنان بن كريز بن زعوراء فأسلمت وكانت تكتم قيس بن الخطيم إسلامها فلما قدم قيس مكة عرض عليه رسول الله الإسلام فاستنظره قيس حتى يقدم رسول الله المدينة فسأله رسول الله أن يجتنب زوجته حواء بنت يزيد وأوصاه بها خيرا وقال له إنها قد أسلمت ففعل قيس وحفظ وصية رسول الله فبلغ رسول الله فقال وفي الأُدَيْعِجُ
قال أبو الفرج وأحسب هذا غلطا من مصعب وأن صاحب هذه القصة قيس بن شماس وأما قيس بن الخطيم فقتل قبل الهجرة
مقتل ابن الخطيم على أيدي الخزرج
أخبرني علي بن سليمان الأخفش النحوي عن أبي سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل أن حرب الأوس والخزرج لما هدأت تذكرت الخزرج قيس بن الخطيم ونكايته فيهم فتوامروا وتواعدوا قتله فخرج عشية من منزله في ملاءتين يريد
مالا له بالشوط حتى مر بأُطُمِ بني حارثة فرمي من الأطم بثلاثة أسهم فوقع أحدها في صدره فصاح صيحة سمعها رهطه فجاءوا فحملوه إلى منزله فلم يروا له كفأ إلا أبا صعصعة يزيد بن عوف بن مدرك النجاري فاندس إليه رجل حتى اغتاله في منزله فضرب عنقه واشتمل على رأسه فأتى به قيسا وهو بآخر رمق فألقاه بين يديه وقال يا قيس قد أدركت بثأرك فقال عضضت بأير أبيك إن كان غير أبي صعصعة فقال هو أبو صعصعة وأراه الرأس فلم يلبث قيس بعد ذلك أن مات وهذا الشعر أعني
(... أجَدّ بعَمْرة غنيانُها)
فيما قيل يقوله قيس في عمرة بنت رواحة وقيل بل قاله في عمرة امرأة كانت لحسان بن ثابت وهي عمرة بنت صامت بن خالد
وكان حسان ذكر ليلى بنت الخطيم في شعره فكافأه قيس بذلك وكان هذا في حربهم التي يقال لها يوم الربيع
فأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال أخبرنا الزبير قال حدثني مصعب قال
مر حسان بن ثابت بليلى بنت الخطيم وقيس بن الخطيم أخوها بمكة حين خرجوا يطلبون الحلف في قريس فقال له حسان أظعني فالحقي بالحي فقد ظعنوا وليت شعري ما خلفك وما شأنك أقل ناصرك أم راث رافدك فلم تكلمه وشتمه نساؤها فذكرها في شعره في يوم الربيع الذي يقول فيه
((لقد هاج نفسكَ أشجانُها ... وعاودها اليومَ أديانُها
(تذكرتَ ليلَى وأنَّى بها ... إذا قُطِّعتْ منك أقرانُها)
(وحَجَّل في الدار غِربانُها ... وخَفَّ من الدار سُكَّانُها)
(وغيَّرها مُعْصِراتُ الرِّياح ... وسَحُّ الجَنُوب وتَهْتانُها)
(مَهَاةٌ من العِين تَمْشِي بها ... وتَتْبَعُها ثَمَّ غِزْلانُها)
(وقفتُ عليها فساءلتَها ... وقد ظَعن الحيُّ ما شأنُها)
(فعَيَّتْ وجاوبني دونَها ... بما راع قلبيَ أعوانُها)

وهي طويلة فأجابه قيس بن الخطيم بهذه القصيدة التي أولها
(... أجَدَّ بعَمْرة غُنْيَانُها)
وفخر فيها بيوم الربيع وكان لهم فقال
(ونحن الفوارسُ يومَ الرَّبيع ... قد علِمُوا كيف فُرْسَانُها)
(حِسانُ الوجوه حِدادُ السيوف ... يبْتَدِرُ المجدَ شُبَّانُها)
وهي أيضا طويلة
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال أخبرنا الأصمعي
قال حدثني شيخ قدم من المدينة وأخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو غسان عن أبي السائب المخزومي وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال ذكر لي عن جعفر بن محرز السدوسي قالوا
دخل النعمان بن بشير الأنصاري المدينة أيام يزيد بن معاوية وابن الزبير فقال والله لقد أخفقت أذناي من الغناء فأسمعوني فقيل له لو وجهت إلى عزة فإنها من قد عرفت قال إي ورب البيت إنها لمن يزيد النفس طيبا والعقل شحذا ابعثوا إليها عن رسالتي فإن أبت صرنا إليها فقال له بعض القوم إن النقلة تشتد عليها لثقل بدنها وما بالمدينة دابة تحملها فقال النعمان وأين النجائب عليها الهوادج فوجه إليها بنجيب فذكرت علة فلما عاد الرسول إلى النعمان قال لجليسه أنت كنت أخبر بها قوموا بنا فقام هو مع خواص أصحابه حتى طرقوها فأذنت وأكرمت واعتذرت فقبل النعمان عذرها وقال غنيني فغنته
(أجَدَّ بعَمْرة غُنْيانُها ... فتهجُرَ أم شأنُنا شانُها)
فأشير إليها أنها أمة فسكتت فقال غنيني فوالله ما ذكرت إلا كرما وطيبا لا تغنيني سائر اليوم غيره فلم تزل تغنيه هذا اللحن فقط حتى انصرف
وتذاكروا هذا الحديث عند الهيثم بن عدي فقال ألا أزيدكم فيه
طريفة قلنا بلى يا أبا عبد الرحمن قال قال لقيط كنت عند سعيد الزبيري قال سمعت عامرا الشعبي يقول اشتاق النعمان بن بشير إلى الغناء فصار إلى منزل عزة فلما انصرف إذا امرأة بالباب منتظرة له فلما خرج شكت إليه كثرة غشيان زوجها إياها فقال لها النعمان بن بشير لأقضين بينكما بقضية لا ترد علي قد أحل الله له من النساء مثنى وثلاث ورباع فله امرأتان بالنهار وامرأتان بالليل فهذا يدل على أن المعنية بهذا الشعر عمرة بنت رواحة
وأما ما ذكر أنه غنى عمرة امرأة حسان بن ثابت فأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير بن بكار عن عمه
أن قيس بن الخطيم لما ذكر حسان أخته ليلى في شعره ذكر امرأته عمرة وهي التي يقول فيها حسان
(... أزمعتْ عَمْرة صَرْماً فابْتَكِرْ)
قول حسان بن ثابت في زوجه عمرة بنت الصامت
أخبرني الحسن قال حدثنا أحمد قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي مصعب قال
تزوج حسان بن ثابت عمرة بنت الصامت بن خالد بن عطية الأوسية ثم إحدى بني عمرو بن عوف فكان كل واحد منهما معجبا بصاحبه وإن الأوس أجاروا مخلد بن الصامت الساعدي فقال في ذلك أبو قيس بن الأسلت
(أجرتُ مخلَّداً ودفعتُ عنه ... وعند الله صالح ما أتيتُ)
فتكلم حسان في أمره بكلام أغضب عمرة فعيرته بأخواله وفخرت عليه بالأوس فغضب لهم فطلقها فأصابها من ذلك ندم وشدة وندم هو بعد فقال
صوت
(أزمعتْ عمرةُ صرماً فابْتَكِرْ ... إنما يُدْهَن للقلبِ الحَصِرْ)
(لا يكن حبُّكِ حبّاً ظاهراً ... ليس هذا منكِ يَا عَمْرُ بِسِرّ)
(سألتْ حَسَّانَ مَن أخوالُه ... إنما يَسأل بالشيء الغُمُرْ)
(قلتُ أخوالي بنو كَعبٍ إذا ... أسلم الأبطالُ عوراتِ الدُّبُرْ)
يريد يدهن القلب فأدخل اللام زائدة للضرورة عمر ترخيم عمرة والسر الخالص الحسن
غنت في هذه الأبيات عزة الميلاء ثاني ثقيل بالبنصر من رواية حبش
وتمام القصيدة
(رُبَّ خالٍ ليَ لو أبصرتِهِ ... سبِطِ المِشْيَة في اليومِ الخَصِرْ)
(عند هذا الباب إذ ساكنَه ... كلُّ وجهٍ حسنِ النَّقْبَة حُرّ)
(يُوقِدِ النارَ إذا ما أُطْفِئَتْ ... يُعْمِلِ القِدرَ بأثْبَاج الجُزُرْ)
(من يُغِرُّ الدهرُ أو يأمنُه ... من قَبِيلٍ بعد عمرو وحُجُرْ)
(مَلَكَا من جبل الثلج إلى ... جانِبَيْ أيلَةَ من عبدٍ وحُرّ)
(ثم كانا خيرَ من نالَ النَّدَى ... سبَقا الناسَ بإقساطٍ وبِرّ)
(فارسيْ خيلٍ إذا ما أمسكتْ ... ربّةُ الخِدْرِ بأطرافِ السُّتُرْ)
(أتَيَا فارسَ في دارهمُ ... فتناهَوْا بعد إعصارٍ بقُرّ)
(ثم نادَوْا بِالَغَسّانَ اصبِرُوا ... إنه يومُ مَصَالِيتَ صُبُرْ)
(اجعلوا مَعْقِلَها أيمانَكم ... بالصَّفِيح المُصْطَفَى غيرِ الفُطُرْ)
(بِضِرَابٍ تأذَن الجِنُّ له ... وطِعانٍ مثلِ أفْواه الفُقُرْ)
(ولقد يعلَم مَنْ حارَبنا ... أننا ننفع قِدْماً ونضُرّ)
(صُبُرٌ للموت إن حَلَّ بنا ... صادِقُو البأس غَطَارِيفُ فُخُرْ)
(وأقام العزُّ فينا والغِنَى ... فلنا فيه على الناس الكُبُرْ)
(منهمُ أصْلِي فمن يفْخَرْ به ... يَعرِفِ الناسُ بفخر المفتخِرْ)
(نحن أهل العزّ والمجد معاً ... غيرُ أنكاسٍ ولا مِيلٍ عُسُرْ)
(فاسألوا عنا وعن أفعالنا ... كلُّ قومٍ عندهم علمُ الخَبَرْ)

قال الزبير فحدثني عمي قال ثم إن حسان بن ثابت مر يوما بنسوة فيهن
عمرة بعد ما طلقها فأعرضت عنه وقالت لامرأة منهن إذا حاذاك هذا الرجل فاسأليه من هو وآنسبيه وآنسبي أخواله
وهي متعرضة له فلما حاذاهن سألته من هو ونسبته فانتسب لها فقالت فمن أخوالك فأخبرها فبصقت عن شمالها
وأعرضت عنه فحدد النظر إليها وعجب من فعلها وجعل ينظر إليها فبصر بامرأته وهي تضحك فعرفها وعلم أن الأمر من
قبلها أتى فقال في ذلك
(قالت له يوماً تخاطِبُه ... ريّا الروادِف غادَةُ الصُّلبِ)
(أما المروءةُ والوَسامةُ أو ... حُسْمِ الرجال فقد بدا حَسْبِي)
(فوَدِدْتُ أنك لو تُخَبِّرنا ... مَنْ والداكَ ومنصبُ الشَّعْبِ)
(فضحكتُ ثم رفعتُ متَّصِلاً ... صوتي كرفع المنطق الشَّغْبِ)
(جَدِّي أبو لَيْلَى ووالدُه ... عمروٌ وأخوالي بنو كَعْبِ)
(وأنا من القوم الذين إذا ... أزَم الشتاءُ بحَلْقة الجَدْبِ)
(أعطَى ذوو الأموال مُعْسِرَهم ... والضاربين بمَوْطِن الرُّعْبِ)
قال مصعب أبو ليلى الذي عناه حسان حرام بن عمرو بن زيد مناة
ومما فيه صنعة من المائة المختارة من شعر قيس بن الخطيم
صوت
(حَوْراءُ مَمْكورةٌ منعَّمةٌ ... كأنما شَفَّ وجهَها نُزُفُ)
((تنامُ عن كُبْر شأنِها فإذا ... قامتْ رُويداً تكاد تنقصفُ)
(أوحشَ من بَعدِ خُلَّةٍ سَرِفُ ... فالمُنْحنى فالعَقيقُ فالجُرُفُ)
الشعر لقيس بن الخطيم سوى البيت الثالث
والغناء لقفا النجار ولحنه المختار ثاني ثقيل هكذا ذكر يحيى بن علي في الاختيار الواثقي
وهو في كتاب إسحاق لقفا النجار ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر ولعله غير هذا اللحن المختار
أسباب الحرب بين مالك بن العجلان وبني عمرو بن عوف
وهذا الشعر يقوله قيس بن الخطيم في حرب كانت بينهم وبين بني جحجبي وبني خطمة ولم يشهدها قيس ولا كانت
في عصره وإنما أجاب عن ذكرها شاعرا منهم يقال له درهم بن يزيد
قال أبو المنهال عتيبة بن المنهال بعث رجل من غطفان من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان إلى يثرب بفرس وحلة مع رجل
من غطفان وقال ادفعهما إلى أعز أهل يثرب قال وقيل إن الباعث بهما عبد ياليل بن عمرو الثقفي قال وقيل بل الباعث
بهما علقمة بن علاثة فجاء الرسول بهما حتى ورد سوق بني قينقاع فقال ما أمر به فوثب إليه رجل من غطفان كان جارا
لمالك بن العجلان الخزرجي يقال له كعب الثعلبي فقال مالك بن العجلان
أعز أهل يثرب وقام رجل آخر فقال بل أحيحة بن الجلاح أعز أهل يثرب وكثر الكلام فقبل الرسول الغطفاني قول الثعلبي
الذي كان جارا لمالك بن العجلان ودفعهما إلى مالك فقال كعب الثعلبي ألم أقل لكم إن حليفي أعزكم وأفضلكم فغضب
رجل من بني عمرو بن عوف يقال له سمير فرصد الثعلبي حتى قتله فأخبر مالك بذلك فأرسل إلى بني عوف بن عمرو
بن مالك بن الأوس إنكم قتلتم منا قتيلا فأرسلوا إلينا بقاتله فلما جاءهم رسول مالك تراموا به فقالت بنو زيد إنما قتلته بنو
جحجبى وقالت بنو جحجبى إنما قتلته بنو زيد ثم أرسلوا إلى مالك إنه قد كان في السوق التي قتل فيها صاحبكم ناس
كثير ولا يدرى أيهم قتله وأمر مالك أهل تلك السوق أن يتفرقوا فلم يبق فيها غير سمير وكعب فأرسل مالك إلى بني
عمرو بن عوف بالذي بلغه من ذلك وقال إنما قتله سمير فأرسلوا به إلي أقتله فأرسلوا إليه إنه ليس لك أن تقتل سميرا
بغير بينة وكثرت الرسل بينهم في ذلك يسألهم مالك أن يعطوه سميرا ويأبون أن يعطوه إياه
ثم إن بني عمرو بن عوف كرهوا أن ينشبوا بينهم وبين مالك حربا فأرسلوا إليه يعرضون عليه الدية فقبلها فأرسلوا إليه إن
صاحبكم حليف وليس لكم فيه إلا نصف الدية فغضب مالك وأبي أن يأخذ فيه إلا الدية كاملة أو يقتل سميرا فأبت بنو عمرو
بن عوف أن يعطوه إلا دية الحليف وهي نصف الدية ثم دعوه أن يحكم بينهم وبينه عمرو بن امرئ القيس أحد بني الحارث
بن الخزرج وهو جد عبد الله بن رواحة ففعل فانطلقوا حتى جاءوه في بني الحارث بن الخزرج فقضى على مالك بن
العجلان أنه ليس له في حليفه إلا دية الحليف وأبى مالك أن
يرضى بذلك وآذن بني عمرو بن عوف بالحرب واستنصر قبائل الخزرج فأبت بنو الحارث بن الخزرج أن تنصره غضبا حين رد
قضاء عمرو بن امرئ القيس فقال مالك بن العجلان يذكر خذلان بني الحارث بن الخزرج له وحدب بني عمرو بن عوف على
سمير ويحرض بني النجار على نصرته
(إن سُمَيراً أرَى عشيرتَه ... قد حَدِبُوا دونَه وقد أنِفُوا)
(إن يكن الظنُّ صادقاً ببني النَّجّار ... لا يَطْعَمُوا الذي عُلِفُوا)
(لا يُسْلِمُونا لمعشرٍ أبداً ... ما دام مِنّا بِبَطْنِها شَرَفُ)
(لكنْ مَوَالِيَّ قد بدا لهمُ ... رأيٌ سِوَى ما لديَّ أوضَعُفُوا)
يقال علفوا الضيم إذا أقروا به أي ظني أنهم لا يقبلون الضيم
صوت
(بينَ بني جَحْجَبَى وبين بني ... زيدٍ فأنَّى لجاريَ التَّلَفُ)
(يمشون في البَيْض والدروع كما ... تمشي جِمالٌ مَصَاعِبٌ قُطُفُ)
(كما تَمَشَّى الأسودُ في رَهَج المُوتِ ... إليه وكلُّهم لَهِفُ)
غنى في هذه الأبيات معبد خفيف ثقيل عن إسحاق وذكر الهشامي أن فيه لحنا من الثقيل الأول للغريض
وقال درهم بن يزيد بن ضُبَيْعة أخو سمير في ذلك
((يا قومِ لا تقتلوا سُميراً فإنَّ ... القتلَ فيه البَوارُ والأسفُ)
(إن تقتلوه تَرِنَّ نِسوتُكم ... على كريمٍ ويَفْزَع السَّلَفُ)
(إني لَعَمْرُ الذي يَحُجُّ له النَّاسُ ... ومن دون بيتِه سَرِف)
(يمينُ بَرٍّ بالله مجتهدٍ ... يَحْلِف إن كان ينفعَ الحَلِفُ)

(لا نرفَعُ العبدَ فوقَ سُنَّتِه ... ما دام منّا ببَطْنِها شَرَفُ)
(إنك لاقٍ غداً غُوَاةَ بني ... عمِّي فانظرْ ما أنت مُزْدَهِفُ)
(فأبدِ سِيمَاكَ يَعْرِفوكَ كما ... يُبْدُونَ سِيمَاهُمُ فتعترفُ)
معنى قوله فأبد سيماك أن مالك بن العجلان كان إذا شهد الحرب يغير لباسه ويتنكر لئلا يعرف فيقصد
وقال درهم بن يزيد في ذلك
(يا مَالِ لا تَبْغِيَنْ ظُلاَمتنا ... يا مالِ إنّا مَعَاشِرٌ أُنُفُ)
(يا مَالِ والحقُّ إن قَنِعْتَ به ... فيه وفينا لأمرنا نَصَفُ)
(إنّ بُجَيراً عبدٌ فخُذْ ثمناً ... فالحقُّ يُوفَى به ويُعتَرفُ)
(ثم اعلمَنْ إن أردتَ ضَيْمَ بني ... زَيدٍ فإنّي ومَنْ له الحَلِفُ)
(لأُصْبِحَنْ دارَكم بذي لَجَبٍ ... جَوْنٍ له من أمامِه عَزَفُ)
(البَيْضُ حِصْنٌ لهم إذا فَزِعوا ... وسابغاتٌ كأنها النُّطَفُ)
(والبِيضُ قد ثُلِّمت مضاربُها ... بها نفوسُ الكُماةِ تُختطَفُ)
((كأنها في الأكفِّ إذ لَمعتْ ... ومَيضُ برقٍ يبدو وينكسفُ
وقال قيس بن الخطيم الظفري أحد بني النبيت في ذلك ولم يدركه وإنما قاله بعد هذه الحرب بزمان ومن هذه القصيدة الصوت المذكور
(رَدَّ الخَليطُ الجِمالَ فانصرفوا ... ماذا عليهم لو أنهم وَقَفُوا)
(لو وَقفوا ساعةً نسائلُهم ... رَيْث يضحِّي جِمالَه السَّلَفُ)
(فيهم لَعُوبُ العِشاءِ آنسةُ الدّلِّ ... عَرُوب يَسوءها الخُلُفُ)
(بين شُكُول النساءِ خِلقَتُها ... قَصْدٌ فلا جَبْلَةٌ ولا قَضِفُ)
(تنام عن كُبْر شأنِها فإذا ... قامت رُويداً تكاد تَنْغَرِفُ)
(تَغْترِقُ الطرفَ وهي لاهيةٌ ... كأنما شفَّ وجهَها نُزُفُ)
(حَوْراء جَيْداءُ يُستضاء بها ... كأنها خُوطُ بانةٍ قَصِفُ)
(قضَى لها اللهُ حين صَوَّرها الخالق ... أن لا يُكِنَّها سَدَفُ)
(خَوْدٌ يَغِثُّ الحديثُ ما صَمَتتْ ... وهو بفِيها ذو لذة طَرِفُ)
((تخزُنه وهو مشتهىً حسَنٌ ... وهو إذا ما تكلمت أُنُفُ
وهي طويلة يقول فيها
(أبلغْ بني جَحْجَبى وإخوتَهم ... زيداً بأنّا وراءَهم أُنُفُ)
(إنا وإن قلَّ نصرُنا لهم ... أكبادُنا من ورائِهم تَجِفُ)
(لمّا بدتْ نحوَنا جِباهُهُم ... حنَّت إلينا الأرحامُ والصُّحُفُ)
(نَفْلِي بحدِّ الصَّفيحِ هامَهُم ... وفَلْيُنا هامَهم بها جَنَفُ)
(يَتْبَع آثارَها إذا اختُلِجَتْ ... سُخْنٌ عَبيطٌ عُروقُه تَكِفُ)
(إنَّ بني عمِّنا طغَوْا وبغَوْا ... ولجَّ منهم في قومِهم سَرَفُ)
فرد عليه حسان بن ثابت ولم يدرك ذلك
(ما بالُ عينيك دمعُها يَكِفُ ... من ذكر خَوْدٍ شَطَّت بها قَذَفُ)
(بانتْ بها غَرْبَةٌ تؤمُّ بها ... أرضاً سِوانا والشكلُ مختلِفُ)
(ما كنتُ أدْري بوَشكِ بَيْنهُم ... حتى رأيتُ الحُدوجَ تَنقذِفُ)
(دَعْ ذا وعَدِّ القَرِيضَ في نَفَرٍ ... يَرْجُون مدحي ومدحيَ الشرفُ)
(إن تَدْعُ قومي للمجد تُلْفِهُم ... أهلَ فَعالٍ يبدو إذا وُصِفُوا)
((إن سُمَيراً عبدٌ طغَى سَفَهاً ... ساعده أَعْبُدٌ لهم نَطَفُ
قال ثم أرسل مالك بن العجلان إلى بني عمرو بن عوف يؤذنهم بالحرب ويعدهم يوما يلتقون فيه وأمر قومه فتهيؤوا للحرب وتحاشد الحيان وجمع بعضهم لبعض
وكانت يهود قد حالفت قبائل الأوس والخزرج إلا بني قريظة وبني النضير فإنهم لم يحالفوا أحدا منهم حتى كان هذا الجمع فأرسلت إليهم الأوس والخزرج كل يدعوهم إلى نفسه فأجابوا الأوس وحالفوهم والتي حالفت قريظة والنضير من الأوس أوس الله وهي خطمة وواقف وأمية ووائل فهذه قبائل أوس الله
ثم زحف مالك بمن معه من الخزرج وزحفت الأوس بمن معها من حلفائها من قريظة والنضير فالتقوا بفضاء كان بين بئر سالم وقباء وكان أول يوم التقوا فيه فاقتتلوا قتالا شديدا ثم انصرفوا وهم منتصفون جميعا ثم التقوا مرة أخرى عند أُطُم بني قينقاع فاقتتلوا حتى حجز الليل بينهم وكان الظفر يومئذ للأوس على الخزرج فقال أبو قيس بن الأسلت في ذلك
(لقد رأيتُ بني عمرو فما وَهَنُوا ... عند اللقاء وما هَمُّوا بتكذيبِ)
(ألاَ فِدىً لَهُمُ أُمِّي وما وَلَدَتْ ... غداةَ يَمْشُون إرْقَالَ المَصَاعيبِ)
(بكلِّ سَلْهَبَةٍ كالأيْمِ ماضيةٍ ... وكلِّ أبيضَ ماضي الحدّ مخشوبِ)
أصل المخشوب الحديث الطبع ثم صار كل مصقول مخشوبا فشبهها بالحية في انسلالها
الأوس والخزرج يقبلون بحكم ثابت بن المنذر
قال فلبث الأوس والخزرج متحاربين عشرين سنة في أمر سمير يتعاودون القتال في تلك السنين وكانت لهم فيها أيام ومواطن لم تحفظ فلما رأت
الأوس طول الشر وأن مالكا لا ينزع قال لهم سويد بن صامت الأوسي وكان يقال له الكامل في الجاهلية وكان الرجل عند العرب إذا كان شاعرا شجاعا كاتبا سابحا راميا سموه الكامل وكان سويد أحد الكملة يا قوم أرضوا هذا الرجل من حليفه ولا تقيموا على حرب إخوتكم فيقتل بعضكم بعضا ويطمع فيكم غيركم وإن حملتم على أنفسكم بعض الحمل فأرسلت الأوس إلى مالك بن العجلان يدعونه إلى أن يحكم بينه وبينهم ثابت بن المنذر بن حرام أبو حسان بن ثابت فأجابهم إلى ذلك فخرجوا حتى أتوا ثابت بن المنذر وهو في البئر الذي يقال له سُمَيْحَة فقالوا إنا قد حكمناك بيننا فقال لا حاجة لي

في ذلك قالوا ولم قال أخاف أن تردوا حكمي كما رددتم حكم عمرو بن امرئ القيس قالوا فإنا لا نرد حكمك فاحكم بيننا قال لا أحكم بينكم حتى تعطوني موثقا وعهدا لترضون بحكمي وما قضيت فيه ولتسلمن له فأعطوه على ذلك عهودهم ومواثيقهم فحكم بأن يودى حليف مالك دية الصريح ثم تكون السنة فيهم بعده على ما كانت عليه الصريح على ديته والحليف على ديته وأن تعد القتلى الذين أصاب بعضهم من بعض في حربهم ثم يكون بعض ببعض ثم يعطوا الدية لمن كان له فضل في القتلى من الفريقين فرضي بذلك مالك وسلمت الأوس وتفرقوا على أن على بني النجار نصف دية جار مالك معونة لاخوتهم وعلى بني عمرو بن عوف نصفها فرأت بنو عمرو بن عوف أنهم لم يخرجوا إلا الذي كان عليهم ورأى مالك أنه قد أدرك ما كان يطلب وودي جاره دية الصريح ويقال بل الحاكم المنذر أبو ثابت

ذكر طويس وأخباره

طويس لقب غلب عليه واسمه عيسى بن عبد الله وكنيته أبو عبد المنعم وغيرها المخنثون فجعلوها أبا عبد النعيم وهو مولى بني مخزوم وقد حدثني جحظة عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن الواقدي عن ابن أبي الزناد قال سعد بن أبي وقاص كني طويس أبا عبد المنعم

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المسيبي ومحمد بن سلام الجمحي وعن الواقدي عن ابن أبي الزناد وعن المدائني عن زيد بن أسلم عن أبيه وعن ابن الكلبي عن أبيه وعن أبي مسكين قالوا

أول من غنى بالعربي بالمدينة طويس وهو أول من ألقى الخنث بها وكان طويلا أحول يكنى أبا عبد المنعم مولى بني مخزوم وكان لا يضرب بالعود إنما كان ينقر بالدف وكان ظريفا عالما بأمر المدينة وأنساب أهلها وكان يتقى للسانه قالوا وسئل عن مولده فذكر أنه ولد يوم قبض رسول الله وفطم يوم مات أبو بكر وختن يوم قتل عمر وزوج يوم قتل عثمان وولد له يوم قتل علي رضوان الله عليهم أجمعين

قال وقيل إنه ولد له يوم مات الحسن بن علي عليهما

السلام قال وكانت أمي تمشي بين نساء الأنصار بالنميمة

قالوا وأول غناء غناه وهزج به

صوت

(كيف يأتي من بعيدٍ ... وهو يُخْفيه القريب)

(نازحٌ بالشأم عنّا ... وهو مِكْسالٌ هَيُوبُ)

(قد بَراني الحبُّ حتى ... كدتُ من وَجْدِي أذُوبُ)

الغناء لطويس هزج بالبنصر

شؤم طويس

قال إسحاق أخبرني الهيثم بن عدي قال قال صالح بن حسان الأنصاري أنبأني أبي قال

اجتمع يوما جماعة بالمدينة يتذاكرون أمر المدينة إلى أن ذكروا طويسا فقالوا كان وكان فقال رجل منا أما لو شاهدتموه لرأيتم ما تسرون به علما وظرفا وحسن غناء وجودة نقر بالدف ويضحك كل ثكلى حرى فقال بعض القوم والله إنه على ذلك كان مشؤوما وذكر خبر ميلاده كما قال الواقدي إلا أنه قال ولد يوم مات نبينا وفطم يوم مات صديقنا وختن يوم قتل فاروقنا وزوج يوم قتل نورنا وولد له يوم قتل أخو نبينا وكان مع هذا مخنثا يكيدنا ويطلب عثراتنا وكان مفرطا في طوله مضطربا في خلقه أحول

فقال رجل من جلة أهل المجلس لئن كان كما قلت لقد كان ممتعا فهما يحسن رعاية من حفظ له حق المجالسة ورعاية حرمة الخدمة وكان لا يحمل قول من لا يرعى له بعض ما يرعاه له

ولقد كان معظما لمواليه بني مخزوم ومن والاهم من سائر قريش ومسالما لمن عاداهم

دون التحكيك به وما يلام من قال بعلم وتكلم على فهم والظالم الملوم والبادئ أظلم فقال رجل آخر لئن كان ما قلت لقد رأيت قريشا يكتنفونه ويحدقون به ويحبون مجالسته وينصتون إلى حديثه ويتمنون غناءه وما وضعه شيء إلا خنثه ولولا ذلك ما بقي رجل من قريش والأنصار وغيرهم إلا أدناه

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي قال حدثني إسماعيل بن جامع عن سياط قال

كان أول من تغنى بالمدينة غناء يدخل في الإيقاع طويس وكان مولده يوم مات رسول الله وفطامه في اليوم الذي توفي فيه أبو بكر وختانه في اليوم الذي قتل فيه عمر وبناءه بأهله في اليوم الذي قتل فيه عثمان وولد له يوم قتل علي رضوان الله عليهم أجمعين وولد وهو ذاهب العين اليمنى

وكان يلقب بالذائب وإنما لقب بذلك لأنه غنى

(قد براني الحبُّ حتى ... كدتُ من وَجْدِي أذُوبُ)

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه قال أخبرني ابن الكلبي عن أبي مسكين قال

كان بالمدينة مخنث يقال له النغاشي فقيل لمروان بن الحكم إنه لا

يقرأ من كتاب الله شيئا فبعث إليه يومئذ وهو على المدينة فاستقرأه أم الكتاب فقال والله ما معي بناتها أو ما أقرأ البنات فكيف أقرأ أمهن فقال أتهزأ لا أم لك فأمر به فقتل في موضع يقال له بطحان وقال من جاءني بمخنث فله عشرة دنانير فأتي طويس وهو في بني الحارث بن الخزرج من المدينة وهو يغني بشعر حسان بن ثابت

(لقد هاج نفسَك أشْجانُها ... وعاودها اليومَ أدْيانُها)

(تذكَّرْتَ هنداً وما ذكرُها ... وقد قُطِّعَتْ منكَ أقْرانُها)

(وقفتُ عليها فساءلتُها ... وقد ظعَن الحيُّ ما شأنُها)

(فصَدَّتْ وجاوب من دونِها ... بما أوجع القلبَ أعوانُها)

فأخبر بمقالة مروان فيهم فقال أما فضلني الأمير عليهم بفضل حتى جعل في وفيهم أمرا واحدا ثم خرج حتى نزل السويداء على ليلتين من المدينة في طريق الشأم فلم يزل بها عمره وعمر حتى مات في ولاية الوليد بن عبد الملك خبر بادية بنت غيلان

قال إسحاق وأخبرني ابن الكلبي قال أخبرني خالد بن سعيد عن أبيه وعوانة قالا

قال هيت المخنث لعبد الله بن أبي أمية إن فتح الله عليكم الطائف فسل النبي بادية بنت غيلان بن سلمة بن معتب

فإنها هيفاء شموع نجلاء إن
تكلمت تغنت وإن قامت تثنت تقبل بأربع وتدبر بثمان مع ثغر كأنه الأقحوان وبين رجليها كالإناء المكفوء كما قال قيس بن الخطيم
(تَغْتَرِقُ الطرفَ وهي لاهيةٌ ... كأنما شَفَّ وجهَها نُزُفُ)
(بين شُكُول النساءِ خِلْقَتُها ... قَصْدٌ فلا جَبْلَةٌ ولا قَضَفُ)
فقال النبي لقد غلغلت النظر يا عدو الله ثم جلاه عن المدينة إلى الحمى قال هشام وأول ما اتخذت النعوش من أجلها
قال فلما فتحت الطائف تزوجها عبد الرحمن بن عوف فولدت له بريهة فلم يزل هيت بذلك المكان حتى قبض النبي فلما ولي أبو بكر رضي الله عنه كلم فيه فأبى أن يرده فلما ولي عمر رضي الله عنه كلم فيه فأبى أن يرده وقال إن رأيته لأضربن عنقه فلما ولي عثمان رضي الله عنه كلم فيه فأبى أن يرده فقيل له قد كبر وضعف واحتاج فأذن له أن يدخل كل جمعة فيسأل ويرجع إلى مكانه
وكان هيت مولى لعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي وكان طويس له فمن ثم قيل الخنث
وجلس يوما فغنى في مجلس فيه ولد لعبد الله بن أبي أمية
(تغترقُ الطرفَ وهي لاهيةٌ)
إلى آخر البيتين فأشير إلى طويس أن اسكت فقال والله ما قيل هذان البيتان في
ابنة غيلان بن سلمة وإنما هذا مثل ضربه هيت في أم بريهة ثم التفت إلى ابن عبد الله فقال يابن الطاهر أوجدت علي في نفسك أقسم بالله قسما حقا لا أغني بهذا الشعر أبدا
قال إسحاق وحدثنا أبو الحسن الباهلي الرواية عن بعض أهل المدينة وحدثنا الهيثم بن عدي والمدائني قالوا
كان عبد الله بن جعفر معه إخوان له في عشية من عشايا الربيع فراحت عليهم السماء بمطر جود فأسال كل شيء فقال عبد الله هل لكم في العقيق وهو متنزه أهل المدينة في أيام الربيع والمطر فركبوا دوابهم ثم انتهوا إليه فوقفوا على شاطئه وهو يرمي بالزبد مثل مد الفرات فإنهم لينظرون إذ هاجت السماء فقال عبد الله لأصحابه ليس معنا جنة نستجن بها وهذه سماء خليقة أن تبل ثيابنا فهل لكم في منزل طويس فإنه قريب منا فنستكن فيه ويحدثنا ويضحكنا وطويس في النظارة يسمع كلام عبد الله بن جعفر فقال له عبد الرحمن بن حسان بن ثابت جعلت فداءك وما تريد من طويس عليه غضب الله مخنث شائن لمن عرفه فقال له عبد الله لا تقل ذلك فإنه مليح خفيف لنا فيه أنس فلما استوفى طويس كلامهم تعجل إلى منزله فقال لامرأته ويحك قد جاءنا عبد الله بن جعفر سيد الناس فما عندك قالت نذبح هذه العناق وكانت عندها عنيقة قد ربتها باللبن واختبز خبزا رقاقا فبادر فذبحها وعجنت هي
ثم خرج فتلقاه مقبلا إليه فقال له طويس بأبي أنا وأمي هذا المطر فهل لك في المنزل فتستكن فيه إلى أن تكف السماء قال إياك أريد قال فامض يا سيدي على بركة الله وجاء
يمشي بين يديه حتى نزلوا فتحدثوا حتى أدرك الطعام فقال بأبي أنت وأمي تكرمني إذ دخلت منزلي بأن تتعشى عندي قال هات ما عندك فجاءه بعناق سمينة ورقاق فأكل وأكل القوم حتى تملؤوا فأعجبه طيب طعامه فلما غسلوا أيديهم قال بأبي أنت وأمي أتمشى معك وأغنيك قال افعل يا طويس فأخذ ملحفة فأتزر بها وأرخى لها ذنبين ثم أخذ المربع فتمشى وأنشأ يغني
(يا خَلِيلي يا بني سُهُدِي ... لم تَنَمْ عيني ولم تَكَدِ)
(كيف تَلْحُو بي علي رجلٍ ... آنسٍ تَلْتَذُّه كبِدي)
(مثْل ضوءِ البدر طَلْعته ... ليس بالزُّمَّيْلة النَّكِدِ)
فطرب القوم وقالوا أحسنت والله يا طويس ثم قال يا سيدي أتدري لمن هذا الشعر قال لا والله ما أدري لمن هو إلا أني سمعت شعرا حسنا قال هو لفارعة بنت ثابت أخت حسان بن ثابت وهي تتعشق عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي وتقول فيه هذا الشعر فنكس القوم رؤوسهم وضرب عبد الرحمن برأسه على صدره فلو شقت الأرض له لدخل فيها
قال وحدثني ابن الكلبي والمدائني عن جعفر بن محرز قال
خرج عمر بن عبد العزيز وهو على المدينة إلى السويداء وخرج الناس معه وقد أخذت المنازل فلحق بهم يزيد بن بكر بن دأب الليثي وسعيد بن عبد
الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري فلقيهما طويس فقال لهما بأبي أنتما وأمي عرجا إلى منزلي فقال يزيد لسعيد مل بنا مع أبي عبد النعيم فقال سعيد أين تذهب مع هذا المخنث فقال يزيد إنما هو منزل ساعة فمالا واحتمل طويس الكلام على سعيد فأتيا منزله فإذا هو قد نضحه ونصعه فأتاهما بفاكهة من فاكهة الماء ثم قال سعيد لو أسمعتنا يا أبا عبد النعيم فتناول خريطة فاستخرج منها دفا ثم نقره وقال
(يا خَليلي نابَني سُهُدِي ... لم تَنَمْ عيني ولم تَكَدِ)
(فشَرابي ما أُسِيغُ وما ... أشْتَكِي ما بي إلى أحدِ)
(كيف تَلْحُوني على رجلٍ ... آنسٍ تلتذُّه كبِدي)
(مثلُ ضوءِ البدرِ صورتُه ... ليس بالزُّمَّيْلَةِ النَّكِدِ)
(من بني آل المُغِيرة لا ... خاملٍ نِكْسٍ ولا جَحَدِ)
(نظرتُ يوماً فلا نظرتْ ... بعدَه عيني إلى أحدِ)
ثم ضرب بالدف الأرض فقال سعيد ما رأيت كاليوم قط شعرا أجود ولا غناء أحسن منه فقال له طويس يابن الحسام أتدري من يقوله قال لا قال قالته عمتك خولة بنت ثابت تشبب بعمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي فخرج سعيد وهو يقول ما رأيت كاليوم قط مثل ما استقبلني به هذا المخنث والله لا يفلتني فقال يزيد دع هذا وأمته ولا ترفع به رأسا
قال أبو الفرج الأصبهاني هذه الأبيات فيما ذكر الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار لابن زهير المخنث
ابن سريج يمدح غناء طويس
قال إسحاق وحدثني الهيثم بن عدي عن ابن عياش وابن الكلبي عن أبي مسكين قالا
قدم ابن سريج المدينة فغناهم فاستظرف الناس غناءه وآثروه على كل من غنى وطلع عليهم طويس فسمعهم وهم يقولون ذلك فاستخرج دفا من حضنه ثم نقر به وغناهم بشعر عمارة بن الوليد المخزومي في خولة بنت ثابت عارضها

بقصيدتها فيه
(يا خليلي نابني سُهُدي ... لم تَنَمْ عَيْني ولم تَكَدِ)
وهو
(تَنَاهى فِيكمُ وَجْدِي ... وصدَّع حبُّكم كِبْدِي)
(فقلبي مُسْعَرٌ حزناً ... بذاتِ الخالِ في الخدّ)
(فما لاقَى أخو عشقٍ ... عَشِيرَ العُشرِ من جُهْدِي)
فأقبل عليهم ابن سريح فقال والله هذا أحسن الناس غناء
أخبرني وكيع محمد بن خلف قال حدثنا إسماعيل بن مجمع قال حدثني المدائني قال
قدم ابن سريج المدينة فجلس يوما في جماعة وهم يقولون أنت والله أحسن الناس غناء إذ مر بهم طويس فسمعهم وما يقولون فاستل دفه من حضنه ونقره وتغنى
((إن المُجنَّبة التي ... مَرَّتْ بنا قبل الصَّباح
(في حُلَّةٍ مَوْشيَةٍ ... مكّيّة غَرْثَي الوِشاحِ)
(زَيْنٌ لمشهدِ فِطْرِهم ... وتَزينهمُ يومَ الأَضَاحِي)
الشعر لابن زهير المخنث والغناء لطويس هزج أخبرنا بذلك الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار فقال ابن سريج هذا والله أحسن الناس غناء لا أنا
خبر طويس مع جارية
قال إسحاق حدثني المدائني قال حدثت أن طويسا تبع جارية فراوغته فلم ينقطع عنها فخبت في المشي فلم ينقطع عنها فلما جازت بمجلس وقفت ثم قالت يا هؤلاء لي صديق ولي زوج ومولى ينكحني فسلوا هذا ما يريد مني فقال أضيق ما قد وسعوه ثم جعل يتغنى
(أَفِقْ يا قلبُ عن جُمْلٍ ... وجُمْلٌ قطَّعتْ حَبْلي)
(أفق عنها فقد عُنّيتَ ... حَوْلاً في هَوى جُمْلِ)
(وكيف يُفِيق محزونٌ ... بجُمْلٍ هائمُ العقلِ)
(بَرَاه الحُبّ في جملٍ ... فحَسْبي الحبُّ من ثِقْلِ)
(وحَسْبِي فيكِ ما أَلْقَى ... من التَّفْنيد والعَذْلِ)
(وقِدْماً لامنِي فيها ... فلم أَحْفِل بهم أهلي)
قال إسحاق وقال المدائني قال مسلمة بن محارب حدثني رجل من أصحابنا قال
خرجنا في سفرة ومعنا رجل فانتهينا إلى واد فدعونا بالغداء فمد الرجل يده إلى الطعام فلم يقدر عليه وهو قبل ذلك يأكل معنا في كل منزل فخرجنا نسأل عن حاله فلقينا رجلا طويلا أحول مضطرب الخلق في زي الأعراب فقال لنا ما لكم فأنكرنا سؤاله لنا فأخبرناه خبر الرجل فقال ما اسم صاحبكم فقلنا أسيد فقال هذا واد قد أخذت سباعه فارحلوا فلوقد جاوزتم الوادي استمر صاحبكم وأكل
قلنا في أنفسنا هذا من الجن ودخلتنا فزعة ففهم ذلك وقال ليفرخ روعكم فأنا طويس قال له بعض من معنا من بني غفار أو من بني عبس مرحبا بك يا أبا عبد النعيم ما هذا الزي فقال دعاني بعض أودائي من الأعراب فخرجت إليهم وأحببت أن أتخطى الأحياء فلا ينكروني
فسألت الرجل أن يغنينا فاندفع ونقر بدف كان معه مربع فلقد تخيل لي أن الوادي ينطق معه حسنا وتعجبنا من علمه وما أخبرنا به من أمر صاحبنا
وكان الذي غنى به في شعر عروة بن الورد في سلمى امرأته الغفارية حيث رهنها على الشراب
(سَقَوْني الخمرَ ثم تَكَنَّفُوني ... عُداةُ الله من كَذِبٍ وزُورِ)
(وقالوا لستَ بعدَ فِداء سَلْمَى ... بمُفْنٍ ما لديك ولا فقيرِ)
(فلا واللهِ لو مُلِّكْتُ أمري ... ومَنْ لي بالتَّدبُّر في الأمورِ)
((إذاً لعَصيتُهم في حبِّ سلْمى ... على ما كان من حَسَكِ الصدورِ
(فيا للنّاسِ كيف غُلِبْتُ أمري ... على شيءٍ ويكرهُهُ ضَميري)
قال إسحاق وحدثني الواقدي قال حدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال
لما غزا النبي بني النضير وأجلاهم عن المدينة خرجوا يريدون خيبر يضربون بدفوف ويزمرون بالمزامير وعلى النساء المعصفرات وحلي الذهب مظهرين لذلك تجلدا ومرت في الظعن يومئذ سلمى امرأة عروة بن الورد العبسي وكان عروة حليفا في بني عمرو بن عوف وكانت سلمى من بني غفار فسباها عروة من قومها وكانت ذات جمال فولدت له أولادا وكان شديد الحب لها وكان ولده يعيرون بأمهم ويسمون بني الأخيذة أي السبية فقالت ألا ترى ولدك يعيرون قال فماذا ترين قالت أرى أن تردني إلى قومي حتى يكونوا هم الذين يزوجونك فأنعم لها فأرسلت إلى قومها أن القوه بالخمر ثم أتركوه حتى يسكر ويثمل فإنه لا يسأل حينئذ شيئا إلا أعطاه فلقوه وقد نزل في بني النضير فسقوه الخمر فلما سكر سألوه سلمى فردها عليهم ثم أنكحوه بعد
ويقال إنما جاء بها إلى بني النضير وكان صعلوكا يغير فسقوه الخمر فلما انتشى منعوه ولا شيء معه إلا هي فرهنها ولم يزل يشرب حتى غلقت فلما قال لها انطلقي قالت لا سبيل إلى ذلك قد أغلقتني فبهذا صارت عند بني النضير فقال في ذلك
((سقَوْني الخمرَ ثم تكنَّفُوني ... عُداةُ الله من كذبٍ وزورِ
هذه الأبيات مشهورة بأن لطويس فيها غناء وما وجدته في شيء من الكتب مجنسا فتذكر طريقته
ولع طويس بالشعر الذي قالته الأوس والخزرج في حروبهم
وقال إسحاق وحدثني المدائني قال كان طويس ولعا بالشعر الذي قالته الأوس والخزرج في حروبهم وكان يريد بذلك الإغراء فقل مجلس اجتمع فيه هذان الحيان فغنى فيه طويس إلا وقع فيه شيء فنهي عن ذلك فقال والله لا تركت الغناء بشعر الأنصار حتى يوسدوني التراب وذلك لكثرة تولع القوم به فكان يبدي السرائر ويخرج الضغائن فكان القوم يتشاءمون به

وكان يستحسن غناؤه ولا يصبر عن حديثه ويستشهد على معرفته فغنى يوما بشعر قيس بن الخطيم في حرب الأوس والخزرج وهو
(ردّ الخَليطُ الجِمالَ فانصرفوا ... ماذا عليهم لو أنهم وقفُوا)
(لو وقفوا ساعةً نسائلُهم ... رَيْث يضحّي جِمَاله السَّلَفُ)
(فليتَ أهلي وأهلَ أَثْلَة في الدَّار ... قَريبٌ من حيثُ نختلفُ)
فلما بلغ إلى آخر بيت غني فيه طويس من هذه القصيدة وهو
(أبلغْ بني جَحْجَبى وقومَهُم ... خَطْمَةَ أنّا وراءَهم أُنُفُ)
تكلموا وانصرفوا وجرت بينهم دماء وانصرف طويس من عندهم سليما لم يكلم ولم يقل له شيء
قال إسحاق فحدثني الواقدي وأبو البختري قالا
قال قيس بن الخطيم هذه القصيدة لشغب أثاره القوم بعد دهر طويل ونذكر
سبب أول ما جرى بين الأوس والخزرج من الحرب
قال إسحاق قال أبو عبد الله اليزيدي وأبو البختري وحدثني مشايخ لنا قالوا كانت الأوس والخزرج أهل عز ومنعة وهما أخوان لأب وأم وهما ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر وأمهما قيلة بنت جفنة بن عتبة بن عمرو وقضاعة تذكر أنها قيلة بنت كاهل بن عذرة بن سعد بن زيد بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة
وكانت أول حرب جرت بينهم في مولى كان لمالك بن العجلان قتله سمير بن يزيد بن مالك وسمير رجل من الأوس ثم أحد بني عمرو بن عوف وكان مالك سيد الحيين في زمانه وهو الذي ساق تبعا إلى المدينة وقتل الفطيون صاحب زهرة وأذل اليهود للحيين جميعا فكان له بذلك الذكر والشرف عليهم وكانت دية المولى فيهم وهو الحليف خمسا من الإبل ودية الصريح عشرا فبعث مالك إلى عمرو بن عوف ابعثوا إلي سميرا حتى أقتله بمولاي فإنا نكره أن تنشب بيننا وبينكم حرب فأرسلوا إليه إنا نعطيك الرضا من مولاك فخذ منا عقله فإنك قد عرفت أن الصريح لا يقتل بالمولى قال لا آخذ في مولاي دون دية الصريح فأبوا إلا دية المولى فلما رأى ذلك مالك بن العجلان جمع قومه من الخزرج وكان فيهم مطاعا وأمرهم بالتهيؤ للحرب فلما بلغ الأوس استعدوا لهم وتهيؤوا للحرب واختاروا الموت على الذل ثم خرج بعض القوم إلى بعض فالتقوا بالصفينة بين بئر سالم وبين قباء قرية لبني عمرو بن عوف فاقتتلوا قتالا شديدا حتى نال بعض القوم من بعض ثم إن رجلا من الأوس نادى يا مالك ننشدك الله والرحم وكانت أم مالك إحدى نساء بني عمرو بن عوف فاجعل بيننا وبينك عدلا من قومك فما حكم علينا سلمنا لك فارعوى مالك عند ذلك وقال نعم فاختاروا عمرو بن امرئ القيس أحد بني الحارث بن الخزرج فرضي القوم به واستوثق منهم ثم قال فإني أقضي بينكم إن كان سمير قتل صريحا من القوم فهو به قود وإن قبلوا العقل فلهم دية الصريح وإن كان قتل مولى فلهم دية المولى بلا نقص ولا يعطى فوق نصف الدية وما أصبتم منا في هذه الحرب ففيه الدية مسلمة إلينا وما أصبنا منكم فيها علينا فيه دية مسلمة إليكم
فلما قضى بذلك عمرو بن امرئ القيس غضب مالك بن العجلان ورأى أن يرد عليه رأيه وقال لا أقبل هذا القضاء وأمر قومه بالقتال فجمع القوم بعضهم لبعض ثم التقوا بالفضاء عند آطام بني قينقاع فاقتتلوا قتالا شديدا ثم تداعوا إلى الصلح فحكموا ثابت بن حرام بن المنذر أبا حسان بن ثابت النجاري فقضى بينهم أن يدوا مولى مالك بن العجلان بدية الصريح ثم تكون السنة فيهم بعده على مالك وعليهم كما كانت أول مرة المولى على ديته والصريح على ديته فرضي مالك وسلم الآخرون وكان ثابت إذ حكموه أراد إطفاء النائرة فيما بين القوم ولم شعثهم فأخرج خمسا من الإبل من قبيلته حين أبت عليه الأوس أن تؤدي إلى مالك أكثر من خمس وأبى مالك أن يأخذ دون عشر
فلما أخرج ثابت الخمس أرضى مالكا بذلك ورضيت الأوس واصطلحوا بعهد وميثاق ألا يقتل رجل في داره ولا معقله والمعاقل النخل فإذا خرج رجل من داره أو معقله فلا دية له ولا عقل ثم انظروا في القتلى فأي الفريقين فضل على صاحبه ودى له صاحبه فأفضلت الأوس على الخزرج بثلاثة نفر فودتهم الأوس واصطلحوا
ففي ذلك يقول حسان بن ثابت لما كان أبوه أصلح بينهم ورضاهم بقضائه في ذلك
((وأبي في سُمَيْحة القائلُ الفاصِل ... حين التفّت عليه الخصومُ)
وفي ذلك يقول قيس بن الخطيم قصيدته وهي طويلة
(رَدّ الخليطُ الجمالَ فانصرفوا ... ماذا عليهم لو أنّهم وقَفوا)
عمر بن عبد العزيز يقول قيس بن الخطيم هو أنسب الناس
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال
كان عمر بن عبد العزيز ينشد قول قيس بن الخطيم
(بين شُكول النساء خِلْقتُها ... قَصْدٌ فلا جَبْلةٌ ولا قَضَفُ)
(تنام عن كُبْر شأنها فإذا ... قامت رُويداً تكاد تنقصفُ)
(تغترق الطرفَ وهي لاهيةٌ ... كأنما شفَّ وجهها نُزُفُ)
ثم يقول قائل هذا الشعر أنسب الناس
ومما في المائة المختارة من أغاني طويس
صوت
(يَا لَقَوْمِي قد أرّقتني الهمومُ ... ففؤادي مما يُجِنُّ سقيمُ)
(أنْدَبَ الحبُّ في فؤادي ففيه ... لو تَرَاءى للناظرين كلومُ)
يجن يخفي والجنة من ذلك والجن أيضا مأخوذ منه
وأندب أبقي فيه ندبا وهو أثر الجرح قال ذو الرمة
((تُريكَ سُنّةَ وجهٍ غيرَ مُقْرفةٍ ... ملساءَ ليس بها خالٌ ولا نَدَبُ)
الشعر لابن قيس الرقيات فيما قيل
والغناء لطويس ولحنه المختار خفيف رمل مطلق في مجرى الوسطى قال إسحاق وهو أجود لحن غناه طويس ووجدته في كتاب الهشامي خفيف رمل بالوسطى منسوبا إلى ابن طنبورة
قال وقال ابن المكي إنه لحكم وقال عمرو بن بانة إنه لابن عائشة أوله هذان البيتان وبعدهما

(ما لِذَا الهمِّ لا يَريمُ فؤادي ... مثلَ ما يَلزَمُ الغريمَ الغريمُ)
(إنّ مَنْ فَرّق الجماعةَ منّا ... بعد خَفْضٍ ونَعْمةٍ لذميمُ)
انقضت أخبار طويس
صوت من المائة المختارة من صنعة قفا النجار
(حُجِبَ الأُلى كنّا نُسَرّ بقربهم ... يا ليتَ أنّ حِجابَهم لم يُقْدَرِ)
(حُجِبوا ولم نَقض اللُّبانَةَ منهمُ ... ولنا إليهم صَبْوةٌ لم تُقْصِرِ)
(ويُحيط مِئزرُها بردْفٍ كاملٍ ... رَابي المَجَسَّةِ كالكَثيب الأعفرِ)
(وإذا مَشَتْ خِلتَ الطريقَ لمشيها ... وَحِلاً كمشي المُرْجِحنّ المُوقَرِ)
لم يقع إلينا قائل هذا الشعر والغناء لقفا النجار ولحنه المختار من الثقيل
الثاني بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى ويقال إن فيه لحنا لابن سريج
وذكر يحيى بن علي ابن يحيى في الاختيار الواثقي أن لحن قفا النجار المختار من الثقيل الأول
صوت من المائة المختارة
(أَفِقْ يا دَارميُّ فقد بُلِيتَا ... وإنك سوف تُوشِك أن تَمُوتَا)
(أراك تَزيدُ عشقاً كلَّ يومٍ ... إذا ما قلتَ إنك قد بَريتا)
الشعر والغناء جميعا لسعيد الدارمي ولحنه المختار من خفيف الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى
ذكر الدارمي وخبره ونسبه
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني أبو أيوب المديني قال حدثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال
الدارمي من ولد سويد بن زيد الذي كان جده قتل أسعد بن عمرو بن هند ثم هربوا إلى مكة فحالفوا بني نوفل بن عبد مناف
وكان الدارمي في أيام عمر بن عبد العزيز وكانت له أشعار ونوادر وكان من ظرفاء أهل مكة وله أصوات يسيرة وهو الذي يقول
(ولما رأيتُكَ أوليتني الْقبيحَ ... وأبعدتَ عنّي الجميلا)
(تركتُ وصالَك في جانبٍ ... وصادفتُ في الناس خِلاً بَدِيلا)
مناسبة قصيدته قل للمليحة
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني إسحاق بن إبراهيم عن الأصمعي وأخبرني عمي قال حدثنا فضل اليزيدي عن إسحاق بن إبراهيم عن الأصمعي وأخبرني عمي قال حدثنا أبو الفضل الرياشي عن الأصمعي
قال وحدثني به النوشجاني عن شيخ له البصريين عن الأصمعي عن
ابن أبي الزناد ولم يقل عن ابن أبي الزناد غيره
أن تاجرا من أهل الكوفة قدم المدينة بخمر فباعها كلها وبقيت السود منها فلم تنفق وكان صديقا للدارمي فشكا ذاك إليه وقد كان نسك وترك الغناء وقول الشعر فقال له لا تهتم بذلك فإني سأنفقها لك حتى تبيعها أجمع ثم قال
صوت
(قُلْ للمليحةِ في الخِمَارِ الأسودِ ... ماذا صَنَعتِ براهبٍ متعبِّدِ)
(قد كان شَمَّر للصلاة ثيابَه ... حتى وقَفتِ له ببابِ المسجدِ)
وغنى فيه وغنى فيه أيضا سنان الكاتب وشاع في الناس وقالوا قد فتك الدارمي ورجع عن نسكه فلم تبق في المدينة ظريفة إلا ابتاعت خمارا أسود حتى نفد ما كان مع العراقي منها فلما علم بذلك الدارمي رجع إلى نسكه ولزم المسجد
فأما نسبة هذا الصوت فإن الشعر فيه للدارمي والغناء أيضا وهو خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق
وفيه لسنان الكاتب رمل بالوسطى عن حبش
وذكر حبش أن فيه لابن سريج هزجا بالبنصر
أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثني أبو هفان قال حضرت يوما مجلس بعض قواد الأتراك وكانت له ستارة فنصبت فقال لها غني صوت الخمار السود المليح فلم ندر ما أراد حتى غنت
(...قل للمليحةِ في الخمار الأسودِ)
ثم أمسك ساعة ثم قال لها غني
(... إني خريت وجئت)
فضحكت ثم قالت هذا يشبهك فلم ندر أيضا ما أراد حتى غنت
(... إنّ الخليطَ أجدّ مُنْتَقَلَهْ)
بخل الدارمي
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا هارون بن محمد قال حدثني محمد ابن أخي سلم الخزاعي قال حدثني الحرمازي قال زعم لي ابن مودود قال
كان الدارمي المكي شاعرا ظريفا وكانت متفتيات أهل مكة لا يطيب لهن متنزه إلا بالدارمي فاجتمع جماعة منهن في متنزه لهن وفيهن صديقة له وكل واحدة منهن قد واعدت هواها فخرجن حتى أتين الجحفة وهو معهن فقال بعضهن لبعض كيف لنا أن نخلو مع هؤلاء الرجال من الدارمي فإنا إن فعلنا قطعنا في الأرض قالت لهن صاحبته أنا أكفيكنه قلن إنا نريد ألا يلومنا قالت علي أن ينصرف حامدا وكان أبخل الناس فأتته فقالت يا دارمي إنا قد تفلنا فاجلب لنا طيبا قال نعم هوذا آتي سوق الجحفة آتيكن منها بطيب فأتي المكارين فاكترى حمارا فصار عليه إلى مكة وهو يقول
((أنَا باللّه ذي العِزّ ... وبالرُّكن وبالصَّخْرَهْ)
(من اللائي يُردن الطِّيبَ ... في اليُسر وفي العُسْرَهْ)
(وما أقوَى على هذا ... ولو كنتُ على البَصْرَهْ)
فمكث النسوة ما شئن ثم قدم من مكة فلقيته صاحبته ليلة في الطواف فأخرجته إلى ناحية المسجد وجعلت تعاتبه

على ذهابه ويعاتبها إلى أن قالت له يا دارمي بحق هذه البنية أتحبني فقال نعم فبربها أتحبيني قالت نعم قال فيالك الخير فأنت تحبيني وأنا أحبك فما مدخل الدراهم بيننا
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي قال
كان الدارمي عند عبد الصمد بن علي يحدثه فأغفى عبد الصمد فعطس الدارمي عطسة هائلة ففزع عبد الصمد فزعا شديدا وغضب غضبا شديدا ثم استوى جالسا وقال يا عاض كذا من أمه أتفزعني قال لا والله ولكن هكذا عطاسي قال والله لأنقعنك في دمك أو تأتيني ببينة على ذلك قال فخرج ومعه حرسي لا يدري أين يذهب به فلقيه ابن الريان المكي فسأله فقال أنا أشهد لك فمضى حتى دخل على عبد الصمد فقال له بم تشهد لهذا قال أشهد أني رأيته مرة عطس عطسة فسقط ضرسه فضحك عبد الصمد وخلى سبيله
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا هارون بن محمد قال حدثنا الزبير قال
قال محمد بن إبراهيم الإمام للدارمي لو صلحت عليك ثيابي لكسوتك قال فديتك إن لم تصلح علي ثيابك صلحت علي دنانيرك
أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير ونسخت من كتاب هارون بن محمد حدثنا الزبير قال حدثني يونس بن عبد الله الخياط قال
خرج الدارمي مع السعاة فصادف جماعة منهم قد نزلوا على الماء فسألهم فأعطوه دراهم فأتى بها في ثوبه وأحاط به أعرابيات فجعلن يسألنه وألحن عليه وهو يردهن فعرفته صبية منهن فقالت يا أخواتي أتدرين من تسألن منذ اليوم هذا الدارمي السائل ثم أنشدت
(إذا كنتَ لا بدّ مُستطعِماً ... فدَعْ عنك مَنْ كان يستطعِمُ)
فولى الدارمي هاربا منهن وهن يتضاحكن به
خبر الدارمي مع الأوقص القاضي
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال أخبرني أحمد بن أبي خيثمة قال حدثنا مصعب الزبيري قال
أتى الدارمي الأوقص القاضي بمكة في شيء فأبطأ عليه فيه وحاكمه إليه خصم له في حق فحبسه به حتى أداه إليه فبينا الأوقص يوما في المسجد الحرام يصلي ويدعو ويقول يا رب أعتق رقبتي من النار إذ قال له الدارمي والناس يسمعون أولك رقبة تعتق لا والله ما جعل الله وله الحمد لك من عتق ولا رقبة فقال له الأوقص ويلك ومن أنت قال أنا الدارمي حبستني وقتلتني قال لا تقل ذلك وأتني فإني أعوضك فأتاه ففعل ذلك به
خبر الدارمي مع عبد الصمد بن علي
أخبرني الحرمي أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني عمي قال
مدح الدارمي عبد الصمد بن علي بقصيدة واستأذنه في الإنشاد فأذن له فلما فرغ أدخل إليه رجل من الشراة فقال لغلامه أعط هذا مائة دينار واضرب عنق هذا فوثب الدارمي فقال بأبي أنت وأمي برك وعقوبتك جميعا نقد فإن رأيت أن تبدأ بقتل هذا فإذا فرغ منه أمرته فأعطاني فإني لن أريم من حضرتك حتى يفعل ذلك قال ولم ويلك قال أخشى أن يغلط فيما بيننا والغلط في هذا لا يستقال فضحك وأجابه إلى ما سأل
مرضه
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي قال
أصابت الدارمي قرحة في صدره فدخل إليه بعض أصدقائه يعوده فرآه قد نفث من فيه نفثا أخضر فقال له أبشر قد اخضرت القرحة وعوفيت فقال هيهات والله لو نفثت كل زمردة في الدنيا ما أفلت منها
صوت من المائة المختارة
(يا رَبْعَ سَلْمَى لقد هيَّجتَ لي طرَبا ... زدْتَ الفؤادَ على عِلاَّتِه وَصَبَا)
(ربعٌ تبدّل ممّن كان يسكنُه ... عُفْرَ الظِّباءِ وظُلْمَاناً به عُصَبَا)
الشعر لهلال بن الأسعر المازني أخبرني بذلك وكيع عن حماد بن إسحاق عن أبيه وهكذا هو في رواية عمرو بن أبي عمرو الشيباني
ومن لا يعلم ينسبه إلى عمر بن أبي ربيعة وإلى الحارث بن خالد ونصيب وليس كذلك والغناء في اللحن المختار لعزور الكوفي ومن الناس من يقول عزون بالنون وتشديد الزاي وهو رجل من أهل الكوفة غير مشهور ولا كثير الصنعة ولا أعلم أني سمعت له بخبر ولا صنعة غير هذا الصوت
ولحن هذا المختار ثقيل أول بالبنصر في مجراها عن إسحاق وهكذا نسبه في الاختيار الواثقي وذكر عمرو بن بانة أن فيه لابن عائشة لحنا من الثقيل الأول بالبنصر
وفي أخبار الغريض عن حماد أن له فيه ثقيلا أول
وقال الهشامي فيه لعبد الله بن العباس لحن من الثقيل الثاني
وذكر حبش أن فيه لحسين بن محرز خفيف رمل بالبنصر
أخبار هلال ونسبه
هو فيما ذكر خالد بن كلثوم هلال بن الأسعر بن خالد بن الأرقم بن قسيم بن ناشرة بن سيار بن رزام بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم
شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية وأظنه قد أدرك الدولة العباسية وكان رجلا شديدا عظيم الخلق أكولا معدودا من الأكلة
قال أبو عمرو وكان هلال فارسا شجاعا شديد البأس والبطش أكثر الناس أكلا وأعظمهم في حرب غناء
هذا لفظ أبي عمرو
وقال أبو عمرو وعمر هلال بن أسعر عمرا طويلا ومات بعد بلايا عظام مرت على رأسه
قال وكان رجل من قومه من بني رزام بن مالك يقال له المغيرة بن قنبر يعوله ويفضل عليه ويحتمل ثقله وثقل عياله فهلك فقال هلال يرثيه
(ألا ليت المُغِيرةَ كان حيّاً ... وأفْنَى قبلَه الناسَ الفَنَاءُ)
(لِيَبْكِ على المُغِيرة كلُّ خيلٍ ... إذا أفْنَى عَرَائكَها اللِّقاءُ)

(وَيَبْكِ على المغيرة كُلُّ كَلٍّ ... فَقِيرٍ كان يَنْعَشُه العَطَاءُ)
(ويَبْكِ على المغيرة كلُّ جيشٍ ... تَمورُ لدى مَعَاركه الدِّمَاءُ)
(فتى الفتيانِ فارسُ كلِّ حربٍ ... إذا شالتْ وقد رُفِعَ اللِّواءُ)
((لقد وارَى جديدُ الأرضِ منه ... خِصَالاً عَقْدُ عِصْمتِها الوفاءُ
(فصيراً للنوائب إن ألَمَّتْ ... إذا ما ضاق بالحَدَثِ الفضاءُ)
(هِزبْرٌ تَنْجلي الغَمْراتُ عنه ... نقيُّ العِرْضِ هِمَّتُه العَلاَءُ)
(إذا شهِد الكَرِيهَةَ خَاضَ منها ... بحُوراً لا تكدّرُها الدِّلاءُ)
(جَسُورٌ لا يروَّع عند رَوْعٍ ... ولا يَثْنِي عزيمتَه اتِّقاءُ)
(حَلِيمٌ في مَشَاهده إذا ما ... حُبَا الحُلَماءِ أطلقها المِرَاءُ)
(حَمِيدٌ في عشيرته فَقِيدٌ ... يَطِيب عَليه في الملأ الثناءُ)
(فإن تكنِ المنيةُ أقْصدتْه ... وحُمَّ عليه بالتلف القَضَاءُ)
(فقد أَوْدَى به كرمٌ وخيرٌ ... وعَوْدٌ بالفضائل وابتداءُ)
(وجودٌ لا يَضُمّ إليه جوداً ... مُرَاهِنُه إذا جَدَّ الجِرَاءُ)
أخبار عن قوته وصلابته
وقال خالد بن كلثوم كان هلال بن الأسعر فيما ذكروا يرد مع الإبل فيأكل ما وجد عند أهله ثم يرجع إليها ولا يتزود طعاما ولا شرابا حتى يرجع يوم ورودها لا
يذوق فيما بين ذلك طعاما ولا شرابا وكان عادي الخلق لا توصف صفته قال خالد بن كلثوم فحدثنا عنه من أدركه أنه كان يوما في إبل له وذلك عند الظهيرة في يوم شديد وقع الشمس محتدم الهاجرة وقد عمد إلى عصاه فطرح عليها كساءه ثم أدخل رأسه تحت كسائه من الشمس فبينا هو كذلك إذ مر به رجلان أحدهما من بني نهشل والآخر من بني فقيم كانا أشد تميميين في ذلك الزمان بطشا يقال لأحدهما الهياج وقد أقبلا من البحرين ومعهما أنواط من تمر هجر وكان هلال بناحية الصعاب فلما انتهيا إلى الإبل ولا يعرفان هلالا بوجهه ولا يعرفان أن الإبل له ناديا يا راعي أعندك شراب تسقينا وهما يظنانه عبدا لبعضهم فناداهما هلال ورأسه تحت كسائه عليكما الناقة التي صفتها كذا في موضع كذا فأنيخاها فإن عليها وطبين من لبن فاشربا منهما ما بدا لكما
قال فقال له أحدهما ويحك انهض يا غلام فأت بذلك اللبن فقال لهما إن تك لكما حاجة فستأتيانها فتجدان الوطبين فتشربان قال فقال أحدهما إنك يابن اللخناء لغليظ الكلام قم فاسقنا ثم دنا من هلال وهو على تلك الحال
وقال لهما حيث قال له أحدهما إنك يابن اللخناء لغيظ الكلام أراكما والله ستلقيان هوانا وصغارا وسمعا ذلك منه فدنا أحدهما فأهوى له ضربا بالسوط على عجزه وهو مضطجع فتناول هلال يده فاجتذبه إليه ورماه تحت فخذه ثم ضغطه ضغطة فنادى صاحبه ويحك أغثني قد قتلني فدنا صاحبه منه فتناوله هلال أيضا فاجتذبه فرمى تحت فخذه الأخرى ثم أخذ برقابهما فجعل يصك برؤوسهما
بعضا ببعض لا يستطيعان أن يمتنعا منه فقال أحدهما كن هلالا ولا نبالي ما صنعت فقال لهما أنا والله هلال ولا والله لا تفلتان مني حتى تعطياني عهدا وميثاقا لا تخيسان به لتأتيان المربد إذا قدمتا البصرة ثم لتناديان بأعلى أصواتكما بما كان مني ومنكما فعاهداه وأعطياه نوطا من التمر الذي معهما وقدما البصرة فأتيا المربد فناديا بما كان منه ومنهما
وحدث خالد عن كنيف بن عبد الله المازني قال كنت يوما مع هلال ونحن نبغي إبلا لنا فدفعنا إلى قوم من بكر بن وائل وقد لغبنا وعطشنا وإذا نحن بفتية شباب عند ركية لهم وقد وردت إبلهم فلما رأوا هلالا استهولوا خلقه وقامته فقام رجلان منهم إليه فقال له أحدهما يا عبد الله هل لك في الصراع فقال له هلال أنا إلى غير ذلك أحوج قال وما هو قال إلى لبن وماء فإنني لغب ظمآن قال ما أنت بذائق من ذلك شيئا حتى تعطينا عهدا لتجيبننا إلى الصراع إذا أرحت ورويت فقال لهما هلال إنني لكم ضيف والضيف لا يصارع آهله رب منزله وأنتم مكتفون من ذلك بما أقول لكم اعمدوا إلى أشد فحل في إبلكم وأهيبه صولة وإلى أشد رجل منكم ذراعا فإن لم أقبض على هامة البعير وعلى يد صاحبكم فلا يمتنع الرجل ولا البعير حتى أدخل يد الرجل في فم البعير فإن لم أفعل ذلك فقد صرعتموني وإن فعلته علمتم أن صراع أحدكم أيسر من ذلك قال فعجبوا من مقالته تلك وأومؤوا إلى فحل في إبلهم هائج صائل قطم فأتاه هلال ومعه نفر من أولئك القوم وشيخ لهم فأخذ بهامة الفحل مما
فوق مشفره فضغطها ضغطة جرجر الفحل منها واستخذى ورغا وقال ليعطني من أحببتم يده أولجها في فم هذا الفحل قال فقال الشيخ يا قوم تنكبوا هذا الشيطان فوالله ما سمعت فلانا يعني الفحل جرجر منذ بزل قبل اليوم فلا تعرضوا لهذا الشيطان
وجعلوا يتبعونه وينظرون إلى خطوه ويعجبون من طول أعضائه حتى جازهم
قال وحدثنا من سمع هلالا يقول قدمت المدينة وعليها رجل من آل مروان فلم أزل أضع عن إبلي وعليها أحمال للتجار حتى أخذ بيدي وقيل لي أجب الأمير قال قلت لهم ويلكم إبلي وأحمالي فقيل لا بأس على إبلك وأحمالك قال فانطلق بي حتى أدخلت على الأمير فسلمت عليه ثم قلت جعلت فداك بلى وأمانتي قال فقال نحن ضامنون لإبلك وأمانتك حتى نؤديها إليك قال فقلت عند ذلك فما حاجة الأمير إلي جعلني الله فداه قال فقال لي وإلى جنبه رجل أصفر لا والله ما رأيت رجلا قط أشد خلقا منه ولا أغلظ عنقا وما أدري أطوله أكثر أم عرضه إن هذا العبد الذي تراه لا والله ما ترك بالمدينة عربيا يصارع إلا صرعه وبلغني عنك قوة فأردت أن يجري الله صرع هذا العبد على يديك فتدرك ما عنده من أوتار العرب
قال فقلت جعلني الله فداء الأمير إني لغب نصب جائع فإن رأى الأمير أن يدعني اليوم حتى أضع عن إبلي وأؤدي أمانتي وأريح يومي هذا وأجيئه غدا فليفعل
قال فقال لأعوانه انطلقوا معه فأعينوه على الوضع عن إبله وأداء أمانته وانطلقوا به إلى المطبخ فأشبعوه ففعلوا جميع ما أمرهم به
قال فظللت بقية يومي ذلك وبت ليلتي تلك بأحسن حال شبعا وراحة
وصلاح أمر فلما كان من الغد غدوت عليه وعلي جبة لي صوف وبت وليس علي إزار إلا أني قد شددت بعمامتي وسطي فسلمت عليه فرد علي السلام وقال للأصفر قم إليه فقد أرى أنه أتاك الله بما يجزيك فقال العبد اتزر يا أعرابي فأخذت بتي فاتزرت به على جبتي فقال هيهات هذا لا يثبت إذا قبضت عليه جاء في يدي قال فقلت والله ما لي من إزار قال

فدعا الأمير بملحفة ما رأيت قبلها ولا علا جلدي مثلها فشددت بها على حقوي وخلعت الجبة قال وجعل العبد يدور حولي ويريد ختلي وأنا منه وجل ولا أدري كيف أصنع به ثم دنا مني دنوة فنقد جبهتي نقدة حتى ظننت أنه قد شجني وأوجعني فغاظني ذلك فجعلت أنظر في خلقه ثم أقبض منه فما وجدت في خلقه شيئا أصغر من رأسه فوضعت إبهامي في صدغيه وأصابعي الأخر في أصل أذنيه
ثم غمزته غمزة صاح منها قتلني قتلني فقال الأمير اغمس رأس العبد في التراب
قال فقلت له ذلك لك علي قال فغمست والله رأسه في التراب ووقع شبيها بالمغشي عليه فضحك الأمير حتى استلقى وأمر لي بجائزة وكسوة وانصرفت

فرار هلال إلى اليمن

قال أبو الفرج ولهلال أحاديث كثيرة من أعاجيب شدته وقد ذكره حاجب بن ذبيان فقال قوم من بني رباب من بني حنيفة في شيء كان بينهم فيه أربع ضربات بالسيف فقال حاجب
(وقائلةٍ وباكية بشَجْوٍ ... لَبئس السيفُ سيفُ بني رباب)
(ولو لاقَى هلالَ بني رزَام ... لعجّله إلى يوم الحساب)
وكان هلال بن الأسعر ضربه رجل من بني عنزة ثم من بني جلان يقال له عبيد ابن جري في شيء كان بينهما فشجه وخمشه خماشة فأتى هلال بني جلان فقال إن صاحبكم قد فعل بي ما ترون فخذوا لي بحقي فأوعدوه وزجروه فخرج من عندهم وهو يقول عسى أن يكون لهذا جزاء حتى أتى بلاد قومه فمضى لذلك زمن طويل حتى درس ذكره ثم إن عبيد بن جري قدم الوقبى وهو موضع من بلاد بني مالك فلما قدمها ذكر هلالا وما كان بينه وبينه فتخوفه فسأل من أعز أهل الماء فقيل له معاذ بن جعدة بن ثابت بن زرارة بن ربيعة بن سيار بن رزام بن مازن فأتاه فوجده غائبا عن الماء فعقد عبيد بن جري طرف ثيابه إلى جانب طنب بيت معاذ وكانت العرب إذا فعلت ذلك وجب على المعقود بطنب بيته للمستجير به أن يجيره وأن يطلب له بظلامته وكان يوم فعل ذلك غائبا عن الماء فقيل رجل استجار بآل معاذ بن جعدة ثم خرج عبيد بن جري ليستقي فوافق قدوم هلال بإبله يوم وروده وكان إنما يقدمها في الأيام فلما نظر هلال إلى ابن جري ذكر ما كان بينه وبينه ولم يعلم باستجارته بمعاذ بن جعدة فطلب شيئا يضربه به فلم يجده فانتزع المحور من السانية فعلاه به ضربة على رأسه فصرع وقيذا وقيل قتل هلال بن الأسعر جار معاذ بن جعدة فلما سمع ذلك هلال تخوف بني جعدة الرزاميين وهم بنو عمه فأتى راحلته ليركبها قال هلال فأتتني خولة بنت يزيد بن ثابت أخي بني جعدة بن ثابت وهي جدة أبي السفاح زهيد بن عبد الله بن مالك أم أبيه فتعلقت بثوب هلال ثم قالت أي عدو الله قتلت جارنا والله لا تفارقني حتى يأتيك رجالنا قال هلال والمحور في يدي لم أضعه قال فهممت أن أعلوا به رأس خولة ثم قلت في نفسي عجوز لها سن وقرابة قال فضربتها برجلي ضربة رميت بها من بعيد ثم أتيت
ناقتي فأركبها ثم أضربها هاربا وجاء معاذ بن جعدة وإخوته وهم يومئذ تسعة إخوة وعبد الله بن مالك زوج لبنت معاذ ويقال لها جبيلة وهو مع ذلك ابن عمتهم خولة بنت يزيد بن ثابت فهو معهم كأنه بعضهم فجاءوا من آخر النهار فسمعوا الواعية على الجلاني وهو دنف لم يمت فسألوا عن تلك الواعية فأخبروا بما كان من استجارة الجلاني بمعاذ بن جعدة وضرب هلال له من بعد ذلك فركب الأخوة التسعة وعبد الله بن مالك عاشرهم وكانوا أمثال الجبال في شدة خلقهم مع نجدتهم وركبوا معهم بعشرة غلمة لهم أشد منهم خلقا لا يقع لأحد منهم سهم في غير موضع يريده من رميته حتى تبعوا هلالا وقد نسل هلال من الهرب يومه ذلك كله وليلته فلما أصبح أمنهم وظن أن قد أبعد في الأرض ونجا منهم وتبعوه فلما أصبحوا من تلك الليلة قصوا أثره وكان لا يخفى أثره على أحد لعظم قدمه فلحقوه من بعد الغد فلما أدركوه وهم عشرون ومعهم النبل والقسي والسيوف والترسة ناداهم يا بني جعدة إني أنشدكم الله أن أكون قتلت رجلا غريبا طلبته بترة تقتلوني وأنا ابن عمكم وظن أن الجلاني قد مات ولم يكن مات إلى أن تبعوه وأخذوه فقال معاذ والله لو أيقنا أنه قد مات ما ناظرنا بك القتل من ساعتنا ولكنا تركناه ولم يمت ولسنا نحب قتلك إلا أن تمتنع منا ولا نقدم عليك حتى نعلم ما يصنع جارنا فقاتلهم وامتنع منهم فجعل معاذ يقول لأصحابه وغلمانه لا ترموه بالنبل ولا تضربوه بالسيوف ولكن ارموه بالحجارة واضربوه بالعصي حتى تأخذوه ففعلوا ذلك فما قدروا على أخذه حتى كسروا من إحدى يديه ثلاث أصابع ومن الأخرى إصبعين ودقوا ضلعين من أضلاعه وأكثروا الشجاج في رأسه ثم أخذوه وما كادوا يقدرون على أخذه فوضعوا في رجله أدهم ثم جاءوا به وهو معروض على بعير حتى انتهوا به إلى الوقبى فدفعوه إلى الجلاني ولم يمت بعد فقالوا انطلقوا به معكم إلى بلادكم ولا تحدثوا في أمره شيئا حتى تنظروا ما يصنع بصاحبكم فإن مات فاقتلوه وإن حيي فأعلمونا حتى نحمل لكم أرش الجناية فقال الجلانيون وفت ذمتكم يا بني جعدة وجزاكم الله أفضل ما يجزي به خيار الجيران إنا نتخوف أن ينزعه منا قومكم إن خليتم عنا وعنهم وهو في أيدينا فقال لهم معاذ فإني أحمله معكم وأشيعكم حتى تردوا بلادكم ففعلوا ذلك فحمل معروضا على بعير وركبت أخته جماء بنت الأسعر معه وجعل يقول قتلتني بنو جعدة وتأتيه أخته بمغرة فيشربها فيقال يمشي بالدم لأن بني جعدة فرثوا كبده في جوفه
فلما بلغوا أدنى بلاد بكر بن وائل قال الجلانيون لمعاذ وأصحابه أدام الله عزكم وقد وفيتم فانصرفوا وجعل هلال يريهم أنه يمشي في الليلة عشرين مرة فلما ثقل الجلاني وتخوف هلال أن يموت من ليلته أو يصبح ميتا تبرز هلال كما كان يصنع وفي رجله الأدهم كأنه يقضي حاجة ووضع كساءه على عصاه في ليلة ظلماء ثم اعتمد على الأدهم فحطمه ثم طار تحت ليلته على رجليه وكان أدل الناس فتنكب الطريق التي تعرف ويطلب فيها وجعل يسلك المسالك التي لا يطمع فيها حتى انتهى إلى رجل من بني أثاثة بن مازن يقال له السعر بن يزيد بن طلق بن جبيلة بن أثاثة بن مازن فحمله السعر على ناقة له يقال لها ملوة فركبها ثم تجنب بها الطريق فأخذ نحو بلاد قيس بن عيلان تخوفا من بني مازن أن يتبعوه أيضا فيأخذوه فسار ثلاث
ليال وأيامها حتى نزل اليوم الرابع فنحر الناقة فأكل لحمها كله إلا فضلة فضلت منها فاحتملها ثم أتى بلاد اليمن فوقع بها فلبث زمانا وذلك عند مقام الحجاج بالعراق فبلغ إفلاته من بالبصرة من بكر بن وائل
فانطلقوا إلى الحجاج فاستعدوه وأخبروه بقتله صاحبهم فبعث الحجاج إلى عبد الله بن شعبة بن العلقم وهو يومئذ عريف بني مازن حاضرتهم وباديتهم فقال له لتأتيني بهلال أو لأفعلن بك ولأفعلن فقال له عبد الله بن شعبة إن أصحاب هلال وبني عمه قد صنعوا كذا وكذا فاقتص عليه ما صنعوا في طلبه وأخذه ودفعه إلى الجلانيين وتشييعهم إياه حتى وردوا بلاد بكر بن وائل فقال له الحجاج ويلك ما تقول قال فقال بعض البكريين صدق أصلح الله الأمير قال فقال الحجاج فلا يرغم الله إلا أنوفكم اشهدوا أني قد آمنت كل قريب لهلال وحميم وعريف ومنعت من أخذ أحد به ومن طلبه حتى يظفر به البكريون

أو يموت قبل ذلك فلما وقع هلال إلى بلاد اليمن بعث إلى بني رزام بن مازن بشعر يعاتبهم فيه ويعظم عليهم حقه ويذكر قرابته وذلك أن سائر بني مازن قاموا ليحملوا ذلك الدم فقال معاذ لا أرضى والله أن يحمل لجاري دم واحد حتى يحمل له دم ولجواري دم آخر وإن أراد هلال الأمان وسطنا حمل له دم ثالث فقال هلال في ذلك
(بَني مازنٍ لا تطرُدوني فإنّني ... أخوكم وإن جَرَّتْ جَرائرَها يدِي)
(ولا تُثلِجوا أكبادَ بكرِ بن وائلٍ ... بترك أخيكم كالخليع المُطرَّدِ)
(ولا تجعلوا حِفظي بظَهرٍ وتحفظوا ... بعيداً ببغضاء يروح ويغتدِي)
(فإنّ القريب حيثُ كان قريبكُم ... وكيفَ بقطع الكَفّ من سائر اليدِ)
(وإن البعيد إن دنا فهو جاركم ... وإن شطّ عنكم فهو أبعدُ أبعدِ)
(وإنّي وإن أوجدتموني لحافظ ... لكم حفظَ راضٍ عنكم غير مُوجَدِ)
(سَيَحمِي حِماكم بي وإن كنتُ غائباً ... أغرُّ إذا ما ريع لم يتبلّدِ)
(وتَعلم بكر أنّكم حيثُ كنتم ... وكنتُ من الأرض الغريبة محتدِي)
(وأنّي ثقيلٌ حيثُ كنتُ على العِدا ... وأنّي وإن أوحِدتُ لستُ بأوحدِ)
(وأنهمُ لمّا أرادوا هَضيمتي ... منُوا بجميع القلب عَضبٍ مُهنَّدِ)
(حُسامٍ متى يعزمْ على الأمر يأته ... ولم يتوقّف للعواقبِ في غدِ)
(وهم بدؤوا بالبَغْي حتّى إذا جُزوا ... بأفعالهم قالوا لجازيهم قَدِ)
(فلم يَكُ منهم في البديهة مُنصِفٌ ... ولم يكُ فيهم في العواقبِ مُهتدِي)
(ولم يَفعلوا فعلَ الحليم فيُجْمِلوا ... ولم يفعلوا فعلَ العزيز المؤيَّدِ)
(فإن يَسرِ لي إيعادُ بَكْرٍ فربما ... مَنَعتُ الكَرَى بالغيظ من مُتوعِّدِ)
(وربّ حِمَى قومٍ أبحتُ ومورِدٍ ... وردتُ بفتيان الصباح ومورِدِ)
(وسجْفٍ دَجُوجيٍّ من الليل حالكٍ ... رفعتُ بعَجْلى الرِّجل موارة اليدِ)
(سفينة خَوّاضٍ بحُورَ هُمومِه ... قليلِ التباث العزم عند التردّدِ)
(جَسور على الأمر المَهيب إذا ونَى ... أخو الفَتْك ركّابٍ قَرى المتهدِّدِ)
وقال وهو بأرض اليمن
(أقول وقد جاوزتُ نُعْمَى وناقتي ... تَحِنُّ إلى جَنْبي فُليج مع الفَجْرِ)
(سقى الله يا ناقَ البلادَ التي بها ... هواكِ وإن عنّا نأتْ سبَل القَطْرِ)
(فما عن قِلىً منّا لها خَفّتِ النّوى ... بنا عن مَراعِيها وكُثْبانِها العُفْرِ)
(ولكنّ صرفَ الدّهر فرّق بيننا ... وبين الأداني والفتى غَرضُ الدهر)
(فسَقْياً لصحراء الإهالة مَرْبَعاً ... وللوَقبى من منزلٍ دمِثٍ مُثْرِي)
(وسَقْياً ورَعْيا حيث حَلّتْ لمازنٍ ... وأيّامِها الغُرّ المحجّلة الزُّهْرِ)
قال خالد بن كلثوم ولما دفع هلال إلى أولياء الجلاني ليقتلوه بصاحبهم جاء رجل يقال له حفيد كان هلال قد وتره فقال والله لأؤبنه ولأصغرن إليه نفسه وهو في القيود مصبور للقتل فأتاه فلم يدع له شيئا مما يكره إلا عده عليه
قال وإلى جنب هلال حجر يملأ الكف فأخذه هلال فأهوى به للرجل فأصاب جبينه فاجتلف جلفة من وجهه ورأسه ثم رمى بها وقال خذ القصاص مني الآن وأنشأ يقول
(أنا ضربتُ كَرِباً وزَيْداً ... وثابتاً مَشيَّتُهم رُوَيْدَا)
(كما أفدتُ حيْنَه عُبَيدَا ... وقد ضربتُ بعده حُفيدَا)
قال وهؤلاء كلهم من بني رزام بن مازن وكلهم كان هلال قد نكأ فيهم
هلال يمدح الديسم لأنه أدى عنه الدية
قال خالد بن كلثوم ولما طال مقام هلال باليمن نهضت بنو مازن بأجمعهم إلى بني رزام بن مازن رهط هلال ورهط معاذ بن جعدة جار الجلاني المقتول فقالوا إنكم قد أسأتم بابن عمكم وجزتم الحد في الطلب بدم جاركم فنحن نحمل لكم ما أردتم فحمل ديسم بن المنهال بن خزيمة بن شهاب بن أثاثة بن ضباب بن حجية بن كابية بن حرقوص بن مازن الذي طلب معاذ بن جعدة أن يحمل لجاره لفضل عزه وموضعه في عشيرته وكان الذي طلب ثلثمائة بعير فقال هلال في ذلك
(إن ابن كابيةَ المَرزَّأ دَيْسماً ... وَاري الزناد بعيدُ ضوءِ النارِ)
(مَن كان يحملُ ما تحمّلَ ديسمٌ ... من حائلٍ فُنُقٍ وأمِّ حُوارِ)
(عَيّتْ بنو عمرو بحمل هنائدٍ ... فيها العِشارُ مِلاَبيءُ الأبكارِ)
(حتى تَلاَفاها كريمٌ سابقٌ ... بالخير حلّ منازلَ الأخيارِ)
(حتى إذا وردتْ جميعاً أُرزِمتْ ... حِلاّنَ بعد تَشمُّسٍ ونِفارِ)
(تَرعَى بصحراءِ الإهالَة رُوبَةً ... والعُنظُوانَ مَنابِتَ الجرجَارِ)
وقال خالد بن كلثوم كان قيمر بن سعد مصدقا على بكر بن وائل فوجد منهم رجلا قد سرق صدقته فأخذه قمير ليحبسه فوثب قومه وأرادوا أن يحولوا بين قمير وبينه وهلال حاضر فلما رأى ذلك هلال وثب على البكريين فجعل يأخذ الرجلين منهم فيكنفهما ويناطح بين رؤوسهما فانتهى إلى قمير أعوانه فقهروا البكريين فقال هلال في ذلك
(دعاني قُمَيرٌ دَعْوةً فأجبتُه ... فأيُّ امرىءٍ في الحربِ حين دَعانِي)
(معي مِخْذَمٌ قد أخلص القَينُ حَدَّه ... يُخفِّضُ عند الرَّوْعِ روعَ جَنانِي)
(وما زلتُ مذ شَدَّتْ يميني حُجْزتي ... أُحَاربُ أو فِي ظِلّ حربٍ تَرانِي)
حبسه ثم الإفراج عنه بعد افتدائه
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا حكيم بن سعد عن زفر بن هبيرة قال تقاوم هلال بن أسعر المازني وهو أحد بني رزام بن مازن ونهيس الجلاني من عنزة وهما يسقيان إبلهما فحذف هلال نهيسا بمحور في يده فأصابه فمات فاستعدى ولده بلال بن أبي بردة على هلال فحبسه فأسلمه قومه بنو رزام وعمل في أمره ديسم ابن المنهال أحد بني كابية بن حرقوص ففاتكه بثلاث ديات فقال هلال يمدحه
(تداركَ دَيْسمٌ حسَباً ومجداً ... رِزَاماً بعد ما انشقَّتْ عَصَاها)

(همو حَملوا المئِينَ فألحقُوها ... بأهليها فكان لهم سَنَاها)
(وما كانت لتحمِلَها رِزامٌ ... بأسْتَاهٍ مُعَقّصَة لِحَاها)
(بكابيةَ بن حُرقُوصٍ وجدٍّ ... كريمٍ لا فَتَى إلا فَتَاها)
نهم هلال وكثرة أكله
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار وأحمد بن عبد العزيز الجوهري
قالا حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي قال حدثني نصر بن علي الجهضمي قال حدثنا الأصمعي وأخبرني أبو عبيد محمد بن أحمد بن المؤمل الصيرفي قال حدثنا فضل بن الحسن قال حدثنا نصر بن علي عن الأصمعي قال حدثنا المعتمر بن سليمان قال
قلت لهلال بن أسعر ما أكلة أكلتها بلغتني عنك قال جعت مرة ومعي بعيري فنحرته وأكلته إلا ما حملت منه على ظهري قال أبو عبيد في حديثه عن فضل ثم أردت امرأتي فلم أقدر على جماعها فقالت لي ويحك كيف تصل إلي وبيني وبينك بعير قال المعتمر فقلت له كم تكفيك هذه الأكلة قال أربعة أيام
وحدثني به ابن عمار قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أحمد بن معاوية عن الأصمعي عن معتمر بن سليمان عن أبيه قال قلت لهلال بن الأسعر هكذا قال ابن أبي سعد معتمر عن أبيه وقال في خبره فقلت له كم تكفيك هذه الأكلة فقال خمسا
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي قال حدثنا نصر بن علي قال حدثني الأصمعي قال حدثني شيخ من بني مازن قال
أتانا هلال بن أسعر المازني فأكل جميع ما في بيتنا فبعثنا إلى الجيران
نقترض الخبز فلما رأى الخبز قد اختلف عليه قال كأنكم أرسلتم إلى الجيران أعندكم سويق قلنا نعم فجئته بجراب طويل فيه سويق وببرنية نبيذ فصب السويق كله وصب عليه النبيذ حتى أتى على السويق والنبيذ كله
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن موسى قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني
أن هلال بن أسعر مر على رجل من بني مازن بالبصرة وقد حمل من بستانه رطبا في زواريق فجلس على زورق صغير منها وقد كثب الرطب فيه وغطي بالبواري قال له يابن عم آكل من رطبك هذا قال نعم قال ما يكفيني قال ما يكفيك فجلس على صدر الزورق وجعل يأكل إلى أن اكتفى ثم قام فانصرف فكشف الزورق فإذا هو مملؤ نوى قد أكل رطبه وألقى النوى فيه
قال المدائني وحدثني من سأله عن أعجب شيء أكله فقال مائتي رغيف مع مكوك ملح
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني الحسن بن علي بن منصور الأهوازي وكان كهلا سريا معدلا قال حدثني شبان النيلي عن صدقة بن عبيد المازني قال
أولم علي أبي لما تزوجت فعملنا عشر جفان ثريدا من جزور
فكان أول من جاءنا هلال بن أسعر المازني فقدمنا إليه جفنة فأكلها ثم أخرى ثم أخرى حتى أتى على العشر ثم استسقى فأتي بقربة من نبيذ فوضع طرفها في شدقه ففرغها في جوفه ثم قام فخرج فاستأنفنا عمل الطعام
هلال أطول الناس قامة
أخبرني الجوهري قال حدثنا إسماعيل بن إسحاق قال حدثنا نصر بن علي عن الأصمعي قال حدثني أبو عمرو بن العلاء قال رأيت هلال بن أسعر ميتا ولم أره حيا فما رأيت أحدا على سرير أطول منه
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد قال حدثني بعض حاشية السلطان قال
غنى إبراهيم الموصلي الرشيد يوما
(يا ربعَ سَلْمَى لقد هيّجتَ لي طربًا ... زدتَ الفؤاد على علاَّته وَصَبَا)
قال والصنعة فيه لرجل من أهل الكوفة يقال له عزون فأعجب به الرشيد وطرب له واستعاده مرارا فقال له الموصلي يا أمير المؤمنين فكيف لو سمعته من عبدك مخارق فإنه أخذه عني وهو يفضل فيه الخلق جميعا ويفضلني فأمر بإحضار مخارق فأحضر فقال له غنني
(يا ربعَ سلمى لقد هيّجتَ لي طربا ... زدت الفؤاد على عِلاّته وصبا)
فغناه إياه فبكى وقال سل حاجتك قال مخارق فقلت تعتقني يا أمير المؤمنين من الرق وتشرفني بولائك أعتقك الله من النار قال أنت حر لوجه الله أعد الصوت قال فأعدته فبكى وقال سل حاجتك فقلت يا أمير المؤمنين ضيعة تقيمني غلتها فقال قد أمرت لك بها أعد الصوت فأعدته فبكى وقال سل حاجتك فقلت يأمر لي أمير المؤمنين بمنزل وفرشه وما يصلحه وخادم فيه قال ذلك لك أعده فأعدته فبكى وقال سل حاجتك قلت حاجتي يا أمير المؤمنين أن يطيل الله بقاءك ويديم عزك ويجعلني من كل سوء فداءك قال فكان إبراهيم الموصلي سبب عتقه بهذا الصوت
أخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف وكيع قال حدثني هارون بن مخارق وحدثني به الصولي أيضا عن وكيع عن هارون بن مخارق قال
كان أبي إذا غنى هذا الصوت
(يا ربع سلمى لقد هيجت لي طربا ... زدت الفؤاد على عِلاّته وصبا)
يقول أنا مولى هذا الصوت فقلت له يوما يا أبت وكيف ذلك فقال غنيته مولاي الرشيد فبكى وقال أحسنت أعد فأعدت فبكى وقال أحسنت أنت حر لوجه الله وأمر لي بخمسة آلاف دينار فأنا مولى هذا الصوت بعد مولاي وذكر قريبا مما ذكره المبرد من باقي الخبر
حدثني الحسن بن علي قال حدثنا ابن أبي الدنيا قال حدثني إسحاق النخعي عن حسين بن الضحاك عن مخارق أن الرشيد أقبل يوما على المغنين وهو مضطجع فقال من منكم يغني
(يا ربعَ سلمى لقد هيّجتَ لي طربا ... زدتَ الفؤاد على عِلاّته وصبا)
قال فقمت فقلت أنا فقال هاته فغنيته فطرب وشرب ثم قال علي بهرثمة فقلت في نفسي ما تراه يريد منه فجاؤوا بهرثمة فأدخل إليه وهو يجر سيفه فقال يا هرثمة مخارق الشاري الذي قتلناه بناحية الموصل ما كانت كنيته فقال أبو المهنا فقال انصرف فانصرف ثم أقبل علي فقال قد كنيتك أبا المهنا لإحسانك وأمر لي بمائة ألف درهم فانصرفت بها وبالكنية

صوت من المائة المختارة من رواية جحظة عن أصحابه
(وخِلٍّ كنتُ عينَ الرُّشْد منه ... إذا نظرتْ ومستمِعاً سَمِيعَا)
(أطاف بِغَيِّه فعدلتُ عنه ... وقلت له أرى أمراً فظيعَا)
الشعر لعروة بن الورد والغناء في اللحن المختار لسياط ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو بن بانة
وفيه لإبراهيم ماخوري بالوسطى عن عمرو أيضا
أخبار عروة بن الورد ونسبه
عروة بن الورد بن زيد وقيل ابن عمرو بن زيد بن عبد الله بن ناشب بن هريم بن لديم بن عوذ بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن الريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار شاعر من شعراء الجاهلية وفارس من فرسانها وصعلوك من صعاليكها المعدودين المقدمين الأجواد
وكان يلقب عروة الصعاليك لجمعه إياهم وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم ولم يكن لهم معاش ولا مغزى وقيل بل لقب عروة الصعاليك لقوله
(لَحى اللَّه صُعلوكاً إذا جَنّ ليلُه ... مُصَافِي المُشَاشِ آلِفاً كلَّ مَجزر)
(يَعُدُّ الغِنى من دهره كلَّ ليلةٍ ... أصابَ قِراها من صَديقٍ مُيسَّر)
(ولِلَّه صُعلوكٌ صفيحةُ وجهه ... كضوءِ شهابِ القابِس المتنوِّر)
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال بلغني أن معاوية قال
لو كان لعروة بن الورد ولد لأحببت أن أتزوج إليهم
أخبرني محمد بن خلف قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثني
العمري عن الهيثم بن عدي وحدثنا إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم قالا جميعا
قال عبد الملك بن مروان ما يسرني أن أحدا من العرب ولدني ممن لم يلدني إلا عروة بن الورد لقوله
(إنِّي امرؤٌ عافِي إنائيَ شِركَةٌ ... وأنت امرؤٌ عافِي إنائِك واحدُ)
(أتهزأ منِّي أن سمِنْتَ وأن تَرَى ... بجسمِيَ مَسَّ الحقّ والحقُّ جاهِدُ)
(أُفرِّق جِسْمِي في جسومٍ كثيرةٍ ... وأحْسُو قَراحَ الماءِ والماءُ باردُ)
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني عمر بن شبة قال
بلغني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للحطيئة كيف كنتم في حربكم قال كنا ألف حازم قال وكيف قال كان فينا قيس بن زهير وكان حازما وكنا لا نعصيه وكنا نقدم إقدام عنترة ونأتم بشعر عروة بن الورد وننقاد لأمر الربيع بن زياد
عبد الملك يقول عروة أسمح الناس
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال
ويقال إن عبد الملك قال من زعم أن حاتما أسمح الناس فقد ظلم عروة ابن الورد
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال أخبرنا إبراهيم بن المنذر قال حدثنا معن بن عيسى قال
سمعت أن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال لمعلم ولده لا تروهم قصيدة عروة بن الورد التي يقول فيها
(دَعِيني للغِنَى أسعَى فإنِّي ... رأيتُ الناسَ شرُّهمُ الفقيرُ)
ويقول إن هذا يدعوهم إلى الاغتراب عن أوطانهم
خبر عروة مع سبيته سلمى
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن يحيى قال حدثني عبد العزيز بن عمران الزهري عن عامر بن جابر قال
أغار عروة بن الورد على مزينة فأصاب منهم امرأة من كنانة ناكحا فاستاقها ورجع وهو يقول
(تَبَغَّ عَدِيّاً حيث حَلّتْ ديَارُها ... وأبناءَ عَوْفٍ في القُرُونِ الأوائِل)
(فإلاَّ أَنَلْ أوْساً فإنّيَ حَسْبُها ... بِمُنْبطِحِ الأدغال من ذي السلائِل)
ثم أقبل سائرا حتى نزل ببني النضير فلما رأوها أعجبتهم فسقوه الخمر ثم استوهبوها منه فوهبها لهم وكان لا يمس النساء فلما أصبح وصحا ندم فقال
(... سقَوْني الخمرَ ثم تكنّفوني)
الأبيات قال وجلاها النبي مع من جلا من بني النضير
سلمى تثني عليه بعد رفضها العودة معه
وذكر أبو عمرو الشيباني من خبر عروة بن الورد وسلمى هذه أنه أصاب امرأة
من بني كنانة بكرا يقال لها سلمى وتكنى أم وهب فأعتقها واتخذها لنفسه فمكثت عنده بضع عشرة سنة وولدت له أولادا وهو لا يشك في أنها أرغب الناس فيه وهي تقول له لو حججت بي فأمر على أهلي وأراهم فحج بها فأتى مكة ثم أتى المدينة وكان يخالط من أهل يثرب بني النضير فيقرضونه إن احتاج ويبايعهم إذا غنم وكان قومها يخالطون بني النضير فأتوهم وهو عندهم فقالت لهم سلمى إنه خارج بي قبل أن يخرج الشهر الحرام فتعالوا إليه وأخبروه أنكم تستحيون أن تكون امرأة منكم معروفة النسب صحيحته سبية وافتدوني منه فإنه لا يرى أني أفارقه ولا أختار عليه أحدا فأتوه فسقوه الشراب فلما ثمل قالوا له فادنا بصاحبتنا فإنها وسطة النسب فينا معروفة وإن علينا سبة أن تكون سبية فإذا صارت إلينا وأردت معاودتها فاخطبها إلينا فإننا ننكحك فقال لهم ذاك لكم ولكن لي الشرط فيها أن تخيروها فإن اختارتني انطلقت معي إلى ولدها وإن اختارتكم انطلقتم بها قالوا ذاك لك قال دعوني أله بها الليلة وأفادها غدا فلما كان الغد جاءوه فامتنع من فدائها فقالوا له قد فاديتنا به منذ البارحة وشهد عليه بذلك جماعة ممن حضر فلم يقدر على الامتناع وفاداها فلما فادوه بها خيروها فاختارت أهلها ثم أقبلت عليه فقالت يا عروة أما إني أقول فيك وإن فارقتك الحق والله ما أعلم امرأة من العرب ألقت سترها على بعل خير منك وأغض طرفا وأقل فحشا وأجود يدا وأحمى لحقيقة وما مر علي يوم منذ كنت عندك إلا والموت فيه أحب إلي من الحياة بين قومك لأني لم أكن أشاء أن أسمع امرأة من قومك تقول قالت أمة عروة كذا وكذا إلا سمعته ووالله لا أنظر في وجه
غطفانية أبدا فارجع راشدا إلى ولدك وأحسن إليهم فقال عروة في ذلك
(... سقَوْني الخمرَ ثم تكنّفوني)

وأولها
(أرِقتُ وصُحْبتِي بمضيق عَمْقٍ ... لبرقٍ من تِهَامةَ مُستَطِيرِ)
(سَقَى سَلْمى وأين ديارُ سَلْمى ... إذا كانت مُجاورةَ السَّرير)
(إذا حلّتْ بأرض بني عليٍّ ... وأهلي بين إمَّرَةٍ وكِير)
(ذكرتُ منازلاً من أمّ وهبٍ ... محلَّ الحيِّ أسفلَ من نَقِير)
(وأحدثُ معهدٍ من أمّ وهبٍ ... مُعرَّسُنا بدار بني النَّضِير)
(وقالوا ما تشاءُ فقلتُ ألْهُو ... إلى الإصباح آثِرَ ذِي أَثِير)
(بآنِسةِ الحديثِ رُضَابُ فِيها ... بُعَيدَ النومِ كالعِنَبِ العَصِير)
وأخبرني علي بن سليمان الأخفش عن ثعلب عن ابن الأعرابي بهذه الحكاية كما ذكر أبو عمرو وقال فيها إن قومها أغلوا بها الفداء وكان معه طلق وجبار أخوه وابن عمه فقالا له والله لئن قبلت ما أعطوك لا تفتقر أبدا وأنت على النساء قادر متى شئت وكان قد سكر فأجاب إلي فدائها فلما صحا ندم فشهدوا عليه بالفداء فلم يقدر على الامتناع
وجاءت سلمى تثني عليه فقالت والله إنك ما علمت لضحوك مقبلا كسوب مدبرا خفيف على متن الفرس ثقيل على العدو طويل
العماد كثير الرماد راضي الأهل والجانب فاستوص ببنيك خيرا ثم فارقته
فتزوجها رجل من بني عمها فقال لها يوما من الأيام يا سلمى أثني علي كما أثنيت على عروة وقد كان قولها فيه شهر فقالت له لا تكلفني ذلك فإني إن قلت الحق غضبت ولا واللات والعزى لا أكذب فقال عزمت عليك لتأتيني في مجلس قومي فلتثنين علي بما تعلمين وخرج فجلس في ندي القوم وأقبلت فرماها القوم بأبصارهم فوقفت عليهم وقالت أنعموا صباحا إن هذا عزم علي أن أثني عليه بما أعلم
ثم أقبلت عليه فقالت والله إن شملتك لالتحاف وإن شربك لاشتفاف وإنك لتنام ليلة تخاف وتشبع ليلة تضاف وما ترضي الأهل ولا الجانب ثم انصرفت
فلامه قومه وقالوا ما كان أغناك عن هذا القول منها

عروة يخرج صعاليك

أخبرني الأخفش عن ثعلب عن ابن الأعرابي قال حدثني أبو فقعس قال
كان عروة بن الورد إذا أصابت الناس سنة شديدة تركوا في دارهم المريض والكبير والضعيف وكان عروة بن الورد يجمع أشباه هؤلاء من دون الناس من عشيرته في الشدة ثم يحفر لهم الأسراب ويكنف عليهم الكنف ويكسبهم ومن قوي منهم إما مريض يبرأ من مرضه أو ضعيف تثوب قوته خرج به معه فأغار وجعل لأصحابه الباقين في ذلك نصيبا حتى إذا أخصب الناس وألبنوا
وذهبت السنة الحق كل إنسان بأهله وقسم له نصيبه من غنيمة إن كانوا غنموها فربما أتى الإنسان منهم أهله وقد استغنى فلذلك سمي عروة الصعاليك فقال في ذلك بعض السنين وقد ضاقت حاله
(لعلّ ارتيادِي في البلاد وبغيتي ... وشَدِّي حَيازِيمَ المطيَّةِ بالرَّحْلِ)
(سيدفَعُني يوماً إلى ربّ هَجْمَةٍ ... يُدَافِعُ عنها بالعُقُوقِ وبالبُخلِ)
فزعموا أن الله عز وجل قيض له وهو مع قوم من هلاك عشيرته في شتاء شديد ناقتين دهماوين فنحر لهم إحداهما وحمل متاعهم وضعفاءهم على الأخرى وجعل ينتقل بهم من مكان إلى مكان وكان بين النقرة والربذة فنزل بهم ما بينهما بموضع يقال له ماوان
ثم إن الله عز وجل قيض له رجلا صاحب مائة من الإبل قد فر بها من حقوق قومه وذلك أول ما ألبن الناس فقتله وأخذ إبله وامرأته وكانت من أحسن النساء فأتى بالإبل أصحاب الكنيف فحلبها وحملهم عليها حتى إذا دنوا من عشيرتهم أقبل يقسمها بينهم وأخذ مثل نصيب أحدهم فقالوا لا واللات والعزى لا نرضى حتى تجعل المرأة نصيبا فمن شاء أخذها فجعل يهم بأن يحمل عليهم فيقتلهم وينتزع الإبل منهم ثم يذكر أنهم صنيعته وأنه إن فعل ذلك أفسد ما كان يصنع فأفكر طويلا ثم أجابهم إلى أن يرد عليهم الإبل إلا راحلة يحمل عليها المرأة حتى يلحق بأهله فأبوا ذلك عليه حتى انتدب رجل منهم فجعل له راحلة من نصيبه فقال عروة في ذلك قصيدته التي أولها
(ألا إن أصحابَ الكَنِيف وجدتُهم ... كما الناسِ لمّا أمرَعُوا وتموّلُوا)
((وإني لمدفوعٌ إليّ وَلاؤُهُم ... بماوَانَ إذ نَمْشِي وإذ نَتَملمَلُ)
(وإنّي وإيّاهم كذِي الأمِّ أَرْهنَت ... له ماءَ عينيْها تُفدِّي وتَحمِلُ)
(فباتت بحدّ المِرْفَقيْن كِلَيْهما ... تُوَحوِحُ ممّا نالها وتُوَلْوِلُ)
(تُخَيَّرُ من أمرين ليسا بِغبطةٍ ... هو الثُّكل إلا أنّها قد تَجمَّلُ)
قوله في ليلى
وقال ابن الأعرابي في هذه الرواية أيضا كان عروة قد سبى امرأة من بني هلال بن عامر بن صعصعة يقال لها ليلى بنت شعواء فمكثت عنده زمانا وهي معجبة له تريه أنها تحبه ثم استزارته أهلها فحملها حتى أتاهم بها فلما أراد الرجوع أبت أن ترجع معه وتوعده قومها بالقتل فانصرف عنهم وأقبل عليها فقال لها يا ليلى خبري صواحبك عني كيف أنا فقالت ما أرى لك عقلا أتراني قد اخترت عليك وتقول خبري عني فقال في ذلك
(تَحِنّ إلى ليلى بجوّ بلادها ... وأنت عليها بالمَلاَ كنتَ أقدرا)
(وكيف تُرجّيها وقد حِيلَ دونَها ... وقد جاوزتْ حيّاً بتَيْماء مُنْكرا)
(لعلّك يوماً أن تُسرِّي ندامةً ... عليّ بما جشّمتَني يوم غَضْورا)
وهي طويلة قال ثم إن بني عامر أخذوا امرأة من بني عبس ثم من بني سكين يقال لها أسماء فما لبثت عندهم إلا يوما حتى استنقذها قومها فبلغ عروة أن عامر بن الطفيل فخر بذلك وذكر أخذه إياها فقال عروة يعيرهم بأخذه ليلى بنت شعواء الهلالية
((إن تأخذوا أسماء مَوقِفَ ساعةٍ ... فمأخَذُ ليلَى وهي عَذْراءُ أعجبُ
(لبِسنا زماناً حُسنَها وشَبابَها ... ورُدّت إلى شَعْواء والرّأسُ أشيبُ)
(كمأخِذِنا حسناءَ كرهاً ودمعُها ... غداةَ اللّوى مَعصوبةً يَتصبّبُ)

وقال ابن الأعرابي أجدب ناس من بني عبس في سنة أصابتهم فأهلكت أموالهم وأصابهم جوع شديد وبؤس فأتوا عروة بن الورد فجلسوا أمام بيته فلما بصروا به صرخوا وقالوا يا أبا الصعاليك أغثنا فرق لهم وخرج ليغزو بهم ويصيب معاشا فنهته امرأته عن ذلك لما تخوفت عليه من الهلاك فعصاها وخرج غازيا فمر بمالك بن حمار الفزاري ثم الشمخي فسأله أين يريد فأخبره فأمر له بجزور فنحرها فأكلوا منها وأشار عليه مالك أن يرجع فعصاه ومضى حتى انتهى إلى بلاد بني القين فأغار عليهم فأصاب هجمة عاد بها على نفسه وأصحابه وقال في ذلك
(أرى أمَّ حَسَّانَ الغَداةَ تلُومُني ... تُخوِّفني الأعداءَ والنّفسُ أخوفُ)
(تقول سُلَيمَي لو أقمتَ لَسرَّنا ... ولم تدر أنّي للمُقَام أُطَوِّفُ)
(لعلَّ الذي خَوَّفِتِنا مِنْ أمَامِنا ... يُصادفه في أهله المُتَخَلِّفُ)
وهي طويلة
وقال في ذلك أيضا
(أليس ورائي أن أدِبَّ على العصا ... فيَشمَتَ أعدائي ويسأَمَني أهلي)
(رَهِينة قَعْر البيت كلَّ عَشيّةٍ ... يُطيفُ بيَ الوِلْدانُ أهْدَجَ كالرَّأل)
(أقيموا بني لُبْنَى صُدورَ رِكابكم ... فكلُّ منَايا النّفْسِ خيرٌ من الهُزْلِ)
(فإنكم لن تبلُغوا كلَّ هِمّتي ... ولا أرَبي حتّى تَرَوْا مَنْبِتَ الأَثْلِ)
(لعلَّ ارتيادي في البلاد وحِيلتي ... وشَدِّي حيازيمَ المطيّة بالرَّحْلِ)
(سيدفعني يوماً إلى ربِّ هَجْمةٍ ... يُدافع عنها بالعُقوق وبالبُخل)
حديث عروة مع الهذلي الذي أخذ فرسه
نسخت من كتاب أحمد بن القاسم بن يوسف قال حدثني حر بن قطن أن ثمامة بن الوليد دخل على المنصور فقال يا ثمامة أتحفظ حديث ابن عمك عروة الصعاليك بن الورد العبسي فقال أي حديثه يا أمير المؤمنين فقد كان كثير الحديث حسنه قال حديثه مع الهذلي الذي أخذ فرسه قال ما يحضرني ذلك فأرويه يا أمير المؤمنين فقال المنصور خرج عروة حتى دنا من منازل هذيل فكان منها على نحو ميلين وقد جاع فإذا هو بأرنب فرماها ثم أورى نارا فشواها وأكلها ودفن النار على مقدار ثلاث أذرع وقد ذهب الليل وغارت النجوم ثم أتى سرحة فصعدها وتخوف الطلب فلما تغيب فيها إذا الخيل قد جاءت وتخوفوا البيات قال فجاءت جماعة منهم ومعهم رجل على فرس فجاء حتى ركز رمحه في موضع النار وقال لقد رأيت النار ها هنا فنزل رجل فحفر قدر ذراع فلم يجد شيئا فأكب القوم على الرجل يعذلونه ويعيبون أمره ويقولون عنيتنا في مثل هذه الليلة القرة وزعمت لنا شيئا كذبت فيه فقال ما كذبت ولقد رأيت النار في موضع رمحي فقالوا ما رأيت شيئا ولكن تحذلقك وتدهيك هو الذي حملك على
هذا وما نعجب إلا لأنفسنا حين أطعنا أمرك واتبعناك ولم يزالوا بالرجل حتى رجع عن قوله لهم واتبعهم عروة حتى إذا وردوا منازلهم جاء عروة فتمكن في كسر بيت وجاء الرجل إلى امرأته وقد خالفه إليها عبد أسود وعروة ينظر فأتاها العبد بعلبة فيها لبن فقال اشربي فقالت لا أوتبدأ فبدأ الأسود فشرب فقالت للرجل حين جاء لعن الله صلفك عنيت قومك منذ الليلة قال لقد رأيت نارا ثم دعا بالعلبة ليشرب فقال حين ذهب ليكرع ريح رجل وب الكعبة فقالت امرأته وهذه أخرى أي ريح رجل تجده في إنائك غير ريحك ثم صاحت فجاء قومها فأخبرتهم خبره فقالت يتهمني ويظن بي الظنون فأقبلوا عليه باللوم حتى رجع عن قوله فقال عروة هذه ثانية قال ثم أوى الرجل إلى فراشه فوثب عروة إلى الفرس وهو يريد أن يذهب به فضرب الفرس بيده وتحرك فرجع عروة إلى موضعه ووثب الرجل فقال ما كنت لتكذبني فمالك فأقبلت عليه امرأته لوما وعذلا
قال فصنع عروة ذلك ثلاثا وصنعه الرجل ثم أوى الرجل إلى فراشه وضجر من كثرة ما يقوم فقال لا أقوم إليك الليلة وأتاه عروة فجال في متنه وخرج ركضا وركب الرجل فرسا عنده أنثى
قال عروة فجعلت أسمعه خلفي يقول الحقي فإنك من نسله
فلما انقطع عن البيوت قال له عروة بن الورد أيها الرجل قف فإنك لو عرفتني لم تقدم علي أنا عروة بن الورد وقد رأيت الليلة منك عجبا فأخبرني به وأرد إليك فرسك قال وما هو قال جئت مع قومك حتى ركزت رمحك في موضع نار قد كنت أوقدتها فثنوك عن ذلك فانثنيت وقد صدقت ثم اتبعتك حتى أتيت منزلك وبينك وبين النار ميلان فأبصرتها منهما ثم شممت رائحة رجل في إنائك وقد رأيت الرجل حين آثرته زوجتك بالإناء وهو عبدك الأسود وأظن أن بينهما ما لا تحب فقلت ريح رجل فلم تزل تثنيك عن ذلك حتى انثنيت ثم خرجت إلى فرسك فأردته فاضطرب وتحرك فخرجت إليه ثم خرجت وخرجت ثم أضربت عنه فرأيتك في هذه الخصال أكمل الناس ولكنك تنثني وترجع فضحك وقال ذلك لأخوال السوء والذي رأيت من صرامتي فمن قبل أعمامي وهم هذيل وما رأيت من كعاعتي فمن قبل أخوالي وهم بطن من خزاعة والمرأة التي رأيت عندي امرأة منهم وأنا نازل فيهم فذلك الذي يثنيني عن أشياء كثيرة وأنا لاحق بقومي وخارج عن أخوالي هؤلاء ومخل سبيل المرأة ولولا رأيت من كعاعتي لم يقو على مناوأة قومي أحد من العرب
فقال عروة خذ فرسك راشدا قال ما كنت لآخذه منك وعندي من نسله جماعة مثله فخذه مباركا لك فيه
قال ثمامة إن له عندنا أحاديث كثيرة ما سمعنا له بحديث هو أظرف من هذا
عروة يتعرف على ابن له
قال المنصور أفلا أحدثك له بحديث هو أظرف من هذا قال بلى يا أمير المؤمنين فإن الحديث إذا جاء منك كان له فضل على غيره قال خرج عروة وأصحابه حتى أتى ماوان فنزل أصحابه وكنف عليهم كنيفا من الشجر وهم أصحاب الكنيف الذي سمعته قال فيهم
(ألا إنّ أصحابَ الكنيف وجدتُهم ... كما الناس لمّا أمرَعُوا وتموّلُوا)
وفي هذه الغزاة يقول عروة
(أقول لقوم في الكَنيفِ تَروّحُوا ... عَشيّةَ قِلْنَا حولَ ماوانَ رُزَّحِ)
وفي هذه القصيدة يقول
(لِيَبْلُغَ عُذراً أو يُصِيبَ غَنِيمةً ... ومُبْلِغُ نفسٍ عُذرَها مِثْلُ مُنْجِحِ)
ثم مضى يبتغي لهم شيئا وقد جهدوا فإذا بأبيات شعر وبامرأة قد خلا من سنها وشيخ كبير كالحقاء الملقى فكمن في كسر بيت منها وقد أجدب الناس وهلكت الماشية فإذا هو في البيت بسحور ثلاثة مشوية فقال ثمامة وما السحور قال

الحلقوم بما فيه والبيت خال فأكلها وقد مكث قبل ذلك يومين لا يأكل شيئا فأشبعته وقوي فقال لا أبالي من لقيت بعد هذا
ونظرت المرأة فظنت أن الكلب أكلها فقال للكلب أفعلتها يا خبيث وطردته
فإنه لكذلك إذا هو عند المساء بإبل قد ملأت الأفق وإذا هي تلتفت فرقا فعلم أن راعيها جلد شديد الضرب لها فلما أتت المناخ بركت ومكث الراعي قليلا ثم أتى ناقة منها فمرى أخلافها ثم وضع العلبة على ركبتيه وحلب حتى ملأها ثم أتى الشيخ فسقاه ثم أتى ناقة أخرى ففعل بها ذلك وسقى العجوز ثم أتى أخرى ففعل بها كذلك فشرب هو ثم التفع بثوب واضطجع ناحية فقال الشيخ للمرأة وأعجبه ذلك كيف ترين ابني فقالت ليس بابنك قال فابن من ويلك قالت ابن عروة بن الورد قال ومن أين قالت أتذكر يوم مر بنا يريد سوق ذي المجاز فقلت هذه عروة بن الورد وصفته لي بجلد فإني استطرفته
قال فسكت حتى إذا نوم وثب عروة وصاح بالإبل فاقتطع منها نحوا من النصف ومضى ورجا ألا يتبعه الغلام وهو غلام حين بدا شاربه فاتبعه قال فاتخذا وعالجه قال فضرب به الأرض فيقع قائما فتخوفه على نفسه ثم واثبه فضرب به وبادره فقال إني عروة بن الورد وهو يريد أن يعجزه عن نفسه
قال فارتدع ثم قال مالك ويلك لست أشك
أنك قد سمعت ما كان من أمي قال قلت نعم فاذهب معي أنت وأمك وهذه الإبل ودع هذا الرجل فإنه لا ينهاك عن شيء قال الذي بقي من عمر الشيخ قليل وأنا مقيم معه ما بقي فإن له حقا وذماما فإذا هلك فما أسرعني إليك وخذ من هذه الإبل بعيرا قلت لا يكفيني إن معي أصحابي قد خلفتهم قال فثانيا قلت لا قال فثالثا والله لا زدتك على ذلك
فأخذها ومضى إلى أصحابه ثم إن الغلام لحق به بعد هلاك الشيخ
قال والله يا أمير المؤمنين لقد زينته عندنا وعظمته في قلوبنا قال فهل أعقب عندكم قال لا ولقد كنا نتشاءم بأبيه لأنه هو الذي أوقع الحرب بين عبس وفزارة بمراهنته حذيفة ولقد بلغني أنه كان له ابن أسن من عروة فكان يؤثره على عروة فيما يعطيه ويقربه فقيل له أتؤثر الأكبر مع غناه عنك على الأصغر مع ضعفه قال أترون هذا الأصغر لئن بقي ما رأى من شدة نفسه ليصيرن الأكبر عيالا عليه
صوت من المائة المختارة
(أزْرَى بنا أننا شالَتْ نَعامتُنا ... فخالني دونه بل خِلتُه دونِي)
(فإن تُصِبكَ من الأيام جائحةٌ ... لم أبكِ منك على دنيا ولا دينِ)
الشعر لذي الإصبع العدواني والغناء لفيل مولى العبلات هزج خفيف بإطلاق الوتر في مجرى البنصر
معنى قوله أزرى بنا قصر بنا يقال زريت عليه إذا عبت عليه فعله وأزريت به إذا قصرت به في شيء
وشالت نعامتهم إذا انتقلوا بكليتهم يقال شالت نعامتهم وزف رألهم إذا انتقلوا عن الموضع فلم يبق فيه منهم أحد ولم يبق لهم فيه شيء
وخالني ظنني يقال خلت كذا وكذا فأنا أخاله إذا ظننته والجائحة النازلة التي تجتاح ولا تبقى على ما نزلت به
ذكر ذي الإصبع العدواني ونسبه وخبره
هو حرثان بن الحارث بن محرث بن ثعلبة بن سيار بن ربيعة بن هبيرة بن ثعلبة بن ظرب بن عمرو بن عباد بن يشكر بن عدوان بن عمر بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار أحد بني عدوان وهم بطن من جديلة
شاعر فارس من قدماء الشعراء في الجاهلية وله غارات كثيرة في العرب ووقائع مشهورة
أخبرنا محمد بن خلف وكيع وابن عمار والأسدي قالوا حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا أبو عثمان المازني عن الأصمعي قال
نزلت عدوان على ماء فأحصوا فيهم سبعين ألف غلام أغرل سوى من كان مختونا لكثرة عددهم ثم وقع بأسهم بينهم فتفانوا فقال ذو الإصبع
صوت
(عَذِيرَ الحيِّ مِن عَدْوانَ ... كانوا حَيَّةَ الأرضِ)
(بغَى بعضُهم بعضاً ... فلم يُبْقُوا على بعضِ)
((فقد صاروا أحاديثَ ... برَفْعِ القولِ والخفضِ
(ومنهم كانتِ السّاداتُ ... والمُوفُونَ بالقَرْضِ)
(ومنهم مَنْ يُجِيزُ الناسَ ... بالسُّنّةِ والفَرضِ)
(ومنهم حَكَمٌ يَقْضِي ... فلا يُنقَضُ ما يَقْضِي)
غنى في هذه الأبيات مالك ثقيلا أول بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمر
وأما قول ذي الإصبع
(... ومنهم حَكَمٌ يَقْضِي)
فإنه يعني عامر بن الظرب العدواني كان حكما للعرب تحتكم إليه
خبر من قرعت له العصا
حدثنا محمد بن العباس اليزيدي عن محمد بن حبيب قال
قيس تدعي هذه الحكومة وتقول إن عامر بن الظرب العدواني هو الحكم وهو الذي كانت العصا تقرع له وكان قد كبر فقال له الثاني من ولده إنك ربما أخطأت في الحكم فيحمل عنك قال فاجعلوا لي أمارة أعرفها فإذا زغت فسمعتها رجعت إلى الحكم والصواب فكان يجلس قدام بيته ويقعد ابنه في البيت ومعه العصا فإذا زاغ أو هفا قرع له الجفنة فرجع إلى الصواب وفي ذلك يقول المتلمس
((لِذِي الحِلْمِ قبلَ اليومِ ما تُقرَعُ العصا ... وما عُلِّم الإنسان إلا ليعلَمَا
قال ابن حبيب وربيعة تدعيه لعبد الله بن عمرو بن الحارث بن همام واليمن تدعيه لربيعة بن مخاشن وهو ذو الأعواد وهو أول من جلس على منبر أو سرير وتكلم وفيه يقول الأسود بن يعفر
(ولقد علمتُ لَو أنّ علمِي نافعِي ... أنّ السبيلَ سبيلُ ذِي الأعوادِ)
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي أو دلف قال أخبرنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال

زعم أبو عمرو بن العلاء أنه ارتحلت عدوان من منزل فعد فيهم أربعون ألف غلام أقلف
قال الرياشي وأخبرني رجل عن هشام بن الكلبي قال وقع على إياد البق فأصاب كل رجل منهم بقتان
عبد الملك بن مروان يسأل عن ذي الإصبع
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن نعيم قال حدثنا أحمد بن عبيد أبو عصيدة قال أخبرني محمد بن زياد الزيادي وأخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني عمر بن شبة ولم يسنده إلى أحد وروايته أتم أن عبد الملك بن مروان لما قدم الكوفة بعد قتله مصعب بن الزبير جلس
لعرض أحياء العرب وقال عمر بن شبة إن مصعب بن الزبير كان صاحب هذه القصة فقام إليه معبد بن خالد الجدلي وكان قصيرا دميما فتقدمه إليه رجل منا حسن الهيئة قال معبد فنظر عبد الملك إلى الرجل وقال ممن أنت فسكت ولم يقل شيئا وكان منا فقلت من خلفه نحن يا أمير المؤمنين من جديلة فأقبل على الرجل وتركني فقال من أيكم ذو الإصبع قال الرجل لا أدري قلت كان عدوانيا فأقبل على الرجل وتركني وقال لم سمي ذا الإصبع قال الرجل لا أدري فقلت نهشته حية في إصبعه فيبست فأقبل على الرجل وتركني فقال وبما كان يسمى قبل ذلك قال الرجل لا أدري قلت كان يسمى حدثان فأقبل على الرجل وتركني فقال من أي عدوان كان فقلت من خلفه من بني ناج الذين يقول فيهم الشاعر
(وأما بَنُو ناجٍ فلا تَذْكُرَنَّهُمْ ... ولا تُتبِعَنْ عَينيكَ ما كان هالكا)
(إذا قلتَ معروفاً لأُصلحَ بينهم ... يقول وُهَيبٌ لا أُسالِمُ ذلكا)
وروى عمر بن شبة لا أسلم
(فأضحى كظَهر الفحل جُبَّ سَنامُهُ ... يَدِبُّ إلى الأعداء أحدَبَ بارِكَا)
فأقبل على الرجل وتركني وقال أنشدني قوله
(... عذيرَ الحيِّ من عَدوانَ)
قال الرجل لست أرويها قلت يا أمير المؤمنين إن شئت أنشدتك قال ادن مني فإني أراك بقومك عالما فأنشدته
((وليس المرءُ في شيءٍ ... من الإبرام والنقضِ
(إذا أبرم أمراً خاله ... يَقْضِي وما يَقْضِي)
(يقولُ اليومَ أمْضِيه ... ولا يَملِكُ ما يُمْضِي)
(عَذِيرَ الحيِّ من عَدوانَ ... كانوا حَيَّةَ الأرضِ)
(بغى بعضُهمُ بعضاً ... فلم يُبْقُوا على بعضِ)
(فقد صاروا أحاديثَ ... برفعِ القولِ والخفضِ)
(ومنهم كانتِ السادات ... والموفُون بالقَرضِ)
(ومنهم حَكَمٌ يَقضِي ... فلا يُنقَضُ ما يَقضِي)
(ومنهم من يُجيزُ النا ... سَ بالسُّنَّة والفرضِ)
(وهم مَنْ وَلَدُوا أَشْبَوْا ... بسرِّ الحَسَبِ المَحْضِ)
(وممَّن ولدوا عامِرُ ... ذو الطول وذو العرضِ)
(وهم بَوَّوْا ثَقِيفاً دارَ ... لا ذُلٍّ ولا خَفْضِ)
فأقبل على الرجل وتركني وقال كم عطاؤك فقال ألفان فأقبل علي فقال كم عطاؤك فقلت خمسمائة فأقبل على كاتبه وقال اجعل الألفين لهذا والخمسمائة لهذا فانصرفت بها
وقوله ومنهم من يجيز الناس فإن إجازة الحج كانت لخزاعة فأخذتها منهم عدوان فصارت إلى رجل منهم يقال له أبو سيارة أحد بني وابش بن زيد بن عدوان وله يقول الراجز
(خَلّوا السبيلَ عن أبي سَيَّارَهْ ... وعن مَوَاليه بني فَزَارهْ)
((حتى يُجيز سالماً حِمَارَهْ ... مستقبلَ الكعبةِ يدعوا جارَهْ
قال وكان أبو سيارة يجيز الناس في الحج بأن يتقدمهم على حمار ثم يخطبهم فيقول اللهم أصلح بين نسائنا وعاد بين رعائنا واجعل المال في سمحائنا أوفوا بعهدكم وأكرموا جاركم وأقروا ضيفكم ثم يقول أشرق ثبيركيما نغير وكانت هذه إجازته ثم ينفر ويتبعه الناس
ذكر ذلك أبو عمرو الشيباني والكلبي وغيرهما
أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو بكر العليمي قال حدثنا محمد بن داود الهشامي قال كان لذي الإصبع أربع بنات وكن يخطبن إليه فيعرض ذلك عليهن فيستحين ولا يزوجهن وكانت أمهن تقول لو زوجتهن فلا يفعل قال فخرج ليلة إلى متحدث لهن فاستمع عليهن وهن لا يعلمن فقلن تعالين نتمنى ولنصدق فقالت الكبرى
(ألا ليتَ زوجي من أُناسٍ ذَوِي غِنيً ... حَدِيثُ الشباب طيِّبُ الريح والعِطرِ)
(طبيبٌ بأدواء النساء كأنه ... خليفةُ جانٍ لا ينام على وِتْرِ)
فقلن لها أنت تحبين رجلا ليس من قومك فقالت الثانية
(ألا هل أراها ليلةً وضَجيعُها ... أشمُّ كنصل السيف غيرُ مُبَلَّدِ)
(لَصُوقٌ بأكباد النساء وأصلُه ... إذا ما انتمى من سِرِّ أهلي ومَحْتِدِي)
فقلن لها أنت تحبين رجلا من قومك فقالت الثالثة
(ألاَ لَيْتَه يَمْلاَ الجِفان لضَيْفِهِ ... له جفنةٌ يَسْقَى بها النِّيبُ والجُزْرُ)
(له حَكَمات الدّهر من غير كَبْرة ... تَشِين ولا الفاني ولا الضَّرَعُ الغَمْرُ)
فقلن لها أنت تحبين رجلا شريفا
وقلن للصغرى تمني فقالت ما أريد شيئا قلن والله لا تبرحين حتى نعلم ما في نفسك قالت زوج من عود خير من قعود فلما سمع ذلك أبوهن زوجهن أربعتهن
فمكثن برهة ثم اجتمعن إليه فقال للكبرى يا بنية ما مالكم قالت الإبل قال فكيف تجدونها قالت خير مال نأكل لحومها مزعا ونشرب ألبانها جرعا وتحملنا وضعيفنا معا قال فكيف تجدين زوجك قالت خير زوج يكرم الحليلة ويعطي الوسيلة قال مال عميم وزوج كريم

ثم قال للثانية يا بنية ما مالكم قالت البقر قال فكيف تجدونها قالت خير مال تألف الفناء وتودك السقاء وتملأ الإناء ونساء في نساء قال فكيف تجدين زوجك قالت خير زوج يكرم أهله وينسى فضله قال حظيت ورضيت
ثم قال للثالثة ما مالكم قالت المعزى قال فكيف تجدونها قالت لا بأس بها نولدها فطما ونسلخها أدما قال فكيف تجدين زوجك قالت لا بأس به ليس بالبخيل الحكر ولا بالسمح البذر قال
جدوى مغنية ثم قال للرابعة يا بنية ما مالكم قالت الضأن قال وكيف تجدونها قالت شر مال جوف لا يشبعن وهيم لا ينقعن وصم لا يسمعن وأمر مغويتهن يتبعن قال فكيف تجدين زوجك قالت شر زوج يكرم نفسه ويهين عرسه قال أشبه امرأ بعض بزه
وذكر الحسن بن عليل العنزي في خبر عدوان الذي رواه عن أبي عمرو بن العلاء أنه لا يصح من أبيات ذي الإصبع الضادية إلا الأبيات التي أنشدها وأن سائرها منحول أخبرني عمي قال حدثني محمد بن عبد الله الحزنبل قال حدثني عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه قال عمر ذو الإصبع العدواني عمرا طويلا حتى خرف وأهتر وكان يفرق ماله فعذله أصهاره ولاموه وأخذوا على يده فقال في ذلك
(أهلكنا اللَّيلُ والنّهار مَعا ... والدّهر يَعْدُو مُصَمِّماً جَذَعا)
(فليس فيما أصابني عَجَبٌ ... إن كنتُ شَيباً أنكرتُ أو صَلَعا)
(وكنتُ إذ رَونق الشّباب به ... ماء شبابي تَخاله شرعا)
(والحيُّ فيه الفتاةُ تَرْمُقني ... حتّى مضَى شَأْوُ ذاك فانقشعَا)
صوت
(إنّكما صاحبيّ لم تدَعا ... لَوْمِي ومَهما أُضِقْ فلن تَسَعا)
(لم تَعقِلا جَفْوةً عليّ ولم ... أَشتُم صديقا ولم أَنلْ طبَعَا)
(إلاّ بأن تكذِبا عليّ وما ... أَملِك أن تكذِبا وأن تَلِعا)
لابن سريج في هذه الأبيات لحنان أحدهما ثاني ثقيل بالسبابة والبنصر عن يحيى المكي والآخر ثقيل أول عن الهشامي
(وإنّني سوف أبتدِي بنَدىً ... يا صاحبيَّ الغداةَ فاستمِعا)
(ثمّ سَلاَ جارتي وكِنّتَها ... هل كنتُ فيمن أَرَاب أو خدَعا)
(أو دَعَتاني فلم أُجِبْ ولقد ... تأمن منّي حَليلتي الفَجَعا)
(آبى فلا أقربَ الخِبَاءَ إذا ... ما ربُّه بعد هَدْأةٍ هجَعا)
(ولا أُروم الفتاةَ زَوْرَتَها ... إن نام عنها الحليل أو شَسَعا)
(وذاك في حِقبةٍ خَلتْ ومضَتْ ... والدّهرُ يأتي على الفتَى لُمَعَا)
(إن تَزْعُما أنّني كبِرتُ فلم ... أُلفَ ثقيلا نِكْسا ولا وَرِعا)
(إمّا تَرَيْ شِكّتِي رُمَيحَ أبي ... سعدٍ فقد أحمِلُ السّلاحَ مَعَا)
أبو سعد ابنه ورميح عصا كانت لابنه يلعب بها مع الصبيان يطاعنهم بها كالرمح فصار يتوكأ هو عليها ويقوده ابنه هذا بها
((السيفُ والرّمح والكِنانةُ قد ... أكملتُ فيها مَعَابِلاً صُنُعا)
(والمُهْرُ صافِي الأديمِ أصنَعُه ... يَطِير عنه عِفَاؤه قَزَعا)
(أُقْصِرُ من قَيده وأَردَعُه ... حتّى إذا السِّرب رِيعَ أو فزعا)
(كان أمامَ الجيادِ يَقْدُمها ... يَهزُّ لَدْناً وجُؤجؤا تَلِعا)
(فغامَسَ الموتَ أو حَمَى ظُعُنا ... أو ردّ نَهْباً لأيِّ ذاك سعَى)
وصيته لابنه أسيد عند موته
قال أبو عمرو ولما احتضر ذو الإصبع دعا ابنه أسيدا فقال له يا بني إن أباك قد فني وهو حي وعاش حتى سئم العيش وإني موصيك بما إن حفظته بلغت في قومك ما بلغته فاحفظ عني ألن جانبك لقومك يحبوك وتواضع لهم يرفعوك وابسط لهم وجهك يطيعوك ولا تستأثر عليهم بشيء يسودوك وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم يكرمك كبارهم ويكبر على مودتك صغارهم واسمح بمالك واحم حريمك وأعزز جارك وأعن من استعان بك وأكرم ضيفك وأسرع النهضة في الصريخ فإن أجلا لا يعدوك وصن وجهك عن مسئلة أحد شيئا فبذلك يتم سوددك ثم أنشأ يقول
(أأسيدُ إنْ مالاً مَلكتَ ... فسِرْ به سَيراً جميلا)
((آخِ الكِرامَ إن استطعتَ ... إلى إخائهمُ سبيلا
(واشرَبْ بكأسهمُ وإن ... شربوا به السُّمّ الثّميلا)
(أهِنِ اللّئام ولا تكنْ ... لإخائهم جَملاً ذَلُولا)
(إنَّ الكرام إذا تُواخِيهمْ ... وجدتَ لهم فُضولا)
(ودَعِ الذي يَعِد العَشيرة ... أن يسيلَ ولن يَسيلا)
(أبُنيّ إن المال لا ... يبْكي إذا فقد البخيلا)
صوت
(أأسيدُ إن أزمعتَ من ... بلدٍ إلى بلدٍ رَحيلا)
(فاحفظْ وإن شحط المَزارُ ... أخا أخيكَ أو الزَّميلا)
(واركَب بنفسكِ إن هَمَمْتَ ... بها الحزونةَ والسّهولا)
(وصِلِ الكرام وكُن لمن ... تَرجو مودّته وَصولا)
الغناء للهذلي خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو
(ودَعِ التّوانِيَ في الأمور ... وكن لها سَلِساً ذَلُولا)
(وابسُطْ يمينَكَ بالنَّدَى ... وامْدُدْ لها باعاً طويلا)
(وابسُطْ يَدَيكَ بما مَلَكْت ... وشيِّدِ الحسَبَ الأثِيلا)
(واعْزِمْ إذا حاولتَ أمراً ... يَفْرُجِ الهمَّ الدَّخِيلا)
(وابذُلْ لِضيَفكَ ذاتَ رَحْلِك ... مُكرِماً حتّى يزُولا)
((واحلُلْ على الأيْفَاع للعافِين ... واجتنِبِ المَسِيلا

(وإذا القُرُومُ تخاطَرتْ ... يوماً وأرعَدَتِ الخَصِيلا)
(فاهصِرْ كهَصْرِ الليث خَضَّبَ من فَريسته التَّلِيلا)
(وأنزلْ إلى الهيجَا إذا ... أبطالُها كَرِهوا النزولا)
(وإذا دُعِيتَ إلى المُهم ... فكن لفَادِحِهِ حَمُولا)
أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن العتبي قال
جرى بين عبد الله بن الزبير وعتبة بن أبي سفيان لحاء بين يدي معاوية فجعل ابن الزبير يعدل بكلامه عن عتبة ويعرض بمعاوية حتى أطال وأكثر من ذلك فالتفت إليه معاوية متمثلا وقال
(ورامٍ بعُورانِ الكلامِ كأنها ... نوافِرُ صُبحٍ نفَّرتْها المراتِعُ)
(وقد يَدْحَضُ المرءُ المُوارِبُ بالخَنَا ... وقد تُدرِك المرءَ الكريمَ المَصَانِعُ)
ثم قال لابن الزبير من يقول هذا فقال ذو الإصبع فقال أترويه قال لا فقال من هاهنا يروي هذه الأبيات فقام رجل من قيس فقال أنا أرويها يا أمير المؤمنين فقال أنشدني فأنشده حتى أتى على قومه
(وساعٍ برجليه لآخر قاعدٍ ... ومُعْطٍ كريمٌ ذو يَسارٍ ومانِعُ)
((وبانٍ لأحساب الكرامِ وهادمٍ ... وخافضُ مولاه سِفَاهاً ورافِعُ)
(ومُغْضٍ على بعض الخطوبِ وقد بَدت ... له عَوْرةٌ من ذي القرابة ضاجعُ)
(وطالب حُوبٍ باللسان وقَلبُه ... سِوَى الحقّ لا تخفى عليه الشرائعُ)
فقال له معاوية وكم عطاؤك قال سبعمائة قال اجعلوها ألفا وقطع الكلام بين عبد الله وعتبة
قال أبو عمرو وكان لذي الإصبع ابن عم يعاديه فكان يتدسس إلى مكارهه ويمشي به إلى أعدائه ويؤلب عليه ويسعى بينه وبين بني عمه ويبغيه عندهم شرا فقال فيه وقد أنشدنا الأخفش هذه الأبيات أيضا عن ثعلب والأحول السكري
(يا صاحِبَيّ قِفَا قَليلا ... وتَخَبَّرا عَنّي لميسَا)
(عمَّنْ أصابت قلْبَه ... في مَرِّها فغَدَا نَكِيسَا)
(ولِيَ ابنُ عمٍّ لا يزال ... إليّ مُنكَرُه دَسِيسَا)
(دبَّتْ له فأحسَّ بعد ... البُرْءِ من سقَمٍ رسِيسَا)
(إمّا علانيةً وإمّا ... مُخْمَراً أكْلاً وَهِيسَا)
(إني رأيتُ بَني أبِيك ... يحَمِّجُون إليّ شُوسَا)
(حَنَقاً عليَّ ولن ترى ... لِيَ فيهمُ أثراً بَئِيسَا)
((أنْحَوْا على حُرِّ الوجوه ... بحدِّ مِئشارٍ ضَرُوسَا)
(لو كنتَ ماءً لم تكنْ ... عَذْبَ المَذَاقِ ولا مَسُوسَا)
(مِلحاً بعيدَ القعر قد ... فَلّتْ حجارتُه الفُؤوسَا)
(مَنَّاعُ ما ملكَتْ يداك ... وَسائِلٌ لَهُمُ نُحُوسَا)
وأنشدنا الأخفش عن هؤلاء الرواة بعقب هذه الأبيات وليس من شعر ذي الإصبع ولكنه يشبه معناه
(لو كنتَ ماءً كنتَ غيرَ عَذْبِ ... أو كنتَ سيفاً كنتَ غير عَضْبِ)
(أو كنتَ طِرْفاً كنتَ غيرَ نَدْبِ ... أو كنتَ لحماً كنتَ لحمَ كَلْبِ)
قال وفي مثله أنشدنا
(لو كنتَ مُخّاً كُنتَ مُخّاً رِيرَا ... أو كنتَ بَرْداً كنتَ زَمْهَرِيرا)
(... أو كنت ريحاً كانتِ الدَّبورَا)
قال أبو عمرو به وكان السبب في تفرق عدوان وقتال بعضهم بعضا حتى تفانوا أن بني ناج بن يشكر بن عدوان أغاروا على بني عوف بن سعد بن ظرب بن عمرو بن عباد بن يشكر بن عدوان ونذرت بهم بنو عوف فاقتتلوا فقتل بنو ناج ثمانية نفر فيهم عمير بن مالك سيد بني عوف وقتلت بنو عوف رجلا منهم يقال له سنان بن جابر وتفرقوا على حرب وكان الذي أصابوه من بني واثلة بن عمرو
ابن عباد وكان سيدا فاصطلح سائر الناس على الديات أن يتعاطوها ورضوا بذلك وأبى مرير بن جابر أن يقبل بسنان بن جابر دية واعتزل هو وبنو أبيه ومن أطاعهم ومن والاهم وتبعه على ذلك كرب بن خالد أحد بني عبس بن ناج فمشى إليهما ذو الإصبع وسألهما قبول الدية وقال قد قتل منا ثمانية نفر فقبلنا الدية وقتل منكم رجل فاقبلوا ديته فأبيا ذلك وأقاما على الحرب فكان ذلك مبدأ حرب بعضهم بعضا حتى تفانوا وتقطعوا فقال ذو الإصبع في ذلك
(ويا بُؤسَ للأيّام والدّهرِ هَالِكَا ... وصَرْفِ اللّيالي يَخْتَلِفْنَ كذلِكَا)
(أبْعدَ بني نَاجٍ وسَعْيِكَ فيهمُ ... فلا تُتبِعَنْ عينيكَ ما كان هالِكَا)
(إذا قلتُ معروفاً لأُصْلِحَ بينهم ... يقولُ مُرِيرٌ لا أُحاولُ ذلِكَا)
(فأضحَوْا كظَهرِ العَوْدِ جُبَّ سَنامُه ... تَحُومُ عليه الطيرُ أحدَبَ بارِكَا)
(فإن تكُ عَدْوانُ بن عمرو تفرّقت ... فقد غَنِيَتْ دَهراً ملوكاً هُنالِكَا)
وقال أبو عمرو وفي مرير بن جابر يقول ذو الإصبع وهذه القصيدة هي التي منها الغناء المذكور وأولها
(يا مَنْ لقلبٍ شَدِيدِ الهمِّ محزُونِ ... أمسَى تَذَكَّرَ رَيَّا أُمِّ هَارُونِ)
(أمسَى تَذَكَّرُها مِن بعد ما شَحَطَتْ ... والدَّهْرُ ذو غِلَظٍ حِينا وذو لِين)
(فإنْ يكنْ حبُّها أمسَى لنا شَجَناً ... وأصبحَ الوَلْيُ منها لا يُواتِيني)
(فقد غَنِينا وشملُ الدارِ يجمعُنا ... أُطِيعُ رَيَّا وريَّا لا تُعَاصِينِي)
(نَرمِي الوُشاةَ فلا نُخْطِي مَقاتِلَهُمْ ... بخالصٍ من صفاء الوُدِّ مكنون)
(ولِي ابنُ عمٍّ على ما كان من خُلُقٍ ... مُختَلِفَانِ فأَقْلِيهِ ويَقْلِينِي)
((أزرَى بنا أننا شالَتْ نَعامتُنَا ... فخالني دونه بل خِلتُه دوني
(لاَهِ ابنُ عمّك لا أفضلتَ في حَسَبٍ ... شيئاً ولا أنت دَيَّاني فَتَخْزُوني)
(ولا تَقُوتُ عِيَالي يومَ مَسْغَبَةٍ ... ولا بنفسكَ في العَزَّاءِ تَكْفِيني)
(فإن تُرِدْ عَرَضَ الدنيا بمَنْقَصَتِي ... فإنّ ذلك مِمّا ليس يُشْجِينِي)

(ولا تَرَى فيَّ غير الصّبرِ مَنقَصَةً ... وما سِوَاه فإنّ الله يَكفِيني)
(لولا أواصِرُ قُرْبى لستَ تحفظُها ... ورَهْبَةُ اللهِ في مَولىً يُعادِينِي)
(إذاً بَرَيتُك بَرْياً لا انجِبَارَ له ... إنِّي رأيتُكَ لا تَنفَكُّ تَبريني)
(إنّ الذي يَقبِضُ الدنيا ويبسطُها ... إن كان أغناكَ عنّي سوف يُغْنِيني)
(اللهُ يَعلمُكم واللهُ يَعلمُني ... واللهُ يَجزيكُمُ عنّي ويَجزِيني)
(ماذا عليَّ وإن كنتم ذوِي رَحِمِي ... ألاَّ أحبّكُم إن لم تُحِبُّوني)
(لو تَشرَبُونَ دَمِي لم يَروَ شَارِبُكم ... ولا دِماؤُكم جَمْعاً تُرَوِّيني)
(ولِي ابنُ عمٍّ لو انّ الناسَ في كَبِدِي ... لَظَلَّ مُحتَجِزاً بالنَّبْلِ يَرْمِيني)
(يا عَمْرُو إن لا تَدَعْ شَتْمِي ومَنقَصتِي ... أَضْرِبْكَ حتى تقولَ الهامةُ اسْقُونِي)
(كلّ امرِىءٍ صائرٌ يوماً لشِيمَتِه ... وإن تخلَّقَ أخلاقاً إلى حِينِ)
(إنّي لعَمْرُكَ ما بَابِي بذِي غَلَقٍ ... عن الصَّدِيق ولا خيري بممْنُونِ)
(ولا لسانِي على الأدنى بمنطَلِق ... بالمنكَرات ولا فَتْكِي بمأْمُونِ)
(لا يُخرِجُ القَسْرُ منّي غير مَغْضبةٍ ... ولا ألِينُ لِمَنْ لا يبتغي لِيني)
((وأنتمُ مَعْشَرٌ زَيْدٌ على مائةٍ ... فأجمِعُوا أمرَكم شتَّى فكِيدُوني
(فإن علمتُم سبيلَ الرُّشدِ فانطلِقوا ... وإن غَبِيتُم طريقَ الرشدِ فَأْتُوني)
(يا رُبَّ ثوبٍ حواشيه كأوسطِه ... لا عيبَ في الثوبِ من حُسنٍ ومن لِينِ)
(يوماً شَدَدتُ على فَرْغَاء فاهقةٍ ... يوماً من الدّهرِ تاراتٍ تُمَارِينِي)
(ماذا عليّ إذا تدعونَنِي فَزَعاً ... ألاَّ أُجِيبَكم إذ لا تُجِيبُونِي)
(وكنتُ أُعطِيكُم مالي وأمنحُكم ... وُدِّي على مُثْبَتٍ في الصدر مَكنونِ)
(يارُبَّ حيٍّ شَدِيدِ الشَّغْبِ ذي لَجَبٍ ... دَعَرْتُ من راهِنٍ منهم ومَرهُونِ)
(رَدَدتُ باطلَهُم في رأسِ قائِلِهم ... حتى يَظَلُّوا خصوماً ذا أفانِينِ)
(يا عَمرُو لو كنتَ لي أَلْفَيْتَنِي يَسراً ... سمْحاً كريماً أُجازي مَنْ يُجَازِينِي)
رثاء ذي الإصبع لقومه
قال أبو عمرو وقال ذو الإصبع يرثي قومه
(وليس المرءُ في شيءٍ ... من الإبرامِ والنقضِ)
(إذا يفعلُ شيئاً خاله ... يَقضِي وما يَقْضِي)
(جَدِيدُ العيشِ ملبوسٌ ... وقد يوشِكُ أن يَنضى)
وقد مضى بعض هذه القصيدة متقدما في صدر هذه الأخبار وتمامها
(وأمْرَ اليومِ أَصْلِحْهُ ... ولا تَعرِضْ لما يَمضِي)
((فبينا المرءُ في عَيشٍ ... له من عِيشَةٍ خَفْضِ
(أتاه طَبَقٌ يوماً ... على مَزْلَقَةٍ دَحْضِ)
(وهم كانوا فلا تُكْذَبْ ... ذوِي القُوّةِ والنَّهْضِ)
(وهم إن وَلَدُوا أشْبَوْا ... بسِرِّ الحسَبِ المَحْضِ)
(لهم كانت أعالِي الأرض ... فالسرَّان فالعِرضِ)
(إلى ما حازه الحَزْنُ ... فما أسهلَ للحَمْضِ)
(إلى الكَفْرَينِ من نحلةَ ... فالدّاءةِ فالمَرْضِ)
(لهم كان جِمامُ الماءِ ... لا المُزْجَى ولا البَرْضِ)
(فكان الناس إذا هَمُّوا ... بُيسرٍ خاشعٍ مُغْضِي)
(تَنَادوْا ثم ساروا برئيسٍ ... لهُم مُرْضِي)
(فمَنْ ساجَلَهُمْ حرباً ... ففي الخَيْبَةِ والخَفْضِ)
(وهم نالُوا على الشِّنَّا ... نِ والشَّحْنَاءِ والبُغضِ)
(مَعَالِي لم ينلها النَّاسُ ... في بَسْطٍ ولا قبضِ)
رثاء أمامة بنت ذي الإصبع لقومها
قال أبو عمرو قالت أمامة بنت ذي الإصبع وكانت شاعرة ترثي قومها
((كم مِن فَتىً كانت له مَيْعَةٌ ... أبلجَ مثل القمرِ الزاهِرِ
(قد مرّتِ الخيلُ بحافاتِهِ ... كمرِّ غيثٍ لجِبٍ ماطِرِ)
(قد لَقِيَتْ فَهْمٌ وَعَدْوَانُها ... قَتْلاً وهُلْكاً آخرَالغابِرِ)
(كانوا ملوكاً سادةً في الذُّرَى ... دهراً لها الفَخْرُ على الفاخِرِ)
(حتى تَساقَوْا كأسهم بينهم ... بَغْياً فَيَا للشّاربِ الخاسِرِ)
(بادُوا فَمَنْ يَحْلُلْ بأوطانهم ... يَحْلُلْ برَسْمٍ مُقْفِرٍ داثِرِ)
قال أبو عمرو ولأمامة ابنته هذه يقول ذو الإصبع ورأته قد نهض فسقط وتوكأ على العصا فبكت فقال
(جَزِعَتْ أمَامَةُ أن مَشَيتُ على العصا ... وتذَكَّرَتْ إذ نحن مِ الفتْيَانِ)
(فَلَقَبْلُ ما رام الالهُ بكيده ... إرَماً وهذا الحيَّ مِنْ عَدْوانِ)
(بعدَ الحكومةِ والفضيلة والنُّهى ... طاف الزمانُ عليهمُ بأوانِ)
(وتفرّقُوا وتقطَّعتْ أشلاؤهم ... وتبدَّدُوا فِرَقاً بكلِّ مكانِ)
(جدَبَ البلادُ فأُعقِمَتْ أرحامُهم ... والدَّهرُ غَيَّرَهُمْ مع الحِدثَانِ)
(حتى أبادهُمُ على أُخْرَاهم ... صَرْعَى بكلِّ نُقَيْرَةٍ ومكَانِ)
(لا تَعْجَبَنَّ أُمَامَ من حَدَثٍ عَرَا ... فالدَّهْرُ غَيَّرنا مع الأَزْمَانِ)
ذكر قيل مولى العبلات

قال هارون بن محمد بن عبد الملك أخبرني حماد بن إسحاق عن أبيه قال
كان يحيى قيل عبدا للثريا ورضيا وأخواتهما بنات علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر بن عبد شمس موليات الغريض
قال وحدثني حماد قال حدثني أبي قال حدثني ابن أبي جناح قال حدثنا مقاحف بن ناصح مولى عبد الله بن عباس قال
قال حدثني هشام بن المرية وهي أمه وهو مولى بني مخزوم قال
كان يحيى قيل عبدا لامرأة من العبلات وله من الغناء
صوت
(وأخرجتُها من بطن مكةَ بعدما ... أصَاتَ المنادِي للصّلاةِ وأعْتَمَا)
(فمرّتْ ببطن اللَّيثِ تَهْوي كأنما ... تُبادِرُ بالإصباح نَهْباً مُقَسَّمَا)
والشعر لأبي دهبل الجمحي وأول هذه القصيدة
(... ألا عَلِقَ القلبُ المتيّم كَلْثَمَا)
وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني يحيى بن المقداد الزمعي قال حدثني عمي موسى بن يعقوب الزمعي قال أنشدني أبو دهبل الجمحي لنفسه
(ألا عَلِقَ القلبُ المتيّمُ كَلْثَمَا ... لَجُوجاً ولم يلزَمْ من الحبّ مَلْزَمَا)
(خَرَجْتُ بها من بطن مكةَ بعدَ ما ... أصاتَ المنادِي للصّلاة وأعتما)
(فما نام مِنْ راعٍ ولا ارتدَّ سامرٌ ... من الحيّ حتى جاوزَتْ بِي يَلَمْلَمَا)
(ومرَّتْ ببطن اللَّيثِ تَهوي كأنها ... تُبادِرُ بالإدلاج نَهْباً مُقسَّمَا)
(أجازت على البَزْوَاءِ واللّيلُ كاسِرٌ ... جناحَيْنِ بالبزواءِ وَرْداً وأدْهَمَا)
(فما ذَرَّ قرنُ الشمسِ حتى تبيّنتْ ... بِعُلْيَبَ نخلاً مُشرفاً ومُخَيِّمَا)
((ومرَّتْ على أشطانِ دُومةَ بالضحى ... فما خَزرتْ للماءِ عيناً ولا فَمَا
(وما شَرِبَتْ حتى ثَنَيتُ زِمَامَهَا ... وخِفْتُ عليها أن تُخَزَّ وتُكْلَمَا)
(فقلت لها قد تِعتِ غيرَ ذَميمةٍ ... وأصبحَ وادِي البِرْكِ غَيْثاً مُدَيِّمَا)
قال فقلت له يا عم ما كنت إلا على الريح فقال يا ابن أخي إن عمك كان إذا هم فعل وهي العجاجة أما سمعت قول أخي بني مرة
(إذا أقبلَتْ قُلتَ مَشحُونَةٌ ... أقلَّتْ لها الريحُ قَلْعاً جَفُولاَ)
(وإن أدبَرتْ قلتَ مَذعُورةٌ ... من الرُّمدِ تتبَعُ هَيقاً ذَمُولاَ)
(وإن أعْرضَتْ خالَ فيها البَصيرِ ... ما لا يُكلّفُه أن يَفِيلاَ)
(يَداً سُرُحاً مائراً ضَبْعُها ... تَسومُ وتَقْدُمُ رِجلاً زَجُولاَ)
(فمرّت على كشبٍ غُدوةً ... ومرّتْ فُوَيقَ أريكٍ أصِيلاَ)
((تُخبِّطُ بالليل حِزَّانَهُ ... كَخَبْطِ القويِّ العزيزِ الذَّليلاَ
أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني ابن اصبغ السلمي قال
جاء إنسان يغني إلى عياش المنقري بالعقيق فجعل يغنيه قول أبي دهبل
(... ألا عَلِقَ القلبُ المتّيمُ كَلْثَمَا)
وجعل يعيده فلما أكثر قال له عياش كم تنذر بالعجوز عافاك الله اسم أمي كلثم قال وتسمع العجوز فقالت لا والله ما كان بيني وبينه شيء
قال ومن غنائه
(أزرَى بنا أننا شَالَتْ نعامتُنا ... فخالَني دونه بل خِلتُه دوني)
(فإن تُصبكَ من الأيام جائحةٌ ... لا نبكِ منك على دنيا ولا دين)
وأول هذه الأبيات فيما أنشدناه علي بن سلمان الأخفش عن ثعلب
صوت من المائة المختارة
(ليَ ابنُ عمٍّ ما كان من خُلقٍ ... مختلفان فأقليه ويَقْليني)
(لاَهِ ابنُ عمّكَ لا أفضلتَ في حَسَبٍ ... عنّي ولا أنتَ ديّاني فتَخْزُوني)
غنى في هذين البيتين الهذلي ثاني ثقيل بالوسطى
(وقد عَجِبتُ وما في الدّهر من عَجبٍ ... يدٌ تَشُجُّ وأخرى منك تَأسُوني)
صوت من المائة المختارة
(إرْفَعْ ضَعِيفكَ لا يحرْ بكَ ضُعْفُهُ ... يوماً فتدركَه العواقبُ قد نَمَا)
(يَجزيك أو يُثْني عليك وإنّ مَنْ ... أثنى عليكَ بما فَعلتَ فقد جزَى)
عروضه من الكامل
الشعر لغريض اليهودي وهو السموأل بن عادياء وقيل إنه لابنه سعية بن غريض وقيل إنه لزيد بن عمرو بن نفيل وقيل إنه لورقة بن نوفل وقيل إنه لزهير بن جناب وقيل إنه لعامر بن المجنون الجرمي الذي يقال له مدرج الريح والصحيح أنه لغريض أو لابنه
((وقد عَجِبتُ وما في الدَّهر من عَجبٍ ... يَدٌ تَشُجُّ وأخرى منك تَأسُونِي
صوت من المائة المختارة
(إرْفَعْ ضَعِيفكَ لا يحرْ بكَ ضُعْفُهُ ... يوماً فتدركَه العواقبُ قد نَمَا)
(يَجزيك أو يُثْني عليك وإنّ مَنْ ... أثنى عليكَ بما فَعلتَ فقد جزَى)
عروضه من الكامل
الشعر لغريض اليهودي وهو السموأل بن عادياء وقيل إنه لابنه سعية بن غريض وقيل إنه لزيد بن عمرو بن نفيل وقيل إنه لورقة بن نوفل وقيل إنه لزهير بن جناب وقيل إنه لعامر بن المجنون الجرمي الذي يقال له مدرج الريح والصحيح أنه لغريض أو لابنه

خبر غريض اليهودي

وغريض هذا من اليهود من ولد الكاهن بن هارون بن عمران وكان موسى عليه الصلاة والسلام وجه جيشا إلى العماليق وكانوا قد طغوا وبلغت غاراتهم إلى الشام وأمرهم إن ظفروا بهم أن يقتلوهم أجمعين فظفروا بهم فقتلوهم أجمعين سوى ابن لملكهم كان غلاما جميلا فرحموه واستبقوه وقدموا الشام بعد وفاة موسى عليه السلام فأخبروا بني إسرائيل بما فعلوه فقالوا أنتم عصاة لا تدخلون الشام علينا أبدا فأخرجوهم عنها فقال بعضهم لبعض ما لنا بلد غير البلد الذي ظفرنا به وقتلنا أهله فرجعوا إلى يثرب فأقاموا بها وذلك قبل ورود الأوس والخزرج إياها عند وقوع سيل العرم باليمن فمن هؤلاء اليهود قريظة والنضير وبنو قينقاع وغيرهم ولم أجد لهم نسبا فأذكره لأنهم ليسوا من العرب فتدون العرب أنسابهم إنما هم حلفاؤهم وقد شرحت أخبارهم وما يغني به من أشعارهم في موضع آخر من هذا الكتاب

والغناء في اللحن المختار لابن صاحب الوضوء واسمه محمد وكنيته أبو عبد الله وكان أبوه على الميضاة بالمدينة فعرف بذلك وهو يسير الصناعة ليس ممن خدم الخلفاء ولا شهر عندهم شهرة غيره وهذا الغناء ماخوري بالبنصر وفيه ليونس ثاني ثقيل بالبنصر

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الرياشي وعبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن الأصمعي عن ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة قال

(... ارفَعْ ضَعِيفَكَ لا يحُرْ بِكَ ضعفُه)

لغريض اليهودي

رسول الله يدخل على عائشة وهي تتمثل بشعر

وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أحمد بن عيسى قال حدثنا مؤمل بن عبد الرحمن الثقفي قال حدثني سهل بن المغيرة عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت

دخل علي رسول الله وأنا أتمثل بهذين البيتين

(إرفَعْ ضعيفَك لا يحرْ بك ضعفُه ... يوماً فتُدركَه العواقبُ قد نَما)

(يَجْزيكَ أو يُثني عليكَ وإنّ مَنْ ... أثنى عَلَيْكَ بما فَعَلْتَ فقد جَزَى)

فقال " ردي علي قول اليهودي قاتله الله لقد أتاني جبريل برسالة من ربي أيما رجل صنع إلى أخيه صنيعة فلم يجد له جزاء إلا الثناء عليه والدعاء له فقد كافأه "

قال أبو زيد وقد حدثني أبو عثمان محمد بن يحيى أن هذا الشعر لورقة بن نوفل وقد ذكر الزبير بن بكار أيضا أن هذا الشعر لورقة بن نوفل وذكر هذين البيتين في قصيدة أولها

(رَحَلَتْ قُتيلَةُ عِيرَها قبلَ الضحى ... وأخالُ أن شَحَطَتْ بجارتك النَّوى)

(أَو كُلَّمَا رحَلَتْ قُتيلَةُ غُدْوَةً ... وغَدَتْ مُفَارِقَةً لأرضِهِم بكَى)

(ولقد ركِبتُ على السَّفينِ مُلَجِّجاً ... أذرُ الصّديقَ وأنتحي دارَ العِدا)

((ولقد دخلتُ البيتَ يُخشَى أهلُه ... بعد الهدوء وبعد ما سقطَ الندَى)

(فوجدتُ فيه حُرَّةً قد زُيِّنَتْ ... بالحَلْي تحسَبُه بها جمرَ الغَضا)

(فَنِعِمتُ بالاً إذ أتيتُ فِراشَها ... وسَقطتُ منها حين جئتُ على هَوَى)

(فلتِلْكَ لذَّاتُ الشَّبابِ قَضيتُها ... عَنّي فسَائِلْ بعضَهم ماذا قَضَى)

(فرج الرَّباب فليس يؤدى فرجه ... لا حاجَةً قَضَّى ولا ماءً بغَى)

(فارفَعْ ضعيفَكَ لا يحرْ بِكَ ضعفُه ... يوماً فتدركَه العواقبُ قد نَمَا)

(يَجْزيكَ أو يُثْنِي عليك وإنّ مَنْ ... أثنَى عليك بما فعلتَ فقد جَزَى)

ذكر ورقة بن نوفل ونسبه

هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وأمه هند بنت أبي كثير بن عبد بن قصي وهو أحد من اعتزل عبادة الأوثان في الجاهلية وطلب الدين وقرأ الكتب وامتنع من أكل ذبائح الأوثان

نسبة ما في هذا الشعر من الغناء

(غير ... ارفع ضعيفَكَ)

صوت

(ولقد طرقتُ البيتَ يُخشَى أهلُه ... بعد الهُدوء وبعد ما سقطَ الندَى)

(فوجدتُ فيه حُرَّةً قد زُيِّنَتْ ... بالحَلْي تحسَبُه بها جَمرَ الغَضا)

الشعر لورقة بن نوفل والغناء لابن محرز من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق

أخبرنا الطوسي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا عبد الله بن معاذ عن معمر عن الزهري عن عروة بن الزبير قال

سئل رسول الله عن ورقة بن نوفل كما بلغنا فقال " قد رأيته في المنام كأن عليه ثيابا بيضا فقد أظن أن لو كان من أهل النار لم أر عليه البياض "

قال الزبير وحدثنا عبد الله بن معاذ عن معمر عن الزهري عن عائشة

أن خديجة بنت خويلد انطلقت بالنبي حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وهو ابن عم خديجة أخي أبيها وكان امرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب بالعبرانية من الإنجيل ما شاء أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت خديجة أي ابن عم اسمع من ابن أخيك قال ورقة يابن أخي ماذا ترى فأخبره رسول الله خبر ما رأى فقال ورقة هذا الناموس الذي أنزله الله تبارك وتعالى على موسى يا ليتني فيها جذع ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك قال رسول الله أو مخرجي هم قال ورقة نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك لأنصرنك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة أن توفي

خبره مع بلال

قال الزبير حدثني عثمان عن الضحاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال قال عروة كان بلال لجارية من بني جمح بن عمرو وكانوا يعذبونه برمضاء مكة يلصقون ظهره بالرمضاء ليشرك بالله فيقول أحد أحد فيمر عليه ورقة بن نوفل وهو على ذلك يقول أحد أحد فيقول ورقة بن نوفل أحد أحد والله يا بلال والله لئن قتلتموه لاتخذته

حنانا كأنه يقول لأتمسحن به
وقال ورقة بن نوفل في ذلك
(لقد نَصحتُ لأقوامٍ وقلتُ لهم ... أنا النذيرُ فلا يَغرُرْكُمُ أحَدُ)
(لا تَعبُدُنّ إلهاً غيرَ خالقكم ... فإن دَعَوْكم فقولوا بيننا حَدَدُ)
(سُبحانَ ذي العرش سبحاناً نعوذ به ... وقبلُ قد سبّح الجُوديّ والجُمُدُ)
(مُسخَّرٌ كلُّ ما تحت السماءِ له ... لا ينبغي أن يُناوي مُلكَهُ أحَدُ)
(لا شيءَ مما ترى تبقى بَشاشَتُهُ ... يبقَى الإلهُ ويُودي المالُ والوَلدُ)
(لم تُغْنِ عن هُرْمُزٍ يوماً خزائنُه ... والخُلْدَ قد حاولتْ عادٌ فما خَلَدوا)
(ولا سُلَيمانَ إذ دانَ الشُّعُوبُ له ... والجنُّ والإنسُ تَجْري بينها البُرُدُ)
النبي ينهى عن سبه
قال الزبير حدثني عمي قال حدثنا الضحاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة
أن رسول الله قال لأخي ورقة بن نوفل أو لابن أخيه " شعرت أني قد رأيت لورقة جنة أو جنتين " يشك هشام
قال عروة ونهى رسول الله عن سب ورقة
وقال الزبير وحدثني عمي قال حدثني الضحاك عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه
أن خديجة كانت تأتي ورقة بما يخبرها رسول الله أنه يأتيه فيقول ورقة لئن كان ما يقول حقا إنه ليأتيه الناموس الأكبر ناموس عيسى ابن مريم الذي لا يجيزه أهل الكتاب إلا بثمن ولئن نطق وأنا حي لأبلين فيه لله بلاء حسنا
خبر زيد بن عمرو ونسبه
هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب
وأمه جيداء بنت خالد بن جابر بن أبي حبيب بن فهم
وكانت جيداء عند نفيل بن عبد العزى فولدت له الخطاب أبا عمر بن الخطاب وعبدنهم ثم مات عنها نفيل فتزوجها ابنه عمر فولدت له زيدا وكان هذا نكاحا ينكحه أهل الجاهلية وكان زيد بن عمرو أحد من اعتزل عبادة الأوثان وامتنع من أكل ذبائحهم وكان يقول يا معشر قريش أيرسل الله قطر السماء وينبت بقل الأرض ويخلق السائمة فترعى فيه وتذبحوها لغيره والله ما أعلم على ظهر الأرض أحدا على دين إبراهيم غيري
أخبرنا الطوسي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي مصعب بن عبد الله ومحمد بن الضحاك عن أبيه قالا
كان الخطاب بن نفيل قد أخرج زيد بن عمرو من مكة وجماعة من قريش ومنعوه أن يدخلها حين فارق أهل الأوثان وكان أشدهم عليه الخطاب بن نفيل
وكان زيد بن عمرو إذا خلص إلى البيت استقبله ثم قال لبيك حقا حقا تعبدا ورقا البر أرجو لا الخال وهل مهجر كمن قال ثم يقول
((عُذْتُ بما عاذَ بِه إبراهِمُ ... مُستَقْبِلَ الكعبةِ وهو قائمُ)
(يقول أنفِي لك عانٍ راغمُ ... مهما تُجشِّمْني فإني جاشِمُ)
ثم يسجد قال محمد بن الضحاك عن أبيه وهو الذي يقول
(لاَ هُمّ إنّي حَرَمٌ لا حِلَّهْ ... وإن داري أوسط المَحَلَّهْ)
(... عند الصَّفَا ليست بها مَضَلَّهْ)
شعر زيد في ترك عبادة الأوثان
قال الزبير وحدثني مصعب بن عبد الله عن الضحاك بن عثمان عن عبد الرحمن ابن بي الزناد قال قال هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت قال زيد بن عمرو بن نفيل
(عزلتُ الجنَّ والجِنَّانَ عنِّي ... كذلك يفعل الجَلْدُ الصَّبُورُ)
(فلا العُزَّى أدينُ ولا ابنتَيها ... ولا صَنَمي بني غَنمٍ أزورُ)
(ولا هُبَلاً أدينُ وكان ربّاً ... لنا في الدهر إذا حِلمِي صغيرُ)
(أربّاً واحداً أم ألفَ ربٍّ ... أدينُ إذا تقُسِّمت الأُمورُ)
(ألم تعلمْ بأنَّ اللهَ أفنى ... رجالاً كان شأنَهمُ الفُجورُ)
(وأبقى آخرين بِبِرِّ قومٍ ... فيربو منهم الطفلُ الصغيرُ)
(وبينا المرء يَعْثُرُ ثابَ يوما ... كما يتروّح الغُصنُ النّضيرُ)
فقال ورقة بن نوفل لزيد بن عمرو بن نفيل
(رَشِدتَ وأنعمتَ ابنَ عمرو وإنما ... تَجنّبْتَ تَنُّوراً من النار حاميا)
(بدِينك ربّاً ليس رب كمثله ... وتَركِكَ جِنّان الجبالِ كما هيا)
(أقول إذا ما زُرتُ أرضاً مخوفةً ... حَنَانَيْكَ لا تُظْهِرْ عليَّ الأعاديَا)
(حَنَانَيْكَ إنّ الجنّ كانت رجاءَهُم ... وأنت إلهي ربَّنا ورجائيَا)
(أدينُ لربٍّ يستجيبُ ولا أرَى ... أدينُ لمن لا يسمعُ الدهرَ داعيا)
(أقولُ إذا صلَّيْتُ في كلِّ بِيعَةٍ ... تباركتَ قد أكثرتَ باسمك داعيَا)
يقول خلقت خلقا يدعون باسمك
قال الزبير وحدثني مصعب بن عبد الله قال حدثني الضحاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن موسى بن عقبة قال سمعت من أرضى يحدث
أن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول الشاة خلقها الله وأنزل من السماء ماء وأنبت لها من الأرض نباتا ثم تذبحونها على غير اسم الله إنكارا لذلك وإعظاما له
قصته مع النبي
قال الزبير وحدثني مصعب بن عبد الله عن الضحاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن موسى بن عقبة عن سالم بن عبد الله أنه سمع عبد الله بن عمر يحدث عن رسول الله أنه لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح
وكان قبل أن ينزل على رسول الله الوحي فقدم إليه رسول الله سفرة فيها لحم فأبى أن يأكل وقال إني لا آكل إلا ما ذكر

اسم الله عليه
قال الزبير وحدثني مصعب بن عبد الله عن الضحاك بن عثمان عن عبد الله بن أبي الزناد عن موسى بن عقبة عن سالم بن عبد الرحمن قال قال موسى لا أراه إلا حدثه عن عبد الله بن عمر
أن زيد بن عمرو خرج إلى الشأم يسأل عن الدين ويتبعه فلقي عالما من اليهود فسأله عن دينهم فقال لعلي أدين بدينكم فأخبرني بدينكم فقال اليهودي إنك لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله فقال زيد بن عمرو لا أفر إلا من غضب الله وما أحمل من غضب الله شيئا أبدا وأنا أستطيع فهل تدلني على دين ليس فيه هذا قال ما أعلمه إلا أن يكون حنيفا قال وما الحنيف قال دين إبراهيم فخرج من عنده وتركه
فأتى عالما من علماء النصارى فقال له نحوا مما قال لليهودي فقال له النصراني إنك لن تكون على دينك حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله فقال إني لا أحمل من لعنة ولا من غضبه شيئا أبدا وأنا أستطيع فهل تدلني على دين ليس فيه هذا فقال له نحوا ممن قال اليهودي لا أعلمه إلا أن يكون حنيفا فخرج من عندهما وقد رضي بما أخبراه واتفقا عليه من دين إبراهيم فلما برز رفع يديه وقال اللهم إني على دين إبراهيم
قال الزبير وحدثني مصعب بن عبد الله عن الضحاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال قال هشام بن عروة بلغنا أن زيد بن عمرو كان بالشأم فلما بلغه خبر النبي أقبل يريده فقتله أهل ميفعة
قال الزبير وحدثني مصعب بن عبد الله عن الضحاك بن عثمان عن عبد
الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن سعيد بن زيد بن عمرو قال
" سألت أنا وعمر بن الخطاب رسول الله عن زيد فقال " يأتي يوم القيامة أمة وحده
وأنشد محمد بن الضحاك عن الحزامي عن أبيه لزيد بن عمرو
(أسلمتُ وجهي لمن أسلمتْ ... له المُزْن تحمِل عَذْباً زُلَالا)
(وأسلمتُ وجهي لمن أسلمتْ ... له الأرض تحمِل صَخْراً ثِقَالا)
(دَحاها فلما استوتْ شدّها ... سَواءً وأرسَى عليها الجِبَالا)
شعر زهير بن جناب في الكبر
وأما زهير بن جناب الكلبي فإنه أحد المعمرين يقال إنه عمر مائة وخمسين سنة وهو فيما ذكر أحد الذين شربوا الخمر في الجاهلية حتى قتلتهم وكان قد بلغ من السن الغاية التي ذكرناها فقال ذات يوم إن الحي ظاعن فقال عبد الله بن عليم بن جناب إن الحي مقيم فقال زهير إن الحي مقيم فقال عبد الله إن الحي ظاعن فقال من هذا الذي يخالفني منذ اليوم قيل ابن أخيك عبد الله بن عليم فقال أو ما هاهنا أحد ينهاه عن ذلك قالوا لا فغضب وقال لا أراني قد خولفت ثم دعا بالخمر فشربها صرفا بغير مزاج وعلى غير طعام حتى قتلته
وهو الذي يقول في ذم الكبر وطول الحياة
(الموتُ خير للفتى ... فليهلكن وبه بقيه)
(من أن يُرى الشّيخَ البَجالَ ... إذا تَهادَى بالعشيَّهْ)
(أبني أن أهلِكْ فقد ... أورثتكم مجداً بنيّهْ)
(وتركتُكم أبناء سادات ... زنادُكُمُ وَرِيَّهْ)
(بل كلّ ما نال الفتَى ... قد نلتُه إلا التّحيّهْ)
وأما مدرج الريح فاسمه عامر بن المجنون الجرمي وإنما سمي مدرج الريح بشعر قاله في امرأة كان يزعم أنه يهواها من الجن وأنها تسكن الهواء وتتراءى له وكان محمقا وشعره هذا
(لابنة الجنّيّ في الجوّ طَلَلْ ... دارسُ الآياتِ عافٍ كالخَلَلْ)
(دَرَسَتْهُ الرّيحُ من بين صَباً ... وجَنوبٍ درَجتْ حِيناً وطَلْ)
صوت
الغناء فيه لحنين ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي وابن المكي وذكر حبش أنه لمعبد وذكر عمرو بن بانة أن لحن حنين من خفيف الثقيل الأول بالبنصر
وأخبار عامر بن المجنون تذكر في موضع آخر إن شاء الله تعالى
وأما سعية بن غريض فقد كان ذكر خبر جده السموأل بن غريض بن عاديا في موضع غير هذا
وكان سعية بن غريض شاعرا وهو الذي يقول لما حضرته الوفاة يرثي نفسه

صوت
(يا ليتَ شِعرِي حين يُذكَر ... ماذا تُؤبِنّني به أنواحِي)
(أيَقُلْنَ لا تبعَدْ فربّ كريهة ... فرّجتها ببشارة وسَمَاحِ)
(وإذا دُعيتُ لصَعبةٍ سهّلتُها ... أُدعى بأفلحْ تارةً ونَجَاحِ)
غناه ابن سريج ثاني ثقيل بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو وأسلم سعية وعمر عمرا طويلا ويقال إنه مات في آخر خلافة معاوية
خبر سعية بن غريض مع معاوية بن أبي سفيان
فأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أحمد بن معاوية عن الهيثم بن عدي قال حج معاوية حجتين في خلافته وكانت له ثلاثون بغلة يحج عليها نساؤه وجواريه قال فحج في إحداهما فرأى شيخا يصلي في المسجد الحرام عليه ثوبان أبيضان فقال من هذا قالوا سعية بن غريض وكان من اليهود فأرسل إليه يدعوه فأتاه رسوله فقال أجب أمير المؤمنين قال أو ليس قد مات أمير المؤمنين قيل فأجب معاوية فأتاه فلم يسلم عليه بالخلافة فقال له معاوية ما فعلت أرضك التي بتيماء قال يكسى منها العاري ويرد فضلها على الجار قال أفتبيعها قال نعم قال بكم قال بستين ألف دينار ولولا خلة أصابت الحي لم أبعها قال لقد أغليت قال أما لو كانت لبعض أصحابك لأخذتها بستمائة ألف دينار ثم لم تبل قال أجل وإذ بخلت بأرضك فأنشدني شعر أبيك يرثي به نفسه فقال قال أبي
(يا ليتَ شِعرِي حين أُندَبُ هالكاً ... ماذا تُؤبنّني به أنواحِي)
(أيقلن لا تبعَد فربَّ كَريهة ... فرّجتُها بشجاعةٍ وسَماحِ)
(ولقد ضربتُ بفضل مالي حقَّه ... عند الشّتاء وهَبَّة الأرواحِ)

(ولقد أخذتُ الحقَّ غير مخاصم ... ولقد رددتُ الحقَّ غيرَ مُلاَحِي)
(وإذا دُعيت لصَعبةٍ سهَّلتُها ... أُدعَى بأفلِحْ مرّةً وَنَجَاح)
فقال أنا كنت بهذا الشعر أولى من أبيك قال كذبت ولؤمت قال أما كذبت فنعم وأما لؤمت فلم قال لأنك كنت ميت الحق في الجاهلية وميته في الإسلام أما في الجاهلية فقاتلت النبي والوحي حتى جعل الله عز وجل كيدك المردود وأما في الإسلام فمنعت ولد رسول الله الخلافة وما أنت وهي وأنت طليق ابن طليق فقال معاوية قد خرف الشيخ فأقيموه فأخذ بيده فأقيم
وسعية هذا هو الذي يقول
صوت
(يا دارَ سُعْدَى بأقصَى تَلْعَةِ النَّعَمِ ... حُيِّيتِ داراً على الإقْواء والقِدَمِ)
(وما يجزْعِكِ إلا الوَحشُ ساكنةً ... وهامدٌ من رَمَادِ القِدْرِ والحُمَمِ)
(عُجْنَا فما كلّمتنا الدارُ إذ سُئِلَتْ ... وما بها عن جوابٍ خِلتُ من صَمَمِ)
الشعر لسعية بن غريض والغناء لابن محرز ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر
أخبار ابن صاحب الوضوء ونسبه
اسمه محمد بن عبد الله ويكنى أبا عبد الله مولى بني أمية وهو من أهل المدينة وكان أبوه على ميضأة المدينة فسمي صاحب الوضوء وهو قليل الصنعة لم يذكر له إسحاق إلا صوتين كلاهما في خفيف الثقيل المعروف بالماخوري ولا ذكر له غير إسحاق سواهما إلا ما هو مرسوم في الكتاب الباطل المنسوب إلى إسحاق فإن له فيه شيئا كثيرا لا أصل له وفي كتاب حبش الصيني وهو رجل لا يحصل ما يقوله ويرويه
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن جده عن سياط عن يونس الكاتب قال
غنى ابن صاحب الوضوء في شعر النابغة
(خَطَاطِيفُ حُجْنٌ في حبالٍ مَتينةٍ ... تَمُدّ بها أيدٍ إليك نَوَازعُ)
وفي شعر بعض اليهود
(إرفع ضعيفَك لا يحر بك ضعفُه ... يوماً فتدركَه العواقبُ قد نَمَا)
فأجاد فيهما ما شاء وأحسن غاية الإحسان فقيل له ألا تزيد وتصنع شيئا آخر
فقال لا والله حتى أرى غيري قد صنع مثل ما صنعت وأزيد وإلا فحسبي هذا
عبد الله بن عامر يغني صوتا في المحراب
أخبرني أحمد بن عبد الله بن عمار وأحمد بن عبد العزيز الجوهري وإسماعيل بن يونس الشيعي قالوا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي قال ابن عمار في خبره وكان يسمى المبارك قد حدثنا أبو مسلمة المصبحي قال
قدم علينا أسود من أهل الكوفة فغنى
(اِرفَعْ ضعيفَك لا يحرْ بك ضعفُه ... يوماً فتدركَه العواقب قد نَمَا)
قال فمررت بعبد الله بن عامر الأسلمي وكان يؤمنا وهو قائم يصلي الظهر فقلت له قدم علينا أسود من الكوفة يغني كذا وكذا فأجاده فأشار إلي بيده أن اجلس فلما قضى صلاته قال أخذته عنه قلت نعم قال فأمره علي ففعلت قال فلما كان بالليل صلى بنا فأداه في المحراب
صوت من المائة المختارة التي رواها علي بن يحيى
(يا ليلَتي تَزْدادُ نُكْرَا ... مِنْ حُبِّ مَنْ أحببتُ بِكْرَا)
(حَوْراءُ إن نظرَتْ إليك ... سقَتْكَ بالعينين خمرَا)
الشعر لبشار والغناء في اللحن المختار ليزيد حوراء رمل بالبنصر عن عمرو ويحيى المكي وإسحاق وفيه لسياط خفيف رمل بالوسطى عن عمرو وإبراهيم الموصلي
أخبار بشار بن برد ونسبه
هو فيما ذكره الحسن بن علي عن محمد بن القاسم بن مهرويه عن غيلان الشعوبي بشار بن برد بن يرجوخ بن أزدكرد بن شروستان بن بهمهن بن دارا بن فيروز بن كرديه بن ماهفيدان بن دادان بن بهمن بن أزدكرد بن حسيس بن مهران ابن خسروان بن أخشين بن شهرداد بن نبوذ بن ما خرشيدا نماذ بن شهريار بن بنداد سيحان بن مكرر بن ادريوس بن يستاسب بن لهراسف قال وكان يرجوخ بن طخارستان من سبي المهلب بن أبي صفرة ويكنى بشار أبا معاذ
ومحله في الشعر وتقدمه طبقات المحدثين فيه بإجماع الرواة ورياسته عليهم من غير اختلاف في ذلك يغني عن وصفه وإطالة ذكر محله وهو من مخضرمي شعراء الدولتين العباسية والأموية قد شهر فيهما ومدح وهجا وأخذ سني الجوائز مع الشعراء
أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى المنجم قال قال حميد بن سعيد
كان بشار من شعب ادريوس بن يستاسب الملك بن لهراسف الملك
قال وهو بشار بن برد بن بهمن بن أزدكرد بن شروستان بن بهمن بن دارا بن فيروز قال وكان يكنى أبا معاذ
وأخبرني يحيى بن علي ومحمد بن عمران الصيرفي وغيرهما عن الحسن بن عليل العنزي عن خالد بن يزيد بن وهب بن جرير بن حازم عن أبيه قال
كان بشار بن برد بن يرجوخ وأبوه برد من قن خيرة القشيرية امرأة المهلب بن أبي صفرة وكان مقيما لها في ضيعتها بالبصرة المعروفة بخيرتان مع عبيد لها وإماء فوهبت بردا بعد أن زوجته لامرأة من بني عقيل كانت متصلة بها فولدت له امرأته وهو في ملكها بشارا فأعتقته العقيلية
وأخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال كان برد أبو بشار مولى أم الظباء العقيلية السدوسية فادعى بشار أنه مولى بني عقيل لنزوله فيهم
وأخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثنا العنزي قال حدثني رجل من ولد بشار يقال له حمدان كان قصارا بالبصرة قال ولاؤنا لبني عقيل فقلت لأيهم فقال لبني ربيعة بن عقيل
وأخبرني وكيع قال حدثني سليمان المدني قال قال أحمد بن معاوية الباهلي كان بشار وأمه لرجل من الأزد فتزوج امرأة

من بني عقيل فساق إليها بشارا وأمه في صداقها وكان بشار ولد مكفوفا فأعتقته العقيلية
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثني الحسن بن عليل العنزي قال
حدثنا قعنب بن المحرز الباهلي قال حدثني محمد بن الحجاج قال
باعت أم بشار بشارا على أم الظباء السدوسية بدينارين فأعتقته وأم الظباء امرأة أوس بن ثعلبة أحد بني تيم اللات بن ثعلبة وهو صاحب قصر أوس بالبصرة وكان أوس أحد فرسان بكر بن وائل بخراسان

كان أبوه طيانا

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا العنزي قال حدثنا محمد بن زيد العجلي قال أخبرني بدر بن مزاحم أن برداً أبا بشار كان طيانا يضرب اللبن وأراني أبي بيتين لنا فقال لي لبن هذين البيتين من ضرب برد أبي بشار فسمع هذه الحكاية حماد عجرد فهجاه فقال
(يابنَ بُردٍ إخْسَأْ إليكَ فمثلُ الكلبِ ... في الناس أنتَ لا الإنسانِ)
(بل لَعَمْري لأنتَ شرٌ من الكلبِ ... وأولَى منه بكلّ هَوَانِ)
(ولَريحُ الخنزير أهونُ من ريحكَ ... يابنَ الطيّانِ ذِي التُّبّانِ)
أخبرني يحيى بن علي قال حدثنا أبو أيوب المديني عن أبي الصلت البصري عن أبي عدنان قال حدثني يحيى بن الجون العبدي راوية بشار قال
قال لما دخلت على المهدي قال لي فيمن تعتد يا بشار فقلت أما
اللسان والزي فعربيان وأما الأصل فعجمي كما قلت في شعري يا أمير المؤمنين
(ونُبِّئتُ قوماً بهم جِنَّةٌ ... يقولونَ مَنْ ذا وكنتُ العَلَمْ)
(ألا أيُّها السائِلي جاهداً ... لِيَعْرِفَنِي أنا أنفُ الكَرَمْ)
(نَمَتْ في الكرامِ بَنِي عامرٍ ... فُروعِي وأصْلِي قُريشُ العَجَمْ)
(فإني لأُغْنِي مَقامَ الفتى ... وأُصْبِي الفتاةَ فما تَعتَصِمْ)
قال وكان أبو دلامة حاضرا فقال كلا لوجهك أقبح من ذلك ووجهي مع وجهك فقلت كلا والله ما رأيت رجلا أصدق على نفسه وأكذب على جليسه منك والله إني لطويل القامة عظيم الهامة تام الألواح أسجح الخدين ولرب مسترخي المذروين للعين فيه مراد قد جلس من الفتاة حجرة وجلست منها حيث أريد فأنت مثلي يا مرضعان قال فسكت عني
ثم قال لي المهدي فمن أي العجم أصلك فقلت من أكثرها في الفرسان وأشدها على الأقران أهل طخارستان فقال بعض القوم أولئك الصغد فقلت لا الصغد تجار فلم يردد ذلك المهدي
وكان بشار كثير التلون في ولائه شديد الشغب والتعصب للعجم مرة يقول يفتخر بولائه في قيس
(أمِنْتُ مَضَرَّةَ الفَحشاءِ أني ... أرَى قيساً تَضُرُّ ولا تُضَارُ)
(كأن الناسَ حين تَغِيبُ عنهم ... نباتُ الأرضِ أخطأهُ القِطارُ)
(وقد كانت بتَدْمُرَ خيلُ قيسٍ ... فكان لِتَدْمُرٍ فيها دَمَارُ)
(بحيٍّ من بني عَيْلانَ شُوسٍ ... يَسيرُ الموتُ حيث يقالُ سَارُوا)
(وما نَلْقَاهُمُ إلا صَدَرْنا ... برِيٍّ منهمُ وهُمُ حِرَارُ)
ومرة يتبرأ من ولاء العرب فيقول
(أصبحتَ مولَى ذي الجلالِ وبعضُهمْ ... مولَى العُرَيبِ فخذْ بفضلك فافْخرِ)
(مَولاكَ أكرمُ من تميمٍ كلِّها ... أهلِ الفَعَالِ ومن قُريشٍ المشْعَرِ)
(فارجِعْ إلى مولاكَ غيرَ مُدَافَعٍ ... سُبحانَ مَولاكَ الأجلِّ الأكبرِ)
لقبه وسبب ذلك
وقال يفتخر بولاء بني عقيل
(إنّني من بني عُقَيلِ بن كعبٍ ... مَوضِعَ السّيفِ مِنْ طُلَى الأعناقِ)
ويكنى بشار أبا معاذ ويلقب بالمرعث
أخبرني عمي ويحيى بن علي قالا حدثنا أبو أيوب المديني قال حدثني محمد بن سلام قال بشار المرعث هو بشار بن برد وإنما سمي المرعث بقوله
(قال رِيمٌ مُرَعَّثٌ ... ساحرُ الطّرفِ والنَّظَرْ)
(لستَ واللّهِ نائلي ... قلتُ أو يَغْلِبُ القَدَرْ)
(أنتَ إن رُمتَ وَصْلَنا ... فانجُ هل تُدرِكُ القَمَرْ)
قال أبو أيوب وقال لنا ابن سلام مرة أخرى إنما سمي بشار المرعث لأنه كان لقميصه جيبان جيب عن يمينه وجيب عن شماله فإذا أراد لبسه ضمه عليه من غير أن يدخل رأسه فيه وإذا أراد نزعه حل أزرار وخرج منه فشبهت تلك الجيوب بالرعاث لاسترسالها وتدليها وسمي من أجلها المرعث
أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا علي بن مهدي قال حدثني أبو حاتم قال قال لي أبو عبيدة
لقب بشار بالمرعث لأنه كان في أذنه وهو صغير رعاث
والرعاث القرطة واحدتها رعثة وجمعها رعاث ورعثات
ورعثات الديك اللحم المتدلي تحت حنكه قال الشاعر
(سَقَيْتُ أبا المصرَّعِ إذ أتانِي ... وذُو الرّعَثَاتِ مُنتَصِبٌ يَصيحُ)
(شراباً يهرُبُ الذّبّانُ منه ... ويَلْثَغُ حين يشربه الفَصِيحُ)
قال والرعث الاسترسال والتساقط فكأن اسم القرطة اشتق منه
أخبرني محمد بن عمران قال حدثني العنزي قال حدثنا محمد بن بدر
العجلي قال سمعت الأصمعي يذكر أن بشارا كان من أشد الناس تبرما بالناس وكان يقول الحمد لله الذي ذهب ببصري فقيل له ولم يا أبا معاذ قال لئلا أرى من أبغض
وكان يلبس قميصا له لبنتان فإذا أراد أن ينزعه نزعه من أسفله فبذلك سمي المرعث
أخبرني هاشم بن محمد أبو دلف الخزاعي قال حدثنا قعنب بن محرز عن الأصمعي قال

كان بشار ضخما عظيم الخلق والوجه مجدورا طويلا جاحظ المقلتين قد تغشاهما لحم أحمر فكان أقبح الناس عمى وأفظعه منظرا وكان إذا أراد أن ينشد صفق بيديه وتنحنح وبصق عن يمينه وشماله ثم ينشد فيأتي بالعجب

هجاء أبي هشام الباهلي في عمى بشار

أخبرنا يحيى بن علي عن أبي أيوب المديني عن محمد بن سلام قال
ولد بشار أعمى وهو الأكمه وقال في تصداق ذلك أبو هشام الباهلي يهجوه
(وعبدِي فَقَا عينيكَ في الرِّحْمِ أيرُهُ ... فجئتَ ولم تَعلَم لعينيكَ فَاقِيَا)
(أأُمُّك يا بشّارُ كانت عفيفةً ... عليّ إذا مشيي إلى البيت حَافيا)
قال ولم يزل بشار منذ قال فيه هذين البيتين منكسرا
أخبرنا هاشم بن محمد قال حدثنا الرياشي عن الأصمعي قال
ولد بشار أعمى فما نظر إلى الدنيا قط وكان يشبه الأشياء بعضها ببعض في شعره فيأتي بما لا يقدر البصراء أن يأتوا بمثله فقيل له يوما وقد أنشد قوله
(كأنّ مُثَارَ النقع فوق رُؤوسنا ... وأسيافَنا ليلٌ تَهَاوَى كواكبُهْ)
ما قال أحد أحسن من هذا التشبيه فمن أين لك هذا ولم تر الدنيا قط ولا شيئا فيها فقال إن عدم النظر يقوي ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر إليه من الأشياء فيتوفر حسه وتذكو قريحته ثم أنشدهم قوله
(عَمِيتُ جَنِيناً والذكاءُ من العَمَى ... فجئتُ عجيبَ الظنِّ للعلم مَوْئلاَ)
(وغاضَ ضِياءُ العين للعلم رافداً ... لِقلب إذا ضيّعَ الناسُ حَصّلا)
(وشِعرٍ كنَوْرِ الروض لاءمتُ بينَه ... بقولٍ إذا ما أحزن الشعرُ أسهلا)
أخبرنا هاشم قال حدثنا العنزي عن قعنب بن محرز عن أبي عبد الله الشرادني قال كان بشار أعمى طويلا ضخما آدم مجدورا
وأخبرني يحيى بن علي عن أبي أيوب المديني قال قال الحمراني قالت لي عمتي زرت قرابة لي في بني عقيل فإذا أنا بشيخ أعمى ضخم ينشد
(مِنَ المَفْتونِ بَشّارِ بن بُرْدِ ... إلى شَيْبانَ كَهْلِهِمُ ومُرْدِ)
(بأنّ فتاتَكم سَلَبتْ فؤادي ... فنِصْفٌ عندها والنصفُ عندي)
فسألت عنه فقيل لي هذا بشار
أخبرني محمد بن يحيى الصيرفي قال حدثنا العنزي قال حدثنا أبو زيد قال سمعت أبا محمد التوزي يقول قال بشار أزرى بشعري الأذان يقول إنه إسلامي
وأخبرني حبيب بن نصر المهلي قال حدثنا عمر بن شبة قال قال أبو عبيدة
قال بشار الشعر ولم يبلغ عشر سنين ثم بلغ الحلم وهو مخشي معرة لسانه
قال وكان بشار يقول هجوت جريرا فأعرض عني واستصغرني ولو أجابني لكنت أشعر الناس

قول الأصمعي عنه إنه خاتمة الشعراء

وأخبرنا يحيى بن علي بن يحيى وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة قال
كان الأصمعي يقول بشار خاتمة الشعراء والله لولا أن أيامه تأخرت لفضلته على كثير منهم
قال أبو زيد كان راجزا مقصدا
أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا محمد بن صالح بن النطاح قال حدثني أبو عبيدة قال سمعت بشارا يقول وقد أنشد في شعر الأعشى
(وأنكَرَتني وما كان الذي نَكِرَتْ ... من الحوادث إلا الشَّيْبَ والصَّلَعَا)
فأنكره وقال هذا بيت مصنوع ما يشبه كلام الأعشى فعجبت لذلك فلما كان بعد هذا بعشر سنين كنت جالسا عند يونس فقال حدثني أبو عمرو بن العلاء أنه صنع هذا البيت وأدخله في شعر الأعشى
(وأنكرتني وما كان الذي نكرت ... من الحوادث إلا الشيب والصلعا)
فجعلت حينئذ أزداد عجبا من فطنة بشار وصحة قريحته وجودة نقده للشعر

عدد قصائده

أخبرني عمي قال حدثني الكراني قال حدثني أبو حاتم عن أبي عبيدة قال
قال بشار لي اثنا عشر ألف بيت عين فقيل له هذا ما لم يكن يدعيه أحد قط سواك فقال لي اثنتا عشرة ألف قصيدة لعنها الله ولعن قائلها إن لم يكن في كل واحدة منها بيت عين
وأخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا علي بن مهدي عن أبي حاتم قال
قلت لأبي عبيدة أمروان عندك أشعر أم بشار فقال حكم بشار لنفسه بالاستظهار أنه قال ثلاثة عشر ألف بيت جيد ولا يكون عدد الجيد من شعر شعراء الجاهلية والإسلام هذا العدد وما أحسبهم برزوا في مثلها ومروان أمدح للملوك
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا الأصمعي قال
قال بشار الشعر وله عشر سنين فلما بلغ الحلم إلا وهو مخشي معرة اللسان بالبصرة
قال وكان يقول هجوت جريرا فاستصغرني وأعرض عني ولو أجابني لكنت أشعر أهل زماني
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا أبو العواذل زكريا بن هارون قال
قال بشار لي اثنا عشر ألف بيت جيدة فقيل له كيف قال لي اثنتا عشرة ألف قصيدة أما في كل قصيدة منها بيت جيد
وقال الجاحظ في كتاب البيان والتبيين وقد ذكره كان بشار شاعرا خطيبا صاحب منثور ومزدوج وسجع ورسائل وهو من المطبوعين أصحاب الإبداع والاختراع المفتنين في الشعر القائلين في أكثر أجناسه وضروبه قال الشعر في حياة جرير وتعرض له وحكى عنه أنه قال هجوت جريرا فأعرض عني ولو هاجاني لكنت أشعر الناس
قال الجاحظ وكان بشار يدين بالرجعة ويكفر جميع الأمة ويصوب رأي إبليس في تقديم النار على الطين وذكر ذلك في شعره فقال
(الأرْضُ مُظْلِمَةٌ والنارُ مُشْرِقَةٌ ... والنارُ معبودةٌ مذ كانتِ النارُ)
قال وبلغه عن أبي حذيفة واصل بن عطاء إنكار لقوله وهتف به فقال يهجوه

(ما لي أُشايعُ غَزّالاً له عُنُقٌ ... كنِقْنِقِ الدَّوِّ إنْ وَلّى وإنْ مثَلا)
(عُنْقَ الزّرافةِ ما بالي وبالُكُم ... تُكَفِّرون رجالاً كَفَّرُوا رَجلا)
قال فلما تتابع على واصل منه ما يشهد على إلحاده خطب به واصل وكان
ألثغ على الراء فكان يجتنبها في كلامه فقال أما لهذا الأعمى الملحد أما لهذا المشنف المكني بأبي معاذ من يقتله أما والله لولا أن الغيلة سجية من سجايا الغالية لدسست إليه من يبعج بطنه في جوف منزله أو في حفله ثم كان لا يتولى ذلك إلا عقيلي أو سدوسي فقال أبا معاذ ولم يقل بشارا وقال المشنف ولم يقل المرعث وقال من سجايا الغالية ولم يقل الرافضة وقال في منزله ولم يقل في داره وقال يبعج بطنه ولم يقل يبقر للثغة التي كانت به في الراء
قال وكان واصل قد بلغ من اقتداره على الكلام وتمكنه من العبارة أن حذف الراء من جميع كلامه وخطبه وجعل مكانها ما يقوم مقامها
هو أحد أصحاب الكلام الستة
أخبرني يحيى بن علي قال حدثني أبي عن عافية بن شبيب قال حدثني أبو سهيل قال حدثني سعيد بن سلام قال كان بالبصرة ستة من أصحاب الكلام عمرو بن عبيد وواصل بن
عطاء وبشار الأعمى وصالح بن عبد القدوس وعبد الكريم بن أبي العوجاء ورجل من الأزدي وقال أبو أحمد يعني جرير بن حازم فكانوا يجتمعون في منزل الأسدي ويختصمون عنده
فأما عمرو وواصل فصارا إلى الاعتزال
وأما عبد الكريم وصالح فصححا التوبة
وأما بشار فبقي متحيرا مخلطا
وأما الأزدي فمال إلى قول السمنية وهو مذهب من مذاهب الهند وبقي ظاهره على ما كان عليه
قال فكان عبد الكريم يفسد الأحداث فقال له عمرو بن عبيد قد بلغني أنك تخلوا بالحدث من أحادثنا فتفسده وتستزله وتدخله في دينك فإن خرجت من مصرنا وإلا قمت فيك مقاما آتي فيه على نفسك فلحق بالكوفة فدل عليه محمد بن سليمان فقتله وصلبه بها وله يقول بشار
(قلْ لعبد الكريم يابنَ أبي العَوْجاء ... بعتَ الإسلامَ بالكفر موقا)
(لا تصلّي ولا تصوم فإن صُمتَ ... فبعضَ النّهار صوماً رقَيقَا)
(لا تُبالِي إذا أصبتَ من الخمر ... عَتيقاً ألاّ تكون عَتيقَا)
(ليتَ شعري غداةَ حُلّيتَ في الجيد ... حَنيفاً حُلّيت أم زنديقَا)
(أنت ممّن يَدُور في لَعنة الله ... صديق لمن ينيك الصديقَا)
أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني الرياشي قال سئل الأصمعي عن بشار
ومروان أيهما أشعر فقال بشار فسئل عن السبب في ذلك فقال لأن مروان سلك طريقا كثر ما يسلكه فلم يلحق من تقدمه وشركه فيه من كان في عصره وبشار سلك طريقا لم يسلك وأحسن فيه وتفرد به وهو أكثر تصرفا وفنون شعر وأغزر وأوسع بديعا ومروان لم يتجاوز مذاهب الأوائل
أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني العنزي عن أبي حاتم قال سمعت الأصمعي وقد عاد إلى البصرة من بغداد فسأله رجل عن مروان بن أبي حفصة فقال وجد أهل بغداد قد ختموا به الشعراء وبشار أحق بأن يختموهم به من مروان فقيل له ولم فقال وكيف لا يكون كذلك وما كان مروان في حياة بشار يقول شعرا حتى يصلحه له بشار ويقومه وهذا سلم الخاسر من طبقة مروان يزاحمه بين أيدي الخلفاء بالشعر ويساويه في الجوائز وسلم معترف بأنه تبع لبشار
بشار أحسن الناس ابتداء بين المحدثين
أخبرني جحظة قال سمعت علي بن يحيى المنجم يقول سمعت من لا أحصي في الرواة يقولون أحسن الناس ابتداء في الجاهلية امرؤ القيس حيث يقول
(... ألا انعِمْ صبَاحا أيُّها الطَّلل البالِي)
وحيث يقول
(...قِفَا نبكِ من ذِكرى حبيبٍ ومنزلِ)
وفي الإسلام القطامي حيث يقول
(... إنّا مُحيّوكَ فأسلَمَ أيُّها الطّلَلُ)
ومن المحدثين بشار حيث يقول
صوت
(أَبى طَلَلٌ بالجِزْع أن يتكلّما ... وماذا عليه لو أجاب مُتّيما)
(وبالفرع آثارٌ بقين وباللِّوى ... مَلاعبُ لا يُعرَفْنَ إلا تَوهُّما)
وفي هذين البيتين لابن المكي ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى الوسطى من كتابه وفيهما لابن جؤذر رمل
أخبرني عمي عن الكراني عن أبي حاتم قال
كان الأصمعي يعجب بشعر بشار لكثرة فنونه وسعة تصرفه ويقول كان مطبوعا لا يكلف طبعه شيئا متعذرا لا كمن يقول البيت ويحككه أياما
وكان يشبه بشارا بالأعشى والنابغة الذبياني ويشبه مروان بزهير والحطيئة ويقول هو متكلف
قال الكراني قال أبو حاتم وقلت لأبي زيد أيما أشعر بشار أم مروان
فقال بشار أشعر ومروان أكفر
قال أبو حاتم وسألت أبا زيد مرة أخرى عنهما فقال مروان أجد وبشار أهزل فحدثت الأصمعي بذلك فقال بشار يصلح للجد والهزل ومروان لا يصلح إلا لأحدهما
كان الناس يعجبون بشعره ويتناشدونه
نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى قال حدثنا علي بن مهدي قال حدثنا نجم بن النطاح قال
عَهدي بالبصرة وليس فيها غَزل ولا غَزِلَةٌ إلاّ يَرْوي من شعر بشّار ولا نائحة ولا مغنية إلا تتكسب به ولا ذو شرف إلا وهو يهابه ويخاف معرة لسانه

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أحمد بن المبارك قال حدثني أبي قال قلت لبشار ليس لأحد من شعراء العرب شعر إلا وقد قال فيه شيئا استنكرته العرب من ألفاظهم وشك فيه وإنه ليس في شعرك ما يشك فيه قال ومن أين يأتيني الخطأ ولدت هاهنا ونشأت في حجور ثمانين شيخا من فصحاء بني عقيل ما فيهم أحد يعرف كلمة من الخطأ وإن دخلت إلى نسائهم فنساؤهم أفصح منهم وأيفعت فأبديت إلى أن أدركت فمن أين يأتيني الخطأ

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي وأحمد بن عبد العزيز ويحيى بن علي قالوا حدثنا عمر بن شبة قال كان الأصمعي يقول إن بشارا خاتمة الشعراء والله لولا أن أيامه تأخرت لفضلته على كثير منهم

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثني أبو الفضل المروزي قال حدثني قعنب بن المحرز الباهلي قال قال الأصمعي لقي أبو عمرو بن العلاء بعض الرواة فقال له يا أبا عمرو من أبدع الناس بيتا قال الذي يقول

(لم يَطُلْ ليلي ولكن لم أَنَمْ ... ونفَى عنِّي الكَرَى طيفٌ أَلمّ)

(روِّحي عنّي قليلاً واعلَمي ... أنني يا عَبْدَ من لحمٍ ودَمْ)

قال فمن أمدح الناس قال الذي يقول

(لَمَستُ بكفّي كفَّه أبتغِي الغِنَى ... ولم أدر أنّ الجود من كفّه يُعْدِي)

(فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنَى ... أفدتُ وأعداني فأتلفت ما عندِي)

قال فمن أهجى الناس قال الذي يقول

(رأيت السُّهَيْلَين استوَى الجودُ فيهما ... على بُعْد ذا من ذاك في حُكم حاكمِ)

سُهَيل بن عثمانٍ يَجود بماله ... كما جاد بالوَجْعا سُهَيلُ بن سالمِ) قال وهذه الأبيات كلها لبشار

نسبة ما في هذا الخبر من الأشعار التي يغنى فيها

صوت

(لم يَطُلْ ليلي ولكن لم أَنَمْ ... ونَفى عنِّي الكرى طيفٌ ألمّ)

(وإذا قلتُ لها جُودِي لنا ... خرجتْ بالصَّمْت عن لا ونعَمْ)

(نَفِّسي يا عَبْدَ عنّي واعلمي ... أنني يا عبدَ من لحمٍ ودمْ)

(إنَّ في بُرْدَيَّ جسماً ناحِلاً ... لو توكّأتِ عليه لانهدَمْ)

(ختَم الحبُّ لها في عُنُقي ... موضِعَ الخاتَم من أهل الذِّممْ)

غناه إبراهيم هزجا بالسبابة في مجرى الوسطى عن ابن المكي والهشامي وفيه لقعنب الأسود خفيف ثقيل

فأما الأبيات التي ذكر أبو عمرو أنه فيها أمدح الناس وأولها

(... لَمَسْتُ بكفّي كفَّه أبتَغِي الغِنَى)

فإنه ذكر أنها لبشار وذكر الزبير بن بكار أنها لابن الخياط في المهدي وذكر له فيها معه خبرا طويلا قد ذكرته في أخبار ابن الخياط في هذا الكتاب

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا علي بن مهدي الكسروي قال حدثنا أبو حاتم قال

كان بشار كثير الولوع بديسم العنزي وكان صديقا له وهو مع ذلك يكثر هجاءه وكان ديسم لا يزال يحفظ شيئا من شعر حماد وأبي هشام الباهلي في بشار فبلغه ذلك فقال فيه

((أدَيْسمُ يابنَ الذئبِ من نَجْل زَارعٍ ... أتَروِي هَجائي سادِراً غيرَ مُقْصِرِ

قال أبو حاتم فأنشدت أبا زيد هذا البيت وسألته ما يقول فيه فقال لمن هذا الشعر فقلت لبشار يقوله في ديسم العنزي فقال قاتله الله ما أعلمه بكلام العرب ثم قال الديسم ولد الذئب من الكلبة ويقال للكلاب أولاد زارع والعسبار ولد الضبع من الذئب والسمع ولد الذئب من الضبع وتزعم العرب أن السمع لا يموت حتف أنفه وأنه أسرع من الريح وإنما هلاكه بعرض من أعراض الدنيا

خبره مع حمدان الخراط

أخبرنا حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال

كان بالبصرة رجل يقال له حمدان الخراط فاتخذ جاما لإنسان كان بشار عنده فسأله بشار أن يتخذ له جاما فيه صور طير تطير فاتخذه له وجاءه به فقال له ما في هذا الجام فقال صور طير تطير فقال له قد كان ينبغي أن تتخذ فوق هذه الطير طائرا من الجوارح كأنه يريد صيدها فإنه كان أحسن قال لم أعلم قال بلى قد علمت ولكن علمت أني أعمى لا أبصر شيئا وتهدده بالهجاء فقال له حمدان لا تفعل فإنك تندم قال أو تهددني أيضا قال نعم قال فأي شيء تستطيع أن تصنع بي إن هجوتك قال أصورك على باب داري بصورتك هذه وأجعل من خلفك قردا ينكحك حتى يراك الصادر والوارد قال بشار اللهم اخزه أنا أمازحه وهو يأبى إلا الجد

قول بشار في جرير بن المنذر السدوسي

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى والحسن بن علي ومحمد بن عمران الصيرفي قالوا حدثنا العنزي قال حدثني جعفر بن محمد العدوي عن محمد بن سلام قال حدثني مخلد أبو سفيان قال

كان جرير بن المنذر السدوسي يفاخر بشارا فقال فيه بشار

(أَمِثْلُ بَني مُضَرٍ وَائِلٌ ... فَقَدتُكَ من فاخرٍ ما أَجَنْ)

(أَفي النومِ هذا أبا مُنْذِرٍ ... فَخَيْرا رأيتَ وخيراً يَكُنْ)

(رأَيتُكَ والفخرَ في مثلِها ... كعاجنةٍ غيرَ ما تَطْحنْ)

وقال يحيى في خبره فحدثني محمد بن القاسم قال حدثني عاصم بن وهب أبو شبل الشاعر البرجمي قال حدثني محمد بن الحجاج السراداني قال

كنا عند بشار وعنده رجل ينازعه في اليمانية والمضرية إذ أذن فقال له بشار رويدا تفهم هذا الكلام فلما قال أشهد أن محمدا رسول الله قال له بشار أهذا الذي نودي باسمه مع اسم الله عز وجل من مضر هو أم من صداء وعك وحمير فسكت الرجل

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي قال أنشد بشار قول الشاعر

(وقد جَعل الأعداءُ ينتقِصُوننا ... وتطمَعُ فينا ألسُنٌ وعيونُ)

((ألا إنما ليلى عَصَا خَيزُرَانةٍ ... إذا غمزُوها بالأكفّ تَلينُ
فقال والله لو زعم أنها عصا مخ أو عصا زبد لقد كان جعلها جافية خشنة بعد أن جعلها عصا ألا قال كما قلت
(ودَعْجاءِ المحَاجِر من مَعَدٍّ ... كأن حديثَها ثَمرُ الجِنَانِ)
(إذا قامت لِمشيتها تثنَّتْ ... كأن عظامَها من خَيْزُرَانِ)
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال أخبرني محمد بن صالح بن الحجاج قال
قلت لبشار إني أنشدت فلانا قولك
(إذا أنتَ لم تَشْرَبْ مِراراً على القَذَى ... ظَمِئتَ وأيُّ الناسِ تَصفُو مَشَاربُهْ)
فقال لي ما كنت أظنه إلا لرجل كبير فقال لي بشار ويلك أفلا قلت له هو والله لأكبر الجن والإنس
خبره مع امرأة وعدته أن تزوره ليلا وأخلفت
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبو الشبل عن محمد بن الحجاج قال
كان بشار يهوى امرأة من أهل البصرة فراسلها يسألها زيارته فوعدته بذلك ثم أخلفته وجعل ينتظرها ليلته حتى أصبح
فلما لم تأته أرسل إليها يعاتبها فاعتذرت بمرض أصابها فكتب إليها بهذه الأبيات
(يا لَيْلَتي تَزدادُ نُكْرا ... مِن حُبِّ مَنْ أحببتُ بِكْرا)
((حوراءِ إن نظرت إليك ... سقتكَ بالعينين خَمرا
(وكأن رَجْعَ حديثِها ... قِطَعُ الرياضِ كُسِين زَهْرَا)
(وكأن تحت لسانِها ... هاروتَ ينفثُ فيه سِحْرا)
(وتَخالُ ما جمعَتْ عليه ... ثيابَها ذهباً وعِطْرا)
(وكأنّها بَرْدُ الشرابِ ... صَفَا ووافق منْك فِطْرَا)
(جِنّيَّةٌ إنسيَّةٌ ... أو بين ذاك أجلُّ أمرا)
(وكفاكَ أنّي لم أحِطْ ... بشَكَاةِ مَنْ أحببتُ خُبرَا)
(إلا مقالةَ زائرٍ ... نثَرَتْ لِيَ الأحزانَ نثرَا)
(مُتَخشِّعاً تحت الهوى ... عشراً وتحت الموتِ عشرَا)
حدثني جحظة قال حدثني علي بن يحيى قال
كان إسحاق الموصلي لا يعتد ببشار ويقول هو كثير التخليط في شعره وأشعاره مختلفة لا يشبه بعضها بعضا أليس هو القائل
(إنما عَظْمُ سُلَيمَى حِبّتي ... قَصَبُ السُّكّرِ لا عَظْمُ الجَمَلْ)
(وإذا أدْنيتَ منها بَصلاً ... غلبَ المِسكُ على ريحِ البَصلْ)
لو قال كل شيء جيد ثم أضيف إلى هذا لزيفه
قال وكان يقدم عليه مروان ويقول هذا هو أشد استواء شعر منه وكلامه ومذهبه أشبه بكلام العرب ومذاهبها وكان لا يعد أبا نواس البتة ولا يرى فيه خيرا
هجاؤه للمنصور
حدثنا محمد بن علي بن يحيى قال حدثنا محمد بن زكريا قال حدثنا محمد بن عبد الرحمن التيمي قال
دخل بشار إلى إبراهيم بن عبد الله بن حسن فأنشده قصيدة يهجو فيها المنصور ويشير عليه برأي يستعمله في أمره
فلما قتل إبراهيم خاف بشار فقلب الكنية وأظهر أنه كان قالها في أبي مسلم وحذف منها أبياتا وأولها
(أبا جَعفرٍ ما طولُ عيشٍ بدائمٍ ... ولا سالمٌ عمَّا قَليلٍ بسَالمِ)
قلب هذا البيت فقال أبا مسلم
(على المَلِكِ الجَبّارِ يَقتحِمُ الردى ... ويصرَعُه في المأزقِ المتلاحمِ)
(كأنك لم تَسمَعْ بقتلِ مُتَوَّجٍ ... عظيمٍ ولم تسمع بفَتكِ الأعاجمِ)
(تَقَسَّمَ كِسرَى رهطُه بسيوفهم ... وأمسى أبو العباس أحلامَ نائمِ)
يعني الوليد بن يزيد
(وقد كان لا يَخشَى انقلابَ مكيدةٍ ... عليه ولا جَرْيَ النُّحُوسِ الأشائمِ)
(مقيماً على اللّذاتِ حتى بَدتْ له ... وجوهُ المنايا حاسِرَاتِ العمائمِ)
((وقد تَرِدُ الأيامُ غُرّاً وربَّمَا ... وَرَدْنَ كُلُوحاً باديات الشَّكائمِ
(ومَرْوانُ قد دارتْ على رأسه الرحى ... وكان لِمَا أجرمْتَ نَزْرَ الجرائمِ)
(فأصبحتَ تجري سادِراً في طريقهم ... ولا تَتَّقِي أشباهَ تلكَ النقائمِ)
(تجرّدتَ للإسلامِ تَعفُو سبيلَه ... وتُعْرِي مَطاهُ لِلُّيوثِ الضَّراغِمِ)
(فما زلتَ حتى استنصرَ الدينُ أهلَه ... عليكَ فعاذُوا بالسُّيوفِ الصوارِمِ)
(فَرُمْ وَزراً يُنْجِيكَ يابنَ سَلامةٍ ... فلستَ بِناجٍ من مَضيمٍ وضَائِمِ)
جعل موضع يابن سلامة يابن وشيكة وهي أم أبي مسلم
(لَحَا اللهُ قوماً رأسُوكَ عليهمُ ... وما زلتَ مَرْؤوساً خبيثَ المطاعِمِ)
(أقُولُ لِبَسَّامٍ عليه جَلاَلَةٌ ... غَدَا أرْيحيَّا عاشِقاً للمكارِمِ)
(من الفاطمّيينَ الدُّعاة إلى الهدَى ... جِهاراً ومَنْ يَهْدِيكَ مثلُ ابنِ فاطمِ)
هذا البيت الذي خافه وحذفه بشار من الأبيات
(سِراجٌ لعينِ المستضِيءِ وتارة ... يكون ظَلاَماً للعدوِّ المزاحِمِ)
(إذا بلَغَ الرأيُ المَشُورة فاستعِنْ ... برأيِ نَصيحٍ أو نَصيحةِ حازمِ)
(ولا تجعَلِ الشُّورَى عليكَ غضاضَةً ... فإنّ الخَوافِي قُوّةٌ للقوادِمِ)
(وما خيرُ كفٍّ أمسكَ الغُلُّ أختَها ... وما خيرُ سيفٍ لم يُؤَيَّدْ بقائمِ)
((وخَلِّ الهُوينَا للضَّعيف ولا تكُنْ ... نَؤوماً فإن الحَزْمَ ليس بنائمِ
(وحَارِبْ إذا لم تُعطَ إلا ظُلاَمةً ... شَبَا الحربِ خيرٌ من قَبُولِ المظالمِ)

قال محمد بن يحيى فحدثني الفضل بن الحباب قال سمعت أبا عثمان المازني يقول سمعت أبا عبيدة يقول ميمية بشار هذه أحب إلي من ميميتي جرير والفرزدق
قال محمد وحدثني ابن الرياشي قال حدثني أبي قال
قال الأصمعي قلت لبشار يا أبا معاذ إن الناس يعجبون من أبياتك في المشورة فقال لي يا أبا سعيد إن المشاور بين صواب يفوز بثمرته أو خطأ يشارك في مكروهه فقلت له أنت والله في قولك هذا أشعر منك في شعرك
خبر بشار مع رجل في دار المهدي
حدثني الحسن بن علي قال حدثنا الفضل بن محمد اليزيدي عن إسحاق وحدثني به محمد بن مزيد بن أبي الأزهر عن حماد عن أبيه قال
كان بشار جالسا في دار المهدي والناس ينتظرون الإذن فقال بعض موالي المهدي لمن حضر ما عندكم في قول الله عز وجل
وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر) فقال له بشار النحل التي يعرفها الناس قال هيهات يا) أبا معاذ النحل بنو هاشم
يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس) يعني العلم فقال له بشار أراني الله طعامك وشرابك) وقوله وشفاءك فيما يخرج من بطون بني هاشم فقد أوسعتنا غثاثة فغضب وشتم بشارا وبلغ المهدي الخبر فدعا بهما فسألهما عن القصة فحدثه بشار بها فضحك حتى أمسك على بطنه ثم قال للرجل أجل فجعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بني هاشم فإنك بارد غث
وقال محمد بن مزيد في خبره إن الذي خاطب بشارا بهذه الحكاية وأجابه عنها من موالي المهدي المعلى بن طريف
بشار يسخر من خال المهدي
أخبرنا الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال
دخل يزيد بن منصور الحميري على المهدي وبشار بين يديه ينشده قصيدة امتدحه بها فلما فرغ منها أقبل عليه يزيد بن منصور الحميري وكانت فيه غفلة فقال له يا شيخ ما صناعتك فقال أثقب اللؤلؤ فضحك المهدي ثم قال لبشار أعزب ويلك أتتنادر على خالي فقال له وما أصنع به يرى شيخا أعمى ينشد الخليفة شعرا ويسأله عن صناعته
أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه قال
وقف على بشار بعض المجان وهو ينشد شعرا فقال له استر شعرك هذا كما تستر عورتك فصفق بشار بيديه وغضب وقال له من أنت ويلك قال أنا أعزك الله رجل من باهلة وأخوالي من سلول وأصهاري عكل واسمي كلب ومولدي بأضاخ ومنزلي بنهر بلال فضحك بشار ثم قال اذهب ويلك فأنت عتيق لؤمك قد علم الله أنك استترت مني بحصون من حديد
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني الفضل بن سعيد قال حدثني أبي قال
مر بشار بقاص بالبصرة فسمعه يقول في قصصه من صام رجبا وشعبان ورمضان بنى الله له قصرا في الجنة صحنه ألف فرسخ في مثلها وعلوه ألف فرسخ وكل باب من أبواب بيوته ومقاصره عشرة فراسخ في مثلها قال فالتفت بشار إلى قائده فقال بئست والله الدار هذه في كانون الثاني
قال الفضل بن سعيد وحدثني رجل من أهل البصرة ممن كان يتزوج بالنهاريات قال تزوجت امرأة منهن فاجتمعت معها في علو بيت وبشار تحتنا أو كنا في أسفل البيت وبشار في علوه مع امرأة فنهق حمار في الطريق فأجابه حمار في الجيران وحمار في الدار فارتجت الناحية بنهيقها وضرب الحمار الذي في
الدار الأرض برجله وجعل يدقها بها دقا شديدا فسمعت بشارا يقول للمرأة نفخ يعلم الله في الصور وقامت القيامة أما تسمعين كيف يدق على أهل القبور حتى يخرجوا منها قال ولم يلبث أن فزعت شاة كانت في السطح فقطعت حبلها وعدت فألقت طبقا وغضارة إلى الدار فانكسرا وتطاير حمام ودجاج كن في الدار لصوت الغضارة وبكى صبي في الدار فقال بشار صح والله الخبر ونشر أهل القبور من قبورهم أزفت يشهد الله الآزفة وزلزلت الأرض زلزالها فعجبت من كلامه وغاظني ذلك فسألت من المتكلم فقيل لي بشار فقلت قد علمت أنه لا يتكلم بمثل هذا غير بشار
بعض من نوادره
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن محمد جدار قال حدثني قدامة بن نوح قال
مر بشار برجل قد رمحته بغلة وهو يقول الحمد لله شكرا فقال له بشار استزده يزدك
قال ومر به قوم يحملون جنازة وهم يسرعون المشي بها فقال ما لهم مسرعين أتراهم سرقوه فهم يخافون أن يلحقوا فيؤخذ منهم
أخبرني يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه عن عافية بن شبيب وأخبرني به وكيع عن محمد بن عمر بن محمد بن عبد الملك عن الحسن بن جمهور قالا
توفي ابن لبشار فجزع عليه فقيل له أجر قدمته وفرط افترطته وذخر أحرزته فقال ولد دفنته وثكل تعجلته وغيب وعدته فانتظرته والله لئن لم أجزع للنقص لا أفرح للزيادة
وقال يرثيه
(أجَارَتَنا لا تَجْزَعِي وأنيبي ... أتاني من الموتِ المُطِلِّ نَصِيبي)
(بُنَيِّي على رَغْمِي وسُخْطِي رُزِئْته ... وبُدِّلَ أحجاراً وجالَ قليبِ)
(وكان كرَيحانِ الغصونِ تَخالُه ... ذَوَى بعد إشراقٍ يَسُرُّ وطِيبِ)
(أُصِيبَ بُنَيِّي حين أورَقَ غُصنُه ... وألقَى عليَّ الهَمَّ كُلُّ قَريبِ)
(عَجِبتُ لإسراع المنيّةِ نحوَه ... وما كان لو مُلِّيتُه بعَجِيبِ)
أخبرني يحيى بن علي قال ذكر عافية بن شبيب عن أبي عثمان الليثي وحدثني به الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن أبي مسلم قالا
رفع غلام بشار إليه في حساب نفقته جلاء مرآة عشرة دراهم فصاح به بشار وقال والله ما في الدنيا أعجب من جلاء مرآة أعمى بعشرة دراهم والله لو صدئت عين الشمس حتى يبقى العالم في ظلمة ما بلغت أجرة من يجلوها عشرة دراهم
أخبرنا محمد ين يحيى الصولي قال حدثني المغيرة بن محمد المهلبي قال حدثنا أبو معاذ النميري قال قلت لبشار لم

مدحت
يزيد بن حاتم ثم هجوته قال سألني أن أنيكه فلم أفعل فضحكت ثم قلت فهو كان ينبغي له أن يغضب فما موضع الهجاء فقال أظنك تحب أن تكون شريكه فقلت أعوذ بالله من ذلك ويلك
حدثني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا أحمد بن خلاد وأخبرنا يحيى بن علي ومحمد بن عمران الصيرفي قالا حدثنا العنزي قال حدثنا أحمد بن خلاد قال حدثني أبي قال قلت لبشار إنك لتجيء بالشيء الهجين المتفاوت قال وما ذاك قال قلت بينما تقول شعرا تثير به النقع وتخلع به القلوب مثل قولك
(إذا ما غَضِبنا غَضْبَةً مُضَرِيَّةً ... هتكنا حِجابَ الشمس أو تُمْطِرَ الدمَا)
(إذا ما أعَرْنا سَيِّداً من قبيلةٍ ... ذُرَى مِنْبرٍ صلَّى علينا وسَلَّمَا)
تقول
(رَبَابَةُ رَبَّةُ البيتِ ... تَصُبُّ الخلَّ في الزَّيتِ)
(لها عَشْرُ دجاجاتٍ ... وديكٌ حسَنُ الصَّوتِ)
فقال لكل وجه وموضع فالقول الأول جد وهذا قلته في ربابة جاريتي وأنا لا آكل البيض من السوق وربابة هذه لها عشر دجاجات وديك فهي تجمع لي البيض وتحفظه عندها فهذا عندها من قولي أحسن من
(...قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرى حبيبٍ ومنزلِ)
عندك
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني أحمد بن محمد جدار قال حدثني قدامة بن نوح قال
كان بشار يحشو شعره إذا أعوزته القافية والمعنى بالأشياء التي لا حقيقة لها فمن ذلك أنه أنشد يوما شعرا له فقال فيه
(... غَنِّني للغَريض يابنَ قنانِ)
فقيل له من ابن قنان هذا لسنا نعرفه من مغني البصرة قال وما عليكم منه ألكم قبله دين فتطالبوه به أو ثأر تريدون أن تدركوه أو كفلت لكم به فإذا غاب طالبتموني بإحضاره قالوا ليس بيننا وبينه شيء من هذا وإنما أردنا أن نعرفه فقال هو رجل يغني لي ولا يخرج من بيتي فقالوا له إلى متى قال مذ يوم ولد وإلى يوم يموت قال وأنشدنا أيضا في هذه القصيدة
(ووافاني هلالُ السماء في البردانِ)
فقلنا يا أبا معاذ أين البردان هذا لسنا نعرفه بالبصرة فقال هو بيت في بيتي سميته البردان أفعليكم من تسميتي داري وبيوتها شيء فتسألوني عنه
حدثني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثني أبو غسان دماذ واسمه رفيع بن سلمة قال حدثني يحيى بن الجون العبدي راوية بشار قال
كنا عند بشار يوما فأنشدنا قوله
(وجاريةٍ خُلِقَتْ وحدَها ... كأن النساءَ لديَهْا خَدَمْ)
((دُوَارِ العذارَى إذا زُرْنَها ... أطَفْنَ بحَوْراءَ مثل الصَّنَمْ)
(ظَمِئتُ إليها فلم تَسقِني ... بريٍّ ولم تَشْفِني من سَقَمْ)
(وقالت هويتَ فمتْ راشِداً ... كما مات عُروةُ غَمّاً بِغَمّ)
(فلما رأيتُ الهوى قاتِلي ... ولستُ بجارٍ ولا بابنِ عَمّ)
(دَسَسْتُ إليها أبا مِجْلَزٍ ... وأيّ فتىً إن أصابَ اعتزَمْ)
(فما زال حتى أثابتْ له ... فراح وحلَّ لنا ما حَرُمْ)
فقال له الرجل ومن أبو مجلز هذا يا أبا معاذ قال وما حاجتك إليه لك عليه دين أو تطالبه بطائلة هو رجل يتردد بيني وبين معارفي في رسائل
قال وكان كثيرا ما يحشو شعره بمثل هذا
شعره في جارية
أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال
كانت بالبصرة قينة لبعض ولد سليمان بن علي وكانت محسنة بارعة الظرف وكان بشار صديقا لسيدها ومداحا له فحضر مجلسه يوما والجارية تغني فسر بحضوره وشرب حتى سكر ونام ونهض بشار فقالت يا أبا معاذ أحب أن تذكر يومنا هذا في قصيدة ولا تذكر فيها اسمي ولا اسم سيدي وتكتب بها إليه فانصرف وكتب إليه
(وذاتِ دَلٍّ كأن البدرَ صُورتُها ... باتَتْ تُغنّي عميدَ القلبِ سكرانَا)
(إنّ العيونَ التي في طَرْفِها حَوَرٌ ... قتَلْننا ثم لم يُحيين قتلانَا)
(فقلتُ أحسنْتِ يا سُؤْلِي ويا أملي ... فأسمِعيني جزاكِ اللّهُ إحسانَا)
(يا حبّذَا جبلُ الرّيان من جبلٍ ... وحبّذا ساكنُ الريّانِ مَنْ كانَا)
(قالتْ فهلاّ فدتكَ النفسُ أحسنَ مِنْ ... هذا لِمَنْ كان صبَّ القلبِ حَيرانَا)
(يا قومِ أُذْني لبعضِ الحيِّ عاشِقةٌ ... والأذن تَعشَقُ قبل العين أحيانَا)
(فقلتُ أحسنتِ أنتِ الشمسُ طالعةً ... أضرَمْتِ في القلبِ والأحشاءِ نيرانَا)
(فأسمِعِيني صوتاً مُطرِباً هَزَجاً ... يزيدُ صَبّاً مُحِباً فيكِ أشجانَا)
(يا ليتني كنتُ تُفّاحاً مُفَلَّجةً ... أو كنتُ من قُضُبِ الريحان رَيحانا)
(حتى إذا وَجَدَتْ ريحي فأعجبَها ... ونحن في خَلوةٍ مُثِّلْتُ إنسانَا)
(فحرّكَتْ عُودَها ثم انثنَتْ طَرَباً ... تَشْدُو به ثم لا تُخفيه كتمانَا)
(أصبحْتُ أطوعَ خَلقِ الله كُلِّهِم ... لأكثر الخلق لي في الحبِّ عِصيانَا)
(فقلتُ أطرِبْتنا يا زَيْنَ مجلِسِنا ... فهاتِ إنكِ بالإحسانِ أولاَنَا)
((لو كنتُ أعلمُ أنّ الحبَّ يقتُلُني ... أعددتُ لي قبلَ أن ألقاكِ أكفانَا)
(فغنَّتِ الشَّرْبَ صَوْتاً مُؤْنِقاً رَمَلاً ... يُذْكِي السّرورَ ويُبْكي العينَ ألوانَا)
(لا يَقتُلُ اللّهُ مَنْ دامَتْ مَوَدّتُهُ ... واللّهُ يقتُلُ أهلَ الغَدْرِ أحيانا)

ووجه بالأبيات إليها فبعث إليه سيدها بألفي دينار وسر بها سرورا شديدا
هجاؤه لأعرابي
أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثني الحسن بن عليل قال حدثني علي بن منصور أبو الحسن الباهلي قال حدثني أبو عبد الله المقرئ الجحدري الذي كان يقرأ في المسجد الجامع بالبصرة قال
دخل أعرابي على مجزأة بن ثور السدوسي وبشار عنده وعليه بزة الشعراء فقال الأعرابي من الرجل فقالوا رجل شاعر فقال أمولى هو أم عربي قالوا بل مولى فقال الأعرابي وما للموالي وللشعر فغضب بشار وسكت هنيهة ثم قال أتأذن لي يا أبا ثور قال قل ما شئت يا أبا معاذ فأنشأ بشار يقول
(خليلي لا أنامُ على اقتسار ... ولا آبى على مَوْلىً وجار)
(سأُخبِرُ فاخرَ الأعراب عنّي ... وعنه حين تأذنُ بالفَخار)
(أحِينَ كُسِيتَ بعد العُرْيِ خَزّاً ... ونادَمْتَ الكِرامَ على العُقَار)
(تُفَاخِرُ يابن راعيةٍ وراعٍ ... بني الأحرارِ حَسبُكَ مِنْ خَسَار)
(وكنتَ إذا ظَمِئْتَ إلى قَرَاحٍ ... شَرِكْتَ الكلبَ في وَلْغِ الإطار)
(تُرِيغُ بِخُطْبَةٍ كسرَ الموالي ... ويُنْسِيكَ المكارمَ صيدُ فَار)
((وتغْدو للقنافذ تَدَّرِيهَا ... ولم تَعْقِلْ بدَرَّاجِ الدِّيار)
(وتتَّشِحُ الشِّمالَ لِلاَبِسيها ... وتَرعَى الضّأنَ بالبلدَ القِفَار)
(مُقَامُكَ بيننا دَنَسٌ علينا ... فليتكَ غائِبٌ في حرِّ نار)
(وفخرُكَ بين خنزيرٍ وكلبٍ ... على مِثلي من الحَدَثِ الكُبَار)
فقال مجزأة للأعرابي قبحك الله فأنت كسبت هذا الشر لنفسك ولأمثالك
أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثني العنزي عن الرياشي قال
حضر بشار باب محمد بن سليمان فقال له الحاجب اصبر فقال إن الصبر لا يكون إلا على بلية فقال له الحاجب إني أظن أن وراء قولك هذا شرا ولن أتعرض له فقم فادخل
خبر بشار مع هلال الرأي
أخبرني وكيع قال حدثنا أبو أيوب المديني عن محمد بن سلام قال)
قال هلال الرأي وهو هلال بن عطية لبشار وكان له صديقا يمازحه إن الله لم يذهب بصر أحد إلا عوضه بشيء فما عوضك قال الطويل العريض قال وما هذا قال ألا أراك ولا أمثالك من الثقلاء ثم قال له يا هلال أتطيعني في نصيحة أخصك بها قال نعم قال إنك كنت تسرق الحمير زمانا ثم تبت وصرت رافضيا فعد إلى سرقة الحمير فهي والله خير لك من الرفض
قال محمد بن سلام وكان هلال يستثقل وفيه يقول بشار
(وكيفَ يَخِفُّ لي بصري وسمعي ... وحَوْلي عَسكَرانِ مِنَ الثِّقَالِ)
(قُعوداً حولَ دَسْكَرَتي وعندي ... كأنّ لهم عليّ فضولَ مالِ)
(إذا ما شِئتُ صَبَّحني هِلالٌ ... وأيُّ الناس أثقل من هلالِ)
وأخبرني أبو دلف الخزاعي بهذا الخبر عن عيسى بن إسماعيل عن ابن عائشة فذكر أن الذي خاطب بشارا بهذه المخاطبة ابن سيابة فلما أجابه بشار بالجواب المذكور قال له من أنت قال ابن سيابة فقال له يابن سيابة لو نكح الأسد ما افترس قال وكان يتهم بالأبنة
قال أيوب وحدثني محمد بن سلام وغيره قالوا مر ابن أخي بشار به ومعه قوم فقال لرجل معه من هذا فقال ابن أخيك قال أشهد أن أصحابه أنذال قال وكيف علمت قال ليست لهم نعال
أخبرنا محمد بن علي قال حدثني أبي قال حدثني عافية بن شبيب عن أبي دهمان الغلابي قال
مررت ببشار يوما وهو جالس على بابه وحده وليس معه خلق وبيده مخصرة يلعب بها وقدامه طبق فيه تفاح وأترج فلما رأيته وليس عنده أحد تاقت نفسي إلى أن أسرق ما بين يديه فجئت قليلا قليلا وهو كاف يده حتى مددت يدي لأتناول منه فرفع القضيب وضرب به يدي ضربة كاد يكسرها فقلت
له قطع الله يدك يابن الفاعلة أنت الآن أعمى فقال يا أحمق فأين الحس
خبره مع نسوة خمس
أخبرني يحيى بن علي قال حدثني العنزي قال حدثني خالد ين يزيد بن وهب بن جرير عن أبيه قال
كان لبشار في داره مجلسان مجلس يجلس فيه بالغداة يسميه البردان ومجلس يجلس فيه بالعشي اسمه الرقيق فأصبح ذات يوم فاحتجم وقال لغلامه أمسك علي بابي واطبخ لي من طيب طعامي وصف نبيذي قال فإنه لكذلك إذ قرع الباب قرعا عنيفا فقال ويحك يا غلام انظر من يدق الباب دق الشرط قال فنظر الغلام فقال له نسوة خمس بالباب يسألن أن تقول لهن شعرا ينحن به فقال أدخلهن فلما دخلن نظرن إلى النبيذ مصفى في قنانيه في جانب بيته قال فقالت واحدة منهن هو خمر وقالت الأخرى هو زبيب وعسل وقالت الثالثة نقيع زبيب فقال لست بقائل لكن حرفا أو تطعمن من طعامي وتشربن من شرابي قال فتماسكن ساعة ثم قالت واحدة منهن ما عليكن هو أعمى فكلن من طعامه واشربن من شرابه وخذن شعره فبلغ ذلك الحسن البصري فعابه وهتف ببشار فبلغه ذلك وكان بشار يسمي الحسن البصري القس فقال
((لما طَلَعْنَ من الرّقيق ... عليّ بالبردانِ خمسَا
(وكأنهنّ أهِلّةٌ ... تحت الثيابِ زَفَفْنَ شمسَا)
(باكَرْنَ عِطْرَ لَطِيمةٍ ... وغُمِسْنَ في الجادِيّ غمسَا)
صوت
(لمّا طَلَعنَ خَفَفْنَها ... وأصَخْنَ ما يَهْمِسْنَ هَمْسَا)
(فسألنني مَنْ في البيوت ... فقلتُ مَا يُؤْوِينَ إنسَا)
(ليتَ العيونَ الطارفات ... طُمِسْنَ عنّا اليومَ طَمْسَا)
(فأصَبْنَ مِن طُرَفِ الحديثِ ... لَذاذةً وخَرَجْنَ مُلسَا)
(لولا تَعَرُّضُهُنَّ لي ... يا قَسُّ كنتُ كأنتَ قَسَّا)

غنى في هذه الأبيات يحيى المكي ولحنه رمل بالبنصر عن عمرو
أخبرنا يحيى قال حدثني العنزي قال حدثنا علي بن محمد قال حدثني جعفر بن محمد النوفلي وكان يروي شعر بشار بن برد قال جئت بشارا ذات يوم فحدثني قال ما شعرت منذ أيام إلا بقارع يقرع بابي مع الصبح فقلت يا جارية انظري من هذا فرجعت إلي وقالت هذا مالك بن دينار فقلت ما هو من أشكالي ولا أضرابي ثم قلت ائذني له فدخل فقال يا أبا معاذ أتشتم أعراض
الناس وتشبب بنسائهم فلم يكن عندي إلا أن دفعت عن نفسي وقلت لا أعود فخرج عني وقلت في أثره
(غَدَا مالكٌ بملاماته ... عليّ وما بات من باليَهْ)
(تَناول خَوْداً هَضِيم الحشَى ... من الحُور مَحظوظةً عاليَهْ)
(فقلتُ دَع اللَّوم في حبّها ... فقبلكَ أعيَيتُ عُذّالِيَهْ)
(وإنّي لأكتمهُم سِرَّها ... غداةَ تقول لها الجالِيَهْ)
(عُبَيدةُ مالكَ مَسلوبةً ... وكنتِ مُعطَّرةً حالِيَهْ)
(فقالت على رِقْبةٍ إنّني ... رهَنتُ المِرَعّث خَلخاليَهْ)
(بمجلس يوم سأُوفِي به ... ولو أجْلَبَ الناسُ أحواليْه)
شعره في محبوبته فاطمة
أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا العنزي قال حدثني السميدع بن محمد الأزدي قال حدثني عبد الرحمن بن الجهم عن هشام بن الكلبي قال
كان أول بدء بشار أنه عشق جارية يقال لها فاطمة وكان قد كف وذهب بصره فسمعها تغني فهويها وأنشأ يقول
(دُرّةٌ بَحريّةٌ مكنونةٌ ... مازها التّاجرُ من بين الدُّررْ)
(عجِبتْ فَطْمةُ من نَعْتي لها ... هل يُجيد النَّعتَ مَكفوفُ البصرْ)
((أمَتَا بدّد هذا لُعَبي ... ووِشاحِي حَلّه حتّى انتثَرْ)
(فدَعِيني مَعه يا أمتا ... علّنا في خَلْوةٍ نَقْضِي الوَطَرْ)
(أقبلتْ مُغضَبةً تضربها ... واعتراها كجنون مستعِرْ)
(بأبي واللهِ ما أحسنَه ... دمعُ عين يَغْسِل الكحْلَ قَطَرْ)
(أيُّها النُّوّام هُبّوا ويَحْكَم ... واسألوني اليومَ ما طعمُ السَّهرْ)
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا العنزي قال حدثني خالد بن يزيد بن وهب بن جرير قال حدثني أبي عن الحكم بن مخلد بن حازم قال مررت أنا ورجل من عكل من أبناء سوار بن عبد الله بقصر أوس فإذا نحن ببشار في ظل القصر وحده فقال لي العكلي لا بد لي من أن أعبث ببشار فقلت ويحك مه لا تعرض بنفسك وعرضك له فقال إني لا أجده في وقت أخلى منه في هذا الوقت قال فوقفت ناحية ودنا منه فقال يا بشار فقال من هذا الذي لا يكنيني ويدعوني باسمي قال سأخبرك من أنا فأخبرني أنت عن أمك أولدتك أعمى أم عميت بعد ما ولدتك قال وما تريد إلى ذلك قال وددت أنه فسح لك في بصرك ساعة لتنظر إلى وجهك في المرآة فعسى أن تمسك عن هجاء الناس وتعرف قدرك فقال ويحكم من هذا أما أحد يخبرني من هذا فقال له على رسلك أنا رجل من عكل وخالي يبيع الفحم بالعبلاء فما تقدر أن تقول لي قال لا شيء إذهب بأبي أنت في حفظ الله
قوله في خالد بن برمك
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني هارون بن علي بن يحيى
المنجم قال حدثني علي بن مهدي قال حدثني العباس بن خالد البرمكي قال
كان الزوار يسمون في قديم الدهر إلى أيام خالد بن برمك السؤال فقال خالد هذا والله اسم استثقله لطلاب الخير وأرفع قدر الكريم عن أن يسمى به أمثال هؤلاء المؤملين لأن فيهم الأشراف والأحرار وأبناء النعيم ومن لعله خير ممن يقصد وأفضل أدبا ولكنا نسميهم الزوار فقال بشار يمدحه بذلك
(حذا خالدٌ في فعله حَذوَ بَرْمكٍ ... فَمجدٌ له مُستطرَف وأصِيلُ)
(وكان ذوو الآمال يُدعَوْن قبلَه ... بلَفظٍ على الإعدام فيه دَليلُ)
(يُسمَّون بالسُّؤَّال في كلّ مَوْطِنٍ ... وإن كان فيهم نابهٌ وجليلُ)
(فسمّاهم الزّوّار سَتْراً عليهمُ ... فأستارُه في المُجْتَدين سُدولُ)
قال وقال بشار هذا الشعر في مجلس خالد في الساعة التي تكلم خالد بهذا الكلام في أمر الزوار فأعطاه لكل بيت ألف درهم
أخبرني عمي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبو شبل عاصم بن وهب قال نهق حمار ذات يوم بقرب بشار فخطر بباله بيت فقال
(ما قام أيرُ حمارٍ فامتلا شَبَقاً ... إلا تحرّك عرقٌ في است تَسنِيم)
قال ولم يرد تسنيما بالهجاء ولكنه لما بلغ إلى قوله إلا تحرك عرق قال في است من ومر به تسنيم بن الحواري وكان صديقه فسلم عليه وضحك فقال
في است تسنيم علم الله فقال له أيش ويحك فأنشده البيت فقال له عليك لعنة الله فما عندك فرق بين صديقك وعدوك أي شي حملك على هذا ألا قلت في است حماد الذي هجاك وفضحك وأعياك وليست قافيتك على الميم فأعذرك قال صدقت والله في هذا كله ولكن ما زلت أقول في است من في است من ولا يخطر ببالي أحد حتى مررت وسلمت فرزقته فقال له تسنيم إذا كان هذا جواب السلام عليك فلا سلم الله عليك ولا علي حين سلمت عليك وجعل بشار يضحك ويصفق بيديه وتسنيم يشتمه
أخبرنا عيسى بن الحسين قال حدثنا علي بن محمد النوفلي عن عمه قال قالت امرأة لبشار ما أدري لم يهابك الناس مع قبح وجهك فقال لها بشار ليس من حسنه يهاب الأسد
بشار وعقبة بن رؤبة في حضرة عقبة بن سلم
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا محمد ابن الحجاج قال
دخل بشار على عقبة بن سلم فأنشده بعض مدائحه فيه وعنده عقبة بن رؤبة ينشده رجزا يمدحه به فسمعه بشار

وجعل يستحسن ما قاله إلى أن فرغ ثم أقبل على بشار فقال هذا طراز لا تحسنه أنت يا معاذ فقال له بشار إلي يقال هذا أنا والله أرجز منك ومن أبيك وجدك فقال له عقبة أنا والله وأبي فتحنا
للناس باب الغريب وباب الرجز ووالله إني لخليق أن أسده عليهم فقال بشار ارحمهم رحمك الله فقال عقبة أتستخف بي يا أبا معاذ وأنا شاعر ابن شاعر ابن شاعر فقال له بشار فأنت إذا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ثم خرج من عنده عقبة مغضبا
فلما كان من غد غدا علي عقبة ابن سلم وعنده عقبة بن رؤبة فأنشده أرجوزته التي مدحه فيها
(يا طَلَلَ الحيِّ بذات الصَّمْدِ ... بالله خبِّرْ كيف كنتَ بعدي)
(أوْحَشْتَ من دعدٍ وترْبِ دعدِ ... سَقْيا لأسماءَ ابنةِ الأشَدِّ)
(قامت تَراءَى إذ رأتْني وحْدِي ... كالشّمسِ تحتَ الزِّبْرِجِ المُنْقدِّ)
(صدّت بخدٍّ وجلَتْ عن خدِّ ... ثم انثنتْ كالنّفسِ المُرْتَدِّ)
(عَهْدي بها سَقْياً له من عَهْدِ ... تُخلِفُ وعداً وتَفِي بوعدِ)
(فنحن من جَهْدِ الهوى في جَهْدِ ... وزاهرٍ من سَبِطٍ وجَعْدِ)
(أهدى له الدّهرُ ولم يَستهدِ ... أفوافَ نَوْرِ الحِبَرِ المُجِدِّ)
(يلقَى الضُّحى ريحانُه بسجْدِ ... بُدِّلتُ من ذاك بُكىً لا يُجدِي)
(وافقَ حظّاً من سَعَى بجَدِّ ... ما ضَرَّ أهلَ النَّوْكِ ضعفُ الجِدِّ)
(الحرُّ يُلْحَى والعصا للعبدِ ... وليس للمُلْحِف مثلُ الردِّ)
((والنّصْفُ يَكْفِيك من التعدّي ... وصاحبٍ كالدُّمَّلِ المُمِدِّ)
(حملتُه في رُقعةٍ من جِلْدِي ... أرقُبُ منه مثلَ يومِ الوِردِ)
(حتى مضى غيرَ فقيد الفقْدِ ... وما درَى ما رَغْبتي من زهدِي)
(اسلَمْ وحُيِّيتَ أبا المِلَدِّ ... مفتاحَ بابِ الحدَث المنسدِّ)
(مُشترَكَ النَّيْل وريَّ الزندِ ... أغرَّ لبَّاسَ ثيابِ الحمدِ)
(ما كان منّي لك غيرُ الوُدِّ ... ثم ثناءٌ مثلُ ريحِ الوَرْدِ)
(نَسَجْتُه في مُحْكَماتِ النَّدِّ ... فالبَسْ طِرازِي غيرَ مُستَردِّ)
(لله أيامُكَ في مَعَدِّ ... وفي بني قَحطانَ غيرَ عَدِّ)
(يوما بذي طِخْفةَ عند الجِدِّ ... ومثلَه أودَعْتَ أرضَ الهندِ)
(بالمُرْهَفاتِ والحَديد السَّرد ... والمُقْرَبات المُبْعَداتِ الجُرْدِ)
(إذا الحيا أكدى بها لا تُكْدي ... تُلْحِمُ أمراً وأموراً تُسْدِي)
(وابنِ حكيمٍ إن أتاك يَرْدِي ... أصمَّ لا يسمَعُ صوتَ الرعدِ)
(حيَّيْتَه بتُحفَةِ المُعِدِّ ... فانهدَّ مثلَ الجبلِ المُنْهَدِّ)
(كُلُّ امرىءٍ رَهْنٌ بما يُؤدِّي ... ورُبَّ ذي تاجٍ كريمِ الجَدِّ)
(كآلِ كِسرى وكآل بُردِ ... أنكَبَ جافٍ عن سبيل القصدِ)
(...فَضَلْتَه عن ماله والوُلْدِ)
فطرب عقبة بن سلم وأجزل صلته وقام عقبة بن رؤبة فخرج عن المجلس بخزي وهرب من تحت ليلته فلم يعد إليه
وذكر لي أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعي هذا الخبر عن الجاحظ وزاد فيه الجاحظ قال فانظر إلي سوء أدب عقبة بن رؤبة وقد أجمل بشار محضره وعشرته فقابله بهذه المقابلة القبيحة وكان أبوه أعلم خلق الله به لأنه قال له وقد فاخره بشعره أنت يا بني ذهبان الشعر إذا مت مات شعرك معك فلم يوجد من يرويه بعدك فكان كما قال له ما يعرف له بيت واحد ولا خبر غير هذا الخبر القبيح الإخبار عنه الدال علي سخفه وسقوطه وسوء أدبه

شعره في امرأة من البصرة

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا أبو غسان دماذ قال حدثنا أبو عبيدة قال
كان بشار يهوى امرأة من أهل البصرة يقال لها عبيدة فخرجت عن البصرة إلى عمان مع زوجها فقال بشار فيها

صوت

(هَوى صاحبي ريحُ الشَّمالَ إذا جَرَتْ ... وأشفَى لقلبي أن تهُبّ جَنُوبُ)
(وما ذاكَ إلا أنها حين تنتهي ... تَناهَى وفيها من عُبيدَةَ طِيبُ)
(عَذيرِي من العُذّال إذ يَعْذِلونني ... سَفَاهاً وما في العاذِلين لَبيبُ)

صوت

(يقولونَ لو عَزّيْتَ قلبَكَ لارْعَوَى ... فقلتُ وهل للعاشقين قُلوبُ)
((إذا نطقَ القومُ الجُلُوسُ فإنّني ... مُكِبٌّ كأني في الجميع غَريبُ)
أخبرني هاشم قال حدثني دماذ قال حدثني رجل من الأنصار قال
جاء أبو الشمقمق إلى بشار يشكو إليه الضيقة ويحلف له أنه ما عنده شيء فقال له بشار والله ما عندي شيء يغنيك ولكن قم معي إلى عقبة بن سلم فقام معه فذكر له أبا الشمقمق وقال هو شاعر وله شكر وثناء فأمر له بخمسمائة درهم فقال له بشار
(يا واحدَ العربِ الذي ... أمسى وليس له نَظِيرُ)
(لو كان مِثْلَكَ آخَرٌ ... ما كان في الدنيا فَقيرُ)
فأمر لبشار بألفي درهم فقال له أبو الشمقمق نفعتنا ونفعناك يا أبا معاذ فجعل بشار يضحك

خبره مع أبي جعفر المنصور

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا زكريا بن يحيى أبو السكين الطائي قال حدثني زحر بن حصن قال
حج المنصور فاستقبلناه بالرضم الذي بين زبالة والشقوق فلما
رحل من الشقوق رحل في وقت الهاجرة فلم يركب القبة وركب نجيبا فسار بيننا فجعلت الشمس تضحك بين عينيه فقال

إني قائل بيتا فمن أجازه وهبت له جبتي هذه فقلنا يقول أمير المؤمنين فقال
(وهاجرةٍ نَصبْتُ لها جَبِيني ... يُقطِّعُ ظهرُها ظَهْرَ العظايَهْ)
فبدر بشار الأعمى فقال
(وقَفْتُ بها القَلُوصَ ففاضَ دمعي ... على خدِّي وأقْصَرَ واعِظَايَهْ)
فنزع الجبة وهو راكب فدفعها إليه فقلت لبشار بعد ذلك ما فعلت بالجبة فقال بشار بعتها والله بأربعمائة دينار
أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني علي بن محمد النوفلي قال حدثني عبد الرحمن بن العباس بن الفضل بن عبد الرحمن بن عياش بن أبي ربيعة عن أبيه قال
كان بشار منقطعا إلي وإلى إخوتي فكان يغشانا كثيرا ثم خرج إبراهيم بن عبد الله فخرج معه عدة منا فلما قتل إبراهيم توارينا وحبس المنصور منا عدة من إخوتي فلما ولي المهدي أمن الناس جميعا وأطلق المحبوسين فقدمت بغداد أنا وإخوتي نلتمس أمانا من المهدي وكان الشعراء يجلسون بالليل في مسجد
الرصافة ينشدون ويتحدثون فلم أطلع بشارا على نفسي إلا بعد أن أظهر لنا المهدي الأمان وكتب أخي إلى خليفته بالليل فصحت به يا أبا معاذ من الذي يقول
(أُحِبُّ الخاتمَ الأحمر ... مِنْ حُبِّ مَوَالِيهِ)
فأعرض عني وأخذ في بعض إنشاده شعره ثم صحت يا أبا معاذ من الذي يقول
(إنّ سلْمَى خُلِقَتْ من قَصَبٍ ... قصبِ السّكر لا عظمِ الجَملْ)
(وإذا أدنيت منها بصلاً ... غَلَبَ المسكُ على ريح البصلْ)
فغضب وصاح من الذي يقرعنا بأشياء كنا نعبث بها في الحداثة فهو يعيرنا بها فتركته ساعة ثم صحت به يا أبا معاذ من الذي يقول
(أخشّابُ حقّاً أنّ داركَ تُزْعجُ ... وأنّ الذي بيني وبينك يَنْهَجُ)
فقال ويحك عن مثل هذا فسل ثم أنشدها حتى أتى على آخرها وهي من جيد شعره وفيه غناء
صوت
(فواكَبِدا قد أنضَجَ الشوقُ نصفها ... ونصفٌ على نار الصَّبابَة يَنضَجُ)
(وواحَزَنَا منهنّ يَحْفُفْنَ هودجاً ... وفي الهودج المحفوفِ بدرٌ مُتَوَّجُ)
(فإن جئتَها بين النساء فقل لها ... عليكِ سلامٌ مات مَنْ يتزوّجُ)
((بكيتُ وما في الدمع منكِ خليفةٌ ... ولكنّ أحزاني عليكِ تَوَهّجُ
الغناء لسليم بن سلام رمل بالوسطى ووجدت هذا الخبر بخط ابن مهرويه فذكر أنه قال هذه القصيدة في امرأة كانت تغشى مجلسه وكان إليها مائلا يقال لها خشابة فارسية فزوجت وأخرجت عن البصرة
أخبرني عمي قال حدثني الكراني قال حدثني أبو حاتم
قال أبو النضير الشاعر أنشدت بشارا قصيدة لي فقال لي أيجيئك شعرك هذا كلما شئت أم هذا شيء يجيئك في الفينة بعد الفينة إذا تعملت له فقلت بل هذا شعر يجيئني كلما أردته فقال لي قل فإنك شاعر فقلت له لعلك حابيتني أبا معاذ وتحملت لي فقال أنت أبقاك الله أهون علي من ذلك
شعره في الاعتذار عن محاولة تقبيل جارية لصديق له
أخبرني عمي قال حدثنا الكراني عن العمري عن عباس بن عباس الزنادي عن رجل من باهلة قال
كنت عند بشار الأعمى فأتاه رجل فسلم عليه فسأله عن خبر جارية عنده وقال كيف ابنتي قال في عافية تدعوك اليوم فقال بشار يا باهلي انهض بنا فجئنا إلى منزل نظيف وفرش سري فأكلنا ثم جيء بالنبيذ فشربنا مع الجارية فلما أراد الانصراف قامت فأخذت بيد بشار فلما صار في الصحن أومأ إليها ليقبلها فأرسلت يدها من يده فجعل يجول في العرصة وخرج المولى فقال مالك يا أبا معاذ فقال أذنبت ذنبا ولا أبرح أو أقول شعرا فقال
(أتوبُ إليكَ من السيئات ... وأستغفر اللهَ من فَعْلتي)
((تناولتُ ما لم أُرِدْ نَيْلَه ... على جهلِ أمري وفي سكرتي
(وواللهِ واللهِ ما جئتُه ... لعمدٍ ولا كان من هِمَّتي)
(وإلا فَمِتُّ إذاً ضائعاً ... وعَذّبني اللهُ في مِيتَتي)
(فمنْ نال خيراً على قُبْلةٍ ... فلا بارك اللهُ في قُبلَتِي)
أخبرنا هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي عن الأصمعي قال لما أنشد بشار أرجوزته
(... يا طلَلَ الحيّ بذات الصَّمْدِ)
أبا الملد عقبة بن سلم أمر له بخمسين ألف درهم فأخرها عنه وكيله ثلاثة أيام فأمر غلامه بشار أن يكتب على باب عقبة عن يمين الباب
(ما زالَ ما مَنَّيتنِي من همِّي ... والوعدُ غمٌّ فأرحْ من غَمِّي)
(... إن لم تُرِدْ حَمْدي فَرَاقِبْ ذَمِّي)
فلما خرج عقبة رأى ذلك فقال هذه من فعلات بشار ثم دعا بالقهرمان فقال هل حملت إلى بشار ما أمرت له به فقال أيها الأمير نحن مضيفون وغدا أحملها إليه فقال زد فيها عشرة آلاف درهم واحملها إليه الساعة فحملها من وقته
أخبرني هاشم قال حدثنا أبو غسان دماذ قال
سألت أبا عبيدة عن السبب الذي من أجله نهى المهدي بشارا عن ذكر النساء قال كان أول ذلك استهتار نساء البصرة وشبانها بشعره حتى قال سوار بن عبد الله الأكبر ومالك بن دينار ما شيء أدعى لأهل هذه المدينة إلى الفسق من أشعار
هذا الأعمى وما زالا يعظانه وكان واصل بن عطاء يقول إن من أخدع حبائل الشيطان وأغواها لكلمات هذا الأعمى الملحد فلما كثر ذلك وانتهى خبره من وجوه كثيرة إلى المهدي وأنشد المهدي ما مدحه به نهاه عن ذكر النساء وقول التشبيب وكان المهدي من أشد الناس غيرة قال فقلت له ما أحسب شعر هذا أبلغ في هذه المعاني من شعر كثير وجميل وعروة بن حزام وقيس بن ذريح وتلك الطبقة فقال ليس كل من يسمع تلك الأشعار يعرف المراد منها وبشار يقارب النساء حتى لا يخفى عليهن ما يقول وما يريد وأي حرة حصان تسمع قول بشار فلا يؤثر في قلبها فكيف بالمرأة الغزلة والفتاة التي لا

هم لها إلا الرجال ثم أنشد قوله
(قد لامني في خليلتي عُمَرُ ... واللّومُ في غير كُنهه ضجَرُ)
(قال أفق قلت لا فقال بلى ... قد شاع في الناس منكما الخبَرُ)
(قلتُ وإذ شاع ما اعتذارُك ممّا ... ليس لي فيه عندهم عُذُرُ)
(ماذا عليهم وما لهم خَرِسُوا ... لو أنّهم في عيوبهم نَظَروا)
((أعشَقُ وحدي ويؤخَذون به ... كالتُّرك تَغزو فتؤخَذُ الخزرِ)
(يا عجباً للخلاف يا عجبا ... يفي الذي لام في الهوى الحَجرُ)
(حَسْبي وحَسْبُ الذي كَلِفْتُ به ... منّي ومنه الحديثُ والنّظرُ)
(أو قُبلَةٌ في خلال ذاك وما ... بأسٌ إذا لم تُحَلَّ لي الأُزُرُ)
(أو عَضّةٌ في ذراعها ولها ... فوق ذراعي من عَضِّها أثَرُ)
(أو لَمسةٌ دون مِرطِها بيدي ... والبابُ قد حال دونه السُّتُرُ)
(والساقُ برّاقةٌ مُخلخَلُها ... أو مَصُّ ريقٍ وقد علا البُهُرُ)
(واسترخَتِ الكفُّ للعِراك وقالتْ ... إيه عنّي والدّمعُ منحدِرُ)
(إنهضْ فما أنتَ كالذي زعموا ... أنتَ وربّي مُغازِلٌ أشِرُ)
(قد غابتِ اليومَ عنكَ حاضِنَتي ... واللهُ لي منكَ فيكَ ينتصِرُ)
(يا ربِّ خُذْ لي فقد ترى ضَرَعِي ... من فاسقٍ جاء ما به سكَرُ)
(أهوى إلى مِعْضَدِي فرضَّضَه ... ذو قوّةٍ ما يُطاقُ مُقتدِرُ)
(ألصقَ بي لِحْيةً له خَشُنت ... ذاتَ سوادٍ كأنها الإِبَرُ)
(حتّى عَلاني وأُسرتي غُيُبٌ ... وَيْلي عليهم لو أنّهم حَضَروا)
(أقسِمُ باللّه لا نجوتَ بها ... فاذهبْ فأنت المُساوِرُ الظّفِرُ)
(كيف بأُمّي إذا رأتْ شَفَتي ... أم كيف إن شاع منك ذا الخبرُ)
((قد كنتُ أخشى الذي ابتُليتُ به ... منك فماذا أقولُ يا عبر
(قلتُ لها عند ذاك يا سَكَني ... لا بأس إنّي مُجَرَّبٌ خَبِرُ)
(قُولي لها بَقّةٌ لها ظُفُرٌ ... إن كان في البقّ ما له ظُفُرُ)
ثم قال له بمثل هذا الشعر تميل القلوب ويلين الصعب
قال دماذ قال لي أبو عبيدة قال رجل يوما لبشار في المسجد الجامع يعابثه يا أبا معاذ أيعجبك الغلام الجادل فقال غير محتشم ولا مكتثرث لا ولكن تعجبني أمه
بشار يمدح خالد بن برمك
أخبرني عمي قال حدثنا العنزي قال حدثني محمد بن سهل عن محمد بن الحجاج قال
ورد بشار على خالد بن برمك وهو بفارس فامتدحه فوعده ومطله فوقف على طريقه وهو يريد المسجد فأخذ بلجام بغلته وأنشده
(أظَلّتْ علينا منكَ يوماً سحابةٌ ... أضاءتْ لنا برقاً وأبطا رشاشُها)
(فلا غيمُها يُجْلي فييأسَ طامعٌ ... ولا غيثُها يأتي فيَرْوَى عِطاشُها)
فحبس بغلته وأمر له بعشرة آلاف درهم وقال لن تنصرف السحابة حتى تبلك إن شاء الله
أخبرني يحيى بن علي قال حدثنا الحسن بن عليل قال حدثني علي بن حرب
الطائي قال حدثني إسماعيل بن زياد الطائي قال
كان رجل منا يقال له سعد بن القعقاع يتندم بشارا في المجانة فقال لبشار وهو ينادمه ويحك يا أبا معاذ قد نسبنا الناس إلى الزندقة فهل لك أن تحج بنا حجة تنفى ذلك عنا قال نعم ما رأيت فاشتريا بعيرا ومحملا وركبا فلما مرا بزرارة قال له ويحك يا أبا معاذ ثلاثمائة فرسخ متى نقطعها مل بنا إلى زرارة نتنعم فيها فإذا قفل الحاج عارضناهم بالقادسية وجززنا رؤوسنا فلم يشك الناس أنا جئنا من الحج فقال له بشار نعم ما رأيت لولا خبث لسانك وإني أخاف أن تفضحنا
قال لا تخف
فمالا إلى زرارة فما زالا يشربان الخمر ويفسقان فلما نزل الحاج بالقادسية راجعين أخذا بعيرا ومحملا وجزا رؤوسهما وأقبلا وتلقاهما الناس يهنئونهما فقال سعد بن القعقاع
(ألم تَرَني وبَشّاراً حَجَجْنا ... وكان الحجُّ من خير التّجارهْ)
(خرجْنا طالبَيْ سَفَرٍ بعيدٍ ... فمال بنا الطريقُ إلى زُرارهْ)
(فآبَ الناسُ قد حجّوا وبرّوا ... وأُبْنا مُوقَرين من الخسارهْ)
رده على داود بن رزين
أخبرنا يحيى بن علي قال حدثني محمد بن القاسم الدينوري قال حدثني محمد بن عمران بن مطر الشامي قال حدثني محمد بن الحسان الضبي قال حدثني محمود الوراق قال حدثني داود بن رزيق قال
أتينا بشارا فأذن لنا والمائدة موضوعة بين يديه فلم يدعنا إلى طعامه فلما
أكل دعا بطست فكشف عن سوءته فبال ثم حضرت الظهر والعصر فلم يصل فدنونا منه فقلنا أنت أستاذنا وقد رأينا منك أشياء أنكرناها قال وما هي قلنا دخلنا والطعام بين يديك فلم تدعنا إليه فقال إنما أذنت لكم أن تأكلوا ولو لم أرد أن تأكلوا لما أذنت لكم قال ثم ماذا قلنا ودعوت بطست ونحن حضور فبلت ونحن نراك فقال أنا مكفوف وأنتم بصراء وأنتم المأمورون بغض الأبصار ثم قال ومه قلنا حضرت الظهر والعصر والمغرب فلم تصل فقال إن الذي تفاريق يقبلها جملة
أخبرنا يحيى قال حدثني أبو أيوب المديني عن بعض أصحاب بشار قال
كنا إذا حضرت الصلاة نقوم ويقعد بشار فنجعل حول ثيابه ترابا لننظر هل يصلي فنعود والتراب بحاله
أخبرنا يحيى قال أخبرنا أبو أيوب عن الحرمازي قال
قعد إلى بشار رجل فاستثقله فضرط عليه ضرطة فظن الرجل أنها أفلتت منه ثم ضرط أخرى فقال أفلتت ثم ضرط ثالثة فقال يا أبا معاذ ما هذا قال مه أرأيت أم سمعت قال بل سمعت صوتا قبيحا فقال فلا تصدق حتى ترى

قال وأنشد أبو أيوب لبشار في رجل استثقله
(ربّما يثقُلُ الجليسُ وإن كان ... خفيفاً في كِفّة المِيزانِ)
(كيفَ لا تحمِل الأمانةَ أرضٌ ... حَمَلَتْ فوقها أبا سُفْيانِ)
وقال فيه أيضا
(هل لك في مالي وعِرْضِي معاً ... وكلِّ ما يملك جِرانَيهْ)
((واذهبْ إلى أبعدِ ما يُنْتَوى ... لا رَدَّكَ اللهُ ولا مالِيَهْ
إنشاده الوليد بن يزيد شعرا يطربه
أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثني محمد بن إبراهيم الجيلي قال حدثني محمد بن عمران الضبي قال أنشدنا الوليد بن يزيد قول بشار الأعمى
(أيّها الساقيانِ صُبّا شَرَابي ... واسقِيانِي من ريق بيضاءَ رُودِ)
(إن دائي الظّمَا وإن دوائي ... شَرْبةٌ من رُضَابِ ثغر بَرُودِ)
(ولها مَضْحَكٌ كغُرّ الأقَاحِي ... وحديثٌ كالوَشْيِ وشيِ البُرُودِ)
(نزلتْ في السَّواد من حبّة القلب ... ونالتْ زيادةَ المُسْتَزِيدِ)
(ثم قالت نلقاكَ بعد ليالٍ ... والليالي يُبْلِينَ كلَّ جديدِ)
(عندها الصبرُ عن لقائي وعندي ... زَفَراتٌ يأكلنَ قلبَ الحديد)
قال فطرب الوليد وقال من لي بمزاج كاسي هذه من ريق سلمى فيروى ظمئي وتطفأ غلتي ثم بكى حتى مزج كأسه بدمعه وقال إن فاتنا ذاك فهذا
أخبرني عمي وقال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن محمد بن سليمان الطفاوي قال حدثني عبد الله بن أبي بكر وكان جليسا لبشار قال كان لنا جار يكنى أبا زيد وكان صديقا لبشار فبعث إليه يوما يطلب منه ثيابا بنسيئة فلم يصادفها عنده فقال يهجوه
(ألاَ إنّ أبا زيدٍ ... زَنَى في ليلة القدرِ)
(ولم يَرْعَ تعالى اللّهُ ربّي حُرْمةَ الشّهْرِ)
وكتبها في رقعة وبعث بها إليه ولم يكن أبو زيد يقول الشعر فقلبها وكتب في ظهرها
(ألا إن أبا زيدٍ ... له في ذلكم عُذْرُ)
(أتته أمُّ بشّارٍ ... وقد ضاق بها الأمرُ)
(فواثَبها فجامعَها ... وما ساعده الصبرُ)
قال فلما قرئت على بشار غضب وندم على تعرضه لرجل لا نباهة له فجعل ينطح الحائط برأسه غيظا ثم قال لا تعرضت لهجا سفلة مثل هذا أبدا
شعره في جارية
أخبرني عمي قال حدثنا أبن مهرويه قال حدثني بعض ولد أبي عبيد الله وزير المهدي قال
دخل بشار على المهدي وقد عرضت عليه جارية مغنية فسمع غناءها فأطربه وقال لبشار قل في صفتها شعرا فقال
(ورائحةٍ للعين فيها مَخِيْلَةٌ ... إذا بَرَقَتْ لم تَسْقِ بَطْنَ صَعِيدِ)
((من المستهلاّتِ السّرور على الفتى ... خفا برقُها في عبقرٍ وعُقُودِ
(كأن لِساناً ساحراً في كلامها ... أُعِينَ بصوتٍ للقلوب صَيُودِ)
(تُمِيتُ به ألبابَنا وقلوبَنا ... مراراً وتُحيِينهنَّ بعد هُمُودِ)
شعره في عقبة بن سلم
أخبرني عمي قال حدثنا أبو أيوب المديني قال قال أبو عدنان حدثني يحيى ابن الجون قال
دخل بشار يوما على عقبة بن سلم فأنشده قوله فيه
صوت
(إنّما لَذّةُ الجَوَادِ ابنِ سَلْمٍ ... في عَطَاءٍ ومَرْكَبٍ لِلِّقَاءِ)
(ليس يُعطيكَ للرجاءِ ولا الخوفِ ... ولكن يَلَذُّ طَعْمَ العَطَاءِ)
(يَسقطُ الطيرُ حيثُ ينتثِرُ الحَب ... وتُغْشَى منازلُ الكُرَماءِ)
(لا أُبالِي صَفْحَ اللئيم ولا تَجْري ... دُموعِي على الخَؤون الصَّفاءِ)
(فعلى عُقبةَ السّلاَمُ مقيماً ... وإذا سار تحت ظلِّ اللواءِ)
فوصله بعشرة آلاف درهم
وفي هذه الأبيات خفيف رمل مطلق في مجرى البنصر لرذاذ وهو مختار صنعته وصدورها ومما تشبه فيه بالقدماء ومذاهبهم
أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا أحمد بن خلاد عن الأصمعي وأخبرني به الحسن بن علي قال حدثنا
محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أحمد بن خلاد عن الأصمعي قال
كنت أشهد خلف بن أبي عمرو بن العلاء وخلفا الأحمر يأتيان بشارا ويسلمان عليه بغاية التعظيم ثم يقولان يا أبا معاذ ما أحدثت فيخبرهما وينشدهما ويسألانه ويكتبان عنه متواضعين له حتى يأتي وقت الظهر ثم ينصرفان عنه فأتياه يوما فقالا له ما هذه القصيدة التي أحدثتها في سلم بن قتيبة قال هي التي بلغتكما قالا بلغنا أنك أكثرت فيها من الغريب فقال نعم بلغني أن سلما يتباصر بالغريب فأحببت أن أورد عليه ما لا يعرفه قالا فأنشدناها فأنشدهما
(بَكِّرَا صاحِبَيَّ قبل الهَجِيرِ ... إنّ ذاكَ النجاحَ في التَّبكِيرِ)
حتى فرغ منها فقال له خلف لو قلت يا أبا معاذ مكان إن ذاك النجاح
(... بَكِّرا فالنجاحُ في التبكير)
كان أحسن فقال بشار بنيتها أعرابية وحشية فقلت إن ذاك النجاح كما يقول الأعراب البدويون ولو قلت بكرا فالنجاح كان هذا من كلام المولدين ولا يشبه ذلك الكلام ولا يدخل في معنى القصيدة فقام خلف فقبل بين عينيه

وقال له خلف بن أبي عمرو يمازحه لو كان علاثة ولدك يا أبا معاذ لفعلت كما فعل أخي ولكنك مولى فمد بشار يده فضرب بها فخذ خلف وقال
(أَرْفُقْ بعَمرو إذا حَرَّكْتَ نِسبَتَه ... فإنه عربيٌّ من قَوارير)
فقال له أفعلتها يا أبا معاذ قال وكان أبو عمرو يغمز في نسبه
وأخبرني ببعض هذا الخبر حبيب بن نصر عن عمر بن شبة عن أبي عبيدة فذكر نحوه وقال فيه إن سلما يعجبه الغريب
أخبرني هاشم بن محمد بن سلام قال قال لي خلف
كنت أسمع ببشار قبل أن أراه فذكروه لي يوما وذكروا بيانه وسرعة جوابه وجودة شعره فاستنشدتهم شيئا من شعره فأنشدوني شيئا لم يكن بالمحمود عندي فقلت والله لآتينه ولأطأطئن منه فأتيته وهو جالس على بابه فرأيته أعمى قبيح المنظر عظيم الجثة فقلت لعن الله من يبالي بهذا فوقفت أتأمله طويلا فبينما أنا كذلك إذ جاءه رجل فقال إن فلانا سبك عند الأمير محمد بن سليمان ووضع منك فقال أو قد فعل قال نعم فأطرق وجلس الرجل عنده وجلست وجاء قوم فسلموا عليه فلم يردد عليهم فجعلوا ينظرون إليه وقد درت أوداجه فلم يلبث إلا ساعة حتى أنشدنا بأعلى صوته وأفخمه
(نُبِّئتُ نَائِكَ أُمِّهِ يغتابُنِي ... عند الأميرِ وهل عليَّ أميرُ)
(نَاري مُحرِّقةٌ وبيتي واسِعٌ ... للمعتفين ومجلِسِي معْمُورُ)
(ولِيَ المهابةُ في الأحِبَّةِ والعِدَا ... وكأنني أسَدٌ له تامُورُ)
(غَرِثَتْ حَلِيلَتُه وأخطأ صيدَه ... فله على لَقَمِ الطريق زَئِيرُ)
قال فارتعدت والله فرائصي واقشعر جلدي وعظم في عيني جدا حتى قلت في نفسي الحمد لله الذي أبعدني من شرك
مدحه خالد بن برمك
نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى قال حدثني علي بن مهدي قال حدثنا العباس بن خالد قال
مدح بشار خالد بن برمك فقال فيه
(لعَمْري لَقد أجْدَى عليَّ ابنُ برمكٍ ... وما كلُّ مَنْ كان الغِنى عنده يُجْدِي)
(حَلَبتُ بشِعْري راحتَيْهِ فَدَرَّتا ... سماحاً كما دَرَّ السَّحابُ مع الرّعدِ)
(إذا جئتَه للحمد أشرقَ وجهُه ... إليكَ وأعطاكَ الكرامةَ بالحمدِ)
(له نِعَمٌ في القومِ لا يستثيبُها ... جزاءً وكَيْلَ التاجرِ المُدَّ بالمُدِّ)
(مُفيدٌ ومِتلافٌ سَبِيلُ تُراثِهِ ... إذا ما غدا أرواحَ كالجزْرِ والمَدِّ)
(أخالدُ إنّ الحمدَ يبقَى لأهلِه ... جمالاً ولا تبقى الكُنُوزُ على الكَدِّ)
(فأطْعِمْ وكُلْ من عَارةٍ مُستَرَدَّةٍ ... ولا تُبقِها إن العَوَاريَّ للرَّدِّ)
فأعطاه خالد ثلاثين ألف درهم وكان قبل ذلك يعطيه في كل وفادة خمسة آلاف درهم وأمر خالد أن يكتب هذان البيتان في صدر مجلسه الذي كان يجلس فيه
وقال ابنه يحيى بن خالد آخر ما أوصاني به أبي العمل بهذين البيتين
أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن عمر بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن عثمان قال
كان الوزير مولى عبد القيس من عمال الخراج وكان عفيفا بخيلا فسأل عمر بن العلاء وكان جوادا شجاعا في رجل فوهب له مائة ألف درهم فدخل أبو الوزير على المهدي فقال له يا أمير المؤمنين إن عمر بن العلاء خائن قال ومن أين علمت ذلك قال كلم في رجل كان أقصى أمله ألف درهم فوهب له مائة ألف درهم فضحك المهدي ثم قال قل كل يعمل على شاكلته أما سمعت قول بشار في عمر
(إذا دَهَمَتْكَ عِظَامُ الأمور ... فَنبِّهْ لها عمراً ثم نمْ)
(فتىً لا ينامُ على دِمْنَةٍ ... ولا يَشرَبُ الماءَ إلا بدَمْ)
أو ما سمعت قول أبي العتاهية فيه
صوت
(إنّ المطايا تَشتَكِيكَ لأنها ... قَطَعَتْ إليك سَبَاسِباً ورِمَالاَ)
(فإذا وردْنَ بنا وَرَدْنَ مُخِفَّةً ... وإذا رجعْنَ بنا رَجَعْنَ ثِقَالاَ)
الغناء لإبراهيم ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة أو ليس الذي يقول فيه أبو العتاهية
(يابنَ العَلاء ويابنَ القَرْمِ مِرْداسِ ... إني لأُطْرِيكَ في صَحْبي وجُلاَّسِي)
(حتى إذا قيل ما أعطاكَ من نَشَبٍ ... أُلفِيتُ من عُظْمِ ما أسديتَ كالناسِي)
ثم قال من اجتمعت ألسن الناس على مدحه كان حقيقا أن يصدقها بفعله
وصفه لجارية سوداء
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أبو بكر الربعي قال كانت لبشار جارية سوداء وكان يقع عليها وفيها يقول
(وغادَةٍ سَوداءَ بَرَّاقَةٍ ... كالماءِ في طِيبٍ وفي لِينِ)
(كأنها صِيغَتْ لمن نالها ... من عَنبرٍ بالمِسكِ مَعجُونِ)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني أبو الشبل البرجمي قال قال رجل لبشار إن مدائحك عقبة بن سلم فوق مدائحك كل أحد فقال بشار إن عطاياه إياي كانت فوق عطاء كل أحد دخلت إليه يوما فأنشدته
(حرَّم اللهُ أن تَرى كابنِ سَلْمٍ ... عُقْبَةِ الخيرِ مُطْعِمِ الفقراءِ)
(ليس يُعطِيكَ لِلرَّجاءِ ولا الخوفِ ... ولكن يَلَذُّ طَعْمَ العَطاءِ)
(يَسقُطُ الطيرُ حيث ينْتَثِرُ الحَبُّ ... وتُغشَى مَنازلُ الكُرَماءِ)
فأمر لي بثلاثة آلاف دينار وهأنا قد مدحت المهدي وأبا عبيد الله ووزيره أو قال يعقوب بن داود وأقمت بأبوابهما حولا فلم يعطياني شيئا أفألام على مدحي هذا
ونسخت من كتاب هارون بن علي أيضا حدثني علي قال حدثني عبيد الله بن أبي الشيص عن دعبل بن علي قال
كان بشار يعطي أبا الشمقمق في كل سنة مائتي درهم فأتاه أبو الشمقمق في بعض تلك السنين فقال له هلم الجزية يا أبا معاذ فقال ويحك أجزية هي قال هو ما تسمع فقال له بشار يمازحه أنت أفصح مني قال لا قال فأعلم مني بمثالب الناس قال لا قال فأشعر مني قال لا قال فلم أعطيك قال لئلا أهجوك فقال له إن هجوتني هجوتك فقال له أبو الشمقمق

هكذا هو قال نعم فقل ما بدا لك فقال أبو الشمقمق
(إني إذا ما شاعِرٌ هجَانِيَهْ ... ولَجّ في القول له لِسَانِيَهْ)
(. . . . . . أدخلتُه في استِ أمهِ عَلاَنِيَهْ ... بشّارُ يا بشّارُ)
وأراد أن يقول يابن الزانيه فوثب بشار فأمسك فاه وقال أراد والله أن يشتمني ثم دفع إليه مائتي درهم ثم قال له لا يسمعن هذا منك الصبيان يا أبا الشمقمق
أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثني الحسن بن عليل العنزي قال حدثني محمد بن بكر قال حدثني الأصمعي قال
أمر عقبة بن سلم الهنائي لبشار بعشرة آلاف درهم فأخبر أبو الشمقمق بذلك فوافى بشار فقال له يا أبا معاذ إني مررت بصبيان فسمعتهم ينشدون
(هَلِّلِينَهْ هَلِّلِينَهْ ... طعْنَ قِثَّاةٍ لِتِينَهْ)
(إنّ بشّارَ بنَ بردٍ ... تَيسٌ أعمَى في سَفِينَهْ)
فأخرج إليه بشار مائتي درهم فقال خذ هذه ولا تكن راوية الصبيان يا أبا الشمقمق
هجاؤه للعباس بن محمد بن علي
أخبرني أحمد قال حدثنا أبو محمد الصعتري قال حدثنا محمد بن عثمان البصري قال
استمنح بشار بن برد العباسِ بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس فلم يمنحه فقال يهجوه
(ظِلُّ اليسارِ على العباسِ ممدودُ ... وقَلْبُهُ أبداً في البخل مَعْقُودُ)
(إنّ الكريمَ لَيُخْفِي عنكَ عُسرَتَهُ ... حتى تَراه غَنِيّاً وهو مجهودُ)
(وللبخيلِ على أمواله عِلَلٌ ... زُرقُ العيونِ عليها أوجُهٌ سُودُ)
(إذا تكرّهتَ أن تُعْطِي القليلَ ولم ... تَقدِرْ على سَعَةٍ لم يَظهرِ الجُودُ)
(أوْرِقْ بخيرٍ تُرَجَّى للنّوالِ فما ... تُرْجَى الثِمارُ إذا لم يورقِ العُودُ)
(بُثَّ النَّوالَ ولا تَمنَعْكَ قِلّتُهُ ... فكلُّ ما سَدَّ فَقراً فهو محمُودُ)
أخبرني أحمد قال حدثنا العنزي قال حدثني المغيرة بن محمد المهلبي قال حدثني أبي عن عباد بن عباد قال
مررت ببشار فقلت السلام عليك يا أبا معاذ فقال وعليك السلام أعباد فقلت نعم قال إني لحسن الرأي فيك فقلت ما أحوجني إلى ذلك
منك يا أبا معاذ
أخبرني يحيى بن علي قال أخبرني محمد بن عمر الجرجاني عن أبي يعقوب الخريمي الشاعر أن بشارا قال لم أزل منذ سمعت قول امرئ القيس في تشبيه شيئين بشيئين في بيت واحد حيث يقول
(كأنّ قلوبَ الطير رَطْباً ويابساً ... لَدى وكرها العُنّابُ والحَشَفُ البالِي)
أعمل نفسي في تشبيه شيئين بشيئين في بيت حتى قلت
(كأنّ مُثَار النّقعِ فوقَ رُؤوسِنا ... وأسيافَنَا ليلٌ تَهاوى كَواكِبُهْ)
قال يحيى وقد أخذ هذا المعنى منصور النمري فقال وأحسن
(ليلٌ من النّقْعِ لا شمسٌ ولا قمرٌ ... إلا جَبِينُكَ والمذْرُوبَةُ الشُّرُعُ)
طعن إسحاق الموصلي في شعره
أخبرني يحيى بن علي قال حدثني أبي قال كان إسحاق الموصلي يطعن على شعر بشار ويضع منه ويذكر أن كلامه مختلف لا يشبه بعضه بعضا فقلنا أتقول هذا القول لمن يقول
صوت
(إذا كنتَ في كلّ الأمور مُعاتِباً ... صَدِيقَكَ لم تَلْقَ الذي لا تُعاتِبُهْ)
(فَعِشْ واحداً أو صِلْ أخاكَ فإنّهُ ... مُقارِفُ ذنبٍ مرّةً ومُجانِبُهْ)
(إذا أنتَ لم تشربْ مِراراً على القَذَى ... ظَمِئتَ وأيُّ الناس تَصْفُو مَشَارِبُهْ)
لأبي العبيس بن حمدون في هذه الأبيات خفيف ثقيل بالبنصر قال علي بن يحيى وهذا الكلام الذي ليس فوقه كلام من الشعر ولا حشو فيه فقال لي إسحاق أخبرني أبو عبيدة معمر بن المثنى أن شبيل بن عزرة الضبعي أنشده هذه الأبيات للمتلمس وكان عالما بشعره لأنهما جميعا من بني ضبيعة فقلت له أفليس قد ذكر أبو عبيدة أنه قال لبشار أن شبيلا أخبره للمتلمس فقال كذب والله شبيل هذا شعري ولقد مدحت به ابن هبيرة فأعطاني عليه أربعين ألفا وقد صدق بشار وقد مدح في هذه القصيدة ابن هبيرة وقال فيها
(روَيدَ تصاهَلْ بالعراق جِيادُنا ... كأنّكَ بالضّحاكِ قد قامَ نَادِبُهْ)
(وسامٍ لمروانٍ ومِنْ دونه الشَّجَا ... وهَوْلٌ كَلُجِّ البحرِ جَاشَتْ غواربُهْ)
(أحلّتْ به أُمُّ المنايا بنَاتِها ... بأسيافنا إنّا رَدَى مَنْ نُحَارِبُهْ)
(وكنّا إذا دَبَّ العدوُّ لِسخْطِنَا ... وراقَبنا في ظاهرٍ لا نُرَاقِبُهْ)
((ركِبنا له جَهْراً بكلّ مُثقَّفٍ ... وأبيضَ تَستَسقي الدّماءَ مَضارِبُهْ
ثم قلت لإسحاق أخبرني عن قول بشار في هذه القصيدة
(فلمّا تَولّى الحَرُّ واعتَصَر الثّرى ... لَظَى الصّيفِ مِنْ نَجمٍ تَوَقَّدَ لاَهِبُهْ)
(وطارَتْ عَصَافيرُ الشَّقائقِ واكتسَى ... من الآلِ أمثالَ المَجرَّةِ ناضِبُهْ)
(غَدَتْ عَانَةٌ تشكو بأبصارها الصَّدَى ... إلى الجأبِ إلا أنها لا تُخَاطِبُهْ)
العانة القطيع من الحمير والجأب ذكرها
ومعنى شكواها الصدى بأبصارها أن العطش قد تبين في أحداقها فغارت قال وهذا من أحسن ما وصف به الحمار والأتن أفهذا للمتلمس أيضا قال لا فقلت أفما هو في غاية الجودة وشبيه بسائر الشعر فكيف قصد بشار لسرقة تلك الأبيات خاصة وكيف خصه بالسرقة منه وحده من بين الشعراء وهو قبله بعصر طويل وقد روى الرواة شعره وعلم بشار أن ذلك لا يخفى ولم يعثر على بشار أنه سرق شعرا قط جاهليا ولا إسلاميا
وأخرى فإن شعر المتلمس يعرف في بعض شعر بشار فلم يردد ذلك بشيء

وقد أخبرني بهذا الخبر هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان معاذ عن أبي عبيدة أن بشارا أنشده
(إذا كنتَ في كلّ الأمور مُعَاتباً ... صديقَكَ لم تَلْقَ الذي لا تُعاتِبُهْ)
وذكر الأبيات قال وأنشدتها شبيل بن عزرة الضبعي فقال هذا للمتلمس فأخبرت بذلك بشارا قال كذب والله شبيل لقد مدحت ابن هبيرة بهذه القصيدة وأعطاني عليها أربعين ألفا
أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا علي بن مهدي قال حدثنا علي بن إبراهيم المروزي وكان أبوه من قواد طاهر قال حدثني أبي قال
لما خلع محمد المأمون وندب له علي بن عيسى ندب المأمون للقاء علي بن عيسى طاهر بن الحسين ذا اليمينين وجلس له لعرضه وعرض أصحابه فمر به ذو اليمينين معترضا وهو ينشد
(رُوَيدَ تَصَاهَلْ بالعراق جيادُنا ... كأنّك بالضحّاك قد قام نادبُهْ)
فتفاءل المأمون بذلك فاستدناه فاستعاده البيت فأعاد عليه فقال ذو الرياستين يا أمير المؤمنين هو حجر العراق قال أجل فلما صار ذو اليمينين إلى العراق سأل هل بقي من ولد بشار أحد فقالوا لا فتوهمت أنه قد كان هم لهم بخير
سرقة سلم الخاسر من معانيه
أخبرنا يحيى قال حدثنا أبي قال أخبرني أحمد بن صالح وكان أحد الأدباء قال
غضب بشار على سلم الخاسر وكان من تلامذته ورواته فاستشفع عليه بجماعة من إخوانه فجاءوه في أمره فقال لهم كل حاجة لكم مقضية إلا سلما
قالوا ما جئناك إلا في سلم ولا بد من أن ترضى عنه لنا فقال أين هو الخبيث قالوا ها هو هذا فقام إليه سلم فقبل رأسه ومثل بين يديه وقال يا أبا معاذ خريجك وأديبك فقال يا سلم من الذي يقول
(مَنْ راقَبَ الناسَ لم يَظفَرْ بحاجته ... وفازَ بالطّيباتِ الفاتِكُ اللَّهِجُ)
قال أنت يا أبا معاذ جعلني الله فداءك قال فمن الذي يقول
(مَنْ راقَبَ الناسَ مات غَمّاً ... وفاز باللّذَّةِ الجَسُورُ)
قال خريجك يقول ذلك يعني نفسه قال أفتأخذ معاني التي قد عنيت بها وتعبت في استنباطها فتكسوها ألفاظا أخف من ألفاظي حتى يروى ما تقول ويذهب شعري لا أرضى عنك أبدا قال فما زال يتضرع إليه ويشفع له القوم حتى رضي عنه
وفي هذه القصيدة يقول بشار
(لو كنتِ تَلْقِينَ ما نَلْقَى قَسَمتِ لنا ... يوماً نَعيشُ به منكم ونَبتَهِجُ)
صوت
(لا خيرَ في العيشِ إن كنّا كذا أبدا ... لا نَلتقي وسبيلُ الملتَقي نَهَجُ)
(قالوا حرامٌ تلاقِينَا فقلت لهم ... ما في التَّلاقِي ولا في قُبْلَةٍ حَرَجُ)
(مَنْ راقَب الناسَ لم يَظْفَرْ بحاجتِه ... وفاز بالطّيّباتِ الفاتِكُ اللَّهِجُ)
(أشكو إلى الله هَما ما يُفَارِقُني ... وشُرَّعاً في فُؤادي الدّهرَ تعتَلِجُ)
أخبرنا محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال
حدثنا أحمد بن خلاد قال أنشدت الأصمعي قول بشار يهجو باهلة
(ودعاني مَعشرٌ كُلُّهمُ ... حُمُقٌ دامِ لهمْ ذاكَ الحُمُقْ)
(ليس من جُرْمٍ ولكن غاظَهم ... شرَفِي العارضُ قد سَدَّ الأُفُقْ)
فاغتاظ الأصمعي فقال ويلي على هذا العبد القن ابن القن
نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى قال حدثني علي بن مهدي قال حدثني عباس بن خالد قال سمعت غير واحد من أهل البصرة يحدث
أن امرأة قالت لبشار أي رجل أنت لو كنت أسود اللحية والرأس قال بشار أما علمت أن بيض البزاة أثمن من سود الغربان فقالت له أما قولك فحسن في السمع ومن لك بأن يحسن شيبك في العين كما حسن قولك في السمع فكان بشار يقول ما أفحمني قط غير هذه المرأة
ونسخت من كتابه حدثني علي بن مهدي قال حدثني إسحاق بن كلبة قال قال لي أبو عثمان المازني
سئل بشار أي متاع الدنيا آثر عندك فقال طعام مز وشراب مر وبنت عشرين بكر
قوله بعد امتناع امرأة عنه
أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد وأخبرنا الحسن بن علي قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أبو توبة عن صالح بن عطية قال
كان النساء المتظرفات يدخلن إلى بشار في كل جمعة يومين فيجتمعن عنده ويسمعن من شعره فسمع كلام امرأة منهن فعلقها قلبه وراسلها يسألها أن تواصله فقالت لرسوله وأي معنى فيك لي أو لك في وأنت أعمى لا تراني فتعرف حسني ومقداره وأنت قبيح الوجه فلا حظ لي فيك فليت شعري لأي شيء تطلب وصال مثلي وجعلت تهزأ به في المخاطبة فأدى الرسول الرسالة فقال له عد إليها فقل لها
(أيري له فضلٌ على آيارهم ... وإذا أشظّ سجدْنَ غيرَ أوابي)
(تلقاه بعد ثلاثَ عشْرةَ قائماً ... فعلَ المؤذّن شكّ يوم سَحابِ)
(وكأنّ هامةَ رأسه بطّيخَةٌ ... حُمِلتْ إلى مَلِكٍ بدجلةَ جابي)
أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال حدثنا أبو هفان قال أخبرني أحمد بن عبد الأعلى الشيباني عن أبيه قال
قال مروان لبشار لما أنشده هذا البيت
(وإذا قلتُ لها جُودي لنا ... خرجَتْ بالصَّمت مِن لاَ ونَعَمْ)
جعلني الله فداءك يا أبا معاذ هلا قلت خرست بالصمت قال إذا أنا في عقلك فض الله فاك أأتطير على من أحب بالخرس
خالد البرمكي يجيزه على مدحه
نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى حدثني بعض أصحابنا قال
وفد بشار إلى خالد بن برمك وهو على فارس فأنشده
(أخالدُ لم أخْبِطْ إليك بذمّةٍ ... سوى أنني عَافٍ وأنتَ جَوادُ)

(أخالدُ بينَ الأجر والحمدِ حاجتي ... فأيّهما تأتي فأنتَ عِمادُ)
(فإن تُعطني أُفرغْ عليك مدائحي ... وإن تأبَ لم يُضرَبْ عليّ سِدادُ)
(رِكابي على حَرْفٍ وقلبي مُشيَّعٌ ... ومالي بأرض الباخلينَ بِلادُ)
(إذا أنكرتْني بَلدةٌ أو نَكِرتُها ... خرجتُ مع البازي عليّ سَوادُ)
قال فدعا خالد بأربعة آلاف دينار في أربعة أكياس فوضع واحدا عن يمينه وواحدا عن شماله وآخر بين يديه وآخر خلفه
وقال يا أبا معاذ هل استقل العماد فلمس الأكياس ثم قال استقل والله أيها الأمير
الهيثم بن معاوية يجيزه على مدحه
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال قال محمد بن الحجاج حدثني بشار قال
دخلت على الهيثم بن معاوية وهو أمير بالبصرة فأنشدته
((إنّ السّلام أيها الأميرُ ... عليكَ والرّحمةُ والسّرورُ
فسمعته يقول إن هذا الأعمى لا يدعنا أو يأخذ من دراهمنا شيئا فطمعت فيه فما برحت حتى انصرفت بجائزته
أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا عيسى بن إسماعيل عن محمد بن سلام قال
وقف رجل من بني زيد شريف لا أحب أن أسميه على بشار فقال له يا بشار قد أفسدت علينا موالينا تدعوهم إلى
الانتفاء منا وترغبهم في الرجوع إلى أصولهم وترك الولاء وأنت غير زاكي الفرع ولا معروف الأصل فقال له بشار والله
لأصلي أكرم من الذهب ولفرعي أزكى من عمل الأبرار وما في الأرض كلب يود أن نسبك له بنسبه ولو شئت أن أجعل
جواب كلامك كلاما لفعلت ولكن موعدك غدا بالمربد فرجع الرجل إلى منزله وهو يتوهم أن بشارا يحضر معه المربد
ليفاخره فخرج من الغد يريد المربد فإذا رجل ينشد
(شهِدتُ على الزَّيديّ أنّ نِساءه ... ضِباعٌ إلى أيرِ العُقيليّ تَزفِرُ)
فسأل عمن قال هذا البيت فقيل له هذا لبشار فيك فرجع إلى منزله من فوره ولم يدخل المربد حتى مات
قال ابن سلام وأنشد رجل يوما يونس في هذه القصيدة وهي
(بَلَوتُ بني زيدٍ فما في كِبارهم ... حُلومٌ ولا في الأصغَرين مُطهَّرُ)
(فأبلغ بني زيد وقل لسراتهم ... وإن لم يكن فيهم سَراةٌ تُوقَّرُ)
((لأمِّكم الوَيلاتُ إنّ قصائدي ... صَواعقُ منها مُنجدٌ ومغوِّر
(أجِدَّهُم لا يتّقون دَنِيّةً ... ولا يُؤثِرون الخيرَ والخير يؤثر)
(يَلُفُّون أولادَ الزّنا في عِدادهم ... فعِدّتُهم من عِدّة الناسِ أكثرُ)
(إذا ما رأوا مَنْ دأبُه مثلُ دأبِهم ... أطافوا به والغيُّ للغيِّ أصوَرُ)
(ولو فارقوا من فيهمِ من دَعارةٍ ... لما عرفتْهم أُمهُّم حين تَنظُرُ)
(لقد فَخروا بالمُلحَقِينَ عشيَّةً ... فقلتُ افخروا إن كان في اللؤمِ مفخَرُ)
(يريدون مَسْعَاتِي ودون لقائها ... قناديلُ أبوابِ السَّمواتِ تَزْهَرُ)
(فقل في بني زيدٍ كما قال مُعْربٌ ... قَواريرُ حَجّامٍ غداً تَتكسَّرُ)
فقال يونس للذي أنشده حسبك حسبك من هيج هذا الشيطان عليهم قيل فلان فقال رب سفيه قوم قد كسب لقومه
شرا عظيما
أخبرني عمي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني عبد الله بن بشر بن هلال قال حدثني محمد بن محمد البصري قال
حدثني النضر بن طاهر أبو الحجاج قال
قال بشار دعاني عقبة بن سلم ودعا بحماد عجرد وأعشى باهلة فلما
اجتمعنا عنده قال لنا إنه خطر ببالي البارحة مثل يتمثله الناس ذهب الحمار يطلب قرنين فجاء بلا أذنين فأخرجوه من
الشعر ومن أخرجه فله خمسة آلاف درهم وإن لم تفعلوا جلدتكم كلكم خمسمائة فقال حماد أجلنا أعز الله الأمير شهرا
وقال الأعشى أجلنا أسبوعين قال وبشار ساكت لا يتكلم فقال له عقبة مالك يا أعمى لا تتكلم أعمى الله قلبك فقال
أصلح الله الأمير قد حضرني شيء فإن أمرت قلته فقال قل فقال
(شَطَّ بِسَلْمَى عاجلُ البين ... وجاورتْ أُسْدَ بَنِي القَيْن)
(ورَنَّتِ النفسُ لها رَنَّةً ... كادتْ لها تنشَقُّ نصفَيْن)
(يابنةَ مَن لا أشتهي ذكرَه ... أخشَى عليهِ عُلَقَ الشَّيْن)
(والله لو ألقاكِ لا أتّقي ... عيناً لقبَّلتُكِ ألفيْن)
(طالبتُها دَيني فراغَتْ به ... وعَلّقَتْ قلبي مع الدّيْن)
(فصِرتُ كالعَير غدا طالباً ... قَرْناً فلم يَرجِعْ بأُذْنيْن)
قال فانصرف بشار بالجائزة
خبره مع قوم من قيس عيلان
نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى حدثنا علي بن مهدي قال حدثني عبد الله بن عطية الكوفي قال حدثني
عثمان بن عمرو الثقفي قال قال أبان بن عبد الحميد اللاحقي
نزل في ظاهر البصرة قوم من أعراب قيس عيلان وكان فيهم بيان وفصاحة فكان بشار يأتيهم وينشدهم أشعاره التي
يمدح بها قيسا فيجلونه لذلك ويعظمونه وكان نساؤهم يجلسن معه ويتحدثن إليه وينشدهن أشعاره في الغزل وكن
يعجبن
به وكنت كثيرا ما آتي ذلك الموضع فاسمع منه ومنهم فأتيتهم يوما فإذا هم قد ارتحلوا فجئت إلى بشار فقلت له يا أبا
معاذ أعلمت أن القوم قد ارتحلوا قال لا فقلت فاعلم قال قد علمت لا علمت ومضيت فلما كان بعد ذلك بأيام سمعت
الناس ينشدون
(دعا بِفراق مَنْ تَهْوَى أبانُ ... ففاضَ الدّمعُ واحترقَ الجَنانُ)
(كأن شَرارةً وقعَتْ بقلبي ... لها في مُقْلتِي ودَمِي استِنَانُ)
(إذا أنشَدتُ أو نَسَمَتْ عليها ... رياحُ الصّيفِ هاجَ لها دُخَانُ)
فعلمت أنها لبشار فأتيته فقلت يا أبا معاذ ما ذنبي إليك قال ذنب غراب البين فقلت هل ذكرتني بغير هذا قال لا فقلت

أنشدك الله ألا تزيد فقال امض لشأنك فقد تركتك
ونسخت من كتابه حدثني علي بن مهدي قال حدثني يحيى بن سعيد الأيوزرذي المعتزلي قال حدثني أحمد بن المعذل عن أبيه قال
أنشد بشار جعفر بن سليمان
(أقِلّي فإنّا لاحِقونَ وإنّما ... يُؤَخِّرنا أنّا يُعَدُّ لنا عَدًا)
(وما كنتُ إلا كالأغرّ ابن جعفرٍ ... رأى المالَ لا يبقى فأبقَى به حَمدا)
فقال له جعفر بن سليمان من ابن جعفر قال الطيار في الجنة فقال لقد ساميت غير مسامي فقال والله ما يقعدني عن شأوه بعد النسب لكن قلة النشب وإني لأجود بالقليل وإن لم يكن عندي الكثير وما على من جاد بما
يملك ألا يهب البدور فقال له جعفر لقد هززت أبا معاذ ثم دعا له بكيس فدفعه إليه
ونسخت من كتابه حدثني علي بن مهدي قال حدثني أحمد بن سعيد الرازي عن سليمان بن سليمان العلوي قال قيل لبشار إنك لكثير الهجاء فقال إني وجدت الهجاء المؤلم آخذ بضبع الشاعر من المديح الرائع ومن أراد من الشعراء أن يكرم في دهر اللئام على المديح فليستعد للفقر وإلا فليبالغ في الهجاء ليخاف فيعطى
بعض من سيرة حياته في صباه
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال
كان برد أبو بشار طيانا حاذقا بالتطيين وولد له بشار وهو أعمى فكان يقول ما رأيت مولودا أعظم بركة منه ولقد ولد وما عندي درهم فما حال الحول حتى جمعت مائتي درهم
ولم يمت برد حتى قال بشار الشعر
وكان لبشار أخوان يقال لأحدهما بشر وللآخر بشير وكانا قصابين وكان بشار بارا بهما على أنه كان ضيق الصدر متبرما بالناس فكان يقول اللهم إني قد تبرمت بنفسي وبالناس جميعا اللهم فأرحني منهم
وكان إخوته يستعيرون ثيابه فيوسخونها وينتنون ريحها فاتخذ قميصا له جيبان وحلف ألا يعيرهم ثوبا من ثيابه فكانوا يأخذونها بغير إذنه فإذا دعا بثوبه فلبسه فأنكر رائحته فيقول إذا وجد رائحة كريهة من ثوبه أينما أتوجه ألق سعدا
فإذا أعياه الأمر خرج إلى الناس في تلك الثياب على
نتنها ووسخها فيقال له ما هذا يا أبا معاذ فيقول هذه ثمرة صلة الرحم
قال وكان يقول الشعر وهو صغير فإذا هجا قوما جاءوا إلى أبيه فشكوه فيضربه ضربا شديدا فكانت أمه تقول كم تضرب هذا الصبي الضرير أما ترحمه فيقول بلى والله إني لأرحمه ولكنه يتعرض للناس فيشكونه إلي فسمعه بشار فطمع فيه فقال له يا أبت إن هذا الذي يشكونه مني إليك هو قول الشعر وإني إن ألممت عليه أغنيتك وسائر أهلي فإن شكوني إليك
(فقل لهم أليس الله يقول (ليس على الأعمى حرج
فلما عاودوه شكواه قال لهم برد ما قاله بشار فانصرفوا وهم يقولون فقه برد أغيظ لنا من شعر بشار
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني محمد بن عثمان الكريزي قال حدثني بعض الشعراء قال
أتيت بشارا الأعمى وبين يديه مائتا دينار فقال لي خذ منها ما شئت أو تدري ما سببها قلت لا قال جاءني فتى فقال لي أنت بشار فقلت نعم فقال إني آليت أن أدفع إليك مائتي دينار وذلك أني عشقت امرأة فجئت إليها فكلمتها فلم تلتفت إلي فهممت أن أتركها فذكرت قولك
(لا يُؤْيِسَنَّكَ من مُخَبَّأةٍ ... قولٌ تُغَلِّظُهُ وإن جَرَحَا)
(عُسرُ النِّساء إلى مُياسَرَةٍ ... والصَّعْبُ يُمكِنُ بعد ما جَمَحَا)
فعدت إليها فلازمتها حتى بلغت منها حاجتي
هابه الأخفش فاستشهد بشعره
أخبرني عمي قال حدثني الكراني عن أبي حاتم قال
كان الأخفش طعن على بشار في قوله
(فالآنَ أقْصَرَ عن سُمَيَّةَ باطِلي ... وأشار بالوَجْلَى عليّ مُشِيرُ)
وفي قوله
(على الغَزَلى مِنّي السَّلامُ فربّما ... لَهَوْتُ بها في ظِلِّ مَرْؤُومَةٍ زُهْرِ)
وفي قوله في صفة سفينة
(تُلاعِبُ نِينَانَ البُحورِ وربّما ... رأيتَ نُفوسَ القومِ من جَرْيِها تَجْرِي)
وقال لم يسمع من الوجل والغزل فعلى ولم أسمع بنون ونينان فبلغ ذلك بشارا فقال ويلي على القصارين متى كانت الفصاحة في بيوت القصارين دعوني وإياه فبلغ ذلك الأخفش فبكى وجزع فقيل له ما يبكيك فقال وما لي لا أبكي وقد وقعت في لسان بشار الأعمى فذهب أصحابه إلى بشار فكذبوا عنه واستوهبوا منه عرضه وسألوه ألا يهجوه فقال قد وهبته للؤم عرضه فكان الأخفش بعد ذلك يحتج بشعره في كتبه ليبلغه فكف عن ذكره بعد هذا
قال وقال غير أبي حاتم إنما بلغه أن سيبويه عاب هذه الأحرف عليه لا الأخفش فقال يهجوه
(أسِيبَوَيْهِ يابنَ الفارسيَّة ما الذي ... تَحَدَّثْتَ عن شَتْمِي وما كنتَ تَنبِذُ)
(أظَلْتَ تَغَنّي سادِراً في مَسَاءتِي ... وأمُّكَ بالمِصْرَينِ تُعْطِي وتَأْخُذُ)
قال فتوقاه سيبويه بعد ذلك وكان إذا سئل عن شيء فأجاب عنه ووجد له شاهدا من شعر بشار احتج به استكفافا لشره
أهله يستعينون به لهجاء بني سدوس
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثني الحسن بن عليل العنزي قال حدثني أحمد بن علي بن سويد بن منجوف قال
كان بشار مجاورا لبني عقيل وبني سدوس في منزل الحيين فكانوا لا يزالون يتفاخرون فاستعانت عقيل ببشار وقالوا له يا أبا معاذ نحن أهلك وأنت ابننا وربيت في حجورنا فأعنا فخرج عليهم وهم يتفاخرون فجلس ثم أنشد
(كأنّ بني سَدُوسٍ رهطَ ثَوْرٍ ... خَنَافِسُ تحتَ مُنكَسر الجِدَارِ)

(تُحرِّكُ للفَخَار زُبانَيَيْها ... وفخرُ الخُنْفَساءِ من الصَّغَار)
فوثب بنو سدوس إليه فقالوا ما لنا ولك يا هذا نعوذ بالله من شرك فقال هذا دأبكم إن عاودتم مفاخرة بني عقيل فلم يعاودوها
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني محمد بن إسماعيل عن محمد بن سلام قال قال يونس النحوي العجب من الأزد
يدعون هذا العبد ينسب بنسائهم ويهجو رجالهم يعني بشارا ويقول
(ألاَ يا صَنَمَ الأزدْ ... الذي يَدْعُونَه رَبَّا)
ألا يبعثون إليه من يفتق بطنه
أخبرني الحسن قال حدثني ابن مهرويه عن أحمد بن إسماعيل عن محمد بن سلام قال
مر ابن أخ لبشار ببشار ومعه قوم فقال لرجل معه وسمع كلامه من هذا فقال ابن أخيك قال أشهد أن أصحابه سفلة قال وكيف علمت قال ليس عليهم نعال
أخبرني الحسن قال حدثنا محمد بن القاسم قال حدثني الفضل بن يعقوب قال
كنا عند جارية لبعض التجار بالكرخ تغنينا وبشار عندنا فغنت في قوله
(إنّ الخليفةَ قد أبى ... وإذا أَبَى شيئاً أَبَيتُهْ)
(ومُخَضّبٍ رَخْصِ البَنَان ... بكى علَيَّ وما بكَيْتُهْ)
(يا مَنْظراً حسَناً رأيت ... بوجهِ جاريةٍ فَدَيْتُهْ)
(بعثَتْ إليّ تَسُومُني ... ثَوبَ الشَّبَابِ وقد طَوَيتُهْ)
فطرب بشار وقال هذا والله يا أبا عبد الله أحسن من سورة الحشر وقد روى هذه الكلمة عن بشار غير من ذكرته فقال عنه إنه قال هي والله أحسن من سورة الحشر الغناء في هذه الأبيات
وتمام الشعر
((وأنا المطِلُّ على العِدَا ... وإذا غَلا الحمدُ اشتريتُهْ
(وأَمِيلُ في أُنسِ النّدِيم ... من الحياءِ وما اشتهَيتُهْ)
(ويُشوقُني بيتُ الحبيب ... إذا غدوتُ وأينَ بيتُهْ)
(حالَ الخليفةُ دونه ... فصبَرتُ عنه وما قَلَيتُهْ)
وأنشدني أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعي هذه الأبيات وأخبرني أن الجاحظ أخبره أن المهدي نهى بشارا عن الغزل وأن يقول شيئا من النسيب فقال هذه الأبيات قال وكان الخليل بن أحمد ينشدها ويستحسنها ويعجب بها
أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا دماذ أبو غسان عن محمد بن الحجاج قال
قالت بنت بشار لبشار يا أبت مالك يعرفك الناس ولا تعرفهم قال كذلك الأمير يا بنية
دفاعه عن أبي النضير
أخبرني عبد الله بن محمد الرازي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني قال
قال عبد الله بن مسور الباهلي يوما لأبي النضير وقد تحاورا في شيء يابن اللخناء أتكلمني ولو اشتريت عبدا بمائتي درهم وأعتقته لكان خيرا منك فقال له أبو النضير والله لو كنت ولد زنا لكنت خيرا من باهلة كلها فغضب الباهلي فقال له بشار أنت منذ ساعة تزني أمه ولا يغضب فلما كلمك كلمة واحدة لحقك
هذا كله فقال له وأمه مثل أمي يا أبا معاذ فضحك ثم قال والله لو كانت أمك أم الكتاب ما كان بينكما من المصارمة هذا كله
هجاؤه ليزيد بن مزيد
نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى حدثني علي بن مهدي قال حدثني سعيد بن عبيد الخزاعي قال ورد بشار بغداد فقصد يزيد بن مزيد وسأله أن يذكره للمهدي فسوفه أشهرا ثم ورد روح بن حاتم فبلغه خبر بشار فذكره للمهدي من غير أن يلقاه وأمر بإحضاره فدخل إلى المهدي وأنشده شعرا مدحه به فوصله بعشرة آلاف درهم ووهب له عبدا وقينة وكساه كسا كثيرة وكان يحضر قيسا مرة فقال بشار يهجو يزيد بن مزيد
(ولمّا التقينا بالجُنَينَةِ غَرّني ... بمعروفه حتى خرجتُ أُفوِّقُ)
غرني أوجرني كما يغر الصبي أي يوجر اللبن
(حَبَانِي بعبدٍ قَعْسَرِيٍّ وقَيْنَةٍ ... ووَشْيٍ وآلافٍ لهنَّ بَريقُ)
(فَقُلْ ليزيدٍ يلعصُ الشهدَ خالياً ... لنا دونه عند الخليفة سُوقُ)
(رَقَدت فنَمْ يابنَ الخبيثةِ إنها ... مكارمُ لا يَستطيعُهُنَّ لَصِيقُ)
(أبى لكَ عِرْقٌ من فلانةَ أن تُرى ... جواداً ورأسٌ حين شِبْتَ حَلِيقُ)
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي
قال كان بشار كتب إلى إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بقصيدة يمدحه بها ويحرضه ويشير عليه فلم تصل إليه حتى قتل وخاف بشار أن تشتهر فقلبها وجعل التحريض فيها على أبي مسلم والمدح والمشورة لأبي جعفر المنصور فقال
(أبا مُسلمٍ ما طِيبُ عَيشٍ بدائمٍ ... ولا سالمٌ عما قليلٍ بسالمِ)
وإنما كان قال أبا جعفر ما طيب عيش فغيره وقال فيها
(إذا بلغ الرأيُ النصيحةَ فاستَعِنْ ... بعَزْمِ نَصِيحٍ أو بتأييدِ حازمِ)
(ولا تَجعَلِ الشُّورَى عليك غضاضةً ... مكانُ الحوافي نافعٌ للقوادمِ)
(وخَلِّ الهُوينَى للضعيف ولا تكن ... نَؤُوماً فإنّ الحزمَ ليس بنائمِ)
(وما خيرُ كَفٍّ أمسكَ الغُلُّ أختَها ... وما خيرُ سيفٍ لم يُؤَيَّدْ بقائمِ)
(وحارِبْ إذا لم تُعطَ إلا ظُلاَمةً ... شَبَا الحربِ خيرٌ من قَبولِ المظالِمِ)
(وأَدْنِ على القُرْبَى المقرِّبَ نَفسَه ... ولا تُشْهِد الشُّورَى امرأً غيرَ كاتِمِ)
(فإنّكَ لا تَستَطْرِدُ الهمَّ بالمُنَى ... ولا تَبلُغُ العَلْيَا بغير المكارِمِ)
(إذا كنتَ فرداً هَرَّكَ القومُ مُقبلاً ... وإن كنت أدنى لم تَفُزْ بالعَزَائِمِ)

(وما قَرَعَ الأقوامَ مِثلُ مُشيَّعٍ ... أريبٍ ولا جَلَّى العَمَى مثلُ عالِمِ)
قال الأصمعي فقلت لبشار إني رأيت رجال الرأي يتعجبون من أبياتك في
المشورة فقال أما علمت أن المشاور من إحدى الحسنين بين صواب يفوز بثمرته أو خطأ يشارك في مكروهه فقلت أنت والله أشعر في هذا الكلام منك في الشعر
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني علي بن الصباح عن بعض الكوفيين قال
مررت ببشار وهو متبطح في دهليزه كأنه جاموس فقلت له يا أبا معاذ من القائل
(في حُلّتِي جسمُ فتىً ناحلٍ ... لو هَبّتِ الريحُ به طاحا)
قال أنا قلت فما حملك على هذا الكذب والله إني لأرى أن لو بعث الله الرياح التي أهلك بها الأمم الخالية ما حركتك من موضعك فقال بشار من أين أنت قلت من أهل الكوفة فقال يا أهل الكوفة لا تدعون ثقلكم ومقتكم على كل حال
نسخت من كتاب هارون بن علي قال حدثني عافية بن شبيب قال
قدم كردي بن عامر المسمعي من مكة فلم يهد لبشار شيئا وكان صديقه فكتب إليه
(ما أنتِ يا كرديّ بالهَشّ ... ولا أُبرّيكَ من الغِشّ)
(لم تُهْدِنا نعلاً ولا خاتَماً ... من أين أقبلتَ من الحشّ)
فأهدى إليه هدية حسنة وجاءه فقال عجلت يا أبا معاذ علينا فأنشدك الله ألا تزيد شيئا على ما مضى
ونسخت من كتابه عن عافية بن شبيب أيضا قال حدثني صديق لي قال
قلت لبشار كنا أمس في عرس فكان أول صوت غنى به المغني
(هَوَى صاحبي ريحُ الشَّمالِ إذا جرتْ ... وأشْفَى لنفسي أن تَهُبَّ جَنُوبُ)
(وما ذاك إلا أنها حين تنتهي ... تَنَاهَى وفيها من عُبَيدة طِيبُ)
فطرب وقال هذا والله أحسن من فلج يوم القيامة
أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا أبي عن عافية بن شبيب عن أبي جعفر الأسدي قال
مدح بشار المهدي فلم يعطه شيئا فقيل له لم يستجد شعرك فقال والله لقد قلت شعرا لو قيل في الدهر لم يخش صرفه على أحد ولكنا نكذب في القول فنكذب في الأمل
هجاء روح بن حاتم
أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني يحيى بن خليفة الدارمي عن نصر بن عبد الرحمن العجلي قال
هجا بشار روح بن حاتم فبلغه ذلك فقذفه وتهدده فلما بلغ ذلك بشارا قال فيه
(تَهَدّدني أبو خلفٍ ... وعن أوتاره ناما)
(بسيفٍ لأبي صُفْرَةَ ... لا يَقْطَع إبهاما)
(كأنّ الوَرْسَ يَعْلُوهُ ... إذا ما صدرهُ قاما)
قال ابن أبي سعد ومن الناس من يروي هذين البيتين لعمرو الظالمي قال فبلغ ذلك روحا فقال كل مالي صدقة إن وقعت عيني عليه لأضربنه ضربة بالسيف ولو أنه بين يدي الخليفة فبلغ ذلك بشارا فقام من فوره حتى دخل على المهدي فقال له ما جاء بك في هذا الوقت فأخبره بقصة روح وعاذ به منه فقال يا نصير وجه إلى روح من يحضره الساعة فأرسل إليه في الهاجرة وكان ينزل المخرم فظن هو وأهله أنه دعي لولاية
قال يا روح إني بعثت إليك في حاجة فقال له أنا عبدك يا أمير المؤمنين فقل ما شئت سوى بشار فإني حلفت في أمره بيمين غموس قال قد علمت وإياه أردت قال له فاحتل ليميني يا أمير المؤمنين فأحضر القضاة والفقهاء فاتفقوا على أن يضربه ضربة على جسمه بعرض السيف وكان بشار وراء الخيش فأخرج وأقعد واستل روح سيفه فضربه ضربة بعرضه فقال أوه باسم الله فضحك المهدي وقال له ويلك هذا وإنما ضربك بعرضه وكيف لو ضربك بحده
مدح سليمان بن هشام
أخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو عبيدة قال
مدح بشار سليمان بن هشام بن عبد الملك وكان مقيما بحران وخرج إليه فأنشده قوله فيه
(نأتْكَ على طُول التجاوُرِ زينبُ ... وما شَعَرتْ أن النَّوَى سوف تَشعبُ)
(يرى الناسُ ما تَلْقَي بزينبَ إذ نأتْ ... عجيباً وما تُخْفِي بزينبَ أعجبُ)
(وقائلةٍ لي حِينَ جَدّ رحيلُنا ... وأجفانُ عينيها تجودُ وتسكُبُ)
(أغادٍ إلى حَرّانَ في غيرِ شيعةٍ ... وذلك شأوٌ عن هَواها مُغَرّبُ)
(فقلتُ لها كَلّفتني طَلَبَ الغِنَى ... وليس وراءَ ابنِ الخليفةِ مذهبُ)
(سيكفي فتيً من سعيه حَدُّ سيفِه ... وكُورٌ عِلافِيٌّ ووجناءُ ذِعْلِبُ)
(إذا استوغرتْ دارٌ عليه رَمَى بها ... بناتِ الصُّوَى منها رَكوبٌ ومُصْعَبُ)
(فعُدّي إلى يوم ارتحلتُ وسائلي ... بزَوْرِكِ والرَّحَّال من جاء يضربُ)
(لعلكِ أن تستيقني أن زَوْرتي ... سليمانَ من سير الهواجر تُعقِبُ)
(أغَرُّ هِشاميُّ القَنَاةِ إذا انتَمى ... نَمَتْه بدورٌ ليس فيهنَّ كوكبُ)
(وما قصدت يوماً مخيلين خَيلُه ... فتُصْرَفُ إلاّ عن دِماءٍ تَصَبّبُ)
فوصله سليمان بخمسة آلاف درهم وكان يبخل فلم يرضها وانصرف عنه مغضبا فقال
(إن أُمْسِ مُنْقبِضَ اليدينِ عن النَّدَى ... وعن العدوّ مُخَيَّسَ الشيطانِ)
(فلقد أروحُ عن اللئام مُسَلَّطاً ... ثَلِجَ المَقِيلَ مُنَعَّمَ النَّدْمَانِ)
(في ظِلِّ عيشِ عشيرةٍ محمودةٍ ... تَنْدَى يدي ويُخافُ فَرْطُ لساني)
(أزْمَانَ جِنّيُّ الشباب مُطَاوعٌ ... وإذِ الأميرُ عليّ من حَرّانِ)
(ريمٌ بأحْويةِ العراقِ إذا بَدَا ... برقَتْ عليه أكِلّةُ المَرْجانِ)
(فاكحَلْ بعَبْدَة مُقْلَتيْكَ من القَذَى ... وبوَشْكِ رُؤْيتها من الهَمَلانِ)
(فَلقُربُ مَنْ تهوَى وأنتَ متيّمٌ ... أشفَى لدائكَ من بني مَرْوانِ)

فلما رجع إلى العراق بره ابن هبيرة ووصله وكان يعظم بشارا ويقدمه لمدحه قيسا وافتخاره بهم فلما جاءت دولة أهل خراسان عظم شأنه
المهدي ينهاه عن التشبيب
أخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن الحجاج قال
قدم بشار الأعمى على المهدي بالرصافة فدخل عليه في البستان فأنشده مديحا فيه تشبيب حسن فنهاه عن التشبيب لغيرة شديدة كانت فيه فأنشده مديحا فيه يقول فيه
(كأنما جئتُه أُبشِّرُهُ ... ولم أجِيء راغِباً ومُحتَلِبَا
(يُزَيِّنُ المِنبرَ الأشمَّ بعِطْفيه ... وأقوالِه إذا خَطَبَا)
(تُشَمُّ نَعْلاه في النَّدِيّ كما ... يُشَمُّ ماءُ الرّيحانِ مُنتَهبا)
فأعطاه خمسة آلاف درهم وكساه وحمله على بغل وجعل له وفادة في كل سنة ونهاه عن التشبيب البتة فقدم عليها في السنة الثالثة فدخل عليه فأنشده
(تَجَالَلْتُ عن فِهْرٍ وعن جارَتي فِهرٍ ... وودَّعتُ نُعْمَى بالسّلامِ وبالبِشْرْ)
(وقالتْ سُلَيمَى فيكَ عنّا جَلادَةٌ ... مَحلُّكَ دَانٍ والزيارَةُ عن عُفْرْ)
(أخي في الهوى مالي أراكَ جَفَوْتَنا ... وقد كنتَ تقفونا على العُسْرِ واليُسر)
(تثاقلتُ إلا عن يدٍ أستفيدها ... وزَوْرَةِ أملاكٍ أشُدُّ بها أزْرِي)
(وأخرجني من وِزرِ خمسينَ حجّةً ... فَتىً هاشميٌّ يَقْشَعِرُّ من الوزرْ)
(دَفنتُ الهوى حَيّاً فلستُ بزائرٍ ... سُلَيمَى ولا صفراءَ ما قَرْقَرَ القُمْرِي)
(ومُصْفَرَّةٍ بالزعفرانِ جلودُها ... إذا اجتُلِيتْ مثلَ المُفرطَحَةِ الصُّفْرِ)
(فرُبَّ ثِقالِ الرِّدفِ هَبَّتْ تَلُومني ... ولو شَهِدتْ قبري لصَلَّتْ على قبري)
(تَركتُ لِمَهْدِيِّ الأنامِ وِصالَها ... وراعيتُ عهداً بيننا ليس بالختر)
((ولولا أميرُ المؤمنين محمدٌ ... لقبَّلتُ فاها أو لكانَ بها فِطْرِي
(لَعَمْري لقد أوقَرتُ نفسي خطيئةً ... فما أنا بالمُزْدادِ وِقْراً على وِقْرِ)
في قصيدة طويلة امتدحه بها فأعطاه ما كان يعطيه قبل ذلك ولم يزده شيئا
تمثل بقول جرير في رثائه لابنه
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل العتكي عن محمد بن سلام عن بعض أصحابه قال حضرنا جنازة ابن لبشار توفي فجزع عليه جزعا شديدا وجعلنا نعزيه ونسليه فما يغني ذلك شيئا ثم التفت إلينا وقال لله در جرير حيث يقول وقد عزي بسوادة ابنه
(قالوا نَصِيبَكَ من أجرٍ فقلتُ لهم ... كيف العَزَاءُ وقد فارقتُ أشبالي)
(ودَّعْتَني حين كفَّ الدَّهرُ من بَصري ... وحين صِرتُ كعَظمِ الرِّمّةِ البَالِي)
(أودى سَوادَةُ يَجْلُو مُقلَتي لحِمٍ ... بازٍ يُصرصِرُ فوقَ المرِبأ العالي)
(إلاّ تكُنْ لكَ بالدَّيْرين نائحةٌ ... فرُبَّ نائحةٍ بالرَّملِ مِعْوالِ)
أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني خلاد الأرقط قال لما أنشد المهدي قول بشار
(لا يُؤْيِسَنَّكَ من مُخبَّأةٍ ... قولٌ تُغَلِّظُهُ وإن جَرَحَا)
(عُسْرُ النساءِ إلى مُياسَرَةٍ ... والصَّعبُ يُمكِن بعد ما جَمَحَا)
فنهاه المهدي عن قوله مثل هذا ثم حضر مجلسا لصديق له يقال له عمرو بن سمان فقال له أنشدنا يا أبا معاذ شيئا من غزلك فأنشأ يقول
(وقائلٍ هاتِ شَوِّقْنَا فقلتُ له ... أنائمٌ أنتَ يا عمرو بنَ سَمّانِ)
(أما سَمِعتَ بما قد شاع في مُضَرٍ ... وفي الحليفتين من نَجْرٍ وقَحطانِ)
(قال الخليفةُ لا تَنْسُبْ بجاريةٍ ... إيّاكَ إياكَ أن تَشْقَى بِعِصيانِ)
أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا سليمان بن أيوب المدائني قال
قال مروان بن أبي حفصة قدمت البصرة فأنشدت بشارا قصيدة لي واستنصحته فيها فقال لي ما أجودها تقدم بغداد فتعطى عليها عشرة آلاف درهم فجزعت من ذلك وقلت قتلتني فقال هو ما أقول لك وقدمت بغداد فأعطيت عليها عشرة آلاف درهم ثم قدمت عليه قدمة أخرى فأنشدته قصيدتي
(... طَرَقَتْكَ زائرةً فحيِّ خيالَها)
فقال تعطى عليها مائة ألف درهم فقدمت فأعطيت مائة ألف درهم فعدت إلى البصرة فأخبرته بحالي في المرتين وقلت له ما رأيت أعجب من حدسك فقال يا بني أما علمت أنه لم يبق أحد أعلم بالغيب من عمك أخبرنا بهذا الخبر محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبي عن محمد بن عبد الله بن أبي عيينة عن مروان أنه قدم على بشار فأنشده قوله
(... طرقتكَ زائرةً فحيِّ خيالَها)
فقال له يعطونك عليها عشرة آلاف درهم ثم قدم فيه فأنشده قوله
((أنّى يكونُ وليس ذاك بكائنٍ ... لبني البناتِ وِراثةُ الأعمامِ
فقال يعطونك عليها مائة ألف درهم وذكر باقي الخبر مثل الذي قبله
أخبرني عيسى قال حدثنا سليمان قال
قال بعض أصحاب بشار كنا نكون عنده فإذا حضرت الصلاة قمنا إليها ونجعل على ثيابه ترابا حتى ننظر هل يقوم يصلي فنعود والتراب مجاله وما صلى
أخبرني عيسى قال حدثنا سليمان قال
قال أبو عمرو بعث المهدي إلى بشار فقال له قل في الحب شعرا ولا تطل واجعل الحب قاضيا بين المحبين ولا تسم أحدا فقال
(اجعل الحبَّ بين حِبّي وبيني ... قاضِياً إنّني به اليومَ رَاضِي)

(فاجتمعنَا فقلتُ يا حِبَّ نفسي ... إنّ عَينِي قليلةُ الإغماضِ)
(أنتَ عذَّبْتَني وانحلتَ جسمِي ... فارحمِ اليومَ دائمَ الأمراضِ)
(قال لي لا يَحِلُّ حُكمِي عليها ... أنتَ أولى بالسُّقْمِ والإحراضِ)
(قلتُ لمَّا أجابني بهواها ... شَمِلَ الجورُ في الهَوى كلَّ قاضِي)
فبعث إليه المهدي حكمت علينا ووافقنا ذلك فأمر له بألف دينار
أخبرني عيسى قال حدثني سليمان المدني قال حدثني الفضل بن إسحاق الهاشمي قال
أنشد بشار قوله
(يُرَوِّعُهُ السِّرارُ بكلّ أرضٍ ... مخافةَ أن يكونَ به السّرارُ)
فقال له رجل أظنك أخذت هذا من قول أشعب ما رأيت اثنين يتساران إلا ظننت أنهما يأمران لي بشيء فقال إن كنت
أخذت هذا من قول أشعب فإنك أخذت ثقل الروح والمقت من الناس جميعا فانفردت به دونهم ثم قام فدخل وتركنا
وأخذ أبو نواس هذا المعنى بعينه من بشار فقال فيه
(تركْتَنِي الوُشاةُ نُصْبَ المُسِرِّين ... وأُحدوثةً بكلّ مَكَانِ)
(ما أرى خالِيَيْنِ في السرّ إلاّ ... قلتُ ما يخلوانِ إلا لِشَانِي)
أخبرني عمي قال حدثني سليمان قال قال لي أبو عدنان حدثني سعيد جليس كان لأبي زيد قال
أتاني أعشى سليم وأبو حنش فقالا لي انطلق معنا إلى بشار فتسأله أن ينشدك شيئا من هجائه في حماد عجرد أو
في عمرو الظالمي فإنه إن عرفنا لم ينشدنا فمضيت معهما حتى دخلت على بشار فاستنشدته فأنشد قصيدة له على
الدال فجعل يخرج من واد في الهجاء إلى واد آخر يستمعان وبشار لا يعرفهما فلما خرجا قال أحدهما للآخر أما تعجب مما
جاء به هذا الأعمى فقال أبو حنش أما أنا فلا أعرض والله والدي له أبدا وكانا قد جاءا يزورانه وأحسبهما أرادا أن يتعرضا
لمهاجائه
مدحه لواصل بن عطاء
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي عن الجاحظ قال
كان بشار صديقا لأبي حذيفة واصل بن عطاء قبل أن يدين بالرجعة ويكفر الأمة وكان قد مدح واصلا وذكر خطبته التي
خطبها فنزع منها كلها الراء وكانت
على البديهة وهي أطول من خطبتي خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة فقال
(تكلَّفُوا القولَ والأقوامُ قد حَفَلُوا ... وحَبَّرُوا خُطَباً ناهيكَ من خُطَبِ)
(فقامَ مُرتجِلاً تَغْلِي بَداهَتُهُ ... كَمِرْجَلِ القَيْنِ لمّا حُفَّ باللَّهَبِ)
(وجانَبَ الراءِ لم يَشْعُرْ به أحدٌ ... قبلَ التصَفُّحِ والإغراقِ في الطلبِ)
قال فلما دان بالرجعة زعم أن الناس كلهم كفروا بعد رسول الله فقيل له وعلي بن أبي طالب فقال
(وما شَرُّ الثلاثةِ أمّ عمرو ... بصاحبِك الذي لا تَصْبَحِينا)
أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال قال لي محمد بن الحجاج
قال بشار ما كان الكميت شاعرا فقيل له وكيف وهو الذي يقول
(أَنِصْفُ امْرِىءٍ من نصف حيٍّ يسُبُّنِي ... لَعَمْرِي لقد لاقيتُ خَطْباً من الخَطْبِ)
(هنيئاً لكَلبٍ أنَّ كلباً يسبُّنِي ... وأنّيَ لم أردُدْ جواباً على كَلْبِ)
فقال بشار لا بل شانئك أترى رجلا لو ضرط ثلاثين سنة لم يستحل من ضرطه
ضرطة واحدة
نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى حدثني علي بن مهدي قال حدثني حجاج المعلم قال سمعت سفيان بن
عيينة يقول
عهدي بأصحاب الحديث وهم أحسن الناس أدبا ثم صاروا الآن أسوأ الناس أدبا وصبرنا عليهم حتى أشبهناهم فصرنا كما
قال الشاعر
(وما أنا إلا كالزمان إذا صحَا ... صَحوتُ وإن ماقَ الزمانُ أمُوقُ)
أخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن الحجاج قال
كنا مع بشار فأتاه رجل فسأله عن منزل رجل ذكره له فجعل يفهمه ولا يفهم فأخذ بيده وقام يقوده إلى منزل الرجل وهو
يقول
(أعمى يقودُ بصيراً لا أبَالكُم ... قد ضَلَّ مَنْ كانتِ العُمْيانُ تَهدِيهِ)
حتى صار به إلى منزل الرجل ثم قال له هذا هو منزله يا أعمى
أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال
زعم أبو دعامة أن عطاء الملط أخبره أنه أتى بشارا فقال له يا أبا معاذ أنشدك شعرا حسنا فقال ما أسرني بذلك فأنشده
(أعَاذِلتيَّ اليومَ ويلَكُمَا مَهْلاَ ... فما جزَعاً مِ الآنَ أبكي ولا جَهْلاَ)
فلما فرغ منها قال له بشار أحسنت ثم أنشده على رويها ووزنها
(لقد كادَ من أُخْفِي من الوَجدِ والهَوى ... يكون جَوًى بين الجوانِح أو خَبْلاَ)
صوت
(إذا قال مهلاً ذو القرابة زادَني ... وَلُوعاً بذكراها ووجْداً بها مَهْلاَ)
(فلا يَحسَبِ البِيضُ الأوانسُ أنّ في ... فؤادي سوى سُعْدَى لِغانيةٍ فَضْلاَ)
(فأُقْسِمُ إن كان الهوى غيرَ بالغٍ ... بِي القتلَ من سُعدَى لقد جاوزَ القتلاَ)
(فيا صاحِ خَبِّرنِي الذي أنت صانعٌ ... بقاتِلَتي ظُلْماً وما طَلَبَتْ ذَحْلاَ)
(سوَى أنّني في الحبّ بيني وبينها ... شَدَدْتُ على أكظامِ سرٍّ لها قُفْلاَ)
وذكر أحمد بن المكي أن لإسحاق في هذه الأبيات ثقيلا أول بالوسطى فاستحسنت القصيدة وقلت يا أبا معاذ قد والله
أجدت وبالغت فلو تفضلت بأن تعيدها فأعادها على خلاف ما أنشدنيها في المرة الأولى فتوهمت أنه قالها في تلك
الساعة

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أحمد بن خلاد قال حدثني أبي قال كنت أكلم بشارا وأرد عليه سوء مذهبه بميله إلى الإلحاد فكان يقول لا أعرف إلا ما عاينته أو عاينت مثله وكان الكلام يطول بيننا فقال لي ما أظن الأمر يا أبا خالد إلا كما تقول وأن الذي نحن فيه خذلان ولذلك أقول
(طُبِعْتُ على ما فيّ غيرَ مُخَيَّرٍ ... هَوايَ ولو خُيِّرْتُ كنتُ المهذَّبا)
(أُرِيدُ فلا أُعْطَى وأُعطَى ولم أُرِدْ ... وقَصَّر عِلْمي أَنْ أنالَ المغيَّبا)
(فأُصرَفُ عن قَصْدِي وعلمي مقصِّرٌ ... وأُمْسِي وما أُعْقِبْتُ إلا التعجُّبا)

خبره مع فتى من بني منقر أهدى إليه أضحية

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني أحمد بن خلاد
ابن المبارك قال حدثني أبي قال
كان بالبصرة فتى من بني منقر أمه عجلية وكان يبعث إلى بشار في كل أضحية بأضحية من الأضاحي التي كان أهل البصرة يسمنونها سنة وأكثر للأضاحي ثم تباع الأضحية بعشرة دنانير ويبعث معها بألف درهم قال فأمر وكيله في بعض السنين أن يجريه على رسمه فاشترى له نعجة كبيرة غير سمينة وسرق باقي الثمن وكانت نعجة عبدلية من نعاج عبد الله بن دارم وهو نتاج مرذول فلما أدخلت عليه قالت له جاريته ربابة ليست هذه الشاة من الغنم التي كان يبعث بها إليك فقال أدنيها مني فأدنتها ولمسها بيده ثم قال اكتب يا غلام
(وهبتَ لنا يا فتى مِنقَرٍ ... وعِجْلٍ وأكْرَمَهمْ أوّلاَ)
(وأبسَطَهم راحةً في النَّدَى ... وأرفعَهم ذِرْوَةً في العُلا)
(عجوزاً قَد اوْرَدَها عمرُها ... وأسكنَها الدهرُ دارَ البِلى)
(سَلُوحاً توهَّمتُ أن الرِّعاءَ ... سَقَوْها ليُسهِلَها الحنظَلاَ)
(وأَضرِطَ مِن أُمّ مُبتاعِها ... إن اقتحَمتْ بُكرةً حَرْمَلاَ)
(فلو تأكلُ الزُّبدَ بالنِّرسيَان ... وتَدَّمِجُ المِسكَ والمَنْدلاَ)
(لَمَا طَيَّبَ اللّه أرواحَها ... ولا بلّ من عَظْمِها الأَقْحَلا)
(وضعتُ يميني على ظهرها ... فخِلْتُ حَرَاقِفَها جَنْدلاَ)
(وأهوتْ شِمالي لعُرْقوبِها ... فخلتُ عَرَاقِبَها مِغْزَلاَ)
(وقلّبتُ أَلْيَتَها بعد ذا ... فشَبَّهتُ عُصْعُصَها مِنْجَلاَ)
(فقلتُ أبيع فلا مشرباً ... أُرَجِّي لديها ولا مأكَلاَ)
(أمَ اشوِي وأطبُخُ من لحمها ... وأطيبُ من ذاك مَضْغُ السَّلَى)
(إذا ما أُمِرَّتْ على مجلسٍ ... من العُجبِ سَبَّحَ أو هَلَّلا)
(رأوْا آيةً خَلْفَها سائقٌ ... يَحُثّ وإن هَرْوَلتْ هَرْوَلا)
(وكنتَ أمرتَ بِها ضَخْمةً ... بلحمٍ وشحمٍ قد استُكْمِلا)
(ولكنّ رَوحاً عَدَا طورَه ... وما كنتُ أحسَبُ أن يفعلا)
(فعَضَّ الذي خانَ في أمرها ... مِن استِ امّه بَظْرَها الأغْرلاَ)
(ولولا مكانُك قَلّدته ... عِلاَطاً وأنشقتُه الخَرْدلا)
(ولولا استِحَائِيكَ خَضبَتُها ... وعلّقت في جِيدها جُلْجُلا)
(فجاءتْكَ حتى ترى حالَها ... فتعلَمَ أنّي بها مُبْتَلَى)
(سألتُك لحماً لصِبْياننا ... فقد زدْتَني فيهمُ عَيِّلا)
(فخُذْها وأنت بنا مُحسِنٌ ... وما زلتَ بي مُحسِناً مُجْمِلاَ)
قال وبعث بالرقعة إلى الرجل فدعا بوكيله وقال له ويلك تعلم أني أفتدي من بشار بما أعطيه وتوقعني في لسانه إذهب فاشتر أضحية وإن قدرت أن تكون مثل الفيل فافعل وابلغ بها ما بلغت وابعث بها إليه
أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي قال حدثني عمي قال أخبرنا أبو عمرو بن العلاء قال رأيت بشارا المرعث يرثي بنية له وهو يقول
(يا بنتَ من لم يكُ يَهْوَى بنتا ... ما كنتِ إلا خمسةً أو ستاً)
(حتّى حلَلتِ في الحَشى وحتّى ... فَتَّتِّ قلبي من جوىً فانفَتّا)
(لأنتِ خيرٌ من غلامٍ بتّا ... يُصبِحُ سكرانَ ويُمْسِي بَهْتَا)
أخبرني وكيع قال حدثني أبو أيوب المديني قال
كان نافع بن عقبة بن سلم جوادا ممدحا وكان بشار منقطعا إلى أبيه فلما مات أبوه وفد إليه وقد ولي أبيه فمدحه بقوله
(ولنافعٍ فضلٌ على أكفائه ... إن الكريمَ أحقُّ بالتفضيلِ)
(يا نافعَ الشَّبْراتِ حين تناوحتْ ... هُوجُ الرياحِ وأعْقِبَتْ بِوُبُولِ)
(أشبهتَ عُقْبةَ غيرَ ما مُتشبِّهٍ ... ونشأتَ في حِلمٍ وحسنِ قَبُولِ)
(ووليتَ فينا أشهراً فكفيتَنَا ... عَنَتَ المُريبِ وسِلّةَ التضليلِ)
(تُدْعَى هِلاَلاً في الزمان ونافعاً ... والسَّلْمُ نِعْم أُبُوَّةُ المأمولِ)
فأعطاه مثل ما كان أبوه يعطيه في كل سنة إذا وفد عليه

خبر المهدي مع جارية تغتسل وشعر بشار في ذلك

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني إبراهيم بن عقبة الرفاعي قال حدثني إسحاق بن إبراهيم التمار البصري قال
دخل المهدي إلى بعض حجر الحرم فنظر إلى جارية منهن تغتسل فلما رأته حصرت ووضعت يدها على فرجها فأنشأ يقول
(... نظرتْ عيني لحَيني)
ثم أرتج عليه فقال من بالباب من الشعراء قالوا بشار فأذن له فدخل فقال له أجز
(... نظرتْ عيني لحيني)

فقال بشار
(نظرِتْ عيني لحَيْنِي ... نَظَراً وافَقَ شَيْنِي)
(سَتَرتْ لمّا رأتني ... دونَه بالراحتين)
(فَضلتْ منه فُضُولٌ ... تحت طَيِّ العُكْنَتين)
فقال له المهدي قبحك الله ويحك أكنت ثالثنا ثم ماذا فقال
(فتمنّيتُ وقلبي ... للهوى في زَفْرتَين)
(أنّني كنتُ عليه ... ساعةً أو ساعَتين)
فضحك المهدي وأمر له بجائزة فقال يا أمير المؤمنين أقنعت من هذه الصفة بساعة أو ساعتين فقال اخرج عني قبحك الله فخرج بالجائزة

شعر على لسان حمار له مات عشقا

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا أبو شبل عاصم بن وهب البرجمي قال حدثني محمد بن الحجاج قال
جاءنا بشار يوما فقلنا له مالك مغتما فقال مات حماري فرأيته في النوم فقلت له لم مت ألم أكن أحسن إليك فقال
(سَيِّدي خُذْ بي أتاناً ... عند باب الأصبهانِي)
(تَيَّمتني ببنانٍ ... وبدلٍّ قد شجَاني)
(تيّمتني يوم رحنا ... بثناياها الحسان)
(وبغُنْجٍ ودَلال ... سَلّ جسمي وبَراني)
(ولها خَدٌّ أسِيلٌ ... مثلُ خدّ الشيفرانِ)
(فلذا متُّ ولو عِشْتُ ... إذاً طال هوانِي)
فقلت له ما الشيفران قال ما يدريني هذا من غريب الحمار فإذا لقيته فاسأله
أخبرني الحسن قال حدثني محمد بن القاسم قال حدثني علي بن إياس قال حدثني السري بن الصباح قال
شهد بشار مجلسا فقال لا تصيروا مجلسنا هذا شعرا كله ولا حديثا كله ولا غناء كله فإن العيش فرض ولكن غنوا وتحدثوا وتناشدوا وتعالوا نتناهب بالعيش تناهبا
أخبرني عمي قال حدثني الكراني عن ابن عائشة قال
جاء بشار يوما إلى أبي وأنا على الباب فقال لي من أنت يا غلام فقلت
من ساكني الدار قال فكلمني والله بلسان ذرب وشدق هريت
أخبرني عمي قال حدثني الكراني عن أبي حاتم قال
كان سهيل بن عمر القرشي يبعث إلى بشار في كل سنة بقواصر تمر ثم أبطأ عليه سنة فكتب إليه بشار
(تمركُم يا سُهَيلُ دُرٌّ وهل يُطْمَع ... في الدرّ مِنْ يَدَيْ مُتَعَتِّي)
(فاحبُنِي يا سهيلُ من ذلك التمر ... نواةً تكون قُرْطاً لبنتِي)
فبعث إليه بالتمر وأضعفه له وكتب إليه يستعفيه من الزيادة في هذا الشعر
ونسخت من كتاب هارون بن علي عن عافية بن شبيب عن الحسن بن صفوان قال
جلس إلى بشار أصدقاء من أهل الكوفة كانوا على مثل مذهبه فسألوه أن ينشدهم شيئا مما أحدثه فأنشدهم قوله
(أنّى دعاه الشّوقُ فارتاحا ... من بعد ما أصبح جَحجاحا)
حتى أتى على قوله
(في حُلّتي جسمُ فتىً ناحلٍ ... لو هَبّت الرّيح به طاحا)
فقالوا يابن الزانية أتقول هذا وأنت كأنك فيل عرضك أكثر من طولك فقال
قوموا عني يا بني الزناء فإني مشغول القلب لست أنشط اليوم لمشاتمتكم

ألح على امرأة فشكته إلى زوجها

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه عن عافية بن شبيب قال
كان لبشار مجلس يجلس فيه بالعشي يقال له البردان فدخل عليه نسوة في مجلسه هذا فسمعن شعره فعشق امرأة منهن وقال لغلامه عرفها محبتي لها واتبعها إذا إنصرفت إلى منزلها ففعل الغلام وأخبرها بما أمره فلم تجبه إلى ما أحب فتبعها إلى منزلها حتى عرفه فكان يتردد إليها حتى برمت به فشكته إلى زوجها فقال لها أجيبيه وعديه إلى أن يجيئك إلى هاهنا ففعلت وجاء بشار مع امرأة وجهت بها إليه فدخل وزوجها جالس وهو لا يعلم فجعل يحدثها ساعة وقال له ما اسمك بأبي أنت فقالت أمامة فقال
(أمامةُ قد وُصفتِ لنا بحسن ... وإنّا لا نَراكِ فألمِسينا)
قال فأخذت يده فوضعتها على أير زوجها وقد أنعظ ففزع ووثب قائما وقال
(عليّ ألِيّةٌ ما دمتُ حيّا ... أمَسُّكِ طائعاً إلا بعُودِ)
(ولا أهدي لقومٍ أنتِ فيهم ... سلامَ الله إلاّ من بعيدِ)
(طلبتُ غنيمةً فوضعت كفّي ... على أير أشدَّ من الحديدِ)
(فخيرٌ منكِ من لا خيرَ فيه ... وخيرٌ من زيارتكم قُعودي)
وقبض زوجها عليه وقال هممت بأن أفضحك فقال له كفاني فديتك ما فعلت بي ولست والله عائدا إليها أبدا فحسبك ما مضى وتركه وانصرف وقد روي مثل هذه الحكاية عن الأصمعي في قصة بشار هذه
وهذا الخبر بعينه يحكى بإسناد أقوى من هذا الإسناد وأوضح عن أبي العباس الأعمى السائب بن فروخ وقد ذكرته في أخبار أبي العباس بإسناده

بشار يرثي أصدقاءه الخمسة

نسخت من كتاب هارون بن علي قال حدثني علي بن مهدي قال حدثني حمدان الآبنوسي قال حدثنا أبو نواس قال
كان لبشار خمسة ندماء فمات منهم أربعة وبقي واحد يقال له البراء فركب في زورق يريد عبور دجلة العوراء فغرق وكان المهدي قد نهى بشارا عن ذكر النساء والعشق فكان بشار يقول ما خير في الدنيا بعد الأصدقاء ثم رثى أصدقاءه بقوله

(يابنَ موسى ماذا يقول الإمامُ ... في فتاة بالقلب منها أوامُ)
(بِتُّ منْ حبّها أُوَقَّرُ بالكأس ... ويهفُو على فؤادي الهُيَامُ)
(وَيْحَها كاعباً تَدِلّ بجهْمٍ ... كَعْثبيّ كأنّه حَمّامُ)
(لم يكن بينها وبيني إلاَّ ... كُتُبُ العاشقين والأحلامُ)
(يابن موسى اسقني ودَع عنك سلمى ... إنّ سلمى حِمىً وفيّ احتشامُ)
(رُبّ كأسٍ كالسَّلسبيل تعلَّلتُ ... بها والعيون عنّي نيامُ)
(حُبستْ للشُّراة في بيت رأس ... عُتّقتْ عانساً عليها الخِتامُ)
(نَفحتْ نَفحةً فهزّت نديمي ... بنسيمٍ وانشقّ عنها الزّكامُ)
((وكأنّ المعلولَ منها إذا راح ... شَجٍ في لسانه بِرْسامُ)
(صدّمْته الشّمولُ حتى بعينيه ... انكسارٌ وفي المفاصل خَامُ)
(وهو باقِي الأطراف حيّت به الكأس ... وماتت أوصالُه والكَلامُ)
(وفتىً يشربُ المدامةَ بالمال ... ويمشي يروم ما لا يُرامُ)
(أنفدتْ كأسُه الدنانيرَ حتّى ... ذهب العينُ واستمرّ السَّوَامُ)
(تركتْه الصَّهباء يرنو بعين ... نام إنسانُها وليست تَنامُ)
(جُنّ من شربة تُعَلّ بأخرى ... وبكَى حين سار فيه المُدامُ)
(كان لي صاحباً فأودَى به الدّهر ... وفارقْته عليه السَّلامُ)
(بَقِيَ الناس بعدَ هُلْكِ نَدامايَ ... وقوعاً لم يشعروا ما الكلامُ)
(كجَزور الأيسار لا كَبدٌ فيها ... لباغٍ ولا عليها سَنامُ)
(يابن موسى فَقْدُ الحبيب على العين ... قذاةٌ وفي الفؤاد سقَامُ)
(كيف يصفو ليَ النعيم وحيداً ... والأخلاّء في المقابر هام)
(نَفِسَتْهم عليّ أمُّ المنايا ... فأنامتْهُم بعنفٍ فناموا)
(لا يَغيض انسجامُ عيني عنهم ... إنّما غاية الحزين السِّجامُ)
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي عن الأصمعي
أن بشارا وفد إلى عمر بن هبيرة وقد مدحه بقوله
(يخاف المنايا أن ترحّلت صاحبي ... كأنّ المنايا في المُقام تُناسِبُهْ)
(فقلتُ له إنّ العراق مقامه ... وخيم إذا هبّت عليك جنائبُهْ)
(لألقى بني عَيلان إنّ فعالهم ... تزيد على كلّ الفَعال مَراتبُه)
(أولاك الأُلي شقّوا العمَى بسيوفهم ... عن العين حتّى أبصر الحقَّ طالبُهْ)
(وجيشٍ كجُنح الليل يزحَف بالحصا ... وبالشوك والخَطِّيِّ حُمراً ثَعَالبُهْ)
(غَدَونا له والشمسُ في خِدر أمّها ... تُطالعنا والطَّلُّ لم يَجرِ ذائبُهْ)
(بضَربٍ يذوق الموتَ من ذاق طعمَه ... وتُدْرِك من نجّى الفرارُ مَثَالبُهْ)
(كأنّ مُثَارَ النّقعِ فوقَ رؤوسنا ... وأسيافَنا ليلٌ تَهَاوَى كوكبُهْ)
(بعثنا لهم موتَ الفُجاءةِ إنّنا ... بنو الموتِ خفّاقٌ علينا سَبائبُهْ)
(فراحوا فريقٌ في الإسار ومثلُه ... قتيلٌ ومثلٌ لاذ بالبحرِ هاربُهْ)
(إذا الملكُ الجبّار صعر خدّه ... مَشينا إليه بالسُّيوف نعاتبُهْ)
فوصله بعشرة آلاف درهم فكانت أول عطية سنية أعطيها بشار ورفعت من ذكره وهذه القصيدة هي التي يقول فيها
صوت
(إذا كنتَ في كلّ الأمور مُعاتبا ... صديقَكَ لم تلقَ الذي لا تعاتبُهْ)
(فعِشْ واحداً أو صِلْ أخاك فإنه ... مُقارفُ ذنبٍ مرّةً ومجانبُهْ)
(إذا أنت لم تشربْ مِراراً على القَذَى ... ظَمِئتَ وأيُّ النّاس تصفو مَشاربُهْ)
الغناء في هذه الأبيات لأبي العبيس بن حمدون خفيف ثقيل بالبنصر في مجراها
أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال ذكر أبو أيوب المديني عن الأصمعي قال
كان لبشار مجلس يجلس فيه يقال له البردان وكان النساء يحضرنه فبينما هو ذات يوم في مجلسه إذ سمع كلام امرأة في المجلس فعشقها فدعا غلامه فقال إذا تكلمت المرأة عرفتك فاعرفها فإذا انصرفت من المجلس فاتبعها وكلمها وأعلمها أني لها محب وقال فيها
(يا قومُ أُذني لبعض الحيّ عاشقة ... والأذن تعشَق قبل العين أحيانا)
(قالوا بمن لا تَرى تَهذِي فقلتُ لهم ... الأذن كالعين تُوفي القلب ما كانا)
(هل من دواءٍ لمشغوف بجارية ... يلقَى بلُقيانها رَوحا ورَيحانا)
وقال في مثل ذلك
(قالت عُقَيل بن كعب إذ تَعلّقها ... قلبي فأضحَى به من حبّها أثرُ)
(أنّى ولم ترها تَهذِي فقلتُ لهم ... إنّ الفؤاد يَرى ما لا يَرى البصرُ)
((أصبحتُ كالحائم الحَيران مُجتنباً ... لم يقض ورداً ولا يُرجَى له صَدَرُ
قال يحيى بن علي وأنشدني أصحاب أحمد بن إبراهيم عنه لبشار في هذا المعنى وكان يستحسنه
(يُزهّدني في حبِّ عَبدةَ مَعشرٌ ... قلوبُهُم فيها مخالفةٌ قلبي)
(فقلت دَعوا قلبي وما اختار وارتضَى ... فبالقلب لا بالعين يُبصِر ذو الحبِّ)
(فما تُبصر العينان في مَوضع الهوى ... ولا تَسمع الأذنان إلاّ من القلبِ)
(وما الحسنُ إلاّ كلُّ حسنٍ دعا الصّبا ... وألّف بين العشق والعاشِق الصَّبِّ)
قال أبو أحمد وقال في ذلك
(يا قلبُ مالي أراكَ لا تَقِرُ ... إيّاك أعنِي وعندكَ الخبرُ)

(أذعتَ بعدَ الألى مَضْوا حُرقاً ... أم ضاع ما استودعوك إذ بَكَروا)
قال أبو أحمد وقال في مثل ذلك
(إنّ سليمى واللهُ يكلؤها ... كالسُّكر تَزدادُه على السَّكَر)
(بُلّغتُ عنها شكلاً فأعجبني ... والسّمعُ يكفيك غَيبةَ البصر)
أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أبي قال
زعم أبو العالية أن بشارا قدم على المهدي فلما استأذن عليه قال له الربيع قد أذن لك وأمرك ألا تنشد شيئا من الغزل والتشبيب فادخل على ذلك فأنشده قوله
(يا مَنظراً حَسَناً رأيتُهْ ... من وجه جارية فديتُهْ)
((بعثتْ إليّ تَسومني ... بُردَ الشّباب وقد طويْتُهْ)
(واللهِ ربِّ مُحمّد ... ما إن غَدرتُ ولا نَويتُهْ)
(أمسكتُ عنك وربّما ... عَرضَ البلاء وما ابتغيتُهْ)
(إنّ الخليفة قد أبَى ... وإذا أبَى شيئاً أبيتُهْ)
(ومُخضّبٍ رَخصِ البَنان ... بَكى عليّ وما بكَيتُهْ)
(ويشوقني بيتُ الحبيب ... إذا ادّكرتُ وأينَ بيتُهْ)
(قام الخليفة دونَه ... فصبرتُ عنه وما قلَيْتُهْ)
(ونَهانِيَ الملكُ الهمام ... عن النَّسيب وما عصَيْتُهْ)
(لا بل وفَيتُ فلم أُضِع ... عهداً ولا رأياً رأيتُهْ)
(وأنا المطِلّ على العِدا ... وإذا غلا علق شريتُه)
(أُصفِي الخليلَ إذا دنا ... وإذا نأى عنّي نأيتُهْ)
ثم أنشده ما مدحه به بلا تشبيه فحرمه ولم يعطه شيئا فقيل له إنه لم يستحسن شعرك فقال والله لقد مدحته بشعر لو مدح به الدهر لم يخش صرفه على أحد ولكنه كذب أملي لأني كذبت في قولي ثم قال في ذلك
(خليليَّ إنّ العسرَ سوف يُفيقُ ... وإنّ يساراً في غدٍ لخليقُ)
(وما كنتُ إلا كالزّمان إذا صحا ... صَحوتُ وإن ماق الزّمان أموقُ)
(أأدْماء لا أستطيع في قلّة الثّرى ... خُزُوزاً وَوشيا والقليلُ مَحيقُ)
((خُذي من يدي ما قلّ إنّ زماننا ... شَمُوسٌ ومعروف الرجال رقيقُ)
(لقد كنتُ لا أرضَى بأدنى مَعيشة ... ولا يَشتكِي بُخلاً عليّ رفيقُ)
(خليليّ إنّ المال ليس بنافعٍ ... إذا لم يَنل منه أخٌ وصديقُ)
(وكنتُ إذا ضاقت عليّ مَحَلّةٌ ... تيمّمتُ أخرى ما عليّ تضيقُ)
(وما خاب بينَ اللهِ والناسِ عاملٌ ... له في التّقى أو في المحامد سُوقُ)
(ولا ضاق فضلُ اللهِ عن متعفّفٍ ... ولكنّ أخلاقَ الرجال تَضيقُ)
المهدي يتهدده إذا عاد إلى قول النسيب
أخبرني حبيب بن نصر قال حدثني عمر بن شبة قال
بلغ المهدي قول بشار
(قاسِ الهمومَ تنلْ بها نَجَحا ... والليلَ إنّ وراءه صُبُحا)
(لا يُؤيسنك من مُخبَّأةٍ ... قولٌ تُغلّظه وإن جَرَحا)
(عُسر النّساء إلى مُياسرَةٍ ... والصّعبُ يُمكن بعد ما جَمَحا)
فلما قدم عليه استنشده هذا الشعر فأنشده إياه وكان المهدي غيورا فغضب وقال تلك أمك يا عاض كذا من أمه أتحض الناس على الفجور وتقذف المحصنات المخبات والله لئن قلت بعد هذا بيتا واحدا في نسيب لأتين على روحك فقال بشار في ذلك
(والله لولا رِضا الخليفة ما ... أعطيتُ ضَيما عليَّ في شَجَن)
(وربّما خِيرَ لابن آدمَ في الكُره ... وشقّ الهوى على البدنِ)
((فاشرَبْ على ابنة الزّمان فما ... تَلقى زمانا صفَا من الأُبَن)
(الله يُعطيك من فواضله والمرء ... يُغضي عيناً على الكُمَن)
(قد عشتُ بين الرَّيحان والراح والمزهر ... في ظلّ مَجلسٍ حسنِ)
(وقد ملأتُ البلاد ما بين فُغْفُور ... الى القَيروان فاليمنِ)
قال عمر بن شبة فغفور ملك الصين
(شِعراً تُصلّي له العواتِقُ والثّيِّبُ ... صلاةَ الغُواة للوثَن)
(ثم نهاني المَهديّ فانصرفتْ ... نفسي صنيعَ الموفَّق اللّقِن)
(فالحمد للّه لا شريكَ له ... ليس بباق شيءٌ على الزّمن)
ثم أنشده قصيدته التي أولها
(... تجاللتُ عن فِهرٍ وعن جارتَيْ فهرِ)
ووصف بها تركه التشبيب ومدحه فقال
(تَسلّى عن الأحباب صَرّامُ خُلّة ... ووصّالُ أخرى ما يُقيم على أمر)
(وركّاض أفراسِ الصّبابة والهوى ... جرت حِجَجاً ثم استقرّت فما تَجري)
(فأصبحن ما يُركَبن إلاّ إلى الوغَى ... وأصبحتُ لا يُزْرى عليّ ولا أزري)
(فهذا وإنّي قد شرَعْتُ مع التّقى ... وماتت همومي الطارقاتُ فما تسري)
ثم قال يصف السفينة
((وعذراء لا تجري بلحم ولا دمٍ ... قليلة شكوى الأيْن ملجَمة الدُّبْر)
(إذا ظَعَنت فيها الفُلول تشخّصت ... بفُرسانها لا في وُعوث ولا وعر)

(وإن قصدت زلّت علي مُتنصِّب ... ذليل القوى لا شيءَ يَفري كما تفري)
(تُلاعب تَيّارَ البحور وربّما ... رأيتَ نفوس القوم من جَريِها تجري)
قال وكان قال نينان البحور فعابه بذلك سيبويه فجعله تيار البحور
(إلى ملك من هاشم في نبوّة ... ومن حِميْر في المِلك في العدد الدَّثر)
(من المشترين الحمد تندى من النّدى ... يداه ويندى عارِضاه من العِطر)
(فألزمتُ حبلي حبلَ من لا تُغبّه ... عُفاة الندى من حيثُ يدري ولا يَدري)
(بَنى لك عبدُ الله بيتَ خلافة ... نزلتَ بِها بين الفَراقد والنَّسرِ)
(وعندك عهدٌ من وصاة محمّد ... فَرعتَ به الأملاكَ من ولد النّضر)
فلم يحظ منه أيضا بشيء فهجاه فقال في قصيدته

المهدي يأمر بقتله بعد أن هجاه

(خليفةٌ يزني بعمّاته ... يلعب بالدَّبّوق والصَّوْلجانْ)
(أبدلنا الله به غيرَه ... ودسّ مُوسى في حِر الخَيْزُرانْ)
وأنشدها في حلقة يونس النحوي فسعي إلى يعقوب بن داود وكان بشار قد هجاه فقال
(بني أميّة هُبّوا طال نومُكُم ... إنّ الخليفة يعقوبُ بنُ داودِ)
(ضاعتْ خلافتكم يا قوم فالتمسوا ... خليفةَ الله بينَ الزِّق والعودِ)
فدخل يعقوب على المهدي فقال له يا أمير المؤمنين إن هذا الأعمى الملحد الزنديق قد هجاك فقال بأي شيء فقال بما لا ينطق به لساني ولا يتوهمه فكري قال له بحياتي إلا أنشدتني فقال والله لو خيرتني بين إنشادي إياه وبين ضرب عنقي لاخترت ضرب عنقي فحلف عليه المهدي بالأيمان التي لا فسحة فيها أن يخبره فقال أما لفظا فلا ولكني أكتب ذلك فكتبه ودفعه إليه فكاد ينشق غيظا وعمد على الانحدار إلى البصرة للنظر في أمرها وما وكده غير بشار فانحدر فلما بلغ إلى البطيحة سمع أذانا في وقت ضحى النهار فقال انظروا ما هذا الأذان فإذا بشار يؤذن سكران فقال له يا زنديق يا عاض بظر أمه عجبت أن يكون هذا غيرك أتلهو بالأذان في غير وقت صلاة وأنت سكران ثم دعا بابن نهيك فأمره بضربه بالسوط فضربه بين يديه على صدر الحراقة سبعين
سوطا أتلفه فيها فكان إذا أوجعه السوط يقول حس وهي كلمة تقولها العرب للشيء إذا أوجع فقال له بعضهم انظر إلى زندقته يا أمير المؤمنين يقول حس ولا يقول بسم الله فقال ويلك أطعام هو فأسمي الله عليه فقال له الآخر أفلا قلت الحمد لله قال أو نعمة هي حتى أحمد الله عليها فلما ضربه سبعين صوتا بان الموت فيه فألقي في سفينة حتى مات ثم رمي به في البطيحة فجاء بعض أهله فحملوه إلى البصرة فدفن بها
أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال حدثني خالد بن يزيد بن وهب بن جرير عن أبيه قال
لما ولي صالح بن داود أخو يعقوب بن داود وزير المهدي البصرة قال بشار يهجوه
(هُمُ حَملوا فوقَ المنابر صالحاً ... أخاك فضجّت من أخيك المنابِرُ)
فبلغ ذلك يعقوب فدخل على المهدي فقال يا أمير المؤمنين أبلغ من قدر هذا الأعمى المشرك أن يهجو أمير المؤمنين قال ويحك وما قال قال يعفيني أمير المؤمنين من إنشاده ثم ذكر باقي الخبر مثل الذي تقدمه فقال خالد بن يزيد بن وهب في خبره وخاف يعقوب بن داود أن يقدم على المهدي فيمدحه ويعفو عنه فوجه إليه من استقبله فضربه بالسياط حتى قتله ثم ألقاه في البطيحة في الخرارة
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا علي بن محمد النوفلي عن أبيه وعن جماعة من رواة البصريين وأخبرنا يحيى بن علي عن أحمد بن أبي طاهر عن علي بن محمد وخبره أتم قالوا
خرج بشار إلى المهدي ويعقوب بن داود وزيره فمدحه ومدح يعقوب فلم يحفل به يعقوب ولم يعطه شيئا ومر يعقوب ببشار يريد منزله فصاح به بشار
(...طال الثَّواء على رُسوم المنزلِ)
فقال يعقوب
(... فإذا تشاءُ أبا معاذٍ فارحَل)
فغضب بشار وقال يهجوه
(بني أميّة هُبّوا طال نومُكُم ... إنّ الخليفة يعقوبُ بن داودِ)
(ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا ... خليفة الله بين الزِّقّ والعُودِ)
قال النوفلي فلما طالت أيام بشار على باب يعقوب دخل عليه وكان من عادة بشار إذا أراد أن ينشد أو يتكلم أو يتفل عن يمينه ويصفق بإحدى يديه على الأخرى ففعل ذلك وأنشد
(يعقوبُ قد ورد العُفاةُ عشيّةً ... مُتعرِّضين لسَيبِك المُنتاب)
(فسقَيتَهم وحسبتني كَمّونةً ... نَبتت لزارعها بغير شرابِ)
(مَهلاً لديك فإنّني رَيحانة ... فاشمُم بأنفك واسقِها بذِنابِ)
(طال الثواءُ على تنظُّرِ حاجةٍ ... شَمِطتْ لديك فمن لها بخِضابِ)
(تُعطِي الغزيرةُ درَّها فإذا أبتْ ... كانت مَلامتُها على الحُلاّبِ)
يقول ليعقوب أنت من المهدي بمنزله الحالب من الناقة الغزيرة التي إذا لم يوصل إلى درها فليس ذلك من قبلها إنما هو في منع الحالب منها وكذلك الخليفة ليس من قبله لسعة معروفة إنما هي من قبل السبب إليه
قال فلم يعطف ذلك يعقوب عليه وحرمه فانصرف إلى البصرة مغضبا فلما قدم المهدي البصرة أعطى عطايا كثيرة ووصل الشعراء وذلك كله على يدي يعقوب فلم يعط بشارا
شيئا من ذلك فجاء بشار إلى حلقة يونس النحوي فقال هل ها هنا أحد يحتشم قالوا له لا فأنشأ بيتا يهجو فيه المهدي فسعى به أهل الحلقة إلى يعقوب فقال يونس للمهدي إن بشارا زنديق وقامت عليه البينة عندي بذلك وقد هجا أمير المؤمنين فأمر ابن نهيك بأخذه وأزف خروجهم فخرجوا وأخرجه ابن نهيك معه في زورق فلما كانوا بالبطيحة ذكره المهدي فأرسل إلى ابن نهيك يأمره أن يضرب بشارا ضرب التلف ويلقيه بالبطيحة فأمر به فأقيم على صدر السفينة وأمر الجلادين أن يضربوه ضربا يتلفون فيه نفسه ففعلوا ذلك فجعل يسترجع فقال بعض من حضر أما تراه لا يحمد الله فقال بشار أنعمة

هي فأحمد الله عليها إنما هي بلية أسترجع عليها فضرب سبعين سوطا مات منها وألقي في البطيحة
قال يحيى بن علي فحكى قعنب بن محرز الباهلي قال حدثني محمد بن الحجاج قال
لما ضرب بشار بالسياط وطرح في السفينة قال ليت عين أبي الشمقمق رأتني حين يقول
(إنّ بشّارَ بنَ برد ... تيسٌ أعمى في سفينة)
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال
أمر المهدي عبد الجبار صاحب الزنادقة فضرب بشارا فما بقي في بالبصرة شريف إلا بعث إليه بالفرش والكسوة والهدايا
ومات بالبطيحة قال وكانت وفاته وقد ناهز ستين سنة

نعي بشار

قال عمر بن شبة حدثني سالم بن علي قال كنا عند يونس فنعى بشارا إلينا ناع فأنكر يونس ذلك وقال لم يمت فقال
الرجل أنا رأيت قبره فقال أنت رأيته قال نعم وإلا فعلي وعلي وحلف له حتى رضي فقال يونس لليدين وللفم
قال أبو زيد وحدثني جماعة من أهل البصرة منهم محمد بن عون بن بشير وكان يتهم بمذهب بشار فقال
لما مات بشار ألقيت جثته بالبطيحة في موضع يعرف بالخرارة فحمله الماء فأخرجه إلى دجلة البصرة فأخذ فأتي به أهله
فدفنوه قال وكان كثيرا ما ينشدني
(سترى حولَ سَريري ... حُسّرا يَلْطِمن لَطما)
(يا قَتيلا قتلتْه ... عبدةُ الحوراءُ ظلما)
قال وأخرجت جنازته فما تبعها أحد إلا أمة له سوداء سندية عجماء ما تفصح رأيتها خلف جنازته تصيح واسيداه واسيداه

قول الناس في موت بشار

قال أبو زيد وحدثني سالم بن علي قال
لما مات بشار ونعي إلى أهل البصرة تباشر عامتهم وهنأ بعضهم بعضا وحمدوا الله وتصدقوا لما كانوا منوا به من لسانه
وقال أبو هشام الباهلي فيما أخبرنا به يحيى بن علي في قتل بشار
(يا بُؤْسَ مَيْتٍ لم يبكِه أحدُ ... أجَلْ ولم يَفتقدْه مُفتقِدُ)
(لا أمٌّ أولاده بكته ولم ... يَبْكِ عليه لفُرقةٍ وَلدُ)
(ولا ابنُ أختٍ بكى ولا ابنُ أخٍ ... ولا حَميمٌ رقّت له كبِدُ)
(بل زعموا أنَّ أهلَه فرحاً ... لمّا أتاهم نَعِيُّه سَجَدوا)
قال وقال أيضا في ذلك
(قد تبِع الأعمى قَفا عَجْرَدٍ ... فأصبحا جارَين في دار)
(قالت بِقاعُ الأرض لا مَرحباً ... بروحِ حمّادٍ وبشّار)
(تَجاورَا بعد تَنائيهما ... ما أبْغضَ الجارَ إلى الجارِ)
(صارا جميعاً في يديّ مالكٍ ... في النّار والكافرُ في النار)
قال أبو أحمد يحيى بن علي وأخبرنا بعض إخواني عن عمر بن محمد عن أحمد بن خلاد عن أبيه قال
مات بشار سنة ثمان وستين ومائة وقد بلغ نيفا وسبعين سنة
المهدي يندم على أمره بقتل بشار
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال
لما ضرب المهدي بشارا بعث إلى منزله من يفتشه وكان يتهم بالزندقة فوجد في منزله طومار فيه
بسم الله الرحمن الرحيم
إني أردت هجاء آل سليمان بن علي لبخلهم فذكرت قرابتهم من رسول الله فأمسكت عنهم إجلالا له على أني قد قلت
فيهم
((دِينارُ آلِ سليمانٍ ودِرهَمُهم ... كالبابِلِيِّين حُفّا بالعفاريتِ)
(لا يُبصَران ولا يُرجَى لقاؤهما ... كما سمعتَ بهارُوتٍ ومارُوت)
فلما قرأه المهدي بكى وندم على قتله وقال لا جزى الله يعقوب بن داود خيرا
فإنه لما هجاه لفق عندي شهودا على أنه زنديق فقتلته ثم ندمت حين لا يغني الندم
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا عمر بن محمد بن عبد الملك قال حدثني محمد بن هارون قال
لما نزل المهدي البصرة كان معه حمدويه صاحب الزنادقة فدفع إليه بشارا وقال اضربه ضرب التلف فضربه ثلاثة عشر
سوطا فكان كلما ضربه سوطا قال له أوجعتني ويلك فقال يا زنديق أتضرب ولا تقول بسم الله قال ويلك أثريد هو فأسمي
الله عليه قال ومات من ذلك الضرب
ولبشار أخبار كثيرة قد ذكرت في عدة مواضع منها أخباره مع عبدة فإنها أفردت في بعض شعره فيها الذي غنى فيه
المغنون وأخباره مع حماد عجرد في تهاجيهما فإنها أيضا أفردت وكذلك أخباره مع أبي هاشم الباهلي فإنا لا نجمع
جميعها في هذا الموضع إذ كان كل صنف منها مستغنيا بنفسه حسبما شرط في تصدير الكتاب

أخبار يزيد حوراء

طبقة يزيد حوراء

يزيد حوراء رجل من أهل المدينة ثم من موالي بني ليث بن بكر بن عبد مناة ابن كنانة ويكنى أبا خالد مغن محسن كثير
الصناعة من طبقة ابن جامع وإبراهيم الموصلي وكان ممن قدم على المهدي في خلافته فغناه وكان حسن الصوت حلو
الشمائل
وذكر ابن خرداذبه أنه بلغه أن إبراهيم الموصلي حسده على شمائله وإشارته في الغناء فاشترى عدة جوار وشاركه
فيهن وقال له علمهن فما رزق الله فيهن من ربح فهو بيننا وأمرهن أن يجعلن وكدهن أخذ إشارته ففعلن ذلك وكان
إبراهيم يأخذها عنهن هو وابنه ويأمرهن بتعليم كل من يعرفه ذلك حتى شهرها في الناس فأبطل عليه ما كان منفردا
به من ذلك
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن موسى قال حدثني جماعة من موالي الرشيد
إن يزيد حوراء كان صديقا لأبي العتاهية فقال أبو العتاهية أبياتا في أمر عتبة يتنجز فيها المهدي ما وعده إياه من تزويجها

فإذا وجد المهدي طيب النفس غناه بها وهي
(ولقد تَنَسّمتُ الرياحَ حاجتي ... فإذا لها من راحَتَيْكَ نسيمُ)
(أشْربتُ نفسي من رجائك ماله ... عَنَقٌ يخُبُّ إليك بي ورسيمُ)
(ورَمَيتُ نحوَ سماء جَودك ناظري ... أرْعَى مخايلَ بَرْقِهِ وأشيمُ)
(ولربّما استيأستُ ثم أقولُ لا ... إنّ الّذي ضَمِنَ النجاحَ كريمُ)
فصنع بها لحنا وتوخى لها وقتا وجد المهدي فيه طيب النفس فغناه بها فدعا بأبي العتاهية وقال له أما عتبة فلا سبيل إليها لأن مولاتها منعت من ذلك
ولكن هذه خمسون ألف درهم فاشتر ببعضها خيرا من عتبة فحملت إليه وانصرف
جمال وجهه وخصاله
أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن المرزبان قال حدثنا شيبة بن هشام عن عبد الله بن العباس الربيعي قال
كان يزيد حوراء نظيفا ظريفا حسن الوجه شكلا لم يقدم علينا من الحجاز أنظف ولا أشكل منه وما كنت تشاء أن ترى خصلة جميلة لا تراها في أحد منهم إلا رأيتها فيهم وكان يتعصب لإبراهيم الموصلي على ابن جامع فكان إبراهيم يرفع منه ويشيع ذكره بالجميل وينبه على مواضع تقدمه وإحسانه ويبعث بابنه إسحاق إليه يأخذ عنه وكان صديقا لأبي مالك الأعرج التميمي لا يكاد أن يفارقه فمرض مرضا شديدا واحتضر فاغتم عليه الرشيد وبعث بمسرور الخادم يسأل عنه ثم مات فقال أبو مالك يرثيه
صوت
(لم يُمَتَّعْ من الشباب يزيدُ ... صار في التُّرْبِ وهو غَضٌّ جديدُ)
(خانَه دهرهُ وقابَلَه منهُ ... بنَحْسٍ ودَابَرتْهُ السُّعودُ)
(حين زُفَّتْ دُنْياه من كل وجهٍ ... وتَدانَى إليه منه البعيد)
(فكأن لم يكنْ يزيدُ ولم يَشْجُ ... نَديماً يَهُزُّه التّغريدُ)
وفي هذه الأبيات لحسين بن محرز لحن من الثقيل الثاني بالبنصر من نسخة عمرو بن بانة
إنشاده شعر أبي العتاهية في حضرة المهدي
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أحمد بن أبي يوسف قال حدثني الحسين بن جمهور بن زياد بن طرخان مولى المنصور قال حدثني أبو محمد عبد الرحمن بن عيينة بن شارية الدؤلي قال حدثني محمد بن ميمون أبو زيد قال حدثني يزيد حوراء المغني قال
كلمني أبو العتاهية في أن أكلم له المهدي في عتبة فقلت له إن الكلام لا يمكنني ولكن قل شعرا أغنه به فقال
صوت
(نفسي بشيءٍ من الدنيا مُعَلَّقةٌ ... اللهُ والقائمُ المهديُّ يَكْفِيها)
(إني لأيأسُ منها ثم يُطْمِعُني ... فيها احتقارُكَ للدنيا وما فيها)
قال فعملت فيه لحنا وغنيته به فقال ما هذا فأخبرته خبر أبي العتاهية فقال ننظر فيما سأل فأخبرت أبا العتاهية ثم مضى شهر فجاءني وقال هل حدث خبر فقلت لا قال فاذكرني للمهدي قلت إن أحببت ذلك فقل شعرا تحركه وتذكره وعده حتى أغنيه به فقال
صوت
(ليتَ شعري ما عندكم ليتَ شعري ... فلقد أُخِّرَ الجوابُ لأمر)
(ما جوابٌ أَوْلَى بكلّ جميلٍ ... من جوابٍ يُرَدُّ من بعد شهر)
قال يزيد فغنيت به المهدي فقال علي بعتبة فأحضرت فقال إن أبا العتاهية كلمني فيك فما تقولين ولك وله ما تحبان مما لا تبلغه أمانيكما فقالت له قد علم أمير المؤمنين ما أوجب الله علي من حق مولاتي وأريد أن أذكر لها هذا قال فافعلي قال وأعلمت أبا العتاهية ومضت أيام فسألني معاودة المهدي فقلت قد عرفت الطريق فقل ما شئت حتى أغنيه به فقال
صوت
(أشْربتُ قلبي من رجائك ما له ... عَنَقٌ يَخُبّ إليك بي ورسيمُ)
(وأملَتُ نحوَ سماء جودك ناظري ... أرعى مَخايلَ بَرْقِها وأشيمُ)
((ولربّما استيأستُ ثم أقول لا ... إنّ الذي وعَدَ النجاحَ كريمُ
قال يزيد فغنيته المهدي فقال علي بعتبة فجاءت فقال ما صنعت فقالت ذكرت ذلك لمولاتي فكرهته وأبته فليفعل أمير المؤمنين ما يريد فقال ما كنت لأفعل شيئا تكرهه فأعلمت أبا العتاهية بذلك فقال
(قَطَّعْتُ منكِ حبائلَ الآمالِ ... وأرحْتُ من حِلٍّ ومن تَرْحالِ)
(ما كان أشأمَ إذ رجاؤكِ قاتلي ... وبناتُ وعْدِكِ يعتلِجن ببالي)
(ولئن طَعِمتُ لرُبَّ بَرْقةِ خُلَّبٍ ... مالتْ بذِي طَمَعٍ ولمعةِ آلِ)
عشقه لجارية
أخبرني محمد بن أبي الأزهر قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال
قال يزيد حوراء كنت أجلس بالمدينة على أبواب قريش فكانت تمر بي جارية تختلف إلى الزرقاء تتعلم منها الغناء فقلت لها يوما افهمي قولي وردي جوابي وكوني عند ظني فقالت هات ما عندك فقلت بالله ما اسمك فقالت ممنعة فأطرقت طيرة من اسمها مع طمعي فيها فقلت بل باذلة أو مبذولة إن شاء الله فاسمعي مني فقالت وهي تتبسم إن كان عندك شيء فقل فقلت
(لِيَهْنِكِ منّي أنني لستُ مُفْشِيا ... هواكِ إلى غيري ولو مُتُّ من كَرْبِ)
(ولا مانحاً خَلْقاً سواكِ مودّتي ... ولا قائلاً ما عشتُ من حبّكم حسْبي)
قال فنظرت إلي طويلا ثم قالت أنشدك الله أعن فرط محبة أم اهتياج غلمة
تكلمت فقلت لا والله ولكن عن فرط محبة فقالت
(فواللهِ ربِّ الناس لا خُنتُكَ الهوَى ... ولا زلتَ مخصوصَ المحبَّة من قلبي)
(فثِقْ بي فإنِّي قد وَثِقْتُ ولا تكنْ ... على غير ما أظهرتَ لي يا أخا الحُبِّ)

قال فوالله لكأنما أضرمت في قلبي نارا فكانت تلقاني في الطريق الذي كانت تسلكه فتحدثني وأتفرج بها ثم اشتراها بعض أولاد الخلفاء فكانت تكاتبني وتلاطفني دهرا طويلا
صوت من المائة المختارة
(يا ليلةً جمعتْ لنا الأحبابا ... لو شئتِ دام لنا النعيمُ وطابا)
(بيتنا نُسَقَّاها شَمولا قَرْقفاً ... تدعُ الصحيحَ بعقله مُرتابا)
(حمراء مثل دمِ الغزال وتارة ... عند المِزاج تخالها زِريابا)
(من كفِّ جاريةٍ كأنّ بنَانَها ... من فِضّة قد قُمِّعَتْ عُنّابا)
(وكأنّ يُمناها إذا نقَرتْ بها ... تُلقِي على الكفِّ الشِّمالِ حِسابا)
عروضه من الكامل الشعر لعكاشة العمي والغناء لعبد الرحيم الدفاف ولحنه المختار هزج بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى

أخبار عكاشة العمى ونسبه

سبب تسميته بالعمي

هو عكاشة بن عبد الصمد العمي من أهل البصرة من بني العم وأصل بني العم كالمدفوع يقال إنهم نزلوا ببني تميم بالبصرة في أيام عمر بن الخطاب فأسلموا وغزوا مع المسلمين وحسن بلاؤهم فقال الناس أنتم وإن لم تكونوا من العرب إخواننا وأهلنا وأنتم الأنصار والإخوان وبنو العم فلقبوا بذلك وصاروا في جملة العرب
وقال بعض الشعراء وهو كعب بن معدان يهجو بني ناجية ويشبههم ببني العم
(وجدنا آلَ سامةَ في قريشٍ ... كمثل العمِّ بين بني تميمِ)
ويروى في سلفي تميم
أخبرني عيسى بن الحسين عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني أبو عبيدة قال
لما تواقف جرير والفرزدق بالمربد للهجاء اقتتلت بنو يربوع وبنو
مجاشع فأمدت بنو العم بني مجاشع وجاؤوهم وفي أيدهم الخشب فطردوا بني يربوع فقال جرير من هؤلاء قالوا بنو العم فقال جرير يهجوهم
(ما للفرزدقِ مِنْ عزٍّ يلوذُ به ... إلاّ بني العمِّ في أيديهم الخشَبُ)
(سِيروا بني العمِّ فالأهواز داركُمُ ... ونهرَ تِيرَى ولم تعرفْكم العَربُ)
وعكاشة شاعر مقل من شعراء الدولة العباسية ليس ممن شهر وشاع شعره في أيدي الناس ولا ممن خدم الخلفاء ومدحهم
خبره مع جارية تدعى نعيم
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني علي بن الحسن عن ابن الأعرابي قال حدثني سعيد بن حميد الكاتب البصري قال قال أبي
كان عكاشة بن عبد الصمد العمي صديقا لي وإلفا وكنا نتعاشر ولا نكاد نفترق ولا يكتم أحدنا صاحبه شيئا فرأيته في بعض أيامه متغير الهيئة عما عهدته مقسم القلب والفكر غير آخذ ما كنا فيه من الفكاهة والمزاح فسألته عن حاله فكاتمنيها مليا ثم أخبرني أنه يهوى جارية لبعض الهاشميين يقال لها نعيم وأن مرامها عليه مستصعب لا يراها إلا من جناح لدارهم تشرف عليه في الفيئة بعد الفيئة فتكلمه كلاما يسيرا ثم تذهب فعاتبته على ذلك فلم يزدجر وتمادى في أمره ثم جاءني يوما فقال قد وعدتني الزيارة لأن شكواي إليها طالت فقلت له فهل حققت لك الوعد على يوم بعينه قال لا إنما سألتها الزيارة فقالت نعم أفعل فقلت له هذا والله أعجب من سائر ما مضى وأي شيء لك فيه هذا من الفائدة بلا تحصيل وعد فقال لي يا أخي إن لي في قولها نعم فرجا كبيرا فقلت أنت أقنع الناس ثم جاءني بعد يومين وهو كاسف البال مهموم فقلت له مالك فقال مضيت إلى نعيم فتنجزت وعدها فقالت لي إن لي صاحبة أستنصحها وأعلم أنها تشفق علي شفقة الأخت على أختها والأم على ولدها وقد نهتني عن ذلك وقالت لي إن في الرجال غدرا ومكرا ولا آمن أن تفتضحي ثم لا تحصلي منه على شيء وقد انقطعت عني ثم أنشدني لنفسه
(علامَ حبلُ الصفاءِ منصرمُ ... وفيمَ عنّي الصدودُ والصَّمَمُ)
(يا من كَنَيْنا عن اسمه زمناً ... نتبعُ مرضاتَهُ ونحترمُ)
(قد عِيلَ صبري وأنتِ لاهيةٌ ... عنّي وقلبي عليكِ يَضْطَرِمُ)
(مَنْ جَدَّ حبلَ الوفاء سيِّدتي ... منكِ ومن سامني له العَدَمُ)
(فكم أتاني واشٍ يعيبكُمُ ... فقلتُ إخسأْ لأنفِك الرَّغَمُ)
(أنتَ الفِدا والحِمَى لمن عِبتَ فارجع ... صاغِراً راغماً لك الندَمُ)
صوت
(يا ربِّ خُذْ لي من الوُشاة إذا ... قاموا وقُمنا إليكَ نختصِمُ)
(دَبُّوا إليها يُوَسوسِون لها ... كي يستزلُّوا حبيبتي زَعِموا)
(هيهات مِنْ ذاك ضَلَّ سعيهُمُ ... ما قلبها المستعارُ يُقتسَمُ)
((يا حاسدينا موتوا بغيظِكُمُ ... حَبْلِي متينٌ بقولها نَعَمُ)
(بالله لا تُشْمِتي العُداةَ بنا ... كوني كقلبي فلستُ أتَّهمْ)
الغناء في هذه الأبيات لعريب رمل وقيل إنه لغيرها قال ثم طال تردده إليها واستصلاحه لها فلم ألبث أن جاءتني رقعته في يوم خميس يعلمني أنها قد حصلت عنده ويستدعيني فحضرت وتوارت عني ساعة وهو يخبرها أنه لا فرق بيني وبينه ولا يحتشمني في حال البتة إلى أن خرجت فاجتمعنا وشربنا وغنت غناء حسنا إلى وقت العصر ثم انصرفت وأخذ دواة ورقعة فكتب فيها
(سَقْياً لمجلسنا الذي كنَّا به ... يومَ الخميس جماعةً أتْرابا)
(في غُرفةٍ مَطَرَت سماوةُ سقفِها ... بحيَا النعيم من الكروم شَرَابا)
(إذ نحن نُسقَاها شَمولاً قَرْقَفاً ... تَدَعُ الصحيحَ بعقله مُرتابا)
(حمراء مثل دمِ الغزال وتارةً ... بعد المِزاج تخالُها زِرْيابا)

(من كفِّ جاريةٍ كأنَّ بنانَها ... من فِضَّةٍ قد قُمِّعتْ عُنّابا)
(تزدادُ حسناً كأسُها من كفِّها ... ويطيب منها نشرُها أحقَابا)
(وإذا المزاجُ عَلاَ فَشَجَّ جبينَها ... نَفَثَتْ بألْسِنةِ المِزاجِ حَبَابا)
(وتخالُ ما جَمَعتْ فأحدق سِمْطُه ... بالطَّوق ريقَ حَبائبٍ ورُضَابا)
(كَفَتِ المَنَاصِفَ أن تَذُبَّ أكُفُّها ... عنها إذا جعلتْ تفوح ذُبَابا)
((والعُودُ مُتبعٌ غِناءَ خَرِيدةٍ ... غَرِداً يقول كما تقول صوابا
(وكأنّ يُمناها إذا نَطَقتْ به ... تُلقِي على يدها الشِّمالِ حِسابا)
(فهناك خَفَّ بنا النعيمُ وصار من ... دونِ الثقيل لنا عليه حِجَابا)
(آليتُ لا ألْحَى على طلب الهوى ... مُتَلذِّذاً حتى أكونَ تُرابا)
شعره في نعيم بعد تزويجها وسفرها
قال ثم قدم قادم من أهل بغداد فاشترى نعيم هذه من مولاتها ورحل إلى بغداد فعظم أسف عكاشة وحزنه عليها واستهيم بها طول عمره فاستحالت صورته وطبعه وخلقه إلى أن فرق الدهر بيننا فكان أكثر وكده وشغله أن يقول فيها الشعر وينوح به عليها ويبكي قال حميد بن سعيد فأنشدني أبي له في ذلك
(ألاَ ليتَ شِعْري هل يعودنّ ما مَضَى ... وهل راجعٌ ما مات من صِلة الحَبْل)
(وهل أجلِسنْ في مثل مجلِسنا الذي ... نَعِمْنا به يومَ السعادة بالوصل)
(عشيّةَ صَبّتْ لذةُ الوصل طِيبَها ... علينا وأفنانُ الجِنان جَنَى البَذْلِ)
(وقد دار ساقِينا بكأسٍ رَوِيَّةٍ ... تُرَحِّلُ أحزانَ الكئيبِ مع العقل)
(وشجَّ شَمولاً بالمِزاج فطيَّرت ... كألسنة الحيّات خافتْ من القتل)
(فِيتْنا وعينُ الكأس سحٌّ دموعُها ... لِكلِّ فتىً يهتزّ للمجد كالنَّصْلِ)
(وقَيْنتنا كالظبي تسمَح بالهوى ... وبثِّ تَبَاريح الفؤادِ على رِسْلِ)
(إذا ما حَكَتْ بالعُودِ رَجْعَ لسانِها ... رأيتَ لسانَ العودِ من كفِّها يُمْلي)
(فلم أر كاللّذّات أمطرتِ الهَوَى ... ولا مثلَ يومي ذاك صادَفه مِثلي)
ومما قاله فيها
(أنُعَيْم حبُّكِ سَلَّني وبَلاَني ... وإلي الأمرِّ من الأمور دعاني)
(أنُعَيْم لو تَجِدِين وَجْدِي والذي ... ألْقَى بَكَيت من الذي أبكاني)
(أنعيم سيِّدتي عليكِ تَقَطّعت ... نفسي من الحَسَرات والأحزانِ)
(أنعيم قد رَحِم الهوى قلبي وقد ... بكتِ الثيابُ أسىً على جُثْماني)
(أنعيم وانحدرتْ مدامعُ مقلتي ... حتّى رحِمتْ لرحمتي إخواني)
(أنعيم مَثَّلك الهُيَامُ لمقلتي ... فكأنّني ألقاكِ كلَّ مكانِ)
(أنعيم نظرةُ سحرِ عينيك بالهوى ... معروفةٌ بالقتل في إنسانِ)
(أنعيمُ اشفِي أو دَعِي مَنْ داؤه ... ودواؤه بيديكِ مقترنانِ)
(هذا وكم من مجلسٍ لي مُؤْنِفٍ ... بين النعيم وبين عيشٍ داني)
(نازعتُه أردانَه فَلَبِستُها ... مع ظَبْيةٍ في عيشنا الفَيْنانِ)
(تُنْسِي الحليمَ من الرجال مَعادَه ... بين الغِناء وعُودِها الحَنّانِ)
(حتى يعودَ كأنَّ حبّةَ قلبه ... مشدودةٌ بمَثالِثٍ ومَثَاني)
(ظَلَّت تُغَنِّيني وتَعْطِفُ كفَّها ... بالعود بين الرَّاحِ والرَّيْحانِ)
(فسمِعتُ ما أبكى وأضْحَكَ سامعاً ... وسكِرتُ من طَرَبٍ ومن أشجانِ)
(ومَشَيتُ في لُجَج الهوَى مُتبختراً ... ومشى إليّ اللهوُ في الألوانِ)
(فعلِمتُ أنْ قد عاد قلبي عائدٌ ... من بين عُودٍ مُطربٍ وبَنَانِ)
ومما قاله أيضا فيها
(نُعَيْمُ هل بَكَيتِ كما بَكَيتُ ... وهل بعدِي وَفَيتِ كما وَفَيتُ)
(ألاَ يا ليت شِعري كيف بَعدِي اصطبارُكِ ... إذ نَأيتِ وإذ نأيتُ)
(فكم من عَبْرةٍ ذَرَفتْ فلمّا ... خَشِيتُ عيونَ أهلي واستحيَتُ)
(نَهضتُ بها مُكاتَمةً فلمّا ... خلوتُ ذَرَفتُها حتى اشتفيتُ)
(وقلتُ لصُحْبتي لمّا رَمَانِي ... هواكِ بدائه حتى انطويتُ)
(أراني من همومِ النفسِ مَيْتاً ... ولم أرَ في نُعَيمٍ ما نَوَيتُ)
(فليتَ الموتَ عَجّل قبضَ رُوحي ... جِهاراً فاسترحتُ وأين ليتُ)
وقال أيضا في فراقه إياها
(أنُعَيْمُ في قلبي عليكِ شَرَارُ ... وعلى الفؤاد من الصَّبابةِ نارُ)
(وعلى الجفون غِشاوةٌ وعلى الهوى ... داعٍ دَعَتْه لِحَيْنِى الأقدارُ)
(بمضلّةٍ لُبَّ الحليمِ إذا رَمَتْ ... بالمقلتين كأنها سَحّارُ)
(طالبتُها حَولَين لا لَيْلي بها ... ليلٌ ولا هذا النهارُ نهارُ)
(حتى إذا ظَفِرَتْ يداي بكاعِبٍ ... كالشمس تَقْصُر دونها الأبصارُ)
(وثَلِجتْ صدراً بالفتاة وصارتَا ... كالنفس نفسانًا وقَرّ قَرارُ)
(بَلَغ الشقاءُ أشدَّ ما يسطِيعُه ... فينا وفَرّق بيننا المِقْدارُ)
ومما يغنى فيه من شعر عكاشة الذي قاله في هذه الجارية
صوت
(لَهْفي على الزمن الذي ... ولّى ببهجته القصير)
(قد كان يُؤْنقني الهوَى ... ويُقِرّ عيني بالسرور)

(إذ نحن خُلاّنُ الهَوَى ... رَيْحانُنا عَبِقُ العبير)
(وغناؤنا وصفُ الهوَى ... نلتذّ بالحبِّ اليسير)
الغناء في هذه الأبيات لابن صغير العين من كتاب إبراهيم ولم يذكر طريقته
وفيه لأبي العبيس بن حمدون خفيف رمل
وتمام هذه الأبيات
(وجهُ التواصُل بيننا ... في الحسن كالقمر المنير)
(إيماؤنا يُحكي الكلامَ ... وسِرُّنا فَطَنُ المشير)
(وحديثُنا بحواجبٍ ... نطقتْ بألسنة الضَّمير)
(بل رُسْلنا الكُتُبُ التي ... تَجري بخافيةِ الصُّدورِ)
المهدي أراد له الحد بعد أن أنشده شعرا في الخمر
حدثني الحسن بن عليل قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا أبو مسلم عن المدائني قال
أنشد عكاشة بن عبد الصمد المهدي قوله في الخمر
(حمراء مثل دم الغزال وتارةً ... عند المِزاج تَخالها زِرْيابا)
فقال له المهدي لقد أحسنت في وصفها إحسان من قد شربها ولقد استحققت بذلك الحد فقال أيؤمنني أمير المؤمنين حتى أتكلم بحجتي قال قد أمنتك
قال وما يدريك يا أمير المؤمنين أني أحسنت وأجدت صفتها إن كنت لا تعرفها فقال له المهدي اعزب قبحك الله
قال الحسن وأخبرني بهذا الخبر أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثنا الزبير ابن بكار أن عكاشة أنشد موسى الهادي هذا الشعر ثم أنشده قوله
(كأنّ فُضولَ الكأس من زَبَداتها ... خَلاخِلُ شُدّت بالجُمان إلى حَجْلِ)
فقال له موسى والله لأجلدنك حد الخمر قال ولم يا أمير المؤمنين إنما نقول ولا نفعل فقال كذبت قد وصفتها صفة عالم بها قال فاجعل لي الأمان حتى أتكلم بحجتي قال تكلم وأنت آمن قال أجدت وصفها أم لم أجد قال بل قد أجدت قال وما يدريك أني أجدت إن كنت لا تعرفها إن كنت وصفتها بطبعي دون امتحاني فقد شركتني في ذلك بطبعك وإن كان وصفها لا يعلم إلا بالتجربة فقد شركتني أيضا فيها فضحك موسى وقال له قد نجوت بحيلتك مني قاتلك الله فما أدهاك
متفرقات من شعره
ومما وجدت فيه غناء من شعر عكاشة قوله
(وجاءوا إليه بالتَّعاويذ والرُّقَى ... وَصَبّوا عليه الماء من شدّة النُّكْس)
(وقالوا به من أعين الجنّ نَظرةٌ ... ولو صدَقوا قالوا به أعينُ الإنس)
الغناء لعريب
ومنها
(طَرفي يذوب وماءُ طَرفِك جامدُ ... وعليَّ من سِيمَا هواكِ شواهدُ)
((هذا هواكِ قسَمتِه بين الورى ... ومنحتِني أرَقاً وطَرفُكِ راقدُ)
(فعليّ منه اليومَ تسعةُ أسهُمٍ ... وعلى جميع النّاس سهمٌ واحدُ)
الغناء لجحظة
ومنها
(غَادِ الهوى بالكأس بردَا ... وأطِعْ إمارَةَ من تَبدّى)
ومنها
(كما اشتهتْ خُلقتْ حتّى إذا اعتدلتْ ... تمّت قَواماً فلا طولٌ ولا قِصَرُ)
ومنها
(وزَعفرانيّة في اللّون تحسَبُها ... إذا تأمّلتَها في جِسمِ كافُورِ)
(تخال أنّ سَقِيط الطّلّ بينَهما ... دمعٌ تَحيّر في أجفان مَهْجُورِ)
أخبار عبد الرحيم الدفاف ونسبه
الخلاف في اسم أبيه
عبد الرحيم بن الفضل الكوفي ويكنى أبا القاسم وقيل هو عبد الرحيم ابن سعد وقيل عبد الرحيم بن الهيثم بن سعد مولى لآل الأشعث بن قيس وقيل بل هو مولى خزاعة
ذكر أبو أيوب المديني أن حمادا الراوية حدثه قال رأيت عبد الرحيم الدفاف أيام هارون الرشيد بالرقة وقد ظهرت فحضرني وسمعته يغني يومئذ صوتا سئل عنه فذكر أنه من صنعته وهو
(فَديتُكِ لو تَدْرين كيف أحِبكم ... وكيف إذا ما غِبتُ عنكِ أقولُ)
وكان عبد الرحيم منقطعا إلى علي بن المهدي المعروف بأمه ريطة بنت أبي العباس
فأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال حدثني عبد الصمد بن المعذل قال
غنت جارية يوما بحضرة الرشيد
(قُل لعليٍّ أيا فتى العربِ ... وخيرَ أنامٍ وخيرَ مُكتسِبِ)
(أعلاك جَدّاك يا عليّ إذا ... قصّر جَدٌّ عن ذروة الحسبِ)
فأمر بضرب عنقها فقالت يا سيدي ما ذنبي هذا صوت علمته والله ما أدري من قاله ولا فيمن قيل فعلم أنها صدقت فقال لها عمن أخذته فقالت عن عبد الرحيم الدفاف فأمر بإحضاره فأحضر فقال له يا عاض بظر أمه أتغني في شعر تفاخر فيه بيني وبين أخي جردوه فجردوه ودعا له بالسياط فضرب بين يديه خمسمائة سوط
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد عن القطراني عن محمد بن جبر قال قال لي عبد الرحيم بن القاسم الدفاف دخلت على علي بن ريطة يوما وستارته منصوبة فغنت جاريته
(أُناسٌ أمِنّاهم فَنَمّوا حديثَنا ... فلما كَتَمنا السرَّ عنهم تقوَّلوا)
فقلت أرأيت إن غنيتك هذا الصوت وفي تمامه زيادة بيت واحد أي شيء لي عليك قال خلعتي التي علي فغنيته

((فلم يحفَظوا الوُدّ الذي كان بيننا ... ولا حينَ هَمّوا بالقَطيعة أجملوا
قال فنزع خلعته فخلعها علي وأقمت عنده بقية يومي على عربدة كانت فيه
الشعر لعباس بن الأحنف والغناء لعبد الرحيم الدفاف هزج بالبنصر
وهذا أخذه العباس من قول أبي دهبل
صوت
(أمِنّا أُناساً كنتِ تأتمِنينهم ... فزادوا علينا في الحديث وأوْهَمِوا)
وقالوا لها مالم نقل ثمّ أكثروا ... عليّ وباحوا بالذي كنتُ أكتمُ)
وفي هذين البيتين أغاني قديمة منها لحن لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق
ولابن زرزور الطائفي خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو
وفيه خفيف رمل بالبنصر والوسطى لمتيم وعريب
صوت من المائة المختارة
(بَكَرتْ سُمَيّةُ غُدْوةً فتمتَّعِي ... وغدتْ غُدُوَّ مُفَارِقٍ لم يَرْبَعِ)
(وتَعرّضتْ لكَ فاستبتكَ بواضح ... صَلْتٍ كمُنْتَصّ الغزال الأتلع)
عروضه من الكامل والشعر للحادرة الثعلبي والغناء في اللحن المختار لسعيد بن مسجح وإيقاعه من خفيف الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى
البنصر عن إسحاق وذكر عمرو بن بانة أنه لابن محرز
وفيهما للغريض ثقيل أول بالبنصر عن عمرو
وفيهما خفيف رمل بالوسطى لابن سريج عن حبش
ومما يغنى فيه من هذه القصيدة
(أسُمَيّ ما يُدريكِ كم من فِتْية ... بادرتُ لَذّتَهم بأدكَنَ مُتْرَعِ)
(بَكَروا عليّ بسُحْرةٍ فصَبَحتُهم ... من عاتقٍ كدَمِ الذبيح مُشَعْشَعَ)
غناه مالك ولحنه من الثقيل الأول بالبنصر عن عمرو
وفيه لمالك خفيف ثقيل أيضا
وفيهما لعلويه
ثقيل أول صحيح من جيد صنعته
قوله فتمتعي يخاطب نفسه أي تمتعي منها قبل فراقها
ولم يربع لم يقم
والواضح الصلت يعني عنقها وأصل الصلت الماضي ومنه الناقة المصلات الماضية وشد عليه بالسيف صلتا أي خارجا من غمده
والصلت في هذا الشعر الطويل الذي لا قصر فيه
والمنتص المنتصب يقال انتص فلان أي انتصب
ومنصة العروس مأخوذة من هذا ومنه نص الحديث رفعه إلى صاحبه
واستبتك غلبتك على عقلك
والواضح الخالص الأبيض
وأدكن مترع يعني الزق
والمشعشع المرقق بالماء
أخبار الحادرة ونسبه
أخبرني بنسبه هذا محمد بن العباس اليزيدي عن عبد الرحمن بن عبد الله بن قريب ابن أخي الأصمعي عن عمه قال
وإنما سمي الحادرة بقول زبان بن سيار الفزاري له
(كأنّكَ حادِرةُ المَنْكبَيْن ... رَصْعاءُ تُنْقِضِ في حائر)
(عجوزُ ضَفَادِعَ محجوبةٌ ... يَطيفُ بها وِلْدةُ الحاضر)
قال والحادرة الضخم
وذكر أبو عمرو الشيباني أن الحادرة خرج هو وزبان الفزاري يصطادان فاصطادا جميعا فخرج زبان يشتوي ويأكل في الليل وحده فقال الحادرة
(تركتَ رفيقَ رَحْلِكَ قد تراه ... وأنت لِفيكَ في الظّلْماء هادِي)
فحقدها عليه زبان ثم أتيا غديرا فتجرد الحادرة وكان ضخم المنكبين
ارسح فقال زبان
(كأنك حادرةُ المنكَبيْن ... رصعاء تُنْقِض في حائر)
فقال له الحادرة
(لَحَا اللهُ زَبّانَ من شاعر ... أخِي خَنْعَةٍ فاجر غادر)
(كأنك فُقّاحةٌ نوّرتْ ... مع الصبح في طَرَف الحائر)
فغلب هذا اللقب على الحادرة
حدثني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي قال حدثني عمي قال سمعت شيخا من بني كنانة من أهل المدينة يقول
كان حسان بن ثابت إذا قيل له تنوشدت الأشعار في موضع كذا وكذا يقول فهل أنشدت كلمة الحويدرة
(... بَكَرتْ سُمَيّةُ غُدْوةً فتمتعي)
قال أبو عبيدة وهي من مختار الشعر أصمعية مفضلية
سبب الهجاء بينه وبين زبان بن سيار
نسخت من كتاب ابن الأعرابي قال حدثني المفضل قال

كان الحادرة جارا لرجل من بني سليم فأغار زبان بن سيار على إبله فأخذها فدفعها إلى رجل من أهل وادي القرى يهودي ومكان له عليه دين فأعطاه إياها بدينه وكان أهل وادي القرى حلفاء لبني ثعلبة فلما سمع اليهودي بذلك قال سيجعل الحادرة هذا سببا لنقض العهد الذي بيننا وبينه ونحن نقرأ الكتاب ولا ينبغي لنا أن
نغدر فرد الإبل على الحادرة فردها على جاره ورجع إلى زبان فقال له أعطني مالي الذي عليك فأعطاه إياه زبان ووقع الهجاء بينه وبين الحادرة فقال الحادرة فيه
(لعَمْرَة بين الأخرمَيْن طلولُ ... تَقادَمَ منها مُشْهِرٌ ومُحِيلُ)
(وَقَفتُ بها حتى تعالَى لِيَ الضُّحَى ... لأُخبَرَ عنها إنّني لَسَئُولُ)
يقول فيها
(فإن تَحْسَبوها بالحجابِ ذَلِيلةً ... فما أنا يوماً إن رَكِبتُ ذليلُ)
(سأمنَعُها في عُصْبةٍ ثَعْلَبِيَّةٍ ... لهم عَدَدٌ وافٍ وعِزٌّ أصِيلُ)
(فإنْ شئتُم عُدْنا صديقاً وعُدْتُم ... وإمّا أبيتم فالمُقامُ زَحُولُ)
قال ولج الهجاء بينهما بعد ذلك فكان هذا سببه
شعره في غزوة بني عامر
ونسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشيباني يذكر عن أبيه
أن جيشا لبني عامر بن صعصعة أقبل وعليهم ثلاثة رؤساء ذؤاب بن غالب من عقيل ثم من بني كعب بن ربيعة وعبد الله بن عمرو من بني الصموت وعقيل بن مالك من بني نمير وهم يريدون غزو بني ثعلبة بن سعد رهط الحادرة ومن معهم من محارب وكانوا يومئذ معهم فنذرت بهم بنو ثعلبة فركب قيس بن مالك المحاربي الخصفي وجؤية بن نصر الجرمي أحد بني ثعلبة للنظر إلى القوم فما دنوا منهم عرف عقيل بن مالك النميري جؤية بن نصر الجريم فناداه إلي يا جؤية بن نصر فإن لي خبرا أسره إليك فقال إليك أقبلت لكن لغير ما
ظننت فقال له ما فعلت قلوص يعني إمرأته فقال هي في الظعن أسر ما كانت قط وأجمله ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه واختلفا طعنتين فطعنه جؤية طعنة دقت صلبه وانطلق قيس بن مالك المحاربي إلى بني ثعلبة فأنذرهم فاقتتلوا قتالا شديدا فهزمت بنو نمير وسائر بني عامر ومات عقيل النميري وقتل ذؤاب بن غالب وعبد الله بن عمرو أحد بني الصموت فقال الحادرة في ذلك
(كأنّ عُقَيلاً في الضُّحَى حَلَّقتْ به ... وطارتْ بِهِ في الجوّ عنقاءُ مُغرب)
ويروي وطارت به في اللوح وهو الهواء
(وذي كَرمٍ يدعوكُمُ آلَ عامرٍ ... لدى مَعْرَكٍ سِرْبالُه يتصبَّبُ)
(رأت عامرٌ وقْعَ السيوف فأسلموا ... أخاهم ولم يعطف من الخيل مرهبُ)
(وسلَّم لمّا أن رأى الموتَ عامرٌ ... له مركبٌ فوقَ الأسنّة أحْدبُ)
(إذا ما أظلّته عَوالِي رِماحِنا ... تدلّى به نَهْدُ الجُزارةِ مِنْهَبُ)
(على صَلَوَيْه مُرْهَفاتٌ كأنها ... قوادمُ نسرٍ بُزَّ عنهنّ مَنكِبُ)
قال وفي هذه الوقعة يقول خداش بن زهير
((أيا أخَوَيْنا من أبينا وأُمِّنا ... إليكم إليكم لا سبيلَ إلى جَسْرْ
جسر قبيلة من محارب
قال وهذا اليوم يعرف بيوم شواحط قبيلة من محارب
شعره في يوم الكفافة
وقال أبو عمرو خرج خارجة بن حصن في جمع من بني فزارة ومن بني ثعلبة بن سعد وهو يريد غزو بني عبس بن بغيض فلقوا جيشا لبني تميم على ماء يقال له الكفافة وتميم في جمع سعد والرباب وبني عمرو فقاتلوهم قتالا شديدا وهزمت تميم وأجفلت وهذا اليوم يقال له يوم كفافة فقال الحادرة في ذلك
(ونحن مَنَعْنا من تميم وقد طغتْ ... مَراعي المَلا حتى تضمَّنها نجدُ)
(كمعْطَفِنا يومَ الكُفَافَة خَيْلَنا ... لتتْبَع أخرَى الجيشِ إذ بلغ الجِدُّ)
(على حين شالتْ واسْتَخَفَّتْ رجالَهم ... جلائبُ أحياءٍ يسيلُ بها الشدُّ)
(إذا هي شكَّ السَّمْهَريُّ نحورَها ... وخامت عن الأبطالِ أتعبها القِدُّ)
(تَكُرُّ سِراعا في المَضِيقِ عليهمُ ... وتَثْنَى بِطاءً ما تخُبُّ ولا تَعدو)
(فأثْنوا علينا لا أبَا لأبيكُمُ ... بإحساننا إن الثناءَ هو الخُلْدُ)

أخبار ابن مسجح ونسبه

سعيد بن مسجح أبو عثمان مولى بني جمح وقيل إنه مولى بني نوفل بن الحارث بن عبد المطلب مكي أسود مغن متقدم من فحول المغنين وأكابرهم وأول من صنع الغناء منهم ونقل غناء الفرس إلى غناء العرب ثم رحل إلى الشأم وأخذ ألحان الروم والبربطية والأسطوخوسية وانقلب إلى فارس فأخذ بها غناء كثيرا وتعلم الضرب ثم قدم إلى الحجاز وقد أخذ محاسن تلك النغم وألقى منها ما استقبحه من النبرات والنغم التي هي موجودة في نغم غناء الفرس والروم خارجة عن غناء العرب وغنى على هذا المذهب فكان أول من أثبت ذلك ولحنه وتبعه الناس بعد
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان والحسين بن يحيى قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن هشام بن المرية أن أول من غنى هذا الغناء العربي بمكة ابن مسجح مولى بني مخزوم وذلك أنه مر بالفرس وهم يبنون المسجد الحرام فسمع غناءهم بالفارسية فقلبه في شعر عربي وهو الذي علم ابن سريج والغريض وكان ابن مسجح مولدا أسود يكنى بأبي عيسى
أخبرني محمد بن عبيد الله بن محمد الرازي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني وذكر إسحاق عن المدائني عن أبي بكر الهذلي قال
كان سبب بناء ابن الزبير الكعبة لما احترقت أن أهل الشام لما حاصروه
سمع أصواتا بالليل فوق الجبل فخاف أن يكون أهل الشام قد وصلوا إليه وكانت ليلة ظلماء ذات ريح شديدة صعبة ورعد وبرق فرفع نارا على رأس رمح لينظر إلى الناس فأطارتها الريح فوقعت على أستار الكعبة فأحرقتها واستطالت فيها وجهد

الناس في إطفائها فلم يقدروا وأصبحت الكعبة تتهافت وماتت امرأة من قريش فخرج الناس كلهم في جنازتها خوفا من أن ينزل العذاب عليهم وأصبح ابن الزبير ساجدا يدعو ويقول اللهم إني لم أتعمد ما جرى فلا تهلك عبادك بذنبي وهذه ناصيتي بين يديك فلما تعالى النهار أمن وتراجع الناس فقال لهم الله الله أن ينهدم في بيت أحدكم حجر فيزول عن موضعه فيبنيه ويصلحه وأترك الكعبة خرابا ثم هدمها مبتدئا بيده وتبعه الفعلة حتى بلغوا إلى قواعدها ودعا ببنائين من الفرس والروم فبناها

نقل غناء الفرس من بنائي الكعبة الذين أعادوا بناءها

قال إسحاق وأخبرني ابن الكلبي عن أبي مسكين قال

كان سعيد بن مسجح أسود مولدا يكنى أبا عيسى مولى لبني جمح فرأى الفرس وهم يعملون الكعبة لابن الزبير ويتغنون بالفارسية فاشتق غناءه على ذلك

قال إسحاق وحدثني محمد بن سلام عن شعيب بن صخر وجرير قالا

كان سعيد بن مسجح أسود وهو مولى بني جمح يكنى أبا عيسى

قال إسحاق وحدثني المدائني عن صخر بن جعفر عن أبي قبيل بمثل

ذلك وذكر أنه كان يكنى أبا عثمان قال وهو مولى لبني نوفل بن الحارث كان هو وابن سريج لرجل واحد ولذلك قبل عنه ابن سريج

ظهرت عليه علامات الذكاء منذ صغره

قال إسحاق وحدثني الهيثم بن عدي عن صالح بن حسان فذكر مثل ما ذكر أبو قبيل من كنيته وولائه وقال كان ابن مسجح فطنا كيسا ذكيا وكان أصفر حسن اللون وكان مولاه معجبا به وكان يقول في صغره ليكونن لهذا الغلام شأن وما منعني من عتقه إلا حسن فراستي فيه ولئن عشت لأتعرفن ذلك وإن مت فهو حر فسمعه مولاه يوما وهو يتغنى بشعر ابن الرقاع العاملي وهو من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى الوسطى

صوت

(ألمِمْ على طَلَلٍ عَفا متقادمِ ... بين اللَّكيكِ وبين غَيْبِ الناعِمِ)

(لولا الحياء وأنّ رأسي قد عَثا ... فيه المشيبُ لزرتُ أمّ القاسِمِ)

فدعا به مولاه فقال له يا بني أعد ما سمعته منك علي فأعاده فإذا هو أحسن مما

ابتدأ به فقال إن هذا لمن بعض ما كنت أقول ثم قال أنى لك هذا قال سمعت هذه الأعاجم تتغنى بالفارسية فثقفتها وقلبتها في هذا الشعر قال له فأنت حر لوجه الله فلزم مولاه وكثر أدبه واتسع في غنائه ومهر بمكة وأعجبوا به لظرفه وحسن ما سمعوه منه فدفع إليه مولاه عبيد بن سريج وقال له يا بني علمه واجتهد فيه وكان ابن سريج أحسن الناس صوتا فتعلم منه ثم برز عليه حتى لم يعرف له نظير

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا أخي هارون عن ابن الماجشون عن شيخ من أهل المدينة وأخبرني محمد بن خلف بن المرزبان والحسين بن يحيى قالا أخبرنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال ذكر ابن الكلبي عن أبي مسكين عن شيخ من أهل المدينة قال

دخلت على رجل من قريش بالمدينة وعنده رجل ساكن الطرف نبيل تأخذه العين لا أعرفه فقال له القرشي أقسمت عليك إلا ما غنيت صوتا فحول خاتمه من خنصره اليسرى إلى بنصره اليمنى ثم تناول قدحا فغناه لحن ابن سريج في شعر كعب بن جعيل

(إذا امتشطتْ عالَوْا لها بوسادةٍ ... ومدّتْ عَسيبَ المتن أن يتعَفَّرا)

(ثَوتْ نصفَ شهر تحسبُ الشهر ليلةً ... تُناغي غزَالاً ساجيَ الطرف أحوَرَا)

((تَزَيَّنُ حتى تَسلُبَ المرءَ عقلَه ... وحتى يَحَارَ الطرْفُ فيها ويَسكُرا

ثم غنى في شعر توبة بن الحمير

(وغَيَّرني إن كنتِ لَمّا تَغَيَّري ... هواجرُ تَكْتَنّينَها وأسيرُها)

(وأدْمَاءَ من سِرِّ المَهَارِي كأنها ... مَهَاةُ صُوَارٍ غيرَ ما مَسّ كُورُها)

(قطعتُ بها أجوازَ كلِّ تَنُوفَةٍ ... مَخُوفٍ رداَها كلّما استنَّ مُورُها)

(تَرى ضعفاءَ القوم فيها كأنهم ... دعَاميصُ ماءٍ نَشَّ عنها غديرُها)

قال فقلت له إني لأروي هذا الشعر وما أعرف هذه الأبيات فيه فقال هكذا رويتها عن عبد الله بن جعفر قال وإذا هو نافع الخير مولى عبد الله بن جعفر

الغناء في هذين اللحنين لابن مسجح ولم أجد لهما طريقة في شيء من الكتب التي مرت وذكر حبش أن في أبيات كعب بن جعيل لإبراهيم خفيف رمل بالوسطى

خبر آخر عن نقله غناء الفرس

حدثني جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب وعمي وحبيب بن نصر المهلبي قالوا حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني عبد الله بن محمد بن موسى الهاشمي قال حدثني أحمد بن موسى بن حمزة بن عمارة بن صفوان الجمحي عن أبيه قال أول من نقل الغناء الفارسي من الفارسي إلى الغناء العربي سعيد بن مسجح مولى بني مخزوم

قال وقد يختلف في ولائه إلا أن الأغلب عليه ولاء بني مخزوم وذلك أن معاوية بن أبي سفيان لما بنى دوره التي يقال لها الرقط وهي ما بين الدارين إلى الردم أولها الدار البيضاء وآخرها دار الحمام وهي على يسار المصعد من المسجد إلى ردم عمر حمل لها بنائين فرسا من العراق فكانوا يبنونها بالجص والآجر وكان سعيد بن مسجح يأتيهم فيسمع من غنائهم على بنيانهم فما استحسن من ألحانهم أخذه ونقله إلى الشعر العربي ثم صاغ على نحو ذلك وهو الذي علم الغريض فكان من قديم غنائه الذي صنعه على تلك الأغاني

صوت

(أسَلاَمُ إنَّكِ قد مَلَكْتِ فَأَسجِحي ... قد يملِكُ الحرُّ الكريمُ فَيُسجِحُ)

(مُنّي على عَانٍ أطَلْتِ عَنَاءَه ... في الغُلِّ عندكِ والعُنَاةُ تُسَرَّحُ)

(إنّي لأنصَحُكُمْ وأعلَمُ أنه ... سِيَّانِ عندك مَنْ يَغُشُّ ويَنصَحُ)

((وإذا شكوتُ إلى سَلاَمةَ حُبَّها ... قالتْ أجِدٌّ منكَ ذا أم تَمزَحُ

الشعر للأحوص
والغناء لابن مسجح ثقيل أول بالبنصر
ولدحمان فيه ثقيل أول بالبنصر
ولمالك فيه خفيف ثقيل عن الهشامي قال وهو أول من غنى الغناء العربي المنقول عن الفارسي وعاش سعيد بن مسجح حتى لقيه معبد وأخذ عنه في أيام الوليد بن عبد الملك
خبره مع عبد الملك بن مروان
حدثني عمي والحسين بن القاسم الكوفي قالا جميعا حدثنا محمد بن سعيد الكراني قال حدثني النضر بن عمرو قال حدثني أبو أمية القرشي قال حدثنا دحمان الأشقر قال
كنت عاملا لعبد الملك بن مروان بمكة فنمي إليه أن رجلا أسود يقال له سعيد بن مسجح أفسد فتيان قريش وأنفقوا عليه أموالهم فكتب إلي أن اقبض ماله وسيره ففعلت فتوجه ابن مسجح إلى الشام فصحبه رجل له جوار مغنيات في طريقه فقال له أين تريد فأخبره خبره وقال له أريد الشام قال له فتكون معي قال نعم فصحبه حتى بلغا دمشق فدخلا مسجدها فسألا من أخص الناس بأمير المؤمنين فقالوا هؤلاء النفر من قريش وبنو عمه فوقف ابن مسجح عليهم وسلم ثم قال يا فتيان هل فيكم من يضيف رجلا غريبا من أهل الحجاز فنظر بعضهم إلى بعض وكان عليهم موعد أن يذهبوا إلى قينة يقال لها برق الأفق فتثاقلوا به إلا فتى منهم تذمم فقال أنا أضيفك وقال لأصحابه
انطلقوا أنتم وأنا أذهب مع ضيفي قالوا لا بل تجيء أنت وضيفك فذهبوا جميعا إلى بيت القينة فلما أتوا بالغداء قال لهم سعيد إني رجل أسود ولعل فيكم من يقذرني فأنا أجلس وآكل ناحية وقام فاستحيوا منه وبعثوا إليه بما أكل فلما صاروا إلى الشراب قال لهم مثل ذلك ففعلوا به وأخرجوا جاريتين فجلستا على سرير قد وضع لهما فغنتا إلى العشاء ثم دخلتا وخرجت جارية حسنة الوجه والهيئة وهما معها فجلست على السرير وجلستا أسفل منها عن يمين السرير وشماله قال ابن مسجح فتمثلت هذا البيت
(فقلتُ أشمسٌ أم مَصابيحُ بِيعَةٍ ... بدَتْ لكَ خلفَ السَّجْفِ أم أنت حَالمُ)
فغضبت الجارية وقالت أيضرب هذا الأسود بي الأمثال فنظروا إلي نظرا منكرا ولم يزالوا يسكنونها ثم غنت صوتا فقال ابن مسجح أحسنت والله فغضب مولاها وقال أمثل هذا الأسود يقدم على جاريتي فقال لي الرجل الذي أنزلني عنده قم فانصرف إلى منزلي فقد ثقلت على القوم فذهبت أقوم فتذمم القوم وقالوا لي بل أقم وأحسن أدبك فأقمت وغنت فقلت أخطأت والله يا زانية وأسأت ثم اندفعت فغنيت الصوت فوثبت الجارية فقالت لمولاها هذا والله أبو عثمان سعيد بن مسجح فقلت إني والله أنا هو والله لا أقيم عندكم فوثب القرشيون فقال هذا يكون عندي وقال هذا يكون عندي وقال هذا بل عندي فقلت والله لا أقيم إلا عند سيدكم يعني الرجل الذي أنزله منهم ثم سألوه عما أقدمه فأخبرهم الخبر فقال له صاحبه إني أسمر الليلة مع أمير المؤمنين فهل تحسن أن تحدو قال لا ولكني أستعمل حداء قال فإن منزلي بحذاء منزل أمير المؤمنين فإن وافقت منه طيب نفس أرسلت إليك ومضى إلى عبد الملك فلما رآه طيب النفس أرسل إلى ابن مسجح وأخرج رأسه من وراء شرف القصر ثم حدا
((إنكَ يا مُعاذُ يابنَ الفُضَّلِ ... إن زُلزِلَ الأقدامُ لم تُزلزلَ
(عن دين موسى والكتابِ المنزَل ... تُقيمُ أصداغَ القرونِ المُيَّل)
(... للحقّ حتى ينتَحُوا للأعدلِ)
فقال عبد الملك للقرشي من هذا قال رجل حجازي قدم علي قال أحضره فأحضره له وقال له أحد مجدا ثم قال له هل تغني غناء الركبان قال نعم قال غنه فتغنى فقال له فهل تغني الغناء المتقن قال نعم قال غنه فتغنى فاهتز عبد الملك طربا ثم قال له أقسم إن لك في القوم لأسماء كثيرة من أنت ويلك قال له أنا المظلوم المقبوض ماله المسير عن وطنه سعيد بن مسجح قبض مالي عامل الحجاز ونفاني فتبسم عبد الملك ثم قال له قد وضح عذر فتيان قريش في أن ينفقوا عليك أموالهم وأمنه ووصله وكتب إلى عامله برد ماله عليه وألا يعرض له بسوء
صوت من المائة المختارة
(سلا دارَ ليلى هل تُبِين فتَنْطِقُ ... وأنّى تردّ القولَ بيداءُ سَمْلَقُ)
(وأنّى تردّ القولَ دارٌ كأنها ... لطُول بِلاها والتقادمِ مُهْرَقُ)
عروضه من الطويل الشعر لابن المولى
وذكر يحيى بن علي بن يحيى عن إسحاق أن الشعر للأعشى وذلك غلط وقد التمسناه في شعر كل أعشى ذكر في شعراء العرب فلم نجده ولا رواه أحد من الرواة لأحد منهم ووجدناه في شعر
ابن المولى من قصيدة له طويلة جيدة وقد أثبتناها بعقب أخباره ليوقف على صحة ما ذكرناه إذ كان الغلط إذا وقع من مثل هذه الجهة احتيج إلى إيضاح الحجة على ما خالفه والدلالة على الصواب فيه
والغناء في اللحن المختار لعطرد ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ويونس وعمرو وفيه لأيوب زهرة خفيف ثقيل بالوسطى عن الهشامي وأحمد بن المكي
وفي غناء أيوب زهرة زيادة بيتين وهما
(وقال خليلي والبُكا ليَ غالبٌ ... أقاضٍ عليك ذا الأسى والتشوُّقُ)
(وقد طال تَوْقاني أُكفكِف عَبْرةً ... تكاد إذا رُدَّتْ لها النفسُ تَزْهَقُ)
أخبار ابن المولى ونسبه
هو محمد بن عبد الله بن مسلم بن المولى مولى الأنصار ثم من بني عمرو بن عوف شاعر متقدم مجيد من مخضرمي الدولتين ومداحي أهلهما وقدم على المهدي وامتدحه بعدة قصائد فوصله بصلات سنية وكان ظريفا عفيفا نظيف الثياب حسن الهيئة
مدح المهدي فاستحق عطاءه
أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن عبد الله الحزنبل قال قال لي محمد بن صالح بن النطاح
كان ابن المولى يسمى محمدا مولى بني عمرو بن عوف من الأنصار وكان مسكنه بقباء وكان يقدم على المهدي فيمدحه فقدم عليه فأنشده قوله
(سَلاَ دارَ ليلى هل تُبِين فَتَنْطِقُ ... وأنّي تردّ القولَ بيداءُ سَمْلَقُ)

(وأنىّ تردّ القولَ دارٌ كأنها ... لِطولِ بِلاها والتقادمِ مُهْرَقُ)
(وقال خليلي والبكا لِيَ غالبٌ ... أقاضٍ عليك ذا الأسى والتشوّقُ)
(وإنسانُ عيني في دوائرِ لُجّةٍ ... من الدمع يبدو تارةً ثم يَغْرَقُ)
يقول فيها
(إلى القائم المهديّ أعملتُ ناقتي ... بكل فلاةٍ آلُها يترقرق)
(إذا غال منها الركبُ صحراء برّحت ... بهم بعدها في السيرِ صحراءُ دردقُ)
(رمِيتُ قَراها بين يوم وليلة ... بفتْلاء لم ينكُبْ لها الزَّوْرَ مرْفَقُ)
(مُزَمّرَةً سَقْباً كأن زمامَها ... بحرداء من عُمّ الصّنوبرِ معْلَقُ)
(موكّلةً بالفادحاتِ كأنها ... وقد جعَلت منها الثَّميلةُ تَخْلُقُ)
(بِقِيّ الملا هَيْقٌ أمام رئاله ... أصَمُّ هِجَفٌّ أقرعُ الرأس نِقْنِقُ)
(تراها إذا استعجلتَها وكأنها ... على الأيْن يَعْرُوها من الرَّوْعِ أوْلَقُ)
(موركّةٌ أرضَ العُذَيْبِ وقد بدا ... فسُرَّ به للأثبين الخَوَرنَقُ)
فاستحسنها المهدي وأجزل صلته وأمر فغني في نسيب القصيدة فأما ما شرطت ذكره من تمام القصيدة فهو بعقب البيت الثاني منها
(عفَتْها الرياحُ الرامِساتُ مع البِلَى ... بأذيالِها والرائحُ المُتبَعِّقُ)
((بكلِ شآبيبٍ من الماء خلفَها ... شآبيبُ ماءٍ مُزنِها متألِّقُ)
(إذا ربّقٌ منها هُريقَتْ سِجالُه ... أُعيد لها كِرْفِيٌّ ماءٍ وربِّقُ)
(فأصبح يرمي بالرَّباب كأنما ... بأرجلِه منه نَعامٌ مُعلّقُ)
(فلا تبكِ أطلالَ الديار فإنها ... خبالٌ لمن لا يدفع الشوقَ عَوْلَقٌ)
(وإنّ سِفاهاً أن تُرَى متفجّعا ... بأطلالِ دارٍ أو يقودَك مَعْلَقُ)
(فلا تَجْزَعَنْ للبينِ كلُّ جماعةٍ ... وجَدِّك مكتوبٌ عليها التفرُّقُ)
(وخذ بالتعزّي كلَّ ما أنتَ لابسٌ ... جديداً على الأيامِ بالٍ ومُخْلِقُ)
(فصبرُ الفتى عما تولّى فإنه ... من الأمرِ أولَى بالسَّداد وأوفقُ)
ويروى أدنى للذي هو أوفق
(وإنك بالإشفاق لا تدفع الرّدى ... ولا الحَيْنُ مجلوبٌ فما لك تُشْفِقُ)
(كأنْ لم يَرُعْك الدهرُ أو أنتَ آمِن ... لأحداثه فيما يُغادي ويَطْرُقُ)
(وقال خليلي والبكا ليَ غالبٌ ... أقاضٍ عليك ذا الأسى والتشوّقُ)
(وقد طال توْقاني أُكفكِف عَبرةً ... على دِمْنةٍ كادت لها النفسُ تَزْهَقُ)
(وإنسانُ عيني في دوائر لجّةٍ ... من الماءِ يبدو تارةً ثم يَغرَقُ)
(وللدّمعِ من عيني شريجا صبابةٍ ... مُرِشٌّ الرّجا والجائلُ المترقرِقُ)
(وكنتُ أخا عشقٍ ولم يك صاحبي ... فيعذرَني ممّا يَصَبُّ ويعشقُ)
((وقد يعذِرُ الصبُّ السقيمُ ذوي الهوى ... ويَلحَى المحبّين الصديقُ فيَخرَقُ)
(وعاب رجالٌ أن عَلِقتُ وقد بدا ... لهم بعضُ ما أهوَى وذو الحلم يعلَقُ)
والقصيدة طويلة وفي بعض ما ذكرته منها دلالة على صحة ما قلته
تشبيه بقوس له سماه ليلى
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز قال
خرجت أنا وأبو السائب المخزومي وعبيد الله بن مسلم بن جندب وابن المولى وأصبغ بن عبد العزيز بن مروان إلى قباء وابن المولى متنكب قوسا عربية فأنشد ابن المولى لنفسه
(وأبكِي فلا ليلَى بكت من صَبابةٍ ... إليّ ولا ليلَى لذي الودّ تَبذُلُ)
(وأخنَع بالعُتبى إذا كنتُ مُذنباً ... وإن أذنبتْ كنتُ الذي أتنصَّلُ)
فقال له أبو السائب وعبيد الله بن مسلم بن جندب من ليلى هذه حتى نقودها إليك فقال لهما ابن المولى ما هي والله إلا قوسي هذه سميتها ليلى
في هذين البيتين ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى لخزرج ويقال إنه لهاشم بن سليمان
أخبرني عمي قال حدثنا أبو هفان قال أخبرني أبو محلم عن المفضل الضبي قال
وفد ابن المولى على يزيد بن حاتم وقد مدحه بقصيدته التي يقول فيها
((يا واحدَ العربِ الذي ... أضحَى وليس له نظيرُ
(لو كان مثلَك آخَرٌ ... ما كان في الدّنيا فقيرُ)
قال فدعا بخازنه وقال كم في بيت مالي فقال له من الورق والعين بقية عشرون ألف دينار فقال ادفعها إليه ثم قال يا أخي المعذرة إلى الله وإليك والله لو أن في ملكي أكثر لما احتجبتها عنك
يزيد بن حاتم يعوده في مرضه
أخبرني الحسن بن علي ومحمد بن خلف بن المرزبان قالا حدثنا أحمد بن زهير بن حرب قال حدثنا مصعب الزبيري عن عبد الملك بن الماجشون قال
كان ابن المولى مداحا لجعفر بن سليمان وقثم بن العباس الهاشميين ويزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب واستفرغ مدحه في يزيد وقال في قصيدته التي يقول فيها
(يا واحدَ العرب الذي دانت له ... قَحطانُ قاطبةً وساد نِزارا)
(إنّي لأرجو إن لقيتُك سالما ... ألاّ أعالِجَ بعدَك الأسفارا)
(رشْتَ النَّدى ولقد تكسَّر ريشُه ... فعَلا النّدى فوقَ البلاد وطارا)
ثم قصده بها إلى مصر وأنشده إياها فأعطاه حتى رضي
ومرض ابن المولى عنده مرضا طويلا وثقل حتى أشفى فلما أفاق من علته ونهض دخل عليه يزيد بن حاتم متعرفا خبره

فقال لوددت والله يا أبا عبد الله ألا تعالج بعدي الأسفار حقا ثم أضعف صلته
أخبرني الحسن قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثني الزبير بن بكار عن عبد الملك بن عبد العزيز قال أخبرني ابن المولى قال
كنت أمدح يزيد بن حاتم من غير أن أعرفه ولا ألقاه فلما ولاه المنصور مصر أخذ على طريق المدينة فلقيته فأنشدته وقد خرج من مسجد رسول الله إلي أن صار إلى مسجد الشجرة فأعطاني رزمتي ثياب وعشرة آلاف دينار فاشتريت بها ضياعا تغل ألف دينار أقوم في أدناها وأصيح بقيمي ولا يسمعني وهو في أقصاها
أخبرني عمي قال حدثنا الحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو قال بلغني أن الحسن بن زيد دعا بابن المولى فأغلظ له وقال أتشبب بحرم المسلمين وتنشد ذلك في مسجد رسول الله وفي الأسواق والمحافل ظاهرا فحلف له بالطلاق أنه ما تعرض لمحرم قط ولا شبب بامرأة مسلم ولا معاهد قط قال فمن ليلى هذه التي تذكر في شعرك فقال له امرأتي طالق إن كانت إلا قوسي هذه سميتها ليلى لأذكرها في شعري فإن الشعر لا يحسن إلا بالتشبيب فضحك الحسن ثم قال إذا كانت القصة هذه فقل ما شئت

حنينه إلى المدينة

فقال الحزنبل وحدثت عن ابن عائشة محمد بن يحيى قال قدم ابن المولى إلى العراق في بعض سنيه فأخفق وطال مقامه وغرض به وتشوق إلى المدينة فقال في ذلك

صوت

(ذهبَ الرجالُ فلا أُحِسّ رجالا ... وأرَى الإقامةَ بالعراق ضَلالا)
(وطِربتُ إذ ذَكَر المدينةَ ذاكرٌ ... يومَ الخميس فهاج لي بَلْبالا)
(فظللتُ أنظُر في السماء كأنّني ... أبغِي بناحية السماء هلالا)
(طرباً إلى أهل الحجاز وتارة ... أبكي بدمع مُسبِل إسبالا)
غنى في هذه الأربعة الأبيات ابن عائشة ولحنه ثاني ثقيل عن الهشامي وذكره حماد عن أبيه في أخباره ولم يذكر طريقته
(فيقال قد أضحَى يُحدّث نفسَه ... والعينُ تَذرِف في الرّداءِ سِجالا)
(إنّ الغريب إذا تذكّر أوشكت ... منه المدامع أن تَفيض عِلالا)
(ولقد أقول لصاحبي وكأنّه ... ممّا يعالج ضُمِّن الأغلالا)
(خفِّضْ عليك فما يُردْ بك تَلَقُهُ ... لا تُكثِرنّ وإن جزعتَ مَقالا)
(قد كنتَ إذ تدعِ المدينةَ كالذي ... ترك البِحارَ ويمّم الأوشالا)
(فأجابني خاطرٌ بنفسك لا تكن ... أبداً تُعَدّ مع العِيال عِيالا)
(واعلم بأنك لن تَنالَ جَسيمةً ... حتى تُجشّم نفسَك الأهوالا)
(إنّي وجدّك يوم أتْرك زاخراً ... بحراً يُنفّل سيبُه الأنفالا)
(لأضلُّ من جَلب القوافي صَعْبةً ... حتّى أذَلّ مُتونَها إذلالا)

مدح المهدي والتعريض بالطالبين

قال الحزنبل وحدثني عمرو بن أبي عمرو عن أبيه قال حدثني مولى للحسن بن زيد قال
قدم ابن المولى على المهدي وقد مدحه بقصيدته التي يقول فيها
(وما قارعَ الأعداءَ مثلُ محمّد ... إذا الحرب أبدت عن حُجول الكَواعبِ)
(فتىً ماجدُ الأعراقِ من آل هاشمٍ ... تَبحْبَح منها في الذُّرى والذَّوائبِ)
(أشمُّ من الرّهط الذين كأنّهم ... لَدى حِنْدِس الظّلماء زُهْرُ الكواكبِ)
(إذا ذُكِرَتْ يوماً مَنَاقِبُ هاشِمٍ ... فإنكم منها بخير المَنَاصِبِ)
(ومَن عِيبَ في أخلاقه ونِصابِه ... فما في بني العبّاس عَيْبٌ لِعائبِ)
(وإنّ أميرَ المؤمنين ورَهْطَهُ ... لأهلُ المَعَالِي من لُؤَيِّ بن غالبِ)
(أولئك أوتادُ البلادِ ووارثوا النبي ... بأمر الحقِّ غير التّكاذُبِ)
ثم ذكر فيها آل أبي طالب فقال
(وما نَقَموا إلا المودّةَ منهمُ ... وأن غادرُوا فيهم جزيلَ المواهبِ)
(وأنهمُ نالوا لهم بدمائهم ... شفاءَ نفوسٍ من قتيلٍ وهاربِ)
(وقاموا لهم دون العدا وكفَوْهُم ... بسمر القنا والمرهَفاتِ القَواضِبِ)
(وحامَوْا على أحسابهم وكرائم ... حسانِ الوجوهِ واضحاتِ التّرائبِ)
(وإن أمير المؤمنين لعائدٌ ... بإنعامه فيهم على كلّ تائبِ)
((إذا ما دَنَوْا أدناهُمُ وإذا هَفوْا ... تَجاوز عنهم ناظراً في العواقِب
(شفيقٌ على الأقْصَيْن أن يركبوا الرّدى ... فكيف به في واشِجات الأقاربِ)
قال فوصله المهدي بصلة سنية وقدم المدينة فأنفق وبنى داره ولبس ثيابا فاخرة ولم يزل كذلك مدى حياته بعد ما حباه ثم قدم على الحسن بن زيد وكانت له عليه وظيفة في كل سنة فدخل عليه فأنشده قوله يمدحه
(هاج شوقي تفرّقُ الجيرانِ ... واعترتني طوارقُ الأحزانِ)
(وتذكّرتُ ما مضى من زماني ... حين صار الزمانُ شرَّ زمانِ)
يقول فيها يمدح الحسن بن زيد
(ولو ان امرأ ينال خلوداً ... بمحلٍّ ومَنْصِب ومكانِ)
(أو ببيتٍ ذُراه تَلصَق بالنجم ... قرانا في غير بُرج قِرانِ)
(أو بمجد الحياة أو بسماحٍ ... أو بحلم أوفَى علَى ثَهْلانِ)
(أو بفضل لناله حسَنُ الخيْر ... بفضل الرسول ذي البرهانِ)
(فضلُه واضحٌ برهط أبي القاسم ... رهطِ اليقين والإيمانِ)
(هم ذَوُو النور والهُدَى ومَدَى الأمر ... وأهلُ البرهان والعِرفانِ)

(مَعْدِنُ الحق والنبوّة والعدل ... إذا ما تنازع الخَصْمانِ)
(وابنُ زيدٍ إذا الرجال تجَارَوْا ... يوم حَفْلٍ وغايةٍ ورهانِ)
(سابقٌ مُغْلِقٌ مجيزُ رهانٍ ... ورث السَّبق من أبيه الهجانِ)
قال فلما أنشده إياها دعا به خاليا ثم قال له يا عاض كذا من أمه أما إذا جئت إلى الحجاز فتقول لي هذا وأما إذا مضيت إلى العراق فتقول
(وإن أمير المؤمنين ورهطَه ... لرَهطُ المعالي من لُؤَيِّ بن غالبِ)
(أولئك أوتاد البلاد ووارثوا النبيِّ ... بأمر الحقِّ غير التَّكاذُبِ)
فقال له أتنصفني يابن الرسول أم لا فقال فقال ألم أقل
(... وإن أمير المؤمنين ورهطه)
ألستم رهطه فقال دع هذا ألم تقدر أن ينفق شعرك ومديحك إلا بتهجين أهلي والطعن عليهم والإغراء بهم حيث تقول
(وما نَقَموا إلا المودّةَ منهُم ... وأن غادروا فيهم جزيلَ المواهبِ)
(وأنهمُ نالوا لهم بدمائهم ... شفاءَ نُفوسٍ من قتيلٍ وهاربِ)
فوجم ابن المولى وأطرق ثم قال يابن الرسول إن الشاعر يقول ويتقرب بجهده ثم قال فخرج من عنده منكسرا فأمر الحسن وكيله أن يحمل إليه وظيفته ويزيده فيها ففعل فقال ابن المولى والله لا أقبلها وهو علي ساخط فأما إن قرنها بالرضا فقبلتها وأما إن أقام وهو علي ساخط البتة فلا فعاد الرسول إلى الحسن فأخبره فقال له قل له قد رضيت فاقبلها ودخل على الحسن فأنشده قوله فيه
(سألتُ فأعطاني وأعطى ولم أسَلْ ... وجاد كما جادت غوادٍ رَواعِدُ)
(فأقسمُ لا أنفكُّ أُنشِدُ مِدْحَه ... إذا جمعتْني في الحَجيجِ المَشاهدُ)
(إذا قلتُ يوماً في ثنائي قصيدةً ... ثَنَيْتُ بأخرى حيث تُجزَى القصائدُ)
قال الحزنبل وحدثني مالك بن وهب مولى يزيد بن حاتم المهلبي قال
لما انصرف يزيد بن حاتم بن حرب الأزارقة وقد ظفر خلع عليه وعقد له لواء على كرر الأهواز وسائر ما افتتحه فدخل عليه ابن المولى وقد مدحه فاستأذن في الإنشاد فأذن له فأنشده
صوت
(ألا يا لقَومي هل لِمَا فاتَ مَطلبُ ... وهل يُعْذَرْن ذو صَبْوة وهو أشيَبُ)
(يحِنّ إلى ليلى وقد شَطّت النوى ... بليلَى كما حَنّ اليَراعُ المثقَّبُ)
غنى في هذين البيتين عطرد ولحنه رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة وفيه ليونس لحن ذكره لنفسه في كتابه ولم يذكر طريقته
(تقرّبتُ ليلى كي تُثيب فزادني ... بِعاداً على بعدٍ إليها التقرّبُ)
(فداويتُ وجدي باجتنابٍ فلم يكن ... دواءً لِما ألقاه منها التجنُّبُ)
(فلا أنا عند النَّأيِ سالٍ لحبها ... ولا أنا منها مُشتَفٍ حين تَصْقَبُ)
(وما كنت بالراضي بما غيرُه الرِّضا ... ولكنني أنوي العزاءَ فأُغلَبُ)
(وليلٍ خُدَاريِّ الرّواق جَشِمتُه ... إذا هابه السارون لا أتهيّب)
(لأظْفَرَ يوماً من يزيد بن حاتم ... بحبل جِوارٍ ذاك ما كنتُ أطلبُ)
(بلَوتُ وقلّبتُ الرجال كما بَلاَ ... بكفّيه أوساطَ القِداحِ مُقلِّبُ)
(وصعّدني همّي وصوَّب مرّةً ... وذو الهمّ يوماً مُصْعَدٌ ومُصوِّبُ)
(لأعرف ما آتى فلم أرِ مثله ... من الناس فيما حاز شرقٌ ومغربُ)
(أكَرَّ على جيش وأعظمَ هيبةً ... وأوهبَ في جود لما ليس يُوهبُ)
(تصدّى رجالٌ في المعالي ليَلْحَقوا ... مداك وما أدركتَه فتَذَبْذبُوا)
(ورمتَ الذي راموا فأذللتَ صعبه ... وراموا الذي أذللتَ منه فأصعبوا)
(ومهما تَناولْ من مَنال سَنّية ... يساعدْك فيها المُنْتَمي والمُركِّبُ)
(ومنصِبُ آباء كِرامٍ نَماهُم ... إلى المجد آباءٌ كِرامٌ ومنصِبُ)
صوت
(كواكبُ دَجْن كلّما انقضَّ كوكبٌ ... بدا منهمُ درٌّ مُنيرٌ وكوكبُ)
(أنارَ به آل المهلّب بعدما ... هوى منكِبٌ منهم بليلٍ ومنكِبُ)
(وما زال إلْحاحُ الزمان عليهمُ ... بنائبةٍ كادت لها الأرض تَخْرَبُ)
(فلو أبقتِ الأيامُ حيّاً نَفاسةً ... لأبقاهمُ للجود نابٌ ومِخْلَبُ)
(وكنتَ ليومَيْ نِعمةٍ ونِكايةٍ ... كما فيهما للنّاس كان المهلّبُ)
(ألا حبّذا الأحياءُ منكم وحبّذا ... قبورٌ بها مَوتاكُم حين غُيّبوا)
فأمر له يزيد بن حاتم بعشرة آلاف درهم وفرس بسرجه ولجامه وخلعة وأقسم على من كان بحضرته أن يجيزوه كل واحد منهم بما يمكنه فانصرف بملء يده
استحسان عمرو بن أبي عمرو لشعره
قال الحزنبل أنشدني عمرو بن أبي عمرو لابن المولى وكان يستحسنها
صوت
(حَيِّ المنازلَ قد بَلِينا ... أقوَينَ عن مَرِّ السِّنينا)
(وسلِ الدّيار لعلّها ... تُخبرْك عن أُمِّ البنينا)
(بانت وكلُّ قرينةٍ ... يوماً مفارِقةٌ قرينا)
(وأخو الحياة من الحياةِ ... مُعالِجٌ غِلَظا ولِينا)
غنى في هذه الأبيات نبيه حفيف ثقيل بالبنصر
(وترى المُوَكَّل بالغَوانِي ... راكباً أبداً فُنونا)

(ومن البليّة أن تُدانَ ... بما كرهتَ ولن تَدينا)
(والمرءُ تُحرَم نفسُه ... ما لا يزال به حَزينا)
(وتَراه يَجمع مالَه ... جمعَ الحريصِ لوارثينا)
(يسعَى بأفضلِ سعيه ... فيصيرُ ذاكِ لقاعدينا)
(لم يُعطِ ذا النّسب القريب ... ولم يَجُدْ للأبعدينا)
(قد حلّ منزلَه الذميمَ ... وفارقَ المتنصّحِينا)
المهدي يأمر له ولعياله ما يكفيه
قال الحزنبل وذكر أحمد بن صالح بن النطاح عن المدائني أن المهدي لما ولي الخلافة وحج فرق في قريش والأنصار وسائر الناس أموالا عظيمة ووصلهم صلات سنية فحسنت أحوالهم بعد جهد أصاب الناس في أيام أبيه لتسرعهم مع محمد بن عبد الله بن حسن وكانت سنة ولايته سنة خصب ورخص فأحبه الناس وتبركوا به وقالوا هذا هو المهدي وهذا ابن عم رسول الله وسميه فلقوه فدعوا له وأثنوا عليه ومدحته الشعراء فمد عينه في الناس
فرأى ابن المولى فأمر بتقريبه فقرب منه فقال له هات يا مولى الأنصار ما عندك فأنشده قوله فيه
(يا ليلَ لا تبخَلي يا ليلَ بالزادِ ... واشفِي بذلك داءَ الحائم الصادي)
(وأنجزِي عِدّةً كانت لنا أمَلاً ... قد جاء مِيعادُها من بعد ميعادِ)
(ما ضرّه غيرُ أن أبدى مَودّته ... إنّ المحبَّ هواه ظاهرٌ بادي)
ثم قال فيها يصف ناقته
(تَطوي البلادَ إلى جمٍّ منافعُه ... فعّالِ خيرٍ لفعل الخير عوّادِ)
(للمهتدين إليه من منافعه ... خيرٌ يروح وخير باكرٌ غادي)
(أغنَى قُريشاً وأنصارَ النبيّ ومَنْ ... بالمسجِدَيْن بإسعاد وإحفادِ)
(كانت منافعُه في الأرض شائعةً ... تَتْرَى وسيرتُه كالماء للصّادي)
(خليفةُ الله عبدُ الله والدُه ... وأمّه حُرّةٌ تُنْمَى لأمجادِ)
(من خير ذي يَمنٍ في خير رابيةٍ ... من القبول إليها مَعْقِل النّادي)
حتى أتى على آخرها فأمر له بعشرة آلاف درهم وكسوة وأمر صاحب الجاري بأن يجري له ولعياله في كل سنة ما يكفيهم وألحقهم في شرف العطاء
قال وذكر ابن النطاح عن عبد الله بن مصعب الزبيري قال
وفدنا إلى المهدي ونحن جماعة من قريش والأنصار فلما دخلنا عليه سلمنا ودعونا وأثنينا فلما فرغنا من كلامنا أقبل على ابن المولى فقال هات يا محمد ما قلت فأنشده
صوت
(نادَى الأحِبّةُ باحتمالِ ... إنّ المُقيم إلى زَوالِ)
(ردّ القِيانُ عليهمُ ... ذُلُلَ المطيّ من الجِمالِ)
(فتحمّلوا بعَقيلةٍ ... زهراءَ آنسةِ الدَّلالِ)
(كالشمس راق جَمالُها ... بين النّساء على الجَمالِ)
(لمّا رأيت جِمالهم ... في الآل تَغْرَق باللآلىء)
(يا ليت ذلك بعدَ أن ... أظهرتَ أنّك لا تُبالِي)
(ولمِثْل ما جرّبتَ من ... إخلافهنّ لذي الوِصالِ)
(أسلاكَ عن طَلَب الصِّبا ... وأخو الصّبا لا بدّ سالي)
(يابنَ الأطايب للأطايب ... ذا المكارم والمعالي)
(وابنَ الهُداةَ بني الهداةِ ... وكاشِفي ظُلَمَ الضّلالِ)
(أصحبتَ أكرمَ غالبٍ ... عند التّفاخر والنِّضالِ)
(وإذا تُحَصِّلُ هاشمٌ ... يعلو بمجدك كلُّ عالي)
(ويكون بيتُك منهمُ ... في الشاهقات من القِلالِ)
(هذا وأنت ثِمالُها ... وابنُ الثّمالِ أخو الثّمالِ)
(ومآلُها بأمورها ... إنّ الأمورَ إلى مآلِ)
قال فأمر له خاصة بعشرة آلاف درهم معجلة ثم ساواه بسائر الوفد بعد ذلك في الجائزة وأعطاه مثل ما أعطاهم وقال ذلك بحق المديح وهذا بحق الوفادة
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي أبو أحمد وعمي قالا حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني إبراهيم بن إسحاق بن عبد الرحمن بن طلحة بن عمر بن عبيد الله قال حدثني عبد الله بن إبراهيم الجمحي قال
قدم عبد الملك بن مروان المدينة وكان ابن المولى يكثر مدحه وكان يسأل عنه من غير أن يكونا التقيا قال وابن المولى مولى الأنصار فلما قدم عبد الملك المدينة قدم ابن المولى لما بلغه من مسألة عبد الملك عنه فوردها وقد رحل عبد الملك عنها فأتبعه فأدركه بإضمَ بذي خشب بين عين مروان وعين الحديد وهما جميعا لمروان فالتفت عبد الملك إليه وابن المولى على نجيب متنكبا قوسا عربية فقال له عبد الملك ابن المولى قال لبيك يا أمير المؤمنين قال مرحبا بمن نالنا شكره ولم ينله منا فعل ثم قال له أخبرني عن ليلى التي تقول فيها
(وأبكي فلا لَيْلَى بكَتْ من صَبابةٍ ... إليّ ولا ليلى لذي الوُدّ تَبذِلُ)
والله لئن كانت ليلى حرّةً لأزوجنكها ولئن كانت أمة لأبتاعنها لك بما بلغت فقال كلا يا أمير المؤمنين والله ما كنت لأذكر حرمة حر أبدا ولا أمته والله يا ليلى إلا قوسي هذه سميتها ليلى لأشبب بها وإن الشاعر لا يستطاب إذا لم يتشبب فقال له عبد الملك ذلك والله أظرف لك فأقام عنده يومه وليلته ينشده ويسامره ثم أمر له بمال وكسوة وانصرف إلى المدينة
شعره في جعفر بن سليمان
أخبرني حبيب المهلبي عن الزبير وغيره عن محمد بن فضالة النحوي قال
قدم ابن المولى البصرة فأتى جعفر بن سليمان فوقف على طريقه وقد ركب فناداه

(كم صارخٍ يدعو وذي فاقةٍ ... يا جعفرَ الخيراتِ يا جعفرُ)
(أنت الذي أحييتَ بَذْلَ الندى ... وكان قد مات فلا يُذْكَرُ)
(سليلُ عبّاسٍ وليّ الهدى ... ومن به في المَحْلِ يُستَمْطَرُ)
(هذا امتداحِيك عقيد الندى ... أشهد بالمجد لك الأشْقَرُ)

أخبار عطرد ونسبه

عطرد مولى الأنصار ثم مولى بني عمرو بن عوف وقيل إنه مولى مزينة مدني يكنى أبا هارون وكان ينزل قباء
وزعم إسحاق أنه كان جميل الوجه حسن الغناء طيب الصوت جيد الصنعة حسن الرأي والمروءة فقيها قارئا للقرآن وكان يغني مرتجلا وأدرك دولة بني أمية وبقي إلى أيام الرشيد وذكر ابن خرداذبه فيما حدثني به علي بن عبد العزيز عنه أنه كان معدل الشهادة بالمدينة أخبره بذلك يحيى بن علي المنجم عن أبي أيوب المديني عن إسحاق
وأخبرنا محمد بن خلف وكيع عن حماد بن إسحاق عن أبيه
أن سلمة بن عباد ولي القضاء بالبصرة فقصد ابنه عباد بن سلمة عطردا وهو بها مقيم قد قصد آل سليمان بن علي وأقام معهم فأتى بابه ليلا فدق عليه ومعه جماعة من أصحابه أصحاب القلانس فخرج عطرد إليه فلما رآه ومن معه فزع فقال لا ترع

(إني قصدتُ إليك من أهلي ... في حاجةٍ يأتي لها مثلي)

فقال وما هي أصلحك الله قال

(لا طالباً شيئاً إليك سوى ... حيِّ الحُمُولَ بجانب العزلِ)

فقال انزلوا على بركة الله فلم يزل يغنيهم هذا وغيره حتى أصبحوا

نسبة هذا الصوت

صوت

(حيِّ الحُمُولَ بجانبِ العَزْلِ ... إذ لا يوافق شكلُها شكلي)
(الله أنجحُ ما طلبتَ به ... والبِرُّ خيرُ حقيبة الرَّحْلِ)
(إني بحبلك واصلٌ حبلي ... وبريش نَبْلك رائشٌ نَبْلِي)
(وشمائلي ما قد علمت وما ... نبحتْ كلابُك طارقاً مثلي)

الشعر لامرئ القيس بن عابس الكندي هكذا روى أبو عمرو الشيباني وقال إن من يرويه لامرئ القيس بن حجر يغلط والغناء لعطرد ثقيل أول بالبنصر عن عمرو بن بانة وفيه لعمرو بن بانة ثقيل بالوسطى من روايته أيضا وفيه لابن عائشة خفيف رمل بالبنصر وفيه عنه وعن دنانير لمالك خفيف ثقيل أول بالوسطى وفيه عنه أيضا لإبراهيم ثاني ثقيل بالبنصر

المهدي لا يأنس لغناء إبراهيم بن خالد المعيطي

وأخبرني يحيى بن علي قال حدثنا أبو أيوب المديني وأخبرني به الحسن بن علي قال
كتب إلي أبو أيوب المديني وخبره أتم قال حدثني علي بن محمد النوفلي عن أبيه عن إبراهيم بن خالد المعيطي قال دخلت على المهدي وقد كان وصف له غنائي فسألني عن الغناء وعن علمي به فنسبته من ذلك طرفا فقال لي أتغني النواقيس قلت نعم وأغني الصلبان يا أمير المؤمنين فتبسم والنواقيس لحن معبد كان معبد وأهل الحجاز يسمونه النواقيس وهو

(سَلاَ دارَ ليلَى هل تُبين فتَنْطِقُ ... وأنَّى تَرُدُّ القولَ بيداءُ سَمْلَقُ)

قال ثم قال لي المهدي وهو يضحك غنه فغنيته فأمر لي بمال جزيل وخلع علي وصرفني ثم بلغني أنه قال هذا معيطي وأنا لا آنس به ولا حاجة لي إلى أن أدنيه من خلوتي وأنا لا آنس به هكذا ذكر في هذا الخبر أن اللحن لمعبد وما ذكره أحد من رواة الغناء له ولا وجد في ديوان من دواوينهم منسوبا إليه على انفراد به ولا شركة فيه ولعله غلط

خبر إبراهيم بن خالد مع ابن جامع

وقد أخبرني هذا الخبر الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال
كان إبراهيم بن المعيطي يغني فدخل يوما الحمام وابن جامع فيه وكان له شيء يجاوز ركبتيه فقال له ابن جامع يا إبراهيم أتبيع هذا البغل قال لا بل أحملك عليه يا أبا القاسم فلما خرج ابن جامع من الحمام رأى ثياب المعيطي رثة فأمر له بخلعة من ثيابه فقال له المعيطي لو قبلت حملاني قبلت خلعتك فضحك ابن جامع وقال له مالك أخزاك الله ويلك أما تدع ولعك وبطالتك وشرك ودخل إلى الرشيد فحدثه حديثه فضحك وأمر بإحضاره فأحضر فقال له أتغني النواقيس قال نعم وأغني الصلبان أيضا
ثم ذكر باقي الخبر مثل الذي تقدمه
أخبرني يحيى بن علي قال حدثني أبو أيوب المديني عن إسحاق قال
كان عطرد منقطعا في دولة بني هاشم إلى آل سليمان بن علي لم يخدم غيرهم وتوفي في خلافة المهدي
قال وكان يوما يغني بين يدي سليمان بن علي فغناه

صوت

(أَلَهُ فكم من ماجدٍ قد لَها ... ومن كريمٍ عرضُه وافِرُ)

الغناء لعطرد ثاني ثقيل عن الهشامي فقيل له سرقت هذا من لحن الغريض

(يا رَبْعَ سلاّمةَ بالمُنْحَنى ... فَخَيْفِ سلْعٍ جادَك الوابلُ)

فقال لم أسرقه ولكن العقول تتوافق وحلف أنه لم يسمعه قط

نسبة هذا الصوت

صوت

(يا ربعَ سلاّمةَ بالمُنْحَنَى ... فخَيْفِ سَلْعٍ جادكَ الوابلُ)
(إن تُمْسِ وحشاً طالما قد تُرَى ... وأنتَ معمورٌ بهم آهِلُ)
((أيامَ سلاّمةُ رُعْبُوبةٌ ... خَوْدٌ لَعُوبٌ حبُّها قاتلُ)
(محطوطةُ المَتْنِ هَضِيمُ الحَشى ... لا يطَّبيها الوَرَعُ الواغلُ)

الغناء للغريض ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو بن يحيى المكي

قال ومن الناس من ينسبه إلى ابن سريج
إطلاقه ومن معه بعد أن حبسه زبراء والي المدينة
أخبرني أحمد بن علي بن يحيى قال سمعت جدي علي بن يحيى قال حدثني أحمد بن إبراهيم الكاتب قال حدثني خالد بن كلثوم قال
كنت مع زبراء بالمدينة وهو وال عليها وهو من بني هاشم أحد بني ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب فأمر بأصحاب الملاهي فحبسوا وحبس عطرد وأخبروه أنه من أهل الهيئة والمروءة والنعمة والدين فدعا به فخلي سبيله وأمره برفع حوائجه إليه فدعا له وخرج فإذا هو بالمغنين أحضروا ليعرضوا فعاد إليه عطرد فقال أصلح الله الأمير أعلى الغناء حبست هؤلاء قال نعم قال فلا تظلمهم فوالله ما أحسنوا منه شيئا قط فضحك وخلى سبيلهم
خبره مع الوليد بن يزيد
أخبرني محمد بن مزيد وجحظة قالا حدثنا حماد بن إسحاق قال قرأت على أبي عن محمد بن عبد الحميد بن إسماعيل بن عبد الحميد بن يحيى عن عمه أيوب بن إسماعيل قال
لما استخلف الوليد بن يزيد كتب إلى عامله بالمدينة يأمره بالشخوص إليه بعطرد المغني قال عطرد فأقرأني العامل الكاتب وزودني نفقة وأشخصني إليه فأدخلت عليه وهو جالس في قصره على شفير بركة مرصصة مملوءة خمرا ليست بالكبيرة ولكنها يدور الرجل فيها سباحة فوالله ما تركني أسلم عليه حتى قال أعطرد قلت نعم يا أمير المؤمنين قال لقد كنت إليك مشتاقا يا أبا هارون غنني
(حيِّ الحُمولَ بجانب العَزْلِ ... إذ لا يُلائم شكلُها شكلي)
(إني بحبلكِ واصلٌ حبلي ... وبريش نَبْلكِ رائشٌ نبلي)
(وشمائلي ما قد علمتِ وما ... نبحتْ كلابُك طارقاً مثلي)
قال فغنيته إياه فوالله ما أتممته حتى شق حلة وشي كانت عليه لا أدري كم قيمتها فتجرد منها كما ولدته أمه وألقاها نصفين ورمى بنفسه في البركة فنهل منها حتى تبينت علم الله فيها أنها قد نقصت نقصانا بينا وأخرج منها وهو كالميت سكرا فأضجع وغطي فأخذت الحلة وقمت فوالله ما قال لي أحد دعها ولا خذها فانصرفت إلى منزلي متعجبا مما رأيت من ظرفه وفعله وطربه فلما كان من غد جاءني رسوله في مثل الوقت فأحضرني فلما دخلت عليه قال لي يا عطرد قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال غنني
(أَيَذْهبُ عمري هكذا لم أَنَلْ بها ... مَجَالِسَ تَشفِي قَرْحَ قلبي من الوجدِ)
(وقالوا تَدَاوَ إنّ في الطّبّ راحةً ... فعللتُ نفسي بالدواء فلم يُجْدِ)
فغنيته إياه فشق حلة وشي كانت تلتمع عليه بالذهب التماعا احتقرت والله الأولى عندها ثم ألقى نفسه في البركة فنهل فيها حتى تبينت علم الله نقصانها وأخرج
منها كالميت سكرا وألقي وغطي فنام وأخذت الحلة فوالله ما قال لي أحد دعها ولا خذها وانصرفت فلما كان اليوم الثالث جاءني رسوله فدخلت إليه وهو في بهو قد ألقيت ستوره فكلمني من وراء الستور وقال يا عطرد قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال كأني بك الآن قد أتيت المدينة فقمت بي في مجلسها ومحفلها وقعدت وقلت دعاني أمير المؤمنين فدخلت إليه فاقترح علي فغنيته وأطربته فشق ثيابه وأخذت سلبه وفعل وفعل والله يابن الزانية لئن تحركت شفتاك بشيء مما جرى فبلغني لأضربن عنقك يا غلام أعطه ألف دينار خذها وانصرف إلى المدينة فقلت إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في تقبيل يده ويزودني نظرة منه وأغنيه صوتا فقال لا حاجة بي ولا بك إلى ذلك فانصرف
قال عطرد فخرجت من عنده وما علم الله أني ذكرت شيئا مما جرى حتى مضت من دولة بني هاشم مدة
نسبة هذين الصوتين
الصوت الأول مما غناه عطرد الوليد قد نسب في أول أخباره والثاني الذي أوله
(... أيذهبُ عمري هكذا لم أَنَلْ بها)
الغناء فيه لعطرد ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وفيه ليونس من كتابه لحن لم يذكر طريقته وذكر عمرو بن بانة أن فيه لإبراهيم ثاني ثقيل بالوسطى
صوت من المائة المختارة
(إن امرأً تَعْتَاده ذِكَرٌ ... منها ثَلاثُ مِنًى لَذو صَبر)
(ومواقفَ بالمَشْعَرَيْنِ لها ... ومناظرُ الجَمَرات والنحر)
(وإفاضةُ الرُّكبان خَلْفَهمَ ... مِثلُ الغمام أَرَذَّ بالقَطْر)
(حتى استلمنَ الركن في أُنُفٍ ... من ليلهنّ يَطَأْن في الأُزْر)
(يَقْعُدن في التَّطْواف آونةً ... ويطُفن أحياناً على فَتْر)
(ففرَغن من سَبْع وقد جُهِدَتْ ... أحشاؤهن موائلَ الخُمْر)
الشعر للحارث بن خالد المخزومي والغناء في اللحن المختار للأبجر وإيقاعه من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر في الأول والثاني والسادس من الأبيات عن إسحاق
وفيه للغريض خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو
ولابن سريج في الثالث والرابع رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق
أخبار الحارث بن خالد المخزومي ونسبه
الحارث بن خالد بن العاص بن هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب
وأمه فاطمة بنت أبي سعيد بن الحارث بن هشام وأمها بنت أبي جهل بن هشام
وكان العاص بن هشام جد الحارث بن خالد خرج مع المشركين يوم بدر فقتله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه
أبو لهب يسترق العاص بن هشام
حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثني مصعب بن عبد الله قال
قامر أبو لهب العاص بن هشام في عشر من الإبل فقمره أبو لهب ثم في عشر فقمره ثم في عشر فقمره ثم في عشر

فقمره ثم في عشر فقمره إلى أن خلعه من ماله فلم يبق له شيء فقال له إني أرى القداح قد حالفتك يابن عبد المطلب فهلم أقامرك فأينا قمر كان عبدا لصاحبه قال افعل ففعل فقمره أبو لهب فكره أن يسترقه فتغضب بنو مخزوم فمشى إليهم وقال افتدوه مني بعشر من الإبل فقالوا لا والله ولا بوبرة فاسترقه فكان يرعى له إبلا إلى أن خرج المشركون إلى بدر وقال غير مصعب فاسترقه وأجلسه قينا يعمل الحديد
فلما خرج المشركون إلى بدر كان من لم يخرج أخرج بديلا وكان أبو لهب عليلا فأخرجه وقعد على أنه إن عاد إليه أعتقه فقتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه يومئذ

الحارث بن خالد يقصر شعره على الغزل

والحارث بن خالد أحد شعراء قريش المعدودين الغزليين وكان يذهب مذهب عمر بن أبي ربيعة لا يتجاوز الغزل إلى المديح ولا الهجاء وكان يهوى عائشة بنت طلحة بن عبيد الله ويشبب بها وولاه عبد الملك بن مروان مكة وكان ذا قدر وخطر ومنظر في قريش وأخوه عكرمة بن خالد المخزومي محدث جليل من وجوه التابعين قد روى عن جماعة من الصحابة وله أيضا أخ يقال له عبد الرحمن بن خالد شاعر وهو الذي يقول
(رَحَل الشبابُ وليتَه لم يَرْحَلِ ... وغدا لِطيَّةِ ذاهبٍ مُتحمِّلِ)
(ولّى بلا ذمٍّ وغادر بعدَه ... شَيْباً أقام مكانَه في المَنزلِ)
(ليت الشبابَ ثَوَى لدينا حِقْبَةً ... قبل المشيب وليته لم يَعْجَلِ)
(فنُصِيبَ من لذّاته ونعيمه ... كالعهد إذ هو في الزمان الأوّلِ)
وفيه غناء
حدثني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال
قال معاذ بن العلاء أخو أبي عمرو بن العلاء كان أبو عمرو إذا لم يحج
استبضعني الحروف أسأل عنها الحارث بن خالد بن العاص بن هاشم بن المغيرة الشاعر وآتيه بجوابها قال فقدمت عليه سنة من السنين وقد ولاه عبد الملك بن مروان مكة فلما رآني قال يا معاذ هات ما معك من بضائع أبي عمرو فجعلت أعجب من اهتمامه بذلك وهو أمير

هو أحد شعراء قريش الخمسة المشهورين

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار وأخبرني به الحسن ابن علي عن أحمد بن سعيد عن الزبير ولفظه أتم قال حدثني محمد بن الضحاك الحزامي قال
كانت العرب تفضل قريشا في كل شيء إلا الشعر فلما نجم في قريش عمر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد المخزومي والعرجي وأبو دهبل وعبيد الله بن قيس الرقيات أقرت لها العرب بالشعر أيضا
أخبرني علي بن صالح بن الهيثم وإسماعيل بن يونس وحبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز قالوا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن يحيى أبو غسان قال
تفاخر مولى لعمر بن أبي ربيعة ومولى للحارث بن خالد بشعريهما فقال مولى الحارث لمولى عمر دعني منك فإن مولاك والله لا يعرف المنازل إذا قلبت يعني قول الحارث
(إني وما نَحَروا غداةَ مِنًى ... عند الجِمار تَؤُودها العُقْلُ)
(لو بُدِّلتْ أعلى مَسَاكنِها ... سُفْلاً وأصبح سُفْلُها يَعْلُو)
(فَيكاد يعرِفها الخبيرُ بها ... فيرُدّه الإِقْوَاءُ والمَحْلُ)
(لعرفتُ مَغْناها بما احتملَتْ ... منّي الضلوعُ لأهلها قَبْلُ)
قال عمر بن شبة وحدثني محمد بن سلام بهذا الخبر على نحو مما ذكره أبو غسان وزاد فيه فقال مولى ابن أبي ربيعة لمولى الحارث والله ما يحسن مولاك في شعر إلا نسب إلى مولاي
قال ابن سلام وأنشد الحارث بن خالد عبد الله بن عمر هذه الأبيات كلها حتى انتهى إلى قوله
(لعرفتُ مغناها بما احتملتْ ... منّي الضلوعُ لأهلها قبلُ)
فقال له ابن عمر قل إن شاء الله قال إذا يفسد بها الشعر يا عم فقال له يابن أخي إنه لا خير في شيء يفسده إن شاء الله
قال عمر وحدثني هذه الحكاية إسحاق بن إبراهيم في مخاطبته لابن عمر ولم يسندها إلى أحد وأظنه لم يروها إلا عن محمد بن سلام
وأخبرني محمد بن خلف بن المرزبان عن أبي الفضل المروروذي عن إسحاق عن أبي عبيدة فذكر قصة الحارث مع ابن عمر مثل الذي تقدمه

كثير عزة يفضله على نفسه

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا الرياشي قال حدثني أبو سلمة الغفاري عن يحيى بن عروة بن أذينة عن أبيه قال
كان كثير جالسا في فتية من قريش إذ مر بهم سعيد الراس وكان مغنيا فقالوا لكثير يا أبا صخر هل لك أن نسمعك غناء هذا فإنه مجيد قال افعلوا فدعوا به فسألوه أن يغنيهم

صوت

(هَلاَّ سألتَ معالِمَ الأطلالِ ... بالجِزع من حُرُضٍ وهنَّ بَوَالِي)
(سَقْياً لعَزّةَ خُلّتي سَقْيا لها ... إذ نحن بالهَضَباتِ من أمْلالِ)
(إذ لا تكلّمنا وكان كلامُها ... نَفَلا نؤمّله من الأنْفالِ)
فغناه فطرب كثير وارتاح وطرب القوم جميعا واستحسنوا قول كثير وقالوا له يا أبا صخر ما يستطيع أحد أن يقول مثل هذا فقال بلى الحارث بن خالد حيث يقول
صوت
(إني وما نَحروا غداةَ مِنًى ... عند الجِمار تَؤودُها العُقْلُ)
(لو بُدّلتْ أعلى مساكنها ... سُفْلا وأصبح سُفْلها يعلو)
(لعرَفتُ مَغناها بما احتملَتْ ... منّي الضلوع لأهلها قَبْلُ)

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني في أبيات كثير الأول
التي أولها
(... هلاّ سألتَ مَعالِمَ الأطلال)
لابن سريج منها في الثاني والثالث رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق
وللغريض في الأول والثاني ثقيل أول مطلق في مجرى البنصر عنه
وفيهما لعلويه رمل بالوسطى عن عمرو
وفي أبيات الحارث بن خالد لإبراهيم الموصلي رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق أيضا
أشعب يتمثل بشعره
أخبرني عمي حدثنا الكراني قال حدثنا الخليل بن أسد عن العمري عن الهيثم بن عدي قال
دخل أشعب مسجد النبي فجعل يطوف الحلق فقيل له ما تريد فقال أستفتي في مسألة فبينا هو كذلك إذ مر برجل من ولد الزبير وهو مسند إلى سارية وبين يديه رجل علوي فخرج أشعب مبادرا فقال له الذي سأله عن دخوله وتطوافه
أوجدت من أفتاك في مسألتك قال لا ولكني علمت ما هو خير لي منها قال وما ذاك قال وجدت المدينة قد صارت كما قال الحارث بن خالد
((قد بُدِّلتْ أعْلَى مساكنها ... سُفْلاً وأصبح سُفْلها يعلو
رأيت رجلا من ولد الزبير جالسا في الصدر ورجلا من ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه جالسا بين يديه فكفى هذا عجبا فانصرفت
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة وأخبرني هذا الخبر إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن يحيى أبو غسان وأخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو عبد الله بن محمد بن حفص عن أبيه قال قال محمد بن خلف أخبرني به أبو أيوب سليمان بن أيوب المدني قال حدثنا مصعب الزبيري وأخبرني به أيضا الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي وقد جمعت رواياتهم في هذا الخبر
أن بني مخزوم كلهم كانوا زبيرية سوى الحارث بن خالد فإنه كان مروانيا
عبد الملك يوليه مكة
فلما ولي عبد الملك الخلافة عام الجماعة وفد عليه في دين كان عليه وذلك في سنة خمس وسبعين وقال مصعب في خبره بل حج عبد الملك في تلك السنة فلما انصرف رحل معه الحارث إلى دمشق فظهرت له منه جفوة وأقام ببابه شهرا لا يصل إليه فانصرف عنه وقال فيه
(صَحِبتُك إذ عَيْني عليها غِشاوةٌ ... فلما انجَلَتْ قَطّعتُ نفسي ألومُها)
(وما بي وإن أقصَيْتَني من ضَرَاعةٍ ... ولا افتقرتْ نفسي إلى من يضيمُها)
هذا البيت في رواية ابن المرزبان وحده
(عَطَفتُ عليك النفسَ حتى كأنما ... بكفّيْكَ بؤسِي أو عليك نعيمُها)
وبلغ عبد الملك خبره وأنشد الشعر فأرسل إليه من رده من طريقه فلما دخل عليه قال له حار أخبرني عنك هل رأيت عليك في المقام ببابي غضاضة أو في قصدي دناءة قال لا والله يا أمير المؤمنين قال فما حملك على ما قلت وفعلت قال جفوة ظهرت لي كنت حقيقا بغير هذا قال فاختر فإن شئت أعطيتك مائة ألف درهم أو قضيت دينك أو وليتك مكة سنة فولاه إياها فحج بالناس وحجت عائشة بنت طلحة عامئذ وكان يهواها فأرسلت إليه أخر الصلاة حتى أفرغ من طوافي فأمر المؤذنين فأخروا الصلاة حتى فرغت من طوافها ثم أقيمت الصلاة فصلى بالناس وأنكر أهل الموسم ذلك من فعله وأعظموه فعزله وكتب إليه يؤنبه فيما فعل فقال ما أهون والله غضبه إذا رضيت والله لو لم تفرغ من طوافها إلى الليل لأخرت الصلاة إلى الليل
فلما قضت حجها أرسل إليها يابنة عمي ألمي بنا أوعدينا مجلسا نتحدث فيه فقالت في غد أفعل ذلك ثم رحلت من ليلتها فقال الحارث فيها
صوت
(ما ضرّكم لو قلتم سَدداً ... إنّ المطايا عاجِلٌ غَدُها)
(ولها علينا نِعمةٌ سَلَفتْ ... لسنا على الأيام نجحدُها)
(لو تمّمَتْ أسبابَ نعمتها ... تمّتْ بذلك عندنا يدُها)
لمعبد في هذه الأبيات ثقيل أول بالوسطى عن عمرو بن بانة ويونس ودنانير وقد ذكره إسحاق فنسبه إلى ابن محرز ثقيلا أول في أصوات قليلة الأشباه وقال عمرو بن بانة من الناس من نسبه إلى الغريض
نسبة ما في الأخبار من الغناء
صوت
(وما بي وإن أقصيتني من ضَراعة ... ولا افتقرتْ نفسي إلى من يُهينُها)
(بَلَى بأبي إني إليك لضَارعٌ ... فقيرٌ ونفسي ذاك منها يَزينُها)
البيت الأول للحارث بن خالد والثاني ألحق به
والغناء للغريض ثقيل أول بالوسطى عن ابن المكي وذكر الهشامي أن لحن الغريض خفيف ثقيل في البيت الأول فقط وحكى أن قافيته على ما كان الحارث قاله
(... ولا افتقرت نفسي إلى من يَضيمها)
وأن الثقيل الأول لعلية بنت المهدي ومن غنائها البيت المضاف
وأخلق بأن يكون الأمر على ما ذكره لأن البيت الثاني ضعيف يشبه شعرها
شعره بعائشة بنت طلحة بعد رحيلها وزوجها
أخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر وإسماعيل بن يونس قالوا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان محمد بن يحيى قال
لما تزوج مصعب بن الزبير عائشة بنت طلحة ورحل بها إلى العراق قال الحارث بن خالد في ذلك

صوت
(طَعَن الأميرُ بأحسن الخَلْق ... وغدا بلُبِّك مَطْلَعَ الشَّرْقِ)
(في البيتِ ذي الحسبِ الرفيع ومن ... أهلِ التُّقى والبرِّ والصِّدقِ)
((فظَلِلتُ كالمقهور مهجته ... هذا الجنونُ وليس بالعِشْقِ
(أتْرُجَّةٌ عَبِقَ العبيرُ بها ... عَبَقَ الدِّهان بجانب الحُقِّ)
(ما صبّحتْ أحداً برؤيتها ... إلا غدا بكواكب الطَّلْقِ)
وهي أبيات غنى ابن محرز في البيتين الأولين خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق وذكر عمرو بن بانة أن فيها لمالك ثقيلا بالوسطى وذكر حبش أن فيهما لمالك رملا بالوسطى وذكر حبش أيضا أن فيهما للدلال ثاني ثقيل بالبنصر ولابن سريج ومالك رملين ولسعيد بن جابر هزجا بالوسطى
خبره في مكة مع عائشة
أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر والحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلام عن ابن جعدبة قال
لما أن قدمت عائشة بنت طلحة أرسل إليها الحارث بن خالد وهو أمير على مكة إني أريد السلام عليك فإذا خف عليك أذنت وكان الرسول الغريض فقالت له إنا حرم فإذا أحللنا أذناك فلما أحلت سرت على بغلاتها ولحقها الغريض بعسفان أو قريب منه ومعه كتاب الحارث إليها
(ما ضَرّكم لو قلتُم سَدَداً)
الأبيات المذكورة فلما قرأت الكتاب قالت ما يدع الحارث باطله ثم قالت
للغريض هل أحدثت شيئا قال نعم فاسمعي ثم اندفع يغني في هذا الشعر فقالت عائشة والله ما قلنا إلا سددا ولا أردنا إلا أن نشتري لسانه وأتى على الشعر كله فاستحسنته عائشة وأمرت له بخمسة آلاف درهم وأثواب وقالت زدني فغناها في قول الحارث بن خالد أيضا
(زَعَموا بأن البَيْن بعد غَدٍ ... فالقلبُ مما أحْدَثوا يَجِفُ)
(والعَيْنُ منذ أُجِدَّ بَيْنهُمُ ... مثل الجُمانِ دموعُها تَكِفُ)
(ومقالها ودموعُها سُجُمٌ ... أَقْلِلْ حنينَك حين تَنصرِفُ)
(تشكو ونشكو ما أشَتَّ بنا ... كلٌّ بوَشْكِ البَيْن مُعْتَرِفُ)
إيقاع هذا الصوت ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى عن الهشامي ولم يذكر له حماد طريقا قال فقالت له عائشة يا غريض بحقي عليك أهو أمرك أن تغنيني في هذا الشعر فقال لا وحياتك يا سيدتي فأمرت له بخمسة آلاف درهم ثم قالت له غنني في شعر غيره فغناها قول عمر فيها
صوت
(أجْمَعتْ خُلّتي مع الفجر بَيْنا ... جَلّل اللهُ ذلك الوجهَ زَيْنا)
(أجمعتْ بينَها ولم نَكُ منها ... لذّةَ العيش والشبابِ قضَيْنا)
(فتولت حُمولُها واستقلّت ... لم نَنَلْ طائلاً ولم نُقْضِ دَيْنا)
((ولقد قِلتُ يومَ مكّة لمّا ... أرسلتْ تَقْرَأ السلامَ علينا
(أنعم اللهُ بالرسول الذي أُرسِلَ ... والمُرسِلِ الرسالةِ عَيْنا)
الشعر لعمر بن أبي ربيعة والغناء للغريض خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق وغيره ينسبه إلى ابن سريج
وفيه لمعبد خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو وأظنه هذا اللحن قال فضحكت ثم قالت وأنت يا غريض فأنعم الله بك عينا وبابن أبي ربيعة عينا لقد تلطفت حتى أديت إلينا رسالته وإن وفاءك له لمما يزيدنا رغبة فيك وثقة بك
وقد كان عمر سأل الغريض أن يغنيها هذا الصوت لأنه قد كان ترك ذكرها لما غضبت بنو تيم من ذلك فلم يحب التصريح بها وكره إغفال ذكرها وقال له عمر إن أبلغتها هذه الأبيات في غناء فلك خمسة آلاف درهم فوفى له بذلك وأمرت له عائشة بخمسة آلاف درهم أخرى ثم انصرف الغريض من عندها فلقي عاتكة بنت يزيد بن معاوية امرأة عبد الملك بن مروان وكانت قد حجت في تلك السنة فقال لها جواريها هذا الغريض فقالت لهن علي به فجيء به إليها
قال الغريض فلما دخلت سلمت فردت علي وسألتني عن الخبر فقصصته عليها فقالت غنني بما غنيتها به ففعلت فلم أرها تهش لذلك فغنيتها معرضا لها ومذكرا بنفسي في شعر مرة بن محكان السعدي يخاطب امرأته وقد نزل به أضياف
(أقولُ والضّيفُ مَخْشِيٌّ ذَمَامَتُه ... على الكريم وحقُّ الضيفِ قد وجبا)
صوت
(يا ربّة البيت قُومِي غيرَ صاغرةٍ ... ضُمِّي إليك رحالَ القومِ والقِرَبا)
((في ليلةٍ من جُمادَى ذاتِ أنديَةٍ ... لا يُبصِر الكلبُ من ظَلْمائِها الطُّنُبا
(لا ينبحُ الكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ ... حتى يَلُفَّ على خَيْشومه الذَّنَبا)
الشعر لمرة بن محكان السعدي والغناء لابن سريج
ذكر يونس أن فيه ثلاثة ألحان فوجدت منها واحدا في كتاب عمرو بن بانة رملا بالوسطى والآخر في كتاب الهشامي خفيف ثقيل بالوسطى والآخر ثاني ثقيل في كتاب أحمد بن المكي قال فقالت وهي متبسمة قد وجب حقك يا غريض فغنني فغنيتها
صوت
(يا دهرُ قد أكثرتَ فَجْعتنا ... بسَراتنا ووَقَرْتَ في العَظْمِ)
(وسَلَبتنا ما لستَ مُخْلِفَه ... يا دهرُ ما أنصفتَ في الحُكْمِ)
(لو كان لي قِرنٌ أناضِله ... ما طاش عند حَفيظةٍ سَهْمي)
(لو كان يُعطِي النّصْفَ قلتُ له ... أحرزتَ سهمكَ فالْهُ عن سهمي)
فقالت نعطيك النصف ولا نضيع سهمك عندنا ونجزل لك قسمك وأمرت لي بخمسة آلاف درهم وثياب عدنية وغير ذلك من الألطاف وأتيت الحارث بن خالد فأخبرته الخبر وقصصت عليه القصة فأمر لي بمثل ما أمرتا لي به جميعا فأتيت ابن أبي

ربيعة وأعلمته بما جرى فأمر لي بمثل ذلك فما انصرف واحد من ذلك الموسم بمثل ما انصرفت به بنظرة من عائشة ونظرة من عاتكة وهما من أجمل نساء عالمهما وبما أمرتا لي به وبالمنزلة عند الحارث وهو أمير مكة وابن أبي ربيعة وما أجازاني به جميعا من المال
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أبو الحسن المروزي قال حدثنا محمد بن سلام عن يونس قال
لما حجت عائشة بنت طلحة أرسل إليها الحارث بن خالد وهو أمير مكة أنعم الله بك عينا وحياك وقد أردت زيارتك فكرهت ذلك إلا عن أمرك فإن أذنت فيها فعلت فقالت لمولاة لها جزلة وما أرد على هذا السفيه فقالت لها أنا أكفيك فخرجت إلى الرسول وقالت له اقرأ عليه السلام وقل له وأنت أنعم الله بك عينا وحياك نقضي نسكنا ثم يأتيك رسولنا إن شاء الله ثم قالت لها قومي فطوفي واسعي واقضي عمرتك واخرجي في الليل ففعلت وأصبح الحارث فسأل عنها فأخبر خبرها فوجه إليها رسولا بهذه الأبيات فوجدها قد خرجت عن عمل مكة فأوصل الكتاب إليها فقالت لمولاتها خذيه فإني أظنه بعض سفاهاته فأخذته وقرأته وقالت له ما قلنا إلا سددا وأنت فارغ للبطالة ونحن عن فراغك في شغل

يحمل قادما إلى المدينة رقعة كتب فيها لعائشة

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار وأحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب ابن نصر المهلبي وإسماعيل بن يونس الشيعي قالوا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال زعم كلثوم بن أبي بكر بن عمر بن الضحاك بن قيس الفهري قال
قدم المدينة قادم من مكة فدخل على عائشة بنت طلحة فقالت له من أين أقبل الرجل قال من مكة فقالت فما فعل الأعرابي فلم يفهم ما أرادت فلما عاد إلى مكة دخل على الحارث فقال له من أين قال من المدينة قال فهل دخلت على عائشة بنت طلحة قال نعم قال فماذا سألتك قال قالت
لي ما فعل الأعرابي قال له الحارث فعد إليها ولك هذه الراحلة والحلة ونفقتك لطريقك وادفع إليها هذه الرقعة وكتب إليها فيها

صوت

(من كان يَسأل عنا أين منزلنا ... فالأُقْحُوانَةُ منا منزلٌ قَمَنُ)
(إذ نلبَس العيشَ صفواً ما يكدّره ... طَعْنُ الوُشَاة ولا ينبو بنا الزمنُ)
قال إسحاق وزادني غير كلثوم فيها
(ليت الهوى لم يقرّبني إليكِ ولم ... أعْرِفْكِ إذ كان حظّي منكُم الحَزَن)
غنى في هذه الأبيات ابن محرز خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق وذكر يونس أن فيها لحنا ولم يجنسه وذكر عمرو أن فيه لبابويه ثاني ثقيل بالبنصر
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن محمد بن سلام قال
لما ولى عبد الملك بن مروان الحارث بن خالد المخزومي مكة بعث إلى الغريض فقال له لا أرينك في عملي وكان قبل ذلك يطلبه ويستدعيه فلا يجيبه فخرج الغريض إلى ناحية الطائف وبلغ ذلك الحارث فرق له فرده وقال له لم كنت تبغضنا وتهجر شعرنا ولا تقربنا قال له الغريض كانت هفوة من هفوات النفس وخطرة من خطرات الشيطان ومثلك وهب الذنب وصفح عن الجرم وأقال العثرة وغفر الزلة ولست بعائد إلى ذلك أبدا قال وهل غنيت
في شيء من شعري قال نعم قد غنيت في ثلاثة أصوات من شعرك قال هات ما غنيت فغنيت

صوت

(بان الخَلِيطُ فما عاجوا ولا عَدَلوا ... إذا ودّعوك وحنّت بالنوى الإبلُ)
(كأن فيهم غداةَ البَيْن إذ رَحَلوا ... أَدْمَاءَ طاع لها الحَوْذَانُ والنَّفَلُ)
الغناء للغريض ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي وحبش قال حبش وفيه لابن سريج خفيف رمل بالبنصر ولإسحاق ثاني ثقيل بالبنصر فقال له أحسنت والله يا غريض هات ما غنيت فيه أيضا من شعري فغناه في قوله

صوت

(يا ليت شعري وكم من مُنْية قُدِرتْ ... وَفْقا وأُخرى أتى من دونها القَدَرُ)
(ومُضْمَرِ الكَشْحِ يَطْويه الضجيعُ له ... طيَّ الحِمالة لا جافٍ ولا فَقِرُ)
(له شَبِيهان لا نَقْصٌ يَعِيبهما ... بحيث كانا ولا طُولٌ ولا قِصَرُ)
لم أعرف لهذا الشعر لحنا في شيء من الكتب ولا سمعته فقال له الحارث أحسنت والله يا غريض إيه وماذا أيضا فغناه قوله
(عَفَتِ الديارُ فما بها أهلُ ... حُزّانُها ودِمَاثُها السهلُ)
(إني وما نحروا غداةَ مِنًّي ... عند الجِمار تؤدها العُقْلُ)
الأبيات المذكورة وقد مضت نسبتها معها فقال له الحارث يا غريض لا لوم في حبك ولا عذر في هجرك ولا لذة لمن لا يروح قلبه بك يا غريض لو لم يكن لي في ولايتي مكة حظ إلا أنت لكان حظا كافيا وافيا يا غريض إنما الدنيا زينة فأزين الزينة ما فرح النفس ولقد فهم قدر الدنيا على حقيقته من فهم قدر الغناء

سكينة بنت الحسين تنقد شعره

أخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن زهير عن مصعب الزبيري قال
أنشدت سكينة بيت الحسين قول الحارث بن خالد
(فَفَرَغْن من سَبْع وقد جُهِدت ... أحشاؤهن موائلَ الخُمْر)
فقال أحسن عندكم ما قال قالوا نعم فقالت وما حسنه فوالله لو طافت الإبل سبعا لجهدت أحشاؤها
أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن كلثوم بن أبي بكر قال
لما مات عمر بن عبد الله التيمي عن عائشة بنت طلحة وكانت قبله عند مصعب بن الزبير قيل للحارث بن خالد ما يمنعك الآن منها قال لا يتحدث والله رجال من قريش أن نسيبي بها كان لشيء من الباطل

شعره في أبان بن عثمان بعد أن تولى على موسم الحج

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال
لما خرج ابن الأشعث على عبد الملك بن مروان شغل عن أن يولي على

الحج رجلا وكان الحارث بن خالد عامله على مكة فخرج أبان بن عثمان من المدينة وهو عامله عليها فغدا على الحارث بمكة ليحج بالناس فنازعه الحارث وقال له لم يأتني كتاب أمير المؤمنين بتوليتك على الموسم وتغالبا فغلبه أبان ابن عثمان بنسبه ومال إليه الناس فحج بهم فقال الحارث بن خالد في ذلك
(فإن تَنْجُ منها يا أبانُ مسلَّما ... فقد أفلتَ الحجّاجَ خيلُ شَبيبَ)
(وكاد غداةَ الدّير يُنْفِذُ حِضْنَه ... غلامٌ بطعنِ القِرْن جِدُّ طبيبِ)
(وأنسوْه وصف والدَّيْر لما رآهمُ ... وحسَّن خوفُ الموت كلَّ معيبِ)
فلقيه الحجاج بعد ذلك فقال مالي ولك يا حارث أينازعك أبان عملا فتذكرني فقال له ما اعتمدت مساءتك ولكن بلغني أنك أنت كاتبته قال والله ما فعلت فقال له الحارث المعذرة إلى الله وإليك أبا محمد
نسخت من كتاب هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات حدثني عمرو ابن سلم قال حدثني هارون بن موسى الفروي قال حدثني موسى بن جعفر أن يحيى قال حدثني مؤدب لبني هشام بن عبد الملك قال
بينا أنا ألقي على ولد هشام شعر قريش إذ أنشدتهم شعر الحارث بن خالد
(إن امرأ تعتادُه ذِكَرٌ ... منها ثَلاثُ مِنًى لذو صَبْر)
وهشام مصغ إلي حتى ألقيت عليهم قوله
(ففَرَغْنَ من سَبْع وقد جُهِدتْ ... أحشاؤهن موائلَ الخُمْرْ)
فانصرف وهو يقول هذا كلام معاين
شعره في عائشة بعد أن قدمت تريد العمرة
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أبو عبد الله السدوسي قال وحدثنا أبو حاتم السجستاني قال أخبرنا أبو عبيدة قال
قدمت عائشة بنت طلحة مكة تريد العمرة فلم يزل الحارث يدور حولها وينظر إليها ولا يمكنه كلامها حتى خرجت فأنشأ يقول وذكر في هذه الأبيات بسرة حاضنتها وكنى عنها
صوت
(يا دارُ أقفَر رسمُها ... بين المُحَصَّبِ والحَجُون)
(أقْوَتْ وغيَّر آيَها ... مَرُّ الحوادث والسّنين)
(واستبدلوا ظَلَف الحجاز ... وسُرَّة البلد الأمين)
(يا بُسْرُ إنّي فاعلمي ... باللَّه مجتهداً يميني)
(ما إن صَرَمتُ حبالكم ... فَصِلِي حبالي أو ذَريني)
في هذه الأبيات ثاني ثقيل لمالك بالبنصر عن الهشامي وحبش قال وفيها لابن مسجح ثقيل أول وذكر أحمد بن المكي أن فيها لابن سريج رملا بالبنصر فيها لمعبد ثقيل أول بالوسطى عن حبش
تشبيبه بزوجته أم عبد الملك
أخبرني الطوسي والحرمي بن أبي العلاء قالا حدثنا الزبير بن بكار قال
حدثني مصعب بن عثمان بن مصعب بن عروة بن الزبير وأخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان عن أحمد بن زهير عن مصعب الزبيري قال
كانت أم عبد الملك بنت عبد الله بن خالد بن أسيد عند الحارث بن خالد فولدت منه فاطمة بنت الحارث وكانت قبله عند عبد الله بن مطيع فولدت منه عمران ومحمدا فقال فيها الحارث وكناها بابنها عمران
(يا أمَّ عِمْرانَ ما زالت وما بَرِحت ... بِيَ الصبابةُ حتى شفّني الشّفَقُ)
(القلبُ تاقَ إليكم كي يُلاقيكم ... كما يتوقُ إلى مَنْجاتَه الغَرِقُ)
(تُنِيل نَزْرا قليلاً وهي مُشْفِقةٌ ... كما يخاف مَسِيسَ الحيّة الفَرِقُ)
قال مصعب بن عثمان فأنشد رجل يوما بحضرة ابنها عمران بن عبد الله بن مطيع هذا الشعر ثم فطن فأمسك فقال له لا عليك فإنها كانت زوجته
وقال ابن المرزبان في خبره فقال له امض رحمك الله وما بأس بذلك رجل تزوج بنت عمه وكان لها كفئا كريما فقال فيها شعرا بلغ ما بلغ فكان ماذا
تشبيبه بأم بكر أحسن الناس وجها
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أحمد بن عبد الرحمن التميمي عن أبي شعيب الأسدي عن القحذمي قال
بينا الحارث بن خالد واقف على جمرة العقبة إذ رأى أم بكر وهي ترمي الجمرة فرأى أحسن الناس وجها وكان في خدها خال ظاهر فسأل عنها فأخبر باسمها حتى عرف رحلها ثم أرسل إليها يسألها أن تأذن له في الحديث فأذنت له فكان يأتيها يتحدث إليها حتى انقضت أيام الحج فأرادت الخروج إلى بلدها فقال فيها
((ألا قُل لذاتِ الخال يا صاح في الخدّ ... تدوم إذا بانت على أحسن العَهْدِ
(ومنها علاماتٌ بمجرى وشاحها ... وأخرى تَزين الجِيدَ من مَوْضِع العِقْدِ)
(وترعَى من الوُدّ الذي كان بيننا ... فما يَستوي راعي الأمانة والمُبْدي)
(وقل قد وعدتِ اليومِ وعداً فأنجزي ... ولا تُخْلِفِي لا خيرَ في مُخْلِف الوعدِ)
(وجُودي عليّ اليومَ منكِ بنائل ... ولا تَبْخَلي قُدِّمتُ قَبْلَك في اللَّحدِ)
(فمن ذا الذي يُبدي السرورَ إذا دنت ... بكِ الدارُ أو يُعْنَى بنأيكمُ بعدي)
(دنوّكُمُ منّا رَخاءٌ نناله ... ونأيُكُمُ والبعدُ جَهْدٌ على جهْدِ)
(كثيرٌ إذا تدنوا اغتباطي بكِ النوى ... ووجدي إذا ما بِنْتُم ليس كالوجدِ)
(أقول ودمعي فوق خدّي مُخَضِّل ... له وَشَلٌ قد بَلَّ تَهْتَانُه خدّي)
(لقد منح اللهُ البخيلةَ وُدَّنا ... وما مُنِحتْ ودّي بدعوى ولا قَصْدِ)
أخبرني محمد بن خلف قال وحدثت عن المدائني ولست أحفظ من حدثني به قال طافت ليلى بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود وأمها ميمونة بنت أبي سفيان ابن حرب بالكعبة فرآها الحارث بن خالد فقال فيها

(أطافت بنا شمُس النهار ومَنْ رأى ... من النّاس شمساً بالعِشاء تطوفُ)
(أبو أمّها أوفَى قريشٍ بذِمّةِ ... وأعمامُها إمّا سألتَ ثَقِيفُ)
وفيها يقول
(أمِن طَلَلٍ بالجِزْع من مكّة السِّدر ... عفا بين أكناف المُشَقَّر فالحَضْرِ)
(ظَلِلتَ وظَلَّ القوم من غير حاجةٍ ... لَدُنْ غُدوةٍ حتى دنَتْ حَزَّةُ العَصْرِ)
(يُبكُّون من ليلَى عهوداً قديمةً ... وماذا يُبكّي القومَ من منزلٍ قَفْرِ)
الغناء في هذه الأبيات لابن سريج ثاني ثقيل بالخنصر والبنصر عن يحيى المكي وذكر غيره أنه للغريض
وفي ليلى هذه يقول أنشدناه وكيع عن عبد الله بن شبيب عن إبراهيم بن المنذر الحزامي للحارث بن خالد وفي بعض الأبيات غناء
صوت
(لقد أرسلتْ في السرّ ليلَى تلومني ... وتزعُمُني ذا مَلّةٍ طرفاً جَلْدا)
(وقد أخلفتْنا كلَّ ما وَعدتْ به ... ووالله ما أخلفتُها عامداً وعْدا)
(فقلتُ مُجيباً للرسول الذي أتى ... تُرَاه لكَ الوَيْلاتُ من قولها جِدّا)
(إذا جئتَها فاقْرَ السلامَ وقُلْ لها ... دعي الجَوْرَ ليلَى واسلُكي مَنْهَجاً قَصْدا)
(أفِي مُكْثِنا عنكم ليالٍ مَرِضتُها ... تَزيدينني ليلَى على مَرَضِي جَهْدا)
(تَعُدّين ذنباً واحداً ما جنيتُه ... عليّ وما أُحصِي ذنوبَكُم عَدّا)
(فإن شئتِ حرّمتُ النساءَ سِواكُم ... وإن شئتِ لم أطْعَمْ نُقَاخا ولا بَرْدا)
(وإن شئتِ غُرْنا بعدكم ثم لم نزَل ... بمكّةَ حتى تَجْلِسي قايلاً نَجْدا)
الغناء للغريض ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى وذكر ابن المكي أن فيه لدحمان ثاني ثقيل بالوسطى لا أدري أهذا أم غيره
وفيه ثقيل أول للأبجر عن يونس والهشامي
وفيه لابن سريج رمل بالبنصر
ولعرار خفيف ثقيل عن الهشامي وحبش
أخبرني محمد بن خلف قال أخبرني محمد بن الحارث الخراز قال حدثنا أبو الحسن المدائني قال كان الحارث بن خالد واليا على مكة وكان أبان بن عثمان ربما جاءه كتاب الخليفة أن يصلي بالناس ويقيم لهم حجهم فتأخر عنه في سنة الحرب كتابه ولم يأت الحارث كتاب فلما حضر الموسم شخص أبان من المدينة فصلى بالناس وعاونته بنو أمية ومواليهم فغلب الحارث على الصلاة فقال
(فإن تَنْجُ منها يا أبَانُ مسلَّماً ... فقد أفلتَ الحجّاجَ خيلُ شَبِيبِ)
فبلغ ذلك الحجاج فقال مالي وللحارث أيغلبه أبان بن عثمان على الصلاة ويهتف بي أنا ما ذكره أياي فقال له عبيد بن موهب أتاذن أيها الأمير في إجابته وهجائه قال نعم فقال عبيد
(أبا وابِصٍ رَكِّب علاتَك والتَمِس ... مَكاسِبِهَا إن اللئيم كَسوبُ)
(ولا تَذْكُرِ الحجّاجَ إلا بصالح ... فقد عِشْتَ من معروفه بذَنُوبِ)
(ولستَ بوالٍ ما حييتَ إمارةً ... لمُستَخلَفٍ إلا عليك رقيبُ)
قال المدائني وبلغني أن عبد الملك قال للحارث أي البلاد أحب إليك قال ما حسنت فيه حالي وعرض وجهي ثم قال
(لا كُوفةٌ أُمّي ولا بَصْرةٌ أبي ... ولستُ كمن يَثنيه عن وجهه الكَسَلْ)
نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني
منها في تشبيب الحارث بامرأته أم عمران
صوت
(بانَ الخَليطُ الذي كنّا به نَثِقُ ... بانوا وقلبُك مجنونٌ بهم عَلِقُ)
(تُنِيل نَزْراً قليلاً وهي مُشْفِقةٌ ... كما يَخاف مَسِيسَ الحيّة الفَرِقُ)
(يا أمّ عِمرانَ ما زلتُ وما بَرِحت ... بيَ الصّبابةُ حتى شفّني الشّفقُ)
(لا أعتقَ اللهُ رِقّي من صبابتكم ... ما ضرّني أنني صَبٌّ بكم قَلِقُ)
(ضحِكِت عن مُرْهَفِ الأنياب ذي أُشُرٍ ... لا قَضَمٌ في ثناياه ولا رَوَقُ)
(يتوقُ قلبي إليكم كي يلاقيكم ... كما يتوق إلى مَنْجاته الغَرِقُ)
غنّى ابن محرز في الثالث ثم السادس ثم الخامس ثم الثاني ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق وللغريض في الرابع والثاني والثالث والسادس خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو ولسلسل في الأول والثاني ثقيل أول مطلق عن الهشامي ولابن سريج في الثاني والأول والرابع والخامس رمل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق وللهذلي في الثاني ثم الأول هزج عن الهشامي
وذكر حبش أن فيها لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى ولابن محرز ثاني ثقيل آخر بالبنصر وذكر الهشامي أن لابن سريج في الأبيات خفيف رمل
معبد يغني شعره في عائشة
ومما يغني فيه من شعر الحارث بن خالد في عائشة بنت طلحة تصريحا وتعريضا ببسرة جاريتها
صوت
(يا رَبْعَ بُسْرَة بالجناب تَكَلّمِ ... وأبِنْ لنا خبراً ولا تَستَعْجِمِ)
(مالي رأيتُك بعد أهلك مُوحِشاً ... خَلَقاً كحوْض الباقر المتهدِّمِ)
(تَسْبي الضجيعَ إذا النجومُ تغوّرت ... طوعُ الضجيع أنيقةُ المتوسَّمِ)
(قُبٌّ البطون أوانسٌ مثلُ الدُّمَى ... يَخْلِطن ذاك بعِفّةٍ وتكرُّمِ)
الغناء لمعبد خفيف رمل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى
والأبيات أكثر من هذه إلا أني اعتمدت على ما غني فيه

ومنها صوت قد جمعت فيه عدة طرائق وأصوات في أبيات من القصيدة
(أعَرفتَ أطلالَ الرُّسومِ تنكّرتْ ... بعدي وبُدِّل آيهُنّ دُثُورَا)
(وتَبدّلتْ بعد الأنيس بأهلها ... عُفْراً بَواغِمِ يرْتَعِين وعُورا)
(من كلّ مُصْبِيَة الحديثِ ترى لها ... كَفَلاً كرابية الكَثِيب وثِيرا)
(دَعْ ذا ولكن هل رأيتَ ظَعائِنا ... قَرَّبْن أجْمالا لهنّ بُكُورا)
(قرَّبنَ كلّ مُخيَّسٍ متحمِّل ... بُزُلا تُشبَّه هامهنّ قُبُورا)
(يَفْتِنّ لا يألُون كلَّ مُغَفَّلٍ ... يَملأنه بحديثهنّ سرورا)
(يا دارُ حسَّرها البِلى تحسِيرا ... وسَفَتْ عليها الريحُ بعدك بُورا)
(دَقّ الترابُ نَخِيلُه فمخيّم ... بِعِراصها ومُسيَّر تسْيِيرا)
(يا رَبْعَ بُسرةَ إن أضرّ بك البِلَى ... فلقد عهدتُك آهلاً معمورا)
(عَقَبَ الرّذاذُ خِلافَهم فكأنّما ... بَسط الشّواطِبُ بينهنّ حصيرا)
(إنْ يُمسِ حبلُك بعد طول تواصُلٍ ... خَلَقاً ويُصْبح بيْنُكم مهجورا)
(فلقد أراني والجديدُ إلى بِلىً ... زمناً بوصلِك قانعاً مسرورا)
(جَذِلا بمالي عندكم لا أبتغي ... للنفس غيرَكِ خُلّةً وعشيرا)
(كنتِ المُنَى وأعزَّ مَنْ وطئ الحصا ... عندي وكنتُ بذاكِ منكِ جديرا)
غنى في الأول والثاني من هذه الأبيات معبد ولحنه ثقيل أول بالبنصر عن عمرو مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق وللغريض فيه ثقيل أول بالبنصر عن عمرو ولإسحاق فيهما ثاني ثقيل ولإبراهيم فيهما وفي الثالث خفيف ثقيل بالسبابة والوسطى عن ابن المكي وغنى الغريض في الثالث والسادس والرابع والخامس ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق وغنى معبد في السابع والثامن والعاشر خفيف ثقيل بالسبابة والوسطى عن يحيى المكي وفيها ثاني ثقيل ينسب إلى طويس وابن مسجح وابن سريج ولمالك في التاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر خفيف ثقيل بالسبابة والوسطى عن يحيى المكي وفيها بأعيانها لابن سريج رمل بالسبابة والوسطى عن يحيى أيضا وليحيى المكي في الحادي عشر وما بعده إلى آخر الأبيات ثاني ثقيل ولإبراهيم فيها بعينها ثقيل أول عن الهشامي وفيها لإسحاق رمل وفي الثالث والرابع لحن لخليدة المكية خفيف رمل عن الهشامي أيضا
ومنها من أبيات قالها بالشأم عند عبد الملك أولها
((هل تعرفُ الدارَ أضحت آيُها عُجُمَا ... كالرَّقّ أجرى عليها حاذقٌ قَلَمَا
(بالخَيْفِ هاجت شؤونا غيرَ جامدةٍ ... فانهلّت العينُ تُذْري واكفا سَجِما)
(دارٌ لبُسرةَ أمست ما تُكلِّمنا ... وقد أبنتُ لها لو تعرفُ الكَلِما)
(واهاً لبُسرةَ لو يدنو الأميرُ بها ... يا ليت بُسرةَ قد أمست لنا أَمَمَا)
صوت
(حلَّتْ بمكّةَ لا دارٌ مُصاقِبة ... هيهات جَيْرونُ ممّن يسكنِ الحَرَما)
(يا بُسرُ إنكمُ شطَّ البِعادُ بكم ... فما تُنيلوننا وصلا ولا نِعَما)
غنى في هذين البيتين الهذلي ثاني ثقيل بالوسطى وفيهما ليحيى المكي ثقيل أول بالبنصر جميعا من روايته
(قد قُلتُ بالخَيفِ إذ قالت لجارتها ... أدامَ وصلٌ الذي أهدي لنا الكَلِما)
صوت
(لا يُرغِمُ الله أنفاً أنت حاملُه ... بل أنفُ شانيك فيما سرّكم رَغِما)
(إن كان رابك شيء لستُ أعلمه ... منّي فهذي يميني بالرضا سَلَما)
(أو كنتُ أحببتُ شيئاً مثلَ حُبِّكُم ... فلا أرحتُ إذاً أهلا ولا نَعَما)
((لا تكليني إلى من ليس يرحمني ... وقاكِ مَنْ تُبْغِضين الحتفَ والسَّقما
(إن الوُشاةَ كثيرٌ إن أطعتِهم ... لا يرقُبون بنا إلاًّ ولا ذِمَما)
غنى ابن محرز في
(... لا يُرغمُ اللهُ أنفاً أنت حامله)
خفيف ثقيل بالبنصر ولابن مسجح فيه ثاني ثقيل عن حبش وفي
(... لا تكليني إلى من ليس يرحمني)
لابن محرز ثقيل أول بالبنصر عن حبش والهشامي
عزله عبد الملك لأنه أخر الصلاة لعائشة
أخبرني محمد بن مزيد والحسين بن يحيى قالا أخبرنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الزبيري قال
أذن المؤذن يوما وخرج الحارث بن خالد إلى الصلاة فأرسلت إليه عائشة ابنة طلحة إنه بقي علي شيء من طوافي لم أتمه فقعد وأمر المؤذنين فكفوا عن الإقامة وجعل الناس يصيحون حتى فرغت من طوافها فبلغ ذلك عبد الملك بن مروان فعزله وولى مكة عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد بن أسيد وكتب إلى الحارث ويلك أتركت الصلاة لعائشة بنت طلحة فقال الحارث والله لو لم تقض طوافها إلى الفجر لما كبرت وقال في ذلك
(لم أُرَحِّبْ بأن سَخِطتِ ولكن ... مرحباً أن رضيتِ عنّا وأهلا)
(إنَّ وجها رأيتُه ليلةَ البدر ... عليه انثنى الجمالُ وحَلاّ)
(وجهُها الوجهُ لو يُسألُ به المُزن ... من الحسنِ والجمال استهلاَّ)
(إن عندَ الطّوافِ حين أتته ... لَجمالاً فَعْما وخُلْقاً رِفَلاّ)
((وكُسِين الجمالَ إن غِبنَ عنها ... فإذا ما بدتْ لهنّ اضمحلاّ
في شعر الحارث هذا غناء قد جمع كل ما في شعره منه على اختلاف طرائقه وهو
صوت
(أثْلَ جُودِي على المتيّم أثلاَ ... لا تزيدي فؤادَه بكِ خَبْلا)
(أثلَ إني والراقصاتِ بجَمْعٍ ... يتبارين في الأزمّةِ فُتْلا)

(سانحاتٍ يقطعن من عرفاتٍ ... بين أيدي المطيِّ حَزْنا وسَهلا)
(والأكفِّ المضمّرات على الركن ... بشُعْثٍ سَعَوْا إلى البيت رَجْلى)
(لا أخونُ الصديق في السرِّ حتّى ... يُنقَلَ البحرُ بالغرابيل نقلا)
(أو تمرَّ الجبالُ مرَّ سحابٍ ... مُرتَقٍ قد وَعى من الماء ثِقْلا)
(أنعم اللهُ لي بذا الوجهِ عينا ... وبه مرحباً وأهلاً وسَهلا)
(حين قالت لا تُفشِينَّ حديثي ... يابن عمّي أقسمت قلت أجلْ لا)
(إتقي الله واقبلي العذرَ منّي ... وتجافَيْ عن بعض ما كان زَلاَّ)
(لا تصدّي فتقتُليني ظُلما ... ليس قتلُ المحبِّ للحبِّ حِلاَّ)
(ما أكن سؤتُكم به فلك العُتبى ... لدينا وحَقَّ ذاك وَقَلّ)
(لم أرحِّبْ بأن سَخِطتِ ولكن ... مرحباً أن رضيت عنّا وأهلا)
(إنّ شخصاً رأيتُه ليلةَ البدر ... عليه انثنى الجَمالُ وحلاَّ)
(جعلَ اللهُ كلَّ أنثى فِداءً ... لكِ بل خدَّها لرجلِك نعلا
(وجهكِ البدرُ لو سألتُ به المزنَ ... من الحسنِ والجمالِ استهلاّ)
غنى معبد في الأبيات الأربعة الأولى خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو ولابن تيزن في الأول والثاني ثقيل أول عن إسحاق ولابن سريج في الأول والثاني والخامس ثقيل أول عن الهشامي وللغريض في الخامس إلى الثامن خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو ولدحمان في التاسع والعاشر والثالث عشر والرابع عشر خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو ولمالك في التاسع إلا آخر الثاني عشر لحن ذكره يونس ولم يجنسه ولابن سريج في هذه الأبيات بعينها رمل بالوسطى عن عمرو وللغريض فيها أيضا خفيف رمل بالبنصر عن ابن المكي ولابن عائشة في الخامس إلى آخر الثامن لحن ذكره حماد عن أبيه ولم يذكر طريقته
ومنها
صوت
(أحَقّاً أن جيرتنا استحبّوا ... خُزُونَ الأرض بالبلد السَّخاخ)
(إلى عُقْر الأباطح من ثَبير ... إلى ثور فَمدْفَع ذي مُرَاخ)
(فتلك ديارُهم لم يَبْقَ فيها ... سوى طِلل المُعَرَّس والمُناخ)
(وقد تَغْنَى بها في الدار حُورٌ ... نَواعمُ في المجاسد كالإراخ)
غنى في هذه الأبيات الغريض ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى عن الهشامي
وأخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا عبد الله بن محمد قال أخبرني محمد بن سلام قال
كانت سوداء بالمدينة مشغوفة بشعر عمر بن أبي ربيعة وكانت من مولدات مكة فلما ورد على أهل المدينة نعي عمر بن أبي ربيعة أكبروا ذلك واشتد عليهم وكانت السوداء أشدهم حزنا وتسلبا وجعلت لا تمر بسكة من سكك المدينة إلا ندبته فلقيها بعض فتيان مكة فقال لها خفضي عليك فقد نشأ ابن عم له يشبه شعره شعره فقالت أنشدني بعضه فأنشدها قوله
(إني وما نحروا غَداةَ مِنىً ... عند الجِمار تؤودُها العُقْلُ)
الأبيات كلها قال فجعلت تمسح عينيها من الدموع وتقول الحمد لله الذي لم يضيع حرمه
أخبرني اليزيدي قال حدثني عمي جد عبيد الله عن ابن حبيب عن ابن الأعرابي قال
ناضل سليمان بن عبد الملك بين الحارث وبين رجل من أخواله من بني عبس فرمى الحارث بن خالد فأخطأ ورمى العبسي فأصاب فقال
(... أنا نَضَلت الحارث بن خالِد)
ثم رمى العبسي فأخطأ ورمى الحارث فأصاب فقال الحارث
(... حسِبْتَ نَضْلَ الحارث بن خالِد)
ورميا فأخطأ العبسي وأصاب الحارث فقال الحارث
(...مَشْيَكَ بين الزَّرْبِ والمرَايد)
ورميا فأخطأ العبسي وأصاب الحارث فقال الحارث
(... وإنك الناقصُ غيرُ الزائدِ)
فقال سليمان أقسمت عليك يا حارث إلا كففت عن القول والرمي فكف

أخبار الأبجر ونسبه

الأبجر لقب غلب عليه واسمه عبيد الله بن القاسم بن ضبية ويكنى أبا طالب هكذا روى محمد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق وروى هارون بن الزيات عن حماد عن أبيه أن اسمه محمد بن القاسم بن ضبية وهو مولى لكنانة ثم لبني بكر ويقال إنه مولى لبني ليث
أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا محمد بن عبد الله بن مالك وأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه وهارون بن الزيات قالا حدثنا عبد الله بن أبي سعد عن محمد بن عبد الله بن مالك قال
كنا يوما جلوسا عند إسحاق فغنتنا جارية يقال لها سمجة
(إنّ العيونَ التي في طَرْفِها مَرَضٌ ... قتَلْننا ثم لم يُحْيِينَ قَتْلانا)
فهبت إسحاق أن أسأله لم الغناء فقلت لبعض من كان معنا سله فسأله فقال له إسحاق ما كان عهدي بك في شبيبتك لتسألنا عن هذا فقال أحببته لما أسننت فقال لا ولكن هذا النقب عمل هذا اللص وضرب بيده إلى تلابيبي فقال له الرجل صدقت يا أبا محمد فأقبل علي فقال لي ألم أقل لك إذا اشتهيت شيئا فسل عنه أما لأعطينك فيه ما تعايي به من شئت منهم
أتدري لمن الشعر فقلت لجرير فقال لي والغناء للأبجر وكان مدنيا منشؤه بمكة أو مكيا منشؤه بالمدينة أتدري ما اسمه قلت لا قال اسمه عبيد الله بن القاسم بن ضبية أتدري ما كنيته قلت لا قال أبو طالب ثم قال اذهب فعاي بهذا من شئت منهم فإنك تظفر به

كان يلقب بالحسحاس
وقال هارون حدثني حماد عن أبيه قال الأبجر اسمه محمد بن القاسم بن ضبية وقال مرة أخرى عبيد الله بن القاسم مولى لبني بكر بن كنانة وقيل إنه مولى لبني ليث يلقب بالحسحاس
قال هارون وحدثني حماد عن أبيه قال حدثني عورك اللهبي قال
لم يكن بمكة أحد أظرف ولا أسرى ولا أحسن هيئة من الأبجر كانت حلته بمائة دينار وفرسه بمائة دينار ومركبه بمائة دينار وكان يقف بين المأزمين فيرفع صوته فيقف الناس له يركب بعضهم بعضا
أخبرني علي بن عبد العزيز الكاتب عن عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه عن إسحاق وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قالا
جلس الأبجر في ليلة اليوم السابع من أيام الحج على قريب من التنعيم فإذا عسكر جرار قد أقبل في آخر الليل وفيه دواب تجنب وفيها فرس أدهم عليه سرج حليته ذهب فاندفع فغنى
(عَرَفتُ ديارَ الحيّ خاليةً قَفْرا ... كأن بها لمّا توهمتُها سَطْرا)
فلما سمعه من في القباب والمحامل أمسكوا وصاح صائح ويحك أعد الصوت فقال لا والله إلا بالفرس الأدهم بسرجه ولجامه وأربعمائة دينار فإذا الوليد بن يزيد صاحب الإبل فنودي أين منزلك ومن أنت فقال أنا الأبجر ومنزلي على باب زقاق الخرازين فغدا عليه رسول الوليد بذلك الفرس وأربعمائة دينار وتخت من ثياب وشي وغير ذلك ثم أتى به الوليد فأقام عنده وراح مع أصحابه عشية التروية وهو أحسنهم هيئة وخرج معه أو بعده إلى الشأم
خروجه مع الوليد بن يزيد إلى الشام
قال إسحاق وحدثني عورك اللهبي أن خروجه كان معه وذلك في ولاية محمد بن هشام بن إسماعيل مكة وفي تلك السنة حج الوليد لأن هشاما ما أمره بذلك ليهتكه عند أهل الحرم فيجد السبيل إلى خلعه فظهر منه أكثر مما أراد به من التشاغل بالمغنين واللهو وأقبل الأبجر معه حتى قتل الوليد ثم خرج إلى مصر فمات بها
نسبة الصوت المذكور في هذا الخبر
صوت
(عَرَفْتُ ديارَ الحيِّ خاليةً قَفْرا ... كأنّ بها لمّا توهّمتُها سَطْرا)
(وقفتُ بها كيما تَردّ جوابَها ... فما بيّنتْ لي الدارُ عن أهلها خُبْرا)
الغناء لأبي عباد ثقيل أول بالبنصر عن عمرو وفيه لسياط خفيف رمل بالبنصر
قال إسحاق وحدثت أن الأبجر أخذ صوتا من الغريض ليلا ثم دخل في الطواف حين أصبح فرأى عطاء بن أبي رباح يطوف بالبيت فقال يا أبا محمد اسمع صوتا أخذته في هذه الليلة من الغريض قال له ويحك أفي هذا الموضع فقال كفرت برب هذا البيت لئن لم تسمعه مني سرا لأجهرن به فقال هاته فغناه
صوت
(عُوجِي علينا ربّةَ الهودَجِ ... إنّكِ إلاّ تَفْعَلِي تَحْرَجِي)
(إنّي أُتِيحتْ لي يَمَانِيةٌ ... إحدى بني الحارثِ من مَذْحِجِ)
(نلبَثُ حولاً كاملاً كلَّه ... لا نلتقي إلا على مَنْهَجِ)
(في الحجِّ إن حجَّتْ وماذا مِنىً ... وأهلهُ إنْ هي لم تَحْجُجِ)
فقال له عطاء الخير الكثير والله في منى وأهله حجت أو لم تحج فاذهب الآن
وقد مرت نسبة هذا الصوت وخبره في أخبار العرجي والغريض
قال إسحاق وذكر عمرو بن الحارث عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال ختن عطاء بن أبي رباح بنيه أو بني أخيه فكان الأبجر يختلف إليهم ثلاثة أيام يغني لهم
تنازعه مع ابن عائشة في الغناء
قال هارون بن محمد حدثني حماد بن إسحاق قال نسخت من كتاب ابن أبي نجيح بخطه حدثني غرير بن طلحة الأرقمي عن يحيى بن عمران عن عمر بن حفص بن أبي كلاب قال
كان الأبجر مولانا وكان مكيا فكان إذا قدم المدينة نزل علينا فقال لنا يوما أسمعوني غناء ابن عائشتكم هذا فأرسلنا فيه فجمعنا بينهما في بيت ابن هبار فتغنى ابن عائشة فقال الأبجر كل مملوك لي حر إن تغنيت معك إلا بنصف صوتي ثم أدخل إصبعه في شدقه فتغنى فسمع صوته من في السوق فحشر الناس علينا فلم يفترقا حتى تشاتما قال وكان ابن عائشة حديدا جاهلا
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال وحدثني ابن أبي سعد قال حدثنا القطراني المغني عن محمد بن جبر عن إبراهيم بن المهدي قال حدثني ابن أشعب عن أبيه قال
دعي ذات يوم المغنون للوليد بن يزيد وكنت نازلا معهم فقلت للرسول خذني فيهم قال لم أومر بذلك وإنما أمرت بإحضار المغنين وأنت بطال لا تدخل في جملتهم فقلت أنا والله أحسن غناء منهم ثم اندفعت فغنيته فقال لقد سمعت حسنا ولكني أخاف فقلت لا خوف عليك ولك مع هذا شرط قال وما هو كل ما أصبته فلك شطره فقال للجماعة اشهدوا عليه فشهدوا ومضينا فدخلنا على الوليد وهو لقس النفس فغناه المغنون في كل فن من خفيف وثقيل فلم يتحرك ولا نشط فقام الأبجر إلى الخلاء وكان خبيثا داهيا فسأل الخادم عن خبره وبأي سبب هو خاثر فقال بينه وبين امرأته شر لأنه عشق أختها فغضبت عليه فهو إلى أختها أميل وقد عزم على طلاقها وحلف لها ألا يذكرها أبدا بمراسلة ولا مخاطبة وخرج على هذا الحال من عندها فعاد الأبجر إلينا وما جلس حتى اندفع فغنى
صوت
(فبِينِي فإني لا أُبالي وأيقِنِي ... أصَعَّدَ باقي حبِّكم أم تَصَوَّبا)
(ألم تعلَمي أنّي عَزُوفٌ عن الهوَى ... إذا صاحبي من غير شيء تَغَضَّبا)
فطرب الوليد وارتاح وقال أصبت يا عبيد والله ما في نفسي وأمر له بعشرة آلاف درهم وشرب حتى سكر ولم يحظ بشيء أحد سوى الأبجر فلما أيقنت بانقضاء المجلس وثبت فقلت إن رأيت يا أمير المؤمنين أن تأمر من يضربني مائة الساعة بحضرتك فضحك وقال قبحك الله وما السبب في ذلك فأخبرته بقصتي مع الرسول وقلت إنه بدأني من المكروه في أول يومه بما اتصل علي إلى آخره فأريد أن أضرب مائة ويضرب بعدي مثلها فقال له لقد لطفت أعطوه مائة دينار وأعطوا

الرسول خمسين دينارا من مالنا عوضنا عن الخمسين التي أراد أن يأخذها فقبضتها وما حظي أحد بشيء غيري وغير الرسول
والشعر الذي غنى فيه الأبجر الوليد بن يزيد لعبد الرحمن بن الحكم أخي مروان بن الحكم والغناء للأبجر ثقيل أول بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق
وفيه لغيره عدة ألحان نسبت

صوت من المائة المختارة من رواية جحظة

(حمزةُ المبتاعُ بالمال الثَّنَا ... ويرى في بَيْعِه أنْ قد غَبَنْ)
(فهو إن أعطى عطاءً فاضلاً ... ذا إخاءٍ لم يُكدِّرْهُ بمَنّ)
(وإذا ما سَنَةٌ مُجْدِبَةٌ ... بَرَتِ الناسَ كَبْرِيِ بالسَّفَنْ)
(كان للناس ربيعاً مُغْدِقاً ... ساقطِ الأكنافِ إن راحٍ ارجَحَنّ)
(نُور شرقٍ بَيِّنٌ في وجهه ... لم يُصِبْ أثوابَه لونُ الدَّرَنْ)
عروضه من الرمل الشعر لموسى شهوات والغناء لمعبد خفيف ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق

أخبار موسى شهوات ونسبه وخبره في هذا الشعر

هو موسى بن يسار مولى قريش ويختلف في ولائه فيقال أنه مولى بني سهم ويقال مولى بني تيم بن مرة ويقال مولى بني عدي بن كعب ويكنى أبا محمد وشهوات لقب غلب عليه

سبب لقبه بشهوات

وحدثني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال
إنما لقب موسى شهوات لأنه كان سؤوالا ملحفا فكان كلما رأى مع أحد شيئا يعجبه من مال أو متاع أو ثوب أو فرس تباكى فإذا قيل له مالك قال أشتهي هذا فسمي موسى شهوات
قال وذكر آخرون أنه كان من أهل أذربيجان وأنه نشأ بالمدينة وكان يجلب إليه القند والسكر فقالت له امرأة من أهله ما يزال موسى يجيئنا بالشهوات فغلبت عليه
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال
كان محمد بن يحيى يقول موسى شهوات مولى بني عدي بن كعب وليس ذاك بصحيح هو مولى تيم بن مرة وذكر عبد الله بن شبيب عن الحزامي أنه مولى بني سهم
وأخبرني وكيع عن أحمد بن أبي خيثمة عن مصعب ومحمد بن سلام قال موسى شهوات مولى بني سهم

سعيد بن خالد بن عبد الله بن أسيد يعينه في ثمن جارية فيمدحه

وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال
هوي موسى شهوات جارية بالمدينة فاستهيم بها وساوم مولاها فيها فاستام بها عشرة آلاف درهم فجمع كل ما يملكه واستماح إخوانه فبلغ أربعة آلاف درهم فأتى إلى سعيد بن خالد العثماني فأخبره بحاله واستعان به وكان صديقه وأوثق الناس عنده فدافعه واعتل عليه فخرج من عنده فلما ولى تمثل سعيد قوله الشاعر
(كتبتَ إليَّ تَستَهدِي الجَواري ... لقد أنْعَظْتَ من بَلَدٍ بعيدِ)
فأتى سعيد بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد فأخبره بقصته فأمر له بستة آلاف درهم فلما قبضها ونهض قال له اجلس إذا ابتعتها بهذا المال وقد أنفدت كل ما تملك فبأي حال تعيشان ثم دفع إليه ألفي درهم وكسوة وطيبا وقال أصلح بهذا شأنكما فقال فيه
(أبا خالدٍ أعني سعيدَ بن خالدٍ ... أخا العُرْف لا أعني ابنَ بنتِ سعيدِ)
عمرو بن عثمان بن عفان فقال يا أمير المؤمنين أتيتك مستعديا قال ومن بك قال موسى شهوات قال وماله قال سمع بي واستطال في عرضي فقال يا غلام علي بموسى فأقين به فأتي به فقال ويلك أسمعت به واستطلت في عرضه قال ما فعلت يا أمير المؤمنين ولكني مدحت ابن عمه فغضب هو قال وكيف ذلك قال علقت جارية لم يبلغ ثمنها جدتي فأتيته وهو صديقي فشكوت إليه ذلك فلم أصب عنده شيئا فأتيت ابن عمه سعيد بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد فشكوت إليه ما شكوته إلى هذا فقال تعود إلي فتركته ثلاثا ثم أتيته فسهل من إذني فلما استقر بي المجلس قال يا غلام قل لقيمتي هاتي وديعتي ففتح بابا بين بيتين وإذا بجارية فقال لي أهذه بغيتك قلت نعم فداك أبي وأمي قال اجلس ثم قال يا غلام قل لقيمتي هاتي ظبية نفقتي فأتي بظبية فنثرت بين يديه فإذا فيها مائة دينار ليس فيها غيرها فردت في الظبية ثم قال عتيدة طيبي فأتي بها فقال ملحفة فراشي فأتي بها فصير ما في الظبية وما في العتيدة في حواشي الملحفة ثم قال شأنك بهواك واستعن بهذا عليه فقال له سليمان بن عبد الملك فذلك حين تقول ماذا قال قلت
(يا خالد أعْنِي سعيدَ بن خالدٍ ... أخا العُرف لا أعني ابنَ بنتِ سعيدِ)
(ولكنني أعني ابنَ عائشةَ الذي ... أبو أبويه خالدُ بن أسيدِ)
(عقيدُ الندى ما عاش يَرضَى به الندى ... فإن مات لم يرضَ النَدَى بعقيدِ)
(دعوهُ دَعُوهُ إنكم قد رقدتُم ... وما هو عن أحسابكم برَقودِ)
فقال سليمان علي يا غلام بسعيد بن خالد فأتي به فقال أحق ما وصفك به موسى قال وما ذاك يا أمير المؤمنين فأعاد عليه فقال قد كان ذلك يا أمير المؤمنين قال فما طوقتك هذه الأفعال قال دين ثلاثين ألف دينار فقال له قد أمرت لك بمثلها وبمثلها وبمثلها وثلث مثلها فحملت إليه مائة ألف دينار قال فلقيت سعيد بن خالد بعد ذلك فقلت له ما فعل المال الذي وصلك به سليمان قال ما أصبحت والله أملك منه إلا خمسين دينارا قلت ما اغتاله قال خلة من صديق أو فاقة من ذي رحم
أخبرني وكيع قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة عن مصعب الزبيري ومحمد بن سلام قال
عشق موسى شهوات جارية بالمدينة فأعطى بها عشرة آلاف درهم ثم ذكر باقي الحديث مثل حديث سليمان بن أبي شيخ وقال فيه أما والله لئن مدحته وهو سميك وأبوه سمي أبيك ولم أفرق بينكما ليقولن الناس أهذا أم هذا ولكن والله لأقولن قولا لا يشك فيه وتمام هذه الأبيات التي مدح بها سعيدا بعد الأربعة المذكورة منها
(فِدًى للكريم العَبْشيتمِيِّ ابن خالد ... بنِيِّ ومالي طارفي وتَلِيدي)
(على وجهه تلقى الأيامِنَ واسمِهِ ... وكُلُّ جَواري طيره بِسعودِ)

(أبان وما استغنى عن النّدْي خيرُه ... أبان به في المهد قبلَ قُعُودِ)
(دعوه دعوه إنكم قد رقدتُم ... وما هو عن أحسابكم برَقودِ)
(ترى الجُنْد والجُنّابَ يَغشَوْن بابَه ... بحاجاتهم من سيّدٍ ومَسُودِ)
((فيُعطِي ولا يُعطَى ويُغشَى ويُجتَدَى ... وما بابُه للمُجْتَدِي بسديدِ
(قتلتَ أُناساً هكذا في جلودهم ... من الغيظِ لم تقتلهمُ بحديدِ)
(يعيشون ما عاشوا بغيظٍ وإن تَحِنْ ... منَايَاهُمُ يوماً تَحِنْ بحُقودِ)
(فقل لبُغاة العُرْف قد مات خالدٌ ... ومات الندّى إلا فُضُولَ سعيدِ)
قال وكيع في خبره أما قوله لا أعني ابن بنت سعيد فإن أم سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان آمنة بنت سعيد بن العاصي وعائشة أم عقيد الندى بنت عبد الله بن خلف الخزاعية أخت طلحة الطلحات وأمها صفية بنت الحارث بن طلحة بن أبي طلحة من بني عبد الدار بن قصي وأم أبي عقيد الندى رملة بنت معاوية بن أبي سفيان
أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال
لما أنشد موسى شهوات سليمان بن عبد الملك شعره في سعيد بن خالد قال له اتفق اسماهما وإسما أبويهما فتخوفت أن يذهب شعري باطلا ففرقت بينهما بأمهما فأغضبه أن مدحت ابن عمه فقال له سليمان بلى والله لقد هجوته وما خفي علي ولكني لا أجد إليك سبيلا فأطلقه
أخبرني وكيع قال حدثني أحمد بن زهير قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثنا محمد بن مسلمة الثقفي قال
قال موسى شهوات لمعبد أأمدح حمزة بن عبد الله بن الزبير بأبيات
وتغني فيها ويكون ما يعطينا بيني وبينك قال نعم فقال موسى
(حمزةُ المبتاعُ بالمال الثَّنا ... ويرى في بَيْعه أن قد غَبَنْ)
(فهو إن أعطى عَطاءً فاضلاً ... ذا إخاءٍ لم يُكدّرْه بِمَنْ)
(وإذا ما سَنَةٌ مُجْحِفَةٌ ... بَرَتِ الناسَ كَبَرْي بالسَّفَنْ)
(حَسَرَتْ عنه نقيًّا عرضُه ... ذا بلاءٍ عند مُخْناها حَسَنْ)
(نُور صدقٍ بَيّنٌ في وجهه ... لم يُدَنّسْ ثوبَه لونُ الدَّرَنْ)
(كنتَ للناس ربيعاً مُغْدِقاً ... ساقطَ الأكناف إن راح ارجَحَنْ)
قال أحمد بن زهير وأول هذه القصيدة عن غير ابن سلام
(شاقَني اليومَ حبيبٌ قد ظَعَنْ ... ففؤادي مُستَهامٌ مُرْتَهَنْ)
(إنّ هنداً تَديمتني حِقْبَةً ... ثم بانت وهي للنفس شَجَنْ)
(فتنةٌ أَلْحَقَها اللّهُ بنا ... عائذٌ من شرِّ الفِتَنْ)
فاطمة بنت الحسين تجيزه على شعره
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال أخبرني الطلحي قال أخبرني عبد الرحمن بن حماد عن عمران بن موسى بن طلحة قال
لما زفت فاطمة بنت الحسين رضوان الله عليه إلى عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان عارضها موسى شهوات
(طَلْحَةُ الخير جَدُّكم ... ولخير الفَوَاطمِ)
((أنتِ للطاهراتِ مِن ... فَرْعِ تَيْمٍ وهاشمِ
(أَرْتَجِيكُمْ لنَفْعِكم ... ولدَفْعِ المَظَالِمِ)
فأمر له بكسوة ودنانير وطيب
تنقله بين الهجاء والمدح
قال حدثنا الكراني قال حدثنا العنزي عن العتبي قال
كانت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان تحت عمر بن عبد العزيز فلما مات عنها تزوجها داود بن سليمان بن مروان وكان قبيح الوجه فقال في ذلك موسى شهوات
(أبعد الأغرّ ابنِ عبد العزيز ... قَريعِ قريشٍ إذا يذْكَرُ)
(تَزوّجْتِ داودَ مَخْتارةً ... ألاَ ذلك الخَلَفُ الأعْوَرُ)
فكانت إذا سخطت عليه تقول صدق والله موسى إنك لأنت الخلف الأعور فيشتمه داود
أخبرني عمي قال حدثني الكراني قال حدثنا العمري عن لقيط قال
أقام موسى شهوات ليزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية على بابه بدمشق وكان فتى جوادا سمحا فلما ركب وثب إليه فأخذ بعنان دابته ثم قال
(قُم فصوّتْ إذا أتيت دِمَشْقاً ... يا يزيدُ بن خالدِ بن يزيدِ)
(يا يزيدُ بن خالدٍ إن تُجِبْني ... يَلْقَني طائري بنجم السُّعودِ)
فأمر له بخمسة آلاف درهم وكسوة وقال له كلما شئت فنادنا نجبك
أخبرنا وكيع قال حدثني أحمد بن زهير قال حدثنا مصعب الزبيري قال
زوج موسى شهوات بنت مولى لمعن بن عبد الرحمن بن عوف يقال له داود ابن أبي حميدة فلما جليت عليه قال داود ما للجلوة فأنشأ يقول
(تقول ليَ النساءُ غداةَ تُجْلَى ... حميدةُ يا فتى ما للجِلاءِ)
(فقلتُ لهم سَمَرْقَنْدٌ وبَلْخٌ ... وما بالصين من نَعَمٍ وشَاءِ)
(أبوها حاتمٌ إن سِيلَ خيراً ... وليثُ كريهةٍ عند اللقاءِ)
أخبرني وكيع قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا مصعب قال
قضى أبو بكر بن عبد الرحمن بن أبي سفيان بن حويطب على موسى شهوات بقضية وكان خالد بن عبد الملك استقضاه في أيام هشام بن عبد الملك فقال موسى يهجوه
(وجدتُك فَهًّا في القضاء مُخلِّطاً ... فقَدتُك من قاضٍ ومن مُتأمِّرِ)
((فدَعْ عنك ما شيدته ذات رخة ... أذى الناس لا تَحْشُرْهُمُ مَحْشَرَ

ثم ولي القضاء سعيد بن سليمان بن زيد بن ثابت الأنصاري فقال يمدحه
(مَنْ سَرّه الحُكْمُ صِرفا لا مِزاجَ له ... من القُضَاة وعدلٌ غيرُ مَغْمُوز)
(فليأت دارَ سعيد الخَيْرِ إنَّ بها ... أمضى على الحقّ من سيف ابن جُرْمُوز)
قال وكان سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قد ولي المدينة واشتد على السفهاء والشعراء والمغنين ولحق موسى شهوات بعض ذلك منه وكان قبيح الوجه فقال موسى يهجوه
(قل لِسَعْدٍ وجهِ العجوز لقد كنتَ ... لِمَا قد أُوتيت سعداً مخيلا)
(إن تكن ظالماً جهولاً فقد كان ... أبوك الأدْنَى ظلوما جهولا)
وقال يهجوه
(لعن اللّهُ والعبادُ ثُطَيْطَ الوجه ... لا يُرْتَجَى قبيحَ الجِوار)
(يَتْقِي الناسُ فحشه وأذَاه ... مثلَ ما يتَّقون بولَ الحِمار)
(لا تَغُرَّنْك سَجْدةٌ بين عينيْه ... حَذار منها ومنه حَذار)
(إنها سَجْدةٌ بها يَخْدَع الناسَ ... عليها من سَجْدة بالدبَّار)
أخبرني عمي قال أخبرني ثعلب عن عبد الله بن شبيب قال
ذكر الحزامي أن موسى شهوات سأل بعض آل الزبير حاجة فدفعه عنها وبلغ ذلك عبد الله بن عمرو بن عثمان فبعث إليه بما كان التمسه من الزبيري من غير مسألة فوقف عليه موسى وهو جالس في المسجد ثم أنشأ يقول
((ليس فيما بَدا لنا منك عيبٌ ... عابَه الناسُ غيرَ أنك فاني
(أنت نِعمَ المَتَاعُ لو كنتَ تَبْقَى ... غيرَ أنْ لا بَقَاءَ للإنسانِ)
والشعر المذكور فيه الغناء يقوله موسى شهوات في حمزة بن عبد الله بن الزبير وكان فتى كريما جوادا على هوج كان فيه وولاه أبوه العراقين وعزل مصعبا لما تزوج سكينة بنت الحسين رضي الله عنه وعائشة بنت طلحة وأمهر كل واحدة منهما ألف ألف درهم
ابن الزبير يعزل أخاه مصعبا عن البصرة ويولي ابنه حمزة
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ عن مصعب الزبيري وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة وأخبرني عبيد الله بن محمد الرازي والحسين بن علي قال عبيد الله حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني وقال الحسين حدثنا الحارث بن أبي أسامة عن المدائني عن أبي محنف
أن أنس بن زنيم الليثي كتب إلى عبد الله بن الزبير
(أبْلِغْ أميرَ المؤمنين رسالةً ... مِن ناصِح لكَ لا يُريكَ خِداعا)
(بضَعَ الفتاةَ بألف ألفٍ كاملٍ ... وتبيتُ قاداتُ الجيوش جياعا)
(لو لأبي حَفْصٍ أقولُ مَقَالتي ... وأَبثُّ ما أبثثتُكم لارتاعا)
فلما وصلت الأبيات إليه جزع ثم قال صدق والله لو لأبي حفص يقول
إن مصعبا تزوج امرأتين بألفي ألف درهم لا رتاع وإنا بعثنا مصعبا إلى العراق فأغمد سيفه وسل أيره وسنعزله فدعا بابنه حمزة وأمه بنت منظور بن زبان الفزاري وكان لها منه محل لطيف فولاه البصرة وعزل مصعبا
فبلغ قوله عبد الملك في أخيه مصعب فقال لكن أنا خبيب أغمد سيفه وأيره وخيره
وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال هذه الأبيات لعبد الله بن همام السلولي
قالوا جميعا فلما ولي ابنه حمزة البصرة أساء السيرة وخلط تخليطا شديدا وكان جوادا شجاعا أهوج فوفدت إلى أبيه الوفود في أمره وكتب إليه الأحنف بأمره وما ينكره الناس منه وأنه يخشى أن تفسد عليه طاعتهم فعزله عن البصرة
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا المدائني قال
لما قدم حمزة بن عبد الله البصرة واليا عليها وكان جوادا شجاعا مخلطا يجود أحيانا حتى لا يدع شيئا يملكه إلا وهبه ويمنع أحيانا ما لا يمنع من مثله فظهرت منه بالبصرة خفة وضعف
وركب يوما إلى فيض البصره فلما رآه قال إن هذا الغدير إن رفقوا به ليكفينهم صيفتهم هذه فلما كان بعد ذلك ركب إليه فوافقه جازرا فقال قد رأيته ذات يوم فظننت أن لن يكفيهم فقال له الأحنف إن هذا ماء يأتينا ثم يغيض عنا ثم يعود
وشخص إلى الأهواز فرأى جبلها فقال هذا قعيقعان وقعيقعان جبل بمكة فلقب ذلك الجبل بقعيقعان
قال أبو زيد وحدثني غير المدائني أنه سمع بذكر الجبل بالبصرة فدعا بعامله فقال له ابعث فأتنا بخراج الجبل فقال له إن الجبل ليس ببلد فآتيك
بخراجه وبعث إلى مردانشاه فاستحثه بالخراج فأبطأ به فقام إليه بسيفه فقتله فقال له الأحنف ما أحد سيفك أيها الأمير وهدم بعبد العزيز بن شبيب بن خياط أن يضربه بالسياط فكتب إلى ابن الزبير بذلك وقال له إذا كانت لك بالبصرة حاجة فاصرف ابنك عنها وأعد إليها مصعبا ففعل ذلك
وقال بعض الشعراء يهجو حمزة ويعيبه بقوله في أمر الماء الذي رآه قد جزر
(يابن الزُّبير بَعَثتَ حمزةَ عاملاً ... يا ليتَ حمزةَ كان خلفَ عُمانِ)
(أزرَى بِدِجْلَةَ حين عَبَّ عُبَابُها ... وتقاذفتْ بزواخر الطُّوفانِ)
خبر الفرزدق مع النوار ابنة أعين المجاشعية
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال
خطب النوار ابنة أعين المجاشعية رجل من قومها فجعلت أمرها إلى الفرزدق وكان ابن عمها دنية ليزوجها منه فأشهد عليها بذلك وبأن أمرها إليه شهودا عدولا فلما أشهدتهم على نفسها قال بهم الفرزدق فإني أشهدكم أني قد تزوجتها فمنعته النوار نفسها وخرجت إلى الحجاز إلى عبد الله بن الزبير فاستجارت بامرأته بنت منظور بن زبان وخرج الفرزدق فعاد بابنه حمزة وقال يمدحه
(يا حَمْز هَلْ لكَ في ذي حاجةٍ غَرِضتْ ... أنضاؤه بمكان غير ممطور)
(فأنتَ أولَى قُرَيشٍ أن تكونَ لها ... وأنت بين أبي بكرٍ ومنظور)
فجعل أمر النوار يقوى وأمر الفرزدق يضعف فقال الفرزدق في ذلك
((أمّا بَنُوه فلم تَنفَعْ شَفَاعتُهم ... وشُفِّعت بنتُ منظور بن زبّانا

(ليس الشفيعُ الذي يأتيكَ مُؤْتَزراً ... مثل الشفيع الذي يأتيك عُرْيانا)
فبلغ ابن الزبير شعره ولقيه على باب المسجد وهو خارج منه فضغط حلقه حتى كاد يقتله ثم خلاه وقال
(لقد أصبحتْ عِرْسُ الفَرَزْدقِ ناشِزاً ... ولو رَضِيتْ رمحَ استِهِ لاستقرَّتِ)
ثم دخل إلى النوار فقال لها إن شئت فرقت بينك وبينه ثم ضربت عنقه فلا يهجونا أبدا وإن شئت أمضيت نكاحه فهو ابن عمك وأقرب الناس إليك وكانت امرأة صالحة فقالت أو ما غير هذا قال لا قالت ما أحب أن يقتل ولكني أمضي أمره فلعل الله أن يجعل في كرهي إياه خيرا فمضت إليه وخرجت معه إلى البصرة
معبد يغني بشعره حمزة بن عبد الله
أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مزيد بن أبي الأزهر قالا حدثنا حماد ابن إسحاق عن أبيه عن الزبيري
أن حمزة بن عبد الله كان جوادا فدخل إليه معبد يوما وقد أرسله ابن قطن مولاه يقترض له من حمزة ألف دينار فأعطاه ألف الدينار فلما خرج من عنده قيل له هذا عبد ابن قطن وهويروي فيك شعر موسى شهوات فيحسن روايته فأمر برده فرد وقال له ما حكاه القوم عنه فغناه معبد الصوت فأعطاه أربعين دينارا ولما كان بعد ذلك رد ابن قطن عليه المال فلم يقبله وقال له إنه إذا خرج عني مال لم يعد إلى ملكي وقد روي أن الداخل على حمزة والمخاطب في أمره بهذه المخاطبة ابن سريج وليس ذلك بثبت هذا هو الصحيح والغناء لمعبد
أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة عن محمد بن يحيى الغساني
أن موسى شهوات أملق فقال لمعبد قد قلت في حمزة بن عبد الله شعرا فغن فيه حتى يكون أجزل لصلتنا ففعل ذلك معبد وغنى في هذه الأبيات ثم دخلا على حمزة فأنشده إياها موسى ثم غناه فيها معبد فأمر لكل واحد منهما بمائتي دينار
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عبد الله بن عبد الله بن عياش قال
كان موسى شهوات مولى لسليمان بن أبي خيثمة بن حذيفة العدوي وكان شاعرا من شعراء أهل الحجاز وكان الخلفاء من بني أمية يحسنون إليه ويدرون عطاءه وتجيئه صلاتهم إلى الحجاز
وكانت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان تحت عمر بن عبد العزيز فلما مات عنها تزوجها داود بن سليمان بن مروان وكان دميما قبيحا فقال موسى شهوات في ذلك
(أبعد الأغرِّ ابن العزيز ... قريعِ قريشٍ إذا يُذكرُ)
(تزوّجتِ داودَ مختارةً ... ألاَ ذلك الخلَفُ الأعورُ)
فغلب عليه ذلك في بني مروان فكان يقال له الخلف الأعور
صوت من المائة المختارة
(عُوجَا خليليّ على المَحْضَرِ ... والربعِ من سَلاّمة المُقْفِرِ)
(عُوجا به فاستنطِقَاه فقد ... ذكَّرني ما كنتُ لم أذْكُرِ)
((ذكّرني سلمَى وأيامَها ... إذ جاورَتْنا بلوَى عَسْجَرِ)
(بالربعِ من وَدّانَ مبدا لنا ... ومِحْوَراً ناهيكَ من محورِ)
(في مَحْضَرٍ كنّا به نلتقي ... يا حبّذا ذلك من محضرِ)
(إذ نحن والحيّ به جِيرةٌ ... فيما مضى من سالف الأعصُرِ)
الشعر للوليد بن يزيد وقيل إنه لعمر بن أبي ربيعة وقيل إنه للعرجي وهو للوليد صحيح والغناء واللحن المختار لابن سريج خفيف رمل بالبنصر في مجراها وفيه لشارية خفيف رمل آخر عن ابن المعتز وذكر الهشامي أن فيه لحكم الوادي خفيف رمل أيضا
خبر أشعب مع زيد بن عمرو بن عثمان زوج سكينة بنت الحسين
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المدائني قال
كان زيد بن عمرو بن عثمان قد تزوج سكينة بنت الحسين رضي الله تعالى عنه فعتب عليها يوما فخرج إلى مال له فذكر أشعب أن سكينة دعته فقالت له إن ابن عثمان خرج عاتبا علي فاعلم لي حاله قلت لا أستطيع أن أذهب إليه الساعة فقالت أنا أعطيك ثلاثين دينارا فأعطتني إياها فأتيته ليلا فدخلت الدار فقال انظروا من في الدار فأتوه فقالوا أشعب فنزل عن فرشه وصار إلى الأرض فقال أشعيب قلت نعم قال ما جاء بك قلت أرسلتني سكينة لأعلم خبرك أتذكرت منها ما تذكرت منك وأنا أعلم أنك قد فعلت حين نزلت عن فرشك وصرت إلى الأرض قال دعني من هذا وغنني
((عُوجا به فاستنطِقاه فقد ... ذكّرني ما كنتُ لم أذكر
فغنيته فلم يطرب ثم قال غنني ويحك غير هذا فإن أصبت ما في نفسي فلك خلتي هذه وقد اشتريتها آنفا بثلثمائة دينار فغنيته
صوت
(عَلِقَ القلب بعضُ ما قد شجاه ... من حبيبٍ أمسى هوانا هواهُ)
(ما ضِرارِي نفسي بهجران منْ ليس ... مُسيئا ولا بعيداً نواهُ)
(واجتنابي بنتَ الحبيب وما الخُلد ... ُ بأشهى إليّ من أن أراهُ)
فقال ما عدوت ما في نفسي خذ الحلة فأخذتها ورجعت إلى سكينة فقصصت عليها القصة فقالت وأين الحلة قلت معي فقالت وأنت الآن تريد أن تلبس حلة ابن عثمان لا والله ولا كرامة فقلت قد أعطانيها فأي شيء تريدين مني فقالت أنا أشتريها منك فبعتها إياها بثلثمائة دينار
الشعر المذكور في هذا الخبر لعمر بن أبي ربيعة والغناء للدارمي خفيف ثقيل بالخنصر في مجرى الوسطى وذكر عمرو بن بانة أنه للهذلي وفيه لابن جامع ثاني ثقيل بالوسطى
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه أن رجلا كانت له جارية يهواها وتهواه فغاضبها يوما وتمادى ذلك بينهما واتفق أن مغنية دخلت فغنتهما
(ما ضِرَاري نفسي بهجرانَ مَنْ ليس ... مُسيئاً ولا بعيداً نواه)
فقالت الجارية لا شيء والله إلا الحمق ثم قامت إلى مولاها فقبلت رأسه واصطلحا

صوت من المائة المختارة
(يا ويحَ نفسي لو أنه أقصرْ ... ما كان عيشي كما أرى أكدَرْ)
((يا من عذيري ممن كَلِفتُ به ... يشهد قلبي بأنه يسْحَرْ
(يا رُبَّ يومٍ رأيتني مَرِحاً ... آخذٌ في اللهو مُسبِلَ المِئزرْ)
(بين ندامى تحُثّ كأسَهُمُ ... عليهمُ كفُّ شادنٍ أحوَرْ)
الشعر لأبي العتاهية والغناء لفريدة خفيف رمل بالبنصر
إلى هنا انتهى الجزء الثالث من كتاب الأغاني ويليه إن شاء الله تعالى الجزء الرابع منه وأوله ذكر نسب أبي العتاهية وأخباره سوى ما كان منها مع عتبة

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر نسب أبي العتاهية وأخباره

أبو العتاهية لقب غلب عليه
واسمه إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان مولى عنزة
وكنيته أبو إسحاق
وأمه أم زيد بنت زياد المحاربي مولى بني زهرة وفي ذلك يقول أبو قابوس النصراني وقد بلغه أن أبا العتاهية فضل عليه العتابي
(قُلْ لِلمُكنّي نفسه ... مُتَخيّرا بعتَاهِيهْ)
(والمرسِلِ الكلِمِ القبيح ... وعتْه أُذْنٌ واعيهْ)
(إن كنت سِرّاً سؤتني ... أو كان ذاك علانيهْ)
(فعليك لعنةُ ذي الجلال ... وأمُّ زيدٍ زانيهْ)
ومنشؤه بالكوفة
وكان في أول أمره يتخنث ويحمل زاملة المخنثين ثم كان يبيع الفخار بالكوفة ثم قال الشعر فبرع فيه وتقدم
ويقال أطبع الناس بشار والسيد وأبو العتاهية
وما قدر أحد على جمع شعر هؤلاء الثلاثة لكثرته
وكان
غزير البحر لطيف المعاني سهل الألفاظ كثير الافتنان قليل التكلف إلا أنه كثير الساقط المرذول مع ذلك
وأكثر شعره في الزهد والأمثال
وكان قوم من أهل عصره ينسبونه إلى القول بمذهب الفلاسفة ممن لا يؤمن بالبعث ويحتجون بأن شعره إنما هو في ذكر الموت والفناء دون ذكر النشور والمعاد
وله أوزان طريفة قالها مما لم يتقدمه الأوائل فيها
وكان أبخل الناس مع يساره وكثرة ما جمعه من الأموال

سبب لقبة

حدثني محمد بن يحيى الصولي قال أخبرني محمد بن موسى بن حماد قال
قال المهدي يوما لأبي العتاهية أنت إنسان متحذلق معته
فاستوت له من ذلك كنية غلبت عليه دون اسمه وكنيته وسارت له في الناس
قال ويقال
للرجل المتحذلق عتاهية كما يقال للرجل الطويل شناحية
ويقال أبو عتاهية بإسقاط الألف واللام
قال محمد بن يحيى وأخبرني محمد بن موسى قال أخبرني ميمون بن هارون عن بعض مشايخه قال كني بأبي العتاهية أن كان يحب الشهرة والمجون والتعته
وبلده الكوفة وبلد آبائه وبها مولده ومنشؤه وباديته
قال محمد بن سلام وكان محمد بن أبي العتاهية يذكر أن أصلهم من عنزة وأن جدهم كيسان كان من أهل عين التمر فلما غزاها خالد بن الوليد كان كيسان جدهم هذا يتيما صغيرا يكفله قرابة له من عنزة فسباه خالد مع جماعة صبيان من أهلها فوجه بهم إلى أبي بكر فوصلوا إليه وبحضرته عباد بن رفاعة العنزي بن أسد بن ربيعة بن نزار فجعل أبو بكر رضي الله عنه يسأل الصبيان عن أنسابهم فيخبره كل واحد بمبلغ معرفته حتى سأل كيسان فذكر له أنه من عنزة
فلما سمعه عباد يقول ذلك استوهبه من أبي بكر رضي الله عنه وقد كان خالصا له فوهبه له فأعتقه فتولى عنزة
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا أحمد بن الحجاج الجلاني الكوفي قال حدثني أبو دؤيل مصعب بن دؤيل الجلاني قال لم أر قط مندل بن علي العنزي وأخاه حيان بن علي غضبا من شيء قط إلا يوما واحدا دخل عليها أبو العتاهية وهو مضمخ بالدماء
فقالا له ويحك ما بالك فقال لهما من أنا فقالا له أنت أخونا وابن عمنا
ومولانا فقال إن فلانا الجزار قتلني وضربني وزعم أني نبطي فإن كنت نبطيا هربت على وجهي وإلا فقوما فخذا لي بحقي
فقام معه مندل بن علي وما تعلق نعله غضبا وقال له والله لو كان حقك على عيسى بن موسى لأخذته لك منه ومر معه حافيا حتى أخذ له بحقه
أخبرني الصولي قال حدثنا محمد بن موسى عن الحسن بن علي عن عمر بن معاوية عن جبارة بن المفلس الحماني قال أبو العتاهية مولى عطاء بن محجن العنزي

صنعة أبي العتاهية

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال قال أبو عون أحمد بن المنجم أخبرني خيار الكاتب قال
كان أبو العتاهية وإبراهيم الموصلي من أهل المذار جميعا وكان أبو العتاهية وأهله يعملون الجرار الخضر فقدما إلى بغداد

ثم افترقا فنزل إبراهيم الموصلي ببغداد ونزل أبو العتاهية الحيرة
وذكر عن الرياشي أنه قال مثل ذلك وأن أبا أبي العتاهية نقله إلى الكوفة
قال محمد بن موسى فولاء أبي العتاهية من قبل أبيه لعنزة ومن قبل أمه لبني زهرة ثم لمحمد بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وكانت أمه مولاة لهم يقال لها أم زيد
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن مهرويه قال قال الخليل بن أسد
كان أبو العتاهية يأتينا فيستأذن ويقول أبو إسحاق الخزاف
وكان أبوه حجاما من أهل ورجة ولذلك يقول أبو العتاهية
(ألاَ إنّما التَّقْوَى هو العِزّ والكَرَمْ ... وحُبُّك للدّنيا هو الفقر والعَدَمْ)
(وليس على عبدٍ تَقِيٍّ نقيصةٌ ... إذا صحّح التّقوى وإن حاك أو حَجْم)
شعره بعد أن فاخره رجل من كنانة
حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا الغلابي قال حدثنا محمد بن أبي العتاهية قال
جاذب رجل من كنانة أبا العتاهية في شيء ففخر عليه الكناني واستطال بقوم من أهله فقال أبو العتاهية
(دَعْنِي مِن ذِكْر أبٍ وجَدٍّ ... ونَسَبٍ يُعْلِيكَ سُورَ المجدِ)
(ما الفخرُ إلا في التُّقَى والزُّهدِ ... وطاعةٍ تُعطي جِنَانَ الخُلْدِ)
(لا بُدَّ من وِرْدٍ لأهلِ الوِردِ ... إمّا إلى ضَحْلٍ وإمّا عِدِّ)
حدثني الصولي قال حدثنا محمد بن موسى عن أحمد بن حرب قال
كان مذهب أبي العتاهية القول بالتوحيد وأن الله خلق جوهرين متضادين لا من شيء ثم إنه بنى العالم هذه البنية منهما وأن العالم حديث العين والصنعة لا محدث له إلا الله وكان يزعم أن الله سيرد كل شيء إلى الجوهرين المتضادين قبل أن تفنى الأعيان جميعا
وكان يذهب إلى أن المعارف واقعة بقدر الفكر والاستدلال والبحث طباعا
مذهب أبي العتاهية
وكان يقول بالوعيد وبتحريم المكاسب ويتشيع بمذهب الزيدية البترية المبتدعة لا يتنقص أحدا ولا يرى مع ذلك الخروج على السلطان
وكان مجبرا
قال الصولي فحدثني يموت بن المزرع قال حدثني الجاحظ قال قال أبو العتاهية لثمامة بين يدي المأمون وكان كثيرا ما يعارضه بقوله في الإجبار أسألك عن مسألة
فقال له المأمون عليك بشعرك
فقال إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في مسألته ويأمره بإجابتي فقال له أجبه إذا سألك
فقال أنا أقول إن كل ما فعله العباد من خير وشر فهو من الله وأنت تأبى ذلك فمن حرك يدي هذه وجعل أبو العتاهية يحركها
فقال له ثمامة حركها من أمه زانية
فقال شتمني والله يا أمير المؤمنين
فقال ثمامة ناقض الماص بظر أمه والله يا أمير المؤمنين فضحك المأمون وقال له ألم أقل لك أن تشتغل بشعرك وتدع ما ليس من عملك قال ثمامة فلقيني بعد ذلك فقال لي يا أبا معن أما أغناك الجواب
عن السفه فقلت إن من أتم الكلام ما قطع الحجة وعاقب على الإساءة وشفى من الغيظ وانتصر من الجاهل
قال محمد بن يحيى وحدثني عون بن محمد الكندي قال
سمعت العباس بن رستم يقول كان أبو العتاهية مذبذبا في مذهبه يعتقد شيئا فإذا سمع طاعنا عليه ترك اعتقاده إياه وأخذ غيره
حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني ابن أبي الدنيا قال حدثني الحسين بن عبد ربه قال حدثني علي بن عبيدة الريحاني قال حدثني أبو الشمقمق أنه رأى أبا العتاهية يحمل زاملة المخنثين فقلت له أمثلك يضع نفسه هذا الموضع مع سنك وشعرك وقدرك فقال له أريد أن أتعلم كيادهم وأتحفظ كلامهم
مارس صنعة الحجامة
أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال
ذكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل أن بشر بن المعتمر قال يوما لأبي العتاهية بلغني أنك لما نسكت جلست تحجم اليتامى والفقراء للسبيل أكذلك كان قال نعم قال له فما أردت بذلك قال أردت أن أضع من نفسي حسبما رفعتني الدنيا وأضع منها ليسقط عنها الكبر وأكتسب بما فعلته الثواب وكنت أحجم اليتامى والفقراء خاصة
فقال له بشر دعني من تذليلك نفسك بالحجامة فإنه ليس بحجة لك أن تؤدبها وتصلحها بما لعلك تفسد به أمر غيرك أحب أن تخبرني هل كنت تعرف الوقت الذي كان يحتاج فيه من تحجمه إلى إخراج الدم قال لا
قال هل كنت تعرف مقدار ما يحتاج كل واحد منهم إلى أن
يخرجه على قدر طبعه مما إذا زدت فيه أو نقصت منه ضر المحجوم قال لا
قال فما أراك إلا أردت أن تتعلم الحجامة على أقفاء اليتامى والمساكين
أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا أبو ذكوان قال حدثنا العباس بن رستم قال كان حمدويه صاحب الزنادقة قد أراد أن يأخذ أبا العتاهية ففزع من ذلك وقعد حجاما
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال قال أبو دعامة علي بن يزيد أخبر يحيى بن خالد أن أبا العتاهية قد نسك وأنه جلس يحجم الناس للأجر تواضعا بذلك
فقال ألم يكن يبيع الجرار قبل ذلك فقيل له بلى
فقال أما في بيع الجرار من الذل ما يكفيه ويستغني به عن الحجامة
أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني شيخ من مشايخنا قال حدثني أبو شعيب صاحب ابن أبي داود قال
قلت لأبي العتاهية القرآن عندك مخلوق أم غير مخلوق فقال أتسألني عن الله أم عن غير الله قلت عن غير الله فأمسك

وأعدت عليه فأجابني هذا الجواب حتى فعل ذلك مرارا
فقلت له ما لك لا تجيبني قال قد أجبتك ولكنك حمار

أوصافه

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا شيخ من مشايخنا قال حدثني محمد بن موسى قال
كان أبو العتاهية قضيفا أبيض اللون أسود الشعر له وفرة جعدة
وهيئة حسنة ولباقة وحصافة وكان له عبيد من السودان ولأخيه زيد أيضا عبيد منهم يعملون الخزف في أتون لهم فإذا اجتمع منه شيء ألقوه على أجير لهم يقال له أبو عباد اليزيدي من أهل طاق الجرار بالكوفة فيبيعه على يديه ويرد فضله إليهم
وقيل بل كان يفعل ذلك أخوه زيد لا هو وسئل عن ذلك فقال أنا جرار القوافي وأخي جرار التجارة
قال محمد بن موسى وحدثني عبد الله بن محمد قال حدثني عبد الحميد بن سريع مولى بني عجل قال
أنا رأيت أبا العتاهية وهو جرار يأتيه الأحداث والمتأدبون فينشدهم أشعاره فيأخذون ما تكسر من الخزف فيكتبونها فيها
حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني عون بن محمد الكندي قال حدثني محمد بن عمر الجرجاني قال
لما هاجى أبو قابوس النصراني كلثوم بن عمرو العتابي جعل أبو العتاهية يشتم أبا قابوس ويضع منه ويفضل العتابي عليه فبلغه ذلك فقال فيه
(قُلْ للمُكَنّي نفسَه ... مُتخيِّراً بعتاهيهْ)
(والمرسِلِ الكَلِمَ القبيحَ ... وعتْه أُذْنٌ واعيهْ)
(إن كنتَ سراً سؤتَني ... أو كان ذاك عَلانيهْ)
(فعليك لعنةُ ذي الاجلاَل ... وأُمّ زيدٍ زانيهْ)
يعني أم أبي العتاهية وهي أم زيد بنت زياد فقيل له أتشتم مسلما فقال لم أشتمه وإنما قلت
((فعليك لعنةُ ذي الجلال ... ومَنْ عَنينْا زانيهْ
قال وفيه يقول والبة بن الحباب وكان يهاجيه
(كان فينا يُكْنَى أبا إسحاقِ ... وبها الرَّكْبُ سارَ في الآفاقِ)
(فتكنَّى مَعْتُوهُنَا بعَتَاهٍ ... يا لها كُنْيةً أتت باتّفاقِ)
(خلق الله لِحْيَةً لك لا تنفكُّ ... معقودةً بداء الحُلاَقِ)
أخبرنا محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا النوشجاني قال أتاني البواب يوما فقال لي أبو إسحاق الخزاف بالباب فقلت ائذن له فإذا أبو العتاهية قد دخل
فوضعت بين يديه قنو موز فقال قد صرت تقتل العلماء بالموز قتلت أبا عبيدة بالموز وتريد أن تقتلني به لا والله لا أذوقه
قال فحدثني عروة بن يوسف الثقفي قال رأيت أبا عبيدة قد خرج من دار النوشجاني في شق محمل مسجى إلا أنه حي وعند رأسه قنو موز وعند رجليه قنو موز آخر يذهب به إلى أهله
فقال النوشجاني وغيره لما دخلنا عليه نعوده قلنا ما سبب علتك قال هذا النوشجاني جاءني بموز كأنه أيور المساكين فأكثرت منه فكان سبب علتي
قال ومات في تلك العلة

مصعب يقول أبو العتاهية أشعر الناس

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال
سمعت مصعب بن عبد الله يقول أبو العتاهية أشعر الناس فقلت له بأي شيء استحق ذلك عندك فقال بقوله
(تَعلّقتُ بآمالٍ ... طِوالٍ أيِّ آمالِ)
(وأقبلتُ على الدّنيا ... مُلِحّاً أيَّ إقبالِ)
(أيا هذا تَجَهَّزْ لفراق ... الأهل والمال)
(فلا بدّ من الموت ... على حالٍ من الحالِ)
ثم قال مصعب هذا كلام سهل حق لا حشو فيه ولا نقصان يعرفه العاقل ويقربه الجاهل
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي قال سمعت الأصمعي يستحسن قول أبي العتاهية
(أنتَ ما استغنيتَ عن صاحبك ... الدهرَ أخوه)
(فإذا احتجتَ إليه ... ساعةً مجّك فُوه)

سلم الخاسر يقول أبو العتاهية أشعر الأنس والجن

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي إملاء قال حدثني عمي الفضل بن محمد
قال حدثني موسى بن صالح الشهرزوري قال
أتيت سلما الخاسر فقلت له أنشدني لنفسك
قال لا ولكن أنشدك لأشعر الجن والإنس لأبي العتاهية ثم أنشدني قوله

صوت

(سَكَنٌ يبقَى له سَكَنُ ... ما بهذا يُؤذِن الزَّمنُ)
(نحن في دارٍ يُخَبِّرنا ... بِبلاَها ناطقٌ لَسِنُ)
(دار سَوءِ لم يدُمْ فَرَحٌ ... لامرىءٍ فيها ولا حَزَنُ)
(في سبيل الله أنفسُنا ... كلُّنا بالموت مُرتَهنُ)
(كلُّ نفسٍ عند مِيتَتِها ... حظُّها من مالِها الكَفَنُ)
(إنّ مالَ المرءِ ليس له ... منه إلاّ ذكرُه الحسن)
فأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني محمد بن القاسم قال حدثني رجل من أهل البصرة أنسيت اسمه قال حدثني حمدون بن زيد قال حدثني رجاء بن مسلمة قال
قلت لسلم الخاسر من أشعر الناس فقال إن شئت أخبرتك بأشعر الجن والإنس
فقلت إنما أسالك عن الإنس فإن زدتني الجن فقد أحسنت

فقال أشعرهم الذي يقول
(سَكَنٌ يبقى له سَكَنُ ... ما بهذا يُؤذِن الزّمنُ)
قال والشعر لأبي العتاهية
حدثني اليزيدي قال حدثني عمي الفضل قال حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا يحيى بن زياد الفراء قال
دخلت على جعفر بن يحيى فقال لي يا أبا زكريا ما تقول فيما أقول فقلت وما تقول أصلحك الله قال أزعم أن أبا العتاهية أشعر أهل هذا العصر
فقلت هو والله أشعرهم عندي
حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني محمد بن موسى قال حدثني جعفر بن النضر الواسطي الضرير قال حدثني محمد بن شيرويه الأنماطي قال
قلت لداود بن زيد بن رزين الشاعر من أشعر أهل زمانه قال أبو نواس
قلت فما تقول في أبي العتاهية فقال أبو العتاهية أشعر الإنس والجن
أخبرني الصولي قال حدثني محمد بن موسى قال قال الزبير بن بكار أخبرني إبراهيم بن المنذر عن الضحاك قال
قال عبد الله بن عبد العزيز العمري أشعر الناس أبو العتاهية حيث يقول
(ما ضَرّ مَنْ جعل التُّرابَ مِهادَه ... ألاّ ينامَ على الحرير إذا قَنِعْ)
صدق والله وأحسن
حدثني الصولي قال حدثني محمد بن محمد بن موسى قال حدثني أحمد بن حرب قال حدثني المعلى بن عثمان قال
قيل لأبي العتاهية كيف تقول الشعر قال ما أردته قط إلا مثل لي فأقول ما أريد وأترك ما لا أريد
أخبرني ابن عمار قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني روح بن الفرج الحرمازي قال
جلست إلى أبي العتاهية فسمعته يقول لو شئت أن أجعل كلامي كله شعرا لفعلت
حدثنا الصولي قال حدثنا العنزي قال حدثنا أبو عكرمة قال
قال محمد بن أبي العتاهية سئل أبي هل تعرف العروض فقال أنا أكبر من العروض
وله أوزان لا تدخل في العروض
شعره في الرشيد وهو مريض
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا العنزي قال حدثنا أبو عكرمة قال
حم الرشيد فصار أبو العتاهية إلى الفضل بن الربيع برقعة فيها
(لو عَلِم النّاسُ كيف أنت لهم ... ماتوا إذا ما أَلِمْتَ أجْمَعُهمْ)
(خليفةَ اللّه أنت ترجَحُ بالنّاس ... إذا ما وُزِنْتَ أنت وهُمْ)
(قد عَلِم النّاسُ أنّ وجهَك يَستَغْنِي ... إذا ما رآهُ مُعدِمُهمْ)
فأنشدها الفضل بن الربيع الرشيد فأمر بإحضار أبي العتاهية فما زال يسامره ويحدثه إلى أن برئ ووصل إليه بذلك السبب مال جليل
ابن الأعرابي يدافع عنه
قال وحدثت أن ابن الأعرابي حدث بهذا الحديث فقال له رجل بالمجلس ما هذا الشعر بمستحق لما قلت
قال ولم قال لأنه شعر ضعيف
فقال ابن الأعرابي وكان أحد الناس الضعيف والله عقلك لا شعر أبي العتاهية ألأبي العتاهية تقول إنه ضعيف الشعر فوالله ما رأيت شاعرا قط أطبع ولا أقدر على بيت منه وما أحسب مذهبه إلا ضربا من السحر ثم أنشد له
(قطّعتُ منك حَبائلَ الآمال ... وحطَطتُ عن ظَهْر المَطِيّ رِحالي)
(ووجدتُ بَرْدَ اليأس بين جَوانحي ... فأرَحْتُ من حَلٍّ ومن تَرْحال)
(يأيها البَطِرُ الذي هو من غدٍ ... في قبره متمزّقُ الأوْصال)
(حذَفَ المُنَى عنه المُشمِّرُ في الهُدى ... وأرى مُناكَ طَوِيلَةَ الأذيال)
(حِيَلُ ابنِ آدم في الأمور كثيرةٌ ... والموتُ يَقْطَعُ حيلةَ المُحتال)
(قِستُ السؤالَ فكان أعظمَ قيمةً ... من كلّ عارفةٍ جرَتْ بسؤال)
(فإذا ابتُلِيتَ ببَذْلِ وجهك سائلاً ... فابذُلْه للمُتكَرِّم المِفْضال)
(وإذا خَشِيتَ تَعَذُّراً في بلدةٍ ... فاشدُدْ يَدَيْك بعاجِل التَّرحال)
(واصْبِرْ على غِيَر الزَّمان فإنّما ... فَرَجُ الشّدائد مثلُ حَلّ عِقال)
ثم قال للرجل هل تعرف أحدا يحسن أن يقول مثل هذا الشعر فقال له الرجل يا أبا عبد الله جعلني الله فداءك إني لم أردد عليك ما قلت ولكن الزهد مذهب أبي العتاهية وشعره في المديح ليس كشعره في الزهد
فقال أفليس الذي يقول في المديح
(وهارونُ ماءُ المُزْن يُشْفَى به الصّدَى ... إذا ما الصَّدِي بالرِّيق غَصَّتْ حَنَاجِرُهْ)
(وأوْسطُ بيتٍ في قريش لبيتِه ... وأوّلُ عِزٍّ في قريش وآخرُه)
(وزَحْفٍ له تَحكي البروقَ سيوفهُ ... وتَحكي الرعودَ القاصفاتِ حوافرُه)
(إذا حَمِيَتْ شمسُ النّهار تضاحكتْ ... إلى الشّمس فيه بَيْضُه ومَغَافره)
(إذا نُكِبَ الإسلامُ يوماً بِنَكْبةٍ ... فهارونُ من بين البَرِيّة ثائرُه)
(ومَنْ ذا يفوت الموتَ والموتُ مُدرِكٌ ... كذا لم يَفُتْ هارونَ ضِدٌّ يُنافرهْ)
قال فتخلص الرجل من شر ابن الأعرابي بأن قال له القول كما قلت وما كنت سمعت له مثل هذين الشعرين وكتبهما عنه
حدثني محمد قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال حدثني ابن الأعرابي المنجم قال حدثني هارون بن سعدان بن الحارث مولى عباد قال
أبو نواس يفضله على نفسه
حضرت أبا نواس في مجلس وأنشد شعرا
فقال له من حضر في المجلس أنت أشعر الناس

قال أما والشيخ حي فلا
يعني أبا العتاهية
أخبرني يحيى بن علي إجازة قال حدثني علي بن مهدي قال حدثني الحسين ابن أبي السري قال
قال ثمامة بن أشرس أنشدني أبو العتاهية
((إذا المرءُ لم يُعْتِقْ من المالِ نفسَه ... تَملّكه المالُ الذي هو مالِكُه
(ألاَ إنّما مالي الذي أنا مُنفِقٌ ... وليس لِيَ المالُ الذي أنا تارِكُه)
(إذا كنتَ ذا مالٍ فبادِرْ به الذي ... يَحِقّ وإلاّ استهلَكتهْ مَهَالِكُهْ)
فقلت له من أين قضيت بهذا فقال من قول رسول الله إنما لك من مالك ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت فقلت له أتؤمن بأن هذا قول رسول الله وأنه الحق قال نعم قلت فلم تحبس عندك سبعا وعشرين بدرة في دارك ولا تأكل منها ولا تشرب ولا تزكي ولا تقدمها ذخرا ليوم فقرك وفاقتك فقال يا أبا معن والله إن ما قلت لهو الحق ولكني أخاف الفقر والحاجة إلى الناس
فقلت وبم تزيد حال من افتقر على حالك وأنت دائم الحرص دائم الجمع شحيح على نفسك لا تشتري اللحم إلا من عيد إلى عيد فترك جواب كلامي كله ثم قال لي والله لقد اشتريت في يوم عاشوراء لحما وتوابله وما يتبعه بخمسة دراهم فلما قال لي هذا القول أضحكني حتى أذهلني عن جوابه ومعاتبته فأمسكت عنه وعلمت أنه ليس ممن شرح الله صدره للإسلام
أخبار عن بخله
أخبرني يحيى بن علي إجازة قال حدثني علي بن المهدي قال قال الجاحظ حدثني ثمامة قال
دخلت يوما إلى أبي العتاهية فإذا هو يأكل خبزا بلا شيء
فقلت كأنك رأيته يأكل خبزا وحده قال لا ولكني رأيته يتأدم بلا شيء
فقلت وكيف
ذلك فقال رأيت قدامه خبزا يابسا من رقاق فطير وقدحا فيه لبن حليب فكان يأخذ القطعة من الخبز فيغمسها من اللبن ويخرجها ولم تتعلق منه بقليل ولا كثير فقلت له كأنك اشتهيت أن تتأدم بلا شيء وما رأيت أحدا قبلك تأدم بلا شيء
قال الجاحظ وزعم لي بعض أصحابنا قال دخلت على أبي العتاهية في بعض المتنزهات وقد دعا عياشا صاحب الجسر وتهيأ له بطعام وقال لغلامه إذا وضعت قدامهم الغداء فقدم إلي ثريدة بخل وزيت
فدخلت عليه
وإذا هو يأكل منها أكل متكمش غير منكر لشيء
فدعاني فمددت يدي معه فإذا بثريدة بخل بزر بدلا من الزيت
فقلت له أتدري ما تأكل قال نعم ثريدة بخل وبزر
فقلت ما دعاك إلى هذا قال غلط الغلام بين دبة الزيت ودبة البزر فلما جاءني كرهت التجبر وقلت دهن كدهن فأكلت وما أنكرت شيئا
أخبرني يحيى بن علي قال حدثني علي بن مهدي قال حدثنا عبد الله بن عطية الكوفي قال حدثنا محمد بن عيسى الخزيمي وكان جار أبي العتاهية قال
كان لأبي العتاهية جار يلتقط النوى ضعيف سيئ الحال متجمل عليه ثياب فكان يمر بأبي العتاهية طرفي النهار فيقول أبو العتاهية اللهم أغنه عما هو بسبيله شيخ ضعيف سيئ الحال عليه ثياب متجمل اللهم أغنه إصنع له بارك فيه
فبقي على هذا إلى أن مات الشيخ نحوا من عشرين سنة
ووالله إن تصدق عليه بدرهم ولا دانق قط وما زاد على الدعاء شيئا
فقلت له يوما يا أبا إسحاق إني أراك تكثر الدعاء لهذا الشيخ وتزعم أنه فقير مقل فلم لا تتصدق عليه بشيء فقال أخشى أن يعتاد الصدقة والصدقة آخر كسب العبد وإن في الدعاء لخيرا كثيرا
قال محمد بن عيسى الخزيمي هذا وكان لأبي العتاهية خادم أسود طويل كأنه محراك أتون وكان يجري عليه في كل يوم رغيفين
فجاءني الخادم يوما فقال لي والله ما أشبع
فقلت وكيف ذاك قال لأني ما أفتر من الكد وهو يجري علي رغيفين بغير إدام
فإن رأيت أن تكلمه حتى يزيدني رغيفا فتؤجر فوعدته بذلك
فلما جلست معه مر بنا الخادم فكرهت إعلامه أنه شكا إلي ذلك فقلت له يا أبا إسحاق كم تجري على هذا الخادم في كل يوم قال رغيفين
فقلت له لا يكفيانه
قال من لم يكفه القليل لم يكفه الكثير وكل من أعطى نفسه شهوتها هلك وهذا خادم يدخل إلى حرمي وبناتي فإن لم أعوده القناعة والاقتصاد أهلكني وأهلك عيالي ومالي
فمات الخادم بعد ذلك فكفنه في إزار وفراش له خلق
فقلت له سبحان الله خادم قديم الحرمة طويل الخدمة واجب الحق تكفنه في خلق وإنما يكفيك له كفن بدينار فقال إنه يصير إلى البلى والحي أولى بالجديد من الميت
فقلت له يرحمك الله أبا إسحاق فلقد عودته الاقتصاد حيا وميتا
قال محمد بن عيسى هذا وقف عليه ذات يوم سائل من العيارين الظرفاء وجماعة من جيرانه حوله فسأله من بين الجيران فقال صنع الله لك فأعاد السؤال فأعاد عليه ثانية فأعاد عليه ثالثة فرد عليه مثل ذلك فغضب وقال له ألست القائل
(كلُّ حَيٍّ عند مِيتته ... حظُّه مِن ماله الكفنُ)
ثم قال فبالله عليك أتريد أن تعد مالك كله ثمن كفنك قال لا
قال فبالله كم قدرت لكفنك قال خمسة دنانير
قال فهي إذا حظك من مالك كله

قال نعم
قال فتصدق علي من غير حظك بدرهم واحد
قال لو تصدقت عليك لكان حظي
قال فاعمل على أن دينارا من الخمسة الدنانير وضيعة قيراط وادفع إلي قيراطا واحدا وإلا فواحدة أخرى
قال وما هي قال القبور تحفر بثلاثة دراهم فأعطني درهما وأقيم لك كفيلا بأني أحفر لك قبرك به متى مت وتربح درهمين لم يكونا في حسبابك فإن لم أحتفر رددته على ورثتك أو رده كفيلي عليهم
فخجل أبو العتاهية وقال اعزب لعنك الله وغضب عليك فضحك جميع من حضر
ومر السائل يضحك فالتفت إلينا أبو العتاهية فقال من أجل هذا وأمثاله حرمت الصدقة
فقلنا له ومن حرمها ومتى حرمت فما رأينا أحدا ادعى أن الصدقة حرمت قبله ولا بعده
قال محمد بن عيسى هذا وقلت لأبي العتاهية أتزكي مالك فقال والله ما أنفق على عيالي إلا من زكاة مالي
فقلت سبحان الله إنما ينبغي أن تخرج زكاة مالك إلى الفقراء والمساكين
فقال لو انقطعت عن عيالي زكاة مالي لم يكن في الأرض أفقر منهم
أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا الزبير بن بكار قال
قال سليمان بن أبي شيخ قال إبراهيم بن أبي شيخ قلت لأبي العتاهية أي شعر قلته أحكم قال قولي
(عَلِمْتَ يا مُجاشِعُ بنَ مَسْعَدهْ ... أنّ الشّباب والفَراغَ والجِدَهْ)
(... مَفْسَدةٌ للمرء أيُّ مَفْسدهْ)
أخبرني عيسى قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا أبو غزية قال
كان مجاشع بن مسعدة أخو عمرو بن مسعدة صديقا لأبي العتاهية فكان يقوم بحوائجه كله ويخلص مودته فمات وعرضت لأبي العتاهية حاجة إلى أخيه
عمرو بن مسعدة فتباطأ فيها فكتب إليه أبو العتاهية
(غَنِيتَ عن العهد القديم غَنِيتا ... وضَيَّعتَ وُدّاً بيننا ونَسيتا)
(ومِن عَجَب الأيّام أن مات مألَفي ... ومَن كُنتَ تَغْشاني به وبَقِيتَا)
فقال عمرو استطال أبو إسحاق أعمارنا وتوعدنا ما بعد هذا خير ثم قضى حاجته
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثنا أبو غزية قال
كان أبو العتاهية إذا قدم من المدينة يجلس إلي فأراد مرة الخروج من المدينة فودعني ثم قال
(إنْ نَعِشْ نجتمعْ وإلاّ فما أشْغَلَ ... مَنْ مات عن جميع الأنام)
شعره في غلام طالبه بدين
أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني عبد الرحمن بن إسحاق العذري قال
كان لبعض التجار من أهل باب الطاق على أبي العتاهية ثمان ثياب أخذها منه
فمر به يوما فقال صاحب الدكان لغلام ممن يخدمه حسن الوجه أدرك أبا العتاهية فلا تفارقه حتى تأخذ منه مالنا عنده فأدركه على رأس الجسر فأخذ بعنان حماره ووقفه
فقال له ما حاجتك يا غلام قال أنا رسول فلان بعثني إليك لأخذ ماله عليك
فأمسك عنه أبو العتاهية وكان كل من مر فرأى الغلام متعلقا به وقف ينظر حتى رضي أبو العتاهية جمع الناس وحفلهم ثم أنشأ يقول
((واللهِ ربِّكَ إنّني ... لأُجِلُّ وجهَك عن فِعالكْ
(لو كان فِعلُك مثلَ وجهك ... كنتُ مُكْتفياً بذلكْ)
فخجل الغلام وأرسل عنان الحمار ورجع إلى صاحبه وقال بعثتني إلى شيطان جمع علي الناس وقال في الشعر حتى أخجلني فهربت منه
أخبرني أحمد بن العباس قال حدثنا العنزي قال قال إبراهيم بن إسحاق ابن إبراهيم التيمي حدثني إبراهيم بن حكيم قال
كان أبو العتاهية يختلف إلى عمرو بن مسعدة لود كان بينه وبين أخيه مجاشع
فاستأذن عليه يوما فحجب عنه فلزم منزله فاستبطأه عمرو فكتب إليه إن الكسل يمنعني من لقائك وكتب في أسفل رقعته
(كَسَّلَنِي اليأسُ منك عنك فما ... أرفَع طَرْفي إليك من كَسَلِ)
(إنّي إذا لم يكن أخي ثِقة ... قطَّعتُ منه حبائلَ الأمل)
حدثني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد النحوي قال
استأذن أبو العتاهية على عمرو بن مسعدة فحجب عنه فكتب إليه
(ما لك قد حُلْتَ عن إخائك ... واستبدلت يا عمرُو شيمةً كَدِرهْ)
(إنّي إذا البابُ تاه حاجبُه ... لم يَكُ عندي في هَجْرِه نَظِرَهْ)
(لَستُمْ تُرَجَّوْنَ للحِساب ولا ... يومَ تكونُ السماءُ مُنفطِرهْ)
((لكنْ لدنيا كالظلّ بهجتُها ... سريعةُ الانقضاءِ مُنْشَمِرهْ)
(قد كان وجهي لديك معرفةً ... فاليومَ أضحى حَرْفاً من النَّكِرهْ)
قصيدته في هجو عبد الله بن معن
أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثنا أبو عكرمة قال
كان الرشيد إذا رأى عبد الله بن معن بن زائدة تمثل قول أبي العتاهية
(أختُ بني شَيْبان مرّت بنا ... مَمْشوطةً كُوراً على بَغْلِ)
وأول هذه الأبيات
(يا صاحِبَيْ رَحْلِيَ لا تُكْثِرا ... في شَتْم عبد الله من عَذْلِ)
(سبحانَ مَن خَصّ ابنَ معنٍ بما ... أرى به من قِلّة العَقْل)
(قال ابنُ مَعْنٍ وجَلا نفسَه ... على مَن الجَلْوةُ يا أهْلي)

(أنا فتاةُ الحيّ من وَائِلِ ... في الشَّرَف الشّامخ والنُّبْل)
(ما في بَني شَيبانَ أهلِ الحِجَا ... جاريةٌ واحدةٌ مثلي)
(وَيْلِي ويا لَهْفِي على أمْرَدٍ ... يُلْصِقِ منّي القُرْطَ بالحِجْل)
(صافحتُه يوماً على خَلْوةٍ ... فقال دَعْ كفي وخُذْ رِجْلي)
(أُختُ بني شيبانَ مرّتْ بنا ... ممشوطةً كُوراً على بَغْل)
(تُكْنَى أبا الفضل ويَا مَن رأى ... جاريةً تُكْنَى أبا الفضل)
(قد نَقَّطتْ في وجهِها نُقطةً ... مَخافةَ العين من الكُحْل)
(إن زُرتموها قال حُجّابُها ... نحن عن الزُّوّار في شُغْل)
(مولاتُنا مشغولةٌ عندها ... بَعْل ولا إذنَ على البَعْل)
(يا بنتَ مَعْنِ الخيرِ لا تجهَلِي ... وأين إقصارٌ عن الجهل)
(أتَجْلِدُ الناسَ وأنتَ امرؤٌ ... تُجلَد في الدُّبْر وفي القُبْل)
(ما ينبغي للنّاس أن يَنسُبُوا ... مَنْ كان ذا جُودٍ إلى البُخل)
(يَبْذُلُ ما يمنع أهلُ الندى ... هذا لعَمْري مُنتهى البَذْل)
(ما قلتُ هذا فيك إلاّ وقد ... جَفّتْ به الأقلامُ من قَبْلي)
قال فبعث إليه عبد الله بن معن فأتي به فدعا بغلمان له ثم أمرهم أن يرتكبوا منه الفاحشة ففعلوا ذلك ثم أجلسه وقال له قد جزيتك على قولك في فهل لك في الصلح ومعه مركب وعشرة آلاف درهم أو تقيم على الحرب قال بل الصلح
قال فأسمعني ما تقوله في الصلح فقال
(ما لعُذّالي ومالي ... أمروني بالضّلال)
(عذَلوني في اغتِفاري ... لابن مَعْنٍ واحتمالي)
(إن يكن ما كان منه ... فبِجُرمي وفِعالي)
(أنا منه كنتُ أسوأ ... عِشْرةً في كلّ حال)
(قل لِمن يَعْجَب من حُسْن ... رجوعي ومَقالي)
(رُبَّ وُدٍّ بعد صَدٍّ ... وهوى بعد تَقَالي)
(قد رأينا ذا كثيراً ... جارياً بين الرّجال)
(إنما كانتْ يميني ... لَطَمتْ منّي شِمَالي)
خبره مع سعدى مولاه ابن معن
حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا محمد بن موسى اليزيدي قال حدثنا أبو سويد عبد القوي بن محمد بن أبي العتاهية ومحمد بن سعد قالا
كان أبو العتاهية يهوى في حداثته امرأة نائحة من أهل الحيرة لها حسن وجمال يقال لها سعدى وكان عبد الله بن معن بن زائدة المكني بأبي الفضل يهواها أيضا وكانت مولاة لهم ثم أتهمها أبو العتاهية بالنساء فقال فيها
(ألاَ يا ذَواتِ السَّحْقِ في الغربِ والشّرقِ ... أفِقْنَ فإنّ النَّيْكَ أشفَى من السَّحْق)
(أفِقنَ فإن الخبز بالأُدم يُشتَهى ... وليس يَسُوغُ الخبزُ بالخُبز في الحَلْق)
(أراكُنّ تَرْقَعن الخُروقَ بمثلها ... وأيّ لبيب يرقع الخَرْقَ بالخَرق)
(وهل يصلُح المِهراسُ إلا بعوده ... إذا احْتِيج منه ذاتَ يوم إلى الدَّقّ)
حدثني الصولي قال حدثني الغلابي قال حدثني مهدي بن سابق قال
تهدد عبد الله بن معن أبا العتاهية وخوفه ونهاه أن يعرض لمولاته سعدى فقال أبو العتاهية
(ألاَ قُلْ لابن معنٍ ذا الذي ... في الوُدّ قد حالا)
(لقد بُلّغتُ ما قال ... فما باليتُ ما قالا)
(ولو كان من الأُسْدِ ... لَمَا صَال ولا هالا)
(فصُغْ ما كنتَ حلَّيتَ ... به سَيْفَك خَلْخَالا)
(وما تصنع بالسيف ... إذا لم تَكُ قَتّالا)
(ولو مَدّ إلى أُذْنيه ... كَفَّيه لما نَالا)
(قَصيرُ الطُّولِ والطِّيلةِ ... لا شَبّ ولا طَالا)
(أرى قومَك أبطالا ... وقد أصبحتَ بطَّالا)
هجاؤه معن وأخاه يزيد
حدثنا الصولي قال حدثنا محمد بن موسى قال حدثني سليمان المدائني قال
احتال عبد الله بن معن على أبي العتاهية حتى أخذ في مكان فضربه مائة سوط ضربا ليس بالمبرح غيظا عليه وإنما لم يعنف في ضربه خوفا من كثرة من يعنى به فقال أبو العتاهية يهجوه
(جَلَدَتْني بكَفِّها ... بنتُ معنِ بن زائدهْ)
(جَلدتني فأوْجعتْ ... بأبي تِلك جَالدهْ)
(وتَراها مع الخَصِيّ ... على الباب قاعدهْ)
(تَتَكَنّى كُنى الرجالِ ... بعَمْدٍ مُكَايدهْ)
(جلدَتْني وبالغتْ ... مائةً غيرَ واحدهْ)
(إجْلديني واجْلِدي ... إنّما أنتِ والدهْ)
وقال أيضا
(ضرِبَتْني بكَفِّها بنتُ مَعْن ... أوْجَعتْ كفَّها وما أوجَعتنِي)
(ولَعَمْري لولا أذى كفِّها إذ ... ضَرَبَتْنِي بالسّوط ما تَركَتْني)
قال الصولي حدثنا عون بن محمد ومحمد بن موسى قالا
لما اتصل هجاء أبي العتاهية بعبد الله بن معن وكثر غضب أخوه يزيد بن

معن من ذلك وتوعد أبا العتاهية فقال فيه قصيدته التي أولها
(بَنِي مَعْنٍ وبَهدِمُه يزيدُ ... كذاك اللهُ يفعل ما يُريدُ)
(فمَعْنٌ كان للحُسّاد غمّاً ... وهذا قد يُسرّ به الحسود)
(يزيدُ يزيدُ في مَنْعٍ وبخلٍ ... وينقُص في العطاء ولا يزيد)
حدثني الصولي قال حدثني جبلة بن محمد قال حدثني أبي قال
مضى بنو معن إلى مندل وحيان ابني علي العنزيين الفقيهين وهما من بني عمرو بن عامر بطن من يقدم بن عنزة وكان من سادات أهل الكوفة فقالوا لهما نحن بيت واحد وأهل ولا فرق بيننا وقد أتانا من مولاكم هذا ما لو أتانا من بعيد الولاء لوجب أن تردعاه
فأحضر أبا العتاهية ولم يكن يمكنه الخلاف عليهما فأصلح بينه وبين عبد الله ويزيد ابني معن وضمنا عنه خلوص النية وعنهما أن ألا يتبعاه بسوء وكان ممن لا يمكن خلافهما فرجحت الحال إلى المودة والصفاء
فجعل الناس يعذلون أبا العتاهية على ما فرط منه ولامه آخرون في صلحه لهما فقال
(ما لعُذّالي ومالي ... أمَروني بالضَّلال)
وقد كتبت متقدمة
حدثني الصولي قال حدثنا محمد بن موسى قال
كان زائدة بن معن صديقا لأبي العتاهية ولم يعن إخوته عليه فمات فقال أبو العتاهية يرثيه
(حَزنتُ لموت زائدةَ بن مَعْنٍ ... حقيقٌ أن يطولَ عليه حُزني)
(فَتَى الفتيانِ زائدةُ المُصَفَّى ... أبو العباس كان أخي وخِدْني)
((فتى قومٍ وأيُّ فتىً توارتْ ... به الأكفان تحتَ ثَرىً ولبْن)
(ألا يا قبرَ زائدةَ بن معْنٍ ... دعوتُك كي تُجيبَ فلم تُجبني)
(سَلِ الأيامَ عن أركانِ قومي ... أصبن بهنّ رُكناً بعد ركن)
أخبرني الصولي قال حدثنا الحسن بن علي الرازي القارئ قال حدثني أحمد بن أبي فنن قال
كنا عند ابن الأعرابي فذكروا قول ابن نوفل في عبد الملك بن عمير
(إذا ذاتُ دَلٍّ كلَّمتْه لحاجةٍ ... فَهَمَّ بأن يَقْضي تَنَحْنَحَ أو سَعَلْ)
وأن عبد الملك قال تركني والله وإن السعلة لتعرض لي في الخلاء فأذكر قوله فأهاب أن أسعل
قال فقلت لابن الأعرابي فهذا أبو العتاهية قال في عبد الله بن معن بن زائدة
(فصُغْ ما كنت حَلَّيتَ ... به سيفكَ خَلْخَالاَ)
(وما تصنع بالسَّيفِ ... إذا لم تك قتَّالا)
فقال عبد الله بن معن ما لبست سيفي قط فرأيت إنسانا يلمحني إلا ظننت أنه يحفظ قول أبي العتاهية في فلذلك يتأملني فأخجل فقال ابن الأعرابي اعجبوا لعبد يهجو مولاه
قال وكان ابن الأعرابي مولى بني شيبان
ناظر مسلم بن الوليد في قول الشعر
نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى حدثني علي بن مهدي قال
حدثني الحسين بن أبي السري قال
إجتمع أبو العتاهية ومسلم بن الوليد الأنصاري في بعض المجالس فجرى بينهما كلام فقال له مسلم والله لو كنت أرضى أن أقول مثل قولك
(الحمدُ والنعمةُ لك ... والملكُ لا شريكَ لكْ)
(... لبيك إنّ المُلْك لكْ)
لقلت في اليوم عشرة آلاف بيت ولكني أقول
(مُوف على مهجٍ في يوم ذي رهجٍ ... كأنّه أجل يسعَى إلى أملِ)
(ينال بالرِّفق ما يعْيا الرجالُ به ... كالموتِ مُستعجِلاً يأتي على مَهَلِ)
(يكسو السيوف نفوسَ الناكثين به ... ويجعلُ الهامَ تيجانَ القنا الذُّبُلِ)
(للّهِ من هاشمٍ في أرضه جبل ... وأنت وابنُك رُكْنا ذلك الجبَلِ)
فقال له أبو العتاهية قل مثل قولي
(... الحمدُ والنِّعمة لكْ)
أقل مثل قولك
(... (كأنّه أجلٌ يَسعى إلى أملِ
بشار يستحسن اعتذاره
حدثني الصولي قال حدثنا الغلابي قال حدثنا مهدي بن سابق قال
قال بشار لأبي العتاهية أنا والله أستحسن اعتذارك من دمعك حيث تقول
(كم من صَديقٍ لي أُسارقُه ... البُكاءَ من الحيَاء)
(فإذا تأمَّلَ لامني ... فأقول ما بي مِنْ بُكاءِ)
(لكن ذهبتُ لأرتدي ... فطَرفتُ عيني بالرِّداء)
فقال له أبو العتاهية لا والله يا أبا معاذ ما لذت إلا بمعناك ولا اجتنيت إلا من غرسك حيث تقول
صوت
(شكوتُ إلى الغواني ما أُلاقي ... وقلتُ لهنّ ما يَومي بعيدُ)
(فقُلْنَ بكيتَ قلتُ لهنّ كلاّ ... وقد يَبْكي من الشَّوق الجَليدُ)
(ولكنّي أصابَ سَوادَ عيني ... عُوَيْدُ قَذىً له طَرَفٌ حديدُ)
(فقُلْنَ فما لدَمْعِهما سواءً ... أكِلْتا مُقْلَتَيْك أصابَ عُودُ)
لإبراهيم لموصلي في هذه الأبيات لحن من الثقيل الأول بالوسطى مطلق

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني محمد بن هارون الأزرقي مولى بني هاشم عن ابن عائشة عن ابن لمحمد بن الفضل الهاشمي قال
جاء أبو العتاهية إلى أبي فتحدثا ساعة وجعل أبي يشكو إليه تخلف الصنعة وجفاء السلطان
فقال لي أبو العتاهية اكتب
(كلٌّ على الدّنيا له حِرْصُ ... والحادثاتُ أَنَاتُها غَفْصُ)
(وكأنّ من وارَوْه في جَدَثٍ ... لم يبدُ منه لناظرٍ شَخْصُ)
(تَبْغِي من الدنيا زيادتَها ... وزيادةُ الدنيا هي النَّقْصُ)
(لِيَدِ المنيةِ في تَلَطُّفها ... عن ذُخْر كلِّ شفيقةٍ فَحْصُ)
عفو الرشيد عنه بعد حبسه
حدثني عمرو قال حدثني علي بن محمد الهشامي عن جده ابن حمدون قال أخبرني مخارق قال
لما تنسك أبو العتاهية ولبس الصوف أمره الرشيد أن يقول شعرا في الغزل فامتنع فضربه الرشيد ستين عصا وحلف ألا يخرج من حبسه حتى يقول شعرا في الغزل
فلما رفعت المقارع عنه قال أبو العتاهية كل مملوك له حر وامرأته طالق إن تكلم سنة إلا بالقرآن أو بلا إله إلا الله محمد رسول الله فكأن الرشيد تحزن مما فعله فأمر أن يحبس في دار ويوسع عليه ولا يمنع من دخول من يريد إليه
قال مخارق وكانت الحال بينه وبين إبراهيم الموصلي لطيفة فكان يبعثني إليه في الأيام أتعرف خبره فإذا دخلت وجدت بين يديه ظهرا ودواة فيكتب إلي ما يريد وأكلمه فمكث هكذا سنة واتفق أن إبراهيم الموصلي صنع صوته
صوت
(أعرَفْتَ دارَ الحيّ بالحِجْرِ ... فشدوريانِ فقُنّة الغَمْرِ)
(وهجرتَنا وأَلِفتَ رسْمَ بِلىً ... والرسمُ كان أحقَّ بالهَجْرِ)
لحن إبراهيم في هذا الشعر خفيف رمل بالوسطى
وفيه لإسحاق رمل بالوسطى قال مخارق فقال لي إبراهيم اذهب إلى أبي العتاهية حتى تغنيه هذا الصوت
فأتيته في اليوم الذي انقضت فيه يمينه فغنيته إياه
فكتب إلي بعد أن غنيته هذا اليوم تنقضي فيه يميني فأحب أن تقيم عندي إلى الليل فأقمت عنده نهاري كله حتى إذا أذن الناس المغرب كلمني فقال يا مخارق قلت لبيك
قال قل لصاحبك يابن الزانية أما والله لقد أبقيت للناس فتنة إلى يوم القيامة فانظر أين أنت من الله غدا قال مخارق فكنت أول من أفطر على كلامه فقلت دعني من هذا هل قلت شيئا للتخلص من هذا الموضع فقال نعم قد قلت في امرأتي شعرا قلت هاته فأنشدني
صوت
(مَنْ لِقلبٍ مُتَيَّمٍ مُشتاقِ ... شَفّه شوقُه وطولُ الفراقِ)
(طالَ شوقي إلى قعيدةِ بيتي ... ليت شعري فهل لنا من تَلاقِي)
(هيِ حظّي قَدِ اقتصرتُ عليها ... من ذوات العُقود والأطواقِ)
(جَمَعَ اللّهُ عاجلاً بِك شملي ... عن قريبٍ وفكَّني من وَثَاقي)
قال فكتبتها وصرت بها إلى إبراهيم فصنع فيها لحنا ودخل بها على الرشيد فكان أول صوت غناه إياه في ذلك المجلس وسأله لمن الشعر والغناء فقال إبراهيم أما الغناء فلي وأما الشعر فلأسيرك أبي العتاهية
فقال أو قد فعل قال نعم قد كان ذلك
فدعا به ثم قال لمسرور الخادم كم ضربنا أبا العتاهية قال ستين عصا فأمر بستين ألف درهم وخلع عليه وأطلقه
نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى حدثني علي بن مهدي قال حدثنا الحسين بن أبي السري قال
الفضل بن العباس يترضى بالرشيد له
قال لي الفضل بن العباس وجد الرشيد وهو بالرقة على أبي العتاهية وهو بمدينة السلام فكان أبو العتاهية يرجو أن يتكلم الفضل بن الربيع في أمره فأبطأ عليه بذلك فكتب إليه أبو العتاهية
(أجَفَوْتَني فيمن جفاني ... وجعلتَ شأنَك غير شَاني)
(ولطالما أمّنْتني ... ممّا أرى كلَّ الأمان)
(حتّى إذا انقلب الزّمانُ ... عليَّ صرت مع الزمان)
فكلم الفضل فيه الرشيد فرضي عنه
وأرسل إليه الفضل يأمره بالشخوص
ويذكر له أن أمير المؤمنين قد رضي عنه فشخص إليه
فلما دخل إلى الفضل أنشده قوله فيه
(قد دعوناه نائياً فوجدناه ... على نَأْيه قريباً سميعَا)
فأدخله إلى الرشيد فرجع إلى حالته الأولى
أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى إجازة قال حدثني علي بن مهدي قال حدثني الحسين بن أبي السري قال
كان يزيد بن منصور خال المهدي يتعصب لأبي العتاهية لأنه كان يمدح اليمانية أخوال المهدي في شعره فمن ذلك قوله
صوت
(سقِيتَ الغيثَ يا قصرَ السّلامِ ... فنِعْم مَحَلّةُ الملكِ الهُمامِ)
(لقد نشرَ الإلهُ عليك نُوراً ... وحفَّك بالملائكة الكِرامِ)
(سأشكُر نعمةَ المهديّ حتّى ... تدورَ عليّ دائرةُ الحِمامِ)
(له بيتانِ بيتٌ تُبَّعِيٌّ ... وبيتٌ حَلَّ بالبلد الحرامِ)
قال وكان أبو العتاهية طول حياة يزيد بن منصور يدعي أنه مولى لليمن وينتفي من عنزة فلما مات يزيد رجع إلى ولائه الأول
فحدثني الفضل بن العباس قال قلت له ألم تكن تزعم أن ولاءك لليمن قال ذلك شيء احتجنا إليه في ذلك الزمن وما في

واحد ممن انتميت إليه خير ولكن الحق أحق أن يتبع
وكان ادعى ولاء اللخميين
قال وكان يزيد بن منصور من أكرم الناس وأحفظهم لحرمة وأرعاهم لعهد
وكان بارا بأبي العتاهية كثيرا فضله عليه وكان أبو العتاهية منه في منعة وحصن حصين مع كثرة ما يدفعه إليه ويمنعه من المكاره
فلما مات قال أبو العتاهية يرثيه
(أنْعَى يزيدَ بنِ منصورٍ إلى البَشَرِ ... أنْعَى يزيدَ لأهلِ البَدْوِ والحَضَرِ)
(يا ساكنَ الحفرة المهجورِ ساكنُها ... بعد المَقَاصرِ والأبوابِ والحُجَرِ)
(وجدتُ فَقْدَكَ في مالي وفي نَشَبِي ... وجدتُ فقدكَ في شَعْرِي وفي بَشَرِي)
(فلستُ أدْرِي جزاكَ اللّهُ صالحةً ... أمنظَرِي اليومَ أسْوَا فيكَ أم خَبَرِي)
اجتماعه مع بشار عند المهدي
حدثنا ابن عمار قال حدثنا محمد بن إبراهيم بن خلف قال حدثني أبي قال
حدثت أن المهدي جلس للشعراء يوما فأذن لهم وفيهم بشار وأشجع وكان أشجع يأخذ عن بشار ويعظمه وغير هذين وكان في القوم أبو العتاهية
قال أشجع فلما سمع بشار كلامه قال يا أخا سليم أهذا ذلك الكوفي الملقب قلت نعم
قال لا جزى الله خيرا من جمعنا معه
ثم قال له المهدي أنشد فقال ويحك أو يبدأ فيستنشد أيضا قبلنا فقلت قد ترى
فأنشد
(ألاَ ما لِسيّدتي ما لها ... أدَلاًّ فأحمِلَ إدْلالَهَا)
(وإلاّ ففِيم تَجنَّتْ وما ... جَنيتُ سَقَى اللّهُ أطلالَهَا)
(ألاَ إنّ جاريةً لِلإمامِ ... قد أُسكِنَ الحبُّ سِرْبالَها)
(مَشَتْ بين حُورٍ قصارِ الخُطَا ... تُجاذِبُ في المَشْيِ أكفالَها)
(وقد أتعب اللّهُ نفسي بها ... وأتعب باللَّوْمِ عُذَّالَها)
قال أشجع فقال لي بشار ويحك يا أخا سليم ما أدري من أي أمريه أعجب أمن ضعف شعره أم من تشبيبه بجارية الخليفة يسمع ذلك بأذنه حتى أتى على قوله
(أتتْه الخلافةُ مُنقادةً ... إليه تُجَرِّرُ أذيالَها)
(ولم تك تصلُحِ إلاّ له ... ولم يك يصلُحِ إلاّ لها)
(ولو رامها أحدٌ غيرُه ... لَزُلْزِلت الأرضُ زِلْزالَها)
((ولو لم تُطِعْه بناتُ القلوبِ ... لمَا قَبِل اللّهُ أعمالَها
(وإنّ الخليفةَ من بُغض لا ... إليه لَيُبغِضُ مَن قالَها)
قال أشجع فقال لي بشار وقد اهتز طربا ويحك يا أخا سليم أترى الخليفة لم يطر عن فرشه طربا لما يأتي به هذا الكوفي
رمي بالزندقة
أخبرني يحيى بن علي إجازة قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني العباس بن ميمون قال حدثني رجاء بن سلمة قال سمعت أبا العتاهية يقول قرأت البارحة (عم يتساءلون) ثم قلت قصيدة أحسن منها
قال وقد قيل إن منصور بن عمار شنع عليه بهذا
قال يحيى بن علي حدثنا ابن مهرويه قال حدثني أبو عمر القرشي قال
لما قص منصور بن عمار على الناس مجلس البعوضة قال أبو العتاهية إنما سرق منصور هذا الكلام من رجل كوفي فبلغ قوله منصورا فقال أبو العتاهية زنديق أما ترونه لا يذكر في شعره الجنة ولا النار وإنما يذكر الموت فقط فبلغ ذلك أبا العتاهية فقال فيه
(يا واعظَ الناس قد أصبحتَ مُتَّهَماً ... إذ عِبتَ منهم أُموراً أنت تأتيها)
(كالمُلْبِس الثوبِ من عُرْيٍ وعورته ... للناسِ باديةٌ ما إنْ يُواريها)
(فأعظمُ الإثْمِ بعد الشِّرك نَعلَمُه ... في كُلّ نفسٍ عَماها عن مَساويها)
(عِرفانُها بعيوبِ الناس تُبصرها ... منهم ولا تُبصِرِ العيبَ الذي فيها)
فلم تمض إلا أيام يسيرة حتى مات منصور بن عمار فوقف أبو العتاهية على قبره وقال يغفر الله لك أبا السري ما كنت رميتني به
أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا محمد بن موسى قال أخبرني النسائي عن محمد بن أبي العتاهية قال
كانت لأبي العتاهية جارة تشرف عليه فرأته ليلة يقنت فروت عنه أنه يكلم القمر واتصل الخبر بحمدويه صاحب الزنادقة فصار إلى منزلها وبات وأشرف على أبي العتاهية ورآه يصلي ولم يزل يرقبه حتى قنت وانصرف إلى مضجعه وانصرف حمدويه خاسئا
شعره الذي يدل على توحيده
حدثنا محمد بن يحيى قال حدثنا محمد بن الرياشي قال حدثنا الخليل بن أسد النوشجاني قال
جاءنا أبو العتاهية إلى منزلنا فقال زعم الناس أني زنديق والله ما ديني إلا التوحيد
فقلنا له فقل شيئا نتحدث به عنك فقال
(ألاَ إنّنا كلَّنا بائدُ ... وأيّ بني آدمٍ خالدُ)
(وبَدْؤُهُم كان من رِبّهم ... وكلٌّ إلى ربّه عائدُ)
(فيا عجباً كيف يُعْصَى الإلهُ ... أم كيف يَجْحَدُه الجاحدُ)
(وفي كلّ شيءٍ له آيةٌ ... تدلّ على أنه واحدُ)
أخبرني أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعي قال

تذاكروا يوما شعر أبي العتاهية بحضرة الجاحظ إلى أن جرى ذكر أرجوزته المزدوجة التي سماها ذات الأمثال فأخذ بعض من حضر ينشدها حتى أتى على قوله
(يا للشَّبابِ المَرِح التَّصابي ... روائحُ الجنَّة في الشَّبابِ)
فقال الجاحظ للمنشد قف ثم قال انظروا إلى قوله
(... روائحُ الجنّة في الشّباب)
فإن له معنى كمعنى الطرب الذي لا يقدر على معرفته إلا القلوب وتعجز عن ترجمته الألسنة إلا بعد التطويل وإدامة التفكير
وخير المعاني ما كان القلب إلى قبوله أسرع من اللسان إلى وصفه
وهذه الأرجوزة من بدائع أبي العتاهية ويقال إن له فيها أربعة آلاف مثل
منها قوله
(حَسْبُك ممّا تَبْتَغيه القوتُ ... ما أكثرَ القُوتَ لمن يموتُ)
(الفقرُ فيما جاوز الكفَافا ... مِن اتّقى اللَّهَ رَجَا وخافا)
(هيَ المقاديرُ فلُمْنِي أو فَذَرْ ... إن كنتُ أخطأتُ فما أخطا القَدَرْ)
(لِكلّ ما يُؤذِي وإن قَلّ ألَمْ ... ما أطولَ اللّيلَ على مَن لم ينَم)
(ما انتفع المرءُ بمثل عَقْلِه ... وخيرُ ذُخْرِ المرءِ حُسْنُ فِعْلِهِ)
(إنّ الفساد ضِدّهُ الصَّلاحُ ... ورُبّ جِدٍّ جَرّه المُزاحُ)
(مَن جَعل النَّمَّامَ عَيناً هلَكا ... مُبْلِغُك الشرَّ كَباغيه لكَا)
(إنّ الشَّبابَ والفَراغ والجِدَة ... مَفْسَدَةٌ للمرءِ أيُّ مَفْسَدَةْ)
(يُغْنيك عن كلّ قبيحٍ تَرْكُهُ ... يَرتَهِن الرأيَ الأصيلَ شَكُّهُ)
(ما عيشُ مَنْ آفتُه بقاؤهُ ... نَغَّص عيشاً كلَّه فَناؤهُ)
(يا رُبَّ مَنْ أسخطنا بجَهْدِهِ ... قد سرّنا اللَّهُ بغَير حَمْدِهِ)
(ما تطلُع الشمسُ ولا تغيبُ ... إلاّ لأمرٍ شأنُه عجيبُ)
(لكلّ شيء مَعْدِنٌ وجَوْهَرُ ... وأوسطٌ وأصغرٌ وأكبرُ)
(مَنْ لك بالمَحْضِ وكلٌّ مُمتزجْ ... وساوسٌ في الصَّدر منه تَعتلجْ)
(وكلُّ شيء لاحقٌ بجوهرهْ ... أصغرُه متّصلٌ بأكبرهْ)
(ما زالتِ الدنيا لنا دارَ أذَى ... ممزوجةَ الصَّفو بألوان القَذَى)
(الخَيرُ والشرُّ بها أزواجُ ... لِذا نِتاجٌ ولِذا نِتاجُ)
(مَنْ لك بالمحْض وليس مَحْضُ ... يَخبُث بعضٌ ويَطيب بعضُ)
(لِكلّ إنسانٍ طبيعتانِ ... خيرٌ وشرٌّ وهما ضِدّانِ)
(إنّك لو تَستنشق الشَّحيحَا ... وجدتَه أنتنَ شيءٍ ريحاً)
(والخيرُ والشرُّ إذا ما عُدّا ... بينهما بَوْنٌ بعيدٌ جدّاً)
(عجبتُ حتى غمّني السكوتُ ... صِرتُ كأنّي حائرٌ مبهوتُ)
(كذا قضى اللَّهُ فكيف أصنَعُ ... الصمتُ إن ضاق الكلامُ أوسعُ)
وهي طويلة جدا وإنما ذكرت هذا القدر منها حسب ما استاق الكلام من صفتها
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه عن روح بن الفرج قال
شاور رجل أبا العتاهية فيما ينقشه على خاتمه فقال انقش عليه لعنة الله على الناس وأنشد
(بَرِمتُ بالناس وأخلاقهم ... فصِرْتُ أستأنِس بالوُحدَةْ)
(ما أكثرَ الناسَ لَعَمْري وما ... أقلَّهم في حاصل العِدّهْ)
حدثنا الصولي قال حدثنا الغلابي قال حدثنا عبد الله بن الضحاك أن
عمر بن العلاء مولى عمرو بن حريث صاحب المهدي كان ممدحا فمدحه أبو العتاهية فأمر له بسبعين ألف درهم فأنكر ذلك بعض الشعراء وقال كيف فعل هذا بهذا الكوفي وأي شيء مقدار شعره فبلغه ذلك فأحضر الرجل وقال له والله إن الواحد منكم ليدور على المعنى فلا يصيبه ويتعاطاه فلا يحسنه حتى يشبب بخمسين بيتا ثم يمدحنا ببعضها وهذا كأن المعاني تجمع له مدحني فقصر التشبيب وقال
(إنّي أمِنْتُ من الزمان وريبِهِ ... لَمّا عَلِقتُ من الأمير حِبالاَ)
(لو يستطيع الناسُ من إجلاله ... لحَذَوْا له حُرَّ الوُجوهِ نِعالاَ)
صوت
(إنّ المطايا تَشتكيك لأنّها ... قطَعتْ إليك سَباسِباً ورِمالاَ)
(فإذا وَرَدْنَ بنا ورَدن مُخِفَّةً ... وإذا رجعْن بنا رجعن ثِقالاَ)
أخذ هذا المعنى من قول نصيب
(فعاجُوا فأثْنَوْا بالذي أنت أهلُه ... ولو سكتوا أثنتْ عليك الحقائبُ)
العتابي يقول عنه أنه أشعر الناس
حدثنا الصولي قال حدثنا محمد بن عون قال حدثني محمد بن النضر كاتب
غسان بن عبد الله قال
أخرجت رسولا إلى عبد الله بن طاهر وهو يريد مصر فنزلت على العتابي وكان لي صديقا فقال أنشدني لشاعر العراق يعني أبا نواس وكان قد مات فأنشدته ما كنت أحفظ من ملحه وقلت له ظننتك تقول هذا لأبي العتاهية
فقال لو أردت أبا العتاهية لقلت لك أنشدني لأشعر الناس ولم أقتصر على العراق
أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني هارون بن سعدان عن شيخ من أهل بغداد قال
قال أبو العتاهية أكثر الناس يتكلمون بالشعر وهم لا يعلمون ولو أحسنوا تأليفه كانوا شعراء كلهم
قال فبينما نحن كذلك إذ قال رجل لآخر عليه مسح يا صاحب المسح تبيع المسح

فقال لنا أبو العتاهية هذا من ذلك ألم تسمعوه يقول
(... يا صاحبَ المِسح تَبيع المِسحا)
قد قال شعرا وهو لا يعلم
ثم قال الرجل تعال إن كنت تريد الربح
فقال أبو العتاهية وقد أجاز المصراع بمصراع آخر وهو لا يعلم قال له
(... تعالَ إن كنتَ تُريد الرّبحا)
حدثنا الصولي قال حدثنا محمد بن موسى قال حدثنا أحمد بن بشير أبو طاهر الحلبي قال حدثنا مزيد الهاشمي عن السدري قال
سمعت الأصمعي يقول شعر أبي العتاهية كساحة الملوك يقع فيها الجوهر والذهب والتراب والخزف والنوى
أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا الزبير بن بكار قال
لما حبس المهدي أبا العتاهية تكلم فيه يزيد بن منصور الحميري حتى أطلقه فقال فيه أبو العتاهية
(ما قلتُ في فَضلِه شيئاً لأمدحَه ... إلاّ وفضلُ يزيدٍ فوقَ ما قلتُ)
(ما زلتُ من رَيْبِ دهري خائفاً وَجِلاً ... فقد كفانِيَ بعدَ اللّه ما خِفْتُ)
ارتجاله الشعر
أخبرني يحيى بن علي إجازة قال حدثني علي بن مهدي قال حدثني محمد بن يحيى قال حدثني عبد الله بن الحسن قال
جاءني أبو العتاهية وأنا في الديوان فجلس إلي
فقلت يا أبا إسحاق أما يصعب عليك شيء من الألفاظ فتحتاج فيه إلى استعمال الغريب كما يحتاج إليه سائر من يقول الشعر أو إلى ألفاظ مستكرهة قال لا
فقلت له إني لأحسب ذلك من كثرة ركوبك القوافي السهلة
قال فاعرض علي ما شئت من القوافي الصعبة
فقلت قل أبياتا على مثل البلاغ
فقال من ساعته
(أيُّ عيشٍ يكون أبلَغ من عيشٍ ... كَفافٍ قُوتٍ بقَدْرِ البلاغ)
(صاحبُ البَغي ليس يسلَمُ منه ... وعلى نَفسه بَغى كلُّ باغِي)
(رُبَّ ذي نِعمة تَعرَّضَ منها ... حائلٌ بينه وبين المَساغ)
(أبلَغ الدهرُ في مَواعظِه بل ... زاد فيهِنّ لي على الإبلاغ)
(غَبَنَتْني الأيامُ عقلي ومالي ... وشَبابي وصِحّتي وفَراغي)
مسلم بن الوليد يكبره بعد أن سمع غزله
أخبرنا يحيى إجازة قال حدثنا علي بن مهدي قال حدثني أبو علي اليقطيني قال حدثني أبو خارجة بن مسلم قال
قال مسلم بن الوليد كنت مستخفا بشعر أبي العتاهية فلقيني يوما فسألني أن أصير إليه فصرت إليه فجاءني بلون واحد فأكلناه وأحضرني تمرا فأكلناه وجلسنا نتحدث وأنشدته أشعارا لي في الغزل وسألته أن ينشدني فأنشدني قوله
(باللّه يا قُرّةَ العينَيْن زوريني ... قبل المماتِ وإلاّ فاستْزيريني)
(إنّي لأعْجَبُ من حبٍّ يقرّبني ... ممن يُباعدني منه ويُقصِيني)
(أمّا الكثير فما أرجوه منكِ ولو ... أطمعتِني في قليلٍ كان يَكفيني)
ثم أنشدني أيضا
رأيتُ الهوى جمرَ الغَضَى غيرَ أنّه ... على حَرِّه في صدر صاحبه حُلْوُ) ي)
صوت
(أخِلاّيَ بي شَجْوٌ وليس بكم شجوُ ... وكلُّ امرىءٍ عن شَجوِ صاحبه خِلْوُ)
(وما من مُحِبٍّ نال ممن يُحبّه ... هوىً صادقاً إلاّ سيدخلُه زَهْوُ)
(بُلِيتُ وكان المَزْحُ بَدْءَ بَلِيّتي ... فأحببتُ حقّاً والبلاء له بَدْوُ)
(وعُلِّقتُ مَنْ يزهو عليّ تَجبُّراً ... وإنّي في كلّ الخِصال له كُفْوُ)
(رأيتُ الهوى جمرَ الغَضَى غير أنّه ... على كل حالٍ عند صاحبه حُلْوُ)
الغناء لإبراهيم ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق وله فيه أيضا خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو ولعمرو بن بانة رمل بالوسطى من كتابه
ولعريب فيه خفيف ثقيل من كتاب ابن المعتز قال مسلم ثم أنشدني أبو العتاهية
صوت
(خليلِيَّ مالي لا تَزال مَضَرّتي ... تكون على الأقْدار حَتْماً مِنَ الحَتْمِ)
(يُصاب فؤادي حين أرْمي ورَميتي ... تعودُ إلى نَحري ويَسْلَمُ من أرْمِي)
(صَبَرتُ ولا واللّه ما بي جَلاَدةٌ ... على الصبر لكنّي صَبرتُ على رَغْمي)
(ألاَ في سبيل اللّه جسمي وقُوّتي ... ألاَ مُسْعِدٌ حتي أنوح على جسمي)
(تُعَدّ عظامي واحداً بعد واحدٍ ... بمَنْحىً منَ العُذّال عَظْماً على عَظم)
(كفاكَ بحقّ اللّه ما قد ظلمتَني ... فهذا مَقام المستجير من الظُّلْمِ)
الغناء لسياط في هذه الأبيات وإيقاعه من خفيف الثقيل الأول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق قال مسلم فقلت له لا واللّه يا أبا إسحاق ما يبالي من أحسن أن يقول مثل هذا الشعر ما فاته من الدنيا فقال يابن أخي لا تقولن مثل هذا فإن الشعر أيضا من بعض مصايد الدنيا
أخبرنا يحيى إجازة قال حدثني علي بن مهدي قال حدثني عبد الرحمن بن الفضل قال حدثني ابن الأعرابي قال
اجتمعت الشعراء على باب الرشيد فأذن لهم فدخلوا وأنشدوا فأنشد أبو العتاهية
(يا مَنْ تَبغَّى زمناً صالحاً ... صَلاحُ هارونَ صلاحَ الزمن)

((كلُّ لسانٍ هو في مُلكه ... بالشكر في إحسانه مُرْتَهَنْ
قال فاهتز له الرشيد وقال له أحسنت والله وما خرج في ذلك اليوم أحد من الشعراء بصلة غيره
أخبرني يحيى بن علي إجازة قال حدثنا علي بن مهدي قال حدثنا عامر بن عمران الضبي قال حدثني ابن الأعرابي قال أجرى هارون الرشيد الخيل فجاءه فرس يقال له المشمر سابقا وكان الرشيد معجبا بذلك الفرس فأمر الشعراء أن يقولوا فيه فبدرهم أبو العتاهية فقال
(جاء المشمّرُ والأفراسُ يَقْدُمُها ... هَوْناً على رسْله منها وما انْبهَرا)
(وخَلَّف الريحَ حَسْرَى وهي جاهدةٌ ... ومرّ يختطف الأبصارَ والنظرَا)
فأجزل صلته وما جسر أحد بعد أبي العتاهية أن يقول فيه شيئا
رثى صديقه ابن ثابت
أخبرني يحيى إجازة قال حدثني الفضل بن عباس بن عقبة بن جعفر قال
كان علي بن ثابت صديقا لأبي العتاهية وبينهما مجاوبات كثيرة في الزهد والحكمة فتوفي علي بن ثابت قبله فقال يرثيه
(مُؤْنِسٌ كان لي هَلَكْ ... والسبيلُ التي سَلَكْ)
(يا عليّ بنِ ثابتٍ ... غَفَرَ اللّهُ لي ولَكْ)
(كلُّ حيٍّ مُمَلَّكٍ ... سوف يَفْنَى وما مَلَكْ)
قال الفضل وحضر أبو العتاهية علي بن ثابت وهو يجود بنفسه فلم يزل ملتزمه حتى فاض فلما شد لحياه بكى طويلا ثم أنشد يقول
(يا شَريكي في الخير قَرّبك اللّهُ ... فنعم الشّريكُ في الخيرِ كُنتَا)
(قد لَعَمْري حكَيْتَ لي غُصَصَ الموتِ ... فحرّكْتَنِي لها وسكَنْتَا)
قال ولما دفن وقف على قبره يبكي طويلا أحر بكاء ويردد هذه الأبيات
(ألاَ مَنْ لي بأُنْسِك يا أُخَيّا ... ومَنْ لي أن أَبُثَّك ما لديَّا)
(طَوتْكَ خُطوبُ دهرِك بعد نَشْرٍ ... كذاكَ خُطوبُه نَشْراً وطيَّا)
(فلو نَشرتْ قُواك ليَ المنايا ... شكوتُ إليك ما صنعتْ إليَّا)
(بكيتُك يا عليُّ بدمع عَيني ... فما أغنَى البكاءُ عليك شَيَّا)
(وكانت في حياتك لي عِظاتٌ ... وأنت اليومَ أوعظُ منك حيّاً)
قال علي بن الحسين مؤلف هذا الكتاب هذه المعاني أخذها كلها أبو العتاهية من كلام الفلاسفة لما حضروا تابوت الإسكندر وقد أخرج الإسكندر ليدفن قال بعضهم كان الملك أمس أهيب منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس
وقال آخر سكنت حركة الملك في لذاته وقد حركنا اليوم في سكونه جزعا لفقده
وهذان المعنيان هما اللذان ذكرهما أبو العتاهية في هذه الأشعار
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني جعفر ابن الحسين المهلبي قال
لقينا أبو العتاهية فقلنا له يا أبا إسحاق من أشعر الناس قال الذي يقول
(اللّهُ أنجحُ ما طلبتَ به ... والبِرُّ خيرُ حقيبة الرَّحْلِ)
فقلت أنشدني شيئا من شعرك فأنشدني
((يا صاحبَ الرُّوح ذي الأنفاس في البدن ... بين النهار وبين الليل مُرْتَهَن
(لقلّما يتخطّاك اختلافُهما ... حتى يُفرّق بين الرّوح والبدنِ)
(لَتجْذِبَنّي يدُ الدُّنيا بقوتها ... إلى المنايا وإن نازعتُها رَسَني)
(للّهِ دُنيَا أُناس دائِبين لها ... قَدِ ارتعَوْا في رياضِ الغَيّ والفِتنِ)
(كسائماتٍ رِتاعٍ تبتغي سِمَناً ... وحتْفُها لو دَرَتْ في ذلك السِّمَنِ)
قال فكتبتها ثم قلت له أنشدني شيئا من شعرك في الغزل فقال يابن أخي إن الغزل يسرع إلى مثلك فقلت له أرجو عصمة الله جل وعز فأنشدني
(كأنّها من حُسنها دُرّةٌ ... أخرجها اليمُّ إلى الساحلِ)
(كأنّ في فيها وفي طرفها ... سواحراً أقبلنَ من بابلِ)
(لم يُبْقِ مِنّي حبُّها ما خلا ... حُشَاشَةً في بَدَنٍ ناحلِ)
(يا مَنْ رأى قبلي قتيلاً بكى ... من شدّة الوَجْد على القاتلِ)
فقلت له يا أبا إسحاق هذا قول صاحبنا جميل
(خليليَّ فيما عِشتُما هل رأيتما ... قتيلاً بكى من حبّ قاتله قبلي)
فقال هو ذاك يا بن أخي وتبسم
شعره في رحيل الشباب
أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أبي قال حدثني أبو عكرمة عن شيخ له من أهل الكوفة قال
دخلت مسجد المدينة ببغداد بعد أن بويع الأمين محمد بسنة فإذا شيخ عليه جماعة وهو ينشد
(لَهفْي على وَرَقِ الشبّابِ ... وغُصونِه الخُضْر الرِّطابِ)
(ذهب الشباب وبان عنّي ... غيرَ مُنتَظَرِ الإيابِ)
(فلأَبْكِينَّ على الشَّبابِ ... وطيبِ أيّام التَّصابي)
(ولأَبْكِينَّ من البِلَى ... ولأبكِينّ من الخِضاب)
(إنّي لآمُلُ أن أُخَلَّد ... والمنيّةُ في طِلاَبي)
قال فجعل ينشدها وإن دموعه لتسيل على خديه
فلما رأيت ذلك لم أصبر أن ملت فكتبتها وسألت عن الشيخ فقيل لي هو أبو العتاهية
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني أبو العباس محمد بن أحمد قال
كان ابن الأعرابي يعيب أبا العتاهية ويثلبه فأنشدته
(كم من سفيهٍ غاظَني سَفَهاً ... فشَفَيْتُ نفسي منه بالحِلْمِ)

(وكَفَيْتُ نفسي ظلمَ عاديتي ... ومنحتُ صفوَ مودّتي سِلْمي)
(ولقد رُزقتُ لظالمي غِلظاً ... ورَحِمتُه إذ لجّ في ظُلْمي)
أخبرني محمد بن عمران قال حدثني العنزي قال حدثني محمد بن إسحاق قال حدثني محمد بن أحمد الأزدي قال
قال لي أبو العتاهية لم أقل شيئا قط أحب إلي من هذين البيتين في معناهما
(ليت شعري فإنّني لستُ أدري ... أيُّ يومٍ يكون آخِرَ عُمْري)
((وبأيّ البلاد يُقبض رُوحي ... وبأيّ البِقاع يُحْفَرُ قبري
خبره مع فتيان يتذاكرون الشعر
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني محمد بن الفضل قال حدثنا محمد بن عبد الجبار الفزاري قال
اجتاز أبو العتاهية في أول أمره وعلى ظهره قفص فيه فخار يدور به في الكوفة ويبيع منه فمر بفتيان جلوس يتذاكرون الشعر ويتناشدونه فسلم ووضع القفص عن ظهره ثم قال يا فتيان أراكم تذاكرون الشعر فأقول شيئا منه فتجيزونه فإن فعلتم فلكم عشرة دراهم وإن لم تفعلوا فعليكم عشرة دراهم فهزئوا منه وسخروا به وقالوا نعم
قال لا بد أن يشترى بأحد القمارين رطب يؤكل فإنه قمار حاصل وجعل رهنه تحت يد أحدهم ففعلوا
فقال أجيزوا
(... ساكِني الأجداثِ أنتُمْ)
وجعل بينه وبينهم وقتا في ذلك الموضع إذا بلغته الشمس ولم يجيزوا البيت غرموا الحطر وجعل يهزأ بهم وتممه
(مثلَنا بالأمس كُنتمْ . ...)
(ليت شعري ما صنعتم ... أربحتم أم خَسِرتمْ)
وهي قصيدة طويلة في شعره
أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله عن أبي خيثم العنزي قال
لما حبس الرشيد أبا العتاهية وحلف ألا يطلقه أو يقول شعرا قال لي أبو حبش أسمعت بأعجب من هذا الأمر تقول الشعراء الشعر الجيد النادر فلا يسمع
منهم ويقول هذا المخنث المفكك تلك الأشعار بالشفاعة ثم أنشدني
(أبا إسحاق راجعت الجماعَهْ ... وعُدْتَ إلى القوافي والصِّناعهْ)
(وكنت كجامحٍ في الغَيّ عاصٍ ... وأنت اليومَ ذو سمعٍ وطاعَهْ)
(فجُرَّ الخَزّ مما كنتَ تُكْسَى ... وَدَع عنك التَّقشُّفَ والبَشاعَهْ)
(وشَبِّبْ بالتي تهوَى وخَبِّرْ ... بأنّك ميّتٌ في كلّ ساعَهْ)
(كَسدنا ما نراد وإنْ أجدنا ... وأنت تقول شعرك بالشّفاعَهْ)
أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثنا العنزي قال حدثنا محمد بن عبد الله قال حدثني أبو خيثم العنزي وكان صديقا لأبي العتاهية قال حدثني أبو العتاهية قال
أخرجني المهدي معه إلى الصيد فوقعنا منه على شيء كثير فتفرق أصحابه في طلبه وأخذ هو في طريق غير طريقهم فلم يلتقوا وعرض لنا واد جرار وتغيمت السماء وبدأت تمطر فتحيرنا وأشرفنا على الوادي فإذا فيه ملاح يعبر الناس فلجأنا إليه فسألناه عن الطريق فجعل يضعف رأينا ويعجزنا في بذلنا أنفسنا في ذلك الغيم للصيد حتى أبعدنا ثم أدخلنا كوخا له وكاد المهدي يموت بردا فقال له أغطيك بجبتي هذه الصوف فقال نعم فغطاه بها فتماسك قليلا ونام
فافتقده غلمانه وتبعوا أثره حتى جاؤونا فلما رأى الملاح كثرتهم علم أنه الخليفة فهرب وتبادر الغلمان فنحوا الجبة عنه وألقوا عليه الخز والوشي
فلما انتبه قال لي ويحك ما فعل الملاح فقد والله وجب حقه علينا
فقلت هرب والله خوفا من قبح ما خاطبنا به
قال إنا لله والله لقد أردت أن أغنيه وبأي شيء خاطبنا نحن والله مستحقون لأقبح مما خاطبنا به بحياتي عليك إلا ما هجوتني
فقلت يا أمير المؤمنين كيف تطيب نفسي بأن أهجوك قال والله لتفعلن فإني ضعيف الرأي مغرم بالصيد فقلت
((يا لابسَ الوَشْي على ثوبه ... ما أقبحَ الأشْيَب في الراح
فقال زدني بحياتي فقلت
(لو شئتَ أيضاً جُلْتَ في خامةٍ ... وفي وشاحَيْنِ وأوْضاح)
فقال ويلك هذا معنى سوء يرويه عنك الناس وأنا استأهل زدني شيئا آخر
فقلت أخاف أن تغضب
قال لا والله
فقلت
(كم من عظيم القَدر في نفسه ... قد نام في جُبّة مَلاّح)
فقال معنى سوء عليك لعنة الله وقمنا وركبنا وانصرفنا
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال حدثنا جماعة من كتاب الحسن بن سهل قالوا
وقعت رقعة فيها بيتا شعر في عسكر المأمون فجيء بها إلى مجاشع بن مسعدة فقال هذا كلام أبي العتاهية وهو صديقي وليست المخاطبة لي ولكنها للأمير الفضل بن سهل
فذهبوا بها فقرأها وقال ما أعرف هذه العلامة
فبلغ المأمون خبرها فقال هذه إلي وأنا أعرف العلامة
والبيتان
صوت
(ما على ذا كنّا افترقْنا بِسَنْدانَ ... وما هكذا عهدْنا الإخاءَ)
(تَضْربُ الناسَ بالمُهَنَّدة البيضِ ... على غَدْرهم وتَنْسَى الوفاءَ)
قال فبعث إليه المأمون بمال

في هذين البيتين لأبي عيسى بن المتوكل رمل من رواية ابن المعتز
أبو العتاهية يستعجل بر ابن يقطين
قال وكان علي بن يقيطن صديقا لأبي العتاهية وكان يبره في كل سنة ببر واسع فأبطأ عليه بالبر في سنة من السنن
وكان إذا لقيه أبو العتاهية أو دخل عليه يسر به ويرفع مجلسه ولا يزيده على ذلك
فلقيه ذات يوم وهو يريد دار الخليفة فاستوقفه فوقف له فأنشده
(حتّى متى ليتَ شعري يابنَ يَقْطينِ ... أُثني عليكَ بما لا منكَ تُوليني)
(إنّ السّلامَ وإنّ البِشْرَ من رجلٍ ... في مثل ما أنت فيه ليس يَكْفِيني)
(هذا زمانٌ ألحّ الناسُ فيه على ... تيه الملوك وأخلاقِ المساكين)
(أمَا علمتَ جزاك الله صالحةً ... وزادكَ اللهُ فضلاً يابنَ يَقْطين)
(أنّي أُريدك للدُّنيا وعاجلها ... ولا أُريدك يومَ الدِّين للدين)
فقال علي بن يقطين لست والله أبرح ولا تبرح من موضعنا هذا إلا راضيا وأمر له بما كان يبعث به إليه في كل سنة فحمل من وقته وعلي واقف إلى أن تسلمه
وأخبرني محمد بن جعفر النحوي صهر المبرد قال حدثنا محمد بن يزيد قال
بلغني من غير وجه أن الرشيد لما ضرب أبا العتاهية وحبسه وكل به صاحب خبر يكتب إليه بكل ما يسمعه
فكتب إليه أنه سمعه ينشد
(أمَا واللهِ إنّ الظلمَ لُومُ ... وما زال المُسيءِ هو الظَّلومُ)
(إلى ديّانِ يومِ الدينِ نَمْضي ... وعند الله تجتمع الخصومُ)
قال فبكى الرشيد وأمر بإحضار أبي العتاهية وإطلاقه وأمر له بألفي دينار
شنع عليه منصور بن عمار بالزندقة
أخبرني محمد بن جعفر قال حدثني محمد بن موسى عن أحمد بن حرب عن محمد بن أبي العتاهية قال
لما قال أبي في عتبة
(كأنّ عتابَة من حسنها ... دُمْيَةُ قسٍّ فتنَتْ قَسَّهَا)
(يا رَبِّ لو أنْسَيْتَنيها بما ... في جَنَّة الفِرْدوس لم أنْسَها)
شنع عليه منصور بن عمار بالزندقة وقال يتهاون بالجنة ويبتذل ذكرها في شعره بمثل هذا التهاون وشنع عليه أيضا بقوله
(إنّ المليكَ رآكِ أحسنَ ... خَلْقه ورأى جمالَكْ)
(فحذا بقُدْرةِ نفسه ... حُورَ الجِنانِ على مثالِكْ)
وقال أيصور الحور على مثال امرأة آدمية والله لا يحتاج إلى مثال وأوقع له هذا على ألسنة العامة فلقي منهم بلاء
حدثني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا خليل بن أسد قال حدثني أبو سلمة الباذغيسي قال
قلت لأبي العتاهية في أي شعر أنت أشعر قال قولي
(الناسُ في غَفَلاتهمْ ... ورَحَا المنيّةِ تَطْحَنُ)
أنشد المأمون أحسن ما قاله في الموت
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني يحيى بن عبد الله القرشي قال
حدثني المعلى بن أيوب قال
دخلت على المأمون يوما وهو مقبل على شيخ حسن اللحية خضيب شديد بياض الثياب على رأسه لاطئة فقلت للحسن بن أبي سعيد قال وهو ابن خالة المعلى بن أيوب
وكان الحسن كاتب المأمون على العامة من هذا فقال أما تعرفه فقلت لو عرفته ما سألتك عنه
فقال هذا أبو العتاهية
فسمعت المأمون يقول له أنشدني أحسن ما قلت في الموت فأنشده
(أنساكَ مَحْياكَ المماتَا ... فطَلَبْتَ في الدنيا الثَّباتَا)
(أوَثِقْتَ بالدنيا وأنت ... ترى جَماعَتها شَتاتَا)
(وعزمتَ منكَ على الحياةِ ... وطُولِها عَزْماً بتَاتا)
(يا مَنْ رأى أبَوَيْه فيمَنْ ... قد رأى كانا فماتا)
(هل فيهما لكَ عِبْرةٌ ... أم خِلْتَ أنّ لك انفِلاتا)
(ومَن الذي طَلَب التَّفَلُّتَ ... من مَنيّتِه ففاتا)
(كلٌّ تُصبِّحه المنيَّةُ ... أو تُبَيِّتُه بَياتا)
قال فلما نهض تبعته فقبضت عليه في الصحن أو في الدهليز فكتبتها عنه
نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى قال حدثني علي بن مهدي قال حدثني الجاحظ عن ثمامة قال
دخل أبو العتاهية على المأمون فأنشده
(ما أحسنَ الدنيا وإقبالَها ... إذا أطاع اللهَ مَنْ نالَها)
(مَنْ لم يُواسِ الناسَ من فضلها ... عَرَّض للإدبار إقبالَها)
فقال له المأمون ما أجود البيت الأول فأما الثاني فما صنعت فيه شيئا الدنيا تدبر عمن واسى أو ضن بها وإنما يوجب السماحة بها الأجر والضن بها الوزر فقال صدقت يا أمير المؤمنين أهل الفضل أولى بالفضل وأهل النقص أولى بالنقص
فقال المأمون ادفع إليه عشرة آلاف درهم لاعترافه بالحق
فلما كان بعد أيام عاد فأنشده
(كم غافلٍ أوْدَى به الموتُ ... لم يأخُذِ الأُهبةَ للفَوْتِ)
(مَنْ لم تزُلْ نعمتُه قبلَه ... زال عن النعمة بالموتِ)
فقال له أحسنت الآن طَيَّبْتَ المعنى وأمر له بعشرين ألف درهم
أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني ابن سنان العجلي عن الحسن بن عائذ قال

كان أبو العتاهية يحج في كل سنة فإذا قدم أهدى إلى المأمون بردا ومطرفا ونعلا سوداء ومساويك أراك فيبعث إليه بعشرين ألف درهم
وكان يوصل الهدية من جهته منجاب مولى المأمون ويجيئه بالمال فأهدى مرة له كما كان يهدي كل سنة إذا قدم فلم يثبه ولا بعث إليه بالوظيفة فكتب إليه أبو العتاهية
(خَبَّروني أنّ من ضرْب السّنة ... جُدُداً بِيضاً وصُفْراً حَسَنَهْ)
(أُحدِثت لكنّني لم أرها ... مِثْل ما كنتُ أرى كلَّ سَنَهْ)
فأمر المأمون بحمل العشرين ألف درهم وقال أغفلناه حتى ذكرنا
حدثنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا المغيرة بن محمد المهلبي قال حدثنا الزبير بن بكار قال أخبرني عروة بن يوسف الثقفي قال
لما ولي الهادي الخلافة كان واجدا على أبي العتاهية لملازمته أخاه هارون وانقطاعه إليه وتركه موسى وكان أيضا قد أمر أن يخرج معه إلى الري فأبى ذلك فخافه وقال يستعطفه
(ألاَ شافِعٌ عندَ الخليفةِ يَشْفَعُ ... فيدفَع عنّا شرَّ ما يُتَوقَّعُ)
(وإنّي على عُظْمِ الرجاء لخائفٌ ... كأنّ على رأسي الأسِنّة تُشْرَعُ)
(يُروِّعني موسى على غير عَثْرةٍ ... ومالي أرى موسى من العفو أوْسَعُ)
(وما آمِنٌ يُمسِي ويُصبح عائذاً ... بعفو أمير المؤمنين يُرَوَّعُ)
مدح الهادي فأجازه
حدثني الصولي قال حدثني علي بن الصباح قال حدثني محمد بن أبي العتاهية قال دخل أبي على الهادي فأنشده
(يا أمينَ اللهِ مالي ... لستُ أدري اليومَ مالِي)
(لم أنَلْ منكَ الذي قد ... نال غيري من نَوالِ)
(تَبْذُلُ الحقَّ وتُعْطي ... عن يمينٍ وشِمال)
(وأنا البائسُ لا تَنظُر ... في رِقّةِ حالي)
قال فأمر المعلى الخازن أن يعطيه عشرة آلاف درهم
قال أبو العتاهية
فأتيته فأبى أن يعطيها ذلك أن الهادي امتحنني في شيء من الشعر وكان مهيبا فكنت أخافه فلم يطعني طبعي فأمر لي بهذا المال فخرجت فلما منعنيه المعلى صرت إلى أبي الوليد أحمد بن عقال وكان يجالس الهادي فقلت له
(أبْلِغْ سَلِمتَ أبا الوليدِ سَلامي ... عنِّي أميرَ المؤمنين إمامِي)
(وإذا فرغت من السّلامِ فقل له ... قد كان ما شاهدتَ من إفحامي)
(وإذا حصِرتُ فليس ذاك بمُبْطلٍ ... ما قد مَضَى من حُرْمتي وذمامي)
(ولطالما وفَدتْ إليك مدائحي ... مخطوطةً فلْيأتِ كلُّ ملامِ)
(أيّامَ لي لَسَنٌ ورقّةُ جِدّةٍ ... والمرءُ قد يَبْلَى مع الأيّام)
قال فاستخرج لي الدراهم وأنفذها إلي
حدثني الصولي ومحمد بن عمران الصيرفي قالا حدثنا العنزي قال حدثنا محمد بن أحمد بن سليمان قال
ولد للهادي ولد في أول يوم ولي الخلافة فدخل أبو العتاهية فأنشده
(أكثرَ موسى غيظَ حُسّادِه ... وزيّن الأرضَ بأولادِه)
(وجاءنا من صُلْبه سيّدٌ ... أصْيَدُ في تقطيع أجداده)
(فاكتستِ الأرضُ به بَهْجةً ... واستبشر الملكُ بميلادِهِ)
(وابتسم المِنْبرُ عن فَرْحةٍ ... علَتْ بها ذِرْوةُ أعواده)
(كأنّني بعد قليلٍ به ... بين مَواليه وقُوّادِه)
(في مَحفِلٍ تَخْفِق راياتُه ... قد طَبَّق الأرض بأجنادِهِ)
قال فأمر له موسى بألف دينار وطيب كثير وكان ساخطا عليه فرضي عنه
أخبرني يحيى بن علي بن يحيى إجازة قال حدثني علي بن مهدي قال حدثني علي بن يزيد الخزرجي الشاعر عن يحيى بن الربيع قال
دخل أبو عبيد الله على المهدي وكان قد وجد عليه في أمر بلغه عنه وأبو العتاهية حاضر المجلس فجعل المهدي يشتم أبا عبيد الله ويتغيظ عليه ثم أمر به فجر برجله ثم وحبس ثم أطرق المهدي طويلا
فلما سكن أنشده أبو العتاهية
(أرى الدُّنيا لمن هي في يَدَيْه ... عذاباً كلّما كثُرَتْ لدَيْهِ)
(تُهين المُكْرِمين لها بصُغْرٍ ... وتُكْرِم كلَّ من هانتْ عليهِ)
(إذا استَغْنيتَ عن شيءٍ فدَعْه ... وخُذْ ما أنت محتاجٌ إليهِ)
فتبسم المهدي وقال لأبي العتاهية أحسنت فقام أبو العتاهية ثم قال والله يا أمير المؤمنين ما رأيت أحدا أشد إكراما للدنيا ولا أصون لها ولا أشح عليها من هذا الذي جر برجله الساعة
ولقد دخلت إلى أمير المؤمنين ودخل هو وهو أعز الناس فما برحت حتى رأيته أذل الناس ولو رضي من الدنيا بما يكفيه لاستوت أحواله ولم تتفاوت
فتبسم المهدي ودعا بأبي عبيد الله فرضي عنه
فكان أبو عبيد الله يشكر ذلك لأبي العتاهية
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني محمد بن الحسن قال حدثني إسحاق بن حفص قال
أنشدني هارون بن مخلد الرازي لأبي العتاهية
(ما إن يَطيبُ لذي الرِعاية للأيّام ... لا لَعِبٌ ولا لَهْوُ)
(إذ كان يطْرب في مَسرّته ... فيموت من أجزائه جُزو)

فقلت ما أحسنهما فقال أهكذا تقول والله لهما روحانيان يطيران بين السماء والأرض

ابن مناذر يقول أبو العتاهية أشعر المحدثين

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أبي عن ابن عكرمة عن مسعود بن بشر المازني قال
لقيت ابن مناذر بمكة فقلت له من أشعر أهل الإسلام فقال أترى من إذا شئت هزل وإذا شئت جد قلت من قال مثل
جرير حين يقول في النسيب
(إنّ الذين غدوْا بلُبّك غادروا ... وَشَلاً بعينك ما يزال مَعِينا)
(غَيّضْن من عَبَراتِهنّ وقُلْن لي ... ماذا لَقِيتَ من الهوى ولَقِينا)
ثم قال حين جد
(إنّ الّذي حَرَم المَكارم تَغلِباً ... جعل النُّبوّةَ والخلافةَ فينا)
(مُضَرٌ أبي وأبو الملوك فهل لكم ... يا آل تَغلِبَ من أبٍ كأبِينا)
(هذا ابنُ عمّي في دِمَشْق خليفةٌ ... لو شئتُ ساقكُم إليّ قطِينا)
ومن المحدثين هذا الخبيث الذي يتناول شعره من كمه
فقلت من قال أبو العتاهية
قلت في ماذا قال قوله
(اللّهُ بيني وبين مَوْلاتي ... أبْدَتْ ليَ الصَّدّ والمَلاَلاتِ
(لا تَغْفِرُ الذنبَ إن أسأتُ ولا ... تقبَل عُذْري ولا مُواتاتي)
(منحتُها مُهجتي وخَالِصَتي ... فكان هِجْرانُها مُكافاتِي)
(أقلقني حُبُّها وصيَّرني ... أُحدوثةً في جميع جاراتي)
ثم قال حين جد
(ومَهْمه قد قطعتُ طَامِسَه ... قَفْرٍ على الهَوْل والمُحاماةِ)
(بحُرّةٍ جَسْرةٍ عُذافِرةٍ ... خَوصاءَ عَيْرانَةٍ عَلَنْداةِ)
(تُبادر الشمسَ كلّما طلعتْ ... بالسَّيْر تبْغي بذاك مَرْضاتي)
(يا ناقُ خُبّي بنا ولا تَعدي ... نَفْسَك مما تَرَيْنَ راحاتِ)
(حتّى تُنَاخَيْ بنا إلى مَلِكٍ ... تَوَّجه اللهُ بالمَهَاباتِ)
(عليه تاجانِ فوق مَفرِقِه ... تاجُ جلالٍ وتاجُ إخْباتِ)
(يقول للرِّيحِ كلّما عصفتْ ... هل لكِ يا ريحُ في مُباراتي)
(مَنْ مثلُ مَنْ عمُّه الرسولُ ومَنْ ... أخوالُه أكرمُ الخُؤولاتِ)
أخبرني وكيع قال قال الزبير بن بكار حدثني أبو غزية وكان قاضيا على المدينة قال كان إسحاق بن عزيز يتعشق عبادة
جارية المهلبية وكانت المهلبية منقطعة إلى الخيزران فركب إسحاق يوما ومعه عبد الله بن مصعب يريدان
المهدي فلقيا عبادة فقال إسحاق يا أبا بكر هذه عبادة وحرك دابته حتى سبقها فنظر إليها فجعل عبد الله بن مصعب
يتعجب من فعله
ومضيا فدخلا على المهدي فحدثه عبد الله بن مصعب بحديث إسحاق وما فعل
فقال أنا أشتريها لك يا إسحاق
ودخل على الخيزران فدعا بالمهلبية فحضرت فأعطاها بعبادة خمسين ألف درهم فقالت له يا أمير المؤمنين إن كنت
تريدها لنفسك فبها فداك الله وهي لك
فقال إنما أريدها لإسحاق بن عزيز فبكت وقالت أتؤثر علي إسحاق بن عزيز وهي يدي ورجلي ولساني في جميع
حوائجي فقالت لها الخيزران عند ذلك ما يبكيك والله لا وصل إليها ابن عزيز أبدا صار ابن عزيز يتعشق جواري الناس فخرج المهدي
فأخبر ابن عزيز بما جرى وقال له الخمسون ألف درهم لك مكانها وأمر له بها فأخذها عن عبادة
فقال أبو العتاهية يعيره بذلك
(مَنْ صَدَقَ الحبَّ لأحبابِه ... فإنّ حُبّ ابن عُزَيْزٍ غُرورْ)
(أنساه عبّادةَ ذاتَ الهوى ... وأذهَبَ الحبَّ الذي في الضمِيرْ)
(خمسون ألفاً كلُّها راجحٌ ... حُسْناً لها في كل كِيسٍ صَرِيرْ)
وقال أبو العتاهية في ذلك أيضا
(حُبُّك للمال لا كحبك عبَّادةَ ... يا فاضحَ المُحبّينا)
(لو كنتَ أصفيتَها الودَاد كما ... قُلْتَ لمَا بِعْتَها بخمسينا)
حدثني الصولي قال حدثي جبلة بن محمد قال حدثني أبي قال
رأيت أبا العتاهية بعدهما تخلص من حبس المهدي وهو يلزم طبيبا على بابنا ليكحل عينه فقيل له قد طال وجع عينك
فأنشأ يقول

صوت

(أيا وَيْحَ نفسي وَيْحَها ثم وَيْحَها ... أمَا من خَلاصٍ من شِباك الحبائل)
(أيا ويحَ عيني قد أضرّ بها البُكا ... فلم يُغنِ عنها طِبٌّ ما في المكاحل)
في هذين البيتين لإبراهيم الموصلي لحن من الثقيل الأول

مدح الهادي فأجزل صلته

أخبرني عيسى بن الحسين قال حدثنا عمر بن شبة قال
كان الهادي واجدا على أبي العتاهية لملازمته أخاه هارون في خلافة المهدي فلما ولي موسى الخلافة قال أبو العتاهية
يمدحه

صوت

(يضطرِب الخوفُ والرجاء إذا ... حَرّك موسى القَضيب أو فَكَّرْ)
(ما أبْيَنَ الفضلَ في مُغيَّبِ ما ... أوْردَ من رأيه وما أصْدَرْ)

في هذين البيتين لأبي عيسى بن المتوكل لحن من الثقيل الأول في نهاية الجودة وما بان به فضله في الصناعة
(فكم تَرَى عِزّ عند ذلك مِنْ ... مَعْشَرٍ قومٍ وذَلَّ مِنْ مَعْشَرْ)
(يُثمِر مِنْ مَسِّه القضيبُ ولو ... يَمَسُّهُ غيرُه لَمَا أثْمَرْ)
(مَنْ مثلُ موسى ومثلُ والده المهديّ ... أو جَدّه أبي جَعفرْ)
قال فرضي عنه فلما دخل عليه أنشده
(لَهْفي على الزمن القصير ... بين الخَوَرنق والسَّدير)
(إذ نحن في غُرَف الجنانِ ... نَعومُ في بحرِ السُّرور
(في فتيةٍ ملكوا عنانَ ... الدهر أمثالَ الصُّقور)
(ما منهمُ إلاّ الجَسورُ ... على الهوى غيرُ الحَصُور)
(يَتَعاوَرُون مُدامَةً ... صهباءَ من حَلَب العَصِير)
(عَذراءَ ربّاها شُعاعُ ... الشمس في حَرِّ الهَجِير)
(لم تُدْنَ من نارٍ ولم ... يَعْلَقْ بها وَضَرُ القُدور)
(ومُقَرْطَقٍ يمشي أمامَ ... القومِ كالرَّشأ الغَرير)
(بزجاجةٍ تستخرج السِّرّ ... الدَّفينَ من الضمير)
(زهراءَ مثلِ الكوكب الدُّرِّيّ ... في كَفِّ المُدير)
(تَدَعُ الكريمَ وليس يَدري ... ما قَبِيلٌ من دَبير
(ومُخَصَّراتٍ زُرْنَنا ... بعد الهُدُوّ من الخُدور)
(رَيّا رَوَادِفُهنّ يَلْبَسْنَ ... الخواتمَ في الخُصور)
(غُرِّ الوجوه محجَّباتٍ ... قاصِراتِ الطَّرْف حُور)
(مُتَنعِّماتٍ في النَّعيم ... مُضَمَّخاتٍ بالعبير)
(يَرفُلْنَ في حُلَل المَحاسِنِ ... والمَجاسِدِ والحرير)
(ما إن يَرَيْن الشمسَ ... إلاّ الفَرْط من خَلَل الستُّور)
(وإلى أمينِ اللهِ مَهرَبنا ... من الدّهر العَثُور
(وإليه أتعبْنا المطايا ... با بالرّواح وبالبُكور)
(صُعْرَ الخُدود كأنّما ... جُنّحْنَ أجنحةَ النُّسور)
(مُتَسَرْبِلاتٍ بالظّلام ... علي السُّهولة والوُعور)
(حتّى وَصَلْنَ بنا إلى ... ربِّ المدائن والقُصور)
(ما زال قبل فِطامِه ... في سنّ مُكْتَهِلٍ كبير)
قال قيل له لو كان جزل اللفظ لكان أشعر الناس فأجزل صلته
وعاد إلى أفضل ما كان له عليه
أخبرني عمي الحسن بن محمد قال حدثني الكراني عن أبي حاتم قال
قدم علينا أبو العتاهية في خلافة المأمون
فصار إليه أصحابنا فاستنشدوه فكان أول ما أنشدهم
(ألم تَرَ رَيْبَ الدّهر في كلّ ساعةٍ ... له عارضٌ فيه المنيّة تلمَع)
(أيا باني الدُّنيا لغيرك تَبتني ... ويا جامعَ الدنيا لغيرك تَجْمَعُ)
(أرى المرءَ وثّاباً على كل فُرْصةٍ ... وللمرء يوماً لا مَحالةَ مَصْرَعُ)
(تباركَ مَنْ لا يملِكَ المُلكِ غيره ... متى تنقضي حاجاتُ من ليس يَشبَعُ)
(وأيُّ امرئٍ في غايةٍ ليس نفسُه ... إلى غايةٍ أُخرى سواها تطلّعُ)
قال وكان أصحابنا يقولون لو أن طبع أبي العتاهية بجزالة لفظ لكان أشعر الناس
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني سليمان بن جعفر
الجزري قال حدثني أحمد بن عبد الله قال
كانت مرتبة أبي العتاهية مع الفضل بن الربيع في موضع واحد في دار المأمون
فقال الفضل لأبي العتاهية يا أبا إسحاق ما أحسن بيتين لك وأصدقهما قال وما هما قال قولك
(ما النَّاسُ إلا لِلكثيرِ المالِ أو ... لمُسَلَّطٍ ما دام في سُلْطانِه)
(فإذا الزمانُ رماهما بِبَلِيَّةٍ ... كان الثِّقاتُ هناك من أعوانِه)
يعني من أعوان الزمان
قال وإنما تمثل الفضل بن الربيع بهذين البيتين لانحطاط مرتبته في دار المأمون وتقدم غيره
وكان المأمون أمر بذلك لتحريره مع أخيه
حبسه الرشيد بعد أن تنسك ثم أطلقه
أخبرني عمي الحسن بن محمد قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال
قال لي محمد بن أبي العتاهية كان أبي لا يفارق الرشيد في سفر ولا حضر إلا في طريق الحج وكان يجري عليه في كل سنة خمسين ألف درهم سوى الجوائز والمعاون
فلما قدم الرشيد الرقة لبس أبي الصوف وتزهد وترك حضور المنادمة والقول في الغزل وأمر الرشيد بحبسه فحبس فكتب إليه من وقته
صوت
(أنا اليَومَ لي والحمدُ لله أَشْهُرُ ... يَرُوح عليّ الهَمُّ منكم ويَبْكُرُ)
(تَذَكَّرْ أَمينَ اللّه حَقِّي وحُرْمتي ... وما كنتَ تُوليني لعلك تَذْكُرُ)
(ليالِيَ تُدْني منك بالقُرْبِ مجلسي ... ووجهُك من ماء البشاشة يَقْطُرُ)
(فمَنْ ليَ بالعين التي كنتَ مرّةً ... إليَّ بها في سالفِ الدهر تنظُرُ

قال فلما قرأ الرشيد الأبيات قال قولوا له لا بأس عليك فكتب إليه
صوت
(أرقت وطار عن عَيْني النُّعاسُ ... ونام السامرون ولم يُوَاسُوا)
(أمينَ الله أَمْنُك خيرُ أمنٍ ... عليك من التُّقَي فيه لِباسُ)
(تُساسُ من السماء بكلِّ بِرٍّ ... وأنت به تَسوس كما تُساسُ)
(كأنّ الخَلْقَ رُكِّبَ فيه رُوحٌ ... له جَسدٌ وأنت عليه رَاسُ)
(أمِينَ الله إنّ الحَبْسَ بأسٌ ... وقد أرْسلتَ ليس عليك باسُ)
غنى في هذه الأبيات إبراهيم ولحنه ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى
وفيه أيضا ثقيل أول عن الهشامي قال وكتب إليه أيضا في الحبس
(وكَلَّفتني ما حَلْتَ بيني وبينه ... وقلتَ سأبقي ما تُريد وما تهوى)
(فلو كان لي قلبان كَلّفتُ واحداً ... هواك وكلفت الخَلّيّ لما يَهْوَى)
قال فأمر بإطلاقه
حدثني عمي قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني ثابت بن الزبير بن حبيب قال حدثني ابن أخت أبي خالد الحربي قال
قال لي الرشيد احبس أبا العتاهية وضيق عليه حتى يقول الشعر الرقيق في الغزل كما كان يقول فحبسته في بيت خمسة أشبار في مثلها فصاح الموت أخرجوني فأنا أقول كل ما شئتم
فقلت قل فقال حتى أتنفس
فأخرجته وأعطيته دواة وقرطاسا فقال أبياته التي أولها
صوت
(مَنْ لعبدٍ أذلّه مولاهُ ... ما له شافعٌ إليه سِواهُ)
(يَشْتكي ما به إليه ويخشاهُ ... ويرجوه مثل ما يخشاهُ)
قال فدفعتها إلى مسرور الخادم فأوصلها وتقدم الرشيد إلى إبراهيم الموصلي فغنى فيها وأمر بإحضار أبي العتاهية فأحضر
فلما أحضر قال له أنشدني قولك
صوت
(يا عُتْبَ سيّدتي أمَا لكَ دينُ ... حتَّى متى قلبي لديكِ رَهينُ)
(وأنا الذَّلولُ لكلِّ ما حمّلتِني ... وأنا الشقيُّ البائسُ المسكينُ)
(وأنا الغداةَ لكلّ باكٍ مُسعِدٌ ... ولكلّ صَبٍّ صاحبٌ وخَدِينُ)
(لا بأسَ إنّ لذاكِ عندي راحةً ... لِلصَّبِّ أن يَلْقَى الحزينَ حزينُ)
(يا عُتْبَ أين أفِرُّ منكِ أميرتي ... وعليَّ حصنٌ من هَواكِ حصينُ)
لإبراهيم في هذه الأبيات هزج عن الهشامي فأمر له الرشيد بخمسين ألف درهم
ولأبي العتاهية في الرشيد لما حبسه أشعار كثيرة منها قوله
(يا رشيدَ الأمرِ أرشِدني إلى ... وجهِ نُجْحِي لا عَدِمتَ الرَّشَدَا)
(لا أراكَ اللهُ سوءاً أبداً ... ما رأتْ مثلَكَ عينٌ أحدَا)
(أعِنِ الخائفَ وارحَمْ صوتَه ... رافعاً نحوَك يدعوك يَدَا)
(وابلائِي من دَعاوَى أملٍ ... كلّما قلُت تَدانَى بَعُدَا)
(كم أُمَنّي بِغَدٍ بعد غدٍ ... يَنْفدُ العمرُ ولم ألقَ غَدَا)
نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى حدثني علي بن مهدي قال حدثني الحسين بن أبي السري قال
مر القاسم بن الرشيد في موكب عظيم وكان من أتيه الناس وأبو العتاهية جالس مع قوم على ظهر الطريق
فقام أبو العتاهية حين رآه إعظاما له فلم يزل قائما حتى جاز فأجازه ولم يلتفت إليه فقال أبو العتاهية
(يَتِيهُ ابنُ آدم من جهلِهِ ... كأنَّ رَحَا الموت لا تَطْحَنُهْ)
فسمع بعض من في موكبه ذلك فأخبر به القاسم فبعث إلى أبي العتاهية وضربه مائة مقرعة وقال له يابن الفاعلة أتعرض بي في مثل ذلك الموضع وحبسه في داره
فدس أبو العتاهية إلى زبيدة بنت جعفر وكانت توجب له حقه هذه الأبيات
(حتّى متى ذُو التّيه في تيهِهِ ... أصلحه اللهُ وعافاهُ)
(يَتيه أهلُ التيه من جهلهم ... وهم يموتون وإن تاهُوا)
(مَنْ طلب العِزّ لِيبقى به ... فإنَّ عِزّ المرءِ تَقْواهُ)
(لم يعتصم باللّه من خلْقِهِ ... مَنْ ليس يَرْجُوه ويَخْشاهُ)
وكتب إليها بحاله وضيق حبسه وكانت مائلة إليه فرثت له وأخبرت الرشيد بأمره وكلمته فيه فأحضره وكساه ووصله ولم يرض عن القاسم حتى بر أبا العتاهية وأدناه واعتذر إليه
مدحه الرشيد والفضل بن الربيع
ونسخت من كتاب هارون بن علي قال حدثني علي بن مهدي قال حدثني
محمد بن سهل عن خالد بن أبي الأزهر قال
بعث الرشيد بالحرشي إلى ناحية الموصل فجبى له منها مالا عظيما من بقايا الخراج فوافى به باب الرشيد فأمر بصرف المال أجمع إلى بعض جواريه فاستعظم الناس ذلك وتحدثوا به فرأيت أبا العتاهية وقد أخذه شبه الجنون فقلت له مالك ويحك فقال لي سبحان الله أيدفع هذا المال الجليل إلى امرأة ولا تتعلق كفي بشيء منه ثم دخل إلى الرشيد بعد أيام فأنشده
(اللهُ هوّن عندك الدّنيا ... وبَغَّضَها إليكَا)
(فأبَيْتَ إلاّ أن تُصَغِّر ... كلَّ شيء في يَدَيْكَا)

(ما هانتِ الدُّنيا على ... أحدٍ كما هانت علَيْكا)
فقال له الفضل بن الربيع يا أمير المؤمنين ما مدحت الخلفاء بأصدق من هذا المدح
فقال يا فضل أعطه عشرين ألف درهم
فغدا أبو العتاهية على الفضل فأنشده
(إذا ما كنتَ مُتَّخذاً خليلاً ... فمثلُ الفضل فاتَّخِذِ الخليلاَ)
(يرى الشُّكْرَ القليلَ له عظيماً ... ويُعطي من مواهبه الجزيلاَ)
(أراني حيثُما يَمَّمتُ طرْفِي ... وجدتُ على مَكارمه دليلاَ)
فقال له الفضل والله لولا أن أساوي أمير المؤمنين لأعطيتك مثلها ولكن سأوصلها إليك في دفعات ثم أعطاه ما أمر له به الرشيد وزاد له خمسة آلاف درهم من عنده
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا المبرد قال حدثني عبد الصمد بن المعذل قال
سمعت الأمير علي بن عيسى بن جعفر يقول كنت صبيا في دار الرشيد فرأيت شيخا ينشد والناس حوله
(ليسَ للإنسانِ إلاّ ما رُزِقْ ... أستعينُ اللّهَ باللّهِ أثِقْ)
(عَلِقَ الهمُّ بقلبي كلّه ... وإذا ما عِلقَ الهمّ عَلِقْ)
(بأبي مَنْ كان لي من قلبه ... مَرّةً وُدٌّ قليلٌ فسرقْ)
(يا بني الإسلامِ فيكم مَلِكٌ ... جامعُ الإسلامِ عنه يَفْترِقْ)
(لَندى هارونَ فيكم ولَهُ ... فيكمُ صَوْبٌ هَطُولٌ وورقْ)
(لم يَزَلْ هارونُ خيراً كلّه ... قُتِل الشَّرُّ به يومَ خُلِقْ)
فقلت لبعض الهاشميين أما ترى إعجاب الناس بشعر هذا الرجل فقال يا بني إن الأعناق لتقطع دون هذا الطبع
قال ثم كان الشيخ أبا العتاهية والذي سأله إبراهيم بن المهدي
حدثني الصولي قال حدثنا أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدثني عبد القوي بن محمد بن أبي العتاهية عن أبيه قال لبس أبو العتاهية كساء صوف ودراعة صوف وآلى على نفسه ألا يقول شعرا في الغزل وأمر الرشيد بحبسه والتضييق عليه فقال
صوت
(يابنَ عمِّ النبي سمعاً وطاعه ... قد خلعنا الكساء والدُّرّاعهْ)
(ورجَعْنا إلى الصِّناعة لمّا ... كان سُخْطُ الإمامِ تَرْكَ الصِّناعهْ)
وقال أيضا
((أمَا رَحِمْتني يومَ وَلَّتْ فَأَسْرعتْ ... وقد تركَتْني واقفاً أتَلفَّتُ
(أُقَلّبُ طَرْفي كي أراها فلا أرى ... وأحلِبُ عيني دَرَّها وأُصَوِّت)
فلم يزل الرشيد متوانيا في إخراجه إلى أن قال
(أمَا واللّه إنّ الظلمَ لُومٌ ... وما زال المُسيِءُ هو الظّلومُ)
(إلى دَيَّانِ يومِ الدِّين نَمضِي ... وعند اللّه تَجتمع الخصومُ)
(لأمرٍ مَا تَصرَّفتِ الليالي ... وأمرٍ مّا تُوَلِّيتِ النُّجومُ)
(تموت غداً وأنت قَرِيرُ عينٍ ... من الغفَلات في لُجَجٍ تَعومُ)
(تنامُ ولم تَنَمْ عنك المنايا ... تَنبّه للمنيّة يا نَؤُومُ)
(سَلِ الأيّامَ عن أُمَمٍ تَقَضَّتْ ... ستُخبرك المعَالمُ والرُّسُومُ)
(تَرومُ الخُلْدَ في دارِ المنايا ... وكمْ قد رامَ غيرُك ما تَرومُ)
(ألاَ يأيّها الملكُ المُرجَّى ... عليه نَواهِضُ الدنيا تَحومُ)
(أقِلْني زَلّةً لم أجْرِ منها ... إلى لَومٍ وما مِثلي مَلومُ)
(وخَلِّصْني تُخَلَّصْ يومَ بَعْثٍ ... إذا للناس بُرِّزت الجَحِيمُ)
فرق وأمر بإطلاقه
نسخت من كتاب هارون بن علي قال حدثني علي بن مهدي قال حدثني ابن أبي الأبيض قال
أتيت أبا العتاهية فقلت له إني رجل أقول الشعر في الزهد ولي فيه أشعار كثيرة وهو مذهب أستحسنه لأني أرجو ألا آثم فيه وسمعت شعرك في هذا المعنى فأحببت أن أستزيد منه فأحب أن تنشدني من جيد ما قلت فقال أعلم أن ما قلته رديء قلت وكيف قال لأن الشعر ينبغي أن يكون مثل أشعار الفحول المتقدمين أو مثل شعر بشار وابن هرمة فإن لم يكن كذلك فالصواب لقائله أن تكون ألفاظه مما لا تخفى على جمهور الناس مثل شعري ولا سيما الأشعار التي في الزهد فإن الزهد ليس من مذاهب الملوك ولا من مذاهب رواة الشعر ولا طلاب الغريب وهو مذهب أشغف الناس به الزهاد وأصحاب الحديث والفقهاء وأصحاب الرياء والعامة وأعجب الأشياء إليهم ما فهموه
فقلت صدقت
ثم أنشدني قصيدته
(لِدُوا للموتِ وابْنُوا للخرابِ ... فكلّكُم يَصير إلى تَبابِ)
(ألاَ يا موتُ لم أرِ منك بُدّاً ... أتيتَ وما تَحِيفُ وما تُحابي)
(كأنّك قد هَجَمْتَ على مَشِيبي ... كما هجم المشيبُ على شبَابي)
قال فصرت إلى أبي نواس فأعلمته ما دار بيننا فقال والله ما أحسب في شعره مثل ما أنشدك بيتا آخر
فصرت إليه فأخبرته بقول أبي نواس فأنشدني قصيدته التي يقول فيها
(طُولُ التَّعاشُرِ بين النَّاس مَمْلولُ ... ما لابن آدمَ إن فَتَّشْتَ معقولُ)
(يا راعيَ الشَّاءِ لا تُغْفِلْ رِعايتَها ... فأنت عن كلِّ ما استُرْعِيتَ مسؤول)
(إنّي لَفِي مَنزِلٍ ما زلتُ أَعمرُه ... على يَقينٍ بأنّي عنه منقولُ)
(وليس من مَوْضِعٍ يأتيه ذو نَفَسٍ ... إلاّ وللموتِ سيفٌ فيه مَسْلولُ)
((لم يُشْغَلِ الموتُ عنّا مذ أُعِدَّ لنا ... وكلّنا عنه باللذّات مَشغولُ

(ومَنْ يَمُتْ فهو مَقْطوعٌ ومُجْتَنَبٌ ... والحيُّ ما عاش مَغْشِيٌّ ومَوْصولُ)
(كُلْ ما بدا لك فالآكَالُ فانِيةٌ ... وكُلُّ ذي أُكُلٍ لا بُدَّ مأكولُ)
قال ثم أنشدني عدة قصائد ما هي بدون هذه فصرت إلى أبي نواس فأخبرته فتغير لونه وقال لم خبرته بما قلت قد والله أجاد ولم يقل فيه سوءا
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني علي بن عبد الله بن سعد قال حدثني هارون بن سعدان مولى البجليين قال
كنت مع أبي نواس قريبا من دور بني نيبخت بنهر طابق وعنده جماعة فجعل يمر به القواد والكتاب وبنو هاشم فيسلمون عليه وهو متكئ ممدود الرجل لا يتحرك لأحد منهم حتى نظرنا إليه قد قبض رجليه ووثب وقام إلى شيخ قد أقبل على حمار له فاعتنق أبا نواس ووقف أبو نواس يحادثه فلم يزل واقفا معه يراوح بين رجليه يرفع رجلا ويضع أخرى ثم مضى الشيخ ورجع إلينا أبو نواس وهو يتأوه
فقال له بعض من حضر والله لأنت أشعر منه
فقال والله ما رأيته قط إلا ظننت أنه سماء وأنا أرض
رأي بشار فيه
قال محمد بن القاسم حدثني علي بن محمد بن عبد الله الكوفي قال حدثني السري بن الصباح مولى ثوبان بن علي قال
كنت عند بشار فقلت له من أشعر أهل زماننا فقال مخنث أهل بغداد يعني أبا العتاهية
أخبرني يحيى بن علي بن يحيى المنجم إجازة قال حدثني علي بن مهدي
قال حدثني الخزرجي الشاعر قال حدثني عبد الله بن أيوب الأنصاري قال حدثني أبو العتاهية قال
ماتت بنت المهدي فحزن عليها حزنا شديدا حتى امتنع من الطعام والشراب فقلت أبياتا أعزيه بها فوافيته وقد سلا وضحك وأكل وهو يقول لا بد من الصبر على ما لا بد منه ولئن سلونا عمن فقدنا ليسلون عنا من يفقدنا وما يأتي الليل والنهار على شيء إلا أبلياه
فلما سمعت هذا منه قلت يا أمير المؤمنين أتأذن لي أن أنشدك قال هات فأنشدته
(ما للجدِيدَيْن لا يَبْلى اختلافُهما ... وكلُّ غَضٍّ جديدٍ فيهما بالِي)
(يا مَنْ سلا عن حبيبٍ بعد مِيتته ... كم بعد موتك أيضاً عنك مِنْ سالي)
(كأنّ كلَّ نعيمٍ أنت ذائقُه ... من لذّة العيش يحكي لُمْعةَ الآلِ)
(لا تَلْعَبَنَّ بكَ الدنيا وأنت ترى ... ما شئتَ من عِبرٍ فيها وأمْثالِ)
(ما حِيلةُ الموت إلاّ كُلُّ صالحةٍ ... أولاَ فما حِيلةٌ فيه لمُحتالِ)
فقال لي أحسنت ويحك وأصبت ما في نفسي ووعظت وأوجزت ثم أمر لي لكل بيت بألف درهم
هو يشعر وإبراهيم الموصلي يغني والرشيد يطلق سراحهما
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا العنزي قال حدثني أحمد بن خلاد قال حدثني أبي قال
لما مات موسى الهادي قال الرشيد لأبي العتاهية قل شعرا في الغزل فقال لا أقول شعرا بعد موسى أبدا فحبسه وأمر إبراهيم الموصلي أن يغني فقال لا أغني بعد موسى أبدا وكان محسنا إليهما فحبسه
فلما شخص إلى
الرقة حفر لهما حفيرة واسعة وقطع بينهما بحائط وقال كونا بهذا المكان لا تخرجا منه حتى تشعر أنت ويغني هذا فصبرا على ذلك برهة
وكان الرشيد يشرب ذات يوم وجعفر بن يحيى معه فغنت جارية صوتا فاستحسناه وطربا عليه طربا شديدا وكان بيتا واحدا فقال الرشيد ما كان أحوجه إلى بيت ثان ليطول الغناء فيه فنستمتع مدة طويلة به فقال له جعفر قد أصبته
قال من أين قال تبعث إلى أبي العتاهية فيلحقة به لقدرته على الشعر وسرعته
قال هو أنكد من ذلك لا يجيبنا وهو محبوس ونحن في نعيم وطرب
قال بلى فاكتب إليه حتى تعلم صحة ما قلت لك
فكتب إليه بالقصة وقال ألحق لنا بالبيت بيتا ثانيا
فكتب إليه أبو العتاهية
(شُغِل المسكينُ عن تلك المِحَنْ ... فارقَ الرُّوحَ وأخلَى من بدن)
(ولقد كُلِّفتُ أمراً عَجباً ... أسأَلُ التَّفريحَ من بيت الحَزَنْ)
فلما وصلت قال الرشيد قد عرفتك أنه لا يفعل
قال فتخرجه حتى يفعل
قال لا حتى يشعر فقد حلفت
فأقام أياما لا يفعل
قال ثم قال أبو العتاهية لإبراهيم إلى كم هذا نلاج الخلفاء هلم أقل شعرا وتغن فيه
فقال أبو العتاهية
(بأبي مَنْ كان في قلبي له ... مرّةً حُبٌّ قليلٌ فسُرِقْ)
(يا بني العبّاس فيكم مَلِكٌ ... شُعَبُ الإحسان منه تفترقْ)
(إنّما هارونُ خيرٌ كلُّه ... مات كلّ الشرّ مُذْ يوم خُلِقْ)
وغنى فيه إبراهيم
فدعا بهما الرشيد فأنشده أبو العتاهية وغناه إبراهيم فأعطى كل واحد منهما مائة ألف درهم ومائة ثوب
حدثني الصولي بهذا الحديث عن الحسين بن يحيى عن عبد الله بن العباس ابن الفضل بن الربيع فقال فيه غضب الرشيد على جارية له فحلف ألا يدخل إليها أياما ثم ندم فقال
(صَدَّ عنّي إذ رآني مُفْتَتَنْ ... وأطال الصَّدَّ لمّا أن فَطَنْ)
(كان مَملوكي فأضحى مالكي ... إنّ هذا من أعاجيب الزَّمنْ)

وقال لجعفر بن يحيى أطلب لي من يزيد على هذين البيتين
فقال له ليس غير أبي العتاهية
فبعث إليه فأجاب بالجواب المذكور فأمر بإطلاقه وصلته
فقال الآن طاب القول ثم قال
(عِزَّةُ الحِبّ أرتْه ذِلَّتي ... في هواه وله وجهٌ حَسَنْ)
(ولهذا صِرتُ مملوكاً له ... ولهذا شاعَ ما بي وعَلَنْ)
فقال أحسنت والله وأصبت ما في نفس وأضعف صلته
نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى قال حدثني علي بن مهدي قال حدثني الهيثم بن عثمان قال حدثني شبيب بن منصور قال
كنت في الموقف واقفا على باب الرشيد فإذا رجل بشع الهيئة على بغل قد جاء فوقف وجعل الناس يسلمون عليه ويسائلونه ويضاحكونه ثم وقف في الموقف فأقبل الناس يشكون أحوالهم فواحد يقول كنت منقطعا إلى فلان فلم يصنع بي خيرا
ويقول آخر أملت فلانا فخاب أملي وفعل بي ويشكو آخر من حاله فقال الرجل
(فَتَّشْتُ ذي الدنيا فليس بها ... أحدٌ أراه لآخَرٍ حامِدْ)
(حتّى كأنّ الناسَ كلَّهم ... قد أُفرغوا في قالَبٍ واحدْ)
فسألت عنه فقيل هو أبو العتاهية
اتهم سلما الخاسر بالبخل
حدثني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني أحمد بن خلاد عن أبيه عن عبد الله بن الحسن قال
أنشد المأمون بيت أبي العتاهية يخاطب سلما الخاسر
(تَعالى اللَّه يا سَلْم بنَ عمرو ... أذلَّ الحِرصُ أعناقَ الرجالِ)
فقال المأمون إن الحرص لمفسد للدين والمروءة والله ما عرفت من رجل قط حرصا ولا شرها فرأيت فيه مصطنعا
فبلغ ذلك سلما فقال ويلي على المخنث الجرار الزنديق جمع الأموال وكنزها وعبأ البدور في بيته ثم تزهد مراءاة ونفاقا فأخذ يهتف بي إذا تصديت للطلب
أخبرني أحمد بن العباس العسكري المؤدب ومحمد بن عمران الصيرفي قالا حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني محمد بن أحمد بن سليمان العتكي قال حدثني العباس بن عبيد الله بن سنان بن عبد الملك بن مسمع قال
كنا عند قثم بن جعفر بن سليمان وعنده أبو العتاهية ينشد في الزهد فقال قثم يا عباس أطلب الساعة الجماز حيث كان ولك عندي سبق فطلبته فوجدته عند ركن دار جعفر بن سليمان فقلت أجب الأمير فقام معي حتى أتى قثم فجلس في ناحية مجلسه وأبو العتاهية ينشده فأنشأ الجماز يقول
(ما أقبحَ التَّزهِيدَ من واعظٍ ... يُزَهِّدُ الناسَ ولا يَزْهَدُ)
(لو كان في تزهيدِه صادقاً ... أضحى وأمسى بيتُه المسجدُ)
(يخاف أن تنفَدَ أرزاقُه ... والرزق عند اللّه لا يَنفَدُ)
((والرزق مقسومٌ على مَنْ ترى ... ينالُه الأبيضُ والأسودُ
قال فالتفت أبو العتاهية إليه فقال من هذا قالوا هذا الجماز وهو ابن أخت سلم الخاسر اقتص لخاله منك
فأقبل عليه وقال يابن أخي إني لم أذهب حيث ظننت ولا ظن خالك ولا أردت أن أهتف به وإما خاطبته كما يخاطب الرجل صديقه فالله يغفر لكما ثم قام
مخارق يغني بشعره
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني محمد بن أحمد بن خلف الشمري عن أبيه قال
كنت عند مخارق فجاء أبو العتاهية في يوم جمعة فقال لي حاجة وأريد الصلاة فقال مخارق لا أبرح حتى تعود
قال فرجع وطرح ثيابه وهي صوف وغسل وجهه ثم قال له غنني
صوت
(قال لي أحمدٌ ولم يدرِ ما بي ... أتُحِبّ الغداةَ عُتْبَةَ حقَّا)
(فتنفَّستُ ثم قلتُ نعمْ حُبّاً ... جرى في العُروق عِرْقاً فعرقَا)
فجذب مخارق دواة كانت بين يديه فأوقع عليها ثم غناه فاستعاده ثلاث مرات فأعاده عليه ثم قام وهو يقول لا يسمع والله هذا الغناء أحد فيفلح
وهذا الخبر رواية محمد بن القاسم بن مهرويه عنه
وحدثنا به أيضا في كتاب هارون بن علي بن يحيى عن ابن مهرويه عن ابن عمار قال حدثني أحمد بن يعقوب عن محمد بن حسان الضبي قال حدثنا مخارق قال
لقيني أبو العتاهية فقال بلغني أنك خرجت قولي
(قال لي أحمدٌ ولم يَدْرِ ما بي ... أتُحِبُّ الغداةَ عتْبةَ حَقَّا)
فقلت نعم
فقال غنه
فملت معه إلى خراب فيه قوم فقراء سكان فغنيته إياه فقال أحسنت والله منذ ابتدأت حتى سكت ثم قال لي أما ترى ما فعل الملك بأهل هذا الخراب
أخبرني جحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال
قال مخارق لقيت أبا العتاهية على الجسر فقلت له يا أبا إسحاق أتنشدني قولك في تبخيلك الناس كلهم فضحك وقال لي ها هنا قلت نعم
فأنشدني
(إن كنتَ مُتّخِذاً خليلاً ... فَتَنَقَّ وانتقِدِ الخليلاَ)
(مَنْ لم يكن لك مُنصِفاً ... في الودّ فابْغِ به بديلاَ)

(ولربَما سُئِل البخيلُ ... الشيءَ لا يَسوَى فَتِيلا)
(فيقول لا أَجد السَّبِيلَ ... إليه يَكْرَهُ أن يُنِيلا)
(فلذاك لا جعَل الإلهُ ... له إلى خيرٍ سبيلاَ)
(فاضْربْ بطَرْفك حيث شئتَ ... فلن ترى إلاّ بخيلاَ)
فقلت له أفرطت يا أبا إسحاق فقال فديتك فأكذبني بجواد واحد
فأحببت موافقته فالتفت يمينا وشمالا ثم قلت ما أجد
فقبل بين عيني وقال فديتك يا بني لقد رفقت حتى كدت تسرف
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني هارون بن مخارق قال
كان أبو العتاهية لما نسك يقول لي يا بني حدثني فإن ألفاظك تطرب كما يطرب غناؤك

عتابه لأحمد بن يوسف

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم الأنباري قال حدثني أبو هفان قال حدثني موسى بن عبد الملك قال
كان أحمد بن يوسف صديقا لأبي العتاهية فلما خدم المأمون وخص به رأى منه أبو العتاهية جفوة فكتب إليه
(أبا جعفرٍ إن الشريفَ يَشينه ... تَتَايُهُه على الأخِلاّء بالوَفْر)
(ألم تر أنّ الفقر يُرجَى له الغنَى ... وأنّ الغَنى يُخشَى عليه من الفقر)
(فإن نِلتَ تِيهاً بالذي نِلْتَ من غنىً ... فإنّ غنايَ في التجمّل والصبر)
قال فبعث إليه بألفي درهم وكتب إليه يعتذر مما أنكره
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم الكوفي قال حدثني أبو جعفر المعبدي قال
قلت لأبي العتاهية أجز لي قول الشاعر
(وكان المالُ يأتينا فكنْا ... نُبَذّره وليس لنا عقولُ)
(فلمّا أن تولّى المالُ عنّا ... عَقَلْنا حين ليس لنا فُضُولُ)
قال فقال أبو العتاهية على المكان
(فقصِّر ما ترى بالصّبر حقًّا ... فكلٌّ إن صبرتَ له مُزيلُ)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني الحسن بن الفضل الزعفراني قال حدثني من سمع أبا العتاهية يقول لابنه وقد غضب عليه اذهب فإنك ثقيل الظل جامد الهواء

خبر النعل الذي كتب على شراكها شعرا

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني يحيى بن خليفة الرازي قال حدثنا حبيب بن الجهم النميري قال
حضرت الفضل بن الربيع متجزا جائزتي وفرضي فلم يدخل عليه أحد قبلي فإذا عون حاجبه قد جاء فقال هذا أبو العتاهية يسلم عليك وقد قدم من مكة فقال أعفني منه الساعة يشغلني عن ركوبي
فخرج إليه عون فقال إنه على الركوب إلى أمير المؤمنين
فأخرج من كمه نعلا عليها شراك فقال قل له إن أبا العتاهية أهداها إليك جعلت فداءك
قال فدخل بها فقال ما هذه فقال نعل وعلى شراكها مكتوب كتاب
فقال يا حبيب اقرأ ما عليها فقرأته فإذا هو
(نَعلٌ بعثتُ بها ليلبسَها ... قَرْمٌ بها يمشي إلى المجدِ)
(لو كان يَصلُح أن أُشرّكها ... خدّي جعلتُ شِراكَها خدّي)
فقال لحاجبه عون احملها معنا فحملها
فلما دخل على الأمين قال له يا عباسي ما هذه النعل فقال أهداها إلي أبو العتاهية وكتب عليها بيتين وكان أمير المؤمنين أولى بلبسها لما وصف به لابسها
فقال وما هما فقرأهما
فقال أجاد والله وما سبقه إلى هذا المعنى أحد هبوا له عشرة آلاف درهم
فأخرجت والله في بدرة وهو راكب على حماره فقبضها وانصرف

سذاجته وقلة معرفته

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا
إسماعيل بن عبد الله الكوفي قال حدثنا عمرو صاحب الطعام وكان جار أبي العتاهية قال
كان أبو العتاهية من أقل الناس معرفة سمعت بشرا المريسي يقول له يا أبا إسحاق لا تصل خلف فلان جارك وإما مسجدكم فإنه مشبه
(قال كلا إنه قرأ بنا البارحة في الصلاة (قل هو الله أحد) وإذا هو يظن أن المشبه لا يقرأ (قل هو الله أحد
أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني أحمد بن يعقوب الهاشمي قال حدثني أبو شيخ منصور بن سليمان عن أبيه قال
كتب بكر بن المعتمر إلى أبي العتاهية يشكو إليه ضيق القيد وغم الحبس فكتب إليه أبو العتاهية
(هيَ الأيّام والعِبَرُ ... وأمرُ اللّه يُنْتَظَرُ)
(أتَيْأس أن ترى فرجاً ... فأين اللّهُ والقَدَرُ)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا أحمد بن عبيد بن ناصح قال
كنت أمشي مع أبي العتاهية يده في يدي وهو متكئ علي ينظر إلى الناس يذهبون ويجيئون فقال أما تراهم هذا يتيه فلا يتكلم وهذا يتكلم بصلف ثم قال لي مر بعض أولاد المهلب بمالك بن دينار وهو يخطر فقال يا بني لو خفضت بعض هذه الخيلاء ألم يكن أحسن بك من هذه الشهرة التي قد شهرت بها
نفسك فقال له الفتى أو ما تعرف من أنا فقال له بلى والله أعرفك معرفة جيدة أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت بين ذينك حامل عذرة

قال فأرخى الفتى أذنيه وكف عما كان يفعل وطأطأ رأسه ومشى مسترسلا
ثم أنشدني أبو العتاهية
(أيا واهاً لذِكر اللّهِ ... يا واهاً له واهَا)
(لقد طَيَّب ذِكرُ اللّه ... بالتسبيح أفواها)
(فيا أنتن من حُشٍّ ... على حشٍّ إذا تاها)
(أرى قوماً يتيهون ... حُشوشا رُزقوا جاهَا)
حدثني اليزيدي عن عمه إسماعيل بن محمد بن أبي محمد قال
قلت لأبي العتاهية وقد جاءنا يا أبا إسحاق شعرك كله حسن عجيب ولقد مرت بي منذ أيام أبيات لك استحسنتها جدا وذلك أنها مقلوبة أيضا فأواخرها كأنها رأسها لو كتبها الإنسان إلى صديق له كتابا والله لقد كان حسنا أرفع ما يكون شعرا
قال وما هي قلت
(المرءُ في تأخير مُدّته ... كالثوب يَخْلُق بعد جِدّته)
(وحياتُه نَفسٌ يُعدّ له ... ووفاتُه استكمالُ عِدّته)
(ومصيرُه من بعد مُدّته ... لِبِلًى وذا من بعد وُحْدته)
(مَنْ مات مَالَ ذوو مودّته ... عنه وحالوا عن مودّته)
(أزفَ الرحيلُ ونحن في لَعِبٍ ... ما نستعِدّ له بِعُدّته)
((ولقلّما تُبْقي الخطوبُ على ... أشَر الشّبابِ وحرِّ وَقْدته
(عَجَباً لمنتبِهٍ يُضَيّع ما ... يحتاج فيه ليوم رَقْدته)
قال اليزيدي قال عمي وحدثني الحسين بن الضحاك قال
كنت مع أبي نواس فأنشدني أبياته التي يقول فيها
(يا بني النقص والغِيَرْ ... وبني الضعف والخَوَرْ)
فلما فرغ منها قال لي يا أبا علي والله لكأنها من كلام صاحبك يعني أبا العتاهية
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني حذيفة بن محمد الطائي قال حدثني أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي قال
حججت فرأيت أبا العتاهية واقفا على أعرابي في ظل ميل وعليه شملة إذا غطى بها رأسه بدت رجلاه وإذا غطى رجليه بدا رأسه
فقال له أبو العتاهية كيف اخترت هذا البلد القفر على البلدان المخصبة فقال له يا هذا لولا أن الله أقنع بعض العباد بشر البلاد ما وسع خير البلاد جميع العباد فقال له فمن أين معاشكم فقال منكم معشر الحاج تمرون بنا فننال من فضولكم وتنصرفون فيكون ذلك
فقال له إنما نمر وننصرف في وقت من السنة فمن أين معاشكم فأطرق الأعرابي ثم قال لا والله لا أدري ما أقول إلا أنا نرزق من حيث لا نحتسب أكثر مما نرزق من حيث نحتسب
فولى أبو العتاهية وهو يقول
(ألاَ يا طالبَ الدُّنيا ... دَعِ الدنيا لشانِيكَا)
(وما تصنَعُ بالدنيا ... وظِلُّ المِيل يَكْفِيكَا)
سلم الخاسر يشتمه بعد أن سمع هجوه
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا الزبير بن بكار قال
لما قال أبو العتاهية
(تعالى اللّهُ يا سَلْمُ بنَ عَمْرٍ ... أذلّ الحرصُ أعناقَ الرجالِ)
قال سلم ويلي على ابن الفاعلة كنز البدور ويزعم أني حريص وأنا في ثوبي هذين
أخبرني محمد بن مزيد والحرمي بن أبي العلاء قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمرو بن أدعج قال قلت لعبد الله بن عبد العزيز العمري وسمعته يتمثل كثيرا من شعر أبي العتاهية أشهد أني سمعته ينشد لنفسه
(مَرّتِ اليومَ شاطرهْ ... بَضَّة الجسم ساخرهْ)
(إنّ دُنيا هي التي ... مرّتِ اليومَ سافرهْ)
(سَرَقوا نصفَ اسمها ... فَهْيَ دنيا وآخِرهْ)
فقال عبد الله بن عبد العزيز وكله الله إلى آخرتها
قال وما سمع بعد ذلك يتمثل ببيت من شعره
قال علي بن الحسين مؤلف هذا الكتاب هذه الأبيات لأبي عيينة المهلبي وكان يشبب بدنيا في شعره فإما أن يكون الخبر غلطا وإما أن يكون الرجل أنشدها العمري لأبي العتاهية وهو لا يعلم أنها ليست له
الموازنة بينه وبين أبي نواس
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل قال
قال لي الحرمازي شهدت أبا العتاهية وأبا نواس في مجلس وكان أبو العتاهية أسرع الرجلين جوابا عند البديهة وكان أبو نواس أسرعهما في قول الشعر فإذا تعاطيا جميعا السرعة فضله أبو العتاهية وإذا توقفا وتمهلا فضله أبو نواس
أخبرني أحمد بن العباس عن ابن عليل العنزي قال حدثنا أبو أنس كثير بن محمد الحزامي قال حدثني الزبير بن بكار عن معروف العاملي قال
قال أبو العتاهية كنت منقطعا إلى صالح المسكين وهو ابن أبي جعفر المنصور فأصبت في ناحيته مائة ألف درهم وكان لي ودودا وصديقا فجئته يوما وكان لي في مجلسه مرتبة لا يجلس فيها غيري فنظرت إليه قد قصر بي عنها وعاودته ثانية فكانت حاله تلك ورأيت نظره إلي ثقيلا فنهضت وقلت
(أراني صالحٌ بُغْضا ... فأظهرتُ له بُغضَا)
(ولا واللّهِ لا ينقُض ... إلا زدتُه نَقْضا)
(وإلاّ زدتُه مقتا ... وإلا زدته رفْضَا)
(ألاَ يا مُفْسِد الودّ ... وقد كان له محضا)

(تغضبت مِنَ الريح ... فما أطلُب أن تَرْضَى)
(لئن كان لك المالُ ... المُصفى إنّ لي عِرْضَا)
قال أبو العتاهية فنمي الكلام إلى صالح فنادى بالعداوة فقلت فيه
(مَدَدْتُ لمُعْرِضٍ حَبْلاً طويلاً ... كأطولِ ما يكون من الحِبَالِ)
(حبالٍ بالصَّريمة ليس تَفْنى ... مُوصَّلةٍ على عَدد الرمال)
(فلا تنظُرْ إليّ ولا تُرِدْني ... ولا تُقرِبْ حبالَك من حبالي)
(فليت الرَّدْمَ من يأجوجَ بيني ... وبينك مثبتاً أُخرَى الليالي)
(فكَرِشْ إن أردتَ لنا كلاماً ... ونقطع قِحْفَ رأسِه بالقَذَال)
حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا علي بن سليمان النوفلي قال قال مساور السباق وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير عن مساور السباق قال
شهدت جنازة في أيام الحاج وقت خروج الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن المقتول بفخ فرأيت رجلا قد حضر الجنازة معنا وقد قال لآخر هذا الرجل الذي صفته كذا وكذا أبو العتاهية
فالتفت إليه فقلت له أنت أبو العتاهية فقال لا أنا أبو إسحاق فقلت له أنشدني شيئا من شعرك فقال لي ما أحمقك نحن على سفر وعلى شفير قبر وفي أيام العشر وبلدكم هذا تستنشدني الشعر ثم أدبر عني ثم عاد إلي فقال وأخرى أزيدكها لا والله ما رأيت في بني آدم قط أسمج منك وجها
قال النوفلي في خبره وصدق أبو العتاهية كان مساور هذا مقبحا طويل الوجه كأنه ينظر في سيف
أخبرني عمي الحسن بن محمد وجحظة قالا حدثنا ميمون بن هارون قال
قدم أبو العتاهية يوما منزل يحيى بن خاقان فلما قام بادر له الحاجب
فانصرف
وأتاه يوما آخر فصادفه حين نزل فسلم عليه ودخل إلى منزله ولم يأذن له فأخذ قرطاسا وكتب إليه
(أراكَ تُراعُ حين تَرى خَيالي ... فما هذا يَرُوعك من خيالي)
(لعلّك خائفٌ منّي سؤالي ... ألاَ فلَكَ الأمانُ مِنَ السؤالِ)
(كَفَيتُكَ إنّ حالَكَ لم تَمِلْ بي ... لأطلُبَ مثلَها بَدَلاً بحالي)
(وإنّ اليُسْرَ مثلُ العُسْرِ عندي ... بأيّهما مُنِيتُ فلا أُبالي)
فلما قرأ الرقعة أمر الحاجب بإدخاله إليه فطلبه فأبى أن يرجع معه ولم يلتقيا بعد ذلك
أخبرني عبد الله بن محمد الرازي قال حدثنا أحمد بن الحارث قال حدثنا المدائني قال
اجتمع أبو نواس وأبو الشمقمق في بيت ابن أذين وكان بين أبي العتاهية وبين أبي الشمقمق شر فخبأوه من أبي العتاهية في بيت
ودخل أبو العتاهية فنظر إلى غلام عندهم فيه تأنيث فظن أنه جارية فقال لابن أذين متى استطرفت هذه الجارية فقال قريبا يا أبا إسحاق فقال قل فيها ما حضر فمد أبو العتاهية يده إليه وقال
(مددتُ كَفّي نحوَكم سائلاً ... ماذا تَرُدُّون على السائلِ)
فلم يلبث أبو الشمقمق حتى ناداه من البيت
(نَرُدُّ في كفِّك ذا فَيْشَةٍ ... يَشْفِي جوىً في اسْتِك من داخل)
فقال أبو العتاهية شمقمق والله وقام مغضبا
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا علي بن محمد النوفلي قال حدثني سليمان بن عباد قال حدثنا سليمان بن مناذر قال
كنا عند جعفر بن يحيى وأبو العتاهية حاضر في وسط المجلس فقال أبو العتاهية لجعفر جعلني الله فداك معكم شاعر يعرف بابن أبي أمية أحب أن اسمعه ينشد فقال له جعفر هو أقرب الناس منك
فأقبل أبو العتاهية على محمد وكان إلى جانبه وسأله أن ينشده فكأنه حصر ثم أنشده
صوت
(رُبّ وعدٍ منك لا أنساه لي ... أوْجَبَ الشكرَ وإن لم تَفعلِ)
(أَقطَعُ الدهرَ بوعدٍ حَسَنٍ ... وأُجَلّي غَمْرةً ما تَنْجَلي)
(كلّما أمّلتُ وعداً صالحاً ... عَرَضَ المكروهُ دونَ الأملِ)
(وأرى الأيّام لا تُدْني الذي ... أرْتجي منك وتُدْني أجلي)
في هذه الأبيات لأبي حبشة رمل قال فأقبل أبو العتاهية يردد البيت الأخير ويقبل رأس ابن أبي أمية ويبكي وقال وددت والله أنه لي بكثير من شعري
أسماء أبنائه
أخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عمر بن شبة قال
كانت لأبي العتاهية بنتان اسم إحداهما لله والأخرى بالله فخطب منصور بن المهدي لله فلم يزوجه وقال إنما طلبها لأنها بنت أبي العتاهية وكأني بها قد ملها فلم يكن لي إلى الانتصاف منه سبيل وما كنت لأزوجها إلا بائع خزف وجرار ولكني أختاره لها موسرا
وكان لأبي العتاهية ابن يقال له محمد وكان شاعرا وهو القائل
(قد أفْلَح السَّالمُ الصَّموتُ ... كَلاَمُ راعِي الكلامِ قُوتُ)
(ما كلُّ نُطقٍ له جوابٌ ... جوابُ ما يُكْرَهُ السُّكوتُ)
(يا عَجباً لامرىءٍ ظَلُومٍ ... مُستَيقِنٍ أنّه يموت)
نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى حدثنا زكريا بن الحسين عن عبد الله بن الحسن بن سهل الكاتب قال
قلت لأبي العتاهية أنشدني من شعرك ما تستحسن فأنشدني
(ما أسرعَ الأيّامَ في الشّهر ... وأسرَع الأشْهُرَ في العُمْرِ)
صوت

(ليس لمن ليستْ له حيلةٌ ... موجودةٌ خيرٌ من الصَّبْرِ)
(فاخْطُ مع الدهر إذا ما خطا ... واجْرِ مع الدهر كما يَجْري)
(مَنْ سَابَقَ الدهرَ كبا كَبْوةً ... لم يَسْتَقِلْها آخِرَ الدهرِ)
لإبراهيم في هذه الأبيات خفيف ثقيل وثقيل أول
قال عبد الله بن الحسن وسمعت أبا العتاهية يحدث قال ما زال الفضل ابن الربيع من أميل الناس إلي فلما رجع من خراسان بعد موت الرشيد دخلت إليه فاستنشدني فأنشدته
(أفنيتَ عمرَك إدباراً وإقبالاً ... تَبْغي البنين وتَبْغي الأهْلَ والمالاَ)
(الموتُ هَوْلٌ فكُنْ ما شِئتَ مُلْتمِساً ... من هَوْلِه حِيلةً إن كنتَ مُحتالا)
(ألم تَرَ المَلِكَ الأمْسِيَّ حين مضى ... هل نال حيٌّ من الدنيا كما نَالاَ)
((أفناه مَنْ لم يَزَلْ يُفْنِي القُرونَ فَقَدْ ... أضحى وأصبح عنه الملكُ قد زالا
(كم من ملوكٍ مضى رَيْبُ الزمان بهم ... فأصبحوا عِبَراً فينا وأمثالاَ)
فاستحسنها وقال أنت تعرف شغلي فعد إلي في وقت فراغي اقعد معك وآنس بك
فلم أزل أراقب أيامه حتى كان يوم فراغه فصرت إليه فبينما هو مقبل علي يستنشدني ويسألني فأحدثه إذ أنشدته
(ولّى الشبابُ فماله من حِيلةٍ ... وكَسَا ذُؤَابَتِيَ المشيبُ خمارَا)
(أين البرامكةُ الذين عَهِدتُهمْ ... بالأمسِ أعظمَ أهْلِها أخطارا)
فلما سمع ذكرى البرامكة تغير لونه ورأيت الكراهية في وجهه فما رأيت منه خيرا بعد ذلك
قال وكان أبو العتاهية يحدث هذا الحديث ابن الحسن بن سهل فقال له لئن كان ذلك ضرك عند الفضل بن الربيع لقد نفعك عندنا فأمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب وأجرى له كل شهر ثلاثة آلاف درهم فلم يزل يقبلها دارة إلي أن مات
قال عبد الله بن الحسن بن سهل وسمعت عمرو بن مسعدة يقول قال لي أخي مجاشع بينما أنا في بيتي إذ جاءتني رقعة من أبي العتاهية فيها
(خليلٌ لي أُكَاتُمه ... أراني لا أُلائِمُهُ)
(خليلٌ لا تَهُبَ الرِّيحُ ... إلاّ هبّ لائِمهُ)
(كذا منْ نال سلطاناً ... ومن كَثُرتْ دراهمهُ)
قال فبعثت إليه فأتاني فقلت له أما رعيت حقا ولا ذماما ولا مودة فقال لي ما قلت سوءا قلت فما حملك على هذا قال أغيب عنك عشرة أيام فلا تسأل
عني ولا تبعث إلي رسولا فقلت يا أبا إسحاق أنسيت قولك
(يَأْبى المُعَلَّق بالمُنَى ... إلاّ رَواحاً وادّلاجَا)
(أرْفُقْ فعمرُك عُودُ ذي ... أَوَدٍ رأيتُ به اعوجاجَا)
(مَنْ عَاجَ من شيءٍ إلى ... شيءٍ أصاب له مَعَاجا)
فقال حسبك حسبك أوسعتني عذرا
عاب شعر ابن مناذر
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي الزارع قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني محمد بن عمران بن عبد الصمد الزارع قال حدثنا ابن عائشة قال
قال أبو العتاهية لابن مناذر شعرك مهجن لا يلحق بالفحول وأنت خارج عن طبقة المحدثين
فإن كنت تشبهت بالعجاج ورؤبة فما لحقتهما ولا أنت في طريقهما وإن كنت تذهب مذهب المحدثين فما صنعت شيئا أخبرني عن قولك
(... (ومَنْ عاداك لاقَى المَرْمريسا
أخبرني عن المرمريس ما هو قال فخجل ابن مناذر وما راجعه حرفا
قال وكان بينهما تناغر
نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى قال حدثني الحسين بن إسماعيل المهدي قال حدثني رجاء بن سلمة قال وجد المأمون علي في شيء فاستأذنته في الحج فأذن لي فقدمت البصرة وعبيد الله بن إسحاق بن الفضل الهاشمي عليها وإليه أمر الحج فزاملته إلى مكة
فبينا نحن في الطواف رأيت أبا العتاهية فقلت لعبيد الله جعلت فداك أتحب أن ترى أبا العتاهية فقال والله إني لأحب أن أراه وأعاشره
قلت فافرغ من طوافك واخرج ففعل
فأخذت بيد أبي العتاهية فقلت له يا أبا إسحاق هل لك في رجل من أهل البصرة شاعر أديب ظريف قال وكيف لي بذلك فأخذت بيده فجئت به إلى عبيد الله وكان لا يعرفه فتحدثا ساعة ثم قال له أبو العتاهية هل لك في بيتين تجيزهما فقال له عبيد الله إنه لا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج
فقال له لا نرفث ولا نفسق ولا نجادل
فقال هات إذا فقال أبو العتاهية
((إنّ المنونَ غُدُوَّها ورَواحَها ... في الناس دائبة تُجِيل قِداحَها
(يا ساكنَ الدنيا لقد أوطنتَها ... ولَتَنْزَحَنّ وإن كرهت نَزَاحَها)
فأطرق عبيد الله ينظر إلى الأرض ساعة ثم رفع رأسه فقال
(خُذْ لا أبالك للمنيّة عُدَّةً ... واحتَلْ لنفسك إن أردتَ صلاحَها)
(لا تَغْتَرِرْ فكأنّني بُعُقاب رَيب ... الموت قد نَشرتْ عليك جَنَاحَهَا)
قال ثم سمعت الناس ينحلون أبا العتاهية هذه الأربعة الأبيات كلها وليس له إلا البيتان الأولان
خبره في السجن مع داعية عيسى بن زيد
أخبرني عمي الحسن بن محمد قال حدثنا ميمون بن هارون قال حدثني إبراهيم بن رباح قال أخبرني إبراهيم بن عبد الله

وأخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا هارون بن مخارق قال حدثني إبراهيم بن دسكرة وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ قال
قال أبو العتاهية حبسني الرشيد لما تركت قول الشعر فأدخلت السجن وأغلق الباب علي فدهشت كما يدهش مثلي لتلك الحال وإذا أنا برجل جالس في جانب الحبس مقيد فجعلت أنظر إليه ساعة ثم تمثل
صوت
(تعوّدتُ مُرَّ الصبر حتى أَلِفْتُهُ ... وأسلمني حسنُ العَزاء إلى الصبر)
(وصيّرني يأسي من النَّاس راجياً ... لحُسْن صنيع الله من حيثُ لا أدري)
فقلت له أعد يرحمك الله هذين البيتين
فقال لي ويلك أبا العتاهية ما أسوأ
أدبك وأقل عقلك دخلت علي الحبس فما سلمت تسليم المسلم على المسلم ولا سألت مسألة الحر للحر ولا توجعت توجع المبتلى للمبتلى حتى إذا سمعت بيتين من الشعر الذي لا فضل فيك غيره لم تصبر عن استعادتهما ولم تقدم قبل مسألتك عنهما عذرا لنفسك في طلبهما فقلت يا أخي إني دهشت لهذه الحال فلا تعذلني واعذرني متفضلا بذلك
فقال أنا والله أولى بالدهش والحيرة منك لأنك حبست في أن تقول شعرا به ارتفعت وبلغت فإذا قلت أمنت وأنا مأخوذ بأن أدل على ابن رسول الله ليقتل أو أقتل دونه ووالله لا أدل عليه أبدا والساعة يدعى بي فأقتل فأينا أحق بالدهش فقلت له أنا والله أولى سلمك الله وكفاك ولو علمت أن هذه حالك ما سألتك
قال فلا نبخل عليك إذا ثم أعاد البيتين حتى حفظتهما
قال فسألته من هو فقال أنا خاص داعية عيسى بن زيد وابنه أحمد
ولم نلبث أن سمعنا صوت الأقفال فقام فسكب عليه ماء كان عنده في جرة ولبس ثوبا نظيفا كان عنده ودخل الحرس والجند معهم الشمع فأخرجونا جميعا وقدم قبلي إلى الرشيد
فسأله عن أحمد بن عيسى فقال لا تسألني عنه واصنع ما أنت صانع فلو أنه تحت ثوبي هذا ما كشفته عنه وأمر بضرب عنقه فضرب
ثم قال لي أظنك قد ارتعت يا إسماعيل فقلت دون ما رأيته تسيل منه النفوس
فقال ردوه إلى محبسه فرددت وانتحلت هذين البيتين وزدت فيهما
(إذا أنا لم أقْبَلْ من الدّهر كلَّ ما ... تكَرَّهتُ منه طال عَتْبي على الدهر)
لزرزور غلام المارقي في هذه البيتين المذكورين خفيف رمل
وفيهما لعريب خفيف ثقيل
نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى حدثني علي بن مهدي قال حدثني ناجية بن عبد الواحد قال
قال لي أبو العباس الخزيمي
كان أبو العتاهية خلفا في الشعر بينما هو يقول في موسى الهادي
(لَهْفِي على الزمن القصير ... بين الخَوَرْنَق والسَّدِير)
إذ قال
(أيا ذَوِي الوَخامهْ ... أكثرتُمُ المَلامة)
(فليس لي على ذا ... صبْرٌ ولا قُلامهْ)
(نعِم عَشِقتُ موُقاً ... هل قامتِ القيامةْ)
(لأرْكَبنّ فيمن ... هَويتُه الصَّرامهْ)
ونسخت من كتابه حدثني علي بن مهدي قال حدثني أحمد بن عيسى قال حدثني الجماز قال
قال سلم الخاسر صار إلي أبو العتاهية فقال جئتك زائرا فقلت مقبول منك ومشكور أنت عليه فأقم
فقال إن هذا مما يشتد علي
قلت ولم يشتد عليك ما يسهل على أهل الأدب فقال لمعرفتي بضيق صدرك
فقلت له وأنا أضحك وأعجب من مكابرته رمتني بدائها وانسلت
فقال دعني من هذا واسمع مني أبياتا
فقلت هات فأنشدني
((نغّص الموتُ كلَّ لذّةِ عيشٍ ... يا لَقومِي لِلْمَوتِ ما أوْحَاه
(عجباً أنّه إذا مات مَيْتٌ ... صَدّ عنه حبيبُه وجَفاهُ)
(حيثما وُجِّه امرؤٌ ليفوتَ الموت ... فالموتُ واقفٌ بِحِذَاهُ)
(إنّما الشّيْبُ لابن آدمَ ناعٍ ... قام في عارِضَيْهِ ثم نَعَاهُ)
(منْ تَمَنَّى المُنَى فأغْرَق فيها ... مات من قبل أن ينالَ مُناهُ)
(ما أذَلَ المُقِلَّ في أعْيُن النّاس ... لإقلاله وما أقْمَاهُ)
(إنما تنظر العيونُ من الناس ... إلى من تَرْجوه أو تخْشاهُ)
ثم قال لي كيف رأيتها فقلت له لقد جودتها لو لم تكن ألفاظها سوقية
فقال والله ما يرغبني فيها إلا الذي زهدك فيها
شعره في التكبر
ونسخت من كتابة عن علي بن مهدي قال حدثني عبد الله بن عطية عن محمد بن عيسى الحربي قال
كنت جالسا مع أبي العتاهية إذ مر بنا حميد الطوسي في موكبه وبين يديه الفرسان والرجالة وكان بقرب أبي العتاهية سوادي على أتان فضربوا وجه الأتان ونحوه عن الطريق وحميد واضع طرفه على معرفة فرسه والناس ينظرون إليه يعجبون منه وهو لا يلتفت تيها فقال أبو العتاهية
(لِلموت أبناءٌ بهمْ ... ما شِئْتَ من صَلَفٍ وتيه)
(وكأنّني بالموت قد ... دَارَتْ رَحَاه على بنِيه)
قال فلما جاز حميد مع صاحب الأتان قال أبو العتاهية

((ما أذلَّ المُقِلَّ في أعين الناس ... لإقلاله وما أَقْماهُ
(إنما تنظر العيونُ من الناس ... إلى من تَرْجوه أو تَخْشاهُ)
قال علي بن مهدي وحدثني الحسين بن أبي السري قال
قيل لأبي العتاهية مالك تبخل بما رزقك الله قال والله ما بخلت بما رزقني الله قط قيل له وكيف ذاك وفي بيتك من المال ما لا يحصى قال ليس ذلك رزقي ولو كان رزقي لأنفقته
قال علي بن مهدي وحدثني محمد بن جعفر الشهرزوري قال حدثني رجاء مولى صالح الشهرزوري قال
كان أبو العتاهية صديقا لصالح الشهرزوري وآنس الناس به فسأله أن يكلم الفضل بن يحيى في حاجة له فقال له صالح لست أكلمه في أشباه هذا ولكن حملني ما شئت في مالي
فانصرف عنه أبو العتاهية وأقام أياما لا يأتيه فكتب إليه أبو العتاهية
(أَقْلِلْ زيارتَك الصديقَ ولا تُطِلْ ... إتيانَه فتَلِجَّ في هِجْرانِه)
(إنَّ الصديقَ يَلِجّ في غِشْيانِه ... لصديقه فيَمَلُّ من غِشْيانه)
(حتّى تراه بعد طول مَسَرّةٍ ... بمكانه مُتبرِّماً بمكانِه)
(وأقَلُّ ما يُلْفَى الفتى ثِقَلاً على ... إخوانه ما كفَّ عن إخوانه)
(وإذا توانَى عن صِيانة نفسه ... رجلٌ تُنُقص واستُخِفّ بشانه)
فلما قرأ الأبيات قال سبحان الله أتهجرني لمنعي إياك شيئا تعلم إني ما ابتذلت نفسي له قط وتنسى مودتي وأخوتي ومن دون ما بيني وبينك ما أوجب عليك أن تعذرني فكتب إليه
(أهلَ التّخَلُّق لو يَدوم تَخَلُّقٌ ... لسكنتُ ظِلّ جَناحِ مَنْ يَتَخَلَّقُ)
(ما الناس في الإمساك إلا واحدٌ ... فبأيّهم إنْ حُصِّلوا أتعلّقُ)
(هذا زمانٌ قد تعود أهلُه ... تيه الملوك وفعلَ مَنْ يتصدّق)
فلما أصبح صالح غدا بالأبيات على الفضل بن يحيى وحدثه بالحديث فقال له لا والله ما على الأرض أبغض إلي من إسداء عارفة إلى أبي العتاهية لأنه ممن ليس يظهر عليه أثر صنيعة وقد قضيت حاجته لك فرجع وأرسلني بقضاء حاجته
فقال أبو العتاهية
(جَزَى اللهُ عنِّي صالحاً بوفائه ... وأضْعَفَ أضعافاً له في جَزائِه)
(بَلَوْتُ رجالاً بعدَه في إخائهمْ ... فما ازددتُ إلاّ رغبةً في إخائه)
(صديقٌ إذا ما جئتُ أبغيه حاجةً ... رجعتُ بما أبغِي ووجهي بمائه)
أخبرني الصولي قال حدثني محمد بن موسى قال حدثني أحمد بن حرب قال أنشدني محمد بن أبي العتاهية لأبيه يعاتب صالحا هذا في تأخيره قضاء حاجته
صوت
(أَعَيْنَيَّ جُودَا وابكيا وُدَّ صالِحِ ... وهِيجَا عليه مُعْوِلاتِ النَّوائِح)
(فما زالَ سلطاناً أخٌ لي أوَدُّه ... فَيَقْطَعُني جُرْماً قطيعةَ صالح)
الغناء في هذين البيتين لإبراهيم ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر
أخبرني محمد بن أبي الأزهر قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن جده قال
كان الرشيد معجبا بشعر أبي العتاهية فخرج إلينا يوما وفي يده رقعتان على نسخة واحدة فبعث بإحداهما إلى مؤدب لولده وقال ليروهم ما فيها ودفع الأخرى إلي وقال غن في هذه الأبيات
ففتحتها فإذا فيها
صوت
(قُلْ لِمَنْ ضَنَّ بوُدِّهْ ... وكَوى القلبَ بَصدِّهْ)
(ما ابتلى اللهُ فؤادي ... بكَ إلاّ شُؤْمَ جَدِّهْ)
(أيُّها السارقُ عَقْلِي ... لا تَضَنَّ بِرَدِّهْ)
(ما أرى حُبَّكَ إلاّ ... بالغاً بي فوقَ حَدِّهْ)
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثني عبد الله بن الأموي العتبي قال قال لي محمد بن عبد الملك الزيات لما أحس المعتصم بالموت قال لابنه الواثق ذهب والله أبوك يا هارون لله در أبي العتاهية حيث يقول
(الموتُ بين الخَلْقِ مُشْتَرَكُ ... لا سُوقةٌ يَبْقَى ولا مَلِكُ)
((ما ضَرَّ أصحابَ القليل وما ... أغْنَى عَنِ الأملاكِ ما مَلَكُوا
أبو تمام يقول لأبي العتاهية خمسة أبيات ما شركه فيها أحد
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي وعمي الحسن والكوكبي قالوا حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال
قال لي أبو تماح الطائي لأبي العتاهية خمسة أبيات ما شركه فيها أحد ولا قدر على مثلها متقدم ولا متأخر وهو قوله
(الناسُ في غَفَلاتِهِمْ ... ورَحَى المَنِيَّةِ تَطْحَنُ)
وقوله لأحمد بن يوسف
(ألم تَرَ أنّ الفَقْرَ يُرْجَى لي الغِنَى ... وأنّ الغِنَى يُخْشى عليه مِنَ الفَقْرْ)
وقوله في موسى الهادي
(ولمّا استَقَلُّوا بأثقالِهمْ ... وقد أزْمَعُوا للذَي أزمعوا)
(قرنتُ التفاتي بآثارهم ... وأتْبَعتُهمْ مُقْلَةً تَدْمَعُ)
وقوله
(هَبِ الدنيا تصير إليك عَفْواً ... أليس مصيرُ ذاكَ إلى زَوَالِ)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني محمد بن سعيد المهدي عن يحيى بن سعيد الأنصاري قال
مات شيخ لنا ببغداد فلما دفناه أقبل الناس على أخيه يعزونه فجاء أبو العتاهية إليه وبه جزع شديد فعزاه ثم أنشد
(لا تَأمن الدَّهْرَ والْبَسْ ... لكلِّ حينٍ لِبَاسَا)

(لَيَدْفِنَّنَا أُناسٌ ... كما دَفَنَّا أُناسَا)
قال فانصرف الناس وما حفظوا غير قول أبي العتاهية
نسخت من كتاب هارون بن علي حدثني علي بن مهدي قال حدثني حبيب ابن عبد الرحمن عن بعض أصحابه
قال كنت في مجلس خزيمة فجرى حديث ما يسفك من الدماء فقال والله ما لنا عند الله عذر ولا حجة إلا رجاء عفوه ومغفرته
ولولا عز السلطان وكراهة الذلة وأن أصير بعد الرياسة سوقة وتابعا بعد ما كنت متبوعا ما كان في الأرض أزهد ولا أعبد مني فإذا هو بالحاجب قد دخل عليه برقعة من أبي العتاهية فيها مكتوب
(أراكَ امرأً ترجو من الله عَفْوَهُ ... وأنت على مالا يُحِبُّ مُقِيمُ)
(تَدُلُّ على التقوى وأنت مُقَصِّرٌ ... أيا مَنْ يُداوي الناسَ وهو سَقِيمُ)
(وإنَّ امرأً لم يُلْهِهِ اليومُ عن غَدٍ ... تَخَوُّفَ ما يأتي به لحكِيمُ)
(وإنَّ امرأً لم يجعل البِرَّ كنزه ... وإنْ كانتِ الدنيا له لعديمُ)
فغضب خزيمة وقال والله ما المعروف عند هذا المعتوه الملحف من كنوز البر فيرغب فيه حر
فقيل له وكيف ذاك فقال لأنه من الذين يكنزون الذهب
والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله
ونسخت من كتابه عن علي بن مهدي قال حدثني الحسين بن أبي السري قال قال لي الفضل بن العباس
قال لي أبو العتاهية دخلت على يزيد بن مزيد فأنشدته قصيدتي التي أقول فيها
(وما ذاك إلاَّ أنَّني وَاثِقٌ بما ... لديك وأنِّي عالمٌ بوفائِكا)
(كأنّك في صدري إذا جئتُ زائراً ... تُقدِّرُ فيه حاجتي بابتِدائكا)
(وإنّ أميرَ المؤمنين وغيرَه ... ليعلَمُ في الهيجاء فضل غَنائِكا)
(كأنّك عند الكَرِّ في الحرب إنّما ... تَفِرُّ من السِّلْم الذي من وَرائِكا)
(فما آفةُ الأملاكِ غيرُك في الوَغَى ... ولا آفةُ الأموال غيرُ حِبائكا)
قال فأعطاني عشرة آلاف درهم ودابة بسرجها ولجامها
وأخبرني عيسى بن الحسين الوراق وعمي الحسن بن محمد وحبيب بن نصر المهلبي قالوا حدثنا عمر بن شبة قال
مر عابد براهب في صومعة فقال له عظني
فقال أعظك وعليكم نزل القرآن ونبيكم محمد قريب العهد بكم قلت نعم
قال فاتعظ ببيت من شعر شاعركم أبي العتاهية حين يقول
(تَجَرَّدْ مِنَ الدنيا فإنّك إنَّما ... وقعتَ إلى الدنيا وأنت مُجَرَّدٌ)
العتابي يفضله على أبي نواس
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا العنزي قال حدثني الفضل بن محمد الزارع قال حدثني جعفر بن جميل قال
قدم العتابي الشاعر على المأمون فأنزله على إسحاق بن إبراهيم فأنزله على كاتبه ثوابة بن يونس وكنا نختلف إليه نكتب عنه
فجرى ذات يوم ذكر الشعراء فقال لكم يأهل العراق شاعر منوه الكنية ما فعل فذكر القوم أبا نواس فانتهرهم ونفض يده وقال ليس ذلك حتى طال الكلام
فقلت لعلك تريد أبا العتاهية
فقال نعم ذاك أشعر الأولين والآخرين في وقته
أخبرني محمد بن عمران قال حدثني العنزي قال حدثني محمد بن إسحاق عن علي بن عبد الله الكندي قال
جلس أبو العتاهية يوما يعذل أبا نواس ويلومه في استماع الغناء ومجالسته لأصحابه فقال له أبو نواس
(أتُرَاني يا عَتَاهِي ... تاركاً تلك المَلاَهِي)
(أتُراني مفْسِداً بالنُّسْكِ ... عند القوم جاهي)
قال فوثب أبو العتاهية وقال لا بارك الله عليك وجعل أبو نواس يضحك
إبراهيم بن المهدي يتهمه بالزندقة
أخبرني جحظة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال
بلغ أبا العتاهية أن أبي رماه في مجلسه بالزندقة وذكره بها فبعث إليه يعاتبه على لسان إسحاق الموصلي فأدى إليه إسحاق الرسالة فكتب إليه أبي
(إنّ المنيَّة أمهلتْك عَتَاهِي ... والموتُ لا يسهو وقلبُك ساهِي)
(يا ويحَ ذي السنّ الضعيف أمَالُه ... عن غَيّه قبل الممات تَنَاهِي)
(وُكِّلْتَ بالدنيا تُبَكِّيها وتَنْدُبها ... وأنت عَنِ القيامة لاهي)
(والعيشُ حُلْوٌ والمَنونُ مَرِيرةٌ ... والدَّارُ دارُ تَفاخُرٍ وتَبَاهي)
(فاخْتَرْ لنفسك دونها سُبُلاً ولا ... تَتَحامَقَنَّ لها فإنّك لاهِي)
(لا يُعْجِبَنَّكَ أنْ يقال مُفَوَّهٌ ... حَسَنُ البَلاغة أو عَرِيضُ الجاه)
(أَصْلِحْ جَهُولاً من سَرِيرتك الّتي ... تخلو بها وارهَبْ مَقَامَ اللهِ)
(إنّي رأيتُك مُظْهِراً لِزَهَادةٍ ... تحتاجُ منك لها إلى أشباه)
عبد الله بن العباس يشغف بغناء شعره
أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني الحسين بن يحيى الصولي قال حدثني عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع قال
رآني الرشيد مشغوفا بالغناء في شعر أبي العتاهية
صوت
(أحمدٌ قال لي ولم يَدْرِ ما بي ... أتُحِبُّ الغداةَ عُتْبَةَ حَقَّا)
(فتَنَفَّسْتُ ثم قلتُ نَعَمْ حُبّاً ... جَرَى في العُروق عِرْقاً فعِرقَا)

(لو تَجُسِّينَ يا عُتَيبةُ قلبي ... لَوَجَدْتِ الفؤادَ قَرْحاً تَفَقَّا)
(قد لَعَمْري مَلَّ الطبيبُ ومَلَّ الأهلُ ... منِّي مما أقاسِي وألْقَى)
(ليتَني مِتُّ فاسترحتُ فإنِّي ... أبداً ما حَيِيتُ منها مُلَقَّى)
ولا سيما من مخارق وكان يغني فيه رملا لإبراهيم أخذه عنه
وفيه لحن لفريدة رمل
هكذا قال الصولي فريدة بالياء وغيره يقول فرندة بالنون
حدثني الصولي قال حدثنا محمد بن موسى قال حدثنا محمد بن صالح العدوي قال أخبرني أبو العتاهية قال
كان الرشيد مما يعجبه غناء الملاحين في الزلالات إذا ركبها وكان يتأذى بفساد كلامهم ولحنهم فقال قولوا لمن معنا من الشعراء يعملوا لهؤلاء شعرا يغنون فيه فقيل له ليس أحد أقدر على هذا من أبي العتاهية وهو في الحبس
قال فوجه إلي الرشيد قل شعرا حتى أسمعه منهم ولم يأمر بإطلاقي فغاظني ذلك فقلت والله لأقولن شعرا يحزنه ولا يسر به فعملت شعرا ودفعته إلى من حفظه الملاحين
فلما ركب الحراقة سمعه وهو
(خانَكَ الطَّرْفُ الطَّمُوحُ ... أيُّها القَلبُ الجَمُوحُ)
(لِدَوَاعِي الخَيْرِ والشرِّ ... دُنُوٌّ ونُزُوحُ)
(هلْ لمطلوبٍ بذَنْبٍ ... توبةٌ منه نصُوحُ)
(كيف إصلاحُ قُلوبٍ ... إنّما هُنَّ قُروحُ)
(أحْسَنَ اللهُ بنا أنَّ ... الخَطَايَا لا تَفُوحُ)
(فإذَا المستورُ منَّا ... بينَ ثَوْبَيْهِ فَضُوحُ)
(كَمْ رأينا مِنْ عزيزٍ ... طُوِيتْ عنه الكُشُوحُ)
(صاحَ منه برَحِيلٍ ... صائحُ الدَّهْرِ الصَّدُوحُ)
(موتُ بعضِ الناسِ في الأرْضِ ... على قومٍ فُتُوحُ)
((سيصير المرءِ يوماً ... جسداً ما فيه روحُ)
(بين عَيْنَيْ كُلِّ حَيٍّ ... عَلَمُ الموتِ يلوحُ)
(كُلُّنا في غَفْلَةٍ والْمَوْتُ ... يغدو ويروحُ)
(لِبَنِي الدُّنيا مِنَ الدُّنْيا ... غَبُوقٌ وصَبُوحُ)
(رُحْنَ في الوَشْيِ وأصْبَحْنَ ... عليهِنَّ المُسُوحُ)
(كلُّ نَطَّاحٍ مِنَ الدَّهْرِ له يومٌ نَطُوحُ)
(نُحْ على نَفْسِكَ يا مِسْكِينُ ... إنْ كنتَ تنوح)
(لتَمُوتَنَّ وإنْ عُمِّرْتَ ... ما عُمِّرَ نُوحُ)
قال فلما سمع ذلك الرشيد جعل يبكي وينتحب وكان الرشيد من أغزر الناس دموعا في وقت الموعظة وأشدهم عسفا في وقت الغضب والغلظة
فلما رأى الفضل بن الربيع كثرة بكائه أومأ إلى الملاحين أن يسكتوا
حدثني الصولي قال حدثني الحسن بن جابر كاتب الحسن بن رجاء قال لما حبس الرشيد أبا العتاهية دفعه إلى منجاب فكان يعنف به فقال أبو العتاهية
(مِنْجَابُ مات بدائه ... فاعْجَلْ له بدَوائِه)
(إنَّ الإمامَ أعلَّه ... ظُلْماً بحَدِّ شَقائه)
(لا تُعْنِفنّ سِيَاقَهُ ... ما كُلُّ ذاك برَائِهِ)
(ما شِمْتُ هذا في مَخَايِلِ ... بَارِقَاتِ سَمَائِه)
مدح الرشيد وأبناءه الثلاثة
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا العنزي قال حدثني أحمد بن معاوية القرشي قال
لما عقد الرشيد ولاية العهد لبنيه الثلاثة الأمين والمأمون والمؤتمن قال أبو العتاهية
(رَحَلْتُ عَنِ الرَّبْعِ المُحِيلِ قَعُودِي ... إلى ذي زُحُوفٍ جَمَّةٍ وجُنُودِ)
(ورَاعٍ يُراعي اللَّيلَ في حِفْظِ أمَّةٍ ... يدافِعُ عنها الشرَّ غير رَقُودِ)
(بألْوِيَةٍ جبريلُ يَقْدُمُ أهلَها ... ورَاياتِ نَصْرٍ حولَه وبُنودِ)
(تَجَافَى عَنِ الدُّنْيا وأيْقَنَ أنَّها ... مُفَارِقَةٌ ليستْ بدارِ خُلودِ)
(وشَدَّ عُرَا الإسلامِ منه بِفِتْيَةٍ ... ثَلاثةِ أملاكٍ وُلاَةِ عُهُودِ)
(هُمْ خيرُ أولادٍ لَهُمْ خيرُ وَالِدٍ ... لهُ خيرُ آباءٍ مضَتْ وجدود)
(بنو المصطفى هارونَ حولَ سَرِيره ... فَخَيْرُ قِيَامٍ حولَه وقُعودِ)
(تُقَلِّبُ ألحاظَ المَهَابةِ بينهم ... عيونُ ظِبَاءٍ في قُلوبِ أُسُودِ)
(جُدُودُهُمُ شمسٌ أتتْ في أهِلَّةٍ ... تَبَدَّتْ لِرَاءٍ في نُجومِ سُعُودِ)
قال فوصله الرشيد بصلة ما وصل بمثلها شاعرا قط
أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد الأسدي إجازة قال حدثني الرياشي قال
قدم رسول لملك الروم إلى الرشيد فسأل عن أبي العتاهية وأنشده شيئا من شعره وكان يحسن العربية فمضى إلى ملك الروم وذكره له فكتب ملك الروم إليه ورد رسوله يسأل الرشيد أن يوجه بأبي العتاهية ويأخذ فيه رهائن من أراد وألح في ذلك
فكلم الرشيد أبا العتاهية في ذلك فاستعفى منه وأباه
واتصل بالرشيد أن ملك الروم أمر أن يكتب بيتان من شعر أبي العتاهية على أبواب مجالسه وباب مدينته وهما

صوت
(ما اختلفَ اللَّيْلُ والنَّهارُ ولا ... دارتْ نجومُ السماء في الفَلَكِ)
(إلاّ لِنَقْلِ السُّلطانِ عن مَلِكٍ ... قدِ انْقَضَى مُلْكُه إلى مَلِكِ)
أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا الربيع بن محمد الختلي الوراق قال أخبرني ابن أبي العتاهية أن الرشيد لما أطلق أباه من الحبس لزم بيته وقطع الناس فذكره الرشيد فعرف خبره فقال قولوا له صرت زير نساء وحلس بيت فكتب إليه أبو العتاهية
(بَرِمْتُ بِالنَّاسِ وأَخلاقِهِم ... فصِرْتُ أَسْتَأْنِسُ بِالوُحْدَهْ)
(ما أكثرَ النَّاسَ لَعَمْري وما ... أَقَلَّهم في مُنْتَهى العِدَّهْ)
ثم قال لا ينبغي أن يمض شعر إلى أمير المؤمنين ليس فيه مدح له فقرن هذين البيتين بأربعة أبيات مدحه فيها وهي
صوت
(عادَ لي من ذِكْرِها نَصَبُ ... فدموعُ العَينِ تَنْسكِبُ)
(وكذاكَ الحُبُّ صَاحِبُه ... يَعْتَرِيهِ الهَمُّ والوَصَبُ)
(خيرُ مَنْ يُرْجَى ومَنْ يَهَب ... مَلِكٌ دانتْ له العَرَبُ)
((وحقيقٌ أنْ يُدَانَ له ... مَنْ أبوه لِلنَّبِيّ أَبُ)
قال شعرا فأبكى الرشيد
حدثنا الصولي قال حدثنا عون بن محمد قال حدثنا محمد بن أبي العتاهية قال
قال الرشيد لأبي عظني فقال له أخافك
فقال له أنت آمن
فأنشده
(لا تَأْمَنِ الموتَ في طَرْفٍ ولا نَفَسٍ ... إذَا تَستَّرْتَ بِالأبواب والحَرَس)
(واعْلَمْ بأنّ سِهامَ الموتِ قاصدةٌ ... لكلِّ مُدَّرعٍ منّا ومُتَّرِس)
(ترجو النجاةَ ولم تَسْلُكْ طَرِيقَتها ... إنّ السفينةَ لا تَجْري على اليَبسِ)
قال فبكى الرشيد حتى بل كمه
حدثني عمي قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال
قال لي أحمد بن أبي فنن تناظرت أنا والفتح بن خاقان في منزله أيما الرجلين أشعر أبو نواس أم أبو العتاهية
فقال الفتح أبو نواس وقلت أبو العتاهية
ثم قلت لو وضعت أشعار العرب كلها بإزاء شعر أبي العتاهية لفضلها وليس بيننا خلاف في أن له في كل قصيدة جيدا ووسطا وضعيفا فإذا جمع جيده كان أكثر من جيد كل مجود
ثم قلت له بمن ترضى قال بالحسين بن الضحاك
فما انقطع كلامنا حتى دخل الحسين بن الضحاك فقلت ما تقول
في رجلين تشاجرا فضل أحدهما أبو نواس وفضل الآخر أبا العتاهية فقال الحسين أُمٌّ من فضل أبا نواس على أبي العتاهية زانية فخجل الفتح حتى تبين ذلك فيه ثم لم يعاودني في شيء من ذكرهما حتى افترقنا
وقد حدثني الحسن بن محمد بهذا الخبر على خلاف ما ذكره إبراهيم بن المهدي فيما تقدم فقال حدثني هارون بن مخارق قال حدثني أبي قال
جاءني أبو العتاهية فقال قد عزمت على أن أتزود منك يوما تهبه لي فمتى تنشط فقلت متى شئت
فقال أخاف أن تقطع بي
فقلت والله لا فعلت وإن طلبني الخليفة
فقال يكون ذلك في غد
فقلت أفعل فلما كان من غد باكرني رسوله فجئته فأدخلني بيتا له نظيفا فيه فرش نظيف ثم دعا بمائدة عليها خبز سميذ وخل وبقل وملح وجدي مشوي فأكلنا منه ثم دعا بسمك مشوي فأصبنا منه حتى اكتفينا ثم دعا بحلواء فأصبنا منها وغسلنا أيدينا وجاؤونا بفاكهة وريحان وألوان من الأنبذة فقال اختر ما يصلح لك منها فاخترت وشربت وصب قدحا ثم قال غنني في قولي
(أحمدٌ قال لي ولم يَدْرِ ما بي ... أتُحِبُّ الغَداةَ عُتْبَةَ حَقًّا)
فغنيته فشرب قدحا وهو يبكي أحر بكاء
ثم قال غنني في قولي
(ليس لِمَنْ ليستْ له حِيلةٌ ... موجودةٌ خيرٌ مِنَ الصَّبر)
فغنيته وهو يبكي وينشج ثم شرب قدحا آخر ثم قال غنني فديتك في قولي
(خَلِيليَّ مالي لا تزالُ مَضَرَّتي ... تكونُ مع الأقدار حَتْماً من الحَتْمِ)
فغنيته إياه
وما زال يقترح علي كل صوت غني به في شعره فأغنيه ويشرب ويبكي حتى صار العتمة
فقال أحب أن تصبر حتى ترى ما أصنع فجلست
فأمر ابنه وغلامه فكسرا كل ما بين أيدنا من النبيذ وآلته والملاهي ثم أمر بإخراج كل ما في بيته من النبيذ وآلته فأخرج جميعه فما زال يكسره ويصب النبيذ وهو يبكي حتى لم يبق من ذلك شيء ثم نزع ثيابه واغتسل ثم لبس ثيابا بيضا من صوف ثم عانقني وبكى ثم قال السلام عليك يا حبيبي وفرحي من الناس كلهم سلام الفراق الذي لا لقاء بعده وجعل يبكي وقال هذا آخر عهدي بك في حال تعاشر أهل الدنيا فظننت أنها بعض حماقاته فانصرفت وما لقيته زمانا ثم تشوقته فأتيته فاستأذنت عليه فأذن لي فدخلت فإذا هو قد أخذ قوصرتين وثقب إحداهما وأدخل رأسه ويديه فيها وأقامها مقام القميص وثقب الأخرى وأخرج رجليه منها وأقامها مقام السراويل
فلما رأيته نسيت كل ما كان عندي من الغم عليه والوحشة لعشرته وضحكت والله ضحكا ما ضحكت مثله قط
فقال من أي شيء تضحك فقلت أسخن الله عينك هذا أي شيء هو من بلغك عنه أنه فعل مثل هذا من الأنبياء والزهاد

والصحابة والمجانين إنزع عنك هذا يا سخين العين فكأنه استحيا مني
ثم بلغني أنه جلس حجاما فجهدت أن أراه بتلك الحال فلم أره
ثم مرض فبلغني أنه اشتهى أن أغنيه فأتيته عائدا فخرج إلي رسوله يقول إن دخلت إلي جددت لي حزنا وتاقت نفسي من سماعك إلى ما قد غلبتها عليه وأن أستودعك الله وأعتذر إليك من ترك الإلتقاء ثم كان آخر عهدي به
حدثني جحظة قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال
قيل لأبي العتاهية عند الموت ما تشتهي فقال أشتهي أن يجيء مخارق
فيضع فمه على أذني ثم يغنيني
(سَيُعْرِضُ عن ذِكْري وتُنْسى مَوَدّتي ... ويَحْدِثُ بعدي للخليل خليلُ)
(إذَا ما انقضتْ عنِّي مِنَ الدَّهْرِ مُدَّتِي ... فإنَّ غَنَاءَ الباكياتِ قَليلُ)
وأخبرني به أبو الحسن الأسدي قال حدثنا محمد بن صالح بن النطاح قال قال بشر بن الوليد لأبي العتاهية عند الموت ما تشتهي فذكر مثل الأول
وأخبرني به ابن عمار أبو العباس عن ابن أبي سعد عن محمد بن صالح أن بشرا قال ذلك لأبي العتاهية عند الموت فأجابه بهذا الجواب
آخر شعر قاله قبل موته
نسخت من كتاب هارون بن علي حدثني علي بن مهدي قال حدثني عبد الله بن عطية قال حدثني محمد بن أبي العتاهية قال آخر شعر قاله أبي في مرضه الذي مات فيه
(إلهي لا تُعَذِّبْني فإنِّي ... مُقِرٌّ بالَّذي قد كان مِنِّي)
(فما لي حيلةٌ إلاَّ رجائي ... لِعفوك إنْ عَفَوْتَ وحُسْنُ ظَنِّي)
(وكَم مِنْ زَلَةٍ لي في الخَطَايا ... وأنتَ عليَّ ذو فَضْلٍ ومَنِّ)
(إذَا فَكَّرتُ في نَدَمي عليها ... عَضِضْتُ أنامِلي وقَرَعْتُ سِنِّي)
(أجنُّ بِزَهْرَةِ الدُّنْيا جُنونا ... وأَقْطَعُ طولَ عُمْري بالتَّمنِّي)
(ولَوْ أنِّي صَدَقْتُ الزُّهْدَ عنها ... قلبتُ لأهلِها ظَهْرَ المِجَنِّ)
(يَظُنُّ الناسُ بي خيراً وإنِّي ... لَشَرُّ الخَلْقِ إنْ لم تَعْفُ عنِّي)
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل قال حدثني أحمد بن حمزة الضبعي قال أخبرني أبو محمد المؤدب قال
قال أبو العتاهية لابنته رقية في علته التي مات فيها قومي يا بنية فاندبي أباك بهذه الأبيات فقامت فندبته بقوله
(لَعِبَ البِلَى بمَعَالِمي ورُسُومي ... وقُبِرتُ حَيًّا تحت رَدْمِ هُمومي)
(لَزِمَ البِلَى جِسْمِي فَأَوْهَنَ قُوَّتي ... إنَّ البِلَى لَمُوَكَّلٌ بِلُزومي)
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا محمد بن داود بن الجراح قال حدثني عل بن محمد قال حدثني مخارق المغني قال
توفي أبو العتاهية وإبراهيم الموصلي وأبو عمرو الشيباني عبد السلام في يوم واحد في خلافة المأمون وذلك في سنة ثلاث عشرة ومائتين
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه عن أحمد بن يوسف عن أحمد بن الخليل عن إسماعيل بن أبي قتسة قال
مات أبو العتاهية وراشد الخناق وهشيمة الخمارة في يوم واحد سنة تسع ومائتين
وذكر الحارث بن أبي أسامة عن محمد بن سعد كاتب الواقدي أن أبا العتاهية مات في يوم الاثنين لثمان خلون من جمادى الأولى سنة إحدى عشرة ومائتين ودفن حيال قنطرة الزياتين في الجانب الغربي ببغداد
أخبرني الصولي عن محمد بن موسى عن أبي محمد الشيباني عن محمد بن أبي العتاهية أن أباه توفي سنة عشر ومائتين
الشعر الذي كتب على قبره
أخبرني الصولي قال حدثني محمد بن موسى عن محمد بن القاسم عن إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد عن إسحاق بن عبد الله بن شعيب قال
أمر أبو العتاهية أن يكتب على قبره
(أُذْنَ حَيٍّ تَسَمَّعِي ... إسْمَعِي ثُمَّ عِي وعِي)
(أنا رَهْنٌ بِمَضْجَعِي ... فَاحذَرِي مِثْلَ مَصْرَعِي)
(عِشْتُ تسعين حِجَّةً ... أسْلَمَتْني لمضْجَعي)
(كَمْ ترى الحيَّ ثابتاً ... في دِيَارِ التزَعْزُعِ)
(ليس زادٌ سوى التُّقى ... فخُذِي منه أوْ دَعِي)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال
لما مات أبو العتاهية رثاه ابنه محمد بن أبي العتاهية فقال
(يا أبي ضَمَّكَ الثَّرَى ... وطَوَى الموتُ أجْمَعَكْ)
(ليتَني يومَ مُتَّ صِرتُ ... إلى حُفْرةٍ مَعَكْ)
(رحِمَ اللهُ مَصْرَعَكْ ... بَرَّدَ اللهُ مَضْجَعَكْ)
أخبرني الحسن قال حدثني أحمد بن زهير قال
قال محمد بن أبي العتاهية لقيني محمد بن أبي محمد اليزيدي فقال أنشدني الأبيات التي أوصى أبوك أن تكتب على قبره فأنشأت أقول له
(كَذَبْتَ علَى أخٍ لك في مَمَاتهْ ... وكَمْ كَذِبٍ فَشَا لك في حَيَاتهْ)
(وأكْذَبُ ما تكونُ على صَدِيقٍ ... كَذَبْتَ عليه حيًّا في مَمَاتهْ)
فخجل وانصرف

قال والناس يقولون إنه أوصى أن يكتب على قبره شعر له وكان ابنه ينكر ذلك
وذكر هارون بن علي بن مهدي عن عبد الرحمن بن الفضل أنه قرأ الأبيات العينية التي أولها
(... أُذْنَ حَيٍّ تَسمَّعي)
على حجر عند قبر أبي العتاهية
ولم أذكر هاهنا مع أخبار أبي العتاهية أخباره مع عتبة وهي من أعظم أخباره لأنها طويلة وفيها أغان كثيرة وقد طالت أخباره هاهنا فأفردتها

أخبار فريدة

قال مؤلف هذا الكتاب هما اثنتان محسنتان لهما صنعة تسميان بفريدة
فأما إحداهما وهي الكبرى فكانت مولدة نشأت بالحجاز ثم وقعت إلى آل الربيع فعلمت الغناء في دورهم ثم صارت إلى البرامكة
فلما قتل جعفر بن يحيى ونكبوا هربت وطلبها الرشيد فلم يجدها ثم صارت إلى الأمين فلما قتل خرجت فتزوجها الهيثم بن مسلم فولدت له ابنه عبد الله ثم مات عنها فتزوجها السندي بن الحرشي وماتت عنده
ولها صنعة جيدة منها في شعر الوليد بن يزيد

صوت

(وَيْحَ سَلْمَى لو تَرَانِي ... لَعَنَاها ما عَنَانِي)
(واقفاً في الدَّار أبكِي ... عاشقاً حُورَ الغَوانِي)
ولحنها فيه خفيف رمل
ومن صنعتها

صوت

(ألا أيّها الرَّكْبُ النِّيامُ ألاَ هُبُّوا ... نُسَائلُكُمْ هل يقتُل الرَّجُل الحُبُّ)
(ألاَ رُبَّ رَكْبٍ قد وقفتُ مَطِيَّهمْ ... عليكِ ولولا أنتِ لم يَقفِ الرَّكْبُ)
لحنها فيه ثاني ثقيل وفيه لابن جامع خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى
فحدثني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثني العمري قال حدثني الهيثم بن عدي قال قال صالح بن حسان يوما ما نصف بيت كأنه أعرابي في شملة والنصف الآخر كأنه مخنث مفكك قلت لا أدري
فقال قد أجلتك حولا
فقلت لو أجلتني عشرة أحوال ما عرفته
فقال أوه أف لك قد كنت أحسبك أجود ذهنا مما أرى
فقلت فما هو الآن قال قول جميل
(... ألاَ أيّها الرَّكْبُ النِّيامُ ألاَ هُبُّوا)
هذا كلام أعرابي ثم قال
(... أسائلكم هل يقتل الرَّجلَ الحبُّ)
كأنه والله من مخنثي العقيق
وأما فريدة الأخرى فهي التي أرى بل لا أشك في أن اللحن المختار لها لأن إسحاق اختار هذه المائة الصوت للواثق فاختار فيها لمتيم لحنا ولأبي دلف لحنا ولسليم بن سلام لحنا ولرياض جارية أبي حماد لحنا
وكانت فريدة أثيرا عند الواثق وحظية لديه جدا فاختار لها هذا الصوت لمكانها من الواثق ولأنها ليست دون من اختار له من نظرائها
أخبرني الصولي قال حدثنا الحسين بن يحيى عن ريق أنها اجتمعت هي
وخشف الواضحية يوما فتذاكرتا أحسن ما سمعتاه من المغنيات فقالت ريق شارية أحسنهن غناء ومتيم وقالت خشف عريب وفريدة ثم اجتمعتا على تساويهن وتقديم متيم في الصنعة وعريب في الغزارة والكثرة وشارية وفريدة في الطيب وأحكام الغناء
حدثني جحظة قال حدثني أبو عبد الله الهشامي قال
كانت فريدة جارية الواثق لعمرو بن بانة وهو أهداها إلى الواثق وكانت من الموصوفات المحسنات وربيت عند عمرو بن بانة مع صاحبة لها اسمها خل وكانت حسنة الوجه حسنة الغناء حادة الفطنة والفهم
قال الهشامي فحدثني عمرو بن بانة قال غنيت الواثق
(قلتُ حِلاًّ فاقبَلِي مَعْذِرَتي ... ما كذا يَجْزِي مُحِبٌّ مَنْ أحَبّ)
فقال لي تقدم إلى الستارة فألقه على فريدة فألقيته عليها فقالت هو حل أو خل كيف هو فعلمت أنها سألتني عن صاحبتها في خفاء من الواثق
ولما تزوجها المتوكل أرادها على الغناء فأبت أن تغني وفاء للواثق فأقام على رأسها خادما وأمره أن يضرب رأسها أبدا أو تغني فاندفعت وغنت
(فَلاَ تَبْعَدْ فكُلُّ فتىً سيأتي ... عليه الموتُ يَطْرُقُ أو يُغَادي)
خبر لها مع الواثق
أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيى المنجم قال حدثني محمد
ابن الحارث بن بسخنر قال
كانت لي نوبة في خدمة الواثق في كل جمعة إذا حضرت ركبت إلى الدار فإن نشط إلى الشرب أقمت عنده وإن لم ينشط انصرفت
وكان رسمنا ألا يحضر أحد منا إلا في يوم نوبته
فإني لفي منزلي في غير يوم نوبتي إذا رسل الخليفة قد هجموا علي وقالوا لي احضر
فقلت ألخير قالوا خير
فقلت إن هذا يوم لم يحضرني فيه أمير المؤمنين قط ولعلكم غلطتم

قالوا الله المستعان لا تطل وبادر فقد أمرنا ألا ندعك تستقر على الأرض
فداخلني فزع شديد وخفت أن يكون ساع قد سعى بي أو بلية قد حدثت في رأي الخليفة علي فتقدمت بما أردت
وركبت حتى وافيت الدار فذهبت لأدخل على رسمي من حيث كنت أدخل فمنعت وأخذ بيدي الخدم فأدخلوني وعدلوا
بي إلى ممرات لا أعرفها فزاد ذلك في جزعي وغمي
ثم لم يزل الخدم يسلمونني من خدم إلى خدم حتى أفضيت إلى دار مفروشة الصحن ملبسة الحيطان بالوشي
المنسوج بالذهب ثم أفضيت إلى رواق أرضه وحيطانه ملبسة بمثل ذلك وإذا الواثق في صدره على سرير مرصع بالجوهر
وعليه ثياب منسوجة بالذهب وإلى جانبه فريدة جاريته عليها مثل ثيابه وفي حجرها عود
فلما رآني قال جودت والله يا محمد إلينا
فقبلت الأرض ثم قلت يا أمير المؤمنين خيرا قال خيرا أما ترانا طلبت والله ثالثا يؤنسنا فلم أر أحق بذلك منك فبحياتي بادر
فكل شيئا وبادر إلينا فقلت قد والله يا سيدي أكلت وشربت أيضا
قال فاجلس فجلست وقال هاتوا لمحمد رطلا في قدح فأحضرت ذلك واندفعت فريدة تغني
(أهابُكِ إجلالاً وما بكِ قدرةٌ ... عليَّ ولكنْ مِلءُ عينٍ حَبيبُها)
((وما هَجَرتْكِ النَّفْسُ يا لَيْلُ أنّها ... قَلَتْكِ ولا أنْ قَلَّ منكِ نَصيبُها
فجاءت والله بالسحر وجعل الواثق يجاذبها وفي خلال ذلك تغني الصوت بعد الصوت وأغني أنا في خلال غنائها فمر لنا
أحسن ما مر لأحد
فإنا لكذلك إذ رفع رجله فضرب بها صدر فريدة ضربة تدحرجت منها من أعلى السرير إلى الأرض وتفتت عودها ومرت تعدو
وتصيح وبقيت أنا كالمنزوع الروح ولم أشك في أن عينه وقعت علي وقد نظرت إليها ونظرت إلي فأطرق ساعة إلى الأرض
متحيرا وأطرقت أتوقع ضرب العنق
فإني لكذلك إذ قال لي يا محمد فوثبت
فقال ويحك أرأيت أغرب مما تهيأ علينا فقلت يا سيدي الساعة والله تخرج روحي فعلى من أصابنا بالعين لعنة الله فما كان
السبب ألذنب قال لا والله ولكن فكرت أن جعفرا بقعد هذا المقعد ويقعد معها كما هي قاعدة معي فلم أطق الصبر
وخامرني ما أخرجني إلى ما رأيت
فسري عني وقلت بل يقتل الله جعفرا ويحيا أمير المؤمنين أبدا وقبلت الأرض وقلت يا سيدي الله الله ارحمها ومر بردها
فقال لبعض الخدم الوقوف ما يجيء بها فلم يكن بأسرع من أن خرجت وفي يدها عودها وعليها غير الثياب التي كانت
عليها
فلما رآها جذبها وعانقها فبكت وجعل هو يبكي واندفعت أنا في البكاء
فقالت ما ذنبي يا مولاي ويا سيدي وبأي شيء استوجبت هذا فأعاد عليها ما قاله لي وهو يبكي وهي تبكي
فقالت سألتك بالله يا أمير المؤمنين إلا ضربت عنقي الساعة وأرحتني من الفكر في هذا وأرحت قلبك من الهم بي
وجعلت تبكي ويبكي ثم مسحا أعينهما ورجعت إلى مكانها وأومأ إلى خدم وقوف بشيء لا أعرفه فمضوا وأحضروا أكياسا
فيها عين وورق ورزما فيه ثياب كثيرة وجاء خادم بدرج ففتحه وأخرج منه عقدا ما رأيت قط مثل جوهر كان فيه فألبسها إياه
وأحضرت
بدرة فيها عشرة آلاف درهم فجعلت بين يدي وخمسة تخوت فيها ثياب وعدنا إلى أمرنا وإلى أحسن مما كنا فلم نزل
كذلك إلى الليل ثم تفرقنا

قصتها مع المتوكل

وضرب الدهر ضربة وتقلد المتوكل
فوالله إني لفي منزلي بعد يوم نوبتي إذ هجم علي رسل الخليفة فما أمهلوني حتى ركبت وصرت إلى الدار فأدخلت
والله الحجرة بعينها وإذا المتوكل في الموضع الذي كان فيه الواثق على السرير بعينه وإلى جانبه فريدة
فلما رآني قال ويحك أما ترى ما أنا فيه من هذه أنا منذ غدوة أطالبها بأن تغنيني فتأبى ذلك فقلت لها يا سبحان الله
أتخالفين سيدك وسيدنا وسيد البشر بحياته غني فعرفت والله ثم اندفعت تغني
(مُقيمٌ بالمَجَازةِ من قَنَوْنَى ... وأهلُكِ بالأُجَيْفِرِ فالثِّمادِ)
(فلا تَبْعَدْ فكلُّ فتًى سيأتي ... عليه الموتُ يَطْرُقُ أو يُغادي)
ثم ضربت بالعود الأرض ثم رمت بنفسها عن السرير ومرت تعدو وهي تصيح واسيداه فقال لي ويحك ما هذا فقلت لا
أدري والله يا سيدي
فقال فما ترى فقلت أرى أن أنصرف أنا وتحضر هذه ومعها غيرها فإن الأمر يؤول إلى ما يريد أمير المؤمنين قال فانصرف
في حفظ الله فانصرفت ولم أدر ما كانت القصة
أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني محمد بن عبد الملك قال
سمعت فريدة تغني
((أخِلاَّيَ بي شَجْوٌ وليس بكم شَجْوُ ... وكلُّ امرئٍ مما بصاحبه خِلْوُ
(أذابَ الهوى لَحْمِي وجسمي ومَفْصِلِي ... فلم يَبقَ إلاّ الرُّوحُ والجَسَدُ النِّضْوُ)
فما سمعت قبله ولا بعده غناء أحسن منه
الشعر لأبي العتاهية والغناء لإبراهيم ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى عن الهشامي وله أيضا فيه خفيف ثقيل
بالسبابة والبنصر عن ابن المكي وفيه
لعمرو بن بانة رمل بالوسطى من مجموع أغانيه
وفيه لعريب خفيف ثقيل آخر صحيح في غنائها من جمع ابن المعتز وعلي بن يحيى
وتمام هذه الأبيات
(وما مِنْ مُحِبٍّ نال ممن يُحِبُّهُ ... هوًى صادقاً إلاّ سَيَدْخُلُه زَهْوُ)
وفيها كلها غناء مفترق الألحان في أبياته
(بُلِيتُ وكان المَزْحُ بدءَ بَلِيّتي ... فأحببتُ جهلاً والبلايا لها بَدْوُ)
(وعُلِّقْتُ مَنْ يَزْهُو عليَّ تَجَبُّراً ... وإنّيَ في كلِّ الخِصال له كُفْوُ)

صوت
من المائة المختارة من رواية جحظة عن أصحابه
(باتتْ هُمُومِي تَسْري طوارقِها ... أكُفُّ عيني والدمعُ سابِقُها)
(لِمَا أتاها مِنَ اليقين ولم ... تَكُنْ تراه يُلِمُّ طارِقُها)
الشعر لأميه بن أبي الصلت والغناء للهذلي خفيف ثقيل أول بالوسطى
وفيه لابن محرز لحنان هزج وثقيل أول بالوسطى عن الهشامي وحبش
وذكر يونس أن فيه لابن محرز لحنا واحدا مجنسا
ذكر أمية بن أبي الصلت ونسبه وخبره
واسم أبي الصلت عبد الله ين أبي ربيعة بن عوف بن عقدة بن عنزة بن قسي وهو ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن
هكذا يقول من نسبهم إلى قيس وقد شرح ذلك في خبر طريح
وأم أمية بن أبي الصلت رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف
وكان أبو الصلت شاعرا وهو الذي يقول في مدح سيف بن ذي يزن
(لِيَطْلُبِ الثأرَ أمثالُ ابنِ ذي يَزَنٍ ... إذ صارَ في البَحْرِ للأعداء أحْوَالا)
وقد كتب خبر ذلك في موضعه
وكان له أربعة بنين عمرو وربيعة ووهب والقاسم
وكان القاسم شاعرا وهو الذي يقول أنشدنيه الأخفش وغيره عن ثعلب وذكر الزبير أنها لأمية
صوت
(قومٌ إذا نَزَلَ الغريبُ بدارِهِمْ ... رَدُّوه ربَّ صَواهِلٍ وقِيَانِ)
(لا يَنْكُتون الأرضَ عند سؤالِهمْ ... لِتَلِمُّسِ العِلاّتِ بالعِيدانِ)
يمدح عبد الله بن جدعان بها وأولها
(قومي ثَقِيفٌ إنْ سألتَ وأسْرَتي ... وبهم أُدافِعُ ركْنَ مَنْ عاداني)
غناه الغريض ولحنه ثقيل أول بالبنصر
ولابن محرز فيه خفيف ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي جميعا
وكان ربيعة ابنه شاعرا وهو الذي يقول
(وإنْ يَكُ حَيًّا من إيَادٍ فإنَّنا ... وقَيْساً سَوَاءٌ ما بَقِينَا وما بَقُوا)
(ونحن خيارُ النَّاسِ طُرًّا بِطانةً ... لِقَيْسٍ وهُمْ خيرٌ لنا إنْ هُمُ بَقُوا)
أتى في شعره بكلمات غريبة
أخبرني إبراهيم بن أيوب قال حدثنا عبد الله بن مسلم قال
كان أمية بن أبي الصلت قد قرأ كتاب الله عز وجل الأول فكان يأتي في شعره بأشياء لا تعرفها العرب فمنها قوله
(... قَمَرٌ وساهُورٌ يُسَلُّ ويُغْمَدُ)
وكان يسمى الله عز وجل في شعره السلطيط فقال
(...والسَّلْطِيطُ فوقَ الأرضِ مُقْتَدِرُ)
وسماه في موضع آخر التغرور فقال وأيده التغرور وقال ابن قتيبة وعلماؤنا لا يحتجون بشيء من شعره لهذه العلة
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال
قال أبو عبيدة إتفقت العرب على أن أشعر أهل المدن أهل يثرب ثم عبد القيس ثم ثقيف وأن أشعر ثقيف أمية بن أبي الصلت
أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال
قال يحيى بن محمد قال الكميت أمية أشعر الناس قال كما قلنا ولم نقل كما قال
طمعه في النبوة
قال الزبير وحدثني عمي مصعب عن مصعب بن عثمان قال
كان أمية بن أبي الصلت قد نظر في الكتب وقرأها ولبس المسوح تعبدا وكان ممن ذكر إبراهيم وإسماعيل والحنيفية وحرم الخمر وشك في الأوثان وكان محققا والتمس الدين وطمع في النبوة لأنه قرأ في الكتب أن نبيا يبعث من العرب فكان يرجو أن يكونه
قال فلما بعث النبي قيل له هذا الذي كنت تستريث وتقول فيه فحسده عدو الله وقال إنما كنت أرجو أن أكونه فأنزل الله
(فيه عز وجل (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها
قال وهو
الذي يقول
(كلُّ دِينٍ يومَ القيامةِ عند اللهِ ... إلاّ دِينَ الحَنِيفةِ زُورُ)
قال الزبير وحدثني يحيى بن محمد قال كان أمية يحرض قريشا بعد وقعة بدر وكان يرثي من قتل من قريش في وقعة بدر فمن ذلك قوله
(ماذا بِبَدْرٍ والعَقَنْقَلِ ... مِنْ مَرَازِبةٍ جَحَاجِحْ)
وقال وهي قصيدة نهى رسول الله عن رواياتها
ويقال إن أمية قدم على أهل مكة باسمك اللهم فجعلوها في أول كتبهم مكان بسم الله الرحمن الرحيم
قال الزبير وحدثني علي بن محمد المدائني قال
قال الحجاج على المنبر ذهب قوم يعرفون شعر أمية وكذلك اندراس الكلام
تكدر بعد أن أخبر ببعثة النبي
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير عن عمر بن أبي بكر المؤملي وغيره قال
كان أمية بن أبي الصلت يلتمس الدين ويطمع في النبوة فخرج إلى الشام فمر بكنيسة وكان معه جماعة من العرب وقريش فقال أمية إن لي حاجة في هذه الكنيسة فانتظروني فدخل الكنيسة وأبطأ ثم خرج إليهم كاسفا متغير اللون

فرمى بنفسه وأقاموا حتى سري عنه ثم مضوا فقضوا حوائجهم ثم رجعوا فلما
صاروا إلى الكنيسة قال لهم
انتظروني ودخل إلى الكنيسة فأبطأ ثم خرج إليهم أسوأ من حاله الأولى فقال أبو سفيان بن حرب قد شققت على رفقائك
فقال خلوني فإني أرتاد على نفسي لمعادي إن هاهنا راهبا عالما أخبرني أنه تكون بعد عيسى عليه السلام ست رجعات وقد مضت منها خمس وبقيت واحدة وأنا أطمع في النبوة وأخاف أن تخطئني فأصابني ما رأيت
فلما رجعت ثانية أتيته فقال قد كانت الرجعة وقد بعث نبي من العرب فيئست من النبوة فأصابني ما رأيت إذ فاتني ما كنت أطمع فيه
قال وقال الزهري خرج أمية في سفر فنزلوا منزلا فأم أمية وجها وصعد في كثيب فرفعت له كنيسة فانتهى إليها فإذا شيخ جالس فقال لأمية حين رآه إنك لمتبوع فمن أين يأتيك رئيك قال من شقي الأيسر
قال فأي الثياب أحب إليك أن يلقاك فيها قال السواد
قال كدت تكون نبي العرب ولست به هذا خاطر من الجن وليس بملك وإن نبي العرب صاحب هذا الأمر يأتيه من شقه الأيمن وأحب الثياب إليه أن يلقاه فيها البياض
قال الزهري وأتى أمية أبا بكر فقال يا أبا بكر عمي الخبر فهل أحسست شيئا قال لا والله قال قد وجدته يخرج العام
سؤاله عن عتبة بن ربيعة
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال
سمعت خالد بن يزيد يقول إن أمية وأبا سفيان اصطحبا في تجارة إلى الشأم ثم ذكر نحوه وزاد فيه فخرج من عند الراهب وهو ثقيل
فقال له أبو سفيان إن بك لشرا فما قصتك قال خير أخبرني عن عتبة بن ربيعة كم سنه فذكر سنا
وقال أخبرني عن ماله فذكر مالا
فقال له وضعته
فقال أبو
سفيان
بل رفعته
فقال له إن صاحب هذا الأمر ليس بشيخ ولا ذي مال
قال وكان الراهب أشيب وأخبره أن الأمر لرجل من قريش
أخبرني الحرمي قال حدثني الزبير قال حدثت عن عبد الرحمن بن أبي حماد المنقري قال
كان أمية جالسا معه قوم فمرت بهم غنم فثغت منها شاة فقال للقوم هل تدرون ما قالت الشاة قالوا لا
قال إنها قالت لسخلتها مري لا يجيء الذئب فيأكلك كما أكل أختك عام أول في هذا الموضع
فقام بعض القوم إلى الراعي فقال له أخبرني عن هذه الشاة التي ثغت ألها سخلة فقال نعم هذه سخلتها
قال أكانت لها عام أول سخلة قال نعم وأكلها الذئب في هذا الموضع
ذهب في شعره بعامة ذكر الآخرة
قال الزبير وحدثني يحيى بن محمد عن الأصمعي قال ذهب أمية في شعره بعامة ذكر الآخرة وذهب عنترة بعامة ذكر الحرب وذهب عمر بن أبي ربيعة بعامة ذكر الشباب
قال الزبير حدثني عمر بن أبي بكر المؤملي قال حدثني رجل من أهل الكوفة قال
كان أمية نائما فجاء طائران فوقع أحدهما على باب البيت ودخل الآخر فشق عن قلبه ثم رده الطائر فقال له الطائر الآخر أوعى قال نعم
قال زكا قال أبى
أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن الحارث عن ابن الأعرابي عن ابن دأب قال
خرج ركب من ثقيف إلى الشأم وفيهم أمية بن أبي الصلت فلما قفلوا راجعين نزلوا منزلا ليتعشوا بعشاء إذ أقبلت عظاية حتى دنت منهم فحصبها بعضهم بشيء في وجهها فرجعت وكفتوا سفرتهم ثم قاموا يرحلون ممسين فطلعت عليهم عجوز من رواء كثيب مقابل لهم تتوكأ على عصا فقالت ما منعكم أن تطعموا رجيمة الجارية اليتيمة التي جاءتكم عشية قالوا ومن أنت قالت أنا أم العوام إمت منذ أعوام أما ورب العباد لتفترقن في البلاد وضربت بعصاها الأرض ثم قالت بطئي إيابهم ونفري ركابهم فوثبت الإبل كأن على ذروة كل بعير منها شيطانا ما يملك منها شيء حتى افترقت في الوادي فجمعناها في آخر النهار من الغد ولم نكد
فلما أنخناها لنرحلها طلعت علينا العجوز فضربت الأرض بعصاها ثم قالت كقولها الأول ففعلت الإبل كفعلها بالأمس فلم نجمعها إلا الغد عشية
فلما أنخناها لنرحلها أقبلت العجوز ففعلت كفعلها في اليومين ونفرت الإبل
فقلنا لأمية أين ما كنت تخبرنا به عن نفسك فقال اذهبوا أنتم في طلب الإبل ودعوني
فتوجه إلى ذلك الكثيب الذي كانت العجوز تأتي منه حتى علاه وهبط منه إلى واد فإذا فيه كنيسة وقناديل وإذا رجل مضطجع معترض على بابها وإذا رجل أبيض الرأس واللحية فلما رأى أمية قال إنك لمتبوع فمن أين يأتيك صاحبك قال من أذني اليسرى
قال فبأي الثياب يأمرك قال بالسواد
قال هذا خطيب الجن كدت والله أن تكونه ولم
تفعل إن صاحب النبوة يأتيه صاحبه من قبل أذنه اليمنى ويأمره بلباس البياض فما حاجتك فحدثه حديث العجوز فقال صدقت وليست بصادقة هي امرأة يهودية من الجن هلك زوجها منذ أعوام وإنها لن تزال تصنع ذلك بكم حتى تهلككم إن استطاعت
فقال أمية وما الحيلة فقال جمعوا ظهركم فإذا جاءتكم ففعلت كما كانت تفعل فقولوا لها سبع من فوق وسبع من أسفل

باسمك اللهم فلن تضركم
فرجع أمية إليهم وقد جمعوا الظهر
فلما أقبلت قال لها ما أمره به الشيخ فلم تضرهم
فلما رأت الإبل لم تتحرك قالت قد عرفت صاحبكم وليبيضن أعلاه وليسودن أسفله فأصبح أمية وقد برص في عذاريه وأسود أسفله
فلما قدموا مكة ذكروا لهم هذا الحديث فكان ذلك أول ما كتب أهل مكة باسمك اللهم في كتبهم
خبر الطائرين اللذين حاورهما
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو غسان محمد بن يحيى قال حدثنا عبد العزيز بن عمران عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر بن مسعود عن الزهري قال
دخل يوما أمية بن أبي الصلت على أخته وهي تهيء أدما لها فأدركه النوم فنام على سرير في ناحية البيت
قال فانشق جانب من السقف في البيت وإذا بطائرين قد وقع أحدهما على صدره ووقف الآخر مكانه فشق الواقع صدره فأخرج قلبه فشقه فقال الطائر الواقف للطائر الذي على صدره أوعى قال وعى
قال أقبل قال أبى
قال فرد قلبه في موضعه فنهض فأتبعهما أمية طرفه فقال
(لَبَّيْكُما لبيكما ... هأنذا لَدَيْكُما)
لا بريء فاعتذر ولا ذو عشيرة فأنتصر فرجع الطائر فوقع على صدره فشقه ثم أخرج قلبه فشقه فقال الطائر الأعلى أوعى قال وعى
قال أقبل قال أبى ونهض فأتبعهما بصره وقال
(لَبَّيْكُما لبيكما ... هأنذا لديكُما)
لا مال يغنيني ولا عشيرة تحميني
فرجع الطائر فوقع على صدره فشقه ثم أخرج قلبه فشقه فقال الطائر الأعلى أوعى قال وعى
قال أقبل أبى ونهض فأتبعهما بصره وقال
(لبَّيكما لبيكما ... هأنذا لديكما)
محفوف بالنعم محوط من الريب
قال فرجع الطائر فوقع على صدره فشقه وأخرج قلبه فشقه فقال الأعلى أوعى فقال وعى قال أقبل قال أبى قال ونهض فأتبعهما بصره وقال
(لَبَّيْكُما لبيكما ... هأنذا ليدكما)
(إنْ تَغْفِرِ اللهمَّ تُغْفِرْ جمّا ... وأيُّ عبدٍ لك لا ألَمَّا)
قالت أخته ثم انطبق السقف وجلس أمية يمسح صدره فقلت يا أخي هل تجد شيئا قال لا ولكني أجد حرا في صدري ثم أنشأ يقول
(ليتني كنتُ قبل ما قد بدا لي ... في قِنَانِ الجبالِ أرْعَى الوُعولاَ)
(إجْعَلِ الموتَ نُصْبَ عينِك واحذَر ... غَوْلَةَ الدَّهْرِ إنّ للدّهر غُولاَ)
النبي شعره
حدثني محمد بن جرير الطبري قال حدثنا ابن حميد قال حدثني سلمة عن ابن إسحاق عن يعقوب بن عتبة عن عكرمة عن ابن عباس
أن رسول الله صدق أمية في قوله
(رَجُلٌ وثورٌ تحت رِجْلِ يَمِينه ... والنَّسْرُ للأُخرى وليثٌ مُرْصَدُ)
(فقال رسول الله (صدق
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني حماد بن عبد الرحمن بن الفضل الحراني قال حدثنا أبو يوسف وليس بالقاضي عن الزهري عن عروة عن عائشة عن النبي بمثل هذا
قول النبي إن كاد أمية ليسلم
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير قال حدثنا جعفر بن الحسين المهلبي قال حدثني إبراهيم بن أحمد عن عكرمة قال أنشد النبي قول أمية
(الحمدُ للهِ مُمْسانا ومُصْبَحنا ... بالخير صَبَّحَنا ربِّي ومَسَّانا)
(رَبُّ الحنيفةِ لم تَنْفدْ خزائنُها ... مملوءةً طَبَّق الآفاقَ سُلْطَانا)
(ألاَ نبيٌّ لنا مِنّا فيُخبِرَنا ... ما بعدَ غايتنا من رأسِ مَحْيانا)
(بينَا يُرَبِّيننا آباؤنا هَلَكُوا ... وبينما نَقْتَني الأولادَ أفنانا)
(وقد عَلِمْنا لَو أنّ العلمَ ينفعنا ... أنْ سوف يَلْحقُ أُخْرانا بأولانا)
(فقال النبي (إن كاد أمية ليسلم
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أحمد بن معاوية قال حدثنا عبد الله بن أبي بكر وحدثنا خالد بن عمارة
أن أمية عتب على ابن له فأنشأ يقول
(غَذَوْتُك مولوداً ومُنْتُك يافعاً ... تعلُّ بما أجْني عليك وتَنْهلُ)
(إذا ليلةٌ نابَتْك بالشَّكْوِ لم أبِتْ ... لِشَكْواكَ إلاّ ساهراً أتَمَلْمَلُ)
(كأنّي أنا المطروقُ دونك بالّذي ... طُرِقتَ به دُوني فعَيْنِي تَهْمُلُ)
(تخافُ الرَّدَى نفسي عليك وإنّني ... لأعلمُ أنّ الموتَ حَتْمٌ مؤجَّلُ)
(فلمّا بلغتَ السِّنَّ والغايةَ التي ... إليها مَدَى ما كنتُ فيك أؤمِّلُ)
(جعلتَ جزائي غِلْظةً وفظاظةً ... كأنّك أنت المُنْعِمُ المُتَفضِّلُ)
قال الزبير قال أبو عمرو الشيباني قال أبو بكر الهذلي قال قلت لعكرمة ما رأيت من يبلغنا عن النبي أنه قال لأمية (آمَنَ

شِعْرُه وكَفَر قلبُه) فقال هو حق
وما الذي أنكرتم من ذلك فقلت له أنكرنا قوله
(والشمسُ تطلعُ كلَّ آخر لَيلةٍ ... حمراءَ مَطْلَعُ لونِها مُتَورِّدُ)
(تأَبى فلا تبدو لنا في رسْلِها ... إلاّ مُعَذَّبةً وإلاَّ تُجلَدُ)
فما شأن الشمس تجلد قال والذي نفسي بيده ما طلعت قط حتى ينخسها سبعون ألف ملك يقولن لها اطلعي فتقول أأطلع على قوم يعبدونني من دون الله قال فيأتيها شيطان حين تستقبل الضياء يريد أن يصدها عن الطلوع فتطلع على قرنيه فيحرقه الله تحتها
وما غربت قط إلا خرت لله ساجدة فيأتيها شيطان يريد أن يصدها عن السجود فتغرب على قرنيه فيحرقه الله تحتها وذلك قول النبي
((تطلع بين قرني شيطان وتغرب بين قرني شيطان
حدثني أحمد بن محمد بن الجعد قال حدثنا محمد بن عباد قال حدثنا سفيان بن عيينة عن زياد بن سعد أنه سمع ابن حاضر يقول
اختلف ابن عباس وعمرو بن العاصي عند معاوية فقال ابن عباس ألا أغنيك قال بلى فأنشده
(والشمسُ تغربُ كلَّ آخر ليلةٍ ... في عين ذِي خُلُبٍ وثَأْطٍ حَرْمدِ)
أخباره في مرض موته
أخبرني الحرمي قال حدثنا عمي عن مصعب بن عثمان عن ثابت بن الزبير قال
لما مرض أمية مرضه الذي مات فيه جعل يقول قد دنا أجلي
وهذه المرضة منيتي وأنا أعلم أن الحنيفية حق ولكن الشك يداخلني في محمد
قال ولما دنت وفاته أغمي عليه قليلا ثم أفاق وهو يقول
(لَبَّيْكُما لبيكما ... هأنذا لديكما)
لا مال يفديني ولا عشيرة تنجيني ثم أغمي عليه أيضا بعد ساعة حتى ظن من حضره من أهله أنه قد قضى ثم أفاق وهو يقول
(لَبَّيْكُما لبيكما ... هأنذا لديكما)
لا بريء فأعتذر ولا قوي فأنتصر
ثم إنه بقي يحدث من حضره ساعة ثم أغمي
عليه مثل المرتين الأوليين حتى يئسوا من حياته وأفاق وهو يقول
(لبَّيكما لبيكما ... هأنذا لديكما)
محفوف بالنعم
(إنْ تَغْفِرِ اللّهُمَّ تغفرْ جَمّا ... وأيُّ عبدٍ لك لا ألمَّا)
ثم أقبل على القوم فقال قد جاء وقتي فكونوا في أهبتي وحدثهم قليلا حتى يئس القوم من مرضه وأنشأ يقول
(كلُّ عيشٍ وإنْ تطاوَل دَهْراً ... مُنْتَهى أمره إلى أن يَزُولاَ)
(ليتَنِي كنتُ قبل ما قد بدَا لي ... في رُؤوسِ الجبال أرْعَى الوُعولاَ)
(اجْعَلِ الموتَ نُصْبَ عينيك واحذَر ... غَولَةَ الدّهرِ إنّ للدّهر غُولاَ)
ثم قضى نحبه ولم يؤمن بالنبي
وقد قيل في وفاة أمية غير هذا
أخبرني عبد العزيز بن أحمد عم أبي قال حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال
سمعت في خبر أمية بن أبي الصلت حين بعث النبي أنه أخذ بنتيه وهرب بهما إلى أقصى اليمن ثم عاد إلى الطائف فبينما هو يشرب مع إخوان له في قصر غيلان بالطائف وقد أودع ابنتيه اليمن ورجع إلى بلاد الطائف إذ سقط غراب على شرفة في القصر فنعب نعبة فقال أمية بفيك الكثكث وهو التراب فقال أصحابه ما يقول قال يقول إنك إذا شربت الكأس التي بيدك مت فقلت بفيك الكثكث ثم نعب نعبة أخرى فقال أمية نحو ذلك فقال أصحابه ما يقول قال زعم أنه يقع على هذه المزبلة أسفل القصر فيستثير
عظما فيبتلعه فيشجى به فيموت فقلت نحو ذلك
فوقع الغراب على المزبلة فأثار العظم فشجي به فمات فانكسر أمية ووضع الكأس من يده وتغير لونه
فقال له أصحابه ما أكثر ما سمعنا بمثل هذا وكان باطلا فألحوا عليه حتى شرب الكأس فمال في شق وأغمي عليه ثم أفاق ثم قال لا بريء فأعتذر ولا قوي فأنتصر ثم خرجت نفسه
صوت من المائة المختارة
(تَبَلَتْ فؤادكَ في المنامِ خَرِيدةٌ ... تَشْفِي الضَّجِيعَ ببارِدٍ بَسّامِ)
(كالمِسْكِ تَخْلِطُه بماءِ سَحابةٍ ... أو عاتقٍ كدَمِ الذَّبيحِ مُدَامِ)
- عروضه من - الكامل
الشعر لحسان بن ثابت والغناء لموسى بن خارجة الكوفي ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر
وذكر حماد عن أبيه أن فيه لحنا لعزة الميلاء
وليس موسى بكثير الصنعة ولا مشهور ولا ممن خدم الخلفاء
أخبار حسان بن ثابت ونسبه
هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار واسمه تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة وهو العنقاء بن عمرو وإنما سمي العنقاء لطول عنقه وعمرو هو مزيقياء بن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق ابن ثعلبة البهلول بن مازن بن الأزد وهو ذرى وقيل ذراء ممدود بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان
قال مصعب الزبيري فيما أخبرنا به الحسن بن علي عن أحمد بن زهير عمه قال بنو عدي بن عمرو بن مالك بن النجار يسمون بني معالة

ومعالة أمه وهي امرأة من القين وإليها كانوا ينسبون
وأم حسان بن ثابت بن المنذر الفريعة بنت خالد بن قيس بن لوذان بن عبدود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج
وقيل إن اسم النجار تيم اللات وفي ذلك يقول حسان بن ثابت
(وأمُّ ضِرار تَنْشُدُ النّاسَ وَالِهاً ... أمَا لابنَ تَيْمِ اللهِ ماذا أضَلَّتِ)
يعني ضرار بن عبد المطلب وكان ضل فنشدته أمه وإنما سماه رسول الله
تيم الله لأن الأنصار كانت تنسب إليه فكره أن يكون في أنسابها ذكر اللات
ويكنى حسان بن ثابت أبا الوليد
وهو فحل من فحول الشعراء
وقد قيل إنه أشعر أهل المدر
وكان أحد المعمرين من المخضرمين عمر مائة وعشرين سنة ستين في الجاهلية وستين في الإسلام

سنوات عمره الطويلة

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي عبيدة قال عاش ثابت ابن المنذر مائة وخمسين سنة وعاش حسان مائة وعشرين سنة
ومما يحقق ذلك ما أخبرني به الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن حسين عن إبراهيم بن محمد عن صالح بن إبراهيم عن يحيى بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن حسان بن ثابت قال إني لغلام يفعة ابن سبع سنين أو ثمان إذا بيهودي بيثرب يصرخ ذات غداة يا معشر يهود فلما اجتمعوا إليه قالوا ويلك مالك قال طلع نجم أحمد الذي يولد به في هذه الليلة
قال ثم أدركه اليهودي ولم يؤمن به
فهذا يدل على مدة عمره في الجاهلية لأنه ذكر أنه أدرك ليلة ولد النبي وله يومئذ ثمان سنين والنبي بعث وله أربعون سنة وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة فقدم المدينة ولحسان يومئذ على ما ذكره ستون سنة أو إحدى وستون سنة وحينئذ أسلم
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير بن بكار عن عبد الرحمن بن عبد الله قال حدثني ابن أبي الزناد قال
عمر حسان بن ثابت عشرين ومائة سنة ستين في الجاهلية وستين في الإسلام
قال أخبرني الحسن بن علي قال أخبرني أحمد بن زهير قال حدث سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن يزيد بن حازم عن سليمان بن يسار قال
رأيت حسان بن ثابت وله ناصية قد سدلها بين عينيه
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني علي بن محمد النوفلي عن أبيه قال
كان حسان بن ثابت يخضب شاربه وعنفقته بالحناء ولا يخضب سائر لحيته فقال له ابنه عبد الرحمن يا أبت لم تفعل هذا قال لأكون كأني أسد والغ في دم

بماذا أفضل الشعراء

أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال
فضل حسان الشعراء بثلاث كان شاعر الأنصار في الجاهلية وشاعر النبي في النبوة وشاعر اليمن كلها في الإسلام
قال أبو عبيدة وأجمعت العرب على أن حسان أشعر أهل المدر
أخبرنا بذلك أيضا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة عن أبي عبيدة قال
اتفقت العرب على أن أشعر أهل المدر أهل يثرب ثم عبد القيس ثم ثقيف وعلى أن أشعر أهل يثرب حسان بن ثابت
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عفان قال حدثنا عبد الواحد بن زياد قال حدثنا معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب قال
جاء حسان إلى نفر فيهم أبو هريرة فقال أنشدك الله أسمعت رسول الله يقول أجب عني ثم قال اللهم أيده بروح القدس قال أبو هريرة اللهم نعم

عارض شعراء قريش

أخبرني حبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا وهب بن جرير قال حدثنا أبي قال سمعت محمد بن سيرين قال أبو زيد وحدثنا هوذة بن خليفة قال حدثنا عوف عن محمد بن سيرين قال
كان يهجو رسول الله ثلاثة رهط من قريش عبد الله بن الزبعري وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعمرو بن العاصي فقال قائل لعلي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أهج عنا القوم الذين قد هجونا
فقال علي رضي الله عنه إن أذن لي رسول الله فعلت فقال رجل يا رسول الله ائذن لعلي كي يهجو عنا هؤلاء القوم الذين قد هجونا
قال ليس هناك أو ليس عنده ذلك ثم قال للأنصار ما منع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم
فقال حسان بن ثابت أنا لها وأخذ بطرف لسانه وقال والله ما يسرني به مقول بين بصرى وصنعاء
فقال كيف تهجوهم وأنا منهم فقال إني أسلك منهم كما تسل الشعرة من العجين قال فكان يهجوهم ثلاثة من الأنصار حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة
فكان حسان وكعب
يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيام والمآثر ويعيرانهم بالمثالب وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر
قال فكان في ذلك الزمان أشد القول عليهم قول حسان وكعب وأهون القول عليهم قول ابن رواحة
فلما أسلموا وفقهوا الإسلام كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة
أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عبد الله بن بكر بن حبيب السهمي قال حدثنا أبو يونس القشيري وهو حاتم بن أبي صغيرة قال حدثنا سماك بن حرب قال
قال حسان أبو الحسام فقال يا رسول الله ائذن لي فيه وأخرج لسانا له أسود فقال يا رسول الله لو شئت لفريت به المزاد

ائذن لي فيه
فقال اذهب إلى أبي بكر فليحدثك حديث القوم وأيامهم وأحسابهم ثم اهجهم وجبريل معك
قال أبو زيد قال ابن وهب وحدثنا بهذا الحديث حاتم عن السدي عن البراء بن عازب وعن سماك بن حرب فأنا أشك أهو عن أحدهما أم عنهما جميعا قال أبو زيد وحدثنا علي بن عاصم قال حدثنا حاتم بن أبي صغيرة عن سماك بن حرب بنحوه وزاد فيه فأخرج لسانه أسود فوضعه على طرف أرنبته وقال يا رسول الله لو شئت لفريت به المزاد فقال يا حسان وكيف وهو مني وأنا منه قال والله لأسلنه منك كما يسل الشعر من العجين قال يا
حسان فأت أبا بكر فإنه أعلم بأنساب القوم منك فأتى أبا بكر فأعلمه ما قال رسول الله فقال كف عن فلانة واذكر فلانة فقال
(هَجَوْتَ محمداً فأجَبْتُ عنه ... وعندَ اللهِ في ذاك الجَزَاءُ)
(فإنّ أبي ووالدَه وعِرْضي ... لِعرضِ محمد منكم وقَاءُ)
(أتهجوه و لستَ له بكُفءٍ ... فشَرُّكُما لخيْركُما الفِدَاء
قريش تتهم أبا بكر في شعر حسان
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا أحمد بن سليمان عن الأصمعي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال
لما أنشدت قريش شعر حسان قالت إن هذا الشتم ما غاب عن ابن أبي قحافة
قال الزبير وحدثني محمد بن يحيى عن يعقوب بن إسحاق بن مجمع عن رجل من بني العجلان قال
لما بلغ أهل مكة شعر حسان ولم يكونوا علموا أنه قوله جعلوا يقولون لقد قال أبو بكر الشعر بعدنا
قال الزبير وحدثني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن فضالة عن أبيه عن خالد بن محمد بن فضالة عن أبيه عن خالد بن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس قال
نهى عمر بن الخطاب الناس أن ينشدوا شيئا من مناقضة الأنصار ومشركي قريش وقال في ذلك شتم الحي بالميت وتجديد الضغائن وقد هدم الله أمر الجاهلية بما جاء من الإسلام فقدم المدينة عبد الله بن الزبعري السهمي وضرار ابن الخطاب الفهري ثم المحاربي فنزلا على أبي أحمد بن جحش وقالا له نحب أن ترسل إلى حسان بن ثابت حتى يأتيك فننشده وينشدنا مما قلنا له وقال لنا
فأرسل إليه فجاءه فقال له يا أبا الوليد هذان أخواك ابن الزبعري وضرار قد جاءا أن يسمعاك وتسمعهما ما قالا لك وقلت لهما
فقال ابن الزبعري وضرار نعم يا أبا الوليد إن شعرك كان يحتمل في الإسلام ولا يحتمل شعرنا وقد أحببنا أن نسمعك وتسمعنا
فقال حسان أفتبدآن أم أبدأ قالا نبدأ نحن
قال ابتدئا فأنشداه حتى فار فصار كالمرجل غضبا ثم استويا على راحلتيهما يريدان مكة فخرج حسان حتى دخل على عمر بن الخطاب فقص عليه قصتهما وقصته
فقال له عمر لن يذهبا عنك بشيء إن شاء الله وأرسل من يردهما وقال له عمر لو لم تدركهما إلا بمكة فارددهما علي وخرجا فلما كانا بالروحاء رجع ضرار إلى صاحبه بكرة فقال له يا بن الزبعري أنا أعرف عمر وذبه عن الإسلام وأهله وأعرف حسان وقلة صبره على ما فعلنا به وكأني به قد جاء وشكا إليه ما فعلنا فأرسل في آثارنا وقال لرسوله إن لم تلحقهما إلا بمكة فارددهما علي فاربح بنا ترك العناء وأقم بنا مكاننا فإن كان الذي ظننت فالرجوع من الروحاء أسهل منه من أبعد منها وإن أخطأ ظني فذلك الذي نحب ونحن من وراء المضي
فقال ابن الزبعري نعم ما رأيت
قال فأقاما بالروحاء فما كان إلا كمر الطائر حتى وافاهما رسول عمر فردهما إليه فدعا لهما بحسان وعمر في جماعة من أصحاب رسول الله فقال لحسان أنشدهما مما قلت لهما فأنشدهما حتى فرغ مما قال لهما فوقف
فقال له عمر أفرغت قال نعم
فقال له أنشداك
في الخلاء وأنشدتهما في الملا
وقال لهما عمر إن شئتما فأقيما وإن شئتما فانصرفا
وقال لمن حضره إني قد كنت نهيتكم أن تذكروا مما كان بين المسلمين والمشركين شيئا دفعا للتضاغن عنكم وبث القبيح فيما بينكم فأما إذا أبوا فاكتبوه واحتفظوا به
فدونوا ذلك عندهم
قال خلاد بن محمد فأدركته والله وإن الأنصار لتجدده عندها إذا خافت بلاه
هجاؤه لأبي سفيان بن الحارث
أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عفان بن مسلم قال حدثنا عمران بن زيد قال سمعت أبا إسحاق قال في قصة حسان وأبي سفيان بن الحارث نحو ما ذكره مما قدمنا ذكره وزاد فيه فقال حسان فيه
(وإنّ سَنَامَ المَجْدِ من آلِ هاشمٍ ... بنو بِنْتِ مَخْزومٍ ووالدُك العَبْدُ)
(ومَنْ ولدتْ أبناء زُهْرةَ منكُم ... كرامٌ ولم يَلْحَقْ عجائزَك المَجْدُ)
(وإنّ امْرأً كانتْ سُمَيَّةُ أُمَّهُ ... وسَمْراءُ مغلوبٌ إذا بَلَغ الجَهْدُ)
(وأنت هَجِينٌ نِيطَ في آل هاشمٍ ... كما نِيطَ خَلْفَ الرَّاكب القَدَحُ الفَرْدُ)
فقال العباس ومالي وما لحسان يعني في ذكره نتيلة فقال فيها
((ولَستَ كَعبَّاسٍ ولا كابن أُمِّهِ ... ولكن هَجِينٌ ليس يُورَى له زَنْدُ
أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا القعنبي قال حدثنا مروان بن معاوية قال حدثنا إياس السلمي عن ابن بريدة قال
أعان جبريل عليه السلام حسان بن ثابت في مديح النبي بسبعين بيتا
النبي يمدح حسان وكعبا وابن رواحة

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا محمد بن منصور قال حدثنا سعيد بن عامر قال حدثني جويرية بن أسماء قال
بلغني أن رسول الله قال أمرت عبد الله بن رواحة فقال وأحسن وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن وأمرت حسان بن ثابت فشفى واشتفى
أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا أحمد بن عيسى قال حدثنا ابن وهب قال أخبرنا عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن مروان بن عثمان ويعلى ابن شداد بن أوس عن عائشة قالت
سمعت رسول الله يقول لحسان بن ثابت الشاعر إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما كافحت عن الله عز وجل وعن رسول الله
أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا هوذة بن خليفة قال حدثنا عوف بن محمد قال
قال النبي ليلة وهو في سفر أين حسان بن ثابت فقال حسان لبيك يا رسول الله وسعديك
قال احْدُ فجعل ينشد ويصغي إليه النبي ويستمع فما زال يستمع إليه وهو سائق راحلته حتى كان رأس الراحلة يمس الورك حتى فرغ من نشيده
(فقال النبي (لهذا أشد عليهم من وقع النبل

رده على عمر عندما انتهره لانشاده في المسجد

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا أبو عاصم النبيل قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرنا زياد بن أبي سهل قال حدثني سعيد بن المسيب
أن عمر مر بحسان بن ثابت وهو ينشد في مسجد رسول الله فانتهره عمر فقال حسان
قد أنشدت فيه من هو خير منك فانطلق عمر
أخبرنا أحمد قال حدثنا أبو داود الطيالسي قال حدثنا إبراهيم بن سعد عن الزهري عن سعيد بن المسيب
أن عمر مر على حسان وهو ينشد في مسجد رسول الله فذكر مثله وزاد فيه وعلمت أنه يريد النبي
أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا محمد بن حاتم قال حدثنا شجاع بن الوليد عن الإفريقي عن مسلم بن يسار
أن عمر مر بحسان وهو ينشد الشعر في مسجد رسول الله فأخذ بأذنه وقال أرغاء كرغاء البعير فقال حسان دعنا عنك يا عمر فوالله لتعلم أني كنت أنشد في هذا المسجد من هو خير منك فلا يغير علي فصدقه عمر

مدح الزبير بن العوام

حدثنا محمد بن جرير الطبري والحرمي بن أبي العلاء وعبد العزيز بن أحمد عم أبي وجماعة غيرهم قالوا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا أبو غزية محمد بن موسى قال حدثني عبد الله بن مصعب عن هشام بن عروة عن فاطمة بنت المنذر عن جدتها أسماء بنت أبي بكر قالت
مر الزبير بن العوام بمجلس من أصحاب رسول الله وحسان بن ثابت ينشدهم من شعره وهم غير نشاط لما يسمعون منه فجلس معهم الزبير فقال مالي أراكم غير آذنين لما تسمعون من شعر ابن الفريعة فلقد كان يعرض لرسول الله فيحسن استماعه ويجزل عليه ثوابه ولا يشتغل عنه بشيء
فقال حسان
(أقامَ على عهدِ النبيّ وهَدْيِهِ ... حَوَارِيُّه والقَوْلُ بالفِعْلِ يُعْدَلُ)
(أقامَ على مِنْهاجِه وطَرِيقِهِ ... يُوالِي وَلِيَّ الحقِّ والحَقُّ أعدلُ)
(هو الفارسُ المشهورُ والبَطَلُ الذي ... يَصولُ إذا ما كان يومٌ مُحَجَّلُ)
(إذا كَشَفتْ عن ساقِها الحربُ حَشَّها ... بأبيض سَبَّاقٍ إلى الموتِ يُرْقِلُ)
(وإنَّ امرأً كانتْ صَفِيةُ أُمَّهُ ... ومِنْ أسَدٍ في بيتها لمُرَفَّلُ)
(له مِن رسولِ اللهِ قُربَى قريبةٌ ... ومِنْ نُصْرَة الإسلامِ نصرٌ مُؤَثَّلُ)
(فكَمْ كُرْبةٍ ذَبَّ الزُّبَيْرُ بسيفه ... عَنِ المصطفى واللهُ يُعْطِي فَيُجْزِلُ)
(فما مثلُه فيهم ولا كان قبلَه ... وليس يكونَ الدَّهْرَ ما دام يَذْبُلُ)
(ثناؤك خيرٌ من فِعال مَعَاشِرٍ ... وفِعْلُك يابنَ الهاشميّة أفضلُ)

النبي يختاره لحماية أعراض المسلمين

أخبرني أحمد بن عيسى العجلي قال حدثنا واصل بن عبد الأعلى قال حدثنا ابن فضيل عن مجالد عن الشعبي قال
لما كان عام الأحزاب وردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيرا قال النبي (من يحمي أعراض المسلمين) فقال كعب أنا يا رسول الله وقال عبد الله ابن رواحة أنا رسول الله وقال حسان بن ثابت أنا يا رسول الله فقال نعم أهجهم أنت فإنه سيعينك عليهم روح القدس
أخبرني أحمد بن عبد الرحمن قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو داود قال حدثنا حديج بن معاوية عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير قال
كنا عند ابن عباس فجاء حسان فقالوا قد جاء اللعين
فقال ابن عباس ما هو بلعين لقد نصر رسول الله بلسانه ويده
حدثنيه أحمد بن الجعد قال حدثنا محمد بن بكار قال حدثنا حديج بن معاوية قال حدثنا أبو إسحاق عن سعيد بن جبير قال
جاء رجل إلى ابن عباس فقال قد جاء اللعين حسان من الشام
فقال ابن عباس ما هو بلعين لقد جاهد مع رسول الله بلسانه ونفسه

حسان يجيب شاعر وفد تميم

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا عبد الله بن عمرو وشريح بن النعمان قالا حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت
لما قدم وفد بني تميم وضع النبي لحسان منبرا وأجلسه عليه وقال إن الله ليؤيد حسان بروح القدس ما كافح عن نبيه هكذا روى أبو زيد هذا
الخبر مختصرا
وأتينا به على تمامه هاهنا لأن ذلك حسن فيه أخبرنا به الحسن ابن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير قال حدثنا محمد بن الضحاك عن أبيه قال

قدم على النبي وفد بني تميم وهم سبعون أو ثمانون رجلا فيهم الأقرع بن حابس والزبرقان بن بدر وعطارد بن حاجب وقيس بن عاصم وعمرو بن الأهتم وانطلق معهم عيينة بن حصن فقدموا المدينة فدخلوا المسجد فوقفوا عند الحجرات فنادو بصوت عال جاف أخرج إلينا يا محمد فقد جئنا لنفاخرك وقد جئنا بشاعرنا وخطيبنا فخرج إليهم رسول الله فجلس
فقام الأقرع بن حابس فقال والله إن مدحي لزين وإن ذمي لشين
فقال النبي ذلك الله
فقالوا إنا أكرم العرب
فقال رسول الله أكرم منكم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام
فقالوا ايذن لشاعرنا وخطيبنا
فقام رسول الله فجلس وجلس معه الناس فقام عطارد بن حاجب فقال
الحمد لله الذي له الفضل علينا وهو أهله الذي جعلنا ملوكا وجعلنا أعز أهل المشرق وأتانا أموالا عظاما نفعل فيها المعروف ليس في الناس مثلنا ألسنا برؤوس الناس وذوي فضلهم فمن فاخرنا فليعدد مثل ما عددنا ولو نشاء لأكثرنا ولكنا نستحي من الإكثار فيما خولنا الله وأعطانا
أقول هذا فأتوا بقول أفضل من قولنا أو أمر أبين من أمرنا ثم جلس
فقام ثابت بن قيس بن شماس فقال الحمد لله الذي السموات والأرض خلقه قضى فيهن أمره ووسع كرسيه علمه ولم يقض شيئا إلا من فضله وقدرته فكان من قدرته أن اصطفى من خلقه لنا رسولا أكرمهم حسبا وأصدقهم حديثا وأحسنهم رأيا فأنزل عليه كتابا وأتمنه على خلقه وكان خيرة الله من العالمين
ثم دعا رسول الله إلى الإيمان فأجابه من قومه وذوي رحمه المهاجرين أكرم الناس أنسابا وأصبح الناس وجوها وأفضل الناس فعالا
ثم كان أول من اتبع رسول الله من العرب واستجاب له نحن معشر الأنصار فنحن أنصار الله ووزراء رسوله نقاتل الناس حتى يؤمنوا ويقولوا لا إله إلا الله
فمن آمن بالله ورسوله منع منا ماله ودمه
ومن كفر بالله ورسوله جاهدناه في الله وكان جهاده علينا يسيرا
أقول قولي هذا وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات
فقام الزبرقان فقال
(نحنُ الملوكُ فلا حيٌّ يُقَارِبُنا ... مِنّا الملوكُ وفينا يُؤْخَذُ الرُّبُعُ)
(تلكَ المكارِمُ حُزْنَاها مُقَارَعَةً ... إذا الكرامُ على أمثالها اقترعوا)
(كَمْ قد نَشَدْنا مِنَ الأحياءِ كُلِّهِمُ ... عند النِّهاب وفضلُ العِزِّ يُتَّبَعُ)
((ونَنْحَرُ الكُومَ عُبْطاً في منازلنا ... للنازلين إذا ما استَطْعَموا شَبِعوا
(ونحن نُطْعِمُ عند المَحْلِ ما أكلوا ... مِن العَبِيطِ إذا لم يَظْهَرِ القَزَعُ)
(وننصر الناسَ تأتينا سَرَاتُهُمُ ... مِنْ كُلِّ أوبٍ فتَمضِي ثم تُتَّبَعُ)
فأرسل رسول الله إلى حسان بن ثابت فجاء فأمره أن يجيبه
فقال حسان
(إنّ الذوائبَ مِنْ فِهْرٍ وإخْوَتِهِمْ ... قد بَيَّنُوا سُنَّةً للنّاس تُتَّبَعُ)
(يَرْضَى بها كلُّ مَنْ كانت سريرتُه ... تَقْوى الإلهِ وبالأمر الذي شَرَعُوا)
(قومٌ إذا حاربوا ضَرُّوا عدوَّهُمُ ... أو حاولوا النَّفْعَ في أشياعهم نَفَعوا)
(سجيَّةٌ تلكَ منهم غيرُ مُحْدَثَةٍ ... إنّ الخلائقَ فاعلَمْ شَرُّها البِدَع)
(لا يَرْقَعُ النّاسُ ما أوهتْ أكُفُّهُمُ ... عند الدِّفاع ولا يُوهُون ما رَقَعوا)
(إنْ كان في الناس سَبَّاقون بعدَهُمُ ... فكُلُّ سَبْقٍ لأدْنى سَبْقِهِمْ تَبَعُ)
(أعفَّةٌ ذُكِرَتْ في الوَحْيِ عِفَّتُهمْ ... لا يَطْمَعون ولا يُزْري بهم طَمَعُ)
(ولا يَضِنُّونَ عن جارٍ بِفَضْلِهِمُ ... ولا يَمَسُّهُمُ مِنْ مَطْمَعٍ طَبَعُ)
(يَسْمُون للحرب تبدو وهي كالحةٌ ... إذا الزَّعانِفُ من أظفارها خَشَعُوا)
(لا يَفرحون إذا نالوا عدوَّهمُ ... وإنْ أصيبوا فلا خُورٌ ولا جُزُعُ)
(كأنَّهم في الوَغَى والموتُ مُكتَنِعٌ ... أُسودُ بِيشَةَ في أرساغها فَدَعُ)
((خُذْ منهمُ ما أتى عَفْواً وإنْ مَنَعوا ... فلا يَكُنْ هَمُّكَ الأمرَ الذي مَنعُوا
(فإنّ في حَرْبِهم فاتْرُكْ عداوتَهم ... سُماً يُخَاضُ عليه الصَّابُ والسَّلَعُ)
(أكْرِمْ بقَومٍ رسولُ اللّه قائدُهمُ ... إذا تَفَرَّقَتِ الأهواءُ والشِّيَعُ)
(أهْدَى لهم مِدَحِي قلبٌ يؤازرُهُ ... فيما أراد لسانٌ حائكٌ صَنَعُ)
(فإنّهم أفضلُ الأحياء كلِّهمُ ... إنْ جدَّ بالناس جِدُّ القولِ أو شَمَعُوا)
فقام عطارد بن حاجب فقال
(أتيناك كيما يعلمَ الناسُ فضلَنا ... إذا اجتمعوا وقتَ احتضار المَوَاسِمِ)
(بأنّا فُروعُ الناس في كلِّ موطنٍ ... وأنْ ليس في أرض الحجاز كَدَارِمِ)
فقام حسان بن ثابت فقال
(مَنَعْنا رسولَ اللّه من غَضَبٍ له ... على أنْفِ راضٍ من مَعَدٍّ وراغِمِ)
(هَلِ المجدُ إلاّ السُّؤْدُدُ العَوْدُ والنَّدَى ... وجاهُ الملوكِ واحتمالُ العظائِمِ)
قال فقال الأقرع بن حابس والله إن هذا الرجل لمؤتى له والله لشاعره أشعر من شاعرنا ولخطيبه أخطب من خطيبنا ولأصواتهم أرفع من أصواتنا أعطني
يا محمد فأعطاه
فقال زدني فزاده
فقال اللهم إنه سيد العرب

فنزلت فيهم (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ) ثم إن القوم أسلموا وأقاموا عند النبي يتعلمون القرآن ويتفقهون في الدين
ثم أرادوا الخروج إلى قومهم فأعطاهم رسول الله وكساهم وقال (أما بقي منكم أحد) وكان عمرو بن الأهتم في ركابهم فقال قيس بن عاصم وهو من رهطه وكان مشاحنا له لم يبق أحد إلا غلام حديث السن في ركابنا فأعطاه رسول الله مثل ما أعطاهم
فبلغ عمرا ما قال قيس فقال عمرو بن الأهتم لقيس
(ظَلِلْتَ مُفْتَرِشَ الهَلْباءِ تَشتُمني ... عند الرسول فلم تَصْدُقْ ولم تُصِبِ)
(إنْ تُبْغِضونا فإنَّ الرُّومَ أصلُكُمُ ... والرومُ لا تملِك البغضاء للعَرَبِ)
(فإنَّ سُؤْدَدَنا عَوْدٌ وسُؤْددكم ... مُؤَخَّرٌ عند أصل العَجْبِ والذَّنَبِ)
فقال له قيس
(لولاَ دفاعي كنتمُ أَعْبُداً ... دَارُكُم الحِيرةُ والسَّيْلَحُونْ)
شعره الذي يقرر به إيمانه بالرسل
أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني عمر بن علي بن مقدم عن يحيى بن سعيد عن أبي حيان التيمي عن حبيب ابن أبي ثابت قال أبو زيد وحدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير قال حدثنا مسعر عن سعد بن إبراهيم قالوا
قال حسان بن ثابت للنبي
صوت
(شَهِدتُ بإذن الله أن محمداً ... رسولُ الذي فوق السّمواتِ من عَلُ)
(وأنَّ أخا الأحقاف إذ يَعْذُلونه ... يقومُ بدِين الله فيهم فيَعدِلُ)
(وأنَّ أبا يحيى ويحيى كِلاهما ... له عَمَلٌ في دينه مُتقَبَّلُ)
(وأنّ الذي عادَى اليهودَ ابنَ مَريَمٍ ... رسولٌ أتى من عند ذي العرشِ مُرْسَلُ)
(وأنَّ الذي بالجِزْعِ من بطن نَخْلةٍ ... ومَنْ دونَها فِلٌّ من الخير مَعْزِلُ)
(غنى في هذه الأبيات معبد خفيف ثقيل أول بالبنصر من رواية يونس وغيره فقال النبي (أنا أشهد معك
أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا زهير بن حرب قال حدثني جرير عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق
وأخبرني بها أحمد بن عيسى العجلي
قال حدثنا سفيان بن وكيع قال حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال
دخلت على عائشة وعندها حسان وهو يرثي بنتا له وهو يقول
(رَزَانٌ حَصَانٌ ما تُزَنُّ بريبَةٍ ... وتُصْبحُ غَرْثَى من لُحوم الغَوَافِلِ)
فقالت عائشة لكن أنت لست كذلك
فقلت لها أيدخل عليك هذا وقد قال الله عز وجل (وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ) فقالت أما تراه في عذاب عظيم قد ذهب بصره
تنبأ بوقعة صفين قبل وقوعها
أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي قال حدثنا ابن أبي أويس قال حدثني أبي ومالك بن الربيع بن مالك حدثاني جميعا عن الربيع بن مالك بن أبي عامر عن أبيه أنه قال
بينا نحن جلوس عند حسان بن ثابت وحسان مضطجع مسند رجليه إلى فارع قد رفعهما عليه إذ قال مه أما رأيتم ما مر بكم الساعة قال مالك
قلنا لا والله وما هو فقال حسان فاختة مرت الساعة بيني وبين فارع فصدمتني أو قال فزحمتني
قال قلنا وما هي قال
(ستأتيكمُ غَدْواً أحاديثُ جَمَّةٌ ... فأصغُوا لها آذانَكم وتَسَمَّعُوا)
قال مالك بن أبي عامر فصبحنا من الغد حديث صفين
أخبرنا وكيع قال حدثنا الليث بن محمد عن الحنظلي عن أبي عبدة عن العلاء بن جزء العنبري قال
بينا حسان بن ثابت بالخيف وهو مكفوف إذ زفر زفرة ثم قال
(وكأنَّ حافرَها بكلِّ خَميلةٍ ... صاعٌ يَكيلُ به شحيحٌ مُعْدِمُ)
(عاري الأشَاجِعِ من ثَقِيفٍ أصلُه ... عبدٌ ويزعمُ أنّه مِنْ يَقْدُمُ)
قال والمغيرة بن شعبة جالس قريبا منه يسمع ما يقول فبعث إليه بخمسة آلاف درهم
فقال من بعث بهذا قال المغيرة بن شعبة سمع ما قلت
قال واسوءتاه وقبلها
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني الأصمعي قال
جاء الحارث بن عوف بن أبي حارثة إلى النبي فقال أجرني من شعر حسان فلو مزج البحر بشعره لمزجه قال وكان السبب في ذلك فيما أخبرني به أحمد ابن عبد العزيز عن عمر بن شبة عن الأصمعي وأخبرني به الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي مصعب أن الحارث بن عوف أتى رسول الله فقال ابعث معي من يدعو إلى دينك وأنا له جار
فأرسل معه رجلا من الأنصار
فغدرت بالحارث عشيرته فقتلوا الأنصاري فقدم الحارث على رسول الله وكان لا يؤنب أحدا في وجهه فقال (ادعوا لي حسان) فدعي له
فلما رأى الحارث أنشده
(يا حَارِ مَنْ يَغْدِرْ بذِمّة جاره ... منكُمْ فإنّ محمداً لم يَغْدِرِ)
(إنْ تَغْدِرُوا فالغَدْرُ منكم شيمةٌ ... والغدرُ ينبتُ في أصول السَّخْبَرِ)
فقال الحارث اكففه عني يا محمد وأؤدي إليك دية الخفارة فأدى إلى النبي سبعين عشراء وكذلك دية الخفارة وقال يا

محمد أنا عائذ بك من شره فلو مزج البحر بشعره مزجه
النبي يعوضه بعد أن ضربه ابن المعطل
أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إبراهيم بن المنذر قال حدثنا عبد الله بن وهب قال أخبرنا العطاف بن خالد قال
كان حسان بن ثابت يجلس إلى أطمه فارع ويجلس معه أصحاب له ويضع لهم بساطا يجلسون عليه فقال يوما وهو يرى كثرة من يأتي إلى النبي من العرب فيسلمون
(أرَى الجَلاَبيبَ قد عَزُّوا وقد كَثُروا ... وابنُ الفُرَيْعَةِ أمسَى بَيْضَةَ البَلَد
(فبلغ ذلك رسول الله فقال (من لي بأصحاب البساط بفارع
فقال صفوان بن المعطل أنا لك يا رسول الله منهم فخرج إليهم فاخترط سيفه فلما رأوه عرفوا الشر في وجهه ففروا وتبددوا وأدرك حسان داخلا بيته فضربه وفلق أليته
قال فبلغنا أن النبي عوضه وأعطاه حائطا فباعه من معاوية بعد ذلك بمال كثير فبناه معاوية قصرا وهو الذي يقال له قصر الدارين
وقد قيل إن صفوان بن المعطل إنما ضرب حسان لما قاله فيه وفي عائشة زوج النبي من الإفك لأن صفوان هو الذي رمى أهل الإفك عائشة به
وأخبرنا محمد بن جرير قال حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عتبة قال اعترض صفوان بن المعطل حسان بن ثابت بالسيف لما قذفه به من الإفك حين بلغه ما قاله
وقد كان حسان قال شعرا يعرض بابن المعطل وبمن أسلم من العرب من مضر فقال
(أمَسى الجَلاَبِيبُ قد عَزُّوا وقد كَثُروا ... وابنُ الفُرَيْعةِ أمَسى بَيْضَةَ البَلَدِ
(قد ثَكِلَتْ أُمُّه مَنْ كنتُ صاحبَه ... أو كان مُنْتَشِباً في بُرْثُنِ الأسَدِ)
(ما للقتيل الذي أعدُوا فآخُذُه ... من دِيةٍ فيه أُعْطِيها ولا قَوَدِ)
(ما البحرُ حين تَهُبُّ الرِّيحُ شَامِيةً ... فَيَغْطَئِلُّ ويَرْمي العِبْرَ بالزَّبَدِ)
(يوماً بأغلبَ منِّي حين تُبْصِرُني ... بالسيف أفْري كفَرْيِ العَارضِ البَرِدِ)
فاعترضه صفوان بن المعطل بالسيف فضربه وقال
(تَلَقَّ ذُبَابَ السَّيْفِ عنِّي فإنَّني ... غلامٌ إذا هُوجِيتُ لستُ بشاعر)
وحدثنا محمد بن جرير وقال حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد ابن إسحاق عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي
أن ثابت بن قيس بن الشماس أخا بلحارث بن الخزرج وثب على صفوان ابن المعطل في ضربه حسان فجمع يديه على عنقه فانطلق به إلى دار بني الحارث ابن الخزرج فلقيه عبد الله بن رواحة فقال ما هذا فقال ألا أعجبك ضرب حسان بالسيف والله ما أراه إلا قد قتله
فقال له عبد الله بن رواحة هل علم رسول الله بشيء من هذا قال لا والله
قال لقد اجترأت أطلق الرجل فأطلقه
ثم أتوا رسول الله فذكر ذلك له فدعا حسان وصفوان بن المعطل فقال ابن المعطل يا رسول الله آذاني وهجاني فضربته فقال رسول الله لحسان (يا حسان أتعيب على قومي أن هداهم الله عز وجل للإسلام) ثم قال
(أحسن يا حسان في الذي أصابك) قال هي لك يا رسول الله
أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني المدائني قال حدثنا إسماعيل بن إبراهيم قال حدثنا محمد بن إسحاق عن أبيه إسحاق بن يسار عن بعض رجال بني النجار بمثل ذلك وزاد في الشعر الذي قاله حسان زيادة ووافقه عليها مصعب الزبيري فيما أخبرنا به الحسن بن علي قال قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب في القصة فذكر أن فتية من المهاجرين والأنصار تنازعوا على الماء وهم يسقون خيولهم فغضب من ذلك حسان فقال هذا الشعر
وذكر الزهري فيما أخبرنا أحمد بن يحيى بن الجعد قال حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي قال حدثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب الزهري أن هذا الخبر كان بعد غزوة النبي المصطلق قال
وكان في أصحاب رسول الله رجل يقال له سنان ورجل من بني غفار يقال له جهجاه فخرج جهجاه بفرس لرسول الله وفرس له يومئذ يسقيهما فأوردهما الماء فوجد على الماء فتية من الأنصار فتنازعوا فاقتتلوا فقال عبد الله ابن أبي ابن سلول هذا ما جزونا به آويناهم ثم هم يقاتلوننا وبلغ حسان بن ثابت الذي بين جهجاه وبين الفتية الأنصار فقال وهو يريد المهاجرين من القبائل قدموا على رسول الله في الإسلام وهذا الشعر من رواية مصعب دون الزهري
(أمسى الجلابيبُ قد عَزُّوا وقد كثُروا ... وابنُ الفُرَيعةِ أمسى بيضةَ البَلَدِ
(يمشون بالقول سِرّاً في مُهَادَنةٍ ... تَهَدُّداً لي كأنِّي لستُ مِنْ أحَدِ)
(قد ثَكِلَتْ أُمُّه مَنْ كنتُ صاحِبَه ... أو كان مُنْتَشِباً في بُرْثُنِ الأسَدِ)
(ما للقتيل الذي أسموا فأقتُلُه ... من دِيَةٍ فيه أُعْطِيها ولا قَوَدِ)
(ما البحرُ حين تَهُبُّ الريحُ شاميةً ... فَيَغْطَئِلُّ ويَرْمي العِبْرَ بالزَّبَدِ)
(يوماً بأغلَبَ منِّي حين تُبْصِرُني ... أفْري من الغَيْظِ فَرْيَ العَارِضِ البَرِدِ)
(أمّا قريشٌ فإنِّي لستُ تارِكَهم ... حتى يُنِيبوا من الغَيّاتِ بالرَّشَدِ)
(ويتركوا اللاَّتَ والعُزَّى بمَعْزِلَةٍ ... ويَسْجُدوا كلُّهم للواحد الصَّمَدِ)
(ويشْهَدوا أنَّ ما قال الرسولُ لهم ... حقٌّ ويوفُوا بعهد الله في سَدَدِ)
(أبْلِغْ بَنيَّ بأنِّي قد تركتُ لهم ... من خيرِ ما تَرَكَ الآباء للوَلَدِ)
(الدَّارُ واسطةٌ والنخلُ شارعةٌ ... والبِيضُ يَرْفُلْنَ في القَسِّيِّ كالبَرَد)
قال فقال رسول الله (يا حسان نفست علي إسلام قومي وأغضبه كلامه
فغدا صفوان بن المعطل السلمي على حسان فضربه بالسيف
وقال صفوان

(تَلَقَّ ذُبَابَ السَّيْفِ عنِّي فإنني ... غلامٌ إذا هُوجِيتُ لستُ بشاعر)
فوثب قومه على صفوان فحبسوه ثم جاؤوا سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبي حزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج بن حارثة ابن ثعلبة بن عمرو بن عامر وهو مقبل على ناضحه بين القريتين فذكروا له ما
فعل حسان وما فعلوا فقال أشاورتم في ذلك رسول الله قالوا لا
فقعد إلى الأرض
وقال وانقطاع ظهراه أتأخذون بأيديكم ورسول الله بين ظهرانيكم ودعا بصفوان فأتي به فكساه وخلاه
(فجاء إلى النبي فقال له رسول الله (من كساك كساه الله
وقال حسان لأصحابه احملوني إلى رسول الله أترضاه ففعلوا فأعرض عنه رسول الله فردوه
ثم سألهم فحملوه إليه الثانية فأعرض عنه رسول الله فانصرفوا به
ثم قال لهم عودوا بي إلى رسول الله فقالوا له قد جئنا بك مرتين كل ذلك يعرض فلا نبرمه بك
فقال احملوني إليه هذه المرة وحدها ففعلوا
فقال يا رسول الله بأبي أنت وأمي احفظ قولي
(هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه ... وعند اللهِ في ذاك الجزاءُ)
(فإنّ أبي ووالدَه وعِرْضِي ... لِعرض محمد منكم وقاءُ)
فرضي عنه رسول الله ووهب له سيرين أخت مارية أم ولد رسول الله إبراهيم
هذه رواية مصعب
(وأما الزهري فإنه ذكر أن رسول الله لما بلغه ضرب السلمي حسان قال لهم (خذوه فإن هلك حسان فاقتلوه فأخذوه فأسروه وأوثقوه فبلغ ذلك سعد بن عبادة فخرج في قومه إليهم فقال أرسلوا الرجل فأبوا عليه فقال أعمدتم إلى قوم رسول الله تؤذونهم وتشتمونهم وقد زعمتم أنكم نصرتموهم أرسلوا الرجل فأبوا عليه حتى كاد يكون قتال ثم أرسلوه فخرج به سعد إلى أهله فكساه حلة ثم أرسله سعد إلى أهله
(فبلغنا أن النبي دخل المسجد ليصلي فيه فقال (من كساك كساه الله من ثياب الجنة
فقال كساني سعد بن عبادة
وذكر باقي الخبر نحوه
الاعتذار عما رمى عائشة به
وحدثني محمد بن جرير الطبري قال حدثني ابن حميد قال حدثنا سلمة عن
ابن إسحاق عن محمد بن إبراهيم بن الحارث
أن رسول الله أعطاه عوضا منها بيرحاء وهي قصر بني جديلة اليوم بالمدينة كانت مالا لأبي طلحة بن سهل تصدق بها إلى رسول الله فأعطاه حسان في ضربته وأعطاه سيرين أمة قبطية فولدت له عبد الرحمن بن حسان
قال وكانت عائشة تقول لقد سئل عن صفوان بن المعطل فإذا هو حصور لا يأتي النساء قتل بعد ذلك شهيدا
قال ابن إسحاق في روايته عن يعقوب بن عتبة فقال حسان يعتذر من الذي قال في عائشة
(حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنُّ بريبةٍ ... وتُصْبِحُ غَرْثَى من لُحومِ الغَوَافِلِ)
(فإنْ كنتُ قد قلتُ الذي قد زعمتُم ... فلا رفعتْ سَوْطِي إليَّ أنَامِلِي)
(وكيف ووُدّي من قديمٍ ونُصْرَتي ... لآلِ رسولِ الله زَيْنِ المَحَافِلِ)
(فإنّ الّذي قد قِيل ليس بلائطٍ ... ولكنّه قولُ امرىءٍ بيَ مَاحِلِ)
قال الزبير وحدثني محمد بن الضحاك أن رجلا هجا حسان بن ثابت بما فعل به ابن المعطل فقال
(وإنّ ابنَ المُعَطَّلِ من سُلَيْمٍ ... أذَلَّ قِيادَ رأسِك بالخِطَامِ)
دفاع عائشة عنه
أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال أخبرنا أبو عاصم قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرني محمد بن السائب عن أمه أنها طافت مع عائشة ومعها أم حكيم وعاتكة امرأتان من بني مخزوم
قالت فابتدرنا حسان نشتمه وهو يطوف فقالت ابن الفريعة تسببن قلن قد قال فيك فبراك الله
قالت فأين قوله
(هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه ... وعند الله في ذاك الجَزاءُ)
(فإنّ أبي ووالدَه وعِرْضِي ... لِعِرْضِ محمدٍ منكم وقَاءُ)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا إبراهيم بن المنذر عن سفيان بن عيينة عن محمد بن السائب بن بركة عن أمه
نحو ذلك وزاد فيه إني لأرجو أن يدخله الله الجنة بقوله
أخبرني الحسن قال حدثنا الزبير عن عبد العزيز بن عمران عن سفيان بن عيينة وسلم بن خالد عن يوسف بن ماهك عن أمه قالت
كنت أطوف مع عائشة بالبيت فذكرت حسان فسببته فقالت بئس ما قلت أتسبينه وهو الذي يقول
(فإنّ أبي ووالده وعِرْضِي ... لِعِرْضِ محمدٍ منكم وقَاءُ)
فقلت أليس ممن لعن الله في الدنيا والآخرة بما قال فيك قالت لم يقل شيئا ولكنه الذي يقول
(حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنّ بريبةٍ ... وتُصْبِحُ غَرْثَى من لُحومِ الغَوَافِلِ)
(فإنْ كان ما قد جاء عنّي قلتُه ... فلا رفعتْ سَوْطِي إليّ أناملي
أخبرني الحسن قال حدثنا الزبير قال حدثني مصعب عمي قال حدثني بعض أصحابنا عن هشام بن عروة عن أبيه قال كنت قاعدا عند عائشة فمر بجنازة حسان بن ثابت فنلت منه فقالت مهلا فقلت أليس الذي يقول قالت فكيف بقوله
(فإنّ أبي ووالدَه وعِرْضي ... لِعِرْضِ محمدٍ منكم وقاءُ)
أخبرني الحسن قال حدثنا أحمد قال حدثني أحمد بن سلمان عن سلمان بن حرب قال حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن محمد بن سيرين

أن حسان أخذ يوما بطرف لسانه وقال يا رسول الله ما يسرني أن لي به مقولا بين صنعاء وبصرى ثم قال
(لِساني مِقْوَلٌ لا عيبَ فيه ... وبَحْري ما تُكَدِّرُه الدِّلاَءُ)
أخبرنا محمد بن جرير قال حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثني محمد بن إسحاق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال
كانت صفية بنت عبد المطلب في فارع حصن حسان بن ثابت يعني يوم الخندق
قالت وكان حسان معنا فيه والنساء والصبيان
قالت فمر بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله ليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ورسول الله والمسلمون في نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم إذ أتانا آت
قالت فقلت يا حسان إن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن وإني والله ما آمنه أن يدل على عوراتنا من وراءنا من يهود وقد شغل عنا رسول الله وأصحابه فانزل إليه فاقتله فقال يغفر الله لك يابنة عبد المطلب لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا
قالت فلما قال ذلك ولم أر عنده شيئا احتجزت ثم أخذت عمودا ثم نزلت إليه من الحصن فضربته بالعمود حتى قتلته فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن فقلت يا حسان انزل إليه فاسلبه فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل قال مالي بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب
رواية عن جبنه
وأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير قال حدثنا علي بن صالح عن جدي عبد الله بن مصعب عن أبيه قال
كان ابن الزبير يحدث أنه كان في فارع أطم حسان بن ثابت مع النساء يوم الخندق ومعهم عمر بن أبي سلمة
قال ابن الزبير ومعنا حسان بن ثابت ضاربا وتدا في آخر الأطم فإذا حمل أصحاب رسول الله على المشركين حمل على الوتد فضربه بالسيف وإذا أقبل المشركون انحاز عن الوتد حتى كأنه يقاتل قرنا يتشبه بهم كأنه يري أنه مجاهد حين جبن وإني لأظلم ابن أبي سلمة وهو أكبر مني بسنتين فأقول له تحملني على عنقك حتى أنظر فإني أحملك إذا نزلت قال فإذا حملني ثم سألني أن يركب قلت له هذه المرة أيضا
قال وإني لأنظر إلى أبي معلما بصفرة فأخبرتها أبي بعد فقال أين كنت حينئذ فقلت على عنق ابن أبي سلمة يحملني فقال أما والذي نفسي بيده إن رسول الله ليجمع إلى أبويه
قال ابن الزبير وجاء يهودي يرتقي إلى الحصن
فقالت صفية له أعطني السيف فأعطاها فلما ارتقى اليهودي ضربته حتى قتلته ثم احتزت رأسه
فأعطته حسان وقالت طوح به فإن الرجل أقوى وأشد رمية من المرأة
تريد أن ترعب به أصحابه
قال الزبير وحدثني عمي عن الواقدي قال كان أكحل حسان قد قطع فلم يكن يضرب بيده
تغنى بشجاعة النبي
قال الزبير وحدثني علي بن صالح عن جدي أنه سمع أن حسان بن ثابت أنشد رسول الله
(لقد غدوتُ أمامَ القوم مُنْتطِقاً ... بِصَارِمٍ مِثْلِ لوْنِ المِلْحِ قَطَّاعِ)
(يَحْفِزُ عنِّي نجادَ السيفِ سابغةٌ ... فَضْفَاضةٌ مثل لَوْنِ النِّهْي بالقَاعِ)
قال فضحك رسول الله فظن حسان أنه ضحك من صفته نفسه مع جبنه
قال الزبير وحدثني محمد بن الحسن قال
قال حسان بن ثابت جئت نابغة بني ذبيان فوجدت الخنساء بنت
عمرو حين قامت من عنده فأنشدته فقال إنك لشاعر وإن أخت بني سليم لبكاءة
الحطيئة يجيبه بما لم يرضه
قال الزبير وحدثني يحيى بن طلحة بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قال أخبرني غير واحد من مشايخي
أن الحطيئة وقف على حسان بن ثابت وحسان ينشد من شعره فقال له حسان وهو لا يعرفه كيف تسمع هذا الشعر يا أعرابي قال الحطيئة لا أرى به بأسا
فغضب حسان قولا اسمعوا إلى كلام هذا الأعرابي ما كنيتك قال أبو مليكة
قال ما كنت قط أهون علي منك حين كنيت بامرأة فما اسمك قال الحطيئة فقال حسان امض بسلام
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني محمد بن الحسن بن مسعود الزرقي قال حدثنا عبد لله بن شبيب قال حدثني الزبير وأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثني الزبير قال حدثني بعض القرشيين قال
دخل حسان بن ثابت في الجاهلية بيت خمار بالشام ومعه أعشى بكر بن وائل فاشتريا خمرا وشربا فنام حسان ثم انتبه فسمع الأعشى يقول للخمار كره الشيخ الغرم فتركه حسان حتى نام ثم اشترى خمرا الخمار كلها ثم سكبها في البيت حتى سالت تحت الأعشى فعلم أنه سمع كلامه فاعتذر إليه فقال حسان
((ولَسْنَا بِشَرْبٍ فَوْقَهُمْ ظِلُّ بُرْدةٍ ... يُعِدُّونَ لِلْخَمّارِ تَيْساً ومِفْصَدَا
(ولِكِنَّنا شَرْبٌ كِرامٌ إذا انتشَوْا ... أهانوا الصَّريحَ والسَّدِيفَ المُسَرْهَدَا)
(كأنَّهُمُ ماتُوا زمانَ حَلِيمةٍ ... فإنْ تأْتِهِمْ تَحْمَدْ نِدَامَتَهم غَدَا)
(وإن جئتَهم أَلْفيْتَ حولَ بُوتِهم ... من المِسْكِ والجادِيِّ فَتِيتاً مُبَدَّدَا)
(تَرى حولَ أثناءِ الزَّرَابِيِّ ساقِطاً ... نِعَالاً وقَسُّوباً ورَيْطاً مُنَضَّدَا)
(وذا نُمْرُقٍ يَسْعَى ومُلْصَقَ خَدِّهِ ... بديباجةٍ تَكْفَافُها قد تَقَدَّدَا)
وهذه القصيدة يقولها حسان بن ثابت في وقعة بدر يفخر بها ويعير الحارث ابن هشام بفراره عن أخيه أبي جهل بن هشام
وفيها يقول
صوت
(إنْ كُنْتِ كاذِبَةَ الذي حَدّثْتِنِي ... فنَجَوْتِ مَنْجَى الحارثِ بن هشامِ)
((تَرَكَ الأَحِبَّةَ أنْ يُقَاتِلَ دونَهم ... ونجَا برأس طِمرَّةٍ ولجَامِ

غناه يحيى المكي خفيف ثقيل أول بالوسطى
ولعزة الميلاء فيه خفيف رمل بالبنصر
وفيه خفيف ثقيل بالبنصر لموسى بن خارجة الكوفي فأجاب الحارث بن هشام وهو مشرك يومئذ فقال
صوت
(اللهُ يعلَم ما تركتُ قِتالَهم ... حتَّي رَمَوْا فَرَسِي بِأَشْقَرَ مُزْبِدِ)
(وعلِمتُ أنّي إنْ أقاتِلْ واحداً ... أُقْتَلْ ولا يَضْرُرْ عَدوِّي مَشهَدِي)
(فَفَرَرْتُ منهمْ والأحِبَّةُ فيهمُ ... طَمَعاً لهم بِعقَاب يوم مُرْصَدِ
غنى فيه إبراهيم الموصلي خفيف ثقيل أول بالبنصر وقيل بل هو لفليح
أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدثني سليمان بن أيوب قال حدثنا محمد بن سلام عن يونس قال
لما صار ابن الأشعث إلى رتبيل تمثل رتبيل بقول حسان بن ثابت في الحارث بن هشام
(تَرَكَ الأحِبّة أنْ يُقَاتِلَ دونَهم ... ونجا برأس طِمِرّةٍ ولجامِ)
فقال له ابن الأشعث أو ما سمعت ما رد عليه الحارث بن هشام قال وما هو فقال قال
((اللهُ يعلَم ما تركتُ قتالَهم ... حتى رَمَوْا فرسي بأشقَرَ مُزْبِدِ
(وعلمْتُ أنّي إنْ أقاتِلْ واحداً ... أُقْتَلْ ولا يَضْرُرْ عَدوّي مَشْهَدِي)
(فصددتُ عنهمْ والأحِبّةُ فيهمُ ... طمعاً لهم بعقاب يوم مُرْصَدِ)
فقال رتبيل يا معشر العرب حسنتم كل شيء حتى حسنتم الفرار
ذكر الخبر عن غزاة بدر
أخبار غزاة بدر
حدثني بخبرها محمد بن جرير الطبري في المغازي قال حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثني محمد بن إسحاق قال حدثني محمد بن مسلم الزهري وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ويزيد بن رومان عن غزوة بدر وغيرهم من علمائنا عن عبد الله بن عباس كل قد حدثني بعض هذا الحديث فاجتمع حديثهم فيما سمعت من حديث بدر قالوا
لما سمع رسول الله بأبي سفيان مقبلا من الشام ندب المسلمين إليهم وقال (هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها فلعل الله أن ينفلكموها) فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله يلقى حربا وكان أبو سفيان استقدم حين دنا من الحجاز وجعل يتجسس الأخبار ويسأل من لقي من الركبان تخوفا على أموال الناس حتى أصاب خبرا من بعض الركبان أن محمدا استنفر أصحابه لك ولعيرك فحذر عند ذلك فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة وأمره أن يأتي قريشا يستنفرهم إلى أموالهم ويخبرهم أن محمدا قد عرض لها في أصحابه فخرج ضمضم بن عمرو سريعا إلى مكة
رؤيا تفزع عاتكة بنت عبد المطلب
قال ابن إسحاق وحدثني من لا أتهم عن عكرمة مولى ابن عباس ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال رؤيا أفزعتها فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت يا أخي والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتني وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر أو مصيبة فاكتم عني ما أحدثك
قال لها وما رأيت قالت رأيت راكبا أقبل علي بعير له حتى وقف بالأبطح ثم صرخ بأعلى صوته أن انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث وأرى الناس قد اجتمعوا إليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة ثم صرخ بأعلى صوته انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمثلها ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوي حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار من دورها إلا دخلتها منها فلقه
قال العباس إن هذه لرؤيا وأنت فاكتميها ولا تذكريها لأحد
ثم خرج العباس فلقي الوليد بن عتبة بن ربيعة وكان له صديقا فذكرها له واستكتمه إياها فذكرها الوليد لأبيه عتبة ففشا الحديث بمكة حتى تحدثت به قريش
قال العباس فغدوت أطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام ورهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة
فلما رآني أبو جهل قال يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا فلما فرغت أقبلت إليه حتى جلست معهم
فقال لي أبو جهل يا بني عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبية قال قلت وما ذاك قال الرؤيا التي رأت عاتكة
قلت وما رأت قال يا بني عبد المطلب أما رضيتم أن
تتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم قد زعمت عاتكة في رؤياها أنها قالت انفروا في ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاث فإن يكن ما قالت حقا فسيكون وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب كتابا عليكم أنكم أكذب أهل بيت في العرب
قال العباس فوالله ما كان إليه مني كبير إلا جحدت ذلك وأنكرت أن تكون رأت شيئا
قال ثم تفرقنا
فلما أمسينا لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني فقالت أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ويتناول النساء وأنت تسمع ولم يكن عندك غير لشيء مما سمعت قلت قد والله فعلت ما كان مني إليه من كبير وايم الله لأتعرضن له فإن عاد لأكفينكه
قال فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديد مغضب أرى أني قد فاتني منه أمر أحب أن أدركه منه
قال فدخلت المسجد فرأيته فوالله إني لأمشي نحوه العرضنة ليعود لبعض ما كان فأوقع به
وكان رجلا خفيفا حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر إذ خرج نحو باب المسجد يشتد قال قلت في نفسي ماله لعنه الله أكل هذا فرقا أن أشاتمه فإذا هو قد سمع ما لم أسمع صوت ضمضم بن عمرو الغفاري وهو يصرخ ببطن الوادي واقفا على بعيره قد جدع بعيره وحول رحله وشق قميصه وهو يقول يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة أموالكم مع أبي سفيان بن حرب قد عرض لها محمد في أصحابه لا أرى أن تدركوها الغوث الغوث قال فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الأمر
قال فتجهز الناس سراعا وقالوا لا يظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن
الحضرمي كلا والله ليعلمن غير ذلك فكانوا بين رجلين إما خارج وإما باعث مكانه رجلا وأوعبت قريش فلم يتخلف من

أشرافها أحد إلا أبو لهب بن عبد المطلب تخلف فبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة وكان لط له بأربعة آلاف درهم كانت له عليه فأفلس بها فاستأجره بها على أن يجزئ عنه بعثه فخرج عنه وتخلف أبو لهب
هكذا في الحديث
فذكر أبو عبيدة وابن الكلبي إن أبا لهب قامر العاصي بن هشام في مائة من الإبل فقمره أبو لهب ثم عاد فقمره أيضا ثم عاد فقمره أيضا الثالثة فذهب بكل ما كان يملكه
فقال له العاصي أرى القداح قد حالفتك يابن عبد المطلب هلم نجعلها على أينا يكون عبدا على لصاحبه قال ذلك لك فدحاها فقمره أبو لهب فأسلمه قينا وكان يأخذ منه ضريبة
فلما كان يوم بدر وأخذت قريش كل من لم يخرج بإخراج رجل مكانه أخرجه أبو لهب عنه وشرط له العتق فخرج فقتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه

رجع الحديث إلى وقعة بدر

قال محمد بن إسحاق وحدثني عبد الله بن أبي نجيح
أن أمية بن خلف كان قد أجمع القعود وكان شيخا جليلا جسيما ثقيلا فجاءه عقبة بن أبي معيط وهو جالس في المسجد بين ظهراني قومه بمجمرة يحملها فيها نار ومجمر حتى وضعها بين يديه ثم قال يا أبي علي استجمر
فإنما أنت من النساء قال قبحك الله وقبح ما جئت به ثم تجهز وخرج مع الناس
فلما فرغوا من جهازهم وأجمعوا السير ذكروا ما كان بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب فقالوا إنا نخشى أن يأتوا من خلفنا
قال محمد بن إسحاق فحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال لما أجمعت قريش المسير ذكرت الذي بينها وبين بني بكر بن عبد مناة فكاد ذلك أن يثبطهم فتبدى لهم إبليس في صورة سراقة بن جعشم المدلجي وكان من أشراف بني كنانة فقال إني جار لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه فخرجوا سراعا

جيش النبي

وخرج رسول الله فيما بلغني عن غير ابن إسحاق لثلاث ليال خلون من شهر رمضان المعظم في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا من أصحابه
فاختلف في مبلغ الزيادة على العشرة فقال بعضهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا
وكان المهاجرون يوم بدر سبعة وسبعين رجلا وكان الأنصار مائتين وستة وثلاثين رجلا وكان صاحب راية رسول الله علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان صاحب راية الأنصار سعد بن عبادة
حدثنا محمد قال حدثنا هارون بن إسحاق قال حدثنا مصعب بن المقدام قال أبو جعفر وحدثني محمد بن إسحاق الأهوازي قال حدثنا أبو أحمد الزبيري قال حدثنا إسرائيل قال حدثنا أبو إسحاق عن البراء قال
كنا نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر ولم يجز معه إلا مؤمن ثلاثمائة وبضعة عشر

تأييد الأنصار للنبي

قال ابن إسحاق في حديثه عمن روى عنه وخرج رسول الله في أصحابه وجعل على الساقة قيس بن أبي صعصعة أخا بني مازن بن النجار في ليال مضت من رمضان فسار حتى إذا كان قريبا من الصفراء بعث بسبس بن عمرو الجهني حليف بني ساعدة وعدي بن أبي الزغباء حليف بني النجار إلى بدر يتجسسان له الخبر عن أبي سفيان بن حرب وغيره ثم ارتحل رسول الله وقدمهما فلما استقبل الصفراء وهي قرية بين جبلين سأل عن جبليها ما اسماهما فقيل يقال لأحدهما هذا مسلح وللآخر هذا مخرىء وسأل عن أهلها فقالوا بنو النار وبنو حراق بطنان من غفار فكرههما رسول الله والمرور بينهما وتفاءل باسميهما وأسماء أهاليهما فتركهما والصفراء يسارا وسلك ذات اليمين على واد يقال له ذفران فخرج منه حتى إذا كان ببعضه نزل وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم فاستشار النبي الناس وأخبرهم عن قريش فقام أبو بكر فقال فأحسن ثم قام عمر فقال فأحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك
والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا
قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون معلمون
فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد يغني مدينة الحبشة لجالدنا معك حتى تبلغه
فقام رسول الله خيرا ودعا له بخير
حدثنا محمد قال حدثنا محمد بن عبيد المحاربي قال حدثني إسماعيل بن إبراهيم أبو يحيى قال حدثنا المخارق عن طارق عن عبد الله بن مسعود قال
شهدت من المقداد مشهدا لأن أكون صاحبه أحب إلي مما في الأرض من كل شيء كان رجلا فارسا وكان رسول الله إذا غضب احمارت وجنتاه فأتاه المقداد على تلك الحال فقال أبشر يا رسول الله فوالله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى إذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون لكن والذي بعثك بالحق لنكونن بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وشمالك أو يفتح الله تبارك وتعالى

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق

ثم قال رسول الله (أشيروا علي أيها الناس) وإنما يريد الأنصار وذلك أنهم كانوا عدد الناس وأنهم حين بايعوا بالعقبة قالوا يا رسول الله إنا براء من ذمامك حتى تصير إلى دارنا فإذا وصلت فأنت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأبناءنا ونساءنا
فكان رسول الله يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصرته إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو في غير بلادهم
فلما قال ذلك رسول الله قال له سعد بن معاذ والله لكأنك تريدنا يا رسول الله
(قال (أجل
قال فقد آمنا بك يا رسول الله وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة

فامض بنا يا رسول الله لما أردت فنحن معك
فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر وخضته لخضناه معك ما يتخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدوا غدا
إنا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء لعل الله تعالى أن يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله
فسر رسول الله بقول سعد ونشطه ذلك ثم قال (سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم) ثم ارتحل رسول الله من ذفران وسلك على ثنايا يقال لها الأصافر ثم انحط على بلد يقال لها الدبة ثم ترك الحنان بيمين وهو كثيب عظيم كالجبل ثم نزل قريبا من بدر فركب هو ورجل من أصحابه قال الطبري قال محمد بن إسحاق حدثني محمد بن يحيى بن حبان حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم فقال الشيخ لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما
(فقال له رسول الله (إذا أخبرتنا أخبرناك
(فقال أوذاك بذاك فقال (نعم
قال الشيخ فإنه بلغني أن محمدا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا فإن كان صدقني الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي به رسول الله وبلغني أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا فإن كان الذي حدثني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي به قريش
فلما فرغ من خبره قال
ممن أنتما فقال رسول الله (نحن من ماء) ثم انصرف الشيخ عنه قال يقول الشيخ ما من ماء أمن ماء العراق ثم رجع رسول الله إلى أصحابه
فلما أمسى بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه إلى بدر يلتمسون له الخبر عليه قال محمد بن إسحاق حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير فأصابوا راوية لقريش فيها أسلم غلام بني الحجاج وعريض أبو يسار غلام بني العاصي بن سعيد فأتوا بهما رسول الله وهو يصلي فسألوهما فقالا نحن سقاة لقريش بعثونا نسقيهم من الماء
فكره القوم خبرهما ورجوا أن يكونا لأبي سفيان فضربوهما فلما أذلقوهما قالا نحن لأبي سفيان فتركوهما وركع رسول الله وسجد سجدتين ثم سلم ثم قال (إذا صدقاكم ضربتموهما فإذا كذباكم تركتموهما صدقا والله إنهما لقريش أخبراني أين قريش) قالا هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى والكثيب العقنقل فقال لهما رسول الله (كم القوم) قالا لا ندري
قال (كم ينحرون كل يوم) قالا يوما تسعا ويوما عشرا
(فقال رسول الله (القوم ما بين التسعمائة والألف
ثم قال لهما رسول الله (فمن فيهم من أشراف قريش) قالا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البختري بن هشام وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد والحارث بن عامر بن نوفل وطعيمة بن عدي والنضر بن الحارث وزمعة بن الأسود وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف ونبيه ومنبه ابن الحجاج وسهيل بن عمرو وعمرو بن ود
(فأقبل رسول الله على الناس فقال (هذه مكة قد رمت إليكم أفلاذ كبدها
قال ابن إسحاق وقد كان بسبس بن عمرو وعدي بن أبي الزغباء مضيا حتى
نزلا بدرا فأناخا إلى تل قريب من الماء ثم أخذا شنا يستسقيان فيه ومجدي بن عمرو الجهني على الماء فسمع عدي وبسبس جاريتين من جواري الحاضر وهما تتلازمان على الماء والملزومة تقول لصاحبتها إنما تأتي العير غدا أو بعد غد فأعمل لهم ثم أقضيك الذي لك
قال مجدي صدقت ثم خلص بينهما
وسمع ذلك عدي وبسبس فجلسا على بعيريهما ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله فأخبراه بما سمعا
وأقبل أبو سفيان قد تقدم العير حذرا حتى ورد الماء فقال لمجدي بن عمرو هل أحسست أحدا قال ما رأيت أحدا أنكره إلا أني رأيت راكبين أناخا إلى هذا التل ثم استقيا في شن لهما ثم انطلقا
فأتى أبو سفيان مناخهما فأخذا من أبعار بعيريهما ففته فإذا فيه النوى فقال هذه والله علائف يثرب فرجع إلى أصحابه سريعا فصرف وجه عيره عن الطريق فساحل بها وترك بدرا يسارا ثم انطلق حتى أسرع
وأقبلت قريش فلما نزلوا الجحفة رأى جهيم بن أبي الصلت بن مخرمة بن عبد المطلب بن عبد مناف رؤيا فقال إني رأيت فيما يرى النائم وإني لبين النائم واليقظان إذ نظرت إلى رجل أقبل على فرس ومعه بعير له ثم قال قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو الحكم بن هشام وأمية بن خلف وفلان وفلان فعدد رجالا ممن قتل يومئذ من أشراف قريش ورأيته ضرب في لبة بعيره ثم أرسله في العسكر فما بقي خباء من أخبية العسكر إلا أصابه نضح من دمه
قال فبلغت أبا جهل فقال وهذا أيضا نبي آخر من بني عبد المطلب سيعلم غدا من المقتول إن نحن التقينا
ولما رأى أبو سفيان قد أحرز عيره أرسل إلى
قريش إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجاها الله فارجعوا فقال أبو جهل والله لا نرجع حتى نرد بدرا وكان بدر موسما من مواسم العرب تجتمع به لهم بها سوق كل عام فنقيم عليه ثلاثا وننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقي الخمور وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب بمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدا فأمضوا
فقال الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي وكان حليفا لبني زهرة وهم بالجحفة يا بني زهرة قد نجى الله لكم عيركم وخلص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل وإنما نفرتم لتمنعوه وماله فاجعلوا بي جبنها وارجعوا فإنه لا حاجة بكم في أن تخرجوا في غير ضيعة لما يقول هذا يعني أبا جهل فلم يشهدها زهري وكان فيهم مطاعا ولم يكن بقي من قريش بطن إلا نفر منهم ناس إلا بني عدي بن كعب لم يخرج منهم رجل واحد
فرجعت بنو زهرة مع الأخنس بن شريق فلم يشهد بدرا من هاتين القبيلتين أحد
ومضى القوم
وقد كان بين طالب بن أبي طالب وكان في القوم وبين بعض قريش محاورة فقالوا والله لقد عرفنا يا بني هاشم وإن خرجتم معنا أن هواكم لمع محمد فرجع طالب إلى مكة فيمن رجع
وأما ابن الكلبي فإنه قال فيما حدثت عنه شخص طالب بن أبي طالب إلى بدر مع المشركين أخرج كرها فلم يوجد في

الأسرى ولا في القتلى ولم يرجع إلى أهله وكان شاعرا وهو الذي يقول
(يا رَبِّ إمَّا يَغْزُوَنْ طالِبْ ... في مِقْنَبٍ من هذه المَقَانِبْ)
(فَلْيَكُن المسلوبَ غيرَ السالِبْ ... وليكن المغلوبَ غيرَ الغالبْ)
رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق
قال ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي خلف العقنقل
وبطن الوادي وهو يليل بين بدر وبين العقنقل الكثيب الذي خلفه قريش
والقليب ببدر من العدوة الدنيا من بطن يليل إلى المدينة
وبعث الله عز وجل السماء وكان الوادي دهسا فأصاب النبي وأصحابه منها ما لبد لهم الأرض ولم يمنعهم المسير وأصاب قريشا منها ما لم يقدروا على أن يرتحلوا معه
فخرج رسول الله يبادرهم إلى الماء حتى حاذى ماء من مياه بدر فنزل به
قال ابن إسحاق فحدثني عشرة رجال من بني سلمة ذكروا أن الحباب بن المنذر بن الجموح قال يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة قال (بل هو الرأي والحرب والمكيدة) فقال يا رسول الله إن هذا ليس لك بمنزل فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من مياه القوم فتنزله ثم تعور ما سواه من القلب ثم تبني عليه حوضا فتملأه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربوا
(فقال رسول الله (لقد أشرت بالرأي
فنهض رسول الله ومن معه من الناس حتى أتى أدنى ماء من القوم فنزل عليه ثم أمر بالقلب فعورت وبنوا حوضا على القليب الذي نزل عليه فملىء ماء ثم قذفوا فيه الآنية

النبي يراقب من عريش بني له

قال محمد بن إسحاق فحدثني محمد بن أبي بكر أن سعد بن معاذ قال يا رسول الله نبني لك عريشا من جريد فتكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فإن نحن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد حبا لك منهم ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك فأثنى عليه رسول الله
خيرا ودعا له بخير ثم بني لرسول الله عريش فكان فيه
وقد ارتحلت قريش حين أصبحت وأقبلت
فلما رآها رسول الله تصوب من العقنقل وهو الكثيب الذي منه جاؤوا إلى الوادي قال (اللهم هذي قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني اللهم فأحنهم الغداة
وقد قال رسول الله ورأى عتبة بن ربيعة في القوم على جمل له أحمر (إن يكن عند أحد من القوم خير فعند صاحب
(الجمل الأحمر إن يطيعوه يرشدوا
وقد كان خفاف بن إيماء بن رحضة الغفاري أو أبوه أيما بن رحضة بعث إلى قريش حين مروا به ابنا له بجزائر أهداها لهم وقال لهم إن أحببتم أن نمدكم بسلاح ورجال فعلنا فأرسلوا إليه مع ابنه أن وصلتك رحم فقد قضيت الذي عليك فلعمري لئن كنا إنما نقاتل الناس فما بنا ضعف عنهم ولئن كنا نقاتل الله كما يزعم محمد فما لأحد بالله من طاقة فلما نزل الناس أقبل نفر من قريش حتى وردوا الحوض حوض رسول الله
فقال رسول الله (دعوهم) فما شرب منهم رجل إلى قتل يومئذ إلا ما كان من حكيم بن حزام فإنه لم يقتل نجا على فرس له يقال له الوجيه وأسلم بعد ذلك فحسن إسلامه فكان إذا اجتهد في يمينه قال والذي نجاني من يوم بدر
قال محمد بن إسحاق وحدثني أبي إسحاق بن يسار وغيره من أهل العلم عن أشياخ من الأنصار قالوا
لما اطمأن القوم بعثوا عمير بن وهب الجمحي فقالوا احزر لنا أصحاب محمد فاستجال بفرسه حول العسكر ثم رجع إليهم فقال ثلاثمائة رجل يزيدون قليلا أو ينقصونه ولكن أمهلوني حتى أنظر أللقوم كمين أو مدد
قال فضرب في الوادي حتى أمعن فلم ير شيئا فرجع فقال لم أر شيئا ولكن قد
رأيت يا معشر قريش الولايا تحمل المنايا نواضح يثرب تحمل الموت الناقع قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلا منكم فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك فروا رأيكم فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى في الناس فأتى عتبة بن ربيعة وقال يا أبا الوليد إنك كبير قريش الليلة وسيدها والمطاع فيها هل لك إلى أمر لا تزال تذكر منه بخير إلى آخر الدهر قال وما ذاك يا حكيم قال ترجع بالناس وتحمل دم حليفك عمرو بن الحضرمي
قال قد فعلت أنت على ذلك شهيد إنما هو حليفي فعلي عقله وما أصيب من ماله فأت ابن الحنظلية فإني لا أخشى أن يسحر الناس غيره يعني أبا جهل بن هشام
حدثنا محمد قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا غمامة بن عمرو السهمي قال حدثنا مسور بن عبد الملك اليربوعي عن أبيه عن سعيد بن المسيب قال
بينا نحن عند مروان بن الحكم إذ دخل عليه حاجبه فقال هذا أبو خالد حكيم بن حزام
قال إيذن له فلما دخل حكيم بن حزام قال مرحبا بك يا أبا خالد أدن فحال له مروان عن صدر المجلس حتى كان بينه وبين الوسادة ثم استقبله مروان فقال حدثنا حديث بدر
قال خرجنا حتى إذا نزلنا الجحفة رجعت قبيلة من قبائل قريش بأسرها فلم يشهد أحد من مشركيهم بدرا ثم خرجنا حتى نزلنا العدوة التي قال الله عز وجل فجئت عتبة بن ربيعة فقلت يا أبا الوليد هل لك أن تذهب بشرف هذا اليوم ما بقيت قال أفعل ماذا قال قلت إنكم لا تطلبون من محمد إلا دم واحد ابن الحضرمي وهو حليفك فتحمل ديته فيرجع الناس
قال أنت وذاك وأنا أتحمل ديته فاذهب إلى ابن الحنظلية يعني أبا جهل فقل له هل لك أن ترجع اليوم بمن معك عن ابن عمك فجئته فإذا هو في جماعة من بين يديه ومن ورائه فإذا ابن الحضرمي واقف على رأسه وهو يقول قد فسخت عقدي من بني عبد شمس وعقدي إلى بني مخزوم
فقلت له يقول لك عتبة بن ربيعة هل لك أن ترجع اليوم عن ابن عمك بمن معك قال أما وجد رسولا غيرك قلت لا ولم أكن لأكون رسولا لغيره

قال حكيم فخرج مبادرا إلى عتبة وخرجت معه لئلا يفوتني من الخبر شيء وعتبة يتكىء على إيماء بن رحضة الغفاري وقد أهدى إلى المشركين عشر جزائر فطلع أبو جهل والشر في وجهه فقال لعتبة انتفخ سحرك فقال عتبة فستعلم فسل أبو جهل سيفه فضرب به متن فرسه فقال إيماء بن رحضة بئس المقام هذا فعند ذلك قامت الحرب
رجع الحديث إلى ابن إسحاق
ثم قام عتبة بن ربيعة خطيبا فقال يا معشر قريش والله ما تصنعون بأن تلقوا محمدا وأصحابه شيئا والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل منكم ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه رجل قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلا من عشيرته فارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب فإن أصابوه فذلك الذي أردتم وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تعدموا منه ما تريدون قال حكيم فانطلقت حتى جئت أبا جهل فوجدته قد نثل درعا له من جرابها وهو يهيئها فقلت له يا أبا الحكم إن عتبة أرسلني إليك بكذا وكذا الذي قال فقال انتفخ والله سحره حين رأى محمدا وأصحابه
كلا والله لا مرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد وأصحابه وما بعتبة ما قال ولكنه قد رأى أن محمدا وأصحابه أكلة جزور وفيهم ابنه قد
تخوفكم عليه
ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي فقال له هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس وقد رأيت ثأرك بعينك فقم فانشد خفرتك ومقتل أخيك
فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف ثم صرخ واعمراه واعمراه فحميت الحرب وحقب أمر الناس واستوسقوا على ما هم عليه من الشر وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة بن ربيعة
ولما بلغ عتبة قول أبي جهل انتفخ سحره قال سيعلم مصفر الإست من انتفخ سحره أنا أم هو ثم التمس عتبة بيضة ليدخلها في رأسه فلم يجد في الجيش بيضة تسعه من عظم هامته فلما رأى ذلك اعتجر على رأسه ببرد له
وقد خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي وكان رجلا شرسا سيىء الخلق فقال أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه
فلما خرج وخرج له حمزة بن عبد المطلب فلما التقيا ضربه حمزة فأبان قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله دما نحو أصحابه ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يريد أن يبر يمينه
مقتل بعض أعداء النبي
وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض
ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة حتى إذا نصل من الصف دعا إلى المبارزة فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة نفر وهم عوف ومعوذ ابنا الحارث وأمهما عفراء ورجل آخر يقال هو عبد الله بن رواحة فقالوا من أنتم قالوا
رهط من الأنصار قالوا ما لنا بكم حاجة
ثم نادى مناديهم يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا
(فقال رسول الله (قم يا حمزة بن عبد المطلب قم يا عبيدة بن الحارث قم يا علي بن أبي طالب
فلما قاموا ودنوا منهم قالوا من أنتم فقال عبيدة عبيدة وقال حمزة حمزة وقال علي علي
قالوا نعم أكفاء كرام
فبارز عبيدة بن الحارث وكان أسن القوم عتبة بن ربيعة وبارز حمزة شيبة بن ربيعة وبارز علي الوليد بن عتبة فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله
وأما علي فلم يمهل الوليد بن عتبة أن قتله
واختلف عبيدة وعتبة بينهما بضربتين كلاهما أثبت صاحبه فكر حمزة وعلي على عتبة بأسيافهما فذففا عليه فقتلاه واحتملا صاحبهما عبيدة فجاءا به إلى أصحابه وقد قطعت رجله ومخه يسيل
فلما أتوا بعبيدة إلى رسول الله قال ألست شهيدا يا رسول الله قال (بلى) فقال عبيدة لو كان أبو طالب حيا لعلم أني بما قال أحق منه حيث يقول
(ونُسْلِمُه حتَّى نُصَرَّعَ حولَه ... ونَذْهَلَ عن أبنائنا والحَلائِلِ)
قال محمد بن إسحاق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن عتبة بن ربيعة قال للفتية من الأنصار حين انتسبوا له أكفاء كرام إنما نريد قومنا
ثم تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض وقد أمر رسول الله أصحابه ألا يحملوا حتى يأمرهم وقال (إن اكتنفكم القوم فانضحوهم بالنبل) ورسول الله في العريش معه أبو بكر
وكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان قال ابن إسحاق كما حدثني أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين
قال محمد بن جرير وحدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال قال لي محمد بن إسحاق حدثني حبان بن واسع بن حبان عن أشياخ من قومه
أن رسول الله عدل صفوف أصحابه يوم بدر وفي يده قدح يعدل به القوم فمر بسواد بن غزية حليف بني عدي بن النجار وهو مستنتل من الصف فطعن رسول الله في بطنه بالقدح ثم قال (استو يا سواد بن غزية) فقال يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق فأقدني
قال فكشف رسول الله عن بطنه وقال (استقد) فاعتنقه وقبل بطنه فقال (ما حملك على هذا يا سواد) فقال يا رسول الله حضر ما ترى فلم آمن الموت فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك فدعا له رسول الله بخير وقال له خيرا
ثم عدل رسول الله الصفوف ورجع إلى العريش ودخله ومعه أبو بكر وليس معه غيره ورسول الله يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول فيما يقول (اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم يعني المسلمين لا تعبد بعد اليوم) وأبو بكر يقول يا نبي الله خل بعض مناشدتك ربك فإن الله منجز لك ما وعدك
حدثنا محمد بن جرير قال حدثنا محمد بن عبيد المحاربي قال حدثنا عبد الله بن المبارك عن عكرمة بن عمار قال حدثني سماك الحنفي قال سمعت ابن عباس يقول حدثني عمر بن الخطاب قال

لما كان يوم بدر ونظر رسول الله إلى المشركين وعدتهم وإلى أصحابه وهم نيف على ثلاثمائة استقبل الكعبة وجعل
فلم (يدعو ويقول (اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تبعد في الأرض
يزل كذلك حتى سقط رداؤه فأخذ أبو بكر فوضع رداءه عليه ثم التزمه من روائه فقال كفاك يا نبي الله بأبي أنت وأمي
مناشدتك لربك سينجز لك ما وعدك
(فأنزل الله تعالى (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين
حدثنا محمد قال حدثنا ابن وكيع قال حدثنا الثقفي يعني عبد الوهاب عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس
أن النبي قال وهو في قبته يوم بدر (اللهم أسألك عهدك ووعدك
(اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم
قال فأخذ أبو بكر بيده فقال حسبك يا نبي الله فقد ألححت على ربك وهو في الدرع فخرج وهو يقول (سيهزم الجمع
(ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر
رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق
النبي يبشر بالنصر
قال وقد خفق رسول الله خفقه وهو في العريش ثم انتبه فقال (يا أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده
(وعلى ثناياه النقع
قال وقد رمي مهجع مولى عمر بن الخطاب بسهم فقتل فكان أول قتيل من المسلمين
ثم رمي حارثة بن سراقة أحد بني عدي بن النجار وهو يشرب من الحوض بسهم فأصاب نحره فقتل
ثم خرج رسول الله إلى الناس فحرضهم ونفل كل امرئ ما أصاب وقال (والذي نفسي بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل
(صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة
فقال عمير بن الحمام أخو بني سلمة وفي يده تمرات يأكلها بخ بخ أما بيني وبين أن أدخل
الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء قال ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل وهو يقول
(ركْضاً إلى اللهِ بغيرِ زَادِ ... إلاّ التُّقَى وعَمَلَ المَعَادِ)
(والصَّبْرَ في اللهِ على الجِهادِ ... وكلُّ زَادٍ عُرْضةُ النَّفادِ)
(... غيرَ التُّقَى والبِرِّ والرَّشادِ)
حدثنا محمد بن جرير قال حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثنا محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة
أن عوف بن الحارث وهو ابن عفراء قال يا رسول الله ما يضحك الرب من عبده قال غمسه يده في العدو حاسرا فنزع درعا
كانت عليه فقذفها ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل
هزيمة المشركين
حدثنا محمد قال حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق قال وحدثني محمد بن مسلم الزهري عن عبد الله
بن ثعلبة بن صعير العذري حليف بني زهرة قال
لما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قال أبو جهل اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا يعرف فأحنه الغداة فكان هو
المستفتح على نفسه
ثم إن رسول الله أخذ حفنة من الحصباء واستقبل بها قريشا ثم قال (شاهت الوجوه) ثم نفحهم بها وقال لأصحابه
(شدوا) فكانت الهزيمة فقتل الله من قتل من صناديد قريش وأسر من أسر منهم
فلما وضع القوم أيديهم يأسرون ورسول الله في العريش وسعد بن معاذ قائم على باب العريش
الذي فيه رسول الله متوشحا بالسيف في نفر من الأنصار يحرسون رسول الله يخافون عليه كرة العدو رأي رسول الله فيما
ذكر لي في وجه سعد بن معاذ الكراهة فيما يصنع الناس فقال له (كأنك كرهت ما يصنع الناس) قال أجل يا رسول الله
كانت أول وقعة أوقعها الله عز وجل بأهل الشرك فكان الإثخان في القتل أعجب إلي من استبقاء الرجال
حدثنا محمد قال حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق قال وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد عن
بعض أهله عن ابن عباس
أن رسول الله قال لأصحابه يومئذ (إني قد عرفت أن رجالا من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرها لا حاجة لهم بقتالنا
فمن لقي منكم أحدا من بني هاشم فلا يقتله ومن لقي أبا البختري بن هشام بن الحارث فلا يقتله ومن لقي العباس
(بن عبد المطلب عم رسول الله فلا يقتله فإنما خرج مستكرها
قال فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة أيقتل آباؤنا وأبناؤنا وإخواننا وعشيرتنا ونترك العباس والله لئن لقيته لألحمنه السيف
فبلغت رسول الله فجعل يقول لعمر بن الخطاب (يا أبا حفص أما تسمع إلى قول أبي حذيفة يقول أضرب وجه عم رسول
(الله بالسيف
فقال عمر يا رسول الله دعني فلأضربن عنقه بالسيف فوالله لقد نافق
قال عمر والله إنه لأول يوم كناني فيه رسول الله بأبي حفص
النبي ينهي عن قتل أبي البختري
قال فكان أبو حذيفة يقول ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ ولا أزال منها خائفا إلا أن تكفرها عني الشهادة
فقتل يوم اليمامة شهيدا
قال وإنما نهى رسول الله عن قتل أبي البختري لأنه كان أكف القوم عن رسول الله وهو بمكة كان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه
بمكة شيء يكرهه وكان ممن قام في نقض الصحيفة التي كتبت قريش على بني هاشم وبني المطلب
فلقيه المجذر بن ذياد البلوي حليف الأنصار من بني عدي فقال المجذر بن ذياد لأبي البختري إن رسول الله قد نهى عن
قتلك ومع أبي البختري زميل له خرج معه من مكة وهو جنادة بن مليحة بن زهير بن الحارث بن أسد وجنادة رجل من
بني ليث
واسم أبي البختري العاصي بن هشام بن الحارث بن أسد قال وزميلي فقال المجذر لا والله ما نحن بتاركي زميلك ما
أمرنا رسول الله إلا بك وحدك
قال والله إذا لأموتن أنا وهو جميعا لا تتحدث عني نساء قريش بين أهل مكة أني تركت زميلي حرصا على الحياة
فقال أبو البختري حين نازله المجذر وأبى إلا القتال وهو يرتجز

(لن يُسْلِمَ ابنُ حُرَّةٍ أكِيلَه ... حتّى يموتَ أو يرى سبيلَه)
فاقتتلا فقتله المجذر بن ذياد
ثم أتى المجذر بن ذياد رسول الله فقال والذي بعثك بالحق لقد جهدت عليه أن يستأسر فآتيك به فأبى إلا القتال فقاتلته فقتلته
قال محمد بن إسحاق وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال وحدثنيه أيضا عبد الله بن أبي بكر وغيرهما عن عبد الرحمن بن عوف قال
كان أمية بن خلف لي صديقا بمكة
قال وكان اسمي عبد عمرو فسميت حين أسلمت عبد الرحمن ونحن بمكة
قال وكان يلقاني بمكة فيقول يا عبد عمرو أرغبت عن اسم سماك به أبواك فأقول نعم فيقول فإني لا أعرف الرحمن فاجعل بيني وبينك شيئا أدعوك به أما أنت فلا تجيبني باسمك الأول وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف
قال فكان إذا دعاني يا عبد عمرو لم أجبه
فقلت اجعل بيني وبينك يا أبا علي ما شئت
قال فأنت عبد الإله
فقلت نعم
قال فكنت إذا مررت به قال يا عبد الإله فأجيبه فأتحدث معه
حتى إذا كان يوم بدر مررت به وهو واقف مع علي ابنه آخذا بيده ومعي أدراع قد سلبتها وأنا أحملها
فلما رآني قال يا عبد عمرو فلم أجبه
فقال يا عبد الإله قلت نعم
قال هل لك في فأنا خير لك من هذه الأدراع قلت نعم هلم إذا
فطرحت الأدراع من يدي وأخذت بيده وبيد ابنه علي وهو يقول ما رأيت كاليوم قط أما لكم حاجة في اللبن ثم خرجت أمشي بينهما
قال ابن إسحاق وحدثني عبد الواحد بن أبي عون عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف قال
قال لي أمية بن خلف وأنا بينه وبين ابنه آخذ بأيديهما يا عبد الإله من الرجل المعلم منكم بريش نعامة في صدره قال قلت ذلك حمزة بن عبد المطلب
قال ذلك الذي فعل بنا الأفاعيل
قال عبد الرحمن فوالله إني لأقودهما إذ رآه بلال معي وكان هو الذي يعذب بلالا بمكة على أن يترك الإسلام فيخرجه إلى رمضاء مكة إذا حميت فيضجعه على ظهره ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول لا تزال هكذا حتى تفارق دين محمد فيقول بلال أحد أحد فقال بلال حين رآه رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجوا قال قلت أي بلال أبأسيري قال لا نجوت إن نجوا قلت أي بلال أبأسيري تسمع يابن السوداء قال لا نجوت إن نجوا ثم صرخ بأعلى صوته يا أنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجوا
قال فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المسكة وأنا أذب عنه
قال فأخلف رجل السيف فضرب رجل ابنه فوقع وصاح أمية صيحة ما سمعت بمثلها قط
قال قلت انج بنفسك ولا نجاء فوالله ما أغني عنك شيئا
قال فهبروهما بأسيافهم حتى فرغوا منهما
قال فكان عبد الرحمن يقول رحم الله بلالا ذهب بأدراعي وفجعني بأسيري
الملائكة يؤازرون النبي في بدر
قال ابن إسحاق حدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث عن ابن عباس قال حدثني رجل من بني غفار قال
أقبلت أنا وابن عم لي حتى أصعدنا في جبل يشرف بنا على بدر ونحن مشركان ننتظر الوقعة على من تكون الدبرة فننهب مع من ينهب
فبينا نحن في الجبل إذ دنت منا سحابة فسمعنا فيها حمحمة الخيل وسمعت قائلا يقول
أقدم حيزوم
قال فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه وأما أنا فكدت أهلك ثم تماسكت
قال محمد بن إسحاق حدثني أبي إسحاق بن يسار عن رجال من بني مازن بن النجار عن أبي داود المازني وكان شهد بدرا قال
إني لأتبع رجلا من المشركين يوم بدر لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي فعلمت أنه قد قتله غيري
حدثنا محمد بن جرير قال حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم المصري قال حدثنا يحيى بن بكير قال حدثني محمد بن إسحاق عن العلاء بن كثير عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف قال قال لي أبي يا بني لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا ليشير إلى المشرك بسيفه فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف
حدثنا محمد قال حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد قال وحدثني الحسن بن عمارة قال أخبرنا سلمة عن الحكم بن عتيبة عن مقسم مولى عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن عباس قال
كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضا قد أرسلوها على ظهورهم ويوم حنين عمائم حمرا ولم نقاتل الملائكة في يوم من الأيام سوى يوم بدر وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام مددا وعددا ولا يضربون
حدثنا محمد قال حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال قال محمد وحدثني
ثور بن زيد مولى بني الديل عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس قال وحدثني عبد الله بن أبي بكر قالا كان معاذ بن عمرو بن الجموح أخو بني سلمة يقول
(لما فرغ رسول الله من غزوة بدر أمر بأبي جهل أن يلتمس في القتلى وقال (اللهم لا يعجزنك
وكان أول من لقي أبا جهل معاذ بن عمرو بن الجموح قال سمعت القوم وأبو جهل في مثل الحرجة وهم يقولون أبو الحكم

لا يخلص إليه
فلما سمعتها جعلتها من شأني فعمدت نحوه فلما أمكنني حملت عليه فضربته ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه فوالله ما شبهتها حين طاحت إلا كالنواة تطيح من تحت مرضخة النوى حين يضرب بها
قال وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي فتعلقت بجلدة من جنبي وأجهضني القتال عنها فلقد قاتلت عامة يومي وإني لأسحبها خلفي فلما أذتني جعلت عليها رجلي ثم تمطيت بها حتى طرحتها
قال ثم عاش معاذ بعد ذلك حتى كان في زمن عثمان بن عفان
قال ثم مر بأبي جهل وهو عقير معوذ بن عفراء فضربه حتى أثبته فتركه وبه رمق وقاتل معوذ حتى قتل
فمر عبد الله ابن مسعود بأبي جهل حين أمر رسول الله أن يلتمس في القتلى وقال لهم رسول الله فيما بلغني (انظروا إن خفي عليكم في القتلى إلى أثر جرح بركبته فإني ازدحمت أنا وهو يوما على مأدبة لعبد الله بن جدعان ونحن غلامان وكنت أشب أو أشف منه بيسير فدفعته فوقع على ركبتيه فخدش في إحداهما خدشا لم يزل أثره فيها بعد) فقال عبد الله بن مسعود فوجدته بآخر رمق فعرفته
فوضعت رجلي على عنقه
قال وقد كان ضبث بي مرة بمكة فآذاني ولكزني ثم قلت هل أخزاك الله يا عدو الله قال وبماذا أخزاني أعمد من رجل قتلتموه لمن الدبرة اليوم قال قلت لله ولرسوله
حدثنا محمد بن جرير قال حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد قال
زعم رجال من بني مخزوم أن ابن مسعود كان يقول قال لي أبو جهل لقد ارتقيت يا رويعي الغنم مرتقى صعبا ثم احتززت رأسه ثم جئت به رسول الله فقلت يا رسول الله هذا رأس عدو الله أبي جهل فقال رسول الله (الله الذي لا إله غيره) وكانت يمين رسول الله قلت نعم والله الذي لا إله غيره ثم ألقيت رأسه بين يدي رسول الله قال فحمد الله

النبي يكلم أصحاب القليب بعد موتهم

قال محمد بن إسحاق وحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت
لما أمر رسول الله بالقتلى أن يطرحوا في القليب طرحوا فيها إلا ما كان من أمية بن خلف فإنه انتفخ في درعه فملأها فذهبوا به ليخرجوه فتزايل فأقروه وألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة
فلما ألقوهم في القليب وقف رسول الله فقال (يأهل القليب هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فإني وجدت ما وعدني ربي حقا)
فقال له أصحابه يا رسول الله أتكلم قوما موتى قال (لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حق)
قالت عائشة والناس يقولون لقد سمعوا ما قلت لهم وإنما قال رسول الله (لقد علموا)
قال ابن إسحاق وحدثني حميد الطويل عن أنس بن مالك قال
لما سمع أصحاب رسول الله وهو يقول من جوف الليل (يأهل القليب يا عتبة بن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة ويا أبا جهل بن هشام فعدد من كان منهم في القليب هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقا) قال المسلمون يا رسول الله أتنادي قوما قد جيفوا فقال (ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني)
قال محمد بن إسحاق وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله يوم قال هذه المقالة قال (يأهل القليب بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم كذبتموني وصدقني الناس وأخرجتموني وآواني الناس وقاتلتموني ونصرني الناس)
ثم قال (هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا) للمقالة التي قالها
ولما أمر بهم رسول الله أن يلقوا في القليب أخذ عتبة فسحب إلى القليب فنظر رسول الله فيما بلغني إلى وجه أبي حذيفة بن عتبة فإذا هو كئيب قد تغير فقال رسول الله (يا أبا حذيفة لعلك قد دخلك من شأن أبيك شئ) أو كما قال قال فقال لا والله يا رسول الله ما شككت في أبي ولا في مصرعه ولكنني كنت أعرف من أبي رأيا وفضلا وحلما فكنت أرجو أن يهديه الله إلى الإسلام فلما رأيت ما أصابه وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنت أرجو له أحزنني ذلك قال فدعا رسول الله بخير وقال له خيرا

اختلاف المسلمين على الفيء

ثم إن رسول الله أمر بما في العسكر مما جمع الناس فجمع واختلف المسلمون فيه فقال من جمعه هو لنا وقد كان رسول الله نفل كل امرئ ما أصاب
فقال الذين كانوا يقاتلون العدو ويطلبونهم لولا نحن ما أصبتموه لنحن شغلنا القوم عنكم حتى أصبتم ما أصبتم
وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله مخافة أن يخالف إليه العدو والله ما أنتم بأحق منا ولقد رأينا أن نقتل العدو إذ ولانا الله ومنحنا أكتافهم ولقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن دونه من يمنعه ولكن خفنا على رسول الله كرة العدو فقمنا دونه فما أنتم بأحق به منا
قال ابن إسحاق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن رومان أن رسول الله جمع الأسارى من المشركين وكانوا أربعة وأربعين أسيرا وكان من القتلى مثل ذلك وفي الأسارى عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث بن كلدة حتى إذا كان رسول الله بالصفراء قتل النضر بن الحارث بن كلدة قتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه
قال محمد بن إسحاق حدثني عبد الله بن أبي بكر عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة قال
قدم بالأسارى حين قدم بهم وسودة بنت زمعة زوج النبي عند آل عفراء في مناحتهم على عوف ومعوذ ابني عفراء وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب
قال تقول سودة والله لعبدهم إني لعندهم إذ أتينا فقيل هؤلاء الأسارى قد أتي بهم فرحت إلى بيتي ورسول الله فيه وإذا أبو يزيد سهيل بن عمرو في ناحية الحجرة مجموعة يداه إلى عنقه بحبل
قالت فوالله ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلت يا أبا يزيد أعطيتم بأيديكم ألا متم كراما فوالله ما أنبهني إلا قول رسول الله من البيت (يا سودة أعلى الله وعلى رسوله) قالت فقلت يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي حين رأيت أبا
يزيد مجموعة يداه إلى عنقه بحبل أن قلت ما قلت
قال محمد بن إسحاق وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش الحيسمان بن عبد الله بن إياس بن ضبيعة بن رومان بن

كعب بن عمرو الخزاعي
قالوا ما وراءك قال قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو الحكم بن هشام وأمية بن خلف وزمعة بن الأسود وأبو البختري بن هشام ونبيه ومنبه ابنا الحجاج
قال فلما جعل يعدد أشراف قريش قال صفوان بن أمية وهو قاعد في الحجر والله إن يعقل هذا فسلوه عني
قالوا ما فعل صفوان بن أمية قال هو ذلك جالس في الحجر وقد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا

موت أبي لهب

قال محمد بن إسحاق حدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة مولى ابن عباس قال
قال أبو رافع مولى رسول الله كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت فأسلم العباس وأسلمت أم الفضل وأسلمت وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم وكان يكتم إسلامه وكان ذا مال كثير متفرق في قومه وكان أبو لهب عدو الله قد تخلف عن بدر وبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة وكذلك صنعوا لم يتخلف رجل إلا بعث مكانه رجلا فلما جاء الخبر عن مصاب أهل بدر من قريش كبته الله وأخزاه ووجدنا في أنفسنا قوة وعزا وكنت رجلا ضعيفا وكنت أعمل القداح انحتها في
حجرة زمزم فوالله إني لجالس فيها أنحت القداح وعندي أم الفضل جالسة وقد سرنا ما جاءنا من الخبر إذ أقبل الفاسق أبو لهب يجر رجليه يسير حتى جلس على طنب الحجرة فكان ظهره إلى ظهري
فبينا هو جالس إذ قال الناس هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم فقال أبو لهب هلم إلي يابن أخي فعندك لعمري الخبر فجلس إليه والناس قيام عليه
فقال يابن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس قال لا شيء والله إن كان إلا أن لقيناهم فأبحناهم أكتافنا يقتلون ويأسرون كيف شاؤوا وايم الله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والأرض ما تليق شيئا ولا يقوم لها شيء
قال أبو رافع فرفعت طنب الحجرة بيدي ثم قلت تلك والله الملائكة فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة
قال فساورته فاحتملني فضرب بي الأرض ثم برك علي يضربني وكنت رجلا ضعيفا فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجرة فأخذته فضربته به ضربة فشجت في رأسه شجة منكرة وقالت أتستضعفه أن غاب عنه سيده فقام ذليلا
فوالله ما عاش فيها إلا سبع ليال حتى رماه الله جل جلاله بالعدسة فقتلته فلقد تركه ابناه ليلتين أو ثلاثا لا يدفنانه حتى أنتن في بيته وكانت قريش تتقي العدسة كما يتقى الطاعون حتى قال لهما رجل من قريش ويحكما لا تستحييان أن أباكما قد أنتن في بيته لا تغيبانه فقالا نخشى هذه القرحة
قال فانطلقا فأنا معكما
فما غسلوه إلا قذفا بالماء عليه من بعيد ما يمسونه فاحتملوه فدفنوه بأعلى مكة على جدار وقذفوا عليه الحجارة حتى واروه

النبي يتألم لأسر العباس

قال محمد بن إسحاق وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله
عن الحكم بن عتيبة عن ابن عباس قال
لما أمسى القوم من يوم بدر والأسارى محبوسون في الوثاق بات رسول الله ساهرا أول ليلته
فقال له أصحابه يا رسول الله ما لك لا تنام فقال (سمعت تضور العباس في وثاقه) فقاموا إلى العباس فأطلقوه فنام رسول الله
قال ابن إسحاق وحدثني الحسن بن عمارة عن الحكم بن عتيبة عن ابن عباس قال
كان الذي أسر العباس أبو اليسر كعب بن عمرو أخو بني سلمة وكان رجلا مجموعا وكان العباس رجلا جسيما
فقال رسول الله لأبي اليسر (كيف أسرت العباس يا أبا اليسر) فقال يا رسول الله أعانني عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده هيئته كذا وكذا فقال رسول الله (لقد أعانك عليه ملك كريم)
قال ابن إسحاق عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس
أن رسول الله قال للعباس بن عبد المطلب حين انتهي به إلى المدينة (يا عباس افد نفسك وابن أخيك عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث وحليفك عتبة بن عمرو بن جحدم أخا بني الحارث بن فهر فإنك ذو مال)
فقال يا رسول الله إني كنت مسلما ولكن القوم استكرهوني
فقال (الله أعلم بإسلامك إن يكن ما تذكر حقا فالله يجزيك به فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا فافد نفسك)
وكان رسول الله قد أخذ منه عشرين أوقية من ذهب
فقال العباس يا رسول الله احسبها لي في فدائي
قال (لا ذلك شيء أعطاناه الله منك)
قال فإنه ليس لي مال
قال قال (فأين المال الذي وضعته بمكة حين خرجت من عند أم الفضل بنت الحارث ليس معكما أحد ثم قلت لها إن أصبت
في سفرتي هذه فللفضل كذا ولعبد الله كذا ولقثم كذا ولعبيد الله كذا) قال والذي بعثك بالحق ما علم هذا أحد غيري وغيرها وإني لأعلم أنك رسول الله
ففدى العباس نفسه وابن أخيه وحليفه
قال ابن إسحاق وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة قالت
لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله في فداء أبي العاصي بن الربيع بمال وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاصي حين بنى عليها
فلما رآها رسول الله رق لها رقة شديدة وقال (إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها الذي لها فافعلوا) فقالوا نعم يا رسول الله فأطلقوه وردوا عليها الذي لها
قال ابن إسحاق حدثني يحيى بن عباد عن أبيه قال
ناحت قريش على قتلاها ثم قالت لا تفعلوا فيبلغ ذلك محمدا وأصحابه فيشمتوا بكم ولا تبعثوا في فداء أسراكم حتى

تستأنوا بهم لا يتأرب عليكم محمد وأصحابه في الفداء
قال وكان الأسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده زمعة وعقيل والحارث بنو الأسود وكان يحب أن يبكي على بنيه
فبينا هو كذلك إذ سمع نائحة في الليل فقال لغلامه وقد ذهب بصره أنظر هل أحل النحيب وهل بكت قريش على قتلاها
لعلي أبكي على أبي حكيمة يعني زمعة فإن جوفي قد احترق
فلما رجع إليه الغلام قال إنما هي امرأة تبكي على بعير لها أضلته فذلك حين يقول الأسود
(أتبكي أنْ أُضِلَّ لها بعيرٌ ... ويمنَعُها البكاءُ من الهُجودِ)
(ولا تَبْكِي على بَكْرٍ ولَكِنْ ... على بَدْرٍ تَقَاصَرتِ الجُدُودُ)
(على بَدْرٍ سَرَاةَ بني هُصَيصٍ ... ومَخْزومٍ ورَهْطِ أبي الوَلِيدِ)
(وبَكِّي إنْ بَكَيْتِ على عَقِيلٍ ... وبَكِّي حارثاً أسَدَ الأُسودِ)
(وبَكِّيهم ولا تُسَمِّي جميعاً ... فما لأبي حَكِيمةَ من نَدِيدِ)
(ألا قد سادَ بَعْدَهُمُ رجالٌ ... ولولاَ يومُ بَدْرٍ لم يَسُودُوا)
ومما قيل في بدر من الشعر وغني به قول هند بنت عتبة ترثي أباها
صوت
(مَنْ حَسَّ لي الأخَوَيْنِ كَالْغُصْنَيْنِ ... أو مَنْ رَاهُمَا)
(قَرْمَانِ لا يَتظالَمَانِ ... ولا يُرامُ حِمَاهُما)
(وَيْلِي على أبَوَيَّ والْقَبْرِ ... الذي وَارَاهُمَا)
(لا مِثْلَ كَهْلِي في الكُهُولِ ... ولا فَتًى كَفَتَاهُما)
ذكر الهشامي أن الغناء لابن سريج رمل وفي الكتاب الكبير المنسوب إلى إسحاق أنه للغريض وتمام هذه الأبيات
(أسَدَانِ لا يَتَذَلَّلانِ ... ولا يُرامُ حِماهما)
(رُمْحَيْنِ خَطِّيَّيْن في ... كَبِدِ السماءِ تراهما)
(ما خَلَّفَا إذ وَدَّعا ... في سُودَدٍ شَرْوَاهما)
(سادَا بغير تَكَلُّفٍ ... عَفْواً يفيضُ نَدَاهُما
هند بنت عتبة تعاظم الخنساء بعكاظ
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني الحارث بن أبي أسامة قال حدثنا محمد ابن سعد عن الواقدي وأخبرني ابن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الواقدي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال
لما كانت وقعة بدر قتل فيها عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة فأقبلت هند بنت عتبة ترثيهم وبلغها تسويم الخنساء هودجها في الموسم ومعاظمتها العرب بمصيبتها بأبيها عمرو بن الشريد وأخويها صخر ومعاوية وأنها جعلت تشهد الموسم وتبكيهم وقد سومت هودجها براية وأنها تقول أنا أعظم العرب مصيبة وأن العرب قد عرفت لها بعض ذلك
فلما أصيبت هند بما أصيبت به وبلغها ذلك قالت أنا أعظم من الخنساء مصيبة وأمرت بهودجها فسوم براية وشهدت الموسم بعكاظ وكانت سوقا يجتمع فيها العرب فقالت إقرنوا جملي بجمل الخنساء ففعلوا
فلما أن دنت منها قالت لها الخنساء من أنت يا أخية قالت أنا هند بنت عتبة أعظم العرب مصيبة وقد بلغني أنك تعاظمين العرب بمصيبتك فبم تعاظمينهم فقالت الخنساء بعمرو بن الشريد وصخر ومعاوية ابني عمرو وبم تعاظمينهم أنت قالت بأبي عتبة بن ربيعة وعمي شيبة بن ربيعة وأخي الوليد
قالت الخنساء أو سواء هم عندك ثم أنشدت تقول
(أُبَكِّي أبي عَمْراً بعينٍ غَزِيرةٍ ... قليلٌ إذا نام الخَلِيُّ هُجودُها)
(وصَنْوَيَّ لا أنْسَى مُعَاويةَ الذي ... له من سَرَاةِ الحَرَّتَيْنِ وفُودُها
(وصخراً ومَنْ ذا مِثلُ صخرٍ إذا غَدَا ... بساهمة الآطالِ قُبًّا يَقُودُها
(فذلِك يا هندُ الرَّزِيَّةُ فاعْلَمِي ... ونِيرانُ حَرْبٍ حين شَبَّ وَقُودُها)
فقالت هند تجيبها
(أُبَكِّي عَمِيدَ الأبْطَحَيْنِ كِلَيْهما ... وحامِيهما من كل باغٍ يُرِيدُها)
(أبِي عُتبةَ الخَيْراتِ وَيْحَكِ فاعْلَمِي ... وشَيْبةُ والحامي الذِّمارِ وليدُها)
(أولئك آلُ المَجْدِ من آلِ غالبٍ ... وفي العِزِّ منها حين يَنْمِي عَدِيدُها)
وقالت لها أيضا يومئذ
(مَنْ حَسَّ لِي الأخَوَيْنِ كَالْغُصْنَيْنِ ... أو مَنْ رَاهُما)
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني بعض القرشيين قال
قدم عبد الله بن جعفر على معاوية وافدا فدخل عليه إنسان ثم ذهب إلى معاوية فقال هذا ابن جعفر يشرب النبيذ ويسمع الغناء ويحرك رأسه عليه
فجاء معاوية متغيرا حتى دخل على ابن جعفر وعزة الميلاء بين يديه كالشمس الطالعة في كواء البيت يضيء بها البيت تغنيه على عودها
(تَبَلَتْ فُؤادَك في الظلامِ خَرِيدةٌ ... تِشْفِي الضَّجيعَ ببارِدٍ بَسّامِ)
وبين يديه عس فقال ما هذا يا أبا جعفر قال أقسمت عليك يا أمير المؤمنين لتشربن منه فإذا عسل مجدوح بمسك وكافور
فقال هذا طيب فما هذا الغناء قال هذا شعر حسان بن ثابت في الحارث بن هشام
قال فهل تغني بغير هذا قال نعم بالشعر الذي يأتيك به الأعرابي الجافي الأذفر القبيح المنظر فيشافهك به فتعطيه عليه وآخذه أنا فأختار محاسنه ورقيق كلامه فأعطيه هذه الحسنة الوجه اللينة اللمس الطيبة الريح فترتله بهذا الصوت الحسن
قال فما تحريكك رأسك قال أريحية أجدها إذا سمعت الغناء لو سئلت عندها لأعطيت ولو لقيت لأبليت
فقال معاوية قبح الله قوما عرضوني لك ثم خرج وبعث إليه بصلة
صوت من المائة المختارة
قصيدة عمر بن أبي ربيعة في نعم

(أيُّها القلبُ لا أراكَ تُفيقُ ... طَالَما قَدْ تَعَلَّقَتْكَ العَلُوقُ)
(مَنْ يَكُنْ مِنْ هَوَى حبيبٍ قريباً ... فأنا النازحُ البعيدُ السَّحِيقُ)
(قُضِيَ الحُبُّ بيننا فالتقينا ... وكلاَنَا إلى اللّقاء مَشُوقُ)
الشعر في البيت الأول والثالث لعمر بن أبي ربيعة والبيت الثاني ليس له ولكن هكذا غني وليس هو أيضا مشاكلا لحكاية ما في البيت الثالث
والغناء لبابويه الكوفي خفيف ثقيل أول
وهذا الشعر يقوله عمر بن أبي ربيعة في امرأة من قريش يقال لها نعم كان كثير الذكر لها في شعره
أخبرني بذلك محمد بن خلف بن المرزبان عن أبي عبد الله التميمي عن القحذمي والمدائني
قال وهي التي يقول فيها
(... أمِنْ آلِ نُعْمٍ أنتَ غادٍ فمُبْكِرُ)
قال وكانت تكنى أم بكر وهي من بني جمح
وتمام هذه الأبيات على ما حكاه ابن المرزبان عمن ذكرت
(فالْتَقَيْنا ولم نَخَفْ ما لَقِينَا ... ليلةَ الخَيْفِ والمُنَى قد تَشُوقُ)
((وجرى بيننا فجددَ وصلا ... قُلَّبٌ حُوَّلٌ أريبٌ رفيقُ)
(لا تَظُنِّي أنّ التَّرَاسُلَ والبَذْلَ ... لكلِّ النساءِ عندي يَلِيقُ)
(هل لكَ اليومَ إنْ نأتْ أمُّ بَكْرٍ ... وَتَولَّتْ إلى عَزَاءٍ طريقُ)
أخبرني محمد بن خلف بن المزربان قال حدثت عن محمد بن حميد عن عبد الله بن سوار القاضي عن بشر بن المفضل قال
بلغ عمر بن أبي ربيعة أن نعما اغتسلت في غدير فأتاه فأقام عليه وما زال يشرب منه حتى جف
أخبرني محمد بن خلف قال قال محمد بن حبيب الراوية
بلغني أن نعما استقبلت عمر بن أبي ربيعة في المسجد الحرام وفي يدها خلوق من خلوق المسجد فمسحت به ثوبه ومضت وهي تضحك فقال عمر
(أدخل اللّهُ ربُّ موسى وعيسى ... جَنَّةَ الخُلْدِ مَنْ مَلاَنِي خَلُوقَا)
(مسحتْه من كَفِّها في قميصي ... حين طافتْ بالبيت مَسْحاً رَفِيقَا)
(غَضِبَتْ أنْ نظرتُ نحوَ نساءٍ ... ليس يعرفْنني سَلَكْنَ طريقَا)
(وأرى بينهما وبين نساء ... كنتُ أهْذِي بهنّ بَوْناً سَحِيقَا)
وهذا البيت الأول مما عيب على عمر
ومما غني فيه من تشبيب عمر بنعم هذه
صوت
(دِينَ هذا القلبُ مِنْ نُعْمِ ... بَسقَامٍ ليس كالسُّقْمِ)
(إنّ نُعْماً أقصدتْ رجلاً ... آمناً بالخَيْفِ إذ تَرْمي)
(بِشَتِيتٍ نَبْتُه رَتِلٍ ... طَيِّبِ الأنيابِ والطَّعْمِ)
(وبِوحْفٍ مائلٍ رَجِلٍ ... كعناقِيدِ مِنَ الكَرْمِ)
ومنها
صوت
(خلِيلَيَّ اربَعَا وسَلاَ ... بمَغْنَى الحيِّ قد مثلا)
(بأعلَى الوادِ عند البئر ... هَيَّجَ عَبْرةً سَبَلاَ)
(وقد تَغْنَى به نُعْمٌ ... وكنت بوصْلِها جَذِلاَ)
(ليالي لا نحب لنا ... بعيش قد مضى بدلا)
(وتَهْوَانا ونهْوَاها ... ونَعْصِي قَوْلَ مَنْ عَذَلاَ)
(وتُرسِلُ في مُلاَطَفةٍ ... ونُعمِلُ نحوها الرُّسُلاَ)
غناه الهذلي ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق
وفيه لابن سريج لحنان رمل بالبنصر في مجراها عن إسحاق وخفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو
وفيها عن إسحاق ثاني ثقيل
ولسليم خفيف رمل جميعا عن الهشامي
قال ويقال إن اللحن المنسوب إلى سليم لحكم الوادي
ومنها من قصيدة أولها
(لقد أرسلتْ نُعْمٌ إلينا أن ائْتِنَا ... فأحبِبْ بها من مُرْسِلٍ مُتَغَضِّبِ)
يغني منها في قوله
صوت
(فقلتُ لِجَنَّادٍ خُذِ السيفَ واشْتَمِلْ ... عليه برِفْقٍ وارْقُبِ الشمس تَغْرُبِ)
(وأسْرِجْ لِيَ الدَّهْماءَ واعْجَلْ بِممْطَرِي ... ولا تُعْلِمَنْ حَيّاً مِنَ النّاسِ مَذْهَبِي)
(فلمّا التقينا سَلّمتْ وتَبسَّمتْ ... وقالتْ مقالَ المُعْرِض المُتَجَنِّبِ)
(أمِنْ أجلِ واشٍ كاشحٍ بنميمةٍ ... مشَى بيننا صَدَّقْتَه لم تُكَذِّبِ)
(وقَطَّعْتَ حبلَ الوصلِ منّا ومَن يطِعْ ... بذِي ودِّه قولَ المُؤرِّشِ يُعْتَبِ)
صوت
(ما بالُ أهْلِك يا رَبابُ ... خُزْراً كأنَّهُمُ غِضَابُ)
(إنْ زُرْتُ أهلَكِ أوْعَدُوا ... وتَهِرّ دونَهُم الكلابُ)
عروضه من الكامل

الشعر لعلس ذي جدن الحميري أخبرنا بذلك محمد ابن الحسن بن دريد عن عمه عن العباس بن هشام عن أبيه
والغناء لطويس ولحنه المختار خفيف رمل بالبنصر
نسب علس ذي جدن وأخباره
هو علس بن زيد بن الحارث بن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد الجمهور بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أعز بن الهم بن الهميسع بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان
وهو ملك من ملوك حمير
ولقب ذا جدن لحسن صوته والجدن الصوت بلغتهم ويقال إنه أول من تغنى باليمن
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن ابن الكلبي وأبي مسكين قالا إنما سمي ذا جدن لحسن صوته
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح عن ابن الكلبي عن إسماعيل بن إبراهيم بن ذي الشعار الهمداني عن حيان بن هانئ الأرحبي عن أبيه قال
ماذا كتب على قبره
أخبرني رجل من أهل صنعاء أنهم حفروا حفيرا في زمن مروان فوقفوا على أزج له باب فإذا هو برجل على سرير كأعظم ما يكون من الرجال عليه خاتم من ذهب وعصابة من ذهب وعند رأسه لوح من ذهب مكتوب فيه أنا
علس ذو جدن القيل لخليلي مني النيل ولعدوي مني الويل
طلبت فأدركت وأنا ابن مائة سنة من عمري وكانت الوحش تأذن لصوتي وهذا سيفي ذو الكف عندي ودرعي ذات الفروج ورمحي الهزبري وقوسي الفجواء وقرني ذات الشر فيها ثلاثمائة حشر من صنعة ذي نمر أعددت ذلك لدفع الموت عني فخانني
قال فنظرنا فإذا جميع ذلك عنده
ووجدت هذا الخبر عن ابن الكلبي في بعض الكتب من غير رواية ابن عمار فوجدت فيه فإذا طول السيف اثنا عشر شبرا وعليه مكتوب تحت شاربه بالمسند باست امرئ كنت في يده فلم ينتصر
انقضت أخباره
أخبار طويس ونسبه
طويس لقب واسمه طاوس مولى بني مخزوم
وهو أول من غنى الغناء المتقن من المخنثين
وهو أول من صنع الهزج والرمل في الإسلام
وكان يقال أحسن الناس غناء في الثقيل ابن محرز وفي الرمل ابن سريج وفي الهزج طويس وكان الناس يضربون به المثل فيقال أهزج من طويس
أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر والحسين بن يحيى قالا حدثنا حماد ابن إسحاق عن أبيه عن ابن الكلبي عن أبيه وأبي مسكين قال إسحاق وحدثني المدائني والهيثم بن عدي عن صالح بن كيسان
تغنى بشعر ذي جدن
أن أبان بن عثمان وفد على عبد الملك بن مروان فأمره على الحجاز فأقبل حتى إذا دنا من المدينة تلقاه أهلها وخرج إليه أشرافها فخرج معهم طويس فلما رآه سلم عليه ثم قال له أيها الأمير إني كنت أعطيت الله عهدا لئن رأيتك أميرا لأخضبن يدي إلى المرفقين ثم أزدو بالدف بين يديك ثم أبدى عن دفه وتغنى بشعر ذي جدن الحميري
(ما بالُ أهلِكِ يا ربابُ ... خزْراً كأنّهمُ غِضابُ)
قال فطرب أبان حتى كاد أن يطير ثم جعل يقول له حسبك يا طاوس
ولا يقول له يا طويس لنبله في عينه ثم قال له اجلس فجلس
فقال له أبان قد زعموا أنك كافر
فقال جعلت فداءك والله إني لأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأصلي الخمس وأصوم شهر رمضان وأحج البيت
فقال أفأنت أكبر أم عمرو بن عثمان وكان عمرو أخا أبان لأبيه وأمه فقال له طويس أنا والله جعلت فداءك مع جلائل نساء قومي أمسك بذيولهن يوم زفت أمك المباركة إلى أبيك الطيب
قال فاستحيا أبان ورمى بطرفه إلى الأرض
وأخبرني بهذه القصة إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا العتبي عن أبيه بمثل هذه القصة عن أبان وطويس
وزاد فيها أن طويسا قال له نذري أيها الأمير قال وما نذرك قال نذرت إن رأيتك أميرا في هذه الدار أن أغني لك وأزدو بدفي بين يديك
فقال له أوف بنذرك فإن الله عز وجل يقول (يوفون بالنذر) قال فأخرج يديه مخضوبتين وأخرج دفه وتغنى
(... ما بالُ أهلِكِ يا ربابُ)
وزاد فيه فقال له أبان يقولون إنك مشؤوم قال وفوق ذلك قال وما بلغ من شؤمك قال ولدت ليلة قبض النبي وفطمت ليلة مات أبو بكر رضي الله عنه واحتلمت ليلة قتل عمر رضوان الله عليه وزفت إلي أهلي ليلة قتل عثمان رضي الله عنه
قال فاخرج عني عليك الدبار
يحيى بن الحكم يهدر دمه مع المخنثين
أخبرني إسماعيل قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن الوليد قال حدثني مصعب بن عثمان عن نوفل بن عمارة قال
خرج يحيى بن الحكم وهو أمير على المدينة فبصر بشخص بالسبخة
مما يلي مسجد الأحزاب فلما نظر إلى يحيى بن الحكم جلس فاستراب به فوجه أعوانه في طلبه فأتي به كأنه امرأة في ثياب مصبغة مصقولة وهو ممتشط مختضب
فقال له أعوانه هذا ابن نغاش المخنث

فقال له ما أحسبك تقرأ من كتاب الله عز وجل شيئا إقرأ أم القرآن
فقال يا أبانا لو عرفت أمهن عرفت البنات
فقال له أتتهزأ بالقرآن لا أم لك وأمر به فضربت عنقه
وصاح في المخنثين من جاء بواحد منهم فله ثلاثمائة درهم
قال زرجون المخنث فخرجت بعد ذلك أريد العالية فإذا بصوت دف أعجبني فدنوت من الباب حتى فهمت نغمات قوم آنس بهم ففتحته ودخلت فإذا بطويس قائم في يده الدف يتغنى فلما رآني قال لي إيه يا زرجون قتل يحيى بن الحكم ابن نغاش قلت نعم قال وجعل في المخنثين ثلاثمائة درهم قلت نعم
فادفع يغني
(ما بالُ أهلكِ يا رباب ... خُزْراً كأنّهم غِضابُ)
(إن زرتُ أهلكِ أوعدوا ... وتَهِرّ دونهمُ كِلابُ)
ثم قال ويحك أفما جعل في زيادة ولا فضلني عليهم في الجعل بفضلي شيئا
أخبرني محمد بن عمرو العتابي قال حدثنا محمد بن خلف بن المرزبان ولم أسمعه أنا من محمد بن خلف قال حدثني إسحاق بن محمد بن أبان الكوفي قال حدثني حسين بن دحمان الأشقر قال
كنت بالمدينة فخلا لي الطريق وسط النهار فجعلت أتغنى
(ما بالُ أهلكِ يا رَبابُ ... خُزْراً كأنّهم غِضابُ)
قال فإذا خوخة قد فتحت وإذا وجه قد بدا تتبعه لحية حمراء فقال يا فاسق أسأت التأدية ومنعت القائلة وأذعت الفاحشة ثم اندفع يغنيه فظننت أن طويسا قد نشر بعينه فقلت له أصلحك الله من أين لك هذا الغناء فقال نشأت وأنا غلام حدث أتبع المغنين وآخذ عنهم فقالت لي أمي يا بني إن المغني إذا كان قبيح الوجه لم يلتفت إلى غنائه فدع الغناء واطلب الفقه فإنه لا يضر معه قبح الوجه
فتركت المغنين واتبعت الفقهاء فبلغ الله بي عز وجل ما ترى
فقلت له فأعد جعلت فداءك قال لا ولا كرامة أتريد أن تقول أخذته عن مالك بن أنس وإذا هو مالك بن أنس ولم أعلم

صوت من المائة المختارة

(لِمَنْ رَبْعٌ بذات الجَيْش ... أمْسَى دارساً خَلَقَا)
(وقفتُ به أُسائلهُ ... ومرّتْ عِيسُهمْ حِزَقَا)
(عَلَوْا بك ظاهرَ البَيْداءِ ... والمحزونُ قد قَلِقا)
ذات الجيش موضع
ذكر النبي أن جيشا يغزو الكعبة فيخسف بهم إلا رجلا واحدا يقلب وجهه إلى قفاه فيرجع إلى قومه كذلك فيخبرهم الخبر حدثني بهذا الحديث أحمد بن محمد الجعدي قال حدثنا محمد بن بكار قال حدثنا إسماعيل بن زكريا عن محمد بن سوقة قال سمعت نافع بن جبير بن مطعم يقول حدثتني عائشة قالت

حديث النبي عن انخساف الأرض

قال رسول الله (يغزو جيش الكعبة حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بأولهم وآخرهم) قالت عائشة فقلت يا رسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم سواهم ومن ليس منهم قال (يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على قدر نياتهم) الشعر للأحوص والغناء في هذا اللحن المختار للدلال المخنث وهو أحد من خصاه ابن حزم بأمر الوليد بن عبد الملك مع المخنثين
والخبر في ذلك يذكر بعد
ولحنه المختار من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر في الأول والثالث
ولإسحاق فيه ثقيل أول آخر
وفيه لمالك لحن من خفيف الرمل عن يونس والهشامي وغيرهما
وفيه رمل ينسب إلى ابن سريج وهو مما يشك في نسبته إليه
وقيل إن خفيف الرمل لابن سريج والرمل لمالك
وذكر حبش أن فيه للدلال خفيف ثقيل بالبنصر أيضا

ذكر الأحوص وأخباره ونسبه

هو الأحوص
وقيل إن اسمه عبد الله وإنه لقب الأحوص لحوص كان في عينيه
وهو ابن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح واسم أبي الأقلح قيس بن عصيمة بن النعمان بن أمية بن ضبيعة بن زيد بن مالك ابن عوف بن عمر بن عوف بن مالك بن الأوس
وكان يقال لبني ضبيعة بن زيد في الجاهلية بنو كسر الذهب
وقال الأحوص حين نفي إلى اليمن
(بَدّل الدّهْرُ من ضُبَيْعة عَكًّا ... جيرةً وهو يُعْقِبُ الأبْدالاَ)

خبر جده عاصم حمي الدبر

وكان جده عاصم يقال له حمي الدبر وكان رسول الله بعثه بعثا فقتله المشركون وأرادوا أن يصلبوه فحمته الدبر وهي النحل فلم يقدروا عليه حتى بعث الله عز وجل الوادي في الليل فاحتمله فذهب به
وفي ذلك يقول الأحوص مفتخرا
(وأنا ابنُ الذي حَمَتْ لحمَه الدَّبْرُ ... قتيلِ اللّحيْانِ يومَ الرّجيع)
حدثنا بالخبر في ذلك محمد بن جرير الطبري قال حدثنا ابن حميد قال
حدثنا سلمة بن الفضل قال حدثنا محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة قال
قدم على رسول الله بعد أحد رهط من عضل والقارة فقالوا يا رسول الله إن فينا إسلاما وخيرا فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهونا في الدين ويقرئونا القرآن
ويعلمونا شرائع الإسلام فبعث رسول الله معهم نفرا من ستة من أصحابه مرثد بن أبي مرثد الغنوي حليف حمزة بن عبد

المطلب وخالد بن البكير حليف بني عدي بن كعب وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح أخا بني عمرو ابن عوف وخبيب بن عدي أخا بني جحجبى بن كلفة بن عمرو بن عوف وزيد ابن الدثنة أخا بني بياضة بن عامر وعبد الله بن طارق حليفا لبني ظفر من بلي وأمر رسول الله عليهم مرثد بن أبي مرثد فخرجوا مع القوم حتى إذا كانوا على الرجيع ماء لهذيل بناحية من الحجاز من صدر الهدأة غدروا بهم واستصرخوا عليهم هذيلا فلم يرع القوم وهم في رحالهم إلا بالرجال في أيديهم السيوف قد غشوهم فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم فقالوا إنا والله ما نريد قتلكم ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئا من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه ألا نقتلكم
فأما مرثد ابن أبي مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح فقالوا إنا والله لا نقبل من مشرك عهدا ولا عقدا أبدا فقاتلوهم حتى قتلوهم جميعا
وأما زيد بن الدثنة وخبيب بن عدي وعبد الله بن طارق فلانوا ورقوا ورغبوا في الحياة وأعطوا بأيديهم فأسروهم ثم خرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها حتى إذا
كانوا بالظهران انتزع عبد الله بن طارق يده من القرآن ثم أخذ سيفه واستأخر عن القوم فرموه بالحجارة حتى قتلوه فقبره بالظهران
وأما خبيب بن عدي وزيد ابن الدثنة فقدموا بهما مكة فباعوهما
فابتاع خبيبا حجير بن أبي إهاب التميمي حليف بني نوفل لعقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل وكان حجير أخا الحارث بن عامر بن نوفل لأمه ليقتله بأبيه
وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأمية بن خلف أبيه
وقد كانت هذيل حين قتل عاصم بن ثابت قد أرادوا رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد وكانت قد نذرت حين قتل عاصم ابنها يوم أحد لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن في قحفه الخمر فمنعته الدبر
فلما حالت بينهم وبينه قالوا دعوه حتى يمسي فتذهب عنه فنأخذه
فبعث الله عز وجل الوادي فاحتمل عاصما فذهب به
وكان عاصم قد أعطى الله عز وجل عهدا لا يمسه مشرك أبدا ولا يمس مشركا أبدا تنجسا منه
فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول حين بلغه أن الدبر منعته عجبا لحفظ الله عز وجل العبد المؤمن كان عاصم نذر ألا يمسه مشرك ولا يمس مشركا أبدا في حياته فمنعه الله بعد مماته كما امتنع منه في حياته
قال محمد بن جرير وأما غير ابن إسحاق فإنه قص من خبر هذه السرية غير الذي قصه غيره
من ذلك ما حدثنا أبو كريب قال حدثنا جعفر بن عون العمري قال حدثنا إبراهيم بن إسماعيل عن عمر أو عمرو بن أسيد عن أبي هريرة
أن رسول الله بعث عشرة رهط وأمر عليهم عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح فخرجوا حتى إذا كانوا بالهدأة ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو
لحيان فبعثوا إليهم مائة رجل راميا فوجدوا مأكلهم حيث أكلوا التمر فقالوا نوى يثرب ثم اتبعوا آثارهم حتى إذا أحس بهم عاصم وأصحابه التجأوا إلى الجبل وأحاط بهم الآخرون فاستنزلوهم وأعطوهم العهد
فقال عاصم والله لا أنزل على عهد كافر اللهم أخبر نبيك عنا ونزل إليهم ابن الدثنة البياضي وخبيب ورجل آخر فأطلق القوم أوتار قسيهم ثم أوثقوهم فجرحوا رجلا من الثلاثة فقال هذا والله أول الغدر والله لا أتبعكم فضربوه وقتلوه وانطلقوا بخبيب وابن الدثنة إلى مكة فدفعوا خبيبا إلى بني الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف وكان خبيب هو الذي قتل الحارث بأحد
فبينما خبيب عند بنات الحارث استعار من إحدى بنات الحارث موسى ليستحد بها للقتل فما راع المرأة ولها صبي يدرج إلا خبيب قد أجلس الصبي على فخذه والموسى بيده فصاحت المرأة فقال خبيب أتحسبين أني أقتله إن الغدر ليس من شأننا
قال فقالت المرأة بعد ما رأيت أسيرا قط خيرا من خبيب لقد أريته وما بمكة من ثمرة وإن في يده لقطفا من عنب يأكله إن كان إلا رزقا رزقه الله خبيبا
وبعث حي من قيس إلى عاصم ليؤتوا من لحمه بشيء وقد كان عاصم فيهم آثار بأحد فبعث الله عليه دبرا فحمت لحمه فلم يستطيعوا أن يأخذوا من لحمه شيئا
فلما خرجوا بخبيب من الحرم ليقتلوه قال ذروني أصل ركعتين
فتركوه فصلى ركعتين فجرت سنة لمن قتل صبرا يصلي ركعتين ثم قال لولا أن يقال جزع لزدت وما أبالي
(... عَلَى أيِّ شِقٍّ كان لله مَصْرَعي)
ثم قال
(وذلكَ في ذاتِ الإلهِ وإنْ يَشأْ ... يُبَارِكْ على أوصالِ شِلْوٍ مُمزَّعِ)
اللهم أحصهم عددا وخذهم بددا
ثم خرج به أبو سروعة بن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف فضربه فقتله
حدثنا محمد قال حدثنا أبو كريب قال حدثنا جعفر بن عون عن إبراهيم بن إسماعيل قال وأخبرني جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه عن جده
أن رسول الله بعثه وحده عينا إلى قريش
قال فجئت إلى خشبة خبيب وأنا أتخوف العيون فرقيت فيها فحللت خبيبا فوقع إلى الأرض فانتبذت غير بعيد ثم التفت فلم أر لخبيب أثرا فكأنما الأرض ابتلعته فلم تظهر لخبيب رمة حتى الساعة
قال محمد بن جرير وأما زيد بن الدثنة فإن صفوان بن أمية بعث به فيما حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق مع مولى له يقال له نسطاس إلى التنعيم فأخرجه من الحرم ليقتله واجتمع إليه رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل أنشدك الله يا زيد أتحب أن محمدا عندنا الآن مكانك فتضرب عنقه وأنك في أهلك فقال والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس في أهلي قال يقول أبو سفيان ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا ثم قتله نسطاس
أخبرني أحمد بن الجعد قال حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي قال حدثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن

شهاب قال
نزل عبد الله وأبو أحمد ابنا جحش حين قدما مهاجرين على عاصم بن ثابت وكنيته أبو سليمان
وقال عاصم
(أبو سليمان وريشُ المُقْعَدِ ... وهجْناً من جلد ثورٍ أجْرَدِ)
وذكر لنا الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير أن عاصما فيما قيل كان يكنى أبا سفيان
قال وقال في يوم الرجيع
(أنا أبو سُفْيانَ مِثْلِي رَامَا ... أَضْرِبُ كَبْشُ العارض القَدَّامَا)
بعض صفات الأحوص
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا إسماعيل بن عبد الله عن إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة عن عمه قال
كنية الأحوص أبو محمد وأمه أثيلة بنت عمير بن مخشي وكان أحمر أحوص العينين
ماذا قال الفرزدق في شعر الأحوص
قال الزبير فحدثني محمد بن يحيى قال
قدم الفرزدق المدينة ثم خرج منها فسئل عن شعرائها فقال رأيت بها شاعرين وعجبت لهما أحدهما أخضر يسكن خارجا
من بطحان يريد ابن هرمة والآخر أحمر كأنه وحرة على برودة في شعره يريد الأحوص
والوحرة يعسوب أحمر ينزل الأنبار
وقال الأحوص يهجو نفسه ويذكر حوصه
(أقْبِحْ به من وَلَدٍ وأشْقِحِ ... مِثْلِ جُرَيِّ الكلب لم يُفَقِّحِ)
(إنْ يرَ سُوءاً لم يَقُمْ فَيَنْبَحِ ... بالبابِ عند حاجةِ المُستَفْتِحِ)
قال الزبير ولم يبق للأحوص من ولده غير رجلين
رأي أبي الفرج فيه
قال الزبير وجعل محمد بن سلام الأحوص وابن قيس الرقيات ونصيبا وجميل بن معمر طبقة سادسة من شعراء الإسلام
وجعله بعد ابن
قيس وبعد نصيب قال أبو الفرج والأحوص لولا ما وضع به نفسه من دنيء الأخلاق والأفعال أشد تقدما منهم عند جماعة
أهل الحجاز وأكثر الرواة وهو أسمح طبعا وأسهل كلاما وأصح معنى منهم ولشعره رونق وديباجة صافية وحلاوة وعذوبة
ألفاظ ليست لواحد منهم
وكان قليل المروءة والدين هجاء للناس مأبونا فيما يروى عنه
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني أبو عبيدة أن جماعة من أهل المدينة أخبروه
أن السبب في جلد سليمان بن عبد الملك أو الوليد بن عبد الملك إياه ونفيه له أن شهودا شهدوا عليه عنده أنه قال إذا
أخذت جريري لم أبال أي الثلاثة لقيت ناكحا أو منكوحا أو زانيا
قالوا وانضاف إلى ذلك أن سكينة بنت الحسين رضي الله عنهما فخرت يوما برسول الله ففاخرها بقصيدته التي يقول فيها
(... ليس جهلٌ أتَيْتِهِ ببَديع)
فزاده ذلك حنقا عليه وغيظا حتى نفاه
مفاخرته لسكينة بنت الحسين
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة
أن الأحوص كان يوما عند سكينة فأذن المؤذن فلما قال أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمدا رسول الله فخرت سكينة
بما سمعت فقال الأحوص
(فخَرتِ وانتمتْ فقلتُ ذَرِيني ... ليس جهلٌ أتيتِه بِبَدِيعِ)
(فأنا ابنُ الذي حَمَتْ لَحْمَه الدَّبْرُ ... قتيلِ اللحيان يومَ الرَّجِيعِ)
(غَسَّلَتْ خاليَ الملائكةُ الأبْرارُ ... مَيْتاً طُوبَى له مِن صَرِيعِ)
قال أبو زيد وقد لعمري فخر بفخر لو على غير سكينة فخر به وبأبي سكينة حمت أباه الدبر وغسلت خاله الملائكة
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد ابن يحيى عن أيوب بن عمر عن أبيه قال
لما جاء ابن حزم عمله من قبل سليمان بن عبد الملك على المدينة والحج جاءه ابن أبي جهم بن حذيفة وحميد بن عبد
الرحمن بن عوف وسراقة فدخلوا عليه فقالوا له إيه يا بن حزم ما الذي جاء بك قال استعملني والله أمير المؤمنين على
المدينة على رغم أنف من رغم أنفه
فقال له ابن أبي جهم يا بن حزم فإني أول من يرغم من ذلك أنفه
قال فقال ابن حزم صادق والله يحب الصادقين
فقال الأحوص
(سليمانُ إذْ وَلاَّكَ رَبُّك حُكْمِنَا ... وسُلْطانَنا فاحْكُمْ إذا قلتَ واعْدِلِ)
(يَؤُمُّ حَجيجَ المسلمين ابنُ فَرْتَنَى ... فهَبْ ذاكَ حَجاً ليس بالمُتَقَبَّلِ)
فقال ابن أبي عتيق للأحوص الحمد لله يا أحوص إذ لم أحج ذلك العام بنعمة ربي وشكره
قال الحمد لله الذي صرف ذلك عنك يا بن أبي بكر
الصديق فلم يضلل دينك ولم تعن نفسك وترما يغيظك ويغيظ المسلمين معك
تعرضه للخبازين وجلده من قبل عامل المدينة
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله عن عمه موسى بن عبد العزيز قال
وفد الأحوص على الوليد بن عبد الملك وامتدحه فأنزله منزلا وأمر بمطبخه أن يمال عليه ونزل على الوليد بن عبد الملك
شعيب بن عبد الله بن عمرو بن العاصي فكان الأحوص يراود وصفاء للوليد خبازين عن أنفسهم ويريدهم أن يفعلوا به
وكان شعيب قد غضب على مولى له ونحاه
فلما خاف الأحوص أن يفتضح بمراودته الغلمان اندس لمولى شعيب ذلك فقال ادخل على أمير المؤمنين فاذكر له أن
شعيبا أرادك عن نفسك ففعل المولى فالتفت الوليد إلى شعيب فقال ما يقول هذا فقال لكلامه غورا يا أمير المؤمنين

فاشدد به يدك يصدقك
فشدد عليه فقال أمرني بذلك الأحوص
فقال قيم الخبازين أصلحك الله إن الأحوص يراود الخبازين عن أنفسهم فأرسل به الوليد إلى ابن حزم بالمدينة وأمره أن يجلده مائة ويصب على رأسه زيتا ويقيمه على البلس ففعل ذلك به
فقال وهو على البلس أبياته التي يقول فيها
(ما مِنْ مُصيبةِ نَكْبَةٍ أُمْنَى بها ... إلاّ تُشرِّفُني وتَرْفَعُ شاني)
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أيوب بن عمر قال أخبرني عبد الله بن عمران بن أبي فروة قال
رأيت الأحوص حين وقفه ابن حزم على البلس في سوق المدينة وإنه ليصيح ويقول
(ما مِنْ مُصيبةِ نَكْبَةٍ أُمْنَى بها ... إلاّ تُعظِّمُني وترفع شاني)
(وتَزولُ حين تزولُ عن مُتَخَمِّطٍ ... تُخْشَى بَوَادِرُه على الأقْرانِ)
(إنّي إذا خَفِيَ اللِّئامُ رأيتَني ... كالشمس لا تَخْفَى بكلِّ مكان)
هجاؤه لابن حزم
قال وهجا الأحوص ابن حزم بشعر كثير منه
(أقولُ وأبصرت ابنَ حَزْمِ بنِ فَرْتَنَى ... وُقُوفاً له بالمَأزِمَيْن القبائلُ)
(تُرَى فَرْتَنَى كانتْ بما بلَغَ ابنُها ... مُصَدِّقَةً لو قال ذلك قائلُ)
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير عن أبي عبيدة قال كل أمة يقال لها فرتنى وأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال فرتنى الأمة بنت الأمة قال الزبير فقال ابن حزم حين سمع قول الأحوص فيه ابن فرتنى لرجل من قومه له علم أنحن من ولد فرتنى أو تعرفها فقال لا والله قال ولا أنا أعلم والله ذلك ولقد عضهني به ولو كانت ولدتني لم أجهل ذلك
قال الزبير وحدثني عمي مصعب عن عبد الله بن محمد بن عمارة قال
فرتنى أم لهم في الجاهلية من بلقين كانوا يسبون بها لا أدري ما أمرها قد طرحوها من كتاب النسب وهي أم خالد بنت خالد بن سنان بن وهب ابن لوذان الساعدية أم بني حزم
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز عن يوسف بن الماجشون أن الأحوص قال لابن حزم
(لَعَمْري لقد أجرى ابنُ حَزْمِ بنِ فَرْتَنَى ... إلى غايةٍ فيها السِّمَامُ المُثَمَّلُ)
(وقد قلتُ مهلاً آلَ حَزْمِ بن فَرْتَنَى ... ففي ظُلْمِنا صابٌ مُمِرٌّ وحَنْظَلُ)
وهي طويلة وقال أيضا
(أهْوَى أُمَيَّةَ إنْ شَطَّتْ وإنْ قَرُبتْ ... يوماً وأَهْدِي لها نُصْحِي وأشْعاري)
(ولو وردتُ عليها الفَيْضَ ما حَفَلَتْ ... ولا شَفَتْ عَطَشي من مائه الجاري)
(لا تأوِينَ لِحَزْمِيٍّ رأيتَ به ... ضُرّاً ولو طُرِح الحَزْمِيُّ في النّار)
(الناخِسين بمَرْوانٍ بِذي خُشب ... والمُقحِمين على عثمانَ في الدّار)
أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني جماعة من مشايخ الأنصار
إن ابن حزم لما جلد الأحوص ووقفه على البلس يضربه جاءه بنو زريق فدفعوا عنه واحتملوه من أعلى البلس
فقال في ذلك قال ابن الزبير أنشدنيه عبد الملك بن الماجشون عن يوسف بن أبي سلمة الماجشون
(إمّا تُصِبني المَنَايَا وهْيَ لاحقةٌ ... وكلُّ جَنْبٍ له قد حُمَّ مُضطَجَعُ)
(فقد جَزيتُ بني حَزْمٍ بظُلْمِهِمُ ... وقد جزيتُ زُرَيْقاً بالّذي صنعوا)
(قومٌ أبى طَبَعَ الأخلاقِ أوّلُهمْ ... فهُمْ على ذاك من أخلاقهم طُبِعوا)
(وإنْ أُناسٌ وَنَوْا عن كلِّ مَكْرُمَةٍ ... وضاق باعُهُمُ عن وُسْعِهِمْ وَسِعوا)
(إنّي رأيتُ غداةَ السُّوق مَحْضَرَهُمْ ... إذْ نحنُ ننظر ما يُتْلَى ونَستَمِعُ)
شعره بعد أن نفي إلى دهلك
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمر بن أبي بكر المؤملي قال حدثني غير واحد من أهل العلم
أن أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم جلد الأحوص في الخنث وطاف به وغربه إلى دهلك في محمل عريانا
فقال الأحوص وهو يطاف به
(...ما مِنْ مُصيبةِ نَكْبَةٍ أُبْلَى بها)
237 - الأبيات وزاد فيها
(إنّي على ما قد تَرَوْن محسَّد ... أنْمى على البَغضاءِ والشَّنآنِ)
(أصبحتُ للأنصار فيما نابَهم ... خَلَفاً وللشُّعراء من حَسّانِ)
قال الزبير ومما ضرب فيه أيضا قوله
(شَرُّ الحِزَامِيِّينَ ذو السِّنِّ منهمُ ... وخيرُ الحِزَامِيِّن يَعْدِلُه الكَلْبُ)
(فإنْ جئتَ شيخاً من حِزَامٍ وجدتَه ... من النَّوْكِ والتقصير ليس له قلبُ)
(فلَوْ سَبَّني عَوْنٌ إذاً لَسَبَبْتُه ... بِشعْري أو بعضُ الأُلى جَدُّهُمْ كَعْبُ)
عون يعني عون بن محمد بن علي بن أبي طالب عليه رضوان الله
وكعب يعني كعب بن لؤي
(أولئك أكفاءٌ لبيتي بيوتُهمْ ... ولا تستوي الأعْلاثُ والأقْدُحُ القُضْبُ)
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن ثابت الأنصاري عن محمد بن فضالة قال
كان الأحوص بن محمد الأنصاري قد أوسع قومه هجاء فملاهم شرا فلم يبق له فيهم صديق إلا فتى من بين جحجبى
فلما أراد الأحوص الخروج إلى يزيد بن عبد الملك نهض الفتى في جهازه وقام بحوائجه وشيعه فلما كان بسقاية سليمان
وركب الأحوص محمله أقبل على الفتى فقال لا أخلف الله عليك بخير فقال مه غفر الله لك قال الأحوص لا والله أو أعلقها حربا يعني قباء وبني عمرو بن عوف

هجوه بعض خصومه
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن يحيى قال قال غسان بن عبد الحميد
أقبل الأحوص حتى وقف على معن بن حميد الأنصاري أحد بني عمرو ابن عوف بن جحجبى فقال
(رأيتُك مَزْهُوّاً كأنّ أباكُمُ ... صُهَيْبَةَ أمْسَى خيرَ عَوْفٍ مُرَكَّبا)
(تُقِرُّبكم كُوثَى إذا ما نُسِبْتُمُ ... وتُنكركم عَمْرُ بن عَوْفِ بن جَحْجَبَي)
(عليكَ بأدنى الخطْبِ إنْ أنت نِلْتَه ... وأقْصِرْ فلا يَذْهَبْ بك التِّيهُ مَذْهبَا)
فقام إليه بنوه ومواليه فقال دعوا الكلب خلوا عنه لا يمسه أحد منكم
فانصرف حتى إذا كان عند أحجار المراء بقباء لقيه ابن أبي جرير أحد بني العجلان وكان شديدا ضابطا فقال له الأحوص
(إنّ بقومٍ سوَّدُوكَ لَحاجةً ... إلى سيِّدٍ لو يَظْفَرون بسيِّد)
فألقى ثيابه وأخذ بحلق الأحوص ومع الأحوص راويته وجاء الناس ليخلصوه فحلف لئن خلصه أحد من يديه ليأخذنه وليدعن الأحوص فخنقه حتى استرخى وتركه حتى أفاق ثم قال له كل مملوك لي حر لئن سمع أو سمعت هذا البيت من أحد من الناس لأضربنك ضربة بسيفي أريد بها نفسك ولو كنت تحت أستار الكعبة فأقبل الأحوص على راويته فقال إن هذا مجنون ولم يسمع هذا البيت غيرك فإياك أن يسمعه منك خلق
أخبرني الحرمي والطوسي قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني بعض أصحابنا
أن الأحوص مر بعباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير ومحمد بن مصعب بن الزبير بخيمتي أم معبد وهما يريدان الحج مرجعه من عند يزيد بن عبد الملك وهو على نجيب له فاره ورحل فاخر وبزة مرتفعة فحدثهما أنه قدم على يزيد بن عبد الملك فأجازه وكساه وأخدمه فلم يرهما يهشان لذلك
فجعل يقول خيمتي أم معبد عباد ومحمد كأنه يروض القوافي للشعر يريد قوله فقال له محمد بن مصعب إني أراك في تهيئة شعر وقواف وأراك تريد أن تهجونا وكل مملوك لي حر لئن هجوتنا بشيء إن لم أضربك بالسيف مجتهدا على نفسك
فقال الأحوص جعلني الله فداك إني أخاف أن تسمع هذا في عدوا فيقول شعرا يهجوكما به فينحلنيه وأنا أبرئكما الساعة كل مملوك لي حر إن هجوتكما ببيت شعر أبدا
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي مصعب قال حدثنا الزبير ابن خبيب عن أبيه خبيب بن ثابت قال
خرجنا مع محمد بن عباد بن عبد الله بن الزبير إلى العمرة فإنا لبقرب قديد إذ لحقنا الأحوص الشاعر على جمل برحل فقال الحمد لله الذي وفقكم
لي ما أحب أنكم غيركم وما زلت أحرك في آثاركم مذ رفعتم لي فقد ازددت بكم غبطة فأقبل عليه محمد وكان صاحب جد يكره الباطل وأهله فقال لكنا والله ما اغتبطنا بك ولا نحب مسايرتك فتقدم عنا أو تأخر فقال والله ما رأيت كاليوم جوابا قال هو ذاك قال وكان محمد صاحب جد يكره الباطل وأهله فأشفقنا مما صنع ومعه عدة من آل الزبير فلم يقدر أحد منهم أن يرد عليه
قال وتقدم الأحوص ولم يكن لي شأن غير أن أعتذر إليه
فلما هبطنا من المشلل على خيمتي أم معبد سمعت الأحوص يهمهم بشيء فتفهمته فإذا هو يقول خيمتي أم معبد محمد كأنه يهيء القوافي فأمسكت راحلتي حتى جاءني محمد فقلت إني سمعت هذا يهيء لك القوافي فإما أذنت لنا أن نعتذر إليه ونرضيه وإما خليت بيننا وبينه فنضربه فإنا لا نصادفه في أخلى من هذا المكان
قال كلا إن سعد بن مصعب قد أخذ عليه ألا يهجو زبيريا أبدا فإن فعل رجوت أن يخزيه الله دعه
قال الزبير وأما خبره مع سعد بن مصعب فحدثني به عمي مصعب قال أخبرني يحيى بن الزبير بن عباد أو مصعب بن عثمان شك أيهما حدثه قال
كانت أمة الملك بنت حمزة بن عبد الله بن الزبير تحت سعد بن مصعب ابن الزبير وكان فيهم مأتم فاتهمته بامرأة فغارت عليه وفضحته فقال الأحوص يمازحه
(وليس بِسَعْدِ النّارِ مَنْ تزعُمونه ... ولكنّ سَعْدَ النار سعدُ بن مُصْعَبِ)
((ألم تَرَ أنّ القومَ ليلةَ نَوْحِهِمْ ... بَغَوْهُ فألفَوْهُ على شَرِّ مَرْكَبِ
(فما يَبتغي بالغَيِّ لا دَرَّ دَرُّه ... وفي بيتِه مثلُ الغَزالِ المُربَّبِ)
قال وسعد النار رجل يقال له سعد حضنة وهو الذي جدد لزياد بن عبيد الله الحارثي الكتاب الذي في جدار المسجد وهو (آيات من القرآن أحسب أن منها (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي فلما فرغ منه قال لزياد أعطني أجري فقال له زياد انتظر فإذا رأيتنا نعمل بما كتبت فخذ أجرك
قال فعمل سعد بن مصعب سفرة وقال للأحوص اذهب بنا إلى سد عبيد الله بن عمر نتغد عليه ونشرب من مائه ونستنقع فيه فذهب معه فلما صارا إلى الماء أمر غلمانه أن يربطوه وأراد ضربه وقال ما جزعت من هجائك إياي ولكن ما ذكرك زوجتي فقال له يا سعد إنك لتعلم أنك إن ضربتني لم أكفف عن الهجاء ولكن خير لك من ذلك أحلف لك بما يرضيك ألا أهجوك ولا أحدا من آل الزبير أبدا فأحلفه وتركه
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني مصعب عمي عن مصعب بن عثمان قال
قال الأحوص لمجمع بن يزيد بن جارية
(وجُمِّعْتَ من أشياءَ شتَّى خبيثةٍ ... فسُمِّيتَ لمّا جئتَ منها مُجَمِّعَا)
فقال له مجمع إني لا أحسن الشعر ثم أخذ كرنافة فغمسها في ماء فغاصت ثم رفع يده عنها فطفت فقال هكذا والله كانت تصنع خالاتك السواحر
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال
كانت امرأة يقال لها أم ليث امرأة صدق فكانت قد فتحت بينها وبن جارة لها من الأنصار خوخة وكانت الأنصارية من أجمل أنصارية خلقت
فكلم الأحوص أم ليث أن تدخله في بيتها يكلم الأنصارية من الخوخة التي فتحت بينها وبينها فأبت فقال أما لأكافئنك ثم قال
(هيهاتَ منكَ بنو عَمْرٍ ومَسْكَنُهمْ ... إذا تَشَتَّيْتَ قِنَّسرينَ أو حَلَبا)

(قامتْ تراءى وقد جَدّ الرحيلُ بنا ... بين السَّقِيفةِ والبابِ الذي نُقبَا)
(إني لمَانِحُها ودّي ومُتَّخِذٌ ... بأُم ّ لَيْثٍ إلى معروفِها سَبَبَا)
فلما بلغت الأبيات زوج المرأة سد الخوخة فاعتذرت إليه أم ليث فأبى أن يقبل ويصدقها
فكانت أم ليث تدعو على الأحوص
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني أبي قال
ركب الأحوص إلى الوليد بن عبد الملك قبل ضرب ابن حزم إياه فلقيه رجل من بني مخزوم يقال له محمد بن عتبة فوعده أن يعينه
فلما دخل على الوليد قال ويحك ما هذا الذي رميت به يا أحوص قال والله يا أمير المؤمنين لو كان الذي رماني به ابن حزم من أمر الدين لاجتنبته فكيف وهو من أكبر معاصي الله فقال ابن عتبة يا أمير المؤمنين إن من فضل ابن حزم وعدله كذا وكذا
وأثنى عليه
فقال الأحوص هذا والله كما قال الشاعر
(وكنتَ كذئب السَّوْءِ لما رأى دَماً ... بصاحبه يوماً أحالَ على الدّمِ)
رفض عمر بن عبد العزيز أن يأذن له بالقدوم
فأما خبره في بقية أيام سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز فأخبرني به أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي قال حدثنا عون بن محمد بن سلام قال حدثني أبي عمن حدثه عن الزهري وأخبرني به الطوسي والحرمي بن أبي العلاء قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب عن مصعب بن عثمان قال
كان الأحوص ينسب بنساء ذوات أخطار من أهل المدينة ويتغنى في شعره معبد ومالك ويشيع ذلك في الناس فنهي فلم ينته فشكي إلى عامل سليمان بن عبد الملك على المدينة وسألوه الكتاب فيه إليه ففعل ذلك وكتب سليمان إلى عامله يأمره أن يضربه مائة سوط ويقيمه على البلس للناس ثم يصيره إلى دهلك ففعل ذلك به فثوى هناك سلطان سليمان بن عبد الملك
ثم ولي عمر بن عبد العزيز فكتب إليه يستأذنه في القدوم ويمدحه فأبى أن يأذن له
وكتب فيما كتب إليه به
(أيا راكباً إمّا عَرَضْتَ فَبلِّغَنْ ... هُدِيتَ أميرَ المؤمنين رسائلي)
(وقُلْ لأبي حَفِصٍ إذا ما لَقِيتَهُ ... لقد كنت نَفّاعاً قليلَ الغوائل)
(وكيف ترى للعيش طِيباً ولذّةً ... وخالُك أمسى مُوثَقاً في الحبائل)
هذه الأبيات من رواية الزبير وحده ولم يذكرها ابن سلام قال فأتى رجال من الأنصار عمر بن عبد العزيز فكلموه فيه وسألوه أن يقدمه وقالوا له قد عرفت نسبه وموضعه وقديمه وقد أخرج إلى أرض الشرك
فنطلب إليك أن ترده إلى حرم رسول الله ودار قومه فقال لهم عمر فمن الذي يقول
(فما هُوَ إلاّ أن أرَاها فُجَاءةً ... فأُبْهَت حتَّى ما أكادُ أُجيبُ)
قالوا الأحوص
قال فمن الذي يقول
(أَدُورُ ولولا أنْ أرى أُمَّ جَعْفَرٍ ... بأبياتكم ما دُرْتُ حيث أدورُ)
(وما كنتُ زَوَّاراً ولكِنَّ ذا الهوى ... إذا لم يزرْ لا بُدَّ أنْ سَيَزُورُ)
قالوا الأحوص
قال فمن الذي يقول
(كأنّ لُبْنَى صَبِير غاديةٍ ... أو دُمْيةٌ زَيَّنَتْ بها البيعُ)
(اللهُ بيني وبين قَيِّمِها ... يَفِرُّ منِّي بها وأَتّبِعُ)
قالوا الأحوص
قال بل الله بين قيمها وبينه
قال فمن الذي يقول
(ستَبْقى لها في مُضْمَرِ القلبِ والحَشَا ... سريرةُ حُبٍّ يومَ تُبْلَى السَّرائر)
قالوا الأحوص
قال إن الفاسق عنها يومئذ لمشغول والله لا أرده ما كان لي سلطان
قال فمكث هناك بقية ولاية عمر وصدرا من ولاية يزيد بن عبد الملك
حبابة تنشد شعره ليزيد بن عبد الملك
قال فبينا يزيد وجاريته حبابة ذات ليلة على سطح تغنيه بشعر الأحوص قال لها من يقول هذا الشعر قالت لا وعينيك ما أدري قال وقد كان ذهب من الليل شطره فقال ابعثوا إلى ابن شهاب الزهري فعسى أن يكون عنده علم من ذلك
فأتي الزهري فقرع عليه بابه فخرج مروعا إلى يزيد
فلما صعد إليه قال له يزيد لا ترع لم ندعك إلا لخير إجلس من يقول هذا الشعر قال الأحوص بن محمد يا أمير المؤمنين
قال ما فعل قال قد طال حبسه بدهلك
قال قد عجبت لعمر كيف أغفله
ثم أمر بتخلية سبيله ووهب له أربعمائة دينار
فأقبل الزهري من ليلته إلى قومه من الأنصار فبشرهم بذلك
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا محمد بن إسماعيل ومحمد بن زيد الأنصاري قالا
لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة أدنى زيد بن أسلم وجفا الأحوص فقال له الأحوص
(ألستَ أبا حفْصٍ هُدِيتَ مُخَبِّرِيّ ... أفِي الحَقّ أنْ أُقْصَى ويُدْنَى ابنُ أسْلَمَا)
فقال عمر ذلك هو الحق
قال الزبير وأنشدنيها عبد الملك بن الماجشون عن يوسف بن الماجشون

(ألاَ صِلَةُ الأرحامِ أدنَى إلى التُّقَى ... وأظهرُ في أكفائه لو تَكَرَّمَا)
(فما تركَ الصُّنْعُ الذي قد صنعتَه ... ولا الغيظُ منّي ليس جِلْداً وأعْظُما)
(وكنّا ذَوي قُرْبى لديك فأصبحتْ ... قرابتُنا ثَدْياً أجَدَّ مُصرَّمَا)
(وكنتَ وما أمّلْتُ منك كَبارِقٍ ... لَوى قَطْرَه من بعد ما كان غَيَّما)
(وقد كنتَ أرْجَى الناس عندي مودّةً ... ليالي كان الظنُّ غَيْباً مُرَجَّما)
(أعُدُّك حِرْزاً إن جَنيتُ ظُلامةً ... ومالاً ثَرِيّاً حين أحمِلُ مَغرَمَا)
(تَدارَكْ بعُتْبى عاتباً ذا قَرابَةٍ ... طوَى الغيظَ لم يَفتَحْ بسُخْطٍ له فَما)
شعره الذي غنته حبابة
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال كتب إلي إسحاق بن إبراهيم أن أبا عبيدة حدثه
أن الأحوص لم يزل مقيما بدهلك حتى مات عمر بن عبد العزيز فدس إلى حبابة فغنت يزيد بأبيات له قال أبو عبيدة أظنها قوله
صوت
(أيُّهذا المُخَبِّري عن يزيدٍ ... بصَلاَحٍ فِدَاكَ أهلي ومالي)
(ما أُبالي إذا يزيدُ بَقي لي ... مَنْ تَولَّتْ به صُروفُ الليالي)
لم يجنسه كذا جاء في الخبر أنها غنته به ولم يذكر طريقته قال أبو عبيدة أراه عرض بعمر بن عبد العزيز ولم يقدر أن يصرح مع بني مروان فقال من
يقول هذا قالت الأحوص وهونت أمره وكلمته في أمانه فأمنه
فلما أصبح حضر فاستأذنت له ثم أعطاه مائة ألف درهم
أخبرنا الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن صالح ابن حسان
أن الأحوص دس إلى حبابة فغنت يزيد قوله
(كريمُ قُرَيْشٍ حين يُنْسَبُ والذي ... أقرَّتْ له بالمُلْكِ كُهْلاً وأمْرَدَا)
(وليس وإن أعطاك في اليوم مانِعاً ... إذا عُدْتَ من أضعاف أضعافِه غَدَا)
(أهانَ تِلادَ المالِ في الحمدِ إنّه ... إمامُ هُدىً يجري على ما تَعَوَّدَا)
(تَشرَّفَ مجداً من أبيه وجَدّه ... وقد وَرِثا بُنْيَانَ مجدٍ تَشَيّدا)
فقال يزيد ويلك يا حبابة من هذا من قريش قالت ومن يكون أنت هو يا أمير المؤمنين فقال ومن قال هذا الشعر قالت الأحوص يمدح به أمير المؤمنين فأمر به أمير المؤمنين أن يقدم عليه من دهلك وأمر له بمال وكسوة
إعجاب يزيد بن عبد الملك بشعره
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني بعض أهل العلم قال
دخل الأحوص على يزيد بن عبد الملك وهو خليفة فقال له يزيد والله لو لم تمت إلينا بحرمة ولا توسلت بدالة ولا جددت لنا مدحا غير أنك مقتصر على البيتين اللذين قلتهما فينا لكنت مستوجبا لجزيل الصلة مني حيث تقول
(وإنّي لأستحيِيكُمُ أنْ يقودَني ... إلى غيركم من سائرِ الناس مَطْمَعُ)
((وأنْ أجْتدِي للنفع غيرَك منهمُ ... وأنت إمامٌ للرعيّة مَقْنَعُ
قال وهذه قصيدة مدح بها عمر بن عبد العزيز
إكرام يزيد له
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري قال حدثني عمر بن موسى بن عبد العزيز قال
لما ولي يزيد بن عبد الملك بعث إلى الأحوص فأقدم عليه فأكرمه وأجازه بثلاثين ألف درهم
فلا قدم قباء صب المال على نطع ودعا جماعة من قومه وقال إني قد عملت لكم طعاما فلما دخلوا عليه كشف لهم عن (ذلك المال وقال (أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون
قال الزبير وقال في يزيد بن عبد الملك يمدحه حينئذ بهذه القصيدة
(صَرمتْ حَبْلَك الغداةَ نَوارُ ... إنّ صَرْماً لكلِّ حبلٍ قِصارُ)
وهي طويلة يقول فيها
(مَنْ يَكُنْ سائلاً فإنَّ يزيداً ... مَلِكٌ مِنْ عطائه الإكثارُ)
(عمَّ معروفُه فعزَّ به الدِّينُ ... وذَلّتْ لمُلْكِه الكُفّارُ)
(وأقامَ الصِّراطَ فابتهَج الحَقُّ ... منيراً كما أنار النَّهارُ)
ومن هذه القصيدة بيتان يغني فيهما وهما
صوت
(بَشَرٌ لو يَدِبُّ ذَرٌّ عليه ... كان فيه من مَشْيِه آثارُ)
((إنّ أرْوَى إذا تذكَّر أرْوَى ... قَلْبُه كاد قلبُه يَسْتَطارُ
غنت فيه عريب لحنا من الثقيل الأول بالبنصر وذكر ابن المكي أنه لجده يحيى
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي مصعب عن مصعب بن عثمان قال
حج يزيد بن عبد الملك فتزوج بنت عون بن محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأصدقها مالا كثيرا فكتب الوليد بن عبد الملك إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أنه بلغ أمير المؤمنين أن يزيد بن عبد الملك قد تزوج بنت عون بن محمد بن علي بن أبي طالب وأصدقها مالا كثيرا ولا أراه فعل ذلك إلا وهو يراها خيرا منه قبح الله رأيه فإذا جاءك كتابي هذا فأدع عونا فاقبض المال منه فإن لم يدفعه إليك فأضربه بالسياط حتى تستوفيه منه ثم افسخ نكاحه
فأرسل أبو بكر بن محمد بن عمرو إلى عون بن محمد وطالبه بالمال فقال له ليس عندي شيء وقد فرقته
فقال له أبو بكر إن أمير المؤمنين أمرني إن لم تدفعه إلي كله أن أضربك بالسياط ثم لا أرفعها عنك حتى أستوفيه منك فصاح به يزيد تعال إلي فجاءه فقال له فيما بينه وبينه كأنك خشيت أن أسلمك إليه إدفع إليه المال ولا تعرض له نفسك فإنه إن دفعه إلي رددته عليك وإن لم يرده علي أخلفته عليك ففعل

فلما ولي يزيد بن عبد الملك كتب في أبي بكر بن محمد بن حزم وفي الأحوص فحملا إليه لما بين أبي بكر والأحوص من العداوة وكان أبو بكر قد ضرب الأحوص وغربه إلى دهلك وأبو بكر مع عمر بن عبد العزيز وعمر إذ ذاك على المدينة
فلما صارا بباب يزيد أذن للأحوص فرفع أبو
بكر يديه يدعو فلم يخفضهما حتى خرج الغلمان بالأحوص ملببا مكسور الأنف وإذا هو لما دخل على يزيد قال له أصلحك الله هذا ابن حزم الذي سفه رأيك ورد نكاحك فقال يزيد كذبت عليك لعنة الله وعلى من يقول ذلك اكسروا أنفه وأمر به فأخرج ملببا

خبره مع عبد الحكم بن عمرو الجمحي

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله عن عبد الله بن عمرو الجمحي قال
كان عبد الحكم بن عمرو بن عبد الله بن صفوان الجمحي قد اتخذ بيتا فجعل فيه شطرنجات ونردات وقرقات ودفاتر فيها من كل علم وجعل في الجدار أوتادا فمن جاء علق ثيابه على وتد منها ثم جر دفترا فقرأه
أو بعض ما يلعب به فلعب به مع بعضهم
قال فإن عبد الحكم يوما لفي المسجد الحرام إذا فتى داخل من باب الحناطين باب بني جمح عليه ثوبان معصفران مدلوكان وعلى أذنه ضغث ريحان وعليه ردع الخلوق فأقبل يشق الناس حتى جلس إلى عبد الحكم بن عمرو بن عبد الله فجعل من رآه يقول ماذا صب عليه من هذا ألم يجد أحدا يجلس إليه غيره ويقول بعضهم فأي شيء يقوله له عبد الحكم وهو أكرم من أن يجبه من يقعد إليه فتحدث إليه ساعة ثم أهوى فشبك يده في يد عبد الحكم وقام يشق المسجد حتى خرج من باب الحناطين قال عبد الحكم فقلت في نفسي ماذا سلط الله علي منك رآني نصف الناس في المسجد ونصفهم في الحناطين حتى دخل مع عبد الحكم بيته فعلق على وتد وحل أزراره واجتز الشطرنج وقال من يلعب فبينا هو كذلك إذ دخل الأبجر المغني فقال له أي زنديق ما جاء بك إلى هاهنا وجعل يشتمه ويمازحه
فقال له عبد الحكم أتشتم رجلا في منزلي فقال أتعرفه هذا الأحوص
فاعتنقه عبد الحكم وحياه
وقال له أما إذا كنت الأحوص فقد هان علي ما فعلت

عبد الملك بن مروان يتمثل بشعره

أخبرني الطوسي والحرمي قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني حميد بن عبد العزيز عن أبيه قال
لما قدم عبد الملك بن مروان حاجا سنة خمس وسبعين وذلك بعدما اجتمع الناس عليه بعامين جلس على المنبر فشتم أهل المدينة ووبخهم ثم قال إني والله يا أهل المدينة قد بلوتكم فوجدتكم تنفسون القليل وتحسدون على الكثير وما وجدت لكم مثلا إلا ما قال مخنثكم وأخوكم الأحوص
(وكَمْ نزلتْ بي من خُطُوبٍ مُهِمّةٍ ... خَذَلْتُمْ عليها ثم لم أَتَخَشَّعِ)
(فأَدْبَر عنّي شرّها لم أُبَلْ بها ... ولم أدْعُكُمْ في كَرْبها المُتَطلّعِ)
فقام إليه نوفل بن مساحق فقال يا أمير المؤمنين أقررنا بالذنب وطلبنا المعذرة فعد بحلمك فذلك ما يشبهنا منك ويشبهك منا فقد قال من ذكرت من بعد بيتيه الأولين
((وإنّي لَمُسْتأنٍ ومُنْتَظِرٌ بكم ... وإنْ لم تقولوا في المُلمَّاتِ دَعْ دع
(أُؤمِّلُ منكم أنْ تَرَوْا غيرَ رأيكم ... وشيكاً وكيما تَنْزِعُوا خيرَ مَنْزَعِ)
أخبرني الحرمي والطوسي قالا حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن الضحاك عن المنذر بن عبد الله الحزامي
أن عراك بن مالك كان من أشد أصحاب عمر بن عبد العزيز على بني مروان في انتزاع ما حازوا من الفيء والمظالم من أيديهم فلما ولي يزيد بن عبد الملك ولي عبد الواحد بن عبد الله النصري المدينة فقرب عراك بن مالك وقال صاحب الرجل الصالح وكان لا يقطع أمرا دونه وكان يجلس معه على سريره
فبينا هو معه إذ أتاه كتاب يزيد بن عبد الملك أن ابعث مع عراك بن مالك حرسيا حتى ينزله أرض دهلك وخذ من عراك حمولته
فقال لحرسي بين يديه وعراك معه على السرير خذ بيد عراك فابتع من ماله راحلة ثم توجه به نحو دهلك حتى تقر فيها
ففعل ذلك الحرسي قال وأقدم الأحوص فمدحه الأحوص فأكرمه وأعطاه
قال فأهل دهلك يأثرون الشعر عن الأحوص والفقه عن عراك بن مالك
أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب عن محمد بن سلام عن أبي الغراف عمن يثق به قال
بعث يزيد بن عبد الملك حين قتل يزيد بن المهلب في الشعراء فأمر بهجاء يزيد بن المهلب منهم الفرزدق وكثير والأحوص فقال الفرزدق لقد
امتدحت بني المهلب بمدائح ما امتدحت بمثلها أحدا وإنه لقبيح بمثلي أن يكذب نفسه على كبر السن فليعفني أمير المؤمنين قال فأعفاه وقال كثير إني أكره أن أعرض نفسي لشعراء أهل العراق إن هجوت بني المهلب
وأما الأحوص فإنه هجاهم
ثم بعث به يزيد بن عبد الملك إلى الجراح بن عبد الله الحكمي وهو بأذربيجان وقد كان بلغ الجراح هجاء الأحوص بني المهلب فبعث إليه بزق من خمر فأدخل منزل الأحوص ثم بعث إليه خيلا فدخلت منزله فصبوا الخمر على رأسه ثم أخرجوه على رؤوس الناس فأتوا به الجراح فأمر بحلق رأسه ولحيته وضربه الحد بين أوجه الرجال وهو يقول ليس هكذا تضرب الحدود فجعل الجراح يقول أجل ولكن لما تعلم
ثم كتب إلى يزيد بن عبد الملك يعتذر فأغضى له عليها

رأي أبي الفرج فيه

قال أبو الفرج الأصبهاني وليس ما جرى من ذكر الأحوص إرادة للغض منه في شعره ولكنا ذكرنا من كل ما يؤثر عنه ما تعرف به حاله من تقدم وتأخر وفضيلة ونقص فأما تفضيله وتقدمه في الشعر فمتعالم مشهور وشعره ينبئ عن نفسه ويدل على فضله فيه وتقدمه وحسن رونقه وتهذبه وصفائه
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء والطوسي قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز قال حدثني عبد الله بن مسلم بن جندب الهذلي قال حدثنا شيخ لنا من هذيل كان خالا للفرزدق من بعض أطرافه قال
سمعت بالفرزدق وجرير على باب الحجاج فقلت لو تعرضت ابن

أختنا فامتطيت إليه بعيرا حتى وجدتهما قبل أن يخلصا ولكل واحد منهما شيعة فكنت في شيعة الفرزدق فقام الآذان يوما فقال أين جرير فقال جرير هذا أبو فراس فأظهرت شيعته لومه وأسرته فقال الآذن أين الفرزدق فقام فدخل
فقالوا لجرير أتناوئه وتهاجيه وتشاخصه ثم تبدى عليه فتأبى وتبديه قضيت له على نفسك فقال لهم إنه نزر القول ولم ينشب أن ينفد ما عنده وما قال فيه فيفاخره ويرفع نفسه عليه فما جئت به بعد حمدت عليه واستحسن
فقال قائلهم لقد نظرت نظرا بعيدا
قال فما نشبوا أن خرج الآذن فصاح أين جرير فقام جرير فدخل
قال فدخلت فإذا ما مدحه به الفرزدق قد نفد وإذا هو يقول
(أينَ الذين بِهِمْ تُسَامِي دَارِماً ... أمْ مَنْ إلى سَلَفي طُهَيَّةَ تجعلُ)
قال وعمامته على رأسه مثل المنسف فصحت من روائه
(هذا ابنُ يُوسُفَ فاعْلَمُوا وتَفَهَّمُوا ... بَرِحَ الخَفاءُ فليس حينَ تَنَاجِي)
(مَنْ سَدّ مُطَّلَع النِّفاقِ عليكُمُ ... أمْ مَنْ يَصُولُ كصَوْلَة الحَجَّاجِ)
(أم مَنْ يَغارُ على النِّساءِ حفيظةً ... إذ لا يَثِقْنَ بغَيْرَةِ الأزواجِ)
(قُلْ لِلْجَبانِ إذا تأخَّر سَرْجُهُ ... هل أنتَ من شَرَكِ المَنِيَّةِ ناجي)
قال وما تشبيبها وطرب فقال جرير
((لَجَّ الهَوَى بفُؤادِكَ المِلْجَاجِ ... فاحْبِسْ بتُوضِحَ باكِرَ الأحْدَاجِ
وأمرها أو قال أمضاها
فقال أعطوه كذا وكذا فاستقللت ذلك
فقال الهذلي وكان جرير عربيا قرويا فقال للحجاج قد أمر لي الأمير بما لم يفهم عنه فلو دعا كاتبا وكتب بما أمر به الأمير فدعا كاتبا واحتاط فيه بأكثر من ضعفه وأعطى الفرزدق أيضا
قال الهذلي فجئت الفرزدق فأمر لي بستين دينارا وعبد ودخلت على رواته فوجدتهم يعدلون ما انحرف من شعره فأخذت من شعره ما أردت ثم قلت له يا أبا فراس من أشعر الناس قال أشعر الناس بعدي ابن المراغة
قلت فمن أنسب الناس قال الذي يقول
(لي ليلتانِ فليلةٌ مَعْسولةٌ ... أَلْقَى الحبيبَ بها بِنَجْمِ الأسْعُدِ)
(ومُريحةٌ هَمِّي عليَّ كأنَّني ... حتَّى الصَّباحِ مُعَلَّقٌ بالفَرْقَدِ)
قلت ذاك الأحوص
قال ذاك هو
قال الهذلي ثم أتيت جريرا فجعلت أستقل عنده ما أعطاني صاحبي أستخرج به منه فقال كم أعطاك ابن أختك فأخبرته فقال ولك مثله فأعطاني ستين دينارا وعبدا
قال وجئت رواته وهم يقومون ما
انحرف من شعره وما فيه من السناد فأخذت منه ما أردت ثم قلت يا أبا حزرة من أنسب الناس قال الذي يقول
(يا ليتَ شِعْري عَمَّنْ كَلِفْتُ به ... من خَثْعِمٍ إذ نَأَيْتُ ما صَنَعُوا)
(قومٌ يَحُلُّون بالسَّدير وبالْحِيرَةِ ... منهمُ مَرْأًى ومُسْتَمَعُ)
(أنْ شطَّتِ الدارُ عن دِيارِهِمُ ... أأمسكوا بالوِصال أم قَطَعُوا)
(بل هُمْ على خَيْرِ ما عَهِدْتُ وما ... ذَلِكَ إلاّ التأميلُ والطَّمَعُ)
قلت ومن هو قال الأحوص
فاجتمعا على أن الأحوص أنسب الناس
نسبة ما في هذا الخبر من الغناء
منها الأبيات التي يقول فيها الأحوص
(... لي ليلتان فليلةٌ معسولةٌ)
وأول ما يغنى به فيها
صوت
(يا للرِّجالِ لِوَجْدِكَ المُتَجَدِّدِ ... ولِمَا تُؤَمِّلُ من عَقيلةَ في غَدِ)
(ترجو مَوَاعِدَ بَعْثُ آدمَ دونها ... كانتْ خَبَالاً للفؤاد المُقْصَدِ)
(هل تذكُرين عَقِيلَ أو أنْساكِهِ ... بَعْدِي تَقَلُّبُ ذا الزَّمانِ المُفْسِدِ)
(يومي ويَوْمَكِ بالعَقِيق إذِ الهَوَى ... منَّا جَمِيعُ الشَّمْلِ لم يَتَبَدَّدِ)
((لي ليلتانِ فليلةٌ معسولةٌ ... ألقَى الحبيبَ بها بِنَجْمِ الأسْعُدِ
(ومُريحةٌ هَمِّي عليّ كأنَّني ... حتَّى الصباحِ مُعَلَّقٌ بالفَرْقَدِ)
عروضه من الكامل
يقال يا للرجال ويا للرجال بالكسر والفتح وفي الحديث أن عمر رضي الله عنه صاح لما طعن يا لله يا للمسلمين
(وقوله في غد يريد فيما بعد وفي باقي الدهر قال الله سبحانه (سيعلمون غدا من الكذاب الأشر
والخبل والخبال النقصان من الشيء
والمخبل أصله مأخوذ من النقص لأنه ناقص العقل
والمعسولة الجلوة المشتهاة
الشعر للأحوص
والغناء في البيت الأول والثاني لمالك خفيف رمل بالبنصر عن الهشامي وحبش
وفي الثالث والرابع لسليمان أخي بابويه ثقيل أول بالوسطى عن عمرو
وفيهما وفي الخامس والسادس لحن لابن سريج ذكره يونس ولم يجنسه وذكر حماد بن إسحاق عن أبيه أن لمعبد في الأبيات كلها لحنا وأنه من صحيح غنائه ولم يجنسه
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أيوب بن عباية قال

بلغني أن ابنا للأحوص بن محمد الشاعر دخل على امرأة شريفة وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني إبراهيم بن زيد عن عنبسة بن سعيد بن العاصي قال أخبرني أشعب بن جبير قال
امرأة تستفسر ابنه عن شعر له
حضرت امرأة شريفة ودخل عليها ابن الأحوص بن محمد الشاعر فقالت له أتروي قول أبيك
(لي ليلتانِ فليلةٌ معسولةٌ ... ألقَى الحبيبَ بها بنجمِ الأسْعُدِ)
(ومريحةٌ همِّي عليّ كأنَّني ... حتَّى الصباحِ معلَّق بالفَرْقَدِ)
قال نعم
قالت أتدري أي الليلتين التي يبيت فيها معلقا بالفرقد قال لا والله
قالت هي ليلة أمك التي يبيت معها فيها
قال إبراهيم في خبره فقلت لأشعب يا أبا العلاء فأي ليلتيه المعسولة فقال
(سَتُبْدِي لك الأيّامُ ما كنتَ جاهلاً ... ويأتِيكَ بالأخبار مَنْ لم تُزَوِّدِ)
هي ليلة الإسراف ولا تسأل عما بعدها
أخبرني عبد العزيز ابن بنت الماجشون قال
أنشد ابن جندب قول الأحوص
(لي ليلتانِ فليلةٌ معسولةٌ ... ألقَى الحبيبَ بها بنجمِ الأسْعُدِ)
(ومريحةٌ همِّي عليّ كأنَّني ... حتَّى الصباحِ معلَّق بالفَرْقَدِ)
فقال أما إن الله يعلم أن الليلة المريحة همي لألذ الليلتين عندي
قال الحرمي ابن أبي العلاء وذلك لكلفه بالغزل والشوق والحنين وتمني اللقاء
من هي عقيلة التي شغف بها الأحوص
وللأحوص مع عقيلة هذه أخبار قد ذكرت في مواضع أخر
وعقيلة امرأة من ولد عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه
وقد ذكر الزبير عن ابن بنت الماجشون عن خاله أن عقيلة هذه هي سكينة بنت الحسين عليهما السلام كنى عنها بعقيلة
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمر بن أبي بكر المؤملي
أن إنسانا أنشد عند إبراهيم بن هشام وهو والي المدينة قول الأحوص
(إذْ أنتِ فينا لِمَنْ يَنْهَاكِ عاصيةٌ ... وإذْ أجُرُّ إليكم سادراً رسَني)
فوثب أبو عبيدة بن عمار بن ياسر قائما ثم أرخى رداءه ومضى يمشي على تلك الحال ويجره حتى بلغ العرض ثم رجع
فقال له إبراهيم بن هشام حين جلس ما شأنك فقال أيها الأمير إني سمعت هذا البيت مرة فأعجبني فحلفت لا أسمعه إلا جررت رسني
نسبة هذا البيت وما غني فيه من الشعر
صوت
(سَقْياً لِرَبْعِكِ من رَبْعٍ بذِي سَلَمٍ ... وللزَّمانِ به إذ ذاكَ من زَمَنِ)
(إذْ أنتِ فينا لمن يَنْهاكِ عاصيةٌ ... وإذا أجُرُّ إليكم سادِراً رَسَنِي)
- عروضه من - البسيط
غنى ابن سريج في هذين البيتين لحنا من الثقيل الأول بالوسطى عن عمرو
وذكر إسحاق فيه لحنا من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى الوسطى ولم ينسبه إلى أحد وذكر حبش أنه للغريض
حماد الراوية فضله على الشعراء في النسيب
أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام عن سالم بن أبي السحماء وكان صاحب حماد الراوية
أن حمادا كان يقدم الأحوص في النسيب
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا عمر بن أبي سليمان عن يوسف ابن أبي سليمان بن عنيزة قال
هجا الأحوص رجلا من الأنصار من بني حرام يقال له ابن بشير وكان كثير المال فغضب من ذلك فخرج حتى قدم على الفرزدق بالبصرة وأهدى إليه وألطفه فقبل منه ثم جلسا يتحدثان فقال الفرزدق ممن أنت قال من الأنصار
قال ما أقدمك قال جئت مستجيرا بالله عز وجل ثم بك من رجل هجاني
قال قد أجارك الله منه وكفاك مؤنته فأين أنت عن الأحوص قال هو الذي هجاني
فأطرق ساعة ثم قال أليس هو الذي يقول
(ألاَ قِفْ بِرَسْمِ الدَّار فاسْتَنْطِقِ الرّسْمَا ... فقَدْ هاج أحزاني وذَكَّرَني نُعْمَا)
قال بلى
قال فلا والله لا أهجو رجلا هذا شعره
فخرج ابن بشير فاشترى أفضل من الشراء الأول من الهدايا فقدم بها على جرير فأخذها وقال له ما أقدمك قال جئت مستجيرا بالله بولك من رجل هجاني
فقال قد أجارك الله عز وجل منه وكفاك أين أنت عن ابن عمك الأحوص بن محمد قال هو الذي هجاني
قال فأطرق ساعة ثم قال أليس هو الذي يقول
(تَمَشَّى بشَتْمِي في أكَاريسِ مالكٍ ... تُشِيدُ به كالكَلْبِ إذ يَنْبَحُ النَّجْمَا)
(فما أنا بالمخْسُوسِ في جِذْمِ مالكٍ ... ولا بالمُسمَّى ثم يَلْتَزِمُ الإسْمَا)
(ولكنّ بيتِي إنْ سألتَ وجدتَه ... تَوَسَّطَ منها العِزَّ والحَسَبَ الضَّخْمَا)
قال بلى والله
قال فلا والله لا أهجو شاعرا هذا شعره

قال فاشترى أفضل من تلك الهدايا وقدم على الأحوص فأهداها إليه وصالحه
نسبة ما في هذا الخبر من الغناء
صوت
(أَلاَ قِفْ بِرَسْمِ الدَّارِ فاسْتَنْطِقِ الرّسْمَا ... فقد هاجَ أحزاني وذكَّرني نُعْمَا)
(فَبِتُّ كأنّي شاربٌ من مُدامةٍ ... إذا أذهبتْ هَمّاً أتاحتْ له هَمَّا)
غناه إبراهيم الموصلي خفيف رمل بالوسطى عن الهشامي
وذكر عبد الله ابن العباس الربيعي أنه له
أخبرني الحرمي قال حدثني الزبير قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز قال قال لي أبو السائب المخزومي أنشدني للأحوص فأنشدته قوله
(قالتْ وقلتُ تَحَرَّجِي وصِلِي ... حَبْلَ امْرِئٍ بوصالكم صَبِّ)
(وَاصِلْ إذاً بَعْلِي فقُلْتُ لها ... الغَدْرُ شيءٌ ليس من ضَرْبي)
صوت
(ثِنْتَانِ لا أدنو لِوَصْلِهِما ... عِرْسُ الخليلِ وجارةُ الجَنْبِ)
(أمّا الخليلُ فلستُ فاجعَه ... والجارُ أوصاني به ربِّي)
(عُوجُوا كذا نَذْكُرْ لغانيةٍ ... بعضَ الحديثِ مَطِيَّكم صَحْبِي)
(ونَقُلْ لها فِيمَ الصُّدودُ ولَمْ ... نُذْنِبْ بَلَ انتِ بَدَأْتِ بالذَّنْبِ)
(إنْ تُقْبِلِي نُقْبِلْ ونُنْزِلكم ... مِنّا بِدار السَّهْلِ والرُّحْبِ)
(أو تُدْبِري تكدُرْ معيشَتُنا ... وتُصَدِّعِي مُتَلائمَ الشَّعْبِ)
غنى في ثنتان لا أدنو والذي بعده ابن جامع ثقيلا أول بالوسطى
وغنى في عوجوا كذا نذكر لغانية والأبيات التي بعده ابن محرز لحنا من
القدر الأوسط من الثقيل الأول مطلقا في مجرى البنصر قال فأقبل علي أبو السائب فقال يابن أخي هذا والله المحب عينا لا الذي يقول
(وكنتُ إذا خليلٌ رامَ صُرْمِي ... وجدتُ ورَايَ مُنْفَسَحاً عَرِيضاً)
إذهب فلا صحبك الله ولا وسع عليك يعني قائل هذا البيت
المهدي يسأل عن أنسب بيت قالته العرب
أخبرني الحرمي قال حدثني الزبير قال حدثنا خالد بن وضاح قال حدثني عبد الأعلى بن عبد الله بن محمد بن صفوان الجمحي قال
حملت دينا بعسكر المهدي فركب المهدي بين أبي عبيد الله وعمر بن بزيع وأنا وراءه في موكبه على برذون قطوف فقال ما أنسب بيت قالته العرب فقال له أبو عبيد الله قول أمرئ القيس
(وما ذَرَفَتْ عَيْنَاكِ إلا لِتَضْرِبي ... بسَهْمَيْكِ في أعشار قَلْبٍ مُقَتَّلِ)
فقال هذا أعرابي قح
فقال عمر بن بزيع قول كثير يا أمير المؤمنين
(أُرِيدُ لأنْسَى ذِكْرَها فكأنَّما ... تَمَثَّلُ لي لَيْلَى بكلِّ سَبِيلِ)
فقال ما هذا بشيء وماله يريد أن ينسى ذكرها حتى تمثل له فقلت عندي حاجتك يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك
قال الحق بي
قلت لا لحاق بي ليس ذلك في دابتي
قال احملوه على دابة
قلت هذا أول الفتح فحملت على دابة فلحقت
فقال ما عندك فقلت قول الأحوص
(إذا قلتُ إنِّي مُشْتَفٍ بِلِقائها ... فحُتم التلاقِي بيننا زادنِي سُقْمَا)
فقال أحسن والله اقضوا عنه دينه فقضي عني ديني
نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني
منها الشعر الذي هو
(أريدَ لأنْسَى ذِكْرَهَا فكأنّما ... تَمَثَّلُ لي لَيلى بكِّل سبيلِ)
صوت
(ألا حَيِّيَا ليلَى أجَدّ رَحِيلِي ... وآذَنَ أصحابي غَداً بِقُفُولِ)
(ولم أرَ مِن لَيْلَى نَوَالاً أعُدُّهُ ... ألاَ رُبَّما طالبتُ غيرَ مُنِيلِ)
(أُريد لأنْسَى ذِكْرَها فكأنّما ... تَمَثَّلُ لي لَيْلَى بكلِّ سبيلِ)
(وليس خَلِيلي بالمَلُولِ ولا الذي ... إذا غِبْتُ عنه باعَنِي بخليلِ)
(ولكنْ خَلِيلِي مَنْ يَدُومُ وِصَالُهُ ... ويَحْفَظُ سِرِّي عند كلِّ دَخِيلِ)
- عروضه من - الطويل
الشعر لكثير
والغناء في ثلاثة الأبيات الأول لإبراهيم ولحنه من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر ولابنه إسحاق في
(... وليس خليلي بالمَلُول ولا الّذي)
ثقيل آخر بالوسطى
حديث البعض عن كثير وجميل
أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام وأخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير عن محمد بن سلام قال

كان لكثير في النسيب حظ وافر وجميل مقدم عليه وعلى أصحاب النسيب جميعا ولكثير من فنون الشعر ما ليس لجميل
وكان كثير راوية جميل وكان جميل صادق الصبابة والعشق ولم يكن كثير بعاشق وكان يتقول
قال وكان
الناس يستحسنون بيت كثير في النسيب
(أُريد لأَنسَى ذِكْرَها فكأنّما ... تَمَثَّلُ لي ليلَى بكلِّ سبيل)
قال وقد رأيت من يفضل عليه بيت جميل
(خليلَيّ فيما عِشْتُما هل رأيتُما ... قَتِيلاً بَكَى من حُبِّ قاتِلِه قَبلِي)
قرأت في كتاب منسوب إلى أحمد بن يحيى البلاذري وذكر إسحاق بن إبراهيم الموصلي أن عبد الله بن معصب الزبيري
كان يوما يذكر شعر كثير ويصف تفضيل أهل الحجاز إياه إلي أن انتهى إلى هذا البيت
قال إسحاق فقلت له إن الناس يعيبون عليه هذا المعنى ويقولون ما له يريد أن ينساها فتبسم ابن مصعب ثم قال إنكم
يأهل العراق لتقولون ذلك
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو يحيى الزهري قال حدثني الهزبري قال
قيل لكثير ما أنسب بيت قلته قال الناس يقولون
(أُريد لأَنسَى ذِكْرَها فكأنّما ... تَمَثَّلُ لي ليلَى بكلِّ سبيل)
وأنسب عندي منه قولي
(وقُلْ أُمُّ عَمْرٍ داؤه وشفاؤه ... لديها ورَيَّاها الشِّفاءُ مِنَ الخبْلِ)
وقد قيل إن بعض هذه الأبيات للمتوكل الليثي
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عثمان قال الحرمي أحسبه ابن عبد الرحمن المخزومي قال حدثنا إبراهيم
بن أبي عبد الله قال
قيل لمحرز بن جعفر أنت صاحب شعر ونراك تلزم الأنصار وليس هناك منه شي قال بلى والله إن هناك لشعر عين الشعر
وكيف لا يكون للشعر هناك وصاحبهم الأحوص الذي يقول
(يقولون لو ماتت لقد غاض حُبُّهُ ... وذلك حِينَ الفاجِعاتِ وحِيني)
(لَعَمْرُكَ إنِّي إنْ تُحَمَّ وفاتُها ... بصُحْبَةِ مَنْ يَبْقَى لَغَيْرُ ضَنِين)
وهو الذي يقول
(وإنِّي لِمِكْرَامٌ لسادات مالكٍ ... وإنِّي لِنَوْكَى مالكٍ لَسَبُوبُ)
(وإنِّي على الحِلِمْ الذي من سَجِيَّتي ... لحَمَّالُ أضْغانٍ لَهُنَّ طَلُوبُ)
شعره في مرض موته
أخبرني الحرمي قال حدثني الزبير قال حدثني عمي مصعب قال حدثني يحيى بن الزبير بن عباد بن حمزة بن عبد الله
بن الزبير قال الزبير وحدثني علي بن صالح عن عامر بن صالح
أن الأحوص قال في مرضه الذي مات فيه وقال عامر بن صالح حين هرب من عبد الواحد النصري إلى البصرة
(يا بِشْرُ يا رُبَّ مَحزونٍ بمَصرَعنا ... وشامِتٍ جَذِلٍ ما مَسَّهُ الحَزَنُ)
(وما شَمَاتُ امْرِئٍ إن ماتَ صاحِبهُ ... وقد يَرَى أنّه بالموت مُرْتَهَنُ)
(يا بشْرُ هُبِّي فإنَّ النَّومَ أَرّقَهُ ... نأْيٌ مُشِتٌّ وأرضٌ غيرُها الوطَنُ)

ذكر الدلال وقصته حين خصي ومن خصي معه والسبب في ذلك وسائر أخباره

الدلال اسمه ناقد وكنيته أبو زيد
وهو مدني مولى بني فهم
وأخبرني علي بن عبد العزيز عن ابن خرداذبه قال
قال إسحاق لم يكن في المخنثين أحسن وجها ولا أنظف ثوبا ولا أظرف من الدلال
قال وهو أحد من خصاه ابن حزم
فلما فعل ذلك به قال الآن تم الخنث
وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي عبد الله مصعب الزبيري قال
الدلال مولى عائشة بنت سعيد بن العاص

بعض صفاته

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبد الله مصعب الزبيري قال
كان الدلال من أهل المدينة ولم يكن أهلها يعدون في الظرفاء وأصحاب النوادر من المخنثين بها إلا ثلاثة طويس والدلال
وهنب فكان هنب أقدمهم والدلال أصغرهم
ولم يكن بعد طويس أظرف من الدلال ولا أكثر ملحا
قال إسحاق وحدثني هشام بن المرية عن جرير وكانا نديمين مدنيين قال ما ذكرت الدلال قط إلا ضحكت لكثرة نوادره
قال وكان نزر الحديث فإذا تكلم أضحك الثكلي وكان ضاحك السن وصنعته نزرة جيده ولم يكن يغني إلا غناء مضعفا يعني
كثير العمل
قال إسحاق وحدثني أيوب بن عباية قال
شهدت أهل المدينة إذا ذكروا الدلال وأحاديثه طولوا رقابهم وفخروا به فعلمت أن ذلك لفضيلة كانت فيه
قال وحدثني ابن جامع عن يونس قال
كان الدلال مبتلى بالنساء والكون معهن وكان يطلب فلا يقدر عليه وكان بديع الغناء صحيحه حسن الجرم

كيف كان يتوسط بين الرجال والنساء

قال إسحاق وحدثني الزبيري قال
إنما لقب بالدلال لشكله وحسن دله وظرفه وحلاوة منطقة وحسن وجهه وإشارته وكان مشغوفا بمخالطة النساء
ووصفهن للرجال
وكان من أراد خطبة امرأة سأله عنها وعن غيرها فلا يزال يصف له النساء واحدة فواحدة حتى ينتهي إلى وصف ما يعجبه

ثم يتوسط بينه وبين من يعجبه منهن حتى يتزوجها فكان يشاغل كل من جالسه عن الغناء بتلك الأحاديث كراهة منه للغناء

السبب الذي من أجله خصي

قال إسحاق وحدثني مصعب الزبيري قال

أنا أعلم خلق الله بالسبب الذي من أجله خصي الدلال وذلك أنه كان

القادم يقدم المدينة فيسأل عن المرأة يتزوجها فيدل على الدلال فإذا جاءه قال له صف لي من تعرف من النساء للتزويج

فلا يزال يصف له واحدة بعد واحدة حتى ينتهي إلى ما يوافق هواه فيقول كيف لي بهذه فيقول مهرها كذا وكذا فإذا رضي بذلك أتاها الدلال فقال لها إني قد أصبت لك رجلا من حاله وقصته وهيئته ويساره ولا عهد له بالنساء وإنما قدم بلدنا آنفا

فلا يزال بذلك يشوقها ويحركها حتى تطيعه فيأتي الرجل فيعلمه أنه قد أحكم له ما أراد

فإذا سوي الأمر وتزوجته المرأة قال لها قد آن لهذا الرجل أن يدخل بك والليلة موعده وأنتم مغتلمة شبقة جامة فساعة يدخل عليك قد دفقت عليه مثل سيل العرم فيقذرك ولا يعاودك وتكونين من أشأم النساء على نفسك وغيرك

فتقول فكيف أصنع فيقول أنت أعلم بدواء حرك ودائه وما يسكن غلمتك

فتقول أنت أعرف

فيقول ما أجدله شيئا أشفى من النيك

فيقول لها إن لم تخافي الفضيحة فابعثي إلى بعض الزنوج حتى يقضي بعض وطرك ويكف عادية حرك فتقول له ويلك ولا كل هذا فلا تزال المحاورة بينهما حتى يقول لها فكما جاء علي أقوم فأخففك وأنا والله إلى التخفيف أحوج

فتفرح المرأة فتقول هذا أمر مستور فينيكها حتى إذا قضى لذته منها قال لها أما أنت فقد استرحت وأمنت العيب وبقيت أنا

ثم يجيء إلى الزوج فيقول له قد واعدتها أن تدخل عليك الليلة وأنت رجل عزب ونساء المدينة خاصة يردن المطاولة في الجماع وكأني بك كما تدخله عليها تفرغ وتقوم فتبغضك وتمقتك ولا تعاودك بعدها ولو أعطيتها الدنيا ولا تنظر في وجهك بعدها

فلا يزال في مثل هذا القول حتى يعلم أنه قد هاجت شهوته فيقول له كيف أعمل قال تطلب زنجية فتنيكها مرتين أو ثلاثا حتى تسكن غلمتك فإذا دخلت الليلة إلى أهلك لم تجد أمرك إلا جميلا

فيقول له ذاك أعوذ بالله من هذه الحال أزنا وزنجية لا والله لا أفعل فإذا أكثر محاورته قال له فكما جاء علي قم فنكني أنا حتى تسكن غلمتك وشبقك فيفرح فينيكه مرة أو مرتين

فيقول له قد استوى أمرك الآن وطابت نفسك وتدخل على زوجتك فتنيكها نيكا يملؤها سرورا ولذة

فينيك المرأة قبل زوجها وينيكه الرجل قبل امرأته

فكان ذلك دأبه إلى أن بلغ خبره سليمان بن عبد الملك وكان غيورا شديد الغيرة فكتب بأن يخصى هو وسائر المخنثين بالمدينة ومكة وقال إن هؤلاء يدخلون على نساء قريش ويفسدونهن

فورد الكتاب على ابن حزم فخصاهم

هذه رواية إسحاق عن الزبيري

والسبب في هذا أيضا مختلف فيه وليس كل الرواة يروون ذلك كما رواه مصعب

رواية أخرى عن سبب خصيه

فمما روي من أمرهم ما أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهري وهذا الخبر أصح ما روي في ذلك إسنادا قال أخبرنا أبو زيد عمر بن شبة عن معن بن عيسى هكذا رواه الجوهري وأخبرنا به إسماعيل بن يونس قال حدثني عمر ابن شبة قال حدثني أبو غسان قال قال ابن جناح حدثني معن بن عيسى عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه وعن محمد بن معن الغفاري قالا

كان سبب ما خصي له المخنثون بالمدينة أن سليمان بن عبد الملك كان في نادية له يسمر ليلة على ظهر سطح فتفرق عنه جلساؤه فدعا بوضوء فجاءت به جارية له

فبينا هي تصب عليه إذا أومأ بيده وأشار بها مرتين أو ثلاثا فلم تصب

عليه فأنكر ذلك فرفع رأسه فإذا هي مصغية بسمعها إلى ناحية العسكر وإذا وصوت رجل يغني فأنصت له حتى سمع جميع ما تغني به

فلما أصبح أذن للناس ثم أجرى ذكر الغناء فلين فيه حتى ظن القوم أنه يشتهيه ويريده فأفاضوا فيه بالتسهيل وذكر من كان يسمعه

فقال سليمان فهل بقي أحد يسمع منه الغناء فقال رجل من القوم عندي يا أمير المؤمنين رجلان من أهل أيلة مجيدان محكمان

قال وأين منزلك فأومأ إلى الناحية التي كان الغناء منها

قال فابعث إليهما ففعل

فوجد الرسول أحدهما فأدخله على سليمان فقال ما اسمك قال سمير فسأله عن الغناء فاعترف به

فقال متى عهدك به قال الليلة الماضية

قال وأين كنت فأشار إلى الناحية التي سمع سليمان منها الغناء

قال فما غنيت به فأخبره الشعر الذي سمعه سليمان

فأقبل على القوم فقال هدر الجمل فضبعت الناقة ونب التيس فشكرت الشاة وهدر الحمام فزافت الحمامة وغنى الرجل فطربت المرأة ثم أمر به فخصي وسأل عن الغناء أين أصله فقيل بالمدينة في المخنثين وهم أئمته والحذاق فيه

فكتب إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري وكان عامله عليها أن اخص من قبلك من المخنثين المغنين

فزعم موسى بن جعفر بن أبي كثير قال أخبرني بعض الكتاب قال قرأت كتاب سليمان في الديوان فرأيت على الخاء نقطة كتمرة العجوة

قال ومن لا يعلم يقول إنه صحف القارئ وكانت أحص قال فتتبعهم ابن حزم فخصى منهم تسعة فمنهم الدلال وطريف وحبيب نومة

الضحى
وقال بعضهم حين خصي سلم الخاتن والمختون
وهذا كلام يقوله الصبي إذا ختن
قال فزعم ابن أبي ثابت الأعرج قال أخبرني حماد بن نشيط الحسني قال أقبلنا من مكة ومعنا بدراقس وهو الذي ختنهم
وكان غلامه قد أعانه على خصائهم فنزلنا على حبيب نومة الضحى فاحتفل لنا وأكرمنا
فقال له ثابت من أنت قال يابن أخي أتجهلني وأنت وليت ختاني أو قال وأنت ختنتني
قال واسوءتاه وأيهم أنت قال أنا حبيب
قال ثابت فاجتنبت طعامه وخفت أن يسمني
قال وجعلت لحية الدلال بعد سنة أو سنتين تتناثر
وأما ابن الكلبي فإنه ذكر عن أبي مسكين ولقيط أن أيمن كتب بإحصاء من في المدينة من المخنثين ليعرفهم فيوفد عليه من يختاره للوفادة فظن الوالي أنه يريد الخصاء فخاصهم
أخبرني وكيع قال حدثني أبو أيوب المديني قال حدثني محمد بن سلام قال حدثني ابن جعدبة ونسخت أنا من كتاب أحمد بن الحارث الخراز عن المديني عن ابن جعدبة واللفظ له
أن الذي هاج سليمان بن عبد الملك على ما صنعه بمن كان بالمدينة من المخنثين أنه كان مستلقيا على فراشه في الليل وجارية له إلى جنبه وعليها غلالة ورداء معصفران وعليها وشاحان من ذهب وفي عنقها فصلان من لؤلؤ وزبرجد وياقوت وكان سليمان بها مشغوفا وفي عسكره رجل يقال له سمير الأيلي يغني فلم يفكر سليمان في غنائه شغلا بها وإقبالا عليها وهي لاهية عنه لا تجيبه مصغية إلى الرجل حتى طال ذلك عليه فحول وجهه عنها مغضبا ثم عاد إلى ما كان مشغولا عن فهمه بها فسمع سميرا يغني بأحسن صوت وأطيب نغمة
صوت
(محجوبة سَمِعتْ صوتي فأرّقَها ... من آخرِ اللّيل حتّى شَفَّها السَّهَرُ)
(تُدْنِي على جيدِها ثِنْيَيْ مُعَصْفَرةٍ ... والحَلْيُ منها على لَبَّاتها خَصِرُ)
(في ليلة النصف ما يدري مُضَاجِعُها ... أوجهُها عنده أبهى أمِ القمرُ)
ويروى
(... أوجُهُها ما يَرَى أم وجهُها القمرُ)
(لَوْ خُلِّيَتْ لَمَشتْ نَحْوي على قَدَمٍ ... تكاد من رِقَّةٍ للمشي تَنْفَطِرُ)
الغناء لسمير الأيلي رمل مطلق بالبنصر عن حبش
وأخبرني ذكاء وجه الرزة أنه سمع فيه لحنا للدلال من الثقيل الأول فلم يشكك سليمان أن الذي بها مما سمعت وأنها تهوى سميرا فوجه من وقته من أحضره وحبسه ودعا لها بسيف ونطع وقال والله لتصدقني أو لأضربن عنقك قالت سلني عما تريد
قال أخبريني عما بينك وبين هذا الرجل
قالت والله ما أعرفه ولا رأيته قط وأنا جارية منشأي الحجاز ومن هناك حملت إليك ووالله ما أعرف بهذه البلاد أحدا سواك فرق لها وأحضر الرجل فسأله وتلطف له في المسألة فلم يجد بينه وبينها سبيلا ولم تطب نفسه بتخليته سويا فخصاه وكتب في المخنثين بمثل ذلك
هذه الرواية الصحيحة
أسف ابن أبي عتيق والماجشون لخصائه
وقد أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار يقال حدثنا عمي قال
(قيل للوليد بن عبد الملك إن نساء قريش يدخل عليهن المخنثون بالمدينة وقد قال رسول الله (لا يدخل عليكن هؤلاء فكتب إلى ابن حزم الأنصاري أن اخصهم فخصاهم
فمر ابن أبي عتيق فقال أخصيتم الدلال أما والله لقد كان يحسن
(لِمَنْ رَبْعٌ بذات الجَيْش ... أمسى دارساً خَلَقَا)
(تأبّد بعد ساكنه ... فأصبح أهلُه فِرَقَا)
(وقفتُ به أُسائلُه ... ومَرّتْ عِيسُهم حِزَقَا)
ثم ذهب ثم رجع فقال إنما أعني خفيفة لست أعني ثقيله
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الواقدي عن ابن الماجشون
أن خليفة صاحب الشرطة لما خصي المخنثون مر بأبيه الماجشون وهو في حلقته فصاح به تعال فجاءه فقال أخصيتم الدلال قال نعم
قال أما إنه كان يجيد
(لِمَنْ رَبْعٌ بذات الجيش ... أمسى دارساً خَلَقَا)
ثم مضى غير بعيد فرده ثم قال أستغفر الله إنما أعني هزجه لا ثقيله
أخبر له في المسجد
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني حمزة النوفلي قال
صلى الدلال المخنث إلى جانبي في المسجد فضرط ضرطة هائلة سمعها
من في المسجد فرفعنا رؤوسنا وهو ساجد وهو يقول في سجوده رافعا بذلك صوته سبح لك أعلاي وأسفلي فلم يبق في المسجد أحد إلا فتن وقطع صلاته بالضحك
أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن المدائني عن أشياخه
أن عبد الله بن جعفر قال لصديق له لو غنتك جاريتي فلانه
(لِمَنْ رَبْعٌ بذات الجيش ... أمسى دارساً خَلَقَا)
لما أدركت دكانك
فقال جعلت فداك قد وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير

فقال عبد الله يا غلام مر فلانة أن تخرج فخرجت معها عودها
فقال عبد الله إن هذا الشيخ يكره السماع
فقالت ويحه لو كره الطعام والشراب كان أقرب له إلى الصواب فقال الشيخ فكيف ذاك وبهما الحياة فقالت إنهما ربما قتلا وهذا لا يقتل
فقال عبد الله غني
(لِمَنْ ربعٌ بذات الجيش ... أمسى دارساً خَلَقاً)
فغنت فجعل الشيخ يصفق ويرقص ويقول
(... هذا أوانُ الشدِّ فاشْتَدِّي زِيَمْ)
ويحرك رأسه ويدور حتى وقع مغشيا عليه وعبد الله بن جعفر يضحك منه
أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان قال
مر الغمر بن يزيد بن عبد الملك حاجا فغناه الدلال
(بانتْ سُعادُ وأمسى حَبْلُها انْصَرَمَا ... واحْتَلَّت الغَمْرَ فالأجراعَ من إضَمَا)
فقال له الغمر أحسنت والله وغلبت فيه ابن سريج فقال له الدلال نعمة الله علي فيه أعظم من ذلك
قال وما هي قال السمعة لا يسمعه أحد إلا علم أنه غناء مخنث حقا
نسبة هذا الصوت
صوت
(بانتْ سعادُ وأمسى حبلُها انصرما ... واحتلّتِ الغَمْرَ فالأجراعَ من إضَمَا
(إحْدَى بَلِي وما هامَ الفؤادُ بها ... إلاّ السَّفَاهَ وإلاّ ذُكْرَةً حُلُمَا)
(هَلاَّ سألتِ بني ذُبْيَانَ ما حسَبي ... إذا الدُّخَانُ تَغَشَّى الأشمط البَرَمَا)
الشعر للنابغة الذبياني
والغناء للدلال خفيف ثقيل أول بالوسطى عن
الهشامي
وفيه خفيف ثقيل بالبنصر لمعبد عن عمرو بن بانة
وفيه لابن سريج ثقيل أول بالبنصر عن حبش
وفيه لنشيط ثاني ثقيل بالبنصر عنه
وذكر الهشامي أن لحن معبد ثقيل أول وذكر حماد أنه للغريض
وفيه لجميلة ودحمان لحنان ويقال إنهما جميعا من الثقيل الأول
أخبرني الحسين بن يحيى قال أخبرنا حماد بن إسحاق إجازة عن أبيه عن المدائني قال
اختصم شيعي ومرجئ فجعلا بينهما أول من يطلع فطلع الدلال
فقالا له أبا زيد أيهما خير الشيعي أم المرجئ فقال لا أردي إلا أن أعلاي شيعي وأسفلي مرجئ
هروبه من المدينة إلى مكة
قال إسحاق قال المدائني وأخبرني أبو مسكين عن فليح بن سليمان قال
كان الدلال ملازما لأم سعيد الأسلمية وبنت ليحيى بن الحكم بن أبي العاصي وكانتا من أمجن النساء كانتا تخرجان فتركبان الفرسين فتستبقان عليهما حتى تبدو خلاخيلهما
فقال معاوية لمروان بن الحكم إكفني بنت أخيك فقال أفعل
فاستزارها وأمر ببئر فحفرت في طريقها وغطيت بحصير فلما مشت عليه سقطت في البئر فكانت قبرها
وطلب الدلال فهرب إلى مكة
فقال له نساء أهل مكة قتلت نساء أهل المدينة وجئت لتقتلنا فقال والله ما قتلهن إلا الحكاك
فقلن اعزب أخزاك الله ولا أدنى بك دارا ولا آذانا بك قال فمن لكن بعدي يدل على دائكن ويعلم موضع شفائكن والله ما زنيت قط ولا زني بي وإني لأشتهي ما تشتهي نساؤكم ورجالكم
قال إسحاق وحدثني الواقدي عن ابن الماجشون قال
كان أبي يعجبه الدلال ويستحسن غناءه ويدنيه ويقربه ولم أره أنا فسمعت أبي يقول غناني الدلال يوما بشعر مجنون بني عامر فلقد خفت الفتنة على نفسي
فقلت يا أبت وأي شعر تغني قال قوله
صوت
(عَسَى اللهُ أنْ يُجْرِي المَوَدّةَ بيننا ... ويُوصِلَ حبلاً منكُم بحِبالِيَا)
(فكَمْ من خَلِيلَيْ جفْوةٍ قد تَقاطَعَا ... علي الدَّهْر لمّا أنْ أطالاَ التَّلاَقِيَا)
(وإنّي لفي كَرْبٍ وأنتِ خَلِيّةٌ ... لقد فارقتْ في الوصف حالُكِ حاليا)
(عتبتُ فما أعتبتِني بمودّةٍ ... ورُمْتُ فما أسعفتِني بسؤاليا)
الغناء في هذا الشعر للغريض ثقيل أول بالوسطى ولا أعرف فيه لحنا غيره
وذكر حماد في أخبار الدلال أنه للدلال ولم يجنسه
قال إسحاق وحدثني الواقدي عن عثمان بن إبراهيم الحاطبي قال
قدم مخنث من مكة يقال له مخة فجاء إلى الدلال فقال يا أبا زيد دلني على بعض مخنثي أهل المدينة أكايده وأمازحه ثم أجاذبه
قال قد وجدته لك وكان خثيم بن عراك بن مالك صاحب شرطة زياد بن عبيد الله الحارثي جاره وقد
خرج في ذلك الوقت ليصلي في المسجد فأومأ إلى خثيم فقال الحقه في المسجد فإنه يقوم فيه فيصلي ليرائي الناس فإنك ستظفر بما تريد منه
فدخل المسجد وجلس إلى جنب ابن عراك فقال عجلي بصلاتك لا صلى الله عليك فقال خثيم سبحان الله فقال المخنث

سبحت في جامعة قراصة انصرفي حتى أتحدث معك
فانصرف خثيم من صلاته ودعا بالشرط والسياط فقال خذوه فأخذوه فضربه مائة وحبسه
أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه قال
صلى الدلال يوما خلف الإمام بمكة فقرأ (وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون) فقال الدلال لا أدري والله فضحك أكثر الناس وقطعوا الصلاة
فلما قضى الوالي صلاته دعا به وقال له ويلك ألا تدع هذا المجون والسفه فقال له قد كان عندي أنك تعبد الله فلما سمعتك تستفهم ظننت أنك قد تشككت في ربك فثبتك
فقال له أنا شككت في ربي وأنت ثبتني إذهب لعنك الله ولا تعاود فأبالغ والله في عقوبتك
قصته مع رجل زوجه امرأة لم يدخل بها
قال إسحاق وحدثني الواقدي عن عثمان بن إبراهيم قال
سأل رجل الدلال أن يزوجه امرأة فزوجه
فلما أعطاها صداقها وجاء بها إليه فدخلت عليه قام إليها فواقعها فضرطت قبل أن يطأها فكسل عنها الرجل ومقتها وأمر بها فأخرجت وبعث إلى الدلال فعرفه ما جرى عليه
فقال له الدلال فديتك هذا كله من عزة نفسها
قال دعني منك فإني قد أبغضتها
فاردد علي دراهمي فرد بعضها
فقال له لم رددت بعضها وقد خرجت كما دخلت قال للروعة التي أدخلتها على استها
فضحك وقال له اذهب فأنت أقضى الناس وأفقههم
فتية من قريش يسقونه حتى يسكروه
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أبو أيوب المديني قال حدثني محمد بن سلام عن أبيه قال وأخبرني به الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن محمد ابن سلام عن أبيه قال
أن الدلال خرج يوما مع فتية من قريش في نزهة له وكان معهم غلام جميل الوجه فأعجبه وعلم القوم وعلم القوم بذلك فقالوا قد ظفرنا به بقية يومنا وكان لا يصبر في مجلس حتى ينقضي وينصرف عنه استثقالا لمحادثة الرجال ومحبة في محادثة النساء
فغمزوا الغلام عليه وفطن لذلك فغضب وقام لينصرف فأقسم الغلام عليه والقوم جميعا فجلس
وكان معهم شراب فشربوا وسقوه وحملوا عليه لئلا يبرح ثم سألوه أن يغنيهم فغناهم
صوت
(زُبَيْرِيّةٌ بالعَرْجِ منها منازلٌ ... وبالخَيْفِ من أدنى مَنازلِها رَسْمُ)
(أُسائلُ عنها كلَّ رَكْبٍ لَقِيتُه ... ومالي بها من بعد مَكَّتِنا عِلْمُ)
(أيا صاحبَ الخَيْماتِ من بَطْنِ أرْثَدٍ ... إلَى النخلِ من وَدَّانَ ما فعلتْ نُعْمُ)
(فإنْ تَكُ حَرْبٌ بين قومي وقومِها ... فإنّي لها في كلِّ نائرةٍ سَلْمُ)
ذكر يحيى المكي وعمرو بن بانة أن الغناء في هذا الشعر لمعبد ثاني ثقيل بالوسطى وذكر غيرهما أنه للدلال وفيه لمخارق رمل
وذكر إسحاق هذا اللحن في طريقة الثقيل الثاني ولم ينسبه إلى أحد قال فاستطير القوم فرحا وسرورا وعلا نعيرهم فنذر بهم السلطان وتعادت الأشراط فأحسوا بالطلب فهربوا وبقي الغلام والدلال ما يطيقان براحا من السكر فأخذا فأتي بهما أمير المدينة
فقال للدلال يا فاسق فقال له من فمك إلى السماء
قال جؤوا فكه قال وعنقه أيضا
قال يا عدو الله أما وسعك بيتك حتى خرجت بهذا الغلام إلى الصحراء تفسق به فقال لو علمت أنك تغار علينا وتشتهي أن نفسق سرا ما خرجت من بيتي
قال جردوه واضربوه حدا
قال وما ينفعك من ذلك وأنا والله أضرب في كل يوم حدودا
قال ومن يتولى ذلك منك قال أيور المسلمين
قال ابطحوه على وجهه واجلسوا على ظهره
قال أحسب أن الأمير قد اشتهى أن يرى كيف أناك
قال أقيموه لعنه الله واشهروه في المدينة مع الغلام
فأخرجا يدار بهما في السكك
فقيل له ما هذا يا دلال قال إشتهى الأمير أن يجمع بين الرأسين فجمع بيني وبين هذا الغلام ونادى علينا ولو قيل له الآن إنك قواد غضب فبلغ قوله الوالي فقال خلوا سبيلهما لعنة الله عليهما
قال إسحاق في خبره خاصة ولم يذكره أبو أيوب فحدثني أبي عن ابن جامع عن سياط قال
سمعت يونس يقول قال لي معبد ما ذكرت غناء الدلال في هذا الشعر
(...زُبَيْرِيَّةٌ بالعَرْجِ منها مَنازلٌ)
إلا جدد لي سرورا ولوددت أني كنت سبقته إليه لحسنه عندي
قال يونس فقلت له ما بلغ من حسنه عندك قال يكفيك أني لم أسمع أحسن منه قط
خبره هو وطويس والوليد مع عبد الرحمن بن حسان
أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن صالح بن حسان قال
كان بالمدينة عرس فاتفق فيه الدلال وطويس والوليد المخنث فدخل عبد الرحمن بن حسان فلما رآهم قال ما كنت لأجلس في مجلس فيه هؤلاء
فقال له طويس قد علمت يا عبد الرحمن نكايتي فيك وأن جرحي إياك لم يندمل يعني خبره معه بحضرة عبد الله بن

جعفر وذكره لعمته الفارعة فاربح نفسك وأقبل على شأنك فإنه لا قيام لك بمن يفهمك فهمي
وقال له الدلال يا أخا الأنصار إن أبا عبد النعيم أعلم بك مني وسأعلمك بعض ما أعلم به
ثم اندفع ونقر بالدف وكلهم ينقر بدفه معه فتغنى
صوت
(أتهجُر يا إنسانُ مَنْ أنت عاشقُهْ ... ومَنْ أنت مشتاقٌ إليه وشائقُهْ)
(وريمٍ أحَمِّ المقلتينِ مُوشَّحٍ ... زَرَابِيُّه مبثوثةٌ ونَمَارِقُهْ)
(ترى الرَّقْمَ والدِّيباجَ في بيته معاً ... كما زيَّن الروضَ الأنيقَ حدائقُهْ)
(وسِربِ ظِباء ترتَعِي جانبَ الحِمَى ... إلى الجو فالْخَبْتَيْن بِيضٌ عَقَائقُهْ)
(وما مِنْ حمىً في الناس إلاّ لنا حِمىً ... إلاّ لنا غَرْبِيُّهُ ومَشَارِقُهْ)
فاستضحك عبد الرحمن وقال اللهم غفرا وجلس
لحن الدلال في هذه الأبيات هزج بالبنصر عن يحيى المكي وحماد
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي عبد الله الجمحي عن محمد بن عثمان عن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام قال سمعت عمي عتبة يقول حدثني مولى للوليد بن عبد الملك قال
كان الدلال ظريفا جميلا حسن البيان من أحضر الناس جوابا وأحجهم وكان سليمان بن عبد الملك قد رق له حين خصي غلطا فوجه إليه مولى له وقال له جئني به سرا وكانت تبلغه نوادره وطيبه وحذر رسوله أن يعلم بذلك أحد
فنفذ المولى إليه وأعلمه ما أمره به وأمره بالكتمان وحذر أن يقف على مقصده أحد ففعل
وخرج به إلى الشام فلما قدم أنزله المولى منزله وأعلم سليمان بمكانه فدعا به ليلا فقال ويلك ما خبرك فقال جببت من القبل مرة أخرى يا أمير المؤمنين فهل تريد أن تجبني المرة من الدبر فضحك وقال اعزب أخزاك الله ثم قال له غن
فقال لا أحسن إلا بالدف
فأمر فأتي له بدف فغنى في شعر العرجي
(أفي رسمِ دارٍ دَمْعُكَ المُتَحدِّرُ ... سِفَاهاً وما استنطاقُ ما ليس يُخْبِرُ)
(تغيَّر ذاك الربعُ من بعد جِدَّةٍ ... وكلُّ جديدٍ مَرّةً متغيِّرُ)
(لأسماءَ إذ قلبي بأسماءَ مُغْرَمٌ ... وما ذِكْرُ أسماءَ الجميلةِ مُهْجَرُ)
(ومَمْشَى ثَلاثٍ بعد هَدْءٍ كَوَاعِبٍ ... كمثلِ الدُّمَى بل هُنّ من ذاكَ أنضَرُ)
((فَسَلَّمْنَ تسليماً خفيّاً وسَقَّطَتْ ... مَصَاعِبةٌ ظُلْعٌ مِنَ السيرِ حُسَّرُ)
(لها أرَجٌ مِن زاهر البَقْلِ والثَّرَى ... وبُرْدٌ إذا ما باشر الجِلْدَ يَخْصَرُ)
(فقالت لِتِرْبَيْها الغداةَ تَبَقّيَا ... بعينٍ ولا تستبعِدَا حين أُبصِرُ)
(ولا تُظْهِرَا بُرْدَيْكما وعليكما ... كِساءانِ من خَزٍّ بنَقْشٍ وأخضرُ)
(فعَدِّي فما هذا العتابُ بنافعٍ ... هوايَ ولا مُرْجِي الهوى حين يُقْصِرُ)
فقال له سليمان حق لك يا دلال أن يقال لك الدلال أحسنت وأجملت فوالله ما أدري أي أمريك أعجب أسرعة جوابك وجودة فهمك أم حسن غنائك بل جميعا عجب وأمر له بصلة سنية
فأقام عنده شهرا يشرب على غنائه ثم سرحه إلى الحجاز مكرما
قصة الشامي الذي أراد أن يتزوج من المدينة
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الأصمعي قال
حج هشام بن عبد الملك فلما قدم المدينة نزل رجل من أشراف أهل الشأم وقوادهم بجنب دار الدلال فكان الشامي يسمع غناء الدلال ويصغي إليه ويصعد فوق السطح ليقرب من الصوت ثم بعث إلى الدلال إما أن تزورنا وإما أن نزورك
فبعث إليه الدلال بل تزورنا
فتهيأ الشامي ومضى إليه وكان للشامي غلمان روقة فمضى معه بغلامين منهم كأنهما درتان
فغناه الدلال
(قد كنتُ آمُلُ فيكُم أمَلاً ... والمرءُ ليس بمُدْرِكٍ أمَلَهْ)
(حتّى بدا لي منكم خُلُفٌ ... فزجرتُ قلبي عن هوىً جَهِلَهْ)
(ليس الفتى بمُخَلَّدٍ أبداً ... حَقّاً وليس بفائتٍ أجَلَهْ)
((حَيِّ العَمُودَ ومَنْ بِعَقْوتِه ... وقِفَا العَمُودِ وإن جَلاَ أهلُهْ
قال فاستحسن الشامي غناءه وقال له زدني فقال أو ما يكفيك ما سمعت قال لا والله ما يكفيني
قال فإن لي إليك حاجة قال وما هي قال تبيعني أحد هذين الغلامين أو كليهما
قال اختر أيهما شئت فاختار أحدهما
فقال الشامي هو لك فقبله الدلال ثم غناه
(دَعَتْني دَوَاعٍ من أُرَيّا فهيَّجتْ ... هَوىً كان قِدْماً من فؤادٍ طَرُوبِ)
(لعلَّ زماناً قد مضي أن يعودَ لي ... فتغْفِرَ أرْوَى عند ذاكَ ذُنوبي)
(سَبَتْنِي أُرَياًّ يوم نَعْف مُحَسَّر ... بوجهٍ جميلٍ للقلوبِ سَلُوبِ)
فقال له الشامي أحسنت ثم قال له أيها الرجل الجميل إن لي إليك حاجة
قال وما هي قال أريد وصيفة ولدت في حجر صالح ونشأت في خير جميلة الوجه مجدولة وضيئة جعدة في بياض مشربة حمرة حسنة القامة سبطة أسيلة الخد عذبة اللسان لها شكل ودل تملأ العين والنفس
فقال له الدلال قد أصبتها لك فما لي عليك إن دللتك قال غلامي هذا
قال إذا رأيتها وقبلتها فالغلام لي قال نعم
فأتى امرأة كنى عن اسمها فقال لها جعلت فداك إنه نزل بقربي رجل من أهل الشأم من قواد هشام له ظرف وسخاء وجاءني زائرا فأكرمته ورأيت معه غلامين كأنهما الشمس الطالعة والقمر المنير والكواكب الزاهرة ما وقعت عيني على مثلهما ولا ينطلق لساني بوصفهما فوهب
لي أحدهما والآخر عنده وإن لم يصل إلي فنفسي خارجة قالت فتريد ماذا قال طلب مني وصيفة يشتريها على صفة لا

أعلمها في أحد إلا في فلانة بنتك فهل لك أن تريها له قالت وكيف لك بأن يدفع الغلام إليك إذا رآها قال فإني قد شرطت عليه ذلك عند النظر لا عند البيع قالت فشأنك ولا يعلم أحد بذلك فمضى الدلال فجاء الشامي معه فلما صار إلي المرأة أدخلته فإذا هو بحجلة وفيها امرأة على سرير مشرف برزة جميلة فوضع له كرسي فجلس فقالت له أمن العرب أنت قال نعم قالت من أيهم قال من خزاعة قالت مرحبا بك وأهلا أي شيء طلبت فوصف الصفة فقالت أصبتها وأصغت إلى جارية لها فدخلت فمكثت هنيهة ثم خرجت فنظرت إليها المرأة فقالت لها أي حبيبتي أخرجي فخرجت وصيفة ما رأى الراؤون مثلها

فقالت لها أقبلي فأقبلت ثم قالت لها أدبري فأدبرت تملأ العين والنفس فما بقي منها شيء إلا وضع يده عليه فقالت أتحب أن نؤزرها لك قال نعم

قالت أي حبيبتي ائتزري فضمها الإزار وظهرت محاسنها الخفية وضرب بيده على عجيزتها وصدرها

ثم قالت أتحب أن نجردها لك قال نعم

قالت أي حبيبتي وضحي فألقت إزارها فإذا أحسن خلق الله كأنها سبيكة

فقالت يا أخا أهل الشأم كيف رأيت قال منية المتمني

قال بكم تقولين قالت ليس يوم النظر يوم البيع ولكن تعود غدا حتى نبايعك ولا تنصرف إلا على الرضا فانصرف من عندها فقال له الدلال أرضيت قال نعم ما كنت أحسب أن مثل هذه في الدنيا فإن الصفة لتقصر دونها

ثم دفع إليه الغلام الثاني

فلما كان من الغد قال له الشامي امض بنا فمضيا حتى قرعا الباب فأذن لهما فدخلا وسلما ورحبت المرأة بهما ثم قالت للشامي اعطنا ما تبذل قال ما لها عندي ثمن إلا وهي أكبر منه فقولي يا أمة الله

قالت بل قل فإنا لم نوطئك أعقابنا ونحن نريد خلافك وأنت لها رضا

قال ثلاثة آلاف دينار فقالت والله لقبلة من هذه خير من ثلاثة آلاف دينار

قال

بأربعة آلاف دينار

قالت غفر الله لك أعطنا أيها الرجل

قال والله ما معي غيرها ولو كان لزدتك إلا رقيق ودواب وخرثي أحمله إليك

قالت ما أراك إلا صادقا أتدري من هذه قال تخبريني

قالت هذه ابنتي فلانة بنت فلان وأنا فلانة بنت فلان وقد كنت أردت أن أعرض عليك وصيفة عندي فأحببت إذا رأيت غدا غلظ أهل الشأم وجفاءهم ذكرت ابنتي فعلمت أنكم في غير شيء قم راشدا

فقال للدلال خدعتني قال أولا ترضى أن ترى ما رأيت من مثلها وتهب مائة غلام مثل غلامك قال أما هذا فنعم

وخرجا من عندها

نسبة ما عرفت نسبته من الغناء المذكور في هذا الخبر

صوت

(قد كنتُ آمُلُ فيكُم أمَلاً ... والمرءُ ليس بمُدْرِكٍ أمَلَهْ)

(حتَّى بدا لي منكُم خُلُفٌ ... فزجرتُ قلبي عن هَوىً جَهِلَهْ)

الشعر للمغيرة بن عمرو بن عثمان

والغناء للدلال ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالبنصر في مجراها وجدته في بعض كتب إسحاق بخط يده هكذا

وذكر علي بن يحيى المنجم أن هذا اللحن في هذه الطريقة لابن سريج وأن لحن الدلال خفيف ثقيل نشيد

وذكر أحمد بن المكي أن لحن الدلال ثاني ثقيل بالوسطى ولحن ابن سريج ثقيل أول

وفيه لمتيم وعريب لميتم خفيفا ثقيل المطلق المسجح منهما لعريب

ومنها

صوت

(دعتْني دَوَاعٍ من أُرَيَّا فهيَّجَتْ ... هَوىً كان قِدْما من فُؤادٍ طَرُوبِ)

(سبتْني أرَيَّا يومَ نَعْفِ مُحَسِّرٍ ... بوجهٍ صبيحٍ للقلوب سَلُوبِ)

(لعلَّ زماناً قد مضى أن يعودَ لي ... وتَغْفِرَ أرْوَى عند ذاك ذُنوبي)

الغناء للدلال خفيف ثقيل أول بالوسطى في مجراها من رواية حماد عن أبيه وذكر يحيى المكي أنه لابن سريج

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي قبيصة قال

جاء الدلال يوما إلى منزل نائلة بنت عمار الكلبي وكانت عند معاوية فطلقها فقرع الباب فلم يفتح له فغنى في شعر مجنون بني عامر ونقر بدفه

(خَلِيلَيَّ لا واللهِ ما أمْلِكُ البُكَا ... إذا عَلَمٌ من أرض لَيلَى بَدَا لِيَا)

(خليلَيَّ إنْ بانُوا بليلَى فَهَيِّئا ... لِيَ النَّعْشَ والأكفان واستَغْفِرَا لِيا)

فخرج حشمها فزجروه وقالوا تنح عن الباب

وسمعت الجلبة فقالت ما هذه الضجة بالباب فقالوا الدلال

فقالت ائذنوا له

فلما دخل عليها شق ثيابه وطرح التراب على رأسه وصاح بويله وحربه فقالت له الويل ويلك ما دهاك وما أمرك قال ضربني حشمك

قال ولم قال غنيت صوتا أريد أن أسمعك إياه لأدخل إليك فقالت أف لهم وتف نحن نبلغ لك ما تحب ونحسن تأديبهم يا جارية هاتي ثيابا مقطوعة

فلما طرحت عليه جلس

فقالت ما حاجتك قال لا أسألك حاجة حتى أغنيك

قال فذاك إليك فاندفع يغني شعر جميل

(اِرْحَمِينِي فقد بَلِيتُ فَحَسْبي ... بعضُ ذا الدَّاءِ يا بُثَيْنةُ حَسْبِي)

(لامَني فيكِ يا بثنيةُ صَحْبِي ... لا تَلُومُوا قد أقْرح الحُبُّ قلبي)
(زعَم الناسُ أنّ دائيَ طِبِّي ... أنتِ واللَّهِ يا بثنيةُ طِبِّي)
ثم جلس فقال هل من طعام قالت علي بالمائدة فأتي بها كأنها كانت مهيأة عليها أنواع الأطعمة فأكل ثم قال هل من شراب قالت أما نبيذ فلا ولكن غيره
فأتي بأنواع الأشربة فشرب من جميعها
ثم قال هل من فاكهة فأتي بأنواع الفواكه فتفكه ثم قال حاجتي خمسة آلاف درهم وخمس حلل من حلل معاوية وخمس حلل من حلل حبيب بن مسلمة وخمس حلل من حلل النعمان بن بشير
فقالت وما أردت بهذا قال هو ذاك والله ما أرضى ببعض دون بعض فإما الحاجة وإما الرد
فدعت له بما سأل فقبضه وقام
فلما توسط الدار غنى ونقر بدفه
(ليتَ شِعْري أجَفْوةٌ أم دَلاَلٌ ... أمْ عَدُوٌّ أتى بُثَيْنَة بعدي)
(فمُريني أُطِعْكِ في كلّ أمرٍ ... أنت واللَّهِ أوجهُ الناسِ عندي)
وكانت نائلة عند معاوية فقال لفاختة بنت قرظة إذهبي فانظري إليها فذهبت فنظرت إليها فقالت له ما رأيت مثلها ولكني رأيت تحت سرتها خالا ليوضعن منه رأس زوجها في حجرها
فطلقها معاوية فتزوجها بعده رجلان أحدهما حبيب بن مسلمة
والآخر النعمان بن بشير فقتل أحدهما فوضع رأسه في حجرها
نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني
صوت
(خليلَيَّ لا واللَّه ما أمْلكُ البُكَا ... إذا عَلَم من أرض ليلَى بَدَالِيا)
(خليلَيَّ إنْ بانوا بليلَى فَهيِّئا ... لي النَّعْشَ والأكفان واستغفِرالِيا)
(أمضروبة ليلَى عَلَي أنْ أزورها ... ومتَّخَذ ذنباً لها أنْ تَرانِيا)
(خليلَيّ لا واللّه ما أملِك الذي ... قضى اللّه في ليلى ولا ما قَضَى ليا)
(قَضَاها لغيري وابتلاني بحُبِهَا ... فَهلاّ بشيء غير ليلى ابتلانيا)
الشعر للمجنون
والغناء لابن محرز ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق
وذكر الهشامي أن فيه لحنا لمعبد ثقيل أول لا يشك فيه
قال وقد قال قوم إنه منحول يحيى المكي
وفيه لإبراهيم خفيف ثقيل عن الهشامي أيضا
وفيه ليحيى المكي رمل من رواية ابنه أحمد
وفيه خفيف رمل عن أحمد بن عبيد لا يعرف صانعه
ومنها
صوت
(ليتَ شِعْري أجَفْوَةٌ أم دَلاَلٌ ... أم عَدُوٌّ أتى بثينةَ بعدي)
(فمِريِني أُطِعْكِ في كلِّ أمرٍ ... أنتِ واللّه أوجهُ الناسِ عندي)
الشعر لجميل
والغناء لابن محرز خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق
وفيه لعلويه خفيف ثقيل آخر
وذكر عمرو بن بانة أن فيه خفيف ثقيل بالوسطى لمعبد
وذكر إسحاق أن فيه رملا بالبنصر في مجراها ولم ينسبه إلى أحد وذكر الهشامي أنه لمالك
وفيه لمتيم خفيف رمل
وفيه لعريب ثقيل أول بالبنصر
وذكر حبش أن فيه للغريض ثقيلا أول بالبنصر
ولمعبد فيه ثقيل أول بالوسطى
وذكر ابن المكي أن فيه خفيف ثقيل لمالك وعلويه
غناؤه في زفاف ابنة عبد الله بن جعفر
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المدائني عن عوانة بن الحكم قال
لما أراد عبد الله بن جعفر إهداء بنته إلى الحجاج كان ابن أبي عتيق عنده فجاءه الدلال متعرضا فاستأذن
فقال له ابن جعفر لقد جئتنا يا دلال في وقت حاجتنا إليك
قال ذلك قصدت
فقال له ابن أبي عتيق غننا فقال ابن جعفر ليس وقت ذلك نحن في شغل عن هذا
فقال ابن أبي عتيق ورب الكعبة ليغنين
فقال له ابن جعفر هات
فغنى ونقر بالدف والهوادج والرواحل قد هيئت وصيرت بنت ابن جعفر فيها مع جواريها والمشيعين لها
(يا صاحِ لو كنتَ عالماً خَبِراً ... بما يُلاَقِي المُحِبُّ لم تَلُمهْ)
(لا ذنبَ لي في مُقَرَّطٍ حسَنٍ ... أعجبني دَلُّه ومُبْتَسَمُهْ)
(شِيمتُه البُخْلُ والبِعادُ لنا ... يا حَبَّذَا هُوَ وحَبَّذَا شِيَمُهْ)
(مُضَمَّخٌ بالعبير عارضُه ... طُوبَى لِمَنْ شمَّه ومَنْ لَثَمهْ)
قال ولابن محرز في هذا الشعر لحن أجود من لحن الدلال فطرب ابن جعفر وابن أبي عتيق
وقال له ابن جعفر زدني وطرب

فأعاد اللحن ثلاثا ثم غنى
(بَكَرَ العواذلُ في الصَّباحِ ... يَلُمْنَنِي وأَلُومُهُنَّهْ)
(ويَقُلْن شيبٌ قد عَلاكَ ... وقد كَبِرْتَ فقُلْتُ إنَّهْ)
ومضت بنت ابن جعفر فاتبعها يغنيها بهذا الشعر ولعبد آل الهذلي فيه لحن وهو أحسنها
(إنّ الخَليطَ أجدّ فاحتملاَ ... وأراد غَيْظَكَ بالذي فَعَلاَ)
(فوقفتُ أنظر بعضَ شأنهمُ ... والنَّفْسُ مما تأمُلُ الأمَلاَ)
(وإذا البِغالُ تُشَدُّ صافِنةً ... وإذا الحُداةُ قَدَ ازْمَعُوا الرِّحَلاَ)
(فهناك كاد الشَّوْقُ يقتُلني ... لَوْ أنَّ شوقاً قبلَه قَتَلا)
فدمعت عينا عبد الله بن جعفر وقال للدلال حسبك فقد أوجعت قلبي وقال لهم امضوا في حفظ الله على خير طائر وأيمن نقيبة
نسبة ما في هذا الخبر من الغناء
صوت
(بَكَرَ العواذلُ في الصَّباحِ ... يَلُمْنَنِي وأَلُومُهُنَّهْ)
(ويقلن شيبٌ قد علاكَ ... وقد كَبِرْتَ فقلتُ إنَّهْ)
(لا بُدَّ من شيبٍ فَدَعْنَ ... ولا تُطِلْنَ مَلاَمَكُنَّهْ)
(يَمْشِينَ كالبَقَرِ الثِّقالِ ... عمَدْنَ نحو مُراحِهِنَّهْ)
(يَحْفَيْنَ في المَمْشَى القريبِ ... إذا يُرِدْنَ صَدِيقَهُنَّهْ)
الشعر لابن قيس الرقيات
والغناء لابن مسجح خفيف ثقيل أول بالسبابة
في مجرى البنصر عن إسحاق
وفيه ثقيل أول للغريض عن الهشامي
وفيه خفيف ثقيل آخر بالوسطى ليعقوب بن هبار عن الهشامي ودنانير وذكر حبش أنه ليعقوب
ومنها
صوت
(إنّ الخليطَ أجدّ فاحتملاَ ... وأراد غيظَك بالذي فعلا)
الأبيات الأربعة
الشعر لعمر بن أبي ربيعة
والغناء للغريض ثقيل أول بالسبابة عن يحيى المكي
وفيه ليحيى أيضا ثقيل أول بالوسطى من رواية أحمد ابنه وذكر حبش أن هذا اللحن لبسباسة بنت معبد
غنى شعرا لعمر بن أبي ربيعة فأجازه
أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن عثمان بن حفص الثقفي قال
كان للدلال صوت يغني به ويجيده وكان عمر بن أبي ربيعة سأله الغناء فيه وأعطاه مائة دينار ففعل وهو قول عمر
صوت
(ألم تَسْألِ الأطلالَ والمُتَرَبَّعَا ... ببطن حُلَيَّاتٍ دَوَارِسَ بَلْقَعَا)
(إلى السَّرْحِ من وادي المُغَمَّس بُدِّلتْ ... معالِمُه وَبْلاً ونَكْباءَ زَعْزَعَا)
(وقَرَّبْنَ أسبابَ الهَوَى بمُتَيَّمٍ ... يقيس ذِرَاعاً كُلَّما قِسْنَ أصْبَعَا)
((فقلتُ لِمُطْرِيهنَّ في الحُسْنِ إنّما ... ضَرَرْتَ فهل تَسْطِيعُ نَفْعاً فَتَنْفَعَا)
الشعر لعمر بن أبي ربيعة
والغناء للغريض فيه لحنان أحدهما في الأول والثاني من الأبيات ثقيل أول بالبنصر عن عمرو والآخر في الثالث والرابع ثاني ثقيل بالبنصر
وفي هذين البيتين الآخرين لابن سريج ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق
وفي الأول والثاني للهذلي خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو
وفيهما لابن جامع رمل بالوسطى عنه أيضا
وقال يونس لمالك فيه لحنان ولمعبد لحن واحد
أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه قال حدثني هشام بن المرية قال
كنا نعرف للدلال صوتين عجيبين وكان جرير يغني بهما فأعجب من حسنهما
فأخذتهما عنه وأنا أغني بهما
فأما أحدهما فإنه يفرح القلب والآخر يرقص كل من سمعه
فأما الذي يفرح القلب فلابن سريج فيه أيضا لحن حسن وهو
(ولقد جرى لك يومَ سَرْحةِ مالكٍ ... مما تَعَيَّفُ سانحٌ وبَريحُ)
(أحْوَى القَوَادِمِ بالبياضِ مُلَمَّعٌ ... قَلِقُ المَوَاقِعِ بالفِراقِ يَصِيحُ)
(الحُبُّ أبغضُه إليَّ أقلُّه ... صرِّحْ بذاك فَرَاحَتي التَّصْريحُ)
(بانتْ عُوَيْمةُ فالفؤادُ قَرِيحُ ... ودموعُ عينِك في الرِّداء سُفُوحُ)
والآخر
(كلَّما أبصرتُ وجهاً ... حَسَناً قلتُ خَليلي)
((فإذا ما لم يَكُنْهُ ... صِحْتُ وَيْلي وعَويل
(فصِلِي حبلَ مُحِبٍ ... لكُمُ جِدِّ وَصُولِ)
(وانظُرِي لا تَخْذُلِيهِ ... إنّه غيرُ خَذُولِ)
نسبة هذين الصوتين

للدلال في الشعر الأول الذي أوله
(... ولقد جرى لك يوم سرحةِ مالكٍ)
خفيف ثقيل بالوسطى
وفيه لابن سريج ثقيل أول عن الهشامي
وقال حبش إن للدلال فيه لحنين خفيف ثقيل أول وخفيف رمل
وأول خفيف الرمل
(... بانتْ عويمةُ فالفؤادُ قَريحُ)
ذكر أن لحن ابن سريج ثاني ثقيل وأن لابن مسجح فيه أيضا خفيف ثقيل
والصوت الثاني الذي أوله
(كلّما أبصرتْ وجهاً ... حَسَناً قلتُ خليلي)
الغناء فيه لعطرد خفيف ثقيل بالوسطى عن حبش ويقال إنه للدلال وفيه ليونس خفيف رمل
وفيه لإبراهيم الموصلي خفيف ثقيل أول بالبنصر عن عمرو
شرب الخمرة وسكر فخلع ثيابه
أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن مصعب بن عبد الله الزبيري قال
كان الدلال لا يشرب النبيذ فخرج مع قوم إلى متنزه لهم ومعهم نبيذ فشربوا ولم يشرب منه وسقوه عسلا مجدوحا وكان كلما تغافل صيروا في
شرابه النبيذ فلا ينكره وكثر ذلك حتى سكر وطرب وقال اسقوني من شرابكم فسقوه حتى ثمل وغناهم في شعر الأحوص
(طاف الخيالُ وطاف الهَمُّ فاعتكَرَا ... عند الفِرَاش فبات الهَمُّ مُحْتَضِراَ)
(أُرَاقِبُ النَّجْمَ كالحَيْرَانِ مُرْتَقِباً ... وقَلَّصَ النومُ عن عينيّ فانْشَمَرَا)
(من لوعةٍ أورثتْ قَرْحاً على كَبِدي ... يوماً فأصبحَ منها القلبُ مُنْفطِرا)
(ومن بيتٍ مُضْمِراً هَمَّا كما ضَمِنتْ ... منّي الضُّلوعُ بَيتْ مُسْتَبْطِناَ غيرا)
فاستحسنه القوم وطربوا وشربوا
ثم غناهم
(طَرِبْتَ وهاجَكَ مَنْ تَذَّكِرْ ... ومَنْ لستَ من حُبِّه تَعْتَذِرْ)
(فإنْ نِلتُ منها الذي أرتجي ... فذاكَ لَعَمْري الذي أنْتَظِرْ)
(وإلاّ صبرتُ فلا مُفْحِشاً ... عليها بِسوءٍ ولا مُبْتَهِرْ)
لحن الدلال في هذا الشعر خفيف ثقيل أول بالبنصر عن حبش
قال وذكر قوم أنه للغريض
قال وسكر حتى خلع ثيابه ونام عريانا فغطاه القوم بثيابهم وحملوه إلى منزله ليلا فنوموه وانصرفوا عنه
فأصبح وقد تقيأ ولوث ثيابه بقيئه فأنكر نفسه
وحلف ألا يغني أبدا ولا يعاشر من يشرب النبيذ فوفى بذلك إلى أن مات
وكان يجالس المشيخة والأشراف فيفيض معهم في أخبار الناس وأيامهم حتى قضى نحبه
انقضت أخبار الدلال
ومما في شعر الأحوص من المائة المختارة
صوت من المائة المختارة
(يا دِينَ قَلْبِك منها لست ذاكِرَها ... إلا تَرَقْرَقَ ماءُ العين أو دَمَعا)
(أدعو إلى هَجْرِها قلبي فَيَتْبَعُني ... حتّى إذا قلتُ هذا صادقٌ نَزَعَا)
(لا أستطيعُ نُزُوعاً عن مَحَبَّتِها ... أو يَصْنَعَ الحُبُّ بي فوق الذي صَنَعا)
(كَمْ مِنْ دَنِيٍّ لها قد صِرتُ أتْبَعُه ... ولو سلا القلبُ عنها صار لي تَبَعَا)
(وزادنَى كَلَفاً في الحُبِّ أنْ منعت ... وحَبُّ شيءٍ إلى الإنسان ما مُنِعاَ)
الشعر للأحوص
والغناء ليحيى بن واصل المكي وهو رجل قليل الصنعة غير مشهور ولا وجدت له خبرا فأذكره
ولحنه المختار ثقيل أول بالوسطى في مجراها عن إسحاق
وذكر يونس أن فيه لحنا لمعبد ولم يجنسه
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا مطرف بن عبد الله المدني قال حدثني أبي عن جدي قال
بينا أطوف بالبيت ومعي أبي إذا بعجوز كبيرة يضرب أحد لحييها الآخر
فقال لي أبي أتعرف هذه قلت لا ومن هي قال هذه التي يقول فيها الأحوص
(يا سَلْمَ ليت لساناً تَنْطِقين به ... قبلَ الذي نالني من حُبِّكم قُطِعَا)
(يلومني فيكِ أقوامٌ أُجالسهم ... فما أُبالي أطارَ اللومُ أم وَقَعَا)
(أدعو إلى هَجْرِها قلبي فَيَتْبَعُني ... حتَّى إذا قلتُ هذا صادقٌ نَزَعَا)
قال فقلت له يا أبت ما أرى أنه كان في هذه خير قط
فضحك ثم قال يا بني هكذا يصنع الدهر بأهله
حدثنا به وكيع قال حدثنا ابن أبي سعد قال حدثنا إبراهيم بن المنذر قال حدثنا أبو خويلد مطرف بن عبد الله المدني عن أبيه ولم يقل عن جده وذكر الخبر مثل الذي قبله
صوت من المائة المختارة
(كالبَيْض بالأُدْحِيّ يلمَع في الضُّحى ... فالحُسْنُ حسنٌ والنَّعيمُ نعيمُ)
(حُلِّينَ من دُرِّ البُحور كأنّه ... فوق النُّحور إذَا يلوح نُجومُ)

الأدحي المواضع التي يبيض فيها النعام واحدتها أدحية
وذكر أبو عمرو الشيباني أن الأدحي البيض نفسه
ويقال فيه أدحي وأداح أيضا
الشعر لطريح بن إسماعيل الثقفي
والغناء لأبي سعيد مولى فائد ولحنه المختار من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق
وفيه للهذلي خفيف ثقيل من رواية الهشامي
وقد سمعنا من يغني فيه لحنا من خفيف الرمل ولست أعرف لمن هو

ذكر طريح وأخباره ونسبه

هو فيما أخبرني به محمد بن الحسن بن دريد عن عمه عن ابن الكلبي في كتاب النسب إجازة وأخبرنا يحيى بن علي بن يحيى عن أبي أيوب المديني عن ابن عائشة ومحمد بن سلام ومصعب الزبيري قال طريح بن إسماعيل بن عبيد بن أسيد بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى بن عنزة بن عوف بن قسي وهو ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس ابن عيلان بن مضر

الخلاف في نسب ثقيف

قال ابن الكلبي ومن النسابين من يذكر أن ثقيفا هو قسي بن منبه بن النبيت ابن منصور بن يقدم بن أفصى بن دعمي بن إياد بن نزار
ويقال إن ثقيفا كان عبدا لأبي رغال وكان أصله من قوم نجوا من ثمود فانتمى بعد ذلك إلى قيس
وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه أنه مر بثقيف فتغامزوا به فرجع إليهم فقال لهم يا عبيد أبي رغال إنما كان أبوكم عبدا له فهرب منه فثقفه بعد ذلك ثم انتمى إلى قيس
وقال الحجاج في خبطة خطبها بالكوفة بلغني أنكم تقولون إن ثقيفا من
بقية ثمود ويلكم وهل نجا من ثمود إلا خيارهم ومن آمن بصالح فبقي معه عليه السلام ثم قال قال الله تعالى (وثمود فما أبقى)
فبلغ ذلك الحسن البصري فتضاحك ثم قال حكم لكع لنفسه إنما قال عز وجل (فما أبقى) أي لم يبقهم بل أهلكهم
فرفع ذلك إلى الحجاج فطلبه فتوارى عنه حتى هلك الحجاج
وهذا كان سبب تواريه منه
ذكر ابن الكلبي أنه بلغه عن الحسن
وكان حماد الراوية يذكر أن أبا رغال أبو ثقيف كلها وأنه من بقية ثمود وأنه كان ملكا بالطائف فكان يظلم رعيته
فمر بامرأة ترضع صبيا يتيما بلبن عنز لها فأخذها منها وكانت سنة مجدبة فبقي الصبي بلا مرضعة فمات فرماه الله بقارعة فأهلكه فرجمت العرب قبره وهو بين مكة والطائف
وقيل بل كان قائد الفيل ودليل الحبشة لما غزوا الكعبة فهلك فيمن هلك منهم فدفن بين مكة والطائف فمر النبي بقبره فأمر برجمه فرجم فكان ذلك سنة
قال ابن الكلبي وأخبرني أبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال
كان ثقيف والنخع من إياد فثقيف قسي بن منبه بن النبيت بن يقدم بن أقصى بن دعمي بن إياد
والنخع بن عمرو بن الطمنان بن عبد مناة بن يقدم بن
أقصى فخرجا ومعهما عنز لهما لبون يشربان لبنها عرض لهما مصدق لملك اليمن فأراد أخذها فقالا له إنما نعيش بدرها فأبى أن يدعها فرماه أحدهما فقتله
ثم قال لصاحبه إنه لا يحملني وإياك أرض فأما النخع فمضى إلى بيشة فأقام بها ونزل القسي موضعا قريبا من الطائف فرأى جارية ترعى غنما لعامر بن الظرب العدواني فطمع فيها وقال أقتل الجارية ثم أحوي الغنم فأنكرت الجارية منظره فقالت له إني أراك تريد قتلي وأخذ الغنم وهذا شيء إن فعلته قتلت وأخذت الغنم منك وأظنك غريبا جائعا فدلته على مولاها
فأتاه واستجار به فزوجه بنته وأقام بالطائف
فقيل لله دره من أثقفه حين ثقف عامرا فأجاره
وكان قد مر بيهودية بوادي القرى حين قتل المصدق فأعطته قضبان كرم فغرسها بالطائف فأطعمته ونفعته
قال ابن الكلبي في خبر طويل ذكره كان قسي مقيما باليمن فضاق عليه موضعه ونبا به فأتى الطائف وهو يومئذ منازل فهم وعدوان ابني عمرو بن قيس ابن عيلان فانتهى إلى الظرب العدواني وهو أبو عامر بن الظرب فوجده نائما تحت شجرة فأيقظه وقال من أنت قال أنا الظرب
قال علي ألية إن لم أقتلك أو تحالفني وتزوجني ابنتك ففعل
وانصرف الظرب وقسي معه فلقيه ابنه عامر بن الظرب فقال من هذا معك يا أبت فقص قصته
قال عامر لله أبوه لقد ثقف أمره فسمي يومئذ ثقيفا
قال وعير الظرب تزويجه قسيا وقيل
زوجت عبدا
فسار إلى الكهان يسألهم فانتهى إلى شق بن صعب البجلي وكان أقربهم منه
فلما انتهى إليه قال إنا قد جئناك في أمر فما هو قال جئتم في قسي وقسي عبد إياد أبق ليلة الواد في وج ذات الأنداد فوالى سعدا ليفاد ثم لوى بغير معاد
يعني سعد بن قيس بن عيلان بن مضر
قال ثم توجه إلى سطيح الذئبي حي من غسان ويقال إنهم حي من قضاعة نزول في غسان فقال إنا جئناك في أمر فما هو قال جئتم في قسي وقسي من ولد ثمود القديم ولدته أمه بصحراء بريم فالتقطه إياد وهو عديم فاستعبده وهو مليم فرجع الظرب وهو لا يدري ما يصنع في أمره وقد وكد عليه في الحلف والتزويج وكانوا على كفرهم يوفون بالقول
فلهذا يقول من قال إن ثقيفا من ثمود لأن إيادا من ثمود
قال وقد قيل إن حربا كانت بين إياد وبين قيس وكان رئيسهم عامر بن الظرب فظفرت بهم قيس فنفتهم إلى ثمود وأنكروا

أن يكونوا من نزار
قال وقال عامر بن الظرب في ذلك
(قالتْ إيَادٌ قد رأينا نَسَبَا ... في ابْنَيْ نِزَارٍ ورأينا غَلَبَا)
(سِيرِيْ إيَادُ قد رأينا عَجَبَا ... لا أصلُكم منّا فسامِي الطَّلَبا)
(... دارَ ثَمودٍ إذْ رأيتِ السَّبَبَا)
قال وقد روي عن الأعمش أن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه
قال على المنبر بالكوفة وذكر ثقيفا لقد هممت أن أضع على ثقيف الجزية لأن ثقيفا كان عبدا لصالح نبي الله وإنه سرحه إلى عامل له على الصدقة فبعث العامل معه بها فهرب واستوطن الحرم وإن أولى الناس بصالح محمد وإني أشهدكم أني قد رددتهم إلى الرق
قال وبلغنا أن ابن عباس قال وذكر عنده ثقيف فقال هو قسي بن منبه وكان عبدا لامرأة صالح نبي الله وهي الهيجمانة بنت سعد فوهبته لصالح وإنه سرحه إلى عامل له على الصدقة ثم ذكر باقي خبره مثل ما قال علي ابن أبي طالب رضي الله عنه
وقال فيه إنه مر برجل معه غنم ومعه ابن له صغير ماتت أمه فهو يرضع من شاة ليست في الغنم لبون غيرها فأخذ الشاة فناشده الله وأعطاه عشرا فأبى فأعطاه جميع الغنم فأبى
فلما رأى ذلك تنحى ثم نثل كنانته فرماه ففلق قلبه فقيل له قتلت رسول الله صالح
فأتى صالحا فقص عليه قصته فقال أبعده الله فقد كنت أنتظر هذا منه فرجم قبره فإلى اليوم والليلة يرجم وهو أبو رغال
قال وبلغنا عن عبد الله بن عباس أن رسول الله حين انصرف من الطائف مر بقبر أبي رغال فقال (هذا قبر أبي رغال وهو أبو ثقيف كان في الحرم فمنعه الله عز وجل فلما خرج منه رماه الله وفيه عمود من ذهب) فابتدره المسلمون فأخرجوه
قال وروى عمرو بن عبيد عن الحسن أنه سئل عن جرهم هل بقي منهم أحد قال ما أدري غير أنه لم يبق من ثمود إلا ثقيف في قيس عيلان وبنو لجإ في طيئ والطفاوة في بني أعصر
قال عمرو بن عبيد وقال الحسن ذكرت القبائل عند النبي فقال
((قبائل تنتمي إلى العرب وليسوا من العرب حمير من تبع وجرهم من عاد وثقيف من ثمود
قال وروي عن قتادة أن رجلين جاءا إلى عمران بن حصين فقال لهما ممن أنتما قالا من ثقيف فقال لهما أتزعمان أن ثقيفا من إياد قالا نعم
قال فإن إيادا من ثمود فشق ذلك عليهما
فقال لهما أساء كما قولي قالا نعم والله
قال فإن الله أنجى من ثمود صالحا والذين آمنوا معه فأنتم إن شاء الله من ذرية من آمن وإن كان أبو رغال قد أتى ما بلغكما
قالا له فما اسم أبي رغال فإن الناس قد اختلفوا علينا في اسمه قال قسي بن منبه
قال وروى الزهري أن النبي قال (من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فلا يحب ثقيفا ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا (يبغض الأنصار
(قال وبلغنا عنه أنه قال (بنو هاشم والأنصار حلفان وبنو أمية وثقيف حلفان
قال وفي ثقيف يقول حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه
(إذا الثَّقفيُّ فاخركم فقولوا ... هَلُمَّ نَعُدُّ شأنَ أبي رِغَالِ)
(أبوكم أخبثُ الآباء قِدْماً ... وأنتم مُشْبِهوه على مثالِ)
(عَبِيد الفِزر أورثهم بَنيه ... وولّى عنهم أُخْرَى الليالي)
نسب أم طريح
وأم طريح بنت عبد الله بن سباع بن عبد العزى بن نضلة بن غبشان من خزاعة وهم حلفاء بني زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي
وسباع بن عبد
العزى هو الذي قتله حمزة بن عبد المطلب يوم أحد
ولما برز إليه سباع قال له حمزة هلم إلي يابن مقطعة البظور وكانت أمه تفعل ذلك وتقبل نساء قريش بمكة فحمي وحشي لقوله وغضب لسباع فرمى حمزة بحربته فقتله رحمة الله عليه وقد كتب ذلك في خبر غزاة أحد في بعض هذا الكتاب
ويكنى طريح أبا الصلت كني بذلك لابن كان له اسمه صلت
وله يقول
(يا صَلْتُ إنّ أباكَ رَهْنُ مَنِيّةٍ ... مكتوبةٍ لا بُدّ أنْ يلقاها)
(سَلَفتْ سَوالِفُها بأنْفُسِ مَنْ مَضَى ... وكذاكَ يَتْبَعُ باقِياً أُخْرَاها)
(والدّهرُ يُوشِكُ أن يُفَرِّقَ رَيْبُه ... بالموت أو رحَلٍ تَشِتُّ نَوَاها)
(لا بُدَّ بينكما فتُسْمِعِ دَعْوَةً ... أو تَستجيب لدعوةٍ تُدْعاها)
وأخبرني يحيى بن علي بن يحيى إجازة قال أخبرني أبو الحسن الكاتب أن أم الصلت بن طريح ماتت وهو صغير فطرحه طريح إلى أخواله بعد موت أمه
وفيه يقول
(بات الخيالُ من الصُّلَيْتِ مُؤَرِّقي ... يَفْرِي السَّرَاةَ مع الرَّبابِ المُلْثِقِ)
(ما راعني إلاّ بياضُ وُجَيْهِهِ ... تحت الدُّجُنَّة كالسِّراج المُشْرِقِ)
نشأة طريح
ونشأ طريح في دولة بني أمية واستفرغ شعره في الوليد بن يزيد وأدرك دولة بني العباس ومات في أيام المهدي وكان الوليد له مكرما مقدما لانقطاعه إليه ولخؤولته في ثقيف
فأخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني أحمد بن حماد بن الجميل

عن العتبي عن سهم بن عبد الحميد قال أخبرني طريح بن إسماعيل الثقفي قال
خصصت بالوليد بن يزيد حتى صرت أخلو معه
فقلت له ذات يوم وأنا معه في مشربة يا أمير المؤمنين خالك يحب أن تعلم شيئا من خلقه
قال وما هو قلت لم أشرب شرابا قط ممزوجا إلا من لبن أو عسل
قال قد عرفت ذاك ولم يباعدك من قلبي
قال ودخلت يوما إليه وعنده الأمويون فقال لي إلي يا خالي وأقعدني إلى جانبه ثم أتي بشراب فشرب ثم ناولني القدح
فقلت يا أمير المؤمنين قد أعلمتك رأيي في الشراب قال ليس لذلك أعطيتك إنما دفعته إليك لتناوله الغلام وغضب
فرفع القوم أيديهم كأن صاعقة نزلت على الخوان فذهبت أقوم فقال أقعد فلما خلا البيت افترى علي ثم قال يا عاض كذا وكذا أردت أن تفضحني ولولا أنك خالي لضربتك ألف سوط ثم نهى الحاجب عن إدخالي وقطع عني أرزاقي
فمكثت ما شاء الله ثم دخلت عليه يوما متنكرا فلم يشعر إلا وأنا بين يديه وأنا أقول
(يابنَ الخلائفِ مالي بعدَ تَقْربةٍ ... إليكَ أُقْصَى وفي حالَيْكَ لي عَجَبُ)
(مالي أُذَادُ وأُقْصَى حين أَقصِدُكم ... كما تُوَقِّي من ذي العرَّةِ الجَرَبُ)
(كأنّني لم يكن بيني وبينكُم ... إلٌّ ولا خُلّةٌ تُرْعَى ولا نَسبُ)
(لو كان بالوُدّ يُدْنَى منك أزْلَفَني ... بقُربْك الودُّ والإشفاقُ والحَدَبُ)
(وكنتُ دون رجالٍ قد جعلتُهُم ... دوني إذ ما رأوْني مُقْبِلاً قَطَبُوا
(إنْ يسْمَعُوا الخيرَ يُخْفُوه وإنْ سَمِعوا ... شَرّاً أذاعُوا وإن لم يَسمعوا كَذَبُوا)
(رأوْا صُدودَك عنّي في اللِّقاء فقد ... تحدَّثوا أنَّ حبلي منكَ مُنْقَضِبُ)
(فذوا الشَّماتةِ مسرورٌ بِهَيْضَتِنا ... وذوا النَّصيحةِ والإشفاقِ مكتئبُ)
قال فتبسم وأمرني بالجلوس فجلست ورجع إلي وقال إياك أن تعاود وتمام هذه القصيدة
(أين الذِّمامةُ والحَقُّ الذي نزلتْ ... بحِفْظه وبتعظيمٍ له الكُتُبُ)
(وحَوْكِيَ الشِّعْرَ أُصْفِيه وأنْظِمُه ... نظمَ القلائدِ فيها الدُّرُّ والذهبُ)
(وإنَّ سخْطَكَ شيءٌ لم أنَاجِ به ... نفسي ولم يكُ مما كنتُ أكتسِبُ)
(لكن أتاك بقَوْلٍ كاذبٍ أثِمٍ ... قومٌ بَغَوْني فنالوا فيَّ ما طلبوا)
(وما عَهِدْتُكَ فيما زَلَّ تقْطَعُ ذا ... قُرْبَى ولا تدفع الحقَّ الذي يجب)
(ولا تَوَجَّعُ من حَقٍّ تَحَمَّلُه ... ولا تَتَبَّعُ بالتكديرِ ما تَهَبُ)
(فقد تقرّبتُ جهداً من رَضاك بما ... كانت تُنالُ به من مثلك القُرَبُ)
(فغير دَفْعِكَ حَقّي وارتفاضِكَ لي ... وطَيِّكَ الكَشْحَ عنّي كنت أحتسبُ)
(أَمْشِمتٌ بِيَ أقواماً صُدُورُهُم ... عليَّ فيك إلى الأذقانِ تَلْتَهِبُ)
(قد كنتُ أحسِبُ أنّي قد لجأتُ إلى ... حِرْزٍ وألاّ يَضرُّوني وإنْ ألبُوا)
(إنّ التي صُنْتُها عن مَعْشَرٍ طَلبوا ... منّي إليّ الذي لم يُنْجِحِ الطَّلَبُ)
(أخلصتُها لك إخلاصَ امرئٍ عِلمِ الأقوامُ ... أنْ ليس إلاّ فيك يَرتَغِبُ)
(أصبحتَ تدفَعها منّي وأُعْطِفُها ... عليكَ وَهْيَ لمن يُجْبَى بها رَغبُ)
(فإنْ وصلتَ فأهل العُرْف أنتَ وإنْ ... تدْفَعْ يديَّ فلي بقْيا ومُنْقَلبُ
(إنيّ كريمُ كرامٍ عِشتُ في أدَبٍ ... نَفى العيوبَ ومَلْكُ الشّيمةِ الأدَبُ)
(قد يعلمون بأنَّ العُسرَ منقطعٌ ... يوماً وأنَّ الغنى لا بدّ منقلبُ)
(فمالُهُمْ حُبُسٌ في الحقِّ مُرتَهَنُ ... مثل الغنائم تُحْوَى ثم تُنْتَهَبُ)
(وما علي جارهمُ ألاّ يكونَ له ... إذا تَكَنَّفَه أبياتُهم نَشَبُ)
(لا يفرَحون إذا ما الدَّهرُ طاوَعَهم ... يوماً بُيسرٍ ولا يَشكُون إنْ نُكِبُوا)
(فارقتُ قومي فلم أعتضْ بهم عِوَضاً ... والدَّهرُ يُحْدِثُ أحداثاً لها نُوَبُ)
رواية أخرى عن خلاف طريح مع الوليد بن يزيد
وأما المدائني فقال كان الوليد بن يزيد يكرم طريحا وكانت له منه منزلة قريبة ومكانه وكان يدني مجلسه وجعله أول داخل وآخر خارج ولم يكن يصدر إلا عن رأيه فاستفرغ مديحه كله وعامة شعره فيه فحسده ناس من أهل بيت الوليد
وقدم حماد الرواية على التفئة الشأم فشكوا ذلك إليه وقالوا والله لقد ذهب طريح بالأمير فما نالنا منه ليل ولا نهار
فقال حماد ابغوني من ينشد الأمير بيتين من شعر فأسقط منزلته فطلبوا إلى الخصي الذي كان يقوم على رأس الوليد وجعلوا له عشرة آلاف درهم على أن ينشدهما الأمير في خلوة فإذا سأله من قول من هذا قال من قول طريح فأجابهم الخصي إلى ذلك وعلموه البيتين
فلما كان ذات يوم دخل طريح على الوليد وفتح الباب وأذن للناس فجلسوا طويلا ثم نهضوا وبقي طريح مع الوليد وهو ولي عهد ثم دعا بغدائه فتغديا جميعا
ثم إن طريحا خرج وركب إلى منزله وترك الوليد في مجلسه ليس معه أحد فاستلقى على فراشه
واغتنم الخصي خلوته فاندفع ينشد
(سيري ركابِي إلى مَنْ تَسْعَدِين به ... فقد أقمتِ بدارِ الهُونِ ما صَلَحا
(سِيري إلى سَيِّدٍ سَمْحٍ خلائقُه ... ضخمِ الدَّسيعةِ قَرْمٍ يحمِلِ المِدَحَا)
فأصغى الوليد إلى الخصي بسمعه وأعاد الخصي غير مرة ثم قال الوليد ويحك يا غلام من قول من هذا قال من قول طريح
فغضب الوليد حتى امتلأ غيظا ثم قال والهفا على أم لم تلدني قد جعلته أول داخل وآخر خارج ثم يزعم أن هشاما يحمل المدح ولا أحملها ثم قال علي بالحاجب فأتاه فقال لا أعلم ما أذنت لطريح ولا رأيته على وجه الأرض فإن حاولك فاخطفه بالسيف
فلما كان العشي وصليت العصر جاء طريح للساعة التي كان يؤذن له فيها فدنا من الباب ليدخل
فقال له الحاجب وراءك فقال مالك هل دخل على ولي العهد أحد بعدي قال لا ولكن ساعة وليت من عنده دعاني فأمرني ألا آذن لك وإن حاولتني في ذلك خطفتك بالسيف

فقال لك عشرة آلاف درهم واذن لي في الدخول عليه
فقال له الحاجب والله لو أعطيتني خراج العراق ما أذنت لك في ذلك وليس لك من خير في الدخول عليه فارجع
قال ويحك هل تعلم من دهاني عنده قال الحاجب لا والله لقد دخلت عليه وما عنده أحد ولكن الله يحدث ما يشاء في الليل والنهار
قال فرجع طريح وأقام بباب الوليد سنة لا يخلص إليه ولا يقدر على الدخول عليه
وأراد الرجوع إلى بلده وقومه فقال والله إن هذا لعجز بي أن أرجع من غير أن ألقى ولي العهد فأعلم من دهاني عنده
ورأى أناسا كانوا له أعداء قد فرحوا بما كان من أمره فكانوا يدخلون على الوليد ويحدثونه ويصدر عن رأيهم
فلم يزل يلطف بالحاجب ويمنيه حتى قال له الحاجب أما إذا أطلت المقام فإني أكره أن تنصرف على حالك هذه ولكن الأمير إذا كان يوم كذا وكذا دخل الحمام
ثم أمر بسريره فأبرز وليس عليه يومئذ حجاب فإذا كان ذلك اليوم أعلمتك فتكون قد دخلت عليه وظفرت بحاجتك وأكون أنا على حال عذر فلما كان ذلك اليوم دخل الحمام وأمر بسريره فأبرز وجلس عليه وأذن للناس فدخلوا عليه والوليد ينظر إلى من أقبل
وبعث الحاجب إلى طريح فأقبل وقد تتام الناس
فلما نظر الوليد إليه من بعيد صرف عنه وجهه واستحيا أن يرده من بين الناس فدنا فسلم فلم يرد عليه السلام
فقال طريح يستعطفه ويتضرع إليه
(نامَ الخَلِيُّ من الهُمومِ وباتَ لِي ... ليلٌ أُكَابِدُه وهَمٌّ مُضْلِعُ)
(وسَهِرْتُ لا أَسْرِي ولا في لَذَّةٍ ... أَرَقِي وأغْفَل ما لَقِيتُ الهُجَّعُ)
(أبغي وجوهَ مَخَارجي من تُهْمةٍ ... أَزَمَتْ عليَّ وسُدَّ منها المَطْلَعُ)
(جزعاً لمَعْتِبة الوليدِ ولم أكُنْ ... من قبلِ ذاك من الحوادثِ أجْزَعُ)
(ياابنَ الخلائفِ إنَّ سُخْطَك لامرئٍ ... أمسيتَ عِصْمَته بلاءٌ مُفْظِعُ)
(فَلأنْزِعنّ عن الذي لم تَهْوَه ... إنْ كان لي ورأيتُ ذلك مَنْزِعُ)
(فاعْطِفْ فِدَاك أبي عليَّ تَوسُّعاً ... وفضيلةً فعلى الفضيلة تتبعُ)
(فلقد كفاكَ وزادَ ما قد نالني ... إن كنتَ لي ببلاء ضُرٍّ تَقْنَعُ)
(سِمَةٌ لذاك عليَّ جِسْمٌ شاحبٌ ... بادٍ تَحسُّرُه ولونٌ أسْفَعُ)
(إنَّ كنتَ في ذنبٍ عتبتَ فإنَّني ... عمّا كرهتَ لنازعٌ متضرِّعُ)
(ويئستُ منك فكلُّ عُسْرٍ باسطٌ ... كفّاً إليّ وكلُّ يسْرٍ أقْطَعُ)
(من بعد أخْذِي من حبالِك بالّذي ... قد كنتُ أحسبُ أنّه لا يُقْطَعُ)
(فارْبُبْ صنيعَك بي فإنَّ بأعينٍ ... للكاشحين وسَمْعِهم ما تصنَعُ)
((أدَفعتَني حتى انقطعتُ وسُدِّدتْ ... عنيِ الوجوهُ ولم يكن لي مَدْفَعُ
(ورجيتُ واتَّقيتُ يدايَ وقيل قد ... أمسى يضُرُّ إذا أحبَّ وينفع)
(ودخلتُ في حرم الذِّمامِ وحاطَني ... خَفَرٌ أخذت به وعهدٌ مُولعُ)
(أفهادِمٌ ما قد بنيتَ وخافضٌ ... شرفي وأنت لغير ذلك أوسعُ)
(أفلا خَشيتَ شَماتَ قومٍ فتُّهم ... سبْقاً وأنفُسهم عليك تَقطَّعُ)
(وفَضلتَ في الحَسبِ الأشَمِّ عليهم ... وصنعتَ في الأقوامِ ما لم يصنعوا)
(فكأنَّ أنفُهمْ بكلِّ صنيعةٍ ... أسديتها وجميل فعلٍ تُجْدَعُ)
(وَدُّوا لو أنَّهم ينال أكُفَّهُمْ ... شَلَلٌ وأنَّك عن صَنيعك تنْزِعُ)
(أو تستْليمُ فيجعلونك أُسْوةً ... وأبى المَلاَم لك النَّدَى والمَوْضِعُ)
قال فقربه وأدناه
وضحك إليه وعاد له إلى ما كان عليه
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال حدثنا محمد بن عبد الله بن حمزة بن عتبة اللهبي عن أبيه
أن طريحا دخل على أبي جعفر المنصور وهو في الشعراء فقال له لا حياك الله ولا بياك أما اتقيت الله ويلك حيث تقول للوليد بن يزيد
(لو قلتَ للسيل دَعْ طريقَك والموج ... عليه كالهَضْبِ يَعْتَلِج)
(لساخ وارتدّ أو لكانَ له ... في سائر الأرض عنك مُنْعَرَجُ)
فقال له طريح قد علم الله عز وجل أني قلت ذاك ويدي ممدودة إليه عز وجل وإياه تبارك وتعالى عنيت فقال المنصور يا ربيع أما ترى هذا التخلص
مدح الوليد فأطربه
نسخت من كتاب أحمد بن الحارث مما أجاز لي أبو أحمد الجريري روايته عنه حدثنا المدائني
أن الوليد جلس يوما في مجلس له عام ودخل إليه أهل بيته ومواليه والشعراء وأصحاب الحوائج فقضاها وكان أشرف يوم رئي له فقام بعض الشعراء فأنشد ثم وثب طريح وهو عن يسار الوليد وكان أهل بيته عن يمينه وأخواله عن شماله وهو فيهم فأنشده
صوت
(أنت ابنُ مُسْلَنْطِحِ البِطَاحِ ولم ... تُطْرقْ عليك الحُنِيُّ والوُلُجُ)
(طوبَى لفَرْعَيْك من هنا وهنا ... طُوبَى لأعراقك التي تَشِجُ)
(لو قلتَ للسيل دَعْ طريقَك والموجُ ... عليه كالهَضْبِ يعتلِجُ)
(لساخَ وارتدّ أو لكانَ له ... في سائر الأرض عنك مُنْعَرَجُ)
فطرب الوليد بن يزيد حتى رئي الارتياح فيه وأمر له بخمسين ألف درهم وقال ما أرى أحدا منكم يجيئني اليوم بمثل ما قال خالي فلا ينشدني أحد بعده شيئا وأمر لسائر الشعراء بصلات وانصرفوا واحتبس طريحا عنده وأمر ابن عائشة فغنى

هذا الشعر
نسبة هذا الصوت
(أنت ابنُ مُسْلَنْطِحِ البِطاح ولم ... تُطْرق عليك الحُنِيُّ والوُلُجُ)
الأبيات الأربعة
عروضه من المنسرح
غناه ابن عائشة ولحنه رمل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق
المسلنطح من البطاح ما اتسع واستوى سطحه منها
وتطرق عليك تطبق عليك وتغطيك وتضيق مكانك يقال طرقت الحادثة بكذا وكذا إذا أتت بأمر ضيق معضل
والوشيج أصول النبت يقال أعرقك واشجة في الكرم أي نابتة فيه قال الشاعر
(وهل يُنبِتُ الخَطِّيَّ إلاّ وشيجُه ... وتَنْبُت إلاّ في مَغَارِسها النَّخْلُ)
يعني أنه كريم الأبوين من قريش وثقيف
وقد ردد طريح هذا المعنى في الوليد فقال في كلمة له
(واعتامَ كَهْلُك من ثَقِيفٍ كُفْأه ... فتنازعاكَ فأنت جَوْهَرُ جوهرِ)
(فنَمَتْ فروعُ القَرْيَتَيْن قُصَيُّها ... وقَسِيُّها بك في الأشمِّ الأكبر)
والحني ما انخفض من الأرض والواحدة حنا والجمع حني مثل عصا وعصي
والولج كل متسع في الوادي الواحدة ولجة ويقال الولجات بين الجبال مثل الرحاب
أي لم تكن بين الحني ولا الولج فيخفى مكانك
أي لست في موضع خفي من الحسب وقال أبو عبيدة سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا يقول لآخر يفخر عليه
أنا ابن مسلنطح البطاح وابن كذا وكذا فقال له عمر إن كان لك عقل فلك أصل وإن كان لك خلق فلك شرف وإن كان لك
تقوى فلك كرم وإلا فذاك الحمار خير منك أحبكم إلينا قبل أن نراكم
أحسنكم سمتا فإذا تكلمتم فأبينكم منطقا فإذا اختبرناكم فأحسنكم فعلا
وقوله لو قلت للسيل دع طريقك يقول أنت ملك هذا الأبطح والمطاع فيه فكل من تأمره يطيعك فيه حتى لو أمرت السيل
بالانصراف عنه لفعل لنفوذ أمرك وإنما ضرب هذا مثلا وجعله مبالغة لأنه لا شيء أشد تعذرا من هذا وشبهه فإذا صرفه
كان على كل شيء سواه أقدر
وقوله لساخ أي لغاض في الأرض
وارتد أي عدل عن طريقه وإن لم يجد إلى ذلك سبيلا كان له منعرج عنك إلى سائر الأرض
ابن عائشة استعرض الوليد بأن غنى له في شعر طريح
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال إسحاق وحدثني به الواقدي عن أبي الزناد عن إبراهيم بن عطية
أن الوليد بن يزيد لما ولي الخلافة بعث إلى المغنين بالمدينة ومكة فأشخصهم إليه وأمرهم أن يتفرقوا ولا يدخلوا نهارا
لئلا يعرفوا وكان إذ ذاك يتستر في أمره ولا يظهره فسبقهم ابن عائشة فدخل نهارا وشهر أمره فحبسه الوليد وأمر به
فقيد وأذن للمغنين وفيهم معبد فدخلوا عليه دخلات ثم إنه جمعهم ليلة فغنوا له حتى طرب وطابت نفسه
فلما رأى ذلك منه معبد قال لهم أخوكم ابن عائشة فيما قد علمتم فاطلبوا فيه
ثم قال يا أمير المؤمنين كيف ترى مجلسنا هذا قال حسنا لذيذا
قال فكيف لو رأيت ابن عائشة وسمعت ما عنده قال فعلي به
فطلع ابن عائشة يرسف في قيده
فلما نظر إليه الوليد اندفع ابن عائشة فغناه في شعر طريح والصنعة فيه له
(أنت ابنُ مُسْلَنْطِحِ البِطَاح ولم ... تُطْرقْ عليك الحُنِيُّ والوُلُجُ)
فصاح الوليد اكسروا قيده وفكوا عنه فلم يزل عنده أثيرا مكرما
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن أبي سعد عن الحزامي عن عثمان بن حفص عن إبراهيم بن عبد السلام بن أبي
الحارث الذي يقول له عمر بن أبي ربيعة
(يا أبا الحارث قلبي طائرٌ ... فأْتَمِرْ أمْرَ رَشِيدٍ مُؤْتَمَنْ)
قال والله إني لقاعد مع مسلمة بن محمد بن هشام إذ مر به ابن جوان بن عمر بن أبي ربيعة وكان يغني فقال له اجلس
يابن أخي غننا فجلس فغنى
(أنت ابن مُسْلَنْطِحِ البِطَاح ولم ... تطْرقْ عليك الحُنِيُّ والوُلُجُ)
فقال له يابن أخي ما أنت وهذا حين تغناه ولا حظ لك فيه هذا قاله طريح فينا
(... إذ النَّاسُ ناسٌ والزَّمانُ زمانُ)
ومما في المائة الصوت المختارة من الأغاني من أشعار طريح بن إسماعيل التي مدح بها الوليد بن يزيد
صوت من المائة المختارة
(وَيْحي غَداً إنْ غَدَا عليَّ بما ... أحْذَرُ من لَوْعَةِ الفِرَاقِ غَدُ)
(وكيف صَبْري وقد تجاوبَ بالفُرْقَةِ ... مِنْها الغُراب والصُّرَدُ)
الشعر لطريح بن إسماعيل والغناء لابن مشعب الطائفي ولحنه المختار من الرمل بالوسطى
ذكر ابن مشعب وأخباره
هو رجل من أهل الطائف مولى لثقيف وقيل إنه من أنفسهم وانتقل إلى مكة فكان بها
وإياه يعني العرجي بقوله
(بِفِنَاءِ بيتِك وابنُ مِشْعَبَ حاضرٌ ... في سَامِرٍ عَطِرٍ وليلٍ مُقْمِرِ)
(فَتَلاَزَمَا عند الفِراق صبابةً ... أَخْذَ الغَريم بفضل ثوب المُعْسِرِ)
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال
ابن مشعب مغن من أهل الطائف وكان من أحسن الناس غناء وكان في زمن ابن سريج والأعرج وعامة الغناء الذي
ينسب إلى أهل مكة له وقد تفرق غناؤه فنسب بعضه إلى ابن سريج وبعضه إلى الهذليين وبعضه إلى ابن محرز

قال ومن غنائه الذي ينسب إلى ابن محرز
(... يا دارَ عَاتِكَةَ التي بالأزْهَر)
ومنه أيضا
((أقفرَ ممن يَحُلُّه السَّنَدُ ... فالمُنْحَنَي فالعَقِيقُ فالجُمُدُ
أخبرني الحسين قال قال حماد وحدثني أبي قال
مرض رجل من أهل المدينة بالشأم فعاده جيرانه وقالوا له ما تشتهي قال أشتهي إنسانا يضع فمه على أذني ويغنيني في بيتي العرجي
(بِفَنَاءِ بَيْتِك وابنُ مِشْعَبَ حاضرٌ ... في سامرٍ عَطِرٍ وليلٍ مُقْمِرِ)
(فَتَلاَزَمَا عند الفِرَاقِ صبابةً ... أَخْذَ الغريمُ بفضل ثوبِ المُعْسِرِ)
نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني
(يا دارَ عاتِكَةَ الّتي بالأزْهَرِ ... أو فوقَه بَقَفَا الكَثِيبِ الأحمر)
(بِفناء بيتِك وابنُ مِشْعَبَ حاضرٌ ... في سَامرٍ عَطِرٍ وليلٍ مُقْمِرِ)
(فتلازمَا عند الفراق صبابةً ... أَخْذَ الغريمِ بفضل ثوب المُعْسِرِ)
الشعر للعرجي
والغناء لابن محرز خفيف ثقيل أول بالبنصر وذكر إسحاق أنه لابن مشعب
وذكر حبش وذكر حبش أن فيه لابن المكي هزجا خفيفا بالبنصر
وأما الصوت الآخر الذي أوله
(... أقفرَ ممن يَحُلُّه السَّنَدُ)
فإنه الصوت الذي ذكرناه الذي فيه اللحن المختار وهو أول قصيدة طريح التي منها
(وَيْحي غداً إنْ غَدَا عليّ بما ... أكره من لَوْعِة الفِرَاق غدُ)
وليس يغني فيه في زماننا هذا
وهذه القصيدة طويلة يمدح فيها طريح الوليد بن يزيد يقول فيها
((لم يَبْقَ فيها من المَعَارفِ بعد ... الحيّ إلاّ الرَّمَادُ والوَتِدُ
(وعَرْصَةٌ نَكَّرتْ مَعَالِمَها الريحُ ... بها مَسْجِدٌ ومُنْتَضَدُ)
المنصور يمدح قصيدة لطريح
أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني محمد بن خلف القارئ قال أخبرنا هارون بن محمد وأخبرنا به وكيع وأظنه هو الذي كنى عنه يحيى بن علي فقال محمد بن خلف القارئ قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثني علي بن عبد الله اللهبي قال حدثنا أبي عن أبيه قال
أنشد المنصور هذه القصيدة فقال للربيع أسمعت أحدا من الشعراء ذكر في باقي معالم الحي المسجد غير طريح
وهذه القصيدة من جيد قصائد طريح يقول فيها
(لم أنْس سلمى ولا لَيَالِيَنَا ... بالحَزْنِ إذ عيشُنا بها رَغَدُ)
(إذْ نحن في مَيْعة الشَّبَاب وإذْ ... أيّامُنا تلك غَضّةٌ جُدُدُ)
(في عِيشةٍ كالفِرِيْد عازبةِ الشِّقوةِ ... خَضْرَاءَ غُصْنُها خَضَدُ)
(نُحسَدُ فيها على النَّعيم وما ... يُولَعُ إلاّ بالنِّعْمة الحَسَدُ)
(أيّامَ سَلْمَى غَرِيرةٌ أُنُفٌ ... كأنَّها خُوطُ بانةٍ رُؤُدُ)
(وَيْحِي غَداً إنْ غَدَا عليّ بما ... أكره من لَوْعِة الفِراق غَدُ)
(قد كنتُ أبكي من الفراق وحَيَّانَا ... جميعٌ ودارُنا صَدَدُ)
((فيكف صَبْرِي وقد تَجاوبَ بالفُرقة ... منها الغُرابُ والصُّرَدُ
(دَعْ عنك سَلْمَى لغير مَقْلِيَةٍ ... وعُدَّ مَدْحاً بُيوتُه شُرُدُ)
(للأفْضَلِ الأفْضَلِ الخليفة عبد ... الله من دونِ شأوه صُعُدُ)
(في وجهه النُّور يُسْتَبانُ كما ... لاح سِراجُ النَّهار إذ يَقِدُ)
(يمضي على خيرِ ما ي قولٍ ولا ... يخلف ميعادَه إذا يَعِدِ)
(من مَعْشَرٍ لا يَشمُّ مَنْ خَذَلُوا ... عِزّاً ولا يُستَذَلُّ مَنْ رَفَدُوا)
(بيضٌ عِظامُ الحلومِ حَدُّهُمُ ... ماضٍ حُسامٌ وخيرُهم عَتَدُ)
(أنت إيامُ الهدي الذي أصلَح الله ... به الناسَ بعدما فَسَدُوا)
(لمّا أتى الناسَ أنّ مُلْكَهُمُ ... إليكَ قد صار أمره سَجَدوا)
(واستبشروا بالرضا تَبَاشُرَهم ... بالخُلْدِ لو قيل إنّكم خُلُدُ)
(وعَجَّ بالحمد أهلُ أرضِك حتّى ... كاد يَهْتَزُّ فرحةً أُحُدُ)
(واستقبل الناسُ عِيشَةً أُنُفاً ... إنْ تبقَ فيها لهم فقد سَعِدوا)
(رُزِقتَ من ودِّهم وطاعتهم ... ما لم يَجِدْه لِوالدٍ وَلَد)
(أثْلَجهمْ منك أنّهم عَلِموا ... أنّك فيما وَلِيتَ مُجتهِدُ)
(وأنّ ما قد صنعتَ من حَسَنٍ ... مِصْداقُ ما كنتَ مَرّةً تَعِدُ)
(ألَّفْتَ أهواءهمْ فأصبحتِ الأضغانُ ... سِلْماً وماتتِ الحِقَدُ)
(كنتُ أرى أنّ ما وجدتُ من الفَرْحةِ ... لم يلقَ مثلَه أحَدُ)
(حتى رأيت العبادَ كلَّهمُ ... قد وجدوا من هواك ما أجِدُ)
صوت
(قد طلب الناسُ ما بلغتَ فما ... نالوا ولا قاربوا وقد جَهَدوا)
((يرفَعُك اللهُ بالتَّكَرُّمِ والتقْوَى ... فتعلو وأنت مُقْتصِدُ
(حَسْبُ امرءٍ من غِنًى تَقَرُّبه ... منك وإن لم يكن له سَبَدُ)

(فأنت أمْنٌ لمن يَخاف وللمَخْذولِ ... أودى نصيرهُ عَضُدُ)
غنى في هذه الأبيات الأربعة إبراهيم خفيف ثقيل بالبنصر
(كلُّ امرئٍ ذي يدٍ تُعَدّ عليه ... منكَ معلومة يَدٌ ويدُ)
(فهم ملوكٌ ما لم يَرَوْكَ فإنْ ... دَاناهُمُ منكَ منزلٌ خَمِدوا)
(تعروهم رِعْدةٌ لديكَ كما ... قَفْقَفَ تحت الدُّجُنَّة الصَّرِدُ)
(لا خوفَ ظُلْمٍ ولا قِلَى خُلُقٍ ... إلاّ جَلالاً كَساكَهُ الصَّمدُ)
(وأنت عَمْرٌ النَّدى إذا هَبَط الزُّوّارُ ... أرضاً تَحُلُّها حُمِدُوا)
(فهم رِفاقٌ فِرْقةٌ صَدَرتْ ... عنكَ بغُنْمٍ وفُرْقةٌ تَرِدُ)
(إنْ حال دهرٌ فإنّك لا ... تَنْفَكُّ عن حالِكَ التي عَهِدوا)
(قد صدّق اللهُ مادِحيك فما ... في قولهم فِرْيةٌ ولا فَنَدُ)
علم جعفر بن يحيى بالأشعار والألحان
أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني الحسين بن يحيى قال
سمعت إسحاق بن إبراهيم الموصلي يحلف بالله الذي لا إله إلا هو إنه ما رأى أذكى من جعفر بن يحيى قط ولا أفطن ولا أعلم بكل شيء ولا أفصح
لسانا ولا أبلغ في مكاتبة
قال ولقد كنا يوما عند الرشيد فغنى أبي لحنا في شعر طريح بن إسماعيل وهو
(قد طلب الناسُ ما بلغتَ فما ... نالوا ولا قاربوا وقد جَهَدُوا)
فاستحسن الرشيد اللحن والشعر واستعاده ووصل أبي عليه
وكان اللحن في طريقة خفيف الثقيل الأول
فقال جعفر بن يحيى قد والله يا سيدي أحسن ولكن اللحن مأخوذ من لحن الدلال الذي غناه في شعر أبي زبيد
(مَنْ يَرَ العِيرَ لابنِ أروى على ظَهْرِ ... المَرَوْرى حُدَاتُهُنَّ عِجالُ)
وأما الشعر فنقله طريح من قول زهير
(سعَى بعدَهم قومٌ لكي يُدركوهُمُ ... فلم يَبْلُغُوا ولم يُلاَمُوا ولم يأْلُوا)
قال إسحاق فعجبت والله من علمه بالألحان والأشعار وإذا اللحن يشبه لحن الدلال قال وكذلك الشعر فاغتممت أني لم أكن فهمت اللحن وكان ذلك أشد علي من ذهاب أمر الشعر علي وأنا والله مع ذلك أغني الصوتين وأحفظ الشعرين
قال الحسين ولحن الدلال في شعر أبي زبيد هذا من خفيف الثقيل أيضا
طريح يذكر لأبي ورقاء قصته مع أعرابي عاشق
أخبرني يحيى بن علي بن يحيى إجازة قال حدثني أبو الحسن البلاذري أحمد ابن يحيى وأبو أيوب المديني قال البلاذري وحدثني الخرمازي وقال أبو أيوب وحدثونا عن الحرمازي قال حدثني أبو القعقاع سهل بن عبد الحميد عن أبي ورقاء الحنفي قال
خرجت من الكوفة أريد بغداد فلما صرت إلى أول خان نزلته بسط غلماننا
وهيأوا غداءهم ولم يجئ أحد بعد إذ رمانا الباب برجل فاره البرذون حسن الهيئة فصحت بالغلمان فأخذوا دابته فدفعها
إليهم ودعوت بالغداء فبسط يديه غير محتشم وجعلت لا أكرمه بشيء إلا قبله
ثم جاء غلمانه بعد ساعة في ثقل سري وهيئة حسنة فتناسبنا فإذا الرجل طريح بن إسماعيل الثقفي
فلما ارتحلنا ارتحلنا في قافلة غناء لا يدرك طرفاها
قال فقال لي ما حاجتنا إلى زحام الناس وليست بنا إليهم وحشة ولا علينا خوف نتقدمهم بيوم فيخلوا لنا الطريق
ونصادف الخانات فارغة ونودع أنفسنا إلى أن يوافوا
قلت ذلك إليك قال فأصبحنا الغد فنزلنا الخان فتغدينا وإلى جانبنا نهر ظليل فقال هل لك أن نستنقع فيه فقلت له شأنك
فلما سرا ثيابه إذا ما بين عصعصه إلى عنقه ذاهب وفي جنبيه أمثال الجرذان فوقع في نفسي منه شيء
فنظر إلي ففطن وتبسم ثم قال قد رأيت ذعرك مما رأيت وحديث هذا إذا سرنا العشية إن شاء الله تعالى أحدثك به
قال فلما ركبنا قلت الحديث قال نعم قدمت من عند الوليد بن يزيد بالدنيا وكتبت إلى يوسف بن عمر مع فراش فملأ يدي أصحابي فخرجت أبادر الطائف
فلما امتد لي الطريق وليس يصحبني فيه خلق عن لي أعرابي على بعير له فحدثني فإذا هو حسن الحديث وروى لي الشعر فإذا هو راوية وأنشدني لنفسه فإذا هو شاعر
فقلت له من أين أقبلت قال لا أدري قلت فأين تريد فذكر قصة يخبر فيها أنه عاشق لمرئة قد أفسدت عليه عقله
وسترها عنه أهلها وجفاه أهله فإنما يستريح إلى الطريق ينحدر مع منحدريه ويصعد مع مصعديه
قلت فأين هي قال غدا ننزل بإزائها
فلما نزلنا أراني ظربا على يسار الطريق فقال لي أترى ذلك الظرب قلت أراه
قال فإنها في مسقطه
قال فأدركني أريحية الشباب فقلت أنا والله آتيها برسالتك
قال فخرجت وأتيت الظرب وإذا بيت حريد وإذا فيه امرأة جميلة ظريفة
فذكرته لها فزفرت زفرة كادت أضلاعها تساقط
ثم قالت أوحي هو قلت نعم تركته في رحلي وراء هذا الظرب ونحن بائتون ومصبحون
فقالت يا أبي أرى لك وجها يدل على خير فهل لك في الأجر فقلت فقير والله إليه
قالت فالبس ثيابي وكن مكاني ودعني حتى آتيه وذلك مغيربان الشمس
قلت أفعل
قالت إنك إذا أظلمت أتاك زوجي في هجمة من إبله فإذا بركت أتاك وقال يا فاجرة يا هنتاه فيوسعك شتما فأوسعه صمتا
ثم يقول اقمعي سقاءك فضع القمع في هذا السقاء حتى يحقن فيه وإياك وهذا الآخر فإنه واهي الأسفل قال فجاء
ففعلت ما أمرتني به ثم قال اقمعي سقاءك فحينني الله فتركت الصحيح وقمعت الواهي فما شعر إلا باللبن بين رجليه

فعمد إلى رشاء من قد مربوع فثناه باثنين فصار على ثمان قوى ثم جعل لا يتقي مني
رأسا ولا رجلا ولا جنبا فخشيت أن يبدو له وجهي فتكون الأخرى فألزمت وجهي الأرض فعمل بظهري ما ترى
ذكر أخبار أبي سعيد مولى فائد ونسبه
جمع الشعر إلى جانب الغناء
أبو سعيد مولى فائد
وفائد مولى عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنه
وذكر ابن خرداذبة أن اسم أبي سعيد إبراهيم
وهو يعرف في الشعراء بابن أبي سنة مولى بني أمية وفي المغنين بأبي سعيد مولى فائد
وكان شاعرا مجيدا ومغنيا وناسكا بعد ذلك فاضلا مقبول الشهادة بالمدينة معدلا
وعمر إلى خلافة الرشيد ولقيه إبراهيم بن المهدي وإسحاق الموصلي وذووهما
وله قصائد جياد في مراثي بني أمية الذين قتلهم عبد الله وداود ابنا علي بن عبد الله بن العباس يذكر هاهنا في موضعه منها ما تسوق الأحاديث ذكره
أخبرني علي بن عبد العزيز عن عبيد الله بن عبد الله عن إسحاق وأخبرني الحسين بن يحيى عن ابن أبي الأزهر عن حماد عن أبيه وأخبرنا به يحيى بن علي عن أخيه أحمد بن علي عن عافية بن شبيب عن أبي جعفر الأسدي عن إسحاق قال يحيى خاصة في خبره
قال إسحاق حججت مع الرشيد فلما قربت من مكة استأذنته في التقدم فأذن لي فدخلت مكة فسألت عن أبي سعيد مولى فائد فقيل لي هو في المسجد الحرام
فأتيت المسجد فسألت عنه فدللت عليه فإذا هو قائم يصلي
فجئت فجلست قريبا منه
فلما فرغ قال لي يا فتى ألك حاجة قلت نعم تغنيني لقد طفت سبعا
هذه رواية يحيى بن علي
وأما الباقون فإنهم ذكروا عن إسحاق أن المهدي قال هذا لأبي سعيد وأمره أن يغني له
(لقد طُفْتُ سبعاً قلتُ لمّا قَضَيْتُها ... ألاَ ليتَ هذا لا عَلَيّ ولا لِيَا)
ورفق به وأدنى مجلسه وقد كان نسك فقال أو أغنيك يا أمير المؤمنين أحسن منه قال أنت وذاك فغني
(إنّ هذا الطويلَ من آلِ حَفْصٍ ... نَشَرَ المَجْدَ بعدما كان ماتَا)
(وبَنَاهُ على أساسٍ وثِيقٍ ... وعِمَادٍ قد أُثْبِتَتْ إثباتا)
(مثلَ ما قد بنى له أوّلوه ... وكذا يُشْبِهُ البُنَاةُ البُنَاتَا)
الشعر والغناء لأبي سعيد مولى فائد فأحسن
فقال له المهدي أحسنت يا أبا سعيد فغني لقد طفت سبعا
قال أو أغنيك أحسن منه قال أنت وذاك
فغناه
(قَدِم الطويلُ فأشرقتْ واستبشرتْ ... أرضُ الحجازِ وبانَ في الأشجار)
(إنّ الطويلَ منَ آل حَفْصٍ فاعلموا ... سادَ الحضَور وساد في الأسفار)
فأحسن فيه
فقال غنني لقد طفت سبعا
قال أو أغنيك أحسن منه قال فغنني
فغناه
(أيّها السائلُ الذي يَخْبِطُ الأرضِ ... دع الناسَ أجمعين وراكا)
(وأتِ هذا الطويلَ مِنْ آل حفْصٍ ... إنْ تخوّفتَ عَيْلَةً أو هلاكا)
فأحسن فيه
فقال له غنني لقد طفت سبعا فقد أحسنت فيما غنيت ولكنا نحب أن تغني ما دعوناك إليه
فقال لا سبيل إلى ذلك يا أمير المؤمنين لأني رأيت رسول الله منامي وفي يده شيء لا أدري ما هو وقد رفعه ليضربني به وهو يقول يا أبا سعيد لقد طفت سبعا لقد طفت سبعا سبعا طفت ما صنعت بأمتي في هذا الصوت فقلت له بأبي أنت وأمي اغفر لي فوالذي بعثك بالحق واصطفاك بالنبوة لا غنيت هذا الصوت أبدا فرد يده ثم قال عفا الله عنك إذا ثم انتبهت
وما كنت لأعطي رسول الله شيئا في منامي فارجع عنه في يقظتي
فبكى المهدي وقال أحسنت يا أبا سعيد أحسن الله إليك لا تعد في غنائه وحباه وكساه وأمر برده إلى الحجاز
فقال له أبو سعيد ولكن اسمعه يا أمير المؤمنين من منة جارية البرامكة
وأظن حكاية من حكى ذلك عن المهدي غلطا لأن منة جارية البرامكة لم تكن في أيام المهدي وإنما نشأت وعرفت في أيام الرشيد
وقد حدثني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي عن أبيه أنه هو الذي لقي أبا سعيد مولى فائد وجاراه هذه القصة
وذكر ذلك أيضا حماد بن إسحاق عن إبراهيم بن المهدي وقد يجوز أن يكون إبراهيم بن المهدي وإسحاق سألاه عن هذا الصوت فأجابهما فيه بمثل ما أجاب المهدي
وأما خبر إبراهيم بن المهدي خاصة فله معان غير هذه والصوت الذي سأله عنه غير هذا وسيذكر بعد انقضاء هذه الأخبار لئلا تنقطع
رفض الشخوص إلى بغداد مع إبراهيم بن المهدي
وأخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة

أن إبراهيم بن المهدي لقي أبا سعيد مولى فائد وذكر الخبر بمثل الذي قبله وزاد فيه فقال له اشخص معي إلى بغداد فلم يفعل
فقال ما كنت
لآخذك بما لا تحب ولو كان غيرك لأكرهته على ما أحب ولكن دلني على من ينوب عنك
فدل على ابن جامع وقال له عليك بغلام من بني سهم قد أخذ عني وعن نظرائي وتخرج وهو كما تحب
فأخذه إبراهيم معه فأقدمه بغداد فهو الذي كان سبب وروده إياها
نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني
صوت من المائة المختارة
(لقد طُفْتُ سبعاً قلتُ لمّا قَضَيْتُها ... ألاَ ليت هذا لا عَلَيَّ ولا لِيَا)
(يُسَائلني صَحْبِي فما أَعقِلُ الّذي ... يقولون من ذِكْرِ لليلَى اعترانيا)
عروضه من الطويل
ذكر يحيى بن علي أن الشعر والغناء لأبي سعيد مولى فائد وذكر غيره أن الشعر للمجنون
ولحنه خفيف رمل بالبنصر وهو المختار
وذكر حبش أن فيه لإبراهيم خفيف رمل آخر
والذي ذكر يحيى بن علي من أن الشعر لأبي سعيد مولى فائد هو الصحيح
أخبرني عمي عن الكراني عن عيسى بن إسماعيل عن القحذمي أنه أنشده لأبي سعيد مولى فائد
قال عمي وأنشدني هذا الشعر أيضا أحمد بن أبي طاهر عن أبي دعامة لأبي سعيد وبعد هذين البيتين اللذين مضيا هذه الأبيات
(إذا جئتَ بابَ الشِّعْبِ شِعْبِ ابنِ عامرٍ ... فأقْرِئ غزالَ الشِّعْبِ مِنِّي سَلامِيَا)
(وقُلْ لغزال الشِّعْبِ هل أنتَ نازلٌ ... بشِعْبِكَ أم هل يُصْبِحُ القلبُ ثاويا)
(لقد زادني الحُجَّاجُ شوقاً إليكمُ ... وقد كنتُ قبل اليومِ لِلْحَجِّ قالِيا
(وما نظرتْ عيني إلى وجه قادمٍ ... من الحَجِّ إلاّ بَلَّ دَمْعِي ردائيا)
في البيت الأول من هذه الأبيات وهو
(... إذا جئت باب الشعب شعب ابن عامر)
لحن لابن جامع خفيف رمل عن الهشامي
ومنها
صوت
(إنّ هذا الطويلَ مِنْ آل حَفْصٍ ... نَشَرَ المجد بعدما كان ماتا)
(وبناه على أساسٍ وَثِيقٍ ... وعِمّادٍ قد أُثْبِتَتْ إثباتا)
(مثلَ ما قد بنَى له أَوّلُوه ... وكذا يشبِه البُنَاةُ البُنَاتَا)
عروضه من الخفيف
الشعر والغناء لأبي سعيد مولى فائد
ولحنه رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق
ومنها
صوت
(قَدِم الطويلُ فأشرقت لقدومه ... أرضُ الحجاز وبان في الأشجار)
(إنَّ الطويلَ من آل حَفْصٍ فاعلموا ... ساد الحُضُورَ وساد في الأسفار)
الشعر والغناء لأبي سعيد
ومنها
صوت
(أيها الطالب الذي يَخْبِطُ الأرْضَ ... دَع الناسَ أجمعين وراكا)
((وأتِ هذا الطويلَ من آل حَفْصٍ ... إن تخوفتَ عَيْلَةً أو هلاكا
عروضه من الخفيف
الشعر لأبي سعيد مولى فائد وقيل إنه للدارمي والغناء لأبي سعيد خفيف ثقيل
وفيه للدارمي ثاني ثقيل
الطويل من آل حفص الذي عناه الشعراء في هذه الأشعار هو عبد الله بن عبد الحميد بن حفص وقيل ابن أبي حفص بن المغيرة المخزومي وكان ممدحا
مدح عبد الله بن عبد الحميد
فأخبرني يحيى بن علي بن يحيى إجازة عن أبي أيوب المديني قال حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه أن عبد الله بن عبد الحميد المخزومي كان يعطي الشعراء فيجزل وكان موسرا وكان سبب يساره ما صار إليه من أم سلمة المخزومية امرأة أبي العباس السفاح فإنه تزوجها بعده فصار إليه منها مال عظيم فكان يتسمح به ويتفتى ويتسع في العطايا
وكانت أم سلمة مائلة إليه فأعطته ما لا يدري ما هو ثم إنها اتهمته بجارية لها فاحتجبت عنه فلم تعد إليه حتى مات
وكان جميل الوجه طويلا
وفيه يقول أبو سعيد مولى فائد
(إنّ هذا الطويلَ من آل حفصٍ ... نشرَ المجدَ بعد ما كان ماتا)
وفيه يقول الدارمي
(أيُّها السائل الذي يَخْبِطُ الأرضَ ... دَعَ الناسَ أجمعين وراكا)
(وأْتِ هذا الطويلَ من آل حَفْصٍ ... إنّ تَخوفْتَ عَيْلَةً أو هلاكا)

وفيه يقول الدارمي أيضا
صوت
(إنّ الطويلَ إذا حَلَلْتَ به ... يوماً كفاك مَؤونةَ الثِّقْلِ)
ويروى
(... ابن الطويل إذا حللت به)
(وحللتَ في دَعَةٍ وفي كَنَفٍ ... رَحْبِ الفِناء ومنزلٍ سَهلِ)
غناه ابن عباد الكاتب ولحنه من الثقيل الأول الذي بالبنصر عن ابن المكي
فأما خبر إبراهيم بن المهدي مع أبي سعيد مولى فائد الذي قلنا إنه يذكر هاهنا فأخبرني به الحسن بن علي قال
حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني القطراني المغني قال حدثني ابن جبر قال
سمعت إبراهيم بن المهدي يقول كنت بمكة في المسجد الحرام فإذا شيخ قد طلع وقد قلب إحدى نعليه على الأخرى
وقام يصلي فسألت عنه فقيل لي هذا أبو سعيد مولى فائد
فقلت لبعض الغلمان احصبه فحصبه فأقبل عليه وقال ما يظن أحدكم إذا دخل المسجد إلا أنه له
فقلت للغلام قل له يقول لك مولاي ابلغني فقال ذلك له
فقال له أبو سعيد من مولاك حفظه الله قال مولاي إبراهيم بن المهدي فمن أنت قال أنا أبو سعيد مولى فائد وقام فجلس
بين يدي وقال لا والله بأبي أنت وأمي ما عرفتك فقلت لا عليك أخبرني عن هذا الصوت
(أفاضَ المدامعَ قَتْلَى كُدىً ... وقَتْلَى بكُثْوةَ لم تُرْمَسِ)
قال هو لي قلت ورب هذه البنية لا تبرح حتى تغنيه
قال ورب هذه البنية لا تبرح حتى تسمعه
قال ثم قلب إحدى نعليه وأخذ بعقب الأخرى وجعل يقرع بحرفها على الأخرى ويغنيه حتى أتى عليه فأخذته منه
قال ابن جبر وأخذته أنا من إبراهيم بن المهدي
محمد بن عمران يقبل شهادته بعد أن ردها
أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي قال حدثني
دنية المدني صاحب العباسة بنت المهدي وكان آدب من قدم علينا من أهل الحجاز
أن أبا سعيد مولى فائد حضر مجلس محمد بن عمران التيمي قاضي المدينة لأبي جعفر وكان مقدما لأبي سعيد
فقال له ابن عمران التيمي يا أبا سعيد أنت القائل
(لقد طفتُ سبعاً قلتُ لمّا قضيتُها ... ألا ليت هذا لا عَليَّ ولا لِيَا)
فقال أي لعمر أبيك وإني لأدمجه إدماجا من لؤلؤ
فرد محمد بن عمران شهادته في ذلك المجلس
وقام أبو سعيد من مجلسه مغضبا وحلف ألا يشهد عنده أبدا
فأنكر أهل المدينة على ابن عمران رده شهادته وقالوا عرضت حقوقنا للتوى وأموالنا للتلف لأنا كنا نشهد هذا الرجل
لعلمنا بما كنت عليه والقضاة قبلك من الثقة به وتقديمه وتعديله
فندم ابن عمران بعد ذلك على رد شهادته ووجه إليه يسأله حضور مجلسه والشهادة عنده ليقضي بشهادته فامتنع وذكر
أنه لا يقدر على حضور مجلسه ليمين لزمته إن حضره حنث
قال فكان ابن عمران بعد ذلك إذا ادعى أحد عنده شهادة أبي سعيد صار إليه إلى منزله أو مكانه من المسجد حتى
يسمع منه ويسأله عما يشهد به فيخبره
وكان محمد بن عمران كثير اللحم
عظيم البطن
كبير العجيزة صغير القدمين دقيق الساقين يشتد عليه المشي فكان كثيرا ما يقول لقد أتعبني هذا الصوت لقد طفت
سبعا وأضر بي ضررا طويلا شديدا
وأنا رجل ثقال بترددي إلى أبي سعيد لأسمع شهادته
أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا النضر بن عمرو عن الهيثم بن عدي قال
كان المطلب بن عبد الله بن حنطب قاضيا على مكة فشهد عنده أبو سعيد مولى فائد بشهادة فقال له المطلب ويحك
ألست الذي يقول
(لقد طفتُ سبعاً قلتُ لمّا قضيتُها ... ألاَ ليت هذا لا عليَّ ولا ليا)
لا قبلت لك شهادة أبدا
فقال أبو سعيد أنا والله الذي أقول
(كأن وُجوهَ الحَنْطَبِيِّين في الدُّجى ... قناديلُ تَسْقيها السَّلِيطَ الهياكلُ)
فقال الحنطبي إنك ما علمتك إلا دبابا حول البيت في الظلم مدمنا للطواف به في الليل والنهار وقبل شهادته
نسبة الصوت المذكور قبل هذا الذي في حديث إبراهيم بن المهدي وخبره
صوت
(أفاضَ المدامعَ قَتْلَى كُدىً ... وقَتْلَى بكُثْوةَ لم تُرْمَسِ)
(وقَتْلَى بِوَجٍّ وباللاَّبَتَيْنِ ... من يَثْرِبٍ خيرُ ما أنْفُسِ)
((وبالزَّابِيَيْن نفوسٌ ثَوَتْ ... وأُخْرى بنهرِ أبِي فُطْرُسِ)
(أولئك قومي أناخَتْ بهم ... نوائبُ من زَمنٍ مُتْعِسِ)
(إذا رَكِبوا زيَّنوا المَوْكِبَيْنِ ... وإن جَلَسوا الزَّيْنُ في المجلسِ)
(همُ أضرعوني لريب الزَّمان ... وهُمْ ألْصَقُوا الرَّغْمَ بالمَعْطِسِ)
عروضه من المتقارب
الشعر للعبلي واسمه عبد الله بن عمر ويكنى أبا عدي وله أخبار تذكر مفردة في موضعها إن شاء الله
والغناء لأبي سعيد مولى فائد ولحنه من الثقيل الثاني بالسبابة في مجرى البنصر

وقصيدة العبلي أولها
(تقول أُمامةُ لمّا رأتْ ... نُشُوزي عن المَضْجَع الأنْفسَ)
الشاعر العبلي ينشد ابن حسن رثاء في قومه فيبكي
نسخت من كتاب الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار وأخبرني الأخفش عن المبرد عن المغيرة بن محمد المهلبي عن الزبير عن سليمان بن
عياش السعدي قال
جاء عبد الله بن عمر العبلي إلى سويقة وهو طريد بن العباس وذلك بعقب أيام بني أمية وابتداء خروج ملكهم إلى بني العباس فقصد عبد الله وحسنا ابني الحسن بن حسن بسويقة فاستنشده عبد الله بن حسن شيئا من شعره فأنشده فقال له أريد أن تنشدني شيئا مما رثيت به قومك فأنشده قوله
(تقول أمامةُ لمّا رأتْ ... نُشُوزي عن المَضْجَع الأَنْفَسِ)
(وقِلَّةَ نَوْمي على مضجعي ... لدي هَجْعةِ الأعْيُنِ النُّعَّس)
(أبِي ما عَراك فقلتُ الهُموم ... عَرَوْن أباكِ فلا تَبْلِسي)
(عَرَوْنَ أباكِ فحبَّسْنَه ... من الذُّلِّ في شرِّ ما مَحْبِس)
(لِفَقْدِ الأحِبَّة إذ نالها ... سِهامٌ من الحَدَث المُبْئس)
(رمتْها المَنونُ بلا نُكَّلٍ ... ولا طائشاتٍ ولا نُكَّس)
(بأسْهُمِها المُتْلِفاتِ النفوس ... متى ما تُصِبْ مُهْجةً تَخْلِس)
(فصَرَّعْنَهمْ في نَواحي البلادِ ... مُلَقًّى بأرْضٍ ولم يُرْسَس)
(تَقِيٍّ أصيبَ وأثوابهُ ... من العَيْبِ والعارِ لم تَدْنَس)
(وآخَرَ قد دُسَّ في حُفْرةٍ ... وآخرَ قد طارَ لم يُحْبَس)
(إذا عنّ ذِكْرُهُمُ لم يَنَمْ ... أبوكِ وأوْحَشَ في المَجْلِس)
(فذاكِ الذي غالني فاعلمي ... ولا تسألي بامرىءٍ مُتْعَس)
(أذَلُّوا قَنَاتِي لمن رامَها ... وقد ألْصَقُوا الرَّغمَ بالمَعْطَس)
قال فرأيت عبد الله بن حسن وإن دموعه لتجري على خده
وقد أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني عن إبراهيم بن رباح قال
عمر أبو سعيد بن أبي سنة مولى بني أمية وهو مولى فائد مولى عمرو بن عثمان إلى أيام الرشيد فلما حج أحضره فقال أنشدني قصيدتك
(... تقول أمامةُ لمّا رأتْ)
فاندفع فغناه قبل أن ينشده الشعر لحنه في أبيات منها أولها
(... أفاضَ المدامعَ قَتْلَى كُدى)
وكان الرشيد مغضبا فسكن غضبه وطرب فقال أنشدني القصيدة
فقال يا أمير المؤمنين كان القوم موالي وأنعموا علي فرثيتهم ولم أهج أحدا فتركه
أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا الحزنبل قال
كنا عند ابن الأعرابي وحضر معنا أبو هفان فأنشدنا ابن الأعرابي عمن أنشده قال قال ابن أبي سبة العبلي
(أفاضَ المدامعَ قَتْلَى كذا ... وقَتْلَى بكبوة لم تُرْمَس)
فغمز أبو هفان رجلا وقال له قل له ما معنى كذا قال يريد كثرتهم
فلما قمنا قال لي أبو هفان أسمعت إلى هذا المعجب الرقيع صحف اسم الرجل
هو ابن أبي سنة فقال ابن أبي سبة وصحف في بيت واحد موضعين فقال قتلى كذا وهو كدى وقتلى بكبوة وهو بكثوة وأغلظ علي من هذا أنه يفسر تصحيفه
بوجه وقاح
وهذا الشعر الذي غناه أبو سعيد يقوله أبو عدي عبد الله بن عمر العبلي فيمن قتله عبد الله بن علي بنهر أبي فطرس وأبو العباس السفاح أمير المؤمنين بعدهم من بني أمية
وخبرهم والوقائع التي كانت بينهم مشهورة يطول ذكرها جدا ونذكر هاهنا ما يستحسن منها
ذكر من قتل أبو العباس السفاح من بني أمية
أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني مسبح بن حاتم العكلي قال حدثني الجهم بن السباق عن صالح بن ميمون مولى عبد الصمد بن علي قال
لما استمرت الهزيمة بمروان أقام عبد الله بن علي بالرقة وأنفذ أخاه عبد الصمد في طلبه فصار إلى دمشق وأتبعه جيشا عليهم أبو إسماعيل عامر الطويل من قواد خراسان فلحقه وقد جاز مصر في قرية تدعى بوصير فقتله وذلك يوم الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة ووجه برأسه إلى عبد الله بن علي فأنفذه عبد الله بن علي إلى أبي العباس فلما وضع بين يديه خر لله ساجدا ثم رفع رأسه وقال الحمد لله الذي أظهرني عليك وأظفرني بك ولم يبق ثأري قبلك وقبل رهطك أعداء الدين ثم تمثل قول ذي الإصبع العدواني
(لو يَشربون دَمِي لم يُرْوِ شارِبَهم ... ولا دِماؤُهم للغَيْظِ تُرْويني)
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني محمد بن يزيد قال
نظر عبد الله بن علي إلى فتى عليه أبهة الشرف وهو يقاتل مستنتلا فناداه يا فتى لك الأمان ولو كنت مروان بن محمد فقال إلا أكنه فلست بدونه
قال فلك الأمان من كنت
فأطرق ثم قال
(أذُلُّ الحياةِ وكُرْه المماتِ ... وكلاًّ أرى لك شرّاً وَبيلاَ)
ويروى
(... وكلاّ أراه طعاماً وبيلا)

(فإنْ لم يكن غير إحداهما ... فسَيْراً إلى الموت سَيْراً جَميلاَ)
ثم قاتل حتى قتل
قال فإذا هو ابن مسلمة بن عبد الملك بن مروان
مقتل جماعة من الأمويين في اجتماع عند السفاح
أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد الكراني قال حدثني النضر بن عمرو عن المعيطي وأخبرنا محمد بن خلف وكيع
قال قال أبو السائب سلم بن جنادة السوائي سمعت أبا نعيم الفضل بن دكين يقول
دخل سديف وهو مولى لآل أبي لهب على أبي العباس بالحيرة
هكذا قال وكيع
وقال الكراني في خبره واللفظ له كان أبو العباس جالسا في مجلسه على سريره وبنو هاشم دونه على الكراسي وبنو
أمية على الوسائد قد ثنيت لهم وكانوا في أيام دولتهم يجلسون هم والخلفاء منهم على السرير ويجلس بنو هاشم
على الكراسي فدخل الحاجب فقال يا أمير المؤمنين بالباب رجل حجازي أسود راكب على نجيب متلثم يستأذن ولا يخبر
باسمه ويحلف ألا يحسر اللثام عن وجهه حتى يراك قال هذا مولاي سديف يدخل فدخل
فلما نظر إلى أبي
العباس وبنو أمية حوله حدر اللثام عن وجهه وأنشأ يقول
(أصبح المُلْكُ ثابتَ الآساس ... بالبَهاليل من بني العبّاس)
(بالصدور المُقَدَّمين قديماً ... والرُّؤوس القَماقِم الرُّؤّاس)
(يا أميرَ المُطَهَّرينَ مِنَ الذَّمّ ... ويا رأسَ منتهى كلِّ راس)
(أنتِ مَهْدِيُّ هاشِمٍ وهُداها ... كم أُناسٍ رَجَوْكَ بعد إياس)
(لا تُقيلَنَّ عبدَ شَمْسٍ عِثَاراً ... واقْطَعَنْ كلَّ رَقْلةٍ وغِراس)
(أَنْزِلُوها بحيث أنزَلَها اللّهُ ... بدار الهَوَانِ والإتْعاس)
(خَوْفُهم أظهرَ التَّودُّدَ منهمْ ... وبهم منكمُ كحزِّ المَوَاسِي)
(أقْصِهم أيُّها الخليفةُ واحْسِمْ ... عنك بالسَّيف شأفَةَ الأرْجاس)
(واذْكُرَنْ مَصْرَعَ الحُسَيْنِ وزَيْدٍ ... وقَتيلٍ بجانب المِهْراسِ)
(والإمامِ الذي بحَرَانَ أمْسَى ... رَهْنَ قبرٍ في غُرْبةٍ وتَنَاسِي)
(فلقد ساءني وساء سَوَائي ... قُرْبُهمْ من نمارقٍ وكَرَاسِي)
((نِعْمَ كَلْبُ الهِراش مولاك لولا ... أوَدٌ من حبائل الإفلاس
فتغير لون أبي العباس وأخذه زمع ورعدة فالتفت بعض ولد سليمان بن عبد الملك إلى رجل منهم وكان إلى جنبه فقال
قتلنا والله العبد
ثم أقبل أبو العباس عليهم فقال يا بني الفواعل أرى قتلاكم من أهلي قد سلفوا وأنتم أحياء تتلذذون في الدنيا خذوهم
فأخذتهم الخراسانية بالكافر كوبات فأهمدوا إلا ما كان من عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز فإنه استجار بداود بن علي
وقال له إن أبي لم يكن كآبائهم وقد علمت صنيعته إليكم فأجاره واستوهبه من السفاح وقال له قد علمت يا أمير
المؤمنين صنيع أبيه إلينا فوهبه له وقال له لا يريني وجهه وليكن بحيث تأمنه وكتب إلى عماله في النواحي بقتل بني
أمية
لماذا قتل السفاح بني أمية
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثنا الزبير بن بكار عن عمه
أن سبب قتل بني أمية أن السفاح أنشد قصيدة مدح بها فأقبل على بعضهم فقال أين هذا مما مدحتم به فقال هيهات لا
يقول والله أحد فيكم مثل قول ابن قيس الرقيات فينا
((ما نَقَمُوا من بني أُمَيّة إلا ... أنَّهمْ يَحْلُمون إنْ غَضِبوا
(وأنَّهُمْ مَعْدِنُ المُلوكِ ولا ... تَصْلُحُ إلاّ عليهم العَرَبُ)
فقال له يا ماص كذا من أمه أو إن الخلافة لفي نفسك بعد خذوهم فأخذوا فقتلوا
أخبرني عمي عن الكراني عن النضر بن عمرو عن المعيطي
أن أبا العباس دعا بالغداء حين قتلوا وأمر ببساط فبسط عليهم وجلس فوقه يأكل وهم يضطربون تحته
فلما فرغ من الأكل قال ما أعلمني أكلت أكلة قط أهنأ ولا أطيب لنفسي منها
فلما فرغ قال جروا بأرجلهم فألقوا في الطريق يلعنهم الناس أمواتا كما لعنوهم أحياء
قال فرأيت الكلاب تجر بأرجلهم وعليهم سراويلات الوشي حتى أنتنوا ثم حفرت لهم بئر فألقوا فيها
أخبرني عمر بن عبد الله بن جميل العتكي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن معن الغفاري عن أبيه قال
لما أقبل داود بن علي من مكة أقبل معه بنو حسن جميعا وحسين بن علي بن حسين وعلي بن عمر بن علي بن
حسين وجعفر بن محمد والأرقط محمد بن عبد الله وحسين بن زيد ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وعبد الله بن
عنبسة بن سعيد بن العاصي وعروة وسعيد ابنا خالد بن سعيد بن عمرو بن عثمان فعمل لداود مجلس بالرويثة فجلس
عليه هو والهاشميون وجلس الأمويون تحتهم فأنشده إبراهيم بن هرمة قصيدة يقول فيها
(فلا عَفَا اللهُ عن مَرْوانَ مَظْلِمةً ... ولا أُميّة بئس المجلسُ النّادِي)
((كانوا كعادٍ فأمسَى اللهُ أهلكهم ... بمثل ما أهلك الغاوين من عادِ
(فلن يُكَذِّبني من هاشمٍ من أحدٌ ... فيما أقول ولو أكثرتُ تعْدَادي)
قال فنبذ داود نحو ابن عنبسة ضحكة كالكشرة فلما قام قال عبد الله بن حسن لأخيه حسن أما رأيت ضحكته إلى ابن
عنبسة الحمد لله الذي صرفها عن أخي يعني العثماني
قال فما هو إلا أن قدم المدينة حتى قتل ابن عنبسة
قال محمد بن معن حدثني محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان قال
استحلف أخي عبد الله بن حسن داود بن علي وقد حج معه سنة اثنتين وثلاثين ومائة بطلاق امرأته مليكة بنت دواد بن
حسن ألا يقتل أخويه محمدا والقاسم ابني عبد الله

قال فكنت أختلف إليه آمنا وهو يقول بني أمية وكان يكره أن يراني أهل خراسان ولا يستطيع إلي سبيلا ليمينه
فاستدناني يوما فدنوت منه فقال ما أكثر الغفلة وأقل الحزمة فأخبرت بها عبد الله بن حسن فقال يابن أم تغيب عن الرجل فتغيبت عنه حتى مات
خبر آخر عن مقتل الأمويين عند السفاح
أخبرني الحسن بن علي ومحمد بن يحيى قالا حدثنا الحارث بن أبي أسامة قال حدثني إسماعيل بن إبراهيم عن الهيثم بن بشر مولى محمد بن علي قال
أنشد سديف أبا العباس وعنده رجال من بني أمية قوله
(يابنَ عمِّ النبيِّ أنت ضِياءٌ ... استْبنَّا بك اليقينَ الجَلِيّا)
فلما بلغ قوله
((جَرِّدِ السَّيْف وارْفَعِ العفْو حتَّى ... لا ترى فوق ظهرِها أُمَويا
(لا يَغُرَّنْكَ ما ترى من رجالٍ ... إنّ تحت الضُّلوع داء دَوِيّا)
(بَطن البُغضُ في القديم فأضحَى ... ثاوياً في قلوبهم مَطْوِيّا)
وهي طويلة قال يا سديف خلق الإنسان من عجل ثم قال
(أحيا الضغائن آباءٌ لنا سلَفُوا ... فلنْ تَبِيدَ وللآباءِ أبناءُ)
ثم أمر بمن عنده منهم فقتلوا
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد بن سليمان النوفلي عن أبيه عن عمومته
أنهم حضروا سليمان بن علي بالبصرة وقد حضره جماعة من بني أمية عليهم الثياب الموشية المرتفعة فكأني أنظر إلى أحدهم وقد أسود شيب في عارضيه من الغالية فأمر بهم فقتلوا وجروا بأرجلهم فألقوا على الطريق وإن عليهم لسراويلات الوشي والكلاب تجر بأرجلهم
عمرو بن معاوية يأخذ الأمان من سليمان بن علي
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن عبد الله بن عمرو قال أخبرني طارق بن المبارك عن أبيه قال
جاءني رسول عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة فقال لي يقول لك عمرو قد جاءت هذه الدولة وأنا حديث السر كثير العيال منتشر المال فما أكون في قبيلة إلا شهر أمري وعرفت وقد اعتزمت على أن أفدي حرمي بنفسي وأنا صائر إلى باب الأمير سليمان بن علي فصر إلي
فوافيته فإذا عليه طيلسان مطبق أبيض
وسراويل وشي مسدول فقلت يا سبحان الله ما تصنع الحداثة بأهلها أبهذا اللباس تلقى هؤلاء القوم لما تريد لقاءهم فيه فقال لا والله ولكنه ليس عندي ثوب إلا أشهر مما ترى
فأعطيته طيلساني وأخذت طيلسانه ولويت سراويله إلى ركبتيه فدخل ثم خرج مسرورا
فقلت له حدثني ما جرى بينك وبين الأمير قال دخلت عليه ولم نتراء قط فقلت أصلح الله الأمير لفظتني البلاد إليك ودلني فضلك عليك فإما قتلتني غانما وإما رددتني سالما
فقال ومن أنت ما أعرفك فانتسبت له
فقال مرحبا بك أقعد فتكلم آمنا غانما ثم أقبل علي فقال ما حاجتك يابن أخي فقلت إن الحرم اللواتي أنت أقرب الناس إليهن معنا وأولى الناس بهن بعدنا قد خفن لخوفنا ومن خاف خيف عليه
فوالله ما أجابني إلا بدموعه على خديه ثم قال يابن أخي يحقن الله دمك ويحفظك في حرمك ويوفر عليك مالك ووالله لو أمكنني ذلك في جميع قومك لفعلت فكن متواريا كظاهر وآمنا كخائف ولتأتني رقاعك قال فكنت والله أكتب إليه كما يكتب الرجل إلى أبيه وعمه قال فلما فرغ من الحديث رددت عليه طيلسانه فقال مهلا فإن ثيابنا إذا فارقتنا لن ترجع إلينا
قول الشعراء في تحريض السفاح على بني أمية
أخبرني أحمد بن عبد الله قال حدثنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر ابن شبة قال
قال سديف لأبي العباس يحضه على بني أمية ويذكر من قتل مروان وبنو أمية من قومه
(كيف بالعفو عنهمُ وقَدِيماً ... قتلوكم وهتَّكُوا الحُرُماتِ)
(أين زيدٌ وأين يحيى بن زيدٍ ... يا لَها من مُصِيبةٍ وتِرَاتِ)
((والإمامُ الذي أُصِيبَ بحِرَّانَ ... إمامُ الهُدَى ورأسُ الثِّقاتِ
(قتلوا آلَ أحمدٍ لا عفا الذَّنْبَ ... لمروانَ غافرُ السَّيِّئاتِ)
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال
أنشدني محمد بن يزيد لرجل من شيعة بني العباس يحرضهم على بني أمية
(إيّاكُم أنْ تلينوا لاعتذارهمُ ... فليس ذلك إلاّ الخَوْفُ والطَّمَعُ)
(لو أنّهم أمِنُوا أبْدَوْا عَداوتَهُمْ ... لكِنّهم قُمِعُوا بالذلِّ فانقمَعُوا)
(أليس في ألفِ شهرٍ قد مضت لهُم ... سقَوْكُمُ جُرَعاً من بعدها جُرَعُ)
(حتّى إذا ما انقضتْ أيّامُ مُدّتهمْ ... مَتُّوا إليكم بالأرحامِ التي قَطَعوا)
(هيهاتَ لا بدّ أن يُسقَوْا بكأسهمُ ... رِيّاً وأن يَحْصُدُوا الزَّرْعَ الذي زَرعوا)
(إنّا وإخوانَنا الأنصارَ شيعتُكم ... إذا تفرّقت الأهواءُ والشِّيَعُ)
(إيّاكُمُ أن يقولَ الناسُ إنّهُم ... قد مُلّكوا ثم ما ضرُّوا ولا نفعوا)
وذكر ابن المعتز
أن جعفر بن إبراهيم حدثه عن إسحاق بن منصور عن أبي الخصيب في قصة سديف بمثل ما ذكره الكراني عن النضر بن عمرو عن المعيطي إلا أنه قال فيها
فلما أنشده ذلك التفت إليه أبو الغمر سليمان بن هشام فقال يا ماص بظر أمه أتجبهنا بهذا ونحن سروات الناس فغضب أبو العباس وكان سليمان بن هشام صديقه قديما وحديثا يقضي حوائجه في أيامهم ويبره فلم يلتفت إلى ذلك
وصاح بالخراسانية خذوهم فقتلوا جميعا إلا سليمان بن هشام فأقبل عليه السفاح فقال يا أبا الغمر ما أرى لك في الحياة

بعد هؤلاء خيرا
قال لا والله فقال اقتلوه وكان إلى جنبه فقتل وصلبوا في بستانه حتى تأذى جلساؤه بروائحهم فكلموه في ذلك فقال والله لهذا ألذ عندي من شم المسك والعنبر غيظا عليهم وحنقا
نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء
صوت
(أَصبحَ الدِّينُ ثابِتَ الاساسِ ... بالبَهَالِيلِ من بني العبَّاسِ)
(بالصُّدورِ المُقَدَّمين قديماً ... والرُّؤوسِ القَمَاقِمِ الرُّؤَّاسِ)
عروضه من الخفيف الشعر لسديف والغناء لعطرد رمل بالبنصر عن حبش قال وفيه لحكم الوادي ثاني ثقيل وفيه ثقيل أول مجهول
ومما قاله أبو سعيد مولى فائد في قتلى بني أمية وغنى فيه
صوت
(بكيتُ وماذا يَرُدّ البُكَاءْ ... وقَلَّ البكاءُ لقَتْلى كُدَاءْ)
(أُصيبوا معاً فتولَّوْا معاً ... كذلك كانوا معاً في رَخَاءْ)
(بكتْ لهم الأرضُ من بعدهم ... وناحتْ عليهم نجومُ السماءْ)
(وكانوا الضياءَ فلمَّا انقضى الزَّمانُ بقومي تولَّ الضياءْ)
عروضه من المتقارب
الشعر والغناء لأبي سعيد مولى فائد ولحنه من الثقيل الأول بالبنصر من رواية عمرو بن بانة وإسحاق وغيرهما
ومما قاله فيهم وغنى فيه على أنه قد نسب إلى غيره
صوت
(أَثَّر الدهر في رجالي فَقلُّوا ... بعد جَمْعٍ فراحَ عَظْمِي مَهِيضا)
(ما تذكَّرتُهم فتَمْلِك عَيْني ... فَيْضَ غَرْبٍ وحُقَّ لي أن تَفيضا)
الشعر والغناء لأبي سعيد خفيف ثقيل بالوسطى عن ابن المكي والهشامي
وروى الشيعي عن عمر بن شبة عن إسحاق أن الشعر لسديف والغناء للغريض ولعله وهم
ومنها
صوت
(أولئك قَوْمي بعد عِزٍّ ومَنْعَةٍ ... تَفَانَوْا فإلاَّ تَذْرِفِ العينُ أكْمَدِ)
(كأنَّهمُ لا ناسَ للموت غيرُهم ... وإن كان فيهمْ مُنْصِفاً غيرَ مُعْتَدي)
الشعر والغناء لأبي سعيد وفيه لحن لمتيم
خبر المأمون مع المغني علويه
أخبرني عبد الله بن الربيع قال حدثنا أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم قال حدثني عمي طياب بن إبراهيم قال
ركب المأمون بدمشق يتصيد حتى بلغ جبل الثلج فوقف في بعض الطريق على بركة عظيمة في جوانبها أربع سروات لم ير أحسن منها ولا أعظم فنزل المأمون وجعل ينظر إلى آثار بني أمية ويعجب منها ويذكرهم ثم دعا بطبق عليه بزما ورد ورطل نبيذ فقام علويه فغنى
(أولئك قَوْمي بعد عِزٍّ ومَنْعَةٍ ... تَفَانَوْا فإلاَّ تَذْرِفِ العينُ أكْمَدِ)
قال فغضب المأمون وأمر برفع الطبق وقال يابن الزانية ألم يكن لك وقت تبكي فيه على قومك إلا هذا الوقت قال نعم أبكي عليهم مولاكم زرياب يركب معهم في مائة غلام وأنا مولاهم معكم أموت جوعا فقام المأمون فركب وانصرف الناس وغضب على علويه عشرين يوما فكلمه فيه عباس أخو بحر فرضي عنه ووصله بعشرين ألف درهم
صوت من المائة المختارة
(مَهَاةٌ لَوَ انّ الذَّرَّ تَمْشِي ضِعَافُه ... على مَتْنِها بَضَّتْ مَدَارِجُه دَمَا)
(فقُلْنَ لها قُومِي فدينَاكِ فَارْكَبي ... فأومَتْ بلاَ لا غيرَ أنْ تَتَكَلَّمَا)
عروضه من الطويل بضت سالت
يقول لو مشى الذر على جلدها لجرى منه الدم من رقته
وروى الأصمعي
(مُنَعَّمَةٌ لو يُصْبِحُ الذَّرُّ سارياً ... على مَتْنِها بَضَّتْ مَدَارِجُه دَمَا)
الشعر لحميد بن ثور الهلالي
والغناء في اللحن المختار لفليح بن أبي
العوراء ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى
وذكر عمرو بن بانه أن لحن فليح من خفيف الثقيل الأول بالوسطى وأن الثقيل الأول للهذلي
ومما يغني فيه من هذه القصيدة
صوت
(إذا شِئتُ غَنَّتْني بأجزاعِ بِيشَةٍ ... أوِ النَّخْلِ من تَثْلِيثَ أو مِنْ يَلَمْلَمَا)
(مُطَوَّقَةٌ طَوْقاً وليس بحِلْيَةٍ ... ولا ضَرْبِ صَوَّاغٍ بكَفَّيْهِ دِرْهَمَا)
(تُبَكِّي على فَرْخٍ لها ثمّ تَغْتَدِي ... مُوَلَّهةً تبغِي له الدَّهْرَ مَطْعَمَا)
(تُؤَمِّلُ منه مُؤْنِساً لانْفرادها ... وتَبْكي عليه إنْ زَقَا أو تَرَنَّما)
غناه محمد الرَّفّ خفيف رمل بالوسطى
ذكر حميد بن ثور ونسبه وأخباره
هو حميد بن ثور بن عبد الله بن عامر بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة ابن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار
وهو من شعراء الإسلام

وقرنه ابن سلام بنهشل بن حري وأوس بن مغراء
وقد أدرك حميد بن ثور عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال الشعر في أيامه
وقد أدرك الجاهلية أيضا
يخرج على نهي عمر ويشبب بالنساء
أخبرنا وكيع قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد وعبد الله بن شبيب قالا حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي قال حدثني محمد بن فضالة النحوي قال
تقدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشعراء ألا يشبب أحدا بامرأة إلا جلده
فقال حميد بن ثور
(أَبَى اللّهُ إلاَّ أنَّ سَرْحةَ مالكٍ ... على كُلِّ أفنانِ العِضَاةِ تَرُوقُ)
(فقد ذهبتْ عَرْضاً وما فوق طُولها ... من السَّرْح إلاَّ عَشَّةٌ وسَحُوقُ)
العشة القليلة الأغصان والورق
والسحوق الطويلة المفرطة
(فلا الظِّلُّ مِنْ بَرْدِ الضُّحَى تَستَطِيعهُ ... ولا الفَيْءَ من بَرْدِ العَشِيِّ تَذُوقُ)
(فَهَلْ أنا إنْ عَلَّلْتُ نَفْسِي بسَرْحَةٍ ... مِن السَّرْح موجودٌ عليَّ طريقُ)
وهي قصيدة طويلة أولها
(نأتْ أُمُّ عَمرٍ فالفُؤادُ مَشُوقُ ... يَحِنُّ إليها والِهاً ويَتُوقُ)
صوت
وفيها ما يغني فيه
(سَقَى السَّرْحَةَ المِحْلاَلَ والأَبْرَقَ الذي ... به السَّرْحُ غيثٌ دائمٌ وبُروقُ)
(وهلْ أنا إنْ عَلَّلْتُ نَفْسِي بِسَرْحَةٍ ... مِنَ السَّرْح موجودٌ عليّ طريقٌ)
غناه إسحاق ولحنه ثاني ثقيل بالوسطى
أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير عن عمه قال
وفد حميد بن ثور على بعض خلفاء بني أمية فقال له ما جاء بك فقال
(أتاكَ بِيَ اللّهِ الذي فوق مَنْ تَرَى ... وخيرٌ ومعروفٌ عليك دليلُ)
(وَمَطْوِيَّةُ الأَقْرَابِ أمّا نهارُها ... فَنَصٌّ وأمَّا ليلُها فَذَمِيلُ)
(ويَطْوِي عليَّ اللَّيْلُ حِضْنَيْهِ إنَّني ... لذاك إذا هاب الرجالُ فَعُولُ)
فوصله وصرفه شاكرا
أخبار فليح بن أبي العوراء
فليح رجل من أهل مكة مولى لبني مخزوم ولم يقع إلينا اسم أبيه
وهو أحد مغني الدولة العباسية له محل كبير من صناعته وموضع جليل
وكان إسحاق إذا عد من سمع من المحسنين ذكره فيهم وبدأ به
وهو أحد الثلاثة الذين اختاروا المائة الصوت للرشيد
إسحاق الموصلي يمدح غناءه
أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني ابن المكي عن أبيه عن إسحاق قال
ما سمعت أحسن غناء من فليح بن أبي العوراء وابن جامع فقلت له فأبو إسحاق يعني أباه فقال كان هذان لا يحسنان غير الغناء وكان أبو إسحاق فيه مثلهما ويزيد عليهما فنونا من الأدب والرواية لا يداخلانه فيها
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبي قال
قال لي إسحاق أحسن من سمعت غناء عطرد وفليح
وكان فليح أحد الموصوفين بحسن الغناء المسموع في أيامه وهو أحد من كان يحكي الأوائل فيصيب ويحسن
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات
قال حدثني محمد بن محمد العنبسي قال حدثني محمد بن الوليد الزبيري قال
سمعت كثير بن المحول يقول كان مغنيان بالمدينة يقال لأحدهما فليح بن أبي العوراء والآخر سليمان بن سليم فخرج إليهما رسول الرشيد يقول لفليح غناؤك من حلق أبي صدقة أحسن منه من حلقك فعلمه إياه قال وكان يغني صوتا يجيده وهو
(... خيرُ ما نَشْرَبُها بالبُكَرْ)
قال فقال فليح للرسول قل له حسبك
قال فسمعنا ضحكة من وراء الستارة
تفرده برؤية المهدي وهو يغني
أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي قال حدثنا الفضل بن الربيع
أن المهدي كان يسمع المغنين جميعا ويحضرون مجلسه فيغنونه من وراء الستارة لا يرون له وجها إلا فليح بن أبي العوراء فإن عبد الله بن مصعب الزبيري كان يرويه شعره ويغني فيه في مدائحه للمهدي فدس في أضعافها بيتين يسأله فيهما أن ينادمه وسأل فليحا أن يغنيهما في أضعاف أغانيه وهما
صوت
(يا أمين الإلهِ في الشَّرْقِ والغَرْبِ ... على الخَلْقِ وابنَ عَمِّ الرَّسُولِ)
(مجلساً بالعَشِيِّ عندك في المَيْدَانِ ... أبغِي والإِذْنَ لي في الوُصُولِ)
فغناه فليح إياهما
فقال المهدي يا فضل أجب عبد الله إلى ما سأل وأحضره مجلسي إذا حضره أهلي وموالي وجلست لهم وزده على ذلك أن ترفع بيني وبين

روايته فليح الستارة فكان فليح أول مغن عاين وجهه في مجلسهم
أخبرني رضوان قال حدثني يوسف بن إبراهيم قال حدثني بعد قدومي فسطاط مصر زياد بن أبي الخطاب كاتب مسرور خادم الرشيد قال سمعت محبوب بن الهفتي يحدث أبي قال
دعاني محمد بن سليمان بن علي فقال لي قد قدم فليح من الحجاز ونزل عند مسجد ابن رغبان فصر إليه فأعلمه أنه إن جاءني قبل أن يدخل إلى الرشيد خلعت عليه خلعة سرية من ثيابي ووهبت له خمسة آلاف درهم
فمضيت إليه فخبرته بذلك فأجابني إليه إجابة مسرور به نشيط له
وخرج معي فعدل إلى حمام كان بقربه فدعا القيم فأعطاه درهمين وسأله أن يجيئه بشيء يأكله ونبيذ يشربه فجاءه برأس كأنه رأس عجل ونبيذ دوشابي غليظ مسحوري رديء فقلت له لا تفعل وجهدت به ألا يأكل ولا يشرب إلا عند محمد بن سليمان فلم يلتفت إلي وأكل ذلك الرأس وشرب من ذلك النبيذ الغليظ حتى طابت نفسه وغنى وغنى القيم معه مليا ثم خاطب القيم بما أغضبه وتلاحيا وتواثبا فأخذ القيم شيئا فضربه به على رأسه فشجه حتى جرى دمه
فلما رأى الدم على وجهه اضطرب وجزع وقام يغسل جرحه ودعا بصوفة محرقة وزيت وعصبه وتعمم وقام معي
فلما دخلنا دار محمد بن سليمان ورأى الفرش والآلة وحضر الطعام فرأى سروه وطيبه وحضر النبيذ وآلته ومدت الستائر وغنى الجواري أقبل علي وقال يا مجنون سألتك بالله أيما أحق بالعربدة وأولى مجلس القيم أم مجلس الأمير فقلت وكأنه لا بد من عربدة قال لا والله مالي منها بد فأخرجتها من
رأسي هناك
فقلت أما على هذا الشرط فالذي فعلت أجود
فسألني محمد عما كنا فيه فأخبرته فضحك ضحكا كثيرا وقال هذا الحديث والله أظرف وأطيب من كل غناء وخلع عليه وأعطاه خمسة آلاف درهم
اتفق مع حكم الوادي على ابن جامع
قال هارون بن محمد وحدثني حماد بن إسحاق قال حدثني أبو إسحاق القرمطي قال حدثنا مدركة بن يزيد قال
قال فليح بن أبي العوراء بعث يحيى بن خالد إلي وإلى حكم الوادي وإلى ابن جامع فأتيناه
فقلت لحكم إن قعد ابن جامع معنا فعاوني عليه لنكسره
فلما صرنا إلى الغناء غنى حكم فصحت وقلت هكذا والله يكون الغناء ثم غنيت ففعل لي حكم مثل ذلك
وغنى ابن جامع فما كنا معه في شيء
فلما كان العشي أرسل إلى جاريته دنانير إن أصحابك عندنا فهل لك أن تخرجي إلينا فخرجت وخرج معها وصائف فأقبل عليها يقول لها من حيث يظن أنا لا نسمع ليس في القوم أنزه نفسا من فليح
ثم أشار إلى غلام له أن ائت كل إنسان بألفي درهم فجاء بها فدفع إلى ابن جامع ألفي درهم فأخذها فطرحها في كمه وفعل بحكم الوادي مثل ذلك فطرحها في كمه ودفع إلي ألفين
فقلت لدنانير قد بلغ مني النبيذ فاحبسيها لي عندك حتى تبعثي بها إلي فأخذت الدراهم مني وبعثت بها إلي من الغد وقد زادت عليها وأرسلت إلي قد بعثت إليك بوديعتك وبشيء أحببت أن تفرقه على أخواتي تعني جواري
قال هارون بن محمد وحدثني حماد قال حدثني أبي قال
كنا عند الفضل بن الربيع فقال هل لك في فليح بن أبي العوراء قلت نعم
فأرسل إليه فجاء الرسول فقال هو عليل فعاد إليه فقال الرسول لا بد من أن تجيء فجاء به محمولا في محفة فحدثنا ساعة ثم غنى
فكان فيما غنى
(تقول عِرْسِي إذ نبا المَضْجَعُ ... ما بالك الليلةَ لا تَهْجَعُ)
فاستحسناه منه واستعدناه منه مرارا ثم انصرف ومات في علته تلك وكان آخر العهد به ذلك المجلس
غنى لفتى وعشيقته فعجلت في أمر خطبتها
أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني محمد بن أحمد بن يحيى المكي قال حدثني أبي عن فليح بن أبي العوراء قال
كان بالمدينة فتى يعشق ابنة عم له فوعدته أن تزوره
وشكا إلي أنها تأتيه ولا شيء عنده فأعطيته دينارا للنفقة
فلما زارته قالت له من يلهينا قال صديق لي ووصفني لها ودعاني فأتيته فكان أول ما غنيته
(مِنَ الخَفِراتِ لم تَفْضَحْ أخاها ... ولم تَرْفَعْ لِوالدها شَنَارَا)
فقامت إلى ثوبها فلبسته لتنصرف فعلق بها وجهد بها كل الجهد في أن تقيم فلم تقم وانصرفت
فأقبل علي يلومني في أن غنيتها ذلك الصوت
فقلت والله ما هو شيء اعتمدت به مساءتك ولكنه شيء اتفق
قال فلم نبرح حتى عاد رسولها بعدها ومعه صرة فيها ألف دينار ودفعها إلى الفتى وقال له تقول لك ابنة عمك هذا مهري ادفعه إلى أبي واخطبني ففعل فتزوجها
نسبة هذا الصوت
صوت
(مِنَ الخَفِراتِ لم تَفْضَحْ أخاها ... ولم ترفَعْ لوالدها شَنَارَا)
(كأنّ مَجامِعَ الأردافِ منها ... نَقاً درجتْ عليه الريحُ هارا)
(يعافُ وصالَ ذاتِ البَذلِ قلبي ... وأتّبع المُمَنَّعةَ النَّوَارا)
الشعر لسليك بن السلكة السعدي
والغناء لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى الوسطى
وفيه لابن الهربذ لحن من رواية بذل أوله
(... يعاف وصَالَ ذاتِ البذل قلبي)
وبعده

(غَدَاها قارصٌ يغدو عليها ... ومَحْضٌ حين تنتظر العِشَارَا)
انتشار أغانيه بأصوات جواري إبراهيم بن المهدي
أخبرني رضوان بن أحمد قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي قال
كتب إلي جعفر بن يحيى وأنا عامل للرشيد على جند دمشق قد قدم علينا فليح بن أبي العوراء فأفسد علينا بأهزاجه وخفيفه كل غناء سمعناه قبله
وأنا محتال لك في تخليصه إليك لتستمتع به كما استمتعنا
فلم ألبث أن ورد علي فليح بكتاب الرشيد يأمر له بثلاثة آلاف دينار
فورد علي رجل أذكرني لقاؤه الناس
وأخبرني أنه قد ناهز المائة فأقام عندي ثلاث سنين فأخذ عنه جواري كل ما كان معه من الغناء وانتشرت أغانيه بدمشق
قال يوسف ثم قدم علينا شاب من المغنين مع علي بن زيد بن الفرج الحراني عند مقدم عنبسة بن إسحاق فسطاط مصر يقال له مونق فغناني من غناء فليح
صوت
(يا قُرّة العين اقْبَلي عُذْري ... ضاق بهجرانكم صدري)
(لو هَلَكَ الهجرُ استراح الهوى ... ما لَقِى الوصلُ من الهجر)
ولحنه خفيف رمل فلم أر بين ما غناه وبين ما سمعته في دار أبي إسحاق فرقا فسألته من أين أخذه فقال أخذته بدمشق فعلمت أنه مما أخذه أهل دمشق عن فليح
صوت من المائة المختارة
(أفاطمَ إنّ النأيَ يسلي ذوي الهَوَى ... ونأيُكِ عنِّي زاد قلبي بكم وَجْدَا)
(أرى حرجاً ما نِلتُ من ودِّ غيركم ... ونافلةً ما نلتُ من ودّكم رُشْدَا)
(وما نلتقي من بعدِ نأيٍ وفُرْقةٍ ... وشحْط نَوًى إلاّ وجدتُ له بَرْدا)
(على كَبِدٍ قد كان يُبْدي بها الهوى ... نُدوباً وبعضُ القوم يحسَبُني جَلْدا)
عروضه من الطويل
النأي البعد ومثله الشحط
والحرج الضيق قال الله تعالى (يجعل صدره ضيقا حرجا) والندوب آثار الجراح واحدها ندب
الشعر لإبراهيم بن هرمة
والغناء في اللحن المختار على ما ذكره
إسحاق ليونس الكاتب وهو من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى
وذكر يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه مثل ذلك
وذكر حبش بن موسى أن الغناء لمرزوق الصراف أو ليحيى بن واصل
وفي هذه الأبيات للهذلي لحن من خفيف الثقيل الأول بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة ومن الناس من ينسب اللحنين جميعا إليه
ذكر ابن هرمة وأخباره ونسبه
هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن هرمة بن هذيل هكذا ذكر يعقوب بن السكيت
وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار عن عمه مصعب وذكر ذلك العباس بن هشام الكلبي عن أبيه هشام بن محمد بن السائب قالوا جميعا هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة بن الهذيل بن ربيع بن عامر ابن صبيح بن كنانة بن عدي بن قيس بن الحارث بن فهر وفهر أصل قريش فمن لم يكن من ولده لم يعد من قريش وقد قيل ذلك في النضر بن كنانة وفهر ابن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر
قال من ذكرنا من النسابين قيس بن الحارث هو الخلج وكانوا في عدوان ثم انتقلوا إلى بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن
فلما استخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتوه ليفرض لهم فأنكر نسبهم
فلما استخلف عثمان أتوه فأثبتهم في بني الحارث بن فهر وجعل لهم معهم ديوانا
وسموا الخلج لأنهم اختلجوا ممن كانوا معه من عدوان ومن بني نصر بن معاوية
وأهل المدينة يقولون إنما سموا الخلج لأنهم نزلوا بالمدينة على خلج وواحدها خليج فسموا بذلك
ولهم
بالمدينة عدد
قال مصعب كان لإبراهيم بن هرمة عم يقال له هرمة الأعور فأرادت الخلج نفيه منهم فقال أمسيت الأم العرب دعي أدعياء
ثم قال يهجوهم
(رأيتُ بني فِهْرٍ سِبَاطاً أكُفُّهُمْ ... فما بالُ أَنْبُوني أكُفِّكُم قُفْدا)
(ولم تُدْركوا ما أدرك القومُ قبلَكم ... من المجدِ إلا دَعْوَةً ألحقتْ كَدَّا)
(على ذي أيادِي الدّهر أفلح جَدُّهم ... وخِبْتُمْ فلم يَصْرَعْ لكم جَدُّكم جَدَّا)
وقال يحيى بن علي حدثني أبو أيوب المديني عن المدائني عن أبي سلمة الغفاري قال
نفى بنو الحارث بن فهر ابن هرمة فقال
(أحاربنَ فِهْرٍ كيف تَطّرحونني ... وجاء العِدا من غيركم تبتغي نَصْري)
قال فصار من ولد فهر في ساعته
قال يحيى بن علي وحدثني أحمد بن يحيى الكاتب قال حدثني العباس بن هشام الكلبي عن أبيه قال
كان ابن هرمة يقول أنا الأم العرب دعي أدعياء هرمة دعي في الخلج والخلج أدعياء في قريش
خبره مع رجل من أسلم ضافه
حدثني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمر بن

أبي بكر المؤملي قال حدثني عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال
زرت عبد الله بن حسن ببادیته وزاره ابن هرمة فجاءه رجل من أسلم فقال ابن هرمة لعبد الله بن حسن أصلحك الله سل الأسلمي أن يأذن لي أن أخبرك خبري وخبره
فقال له عبد الله بن حسن ائذن له فأذن له الأسلمي
فقال له إبراهيم بن هرمة إني خرجت أصلحك الله أبغي ذودا لي فأوحشت وضفت هذا الأسلمي فذبح لي شاة وخبز لي خبزا وأكرمني ثم غدوت من عنده فأقمت ما شاء الله ثم خرجت أيضا في بغاء ذود لي فأوحشت فضفته فقراني بلبن وتمر ثم غدوت من عنده فأقمت ما شاء الله
ثم خرجت في بغاء ذود لي فأوحشت فقلت لو ضفت الأسلمي فاللبن والتمر خير من الطوى فضفته فجاءني بلبن حامض
فقال قد أجبته أصلحك الله إلى ما سأل فسله أن يأذن لي أن أخبرك لم فعلت
فقال له ائذن له فأذن له فقال الأسلمي ضافني فسألته من هو فقال رجل من قريش فذبحت له الشاة التي ذكر ووالله لو كان غيرها عندي لذبحته له حين ذكر أنه من قريش
ثم غدا من عندي وغدا علي الحي فقالوا من كان ضيفك البارحة قلت رجل من قريش فقالوا لا والله ما هو من قريش ولكنه دعي فيها
ثم ضافني الثانية على أنه دعي في قريش فجئته بلبن وتمر وقلت دعي قريش خير من غيره
ثم غدا من عندي ثم غدا علي الحي فقالوا من كان ضيفك البارحة قلت الرجل الذي زعمتم أنه دعي في قريش فقالوا لا والله ما هو بدعي في قريش ولكنه دعي أدعياء قريش
ثم
جاءني الثالثة فقريته لبنا حامضا ووالله لو كان عندي شر منه لقريته إياه
قال فانخذل ابن هرمة وضحك عبد الله وضحكنا معه

طلب منه ابن ميادة أن يتهاجيا

أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير قال حدثني نوفل بن ميمون قال
لقي ابن ميادة ابن هرمة فقال ابن ميادة والله لقد كنت أحب أن ألقاك لا بد من أن نتهاجى وقد فعل الناس ذلك قبلنا
فقال ابن هرمة بئس والله ما دعوت إليه وأحببته وهو يظنه جادا
ثم قال له ابن هرمة أما والله إنني للذي أقول
(إنّي لَميمونٌ جِواراً وإنَّني ... إذا زَجَرَ الطَّيْرَ العِدَا لَمَشُومُ)
(وإنّي لملآنُ العِنَانِ مُنَاقِلٌ ... إذا ما وَنِى يوماً أَلَفُّ سَؤومُ)
(فَوَدَّ رجالٌ أنَّ أُمِّي تَقَنَّعتْ ... بشيبٍ يُغَشِّي الرأسَ وهي عقيمُ)
فقال ابن ميادة وهل عندك جراء ثكلتك أمك أنت ألأم من ذلك ما قلت إلا مازحا
أخبرنا به وكيع قال حدثنا محمد بن إسماعيل قال قال عبد العزيز بن عمران
اجتمع ابن هرمة وابن ميادة عند جميع بن عمر بن الوليد فقال ابن ميادة لابن هرمة قد كنت أحب أن ألقاك
ثم ذكر نحوه
وقال هارون بن محمد بن عبد الملك حدثنا علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال حدثني أبو سلمة الغفاري عن أبيه قال
وفدت على المهدي في جماعة من أهل المدينة وكان فيمن وفد يوسف بن موهب وكان في رجال بني هاشم من بني نوفل وكان معنا ابن هرمة فجلسنا يوما على دكان قد هيئ لمسجد ولم يسقف في عسكر المهدي وقد كنا نلقى الوزراء وكبراء السلطان وكانوا قد عرفونا وإذا حيال الدكان رجل بين يديه ناطف يبيعه في يوم شات شديد البرد فأقبل إذا ضربه بفأسه فتطاير جفوفا فأقبل ابن هرمة علينا فقال ليوسف يابن عم رسول الله أما معك درهم نأكل به من هذا الناطف فقال له متى عهدتني أحمل الدراهم قال فقلت له لكني أنا معي فأعطيته درهما خفيفا فاشترى به ناطفا على طبق للناطفي فجاء بشيء كثير فأقبل يتمضغه وحده ويحدثنا ويضحك
فما راعنا إلا موكب أحد الوزيرين أبي عبيد الله أو يعقوب بن داود
ثم أقبلت المطرقة فقلنا ما لك قاتلك الله يهجم علينا هذا وأصحابه فيرون الناطف بين أيدينا فيظنون أنا كنا نأكل معك
قال فوالله ما أحد أولى بالستر على أصحابه وتقلد البلية منك يابن عم الرسول
الله فضعه بين يديك
قال أعزب قبحك الله قال فأنت يا بن أبي ذر فزبرته
قال فقال قد علمت أنه لا يبتلى بهذا إلا دعي أدعياء عاض كذا من أمه
ثم أخذ الطبق في يده فحمله وتلقى به الموكب فما مر به أحد له نباهة إلا مازحه حتى مضى القوم جميعا

إكرام عبد الله بن حسن على مدحه له

وقال هارون حدثني أبو حذافة السهمي قال حدثنا إسحاق بن نسطاس قال
كان ابن هرمة مشتهرا بالنبيذ فأتى عبد الله بن حسن وهو بالسيالة فأنشده مديحا له
فقام عبد الله إلى غنم كانت له فرمى بساجة عليها فافترقت فرقتين فقال اختر أيهما شئت قال فإما أن تكون زادت بواحدة أو نقصت بواحدة على الأخرى
قال وكانت ثلاثمائة وكتب له إلى المدينة بدنانير
فقال له يابن هرمة انقل عيالك إلينا يكونوا مع عيالنا
فقال أفعل يابن رسول الله
ثم قدم ابن هرمة المدينة وجهز عياله لينقلهم إلى عبد الله بن حسن واكترى من رجل من مزينة
فبينا هو قد شد متاعه وحمله والكري ينتظره أن يتحمل إذ أتاه صديق له فقال أي أبا إسحاق عندي والله نبيذ يسقط لحم الوجه
فقال ويحك أما ترانا على مثل هذه الحال أعليها يمكن الشراب فقال إنما هي ثلاثة لا تزد عليهن شيئا فمضى معه وهم وقوف ينظرون فلم يزل يشرب حتى مضى من الليل صدر صالح ثم أتي به وهو سكران فطرح في شق

المحمل وعادلته امرأته ومضوا
فلما أسحروا رفع رأسه فقال أين أنا فأقبلت عليه امرأته تلومه وتعذله وقالت قد أفسد عليك هذا النبيذ دينك ودنياك فلو تعللت عنه بهذه الألبان فرفع رأسه إليها وقال
(لا نبتغي لبن البعير وعندنا ... ماءُ الزَّبيبِ وناطفُ المِعْصار)
أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدثنا زكريا بن يحيى بن خلاد قال
كان الأصمعي يقول ختم الشعراء بابن هرمة والحكم الخضري وابن ميادة وطفيل الكناني ومكين العذري
ولعه بالنبيذ
قال هارون بن محمد بن عبد الملك حدثني أبو حذافة السهمي أحمد بن إسماعيل قال
كان ابن هرمة مدمنا للشراب مغرما به فأتى أبا عمرو بن أبي راشد مولى عدوان فأكرمه وسقاه أياما ثلاثة
فدعا ابن هرمة بالنبيذ فقال له غلام لأبي عمرو بن أبي راشد قد نفد نبيذنا
فنزع ابن هرمة رداءه عن ظهره فقال للغلام اذهب به إلى ابن حونك نباذ كان بالمدينة فارهنه عنده وأتنا بنبيذ ففعل
وجاء ابن أبي راشد فجعل يشرب معه من ذلك النبيذ
فقال له أين رداؤك يا أبا إسحاق فقال نصف في القدح ونصف في بطنك
قال هارون حدثني محمد بن عمر بن إسماعيل بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف الزهري قال حدثني عمي عبد العزيز بن إسماعيل قال
مدح ابن هرمة محمد بن عمران الطلحي وبعث إليه بالمديح مع ابن ربيح فاحتجب عنه فمدح محمد بن عبد العزيز وكان ابن هرمة مريضا فقال قصيدته التي يقول فيها
(إنّي دعوتُكَ إذْ جُفِيتُ وشَفَّني ... مرضٌ تَضاعفني شديدُ المُشْتَكَى)
(وحُبِستُ عن طلب المعيشةِ وارتقتْ ... دوني الجوائجُ في وعُورِ المُرْتَقى)
(فأَجِبْ أخاكَ فقد أنافَ بصوته ... يا ذا الإخاءِ ويا كريمَ المُرْتَجَى)
(ولقد حُفِيتَ صَبيبَ عُكَّةِ بَيْتِنا ... ذَوْباً ومِزْتُ بصَفْوه عنكَ القَذَى)
(فخُذِ الغَنِيمةَ واغتنمني إنَّني ... غُنْمٌ لمثلك والمكارمُ تُشْتَرَى)
(لا تَرْمِيَنَّ بحاجتي وقضائها ... ضَرْحَ الحِجاب كما رَمى بي مَنْ رَمَى)
فركب إلى جعفر بن سليمان نصف النهار فقال ما نزعك يا أبا عبد الله في هذا الوقت قال حاجة لم أر فيها أحدا أكفى مني
قال وما هي قال قد مدحني ابن هرمة بهذه الأبيات فأردت من أرزاقي مائة دينار
قال
ومن عندي مثلها قال ومن الأمير أيضا قال فجاءت المائتا الدينار إلى ابن هرمة فما أنفق منها إلا دينارا واحدا حتى مات وورث الباقي أهله
طلب من أبي جعفر أن يجيز له الشراب
وقال أحمد بن أبي خيثمة عن أبي الحسن المدائني قال
امتدح ابن هرمة أبا جعفر فوصله بعشرة آلاف درهم
فقال لا تقع مني هذه
قال ويحك إنها كثيرة
قال إن أردت أن تهنئني فأبح لي الشراب
فإني مغرم به
فقال ويحك هذا حد من حدود الله
قال احتل لي يا أمير المؤمنين
قال نعم
فكتب إلى والي المدينة من أتاك بابن هرمة سكران فاضربه مائة واضرب ابن هرمة ثمانين
قال فجعل الجلواز إذا مر بابن هرمة سكران قال من يشتري الثمانين بالمائة
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني أبو زيد عمر بن شبة قال حدثنا أبو سلمة الغفاري قال أخبرنا ابن ربيح راوية ابن هرمة قال
أصابت ابن هرمة أزمة فقال لي في يوم حار إذهب فتكار حمارين إلى ستة أميال ولم يسم موضعا
فركب واحدا وركبت واحدا ثم سرنا حتى صرنا إلى قصور الحسن بن زيد ببطحاء ابن أزهر فدخلنا مسجده
فلما مالت الشمس خرج علينا مشتملا على قميصه فقال لمولى له أذن فأذن ولم يكلمنا كلمة
ثم قال له أقم فأقام فصلى بنا ثم أقبل على ابن هرمة فقال مرحبا بك يا أبا إسحاق حاجتك قال نعم بأبي أنت وأمي أبيات قلتها وقد كان عبد الله وحسن وإبراهيم بنو حسن بن حسن وعدوه شيئا فأخلفوه فقال هاتها
فقال
(أمّا بنو هاشمٍ حوْلي فقد قَرَعُوا ... نَبْلَ الضِّبابِ التي جَمّعتُ في قَرَنِ)
(فما بِيَثْرِبَ منهم مَنْ أُعاتِبُه ... إلاّ عَوائدَ أرجوهنّ من حَسَنَ)
(اللهُ أعطاك فضلاً مِنْ عَطِيَّتِهِ ... على هَنٍ وهَنٍ فيما مَضَى وهَنِ)
قال حاجتك قال لابن أبي مضرس علي خمسون ومائة دينار
قال فقال لمولى له يا هيثم اركب هذه البغلة فأتني بابن أبي مضرس وذكر حقه
قال فما صلينا العصر حتى جاء به
فقال له مرحبا بك يابن أبي مضرس أمعك ذكر
حقك على ابن هرمة قال نعم
قال فامحه فمحاه
ثم قال يا هيثم بع ابن أبي مضرس من تمر الخانقين بمائة وخمسين دينارا وزده كل دينار ربع دينار وكل ابن هرمة

بخمسين ومائة دينار تمرا وكل ابن ربيح بثلاثين دينار تمرا
قال فانصرفنا من عنده فلقيه محمد بن عبد الله بن حسن بالسيالة وقد بلغه الشعر فغضب لأبيه وعمومته فقال أي ماص يظر أمه أنت القائل
(... على هَنٍ وهَنٍ فيما مَضَى وهَنِ)
فقال لا والله ولكني الذي أقول لك
(لا والّذي أنتَ منه نِعمةٌ سلَفَتْ ... نرجو عَوَاقِبَها في آخِر الزّمَن)
(لقد أُتِيتُ بأمرٍ ما عَمَدتُ له ... ولا تعمَّده قولي ولا سَنَني)
(فكيف أمشي مع الأقوام معتدلاً ... وقد رَمَيتُ بَريءَ العُودِ بالأُبَن)
(ما غَيَّرتْ وجهه أمٌّ مُهَجِّنةٌ ... إذا القَتَامُ تَغشَّى أوجُهَ الهُجُنِ)
قال وأم الحسن أم ولد
قال هارون فحدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب بن عباية قال
لما قال ابن هرمة هذا الشعر في حسن بن زيد قال عبد الله بن حسن والله ما أراد الفاسق غيري وغير أخوي حسن وإبراهيم
وكان عبد الله يجري على ابن هرمة رزقا فقطعه عنه وغضب عليه
فأتاه يعتذر فنحي وطرد فسأل رجالا أن يكلموه فردهم فيئس من رضاه واجتنبه وخافه
فمكث ما شاء الله ثم مر عشية وعبد الله على زربيه في ممر المنبر ولم تكن تبسط لأحد غيره في ذلك المكان
فلما رأى عبد الله تضاءل وتقنفذ وتصاغر وأسرع المشي
فكأن عبد الله رق له فأمر به فرد عليه فقال يا فاسق يا شارب الخمر على هن وهن تفضل الحسن علي وعلى أخوي
فقال بأبي أنت وأمي ورب هذا القبر ما عنيت إلا فرعون وهامان وقارون
أفتغضب لهم فضحك وقال والله ما أحسبك إلا كاذبا قال والله ما كذبتك
فأمر بأن ترد عليه جرايته
قصيدتة الخالية من الحروف المعجمة
أخبرني يحيى بن علي إجازة قال أخبرني أبو أيوب المديني عن مصعب قال
إنما اعتذر ابن هرمة بهذا إلى محمد بن عبد الله بن حسن
قال يحيى وأخبرني أبو أيوب عن علي بن صالح قال
أنشدني عامر بن صالح قصيدة لابن هرمة نحوا من أربعين بيتا ليس فيها حرف يعجم وذكر هذه الأبيات منها ولم أجد هذه القصيدة في شعر ابن هرمة ولا كنت أظن أن أحدا تقدم رزينا العروضي إلى هذا الباب وأولها
(أرَسْمُ سَوْدَةَ أمسى دارسَ الطَّلَلِ ... مُعَطَّلاً ردّه الأحوالُ كالحُلَلِ)
هكذا ذكر يحيى بن علي في خبره أن القصيدة نحو من أربعين بيتا ووجدتها في رواية الأصمعي ويعقوب بن السكيت اثنى عشر بيتا فنسختها هاهنا للحاجة
إلى ذلك
وليس فيها حرف يعجم إلا ما اصطلح عليه الكتاب من تصبيرهم مكان ألف ياء مثل أعلى فإنها في اللفظ بالألف وهي تكتب بالياء ومثل رأى ونحو هذا وهو في التحقيق في اللفظ بالألف وإنما اصطلح الكتاب على كتابته بالياء كما ذكرناه والقصيدة
(أرَسْمُ سَوْدَةَ مَحْلٌ دارسُ الطَّلَلِ ... مُعَطَّلٌ رَدَّه الأحوالُ كالحُلَلِ)
(لمّا رأى أهلَها سَدّوا مَطالِعَها ... رام الصُّدودَ وعاد الوُدُّ كالمُهُلِ)
(وعاد وُدُّك داءً لا دواءَ له ... ولو دعاك طَوالَ الدّهرِ للرِّحَلِ)
(ما وَصْلُ سَوْدَةَ إلاّ وَصْلُ صارمةٍ ... أحلّها الدهرُ داراً مأكَلَ الوَعِلِ)
(وعاد أمواهُها سُدْماً وطارَ لها ... سَهْمٌ دعا أهلَها لِلصُّرْمِ والعِلَلِ)
(صدُّوا وصدّ وساء المرءَ صَدُّهُمُ ... وحام للوِرْدِ رَدْهاً حَوْمَةَ العَلَلِ)
حومة الماء كثرته وغمرته والعلل الشرب الثاني
والرده مستنقع الماء
(وحَلّؤوه رِداها ماؤُها عَسَلٌ ... ما ماءُ رَدْهٍ لَعَمْرُ اللهِ كالعَسَلِ)
(دعا الحَمامُ حماماً سدَّ مَسْمَعَه ... لمّا دعاه رآه طامحَ الأملِ)
(طُمُوحَ سارحةٍ حَوْمٍ مُلَمَّعةٍ ... ومُمْرِعُ السِرِّ سهلٌ مَاكِدُ السَّهَلِ)
((وحاولوا ردَّ أمرٍ لا مَرَدَّ له ... والصُّرْمُ داءٌ لأهلِ اللَّوْعةِ الوُصُلِ)
(أحَلَّكَ اللهُ أعْلى كلِّ مَكْرُمةٍ ... واللهُ أعطاكَ أعلَى صالِحِ العَمَلِ)
(سهلٌ مَوَارِدُهُ سَمْحٌ مَوَاعِدُه ... مُسَوَّدٌ لِكِرامٍ سادةٍ حُمُلِ)
شعره في المسور بن عبد الملك
قال يحيى بن علي وحدثني أبو أيوب المديني عن أبي حذيفة قال
كان المسور بن عبد الملك المخزومي يعيب شعر ابن هرمة وكان المسور هذا عالما بالشعر والنسب فقال ابن هرمة فيه
(إيّاكَ لا أُلْزِمَنْ لَحْيَيْكَ من لُجُمي ... نِكْلاً يُنَكِّلُ قَرّاصاً من اللُّجُمِ)
(يَدُقُّ لَحْيَيْكَ أو تنقاد مُتَّبِعاً ... مشْيَ المُقَيَّدِ ذي القِردانِ والحَلَمِ)
(إنّي إذا ما امرؤٌ خَفَّتْ نَعَامَتُه ... إليّ واسْتَحْصَدَتْ منه قُوَى الوَذَمِ)
(عقدتُ في مُلْتقى أوداجِ لَبَّته ... طَوقَ الحمامةِ لا يَبْلَى على القِدَمِ)
(إنّي امرؤٌ لا أصوغ الحَلْيَ تَعْمَلُه ... كَفّايَ لكن لِساني صائغُ الكَلِمِ)
(إنَّ الأديمَ الذي أمسيت تَقْرِظُه ... جَهْلاً لذو نَغَلٍ بادٍ وذو حَلَمِ)
((ولا يَئِطُّ بأيدي الخالِقينَ ولا ... أيدي الخَوَالِقِ إلاّ جَيِّدُ الأَدَمِ
قال يحيى وحدثني أبو أيوب عن مصعب بن عبد الله عن أبيه قال

لقيني ابن هرمة فقال لي يابن مصعب أتفضل علي ابن أذينة أما شكرت قولي
(فما لَكَ مُخْتَلاًّ عليكَ خَصاصةٌ ... كأنّك لم تَنْبُتْ ببعض المنَابِتِ)
(كأنّك لم تَصْحَبْ شُعَيْبَ بنَ جَعْفَرٍ ... ولا مُصْعباً ذا المَكْرُماتِ ابنَ ثابت)
يعني مصعب بن عبد الله قال فقلت يا أبا إسحاق أقلني وروني من شعرك ما شئت فإني لم أرو لك شيئا
فرواني عباسياته تلك
مدحه لإبراهيم بن عبد الله
قال يحيى وأخبرني أبو أيوب المديني عن مصعب بن عبد الله عن مصعب ابن عثمان قال
قال ابن هرمة ما رأيت أحدا قط أسخى ولا أكرم من رجلين إبراهيم بن عبد الله بن مطيع وإبراهيم بن طلحة بن عمرو بن عبد الله بن معمر أما إبراهيم بن طلحة فأتيته فقال أحسنوا ضيافة أبي إسحاق فأتيت بكل شيء من الطعام فأردت أن أنشده فقال ليس هذا وقت الشعر ثم أخرج الغلام إلي رقعة فقال أئت بها الوكيل
فأتيته بها فقال إن شئت أخذت لك جميع ما كتب به وإن شئت أعطيتك القيمة
قلت وما أمر لي به فقال مائتا شاة برعائها وأربعة أجمال وغلام جمال ومظلة وما تحتاج إليه وقوتك وقوت عيالك سنة
قلت فأعطني القيمة فأعطاني مائتي دينار وأما إبراهيم بن عبد الله فأتيته في منزله بمشاش على بئر ابن الوليد بن عثمان بن عفان فدخل إلى منزله ثم خرج إلي
برزمة من ثياب وصرة من دراهم ودنانير وحلي ثم قال لا والله ما بقينا في منزلنا ثوبا إلا ثوبا نواري به امرأة ولا حليا ولا دينارا ولا درهما
وقال يمدح إبراهيم
(أَرَّقَتْني تَلُومني أُمُّ بكرٍ ... بعد هَدْءٍ واللَّوْمُ قد يُؤْذِيني)
(حَذَّرتني الزمانَ ثُمّتَ قالتْ ... ليس هذا الزمانُ بالمأمونِ)
(قلتُ لمّا هبَّتْ تُحَذِّرني الدَّهْرَ ... دَعِي اللَّوْمَ عنك واسْتَبْقيني)
(إنّ ذا الجُودِ والمَكارِمِ إبراهِيمَ ... يَعْنيه كلُّ ما يعْنِيني)
(قد خَبَرْناه في القديمِ فأَلْفَيْنا ... مَواعِيدَه كعَيْنِ اليقينِ)
(قلتُ ما قلتُ للذي هو حقٌّ ... مستبينٌ لا لِلَّذي يُعْطيني)
(نَضَحتْ أرضَنا سماؤك بعد الجَدْبِ ... منها وبعد سُوءِ الظُّنونِ)
(فرعَيْنا آثارَ غَيْثٍ هَرَاقَتْهُ ... يَدا مُحْكَمِ القُوى ميمونِ)
وقال هارون حدثنا حماد عن عبد الله بن إبراهيم الحجبي
أن إبلا لمحمد بن عمران تحمل علفا مرت بمحمد بن عبد العزيز الزهري ومعه ابن هرمة فقال يا أبا إسحاق ألا تستعلف محمد بن عمران وهو يريد أن يعرضه لمنعه فيهجوه
فأرسل ابن هرمة في أثر الحمولة رسولا حتى وقف على ابن عمران فأبلغه رسالته فرد إليه الإبل بما عليها وقال إن احتجت إلي غيرها زدناك
فأقبل ابن هرمة على محمد بن عبد العزيز فقال له اغسلها عني فإنه إن علم أني استعلفته ولا دابة لي وقعت منه في سوءة قال بماذا قال تعطيني حمارك قال هو لك بسرجه ولجامه
فقال ابن هرمة من حفر حفرة سوء وقع فيها
وفادته على السري بن عبد الله باليمامة ومدحه
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا أبو يحيى هارون بن عبد الله الزهري عن ابن زريق وكان منقطعا إلى أبي العباس بن محمد وكان من أروى الناس قال
كنت مع السري بن عبد الله باليمامة وكان يتشوق إلى إبراهيم بن علي ابن هرمة ويحب أن يفد عليه فأقول ما يمنعك أن تكتب إليه فيقول أخاف أن يكلفني من المؤونة ما لا أطيق فكنت أكتب بذلك إلى ابن هرمة فكره أن يقدم عليه إلا بكتاب منه ثم غلب فشخص إليه فنزل علي ومعه راويته ابن ربيح
فقلت له ما منعك من القدوم على الأمير وهو من الحرص على قدومك على ما كتبت به إليك قال الذي منعه من الكتاب إلي
فدخلت على السري فأخبرته بقدومه فسر بذلك وجلس للناس مجلسا عاما ثم أذن لابن هرمة فدخل عليه ومعه راويته ابن ربيح
وكان ابن هرمة قصيرا دميما أريمص وكان ابن ربيح طويلا جسيما نقي الثياب
فسلم على السري ثم قال له أصلحك الله إني قد قلت شعرا أثنيت فيه عليك
فقال إنشد فقال هذا ينشد فجلس
فأنشده ابن ربيح قصيدته التي أولها
(عُوجَا على رَبْعِ ليلَى أُمِّ محمودِ ... كيما نُسائلَه من دون عَبُّودِ)
(عن أُمِّ محمودَ إذ شَطَّ المَزَارُ بها ... لعلّ ذلك يَشفي داءَ معمودِ)
(فَعرَّجَا بعد تغويرٍ وقد وقفتْ ... شمسُ النهارِ ولاذ الظِّلُّ بالعُودِ)
(شيئاً فما رجَعَتْ أطلالُ منزلةٍ ... قَفْرٍ جواباً لمحزونِ الجَوَى مُودي)
ثم قال فيها يمدح السري
(ذاك السَّرِيُّ الذي لولا تَدَفُّقُهُ ... بالعُرْفِ مِتْنَا حليفُ المجدِ والجودِ)
(مَنْ يَعْتَمِدْكَ ابنَ عبدِ اللهِ مجتدياً ... لِسَيْبِ عُرْفِكَ يعْمِدْ خيرَ معمودِ)
(يابنَ الأُساةِ الشُّفَاةِ المُسْتَغاثِ بهم ... والمُطْعِمين ذُرَى الكُومِ المَقاحِيدِ)
(والسَّابقين إلى الخيرات قومَهُمُ ... سبْقَ الجِيادِ إلى غاياتِها القُودِ)
(أنت ابنُ مُسْلَنْطَحِ البطحاء مَنْبِتُكُمْ ... بطحاءُ مكةَ لا روسُ القَرَادِيدِ)
(لَكُمْ سِقَايَتُها قِدْماً ونَدْوَتُها ... قد حازها والدٌ منكمْ لمولودِ)
(لولاَ رجاؤك لم تَعْسِفْ بنا قُلُصٌ ... أجوازَ مَهْمَهَةٍ قَفْرِ الصُّوى بِيدِ)

(لكنْ دعاني وميضٌ لاح معترضاً ... من نحو أرضِك في دُهْمٍ مَنَاضِيدِ)
وأنشده أيضا قصيدة مدحه فيها أولها
(أفي طَلَلٍ قَفْرٍ تَحَمَّلَ آهِلُهْ ... وقفتَ وماءُ العينِ يَنْهَلُّ هامِلُهْ)
(تُسائل عن سَلْمَى سفاهاً وقد نأت ... بِسلمى نَوىً شَحْطٌ فكيف تُسائلُهْ)
(وترجو لم يَنْطِقْ وليس بناطِقٍ ... جواباً مُحِيلٌ قد تَحَمَّل آهِلُهْ)
(ونؤْيٌ كخطِّ النُّونِ ما إن تَبِينه ... عفتْه ذيول من شَمَالٍ تُذايِلُهْ)
ثم قال فيها يمدح السري
(فقُلْ للسَّرِيِّ الواصلِ البِرِّ ذي النَّدَي ... مديحاً إذا ما بُثَّ صُدِّقَ قائلُه)
(جوادٌ على العِلاَّتِ يَهْتَزُّ للنَّدَى ... كما اهتزَّ عَضْبٌ أخلصتهْ صَيَاقِلُهْ)
(نَفَى الظُّلْمَ عن أهل اليَمَامةِ عدلُه ... فعاشَوا وزاح الظُّلْمُ عنهم وباطلُهْ)
(وناموا بأمْنٍ بعد خوفٍ وشِدَّةٍ ... بِسيرةِ عَدْلٍ ما تُخاف غوائلُه)
(وقد عَلِم المعروفُ أنَّك خِدنُه ... ويعلمُ هذا الجوعُ أنَّك قاتِلُه)
(بك اللهُ أحيا أرضَ حَجْرٍ وغيرَها ... من الأرض حتَّى عاش بالبَقْلِ آكلُهْ)
(وأنت تُرَجَّى لِلَّذي أنت أهلُه ... وتنفَع ذا القُرْبى لديك وَسائِلُهْ)
وأنشده أيضا مما مدحه به قوله
(...عُوجَا نُحَيِّ الطُّولَ بالكُثُب)
يقول فيها يمدحه
(دَعْ عنكَ سَلْمَى وقُلْ مُحَبَّرةً ... لماجِدِ الجَدِّ طَيِّبِ النَّسِبِ)
(مَحْضٍ مُصَفَّى العُروقِ يحمَده ... في العُسْرِ واليُسْرِ كُلُّ مُرْتَغِبِ)
(الواهبِ الخَيْلِ في أعِنَّتِها ... والوُصَفاءَ الحِسانَ كالذَّهَبِ)
(مجداً وحمداً يُفِيدُه كَرَماً ... والحمدُ في الناس خيرُ مُكْتَسَبِ)
قال فلما فرغ ابن ربيح قال السري لابن هرمة مرحبا بك يا أبا إسحاق ما حاجتك قال جئتك عبدا مملوكا
قال لا بل حرا كريما وابن عم فما ذاك قال ما تركت لي مالا إلا رهنته ولا صديقا إلا كلفته قال أبو يحيى يقول لي ابن زريق
حتى كأن له ديانا وعليه مالا فقال له السري وما دينك قال سبعمائة دينار
قال قد قضاها الله عز وجل عنك
قال فأقام أياما ثم قال لي قد اشتقت
فقلت له قل شعرا تشوق فيه
فقال قصيدته التي يقول فيها
(أألحمامةُ في نخلِ ابن هَدَّاجِ ... هاجتْ صَبَابةَ عانِي القلب مُهْتاجِ)
(أمِ المُخَبِّرُ أنّ الغَيْثَ قد وَضَعتْ ... منه العِشارُ تماماً غيرَ إخْداجِ)
(شَقَّتْ سَوائفُها بالفَرْشِ مِن مَلَلٍ ... إلى الأعارفِ مِن حَزْنٍ وأولاجِ)
((حتَّى كأنّ وُجوهَ الأرض مُلْبَسةٌ ... طرائفاً من سَدَى عَصْبٍ ودِيباجِ
وهي طويلة مختارة من شعره يقول فيها يمدح السري
(أمَّا السَّرِيُّ فإنِّي سوف أمدَحُه ... ما المادحُ الذاكرُ الإحسانَ كالهاجي)
(ذاكَ الذي هو بعد اللهِ أنقذني ... فلستُ أنساه إنقاذي وإخراجي)
(لَيْثٌ بحَجْرٍ إذا ما هاجَه فَزَعٌ ... هاجَ إليه بإلْجَامٍ وإسْرَاجِ)
(لأحْبُوَنَّكَ مما أصْطفِي مِدَحاً ... مُصَاحِباتٍ لِعُمَّارٍ وحُجَّاجِ)
(أسْدَى الصنيعةَ من بِرٍّ ومن لَطَفٍ ... إلى قُرُوعٍ لباب المُلْكِ وَلاَّجِ)
(كَمْ من يَدٍ لك في الأقوامِ قد سَلَفتْ ... عند امرئٍ ذي غِنىً أو عند مُحْتاجِ)
فأمر له بسبعمائة دينار في قضاء دينه ومائة دينار يتجهز بها ومائة دينار يعرض بها أهله ومائة دينار إذا قدم على أهله
قوله يعرض بها أهله أي يهدي لهم بها هدية والعراضة الهدية
قال الفرزدق يهجو هشام بن عبد الملك
(كانتْ عُرَاضَتَكَ الَّتي عَرَّضْتَنا ... يومِ المدينة زَكْمةً وسُعَالاَ)
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني نوفل بن ميمون قال أخبرني أبو مالك محمد بن علي بن هرمة قال
قال ابن هرمة
(ومهما ألاَمُ على حَبِّهِم ... فإنِّي أُحِبُّ بني فاطمهْ)
((بنى بنت مَنْ جاء بالمُحْكَماتِ ... والدِّين والسُّنَّةِ القائمهْ
فلقيه بعد ذلك رجل فسأله من قائلها فقال من عض بظر أمه
فقال له ابنه يا أبت ألست قائلها قال بلى
قال فلم شتمت نفسك قال أليس أن يعض المرء بظر أمه خيرا من أن يأخذه ابن قحطبة
خبره مع رجل وابنتيه
أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا جعفر بن مدرك الجعدي قال جاء ابن هرمة إلى رجل كان بسوق النبط معه
زوجة له وابنتان كأنهما ظبيتان يقود عليهما بمال فدفعه إليه فكان يشتري لهم طعاما وشرابا
فأقام ابن هرمة مع ابنتيه حتى خف ذلك المال وجاء قوم آخرون معهم مال فأخبرهم بمكان ابن هرمة فاستثقلوه وكرهوا
أن يعلم بهم فأمر ابنتيه فقالتا له يا أبا إسحاق أما دريت ما الناس فيه قال وما هم فيه قالتا زلزل بالروضة فتغافلهما
ثم جاء أبوهما متفازعا فقال أي أبا إسحاق ألا تفزع لما الناس فيه قال وما هم فيه قال زلزل بالروضة
قال قد جاءكم الآن إنسان معه مال وقد نفضت ما جئتكم به وثقلت عليه فأردت إدخاله وإخراجي
أيزلزل بروضة من رياض الجنة ويترك منزلك وأنت تجمع فيه الرجال على ابنتيك والله لا عدت إليه وخرج من عنده
وروى هذا الخبر عن الزبير بن هارون بن محمد الزيات فزاد فيه قال ثم خرج من عندهم فأتى عبد الله بن حسن فقال إني

قد مدحتك فاستمع مني
قال لا حاجة لي بذلك أنا أعطيك ما تريد ولا أسمع
قال إذا أسقط ويكسد
سوقي
فسمع منه وأمر له بمائتي دينار فأخذها وعاد إلى الرجل وقال قد جئتك بما تنفقه كيف شئت
ولم يزل عنده حتى نفذت

أخباره مع محمد بن عبد العزيز ومحمد بن عمران

قال الزبير وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز قال حدثني عمي عمران بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف قال
وافينا الحج في عام من الأعوام الخالية فأصبحت بالسيالة فإذا إبراهيم ابن علي بن هرمة يأتينا فاستأذن على أخي محمد بن عبد العزيز فأذن له فدخل عليه فقال يا أبا عبد الله ألا أخبرك ببعض ما تستظرف قال بلى وربما فعلت يا أبا إسحاق
قال فإنه أصبح عندنا هاهنا منذ أيام محمد بن عمران وإسماعيل بن عبد الله بن جبير وأصبح ابن عمران بجملين له ظالعين فإذا رسوله يأتيني أن أجب فخرجت حتى أتيته فأخبرني بظلع جمليه وقال لي أردت أن أبعث إلى ناضحين لي بعمق لعلي أوتى بهما إلى هاهنا لأمضي عليهما ويصير هذان الظالعان إلى مكانهما
ففرغ لنا دارك واشتر لنا علفا واستلنه بجهدك فإنا مقيمون هاهنا حتى تأتينا جمالنا
فقلت في الرحب والقرب والدار فارغة وزوجته طالق إن اشتريت عود علف عندي حاجتك منه
فأنزلته ودخلت إلى السوق فما أبقيت فيه شيئا من رسل ولا جداء ولا طرفة ولا غير ذلك
إلا ابتعت منه فاخره وبعثت به إليه مع دجاج كان عندنا
قال فبينا أنا أدور في السوق إذ وقف علي عبد لإسماعيل بن عبد الله يساومني بحمل علف لي فلم أزل أنا وهو حتى أخذه مني بعشرة دراهم وذهب به فطرحه لظهره
وخرجت عند الرواح أتقاضى العبد ثمن حملي فإذا هو لإسماعيل
ابن عبد الله ولم أكن دريت
فلما رآني مولاه حياني ورحب بي وقال هل من حاجة يا أبا إسحاق فأعلمه العبد أن العلف لي
فأجلسني فتغديت عنده ثم أمر لي مكان كل درهم منها بدينار وكانت معه زوجته فاطمة بنت عباد فبعثت إلي بخمسة دنانير
قال وراحوا وخرجت بالدنانير ففرقتها على غرمائي وقلت عند ابن عمران عوض منها
قال فأقام عندي ثلاثا وأتاه جملاه فما فعل بي شيئا
فبينا هو يترحل وفي نفسه مني ما لا أدري به إذ كلم غلاما له بشيء فلم يفهم فأقبل علي فقال ما أقدر على إفهامه مع قعودك عندي قد والله آذيتني ومنعتني ما أردت
فقمت مغتما بالذي قال حتى إذا كنت على باب الدار لقيني إنسان فسألني هل فعل إليك شيئا فقلت أنا والله بخير إذ تلف مالي وربحت بدني
قال وطلع علي وأنا أقولها فشتمني والله يا أبا عبد الله حتى ما أبقى لي وزعم أنه لولا إحرامه لضربني وراح وما أعطاني درهما
فقلت
(يا مَنْ يُعينُ على ضَيْفٍ أَلَمَّ بنا ... ليس بِذِي كَرَمٍ يُرْجَى ولا دِينِ)
(أقام عندي ثلاثاً سُنَّةً سلَفتْ ... أغضيتُ منها على الأقذاء والهُونِ)
(مسافةُ البيت عَشْرٌ غيرُ مُشْكِلةٍ ... وأنت تأتيه في شَهْرٍ وعشرين)
(لستَ تُبالي فَوَاتَ الحَجِّ إن نَصِبَتْ ... ذاتُ الكَلاَلِ وأسمنتَ ابنَ حِرقين)
(تحدّث النّاسُ عمّا فيك من كَرَمٍ ... هيهاتَ ذاك لِضيفانِ المَساكين)
(أصبحتَ تَخْزُنُ ما تَحْوِي وتجمعُه ... أبا سُليمانَ من أشلاءِ قارونِ)
(مثلُ ابنِ عِمْرانَ آباءٌ له سَلَفُوا ... يَجْزُونَ فِعْلَ ذوِي الإحسان بالدُّون)
(ألاّ تكون كإسماعيل إنّ له ... رأياً أصيلاً وفِعْلاً غيرَ ممنونِ)
(أو مِثْلِ زوجتِه فيما أَلَمَّ بها ... هيهاتَ مَنْ أُمُّها ذاتُ النِّطَاقَيْنِ)
فلما أنشدها قال له محمد بن عبد العزيز نحن نعينك يا أبا إسحاق لقوله يا من يعين
قال قد رفعك الله عن العون الذي أريده ما أردت إلا رجلا مثل عبد الله بن خنزيرة وطلحة أطباء الكلبة يمسكونه لي وآخذ خوط سلم فأوجع به خواصره وجواعره قال ولما بلغ في إنشاده إلى قوله
(... مثلُ ابن عمران آباءٌ له سلفوا)
أقبل علي فقال عذرا إلى الله تعالى وإليكم إني لم أعن من آبائه طلحة بن عبيد الله
قال ونزل إليه إسماعيل بن جعفر بن محمد وكان عندنا فلم يكلمه حتى ضرب أنفه وقال له فعنيت من آبائه أبا سلميان محمد بن طلحة يا دعي قال فدخلنا بينهما
وجاء رسول محمد بن طلحة بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى ابن هرمة يدعوه فذهب إليه
فقال له ما الذي بلغني من هجائك أبا سليمان والله لا أرضى حتى تحلف ألا تقول له أبدا إلا خيرا وحتى تلقاه فترضاه إذا رجع وتحتمل كل ما أزل إليك وتمدحه
قال أفعل بالحب والكرامة
قال وإسماعيل بن جعفر لا تعرض له إلا بخير قال نعم
قال فأخذ عليه الأيمان فيهما وأعطاه ثلاثين دينارا وأعطاه محمد بن عبد العزيز مثلها
قال واندفع ابن هرمة يمدح محمد بن عمران

(ألم تر أنّ القولَ يَخْلُص صِدْقُه ... وتأبى فما تزكوا لباغ بَوَاطِلُهْ)
(ذَمَمْتُ امرأً لم يَطْبَع الذَّمُّ عِرْضَه ... قليلاً لدى تحصيله مَنْ يَشاكِلُهْ
(فما بالحجاز من فَتًى ذي إمارةٍ ... ولا شَرَفٍ إلا ابنُ عِمْرانَ فاضِلُهْ)
(فَتًى لا يَطُورُ الذَّمُّ ساحةَ بيتِه ... ونشقَى به ليلَ التِّمَامِ عَوَاذِلُهْ)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا أحمد بن عمر الزهري قال حدثنا أبو بكر بن عبد الله ابن جعفر المسوري قال
مدح إبراهيم بن هرمة محمد بن عمران الطلحي فألفاه راويته وقد جاءته عير له تحمل غلة قد جاءته من الفرع أو خيبر فقال له رجل كان عنده أعلم والله أن أبا ثابت بن عمران بن عبد العزيز أغراه بك وأنا حاضر عنده وأخبره بعيرك هذه
فقال إنما أراد أبو ثابت أن يعرضني للسانه قودوا إليه القطار فقيد إليه
كان يعمل من التمر نبيذا
أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني يحيى بن محمد عن عبد الله بن عمرو بن القاسم قال
جاء أبي تمر من صدقة عمر فجاءه ابن هرمة فقال أمتع الله بك أعطني من هذا التمر
قال يا أبا إسحاق لولا أني أخاف أن تعمل منه نبيذا لأعطيتك
قال فإذا علمت أني أعمل منه نبيذا لا تعطيني
قال فخافه فأعطاه
فلقيه بعد ذلك فقال له ما في الدنيا أجود من نبيذ يجيء من صدقة عمر فأخجله
أخبرنا الحرمي قال أخبرنا الزبير قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز
قال قدم جرير المدينة فأتاه ابن هرمة وابن أذينة فأنشداه فقال جرير القرشي أشعرهما والعربي أفصحهما
أخبرنا يحيى بن علي إجازة قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني عبد الله بن محمد
أن ابن هرمة قال يمدح أبا الحكم المطلب بن عبد الله
(لمّا رأيتُ الحادثاتِ كَنَفْنَنِي ... وأوْرَثْنَنِي بُؤْسي ذكرتُ أبا الحَكَمْ)
(سليلُ مُلوكٍ سبعةٍ قد تتابعوا ... هم المُصْطَفَوْنَ والمُصَفَّوْنَ بالكَرَمْ)
فلاموه وقالوا أتمدح غلاما حديث السن بمثل هذا قال نعم وكانت له ابنة يلقبها عيينة وقال الزبير كان يلقبها عينة فقال
(كانتْ عُيَيْنَةُ فينا وهي عاطِلةٌ ... بين الجَوَاري فحَلَّاها أبو الحَكَمِ)
(فمَنْ لَحَانَا على حُسْنِ المَقَالِ له ... كان المُلِيمَ وكنَّا نحن لم نُلِمِ)
قال يحيى وحدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن الزبيري عن نوفل بن ميمون قال
أرسل ابن هرمة إلى عبد العزيز بن المطلب بكتاب يشكو فيه بعض حاله فبعث إليه بخمسة عشر دينارا
فمكث شهرا ثم بعث يطلب منه شيئا آخر بعد ذلك فقال إنا والله ما نقوى على ما كان يقوى عليه الحكم بن المطلب
وكان عبد العزيز قد خطب إلى امرأة من ولد عمر فردته فخطب إلى امرأة من بني عامر ابن لؤي فزوجوه
فقال ابن هرمة
(خطبتَ إلى كَعْبٍ فرَدُّوكَ صاغراً ... فحوّلتَ من كعبٍ إلى جِذْمِ عامر
(وفي عَامِرٍ عِزٌّ قديمٌ وإنّما ... أجازك فيْهم هزلُ أهل المقابر)
وقال فيه أيضا
(أبالبُخْلِ نطلُب ما قَدَّمتْ ... عرانينُ جادتْ بأموالها)
(فهيهات خالفتَ فعلَ الكرامِ ... خلاَفَ الجِمالِ بأبوالها)
خبر زواجه
وقال هارون بن محمد حدثني مغيرة بن محمد قال حدثني أبو محمد السهمي قال حدثني أبو كاسب قال
تزوج ابن هرمة بامرأة فقالت له أعطني شيئا فقال والله ما معي إلا نعلاي فدفعهما إليها ومضى معها فتوركها مرارا
فقالت له أجفيتني فقال لها الذي أجفى صاحبه منا يعض بظر أمه
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني المسيبي محمد بن إسحاق قال حدثني إبراهيم بن سكرة جار أبي ضمرة قال
جلس ابن هرمة مع قوم على شراب فذكر الحكم بن المطلب فأطنب في مدحه
فقالوا له إنك لتكثر ذكر رجل لو طرقته الساعة في شاة يقال لها غراء تسأله إياها لردك عنها
فقال أهو يفعل هذا قالوا إي والله
وكانوا قد عرفوا أن الحكم بها معجب وكانت في داره سبعون شاة تحلب
فخرج وفي رأسه ما فيه فدق الباب فخرج إليه غلامه
فقال له أعلم أبا مروان بمكاني وكان قد أمر ألا
يحجب إبراهيم بن هرمة عنه فأعلمه به فخرج إليه متشحا فقال أفي مثل هذه الساعة يا أبا إسحاق فقال نعم جعلت فداك ولد لأخ لي مولود فلم تدر عليه أمه فطلبوا له شاة حلوبة فلم يجدوها فذكروا له شاة عندك يقال لها غراء فسألني أن أسألكها
فقال أتجيء في هذه الساعة ثم تنصرف بشاة واحدة والله لا تبقى في الدار شاة إلا انصرفت بها سقهن معه يا غلام فساقهن
فخرج بهن إلى القوم فقالوا ويحك أي شيء صنعت فقص عليهم القصة
قال وكان فيهن والله ما ثمنه عشرة دنانير وأكثر من عشرة
مدح الوليد بعد أن قتل
قال هارون وحدثني حماد بن إسحاق قال ذكر أبي عن أيوب بن عباية عن عمر بن أيوب الليثي قال
شرب ابن هرمة عندنا يوما فسكر فنام
فلما حضرت الصلاة تحرك أو حركته فقال لي وهو يتوضأ ما كان حديثكم اليوم قلت يزعمون أن الوليد قتل فرفع رأسه إلي وقال

(وكانت أُمورُ الناس مُنْبَتَّةَ القُوَى ... فشدّ الوليدُ حين قام نِظامَها)
(خليفةُ حقٍّ لا خليفةُ باطلٍ ... رمَى عن قناة الدِّين حتى أقامها)
ثم قال لي إياك أن تذكر من هذا شيئا فإني لا أدري ما يكون
أخبرني علي بن سليمان النحوي قال حدثنا أبو العباس الأحول عن ابن الأعرابي أنه كان يقول ختم الشعراء بأبن هرمة
أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال أخبرني أحمد بن يحيى البلاذري
أن ابن هرمة كان مغرما بالنبيذ فمر على جيرانه وهو شديد السكر حتى دخل منزله
فلما كان من الغد دخلوا عليه فعاتبوه على الحال التي رأوه عليها فقال
لهم أنا في طلب مثلها منذ دهر أما سمعتم قولي
(أسألُ اللهَ سكرةً قبل موتي ... وصِياحَ الصِّبيان يا سكرانُ)
قال فنفضوا ثيابهم وخرجوا وقالوا ليس يفلح والله هذا أبدا
موته ودفنه
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال أنشدني عمي لابن هرمة
(ما أظنّ الزمانَ يا أُمَّ عَمْرٍ ... تاركاً إن هلكتُ من يَبْكِيني)
قال فكان والله كذلك لقد مات فأخبرني من رأى جنازته ما يحملها إلا أربعة نفر حتى دفن بالبقيع
قال يحيى بن علي أراه عن البلاذري ولد ابن هرمة سنة تسعين وأنشد أبا جعفر المنصور في سنة أربعين ومائة قصيدته التي يقول فيها
(إنّ الغَوَانيَ قد أعرضن مَقْلِيَةً ... لمّا رمَى هَدَفَ الخمسين ميلادي)
قال ثم عمر بعدها مدة طويلة
ذكر أخبار يونس الكاتب
هو يونس بن سليمان بن كرد بن شهريار من ولد هرمز
وقيل إنه مولى لعمرو بن الزبير ومنشؤه ومنزله بالمدينة
وكان أبوه فقيها فأسلمه في الديوان فكان من كتابه وأخذ الغناء عن معبد وابن سريج وابن محرز والغريض وكان أكثر روايته عن معبد ولم يكن في أصحاب معبد أحذق ولا أقوم بما أخذ عنه منه
وله غناء حسن وصنعة كثيرة وشعر جيد
وكتابه في الأغاني ونسبها إلى من غنى فيها هو الأصل الذي يعمل عليه ويرجع إليه
وهو أول من دون الغناء
أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني أبي قال أنشدني مسعود بن خالد المورياني لنفسه في يونس
(يا يونسُ الكاتبُ يا يونسُ ... طاب لنا اليوم بك المجلسُ)
(إنّ المغنّين إذا ما هُمُ ... جارَوْك أخْنَى بهمُ المقبسُ)
(تنشُرُ دِيباجا وأشباهه ... وهم إذا ما نشروا كرْبَسُوا)
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال ذكر إبراهيم بن قدامة الجمحي قال
اجتمع فتيان من فتيان أهل المدينة فيهم يونس الكاتب وجماعة ممن يغني
فخرجوا إلى واد يقال له دومة من بطن العقيق في أصحاب لهم فتغنوا واجتمع إليهم نساء أهل الوادي قال بعض من كان معهم فرأيت حولنا مثل مراح الضأن وأقبل محمد بن عائشة ومعه صاحب له فلما رأى جماعة النساء عندهم حسدهم فالتفت إلى صاحبه فقال أما والله لأفرقن هذه الجماعة فأتى قصرا من قصور العقيق فعلا سطحه وألقى رداءه واتكأ عليه وتغنى
صوت
(هذا مُقامُ مُطَرَّدٍ ... هُدِمتْ منازلُه ودورُهْ)
(رَقَّى عليه عُداتُه ... ظلماً فعاقبه أميرُه)
الغناء لابن عائشة رمل بالوسطى
والشعر لعبيد بن حنين مولى آل زيد بن الخطاب وقيل إنه لعبد الله بن أبي كثير مولى بني مخزوم قال فوالله ما قضى صوته حتى ما بقيت امرأة إلا جلست تحت القصر الذي هو عليه وتفرق عامة أصحابهم
فقال يونس وأصحابه هذا عمل ابن عائشة وحسده
ابن عائشة تغنى بشعر لعبد الله بن أبي كثير
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو غسان محمد بن يحيى عن أبيه قال
تزوج عبد الله بن أبي كثير مولى بني مخزوم بالعراق في ولاية مصعب بن الزبير امرأة من بني عبد بن بغيض بن عامر بن لؤي ففرق مصعب بينهما
فخرج حتى قدم على عبد الله بن الزبير بمكة فقال
(هذا مُقامُ مُطردٍ ... هُدِمتْ منازلُه ودورُهْ)
(رَقَّتْ عليه عُداتُه ... كَذِباً فعاقبه أميرُه)
(في أنْ شَرِبتُ بجمّ ماءٍ ... كان حِلاًّ لي غَديرُهْ)
(فلقد قُطعتُ الخَرْق بعد ... الخرق مُعْتَسِفاً أسيرُهْ)
(حتّى أتيتُ خليفةَ الرَّحمن ... ممهوداً سريرُهُ)
(حَيَّتُه بتَحِيّةٍ ... في مجلسٍ حضرتْ صُقُورُهْ)
فكتب عبد الله إلى مصعب أن أردد عليه امرأته فإني لا أحرم ما أحل الله عز وجل فردها عليه
هذه رواية عمر بن شبة
وأخبرني الحسن بن علي عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن المدائني عن سحيم بن حفص أن المتزوج بهذه المرأة عبيد بن حنين مولى آل زيد بن الخطاب وأن المفرق بينهما الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة الذي يقال له القباع وذكر باقي

الخبر مثل الأول
أخبرني عمي قال حدثني طلحة بن عبد الله الطلحي قال حدثني أحمد بن الهيثم قال
خرج يونس الكاتب من المدينة إلى الشام في تجارة فبلغ الوليد بن يزيد مكانه فلم يشعر يونس إلا برسله قد دخلوا عليه الخان فقالوا له أجب الأمير والوليد إذ ذاك أمير قال فنهضت معهم حتى أدخلوني على الأمير لا أدري من هو إلا أنه من أحسن الناس وجها وأنبلهم فسلمت عليه فأمرني بالجلوس ثم
دعا بالشراب والجواري فكنا يومنا وليلتنا في أمر عجيب
وغنيته فأعجب بغنائي إلى أن غنيته
(إنْ يعِشْ مُصْعبٌ فنحن بخيرٍ ... قد أتانا مِنْ عيشنا ما نُرجِّي)
ثم تبنهت فقطعت الصوت
فقال مالك فأخذت أعتذر من غنائي بشعر في مصعب
فضحك وقال إن مصعبا قد مضى وانقطع أثره ولا عداوة بيني وبينه وإنما أريد الغناء فامض الصوت فعدت فيه فغنيته
فلم يزل يستعيدنيه حتى أصبح فشرب مصطبحا وهو يستعيدني هذا الصوت ما يتجاوزه حتى مضت ثلاثة أيام
ثم قلت له جعلني الله فداء الأمير أنا رجل تاجر خرجت مع تجار وأخاف أن يرتحلوا فيضيع مالي
فقال لي أنت تغدوا غدا وشرب باقي ليلته وأمر لي بثلاثة آلاف دينار فحملت إلي وغدوت إلى أصحابي
فلما خرجت من عنده سألت عنه فقيل لي هذا الأمير الوليد بن يزيد ولي عهد أمير المؤمنين هشام
فلما استخلف بعث إلي فأتيته فلم أزل معه حتى قتل
صوت من المائة المختارة
(أقصدتْ زينبُ قلبي بعدما ... ذهب الباطلُ عنِّي والغزلْ)
(وعَلاَ المَفْرقَ شيبٌ شاملٌ ... واضِحٌ في الرأس مِنّي واشْتعلْ)
الشعر لابن رهيمة المدني
والغناء في اللحن المختار لعمر الوادي ثاني ثقيل بالبنصر في مجراها عن إسحاق
وفيه ليونس الكاتب لحنان أحدهما خفيف ثقيل أول بالبنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق والآخر رمل بالسبابة في مجرى البنصر عنه أيضا
وفيه رملان بالوسطى والبنصر أحدها لابن المكي والآخر
لحكم وقيل إنه لإسحاق من رواية الهشامي ولحن يونس في هذا الشعر من أصواته المعروفة بالزيانب والشعر فيها كله لابن رهيمة في زينب بنت عكرمة ابن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وهي سبعة أحدها قد مضى والآخر
صوت
(أقصدتْ زينبُ قلبي ... وسَبَتْ عقلي ولُبِّي)
(تركتْني مُستهاماً ... أستغيثُ الله ربِّي)
(ليس لي ذنبٌ إليها ... فتُجازيني بذَنْبي)
(ولها عندي ذنوبٌ ... في تَنائِيها وقُربي)
(غنّاه يونس رَمَلاً ... بالبنصر وفيه لَحَكَم هَزَجٌ)
خفيف بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق
ومنها
صوت
(وجَدَ الفؤادُ بزينبَا ... وَجْداً شديداً مُتْعِبَا)
(أصبحت من وَجْدي بها ... أُدْعَى سقيماً مُسْهَبا)
(وجعلتْ زينبَ سُتْرةً ... وأتيتُ أمراً مُعْجِبا)
غناه يونس ثقيلا أول مطلقا في مجرى البنصر عن عمرو وإسحاق وهو مما يشك فيه من غناء يونس
ولعلية بنت المهدي فيه ثقيل أول آخر لا يشك فيه أنه لها كنت فيه عن رشأ الخادم وذكر أحمد بن عبيد أن فيه من الغناء لحنين هما جميعا من الثقيل الأول ليونس ومن لا يعلم يزعم أن الشعر لها
ومنها
صوت
(إنّما زينبُ المُنَى ... وهِي الهمُّ والهوَى)
(ذاتُ دلٍّ تُضْنِي الصَّحِيحَ ... وتُبْري مِن الجوَى)
(لا يُغَرَّنْكِ أنْ دعوْتِ ... فُؤادي فما الْتَوى)
(واحْذَري هِجْرَةَ الحبيبِ ... إذا مَلَّ وانْزَوَى)
غناه يونس رملا بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق
ومنها
صوت
(إنّما زينبُ هَمِّي ... بأبي تلك وأُمِّي)
(بأبي زينبُ لا أكْنِي ... ولكنِّي أُسَمِّي)
(بأبي زينبُ مِنْ قاضٍ ... قَضَى عمداً بظُلْمي)
(بأبي مَنْ ليس لي في ... قلبه قيراطُ رُحْمِ)
غناه يونس رملا بالبنصر عن عمرو وله فيه لحن آخر
ومنها
صوت
(يا زينبُ الحسناءُ يا زينبُ ... يا أكرمَ النَّاس إذا تُنْسَبُ)
(تَقِيكِ نفسي حادثاتِ الرَّدَى ... والأُمُّ تَفْدِيكَ معاً والأبُ)

(هَلْ لكِ في وُدّ امرِىءٍ صادقٍ ... لا يَمْذُق الوُدَّ ولا يَكْذِبُ)
(لا يبتغي في وُدّه مَحْرَماً ... هيهاتَ أنتِ العملُ الأرْيَبُ
غناه يونس ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق
ومنها
صوت
(فليتَ الذي يلحَى على زينبَ المُنَى ... تَعَلَّقهُ مما لَقِيتُ عَشِيرُ
(فَحْسِيبي به بالعُشْرِ ممّا لَقِيتُه ... وذلك فيما قد تراه يسير)
غناه يونس ثاني ثقيل بالوسطى في مجراها عن الهشامي
هذه سبعة أصوات قد مضت وهي المعروفة بالزيانب
ومن الناس من يجعلها ثمانية ويزيد فيها لحن يونس في
(... تَصَابَيْتَ أم هاجتْ لك الشوقَ زينب)
وليس هذا منها وإن كان ليونس لحنه فإن شعره لحجية بن المضرب الكندي وقد كتب في موضع آخر وإنما الزيانب في شعر ابن رهيمة
ومنهم من يعدها تسعة ويضيف إليها
(قُولاَ لزينبَ لو رأيتِ ... تَشَوُّقي لكِ واشترافي)
وهذا اللحن لحكم
والشعر لمحمد بن أبي العباس السفاح في زينب بنت سليمان ابن علي وقد كتب في موضع آخر
انقضت أخبار يونس الكاتب
أخبار ابن رهيمة
(تشبيبه بزينب بنت عكرمة وأمر هشام بضربه
أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا أحمد بن القاسم قال حدثني أبو هفان عن إسحاق قال
كان ابن رهيمة يشبب بزينب بنت عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ويغني يونس بشعره فافتضحت بذلك فاستعدى عليه أخوها هشام بن عبد الملك فأمر بضربه خمسمائة سوط وأن يباح دمه إن وجد قد عاد لذكرها وأن يفعل ذلك بكل من غنى في شيء من شعره
فهرب هو ويونس فلم يقدر عليهما
فلما ولي الوليد بن يزيد ظهرا
وقال ابن رهيمة
(لئن كنت إطردتني ظالما ... لقد كَشَفَ اللهُ ما أَرْهَبُ)
(ولو نِلْتَ مِنِّي ما تشتهي ... لقلَّ إذا رَضِيتْ زينبُ)
(وما شئت فاصْنَعْه بي بعد ذا ... فحُبِّي لزينب لا يذهبُ)
وفي الأصوات المعروفة بالزيانب يقول أبان بن عبد الحميد اللاحقي
(أحِبُّ من الغِناء خفيفه ... إنْ فاتني الهزجُ)
(وأشْنَأ ضوءَ برقٍ مثل ... ما أشْنأ عفا مُزَجُ)
(وأبْغِضُ يومَ تنأى والزّيانِبُ ... كلُّها سُمُجُ)
((ويُعْجِبُني لإبراهيم ... والأوتارُ تَخْتلِجُ
(أدِيرُ مُدَامةً صِرْفاً ... كأنَّ صَبِيبَها وَدَجُ)
يغني أبان لحن إبراهيم
والشعر لأبان أيضا وهو
صوت
(أُدِيرُ مدامةً صِرْفاً ... كأنَّ صَبِيبَها وَدَجُ)
(فظَلَّ تخالُه مَلِكاً ... يُصرِّفُها ويمتزجُ)
الشعر لأبان والغناء لإبراهيم ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق
وفيه لابن جامع ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق أيضا
ومما في غناء يونس من المائة المختارة المذكورة في هذا الكتاب
صوت من المائة المختارة
(ألاَ يا لَقَوْمِي لِلرُّقَادِ المُسَهَّدِ ... وللماء ممنوعاً مِنَ الحائمِ الصَّدِي)
(وللحال بعد الحال يركَبُها الفتى ... وللحُبِّ بعد السَّلْوة المُتَمَرِّدِ)
الشعر لإسماعيل بن يسار النسائي من قصيدة مدح بها عبد الملك بن مروان وذكر يحيى بن علي عن أبيه عن إسحاق أنها للغول بن عبد الله بن صيفي الطائي
والصحيح أنها لإسماعيل
وأنا أذكر خبره مع عبد الملك بن مروان ومدحه إياه بها ليعلم صحة ذلك
والغناء ليونس ولحنه المختار من القدر الأوسط من
الثقيل الأول مطلق في مجرى البنصر وتمام هذه الأبيات
(وللمَرْءِ لا عَمّنْ يحِبُّ بِمُرْعوٍ ... ولا لِسبيلِ الرُّشْدِ يوما بمُهتدِي)
(وقد قال أقوامٌ وهم يعذِلُونه ... لقد طال تعذيبُ الفؤادِ المُصيَّدِ)
أخبار إسماعيل بن يسار ونسبه
ولاؤه وسبب تلقيبه بالنسائي
حدثني عمي قال حدثني أحمد بن أبي خيثمة قال حدثنا مصعب بن عبد الله الزبيري قال
كان إسماعيل بن يسار النسائي مولى بني تيم بن مرة تيم قريش وكان منقطعا إلى آل الزبير

فلما أفضت الخلافة إلى عبد الملك بن مروان وفد إليه مع عروة بن الزبير ومدحه ومدح الخلفاء من ولده بعده
وعاش عمرا طويلا إلى أن أدرك آخر سلطان بني أمية ولم يدرك الدولة العباسية
وكان طيبا مليحا مندرا بطالا مليح الشعر وكان كالمنقطع إلى عروة بن الزبير وإنما سمي إسماعيل بن يسار النسائي
لأن أباه كان يصنع طعام العرس ويبيعه فيشتريه منه من أراد التعريس من المتجملين وممن لم تبلغ حاله اصطناع ذلك
وأخبرني الأسدي قال حدثنا أبو الحسن محمد بن صالح بن النطاح قال
إنما سمي إسماعيل بن يسار النسائي لأنه كان يبيع النجد والفرش التي تتخذ للعرائس فقيل له إسماعيل بن يسار النسائي
وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد عن ابن عائشة
أن إسماعيل بن يسار النسائي إنما لقب بذلك لأن أباه كان يكون عنده طعام العرسات مصلحا أبدا فمن طرقه وجده عنده معدا
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال حدثني الزبير بن بكار قال قال مصعب بن عثمان
لما خرج عروة بن الزبير إلى الشام يريد الوليد بن عبد الملك أخرج معه إسماعيل بن يسار النسائي وكان منقطعا إلى آل الزبير فعادله
فقال عروة ليلة من الليالي لبعض غلمانه انظر كيف ترى المحمل قال أراه معتدلا قال إسماعيل الله أكبر ما اعتدل الحق والباطل قبل الليلة قط فضحك عروة وكان يستخف إسماعيل ويستطيبه

سخريته من رجل يكنى أبا قيس

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن سعيد قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي عن أيوب بن عباية المخزومي
أن إسماعيل بن يسار كان ينزل في موضع يقال له حديلة وكان له جلساء يتحدثون عنده ففقدهم أياما وسأل عنهم فقيل هم عند رجل يتحدثون إليه طيب الحديث حلو ظريف قدم عليهم يسمى محمدا ويكنى أبا قيس
فجاء إسماعيل فوقف عليهم فسمع الرجل القوم يقولون قد جاء صديقنا إسماعيل بن يسار فأقبل عليه فقال له أنت إسماعيل قال نعم
قال رحم الله أبويك فإنهما سمياك باسم صادق الوعد وأنت أكذب الناس
فقال له إسماعيل ما اسمك
قال محمد قال أبو من
قال أبو قيس
قال لا ولكن لا رحم الله أبويك فإنهما سمياك باسم نبي وكنياك بكنية قرد
فأفحم الرجل وضحك القوم ولم يعد إلى مجالستهم فعادوا إلى مجالسة إسماعيل
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال حدثنا المدائني عن نمير العذري قال
استأذن إسماعيل بن يسار النسائي على الغمر بن يزيد بن عبد الملك يوما فحجبه ساعة ثم أذن له فدخل يبكي
فقال له الغمر مالك يا أبا فائد تبكي قال وكيف لا أبكي وأنا على مروانيتي ومروانية أبي أحجب عنك فجعل الغمر يعتذر إليه وهو يبكي فما سكت حتى وصله الغمر بجملة لها قدر
وخرج من عنده فلحقه رجل فقال له أخبرني ويلك يا إسماعيل أي مروانية كانت لك أو لأبيك قال بغضنا إياهم امرأته طالق إن لم يكن يلعن مروان وآله كل يوم مكان التسبيح وإن لم يكن أبوه حضره الموت فقيل له قل لا إله إلا الله فقال لعن الله مروان تقربا بذلك إلى الله تعالى وإبدالا له من التوحيد وإقامة له مقامه

مفاخرته بالعجم على العرب

أخبرني عمي قال حدثني أبو أيوب المديني قال حدثني مصعب قال قال إسماعيل بن يسار النسائي قصيدته التي أولها
(ما على رسمِ منزلٍ بالجَنَابِ ... لو أبانَ الغداةَ رَجْعَ الجوابِ)
(غيَّرتْه الصَّبَا وكلُّ مُلِثٍّ ... دائِمِ الوَدْقِ مُكْفَهِرِّ السَّحَابِ
(دارَ هندٍ وهل زماني بهندٍ ... عائدٌ بالهوى وصَفْو الجَنابِ)
(كالذي كان والصفاءُ مصونٌ ... لم تَشُبْه بهجْرةٍ واجتنابِ)
(ذاك منها إذ أنتَ كالغُصْنِ غَضٌّ ... وهي رُؤْدٌ كدُمْيةِ المِحْرابِ)
(غادةٌ تَسْتَبي العقولَ بعَذْبٍ ... طَيِّبِ الطعم باردِ الأنياب)
(وأثيثٍ من فوق لونٍ نَقِيٍّ ... كبياض اللُّجَيْن في الزِّرْياب)
(فأقِلَّ المَلاَمَ فيها وأقْصِرْ ... لَجَّ قلبي من لوعةٍ واكتئاب)
(صاحِ أبصرتَ أو سمِعتَ براعٍ ... رَدَّ في الضَّرْعِ ما قَرَى في العِلاَبِ)
(انقضتْ شِرَّتي وأقصر جهلي ... واستراحتْ عَوَاذِلي من عِتابي)
وقال فيها يفخر على العرب بالعجم
(رُبَّ خالٍ مُتوَّجٍ لي وعَمٍّ ... ماجدٍ مُجْتَدىً كريم النِّصَاب)
(إنّما سُمِّي الفوارسُ بالفُرْسِ ... مُضاهاةَ رِفْعةِ الأنسابِ)
(فاتْرُكي الفخر يا أُمامَ علينا ... واتركي الجورْ وانْطِقِي بالصَّوابِ)
(وسَلِي إن جهِلْتِ عنَّا وعنكم ... كيف كنّا في سالف الأحقابِ)
((إذ نُرَبِّي بَنَاتنا وتَدُسُّونَ ... سَفَاهاً بناتِكم في التُّرابِ
فقال رجل من آل كثير بن الصلت إن حاجتنا إلى بناتنا غير حاجتكم فأفحمه
يريد أن العجم يربون بناتهم لينكحوهن والعرب لا تفعل ذلك وفي هذه الأبيات غناء نسبته
صوت
(صاحِ أبصرتَ أو سمِعتَ براعٍ ... ردّ في الضَّرْعِ ما قَرَى في العِلابَ)
(إنقضتْ شِرَّتي وأقْصَرَ جهلي ... واستراحتْ عواذلي من عِتابي)
الشعر لإسماعيل بن يسار النسائي
والغناء لمالك خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى

وذكر عمرو بن بانة في نسخته الأولى أن فيه للغريض خفيف ثقيل بالبنصر وذكر في نسخته الثانية أنه لابن سريج
وذكر الهشامي أن لحن ابن سريج رمل بالوسطى وأن لحن الغريض ثقيل أول
شعوبيته
وحدثني بهذا الخبر عمي قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة عن مصعب قال
إسماعيل بن يسار يكنى أبا فائد وكان أخواه محمد وإبراهيم شاعرين أيضا وهم من سبي فارس
وكان إسماعيل شعوبيا شديد التعصب للعجم وله شعر كثير يفخر فيه بالأعاجم
قال فأنشد يوما في مجلس فيه أشعب قوله
(إذ نُرَبِّي بناتِنا وتَدُسُّونَ ... سَفَاهاً بناتِكم في التُّرابِ
فقال له أشعب صدقت والله يا أبا فائد أراد القوم بناتهم لغير ما أردتموهن له
قال وما ذاك قال دفن القوم بناتهم خوفا من العار وربيتموهن لتنكحوهن
قال فضحك القوم حتى استغربوا وخجل إسماعيل حتى لو قدر أن يسيخ في الأرض لفعل
مدح الوليد بن يزيد فأكرمه
أخبرني الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال أخبرني أبو سلمة الغفاري قال أخبرنا أبو عاصم الأسلمي قال
بينا ابن يسار النسائي مع الوليد بن يزيد جالس على بركة إذ أشار الوليد إلى مولى له يقال له عبد الصمد فدفع ابن يسار النسائي في البركة بثيابه فأمر به الوليد فأخرج
فقال ابن يسار
(قُلْ لِوَالِي العَهْدِ إنْ لاقَيْتَه ... ووَلِيُّ العهدِ أولىَ بِالرَّشَدْ)
(إنّه واللّهِ لولا أنت لم ... يَنْجُ مِنّي سالماً عبدُ الصَّمَدْ)
(إنّه قد رام منّي خُطّةً ... لم يَرُمْها قبلَه منّي أحدْ)
(فهو مما رامَ منّي كالذي ... يَقْنُصُ الدُّرّاج من خِيسِ الأسَدْ)
فبعث إليه الوليد بخلعة سنية وصلة وترضاه
وقد روي هذا الخبر لسعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت في قصة أخرى وذكر هذا الشعر له فيه
أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد قرأت على أبي حدثني مصعب بن عبد الله قال سمعت إبراهيم بن أبي عبد الله يقول
ركب فلان من ولد جعفر بن أبي طالب رحمه الله بإسماعيل بن يسار النسائي حتى أتى به قباء فاستخرج الأحوص فقال له أنشدني قولك
(ما ضَرَّ جيرانَنا إذ انتجعوا ... لو أنَّهم قبل بَيْنِهم رَبَعُوا)
فأنشده القصيدة
فأعجب بها ثم انصرف
فقال له إسماعيل بن يسار أما جئت إلا لما أرى قال لا
قال فاسمع فأنشده قصيدته التي يقول فيها
(ما ضَرَ أهلَكِ لو تَطَوّف عاشقٌ ... بِفناء بيتِكِ أو ألَمَّ فسلَّما)
فقال والله لو كنت سمعت هذه القصيدة أو علمت أنك قلتها لما أتيته
وفي أبيات من هذا الشعر غناء نسبته
صوت
(يا هندُ رُدّي الوصلَ أن يَتَصَرَّمَا ... وصِلِي امرأً كَلِفاً بحبِّك مُغْرَما)
(لو تبذُلين لنا دَلاَلَكِ مَرّةً ... لم نَبْغِ منكِ سوى دَلاَلَكِ مَحْرَمَا)
(مَنَع الزيارةَ أنَّ أهْلَكِ كلَّهم ... أبدَوْا لِزَوْرك غِلْظةً وتَجهُّمَا)
(ما ضَرَّ أهلَكِ لو تَطَوَّفَ عاشقٌ ... بِفناء بيتِكِ أو ألَمَّ فَسلَّما)
الشعر لإسماعيل بن يسار النسائي
والغناء لابن مسجح خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق
وفيه لإبراهيم الموصلي رمل بالبنصر عن حبش
زبان السواق يبكي بعد أن يسمع شعره
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال أنشد رجل زبان السواق قول إسماعيل بن يسار
(ما ضَرَّ أهلَكِ لو تَطَوّفَ عاشقٌ ... بفناءِ بيتِكِ أو ألَمَّ فسلَّما)
فبكى زبان ثم قال لا شيء والله إلا الضجر وسوء الخلق وضيق الصدر وجعل يبكي ويمسح عينيه
أخبرني محمد بن جعفر الصيدلاني النحوي صهر المبرد قال حدثني طلحة ابن عبد الله بن إسحاق الطلحي قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني جعفر بن الحسين المهلبي قال
أنشدت زبان السواق قول إسماعيل بن يسار النسائي
صوت
(إنّ جُمْلاً وإنْ تَبَيَّنْتُ منها ... نَكَباً عن مَوَدّتي وازْوِرَارَا)
(شَرَّدتْ بادِّكارِها النَّوْمَ عنّي ... وأُطِيرَ العزَاءُ منّي فِطارا)
(ما على أهلِها ولم تأتِ سوءا ... أن تُحَيَّا تَحِيّةً أو تُزارَا)
(يوم أبْدَوْا لِيَ التَّجهُّمَ فيها ... وحَمَوْها لِحَاجةً وضِرَارَا)
فقال زبان لا شيء وأبيهم إلا اللحز وقلة المعرفة وضيق العطن
فصاح عليه
أبو المعافى وقال فعلي من ذاك ويلك أعليك أو على أبيك أو أمك فقال له زبان إنما أتيت يا أبا المعافى من نفسك لو كنت تفعل هذا ما اختلفت أنت وابنك

فوثب إليه أبو المعافى يرميه بالتراب ويقول له ويحك يا سفيه تحسن الدياثة وزبان يسعى هربا منه
الغناء في هذه الأبيات لابن مسجح خفيف ثقيل بالوسطى عن ابن المكي وحماد وذكر الهشامي وحبش أنه لابن محرز وأن لحن ابن مسجح ثاني ثقيل

حضر من الحجاز ليمدح الوليد

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق الموصلي قال
غني الوليد بن يزيد في شعر لإسماعيل بن يسار وهو
(حتّى إذا الصبحُ بدا ضوؤُهُ ... وغارت الجوزاء والمِرزَمُ)
(خرجتُ والوَطْءُ خَفِيٌّ كما ... ينساب من مَكْمنِه الأَرْقَمُ)
فقال من يقول هذا قالوا رجل من أهل الحجاز يقال له إسماعيل بن يسار النسائي فكتب في إشخاصه إليه
فلما دخل عليه استنشده القصيدة التي هذان البيتان منها فأنشده
(كَلْثَمُ أنتِ الهَمُّ يا كلثُم ... وأنتِ دائي الذي أكْتُمُ)
(أكاتِمُ الناسَ هوىً شَفَّني ... وبعضُ كِتمان الهوى أحزمُ)
(قد لُمْتِني ظلماً بلا ظِنَّةٍ ... وأنتِ فيما بيننا أَلْوَمُ)
(أبْدِي الذي تُخْفِينه ظاهراً ... أرتدُّ عنه فيكِ أو أُقدِمُ)
(إمّا بيأسٍ منك أو مَطْمَعٍ ... يُسْدَى بحسن الودّ أو يُلْحَمُ)
(لا تتركيني هكذا مَيّتاً ... لا أُمْنَحُ الوُدَّ ولا أُصْرَمُ)
(أَوْفِي بما قُلْتِ ولا تَنْدَمِي ... إنّ الوَفِيَّ القولِ لا يَنْدَمُ)
(آية ما جئتُ على رِقْبةٍ ... بعد الكَرَى والحيُّ قد نَوَّمُوا)
(أخافِتُ المَشْيَ حذارَ العِدا ... والليلُ داجٍ حالكٌ مظلمُ)
(ودون ما حاولتُ إذ زرتُكم ... أخوكِ والخالُ معاً والعَمُ)
(وليس إلاّ اللهَ لي صاحبٌ ... إليكمُ والصارمُ اللَّهْذَمُ)
(حتّى دخلتُ البيتَ فاستذرفت ... من شَفَقٍ عيناكِ لي تَسْجُمُ)
(ثم انجلَى الحزنُ ورَوْعاتُه ... وغُيِّبَ الكاشحُ والمُبْرِمُ)
(فبِتُّ فيما شئتُ من نَعْمةٍ ... يمنحُنِيها نحرُها والفَمُ)
(حتى إذا الصبحُ بَدَا ضوؤه ... وغارت الجوزاءُ والمِرْزَمُ)
(خرجتُ والوطءُ خفيٌّ كما ... ينسابُ من مَكْمنِه الأَرْقَمُ)
قال فطرب الوليد حتى نزل عن فرشه وسريره وأمر المغنين فغنوه الصوت وشرب عليه أقداحا وأمر لإسماعيل بكسوة وجائزة سنية وسرحه إلى المدينة
نسبة هذا الصوت
الشعر لإسماعيل بن يسار النسائي والغناء لابن سريج رمل
شيخ يسمع شعره بصوت جارية فيلقي بنفسه في الفرات إعجابا به
حدثنا أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إسحاق الموصلي قال حدثنا محمد بن كناسة قال
اصطحب شيخ وشباب في سفينة من الكوفة فقال بعض الشباب للشيخ إن معنا قينة لنا ونحن نجلك ونحب أن نسمع غناءها
قال الله المستعان فأنا أرقى على الأطلال وشأنكم
فغنت
(حتَّى إذا الصبحُ بَدَا ضوؤه ... وغارتِ الجوزاء والمرزمُ)
(أقبلت والوطء خفيٌّ كما ... ينساب من مكمنه الأرقمُ)
قال فألقى الشيخ بنفسه في الفرات وجعل يخبط بيديه ويقول أنا الأرقم أنا الأرقم فأدركوه وقد كاد يغرق فقالوا ما صنعت بنفسك فقال إني والله أعلم من معاني الشعر ما لا تعلمون
أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبو مسلم المستملي عن المدائني قال
مدح إسماعيل بن يسار النسائي رجلا من أهل المدينة يقال له عبد الله بن أنس وكان قد اتصل ببني مروان وأصاب منهم خيرا وكان إسماعيل صديقا له فرحل إلى دمشق إليه فأنشده مديحا له ومت إليه بالجوار والصداقة فلم يعطه شيئا
فقال يهجوه
(لَعَمْرُكَ ما إلى حَسَنٍ رَحَلْنا ... ولا زُرْنا حُسَيْناً يابنَ أنْس)
يعني الحسن والحسين رضي الله عنهما
(ولا عبداً لعبدِهما فنَحْظَى ... بحُسْنِ الحَظِّ منهم غيرَ بَخْس)
(ولكن ضَبَّ جَنْدَلةٍ أتينا ... مُضِبّاً في مَكامِنِه يُفَسِّي)
(فلمّا أنْ أتيناه وقُلْنا ... بحاجتنا تلوّنَ لَوْنَ وَرْس)
(وأعرضَ غيرَ مُنْبَلِجٍ لِعُرْفٍ ... وظَلَّ مُقَرْطِباً ضِرْساً بضِرْس)
(فقلتُ لأهله أَبِه كُزَازٌ ... وقلتُ لصاحبي أتراه يُمْسِي)
(فكان الغُنْمُ أن قُمْنا جميعاً ... مخافةَ أن نُزَنَّ بقتل نَفْس)
رثاؤه لمحمد بن عروة
حدثني عمي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا مصعب بن عبد الله قال
وفد عروة بن الزبير إلى الوليد بن عبد الملك وأخرج معه إسماعيل بن يسار النسائي فمات في تلك الوفادة محمد بن عروة بن الزبير وكان مطلعا على دواب الوليد بن عبد الملك فسقط من فوق السطح بينها فجعلت ترمحه حتى قطعته كان جميل الوجه جوادا
فقال إسماعيل بن يسار يرثيه

(صلَّى الإلهُ على فَتًى فارقتُه ... بالشام في جَدَثِ الطَّويّ المُلْحَدِ)
(بوأْتُه بيديَّ دارَ إقامةٍ ... نائي المَحَلة عن مَزار العُوَّدِ)
(وغَبَرتُ أعوُلُه وقد أسلمتُه ... لِصَفَا الأماعِز والصَّفِيح المُسْنَدِ)
(مُتَخَشِّعاً للدهرِ ألبَسُ حِلّةً ... في النائبات بجَسْرَةٍ وتَجَلُّدِ)
((أعني ابنَ عُرْوةَ إنّه قد هدّني ... فَقْدُ ابنِ عُرْوةَ هَدَّةً لم تقْصِدِ
(فإذا ذهبتُ إلى العزاء أرُومُه ... لِيَرَى المُكاشِحُ بالعزاء تَجَلُّدي)
(منعِ التَّعَزّيَ أنّني لِفراقه ... لَبِس العَدُوُّ عليّ جِلْدَ الأرْبَدِ)
(ونأى الصديقُ فلا صديقَ أَعُدُّه ... لدِفاع نائبةِ الزّمان المُفْسِدِ)
(فلئن تركتُكَ يا محمد ثاوياً ... لِبِمَا تروح مع الكرامِ وتغتدي)
(كان الذي يَزَع العدوَّ بدفعه ... ويردّ نَخْوَةَ ذي المِراحِ الأصْيَدِ)
(فمضى لوجهته وكلٌّ مُعَمَّر ... يوماً سيُدْرِكُه حِمَامُ الموعد)
مدح عبد الملك بن مروان بعد مقتل ابن الزبير
حدثني عمي قال حدثني أحمد بن أبي خيثمة قال حدثنا مصعب بن عبد الله عن أبيه
أن إسماعيل بن يسار دخل على عبد الملك بن مروان لما أفضى إليه الأمر بعد مقتل عبد الله بن الزبير فسلم ووقف موقف المنشد واستأذن في الإنشاد فقال له عبد الملك الآن يابن يسار إنما أنت امرؤ زبيري فبأي لسان تنشد فقال له يا أمير المؤمنين أنا أصغر شأنا من ذلك وقد صفحت عن أعظم جرما وأكثر غناء لأعدائك مني وإنما أنا شاعر مضحك
فتبسم عبد الملك وأومأ إليه الوليد بأن ينشد
فابتدأ فأنشد قوله
(ألاَ يا لَقَومي لِلرُّقَاد المُسَهَّدِ ... وللماء ممنوعاً من الحائم الصَّدِي)
(وللِحال بعد الحال يركبها الفتى ... وللحُبِّ بعد السَّلْوَةِ المُتَمَرِّدِ)
(وللمرء يُلْحَى في التصابي وقبلَه ... صبا بالغواني كُلُّ قَرْمٍ مُمَجَّدِ)
((وكيف تَنَاسِي القَلْبِ سَلْمَى وحبها ... كَجمْرِ غضىً بين الشَّراسيف مُوقَدِ
حتى انتهى إلى قوله
(إليكَ إمامَ النّاسِ من بطن يَثْرِبٍ ... ونعْمَ أخو ذي الحاجة المُتَعَمِّدِ)
(رَحلْنا لأنّ الجودَ منك خليقةٌ ... وأنَّك لم يَذْمُمْ جنابَك مُجْتَدِي)
(ملكتَ فزدْتَ النّاسَ ما لم يَزِدْهُم ... إمامٌ من المعروف غيرَ المُصَرَّدِ)
(وقُمْتَ فلم تنقُضِ قضاءَ خليفةٍ ... ولكن بما ساروا من الفعلِ تقتدي)
(ولمّا وَلِيتَ المُلْكَ ضاربتَ دونه ... وأسندتَه لا تأتلي خيرَ مُسْنَدِ)
(جعلتَ هِشَاماً والوليد ذخيرةً ... ولِيَّيْن للعهد الوثيقِ المؤكَّدِ)
قال فنظر إليهما عبد الملك متبسما والتفت إلى سلميان فقال أخرجك إسماعيل من هذا الأمر
فقطب سليمان ونظر إلى إسماعيل نظر مغضب
فقال إسماعيل يا أمير المؤمنين إنما وزن الشعر أخرجه من البيت الأول وقد قلت بعده
(وأمضيتَ عزماً في سليمانَ راشداً ... ومَنْ يعتصمْ بالله مثلكَ يَرْشُدِ)
فأمر له بألفي درهم صلة وزاد في عطائه وفرض له وقال لولده أعطوه فأعطوه ثلاثة آلاف درهم
هشام بن عبد الملك يلقي به في بركة ماء بعد أن أنشده قصيدته التي يفتخر فيها بالعجم
أخبرني عمي قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال ذكر ابن النطاح عن أبي اليقظان
أن إسماعيل بن يسار دخل على هشام بن عبد الملك في خلافته وهو بالرصافة جالس على بركة له في قصره فاستنشده وهو يرى أنه ينشده مديحا له فأنشده قصيدته التي يفتخر فيها بالعجم
(يا رَبْعَ رامةَ بالعَلْياءِ من رِيمِ ... هل تَرْجِعَنّ إذا حَيَّيْتُ تسليمي)
(ما بالُ حَيٍّ غدتْ بُزْلُ المطِيِّ بهم ... تَخْدِي لغربتهم سَيْراً بتقحيم)
(كأنّني يوم ساروا شاربٌ سَلَبَتْ ... فؤادَه قهوةٌ من خَمْرِ دارُومِ)
حتى انتهى إلى قوله
(إنّي وَجدِّك ما عُودي بذي خَوَرٍ ... عند الحِفَاظِ ولا حَوْضِي بمهدومِ)
(أصْلي كريمٌ ومجدي لا يُقاس به ... ولي لسانٌ كحدِّ السَّيْفِ مسموم)
(أحْمي به مجدَ أقوامٍ ذوي حَسَبٍ ... من كلِّ قَرْمٍ بتاج المُلْكِ معموم)
(جَحَاجِحٍ سادةٍ بُلْجٍ مَرَازِبةٍ ... جُرْدٍ عِتَاقٍ مساميحٍ مطاعيم)
((مَنْ مثلُ كِسْرَى وسابورِ الجنودِ معاً ... والهُرْمُزانِ لفخرٍ أو لتعظيم
(أُسْدُ الكتائبِ يومِ الرّوعِ إن زَحَفُوا ... وهمْ أذلُّوا مُلوكَ التُّرْكِ والرُّومِ)
(يمشون في حَلَقِ الماذيِّ سابغةً ... مَشْيَ الضَّرَاغِمةِ الأُسدِ اللّهاميمِ)
(هناك إنْ تسألي تُنْبَيْ بأنّ لنا ... جُرْثومةً قَهرتْ عِزَّ الجراثيم)
قال فغضب هشام وقال له يا عاض بظر أمه أعلي تفخر وإياي تنشد قصيدة تمدح بها نفسك وأعلاج قومك غطوه في الماء فغطوه في البركة حتى كادت نفسه تخرج ثم أمر بإخراجه وهو بشر ونفاه من وقته فأخرج عن الرصافة منفيا إلى الحجاز
قال وكان مبتلى بالعصبية للعجم والفخر بهم فكان لا يزال مضروبا محروما مطرودا
مدح ابني يزيد فأكرماه
أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن أبي خيثمة قال قال ابن النطاح وحدثني أبو اليقظان
أن إسماعيل بن يسار وفد إلى الوليد بن يزيد وقد أسن وضعف فتوسل إليه بأخيه الغمر ومدحه بقوله
(نأتْك سُلَيْمى فالهَوَى مُتَشاجِرُ ... وفي نَأْيِها للقلبِ داءٌ مُخَامِرُ)
(نأتْك وهام القلب نأياً بذكرها ... ولَجَّ كما لجَّ الخليعُ المُقَامِرُ)

(بواضحةِ الأقرابِ خَفّاقةِ الحَشَى ... بَرَهْرَهةٍ لا يَجْتَويها المُعَاشِرُ)
يقول فيها يمدح الغمر بن يزيد
(إذا عدَّد الناسُ المكارمَ والعُلاَ ... فلا يَفْخَرَنْ يوماً على الغَمْرِ فاخرُ)
(فما مرّ من يومٍ على الدهر واحدٍ ... على الغَمْرِ إلاّ وهو في الناس غامِر)
(تراهم خشوعاً حين يبدو مهابةً ... كما خشَعَتْ يوماً لكِسْرَى الأساوِرُ)
(أغَرُّ بِطاحِيٌّ كأنّ جبينَه ... إذا ما بدا بدرٌ إذا لاح باهرُ)
(وَقَى عِرْضَه بالمالِ فالمالُ جُنَّةٌ ... له وأهات المال والعِرض وافر)
(وَفَى سَيْبُه للمجتدين عِمارةٌ ... وفي سَيْفه للدِّين عِزٌّ وناصر)
(نَمَاه إلى فَرْعَيْ لُؤَيِّ بن غالبٍ ... أبوه أبو العاصي وحَرْبٌ وعامر)
(وخمسة آباءٍ له قد تتابعوا ... خلائفُ عَدْلٍ مُلْكُهُم مُتواتِر)
(بَهاليلُ سبَّاقون في كلِّ غايةٍ ... إذا استبقتْ في المَكْرُماتِ المَعاشِر)
(همُ خيرُ مَنْ بين الحَجُون إلى الصَّفَا ... إلى حيثُ أفضتْ بالبِطاح الحَزَاوِر)
(وهمْ جمعوا هذه الأنامَ على الهُدَى ... وقد فرّقتْ بين الأنام البصائر)
قال فأعطاه الغمر ثلاثة آلاف درهم وأخذ له من أخيه الوليد ثلاثة آلاف درهم
أخبرني عمي قال حدثنا أحمد بن أبي حيثمة عن مصعب قال
لما مات محمد بن يسار وكانت وفاته قبل أخيه دخل إسماعيل على هشام ابن عروة فجلس عنده وحدثه بمصيبته ووفاة أخيه ثم أنشده يرثيه
((عِيلَ العَزَاءُ وخانني صَبْري ... لمّا نَعَى الناعي أبا بَكْر
(ورأيتُ رَيْبَ الدَّهْر أفردني ... منه وأسلمَ للعِدَا ظَهري)
(من طَيِّبِ الأثواب مُقْتَبِلٍ ... حُلْوِ الشمائل ماجدٍ غَمْرِ)
(فمضي لوجْهته وأدركه ... قَدَرٌ أُتِيحَ له من القَدْرِ)
(وغَبَرتُ مالي من تَذَكُّره ... إلاّ الأسَى وحرارةُ الصدر)
(وجَوىً يُعَاوِدني وقَلَّ له ... منّي الجوى ومحَاسِنُ الذِّكْر)
(لمّا هوتْ أيدي الرِّجالِ به ... في قَعْر ذاتِ جَوَانبٍ غُبْرِ)
(وعلمتُ أنّي لن أُلاقِيَه ... في الناس حتَّى ملتقى الحشْر)
(كادتْ لِفُرْقته وما ظلمتْ ... نَفْسِي تموت على شَفَا القبر)
(ولعَمْرُ مَنْ حُبِس الهَدِيُّ له ... بالأخْشَبَيْن صبيحةَ النَّحْر)
(لو كان نيلُ الخلْدِ يُدركه ... بَشَرٌ بطِيب الخيم والنَّجْرِ)
(لغَبَرْتَ لا تخشَى المَنُونَ ولا ... أوْدَى بنفسك حادثُ الدَّهر)
(ولنِعْمَ مأوَى المُرْمِلينَ إذا ... قُحِطوا وأخلفَ صائبُ القَطْر)
(كم قلتُ آونةً وقد ذَرَفتْ ... عيني فماءُ شؤونها يجري)
(أنّي وأيُّ فتًى يكون لنا ... شَرْوَاكَ عند تَفَاقُمِ الأمر)
(لِدفاع خَصْمٍ ذي مُشَاغَبةٍ ... ولعائلٍ تَربٍ أخي فَقْر)
((ولقد علمتُ وإنْ ضمنتُ جَوىً ... مما أُجِنّ كَوَاهِجِ الجَمْر
(ما لامرئٍ دون المنيَّةِ مِنْ ... نَفَقٍ فيُحْرِزُه ولا ستر)
قال وكان بحضرة هشام رجل من آل الزبير فقال له أحسنت وأسرفت في القول فلو قلت هذا في رجل من سادات قريش لكان كثيرا
فزجره هشام وقال بئس والله ما واجهت به جليسك فكشره إسماعيل وجزاه خيرا
فلما انصرف تناول هشام الرجل الزبيري وقال ما أردت إلى رجل شاعر ملك قوله فصرف أحسنه إلى أخيه ما زدت على أن أغريته بعرضك وأعراضنا لولا أني تلافيته
وكان محمد بن يسار أخو إسماعيل هذا الذي رثاه شاعرا من طبقة أخيه وله أشعار كثيرة
ولم أجد له خبرا فأذكره ولكن له أشعار كثيرة يغنى فيها
منها قوله في قصيدة طويلة
صوت
(غَشِيتُ الدارَ بالسَّنَدِ ... دُوَيْنَ الشِّعْبِ من أُحُدِ)
(عَفَتْ بعدي وغيَّرها ... تَقَادُمُ سالِفِ الأبَدِ)
الغناء لحكم الوادي خفيف ثقيل عن الهشامي
ولإسماعيل بن يسار ابن يقال له إبراهيم شاعر أيضا وهو القائل
(مضَى الجهلُ عنكَ إلى طِيَّتِهْ ... وآبَكَ حِلْمُكَ من غَيْبَتِهْ)
(وأصبحتَ تَعْجَبُ مما رأيتَ ... من نَقْضِ دَهْرٍ ومن مِرَّتِهْ)
وهي طويلة يفتخر فيها بالعجم كرهت الإطال بذكرها
انقضت أخباره
((كُلَيْبٌ لَعَمْري كان أكثَر ناصراً ... وأيْسَرَ جُرْماً منكَ ضُرِّجَ بالدَّمِ
(رَمَى ضَرْعَ نابٍ فاستمرّ بطعنةٍ ... كحاشية البُرْدِ اليَمَاني المُنَمْنَمِ)
عروضه من الطويل
الشعر للنابغة الجعدي والغناء للهذلي في اللحن المختار وطريقته من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق
ونذكر هاهنا سائر ما يغنى به في هذه الأبيات وغيرها من هذه القصيدة وننسبه إلى صانعه ثم نأتي بعده بما يتبعه من أخباره

فمنها على الولاء سوى لحن الهذلي
(كُلَيْبٌ لَعَمْرِي كان أكثر ناصراً ... وأيسرَ جُرْماً مِنكَ ضُرِّجَ بالدَّمِ)
(رمى ضَرْعَ نابٍ فاستمرّ بطعنةٍ ... كحاشية البُرْد اليماني المسهمَّ)
(أيا دارَ سَلْمَى بالحَرَوْرِيّة اسْلمِي ... إلى جانبِ الصَّمَّان فالمُتَثَلّمِ)
(أقامتْ به البَرْدَيْنِ ثم تَذكّرتْ ... منازلَها بين الدَّخُولِ فَجُرْثُمِ)
(ومسكنها بين الغُروب إلى اللّوى ... إلى شُعَبٍ ترعَى بهِنّ فَعَيْهمِ)
((ليالي تَصطادُ الرجالَ بفاحمٍ ... وأبيضَ كالإَغريض لم يَتَثَلّمِ
في البيت الأول والثاني لابن سريج ثقيل أول آخر بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس
وفيهما لمالك خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق
وللغريض في الثالث والرابع والأول والثاني ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى
ولإسحاق في الثالث والأول ثقيل أول بالوسطى ذكر ذلك أبو العبيس والهشامي
وللغريض في الرابع ثم الأول خفيف ثقيل بالوسطى في رواية عمرو ابن بانة
ولمعبد فيهما وفي الخامس والسادس خفيف ثقيل من رواية أحمد بن المكي
ولابن سريج في الخامس والسادس ثقيل أول بالبنصر من رواية علي بن يحيى المنجم وذكر غيره أنه للغريض
ولإبراهيم ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي وذكر حبش أنه لمعبد
ولابن محرز في الأول والثاني والثالث والرابع هزج ذكر ذلك أبو العبيس وذكر قمري أنه لأبي عيسى بن المتوكل لا يشك فيه
وللدلال في الخامس والسادس ثاني ثقيل عن الهشامي وذكر أبو العبيس أنه للهذلي
ولعبيد الله بن عبد الله بن طاهر في الرابع خفيف رمل
ولإسحاق في الثالث والرابع أيضا ماخوري ولمعبد خفيف ثقيل أول بالوسطى فيهما وقيل إنه لحنه الذي ذكرنا متقدما وإنه ليس في هذا الشعر غيره
وذكر حبش أن في هذه الأبيات التي أولها كليب لعمري خفيف رمل بالوسطى وللهذلي خفيف ثقيل بالبنصر وللدلال رمل فذلك ثمانية عشر صوتا
وأخبرني محمد بن إبراهيم قريص أن له فيهما أعني الأول والثاني خفيفا بالوسطى
حذف 5
بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر النابغة الجعدي ونسبه وأخباره

والسبب الذي من أجله قيل هذا الشعر
هو على ما ذكر أبو عمرو الشيباني والقحذمي وهو الصحيح حبان بن قيس بن عبد الله بن وحوح بن عدس وقيل ابن عمرو بن عدس مكان وحوح ابن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان ابن مضر
هذا النسب الذي عليه الناس اليوم مجتمعون
وقد روى ابن الكلبي وأبو اليقظان وأبو عبيدة وغيرهم في ذلك روايات تخالف هذا فمنها أن ابن الكلبي ذكر عن أبيه أن خصفة الذي يقول الناس إنه ابن قيس بن عيلان ليس كما قالوا وأن عكرمة ابن قيس بن عيلان وخصفة أمه وهي امرأة من أهل هجر
وقيل بل هي حاضنته وكان قيس بن عيلان قد
مات وعكرمة صغير فربته حتى كبر وكان قومه يقولون هذا عكرمة بن خصفة فبقيت عليه ومن لا يعلم يقول عكرمة بن خصفة بن قيس كما يقال خندف وإنما هي امرأة وزوجها إلياس بن مضر
وقالوا في صعصعة بن معاوية إن الناقمية بنت عامر بن مالك وهو الناقم سمي بذلك لأنه انتقم بلطمة لطمها وهو ابن سعد بن جدان بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار كانت عند معاوية بن بكر بن هوازن فمات عنها أو طلقها وهي نسء فتزوجها سعد بن زيد مناة بن تميم فولدت على فراشه صعصعة ابن معاوية ثم ولدت هبيرة ونجدة وجنادة فلما مات سعد اقتسم بنوه الميراث وأخرجوا صعصعة منه وقالوا أنت ابن معاوية بن بكر فلما رأى ذلك أتى بني معاوية بن بكر فأقروا بنسبه ودفعوه عن الميراث فلما رأى ذلك أتى سعد بن الظرب العدواني فشكا إليه ما لقي فزوجه بنت أخيه عمرة بنت عامر بن الظرب وأبوها عامر الذي يقال له ذو الحلم وعمرة ابنته هذه هي التي كانت تقرع له العصا إذا سها في الحكم وله يقول الشاعر
(لذي الحِلْم قبلَ اليومِ ما تُقرَع العصا ... وما عُلّم الإنسانُ إلا لِيَعْلَمَا)
قال وكانت عمرة يوم زوجها عمها نسئا من ملك من ملوك اليمن يقال له الغافق بن العاصي الأزدي والمُلك يومئذ في الأزد فولدت على فراش صعصعة عامر بن صعصعة فسماه صعصعة عامرا بجده عامر ابن الظرب
وقال في ذلك حبيب بن وائل بن دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن
(أزعمتَ أنّ الغافقيّ أبوكم ... نسبٌ لَعَمْرُ أبيكَ غيرُ مُفَنَّدِ)
((وأبوكم ملكٌ يُنتِّفُ باسته ... هَلْباء عافيةٌ كعُرف الهُدْهُدِ
(جَنحتْ عجوزُكُمُ إليه فردّها ... نسئاً بعامركم ولمّا يُولِدِ)
ويكنى النابغة أبا ليلى
وأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال
هو قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة
وقال ابن الأعرابي هو قيس بن عبد الله بن عمرو بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة ووافق ابن سلام في باقي نسبه
وهذا وهم ممن قال إن اسمه قيس وليس يشك في أنه كان له أخ يقال له وحوح بن قيس وهو الذي قتله بنو أسد وخبره يذكر بعد هذا ليصدق نسب النابغة

وأمه فاخرة بنت عمرو بن جابر بن شحنة الأسدي
سبب لقبه النابغة
وإنما سمي النابغة لأنه أقام مدة لا يقول الشعر ثم نبغ فقاله
أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد قرأت على القحذمي
قال الجعدي الشعر في الجاهلية ثم أجبل دهرا ثم نبغ بعد في الشعر في الإسلام
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال
أقام النابغة الجعدي ثلاثين سنة لا يتكلم ثم تكلم بالشعر
قال القحذمي في رواية حماد عنه كان الجعدي أسن من نابغة بني ذبيان
قال ابن سلام في رواية أبي خليفة عنه كان الجعدي النابغة قديما شاعرا طويلا مفلقا طويل البقاء في الجاهلية والإسلام وكان أكبر من الذبياني ويدل على ذلك قوله
(ومن يكُ سائلاً عنّي فإني ... من الفِتيان أيامَ الخُنَانِ)
(أتت مائةٌ لعامَ وُلِدتُ فيه ... وعَشْرٌ بعد ذاك وحِجّتَان)
(فقد أبقتْ خطوبُ الدّهر منّي ... كما أبقتْ من السيفِ اليَمانِي)
قال وعمر بعد ذلك عمرا طويلا
سئل محمد بن حبيب عن أيام الخنان ما هي فقال وقعة لهم فقال قائل منهم وقد لقوا عدوهم خنوهم بالرماح فسمي ذلك العام الخنان
ويدل على أنه أقدم من النابغة الذبياني أنه عمر مع المنذر بن المحرق قبل النعمان بن المنذر وكان النابغة الذبياني مع النعمان بن المنذر وفي عصره ولم يكن له قدم إلا أنه مات قبل الجعدي ولم يدرك الإسلام
والجعدي الذي يقول
(تَذكَّرتُ شيئاً قد مضَى لسِبيلِهِ ... ومِنْ عادةِ المحزونِ أن يَتَذكَّرَا)
(نَدَامايَ عند المُنذرِ بن مُحرِّقٍ ... أرى اليومَ منهم ظاهرَ الأرض مُقفِرَا)
(كُهولٌ وفِتيانٌ كأنّ وجوهَهم ... دنانيرُ ممّا شِيفَ في أرض قَيصَرا
أخبرني أحمد بن عبد العزيز و حبيب بن نصر قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني عبد الله بن محمد بن حكيم عمن كان يأخذ العلم عنه ولم يسم إلي أحدا في هذا أن النابغة عمر مائة وثمانين سنة وهو القائل
(لبِستُ أُناساً فأفنيتُهم ... وأفنيتُ بعدِ أناسٍ أناسَا)
(ثلاثة أهلِينَ أفنيتُهم ... وكان الإله هُوَ المُستْآسَا)
وهي قصيدة طويلة يقول فيها وفيه غناء
صوت
(وكنتُ غلاماً أُقاسي الحُروبَ ... يَلْقى المُقاسون منّي مِرَاسَا)
(فلمّا دَنَوْنا لجَرْسِ النُّبَاحِ ... لم نعرف الحيَّ إلا التماسَا)
(أضاءتْ لنا النّارُ وجهاً أغَرَّ ... مُلتبساً بالفُؤادِ التباسَا)
غنى في هذه الثلاثة الأبيات فليح بن أبي العوراء خفيف ثقيل أوْلَ بالوسطى
رجع الخبر إلى رواية عمر بن شبة
قال وقال أيضا
(ألا زعمتْ بنو سعدٍ بأنّي ... ألاَ كذَبوا كبيرُ السِنّ فانِي
(أتتْ مائةٌ لعامَ وُلِدتُ فيه ... وعشرٌ بعد ذاك وحِجّتانِ)
قال وأنشد عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أبياته التي يقول فيها
(... ثلاثة أهلين أفنيتُهم)
فقال له عمر رضي الله تعالى عنه كم لبثت مع كل أهل قال ستين سنة
النابغة يعمر طويلا
وأخبرني بعض أصحابنا عن أبي بكر بن دريد عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال
أنشد رجل من العجم قول النابغة الجعدي
(لبِستُ أُناساً فأفنيتُهم ... وأفنيتُ بعد أُناس أناسَا)
وفسر له فقال بدين شان بود أي هذا رجل مشؤوم
وأما ابن قتيبة فإنه ذكر ما رواه لنا عنه إبراهيم بن محمد أنه عمر مائتين وعشرين سنة ومات بأصبهان
وما ذاك بمنكر لأنه قال لعمر رضي الله تعالى عنه إنه أفنى ثلاثة قرون كل قرن ستون سنة فهذه مائة وثمانون ثم عمر بعده فمكث بعد قتل عمر خلافة عثمان وعلي ومعاوية ويزيد وقدم علي
عبد الله بن الزبير بمكة وقد دعا لنفسه فاستماحه ومدحه وبين عبد الله ابن الزبير وبين عمر نحو مما ذكر ابن قتيبة بل لا أشك أنه قد بلغ هذه السن وهاجى أوس بن مغراء بحضرة الأخطل والعجاج وكعب بن جعيل فغلبه أوس وكان مغلبا
حدثنا أحمد بن عمر بن موسى القطان المعروف بابن زنجوية قال حدثنا إسماعيل بن عبد الله السكري قال حدثنا يعلى بن الأشدق العقيلي قال حدثني نابغة بني جعدة قال
أنشدت النبي هذا الشعر فأعجب به
(بلغنا السماء مَجدُنا وجدودُنا ... وإنا لنَبْغِي فوقَ ذلك مَظْهَرَا)
فقال النبي " فأين المظهر يا أبا ليلى " فقلت الجنة فقال " قل إن شاء الله " فقلت إن شاء الله
(ولا خَيْرَ في حِلْمٍ إذا لم يكن له ... بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَه أن يُكدرَا)
(ولا خيرَ في جهلٍ إذا لم يكن له ... حَليمٌ إذا ما أوْرِدَ الأمرَ أصْدَرَا)
فقال النبي " أجدت لا يفضض الله فاك " قال فلقد رأيته وقد أتت عليه مائة سنة أو نحوها وما انفض من فيه سن
النابغة ممن أنكر الخمر والسكر في الجاهلية
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرني أبو حاتم قال أخبرنا أبو عبيدة قال

كان النابغة الجعدي ممن فكر في الجاهلية وأنكر الخمر والسكر وما يفعل بالعقل وهجر الأزلام والأوثان وقال في الجاهلية كلمته التي أولها
(الحمد لله لا شريكَ لَهُ ... من لم يقُلْها فنفسَه ظَلَما)
وكان يذكر دين إبراهيم والحنيفية ويصوم ويستغفر ويتوقى أشياء لعواقبها
ووفد على النبي فقال
((أتيتُ رسولَ الله إذ جاء بالهُدى ... ويتلو كتاباً كالمَجَرّة نَيِّرَا
(وجاهدتُ حتى ما أُحِسّ ومن معي ... سُهَيْلاً إذا ما لاح ثُمَّتَ غَوّرا)
(أُقيم على التقوى وأرضى بفعلها ... وكنتُ مِنَ النارِ المخَوُفة أوْجَرَا)
وحسن إسلامه وأنشد النبي فقال له " لا يفضض الله فاك " وشهد مع علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه صفين
وقد ذكر خبره مع عمر رضي الله عنه وأما خبره مع عثمان فأخبرنا به أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال قال مسلمة بن محارب
دخل النابغة الجعدي على عثمان رضي الله تعالى عنه فقال أستودعك الله يا أمير المؤمنين قال وأين تريد يا أبا ليلى قال ألحق بإبلي فأشرب من ألبانها فإني منكر لنفسي فقال أتعربا بعد الهجرة يا أبا ليلى أما علمت أن ذلك مكروه قال ما علمته وما كنت لأخرج حتى أعلمك
قال فأذن له وأجل له في ذلك أجلا فدخل على الحسن والحسين ابني علي فودعهما فقالا له أنشدنا من شعرك يا أبا ليلى فأنشدهما
(الحمدُ لله لا شريكَ لهُ ... من لم يقُلْها فنفْسَه ظلَمَا)
فقالا يا أبا ليلى ما كنا نروي هذا الشعر إلا لأمية بن أبي
الصلت فقال يا بني رسول الله إني لصاحب هذا الشعر وأول من قاله وإن السروق لمن سرق شعر أمية
قال أبو زيد عمر بن شبة في خبره
كان النابغة شاعرا متقدما وكان مغلبا ما هاجى قط إلا غلب هاجى أوس بن مغراء وليلى الأخيلية وكعب بن جعيل فغلبوه جميعا

النابغة وأوس بن مغراء

وقال أبو عمرو الشيباني كان بدء حديث النابغة وأوس بن مغراء أن معاوية لما وجه بسر بن أرطأة الفهري لقتل شيعة علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قام إليه معن بن يزيد بن الأخنس السلمي وزياد بن الأشهب ابن ورد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة فقالا يا أمير المؤمنين نسألك بالله وبالرحم ألا تجعل لبسر على قيس سلطانا فيقتل قيسا بمن قتلت بنو سليم من بني فهر وبني كنانة يوم دخل رسول الله مكة فقال معاوية يا بسر لا أمر لك على قيس وسار بسر حتى أتى المدينة فقتل ابني عبيد الله
ابن العباس وفر أهل المدينة ودخلوا الحرة حرة بني سليم
ثم سار بسر حتى أتى الطائف فقالت له ثقيف ما لك علينا سلطان نحن من قيس فسار حتى أتى همدان وهم في جبل لهم يقال له شبام فتحصنت فيه همدان ثم نادوا يا بسر نحن همدان وهذا شبام فلم يلتفت إليهم حتى إذا اغتروا ونزلوا إلى قراهم أغار عليهم فقتل وسبى نساءهم فكن أول مسلمات سبين في الإسلام
ومر بحي من بني سعد نزول بين ظهري بني جعدة بالفلج فأغار بسر على الحي السعديين فقتل منهم وأسر فقال أوس بن مغراء في ذلك
(مُشَرِّين ترعَوْن النَّجيل وقد غَدتْ ... بأوصال قَتْلاكمِ كلابُ مُزاحِمِ)
المشر الذي قد بسط ثوبه في الشمس
والنجيل جنس من الحمض فقال النابغة يجيبه
(متى أكلتْ لُحومَكُم كِلابي ... أكلْتَ يديك من جَرَبٍ تَهَامِ)
أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحباب مما أجاز لنا روايته عنه من حديثه
وأخباره مما ذكره منها عن محمد بن سلام الجمحي عن أبي الغراف وأخبرنا به أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالا حدثنا عمر بن شبة عن محمد بن سلام عن أبي الغراف
أن النابغة هاجى أوس بن مغراء قال ولم يكن أوس مثله ولا قريبا منه في الشعر فقال النابغة إني وإياه لنبتدر بيتا أينا سبق إليه غلب صاحبه فلما بلغه قول أوس
(لَعَمْرُكَ ما تَبْلَى سَرابيلُ عَامِرٍ ... من اللؤم ما دامتْ عليها جلودُهَا)
قال النابغة هذا البيت الذي كنا نبتدر إليه
فغلب أوس عليه
قال أبو زيد فحدثني المدائني أنهما اجتمعا في المربد فتنافرا وتهاجيا وحضرهما العجاج والأخطل وكعب بن جعيل فقال أوس
(لمّا رأتْ جَعدةُ منا وِرْدَا ... ولَّوْا نَعَاماً في البلاد رُبْدَا)
(إنّ لنا عليكُمُ مَعَدّا ... كاهلَها وركنَها الأشدَّا)
فقال العجاج
(... كل امرىءٍ يَعْدو بما استعدّا)
وقال الأخطل يعين أوس بن مغراء ويحكم به
((وإني لقاضٍ بين جَعدةِ عامرٍ ... وسَعدٍ قضاءً بَيّنَ الحقِّ فَيْصلا
(أبو جعدةَ الذئبُ الخبيثُ طَعامُه ... وعَوفُ بن كعبٍ أكرمُ الناس أوَّلا)
وقال كعب بن جعيل
(إنّي لقاضٍ قضاءً سوف يتبعه ... مَنْ أمَّ قَصْداً ولم يَعدِل إلى أوَدِ)
(فَصْلاً من القول تأْتَمُّ القضاةُ به ... ولا أجُور ولا أبغِي على أحدِ)
(ناكت بنو عامرٍ سعداً وشاعرَها ... كما تَنيك بنو عَبْس بني أسدِ)

سبب مهاجاته ليلى الأخيلية
وقال أبو عمرو الشيباني كان سبب المهاجاة بين ليلى الأخيلية وبين الجعدي أن رجلا من قشير يقال له ابن الحيا وهي أمه واسمه سوار بن أوفى بن سبرة هجاه وسب أخواله من أزد في أمر كان بين قشير وبين بني جعدة وهم بأصبهان متجاورون فأجابه النابغة بقصيدته التي يقال لها الفاضحة سميت بذلك لأنه ذكر فيها مساوي قشير وعقيل وكل ما كانوا يسبون به وفخر بمآثر قومه وبما كان لسائر بطون بني عامر سوى هذين الحيين من قشير وعقيل
(جَهِلتَ عليّ ابنَ الحيا وظلمتَني ... وجمّعت قولاً جاء بيتاً مُضَلّلا)
وقال في هذه القصة أيضا قصيدته التي أولها
(إمّا تَرَىْ ظُلَلَ الأيّام قد حَسِرتْ ... عنّي وشَمّرتُ ذَيلاً كان ذَيّالا)
وهي طويلة يقول فيها
(ويومَ مكّةَ إذْ ماجَدْتُمُ نَفَراً ... حَامَوْا علي عُقَد الأحسابِ أزْوَالا)
((عند النّجاشيّ إذ تُعطون أيديَكم ... مُقرَّنين ولا تَرجُون إرسالا
(إذ تَستحِبُّونَ عند الخَذْل أنّ لكم ... مِنْ آل جَعْدة أعماماً وأخْوَالا)
(لو تستطيعون أنْ تُلْقوا جُلودَكُم ... وتجعلوا جِلْدَ عبد الله سِرْبالا)
يعني عبد الله بن جعدة بن كعب
(إذاً تسرْبلتُم فيه لِيُنجيَكم ... ممّا يقولُ ابنُ ذي الجَدّين إذْ قَالا)
(حتّى وهبتم لعبد الله صاحبَه ... والقولُ فيكم بإذن الله ما قالا)
(تلك المكارمُ لاقَعْبَانِ من لَبنٍ ... شِيبَا بماءٍ فعادا بعدُ أبْوالا)
يعني بهذا البيت أن ابن الحيا فخر عليه بأنهم سقوا رجلا من جعدة أدركوه في سفر وقد جهد عطشا لبنا وماء فعاش
وقال في هذه القصة أيضا قصيدته التي أولها
(أبلغ قُشَيراً والحَرِيشَ فما ... ذا ردّ في أيديكم شَتْمي)
وفخر عليهم بقتل علقمة الجعفي يوم وادي نساح وقتل شراحيل بن الأصهب الجعفي وبيوم رحرحان أيضا فقال فيه
((هلاّ سألتَ بيومَيْ رَحْرحان وقد ... ظنّتْ هَوازنُ أنّ العِزَ قد زَالا
فلما ذكر ذلك النابغة قال
(تلك المكارم لا قَعبَانِ من لبن ... شِيبَا بماءٍ فعادا بعدُ أبوالا)
ففخر بما له وغض مما لهم
ودخلت ليلى الأخيلية بينهما فقالت
(وما كنتُ لو قاذفتُ جلَّ عشيرتي ... لأذكر قَعْبَيْ حازرٍ قد تَثَمَّلا)
وهي كلمة
فلما بلغ النابغة قولها قال
(ألا حَيِّيا ليلَى وقُولا لها هَلا ... فقد رَكِبتْ أيْراً أغرَّ مُحَجَّلا)
(وقد أكلتْ بقلاً وخيماً نباتُه ... وقد شَربتْ من آخر الصيف أيّلا)
يعني ألبان الأيل
(دَعِي عنكِ تَهْجَاءَ الرجال وأقْبلِي ... على أذْلِغيٍّ يملأ استَكِ فَيْشَلا)
(وكيف أهاجي شاعراً رُمحه استُه ... خَضِيبَ البنانِ لا يزال مُكَحَّلا)
فردت عليه ليلى الأخيلية فقالت
((أنابغُ لم تَنْبغ ولم تكُ أوّلا ... وكنتَ صُنَيًّا بين صُدّيْن مَجْهَلا
الصني شعب صغير يسيل منه الماء
وصدان جبلان
(أنابغُ إن تَنْبغ بلؤمك لا تجدْ ... للؤمِك إلاّ وسْط جَعْدة مَجْعَلا)
(تُعيِّرني داءً بأمّك مثلُه ... وأيّ حَصَانٍ لا يُقال لها هَلا)
فغلبته
فلما أتى بني جعدة قولها هذا اجتمع ناس منهم فقالوا والله لنأتين صاحب المدينة أو أمير المؤمنين فليأخذن لنا بحقنا من هذه الخبيثة فإنها قد شتمت أعراضنا وافترت علينا فتهيؤوا لذلك وبلغها أنهم يريدون أن يستعدوا عليها فقالت
(أتَانِي من الأنباءِ أنّ عشيرةً ... بشوران يُزْجون المطيّ المُذَلّلا)
(يروح ويغدو وفدُهم بصحيفةٍ ... ليَستجلدوا لي ساء ذلك مَعْمَلا)
وقد أخبرني ببعض هذه القصة أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبة فجاء بها مختلطة وهذا أوضح وأصح
يوم وادي نساح
قال أبو عمرو فأما ما فخر به النابغة من الأيام فمنها يوم علقمة الجعفي فإنه غدا في مذحج ومعه زهير الجعفي فأتى بني عقيل بن كعب فأغار عليهم وفي بني عقيل بطون من سليم يقال لهم بنو بجلة فأصاب سبيا وإبلا كثيرة ثم انصرف راجعا بما أصاب فاتبعه بنو كعب ولم يلحق
به من بني عقيل إلا عقال بن خويلد بن عامر بن عقيل فجعل يأخذ أبعار إبل الجعفيين فيبول عليها حتى يندبها ثم يلحق ببني كعب فيقول إيه فدى لكم أبواي قد لحقتم القوم حتى وردوا عليهم النخيل في يوم قائظ ورأس زهير في حجر جارية من سليم من بني بجلة سباها يومئذ وهي تفليه وهو متوسد قطيفة حمراء وهي تضفر سعفاته أي أعلى رأسه بهدب القطيفة فلم يشعروا إلا بالخيل فكان أول من لحق زهيرا ابن النهاضة فضرب وجه زهير بقوسه حتى كسر أنفه ثم لحقه عقال بن خويلد فبعج بطنه فسال من بطنه برير وحلب والبرير ثمر الأراك
والحلب لبن كان قد اصطبحه فذلك يوم يقول أبو حرب أخو عقال بن خويلد والله لا أصطبح لبنا حتى آمن من الصباح
قال وهذا اليوم هو يوم وادي نساح وهو باليمامة
يوم شراحيل
قال وأما يوم شراحيل بن الأصهب الجعفي فإنه يوم مذكور تفتخر به مضر كلها

وكان شراحيل خرج مغيرا في جمع عظيم من اليمن وكان قد طال عمره وكثر تبعه وبعد صيته واتصل ظفره وكان قد صالح بني عامر على أن يغزو العرب مارا بهم في بدأته وعودته لا يعرض أحد منهم لصاحبه فخرج غازيا في بعض غزواته فأبعد ثم رجع إليهم فمر على بني جعدة فقرته ونحرت له فعمد ناس من أصحابه سفهاء فتناولوا إبلا لبني جعدة فنحروها فشكت ذلك بنو جعدة إلى شراحيل فقالوا قريناك وأحسنا ضيافتك ثم لم تمنع أصحابك مما يصنعون فقال إنهم قوم مغيرون وقد أساؤوا لعمري وإنما يقيمون عندكم يوما أو يومين ثم يرتحلون عنكم
فقال الرقاد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة لأخيه ورد بن عمرو وقيل بل قال ذلك لابن أخيه الجعد بن ورد دعني أذهب إلى بني قشير قال وجعدة وقشير أخوان لأم وأب أمهما ريطة بنت قنفذ بن مالك بن عوف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم بن منصور فأدعوهم واصنع أنت يا هذا لشراحيل طعاما حسنا كثيرا وادعه وأدخله إليك فاقتله فإن احتجت إلينا فدخن فإني إذا رأيت الدخان أتيتك بهم فوضعنا سيوفنا على القوم
فعمد ورد هذا إلى طعام فأصلحه ودعا شراحيل وناسا من أصحابه وأهله وبني عمه فجعلوا كلما دخل البيت رجل قتله ورد حتى انتصف النهار فجاء أصحاب شراحيل يتبعونه فقال لهم ورد تروحوا فإن صاحبكم قد شرب وثمل وسيروح فرجعوا ودخن ورد وجاءت قشير فقتلوا من أدركوا من أصحابه وسار سائرهم وبلغهم قتل شراحيل فمروا على بني عقيل وهم إخوتهم فقالوا لنقتلن مالك بن المنتفق فقال لهم مالك أنا آتيكم بورد فركب ببني عقيل إلى بني جعدة وقشير ليعطوهم وردا فامتنعوا من ذلك وساروا بأجمعهم فذبوا عن عقيل حتى تفرق من كان مع شراحيل
فقال في ذلك بحير بن عبد الله بن سلمة
(أحيٌّ يتبعون العير نَحْراً ... أحبُّ إليك أم حَيًّا هِلالِ
(لعلك قاتلٌ وَرْداً ولَمَّا ... تَسَاقَ الخيلُ بالأسَلِ النِّهالِ)
(ألا يا مالُ وَيْحَ سِواك أقصِرَ ... أمَا ينهاك حلمُك عن ضلالِ)

يوما رحرحان
وأما يوما رحرحان فأحدهما مشهور قد ذكر في موضع آخر من هذا الكتاب بعقب أخبار الحارث بن ظالم وهذا اليوم الثاني فكان الطماح الحنفي أغار في بني حنيفة وبني قيس بن ثعلبة على بني الحريش بن كعب وبني عبادة بن عقيل وطوائف من بني عبس يقال لهم بنو حذيفة فركبت بنو جعدة وبنو أبي بكر بن كلاب ولم يشهد ذلك من بني كلاب غير بني أبي بكر فأدركوا الطماح من يومهم فاستنقذوا ما أخذه وأصابوا ما كان معه وقتلوا عددا من أصحابه وهزموهم
قال وأما ما ذكره من إدراكهم بثأر كعب الفوارس فإن كعب الفوارس وهو ابن معاوية بن عبادة بن البكاء مر على بني نهد وعليه سلاحه فحمل عليه رجل من نهد يقال له خليف فقتله وأخذ فرسه وسلاحه ثم إن خليفا بعد ذلك بدهر مر على بني جعدة فرآه مالك بن عبد الله بن
جعدة وعليه جبة كعب وفيها أثر الطعنة وكان محرما فلم يقدر على قتله فقال يا هذا ألا رقعت هذا الخرق الذي في جبتك وجعل يترصده بعد ذلك حتى بلغه بعد دهر أنه مر ببني جعدة فركب مالك بن عبد الله بن جعدة فرسا له وقد أخبر أن خليفا مر بجنباتهم فأدركه فقتله ثم قال بؤ بكعب
ثم غزا نواحيهم عبد الله بن ثور بن معاوية بن عبادة بن البكاء جرما ونهدا وهم يومئذ في بني الحارث فناداهم بنو البكاء ليس معنا أحد من قومنا غيرنا وإن النهدي قتل صاحبنا محرما فقاتلهم نهد وجرم جميعا يومئذ وكان عبد الله بن ثور يومئذ على فرس ورد فأصابوا من نهد يومئذ غنيمة عظيمة وقتلوا قتلى كثيرة
فقال عبد الله في ذلك
(فسائِلْ بني جَرْمٍ إذا ما لقيتَهم ... ونَهْداً إذا حَجَتْ عليك بنو نهدِ)
(فإن يخبروك الحقَّ عنا تَجدْهُم ... يقولون أبلى صاحبُ الفرس الوَرْدِ)

يوم الفلج
قال وأما يوم الفلج فإن بكر بن وائل بعثت عينا على بني كعب ابن ربيعة حتى جاء الفلج وهو ماء فوجد النعم بعضه قريبا من بعض ووجد الناس قد احتملوا فليس في النعم إلا من لا طباخ به من راع أو ضعيف فجاءهم عينهم بذلك فركبت بكر بن وائل يريدونهم حتى إذا كانوا منهم بحيث يسمعون أصواتهم سمعوا الصهيل وأصوات الرجال فقالوا لعينهم ما هذا ويلك قال والله ما أدري وإن هذا لمما لم أعهد فأرسلوا من يعلم علمهم فرجع فأخبرهم أن الرجال قد رجعوا ورأى جمعا عظيما وخيولا كثيرة فكروا راجعين من ليلتهم وأصبحت بنو
كعب فرأوا الأثر فاتبعوهم فأصابوا من أخرياتهم رجالا وخيلا فرجعوا بها
قال وأما قوله
(لو تستطيعون أن تُلْقوا جُلودكم ... وتجعلوا جِلد عبدِ الله سِرْبالا)
فإن السبب في ذلك أن هبيرة بن عامر بن سلمة بن قشير لقي خداش ابن زهير البكائي فتنافرا على مائة من الإبل وقال كل منهما لصاحبه أنا أكرم وأعز منك فحكما في ذلك رجلا من بني ذي الجدين فقضى بينهما أن أعزهما وأكرمهما أقربهما من عبد الله بن جعدة نسبا فقال خداش بن زهير أنا أقرب إليه أم عبد الله بن جعدة عمتي وهي أميمة بنت عمرو ابن عامر وإنما أنت أدنى إليه مني منزلة بأب فلم يزالا يختصمان في القرابة لعبد الله دون المكاثرة بآبائهما إقرارا له بذلك حتى فلج هبيرة القشيري وظفر

عبد الله بن جعدة السيد المطاع
قال أبو عمرو وكان عبد الله بن جعدة سيدا مطاعا وكانت له إتاوة بعكاظ يؤتى بها يأتيه بها هذا الحي من الأزد وغيرهم فجاء سمير بن سلمة القشيري وعبد الله جالس على ثياب قد جمعت له من إتاوته فأنزله عنها وجلس مكانه فجاء رياح بن عمرو بن ربيعة بن عقيل وهو الخليع
سمي بذلك لتخلعه عن الملوك لا يعطيهم الطاعة فقال للقشيري مالك ولشيخنا تنزله عن إتاوته ونحن ها هنا حوله فقال القشيري كذبت ما هي له ثم مد القشيري رجله فقال هذه رجلي فاضربها إن كنت عزيزا قال لا لعمري لا أضرب رجلك فقال له القشيري فامدد لي رجلك حتى تعلم أأضربها أم لا فقال ولا أمد لك رجلي ولكن أفعل ما لا تنكره العشيرة وما هو أعز لي وأذل لك ثم أهوى إلى رجل القشيري فسحبه على قفاه ونحاه وأقعد عبد الله بن جعدة مكانه
قال وعبد الله بن جعدة أول من صنع الدبابة وكان السبب في ذلك أنهم انتجعوا ناحية البحرين فهجموا على عبد لرجل يقال له كودن في قصر حصين فدخن العبد ودعا النساء والصبيان فظنوا أنه يطعمهم ثريدا حتى إذا امتلأ القصر منهم

أغلقه عليهم فصاح النساء والصبيان وقام العبد ومن معه على شرف القصر فجعل لا يدنوا منه أحد إلا رماه فلما رأى ذلك عبد الله بن جعدة صنع دبابة على جذوع النخل وألبسها جلود الإبل ثم جاء بها والقوم يحملونها حتى أسندوها إلى القصر ثم حفروا حتى خرقوه فقتل العبد ومن كان معه واستنقذ صبيانهم ونساءهم
فذلك قول النابغة
(ويومَ دعا ولِدانَكم عبدُ كَوْدَنٍ ... فخالُوا لدى الدّاعي ثريداً مُفلفلا
(وقى ابنَ زياد وهو عُقبة خيركم ... هبيرةُ ينزو في الحديد مُكبَّلا)
يعنى هبيرة بن عامر بن سلمة بن قشير وكان عبد الله بن مالك بن عدس بن ربيعة بن جعدة خرج ومعه مالك بن عبد الله بن جعدة حتى مروا على بني زياد العبسيين والرجال غيب فأخذوا ابنا لأنس بن زياد وانطلقوا به يرجون الفداء وانطلق عمه عمارة بن زياد حتى أتى بني كعب فلقي هبيرة ابن عامر بن سلمة بن قشير فقال له يا هبيره إن الناس يقولون إنك بخيل قال معاذ الله قال فهب لي جبتك هذه فأهوى ليخلعها فلما وقعت في رأسه وثب عليه فأسره ثم بعث إلى بني قشير علي وعلي إن قبلت من هبيرة أقل من فدية حاجب إلا أن يأتوني بابن أخي الذي في أيدي بني جعدة فمشت بنو قشير إلى بني جعدة فاستوهبوه منهم فوهبوه لهم فافتدوا به هبيرة
خبر وحوح أخي النابغة
وأما خبر وحوح أخي النابغة الذي تقدم ذكره مع نسب أخيه النابغة فإن أبا عمرو ذكر أن بني كعب أغارت على بني أسد فأصابوا سبيا وأسرى فركبت بنو أسد في آثارهم حتى لحقوهم بالشريف فعطفت بنو عدس بن ربيعة بن جعدة فذادوا بني أسد حتى قتلوا منهم ثلاثين رجلا وردوهم ولم يظفروا منهم بشيء
وتعلقت امرأة من بني أسد بالحكم بن عمرو بن عبد الله ابن جعدة وقد أردفها خلفه فأخذت بضفيرته ومالت به فصرعته فعطف عليه عبد الله بن مالك بن عدس وهو أبو صفوان فضرب يدها بالسيف فقطعها وتخلصه
وطعن يومئذ وحوح بن قيس أخو النابغة الجعدي فارتث في معركة القوم فأخذه خالد بن نضلة الأسدي وعطف عليه يومئذ أخوه النابغة فقال له خالد بن نضلة هلم إلي وأنت آمن فقال له النابغة لا حاجة لي في أمانك أنا على فرسي ومعي سلاحي وأصحابي قريب ولكني أوصيك بما في العوسجة يعني أخاه وحوح بن قيس فعدل إليه خالد فأخذه وضمه إليه ومنع من قتله وداواه حتى فدي بعد ذلك
قال ففي ذلك يقول مدرك العبسي
(أقمتُ على الحِفاظِ وغاب قَرْجٌ ... وفي قَرْجٍ عن الحسب انفراجُ)
(كذلك فِعْلُنَا وحِبالُ عمّي ... وردْنَ بوحوح فَلَجَ الفِلاَج)
ومما قاله النابغة في هذه المفاخرة وغني فيه قوله وقد جمع معه كل ما يغنى فيه من القصيدة
صوت
(هل بالدّيار الغداةَ من صَمَمِ ... أمِ هَلْ بِرَبْع الأنيس من قِدَمِ)
(أمِ ما تُنادِي من ماثلٍ دَرَج السّيلُ ... عليه كالحوض مُنهدِم)
(غرّاءُ كالليلة المباركة القمراءِ ... تَهدِي أوائلَ الظُّلَمِ)
(أكْني بغير اسمها وقد علِم اللّه ... خَفِيَّاتِ كلّ مُكتَتَمِ)
(كأنّ فاها إذا تبّسمِ من ... طِيبِ مَشمٍّ وطيبِ مُبْتَسِمِ)
(يُسَنّ بالضِّرْو من بَراقِشَ أو ... هَيْلانَ أو ضامرٍ من العُتُمِ)
عروضه من المنسرح
وفي الأول والثاني والثالث من الأبيات خفيف ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر ذكره إسحاق ولم ينسبه إلى أحد وذكر ابن المكي والهشامي أنه لمعبد وأظنه من منحول يحيى
وذكر حبش أنه لإبراهيم
وفي الثالث وما بعده لابن سريج رمل بالبنصر وذكر حبش أن فيها لإسحاق رملا آخر ولابن مسجح فيها ثقيل أول بالبنصر أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال أول من سبق إلى الكناية عن اسم من يعني بغيره في الشعر الجعدي فإنه قال
(أكْنِي بغير اسمها وقد علم اللّه ... خَفِيّاتِ كلّ مكتَتَمِ)
فسبق الناس جميعا إليه واتبعوه فيه
وأحسن من أخذه وألطفه فيه أبو نواس حيث يقول
(أسألُ القادمين من حَكَمانٍ ... كيف خلّفْتُمُ أبا عثمانِ)
(فيقولون لي جِنانٌ كما سرّك ... في حالها فسَلْ عن جنانِ)
(ما لهم لا يُبارك اللّهُ فيهمْ ... كيف لم يُغْن عندهم كِتماني)
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو بكر الباهلي قال حدثني الأصمعي قال ذكر الفرزدق نابغة بني جعدة فقال كان صاحب خلقان عنده مطرف بألف وخمار بواف يعني درهما
النابغة وابن الزبير
وحدثني خبره مع ابن الزبير جماعة منهم حبيب بن نصر المهلبي عمر بن عبد العزيز بن أحمد والحرمي بن أبي العلاء ووكيع ومحمد بن جرير الطبري حدثنيه من حفظه قالوا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا أخي هارون بن أبي بكر عن يحيى بن إبراهيم عن سليمان بن محمد بن يحيى بن عروة عن أبيه عن عمه عبد الله بن عروة قال
أقْحمت السنةُ نابغةَ بني جعدة فدخل على ابن الزبير المسجد الحرام فأنشده
(حَكَيتَ لنا الصِّدّيق لمّا وَلِيتَنا ... وعثمانَ والفاروقَ فارتاح مُعدِمُ)
(أتاكَ أبو ليلى يَجوب به الدُّجى ... دُجى الليلَ جوّابُ الفلاة عَثَمْثَمُ)
(لتجبُر منه جانباً زَعْزَعت به ... صُروفُ الليالي والزمانُ المُصمَّمُ)
فقال له ابن الزبير هون عليك أبا ليلى فإن الشعر أهون وسائلك عندنا أما صفوة مالنا فلآل الزبير وأما عفوته فإن بني أسد بن عبد العزى تشغلها عنك وتيما معها ولكن لك في مال الله حقان حق برؤيتك رسول الله وحق بشركتك أهل الإسلام في فيئهم ثم أخذ بيده فدخل به دار النعم فأعطاه قلائص سبعا وجملا رجيلا وأوقر له الإبل برا وتمرا وثيابا فجعل النابغة يستعجل فيأكل الحب صرفا فقال ابن الزبير ويح أبي ليلى لقد بلغ به الجهد فقال النابغة أشهد أني سمعت رسول الله

يقول " ما وليت قريش فعدلت واسترحمت فرحمت وحدثت فصدقت ووعدت خيرا فأنجزت فأنا والنبيون فراط القاصفين "
وقال الحرمي فراط لها ضمن
قال الزبيري كتب يحيى بن معين هذا الحديث عن أخي

النابغة يهجو أبا موسى الأشعري

أخبرني أبو الحسن الأسدي أحمد بن محمد بن عبد الله بن صالح
وهاشم بن محمد الخزاعي أبو دلف قالا حدثنا الرياشي قال قال أبو سليمان عن الهيثم بن عدي قال
رعت بنو عامر بالبصرة في الزرع فبعث أبو موسى الأشعري في طلبهم فتصارخوا يا آل عامر يا آل عامر فخرج النابغة الجعدي ومعه عصبة له فأتي به إلى أبي موسى الأشعري فقال له ما أخرجك قال سمعت داعية قومي قال فضربه أسواطا فقال النابغة

(رأيتُ البَكْرَ بَكْرَ بني ثمودٍ ... وأنت أراكَ بكرَ الأشعَرِينا)
(فإن يكُنِ ابنُ عفّانٍ أميناً ... فلم يَبْعَثْ بك البَرَّ الأمينَا)
(فيا قبرَ النبيّ وصاحِبَيْهِ ... ألاَ يا غَوْثَنا لو تسمعُونا)
(ألاَ صلّى إلهكُم عليكم ... ولا صلّى على الأُمراءِ فِينَا)

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري ويحيى بن علي بن يحيى قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا بعض أصحابنا عن ابن دأب قال
لما خرج علي رضي الله تعالى عنه إلى صفين خرج معه نابغة بني جعدة فساق به يوما فقال

(قد عَلِمَ المِصْرانِ والعِراقُ ... أنّ عليًّا فحلُها العُتاقُ)
(أبيضُ جَحْجَاحٌ لهُ رِواقُ ... وأُمّه غالَى بِها الصَّداقُ)
(أكرمُ من شُدَّ به نِطاقُ ... إنّ الأُلى جارَوْكَ لا أفاقوا)
(لهم سِياقٌ ولكم سِياقُ ... قد علمتْ ذلكُم الرِّفاقُ)
(سُقتم إلى نَهْجِ الهُدَىوسِاقُوا ... إلى التي ليس لها عِراقُ)
(... في مِلّةٍ عادتُها النِّفاقُ)

فلما قدم معاوية بن أبي سفيان الكوفة قام النابغة بين يديه فقال

(ألم تأتِ أهلَ المَشْرِقَينِ رسالتي ... وأيُّ نَصيحٍ لا يَبِيتُ على عَتْبِ)
(مَلَكْتم فكان الشرُّ آخرَ عهدِكمُ ... لئن لم تَدارَكْكُمْ حُلُومُ بني حَرْبِ)

وقد كان معاوية كتب إلى مروان فأخذ أهل النابغة وماله فدخل النابغة على معاوية وعنده عبد الله بن عامر ومروان فأنشده

(مَنْ راكِبٌ يأتي ابنَ هندٍ بحاجتي ... على النَّأيِ والأنباءُ تُنْمَى وتُجلَبُ)
(ويُخبِرَ عنّي ما أقول ابنَ عامرٍ ... ونعمَ الفتى يأوي إليه المُعصِّبُ)
(فإنْ تأخذوا أهلي ومالي بِظنَّةٍ ... فإنّي لَحرّابُ الرجالِ مُحرِّبُ)
(صَبورٌ على ما يكره المرءُ كلِّه ... سِوى الظلم إني إن ظُلمت سأغضَبُ)

النابغة وعقال بن خويلد

فالتفت معاوية إلى مروان فقال ما ترى قال أرى ألا ترد عليه شيئا فقال ما أهون والله عليك أن ينجحر هذا في غار ثم يقطع عرضي علي ثم تأخذه العرب فترويه أما والله إن كنت لممن يرويه أردد عليه كل شيء أخذته منه
وهذا الشعر يقوله النابغة الجعدي لعقال بن خويلد العقيلي يحذره غب الظلم لما أجار بني وائل بن معن وكانوا قتلوا رجلا من جعدة فحذرهم مثل حرب البسوس إن أقاموا على ذلك فيهم
قال أبو عمرو الشيباني كان السبب في قول الجعدي هذه القصيدة أن المنتشر الباهلي خرج فأغار على اليمن ثم رجع مظفرا
فوجد بني جعدة قد قتلوا ابنا له يقال له سيدان وكانت باهلة في بني كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ثم في بني جعدة فلما أن علم ذلك المنتشر وأتاه الخبر أغار على بني جعدة ثم على بني سبيع في وجهه ذلك فقتل منهم ثلاثة نفر فلما فعل ذلك تصدعت باهلة فلحقت فرقة منهم يقال لهم بنو وائل
بعقال بن خويلد العقيلي ولحقت فرقة أخرى يقال لهم بنو قتيبة وعليهم حجل الباهلي بيزيد بن عمرو بن الصعق الكلابي فأجارهم يزيد وأجار عقال وائلا
فلما رأت ذلك بنو جعدة أرادوا قتالهم فقال لهم عقال لا تقاتلوهم فقد أجرتهم فأما أحد الثلاثة القتلى منكم فهو بالمقتول وأما الآخران فعلي عقلهما فقالوا لا نقبل إلا القتال ولا نريد من وائل غيرا يعني الدية فقال لا تفعلوا فقد أجرت القوم فلم يزل بهم حتى قبلوا الدية
وانتقلت وائل إلى قومهم
فقال النابغة في ذلك قصيدته التي ذكر فيها عقالا

(فابلِغْ عِقَالاً أنّ غايةَ داحسٍ ... بكفّيكَ فاستأخِرْ لها أو تَقدّمِ)
(تُجِير علينا وائلاً في دمائنا ... كأنكَ عما نابَ أشياعَنا عَمِ)
(كُلَيبٌ لَعَمْري كان أكثرَ ناصراً ... وأيسرَ جُرماً منكَ ضُرِّجَ بالدّمِ)
(رمى ضَرْعَ نابٍ فاستمرَّ بطَعنةٍ ... كحاشيةِ البُردِ اليَمَانِي المسَهَّمِ)
(وما يَشعُرِ الرمحُ الأصمُّ كعوبُه ... بِثَرْوَةِ رَهطِ الأبلخ المتظلّمِ)
(وقال لجَسّاسٍ أغِثْني بشَربةٍ ... تَفضّلْ بها طَولاً عليّ وأنعِمِ)
(فقال تَجاوزتَ الأحصّ وماءَه ... وبطنَ شُبَيثٍ وهو ذو مُترسَّمِ)

حرب بكر وتغلب

حرب البسوس

وكان السبب في قتل كليب بن ربيعة فيما ذكره أبو عبيدة عن مقاتل الأحول بن سنان بن مرثد بن عبد بن عمرو بن بشر بن عمرو بن مرثد أخي بني قيس بن ثعلبة ونسخت بعضه من رواية الكلبي وأخبرنا به محمد ابن العباس اليزيدي عن

عمه عبيد الله عن ابن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل فجمعت من روايتهم ما احتيج إلى ذكره مختصر اللفظ كامل المعنى أن كليبا كان قد عز وساد في ربيعة فبغى بغيا شديدا وكان هو الذي ينزلهم منازلهم ويرحلهم ولا ينزلون ولا يرحلون إلا بأمره
فبلغ من عزه وبغيه أنه اتخذ جرو كلب فكان إذا نزل منزلا به كلأ قذف ذلك الجرو فيه فيعوي فلا يرعى أحد ذلك الكلأ إلا بإذنه وكان يفعل هذا بحياض الماء فلا يردها أحد إلا بإذنه أو من آذن بحرب فضرب به المثل في العز فقيل أعز من كليب وائل
وكان يحمي الصيد ويقول صيد ناحية كذا وكذا
في جواري فلا يصيد أحد منه شيئا وكان لا يمر بين يديه أحد إذا جلس ولا يحتبي أحد في مجلسه غيره فقتله جساس بن مرة
وقال أبو عبيدة قال أبو برزة القيسي وهو من ولد عمرو بن مرثد
وكان كليب بن ربيعة ليس على الأرض بكري ولا تغلبي أجار رجلا ولا بعيرا إلى بإذنه ولا يحمي حمى إلا بأمره وكان إذا حمى حمى لا يقرب وكان لمرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة عشرة بنين جساس أصغرهم وكانت أختهم عند كليب
وقال مقاتل وفراس وأم جساس هيلة بنت منقذ بن سليمان بن كعب بن عمرو بن سعد بن زيد مناة ثم خلف عليها سعد ابن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بعد مرة بن ذهل فولدت له مالكا وعوفا وثعلبة
قال فراس بن خندق البسوسي فهي أمنا
وخالة جساس البسوس وقال أبو برزة البسوسية وهي التي يقال لها أشأم من البسوس
فجاءت فنزلت على ابن أختها جساس فكانت جارة لبني مرة ومعها ابن لها ولهم ناقة خوارة من نعم بني سعد ومعها فصيل
أخبرني علي بن سليمان قال قال أبو برزة وقد كان كليب قبل
ذلك قال لصاحبته أخت جساس هل تعلمين على الأرض عربيا أمنع مني ذمة فسكتت ثم أعاد عليها الثانية فسكتت ثم أعاد عليها الثالثة فقالت نعم أخي جساس وندمانه ابن عمه عمرو المزدلف بن أبي ربيعة بن ذهل ابن شيبان
وزعم مقاتل أن امرأته كانت أخت جساس فبينا هي تغسل رأس كليب وتسرحه ذات يوم إذ قال من أعز وائل فصمتت فأعاد عليها فلما أكثر عليها قالت أخواي جساس وهمام فنزع رأسه من يدها وأخذ القوس فرمى فصيل ناقة البسوس خالة جساس وجارة بني مرة فقتله فأغمضوا على ما فيه وسكتوا على ذلك
ثم لقي كليب ابن البسوس فقال ما فعل فصيل ناقتكم قال قتلته وأخليت لنا لبن أمه فأغمضوا على هذه أيضا
ثم إن كليبا أعاد على امرأته فقال من أعز وائل فقالت أخواي فأضمرها وأسرها في نفسه وسكت حتى مرت به إبل جساس فرأى الناقة فأنكرها فقال ما هذه الناقة قالوا لخالة جساس قال أو قد بلغ من أمر ابن السعدية أن يجير علي بغير إذني ارم ضرعها يا غلام
قال فراس فأخذ القوس فرمى ضرع الناقة فاختلط دمها بلبنها وراحت الرعاة على جساس فأخبروه بالأمر فقال احلبوا لها مكيالي لبن بمحلبها ولا تذكروا لها من هذا شيئا ثم أغمضوا عليها أيضا
قال مقاتل حتى أصابتهم سماء فغدا في غبها يتمطر وركب جساس بن مرة وابن عمه عمرو بن الحارث ابن ذهل وقال أبو برزة بل عمرو بن أبي ربيعة وطعن عمرو كليبا فحطم صلبه وقال أبو برزة فسكت جساس حتى ظعن ابنا وائل فمرت بكر ابن وائل على نهي يقال له شبيث فنفاهم كليب عنه وقال لا يذوقون منه
قطرة ثم مروا على نهي آخر يقال له الأحص فنفاهم عنه وقال لا يذوقون منه قطرة ثم مروا على بطن الجريب فمنعهم إياه فمضوا حتى نزلوا الذنائب واتبعهم كليب وحيه حتى نزلوا عليه ثم مر عليه جساس وهو واقف على غدير الذنائب فقال طردت أهلنا عن المياه حتى كدت تقتلهم عطشا فقال كليب ما منعناهم من ماء إلا ونحن له شاغلون فمضى جساس ومعه ابن عمه المزدلف
وقال بعضهم بل جساس ناداه فقال هذا كفعلك بناقة خالتي فقال له أو قد ذكرتها أما إني لو وجدتها في غير إبل مرة لاستحللت تلك الإبل بها
فعطف عليه جساس فرسه فطعنه برمح فأنفذ حضنيه فلما تداءمه الموت قال يا جساس اسقني من الماء قال ما عقلت استسقاءك الماء منذ ولدتك أمك إلا ساعتك هذه
قال أبو برزة فعطف عليه المزدلف عمرو بن أبي ربيعة فاحتز رأسه
وأما مقاتل فزعم أن عمرو بن الحارث بن ذهل الذي طعنه فقصم صلبه
قال وفيه يقول مهلهل
(قتيلٌ ما قتيلُ المرءِ عمرو ... وجَسَّاس بن مُرّة ذو ضَرير) وقال العباس بن مرداس السلمي يحذر كليب بن عهمة السلمي ثم الظفري لما مات حرب بن أمية وخنقت الجن مرداسا وكانوا شركاء في القرية فجحدهم كليب حظهم منها وسنذكر خبر ذلك في آخر هذه الأخبار إن شاء الله تعالى فحذره غب الظلم فقال
(أكليبُ مالكَ كلَّ يومٍ ظالماً ... والظلمُ أنكدُ وجهُه مَلعونُ)
(فافعَلْ بقومكَ ما أرادَ بوائلٍ ... يومَ الغدير سَمِيُّكَ المطعونُ)
وقال رجل من بني بكر بن وائل في الإسلام وهي تنحل للأعشى
(ونحن قهرنا تَغلِبَ ابنةَ وائلٍ ... بقتل كُلَيبٍ إذا طغَى وتَخيّلاَ)
(أبَأْناه بالناب التي شَقّ ضَرْعَها ... فأصبح مَوْطُوءَ الحِمَى متذلّلا
قال ومقتل كليب بالذنائب عن يسار فلجة مصعدا إلى مكة وقبره بالذنائب
وفيه يقول المهلهل
(ولو نُبِش المقابرُ عن كُلَيبٍ ... فَيُخْبَرَ بالذنائب أيُّ زير)
قال أبو برزة فلما قتله أمال يده بالفرس حتى انتهى إلى أهله
قال وتقول أخته حين رأته لأبيها إن ذا لجساس أتى خارجا ركبتاه قال والله ما خرجت ركبتاه إلا لأمر عظيم
قال فلما جاء قال ما وراءك يا بني قال ورائي إني قد طعنت طعنة لتشغلن بها شيوخ وائل زمنا قال أقتلت كليبا قال نعم قال وددت أنك وإخوتك كنتم متم قبل هذا ما بي إلا أن تتشاءم بي أبناء وائل

وزعم مقاتل أن جساسا قال لأخيه نضلة بن مرة وكان يقال له عضد الحمار
(وإني قد جَنيتُ عليكَ حرباً ... تُغِصُ الشيخَ بالماء القَرَاح)
(مُذَكَّرةً متي ما يَصْحُ عنها ... فَتىً نَشِبَتْ بآخرَ غيرِ صَاح)
(تُنَكِّلُ عن ذُبَاب الغيّ قوماً ... وتدعُو آخرينَ إلى الصَّلاح)
فأجابه نضلة
(فإن تَكُ قد جَنَيتَ عليّ حرباً ... فلا وَانٍ ولا رَثٌّ السِّلاَح)
قال أبو برزة
وكان همام بن مرة آخى مهلهلا وعاقده ألا يكتمه شيئا فجاءت إليه أمة له فأسرت إليه قتل جساس كليبا فقال له مهلهل ما قالت فلم يخبره فذكره العهد بينهما فقال أخبرت أن جساسا قتل كليبا فقال است أخيك أضيق من ذلك
وزعم مقاتل أن هماما كان آخى مهلهلا وكان عاقده ألا يكتمه شيئا فكانا جالسين فمر جساس يركض به فرسه مخرجا فخذيه فقال همام إن له لأمرا والله ما رأيته كاشفا فخذيه قط في ركض فلم يلبث إلا قليلا حتى جاءته الخادم فسارته أن جساسا قتل كليبا فقال له مهلهل ما أخبرتك قال أخبرتني أن أخي قتل أخاك قال هو أضيق استا من ذلك وتحمل القوم وغدا مهلهل بالخيل
وقال المفضل في خبره فلما قتل كليب قالت بنو تغلب بعضهم لبعض لا تعجلوا على إخوتكم حتى تعذروا بينكم وبينهم فانطلق رهط من أشرافهم وذوي أسنانهم حتى أتوا مرة بن ذهل فعظموا ما بينهم وبينه وقالوا له اختر منا خصالا إما أن تدفع إلينا جساسا فنقتله بصاحبنا فلم يظلم من قتل قاتله وإما أن تدفع إلينا هماما وإما أن تقيدنا من نفسك فسكت وقد حضرته وجوه بني بكر بن وائل فقالوا تكلم غير مخذول فقال أما جساس فغلام حديث السن ركب رأسه فهرب حين خاف فلا علم
لي به وأما همام فأبو عشرة وأخو عشرة ولو دفعته إليكم لصيح بنوه في وجهي وقالوا دفعت أبانا للقتل بجريرة غيره وأما أنا فلا أتعجل الموت وهل تزيد الخيل على أن تجول جولة فأكون أول قتيل ولكن هل لكم في غير ذلك هؤلاء بني فدونكم أحدهم فاقتلوه به وإن شئتم فلكم ألف ناقة تضمنها لكم بكر بن وائل فغضبوا وقالوا إنا لم نأتك لترذل لنا بنيك ولا لتسومنا اللبن فتفرقوا ووقعت الحرب
وتكلم في ذلك عند الحارث بن عباد فقال لا ناقة لي في هذا ولا جمل وهو أول من قالها وأرسلها مثلا
قالوا جميعا كانت حربهم أربعين سنة فيهن خمس وقعات مزاحفات وكانت تكون بينهم مغاورات وكان الرجل يلقى الرجل والرجلان الرجلين ونحو هذا
وكان أول تلك الأيام يوم عنيزة وهي عند فلجة فتكافؤوا فيه لا لبكر ولا لتغلب وتصديق ذلك قول مهلهل
(كأنّا غُدوةً وبَنى أبينا ... بجَنْب عُنيزةٍ رَحَيَا مُدِيرِ)
(ولولا الريحُ أُسمِع مَنْ بحَجْرٍ ... صليلَ البِيض تُقرَع بالذُّكورِ)
فتفرقوا ثم غبروا زمانا
ثم التقوا يوم واردات وكان لتغلب على بكر وقتلوا بكرا أشد القتل وقتلوا بجيرا وذلك قول مهلهل
(فإني قد تركتُ بِواردات ... بُجيراً في دَمٍ مثلِ العَبيرِ)
(هتكتُ به بيوتَ بني عُبَادٍ ... وبعضُ الغَشْمِ أشفَى للصدورِ)
قال مقاتل إنه إنما التقط توا
وسيجيء حديثه أسفل من هذا
التو الفرد يقال وجدته توا أي وحده
قال أبو برزة ثم انصرفوا بعد يوم واردات غير بني ثعلبة بن عكابة ورأسوا على أنفسهم الحارث بن عباد فاتبعتهم بنو ثعلبة بن عكابة حتى التقوا بالحنو فظهرت بنو ثعلبة على تغلب
يوما القصيبات وقضة
قال مقاتل ثم التقوا يوم بطن السرو وهو يوم القصيبات وربما قبل يوم القصيبة وكان لبني تغلب على بكر حتى ظنت بكر أن سيقتلونها قال مقاتل وقتلوا يومئذ همام بن مرة
ثم التقوا يوم قضة وهو يوم التحالق ويوم الثنية
ويوم قضة ويوم الفصيل لبكر على تغلب
قال أبو برزة اتبعت تغلب بكرا فقطعوا رملات خزازى والرغام ثم مالوا
لبطن الحمارة فوردت بكر قضة فسقت وأسقت ثم صدرت وحلؤوا تغلب ونهضوا في نجعة يقال لها مويبة لا يجوز فيها إلا بعير بعير فلحق رجل من الأوس بن تغلب بغليم من بني تيم اللات بن ثعلبة يطرد ذودا له فطعن في بطنه بالرمح ثم رفعه فقال تحد بي أم البو على بوك
فرآه عوف بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة فقال أنفذوا جمل أسماء اينته فإنه أمضى جمالكم وأجودها منفذا فإذا نفذ تبعته النعم فوثب الجمل في المويبة حتى إذا نهض على يديه وارتفعت رجلاه ضرب عرقوبيه وقطع بطان الظعينة فوقع فسد الثنية ثم قال عوف أنا البرك أبرك حيث أدرك فسمي البرك ووقع الناس إلى الأرض لا يرون مجازا وتحالقوا لتعرفهم النساء فقال جحدر بن ضبيعة بن قيس أبو المسامعة واسمه
ربيعة قال وإنما سمي جحدرا لقصره لا تحلقوا رأسي فإني رجل قصير لا تشينوني ولكني أشتريه منكم بأول فارس يطلع عليكم من القوم فطلع ابن عناق فشد عليه فقتله
فقال رجل من بكر بن وائل يمدح مسمع بن مالك بذلك
(يابنَ الذي لمّا حلقنا اللِّمَمَا ... ابتاع منا رأسَه تَكَرُّمَا)
(... بفارسٍ أوّلِ مَنْ تقدّما)
وقال البكري
(ومنّا الذي فادَى من القوم رأسَه ... بمستلئمٍ من جَمْعهم غير أعزلا)
(فأدّى إلينا بَزَّه وسلاحَه ... ومُنْفصِلاً من عُنْقه قد تَزيَّلا)
قال وكان جحدر يرتجز يومئذ ويقول

(رُدّوا عليّ الخيل إن أَلَمّتِ ... إن لم أُقاتلْهم فجُزُّوا لِمَّتي)
وزعم عامر بن عبد الملك المسمعي أنه لم يقلها وأن صخر بن عمرو السلمي قائلها فقال مسمع كردين كذب عامر وقال البكري
(ومِنّا الذي سَدّ الثنيةَ غُدْوةً ... على خَلْفةٍ لم يُبق فيها تَحَلُّلاَ)
(بجَهْدِ يمين الله لا يطلُعونها ... ولمّا نُقاتِلْ جَمْعَهم حين أَسْهَلاَ)
وأما مقاتل فزعم أنهم قالوا اتخذوا علما يعرف به بعضكم بعضا فتحالقوا
وفيه يقول طرفة
صوت
(سائلوا عنّا الذي يَعرفنا ... بقُوَانا يومَ تَحْلاَقِ اللِّمَمْ)
(يومَ تُبدِي البِيضُ عن أَسْوُقِها ... وتَلُفُّ الخيلُ أعْراجَ النَّعَمْ)
غنى في هذين البيتين ابن محرز خفيف ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي وذكر أحمد بن المكي أنه لمعبد
مقتل همام بن مرة
وزعم مقاتل أن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان لم يزل قائد بكر حتى قتل يوم القصيبات وهو قبل يوم قضة ويوم قضة على أثره
وكان من حديث مقتل همام أنه وجد غلاما مطروحا فالتقطه ورباه وسماه ناشرة فكان عنده لقيطا فلما شب تبين أنه من بني تغلب فلما التقوا يوم القصيبات جعل همام يقاتل فم يقاتل فإذا عطش رجع إلى قربة فشرب منها ثم وضع سلاحه فوجد ناشرة من همام غفلة فشد عليه بالعنزة فأقصده فقتله ولحق بقومه
تغلب
فقال باكي همام
(لقد عَيّل الأقوامَ طعنةُ ناشِرَهْ ... أناشِرُ لا زالتُ يمينُك آشِرَهْ)
ثم قتل ناشرة رجل من بني يشكر
فلما كان يوم قضة وتجمعت إليهم بكر جاء إليهم الفند الزماني أحد بني زمان بن مالك بن صعب بن علي بن بكر بن وائل من اليمامة قال عامر بن عبد الملك المسمعي فرأسوه عليهم فقلت أنا لفراس بن خندق إن عامرا يزعم أن الفند كان رئيس بكر يوم قضة فقال رحم الله أبا عبد الله كان أقل الناس حظا في علم قومه
وقال فراس كان رئيس بكر بعد همام الحارث بن عباد
قال مقاتل وكان الحارث ابن عباد قد اعتزل يوم قتل كليب وقال لا أنا من هذا ولا ناقتي ولا جملي ولا عدلي وربما قال لست من هذا ولا جملي ولا رحلي وخذل بكرا عن تغلب واستعظم قتل كليب لسؤدده في ناقة
فقال سعد بن مالك يحضض الحارث بن عباد
(يا بؤسَ للحرب التي ... وضعتْ أراهطَ فاستراحوا)
(والحربُ لا يَبْقى لصاحبِها ... التَّخَيُّلُ والمِراحُ)
(إلاّ الفتى الصَّبارُ في النَّجَداتِ ... والفرسُ الوَقَاحُ)
فلما أخذ بجير بن الحارث بن عباد توا بواردات وإنما سل ولم يؤخذ في مزاحفة قال له مهلهل من خالك يا غلام
قال امرؤ القيس بن أبان التغلبي لمهلهل إني أرى غلاما ليقتلن به رجل لا يسأل عن خاله وربما قال عن حاله قال فكان والله امرؤ القيس هو المقتول به قتله الحارث بن عباد يوم قضة بيده فقتله مهلهل
قال فلما قتل مهلهل بجيرا قال بؤبشسع نعل كليب فقال له الغلام إن رضيت بذلك بنو ضبيعة بن قيس رضيت
فلما بلغ الحارث قتل بجير ابن أخيه وقال أبو برزة بل بجير بن الحارث بن عباد نفسه قال نعم الغلام غلام أصلح بين ابني وائل وباء بكليب
فلما سمعوا قول الحارث قالوا له إن مهلهلا لما قتله قال له بؤ بشسع نعل كليب وقال مهلهل
(كُلُّ قتيلٍ في كُلَيبٍ حُلاَّمْ ... حتى ينالَ القتلُ آلَ هَمَّامْ)
وقال أيضا
(كلُّ قتيلٍ في كُلَيبٍ غُرَّهْ ... حتى ينالَ القتلُ آلَ مُرَّهْ)
فغضب الحارث عند ذلك فنادى بالرحيل
قال مقاتل وقال الحارث ابن عباد
((قَرِّبا مَرْبِطَ النَّعَامةِ مِنِّي ... لَقِحتْ حربُ وائلٍ عن حِيالِ)
(لا بُجَيرٌ أغنَى قتيلاً ولا رهطُ ... كُلَيبٍ تَزَاجروا عن ضَلاَلِ)
(لم أكن من جُنَاتِها علم اللّهُ ... وإنّي بحرّها اليومَ صالِ)
قال ولم يصحح عامر ولا مسمع غير هذه الثلاثة الأبيات
وزعم أبو برزة قال كان أول فارس لقي مهلهلا يوم واردات بجير بن الحارث بن عباد فقال من خالك يا غلام وبوأ نحوه الرمح فقال له امرؤ القيس بن أبان التغلبي وكان على مقدمتهم في حروبهم مهلا يا مهلهل فإن عم هذا وأهل بيته قد اعتزلوا حربنا ولم يدخلوا في شيء مما نكره ووالله لئن قتلته ليقتلن به رجل لا يسأل عن نسبه فلم يلتفت مهلهل إلى قوله وشد عليه فقتله وقال بؤبشسع نعل كليب فقال الغلام إن رضيت بهذا بنو ثعلبة فقد رضيته
قال ثم غبروا زمانا ثم لقي همام بن مرة فقتله أيضا
فأتى الحارث ابن عباد فقيل له قتل مهلهل هماما فغضب وقال ردوا الجمال على عكرها الأمر مخلوجة ليس بسكلى وجد في قتالهم
قال مقاتل فكان حكم بكر بن وائل يوم قضة الحارث بن عباد وكان الرئيس الفند وكان فارسهم جحدر وكان شاعرهم سعد بن مالك بن ضبيعة وكان الذي سد الثنية عوف بن مالك بن ضبيعة وكان عوف أنبه من أخيه سعد
المهلهل وأسره ونجاته
وقال فراس بن خندق بل كان رئيسهم يوم قضة الحارث بن عباد
قال مقاتل فأسر الحارث بن عباد عديا وهو مهلهل بعد انهزام الناس وهو لا يعرفه فقال له دلني على المهلهل قال ولي

دمي قال ولك دمك قال ولي ذمتك وذمة أبيك قال نعم ذلك لك قال فأنا مهلهل
قال دلني على كفء لبجير قال لا أعلمه إلا امرأ القيس بن أبان هذاك علمه فجز ناصيته وقصد قصد امرئ القيس فشد عليه فقتله
فقال الحارث في ذلك
(لَهْفَ نفسي على عَدِيٍّ ولم أعرفْ ... عَدِيًّا إذ أمكنتْني اليدانِ)
(طُلَّ مَنْ طَلَّ في الحروب ولم أُوترْ ... بُجَيراً أَبَأْتُه ابنَ أبانِ)
(فارسٌ يضرب الكتيبةَ بالسيف ... وتسمو أمامَه العينانِ)
وزعم حجر أن مهلهلا قال لا والله أو يعهد لي غيرك قال الحارث أختر من شئت قال أختار الشيخ القاعد عوف بن محلم قال الحارث يا عوف أجره قال لا حتى يقعد خلفي فأمره فقعد خلفه فقال أنا مهلهل
وأما مقاتل فقال إنما أخذه في دور الرحى وحومة القتال ولم يقعد أحد بعد فكيف يقول الشيخ القاعد قال مقاتل وشد عليهم جحدر فاعتوره عمرو وعامر فطعن عمرا بعالية الرمح وطعن عامرا بسافلته
فقتلهما عداء وجاء ببزهما
قال عامر بن عبد الملك المسمعي فحدثني رجل عالم قال سألني الوليد بن يزيد من قتل عمرا وأخاه عامرا قلت جحدر قال صدقت فهل تدري كيف قتلهما قلت نعم قتل عمرا بسنان الرمح وقتل عامرا بزجه
قال وقتل جحدر أيضا أبا مكنف
قال مقاتل فلما رجع مهلهل بعد الوقعة والأسر إلى أهله جعل النساء والولدان يستخبرونه تسأل المرأة عن زوجها وابنها وأخيها والغلام عن أبيه وأخيه فقال
(ليس مثلي يُخبِّر الناسَ عن آبائهم ... قُتِلُّوا ويَنْسَى القِتالاَ)
(لم أرِمْ عَرْصةَ الكتيبةِ حتى انتعل ... الوَرْدُ من دماءٍ نِعالا)
(عَرَفَتْه رِماحُ بكرٍ فما يأخُذن ... إلا لَبانَه والقَذَالا)
(غلَبونا ولا محالةَ يوماً ... يَقلِبُ الدهرُ ذاك حالاً فحالاَ)
ثم خرج حتى لحق بأرض اليمن فكان في جنب فخطب إليه أحدهم ابنته فأبى أن يفعل فأكرهوه فأنكحها إياه فقال في ذلك مهلهل
(أنكحَها فقدُها الأَرَاقِمَ في ... جَنْبٍ وكان الحَباءُ من أَدَمِ
(لو بأَبَانَيْن جاء يخطُبها ... ضُرِّجَ ما أنفُ خاطبٍ بدمِ)
(أصبحتُ لا مُنْفِساً أصبتُ ولا ... أُبْتُ كريماً حُرًّا من النَّدَمِ)
(هان على تَغْلِبٍ بما لَقِيتْ ... أختُ بني المالِكِين من جُشَمِ)
(ليسوا بأكفائنا الكرامِ ولا ... يُغْنُون من عَيْلةٍ ولا عَدَمِ)
ثم إن مهلهلا انحدر فأخذه عمرو بن مالك بن ضبيعة فطلب إليه أخواله بنو يشكر وأم مهلهل المرادة بنت ثعلبة بن جشم بن غبر اليشكرية وأختها منة بنت ثعلبة أم حيي بن وائل وكان المحلل بن ثعلبة خالهما فطلب إلى عمرو أن يدفعه إليه فيكون عنده ففعل فسقاه خمرا فلما طابت نفسه تغنى
(طَفْلَةٌ ما ابنةُ المُحلّل بيضاءُ ... لَعُوبٌ لذيذةٌ في العِناقِ)
حتى فرغ من القصيدة فأدى ذلك من سمعه من المهلهل إلى عمرو فحوله إليه واقسم ألا يذوق عنده خمرا ولا ماء ولا لبنا حتى يرد ربيب الهضاب جمل له كان أقل وروده في الصيف الخمس فقالوا له يا خير الفتيان أرسل إلى ربيب فلتؤت به قبل وروده ففعل فأوجره ذنوبا من ماء فلما
تحلل من يمينه سقاه من ماء الحاضرة وهو أوبأ ماء رأيته فمات
فتلك الهضاب التي كان يرعاها ربيب يقال لها هضاب ربيب طالما رعيتهن ورأيتهن
قال مقاتل ولم يقاتل معنا من بني يشكر ولا من بني لجيم ولا ذهل ابن ثعلبة غير ناس من بني يشكر وذهل قاتلت بأخرة ثم جاء ناس من بني لجيم يوم قضة مع الفند
وفي ذلك يقول سعد بن مالك
(إنّ لُجَيماً قد أبتْ كلُّها ... أن يُرْفِدونا رجلاً واحدَا)
(ويَشكُرٌ أضْحتْ على نأيِها ... لم تَسْمَعِ الآن لها حامدًا)
(ولا بنو ذُهْلٍ وقد أصبحوا ... بها حُلولا خَلَفاً ماجدًا)
(القائدِي الخيلَ لأرض العِدَا ... والضاربين الكوكبَ الوافِدَا)
وقال البكري
(وصَدّتْ لُجَيمٌ للبراءة إذ رأتْ ... أهاضيبَ موتٍ تُمطِر الموتَ مُعْضِلاَ)
(ويَشْكُرُ قد مالتْ قديماً وأرتعتْ ... ومنّتْ بقُرْباها إليهم لتُوصَلا)
وقالوا جميعا مات جساس حتف أنفه ولم يقتل
قال عامر بن عبد الملك لم يكن بينهم من قتلى تعد ولا تذكر إلا ثمانية نفر من تغلب وأربعة من بكر عددهم مهلهل في شعربه يعني قصيدتيه
(أليلتَنا بذي حُسُمٍ أنيري ... إذا أنتِ انْقضَيتِ فلا تَحُوري
(فإن يكُ بالذّنائب طال ليلي ... فقد أبكِي من الليلِ القصيرِ)
(فلو نُبِش المقابرُ عن كُلَيب ... فيَعْلَمَ بالذنائب أيُّ زيرِ)
(بيوم الشَّعْثَمَين أقرّ عيناً ... وكيف لِقاءُ من تحت القُبورِ)
(وإنّي قد تركتُ بواردات ... بُجيراً في دمٍ مثلِ العَبيرِ)
(هتكتُ به بيوتَ بني عُبادٍ ... وبعضُ الغَشْمِ أشفَى للصّدورِ)
(علي أنْ ليس يُوفِي من كُلَيْبٍ ... إذَا برزتْ مخبّأةُ الخُدورِ)
(وهمّامَ بن مُرّةَ قد تركنا ... عليه القَشْعمانِ من النسورِ)
(يَنوء بصدره والرمحُ فيه ... ويَخْلِجُه خِدَبٌّ كالبعيرِ)

(فلولا الريحُ أُسْمِعَ مَنْ بحَجْرٍ ... صليلَ البيض تُقْرَعُ بالذكور)
(فِدىً لبني شَقِيقةَ يومِ جاؤوا ... كأُسْدِ الغَابِ لَجّتْ في الزَّئير)
(كأنّ رماحهم أشطانُ بئرٍ ... بعيدٍ بين جَالَيْها جَرُور
(غداةَ كأنّنا وبني أبينا ... بجَنْب عُنيزةٍ رحَيا مُدِيرِ)
(تَظَلّ الخيلُ عاكفةً عليهم ... كأنّ الخيلَ تُرْحَضُ في غدير)
فهؤلاء أربعة من بني بكر بن وائل
وقال أيضا
(طَفْلةٌ ما ابنةُ المحلّلِ بَيْضاءُ ... لَعُوبٌ لذيذةٌ في العِنَاقِ)
(فاذْهَبِي ما إليكِ غيرَ بعيدٍ ... لا يُؤاتِي العِناقُ مَنْ في الوَثاقِ)
(ضربتْ نحرَها إليّ وقالت ... يا عَدِيًّا لقد وَقَتْك الأواقي)
(ما أُرَجّي في العيش بعد نَدَامايَ ... أراهم سُقُوا بكأس حَلاَقِ)
(بعد عمرو وعامرٍ وحُيَيٍّ ... وربيعِ الصَّدُوفِ وابنْي عَنَاقِ)
(وامرئ القيس ميّت يوم أَوْدَى ... ثم خَلّى عليّ ذاتَ العَرَاقي)
(وكليبٍ سُمّ الفوارسِ إذ حُمّ ... رماه الكماةُ بالإيفاق)
(إنّ تحت الأحجارِ حَدًّا وليناً ... وخَصيماً ألدَّ ذا مِعْلاقِ)
((حيّةٌ في الوِجَار أربدُ لا تَنفَعُ ... منه السليم نَفْثَةُ راقِ
فهؤلاء ثمانية من تغلب
قال عامر والدليل على أن القتلى كانوا قليلا أن آباء القبائل هم الذين شهدوا تلك الحروب فعدوهم وعدوا بنيهم وبني بنيهم فإن كانوا خمسمائة فقد صدقوا فكم عسى أن يبلغ عدد القتلى والقبائل
قال مسمع إن أخي مجنون وكيف يحتج بشعر المهلهل وقد قتل جحدر أبا مكنف يوم قضة فلم يذكره في شعره وقتل اليشكري ناشرة فلم يذكره في الشعر وقتل حبيب يوم واردات وقتل سعد بن مالك يوم قضة ابن القبيحة فلم يذكر فهؤلاء أربعة
وقال البكري
(تركنا حَبيباً يوم أَرْجفَ جمعُه ... صريعاً بأعلى وارداتٍ مُجَدَّلا)
وقال مهلهل أيضا
(لستُ أرجو لَذَّةَ العيش ما ... أَزَمَتْ أجلادُ قِدٍّ بساقِي)
(جَلَّلوني جِلدَ حَوْبٍ فقد ... جعلوا نَفسيَ عند التَّراقِي)
وقال آخر يفخر بيوم واردات
(ومُهْراقُ الدماء بوارداتٍ ... تَبِيد المْخزياتُ وما تَبِيدُ)
فقلت لعامر ما بال مسمع وما احتج به من هؤلاء الأربعة فقال عامر وما أربعة إن كنت أغفلتهم فيما يقولون إنهم قتلوا يوم كذا ثلاثة آلاف ويوم كذا أربعة آلاف والله ما أظن جميع القوم كانوا يومئذ ألفا فهاتوا فعدوا أسماء القبائل وأبناءهم وانزلوا معهم إلى أبناء أبنائهم فكم عسى أن يكونوا
نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني
صوت
(أَزْجُرُ العين أنْ تُبَكّي الطُّلولاَ ... أنّ في الصدر من كُلَيبٍ غليلاَ)
(إنّ في الصدرِ حاجةً لن تَقَضَّى ... ما دعا في الغصون داعٍ هَدِيلاَ)
(كيف أنساكَ يا كُلَيبُ ولمّا ... أَقضِ حزناً يَنُوبُني وغَلِيلاَ)
(أيّها القلبُ أنْجِزِ اليومَ نَحْباً ... من بني الحِصْنِ إذ غَدَوْا وذُحولاَ)
(كيف يَبكي الطلولَ مَنْ هو رهنٌ ... بِطعَانِ الأنامِ جِيلاً فجِيلاَ)
(أَنبضُوا مَعْجِسَ القِسيِّ وأبرقْنا ... كما تُوعِدُ الفحولُ الفحولاَ)
(وصبَرْنا تحت البَوَارقِ حتّى ... رَكَدتْ فيهمُ السيوفُ طويلاَ)
(لم يُطيقوا أن يَنزلوا ونزلْنا ... وأخو الحربِ مَنْ أطاق النّزولاَ)
الشعر لمهلهل قال أبو عبيدة اسمه عدي وقال يعقوب بن السكيت اسمه امرؤ القيس وهو ابن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم ابن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب وإنما لقب مهلهلا لطيب شعره ورقته وكان أحد من غني من العرب في شعره
وقيل إنه أول من قصد القصائد وقال الغزل فقيل قد هلهل الشعر أي أرقه
وهو أول من كذب في شعره
وهو خال امرئ القيس بن حجر الكندي
وكان فيه خنث ولين وكان كثير المحادثة للنساء فكان كليب يسميه زير النساء فذلك قوله
(ولو نُبِش المقابرُ عن كُلَيبٍ ... فيَعلَمَ بالذنائب أيُّ زير)
الغناء لابن محرز في الأول والثاني من الأبيات ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى
وللغريض فيهما لحن في هذه الطريقة والإصبع والمجرى والذي فيه سجحة منها لابن محرز
ولمعبد لحنان أحدهما في الأول والسادس ثقيل أول مطلق في مجرى البنصر والآخر خفيف ثقيل أول بالبنصر
ولإبراهيم في الأول والرابع ثقيل أول بالخنصر في مجرى الوسطى
ولإسحاق في الأول والثالث ماخوري
ولعلويه في الأول والثاني خفيف ثقيل أول بالبنصر ولمالك فيهما خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى
ولابن سريج في السادس والسابع خفيف رمل بالسبابة في مجرى البنصر
ولابن سريج أيضا في الأول والثامن خفيف ثقيل أول بالبنصر

وللغريض في الأول والثاني خفيف ثقيل أول بالبنصر
وللهذلي في الأول والثاني والسابع خفيف ثقيل أول
بالوسطى من رواية حماد عن أبيه
ولمالك في الأول والثاني والخامس خفيف ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق وعمرو بن بانة
ومنها
صوت
(ثَكِلَتْني عند الثَّنِيَّة أُمِّي ... وأتاها نَعِيُّ عمِّي وخالي)
(إنْ لَمَ اشْفِ النفوسَ من حَيِّ بكرٍ ... وعَدِيٍّ تَطَاهُ بُزْلُ الجِمالِ)
غناه ابن سريج ثقيلا أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى من رواية إسحاق وغناه الغريض ثقيلا أول بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو ابن بانة
ومنها
صوت
(قَرِّبا مَرْبِطَ النَّعَامة مِنِّي ... لَقِحتْ حربُ وائلٍ عن حِيالِ)
(قَرِّباها في مُقْرَبَات عِجَالٍ ... عابساتٍ يَثِبْنَ وَثْبَ السَّعَالِي)
(لم أكن من جُنَاتها علم اللّهُ ... وإنّي بَحرِّها اليوم صالِ)
الشعر للحارث بن عباد
والغناء للغريض ثقيل أول بالبنصر
وفيه لحن آخر يقال إنه لابن سريج
ومنها
صوت
(يا لَبَكْرٍ أَنْشِروا لي كُلَيباً ... يا لَبَكْرٍ أينَ أينَ الفِرارُ)
(يا لَبَكْرٍ فاظعنوا أو فحُلُّوا ... صَرَّح الشرُّ وبان السِّرارُ)
الشعر لمهلهل
والغناء لابن سريج ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى البنصر من رواية إسحاق
وغناه الأبجر خفيف رمل بالوسطى من رواية عمرو
ومنها
صوت
(أليلتَنا بذي حُسُمٍ أَنِيري ... إذا أنتِ انقضيتِ فلا تَحُوري)
(فإن يكُ بالذَّنَائبِ طال ليلِي ... فقد أبكي من الليل القصير)
(كأنّ الجَدْيَ جَدْيَ بناتِ نَعْشٍ ... يُكِبُّ على اليدين بمستدير)
(وتَحْبُو الشِّعْرَيانِ إلى سُهَيْلٍ ... يَلُوح كقِمَّةِ الجملِ الكبير)
((فلولا الريحُ أُسمِعَ أهلُ حَجْرٍ ... صَلِيلَ البيض تُقْرَعُ بالذُّكورِ
الشعر لمهلهل
والغناء لابن محرز في الأول والثاني ثقيل أول بالبنصر وله في الأبيات كلها خفيف ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق جميعا
وفي الأبيات كلها على الولاء للأبجر ثاني ثقيل بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو
ويقال إن فيها لحنا للغريض أيضا
الهجرس بن كليب وخاله جساس
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال أخبرنا الحسن بن الحسين السكري قال حدثنا محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل عن أبي عبيدة
أن آخر من قتل في حرب بكر وتغلب جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان وهو قاتل كليب بن ربيعة وكانت أخته تحت كليب فقتله جساس وهي حامل فرجعت إلى أهلها ووقعت الحرب فكان من الفريقين ما كان ثم صاروا إلى الموادعة بعد ما كادت القبيلتان تتفانيان فولدت أخت جساس غلاما فسمته الهجرس ورباه جساس فكان لا يعرف أبا غيره وزوجه ابنته
فوقع بين الهجرس وبين رجل من بني بكر بن وائل كلام فقال له البكري ما أنت بمنته حتى نلحقك بأبيك فأمسك عنه ودخل إلى أمه كئيبا فسألته عما به فأخبرها الخبر فلما أوى إلى فراشه ونام إلى جنب امرأته وضع أنفه بين ثدييها فتنفس تنفسة تنفط ما بين ثدييها من حرارتها فقامت الجارية فزعة قد أقلتها رعدة حتى دخلت على أبيها فقصت عليه قصة الهجرس فقال جساس ثائر ورب الكعبة وبات جساس على مثل الرضف حتى أصبح فأرسل إلى الهجرس فأتاه فقال له إنما أنت ولدي ومني بالمكان الذي قد علمت وقد زوجتك ابنتي وأنت معي وقد كانت الحرب في أبيك زمانا طويلا حتى كدنا نتفانى وقد اصطلحنا وتحاجزنا وقد رأيت أن تدخل فيما دخل فيه الناس من الصلح وأن تنطلق حتى نأخذ عليك مثل ما أخذ علينا وعلى قومنا فقال الهجرس أنا فاعل ولكن مثلي لا يأتي قومه إلا بلأمته وفرسه فحمله جساس على فرس وأعطاه لأمة ودرعا فخرجا حتى أتيا جماعة من قومهما فقص عليهم جساس ما كانوا فيه من البلاء وما صاروا إليه من العافية ثم قال وهذا الفتى ابن أختي قد جاء ليدخل فيما دخلتم فيه ويعقد ما عقدتم فلما قربوا الدم وقاموا إلى العقد أخذ الهجرس
بوسط رمحه ثم قال وفرسي وأذنيه ورمحي ونصليه وسيفي وغراريه لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو ينظر إليه ثم طعن جساسا فقتله ثم لحق بقومه فكان آخر قتيل في بكر بن وائل
قال أبو الفرج أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني عمي عن العباس بن هشام عن أبيه عن الشرقي بن القطامي قال
لما قتل جساس بن مرة كليب بن ربيعة وكانت جليلة بنت مرة أخت جساس تحت كليب اجتمع نساء الحي للمأتم فقلن

لأخت كليب رحلي جليلة عن مأتمك فإن قيامها فيه شماتة وعار علينا عند العرب فقالت لها يا هذه اخرجي عن مأتمنا فأنت أخت واترنا وشقيقة قاتلنا فخرجت وهي تجر أعطافها فلقيها أبوها مرة فقال لها ما وراءك يا جليلة فقالت ثكل العدد وحزن الأبد وفقد حليل وقتل أخ عن قليل وبين ذين غرس الأحقاد وتفتت الأكباد فقال لها أو يكف ذلك كرم الصفح وإغلاء الديات فقالت جليلة أمنية مخدوع ورب الكعبة أبالبدن تدع لك تغلب دم ربها
قال ولما رحلت جليلة قالت أخت كليب رحلة المعتدي وفراق الشامت ويل غدا لآل مرة من الكرة بعد الكرة
فبلغ قولها جليلة فقالت وكيف تشمت الحرة بهتك سترها وترقب وترها أسعد الله جد أختي أفلا قالت نفرة الحياء وخوف الاعتداء
ثم أنشأت تقول
(يا بنةَ الأقوامِ إنْ شئتِ فلا ... تَعْجَلِي باللَّوْم حتي تسألِي)
(فإذا أنتِ تَبيَّنتِ الذي ... يُوجِبُ اللَّومَ فلَومِي واعذِلِي)
(إن تكن أختُ امرئٍ لِيمَتْ على ... شَفَقٍ منها عليه فافعلي)
(جَلَّ عندي فعلُ جَسَّاسٍ فيا ... حَسْرتي عما انجلتْ أو تنجلي)
(فعلُ جَسَّاس على وَجْدِي به ... قاطعٌ ظَهْري ومُدْنٍ أجَلِي)
(لَوْ بعَينٍ فُقِئَتْ عيني سوى ... أُختِها فانفقأتْ لم أحْفِلِ)
(تَحمِلُ العينُ قَذَى العين كما ... تَحمِلُ الأُمّ أذَىَ ما تَفْتَلِي)
(يا قتيلاً قَوَّضَ الدهرُ به ... سَقفَ بيتَيّ جميعاً من عَلِ)
(هدمَ البيتَ الذي استحدثُته ... وانثنَى في هدمِ بيتي الأوّلِ)
(ورماني قتلُه من كَثَبٍ ... رميةَ المُصْمِي به المُستأصِلِ)
(يا نِسائي دونكنّ اليومَ قد ... خَصَّني الدهرُ برُزْءٍ مُعْضِلِ)
(خَصَّني قتلُ كُلَيب بلَظىً ... مِن ورائي ولَظىً مُستقبِلي)
(ليس من يَبكِي ليومين كمن ... إنما يبكِي ليومٍ ينجلي)
(يشتفِي المدركُ بالثأر وفي ... دَرَكي ثأري ثُكْلُ المُثكِلِ)
(ليته كان دَمِي فاحتلبوا ... بَدَلاً منه دَماً مِن أكْحَلِي)
((إنني قاتلةٌ مقتولةٌ ... ولعلّ الله أن يرتاحَ لي

ذكر الهذلي وأخباره

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال الهذليان أخوان يقال لهما سعيد وعبد آل ابنا مسعود فالأكبر منهما يقال له سعيد ويكنى أبا مسعود وأمه امرأة يقال لها أم فيعل وكان كثيرا ما ينسب إليها وكان ينقش الحجارة بأبي قبيس وكان فتيان من قريش يروحون إليه كل عشية فيأتون بطحاء يقال لها بطحاء قريش فيجلسون عليها ويأتيهم فيغني لهم ويكون معهم وقد قيل إن الأكبر هو عبد آل والأصغر سعيد
قال هارون وحدثني الزبير بن بكار قال حدثني حمزة بن عتبة اللهبي
أن الهذلي كان نقاشا يعمل البرم من حجارة الجبل وكان يكنى أبا
عبد الرحمن وكان إذا أمسى راح فأشرف على المسجد ثم غنى فلا يلبث أن يرى الجبل كقرص الخبيص صفرة وحمرة من أدرية قريش فيقولون يا أبا عبد الرحمن أعد فيقول أما والله وها هنا حجر أحتاج إليه لم يرد الأبطح فلا فيضعون أيديهم في الحجارة حتى يقطعوها له ويحدروها إلى الأبطح وينزل معهم حتى يجلس على أعظمها حجرا ويغني لهم
قال هارون وحدثني حماد بن إسحاق عن أبي مسعود بن أبي جناح قال أخبرني أبو لطيف وعمارة قالا
تغنى الهذلي الأكبر وكان من أنفسهم وكان فتيان قريش يروحون كل عشية حتى يأتوا بطحاء يقال لها بطحاء قريش قريبا من داره فيجلسون عليها ويأتيهم فيغنيهم
قال وأخبرني ابن أبي طرفة عن الحسن بن عباد الكاتب مولى آل الزبير قال
هجم الحارث بن خالد وهو يومئذ أمير مكة على الهذلي وهو مع
فتيان قريش بالمفجر يغنيهم وعليه جدبة صوف فطرح عليه مقطعات خز فكانت هذه أول ما تحرك لها

الهذلي يتزوج بنت ابن سريج

قال هارون وحدثني حماد عن أبيه قال
ذكر ابن جامع عن ابن عباد أن ابن سريج لما حضرته الوفاة نظر إلى ابنته فبكى فقالت له ما يبكيك قال أخشى عليك الضيعة بعدي فقالت له لا تخف فما من غنائك شيء إلا وقد أخذته قال فغنيني فغنته فقال قد طابت نفسي ثم دعا بالهذلي فزوجها منه فأخذ الهذلي غناء أبيها كله عنها فانتحل أكثره فعامة غناء الهذلي لابن سريج مما أخذه عن ابنته وهي زوجته
أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني محمد ابن يحيى أبو غسان قال
كان الهذلي منزله بمنى وكان فتيان قريش يأتونه فيغنيهم هناك ثم أقبل مرة حتى جلس على جمرة العقبة فغنى هناك فحدره الحارث من منى وكان عاملا على مكة ثم أذن له فرجع إلى منى
قال هارون وحدثني علي بن محمد النوفلي قال حدثني أبي قال
كان الهذلي النقاش يغدو إليه فتيان قريش وقد عمل عمله بالليل ومعهم الطعام والشراب والدراهم فيقولون له غننا فيقول لهم الوظيفة فيقولون قد جئنا بها فيقول الوظيفة الأخرى أنزلوا أحجاري فيلقون ثيابهم ويأتزرون بأزرهم وينقلون الحجارة وينزلونها ثم يجلس على شنخوب من شناخيب الجبل فيجلسون تحته في السهل فيشربون وهو يغنيهم حتى المساء وكانوا كذلك مدة فقال له يوما ثلاثة فتية من قريش قد جاءك كل واحد منا بمثل وظيفتك على الجماعة من غير أن تنقص وظيفتك عليهم وقد اختار كل واحد منا صوتا من غنائك ليجعله حظه اليوم فإن وافقت الجماعة هوانا كان ذلك مشتركا بيننا وإن أبوا غنيت لهم ما أرادوا وجعلت هذه الثلاثة الأصوات لنا بقية يومنا قال هاتوا فاختار أحدهم
(... عَفَتْ عَرَفَاتٌ فالمصايفُ من هندِ)

واختار الآخر
(... ألمَّ بنا طيفُ الخيال المهجِّدُ)
واختار الآخر
(... هجَرْتُ سُعدَى فزادني كَلَفَا)
فغناهم إياها فما سمع السامعون شيئا كان أحسن من ذلك فلما أرادوا الانصراف قال لهم إني قد صنعت صوتا البارحة ما سمعه أحد فهل لكم فيه قالوا هاته منعما بذلك فاندفع فغناهم
((أأن هتَفتْ وَرْقاءُ ظَلْتَ سفاهةً ... تُبكِّي على جُمْلٍ لِوَرْقاءَ تَهتِفُ)
فقالوا أحسنت والله لا جرم لا يكون صبوحنا في غد إلا عليه فعادوا وغناهم إياه وأعطوه وظيفته ولم يزالوا يستعيدونه إياه باقي يومهم
نسبة ما في هذا الخبر من الأصوات
من ذلك
صوت
(عفَتْ عرَفاتٌ فالمَصايف من هندِ ... فَأَوْحَشَ ما بين الجَريبين فالنَّهْدِ)
(وغَيَّرها طولُ التقادُم والبِلَى ... فليستْ كما كانتْ تكونُ على العَهْدِ)
الشعر للأحوص وقيل إنه لعمر
والغناء للهذلي ولحنه من
القدر الأوسط من الثقيل الأول بالخنصر في مجرى البنصر
ومنها
صوت
من المائة المختارة
(ألمّ بنا طَيْفُ الخيال المهجِّدُ ... وقد كادتِ الجوزاءُ في الجوّ تَصْعَدُ)
(ألمّ يُحَيِّينا ومِن دون أهلها ... فَيَافٍ تَغُورُ الريحُ فيها وتُنجِد)
عروضه من الطويل
لم يقع لنا اسم شاعره ونسبه
والغناء للهذلي ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر وهو اللحن المختار وفيه ليحيى المكي هزج
ولحن الهذلي هذا مما اختير للرشيد والواثق بعده من المائة الصوت المذكورة
ومنها
صوت
(هجرتُ سُعْدَى فزادنِي كَلَفَا ... هِجرانُ سُعْدَى وأزمعتْ خُلُفَا)
(وقَدْ على حُبِّها حلفتُ لها ... لو أنَّ سُعْدَى تُصدِّقُ الحِلَفَا)
(ما عَلِقَ القلبُ غيرَها بَشَراً ... ولا سواها مِن مَعْلَقٍ عَرَفَا)
(فلم تُجبني وأعرضتْ صَلَفاً ... وغادرتْني بحبّها كَلِفَا)
الغناء للهذلي ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى
أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة عن إسحاق قال
زوج ابن سريج لما حضرته الوفاة الهذلي الأكبر بابنته فأخذ عنها أكثر غناء أبيها وادعاه فغلب عليه
قال وولدت منه ابنا فلما أيفع جاز يوما بأشعب وهو جالس في فتية من قريش فوثب فحمله على كتفه وجعل يرقصه ويقول هذا ابن دفتي المصحف وهذا ابن مزامير داود فقيل له ويلك ما تقول ومن هذا الصبي فقال أو ما تعرفونه هذا ابن الهذلي من ابنة ابن سريج ولد على عود واستهل بغناء وحنك بملوى وقطعت سرته بوتر وختن بمضراب
وذكر يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه عن عبد الله بن عيسى الماهاني قال
دخلت يوما على إسحاق بن إبراهيم الموصلي في حاجة فرأيت عليه مطرف خز أسود ما رأيت قط أحسن منه فتحدثنا إلى أن أخذنا في أمر المطرف فقال لقد كان لكم أيام حسنة ودولة عجيبة فكيف ترى هذا فقلت له ما رأيت مثله فقال إن قيمته مائة ألف درهم وله حديث عجيب فقلت ما أقومه إلا بنحو مائة دينار فقال إسحاق شربنا يوما من الأيام فبت وأنا متخن فانتبهت لرسول محمد الأمين فدخل علي فقال يقول لك أمير المؤمنين عجل وكان بخيلا على الطعام فكنت آكل قبل أن أذهب إليه فقمت فتسوكت وأصلحت شأني وأعجلني الرسول عن الغداء فقمت معه فدخلت عليه وإبراهيم بن المهدي قاعد عن يمينه وعليه هذا المطرف وجبة خز دكناء فقال لي محمد يا إسحاق أتغديت قلت نعم يا سيدي قال إنك لنهم أهذا وقت غداء فقلت أصبحت يا أمير المؤمنين وبي خمار فكان ذلك مما حداني على الأكل فقال لهم كم شربنا فقالوا ثلاثة أرطال فقال اسقوه إياها فقلت إن رأيت أن تفرق علي فقال يسقى رطلين ورطلا فدفع إلي رطلان فجعلت أشربهما وأنا أتوهم أن نفسي تسيل معهما ثم دفع إلي رطل آخر فشربته فكأن شيئا انجلى عني فقال غنني
(... كُليبٌ لعمْري كان أكثر ناصراً)
فغنيته فقال أحسنت وطرب ثم قام فدخل وكان كثيرا ما يدخل إلى النساء ويدعنا فقمت في إثر قيامه فدعوت غلاما لي فقلت اذهب إلى بيتي وجئني ببزماوردتين ولفهما في منديل واذهب ركضا وعجل
فمضى الغلام وجاءني بهما فلما وافى الباب ونزل عن دابته انقطع فنفق من شدة ما ركض عليه وأدخل إلي البزماوردتين فأكلتهما ورجعت نفسي إلي وعدت إلى مجلسي فقال لي إبراهيم لي إليك حاجة أحب أن تقضيها لي فقلت إنما أنا عبدك وابن عبدك فقل ما شئت قال تردد علي كليب لعمري وهذا المطرف لك فقلت أنا لا آخذ منك مطرفا على هذا ولكنني أصير إلى منزلك فألقيه على الجواري وأردده عليك مرارا فقال أحب أن تردده علي الساعة وأن تأخذ هذا فإنه من لبسك وهو من حاله كذا وكذا فرددت عليه الصوت مرارا حتى أخذه ثم سمعنا حركة محمد فقمنا حتى جاء وجلس ثم قعدنا فشرب وتحدثنا فغناه إبراهيم كليب لعمري فكأني والله لم أسمعه قبل ذلك حسنا وطرب محمد طربا شديدا وقال أحسنت والله يا غلام عشر بدر لعمي الساعة فجاؤوا بها فقال يا أمير المؤمنين إن لي فيها شريكا قال من هو قال

إسحاق قال وكيف فقال إنما أخذته منه لما قمت فقلت أنا ولم أضاقت الأموال على أمير المؤمنين حتى تريد أن تشرك فيما يعطي قال أما أنا فأشركك وأمير المؤمنين أعلم فلما انصرفنا من المجلس أعطاني ثمانين ألفا وأعطاني هذا المطرف فهذا أخذ به مائة ألف درهم وهي قيمته
صوت من المائة المختارة
من رواية جحظة عن أصحابه
(عَلِّلِ القومَ يَشربُوا ... كي يَلَذّوا ويَطْرَبُوا)
((إنما ضَلَّل الفؤادَ ... عزالٌ مُرَبَّبُ
(فرشَتْه على النَّمارقِ ... سُعْدَى وزينبُ)
(حالَ دون الهوى ودون ... سُرى الليلِ مُصعَبُ)
(وسِياطٌ على اكفٍّ ... رجالٍ تقلَّبُ)
الشعر لعبيد الله بن قيس الرقيات
والغناء في اللحن المختار لمالك بن أبي السمح ولحنه من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى الوسطى
وفيه لإسحاق ثقيل أول مطلق في مجرى البنصر
ولابن سريج في الرابع والخامس والأول ثاني ثقيل في مجرى الوسطى
ولمعبد في الثاني وما بعده خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى
ذكر عبيد الله بن قيس الرقيات ونسبه وأخباره
هو عبيد الله بن قيس بن شريح بن مالك بن ربيعة بن أهيب بن ضباب بن حجير بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب
وأمه قتيلة بنة وهب بن عبد الله بن ربيعة بن طريف بن عدي بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد ابن محمد بن أبي قلامة العمري قال حدثني محمد بن طلحة قال الزبير وحدثنيه أيضا محمد بن الحسن المخزومي قالا جميعا
كان يقال لبني معيص بن عامر بن لؤي وبني محارب بن فهر الأجربان من أهل تهامة وكانا متحالفين وإنما قيل لهما الأجربان من شدة بأسهما وعرهما من ناوأهما كما يعر الجرب
سبب لقبه بالرقيات
وإنما لقب عبيد الله بن قيس الرقيات لأنه شبب بثلاث نسوة سمين جميعا رقية منهن رقيه بنت عبد الواحد بن أبي سعد بن قيس بن وهب بن أهبان بن ضباب بن حجير بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي وابنة عم لها يقال لها رقية وامرأة من بني أمية يقال لها رقية
وكان هواه في رقية بنت عبد الواحد وكان عبد الواحد فيما أخبرني الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير ينزل الرقة وإياه عنى ابن قيس بقوله
(ما خبرُ عيش بالجزيرة بعد ما ... عثَر الزمانُ ومات عبدُ الواحدِ)
وله في الرقيات عدة أشعار يغنى فيها تذكر بعقب هذا الخبر
والأبيات الثانية التي فيها اللحن المختار يقولها في مصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزهري وكان صاحب شرطة مروان بن الحكم بالمدينة
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي قال
لما ولي مروان بن الحكم المدينة ولى مصعب بن عبد الرحمن بن عوف شرطته فقال إني لا أضبط المدينة بحرس المدينة فابغني رجالا من غيرها فأعانه بمائتي رجل من أهل أيلة فضبطها ضبطا شديدا
فدخل المسور بن مخرمة على مروان فقال أما ترى ما يشكوه الناس من مصعب فقال
((ليس بهذا من سِيَاقٍ عَتْبُ ... يمشي القَطُوفُ وينامُ الركبُ
وقال غير مصعب في هذا الخبر وليس من رواية الحرمي إنه بقي إلى أن ولي عمرو بن سعيد المدينة وخرج الحسين رضي الله تعالى عنه وعبد الله بن الزبير فقال له عمرو اهدم دور بني هاشم وآل الزبير فقال لا أفعل فقال انتفخ سحرك يابن أم حريث ألق سيفنا فألقاه ولحق بابن الزبير
وولى عمرو بن سعيد شرطته عمرو بن الزبير بن العوام وأمره بهدم دور بني هاشم وآل الزبير ففعل وبلغ منهم كل مبلغ وهدم دار ابن مطيع التي يقال لها العنقاء وضرب محمد بن المنذر بن الزبير مائة سوط ثم دعا بعروة ابن الزبير ليضربه فقال له محمد أتضرب عروة فقال نعم يا سبلان إلا أن تحتمل ذلك عنه فقال أنا أحتمله فضربه مائة سوط أخرى ولحق عروة بأخيه
وضرب عمرو الناس ضربا شديدا فهربوا منه إلى ابن الزبير وكان المسور بن مخرمة أحد من هرب منه ولما أفضى الأمر إلى ابن الزبير أقاد منه وضربه بالسوط ضربا مبرحا فمات فدفنه في غير مقابر المسلمين وقال للناس فيما ذكر عنه إن عمرا مات مرتدا عن الإسلام
كان شاعر قريش زبيري الهوى
أخبرني الحرمي قال حدثني الزبير قال
سألت عمي مصعبا ومحمد بن الضحاك ومحمد بن حسن عن شاعر قريش في الإسلام فكلهم قالوا ابن قيس الرقيات وحكي ذلك عن عدي وعن الضحاك بن عثمان وحكاه محمد بن الحسن عن عثمان بن عبد الرحمن اليربوعي
قال الزبير وحدثني بمثله غمامة بن عمرو السهمي عن مسور بن عبد الملك اليربوعي
أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي والحرمي بن أبي العلاء وغيرهما قالوا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله الزهري عن عمه محمد ابن عبد العزيز
أن ابن قيس الرقيات أتى إلى طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري
فقال له يا عمي إني قد قلت شعرا فاسمعه فإنك ناصح لقومك فإن كان جيدا قلت وإن كان رديئا كففت فقال له أنشد فأنشده قصيدته التي يقول فيها
(منَع اللهوَ والهوى ... وسُرَى الليل مُصْعَبُ)

(وسياطٌ على أكفِّ ... رجالٍ تقلَّبُ)
فقال قل يابن أخي فإنك شاعر
وكان عبيد الله بن قيس الرقيات زبيري الهوى وخرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك فلما قتل مصعب وقتل عبد الله هرب فلجأ إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فسأل عبد الملك في أمره فأمنه
وأخبرنا محمد بن العباس اليزيدي والحرمي بن أبي العلاء وغيرهما قالوا حدثنا الزبيري قال حدثني عبد الله بن البصير البربري مولى قيس بن عبد الله ابن الزبير عن أبيه قال
قال عبيد الله بن قيس الرقيات خرجت مع مصعب بن الزبير حين بلغه شخوص عبد الملك بن مروان إليه فلما نزل مصعب بن الزبير بمسكن ورأى معالم الغدر ممن معه دعاني ودعا بمال ومناطق فملأ المناطق من ذلك
المال وألبسني منها وقال لي انطلق حيث شئت فإني مقتول فقلت له لا والله لا أريم حتى أرى سبيلك فأقمت معه حتى قتل ثم مضيت إلى الكوفة فأول بيت صرت إليه دخلته فإذا فيه امرأة لها ابنتان كأنهما ظبيتان فرقيت في درجة لها إلى مشربة فقعدت فيها فأمرت لي المرأة بما أحتاج إليه من الطعام والشراب والفرش والماء للوضوء فأقمت كذلك عندها أكثر من حول تقيم لي ما يصلحني وتغدو علي في كل صباح فتسألني بالصباح والحاجة ولا تسألني من أنا ولا أسألها من هي وأنا في ذلك أسمع الصياح في والجعل فلما طال بي المقام وفقدت الصياح في وغرضت بمكاني غدت علي تسألني بالصباح والحاجة فعرفتها أني قد غرضت وأحببت الشخوص إلى أهلي فقالت لي نأتيك بما تحتاج إليه إن شاء الله تعالى فلما أمسيت وضرب الليل بأرواقه رقيت إلي وقالت إذا شئت فنزلت وقد أعدت راحلتين عليهما ما أحتاج إليه ومعهما عبد وأعطت العبد نفقة الطريق وقالت العبد والراحلتان لك فركبت وركب العبد معي حتى طرقت أهل مكة فدققت منزلي فقالوا لي من هذا فقلت عبيد الله بن قيس الرقيات فولولوا وبكوا وقالوا ما فارقنا طلبك إلا في هذا الوقت فأقمت عندهم حتى أسحرت ثم نهضت ومعي العبد حتى قدمت المدينة فجئت عبد الله ابن جعفر بن أبي طالب عند المساء وهو يعشي أصحابه فجلست معهم وجعلت أتعاجم وأقول ياريار ابن طيار فلما خرج أصحابه كشفت له
عن وجهي فقال ابن قيس فقلت ابن قيس جئتك عائذا بك قال ويحك ما أجدهم في طلبك وأحرصهم على الظفر بك ولكني سأكتب إلى أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان فهي زوجة الوليد بن عبد الملك وعبد الملك أرق شيء عليها فكتب إليها يسألها أن تشفع له إلى عمها وكتب إلى أبيها يسأله أن يكتب إليها كتابا يسألها الشفاعة فدخل عليها عبد الملك كما كان يفعل وسألها هل من حاجة فقالت نعم لي حاجة فقال قد قضيت كل حاجة لك إلا ابن قيس الرقيات فقالت لا تستثن علي شيئا فنفح بيده فأصاب خدها فوضعت يدها على خدها فقال لها يابنتي ارفعي يدك فقد قضيت كل حاجة لك وإن كانت ابن قيس الرقيات فقالت إن حاجتي ابن قيس الرقيات تؤمنه فقد كتب إلي أبي يسألني أن أسألك ذلك قال فهو آمن فمريه يحضر مجلسي العشية فحضر ابن قيس وحضر الناس حين بلغهم مجلس عبد الملك فأخر الإذن ثم أذن للناس وأخر إذن ابن قيس الرقيات حتى أخذوا مجالسهم ثم أذن له فلما دخل عليه قال عبد الملك يا أهل الشأم أتعرفون هذا قالوا لا فقال هذا عبيد الله بن قيس الرقيات الذي يقول
(كيف نومي على الفِراشِ ولما ... تَشْمَلِ الشأمّ غارةٌ شَعْواءُ)
(تُذهِل الشيخَ عن بَنيه وتُبدِي ... عن خِدام العقيلةُ العذراءُ)
فقالوا يا أمير المؤمنين اسقنا دم هذا المنافق قال الآن وقد أمنته وصار في منزلي وعلى بساطي قد أخرت الإذن له لتقتلوه فلم تفعلوا
فاستأذنه ابن قيس الرقيات أن ينشده مديحه فأذن له فأنشده قصيدته التي يقول فيها
(عاد له من كَثِيرةَ الطربُ ... فعينُه بالدموع تنسكبُ)
(كُوفيّةٌ نازحٌ مَحَلَّتُها ... لا أَمَمٌ دارُها ولا صَقَبُ)
(واللّه ما إن صَبَتْ إليّ ولا ... إن كان بيني وبينها سببُ)
(إلا الذي أورثتْ كثيرةُ في القلب ... وللحبّ سَوْرَةٌ عجبُ)
حتى قال فيها
(إنّ الأعزَّ الذي أبوه أبو العاصي ... عليه الوقارُ والحُجُبُ)
(يعتدِل التاجُ فوق مَفْرِقِه ... على جَبينٍ كأنه الذهبُ)
فقال له عبد الملك يابن قيس تمدحني بالتاج كأني من العجم وتقول في مصعب
(إنما مُصعَبٌ شِهابٌ من اللّه ... تجلّت عن وجهه الظلماءُ)
(ملكُه ملك عِزَّةٍ ليس فيه ... جبروتٌ منه ولا كِبرياءُ)
أما الأمان فقد سبق لك ولكن والله لا تأخذ مع المسلمين عطاء أبدا
قال وقال ابن قيس الرقيات لعبد الله بن جعفر ما نفعني أماني
تركت حيا كميت لا آخذ مع الناس عطاء أبدا فقال له عبد الله بن جعفر كم بلغت من السن قال ستين سنة قال فعمر نفسك قال عشرين سنة من ذي قبل فذلك ثمانون سنة قال كم عطاؤك قال ألفا درهم فأمر له بأربعين ألف درهم وقال ذلك لك علي إلي أن تموت على تعميرك نفسك فعند ذلك قال عبيد الله بن قيس الرقيات يمدح عبد الله بن جعفر
(تَقدَّتْ بِيَ الشَّهْباءُ نحوَ ابن جعفرٍ ... سواءٌ عليها ليلُها ونهارُها)
(تزور امرأً قد يعلمُ اللهُ أنه ... تَجُودُ له كفٌّ قليلٌ غِرَارُها)
(أتيناك نُثْنِي بالذي أنت أهلُه ... عليك كما يُثْني على الروضِ جارُها)
(فواللّه لولا أن تزورَ ابن جعفر ... لكان قليلاً في دِمَشْقَ قَرارُها)
(إذا مِتَّ لم يُوصَلْ صديقٌ ولم تُقَمْ ... طريقٌ من المعروف أنت منَارُها)
(ذكرتُكَ أن فاضَ الفراتُ بأرضِنا ... وفاض بأعلى الرَّقَّتَيْن بِحارُها)
(وعندي مما خوَّل اللّهُ هَجْمَةٌ ... عَطَاؤكَ منها شَوْلُها وعِشَارُها)
((مباركةٌ كانت عطاءَ مُبَارَكٍ ... تُمانِحُ كُبراها وتَنْمِي صِغارُها
أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثنا مصعب بن عبد الملك قال
قال عبد الملك بن مروان لعبيد الله بن قيس الرقيات ويحك يابن قيس أما اتقيت الله حين تقول لابن جعفر
(تزورُ امرأ قد يعلم اللهُ أنه ... تَجودُ له كفٌّ قليلٌ غِرارُها)

ألا قلت قد يعلم الناس ولم تقل قد يعلم الله فقال ابن قيس قد والله علمه الله وعلمته أنت وعلمته أنا وعلمه الناس
أخبرنا الحسين بن يحيى قال قال حماد بن إسحاق
قرأت على أبي أن عبيد الله بن قيس الرقيات منعه عبد الملك بن مروان عطاءه من بيت المال وطلبه ليقتله فاستجار بعبد الله بن جعفر وقصده فألفاه نائما وكان صديقا لسائب خاثر فطلب الإذن على ابن جعفر فتعذر فجاء سائب خاثر ليستأذن له عليه قال سائب فجئت من قبل رجل عبد الله بن جعفر فنبحت نباح الجرو الصغير فانتبه ولم يفتح عينيه وركلني برجله فدرت إلى عند رأسه فنبحت نباح الكلب الهرم فانتبه وفتح عينيه
فرآني فقال ما لك ويحك فقلت ابن قيس الرقيات بالباب قال ائذن له فأذنت له فدخل إليه فرحب ابن جعفر به وقربه فعرفه ابن قيس خبره فدعا بظبية فيها دنانير وقال عد له منها فجعلت أعد وأترنم وأحسن صوتي بجهدي حتى عددت ثلاثمائة دينار فسكت فقال لي عبد الله ما لك ويلك سكت ما هذا وقت قطع الصوت الحسن فجعلت أعد حتى نفذ ما كان في الظبية وفيها ثمانمائة دينار فدفعتها إليه فلما قبضها قال لابن جعفر اسأل أمير المؤمنين في أمري قال نعم فإذا دخلت إليه معي ودعا بالطعام فكل أكلا فاحشا
فركب ابن جعفر فدخل معه إلى عبد الملك فلما قدم الطعام جعل يسيء الأكل فقال عبد الملك لابن جعفر من هذا فقال هذا إنسان لا يجوز إلا أن يكون صادقا إن استبقي وإن قتل كان أكذب الناس قال وكيف ذلك قال لأنه يقول
(ما نَقموا من بني أُمَيّةَ إلاّ ... أنهم يَحلُمون إن غَضِبُوا)
فإن قتلته لغضبك عليه أكذبته فيما مدحكم به قال فهو آمن ولكن لا أعطيه عطاء من بيت المال قال ولم وقد وهبته لي فأحب أن تهب لي عطاءه أيضا كما وهبت لي دمه وعفوت لي عن ذنبه قال قد فعلت قال وتعطيه ما فاته من العطاء قال قد فعلت وأمرت له بذلك
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي قال
كان ابن قيس الرقيات منقطعا إلى ابن جعفر وكان يصله ويقضي عنه دينه ثم استأمن له عبد الملك فأمنه وحرمه عطاءه فأمره عبد الله أن يقدر لنفسه ما يكفيه أيام حياته ففعل ذلك فأعطاه عبد الله ما سأل وعوضه من عطائه أكثر منه ثم جاءت عبد الله صلة من عبد الملك وابن قيس
غائب فأمر عبد الله خازنه فخبأ له صلته فلما قدم دفعها إليه وأعطاه جارية حسناء فقال ابن قيس
(إذا زرتُ عبدَ الله نفسي فداؤه ... رجعتُ بفضلٍ من نَداهُ ونائلِ)
(وإن غِبتُ عنه كان للوُدّ حافظاً ... ولم يكُ عنّي في المغيب بغافِلِ)
(تداركَني عبدُ الإله وقد بدَتْ ... لذي الحِقدِ والشَّنآن منّي مَقَاتلي)
(فأنقذني من غَمرة الموت بعد ما ... رأيتُ حياضَ الموت جَمَّ المَناهِلِ)
(حَبَانِيَ لما جئته بعطّيةٍ ... وجاريةٍ حسناءَ ذاتِ خَلاخِلِ)
نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني
منها
صوت
(عادَ له من كَثِيرةَ الطّربُ ... فعينُه بالدموع تنسكبُ)
(كُوفيّةٌ نازحٌ مَحَلّتُها ... لا أَمَمٌ دارُها ولا صَقَبُ)
(والله ما إن صَبَتْ إليّ ولا ... يُعرفُ بيني وبينها سَبَبُ)
(إلا الذي أورثَتْ كثيرةُ في القلب ... وللحبّ سَوْرةٌ عَجَبُ)
عروضه من المنسرح غناه معبد ثقيلا أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى
قوله لا أمم دارها يعني أنها ليست بقريبة
ويقال ما كلفتني أمما من الأمر فأفعله أي قريبا من الإمكان ويقال إن فلانا لأمم من أن يكون فعل كذا وكذا قال الشاعر
(أطَرَقَتْه أسماءُ أم حَلَمَا ... بل لم تكن من رحالنا أَمَمَا)
أي قريبة وقال الراجز
(كلَّفها عمروٌ نِقَال الضَبْعانْ ... ما كُلِّفَتْ من أَمَمٍ ولا دَانْ)
وقال آخر
(إنك إن سألت شيئا أَمَمَا ... جاء به الكَري أو تَحبشَّمَا)
والصقب الملاصقة
تقول والله ما صاقبت فلانا ولا صاقبني ودار فلان مصاقبة لدار فلان وفي الحديث الجار أحق بصقبه أي بما لاصقه أي إنه أحق بشفعته
والسورة شدة الأمر ومنه يقال ساور فلان فلانا وتساور الرجلان إذا تغالبا وتشادا وقيل إن السورة البقية أيضا
ومنها
صوت
(ما نَقَمُوا من بني أُميَّة ... إلا أنهم يَحلُمُون إن غَضِبوا)
(وأنّهمُ سادةُ الملوك فما ... تَصلُح إلاّ عليهمُ العَربُ)
غنت في هذين البيتين جبابة وهما من القصيدة التي أولها
(... عاد له من كَثِيرةَ الطّربُ)
قال الأصمعي كثيرة هذه امرأة نزل بها بالكوفة فآوته
قال ابن
قيس فأقمت عندها سنة تروح وتغدو علي بما أحتاج إليه ولا تسألني عن حالي ولا نسبي فبينا أنا بعد سنة مشرف من جناح إلى الطريق إذا أنا بمنادي عبد الملك ينادي ببراءة الذمة ممن أصبت عنده فأعلمت المرأة أني راحل فقالت لا يروعنك ما سمعت فإن هذا نداء شائع منذ نزلت بنا فإن أردت المقام ففي الرحب والسعة وإن أردت الانصراف أعلمتني فقلت لها لا بد لي من الانصراف فلما كان الليل قدمت إلي راحلة عليها جميع ما أحتاج إليه في سفري فقلت لها من أنت جعلت فداءك لأكافئك قالت ما فعلت هذا لتكافئني فانصرفت ولا والله ما عرفتها إلا أني سمعتها تدعى باسمها كثيرة

فذكرتها في شعري
وذكر الزبير بن بكار عن عمه مصعب أن عبد الله بن علي بن عبد الله ابن عباس صاحب بني أمية بنهر أبي فطرس إنما بعثه على قتلهم أنه أنشده بعض الشعراء ذات يوم مديحا مدح به بني هاشم فقال لبعضهم أين هذا مما كنتم تمدحون به فقال هيهات أن يمدح أحد بمثل قول ابن قيس فينا
(ما نقَمُوا من بني أميّة إلا ... أنهم يَحلُمُون إن غَضِبُوا)
البيتين فقال له عبد الله بن علي ألا أرى المطمع في الملك في نفسك بعد يا ماص كذا من أمه ثم أوقع بهم
أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا
الزبير بن بكار قال حدثني عمي عن جدي عبد الله بن مصعب قال
اعترض هارون الرشيد قينة فغنت
(ما نقموا من بني أميّة إلاّ ... أنهم يحلُمُون إن غضبوا)
فلما ابتدأت به تغير وجه الرشيد وعلمت أنها قد غلطت وأنها إن مرت فيه قتلت فغنت
(ما نَقَمُوا من بني أميّة إلاّ ... أنهم يجهَلُون إن غَضِبوا)
(وأنهم مَعدِنُ النّفاق فما ... تَفسُدُ إلا عليهم العربُ)
فقال الرشيد ليحيى بن خالد أسمعت يا أبا علي فقال يا أمير المؤمنين تبتاع وتسنى لها الجائزة ويعجل لها الإذن ليسكن قلبها قال ذلك جزاؤها قومي فأنت مني بحيث تحبين
قال فأغمي على الجارية
فقال يحيى بن خالد
(جُزيتَ أميرَ المؤمنين بأمْنها ... من الله جناتٍ تفوز بِعَدْنها)
ومنها
صوت
(تَقَدّتْ بيَ الشَّهْباءُ نحوَ ابن جعفرٍ ... سواءٌ عليها ليلُها ونهارُها)
(تَزُور امرأً قد يَعلَمُ اللهُ أنه ... تَجودُ له كَفٌّ بطيءٌ غِرارُها)
(ووالله لولا أن تزورَ ابنَ جعفرٍ ... لكان قليلاً في دِمَشقَ قرارُها)
عروضه من الطويل
غناه معبد ثاني ثقيل بالبنصر
قوله تقدت أي سارت سيرا ليس بعجل ولا مبطئ فيقال تقدى فلان إذا سار سير من لا يخاف فوت مقصده فلم يعجل
وقوله بطيء غرارها يعني أن منعها المعروف بطيء
وأصل الغرار أن تمنع الناقة درتها ثم يستعار في كل ما أشبه ذلك ومنه قول الراجز
(إنّ لكلّ نَهَلاَتٍ شِرَّهْ ... ثم غِرَاراً كغِرار الدِّرَّهْ)
وقال جميل في مثل ذلك
(لاحتْ لعينك من بُثينةَ نارُ ... فدموعُ عينكَ دِرَّةٌ وغِرَارُ)
ما عيب عليه في شعره
قال الزبير وهذا البيت مما عيب على ابن قيس لأنه نقض صدره بعجزه فقال في أوله إنه سار سيرا بغير عجل ثم قال
(... سواءٌ عليها ليلُها ونهارُها)
وهذا غاية الدأب في السير فناقض معناه في بيت واحد
ومما عيب على ابن قيس الرقيات قوله وفي هذين البيتين غناء
صوت
(تُرضِعُ شِبْلَيْنِ وَسْطَ غِيلِهما ... قد ناهزا للفِطام أو فُطِما)
(ما مرّ يومٌ إلاّ وعندهما ... لحمُ رجال أو يَوْلَغانِ دَمَا)
غناه الغريض خفيف ثقيل أول بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة وهي قصيدة مدح بها عبد العزيز بن مروان وفيها يقول
(أعْني ابنَ ليلَى عبدَ العزيز ببَابِلْيُونَ ... تَغدُو جِفَانُه رُذُمَا)
(الواهبَ النُّجْبَ والولائدَ كالغِزلانِ ... والخيلَ تَعْلُك اللُّجُمَا)
وكان قال في قصيدته هذه أو يالغان دما بالألف وكذلك روي عنه ثم غيرته الرواة
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال
سمعت ابن الأعرابي يقول سئل يونس عن قول ابن قيس الرقيات
(ما مرّ يوم إلا وعندهما ... لحم رجال أو يَوْلغان دَما)
فقال يونس يجوز يولغان ولا يجوز يالغان فقيل له فقد قال ذلك ابن قيس الرقيات وهو حجازي فصيح فقال ليس بفصيح ولا ثقة شغل نفسه بالشرب بتكريت
أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد قرأت على أبي أو بلغك أن ابن أبي عتيق أنشد قول ابن قيس
(... سواءٌ عليها ليلُها ونهارُها)
فقال كانت هذه يابن أم فيما أرى عمياء
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب عن جدي عن هشام بن سليمان المخزومي قال
قال ابن أبي عتيق لعبيد الله بن قيس وقد مر به فسلم عليه فقال وعليك السلام يا فارس العمياء فقال له ما هذا الاسم الحادث يا أبا محمد بأبي أنت قال أنت سميت نفسك حيث تقول
(...سواءٌ عليها ليلُها ونهارُها)
فما يستوي الليل والنهار إلا على عمياء قال إنما عنيت التعب قال فبيتك هذا يحتاج إلى ترجمان يترجم عنه
ومنها

صوت
(ذكرتُكَ أنْ فاض الفراتُ بأرضنا ... وفاضت بأعلى الرَّقَّتَيْن بِحَارُها)
(وحَوْلِيَ مما خوَّل اللهُ هَجمةٌ ... عطاؤكَ منها شَوْلُها وعِشَارُها)
(فجئناك نُثْني بالذي أنتَ أهلُه ... عليك كما أثْنَى على الروض جارُها)
(إذا متَّ لم يُوصَل صديقٌ ولم تُقَمْ ... طَريقٌ من المعروف أنت منارُها)
الشول النوق التي شالت بأذنابها وكرهت الفحل وذلك حين تلقح واحدتها شائل غناه حكم الوادي ثقيلا أول بالوسطى
حكم الوادي ودنانير
أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال قال لي أبي
قال حكم الوادي دخلت يوما على يحيى بن خالد فقال لي يا أبا يحيى ما رأيك في خمسمائة دينار قد حضرت قلت ومن
لي بها قال تلقي لحنك في
(...ذكرتكَ أن فاض الفراتُ بأرضنا)
على دنانير فها هي ذه وهذا سلام واقف معك ومخرجها إليك وأنا راكب إلى أمير المؤمنين ولست أنصرف من مجلس
المظالم إلى وقت الظهر فكدها فيه فإذا أحكمته فلك خمسمائة فقالت دنانير يا سيدي أبو يحيى يأخذ خمسمائة دينار
وينصرف وأنا أبقي معك أقاسيك عمري كله فقال لها إن حفظتيه فلك ألف دينار وقام فمضى فقلت لها يا سيدتي اشغلي
نفسك بذا فإنك أنت تهبين لي الخمسمائة الدينار بحفظك إياه وتفوزين بالألف الدينار وإلا بطل هذا فلم أزل معها أكدها
ونفسي وتغنيني حتى انصرف يحيى فدعا بماء وطست ثم قال يا أبا يحيى غن الصوت كما كنت تغنيه فقلت هلكت
يسمعه مني وليس هو بمن يخفى عليه ثم يسمعه منها فلا يرضاه فلم أجد بدا من الغناء ثم قال غنيه أنت الآن فغنت
فقال والله ما أرى إلا خيرا فقلت جعلت فداءك أنا أمضغ هذا منذ أكثر من خمسين سنة كما أمضغ الخبز وهذه أخذته
الساعة وهو يذل لها بعدي وتجترئ عليه ويزداد حسنا في صوتها فقال صدقت هات يا سلام خمسمائة دينار ولها ألف
دينار ففعل فقالت له وحياتك يا سيدي لأشاطرن أستاذي الألف الدينار قال ذلك إليك ففعلت فانصرفت وقد أخذت بهذا
الصوت ألف دينار
رجع الحديث إلى عبيد الله بن قيس الرقيات
قال الزبير بن بكار حدثني عبد الله بن النضير عن أبيه
أن ابن قيس الرقيات قال في الكوفية التي نزل عليها
((بانت لِتَحْزُنَنَا كَثِيرَهْ ... ولقد تكون لنا أميرَهْ
(حَلَّتْ فَلَالِيجَ السَّوَاد ... وحَلَّ أهلي بالجزيرهْ)
قال ولقد رحل من عندها وما يتعارفان
قال وقال فيها أيضا وفيه لحن من خفيف الثقيل لابن المكي
صوت
(لَحِجْتَ بحبّكَ أهلَ العِراق ... ولولا كَثِيرةُ لم تَلْجَجِ)
(فليتَ كثيرةَ لم تَلْقَني ... كثيرةَ أختَ بني الخَزْرَجِ)
ابن قيس الرقيات وسعيد بن المسيب
أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الله بن عاصم القحطاني قال حدثني أبي عن عبد الرحيم بن
حرملة قال
كنت عند سعيد بن المسيب فجاء ابن قيس الرقيات فهش وقال مرحبا بظفر من أظفار العشيرة ما أحدثت بعدي قال قد
قلت أبياتا وأستفتيك في بيت منها فاسمعها قال هات فأنشده
(هل للديار بأهلها عِلْمُ ... أم هل تُبِينُ فينطقَ الرسمُ)
(قالت رُقَيَّةُ فِيمَ تَصرِمُنا ... أرُقَيُّ ليس لوجهك الصّرمُ)
((تَخطُو بخَلْخَالَيْنِ حَشْوُهما ... ساقَانِ مارَ عليهِما اللحم
(يا صاح هل أبكاكَ موقِفُنا ... أم هل علينا في البُكا إثمُ)
فقال سعيد لا والله ما أبكاني قال ابن قيس الرقيات
(بل ما بكاؤكَ منزلاً خَلَقاً ... قَفْراً يَلُوح كأنه الوَشْمُ)
فقال سعيد اعتذر الرجل
ثم أنشد
(أتلبَثُ في تَكْرِيتَ لا في عَشِيرةٍ ... شهودٍ ولا السلطانُ منكَ قريبُ)
(وأنت امرؤ للحزم عندك منزلٌ ... وللدِّين والإسلام منك نصيب)
فقال سعيد لا مقام على ذلك فاخرج منها قال قد فعلت قال قد أصبت أصاب الله بك
نسبة ما في هذا الخبر من الغناء
صوت
(قامَتْ بخَلْخَالين حَشْوُهما ... ساقان مارَ عليهما اللحمُ)
(يا صاح هل أبكاك موقفُنا ... أم هل علينا في البكا إثمُ)
غنى فيهما ابن سريج رملا بالبنصر
ابن قيس الرقيات وعمر بن أبي ربيعة
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا محمد بن عبد الله البكري وهارون بن أبي بكر عن عبد
الجبار بن سعيد المساحقي عن أبيه عن سعيد بن مسلم بن وهب مولى بني عامر بن لؤي عن أبيه قال
دخلت مسجد رسول الله مع نوفل بن مساحق وإنه لمعتمد على يدي إذ مررنا بسعيد بن المسيب في مجلسه فسلمنا
عليه فرد سلامنا ثم قال لنوفل يا أبا سعيد من أشعر أصاحبنا أم صاحبكم يعني عبيد الله ابن قيس الرقيات أو عمر بن
أبي ربيعة فقال نوفل حين يقولان ماذا فقال حين يقول صاحبنا
(خليليَّ ما بالُ المَطِيّ كأنّما ... نَراها على الأدبار بالقوم تَنكُصُ)

(وقد أبْعِدَ الحادِي سِرُاهنّ وانتحَى ... بهنّ فما يألُو عَجُولٌ مُقلِّص)
(وقد قُطِّعتْ أعناقُهنّ صَبابة ... فأنفُسنا ممّا تُكلَّفُ شُخَّص)
(يَزِدْنَ بنا قُرْباً فيزدادُ شوقُنا ... إذا زاد طولُ العهد والبعدُ ينقص)
ويقول صاحبكم ما شئت قال فقال له نوفل صاحبكم أشهر بالقول في الغزل أمتع الله بك وصاحبنا أكثر أفانين شعر قال صدقت فلما انقضى ما بينهما من ذكر الشعر جعل سعيد يستغفر الله ويعقد بيده ويعده بالخمس كلها حتى وفى مائة قال البكري في حديثه عن عبد الجبار فقال مسلم بن وهب فلما فارقناه قلت لنوفل أتراه استغفر الله من إنشاده الشعر في مسجد رسول الله قال كلا هو كثير الإنشاد والاستنشاد للشعر ولكني أحسبه للفخر بصاحبه

ابن قيس الرقيات وحمزة بن عبد الله بن الزبير

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثنا محمد بن الضحاك عن أبيه قال
استأذن عبيد الله بن قيس الرقيات على حمزة بن عبد الله بن الزبير فقالت له الجارية ليس عليه إذن الآن فقال أما إنه لو علم بمكاني ما احتجب عني قال فدخلت الجارية على حمزة فأخبرته فقال ينبغي أن يكون هذا ابن قيس الرقيات ائذني له فأذنت له فقال مرحبا بك يابن قيس هل من حاجة نزعت بك قال نعم زوجت بنين لي ثلاثة ببنات أخ لي ثلاث وزوجت ثلاثة من بني أخ لي بثلاث بنات لي قال فلبنيك الثلاثة أربعمائة دينار أربعمائة دينار ولبني أخيك الثلاثة أربعمائة دينار أربعمائة دينار ولبناتك الثلاث ثلاثمائة دينار ثلاثمائة دينار ولبنات أخيك الثلاث ثلاثمائة ثلاثمائة دينار هل بقيت لك من حاجة يابن قيس قال لا والله إلا مؤونة السفر فأمر له بما يصلحه لسفره حتى رقاع أخفاف الإبل

ذكر ما قاله ابن قيس الرقيات وغني فيه

صوت
(أمسَتْ رُقّية دونها البِشرُ ... فالرَّقّة السَّوْداء فالغَمْرُ)
غناه يونس ثقيلا أول بالوسطى وفيه لعزة الميلاء ثاني ثقيل
ومنها
صوت
(رُقَيّ بَعْيشكم لا تَهجُرِينَا ... ومَنّينَا المُنَى ثم امطُلِينَا)
(عِدِينا في غَدٍ ما شِئتِ إنّا ... نُحِبُّ وإن مَطَلْتِ الواعِدِينا)
(أغرَّكِ أنني لا صبرَ عندي ... على هَجْرٍ وأنّكِ تَصْبِرينا)
(ويومَ تَبِعتُكم وتركتُ أهلي ... حَنِينَ العَوْدِ يَتَّبِعُ القَرِينا)
عروضه من الوافر غناه ابن محرز ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى
ومنها
صوت
(رُقَيَّةُ تَيَّمَتْ قلبي ... فواكَبِدِي من الحبِّ)
(نهانِي إخوتي عنها ... وما بالقلب من عَتْبِ)
غناه مالك ثاني ثقيل أول بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو ابن بانة
وقد ذكرت بذل أن فيه لابن المكي لحنا

رأي ابن أبي عتيق في شعره

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني سعيد بن عمرو بن الزبير قال حدثني إبراهيم بن عبد الله قال أنشد كثير ابن أبي عتيق كلمته التي يقول فيها
(ولستُ براضٍ من خليلٍ بنائلٍ ... قليلٍ ولا أرضَى له بقليلِ)
فقال له هذا كلام مكافىء ليس بعاشق القرشيان أقنع وأصدق منك ابن أبي ربيعة حيث يقول
(ليتَ حَظّي كَلَحْظَةِ العَينِ منها ... وكثيرٌ منها القليلُ المُهَنّا)
وقوله أيضا
(فعِدِي نائلاً وإن لم تُنيلي ... إنه يُقنِعُ المحبَّ الرجاءُ)
وابن قيس الرقيات حيث يقول
(رُقَيَّ بعيشكم لا تَهجُرِينا ... ومَنّينا المُنَى ثم امطُلِينَا)
(عِدِينا في غَدٍ ما شئتِ إنّا ... نُحِبّ وإن مَطلتِ الواعِدينا)
((فإمّا تُنجِزِي عِدَتِي وإمّا ... نَعِيشُ بما نُؤَمّل منكِ حِينا
قال فذكرت ذلك لأبي السائب المخزومي ومعه ابن المولى فقال صدق ابن أبي عتيق وفقه الله ألا قال المديون كثير كما قال هذا حيث يقول
(وأبكِي فلا ليلَى بكَتْ من صبابةٍ ... لِباكٍ ولا ليلَى لِذي الوِدّ تَبذُلُ)
(وأخنَعُ بالعُتْبَى إذا كنتُ مذنِباً ... وإن أذنبتْ كنتُ الذي أتنَصَّلُ)
تشبيبه برقية بنت عبد الواحد
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال سمعت عبيدة بن أشعب بن جبير قال حدثني أبي قال حدثني فند مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقاص قال
حجت رقية بنت عبد الواحد بن أبي سعد العامرية فكنت آتيها وأحدثها فتستظرف حديثي وتضحك مني فطافت ليلة بالبيت ثم أهوت لتستلم الركن الأسود وقبلته وقد طفت مع عبيد الله بن قيس الرقيات فصادف فراغنا فراغها ولم أشعر بها فأهوى ابن قيس يستلم الركن الأسود ويقبله فصادفها قد سبقت إليه فنفحته بردنها فارتدع وقال لي من هذه فقلت أو لا تعرفها هذه رقية بنت عبد الواحد بن أبي سعد فعند ذلك قال
(مَنْ عَذِيري ممن يَضِنُّ بمبذولٍ لغيري عليّ عند الطّوافِ)
يريد أنها تقبل الحجر الأسود وتضن عنه بقبلتها
وقال في ذلك
(حدِّثوني هل على رجلٍ ... عاشقٍ في قُبْلةٍ حَرَجُ)

وفيه غناء ينسب بعد هذا الخبر
قال ولما نفحته بردنها فاحت منه رائحة المسك حتى عجب من في المسجد وكأنما فتحت بين أهل المسجد لطيمة عطار فسبح من حول البيت
قال وقال فند فقلت بعد انصرافها لابن قيس هل وجدت رائحة ردنها لشيء طيبا فعند ذلك قال أبياته التي يقول فيها
صوت
(سائلاً فِنْداً خليلِي ... كيف أرْدانُ رُقَيّهْ)
(إنّني علِّقت خَوْداً ... ذاتَ دَلٍّ بَخْتَريَّهْ)
غناه فند ولحنه ثقيل أول بالبنصر عن حبش
نسبة هذا الصوت الذي في الخبر المتقدم وخبره وهو أيضا مما قاله ابن قيس في رقية
صوت
(حَبَّ ذاك الدَّلُّ والغُنُجُ ... والتي في عينها دَعَجُ)
(والتي إن حَدّثتْ كذبتْ ... والتي في وعدها خَلَجُ)
(وتَرى في البيت صورتَها ... مِثْلَما في البِيعة السُّرُجُ)
(خَبِّروني هل على رجلٍ ... عاشقٍ في قُبلةٍ حَرَجُ)
الشعر لابن قيس الرقيات يقوله في رقية بنت عبد الواحد
والغناء
لمالك خفيف ثقيل أول مطلق في مجرى البنصر
وفيه خفيف ثقيل آخر لابن محرز من رواية عمرو بن بانة وقيل بل هو هذا
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني سليمان بن عياش السعدي قال حدثني سائب راوية كثير قال
كان كثير مديونا فقال لي يوما ونحن بالمدينة اذهب بنا إلى ابن أبي عتيق نتحدث عنده قال فذهبت إليه معه فاستنشده ابن أبي عتيق فأنشده قوله
(... أبائنةٌ سُعْدَى نعم ستَبينُ)
حتى بلغ إلى قوله
(وأخلفْنَ ميعادي وخُنَّ أمانتي ... وليس لمن خان الأمانةَ دِينُ)
فقال له ابن أبي عتيق أعلى الأمانة تبعتها فانكف واستغضب نفسه وصاح وقال
(كذبْنَ صفاءَ الودّ يوم مَحِلّه ... وأنكدْنني من وعدهن ديونُ)
فقال له ابن أبي عتيق ويلك هذا أملح لهن وأدعى للقلوب إليهن سيدك ابن قيس الرقيات كان أعلم منك وأوضع للصواب موضعه فيهن أما سمعت قوله
(حَبّ ذاكَ الدَّلُّ والغُنُجُ ... والتي في عينها دَعَجُ)
(والتي إن حَدّثتْ كذبتْ ... والتي في وعدها خَلَجُ)
(وتَرى في البيت صورتَها ... مثلما في البيعَة السُّرُجُ)
(خَبِّروني هل على رجلٍ ... عاشقٍ في قُبلةٍ حَرَجٌ)
قال فسكن كثير واستحلى ذلك وقال لا إن شاء الله فضحك ابن أبي عتيق حتى ذهب به
أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا عبد الرحمن بن غرير الزهري قال أنشدت أبا السائب المخزومي قول ابن قيس الرقيات
صوت
(قد أتانا من آل سُعْدَى رسولُ ... حَبّذا ما يقول لي وأقولُ)
(مِنْ فتاةٍ كأنها قَرْنُ شمسٍ ... ضاق عنها دَمَالجٌ وحُجُولُ)
(حَبّذا ليلتي بِمزّة كلبٍ ... غال عنّي بها الكَوَانينَ غُولُ)
فقال لي يابن الأمير ما تراه كان يقول وتقول فقلت
(حديثاً كما يسري النّدَى لو سمعتَه ... شفاك مِنَ ادواءٍ كثيرٍ وأسْقَمَا)
فطرب وقال بأبي أنت وأمي ما زلت أحبك ولقد أضعف حبي إياك حين تفهم عني هذا الفهم
غنى في هذه الأبيات ابن سريج ثقيلا أول بالوسطى
ولمالك فيها ثاني ثقيل كلاهما عن الهشامي
أخبرني محمد بن جعفر الصيدلاني النحوي صهر المبرد قال حدثني طلحة بن عبد الله أبو إسحاق الطلحي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان قال أنشد أشعب بن جبير أبي أبيات عبيد الله بن قيس الرقيات التي يقول فيها
((قد أتانا من آل سُعْدَى رسولُ ... حَبّذا ما يقول لي وأقولُ
فقال أبي ويحك يا أشعب ما تراه قال وقالت له فقال
(حديثاً لَوَ أنّ اللحمَ يَصْلَى بحَرِّه ... غَريضاً أتى أصحابَه وهو مُنْضَجُ)
ذكر شوقا ووصف توقا ووعد ووفى والتقيا بمزة كلب فشفى واشتفى فذلك قوله
(حَبّذا ليلتي بمزّة كلبٍ ... غال عنّي بها الكَوَانينَ غُولُ)
فقال له إنك لعلامة بهذه الأحوال قال أجل بأبي أنت فاسأل عالما عن علمه
ومما في المائة الصوت المختارة من شعر عبيد الله بن قيس الرقيات
صوت من المائة المختارة
(يا قلبُ وَيْحَك لا تذهبْ بك الحُرَقُ ... إنّ الألَى كنتَ تهواهم قد انطلقُوا)
وذكر أنه لوضاح وقد أخرج في وضع آخر
ذكر مالك بن أبي السمح وأخباره ونسبه

هو مالك بن أبي السمح
واسم أبي السمح جابر بن ثعلبة الطائي أحد بني ثعل ثم أحد بني عمرو بن درماء
ويكنى أبا الوليد
وأمه قرشية من بني مخزوم وقيل بل أم أبيه منهم وهو الصحيح
وقال ابن الكلبي هو مالك بن أبي السمح بن سليمان بن أوس بن سماك بن سعد بن أوس بن عمرو بن درماء أحد بني ثعل
وأم أبيه بنت مدرك بن عوف بن عبيد بن عمرو بن مخزوم
وكان أبوه منقطعا إلى عبد الله ابن جعفر بن أبي طالب ويتيما في حجره أوصى به أبوه إليه فكان ابن جعفر يكفله ويمونه وأدخله وسائر إخوته في دعوة بني هاشم فهم معهم إلى اليوم
وكان أحول طويلا أحنى
قال الوليد بن يزيد فيه يعارض الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب في قوله فيه
(أبيضُ كالبدر أو كما يَلْمَع السارقُ ... في حالكٍ من الظُّلَمِ)
فقال له الوليد بل أنت
(أحولُ كالقردِ أو كما يَرْقُب السارقُ ... في حالكٍ من الظُّلَم)
أساتذته في الغناء وموته
وأخذ الغناء عن جميلة ومعبد وعمر حتى أدرك الدولة العباسية وكان منقطعا إلى بني سليمان بن علي ومات في خلافة أبي جعفر المنصور
أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حماد قرأت على أبي أن السبب في انقطاع أبي السمح إلى ابن جعفر أن السنة أقحمت طيئا فكان ثعلبة جد مالك أحدهم فولد أبو السمح بالمدينة وكان صديقا
للحسين بن عبد الله الهاشمي وكان سبب ذلك مودة كانت بينه وبين آل شعيب السهميين فلما تزوج حسين عابدة بنت شعيب السهمية خاصمهم بسببها وكان جد مالك معه وعونا له مع من عاونه فنشبت بذلك حال بينه وبين بني هاشم حتى ولد مالك في دورهم فصارت دعوته فيهم
أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد قرأت على أبي
وعمر مالك حتى أدرك دولة بني العباس وقدم على سليمان بن علي بالبصرة فمت إليه بخؤولته في قريش ودعوته لبني هاشم وانقطاعه إلى ابن جعفر فعجل له سليمان صلته وكساه وكتب له بأوساق من تمر
أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني ميمون بن هارون قال حدثني القاسم بن يوسف قال أخبرني الورداني قال كان مالك بن أبي السمح المغني من طيىء فأصابتهم حطمة في بلادهم بالجبلين فقدمت به أمه وبإخوة له وأخوات أيتام لا شيء لهم فكان يسأل الناس على باب حمزة بن عبد الله بن الزبير وكان معبد منقطعا
إلى حمزة يكون عنده في كل يوم يغنيه فسمع مالك غناءه فأعجبه واشتهاه فكان لا يفارق باب حمزة يسمع غناء معبد إلى الليل فلا يطوف بالمدينة ولا يطلب من أحد شيئا ولا يريم موضعه فينصرف إلى أمه ولم يكتسب شيئا فتضربه وهو مع ذلك يترنم بألحان معبد ويؤديها دورا دورا في مواضع صيحاته وإسجاحاته ونبراته نغما بغير لفظ ولا رواية شيء من الشعر وجعل حمزة كلما غدا وراح رآه ملازما لبابه فقال لغلامه يوما أدخل هذا الغلام الأعرابي إلي فأدخله فقال له من أنت فقال أنا غلام من طيىء أصابتنا حطمة بالجبلين فحطتنا إليكم ومعي أم لي وإخوة وإني لزمت بابك فسمعت من دارك صوتا أعجبني فلزمت بابك من أجله قال فهل تعرف منه شيئا قال أعرف لحنه كله ولا أعرف الشعر فقال إن كنت صادقا إنك لفهم
ودعا بمعبد فأمره أن يغنى صوتا فغناه ثم قال لمالك هل تستطيع أن تقوله قال نعم قال هاته فاندفع فغناه فأدى نغمه بغير شعر يؤدي مداته ولياته وعطفاته ونبراته وتعليقاته لا يخرم حرفا فقال لمعبد خذ هذا الغلام إليك وخرجه فليكونن له شأن قال معبد ولم أفعل ذلك قال لتكون محاسنه منسوبة إليك وإلا عدل إلى غيرك فكانت محاسنه منسوبة إليه فقال صدق الأمير وأنا أفعل ما أمرتني به
ثم قال حمزة لمالك كيف وجدت ملازمتك لبابنا قال أرأيت لو قلت فيك غير الذي أنت له مستحق من الباطل أكنت ترضى بذلك قال لا قال وكذلك لا يسرك أن تحمد بما لم تفعل قال نعم قال فوالله ما شبعت على بابك شبعة قط ولا انقلبت منه إلى أهل بخير فأمر له ولأمه ولإخوته بمنزل وأجرى لهم رزقا وكسوة وأمر لهم بخادم يخدمهم وعبد يسقيهم الماء وأجلس مالكا معه في مجالسه وأمر معبدا أن يطارحه فلم ينشب أن مهر
وحذق وكان ذلك بعقب مقتل هدبة بن خشرم فخرج مالك يوما فسمع امرأة تنوح على زيادة الذي قتله هدبة بن خشرم بشعر أخي زيادة
(أبعدَ الذي بالنَّعْفِ نَعْفِ كُوَيْكبٍ ... رهينةَ رَمْسٍ ذي تراب وجَنْدلِ)
(أُذَكَّرُ بالبُقْيَا على من أصابني ... وبُقْيَاي أنّي جاهدٌ غيرُ مُؤْتَلِي)
(فلا يَدْعُني قومي لزيد بن مالكٍ ... لئن لم أعجِّلْ ضربةً أو أُعجَّلِ)
(وإلا أَنَلْ ثأري من اليوم أو غدٍ ... بني عمِّنا فالدهرُ ذو مُتطَوَّلِ)
(أَنَخْتُمْ علينا كَلْكَلَ الحرب مرّةً ... فنحن مُنِيخُوها عليكم بكَلْكَلِ)
فغني في هذا الشعر لحنين أحدهما نحا فيه نحو المرأة في نوحها ورققه وأصلحه وزاد فيه والآخر نحا فيه نحو معبد في غنائه ثم دخل على حمزة فقال له أيها الأمير إني قد صنعت غناء في شعر سمعت بعض أهل المدينة ينشده وقد أعجبني فإن أذن الأمير غنيته فيه قال هاته فغناه
اللحن الذي نحا فيه نحو معبد فطرب حمزة وقال له أحسنت يا غلام هذا الغناء غناء معبد وطريقته فقال لا تعجل أيها الأمير واسمع مني شيئا
ليس من غناء معبد ولا طريقته قال هات فغناه اللحن الذي تشبه فيه بنوح المرأة فطرب حمزة حتى ألقى عليه حلة كانت عليه قيمتها مائتا دينار ودخل معبد فرأى حلة حمزة عليه فأنكرها وعلم حمزة بذلك فأخبر معبدا بالسبب وأمر مالكا فغناه الصوتين فغضب معبد لما سمع الصوت الأول وقال قد كرهت أن آخذ هذا الغلام فيتعلم غنائي فيدعيه لنفسه فقال له حمزة لا تعجل واسمع غناء صنعه ليس من شأنك ولا غنائك وأمره أن يغني الصوت الآخر فغناه فأطرق معبد فقال له حمزة

والله لو انفرد بهذا لضاهاك ثم يتزايد على الأيام وكلما كبر وزاد شخت أنت ونقصت فلأن يكون منسوبا إليك أجمل فقال له معبد وهو منكسر صدق الأمير
فأمر حمزة لمعبد بخلعة من ثيابه وجائزة حتى سكن وطابت نفسه فقام مالك على رجله فقبل رأس معبد وقال له يا أبا عباد أساءك ما سمعت مني والله لا أغني لنفسي شيئا أبدا ما دمت حيا وإن غلبتني نفسي فغنيت في شعر استحسنته لا نسبته إلا إليك فطب نفسا وارض عني فقال له معبد أو تفعل هذا وتفي به قال إي والله وأزيد فكان مالك بعد ذلك إذا غنى صوتا وسئل عنه قال هذا لمعبد ما غنيت لنفسي شيئا قط وإنما آخذ غناء معبد فأنقله إلى الأشعار وأحسنه وأزيد فيه وأنقص منه
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثنا الحسن بن عتبة اللهبي عن عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله أحد بني الحارث بن عبد المطلب قال
خرجت من مكة أريد العراق فحملت معي مالك بن أبي السمح من المدينة وذلك في أيام أبي العباس السفاح فكان إذا كانت عشية الخميس قال لنا يا معشر الرفقة إن الليلة ليلة الجمعة وأنا أعلم أنكم تسألوني الغناء وعلي وعلي إن غنيت ليلة الجمعة فإن أردتم شيئا فالساعة اقترحوا ما أحببتم فنسأله فيغنينا حتى إذا كادت الشمس أن تغيب طرب ثم صاح الحريق في دار شلمغان ثم يمر في الغناء فما يكون في ليلة أكثر غناء منه في تلك الليلة بعد الأيمان المغلظة

مالك بن أبي السمح وسليمان بن علي

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال
كان سليمان بن علي يسمع من مالك بن أبي السمح بالسراة لأنه كان إذا قدم الشأم على الوليد بن يزيد عدل إليهم في بدأته وعودته لانقطاعه إليهم فيبرونه ويصلونه فلما أفضى إليهم الأمر رأى سليمان مالكا على باب ابنه جعفر فقال له يا بني لقد رأيت ببابك أشبه الناس بمالك فقال له جعفر ومن مالك يوهمه أنه لا يعرفه فتغافل عنه سليمان لئلا ينبهه عليه فيطلبه وتوهم أنه لم يعرفه ولا سمع غناءه
قال حماد وحدثني أبي عن جدي إبراهيم أنه أخبره أنه رأى مالكا بالبصرة على باب جعفر بن سليمان أو أخيه محمد ولم يعرفه فسأل عنه بعد ذلك فعرفه وقد كان خرج عن البصرة قال فما لي حسرة مثل حسرتي بأني ما سمعت غناءه
أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو غسان محمد بن يحيى قال
كان مالك بن أبي السمح يتيما في حجر عبد الله بن جعفر وكان أبوه أبو السمح صار إلى عبد الله بن جعفر انقطع إليه فلما احتضر أوصى بمالك إليه فكلفه وعاله ورباه وأدخله في دعوة بني هاشم فهو فيهم إلى اليوم
ثم خطب حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس العابدة بنت شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص فمنعه بعض أهلها منها وخطبها لنفسه فعاون مالك حسينا وكانت العابدة تستنصحه وكانت بين أبيها شعيب وبينه مودة فأجابت حسينا وتزوجته فانقطع مالك إلى حسين فلما أفضى الأمر إلى بني هاشم قدم البصرة على سليمان بن علي فلما دخل إليه مت بصحبته عبد الله بن جعفر ودعوته في بني هاشم وانقطاعه إلى حسين فقال له سليمان أنا عارف بكل ما قلته يا مالك ولكنك كما تعلم وأخاف أن تفسد علي أولادي وأنا واصلك ومعطيك ما تريد وجاعل لك شيئا أبعث به إليك ما دمت حيا في كل عام على أن تخرج عن البصرة وترجع إلى بلدك قال أفعل جعلني الله فداك فأمر له بجائزة وكسوة وحمله وزوده إلى المدينة
أخبرني عمي الحسن بن محمد قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثني محمد بن هارون بن جناح قال أخبرني يعقوب بن إبراهيم الكوفي عمن أخبره قال
دخلت المدينة حاجا فدخلت الحمام فبينا أنا فيه إذ دخل صاحب الحمام فغسله ونظفه ثم دخل شيخ أعمى له هيئة مؤتزر بمنديل أبيض فلما جلس خرجت إلى صاحب الحمام فقلت له من هذا الشيخ قال هذا مالك بن أبي السمح المغني فدخلت عليه فقلت له يا عماه من أحسن الناس غناء فقال يابن أخي على الخبير سقطت أحسن الناس غناء أحسنهم صوتا
أخبرني عمي قال حدثني أبو أيوب المديني قال حدثني أبو يحيى العبادي عن إسحاق قال
كان فتية من قريش جلوسا في مجلس فمر بهم مالك بن أبي السمح فقال بعضهم لبعض لو سألنا مالكا فغنانا صوتا فقام إليه بعضهم فسأله النزول عندهم فعدل إليهم فسألوه أن يغنيهم فقال نعم والله بالحب والكرامة ثم اندفع يغني أوقع بالمقرعة على قربوس سرجه فرفع صوته فلم يقدر ثم خفضه فلم يقدر فجعل يبكي ويقول واشباباه
أخبرني عمي قال حدثني هارون بن محمد عن الزبير بن بكار عن عمه عن جده أنه كان في هؤلاء الفتية الذين كانوا سألوه الغناء وذكر باقي الخبر مثل ما ذكره إسحاق

مالك وعجاجة المخنث

أخبرني عمي قال حدثني أبو أيوب المديني قال حدثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال حدثني صالح بن أبي الصقر قال
قدم مالك بن أبي السمح المغني البصرة فلقيه عجاجة المخنث وكان أشهر من بها من المخنثين وقال له فديتك يا أبا الوليد إني كنت أحب أن ألقاك وأن أعرض عليك صوتا من غنائك أخذته عن بعض المخنثين فإن رأيت أن تنزل عندي فعلت فنزل مالك عنده فبسط له المخنث جرد قطيفة كانت عنده فجلس ثم أخذ عجاجة الدف فغنى
(حَبَّ إنّ الخِمارَ كان عليها ... شاهداً يوم زارتِ الجَوْشَنِيَّه)
(قد سَبَتْه بِدَلِّها حين جاءت ... تَتَهادَى في مِشْيَةٍ بَخْتَرِيَّه)
فجعل مالك يقول له ويلك من قال هذا لعنة الله ويحك من غنى هذا قبحه الله ويحك من روى عني هذا أخزاه الله ثم قام فركب وهو يضحك عجبا من عجاجة
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال أخبرني حماد بن إسحاق عن أبيه عن ابن جناح قال حدثني مصعب بن عثمان قال حدثني عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة بن الزبير قال حدثني مالك بن أبي السمح قال
قدمنا على يزيد بن عبد الملك أول قدومنا عليه مع معبد وابن عائشة فغنيناه ليلة فأطربناه فأمر لكل واحد منا بألف دينار وكتب لنا بها إلى كاتبه فغدونا عليه بالكتاب فلما رآه أنكره وقال أيؤمر لمثلكم بألف دينار ألف دينار لا والله ولا حبا ولا كرامة فرجعنا إلى يزيد فأخبرناه بمقالته وكررنا عليه فقال كأنه استنكر ذلك فقلنا نعم فقال مثله والله يستنكره ودعاه فلما حضر

ورآنا عنده استأمره فيها فأطرق مستحييا وقال له إني قد قلتها لهم ولا يجمل أن أرجع عما قلت ولكن قطعها عليهم
قال مالك فمات والله يزيد وقد بقي لكل واحد منا أربعمائة دينار
أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حماد قال قرأت على أبي وحدثنا الحسن بن محمد قال
لما انهزم عبد الله بن علي من أبي مسلم قدم البصرة وكان عند سليمان بن علي وكان مالك بن أبي السمح يومئذ بها فاستزاره جعفر ومحمد فزارهما وغناهما مالك في جوف الليل في دار سليمان بن علي وبلغ الخبر سليمان فدخل عليهم فعذل جعفرا ومحمدا وقال نحن نتوقع الطامة الكبرى وأنتم تسمعون الغناء فقالا ألا تجلس وتسمع ففعل فغناهم مالك
صوت
(ما كنتُ أوّلَ مَنْ خاسَ الزمانُ به ... قد كنتُ ذا نَجْدةٍ أُخْشَى وذا باسِ)
(أبلِغْ أبا معبدٍ عنّي وإخوتَه ... شوقي إليهم وأحزاني ووَسْوَاسِي)
فخرج وتركهم ولم ينكر عليهم شيئا
الحسين بن عبد الله يمدح مالكا
وفي مالك بن أبي السمح يقول الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس
صوت
(لا عيشَ إلا بمالكِ بن أبي السّمح ... فلا تَلْحَنِي ولا تَلُمِ)
(أبيضُ كالبدرِ أو كما يَلْمَع البارقُ ... في حالكٍ من الظُّلَمِ)
(مَنْ ليس يَعصِيكَ إن رَشَدتَ ولا ... يَهتِكُ حقَّ الإسلام والحُرَمِ)
(يُصيبُ من لَذّة الكريم ولا ... يَجهَلُ آي الترخيصِ في اللَّمَمِ)
(يارُبَّ ليلٍ لنا كحاشيةِ البردِ ... ويومٍ كذاكَ لم يَدُمِ)
(نَعِمتُ فيه ومالكَ بنَ أبي السمح ... الكريمَ الأخلاقِ والشّيمَ)
غناه مالك في الأول والثاني والثالث رملا بالبنصر في مجراها فيقال إن مالكا قال له لا والله ولا إن غويت أيضا أعصيك ذكر ذلك الزبير عن عمه مصعب
ويقال إنه قال هذه المقالة للوليد بن يزيد فسر بذلك وأجزل صلته
غناؤه الوليد بن يزيد
أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حماد قال حدثني أبي قال قال ابن الكلبي
قال الوليد بن يزيد لمعبد قد آذتني ولولتك هذه وقال لابن عائشة قد آذاني استهلالك هذا فانظر لي رجلا يكون مذهبه متوسطا بين مذهبيكما فقالا له مالك بن أبي السمح فكتب في إشخاصه إليه وسائر مغني الحجاز المذكورين فلما قدم مالك على الوليد بن يزيد فيمن معه من المغنين نزل على الغمر بن يزيد فأدخله على الوليد فغناه فلم يعجبه فلما انصرف الغمر قال له إن أمير المؤمنين لم يعجبه شيء من غنائك فقال له
جعلني الله فداك اطلب لي الإذن عليه مرة واحدة فإن أعجبه شيء مما أغنيه وإلا انصرفت إلى بلادي
فلما جلس الوليد في مجلس اللهو ذكره الغمر وطلب له الإذن وقال له إنه هابك فحضر قال فأذن له فبعث إليه فأمر مالك الغلام فسقاه ثلاث صراحيات صرفا فخرج حتى دخل عليه يخطر في مشيته
وقال غير ابن الكلبي إنه قال لفراش للوليد اسقني عسا من شراب ولك دينار فسقاه إياه وأعطاه الدينار ثم قال له زدني آخر فأزيدك آخر ففعل حتى شرب ثلاثة ثم دخل على الوليد يخطر في مشيته فلما بلغ باب المجلس وقف ولم يسلم وأخذ بحلقة الباب فقعقعها ثم رفع صوته فغنى
(لا عَيْشَ إلا بمالكِ بن أبي السمْح ... فلا تَلْحَنِي ولا تَلُمِ)
فطرب الوليد ورفع يديه حتى بدا إبطاه إليه مادا لهما وقام فاعتنقه قائما وقال له ادن يابن أخي فدنا حتى اعتنقه ثم أخذ في صوته ذلك فلم يزالوا فيه أياما وأجزل صلته حين أراد الانصراف
قال ولما أتى مالك على قوله
(أبيضُ كالسيف أو كما يَلْمَعُ البارقُ ... في حالِكٍ من الظُّلَمِ)
قال له الوليد
(أحْولُ كالقِرْد أو كما يَرْقُبُ السارقُ ... في حالكٍ من الظُّلَمِ)
مالك يأخذ غناء الناس وأصواتهم
وكان مالك طويلا أجنى فيه حول وقد قال قوم إن مالكا لم يصنع لحنا قط غير هذا أعني لا عيش إلا بمالك بن أبي السمح وإنه كان يأخذ غناء الناس فيزيد فيه وينقص منه وينسبه الناس إليه وكان إسحاق ينكر ذلك غاية الإنكار ويقول غناء مالك كله مذهب واحد لا تباين فيه ولو كان كما يقول الناس لاختلف غناؤه وإنما كان إذا غنى ألحان معبد الطوال خففها وحذف بعض نغمها وقال أطاله معبد ومططه وحذفته أنا وحسنته فأما ألا يكون صنع شيئا فلا
أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حماد قرأت على أبي وذكر بكار بن النبال
أن الوليد قال لمالك هل تصنع الغناء قال لا ولكني أزيد فيه وأنقص منه فقال له فأنت المحلي إذا
قال إسحاق وذكر الحسن بن عتبة اللهبي عن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الهاشمي الحارثي الذي يقال له سنابل وفيه يقول الشاعر
(فإن هي ضَنَّتْ عنكَ أو حِيل دونَها ... فدَعْها وقُلْ في ابن الكرامِ سَنَابِلِ)
قال خرجت من مكة أريد أبا العباس أمير المؤمنين فمررت على المدينة فحملت معي مالك بن أبي السمح فسألته يوما عن بعض ما ينسب إليه من الغناء فقال يا أبا الفضل عليه وعليه إن كان غنى صوتا قط ولكني آخذه وأحسنه وأهيئه وأطيبه فأصيب ويخطئون فينسب إلي
قال إسحاق وليس الأمر هكذا لمالك صنعة كثيرة حسنة وصنعته تجري في أسلوب واحد ويشبه بعضها بعضا ولو كان كما قيل لاختلف غناؤه
وقد قيل إن مالكا كان ينتفي من الصنعة لأن أكثر الأشراف هناك كانوا ينكرون
عليه فكان يتبذل به عند من يراه وينكره عند من يذمه لمحله في بني هاشم

وأخبرني بخبر سنابل هذا محمد بن مزيد قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني حمزة بن عتبة اللهبي عن سنابل فذكر الخبر وخالف ما رواه إسحاق أن الحسن بن عتبة حدثه وحكاه عن حمزة بن عتبة أخيه
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن هشام بن الكلبي عن أبيه عن محمد بن يزيد الليثي قال
سئل مالك بن أبي السمح عن صنعته في
(... لاحَ بالدَّيْر من أُمامةَ نارُ)
فقال أخذته والله من خربنده بالشأم يسوق أحمرة فكان يترنم بهذا اللحن بلا كلام فأخذته فكسوته هذا الشعر
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال
نزل مالك بن أبي السمح عند رجل بمكة مخزومي وكان له غلام حائك فأتاه آت فقال أما سمعت غناء غلامك الحائك قال لا أويغني قال نعم بشعر لأبي دهبل الجمحي فبعث إليه فأتاه فقال تغنه فقال ما أحسن ذاك إلا على حفي فخرج مولاه ومعه مالك إلى بيته فلما جلس على حفه تغنى
(... (تطاولَ هذا الليلُ ما يَتبلَّجُ
فأخذه مالك عنه وغناه فنسبه الناس إليه وكان يقول والله ما غنيته قط ولا غناه إلا الحائك
نسبة هذين الصوتين
صوت
(لاحَ بالدَّيْر من أُمامةَ نارُ ... لمحبٍّ له بيَثْرِبَ دارُ)
(قد تَراها ولو تشاءُ من القُرْب ... لأغناكَ عن نَداها السِّرارُ)
الشعر للأحوص ويقال إنه لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت
والغناء لمالك بن أبي السمح ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر
وفيه لحن لمعبد ذكره إسحاق
صوت
(تَطَاوَلَ هذا الليلُ ما يَتبَلَّجُ ... وأعيتْ غَوَاشِي سَكْرَتِي ما تَفَرّجُ)
(أبيتُ بِهَمٍّ ما أنامُ كأنما ... خِلالَ ضُلوعِي جمرةٌ تَتوهّجُ)
(فَطَوْراً أُمنّي النفسَ من تُكْتَمَ المُنَى ... وطوراً إذا ما لجّ بي الحبُّ أنْشِجُ)
عروضه من الطويل الشعر لأبي دهبل والغناء لمالك بن أبي السمح
ثقيل أول بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن جده قال
قال ابن عائشة حضرت الوليد بن يزيد يوم قتل وكان معنا مالك بن أبي السمح وكان من أحمق الناس فلما قتل الوليد قال اهرب بنا فقلت وما يريدون منا قال وما يؤمنك أن يأخذوا رأسينا فيجعلوا رأسه بينهما ليحسنوا أمرهم بذلك قال ابن عائشة فما رأيت منه عقلا قط قبل ذلك اليوم
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال قال الزبير بن بكار حدثتني ظبية قالت رأيت مالك بن أي السمح وهو على منامته يلقي على ابنه وقد كبر وانقطع
صوت
(اِعتادَ هذا القلبَ بَلْبالُهُ ... إذ قُرِّبتْ للبيْنِ أجمالُهُ)
(خَوْدٌ إذا قامتْ إلى خِدْرِها ... قامت قَطُوفُ المَشْيِ مِكْسالُهُ)
(تَفْتَرُّ عن ذي أُشُرٍ باردٍ ... عَذْبٍ إذا ما ذِيقَ سَلْسالُهُ)
الشعر لعمر بن أبي ربيعة ولمالك بن أبي السمح فيه ثلاثة ألحان خفيف ثقيل مطلق في مجرى الوسطى وثقيل أول بالوسطى في مجراها جميعا عن إسحاق وخفيف رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة وقيل إنه لابن سريج وفيه رمل ينسب إلى ابن جامع وابن سريج
شعر في رثائه
أخبرني وكيع قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال قال أبو عبيدة سمعت منشدا ينشد لنفسه يرثي مالكا بهذه القصيدة
(يا مالُ إني قَضَتْ نفسي عليكَ وما ... بيني وبينَكَ من قُرْبَى ولا رَحِمِ)
(إلا الذي لك في قَلْبي خُصِصتَ به ... من المودّة في سِتْرٍ وفي كَرَمِ)
قال إسحاق قال أبو عبيدة هو مالك بن أبي السمح انقضت أخباره
صوت من المائة المختارة
من رواية هارون بن الحسن بن سهل وابن المكي وأبي العبيس ومن روى جحظة عنه
(فإلاّ تَجَلّلها يُعالُوكَ فوقها ... وكيف تَوَقَّى ظهرَ ما أنتَ راكبُهْ)
(همُ قتلوه كي يكونوا مكانَه ... كما غدرتْ يوماً بكسرى مَرازِبُهْ)
(بني هاشمٍ رُدُّوا سِلاحَ ابنِ أختِكم ... ولا تَنْهَبوه لا تَحِلُّ مَناهِبُهْ)
عروضه من الطويل
البيت الأول من الشعر لرجل من بني نهد
جاهلي وباقي الأبيات للوليد بن عقبة بن أبي معيط
والغناء لابن محرز ولحنه من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن يونس وإسحاق وهو اللحن المختار
وفيه للغريض ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق
وفيه لمعبد ثقيل أول آخر مطلق في مجرى الوسطى عن عمرو وعن الهشامي
وفيه لسلسل في الثاني والثالث ثقيل أول بالبنصر عن حبش
وفيه لعطرد خفيف ثقيل
خبر النهدي في هذا الشعر وخبر الوليد بن عقبة وقد مضى نسبه في أول الكتاب
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرني عمي عن ابن الكلبي عن أبيه عن عبد الرحمن المدائني وكان عالما

بأخبار قومه قال وحدثنيه أبو مسكين أيضا قالا
كان الحارث بن مارية الغساني الجفني مكرما لزهير بن جناب الكلبي ينادمه ويحادثه فقدم على الملك رجلان من بني نهد بن زيد يقال لهما حزن وسهل ابنا رزاح وكان عندهما حديث من أحاديث العرب فاجتباهما الملك ونزلا بالمكان الأثير منه فحسدهما زهير بن جناب فقال أيها الملك وهما والله عين لذي القرنين عليك يعني المنذر الأكبر جد النعمان ابن المنذر وهما يكتبان إليه بعورتك وخلل ما يريان منك قال كلا فلم يزل به زهير حتى أوغر صدره وكان إذا ركب يبعث إليهما ببعيرين يركبان معه فبعث إليهما بناقة واحدة فعرفا الشر فلم يركب أحدهما وتوقف فقال له الآخر
(فإلاَّ تَجَلَّلْها يُعالُوكَ فَوْقَها ... وكيف تَوَقَّى ظهرَ ما أنتَ راكِبُهْ)
فركبها مع أخيه ومضى بهما فقتلا ثم بحث عن أمرهما بعد ذلك
فوجده باطلا فشتم زهيرا وطرده فانصرف إلى بلاد قومه وقدم رزاح أبو الغلامين إلى الملك وكان شيخا عالما مجربا فأكرمه الملك وأعطاه دية ابنيه وبلغ زهيرا مكانه فدعا ابنا له يقال له عامر وكان من فتيان العرب لسانا وبيانا فقال له إن رزاحا قد قدم على الملك فالحق به واحتل في أن تكفينيه وقال له اذممني عند الملك ونل مني وأثر به آثارا فخرج الغلام حتى قدم الشأم فتلطف للدخول على الملك حتى وصل إليه فأعجبه ما رأى منه فقال له من أنت قال أنا عامر بن زهير بن جناب قال فلا حياك الله ولا حيا أباك الغادر الكذوب الساعي فقال الغلام نعم فلا حياه الله أنظر أيها الملك ما صنع بظهري وأراه آثار الضرب فقبل ذلك منه وأدخله في ندمائه فبينا هو يحدثه يوما إذ قال له أيها الملك إن أبي وإن كان مسيئا فلست أدع أن أقول الحق قد والله نصحك أبي ثم أنشأ يقول
(فيا لكِ نَصْحَةً لمّا نَذُقْها ... أراها نصحةً ذهبت ضلالا)
ثم تركه أياما وقال له بعد ذلك أيها الملك ما تقول في حية قد قطع ذنبها وبقي رأسها قال ذاك أبوك وصنيعه بالرجلين ما صنع قال أبيت اللعن والله ما قدم رزاح إلا ليثأر بهما فقال له وما آية ذلك قال اسقه الخمر ثم ابعث إليه عينا يأتك بخبره فلما انتشى صرفه إلى قبته ومعه بنت له وبعث عليه عيونا فلما دخل قبته قامت إليه ابنته تسانده فقال
(دَعِيني من سِنادِكِ إنّ حَزْناً ... وسَهْلاً ليس بعدهما رُقودُ)
(ألا تَسلِين عن شِبْلَيِّ ماذا ... أصابهما إذا اهْتَرش الأُسودُ)
(فإنّي لو ثأرتُ المرءَ حَزْناً ... وسَهْلاً قد بدا لكِ ما أُريد)
فرجع القوم إلى الملك فأخبروه بما سمعوا فأمر بقتل النهدي رزاح ورد زهيرا إلى موضعه
وقد أنشدني محمد بن العباس اليزيدي قال أنشدنا محمد بن حبيب أبيات الوليد هذه على الولاء وهي
(ألاَ مَن لِلَيْلٍ لا تَغُور كواكبُهْ ... إذا لاح نجمٌ لاح نجم يراقبه)
(بني هاشم رُدّوا سلاحَ ابن اختكم ... ولا تَنْهبوه لا تَحِلُّ مناهِبُهْ)
(بني هاشم لا تَعْجَلوا بإقادةٍ ... سواءٌ علينا قاتلوه وسالِبُهْ)
(فقد يُجْبَر العظْم الكسير ويَنْبري ... لذي الحقّ يوماً حقُّه فيطالبُهْ)
(وإنّا وإيّاكم وما كان منكم ... كصَدْعِ الصَّفا لا يَرْأَبُ الصَّدْعَ شاعِبُهْ)
(بني هاشم كيف التعاقُد بيننا ... وعند عليٍّ سيفُه وحرائِبُهْ)
(لعَمْرُكَ لا أنسى ابنَ أرْوَى وقتلَه ... وهل ينسيَنّ الماءَ ما عاش شارِبُهْ)
(همُ قتلوه كي يكونوا مكانَه ... كما غدَرتْ يوماً بِكسْرَى مَرازِبُهْ)
(وإنّي لمجتابٌ إليكم بجحفلٍ ... يُصِمُّ السَّميعَ جَرْسُه وجَلائبُهْ)
وقد أجاب الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب الوليد عن هذه الأبيات وقيل بل أبوه العباس بن عتبة المجيب له أيضا والجواب
صوت
(فلا يسألونا بالسلاح فإنه ... أُضِيع وألقاه لَدى الرَّوْع صاحبُهْ)
(وشبَّهْتَه كسرى وقد كان مثلُه ... شبيهاً بكسرى هَدْيُه وعصائبُهْ)
ذكر أحمد بن المكي أن لابن مسجح فيه لحنا وأن لحنه من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى الوسطى وقال غيره إنه من منحول أبيه يحيى إلى ابن مسجح

ذكر باقي خبر الوليد بن عقبة ونسبه

الوليد بن عقبة بن أبي معيط وقد مضى نسبه مع أخبار ابنه أبي قطيفة
ويكنى الوليد أبا وهب
وهو أخو عثمان بن عفان لأمه أمهما أروى بنت كريز وأمها البيضاء بنت عبد المطلب
وكان من فتيان قريش وشعرائهم وشجعانهم وأجوادهم وكان فاسقا وولي لعثمان رضي الله عنه الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص فشرب الخمر وشهد عليه بذلك فحده وعزله
وهو الذي يقول يرثي عثمان رضي الله عنه ويحرض معاوية
(واللّه ما هندٌ بأُمِّك إن مضى النهارُ ... ولم يَثْأر لعثمان ثائرُ)
(أيقتُل عبدُ القوم سيِّدَ أهلِه ... ولم تقتلوه ليت أمَّكَ عاقرُ)
(وإنا متى نقتلْهمُ لا يُقِدْ بهم ... مُقِيدٌ فقد دارت عليك الدوائر)

منزلته عند عثمان رض

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عبد الله بن محمد بن حكيم عن خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد عن أبيه قال
لم يكن يجلس مع عثمان رضي الله عنه على سريره إلا العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن حرب والحكم بن أبي العاصي والوليد بن عقبة فأقبل الوليد يوما فجلس ثم أقبل الحكم فلما رآه عثمان زحل له عن مجلسه فلما قام الحكم قال له الوليد والله يا أمير المؤمنين لقد تلجلج في صدري بيتان قلتهما حين رأيتك آثرت عمك على ابن أمك
فقال له عثمان رضي الله تعالى عنه إنه شيخ قريش فما البيتان اللذان قلتهما قال قلت
(رأيت لعمِّ المرءِ زُلْفَى قرابةٍ ... دُوَيْن أخيه حادثاً لم يكن قِدْمَا)
(فأمّلتُ عَمْراً أن يَشِبّ وخالدا ... لكي يدعُواني يوم مَزْحمةٍ عمّا)

يعني عمرا وخالدا ابني عثمان
قال فرق له عثمان وقال له قد وليتك العراق يعني الكوفة
الوليد بن عقبة وسعد بن أبي وقاص
أخبرني أحمد قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني بعض أصحابنا عن ابن دأب قال
لما ولي عثمان رضي الله عنه الوليد بن عقبة الكوفة قدمها وعليها سعد ابن أبي وقاص فأخبر بقدومه فقال وما صنع قال وقف في السوق فهو يحدث الناس هناك ولسنا ننكر شيئا من شأنه فلم يلبث أن جاءه نصف النهار فاستأذن على سعد فأذن له فسلم عليه بالإمرة وجلس معه فقال له سعد ما أقدمك أبا وهب قال أحببت زيارتك قال وعلى ذلك أجئت بريدا قال أنا أرزن من ذلك ولكن القوم احتاجوا إلى عملهم فسرحوني إليه وقد استعملني أمير المؤمنين على الكوفة فمكث طويلا ثم قال لا والله ما أدري أصلحت بعدنا أم فسدنا بعدك ثم قال
(خُذيني فجُرِّيني ضِباعُ وأَبْشِري ... بلحم امرئٍ لم يَشهد اليوم ناصرُهْ)
فقال أما والله لأنا أقول للشعر وأروى له منك ولو شئت لأجبتك ولكني أدع ذلك لما تعلم نعم والله قد أمرت بمحاسبتك والنظر في أمر عمالك ثم بعث إلى عماله فحبسهم وضيق عليهم فكتبوا إلى سعد
يستغيثون فكلمه فيهم فقال له أو للمعروف عندك موضع قال نعم والله فخلى سبيلهم
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني عمر قال حدثنا جناد بن بشر قال حدثني جرير عن مغيرة بنحوه
قال أبو زيد عمر بن شبة أخبرنا أبو بكر الباهلي قال حدثنا هشيم عن العوام بن حوشب
أنه لما قدم على سعد قال له سعد ما أدري أكسبت بعدنا أم حمقنا بعدك فقال لا تجزعن أبا إسحاق فإنما هو الملك يتغداه قوم ويتعشاه آخرون فقال له سعد أراكم والله ستجعلونه ملكا
أخبرني أحمد قال حدثني عمر قال حدثني المدائني عن بشر بن عاصم عن الأعمش عن شقيق بن سلمة قال
قدم الوليد بن عقبة عاملا لعثمان على الكوفة وعبد الله بن مسعود على بيت المال وكان سعد قد أخذ مالا فقال الوليد لعبد الله خذه بالمال فكلمه عبد الله بمحضر من الوليد في ذلك فقال سعد آتي أمير
المؤمنين فإن أخذني به أديته
فغمز الوليد عبد الله ونظر إليهما سعد فنهض وقال فعلتماها ودعا الله أن يغري بينهما وأدى المال
أخبرني أحمد قال حدثني عمر بن شبة قال حدثنا هارون بن معروف قال حدثنا ضمرة بن ربيعة عن ابن شوذب قال صلى الوليد بن عقبة بأهل الكوفة الغداة أربع ركعات ثم التفت إليهم فقال أأزيدكم فقال عبد الله بن مسعود ما زلنا معك في زيادة منذ اليوم
أخبرني أحمد قال حدثني عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا جرير عن الأجلح عن الشعبي في حديث الوليد بن عقبة حين شهدوا عليه قال قال الحطيئة
(شهد الحطيئةَ يوم يلقى ربَّه ... أنّ الوليدَ أحقّ بالعُذر)
(نادى وقد تمّت صلاتُهم ... أأزيدكم سُكراً وما يدري)
(فأَبَوْا أبا وَهْب ولو أذِنوا ... لقَرَنْتَ بين الشفع والوتْر)
(كَفُّوا عِنانَك إذ جريتَ ولو ... تركوا عِنانك لم تزل تجري)
وقال الحطيئة أيضا
((تكلّم في الصلاة وزاد فيها ... عَلانِيَةً وجاهر بالنِّفاقِ
(ومجّ الخمرَ في سَنَنِ المُصلّى ... ونادى والجميعُ إلى افتراق)
(أزيدكُم على أن تحمَدُوني ... وما لكُم ومالي من خَلاق)
صلى بالناس وهو مخمور فضرب الحد
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال قال حماد بن إسحاق حدثني أبي قال ذكر أبو عبيدة وهشام بن الكلبي والأصمعي قالوا
كان الوليد بن عقبة زانيا شريب خمر فشرب الخمر بالكوفة وقام ليصلي بهم الصبح في المسجد الجامع فصلى بهم أربع ركعات ثم التفت إليهم وقال لهم أزيدكم وتقيأ في المحراب وقرأ بهم في الصلاة وهو رافع صوته
(عَلِق القلبُ الرَّبابَا ... بعد ما شابَتْ وشابا)
فشخص أهل الكوفة إلى عثمان فأخبروه خبره وشهدوا عليه بشربه الخمر فأتي به فأمر رجلا بضربه الحد فلما دنا منه قال له نشدتك الله وقرابتي من أمير المؤمنين فتركه فخاف علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يعطل الحد فقام إليه فحده فقال له الوليد نشدتك بالله وبالقرابة فقال له علي اسكت أبا وهب فإنما هلكت بنو إسرائيل بتعطيلهم الحدود فضربه وقال لتدعوني قريش بعد هذا جلادها
قال إسحاق فأخبرني مصعب الزبيري قال قال الوليد بن عقبة بعد ما جلد اللهم إنهم شهدوا علي
بزور فلا ترضهم عن أمير ولا ترض عنهم أميرا
فقال الحطيئة يكذب عنه
(شهد الحُطَيئةُ يومَ يلقى ربَّه ... أنّ الوليد أحقُّ بالعُذْر)
(خلَعُوا عِنانَك إذ جريتَ ولو ... تركوا عِنانَك لم تَزَل تَجْري)
(ورأَوْا شمائلَ ماجدٍ أنِفٍ ... يُعْطِي على الميسور والعُسْر)
(فنُزعتَ مكذوباً عليك ولم ... تَنْزِعْ إلى طمَعٍ ولا فقر)
فقال رجل من بني عجل يرد على الحطيئة
(نادَى وقد تَمّتْ صَلاتُهُم ... أأزيدكم ثَمِلاً وما يَدْري)
(لِيزيدَهم خَيْراً ولو قَبِلوا ... لقَرَنْتَ بين الشَّفْع والوتر)
(فأَبَوْا أبا وَهْب ولو فعلوا ... وصلتْ صَلاتُهُم إلى العَشْرْ)
وروى العباس بن ميمون طائع عن ابن عائشة قال حدثني أبي قال
لما أحضر عثمان رضي الله عنه الوليد لأهل الكوفة في شرب الخمر حضر الحطيئة فاستأذن على عثمان وعنده بنو أمية متوافرون فطمعوا أن يأتي الوليد بعذر فقال

(شَهد الحُطَيئةُ يوم يلقى ربَّه ... أنّ الوليد أحقُّ بالعذر)
(خلعوا عِنانَك إذ جريتَ ولو ... تركوا عِنانك لم تزل تجري)
(ورأوْا شمائل ماجدٍ أَنِفٍ ... يُعطي على الميسور والعُسر)
(فنُزعتَ مكذوباً عليك ولم ... تَنزع إلى طمع ولا فقر)
قال فسروا بذلك وظنوا أن قد قام بعذره فقال رجل من بني عجل يرد على الحطيئة
((نادى وقد تَمّتْ صَلاتُهُم ... أأزيدكم ثَمِلاً وما يَدْري
(فأَبَوْا أبا وَهْبٍ ولو فعلوا ... وصلتْ صلاتُهمُ إلى العَشْرِ)
فوجم القوم وأطرقوا فأمر به عثمان رضي الله تعالى عنه فحد
أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني محمد بن الفضل من حفظه قال حدثنا عمر بن شبة من حفظه ونسخت من كتاب لهارون بن الزيات بخطه عن عمر بن شبة وروايته أتم فحكيت لفظه قال
شهد رجل عند أبي العجاج وكان على البصرة على رجل من المعيطيين شهادة وكان الرجل الشاهد سكران فقال المشهود عليه وهو المعيطي أعزك الله إنه لا يحسن أن يقرأ من السكر فقال الشاهد بلى إني لأحسن فقال اقرأ فقال
(عَلِق القلبُ الرَّبابا ... بعد ما شابت وشابا)
قال وإنما تماجن بذلك على المعيطي ليحكي به ما صنع الوليد بن عقبة في محراب الكوفة وقد تقدم للصلاة وهو سكران فأنشد في صلاته هذا الشعر وكان أبو العجاج محمقا فظن أن هذا قرآن فقال صدق الله ورسوله ويلكم فلم تعلمون ولا تعملون
ولقد روي أيضا في الشهادة على الوليد في السكر غير ما ذكر من زيادته في الصلاة
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال عرضت على المدائني عن مبارك بن سلام عن فطر بن خليفة عن أبي الضحى قال
كان أبو زينب الأزدي وأبو مورع يطلبان عثرة الوليد بن عقبة فجاءا
يوما فلم يحضر الصلاة فسألا عنه وتلطفا حتى علما أنه يشرب فاقتحما عليه الدار فوجداه يقيء فاحتملاه وهو سكران فوضعاه على سريره وأخذا خاتمه من يده فأفاق فافتقد خاتمه فسأل عنه فقالوا لا ندري وقد رأينا رجلين دخلا الدار فاحتملاك فوضعاك على سريرك فقال صفوهما لي فقالوا أحدهما آدم طويل حسن الوجه والآخر عريض مربوع عليه خميصة فقال هذا أبو زينب وأبو مورع
ولقي أبو زينب وصاحبه عبد الله بن حبيش الأسدي وعلقمة بن يزيد البكري وغيرهما فأخبراهم فقالوا اشخصوا إلى أمير المؤمنين فأعلموه فقال بعضهم لا يقبل قولنا في أخيه فشخصوا إليه وقالوا إنا جئناك في أمر ونحن مخرجوه إليك من أعناقنا وقد قلنا إنك لا تقبله قال وما هو قالوا رأينا الوليد وهو سكران من خمر قد شربها وهذا خاتمه أخذناه وهو لا يعقل فأرسل إلى علي رضي الله تعالى عنه فشاوره فقال أرى أن تشخصه فإن شهدوا عليه بمحضر منه حددته فكتب عثمان رضي الله تعالى عنه إلى الوليد بن عقبة فقدم عليه فشهد عليه أبو زينب وأبو مورع وجندب الأسدي وسعد بن مالك الأشعري ولم يشهد عليه إلا يمان فقال عثمان لعلي قم فاضربه فقال علي للحسن قم فاضربه فقال الحسن مالك ولهذا يكفيك غيرك فقال علي لعبد الله بن جعفر قم فاضربه فضربه بمخصرة فيها سير له رأسان فلما بلغ أربعين قال له علي حسبك

ما وقع بين عثمان وعائشة بسببه

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا المدائني عن الوقاصي عن الزهري قال خرج رهط من أهل الكوفة إلى عثمان في أمر الوليد فقال أكلما غضب رجل منكم على أميره رماه بالباطل لئن أصبحت لكم لأنكلن بكم فاستجاروا بعائشة وأصبح عثمان فسمع من حجرتها صوتا وكلاما فيه بعض الغلظة فقال أما يجد مراق أهل العراق وفساقهم ملجأ إلا بيت عائشة فسمعت فرفعت نعل رسول الله وقالت تركت سنة رسول الله صاحب هذه النعل فتسامع الناس فجاؤوا حتى ملؤوا المسجد فمن قائل أحسنت ومن قائل ما للنساء ولهذا حتى تحاصبوا و تضاربوا بالنعال ودخل رهط من أصحاب رسول الله على عثمان فقالوا له اتق الله ولا تعطل الحد واعزل أخاك عنهم فعزله عنهم
أخبرني أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا المدائني عن أبي محمد الناجي عن مطر الوراق قال
قدم رجل المدينة فقال لعثمان رضي الله عنه إني صليت الغداة خلف الوليد بن عقبة فالتفت إلينا فقال أأزيدكم إني أجد اليوم نشاطا وأنا أشم منه رائحة الخمر فضرب عثمان الرجل فقال الناس عطلت الحدود وضربت الشهود
أخبرني أحمد قال حدثني عمر قال حدثنا أبو بكر الباهلي عن بعض من حدثه قال
لما شهد على الوليد عند عثمان بشرب الخمر كتب إليه يأمره
بالشخوص فخرج وخرج معه قوم يعذرونه فيهم عدي بن حاتم فنزل الوليد يوما يسوق بهم فقال يرتجز
(لا تحسَبنّا قد نَسِينا الإيجافْ ... والنَّشَوَات من عَتيق أو صَافْ)
(... وعَزْفَ قَيْناتٍ علينا عُزّافْ)
فقال عدي إلى أين تذهب بنا أقم
أخبرني أحمد قال حدثنا عمر قال عرضت على المدائني عن قيس بن الربيع عن الأجلح عن الشعبي عن جندب قال
كنت فيمن شهد على الوليد فلما استتممنا عليه الشهادة حبسه عثمان ثم ذكر باقي خبره وضرب علي عليه السلام إياه وقول الحسن ما لك ولهذا فزاد فيه فقال له علي لست إذا مسلما أو من المسلمين
حدثنا إبراهيم بن عبد الله المخزومي قال حدثنا سعيد بن محمد المخزومي قال حدثنا ابن علية قال حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن عبد الله
الداناج قال سمعت الحضين بن المنذر أبا ساسان يحدث وأخبرني أحمد ابن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن حاتم قال حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن علية قال حدثنا سعيد بن أبي عروبة قال حدثنا عبد الله الداناج عن حضين أبي ساسان قال
لما جيء بالوليد بن عقبة إلى عثمان بن عفان وقد شهدوا عليه بشرب الخمر قال لعلي دونك ابن عمك فأقم عليه الحد فأمر به فجلد أربعين
ثم ذكر نحو هذا الحديث وقال فيه فقال علي للحسن بل ضعفت ووهنت وعجزت قم يا عبد الله بن جعفر فقام فجلده

وعلي يعد حتى بلغ أربعين فقال علي أمسك جلد رسول الله أربعين وجلد أبو بكر أربعين وأتمها عمر ثمانين وكل سنة
أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر قال حدثنا عبد الله بن محمد ابن حكيم عن خالد بن سعيد قال
لما ضرب عثمان الوليد الحد قال إنك لتضربني اليوم بشهادة قوم ليقتلنك عاملا قابلا
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي عن عمه عبيد الله قال أخبرني محمد ابن حبيب عن ابن الأعرابي قال وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عبد الله بن محمد بن حكيم عن خالد بن سعيد وأخبرني إبراهيم بن محمد بن أيوب قال حدثنا عبد الله بن مسلم قالوا جميعا
كان أبو زبيد الطائي نديما للوليد بن عقبة أيام ولايته الكوفة فلما شهد عليه بالسكر من الخمر وخرج من الكوفة قال أبو زبيد واللفظ في القصيدة لليزيدي لأنها في روايته أتم
(مَن يرى العِيرَ لابن أرْوَى على ظهر ... المَرَوْرَى حُدَاتُهنّ عِجالُ)
(مُصْعِداتٍ والبيتُ بيتُ أبي وَهْبٍ ... خَلاءٌ تَحِنُّ فيه الشَّمال)
(يعرف الجاهلُ المُضَلّل أنّ الدهر ... فيه النَّكْراء والزِّلْزال)
(ليت شعري كذاكمُ العهدِ أم كانوا ... أُناساً كمَن يزول فزالوا)
(بعد ما تَعْلَمين يا أمَّ زيدٍ ... كان فيهم عِزٌّ لنا وجَمال)
(ووجوهٌ بوُدِّنا مشرقاتٌ ... ونَوَالٌ إذا أُريد النَّوال)
((أصبح البيتُ قد تبدّل بالحيّ وجوهاً كأنّها الأقْتالُ)
(كلُّ شيء يحتال فيه الرجالُ ... غيرَ أنْ ليس للمنايا احتيال)
(ولَعَمْرُ الإلهِ لو كان للسيف ... مَصَالٌ أو للّسان مَقَال)
(ما تناسيتُك الصفاءَ ولا الودُّ ... ولا حال دونك الأشغال)
(ولحرَّمتُ لَحْمَك المُتعضّى ... ضَلّةً ضَلَّ حِلْمُهم ما اغتالوا)
(قولُهم شُرْبُك الحرامَ وقد كان ... شرابٌ سوى الحرام حَلال)
(وأبى الظّاهرُ العداوةِ إلاّ ... شَنَآناً وقولَ ما لا يُقال)
(من رجالٍ تَقارضوا مُنْكَراتٍ ... لِيَنَالوا الذي أرادوا فنالوا)
(غيرَ ما طالِبين ذَحْلاً ولكن ... مال دهرٌ على أُناس فمالوا)
(مَن يَخُنْك الصّفاءَ أو يتبدَّلْ ... أو يَزُلْ مثلَ ما تزولَ الظلال)
(فاعلمن أنّني أخوك أخو الودَّ ... حياتي حتى تزول الجبال)
(ليس بخلاً عليك عندي بمالٍ ... أبداً ما أقَلَّ نعلاً قِبال)
(ولك النّصر باللسان وبالكفّ ... إذا كان لليدين مَصَال)
نسبة ما في هذا الشعر من الغناء
صوت
(مَن يَرى العِيرَ لابن أرْوَى على ظهر ... المَرَوْرَى حُداتُهنَ عِجالُ)
(مُصْعِداتٍ والبيتُ بيتُ أبي وَهْبٍ ... خلاءٌ تَحِنّ فيه الشَّمال)
عروضه من الخفيف
المرورى جمع مروراة وهي الصحراء
غنى الدلال فيه خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق وغيره
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال
لما قدم الوليد بن عقبة الكوفة قدم عليه أبو زبيد فأنزله دار عقيل بن أبي طالب على باب المسجد وهي دار القبطي فكان مما احتج به عليه أهل الكوفة أن أبا زبيد كان يخرج إليه من داره يخترق المسجد وهو نصراني فيجعله طريقا
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله عن أبي حبيب بن جبلة عن ابن الأعرابي
أن أبا زبيد وفد على الوليد حين استعمله عثمان على الكوفة فأنزله الوليد دارا لعقيل بن أبي طالب على باب المسجد فاستوهبها منه فوهبها له فكان ذلك أول الطعن عليه من أهل الكوفة لأن أبا زبيد كان يخرج من منزله حتى يشق الجامع إلى الوليد فيسمر عنده ويشرب معه ويخرج فيشق المسجد وهو سكران فذلك نبههم عليه

عمر يوليه صدقات بني تغلب

قال وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ولى الوليد بن عقبة صدقات بني تغلب فبلغه عنه بيت قاله وهو
(إذا ما شَدَدْتُ الرأسَ مِنّي بِمِشْوَذٍ ... فغَيَّكِ مِنّي تَغْلِبَ بنةَ وائلِ)
فعزله
وكان أبو زبيد قد استودع بني كنانة بن تيم بن أسامة بن مالك بن بكر ابن حبيب بن غنم بن تغلب إبلا فلم يردوها عليه حين طلبها وكانت بنو تغلب أخوال أبي زبيد فوجد الوليد بني تغلب ظالمين لأبي زبيد فأخذ له الوليد بحقه فقال يمدح الوليد
(يا ليت شعري بأنْباءٍ أُنَبَّؤُها ... قد كان يَعْيا بها صَدْري وتَقْديري)
(عن امرىءٍ ما يَزِدْه اللهُ من شَرَفٍ ... أفرَحْ به ومُرّيٌّ غيرُ مسرور)
يعني مري بن أوس بن حارثة بن لأم
وهي طويلة يقول فيها
(إنّ الوليدَ له عندي وحُقَّ له ... وُدُّ الخليل ونُصْحٌ غيرُ مَذْخورِ)
(لقد رعاني وأدناني وأظهرني ... على الأعادي بنصرٍ غير تَعْذير)
(فشَذَّب القومَ عنّي غير مكترثٍ ... حتى تناهَوْا على رغمٍ وتَصْغير)
(نفسي فداءُ أبي وَهْبٍ وقَلَّ له ... يا أُمَّ عمرٍو فحُلّي اليومَ أو سِيري)
وفي رواية ابن حبيب يا أم زيد يعني يا أم أبي زبيد
أخبرني محمد بن العباس عن عمه عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال
كان الوليد بن عقبة قد استعمل الربيع بن مري بن أوس بن حارثة بن لأم الطائي على الحمى فيما بين الجزيرة وظهر

الحيرة فأجدبت الجزيرة وكان أبو زبيد في تغلب فخرج بهم ليرعيهم فأبى عليه الأوسي وقال إن شئت أن أرعيك وحدك فعلت وإلا فلا فأتى أبو زبيد الوليد بن عقبة فأعطاه ما بين القصور الحمر من الشأم إلى القصور الحمر من الحيرة وجعله له حمى وأخذها من الآخر
هكذا روى ابن حبيب
وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال كانت الجنينة في يد مري بن أوس فلما قدم الوليد بن عقبة الكوفة انتزعها منه ودفعها إلى أبي زبيد
والقول الأول أصح وشعر أبي زبيد يدل عليه في قوله في الوليد بن عقبة يمدحه
(لَعَمرُ أبيك يابنَ أبي مُرَيٍّ ... لَغَيْرُك من أباح لها الدِّيارا)
(أباح لها أبارِقَ ذات نَوْر ... تَرَعَّى القَفَّ منها والعَرارا)
(بحمد الله ثم فتى قريشٍ ... أبى وهبٍ غدتْ بُطُناً غِزَارا)
(أباح لها ولا يُحْمَى عليها ... إذا ما كنتمُ سَنَةً جزارا)
يريد جزرا من الجدب والشدة
(فتىً طالت يداه إلى المعالي ... وطَحْطَحَتا المُقطَّعة القِصارا)
وهي أبيات
قال عمر بن شبة في خبره خاصة فلما عزل الوليد ووليها سعيد انتزعها منه وأخرجها من يده فقال
(ولقد مِتُّ غير أنّيَ حيٌّ ... يوم بانت بودّها خنساءُ)
(من بني عامرٍ لها شِقُّ نفسي ... قسمةً مثلَ ما يُشقّ الرداء)
(أُشْرِبتْ لونَ صُفرةٍ في بياضٍ ... وهي في ذاك لَدْنَةٌ غَيْداء)
(كلُّ عينٍ ممّن يراها من النّاس ... إليها مُديمةٌ حَوْلاء)
(فانتهُوا إن للشدائد أهلاً ... وذَرُوا ما تُزَيِّن الأهواء)
(ليتَ شعري وأين مِنِّي ليتٌ ... إنّ ليتاً وإنّ لوّاً عَناء)
(أيُّ ساعٍ سعى ليقطع شِربي ... حين لاحت للصابح الجَوْزاء)
(واستظلَّ العُصفور كَرْها مع الضبّ ... وأوفَى في عُوده الحِرْباء)
(ونفى الجُنْدُبُ الحصا بكُراعيه ... وأذْكَت نيرانَها المَعْزاء)
(من سَمُوم كأنها حَرُّ نارٍ ... سَفَعتها ظَهيرةٌ غَرّاء)
(وإذا أهلُ بلدةٍ أنكروني ... عَرَفتْني الدَّوِّيَّةُ المَلْساءُ)
(عرفتْ ناقتي الشمائل منّي ... فهي إلاّ بُغَامَها خَرْساء)
(عرَفَتْ ليلَها الطويلَ وليلي ... إنّ ذا الليلَ للعيون غِطاء)

نسبة ما يغنى فيه من هذا الشعر

صوت

(أيُّ ساعٍ سعى ليقطع شِرْبي ... حين لاحت للصابح الجَوْزاءُ)
(واستَكنَّ العصفورُ كَرْها مع الضبِّ ... وأوفَى في عوده الحِرْباء)
(وإذا الدارُ أهلُها أنكروني ... عَرفتني الدَّوِّيّة المَلْساء)
(عرفتْ ناقتي الشمائلَ منّي ... فهي إلا بُغامَها خَرْساء)
(عرفتْ ليلَها الطويل وليلي ... إنّ ذا الليلَ للعيون غِطاء)
عروضه من الخفيف
غناه ابن سريج خفيف رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق وغنى داود بن العباس الهاشمي في الخامس ثم الثالث خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو
قال ابن حبيب في خبره وقال أبو زبيدة يتشوق إلى الوليد لما خرج عن الكوفة
(لعَمْري لئن أمْسى الوليدُ ببلدةٍ ... سواي لقد أمسيتُ للدهر مُعْورا)
قال ابن حبيب ويروى سوي لقد وهي لغة طيىء
(خلا أنّ رزقَ الله غادٍ ورائحٌ ... وأنّي له راجٍ وإن سِرتُ أشهرا)
(وكان هو الحصنَ الذي ليس مُسلِمي ... إذا أنا بالنكْراء هيّجتُ معشرا)
(إذا صادَفوا دوني الوليدَ كأنما ... يرون بوادي ذي حَمَاسٍ مُزَعْفَرا)
(خضيبَ بنان ما يزال براكب ... يَخُبّ وضاحِي جلدِه قد تقشَّرا)
وهي طويلة
حدثني إسحاق بن بنان الأنماطي قال حدثنا حبيش بن مبشر قال حدثنا عبيد الله بن موسى قال حدثنا ابن أبي ليلى عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال
قال الوليد بن عقبة لعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أناأحد منك سنانا وأبسط منك لسانا وأملأ للكتيبة طعانا (فقال له علي رضي الله تعالى عنه اسكت فإنما أنت فاسق فنزل القرآن (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد ابن حاتم قال حدثنا يونس بن محمد قال حدثنا شيبان عن قتادة في قوله تعالى (إن جاءكم فاسق بنبإ) قال هذا ابن أبي معيط الوليد بن عقبة بعثه النبي إلى بني المصطلق مصدقا فلما رأوه أقبلوا نحوه
فهابهم فرجع إلى النبي فأخبره أنهم قد ارتدوا عن الإسلام فبعث النبي خالد بن الوليد وأمره أن يتثبت ولا يعجل فانطلق حتى أتاهم ليلا فبعث عيونه فلما جاؤوه أخبروه بأنهم متمسكون بالإسلام وسمعوا أذانهم وصلاتهم فلما أصبحوا أتاهم خالد فرأى ما يعجبه فرجع إلى النبي فأخبره
أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عبيد الله ابن موسى قال حدثنا نعيم بن حكيم عن أبي مريم عن علي
أن امرأة الوليد بن عقبة جاءت إلى النبي تشتكي الوليد وقالت إنه يضربها فقال لها " ارجعي وقولي إن رسول الله قد

أجارني " فانطلقت فمكثت ساعة ثم رجعت فقالت ما أقلع عني فقطع رسول الله هدبة من ثوبه ثم قال " امضي بهذا ثم قولي إن رسول الله أجارني " فانطلقت فمكثت ساعة ثم رجعت فقالت يا رسول الله ما زادني إلا ضربا فرفع يديه وقال " اللهم عليك الوليد " مرتين أو ثلاثا

لم يمسسه النبي بسبب الخلوق

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر بن شبة وحدثني أبو عبيد الصيرفي قال حدثني الفضل بن الحسن البصري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أيوب بن عمر قال حدثنا عمر بن أيوب قال حدثنا جعفر بن برقان عن ثابت بن الحجاج عن أبي موسى عبد الله الهمداني

أن الوليد بن عقبة قال لما فتح رسول الله مكة جعل أهل مكة

يأتونه بصبيانهم فيدعو لهم بالبركة ويمسح على رؤوسهم فجيء بي إليه وأنا مخلق فلم يمسسني وما منعه إلا أن أمي خلقتني بخلوق فلم يمسسني من أجل الخلوق

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا خلف بن الوليد قال حدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن

أن الوليد بن عقبة كان عنده ساحر يريه كتيبتين تقتتلان فتحمل إحداهما على الأخرى فتهزمها فقال له الساحر أيسرك أن أريك هذه المنهزمة تغلب الغالبة فتهزمها قال نعم وأخبر جندب بذلك فاشتمل على السيف ثم جاء فقال أفرجوا فضربه حتى قتله ففزع الناس وخرجوا فقال يا أيها الناس لا عليكم إنما قتلت هذا الساحر لئلا يفتنكم في دينكم فحبسه قليلا ثم تركه

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عمر بن سعيد الدمشقي وحدثنا سعيد بن عبد العزيز عن الزهري

أن رجلا من الأنصار نظر إلى رجل يستعلن بالسحر فقال أو إن

السحر ليعلن به في دين محمد فقتله فأتي به الوليد بن عقبة فحبسه فقال له دينار بن دينار فيم حبست فأخبره فخلى سبيله فأرسل الوليد إلى دينار فقتله

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا موسى بن إسماعيل قال حدثنا حماد بن سلمة قال حدثنا أبو عمران الجوني

أن ساحرا كان عند الوليد بن عقبة فجعل يدخل في جوف بقرة ويخرج منه فرآه جندب فذهب إلى بيته فاشتمل على سيف فلما دخل الساحر في جوف البقرة قال أتأتون السحر وأنتم تبصرون ثم ضرب وسط البقرة فقطعها وقطع الساحر في البقرة فانذعر الناس فسجنه الوليد وكتب بذلك إلى عثمان رضي الله عنه وكان السجان يفتح له الباب بالليل فيذهب إلى أهله فإذا أصبح دخل السجن

جندب بن كعب الأسدي

أخبرني أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا حجاج بن نصير قال حدثنا قرة عن محمد بن سيرين قال

انطلق بجندب بن كعب إلى سجن خارج من الكوفة وعلى السجن رجل نصراني فلما رأى جندب بن كعب يصوم النهار ويقوم الليل قال النصراني والله إن قوما هذا شرهم لقوم صدق فوكل بالسجن رجلا ودخل

الكوفة فسأل عن أفضل أهل الكوفة فقالوا الأشعث بن قيس فاستضافه فجعل يرى أبا محمد ينام الليل ثم يصبح فيدعو بغدائه فخرج من عنده فسأل أي أهل الكوفة أفضل فقالوا جرير بن عبد الله فوجده ينام الليل ثم يصبح فيدعو بغدائه فاستقبل القبلة ثم قال ربي رب جندب وديني على دين جندب وأسلم

حدثني عمي الحسن بن محمد قال حدثنا الخزاز عن المدائني عن علي ابن مجاهد عن محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان عن الزهري وغيره قالوا

لما انصرف رسول الله من غزوة بني المصطلق نزل رجل فساق بالقوم ورجز ثم نزل آخر فساق بالقوم ورجز ثم بدا لرسول الله أن يواسي أصحابه فنزل فجعل يقول " جندب وما جندب والأقطع الخير زيد فدنا منه أصحابه وقالوا يا رسول الله ما ينفعنا مشيك مخافة أن تلسعك دابة الأرض أو تصيبك نكبة فركب ودنوا منه فقالوا لقد قلت قولا ما ندري ما هو قال وما ذاك قالوا قولك جندب وما جندب والأقطع الخير زيد فقال رجلان يكونان في هذه الأمة يضرب أحدهما ضربة يفرق بين الحق والباطل وتقطع يد الآخر في سبيل الله فيتبع الله آخر

جسده بأوله " فكان زيد بن صوحان قطعت يده يوم جلولاء وقتل يوم الجمل مع علي

وأما جندب فإنه رجل دخل على الوليد بن عقبة وعنده ساحر يكنى أبا شيبان يأخذ أعين الناس فيخرج مصارين بطنه ثم يعيدها فيه فجاء من خلفه فقتله وقال

(اِلْعَنْ وليداً وأبا شَيْبَانِ ... وابنَ حُبَيْش راكبَ الشَّيطانِ)

(... رسولَ فِرْعونَ إلى هامانِ)

عثمان ينزعه عن الكوفة

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي قال حدثني ابن وهب عن يونس عن الزهري قال

نزع عثمان بن عفان الوليد بن عقبة عن الكوفة وأمر عليها سعيد بن العاص

قال أبو زيد فحدثني عبد الله بن عبد الرحمن قال حدثنا سعيد بن جامع الهجيمي قال

لما أقبل سعيد من المدينة عامدا للكوفة بعد ما خرج واليا لعثمان جعل يرتجز في طريقه

(وَيْلَ نُسَيّاتِ العِراق منّي ... كأنني سَمَعْمَعٌ من جِنّ)

أخبرني أحمد قال حدثني عمر قال حدثني المدائني عن أبي علقمة عن سعيد بن أشوع قال قال عدي بن حاتم قدم سعيد بن العاص الكوفة فقال اغسلوا هذا المنبر فإن الوليد كان رجسا نجسا فلم يصعده حتى غسل عيبا على الوليد

وكان الوليد أسن منه وأسخى نفسا وألين جانبا وأرضى عندهم فقال بعض شعرائهم

(يا وَيْلَنا قد ذهب الوليدُ ... وجاءنا من بعده سعيدُ)

(... ينقُص في الصّاع ولا يَزيدُ)

وقال آخر

(فَرَرتُ من الوليد إلى سَعيدٍ ... كأهلِ الحِجْر إذ جزعوا فبارُوا)

(يَلِينا من قريش كلَّ عامٍ ... أميرٌ مُحْدَثٌ أو مستشار)

(لنا نارٌ تُحرِّقنا فَنَخشى ... وليس لهم فلا يَخْشَوْن نار)
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر قال حدثنا المدائني قال
قدم الوليد بن عقبة الكوفة زائرا للمغيرة بن شعبة فأتاه أشراف أهل الكوفة يسلمون عليه فقالوا والله ما رأينا بعدك مثلك فقال أخيرا أم شرا فقالوا بل خيرا قال ولكني والله ما رأيت بعدكم شرا منكم فأعادوا الثناء عليه فقال بعض ما تثنون به فوالله إن بغضكم لتلف وإن حبكم لصلف
قال أبو زيد وذكروا أن قبيصة بن جابر كان ممن كثر على الوليد فقال معاوية يوما والوليد وقبيصة عنده يا قبيصة ما كان شأنك وشأن الوليد فقال خيرا يا أمير المؤمنين في أول وصل الرحم وأحسن الكلام فلا تسألن عن الشكر وحسن الثناء ثم غضب على الناس وغضبوا عليه وكنا منهم فإما ظالمون فنستغفر الله وإما مظلومون فغفر الله له وخذ في غير هذا يا أمير المؤمنين فإن الحديث ينسي القديم قال ولم فوالله لقد أحسن السيرة وبسط الخير وكف الشر قال فأنت أقدر على ذلك يا أمير المؤمنين منه فافعل قال اسكت لاسكت فسكت وسكت القوم فقال له ما لك لا تتحدث قال نهيتني عما كنت أحب فسكت عما أكره
أخبرني أحمد قال حدثني عمر قال حدثني المدائني قال
مات الوليد بن عقبة فويق الرقة ومات أبو زبيد فدفنا جميعا في موضع واحد
فقال في ذلك أشجع السلمي وقد مر بقبريهما
(مررتُ على عِظامِ أبي زُبَيْدٍ ... وقد لاحتْ ببَلْقَعَةٍ صَلُودِ)
(وكان له الوليدُ نَدِيمَ صدْقٍ ... فنادَمَ قبرُه قبرَ الوليد)
(وما أدْري بمن تَبْدا المنايا ... بأحمدَ أو بأشجعَ أو يزيد)
الوليد يخرج غازيا للروم
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن ابن الكلبي عن أبيه قال
خرج الوليد بن عقبة غازيا للروم وعلى مقدمته عتبة بن فرقد فلقيه الروم فقاتلوه فقال له رجل من العرب نصراني لست على دينكم ولكني أنصحكم للنسب فالقوم مقاتلوكم إلى نصف النهار فإن رأوكم ضعفاء أفنوكم وإن صبرتم هربوا وتركوكم فقال سلمان بن ربيعة يا معشر المسلمين ما عذركم عند الله غدا إن أصيب عتبة بن فرقد وأصحابه ولم يعنهم أحد منكم فركب معه ثلاثة آلاف رجل على البغال يجنبون الخيل فلحقوا عتبة وأصحابه فقاتلوا معهم قتالا شديدا حتى هزم الله الروم
فقال الوليد بن عقبة
((أتاني من الفَجّ الذي كنتُ آمناً ... بقيّةُ شُذَّاذٍ من الخيل ظُلَّع
(عليها العبيدُ يضربون جُنُوبَها ... ونازَلَ منّا كُلُّ خِرْقٍ سَمَيْذَع)
(فإنّي زعيمٌ أن تَصِيحَ نساؤهم ... صياحَ دَجاج القرية المتوزّع)
وقال الحطيئة يمدح الوليد بذلك وكان قد وصله وكان الوليد جوادا
(أرى لابن أرْوَى خَلّتين اصطفاهما ... قِتالٌ إذا يَلْقَى العدوَّ ونائلُهْ)
(فتىً يملأ الشِّيزَى ويروِي بكفّه ... سِنانُ الرُّدَيْنِي الأصمِّ وعاملُهْ)
(يَؤُمُّ العدوَّ حيث كان بجحْفَلٍ ... يُصِمُّ السميعَ جَرْسُه وصواهلُه)
(إذا حان منه مَنزلُ الليل أُوقِدَتْ ... لأُخْراه في أعلى اليَفَاع أوائلُهْ)
(نَفَيْتَ الجِعادَ البِيضَ عن حُرِّ دارهم ... فلم يَبْقَ إلا حيّةٌ أنت قاتلُه)
فقال الحليس بن نعيم النهدي يكذب الحطيئة
(وأبلغْ أبا وهبٍ إذا ما لَقِيتَه ... فقد حاربتك الرومُ فيمن تُحاربُ)
(وفي الأرض حَيَّاتٌ وأُسْدٌ كثيرةٌ ... عدوٌّ ولكنّ الحطيئةَ كاذب)
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا علي ابن محمد عن أبي مخنف عن خالد بن قطن عن أبيه قال
لما قتل عثمان أرسل علي فأخذ كل ما كان في داره من السلاح وإبلا من إبل الصدقة فلذلك قال الوليد بن عقبة
(بني هاشم رُدُّوا سلاحَ ابن أُختكم ... ولا تَنْهَبوه لا تَحِلُّ مَنَاهِبُهْ)
ويروي
(... ولا تَهَبُوه لا تَحِلُّ مواهِبُهْ)
(بني هاشمٍ كيف الهَوادةُ بيننا ... وعند عليٍّ سيفُه ونجائبُه)
(قتلتم أخي كيما تكونوا مكانَه ... كما فعلتْ يوماً بكسرى مَرَازِبُه)
هكذا في الخبر
(... ولا تهبوه لا تحِلّ مواهبه)
أخبرني الطوسي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الله بن إسحاق الجعفري
أن الوليد بن عقبة بن أبي معيط لقي بجادا مولى عثمان فأخبره أن عثمان قد قتل فقال
(ليت أنيّ هلكت قبل حديثٍ ... سلّ جسمي وريعَ منه فؤادي)
(يوم لاقيتُ بالبَلَاط بجاداً ... ليت أنّي هلكت قبل بجاد)
وقد زيد في هذا الشعر بيت ونقص منه آخر مكانه وغني فيه وهو
صوت
(طال ليلي وملّني عُوّادي ... وتَجافَى عن الضلوع مِهادي)
(من حديثٍ نَمِي إليّ فما يَرْقَأُ ... دمعي ولا أُحِسُّ رُقادي)
(يوم لاقيتُ بالبَلاط بِجاداً ... ليت أنّي هلكتُ قبل بِجادِ)
(وبنفسي التي أُحِبُّ وأهلي ... وبمالي وطارفي وتِلادي)
(قلتُ لا تَغْضَبي فذلك قولي ... بلساني وما يُجِنُّ فؤادي)
غنى فيه ابن عباد ثاني ثقيل مطلق في مجرى البنصر في الأول والرابع من الأبيات وذكر عمرو بن بانة أنه لابن محرز ومن الناس من ينسبه إلى ابن سريج في هذه الطريقة في الأول والثاني وذكر ابن المكي أنه للغريض ثاني ثقيل بالخنصر في

مجرى البنصر ووافقه يونس
وذكر أن في هذا الشعر لابن سريج والغريض لحنين في الخمسة الأبيات
وذكر حبش أن فيها لمعبد ثقيلا أول بالوسطى ولعبد الله بن العباس الربيعي ثاني ثقيل بالوسطى وللغريض خفيف رمل بالوسطى ولسليم ثقيل أول بالوسطى
وذكر أحمد بن عبيد أن فيه رملا لابن جامع في البيت الأول وحده وأن فيه هزجا لا يعرف صانعه
أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن
المهدي قال حدثني أبي قال
أرسل إلي محمد بن زبيدة في ليلة من ليالي الصيف مقمرة يا عم إن الحرب بيني وبين طاهر بن الحسين قد سكنت فصر إلي فإني إليك مشتاق فجئته وقد بسط له على سطح زبيدة وعنده سليمان بن جعفر عليه كساء روذباري وقلنسوة طويلة وجواريه بين يديه وضعف جاريته عنده فقال لها غنيني فقد سررت بعمومتي فاندفعت تغنيه
(هُمُ قَتَلوه كي يكونوا مكانه ... كما فَعَلَتْ يوماً بكسرى مَرَازِبُهْ)
(بني هاشمٍ كيف التواصُلُ بيننا ... وعند أخيه سيفُه ونجائبُه)
هكذا غنت وإنما هو
(... وعند عليّ سيفُه ونجائبُهْ)
فغضب وتطير وقال لها ما قصتك ويحك انتبهي وانتهي وغنيني ما
يسرني فاندفعت وغنت
(هذا مَقامُ مُطَرَّدٍ ... هُدِمتْ منازلُه ودورُهْ)
فازداد تطيرا ثم قال لها ويحك انتهي غنيني غير هذا فغنت
(كُلَيبٌ لَعَمْري كان أكثرَ ناصراً ... وأيسرَ جُرْماً منك ضُرِّج بالدّم)
فقال لها قومي إلى لعنة الله فوثبت وكان بين يديه قدح بلور وكان لحبه إياه سماه باسمه محمدا فأصابه طرف ذيلها فسقط على بعض الصواني فانكسر وتفتت فأقبل علي وقال أرى والله يا عم أن هذا آخر أيامنا فقلت كلا بل يبقيك الله يا أمير المؤمنين ويسرك قال ودجلة والله يا بني هادئة ما فيها صوت مجداف ولا أحد يتحرك وهي كالطست هادئة فسمعت هاتفا يهتف قضي الأمر الذي فيه تستفتيان قال فقال لي أسمعت ما سمعت يا عم فقلت وما هو وقد والله سمعته فقال الصوت الذي جاء الساعة من دجلة فقلت ما سمعت شيئا وما هذا إلا توهم فإذا الصوت قد عاد يقول قضي الأمر الذي فيه تستفتيان
فقال انصرف يا عم بيتك الله بخير فمحال ألا تكون الآن قد سمعت ما سمعت فانصرفت وكان آخر العهد به
وفود الوليد بن عقبة على معاوية
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري ومحمد بن يحيى الصولي واللفظ له قالا حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدثنا عبد الله بن الضحاك عن هشام بن محمد عن أبيه قال محمد وحدثنا عبد الله بن
محمد ومحمد بن عبد الرحمن جميعا عن مطرف بن عبد الله عن عيسى بن يزيد قال
وفد الوليد بن عقبة وكان جوادا على معاوية فقيل له هذا الوليد ابن عقبة بالباب فقال والله ليرجعن معطيا غير معطى فإنه الآن قد أتانا يقول علي دين وعلي كذا وكذا يا غلام ائذن له فأذن له فسأله وتحدث معه ثم قال أما والله إن كنا لنحب إيثار مالك بالوادي وقد أعجب أمير المؤمنين فإن رأيت أن تهبه ليزيد فعلت فقال الوليد هو ليزيد ثم خرج وجعل يختلف إلى معاوية أياما فقال له يوما انظر يا أمير المؤمنين في شأني فإن علي مؤونة وقد أرهقني دين فقال له معاوية ألا تستحي لحسبك ونسبك تأخذ ما تأخذ فتبذره ثم لا تنفك تشكو دينا فقال له الوليد أفعل ثم انطلق مكانه فصار إلى الجزيرة فقال
(فإذا سُئلتَ تقول لا ... وإذا سألتَ تقول هاتِ)
(تأبى فِعالَ الخيرِ لا ... تُرْوِي وأنت على الفُراتِ)
(أفَلاَ تَميل إلى نَعَمْ ... أو تَرْكِ لا حتى المماتِ)
قال فبلغ معاوية مقدمه الجزيرة فخافه وكتب إليه أن أقبل إلي فكتب إليه
(أعِفُّ وأستَحيي كم قد أمرتَني ... فأعْطِ سواءً ما بدا لك وانْحَلِ)
(سأحْدُو ركابي عنك إنّ عزيمتي ... إذا نابَني أمر كسَلّة مُنْصُلِ)
((وإني امرؤ للرأي منّي تَطرّفٌ ... وليس شَبَا قُفْلٍ عليّ بمُقْفَلِ
ورحل إلى الحجاز فبعث إليه معاوية بجائزة
انقضت أخبار الوليد بن عقبة
صوت من المائة المختارة
(ربما نّبهني الإخوانُ ... والليلُ بَهيمُ)
(حين غارتْ وتدلّتْ ... في مَهاويها النجومُ)
(ونُعاسُ الليلِ في عينيّ ... كالثّاوي مُقيمُ)
(للتي تُعْصَر لمّا ... أينعتْ منها الكُرومُ)
(أنا بالرَّيّ مقيمٌ ... في قُرَى الرَّيّ أهيمُ)
(ما أراني عن قُرَى الرَّيِّ ... مَدَى دهري أريمُ)
الشعر والغناء لإبراهيم الموصلي
ولحنه المختار ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق
ولإبراهيم أيضا فيه خفيف ثقيل وقيل إنه لابنه إسحاق
وفيه لأحمد بن يحيى المكي ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشامي وأحمد بن عبيد
نسب إبراهيم الموصلي وأخباره
هو فيما أخبرنا به يحيى بن علي بن يحيى المنجم عن حماد عن أبيه وأخبرني به عبد الله بن الربيع عن وسواسة وهو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصلي عن أبيه عن جده وعن حماد عن أبيه إبراهيم ابن ميمون
أو ابن ماهان بن بهمن بن نسك وكان سبب نسبه إلى ميمون أنه كتب إلى صديق له فعنون كتابه من إبراهيم بن ماهان

فقال له بعض فتيان الكوفة أما تستحي من هذا الاسم فقال هو اسم أبي فقال غيره فقال وكيف أغير فأخذ الكتاب فمحا ماهان وكتب ميمون فبقي إبراهيم ابن ميمون
قال إسحاق عن أبيه وأصلنا من فارس ولنا بيت شريف في العجم وكان جدنا ميمون هرب من جور بعض عمال بني أمية فنزل بالكوفة في بني عبد الله بن دارم فكان بين إبراهيم وبين ولد نضلة بن نعيم رضاع
وأم إبراهيم امرأة من بنات الدهاقين الذين هربوا من فارس لما هرب ميمون أبو إبراهيم فنزلوا جميعا بالكوفة في بني عبد الله بن دارم
فتزوجها ماهان بالكوفة فولدت إبراهيم ومات في الطاعون الجارف وخلف إبراهيم طفلا
وكان مولد إبراهيم سنة خمس وعشرين ومائة بالكوفة وتوفي ببغداد سنة ثمان وثمانين ومائة وله ثلاث وستون سنة
مات أبوه وهو طفل
قال أحمد بن أحمد بن إسماعيل وسواسة في خبره ومات ماهان وخلف إبراهيم طفلا فكفله آل خزيمة بن خازم
وقال يحيى بن علي في خبره إنه كان لإبراهيم لما مات أبوه سنتان أو ثلاث وخلف معه أخوين له من غير أمه أكبر منه فأقام إبراهيم مع أمه وأخواله حتى ترعرع فكان مع ولد خزيمة بن خازم في الكتاب فبهذا السبب صار ولاؤه لبني تميم وسأله الرشيد فقال ما السبب بينك وبين بني تميم فاقتص عليه قصته وقال ربونا يا أمير المؤمنين فأحسنوا تربيتنا ونشأت فيهم وكان بيننا رضاع فتولونا بهذا السبب فقال له الرشيد ويحك فما أراك إذا إلا مولاي فقال فهذه والله قصتي يا أمير المؤمنين
قال يحيى بن علي في خبره وكان سبب قولهم إبراهيم الموصلي أنه
لما نشأ واشتد وأدرك صحب الفتيان واشتهى الغناء فطلبه واشتد أخواله عليه في ذلك وبلغوا منه فهرب منهم إلى الموصل فأقام بها نحوا من سنة فلما رجع إلى الكوفة قال له إخوانه من الفتيان مرحبا بالفتى الموصلي فلقب به
وقال أحمد في خبره إن سبب طلبه الغناء أنه خرج إلى الموصل فصحب جماعة من الصعاليك كانوا يصيبون الطريق ويصيبه معهم ويجمعون ما يفيدونه فيقصفون ويشربون ويغنون فتعلم منهم شيئا من الغناء وشدا فكان أطيبهم وأحذقهم فلما أحس بذلك من نفسه اشتهى الغناء وطلبه وسافر إلى المواضع البعيدة فيه
وذكر ابن خرداذبه وهو قليل التحصيل لما يقوله ويضمنه كتبه أن سبب نسبته إلى الموصل أنه كان إذا سكر كثيرا ما يغني على سبيل الولع
((أنا جت من طرق مَوْصل ... أحمل قلل خَمْريا
(من شارب الملوك فلا ... بدّ من سكْريا)
وما سمعت بهذه الحكاية إلا عنه وإنما ذكرتها على غثاثتها لشهرتها عند الناس وأنها عندهم كالصحيح من الرواية في نسبة إبراهيم إلى الموصل فذكرته دالا على عواره
أخبرني الحسين بن يحيى المرداسي وابن أبي الأزهر قال حدثنا حماد ابن إسحاق عن أبيه قال أسلم أبي إلى الكتاب فكان لا يتعلم شيئا ولا يزال يضرب ويحبس ولا ينجع ذلك فيه فهرب إلى الموصل وهناك تعلم الغناء ثم صار إلى الري وتعلم بها أيضا ومهر وتزوج هناك امرأته دوشار وتفسير هذا الاسم أسدان وطال مقامه هناك وأخذ الغناء الفارسي والعربي وتزوج بها أيضا شاهك أم إسحاق ابنه وسائر ولده
قال وفي دوشار هذه يقول إبراهيم وله فيه غناء من الهزج
(دُوشَارُ يا سيّدتي ... يا غايتي ومُنْيتِي)
(ويا سروري من جميع ... الناس رُدِّي سِنَتي)
قال إسحاق وحدثني أبي قال أول شيء أعطيته بالغناء أني كنت بالري أنادم أهلها بالسوية لا أرزؤهم شيئا ولا أنفق إلا من بقية مال كان معي انصرفت به من الموصل فمر بنا خادم أنفذه أبو جعفر المنصور إلى بعض عماله برسالة فسمعني عند رجل من أهل الري فشغف بي وخلع
علي دواج سمور له قيمة ومضى بالرسالة ورجع وقد وصله العامل بسبعة آلاف درهم وكساه كسوة كثيرة فجاءني إلى منزلي الذي كنت أسكنه فأقام عندي ثلاثة أيام ووهب لي نصف الكسوة التي معه وألفي درهم فكان ذلك أول ما اكتسبته بالغناء فقلت والله لا أنفق هذه الدراهم إلا على الصناعة التي أفادتنيها ووصف لي رجل بالأبلة يقال له جوانويه كان حاذقا فخرجت إليه وصحبت فتيانها فأخذت عنهم وغنيتهم فشغفوا بي
إبراهيم وسبب اتصاله بالمهدي
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن جده قال
لما أتيت جوانويه لم أصادفه في منزله فانتظرته حتى جاء فلما رآني احتشمني وكان مجوسيا فأخبرته بصناعتي والحال التي قصدته فيها فرحب بي وأفرد لي جناحا في داره ووكل بي أخته فقدمت إلي ما أحتاج إليه فلما كان العشي عاد إلى منزله ومعه جماعة من الفرس ممن يغني فنزلت إليه فجلسنا في مجلس قد صفي لنا فيه نبيذ وأعدت لنا فاكهة ورياحين فجلسنا وأخذوا في شأنهم وضربوا وغنوا فلم أجد عند أحد منهم فائدة وبلغت النوبة إلي فضربت وغنيت فقاموا كلهم إلي وقبلوا رأسي وقالوا سخرت منا نحن إلى تعليمك لنا أحوج منك إلينا فأقمت على تلك الحال أياما حتى بلغ محمد بن سليمان بن علي خبري فوجه إلي فأحضرني وأمرني بملازمته فقلت له أيها الأمير إني لست أتكسب بالغناء وإنما ألتذه فلذلك تعلمته وأريد العود إلى الكوفة فلم أنتفع بذلك عنده وأخذني بملازمته وسألني من أين أنا فانتسبت إلى الموصل فلزمتني وعرفت بها ولم أزل عنده أثيرا مكرما حتى قدم عليه خادم من خدم المهدي فلما رآني عنده قال له أمير المؤمنين أحوج إلى هذا منك فدافعه عني فلما قدم الرسول على المهدي سأله عما رأى في طريقه ومقصده فأخبره بذلك حتى انتهى إلى ذكري فوصفني له فأمره المهدي بالرجوع إلى محمد وإشخاصي إليه ففعل ذلك وجاء فأشخصني إلى المهدي فحظيت عنده وقدمني
قال وسواسة في خبره عن إسحاق فحدثني أبي قال
كان أول هاشمي صحبته علي بن سليمان بن علي أخو جعفر ومحمد وكان فتاهم ظرفا ولهوا وسماحة ووصفني له جوانويه ومضى بي إليه فوقعت من قلبه كل موقع
وأول خليفة سمعني المهدي وصفت له فأخذني من علي بن سليمان وما سمع قبلي من المغنين أحدا سوى فليح بن أبي العوراء وسياط فإن الفضل بن الربيع وصلهما به

قال إسحاق فحدثني أبي قال كان المهدي لا يشرب فأرادني على ملازمته وترك الشرب فأبيت عليه وكنت أغيب عنه الأيام فإذا جئته جئته منتشيا فغاظه ذلك مني فضربني وحبسني فحذقت الكتابة والقراءة في الحبس ثم دعاني يوما فعاتبني على شربي في منازل الناس والتبذل معهم فقلت يا أمير المؤمنين إنما تعلمت هذه الصناعة للذتي وعشرتي لإخواني ولو أمكنني تركها لتركتها وجميع ما أنا فيه لله جل وعز فغضب غضبا شديدا وقال لا تدخل على موسى وهارون البتة فوالله لئن دخلت
عليهما لأفعلن ولأصنعن فقلت نعم ثم بلغه أني دخلت عليهما وشربت معهما وكانا مستهترين بالنبيذ فضربني ثلاثمائة سوط وقيدني وحبسني
قال أحمد بن إسماعيل في خبره قال عمي إسحاق فحدثني أبي
أنه كان معهما في نزهة لهما ومعهم أبان الخادم فسعى بهما وبي إلى المهدي وحدثه بما كنا فيه فدعاني فسألني فأنكرت فأمر بي فجردت فضربت ثلاثمائة وستين سوطا فقلت له وهو يضربني أن جرمي ليس من الأجرام التي يحل لك بها سفك دمي والله لو كان سر ابنيك تحت قدمي ما رفعتهما عنه ولو قطعتا ولو فعلت ذلك لكنت في حالة أبان الساعي العبد فلما قلت له هذا ضربني بالسيف في جفنه فشجني به وسقطت مغشيا علي ساعة ثم فتحت عيني فوقعتا على عيني المهدي فرأيتهما عيني نادم وقال لعبد الله بن مالك خذه إليك
قال وقبل ذلك ما تناول عبد الله ابن مالك السوط من يد سلام الأبرش فضربني فكان ضرب عبد الله عندي بعد ضرب سلام عافية ثم أخرجني عبد الله إلى داره وأنا أرى الدنيا في عيني صفراء وخضراء وحمراء من حر السوط وأمره أن يتخذ لي شبيها بالقبر فيصيرني فيه فدعا عبد الله بكبش فذبح وسلخ وألبسني جلده ليسكن الضرب ودفعني إلى خادم له يقال له أبو عثمان سعيد التركي فصيرني في ذلك القبر ووكل بي جارية له يقال لها جشة فتأذيت بنز كان في ذلك القبر وبالبق وكان فيه حلي أستريح إليه فقلت لجشة اطلبي لي آجرة عليها فحم وكندر يذهب عني هذا البق فأتتني بذلك فلما دخنت أظلم القبر علي وكادت نفسي تخرج من الغم فاسترحت من أذاه إلى النز فألصقت به أنفي حتى خف الدخان فلما ظننت أني قد استرحت مما
كنت فيه إذا حيتان مقبلتان نحوي من شق القبر تدوران حولي بحفيف شديد فهممت أن آخذ واحدة بيدي اليمنى والأخرى بيدي اليسرى فإما علي وإما لي ثم كفيتهما فدخلتا من الثقب الذي خرجتا منه فمكثت في ذلك القبر ما شاء الله ثم أخرجت منه ووجهت إلى أبي عثمان الخادم أسأله أن يبيعني جشة لأكافئها عما أولتني ففعل فزوجتها من حاجب لي ولم تزل عندنا
قال إسحاق مكثت عندنا حتى ماتت وبقيت بنت لها يقال لها جمعة فزوجتها من مولى لي في سنة أربع وثلاثين ومائتين
قال إبراهيم وقلت في الحبس وأنا مقيد
(ألاَ طال ليلي أُراعي النجوم ... أُعَالج في السّاق كَبْلاً ثقيلاَ)
(بدار الهَوَان وشرِّ الديار ... أُسامُ بها الخسفَ صبراً جميلا)
(كثيرَ الأخلاّء عند الرّخاء ... فلمّا حُبِستُ أراهم قليلا)
(لطول بلائيَ مَلَّ الصديقُ ... فلا يأمَنَنّ خليلٌ خليلا)
قال ثم أخرجني المهدي وأحلفني بالطلاق والعتاق وكل يمين لا فسحة لي فيها ألا أدخل على ابنيه موسى وهارون أبدا ولا أغنيهما وخلى سبيلي
قال وصنعت في الحبس لحنا في شعر أبي العتاهية لما حبسه المهدي بسبب عتبة وهو
صوت
(أيا وَيْحَ قَلْبي من نَجِيّ البَلاَبِل ... ويا ويحَ ساقِي من قُرُوح السّلاسل)
(ويا ويحَ نفسي وَيْحَها ثم ويحها ... أَلَمْ تَنْجُ يوماً من شِباك الحبائل)
(ويا ويحَ عَيْني قد أضرّ بها البَكا ... فلم يُغْنِ عنها طِبٌّ ما في المَكاحِل)
(ذَريني أُعَلِّلْ نفسيَ اليوم إنها ... رهينةُ رَمْسٍ في ثَرىً وجَنادل)
(ذَريني أُعَلِّل بالشّراب فقد أرَى ... بقيّةَ عيشي هذه غيرَ طائل)
الشعر لأبي العتاهية وذكر حماد أنه لجده إبراهيم
والغناء لإبراهيم رمل بالوسطى في الثلاثة الأبيات الأول وله في البيتين الأخيرين ثقيل أول بالوسطى
الهادي يطلبه
قال حماد فلما ولي موسى الهادي الخلافة استتر جدي منه ولم يظهر له بسبب الأيمان التي حلفه بها المهدي فكانت منازلنا تكبس في كل وقت وأهلنا يروعون بطلبه حتى أصابوه فمضوا به إليه فلما عاينه قال يا سيدي فارقت أم ولدي وأعز خلق الله علي ثم غناه لحنه في شعره
صوت
(يابنَ خير الملوك لا تَترُكَنّي ... غَرَضاً للعدوّ يرمي حِيالي)
(فلقد في هواك فارقتُ أهلي ... ثم عرَّضتُ مهجتي للزوال)
(ولقد عِفتُ في هواك حياتي ... وتغرّبتُ بين أهلي ومالي)
الشعر والغناء لإبراهيم خفيف رمل بالوسطى
قال إسحاق فموله والله الهادي وخوله وبحسبك أنه أخذ منه في يوم واحد مائة وخمسين ألف دينار ولو عاش لنا لبنينا حيطان دورنا بالذهب والفضة
قال حماد قال لي أبي نظرت إلى ما صار إلى جدك من الأموال والغلات وثمن ما باع من جواريه فوجدته أربعة وعشرين ألف ألف درهم سوى أرزاقه الجارية وهي عشرة آلاف درهم في كل شهر وسوى غلات ضياعه وسوى الصلات النزرة التي لم يحفظها ولا والله ما رأيت أكمل مروءة منه كان له طعام معد في كل وقت فقلت لأبي أكان يمكنه ذلك فقال كان له في كل يوم ثلاث شياه واحدة مقطعة في القدور وأخرى مسلوخة ومعلقة وأخرى حية فإذا أتاه قوم طعموا ما في القدور فإذا فرغت قطعت الشاة المعلقة ونصبت القدور وذبحت الحية فعلقت وأتي بأخرى فجعلت وهي حية في المطبخ وكانت وظيفته لطعامه وطيبه وما يتخذ له في كل شهر ثلاثين ألف درهم سوى ما كان يجري وسوى كسوته ولقد اتفق عندنا مرة من الجواري الودائع لإخوانه ثمانون جارية ما منهن واحدة إلا ويجري عليها من الطعام والكسوة والطيب مثل ما

يجري لأخص جواريه فإذا ردت الواحدة منهن إلى مولاها وصلها وكساها ومات وما في ملكه إلا ثلاثة آلاف دينار وعليه من الدين سبعمائة دينار قضيت منها
أخبرني محمد بن خلف وكيع ويحيى بن علي بن يحيى وابن المرزبان قالوا أخبرنا حماد بن إسحاق قال
كان أبي يحدث أن الرشيد اشترى من جدي جارية بستة وثلاثين ألف دينار فأقامت عنده ليلة ثم أرسل إلى الفضل بن الربيع إنا اشترينا
هذه الجارية من إبراهيم ونحن نحسب أنها من بابتنا وليست كما ظننتها وما قربتها وقد ثقل علي الثمن وبينك وبينه ما بينكما فاذهب إليه فسله أن يحطنا من ثمنها ستة آلاف دينار قال فصار الفضل إليه فاستأذن عليه فخرج جدي فتلقاه
فقال دعني من هذه الكرامة التي لا مؤنة بيننا فيها لست ممن يخدع وقد جئتك في أمر أصدقك عنه ثم أخبره الخبر كله
فقال له إبراهيم إنه أراد أن يبلو قدرك عندي قال ذاك أراد قال فمالي كله صدقة من المساكين إن لم أضعفه لك قد
حططتك اثني عشر ألف دينار فرجع الفضل إليه بالخبر فقال ويلك ادفع إلى هذا ماله فما رأيت سوقة قط أنبل نفسا منها
قال أبي وكنت قد أتيت جدك فقلت ما كان لحطيطة هذا المال معنى وما هو بقليل فتغافل عني وقال أنت أحمق أنا أعرف
الناس به والله لو أخذت المال منه كملا ما أخذته إلا وهو كاره ويحقد ذلك علي وكنت أكون عنده صغير القدر وقد مننت
عليه وعلى الفضل وانبسطت نفسه ونشط وعظم قدري عنده وإنما اشتريت الجارية بأربعين ألف درهم وقد أخذت بها
أربعة وعشرين ألف دينار فلما حمل المال إليه بلا حطيطة دعاني فقال لي كيف رأيت يا إسحاق من البصير أنا أم أنت
فقلت بل أنت جعلني الله فداءك
حدثني وكيع قال حدثنا حماد قال حدثني أبي قال
لقي الفضل بن يحيى أبي وهو خارج من عند الفضل بن الربيع وكانا متجاورين في الشماسية فقال من أين يا أبا إسحاق أمن عند الفضل ابن الربيع قلت نعم غير معتذر من ذلك فقال خروج من عند
الفضل بن الربيع إلى الفضل بن يحيى هذان والله أمران لا يجتمعان لك فقال والله لئن لم يكن في ما يتسع لكما حتى يكون الوفاء لكما جميعا واحدا ما في خير والله لا أترك واحدا منكما لصاحبه فمن قبلني على هذا قبلني ومن لم يقبلني فهو أعلم
فقال له الفضل بن يحيى أنت عندي غير متهم والأمر كما قلت وقد قبلتك على ذلك

الرشيد يحبسه بالرقة ثم يطلقه ليغنيه

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق قال حدثني أبي
أن الرشيد غضب عليه فقيده وحبسه بالرقة ثم جلس للشرب يوما في مجلس قد زينه وحسنه فقال لعيسى بن جعفر هل لمجلسنا عيب قال نعم غيبة إبراهيم الموصلي عنه فأمر بإحضاري فأحضرت في قيودي ففكت عني بين يديه وأمرهم فناولوني عودا وقال غني
يا إبراهيم فغنية
(تَضَوَّعَ مِسْكاً بَطْنُ نَعْمَانَ أَنْ مشتْ ... به زينبٌ في نِسْوَةٍ خَفِراتِ)
فاستعاده وشرب وطرب وقال هنأتني يومي وسأهنئك بالصلة وقد وهبت لك الهنيء والمريء فانصرفت فلما أصبحت عوضت منهما مائتي ألف درهم
نسبه هذا الصوت
صوت
(تَضَوَّعَ مسكاً بطنُ نَعْمانَ أنْ مشتْ ... به زينبٌ في نِسْوَةٍ خَفِراتِ)
(مَرَرْنَ بفخٍّ رائحاتٍ عَشيّةً ... يُلَبِّين للرّحمنِ مُعْتَمِراتِ)
(يُخَمِّرن أطرافَ البَنان من التُّقى ... ويَقتُلْنَ بالألحاظ مُقْتَدِراتِ)
(ولما رأت ركبَ النُّمَيْريّ أعرضتْ ... وكنَّ منَ أن يَلْقَيْنَه حَذِراتِ)
الشعر للنميري الثقفي
والغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق ويحيى المكي وعمرو بن بانة
وذكر حبش أن فيه لعزة الميلاء لحنا من الثقيل الأول
أخبرني محمد بن مزيد وأحمد بن جعفر جحظة قالا حدثنا حماد بن إسحاق قال وأخبرني الصولي قال حدثني عون بن محمد جميعا عن إسحاق عن أبيه قال
رأيت يحيى بن خالد خارجا من قصره الذي عند باب الشماسية يريد قصره الذي بباب البردان وهو يتمثل
صوت
(هَوىً بِتِهامةٍ وهوىً بنجدٍ ... فأبلتْني التَّهائمُ والنُّجودُ)
قال أبي فزدته عليه
(أُقِيم بذا وأذْكُر عهدَ هذا ... فَلِي ما بين ذَيْن هوىً جديدُ)
قال وصنعت فيه لحنا قال الصولي في خبره وهو من خفيف الثقيل ثم صرت إليه فغنيته إياه فأمر لي بألف دينار وبدابته التي كانت تحته يومئذ بسرجها ولجامها فقلت له جزاك الله من سيد خيرا فإنك تأتي الأنفس وهي شوارد فتقرها والأهواء وهي سقيمة فتصحها فأمر لي بألف دينار أخرى
قال إبراهيم ثم ضرب الدهر من ضربه فبينا أنا أسير معه إذ لقيه العباس بن الأحنف وكان ساخطا عليه لشيء بلغه عنه فترجل له وأنشده
صوت
(باللّه يا غضبانُ إلاّ رَضِيْت ... أذاكرٌ للعهدِ أم قد نسيتْ)
فقال بل ذاكر يا أبا الفضل فأضفت إلى هذا البيت
(لو كنتُ أبغي غيرَ ما تشتهي ... دعوتُ أن تُبْلَى كما قد بُلِيتْ)
وصنعت فيه لحنا قال الصولي في خبره هو ثقيل أول قال وغنيته به فأمر لي بألفي دينار وضحك فقلت من أي شيء تضحك يا سيدي لا زلت ضاحكا مسرورا فقال ذكرت ما جرى في الصوت الأول وأنه كان مع الجائزة دابة بسرجه ولجامه ولن تنصرف الليلة إلا على مثله فقمت فقبلت يده فأمر لي بألفي دينار آخرين وقال تلك الكرة شكرت على الجائزة بكلام

فزدناك والآن شكرت بفعل أوجب الزيادة ولولا أني مضيق في هذا الوقت لضاعفتها ولكن الدهر بيننا مستأنف جديد
حدثني جحظة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي عن أبيه قال
لما نزل الرشيد في طريقه إلى طوس بشبداز جلس يشرب عنده فكان إبراهيم الموصلي أول من غناه فابتدأ بهذا الصوت والشعر له
صوت
(رأيتُ الدِّين والدُّنيا ... مُقيمَيْن بشبْداز)
(أقاما بين حَجّاجٍ ... وغازٍ أيِّما غاز)
وهو من الثقيل الأول فأمر له بألف دينار ولم يستحسن الشعر وقال له يا إبراهيم صنعتك فيه أحسن من شعرك فخجل وقال يا سيدي شغل خاطري الغناء فقلت لوقتي ما حضرني فضحك الرشيد من قوله وقال له صدقت
كان محبا للأشراف وكان شاعرا وخطيبا
أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى عن حماد عن أبيه قال
كان جدك محبا للأشراف كثير الأصدقاء منه حتى إن كان الرشيد ليقول كثيرا ما أعرف أحد أكثر أصدقاء من إبراهيم
قال إسحاق وما سمعت أحسن غناء من أربعة أبي وحكم الوادي وفليح بن أبي العوراء وسياط فقلت له ما بلغ من حذقهم قال كانوا يصنعون فيحسنون ويؤدون غناء غيرهم فيحسنون فقلت فأيهم كان أحذق قال كانوا بمنزلة خطيب أو كاتب أو شاعر يحسن
صناعته فإذا انتقل عنها إلى غيرها لم يبلغ منها ما يبلغ من صناعته وكان جدك كرجل مفوه إن خطب أجزل وإن كتب رسالة أحسن وإن قال شعرا أحسن ولم يكن فيهم مثله
أخبرني الحسين بن يحيى قال حدثنا حماد عن أبيه وأخبرني علي بن عبد العزيز عن ابن خرداذبه وأخبرني إسماعيل بن يونس عن عمر بن شبة جميعا عن إسحاق قال
لم يكن الناس يعلمون الجارية الحسناء الغناء وإنما كانوا يعلمونه الصفر والسود وأول من علم الجواري المثمنات أبي فإنه بلغ بالقيان كل مبلغ ورفع من أقدارهن
وفيه يقول أبو عيينة بن محمد بن أبي عيينة المهلبي وقد كان هوي جارية يقال لها أمان فأغلى بها مولاها السوم وجعل يرددها إلى إبراهيم وإسحاق ابنه فتأخذ عنهما فكلما زادت في الغناء زاد في سومه فقال أبو عيينة
(قلتُ لما رأيتُ مولَى أمانٍ ... قد طَغَى سومُه بها طُغْيانَا)
(لا جَزَى اللّهُ المَوْصِليّ أبا إسحاقَ ... عنّا خيراً ولا إحسانَا)
(جاءنا مُرسَلاً بوَحْيٍ من الشَّيطانِ ... أغلَى به علينا القِيانا)
(من غِناءٍ كأنه سكَرات الحبّ ... يُصْبي القلوبَ والآذانا)
وقال فيه ابن سيابة
صوت
(ما لإبراهيمَ في العِلْم ... بهذا الشأن ثاني)
(إنما عُمْر أبي إسحاق ... زَيْنٌ للزمان)
(جَنّة الدُّنْيا أبو إسحاق ... في كلّ مكان)
(فإذا غَنّى أبو إسحاق ... اجابتْه المَثَاني
(منه يُجنَى ثَمرُ اللهو ... وريحانُ الجِنَان)
لإبراهيم في هذا الشعر لحنان خفيف ثقيل بالبنصر وخفيف رمل بالوسطى عن عمرو والهشامي
أخبرني عمي عن أحمد بن أبي طاهر عن أبي دعامة قال
كان سلم الخاسر عند أبي العتاهية فأخبره سلم أن الرشيد حبس إبراهيم الموصلي في المطبق فأقبل عليه أبو العتاهية فقال
(سَلْمُ يا سَلْمُ ليس دونك سِترُ ... حُبِس المَوْصِليُّ فالعيشُ مُرُّ)
(ما استطابَ اللّذاتِ مُذْ سَكَن المُطْبِقَ ... رأسُ اللّذات في الناس حُرّ)
(ترِكَ الموصليُّ مَنْ خَلَق اللّه ... جميعا وعيشُهم مُقْشَعِر)
(حُبِس اللهوُ والسرور فما في الأرض ... شيءٌ يُلْهَى به أو يَسُرُّ)
وأنشدني بعض أصحابنا عن ابن المرزبان عن أحمد بن أبي طاهر عن ابن أبي فنن لأبي العتاهية يخاطب إبراهيم الموصلي لما حبس
(أيا غَمِّي لغَمِّك يا خليلي ... ويا وَيْلي عليك ويا عَويلي)
(يَعِزُّ عليّ أنّك لا تراني ... وأنّي لا أراكَ ولا رسولي)
(وأنك في محلٍّ أذًى وضَنْكٍ ... وليس إلى لقائكَ من سبيلِ)
(وأني لستُ أملِك عنك دفعاً ... وقد فُوجئتَ بالخَطْب الجليل)
إبراهيم الموصلي وإبراهيم بن المهدي
أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن عمر قال حدثني أبو توبة صالح بن محمد عن القطراني المغني عن محمد بن جبر وكان المهدي رباه قال حدثني إبراهيم بن المهدي قال
انصرفت ليلة من الشماسية فمررت بدار إبراهيم الموصلي وإذا هو في روشن له وقد صنع لحنه
(ألاَ رُبّ نَدمانٍ عليّ دموعُه ... تَفيضُ على الخدَّين سَحًّا سُجُومُها)
وهو يعيده ويلعب به بنغمه ويكرره لتستوي له أجزاءه وجواريه يضربن عليه فوقفت تحت الروشن حتى أخذتهم ثم انصرفت إلى منزلي فمازلت أعيده حتى بلغت فيه الغاية وأصبحت فغدوت إلى الشماسية واجتمعنا عند الرشيد فاندفع إبراهيم فغناه أول شيء غنى فلما سمعه الرشيد طرب واستحسنه وشرب عليه ثم قال له لمن هذا يا إبراهيم قال لي يا سيدي صنعته البارحة فقلت كذب يا أمير المؤمنين هذا الصوت قديم وأنا أغنيه فقال لي غنه يا حبيبي فغنيته كما غناه فبهت إبراهيم وغضب
الرشيد وقال له يا ابن الفاجرة أتكذبني وتدعي ما ليس لك

قال فظل إبراهيم بأسوأ حال فلما صليت العصر قلت للرشيد يا أمير المؤمنين الصوت وحياتك له وما كذب ولكني مررت به البارحة وهو يردده على جارية له فوقفت حتى دار لي واستوى فأخذته منه فدعا به الرشيد ورضي عنه وأمر له بخمسة آلاف دينار
نسبة هذا الصوت
صوت
(ألا رُبّ نَدْمانٍ عليّ دموعُه ... تَفِيضُ على الخَدَّين سَحًّا سُجومُها)
(حَلِيمٌ إذا ما الكأسُ دارتْ وهَرَّها ... رجالٌ لديها قد تَخِفّ حُلومُها)
الغناء لإبراهيم رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق
أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثنا أبي عن طياب بن إبراهيم الموصلي قال
كان إبراهيم بن المهدي يقدم ابن جامع ولا يفضل عليه أحدا فأخبرني إبراهيم بن المهدي قال كنا في مجلس الرشيد وقد غلب النبيذ على ابن جامع فغنى صوتا فأخطأ في أقسامه فالتفت إلي إبراهيم فقال قد خري قد خري أستاذك فيه وفهمت صدقه فيما قال فقلت له انتبه أيها الشيخ وأعد الصوت ففطن وأعاده وتحفظ فيه وأصاب فغضب إبراهيم وأقبل علي فقال
(أُعلّمه الرِّمايةَ كلَّ يومٍ ... فلمّا استَدّ ساعدُه رماني)
وتنكر لي وحلف ألا يكلمني فقلت للرشيد بعد أيام إن لي حاجة قال وما هي قلت تأمر إبراهيم الموصلي أن يرضى عني ويعود إلى ما كان عليه فقال ومن إبراهيم حتى يطلب رضاه فقلت يا أمير المؤمنين إن الذي أريده منه لا ينال إلا برضاه فقال قم إليه يا إبراهيم فقبل رأسه فقام إلي ليقبل رأسي فلما أكب علي قال تعود قلت لا قال قد رضيت عنك رضا صحيحا وعاد إلى ما كان عليه
أخبرني أبو الحسن أحمد بن يحيى بن علي بن يحيى قال سمعت جدي عليا يحدث عن إسحاق قال
قال أبي خرجت مع الرشيد إلى الحيرة فساعة نزل بها دعا بالغداء فتغدى ثم نام فاغتنمت قائلته فذهبت فركبت أدور في ظهر الحيرة فنظرت إلى بستان فقصدته فإذا على بابه شاب حسن الوجه فاستأذنته في الدخول فإذن لي فدخلت فإذا جنة من الجنان في أحسن تربة وأغزرها ماء فخرجت فقلت له لمن هذا البستان فقال لبعض الأشاعثة فقلت له أيباع فقال نعم وهو على سوم فقلت كم بلغ فقال أربعة عشر ألف دينار قلت وما يسمى هذا الموضع قال شمارى فقلت
صوت
(جِنانَ شُمَارَى ليس مثلَك مَنظَرٌ ... لذِي رَمَدٍ أعيَا عليه طبيبُ)
(تُرابُكِ كافورٌ ونَوْرُكِ زهرةٌ ... لها أرَجٌ بعد الهُدُوِّ يطيب)
قال وحضرتني فيه صنعة حسنة فلما جلس الرشيد وأمر بالغناء غنيته إياه أول ما غنيت فقال ويلك وأين شمارى فأخبرته القصة فأمر لي بأربعة عشر ألف دينار وغمزني جعفر بن يحيى فقال خذ توقيعه بها إلي وتشاغل الرشيد عني فأعدت الصوت فقال ويلكم أعطوا هذا دنانيره فوثبت وقلت يا سيدي وقع لي بها إلى جعفر بن يحيى فقال أفعل ووقع لي بها إليه فلما حصل التوقيع عند جعفر أطلق لي المال وخمسة آلاف دينار من عنده فلما حصل المال عندي كان أحب إلي وأحسن في عيني من شمارى
أخبرني جعفر بن قدامة قال أخبرني أبو العيناء قال
خرج الفضل بن الربيع يوما من حضرة الرشيد ومعه رقعة فيها أربعة أبيات فقال إن أمير المؤمنين يأمر كل من حضر ممن يقول الشعر أن يجيزها وهي
(أهْدَى الحبيبُ مع الجَنُوبِ سلامَه ... فارددْ إليه مع الشَّمَال سلامَا)
(واعرفْ بقلبك ما تَضَمَّن قلبُه ... وتَدَاولاَ بهواكما الأيّاما)
(وإذا بكيتَ له فأيْقِنْ أنه ... ستجود أدْمُعه عليك رهَاما)
((فاحبِس دموعَك رحمةً لدموعه ... إن كنتَ تحفظُ أو تَحُوط ذِماما
فلم يوجد من يجيزها فأمر إبراهيم فغنى فيها لحنا من خفيف الثقيل
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني أبو العباس البصري قال حدثني عبد الله بن الفضل بن الربيع قال سمعت أبي يقول
لما خرج الرشيد إلى الرقة أخرج معه إبراهيم الموصلي وكان به مشغوفا ففقده في بعض المنازل أياما وطلبه فلم يخبره أحد بقصته ثم أتاه فقال له ويحك ما خبرك وأين كانت غيبتك فقال يا أمير المؤمنين حديثي عجيب نزلنا بموضع كذا وكذا فوصف لي خمار من ظرفه ومن نظافة منزله كيت وكيت فتقدمت أمام ثقلي وأتيته مخفا فوافيت أطيب منزل وأوسع رحل وأطيب طعام وأسخى نفس من شاب حسن الوجه ظريف العشرة فأقمت عنده فلما أردت اللحاق بأمير المؤمنين أقسم علي وأخرج لي من الشراب ما هو أطيب وأجود مما رأيت فأقمت ثلاثا ووهبت له دنانير كانت معي وكسوة وقلت فيه
صوت
(سَقْيًا لمنزلِ خَمّارٍ قَصَفْتُ به ... وَسْطَ الرُّصافةِ يوماً بعد يومينِ)
(ما زلتُ أرهَنُ أثوابِي وأشْرَبُها ... صفراءَ قد عُتِّقتْ في الدَّنّ حَوْلين)
(حتى إذا نَفِدت منّي بأجمعها ... عاودتُه بالرّبا دَنًّا بدَنَّين)
(فقال إزَلْ بشِين حين ودَّعني ... وقد لَعَمْرُك زُلنا عنه بالشَّيْن)
الشعر والغناء لإبراهيم خفيف رمل بالبنصر
قوله إزل بشين كلمة سريانية تفسيرها امض بسلام دعا له بها لما ودعه قال
إبراهيم فقال لي الرشيد غني هذا الصوت فغنيته إياه وزمر عليه برصوما فوهب لي الرشيد مائة ألف درهم وأقطعني ضيعة وبعث إلى الخمار فأحضر وأهدى إلى الرشيد من ذلك الشراب فوصله ووهب له إبراهيم عشرة آلاف درهم
إبراهيم الموصلي وابن جامع
أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مزيد ووكيع قالوا جميعا حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني أبي قال
قال ابن جامع يوما لأبي رأيت في منامي كأني وإياك راكبان في محمل فسفلت حتى كدت تلصق بالأرض وعلا الشق الذي أنا فيه فلأعلونك في الغناء فقال إبراهيم الرؤيا حق والتأويل باطل إني وإياك كنا في ميزان فرجحت بك وشالت

كفتك وعلوت فلصقت بالأرض فلأبقين بعدك ولتموتن قبلي قال إسحاق فكان كما قال أبي علا عليه وأفاد أكثر من فوائده
ومات ابن جامع قبله وعاش أبي بعده
أخبرني عبد الله بن الربيع الربيعي قال حدثتني خديجة بنت هارون بن عبد الله بن الربيع قالت حدثتني خمار جارية أبي
وكانت قندهارية اشتراها جدي عبد الله وهي صبية ريض من آل يحيى بن معاذ بمائتي ألف درهم قالت
ألقى علي إبراهيم الموصلي لحنه في هذين البيتين
صوت
(إذا سَرّها أمرٌ وفيه مَساءتي ... قضيتُ لها فيما تريد على نفسِي)
(وما مَرّ يومٌ أرتجي فيه راحةً ... فأذكُره إلاَّ بكيتُ على أمس)
الشعر لأبي حفص الشطرنجي والغناء لإبراهيم ثقيل أول بالوسطى فسمعني ابن جامع يوما وأنا أغنيه فسألني ممن
أخذته فأخبرته فقال أعيديه فأعدته مرارا وما زال ابن جامع يتنغم به معي حتى ظننت أنه قد أخذه ثم كان كلما جاءنا قال
لي يا صبية غني ذلك الصوت فكان صوته علي
إبراهيم الموصلي ومخارق
أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثني عمر بن شبة قال قال مخارق
أذن لنا أمير المؤمنين الرشيد أن نقيم في منازلنا ثلاثة أيام وأعلمنا أنه مشتغل فيها مع الحرم فمضى الجلساء أجمعون
إلى منازلهم وأخبرني وسواسة وهو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصلي بهذا الخبر فقال حدثني أبي عن
أبيه عن مخارق قال اشتغل الرشيد يوما واصطبح مع الحرم وقد أصبحت السماء متغيمة فانصرفنا إلى منازلنا
ولم يذكر في الخبر ما ذكره عمر بن شبة مما قدمت ذكره واتفقا هاهنا في أكثر الحكايات واللفظ فأكثره لرواية ابن
الموصلي قال مخارق وأصبحت السماء متغيمة تطش طشا خفيفا فقلت والله لأذهبن إلى أستاذي إبراهيم فأعرف خبره
ثم
أعود فأمرت من عندي أنا يسووا مجلسا لنا إلى وقت رجوعي فجئت إلى إبراهيم الموصلي فإذا الباب مفتوح والدهليز قد
كنس والبواب قاعد فقلت ما خبر أستاذي فقال ادخل فدخلت فإذا هو جالس في رواق له وبين يديه قدور تغرغر وأباريق
تزهر والستارة منصوبة والجواري خلفها وإذا قدامه طست فيه رطلية وكوز وكأس فدخلت أترنم ببعض الأصوات وقلت له ما
بال الستارة لست أسمع من ورائها صوتا فقال اقعد ويحك إني أصبحت على الذي ظننت فأتاني خبر ضيعة تجاورني قد
والله طلبتها زمانا وتمنيتها فلم أملكها وقد أعطي بها مائة ألف درهم فقلت وما يمنعك منها فوالله لقد أعطاك الله أضعاف
هذا المال وأكثر قال صدقت ولكن لست أطيب نفسا أن أخرج هذا المال فقلت فمن يعطيك الساعة مائة ألف درهم والله
ما أطمع في ذلك من الرشيد فكيف بمن دونه فقال اجلس خذ هذا الصوت ونقر بقضيب معه على الدواة وألقى علي
صوت
(نام الخَلِيُّون من هَمٍّ ومن سَقَمٍ ... وبِتُّ من كَثْرة الأحزان لم أنَمِ)
(يا طالبَ الجود والمعروفِ مُجتهداً ... اعْمِدْ ليحيى حَليفِ الجود والكرم)
الشعر لأبي النضير والغناء لإبراهيم الموصلي ثقيل أول بالبنصر
قال فأخذته فأحكمته ثم قال لي امض الساعة إلى باب الوزير يحيى بن خالد فإنك تجد الناس عليه وتجد الباب قد فتح
ولم يجلس بعد فاستأذن عليه قبل أن يصل إليه أحد فإنه سينكر عليك مجيئك ويقول من أين أقبلت في هذا الوقت
فحدثه بقصدك إياي وما ألقيت إليك من خبر الضيعة وأعلمه أني صنعت هذا الصوت وأعجبني ولم أر أحدا يستحقه إلا
فلانة جاريته وأني ألقيته عليك حتى أحكمته لتطرحه عليها فسيدعو بها ويأمر بالستارة أن تنصب ويوضع له كرسي
ويقول لك اطرحه عليها بحضرتي فافعل وأتني بالخبر بعد ذلك
قال فجئت باب يحيى فوجدته كما وصف وسألني فأعلمته ما أمرني به ففعل كل شيء قاله لي إبراهيم وأحضر الجارية
فألقيته عليها ثم قال لي تقيم عندنا يا أبا المهنأ أو تنصرف فقلت أنصرف أطال الله بقاءك فقد علمت ما أذن لنا فيه قال يا
غلام احمل مع أبي المهنأ عشرة آلاف درهم واحمل إلى أبي إسحاق مائة ألف درهم ثمن هذه الضيعة فحملت العشرة
الآلاف الدرهم إلي وأتيت منزلي فقلت أسر يومي هذا وأسر من عندي ومضى الرسول إليه بالمال فدخلت منزلي ونثرت
على من عندي من الجواري دراهم من تلك البدرة وتوسدتها وأكلت وشربت وطربت وسررت يومي كله فلما أصبحت قلت
والله لآتين أستاذي ولأعرفن خبره فأتيته فوجدت الباب كهيئته بالأمس ودخلت فوجدته على مثل ما كان عليه فترنمت
وطربت فلم يتلق ذلك بما يجب فقلت له ما الخبر ألم يأتك المال قال بلى
فما كان خبرك أنت بالأمس فأخبرته بما كان وهب لي وقلت ما ينتظر من خلف الستارة فقال ارفع السجف فرفعته فإذا
عشر بدر فقلت وأي شيء بقي عليك في أمر الضيعة قال ويحك ما هو والله إلا أن دخلت منزلي حتى شححت عليها
فصارت مثل ما حويت قديما فقلت سبحان الله العظيم فتصنع ماذا قال قم حتى ألقي عليك صوتا صنعته يفوق ذلك الصوت
فقمت وجلست بين يديه فألقى علي
صوت
(ويَفْرَح بالمولود من آل بَرْمَكٍ ... بُغاةُ النَّدَى والسيفُ والرمحُ ذو النصل)
(وتَنْبسط الآمالُ فيه لفضله ... ولا سيما إن كان من وَلَدِ الفَضْل)
الشعر لأبي النضير
والغناء لإبراهيم ثقيل أول بالبنصر عن الهشامي وذكر عمرو بن بانة أنه لإسحاق وهو الصحيح
وفيه خفيف ثقيل أظنه لحن إبراهيم
أخبرني إسماعيل بن يونس عن عمر بن شبة عن إسحاق أن أباه صنع هذا الصوت في طريقه خفيف الثقيل وعرضه على
الفضل فاستحسنه وأمر مخارقا بإلقائه على جواريه فألقاه فى مراقش وقضيب فأخذتاه عنه قال مخارق فلما ألقى علي
الصوت سمعت ما لم أسمع مثله قط وصغر عندي الأول فأحكمته ثم قال انهض الساعة إلى الفضل بن يحيى فإنك تجده
لم يأذن لأحد بعد وهو يريد الخلوة مع جواريه اليوم فاستأذن عليه وحدثه بحديثنا أمس وما كان من أبيه إلينا وإليك وأعلمه
أني قد صنعت هذا الصوت وكان عندي أرفع منزلة من الصوت الذي صنعته بالأمس وأني ألقيته عليك حتى أحكمته
ووجهت بك قاصدا لتلقيه على فلانة جاريته فصرت إلى باب الفضل فوجدت الأمر على ما ذكر فاستأذنت فوصلت وسألني
ما الخبر فأعلمته بخبري في اليوم الماضي وما وصل إلي وإليه من المال فقال أخزى الله إبراهيم فما أبخله

على نفسه ثم دعا خادما فقال اضرب الستارة فضربها فقال لي ألقه فلما غنيته لم أتمه حتى أقبل يجر مطرفه ثم قعد على وسادة دون الستارة وقال أحسن والله أستاذك وأحسنت أنت يا مخارق فلم أخرج حتى أخذته الجارية وأحكمته فسر بذلك سرورا شديدا وقال أقم عندي اليوم فقلت يا سيدي إنما بقي لنا يوم واحد ولولا أني أحب سرورك لم أخرج من منزلي فقال يا غلام احمل مع أبي المهنأ عشرين ألف درهم واحمل إلى إبراهيم مائتي ألف درهم فانصرفت إلى منزلي بالمال ففتحت بدرة فنثرت منها على الجواري وشربت وسررت أنا ومن عندي يومنا فلما أصبحت بكرت إلى إبراهيم أتعرف خبره وأعرفه خبري فوجدته على الحال التي كان عليها أولا وآخرا فدخلت أترنم وأصفق فقال لي ادن فقلت ما بقي فقال اجلس وارفع سجف هذا الباب فإذا عشرون بدرة مع تلك العشر فقلت ما تنتظر الآن فقال ويحك ما هو والله إلا أن حصلت حتى جرت مجرى ما تقدم فقلت والله ما أظن أحدا نال في هذه الدولة ما نلته فلم تبخل على نفسك بشيء تمنيته دهرا وقد ملكك الله أضعافه ثم قال اجلس فخذ هذا الصوت وألقى علي صوتا أنساني والله صوتي الأولين

صوت

(أَفي كلّ يومٍ أنتَ صبٌّ وليلةٍ ... إلى أمّ بكرٍ لا تُفيق فَتُقْصِرُ)

(أُحِبّ على الهِجران أكنافَ بيتِها ... فيا لَكَ من بيتٍ يُحَبّ ويُهْجَرُ)

(إلى جعفرٍ سارت بنا كلُّ جَسْرَةٍ ... طَوَاهَا سُرَاها نحوَه والتهجُّرُ)

(إلى واسعٍ للمُجْتَدين فِناؤه ... تَروح عطاياه عليهم وتَبْكُرُ)

الشعر لمروان بن أبي حفصة يمدح به جعفر بن يحيى

والغناء لإبراهيم ولم تقع إلينا طريقته قال مخارق ثم قال لي إبراهيم هل سمعت مثل هذا فقلت ما سمعت قط مثله فلم يزل يردده علي حتى أخذته ثم قال لي امض إلى جعفر فافعل به كما فعلت بأخيه وأبيه قال فمضيت ففعلت مثل ذلك وخبرته ما كان منهما وعرضت عليه الصوت فسر به ودعا خادما فأمره بضرب الستارة وأحضر الجارية وقعد على كرسي ثم قال هات يا مخارق فاندفعت فألقيت الصوت عليها حتى أخذته فقال أحسنت والله يا مخارق وأحسن أستاذك فهل لك في المقام عندنا اليوم فقلت يا سيدي هذا آخر أيامنا وإنما جئت لموقع الصوت مني حتى ألقيته على الجارية فقال يا غلام احمل معه ثلاثين ألف درهم وإلى الموصلي ثلاثمائة ألف درهم فصرت إلى منزلي بالمال فأقمت ومن معي مسرورين نشرب بقية يومنا ونطرب ثم بكرت إلى إبراهيم فتلقاني قائما وقال لي أحسنت يا مخارق فقلت ما الخبر فقال اجلس فجلست فقال لمن خلف الستارة خذوا فيما أنتم فيه ثم رفع السجف فإذا المال فقلت ما خبر الضيعة فأدخل يده تحت مسورة هو متكئ عليها فقال هذا صك الضيعة سئل عن صاحبها فوجد ببغداد فاشتراها منه يحيى بن خالد وكتب إلي قد علمت أنك لا تسخو نفسا بشراء الضيعة من مال يحصل لك ولو حيزت لك الدنيا كلها وقد ابتعتها لك من مالي ووجهت لك بصكها ووجه إلي بصكها وهذا المال كما ترى ثم بكى وقال لي

يا مخارق إذا عاشرت فعاشر مثل هؤلاء وإذا خنكرت فخنكر لمثل هؤلاء هذه ستمائة ألف وضيعة بمائة ألف وستون ألف درهم لك حصلنا ذلك اجمع وأنا جالس في مجلسي لم أبرح منه فمتى يدرك مثل هؤلاء

إبراهيم الموصلي وموسى الهادي

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال أخبرني أبي عن إسحاق قال

كان موسى الهادي شكس الأخلاق صعب المزاج من توقاه وعرف أخلاقه أعطاه ما أمل ومن فتح فاه فاتفق له أن يفتحه بغير ما يهواه أقصاه وأطرحه فكان لا يحتجب عن ندمائه ولا عن المغنين وكان يكثر جوائزهم وصلاتهم ويواترها فتغنى أبي عنده يوما فقال له يا إبراهيم غنني جنسا من الغناء ألذ به وأطرب له ولك حكمك فقال يا أمير المؤمنين إن لم يقابلني زحل ببرده رجوت أن أصيب ما في نفسك

قال وكنت لا أراه يصغي إلى شيء من الأغاني إصغاءه إلى النسيب والرقيق منه وكان مذهب ابن سريج عنده أحمد من مذهب معبد فغنيته

(وإنّي لتَعْروني لِذكراكِ هزّةٌ ... كما انتفض العصفورُ بلّله القَطْرُ)

فضرب بيده إلى جيب دراعته فحطها ذراعا ثم قال أحسنت والله زدني فغنيت

(فيا حُبُّها زدني جَوىً كلَّ ليلةٍ ... ويا سَلوةَ الأيّام موعدُكِ الحشرُ)

فضرب بيده إلى دراعته فحطها ذراعا آخر أو نحوه وقال زدني ويلك أحسنت والله ووجب حكمك يا إبراهيم فغنيت

((هجرتُكِ حتى قِيل لا يعرف الهوى ... وزرتُكِ حتى قيل ليس له صَبْرُ)

فرفع صوته وقال أحسنت لله أبوك هات ما تريد قلت يا سيدي عين مروان بالمدينة فدارت عيناه في رأسه حتى صارتا كأنهما جمرتان وقال يابن اللخناء أردت أن تشهرني بهذا المجلس فيقول الناس أطربه فحكمه فتجعلني سمرا وحديثا يا إبراهيم الحراني خذ بيد هذا الجاهل إذا قمت فأدخله في بيت مال الخاصة فإن أخذ كل ما فيه فخله وإياه فدخلت فأخذت خمسين ألف دينار

نسبة هذا الصوت

صوت

(عَجِبتُ لسعي الدّهرِ بيني وبينها ... فلما انقضَى ما بيننا سَكَن الدهرُ)

(فيا حُبَّها زدْني جَوىً كلَّ ليلة ... ويا سَلْوةَ الأيّامِ موعدُكِ الحَشْرُ)

(ويا هجر ليلى قد بلغتَ بي المَدَى ... وزدْتَ على ما ليس يبلغُه الهجر)

وإني لتَعْروني لذكراكِ هِزّةٌ ... كما انتفض العصفور بلَّلَة القَطر)

(هجرتُكِ حتى قيل لا يَعرف الهوى ... وزرتُكِ حتى قيل ليس له صبر)

(أمَا والذي أبْكى وأضحك والذي ... أمات وأحيا والذي أمْرُه أمْر)

(لقد تركتني أحسدُ الوحشَ أنْ أرى ... أليفَيْن منها لا يروعهما الذُّعر)

الشعر لأبي صخر الهذلي

والغناء لمعبد وأول لحنه يا هجر ليلى وبعده الثاني ثم الأول من الأبيات ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو ولابن

سريج في السادس والسابع والرابع والخامس ثقيل أول عن الهشامي

ولعريب في السادس والسابع والرابع والخامس ثقيل أول أيضا وللواثق فيها رمل وهو مما صنعه الواثق قبلها فعارضته

بلحنها
وقد نسب قوم لحن معبد إلى ابن سريج ولحن ابن سريج إلى معبد
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال
اشترى جدك إبراهيم لجعفر بن يحيى جارية مغنية بمال عظيم فقال جعفر أي شيء تحسن هذه الجارية حتى بلغت بها هذا المال كله قال لو لم تحسن شيئا إلا أنها تحكي قولي
(... لِمَن الدّيارُ بُبرْقَة الرَّوْحَانِ)
لكانت تساويه وزيادة فضحك جعفر وقال أفرطت
نسبة هذا الصوت
صوت
(لمنِ الديارُ بُبرْقَة الرَّوْحَانِ ... إذ لا نبيعُ زمانَنا بزمانِ)
(صدَعَ الغواني إذ رَمَيْن فؤادَه ... صَدْعَ الزُّجاجة ما لذاك تَدَانِ)
(إن زرتُ أهلَكِ لم أُنَوَّلْ حاجةً ... وإذا هجرتك شَفَّني هِجْراني)
الغناء لمعبد فيما ذكره الهشامي وأحمد بن المكي ثقيل أول
بالوسطى ونسبه غيرهما إلى حنين وقال آخرون إنه للغريض وذكر حبش أنه ليزيد حوراء
وفيه لإبراهيم خفيف رمل بالبنصر
أخبرني الحسين عن حماد قال قال لي أبي
صنع جدك تسعمائة صوت منها دينارية ومنها درهمية ومنها فلسية وما رأيت أكثر من صنعة فأما ثلاثمائة منها فإنه تقدم الناس جميعا فيها وأما ثلاثمائة فشاركوه وشاركهم فيها وأما الثلاثمائة الباقية فلعب وطرب قال ثم أسقط أبي الثلاثمائة الآخرة بعد ذلك من غناء أبيه فكان إذا سئل عن صنعته أبيه قال هي ستمائة صوت
وقال أحمد بن حمدون قال لي إسحاق من غناء أبي الذي أكرهه واستزريه صوته في شعر العباس بن الأحنف
(... أبْكِي ومثلي بكى من حُبِّ جاريةٍ)
فما أعلم له فيه معنى إلا استحسانه للشعر فإن العباس أحسن فيه جدا
نسبة هذا الصوت
صوت
(أبكي ومثلي بكى من حُبّ جاريةٍ ... لم يَخلُق اللهُ لي في قلبها لِينَا)
(هل تذكرين وُقُوفي عند بابُكم ... نصفَ النهار وأهلُ الدار لاهُونا)
الشعر للعباس بن الأحنف والغناء لإبراهيم خفيف رمل بالوسطى
أخبرني جحظة قال أخبرني حماد بن إسحاق قال
قال رجل لأبي أخبرني عنك لم طعنت على أبيك في صنعته
(قال لي فيها عَتِيقٌ مقالاً ... فجرتْ مما يقول الدموعُ)
قال لأنه تعرض لابن عائشة وله في هذا الشعر صنعة وابن عائشة ممن لا يعارض فلم يقاربه وعلى أن صنعة أبي من جيد الغناء لو كان صنعها في غير هذا الشعر ولكنها اقترنت بصنعة ابن عائشة فلم تقاربها فسقط عندي لذلك
نسبة هذا الصوت
صوت
(قال لي فيها عَتِيقٌ مقالاً ... فَجرتْ ممّا يقول الدموعُ)
(قال لي وَدِّعْ سُلَيمى ودَعْها ... فأجاب القلبُ لا أستطيع)
الشعر لعمر بن أبي ربيعة
والغناء لمعبد ثقيل أول بالوسطى عن عمرو وقيل إنه لابن عائشة
وفيه ثاني ثقيل ينسب إلى الهذلي
وفيه خفيف ثقيل ينسب إلى ابن عائشة وإلى إبراهيم
أخبرني الحسن بن علي قال أخبرني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال حدثني إسحاق عن أبيه قال
دخلت الري فكنت آلف فتيانا من أهل النعم بها وهم لا يعرفونني
فطال ذلك علي إلى أن دعاني أحدهم ليلة إلى منزله فبت عنده فأخرج جارية له ومد لها ستارة فتغنت خلفها فرأيتها صالحة الأداء كثيرة الرواية فشوقتني إلى العراق وذكرتني أيامي بها فدعوت بعود فلما جيء به اندفعت فغنيت صوتي في شعري
(أنا بالرَّيّ مُقيم ... في قُرَى الرَّيّ أَهِيمُ)
وقد كنت صنعت هذا اللحن قديما بالري فخرجت الجارية من وراء الستارة مبادرة إلي فأكبت على رأسي وقالت أستاذي والله فقال لها مولاها أي أستاذيك هذا قالت إبراهيم الموصلي فإذا هي إحدى الجواري اللاتي أخذن عني وطال العهد بها فأكرمني مولاها وبرني وخلع علي فأقمت مدة بعد ذلك بالري وانتشر خبري بها ثم كتب بحملي إلى والي البلد فأشخصت
المهدي يرق له ويطلقه من الحبس
أخبرني الحسن قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أبو توبة صالح بن محمد قال حدثني القطراني عن محمد بن جبر عن يحيى المكي قال
كنا يوما بين يدي المهدي وقد حبس إبراهيم الموصلي وضربه وأمر بأن يلبس جبة صوف وكان يخرج على تلك الحال فيطرح على الجواري فكتب إلينا ذات يوم ونحن مصطبحون وقد جادت السماء بمطر صيف وبحضرتنا شيء من ورد مبكر
((ألاَ مَن مُبْلغٌ قوماً ... مِن اخواني وجيراني
(هنيئاً لكم الشُّربُ ... على وَرْدٍ وتَهْتان)
(وأنّي مُفْرَدٌ وحدي ... بأشجاني وأحزاني)

(فمَن جَفّ له جفنٌ ... فَجفْناي يَسيلان)
قال فوقف المهدي على رقعته وقرأها فرق له وأمر بطلبه في الوقت ثم أطلقه بعد بأيام
أخبرني الحسن قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثني ابن المكي عن أبيه قال
كانت لعلي اليماني جارية مغنية فهويها إبراهيم واستهيم بها زمانا وقال فيها
صوت
(كنتُ حُرًّا فصرتُ عبدَ اليماني ... من هوًى شادنٍ هواه بَرَاني)
(وهو نِصْفان من قضيبٍ ودِعْصٍ ... زانَ صدرَ القضيب رُمّانتان)
اللحن لإبراهيم في هذين البيتين ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو
وقد زعم قوم أن الشعر للحسين بن الضحاك
أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة عن إسحاق قال
كان بعض أهل نهيك قد تعاطى الغناء فلما ظن أنه قد أحكمه شاورني وأبي حاضر فقلت له إن قبلت مني فلا تغن فلست فيه كما أرضى فصاح أبي علي صيحة شديدة ثم قال لي وما يدريك يا صبي ثم أقبل على الرجل فقال أنت يا حبيبي بضد ما قال وإن لزمت الصناعة برعت فيها فلما خلا بي قال لي يا أحمق ما عليك أن يخزي الله مائة ألف مثل هذا هؤلاء أغنياء ملوك وهم يعيروننا بالغناء فدعهم يتهتكوا به ويعيروا ويفتضحوا ويحتاجوا إلينا فننتفع بهم ويبين فضلنا لدى الناس بأمثالهم
قال ولزمه النهيكي يأخذ عنه ويبره فيجزل فكان إذا غنى فأحسن قال له بارك الله فيك وإذا أساء قال بارك الله عليك وكثر ذلك منه حتى عرف النهيكي معناه فيه فغني يوما وأبي ساه فسكت ولم يقل له شيئا فقال له جعلت فداك يا أستاذي أهذا الصوت من أصوات فيك أم عليك فضحك أبي ولم يكن علم أنه قد فطن لقوله ثم قال له والله لأقبلن عليك حتى تصير كما تشتهي فإنك ظريف أديب وعني به حتى حسن غناؤه وتقدم
وفيه يقول أبي
(أوجب الله لك الحقَّ ... على مثلي بظَرْفِكْ)
(لن تراني بعد هذا ... ناطقاً إلاّ بوصفك)
(وترى القوّةَ فيما ... تَشتهيه بعد ضعفك)
إبراهيم الحاذق العالم بالغناء وأصوله
أخبرني إسماعيل قال حدثني عمر بن شبة عن إسحاق أخبرني به الصولي عن عون بن محمد عن إسحاق قال
غنى مخارق بين يدي الرشيد صوتا فأخطأ في قسمته فقلت له أعد
فأعاده وكان الخطأ خفيا فقلت للرشيد يا سيدي قد أخطأ فيه فقال لإبراهيم بن المهدي ما تقول فيما ذكره إسحاق قال ليس الأمر كما قال ولا هاهنا خطأ فقلت له أترضى بأبي قال إي والله وكان أبي في بقايا علة فأمر الرشيد بإحضاره ولو محمولا فجيء به محفة فقال لمخارق أعد الصوت فأعاده فقال ما عندك يا إبراهيم في هذا الصوت فقال قد أخطأ فيه فقال له هكذا قال ابنك إسحاق وذكر أخي إبراهيم أنه صحيح فنظر إلي ثم قال هاتوا دواة فأتي بها وكتب شيئا لم يقف عليه أحد ثم قطعه ووضعه بين يدي الرشيد وقال لي اكتب بذكر الموضع الفاسد من قسمة هذا الصوت فكتبته وألقيته فقرأه وسر وقام فألقاه بين يدي الرشيد فإذا الذي قلناه جميعا متفق فضحك وعجب ولم يبق أحد في المجلس إلا قرظ وأثنى ووصف ولا أحد خالف إلا خجل وذل وأذعن
وقال أبي في ذلك
(ليت من لا يُحسن العلمَ ... كفانا شرَّ عِلْمِهْ)
(فاخْبُر الحقَّ ابتداءً ... وقِس العلمَ بفهمه)
(طيِّبُ الرَّيْحان لا تعرفه ... إلا بشَمّه)
حدثني جحظة قال حدثني هبة الله وحدثني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال
غنى أبي يوما بحضرة الرشيد
(سَلِي هل قَلاَني من عَشيرٍ صَحِبتُه ... وهل ذمّ رَحْلي في الرِّفاق رفيقُ)
فطرب واستعاده وأمر له بعشرين ألف درهم فلما كان بعد سنين
خطر ببالي ذلك الصوت وذكرت قصته فغنيته إياه فطرب وشرب ثم قال لي يا إسحاق كأني في نفسك ذكرت حديث أبيك وأني أعطيته ألف دينار على هذا الصوت فطمعت في الجائزة فضحكت ثم قلت والله يا سيدي ما أخطأت فقال قد أخذ ثمنه أبوك مرة فلا تطمع فعجبت من قوله ثم قلت يا سيدي قد أخذ أبي منك أكثر من مائتي ألف دينار ما رأيتك ذكرت منها غير هذا الألف على بختي أنا فقال ويحك أكثر من مائتي ألف دينار قلت إي والله فوجم وقال أستغفر الله من ذلك ويحك فما الذي خلف منها قلت خلف علي ديونا مبلغها خمسة آلاف دينار قضيتها عنه فقال ما أدري أينا أشد تضييعا والله المستعان

نسبة هذا الصوت

صوت

(سَلِي هل قلاني مِنْ عَشيرٍ صَحِبتُه ... وهل ذَمّ رَحْلي في الرِّفاق رفيقُ)
(وهلِ يَجْتوي القومُ الكرامُ صَحابتي ... إذا اغبّر مَخْشِيٌّ الفِجاج عَميقُ)
(ولو تعلمين الغيبَ أيقنتِ أنّني ... لكُم والهَدايا المُشْعَراتِ صديقُ)
الشعر ينسب إلى مضرس بن قرط الهلالي وإلى قيس بن ذريح وفيه بيت يقال إنه لجرير
والغناء مختلط في أشعار الثلاثة المذكورين
ونسبته تأتي في أخبار قيس بن ذريح إلا أن الغناء في هذه الثلاثة الأبيات لمعبد ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق

كان يحفظ حتى صوت القطط

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثتني نشوة الأشنانية قالت أخبرني أبو عثمان يحيى المكي قال تشوق يوما إبراهيم الموصلي إلى سرداب له وكانت فيه بركة ماء تدخل من موضع إليه وتخرج إلى بستان فقال أشتهي

أن أشرب يومي وأبيت ليلتي في هذا السرداب ففعل ذلك فبينا هو نائم في نصف الليل فإذا سنورتان قد نزلتا من درجة السرداب بيضاء وسوداء فقالت إحداهما أتراه نائما فقالت السوداء هو نائم فاندفعت السوداء فغنت بأحسن صوت
(عَفَا مُزْجٌ إلى لَصَقٍ ... إلى الهِضَبَات من هَكِرِ)
(إلى قاع النَّقِير إلى ... قرار حِلاَل ذي حَدَرِ)
قال فمات إبراهيم فرحا وقال يا ليتهما أعاداه فأعاداه مرارا حتى أخذه ثم تحرك فقامت السنورتان وسمع إحداهما تقول للأخرى والله لا طرحه على أحد إلا جن فطرحه من غد على جارية له فجنت
نسبة هذا الصوت
الغناء فيه لمالك ثقيل أول بالوسطى عن يحيى المكي وعمرو بن بانة
أخبرني الحسن بن علي وعمي قالا حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال حدثني أبو محمد إسحاق بن إبراهيم عن أبيه قال
أتيت الفضل بن يحيى يوما فقلت له يا أبا العباس جعلت فداك هب لي دراهم فإن الخليفة قد حبس يده فقال ويحك يا أبا إسحاق ما عندي مال أرضاه لك ثم قال هاه إلا أن ها هنا خصلة أتانا رسول صاحب اليمن فقضينا حوائجه ووجه إلينا بخمسين ألف دينار يشتري لنا بها محبتنا فما فعلت ضياء جاريتك قلت عندي جعلت فداك قال فهو ذا أقول لهم يشترونها منك لا تنقصها من خمسين ألف دينار فقبلت رأسه ثم انصرفت فبكر علي رسول صاحب اليمن ومعه صديق لي فقال جاريتك فلانه عندك فقلت عندي فقال اعرضها علي فأخرجتها قال بكم قلت بخمسين ألف دينار ولا أنقص منها دينارا واحدا وقد أعطاني بها الفضل بن يحيى أمس هذه العطية فقال لي أريدها له فقلت له أنت أعلم إذا اشتريتها فصيرها لمن شئت فقال لي هل لك في ثلاثين ألف دينار مسلمة لك قال وكان شراء الجارية على أربعمائة دينار فلما وقع في أذني ذكر ثلاثين ألف أرتج علي ولحقني زمع وأشار علي صديقي الذي معه بالبيع وخفت والله أن يحدث بالجارية حدث أو بي أو بالفضل بن يحيى فسلمتها وأخذت المال ثم بكرت على الفضل بن يحيى فإذا هو جالس وحده فلما نظر إلي ضحك ثم قال لي يا ضيق الحوصلة حرمت نفسك عشرين ألف دينار فقلت له جعلت فداك دع ذا عنك فوالله لقد دخلني شيء أعجز عن وصفه وخفت أن تحدث بي حادثة أو بالجارية أو بالمشتري أو بك أعاذك الله من كل سوء فبادرت بقبول الثلاثين ألف دينار فقال لا ضير يا غلام جئ بالجارية فجاء بجاريتي بعينها فقال خذها مباركا لك فيها فإنما أردنا منفعتك ولم نرد الجارية فلما نهضت قال لي مكانك إن صاحب إرمينية قد جاءنا فقضينا حوائجه ونفذنا كتبه وذكر أنه قد جاءنا بثلاثين ألف دينار يشتري لنا بها ما نحب فاعرض عليه جاريتك هذه ولا تنقصها من ثلاثين ألف دينار فانصرفت بالجارية وبكر إلي رسول صاحب إرمينية ومعه صديق لي آخر فقاولني بالجارية فقلت لست أنقصها من ثلاثين ألف دينار فقال لي معي على الباب عشرون ألف دينار تأخذها مسلمة بارك الله لك فيها فدخلني والله مثل الذي دخلني في المرة الأولى وخفت مثل خوفي الأول فسلمتها وأخذت المال وبكرت على الفضل بن يحيى فإذا هو وحده فلما رآني ضحك وضرب برجله الأرض وقال ويحك حرمت نفسك عشرة آلاف دينار فقلت أصلحك الله خفت والله ما خفت في المرة الأولى قال لا ضير أخرج يا غلام جاريته فجاء بجاريتي بعينها فقال خذها ما أردناها ولا أردنا إلا منفعتك فلما ولت الجارية صحت بها ارجعي فرجعت فقلت أشهدك جعلت فداك أنها حرة لوجه الله وأني قد تزوجتها على عشرة آلاف درهم كسبت لي في يومين خمسين ألف دينار فما جزاؤها إلا هذا فقال وفقت إن شاء الله
أخبرني الحسن بن علي قال أخبرني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال حدثني إسحاق قال قال لي أبي
كنت في شبابي ألازم أصحاب قطربل وباري وبنى وما أشبه هذه المنازل فأتخذ فيهم الخمار اللطيف يحسبوني بالشراب الجيد ويخبؤه لي فجئت إلى باري يوما فلقيني خماري فقال لي يا أبا إسحاق عندي شيء من بابتك وقد كنت عملت لحني هذا
صوت
(اشرَبِ الرَّاح وكُنْ في ... شُرْبِك الرّاحَ وَقُورَا)
(فاشربِ الرّاح رَوَاحاً ... وظلاماً وبُكورا)
الشعر والغناء لإبراهيم خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى
وفيه لمنصور زلزل الضارب خفيف رمل عن حبش قال فدخلت بيته وبزلت دنه وجعلت أرجع الصوت فبهت ينظر إلي والنبيذ يجري حتى امتلأ الإناء وفاض فقلت له ويحك شرابك قد فاض فقال دعني
من شرابي بالله مات لك إنسان في هذه الأيام فقلت لا قال فما بال حلقك هذا حزينا
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني حماد بن إسحاق عن عمه طيات بن إبراهيم قال
دخلت على أبي يوما وعنده مخارق وأبي يلقي عليه هذا الصوت
صوت
(طَربتَ وأنت مَعْنِيٌّ كئيبُ ... وقد يَشتاق ذو الحَزَنِ الغريبُ)
(وشاقك بالمُوَقَّر أهلُ خاخٍ ... فلا أَمَمٌ هناكَ ولا قريبُ)
(وكم لك دونها من عُرض أرضٍ ... كأنَّ سَرَابَها الجاري سَبِيب)
(لَعَمْرُك إنّني برَقِيم قَيْس ... وجارةِ أهلِها لأنا الحَرِيبُ)
الشعر للأحوص والغناء لإبراهيم ماخوري بالبنصر عن عمرو قال فلما أخذه مخارق جعل أبي يبكي ثم قال له يا مخارق نعم وسيلة إبليس أنت في الأرض أنت والله بعدي صاحب اللواء في هذا الشأن
تفاخر مع ابنه في الغناء فحكم له
أخبرني الحسن بن علي وعمي قالا حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال
حدثني محمد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق قال
لما صنع أبي لحنه في
(ليتَ هنداً أنجزتنا ما تَعِدْ ... وشَفَتْ أنفُسَنا مما تَجِدْ)
خاصمته وعبته في صنعته وقلت له أما بإزائك من ينتقد أنفاسك ويعيب محاسنك وأنت لا تفكر تجيء إلى صوت قد عمل

فيه ابن سريج لحنا فتعارضه بلحن لا يقاربه والشعر أوسع من ذلك فدع ما قد اعتورته صناعة القدماء وخذ في غيره فغضب وكنت لا أزال أفاخره بصنعتي وأعيب ما يعاب من صنعته فإن قبل مني فذلك وإن غضب داريته وترضيته فقال لي ما يعلم الله أني أدعك أو تفاخرني بخير صوت صنعته في الثقيل الثاني في طريقة هذا الصوت فلما رأيت الجد منه اخترت صنعتي في هذا اللحن

(قل لِمَنْ صَدّ عاتِبَا ... ونأى عنكَ جانِبَا)

(قد بلغتَ الذي أردْتَ ... وإن كنتَ لاعبا)

وكان ما تجاريناه ونحن نتساير خارجين إلى الصحراء نقطع فضلة خمار بنا فقال من تحب أن يحكم بيني وبينك فقلت من ترى أن يحكم هاهنا قال أول من يطلع علينا أغنيه لحني وتغنيه لحنك فطمعت فيه وقلت نعم فأقبل شيخ نبطي يحمل شوكا على حمار له فأقبل عليه أبي فقال إني وصاحبي هذا قد تراضينا بك في شيء قال وأي شيء هو فقلنا زعم كل واحد منا أنه أحسن غناء من صاحبه فتسمع مني ومنه وتحكم فقال على اسم الله فبدأ أبي فغنى لحنه وتبعته فغنيت لحني فلما فرغت أقبل علي فقال لي قد حكمت عليك عافاك الله ومضى فلطمني أبي لطمة ما مر بي مثلها منه قط وسكت فما أعدت عليه

حرفا ولا راجعته بعد ذلك في هذا المعنى حتى افترقنا

نسبة هذين الصوتين

صوت

(ليت هنداً أنْجزتْنا ما تَعِدْ ... وشَفَتْ أنفُسَنا ممّا تَجِدْ)

(واستبدّتْ مرّةً واحدةً ... إنما العاجز من لا يَسْتَبِدّ)

(زعموها سألتْ جاراتِها ... ذاتَ يومٍ وتعرّتْ تَبْتَرِد)

(أكَمَا يَنْعَتُني تُبْصِرْنَني ... عَمْرَكُنّ اللّه أم لا يقتصِدْ)

(فتضاحَكْن وقد قُلْن لها ... حسنٌ في كلّ عينٍ من تَوَدّ)

(حسداً حُمّلنَه من أجْلِها ... وقَديماً كان في الناس الحَسد)

الشعر لعمر بن أبي ربيعة

ولحن إبراهيم فيه ثاني ثقيل بالوسطى

وفيه لابن سريج رمل بالخنصر في مجرى البنصر

وفيه لمالك خفيف ثقيل بالخنصر والبنصر عن يحيى المكي وذكره إسحاق في هذه الطريقة ولم ينسبه إلى أحد وقال الهشامي أدل شيء على أنه لمالك شبهه للحنه

(... اسْلَمِي يا دارُ مِن هندِ)

وفيه لمتيم ثقيل أول

وأما لحن إسحاق الذي فاخر به صنعة أبيه فقد كتب شعره والصنعة فيه وهما جميعا لإسحاق ولحنه ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو في أخبار إسحاق

وذكر أحمد بن أبي طاهر أن حماد بن إسحاق حدثه عن أبيه قال

كان الرشيد قد وجد على منصور زلزل لشيء بلغه عنه فحبسه عشر سنين أو نحوها فقام الرشيد يوما لحاجته فجعل إبراهيم يغني صوتا صنعه في شعر كان قاله في حبس زلزل وهو

(هل دهرُنا بك راجعٌ يا زَلْزَلُ ... أيّام يَبْغِينا العدوُّ المبطِلُ)

(أيامَ أنت من المَكارِه آمِنٌ ... والخيرُ مُتّسِع علينا مُقْبِل)

(يا بؤسَ مَنْ فقَد الإمَامَ وقُرْبَه ... ماذا به من ذِلّة لو يَعْقِل)

(ما زلتُ بعدك في الهموم مُرَدَّداً ... أبكي بأربعةٍ كأنّي مُثْكِلُ)

الشعر والغناء لإبراهيم خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو قال ودخل الرشيد وهو في ذلك فجلس في مجلسه ثم قال يا إبراهيم أي شيء كنت تقول فقال خيرا يا سيدي فقال هاته فتلكأ فغضب الرشيد وقال هاته فلا مكروه عليك فرد الغناء فقال له أتحب أن تراه فقال وهل ينشر أهل القبور فقال هاتوا زلزلا فجاؤوا به وقد ابيض رأسه ولحيته فسر به إبراهيم وأمره فجلس وأمر إبراهيم فغنى وضرب عليه فزلزلا الدنيا وشرب الرشيد على ذلك رطلا وأمر بإطلاق زلزل وأسنى جائزتهما ورضي عنه وصرفه إلى منزله

قال وزلزل أول من أحدث هذه العيدان الشبابيط وكانت قديما على عمل عيدان الفرس فجاءت عجبا من العجب قال وكانت أخت زلزل تحت إبراهيم وقد ولدت منه

تعلم أول غناء من مجنون

أخبرني محمد بن مزيد عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال

أول من تعلمت منه الغناء مجنون كان إذا صيح به يا مضر يهيج ويرجم فبلغني أنه يغني أصواتا فيجيدها أخذها عن قدماء أهل الحجاز فكنت أدخله إلي فأطعمه وأسقيه وأخدعه حتى آخذ عنه وكان حاذقا فأول صوت أخذته عنه

(أرْسِلِي بالسّلام يا سَلْم إنّي ... منذُ علّقْتُكم غنيٌّ فقيرُ)

(فالغِنَى إن ملكتُ أمرَكِ والفقرُ ... بأنّي أزورُ من لا يزور)

(وَيْحَ نفسي تسلو النفوسُ ونفسي ... في هَوى الرِّيم ذكرُها ما يَحُور)

(منْ لنفسٍ تَتُوق أنتِ هواها ... وفؤادٍ يكاد فيكِ يطير)

ثم مكثت زمانا آخذ عنه وكان إذا عاد إليه عقله من أحذق الناس وأقومهم على ما يؤديه ثم غاب عني فما أعرف خبره وهذا الشعر للوليد بن يزيد

والغناء ليونس خفيف رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق وذكر غيره أنه لعمر الوادي وفيه لوجه القرعة ثاني ثقيل بالوسطى عن حبش

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن جده قال

خرجت مع الرشيد إلى الشأم لما غزا فدعاني يوما فدخلت إليه إلى مجلس لم أر أحسن منه مفروش بأنواع الرخام فأكل وأمرني فأكلت معه وجعلت أتولى خدمته إلى العصر ثم دعا بالنبيذ فشرب وسقاني معه ثم خلع علي خلعة وشي من

ثيابه وأمر لي بألف دينار ثم قال انظر
يا إبراهيم كم من يد أوليتك إياها اليوم نادمتني مفردا وآكلتني وخلعت عليك ثيابي من بدني ووصلتك وأجلستك في إيوان مسلمة بن عبد الملك تشرب معي فقلت يا سيدي ما ذهب علي شيء من تفضلك وإن نعمك عندي لأكثر من أن تحصى وقبلت رجله والأرض بين يديه
إبراهيم الموصلي أول من غنى الرشيد بعد توليه الخلافة
أخبرني الحسن بن علي حدثنا أحمد بن زهير قال قال دعبل بن علي
لما ولي الرشيد الخلافة وجلس للشرب بعد فراغه من إحكام الأمور ودخل عليه المغنون كان أول من غناه إبراهيم الموصلي بشعره فيه وهو
صوت
(إذا ظُلَمُ البلادِ تَجَلَّلْتنا ... فهارونُ الإمامُ لها ضِياءُ)
(بهارونَ استقام العدلُ فينا ... وغاض الجورْ وانفسح الرجاء)
(رأيتُ الناسَ قد سكنوا إليه ... كما سكنتْ إلى الحَرَم الظِّباءُ)
(تَبِعْتَ من الرسول سبيلَ حقٍّ ... فشأنُك في الأمور به اقتداءُ)
فقال له الخادم من خلف الستارة أحسنت يا إبراهيم في شعرك
وغنائك وأمر له بعشرين ألف درهم
لحن إبراهيم في هذا الصوت ثقيل أول بالسبابة والوسطى عن أحمد بن المكي
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني يزيد بن محمد المهلبي قال حدثني أبي قال كنت أنا وأبو سعيد النهدي وهاشم بن سليمان المغني يوما مجتمعين في بستان لنا ونحن نشرب وهاشم يغنينا فلما توسطنا أمرنا إذا نحن برجل قد دخل علينا البستان جميل الهيئة حسن الزي فلما بصرنا به من بعيد وثب هاشم يعدو حتى لقيه فقبل يده وعانقه ولم يعرفه أحد منا فجاء وسلم سلام الصديق على صديقه ثم قال خذوا في شأنكم فإني اجتزت بكم فسمعت غناء أبي القاسم فاستخفني وأطربني فدخلت إليكم واثقا بأنه لا يعاشر إلا فتى ظريفا يستحسن هذا الفعل ويسره ولي في هذا إمام وهو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام فإنه سمع غناء عند قوم فدخل بغير إذن ثم قال إنما أدخلني عليكم مغنيكم لما غنى
(قُلْ لكرامٍ ببابنا يَلِجُوا ... ما في التَّصابي على الفتى حَرَجُ)
وأنا أعلم أن نفوسكم متعلقة بمعرفتي فمن عرفني فقد اكتفى ومن جهلني فأنا إبراهيم الموصلي فقمنا فقبلنا رأسه وسررنا به أتم سرور وانعقدت بيننا وبينه يومئذ مودة ثم غاب عنا غيبة طويلة وإذا هاشم قد أنفذ إلينا منه رقعة فيها
(أهاشمُ هل لي مِنْ سبيلٍ إلى التي ... تُفَرِّقُ همَّ النفس في كل مَذْهبِ)
(مُعَتَّقةً صِرْفًا كأنّ شُعاعَها ... تَضَرُّمُ نارٍ أو تَوَقُّدُ كوكبِ)
(ألا ربّ يومٍ قد لهوتُ وليلةٍ ... بها والفتى النَّهْدِيُّ وابن المُهَلَّب)
(نُدِير مُداماً بيننا بتَحِيَّة ... وتَفْدِيَةٍ بالنفس والأمّ والأب)
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال
كان لي وأنا صبي عقعق قد ربيته وكان يتكلم بكل شيء سمعه فسرق خاتم ياقوت كان لأبي قد وضعه على تكأته ودخل الخلاء ثم خرج ولم يجده فطلبه وضرب غلامه الذي كان واقفا فلم يقف له على خبر فبينا أنا ذات يوم في دارنا إذا أبصرت العقعق قد نبش ترابا فأخرج الخاتم منه ولعب به طويلا ثم رده فيه ودفنه فأخذته وجئت به إلى أبي فسر بذلك وقال يهجو العقعق
(إذا بارك الله في طائرٍ ... فلا بارك الله في العقعقِ)
(طويل الذُّنَابَى قصير الجناح ... متى ما يجد غَفْلةً يسرق)
(يُقلِّب عينين في رأسه ... كأنهما قَطْرتا زِئْبَق)
الموصلي وابن جامع عند الرشيد
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أحمد بن المكي وذاكرت أبا أحمد بن جعفر جحظة بهذا الخبر فقال حدثني به محمد بن أحمد بن يحيى المكي المرتجل عن أبيه عن جده ووجدت هذا الخبر في بعض الكتب عن علي بن محمد بن نصر عن جده حمدون بن إسماعيل فجمعت الروايات كلها
أن الرشيد قال يوما لجعفر بن يحيى قد طال سماعنا هذه العصابة على اختلاط الأمر فيها فهلم أقاسمك إياها وأخايرك فاقتسما المغنين على أن جعلا بإزاء كل رجل نظيره وكان ابن جامع في حيز الرشيد وإبراهيم في حيز جعفر بن يحيى وحضر الندماء لمحنة المغنين وأمر الرشيد ابن
جامع فغنى صوتا أحسن فيه كل الإحسان وطرب الرشيد غاية الطرب فلما قطعه قال الرشيد لإبراهيم هات يا إبراهيم هذا الصوت فغنه فقال لا والله يا أمير المؤمنين ما أعرفه وظهر الانكسار فيه فقال الرشيد لجعفر هذا واحد ثم قال لإسماعيل بن جامع غن يا إسماعيل فغنى صوتا ثانيا أحسن من الأول وأرضى في كل حال فلما استوفاه قال الرشيد لإبراهيم هاته يا إبراهيم قال ولا أعرف هذا فقال هذان اثنان غن يا إسماعيل فغنى ثالث يتقدم الصوتين الأولين ويفضلهما فلما أتى على آخره قال هاته يا إبراهيم قال ولا أعرف هذا أيضا فقال له جعفر أخزيتنا أخزاك الله
قال وأتم ابن جامع يومه والرشيد مسرور به وأجازه بجوائز كثيرة وخلع عليه خلعا فاخرة ولم يزل إبراهيم منخذلا منكسرا حتى انصرف
قال فمضى إلى منزله فلم يستقر فيه حتى بعث إلى محمد المعروف بالزف وكان محمد من المغنين المحسنين وكان أسرع من عرف في أيامه في أخذ صوت يريد أخذه وكان الرشيد قد وجد عليه في بعض ما يجده الملوك على أمثاله فألزمه بيته وتناساه فقال إبراهيم للزف إني اخترتك على من هو أحب إلي منك لأمر لا يصلح له غيرك فانظر كيف تكون قال أبلغ في ذلك محبتك إن شاء الله تعالى فأدى إليه الخبر وقال أريد أن تمضي الساعة إلى ابن جامع فتعلمه أنك صرت إليه مهنئا بما تهيأ له علي وتنقصني وتثلبني وتشتمني وتحتال في أن تسمع منه الأصوات وتأخذها منه ولك ما تحبه من جهتي من عرض من الأعراض مع رضا الخليفة إن شاء الله
قال فمضى من عنده واستأذن على ابن جامع فأذن له فدخل وسلم عليه وقال جئتك مهنئا بما بلغني من خبرك والحمد

لله الذي أخزى ابن الجرمقانية على يدك وكشف الفضل في
محلك من صناعتك قال وهل بلغك خبرنا قال هو أشهر من أن يخفى على مثلي قال ويحك إنه يقصر عن العيان قال أيها الأستاذ سرني بأن أسمعه من فيك حتى أرويه عنك وأسقط بيني وبينك الأسانيد قال أقم عندي حتى أفعل قال السمع والطاعة فدعا له ابن جامع بالطعام فأكلا ودعا بالشراب ثم ابتدأ حدثه بالخبر حتى انتهى إلى خبر الصوت الأول فقال له الزف وما هو أيها الأستاذ فغناه ابن جامع أياه فجعل محمد يصفق وينعر ويشرب وابن جامع مجتهد في شأنه حتى أخذه عنه
ثم سأله عن الصوت الثاني فغناه إياه وفعل مثل فعله في الصوت الأول ثم كذلك في الصوت الثالث فلما أخذ الأصوات الثلاثة كلها وأحكمها قال له يا أستاذ قد بلغت ما أحب فتأذن لي في الانصراف قال إذا شئت فانصرف محمد من وجهه إلى إبراهيم فلما طلع من باب داره قال له ما وراءك قال كل ما تحب ادع لي بعود فدعا له به فضرب وغناه الأصوات قال إبراهيم وأبيك هي بصورها وأعيانها رددها علي الآن فلم يزل يرددها حتى صحت لإبراهيم وانصرف الزف إلى منزله وغدا إبراهيم إلى الرشيد فلما دعا بالمغنين دخل فيهم فلما بصر به قال له أو قد حضرت أما كان ينبغي لك أن تجلس في منزلك شهرا بسبب ما لقيت من ابن جامع قال ولم ذلك يا أمير المؤمنين جعلني الله فداءك والله لئن أذنت لي أن أقول لأقولن قال وما عساك أن تقول قل فقال إنه ليس ينبغي لي ولا لغيري أن يراك نشيطا لشيء فيعارضك ولا أن تكون متعصبا لحيز وجنبة فيغالبك وإلا فما في الأرض صوت لا أعرفه قال دع ذا عنك قد أقررت أمس بالجهالة بما سمعت من صاحبنا فإن كنت أمسكت عنه بالأمس على معرفة كما تقول فهاته اليوم فليس ها هنا عصبية ولا تمييز فاندفع فأمر الأصوات كلها وابن جامع مصغ
يسمع منه حتى أتى على آخرها فاندفع ابن جامع فحلف بالأيمان المحرجة أنه ما عرفها قط ولا سمعها ولا هي إلا من صنعته ولم تخرج إلى أحد غيره فقال له ويحك فما أحدثت بعدي قال ما أحدثت حدثا فقال يا إبراهيم بحياتي اصدقني فقال وحياتك لأصدقنك رميته بحجره فبعثت له بمحمد الزف وضمنت له ضمانات أولها رضاك عنه فمضى فاحتال لي عليه حتى أخذها عنه ونقلها إلي وقد سقط الآن اللوم عني بإقراره لأنه ليس علي أن أعرف ما صنعه هو ولم يخرجه إلى الناس وهذا باب من الغيب وإنما يلزمني أن يعرف هو شيئا من غناء الأوائل وأجهله أنا وإلا فلو لزمني أن أروي صنعته للزمه أن يروي صنعتي ولزم كل واحد منا لسائر طبقته ونظرائه مثل ذلك فمن قصر عنه كان مذموما ساقطا فقال له الرشيد صدقت يا إبراهيم ونضحت عن نفسك وقمت بحجتك ثم أقبل على ابن جامع فقال له يا إسماعيل أتيت أتيت دهيت دهيت أبطل عليك الموصلي ما فعلته به أمس وانتصف اليوم منك ثم دعا بالزف فرضي عنه

الأصوات التي غنى بها ابن جامع

قال علي بن محمد سألت خالي أبا عبد الله بن حمدون وقد تجارينا هذا الخبر هل تعرف أصوات ابن جامع هذه فأخبرني أنه سمع إسحاق يحكي هذه القصة وذكر أن الصوت الأول منها

صوت

(بكيتُ نعمْ بكيتُ وكّلِ إلْفٍ ... إذا بانت قرينتُه بكاها)
(وما فرقتُ لُبْنَى عن تَقالٍ ... ولكن شِقْوةٌ بلغتْ مَداها)
الشعر لقيس بن ذريح
والغناء لابن جامع ثاني ثقيل بالوسطى
وفيه ليحيى المكي ثاني ثقيل آخر بالخنصر والبنصر من كتابه
وفيه لإبراهيم ثقيل أول عن الهشامي
قال والثاني منها

صوت

(عفت دارَ سَلْمَى بمُفْضَى الرَّغام ... رياحٌ تَعَاقَبُها كلَّ عامِ)
(خِلاَفَ الحلولِ بتلك الطّلول ... وسَحْبِ الذُّيول بذاك المقام)
(وأنس الديار وقرب الجِوار ... وطيب المزار وردّ السلامِ)
(ودهر غَرير وعيش السرور ... ونأي الغَيور وحُسن الكلام)
الشعر لحماد الراوية
والغناء لابن جامع ثقيل أول بالبنصر ذكر ذلك الحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو
قال ابن حمدون وهذا الصوت عجيب الصنعة كثير النغم محكم العمل من صدور أغاني ابن جامع ومتقدم صنعته وكان المعتصم معجبا به وكثيرا ما كان يسكت المغنين إذا غني بحضرته فلا يسمع سائر يومه غيره
قال والثالث منها

صوت

(نَزَفَ البكاءُ دموعَ عينك فاستَعِرْ ... عيناً لغيرك دمعُها مِدْرارُ)
((مَنْ ذا يُعيرك عينَه تبكي بها ... أرأيتَ عيناً للبكاء تُعارُ
الشعر للعباس بن الأحنف
والغناء لابن جامع ثقيل أول بالوسطى وقال ابن حمدون وعارضه إبراهيم بعد ذلك في هذا الشعر فصنع فيه لحنا من الرمل بالبنصر في مجراها فلم يلحقه ولا قاربه
قال وقد صنع أيضا في هذا الشعر لحن خفيف فاسد الصنعة محدث ليس ينبغي أن يذكر هاهنا
حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني أبو عبد الله الحزنبل قال حدثني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل عن أبيه قال أنشد بشار قول العباس بن الأحنف
(نَزف البكاءُ دموعَ عينك فاستعرْ ... عيناً لغيرك دمعها مدرارُ)
فقال بشار لحق والله هذا الفتى بالمحسنين وما زال يدخل نفسه معنا ونحن نخرجه حتى قال هذا الشعر
حدثني محمد بن يحيى قال حدثني ميمون بن هارون عن إسحاق قال
أنشد الرشيد قول العباس
(من ذا يُعيركَ عينَه تبكي بها ... أرأيت عيناً للبكاء تُعارُ)

فقال يعيره من لا حاطه الله ولا حفظه
ومما يغنى فيه من قصيدة العباس بن الأحنف الرائية التي هذا الصوت الأخير منها قوله
صوت
(الحبُّ أوّلُ ما يكون لَجَاجةً ... تأتي به وتسوقُه الأقدارُ)
(حتى إذا سلَك الفتى لُجَجَ الهوى ... جاءت أمورٌ لا تُطاق كِبارُ)
غناه ابن جامع ثاني ثقيل بالبنصر
وفيه لشاطرة امرأة منصور زلزل ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي
وذكر ابن المكي المرتجل أن هذه الأصوات الثلاثة المسروقة من ابن جامع
يا قبرُ بين بيوتِ آل مُحَرِّقٍ ...) و)
(... عفا طَرَفُ القُرَيَّةِ فالكثيبُ)
وأسقط منها قوله
نزف البكاء دموع عينك فاستعر ...) و)
(...بكيتُ نعم بكيتُ وكلُّ إلف)
نسبة هذين الصوتين
صوت
(يا قبرُ بين بيوتِ آل مُحرِّقٍ ... جادت عليك رَوَاعِدٌ وبُروقُ)
(أمّا البكاء فقَلَّ عنك كثيرُه ... ولئن بكيتُ فبالبكاء حقيق)
الشعر لرجل من بني أسد يرثي خالد بن نضلة ورجلا آخر من بني أسد كانا نديمين للمنذر بن ماء السماء فقتلهما في سخطه عليهما وخبر ذلك مشهور في أخبار ابن جامع
والغناء لابن جامع وله فيه لحنان ثقيل أول بالوسطى ورمل بالبنصر وقيل إن الرمل لابن سريج
وذكر حبش أن لمحمد صاحب البرام فيه لحنا من الثقيل الثاني بالوسطى
ومنها
صوت
(عفا رَسْمُ القُرَيّة فالكثيبُ ... إلى مَلْحَاء ليس بها عَرِيبُ)
(تأبد رسمها وجرى عليها ... سَفِيّ الريح والتُّرب الغريبُ)
(فإنكَ واطِّراحَك وصلَ سُعْدى ... لأخرى في مودّتها نُكوبُ)
((كثاقبةٍ لِحَلْيٍ مستعار ... بأُذنيها فشانَهما الثُّقوبُ)
(فردّت حَلْيَ جارتها إليها ... وقد بَقِيتْ بأذنيْها نُدوبُ)
الشعر لابن هرمة
والغناء لابن جامع ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى
عن إسحاق
وفيه للغريض ثاني ثقيل آخر بالبنصر عن عمرو
وقال عمرو فيه لحن للهذلي ولم يجنسه
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني عيسى بن أيوب القرشي قال حدثني غيث بن عبد الكريم عن فليح بن إسماعيل عن إسماعيل بن جعفر الفقيه مولى حرب عن أبيه قال
مررت بابن هرمة وهو جالس على دكان في بني زريق فقلت له يا أبا إسحاق ما يجلسك ها هنا قال بيت كنت قلته ثم انقطع علي الروي فيه وتعذر علي ما أشتهيه فأبغضته وتركته قلت ما هو قال
(فإنكَ واطِّراحَك وصلَ سُعْدَى ... لأخرى في مودّتها نُكوبُ)
قال قلته ثم انقطع بي فيه فمرت بي جويرية صفراء مليحة كنت أستحسنها أبدا وأكلمها إذا مرت بي فمرت اليوم فرأيتها وقد ورم وجهها وتغير خلقها عما أعرف فسألتها عن خبرها فقالت كان في بني فلان عرس أردت حضوره فاستعار لي أهلي حليا وثقبوا أذني لألبسه فورم وجهي وأذناي كما ترى فردوه ولم أشهد العرس قال ابن هرمة فاطرد لي الشعر فقلت
((كثاقبةٍ لَحلْيٍ مستعارٍ ... بأذنيها فشانَهما الثقوبُ)
(فردّت حَلْيَ جارتها إليها ... وقد بقيت بأذنيها نُدوبُ)
إبراهيم بن المهدي يسرق شعره ويغني به الرشيد
أخبرني الحسين بن القاسم قال حدثني العباس بن الفضل قال حدثني أبي قال
قال الرشيد لإبراهيم بن المهدي وإبراهيم الموصلي وابن جامع وابن أبي الكنات باكروني غدا وليكن كل واحد قد قال شعرا إن كان يقدر أن يقوله وغنى فيه لحنا وإن لم يكن شاعرا غنى في شعر غيره
قال إبراهيم ابن المهدي فقمت في السحر وجهدت أن أقدر على شيء أصنعه فلم يتفق لي فلما خفت طلوع الفجر دعوت بغلماني وقلت لهم إني أريد أن أمضي إلى موضع ولا يشعر بي أحد حتى أصير إليه وكانوا يبيتون على باب داري فقمت فركبت وقصدت دار إبراهيم الموصلي وكان قد حدثني أنه إذا أراد الصنعة لم ينم حتى يدبر ما يحتاج إليه وإذا قام لحاجته في السحر اعتمد على خشبة له في المستراح فلم يزل يقرع عليها حتى يفرغ من الصوت ويرسخ في قلبه فجئت حتى وقفت تحت مستراحه فإذا هو يردد هذا الصوت
صوت
(إذا سُكِبتْ في الكأس قبل مِزاجِها ... تَرى لونَها في جِلدة الكأس مُذْهَبَا)
(وإن مُزجتْ راعتِ بلون تخاله ... إذا ضُمّنتْه الكأسُ في الكأس كوكبَا)
((أبوها نِجاء المُزْن والكَرْمُ أُمّها ... فلم أرَ زَوْجاً منه أشهى وأطيَبا
(فجاءتك صَفْرا أشبهت غير جنسها ... وما أشبهت في اللون أُمًّا ولا أبا)
قال فما زلت واقفا أستمع منه الصوت حتى أخذته ثم غدونا إلى الرشيد فلما جلسنا للشرب خرج الخادم إلي فقال يقول

لك أمير المؤمنين يابن أم غنني فاندفعت فغنيت هذا الصوت والموصلي في الموت حتى فرغت منه فشرب عليه وأمر لي بثلاثمائة ألف درهم فوثب إبراهيم الموصلي فحلف بالطلاق وحياة الرشيد أن الشعر له قاله البارحة وغنى فيه ما سبقه إليه أحد فقال إبراهيم يا سيدي فمن أين هو لي أنا لولا كذبه وبهته وإبراهيم يضطرب ويضج فلما قضيت أربا من العبث به قلت للرشيد الحق أحق أن يتبع وصدقته فقال للموصلي أما أخي فقد أخذ المال ولا سبيل إلى رده وقد أمرت لك بمائة ألف درهم عوضا مما جرى عليه فلو بدأت أنت بالصوت لكان هذا حظك فأمر له بها فحملت إليه

إبراهيم الموصلي ومحمد بن يحيى

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن مخارق قال

أتى إبراهيم الموصلي محمد بن يحيى بن خالد في يوم مهرجان فسأله محمد أن يقيم عنده فقال ليس يمكنني لأن رسول أمير المؤمنين قد أتاني قال فتمر بنا إذا انصرفت ولك عندي كل ما يهدى إلي اليوم فقال نعم وترك في المجلس صديقا له يحصي ما يبعث به إليه قال فجاءت هدايا عجيبة من كل ضرب قال وأهدي إليه تمثال فيل من ذهب عيناه ياقوتتان فقال محمد للرجل لا تخبره بهذا حتى نبعث به إلى فلانة ففعل وانصرف إبراهيم إليه فقال أحضرني ما أهدي لك فأحضره ذلك كله إلا التمثال وقال

لا بد من صدقك كان من الأمر كذا وكذا فقال لا إلا على الشريطة وكما ضمنت فجيء بالتمثال فقال إبراهيم أليس الهدية لي فأعمل فيها ما أريد قال بلى قال فرد التمثال على الجارية وجعل يفرق الهدايا على جلساء محمد شيئا شيئا وعلى جميع من حضر من إخوانه وغلمانه وعلى من في دور الحرم من جواريه حتى لم يبق منها شيء ثم أخذ من المجلس تفاحتين لما أراد الانصراف وقال هذا لي وانصرف فجعل محمد يعجب من كبر نفسه ونبله

الرشيد يزوره ليلا ليغنيه

وقال أحمد بن المرزبان حدثني بعض كتاب السلطان

أن الرشيد هب ليلة من نومه فدعا بحمار كان يركبه في القصر أسود قريب من الأرض فركبه وخرج في دراعة وشي متلثما بعمامة وشي ملتحفا بإزار وشي بين يديه أربعمائة خادم أبيض سوى الفراشين وكان مسرور الفرغاني جريئا عليه لمكانه عنده فلما خرج من باب القصر قال أين يريد أمير المؤمنين في هذه الساعة قال أردت منزل الموصلي

قال مسرور فمضى ونحن معه وبين يديه حتى انتهى إلى منزل إبراهيم فخرج فتلقاه وقبل حافر حماره وقال له يا أمير المؤمنين أفي مثل هذه الساعة تظهر قال نعم شوق طرق لك بي ثم نزل فجلس في طرف الإيوان وأجلس إبراهيم فقال له إبراهيم يا سيدي أتنشط لشيء تأكله فقال نعم خاميز ظبي فأتي به كأنما كان معدا له فأصاب منه شيئا يسيرا ثم دعا بشراب حمل معه فقال الموصلي يا سيدي أؤغنيك أم تغنيك إماؤك فقال بل الجواري فخرج جواري إبراهيم فأخذن صدر الإيوان وجانبيه فقال أيضربن كلهن أم واحدة فقال بل

تضرب اثنتان اثنتان وتغني واحدة فواحدة ففعلن ذلك حتى مر صدر الإيوان وأحد جانبيه والرشيد يسمع ولا ينشط لشيء من غنائهن إلى أن غنت صبية من حاشيته

(يا مُورِيَ الزَّند قد أعيتْ قوادحُه ... إقْبِسْ إذا شئتَ من قلبي بمقباس)

(ما أقبحَ الناسَ في عيني وأسمجَهم ... إذا نظرتُ فلم أُبصرك في الناس)

قال فطرب لغنائها واستعاد الصوت مرارا وشرب أرطالا ثم سأل الجارية عن صانعه فأمسكت فاستدناها فتقاعست فأمر بها فأقيمت حتى وقفت بين يديه فأخبرته بشيء أسرته إليه فدعا بحماره فركبه وانصرف ثم التفت إلى إبراهيم فقال ما ضرك ألا تكون خليفة فكادت نفسه تخرج حتى دعا به وأدناه بعد ذلك

قال وكان الذي خبرته به أن الصنعة في الصوت لأخته علية بنت المهدي وكانت الجارية لها وجهت بها إلى إبراهيم يطارحها فغار الرشيد ولحن الصوت خفيف رمل

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال

كان أبي يألف خمارة بالرقة يقال لها بشرة تنزل الهنيء والمريء

وكانت لها بنت من أحسن الناس وجها فكان أبي يتحلاها ثم رحل الرشيد عن الرقة إلى بلاد الروم في بعض غزواته فقال أبي فيها

(أَيا بنتَ بِشْرةَ ما عاقَني ... عن العهد بَعْدَكِ من عائقِ)

(نَفَى النّومَ عنّي سنا بارق ... وأشهقني في ذُرَى شاهق)

قال وفيها يقول أيضا من أبيات له وله فيها صنعة من الرمل الأول

صوت

(وزعمتِ أنّي ظالمٌ فهجرتِني ... ورَمَيتِ في قلبي بسهمٍ نافذِ)

(ونَعَمْ ظلمتُكِ فاغفري وتجاوزي ... هذا مَقامُ المستجير العائذ)

ذكر حماد في هذا الخبر أن لحن جده من الرمل

ووجدت في كتاب أحمد بن المكي أن له فيهما لحنين أحدهما ثقيل أول والآخر ثاني ثقيل

الرشيد يحبس الموصلي فيغني في السجن

حدثني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي قال

حبس الرشيد إبراهيم الموصلي عند أبي العباس يعني أباه عبد الله ابن مالك فسمعناه ليلة وقد صنع هذا اللحن وهو يكرره حتى يستوي له

(يا أخلاّءِ قد مَلِلْتُ مكاني ... وتذكّرتُ ما مضى من زماني)

(شُرْبِيَ الراحَ إذ تقوم علينا ... ذاتُ دَلٍّ كأنّها غصنُ بانِ)

قال وغنى في الحبس أيضا

((ألاَ طال ليلي أُراعي النّجوم ... أُعالج في السّاق كَبْلاً ثَقيلاَ

حدثني عيسى قال حدثني عبد الله قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال حدثني علويه الأعسر قال

دخلت على إبراهيم الموصلي في علته التي توفي فيها وهو في الأبزن وبه القولنج الذي مات فيه وهو يترنم بهذا الصوت

صوت

(تغّير مني كلُّ حُسْنٍ وجِدّةٍ ... وعاد على ثَغْري فأصبح أثْرَمَا)
(ومَحّلَ أطرافي فزالتْ فصوصُها ... وحَنّى عظامي عُوجَها والمُقَوَّما)
قال محمد فحدثت بهذا الحديث إسحاق الموصلي فقال كذب ابن الزانية والله ما كان يجترئ أن يدخل إلى أبي إسحاق وهو جالس للناس إلا بعد جهد فكيف يدخل إلى أبي إسحاق وهو جالس في الأبزن
نسبة هذا الصوت
الشعر والغناء لإبراهيم وله فيه لحنان ماخوري بالوسطى عن عمرو وثاني ثقيل عن ابن المكي
حدثني جحظة قال
كان المقتدر يدعونا في الأحايين فكان يحضر من المغنين إبراهيم بن أبي العبيس وكنيز وإبراهيم بن قاسم وأنا ووصيف الزامر وكان أكثر ما ندعى
له أن جواريه كن يطالبنه بإحضارنا ليأخذن منا أصواتا قد عرفنها ويسمعننا فنغني فيأخذن ما يستحسنه فإذا انصرفنا أمر لكل واحد من إبراهيم وكنيز دبة وإبراهيم بثلاثمائة دينار ولي بمائتي دينار ولوصيف بمائتي دينار ولسائر من لعله أن يحضر معنا بمائتين إلى المائة الدينار إلى الألف الدرهم فيكون إذا حضرنا من وراء ستارة وهو جالس مع الجواري فإذا أراد اقتراح شيء جاءنا الخدم فأمرونا أن نغنيه وبين يدي كل واحد منا قنينة فيها خمسة أرطال نبيذ وقدح ومغسل وكوز ماء فغنت يوما صلفة جارية زرياب بصنعة إبراهيم الموصلي
(تغّير منّي كلُّ حُسن وجِدّةٍ ... وعادَ على ثَغْري فأصبح أثْرَمَا)
فشربت عليه فاستعاده المقتدر مرارا وأنا أشرب عليه فأخذ إبراهيم بن أبي العبيس بكتفي وقال يا مجنون إنما دعيت لتغني لا لتغنى وتطرب وتشرب فلعلك تسكر حسبك فأمسكت طمعا أن ترده بعد ذلك فما فعلت ولا اجتمعنا بعدها وما سمعت قبل ذلك ولا بعده أحدا غنى هذا الصوت أحسن مما غنته
قال وكان المقتدر ابتاعها من زرياب
أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أحمد بن القاسم بن جعفر بن سليمان بن علي قال حدثني إسحاق الموصلي عن أبيه قال
بينا أنا بمكة أجول في سككها إذا أنا بسوداء قائمة ساهية باكية فأنكرت حالها وأدمنت النظر إليها فبكت وقالت
(أعمرُو عَلاَمَ تجنَّبتَني ... أخذتَ فؤادي وعَذَّبْتَنِي)
((فلو كنتَ يا عمرُو خبّرتني ... أخذتُ حِذاري فما نِلْتَني
فقلت لها يا هذه من عمرو قالت زوجي قلت وما شأنه قالت أخبرني أنه يهواني وما زال يطلبني حتى تزوجته فلبث معي قليلا ثم مضى إلى جدة وتركني فقلت لها صفيه لي قالت أحسن من أنت رائيه سمرة وأحلاهم حلاوة وقدا قال فركبت رواحلي مع غلماني وصرت إلى جدة فوقفت في موضع المرفأ أتبصر من يحمل من السفن وأمرت من يصوت يا عمرو يا عمرو وإذا أنا به خارجا من سفينة على عنقه صن فيه طعام فعرفته بصفتها ونعتها إياه فقلت
(أعمرُو عَلاَمَ تجنَّبتَنِي ... أخذتَ فؤادي وعذَّبتَنِي)
فقال هيه أرأيتها وسمعت منها فقلت نعم فأطرق هنيهة يبكي ثم اندفع فغنى به أملح غناء سمعته وردده علي حتى أخذته منه وإذا هو أحسن الناس غناء فقلت له ألا ترجع إليها فقال طلب المعاش يمنعني فقلت كم يكفيك معها في كل سنة فقال ثلاثمائة درهم قال إسحاق قال لي أبي فوالله يا بني لو قال ثلاثمائة دينار لطابت نفسي بها فدعوت به فأعطيته ثلاثة آلاف درهم وقلت له هذا لعشر سنين على أن تقيم معها فلا تطلب المعاش إلا حيث هي مقيمة معك ويكون ذلك فضلا ورددته معي إليها
الموصلي يغني الرشيد والرشيد يجزل صلته
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا علي بن محمد النوفلي قال حدثنا صالح بن علي يعني الأضجم عن إبراهيم الموصلي قال وكان
صالح جاره قال
بينا أنا عشية في منزلي إذ أتاني خادم من خدم الرشيد فاستحثني بالركوب إليه فخرجت شبيها بالراكض فلما صرت إلى الدار عدل بي عن المدخل إلى طرق لا أعرفها فانتهي بي إلى دار حديثة البناء فدخلت صحنا واسعا وكان الرشيد يشتهي الصحون الواسعة فإذا هو جالس على كرسي في وسط ذلك الصحن ليس عنده أحد إلا خادم يسقيه وإذا هو في لبسته التي كان يلبسها في الصيف غلالة رقيقة متوشح عليها بإزار رشيدي عريض العلم مضرج فلما رآني هش لي وسر وقال يا موصلي إني اشتهيت أن أجلس في هذا الصحن فلم يتفق لي إلا اليوم وأحببت ألا يكون معي ومعك أحد ثم صاح بالخدام فوافاه مائة وصيف وإذا هم بالأرقة مستترون بالأساطين حتى لا يراهم فلما ناداهم جاؤوا جميعا فقال مقطعة لإبراهيم وكان هو أول من قطع المصليات فأتيت بمقعد فألقي لي تجاه وجهه بالقرب منه ودعا بعود فقال بحياتي أطربني بما قدرت قال ففعلت واجتهدت في ذلك ونشطت ورجوت الجائزة في عشيتي فبينا أنا كذلك إذ جاءه مسرور الكبير فقام مقامه الذي كان إذا قامه علم الرشيد أنه يريد أن يساره بشيء فأومأ إليه بالدنو فدنا فألقى في أذنه كلمة خفيفة ثم تنحى فاستشاط غضبا واحمرت عيناه وانتفخت أوداجه ثم قال حتام أصبر على آل بني أبي طالب والله لأقتلنهم ولأقتلن شيعتهم ولأفعلن ولأفعلن فقلت إنا لله ليس عند هذا أحد يخرج غضبه عليه أحسبه والله سيوقع بي فاندفعت أغني
صوت
(نِعِمَ عَوْناً على الهموم ثلاثُ ... مُتْرَعَاتٌ من بعدهنّ ثلاثُ)
((بعدها أربعٌ تَتِمّةُ عشرٍ ... لا بِطاءٌ لكنّهن حِثَاثُ
(فإذا ناولَتْكَهُنّ جَوارٍ ... عَطِراتٌ بيضُ الوجوه خِنَاثُ)
(تمّ فيها لك السرورُ وما طَيَّبَ ... عَيْشاً إلا الخِناثُ الإناثُ)
قال ويلك اسقني ثلاثا لا أمت هما فشرب ثلاثا متتابعة ثم قال غن فغنيت فلما قلت
ثلاث
(... مُترعاتٌ من بعدهنّ ثلاثُ)
قال هات ويلك ثلاثا ثم قال لي غن فلما غنيته قال حث علي بأربع تتمة العشر ففعل فوالله ما استوفى آخرهن حتى

سكر فنهض ليدخل ثم قال قم يا موصلي فانصرف يا مسرور أقسمت عليك بحياتي وبحقي إلا سبقته إلى منزله بمائة ألف درهم لا أستأمر فيها ولا في شيء منها فخرجت والله وقد أمنت خوفي وأدركت ما أملت ووافيت منزلي وقد سبقتني المائة الألف الدرهم إليه
أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني يحيى بن الحسن بن عبد الخالق قال حدثني عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع قال
خرج رسول الرشيد ذات ليلة إلى المغنين فقال غنوا
(يا خليليَّ قد مَلِلْتُ ثَوائِي ... بالمُصَلَّى وقد سَئِمتُ البَقِيعا)
(بلِّغانِي ديارَ هندٍ وسُعْدَى ... وارجِعاني فقد هَوِيتُ الرجوعَا)
قال فغناه ابن جامع فلما فرغ منه طرب الرشيد وشرب فقال له إبراهيم الموصلي يا سيدي فاسمعه من نبيطيك فغناه فجعل ابن جامع يزحف من أول البيت إلى آخره وطرب هارون فقال ارفعوا الستارة فقال له ابن جامع مني والله أخذه يا أمير المؤمنين فأقبل على إبراهيم فقال بحياتي صدق قال صدق وحياتك يا سيدي قال وكيف أخذته وهو أبخل الناس إذا سئل شيئا قال تركته يغنيه وكان إذا سكر يسترسل فيه فيغنيه مستويا ولا يتحرز مني فأخذته على هذا منه حتى وفيت به
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال
كان برصوما الزامر وزلزل الضارب من سواد أهل الكوفة من أهل الخشنة والبذاذة والدناءة فقدم بهما أبي معه سنة حج ووقفهما على الغناء العربي وأراهما وجوه النغم وثقفهما حتى بلغا المبلغ الذي بلغاه من خدمة الخليفة وكانا أطبع أهل دهرهما في صناعتهما فحدثني أبي قال كان لزلزل جارية قد رباها وعلمها الضرب وسألني مطارحتها فطارحتها وكانت مطبوعة حاذقة قال فكان يصونها أن يسمعها أحد فلما مات بلغني أنها تعرض في ميراثه للبيع فصرت إليها لأعترضها فغنت
(أقفرَ من أوتاره العودُ ... فالعودُ للأوتار معمودُ)
(وأوحش المزمارُ من صوته ... فما لَه بعدكَ تغريدُ)
(مَنْ للمزامير وعِيدانها ... وعامرُ اللَّذاتِ مفقودُ)
(الخمرُ تبكي في أباريقها ... والقَيْنةُ الخَمصْانةُ الرُّود)
قال وهذا شعر رثاه به صديق له كان بالرقة قال فأبكت والله عيني وأوجعت قلبي
فدخلت على الرشيد فحدثته بحديثها فأمر بإحضارها فحضرت فقال لها غني الصوت الذي حدثني إبراهيم عنك أنك غنيته فغنته وهي تبكي فرق الرشيد لها وتغرغرت عيناه وقال لها أتحبين أن أشتريك فقالت يا أمير المؤمنين لقد عرضت علي ما يقصر عنه الأمل ولكن ليس من الوفاء أن يملكني أحد بعد سيدي فينتفع بي فازداد رقة عليها وقال غني صوتا آخر فغنت
(العينُ تُظهر كتماني وتُبديه ... والقلبُ يكتم ما ضَمَّنتُه فيهِ)
(فكيف ينكتم المكتومُ بينهما ... والعينُ تُظهره والقلبُ يُخفيه)
فأمر بأن تبتاع وتعتق ولم يزل يجري عليها إلى أن ماتت
قصته مع الرشيد بشأن جارية
أخبرنا محمد قال حدثنا حماد عن أبيه عن جده قال
قال لي الرشيد يوما يا إبراهيم بكر علي غدا حتى نصطبح فقلت له أنا والصبح كفرسي رهان فبكرت فإذا أنا به خاليا وبين يديه جارية كأنها خوط بان أو جدل عنان حلوة المنظر دمثة الشمائل وفي يدها عود فقال لها غني فغنت في شعر أبي نواس وهو
(تَوَهَّمه قلبي فأصبح خدُّه ... وفيه مكانَ الوَهْمِ من نظري أثرُ)
(ومرَّ بفكري خاطراً فجرحتُه ... ولم أرَ جِسماً قطُّ يَجرَحُه الفِكرُ)
(وصافَحه قلبي فآلَم كفَّه ... فمِنْ غَمْزِ قلبي في أنامله عَقْرُ)
قال إبراهيم فذهبت والله بعقلي حتى كدت أن أفتضح فقلت من هذه يا أمير المؤمنين فقال هذه التي يقول فيها الشاعر
(لها قلبي الغداةَ وقلبُها لي ... فنحن كذاك في جَسَدَيْن رُوحُ)
ثم قال لها غني فغنت
صوت
(تقول غداةَ البَيْنِ إحدى نسائهم ... لِيَ الكَبِدُ الحرَّى فسِرْ ولكَ الصَّبْرُ)
(وقد خَنقَتْها عَبْرَةٌ فدموعُها ... على خدِّها بِيضٌ وفي نحرها صُفر)
الشعر لأبي الشيص
والغناء لعمرو بن بانة خفيف رمل بالوسطى من كتابه وفيه لمتيم ثاني ثقيل وخفيف رمل آخر قال فشرب وسقاني ثم سقاها ثم قال غني يا إبراهيم فغنيت حسب ما في قلبي غير متحفظ من شيء
(تَشَرَّبَ قلبي حبَّها ومشى به ... تَمَشِّي حُمَيَّا الكأسِ في جسم شاربِ)
(ودبَّ هواها في عِظامي فشَفَّها ... كما دبَّ في المَلْسوع سمُّ العقارب)
قال ففطن بتعريضي وكانت جهالة مني قال فأمرني بالانصراف ولم يدعني شهرا ولا حضرت مجلسه فلما كان بعد شهر دس إلي خادما معه رقعة فيها مكتوب
(قد تخوّفتُ أن أموتَ من الوَجْدِ ... ولم يَدْرِ مَنْ هَوِيتُ بما بي)
(يا كتابي فاقرَ السَّلامَ على مَنْ ... لا أُسمِّي وقل له يا كتابي)
(إنَّ كفًّا إليكَ قد بعثتني ... في شَقَاءٍ مُواصَلٍ وعذاب)
فأتاني الخادم بالرقعة فقلت له ما هذا قال رقعة الجارية فلانة التي غنتك بين يدي أمير المؤمنين فأحسست القصة فشتمت الخادم ووثبت عليه وضربته ضربا شفيت به نفسي وغيظي وركبت إلى الرشيد من فوري فأخبرته القصة وأعطيته الرقعة فضحك حتى كاد يستلقي ثم قال على عمد فعلت ذلك بك لأمتحن مذهبك وطريقتك ثم دعا بالخادم فلما خرج رآني فقال لي قطع الله يديك ورجليك ويحك قتلتني فقلت القتل والله كان بعض حقك لما وردت به علي ولكن

رحمتك فأبقيت عليك وأخبرت أمير المؤمنين ليأتي في عقوبتك بما تستحقه
فأمر لي الرشيد بصلة سنية والله يعلم أني ما فعلت الذي فعلت عفافا ولكن خوفا
الرشيد يسأله كيف يصوغ الألحان
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني حماد بن إسحاق قال
أخبرني أبي أنه سمع الرشيد وقد سأل جدي إبراهيم كيف يصنع إذا أراد أن يصوغ الألحان فقال يا أمير المؤمنين أخرج الهم من فكري وأمثل الطرب بين عيني فتسوغ لي مسالك الألحان التي أريد فأسلكها بدليل الإيقاع فأرجع مصيبا ظافرا بما أريد فقال يحق لك يا إبراهيم أن تصيب وتظفر وإن حسن وصفك لمشاكل حسن صنعتك وغنائك
أخبرني ابن المرزبان قال حدثني حماد عن أبيه عن جده قال
أدركت يونس الكاتب وهو شيخ كبير فعرضت عليه غنائي فقال إن
عشت كنت مغني دهرك
قال حماد قال لي محمد بن الحسن كان لكل واحد من المغنين مذهب في الخفيف والثقيل وكان معبد ينفرد بالثقيل وابن سريج بالرمل وحكم بالهزج ولم يكن في المغنين أحد يتصرف في كل مذهب من الأغاني إلا ابن سريج وإبراهيم جدك وأبوك إسحاق
حدثني عمي قال حدثني أحمد بن الطيب السرخسي قال حدثني أحمد ابن ثابت العبدي عن أبي الهذيل العلاف رأس المعتزلة عن ثمامة بن أشرس قال
مررت بإبراهيم الموصلي ويزيد حوراء وهما مصطبحان وقد أخذا بينهما صوتا يغنيانه هذا بيتا وهذا بيتا وهو
صوت
(أيا جَبَلَيْ نَعْمانَ بالله خَلِّيَا ... سبيلَ الصَّبَا يَخْلُص إليّ نسيمُها)
(فإنّ الصَّبا ريحٌ إذا ما تنسّمتْ ... على نفس مهمومٍ تجلّت همومُها)
قال ثمامة فوالله ما خلت أن شيئا بقي من لذات الدنيا بعد ما كانا فيه
أخبرنا محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن جده إبراهيم قال
سألت الرشيد أن يهب لي يوما في الجمعة لا يبعث فيه إلي بوجه ولا بسبب لأخلو فيه بجواري وإخواني فأذن لي في يوم السبت وقال لي هو يوم أستثقله فآله فيه بما شئت فأقمت يوم السبت بمنزلي وتقدمت في إصلاح طعامي وشرابي بما احتجت إليه وأمرت بوابي فأغلق الأبواب وتقدمت إليه ألا يأذن علي لأحد فبينا أنا في مجلسي والخدم قد حفوا بي وجواري يترددن بين يدي إذا أنا بشيخ ذي هيئة وجمال عليه خفان قصيران وقميصان ناعمان وعلى رأسه قلنسوة لاطئة وبيده عكازة مقمعة بفضة وروائح المسك تفوح منه حتى ملأ البيت والدار فداخلني بدخوله علي مع ما تقدمت فيه غيظ ما تداخلني قط مثله وهممت بطرد بوابي ومن حجبني لأجله فسلم علي أحسن سلام فرددت عليه وأمرته بالجلوس فجلس ثم أخذ بي في أحاديث الناس وأيام العرب وأحاديثها وأشعارها حتى سلى ما بي من الغضب وظننت أن غلماني تحروا مسرتي بإدخالهم مثله علي لأدبه وظرفه فقلت هل لك في الطعام فقال لا حاجة لي فيه فقلت هل لك في الشراب فقال ذلك إليك فشربت رطلا وسقيته مثله فقال لي يا أبا إسحاق هل لك أن تغني لنا شيئا من صنعتك وما قد نفقت به عند الخاص والعام فغاظني قوله ثم سهلت على نفسي أمره فأخذت العود فجسسته ثم ضربت فغنيت فقال أحسنت يا إبراهيم
فازداد غيظي وقلت ما رضي بما فعله من دخوله علي بغير إذن واقتراحه أن أغنيه حتى سماني ولم يكنني ولم يجمل مخاطبتي
ثم قال هل لك أن تزيدنا فتذممت فأخذت العود فغنيت فقال أجدت يا أبا إسحاق فأتم حتى نكافئك ونغنيك فأخذت العود وتغنيت وتحفظت وقمت بما غنيته إياه قياما تاما ما تحفظت مثله ولا قمت بغناء كما قمت به له بين يدي خليفة قط ولا غيره لقوله لي أكافئك فطرب وقال أحسنت يا سيدي ثم قال أتأذن لعبدك بالغناء فقلت شأنك واستضعفت عقله في أن يغنيني بحضرتي بعد ما سمعه مني فأخذ العود وجسه وحبسه فوالله لخلته ينطق بلسان عربي لحسن ما سمعته من صوته ثم تغنى
صوت
(ولي كَبِدٌ مقروحةٌ مَنْ يبيعني ... بها كبداً ليستْ بذات قُروح)
(أباها عليّ الناسُ لا يشترونها ... ومَنْ يشتري ذا عِلَّةٍ بصحيح)
(أئِنّ من الشوق الذي في جوانبي ... أنينَ غَصيصٍ بالشراب جَريح)
قال إبراهيم فوالله لقد ظننت الحيطان والأبواب وكل ما في البيت يجيبه ويغني معه من حسن غنائه حتى خلت والله أني أسمع أعضائي وثيابي تجاوبه وبقيت مبهوتا لا أستطيع الكلام ولا الجواب ولا الحركة لما خالط قلبي ثم غنى
صوت
(ألا يا حماماتِ اللِّوَى عُدْنَ عَوْدةً ... فإنّي إلى أصواتكنّ حزينُ)
(فعُدْنَ فلما عُدْنَ كِدْنَ يُمِتْنَنِي ... وكدتُ بأسراري لهنّ أُبين)
(دَعَوْنَ بترْدَاد الهديرِ كأنما ... سُقِينَ حُمَيًّا أو بهنّ جنونُ)
(فلم تَرَ عيني مثلَهنّ حمائماً ... بكينَ ولم تَدْمَع لهنّ عيونُ)
لم أعرف في هذه الأبيات لحنا ينسب إلى إبراهيم والذي عرفته لمحمد بن الحارث بن بسخنر خفيف رمل فكاد والله أعلم عقلي أن يذهب طربا وارتياحا لما سمعت ثم غنى
صوت
(ألا يا صَبا نجدٍ متى هِجْتِ من نجدِ ... لقد زادني مَسْراكِ وَجْداً على وَجدِ)
(أأن هتفتْ وَرْقَاءُ في رونَق الضُّحى ... على فَنَنٍ غضِّ النّبات من الرَّنْد)
(بكيتَ كما يبكي الحزينُ صبابةً ... وذُبْتَ من الحزن المبرِّح والجَهْد)
(وقد زعموا أنّ المحبَّ إذا دنا ... يَمَلُّ وأنّ النأي يشفِي من الوَجْد)
(بكلٍّ تداوينا فلم يُشْفَ ما بنا ... على أنّ قرب الدار خيرٌ من البعد)
ثم قال يا إبراهيم هذا الغناء الماخوري فخذه وانح نحوه في غنائك وعلمه جواريك فقلت أعده علي فقال لست تحتاج قد

أخذته وفرغت منه ثم غاب من بين يدي فارتعت وقمت إلى السيف فجردته وعدوت نحو أبواب الحرم فوجدتها مغلقة فقلت للجواري أي شيء سمعتن عندي فقلن سمعنا أحسن غناء سمع قط فخرجت متحيرا إلى باب الدار فوجدته مغلقا فسألت البواب عن الشيخ فقال لي أي
شيخ هو والله ما دخل إليك اليوم أحد فرجعت لأتأمل أمري فإذا هو قد هتف بي من بعض جوانب البيت لا بأس عليك يا أبا إسحاق أنا إبليس وأنا كنت جليسك ونديمك اليوم فلا ترع
فركبت إلى الرشيد وقلت لا أطرفه أبدا بطرفه مثل هذه فدخلت إليه فحدثته بالحديث فقال ويحك تأمل هذه الأصوات هل أخذتها فأخذت العود أمتحنها فإذا هي راسخة في صدري كأنها لم تزل فطرب الرشيد عليها وجلس يشرب ولم يكن عزم على الشراب وأمر لي بصلة وحملان وقال الشيخ كان أعلم بما قال لك من أنك أخذتها وفرغت منها فليته أمتعنا بنفسه يوما واحدا كما أمتعك

نسبة هذه الأصوات

أما الصوت الأول فالذي أعرفه فيه خفيف رمل لمحمد بن الحارث بن بسخنر ولم يقع إلي فيه صنعة لإبراهيم
والصوت الثاني الذي أوله
(... ألا يا صبا نجدٍ متى هِجْتِ من نجدِ)
فشعره ليزيد بن الطثرية والغناء لإبراهيم خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو
وفيه لمحمد بن الحسن بن مصعب ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشامي وعمرو
وذكر إبراهيم أن فيه لحنا لدحمان ولحنا لابنه الزبير ولم يذكر في أي طريقة هما
هكذا حدثنا ابن أبي الأزهر بهذا الخبر وما أدري ما أقول فيه ولعل إبراهيم صنع هذه الحكاية ليتنفق بها أو صنعت وحكيت عنه
إلا أن للخبر أصلا الأشبه بالحق منه ما حدثني به أحمد بن عبد العزيز الجوهري وأحمد بن عبيد الله بن عمار قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن أبيه قال
صنعت لحنا فأعجبني وجعلت أطلب شعرا فعسر ذلك علي ورأيت في المنام كأن رجلا لقيني فقال يا إبراهيم أأعياك شعر لغنائك هذا الذي تعجب به قلت نعم قال فأين أنت من قول ذي الرمة حيث قال
(ألا يا اسلَمِي يا دار مَيّ على البِلَى ... ولا زال مُنْهَلاًّ بجَرْعائك القَطْرُ)
(وإن لم تكوني غير شَام بقَفْرةٍ ... تَجُرُّ بها الأذيالَ صَيْفِيّة كُدْرُ)
قال فانتبهت وأنا فرح بالشعر فدعوت من ضرب علي وغنيته فإذا هو أوفق ما خلق الله فلما علمت ذلك وعملت هذا الغناء في شعر ذي الرمة تنبهت عليه وعلى شعره فصنعت فيه ألحانا ماخورية منها
صوت
(أمَنْزِلَتَيْ مَيٍّ سلامٌ عليكما ... هلِ الأزمُنُ اللائي مَرَرْنَ رواجعُ)
(وهل يَرجِعُ التسليمَ أو يكشِفُ العَمَى ... ثلاثُ الأثافي أو رسومٌ بلاقِعُ)
صنعة إبراهيم في هذين الشعرين جميعا من الماخوري بالوسطى وهو خفيف الثقيل الثاني
وأخباره كلها في هذا المعنى تأتي في أخبار ذي الرمة مشروحة
سأل الرشيد أن يختصه بالغناء في شعر ذي الرمة
حدثني محمد بن مزيد قال حدثني حماد عن أبيه قال قال لي أبي
قال لي جعفر بن يحيى يوما وقد علم أن الرشيد أذن لي وللمغنين في الانصراف يومئذ صر إلي حتى أهب لك شيئا حسنا فصرت إليه فقال لي أيما أحب إليك أهب لك الشيء الحسن الذي وعدتك به أم أرشدك إلى شيء تكسب به ألف ألف درهم فقلت بل يرشدني الوزير أعزه الله إلى هذا الوجه فإنه يقوم مقام إعطائه إياي هذا الحسن فقال إن أمير المؤمنين يحفظ شعر ذي الرمة حفظ الصبا ويعجبه ويؤثره فإذا سمع
غناء أطربه أكثر مما يطربه غيره مما لا يحفظ شعره فإذا غنيته فأطربته وأمر لك بجائزة فقم على رجليك قائما وقبل الأرض بين يديه وقل له لي حاجة غير هذه الجائزة أريد أن أسألها أمير المؤمنين وهي حاجة تقوم عندي مقام كل فائدة ولا تضره ولا ترزؤه فإنه سيقول لك أي شيء حاجتك فقل قطيعة تقطعنيها سهلة عليك لا قيمة لها ولا منفعة فيها لأحد فإذا أجابك إلى ذلك فقل له تقطعني شعر ذي الرمة أغني فيه ما أختاره وتحظر على المغنين جميعا أن يداخلوني فيه فإني أحب شعره وأستحسنه فلا أحب أن ينغصه علي أحد منهم وتوثق منه في ذلك فقبلت ذلك القول منه وما انصرفت من عنده بعد ذلك إلا بجائزة وتوخيت وقت الكلام في هذا المعنى حتى وجدته فقمت فسألت كما قال لي وتبينت السرور في وجهه وقال ما سألت شططا قد أقطعتك سؤلتك فجعلوا يتضاحكون من قولي ويقولون لقد استضخمت القطيعة وهو ساكت فقلت يا أمير المؤمنين أتأذن لي في التوثق قال توثق كيف شئت فقلت بالله وبحق رسوله وبتربة أمير المؤمنين المهدي إلا جعلتني على ثقة من ذلك بأنك تحلف لي أنك لا تعطي أحدا من المغنين جائزة على شيء يغنيه في شعر ذي الرمة فإن ذلك وثيقتي فحلف مجتهدا لهم لئن غناه أحد منهم في شعر ذي الرمة لا أثابه بشيء ولا بره ولا سمع غناءه فشكرت فعله وقبلت الأرض بين يديه وانصرفنا
فغنيت مائة صوت وزيادة في شعر ذي الرمة فكان إذا سمع منها صوتا طرب وزاد طربه ووصلني فأجزل ولم ينتفع به أحد منهم غيري فأخذت منه والله بها ألف ألف درهم وألف ألف درهم
أخبرني جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني أبو خالد الأسلمي قال حدثني محمد بن عمر الجرجاني قال
قال إبراهيم الموصلي أرتج علي فلم أجد شعرا أصوغ فيه غناء أغني فيه الرشيد فدخلت إلى بعض حجر داري مغموما فأسبلت الستور علي وغلبتني عيني فتمثل لي في البيت شيخ أشوه الخلقة فقال لي يا موصلي مالي أراك مغموما قلت لم أصب شعرا أغني فيه الرشيد الليلة قال فأين أنت عن قول ذي الرمة
(ألاّ يا اسْلَمِي يا دارَ مَيٍّ على البِلَى ... ولا زال مُنْهَلاًّ بجَرْعائِك القطرُ)
(وإن لم تكوني غيرَ شام بقَفْرةٍ ... تَجُرُّ بها الأذيالَ صَيْفِيّةٌ كُدْرُ)
(أقامت بها حتى ذَوَى العودُ في الثَّرَى ... وساق الثريّا في مُلاءته الفجرُ)

(وحتى اعتلى البُهْمَى من الصيف نافِضٌ ... كما نَفَضَتْ خيلٌ نواصيهَا شُقْرُ)
قال وغناني فيه بلحن وكرره حتى علقته فانتبهت وأنا أديره فناديت جارية لي وأمرتها بإحضار عود وما زلت أترنم بالصوت وهي تضرب حتى استوى لي ثم صرت إلى هارون فغنيته إياه فأسكت المغنين ثم قال أعد فأعدت فما زال ليلته يستعيدنيه فلما أصبح أمر لي بثلاثين ألف درهم وبفرش البيت الذي كنا فيه وقال عليك بشعر ذي الرمة فغن فيه فصنعت فيه غناء كثيرا فكنت أغنيه به فيعجبه ويجزل صلتي
أخبرني عمي وابن المرزبان والحسن بن علي قالوا حدثنا عبد الله بن
أبي سعد قال حدثنا محمد بن عبد الله السلمي قال حدثنا أبو غانم مولى جبلة ابن يزيد السلمي قال
اجتمع إبراهيم الموصلي وزلزل وبرصوما بين يدي الرشيد فضرب زلزل وزمر برصوما وغنى إبراهيم
صوت
(صَحَا قلبي وراعَ إليّ عقلي ... وأقْصَر باطلي ونَسِيتُ جهلي)
(رأيتُ الغانياتِ وكُنّ صُوراً ... إليّ صَرَمْنني وقطعْن حبلي)
فطرب هارون حتى وثب على رجليه وصاح يا آدم لو رأيت من يحضرني من ولدك اليوم لسرك ثم جلس وقال أستغفر الله
الشعر الذي غنى فيه إبراهيم لأبي العتاهية
والغناء لإبراهيم خفيف ثقيل بالبنصر
حدثني جحظة قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال
كان الرشيد يجد بماردة وجدا شديدا فغضبت عليه وغضب عليها وتمادى بينهما الهجر أياما فأمر جعفر بن يحيى العباس بن الأحنف فقال
(راجِعْ أحِبتَّك الذين هجرتَهم ... إنّ المُتَيَّم قلّما يَتَجَنّبُ)
(إنّ التجنُّبَ إن تطاولَ منكما ... دَبَّ السُّلُوُّله فعزّ المطلبُ)
وأمر إبراهيم الموصلي فغنى فيه الرشيد فلما سمعه بادر إلى ماردة
فترضاها فسألت عن السبب في ذلك فعرفته فأمرت لكل واحد من العباس وإبراهيم بعشرة آلاف درهم وسألت الرشيد أن يكافئهما عنها فأمر لهما بأربعين ألف درهم
جائزة الرشيد الأولى كانت لإبراهيم الموصلي
أخبرني جعفر بن قدامة عن حماد عن أبيه قال
أول جائزة خرجت لشاعر من الرشيد لما ولي الخلافة جائزة لإبراهيم فإنه قال يمدحه لما ولي
صوت
(ألم تَرَ أنّ الشمسَ كانت مريضةً ... فلمّا وَلِي هارونُ أشرق نُورُها)
(فألبستِ الدّنيا جمالاً بوجهه ... فهارونُ وَاليها ويحيى وزيرُها)
وغنى فيه فأمر له بمائة ألف درهم وأمر له يحيى بخمسين ألف درهم
أخبرنا الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال حدثني إسحاق الموصلي
أن أباه لعب يوما مع الرشيد بالنرد في الخلعة التي كانت على الرشيد والخلعة التي كانت عليه هو فتقامر للرشيد فلما قمره قام إبراهيم فنزع ثيابه ثم قال للرشيد حكم النرد الوفاء به وقد قمرت ووفيت لك فالبس ما كان علي فقال له الرشيد ويلك أنا ألبس ثيابك فقال إي والله إذا أنصفت وإذا لم تنصف قدرت وأمكنك قال ويلك أو أفتدي منك قال نعم قال وما الفداء قال قل أنت يا أمير المؤمنين فإنك
أولى بالقول فقال أعطيك كل ما علي قال فمر به يا أمير المؤمنين وأنا أستخير الله في ذلك فدعا بغير ما عليه فلبسه ونزع ما كان عليه فدفعه إلى إبراهيم
فطنته في صناعة الموسيقى
أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني علي بن عبد الكريم قال
زار ابن جامع إبراهيم الموصلي فأخرج إليه ثلاثين جارية فضربن جميعا طريقة واحدة وغنين فقال ابن جامع في الأوتار وتر غير مستو فقال إبراهيم يا فلانة شدي مثناك فشدته فاستوى فعجبت أولا من فطنة ابن جامع لوتر في مائة وعشرين وترا غير مستو ثم ازداد عجبي من فطنة إبراهيم له بعينه
أخبرني إسماعيل بن يونس وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر ابن شبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم قال حدثني أبي قال
كنا مع الرشيد بالرقة وكان هناك خمار أقصده أشتري منه شرابا حسنا طيبا وربما شربت في حانته فأتيته يوما فبزل لي دنا في باطية له فرأيت لونه حسنا صافيا فاندفعت أغني
صوت
(اسْقِني صَهْبَاءَ صِرْفاً ... لم تُدَنَّسْ بِمِزَاج)
(اسْقِني والليلُ داجٍ ... قبلَ أصواتِ الدَّجاج)
((يا أبا وَهْبٍ خليلي ... كلُّ هَمٍّ لانفراج
(حين تَوَّهْتَ بقلبي ... في أعاصير الفِجَاج)
الغناء في هذه الأبيات لإبراهيم هزج بالوسطى عن عمرو
وفيها لسياط ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق قال فدهش الخمار يسمع صوتي فقلت له ويحك قد فاض النبيذ من الباطية فقال دعني من النبيذ يا أبا إسحاق مالي أرى صوتك حزينا حريقا مات لك بالله إنسان فلما جئت إلى الرشيد حدثته بذلك فجعل يضحك
قصته مع الرشيد والجواري
وذكر أحمد بن أبي طاهر أن المدائني حدث قال
قال إبراهيم الموصلي قال لي الرشيد يوما يا إبراهيم إني قد جعلت غدا للحريم وجعلت ليلته للشرب مع الرجال وأنا مقتصر عليك من المغنين فلا تشتغل غدا بشيء ولا تشرب نبيذا وكن بحضرتي في وقت العشاء الآخرة فقلت السمع

والطاعة لأمير المؤمنين فقال وحق أبي لئن تأخرت أو اعتللت بشيء لأضربن عنقك أفهمت فقلت نعم وخرجت فما جاءني أحد من إخواني إلا احتجبت عنه ولا قرأت رقعة لأحد حتى إذا صليت المغرب ركبت قاصدا إليه فلما قربت من فناء داره مررت بفناء قصر وإذا زنبيل كبير مستوثق منه بحبال وأربع عزى أدم وقد دلي من القصر وجارية قائمة تنتظر إنسانا قد وعد ليجلس فيه فنازعتني نفسي إلى الجلوس فيه ثم قلت هذا خطأ ولعله أن يجري سبب يعوقني عن الخليفة فيكون الهلاك فلم أزل أنازع نفسي وتنازعني حتى غلبتني فنزلت فجلست فيه ومد الزنبيل حتى صار في أعلى القصر ثم خرجت فنزلت

فإذا جوار كأنهن المها جلوس فضحكن وطربن وقلن قد جاء والله من أردناه فلما رأينني من قريب تبادرن إلى الحجاب وقلن يا عدو الله ما أدخلك إلينا فقلت يا عدوات الله ومن الذي أردتن إدخاله ولم صار أولى بهذا مني فلم يزل هذا دأبنا وهن يضحكن وأضحك معهن ثم قالت إحداهن أما من أردناه فقد فات وما هذا إلا ظريف فهلم نعاشره عشرة جميلة فأخرج إلي طعام ودعيت إلى أكله فلم يكن في فضل إلا أني كرهت أن أنسب إلى سوء العشرة فأصبت منه إصابة معذر ثم جيء بالنبيذ فجعلنا نشرب وأخرجن إلي ثلاث جوار لهن فغنين غناء مليحا فغنت إحداهن صوتا لمعبد فقالت إحدى الثلاث من وراء الستر أحسن إبراهيم هذا له فقلت كذبت ليس هذا له هذا لمعبد فقالت يا فاسق وما يدريك الغناء ما هو ثم غنت الأخرى صوتا للغريض فقالت تلك أحسن إبراهيم هذا له أيضا فقلت كذبت يا خبيثة هذا للغريض فقالت اللهم أخزه ويلك وما يدريك ثم غنت الجارية صوتا لي فقالت تلك أحسن ابن سريج هذا له فقلت كذبت هذا لإبراهيم وأنت تنسبين غناء الناس إليه وغناءه إليهم فقالت ويحك وما يدريك فقلت أنا إبراهيم فتباشرن بذلك جميعا وطربن كلهن وظهرهن كلهن لي وقلن كتمتنا نفسك وقد سررتنا فقلت أنا الآن أستودعكن الله فقلن وما السبب فأخبرتهن بقصتي مع الرشيد فضحكن وقلن الآن والله طاب حبسك علينا وعلينا إن خرجت أسبوعا فقلت هو والله القتل قلن إلى لعنة الله

فأقمت والله عندهن أسبوعا لا أزول فلما كان بعد الأسبوع ودعنني وقلن إن سلمك الله فأنت بعد ثلاث عندنا قلت نعم فأجلسنني في الزنبيل وسرحت فمضيت لوجهي حتى أتيت دار الرشيد وإذا النداء قد أشيع ببغداد في طلبي وأن من أحضرني فقد سوغ ملكي وأقطع مالي فاستأذنت فتبادر الخدم حتى أدخلوني على الرشيد فلما رآني شتمني وقال السيف والنطع إيه يا إبراهيم تهاونت بأمري وتشاغلت بالعوام عما أمرتك به وجلست مع أشباهك من السفهاء حتى أفسدت علي لذتي فقلت يا أمير المؤمنين أنا بين يديك وما أمرت به غير فائت ولي حديث عجيب ما سمع بمثله قط وهو الذي قطعني عنك ضرورة لا اختيارا فاسمعه فإن كان عذرا فأقبله وإلا فأنت أعلم قال هاته فليس ينجيك فحدثته فوجم ساعة ثم قال إن هذا لعجب أفتحضرني معك هذا الموضع قلت نعم وأجلسك معهن إن شئت قبلي حتى تحصل عندهن وإن شئت فعلى موعد قال بل على موعد قلت أفعل فقال انظر قلت ذلك حاصل إليك متى شئت فعدل عن رأيه في وأجلسني وشرب وطرب فلما أصبحت أمرني بالانصراف وأن أجيئه من عندهن فمضيت إليهن في وقت الوعد فلما وافيت الموضع إذا الزنبيل معلق فجلست فيه ومده الجواري فصعدت فلما رأينني تباشرن وحمدن الله على سلامتي وأقمت ليلتي فلما أردت الانصراف قلت لهن إن لي أخا هو عدل نفسي عندي وقد أحب معاشرتكن ووعدته بذلك فقلن إن كنت ترضاه فمرحبا به فوعدتهن ليلة غد وانصرفت وأتيت الرشيد وأخبرته فلما كان الوقت خرج معي متخفيا حتى أتينا الموضع فصعدت وصعد بعدي ونزلنا جميعا وقد كان الله وفقني لأن قلت لهن إذا جاء صديقي فاستترن عني وعنه ولا يسمع لكن نطقة وليكن ما تخترنه من غناء أو تقلنه من قول مراسلة فلم يتعدين ذلك وأقمن على أتم ستر وخفر وشربنا شربا كثيرا وقد كان أمرني ألا أخاطبه بأمير المؤمنين فلما أخذ مني النبيذ قلت سهوا يا أمير المؤمنين فتواثبن من وراء الستارة حتى غابت عنا حركاتهن فقال لي يا إبراهيم لقد أفلت من أمر عظيم والله لو برزت إليك واحدة منهن لضربت عنقك قم بنا فانصرفنا وإذا هن له قد كان غضب

عليهن فحبسهن في ذلك القصر ثم وجه من غد بخدم فردوهن إلى قصره ووهب لي مائة ألف درهم وكانت الهدايا والألطاف تأتيني بعد ذلك منهن

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني أبي قال

دخلت على الرشيد يوما فقال لي أنا اليوم كسلان خاثر فإن غنيتني صوتا يوقظ نشاطي أحسنت صلتك فغنيته

(ولم يُرَ في الدنيا مُحِبَّان مثلُنا ... على ما نلاقي من ذَوِي الأعين الخُزْرِ)

(صَفِيَّانِ لا نرضى الوُشاةَ إذا وَشَوْا ... عفِيفانِ لا نَغْشَى من الأمر ما يُزْرِي)

فطرب ودعا بالطعام فأكل وشرب وأمر لي بخمسين ألف درهم

الموصلي يمتحن صوتا للمغنية دنانير

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق قال قال لي أبي قال لي يحيى بن خالد إن ابنتك دنانير قد عملت صوتا أعجبني وأعجبت أيضا هي به فقلت لها لا تعجبي به حتى أعرضه على أبيك أبي إسحاق فقلت له والله ما في معرفة الوزير أعزه الله به ولا بغيره من الصنائع مطعن وإنه لأصح العالم تمييزا وأثقبه فطنة وما أعجبه إلا وهو صحيح حسن فقال إن كنت كما تقول أيضا فإن أهل كل صناعة يمارسونها أفهم بها ممن يعلمها عن عرض من غير ممارسة ولو كنا في هذه الصناعة متساويين لكان الاستظهار

برأيك أجود لأن ميلي إلى صانعة الصوت ربما حسن عندي ما ليس بالحسن وإنما يتم سروري به بعد سماعك إياه واستحسانك له على الحقيقة فمضيت فوجدت ستارة منصوبة وأمرا قد تقدم فيه قبلي فجلست فسلمت على الجارية وقلت لها تغنيني الصوت الذي ذكره لي الوزير أعزه الله فقالت إن الوزير قال لي إن استجاده فعرفيني ليتم سروري به وإلا فاطو الخبر عني لئلا تزول رتبته عندي فقلت هاتيه حتى أسمعه فغنت تقول

(نفسي أكنتِ عليكِ مدَّعياً ... أم حين أَزْمَعَ بينُهم خُنْتِ)

(إن كنتِ هائمةً بذكرهُم ... فعلى فراقهمُ ألا حُمْتِ)

قال فأحسنت والله وما قصرت فاستعدته لأطلب فيه موضعا لأصلحه فيكون لي فيه معنى فما وجدت قلت أحسنت والله يا بنية ما شئت ثم عدت إلى يحيى فحلفت له بأيمان رضيها أن كثيرا من حذاق المغنين لا يحسنون أن يصنعوا مثله ولقد استعدته لأرى فيه موضعا يكون لي فيه عمل فما وجدت فقال وصفك لها من أجله يقوم مقام تعليمك إياها فقد والله سررتني وسأسرك فلما انصرفت أتبعني بخمسين ألف درهم

حدثني عمي وابن المرزبان قالا حدثنا ابن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله السلمي قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني إسحاق ولم يقل عن أبيه قال

والله إني لفي منزلي ذات يوم وأنا مفكر في الركوب مرة وفي القعود مرة إذا غلامي قد دخل ومعه خادم الرشيد يأمرني بالحضور من وقتي فركبت وصرت إليه فقال لي اجلس يا إبراهيم حتى أريك عجبا فجلست فقال علي بالأعرابية وابنتها فأخرجت إلي أعرابية ومعها بنية لها عشر أو أرجح فقال يا إبراهيم إن هذه الصبية تقول الشعر فقلت
لأمها ما يقول أمير المؤمنين فقالت هي هذه قدامك فسلها فقلت يا حبيبة أتقولين الشعر فقالت نعم فقلت أنشديني بعض ما قلت فأنشدتني

صوت

(تقول لأتراب لها وهي تَمْتَري ... دموعاً على الخدَّيْن من شدّة الوجدِ)
(أكلُّ فتاةٍ لا محالةَ نازلٌ ... بها مثلُ ما بي أم بُلِيتُ به وحدي)
(بَرانِي له حبٌّ تَنشَّبَ في الحَشَى ... فلم يُبْقِ من جسمي سوى العظمِ والجلد)
(وجَدتُ الهوى حُلْواً لذيذاً بَدِيئُه ... وآخرُه مرٌّ لصاحبه مُرْدِي)

قال الشبي في خبره قال إسحاق وكان أبي حاضرا فقال والله لا تبرح يا أمير المؤمنين أو نصنع في هذه الأبيات لحنا فصغت فيها أنا وأبي وجميع من حضر
وقال الآخرون قال إبراهيم فما برحت حتى صنعت فيه لحنا وتغنيت به وهي حاضرة تسمع
قال ابن المرزبان في خبره ولم يذكره عمي فقالت يا أمير المؤمنين قد أحسن رواية ما قلت أفتأذن لي أن أكافئه بمدح أقوله فيه قال افعلي فقالت

صوت

(ما لإبراهيم في العلمِ ... بهذا الشأن ثانِي)
(إنما عُمْرُ أبي إسحاقَ ... زينٌ للزمان)
(منه يُجنَى ثَمرُ اللهو ... وريْحانُ الجِنان)
((جنّة الدنيا أبو إسحاق ... في كلّ مكان

قال فأمر لها الرشيد بجائزة وأمر لي بعشرة آلاف درهم فوهبت لها شطرها
اللحن الذي صنعه إبراهيم في شعر الأعرابية ثقيل أول بالوسطى
وفيه لعلويه ثاني ثقيل
وأما الشعر الثاني فهو لابن سيابة لا يشك فيه
ولإبراهيم فيه لحن من خفيف الثقيل
أخبرني محمد بن مزيد عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال
كنت أخذت بالمدينة من مجنون بها هذا الصوت وغنيته الرشيد وقلت

صوت

(هما فتاتانِ لمّا تَعرفا خُلُقي ... وبالشَّبابِ على شَيْبي تُدِلاّنِ)
(رأيتُ عِرْسيَّ لمّا ضَمَّني كِبَري ... وشِختُ أزمعتَا صرمي وهجْراني)
(كلُّ الفعَال الذي يفعلْنَه حسَنٌ ... يُصْبي فؤادي ويُبْدي سرّ أشْجاني)
(بَل احذَرَا صَوْلةً من صَوْل شيخكما ... مَهْلاً على الشيخ مَهْلاً يا فتاتان)

فطرب وأمر لي بظبية كانت ملقاة بين يديه فيها ألف دينار مسيفة وكان ابن جامع حاضرا فقال اسمع يا أمير المؤمنين غناء العقلاء ودع غناء المجانين وكان أشد خلق الله حسدا فغناه

صوت

(ولقد قالت لأتراب لها ... كالمَهَا يَلْعَبْن في حُجْرتها)
((خُذْن عنّي الظّلَّ لا يَتْبَعُني ... ومَضتْ سَعْياً إلى قُبّتها

فطرب وشرب وأمر له بألف وخمسمائة دينار
ثم تبعه محمد بن حمزة وجه القرعة فغنى

صوت

(يَمْشُون فيها بكلِّ سابغةٍ ... أُحكِم فيها القَتِيرُ والحِلَقُ)
(يُعرَف إنصافُهم إذا شهدوا ... وصبْرُهم حين تَشخَص الحَدَق)

فاستحسنه وشرب عليه وأمر له بخمسمائة دينار
ثم غنى علوية

صوت

(يَجْحَدْنَ دَيْني بالنّهار وأقتضي ... دَيْني إذا وَقَذَ النُّعاسُ الرُّقَّدا)
(وأَرَى الغَوَانيَ لا يُواصِلْنَ امرأً ... فقَدَ الشّبابَ وقد يَصِلن الأمْرَدَا)

فدعا به الرشيد وقال له يا عاض بظر أمه أتغني في مدح المرد وذم الشيب وستارتي منصوبة وقد شبت وكأنك تعرض بي ثم دعا مسرورا فأمره أن يأخذ بيده فيضربه ثلاثين درة ويخرجه من مجلسه ففعل وما انتفعنا به بقية يومنا ولا انتفع بنفسه وجفا علويه شهرا ثم سألناه فيه فأذن له
قال أبو الفرج لإبراهيم أخبار مع خنث المعروفة بذات الخال وكان يهواها جعلتها في موضع آخر من هذا الكتاب لأنها منفردة بذاتها
مستغنية عن إدخالها في غمار أخباره
وله في هذه الجارية شعر كثير فيه غناء له ولغيره وقد شرطت أن الشيء من أخبار الشعراء والمغنين إذا كانت هذه سبيله أفرده لئلا يقطع بين القرائن والنظائر مما تضاف إليه وتدخل فيه

خبر موته

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني الحسين بن يحيى قال
سمعت إسحاق الموصلي يقول لما دخلت سنة ثمان وثمانين ومائة اشتد أمر القُولَنْج على أبي ولزمه وكان يعتاده أحيانا فقعد عن خدمة الخليفة وعن نوبته في داره فقال في ذلك

صوت

(مَلّ واللهِ طبيبي ... من مُقَاساةِ الذي بي)

(سوف أُنْعَى عن قريب ... لعدوٍّ وحبيب)

وغني فيه لحنا من الرمل فكان آخر شعر قاله وآخر لحن صنعه

أخبرني الصولي عن محمد بن موسى عن حماد بن إسحاق عن أبيه

أن الرشيد ركب حمارا ودخل إلى إبراهيم يعوده وهو في الأبزن جالس فقال له كيف أنت يا إبراهيم فقال أنا والله يا سيدي كما قال الشاعر

(سَقيمٌ مَلَّ منه أقربوه ... وأسْلَمه المُداوي والحميمُ)

فقال الرشيد إنا لله وخرج فلم يبعد حتى سمع الواعية عليه

المأمون يصلي عليه بعد موته

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثني عمر بن شبة قال

مات إبراهيم الموصلي سنة ثمان وثمانين ومائة ومات في ذلك اليوم الكسائي النحوي والعباس بن الأحنف الشاعر وهشيمة الخمارة فرفع ذلك إلى الرشيد فأمر المأمون أن يصلي عليهم فخرج فصفوا بين يديه فقال من هذا الأول قيل إبراهيم فقال أخروه وقدموا العباس بن الأحنف فقدم فصلى عليهم فلما فرغ وانصرف دنا منه هاشم بن عبد الله ابن مالك الخزاعي قال يا سيدي كيف آثرت العباس بالتقدمة على من حضر قال لقوله

(وسعَى بها ناسٌ فقالوا إنّها ... لهي التي تَشْقَى بها وتُكايِدُ)

(فجحدتُهم ليكونَ غيرَكِ ظنُّهم ... إنّي ليُعجِبني المحبّ الجاحد)

ثم قال أتحفظها قلت نعم فقال أنشدني باقيها فأنشدته

(لمّا رأيتُ الليلَ سدّ طَريقَه ... عنّي وعذّبني الظلام الراكد)

((والنّجم في كَبِد السماء كأنه ... أعمى تحيَّر ما لديه قائد

(ناديتُ مَنْ طَرَد الرُّقَادَ بصدّه ... عمّا أُعالج وهو خِلوٌ هاجد)

(ياذا الذي صدَع الفؤادَ بهجره ... أنت البَلاءُ طريفُه والتّالد)

(ألقيتَ بين جفون عيني حُرْقةً ... فإلى متى أنا ساهرٌ يا راقد)

فقال المأمون أليس من قال هذا الشعر حقيقا بالتقدمة فقلت بلى والله يا سيدي

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال قال حدثني حماد بن إسحاق قال حدثني أبي قال

قال لي برصوما الزامر أما في حقي وخدمتي وميلي إليكم وشكري لكم ما أستوجب به أن تهب لي يوما من عمرك تفعل فيه ما أريد ولا تخالفني في شيء فقلت بلى ووعدته بيوم فأتاني فقال مر لي بخلعة ففلعت وجعلت فيها جبة وشي فلبسها ظاهرة وقال امض بنا إلى المجلس الذي كنت آتي أباك فيه فمضينا جميعا إليه وقد خلقته وطيبته فلما صار على باب المجلس رمى بنفسه إلى الأرض فتمرغ في التراب وبكى وأخرج نايه وجعل ينوح في زمره ويدور في المجلس ويقبل المواضع التي كان أبو إسحاق يجلس فيها ويبكي ويزمر حتى قضى من ذلك وطرا ثم ضرب بيده إلى ثيابه فشقها وجعلت أسكته وأبكي معه فما سكن إلا بعد حين ثم دعا بثيابه فلبسها وقال إنما سألتك أن تخلع علي لئلا يقال إن برصوما إنما خرق

ثيابه ليخلع عليه ما هو خير منها ثم قال امض بنا إلى منزلك فقد اشتفيت مما أردت فعدت إلى منزلي وأقام عندي يومه وانصرف بخلعة مجددة

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني القاسم ابن يزيد قال

لما مات إبراهيم الموصلي دخلت على إبراهيم بن المهدي وهو يشرب وجواريه يغنين فذكرنا إبراهيم الموصلي وحذقه وتقدمه فأفضنا في ذلك وإبراهيم مطرق فلما طال كلامنا وقال كل واحد منا مثل ما قاله صاحبه اندفع إبراهيم بن المهدي يغني في شعر لابن سيابة يرثي به إبراهيم ويقال إن الأبيات لأبي الأسد

(تولَّى الموصليُّ فقد تولّتْ ... بشاشاتُ المَزَاهِرِ والقِيانِ)

(وأيُّ بشاشةٍ بَقِيَتْ فتبقَى ... حياةُ الموصِلّي على الزمانِ)

(ستَبْكيه المَزَاهِرُ والمَلاَهي ... وتُسعِدُهنّ عاتقةُ الدّنانِ)

(وتَبْكيه الغَويّة إذ تولّى ... ولا تبكيه تاليةُ القُرانِ)

قال فأبكى من حضر وقلت أنا في نفسي أفتراه هو إذا مات من يبكيه المحراب أم المصحف قال وكان كالشامت بموته

أخبرني يحيى بن علي قال قال أنشدني حماد قال أنشدني أبي لنفسه

يرثي أباه وأنشدها غير يحيى وفيها زيادة على روايته

(أقول له لما وقفتُ بقبره ... عليكَ سلامُ الله يا صاحبَ القبر)

(أيا قبرَ إبراهيم حُيِّيت حُفْرةً ... ولا زلتَ تُسْقَى الغَيْثَ من سَبَل القَطْر)

(لقد عزَّني وَجْدي عليكَ فلم يَدَعْ ... لقلبي نصيباً من عَزاءٍ ولا صبر)

(وقد كنتُ أبكي من فِراقك ليلةً ... فكيف وقد صار الفِراقُ إلى الحشر)

أخبرني أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصلي الملقب بوسواسة قال أنشدني حماد لأبيه إسحاق يرثي أباه إبراهيم الموصلي

(سلامٌ على القبر الذي لا يُجيبنا ... ونحن نُحيّي تُرْبه ونخاطُبهْ)

(ستَبْكيه أشرافُ المُلوك إذا رَأوْا ... مَحَلّ التصابي قد خلا منه جانبُهْ)

(ويَبكيه أهلُ الظّرْفِ طُرًّا كما بكى ... عليه أمير المؤمنين وحاجبُه)

(ولمّا بدا لي اليأسُ منه وأنْزَفتْ ... عيونٌ بواكيه ومَلّتْ نوادبُه)

(وصار شِفاءُ النفسِ من بعضِ ما بها ... إفاضةَ دمع تَستَهِلّ سواكبُه)

(جعلتُ على عينيّ للصبح عَبرةً ... ولَلّيل أخرى ما بدتْ لي كواكبُه)

قال وأنشدني أيضا حماد لأبيه يرثي أباه

(عليك سلامُ الله من قبر فاجع ... وجادك من نوءَ السِّماكين وابلُ)

(هَلَ انْتَ مُحيِيٍّ القبر أم أنت سائل ... وكيف تُحيَّا تُربةٌ وجَنادل)
(أظَلُّ كأني لم تُصبني مصيبةٌ ... وفي الصّدر من وَجْدٍ عليك بلابل)
(وهوّن عندي فَقْدَه أنّ شخصه ... على كل حال بين عينيّ ماثل
أخبرنا يحيى بن علي قال حدثني أبو أيوب المديني قال أنشدني إبراهيم ابن علي بن هشام لرجل يرثي إبراهيم الموصلي
(أصبح اللهو تحت عَفْر الترابِ ... ثَاوياً في مَحَلّة الأحبابِ)
(إذ ثوى الموصليّ فانقرض اللّهو ... بخير الإخوان والأصحاب)
(بكت المُسْمِعاتُ حُزْناً عليه ... وبكاه الهوى وصَفْوُ الشراب)
(وبكتْ آلةُ المجالس حتى ... رحِم العودُ دمعةَ المِضراب)
إسحاق الموصلي يذكر أباه عند الرشيد ويبكي
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد عن أبيه قال
دخلت إلى الرشيد بعقب وفاة أبي وذلك بعد شهر من يوم وفاته فلما جلست ورأيت موضعه الذي كان يجلس فيه خاليا دمعت عيني فكففتها وتصبرت ولمحني الرشيد فدعاني إليه وأدناني منه فقبلت يده ورجله والأرض بين يديه فاستعبر وكان رقيقا فوثبت قائما ثم قلت
(في بقاء الخليفة الميمون ... خَلَفٌ من مُصيبة المحزونِ)
(لاَ يضير المصابَ رُزْءٌ إذا ما ... كان ذا مَفْزَعٍ إلى هارون)
فقال لي كذاك والله هو ولن تفقد من أبيك ما دمت حيا إلا شخصه وأمر بإضافة رزقه إلى رزقي فقلت بل يأمر أمير المؤمنين به إلى ولده ففي خدمتي إياه ما يغنيني فقال اجعلوا رزق إبراهيم لولده وأضعفوا رزق إسحاق
صوت من المائة المختارة
(يا دارَ سُعْدى بالجِزْعِ من مَلَلِ ... حُيِّيتِ من دِمْنةٍ ومن طَلَلِ)
(إنّي إذا ما البخيلُ أمَّنها ... باتت ضَمُوزاً منّي على وَجَلْ)
(لا أُمتِع العُوْذَ بالفِصال ولا ... أبتاع إلا قَرِيبةَ الأجل)
العوذ الإبل التي قد نتجت واحدتها عائذ يقول أنحرها وأولادها للأضياف فلا أمتعها
والضموز الممسكة عن أن تجتر
ضمز الجمل بجرته إذا أمسك عنها ودسع بها إذا استعملها
يقول فهذه الناقة من شدة خوفها على نفسها مما رأت من نحر نظائرها قد امتنعت من جرتها فهي ضامزة
الشعر لابن هرمة
والغناء في اللحن المختار لمرزوق الصراف ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق ويقال إنه ليحيى بن واصل
وذكر عمرو بن بانة أن فيه لدحمان لحنا من الثقيل الأول بالبنصر وأن فيه لابن محرز لحنا من الثقيل الثاني بالبنصر في الثالث ثم الثاني ووافقه ابن المكي
قال وفيه لدحمان خفيف رمل بالوسطى في الأول والثالث وذكر الهشامي أن هذا اللحن بعينه ليونس وأن الثقيل الثاني لإبراهيم وأن لمعبد فيه لحنا من الثقيل الأول بالوسطى وأن فيه للهذلي خفيف ثقيل وأن فيه رملا ينسب إلى ابن محرز أيضا
شيء من ذكر ابن هرمة أيضا
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزهري ونوفل بن ميمون عن يحيى بن عروة بن أذينة قال
خرجت في حاجة لي فلما كنت بالسيالة وقفت على منزل إبراهيم بن علي بن هرمة فصحت يا أبا إسحاق فأجابتني ابنته من هذا فقلت انظري فخرجت إلي فقلت أعلمي أبا إسحاق فقالت خرج والله آنفا قال فقلت هل من قِرىً فإني مُقْوٍ من الزاد قالت لا والله ما صادفته حاضرا قلت فأين قول أبيك
(لا أُمْتِع العُوذَ بالفِصَال ولا ... أبتاع إلاّ قريبةَ الأجلِ)
قالت بذاك والله أفناها أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أيوب بن عباية بمثل هذا الخبر سواء وزاد فيه قال فأخبرت إبراهيم بن هرمة بقولها فضمها إليه وقال بأبي أنت وأمي أنت والله ابنتي حقا الدار والمزرعة لك
اخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني نوفل بن ميمون قال حدثني مرقع قال
كنت مع ابن هرمة في سقيفة أم أذينة فجاءه راع بقطعة من غنم يشاوره فيما يبيع منها وكان قد أمره ببيع بعضها قال مرقع فقلت يا أبا إسحاق أين عزب عنك قولك
(لا غنمي مُدّ في الحياة لها ... إلا لدَرْك القِرَى ولا إبلي)
وقولك فيها أيضا
(لا أُمتِع العُوذَ بالفصال ولا ... ولا أبتاع إلا قَرِيبةَ الأجلِ)
فقال لي مالك أخزاك الله من أخذ منها شيئا فهو له فانتهبناها حتى وقف الراعي وما معه منها شيء
وحدثنا بهذا الخبر أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد النوفلي عن أبيه
أن ابن هرمة كان اشترى غنما للربح فلقيه رجل فقال له ألست القائل
(لا غنمي مُدّ في الحياة لها ... إلا لدَرْك القِرَى ولا إبلي)
قال نعم قال فوالله إني لأحسبك تدفع عن هذه الغنم المكروه بنفسك وإنك لكاذب فأحفظه ذلك فصاح من أخذ منها شيئا فهو له فانتهبها الناس جميعا وكان ابن هرمة أحد البخلاء
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني نوفل بن ميمون قال حدثني زفر بن محمد الفهري أن هذه القصيدة أول شعر قاله ابن هرمة
أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدثنا حماد بن إسحاق قال قرأت على أبي حدثنا عبد الله بن الوليد الأزدي قال حدثني جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين قال

سمع مزيد قول ابن هرمة
(لا أُمْتِع العُوذَ بالفِصَال ولا ... أبتاعُ إلاّ قريبةَ الأجَلِ)
قال صدق ابن الخبيثة إنما كان يشتري الشاة للأضحى فيذبحها من ساعته
أخبرنا وكيع قال حدثنا حماد عن أبيه عن عبد الله بن الوليد عن جعفر ابن محمد بن زيد عن أبيه قال
اجتمع قوم من قريش أنا فيهم فأحببنا أن نأتي ابن هرمة فنعبث به فتزودنا زادا كثيرا ثم أتيناه لنقيم عنده فلما انتهينا إليه خرج إلينا فقال ما جاء بكم فقلنا سمعنا شعرك فدعانا إليك لما سمعناك قلت
(إنّ امرأ جعل الطريقَ لبيته ... طُنُباً وأنكَر حقّه للَئيم)
وسمعناك تقول
(وإذا تنوّرِ طارق مُسْتنبِحٌ ... نَبَحتْ فدلّته عليّ كلابِي)
(وعَوَين يَستعجِلْنه فلقِينَه ... يَضرِبْنه بشَراشِرِ الأذناب)
وسمعناك تقول
((كم ناقةٍ وجأتُ مَنْحَرِها ... بِمُستَهَلّ الشُّؤْبُوب أو جَمَل
(لا أُمتع العُوذَ بالفِصال ولا ... أبتاع إلاّ قريبةَ الأجَلِ)
قال فنظر إلينا طويلا ثم قال ما على وجه الأرض عصابة أضعف عقولا ولا أسخف دينا منكم فقلنا له يا عدو الله يا دعي أتيناك زائرين وتسمعنا هذا الكلام فقال أما سمعتم الله تعالى يقول للشعراء (وأنهم يقولون ما لا يفعلون) أفيخبركم الله أني أقول ما لا أفعل وتريدون مني أن أفعل ما أقول قال فضحكنا منه وأخرجناه معنا فأقام عندنا في نزهتنا يشركنا في زادنا حتى انصرفنا إلى المدينة
أخبرنا عمي قال حدثني محمد بن سعيد الكراني عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال
الحكم الخضري وابن ميادة ورؤبة وابن هرمة
وطفيل الكناني ومكين العذري كانوا على ساقة الشعراء وتقدمهم ابن هرمة بقوله
(لا أُمتع العُوذ بالفِصال ولا ... أبتاع إلاّ قريبةَ الأجل)
قال عبد الرحمن وكان عمي معجبا بهذا البيت مستحسنا له وكان كثيرا ما يقول أما ترون كيف قال والله لو قال هذا حاتم لما زاد ولكان كثيرا ثم يقول ما يؤخره عن الفحول إلا قرب عهده
انتهى
أخبرني محمد بن مزيد والحسين بن يحيى ووكيع عن حماد عن أبيه قال
قلت لمروان بن أبي حفصة من أشعر المحدثين من طبقتكم عندك لا أعنيك قال الذي يقول
(لا أمتع العوذ بالفصال ولا ... أبتاع إلا قريبةَ الأجل)
أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا أبو أيوب المديني عن أبي حذافة قال لما قال ابن هرمة
(لا أُمتع العوذ بالفِصال ولا ... أبتاع إلا قريبةَ الأجل)
قال ابن الكوسج مولى آل حنين يجيبه
(ما يشرب الباردَ القَراحَ ولا ... يذبح من جَفْرةٍ ولا حَمَلِ)
((كأنّه قِرْدةٌ يلاعبها ... قردٌ بأعلى الهضاب من مَلَلِ
قال فقال ابن هرمة لئن لم أوت به مربوطا لأفعلن بآل حنين ولأفعلن فوهبوا لابن الكوسج مائة درهم وربطوه وأتوا به ابن هرمة فأطلقه فقال ابن الكوسج والله لئن عاد لمثلها لأعودن
أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني هارون بن مخارق عن أبيه قال
كنا عند الرشيد في بعض أيامنا ومعنا ابن جامع فغناه ابن جامع ونحن يومئذ بالرقة
(هاج شوقاً فِراقُكَ الأحبابا ... فتناسيتَ أو نَسِيتَ الرَّبابا)
(حين صاح الغرابُ بالبَيْن منهم ... فتصامَمْتَ إذ سمعتَ الغُرابا)
(لو علمنا أنّ الفِراق وَشيكٌ ... ما انتهينا حتي نزورَ القِبابا)
(أو علمنا حين استقلّتْ نَوَاهم ... ما أقمنا حتى نَزمّ الرِّكابا)
الغناء لابن جامع رمل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق وله فيه أيضا ثقيل أول بالوسطى عن عمرو وذكرت دنانير عن فليح أن فيه لابن سريج وابن محرز لحنين
قال فاستحسنه الرشيد وأعجب به واستعاده مرارا وشرب عليه أرطالا حتى سكر وما سمع غيره ولا أقبل على أحد وأمر لابن جامع بخمسة آلاف دينار فلما انصرفنا قال لي
إبراهيم لا ترم منزلك حتى أصير إليك فصرت إلى منزلي فلم أغير ثيابي حتى أعلمني الغلام بموافاته فتلقيته في دهليزي فدخل وجلس وأجلسني بين يديه ثم قال لي يا مخارق أنت فسيلة مني وحسني لك وقبيحي عليك ومتى تركنا ابن جامع على ما ترى غلبنا على الرشيد وقد صنعت صوتا على طريقة صوته الذي غناه أحسن صنعة منه وأجود وأشجى وإنما يغلبني عند هذا الرجل بصوته ولا مطعن على صوتك وإذا أطربته وغلبته عليه بما تأخذه مني قام ذلك لي مقام الظفر وسيصبح أمير المؤمنين غدا فيدخل الحمام ونحضر ثم يخرج فيدعو بالطعام ويدعو بنا ويأمر ابن جامع فيرد الصوت الذي غناه ويشرب عليه رطلا ويأمر له بجائزة فإذا فعل فلا تنتظره أكثر من أن يرد ردته حتى تغني ما أعلمك إياه الساعة فإنه يقبل عليك ويصلك ولست أبالي ألا يصلني بعد أن يكون إقباله عليك فقلت السمع والطاعة فألقى علي لحنه
(... يا دارَ سُعْدَى بالجِزْع من مَلَلِ)
وردده حتى أخذته وانصرف ثم بكر علي فاستعاد الصوت فرددته حتى رضيه ثم ركبنا وأنا أدرسه حتى صرنا إلى دار الرشيد فلما دخلنا فعل الرشيد جميع ما وصفه إبراهيم شيئا فشيئا وكان إبراهيم أعلم الناس به ثم أمر ابن جامع فرد الصوت ودعا برطل فشربه ولما استوفاه واستوفى ابن جامع صوته لم أدعه يتنفس حتى اندفعت فغنيت صوت إبراهيم فلم يزل يصغي إليه وهو باهت حتى استوفيته فشرب وقال أحسنت والله لمن هذا
الصوت فقلت لإبراهيم فلم يزل يستدنيني حتى صرت قدام سريره وجعل يستعيد الصوت فأعيده ويشرب عليه رطلا فأمر

لإبراهيم بجائزة سنية وأمر لي بمثلها وجعل ابن جامع يشغب ويقول يجيء بالغناء فيدسه في أستاه الصبيان إن كان محسنا فليغنه هو والرشيد يقول له دع ذا عنك فقد والله استقاد منك وزاد عليك
صوت من المائة المختارة
(تَوَلّى شبابُكَ إلا قليلا ... وحلّ المَشيبُ فصبراً جميلاً)
(كفى حَزَناً بِفراق الصِّبا ... وإنْ أصبح الشَّيبُ منه بَدِيلا)
الشعر والغناء لإسحاق
ولحنه المختار ثاني ثقيل بالوسطى في مجراها عن إسحاق بن عمرو
أخبار إسحاق بن إبراهيم
قد مضى نسبه مشروحا في نسب أبيه ويكنى أبا محمد وكان الرشيد يولع به فيكنيه أبا صفوان وهذه كنية أوقعها عليه إسحاق بن إبراهيم بن مصعب مزحا
وموضعه من العلم ومكانه من الأدب ومحله من الرواية وتقدمه في الشعر ومنزلته في سائر المحاسن أشهر من أن يدل عليه فيها بوصف وأما الغناء فكان أصغر علومه وأدنى ما يوسم به وإن كان الغالب عليه وعلى ما كان يحسنه فإنه كان له في سائر أدواته نظراء وأكفاء ولم يكن له في هذا نظير فإنه لحق بمن مضى فيه وسبق من بقي ولحب للناس جميعا طريقه فأوضحها وسهل عليهم سبيله وأنارها فهو إمام أهل صناعته جميعا ورأسهم ومعلمهم يعرف ذلك منه الخاص والعام ويشهد به الموافق والمفارق على أنه كان أكره الناس للغناء وأشدهم بغضا لأن يدعى إليه أو يسمى به
وكان يقول لوددت أن أضرب كلما أراد مريد مني أن أغني وكلما قال قائل إسحاق الموصلي المغني عشر مقارع لا أطيق أكثر من ذلك وأعفى من الغناء ولا ينسبني من يذكرني إليه
وكان المأمون يقول لولا ما سبق على ألسنة الناس وشهر به عندهم من الغناء لوليته القضاء بحضرتي فإنه أولى به وأعف وأصدق وأكثر دينا وأمانة من هؤلاء القضاة
مشايخه الذين تلقى عنهم
وقد روى الحديث ولقي أهله مثل مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وهشيم بن بشير وإبراهيم بن سعد وأبي معاوية الضرير وروح بن عبادة وغيرهم من شيوخ العراق والحجاز
وكان مع كراهته
الغناء أضن خلق الله وأشدهم بخلا به على كل أحد حتى على جواريه وغلمانه ومن يأخذ عنه منتسبا إليه متعصبا له فضلا عن غيرهم
وهو الذي صحح أجناس الغناء وطرائقه وميزه تمييزا لم يقدر عليه أحد قبله ولا تعلق به أحد بعده ولم يكن قديما مميزا على هذا الجنس إنما كان يقال الثقيل وثقيل الثقيل والخفيف وخفيف الخفيف وهذا عمرو بن بانة وهو من تلاميذه يقول في كتابه الرمل الأول والرمل الثاني ثم لا يزيد في ذكر الأصابع على الوسطى والبنصر ولا يعرف المجاري التي ذكرها إسحاق في كتابه مثل ما ميز الأجناس فجعل الثقيل الأول أصنافا فبدأ فيه بإطلاق الوتر في مجرى البنصر ثم تلاه بما كان منه بالبنصر في مجراها ثم بما كان بالسبابة في مجرى البنصر ثم فعل هذا بما كان منه بالوسطى على هذه المرتبة ثم جعل الثقيل الأول صنفين الصنف الأول منهما هذا الذي ذكرناه والصنف الثاني القدر الأوسط من الثقيل الأول وأجراه المجرى الذي تقدم من تمييز الأصابع والمجاري وألحق جميع الطرائق والأجناس بذلك وأجراها على هذا الترتيب
ثم لم يتعلق بفهم ذلك أحد بعده فضلا عن أن يصنفه في كتابه فقد ألف جماعة من المغنين كتبا منهم يحيى المكي وكان شيخ الجماعة وأستاذهم وكلهم كان يفتقر إليه ويأخذ عنه غناء الحجاز وله صنعة كثيرة حسنة متقدمة وقد كان إبراهيم الموصلي وابن جامع يضطران إلى الأخذ عنه ألف كتابا جمع فيه الغناء القديم وألحق فيه ابنه الغناء المحدث إلى آخر أيامه فأتيا فيه في أمر الأصابع بتخليط عظيم حتى جعلا أكثر ما جنساه من ذلك مختلطا فاسدا وجعلا بعضه فيما زعما تشترك الأصابع كلها فيه وهذا محال ولو اشتركت الأصابع لما احتيج إلى تمييز الأغاني وتصييرها مقسومة على صنفين الوسطى والبنصر
والكلام في هذا طويل ليس موضعه هاهنا وقد ذكرته في رسالة عملتها لبعض إخواني ممن سألني شرح هذا فأثبته واستقصيته استقصاء يستغني به عن غيره
وهذا كله فعله إسحاق واستخرجه بتمييزه حتى أتى على كل ما رسمته الأوائل مثل إقليدس ومن قبله ومن بعده من أهل العلم بالموسيقى ووافقهم بطبعه وذهنه فيما قد أفنوا فيه الدهور من غير أن يقرأ لهم كتابا أو يعرفه
فأخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيى المنجم قال
كنت عند إسحاق بن إبراهيم بن مصعب فسأل إسحاق الموصلي أو سأله محمد بن الحسن بن مصعب بحضرتي فقال له يا أبا محمد أرأيت لو أن الناس جعلوا للعود وترا خامسا للنغمة الحادة التي هي العاشرة على مذهبك أين كنت تخرج منه فبقي إسحاق واجما ساعة طويلة مفكرا واحمرت أذناه وكانتا عظيمتين وكان إذا ورد عليه مثل هذا احمرتا وكثر ولوعه بهما فقال لمحمد بن الحسن الجواب في هذا لا يكون كلاما إنما يكون بالضرب فإن كنت تضرب أريتك أين تخرج فخجل وسكت عنه مغضبا لأنه كان أميرا وقابله من الجواب بما لا يحسن فحلم عنه
قال علي بن يحيى فصار إلي به وقال لي يا أبا الحسن إن هذا الرجل سألني عما سمعت ولم يبلغ علمه أن يستنبط مثله بقريحته وإنما هو شيء قرأه في كتب الأوائل وقد بلغني أن التراجمة عندهم يترجمون لهم كتب الموسيقى فإذا خرج إليك منها شيء فأعطنيه فوعدته بذلك ومات قبل أن يخرج إليه شيء منها
وإنما ذكرت هذا بتمام أخباره كلها ومحاسنه وفضائله لأنه من أعجب شيء يؤثر عنه أنه استخرج بطبعه علما رسمته الأوائل لا يوصل إلى معرفته إلا بعد علم كتاب إقليدس الأول في الهندسة ثم ما بعده من الكتب الموضوعة في الموسيقى ثم تعلم ذلك وتوصل إليه واستنبطه بقريحته فوافق ما رسمه أولئك ولم يشذ عنه شيء يحتاج إليه منه وهو لم يقرأه ولا له مدخل إليه ولا عرفه ثم تبين بعد هذا بما أذكره من أخباره ومعجزاته في صناعته فضله على أهلها كلهم وتميزه عنهم وكونه سماء هم أرضها وبحرا هم جداوله
وأم إسحاق امرأة من أهل الري يقال لها شاهك وذكر قوم أنها دوشار التي كانت تغني بالدف فهويها إبراهيم وتزوجها وهذا خطأ تلك لم تلد من إبراهيم إلا بنتا وإسحاق وسائر ولد إبراهيم من شاهك هذه
برنامج دراسته اليومي

أخبرني يحيى بن علي المنجم قال أخبرني أبي عن إسحاق قال
بقيت دهرا من دهري أغلس في كل يوم إلى هشيم فأسمع منه ثم أصير إلى الكسائي أو الفراء أو ابن غزالة فأقرأ عليه جزءا من القرآن ثم آتي منصور زلزل فيضاربني طرقين أو ثلاثة ثم آتي عاتكة بنت شهدة فآخذ منها صوتا أو صوتين ثم آتي الأصمعي وأبا عبيدة فأناشدهما وأحدثهما فأستفيد منهما ثم أصير إلى أبي فأعلمه ما صنعت ومن لقيت وما أخذت وأتغدى معه فإذا كان العشاء رحت إلى أمير المؤمنين الرشيد
أخبرنا محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال
أخذ مني منصور زلزل إلى أن تعلمت مثل ضربه بالعود أكثر من مائة ألف درهم
أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال
كنت عند ابن عائشة فجاءه أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلي فرحب به وقال هاهنا يا أبا محمد إلى جنبي فلئن بعدت بيننا الأنساب لقد قربت بيننا الآداب
أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبي قال حدثنا ابن شبيب من جلساء المأمون عنه أنه قال يوما وإسحاق غائب عن مجلسه لولا ما سبق على ألسنة الناس واشتهر به عندهم من الغناء لوليته القضاء فما أعرف مثله ثقة وصدقا وعفة وفقها
هذا مع تحصيل المأمون وعقله ومعرفته
أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا الفضل بن العباس الوراق قال حدثنا المخرمي عن أبيه قال سمعت إسحاق الموصلي يقول
صرت إلى سفيان بن عيينة لأسمع منه فتعذر ذلك علي وصعب مرامه فرأيته عند الفضل بن الربيع فسألته أن يعرفه موضعي من عنايته ومكاني من الأدب والطلب وأن يتقدم إليه بحديثي ففعل وأوصاه بي فقال إن أبا محمد من أهل العلم وحملته
قال فقلت تفرض لي عليه ما يحدثني به فسأله في ذلك ففرض لي خمسة عشر حديثا في كل مجلس
فصرت إليه فحدثني بما فرض لي فقلت له أعزك الله صحيح كما حدثتني به قال نعم وعقد بيده شيئا قلت أفأرويه عنك قال نعم وعقد بيده شيئا آخر ثم قال هذه خمسة وأربعون حديثا وضحك إلي وقال قد سرني ما رأيت من تقصيك في الحديث وتشددك فيه على نفسك فصر إلي متى شئت حتى أحدثك بما شئت
أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني الحسين بن يحيى أبو الجمان وعون بن محمد الكندي قالا سمعنا إسحاق الموصلي يقول
جئت يوما إلى أبي معاوية الضرير ومعي مائة حديث فوجدت حاجبه يومئذ رجلا ضريرا فقال لي إن أبا معاوية قد ولاني اليوم حجبته لينفعني فقلت معي مائة حديث وقد جعلت لك مائة درهم إذا قرأتها فدخل واستأذن لي فدخلت فلما عرفني أبو معاوية دعاه فقال له أخطأت وإنما جعلت لك مثل هذا من ضعفاء أصحاب الحديث فأما أبو محمد وأمثاله فلا ثم أقبل علي يرغبني في الإحسان إليه ويذكر ضعفه وعنايته به فقلت له احتكم في أمره فقال مائة دينار فأمرت بإحضارها الغلام وقرأت عليه ما أردت وانصرفت
أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني علي بن محمد الأسدي قال حدثني أحمد بن يحيى الشيباني ثعلب قال وقف أبو عبد الله بن الأعرابي على المدائني فقال له إلى أين يا أبا عبد الله فقال أمضي إلى رجل هو كما قال الشاعر
(نَحمِلُ أشباحَنا إلى مَلِكٍ ... نأخذُ من ماله ومن أدبْه)
فقال له ومن ذلك يا أبا عبد الله قال أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلي
قال أبو بكر والبيت لأبي تمام الطائي
وقد أخبرني بهذا الخبر عن ثعلب محمد بن القاسم الأنباري فقال فيه
كان إسحاق يجري على ابن الأعرابي في كل سنة ثلاثمائة دينار
وأهدى له ابن الأعرابي شيئا من كتاب النوادر كتبه له بخطه فمر ابن الأعرابي يوما على باب دار الموصلي ومعه صديق له فقال له صديقه هذه دار صديقك أبي محمد إسحاق فقال هذه دار الذي نأخذ من ماله ومن أدبه
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبي قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال
رأيت في منامي كأن جريرا جالس ينشد شعره وأنا أسمع منه فلما فرغ أخذ بيده كبة شعر فألقاها في فمي فابتلعتها فأول ذلك بعض من ذكرته له أنه ورثني الشعر
قال يزيد بن محمد وكذلك كان لقد مات إسحاق وهو أشعر أهل زمانه

إسحاق يتعلم الضرب بالعود من زلزل

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى ومحمد بن مزيد قالا حدثنا حماد بن إسحاق قال قال لي أبي
أعطيت منصورا زلزلا من مالي خاصة حتى تعلمت ضربه بالعود نحوا
من مائة ألف درهم سوى ما أخذته له من الخلفاء ومن أبي
قال وكانت في زلزل قبل أن يعرف الصوت ويفهمه بلادة أول ما يسمعه حتى لو ضرب هو وغلامه على صوت لم يعرفاه قبل لكان غلامه أقوى منه فإذا تفهمه جاء فيه من الضرب بما لا يتعلق به أحد البتة
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي الفضل عن إسحاق وأخبرني به الأخفش عن الفضل عن إسحاق وأخبرني به يحيى ابن علي بن يحيى عن أبيه عن إسحاق وأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبي عن إسحاق قال
قال لي أبو زياد الكلابي أولم جار لي يكنى أبا سفيان وليمة ودعاني لها فانتظرت رسوله حتى تصرم يومي فلم يأت فقلت لامرأتي
(إنّ أبا سفيان ليس بُمولِم ... فقُومِي فهاتي فِلْقةً من حُوَارِكِ)
قال إسحاق فقلت له أليس غير هذا فقال لا إنما أرسلته يتيما فقلت أفلا أجيزه قال شأنك فقلت له
(فبيتُكِ خيرٌ من بيُوتٍ كثيرةٍ ... وقِدْرُكِ خيرٌ من وَليمة جارك)
قال فضحك ثم قال أحسنت بأبي أنت وأمي جئت والله به قبلا ما انتظرت به القرب وما ألوم الخليفة أن يجعلك في سماره ويتملح بك وإنك لمن طراز ما رأيت بالعراق مثله ولو كان الشباب يشترى لا ابتعته لك بإحدى عيني ويمنى يدي وعلى أن

فيك بحمد الله ومنه بقية تسر الودود وترغم الحسود
هذا لفظ يزيد المهلبي والأخفش
وأخبرني بهذا الخبر محمد بن عبد الله بن عمار فقال حدثني عمر بن شبة قال حدثني إسحاق قال
قال لي إما شداد بن عقبة وإما أبو مجيب
قالت امرأة القتال الكلابي له هل لك في فلقة من حوار نطبخها لك
فقال لا والله نحن على وليمة أبي سفيان ودعوته وكان أبو سفيان رجلا من الحي زفت إليه امرأته تلك الليلة فجعل ينظر دخانا فلا يراه فقال
(إنّ أبا سفيان ليس بُمولم ... فقومي فهاتي فِلقةً من حُوارك)
ثم ذكر باقي الخبر على ما تقدم من الذي قبله
أخبرنا يحيى بن علي قال حدثني أبي قال حدثني إسحاق قال
أنشدت أعرابيا فهما شعرا لي فقال أقفرت والله يا أبا محمد قلت وما أقفرت قال رعيت قفرة لم ترع قبلك يريد أبدعت
نباهة إسحاق في الغناء
أخبرني علي بن سليمان الأخفش وعمي قالا حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال حدثني بعض أصحاب السلطان بمدينة السلام قال سمعت إسحاق الموصلي يقول
دخلت على المأمون يوما وعقيد يغنيه ارتجالا وغيره يضرب عليه فقال يا إسحاق كيف تسمع مغنينا هذا فقلت هل سأل أمير المؤمنين عن هذا غيري قال نعم سألت عمي إبراهيم فوصفه وقرظه واستحسنه فقلت له يا أمير المؤمنين أدام الله سرورك وأطاب عيشك إن الناس قد أكثروا في أمري حتى نسبتني فرقة إلى التزيد في علمي فقال لي فلا يمنعك ذلك من قول الحق إذا لزمك فقلت لعقيد أردد هذا الصوت الذي غنيته آنفا وتحفظ فيه وضرب ضاربه عليه فقلت لإبراهيم بن المهدي كيف رأيته فقال ما رأيت شيئا يكره ولا سمعته فأقبلت على عقيد فقلت له حين استوفاه في أي طريقة هذا الصوت الذي غنيته قال في الرمل فقلت للضارب في أي طريقة ضربت أنت قال في الهزج الثقيل فقلت يا أمير المؤمنين ما عسيت أن أقول في صوت يغني مغنيه رملا ويضرب ضاربه هزجا وليس هو صحيحا في إيقاعه الذي ضرب عليه
قال وتفهمه إبراهيم بن المهدي بعدي فقال صدق يا أمير المؤمنين الأمر فيه الآن بين فغاظني فقلت له بأي شيء بان الآن ما لم يكن بينا قبل أتوهم أنك استنبطت معرفة هذا وإنما قلته لما علمته من جهتي كما يقوله الغلمان العجم وسائر من حضر اتباعا لي واقتداء بقولي
فقال له المأمون صدق فأمسك وجعل يتعجب من ذهاب ذلك على كل من حضر وكناني في ذلك اليوم مرتين
أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني أبو عبد الله أحمد بن حمدون قال حدثني أبي
أن الأصمعي أنشد قول إسحاق يذكر ولاءه لخزيمة بن خازم
((إذا كانتِ الأحرارُ أصلي ومَنْصِبي ... ودافِعَ ضَيْمي خازمٌ وابنُ خازم
(عَطَستُ بأنفٍ شامخٍ وتناولتْ ... يداي الثريّا قاعداً غيرَ قائم)
قال فجعل الأصمعي يعجب منهما ويستحسنهما وكان بعد ذلك يذكرهما ويفضلهما
قال ابن حمدون وكان السبب في تولي إسحاق خازم بن خزيمة بن حازم أن مناظرة جرت بينه وبين ابن جامع بحضرة الرشيد فتغالظا فقال له ابن جامع يا من إذا قلت له يا بن زانية لم أخف أن يكذبني أحد فمضى إلى خازم بن خزيمة فتولاه وانتمى إليه فقبل ذلك منه وقال هذين البيتين
المعتصم يمتحن إسحاق في الغناء
أخبرني يحيى بن علي قال حدثني أبي قال قال إسحاق كانت عندي صناجة كنت بها معجبا واشتهاها أبو إسحاق المعتصم في خلافة المأمون فبينا أنا ذات يوم في منزلي إذا ببابي يدق دقا شديدا فقلت انظروا من هذا قالوا رسول أمير المؤمنين فقلت ذهبت صناجتي تجده ذكرها له ذاكر فبعث إلي فيها فلما مضى بي الرسول انتهيت إلى الباب
وأنا مثخن فدخلت فسلمت فرد السلام ونظر إلى تغير وجهي فقال اسكن فسكنت وسألني عن صوت وقال أتدري لمن هو فقلت أسمعه ثم أخبر أمير المؤمنين إن شاء الله بذلك فأمر جارية من وراء الستارة فغنته وضربت فإذا هي قد شبهته بالقديم فقلت زدني معها عودا آخر فإنه أثبت لي فزادني عودا آخر فقلت يا أمير المؤمنين هذا الصوت محدث لامرأة ضاربة فقال من أين قلت ذلك فقلت لما سمعته وسمعت لينه عرفت أنه من صنعة النساء ولما رأيت جودة مقاطعه علمت أن صاحبته ضاربة فقال من أين قلت ذلك فقلت لأنها قد حفظت مقاطعه وأجزاءه ثم طلبت عودا آخر ليكون أثبت لي فلم أشكك فقال صدقت الغناء لعريب
نسخت من كتاب ابن أبي سعيد حدثني إسحاق بن إبراهيم الطاهري قال حدثتني مخارق مولاتنا قالت
كان لمولاي الذي علمني الغناء فراش رومي وكان يغني بالرومية صوتا مليح اللحن فقال لي مولاي يا مخارق خذي هذا اللحن الرومي فانقليه إلى شعر من أصواتك العربية حتى أمتحن به إسحاق الموصلي وأعلم أين يقع من معرفته ففعلت ذلك وصار إليه إسحاق فاحتبسه مولاي فأقام وبعث إلي أن أدخلي اللحن الرومي في وسط غنائك فغنيته إياه في درج أصوات مرت قبله فأصغى إليه إسحاق وجعل يتفهمه ويقسمه ويتفقد أوزانه ومقاطعه ويوقع عليه بيده ثم أقبل على مولاي فقال هذا صوت رومي اللحن فمن أين وقع إليك فكان مولاي بعد ذلك يقول ما رأيت شيئا أحسن من استخراجه لحنا روميا لا يعرفه ولا العلة فيه وقد نقل إلى غناء عربي وامتزجت نغمه حتى عرفه ولم يخف عليه
إسحاق وملاحظ في مجلس الواثق
أخبرني عمي قال حدثني محمد بن موسى قال حدثني عبد الله بن عمرو عن محمد بن عبد الله بن مالك قال حدثني علويه الأعسر ووجدت هذا الخبر في بعض الكتب عن علي بن محمد بن نصر الشامي عن جده حمدون ابن إسماعيل قال
تناظر المغنون يوما عند الواثق فذكروا الضراب وحذقهم فقدم إسحاق زلزلا على ملاحظ ولملاحظ في ذلك الرياسة على جميعهم فقال له الواثق هذا حيف وتعد منك فقال إسحاق يا أمير المؤمنين اجمع بينهما وامتحنهما فإن الأمر سينكشف لك فيهما فأمر بهما فأحضرا فقال له إسحاق إن للضراب أصواتا معروفة أفأمتحنهما بشيء منها قال أجل افعل فسمى ثلاثة أصوات كان أولها

(... عُلِّق قلبي ظبيةَ السِّيب)
فضربا عليه فتقدم زلزل وقصر عنه ملاحظ فعجب الواثق من كشفه عما ادعاه في مجلس واحد
فقال له ملاحظ فما باله يا أمير المؤمنين يحيلك على الناس ولم لا يضرب هو فقال يا أمير المؤمنين إنه لم يكن أحد في زماني أضرب مني إلا أنكم أعفيتموني فتفلت مني وعلى أن معي بقية لا يتعلق بها أحد من هذه الطبقة ثم قال يا ملاحظ شوش عودك وهاته ففعل ذلك ملاحظ فقال يا أمير المؤمنين هذا يخلط الأوتار تخليط متعنت فهو لا يألو ما أفسدها ثم أخذ العود فجسه ساعة حتى عرف مواقعه ثم قال يا ملاحظ غن أي صوت شئت فغنى ملاحظ صوتا وضرب عليه إسحاق بذلك العود الفاسد التسوية فلم يخرجه عن لحنه في موضع واحد حتى استوفاه عن نقرة واحدة ويده تصعد وتنحدر على الدساتين فقال له الواثق لا والله ما رأيت مثلك ولا سمعت به اطرح هذا على الجواري فقال هيهات يا أمير المؤمنين هذا لا تعرفه الجواري ولا يصلح لهن إنما بلغني أن الفهليذ ضرب يوما بين يدي كسرى فأحسن فحسده رجل من حذاق أهل صنعته فترقبه حتى قام لبعض شأنه ثم خالفه إلى عوده فشوش بعض أوتاره فرجع فضرب وهو لا يدري والملوك لا تصلح في مجالسها العيدان فلم يزل يضرب بذلك العود الفاسد إلى أن فرغ ثم قام على رجله فأخبر الملك بالقصة فامتحن العود فعرف ما فيه ثم قال زه وزه وزهان زه ووصله بالصلة التي كان يصل بها من خاطبه هذه المخاطبة فلما تواطأت الرواية بهذا أخذت نفسي ورضتها عليه وقلت لا ينبغي أن يكون الفهليذ أقوى على هذا مني فما زلت أستنبطه بضع عشرة سنة حتى لم يبق في الأرض موضع على طبقة من الطبقات إلا وأنا أعرف نغمته كيف هي والمواضع التي يخرج النغم كلها منه فيها من أعاليها إلى أسافلها وكل شيء منها يجانس شيئا غيره كما أعرف ذلك في مواضع الدساتين وهذا شيء لا تفي به الجوراي
قال له الواثق صدقت ولئن مت لتموتن هذه الصناعة معك وأمر له بثلاثين ألف درهم

نسبه هذا الصوت

صوت

(عُلِّقَ قلبي ظبيةَ السِّيبِ ... جهلاً فقد أُغْرِي بتعذيبي)
(نَمَّتْ عليها حين مرَّتْ بنا ... مَجاسِدٌ يَنْفَحْن بالطِّيب)
(تَصُدّها عنّا عَجُوزٌ لها ... مُنْكَرَةٌ ذاتُ أعاجيب)
(فكلّما هَمْتُ بإتيانها ... قالت تَوَقَّيْ عَدْوَةَ الذِّيبِ)

الشعر والغناء لإبراهيم هزج ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر
حدثني علي بن هارون قال حدثني محمد بن موسى اليزيدي قال حدثتني دمن جارية إسحاق الموصلي وكانت من كبار جواريه وأحظى منه عنده ولقيتها فقلت لها أي شيء أخذت عن مولاك من الغناء فقالت لا والله ما أخذت أنا عنه ولا واحدة من جواريه صوتا قط كان أبخل بذلك وما أخذت منه قط إلا صوتا واحدا وذلك أنه انصرف من دار الخليفة وهو مثخن سكرا فدخل إلى بيت كان ينام فيه فرأى عودا معلقا فأخذه بيده وقال لخادمه يا غلام صح لي بدمن فجاءني الغلام فخرجت فلما بلغت الباب إذا هو مستلق على فراشه والعود في يده وهو يصنع هذا الصوت ويردده وقد اسحنفر في نغمه وتنوق فيها حتى استقام له وهو

صوت

(ألاَ ليُلكِ لا يَدهَبْ ... ونيطَ الطَّرْفُ بالكوكبْ)
(وهذا الصّبح لا يأتي ... ولا يدنو ولا يَقْرُب)

فلما سمعته علمت أني إن دخلت إليه أمسك فوقفت أستمعه حتى فرغ منه وأخذته عنه فلما فرغ منه وضع العود من يده وذكر أنه قد طلبني فقال يا غلام أين دمن فقلت هأنذي فقال مذ كم أنت واقفة فقلت مند ابتدأت بالصوت وقد أخذته فنظر إلي نظر مغضب أسف ثم قال غنيه فغنيته حتى استوفيته فقال لي وقد فتر وخجل قد بقيت عليك فيه بقية أنا أصلحها لك فقلت لست أحتاج إلى إصلاحك إياه وقد والله أخذته على رغمك فضحك
لحن هذا الصوت من الهزج بالبنصر والشعر والغناء لإسحاق

كان قادرا على إظهار الأخطاء في الغناء والأوتار

أخبرنا يحيى بن علي قال قال لي إسحاق
كنت عند المعتصم وعنده إبراهيم بن المهدي فغنى إبراهيم صوتا لابن جامع أخل ببعضه ثم قال يا أمير المؤمنين ترك ابن جامع الناس يحجلون خلفه ولا يلحقونه
وفي هذا الصوت خاصة فقلت والله يا أمير المؤمنين ما صدق وما هذا الصوت بتام الأجزاء فقال كذب والله يا أمير المؤمنين فقلت يا سيدي أنا أوقفه على نقصانه فمره فليعد يا أمير المؤمنين فأعاد البيت الأول فأقامه وطمع في الإصابة فقلت آفته في البيت الثاني فليردده فرده فنقص من أجزائه وقسمته فعرفته فأقر به فقلت يا أمير المؤمنين هذه صناعتي وصناعة آبائي وإبراهيم يكلمني فيها
وأنا أسأله عن ثلاثين مسألة من باب واحد في طريق الغناء لا يعرف منها مسألة واحدة فقال أو يعفيني أمير المؤمنين من كلامه فأعفاه
وقد أخبرني بهذا الخبر الحسن بن علي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبي عن إسحاق فذكر نحوا مما ذكره يحيى وذكر أن القصة كانت بين يدي المعتصم وزاد فيها فقال
أنا أسأله عن ثلاثين مسألة وأوقفه على خطئه فيها فإن لم يقر بذلك أقر به مخارق وعلويه فقال أو يعفيني أمير المؤمنين من كلامه فإنه يعدل عندي البختج قلت يا أمير المؤمنين وما يفعل البختج قال يسلح قلت قد والله فعل ذلك كلامي به ومنه هرب فضحك وغطى فاه وقام فظن إسحاق بن إبراهيم المصعبي أني قد أغضبته فضرب بيده إلى السيف فقلت له لا تحسب أني أغضبته فما كنت لأكلم عمه بين يديه بهزء من غير إذنه فأمسك وكان لا يقدم أحد أن يكلم الخليفة بحضرته بما فيه الوهن إلا بادر إلى سيفه تعظيما للأمير وإجلالا له
أخبرني يحيى بن علي قال حدثنا أحمد بن القاسم الهاشمي عن إسحاق وأخبرني الحسين بن يحيى قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال
دعاني المأمون وعنده إبراهيم بن المهدي وفي مجلسه عشرون جارية قد أجلس عشرا عن يمينه وعشرا عن يساره ومعهن العيدان يضربن بها فلما دخلت سمعت من الناحية اليسرى خطأ فأنكرته فقال المأمون يا إسحاق أتسمع خطأ

فقلت نعم والله يا أمير المؤمنين فقال لإبراهيم هل تسمع خطأ فقال لا فأعاد علي السؤال فقلت بلى والله يا أمير المؤمنين وإنه لفي الجانب الأيسر فأعاد إبراهيم سمعه إلى الناحية اليسرى ثم قال
لا والله يا أمير المؤمنين ما في هذه الناحية خطأ فقلت يا أمير المؤمنين مر الجواري اللواتي على اليمين يمسكن فأمرهن فأمسكن فقلت لإبراهيم هل تسمع خطأ فتسمع ثم قال ما ها هنا خطأ فقلت يا أمير المؤمنين يمسكن وتضرب الثامنة فأمسكن وضربت الثامنة فعرف إبراهيم الخطأ فقال نعم يا أمير المؤمنين ها هنا خطأ فقال عند ذلك لإبراهيم يا إبراهيم لا تمار إسحاق بعدها فإن رجلا فهم الخطأ بين ثمانين وترا وعشرين حلقا لجدير ألا تماريه فقال صدقت يا أمير المؤمنين
وقال الحسين بن يحيى في خبره وكان في الأوتار كلها مثنى فاسد التسوية
وقال فيه فطرب أمير المؤمنين المأمون وقال لله درك يا أبا محمد فكناني يومئذ

الواثق يثني على إسحاق

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني أحمد بن حمدون قال
سمعت الواثق يقول ما غناني إسحاق قط إلا ظننت أنه قد زيد لي في ملكي ولا سمعته يغني غناء ابن سريج إلا ظننت أن ابن سريج قد نشر وإنه ليحضرني غيره إذا لم يكن حاضرا فيتقدمه عندي وفي نفسي بطيب الصوت حتى إذا اجتمعا عندي رأيت إسحاق يعلو ورأيت من ظننته يتقدمه ينقص وإن إسحاق لنعمة من نعم الملك التي لم يحظ بمثلها ولو أن العمر والشباب والنشاط مما يشترى لاشتريتهن له بشطر ملكي
أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيى المنجم قال
سأل إسحاق الموصلي المأمون أن يكون دخوله إليه مع أهل العلم والأدب والرواة لا مع المغنين فإذا أراده للغناء غناه فأجابه إلى ذلك ثم سأله بعد حين أن يأذن له في الدخول مع الفقهاء فأذن له
قال فحدثني
محمد بن الحارث بن بسخنر أنه كان هو ومخارق وعلويه جلوسا في حجرة لهم ينتظرون جلوس المأمون وخروج الناس من عنده إذ دخل يحيى بن أكثم وعليه سواده وطويلته ويده في يد إسحاق يماشيه حتى جلس معه بين يدي المأمون فكاد علويه أن يجن وقال يا قوم أسمعتم بأعجب من هذا يدخل قاضي القضاة ويده في يد مغن حتى يجلسا بين يدي الخليفة
ثم مضت على ذلك مدة فسأل إسحاق المأمون أن يأذن له في لبس السواد يوم الجمعة والصلاة معه في المقصورة قال فضحك المأمون وقال ولا كل ذا يا إسحاق وقد اشتريت منك هذه المسألة بمائة ألف درهم وأمر له بها
حدثني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني أبو عبد الله بن حمدون قال
كان المغنون جميعا يحضرون مجلس الواثق وعيدانهم معهم إلا إسحاق فإنه كان يحضر بلا عود للشرب والمجالسة فإن أمره الخليفة أن يغني أحضر له عودا فإذا غنى وفرغ سل من بين يديه إلى أن يطلبه
وكان الواثق كثيرا ما يكنيه رفعا له من أن يدعوه باسمه وكان إذا غنى وفرغ الواثق من شرب قدحه قطع الغناء ولم يعد منه حرفا إلا أن يكون في بعض بيت فيتمه ثم يقطع ويضع العود من يده
أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه في خبر ذكر إسحاق فيه
فقال وعارض معبدا وابن سريج فانتصف منهما وكان إبراهيم بن المهدي يناظره ويجادله في الغناء وينازعه في صناعته ولم يبلغه وما رأيت بعد إسحاق مثله
أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال قال لي محمد بن راشد الخناق
سمعت علويه يقول لإسحاق بن إبراهيم الموصلي إن إبراهيم بن المهدي يعيبك بتركك تحريك الغناء فقال له إسحاق ليتنا نفي بما علمناه فإنا لا نحتاج إلى الزيادة فيه
ثم قال له فإنه يزعم أن حلاوة الغناء تحريكه وتحريكه عنده أن يكون كثير النغم وليس يفعل ذلك إنما يسقط بعض عمله لعجزه عنه فإذا فعل ذلك فهو بالإضافة إلى حاله الأولى بمنزلة الأسكدار للكتاب وهو حينئذ بأن يسمى المحذوف أشبه منه بأن يسمى المحرك فضحك علويه ثم قال فإن إبراهيم يسمي غناءكم هذا الممسك المدادي قال إسحاق هذا من لغات الحاكة لأنهم يسمون الثوب الجافي الكثير العرض والطول المدادي وعلى هذا القياس فينبغي لنا أن نسمي غناءه المحرك الضرابي وهو الخفيف السخيف من الثياب في لغة الحاكة حتى ندخل الغناء في جملة الحياكة ونخرجه عن جملة الملاهي ثم قال لعلويه بحياتي عليك إلا ما أعدت عليه ما جرى فقال له لا وحياتك لا فعلت فإنه يعلم ميلي إليكم ولكن عليك بأبي جعفر محمد بن راشد الخناق فكلمه إسحاق وأقسم عليه أن يؤيده ففعل وسار إلى إبراهيم فأخبره فجعل كلما أخبره شيئا تغيظ وشتم إسحاق بأقبح شتم ثم جاءه ابن راشد فأخبره فجعل كلما أخبره بشيء من ذلك ضحك وصفق سرورا لغيظ إبراهيم من قوله
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثني علي بن محمد النوفلي قال أخبرني محمد بن راشد الخناق قال
إني لفي منزلي يوما مع الظهر إذ دخل علي إسحاق بن إبراهيم الموصلي فسررت بمكانه فقال قد جاءت بي إليك حاجة قال قلت قل ما شاء الله قال دعني في بيتك ودع غلاميك عندي بديحا وسليمان وكانا خادمين مغنيين ومرهما أن يغنياني وأتني بفلان ليغنيني أيضا بحياتي عليك وانطلق إلى إبراهيم بن المهدي فإنه سيسر بمكانك فاشرب معه أقداحا ثم قل له يا سيدي أسألك عن شيء فإذا قال سل فقل له أخبرني عن قولك
(... ذهبتُ من الدنيا وقد ذهبتْ منّي)
أي شيء كان معنى صنعتك فيه وأنت تعلم أنه لا يجوز في غنائك الذي صنعته فيه إلا أن تقول ذهبتو بالواو فإن قلت ذهبت ولم تمدها انقطع اللحن والشعر وإن مددتها قبح الكلام وصار على كلام النبط فقلت له يا أبا محمد كيف أخاطب إبراهيم بهذا فقال هو حاجتي إليك وقد كلفتك إياها فإن استحسنت أن تردني فأنت أعلم قال أفعل ذلك لموضعك على ما فيه علي ثم أتيت إبراهيم وجلست عنده مليا وتجارينا الحديث إلى أن خرجنا إلى ذكر الغناء فخاطبته بما قال لي إسحاق فتغير لونه وانكسر ثم قال يا محمد ليس هذا من كلامك هذا من كلام الجرمقاني ابن الزانية قل له عني أنتم تصنعون هذه للصناعة ونحن نصنعه للهو واللعب والعبث قال فخرجت إلى إسحاق فحدثته بذلك فقال الجرمقاني والله منا أشبهنا بالجرامقة لغة وهو الذي يقول ذهبتو وأقام عندي يومه فرحا بما بلغته إبراهيم عنه من توقيفه على خطئه

إسحاق وصداقة محمد بن راشد

قال علي بن محمد قال لي أبي
كان محمد بن راشد صديقا لإسحاق ثم فسد ما بينهما فإنه طابق إبراهيم بن المهدي عليه وبلغه عنه من توقيعه أن يذكره
وكان في محمد ابن رشد رداءه ونقل لأحاديث فقال فيه إسحاق
(ونَدْمان صِدْقٍ لا تُخَاف أذَاتُه ... ولا يلفِظ الأخبارَ لفظَ ابن راشِد)
(دعاني إلى ما يشتهي فأجبتُه ... إجابةَ محمود الخلائق ماجِدِ)
(فلا خيرَ في اللّذات إلاّ بأهلها ... ولا عيشَ إلا بالخليل المُساعِد)
قال فجمع ابن راشد عدة من الشعراء وأمرهم بهجاء إسحاق فهجوه بأشعار لم تبلغ مراده فلم يظهرها
وبلغ ذلك إسحاق فقال فيه
(وأبيات شعرٍ رائعات كأنها ... إذا أُنشدت في القوم من حُسنها سِحرُ)
(تحفّزَ واقْلَولَى لردّ جوابها ... أبو جعفر يَغْلِي كما غَلَتِ القِدْر)
(فلم يستطعها غيرَ أنْ قد أعانه ... عليها أُناس كي يكون له ذكر)
(فيا ضيعةَ الأشعار إذ يَقْرِضونها ... وأضيعُ منها من يَرى أنها شعر)
قال فعاذ محمد بن راشد بإسحاق واستكفه وصالحه فرجع إليه
أخبرني عمي قال حدثني علي بن محمد بن نصر الشامي قال حدثني منصور بن محمد بن واضح
أن إبراهيم بن المهدي طرح في منزل أبيه
صوت
(أمِنَ آلِ لَيْلَى عزفتَ الطُّلولاَ ... بذي حُرُضٍ ماثِلاتٍ مُثولاَ)
(بَلِينَ وتحسب آياتِهِنّ ... عن فَرْط حَوْلين رَقًّا مُحِيلا)
الشعر لكعب بن زهير
والغناء لإسحاق وله فيه لحنان ثاني ثقيل مطلق في مجرى البنصر وماخوري بالوسطى
وفيه للزبير بن دحمان خفيف ثقيل قال فجاءنا إسحاق يوما وأقام عند أبي وأخرجنا إليه جوارينا ومر الصوت الذي طرحه إبراهيم بن المهدي من غنائه فقال إسحاق من أين لك هذا قال طرحه أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي أعزه الله تعالى فقال إسحاق وما لأبي إسحاق أعزه الله ولهذا الصوت هذا أنا صنعته وليس هو كما طرحه
قال فسأله أبي أن يغنيه فغناه وردده حتى صح لمن عنده فقال لي أبي أكتب إلى أبي إسحاق أن أبا محمد أعزه الله صار إلي فاحتبسته وأنه غنى بحضرتي الصوت الذي ألقيته في منزلك الذي أسكنه فزعم أنه صنعه وأنه ليس على ما أخذه الجواري عنك فأحببت أن أعلم ما عندك جعلني الله فداك
قال فكتبت الرقعة وأنفذتها إلى إبراهيم
فكتب نعم جعلت فداك صدق أبو محمد أعزه الله والصوت له وهو على ما ذكره لكني لعبت في وسطه لعبا أعجبني
قال فقرأ إسحاق الرقعة فغضب غضبا شديدا ثم قال لي اكتب إليه إذا أردت
يا هذا أن تلعب فالعب في غناء نفسك لا في غناء الناس وما حاجتك إلى هذا الشعر أكثر من ذلك فاصنع أنت إن كنت تحسن والعب في صنعتك كما تشتهي مبتدئا باللهو واللعب غير مشارك في جد الناس بلعبك ومفسد له بما لا تعلمه
يا أبا إسحاق أيدك الله ليس هذا الصوت مما يتهيأ لك أن تمخرق فيه وتقول جندرته قال وكان إبراهيم يقول إنه يجندر صنعة القدماء ويحسنها
إسحاق يناظر إبراهيم بن المهدي في الغناء
قال علي بن محمد حدثني جدي حمدون
أن إسحاق قال لإبراهيم بن المهدي بحضرة المعتصم ما تقول فيمن يزعم أن ابن سريج وابن محرز ومعبدا ومالكا وابن عائشة لم يكونوا يحسنون تمام الصنعة ولا استيفاء الغناء ويعجزون عما به يكمل ويتم ويحسن وأنه أقدر على الصنعة منهم قال أقول إنه جاهل أحمق قال فأنت تزعم أنه قد كانت بقيت عليهم أشياء لم يهتدوا لها ولم يحسنوها فتنبهت عليها أنت وتممتها وحسنتها بجندرتك قال فضحك المعتصم وبقي إبراهيم واجما مطرقا ولم ينتفع بنفسه بقية يومه وما سمعته أنا ولا غيري بعد ذلك اليوم يتبجح بغناء يصلحه من غناء المتقدمين حتى يطنب في صنعته ويشتهى استماعه منه كما كان يدعي قديما
قال وكان حمدون يقول كان إبراهيم يأكل المغنين أكلا حتى يحضر إسحاق فيداريه إبراهيم ويطلب مكافأته ولا يدع إسحاق تبكيته ومعارضته وكان إسحاق آفته كما أن لكل شيء آفة
أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال
خرجت يوما من داري وأنا مخمور أتنسم الهواء فمررت برجل ينشد رجلا معه لذي الرمة
صوت
(ألم تعلمي يا ميّ أنّي وبينَنا ... مَهَاوٍ لَطرْف العين فيهنّ مَطْرَح)
(ذكرتِك أن مرّتْ بنا أمُّ شادِنٍ ... أمامَ المَطَايا تَشرْئِبّ وتَسْنَح)
(من المؤلِفاتِ الرمِلَ أدماءُ حُرَّةٌ ... شُعاعُ الضّحى في مَتْنها يتوضّح)
(هي الشِّبْهُ أعطافاً وجِيداً ومُقلةً ... ومَيَّةُ منها بَعْدُ أبهى وأملَحُ)
(كأن البُرَى والعاجَ عِيجَتْ مُتونُه ... على عُشَرٍ نَهّى به السيلَ أبطح)
(لئن كانت الدنيا عليّ كما أُرَى ... تَباريحَ من ميٍّ فَلَلموتُ أروحُ)
فأعجبني فصنعت فيه لحنا غنيت به المأمون فأخذت به منه مائة ألف درهم
لحن إسحاق في هذه الأبيات أول مطلق في مجرى البنصر
حدثني يحيى بن محمد الطاهري قال حدثني ينشو مولى أبي أحمد بن الرشيد قال
اشتراني مولاي أبو أحمد بن الرشيد واشترى رفيقي محموما فدفعنا إلى وكيل له أعجمي خراساني وقال له انحدر بهذين الغلامين إلى بغداد
إلى إسحاق الموصلي ودفع إليه مائة ألف درهم وشهريا بسرجه ولجامه وثلاثة أدراج من فضة مملوءة طيبا وسبعة تخوت

من بز خراساني وعشرة أسفاط من بز مصر وخمسة تخوت وشي كوفي وخمسة تخوت خز سوسي وثلاثين ألف درهم للنفقة وقال للرسول عرف إسحاق أن هذين الغلامين لرجل من وجوه أهل خراسان وجه بهما إليه ليتفضل ويعلمهما أصواتا اختارها وكتبها له في درج وقال له كلما علمهما صوتا ادفع إليه ألف درهم حتى يتعلما بها مائة صوت فإذا علمهما الصوتين اللذين بعد المائة فادفع إليه الشهري ثم إذا علمهما الثلاثة التي بعد الصوتين فادفع إليه بكل صوت درجا من الأدراج ثم لكل صوت بعد ذلك تختا أو سفطا حتى ينفد ما بعثت به معك ففعل وانحدرنا إلى بغداد فأتينا إسحاق وغنينا بحضرته وبلغه الوكيل الرسالة فلم يزل يلقي علينا الأصوات حتى أخذناها كما أمرنا سيدنا

ثم سرنا إلى سر من رأى فدخلنا إليه وغنيناه جميع ما أخذناه فسره ذلك

وقدم إسحاق سر من رأى ولقيه مولانا فدعا بنا وأوصانا بما أراد وغدا بنا إلى الواثق وقال إنكما ستريان إسحاق بين يديه فلا تسلما عليه ولا توهماه أنكما رأيتماه قط وألبسنا أقبية خراسانية ومضينا معه فلما دخلنا على الواثق قال له يا سيدي هذان غلامان اشتريا لي من خراسان يغنيان بالفارسية فقال غنيا فضربنا ضربا فارسيا وغنينا غناء فهليذيا فطرب الواثق وقال

أحسنتما فهل تغنيان بالعربية قلنا نعم واندفعنا نغني ما أخذناه عن إسحاق وهو ينظر إلينا ونحن نتغافل عنه حتى غنينا أصواتا من غنائه فقام إسحاق ثم قال للواثق وحياتك يا سيدي وبيعتك وإلا كل ملك لي صدقة وكل مملوك لي حر إن لم يكن هذان الغلامان من تعليمي ومن قصتهما كيت وكيت فقال له أبو أحمد ما أدري ما تقول هذان اشتريتهما من رجل نخاس خراساني فقال له بلغ ولعك إلي ونخاس خراساني من أين يحسن أن يختار مثل تلك الأغاني فضحك أبو أحمد ثم قال صدق أنا احتلت عليه ولو رمت أن يعلمهما ما أخذاه منه إذا علم أنهما لي بعشرة أضعاف ما أعطيته لما فعل فقال له إسحاق قد تمت علي حيلته

وقال أبو أحمد للواثق إن أردتهما فخذهما فقال لا أفجعك بهما يا عم ولكن لا تمنعني حضورهما فقال له قد بذلت لك الملك فلم تؤثره أفتراني أمنعك الخدمة فكنا نخدمه بنوبة

الواثق يرفع إسحاق إلى صف الجلساء

حدثني جحظة قال حدثني أبو عبد الله بن حمدون قال حدثني ابن فيلا الطنبوري وكان قد دخل على الواثق وغناه قال قال الواثق في بعض العشايا لا يبرح أحد من المغنين الليلة فقد عزمت على الصبوح في غد فأمسكوا جميعا عن معارضته إلا إسحاق فإنه قال له لا وحياتك ما أبيت قال فلا والله ما كان له عند الواثق معارضة أكثر من أن قال له فبحياتي إلا بكرت يا أبا محمد قال فرأيت مخارقا وعلويه قد تقطعا غيظا وبتنا في بعض الحجر فقالا لي اجلس على باب الحجرة فإذا جاء إسحاق فعرفنا حتى ندخل بدخوله فلم نلبث أن جاء

إسحاق مع أحمد بن أبي داود يماشيه في زيه وسواده وطويلته مثل طويلته فدخلت فأعلمتهما فقامت على علويه القيامة وقال يا هؤلاء خيناكر يدخل إلى الخليفة مع قاضي القضاة أسمعتم بأعجب من هذا البخت قط فقال له مخارق دع هذا عنك فقد والله بلغ ما أراد

ولم نلبث أن خرج ابن أبي داود ودعي بنا فدخلنا فإذا إسحاق جالس في صف الندماء لا يخرج منه فإذا أمره الواثق أن يغني خرج عن صفهم قليلا وأتي بعود فغنى الصوت الذي يأمره به فإذا فرغ من القدح قطع الصوت الذي يأمره به حيث بلغ ولم يتمه ورجع إلى صف الجلساء

قصة إبراهيم بن المهدي في مجلس الرشيد

أخبرني محمد بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصلي الملقب بوسواسة قال حدثني حماد قال

قال لي أبي كنت عند الرشيد يوما وعنده ندماؤه وخاصته وفيهم إبراهيم بن المهدي فقال لي الرشيد يا إسحاق تغن

((شَرِبتُ مُدامةً وسُقِيتُ أخرى ... وراح المُنتشون وما انتشيتُ

فغنيته فأقبل علي إبراهيم بن المهدي فقال لي ما أصبت يا إسحاق ولا أحسنت فقلت ليس هذا مما تحسنه ولا تعرفه وإن شئت فغنه فإن لم أجدك أنك تخطئ فيه منذ ابتدائك إلى انتهائك فدمي حلال

ثم أقبلت على الرشيد فقلت يا أمير المؤمنين هذه صناعتي وصناعة أبي وهي التي قربتنا منك واستخدمتنا لك وأوطأتنا بساطك فإذا نازعناها أحد بلا علم لم نجد بدا من الإيضاح والذب فقال لا غرو ولا لوم عليك فقام الرشيد ليبول فأقبل إبراهيم بن المهدي علي وقال ويلك يا إسحاق أتجترئ علي وتقول ما قلت يابن الفاعلة لا يكني فداخلني ما لم أملك نفسي معه فقلت له أنت تشتمني وأنا لا أقدر على إجابتك وأنت ابن الخليفة وأخو الخليفة ولولا ذلك لكنت أقول لك يابن الزانية أو ترى أني كنت لا أحسن أن أقول لك يابن الزانية ولكن قولي في ذمك ينصرف جميعه إلى خالك الأعلم ولولاك لذكرت صناعته ومذهبه قال إسحاق وكان بيطارا قال ثم سكت وعلمت أن إبراهيم يشكوني وأن الرشيد سوف يسأل من حضر عما جرى فيخبرونه فتلافيت ذلك ثم قلت أنت تظن أن الخلافة تصير إليك فلا تزال تهددني بذلك وتعاديني كما تعادي سائر أولياء أخيك حسدا له ولولده على الأمر فأنت تضعف عنه وعنهم وتستخف بأوليائهم تشفيا وأرجوا ألا يخرجها الله عن يد الرشيد وولده وأن يقتلك دونها فإن صارت إليك وبالله العياذ فحرام علي العيش يومئذ والموت أطيب من الحياة معك فاصنع حينئذ ما بدا لك

قال فلما خرج الرشيد وثب إبراهيم فجلس بين يديه فقال يا أمير المؤمنين شتمني وذكر أمي واستخف بي فغضب وقال ما تقول ويلك قلت لا أعلم فسل من حضر فأقبل على مسرور وحسين فسألهما عن القصة فجعلا يخبرانه ووجهه يتربد إلى أن انتهيا إلى ذكر الخلافة فسري عنه ورجع لونه وقال لإبراهيم ماله ذنب شتمته فعرفك أنه لا يقدر على جوابك ارجع إلى موضعك وأمسك عن هذا

فلما انقضى المجلس وانصرف الناس أمر بألا أبرح وخرج كل من حضر حتى لم يبق غيري فساء ظني وأهمتني نفسي فأقبل علي وقال ويلك يا إسحاق أتراني لم أفهم قولك ومرادك قد والله زنيته ثلاث مرات أتراني لا أعرف وقائعك وأقدامك وأين ذهبت ويلك لا تعد حدثني عنك لو ضربك إبراهيم أكنت أقتص لك منه فأضربه وهو أخي يا جاهل أتراك لو أمر غلمانه فقتلوك أكنت أقتله بك فقلت يا أمير المؤمنين قد والله قتلتني بهذا الكلام ولئن بلغه ليقتلني وما أشك في أنه قد بلغه الآن فصاح بمسرور الخادم وقال علي بإبراهيم الساعة فأحضر وقال قم فانصرف وقلت لجماعة من الخدم وكلهم كان لي محبا وإلي مائلا ولي مطيعا أخبروني بما يجري فأخبروني من غد أنه لما دخل وبخه وجهله وقال له أتستخف بخادمي وصنيعتي ونديمي وابن نديمي وابن خادمي وصنيعتي وصنيعة أبي في مجلسي وتقدم علي وتستخف بمجلسي وحضرتي هاه هاه أتقدم على هذا وأمثاله وأنت مالك وللغناء وما يدريك ما هو ومن أخذك به وطارحك إياه حتى تتوهم أنك

تبلغ مبلغ إسحاق الذي غذي به وعلمه وهو صناعته ثم تظن أنك تخطئه فيما لا تدريه ويدعوك إلى إقامة الحجة عليك فلا تثبت لذلك وتعتصم بشتمه أليس هذا مما يدل على السقوط وضعف العقل وسوء الأدب من دخولك فيما لا يشبهك وغلبة لذتك على مروءتك وشرفك ثم إظهارك إياه ولم تحكمه
وادعائك ما لا تعلمه حتى ينسبك الناس إلى الجهل المفرط ألا تعلم ويلك أن هذا سوء أدب وقلة معرفة وقلة مبالاة بالخطأ والتكذيب والرد القبيح
ثم قال والله العظيم وحق رسوله وإلا فأنا نفي من المهدي لئن أصابه أحد بسوء أو سقط عليه حجر من السماء أو سقط من على دابته أو سقط عليه سقفه أو مات فجأة لأقتلنك به والله والله والله فلا تعرض له وأنت أعلم قم الآن فاخرج فخرج وقد كاد أن يموت
فلما كان بعد ذلك دخلت إليه وإبراهيم عنده فأعرضت عن إبراهيم وجعل ينظر إليه مرة وإلي مرة ويضحك ثم قال له إني لأعلم محبتك في إسحاق وميلك إليه وإلى الأخذ عنه وإن هذا لا يجيئك من جهته كما تريد إلا بعد أن يرضى والرضا لا يكون بمكروه ولكن أحسن إليه وأكرمه واعرف حقه وبره وصله فإذا فعلت ذلك ثم خالفك فيما تهواه عاقبته بيد منبسطة ولسان منطلق ثم قال لي قم إلى مولاك وابن مولاك فقبل رأسه فقمت إليه وقام إلي وأصلح الرشيد بيننا
نسبة الصوت المذكور في هذا الخبر
صوت
(أعاذلُ قد نَهَيْتِ فما انتهيتُ ... وقد طال العتابُ فما ارعويتُ)
(أعاذل ما كبرتُ وفيّ مَلْهىً ... ولو أدركتُ غايتكِ انتهيت)
(شَربتُ مُدامةً وسُقِيت أخرى ... وراح المنتشون وما انتشيت)
(أبِيتُ مُعذَّباً قَلِقاً كئيباً ... لِما ألقاه من ألم وفَوْتِ)
الغناء لابن محرز ثقيل عن ابن المكي
وفيه رمل بالوسطى
إسحاق مغني الرشيد ونديمه
أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال
أرسل إلي الرشيد ذات ليلة فدخلت إليه فإذا هو جالس وبين يديه جارية عليها قميص مورد وسراويل موردة وقناع مورد كأنها ياقوتة على وردة فلما رآني قال لي اجلسِ فجلست فقال لي غن فغنيت
(تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجريَ لما جَهدتُه ... وبيَّن لو يستطيعُ أن يتكلَّما)
فقال لمن هذا اللحن فقلت لي يا أمير المؤمنين فقال هات لحن ابن سريج فغنيته إياه فطرب وشرب رطلا وسقى الجارية رطلا وسقاني رطلا ثم قال غن فغنيته
صوت
(هاجَ شَوْقي بَعْدَ ما شُيِّب ... أصداغِي بُرُوقُ)
(مَوْهِناً والبَرْقُ ممّا ... ذا الهوى قِدْماً يشُوق)
فقال لمن هذا الصوت فقلت لي فقال قد كنت سمعت فيه لحنا آخر فقلت نعم لحن ابن محرز قال هاته فغنيته فطرب وشرب رطلا ثم سقى الجارية رطلا وسقاني رطلا ثم قال غن فغنيته
(أفاطم مهلاً بعضَ هذا التدلُّل ... وإن كنتِ قد أزْمَعْتِ صرمي فأجمِلي)
فقال لي ليس هذا اللحن أريد غن رمل ابن سريج فغنيته وشرب
رطلا وسقى الجارية رطلا ثم قال حدثني فجعلت أحدثه بأحاديث القيان والمغنين طورا وأحاديث العرب وأيامها وأخبارها تارة وأنشده أشعار القدماء والمحدثين في خلال ذلك إذ دخل الفضل بن الربيع فحدثه حديث ثلاث جوار ملكهن ووصفهن بالحسن والإحسان والظرف والأدب فقال له يا عباسي هل تسخو نفسك بهن وهل لك من سلوة عنهن فقال له والله يا أمير المؤمنين إني لأسخو بهن وبنفسي فبها فداك الله ثم قام فوجه بهن إليه فغلبن على قلبه وهن سحر وضياء وخنث ذات الخال وفيهن يقول
(إنّ سِحْراً وضِياءً وخُنُثْ ... هنّ سِحْرٌ وضياءٌ وخُنُثْ)
(أخذتْ سحرٌ ولا ذنبَ لها ... ثُلُثَيْ قلبي وتِرْباها الثُّلُثْ)
حدثني الصولي قال حدثني ميمون بن هارون عن إسحاق قال
أتيت عبيد الله بن محمد بن عائشة بالبصرة فلما دخلت إليه حصرت فقال لي إن الحصر رائد الحياء والحياء عقيد الإيمان فانبسط وأزل الوحشة فلئن باعدت بيننا الأحساب لقد قربت بيننا الآداب فقلت له والله لقد سررتني بخطابك وزدتني ببرك عجزا عن جوابك ولله در القطامي حيث يقول
(أمّا قريشٌ فلن تلقاهمُ أبداً ... إلاّ وهم خيرُ من يَحْفَى ويَنتعِلُ
أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال حدثني أبو هفان قال
وجه أحمد بن هشام إلى إسحاق الموصلي بزعفران رطب وكتب إليه
(اشربْ على الزعفرانِ الرَّطْبِ مُتَّكِئاً ... وانعمْ نَعِمْتَ بطول اللّهو والطّربِ)
(فحُرْمة الكأس بين الناس واجبةٌ ... كحرمة الوُدَّ والأرحام والأدب)
قال فكتب إليه إسحاق
(أُذكر أبا جعفرٍ حقًّا أمُتّ به ... أنّي وإياكَ مَشْغوفان بالأدبِ)
(وأننا قد رضعنا الكأسَ دِرَّتَها ... والكأسُ حرمتُها أولى من النَّسب)
حدثنا الصولي قال حدثني محمد بن موسى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال لما أراد الفضل بن يحيى الخروج إلى خراسان ودعته ثم أنشدته بعد التوديع
(فِراقُكَ مثلُ فِراق الحياةِ ... وفقدُكَ مثلُ افتقاد الدِّيَمْ)
(عليكَ السلامُ فكم من وفاء ... أفارق فيك وكم من كَرَمْ)
قال فضمني إليه وأمر لي بألف دينار وقال لي يا أبا محمد لو حليت هذين البيتين بصنعة وأودعتهما من يصلح من الخارجين معنا لأهديت بذلك إلي أنسا وأذكرتني بنفسك ففعلت ذلك وطرحته على بعض المغنين فكان كتابه لا يزال يرد

علي ومعه ألف دينار يصلني بذلك كلما غني بهذا الصوت
قال الصولي وهو من طريقة الرمل
أخبرني عمي قال حدثني عمر بن شبة عن إسحاق قال
قال لي الأصمعي لما خرجنا مع الرشيد إلى الرقة قال لي هل حملت معك شيئا من كتبك فقلت نعم حملت منها ما خف حمله فقال كم فقلت ثمانية عشر صندوقا فقال هذا لما خففت فلو ثقلت كم كنت تحمل فقلت أضعافها فجعل يعجب
شعر إسحاق في المعتصم
أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق قال
لما ولي المعتصم دخلت إليه في جملة الجلساء والشعراء فهنأه القوم نظما ونثرا وهو ينظر إلي مستنطقا فأنشدته
صوت
(لاحَ بالمَفْرِق منك القَتِيرُ ... وذَوَى غصنُ الشّباب النَّضِيرُ)
(هزئتْ أسماءُ منّي وقالتْ ... أنت يابنَ الموصليّ كبير)
(ورأت شيباً برأسي فصدّتْ ... وابنُ ستّين بشَيْب جدير)
(لا يَرُوعنَّكِ شيْبي فإنّي ... مع هذا الشّيب حُلْوٌ مَزِيرُ)
(قد يَفُلّ السيفُ وهو جرازٌ ... ويَصُول الليثُ وهو عقِير)
(يا بني العبّاس أنتمْ شفاءٌ ... وضياءٌ للقُلوب ونور)
(أنتُم أهل الخلافةِ فينا ... ولكم منبرُها والسرير)
(لا يزال المُلك فيكم مَدَى الدَّهر ... مُقيماً ما أقام ثَبِير)
(وأبو إسحاق خير إمامٍ ... ماله في العالمين نظير
(ما له فيما يَريش ويَبْري ... غير توفيق الإله وزير)
(واضح الغرّة للخير فيه ... حين يبدو شاهدٌ وبشير)
(زانه هَدْيٌ تُقىً وجلالٌ ... وعفافٌ ووقارٌ وخِير)
(لو تُباري جودَه الريحُ يوماً ... نَزَعَتْ وهي طَلِيحٌ حَسير)
قال فأمر لي بجائزة فضلني بها على الجماعة
ثم دخلت إليه يوم
مقدمه من غزاته فأنشدته قولي فيه
صوت
(لأسماءَ رسمٌ عفا باللِّوَى ... أقامَ رهيناً لطول البِلى)
(تعاوَرَه الدهرُ في صرْفه ... بكرِّ الجديدين حتى عفا)
(إذ البينُ لم تَخْشَ رَوْعاته ... ولم يصرفِ الحيَّ صَرْفُ الرَّدى)
(وإذ ميْعة اللهو يجري بنا ... وحبلُ الوصال متينُ القُوى)
(فذلك دهرٌ مضى فابْكِهِ ... ومَنْ ضاق ذَرْعاً بأمرٍ بكى)
(وهل يشفِينَّك من غُلَّة ... بكاؤك في إثْر ما قد مضى)
(إلى ابن الرشيد إمامِ الهدى ... بعثنا المطيَّ تَجُوب الفَلاَ)
(إلى مَلِكٍ حلّ من هاشمٍ ... ذُؤَابةِ مجدٍ مُنيفِ الذُّرى)
(إذا قيل أيُّ فتى هاشمٍ ... وسيّدُها كان ذاك الفتى
(به نَعَش الله آمالَنا ... كما نَعَش الأرضَ صَوْبُ الحَيَا
(إذا ما نوى فِعْلَ أُكْرُومةٍ ... تجاوز من جُوده ما نَوى)
(كساه الإلهُ رداءَ الجمال ... ونورَ الجلال وهَدْيَ التقى)
قال فأمر لي بجائزة وقال لست أحسب هذا لك إلا بعد أن تقرن صناعتك فيه بالأخرى يعني أن أغني فيه وفي هزئت أسماء مني فصنعت في
(... هزئت أسماء مني)
لحنا وفي
(... لأسماء رسم عفا باللّوى)
لحنا آخر وغنيته بهما فأمر لي بألفي دينار
نسبة هذين الصوتين
(هزئتْ أسماءُ مني وقالت ... أنت يابنَ الموصليّ كبيرُ)
لحن إسحاق في أربعة أبيات متوالية من الشعر ثقيل أول بالوسطى
والآخر
(لأسماءَ رسمٌ عفا باللِّوَى ... أقام رَهِيناً لطُول البِلَى)
الغناء لإسحاق ثاني ثقيل بالوسطى
أخبرني يحيى بن علي قال حدثني أبي قال حدثني أحمد بن عبيد الله ابن أبي العلاء قال غنيت يوما بين يدي الواثق لحن إسحاق في
(هَزِئتْ أسماءُ مني وقالت ... أنت يا بنَ الموصليّ كبيرُ)
قال فنظر إلي مخارق نظر شزرا وعض شفته علي فلما خرجنا من
بين يدي الواثق قلت يا أستاذ لم نظرت إلي ذلك النظر أأنكرت علي شيئا أم أخطأت في غنائي فقال لي ويحك أتدري أي صوت غنيت إن إسحاق جعل صيحة هذا الصوت بمنزلة طريق ضيق وعر صعب المرتقى أحد جانبي ذلك الطريق حرف الجبل وعن جانبه الآخر الوادي فإن مال مرتقيه عن محجته إلى جانب الوادي هوى وإن مال إلى الجانب الآخر نطحه حرف الجبل فتكسر صر إلي غدا حتى أصححه لك
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال حدثت من غير وجه

أن إسحاق بات ليلة عند المعتصم وهو أمير فسمع لحنا لعبد الوهاب المؤذن أذن به على باب المعتصم فأصغى إليه فأعجبه فأعاد المبيت ليلة أخرى عنده حتى استقام له اللحن فبنى عليه لحنه
(... هزئت أسماءُ منِّي وقالتْ)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبي
أن إبراهيم بن المهدي فصد يوما فكتب إليه إسحاق يتعرف خبره ويدعو له بالسلامة وحسن العقبى وكتب إليه إني سأهدي إليك هدية للفصد حسنة فوجه إليه بديحا غلامه فغناه ه في
(... هزئتْ أسماءُ منّي وقالتْ)
فاستحسنه إبراهيم وقال له قد قبلنا الهدية فإن كان أذن لك في طرحه على الجواري فافعل فقال له بذلك أمرني وقال لي إنك ستقول لي هذا القول فقال إن قاله لك فقل له لو لم آمرك بطرحه لم يكن هدية فضحك إبراهيم وألقاه بديح على جواريه
وقد ذكر علي بن
محمد بن نصر هذا الخبر فذكر أنه كتب إلى أبيه بهذه الهدية وهذا خطأ لأن الشعر في تهنئة المعتصم بالخلافة وإبراهيم الموصلي مات في حياة الرشيد فكيف يهدي إليه هذا الصوت
أخبرنا يحيى بن علي قال حدثني أبي قال حدثني أحمد بن أبي العلاء قال
اندفع محمد بن الحارث بن بسخنر يوما يغني هذا الصوت فالتفت إلينا مخارق فقال خرج ابن الزانية
إسحاق يحاور علويه في مجلس الفضل بن الربيع
حدثني عمي قال حدثني أبو جعفر محمد بن الدهقانة النديم قال حدثني أحمد بن يحيى المكي قال
دعاني الفضل بن الربيع ودعا علويه ومخارقا وذلك في أيام المأمون بعد رجوعه ورضاه عنه إلا أن حاله كانت ناقصة متضعضعة فلما اجتمعنا عنده كتب إلى إسحاق الموصلي يسأله أن يصير إليه ويعلمه الحال في اجتماعنا عنده فكتب إليهم لا تنتظروني بالأكل فقد أكلت وأنا أصير إليكم بعد ساعة فأكلنا وجلسنا نشرب حتى قرب العصر ثم وافى إسحاق فجلس وجاء غلامه بقطرميز نبيذ فوضعه ناحية وأمر صاحب الشراب بإسقائه منه وكان علويه يغني الفضل بن الربيع في لحن لسياط اقترحه الفضل عليه وأعجبه وهو
(فإن تَعْجَبي أو تُبصري الدّهرَ طَمَّني ... بأحداثه طَمَّ المقصَّص بالجَلَمْ)
((فقد أترك الأضيافَ تَنْدَى رحالُهم ... وأكرمهم بالمَحْض والتَّامِك السَّنِم
ولحنه من الثقيل الثاني فقال له إسحاق أخطأت يا أبا الحسن في أداء هذا الصوت وأنا أصلحه لك فجن علويه واغتاظ وقامت قيامته ثم أقبل على علويه فقال له يا حبيبي ما أردت الوضع منك بما قلته لك وإنما أردت تهذيبك وتقويمك لأنك منسوب الصواب والخطأ إلى أبي وإلي فإن كرهت ذلك تركتك وقلت لك أحسنت وأجملت فقال له علويه والله ما هذا أردت ولا أردت إلا ما لا تتركه أبدا من سوء عشرتك أخبرني عنك حين تجيء هذا الوقت لما دعاك الأمير وعرفك أنه قد نشط للاصطباح ما حملك على الترفع عن مباكرته وخدمته مع صنائعه عندك وما كان ينبغي أن يشغلك عنه شيء إلا الخليفة ثم تجيئه ومعك قطرميز نبيذ ترفعا عن شرابه كما ترفعت عن طعامه ومجالسته إلا كما تشتهي وحين تنشط كما تفعل الأكفاء بل تزيد على فعل الأكفاء ثم تعمد إلى صوت قد اشتهاه واقترحه وسمعه جميع من حضر فما عابه منهم أحد فتعيبه ليتم تنغيصك إياه لذته أما والله لو الفضل بن يحيى أو أخوه جعفر دعاك إلى مثل ما دعاك إليه الأمير بل بعض أتباعهم لبادرت وباكرت وما تأخرت ولا اعتذرت قال فأمسك الفضل عن الجواب إعجابا بما خاطب به علويه إسحاق فقال له إسحاق أما ما ذكرته من تأخري عنه إلى الوقت الذي حضرت فيه فهو يعلم أني لا أتأخر عنه إلا بعائق قاطع إن وثق بذلك مني وإلا ذكرت له الحجة سرا من حيث لا يكون لك ولا لغيرك فيه مدخل
وأما ترفعي عنه فكيف أترفع عنه وأنا أنتسب إلى صنائعه وأستمنحه وأعيش من فضله مذ كنت وهذا تضريب لا أبالي به منك
وأما حملي النبيذ معي فإن لي في النبيذ شرطا من طعمه وريحه وإن لم أجده لم أقدر على الشرب وتنغص علي يومئذ وإنما حملته ليتم نشاطي وينتفع بي
وأما طعني على ما اختاره فإني لم أطعن على اختياره وإنما أردت تقويمك ولست والله تراني متتبعا لك بعد هذا اليوم ولا مقوما شيئا من خطئك وأنا أغني له أعزه الله هذا الصوت فيعلم وتعلم ويعلم من حضر أنك أخطأت فيه وقصرت
وأما البرامكة وملازمتي لهم فأشهر من أن أجحده وإني لحقيق فيه بالمعذرة وأحرى أن أشكرهم على صنيعهم وبأن أذيعه وأنشره وذلك والله أقل ما يستحقونه مني
ثم أقبل على الفضل وقد غاظه مدحه لهم فقال اسمع مني شيئا أخبرك به مما فعلوه ليس هو بكبير في صنائعهم عندي ولا عند أبي قبلي فإن وجدت لي عذرا وإلا فلم كنت في ابتداء أمري نازلا مع أبي في داره فكان لا يزال يجري بين غلماني وغلمانه وجواري وجواريه الخصومة كما تجري بين هذه الطبقات فيشكونهم إليه فأتبين الضجر والتنكر في وجهه فاستأجرت دارا بقربه وانتقلت إليها أنا وغلماني وجواري وكانت دارا وساعة فلم أرض ما معي من الآلة لها ولا لمن يدخل إلي من أخواني أن يروا مثله عندي ففكرت في ذلك وكيف أصنع وزاد فكري حتى خطر بقلبي قبح الأحدوثة من نزول مثلي في دار بأجرة وأني لا آمن في وقت أن يستأذن علي صاحب داري وعندي من أحتشمه ولا يعلم حالي فيقال صاحب دارك أو يوجه في وقت فيطلب أجرة الدار وعندي من أحتشمه فضاق بذلك صدري ضيقا شديدا حتى جاوز الحد فأمرت غلامي بأن يسرج لي حمارا كان عندي لأمضي إلى الصحراء أتفرج فيها مما دخل على قلبي فأسرجه وركبت برداء ونعل فأفضى بي المسير وأنا مفكر لا أميز الطريق التي أسلك فيها حتى هجم بي على باب يحيى بن خالد فتواثب غلمانه إلي وقالوا أين هذا الطريق فقلت إلى الوزير فدخلوا فاستأذنوا لي وخرج الحاجب فأمرني بالدخول وبقيت خجلا قد وقعت في أمرين فاضحين إن دخلت إليه برداء ونعل وأعلمته أني قصدته في تلك الحال كان سوء أدب وإن قلت له كنت مجتازا ولم أقصدك فجعلتك
طريقا كان قبيحا ثم عزمت فدخلت فلما رآني تبسم وقال ما هذا الزي يا أبا محمد احتبسنا لك بالبر والفصد والتفقد ثم علمنا أنك جعلتنا طريقا فقلت لا والله يا سيدي ولكني أصدقك قال هات فأخبرته القصة من أولها إلى آخرها فقال هذا حق مستو أفهذا شغل قلبك قلت أي والله وزاد فقال لا تشغل قلبك بهذا يا غلام ردوا حماره وهاتوا له خلعة فجاؤوني بخلعة تامة من ثيابه فلبستها ودعا بالطعام فأكلت ووضع النبيذ فشربت وشرب فغنيته ودعا في وسط ذلك بدواة ورقعة

وكتب أربع رقاع ظننت بعضها توقيعا لي بجائزة فإذا هو قد دعا بعض وكلائه فدفع إليه الرقاع وساره بشيء فزاد طمعي في الجائزة ومضى الرجل وجلسنا نشرب وأنا أنتظر شيئا فلا أراه إلى العتمة ثم اتكأ يحيى فنام فقمت وأنا منكسر خائب فخرجت وقدم لي حماري فلما تجاوزت الدار قال لي غلامي إلى أين تمضي قلت إلى البيت قال قد والله بيعت دارك وأشهد على صاحبها وابتيع الدرب كله ووزن ثمنه والمشتري جالس على بابك ينتظرك ليعرفك وأظنه اشترى ذلك للسلطان لأني رأيت الأمر في استعجاله واستحثاثه أمرا سلطانيا فوقعت من ذلك فيما لم يكن في حسابي وجئت وأنا لا أدري ما أعمل فلما نزلت على باب داري إذ أنا بالوكيل الذي ساره يحيى قد قام إلي فقال لي ادخل أيدك الله دارك حتى أدخل إلى مخاطبتك في أمر أحتاج إليك فيه فطابت نفسي بذلك ودخلت ودخل إلي فأقرأني توقيع يحيى يطلق لأبي محمد إسحاق مائة ألف درهم يبتاع له بها داره وجميع ما يجاورها ويلاصقها

والتوقيع الثاني إلى ابنه الفضل قد أمرت لأبي محمد إسحاق بمائة ألف درهم يبتاع له بها داره فأطلق إليه مثلها لينفقها على إصلاح الدار كما يريد وبنائها على ما يشتهي

والتوقيع الثالث إلى جعفر قد أمرت لأبي محمد إسحاق بمائة ألف درهم يبتاع له بها منزل يسكنه وأمر له أخوك بدفع مائة ألف درهم ينفقها على بنائه ومرمتها على ما يريد فأطلق له أنت مائة ألف درهم يبتاع بها فرشا لمنزله

والتوقيع الرابع إلى محمد قد أمرت لأبي محمد إسحاق أنا وأخواك بثلاثمائة ألف درهم لمنزل يبتاعه ونفقة ينفقها عليه وفرش يبتذله فمر له أنت بمائة ألف درهم يصرفها في سائر نفقته

وقال الوكيل قد حملت المال واشتريت كل شيء جاورك بسبعين ألف درهم وهذه كتب الابتياعات باسمي والإقرار لك وهذا المال بورك لك فيه فاقبضه فقبضته وأصبحت أحسن حالا من أبي في منزلي وفرشي وآلتي ولا والله ما هذا بأكبر شيء فعلوه لي أفألام على شكر هؤلاء فبكى الفضل بن الربيع وكل من حضر وقالوا لا والله لا تلام على شكر هؤلاء ثم قال الفضل بحياتي غن الصوت ولا تبخل على أبي الحسن بأن تقومه له فقال أفعل وغناه فتبين علويه أنه كما قال فقام فقبل رأسه وقال أنت أستاذنا وابن أستاذنا وأولى بتقويمنا واحتمالنا من كل أحد ورده إسحاق مرات حتى استوى لعلويه

ولقد روي في هذا الخبر بعينه أن هذه القصة كانت عند علي بن هشام وقد أخبرني بهذا الخبر أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني ميمون بن هارون وأبو عبد الله الهاشمي قالا

دعا علي بن هشام إسحاق الموصلي وسأله أن يصطبح عنده ويبكر فأجابه فلما كان الغد وافاه ظهرا وعنده مخارق وعلويه فقال له علي بن هشام أين كنت الساعة يا أبا محمد قال عاقني أمر لم أجد من القيام به بدا فدعا له بطعام فأصاب منه ثم قعدوا على نبيذهم وتغنى علويه صوتا الشعر فيه لابن ياسين وهو

الصوت

(إلهي مَنَحتَ الوُدّ منّي بخيلةً ... وأنت على تغيير ذاك قديرُ)

((شفاءُ الهوى بثُّ الهوى واشتكاؤُه ... وإنّ امرأً أخفى الهوى لصَبور

الغناء لسليمان أخي أحيحة خفيف ثقيل أول بالبنصر عن عمرو فقال له إسحاق أخطأت ويلك فوضع علويه العود وشرب رطلا وشرب علي بن هشام ثم تناول العود وغنى

صوت

(ولقد أسْمُو إلى غُرَفٍ ... في طريقٍ مُوحشٍ جُدَدُهْ)

(حوله الأحراسُ تحرُسه ... ولديه جاثماً أسَدُهْ)

الغناء لمعبد ثقيل أول بالوسطى عن عمرو فقال له إسحاق أخطأت ويلك فوضع العود من يده ثم أقبل على إسحاق فقال له دعاك الأمير أعزه الله لتبكر إليه فجئته ظهرا وغنيت صوتين يشتهيهما الأمير أعزه الله علي فخطأتني فيهما وزعمت أنك لا تغني بين يدي الأمير أعزه الله ولا تغني إلا بين يدي خليفة أو ولي عهد ولو دعاك بعض البرامكة لكنت تسرع إليه ثم تغني منذ غدوة إلى الليل فقال إسحاق إني والله ما أردت انتقاصا منك ولا أقول مثله لغيرك ولا أريد ازدراء من أحد ولكني أردت بك خاصة التقويم والتأديب فإن ساءك ذلك تركتك في خطئك

ثم أقبل على علي بن هشام فقال له أعزك الله إني أحدثك عن البرامكة بما يقيم عذري فيما ذكره دخلت على يحيى بن خالد يوما ولم أكن أردت الدخول عليه وإنما ركبت متبذلا لهم أهمني وكنت نازلا مع أبي في داره فضقت صدرا بذلك وأحببت النقلة عنه ونظرت فإذا يدي تقصر عما يصلحني ثم ذكر الخبر نحوا مما قلته

وزاد فيه أنه دخل إلى يحيى بن خالد وهو مصطبح فلما رآه نعر وصفق وأنه وقع له بمائتي ألف درهم

ووقع له كل من جعفر والفضل بمائة وخمسين ألفا وكل واحد من موسى ومحمد بمائة ألف مائة ألف

وقال فيه فبكى علي بن هشام ومن حضر وقالوا لا يرى والله مثل هؤلاء أبدا وأخذ إسحاق العود فغنى الصوتين فأتى فيهما بالعجائب فقام علويه فقبل رأسه وقال له أنت أستاذنا وابن أستاذنا وما بنا عن تقويمك غنى ثم غنى بعد ذلك لحنه تشكى الكميت الجري ولم يزل يغني بقية يومه كلما شرب علي بن هشام ثم انصرف فأتبعه علي ابن هشام بجائزة سنية

عبد الله بن العباس الربيعي يشهد له بتفوقه في الصنعة

حدثني الصولي قال حدثنا عون بن محمد قال حدثني عبد الله بن العباس الربيعي قال

أحضرني إسحاق بن إبراهيم بن مصعب فلما جلست وأطمأننت أخرج إلي خادمه رقعة فقال اقرأ ما فيها واعمل بما رسمه الأمير أعزه الله فقرأتها فإذا فيها قوله

صوت

(يرتاح للدّجْن قلبي وهو مقتسَمٌ ... بين الهموم ارتياحَ الأرض للمطر)

(إني جعلتُ لهذا الدَّجْن نِحْلَتَه ... ألاّ يزولَ ولي في اللهو من وَطَر)

وتحت هذين البيتين تقدم جعلت فداك إلى من بحضرتك من المغنين بأن يغنوا في هذين البيتين وألق جميع ما يصنعونه على فلانة فإذا أخذته فأنفذها إلي مع رسولي فقلت السمع والطاعة لأمر الأمير أعزه الله

فهل صنع فيهما أحد قبلي فقال نعم إسحاق الموصلي فقلت والله لو كلف إبليس أن يصنع فيهما صنعة يفضل إسحاق فيها بل يساويه بل يقاربه ما قدر على ذلك ولا بلغ مبلغه فضحك حتى استلقى وقال صدقت والله وهكذا يقول من يعقل لا كما يقول هؤلاء الحمقى ولكن اصنع فيهما على كل حال كما أمر فقلت أفعل وقد برئت من العهدة فانصرفت فصنعت

فيهما صنعة كانت والله عند صنعة إسحاق بمنزلة غناء القرادين
حدثني جحظة قال حدثني ميمون قال حدثني إسحاق الموصلي قال
قال لي المعتصم أو قال لي الواثق لقد ضحك الشيب في عارضيك فقلت نعم يا سيدي وبكيت ثم قلت أبياتا في الوقت وغنيت فيها
(تولَّى شبابُك إلا قليلاَ ... وحَلّ المَشيب فصبراً جميلاَ)
(كفى حَزَناً بِفراق الصِّبا ... وإن أصبح الشيبُ منه بَدِيلاَ)
(ولمّا رأى الغانياتُ المَشيب ... أغضَيْنَ دونك طَرْفاً كَلِيلاَ)
(سأندُب عهداً مضى للصِّبا ... وأبكي الشبابَ بكاء طويلاَ)
فبكى الواثق وحزن وقال والله لو قدرت على رد شبابك لفعلت بشطر ملكي فلم يكن لكلامه عندي جواب إلا تقبيل البساط بين يديه
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني حمدون ابن إسماعيل قال لما صنع أبوك لحنه في
(قِفْ بالديار التي عَفَا القِدَمُ ... وغيَّرتْها الأرواحُ والدِّيَمُ)
رأيتهم يعني المغنين يأخذونه عنه ويجهدون فيه فتوفي والله وما أخذوا منه إلا رسمه
نسبة هذا الصوت
صوت
(قِفْ بالديار التي عَفَا القِدَمُ ... وغيَّرتْها الأرواحُ والدِّيَمُ)
(لمّا وقفْنا بها نسائِلُها ... فاضت من القوم أعينٌ سُجُمُ)
(ذِكْراً لعيشٍ إذا ذكروا ... ما فات منه فإنه سَقَمُ)
(وكل عيش دامت غضارتُه ... منقطِعٌ مرّةً ومنصرِمُ)
الشعر والغناء لإسحاق ثقيل أول بالوسطى من جميع أغانيه
حدثني أبو أيوب المديني قال حدثني هارون اليتيم قال حدثني عجيف ابن عنبسة قال
كنت عند أمير المؤمنين المعتصم وعنده إسحاق الموصلي فغناه
(قُلْ لمن صَدّ عاتبَا ... ونأى عنكَ جانبَا)
فأمره بإعادته فأعاده ثلاثا وشرب عليه ثلاثا فقال له إبراهيم بن المهدي قد استحسنت هذا الصوت يا أمير المؤمنين أفنأخذه قال نعم خذوه فقد أعجبني فاجتمع جماعة المغنين مخارق وعلويه وعمرو ابن بانة وغيرهم فأمره المعتصم أن يلقيه عليهم حتى يأخذوه فقال عجيف فعددت خمسين مرة قد أعاده فيها عليهم وهم يظنون أنهم قد أخذوه ولم يكونوا أخذوه
قال هارون فنحن في هذا الحديث إذ دخل علينا محمد ابن الحارث بن بسخنر فقال له عجيف يا أبا جعفر كنت أحدث أبا موسى بحديثنا البارحة مع إسحاق في الصوت وأني عددت خمسين مرة فقال محمد إي والله أصلحك الله ولقد عددت أنا أكثر من سبعين مرة وما في القوم أحد إلا وهو يظن أنه قد أخذه والله ما أخذه أحد منهم وأنا أولهم ما قدرت علم الله على أخذه على الصحة وأنا أسرعهم أخذا فلا
أدري ألكثرة زوائده فيه أم لشدة صعوبته ومن يقدر أن يأخذ من ذلك الشيطان شيئا
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني عجيف بن عنبسة بهذا الخبر فذكر مثله سواء
قال أبو أيوب وحدثني حماد عن أبيه قال
كنت يوما عند المعتصم فمر شعر على هذا الوزن فقال وددت أنه على غير ما هو فقلت له أنا لك به على هذا الوزن في أحسن من هذا الشعر
صوت
(قُلْ لمن صدّ عاتبَا ... ونأى عنك جانبَا)
(قد بلغتَ الذي أردت ... وإن كنت لاعبا)
فأعجبه وقال لي قد والله أحسنت وأمر لي بألفي دينار ووالله ما كانت قيمتهما عندي دانقين
الشعر والغناء في هذين البيتين لإسحاق ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى
الأمين يغضب عليه فيتشفع إليه بالفضل
أخبرني يحيى بن علي قال حدثني أبو أيوب المديني قال حدثني ابن المكي عن إسحاق قال
غضب علي المخلوع فأقصاني وجفاني فاشتد ذلك علي قال
وجفاني وهو يومئذ بالأنبار فجملت عليه بالفضل بن الربيع فطلب إليه فشفعه المخلوع ودعاني وهو مصطبح فلم أزل متوقفا وقد لبست قباء وخفا أحمر واعتصبت بعصابة صفراء وشددت وسطي بشقة حمراء من حرير فلما أخذوا في الأهزاج دخلت وفي يدي صفاقتان وأنا أتغنى
صوت
(اسمع لصوتٍ طَرِيبٍ ... من صَنْعةِ الأنْباري)
(صوتٍ مليح خفيف ... يطير في الأوْتار)
الشعر والغناء لإسحاق هزج بالبنصر فسر بذلك محمد وكان صوتهم في يومهم ذلك وأمر لي بثلثمائة ألف درهم
وأخبرني جحظة بهذا الخبر عن محمد بن أحمد بن يحيى المكي قال حدثني أبي أن إسحاق حدثه بهذا الخبر وذكر مثل ما ذكره يحيى وزاد فيه قال وكان سبب تسمية محمد لي ب الأنباري أني دخلت عليه يوما وقد لثت عمامتي على رأسي لوثا غير مستحسن فقال لي يا إسحاق كأن عمامتك من عمائم أهل الأنبار
أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي الفضل عن إسحاق وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني عمي الفضل عن إسحاق وأخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني أبي
قال إسحاق قلت في ليلة من الليالي
صوت
(هل إلى نظرةٍ إليكِ سبيلُ ... يُرْوَ منها الصَّدَى ويُشْفَى الغليلُ)

(إنْ ما قلّ منك يكثُر عندي ... وكثيرٌ ممن تحبّ القليلُ)
قال فلما أصبحت أنشدتهما الأصمعي فقال هذا الديباج الخسرواني هذا الوشي الإسكندراني لمن هذا فقلت له إنه ابن ليلته فتبينت الحسد في وجهه وقال أفسدته أفسدته أما إن التوليد فيه لبين
في هذين البيتين لإسحاق خفيف ثقيل بالبنصر
أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيى قال حدثني إسحاق بهذا الخبر فذكر مثل ما ذكره من قدمت الرواية عنه وزاد فيه فقال لي علي بن يحيى بعقب هذا الخبر كان إسحاق يعجب بهذا المعنى ويكرره في شعره ويرى أنه ما سبق إليه فمن ذلك قوله
صوت
(أيُّها الظّبيُ الغَريرُ ... هل لنا منك مُجِيرُ)
(إنَّ ما نَوّلتني منك ... وإنْ قلَّ كثير)
لحن إسحاق خفيف ثقيل بالوسطى فقلت إنك قد سبقت إلى هذا المعنى فقال ما علمت أن أحدا سبقني إليه فأنشدته لأعرابي من بني عقيل
(قِفي ودِّعينا يا مليحُ بنظرةٍ ... فقد حان مّنا يا مليح رحيلُ)
(أليس قليلاً نظرةٌ إنْ نظرتُها ... إليكِ وكَلا ليس منك قليل)
((عُقَيْلِيّةٌ أمّا مَلاثُ إزارها ... فوَعْثٌ وأما خَصْرها فضئيل
صوت
(أيا جنّةَ الدنيا ويا غايةَ المُنى ... ويا سُؤْلَ نفسي هل إليك سبيلُ)
(أراجعةٌ نفسي إليّ فأغتدِي ... مع الرَّكْب لم يُقْتل عليك قتيل)
(فما كلَّ يومٍ لي بأرضك حاجةٌ ... ولا كلَّ يومٍ لي إليكِ رسول)
قال فحلف أنه ما سمع بذلك قط
قال علي بن يحيى وصدق ما سمع بها
الغناء في الأبيات الأخيرة من أبيات العقيلي
إبراهيم بن المهدي يعاتب إسحاق
حدثني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الحسين بن محمد بن أبي طالب الديناري بمكة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال
عاتبني إبراهيم بن المهدي في ترك المجيء إليه فقال لي من جمع لك مع المودة الصادقة رأيا حازما فاجمع له مع المحبة الخالصة طاعة لازمة فقلت له جعلني الله فداك إذا ثبتت الأصول في القلوب نطقت الألسن بالفروع والله يعلم أن قلبي لك شاكر ولساني بالثناء عليك ناثر وما يظهر الود المستقيم إلا من القلب السليم قال فأبرئ ساحتك عندي بكثرة مجيئك إلي فقلت أجعل مجيئي إليك في الليل والنهار نوبا أتيقظ لها كتيقظي للصلوات الخمس وأكون بعد ذلك مقصرا فضحك وقال من يقدر على جواب المغنين فقلت من اتخذ الغناء لنفسه ولم يتخذه لغيره فضحك أيضا وأمر لي بخلع ودنانير وبرذون وخادم
وبلغ الخبر المعتصم فضاعف لإبراهيم ما أعطاني فرحت وقد ربحت وأربحت
حدثنا الحرمي قال حدثنا الديناري قال حدثني إسحاق قال
عتب علي الفضل بن الربيع في شيء بلغه عني فكتبت إليه إن لكل ذنب عفوا وعقوبة فذنوب الخاصة عندك مستورة مغفورة فأما مثلي من العامة فذنبه لا يغفر وكسره لا يجبر فإن كنت لا بد معاقبي فإعراض لا يؤدي إلى مقت
حدثني الحرمي قال حدثنا الديناري قال حدثني إسحاق قال
كان يختلف إلي رجل من الأعراب وكان الفضل بن الربيع يقربه ويستظرف كلامه وكان عندي يوما وجاء رسول الفضل يطلبه فمضى إليه فقال له الفضل فيم كنتم قال كنا في قدر تفور وكأس تدور وغناء يصور وحديث لا يحور
إسحاق يقول الشعر على ألسن الأعراب
حدثنا الحرمي قال حدثنا الحسين بن طالب قال
كان إسحاق يقول الشعر على ألسن الأعراب وينشده للأعراب وكان يعايي بذلك أصحابه ويغرب عليهم به فمن ذلك ما أنشدنيه لأعرابي
(لفَظَ الخدورُ عليكِ حُوراً عِينَا ... أنسَيْنَ ما جمع الكِناسُ قَطِينَا)
(فإذا بَسَمْنَ فعَنْ كمثل غمامةٍ ... أو أُقْحُوان الرمل بات مَعِينا)
(وأصحُّ من رأتِ العيونُ محاجراً ... ولهنّ أمرضُ ما رأيت عيونا)
((وكأنما تلك الوجوهُ أهِلَّةٌ ... أقْمَرْنَ بين العشْر والعشرينا
(وكأنهنّ إذا نَهَضْنَ لحاجةٍ ... ينهضن بالعَقدَاتِ من يَبْرِينَا)
قال وأنشدني أيضا مما كان ينسبه إلى الأعراب وهو له
(ومكحولة العينين من غير ما كُحْلِ ... مُهفْهَفَة الكَشْحَيْن ذات شَوىً خَدْلِ)
(مُنَعَّمَة الأطراف مُفْعَمة البُرَى ... روادفُها تَحكِي الدَّهاسَ من الرمل)
(صَيُود لألباب الرجال متى رنتْ ... إلي ذي نُهىً جَلْد القُوَى وافر العقل)
(تخلّى النُّهى عنه وحالفه الصِّبا ... وأسلمه الرأيُ الأصيل إلى الجهل)
(شبيبة كُثْبانٍ يَرُوقك تحتها ... عناقيدُ كرمٍ جادَها غدَق الوَبْل)
(رمتْني فحلّت نائطيَّ ولم تُصِب ... لها نائطيْ قلبٍ ولا مَقتلاً نَبْلي)
حدثني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال حدثت عن الأصمعي قال
دخلت أنا وإسحاق الموصلي يوما على الرشيد فرأيناه لقس النفس فأنشده إسحاق يقول
صوت
(وآمرةٍ بالبخل قلتُ لها اقْصُري ... فذلِكِ شيءٌ ما إليه سبيلُ)
(أرى الناس خُلاّنَ الكرامِ ولا أرى ... بخَيلاً له حتّى المماتِ خليل)

((وإني رأيتُ البُخل يُزْري بأهله ... فأكرمتُ نفسي أنْ يُقال بخيل
(ومن خير حالاتِ الفتى لو علمتِه ... إذا نال خيراً أن يكون يُنِيل)
(فعالي فعالُ المُكْثِرين تجمُّلاً ... ومالي كما قد تعلمين قليل)
(وكيف أخافُ الفقرَ أو أُحرَمُ الغِنَى ... ورأيُ أمير المؤمنين جميل)
قال فقال الرشيد لا تخف إن شاء الله ثم قال لله در أبيات تأتينا بها ما أشد أصولها وأحسن فصولها وأقل فضولها وأمر له بخمسين ألف درهم فقال له إسحاق وصفك والله يا أمير المؤمنين لشعري أحسن منه فعلام آخذ الجائزة فضحك الرشيد وقال اجعلوها لهذا القول مائة ألف درهم
قال الأصمعي فعلمت يومئذ أن إسحاق أحذق بصيد الدراهم مني
وأخبرني بهذا الخبر جعفر بن قدامة عن حماد عن أبيه وأخبرنا به يحيى بن علي عن أبيه عن إسحاق فذكر معنى الخبر قريبا مما ذكره الأصمعي والألفاظ تختلف
أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة عن إسحاق وأخبرني به جعفر بن قدامة ووكيع عن حماد عن أبيه قال كنت عند الفضل بن الربيع يوما فدخل إليه ابن ابنه عبد الله بن العباس بن الفضل وهو طفل وكان يرق عليه لأن أباه مات في حياته فأجلسه في حجره وضمه إليه ودمعت عيناه فأنشأت أقول
صوت
(مدّ لك الله الحياةَ مَدًّا ... حتى يكون ابنُكِ هذا جَدًّا)
(مؤزَّراً بمجده مُردَّى ... ثم يُفدَّى مثلَ ما تُفَدَّى)
(أشبه منك سُنّةً وخَدًّا ... وشِيَماً مَرْضيّةً ومجدا)
((كأنه أنت إذا تَبدَّى ... شمائلاً محمودةً وقَدّا
قال فتبسم الفضل وقال أمتعني الله بك يا أبا محمد فقد عوضت من الحزن سرورا وتسليت بقولك وكذلك يكون إن شاء الله
قال جعفر بن قدامة وحدثني بهذا الحديث علي بن يحيى فذكر أن إسحاق قال هذه الأبيات للفضل بن يحيى وقد دخل عليه وفي حجره ابن له
غنى في هذه الأبيات أبو عيسى بن المتوكل لحنا من الرمل يقال إنه صنعه وقد ولد للمعتمد ولد ثم غنى به
وأخبرني ذكاء وجه الرزة عن بدعة الكبيرة أن الرمل لعريب وأن لحن أبي عيسى خفيف رمل
حدثني عمي قال حدثني الفضل بن محمد اليزيدي عن إسحاق قال
أتيت الفضل بن الربيع يوما عائدا وجاءه بنو هاشم يعودونه فقلت في مجلسي ذلك
(إذا ما أبو العباس عِيدَ ولم يَعُد ... رأيت مَعُوداً أكرمَ الناس عائدَا)
(وجاء بنو العباس يبتدرونه ... مِراضاً لما يشكوه مَثْنَى وواحدا)
(يُفَدُّونه عند السلامِ وكلُّهم ... مُجِلٌّ له يدعوه عَمًّا ووالدا)
قال وكان الفضل مضطجعا فأمر خادما له فأجلسه ثم قال لي أعد يا أبا محمد فأعدت فأمرني فكتبتها وسر بها وجعل يرددها حتى حفظها
إسحاق يسترضي الفضل بن الربيع بشعر
أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال أخبرني أبي قال قال إسحاق وأخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا محمد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق قال
جاءني الزبير بن دحمان يوما مسلما فاحتبسته فقال لي أمرني الفضل بن الربيع بالمسير إليه فقلت له
(أقِمْ يا أبا العوّام وَيْحَكَ نَشْرَبِ ... ونَلْهُ مع اللاّهين يوماً ونَطْرَبِ)
(إذا ما رأيتَ اليومَ قد جاء خيرُه ... فخُذْه بشكرٍ واتركِ الفضلَ يغضَبِ)
فأقام عندي وسررنا يومنا ثم صار إلى الفضل فسأله عن سبب تأخره عنه فحدثه الحديث وأنشده البيتين فغضب وحول وجهه عني وأمر عونا حاجبه بألا يدخلني إليه ولا يستأذن لي عليه ولا يوصل لي رقعة فقلت
(حرامٌ عليّ الكأسُ ما دُمتَ غضبانًا ... وما لم يعُد عنّي رضاك كما كانَا)
(فأحسِنْ فإني قد أسأتُ ولم تَزَلْ ... تُعوّدني عند الإساءة إحسانا)
قال وأنشدته إياهما فضحك ورضي عني وعاد إلى ما كان عليه
وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن مزيد والحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه فذكر مثله وزاد فيه فقلت في عون حاجبه
(عَوْنُ يا عونُ ليس مثلَكَ عونُ ... أنت لي عُدّةٌ إذا كان كَوْنُ)
(لك عندي والله إن رَضِي الفضل ... غلامٌ يُرضيك أو بِرْذَوْنُ)
قال فأتى عون الفضل بالشعرين جميعا فقرأهما وضحك وقال ويحك إنما عرض لك بقوله غلام يرضيك بالسوءة قال قد وعدني ما سمعت فإن شئت أن تحرمنيه فأنت أعلم فأمره أن يرسل إلي فأتاني رسوله فصرت إليه فرضي عني
أخبرني جحظة قال حدثني محمد بن أحمد بن يحيى المكي المرتجل قال حدثني أبي قال حدثني الزبير بن دحمان قال دخلت يوما على الفضل بن الربيع مسلما فقال لي قد عزمت غدا على الصبوح فصر إلي بكرة فكنت أنا والصبح كفرسي رهان فلما أصبحت في غد جعلت طريقي على إسحاق بن إبراهيم فدخلت إليه فلما جلست قال لي أقم اليوم عندي فعرفته خبري فقال
(أقِم يا أبا العوّام وَيْحَكَ نشربِ ... ونَلْهُ مع اللاّهين يوماً ونطربِ)
(إذا ما رأيتَ اليوم قد جاء خيرُه ... فخذه بشكر واتركُ الفضل يغضبِ)
فقلت إني لا آمن غضبه وأنا بين يديك فقال لي أنت تعلم أن صبوح الفضل أبدا في وقت غبوق الناس فأقم وارفق بنفسك ثم امض إليه فأجبته إلى ذلك فلما شربنا طاب لي الموضع فأقمت حتى سكرت
وذكر باقي الخبر نحوا مما ذكر إسحاق
انتهى
حدثني جحظة قال حدثني محمد بن المكي المرتجل قال قلت لزرزور الكبير كيف كان إسحاق ينفق على الخلفاء معكم وأنت وإبراهيم ابن المهدي ومخارق أطيب أصواتا وأحسن نغمة قال كنا والله يا بني نحضر معه فنجتهد في الغناء ونقيم

الوهج فيه ويقبل علينا الخلفاء حتى نطمع فيه ونظن أنا قد غلبناه فإذا غنى عمل في غنائه أشياء من مداراته وحذقه ولطفه حتى يسقطنا كلنا ويقبل عليه الخليفة دوننا ويجيزه دوننا ويصغي إليه ونرى أنفسنا اضطرارا دونه
إسحاق أول من أحدث التخنيث في الغناء
حدثنا جحظة قال حدثني محمد بن أحمد المكي قال حدثني أبي قال
كان المغنون يجتمعون مع إسحاق وكلهم أحسن صوتا منه ولم يكن فيه عيب إلا صوته فيطمعون فيه فلا يزال بلطفه وحذقه ومعرفته حتى يغلبهم ويبذهم جميعا ويفضلهم ويتقدمهم
قال وهو أول من أحدث التخنيث ليوافق صوته ويشاكله فجاء معه عجبا من العجب وكان في حلقة نبو عن الوتر
اخبرني يحيى بن علي قال أخبرنا أبو العبيس بن حمدون أن إسحاق أول من جاء بالتخنيث في الغناء ولم يكن يعرف وإنما احتال بحذقه لمنافرة حلقه الوتر حتى صار يجيبه ببعض التخنيث فيكون أحسن له في السمع
أخبرنا جحظة قال حدثني الهشامي عن أبيه قال
كان المغنون إذا حضروا وليس إسحاق معهم غنوا هوينى وهم غير مفكرين فإذا حضر إسحاق لم يكن إلا الجد
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني إسحاق الموصلي قال
قال لي أبي وقد انصرف من دار الرشيد رأيت الأمير جعفر بن يحيى يستبطئك ويقول لست أراه ولا يغشاني فقلت إني لآتيه كثيرا فأحجب عنه ويصرفني نافذ حاجبه ويقول هو على شغل قال فبلغه أبي ذلك فقال له قل له أنكه أمه إذا فعل فأقمت أياما ثم كتبت إليه
(جُعِلتُ فداءكَ من كل سوءٍ ... إلى حُسْنِ رأيك أشكو أُناسَا)
(يَحُولون بيني وبين السلام ... فلستُ أُسلِّم إلاّ اختلاسا)
(وأنفذتُ أمرك في نافذٍ ... فما زاده ذاك إلاّ شِماسا)
وقد أخبرني الخبر محمد بن مزيد عن حماد عن أبيه فذكر مثله وقال كان خادم يحجبه يقال له نافذ فقال إذا حجبك فنكه فلما كتبت إليه بهذه الأبيات بعث فأحضرني فلما دخلت إليه أحضر نافذا وقرأ الأبيات عليه وقال لي أفعلتها يا عدو الله فغضب نافذ حتى كاد يبكي وجعل جعفر يضحك ويصفق ثم ما عاد بعد ذلك يتعرض لي
حدثني الحسين بن أبي طالب قال حدثني عبيد الله بن المأمون وأخبرنا اليزيدي عن عمه عبيد الله عن أبيه قال
غضب المأمون على إسحاق بن إبراهيم ثم كلم فيه فرضي عنه ودعا به فلما وقف بين يديه اعتذر وقبل الأرض بين يديه واستقاله فأجابه المأمون جوابا جميلا ثم قال له في أثناء كلامه
(فلا أنتَ أعتبتَ من زَلّة ... ولا أنتَ بالغتَ في المَعْذِرهْ)
(ولا أنتَ ولّيتني أمرَها ... فأغفِر ذنبك عن مَقْدِرهْ)
هكذا في الخبر وأظنه إسحاق بن إبراهيم الطاهري لا الموصلي
أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الحسين بن أبي طالب قال حدثني إسحاق قال
أنشدت أبا الأشعث الأعرابي شعرا لي فقال والذي أصوم له مخافته ورجاءه إنك لمن طراز ما رأيت بالعراق شيئا منه ولو كان شباب يشترى لأشتريته لك ولو بإحدى يدي وإن في كبرك لما زان الجليس وسره
أخبرنا الحرمي قال حدثنا الديناري قال حدثنا إسحاق قال
قالت لي زهراء الكلابية ما فعل عبد الله بن خرداذبه فقلت مات فقالت
غير ذميم ولا لئيم غفر الله لصداه لقد كان يحبك ويعجبه ما سرك
قال فقلت لزهراء حدثيني عن قول الشاعر
(أحِبُّكِ أنْ أُخْبِرتُ أنّكِ فاركٌ ... لزوجك إني مُولَعٌ بالفَوَارِكِ)
ما أعجبه من بغضها لزوجها فقالت عرفته أن في نفسها فضلة من جمال وشمخا بأنفها وأبهة فأعجبته
... إسحاق يغني المعتصم
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال حدثت عن غير واحد
أن إسحاق الموصلي دخل على المعتصم يوما من الأيام فرآه لقس النفس فقال له أما ترى يا أمير المؤمنين طيب هذا اليوم وحسنه فقال المعتصم ما يدعوني حسنه إلى شيء مما تريد ولا أنشط له فقال يا أمير المؤمنين إنه يوم أكل وشرب فاشرب حتى أنشطك قال أو تفعل قال نعم قال يا غلمان قدموا الطعام والشراب ومدوا الستارة وأحضروا الندماء والمغنين فأتي بالطعام فأكل و بالشراب فشرب وحضر الندماء والمغنون فغناه إسحاق
صوت
(سُقِيتَ الغيثَ يا قصرَ السلامِ ... فنِعْم محَلّهُ المَلك الهُمَامِ)
((لقد نَشَرَ الإله عليك نُوراً ... وخصَّك بالسَّلامة والسلام
الشعر والغناء لإبراهيم الموصلي رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق
وذكر حبش أن فيه للزبير بن دحمان لحنا من الرمل بالوسطى قال فطرب المعتصم وشرب شربا كثيرا ولم يبق أحد بحضرته إلا وصله وخلع عليه وحمله وفضل إسحاق في ذلك أجمع
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا ابن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح عن إسحاق قال
أول جائزة أخذتها من الرشيد ألف دينار في أول يوم دخلت إليه فغنيته
(... عَلِق القلبُ بَزْوَعا)
فاستحسنه واستعاده ثلاث مرات وشرب عليه ثلاثة أرطال وأمر لي بألف دينار فكان أول جائزة أجازنيها
أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني حماد بن إسحاق قال
كان أبي ذات يوم عند إسحاق بن إبراهيم بن مصعب فلما جلسوا للشراب جعل الغلمان يسقون من حضر وجاء غلام قبيح الوجه إلى أبي بقدح نبيذ فلم يأخذه ورآه إسحاق فقال له لم لا تشرب فكتب إليه أبي
(اِصْبَحْ نديمَك أقداحاً يُسَلْسِلُها ... من الشَّمُول وأتْبِعْها بأقداح)
(من كفِّ ريمٍ مَليح الدَّلِّ ريقُته ... بعد الهُجُوع كمِسْكٍ أو كتُفّاح)
((لا أشربُ الرَّاح إلا من يديْ رَشأٍ ... تقبيلُ راحتِه أشهى من الرّاح
فضحك وقال صدقت والله ثم دعا بوصيفة كأنها صورة تامة الحسن لطيفة الخصر في زي غلام عليها أقبية ومنطقة فقال

لها تولي سقي أبي محمد فما زالت تسقيه حتى سكر ثم أمر بتوجيهها وكل ما لها في داره إليه فحملت معه
إسحاق وزهراء الكلابية
أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني علي بن الصباح قال
كانت امرأة من بني كلاب يقال لها زهراء تحدث إسحاق وتناشده وكانت تميل إليه وتكني عنه في عشيرتها إذا ذكرته
بجمل قال فحدثني إسحاق أنها كتبت إليه وقد غابت عنه تقول
(وَجْدِي بجُمْل على أنِّي أُجَمْجِمُه ... وجدُ السَّقيم ببُرءٍ بعد إدْنافِ)
(أو وجدُ ثَكْلَى أصاب الموتُ واحدَها ... أو وجدُ مُغتربٍ من بين أُلاّف)
قال فأجبتها
(أقْرِ السلامَ على الزَّهْراء إذ شَحَطَتْ ... وقُلْ لها قد أذَقْتِ القلبَ ما خافَا)
(أمَا رَثَيْتِ لمن خلّفتِ مكتئباً ... يُذْري مدامعَه سَحًّا وتَوْكافا)
(فما وَجَدْتُ على إلفٍ أُفَارِقُه ... وجْدِي عليك وقد فارقتُ أُلاّفا)
أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال أنشدني إسحاق لنفسه
(سقَى اللهُ يومَ الماوَشانِ ومَجْلِساً ... به كان أحْلَى عندنا من جَنَى النَّحل)
(غَداةَ اجتنينا اللَّهوَ غضاً ولم نُبَلْ ... حِجَابَ أبي نصرٍ ولا غَضْبَةَ الفضل)
(غَدَوْنا صِحاحا ثم رُحْنا كأنَّنا ... أطاف بنا شرٌّ شديدٌ من الخَبَل)
فسألته أن يكتبها ففعل فقلت له ما حديث الماوشان فضحك وقال لو لم أكتبك الأبيات لما سألت عما لا يعنيك ولم
يخبرني
ابن الأعرابي يعجب بإسحاق وبشعره
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني أحمد بن الحارث وأبو مسلم عن ابن الأعرابي
أنه كان يصف إسحاق الموصلي ويقرظه ويثني عليه ويذكر أدبه وحفظه وعلمه وصدقه ويستحسن قوله
صوت
(هل إلى أن تنام عيني سبيلُ ... إنّ عهدي بالنوم عهد طويلُ)
ذلك فقلت هذا ومائة بعده خير منه لهم فقال اصنع في شعر الأخطل
(أعاذِلتيّ اليومَ وَيْحَكما مَهْلاَ ... وكُفّا الأذَى عنّي ولا تُكثِرا العَذْلاَ)
فصنعت فيه كما أمرني فلما سمعوا بذلك وما جاء بعده أذعنوا وزال عن قلب الرشيد ما كان ظنه بي
وقد ذكر غير حماد أن اللحن الذي اختبره به الرشيد قوله
(كنت صبًّا وقلبيَ اليومَ سالِ ... عن حبيبٍ يُسيء في كل حال)
وذكر أن الفضل بن الربيع قال الشعر في ذلك الوقت ودفعه إليه وأمره الرشيد أن يصنع فيه ففعل
وأخبرني بذلك محمد بن يحيى الصولي قال حدثني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق وأخبرني محمد بن مزيد
قال حدثنا حماد قال
أول ما سمعه الرشيد من غناء أبي
(ألم تسألْ فتُخبرَك المَغَاني ... وكيف وهنّ مُدْحِجَج ثماني)
(بَرِئتُ من المنازل غيرَ شوق ... إلى الدار التي بِلوَى أبان)
(ديارٌ للّتي لَجْلَجْتُ فيها ... ولو أعرَبتُ لَجَّ بها لساني)
(فكادَ يَظَلّ للعينين غربٌ ... بربْعَيْ دِمنةٍ لا يَنْطِقان)
قال فحدثني أبي أن المغنين قالوا للرشيد هذا من صنعة أبيه انتحله بعد وفاته فقلت له أنا أدع لهم هذا ومائة صوت بعده
ثم نظروا إلى ما جاء بعد ذلك فأذعنوا
نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء
صوت
(قِفْ نُحَيِّ المَغَانِيَا ... والطُّلولَ البَوالِيَا)
(وعلى أهلها فنُحْ ... وابكِ إن كنتَ باكيا)
الشعر لابن ياسين
والغناء لإسحاق ثقيل أول بالوسطى
صوت
(أمن آلِ ليلَى عَرفْتَ الطُّلولاَ ... بذي حُرُضٍ مائلات مُثولاَ)
(بَلِين وتحسبُ آياتهنَّ ... عن فَرْط حوليْن رَقًّا مُحِيلا)
الشعر لكعب بن زهير
والغناء لإسحاق ثاني ثقيل بالبنصر
صوت
(أعاذِلتيَّ اليومَ وَيْحَكما مَهْلاَ ... وكُفّا الأذى عنِّي ولا تُكْثِرا العَذْلا)
(دعاني تَجُدْ كفّي بمالي فإنني ... سأُصبح لا أسْطِيع جُودا ولا بُخْلا)
(إذا وضعوا فوق الصَّفيح جنادلاً ... عليّ وخلّفتُ المَطِيةَ والرَّحْلا)
(فلا أنا مجتازٌ إذا ما نزلتُه ... ولا أنا لاقٍ ما ثَوَيْتُ به أهلا)
الشعر للأخطل والغناء لإسحاق ثقيل أول بالوسطى
صوت
(إنِّي لأكْنِي بأجبال عَنَ اجْبُلِها ... وباسم أوديةٍ عن اسم واديها)
(عَمْداً ليَحْسبها الواشون غانيةً ... أخرى وتحسبُ أنّي لا أباليها)
(ولا يُغَيِّر وُدّي أن أهاجرَها ... ولا فراقُ نَوًى في الدار أنْويها)
((وللقَلُوص ولِي منها إذا بَعُدتْ ... بوارحُ الشَّوق تُنْضِيني وأُنضِيها

الشعر لأعرابي والغناء لإسحاق هزج بالبنصر
حدثني جحظة قال حدثني أبو عبد الله أحمد بن حمدون قال
قال إسحاق للواثق يوما الأهزاج من أملح الغناء فقال الواثق أما إذا كانت مثل صوتك
(إنّي لأكني بأَجْبال عَنَ اجْبُلِها ... وباسم أوديةٍ عن اسم واديها)
فهي كذلك
إسحاق يغني لطلحة بن طاهر
قال أحمد بن أبي طاهر حدثني أحمد بن يحيى الرازي عن محمد ابن المثنى عن الحجاج بن قتيبة بن مسلم قال
قال إسحاق بعث إلي طلحة بن طاهر وقد انصرف من وقعة للشراة وقد أصابته ضربة في وجهه فقال لي الغلام أجب
فقلت وما
يعمل قال يشرب فمضيت إليه فإذا هو جالس قد عصب ضربته وتقلنس بقلنسوة فقلت له سبحان الله أيها الأمير ما
حملك على لبس هذا قال التبرم بغيره ثم قال لي غن
(... إنّي لأكْني بأجْبال عن اجْبُلها)
قال فغنيته إياه فقال أحسنت والله أعد فأعدت وهو يشرب حتى صلى العتمة وأنا أغنيه فأقبل على خادم له بالحضرة
وقال له كم عندك قال مقدار سبعين ألف درهم قال تحمل معه
فلما خرجت من عنده تبعني جماعة من الغلمان يسألونني فوزعت المال بينهم فرفع الخبر إليه فأغضبه ولم يوجه إلي
ثلاثا فجلست ليلا وتناولت الدواة والقرطاس فقلت
(علَّمني جُودُك السّماحَ فما ... أبقيتُ شيئاً لديّ من صِلَتِكْ)
(لم أُبق شيئاً إلاّ سمحتُ به ... كأنّ لي قُدرةً كمقدرتكْ)
(تُتلِف في اليوم بالهِباتِ وفي السّاعة ما تجتنيه في سَنتك)
(فلستُ أدري من أين تُنفق لو ... لا أنّ ربّي يَجزي على صِلتك)
فلما كان في اليوم الرابع بعث إلي فصرت إليه ودخلت عليه فسلمت فرفع بصره إلي وقال اسقوه رطلا فسقيته وأمر لي
بآخر وآخر فشربت ثلاثا ثم قال لي غن
(... إني لأكني بأجبال عن اجبلها)
فغنيته ثم أتبعته بالأبيات التي قلتها وقد كنت غنيت فيها لحنا في طريقة الصوت فقال ادن فدنوت وقال اجلس فجلست
فاستعاد الصوت الذي صنعته فأعدته
فلما فهمه وعرف معنى الشعر قال لخادم له أحضرني فلانا فأحضره فقال كم قبلك من مال الضياع قال ثمانمائة
ألف درهم فقال احضر بها الساعة فجيء بثمانين بدرة فقال للخادم جئني بثمانين غلاما مملوكا فأحضروا فقال احملوا
هذا المال ثم قال يا أبا محمد خذ المال والمماليك حتى لا تحتاج أن تعطي لأحد منهم شيئا
إسحاق ومحمد بن راشد
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الحسين بن محمد بن طالب قال
كان إسحاق بن إبراهيم الموصلي كثير الغشيان لإسحاق بن إبراهيم بن مصعب والحضور لسمره وكان إسحاق بن
إبراهيم يرى ذلك له ويسني جوائزه ويواتر صلاته ويشاوره في بعض أموره ويسمع منه فأصيب إسحاق ببصره قبل موته
بسنتين فترك زيارة إسحاق وغيره ممن كان يغشاهم ولزم بيته
وخرج إسحاق يوما إلى بستان له بباب قطربل وخرج معه ندماؤه وفيهم موسى بن صالح بن شيخ بن عميرة ومحمد بن
راشد الخناق والحراني فجرى ذكر إسحاق الموصلي فتوجع له إسحاق وذكر أنسه به وتمنى حضوره وذكره القوم فأطنبوا
في نشر محاسنه وشيعوا ما ذكره به
إسحاق بما حسن موقعه لهم عنده وذكره محمد بن راشد ذكرا لم يحمده أصحابه عليه وزجره إسحاق فأمسك عنه فلما
انصرفوا من مجلسهم نمي إلى إسحاق الموصلي ما كان فيه القوم في يومهم وما جرى من ذكره فكتب إلى موسى بن
صالح
(ألا قُلْ لموسَى الخير موسى بن صالح ... ومَنْ هو دونِ الخَلْقِ إلْفِي وخُلْصَانِي)
(ومَنْ لو سألت الناس عنه لأجمعوا ... على أنّه أفتى مَعدٍّ وقَحطان)
(لعَمْري لئن كان الأميرُ تمنّاني ... بمجلس لذّاتٍ ونُزْهةِ بُستان)
(لقد زادني ما كان منه صَبابةً ... وجَدّدَ لي شوقاً إليه وأبكاني)
(وما زال ممتنًّا عليّ يَخُصّني ... بما لستُ أُحصِي من أيادٍ وإحسان)
(هو السيّد القَرْمِ الذي ما يُرى له ... من النّاس إن حصَّلته أبداً ثاني)
(نَمَتْه رَوَابِي مُصْعب وبَنَى له ... كريمُ المساعي في أرُومته باني)
(يَعِزّ عليّ أن تفوزوا بقُربه ... ولستُ إليه بالقريب ولا الدّاني)
(فيا ليتَ شعري هل أرُوحن مرّةً ... إليه فيلقاني كما كان يلقاني)
(وهل أرَيَنْ يوماً غَضَارةِ مُلْكه ... وسلطانه لا زال في عزّ سلطان)
(وهل أسمَعْنَ ذاكَ المُزاحَ الذي به ... إذا جئتُه سلَّيتُ همّي وأحزاني)
(إذا قال لي يا مَرْدَ مَيْ خَرْ وكَرّها ... عليّ وكنّاني مُزاحاً بصَفْوان)
هذا كلام بالفارسية تفسيره يا رجل اشرب النبيذ
(فيا لكَ من مَلْهىً أنيقٍ ومجلسٍ ... كريمٍ ومن مَزْح كثيرِ بألوانِ)
(وهل يَغْمِزَنْ بي ذو الهَنَاتِ ابنُ راشد ... وذاك الكريمُ الجدّ من آل حَرّان)
(وهل أرَيَنْ موسى الكريم ابنَ صالح ... يُنازعني صوتاً إذا هو غنّاني)
يريد الغناء في
(فلم أرَ كالتّجمير مَنْظَرَ ناظرٍ ... ولا كليالي النَّفْر أَفْتَنَّ ذا هوى)
(إذا صاح بالتجمير ثم أعاده ... بتحقيق إعرابٍ صحيح وتِبْيان)
(أولئك إخواني الذين أُحِبّهم ... وأُوثرهم بالودّ من بين إخواني)

(وما منهمُ إلاّ كريمٌ مهذّبٌ ... حبيبٌ إلى إخوانه غيرُ خَوّان)
فأجابه محمد بن راشد
(بعثتَ بشعر فيه أنّ رسالةً ... أتتك لموسى عن جماعة إخوانِ)
(بشوق وذكرٍ للجميل ولم يكن ... لموسى لعَمْري في سلامته ثاني)
(ولكن نَطَقْنا بالذي أنت أهلُه ... وما تستحقّ من صديقٍ ونَدْمان)
(وموسى كريمٌ لم يُحِطْ بك خُبْرُه ... كخُبْر نَدامى قد بلَوْكَ وإخوانِ)
(ولو قد بلاك قال فيك كقول مَنْ ... فسَدْتَ عليه من خليل وخُلْصان)
(ولم يَعْرُه شوقٌ إليك ولم يَجِدْ ... لِفَقْدك مَسّاً عند نُزهة بستان)
(حَمِدتَ النَّدامى كلَّهم غيرَ إنسان ... ألاَ إنما يَجْنِي على نفسه الجاني)
(فلا تَعْتُبِ الإخوانَ من بعدها فما ... تَنَقّصُ إخوانِ المودّة من شاني)
قال فأجابه إسحاق
((عجبتُ لمخذولٍ تَعرّض جانياً ... لِلَّيْثٍ أبي شِبْلين من أسْدِ خَفّانِ
(أتانا بشعر قاله مثل وجهه ... تَزَخْرَفَ فيه واستعان بأعوان)
(فجاء بألفاظٍ ضِعافٍ سخيفةٍ ... ومَضَّغها تمضيغَ أهوجَ سكران)
(دَعُوا الشعر للشيخ الذي تعرفونه ... وإلاّ وُسِمتم أو رُميتم بشُهبان)
(فإنكمُ والشعرَ إذ تدّعونه ... كمُعتسِفٍ في ظلمة الليل حَيْران)
(صهٍ لا تعودوا للجواب فإنما ... ترومون صَعْباً من شماريخ ثَهْلان)
(أنا الأسَد الوَرْد الذي لا يفُلّه ... تظاهُرُ أعداءٍ عليه وأقران)
(ومن قد أردتم جاهدين سِقاطَه ... فأعياكُم في كلّ سرٍّ وإعلان)
(لَعَمْري لئن قلتم بما أنا أهلُه ... ليستنفدنّ القولَ تعظيمُكم شاني)
(وجَحْدُكمُ إيايَ ما تعلمونه ... وإقرارُكم عندي بذلك سيّان)
(ألاَ يزجُرُ الجُهّالَ عنّا أميرُنا ... وموسى وذاك الشيخُ من آل حَرّان)
(ولا سيّما مَنْ بان للناس شرُّه ... فما يَتَمارى في مذاهبه اثنان)
محمد بن عمر الجرجاني يثني عليه
حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن إسرائيل قرقارة قال
قال لي محمد بن عمر الجرجاني وقد تذاكرنا إسحاق يوما بحضرته ما
تذكرون من إسحاق شيئا تقاربون به وصفه
كان والله إسحاق غرة في زمانه وواحدا في دهره علما وفقها وأدبا ووقارا ووفاء وجودة رأي وصحة مودة
كان والله يخرس الناطق إذا نطق ويحير السامع إذا تحدث لا يمل جليسه مجلسه ولا تمج الآذان حديثه ولا تنبو النفوس عن مطاولته
إن حدثك ألهاك وإن ناظرك أفادك وإن غناك أطربك
وما كنت ترى خصلة من الأدب ولا جنسا من العلم يتكلم فيه إسحاق فيقدم أحد على مساجلته ومباراته
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبي قال حدثني أحمد بن يحيى المكي قال
أمر المأمون يوما بالفرش الصيفي أن يخرج فأخرج فيما أخرج منه بساط طبري أو أصبهبذاني مكتوب في حواشيه
صوت
(لَجّ بالعينِ واكِفْ ... مِن هَوىً لا يُساعِفُ)
(كلّما جَفّ دمعُه ... هيّجتْه المعازف)
(إنما الموتُ أن تفارق ... مَنْ أنت آلِفُ)
(لك حُبّان في الفؤاد ... تَليدٌ وطارف)
قال فاستحسن المأمون هذه الأبيات وبعث إلى إسحاق فأحضره وأمره إن يصنع فيها لحنا ويعجل به فصنع فيها الهزج الذي يغنى به اليوم
قال أحمد وسمعها أبي منه فقال لو كان هذا الهزج لحكم الوادي لكان قد أحسن
يريد أن حكما كان صاحب الأهزاج
يحيى المكي يعجب به ويثني عليه
أخبرني الحسن قال حدثني يزيد بن محمد قال حدثني ابن المكي قال
تذاكرنا يوما عند أبي صنعة إسحاق وقد كنا بالأمس عند المأمون فغناه إسحاق لحنا صنعه في شعر ابن ياسين
صوت
(الطُّلول الدَّوارِسُ ... فارقتْها الأَوَانِسُ)
(أوْحشت بعد أهلها ... فهي قَفْرٌ بَسايِسُ)
الغناء لإسحاق خفيف ثقيل بالبنصر قال فقال أبي لو لم يكن من بدائع إسحاق غير هذا لكفى الطلول الدوارس كلمتان وفارقتها الأوانس كلمتان وقد غنى فيهما استهلالا وبسيطا وصاح وسجع ورجع النغمة واستوفى ذلك كله في أربع كلمات وأتى بالباقي مثله فمن شاء فليفعل مثل هذا أو ليقاربه
ثم قال إسحاق والله في زماننا فوق ابن سريج والغريض ومعبد ولو عاشوا حتى يروه لعرفوا فضله واعترفوا له به
وأخبرني عمي عن يزيد بن محمد المهلبي أنه كان عند الواثق فغنته شجا
هذا الصوت فقال الواثق مثل هذا القول
والمذكور أن ابن المكي قاله فلا أدري أهذا وهم من يزيد أو اتفق أن قال فيه الواثق كما قال يحيى أو اتفقت عليه قريحتاهما
أخبرنا يحيى بن علي قال حدثني أبي عن إسحاق قال
أرسل إلي الفضل بن الربيع يوما وإلى الزبير بن دحمان فوافق مجيئنا شغلا كان له فصرنا إلى بعض حجره فنعست فنمت

فإذا زبير يحركني فانتبهت فإذا خباز في مطبخ الفضل يضرب بالشويق يغني
صوت
(بِدَيْر القائم الأقصَى ... غزالٌ شَفّني أحْوَى)
(بَرَى حبِّي له جِسمي ... وما يَدري بما ألقَى)
(وأُخفِي حبَّه جُهْدِي ... ولا واللهِ ما يَخْفَى)
الشعر والغناء لإسحاق خفيف ثقيل بالبنصر قال فقال لي الزبير تضن بهذا وانظر من يبتذله فقلت لا أضن بغناء بعد هذا
حدثني عمي قال حدثني أحمد بن الطيب السرخسي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أحمد بن معاوية بن بكر قال قال لي صالح بن الرشيد
كنا أمس عند أمير المؤمنين المأمون وعنده جماعة من المغنين فيهم إسحاق وعلويه ومخارق وعمرو بن بانة فغنى مخارق في الثقيل الأول
صوت
(أعاذلُ لا آلوكِ إلاّ خَلِيقتي ... فلا تجعلي فوقي لِسانَكِ مِبْرَدَا)
(ذَريني أكنْ للمالِ ربًّا ولا يكن ... ليَ المالُ ربًّا تَحْمَدِي غِبَّه غدا)
(ذَريني يكنْ مالي لعِرْضي وقايةً ... يَقِي المالُ عِرْضي قبل أن يتبدّدا)
(ألم تعلمي أنّي إذا الضيفُ نابني ... وعَزَّ القِرَى أَقْرِي السَّدِيفَ المُسَرْهَدَا)
فقال له المأمون لمن هذا اللحن قال لهذا الهزبر الجالس يعني إسحاق فقال المأمون لمخارق قم فاقعد بين يدي وأعد الصوت فقام فجلس بين يديه وأعاده فأجاده وشرب المأمون عليه رطلا ثم التفت إلى إسحاق فقال له غن هذا الصوت فغناه فلم يستحسنه كما استحسنه من مخارق ثم دار الدور إلى علويه فقال له غن فغنى في الثقيل الأول أيضا
صوت
(أَرِبتُ اليومَ نارَكِ لم أُغَمِّضْ ... بِوَاقِصةٍ ومَشْرَبُنا بَرُودُ)
(فلم أرَ مثلَ موقِدِها ولكن ... لأيّةِ نظرةٍ زَهَرَ الوَقُودُ)
(فبِتُّ بليلةٍ لا نومَ فيها ... أكابدُها وأصحابي رُقود)
(كأنّ نجومَها رُبطتْ بصَخْرٍ ... وأمْراسٍ تدور وتستزيد)
فقال له المأمون لمن هذا الصوت فقال لهذا الجالس وأشار إلى إسحاق فقال لعلويه أعده فأعاده فشرب عليه رطلا ثم قال لإسحاق غنه فغناه فلم يطرب له طربه لعلويه
فالتفت إلي إسحاق ثم قال لي أيها الأمير لولا أنه مجلس سرور وليس مجلس لجاج وجدال لأعلمته أنه طرب على خطأ وأن الذي استحسنه إنما هو تزايد منهما يفسد قسمة اللحن وتجزئته وأن الصوت ما غنيته لا ما زادا
ثم أقبل عليهما فقال يا مخنثان قد علمت أنكما لم تريدا بما فعلتماه مدحي ولا رفعتي وأنا على مكافأتكما قادر فضحك المأمون وقال له ما كان ما رأيته من طربي لهما إلا استحسانا لأصواتهما لا تقديما لهما ولا جهلا بفضلك
إسحاق يغني المعتصم فيطرب ويجيزه
حدثني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي قال حدثني إسحاق قال
دخلت يوما على المعتصم وقد رجع من الصيد وبين يديه ظباء مذبحة وطير ماء وغير ذلك من الصيد وهو يشرب فأمرني بالجلوس والغناء فجلست وغنيته
صوت
(اِشتهيْنا في ربيعٍ مرّةً ... زَهَمَ الوحشِ على لحمِ الإبِلْ)
(فغدَونا بطُوَالٍ هَيْكَلٍ ... كعسيبِ النخل مَيَّاد خَضِلْ)
الشعر يقال إنه لأعشى همدان والغناء لأحمد النصبي خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق فتبسم وقال وأين رأيت لحم الإبل فغنيته
صوت
(ليس الفتى فيهم إذا ... شَرِب الشرابَ مُؤَنَّبا)
(لكن يروحُ مُرنَّحاً ... حسنَ الثيابِ مُطَيَّبا)
(يسقونه صِرْفاً على ... لحمِ الظباءِ مُضَهَّبا)
فقال هذا أشبه وشرب
ثم غنيته بشعر وضاح اليمن قال والغناء لابن محرز ثقيل أول
صوت
(أَبِى القلبُ اليمانيّ الّذي ... تُحْمَدُ أخلاقُهْ)
(ويَرفَضُّ له اللحنُ ... فما تُفْتَقِ أرْتاقه)
(غزالٌ أدعجُ العين ... رَبِيبُ خَدَلّج ساقُه)
(رماني فسبَى قلبي ... وأرميه فأشتاقُه)
فطرب وقال هذا والله أحسن صيد وألذه وشرب عليه بقية يومه
وخلع علي وأمر لي بجائزة
هكذا ذكر في هذا الخبر أن الثقيل الأول لابن محرز وقد قيل ذلك
وذكر عمرو بن بانة أن الثقيل الأول بالبنصر لابن طنبورة وأن لحن ابن محرز خفيف ثقيل
حدثني عمي قال حدثني فضل اليزيدي قال
قال لي إسحاق يوما في عرض حديثه دخلت على المعتصم ذات يوم وعليه قميص دبيقي كأنما قد من جرم الزهرة فضحكت فقال ما أضحكك فقلت من مبالغتك في الوصف فتبسم
قال الفضل وما سمعت محدثا قط ولا واصفا أبلغ منه ولا أحسن لفظا وتشبيها
أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا أبو أيوب المديني قال حدثنا محمد بن عبد الله بن مالك قال

قال لي إسحاق وددت أن كل يوم قيل لي غن أو قيل لي عند ذكري المغني ضرب رأسي خمسة عشر سوطا لا أقوى على أكثر منها ولم يقل لي ذلك
أخبرنا يحيى قال حدثنا حماد قال صنع أبي لحنه في تشكى الكميت الجري على لحن أذان سمعه
أخبرنا يحيى قال حدثنا حماد قال
تذاكرنا يوما الهزج عند المأمون فقال عمرو بن بانة ما أقله في الغناء القديم فقال إسحاق ما أكثره فيه ثم غناهم ثلاثين هزجا في إصبع واحدة ومجرى واحد ما عرفوا جميعا منها إلا نحو سبعة أصوات
حدثني يحيى قال حدثني أخي قال حدثني عافية بن شبيب قال
قلت لزرزور ما لكم تذلون لإسحاق هذا الذل وما فيكم أحد إلا وهو أطيب صوتا منه وما في صنائعكم وصمة فقال لي لا تقل ذلك فوالله لو رأيتنا معه لرحمتنا ورأيتنا نذوب كما يذوب الرصاص في النار
حدثني الصولي قال حدثني عون بن محمد قال حدثني إسحاق قال
لاعبت الفضل بن الربيع بالنرد فوقع بيننا خلاف فحلف وحلفت فغضب علي وهجرني فكتبت إليه
(يقولُ أُناسٌ شامتون وقد رأَوْا ... مُقامِي وإغبابي الرواحَ إلى الفضلِ)
(لقد كان هذا خُصَّ بالفضلِ مرّةً ... فأصبح منه اليومَ مُنصرِمَ الحبل)
(ولو كان لي في ذاك ذنبٌ علِمته ... لَقَطَّعتُ نفسي بالمَلامة والعذل)
وعرضت الأبيات عليه فلما قرأها ضحك وقال أشد من ذنبك أنك لا ترى لنفسك بذلك الفعل ذنبا والله لولا أني أدبتك أدب الرجل ولده وأن حسنك وقبيحك مضافان إلي لأنكرتني فأصلح الآن قلب عون وكان يحجبه فخاطبته في ذلك فكلمني بما كرهت فقلت أتدخل بيني وبين الأمير أعزه الله وكان عون يرمي بالأبنة فقلت فيه
(وذاكر أمرٍ ضاق ذرعاً بذكره ... وناسٍ لداءٍ منه مُتّسعِ الخَرْقِ)
قال ثم علمت أنه لا يتم لي رضا الفضل إلا بعد أن يرضى عون فقلت فيه
(عَوْنُ يا عَوْنُ ليس مِثلَك عونٌ ... أنت لي عُدَّةٌ إذ كان كونُ)
(لك عندي والله إن رَضِيَ الفضل ... غلامٌ يُرْضيك أو بِرْذَوْنُ)
فدخل إلى الفضل فترضاه لي فرضي ثم قال له ويلك يا عون إنه والله إنما هجاك وأنت ترى أنه قد مدحك ألا ترى إلى قوله غلام يرضيك هذا تعريض بك قال فكيف أصنع به مع محله عند الأمير
غنى المأمون وأطربه فأجازه
أخبرني الصولي قال حدثني عون عن إسحاق وأخبرني بعض الخبر إسماعيل بن يونس عن عمر بن شبة عن إسحاق ولفظ الخبر وسياقته للصولي قال
استدناني المأمون يوما وهو مستلق على فراش حتى صارت ركبتي على الفراش ثم قال لي يا إسحاق أشكو إليك أصحابي فعلت بفلان كذا ففعل كذا وفعلت بفلان كذا ففعل كذا حتى عدد جماعة من خواصه فقلت له أنت يا سيدي بتفضلك علي وحسن رأيك في ظننت أني ممن يشاور في مثل هذا فجاوزت بي حدي وهذا رأي يجل عني ولا يبلغه قدري فقال ولم وأنت عندي عالم عاقل ناصح فقلت هذه المنزلة عند سيدي علمتني ألا أقول إلا ما أعرف ولا أطلب إلا ما أنال فضحك وقال قد بلغني أنك في هذه الأيام صنعت لحنا في شعر الراعي ولم أسمعه منك فقلت يا سيدي ما سمعه أحد إلا جواري ولا حضرت عندك للشرب منذ صنعته فقال غنه فقلت الهيبة والصحو يمنعاني أن أؤديه كما تريد فلو آنس أمير المؤمنين عبده بشيء يطربه ويقوي به طبعه كان أجود قال صدقت ثم أمر بالغداء فتغدينا ومدت الستارة فغني من ورائها وشربنا أقداحا فقال يا إسحاق أما جاء أوان ذلك الصوت فقلت بلى يا سيدي وغنيته لحني في شعر الراعي
صوت
(ألم تسألْ بعارمةَ الديارَا ... عن الحيّ المُفارقِ أين صارا)
(بلى سأءلتها فأبتْ جواباً ... وكيف تُسائل الدِّمَنَ القِفَارا)
لحن إسحاق في هذين البيتين خفيف ثقيل بالوسطى قال فاستحسنه وما زال يشرب عليه سائر يومه وقال لي يا إسحاق لا طلب بعد وجود البغية ما أشرب بقية يومي هذا إلا على هذا الصوت ثم وصلني وخلع علي خلعة من ثيابه
حدثني الصولي قال حدثني عون بن محمد قال حدثني إسحاق قال
كانت أعرابية تقدم علي من البادية فأفضل عليها وكانت فصيحة فقالت لي ذات يوم والذي يعلم مغزى كل ناطق لكأنك في علمك ولدت فينا ونشأت معنا
ولقد أريتني نجدا بفصاحتك وأحللتني الربيع بسماحتك فلا اطرد لي قول إلا شكرتك ولا نسمت لي ريح إلا ذكرتك
حدثني الصولي قال حدثني عون بن محمد قال حدثني المغيرة بن محمد المهلبي عن إسحاق قال
كان أبو المجيب الربعي فصيحا عالما فقال لي يا أبا محمد قد عزمت على التزوج فأعني وقوني قال فأعطيته دنانير وثيابا فغاب عني أياما ثم عاد فقلت يا أبا مجيب ها هنا أبيات فاسمعها فقال هاتها فقلت
(يا ليتَ شعري عن أبي مُجيبِ ... إذ باتَ في مَجاسِدٍ وطِيبِ)
((معانقاً للرَّشَأ الرَّبيبِ ... أأحمدَ المِحفارُ في القَليبِ
(... أم كان رِخْواً ذابلَ القضيبِ)
قال فقال لي الأخير والله يا أبا محمد
حدثني الصولي قال حدثني عون بن محمد قال حدثني إسحاق قال
كانت بيني وبين الخليل بن هشام صداقة ثم استوحشنا فمررت ببابه يوما فتذممت أن أجوزه ولا أدخل إليه فدعوت بدواة وقرطاس وكتبت إليه
(رجعنا بالصفاء إلى الخليلِ ... فليس إلى التَّهاجرُ من سبيلِ)
(عتابٌ في مُراجعةٍ وصفحٌ ... أحقُّ بنا وأشبهُ بالجميل)
قال ووجهت بالرقعة وقصدت بابه فخرج إلي حتى تلقاني ورجعنا إلى ما كنا عليه
حدثني الصولي قال حدثني عبد الله بن المعتز عن الهشامي قال
كان أهلنا يعتبرون على إسحاق ما يقوله في نسبة الغناء وأخباره بأن يجلسوا كاتبتين فهمتين خلف الستارة فتكتبان ما يقوله وتضبطانه ثم

يتركونه مدة حتى ينسى ما جرى ثم يعيدون تلك المسألة عليه فلا يزيد فيها ولا ينقص منها حرفا كأنه يقرأها من دفتر فعلموا حينئذ أنه لا يقول في شيء يسأل عنه إلا الحق
حدثني الصولي قال حدثني أحمد بن مزيد المهلبي قال حدثني أبي عن إسحاق قال
كنا عند المأمون فغناه علويه
صوت
(لِعَبْدَةَ دارٌ ما تكلِّمنا الدارُ ... تَلُوح مَغَانيها كما لاح أسطارُ)
(أُسائل أحجاراً ونُؤْياً مُهَدَّما ... وكيف يردُّ القولَ نؤيٌ وأحجارُ)
الشعر لبشار والغناء لإبراهيم ثاني ثقيل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق قال فقال المأمون لمن هذا اللحن فقلت لعبد أمير المؤمنين أبي وقد أخطأ فيه علويه قال فغنه أنت فغنيته فاستعادنيه مرارا وشرب عليه أقداحا ثم تمثل قول جرير
(وابنُ اللَّبون إذا ما لُزَّ في قَرَنٍ ... لم يستطع صَوْلَةَ البُزْلِ القَنَاعِيس)
ثم أمر لي بخمسين ألف درهم
ووجدت هذا الخبر بخط أبي العباس ثوابة فقال فيه حدثني أحمد بن إسماعيل أبو حاتم قال حدثني عبد الله ابن العباس الربيعي قال
إجتمعنا بين يدي المعتصم فغنى علويه
(... لعبدةَ دارٌ ما تكلِّمنا الدار)
فقال له إسحاق أخطأت فيه ليس هو هكذا فقال علويه أم من أخذناه عنه هكذا زانية فقال إسحاق شتمنا قبحه الله وسكت وبان ذلك فيه وكان علويه أخذه من إبراهيم
حواره مع علويه
حدثني جحظة قال حدثني أبو العبيس بن حمدون عن أبيه عن جده قال
كان إسحاق بعد وفاة المأمون لا يغني إلا الخليفة أو ولي عهده أو رجلا من الطاهرية مثل إسحاق بن إبراهيم وطبقته فاجتمعنا عند الواثق وهو ولي عهد المعتصم فاشتهى الواثق أن يضرب بين مخارق وعلويه وإسحاق ففعل حتى تهاتروا ثم قال لإسحاق كيف هما الآن عندك فقال أما مخارق فمناد طيب الصوت وأما علويه فهو خير حماري العبادي وهو على كل حال شيء يريد تصغيره فوثب علويه مغضبا ثم قال للواثق جواريه حرائر ونساؤه طوالق لئن لم تستحلفه بحياتك وحق أبيك أن يصدق عما أسأله عنه لأتوبن عن الغناء ما عشت فقال له الواثق لا تعربد يا علي نحن نفعل ما سألت ثم حلف إسحاق أن يصدق فحلف فقال له من أحسن الناس اليوم صنعة بعدك قال أنت
قال فمن
أضرب الناس بعد ثقيف قال أنت
قال فمن أطيب الناس صوتا بعد مخارق قال أنت
قال علويه لإسحاق أهذا قولك في وأنت تعلم أني مصلي كل سابق فاضل وأني ثالث ثلاثة أنت أحدهم لم يكن في الدنيا مثلهم ولا يكون فما أنت وغناؤك الذي لا يسمع انخفاضا فغضب إسحاق وانتهر الواثق علويه
ثم أخذ إسحاق عودا فنقل مثناه إلى موضع ألبم وزيره إلى موضع المثلث وجعل البم والمثلث مكان الزير والمثنى وضرب وقال ليغن من شاء منكم فغني مخارق عليه
(تَقَطّع من ظَلّامةَ الوصلُ أجمعُ ... أخيراً على أنْ لم يكن يَتَقَطّعُ)
وضرب عليه إسحاق فلم يبن في الأوتار خلاف ولا فقد من الإيقاع شيء ولا بان فيه اختلال فعظم عجب الواثق من فعله وقام إسحاق فرقص طربا فكان والله أحسن رقصا من كبيش وعبد السلام وكانا من أرقص الناس فقال الواثق لا يكمل أحد أبدا في صناعته كمثل كمال إسحاق
حدثني الصولي قال حدثني عون بن محمد قال حدثني إسحاق قال
دخلت علي عبد الله بن طاهر وهو يلاعب إبراهيم بن وهب بالشطرنج فغلبه عبد الله وأومأ إلي بأن أكايده فقلت
(قد ذهبتْ منكَ أبا إسحاقِ ... مثلَ ذَهَابِ الشهرِ بالمُحاقِ)
فقال لي عبد الله إن فضائلك يا أبا محمد لتتكاثر عندنا كما قال الشاعر في إبله
(إذا أتاها طالبٌ يَسْتامُها ... تكاثرتْ في عينه كِرامُها)
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال ذكر علي بن الحسن بن عبد الأعلى عن إسحاق قال
أنشدتني أم محمد الأعرابية لنفسها هذين البيتين وأنا حاج فاستحسنتهما وصنعت فيهما لحنا غنيته الواثق فاستعاده حتى أخذه وأمر لي بثلاثين ألف درهم وهما
(عسى اللهُ يا ظَمْياءُ أن يعكِسَ الهوَى ... فَتلْقَيْنَ ما قد كنتُ منكِ لَقِيتُ)
(ثراء فتحتاجي إليّ فتعلمي ... بأنّ به أجْزيكِ حين غَنِيتُ)
براعة إسحاق تظهر في مجلس المعتصم
حدثني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن مروان قال قال لي يحيى بن معاذ
كان إسحاق الموصلي وإبراهيم بن المهدي إذا خلوا فهما أخوان وإذا التقيا عند خليفة تكاشحا أقبح تكاشح فاجتمعا يوما عند المعتصم فقال لإسحاق يا إسحاق إن إبراهيم يثلبك ويغض منك ويقول إنك تقول إن مخارقا لا يحسن شيئا ويتضاحك منك فقال إسحاق لم أقل يا أمير المؤمنين إن مخارقا لا يحسن شيئا وكيف أقول ذلك وهو تلميذ أبي وتخريجه وتخريجي ولكن قلت إن مخارقا يملك من صوته ما لا يملكه أحد فيتزايد فيه تزايدا لا يبقي عليه ويتغير في كل حال فهو أحلى الناس مسموعا وأقله نفعا لمن يأخذ عنه لقلة ثباته على شيء واحد
ولكني أفعل الساعة فعلا إن زعم إبراهيم أنه يحسنه فلست أحسن شيئا وإلا فلا ينبغي له أن يدعي ما ليس يحسنه ثم أخذ عودا فشوش أوتاره ثم قال لإبراهيم غن على هذا أو يغني غيرك وتضرب عليه فقال المعتصم يا إبراهيم قد سمعت فما عندك قال ليفعله هو إن كان صادقا فقال له إسحاق غن حتى أضرب عليك فأبى فقال لزرزور غن فغنى وإسحاق يضرب عليه
حتى فرغ من الصوت ما علم أحد أن العود مشوش

ثم قال هاتوا عودا آخر فشوشه وجعل كل وتر منه في الشدة واللين على مقدار العود المشوش الأول حتى استوفى ثم قال لزرزور خذ أحدهما فأخذه ثم قال انظر إلى يدي واعمل كما أعمل واضرب ففعل وجعل إسحاق يغني ويضرب وزرزور ينظر إليه ويفعل كما يفعل فما ظن أحد أن في العودين شيئا من الفساد لصحة نغمهما جميعا إلى أن فرغ من الصوت ثم قال لإبراهيم خذ الآن أحد العودين فاضرب به مبدأ أو عمود طريقة أو كيف شئت إن كنت تحسن شيئا فلم يفعل وانكسر انكسارا شديدا فقال له المعتصم أرأيت مثل هذا قط قال لا والله ما رأيت ولا ظننت أن مثله يكون
حدثني أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي الفضل قال
دعاني إسحاق يوما فمضيت إليه وعنده الزبير بن دحمان وعلويه وحسين بن الضحاك فمر لنا أحسن يوم فالتفت إلي إسحاق ثم قال يومنا هذا والله يا أبا العباس كما قال الشاعر
(أنت والله من الأيام ... لَدْنُ الطَّرَفَيْنِ)
(كلَّما قلَّبتُ عيني ... ففي قُرَّةِ عَيْنِ)
إسحاق والواثق
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال
دخلت يوما على الواثق فقال لي يا إسحاق إني أصبحت اليوم قرما إلى غنائك فغنني فغنيته
((من الظباءِ ظِبَاءٌ همُّها السُّخُبُ ... ترعى القلوبَ وفي قلبي لها عُشُبُ
(لا يَغْتَرِبْنَ ولا يَسْكُنَّ باديةً ... وليس يَدْرين ما ضَرْعٌ ولا حَلَبُ)
(إذا يدٌ سَرَقَتْ فالقطع يلزمها ... والقطع في سَرَقٍ بالعين لا يَجِبُ)
قال فشرب عليه بقية يومه وبعض ليلته وخلع علي خلعة من ثيابه
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال
خرجت مع الواثق إلى الصالحية وهو يريد النزهة فذكرت بغداد وعيالي وأهلي وولدي بها فبكيت فقال لي بحياتي أذكرت بغداد فبكيت شوقا إليها فقلت نعم وغنيته
صوت
(وما زلت أبكي في الديار وإنما ... بكائي على الأحباب ليس على الدار)
قال فأمر لي بمائة ألف درهم وصرفني
وأخبرني محمد بن مزيد بهذا الخبر عن حماد بن إسحاق عن أبيه وحدثني به علي بن هارون عن عمه عن حماد عن أبيه وخبره أتم قال
ما وصلني أحد من الخلفاء قط بمثل ما وصلني به الواثق
ولقد انحدرت معه إلى النجف فقلت له يا أمير المؤمنين قد قلت في النجف قصيدة فقال هاتها فأنشدته
(يا راكبَ العِيس لا تَعْجَلْ بنا وقِفِ ... نُحَيِّ داراً لسُعْدَى ثم نَنْصرِفِ)
حتى أتيت على قولي
(لم يَنزِلِ الناسُ في سهلٍ ولا جَبَلٍ ... أصْفَى هواءً ولا أعْذَى من النَّجَفِ)
((حُفَّتْ بَبرٍّ وبَحْرٍ من جوانبها ... فالبَرُّ في طَرَفٍ والبحر في طرفِ
(وما يَزَالُ نسيمٌ من يَمَانِيَةٍ ... يأتيك منها بريَّا روْضَةٍ أُنُفِ)
فقال صدقت يا إسحاق هي كذلك
ثم أنشدته حتى أتيت على قولي في مدحه
(لا يحسَبُ الجودَ يُفْنِي مالَه أبداً ... ولا يرى بذلَ ما يَحْوي من السَّرَف)
ومضيت فيها حتى أتممتها فطرب وقال أحسنت والله يا أبا محمد وكناني يومئذ وأمر لي بمائة ألف درهم وانحدر إلى الصالحية التي يقول فيها أبو نواس
(... بالصالحيّة من أكنافِ كَلْوَاذِ)
فذكرت الصبيان وبغداد فقلت
(أتبكي على بغدادَ وهي قريبةٌ ... فكيف إذا ما ازددتَ منها غداً بُعْدَا)
(لعَمْرُك ما فارقتُ بغدادَ عن قِليً ... لَوَ انّا وجدنا عن فِراقٍ لها بُدَّا)
(إذا ذكرتْ بغدادَ نفسي تَقطَّعتْ ... من الشوق أو كادت تموت بها وَجْدَا)
(كفى حَزَناً أن رُحْتُ لم أستطع لها ... وَدَاعاً ولم أُحْدِثْ بساكنها عهدا)
قال فقال لي يا موصلي أشتقت إلى بغداد فقلت لا والله
يا أمير المؤمنين ولكن من أجل الصبيان وقد حضرني بيتان فقال هاتهما فأنشدته
(حَنَنْتَ إلى الأُصَيْبِيَة الصِّغارِ ... وشاقك منهمُ قربُ المَزَارِ)
(وأبْرحُ ما يكون الشوقُ يوماً ... إذا دَنَتِ الدّيارُ من الديار)
فقال لي يا إسحاق صر إلى بغداد فأقم مع عيالك شهرا ثم صر إلينا وقد أمرت لك بمائة ألف درهم
أخبرنا يحيى بن علي قال أخبرني أبي قال
لما صنع الواثق لحنه في
(أيا مُنْشِرَ المَوْتَى أَقِدْني من التي ... بها نهلتْ نفسِي سَقَاماً وعَلَّتِ)
(لقد بخَلَتْ حتى لَوَ انّي سألْتُها ... قَذَى العين من سَافِي التراب لضَنَّتِ)
أعجب به إعجابا شديد فوجه بالشعر إلى إسحاق الموصلي وأمره أن يغني فيه فصنع فيه لحنه الثقيل الأول وهو من أحسن صنعة إسحاق فلما سمعه الواثق عجب منه وصغر لحنه في عينه وقال ما كان أغنانا أن نأمر إسحاق بالصنعة في هذا الشعر لأنه قد أفسد علينا لحننا
قال علي بن يحيى قال إسحاق ما كان يحضر مجلس الواثق أعلم منه بهذا الشأن
نسبة هذين الصوتين
صوت
(أيا مُنْشِرَ المَوْتَى أَقِدْنِي من التي ... بها نَهلت نفسي سَقَاماً وعَلَّتِ)

(لقد بخِلتْ حتى لَوَ انّي سألتُها ... قَذَى العين من سافِي التراب لضَنَّتِ)
الشعر لأعرابي والغناء للواثق ثاني ثقيل في مجرى البنصر
وفيه لمخارق رمل ولعريب رمل
ومن الناس من ينسب هذا الشعر إلى كثير وهو خطأ من قائله
أنشدني هذه الأبيات عمي قال أنشدني هارون بن علي بن يحيى وأنشدنيها علي بن هارون عن أبيه عن جده عن إسحاق أنه أنشده لأعرابي فقال
صوت
(ألاَ قاتل اللهُ الحمامةَ غُدْوةً ... على الغصن ماذا هيّجتْ حين غَنَّتِ)
(تَغَنَّتْ بصوتٍ أعجميٍّ فهيّجتْ ... من الشوق ما كانت ضلوعي أجَنَّتِ)
غنى في هذين البيتين عمرو بن بانة ثاني ثقيل بالوسطى
(فلو قَطَرتْ عينُ امرئٍ من صَبابةٍ ... دماً قطرتْ عيني دماً فألَمَّتِ)
(فما سكتتْ حتى أَوَيْتُ لصوتها ... وقلت تُرَى هذي الحمامةُ جُنَّتِ)
(ولي زَفَراتٌ لو يَدُمْنَ قتلْنَني ... بشوق إلى نأيٍ التي قد تولَّتِ)
(إذا قلت هذي زَفْرةُ اليوم قد مضتْ ... فمَنْ لي بأخرى في غدٍ قد أظلَّتِ)
(فيا مُحْيِيَ الموتَى أقِدْني من التي ... بها نَهِلتْ نفسي سَقَاماً وعَلَّتِ)
(لقد بخِلتْ حتى لَوَ انّي سألتُها ... قَذَى العينِ من سَافِي التراب لضَنَّتِ)
(فقلتُ ارحَلا يا صاحبيّ فليتني ... أرى كلّ نفس أُعْطِيتْ ما تمنَّتِ)
(حلفتُ لها باللّه ما أُمُّ واحدٍ ... إذا ذكرتْه آخِرَ الليل حَنَّتِ)
(وما وَجْدُ أعرابيّة قذَفتْ بها ... صُروفُ النَّوى من حيث لم تَكُ ظَنَّتِ)
(إذا ذكرتْ ماءَ العِضَاهِ وطِيبَه ... وبَرْدَ الحِمَى من بطن خَبْتٍ أرَنَّتِ)
(بأكثرَ منّي لوعةً غيرَ أنني ... أُجَمْجِمُ أحشائي على ما أَجَنَّتِ)
وأما لحن إسحاق فإنه غنى في
(... (لقد بخِلتْ حتى لَوَ انّي سألتُها
وأضاف إليه شيئا آخر وليس من ذلك الشعر وهو
(فإن بخِلتْ فالبخل منها سجيّةٌ ... وإن بذَلتْ أعطت قليلاً وأكْدّتِ)
قال ولحنه ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى
أخبرني الحسن بن علي ومحمد بن يحيى الصولي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبي وحدثني به عمي عن أبي جعفر بن دهقانة النديم عن أبيه قال
كان الواثق إذا صنع صوتا قال لإسحاق هذا وقع إلينا البارحة فاسمعه فكان ربما أصلح فيه الشيء بعد الشيء فكاده مخارق عنده وقال له إنما يستجيد صنعتك إذا حضر ليقاربك ويستخرج ما عندك فإذا فارق حضرتك قال في صنعتك غير ما تسمع قال الواثق فأنا أحب أن أقف على ذلك فقال له مخارق فأنا أغنيه أيا منشر الموتى فإنه لم يعلم أنه لك ولا سمعه من أحد قال فافعل
فلما دخل إسحاق غناه مخارق وتعمد لأن يفسده بجهده وفعل ذلك في مواضع خفية لم يعلمها الواثق من قسمته فلما غناه قال له الواثق كيف ترى هذا الصوت قال له فاسد غير مرضي فأمر به فسحب من المجلس حتى أخرج عنه وأمر بنفيه إلى بغداد
ثم جرى ذكره يوما
فقالت له فريدة يا أمير المؤمنين إنما كاده مخارف فأفسد عليه الصوت من حيث أوهمك أنه زاد فيه بحذقه نغما وجودة وإسحاق يأخذ نفسه بقول الحق من كل شيء ساءه أو سره ويفهم من غامض علل الصنعة ما لا يفهمه غيره فليحضره أمير المؤمنين ويحلفه بغليظ الأيمان أن يصدقه عما يسمع وأغنيه إياه حتى يقف على حقيقة الصوت فإن كان فاسدا فصدق عنه لم يكن عليه عتب ووافقناه عليه حتى يستوي
فليس يجوز أن نتركه فاسدا إذا كان فيه فساد وإن كان صحيحا قال فيه ما عنده فأمر بالكتاب بحمله فحمل وأحضر فأظهر الرضا عنه ولزمه أياما ثم أحلفه ليصدقن عما يمر في مجلسه فحلف له
ثم غنى الواثق أصواتا يسأله عنها أجمع فيخبر فيها بما عنده ثم غنته فريدة هذا الصوت وسأله الواثق عنه فرضيه واستجاده وقال له ليس على هذا سمعته في المرة الأولى وأبان عن المواضع الفاسدة وأخبر بإفساد مخارق إياها فسكن غضبه ووصل إسحاق وتنكر لمخارق مدة
إسحاق والواثق وقصة الغناء والألحان
أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا أبو أيوب المديني قال حدثنا محمد بن عبد الله بن مالك قال حدثني إسحاق الموصلي أنه دخل على إسحاق بن إبراهيم الطاهري وقد كان تكلم له في حاجة فقضيت فقال له أعطاك الله أيها الأمير ما لم تحط به أمنية ولا تبلغه رغبة
قال فاشتهى هذا الكلام واستعاده مني فأعدته
ثم مكثنا ما شاء الله وأرسل الواثق إلى محمد بن إبراهيم يأمره بإخراجي إليه في الصوت الذي أمرني به بأن أغني فيه وهو
(... لقد بَخِلتْ حتّى لَوَ أنّي سألتُها)
فغنيته إياه فأمر لي بمائة ألف درهم
فخرجت وأقمت ما شاء الله ليس أحد من مغنيهم يقدر أن يأخذ هذا الغناء مني
فلما طال مقامي قلت له يا أمير المؤمنين ليس أحد من هؤلاء المغنين يقدر أن يأخذ هذا الصوت مني فقال لي ولم ويحك فقلت لأني لا أصححه ولا تسخو نفسي
به لهم فما فعلت الجارية التي أخذتها مني يعني شجا وهي التي كان أهداها إلى الواثق وعمل مجرد أغانيها وجنسه ونسبه إلى شعرائه ومغنيه وهو الذي في أيدي الناس إلى اليوم فقال وكيف قال لأنها تأخذه مني ويأخذونه هم منها

فأمر بها فأخرجت وأخذته على المكان فأمر لي بمائة ألف درهم وأذن لي في الانصراف وكان إسحاق بن إبراهيم الطاهري حاضرا فقلت للواثق عند وداعي له أعطاك الله يا أمير المؤمنين ما لم تحط به أمنية ولم تبلغه رغبة فالتفت إلي إسحاق بن إبراهيم فقال لي أي إسحاق أتعيد الدعاء فقلت إي والله أعيده قاض أنا أو مغن
وقدمت بغداد فلما وافى إسحاق جئته مسلما عليه فقال لي ويحك يا إسحاق أتدري ما قال أمير المؤمنين بعد خروجك من عنده قلت لا أيها الأمير قال قال لي ويحك كنا أغنى الناس عن أن نبعث إسحاق على لحننا حتى أفسده علينا
قال علي بن يحيى فحدثني إسحاق قال استأذنت الواثق عدة دفعات في الانحدار إلى بغداد فلم يأذن لي فصنعت لحنا في
(... خليليّ عُوجَا من صدورِ الرَّوَاحِلِ)
ثم غنيته الواثق فاستحسنه وعجب من صحة قسمته ومكث صوته أياما ثم قال لي يا إسحاق قد صنعت لحنا في صوتك في إيقاعه وطريقته وأمر من وراء الستارة فغنوه فقلت قد والله يا أمير المؤمنين بغضت إلي لحني وسمجته عندي وقد كنت استأذنته في الانحدار إلى بغداد فلم يأذن لي فلما صنع هذا اللحن وقلت له ما قلت أتبعته بأن قلت له قد والله يا أمير المؤمنين اقتصصت مني في لقد بخلت وزدت فأذن لي بعد ذلك
نسبة هذا الصوت
صوت
(خليليّ عُوجَا من صدورِ الرّواحلِ ... بجَرْعاءِ حُزْوَى فابكيا في المنازلِ)
(لعلّ انحدار الدّمعِ يُعقب راحةً ... من الوَجْدِ أو يَشفِي نَجِيَّ البلاَبلِ)
الشعر لذي الرمة والغناء لإسحاق رمل بالوسطى في البيتين
وللواثق في البيت الثاني وحده رمل بالبنصر
أخبرني أحمد بن عمار قال حدثني يعقوب بن نعيم قال حدثني كثير بن أبي جعفر الحزامي الكوفي عن أحمد بن جواس الحنفي عن أبي بكر بن عياش قال
كنت إذا أصابتني المصيبة تصبرت وأمسكت عن البكاء فأجد ذلك يشتد علي حتى مررت ذات يوم بالكناسة فإذا أنا بأعرابي واقف على ناقة له وهو ينشد
(خليليّ عُوجَا من صُدورِ الرَّواحلِ ... بجَرعاءِ حُزْوَى فابكيا في المنازلِ)
((لعلّ انحدار الدّمع يُعْقِب راحةً ... من الوجد أو يَشفِي نَجِيَّ البَلاَبلِ
فسألت عنه فقيل لي هذا ذو الرمة فكنت بعد إذا أصابتني مصيبة بكيت فأجد لذلك راحة فقلت قاتل الله الأعرابي ما كان أعلمه وأفصح لهجته
أخبرنا يحيى بن علي عن أبيه قال
قلت لإسحاق أيما أجود لحنك في خليلي عوجا أم لحن الواثق فقال لحني أجود قسمة وأكثر عملا ولحنه أطرب لأنه جعل ردته من نفس قسمته وليس يقدر على أدائه إلا متمكن من نفسه
قال علي ابن يحيى فتأملت اللحنين بعد ذلك فوجدتهما كما ذكر إسحاق
قال وقال لي إسحاق ما كان بحضرة الواثق أعلم منه بالغناء
أخبرني علي بن هارون قال
كان عبد الله بن المعتز يحلف أن الواثق ظلم نفسه في تقديمه لحن إسحاق في لقد بخلت
قال ومن الدليل على ذلك أنه قلما غني في صوت واحد بلحنين فسقط أجودهما وشهر الدون ولا يشهر من اللحنين إلا أجودهما ولحن الواثق أشهرهما وما يروي لحن إسحاق إلا العجائز ومن كثرت روايته
حدثني جحظة عن ابن المكي المرتجل عن أبيه أحمد بن يحيى قال
كان الواثق يعرض صنعته على إسحاق فيصلح فيها الشيء بعد الشيء
آخر صوت صنعه
أخبرنا حسين بن يحيى عن حماد
أن آخر صوت صنعه أبوه لقد بخلت ثم ما صنع شيئا حتى مات
أخبرنا هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثني أبو زيد عمر بن شبة قال حدثني إسحاق قال
دخل أعرابي من بني سليم سر من رأى وكان يكنى أبا القنافذ فحضر باب المعتصم مع الشعراء فأذن له فلما مثل بين يديه أنشده
(مِراض العيونِ خِماص البطون ... طِوال المتون قصار الخُطَا)
(عِتاق النّحور دقاقِ الثغور ... لِطاف الخصورِ خِدالِ الشَّوَى)
(عطابيلِ مِن كلّ رَقْراقةٍ ... تَلُوثُ الإزارَ بِدِعْصِ النَّقَا)
(إذا هُنّ مَنّيْنَنا نائلاً ... أَبَى البُخلُ منهنّ ذاكَ المُنَى)
(إلى النَّفَرِ البِيضِ أهلِ البِطاح ... وأهلِ السَّماحِ طَلَبنا النَّدَى)
(لهم سَطَواتٌ إذا هُيِّجوا ... وحلمٌ إذا الجهلُ حَلَّ الحُبا)
(يَبِين لك الخيرُ في أوجهٍ ... لهم كالمصابيحِ تَجْلُوا الدُّجى)
(سعَى الناسُ كي يُدركوا فضلَهم ... فقصَّر عن سعيهم مَنْ سَعَى)
(سعَى للخلافةِ فاقتادَهَا ... وبرَّز في السَّبْق لمّا جرى)
قال فاستحسنها المعتصم وأمرني فغنيت فيها وأمر للأعرابي بعشرين ألف درهم ولي بثلاثين ألف درهم وما خرج الناس يومئذ إلا بهذه الأبيات
حدثني عمي قال حدثني فضل اليزيدي عن إسحاق قال
كتبت إلى علي بن هشام أطلب منه نبيذا فبعث إلي جمان بما التمست وكتب إلي قد بعثت إليك بشراب أصلب من الصخر وأعتق من الدهر وأصفى من القطر
حدثني جحظة قال حدثني أبو عبد الله الهشامي عن أحمد المكي قال لما صنع إسحاق لحنه في الرمل
(أمَاوِيَّ إنّ المالَ غادٍ ورائحٌ ... ويبقى من المال الأحاديثُ والذِّكْرُ)

(وقد علم الأقوامُ لو أنّ حاتما ... يريد ثَراءَ المال كان له وَفْرُ)
وهو رمل نادر ابتداؤه صياح ثم لا يزال ينزل على تدريج حتى يقطعه على سجحة وكان كثير الملازمة لعبد الله بن طاهر ثم تخلف عنه مدة وذلك في أيام المأمون فقال عبد الله للميس جاريته خذي لحن إسحاق في
(... أمَاوِيَّ إنّ المال غادٍ ورائحٌ)
فاخلعيه على
(وهبّتْ شَمَالٌ آخِرَ اللّيل قَرّةٌ ... ولا ثوبَ إلاّ بُرْدُها وردائيَا)
وألقيه على كل جارية تعلمينها واشهريه وألقيه على من يجيده من جواري زبيدة وقولي أخذته من بعض عجائز المدينة ففعلت وشاع أمره حتى غني به بين يدي المأمون فقال المأمون للجارية ممن أخذت هذا فقالت من دار عبد الله بن طاهر من لميس جاريته وأخبرتني أنها أخذته من بعض عجائز المدينة فقال المأمون لإسحاق ويلك قد صرت تسرق الغناء وتدعيه اسمع هذا الصوت فسمعه فقال هذا وحياتك لحني وقد وقع علي فيه نقب من لص حاذق وأنا أغوص عليه حتى أعرفه ثم بكر إلى عبد الله بن طاهر فقال أهذا حقي وحرمتي وخدمتي تأخذ لميس لحني في
(... أماويّ إنّ المال غادٍ ورائحٌ)
فتغنيه في وهبت شمال وليس بي ذلك ولكن بي أنها فضحتني عند الخليفة وادعت أنها أخذته من بعض عجائز المدينة فضحك عبد الله وقال لو كنت تكثر عندنا كما كنت تفعل لم تقدم عليك لميس ولا غيرها فاعتذر فقبل عذره وقال له أي شيء تريد قال أريد أن تكذب نفسها عند من ألقته عليها حتى يعلم الخليفة بذلك قال أفعل ومضى إسحاق إلى المأمون وأخبره القصة فاستكشفها من لميس حتى وقف عليها وجعل يعبث بإسحاق بذلك مدة
إسحاق يغني محمد الأمين
حدثني جحظة قال حدثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال حدثتني شهوات الصناجة التي كان إسحاق أهداها إلى الواثق
أن محمدا الأمين لما غناه إسحاق لحنه الذي صنعه في شعره وهو الثقيل الأول
صوت
(يأيّها القائمُ الأمين فدَتْ ... نفسَك نفسي بالمال والوَلَدِ)
(بَسَطْتَ للنَاس إذ وَلِيتَهُمُ ... يداً من الجود فوق كلّ يد)
فأمر له بألف ألف درهم فرأيتها قد وصلت إلى داره يحملها مائة فراش
حدثني جحظة ومحمد بن خلف بن المرزبان قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال
غنيت الواثق
صوت
(عَفَا طَرَفُ القُرَيّةِ فالَكثِيبُ ... إلى مَلْحاءَ ليس بها عَرِيبُ)
(تأبّد رسمُها وجرى عليها ... سَوَافِي الريح والتُّربُ الغريبُ)
ولحنه ثقيل ثان قال فقال لي يا إسحاق قد أحسن ابن هرمة في البيتين فأي شيء هو أحسن فيهما من جميعهما قال قلت قوله الترب الغريب يريد أن الريح جاءت إلى الأرض بتراب ليس منها فهو غريب جاءت به من موضع بعيد فقال صدقت وأحسنت وأمر لي بخمسين ألف درهم
حدثني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن الحسن بن الحرون قال كنا يوما عند أحمد بن المدبر فغناه مغن كان عنده لحن إسحاق
صوت
(فأصبحتُ كالَحْومانِ ينظُر حسرةً ... إلى الماء عطشاناً وقد مُنِع الورْدَا)
وقال ابن المدبر زد فيه
(وأمسيتُ كالمسلوبِ مهجةَ نفسه ... يرى الموتَ في صدّ الحبيب إذا صَدّا)
لحن إسحاق في هذا البيت من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر
حدثني الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد الأزدي قال حدثني شيخ من ولد المهلب قال
دخل مروان بن أبي حفصة يوما على إبراهيم الموصلي فجعلا يتحدثان إلى أن أنشد إسحاق بن إبراهيم مروان بن أبي حفصة لنفسه
(إذا مُضَرُ الحمراءِ كانت أَرُومَتي ... وقام بنصري خازمٌ وابنُ خازمِ)
(عطَست بأنفٍ شامخٍ وتناولتْ ... يداي الثُّريّا قاعداً غيرَ قائمِ)
قال وجعل إبراهيم يحدث مروان وهو عنه ساه مشغول فقال له مالك لا تجيبني قال إنك والله لا تدري ما أفرغ ابنك هذا في أذني
حدثني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني الجرمي بن أبي العلاء قال حدثني موسى بن هارون عن يعقوب بن بشر قال كنت مع إسحاق الموصلي في نزهة فمر بنا أعرابي فوجه إسحاق خلفه بغلامه زياد الذي يقول فيه
((وقُولاَ لساقِينا زيَادٍ يُرِقّها ... فقد هَدَّ بعضَ القوم سَقْيُ زيادِ
قال فوافانا الأعرابي فلما شرب وسمع حنين الدواليب قال
صوت
(بَكَرتْ تَحِنُّ وما بِه وَجْدِي ... وأحِنُّ من وَجْدٍ إلى نَجْدِ)
(فدموعُها تَحْيا الرِّياضُ بها ... ودموعُ عيْنِي أقْرَحتْ خَدّي)
(وبساكِنِي نجدٍ كَلِفْتُ وما ... يُغْنِي لهم كَلَفِي ولا وَجْدي)
(لو قِيس وجدُ العاشقين إلى ... وجْدي لزاد عليه ما عندي)
قال فما انصرف إسحاق إلى بيته إلا محمولا سكرا وما شرب إلا على هذه الأبيات
والغناء فيها لإسحاق هزج بالبنصر
إسحاق والفضل بن الربيع وقصة البساط

أخبرني محمد بن مزيد والحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه وأخبرني به الحسن بن علي عن عبد الله بن أبي سعد عن محمد بن عبد الله عن إسحاق قال
دخلت على الفضل بن الربيع وهو على بساط سوسنجردي ستيني مذهب يلمع عليه مكتوب مما أمر بصنعته حماد عجرد فقال لي أتدري من حماد عجرد قلت لا قال حماد عجرد كان والي تلك
الناحية أفرأيت مثله قط قلت لا فسكت ثم قلت أهكذا يفعل الناس قال أي شيء يفعلونه قلت تهبه لي قال لا أفعل قلت إذا أغضب قال ما شئت افعل فخرجت متغاضبا فلما وافيت منزلي إذا برسوله قد لحقني بالبساط فكتبت إليه بيتين لحمزة بن مضر
(ولقد عدَدْتُ فلستُ أُحصِي كلَّ ما ... قد نِلْتُ منك من المتاع المُونِق)
(بخديعتي فأراك مُنخدعاً لها ... وفُكاهتي وتَغَضُّبي وتملُّقي)
قال ابن أبي سعد في خبره فلما دخلت عليه ضحك وقال لي البيتان خير من البساط فالفضل الآن لك علينا
أخبرني يحيى بن علي وأحمد بن جعفر جحظة عن أبي العبيس بن حمدون عن عمرو بن بانة قال
رأيت إبراهيم بن المهدي يناظر إسحاق في الغناء فتكلما بما فهماه ولم أفهم منه شيئا فقلت لهما لئن كان ما أنتما فيه من الغناء فما نحن منه في قليل ولا كثير
أخبرنا يحيى بن علي قال حدثني أبي قال حدثني إسحاق قال
قدمت على الواثق في بعض قدماتي فقال لي أما اشتقت إلي فقلت بلى والله يا أمير المؤمنين وأنشدته
(أشكو إلى الله بُعدِي عن خليفته ... وما أُعالج من سُقْمٍ ومن كِبَرِ)
(لا أستطيع رحيلاً إن هَمِمتُ به ... يوماً إليه ولا أقوىَ على السَّفر)
(أنْوي الرَّحيلَ إليه ثمّ يمنعني ... ما أحدَثَ الدهرُ والأيامُ في بَصَري)
قال وقال وقد أشخصه إليه قصيدته الدالية
صوت
(ضَنّتْ سعادُ غَداة البَيْن بالزادِ ... وأخلفتْكَ فما تُوفِي بميعادِ)
((ما أنْسَ لا أنْسَ منها إذ تُودِّعُنا ... والحزنُ منها وإن لم تُبْدِه بادي
لإسحاق في هذين البيتين رمل بالوسطى يقول فيها
(لمّا أمَرتَ بإشخاصي إليك هَفَا ... قلبي حنيناً إلى أهلي وأولادي)
(ثم اعتزمتُ ولم أحْفِل ببَيْنِهمُ ... وطابتِ النفسُ عن فضلٍ وحمّاد)
(كمْ نِعمةٍ لأبيك الخيرِ أفردَني ... بها وعَمّ بأُخرَى بَعْد إفراد)
(فلو شكرتُ أياديكم وأنعُمَكم ... لمَا أحاط بها وَصْفِي وتَعدادي)
(لأشكرنّك ما ناح الحَمَامُ وما ... حَدَا على الصبح في إثْر الدُّجى حادي)
قال علي بن يحيى قال لي أحمد بن إبراهيم يا أبا الحسن لو قال الخليفة لإسحاق أحضرني فضلا وحمادا أليس كان قد افتضح من دمامة خلقهما وتخلف شاهدهما
حدثني جحظة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال
كتب أبي إلى إسحاق في شيء خالفه فيه من التجزئة والقسمة إلى من أحاكمك والناس بيننا حمير
إسحاق والرشيد في تل عزاز
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا سليمان بن أيوب قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي قال حدثنا إسحاق قال
كنت مع الرشيد حين خرج إلى الرقة فدخل يوما إلى النساء وخرجت فمضيت إلى تل عزاز فنزلت عند خمارة هناك فسقتني شرابا لم أر مثله حسنا وطيبا وطيب رائحة في بيت مرشوش وريحان غض وبرزت
بنت لها كأنها خوط بان أو جدل عنان لم أر أحسن منها قدا ولا أسيل خد ولا أعتق وجها ولا أبرع ظرفا ولا أفتن طرفا ولا أحسن كلاما ولا أتم تماما فأقمت عندها ثلاثا والرشيد يطلبني فلا يقدر علي ثم انصرفت فذهبت بي رسله فدخلت عليه وهو غضبان فلما رأيته خطرت في مشيتي ورقصت وكانت في فضلة من السكر وغنيت
صوت
(إنّ قلبي بالتَّلِّ تَلِّ عَزَاز ... عند ظبيٍ من الظِّباء الجَوازي)
(شادنٍ يَسْكُنُ الشَآمَ وفيه ... مع دَلّ العِراق ظَرْفُ الحجاز)
(يا لقَومي لِبِنت قَسٍّ أصابتْ ... منك صفوَ الهوى وليست تُجازي)
(حلفتْ بالمسيح أن تُنجز الوعد ... وليست تجود بالإنجاز)
الغناء لإسحاق خفيف رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة قال إسحاق فسكن غضبه ثم قالي لي أين كنت فأخبرته فضحك وقال إن مثل هذا إذا اتفق لطيب أعد غناءك فأعدته فأعجب به وأمرني أن أعيده ليلة من أولها إلى آخرها وأخذها المغنون مني جميعا وشربنا إلى طلوع الفجر ثم انصرفنا فصليت الصبح ونمت فما استقررنا حتى أتى إلي رسول الرشيد فأمرني بالحضور فركبت ومضيت فلما دخلت وجدت ابن جامع قد طرح نفسه يتمرغ على دكان في الدار لغلبة السكر عليه ثم قال أتدري لم دعينا فقلت لا والله قال لكني أدري دعينا بسبب
نصرانيتك الزانية عليك وعليها لعنة الله فضحكت
فلما دخلت على الرشيد أخبرته بالقصة فضحك وقال صدق عودوا فيه فإني اشتقت إلى ما كنا فيه لما فارقتموني فعدنا فيه يومنا كله حتى انصرفنا
أخبرنا الحسن بن علي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبي قال
كان إسحاق قد أظهر التوبة وغير زيه واحتجر من حضور دار السلطان
فبلغه أن المأمون وجد عليه من ذلك وتنكر فكتب إسحاق إليه وغنى فيه بعد ذلك
صوت
(يابنَ عمِّ النبيّ سمعاً وطاعهْ ... قد خلعنا الرّداءَ والدُّرّاعهْ)
(ورجعنا إلى الصِّناعة لمّا ... كان سُخْطَ الإمام تركُ الصِّناعه)

الغناء لإسحاق رمل بالبنصر عن عمرو وقد ذكر الغلابي أن هذا الشعر لأبي العتاهية قاله لما حبسه الرشيد وأمره بأن يقول الشعر وذكر حبش أن هذا اللحن لإبراهيم
أخبرني يحيى بن علي قال حدثني أبي قال
قال لي محمد بن الحسن بن مصعب وكان بصيرا بالغناء والنغم
لحن إسحاق في تشكى الكميت الجري أحسن من لحن ابن سريج ولحنه في يوم تبدي لنا قتيلة أحسن من لحن معبد وذلك من أجود صنعة معبد
قال فأخبرت إسحاق بقوله فقال قد والله أخذت بزمامي راحلتيهما وزعزعتهما وأنخت بهما فما بلغتهما
فأخبرت بذلك محمد بن الحسن فقال هو والله يعلم أنه برز عليهما ولكنه لا يدع تعصبه للقدماء
وأخبرني جحظة قال حدثني حماد بن إسحاق
أن رجلا سأل أباه فقال له إن الناس قد كثروا في صوتيك تشكى الكميت الجري ويوم تبدي لنا قتيلة وقالوا إنهما أجود من لحني ابن سريج ومعبد قال أبي ويحك رميت في هذه الصوتين بمعبد وابن سريج وهما هما فقربت ووقع القياس بيني وبينهما وعلى ذلك فقد والله أخذت بزمامي راحلتيهما وانتصفت منهما

تحليل غنائه في بعض الكتب

قرأت في بعض الكتب أن محمد بن الحسن أظنه ابن مصعب ذكر إسحاق الموصلي فقال
كانت صنعته محكمة الأصول ونغمته عجيبة الترتيب وقسمته معدلة الأوزان وكان يتصرف في جميع بسط الإيقاعات فأي بساط منها أراد أن يتغنى فيه صوتا قصد أقوى صوت جاء في ذلك البساط لحذاق القدماء فعارضه وقد كان يذهب مذهب الأوائل ويسلك سبيلهم ويقتحم طرقهم فيبني على الرسم فيصنعه ويحتذي على المثال فيحكيه فتأتي صنعته قوية وثيقة يجمع فيها حالتين القوة في الطبع وسهولة المسلك
وخنثا بين كثرة النغم وترتيبها في الصياح والإسجاح فهي بصنعة الأوائل أشبه منها بصنعة المتوسطين من الطبقات فأما المتأخرون فأحسن أحوالهم أن يرووها فيردوها
وكان حسن الطبع في صياحه حسن التلطف لتنزيله من الصياح إلى الإسجاح على ترتيب بنغم يشاكله حتى تعتدل وتتزن أعجاز الشعر في القسمة بصدوره
وكذلك أصواته كلها وأكثرها يبتدئ الصوت فيصيح فيه وذلك مذهبه في جل غنائه حتى كان كثير من المغنين يلقبونه الملسوع لأنه يبدأ بالصياح في أحسن نغمة فتح بها أحد فاه ثم يرد نغمته فيرجحها ترجيحا وينزلها تنزيلا حتى يحطها من تلك الشدة إلى ما يوازيها من اللين ثم يعود فيفعل مثل ذلك فيخرج من شدة إلى لين ومن لين إلى شدة وهذا أشد ما يأتي في الغناء وأعز ما يعرف من الصنعة
قال يحيى بن علي بن يحيى وقد ذكر إسحاق في صدر كتابه الذي ألف في أخباره وزاد في بعض ما صنعه
وكان إسحاق أعلم أهل زمانه بالغناء وأنفذهم في جميع فنونه وأضربهم بالعود وبأكثر آلات الغناء وأجودهم صنعة وقد تشبه بالقديم وزاد في بعض ما صنعه عليه وعارض ابن سريج ومعبدا فانتصف منهما وكان إبراهيم بن المهدي ينازعه في هذه الصناعة ولم يبلغه فيها ولم يكن بعد إسحاق مثله
أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال حدثنا أبو أيوب المديني قال حدثني إبراهيم بن علي بن هشام
قال إسحاق وذكر صوته

صوت

(كان افتتاح بلائِيَ النَّظرُ ... فالحَيْنُ سبَّب ذاك والقَدَرُ)
(قد كان بابُ الصَّبر مُفْتَتَحاً ... فاليومَ أُغْلِقَ بابَهُ النَّظرُ)

الشعر والغناء لإسحاق ثقيل أول مطلق في مجرى البنصر
وفيه لأحمد بن المكي خفيف ثقيل ولعريب ثاني ثقيل جميعا عن الهشامي قال إسحاق
ما شبهت صوتي هذا إلا بإنسان أخذ الكرة على الطبطابة وأهل الميدان جميعا خلفه فلما بلغ أقصى ضربها أحجزها

قصته مع يحيى بن معاذ والأمين

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن يزيد المهلبي قال حدثني إسحاق وأخبرنا يحيى بن علي عن أبي أيوب المديني عن ابن المكي عن إسحاق قال
صنعت هذا الصوت في آخر أيام الرشيد وكان إذ ذاك يحيى بن معاذ يشرب النبيذ فلما كان في أيام محمد غنيته فاشتهاه واشتهر به وبعث إلى يحيى بن معاذ وأنا أغنيه
(اسقني وابنَ نَهيكٍ ... وابن يحيى بنِ مُعاذِ)
فلما حضر يحيى غنيت
(فاسقني واسقِ نَهيكاً ... واسقِ يحيى بنَ مُعاذِ)
فبعث إليه محمد فأحضره فقال لتشربن أو لأعاقبنك فلم يبرح حتى شرب قدحا وغلفه وأمر له بمال وسر بذلك محمد ووهب لي عليه مالا وانصرفت إلى البيت فجاءني رسول يحيى بن معاذ فصرت إليه فلم يزل يستحلفني ألا أعود في هذا الصوت قدام محمد أبدا وأمر لي من المال بشيء فلم أقبله ولم أعد فيه

نسبة هذا الصوت

صوت

(يومُنا يومُ رَذَاذِ ... واصطباحٍ والتذاذِ)
(فاسقني وابنَ نَهيكٍ ... وابنَ يحيى بن مُعاذِ)
(من كُمَيْتٍ عُتِّقت للشيخ ... ِ كِسرى بن قُبَاذِ)
(ليس للمرء من الهمّ ... سواها من مَلاذِ)

الشعر لعلي بن هشام والغناء لإسحاق ثقيل أول بالبنصر عن عمرو
أخبرني بقوله علي بن هشام والحسن بن علي قالا حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أحمد بن القاسم الهاشمي قال حدثني أبو عبد الله الهلالي قال
كنت عند علي بن هشام يوما إذ رشت السماء رشا وطشت فأنشأ علي يقول

(يومُنا يومُ رذاذٍ ... واصطباحٍ والتذاذٍ)
وذكر الأبيات الأربعة ثم قال لغلامه اذهب إلى أحمد بن يحيى بن معاذ وقل له يقول لك أخوك هذا يوم طيب فتعال أنت وغلاماك بنان وعثعث فجاء إلى بابه الرسول وعليه غرماء له فمنعوه الدخول عليه فقال لهم كم لكم عليه قالوا مائتا ألف درهم فرجع الغلام إلى علي بن هشام فأخبره بالخبر ومبلغ ما لهم عليه من الدين فقال له احمل إليه مائتي ألف ردهم وجئ به وبغلاميه الساعة فحملها فجاء أحمد بن يحيى ومعه
غلاماه فقال لعلي بن هشام لم تحملت هذا لي أنا والله منتظر ما لا يجيء فأعطيهم فقال له مالي ومالك واحد
فتغديت معهما حتى جاءت الحلواء فقال أكثر من الحلواء فلست تدخل معنا في ديواننا يعني الشرب فأكلت وغسلت يدي فقال لغلامه سراج احمل مع أبي عبد الله الهلالي ثلاثين ألف درهم فانصرفت وهي معي
إسحاق يتذكر شعر الصبا ويبكي
أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا سليمان المدائني عن ابن المكي عن أبيه قال حدثني إسحاق قال
تعشقت جارية فقلت فيها
(هل إلي أن تنام عيني سبيلُ ... إنّ عهدي بالنوم عهدٌ طويلُ)
(غاب عنّي مَنْ لا أسمّي فعيْني ... كلَّ يوم عليه حُزْناً تَسِيل)
الشعر والغناء لإسحاق رمل بالبنصر عن عمرو
وفيه لعريب خفيف رمل آخر
وفيه لمحمد بن حمزة وجه القرعة خفيف ثقيل وقيل إنه لابن المكي
وفيه رمل بالوسطى ينسب إلى علويه وإلى حسين بن محرز قال إسحاق ثم ملكتها فكنت مشغوفا بها حتى كبرت واعتلت علي عيناي فذكرت هذا الصوت وأيامه المتقدمة فما زلت أبكي وأذكر دهري الذي تولى
وأخبرني بهذا الخبر الحسن بن علي عن يزيد المهلبي عن إسحاق وليس هذا على التمام
أخبرني جحظة عن محمد بن أحمد بن يحيى المكي عن أبيه قال
دعا المأمون بإسحاق فأحضره فأمره أن يغني في هذا الصوت فغنى
(... (هل إلى أن تَنامَ عَيْني سبيلُ
فغناه وكنت حاضرا فقلت أحسن والله يا أمير المؤمنين وما عدا بلحنه معنى شعره فقال المأمون فإنا نرد الحكم إلى من هو أعلم بذلك منك فبعث إلى أبي يعني يحيى المكي فجيء به فخبره بما قلت وما قال وأمر إسحاق برد الصوت فرده فقال يحيى أحسن إسحاق في غنائه وأحسن ابني في استحسانه إلا أن هذا اللحن يحتاج أن يسمع من غير حلق إسحاق فضحك المأمون وأمر لإسحاق بمال وأمر لأبي بمثله ولي بمثله
قال ولم يكن في إسحاق شيء يعاب إلا حلقه وكان يغلب الناس جميعا بطبعه وحذقه
قال وأما السبب في علة عين إسحاق وضعف بصره فأخبرني به محمد بن خلف وكيع قال حدثني به أبو أيوب المديني قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي
أن إبراهيم ابن أخي سلمة الوصيف نازع إسحاق في شيء بين يدي الرشيد من الغناء فرد عليه فشتمه فرد عليه إسحاق واربى في الرد فقال له إبراهيم أترد علي وأنا مولى أمير المؤمنين فقال له اسكت فإنك من موالي العيدين فقال له الرشيد وأي شيء موالي العيدين قال يا أمير المؤمنين يشترى للخلفاء كل صانع وكل ضرب في العبيد للعتق فيكون فيهم الحجام والحائك والسائس فهو أحد هؤلاء الذين ذكرت
قال وخرج إبراهيم فوقف له على طريقه فلما جاز عليه منصرفا ضرب رأسه بمقرعة فيها معول فكان ذلك سبب ضعف بصر إسحاق
وبلغ الرشيد الخبر فأمر بأن يحجب عنه إبراهيم وحلف ألا يدخل عليه فدس إلى الرشيد من غناه
صوت
(مَنْ لعبدٍ أذلَّه مولاهُ ... ماله شافعٌ إليه سواهُ)
(يشتِكي ما به إليه ويخشاه ... ُ ويرجوه مثلَ ما يخشاه)
الشعر لأبي العتاهية والغناء لإبراهيم ابن أخي سلمة الوصيف خفيف رمل
وفيه لعريب ثقيل أول
وقيل إن لابن جامع فيه خفيف رمل آخر فلما غني الرشيد بهذه الأبيات سأل عن صاحب لحنها فعرفه فحلف ألا يرضى عنه حتى يرضى إسحاق فقال إسحاق فقال قد رضيت عنه يا سيدي رضاء حسنا وقبل الأرض بين يديه شكرا لما كان من قوله فرضي عنه وأحضر وأمره بترضي إسحاق ففعل
إسحاق وإبراهيم ابن أخي سلمة
وأخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد عن أبيه قال
جاء إبراهيم ابن أخي سلمة إلى الرشيد فقال له يا أمير المؤمنين إني أحب أن تشرفني بأن تكون نوبتي ونوبة إسحاق الموصلي في مكان وأن يكون دخولي إليك ودخوله في مكان فإن رأيت أن تجعل ذلك كما سألت فعلت قال قد فعلت ولم أكن حاضرا لمسألته
فلما كان يوم دخولي عليه جاءني إبراهيم فدق بابي دقا عنيفا وعرفني الغلام خبره فقلت له يدخل فأبى وقال له قل له اخرج أنت فساء ظني واغتممت فخرجت إليه فقلت له ما الخبر قال إن أمير المؤمنين يأمرك بالحضور ويأمرك ألا تدخل الدار إلا معي بعد أن أوجه إليك فتركب إلي وتمضي معي فمضيت معه على رغمي وأنا منكسر وكنت بقية يومي على تلك الحال
ثم ركبت إلى الفضل بن الربيع فشكوت ذلك إليه فقال ما أرى أمير المؤمنين يحلك هذا المحل قم بنا إليه فقمت معه فدخل إلى الرشيد فقال له يا أمير المؤمنين إسحاق وخدمته وحقوق أبيه عليك وعلى أمير المؤمنين المهدي
تضع مقداره أن تجعله مضموما إلى إبراهيم ابن أخي سلمة قال لا والله ما فعلت هذا قال إنه قد جاءني يبكي ويحلف إن جرى عليه هذا تاب من الغناء وتركه جملة ثم لو قتل لم يعد إليه فقال ويحك والله ما جرى من هذا شيء إلا أن إبراهيم ابن أخي سلمة جاء فقال تشرفني أن تجعل نوبتي مع نوبة إسحاق ووصولي مع وصوله ففعلت فقل له يجيء متى شاء وينفرد عنه ولا يجيء معه ولا كرامة فأخبرني فرجعت

فلما كانت نوبتي جاء إبراهيم إلي ففعل مثل فعله فقلت لغلامي اخرج إليه فقل له ولا كرامة لك يا زاني يابن الزانية لا أجيء معك ولا أدعك تجيء معي أيضا وشتمه أقبح شتم فخرج الغلام فأدى إليه الرسالة فعلم أن هذا لم يتجرأ عليه إلا بعد توثق فخجل فقال له قل له ومن أكرهك على هذا إنما أحببت أن نصطحب ونتأنس في طريقنا فإن كرهت هذا فلا تفعله وانصرف ولم يعاودني بعدها
أخبرني يحيى بن علي قال حدثنا أبو أيوب المديني عن ابن المكي عن أبيه قال
كان إسحاق إذا غنى هذا الصوت يأخذ بلحيته ويبكي
(إذا المرءُ قاسى الدهرَ وابيضَّ رأسُه ... وثُلِّم تثليمَ الإناءِ جوانبُهْ)
(فَلَلْموتُ خيرٌ من حياةٍ خَسيسةٍ ... تُباعده طوراً وطوراً تُقاربه)
الشعر لزبان بن سيار الفزاري حدثني بذلك الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار عن عمه
والغناء لإسحاق رمل بالوسطى
أخبرنا محمد بن مزيد والحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه وأخبرنا يحيى بن علي عن أبيه عن إسحاق قال
أقام المأمون بعد قدومه عشرين شهرا لا يسمع حرفا من الأغاني فكان أول من تغنى بحضرته أبو عيسى بن الرشيد ثم واظب على السماع متسترا متشبها في أول أمره بالرشيد فأقام كذلك أربع حجج ثم ظهر إلى الندماء والمغنين
وكان حين أحب السماع سأل عني فجرحت بحضرته وقال الطاعن علي ما يقول أمير المؤمنين في رجل يتيه على الخلافة قال المأمون ما أبقى هذا من التيه شيئا إلا استعمله
فأمسك عن ذكري وجفاني من كان يصلني لسوء رأيه الذي ظهر في فأضر ذلك بي حتى جاءني علويه يوما فقال لي أتأذن لي في ذكرك فإنا قد دعينا اليوم فقلت لا ولكن غنه بهذا الشعر فإنه سيبعثه على أن يسألك لمن هذا فإذا سألك انفتح لك ما تريد وكان الجواب أسهل عليك من الابتداء فقال هات فألقيت عليه لحني في شعري
صوت
(يا سَرْحةَ الماءِ قد سُدَّتْ مواردُه ... أمَا إليكَ طريقٌ غيرُ مسدودِ)
(لحائمٍ حامَ حتّى لا حِيامَ له ... مُحَلَّإٍ عن طريق الماء مطرودِ)
الغناء لإسحاق رمل بالوسطى عنه وعن عمرو قال فمضى علويه فلما استقر به المجلس غناه بالشعر الذي أمرته فما عدا المأمون أن يسمع الغناء حتى قال ويحك يا علويه لمن هذا قال يا سيدي لعبد من عبيدك جفوته واطرحته من غير جرم فقال أإسحاق تعني قال نعم
قال يحضر الساعة فجاءني رسوله فصرت إليه
فلما دخلت عليه قال ادن فدنوت فرفع يديه مادهما فانكببت عليه واحتضنني بيديه وأظهر من بري وإكرامي ما لو أظهره صديق مؤانس لصديقه لبره
إسحاق يغني المعتضد
أخبرني محمد بن إبراهيم الجرجاني قريض قال قال لي أحمد بن أبي العلاء
غنيت المعتضد يوما وهو أمير صوت إسحاق
(يا سرحةَ الماء قد سُدَّتْ مواردُه ... أما إليكِ طريقٌ غيرُ مسدودِ)
فطرب واستعاده مرارا وقال هذا والله الغناء الذي يخالط الروح ويمازج اللحم والدم
أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا أبو العبيس بن حمدون قال أخبرني أبي قال لما غنى إسحاق في شعره هذا
صوت
(لأسماءَ رَسْمٌ عفا باللِّوَى ... أقام رَهيناً لطُول البِلَى)
(تَعاورَه الدهرُ في صَرْفِه ... بكَرِّ الجديدَيْن حتّى عفا)
الشعر لإسحاق من قصيدة مدح بها الرشيد والغناء له ثاني ثقيل بالوسطى
وفيه لسليم ثقيل أول من رواية الهشامي وذكر حبش أنه لإبراهيم ابن المهدي قال فكان الناس يتهادون الطرفة والباكورة
وقال أبو العبيس حدثني ابن مخارق أن الواثق بعث إلى أبيه مخارق لما صنع إسحاق هذا الصوت ليلقيه عليه فصادفه عليلا ولم يكن أحد يلقن عن إسحاق طرح الغناء كما يلقنه مخارق فأعاد إليه الرسول ومعه محفة لا بد أن يجيء على كل حال فتحامل وصار إليه حتى أخذ الصوت عن إسحاق ورجع
وذكر محمد بن الحسين الكاتب عن أبي حارثة الباهلي عن أخيه أبي معاوية
أن إسحاق كان يتحلى بالشجاعة والفروسية ويحب أن ينسب إليهما ويركب الخيل ويتعلم بها آفة من الآفات المعترضة على العقول
وكان قد شهد بعض مشاهد الحروب فأصابه سهم فنكص على عقبيه فقال أخوه طياب فيه
(وأنت تكلّفتَ ما لا تُطيق ... وقلتَ أنا الفارسُ المَوْصِلِي)
(فلمّا أصابتك نُشَّابةٌ ... رجعت إلى سِنّك الأوّل)
أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه عن إسحاق قال
قال حمزة الزيات القارئ يا موصلي إن لي فيك رأيا أفترضى
مع فهمك وأدبك ورأيك أن يكون عوضك من الآخرة فضل مطعم على مطعم
حدثني علي بن سليمان الأخفش قال أنشدني أبو سعيد السكري قال أنشدني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي لعمه يقول لإسحاق
(أئنْ تَغنّيتَ للشَّربِ الكرامِ ألا ... ردّ الخليط جمالَ الحيّ فانفرقوا)
(وقيل أحسنتَ فاستدعاكَ ذاكَ إلى ... ما قلتَ ويحك لا يَذهَبْ بك الخَرَقُ)
(وقيل أنت حُسَانُ الناسِ كلِّهِمُ ... وابنُ الحُسانِ فقد قالوا وقد صدَقوا)
(فما بهذا تقوم الناديات ولا ... يُثْنَى عليك إذا ما ضَمَّك الخِرَقُ)
قال يحيى بن علي إن هذه الأبيات تروى لابن المنذر العروضي وللأصمعي
إسحاق والأصمعي
قال مؤلف هذا الكتاب كان إسحاق يأخذ عن الأصمعي ويكثر الرواية عنه ثم فسد ما بينهما فهجاه إسحاق وثلبه وكشف

للرشيد معايبه وأخبره بقلة شكره وبخله وضعة نفسه وأن الصنيعة لا تزكو عنده ووصف له أبا عبيدة معمر بن المثنى بالثقة والصدق والسماحة والعلم وفعل مثل ذلك للفضل
ابن الربيع واستعان به ولم يزل حتى وضع مرتبة الأصمعي وأسقطه عندهم وأنفذوا إلى أبي عبيدة من أقدمه
أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال
أنشدت الفضل بن الربيع أبياتا كان الأصمعي أنشدنيها في صفة فرس
(كأنه في الجلِّ وهو سامِي ... مُشتمِلٌ جاء من الحمّامِ)
(يَسُور بين السَّرْج واللِّجامِ ... سَوْرَ القَطَامِيِّ إلى اليَمامِ)
قال ودخل الأصمعي فسمعني أنشدها فقال هات بقيتها فقلت له ألم تقل إنه لم يبق منها شيء فقال ما بقي منها إلا عيونها ثم أنشد بعد هذه الأبيات ثلاثين بيتا منها فغاظني فعله فلما خرج عرفت الفضل بن الربيع قلة شكره لعارفه وبخله بما عنده ووصفت له فضل أبي عبيدة معمر ابن المثنى وعلمه ونزاهته وبذله لما عنده واشتماله على جميع علوم العرب ورغبته فيه حتى أنفذ إليه مالا جليلا واستقدمه فكنت سبب مجيئه به من البصرة
أخبرني عمي قال حدثنا فضل اليزيدي عن إسحاق قال
جاء عطاء الملك بجماعة من أهل البصرة إلى قريب أبي الأصمعي وكان نذلا من الرجال فوجده ملتفا في كسائه نائما في الشمس فركضه برجله وصاح به يا قريب قم ويلك فقال له هل لقيت أحدا من أهل
العلم قط أو من أهل اللغة أو من العرب أم من الفقهاء أو من المحدثين قال لا والله قال ولا سمعت شيئا ترويه لنا أو تنشدناه أو نكتبه عنك قال لا والله فقال لمن حضر هذا أبو الأصمعي فاشهدوا لي عليه وعلى ما سمعتم منه لا يقل لكم غدا أو بعده حدثني أبي أو أنشدني أبي ففضحه
قال الفضل ثم مرض الأصمعي وكان الحال بينه وبين إسحاق الموصلي انفرجت فعاده أبو ربيعة وكان يرغب في الأدب وببر أهله فقال له الأصمعي أقرضني خمسة آلاف درهم فقال أفعل
فقال له أبو ربيعة فأي شيء تشتهي سوى هذا فقال أشتهي أن تهدي إلي فصا حسنا وسيفا قاطعا وبردا حسنا وسرجا محلى فقال أفعل وبعث بذلك إليه لما عاد إلى منزله
وبلغ ذلك إسحاق فقال
(أليس من العجائب أنّ قِرْداً ... أُصَيْمِعَ باهِلِيًّا يستطيلُ)
(ويزعُم أنه قد كان يُفْتي ... أبا عمرٍو ويسألُه الخليلُ)
(إذا ما قال قال أبي عجِيناً ... لِما يأتي به ولِما يقولُ)
(وما إن كان يَدْرِي ما دَبِيرٌ ... أبوه إن سألتَ وما قَبِيلُ)
(وجَلَّله عطاءُ المُلْكِ عاراً ... تزول الراسياتُ ولا يزولُ)
(نصحتُ أبا ربيعةَ فيه جُهْدِي ... وبعضُ النصح أحياناً ثقيلُ)
(فقل لأبي رَبيعةَ إذ عصاني ... وجارَ به عن القصد السبيلُ)
(لقد ضاعتْ برودُك فاحتسبْها ... وضاع الفَصُّ والسيفُ الصقيلُ)
(وسرجٌ كان للبِرذَوْنِ زَيْناً ... له في إثْرِه جَزَعاً صهيلُ)
(وأمّا الخمسةُ الآلافِ فاعلمْ ... بأنّك غَبْنَها لا تستقيلُ)
(وأنّ قضاءها فَتَعزَّ عنها ... سيأتي دونه زمنٌ طويلُ)
حدثني محمد بن مزيد قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال
كنت جالسا بين يدي الواثق وهو ولي عهد إذ خرجت وصيفة من القصر كأنها خوط بان أحسن من رأته عيني قط تقدم عدة وصائف بأيديهن المذاب والمناديل ونحو ذلك فنظرت إليها نظر دهش وهو يرمقني
فلما تبين إلحاح نظري قال ما لك يا أبا محمد قد انقطع كلامك وبانت الحيرة فيك فتلجلجت فقال لي رمتك والله هذه الوصيفة فأصابت قلبك فقلت غير ملوم فضحك ثم قال أنشدني في هذا المعنى فأنشدته قول المرار
(أَلِكْنِي إليها عَمْرَكَ اللّهَ يا فتى ... بآية ما قالت متَى هو رائحُ)
((وآيةِ ما قالت لهنّ عَشيَّةً ... وفي السِّتر حُرّاتُ الوجوه مَلائحُ)
(تَخَيَّرْنَ أَرْماكُنّ فارْمِينَ رمية ... أخا أسدٍ إذ طرَّحتْه الطوارحُ)
(فَلَبَّسْنَ مِسْلَاسَ الوشاح كأنها ... مَهَاةٌ لها طِفْلٌ برُمَّانَ راشحُ)
فقال له الواثق أحسنت بحياتي وظرفت اصنع فيها لحنا فإن جاء كما نريد وأطربنا فالوصيفة لك فصنعت فيه لحنا وغنيته إياه فاصطبح عليه وشرب بقية يومه وليلته حتى سكر ولم يقترح علي غيره وانصرفت بالجارية
يغني الواثق وهو خاثر النفس فيهش إليه
حدثني عمي قال حدثني فضل اليزيدي عن إسحاق قال
دخلت على الواثق يوما وهو خاثر النفس فأخذت عودا من الخزانة ووقفت بين يديه فغنيته
(من الظباء ظباءٌ همُّها السُّخُبُ ... نرعَى القلوبَ وفي قلبي لها عُشُبُ)
(أهوى الظباءَ اللواتي لا قُرونَ لها ... وحليها الدُّرُّ والياقوتُ والذهبُ)
(لا يَغْتَرِبْنَ ولا يسكُنَّ باديةً ... وليس يَعْرفن ما صَرٌّ ولا حَلَبُ)
((وفي الذين غَدَوْا نفسي الفداءُ لهم ... شمسٌ تَبَرقعُ أحياناً وتنتقبُ)
(يا حسنَ ما سَرَقتْ عيني وما انتهبتْ ... والعينُ تَسرق أحياناً وتنتهبُ)
(إذا يدٌ سَرَقتْ فالقطعُ يلزمها ... والقطعُ في سَرَق العينين لا يجبُ)
قال فهش إلي ونشط ودعا بطعام خفيف وأكلنا واصطبح وأمر لي بمائة ألف درهم
وأخبرني به الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن علي بن الحسن عن إبراهيم بن محمد الكرخي عن إسحاق فذكر مثله وقال فيه فأمر لي بعشرة آلاف درهم
حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر عن أخيه محمد قال
كان إسحاق الموصلي يدخل في مبطنة وطيلسان مثل زي الفقهاء على المأمون فسأله أن يأذن له في دخول المقصورة يوم الجمعة بدراعة سوداء وطيلسان أسود فتبسم المأمون وقال له ولا كل هذا بمرة يا إسحاق ولكن قد اشترينا منك

هذه المسألة بمائة ألف درهم حتى لا تغتم وأمر بحملها إليه فحملت
حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني عبيد الله بن عبد الله قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات عن أبي خالد الأسلمي
أنه ذكر إسحاق يوما وكان يفضله ويعظم شأنه ويقدمه في الشعر تقديما مفرطا فقال ما قولكم في رجل محدث تشبه بذي الرمة وقال على لسانه
شعرا وغنى فيه ونسبه إليه فلم يشكك أحد سمعه أنه له ولا فطن لما فعل أحد إلا من حصل شعر ذي الرمة كله ورواه فسئل أبو خالد عن هذا الشعر فقال
(ومَدْرجةٍ للريح تَيْهاءَ لم تكن ... ليَجْشَمَها زُمَّيْلةٌ غيرُ حازمِ)
(يَضِلُّ بها الساري وإن كان هادياً ... وتَقْطَعُ أنفاسَ الرياحِ النواسم)
(تَعَسَّفْتُ أُفْرِي جَوْزَها بشِمِلَّةٍ ... بعيدةِ ما بين القَرَا والمَنَاسم)
(كأنّ شِرارَ المَرْوِ من نَبْذِها به ... نجومٌ هَوَتْ أخرى الليالي العواتم)
حدثني عمي وأحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا فضل اليزيدي عن إسحاق قال
غنيت المأمون يوما هذين البيتين
(لأحسنُ من قَرْعِ المَثَاني ورجعِها ... تَوَاتُر صوتِ الثغر يُقرَعُ بالثغر)
(وسكرُ الهوى أروى لعظمِي ومَفْصِلي ... من الشُّرب في الكاسات من عاتق الخمر)
فقال لي المأمون ألا أخبرك بأطيب من ذلك وأحسن الفراغ والشباب والجدة
حدثني الصولي قال حدثني الحسين بن يحيى قال
كان لإسحاق غلام يقال له فتح يستقي الماء لأهل داره على بغلين من بغاله دائما فقال إسحاق قلت له يوما أي شيء خبرك يا فتح قال خبري أنه ليس في هذه الدار أحد أشقى مني ومنك قلت وكيف ذلك قال أنت تطعم أهل الدار الخبز وأنا أسقيهم الماء فاستظرفت قوله وضحكت منه ثم قلت له فأي شيء تحب قال تعتقني وتهب لي البغلين أستقي عليهما فقلت له قد فعلت
أخبرني أبو الحسن أحمد بن محمد الأسدي قال حدثنا حماد بن إسحاق قال
كان لأبي البصير الشاعر قيان وكان يتكلم في الغناء بغير علم ولا صواب فيضحك منه فقال أبي فيه
(سكتُّ عن الغناء فما أُماري ... بصيراً لا ولا غيرَ البصير)
(مخافةَ أن أُجنَّن فيه نفسي ... كما قد جُنَّ فيه أبو البصير)
الرشيد ينهاه عن الغناء
أخبرني الحسين بن يحيى المرداسي قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال
نهاني الرشيد أن أغني أحدا غيره ثم استوهبني جعفر بن يحيى وسأله أن يأذن لي في أن أغنيه ففعل واتفقنا يوما عند جعفر بن يحيى وعنده أخوه الفضل والرشيد يومئذ بعقب علة قد عوفي منها وليس يشرب فقال لي الفضل انصرف إلي الليلة حتى أهب لك مائة ألف درهم فقلت له إن الرشيد قد نهاني ألا أغني إلا له أو لأخيك وليس يخفى عليه خبري وأنا متهم عنده بالميل إليكم ولست أتعرض له ولا أعرضك ولم أجبه
فلما نكبهم الرشيد قال إيه يا إسحاق تركتني بالرقة وجلست ببغداد تغني للفضل بن يحيى فحلفت بحياته أني ما جالسته قط إلا على المذاكرة
والحديث وأنه ما سمعني قط أغني إلا عند أخيه جعفر وحلفت بتربة المهدي أن يسأل عن هذا جميع من في الدار من نسائه فسأل عنه فحدثته بمثل ما ذكرته له وعرف خبر المائة الألف الدرهم التي بذلها لي فرددتها عليه
فلما دخلت عليه ضحك إلي ثم قال قد سألت عن أمرك فعرفت منه مثل ما عرفتني وقد أمرت لك بمائة ألف درهم عوضا مما بذله لك الفضل
حدثني الصولي قال حدثني ميمون بن هارون عن إسحاق أنه كان يقول الإسناد قيد الحديث فتحدث مرة بحديث لا إسناد له فسئل عن إسناده فقال هذا من المرسلات عرفا
حدثني الصولي قال حدثني ميمون بن هارون عن أبيه وحدثني عمي عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق قال
أنشدت الفضل بن يحيى قول أبي الحجناء نصيب مولى المهدي فيهم
صوت
(عند الملوكِ مَضَرَّةٌ ومنافعٌ ... وأرى البَرَامِكَ لا تَضُرُّ وتنفع)
(إنْ كان شرٌّ كان غيرُهم له ... أو كان خيرٌ فهو فيهم أجمع)
(إن العروقَ إذا استَسرّ بها الثَّرَى ... أشِرَ النباتُ بها وطابَ المَزْرَعُ)
(فإذا جَهِلْتَ من امرئ أعراقَه ... وقديمَه فانظر إل ما يصنع)
قال فقال كأنا والله لم نسمع هذا الشعر قط قد كنا وصلناه بثلاثين ألف درهم وإذا نجدد له الساعة صلة له ولك معه لحفظك الأبيات فوصلنا بثلاثين ألف درهم
المأمون يعتب عليه فيسترضيه بشعر
وأخبرني الصولي قال حدثني الحسن بن يحيى الكاتب أبو الجماز قال
عتب المأمون على إسحاق في شيء فكتب إليه رقعة وأوصلها إليه من يده ففتحها المأمون فإذا فيها قوله
(لا شيءَ أعظمُ من جُرْمِي سوى أملي ... لحسنِ عفوكَ عن ذنبي وعن زَلَلي)
(فإنْ يكن ذا وذا في القَدْرِ قد عَظُما ... فأنت أعظمُ من جُرْمِي ومن أملي)
فضحك ثم قال يا إسحاق عذرك أعلى قدرا من جرمك وما جال بفكري ولا أخطرته بعد انقضائه على ذكري
إسحاق وابن بانة في مجلس الواثق
حدثني عمي قال حدثني يزيد بن محمد المهلبي قال
خرجنا مع الواثق إلى القاطول للصيد ومعنا جماعة الجلساء والمغنين وفيهم عمرو بن بانة وعلويه ومخارق وعقيد وقدم إسحاق في ذلك الوقت فأخرجه معه فتصيد على القاطول ثم عاد فأكل وشرب أقداحا ثم أمر بالبكور إلى الصبوح فباكرنا

واصطبحنا
فغنى عمرو بن بانة لحن إبراهيم الموصلي
صوت
(بلوتُ أمورَ الناس طُرًّا فأصبحتْ ... مُذَمَّمةً عندي بَرَاءً من الحمدِ)
((وأصبح عندي من وَثِقتُ بغَيْبه ... بَغِيضَ الأيادِي كلُّ إحسانه نَكْدُ
ولحنه خفيف رمل بالوسطى فغناه على ما أخذه من إبراهيم بن المهدي وقد غيره
فقال الواثق لإسحاق أتعرف هذا اللحن فقال نعم هذا لحن أبي ولكنه مما زعم إبراهيم بن المهدي أنه جندره وأصلحه فأفسده ودمر عليه فقال له غنه أنت فغناه فأتى به على حقيقته واستحسنه الواثق جدا فغم ذلك عمرو بن بانة فقال لإسحاق أفأنت مثل إبراهيم بن المهدي حتى تقول هذا فيه قال لا والله ما أنا مثله أما على الحقيقة فأنا عبده وعبد أبيه وليس هذا مما نحن فيه وأما الغناء فما دخولك أنت بيننا فيه ما أحسنت قط أن تأخذ فضلا عن أن تغني ولا قمت بأداء غناء فضلا عن أن تميز بين المحسنين وإلا فغن أي صوت شئت مما أخذته عنه وعن غيره كائنا من كان فإن لم أوضح لك ولمن حضر أنه لا يسلم لك صوت من نقصان أجزاء وفساد صنعة فدمي به رهن فأساء عمرو الجواب وأغلظ في القول فأمضه الواثق وشتمه وأمر بإقامته عن مجلسه فأقيم
فلما كان من الغد دخل إسحاق على الواثق فأنشده
(ومجلسٍ باكرتُه بُكورا ... والطيرُ ما فارقتِ الوُكُورا)
(والصبحُ لم يستنطقِ العُصفورا ... على غَديرٍ لم يكن دُعْثُورا)
(لم تَرَ عيني مثلَه غَديرا ... يجري حَبَابُ مائة مَسجُورا)
(على حصًى تَحْسَبُه كافورا ... تسمعُ للماء به خَريرا)
(يَنْسِجُ أعلَى مَتْنِه سطورا ... نسيمُ ريحٍ قد وَنَتْ فُتورا)
(حتى تخالَ متنه حَصيرا ... والشَّربُ قد حَفُّوا به حُضورا)
(وأمروا الساقيَ أن يُديرا ... كأسَهمُ الأصغرَ والكبيرا)
((وأعملوا البمّ معاً والزيرا ... وجاوبتْ عيدانُهم زميرا
(وقرّبوا المُغَنّيَ النِّحْريرا ... مُقَدَّماً في حِذْقه مشهورا)
(فهم يطيرون به سرورا ... ولا ترى في شُربِهم تقصيرا)
(ولا لصفْوِ عيشهم تكديرا ... ولا لخُلْقٍ منهمُ نظيرا)
(إلاّ رُجَيْلاً منهمُ سِكّيرا ... مُعربداً مُوضِحاً شِرّيرا)
(مُدّعِياً للعلم مستعيرا ... يرومُ سعياً كاذباً مغرورا)
(وأن يكون عالماً بصيرا ... مُفَضَّلاً بعلمه مذكورا)
(غَمَزْتُه ولم يكن صَبورا ... فعاذ منّي هارباً مذعورا)
(بمعسرٍ تحسبُهم حميرا ... أشدّ منهم حمُقاً كثيرا)
(لا ينطِقون الدهرَ إلا زُورا ... حتّى إذا كَسَّرتُه تكسيرا)
(كالليث لمّا ضَغَم الخِنْزيرا ... ولّى انهزاماً خاسئاً مدحورا)
(معترفاً بذلّه مقهورا ... وكنتُ قِدْماً ضيغماً هَصُورا)
(معتلياً لقِرْنِه عَقورا ... وما أخاف الزمنَ العَثُورا)
(إذ كنتُ بالواثق مستجيرا ... قد عَزَّ مَنْ كان له نصيرا)
(إمامُ عدلٍ دبَّر الأمورا ... برأيه ولم يُردْ مُشيرا)
(ترى من الحقِّ عليه نورا ... تَقَيَّلَ المَهْدِيَّ والمنصورا)
(وجدَّه الأدنى تُقىً وخِيرا ... ورَّثه المعتصم التدبيرا)
(فأصبح الملكُ به مُنيرا ... وأصبح العدلُ به منشورا)
(قد أمِنَ الناسُ به المحظورا ... إذا علاَ المِنْبَرَ والسريرا)
(رأيت بدراً طالعاً منيرا ... بحراً ترى الغنيَّ والفقيرا)
(يرجون منه نائلاً غزيرا ... واللهِ لا زلتُ له شكورا)
((لا جاحِدَ النُّعْمَى ولا كَفُورا ... وكنتُ بالشكر له جديرا
حدثني الصولي قال حدثني ميمون بن هارون قال سمعت إسحاق يقول
أنشدني الأصمعي قول الأعشى
(إن تركبوا فركوبُ الخيلِ عادتُنا ... أو تنزلون فإنّا معشرٌ نُزُلُ)
ثم قلت له أي شيء تحفظ في هذا المعنى وكان مع بخله بالعلم لا يبخل بمثل هذا فأنشدني لربيعة بن مقروم الضبي
(ولقد شَهِدتُ الخيلَ يوم طِرادِها ... بسَلِيم أوْظِفَةِ القوائم هَيْكَلِ)
(فدعَوْا نَزَالِ فكنت أوّل نازل ... وعلامَ أركبُه إذا لم أنزلِ)
حدثني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد ابن محمد بن مروان قال حدثني عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع قال
اجتمعنا يوما إما قال في منزلي أو في منزل محمد بن الحارث بن بسخنر ودخلنا ودخل إلينا إسحاق الموصلي وعندنا ملاحظ تغنينا وقد قامت الصلاة فدخل إسحاق وهي غائبة فقال فيم كنتم ومن عندكم فأخبرناه
بخبرها فقال لا تعرفوها من أنا فيخرجها التصنع لي والتحفظ مني عن طبعها ولكن دعوها وهواها حتى ننتفع بها وخرجت وهي لا تعرفه وجلست كما كانت أولا وابتدأت وغنت والصنعة لفليح بن أبي العوراء ولحنه رمل
هكذا أخبرنا إسحاق أن الغناء لفليح
صوت
(إنّي تَعلّقْتُ ظبياً شادناً خَرِقاً ... عُلّقْتُه شِقوةً منّي وما عَلِقَا)
قال فطرب إسحاق وشرب حتى والى بين خمسة أقداح من نبيذ شديد كان بين يديه وهو يستعيدها فأخذ إسحاق دواة

وكتب
(سأشرب ما دامت تغنِّي ملاحظُ ... وإن كان لي في الشَّيْب عن ذاك واعِظُ)
(ملاحظُ غنِّينا بعيشك وليكن ... عليك لما استحفظتَه منك حافظ)
(فأقسم ما غنَّى غِناءَك مُحْسِنٌ ... مُجِيدٌ ولم يَلْفِظ كلَفْظِك لافظ)
(وفي بعض هذا القولِ منّي مَساءةٌ ... وغيظٌ شديد للمغنِّين غائظ)
إسحاق يحدث الرشيد عن البرامكة فيزجره
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبي قال حدثني إسحاق قال
قال لي الرشيد يوما بأي شيء يتحدث الناس قلت يتحدثون بأنك تقبض على البرامكة وتولي الفضل بن الربيع الوزارة
فغضب وصاح بي وما أنت وذاك ويلك فأمسكت
فلما كان بعد أيام دعا بنا فكان أول شيء غنيته
صوت
(إذا نحن صَدَقْنَاكَ ... فضَرّ عندك الصدقُ)
(طلبنا النفعَ بالباطِل ... إذ لم يَنفع الحقُّ)
((فلو قَدَّم صبًّا في ... هواه الصبرُ والرِّفقُ)
(لقُدِّمتُ على الناس ... ولكنّ الهوى رزقُ)
في هذه الأبيات خفيف رمل بالوسطى ينسب إلى إسحاق وإلى ابن جامع والصحيح أنه لإسحاق
وقيل إن الشعر لأبي العتاهية قال
فضحك الرشيد وقال لي يا إسحاق قد صرت حقودا
أخبرني الحسن قال حدثنا يزيد بن محمد قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال
دخلت على المعتصم يوما بسر من رأى فإذا الواثق بين يديه وعنده علويه ومخارق فغناه مخارق صوتا فلم ينشط له ثم غناه علويه فأطربه
فلما رأيت طربه لغناء علويه دون غناء مخارق اندفعت فغنيته لحني
صوت
(تَجَنَّبتَ ليلَى أن يَلِجَّ بك الهوى ... وهيهات كان الحبُّ قبل التجنُّبِ)
فأمر لي بألف دينار ولعلويه بخمسمائة دينار ولم يأمر لمخارق بشيء
نسبة هذا الصوت
صوت
(تَجَنَّبتَ ليلَى أن يَلِجَّ بك الهوى ... وهيهات كان الحبُّ قبل التجنُّب)
(إلا إنّما غادرتِ يا أُمَّ مالكٍ ... صَدًى أينما تَذهَبْ به الريحُ يَذْهَبِ)
الشعر للمجنون
والغناء لإسحاق ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق
وغنى ابن جامع في هذين البيتين وبيتين آخرين أضافهما إليهما ليسا من هذا الشعر هزجا بالبنصر
والبيتان المضافان
((بَرَى اللَّحمَ عن أحناءِ عظْمي ومَنْكِبي ... هَوًى لسُلَيمى في الفؤاد المعذَّبِ
(وإني سعيدٌ أنْ رأتْ لكِ مرّة ... من الدّهر عيني منزلاً في بَنِي أبي)
أخبرنا الحسن بن علي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبي قال
غنى علويه بين يدي الواثق يوما
صوت
(خليلٌ لي سأهجُرُه ... لذنبٍ لستُ أذكُرُه)
(ولكنّي سأرعاه ... وأكتُمه وأستُره)
(وأُظهِرُ أنّني راضٍ ... وأسكُتُ لا أُخَبِّرُه)
(لكي لا يعلمَ الواشي ... بما عندي فأكسِرُه)
الشعر والغناء لإسحاق هزج بالوسطى قال فطرب الواثق طربا شديدا واستحسن اللحن وأمر لعلويه بألف دينار ثم قال أهذا اللحن لك قال لا يا أمير المؤمنين هو لهذا الهزبر يعني إسحاق قال وكان إسحاق حاضرا فضحك الواثق وقال قد ظلمناه إذا وأمر لإسحاق بثلاثين ألف درهم
أخبرنا علي بن عبد العزيز الكاتب عن عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه عن أبيه قال
كان إسحاق عند الفتح بن الحجاج الكرخي وعلويه حاضر فغناه علويه
صوت
(عَلِقتُكِ ناشئاً حتّى ... رأيتِ الرأسَ مُبْيَضًّا)
(على يُسْرٍ وإعسارٍ ... وفَيْض نوالِكم فَيْضا)
((ألاَ أحبِب بأرضٍ كنت ... تحتلِّينَها أرضا
(وأهلَكِ حبَّذا ما هم ... وإن أبدَوْا لِيَ البُغضَا)
الشعر لابن أذينة
والغناء لابن سريج ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق
وفيه لإسحاق هزج خفيف مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق أيضا
وفيه للأبجر ثقيل أول ولإبراهيم الموصلي رمل جميع ذلك عن الهشامي
قال فغناه إياه في الثقيل ثم غناه هزجا فقال له الفتح لمن الثقيل فقال لابن سريج قال فلمن الهزج قال لهذا الهزبر يعني إسحاق فقال له الفتح ويلك يا إسحاق أتعارض ثقيل ابن سريج بهزجك قال فقبض إسحاق على لحيته ثم قال على ذلك فوالله ما فاتني إلا بتحريكه الذقن

المعتصم يخطئ في شعر فيصوبه له
أخبرني الحسن قال حدثني يزيد بن محمد قال حدثني إسحاق قال
دخلت يوما على المعتصم وعنده إسحاق بن إبراهيم بن مصعب واستدناني فدنوت منه واستدناني فتوقفت خوفا من أن أكون موازيا في
المجلس لإسحاق بن إبراهيم ففطن المعتصم فقال إن إسحاق لكريم وإنك لم تستنزل ما عند الكريم بمثل إكرامه
ثم تحدثنا وأفضت بنا المذاكرة إلى قول أبي خراش الهذلي
(حَمِدتُ إلهي بعد عُرْوَةَ إذ نجا ... خِراشٌ وبعضُ الشرِّ أهونُ من بعض)
فأنشدها المعتصم إلى آخرها وأنشد فيها
(ولم أدْرِ مَنْ ألْقَى عليه رِداءَه ... سوى أنه قد حُطّ عن ماجدٍ مَحْضِ)
والرواية قد بزعن ماجد محض فغلطت وأسأت الأدب فقلت يا أمير المؤمنين هذه رواية الكتاب وما أخذ عن المعلم والصحيح بز عن ماجد محض فقال لي نعم صدقت وغمزني بعينه يحذرني من إسحاق وفطنت لغلطي فأمسكت وعلمت أنه قد أشفق علي من بادرة تبدر من إسحاق لأنه كان لا يحتمل مثل هذا في الخلفاء من أحد حتى يعظم عقوبته ويطيل حبسه كائنا من كان فنبهني رحمه الله على ذلك حتى أمسكت وتنبهت
أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال قال عبيد الله بن معاوية قال عمرو ابن بانة
كنا عند المأمون فقال ما أقل الهزج في الغناء القديم وقال
إسحاق ما أكثره ثم غناه نحو ثلاثين صوتا في الهزج القديم
فقلت لأصحابي هذا الذي تزعمون أنه قليل الرواية
أخبرنا يحيى قال حدثنا أبي عن إسحاق قال
قال لي العباس بن جرير قاتلك الله مذكر فطنة ومؤنث طبيعة ما أمكرك
حدثنا يحيى بن علي قال حدثني أبي عن إسحاق قال وأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا يزيد بن محمد عن إسحاق قال
أنشدت بعض الأعراب شعرا لي أقول فيه
(أجَرَتْ سوابقُ دمعِك المُهْرَاقِ ... لمّا جرى لك سانحٌ بِفرَاقِ)
(إنّ الظعائنَ يومَ ناصِفةِ اللِّوَى ... هاجتْ عليك صبابةَ المُشتاقِ)
(لم أنْسَ إذ ألمحْنَنَا في رِقْبةٍ ... منهنّ بيضَ ترائبٍ وتَرَاقِ)
(وأشِرْنَ إذ ودَّعْنَنا بأناملٍ ... حُمْرٍ كهُدّابِ الدِّمَقْسِ رِقاقِ)
(ورمَتْك هندٌ يومَ ذاك فأقْصَدَتْ ... بأغَرَّ عذْبٍ باردٍ برّاقِ)
(وتنفّست لمّا رأتك صبابةً ... نَفَساً تصعَّد في حَشىً خَفّاقِ)
(ولقد حَذِرتُ فما نجوت مِسَلَّما ... حتى صُرعتُ مَصارعَ العُشّاقِ)
(إنّ الخلافة أُثبتتْ أوتادُها ... لمّا تحمّلها أبو إسحاق
(مَلِكٌ أغرُّ يلوح فوق جبينه ... نورُ الخلافة ساطعَ الإشراقِ)
(كُسِيَ الجلالَ مع الجمال وزَانَه ... هُدْيُ التُّقى ومكارمُ الأخلاقِ)
(صحَّتْ عروقُك في الجِياد وإنما ... يجري الجوادُ بصحّة الأعراقِ)
(ذخَر الملوكُ فكان أكثرُ ذُخْرهم ... للمُلْك ما جمعوا من الأوراقِ)
(وذخَرتَ أبناءَ الحروب كأنهم ... أُسْدُ العَرين على مُتون عِتاقِ)
(كم من كريمةِ مَعْشَرٍ قد أُنكِحتْ ... بسيوفِهم قَسْراً بغير صَداقِ)
(وعزيزةٍ في أهلِها وقَطِينها ... قد فارقت بَعْلاً بغير طلاقِ)
قال فقال لي أفليت والله يا أبا محمد فقلت له وما أفليت قال رعيت فلاة لم يرعها أحد غيرك
إذا حضر إسحاق أصبح المغنون أقل من التراب
أخبرنا يحيى بن علي قال حدثني أخي أحمد بن علي عن عافية بن شبيب قال
قلت لزرزور بن سعيد حدثني عن إسحاق كيف كان يصنع إذا حضر معكم عند الخليفة وهو منقطع ذاهب وحلوقكم ليس مثلها في الدنيا فقال كان والله لا يزال بحذقه ورفقه وتأنيه ولطفه حتى نصير معه أقل من التراب
أخبرنا يحيى قال حدثني أبي قال حدثنا إسحاق قال
دخلت على الفضل بن الربيع فقال لي يا إسحاق كثر والله شيبك فقلت أنا وذاك أصلحك الله كما قال أخو ثقيف
((الشيبُ إن يَظْهَرْ فإنّ وراءه ... عمراً يكون خِلالَه مُتَنَفَّسُ
(لم يَنْتَقِصْ منّي المشيبُ قُلامةً ... ولَنَحْنُ حين بدا ألَبُّ وأكيسُ)
قال هات يا غلام دواة وقرطاسا أكتبهما لي لأتسلى بهما
أخبرنا يحيى قال حدثني أبي قال حدثني إسحاق وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه وأخبرني الحسن بن علي عن يزيد بن محمد بن عبد الملك عن إسحاق قال
قال الفضل بن يحيى لأبي مالي لا أرى إسحاق عرفني ما خبره فقال خير
ورأى في كلامه شيئا يشكك فقال أعليل هو فقال لا ولكنه جاءك مرات فحجبه نافذ الخادم ولحقته جفوة فقال له فإن حجبه بعدها فلينكه
فجاءني أبي فقال لي القه فقد سأل عنك وخبرني بما جرى
وجئت فحجبت أيضا وخرج الفضل ليركب فوثبت إليه برقعة وقد كتبت فيها
(جُعِلتُ فداءَك من كلّ سوءٍ ... إلى حسن رأيك أشكو أُناسا)
(يحولون بيني وبين السلام ... فما إن أُسلّم إلاّ اختلاسا)
(وأنفذتُ أمرَك في نافذٍ ... فما زاده ذاك إلا شِمَاسا)
فلما قرأها ضحك حتى غلب ثم قال أو قد فعلتها يا فاسق فقلت لا والله يا سيدي وإنما مزحت فخجل نافذ خجلا شديدا ولم يعد بعد ذلك لمساءتي

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا أبو أيوب المديني عن محمد بن عبد الله بن مالك قال حدثني إسحاق قال
ذكر المعتصم يوما بعض أصحابه وقد غاب عنه فقال تعالوا حتى نقول ما يصنع في هذا الوقت فقال قوم يلعب بالنرد وقال قوم يغني فبلغتني النوبة فقال قل يا إسحاق قلت إذا أقول وأصيب قال أتعلم الغيب قلت لا ولكني أفهم ما يصنع وأقدر على معرفته قال فإن لم تصب قلت فإن أصبت قال لك حكمك وإن لم تصب قلت لك دمي قال وجب قلت وجب قال فقل قلت يتنفس قال فإن كان ميتا قلت تحفظ الساعة التي تكلمت فيها فإن كان مات فيها أو قبلها فقد قمرتني فقال قد انصفت قلت فالحكم قال احتكم ما شئت قلت ما حكمي إلا رضاك يا أمير المؤمنين قال فإن رضاي لك و قد أمرت لك بمائة ألف درهم أترى مزيدا فقلت ما أولاك بذلك يا أمير المؤمنين قال فإنها مائتا ألف درهم أترى مزيدا قلت ما أحوجني إلى ذلك يا أمير المؤمنين قال فإنها ثلثمائة ألف أترى مزيدا قلت ما أولاك بذلك يا أمير المؤمنين قال يا صفيق الوجه ما نزيدك على هذا شيئا

إسحاق يمدح سفينة محمد المخلوع

أخبرنا يحيى قال حدثني أبو أيوب قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال حدثني إسحاق قال
عمل محمد المخلوع سفينة فأعجب بها وركب فيها يريد الأنبار
فلما أمعن وأنا مقبل على بعض أبواب السفينة صاحوا إسحاق إسحاق
فوثبت فدنوت منه فقال لي كيف ترى سفينتي فقلت حسنة يا أمير المؤمنين عمرها الله ببقائك
فقام يريد الخلاء وقال لي قل فيها أبياتا فقلت وخرج فقمت في الأبيات فاشتهاها جدا وقال لي أحسنت يا إسحاق وحياتك لأهبن لك عشرة آلاف دينار قلت متى يا أمير المؤمنين إذا وسع الله عليك فضحك ودعا بها على المكان
ولم يذكر يحيى في خبره الأبيات
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال
غنيت الواثق في شعر قلته وأنا عنده بسر من رأى وقد طال مقامي واشتقت إلى أهلي وهو

صوت

(يا حَبّذا ريحُ الجَنوبِ إذا بدتْ ... في الصبح وهي ضعيفةُ الأنفاسِ)
(قد حُمِّلتْ بردَ النَّدَى وتَحمّلَتْ ... عَبَقاً من الجَثْجَاثِ والبَسْبَاس)
فشرب عليه واستحسنه وقال لي يا أبا محمد لو قلت مكان يا حبذا ريح الجنوب يا حبذا ريح الشمال ألم يكن أرق وأعذى وأصح للأجساد وأقل وخامة وأطيب للأنفس فقلت ما ذهب علي ما قاله أمير المؤمنين ولكن التفسير فيما بعد فقال قل فقلت
(ماذا تَهيج من الصَّبابة والهوى ... للصَّبِّ بعد ذهوله والياسِ)
فقال الواثق إنما استطبت ما تجيء به الجنوب من نسيم أهل بغداد لا الجنوب وإليهم اشتقت لا إليها فقلت أجل يا أمير المؤمنين وقمت
فقبلت يده فضحك وقال قد أذنت لك بعد ثلاثة أيام فامض راشدا وأمر لي بمائة ألف درهم
لحن إسحاق هذا من الثقيل الأول

جعفر بن يحيى البرمكي وعبد الملك بن صالح الهاشمي

أخبرني يحيى بن علي قال حدثني أبي عن إسحاق قال
لم أر قط مثل جعفر بن يحيى كانت له فتوة وظرف وأدب وحسن غناء وضرب بالطبل وكان يأخذ بأجزل حظ من كل فن من الأدب والفتوة
فحضرت باب أمير المؤمنين الرشيد فقيل لي إنه نائم فانصرفت فلقيني جعفر بن يحيى فقال لي ما الخبر فقلت أمير المؤمنين نائم فقال قف مكانك ومضى إلى دار أمير المؤمنين فخرج إليه الحاجب فأعلمه أنه نائم فخرج إلي وقال لي قد نام أمير المؤمنين فسر بنا إلى المنزل حتى نخلو جميعا بقية يومنا وتغنيني وأغنيك ونأخذ في شأننا من وقتنا هذا قلت نعم فصرنا إلى منزله فطرحنا ثيابنا ودعا بالطعام فطعمنا وأمر بإخراج الجواري وقال لتبرزن فليس عندنا من تحتشمن منه فلما وضع الشراب دعا بقميص حرير فلبسه ودعا بخلوق فتخلق به ثم دعا لي بمثل ذلك وجعل يغنيني وأغنيه ثم دعا بالحاجب فتقدم إليه وأمره بألا يأذن لأحد من الناس كلهم وإن جاء رسول أمير المؤمنين أعلمه أنه مشغول واحتاط في ذلك وتقدم فيه إلى جميع الحجاب والخدم ثم قال إن جاء عبد الملك فأذنوا له يعني رجلا كان يأنس به ويمازحه ويحضر خلواته ثم أخذنا في شأننا فوالله إني لعلى حالة سارة عجيبة إذ رفع الستر وإذا عبد الملك بن صالح الهاشمي قد أقبل وغلط الحاجب ولم يفرق بينه وبين الذي يأنس به جعفر بن يحيى
وكان عبد الملك بن صالح الهاشمي من جلالة القدر والتقشف وفي الامتناع من منادمة أمير المؤمنين على أمر جليل وكان
أمير المؤمنين قد اجتهد به أن يشرب معه أو عنده قدحا فلم يفعل ذلك رفعا لنفسه
فلما رأيناه مقبلا أقبل كل واحد منا ينظر إلى صاحبه وكاد جعفر أن ينشق غيظا
وفهم الرجل حالنا فأقبل نحونا حتى إذا صار إلى الرواق الذي نحن فيه نزع قلنسيته فرمى بها مع طيلسانه جانبا ثم قال أطعمونا شيئا فدعا له جعفر بالطعام وهو منتفخ غضبا وغيظا فطعم ثم دعا برطل فشربه ثم أقبل إلى المجلس الذي نحن فيه فأخذ بعضادتي الباب ثم قال اشركونا فيما أنتم فيه فقال له جعفر ادخل ثم دعا بقميص حرير وخلوق فلبس وتخلق ثم دعا برطل ورطل حتى شرب عدة أرطال ثم اندفع ليغنينا فكان والله أحسننا جميعا غناء
فلما طابت نفس جعفر وسري عنه ما كان به التفت إليه فقال له ارفع حوائجك فقال ليس هذا موضع حوائج فقال لتفعلن ولم يزل يلح عليه حتى قال له أمير المؤمنين علي واجد فأحب أن تترضاه قال فإن أمير المؤمنين قد رضي عنك فهات حوائجك فقال هذه كانت حاجتي قال ارفع حوائجك كما أقول لك قال علي دين فادح قال هذه أربعة آلاف ألف درهم فإن أحببت أن تقبضها فاقبضها من منزلي الساعة فإنه لم يمنعني من إعطائك إياها إلا أن قدرك يجل على أن يصلك مثلي ولكني ضامن لها حتى تحمل من مال أمير المؤمنين غدا فسل أيضا قال ابني تكلم أمير المؤمنين حتى ينوه باسمه قال قد ولاه أمير المؤمنين مصر وزوجه ابنته العالية ومهرها ألفي ألف درهم
قال إسحاق فقلت في نفسي قد سكر الرجل أعني جعفرا
فلما أصبحت لم تكن لي همة إلا حضور دار الرشيد وإذا جعفر ابن يحيى قد بكر ووجدت في الدار جلبة وإذا أبو يوسف

القاضي ونظراؤه قد دعي بهم ثم دعي بعبد الملك بن صالح وابنه فأدخلا على الرشيد
فقال الرشيد لعبد الملك إن أمير المؤمنين كان واجدا عليك وقد رضي عنك وأمر لك بأربعة آلاف ألف درهم فاقبضها من جعفر بن يحيى الساعة
ثم دعا بابنه فقال اشهدوا أني قد زوجته العالية بنت أمير المؤمنين وأمهرتها عنه ألفي ألف درهم من مالي ووليته مصر
قال فلما خرج جعفر ابن يحيى سألته عن الخبر فقال بكرت على أمير المؤمنين فحكيت له ما كان منا وما كنا فيه حرفا حرفا ووصفت له دخول عبد الملك وما صنع فعجب لذلك وسر به ثم قلت له قد ضمنت له عنك يا أمير المؤمنين ضمانا
فقال ما هو فأعلمته قال أوف له بضمانك وأمر بإحضاره فكان ما رأيت
أخبرني عمي قال حدثني فضل اليزيدي عن إسحاق قال
لما صنعت لحني في
(... هل إلى نظرة إليكِ سبيلُ)
ألقيته على علويه وجاءني رسول أبي بطبق فاكهة باكورة فبعثت إليه برك الله يا أبة ووصلك الساعة أبعث إليك بأحسن من هذه الباكورة فقال إني أظنه قد أتى بآبدة فلم يلبث أن دخل عليه علويه فغناه الصوت فعجب منه وأعجب به وقال قد أخبرتكم أنه قد أتى بآبدة
ثم قال لولده أنتم تلومونني على تفضيل إسحاق ومحبتي له والله لو كان ابن غيري لأحببته لفضله فكيف وهو ابني وستعلمون أنكم لا تعيشون إلا به
وقد ذكر أبو حاتم الباهلي عن أخيه أبي معاوية بن سعيد بن سلم أن هذه القصة كانت لما صنع إسحاق لحنه في
(...غَيّضْنَ من عَبَراتهن وقلن لي)
وقد ذكرت ذلك مع أخبار هذا الصوت في موضعه
رأي إسحاق في إبراهيم بن المهدي
حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيى قال
سألت إسحاق عن إبراهيم بن المهدي فقال دعني منه فليست له رواية ولا دراية ولا حكاية
أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثني فضل اليزيدي عن إسحاق قال
كانت هشيمة الخمارة جارتي وكانت تخصني بأطيب الشراب وجيده فماتت فقلت أرثيها
(أضحتْ هُشَيْمةُ في القبورِ مقيمةً ... وخلتْ منازلُها من الفِتيانِ)
(كانت إذا هجرَ المحبَّ حبيبُه ... دبّت له في السرّ والإعلان)
(حتى يَلينَ لما تُريد قيادَه ... ويصيرَ سيِّئُه إلى الإحسان)
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال
سألني إدريس بن أبي حفصة حاجة فقضيتها له وزدت فيما سأل فقال لي
(إذا الرجالُ جَهلوا المكارمَا ... كان بها ابنُ الموصليّ عالمَا)
(أبقاك ذو العرش بقاءً دائماً ... فقد جُعِلتَ للكرام خاتما)
(إسحاقُ لو كنتَ لقِيتَ حاتما ... كان نَدَاه لنَداك خادما)
قال حماد وقال لي أبي كان إدريس سخيا من بين آل أبي حفصة فنزل به ضيف فتنمرت امرأته عليه فقال لها
(مِن شرّ أيّامك اللاّتي خُلقْتِ لها ... إذا فقدتِ ندى صوتي وزُوّاري)
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد عن أبيه قال
كان علي بن هشام قد دعاني ودعا عبد الله بن محمد بن أبي عيينة فتأخرت عنه حتى اصطبحنا شديدا وتشاغلت عنه برجل من الأعراب كان يجيئني فأكتب عنه وكان فصيحا وكان عند علي بن هشام بعض ما يعاديني فسألوا ابن أبي عيينة أن يعاتبني بشعر ينسبني فيه إلى الخلف فكتب إلي
(يا مَلِيًّا بالوعد والخُلْف والمطل بَطيئاً عن دعوة الأصحابِ)
(لَهِجاً بالأعراب إنّ لدينا ... بعضَ ما تشتهي مِن الأعراب)
(قد عَرَفنا الذي شُغِلت به عنّا ... وإن كان غيرَ ما في الكتاب)
قال فكتبت إلى الذي حمل ابن أبي عيينة على هذه الأبيات قال حماد وأظنه إبراهيم بن المهدي
(قد فَهِمتُ الكتابَ أصلحك اللهُ وعندي عليه ردُّ الجوابِ)
(ولعَمْري ما تُنصفون ولا كان ... الذي جاء منكم في حسابي)
(لستُ آتيك فاعلمنَّ ولا لي ... فيك حظٌّ من بعدِ هذا الكتاب)
قال حماد قال أبي وكتبت إلى علي بن هشام وقد اعتللت أياما فلم يأتني رسوله
(أنا عليلٌ منذُ فارقتَني ... وأنت عمّن غاب لا تسألُ)
(ما هكذا كنتَ ولا هكذا ... فيما مضى كنتَ بنا تفعلُ)
فلما وصلت إليه رقعتي ركب إلي وجاءني عائدا
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد قال
لما خرج أبي إلى البصرة خرجته الأولى وعاد أنشدني في ذلك لنفسه
صوت
(ما كنتُ أعرف ما في البين من حَزَنٍ ... حتى تَنادَوْا بأن قد جِيء بالسُّفُن)
(قامتْ تودّعني والعينُ تَغْلِبها ... فَجَمْجَمَت بعضَ ما قالت ولم تُبِن)
(مالت عليّ تُفدّيني وتَرْشُفُني ... كما يَميل نسيمُ الرّيح بالغُصُن)
(وأعرضْت ثم قالت وهي باكيةٌ ... يا ليت معرفتي إيّاك لم تكُن)
(لمّا افترقنا على كُرهٍ لفُرقتها ... أيقنتُ أنّي رهينُ الهمّ والحَزَنَ)
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال
أنشدني شداد بن عقبة لجميل
(قِفِي تَسْلُ عنكِ النفسُ بالخُطّةِ التي ... تُطيلين تخويفي بها ووعيدي)

(فقد طالما من غير شكوى قبيحةٍ ... رضِينا بحكمٍ منكِ غير سديدِ)
قال فأنشدت الزبير بن بكار هذين البيتين فقال لو لم أنصرف من العراق إلا بهما لرأيتهما غنما
وأنشدني شداد لجميل أيضا
(بُثَيْن سَلِيني بعضَ مالي فإنما ... يُبَيَّن عند المال كلُّ بخيل)
(فإني وتَكراري الزيارةَ نحوَكم ... لَبَيْن يَدَيْ هَجرٍ بُثَيْن طويل)
قال أبي فقلت لشداد فهلا أزيدك فيهما فقال بلى فقلت
(فيا ليتَ شِعْري هل تقولين بعدنا ... إذا نحن أزْمَعنا غداً لرَحيل)
(ألا ليت أياماً مَضَيْنَ رواجعٌ ... وليت النَّوَى قد ساعدتْ بجميل)
فقال شداد أحسنت والله وإن هذا الشعر لضائع فقلت وكيف ذلك قال نفيته على نفسك بتسميتك جميلا فيه ولم يلحق بجميل فضاع بينكما جميعا
إسحاق بن إبراهيم وإسحاق المصعبي
حدثني جحظة قال حدثني علي بن يحيى المنجم قال حدثني إسحاق الموصلي قال
دعاني إسحاق بن إبراهيم المصعبي وكان عبد الله بن طاهر عنده يومئذ فوجه إلي فخضرت وحضر علويه ومخارق وغيرهما من المغنين فبينا هم على شرابهم وهم أسر ما كانوا إذ وافاه رسول أمير المؤمنين فقال أجب فقال السمع والطاعة ودعا بثيابه فلبسها
ثم التفت إلى محمد بن راشد الخناق فقال لله قد بلغني أنك أحفظ الناس لما يدور في المجالس فاحفظ لي كل صوت يمر وما يشربه كل إنسان حتى إذا عدت أعدت علي الأصوات وشربت ما فاتني فقال نعم أصلح الله الأمير
ومضى إلى المأمون فأمره بالشخوص إلى بابك من غد وتقدم إليه فيما يحتاج إليه ورجع من عنده
فلما دخل ووضع ثيابه قال يا محمد ما صنعت فيما تقدمت به إليك قال قد أحكمته أعزك الله ثم أخبره بما شرب القوم وما استحسنوه من الغناء بعده فأمر أن يجمع له أكثر ما شربه واحد منهم في فدح وأن يعاد عليه صوت صوت مما حفظه له حتى يستوفى ما فاته القوم
به ففعل ذلك وشرب حتى استوفى النبيذ والأصوات
ثم قال لي يا أبا محمد إني قد علمته في منصرفي من عند أمير المؤمنين أبياتا فاسمعها فقلت هاتها أعز الله الأمير فأنشدني
صوت
(ألاَ مَنْ لقلبٍ مُسْلَمٍ للنوائبِ ... أحاطت به الأحزانُ من كلّ جانبِ)
(تَبَيْن يومَ البين أنّ اعتزامه ... على الصبر من بعض الظنون الكواذب)
صوت
(حرامٌ على رامي فؤادي بسهمه ... دمٌ صبّه بين الحَشَى والترائبِ)
(أراق دماً لولا الهوى ما أراقه ... فهل بدَمِي من ثائرٍ أو مُطالِبِ)
قال فقلت له ما سمعت أحسن من هذا الشعر قط فقال لي فاصنع فيه فصنعت فيه لحنا وأحضرني وصيفة له فألقيته عليها حتى أخذته وقال إنما أردت أن أتسلى به في طريقي وتذكرني به الجارية أمرك إذا غنته
فكان كلما ذكر أتاني بره إلى أن قدم عدة دفعات
لم أجد لإسحاق صنعة في هذا الشعر والذي وجدت فيه لعبد الله بن طاهر خفيف رمل ذكره ابنه عبيد الله عنه
ولمخارق لحن من الرمل
ولعمرو بن بانة هزج بالوسطى
ولمخارق والطاهرية خفيف ثقيل
حدثني جحظة قال حدثني أبو عبد الله محمد بن حمدون قال
سأل المتوكل عن إسحاق الموصلي فعرف أنه قد كف وأنه في منزله ببغداد فكتب في إحضاره
فلما دخل عليه رفعه حتى أجلسه قدام السرير وأعطاه مخدة وقال له بلغني أن المعتصم دفع إليك مخدة في أول يوم جلست بين يديه وهو خليفة وقال إنه لا يستجلب ما عند حر بمثل
الكرامة ثم سأله هل أكل فقال نعم فأمر أن يسقى فلما شرب أقداحا قال هاتوا لأبي محمد عودا فجيء به فاندفع يغني بصوت الشعر فيه والغناء له
صوت
(ما علّةُ الشيخ عيناه بأربعةٍ ... تَغْرَوْرقان بدَمع ثم تَنْسكِبُ)
قال أبو عبد الله فوالله ما بقي غلام من الغلمان الوقوف على الحير إلا وجدته يرقص طربا وهو لا يعلم بما يفعل فأمر له بمائة ألف درهم
ثم قال لي المتوكل يابن حمدون أتحسن أن تغنيني هذا الصوت فقلت نعم قال غنه فترنمت به فقال إسحاق من هذا الذي يحكيني فقال هذا ابن صديقك حمدون فقال وددت أنه يحسن أن يحكيني فقلت له أنت عرضتني له يا أمير المؤمنين
ثم انحدر المتوكل إلى رقة بوصرا وكان يستطيبها لكثرة تغريد الأطيار بها فغنى إسحاق
صوت
(أأن هتَفتْ وَرْقاءُ في رَوْنق الضُّحَى ... على غُصُنٍ غَضٍّ الشباب من الرَّنْدِ)
(بكيتَ كما يبكي الحزين صبابةً ... وشوقا وتابعتَ الحَنِينَ إلى نجد)
فضحك المتوكل وقال له يا إسحاق هذه أخت فعلتك بالواثق لما
غنيته بالصالحية
(طَربتُ إلى الأُصَيْبِية الصِّغار ... وذكَّرني الهوى قربُ المزارِ)
فكم أعطاك لما أذن لك في الانصراف قال مائة ألف درهم فأمر له بمائة ألف درهم وأذن له بالانصراف إلى بغداد
وكان هذا آخر عهدنا به لأن إسحاق توفي بعد ذلك بشهرين

حدثني جحظة قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال
دخلت على الواثق أستأذنه في الانحدار إلى بغداد فوجدته مصطبحا فقال بحياتي غن
صوت
(ألا إن أهلَ الدار قد ودّعوا الدارَا ... وإن كان أهلُ الدار في الحيّ أجْوارَا)
(وقد تركوا قلبي حزيناً متيَّماً ... بذكرهمُ لو يَستطيع لقد طارَا)
فتطيرت من اقتراحه له وغنيته إياه فشرب عليه مرارا وأمر لي بثلاثين ألف درهم وأذن لي فانصرفت ثم كان آخر عهدي به
الشعر لمطيع بن
إياس
والغناء لإبراهيم الموصلي ثقيل أول بالوسطى عن عمرو
حدثني الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا عبد الله بن الفرج قال حدثنا أحمد بن معاوية قال
كنت في بيتي وعلويه يغنيني
صوت
(أعْرَضْنَ مِن شَمَطٍ في الرأسِ لاحِ به ... فهُنّ عنه إذا أبصرنَه حِيدُ)
(قد كُنّ يَعهدْنَ منّي منظَراً حَسَناً ... وجُمَّةً حَسرتْ عنها العناقيدُ)
فوردت علي رقعة من إسحاق الموصلي يستسقيني نبيذا فبعثت إليه بدن مع غلام لي فلما توسط الغلام به الجسر
زحم فكسر فرجع الغلام إلى إسحاق فأخبره الخبر وسأله مسألتي التجافي عنه فكتب إلي
(يا أحمد بن معاوِيَهْ ... إنّي رُميت بداهيَهْ)
(أشكو إليك فأشْكِني ... كَسْرَ الغلامِ الخابِيَهْ)
(يا ليتها سلِمتْ وكا ... ن فداءَها ابنُ الزانيَهْ)
فبعثت إليه بأربعة أدنان وأعتقت الغلام بشفاعته في أمره
عجز المغنين عن أخذ صوته
أخبرني جعفر بن قدامة ومحمد بن مزيد قالا حدثنا حماد بن إسحاق
الموصلي قال قال لي حمدون بن إسماعيل رحمه الله
لما صنع أبوك رحمه الله هذا الصوت
صوت
(قِفْ بالديار التي عفا القِدَمُ ... وغيَّرتْها الأرواحُ والدِّيَمُ)
(لمّا وقَفْنا بها نُسائلها ... فاضتْ من القوم أعيُن سجُمُ)
(ذِكْراً لعيشٍ مضى إذا ذكرت ... ما فات منه فذكرهِ سَقَمُ)
(وكلُّ عيشٍ دامَتْ غضَارتُه ... مُنقطِعٌ مرّةً ومُنْصَرِمُ)
ولحنه ثقيل أول أعجب به المعتصم والواثق جميعا فقال له المعتصم بحياتي اردده على مخارق وعلويه والجماعة ليأخذوه
عنك وانصحهم فيه فإنهم إن أحسنوا فيه نسب إليك إحسانهم وإن أساؤوا بان فضلك عليهم فرده عليهم أكثر من مائتي
مرة وكانوا يقصدون إلى منزله ويرده عليهم ومات وما أخذوا منه علم الله إلا رسمه
الشعر والغناء لإسحاق ولحنه ثقيل أول
الرشيد وإسحاق في الرقة ودير القائم
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد عن أبيه قال
خرجنا مع الرشيد يريد الرقة فلما صرنا بالموضع الذي يقال له القائم نزلنا وخرج يتصيد وخرجنا معه فأبعد في طلب الصيد
ولاح
لي دير فقصدته وقد تعبت فأشرفت على صاحبه فقال هل لك في النزول بنا اليوم فقلت أي والله وإني إلى ذلك لمحتاج
فنزل ففتح لي الباب وجلس يحدثني وكان شيخا كبيرا وقد أدرك دولة بني أمية فجعل يحدثني عمن نزل به من القوم
ومواليهم وجيوشهم وعرض علي الطعام فأجبته فقدم إلي طعاما من طعام الديارات نظيفا طيبا فأكلت منه وأتاني بشراب
وريحان طري فشربت منه ووكل بي جارية تخدمني راهبة لم أر أحسن وجها منها ولم أشكل فشربت حتى سكرت
ونمت وانتبهت عشاء فقلت في ذلك
صوت
(بِدَيْرِ القائِمِ الأقصَى ... غزالٌ شادِنٌ أحْوَى)
(بَرَى حُبِّي له جِسْمِي ... ولا يَعْلَمُ ما ألقَى)
(وأكتُمُ حبّه جُهدِي ... ولا واللهِ ما يَخْفَى)
وركبت فلحقت بالمعسكر والرشيد قد جلس للشرب وطلبني فلم أوجد
وأخبرت بذلك فغنيت في الأبيات ودخلت إليه فقال لي أين كنت ويحك فأخبرته بالخبر وغنيته الصوت فطرب وشرب عليه
حتى سكر وأخر الرحيل في غد ومضينا إلى الدير ونزله فرأى الشيخ واستنطقه ورأى الجارية التي كانت تخدمني بالأمس
فدعا بطعام خفيف فأصاب منه ودعا بالشراب وأمر الجارية التي كانت بالأمس تخدمني أن
تتولى خدمته وسقيه ففعلت وشرب حتى طابت نفسه ثم أمر للدير بألف دينار وأمر باحتمال خراجه له سبع سنين
فرحلنا
قال حماد فحدثني أبي قال فلما صرنا بتل عزاز من دابق خرجت أنا وأصحاب لي نتنزه في قرية من قراها فأقمنا بها أياما
وطلبني الرشيد فلم يجدني
فلما رجعت أتيت الفضل بن الربيع فقال لي أين كنت طلبك أمير المؤمنين فأخبرته بنزهتنا فغضب
وخفت من الرشيد أكثر مما لقيت من الفضل فقلت
صوت
(إنّ قلبي بالتَّلِّ تلِّ عَزَازِ ... عند ظَبْيٍ من الظِّباء الجَوَازي)
(شادِنٍ يسكُنُ الشآمَ وفيه ... مع ظَرْفِ العراق شِكْلُ الحجاز)

(يا لَقَوْمي لبنت قَسٍّ أصابتْ ... منكِ صفوَ الهوى وليست تُجازي)
(حَلَفتْ بالمسيح أن تُنْجِزَ الوعد ... وليستْ تَهُمٌّ بالإنجاز)
وغنيت فيه ثم دخلت على الرشيد وهو مغضب فقال أين كنت طلبتك فلم أجدك فاعتذرت إليه وأنشدته هذا الشعر
وغنيته إياه فتبسم وقال عذر وأبيك وأي عذر وما زال يشرب عليه ويستعيدنيه ليلته جمعاء حتى انصرفنا مع طلوع الفجر
فلما وصلت إلى رحلي إذا برسول أمير المؤمنين قد أتانا يدعونا فوافيت فدخلت وإذا ابن جامع
يتمرغ على دكان في الدار وهو سكران يتململ فقال لي يابن الموصلي أتدري ما جاء بنا فقلت لا والله ما أدري فقال
لكني والله أدري دراية صحيحة جاءت بنا نصرانيتك الزانية عليك وعليها لعنة الله
وخرج الآذن فأذن لنا فدخلنا
فلما رأيت الرشيد تبسمت فقال لي ما يضحكك فأخبرته بقول ابن جامع فقال صدق ما هو إلا أن فقدتكم فاشتقت إلى ما كنا فيه فعودوا بنا فعدنا فيه حتى انقضى مجلسنا وانصرفنا
لحن إسحاق
(... بدَيرِ القائمِ الأقصى)
خفيف ثقيل بالوسطى
وفيه للقاسم بن زرزور ثقيل أول
ولحنه في
(... إنْ قلبي بالتّلّ تلّ عَزَاز)
خفيف رمل
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثني حماد عن أبيه قال
دخلت على الرشيد يوما في عمامة قد كورتها على رأسي فقال ما هذه العمامة كأنك من الأنبار
فلما كان من غد دعا بنا إليه فأمهلت حتى دخل المغنون جميعا قبلي ثم دخلت عليه في آخرهم وقد شددت وسطي بمشدة حرير أحمر ولبست لباسا مشتهرا وأخذت بيدي صفاقتين وأقبلت أخطر وأضرب بالصفاقتين و أغني
(اسمعْ لصوتٍ مليحٍ ... من صنعه الأنباري)
(صوتٍ خفيفٍ ظريفٍ ... يطيرُ في الأوتار)
فبسط يده إلي حتى كاد يقوم وجعل يقول أحسنت وحياتي
أحسنت أحسنت حتى جلست ثم شرب عليه بقية يومه وما استعاد غيره وأمر لي بعشرين ألف درهم
لحن إسحاق في هذا الشعر هزج
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد قال حدثني أحمد بن يحيى المكي قال
كنتُ عند الفضل بن الربيع فغنى بعض من كان عنده
صوت
(كلُّ شيء منكِ في عيني حَسَنْ ... وَنَصِيبي منكِ همٌّ وحَزَنْ)
(لا تَظُنّي أنه غيّرني ... قِدَمُ العهد ولا طولُ الزمنْ)
فقال لي أتدري لمن هذا فقلت لبعض الطنبوريين فقال لا ولكنه لذلك الشيطان إسحاق
لحن إسحاق في هذين البيتين رمل بالوسطى من مجموع أغانيه
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد عن أبيه قال
لما خرجنا مع الرشيد إلى طوس كنت معه أسايره فاستسقيت ماء من منزل نزلناه يقال له سحنة فخرجت إلينا جارية كأنها ضبية فسقتني ماء فقلت هذا الشعر
صوت
(غزالٌ يَرْتَعِي جَنَباتِ وَادِ ... بَسحْنَةَ قد تمكَّنَ في فؤادِي)
(سقاني شَرْبةً كانت شِفاءً ... لِعِلَّةِ حائمٍ حَرّانَ صادِي)
وغنيته الرشيد فقال لي أتحب أن أوزجكها فقلت نعم والله يا سيدي قال فاخطبها والمهر علي وما يصلحها فخطبتها فأبى أهلها أن يخرجوها من بلدهم
لحن إسحاق في هذين البيتين ثقيل أول
وفيه لعلويه خفيف رمل
أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني حماد بن إسحاق قال
قال لي أبي ما اغتممت بشيء قط مثل ما اغتممت بصوت مليح صنعته في هذا الشعر
صوت
(كان لي قلبٌ أعيشُ به ... فاكتَوَى بالنار فاحتَرَقَا)
(أنا لم أُرْزَقْ مَحَبّتها ... إنما للعبد ما رُزِقَا)
(مَنْ يكن ما ذاقَ طعمَ رَدًى ... ذاقه لا شكَّ إن عَشِقَا)
فإني صنعت فيه لحنا وجعلت أردده في جناح لي سحرا فأظن أن إنسانا من العامة مر بي فسمعه فأخذه فبكرت من غد إلى المعتصم لأغنيه فإذا أنا بسواط يسوط الناطف وهو يغني اللحن بعينه إلا أنه غناء فاسد
فعجبت وقلت ترى من أين لهذا السواط هذا الصوت ولعلي إذ غنيته أن يكون قد مر بي هذا فسمعني أغنيه وبقيت متحيرا ثم قلت يا فتى ممن سمعت هذا الصوت فلم يجبني والتفت إلى شريكه وقال هذا يسألني ممن سمعته هذا غنائي والله لو سمعه إسحاق الموصلي لخرئ في سراويله فبادرت والله هاربا خوف أن يمر بي إنسان فيسمع ما جرى علي فأفتضح وما علم الله أني نطقت بذلك الصوت بعدها
حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني حماد بن إسحاق قال
كتب إبراهيم بن المهدي إلى أبي أي شيء تصحيف لا يريح مثل الأسنة
فكتب إليه أبي تصحيفه لا يرث جميل إلا بثينة فكتب إليه وي منك
أخبرنا جعفر قال حدثنا حماد عن أبيه قال

دخلت يوما على جعفر بن يحيى فرأى شفتي تتحركان بشيء كنت أعمله فقال أتدعو أم تصنع ماذا فقلت بل أمدح قال قل فقلت
صوت
(وكنتُ إذا إذنٌ عليك جَرَى لنا ... تجلَّى لنا وجهٌ أغَرُّ وسيمُ)
(علانيةٌ محمودةٌ وسريرةٌ ... وفِعلٌ يَسرُّ المُعْتَفِينَ كريمُ)
فاحتبسني وأمر لي بمال جليل وكسوة وقال زد البيتين حسنا بأن تصنع فيهما لحنا فصنعت لحنا من الثقيل الثاني فلم يزل يشرب عليهما حتى سكر
طفيلي مقترح
أخبرنا محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه أنه حدثه قال غدوت يوما وأنا ضجر من ملازمة دار الخلافة والخدمة فيها فخرجت وركبت بكرة وعزمت على أن أطوف الصحراء وأتفرج فقلت لغلماني إن جاء رسول الخليفة أو غيره فعرفوه أني بكرت في بعض مهماتي وأنكم لا
تعرفون أين توجهت ومضيت وطفت ما بدا لي ثم عدت وقد حمي النهار فوقفت في الشارع المعروف بالمخرم في فناء ثخين الظل وجناح رحب على الطريق لأستريح
فلم ألبث أن جاء خادم يقود حمارا فارها عليه جارية راكبة تحتها منديل دبيقي وعليها من اللباس الفاخر ما لا غاية بعده ورأيت لها قواما حسنا وطرفا فاترا وشمائل حسنة فخرصت عليها أنها مغنية فدخلت الدار التي كنت واقفا عليها
ثم لم ألبث أن جاء رجلان شابان جميلان فاستأذنا فأذن لهما فنزلا ونزلت معهما ودخلت فظنا أن صاحب الدار دعاني وظن صاحب الدار أني معهما فجلسنا وأتي بالطعام فأكلنا وبالشراب فوضع وخرجت الجارية وفي يدها عود فغنت وشربنا وقمت قومة وسأل صاحب المنزل الرجلين عني فأخبراه أنهما لا يعرفاني فقال هذا طفيلي ولكنه ظريف فأجملوا عشرته وجئت فجلست وغنت الجارية في لحن لي
(ذكَرتُكِ أن مرَّتْ بنا أُمُّ شادِنٍ ... أمامَ المطايا تَشرئِبُّ وتَسْنَحُ)
(من المؤلِفاتِ الرملَ أدْماءُ حُرَّةٌ ... شُعَاعُ الضحى في مَتْنِها يَتَوَضّحُ)
فأدته أداء صالحا وشربت
ثم غنت أصواتا شتى وغنت في أضعافها من صنعتي
(الطُّلُولُ الدوارِسُ ... فارقَتْها الأوانِسُ)
(أوْحشتْ بعد أهلِها ... فهي قَفْرٌ بَسابِسُ)
فكان أمرها فيه أصلح منه في الأول
ثم غنت أصواتا من القديم والحديث وغنت في أثنائها من صنعتي
(قُل لِمنَ صَدّ عاتِبَا ... ونأى عنكَ جانِبَا)
(قد بلَغْتَ الذي أرَدت ... وإن كنتَ لاعِبَا)
فكان أصلح ما غنته فاستعدته منها لأصححه لها فأقبل علي رجل من الرجلين وقال ما رأيت طفيليا أصفق وجها منك لم ترض بالتطفيل حتى اقترحت وهذا غاية المثل طفيلي مقترح فأطرقت ولم أجبه وجعل صاحبه يكفه عني فلا يكف
ثم قاموا للصلاة وتأخرت قليلا فأخذت عود الجارية ثم شددت طبقته وأصلحته إصلاحا محكما وعدت إلى موضعي فصليت وعادوا ثم أخذ ذلك الرجل في عربدته علي وأنا صامت ثم أخذت الجارية العود فجسته وأنكرت حاله وقالت من مس عودي قالوا ما مسه أحد قالت بلى والله لقد مسه حاذق متقدم وشد طبقته وأصلحه إصلاح متمكن من صناعته فقلت لها أنا أصلحته قالت فبالله خذه وأضرب به فأخذته وضربت به مبدأ صحيحا ظريفا عجيبا صعبا فيه نقرات محركة فما بقي أحد منهم إلا وثب على قدميه وجلس بين يدي ثم قالوا بالله يا سيدنا أتغني فقلت نعم وأعرفكم
نفسي أنا إسحاق بن إبراهيم الموصلي ووالله إني لأتيه على الخليفة إذا طلبني وأنتم تسمعونني ما أكره منذ اليوم لأني تملحت معكم فوالله لا نطقت بحرف ولا جلست معكم حتى تخرجوا هذا المعربد المقيت الغث فقال له صاحبه من هذا حذرت عليك فأخذ يعتذر فقلت والله لا نطقت بحرف ولا جلست معكم حتى يخرج فأخذوا بيده فأخرجوه وعادوا
فبدأت وغنيت الأصوات التي غنتها الجارية من صنعتي فقال لي الرجل هل لك في خصلة قلت ما هي قال تقيم عندي شهرا والجارية والحمار لك مع ما عليها من حلي قلت أفعل فأقمت عنده ثلاثين يوما لا يدري أحد أين أنا والمأمون يطلبني في كل موضع فلا يعرف لي خبرا
فلما كان بعد ثلاثين يوما أسلم إلي الجارية والحمار والخادم فجئت بذلك إلى منزلي وركبت إلى المأمون من وقتي فلما رآني قال إسحاق ويحك أين تكون فأخبرته بخبري فقال علي بالرجل الساعة فدللتهم على بيته فأحضر فسأله المأمون عن القصة فأخبره فقال له أنت رجل ذو مروءة وسبيلك أن تعاون عليها وأمر له بمائة ألف درهم وقال لا تعاشرن ذلك المعربد النذل البتة وأمر لي بخمسين ألف درهم وقال أحضرني الجارية فأحضرتها فغنته فقال لي قد جعلت لها نوبة في كل يوم ثلاثاء تغنيني وراء الستارة مع الجواري وأمر لها بخمسين ألف درهم
فربحت والله بتلك الركبة وأربحت
نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني
صوت
(ذكرتك أن مرّتْ بنا أُم شادِنٍ ... أمامَ المطايا تشرئبّ وتَسْنَحُ)
(من المؤلِفاتِ الرمل أدماءُ حُرَّةٌ ... شُعَاعُ الضُّحَى في مَتنِها يَتوضَّحُ)
الشعر لذي الرمة
والغناء لإسحاق ثقيل أول بالسبابة والوسطى عن ابن المكي
ومن أغاني إسحاق
صوت
(قل لمن صَدّ عاتِبَا ... ونأى عنك جانِبَا)
(قد بلَغْتَ الذي أردت ... وإن كنتَ لاعِبا)
الشعر والغناء لإسحاق

وقد تقدم خبره قبل هذه الأخبار
صوت
(الطُّلُولُ الدَّوارِسُ ... فارقَتْها الأوانِسُ)
(أوْحشتْ بعد أهلها ... فهي قَفْرٌ بَسَابِسُ)
الشعر لابن ياسين شاعر مجهول قليل الشعر كان صديقا لإسحاق
والغناء لإسحاق خفيف ثقيل
وهذا الصوت من أوابد إسحاق وبدائعه
أخبرني عمي قال حدثني يزيد بن محمد المهلبي قال
كنت عند الواثق فغنته شجى التي وهبها له إسحاق هذا الصوت فقال لمخارق وعلويه والله لو عاش معبد ما شق غبار إسحاق في هذا الصوت فقالا له إنه لحسن يا أمير المؤمنين فغضب وقال ليس عندكما فيه إلا هذا ثم أقبل على أحمد بن المكي فقال دعني من هذين الأحمقين أول بيت في هذا الصوت أربع كلمات الطلول كلمة والدوارس كلمة وفارقتها كلمة والأوانس كلمة فانظر هل ترك إسحاق شيئا من الصنعة يتصرف فيه المغني لم يدخله في هذه الكلمات الأربع بدأ بها نشيدا وتلاه بالبسيط وجعل فيه صياحا وإسجاحا وترجيحا للنغم واختلاسا فيها وعمل هذا كله في أربع كلمات فهل سمعت أحدا تقدم أو تأخر فعل مثل هذا أو قدر عليه فقال صدق أمير المؤمنين قد لحق من قبله وسبق من بعده

الواثق وإسحاق في دير مريم

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني ميمون بن هارون قال حدثني إسحاق قال
لما خرجت مع الواثق إلى النجف درنا بالحيرة ومررنا بدياراتها فرأيت دير مريم بالحيرة فأعجبني موقعه وحسن بنائه فقلت
(نِعمَ المحلُّ لمن يسعَى لِلّذّته ... ديرٌ لمريمَ فوقَ الظهرِ معمورُ)
(ظِلٌّ ظليلٌ وماءٌ غيرُ ذي أسِنٍ ... وقاصِراتٌ كأمثال الدُّمَى حُورُ)
فقال الواثق لا نصطبح والله غدا إلا فيه وأمر بأن يعد فيه ما يصلح من الليل وباكرناه فاصطبحنا فيه على هذا الصوت وأمر بمال ففرق على أهل ذلك الدير وأمر لي بجائزة
لحن إسحاق في هذين البيتين ثاني ثقيل بالبنصر

إسحاق وعبد الله بن طاهر

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال
أخرج إلي عبد الله بن طاهر يوما بيتي شعر في رقعة وقال هذان
البيتان وجدتهما على بساط طبري أصبهذي أهدي إلي من طبرستان فأحب أن تغنيني فيهما فقرأتهما فإذا هما
(لَجَّ بالعينِ واكِفُ ... مِن هَوًى لا يُساعِفُ)
(كُلّما كفَّ غَرْبُها ... هَيّجتْه المعازِفُ)
قال فغنيت فيهما وغدوت بهما إليه فأعجب بالصوت ووصلني بصلة سنية وكان يشتهيه ويقترحه وطرحته على جميع جواريه وشاع خبر إعجابه به
فبينا المعتصم يوما جالس يعرض عليه فرش الربيع إذ مر بساط ديباج في نهاية الحسن عليه هذان البيتان ومعهما
(إنما الموتُ أن تفارقَ ... مَنْ أنت آلِفُ)
(لكَ حُبَّانِ في الفؤاد ... تَلِيدٌ وطارفُ)
فأمر بالبساط فحمل إلى عبد الله بن طاهر وقال للرسول قل له إني قد عرفت شغفك بالغناء في هذا الشعر فلما وقع هذا البساط أحببت أن أتم سرورك به
فشكر عبد الله ما تأدى إليه من هذه الرسالة وأعظم مقداره وقال لي والله يا أبا محمد لسروري بتمام الشعر أشد من سروري بكل شيء فألحقهما في الغناء بالبيتين الأولين فألحقتهما

نسبة هذا الصوت

صوت
(لجَّ بالعينِ واكِفُ ... مِن هوًى لا يُساعِفُ)
(كلّما كفَّ غَربُها ... هيّجتْه المَعازِفُ)
(إنما الموتُ أن تُفارق ... مَنْ أنتَ آلِفُ)
(لك حُبَّان في الفؤاد ... تَلِيدٌ وطارفُ)
ولم أعرف من خبر شاعره غير ما ذكرته في هذا الخبر
والغناء لإسحاق هزج بالوسطى
أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال حدثنا أبو أيوب المديني عن ابن المكي عن أبيه قال
قلت لإسحاق يوما يا أبا محمد كم تكون صنعتك فقال ما بلغت مائتين قط

مرض إسحاق ووفاته

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا حماد بن إسحاق قال
قال لي وكيل بن الحروني قلت لأبيك إسحاق يا أبا محمد كم يكون غناؤك قال نحوا من أربعمائة صوت
قال وقال له رجل بحضرتي ما لك لا تكثر الصنعة كما يكثر الناس قال لأني إنما أنقر في صخرة
ولإسحاق أخبار كثيرة قليلة الفائدة كثيرة الحشو طرحتها لذلك وله أخبار أخر حسن ذكرها في مواضع تليق بها فأخرتها واحتبستها عليها وفيما ذكرته ها هنا منها مقنع
وتوفي إسحاق ببغداد في أول خلافة المتوكل
فأخبرني الصولي قال ذكر إبراهيم بن محمد الشاهيني
أن إسحاق كان يسأل الله ألا يبتليه بالقولنج لما رأى من صعوبته على أبيه فرأى في منامه كأن قائلا يقول له قد أجيبت دعوتك ولست تموت بالقولنج ولكنك تموت بضده فأصابه ذرب في شهر رمضان سنة خمس وثلاثين ومائتين فكان يتصدق في كل يوم أمكنه أن يصومه بمائة درهم ثم ضعف عن الصوم فلم يطقه ومات في شهر رمضان
أخبرنا الحسن بن علي قال حدثني يزيد بن محمد المهلبي قال

نعي إسحاق إلى المتوكل في وسط خلافته فغمه وحزن عليه وقال ذهب صدر عظيم من جمال الملك وبهائه وزينته ثم نعي إليه بعده أحمد ابن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه فقال تكافأت الحالتان وقام الفتح بوفاة أحمد وما كنت آمن وثبته علي مقام الفجيعة بإسحاق فالحمد لله على ذلك

ما رثاه به الشعراء

أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني رجل من الكتاب من أهل
حذف
قطربل قال حدثني أبي عن أبيه قال رأيت فيما يرى النائم قائلا يقول لي
(مات الحسان ابن الحسان ... ومات إحسان الزمان)
فأصبحت من غد فركبت في بعض حوائجي فتلقاني خبر وفاة إسحاق الموصلي
وقال إدريس بن أبي حفصة يرثي إسحاق بن إبراهيم الموصلي
(سقى الله يابنَ الموصليّ بوابلٍ ... من الغيث قبراً أنت فيه مقيمُ)
(ذهبتَ فأوحشتَ الكرامَ فمايَني ... بعَبْرته يَبْكي عليك كريم)
(إلى الله أشكو فقدَ إسحاق إنّني ... وإن كنت شيخاً بالعراق يَتيم)
وقال محمد بن عمرو الجرجاني يرثيه
(على الجَدَثِ الشرقيّ عُوجَا فسلّما ... ببغداد لمّا ضَنّ عنه عوائدُهْ)
(وقُولاَ له لو كان للموت فِدْيةٌ ... فَداك من الموتِ الطّريفُ وتالِدُه)
(أإسحاقُ لا تَبْعَدْ وإن كان قد رمَى ... بكِ الموتُ وِرْداً ليس يَصْدُرُ واردُه)
(إذا هزِل اخضرّتْ فنونُ حديثه ... ورقّتْ حَواشِيه وطابت مَشاهدُه)
(وإن جدّ كان القول جِدّاً وأقسمتْ ... مَخَارجُه ألاّ تَلينَ مَعاقِدُه)
(فَبكَّ على ابن الموصليّ بعَبْرةٍ ... كما ارْفَضَّ من نَظْم الجُمَان فرائدُه)
وقال مصعب بن عبد الله الزبيري يرثيه نسخت ذلك من كتاب جعفر بن قدامة وذكر أن حماد بن إسحاق أنشده إياها ونسخته أيضا
من كتاب الحرمي بن أبي العلاء يذكر فيه عن الزبير عن عمه مصعب أنه انشده لنفسه يرثي إسحاق
(أتَدْري لمن تَبْكي العيونُ الذّوارفُ ... ويَنْهَلُّ منها واكِفٌ ثم واكِفُ)
(نعمْ لامرئ لم يبقَ في الناس مثلُه ... مفيدٌ لعلم أو صديقٌ مُلاطِفُ)
(تجهّز إسحاقٌ إلى الله غادياً ... فللّه ما ضُمّتْ عليه اللفائفُ)
(وما حمل النعشَ المزجّى عشيّةً ... إلى القبر إلا دامعُ العين لاهِفُ)
(صدورهم مَرْضَى عليه عَميدةٌ ... لها أزْمةٌ من ذكره وزَفازفُ)
(ترى كلَّ محزون تفيض جفونُه ... دموعاً على الخدّين والوجهُ شاسِفُ)
(جُزيتَ جزاءَ المحسنين مُضاعفاً ... كما كان جَدْواك النَّدى المتضاعِفُ)
(فكم لك فينا من خلائقَ جَزْلةٍ ... سبقتَ بها منها حديثٌ وسالف)
(هي الشّهدُ أو أحلى إلينا حلاوةً ... من الشهد لم يمزُج به الماءَ غارفُ)
(ذهبتَ وخلّيتَ الصديقَ بعَوْلةٍ ... به أسفٌ من حزنه مترادِفُ)
(إذا خَطَراتُ الذكر عاوِدْنَ قلبَه ... تتابع منهنّ الشؤونُ النوازف)
(حبيبٌ إلى الإخوان يرزُون مالَه ... وآتٍ لما يأتي امرؤ الصدقِ عارف)
(هو المَنّ والسَّلْوى لمن يستفيده ... وسمٌّ على من يشرب السمّ زاعِف)
(بكت دارُه من بعده وتنكّرتْ ... معالمُ من آفاقِها ومعارف)
(فما الدار بالدار التي كنت أعتري ... وإنّي بها لولا افتقادِيكَ عارف)
(هي الدار إلاّ أنّها قد تخشّعتْ ... وأظْلم منها جانبٌ فهو كاسِف)
(وبان الجمال والفَعال كلاَهما ... من الدار واستَنّتْ عليها العواصف)
(خلت دارُه من بعده فكأنما ... بعاقبةٍ لم يغْنِ في الدار طارف)
((وقد كان فيها للصديق مُعَرَّسٌ ... وملتمسٌ إن طاف بالدار طائف
(كرامةُ إخوانِ الصفاء وزُلفةٌ ... لمن جاء تُزْجيه إليه الرّواجِف)
(صَحَابتُه الغُرّ الكرام ولم يكن ... ليَصْحبَه السُّودُ اللئام المَقارِف)
(يَؤول إليه كلّ أبلجَ شامخٍ ... ملوكٌ وأبناء الملوك الغَطارف)
(فلُقّيتَ في يمنى يديْك صحيفةً ... إذا نُشرتْ يومَ الحساب الصحائف)
(يَسرُّ الذي فيها إذا ما بدا له ... ويَفْترُّ منها ضاحكاً وهو واقف)
(بما كان ميموناً على كلّ صاحب ... يُعين على ما نابه ويُكانِف)
(سريعٌ إلى إخوانه برضائه ... وعن كلّ ما ساء الأخِلاّءَ صارِف)
(أرى الناسَ كالنَّسْناس لم يبق منهمُ ... خلافَك إلا حُشوةٌ وزَعانِف)
أخبرنا يحيى بن علي قال أنشدني أبو أيوب لأحمد بن إبراهيم يرثي إسحاق في قصيدة له
(لقد طاب الحِمامُ غداةَ ألْوَى ... بنفس أبي محمدٍ الحِمامُ)
(فلو قُبِل الفِداءُ إذاً فَدَتْه ... ملوكٌ كان يألفها كرامُ)
(فلا تَبْعَد فكلُّ فتىً سيَثْوي ... عليه التُّرْبُ يُحْثَى والرِّجَامُ)
قال وقال أيضا يرثيه
(لله أيُّ فتىً إلى دار البِلَى ... حمَل الرجالُ ضُحىً على الأعوادِ)
(كم من كريم ما تَجِفُّ دموعُه ... من حاضرٍ يبكي عليه وبادِ)
(أمسى يؤبّنه ويعرف فضلَه ... من كان يَثْلِبه من الحُسّاد)
(فسقتْكَ يابنَ الموصليّ روائحٌ ... تُرْوي صداكَ بصَوْبها وغَوَادِ)

وقد بقيت من أخبار إسحاق بقايا مثل أخباره مع بني هاشم وأخباره مع إبراهيم بن المهدي وغيرها فإنها كثيرة ولها مواضع ذكرت فيها وحسن ذكرها هنالك فأخرتها لذلك عن أخباره التي ذكرت هاهنا حسبما شرطنا في أول الكتاب
ومما في المائة المختارة من صنعة إسحاق بن إبراهيم
صوت
(ألاَ قاتلَ اللهُ اللِّوَى من مَحَلّةٍ ... وقاتلَ دُنْيانا بها كيف ذلّت)
(غَنِينا زماناً باللِّوَى ثم أصبحتْ ... عِراصُ اللِّوَى من أهلها قد تخلّتِ)
عروضه من الطويل
الشعر للصمة القشيري والغناء لإسحاق ولحنه المختار ثقيل أول بالوسطى في مجراها
انتهى الجزء الخامس من كتاب الأغاني ويليه الجزء السادس وأوله أخبار الصمة القشيري ونسبه

أخبار الصمة القشيري ونسبه

هو الصمة بن عبد الله بن الطفيل بن قرة بن هبيرة بن عامر بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار شاعر إسلامي بدوي مقل من شعراء الدولة الأموية
ولجده قرة بن هبيرة صحبة بالنبي وهو أحد وفود العرب الوافدين عليه
أخبرني بخبره عبيد الله بن محمد الرازي وعمي قالا حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني عن أبي بكر الهذلي وابن دأب وغيرهما من الرواة قالوا وفد قرة بن هبيرة بن عامر بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة إلى النبي فأسلم
(وقال له يا رسول الله إنا كنا نعبد الآلهة لا تنفعنا ولا تضرنا فقال له رسول الله (نعم ذا عقلا

رواية زواجه

وقال ابن دأب وكان من خبر الصمة أنه هوي امرأة من قومه ثم من بنات
عمه دنية يقال لها العامرية بنت غطيف بن حبيب بن قرة بن هبيرة فخطبها إلى أبيها فأبى أن يزوجه إياها وخطبها عامر بن بشر بن أبي براء بن مالك بن ملاعب الأسنة بن جعفر بن كلاب فزوجه إياها
وكان عامر قصيرا قبيحا فقال الصمة ابن عبدالله في ذلك
(فإنّ تُنْكِحوها عامراً لاطّلاعكم ... إليه يُدَهْدِهْكم برجليه عامرُ)
شبهه بالجعل الذي يدهده البعرة برجليه
قال فلما بنى بها زوجها وجد الصمة بها وجدا شديدا وحزن عليها فزوجه أهله امرأة منهم يقال لها جبرة بنت وحشي بن الطفيل بن قرة بن هبيرة فأقام عليها مقاما يسيرا ثم رحل إلى الشأم غضبا على قومه وخلف امرأته فيهم وقال لها
(كُلي التمرَ حتى تَهْرَمَ النخلُ واضفِري ... خِطَامَكِ ما تدرين ما اليومُ من أمسِ)
وقال فيها أيضا
(لَعَمْري لئن كنتم على النأي والقِلَى ... بكم مثلُ ما بي إنكم لصديقُ)
(إذا زَفَراتُ الحبّ صَعَّدن في الحشَى ... رُدِدن ولم تُنْهَجْ لهنّ طريقُ)
وقال فيها أيضاً
(إذا ما أتتنا الريحُ من نحوِ أرضكم ... أتتنا بريّاكم فطاب هبُوبُها)
((أتتنا بريح المسك خَالَطَ عنبراً ... وريح الخُزَامَى باكرتْها جنُوبُها)
وقال فيها أيضا
(هل تجزينّي العامريّةُ موقفي ... على نسوةٍ بين الحِمَى وغَضَى الجمر)
(مَرَرْنَ بأسباب الصِّبا فذكَرْنَها ... فأومأتُ إذ ما من جواب ولا نُكْر)
وقال ابن دأب وأخبرني جماعة من بني قشير أن الصمة خرج في غزي من المسلمين إلى بلد الديلم فمات بطبرستان
قال ابن دأب وأنشدني جماعة من بني قشير للصمة
صوت
(ألاَ تسألانِ الله أن يَسقِي الحِمَى ... بَلَى فَسَقَى اللهُ الحِمَى والمَطَالِيَا)
(وأسألُ من لاقيتُ هل مُطِر الحِمَى ... فهل يسألنْ عنّي الحمى كيف حاليا)
الغناء في هذين البيتين لإسحاق ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى وهو
من مختار الأغاني ونادرها
أخبرني محمد بن خلف وكيع وعمي قالا حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال قال عبد الله بن محمد بن إسماعيل الجعفري حدثنا عبد الله بن إسحاق الجعفري عن عبد العزيز بن أبي ثابت قال حدثني رجل من أهل طبرستان كبير السن قال بينا أنا يوما أمشي في ضيعة لي فيها ألوان من الفاكهة والزعفران وغير ذلك من الأشجار إذ أنا بإنسان في البستان مطروح عليه أهدام خلقان فدنوت منه فإذا هو يتحرك ولا يتكلم فأصغيت إليه فإذا هو يقول بصوت خفي
(تَعَزَّ بصبرٍ لا وَجَدِّكَ لا تَرَى ... بَشَامَ الحِمَى أُخْرَى الليالي الغُوَابِرِ)
(كأنّ فؤادي من تذكُّره الحِمَى ... وأهلَ الحِمَى يَهْفُو به ريشُ طائر)
قال فما زال يردد هذين البيتين حتى فاضت نفسه فسألت عنه فقيل لي هذا الصمة بن عبد الله القشيري
أخبرني عمي قال حدثنا الخراز أحمد بن الحارث قال كان ابن الأعرابي يستحسن قول الصمة
صوت
(أمَا وجلالِ الله لو تذكُرينني ... كذِكْرِيك ما كَفْكفتِ للعين مَدْمَعَا)
(فقالت بَلَى والله ذكراً لو أنّه ... يُصبُّ على صُمِّ الصَّفَا لتصدّعا)
غنى في هذين البيتين عبيد الله بن أبي غسان ثاني ثقيل بالوسطى
وفيهما لعريب خفيف رمل
(ولمّا رأيتُ البِشْرَ قد حال بيننا ... وجالتْ بناتُ الشوق في الصدر نُزَّعَا)
(تَلَفّتُّ نحوَ الحيِّ حتى وجدتُني ... وَجِعتُ من الإصغاء لِيتاً وأخْدَعا)
أخبرني أبو الطيب بن الوشاء قال قال لي إبراهيم بن محمد بن سليمان الأزدي لو حلف حالف أن أحسن أبيات قيلت في

الجاهلية والإسلام في الغزل قول الصمة القشيري ما حنت
(حَنَنتَ إلى رَيّا ونفسُك باعدتْ ... مَزَارَكَ من رَيّا وشَعْباكُما مَعا)
(فما حَسَنٌ أن تأتيَ الأمرَ طائعاً ... وتجزَعَ أنْ داعي الصبابة أسمَعا)
(بكتْ عينيَ اليُمَنى فلما زجرتُها ... عن الجهل بعد الحلم أسْبَلتا معا)
صوت
(وأذكرُ أيّامَ الحِمَى ثم أنثني ... على كَبِدي من خشيةٍ أن تَصدّعا)
(فليست عشيَّاتُ الحِمَى برَوَاجِع ... عليك ولكن خَلِّ عينيك تَدْمَعَا)
غنت في هذين البيتين قرشية الزرقاء لحنا من الثقيل الأول عن الهشامي
وهذه الأبيات التي أولها حننت إلى ريا تروى لقيس بن ذريح في أخباره وشعره بأسانيد قد ذكرت في مواضعها ويروى بعضها للمجنون في أخباره بأسانيد قد ذكرت أيضا في أخباره
والصحيح في البيتين الأولين أنهما لقيس بن ذريح وروايتهما له أثبت وقد تواترت الروايات بأنهما له من عدة طرق والأخر مشكوك فيها أهي للمجنون أم للصمة
أنشدنا محمد بن الحسن بن دريد عن أبي حاتم للصمة القشيرعمي عن الكراني عن أبي حاتم وأنشدنيهما الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن أبي حاتم
(إذا نأتْ لم تُفارِقْني عَلاقتُها ... وإن دنتْ فصدود العاتبِ الزّاري)
(فحال عينيَ من يومَيْكِ واحدةٌ ... تبكي لفَرْطِ صدودٍ أو نَوَى دار)
شعره في محبوبته
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبيد الله بن إسحاق بن سلام قال حدثني أبي عن شعيب بن صخر عن بعض بني عقيل قال مررت بالصمة بن عبد الله القشيري يوما وهو جالس وحده يبكي ويخاطب نفسه ويقول لا والله ما صدقتك فيما قالت فقلت من تعني ويحك
أجننت قال أعني التي أقول فيها
(أمَا وجلالِ اللهِ لو تذكُرينني ... كذِكْريكِ ما كفكفتِ للعين مدمعا)
(فقالت بلى والله ذكراً لوَ أنّه ... يُصَبُّ على صُمِّ الصَّفَا لتَصدّعا)
أسلي نفسي عنها وأخبرها أنها لو ذكرتني كما قالت لكانت في مثل حالي
أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني مسعود بن عيسى ابن إسماعيل العبدي عن موسى بن عبد الله التيمي قال خطب الصمة القشيري بنت عمه وكان لها محبا فاشتط عليه عمه في المهر فسأل أباه أن يعاونه وكان كثير المال فلم يعنه بشيء فسأل عشيرته فأعطوه فأتى بالإبل عمه فقال لا أقبل هذه في مهر ابنتي فاسأل أباك أن يبدلها لك فسأل أباه فأبى عليه فلما رأى ذلك من فعلهما قطع عقلها وخلاها فعاد كل بعير منها إلى ألافه
وتحمل الصمة راحلا
فقالت بنت عمه حين رأته يتحمل تالله ما رأيت كاليوم رجلا باعته عشيرته بأبعرة ومضى من وجهه حتى لحق بالثغر فقال وقد طال مقامه واشتاقها وندم على فعله
(أتبكي على رَيّا ونفسُك باعدتْ ... مزارَكَ من رَيّا وشَعْباكُما معا)
(فما حسنٌ أن تأتي الأمرَ طائعا ... وتجزَع أنْ داعي الصبابة أسمعا)
وقد أخبرني بهذا الخبر جعفر بن قدامة قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدي أن الصمة خطب ابنة عمه هذه إلى أبيها فقال له لا أزوجكها إلا على كذا وكذا من الإبل فذهب إلى أبيه فأعلمه بذلك وشكا إليه ما يجد بها فساق الإبل عنه إلى أخيه فلما جاء بها عدها عمه فوجدها تنقص بعيرا فقال لا آخذها إلا كاملة فغضب أبوه وحلف لا يزيده على ما جاء به شيئا
ورجع إلى الصمة فقال له ما وراءك فأخبره فقال تالله ما رأيت قط ألأم منكما جميعا وإني لألأم منكما إن أقمت بينكما ثم ركب ناقته ورحل إلى ثغر من الثغور فأقام به حتى مات وقال في ذلك
(أمِنْ ذكر دارٍ بالرَّقَاشيْن أصبحتْ ... بها عاصفاتُ الصيف بَدْءاً ورُجَّعا)
(حننتَ إلى رَيّا ونفسُك باعدت ... مزارَكَ من ريا وشعباكُما معا)
(فما حسنٌ أن تأتي الأمرَ طائعاً ... وتجزَع أن داعي الصبابة أسمعا)
(كأنك لم تَشهَد وَدَاعَ مُفارق ... ولم تَرَ شَعَبىْ صاحبين تقطّعا)
(بكت عينيَ اليسرى فلما زجرتُها ... عن الجهل بعد الحلم أسبَلَتا معا)
(تحمّل أهلي من قنينٍ وغادروا ... به أهلَ ليلى حين جيدَ وأمْرعا)
(ألا يا خليليَّ اللذيْن تواصيا ... بلوميَ إلاّ أن أُطيع وأسمعا)
(قِفا إنه لا بدّ من رَجْع نظرة ... يمانيّة شتَّى بها القومُ أو معا)
(لِمُغْتَصبٍ قد عزّه القومُ أمرَه ... حياءً يَكُفُّ الدمعَ أن يتطلّعا
(تبَرَّضُ عينيه الصَّبابةُ كلّما ... دنا الليل أو أوْفَى من الأرض مَيْفَعا)
(فليستْ عشيَّاتُ الحِمَى برواجعٍ ... إليكَ ولكن خَلِّ عينيْك تَدْمَعا)
صوت
من المائة المختارة من رواية يحيى بن علي
(قُلْ لأسماء أنْجزي المِيعادا ... وانظري أن تُزوِّدي منكِ زادا)
(إن تكوني حللتِ رَبْعاً من الشأم ... وجاورتِ حِميراً أو مرَادا)
(أو تناءَتْ بكِ النَّوَى فلقد قُدْتِ ... فؤادي لحَيْنه فانقادا)
(ذاكَ أني عَلِقتُ منكِ جوَى الحب ... وَليداً فزدتُ سِنّاً فزادا)
الشعر لداود بن سلم
والغناء لدحمان ولحنه المختار من الثقيل الأول بالوسطى
وقد كنا وجدنا هذا الشعر في رواية علي بن يحيى عن إسحاق منسوبا إلى المرقشين المرقش وطلبناه في أشعار

المرقشين جميعا فلم نجده وكنا نظنه من شاذ
الروايات حتى وقع إلينا في شعر داود بن سلم وفي خبر أنا ذاكره في أخبار داود وإنما نذكر ما وقع إلينا عن رواته فما وقع من غلط فوجدناه أو وقفنا على صحته أثبتناه وأبطلنا ما فرط منا غيره وما لم يجر هذا المجرى فلا ينبغي لقارىء هذا الكتاب أن يلزمنا لوم خطأ لم نتعمده ولا اخترعناه وإنما حكيناه عن رواته واجتهدنا في الإصابة
وإن عرف صوابا مخالفا لما ذكرناه وأصلحه فإن ذلك لا يضره ولا يخلو به من فضل وذكر جميل إن شاء الله

أخبار داود بن سلم ونسبه

داود بن سلم مولى بني تيم بن مرة بن كعب بن لؤي ثم يقول بعض الرواة إنه مولى آل أبي بكر ويقول بعضهم إنه مولى آل طلحة
وهو مخضرم من شعراء الدولتين الأموية والعباسية من ساكني المدينة يقال له داود الآدم وداود الأرمك
وكان من أقبح الناس وجها
وكان سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف يستثقله فرآه ذات يوم يخطر خطرة منكرة فدعا به وكان يتولى المدينة فضربه ضربا مبرحا وأظهر أنه إنما فعل ذلك به من أجل الخطرة التي تخايل فيها في مشيته
فقال بعض الشعراء في ذلك وأظنه ابن رهيمة
(ضربَ العادلُ سعدٌ ... ابنَ سلمٍ في السَّماجَهْ)
(فقضَى اللهُ لسعد ... من أميرٍ كلَّ حاجه)
أخبرني محمد بن سليمان الطوسي قال حدثنا الزبير بن بكار قال سألت محمد بن موسى بن طلحة عن داود بن سلم هل هو مولاهم
فقال كذلك يقول الناس هو مولانا أبوه رجل من النبط وأمه بنت حوط مولى عمر بن عبيد الله بن معمر فانتسب إلى ولاء أمه
وفي ذلك يقول ويمدح ابن معمر
(وإذا دعا الجاني النصيرَ لنصره ... وارتْني الغُرَرُ النصيرةُ مَعْمَرُ)
(متخازرين كأن أسْدَ خَفِيَّة ... بمقامها مستبسلاتٌ تَزْأر)
(متجاسرين بحمل كل مُلِمَّة ... متجبِّرين على الذي يتجبَّرَّ)
(عُسُلُ الرِّضَا فإذا أردتَ خصامَهم ... خلَطَ السِّمَامَ بفيك صابٌ مُمقر)
(لا يَطْبَعون ولا تُرى أخلاقهم ... إلاَّ تطيبُ كما يطيب العنبر)
(رَفَعوا بَنَايَ بِعتق حَوْطٍ دِنيَّةً ... جدِّي وفضلهم الذي لا ينْكَر)
بعض من أوصافه
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق الموصلي قال
كان داود بن سلم مولى بني تيم بن مرة وكان يقال له الآدم لشدة سواده وكان من أبخل الناس فطرقه قوم وهو بالعقيق فصاحوا به العشاء والقرى يا بن سلم فقال لهم لا عشاء لكم عندي ولا قرى قالوا فأين قولك في قصيدتك إذ تقول فيها
(يا دار هندٍ ألاَ حُيِّيتِ من دار ... لم أقْضِ منكِ لُباناتي وأوطاري)
(عوّدتُ فيها إذا ما الضيفُ نّبهني ... عَقْرَ العِشَار على يُسْري وإعساري)
قال لستم من أولئك الذين عنيت
قال ودخل على السري بن عبد الله الهاشمي وقد أصيب بابن له فوقف بين يديه ثم أنشده
(يا من على الأرض من عُجْمٍ ومن عَرَبٍ ... استرْجِعوا خاستِ الدّنيا بَعبّاس)
(فُجعت من سبعة قد كنتُ آمُلُهم ... من ضِنْءِ والدهم بالسيِّد الرّاس)
قال وداود بن سلم الذي يقول
(قُلْ لأسماءَ أنْجزي الميعادا ... وانظُري أن تزوِّدي منكِ زادَا)
(إن تكوني حَلَلْتِ ربعاً مَن الشأم ... وجاورتِ حِميراً أو مُرادا)
(أو تناءتِ بكِ النوى فلقد قُدْتِ ... فؤادي لحَينه فانقادا)
((ذاكِ أني عَلِقتُ منكِ جَوَى الحبِّ ... وَليداً فزدتُ سِناً فزادا
قال أبو زيد أنشدنيها أبو غسان محمد بن يحيى وإبراهيم بن المنذر لداود ابن سلم
نسبة ما في هذا الخبر من الشعر الذي فيه غناء
صوت
(يا دارَ هند ألاَ حُيِّيتِ من دار ... لم أقْضِ منك لُباناتي واوطاري)
يتم وينسب
المادح المزجور
أخبرنا الطوسي قال حدثنا الزبير قال أخبرني مصعب بن عثمان قال دعا الحسن بن زيد إسحاق بن إبراهيم بن طلحة بن عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي أيام كان بالمدينة إلى ولاية القضاء فأبى عليه فحبسه فدعا مسرقين يسرقون له مغسلا في السجن وجاء بنو طلحة فانسجنوا معه
وبلغ ذلك الحسن بن زيد فأرسل إليه فأتي به فقال إنك تلاججت علي وقد حلفت ألا أرسلك حتى تعمل لي فأبرر يميني ففعل فأرسل الحسن معه جندا حتى جلس في المسجد مجلس القضاء والجند على رأسه فجاءه داود بن سلم فوقف عليه فقال
(طلبوا الفقه والمروءةَ والحِلْمَ ... وفيك اجتمعنَ يا إسحاقُ)
فقال ادفعوه فدفعوه فنحي عنه فجلس ساعة ثم قام من مجلسه فأعفاه الحسن بن زيد من القضاء فلما سار إلى منزله أرسل إلى داود بن سلم بخمسين دينارا وقال للرسول قل له يقول لك مولاك ما حملك على أن تمدحني بشيء أكرهه استعن بهذه على أمرك
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير ابن بكار قال حدثني محرز بن سعيد قال بينما سعد بن إبراهيم في

مسجد النبي يقضي بين الناس إذ دخل عليه زيد بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر ومعه داود بن سلم مولى التيميين وعليهما ثياب ملونة يجرانها فأومأ أن يؤتى بهما فاشار إليه زيد أن اجلس فجلس بالقرب منه وأومأ إلى الآخر أن يجلس حيث يجلس مثله ثم قال لعون من أعوانه ادع لي نوح بن إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله فدعي له فجاء أحسن الناس سمتا وتشميرا ونقاء ثياب فأشار إلى فجلس ثم أقبل على زيد فقال له يابن أخي تشبه بشيخك هذا وسمته وتشميره ونقاء ثوبه ولا تعد إلى هذا اللبس قم فانصرف
ثم أقبل على ابن سلم وكان قبيحا فقال له هذا ابن جعفر أحتمل هذا له وأنت لأي شيء أحتمل هذا لك أللؤم أصلك أم لسماجة وجهك جرد يا غلام فجرد فضربه أسواطا
فقال ابن رهيمة
(جلد العادلُ سعدٌ ... إبنَ سَلْم في السَّماجَهْ)
(فقَضَى اللهُ لسعدٍ ... من أمير كلَّ حاجه)
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني يعقوب بن حميد بن كاسب قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون عن يوسف بن الماجشون قال
قال لي أبي وقد عزل سعد بن إبراهيم عن القضاء يا بني تعجل بنا عسى أن نروح مع سعد بن إبراهيم فإن القاضي إذا عزل لم يزل الناس ينالون منه فخرجنا حتى جئنا دار سعد بن إبراهيم فإذا صوت عال فقال لي أي شيء هذا أرى أنه قد أعجل علي ودخلنا فإذا داود بن سلم يقول له أطال الله بقاءك يا أبا إسحاق وفعل بك وقد كان سعد جلد داود بن سلم أربعين سوطا فأقبل علي سعد وعلى أبي فقال لم تر مثل أربعين سوطا في ظهر لئيم
قال وفيه يقول الشاعر
(ضرب العادلُ سعدٌ ... إبنَ سَلْم في السماجهْ)
(فقضى اللهُ لسعدٍ ... من أمير كلَّ حاجه)
الحسن بن زيد يغضب منه
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال قال الزبير بن بكار قال حدثني أبو يحيى الزهري واسمه هارون بن عبد الله قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز عن أبيه قال كان الحسن بن زيد قد عود داود بن سلم مولى بني تيم إذا جاءته غلة من الخانقين أن يصله
فلما مدح داود بن سلم جعفر بن سليمان وكان بينه وبين الحسن بن زيد تباعد شديد أغضب ذلك الحسن فقدم من حج أو عمرة ودخل عليه داود مسلما فقال له الحسن أنت القائل في جعفر
(وكنّا حديثاً قبلَ تأمير جعفرٍ ... وكان المُنَى في جعفر أن يُؤَمَّرا)
((حَوَى المِنْبَرين الطاهرينْ كليْهما ... إذا ما خطا عن مِنبرٍ أمَّ مِنبرا)
(كأن بني حَوَّاء صُفُّوا أمامه ... فَخُيِّر من أنسابهم فتَخَيَّرا)
فقال داود نعم جعلني الله فداءكم فكنتم خيرة اختياره وأنا الذي أقول
(لَعَمري لئن عاقبتَ أوجُدْت مُنعِماً ... بعفوٍ عن الجاني وإن كان مُعْذِرَا)
(لأنتَ بما قدّمتَ أولى بِمدَحةٍ ... وأكرمُ فرعاً إن فخرتَ وعُنْصُرا)
(هو الغُرَّةُ الزَّهْراءُ من فرع هاشمٍ ... ويدعو عليًّا ذا المعالي وجعفرا)
(وزيدَ النَّدَى والسِّبْطَ سِبطَ محمدٍ ... وعمَّك بالطَّفِّ الزَّكيَّ المطهَّرا)
(وما نال مِن ذا جعفرٌ غيرَ مجلسٍ ... إذا ما نفاه العزلُ عنه تأخّرا)
(بحقِّكُم نالوا ذُرَاها فأصبحوا ... يَرَوْن به عزاً عليكم ومَفْخَرا)
قال فعاد الحسن بن زيد له إلى ما كان عليه ولم يزل يصله ويحسن إليه حتى مات
قال أبو يحيى يعني بقوله وإن كان معذرا أن جعفرا أعطاه بأبياته الثلاثة ألف دينار فذكر أن له عذرا في مدحه إياه بجزالة إعطائه
أبو السائب المخزومي يعجب بشعره
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن الواقدي عن ابن أبي الزناد قال كنت ليلة عند الحسن بن زيد ببطحاء ابن أزهر على ستة أميال من المدينة حيال ذي الحليفة نصف الليل جلوسا في القمر وأبو السائب المخزومي معنا وكان ذا فضل وكان مشغوفا بالسماع والغزل وبين أيدينا طبق
عليه فريك فنحن نصيب منه والحسن يومئذ عامل المنصور على المدينة فأنشد الحسن قول داود بن سلم وجعل يمد به صوته ويطربه
صوت
(فعرَّسْنا ببطنِ عُرَيْتِناتٍ ... ليَجْمَعَنا وفاطمةَ المَسِيرُ)
(أتَنْسَى إذ تَعَرَّضُ وهو بادٍ ... مُقلَّدُها كما بَرَقَ الصَّبِير)
(ومَن يَطِع الهوى يُعْرَفْ هواه ... وقد يُنْبيك بالأمرِ الخبير)
(على أني زَفَرْتُ غداةَ هَرْشَى ... فكاد يُريبهم مني الزَّفير)
الغناء للغريض ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق
وفيه للهذلي ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة وأظنه هذا اللحن قال فأخذ أبو السائب الطبق فوحش به إلى السماء فوقع الفريك على رأس الحسن بن زيد فقال له مالك ويحك أجننت فقال له أبو السائب أسألك بالله وبقرابتك من رسول الله إلا ما أعدت إنشاد هذا الصوت ومددته كما فعلت قال فما ملك الحسن نفسه ضحكا ورد الحسن الأبيات لإستحلافه إياه
قال ابن أبي الزناد فلما خرج أبو السائب قال لي يا بن أبي الزناد أما سمعت مده
(... ومن يُطِع الهوا يُعْرَفْ هواه)
فقلت نعم قال لو علمت أنه يقبل لدفعته إليه بهذه الثلاثة الأبيات
أخبرني بخبره عبيد الله بن محمد الرازي وعمي قالا حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني عن أبي بكر الهذلي
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثتني ظبية مولاة فاطمة بنت عمر بن مصعب قالت

أرسلتني مولاتي فاطمة في حاجة فمررت برحبة القضاء فإذا بضبيعة العبسي خليفة جعفر بن سليمان يقضي بين الناس فأرسل إلي فدعاني وقد كنت رطلت شعري وربطت في أطرافه من ألوان العهن فقال ما هذا فقلت شيء أتملح به فقال يا حرسي قنعها بالسوط
قالت فتناولت السوط بيدي وقلت قاتلك الله ما أبين الفرق بينك وبين سعد بن إبراهيم سعد يجلد الناس في السماجة وأنت تجلدهم في الملاحة وقد قال الشاعر
(جلَد العادل سعدُ ... إبنَ سلْم في السماجهْ)
(فقضى اللهُ لسعدٍ ... من أمير كلّ حاجه)
قالت فضحك حتى ضرب بيديه ورجليه وقال خل عنها
قالت فكان يسوم بي وكانت مولاتي تقول لا أبيعها إلا أن تهوى ذلك وأقول لا أريد بأهلي بدلا إلى أن مررت يوما بالرحبة وهو في منظرة دار مروان ينظر فأرسل إلي فدعاني فوجدته من وراء كلة وأنا لا أشعر به وحازم وجرير جالسان فقال لي حازم الأمير يريدك فقلت لا أريد بأهلي بدلا وكشفت الكلة عن جعفر بن سليمان فارتعت لذلك فقلت آه فقال مالك فقلت
(سمعتُ بذكر الناس هنداً فلم أزَلْ ... أخا سَقَمٍ حتى نظرتُ إلى هند)
قال فأبصرت ماذا ويحك فقلت
(فأبصرتُ هنداً حُرّةً غيرَ أنها ... تَصَدَّى لقتل المسلمين على عَمْدِ)
قالت فضحك حتى استلقى وأرسل إلى مولاتي ليبتاعني فقالت لا والله لا أبيعها حتى تستبيعني فقلت والله لا أستبيعك أبدا
يذكر قثم بن عباس بجارية كان يهواها
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا يونس بن عبد الله عن داود بن سلم قال كنت يوما جالسا مع قثم بن العباس قبل أن يملكوا بفنائه فمرت بنا
جارية فأعجب بها قثم وتمناها فلما يمكنه ثمنها
فلما ولي قثم اليمامة اشترى الجارية إنسان يقال له صالح
قال داود بن سلم فكتبت إلى قثم
(يا صاحب العِيس ثم راكبَها ... أبلغْ إذا ما لقيتَه قُثَمَا)
(أنّ الغزال الذي أجاز بنا ... مُعارضاً إذ توسَّط الحَرَما)
(حَوّله صالحٌ فصار مع الْإِنْس ... وخَلّى الوحوش والسَّلَمَا)
قال فأرسل قثم في طلب الجارية ليشتريها فوجدها قد ماتت
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا عبد الله بن محمد بن موسى بن طلحة قال حدثني زهير بن حسن مولى آل الربيع بن يونس أن داود بن سلم خرج إلى حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية فلما نزل به حط غلمانه متاع داود وحلوا عن راحلته فلما دخل عليه أنشأ يقول
(ولمّا دَفَعْتُ لأبوابهم ... ولاقيتُ حَرْباً لَقِيتُ النجاحا)
(وجدناه يَحْمده المُجْتُدون ... ويأبى على العسر إلا سَمَاحا)
(ويُغْشَوْن حتى يُرَى كلبُهم ... يَهابُ الهرير ويَنْسى النُّبَاحا)
قال فأجازه بجائزة عظيمة ثم استأذنه في الخروج فأذن له وأعطاه ألف دينار فلم يعنه أحد من غلمانه ولم يقوموا إليه فظن أن حربا ساخط عليه فرجع إليه فأخبره بما رأى من غلمانه فقال له سلهم لم فعلوا بك ذلك
قال فسألهم فقالوا إننا ننزل من جاءنا ولا نرحل من خرج عنا
قال فسمع الغاضري حديثه فأتاه فحدثه فقال أنا يهودي إن لم يكن الذي قال الغلمان أحسن من شعرك
من شعره في الغزل
وذكر محمد بن داود بن الجراح أن عمر بن شبة أنشده ابن عائشة لداود بن سلم فقال أحسن والله داود حيث يقول
(لَجِجْتُ من حبّيَ في تقريبه ... وعُمّيتْ عينايَ عن عيوبهِ)
(كذاك صرفُ الدهر في تقليبه ... لا يلبَث الحبيبُ عن حبيبه)
(... أو يغفرَ الأعظم من ذنوبه)
قال وأنشدني أحمد بن يحيى عن عبد الله بن شبيب لداود بن سلم قال
(وما ذَرّ قَرْنُ الشمس إلا ذكرتُها ... وأذكُرها في وقت كلِّ غروبِ)
(وأذكرها ما بين ذاك وهذه ... وبالليل أحلامي وعند هُبوبي)
(وقد شَفَّني شَوْقي وأبعدني الهوى ... وأعيا الذي بي طِبَّ كلِّ طبيب)
(وأعْجَبُ أنّي لا أموتُ صَبَابةً ... وما كَمَدٌ من عاشقٍ بعجيب)
(وكلُّ محبٍّ قد سلا غيرَ أنني ... غريبُ الهوى يا وَيْحَ كلِّ غريب)
(وكم لام فيها من أخ ذي نصيحةٍ ... فقلت له أقصِر فغيرُ مُصيب)
(أتأمر إنساناً بفُرقة قلبه ... أتصلحُ أجسامٌ بغير قلوب)
أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان قال كان داود بن سلم منقطعا إلى قثم بن العباس وفيه يقول
(عَتَقَتِ من حِلِّي ومن رِحْلَتِي ... يا ناقُ إن أدْنيتِني من قُثَمْ)
(إنكِ إن أدْنيتِ منه غداً ... حالفني اليسر ومات العدمِ)
(في وجهه بدرٌ وفي كفّه ... بحرٌ وفي العِرْنين منه شَمَمْ)
((أصمُّ عن قِيل الخَنَا سمعُه ... وما عن الخير به من صَمَمْ)
(لم يدر ما لا وبَلَى قد دَرَى ... فعافها واعتاض منها نَعَمْ)
قال أبو إسحاق إسماعيل بن يونس قال أبو زيد عمر بن شبة قال لي إسحاق لنظم العمياء في هذه الأبيات صنعة عجيبة وكانت تجيدها ما شاءت إذا غنتها
أخبار دحمان ونسبه

دحمان لقب لقب به واسمه عبد الرحمن بن عمرو مولى بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة
ويكنى أبا عمرو ويقال له دحمان الأشقر
قال إسحاق كان دحمان مع شهرته بالغناء رجلا صالحا كثير الصلاة معدل الشهادة مدمنا للحج وكان كثيرا ما يقول ما رأيت باطلا أشبه بحق من الغناء
قال إسحاق وحدثني الزبيري أن دحمان شهد عند عبد العزيز بن المطلب بن عبد الله بن حنطب المخزومي وهو يلي القضاء لرجل من أهل المدينة على رجل من أهل العراق بشهادة فأجازها وعدله فقال له العراقي إنه دحمان قال أعرفه ولو لم أعرفه لسألت عنه قال إنه يغني ويعلم الجواري الغناء قال غفر الله لنا ولك وأينا لا يتغنى اخرج إلى الرجل عن حقه
وفي دحمان يقول أعشى بني سليم
(إذا ما هَزَّج الوادِيُّ ... أو ثَقَّل دَحْمانْ)
(سَمِعتَ الشَّدْوَ من هذا ... ومن هذا بميزانْ)
(فهذا سيِّد الإنس ... وهذا سيِّد الجانْ)
وفيه يقول أيضا
(كانوا فحولاً فصاروا عند حَلْبتهم ... لماّ انبرى لهم دَحْمانُ خِصْيانا)
(فأَبْلِغُوه عن الأعشى مقالتَه ... أعشى سُلَيم أبي عمرو سليمانا)
(قولوا يقول أبو عمرو لصُحْبته ... ياليت دَحْمانَ قبل الموت غنّانا)
أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني قال حدثنا يوسف بن إبراهيم عن إبراهيم بن المهدي أنه حدثه عن ابن جامع وزبير بن دحمان جميعا أن دحمان كان معدلا مقبول الشهادة عند القضاة بالمدينة وكان أبو سعيد مولى فائد أيضا ممن تقبل شهادته
وكان دحمان من رواة معبد وغلمانه المتقدمين
قال وكان معبد في أول أمره مقبول الشهادة فلما حضر الوليد بن يزيد وعاشره على تلك الهنات وغنى له سقطت عدالته لا لأن شيئا بان عليه من دخول في محظور ولكن لأنه اجتمع مع الوليد على ما كان يستعمله
أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال حدثنا أبو أيوب المديني قال قال إسحاق كان دحمان يكنى أبا عمرو مولى بني ليث واسمه عبد الرحمن وكان يخضب رأسه ولحيته بالحناء وهو من غلمان معبد
قال إسحاق وكان أبي لا يضعه بحيث يضعه الناس ويقول لو كان عبدا ما اشتريته على الغناء بأربعمائة درهم
وأشبه الناس به في الغناء ابنه عبد الله وكان يفضل الزبير ابنه تفضيلا شديدا على عبد الله أخيه وعلى دحمان أبيه

دحمان يحظى عند المهدي

أخبرني يحيى عن أبي أيوب عن أحمد بن المكي عن عبد الله بن دحمان قال رجع أبي من عند المهدي وفي حاصله مائة ألف دينار
أخبرنا إسماعيل بن يونس وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال بلغني أن المهدي أعطى دحمان في ليلة واحدة خمسين ألف دينار وذلك أنه غنى في شعر الأحوص
(قَطُوفُ المشْي إذ تمشِي ... تَرَى في مشيها خرقا)
فأعجبه وطرب واستخفه السرور حتى قال لدحمان سلني ما شئت فقل ضيعتان بالمدينة يقال لهما ريان وغالب فأقطعه إياهما
فلما خرج التوقيع بذلك إلى أبي عبيد الله وعمر بن بزيع راجعا المهدي فيه وقالا إن هاتين ضيعتان لم يملكهما قط إلا خليفة وقد استقطعهما ولاة العهود في أيام بني أمية فلم
يقطعوهما فقال والله لا أرجع فيهما إلا بعد أن يرضى فصولح عنهما على خمسين ألف دينار

نسبة هذا الصوت

(سَرَى ذا الهمُّ بل طَرَقا ... فَبِتُّ مسهَّداً قَلِقا)
(كذاك الحُبُّ مما يُحدِث ... التسهيد والأرقا)
(قَطُوف المشي إذ تمشي ... تَرَى في مشيها خَرَقا)
(وتُثْقِلها عَجِيزتُها ... إذا ولَّت لتنطلقا)
الشعر للأحوص والغناء لدحمان ثقيل أول بالوسطى عن عمرو وذكر الهشامي أنه لابن سريج
أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة عن إسحاق قال مر دحمان المغني وعليه رداء جيد عدني فقال له من حضر بكم اشتريت هذا يا أبا عمرو قال ب
(... ما ضرَّ جيرانَنا إذ انتَجَعُوا)
نسبة هذا الصوت

صوت

(ما ضَرَّ جيرانَنا إذ انتَجَعُوا ... لو أنهم قبل بيْنِهم ربعُوا)
(أحْمَوْا على عاشقٍ زيارته ... فهْو بهجْران بينهم قُطع)
((وهْو كأنَّ الهُيَام خالطه ... وما به غير حبِّها ذَرَع)
(كأنَّ لُبْنَى صَبِير غاديةٍ ... أو دُمْيةٌ زُيِّنتْ بها البِيَع)
(الله بيني وبين قيِّمها ... يَفِرُّ عنّي بها وأتَّبع)
الوليد يكرم دحمان
أخبرني وكيع عن أبي أيوب المديني إجازة عن أبي محمد العامري الأويسي قال كان دحمان جمالا يكري إلى المواضع ويتجر وكانت له مروءة فبينا هو ذات يوم قد أكرى جماله وأخذ ماله إذ سمع رنة فقام واتبع الصوت فإذا جارية قد خرجت تبكي فقال لها أمملوكة أنت قالت نعم فقال لمن فقالت لإمرأة من قريش وسمتها له فقال أتبيعك قالت نعم ودخلت إلى مولاتها فقالت هذا إنسان يشتريني فقالت ائذني له فدخل فسامها حتى استقر أمر الثمن بينهما على مائتي دينار فنقدها إياها وانصرف بالجارية
قال دحمان فأقامت عندي مدة اطرح عليها ويطرح عليها معبد والأبجر ونظراؤهما من المغنين ثم خرجت بها بعد ذلك إلى

الشأم وقد حذقت وكنت لا أزال إذا نزلنا أنزل الأكرياء ناحية وأنزل معتزلا بها ناحية في محمل وأطرح على المحمل من أعبية الجمالين وأجلس أنا وهي تحت ظلها فأخرج شيئا فنأكله ونضع ركوة فيها لنا شراب فنشرب ونتغنى حتى نرحل ولم نزل كذلك حتى قربنا من الشأم فبينا أنا ذات يوم نازل وأنا ألقي عليها لحني

صوت

(لو رَدّ ذو شَفَقٍ حِمامَ منّيةٍ ... لرددَتُ عن عبد العزيز حِمَاماَ)

(صلّى عليكَ اللّهُ من مستودَعٍ ... جاورتَ بوماً في القبور وهاما)

الشعر لكثير يرثي عبد العزيز بن مروان

وزعم بعض الرواة أن هذا الشعر ليس لكثير وأنه لعبد الصمد بن علي الهشامي يرثي إبنا له

والغناء لدحمان ولحنه من الثقيل الأول بالخنصر في مجرى البنصر

قال فرددته عليها حتى أخذته واندفعت تغنيه فإذا أنا براكب قد طلع فسلم علينا فرددنا عليه السلام فقال أتأذنون لي أن أنزل تحت ظلكم هذا ساعة قلنا نعم فنزل وعرضت عليه طعامنا وشرابنا فأجاب فقدمنا إليه السفرة فأكل وشرب معنا واستعاد الصوت مرارا

ثم قال للجارية أتغنين لدحمان شيئا قالت نعم قال فغنته أصواتا من صنعتي وغمزتها ألا تعرفه أني دحمان فطرب وامتلأ سرورا وشرب أقداحا والجارية تغنيه حتى قرب وقت الرحيل فأقبل علي وقال أتبيعني هذه الجارية فقلت نعم قال بكم قلت كالعابث بعشرة آلاف دينار قال قد أخذتها بها فهلم دواة وقرطاسا فجئته بذلك فكتب إدفع إلى حامل كتابي هذا حين تقرؤه عشرة آلاف دينار واستوص به خيرا وأعلمني بمكانه وختم الكتاب ودفعه إلي ثم قال أتدفع إلي الجارية أم تمضي بها معك حتى تقبض

مالك فقلت بل أدفعها إليك فحملها وقال إذا جئت البخراء فسل عن فلان وادفع كتابي هذا إليه واقبض منه مالك ثم انصرف بالجارية

قال ومضيت فلما وردت البخراء سألت عن اسم الرجل فدللت عليه فإذا داره دار ملك فدخلت عليه ودفعت إليه الكتاب فقبله ووضعه على عينيه ودعا بعشرة آلاف دينار فدفعها إلي وقال هذا كتاب أمير المؤمنين وقال لي اجلس حتى أعلم أمير المؤمنين بك فقلت له حيث كنت فأنا عبدك وبين يديك وقد كان أمر لي بأنزال وكان بخيلا فاغتنمت ذلك فارتحلت وقد كنت أصبت بجملين وكانت عدة أجمالي خمسة عشر فصارت ثلاثة عشر

قال وسأل عني الوليد فلم يدر القهرمان أين يطلبني فقال له الوليد عدة جماله خمسة عشر جملا فاردده إلي فلم أوجد لأنه لم يكن في الرفقة من معه خمسة عشر جملا ولم يعرف اسمي فيسأل عني قال وأقامت الجارية عنده شهرا لا يسأل عنها ثم دعاها بعد أن استبرئت وأصلح من شأنها فظل معها يومه حتى إذا كان في آخر نهاره قال لها غنيني لدحمان فغنت وقال لها زيديني فزادت

ثم أقبلت عليه فقالت يا أمير المؤمنين أو ما سمعت غناء دحمان منه قال لا قالت بلى والله قال أقول لك لا فتقولين بلى والله فقالت بلى والله لقد سمعته قال وما ذاك ويحك قالت إن الرجل الذي اشتريتني منه هو دحمان قال أو ذلك هو قالت نعم هو هو قال فكيف لم أعلم قالت غمزني بألا أعلمك

فأمر فكتب إلى عامل المدينة بأن يحمل إليه دحمان فحمل فلم يزل عنده أثيرا

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه

قال حدثنا ابن جامع قال تذاكروا يوما كبر الأيور بحضرة بعض أمراء المدينة فأطالوا القول ثم قال بعضهم إنما يكون كبر أير الرجل على قدر حر أمه فالتفت الأمير إلى دحمان فقال يا دحمان كيف أيرك فقال له أيها الأمير أنت لم ترد أن تعرف كبر أيري وإنما أردت أن تعرف مقدار حر أمي وكان دحمان طيبا ظريفا

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق قال أول ما عرف من ظرف دحمان أن رجلا مر به يوما فقال له أير حماري في حر أمك يا دحيم فلم يفهم ما قاله وفهمه رجل كان حاضرا معه فضحك فقال مم ضحكت فلم يخبره فقال له أقسمت عليك إلا أخبرتني قال إنه شتمك فلا أحب استقبالك بما قاله لك فقال والله لتخبرني كائنا ما كان فقال له قال كذا وكذا من حماري في حر أمك فضحك ثم قال أعجب والله وأغلظ علي من شتمه كنايتك عن أير حماره وتصريحك بحر أمي لا تكني

جعفر بن سليمان والمغنون

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني أبو خالد يزيد بن محمد المهلبي قال حدثني إسحاق الموصلي قال حدثنا عبد الله بن الربيع المديني قال حدثني الربعي المغني قال قال لنا جعفر بن سليمان وهو أمير المدينة اغدوا على قصري بالعقيق غدا وكنت أنا ودحمان وعطرد فغدوت للموعد فبدأت بمنزل دحمان وهو في جهينة

فإذا هو وعطرد قد اجتمعا على قدر يطبخانها وإذا السماء تبغش فأذكرتهما الموعد فقالا أما ترى يومنا هذا ما أطيبه اجلس حتى نأكل من هذه القدر ونصيب شيئا ونستمتع من هذا اليوم فقال ما كنت لأفعل مع ما تقدم الأمير به إلي فقالا لي كأنا بالأمير قد انحل عزمه وأخذك المطر إلى أن تبلغ ثم ترجع إلينا مبتلا فتقرع الباب وتعود إلى ما سألناك حينئذ

قال فلم ألتفت إلى قولهما ومضيت وإذا جعفر مشرف من قصره والمضارب تضرب والقدور تنصب فلما كنت بحيث يسمع تغنيت

(واستصحبَ الأصحابَ حتى إذا وَنَوْا ... وملُّوا من الإدْلاَجِ جئتكُم وَحْدِي)

قال وما ذاك فأخبرته فقال يا غلام هات مائتي دينار أو أربعمائة دينار الشك من إسحاق الموصلي فانثرها في حجر الربعي اذهب الآن فلا تحل لها عقدة حتى تريهما إياها فقلت وما في يدي من ذلك يأتيانك غدا فتلحقهما بي قال ما كنت لأفعل قلت فلا أمضي حتى تحلف لي أنك لا تفعل فحلف فمضيت إليهما فقرعت الباب فصاحا وقالا ألم نقل لك إن هذه تكون حالك فقلت كلا فأريتهما الدنانير فقالا إن الأمير لحي كريم ونأتيه غدا فنعتذر إليه فيدعوه كرمه إلى أن يلحقنا بك فقلت كذبتكما أنفسكما والله إني قد أحكمت الأمر ووكدت عليه الإيمان ألا يفعل فقالا لا وصلتك رحم

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن منصور بن أبي مزاحم قال أخبرني عبد العزيز بن الماجشون قال صلينا يوما الصبح بالمدينة فقال قوم قد سال العقيق فخرجنا من المسجد مبادرين إلى العقيق فانتهينا إلى العرصة فإذا من وراء الوادي قبالتنا

دحمان المغني وابن جندب مع طلوع الشمس قد تماسكا بينهما صوتا وهو

(اسكنُ البَدْوَ ما سكنْتِ ببدوٍ ... فإذا ما حضرتِ طال الحضورُ)
وإذا أطيب صوت في الدنيا
قال وكان أخي يكره السماع فلما سمعه طرب طربا شديدا وتحرك وكان لغناء دحمان أشد استحسانا وحركة وارتياحا
فقال لي يا أخي تسمع إلى غناء دحمان والله لكأنه يسكب على الماء زيتا
نسبة هذا الصوت
صوت
(أوْحشَ الجُنْبُذَانِ فالدَّيْرُ منها ... فقُرَاها فالمنزلُ المحظورُ)
(أسكنُ البدوَ ما أقمتِ ببدوٍ ... فإذا ما حضرتِ طاب الحضور)
(أيُّ عيش ألَذُّه لستِ فيه ... أوْ تُرَى نَعْمةٌ به وسرور)
الشعر لحسان بن ثابت والغناء لابن مسجح رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق
دحمان والفضل بن يحيى
أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أحمد بن عبد الرحمن عن أبي عثمان البصري قال قال دحمان دخلت على الفضل بن يحيى ذات يوم فلما جلسنا قام وأومأ إلي فقمت فأخذ بيدي ومضى بي إلى منظرة له على الطريق ودعا بالطعام فأكلنا ثم صرنا إلى الشراب فبينا نحن كذلك إذ مرت بنا جارية سوداء حجازية تغني
(اهْجُريني أو صِلِيني ... كيفما شئتِ فكوني)
(أنتِ والله تحبِّيني ... وإن لم تُخبريني)
فطرب وقال أحسنت ادخلي فدخلت فأمر بطعام فقدم إليها فأكلت وسقاها أقداحا وسألها عن مواليها فأخبرته فبعث فاشتراها فوجدها من أحسن الناس غناء وأطيبهم صوتا وأملحهم طبعا فغلبتني عليه مدة وتناساني فكتبت إليه
(أخرجتِ السّوداء ما كان في ... قلبك لي من شدّة الحُبِّ)
(فإن يدُم ذا منك لا دام لي ... متُّ من الإعراض والكَرْب)
قال فلما قرأ الرقعة ضحك وبعث فدعاني ووصلني وعاد إلى ما كان عليه من الأنس
قال مؤلف هذا الكتاب هكذا أخبرنا ابن المرزبان بهذا الخبر وأظنه غلطا لأن دحمان لم يدرك خلافة الرشيد وإنما أدركها ابناه زبير وعبد الله
فإما أن يكون الخبر لأحدهما أو يكون لدحمان مع غير الفضل بن يحيى
ومما في المائة المختارة من صنعة دحمان
صوت
من المائة المختارة من رواية علي بن يحيى
(وإنّي لآتي البيتَ ما إن أُحِبُّه ... وأُكثِرُ هجرَ البيت وهو حبِيبُ)
(وأُغْضِي على أشياءَ منكم تَسُوءني ... وأُدْعَى إلى ما سرّكم فأجيب)
(وأحبِس عنكِ النّفسَ والنفسُ صَبّةٌ ... بقُربْك والمَمْشَى إليكِ قريب)
الشعر للأحوص والغناء لدحمان ثقيل أول وقد تقدمت أخبار الأحوص ودحمان فيما مضى من الكتاب
صوت
من المائة المختارة
(حَيِّيَا خَوْلَةَ منِّي بالسلامْ ... دُرّةَ البحر ومِصْباحَ الظلامْ)
(لا يكُن وعْدُكِ برقا خُلَّبًا ... كاذباً يلمع في عُرْض الغمام)
(واذكري الوعدَ الذي واعدتنا ... ليلةَ النصف من الشّهر الحرام)
الشعر لأعشى همدان والغناء لأحمد النصبي ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر وعروضه من الرمل والخلب من البرق الذي لا غيث معه ولا ينتفع بسحابه وتضرب المثل به العرب لمن أخلف وعده قال الشاعر
((لا يكنْ وعدك برقاً خُلّباً ... إنّ خيرَ البرق ما الغيثُ مَعَهْ
وعرض السحابة الناحية منها
أخبار أعشى همدان ونسبه
اسمه عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث بن نظام بن جشم بن عمرو بن الحارث بن مالك بن عبد الحر بن جشم بن حاشد بن جشم بن خيران بن نوف بن همدان بن مالك بن زيد بن نزار بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ويكنى أبا المصبح شاعر فصيح كوفي من شعراء الدولة الأموية
وكان زوج أخت الشعبي الفقيه والشعبي زوج أخته وكان أحد الفقهاء القراء ثم ترك ذلك وقال الشعر وآخى أحمد النصبي بالعشيرية والبلدية فكان إذا قال شعرا غنى فيه أحمد
وخرج مع ابن الأشعث فأتي الحجاج أسيرا في الأسرى فقتله صبرا
أخبرني بما أذكره من جملة أخباره الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي عن محمد بن معاوية الأسدي أنه أخذ أخباره هذه عن ابن كناسة عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية وعن غيرهم من رواة الكوفيين
قال حدثنا عمر بن شبة وأبو هفان جميعا عن إسحاق الموصلي عن الهيثم بن عدي عن عبد الله بن عياش الهمداني
قال الغنزي وأخذت بعضها من رواية مسعود بن بشر عن الأصمعي وما كان من غير رواية هؤلاء ذكرته مفردا
أخبرني المهلبي أبو أحمد حبيب بن نصر وعلي بن صالح قالا حدثنا عمر بن شبة وأبو هفان جميعا عن إسحاق الموصلي عن الهيثم بن عدي عن عبد الله بن عياش الهمداني قال كان الشعبي عامر بن شراحيل زوج أخت أعشى همدان وكان أعشى همدان زوج أخت الشعبي فأتاه أعشى همدان يوما وكان أحد القراء للقرآن فقال له إني رأيت كأني أدخلت بيتا فيه حنطة وشعير وقيل لي خذ أيهما شئت
فأخذت الشعير فقال إن صدقت رؤياك تركت القرآن وقراءته وقلت الشعر فكان كما قال
ابنة الأمير تهرب معه
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي عن محمد بن معاوية الأسدي عن ابن كناسة قال العنزي

وحدثني مسعود بن بشر عن أبي عبيدة والأصمعي قالا وافق روايتهم الهيثم بن عدي عن حماد الراوية قال كان أعشى همدان أبو المصبح ممن أغزاه الحجاج بلد الديلم ونواحي دستبى فأسر فلم يزل أسيرا في أيدي الديلم مدة
ثم إن بنتا للعلج الذي أسره هويته وصارت إليه ليلا فمكنته من نفسها فأصبح وقد واقعها ثماني مرات فقالت له الديلمية يا معشر المسلمين أهكذا تفعلون بنسائكم فقال لها هكذا نفعل كلنا فقالت له بهذا العمل نصرتم أفرأيت إن خلصتك أتصطفيني لنفسك فقال لها نعم وعاهدها
فلما كان الليل حلت قيوده وأخذت به طرقا تعرفها حتى خلصته وهربت معه
فقال شاعر من أسرى المسلمين
(فمن كان يَفْديه مِن الأسْر مالُه ... فهَمْدانُ تَفْدِيها الغداةَ أُيورُها)
وقال الأعشى يذكر ما لحقه من أسر الديلم
صوت
(لِمن الظَّعائنُ سيرُهنّ تَزَحُّفُ ... عَوْمَ السَّفِين إذا تقاعس مجذَفُ)
(مرّتْ بذي خُشُب كأنّ حُمولَها ... نَخْلٌ بِيَثْرب طَلْعُه مُتضعِّفُ)
غنى في هذين البيتين أحمد النصبي ولحنه خفيف ثقيل مطلق في مجرى البنصر عن عمرو وابن المكي
وفيهما لمحمد الزف خفيف رمل بالوسطى عن عمرو
(عُولين ديباجاً وفاخرَ سُنْدُسٍ ... وبخَزِّ أكسيةِ العراق تُحفَّفُ)
(وغدتْ بهم يومَ الفراق عَرَامِسٌ ... فُتْلُ المرافق بالهوادج دُلَّف)
(بان الخليط وفاتني برحيله ... خَوْدٌ إذا ذُكرت لقلبك يُشْغَفُ)
(تجلو بِمِسْواكِ الأَرَاك مُنَظَّماً ... عَذْباً إذا ضحكتْ تهلَّلَ يَنْطُف)
(وكأنّ ريقتها على عَلَل الكَرَى ... عَسلٌ مصفًّى في القِلاَل وقَرْقَف)
(وكأنما نظرتْ بعينيْ ظَبيةٍ ... تحنو على خِشْف لها وتَعَطَّف)
((وإذا تنوء إلى القيام تدافعتْ ... مثلَ النَّزيف ينوء ثُمّتَ يَضْعفُ
(ثقُلتْ روادفُها ومال بخَصْرها ... كَفَلٌ كما مال النَّقا المتقصِّف)
(ولها ذراعا بَكْرٍ رحبيّة ... ولها بَنَانٌ بالخِضاب مُطَرَّف)
(وعوارِضٌ مصقولةٌ وترائبٌ ... بيضٌ وبطنٌ كالسَّبيكة مُخْطَف)
(ولها بَهاءٌ في النساء وبَهْجةٌ ... وبها تُحلّ الشمسُ حين تُشرَّف)
(تلك التي كانت هوايَ وحاجتي ... لو أنّ داراً بالأحبّة تُسْعِف)
(وإذا تُصِبْك من الحوادث نكبةٌ ... فاصبر فكل مصيبةٍ ستَكشَّف)
(ولئن بكيتُ من الفراق صبابةً ... إنّ الكبير إذا بكى لَيُعَنَّفُ)
(عجباً من الأيام كيف تَصَرَّفَتْ ... والدارُ تدنو مرّةً وتقذَّفُ)
(أصبحتُ رَهْناً للعُداة مكبَّلاً ... أمْسي وأُصبِح في الأداهم أرْسُف)
(بين القليسم فالقيول فحامن ... فاللهزمين ومضجعي مُتكنِّف)
هذه أسماء مواضع من بلد الديلم تكنفته الهموم بها
(فجِبَال ويمة ما تزال مُنِيفةً ... يا ليت أنّ جبال ويمة تُنسَف)
ويمة وشلبة ناحيتان من نواحي الري
(ولقد أُراني قبل ذلك ناعماً ... جَذْلاَنَ آبى أن أُضام وآنفُ)
(واستنكرتْ ساقِي الوَثَاق وساعدي ... وأنا أمرؤٌ بادِي الأشاجِع أعْجف)
(ولقد تُضرّسني الحروبُ وإنني ... ألفي بكلِّ مخافة أتعسَّف)
((أتسربل الليلَ البهيمَ وأستري ... في الخَبْت إذ لا يَستُرون وأُوجِف
(ما إن أزال مقنّعاً أو حاسراً ... سَلَف الكتيبة والكتيبةُ وُقَّف)
(فأصابني قومٌ فكنتُ أُصيبهم ... فالآن أصبِر للزمان وأعرف)
(إني لطَلاّبُ التِّراتِ مطلّبٌ ... وبكل أسباب المنيّة أشرف)
(باقٍ على الحِدْثان غيرُ مكذِّبٍ ... لا كاسِفُ بالي ولا متأسِّف)
(إن نلتُ لم أفرح بشيء نِلتُه ... وإذا سُبِقتُ به فلا أتلهّف)
(إني لأحْمِي في المَضِيق فَوَارِسي ... وأكُرّ خَلْفَ المُسْتضاف وأعطِف)
(وأشُدّ إذ يكبو الجبان وأصْطَلي ... حَرَّ الأسنّة والأسنّة ترْعُف)
صوت
(فلئن أصابَتْني الحربُ فربّما ... أُدْعَى إذا مُنِع الرِّدافُ فأُرْدِفُ)
(ولربّما يَرْوَى بكفِّي لَهْذَمٌ ... ماض ومِطْرَدُ الكُعوب مُثقَّف)
(وأُغير غاراتٍ وأشهد مَشهداً ... قلبُ الجبان به يَطير ويَرجِفُ)
(وأرى مغانمَ لو أشاء حويتُها ... فيصُدّني عنها غِنىً وتعفُّف)
غنى في هذه الأبيات دحمان ولحنه ثقيل أول بالبنصر عن الهشامي
قال الهشامس فيها لمالك خفيف ثقيل أول بالوسطى ووافقه في هذا ابن المكي قالوا جميعا
خروجه مع جيش الحجاج إلى مكران
ثم ضرب البعث على جيش أهل الكوفة إلى مكران فأخرجه الحجاج معهم فخرج إليها وطال مقامه بها ومرض فاجتواها
وقال في ذلك وأنشدني بعض هذه القصيدة اليزيدي عن سليمان بن أبي شيخ
(طلبتَ الصِّبا إذ علا المَكْبَر ... وشاب القَذال وما تُقصِرُ)
(وبان الشبابُ ولذاتّه ... ومثلُك في الجهل لا يُعذَر)
(وقال العواذل هل يَنْتهي ... فيَقْدَعَه الشيبُ أو يُقصِر)
(وفي أربعينَ تَوَفَّيتُها ... وعَشْرٍ مضتْ لي مُستبصَر)

(وموعظَةٌ لامرئ حازمٍ ... إذا كان يَسمعُ أو يُبْصِر)
(فلا تأسفنَّ على ما مضى ... ولا يحزُنَنَّك ما يُدْبِر)
(فإنّ الحوادث تُبلِي الفتى ... وإنّ الزمان به يعثُر)
(فيَوْماً يُساء بما نابه ... ويوماً يُسرّ فيَستبشرُ)
(ومِنْ كلّ ذلك يَلْقى الفتى ... ويُمْنَى له منه ما يُقدّر)
(كأنّي لم أرتحلْ جَسْرَةً ... ولم أجِفْها بعدما تضمر)
(فأجْشَمها كلَّ دَيْمُومةٍ ... ويعرفها البلدُ المُقفر)
(ولم أشهد البأس يومَ الوغَى ... عليّ المُفاضةُ والمِغْفَر
(ولم أخرق الصَّف حتى تَميلَ ... دارِعَة القومِ والحُسَّر)
(وتحتي جَرْداءُ خَيْفانةٌ ... من الخيل أو سابحٌ مُجفَر)
(أطاعِن بالرمح حتى اللَّبانُ ... يَجري به العَلَق الأحمر)
(وما كنت في الحرب إذ شمَّرت ... كَمَنْ لا يُذيب ولا يُخثِر)
(ولكنّني كنتُ ذا مِرَّة ... عَطوفاً إذا هتف المَحْجِر)
(أجيب الصَّريخ إذا ما دعا ... وعند الهِيَاج أنا المِسعَر)
(فإن أمْسِ قد لاح فيّ المَشيبُ ... أُمَّ البنين فقد أذكرُ)
(رَخاءً من العيش كُنَّا به ... إذِ الدهرُ خالٍ لنا مُصْحِر)
(وإذ أنا في عُنفوانِ الشباب ... يُعجبني اللَّهو والسُّمَّر)
(أصِيد الحِسانَ ويَصطَدْنني ... وتعجِبني الكاعبُ المُعصِر)
(وبيضاءُ مثلُ مَهَاة الكَثيب ... لا عَيْبَ فيها لمن ينظرُ)
(كأنّ مُقَلَّدَها إذ بدا ... به الدُّرّ والشَّذْرِ والجوهر)
(مُقَلَّدُ أدْمَاءَ نَجْديّةٍ ... يَعِنُّ لها شادِنٌ أحور)
(كأنّ جَنَى النحل والزنجبيلَ ... والفارسيَّة إذ تُعْصَر
(يُصَبّ على بَرْدِ أنيابها ... مُخَالِطُه المسكُ والعنبر)
(إذا انصرفتْ وتَلوّتْ بها ... رِقاقُ المَجَاسِدِ والمِئزر)
(وغَصَّ السِّوارُ وجال الوشاح ... على عُكَنٍ خَصْرُها مُضْمَر)
(وضاق عن الساق خَلْخالُها ... فكاد مُخَدَّمها يَنْدِر)
(فَتُورُ القيام رخيمُ الكلام ... يُفزعها الصوتُ إذ تُزْجَر)
(وتُنْمى إلى حسب شامخ ... فليستْ تُكذَّب إذ تَفْخَر)
(فتلك التي شَفَّني حبُّها ... وحمَّلني فوق ما أقدِر)
(فلا تعذُلانيَ في حبّها ... فإنّي بمعذرةٍ أجْدَر)
ومن ها هنا رواية اليزيدي
(وقُولا لذي طَرَب عاشقٍ ... أشطَّ المزارُ بمن تَذْكُر)
(بكوفيّة أصلُها بالفرات ... تبدو هنالك أو تحضُر)
(وأنت تسير إلى مُكّران ... فقد شحَط الوِرْدُ والمَصدَر)
(ولم تكُ من حاجتي مُكّران ... ولا الغزو فيها ولا المَتْجَر)
(وخُبِّرتُ عنها ولم آتِها ... فما زلتُ من ذكرها أُذْعَر)
(بأنّ الكثيرَ بها جائعٌ ... وأنّ القليل بها مُقْتِر)
(وأنّ لِحَى الناس من حرِّها ... تطول فتُجْلَم أو تُضْفَر)
(ويزعُم مَنْ جاءها قَبْلَنا ... بأنّا سنَسْهَم أو ننحر
(أعوذ بربّي من المُخْزِيات ... فيما أُسِرّ وما أجهَر)
(وحُدّثت أنْ ما لنا رَجْعةٌ ... سنينَ ومن بعدها أشهر)
(إلى ذاك ما شاب أبناؤنا ... وبادَ الإخِلاّء والمَعْشر)
(وما كان بي من نشاطٍ لها ... وإنّي لذو عُدّة مُوسِر)
(ولكنْ بُعثتُ لها كارهًا ... وقيل انطلق كالذي يُؤمر)
(فكان النَّجاء ولم ألتفت ... إليهم وشرّهُم مُنكر)
(هو السيف جُرِّد من غمده ... فليس عن السيف مستأخَر)
(وكم من أخٍ ليَ مستأنِس ... يَظَلّ به الدمعُ يَستْحسر)
(يودّعني وانتحتْ عبرةٌ ... له كالجداول أو أغزر)
(فلستُ بلاقيه من بعدها ... يَدَ الدهر ما هبّت الصَّرْصَر)
(وقد قيل إنكُم عابرون ... نجراً لها لم يكن يُعْبَرُ)
(إلى السِّند والهند في أرضِهم ... همُ الجِنّ لكنّهم أنْكَر)
(وما رام غزواً لها قبلَنا ... أكابرُ عادٍ ولا حِمْير)
(ولا رام سابورُ غزواً لها ... ولا الشيخُ كِسْرى ولا قيصر)
(ومِن دونها مَعبرٌ واسعٌ ... وأجرٌ عظيم لمن يؤجَر)
قصته مع جارية خالد الرياحي
وذكر محمد بن صالح بن النطاح أن هشام بن محمد الكلبي حدث عن أبيه أن أعشى همدان كان مع خالد بن عتاب بن ورقاء الرياحي بالري
ودستبي وكان الأعشى شاعر أهل اليمن بالكوفة وفارسهم فلما قدم خالد من مغزاه خرج جواريه يتلقينه وفيهن أم ولد له كانت رفيعة القدر عنده فجعل الناس يمرون عليها إلى أن جاز بها الأعشى وهو على فرسه يميل يمينا ويسارا من

النعاس فقالت أم خالد بن عتاب لجواريها إن امرأة خالد لتفاخرني بأبيها وعمها وأخيها وهل يزيدون على أن يكونوا مثل هذا الشيخ المرتعش
وسمعها الأعشى فقال من هذه فقال له بعض الناس هذه جارية خالد فضحك وقال لها إليك عني يا لكعاء ثم أنشأ يقول
(وما يُدْريك ما فرسٌ جَرُورٌ ... وما يدريكَ ما حَمْلُ السّلاح)
(وما يدريكِ ما شيخ كبيرٌ ... عَدَاه الدهر عن سَنَن المِراح)
(فأقْسِمُ لو ركبتِ الوَرْد يوماً ... وليلتَه إلى وَضَح الصَّباح)
(إذاً لنظرتُ منكِ إلى مكان ... كسَحْق البُرْد أو أثَر الجِراح)
قال فأصبحت الجارية فدخلت إلى خالد فشكت إليه الأعشى فقالت والله ما تكرم ولقد اجترئ عليك فقال لها وما ذاك فأخبرته أنها مرت برجل في وجه الصبح ووصفته له وأنه سبها فقال ذلك أعشى همدان فأي شيء قال لك فأنشدته الأبيات
فبعث إلى الأعشى فلما دخل عليه قال له ما تقول هذه زعمت أنك هجوتها فقال أساءت سمعا إنما قلت
(مررتُ بنسوة متعطِّرات ... كضوء الصبح أو بَيض الأداحِي)
((على شُقْر البغال فَصِدْن قلبي ... بحسن الدَّلّ والحَدَق المِلاح
(فقلتُ مَن الظباءُ فقلن سِربٌ ... بدا لك من ظِباء بَني رياح)
فقالت لا والله ما هكذا قال وأعادت الأبيات فقال له خالد أما إنها لولا أنها قد ولدت مني لوهتبها لك ولكني أفتدي جنايتها بمثل ثمنها فدفعه إليه وقال له أقسمت عليك يا أبا المصبح ألا تعيد في هذا المعنى شيئا بعد ما فرط منك
وذكر هذا الخبر العنزي في روايته التي قدمت ذكرها ولم يأت به على هذا الشرح
وقال هو وابن النطاح جميعا وكان خالد يقول للأعشى في بعض ما يمنيه إياه ويعده به إن وليت عملا كان لك ما دون الناس جميعا فمتى استعملت فخذ خاتمي واقض في أمور الناس كيف شئت
قال فاستعمل خالد على أصبهان وصار معه الأعشى فلما وصل إلى عمله جفاه وتناساه ففارقه الأعشى ورجع إلى الكوفة وقال فيه
(تُمنِّيني إمارتَها تَميم ... وما أمِّي بأُمّ بني تَميمَ)
(وكان أبو سليمانٍ أخاً لي ... ولكنّ الشّراكَ من الأديم)
(أتينا أصبهانَ فهزّلَتنا ... وكنّا قبلَ ذلك في نعيم)
(أتذكرنا ومُرّةَ إذ غزونا ... وأنتَ على بُغَيْلك ذي الوُشُوم)
(ويركَب رأسَه في كل وَحْل ... ويعثر في الطريق المستقيم)
(وليس عليك إلا طَيْلَسانٌ ... نَصِيبىٌّ وإلاّ سَحْقُ نِيم)
(فقد أصبحتَ في خَزّ وقَزّ ... تَبَخْتر ما ترى لك من حميم)
((وتحسب أن تلقّاها زمانا ... كذبتَ وربِّ مكة والحطيم
هذه رواية ابن النطاح وزاد العنزي في روايته
(وكانت أصبهانُ كخير أرضٍ ... لمُغترِب وصُعلوكٍ عديمِ)
(ولكنّا أتيناها وفيها ... ذوو الأضغان والحِقد القديم)
(فأنكرتُ الوجوهَ وأنكرتْني ... وجوهٌ ما تُخبِّر عن كريم)
(وكان سفاهةً منّي وجهلا ... مَسِيري لا أسير إلى حميم)
(فلو كان ابنُ عتابٍ كريماً ... سما لرواية الأمر الجسيم)
(وكيف رجاءُ من غلَبتْ عليه ... تنائي الدار كالرَّحِم العقيم)
قال ابن النطاح فبعث إليه خالد من مرة هذا الذي أدعيت أني وأنت غزونا معه على بغل ذي وشوم ومتى كان ذلك ومتى رأيت علي الطيلسان والنيم اللذين وصفتهما فأرسل إليه هذا كلام أردت وصفك بظاهره فأما تفسيره فإن مرة مرارة ثمرة ما غرست عندي من القبيح
والبغل المركب الذي ارتكبته مني لا يزال يعثر بك في كل وعث وجدد ووعر وسهل
وأما الطيلسان فما ألبسك إياه من العار والذم وإن شئت راجعت الجميل فراجعته لك فقال لا بل أراجع الجميل وتراجعه فوصله بمال عظيم وترضاه
وهكذا روى من قدمت ذكره
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال لما ولي خالد بن عتاب بن ورقاء أصبهان خرج إليه أعشى همدان وكان صديقه وجاره بالكوفة فلم يجد عنده ما يحب وأعطى خالد الناس عطايا فجعله في أقلها وفضل عليه آل عطارد فبلغه عنه أنه ذمه فحبسه مدة ثم أطلقه فقال يهجوه
((وما كنتُ ممن ألجأتْه خَصَاصةٌ ... إلَيك ولا ممن تَغُرّ المواعدُ
(ولكنّها الأطماعُ وهي مُذِلّةٌ ... دنتْ بي وأنت النازح المتباعد)
(أتَحبِسُني في غير شيء وتارةً ... تلاحظني شَزْراً وأنفُك عاقِد)
(فإنك لا كابْنَيْ فزارة فاعْلَمْن ... خُلِقْتَ ولم يُشبِهْهما لك والد)
(ولا مُدْرِكٌ ما قد خلا من نَدَاهما ... أبوكَ ولا حوضَيْهما أنت وارد)
(وإنك لو ساميتَ آلَ عُطَارد ... لَبذّتْك أعناقٌ لهم وسواعد)
(ومأثُرةٌ عاديّةٌ لن تنالَها ... وبيتٌ رفيع لم تَخُنْه القواعد)
(وهل أنت إلا ثعلبٌ في ديارهم ... تُشَلُّ فَتَعْساً أو يقودُك قائد)
(أرَى خالداً يختال مشياً كأنه ... من الكبرياء نَهْشَلٌ أو عُطَارِدُ)
(وما كان يَرْبوع شبيهاً لدارم ... وما عَدَلَتْ شمسَ النهار الفَرَاقد)
قالوا ولما خرج ابن الأشعث على الحجاج بن يوسف حشد معه أهل الكوفة فلم يبق من وجوههم وقرائهم أحد له بناهة إلا خرج معه لثقل وطأة الحجاج عليهم
فكان عامر الشعبي وأعشى همدان ممن خرج معه وخرج أحد النصبي أبو أسامة الهمداني المغني مع الأعشى لألفته

إياه وجعل الأعشى يقول الشعر في ابن الأشعث يمدحه ولا يزال يحرض أهل الكوفة بأشعاره على القتال وكان مما قاله في ابن الأشعث يمدحه
(يأبى الإله وعزةُ ابن محمد ... وجدودُ مَلْك قبلَ آل ثَمودِ)
(أن تأنسوا بمذمَّمين عروقُهم ... في الناس إنْ نُسبوا عروقُ عَبيد)
(كم من أبٍ لك كان يعقِد تاجَه ... بجبينِ أبلج مِقْوَلٍ صِنْديد)
(وإذا سألتَ المجدُ أين محلّه ... فالمجدُ بين محمد وسعيد)
(بين الأشجِّ وبين قيسٍ باذخٌ ... بَخْ بَخْ لوالده وللمولودِ
(ما قصَّرتْ بكَ أن تنال مَدَى العُلا ... أخلاقُ مَكْرُمةٍ وإرثُ جدود)
(قَرْم إذا سامَى القُرُومَ ترى له ... أعراقَ مجدٍ طارفٍ وتَليد)
(وإذا دعا لعظيمةٍ حُشدتْ له ... هَمْدان تحت لوائه المعقودِ)
(يَمْشُون في حَلَقِ الحديد كأنهم ... أُسْدُ الإباء سمعنَ زَأرَ أسود)
(وإذا دعوتَ بآل كِنْدةَ أجْفَلوا ... بكهول صدقٍ سيِّد ومَسُود)
(وشبابِ مأسَدةٍ كأنّ سيوفَهم ... في كلّ مَلْحَمةٍ بروقُ رعود)
(ما إن ترى قيساً يقارب قيسَكم ... في المَكْرُمات ولا ترى كسعيد)
شعره عندما رده ابن الأشعث
وقال حماد الراوية في خبره كانت لأعشى همدان مع ابن الأشعث مواقف محمودة وبلاء حسن وآثار مشهورة وكان الأعشى من أخواله لأن أم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث أم عمرو بنت سعيد بن قيس الهمداني
قال فلما صار ابن الأشعث إلى سجستان جبى مالا كثيرا فسأله أعشى همدان أن يعطيه منه زيادة على عطائه فمنعه فقال الأعشى في ذلك
(هل تعرف الدارَ عفا رسمُها ... بالحَضْر فالروضةِ من آمِدِ)
(دارٌ لخَوْدٍ طَفْلَةٍ رُودةٍ ... بانَتْ فأمسى حبُّها عامِدِي
(بيضاءَ مثل الشمس رقْرَاقةٍ ... تَبْسِم عن ذي أُشُر بارد)
(لم يُخْطِ قلبي سهمُها إذ رمتْ ... يا عجباً من سهمها القاصِد)
(يأيها القَرْمُ الهِجَانُ الذي ... يَبْطِش بطشَ الأسد اللأّبد)
(والفاعلُ الفعلَ الشريفَ الذي ... يُنْمَى إلى الغائب والشاهد)
(كم قد أُسَدِّي لك من مِدْحةٍ ... تُرْوَى مع الصادر والوارد)
(وكم أجبنا لك من دَعوةٍ ... فاعرفْ فما العارفُ كالجاحد)
(نحن حَمَيْناك وما تَحتمي ... في الرَّوْع من مَثْنىً ولا واحدِ)
(يومَ انتصرنا لك مِن عابد ... ويومَ أنجيناك من خالد)
(ووقعة الرَّيِّ التي نِلْتَها ... بجحْفلٍ من جَمْعنا عاقد)
(وكم لَقِينا لك من واترٍ ... بصرف نابَيْ حَنِق حارد)
(ثم وَطِئْناه بأقدامنا ... وكان مثلَ الحيَّة الراصد)
(إلى بلاء حسنٍ قد مضى ... وأنتَ في ذلك كالزاهد)
(فاذكرُ أيادينا وآلاءَنا ... بعودةٍ من حِلْمك الراشد)
(ويومَ الأهواز فلا تَنْسَه ... ليس الثَّنا والقولُ بالبائد)
(إنا لنرجوك كمال نَرْتجي ... صوبَ الغمام المُبرِق الراعد)
(فَانفخْ بكفَّيْك وما ضَمَّتا ... وافعل فَعالَ السيِّد الماجد
(ما لَك لا تُعطي وأنتَ امرؤٌ ... مُثْرٍ من الطارف والتالد)
(تَجْبي سِجِسْتانَ وما حولها ... مُتكئاً في عيشك الراغد)
(لا ترهبُ الدهرَ وأيامَه ... وتَجْرُدِ الأرضَ مع الجارد)
(إن يكُ مكروهٌ تَهجْنا له ... وأنتَ في المعروف كالراقد)
(ثم تَرى أنّا سنرضى بذا ... كلاّ وربِّ الراكع الساَّجِد)
(وحُرمةِ البيتِ وأستارِه ... ومَنْ به مِنْ ناسكٍ عابد)
(تلك لكم أمنيّةٌ باطلٌ ... وغفوةٌ من حُلُم الراقد)
(ما أنا إنْ هاجك مِنْ بعدها ... هَيْجٌ بآتيكَ ولا كايِد)
(ولا إذا ناطُوك في حَلْقة ... بحاملٍ عنكَ ولا فاقد)
(فأعْطِ ما أعطيتَه طَيِّباً ... لا خيرَ في المَنْكود والناكد)
(نحن ولدناك فلا تَجْفُنا ... واللهُ قد وصَّاك بالوالد)
(إن تك من كِنْدةَ في بيتها ... فإن أخوالكَ من حاشد)
(شُمُّ العرانين وأهلُ الندى ... ومُنتَهى الضِّيفان والرائد)
(كم فيهم من فارسٍ مُعْلَم ... وسائسٍ للجيش أو قائد)
(وراكبٍ للهَوْل يجتابُه ... مثلَ شِهاب القَبَس الواقد)
(أو ملأٍ يُشفَى بأحلامهم ... من سَفَه الجاهل والمارد)
(لم يجعل اللهُ بأحسابنا ... نقصاً وما الناقص كالزائد)
(وربّ خالٍ لك في قومه ... فرعٌ طويلُ الباع والساعد
(يَحتضِر البأس وما يبتغي ... سوى إسار البَطَل الناجد)
(والطعنِ بالراية مستمكِناً ... في الصفّ ذي العادِية الناهد)
(فارتَحْ لأخوالك واذكرهمُ ... وارحمهمُ للسَّلَف العائد)
(فإنّ أخوالَك لم يَبْرحوا ... يُربُون بالرِّفد على الرّافدِ)

(لم يَبْخَلوا يوماً ولم يجْبُنوا ... في السّلف الغازي ولا القاعد)
(ورُبَّ خالٍ لك في قومه ... حمّالِ أثقال لها واجد)
(مُعْترفٍ للرزء في ماله ... والحقّ للسائل والعامد)
مدحه النعمان بن بشير
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد الأزدي قال حدثني عمي عن العباس بن هشام عن أبيه وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن ابن الكلبي وأخبرني عمي عن الكراني عن العمري عن الهيثم بن عدي وذكره العنزي عن أصحابه قالوا جميعا خرج أعشى همدان إلى الشام في ولاية مروان بن الحكم فلم ينل فيها حظا فجاء إلى النعمان بن بشير وهو عامل على حمص فشكا إليه حاله فكلم
له النعمان بن بشير اليمانية وقال لهم هذا شاعر اليمن ولسانها واستماحهم له فقالوا نعم يعطيه كل رجل منا دينارين من عطائه فقال لا بل أعطوه دينارا دينارا واجعلوا ذلك معجلا فقالوا أعطه إياه من بيت المال واحتسبها على كل رجل من عطائه ففعل النعمان وكانوا عشرين ألفا فأعطاه عشرين ألف دينار وأرتجعها منهم عند العطاء فقال الأعشى يمدح النعمان
(ولَمْ أرَ للحاجاتِ عند التماسها ... كنُعْمانَ نُعمانِ النَّدَى ابن بَشير)
(إذا قال أَوْفَى ما يقول ولم يكن ... كمُدْلٍ إلي الأقوام حبل غُرُور)
(متى أكْفُر النعمانَ لم أُلْفَ شاكراً ... وما خيرُ من لا يقتدِي بشكُور)
(فلولا أخو الأنصار كنتُ كنازلٍ ... ثَوَى ما ثَوَى لم يَنْقَلِبْ بنَقِير)
شعره في حرب نصيبين
وقال الهيثم بن عدي في خبره حاصر المهلب بن أبي صفرة نصيبين وفيها أبو قارب يزيد بن أبي صخر ومعه الخشبية فقال المهلب يأيها الناس لا يهولنكم هؤلاء القوم فإنما هم العبيد بأيديها العصي
فحمل عليهم المهلب وأصحابه فلقوهم بالعصي فهزموهم حتى أزالوهم عن موقفهم
فدس المهلب رجلا من عبد القيس إلى يزيد بن أبي صخر ليغتاله وجعل له ذلك جعلا سنيا قال الهيثم بلغني أنه أعطاه مائتي ألف درهم قبل أن يمضي ووعده بمثلها
إذا عاد فاندس له العبدي فاغتاله فقتله وقتل بعده فقال أعشى همدان في ذلك
(يُسمَّوْن أصحاب العِصيِّ وما أرى ... مع القوم إلا المَشْرفيّةَ من عصا)
(ألا أيُّها اللّيثُ الذي جاء حاذِرا ... وألقى بنا جِرمى الخيام وعرَّصا)
(أتحسب غزو الشام يوماً وحربه ... كبِيضٍ يُنظِّمن الجُمان المفصَّصا)
(وسيرك بالأهْواز إذ أنت آمنٌ ... وشربك ألبانَ الخَلاَيا المُقَرَّصا)
(فأقسمتُ لا تَجْبي لكِ الدهر درهماً ... نَصِيبُون حتّى تُبْتَلى وتُمَحَّصا)
(ولا أنتِ من أثوابِها الخُضْر لابسٌ ... ولكنَّ خُشباناً شِداداً ومِشْقَصا)
(فكم ردَّ من ذِي حاجةٍ لا ينالُها ... جُدَيْع العَتيك ردّه الله أبرصا)
(وشيّد بنياناً وظَاهر كسوةً ... وطال جُدَيْع بعد ما كان أوْقَصا)
تصغير جدع جديع بالدال غير معجمة
والأبيات التي كانت فيها الغناء المذكور معه خبر الأعشى في هذا الكتاب يقولها في زوجة له من همدان يقال لها جزلة هكذا رواه الكوفيون وهو الصحيح
وذكر الأصمعي أنها خولة هكذا رواه في شعر الأعشى
فذكر العنزي في أخبار الأعشى المتقدم إسنادها أنها كانت عند الأعشى امرأة من قومه يقال لها أم الجلال فطالت مدتها معه وأبغضها ثم خطب إمرأة من قومه يقال لها جزلة وقال الأصمعي خولة فقالت له لا حتى تطلق أم الجلال فطلقها وقال في ذلك
(تقادَم وُدُّكِ أمَّ الجَلالِ ... فطاشت نِبالُكِ عند النِّضالِ)
(وطال لزومُك لي حِقْبةً ... فَرثت قُوَى الحبل بعد الوصال)
(وكان الفؤاد بها مُعجَباً ... فقد أصبح اليومَ عن ذاك سالي)
((صَحا لا مُسيئاً ولا ظالماً ... ولكنْ سَلاَ سَلْوةً في جمال
(ورُضْتِ خلائقنا كلَّها ... ورُضْنا خلائقَكم كلَّ حال)
(فأعْيَيْتِنا في الذي بيننا ... تَسُومِيننَي كلَّ أمرٍ عُضال)
(وقد تأمُرينَ بقَطعِ الصديق ... وكان الصديق لنا غيرَ قالي)
(وإتيانِ ما قد تَجنّبْتُه ... وليداً ولُمتُ عليه رجالي)
(أفَالْيَوْمَ أركَبُه بعد ما ... علا الشَّيبُ منِّي صَمِيمَ القَذال)
(لعمرُ أبيكِ لقد خِلْتِني ... ضَعيفَ القُوَى أو شديدَ المِحَال)
(هلُمّي اسألي نائلاً فانظُري ... أأحرمكِ الخيرَ عند السؤال)
(ألمْ تعلمي أنّني مُعْرِقٌ ... نَمَانِي إلى المجد عمّي وخالي)
(وأنّي إذا ساءني منزلٌ ... عزمتُ فأوشكْتُ منه ارتحالي)
(فبعضَ العتاب فلا تَهْلِكِي ... فَلاَ لَكِ في ذَاكِ خيرٌ ولا لي)
(فلما بدا ليَ منها البَذاءُ ... صَبّحتُها بثلاثٍ عِجالِ)
(ثلاثاً خرجْنَ جميعاً بها ... فخلّيْنها ذاتَ بيْتٍ ومال)
(إلى أهلها غيرَ مخلوعةٍ ... وما مَسّها عندنا من نَكال)
(فأمستْ تَحِنُّ حنينَ اللِّقاح ... من جَزَعٍ إثْرَ مَن لا يُبالي)
(فحِنِّي حنينَكِ واستيقني ... بأنا أطّرحْنَاكِ ذاتَ الشمال)
(وأن لا رجوعَ فلا تُكْذَبينَ ... ما حنّت النِّيبُ إثْرَ الفِصَال)
((ولا تحسبيني بأنِّي ندمتُ ... كَلاّ وخالقنا ذي الجَلال

فقالت له أم الجلال بئس والله بعل الحرة وقرين الزوجة المسلمة أنت ويحك أعددت طول الصحبة والحرمة ذنبا تسبني وتهجوني بها ثم دعت عليه أن يبغضه الله إلى زوجته التي اختارها وفارقته
فلما انتقلت إلى أهلها وصارت جزلة إليه ودخل بها لم يحظ عندها ففركته وتنكرت له واشتد شغفه بها ثم خرج مع ابن الأشعث فقال فيها
(حيِّيا جَزْلة منّي بالسّلامِ ... دُرّةَ البحرِ ومصباحَ الظلامِ)
(لا تَصدّى بعد ودّ ثابتٍ ... واسمعي يا أمّ عيسى من كلامي)
(إنْ تَدُومي لي فوَصْلي دائمٌ ... أو تَهُمّي لي بِهَجْر أو صِرام)
(أو تكوني مثلَ برقٍ خُلَّبٍ ... خادعٍ يلمَع في عُرْض الغمام)
(أو كتخييلِ سَرَاب مُعْرِضٍ ... بفَلاَة أو طُروقٍ في المنام)
(فاعلمي إن كنتِ لمّا تعلمي ... ومتى ما تفعلي ذاك تُلامي)
(بعد ما كان الذي كان فلا ... تُتْبِعي الإحسانَ إلا بالتمام)
(لا تَنَاسَيْ كلَّ ما أعطيْتِني ... مِنْ عهودٍ ومواثيقَ عِظام)
(واذكري الوعدَ الذي واعدتِني ... ليلةَ النِّصفِ من الشهر الحرام)
(فلئن بَدّلْتِ أو خِسْتِ بنا ... وتجرَّأتِ على أمِّ صَمام)
أم صمام الغدر والحنث
(لا تُبالِين إذاً مِنْ بعدِها ... أبداً تركَ صلاةٍ أو صيام)
(راجعي الوصل ورُدِّي نظرةً ... لا تَلَجِّي في طِمَاح وأثام)
((وإذا أنكرتِ مِني شيمةً ... ولقد يُنكَر ما ليس بذام
(فاذكريها لي أزُلْ عنها ولا ... تَسْفحِي عينيكِ بالدمع السِّجام)
(وأرى حبلَكِ رَثّاً خَلَقاً ... وحبالي جُدُداً غيرَ رِمام)
(عجِبتْ جزلةُ منّي أن رأتْ ... لِمّتي حُفَّتْ بشيْب كالثُّغَام)
(ورأت جسمي علاه كَبْرةٌ ... وصروفَ الدهرِ قد أبلتْ عظامي)
(وصَلِيتُ الحربَ حتى تركْت ... جسدي نِضْواً كأشْلاء اللِّجام)
(وهي بيضاءُ على مَنْكِبِها ... قَطَطٌ جَعْدٌ ومَيَّال سُخَامُ)
(وإذا تضحك تُبدي حَبَباً ... كرُضَاب المسك في الرَّاح المُدام)
(كَمَلتْ ما بين قَرْنٍ فإلى ... موضِع الخَلْخال منها والخِدَام)
(فاراها اليومَ لي قد أحدثتْ ... خُلُقاً ليس على العهد القُدَام)
أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعيد الكراني قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي عن مجالد عن الشعبي أنه أتى البصرة أيام ابن الزبير فجلس في المسجد إلى قوم من تميم فيهم الأحنف بن قيس فتذاكروا أهل الكوفة وأهل البصرة وفاخروا بينهم إلى أن قال
قائل من أهل البصرة وهل أهل الكوفة إلا خولنا استنقذناهم من عبيدهم يعني الخوارج
قال الشعبي فهجس في صدري أن تمثلت قول أعشى همدان
(أفخرتم أنْ قتلتمْ أعبُداً ... وهزمتمْ مَرَّةً آلَ عَزَلْ)
(نحن سُقناهمْ إليكم عَنْوةً ... وجمعنا أمرَكم بعد فشل)
(فإذا فاخرتمونا فاذكروا ... ما فعلنا بكُم يومَ الجَمَل)
(بين شيخٍ خاضبٍ عُثْنونَه ... وفتىً أبيضَ وَضّاحٍ رَفَلّ)
(جاءنا يرفُل في سابغةٍ ... فذبحناه ضحىً ذبحَ الحَمَل)
(وعَفَونا فَنسيتم عفونَا ... وكفرتم نعمةَ اللّه الأجلّ)
قال فضحك الأحنف ثم قال يأهل البصرة قد فخر عليكم الشعبي وصدق وانتصف فأحسنوا مجالسته
شعره في هزيمة الزبير الخثعمي
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا العنزي قال حدثنا الرياشي عن أبي محلم عن الخليل بن عبد الحميد عن أبيه قال
بعث بشر بن مروان الزبير بن خزيمة الخثعمي إلى الري فلقيه الخوارج بجلولاء فقتلوا جيشه وهزموه وأبادوا عسكره وكان معه أعشى همدان فقال في ذلك
(أُمِّرتْ خَثْعمٌ على غير خَيْر ... ثم أوصاهُم الأميرُ بسير)
(أين ما كنتم تَعيفون للناس ... وما تزجرون من كل طير)
(ضلّت الطيرُ عنكم بجُلُولاءَ ... وغَرّتكُم أماني الزُّبير)
(قدرٌ ما أُتيح لي من فلسطين ... على فالج ثَقَال وعَيْر)
(خَثعميّ مغصّص جرجمانيْ ... محلّ غزا مع ابن نمير)
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم قال سألت الأصمعي عن أعشى همدان فقال هو من الفحول وهو إسلامي كثير الشعر ثم قال لي العجب من ابن دأب حين يزعم أن أعشى همدان قال
(من دعا لي غُزَيِّلي ... أربح اللّه تجارتُه)
ثم قال سبحان الله أمثل هذا يجوز على الأعشى أن يجزم اسم الله عز وجل ويرفع تجارته وهو نصب
ثم قال لي خلف الأحمر والله لقد طمع ابن دأب في الخلافة حين ظن أن هذا يقبل منه وأن له من المحل مثل أن يجوز مثل هذا
قال ثم قال ومع ذلك أيضا إن قوله
(... (من دعا لي غزيِّلي
لا يجوز إنما هو من دعا لغزيلي ومن دعا لبعير ضال
أخبرني عيسى بن الحسين الوراق ومحمد بن مزيد بن أبي الأزهر قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن

عدي قال أملق أعشى همدان فأتى خالد بن عتاب بن ورقاء فأنشده
(رأيتُ ثناءَ الناس بالقول طيباً ... عليكَ وقالوا ماجدٌ وابنُ ماجدِ)
(بَنِي الحارث السامين للمجد إنكم ... بنيتم بناءً ذكرهُ غيرُ بائد)
(هَنيئاً لِما أعطاكُم اللّه واعلموا ... بأني سأُطْري خالداً في القصائد)
(فإن يكُ عَتّابٌ مضى لسبيله ... فما مات من يبقى له مثلُ خالد)
فأمر له بخمسة آلاف درهم
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان قال قال عمر بن عبد العزيز يوما لسابق البربري ودخل عليه أنشدني يا سابق شيئا من شعرك تذكرني به فقال أو خيرا من شعري فقال هات قال قال أعشى همدان
(وبينما المرءُ ناعماً جذِلاً ... في أهله معجَباً بالعيش ذا أنقَ)
(غِرّاً أتيح له مِن حَيْنه عرضٍ ... فما تلبَّث حتى مات كالصَّعِق)
(ثُمَّتَ أضحى ضُحَّى من غبِّ ثالثة ... مقنَّعا غيرَ ذي رُوح ولا رَمَق)
(يُبكَى عليه وأدْنَوْه لمُظْلِمة ... تُعْلَى جوانبُها بالتُّرب والفِلَق)
(فما تزوّد ممّا كان يَجْمعه ... إلاّ حَنُوطاً وما واراه من خِرَق)
(وغيرَ نفحةِ أعوادٍ تُشَبّ له ... وقَلّ ذلك من زادٍ لمُطلّق)
قال فبكى عمر حتى أخضل لحيته
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الحسين بن محمد بن أبي طالب الديناري قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية قال سأل أعشى همدان شجرة بن سليمان العبسي حاجة فرده عنها فقال يهجوه
(لقد كنتَ خيّاطاً فأصبحتَ فارساً ... تُعَدّ إذا عُدّ الفوارس من مُضَرْ)
(فإن كنتَ قد أنكرتَ هذا فقُلْ كذا ... وبيِّن لي الجُرحَ الذي كان قد دَثَر)
(وإصبعُكَ الوسطَى عليه شهيدةٌ ... وما ذاك إلا وَخزُها الثوبَ بالإبر)
قال وكان يقال إن شجرة كان خياطا وقد كان ولى للحجاج بعض أعمال السواد
فلما قدم على الحجاج قال له يا شجرة أرني إصبعك أنظر إليها قال أصلح الله الأمير وما تصنع بها قال أنظر إلى صفة الأعشى فخجل شجرة
فقال الحجاج لحاجبه مر المعطي أن يعطي الأعشى من عطاء شجرة كذا
وكذا يا شجرة إذا أتاك امرؤ ذو حسب ولسان فاشتر عرضك منه
الحجاج يأسره ويقتله
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد الأزدي قال حدثنا أحمد بن عمرو الحنفي عن جماعة قال المبرد أحسب أن أحدهم مؤرج بن عمرو السدوسي قالوا لما أتي الحجاج بن يوسف الثقفي بأعشى همدان أسيرا قال الحمد لله الذي أمكن منك ألست القائل
(لمّا سَفَوْنا للكَفُور الفَتّانْ ... بالسيّد الغِطْرِيف عبد الرحمنْ)
(سار بِجَمْع كالقَطَا من قَحْطان ... ومن مَعَدّ قد أتى ابن عدْنان)
(أمكن ربِّي من ثَقِيف هَمْدان ... يوماً إلى الليل يُسَلّي ما كان)
(إنّ ثقيفاً منهم الكَذّابان ... كَذّابُها الماضي وكذّابٌ ثان)
أولست القائل
(يابنَ الأشجّ قَريعِ كِندَةَ ... لا أُبالي فيك عَتْبَا)
(أنت الرئيسُ ابنُ الرئيس ... وأنت أعلى الناس كعبا)
(نُبِّئتُ حَجّاجَ بن يوسف ... خَرّ مِن زَلَقٍ فَتَبّا)
(فانهضْ فُدِيتَ لعلّه ... يجلو بك الرحمنُ كَرْبا)
(وابعث عطيّةَ في الخيول ... يَكُبّهنّ عليه كَبّا)
كلا يا عدو الله بل عبد الرحمن بن الأشعث هو الذي خر من زلق فتب وحار وانكب وما لقي ما أحب ورفع بها صوته واربد وجهه واهتز منكباه فلم يبق أحد في المجلس إلا أهمته نفسه وارتعدت فرائصه
فقال له الأعشى بل أنا القائل أيها الأمير
(أبى اللّهُ إلا أن يتم نورَه ... ويُطفىء نارَ الفاسقين فتخمُدَا)
(ويُنزل ذُلاًّ بالعراق وأهلِه ... كما نقضوا العهدَ الوَثيقَ المؤكّدا)
(وما لبث الحجاجُ أن سَلّ سيفَه ... علينا فولَّى جمعُنا وتبدّدا)
(وما زاحَف الحجاجُ إلا رأيتَه ... حُساماً مُلَقّيً للحروب مُعوَّدا)
(فكيف رأيتَ اللّه فرّق جمعَهم ... ومزّقهم عُرْضَ البلاد وشرّدا)
(بما نكثوا من بَيْعة بعد بيعة ... إذا ضَمِنوها اليوم خاسُوا بها غدا)
(وما أحدثوا من بِدعة وعظِيمة ... من القوم لم تصعَدْ إلى الله مَصْعَدا)
(ولمّا دَلَفْنَا لابن يوسف ضِلّة ... وأبرق منا العارضان وأرعدا)
(قطعنا إليه الخندقين وإنما)
(قطعنا وأفضينا إلى الموت مُرْصِدا) ... (فصادَمَنا الحجاجُ دون صفوفنا ... كِفاحاً ولم يضرب لذلك موعدا)
(بجُند أمير المؤمنين وخيلِه ... وسلطانه أمسى مُعاناً مؤيَّدا)
(ليهنىءْ أميرَ المؤمنين ظهورُه ... على أمة كانوا بُغاةً وحُسَّدا)
(وجدنا بني مروان خيرَ أئمة ... وأعظمَ هذا الخَلْق حِلماً وسُؤدُدا)
(وخيرَ قريش في قريش أرُومَةً ... وأكرمَهم إلاّ النبيَّ محمدا)
(إذا ما تدبّرنا عواقبَ أمرنا ... وجدنا أمير المؤمنين المُسَدَّدا)
(سيغلِب قوما غالبوا اللّهَ جَهْرةً ... وإن كايدوه كان أقوى وأكيدا)

(كذاك يُضِلّ الله من كان قلبُه ... ضعيفا ومن والى النفاقَ وألْحدا)
(فقد تركوا الأموال والأهل خلفَهم ... وبيضاً عليهن الجلابين خُرّدا)
(ينادينهم مستعبراتٍ إليهمُ ... ويُذْرِين دمعًا في الخدود وإثمِدا)
(وإلا تناولهنّ منك برحمة ... يكنّ سَبَا والبُعولُة أعْبدا)
(تَعطَّفْ أميرَ المؤمنين عليهم ... فقد تركوا أمرَ السفاهةِ والرَّدى)
(لعلهمُ أن يُحدثوا العامَ توبةً ... وتعرفَ نُصحاً منهمُ وتودُّدا)
(لقد شمَتْتَ يابن الأشعث العامَ مَصرنا ... فظلّوا وما لاقوا من الطير أسْعُدا)
(كما شاءم اللّهُ النُّجَيْر وأهلَه ... بجَدِّك مَنْ قد كان أشقى وأنكدا)
فقال من حضر من أهل الشام قد أحسن أيها الأمير فخل سبيله فقال أتظنون أنه أراد المدح لا والله لكنه قال هذا أسفا لغلبتكم إياه وأراد به أن يحرض أصحابه
ثم أقبل عليه فقال له أظننت يا عدو الله أنك تخدعني بهذا الشعر وتنفلت من يدي حتى تنجو ألست القائل ويحك
((وإذا سألتَ المجدُ أين محلُّه ... فالمجدُ بين محمد وسعيدِ
(بين الأغرِّ وبين قيسٍ باذخٌ ... بَخْ بَخْ لوالِده وللمولودِ)
والله لا تبخبخ بعدها أبدا أو لست القائل
(وأصابني قومٌ وكنتُ أصيبهم ... فاليوم أصبِر للزمان وأعرف)
كذبت والله ما كنت صبورا ولا عروفا ثم قلت بعده
(وإذا تُصبْك من الحوادث نكبةٌ ... فاصبرْ فكل غَيَابة ستكشَّف)
أما والله لتكونن نكبة لا تنكشف غيابتها عنك أبدا يا حرسي اضرب عنقه فضرب عنقه
وذكر مؤرج السدوسي أن الأعشى كان شديد التحريض على الحجاج في تلك الحروب فجال أهل العراق جولة ثم عادوا فنزل عن سرجه ونزعه عن فرسه ونزع درعه فوضعها فوق السرج ثم جلس عليها فأحدث والناس يرونه ثم أقبل عليهم فقال لهم لعلكم أنكرتم ما صنعت قالوا أو ليس هذا موضع نكير قال لا كلكم قد سلح في سرجه ودرعه خوفا وفرقا ولكنكم سترتموه وأظهرته فحمي القوم وقاتلوا أشد قتال يومهم إلى الليل وشاعت فيهم الجراح والقتلى وانهزم أهل الشأم يومئذ ثم عاودوهم من غد وقد نكأتهم الحرب وجاء مدد من أهل الشأم فباكروهم القتال وهم مستريحون فكانت الهزيمة وقتل ابن الأشعث
وقد حكيت هذه الحكاية عن أبي كلدة اليشكري أنه فعلها في هذه الوقعة وذكر ذلك أبو عمرو الشيباني في أخبار أبي كلدة وقد ذكر ما حكاه مع أخباره في موضعه من هذا الكتاب

أخبار أحمد النصبي ونسبه

النصبي هو صاحب الأنصاب
وأول من غنى بها وعنه أخذ النصب في الغناء هو أحمد بن أسامة الهمداني من رهط الأعشى الأدنين
ولم أجد نسبه متصلا فأذكره وكان يغني بالطنبور في الإسلام
وكان فيما يقال ينادم عبيد الله بن زياد سرا ويغنيه وله صنعة كثيرة حسنة لم يلحقها أحد من الطنبوريين ولا كثير ممن يغني بالعود
وذكره جحظة في كتاب الطنبوريين فأتى من ذكره بشيء ليس من جنس أخباره ولا زمانه وثلبه فيما ذكره
وكان مذهبه عفا الله عنا وعنه في هذا الكتاب أن يثلب جميع من ذكره من أهل صناعته بأقبح ما قدر عليه وكان يجب عليه ضد هذا لأن من انتسب إلى صناعته ثم ذكر متقدمي أهلها كان الأجمل به أن يذكر محاسن أخبارهم وظريف قصصهم ومليح ما عرفه منهم لا أن يثلبهم بما لا يعلم وما يعلم
فكان فيما قرأت عليه من هذا الكتاب أخبار أحمد النصبي وبه صدر كتابه فقال أحمد النصبي أول من غنى الأنصاب على الطنبور وأظهرها وسيرها ولم يخدم خليفة ولا كان له شعر ولا أدب
وحدثني جماعة من الكوفيين أنه لم يكن بالكوفة أبخل منه مع يساره وأنه كان يقرض الناس بالربا وأنه اغتص في دعوة دعي إليها بفالوذجة حارة فبلعها فجمعت أحشاءه فمات
وهذا كله باطل أما الغناء فله منه صنعة في الثقيل الأول
وخفيف الثقيل والثقيل الثاني ليس لكثير أحد مثلها
ومنها الصوت الذي تقدم ذكره وهو قوله
(... حيِّيا خولةَ منّي بالسلامِ)
ومنها
(سَلَبتَ الجواري حَلْيَهنّ فلم تدَعْ ... سِواراً ولا طَوْقا على النحر مُذْهَبَا)
وهو من الثقيل الثاني والشعر للعديل بن الفرخ وقد ذكرت ذلك في أخباره
ومنها
(يأيها القلبُ المطيعُ الهوى ... أنَّى اعتراك الطَرَبُ النازحُ)
وهو أيضا من الثقيل الثاني وأصوات كثيرة نادرة تدل على تقدمه
وأما ما وصفه من بخله وقرضه للناس بالربا وموته من فالوذجة حارة أكلها فلا أدري من من الكوفيين حدثه بهذا الحديث ليس يخلو من أن يكون كاذبا أو نحل هو هذه الحكاية ووضعها هنا لأن أحمد النصبي خرج مع أعشى همدان وكان قرابته وإلفه في عسكر ابن الأشعث فقتل فيمن قتل
روى ذلك الثقات من أهل الكوفة والعلم بأخبار الناس وذلك يذكر في جملة أخباره
أخبرنا محمد بن مزيد بن أبي الأزهر والحسين بن يحيى قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه وذكره العنزي في أخبار أعشى همدان المذكورو عنه عن رجاله
المسمين قال كان أحمد النصبي مواخيا لأعشى همدان مواصلا له فأكثر غنائه في أشعاره مثل صنعته في شعره
حيِّيا خولةَ منّي بالسلامِ ...) و)
لمن الظعَّائن سيرُهن ترجُّفُ ...) و)

(... يأيها القلب المطيعُ الهوى)
وهذه الأصوات قلائد صنعته وغرر أغانيه
قال وكان سبب قوله الشعر في سليم ابن صالح بن سعد بن جابر العنبري وكان منزل سليم ساباط المدائن أن أعشى همدان وأحمد النصبي خرجا في بعض مغازيهما فنزلا على سليم فأحسن قراهما وأمر لدوابهما بعلوفة وقضيم وأقسم عليهما أن ينتقلا إلى منزله ففعلا فعرض عليهما الشراب فأنعما به وطلباه فوضعه بين أيديهما وجلسا يشربان فقال أحمد النصبي للأعشى قل في هذا الرجل الكريم شعرا تمدحه به حتى أغني فيه فقال الأعشى يمدحه
(يأيها القلبُ المطيع الهوى ... أنّى اعتراكَ الطَّربُ النازحُ)
(تذكُر جُمْلاً فإذا ما نأتْ ... طار شعاعاً قلبُك الطامح)
(هَلاّ تناهيتَ وكنتَ امرأً ... يزجرُك المُرشِد والنَّاصح)
((ما لك لا تترُك جهلَ الصِّبا ... وقد علاكَ الشَّمِط الواضح
(فصار من ينهاك عن حبِّها ... لم ترَ إلا أنه كاشح)
(يا جُمْلُ ما حُبِّي لكم زائلٌ ... عنّي ولا عن كَبِدي نازح)
(حُمِّلت وُدًّا لكُم خالصاً ... جِدًّا إذا ما هزَل المازح)
(ثم لقد طال طِلابيكُم ... أسعى وخيرُ العمل النَّاجح)
(إني توسّمت امرأً ماجداً ... يصدُق في مِدْحته المادح)
(ذؤابةَ العنبر فاخترتُه ... والمرء قد يُنْعِشُه الصالح)
(أبْلَجَ بُهْلولا وظنّي به ... أنّ ثنائي عنده رابح)
(سَلِيمُ ما أنتَ بِنِكْسٍ ولا ... ذمُّك لي غادٍ ولا رائح)
(أعطيتَ وُدّي وثنائي معا ... وخَلّةً ميزانُها راجح)
(... أرعاك بالغيب وأهوى لك الرشد ... وجَيْبي فاعلمنْ ناصح)
(إني لِمَن سالمتَ سِلمٌ ومن ... عاديتَ أُمْسِي وله ناطح)
(في الرأس منه وعلى أنفه ... من نَقَماتي مِيسَمٌ لائح)
(نِعْم فتى الحيّ إذا ليلةٌ ... لم يُورِ فيها زَنْدَهُ القادح)
(وراحِ بالشَّوْلِ إلى أهلها ... مغْبَرّةً أذقانُها كالح)
(وهبّت الريحُ شآميةً ... فانجَحَر القابسُ والنابح)
((قد علم الحيّ إذا أمْحلوا ... أنك رفّادٌ لهم مانح
(في الليلة القالي قِراها التي ... لا عابِقٌ فيها ولا صابح)
(فالضيف معروفٌ له حقُّه ... له على أبوابكم فاتح)
(والخيلُ قد تعلم يومَ الوغى ... أنّك من جَمْرتها ناضح)
قال فغنى أحمد النصبي في بعض هذه الأبيات وجارية لسليم في السطح فسمعت الغناء فنزلت إلى مولاها وقالت إني سمعت من أضيافك شعرا ما سمعت أحسن منه فخرج معها مولاها فاستمع حتى فهم ثم نزل فدخل عليهما فقال لأحمد لمن هذا الشعر والغناء ومن أنتما فقال الشعر لهذا وهو أبو المصبح أعشى همدان والغناء لي وأنا أحمد النصبي الهمداني فانكب على رأس أعشى همدان فقبله وقال كتمتماني أنفسكما وكدتما أن تفارقاني ولم أعرفكما ولم أعلم خبركما واحتبسهما شهرا ثم حملهما على فرسين وقال خلفا عندي ما كان من دوابكما وارجعا من مغزاكما إلي فمضيا إلى مغزاهما فأقاما حينا ثم انصرفا فلما شارفا منزله قال أحمد للأعشى إني أرى عجبا قال وما هو قال أرى فوق قصر سليم ثعلبا قال لئن كنت صادقا فما بقي في القرية أحد فدخلا القرية فوجدا سليما وجميع أهل القرية قد أصابهم الطاعون فمات أكثرهم وانتقل باقيهم
هكذا ذكر إسحاق وذكر غيره أن الحجاج طالب سليما بمال عظيم فلم يخرج منه حتى باع كل ما يملكه وخربت قريته وتفرق أهلها ثم باعه الحجاج عبدا فاشتراه بعض أشراف أهل الكوفة إما أسماء بن خارجة وإما بعض نظرائه فأعتقه
نسبة هذاالصوت الذي قال الأعشى شعره وصنع أحمد النصبي لحنه في سليم
صوت
(يأيها القلبُ المطيع الهوى ... أنّى اعتراكِ الطربُ النازحُ)
(تذكُر جُمْلا فإذا ما نأت ... طار شِعَاعاً قلبُك الطامح)
(أعْطِيت ودّي وثنائي معاً ... وخَلَّةً ميزانها راجح)
(إني تخيرت امرأ ماجدا ... يصدُق مِدْحته المادح)
(سلِيم ما أنت بِنِكْسٍ ولا ... ذَمُّك لي غادٍ ولا رائح)
(نِعْم فتى الحيّ إذا ليلةٌ ... لم يُورِ فيها زَنْدَه القادح)
(وراحِ بالشَّوْلِ إلى أهلها ... مُغْبَرّةً أذقانُها كالِح)
(وهبّتِ الريحُ شآميةً ... فانجَحَر القابسُ والنابح)
الشعر لأعشى همدان والغناء لأحمد النصبي ولحنه ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق وذكر يونس أن فيه لمالك لحنا ولسنان الكاتب لحنا آخر
صوت
من المائة المختارة
(تَنَكَّر من سُعْدَى وأقفر من هندٍ ... مُقامُهما بين الرَّغامين فالفرِدِ)
(محلٌّ لسُعْدى طالما سكنتْ به ... فأوحشَ ممن كان يسكنه بَعْدي)
الشعر لحماد الراوية والغناء لعبادل ولحنه المختار من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق وفيه خفيف ثقيل أول بالوسطى ذكر الهشامي أنه للهذلي وذكر عمرو بن بانة أنه لعبادل بن عطية
أخبار حماد الراوية ونسبه
هو حماد بن ميسرة فيما ذكره الهيثم بن عدي وكان صاحبه وراويته وأعلم الناس به وزعم أنه مولى بني شيبان

وذكر المدائني والقحذمي أنه حماد بن سابور وكان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها
وكانت ملوك بني أمية تقدمه وتؤثره وتستزيره فيفد عليهم وينادمهم ويسألونه عن أيام العرب وعلومها ويجزلون صلته
حدثنا محمد بن العباس اليزيدي وعمي وإسماعيل العتكي قالوا حدثنا الرياشي قال قال الأصمعي كان حماد أعلم الناس إذا نصح قال وقلت لحماد ممن أنتم قال كان أبي من سبي سلمان بن ربيعة فطرحتنا سلمان لبني شيبان فولاؤنا لهم قال وكان أبوه يسمى ميسرة ويكنى أبا ليلى قال العتكي في خبره قال الرياشي وكذلك ذكر الهيثم بن عدي في أمر حماد

أخبرني عمي قال حدثني الكراني قال حدثنا العمري عن العتبي والهيثم بن عدي ولقيط قالوا قال الوليد بن يزيد لحماد الراوية بم استحققت هذا اللقب فقيل لك

الراوية فقال بأني أروي لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به ثم أروي لأكثر منهم ممن تعرف أنك لم تعرفه ولم تسمع به ثم لا أنشد شعرا قديما ولا محدثا إلا ميزت القديم منه من المحدث فقال إن هذا لعلم وأبيك كثير فكم مقدار ما تحفظ من الشعر قال كثيرا ولكني أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الإسلام قال سأمتحنك في هذا وأمره بالإنشاد فأنشد الوليد حتى ضجر ثم وكل به من استحلفه أن يصدقه عنه ويستوفي عليه فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهليين وأخبر الوليد بذلك فأمر له بمائة ألف درهم

حماد ومروان بن أبي حفصة

أخبرني يحيى بن علي المنجم قال حدثني أبي قال حدثني إسحاق الموصلي عن مروان بن أبي حفصة وأخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أبو بكر العامري عن الأثرم عن مروان بن أبي حفصة قال دخلت أنا وطريح بن إسماعيل الثقفي والحسين بن مطير الأسدي في

جماعة من الشعراء على الوليد بن يزيد وهو في فرش قد غاب فيها وإذا رجل عنده كلما أنشد شاعر شعرا وقف الوليد بن يزيد على بيت بيت من شعره وقال هذا أخذه من موضع كذا وكذا وهذا المعنى نقله من موضع كذا وكذا من شعر فلان حتى أتى على أكثر الشعر فقلت من هذا فقالوا حماد الراوية

فلما وقفت بين يدي الوليد أنشده قلت ما كلام هذا في مجلس أمير المؤمنين وهو لحنة لحانة فأقبل الشيخ علي وقال يابن أخي إني رجل أكلم العامة فأتكلم بكلامها فهل تروي من أشعار العرب شيئا فذهب عني الشعر كله إلا شعر ابن مقبل فقلت له نعم شعر ابن مقبل قال أنشد فأنشدته قوله

(سلِ الدارَ من جَنْبيْ حِبرٍّ فواهبٍ ... إذا ما رأى هَضْبَ القليب المُضَيَّحُ)

ثم جزت فقال لي قف فوقفت فقال لي ماذا يقول فلم أدر ما يقول فقال لي حماد يابن أخي أنا أعلم الناس بكلام العرب يقال تراءى الموضعان إذا تقابلا

حدثني عمي قال حدثني الكراني عن العمري عن الهيثم بن عدي قال قلت لحماد الراوية يوما ألق علي ما شئت من الشعر أفسره لك فضحك

وقال لي ما معنى قول ابن مزاحم الثمالي

(تَخَوَّفَ السيرُ منها تامكاً قَرداً ... كما تَخوَّفَ عُودَ النَّبْعةِ السَّفَنُ)

فلم أدر ما أقول فقال تخوف تنقص قال الله عز وجل (أو يأخذهم على تخوف) أي على تنقص

قال الهيثم ما رأيت رجلا أعلم بكلام العرب من حماد

حدثني محمد بن خلف وكيع قال حدثني الكراني محمد بن سعد عن النضر بن عمرو عن الوليد بن هشام عن أبيه قال أنشدني الفرزدق وحماد الراوية حاضر

(وكنتَ كذئب السوْء لمّا رأى دماً ... بصاحبه يوماً أحال على الدمِ)

فقال له حماد أنت تقوله قال نعم قال ليس الأمر كذلك هذا لرجل من أهل اليمن قال ومن يعلم هذا غيرك أفأردت أن أتركه وقد نحلنيه الناس ورووه لي لأنك تعلمه وحدك ويجهله الناس جميعا غيرك

حدثني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني الفضل قال حدثني ابن النطاح قال حدثني أبو عمرو الشيباني قال ما سألت أبا عمرو بن العلاء قط عن حماد الراوية إلا قدمه على نفسه ولا سألت حمادا عن أبي عمرو إلا قدمه على نفسه

حدثنا إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم وذكر عبد الله بن مسلم عن الثقفي عن إبراهيم بن عمر والعامري قالا كان بالكوفة ثلاثة نفر يقال لهم الحمادون حماد عجرد وحماد بن الزبرقان وحماد الراوية يتنادمون على الشراب ويتناشدون الأشعار ويتعاشرون معاشرة جميلة وكانوا كأنهم نفس واحدة وكانوا يرمون بالزندقة جميعا

حماد البخيل

أخبري الحسن بن يحيى المرداسي قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال دخل مطيع بن إياس ويحيى بن زياد على حماد الراوية فإذا سراجه على ثلاث قصبات قد جمع أعلاهن وأسفلهن بطين فقال له يحيى بن زياد يا حماد إنك لمسرف مبتذل لحر المتاع فقال له مطيع ألا تبيع هذه المنارة وتشتري أقل ثمنا منها وتنفق علينا وعلى نفسك الباقي وتتسع به فقال له يحيى ما أحسن ظنك به ومن أين له مثل هذه إنما هي وديعة أو عارية فقال له مطيع أما إنه لعظيم الأمانة عند الناس قال له يحيى وعلى عظيم أمانته فما أجهل من يخرج مثل هذه من داره ويأمن عليها غيره قال مطيع ما أظنها عارية ولا وديعة ولكني أظنها مرهونة عنده على مال وإلا فمن يخرج هذه من بيته فقال لهما حماد قوما عني يا بني الزانيتين واخرجا من منزلي فشر منكما من يدخلكما بيته

انقطع ليزيد فجفاه هشام

حدثني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن عبيد أبو عصيدة قال حدثني محمد بن عبد الرحمن العبدي عن حميد بن محمد الكوفي عن إبراهيم بن عبد الرحمن القرشي عن محمد بن أنس وأخبرني الحسن بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية وخبر حماد بن إسحاق أتم واللفظ له

قال حماد الراوية كان انقطاعي إلى يزيد بن عبد الملك فكان هشام يجفوني لذلك دون سائر أهله من بني أمية في أيام يزيد فلما مات يزيد وأفضت الخلافة إلى هشام خفته فمكثت في بيتي سنة لا أخرج إلا لمن أثق به من إخواني سرا فلما لم أسمع أحد يذكرني سنة أمنت فخرجت فصليت الجمعة ثم جلست عند باب الفيل فإذا للشرطين قد وقفا علي فقالا لي يا حماد أجب الأمير يوسف بن عمر فقلت في نفسي من هذا كنت أحذر ثم قلت للشريطيين هل لكما أن تدعاني آتي أهلي فأودعهم وداع من لا ينصرف إليهم أبدا ثم أصير معكما إليه فقالا ما إلى ذلك من سبيل فاستسلمت في

أيديهما وصرت إلى يوسف بن عمر وهو في الإيوان الأحمر فسلمت عليه فرد علي السلام ورمى إلي كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر أما بعد فإذا قرأت كتابي هذا فابعث إلى حماد الراوية من يأتيك به غير مروع ولا متعتع وادفع إليه خمسمائة دينار وجملا مهريا يسير عليه اثنتي عشرة ليلة إلى دمشق
دمشق
فأخذت الخمسمائة الدينار ونظرت فإذا جمل مرحول فوضعت رجلي في الغرز وسرت اثنتي عشرة ليلة حتى وافيت باب هشام فاستأذنت فأذن لي فدخلت عليه في دار قوراء مفروشة بالزخام وهو في مجلس مفروش بالرخام وبين كل رخامتين قضيب ذهب وحيطانه كذلك وهشام جالس على طنفسة حمراء وعليه ثياب خز حمر وقد تضمخ بالمسك والعنبر وبين يديه مسك مفتوت في أواني ذهب يقلبه بيده فتفوح روائحه فسلمت فرد علي واستدناني فدنوت حتى قبلت رجله وإذا جاريتان لم أر قبلهما مثلهما في أذني كل واحدة منهما حلقتان من ذهب فيهما لؤلؤتان تتوقدان فقال لي كيف أنت يا حماد وكيف حالك فقلت بخير يا أمير المؤمنين قال أتدري فيم بعث إليك قلت لا قا لبعثت إليك لبيت خطر ببالي لم أدر من قاله فقلت وما هو فقال

(فدعَوْا بالصَّبُوح يوماً فجاءت ... قَيْنةٌ في يمينها إبريقُ)

قلت هذا يقوله عدي بن زيد في قصيدة له قال فأنشدنيها فأنشدته

(بكَر العاذلون في وَضَح الصبح ... يقولون لي ألاَ تستفيق)
(ويلومون فيك يابنةَ عبد الله ... والقلبُ عندكم مَوْهوق
(لست أدري إذ أكثروا العذلَ عندي ... أعدوٌّ يلومني أو صديق)
(زانها حسنُها وفَرْع عَمِيم ... وأثيثٌ صَلْتُ الجبين أنيق)
(وثنايا مُفلّجات عذاب ... لا قِصارٌ تُرى ولا هُنّ روُق)
(فدعَوْا بالصَّبُوح يوماً فجاءت ... قَيْنةٌ في يمينها إبريق)
(قدّمَتْه على عُقار كعين الديك ... صفَّى سُلافَها الرَّاووق)
(مُرّة قبل مزجها فإذا ما ... مُزجت لذّ طعمها من يذوق)
(وطفَت فوقها فقاقيعُ كالدرّ ... صِغار يُثيرها التَّصْفيق)
(ثم كان المِزاج ماء سماء ... غير ما آجِنٍ ولا مَطْروق)

قال فطرب ثم قال أحسنت والله يا حماد يا جارية أسقيه فسقتني شربة ذهبت بثلث عقلي
وقال أعد فأعدت فاستخفه الطرب حتى نزل عن فرشه ثم قال للجارية الأخرى اسقيه فسقتني شربة ذهبت بثلث عقلي
فقلت إن سقتني الثالثة افتضحت فقال سل حوائجك فقلت كائنة ما كانت قال نعم قلت إحدى الجاريتين فقال لي هما جميعا لك بما عليهما وما لهما ثم قال للأولى اسقيه فسقتني شربة سقطت معها فلم اعقل حتى أصبحت فإذا بالجاريتين عند رأسي وإذا عدة من الخدم مع كل واحد منهم بدرة فقال لي أحدهم أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك خذ هذه فانتفع بها فأخذتها
والجاريتين وانصرفت
هذا لفظ حماد عن أبيه ولم يقل أحمد بن عبيد في خبره أنه سقاه شيئا ولكنه ذكر أنه طرب لإنشاده ووهب له الجاريتين لما طلب إحداهما وأنزله في دار ثم نقله من غد إلى منزل أعده له فانتقل إليه فوجد فيه الجاريتين وما لهما وكل ما يحتاج إليه وأنه أقام عنده مدة فوصل إليه مائة ألف درهم وهذا هو الصحيح لأن هشاما لم يكن يشرب ولا يسقى أحد بحضرته مسكرا وكان ينكر ذلك ويعيبه ويعاقب عليه
في أبيات عدي المذكورة في هذا الخبر غناء نسبته

صوت

(بكَر العاذلون في وَضَح الصبح ... يقولون ما له لا يُفيقُ)
(ويلومون فيكِ يابنةَ عبد اللّه ... والقلبُ عندكم مَوْهوق)
(ثم نادوْا إلى الصَّبُوح فقامت ... قَيْنة في يمينها إبريق)
(قدّمَتْه على عُقار كعين الديك ... صفّى سُلاَفَها الراووق)

في البيتين الأولين لحن من الثقيل الأول مختلف في صانعه نسبه يحيى بن المكي إلى معبد ونسبه الهشامي إلى حنين
وفي الثالث وهو ثم نادوا والرابع لعبد الله بن العباس الربيعي رمل وفيهما خفيف رمل ينسب إلى مالك وخفيف ثقيل ذكر حبش أنه لحنين

أجازه يوسف بن عمر بأمر الوليد

أخبرني محمد بن مزيد والحسين بن يحيى قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الأصمعي قال قال حماد الراوية كتب الوليد بن يزيد وهو خليفة إلى يوسف بن عمر أحمل إلي حمادا الراوية على ما أحب من دواب البريد وأعطه عشرة آلاف درهم معونة له فلما أتاه الكتاب وأنا عنده نبذه إلي فقلت السمع والطاعة فقال يا دكين بن شجرة أعطه عشرة آلاف درهم فأخذتها
فلما كان اليوم الذي اردت الخروج فيه أتيت يوسف مودعا فقال يا حماد أنا بالموضع الذي قد عرفت من أمير المؤمنين ولست مستغنيا عن ثنائك فقلت أصلح الله الأمير إن العوان لا تعلم الخمرة
خرجت حتى أتيت الوليد بن يزيد وهو بالبخراء فاستأذنت فأذن لي فإذا هو على سرير ممهد وعليه ثوبان إزار ورداء يقيئان الزعفران قيئا وإذا عنده معبد ومالك وأبو كامل مولاه فتركني حتى سكن جأشي ثم قال أنشدني

(أمِن المنونِ وريْبِها تتوجّع ...)

فأنشدته إياها حتى أتيت على آخرها فقال لساقيه اسقه يا سبرة أكؤسا فسقاني
ثلاث كؤس خدرت ما بين الذؤابة والنعل
ثم قال يا معبد غنني

(ألا هل جاءكَ الأظعانُ ... إذ جاوزن مُطَّلَحا)
فغناه ثم قال غنني
(أتنسى إذ تودّعنا سُلَيمى ... بفرع بَشَامةٍ سُقِيَ البَشام)
فغنى ثم قال غنني
(جَلا أُميّة عنّا كلَّ مَظْلِمة ... سهلُ الحجابِ وأوْفَى بالذي وَعَدا)
فغناه ثم قال اسقني يا غلام شاب بزب فرعون فأتاه بقدح معوج فيه طول فسقاه به عشرين قدحا
ثم أتاه الحاجب فقال أصلح الله أمير المؤمنين الرجل الذي طلبت بالباب فقال أدخله فدخل غلام شاب لم أر أحسن منه وجها في رجله فدع فقال يا سبرة اسقه كأسا فسقاه ثم قال له غنني
(وهْي إذ ذاك عليها مئزر ... ولها بيتُ جَوَار من لُعَبْ)
فغناه فنبذ إليه أحد ثوبيه ثم قال غنني
(طَرَق الخيالُ فمرحَبَا ... ألفاً برؤية زينبا)
فغضب معبد وقال يا أمير المؤمنين إنا مقبلون إليك بأقدارنا وأسناننا وإنك تتركنا بمزجر الكلب وأقبلت على هذا الصبي فقال والله يا أبا عباد ما جهلت
قدرك ولا سنك ولكن هذا الغلام طرحني على مثل الطياجن من حرارة غنائه فسألت عن الغلام فإذا هو ابن عائشة
طلبه المنصور فجاءه وأنشده شعرا
حدثني الحسن بن محمد المادراني الكاتب قال حدثني الرياشي عن العتبي وأخبرني به هاشم بن محمد عن الرياشي وليس خبره بتمام هذا قال طلب المنصور حمادا الراوية فطلب ببغداد فلم يوجد وسئل عنه إخوانه فعرفوا من سألهم عنه أنه بالبصرة فوجهوا إليه برسول يشخصه
قال الرسول فوجدته في حانة وهو عريان يشرب نبيذا من إجانة وعلى سوأته رأس دستجة فقلت أجب أمير المؤمنين فما رأيت رسالة أرفع ولا حالة أوضع من تلك فأجاب فأشخصته إليه فلما مثل بين يديه قال له أنشدني شعر هفان بن همام بن نضلة يرثي أباه فأنشده
(خليليَّ عُوجا إنها حاجةٌ لنا ... على قبر همّامٍ سقتْه الرواعدُ)
(على قبر منْ يُرجى نداه ويُبتغى ... جداه إذا لم يحمد الأرض رائد)
(كريم الثَّنا حلو الشمائل بينه ... وبين المزجَّى نفنفٌ متباعد)
((إذا نازع القومَ الأحاديث لم يكن ... عييًّا ولا ثِقْلا على من يقاعد
(صبورٌ على العِلاّت يُصبح بطنُه ... خَميصاً وآتيه على الزاد حامد)
(وضعنا الفتى كلّ الفتى في حَفيرة ... بحُرّين قد راحتْ عليه العوائد)
(صريعاً كنصل السيف تضربُ جلوه ... ترائبَهنّ المُعْوِلاتُ الفواقد)
قال فبكى أبو جعفر حتى أخضل لحيته ثم قال هكذا كان أخي أبو العباس رضي الله عنه
أخبرني الحسين بن يحيى المرداسي قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال كان جعفر بن أبي جعفر المنصور المعروف بابن الكردية يستخف مطيع بن إياس ويحبه وكان منقطعا إليه وله معه منزلة حسنة فذكر له حمادا الراوية وكان صديقه وكان مطرحا مجفوا في أيامهم فقال ائتنا به لنراه
فأتى مطيع حمادا فأخبره بذلك وأمره بالمسير معه إليه فقال له حماد دعني فإن دولتي كانت مع بني أمية ومالي عند هؤلاء خير فأبى مطيع إلا الذهاب إليه فاستعار حماد سوادا وسيفا ثم أتاه ثم مضى به مطيع إلى جعفر
فلما دخل عليه سلم عليه سلاما حسنا وأثنى عليه وذكر فضله فرد عليه وأمره بالجلوس فجلس فقال جعفر انشدني فقال لمن أيها الأمير ألشاعر بعينه أم لمن حضر قال بل أنشدني لجرير قال حماد فسلخ والله شعر جرير كله من قلبي إلا قوله
(بان الخليطُ برامتيْن فودَّعوا ... أو كلَّما اعتزموا لبَيْن تجزَعُ)
فاندفعت فأنشدته إياه حتى انتهيت إلى قوله
(وتقول بَوْزَعُ قد دَبَبْتَ على العصا ... هلاّ هَزئتِ بغيرنا يا بوْزعُ)
قال حماد فقال لي جعفر أعد هذا البيت فأعدته فقال بوزع أي شيء هو فقلت اسم امرأة فقال أمرأة اسمها بوزع هو بريء من الله ورسوله ونفي من العباس بن عبد المطلب إن كانت بوزع إلا غولا من الغيلان تركتني والله يا هذا لا أنام الليلة من فزع بوزع يا غلمان قفاه فصفعت والله حتى لم أدر أين أنا ثم قال جروا برجله فجروا برجلي حتى أخرجت من بين يديه مسحوبا فتخرق السواد وانكسر جفن السيف ولقيت شرا عظيما مما جرى علي وكان أغلظ من ذلك كله واشد بلاء إغرامي ثمن السواد وجفن السيف فلما انصرفت أتاني مطيع يتوجع لي فقلت له ألم أخبرك أني لا أصيب منهم خيرا وأن حظي قد مضى مع بني أمية
حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال بلغني أن رجلا تحدث في مجلس حماد الراوية فقال بلغني أن المأبون له رحم كرحم المرأة قال وكان الرجل يرمى بهذا الداء فقال حماد لغلامه اكتب هذا الخبر عن الشيخ فإن خير العلم ما حمل عن أهله
قال وكتب حماد الراوية إلى بعض الأشراف الرؤساء قال
(إن لي حاجةً فرأيك فيها ... لك نفسي فِدًى من الأوصابِ)
(وهي ليست مما يبلِّغها غيري ... ولا يستطيعها في كتاب)
(غيرَ أنّي أقولها حين ألقاك ... رُوَيْداً أسرُّها في حجاب)
فكتب إليه الرجل اكتب إلي بحاجتك ولا تشهرني بشعرك فكتب إليه حماد
((إنني عاشق لجُبّتك الدَّكْناءِ ... عشقاً قد حال دون الشرابِ
(فاكسُنيها فدتْك نفسي وأهلي ... أتَبَاهَى بها على الأصحاب)
(ولك اللّه والأمانة أن أجعلها ... عمرَها أميرَ ثيابي)
فبعث إليه بها وقد رويت هذه القصة لمطيع بن إياس
حماد والخزيمي وبعض الغلمان

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني أبو يعقوب الخزيمي قال كنت في مجلس فيه حماد عجرد وحماد الراوية ومعنا غلام أمرد فنظر إليه حماد الراوية نظرا شديدا وقال لي يا أبا يعقوب قد عزمت الليلة على أن أدب على هذا الغلام فقلت شأنك به ثم نمنا فلم أشعر بشيء إلا وحماد ينيكني وإذا أنا قد غلطت ونمت في موضع الغلام فكرهت أن أتكلم فينتبه الناس فأفتضح وأبطل عليه ما أراد فأخذت بيده فوضعتها على عيني العوراء ليعرفني فقال قد عرفت الآن فيكون ماذا وفديناه بذبح عظيم قال وما برح علم الله وأنا أعالجه جهدي فلا ينفعني حتى أنزل
قال إسحاق وأهدى حماد إلى صديق له غلاما وكتب إليه قد بعثت إليك غلاما تتعلم عليه كظم الغيظ
قال
واستهدى من صديق له نبيذا فأهدى إليه دسيتجة نبيذ فكتب إليه لو عرفت في العدد أقل من واحد وفي الألوان شرا من السواد لأهديته إلي
قال وسمع مغنية تغني
(... عاد قلبي من الطويلة عاد)
فقال وثمود فإن الله عز وجل لم يفرق بينهما والشعر
(... عاد قلبي من الطويلة عِيد)
أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا الرياشي قال حدثني أبو عثمان اللاحقي وأخبرني به محمد بن مزيد عن حماد عن أبيه عن محمد بن سلام عن بشر بن المفضل بن لاحق قال جاء رجل إلى حماد الراوية فأنشده شعرا وقال أنا قلته فقال له أنت لا تقول مثل هذا هذا ليس لك وإن كنت صادقا فاهجني فذهب ثم عاد إليه فقال له قد قلت فيك
(سيعلم حَمّاد إذا ما هجوتُه ... أأنتحل الأشعار أم أنا شاعرُ)
(ألم تر حماداً تقدّم بطنُه ... وأُخّر عنه ما تَجنّ المآزِر)
(فليس براءٍ خُصْيتيْه ولو جَثَا ... لركبته ما دام للزيت عاصر)
(فيا ليته أمْسَى قعيدةَ بيته ... له بعلُ صدقٍ كَوْمه متواتر)
(فحماد نعم العِرْسُ للمرء يبتغي النكاح ... وبئس المرء فيمن يفاخِر)
فقال حماد حسبنا عافاك الله هذا المقدار وحسبك قد علمنا أنك شاعر وأنك قائل الشعر الأول وأجود منه وأحب أن تكتم هذا العشر ولا تذيعه فتفضحني فقال له قد كنت غنيا عن هذا
وانصرف الرجل وجعل حماد يقول أسمعتم أعجب مما جررت على نفسي من البلاء
حدثني الأسدي أبو الحسن قال حدثنا الرياشي قال حدثنا أبو عبد الله الفهمي قال عاب حماد الراوية شعرا لأبي الغول فقال يهجوه
(نعم الفتى لو كان يعرف ربَّه ... ويُقيمُ وقتَ صلاته حمادُ)
(هَدَلتْ مشافرَه الدِّنان فأنفُه ... مثل القَدُوم يَسنُّها الحدّاد)
(وابيض من شرب المدامة وجهه ... فبياضه يوم الحساب سواد)
(لا يُعجبنّك بَزُّه وثيابُه ... إن اليهود تُرَى لها أجْلاد)
(حَمّاد يا ضبعاً تجُرّ جِعَارَها ... أخْنَى لها بالقريتين جراد)
(سبعا يلاعبها ابنها وبناتها ... ولها من الخرق الكبار وساد)
قال معنى قوله
(... أخنى لها القريتين جرادُ)
هو مثل قول العرب للضبع خامري أم عامر أبشري بجراد عظال وكمر رجل فإن الضبع تجيء إلى القتيل وقد استلقى على قفاه وانتفخ غرموله فكان
كالمنعظ فتحتك به وتحيض من الشهوة فيثب عليها الذئب حينئذ فتلد منه السمع وهو دابة لا يولد له مثل البغل
وفي مثل هذا المعنى يقول الشنفري الأزدي
(تضحَك الضَّبْع لقَتْلَى هُذَيْلٍ ... وترى الذئبَ لها يَسْتهلُّ)
تضحك تحيض
وقال ابن النطاح كان حماد الراوية في أول أمره يتشطر ويصحب الصعاليك واللصوص فنقب ليلة على رجل فأخذ ماله وكان فيه جزء من شعر الأنصار فقرأه حماد
فاستحلاه وتحفظه ثم طلب الأدب والشعر وأيام الناس ولغات العرب بعد ذلك وترك ما كان عليه فبلغ في العلم ما بلغ
حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي الفضل عن أبيه عن جده عن حماد الراوية قال دخلت على المهدي فقال أنشدني أحسن أبيات قيلت في السكر ولك عشرة آلاف درهم وخلعتان من كسوة الشتاء والصيف فأنشدته قول الأخطل
(تَرَى الزُّجاجَ ولم يُطْمَث يُطيف به ... كأنه من دم الأجواف مُختضَبُ)
(حتى إذا افتَضّ ماءُ المزن عُذرتَها ... راحَ الزجاجُ وفي ألوانه صَهَب)
(تَنْزو إذا شجّها بالماء مازجُها ... نَزْوَ الجنادب في رَمْضاءَ تلتهب)
(راحوا وهم يحسَبون الأرض في فُلُك ... إن صُرِّعوا وقَت الراحاتُ والرُّكَب)
فقال لي أحسنت وأمر لي بما شرطه ووعدني به فأخذته
مدح بلال بن أبي بردة
حدثني اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله قال حدثني سليمان بن أبي شيخ قال حدثني صالح بن سليمان قال قدم حماد الراوية على بلال بن أبي بردة البصرة وعند بلال ذو الرمة
فأنشده حماد شعرا مدحه به فقال بلال لذي الرمة كيف ترى هذا الشعر قال جيدا وليس له قال فمن يقوله قال لا أدري لا أنه لم يقله فلما قضى بلال حوائج حماد وأجازه قال له إن لي إليك حاجة قال هي مقضية قال أنت قلت ذلك الشعر قال لا قال فمن يقوله قال بعض شعراء الجاهلية وهو شعر قديم وما يرويه غيري قال فمن أين علم ذو الرمة أنه ليس من قولك قال عرف كلام أهل الجاهلية من كلام أهل الإسلام
قال صالح وأنشد حماد الراوية بلال بن أبي بردة ذات يوم قصيده قالها ونحلها الحطيئة يمدح أبا موسى الأشعري يقول

فيها
(جَمَعْتَ من عامرٍ فيها ومن جُشَم ... ومن تَميمٍ ومن حَاء ومن حامِ)
(مُسْتحقِبات رواياها جحافلَها ... يسمو بها أشْعَريٌّ طَرْفَه سامي)
فقال له بلال قد علمت أن هذا شيء قلته أنت ونسبته إلى الحطيئة وإلا فهل كان يجوز أن يمدح الحطيئة أبا موسى بشيء لا أعرفه أنا ولا أرويه ولكن دعها تذهب في الناس وسيرها حتى تشتهر ووصله
رأي المفضل الضبي بحماد
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال سمعت أحمد بن الحارث الخراز يقول سمعت ابن الأعرابي يقول سمعت المفضل الضبي يقول
قد سلط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبدا
فقيل له وكيف ذلك أيخطىء في روايته أم يلحن قال ليته كان كذلك فإن أهل العلم يردون من أخطأ إلى الصواب لا ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ويدخله في شعره ويحمل ذلك عنه في الآفاق فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد وأين ذلك
أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي قال حدثني السعيدي الراوية وأبو إياد المؤدب وكان مؤدبي ثم أدب المعتصم بعد ذلك وقد تعالت سنه وحدثني بنحو من ذلك عبد الله بن مالك وسعيد بن سلم وحدثني به ابن غزالة أيضا واتفقوا عليه أنهم كانوا في دار أمير المؤمنين المهدي بعيساباذ وقد اجتمع فيها عدة من الرواة والعلماء بأيام العرب وآدابها وأشعارها ولغاتها إذ خرج بعض أصحاب الحاجب فدعا المفضل الضبي الراوية فدخل فمكث مليا ثم خرج إلينا ومعه حماد والمفضل جميعا وقد بان في وجه حماد الإنكسار والغم وفي وجه المفضل
السرور والنشاط ثم خرج حسين الخادم معهما فقال يا معشر من حضر من أهل العلم إن أمير المؤمنين يعلمكم أنه قد وصل حمادا الشاعر بعشرين ألف درهم لجودة شعره وأبطل روايته لزيادته في أشعار الناس ما ليس منها ووصل المفضل بخمسين ألفا لصدقه وصحة روايته فمن أراد أن يسمع شعرا جيدا محدثا فليسمع من حماد ومن أراد رواية صحيحة فليأخذها عن المفضل فسألنا عن السبب فأخبرنا أن المهدي قال للمفضل لما دعا به وحده إني رأيت زهير بن أبي سلمى افتتح قصيدته بأن قال
(... دع ذا وعدِّ القول في هَرِم)
ولم يتقدم له قبل ذلك قول فما الذي أمر نفسه بتركه فقال له المفضل ما سمعت يا أمير المؤمنين في هذا شيئا إلا أني توهمته كان يفكر في قول يقوله أو يروي في أن يقول شعرا فعدل عنه إلى مدح هرم وقال دع ذا أو كان مفكرا في شيء من شأنه فتركه وقال دع ذا أي دع ما أنت فيه من الفكر وعد القول في هرم فأمسك عنه
ثم دعا بحماد فسأله عن مثل ما سأل عنه المفضل فقال ليس هكذا قال زهير يا أمير المؤمنين قال فكيف قال فأنشده
(لمن الديارِ بقُنّة الحَجْر ... أقْوَيْنَ مُذْحِجَجٍ ومُذْ دَهْر)
(قفر بمُندَفَع النحائت من ... ضَفْوَى أُولاتِ الضَّالِ والسِّدْر)
(دع ذا وعَدِّ القول في هرم ... خير الكهول وسيِّد الحَضْر)
قال فأطرق المهدي ساعة ثم أقبل على حماد فقال له قد بلغ أمير المؤمنين عنك خبر لا بد من استحلافك عليه ثم استحلفه بأيمان البيعة وكل يمين محرجة
ليصدقنه عن كل ما يسأله عنه فحلف له بما توثق منه
قال له اصدقني عن حال هذه الأبيات ومن أضافها إلى زهير فأقر له حينئذ أنه قائلها فأمر فيه وفي المفضل بما أمر به من شهرة أمرهما وكشفه
أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثنا أحمد بن عبيد قال حدثنا الأصمعي قال قال حماد الراوية أرسل إلي أمير الكوفة فقال لي قد أتاني كتاب أمير المؤمنين الوليد بن يزيد يأمرني بحملك
فحملت فقدمت عليه وهو في الصيد فلما رجع أذن لي فدخلت علي وهو في بيت منجد بالأرمني أرضه وحيطانه فقال لي أنت حماد الراوية فقلت له إن الناس ليقولون ذلك قال فما بلغ من روايتك قلت أروي سبعمائة قصيدة أول كل واحدة منها بانت سعاد فقال إنها لرواية ثم دعا بشراب فأتته جارية بكأس وإبريق فصبت في الكأس ثم مزجته حتى رأيت له حبابا فقال أنشدني في مثل هذه فقلت يا أمير المؤمنين هي كما قال عدي بن زيد
(بكَر العاذلون في وَضَح الصبح ... يقولون لي ألا تستفيقُ)
(ثم ثاروا إلى الصَّبُوح فقامت ... قَيْنةٌ في يمينها إبريق)
(قدَّمْته على سُلافٍ كريح المسك ... صفَّى سُلافَها الرَّاوُوق)
(فتَرى فوقَها فقاقيعَ كالياقوت ... يَجْري خلالها التصفيق)
قال فشربها ولم يزل يستعيدني الأبيات ويشرب عليها حتى سكر ثم قام فتناول مرفقة من تلك المرافق فجعلها على رأسه ونادى من يشتري لحوم البقر ثم قال لي يا حماد دونك ما في البيت فهو لك فكان أول مال تأثلته
حدثني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال
قال خلف كنت آخذ من حماد الراوية الصحيح من أشعار العرب وأعطيه المنحول فيقبل ذلك مني ويدخله في أشعارها وكان فيه حمق
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثني العمري عن الهيثم بن عدي قال حدثني المسور الغنزي وكان من رواة العرب وكان أسن من سماك بن حرب عن حماد قال دخلت على زياد فقال لي أنشدني فقلت من شعر من أيها الأمير قال من شعر الأعشى فأنشدته
(... بكّرتْ سُميّةُ غُدْوةً أجمالُها)
قال فما أتممت القصيدة حتى تبينت الغضب في وجهه وقال الحاجب للناس ارتفعوا فقاموا ثم لم أعد والله إليه
قال حماد فكنت بعد ذلك إذا استنشدني خليفة أو أمير تنبهت قبل أن أنشده لئلا يكون في القصيدة اسم أم له أو ابنة أو أخت أو زوجة
الوليد يسأله سبب تسميته بالراوية

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني قال قال الوليد بن يزيد لحماد الراوية لم سميت الراوية وما بلغ من حفظك حتى استحققت هذا الإسم فقال له يا أمير المؤمنين إن كلام العرب يجري على ثمانية وعشرين حرفا أنا أنشدك على كل حرف منها مائة قصيدة فقال إن هذا لحفظ هات فاندفع ينشد حتى مل الوليد ثم استخلف على الإستماع منه خليفة حتى وفاه ما قال فأحسن الوليد صلته وصرفه
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الحسين بن محمد بن أبي طالب الديناري قال حدثني إسحاق الموصلي قال قال حماد الراوية أرسل الوليد بن يزيد إلي بمائتي دينار وأمر يوسف بن عمر بحملي إليه على البريد
قال فقلت لا يسألني إلا عن طرفيه قريش وثقيف فنظرت في كتابي قريش وثقيف
فلما قدمت عليه سألني عن أشعار بلي فأنشدته منها ما استحسنه ثم قال أنشدني في الشراب وعنده وجوه من أهل الشام فأنشدته
(إصْبَحِ القومَ قهوةً ... في أباريق تُحتذَى)
(من كُميتٍ مُدامةٍ ... حبّذا تلك حبذا)
(يترك الأُذْنَ شربُها ... أرْجُواناً بها خُذا)
فقال أعدها فأعدتها فقال لخدمه خذوا آذان القوم فأتينا بالشراب فسقينا حتى ما درينا متى نقلنا قال ثم حملنا وطرحنا في دار الضيفان فما أيقظنا إلا حر الشمس
وجعل شيخ من أهل الشأم يشتمني ويقول فعل الله بك وفعل أنت الذي صنعت بنا هذا
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ قال حدثني أبو عبيدة قال حدثني يحيى بن صبيرة بن الطرماح بن حكيم عن أبيه عن جده الطرماح قال أنشدت حمادا الراوية في مسجد الكوفة وكان أذكى الناس وأحفظهم قولي
(... بانَ الخليطُ بسُحْرةٍ فتبدَّدُوا)
وهي ستون بيتا فسكت ساعة ولا أدري ما يريد ثم أقبل علي فقال أهذه لك
قلت نعم قال ليس الأمر كما تقول ثم ردها علي كلها وزيادة عشرين بيتا زادها فيها في وقته فقلت له ويحك إن هذا الشعر قلته منذ أيام ما اطلع عليه أحد قال قد والله قلت أنا هذا الشعر منذ عشرين سنة وإلا فعلي وعلي فقلت لله علي حجة حافيا راجلا إن جالستك بعد هذا أبدا فأخذ قبضة من حصى المسجد وقال لله علي بكل حصاة من هذا الحصى مائة حجة إن كنت أبالي فقلت أنت رجل ماجن والكلام معك ضائع ثم انصرفت
قال دماذ وكان أبو عبيدة والأصمعي ينشدان بيتي الطرماح في هذه القصيدة وهما
(مُجتابِ حلّة بُرْجدٍ لسَرَاته ... قِدَداً وأخلف ما سراه البُرجدِ)
(يبدو وتُضمره البلاد كأنه ... سيفٌ على شَرَفٍ يُسَلُّ ويُغمَد)
وكانا يقولان هذا أشعر الناس في هذين البيتين
أخبار عبادل ونسبه
عبادل بن عطية مولى قريش مكي مغن محسن متقدم من الطبقة الثانية التي منها يونس الكاتب وسياط ودحمان وكان حسن الوجه نظيف الثياب ظريفا ولم يفارق الحجاز ولا وفد إلى ملوك بني أمية كما وفد غيره من طبقته ومن هو فوقها ويقال إنه كان مقبول الشهادة
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثنا حماد عن ابن أبي جناح قال كان عبادل بن عطية سريا نبيلا نظيفا ساكن الطرف حسن العشرة وكان يعاشر مشيخة قريش وجلة أحداثها فإذا أرادوا الغناء منه غنى فأحسن وأطرب وكانت له صنعة كثيرة منها
(تقول يا عَمَّتا كُفِّي جوانبَه ... وَيْلِي بَلِيتُ وأبْلى جِيديَ الشَّعَرُ)
ومنها
(أمِن حَذَرِ البين ما ترقُدَ ... ودمعُك يجري فيما يَجمُدُ)
ومنها
(إني أستحيتُك أن أفوه بحاجتي ... فإذا قرأت صحيفتي فتفهّمِ)
ومنها
(قُولاَ لنائلَ ما تَقْضِين في رجلٍ ... يهْوى هواكِ وما جنّبتِه اجتنبا)
ومنها
(علام تَرَيْن اليومَ قَتْلى لديكُم ... حلالاً بلا ذنبٍ وقتلي محرَّمُ)
قال وكانوا يقولون له ألا تكثر الصنعة فيقول بأبي أنتم إنما أنحته من صخر ومن أكثر أرذل
نسبة هذه الأصوات
صوت
(أمن حَذَرِ البَيْنِ ما ترقد ... ودمعُك يجري فما يجمُدُ)
(دعاني إلى الحَيْن فاقتادني ... فؤادٌ إلى شِقْوتي يَعْمِد)
(فلو أن قلبي صحا وارْعَوى ... لكان له عنكُم مَقْعَد)
(يَبِيدُ الزّمان وحُبّي لكم ... يَزيد خَبالاً وما يَنفد)
الغناء لعبادل ثقيل أول بالسبابة والوسطى عن ابن المكي وفيه لإبراهيم خفيف ثقيل
ومنها
صوت
(إني أستحيتُكَ أن أفوه بحاجتي ... فإذا قرأتَ صحيفتي فتفهَّمِ)
(وعليكَ عهدُ الله إن أنبأتَه ... أهلَ السَّيالة إن فعلتَ وإن لَمِ)
هكذا قال ابن هرمة والمغنون يغنونه
((وعليكَ عهدُ الله إن أخبرتَه ... أحداً وإن أظهرته بتكلُّمِ
الشعر لأبن هرمة والغناء لعبادل

الوشاية به
أخبرني عمي قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثني عبد الله بن محمد بن إسماعيل الجعفري عن أبيه أن حسن بن حسن بن علي كان صاحب شراب وفيه يقول ابن هرمة
(إني استحيتُك أن أفوه بحاجتي ... فإذا قرأتَ صحيفتي فتفهَّمِ)
(وعليك عهد الله إن أنبأتَه ... أحداً ولا أظهرتَه بتكلّمِ)
قال عبد الله بن محمد الجعفري وكان ابن هرمة كما حدثني أبي يشرب هو وأصحاب له بشرف السيالة عند سمرة بالشرف يقال لها سمرة جرانة فنفد شرابهم فكتب إلى حسن بن حسن بن علي يطلب منه نبيذا وكتب إليه بهذين البيتين
فلما قرأ حسن رقعته قال وأنا علي عهد الله إن لم أخبر به عامل السيالة أمني يطلب الدعي الفاعل نبيذا وكتب إلى عامل السيالة أن يجيء إليه فجاء لوقته فقال له إن ابن هرمة وأصحابه السفهاء يشربون عند سمرة جرانة فاخرج فخذهم فخرج إليه العامل بأهل السيالة وأنذر بهم ابن هرمة فسبقهم هربا وتعلق هو وأصحابه بالجبل ففاتوهم وقال في حسن
(كتبتُ إليكَ أستهدي نبيذاً ... وأُدْلي بالجِوارِ وبالحقوقِ)
(فخبَّرتَ الأميرَ بذاك غَدْراً ... وكنتَ أخا مُفاضَحةٍ ومُوقِ)
ومنها
صوت
(علامَ تَرَيْن اليومَ قَتْلي لديكُم ... حلالاً بلا ذنب وقتلي مُحرَّمُ)
(لكِ النفس ما عاشت وقَاءً من الرَّدى ... ونحن لكم فيما تَجنَّبِ أظلم)
وأما صنعته في
(... قولا لنائلَ ما تَقْضين في رجلٍ)
فإن الشعر لمسعدة بن البختري ابن أخي المهلب بن أبي صفرة والغناء لعبادل
وقد ذكرت ذلك في موضع من هذا الكتاب مفرد لأن نائلة التي عنيت بهذا الشعر هي بنت الميلاء ولها أخبار ذكرت في موضع منفرد صلحت له
ومنها
صوت
(تقول يا عَمَّتَا كُفِّي جوانبَه ... وَيْلِي بَلِيتُ وأبْلَى جِيدِيَ الشَّعَرُ)
(مثلُ الأساوِد قد أعيا مَواشِطَه ... تَضِلُّ فيه مَداريها وتنكسر)
(فإن نشرْتَ على عَمْد ذوائبَها ... أبصرتَ منه فَتِيتَ المِسك ينتشر)
الشعر لعمر بن أبي ربيعة والغناء لعبادل ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق
وفيه خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وفيه خفيف ثقيل ينسب إلى دحمان وإلى الغريض وإلى عبادل أيضا
صوت
من المائة المختارة
(ليستْ نَعَمْ منكَ للعافين مُسْجَلةً ... من التخلُّق لكنْ شِيمةٌ خُلُقُ)
(يكاد بابُك من عِلْم بصاحبه ... من دون بوّابه للناس يَندلِق)
لإسحاق في هذين البيتين لحن من الثقيل الأول بالبنصر عن عمرو
وذكر يحيى ابن علي بن يحيى عن أبيه عن إسحاق أن الشعر لطريح
وذكر يعقوب بن السكيت أنه لإبن هرمة والغناء في اللحن المختار لشهية مولاة العبلات خفيف رمل بالبنصر في مجراها
فمن روى هذه الأبيات لإبن هرمة ذكر أنها من قصيدة له يمدح بها عبد الواحد بن سلمان بن عبد الملك ومن ذكر أنها لطريح ذكر أنها من قصيدة له يمدح بها الوليد بن يزيد
والصحيح من القولين أن البيت الأول من البيتين لطريح والثاني لإبن هرمة
فبيت طريح من قصيدته التي مدح بها الوليد بن يزيد وهي طويلة يقول في تشبيهها
(تقول والعِيسُ قد شُدّتْ بأرحُلِها ... ألحقٌّ أنّكَ منا اليوم منطلقُ)
(قلتُ نعم فاكظِمي قالت وما جَلَدِي ... ولا أظنّ اجتماعاً حين نفترق)
(فقلت إن أحْيَى لا أُطْول بِعادَكُم ... وكيف والقلبُ رهنٌ عندكم غَلَقَ)
(فارقتُها لا فؤادي من تذكُّرِها ... سالِي الهمومِ ولا حَبْلِي لها خَلَقِ)
(فاضت على إثْرهم عيناكَ دمعُهما ... كما تَتَابع يجري اللؤلؤ النَّسَق)
صوت
(فاستبقِ عينكَ لا يُودي البكاءُ بها ... واكفُفْ بوادرَ دمعٍ منك تَستبِق)
(ليس الشؤونُ وإن جادت بباقيةٍ ... ولا الجفونُ على هذا ولا الحَدَق)
لإسحاق في هذين البيتين لحن من الثقيل الأول بالبنصر عن عمرو يقول فيها في مدح الوليد
(وما نَعَمْ منكَ للعافِين مُسْجَلة ... من التخلُّق لكنْ شِيمةٌ خُلُقُ)
(ساهمتَ فيها وفي لا فاختصصتَ بها ... وطار قومٌ بلا والذمِّ فانطلقوا)
(قوم هُم شَرَف الدنيا وسُودَدُها ... صَفْوٌ على الناس لم يُخْلَط بهم رَنَق)
(إن حاربوا وَضَعوا أو سالموا رفَعُوا ... أو عاقدوا ضَمِنوا أو حدَّثوا صدَقوا)
وأما قصيدة إبراهيم بن هرمة التي فيها هذا الشعر فنذكر خبرها ثم نذكر موضع الغناء وما قبله وما بعده منها
ومن أبي أحمد رحمه الله سمعنا ذلك أجمع ولكنه حكى عن إسحاق في الأصوات المختارة ما قاله إسحاق
ولعله لم يتفقد ذلك أو لعل أحد الشاعرين أغار على هذا البيت فانتحله وسرقه من قائله
مدح وتعريض
أخبرني يحيى بن علي قال أخبرنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن رجل من أهل البصرة وحدثني به وكيع قال حدثنا هارون

بن محمد بن عبد الملك عن حماد عن أبيه عن رجل من أهل البصرة وخبره أتم قال قال العباس بن الوليد بن عبد الملك وكان بخيلا لا يحب أن يعطي أحدا
شيئا ما بال الشعراء تمدح أهل بيتي أجمع ولا تمدحني فبلغ ذلك ابن هرمة وكان قد مدحه فلم يثبه فقال يعرض به ويمدح عبد الواحد بن سليمان
(ومُعجَب بمديح الشِّعر يمنعه ... من المديح ثوابُ المدح والشَّفَقُ)
(يا آبيَ المدح مِنْ قولٍ يُحبِّره ... ذو نِيقة في حواشي شعره أنَق)
(إنكَ والمدحَ كالعذراء يُعجبها ... مسُّ الرجال ويَثنى قَلبها الفَرَق)
(لكنْ بمَدْيَنَ من مفضَى سُوَيمرةٍ ... من لا يُذَمُّ ولا يُشنْا له خُلُق)
(أهلُ المدائح تأتيه فتمدحه ... والمادحون إذا قالوا له صَدَقوا)
يعني عبد الواحد بن سليمان
(لا يستقرُّ ولا تخفى علامته ... إذا القنا شالَ في أطرافها الحرق)
(في يومَ لا مالَ عند المرء ينفعه ... إلا السِّنانُ وإلا الرمح والدَّرَق)
(يَطعن بالرمح أحياناً ويضربهم ... بالسيف ثم يُدانِيهم فيعتنق)
وهذا البيت سرقه ابن هرمة من زهير ومن مهلهل جميعا فإنهما سبقا إليه قال مهلهل وهو أقدمهما
(أنْبَضوا مَعْجِس القِسيِّ وأبرقنا ... كما تُوعِد الفُحولُ الفحولاَ)
يعني أنهم لما أخذوا القسي ليرموهم من بعيد انتضوا سيوفهم ليخالطوهم ويكافحوهم بها
وقال زهير وهو أشرح من الأول
(يَطعنُهم ما ارتَمَوْا حتى إذا اطَعنوا ... ضارَبَ حتى إذا ما ضاربوا اعتنَقا)
فما ترك في المعنى فضلا لغيره
رجع إلى شعر ابن هرمة
(يكاد بابكُ من وجود ومن كرم ... من دون بَوّابه للناس يَنْدلقُ)
ويروى إذا أطاف به الجادون والعافون أيضا ويروى ينبلق
(إنّي لأطْوي رجالاً أن أزورَهُمُ ... وفيهمُ عَكَرَ الأنعام والوَرَقُ)
(طيَّ الثياب التي لو كُشِّفت وُجِدتْ ... فيها المَعاوز في التفتيش والخِرَق)
(وأتركِ الثوبَ يوما وهْو ذو سَعة ... وألْبَس الثوبِ وهو الضيِّق الخَلَق)
(إكرامَ نفسي وأني لا يوافقني ... ولو ظَمِئتُ فَحُمتُ المَشْرَبُ الرَّنِقُ)
قال هارون بن الزيات في خبره فلما قال ابن هرمة هذه القصيدة أنشدها عبد الواحد بن سليمان وهو إذ ذاك أمير الحجاز فأمر له بثلثمائة دينار وخلعة موشية
من ثيابه وحمله على فرس وأعطاه ثلاثين لقحة ومائة شاة وسأله عما يكفيه في كل سنة ويكفي عياله من البر والتمر فأخبره به فأمر له بذلك أجمع لسنة وقال له هذا لك علي ما دمت ودمت في الدنيا واقتطعه لنفسه وأنس به وقال له لست بمحوجك إلى غيري أبدا
فلما عزل عبد الواحد بن سليمان عن المدينة تصدى للوالي مكانه وامتدحه
ولم يلبث أن ولي عبد الواحد بعد ذلك وبلغه الخبر فأمر أن يحجب عنه ابن هرمة وطرده وجفاه حتى تحمل عليه بعبد الله بن الحسن بن الحسن فاستوهبه منه فعاد له إلى ما أحبه
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي وأخبرني به علي بن سليمان الأخفش عن أحمد بن يحيى ثعلب عن الرياشي وخبره أتم
قال الرياشي حدثني أبو سلمة الغفاري قال قال ابن ربيح راوية ابن هرمة قال حدثني ابن هرمة قال أول من رفعني في الشعر عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك فأخذ علي ألا أمدح أحدا غيره وكان واليا على المدينة وكان لا يدع بري وصلتي والقيام بمؤونتي
فلم ينشب أن عزل وولي غيره مكانه وكان الوالي من بني الحارث بن كعب فدعتني نفسي إلى مدحه طمعا أن يهب لي كما كان عبد الواحد يهب لي فمدحته فلم يصنع بي ما ظننت ثم قدم عبد الواحد المدينة فأخبر أني مدحت الذي عزل به فأمر بي فحجبت عنه ورمت الدخول عليه فمنعت فلم أدع بالمدينة وجها ولا رجلا له نباهة وقدر من قريش إلا سألته أن يشفع لي في أن يعيدني إلى منزلتي عنده فيأبى ذلك فلا يفعله
فلما أعوزتني الحيل أتيت عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وعليهم فقلت يابن رسول الله إن هذا الرجل قد كان يكرمني وأخذ علي
ألا أمدح غيره فأعطيته بذلك عهدا ثم دعاني الشره والكد إلى أن مدحت الوالي بعده
وقصصت عليه قصتي وسألته أن يشفع لي فركب معي فأخبرني الواقف على رأس عبد الواحد أن عبد الله بن حسن لما دخل إليه قام عبد الواحد فعانقه وأجلسه إلى جنبه ثم قال أحاجة غدت بك أصلحك الله قال نعم قال كل حاجة لك مقضية إلا ابن هرمة فقال له إن رأيت ألا تستثني في حاجتي فافعل قال قد فعلت قال فحاجتي ابن هرمة قال قد رضيت عنه وأعدته إلى منزلته قال فتأذن له أن ينشدك قال تعفيني من هذه قال أسألك أن تفعل قال ائتوا به فدخلت عليه وأنشدته قولي فيه
(وجدنا غالباً كانت جناحاً ... وكان أبوك قادمةَ الجناح)
قال فغضب عبد الله بن الحسن حتى انقطع رزه ثم وثب مغضبا وتجوزت في الإنشاد ثم لحقته فقلت له جزاك الله يابن رسول الله فقال ولكن لا جزاك الله خيرا يا ماص بظر أمه وتقول لإبن مروان
(... وكان أبوك قادمةَ الجَنَاح)
بحضرتي وأنا ابن رسول الله وابن علي بن أبي طالب عليه السلام فقلت جعلني الله فداك إني قلت قولا أخدعه به طلبا لدنياه ووالله ما قست بكم أحد قط أفلم تسمعني قد قلت فيها
(... وبعضُ القول يذهب بالرياح)
فضحك عبد الله وقال قاتلك الله ما أظرفك

حائية ابن هرمة
وهذه القصيدة الحائية التي مدح بها عبد الواحد من فاخر الشعر ونادر الكلام
ومن جيد شعر ابن هرمة خاصة وأولها
(صَرَمتَ حبائلاً من حِبّ سلْمَى ... لهندٍ ما عَمِدتَ لمُستراح)
(فإنك إن تُقِم لا تلقَ هنداً ... وإن ترحل فقلبُك غيرُ صاحي)
(يَظَلّ نهارَه يَهْذِي بهند ... ويأرقَ ليلَه حتى الصباح)
(أعبدَ الواحد المحمودَ إني ... أَغَصُّ حذارَ سخطكَ بالقَراح)
(فشُلَّتْ رَاحَتايَ وجالَ مُهْرِي ... فألقاني بمُشتجَر الرماح)
(وأقعدني الزمانُ فبِتّ صَفْراً ... من المال المعزَّب والمُراح)
(إذا فَخَّمتُ غيرَك في ثنائي ... ونصحي في المَغيبة وامتداحي)
(كأنّ قصائدي لك فاصطنعني ... كرائم قد عُضِلن عن النكاح)
(فإن أكُ قد هفوتُ إلى أمير ... فعَنْ غير التطوّع والسماح)
(ولكنْ سَقْطةُ عِيبتْ علينا ... وبعضُ القول يذهب في الرياح)
(لعمرك إنني وبني عَدِيٍّ ... ومَنْ يهوَى رشادي أو صلاحي)
(إذا لم تَرْضَ عنّي أو تَصِلْني ... لفي حَيْن أعالجه مُتاح)
(وإنك إن حططتَ إليك رحلي ... بغربيّ الشَّرَاة لذوا ارتياح)
(هششتَ لحاجة ووعدتَ أخرى ... ولم تبخل بناجزة السَّراح)
(وجَدنا غالباً خُلقتْ جناحاً ... وكان أبوك قادمةَ الجناح)
((إذا جعَل البخيلُ البخلَ تُرساً ... وكان سلاحَه دون السلاح
(فإنّ سلاحك حتى ... تفوزَ بعِرْضِ ذي شِيَمٍ صِحاح)
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدثني إبراهيم بن إسحاق العمري قال حدثني عبد الله بن إبراهيم الجمحي قال قلت لإبن هرمة أتمدح عبد الواحد بن سليمان بعشر ما مدحت به غيره فتقول فيه هذا البيت
(وجدنا غالباً كانت جناحاً ... وكان أبوك قادمة الجناح)
ثم تقول فيها
(أعبدَ الواحد الميمون إني ... أَغَصّ حِذَارَ سخطك بالقَراح)
فبأي شيء استوجب ذلك منك فقال إني أخبرك بالقصة لتعذرني أصابتني أزمة بالمدينة فاستنهضتني بنت عمي للخروج فقلت لها ويحك إنه ليس عندي ما يقل جناحي فقالت أنا أنهضك بما أمكنني وكانت عندي ناب لي فنهضت عليها نهجد النوام ونؤذي السمار وليس من منزل أنزله إلا قال الناس ابن هرمة حتى دفعت إلى دمشق فأويت إلى مسجد عبد الواحد في جوف الليل فجلست فيه أنتظره إلى أن نظرت الفجر بزوغ الفجر فإذا الباب ينفلق عن رجل كأنه البدر فدنا فأذن ثم صلى ركعتين وتأملته فإذا هو عبد الواحد فقمت فدنوت منه وسلمت عليه فقال لي أبو إسحاق أهلا ومرحبا فقلت لبيك بأبي أنت وأمي وحياك الله بالسلام وقربك من رضوانه فقال أما آن لك أن تزورنا فقد طال العهد واشتد الشوق فما رواءك قلت لا تسلني بأبي أنت وأمي فإن الدهر قد أخنى علي فما وجدت مستغاثا غيرك فقال لا ترع فقد وردت على ما تحب إن
شاء الله
فوالله لإني لأخاطبه فإذا بثلاثة فتية قد خرجوا كأنهم الأشطان فسلموا عليه فاستدنى الأكبر منهم فهمس إليه بشيء دوني ودون أخويه فمضى إلى البيت ثم رجع فجلس إليه فكلمه بشيء دوني ثم ولى فلم يلبث أن خرج ومعه عبد ضابط يحمل عبئا من الثياب حتى ضرب به بين يدي ثم همس إليه ثانية فعاد وإذا به قد رجع ومعه مثل ذلك فضرب به بين يدي فقال لي عبد الواحد ادن يا أبا إسحاق فإني أعلم أنك لم تصر إلينا حتى تفاقم صدعك فخذ هذا وارجع إلى عيالك فوالله ماسللنا لك هذا إلا من أشداق عيالنا ودفع إلي ألف دينار وقال لي قم فارحل فأغث من وراءك فقمت إلى الباب فلما نظرت إلى ناقتي ضقت فقال لي تعال ما أرى هذه مبلغتك يا غلام قدم له جملي فلانا فوالله لقد كنت بالجمل أشد سرورا مني بكل ما نلته فهل تلومني أن أغص حذار سخط هذا بالقراح والله ما أنشدته ليلتئذ بيتا واحدا
شعره في مدح المنصور
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني محمد بن عمر الجرجاني قال حدثني عثمان بن حفص الثقفي قال حدثني محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين صلى الله عليه قال دخلت مع أبي علي على المنصور بالمدينة وهو جالس في دار مروان فلما أجتمع الناس قام ابن هرمة فقال يا أمير المؤمنين جعلني الله فداءك شاعرك
وصنيعتك إن رأيت أن تأذن لي في الإنشاد قال هات فأنشده قوله
(... سرَى ثوبَه عنك الصِّبا المتخايلُ)
حتى انتهى إلى قوله
(له لَحَظَاتٌ عن خِفَافَيْ سريره ... إذا كَرّها فيها عِقابُ ونائلُ)
(فأُمُّ الذي آمنتَ آمنةُ الرَّدَى ... وأمُّ الذي خوَّفتَ بالثُّكل ثاكل)
فقال له المنصور أما لقد رأيتك في هذه الدار قائما بين يدي عبد الواحد بن سليمان تنشده قولك فيه
(وجدنا غالباً كانت جَناحاً ... وكان أبوكَ قادمةَ الجنَاح)
قال فقطع بإبن هرمة حتى ما قدر على الإعتذار فقال له المنصور أنت رجل شاعر طالب خير وكل ذلك يقول الشاعر وقد أمر لك أمير المؤمنين بثلثمائة دينار
فقام إليه الحسن بن زيد فقال يا أمير المؤمنين إن ابن هرمة رجل منفاق متلاف لا يليق شيئا فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر له بها يجرى عليه منها ما يكفيه ويكفي عياله ويكتب بذلك إلى أصحاب الجاري أن يرجيها عليهم فعل فقال افعلوا ذلك به

قال وإنما فعل به الحسن بن زيد هذا لأنه كان مغضبا عليه لقوله يمدح عبد الله بن حسن
(ما غَيّرتْ وجهَه أمٌّ مُهجّنة ... إذا القَتامُ تَغَشَّى أوْجُهَ الهُجُنِ)
حدثني يحيى بن علي بن يحيى وأخبرنا ابن أبي الأزهر وجحظة قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال يحيى بن علي في خبره عن الفضل بن يحيى ولم يقله الآخران
دخل ابن هرمة على المنصور وقال يا أمير المؤمنين إني قد مدحتك مديحا لم يمدح أحد أحداً بمثله قال وما عسى أن تقول في بعد قول كعب الأشقري في المهلب
(براك اللّهُ حين براك بحراً ... وفَجّر منك أنهاراً غِزاراً)
فقال له قد قلت أحسن من هذا قال هات فأنشده قوله
(له لَحَظات عن حِفَافَيْ سَرِيره ... إذا كَرّها فيها عِقابٌ ونائلُ)
قال فأمر له بأربعة آلاف درهم
فقال له المهدي يا أمير المؤمنين قد تكلف في سفره إليك نحوها فقال له المنصور يا بني إني قد وهبت له ما هو أعظم من ذلك وهبت له نفسه أليس هو القائل لعبد الواحد بن سليمان
(إذا قيل مَنْ خيرُ مَنْ يُرتَجى ... لمعترِّ فِهْرٍ ومحتاجِها)
(ومن يُعْجِل الخيلَ يومَ الوغى ... بإلجامها قبلَ إسراجها)
(أشارت نساءُ بني غالب ... إليكَ به قَبْلَ ازواجها)
وهذه القصيدة من فاخر شعر ابن هرمة وأولها
(أجارَتَنا رَوِّحي نَعْمةً ... على هائم النفس مُهتاجِها)
(ولا خيرَ في وُدِّ مُسْتكرِهٍ ... ولا حاجةٍ دون إنضاجها)
يقول فيها يمدح عبد الواحد بن سليمان
(كأن قِتودي على خاضبٍ ... زَفُوفٍ العَشِيّات هَدّاجِها
(إلى مَلكٍ لا إلى سُوقة ... كستْه الملوكُ ذُرَا تاجها)
(تَحُلّ الوفود بأبوابه ... فتَلْقى الغِنى قَبْلَ إرتاجها)
(بقَرّاع أبواب دور الملوكِ ... عندَ التحية وَلاّجها)
(إلى دار ذي حسبٍ ماجدٍ ... حَمُول المَغارم فَرّاجها)
(ركُودِ الجِفان غداةَ الصَّبا ... ويوم الشمال وإرهاجها)
(وقفتُ بمَدْحِيه عند الجِمار ... أنشده بين حُجّاجها)
أخبرني محمد بن جعفر النحوي صهر المبرد قال حدثني أبو إسحاق طلحة ابن عبد الله الطلحي قال حدثني محمد بن سليمان بن المنصور قال وجه المنصور رسولا قاصدا إلى ابن هرمة ودفع إليه ألف دينار وخلعة ووصفه له وقال امض إليه فإنك تراه جالسا في موضع كذا في المسجد فانتسب له إلى بني أمية أو مواليهم وسله أن ينشدك قصيدته الحائية التي يقول فيها يمدح عبد الواحد بن سليمان
(وجدنا غالباً كانت جناحاً ... وكان أبوك قادمةَ الجناح)
فإذا أنشدكها فأخرجه من المسجد واضرب عنقه وجئني برأسه وإن أنشدك قصيدته اللامية التي يمدحني بها فادفع إليه الألف الدينار والخلعة وما أراه ينشدك غيرها ولا يعترف بالحائية
قال فأتاه الرسول فوجده كما قال المنصور فجلس إليه واستنشده قصيدته في عبد الواحد فقال ما قلت هذه القصيدة قط ولا أعرفها وإنما نحلها إياي من يعاديني ولكن إن شئت أنشدتك أحسن منها قال قد شئت فهات فأنشده
(... سَرى ثوبَه عنك الصِّبا المتخايلُ)
حتى أتى على آخرها ثم قال هات ما أمرك أمير المؤمنين بدفعه إلي فقال أي شيء تقول يا هذا وأي شيء دفع إلي فقال دع ذا عنك فوالله ما بعثك إلا أمير المؤمنين ومعك مال وكسوة لي وأمرك أن تسألني عن هذه القصيدة فإن أنشدتك إياها ضربت عنقي وحملت رأسي إليه وإن أنشدتك هذه اللامية دفعت إلي ما حملك إياه فضحك الرسول ثم قال صدقت لعمري ودفع إليه الألف الدينار والخلعة
فما سمعنا بشيء أعجب من حديثهما
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا عمي عن جدي قال لما انشد ابن هرمة المنصور قصيدته اللامية التي مدحه بها أمر له بألف درهم فكلمه فيه المهدي واستقلها فقال يا بني لو رايت هذا بحيث رأيته وهو واقف بين يدي عبد الواحد بن سليمان ينشده
وجدنا غالباً كانت جناحاً ... وكان أبوك قادمةَ الجناحِ) لاستكثرت له ما استقللته ولرأيت أن حياته بعد ذلك القول ربح كثير
والله إني يا بني ما هممت له منذ يومئذ بخير فذكرت قوله إلا زال ما عرض بقلبي إلى ضده حتى أهم بقتله ثم أعفو عنه فأمسك المهدي
ما يغنى من شعره
ومما يغنى فيه من مدائح ابن هرمة في عبد الواحد بن سليمان قوله من قصيدة أنا ذاكرها بعد فراغي من ذكر الأبيات على أن المغنين قد خلطوا مع أبياته أبياتا لغيره
صوت
(ولما أنْ دنا منّا ارتحالٌ ... وقُرّب ناجياتُ السير كُومُ)
(تَجاسَرَ واضحاتُ اللون زُهْرٌ ... على ديباج أوجهها النعيم)
(أتَيْنَ مودِّعاتٍ والمطايا ... لدَى أكوارها حوضٌ هُجوم)
(فكم من حُرة بين المُنَقَّى ... إلى أُحُدٍ إلى ما حاز ريم)
ويروى
(...فكم بين الأقارع فالمُنقَّى)
وهو أجود

(إلى الجَمّاء من خدٍّ أسيل ... نقّي اللون لي به كُلُوم)
(كأنّي من تذكُّر ما ألاقي ... إذا ما أظلم الليلُ البهيم)
(سَلِيمٌ مَلّ منه أقربوه ... وأسلمه المُداوي والحميم)
ذكر الزبير بن بكار أن هذا الشعر كله لأبي المنهال نفيلة الأشجعي قال وسمعت بعض أصحابنا يقول إنه لمعمر بن العنبر الهذلي
والصحيح من القول أن بعض هذه الأبيات لإبن هرمة من قصيدة له يمدح بها عبد الواحد بن سليمان مخفوضة الميم ولما غني فيها وفي أبيات نفيلة وخلط فيه ما أوجب خفض القافية غير إلى ما أوجب رفعها
فأما ما لإبن هرمة فيها فهو من قصيدته التي أولها
(أجارتَنا بذي نَفَر أقيمِي ... فما أبكى على الدهر الذميمِ)
(أقيمي وجهَ عامك ثم سِيري ... بلا واهي الجِوار ولا مُليم)
(فكم بين الأقارع فالمُنقَّى ... إلى أُحُدٍ إلى أكناف ريمِ)
(إلى الجماء مِن خدٍّ أسيلٍ ... نقيّ اللون ليس بذي كُلوم)
(ومن عينٍ مكحَّلة الأماقي ... بلا كُحْل ومن كَشْحٍ هَضيم)
(أرقتُ وغاب عنّي من يلوم ... ولكن لم أنَم أنا للهموم)
(أرقتُ وشفّني وجَعٌ بقلبي ... لزينبَ أو أُميمةَ أو رَعُومِ)
(أقاسي ليلة كالحَوْل حتى ... تبدَّى الصبحُ مُنقطعَ البَريم)
((كأنّ الصبح أبلقُ في حُجُول ... يَشِبُّ ويتّقي ضربَ الشَّكيم
(رأيتُ الشَّيب قد نزلت علينا ... روائعُه بحجة مستقيم)
(إذا ناكرتُه ناكرتُ منه ... خصومةَ لا ألدَّ ولا ظَلُوم)
(وودّعني الشباب فصِرتُ منه ... كراضٍ بالصغير من العظيم)
(فَدَعْ مالا يَرُدّ عليك شيئاً ... من الجارات أو دِمَن الرسوم)
(وقُلْ قولاً تُطَبِّق مِفصلَيْه ... يمْدحه صاحب الرأي الصَّروم)
(لعبد الواحد الفَلْجُ المعلَّى ... على خُلَق النَّفُورة والخُصُوم)
(دعته المَكْرُماتُ فناولته ... خَطَامَ المجد في سِنّ الفَطِيم)
وهي طويلة فمن الأبيات التي فيها الغناء أربعة أبيات لإبن هرمة قد مضت في هذه القصيدة وإنما غيرت حتى صارت مرفوعة فاتفقت الأبيات وغنى فيها
وأما أبيات نفيلة فما بقي من الصوت المذكور بعد أبيات ابن هرمة له
ويتلو ذلك من أبيات نفيلة قوله
(يُضيء دجى الظلام إذا تبدَّى ... كضوء الفجر منظره وَسيمُ)
(وقائلةٍ ومُثْنيةٍ علينا ... تقول وما لها فينا حميم)
(وأخرى لُبُّها معنا ولكنْ ... تَصَبَّرُ وهي واجمةٌ كَظوم)
(تَعُدّ لنا الليالي تحتصيها ... متى هو حائنٌ منه قُدوم)
((متى تَرَ غفلةَ الواشين عنها ... تَجُدْ بدموعها العينُ السَّجوم
والغناء في هذه الأبيات المذكورة المختلط فيها شعر ابن هرمة ونفيلة لمعبد ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى عن عمرو ويونس
وفيها لحن من الثقيل الثاني ينسب إلى الوابصي وفيها خفيف ثقيل ينسب إلى معبد وإلى ابن سريح
الوابصي وأخباره
وهذا الوابصي هو الصلت بن العاصي بن وابصة بن خالد بن المغيرة بن عبد الله ابن عمرو بن مخزوم
كان تنصر ولحق ببلاد الروم لأن عمر بن عبد العزيز فيما ذكر حده في الخمر وهو أمير الحجاز فغضب فلحق ببلاد الروم وتنصر هناك ومات هنالك نصرانيا
فأخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الله بن عبد العزيز قال أخبرني ابن العلاء أظنه أبا عمرو أو أخاه عن جويرية بن أسماء عن إسماعيل بن أبي حكيم وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا سعيد بن عامر عن جويرية بن أسماء بن أبي حكيم وقد جمعت الروايتين قال اليزيدي في خبره إن إسماعيل حدث أن عمر بن عبد العزيز بعث في الفداء
وقال عمر بن شبة إن إسماعيل حدث قال كنت عند عمر بن عبد العزيز فأتاه البريد الذي جاء من القسطنطينية فحدثه قال بينا أنا أجول في القسطنطينية إذ سمعت رجلا يغني بلسان فصيح وصوت شج
((فكم من حُرَّة بين المُنَقَّى ... إلى أُحدٍ إلى جَنَباتِ ريمِ
فسمعت غناء لم أسمع قط أحسن منه
فلما سمعت الغناء وحسنه لم أدر أهو كذلك حسن أم لغربته وغربة العربية في ذلك الموضع
فدنوت من الصوت فلما قربت منه إذا هو في غرفة فنزلت عن بغلتي فأوثقتها ثم صعدت إليه فقمت على باب الغرفة فغذا رجل مستلق على قفاه يغني هذين البيتين لا يزيد عليهما وهو واضع إحدى رجليه على الأخرى فإذا فرغ بكى فيبكي ما شاء الله ثم يعيد الغناء
ففعل ذلك مرارا فقلت السلام عليكم فوثب ورد السلام فقلت أبشر فقد فك الله أسرك أنا بريد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز إلى هذا الطاغية في فداء الأساري ثم سالته من أنت فقال أنا الوابصي أخذت فعذبت حتى دخلت في دينهم فقلت له أنت والله أحب من أفتديه إلى أمير المؤمنين وإلي إن لم تكن دخلت في الكفر فقال قد والله دخلت فيه فقلت أنشدك الله إلا أسلمت فقال أأسلم وهذان ابناي وقد تزوجت امرأة منهم وهذان ابناها وإذا دخلت المدينة قيل لي يا نصراني وقيل مثيل ذلك لولدي وأمهما لا والله لا أفعل
فقلت له قد كنت قارئا للقرآن فما بقي معك منه قال لا شيء إلا هذه الآية (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) قال فعاودته وقلت له إنك لا تغير بهذا فقال وكيف بعبادة الصليب وشرب الخمر وأكل لحم الخنزير فقلت سبحان الله أما تقرأ

(إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) فجعل يعيد علي قوله فكيف بما فعلت ولم يجبني إلى الرجوع
قال فرفع عمر يده وقال اللهم لا تمتني حتى تمكنني منه قال فوالله ما زلت راجيا لإجابة دعوة عمر فيه قال جويرية في حديثه وقد رأيت أخا الوابصي بالمدينة
وقال يعقوب بن السكيت في هذا الخبر أخبرني ابن الأزرق عن رجل من أهل البصرة أنسيت اسمه قال
نزلنا في ظل حصن من الحصون التي للروم فإذا أنا بقائل يقول من فوق الحصن
(فكم بين الأقارع فالمُنَقَّى ... إلى أُحُدٍ إلى ميقات ريم)
(إلى الزَّوْراء من ثغر نَقِيٍّ ... عوارضه ومن دَلَّ رخيم)
(ومن عين مُكَحَّلة الأماقي ... بلا كُحْل ومن كَشْح هضيم)
وهو ينشد بلسان فصيح ويبكي فناديته أيها المنشد فأشرف فتى كأحسن الناس فقلت من الرجل وما قصتك فقال أنا رجل من الغزاة من العرب نزلت مكانك هذا فأشرفت علي جارية كأحسن الناس فعشقتها فكلمتها فقالت إن دخلت في ديني لم أخالفك فغلب علي الشيطان فدخلت في دينها فأنا كما ترى فقلت أكنت تقرأ القرآن فقال إي والله لقد حفظته قلت فما تحفظ منه اليوم قال لا شيء إلا قوله عز وجل (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) قلت فهل لك أن نعطيهم فداءك وتخرج قال ففكر ساعة ثم قال انطلق صحبك الله
ومما في الأخبار من شعر ابن هرمة
صوت
من المائة المختارة
(في حاضرٍ لَجِبٍ بالليل سامِرُه ... في الصواهلُ والرايات والعَكَرُ)
(وخُرّدٍ كالمَهَا حُور مدامعُها ... كأنها بين كُثْبان النَّقا البَقَر)
الشعر لابن هرمة والغناء في اللحن المختار لحنين ولحنه من الثقيل الأول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق
قال إسحاق وفيه لأبي همهمة لحن من الثقيل الأول أيضا وأبو همهمة هذا مغن أسود من أهل المدينة ليس بمشهور ولا ممن نادم الخلفاء ولا وجدت له خبرا فأذكره
صوت
من المائة المختارة
(بزينب ألْمِمْ قبل أن يرحل الركبُ ... وقُلْ إن تَمَلِّينا فما ملَّك القلبُ)
(وقل في تَجَنِّيها لكَ الذنبُ إنما ... عتابُكَ مَنْ عاتبتَ فيما له عَتْب)
الشعر لنصيب والغناء في اللحن المختار لكردم بن معبد ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق
وفيه لمعبد لحن آخر من خفيف الثقيل عن يونس والهشامي ودنانير وفيه لإبراهيم لحن آخر من الثقيل الأول ذكره الهشامي
بعض أخبار لنصيب
وقد تقدم من أخبار نصيب ما فيه كفاية وإنما تأخر منها ما له موضع يصلح إفراده فيه مثل أخبار هذا الصوت
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا عمي الفضل عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن أبي كناسة قال قال نصيب ما توهمت أني أحسن أن أقول الشعر حتى قلت
(... بزينبَ ألمْم قبلَ أن يرحل الركبُ)
أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا إبراهيم المنذر الحزامي عن محمد بن معن الغفاري قال أخبرني ابن الربيح قال مر بنا جميل ونحن بضرية فاجتمعنا إليه فسمعته يقول لأن أكون سبقت الأسود إلى قوله
(... بزينبَ ألمم قبل أن يرحل الركبُ)
أحب إلي من كذا وكذا لشيء قاله عظيم
أخبرني الحرمي قال حدثني الزبير قال حدثني سعيد بن عمرو عن حبيب بن شوذب الأسدي قال مر بنا جرير بن الخطفي ونحن بضرية فاجتمعنا إليه فسمعته يقول لأن أكون سبقت العبد إلى هذا البيت أحب إلي من كذا وكذا يعني قوله
(... بزينبَ ألمم قبلَ أن يرحل الركبُ)
أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي الفضل عن إسحاق الموصلي عن ابن كناسة قال
اجتمع الكميت بن زيد ونصيب في الحمام فقال له الكميت أنشدني قولك
(... بزينبَ ألمم قبلَ أن يرحل الركبُ)
فقال والله ما أحفظها فقال الكميت ينشده وهو يبكي
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال ذكر ابن أبي الحويرث عن مولاة لهم وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن عثمان بن حفص عن مولاة لهم قالت إنا لبمنى إذ نظرت إلى أبنية مضروبة وأثاث وأمتعة فلم أدر لمن هي حتى أنيخ بعير فنزل عنه أسود وسوداء فألقيا أنفسهما على بعض المتاع ومر راكب يتغنى غناء الركبان
(... بزينبَ ألمم قبلَ أن يرحل الركبُ)
فرأيت السوداء تخبط الأسود وتقول له شهرتني وأذعت في الناس ذكري فإذا هو نصيب وزوجته قال إسحاق في خبره وكان الذي اجتاز بهم وتغنى ابن سريج
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن محمد بن كناسة عن أبيه قال قال نصيب والله إني لأسير على راحلتي إذ أدركت نسوة ذوات جمال يتناشدن قولي
(... بزينبَ ألمم قبل أن يرحل الركبُ)
وإذا معهن ابن سريج فقلن له يا أبا يحيى غننا في هذا الشعر فغناهن فأحسن فقلن وددنا والله يا أبا يحيى أن نصيبا معنا فيتم سرورنا فحركت
بعيري لأتعرف بهن وأنشدهن فالتفت إحداهن إلي فقالت حين رأتني والله لقد زعموا أن نصيبا يشبه هذا الأسود لا جرم

فقلت والله لا أتعرف بهن سائر اليوم ومضيت وتركتهن قال وكان الذي تغنى به ابن سريج من شعري
(بزينب ألمم قبل أن يرحل الركبُ ... وقُل إن تَملّينا فما ملَّكِ القلبُ)
(وقُلْ إن تُنَلْ بالحبّ منكِ مودّةٌ ... فما مثلُ ما لُقّيتِ من حبُكم حب)
(وقل في تَجنّيها لكَ الذنبَ إنما ... عتابكَ من عاتبتَ فيما له عَتْبُ)
(فمن شاء رام الوصلَ أو قال ظالماً ... لذي ودّه ذنبٌ وليس له ذنبُ)
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني إبراهيم بن عبد الله السعدي عن جدته جمال بنت عون عن جدها قال قلت للنصيب أنشدني يا أبا محجن من شعرك شيئا فقال أيه تريد قلت ما شئت قال لا أنشدك أو تقترح ما تريد فقلت قولك
(... بزينبَ أَلْمِمْ قبلَ أن يرحلَ الركبُ)
قال فتبسم وقال هذا شعر قلته وأنا غلام ثم أنشدني القصيدة قال الزبير وهي أجود ما قال
توبة نصيب عن التشهير بالنساء
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا المدائني عن أبي بكر الهذلي قال حدثني أيوب بن شاس
ونسخت هذا الخبر من كتاب أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني عن أبي بكر الهذلي عن أيوب بن شاس وروايته أتم من رواية عمر بن شبة قال أيوب حدثني عبد الله بن سعيد أن النصيب دخل على عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة فقال له هيه يا أسود
(بزينب ألمم قبل أن يرحل الركبُ ... وقلْ إن تَملّينا فما ملَّكِ القلبُ)
أأنت الذي تشهر بالنساء وتقول فيهن فقال يا أمير المؤمنين إني قد تركت ذلك وتبت من قول الشعر وكان قد نسك فأثنى عليه القوم وقالوا فيه قولا جميلا فقال له أما إذ أثنى عليك القوم فسل حاجتك فقال يا أمير المؤمنين لي بنيات سويداوات أرغب بهن عن السودان ويرغب عنهن البيضان فإن رأيت أن تفرض لهن فافعل ففعل
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن شبيب عن محمد بن المؤمل بن طالوت عن أبيه عن عثمان بن الضحاك الحزامي قال خرجت على بعير لي أريد الحج فنزلت في فناء خيمة بالأبواء فإذا جارية قد خرجت من الخيمة ففتحت الباب بيديها فاستلهاني حسنها فتمثلت قول نصيب
(بزينبَ ألمم قبل أن يرحل الركبُ ... وقل إن تملّينا فما ملّكِ القلبُ)
فقالت الجارية أتعرف قائل هذا الشعر قلت نعم ذاك نصيب قالت أفتعرف زينب هذه قلت لا قالت فأنا والله زينبه وهو اليوم الذي وعدني فيه الزيارة ولعلك لا ترحل حتى تراه
فوقفت ساعة فإذا أنا براكب قد طلع فجاء حتى أناخ قريبا منها ثم نزل فسلم عليها وسلمت عليه فقلت عاشقان التقيا ولا بد أن يكون لهما حاجة فقمت إلى راحلتي فشددت عليها فقال على رسلك أنا معك فلبث ساعة ثم رحل ورحلت معه فقال لي كأنك قلت في نفسك كذا وكذا قلت قد كان ذاك فقال لا ورب الكعبة البنية المستورة ما جلست معها مجلسا قط هو أقرب من هذا
حدثني الحسن بن علي قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثني حماد بن إسحاق قال قال لي أبو ربيعة لو لم تكن هذه القصيدة
بزينبَ ألمم قبل أن يرحل الركبُ ...) لنصيب شعر من كانت تشبه فقلت شعر إمرئ القيس لأنها جزلة الكلام جيدة قال)
سبحان الله قلت ما شأنك فقال سألت أباك عن هذا فقال لي مثل ما قلت فعجبت من اتفاقكما
قال هارون وحدثني حماد عن أبيه عن عثمان بن حفص الثقفي عن رجل سماه قال أتاني منقذ الهلالي ليلة وضرب علي الباب فقلت من هذا فقال منقذ الهلالي فخرجت فزعا فقلت فيم السرى أي ما جاء بك تسري إلي ليلا في هذه الساعة قال خير أتاني أهلي بدجاجة مشوية بين رغيفين فتغذيت بها معهم ثم أتيت بقنينة نبيذ قد ألتقى طرفاها فشربت وذكرت قول نصيب
(... بزينب ألمِمْ قبل أن يَرحلَ الرّكبُ)
فأنشدتها فأطربتني وفكرت في إنسان يفهم حسن ذلك ويعرف فضله فلم أجد
غيرك فأتيتك فقلت ما جاء بك إلا هذا قال لا وأنصرف
قال حماد معنى قوله التقى طرفاها أي قد صفت وراقت فأسفلها وأعلاها سواء في الصفاء
ومما يغني فيه من قصيدة نصيب البائية المذكورة قوله
صوت
(خليليّ من كَعْبٍ ألِمّا هُدِيتُما ... بزينب لا يَفْقِدْكُمَا أبداً كعبُ
(مِنَ اليومِ زوراها فإن ركابَنا ... غداةَ غدٍ عنها وعن أهلها نُكْب)
الغناء لمالك خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو بن بانة
صوت
من المائة المختارة على رواية جحظة عن أصحابه
(والنَّشْرُ مِسكٌ والوجوهُ دنانيرٌ ... وأطرافُ الأكفّ عَنَمْ)
(والدار وَحْشٌ والرسوم كما ... رَقَّش في ظهر الأديم قَلَم)
(لستُ كأقوام خلائقُهم ... نَثُّ أحاديث وهتكُ حُرَم)
نث الحديث إشاعته والعنم شجر أحمر وقيل بل هو دود أحمر
كالأساريع يكون في البقل في أيام الربيع والأديم الجلد وجلد كل شيء أديمه ورقش زين الشعر لمرقش الأكبر والغناء لإبن عائشة هزج بالبنصر في مجراها
أخبار المرقش الأكبر ونسبه
المرقش لقب غلب عليه بقوله
(الدر وَحْشٌ والرسومُ كما ... رقّش في ظهر الأديم قَلَمْ)
وهو أحد من قال شعرا فلقب به واسمه فيما ذكر أبو عمرو الشيباني عمرو وقال غيره عوف بن سعد بن مالك بن ضبيعة

بن قيس بن ثعلبة الحصن بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل وهو أحد المتيمين
كان يهوى ابنة عمه أسماء بنت عوف بن مالك بن ضبيعة كان المرقش الأصغر ابن أخي المرقش الأكبر واسمه فيما ذكر أبو عمرو ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك
وقال غيره هو عمرو بن حرملة بن سعد بن مالك وهو أيضا أحد المتيمين كان يهوى فاطمة بنت المنذر الملك ويتشبب بها
وكان للمرقشين جميعا وقع في بكر بن وائل وحروبها مع بني تغلب وباس وشجاعة ونجدة وتقدم في المشاهد ونكاية في العدو وحسن أثر
وكان عوف بن مالك بن شبيعة عم المقرش الأكبر من فرسان بكر بن وائل
وهو القائل يوم فضة يا لبكر بن وائل أفي كل يوم فرار
ومحلوفي لا يمر بي رجل من بكر بن وائل منهزما إلا ضربته بسيفي
وبرك يقاتل فسمي البرك يومئذ وكان أخوه عمرو بن مالك أيضا من فرسان بكر وهو الذي أسر مهلهلا التقيا في خيلين من غير مزاحفة في بعض الغارات بين بكر وتغلب في موضع يقال له نقا الرمل فانهزمت خيل مهلهل وأدركه عمرو بن مالك فأسره فانطلق به إلى قومه وهم في نواحي هجر فأحسن إساره ومر عليه تاجر يبيع الخمر قدم بها من هجر وكان صديقا لمهلهل يشتري منه الخمر فأهدى إليه وهو أسير زق خمر فاجتمع إليه بنو مالك فنحروا عنده بكرا وشربوا عند مهلهل في بيته وقد أفرد له عمرو بيتا يكون فيه فلما أخذ فيهم الشراب تغنى مهلهل فيما كان يقوله من الشعر وينوح به على كليب فسمع ذلك عمرو بن مالك فقال إنه لريان والله لا يشرب ماء حتى يرد ربيب يعني جملا كان لعمرو بن مالك وكان يتناول الدهاس من أجواف هجر فيرعى فيها غبا بعد عشر في حمارة القيظ فطلبت ركبان بني مالك ربيبا وهم حراص على ألا يقتل مهلهل
فلم يقدروا على البعير حتى مات مهلهل عطشا ونحر عمرو بن مالك يومئذ نابا فأسرج جلدها على مهلهل وأخرج رأسه
وكانت بنت خال مهلهل امرأته بنت المحلل أحد بني تغلب قد أرادت أن تأتيه وهو أسير فقال يذكرها
(ظَبْيَةٌ ما ابنةُ المحلّل شَنْباءُ ... لعُوب لذيذةٌ في العِناقِ)
فلما بلغها ما هو فيه لم تأته حتى مات
فكان هبنقه القيسي أحد بني قيس بن ثعلبة واسمه يزيد بن ثروان يقول وكان محمقا وهو الذي تضرب به العرب المثل في الحمق لا يكون لي جمل أبدا إلا سميته ربيبا يعني أن ربيبا كان مباركا لقتله مهلهلا
ذكر ذلك أجمع ابن الكلبي وغيره من الرواة والقصيدة الميمية التي فيها الغناء المذكورة بذكر أخبار المرقش يقولها في مرثية ابن عم له وفيها يقول
(بل هل شجَتْك الظُّعْن باكرةً ... كأنها النخيلُ من مَلْهَم)
عشق المرقش الأكبر
قال أبو عمرو ووافقه المفضل الضبي وكان من خبر المرقش الأكبر أنه عشق ابنة عمه أسماء بنت عوف بن مالك وهو البرك عشقها وهو غلام فخطبها إلى أبيها فقال لا أزوجك حتى تعرف بالبأس وهذا قبل أن تخرج ربيعة من أرض اليمن وكان يعده فيها المواعيد
ثم انطلق مرقش إلى ملك من الملوك فكان عنده زمانا ومدحه فأجازه
وأصاب عوفا زمان شديد فأتاه رجل من مراد أحد بني غطيف فأرغبه في المال فزوجه أسماء على مائة من الإبل ثم تنحى عن بني سعد ابن مالك
ورجع مرقش فقال اخوته لا تخبروه إلا أنها ماتت فذبحوا كبشا وأكلوا لحمه ودفنوا عظامه ولفوها في ملحفة ثم قبروها
فلما قدم مرقش عليهم أخبروه أنها ماتت وأتوا به موضع القبر فنظر إليه وصار بعد ذلك يعتاده ويزوره
فبينا هو ذات يوم مضطجع وقد تغطى بثوبه وابنا أخيه يلعبان بكعبين لهما إذ اختصما في كعب فقال أحدهما هذا كعبي أعطانيه أبي من الكبش الذي دفنوه
وقالوا إذا جاء مرقش أخبرناه أنه قبر أسماء
فكشف مرقش عن رأسه ودعا الغلام وكان قد ضنى ضنا شديدا فسأله عن الحديث فأخبره به وبتزويج المرادي أسماء فدعا مرقش وليدة له ولها زوج من غفيلة كان عسيفا لمرقش فأمرها بأن تدعو له زوجها فدعته وكانت له رواحل فأمره بإحضارها ليطلب المرادي عليها فأحضره إياها فركبها ومضى في طلبه فمرض في الطريق حتى ما يحمل إلا معروضا وإنهما نزلا كهفا بأسفل نجران وهي أرض مراد ومع الغفلي امرأته وليدة مرقش فسمع مرقش زوج الوليدة يقول لها اتركيه فقد هلك سقما وهلكنا معه ضرا وجوعا
فجعلت الوليدة تبكي من ذلك فقال لها زوجها أطيعيني وإلا فإني تاركك وذاهب
قال وكان مرقش يكتب وكان أبوه دفعه وأخاه حرملة وكانا أحب ولده إليه إلى نصراني من أهل الحيرة فعلمهما الخط
فلما سمع مرقش قول الغفلي للوليدة كتب مرقش على مؤخرة الرحل هذه الأبيات
(يا صاحبيّ تلَبَّثا لا تَعجَلا ... إنّ الرواح رهينُ ألاّ تفعَلا)
(فلعلّ لُبثَكما يُفرطِ سيِّئا ... أو يَسبِق الإسراعُ سَيْباً مُقْبِلا)
(يا راكِباً إمّا عرِضتَ فبلِّغَنْ ... أنسَ بنِ سعدٍ إن لَقِيتَ وحَرْمَلا)
(للّه دَرُّكما ودَرُّ أبيكما ... إن أفلتَ العَبْدان حتى يُقتَلا)
(مَنْ مُبْلغُ الأقوام أنّ مرقِّشاً ... أضحى على الأصحاب عبئاً مُثْقِلا)
((وكأنما تردُ السباعُ بشِلْوه ... إذ غاب جمع بني ضُبَيْعة منْهلا
قال فانطلق الغفلي وامرأته حتى رجعا إلى أهلهما فقالا مات المرقش ونظر حرملة إلى الرحل وجعل يقلبه فقرأ الأبيات فدعاهما وخوفهما وأمرهما بأن يصدقاه ففعلا فقتلهما وقد كانا وصفا له الموضع
فركب في طلب المرقش حتى أتى المكان فسال عن خبره فعرف أن مرقشا كان في الكهف ولم يزل فيه حتى إذا هو بغنم تنزو على الغار الذي هو فيه وأقبل راعيها إليها
فلما بصر به قال له من أنت وما شأنك فقال له مرقش أنا رجل من مراد وقال للراعي من أنت قال راعي فلان وإذا هو راعي زوج أسماء
فقال له مرقش أتستطيع أن تكلم أسماء امرأة صاحبك قال لا ولا أدنو منها ولكن تأتيني جاريتها كل ليلة فأحلب لها عنزا

فتأتيها بلبنها فقال له خذ خاتمي هذا فإذا حلبت فألقه في اللبن فإنها ستعرفه وإنك مصيب به خيرا لم يصبه راع قط إن أنت فعلت ذلك فأخذ الراعي الخاتم
ولما راحت الجارية بالقدح وحلب لها العنز طرح الخاتم فيه فانطلقت الجارية به وتركته بين يديها
فلما سكنت الرغوة أخذته فشربته وكذلك كانت تصنع فقرع الخاتم ثنيتها فأخذته واستضاءت بالنار فعرفته فقالت للجارية ما هذا الخاتم قالت ما لي به علم فأرسلتها إلى مولاها وهو في شرف بنجران فأقبل فزعا فقال لها لم دعوتني قالت ادع عبدك راعي غنمك فدعاه فقالت سله أين وجد هذا الخاتم قال وجدته مع رجل في كهف خبان
قال ويقال كهف جبار فقال اطرحه في اللبن الذي تشربه أسماء فإنك مصيب به خيرا وما أخبرني من هو ولقد تركته بآخر رمق
فقال لها زوجها وما هذا الخاتم قالت خاتم
مرقش فأعجل الساعة في طلبه
فركب فرسه وحملها على فرس آخر وسارا حتى طرقاه من ليلتهما فاحتملاه إلى أهلهما فمات عند أسماء وقال قبل أن يموت
(سَرى ليلاً خيالٌ من سُلَيْمى ... فأرّقني وأصحابي هُجودُ)
(فبتّ أديرأمري كلّ حالٍ ... وأذكر أهلَها وهمُ بعيد)
(على أنْ قد سما طَرْفي لنارٍ ... يُشَبّ لها بذي الأرْطى وَقود)
(حَوَالَيْها مَهاً بِيضُ التّراقي ... وآرامٌ وغِزلانٌ رُقود)
(نواعمُ لا تُعالج بؤسَ عيشٍ ... أوانسُ لا تروح ولا تَرُود)
(يَرُحْن معاً بِطَاء المشي بُدّاً ... عليهنّ المجاسدُ والبُرود)
(سَكن ببلدة وسكنتُ أخرى ... وقُطّعتِ المواثقُ والعهود)
(فما بالي أفِي ويُخان عهدي ... وما بالي أُصَاد ولا أَصيدُ)
(ورُبّ أسيلة الخدّين بكرٍ ... مُنَعَّمَةٍ لها فرعٌ وجِيد)
(وذو أُشُرٍ شَتِيتُ النبتِ عذبٌ ... نقيُّ اللون بَرّاقٌ بَرود)
(لهوتُ بها زماناً في شبابي ... وزارتها النجائب والقصيد)
((أُناسٌ كلّما أخلقت وصلاً ... عناني منهمُ وصلٌ جديد
ثم مات عند أسماء فدفن في أرض مراد
وقال غير أبي عمرو والمفضل أتى رجل من مراد يقال له قرن الغزال وكان موسرا فخطب أسماء وخطبها المرقش وكان مملقا فزوجها أبوها من المرادي سرا فظهر على ذلك مرقش فقال لئن ظفرت به لأقتلنه
فلما أراد أن يهتديها خاف أهلها عليها وعلى بعلها من مرقش فتربصوا بها حتى عزب مرقش في إبله وبنى المرادي بأسماء واحتملها إلى بلده
فلما رجع مرقش إلى الحي رأى غلاما يتعرق عظما فقال له يا غلام ما حدث بعدي في الحي وأوجس في صدره خيفة لما كان فقال الغلام اهتدى المرادي امرأته أسماء بنت عوف
فرجع المرقش إلى حية فلبس لأمته وركب فرسه الأغر واتبع آثار القوم يريد قتل المرادي
فلما طلع لهم قالوا للمرادي هذا مرقش وإن لقيك فنفسك دون نفسه
وقالوا لأسماء إنه سيمر عليك فأطلعي راسك إليه واسفري فإنه لا يرميك ولا يضرك ويلهو بحديثك عن طلب بعلك حتى يلحقه إخوته فيردوه
وقالوا للمرادي تقدم فتقدم وجاءهم مرقش فلما حاذاهم أطلعت أسماء من خدرها ونادته فغض من فرسه وسار بقربها حتى أدركه أخواه أنس وحرملة فعذلاه ورداه عن القوم ومضى بها المرادي فألحقها بحية وضني مرقش لفراق أسماء فقال في ذلك
((أَمِنْ آلِ أسماءَ الرسومُ الدَّوارسُ ... تُخطِّط فيها الطيرُ قَفْرٌ بَسابسُ
وهي قصيدة طويلة وقال في أسماء ايضا
(أغالِبُكَ القلبُ اللَّجوجُ صبابةً ... وشوقاً إلى أسماءَ أم أنت غالبُهْ)
(يَهيم ولا يعيا بأسماءَ قلبُه ... كذاك الهوى إمرارهُ وعَوَاقِبُه)
(أيُلْحَى امرؤٌ في حبّ أسماءَ قد نأى ... بغَمْزٍ من الواشين وازوَرّ جانبه)
(وأسماءُ هَمُّ النفس إن كنتَ عالماً ... وبادي أحاديث الفؤادِ وغائبه)
(إذا ذكرَتْها النفسُ ظَلْتُ كأنني ... يُزعزعني قَفْقاف وِرْد وصالبُه)
وقال أبو عمرو وقع المجالد بن ريان ببني تغلب بجمران فنكى فيهم وأصاب مالا وأسرى وكان معه المرقش الأكبر فقال المرقش في ذلك
(أتتني لسانُ بني عامرٍ ... فجَلّى أحاديثُها عن بَصَرْ)
(بأنّ بني الوَخْم ساروا معا ... بجيشٍ كضوءِ نجوم السّحَر)
(بكلّ خَبُوبِ السُّرَى نَهْدَةٍ ... وكل كُمَيْتٍ طُوالٍ أغرّ)
(فما شَعَر الحيُّ حتى رأوْا ... بريق القَوَانِس فوقَ الغُرَر)
((فأقبلنَهم ثم أدبرنهم ... وأصدرنهم قبلَ حين الصَّدَر
(فيا رُبَّ شِلْوٍ تَخَطْرَفْنه ... كريمٍ لَدَى مَزْحَف أو مَكَرّ)
(وكائن بجُمْرانَ من مُزْعَف ... ومن رجلٍ وجهُه قد عُفِر)
وأما المرقش الأصغر
فهو على ما ذكر أبو عمرو ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة
والمرقش الأكبر عم الأصغر والأصغر عم طرفة بن العبد
قال أبو عمرو والمرقش الأصغر أشعر المرقشين وأطولهما عمرا وهو الذي عشق فاطمة بنت المنذر وكانت لها وليدة يقال لها بنت عجلان وكان لها قصر بكاظمة وعليه حرس

وكان الحرس يجرون كل ليلة حوله الثياب فلا يطؤه أحد إلا بنت عجلان
وكان لبنت عجلان في كل ليلة رجل من أهل الماء يبيت عندها فقال عمرو بن جناب بن مالك لمرقش إن بنت عجلان تأخذ كل عشية رجلا ممن يعجبها فيبيت معها
وكان مرقش ترعية لا يفارق إبله فأقام بالماء وترك إبله ظمأى وكان من أجمل الناس وجها وأحسنهم شعرا وكانت فاطمة بنت المنذر تقعد فوق القصر فتنظر إلى الناس
فجاء مرقش فبات عند ابنة عجلان حتى إذا كان من الغد تجردت عند مولاتها فقالت لها ما هذا بفخذيك وإذا نكت كأنها التين وكآثار السياط من شدة حفزه إياها عند الجماع قالت اثار رجل بات معي الليلة
وقد كانت فاطمة قالت لها لقد رأيت رجلا جميلا راح نحونا بالعشية لم أره قبل ذلك قالت فإنه فتى قعد عن إبله وكان يرعاها وهو الفتى الجميل الذي
رأيته وهو الذي بات معي فأثر في هذه الآثار
قالت لها فاطمة فإذا كان غد وأتاك فقدمي له مجمرا ومريه أن يجلس عليه وأعطيه سواكا فإن استاك به أو رده فلا خير فيه وإن قعد على المجمر أو رده فلا خير فيه
فأتته بالمجمر فقالت له اقعد عليه فأبى وقال أدنيه مني فدخن لحيته وجمته وأبى أن يقعد عليه وأخذ السواك فقطع رأسه واستاك به
فأتت ابنة عجلان فاطمة فأخبرتها بما صنع فازدادت به عجبا وقالت أئتيني به
فتعلقت به كما كانت تتعلق فمضى معها وانصرف أصحابه
فقال القوم حين انصرفوا لشد ما علقت بنت عجلان المرقش وكان الحرس ينثرون التراب حول قبة فاطمة بنت المنذر ويجرون عليه ثوبا حين تمسي ويحرسونها فلا يدخل عليه إلا ابنة عجلان فإذا كان الغد بعث الملك بالقافة فينظرون أثر من دخل إليها ويعودون فيقولون له لم نر إلا أثر بنت عجلان
فلما كانت تلك الليلة حملت بنت عجلان مرقشا على ظهرها وحزمته إلى بطنها بثوب وأدخلته إليها فبات معها
فلما أصبح بعث الملك القافة فنظروا وعادوا إليه فقالوا نظرنا أثر بنت عجلان وهي مثقلة فلبث بذلك حينا يدخل إليها
فكان عمرو بن جناب بن عوف بن مالك يرى ما يفعل ولا يعرف مذهبه فقال له ألم تكن عاهدتني عهدا لا تكتمني شيئا ولا أكتمك ولا نتكاذب فأخبره مرقش الخبر فقال له لا أرضى عنك ولا أكلمك أبدا أو تدخلني عليها وحلف على ذلك
فانطلق المرقش إلى المكان الذي كان يواعد فيه بنت عجلان فأجلسه فيه وانصرف وأخبره كيف يصنع وكانا متشابهين غير أن عمرو بن جناب كان أشعر فأتته بنت عجلان فاحتملته وأدخلته إليها وصنع ما أمره به مرقش
فلما أراد مباشرتها وجدت شعر فخذيه فاستنكرته وإذا هو يرعد فدفعته بقدمها في صدره وقالت قبح الله سرا عند المعيدي
ودعت بنت عجلان فذهبت به وانطلق
إلى موضع صاحبه فلما رآه قد أسرع الكرة ولم يلبث إلا قليلا علم أنه قد افتضح فعض على إصبعه فقطعها
ثم انطلق إلى أهله وترك المال الذي كان فيه يعني الإبل التي كان مقيما فيها حياء مما صنع وقال مرقش في ذلك
(ألاَ يا اسلمى لا صُرمَ لي اليومِ فاطماً ... ولا أبداً ما دام وصلُكِ دائماً)
(رمتكَ ابنةُ البَكْريّ عن فرع ضَالّةٍ ... وهُنّ بنا خُوصٌ يُخَلْنَ نعائما)
(تراءت لنا يوم الرحيل بِواردٍ ... وعذبِ الثنايا لم يكن متراكما)
(سقاه حَباب المُزن في متكلل ... من الشمس روّاه ربابا سَوَاجِما)
(أرَتْكَ بذات الضّالِ منها معاصماً ... وخدّاً أسيلا كالوذِيلة ناعما)
(صحا قلبُه عنها على أنّ ذِكرةً ... إذا خطَرت دارت به الأرضُ قائما)
(تَبَصَّرْ خليلي هل ترى من ظَعائن ... خَرجْن سِراعاً واقتعدنَ المفائما)
(تحمّلن من جوّ الوَريعة بعد ما ... تعالى النهارُ وانتجعن الصَّرائما)
(تَحلَّين ياقوتا وشَذْرا وِصِيغة ... وجَزْعا ظَفارِيّاً ودُرّاً تَوَائما)
(سلكن القُرَى والجِزعَ تُحدَى جِمالُها ... وورّكن قَوّاً واجتزعن المخارما)
((ألا حبّذا وجهٌ تُريك بياضَه ... ومُنْسَدِلاتٌ كالمثاني فواحما)
(وإني لأستحيي فُطَيْمة جائعاً ... خميصاً وأستحيي فُطَيمة طاعما)
(وإني لأستحييك والخَرْق بيننا ... مخافةَ أن تَلْقَى أخاً لي صارما)
(وإني وإن كلّت قَلُوصي لَرَاجِمٌ ... بها وبنفسي يا فطَيمَ المَرَاجما)
(ألاَ يا اسلمى بالكوكب الطَّلْق فاطماَ ... وإن لم يكن صَرْفُ النوى متلائما)
(ألاَ يا اسلمى ثم اعلمي أنّ حاجتي ... إليك فرُدّي من نوالك فاطما)
(أفاطمَ لو أنّ انساء ببلدةٍ ... وأنت بأُخرى لابتغيتك هائما)
(متى ما يشأْ ذو الودِ يُصرِمْ خليلَه ... ويَغْضَبْ عليه لا محالة ظالما)
(وآلَى جَنَابٌ حِلفةً فأطعتَه ... فنفسك ولِّ اللّوْمَ إن كنت نادما)
(فمن يلقَ خيراً يَحمدِ الناسُ أمرَه ... ومن يَغْو لا يعدَم على الغَيِّ لائما)
(ألم تر أنّ المرء يَجْذِمُ كفّه ... ويَجْشَمُ من لوم الصديق المَجَاشما)
(أمن حُلُم أصبحتَ تَنكُت واجما ... وقد تعتري الأحلامُ من كان نائما)
صوت
من المائة المختارة
(إذا قلتُ تَسلْو النفسُ أو تنتهي المُنَى ... أبَى القلبُ إلاّ حبَّ أُمِّ حَكيم)
(مُنعَّمة صَفْراء حُلْوٌ دلالُها ... أَبِيتُ بها بعدَ الهُدُوِء أهِيم)
((قَطُوفُ الخُطَا مَحْطوطةُ المَتْنِ زانها ... مع الحُسن خَلْقٌ في الجَمَال عَمِيم
الشعر مختلف في قائله فمن الرواة من يرويه لصالح بن عبد الله العبشمي ومنهم من يرويه لقطري بن الفجاءة المازني ومنهم من يرويه لعبيدة بن هلال اليشكري

والغناء لسياط وله فيه لحنان أحدهما وهو المختار ثقيل أول بالوسطى والآخر خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق
ولبعض الشراة قصيدة في هذا الوزن وعلى هذه القافية وفيها ذكر لأم حكيم هذه أيضا تنسب إلى هؤلاء الشعراء الثلاثة ويختلف في قائلها كالإختلاف في قائل هذه وفيها أيضا غناء وهو في هذه الأبيات منها
(لَعَمْرُكَ إنّي في الحياة لزاهدٌ ... وفي العيش ما لم ألْقَ أُمَّ حكيم)
(ولو شهدتني يومَ دولاب أبصرَتْ ... طِعانَ فتىً في الحرب غير ذَميم)
ذكر المبرد أن الشعر لقطري بن الفجاءة وذكر الهيثم بن عدي أنه لعمرو القنا وذكر وهب بن جرير أنه لحبيب بن سهم التميمي وذكر أبو مخنف أنه لعبيدة بن هلال اليشكري وذكر خالد بن خداش أنه لعمرو القنا أيضا
والغناء لمعبد ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس
خبر الوقعة التي قيل فيها هذان الشعران وهي وقعة دولاب وشيء من أخبار هؤلاء الشراة وأنسابهم وخبر أم حكيم هذه
هذان الشعران قيلا في وقعة دولاب وهي قرية من عمل الأهواز بينها وبين الأهواز نحو من أربعة فراسخ كانت بها حرب بين الأزارقة وبين مسلم بن عبيس بن كريز خليفة عبد الله بن الحارث بن نوفل بن عبد المطلب وذلك في أيام ابن الزبير أخبرني بخبر هذه الحرب أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن عمر بن شبة عن المدائني وأخبرني بها عبيد الله بن محمد الرازي عن الخراز عن المدائني وأخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن زهير بن حرب عن خالد بن خداش أن نافع بن الأزرق لما تفرقت آراء الخوارج ومذاهبهم في أصول مقالتهم أقام بسوق الأهواز وأعمالها لا يعترض الناس وقد كان متشككا في ذلك
فقالت له امرأته إن كنت قد كفرت بعد إيمانك وشككت فيه فدع نحلتك ودعوتك وإن كنت قد خرجت من الكفر إلى الإيمان فاقتل الكفار حيث لقيتهم وأثخن في النساء والصبيان كما قال نوح لا تذر على الارض من الكافرين ديارا
فقبل قولها واستعرض الناس وبسط سيفه فقتل الرجال والنساء والولدان وجعل يقول إن هؤلاء إذا كبروا كانوا مثل آبائهم وإذا وطىء بلدا فعل مثل هذا به
إلى أن يجيبه أهله جميعا ويدخلوا ملته فيرفع السيف ويضع الجباية فيجبى الخراج
فعظم أمره واشتدت شوكته وفشا عماله في السواد
فارتاع لذلك أهل البصرة ومشوا إلى الأحنف بن قيس فشكوا إليه أمرهم وقالوا له ليس بيننا وبين القوم إلا ليلتان وسيرتهم كما ترى فقال لهم الأحنف إن سيرتهم في مصركم إن ظفروا به مثل سيرتهم في سوادكم فخذوا في جهاد عدوكم
وحرضهم الأحنف فاجتمع إليه عشرة آلاف رجل في السلاح فأتاه عبد الله بن الحارث بن نوفل وسأله أن يؤمر عليهم أميرا فاختار لهم مسلم بن عبيس بن كريز بن ربيعة وكان فارسا شجاعا دينا فأمره عليهم وشيعه
فلما نفذ من جسر البصرة أقبل على الناس وقال إني ما خرجت لإمتيار ذهب ولا فضة وإني لأحارب قوما إن ظفرت بهم فما رواءهم إلا سيوفهم ورماحهم
فمن كان من شأنه الجهاد فلينهض ومن أحب الحياة فليرجع فرجع نفر يسير ومضى الباقون معه فلما صاروا بدولاب خرج إليهم نافع بن الأزرق فاقتتلوا قتالا شديدا حتى تكسرت الرماح وعقرت الخيل وكثرت الجراح والقتلى وتضاربوا بالسيوف والعمد فقتل في المعركة ابن عبيس وهو على أهل البصرة وذلك في جمادى الآخرة سنة خمس وستين وقتل نافع بن الأزرق يومئذ أيضا فعجب الناس من ذلك وأن الفريقين تصابروا حتى قتل منهم خلق كثير وقتل رئيسا العسكرين والشراة يومئذ ستمائة رجل فكانت الحدة يومئذ وباس الشراة واقعا ببني تميم وبني سدوس
وأتى ابن عبيس وهو يجود بنفسه فاستخلف على الناس الربيع بن عمرو الغداني وكان يقال له الأجذم كانت يده أصيبت بكابل مع عبد الرحمن بن سمرة
واستخلف نافع بن الأزرق عبيد
الله بن بشير بن الماحوز أحد بني سليط بن يربوع
فكان رئيسا المسلمين والخوراج جميعا من بني يربوع رئيس المسلمين من بني غدانة بن يربوع ورئيس الشراة من بني سليط بن يربوع فاتصلت الحرب بينهم عشرين يوما
قال المدائني في خبره وادعى قتل نافع بن الأزرق رجل من باهلة يقال له سلامة وتحدث بعد ذلك قال كنت لما قتلته على برذون لورد فإذا أنا برجل ينادي وأنا واقف في خمس بني تميم فإذا به يعرض علي المبارزة فتغافلت عنه وجعل يطلبني وأنا أنتقل من خمس إلى خمس وليس يزايلني فصرت إلى رحلي ثم رجعت فدعاني إلى المبارزة فلما أكثر خرجت إليه فاختلفنا ضربتين فضربته فصرعته ونزلت فأخذت رأسه وسلبته فإذا امرأة قد رأتني حين قتلت نافعا فخرجت لتثأر به
قالوا فلما قتل نافع وابن عبيس وولي الجيش إلى ربيع بن عمرو لم يزل يقاتل الشراة نيفا وعشرين يوما ثم أصبح ذات يوم فقال لأصحابه إني مقتول لا محالة قالوا وكيف ذلك قال إني رايت البارحة كأن يدي التي أصيبت بكابل انحطت من السماء فاستشلتني
فلما كان الغد قاتل إلى الليل ثم غاداهم فقتل يومئذ قال استشلاه أخذه إليه يقال أستشلاه واشتلاه قال فلما قتل الربيع تدافع أهل البصرة الراية حتى خافوا العطب إذ لم يكن لهم رئيس
ثم أجمعوا على الحجاج بن باب الحميري
وقد اقتتل الناس يومئذ وقبله بيومين قتالا شديدا لم يقتتلوا مثله تطاعنوا بالرماح حتى تقصفت ثم تضاربوا بالسيوف والعمد حتى لم يبق لأحد منهم قوة وحتى كان الرجل منهم يضرب الرجل فلا يغني شيئا من الإعياء وحتى كانوا يترامون بالحجارة ويتكادمون بالأفواه
فلما تدافع القوم الراية وأبوها واتفقوا على الحجاج بن باب امتنع من أخذها فقال له كريب بن عبد الرحمن خذها فإنها مكرمة فقال إنها لراية مشؤومة ما أخذها أحد إلا قتل
فقال له كريب يا أعور تقارعت العرب على أمرها ثم صيروها إليك فتأبى خوف القتل خذ اللواء ويحك فإن حضر أجلك قتلت إن كانت معك أو لم تكن
فأخذ اللواء وناهضهم فاقتتلوا حتى انتقضت الصفوف وصاروا كراديس والخوارج أقوى عدة بالدروع والجواشن

وجعل الحجاج يغمض عينيه ويحمل حتى يغيب في الشراة ويطعن فيهم ويقتل حتى يظن أنه قد قتل ثم يرفع راسه وسيفه يقطر دما ويفتح عينيه فيرى الناس كراديس يقاتل كل قوم في ناحية
ثم التقى الحجاج بن باب وعمران بن الحارث الراسبي فاختلفا ضربتين كل واحد منهما قتل صاحبه وجال الناس بينهما جولة ثم تحاجزوا وأصبح أهل البصرة وقد هرب عامتهم وولوا حارثة بن بدر الغداني أمرهم ليس بهم طرق ولا بالخوارج
فقالت امرأة من الشراة وهي أم عمران قاتل الحجاج بن باب وقتيله ترثي ابنها عمران
(أللّهُ أيَّد عِمْراناً وطَهَّره ... وكان عمرانُ يدعو اللهَ في السَّحَر)
(يدعوه سِرّاً وإعلاناً ليرزقَه ... شهادةً بيدَيْ مِلْحادة غُدر)
(ولّى صحابتُه عن حَرّ مَلْحمةٍ ... وشدّ عِمْرانُ كالضِّرغامة الذكر)
قال فلما عقدوا لحارثة بن بدر الرياسة وسلموا إليه الراية نادى فيهم بأن يثبتوا فإذا فتح الله عليهم فللعرب زيادة فريضتين وللموالي زيادة فريضة فندب الناس فآلتقوا وليس بأحد منهم طرق وقد فشت فيهم الجراحات فلهم أنين وما تطأ الخيل إلا على القتلى
فبينما هم كذلك إذ أقبل من اليمامة جمع من الشراة يقول المكثر إنهم مائتان والمقلل إنهم أربعون فاجتموا وهم يريحون مع أصحابهم واجتمعوا كبكبة واحدة فحملوا على المسلمين
فلما رآهم حارثة بن بدر نكص برايته فانهزم وقال
(كَرْنبوا ودَوْلِبوا ... وحيثُ شئتم فاذهبُوا)
وقال
(أيرُ الحمار فريضةٌ لعبيدكم ... والخُصيتان فريضة الأعراب)
وتتابع الناس على أثره منهزمين وتبعتهم الخوارج فألقوا أنفسهم في دجيل فغرق منهم خلق كثير وسلمت بقيتهم وكان ممن غرق دغفل بن حنظلة أحد بني عمرو بن شيبان ولحقت قطعة من الشراة خيل عبد القيس فأكبوا عليهم فعطفت عليهم خيل من بني تميم فعاونوهم وقاتلوا الشراة حتى كشفوهم وانصرفوا إلى أصحابهم
وعبرت بقية الناس فصار حارثة ومن معه بنهر تيري والشراة بالأهواز فأقاموا ثلاثة أيام وكان على الأزد يومئذ قبيصة بن أبي صفرة أخو المهلب وهو جد هزارمرد
قال وغرق يومئذ من الأزد عدد كثير فقال شاعر الأزراقة
(يَرَى مَنْ جاء ينظر من دُجَيْلٍ ... شيوخَ الأَزْد طافيةً لِحَاها)
وقال شاعر آخر منهم
(شَمِتَ ابنُ بدر والحوادث جمة ... والظالمون بنافع بن الأزرق)
(والموت حَتْمٌ لا محالةَ واقعٌ ... مَنْ لا يُصبِّحْهُ نهاراً يَطْرُق)
(فلئن أميرَ المؤمنين أصابه ... ريبُ المنون فَمنْ تُصِبْه يَغْلَق)
قال قطري بن الفجاءة فيما ذكر المبرد وقال المدائني في خبره إن صالح بن عبد الله العبشمي قائل ذلك وقال خالد بن خداش بل قائلها عمرو القنا قال وهب بن جرير عن أبيه فيما حدثني به أحمد بن الجعد الوشاء عن أحمد بن أبي خيثمة عن أبيه عن وهب بن جرير عن أبيه إن حبيب بن سهم قائلها
(لعمرُك إنّي في الحياة لزاهدٌ ... وفي العيش ما لم ألْقَ أُمَّ حَكيم)
(مِنَ الخَفَرات البِيضِ لم أرَ مثلَها ... شِفاءً لِذِي بَثٍّ ولا لِسَقيم)
(لعمرُكَ إني يومَ ألْطِمِ وجهَها ... على نائبات الدهر غيرُ حليم)
(ولو شَهِدتْني يوم دولاب أبصرتْ ... طِعانَ فتىً في الحرب غيرِ لئيم)
(غَدَاةَ طَفَتْ عَلماءِ بكرُ بن وائل ... وألاَّفُها مِنْ حِمْيَر وسَلِيم)
(ومالَ الحجازيُّون نحوَ بلادهم ... وعُجْنا صدورَ الخيل نحو تَميم)
(وكان لعبد القَيْس أوّلُ جِدِّها ... وولّت شيوخُ الأَزْد فهي تَعُوم)
(فلم أرَ يوماً كان أكثَرَ مُقْعَصاً ... يَمُجّ دماً من فائظٍ وكَلِيم)
(وضاربةً خدّاً كريماً على فتىً ... أغرَّ نجيبِ الأمهاتِ كَرِيم)
(أصيبَ بدُولابٍ ولم تكُ موطناً ... له أرضُ دولابٍ ودَيْرُ حَمِيم)
(فلو شَهِدتنا يومَ ذاك وخيلُنا ... تُبيح من الكُفّار كلَّ حريم)
(رأت فتيةً باعوا الإلهَ نفوسَهم ... بجنّات عَدْنٍ عنده ونَعيم)
حدثني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا خلاد الأرقط قال كان الشراة والمسلمون يتواقفون ويتساءلون بينهم عن أمر الدين وغير ذلك على أمان وسكون فلا يهيج بعضهم بعضا
فتوافق يوما عبيدة بن هلال اليشكري وأبو حزابة التميمي وهما في الحرب فقال عبيدة يا أبا حزابة إني سائلك عن أشياء افتصدقني في الجواب عنها قال نعم إن تضمنت لي مثل ذلك قال قد فعلت
قال سل عما بدا لك قال ما تقول في أئمتكم قال يبيحون الدم الحرام والمال الحرام والفرج الحرام
قال ويحك فكيف فعلهم في المال قال يجبونه من غير حلة وينفقونه في غير حقه قال فكيف فعلهم في اليتيم قال يظلمونه ماله ويمنعونه حقه وينيكون أمه قال ويلك يا أبا حزابة أفمثل هؤلاء تتبع قال قد أجبت فاسمع سؤالي ودع عنك عتابي على رأيي قال قل
قال أي الخمر أطيب أخمر السهل أم خمر الجبل قال ويلك أتسأل مثلي عن هذا قال قد أوجبت على نفسك أن تجيب قال أما إذ أبيت فإن خمر الجبل أقوى وأسكر وخمر السهل أحسن وأسلس
قال أبو حزابة فأي الزواني أفره أزواني رامهرمز أم زواني أرجان قال ويلك إن مثلي لا يسأل عن مثل هذا
قال لا بد من الجواب أو تغدر فقال أما إذ أبيت فزواني رامهرمز أرق أبشارا وزواني أرجان أحسن أبدانا
قال فأي الرجلين أشعر أجرير أم الفرزدق قال عليك وعليهما لعنة الله أيهما الذي يقول
(وطَوى الطِّرادُ مع القِياد بطونَها ... طيَّ التِّجار بحَضْرَمَوْتَ بُرُودَا)
قال جرير قال فهو أشعرهما قال وكان الناس قد تجاذبوا في أمر جرير والفرزدق حتى تواثبوا وصاروا إلى المهلب محكمين له في ذلك فقال أردتم أن أحكم بين هذين الكلبين المتهارشين فيمتضغاني ما كنت لأحكم بينهما ولكني أدلكم على من

يحكم بينهما ثم يهون عليه سبابهما عليكم بالشراة فسيلوهم إذا توافقتم
فلما توافقوا سأل أبو حزابة عبيدة بن هلال عن ذلك فأجابه بهذا الجواب
أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال حدثت أن امرأة من الخوارج كانت مع قطري بن الفجاءة يقال لها أم حكيم وكان من أشجع الناس وأجملهم وجها وأحسنهم بدينهم تمسكا وخطبها جماعة منهم فردتهم ولم تجب إلى ذلك فأخبرني من شهدها أنها كانت تحمل على الناس وترتجز
(أحمِلُ رأساً قد سئمتُ حَمْلَهْ ... وقد مَلِلْت دَهْنَه وغسلَهْ)
(... ألاَ فتىً يحمل عنّي ثِقْلَه)
قال وهم يفدونها بالآباء والأمهات فما رأيت قبلها ولا بعدها مثلها
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثنا
العمري عن الهيثم بن عدي قال كان عبيدة بن هلال إذا تكاف الناس ناداهم ليخرج إلي بعضكم فيخرج إليه فتيان من العسكر فيقول لهم أيما أحب إليكم أقرأ عليكم القرآن أو أنشدكم الشعر فيقولون له أما القرآن فقد عرفناه مثل معرفتك فأنشدنا فيقول لهم يا فسقة والله قد علمت أنكم تختارون الشعر على القرآن ثم لا يزال ينشدهم ويستنشدهم حتى يملوا ثم يفترقون

أخبار سياط ونسبه

سياط لقب غلب عليه واسمه عبد الله بن وهب ويكنى أبا وهب مكي مولى خزاعة
وكان مقدما في الغناء رواية وصنعة ومقدما في الضرب معدودا في الضراب
وهو أستاذ ابن جامع وإبراهيم الموصلي وعنه أخذا ونقلا ونقل نظراؤهما الغناء القديم وأخذه هو عن يونس الكاتب
وكان سياط زوج أم ابن جامع وفيه يقول بعض الشعراء
(ما سمعتُ الغناء إلاّ شجَاني ... مِنْ سياطٍ وزادَ في وَسْواسِي)
(غَنِّني يا سياطُ قد ذهب الليل ... غناءً يَطير منه نُعاسي)
(ما أُبالي إذا سمعتُ غناءً ... لسياطٍ ما فاتني للرُّؤاسي)
والرؤاسي الذي عناه هو عباس بن منقار وهو من بني رؤاس وفيه يقول محمد بن أبان الضبي
(إذا واخيتَ عبَاساً ... فكن منه على وَجَل)
(فتىً لا يقبل العذرَ ... ولا يرغب في الوصل)
((وما إن يتغنّى مَنْ ... يُواخيه من النُّبْل)
قال حماد بن إسحاق لقب سياط هذا اللقب لأنه كان كثيرا ما يتغنى
(كأنّ مَزَاحِفَ الحيّاتِ فيه ... قُبيلَ الصبح آثارُ السِّيَاطِ)
وأخبرني محمد بن خلف قال حدثني هارون بن مخارق عن أبيه وأخبرني به عبد الله بن عباس بن الفضل بن الربيع عن وسواسة الموصلي ولم أسمع أنا هذا الخبر من وسواسة عن حماد عن أبيه قالا غنى إبراهيم الموصلي يوما صوتا لسياط فقال له ابنه إسحاق لمن هذا الغناء يا أبت قال لمن لو عاش ما وجد أبوك شيئا يأكله لسياط
قال وقال المهدي يوما وهو يشرب لسلام الأبرش جئني بسياط وعقاب وحبال فارتاع كل من حضر وظن جميعهم أنه يريد الإيقاع بهم أو ببعضهم فجاءه بسياط المغني وعقاب المدني وكان الذي يوقع عليه وحبال الزامر
فجعل الجلساء يشتمونهم والمهدي يضحك
سياط وأبو ريحانة المدني
أخبرني محمد بن خلف قال حدثني أبو أيوب المدني قال حدثني حماد ابن إسحاق عن أبيه قال مر سياط على أبي ريحانة المدني في يوم بارد وهو جالس في الشمس وعليه ثوب رقيق رث فوثب إليه أبو ريحانة وقال بابي أنت يا أبا وهب غنني صوتك في شعر ابن جندب
(فؤادي رهينٌ في هواك ومهجتي ... تذوب وأجفاني عليك هُمولُ)
فغناه إياه فشق قميصه ورجع إلى موضعه من الشمس وقد ازداد بردا وجهدا
فقال له رجل ما أغنى عنك ما غناك من شق قميصك فقال له يا ابن أخي إن الشعر الحسن من المغني الحسن ذي الصوت المطرب أدفأ للمقرور من حمام محمى
فقال له رجل أنت عندي من الذين قال الله جل وعز (فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) فقال بل أنا من الذين قال تبارك وتعالى (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) وقد أخبرني بهذا الخبر علي بن عبد العزيز عن ابن خرداذبه فذكر قريبا من هذا ولفظ أبي أيوب وخبره أتم
وأخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي المعروف بابن أبي اليسع قال حدثنا عمر بن شبة أن سياطا مر بأبي ريحانة المدني فقال له بحق القبر ومن فيه غنني بلحنك في شعر ابن جندب
(لكلّ حَمامٍ أنت باكٍ إذا بكى ... ودمعُك منهلٌّ وقلبك يخفِقُ)
(مخافةَ بُعْدٍ بَعْدَ قُرْبٍ وهجرةٍ ... تكون ولمّا تأتِ والقلبُ مُشْفِق)
(ولي مهجةٌ ترفضُّ من خوف عَتْبها ... وقلبٌ بنار الحبّ يَصْلَى ويُحْرَق)
(أظلُّ خَلِيعا بين أهلي ميتَّماً ... وقلبي لِما يرجوه منها معلّق)
فغناه إياه فلما استوفاه ضرب بيده على قميصه فشقه حتى خرج منه وغشي عليه
فقال له رجل لما أفاق يا أبا ريحانة ما أغنى عنك الغناء ثم ذكر باقي الخبر
أخبرني إسماعيل قال حدثني عمر بن شبة قال مرت جارية بأبي ريحانة يوما على ظهرها قربة وهي تغني وتقول
((وأبكي فلا ليلَى بكتْ من صبابةٍ ... إليّ ولا ليلَى لذي الودِّ تبذُلُ
(وأخنع بالعُتْبَى إذا كنتُ مُذنِباً ... وإن أذنبت كنتُ الذي أتنصّل)
فقام إليها فقال يا سيدتي أعيدي فقالت مولاتي تنتظرني والقربة على ظهري فقال أنا أحملها عنك فدفعتها إليه فحملها وغنته الصوت فطرب فرمى بالقربة فشقها
فقالت له الجارية أمن حقي أن أغنيك وتشق قربتي فقال لها لا عليك تعالي معي إلى السوق فجاءت معه فباع ملحفته واشترى لها بثمنها قربة جديدة

فقال له رجل يا أبا ريحانة أنت والله كما قال الله عز وجل (فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) فقال بل أنا كما قال الله (يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثني أبو العيناء قال قال إسحاق الموصلي بلغني أن أبا ريحانة المدني كان جالسا في يوم شديد البرد وعليه قميص خلق رقيق فمر به سياط المغني فوثب إليه وأخذ بلجامه وقال له يا سيدي بحق القبر ومن فيه غنني صوت ابن جندب فغناه
(فؤادي رهينٌ في هَواك ومُهجتي ... تَذُوب وأجفاني عليك هُمولُ)
فشق قميصه حتى خرج منه وبقي عاريا وغشي عليه واجتمع الناس حوله وسياط واقف متعجب مما فعل
ثم أفاق وقام إليه فرحمه سياط وقال له مالك يا مشؤوم أي شيء تريد قال غنني بالله عليك
((وَدِّعْ أُمامةَ حان منكَ رَحِيلُ ... إنّ الوداع لمن تحبّ قليلُ
(مثلُ القَضيب تمايلتْ أعطافُه)
(فالريح تجذِب مَتْنه فيَميل)
(إنْ كان شأنكُم الدلال فإنه ... حَسَنٌ دلالكِ يا أميمَ جَميل)
فغناه إياه فلطم وجهه ثم خرج الدم من أنفه ووقع صريعا
ومضى سياط وحمل الناس أبا ريحانة إلى الشمس فلما أفاق قيل له ويحك خرقت قميصك وليس لك غيره فقال دعوني فإن الغناء الحسن من المغني المطرب أدفأ للمقرور من حمام المهدي إذا أوقد سبعة أيام
قال ووجه له سياط بقميص وجبة وسراويل وعمامة
سياط يوصي بالمحافظة على غنائه
أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني أبو أيوب المدني قال حدثني محمد بن عبد الله الخزاعي وحماد بن إسحاق جميعا عن إسحاق قال كان سياط أستاذ أبي وأستاذ ابن جامع ومن كان في ذلك العصر
فاعتل علة فجاءه أبي وابن جامع يعودانه فقال له أبي أعزز علي بعلتك أبا وهب ولو كانت مما يفتدى لفديتك منها
قال كيف كنت لكم قلنا نعم الأستاذ والسيد قال قد غنيت لنفسي ستين صوتا فأحب ألا تغيروها ولا تنتحلوها فقال له أبي أفعل ذلك يا أبا وهب ولكن أي ذلك كرهت أن يكون في غنائك فضل فأقصر عنه فيعرف فضلك علي فيه أو أن يكون فيه نقص فأحسنه فينسب إحساني إليك ويأخذه الناس عني لك قال لقد استعفيت من غير مكروه
قال الخزاعي في خبره ثم قال لي إسحاق كان سياط خزاعيا وكان له زامر يقال له حبال وضارب يقال له عقاب
قال حماد قال أبي أدركت أربعة كانوا أحسن الناس غناء سياط أحدهم قال وكان موته في أول أيام موسى الهادي
أخبرني يحيى قال حدثنا أبو أيوب عن مصعب قال دخل ابن جامع على سياط وقد نزل به الموت فقال له ألك حاجة فقال نعم لا تزد في غنائي شيئا ولا تنقص منه دعه رأسا برأس فإنما هو ثمانية عشر صوتا
أخبرنا محمد بن مزيد قال حدثنا حماد قال حدثني محمد بن حديد أخو النضر بن حديد أن إخوانا لسياط دعوه فأقام عندهم وبات فأصبحوا فوجدوه ميتا في منزلهم فجاؤوا إلى أمه وقالوا يا هذه إنا دعونا إبنك لنكرمه ونسر به ويأنس بقربه فمات فجأة وها نحن بين يديك فاحتكمي ما شئت ونشدناك الله ألا تعرضينا للسلطان أو تدعي فيه علينا ما لم نفعله فقلت ما كنت لأفعل وقد صدقتم وهكذا مات أبوه فجأة قال فجاءت معنا فحملته إلى منزلها فأصلحت أمره ودفنته
وقد ذكرت هذه القصة بعينها في وفاة نبيه المغني وخبره في ذلك يذكر مع أخباره إن شاء الله تعالى
أخبرنا يحيى بن علي وعيسى بن الحسين الزيات واللفظ له قالا حدثنا أبو أيوب قال حدثنا أحمد بن المكي قال غنيت إبراهيم بن المهدي لسياط
(... ضاف قلبي الهوى فأكثر سهْوي)
فاستحسنه جدا وقال لي ممن أخذته قلت من جارية أبيك قرشية الزباء فقال أشعرت أنه كان لأبي ثلاث جوار محسنات كلهن تسمى قرشية منهن قرشية الزباء وقرشية السوداء وقرشية البيضاء وكانت الزباء أحسنهن غناء يعني التي أخذت منها هذا الصوت قال وكنت أسمعها كثيرا تقول قد سمعت المغنين وأخذت عنهم وتقفدت أغانيهم فما رأيت فيهم مثل سياط قط
هذه الحكاية من رواية عيسى بن الحسين خاصة
نسبة هذا الصوت
صوت
(ضاف قلبي الهوى فأكْثر سهْوي ... وجوي الحبِّ مُفظِعٌ غيرُ حُلْو)
(لو علا بعضُ ما علاني ثَبيراً ... ظلَّ ضَعْفاً ثبيرُ من ذاك يَهْوي)
(من يكن من هوى الغواني خليّاً ... يا ثِقاتي فإنني غيرُ خِلْو)
الغناء لسياط ثاني ثقيل بالوسطى في مجراها عن إسحاق
صوت
من المائة المختارة
(يا أمَّ عمرو لقد طالبتُ ودّكُم ... جُهدي وأعْذرتُ فيه كلَّ إعذار)
(حتى سقِمتُ وقد أصبحتِ سالمةً ... مما أُعالج من همٍّ وتَذكار)
لم يسم قائل هذا الشعر والغناء للرطاب والرطاب مدني قليل الصنعة ليس بمشهور وقيل له الرطاب لأنه كان يبيع الرطب بالمدينة ولحنه المختار هزج بالوسطى
صوت
من المائة المختارة
(تَصَدّع الأنسُ الجميعُ ... أمْسَى فقلبي به صُدوعُ)
(في إثرهم وجفونُ عيني ... مُخْضَلّةٌ كلها دُموع)
لم يسم لنا قائل هذا الشعر ولا عرفناه والغناء لدكين بن يزيد الكوفي ولحنه المختار من خفيف الثقيل بالوسطى وهكذا ذكر إسحاق في الألحان المختارة للواثق
وذكر هذا الصوت في مجرد شجا فنسبه إلى دكين وجنسه في الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى

وذكر أيضا فيه لحنا من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالخصر في مجرى البنصر فزعم أنه ينسب إلى معبد وإلى الغريض وفيه بيتان آخران وهما
(فالقلبُ إن سِيمَ عنك صبراً ... كُلِّف ما ليس يستطيعُ)
(عاصٍ لمن لام في هواكمْ ... وهُوَ لكمْ سامعٌ مطيع)
صوت
من المائة المختارة
(يأيها الرجلُ الذي ... قد زان منطقَه البيانُ)
(لا تِعتِبنَّ على الزمان ... فليس يُعْتِبك الزمانُ
الشعر لعبد الله بن هارون العروضي والغناء لنبيه المغني ولحنه المختار ثقيل أول بالبنصر
فأما عبد الله بن هارون فما أعلم أنه وقع إلي له خبر إلا ما شهر من حاله في نفسه
وهو عبد الله بن هارون بن السميد مولى قريش من أهل البصرة وأخذ العروض من الخليل بن أحمد فكان مقدما فيه
وانقطع إلى آل سليمان بن علي وأدب أولادهم وكان يمدحهم كثيرا فأكثر شعره فيهم وهو مقل جدا
وكان يقول أوزانا من العروض غريبة في شعره ثم أخذ ذلك عنه ونحا نحوه فيه رزين العروضي فأتى فيه ببدائع جمة وجعل أكثر شعره من هذا الجنس
فأما عبد الله ابن هارون فما عرفت له خبرا ولا وقع إلي من أمره شيء غير ما ذكرته
ذكر نبيه وأخباره
زعم ابن خرداذبه أنه من بني تميم صليبة وأن أصله من الكوفة وأنه كان في أول أمره شاعرا لا يغني ويقول شعرا صالحا فهوي قينة ببغداد فتعلم الغناء من أجلها وجعله سببا للدخول عليها ولم يزل يتزيد حتى جاد غناؤه وصنع فأحسن واشتهر ودون غناؤه وعد في المحسنين
فمما قاله في هذه الجارية وغنى فيه قوله
صوت
(يا ربّ إني ما جفوتُ وقد جفتْ ... فاليك أشكو ذاك يا ربّاه)
(مولاةُ سَوْسٍ ما ترقُّ لعبدها ... نِعْم الغلامُ وبئست المولاه)
(يا ربّ إن كانت حياتي هكذا ... ضرراً عليّ فما أُريد حياه)
الغناء لنبيه ثاني ثقيل مطلق في مجرى الوسطى ومن الناس من ينسب الشعر والغناء إلى علية بنت المهدي
أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال قلت لمخارق وقد غنى هذا الصوت يوما
(متى تجمع القلب الذكيّ وصارماً ... وأنفا حمِيًّا تجْتنِبْك المظالمُ
فسألته لمن هو فقال هذا لنبيه التميمي وكان له أخوان يقال لهما منبه ونبهان وكان ينزل شهارسوج الهيثم في درب الريحان
قال أبو زيد وسمعت مخارقا يحدث إسحاق بن إبراهيم قال سمعت أباك إبراهيم بن ميمون يقول وقد ذكر نبيها إن عاش هذا الغلام ذهب خبرنا
قال وكنت قد غنيته صوتا أخذته عنه وهو
(شكوتُ إلي قلبي الفراقَ فقال لي ... من الآن فايْأس لا أغُرّك بالصبر)
(إذا صَدّ مَنْ أهْوَى وأسلمني العزا ... ففُرْقة من أهوى أحرُّ من الجمر)
أخبرنا الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثني ابن أبي سعد عن محمد بن عبد الله بن مالك قال حدثني علي بن المفضل قال إصطبحنا يوما أنا ونبيه عند عبيد الله بن أبي غسان فغنانا نبيه لحنه
(يأيها الرجل الذي ... قد زان منطقه البيانُ)
فما سمعت أحسن منه وكان صوتنا عليه بقية يومنا
ثم أردنا الإنصراف فسألنا عبيد الله أن نبيت عنده ونصطبح من غد فأجبناه وقال لنبيه أي شيء تشتهي أن يصلح لك قال تشتري لي غزالا فتطعمني كبده كبابا وتجعل سائر ما آكله من لحمه كما تحب فقال أفعل
فلما أصبحنا جاءه بغزال فأصلحه كما أحب فلما
استوفى أكله استلقى لينام فحركناه فإذا هو ميت فجزعنا من ذلك وبعث عبيد الله إلى أمه فجاءت فأخبرها بخبره
فلما رأته استرجعت ثم قالت لا بأس عليكم هو رابع أربعة ولدتهم كانت هذه ميتتهم جميعا وميتة أبيهم من قبلهم فسكنا إلى ذلك
وغسل في دار عبيد الله وأصلح شأنه وصلي عليه ومضينا به إلى مقابرهم فدفن هناك
صوت
من المائة المختارة
(وقفتُ على ربَعٍ لِسُعْدَى وعَبْرتي ... تَرَقْرَقُ في العينين ثم تسيلُ)
(أسائل ربعاً قد تعفتْ رسومه ... عليه لأصناف الرياح ذُيول)
لم يسم لنا قائل هذا الشعر والغناء لسليم هزج خفيف بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق
أخبار سليم
هو سليم بن سلام الكوفي ويكنى أبا عبد الله وكان حسن الوجه حسن الصوت وقد انقطع وهو أمرد إلى إبراهيم الموصلي فمال إليه وتعشقه فعلمه وناصحه فبرع وكثرت روايته وصنع فأجاد
وكان إسحاق يهجوه ويطعن عليه واتفق له اتفاق سيء كان يخدم الرشيد فيتفق مع ابن جامع وإبراهيم وإبنه إسحاق وفليح بن العوراء وحكم الوادي فيكون بالإضافة إليهم كالساقط
وكان من أبخل الناس فلما مات خلف جملة عظيمة وافرة من المال فقبضها السلطان عنه
أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه أن إسحاق قال في سليم
(سُليمُ بنُ سَلاّم على بَرْد خلْقه ... أحرُّ غِناءً من حُسين بن مُحْرِز)
وأخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة عن إسحاق وأخبرنا

يحيى بن علي عن أبيه عن إسحاق أن الرشيد قال لبرصوما الزامر وكانت فيه لكنة ما تقول في ابن جامع قال زق من أسل يريد من عسل
قال فإبراهيم قال بستان فيه فاكهة وريحان وشوك قال فيزيد حوراء قال ما أبيد أسنانه يريد ما أبيض قال فحسين بن محرز قال ما أحسن خظامه يريد ما أحسن خضابه
قال فسليم بن سلام قال ما أنظف ثيابه
قال إسماعيل بن يونس في خبره عن عمر بن شبة عن إسحاق وغنى سليم يوما وبرصوما يزمر عليه بين يدي الرشيد فقصر سليم في موضع صيحة فأخرج برصوما الناي من فيه ثم صاح به وقال له يا أبا عبد الله صيهة أشد من هذا جهة أشد من هذا فضحك الرشيد حتى استلقى
قال وما أذكر أني ضحكت قط أكثر من ذلك اليوم
غنى الرشيد فوصله
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال قال محمد بن الحسن بن مصعب إنما أخر سليما عن أصحابه في الصنعة ولعه بالأهزاج فإن ثلثي صنعته هزج وله من ذلك ما ليس لأحد منهم
قال ثم قال محمد غني سليم يوما بين
يدي الرشيد ثلاثة أصوات من الهزج ولاء أولها
(... مُتْ على من غبتَ عنه أسَفَا)
والثاني
(... أسرفتَ في الإعراض والهَجْرِ)
والثالث
(... أصبح قلبي به نُدوبُ)
فأطربه وأمر له بثلاثين ألف درهم وقال له لو كنت الحكم الوادي ما زدت على هذا الإحسان في أهزاجك يعني أن الحكم كان منفردا بالهزج
نسبة هذه الأصوات
صوت
(مُتْ على من غبتَ عنه أسفاً ... لستَ منه بمُصيبٍ خَلَفَا)
(لن تَرَى قُرَّة عين أبداً ... أوْ ترى نحوَهم مُنصرِفَا)
(قلتُ لمّا شفَّني وجدي بهم ... حَسْبِيَ اللهُ لِمَا بي وكفَى)
(بَيّن الدمعُ لمن أبصرني ... ما تضمّنتُ إذا ما ذَرَفا)
الشعر للعباس بن الأحنف والغناء لسليم وله فيه لحنان أحدهما في الأول والثاني هزج بالوسطى والآخر في الثالث والرابع خفيف رمل بالبنصر مطلق
وفيهما لإبراهيم خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو ومنها
صوت
(أسرفتَ في الإعراض والهجر ... وجُزْتَ حدّ التّيه والكبر)
(الهجرُ والإعراض من ذي الهوى ... سُلَّم ذي الغدر إلى الغدر)
(مالي وللهِجْرانِ حَسْبي الذي ... مرّ على رأسي من الهجر)
(ودون ما جرّبتُ فيما مضى ... ما عرّف الخيرَ من الشر)
الغناء لسليم هزج بالبنصر ومنها
صوت
(أصبح قلبي به نُدوبُ ... أنْدَبه الشادِنُ الرَّبيبُ)
(تَمَادِياً منه في التّصَابي ... وقد علا رأسيَ المَشِيب)
(أظنني ذائقاً حِمامي ... وأنّ إلمامَه قريب)
(إذا فؤادٌ شجاه حبٌّ ... فقلّما ينفَع الطبيب)
الشعر لأبي نواس والغناء لسليم وله فيه لحنان خفيف رمل بالبنصر عن إسحاق وهزج بالوسطى عن الهشامي وزعمت بذل أن الهزج لها
أخبرني عمي قال حدثنا أحمد بن أبي طاهر قال حدثني هارون بن مخارق عن أبيه قال كان سليم بن سلام كوفيا وكان أبوه من أصحاب أبي مسلم صاحب الدولة ودعاته وثقاته فكان يكاتب أهل العراق على يده
وكان سليم حسن الصوت
جهيره وكان بخيلا
قال أحمد بن أبي طاهر وحدثني أبو الحواجب الأنصاري واسمه محمد قال قال لي سليم يوما امض إلى موسى بن إسحاق الأزرق فادعه ووافياني مع الظهر فجئناه مع الظهر فأخرج إلينا ثلاثين جارية محسنة ونبيذا ولم يطعمنا شيئا ولم نكن أكلنا شيئا
فغمز موسى غلامه فذهب فاشترى لنا خبزا وبيضا فأدخله إلى الكنيف وجلسنا نأكل فدخل علينا فلما رآنا نأكل غضب وخاصمنا وقال أهكذا يفعل الناس تأكلون ولا تطعمونني وجلس معنا في الكنيف يأكل كما يأكل واحد منا حتى فني الخبز والبيض
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني الفضل بن محمد اليزيدي قال حدثني أبي قال كان سليم بن سلام صديقي وكان كثيرا ما يغشاني
فجاءني يوما وأعلمني الغلام بمجيئه فأمرت بإدخاله فدخل وقال قد جئتك في حاجة فقلت مقضية
فقال إن المهرجان بعد غد وقد أمرنا بحضور مجلس الخليفة وأريد أن أغنيه لحنا أصنعه في شعر لم يعرفه هو ولا من بحضرته فقل أبياتا أغني فيها ملاحا فقلت على أن تقيم عندي وتصنع بحضرتي اللحن قال أفعل فردوا دابته وأقام عندي وقلت

صوت
(أتيتُك عائذاً بك مِنْك ... لمّا ضاقت الحِيَلُ)
(وصيّرني هواك وبي ... لِحَيْني يضرب المثل)
(فإن سَلِمتْ لكم نفسي ... فما لاقيتُه جَلَل)
(وإنْ قَتل الهوى رجلاً ... فإني ذلك الرجل)
فغنى فيه وشربنا يومئذ عليه وغنانا عدة أصوات من غنائه فما رأيته مذ عرفته كان أنشط منه يومئذ
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قل حدثني محمد بن داود بن الجراح قال حدثني عبد الله بن محمد اليزيدي قال حدثني أخي محمد قال سمعت أبي يقول ما سرقت من الشعر قط إلا معنيين قال مسلم بن الوليد
(ذاك ظبيٌ تحيَّر الحسنُ في الأركان ... منه وجال كلَّ مكانِ)
(عرضتْ دونَه الحجالُ فما يَلْقاك ... إلا في النوم أو في الأماني)
فاستعرت معناه فقلت
صوت
(يا بعيدَ الدار موصولاً ... بقلبي ولساني)
(ربمّا باعَدَك الدهرُ ... فأدْنتك الأماني)
الغناء في هذين البيتين لسليم هزج بالبنصر عن الهشامي قال وقال مسلم أيضا
(متى ما تسمعي بقتيلِ أرض ... فإني ذلك الرجل القتيلُ)
ويروى أصيب فإنني ذاك القتيل فقلت
(أتيتُك عائذاً بك مِنْك ... لمّا ضاقت الحِيَلُ)
(وصيّرني هواك وبي ... لِحَيْني يُضرب المثل)
(فإن سَلِمتْ لكم نفسي ... فما لاقيتُه جَلَل)
(وإن قَتل الهوى رجلاً ... فإني ذلك الرجل)
غنى ابن المهدي فأمر له بجائزة
وجدت في كتاب علي بن محمد بن نصر عن جده حمدون بن إسماعيل ولم أسمعه من أحد أن إبراهيم المهدي سأل جماعة من إخوانه أن يصطبحوا عنده قال حمدون وكنت فيهم وكان فيمن دعا مخارق فسار إليه وهو سكران لا فضل فيه لطعام ولا لشراب فاغتم لذلك إبراهيم وعاتبه على ما صنع فقال لا والله أيها الأمير ما كان آفتي إلا سليم بن سلام فإنه مر بي فدخل علي فغناني صوتا له صنعه قريبا فشربت عليه إلى السحر حتى لم يبق في فضل وأخذته فقال له إبراهيم فغنناه إملالا فغناه
صوت
(إذا كنتَ نَدْماني فباكْر مُدامةً ... معتَّقةً زُفّت إلى غير خاطبِ)
(إذا عُتِّقت في دَنِّها العامَ أقبلتْ ... تَردّي رداءَ الحسن في عين شارب)
الغناء لسليم خفيف ثقيل مطلق في مجرى البنصر قال فبعث إبراهيم إلى سليم فأحضره فغناه إياه وطرحه على جواريه وأمر له بجائزة وشربنا عليه بقية يومنا حتى صرنا في حالة مخارق وصار في مثل أحوالنا
صوت
من المائة المختارة
(عتَق الفؤادُ من الصِّبا ... ومن السَّفاهة والعلاق)
(وحطَطتُ رحلي عن قَلوص ... الحبّ في قُلُصٍ عِتاق)
(ورفعتُ فضلَ إزاريَ ... المجرور عن قدمي وساقي)
((وكففت غربَ النفس حتى ... ما تَتُوق إلى مَتاق
لم يقع إلينا قائل هذا الشعر والغناء لإبن عباد الكاتب ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق وفيه لإبراهيم خفيف ثقيل وقيل إنه لغيره بل قيل إنه لعمرو
أخبار ابن عباد
هو محمد بن عباد مولى بني مخزوم وقيل إنه مولى بني جمح ويكنى أبا جعفر
مكي من كبراء المغنين من الطبقة الثانية منهم
وقد ذكره يونس الكاتب فيمن أخذ عنه الغناء متقن الصنعة كثيرها وكان أبوه من كتاب الديوان بمكة فلذلك قيل ابن عباد الكاتب
أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة عن إسحاق وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن عثمان بن حفص الثقفي عن أبي خالد الكناني عن ابن عباد الكاتب قال والله إني لأمشي بأعلى مكة في الشعب إذا أنا بمالك على حمار له ومعه فتيان من أهل المدينة فظننت أنهم قالوا له هذا ابن عباد فمال إلي فملت إليه فقال لي أنت ابن عباد قلت نعم قال مل معي ها هنا ففعلت فأدخلني شعب ابن عامر ثم أدخلني دهليز ابن عامر وقال غنني فقلت أغنيك هكذا وأنت مالك وقد كان يبلغني أنه يثلب أهل مكة ويتعصب عليهم فقال بالله إلا غنيتني صوتا من صنعتك فاندفعت فغنيته
صوت
(ألاَ يا صاحبيّ قِفَا قليلاً ... على ربع تقادمَ بالمُنيفِ)
((فأمستْ دراهم شَحِطَت وبانت ... وأضحى القلبُ يخفِقُ ذا وجيف
وما غنيته إياه إلا على احتشام فلما فرغت نظر إلي وقال لي قد والله أحسنت ولكن حلقك كأنه حلق زانية
فقلت أما إذ أفلت منك بهذا فقد أفلت وهذا اللحن من صدور غناء ابن عباد ولحنه من الثقيل الثاني بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى
أخبرني يحيى بن علي بن يحيى وعيسى بن الحسين قالا حدثنا أبو أيوب المديني قال حدثني جماعة من أهل العلم أن ابن عباد الكاتب توفي ببغداد في الدولة العباسية ودفن بباب حرب وقال أبو أيوب أظنه فيمن قدم من مغني الحجاز على

المهدي
صوت
من المائة المختارة
(يا طللاً غيَّره بَعدِي ... صوبُ رَبيع صادق الرعدِ)
(أراكَ بعد الأنس ذا وَحْشَةٍ ... لستَ كما كنتَ على العهدِ)
(مالي أبَكِّي طللاً كلما ... ساءلتُه عَيَّ عن الردِّ)
(كان به ذو غُنُج أهْيَفٌ ... أحْورُ مطبوعٌ على الصَّدّ)
لم يسم أبو أحمد قائل هذا الشعر والغناء ليحيى المكي ولحنه المختار من الهزج بالوسطى
أخبار يحيى المكي ونسبه
هو يحيى بن مرزوق مولى بني أمية وكان يكتم ذلك لخدمته الخلفاء من بني العباس خوفا من أن يجتنبوه ويحتشموه فإذا سئل عن ولائه انتمى إلى قريش ولم يذكر البطن الذي ولاؤه لهم واستعفى من سأله عن ذلك ويكنى يحيى أبا عثمان
وذكر ابن خرداذبه أنه مولى خزاعة وليس قوله مما يحصل لأنه لا يعتمد فيه على رواية ولا دراية
أخبرني عبد الله بن الربيع أبو بكر الربيعي صديقنا رحمه الله قال حدثني وسواسة بن الموصلي وقد لقيت وسواسة هذا وهو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم وكان معلما ولم أسمع هذا منه فكتبته وأشياء أخر عن أبي بكر رحمه الله قال حدثني حماد بن إسحاق قال قال لي أبي سألت يحيى المكي عن ولائه فانتمى إلى قريش فاستزدته في الشرح فسألني أن أعفيه
أخبرني عيسى بن الحسين الوراق ويحيى بن علي بن يحيى قالا حدثنا أبو أيوب المديني قال كان يحيى المكي يكنى أبا عثمان وهو مولى بني أمية وكان يكتم ذلك ويقول أنا مولى قريش
ولما قال أعشى بني سليم يمدح دحمان
(كانوا فحولاً فصاروا عند حَلْبتهم ... لمّا انبرى لهمُ دَحْمان خِصياناَ)
(فأبلِغوه عن الأعشىَ مقالَته ... أعشى سُلَيمِ أبي عمرو سُلَيمانا)
((قولوا يقول أبو عمرو لصُحْبَته ... ياليت دحمانَ قبل الموت غنّانا)
قال أبان بن عبد الحميد اللاحقي ويقال إن ابنه حمدان بن أبان قالها والأشبه عندي أنها لأبان وما أظن ابنه أدرك يحيى
(يا مَنْ يُفضّل دحماناً ويمدحه ... على المغنين طُرًّا قلتَ بهتانَا)
(لو كنتَ جالستَ يحيى أو سمعتَ به ... لم تمتدح أبداً ما عشتَ إنساناَ)
(ولم تقُل سَفَهاً في مُنيةٍ عَرَضتْ ... ياليت دحمان قبل الموت غنّانا)
(لقد عجبتُ لدحمان ومادِحه ... لا كان مادحُ دحمانٍ ولا كانا)
(ما كان كابن صغير العين إذ جَرَيا ... بل قام في غاية المجرى وما دانَى)
(بذّ الجيادَ أبو بكر وصيرها ... من بعد ما قَرِحتْ جُذْعاً وثُنيانا)
يعني بأبي بكر ابن صغير العين وهو من مغني مكة وله أخبار تذكر في موضعها إن شاء الله تعالى
منزلته في الغناء
وعمر يحيى المكي مائة وعشرين سنة وأصاب بالغناء ما لم يصبه أحد من نظرائه ومات وهو صحيح السمع والبصر والعقل
وكان قدم مع الحجازيين الذين قدموا على المهدي في أول خلافته فخرج أكثرهم وبقي يحيى بالعراق هو وولده يخدمون الخلفاء إلى أن انقرضوا
وكان آخرهم محمد بن أحمد بن يحيى المكي وكان يغني مرتجلا ويحضر مجلس المعتمد مع المغنين فيوقع بقضيب على دواة
ولقيه جماعة من أصحابنا وأخذ عنه جماعة ممن أدركنا من عجائز المغنيات منهم قمرية العمرية وكانت أم ولد عمرو بن بانة
وممن أدركه من أصحابنا جحظة
وكتبنا عنه عن ابن المكي هذا حكايات حسنة من أخبار أهله
وكان ابن جامع وإبراهيم الموصلي وفليح يفزعون إليه في الغناء القديم ويأخذونه عنه ويعايي بعضهم بعضا بما يأخذه منه ويغرب به على أصحابه فإذا خرجت لهم الجوائز أخذوا منها ووفروا نصيبه
وله صنعة عجيبة نادرة متقدمة وله كتاب في الأغاني ونسبها وأخبارها وأجناسها كبير جليل مشهور إلا أنه كان كالمطرح عند الرواة لكثرة تخليطه في رواياته
والعمل على كتاب ابنه أحمد فإنه صحح كثيرا مما أفسده أبوه وأزال ما عرفه من تخاليط أبيه وحقق ما نسبه من الأغاني إلى صانعه وهو يشتمل على نحو ثلاثة آلاف صوت
ألف كتابا في الأغاني وأهداه لعبد الله بن طاهر
أخبرني عبد الله بن الربيع قال حدثني وسواسة بن الموصلي قال حدثني محمد بن أحمد بن يحيى المكي قال عمل جدي كتابا في الأغاني وأهداه إلى عبد الله بن طاهر وهو يومئذ شاب حديث السن فاستحسنه وسر به ثم عرضه على إسحاق فعرفه عوارا كثيرا في نسبه لأن جدي كان لا يصحح لأحد نسبة صوت البتة وينسب صنعته إلى المتقدمين وينحل بعضهم صنعة بعض ضنا بذلك على غيره فسقط من عين عبد الله وبقي في خزانته ثم وقع إلى محمد بن عبد الله فدعا أبي وكان إليه محسنا وعليه مفضلا فعرضه عليه فقال له إن في هذه النسب تخليطا كثيرا خلطها أبي لضنه بهذه الشأن على الناس ولكني أعمل لك كتابا أصحح هذا وغيره فيه
فعمل له كتابا فيه اثنا عشر ألف صوت وأهداه إليه فوصله محمد بثلاثين ألف درهم وصحح له الكتاب الأول أيضا فهو في أيدي الناس
قال وسواسة وحدثني حماد أن أباه إسحاق كان يقدم يحيى المكي تقديما كثيرا ويفضله ويناضل أباه وابن جامع فيه ويقول ليس يخلو يحيى فيما يرويه من الغناء الذي لا يعرفه أحد منكم من
أحد أمرين إما أن يكون محقا فيه كما يقول فقد علم ما جهلتم أو يكون من صنعته وقد نحله المتقدمون كما تقولن فهو

أفضل له وأوضح لتقدمه عليكم
قال وكان أبي يقول لولا ما أفسد به يحيى المكي نفسه من تخليطه في رواية الغناء على المتقدمين وإضافته إليهم ما ليس لهم وقلة ثباته على ما يحكيه من ذلك لما تقدمه أحد
وقال محمد بن الحسن الكاتب كان يحيى يخلط في نسب الغناء تخليطا كثيرا ولا يزال يصنع الصوت بعد الصوت يتشبه فيه بالغريض مرة وبمعبد أخرى وبابن سريج وابن محرز ويجتهد في إحكامه وإتقانه حتى يشتبه على سامعه فإذا حضر مجالس الخلفاء غناه على ما أحدث فيه من ذلك فيأتي بأحسن صنعة وأتقنها وليس أحد يعرفها فيسأل عن ذلك فيقول أخذته عن فلان وأخذه فلان عن يونس أو عن نظرائه من رواة الأوائل فلا يشك في قوله ولا يثبت لمباراته أحد ولا يقوم لمعارضته ولا يفي بها حتى نشأ إسحاق فضبط الغناء وأخذه من مظانه ودونه وكشف عوار يحيى في منحولاته وبينها للناس

إسحاق يظهر غلطه

أخبرني عمي قال سمعت عبيد الله بن عبد الله بن طاهر يذكر عن أحمد ابن سعيد المالكي وكان مغنيا منقطعا إلى طاهر وولده وكان من القواد قال حضرت يحيى المكي يوما وقد غنى صوتا فسئل عنه فقال هذا لمالك ولم يحفظ أحمد بن سعيد الصوت ثم غنى لحنا لمالك فسئل عن صانعه فقال هذا لي فقال له إسحاق قلت ماذا فديتك وتضاحك به فسئل عن
صانعه فأخبر به ثم غنى الصوت فخجل يحيى حتى أمسك عنه ثم غنى بعد ساعة في الثقيل الأول واللحن

صوت

(إنّ الخَليطَ أجَدّ فاحتَمَلا ... واراد غيظَكَ بالذي فعلا)
(فظلِلْتَ تأمُل قربَ أوبَتهم ... والنفسُ مما تأمُل الأملا)
فسئل عنه فنسبه إلى الغريض فقال له إسحاق يا أبا عثمان ليس هذا من نمط الغريض ولا طريقته في الغناء ولو شئت لأخذت ما لك وتركت للغريض ما له ولم تتعب
فاستحيا يحيى ولم ينتفع بنفسه بقية يومه فلما انصرف بعث إلى إسحاق بألطاف كثيرة وبرواسع وكتب إليه يعاتبه ويستكف شره ويقول له لست من أقرانك فتضادني ولا أنا ممن يتصدى لمباغضتك ومباراتك فتكايدني ولأنت إلى أن أفيدك وأعطيك ما تعلم أنك لا تجده عند غيري فتسمو به على أكفائك أحوج منك إلى أن تباغضني فأعطي غيرك سلاحا إذا حمله عليك لم تقم له وأنت أولى وما تختار
فعرف إسحاق صدق يحيى فكتب إليه يعتذر ورد الألطاف التي حملها إليه وحلف لا يعارضه بعدها وشرط عليه الوفاء بما وعده به من الفوائد فوفى له بها وأخذ منه كل ما أراد من غناء المتقدمين
وكان إذا حز به مر في شيء منها فزع إليه فأفاده وعاونه ونصحه وما عاود إسحاق معارضته بعد ذلك
وحذره يحيى فكان إذا سئل بحضرته عن شيء صدق فيه وإذا غاب إسحاق خلط فيما يسأل عنه قال وكان يحيى إذا صار إليه إسحاق يطلب منه شيئا أعطاه إياه وأفاده وناصحه ويقول لإبنه أحمد تعال حتى تأخذ مع أبي محمد ما الله يعلم أني كنت أبخل به عليك فضلا عن غيرك فيأخذه أحمد عن أبيه مع
إسحاق قال وكان إسحاق بعد ذلك يتعصب ليحيى تعصبا شديدا ويصفه ويقدمه ويعترف برياسته وكذلك كان في وصف أحمد ابنه وتقريظه

عدد أصواته التي صنعها

قال أحمد بن سعيد والإختلاف الواقع في كتب الأغاني إلى الآن من بقايا تخليط يحيى قال أحمد بن سعيد وكانت صنعة يحيى ثلاثة آلاف صوت منها زهاء ألف صوت لم يقاربه فيها أحد والباقي متوسط
وذكر بعض أصحاب أحمد بن يحيى المكي عنه أنه سئل عن صنعة أبيه فقال الذي صح عندي منها ألف وثلثمائة صوت منها مائة وسبعون صوتا غلب فيها على الناس جميعا من تقدم منهم ومن تأخر فلم يقم له فيها أحد
وقال حماد بن إسحاق قال لي أبي كان يحيى المكي يسأل عن الصوت وهو يعلم لمن هو فينسبه إلى غير صانعه فيحمل ذلك عنه كذلك ثم يسأله آخرون فينسبه غير تلك النسبة حتى طال ذلك وكثر منه وقل تحفظه فظهر عواره ولولا ذلك لما قاومه أحد
وقال أحمد بن سعيد المالكي في خبره قال إسحاق يوما للرشيد قبل أن تصلح الحال بينه وبين يحيى المكي أتحب يا أمير المؤمنين أن أظهر لك كذب يحيى فيما ينسبه من الغناء قال نعم قال أعطني أي شعر شئت حتى أصنع فيه واسألني بحضرة يحيى عن نسبته فإني سأنسبه إلى رجل لا أصل له واسأل يحيى عنه إذا غنيته فإنه لا يمتنع من أن يدعي معرفته
فأعطاه شعرا فصنع فيه لحنا وغناه الرشيد ثم قال له يسألني أمير المؤمنين عن نسبته بين يديه
فلما حضر يحيى غناه إسحاق فسأله الرشيد
لمن هذا اللحن فقال له إسحاق لغناديس المديني فأقبل الرشيد على يحيى فقال له أكنت لقيت غناديس المديني قال نعم لقيته وأخذت عنه صوتين ثم غنى صوتا وقال هذا أحدهما
فلما خرج حلف إسحاق بالطلاق ثلاثا وعتق جواريه أن الله ما خلق أحدا اسمه غناديس ولا سمع في المغنين ولاغيرهم وأنه وضع ذلك الإسم في وقته ذلك لينكشف أمره
حدثني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني محمد بن أحمد بن يحيى المكي المرتجل قال غني جدي يوما بين يدي الرشيد

صوت

(هل هَيّجَتك مَغَانِي الحيّ والدُّورُ ... فاشتقْتَ إن الغريبَ الدار معذورُ)
(وهل يَحُلّ بنا إذ عيشُنا أنِقٌ ... بِيضُ أوانسُ أمثالُ الدُّمى حُور)
والصنعة له خفيف ثقيل فسار إليه إسحاق وسأله أن يعيده إياه فقال نعم حبا وكرامة لك يابن أخي ولو غيرك يروم ذلك لبعد عليه وأعاده حتى أخذه إسحاق
فلما انصرف بعث إلى جدي بتخت ثياب وخاتم ياقوت نفيس
حدثني جحظة قال حدثني القاسم بن زرزور عن أبيه عن مولاه علي بن المارقي قال قال لي إبراهيم بن المهدي ويلك يا

مارقي إن يحيى المكي غنى البارحة
بحضرة أمير المؤمنين صوتا فيه ذكر زينب وقد كان النبيذ أخذ مني فأنسيت شعره واستعدته إياه فلم يعده فاحتل لي عليه حتى تأخذه لي منه ولك علي سبق
فقال لي المارقي وأنا يومئذ غلامه اذهب إليه فقل له إني أسأله أن يكون اليوم عندي فمضيت إليه فجئته به
فلما تغدوا وضع النبيذ فقال له المارقي إني كنت سمعتك تغني صوتا فيه زينب وأنا أحب أن آخذه منك وكان يحيى يوفي هذا الشأن حقه من الأستقصاء فلا يخرج عنه إلا بحذر ولا يدع الطلب والمسألة ولا يلقي صوتا إلا بعوض
قال لي جحظة في هذا الفصل هذا فديتك فعل يحيى مع ما أفاده من المال ومع كرم من عاشره وخدمه من الخلفاء مثل الرشيد والبرامكة وسائر الناس لا يلام ولا يعاب ونحن مع هؤلاء السفل إن جئناهم نكارمهم تغافلوا عنا وإن أعطونا التزر اليسير منوا به علينا وعابونا فمن يلومني أن أشتمهم فقلت ما عليك لوم
قال فقال له يحيى وأي شيء العوض إذا ألقيت عليك هذا الصوت قال ما تريد قال هذه الزربية الأرمينية كم تقعد عليها أما آن لك أن تملها قال بلى وهي لك
قال وهذه الظباء الحرمية وأنا مكي لا أنت وأنا أولى بها قال هي لك وأمر بحملها معه فلما حصلت له قال المارقي يا غلام هات العود قال يحيى والميزان والدراهم وكان لا يغني أو يأخذ خمسين درهما فأعطاه إياه فألقى عليه قوله
(بزينبَ ألمم قبلَ أن يَرْحَلَ الركبُ ... وقُلْ إن تَمَلِّينا فما ملَّكِ القلبُ)
ولحنه لكردم ثقيل أول فلم يشك المارقي أنه قد أخذ الصوت الذي طلبه إبراهيم وأدرك حاجته
فبكر إلى إبراهيم وقد أخذ الصوت فقال له قد جئتك
بالحاجة فدعا بالعود فغناه إياه فقال له لا والله ما هو هذا وقد خدعك فعاود الإحتيال عليه
فبعثني إليه وبعث معي خمسين درهما فلما دخل إليه وأكلا وشربا قال له يحيى قد واليت بين دعواتك لي ولم تكن برا ولا وصولا فما هذا قالا شيء والله إلا محبتي للأخذ عنك والإقتباس منك فقال سرك الله فمه
قال تذكرت الصوت الذي سألتك إياه فإذا ليس هو الذي ألقيت علي قال فتريد ماذا قال تذكر الصوت قال أفعل ثم اندفع فغناه
(ألْمِمْ بزينبَ إنّ البينَ قد أفدَا ... قَلّ الثَواءُ لئن كان الرحيلُ غدا)
والغناء لمعبد ثقيل أول فقال له نعم فديتك يا أبا عثمان هذا هو ألقه علي قال العوض قال ما شئت قال هذا المطرف الأسود قال هو لك فأخذه وألقى عليه هذا الصوت حتى استوى له وبكر إلى إبراهيم فقال له ما وراءك قال قد فضيت الحاجة فدعا له بعود فغناه فقال خدعك والله ليس هذا هو فعاود الإحتيال عليه وكل ما تعطيه إياه ففي ذمتي
فلما كان اليوم الثالث بعث بي إليه فدعوته وفعلنا مثل فعلنا بالأمس فقال له يحيى فمالك أيضا قال له يا أبا عثمان ليس هذا الصوت هو الذي أردت فقال له لست أعلم ما في نفسك فأذكره وإنما علي أن أذكر ما فيه زينب من الغناء كما التمست حتى لا يبقى عندي زينب البتة إلا أحضرتها فقال هات على اسم الله فقال اذكر العوض قلت ما شئت قال هذه الدراعة الوشي التي عليك قال فخذها والخمسين الدرهم فأحضرها فألقى عليه والغناء لمعبد ثقيل أول
(لزينبَ طيفٌ تعتريني طوارقُه ... هدوءاً إذا النجمُ ارجحنّت لواحقُه)
فأخذه منه ومضى إلى إبراهيم فصادفه يشرب مع الحرم فقال له حاجبه هو متشاغل فقال قل له قد جئتك بحاجتك فدخل فأعلمه فقال يدخل فيغنيه في الدار وهو قائم فإن كان هو وإلا فليخرج ففعل فقال لا والله ما هو هذا ولقد خدعك فعاود الإحتيال عليه ففعل مثل ذلك بيحيى فقال له يحيى وهو يضحك أما ظفرت بزينبك بعد فقال لا والله يا أبا عثمان وما أشك في أنك تعتمدني بالمنع مما أريده وقد أخذت كل شيء عندي معابثة
فضحك يحيى وقال قد استحييت منك الآن وأنا ناصحك على شريطة قال نعم لك الشريطة قال لا تلمني في أن أعابثك لأنك أخذت في معابثتي والمطلوب إليه أقدر من الطالب فلا تعاود أن تحتال علي فإنك تظفر مني بما تريد إنما دسك إبراهيم بن المهدي علي لتأخذ مني صوتا غنيته فسألني إعادته فمنعته بخلا عليه لأنه لا يلحقني منه خير ولا بركة ويريد أن يأخذ غنائي باطلا وطمع بموضعك أن تأخذ الصوت بلا ثمن ولا حمد ولا والله إلا بأوفر ثمن وبعد اعترافك وإلا فلا تطمع في الصوت
فقال له أما إذ فطنت فالأمر والله على ما قلت فتغنيه الآن بعينه على شرط أنه إن كان هو هو وإلا فعليك إعادته ولو غنيتني كل شيء تعرفه لم أحتسب لك إلا به قال اشتره فتساوما طويلا وماكسه حتى بلغ الصوت ألف درهم فدفعها إليه وألقى عليه
صوت
(طَرَقَتْك زينبُ والمزَار بعيدُ ... بمنى ونحن مُعرِّسون هجودُ)
((فكأنما طَرَقتْ بريّا روضةٍ ... أُنُفٍ تُسَحْسِحِ مُزنَها وتَجُود
لحنه خفيف ثقيل قال وهو صوت كثير العمل حلو النغم محكم الصنعة صحيح القسمة حسن المقاطع فأخذه وبكر إلى إبراهيم بن المهدي فقال له قد أفقرني هذا الصوت وأعراني وأبلاني بوجه يحيى المكي وشحه وطلبه وشرهه وحدثه بالقصة فضحك إبراهيم وغناه إياه فقال هذا وأبيك هو بعينه
فألقاه عليه حتى أخذه وأخلف عليه كل شيء أخذه يحيى منه وزاده خمسة آلاف درهم وحمله على برذون أشهب فاره بسرجه ولجامه
فقال له يا سيدي فغلامك زرزور المسكين قد تردد عليه حتى ظلع هب له شيئا فأمر له بألف درهم
غناؤه للأمين وللرشيد
حدثني جحظة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال حدثني ريق وشارية جميعا قالتا كان مولانا تعنيان أبي في مجلس محمد الأمين يوما والمغنون حضور
فغنى يحيى المكي واللحن له خفيف ثقيل
صوت
(خليلٌ لِي أهيمُ به ... فما كافا ولا شَكَرَا)
(بلى يُدْعَى له باسمي ... إذا ما ريع أو عثَرا)
فاسترده سيدنا وأحب أن يأخذه فجعل يحيى يفسده وفطن الأمين بذلك فأمر له بعشرين ألف درهم وأمره برده وترك

التخليط فدعا له وقبل الأرض بين يديه ورد الصوت وجوده ثم استعاده فقال له يحيى ليست تطيب لك نفسي به إلا بعوض من مالك ولا أنصحك والله فيه فهذا مال مولاي أخذته فلم تأخذ أنت غنائي فضحك الأمين وحكم على إبراهيم بعشرة آلاف درهم فأحضرها فقبل يحيى يده وأعاد الصوت وجوده فنظر إلى مخارق وعلويه يتطلعان لأخذه فقطع الصوت ثم أقبل عليهما وقال قطعة من خصية الشيخ تغطي أستاه عدة صبيان والله لا أعدته بحضرتكما
ثم أقبل على مولانا تعنيان إبراهيم بن المهدي فقال يا سيدي إني أصير إليك حتى تأخذه عني متمكنا ولا يشركك فيه أحد فصار إليه فأعاده حتى أخذه عنه وأخذناه معه
أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال حدثنا أبو أيوب المديني قال حدثني أحمد بن يحيى المكي عن أبيه قال
أرسل إلي هارون الرشيد فدخلت إليه وهو جالس على كرسي بتل دارا فقال يا يحيى غنني
(متى تلتقي الألّافُ والعيسُ كلّما ... تَصعَّدْنَ من وادٍ هبطن إلى واد)
فلم أزل أغنيه إياه ويتناول قدحا إلى أن أمسى فعددت عشر مرات استعاد فيها الصوت وشرب عشرة أقداح ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم وأمرني بالإنصراف
وقال محمد بن أحمد بن يحيى المكي في خبره حدثني أبي أحمد بن يحيى قال قال لي إسحاق يا أبا جعفر لأبيك مائة وسبعون صوتا من أخذها عنه بمائة وسبعين ألف درهم فهو الرابح فقلت لأبي أي شيء تعرف منها فقال لحنه في شعر الأخطل
صوت
(خَفّ القَطِينُ فراحوا منكَ وابتكروا ... وأزعجتْهم نَوىً في صَرْفِها غِيَرُ)
((كأنني شاربٌ يومَ استُبِدّ بهم ... من قَهْوةٍ عتّقتها حِمْص أو جَدَر
لحن يحيى المكي في هذين البيتين ثقيل أول هكذا في الخبر ولإبراهيم فيهما ثقيل أول آخر ولابن سريج رمل قال ومنهما
صوت
(بانَ الخليطُ فما أؤَمِّله ... وعفا من الرَّوْحاء منزِلُهُ)
(ما ظَبيةٌ أدماءُ عاطلة ... تحنو على طِفْل تُطَفِّله)
لحن يحيى في هذا الشعر ثاني ثقيل بالبنصر قال أحمد قال لي إسحاق وددت أن هذا الصوت لي أو لأبي وأني مغرم عشرة آلاف درهم
ثم قال هل سمعتم بأحسن من قوله على طفل تطفله قال ومنها
صوت
(وكفّ كُعوّاذ النقا لا يضيرها ... إذا برزتْ ألاّ يكون خِضابُ)
((أنامل فُتْخٌ لا تَرى بأصولها ... ضُموراً ولم تَظْهَر لهن كِعابُ
ولحنه من الثقيل الثاني قال ومنها
صوت
(صادتْك هندُ وتلك عادتها ... فالقلب مما يَشُفّه كَمِدُ)
(كم تشتكي الشوقَ من صبابتها ... ولا تبالي هندُ بما تَجِد)
ولحنه من خفيف الثقيل قال ومنها
صوت
(أعَسيتَ مِنَ سَلْمى هواكَ ... اليوم محتلاًّ جديداً)
(ومَرَابِطَ الخيل الجِيادِ ... ومنزلاً خَلَقاً هَمُودا)
ولحنه خفيف ثقيل أيضا قال ومنها
صوت
(ألاَ مرحباً بخيالٍ ألمّ ... وإن هاج للقلبِ طولَ الألَمْ)
((خيالُ لأسماءَ يَعتادني ... إذا الليلُ مَدَّ رواقَ الظُّلَم
ولحنه ثقيل أول قال ومنها
صوت
(كم ليلةٍ ظلماءَ فيكِ سَرَيْتُها ... أتْعبتُ فيها صُحْبتي وركابي)
(لا يُبصر الكلبُ السَّرُوق خِباءَها ... ومواضعَ الأوتاد والأطناب)
لحنه ثاني ثقيل بالوسطى وفيه خفيف ثقيل بالوسطى للغريض قال ابن المكي غنى أبي الرشيد ليلة هذا الصوت فأطربه ثم قال له ثم يا يحيى فخذ ما في ذلك البيت فظنه فرشا أو ثيابا فإذا فيه أكياس فيها عين وورق فحملت بين يديه فكانت خمسين ألف درهم مع قيمة العين قال ومنها
صوت
(إني امرؤٌ مالي يقي عِرْضي ... ويَبيت جاري آمناً جَهْلِي)
(وأرى الذَّمامة للرَّفيق إذا ... ألقَى رحالَتْه إلى رَحْلي)
ولحنه خفيف ثقيل قال ابن المكي غنى ابن جامع الرشيد يوما البيت الأول من هذين البيتين ولم يزد عليه شيئا فأعجب به الرشيد واسترده مرارا وأسكت لإبن جامع المغنين جميعا
وجعل يسمعه ويشرب عليه ثم أمر له بعشرة آلاف
درهم وعشرة خواتيم وعشر خلع وانصرف
فمضى إبراهيم من وجهه إلى يحيى المكي فأستأذن عليه فأذن له فأخبره بالذي كان من أمر ابن جامع واستغاث به فقال له يحيى أفزاد على البيت الأول شيئا قال لا قال أفرأيت إن زدتك بيتا ثانيا لم يعرفه إسماعيل أو عرفه ثم أنسيه وطرحته عليك حتى تأخذه ما تجعل لي قال النصف مما يصل إلي بهذا السبب قال والله فأخذ بذلك عليه عهدا وشرطا واستحلفه عليه أيمانا مؤكدة ثم زاده البيت الثاني وألقاه عليه حتى أخذه وانصرف
فلما حضر المغنون من غد ودعي به كان أول صوت غناه إبراهيم هذا الصوت وجاء بالبيت الثاني وتحفظ فيه فأصاب

وأحسن كل الإحسان وشرب عليه الرشيد واستعاده حتى سكر وأمر لإبراهيم بعشرة آلاف درهم وعشرة خواتيم وعشر خلع فحمل ذلك كله وانصرف من وجهه ذلك إلى يحيى فقاسمه ومضى إلى منزله
وانصرف ابن جامع إليه من دار الرشيد وكان يحيى في بقايا علة فاحتجب عنه فدفع ابن جامع في صدر بوابه ودخل إليه فقال له إيه يا يحيى كيف صنعت ألقيت الصوت على الجرمقاني لا دفع الله صرعتك ولا وهب لك العافية وتشاتما ساعة ثم خرج ابن جامع من عنده وهو مدوخ
إسحاق الموصلي يمدحه في جمع المغنين
حدثني عمي قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثني محمد بن أحمد بن يحيى المكي عن أبيه قال قال لي إسحاق كنت أنا وأبوك وابن جامع وفليح بن أبي العوراء وزبير بن دحمان يوما عند الفضل بن الربيع فانبرى زبير بن دحمان لأبيك يعني يحيى فجعلا يغنيان
ويباري كل واحد منهما صاحبه وذلك يعجب الفضل وكان يتعصب لأبيك ويعجب به
فلما طال الأمر بينهما قال له الزبير أنت تنتحل غناء الناس وتدعيه وتنحلهم ما ليس لهم فأقبل الفضل علي وقال احكم أيها الحاكم بينهما فلم يخف عليك ما هما فيه فقلت لئن كان ما يرويه يحيى ويغنيه شيئا لغيره فلقد روى ما لم يرووه وما لم نروه وعلم ما جهلناه وجهلوه ولئن كان من صنعته إنه لأحسن الناس صنعة وما أعرف أحدا أروى منه ولا أصح أداء للغناء كان ما يغنيه له أو لغيره فسر بذلك الفضل وأعجبه وما زال أبوك يشكره لي
صوت
من المائة المختارة
(أهاجتْك الظعائنُ يوم بانوا ... بذي الزِّيّ الجميلِ من الأثاثِ)
(ظعائنُ أُسلِكتْ نَقْبَ المُنَقَّى ... تَحُثّ إذا ونتْ أيَّ احتثاث)
الشعر للنميري والغناء للغريض ولحنه المختار ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر
أخبار النميري ونسبه
هو محمد بن عبد الله بن نمير بن خرشة بن ربيعة بن حبيب بن الحارث بن مالك بن حطيط بن جشم بن قسي وقسي هو ثقيف شاعر غزل مولد ومنشؤه بالطائف من شعراء الدولة الأموية وكان يهوى زينب بنت يوسف بن الحكم أخت الحجاج بن يوسف وله فيها أشعار يتشبب بها
حدثني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم قال حدثنا العمري عن لقيط بن بكير المحاربي وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار وأحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالوا حدثنا عمر بن شبة أن النميري كان يهوى زينب بنت يوسف أخت الحجاج بن يوسف بن الحكم لأبيه وأمه
وأمهما الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي وكانت عند المغيرة بن شعبة فرآها بكرة وهي تتخلل فقال لها والله لئن كان من
غداء لقد جشعت ولئن كان من عشاء لقد أنتنت وطلقها
فقالت أبعدك الله فبئس بعل المرأة الحرة أنت والله ما هو إلا من شظية من سواكي استمسكت بين سنين من أسناني قال حبيب بن نصر خاصة في خبره قال عمر بن شبة حدثنا بذلك أبو عاصم النبيل
أخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عمر بن شبة عن يعقوب بن داود الثقفي وحدثنا به ابن عمار والجوهري عن عمر بن شبة ولم يذكرا فيه يعقوب بن داود قالوا جميعا
قال مسلم بن جندب الهذلي وكان قاضي الجماعة بالمدينة إني لمع محمد بن عبد الله بن نمير بنعمان وغلام يسير خلفه يشتمه أقبح الشتيمة فقلت من هذا فقال هذا الحجاج بن يوسف فإني ذكرت أخته في شعري فأحفظه ذلك
قال عمر بن شبة في خبره وولدت الفارعة أم الحجاج من المغيرة بن شعبة بنتا فماتت فنازع الحجاج عروة بن المغيرة إلى ابن زياد في ميراثها فأغلظ الحجاج لعروة فأمر به ابن زياد فضرب أسواطا على رأسه وقال لأبي عبد الله تقول هذه المقالة وكان الحجاج حاقدا على آل زياد ينفيهم من آل أبي سفيان ويقول آل أبي سفيان سته حمش وآل زياد رسح حدل
وكان يوسف بن الحكم اعتل علة فطالت عليه فنذرت زينب إن عوفي أن تمشي إلى البيت فعوفي فخرجت في نسوة فقطعن بطن وج وهو ثلثمائة ذراع في يوم جعلته مرحلة لثقل بدنها ولم تقطع ما بين مكة والطائف إلا في شهر فبينا هي تسير إذ لقيها إبراهيم بن عبد الله النميري أخو محمد بن عبد الله منصرفا من العمرة فلما قدم الطائف أتى محمدا يسلم عليه فقال له ألك علم بزينب قال نعم لقيتها بالهماء في بطن نعمان فقال ما أحسبك إلا وقد قلت شيئا قال نعم قلت بيتا واحدا وتناسيته كراهة أن ينشب بيننا وبين إخواننا شر فقال محمد هذه القصيدة وهي أول ما قاله
صوت
شعره في زينب
(تَضَوّع مسكاً بطنُ نَعْمان إذ مشتْ ... به زينبٌ في نسوة عَطِرات)
(فأصبح ما بين الهَمَاء فحزوة ... إلى الماءِ ماء الجِزْع ذي العُشَرات)
(له أَرَجٌ من مِجمَر الهند ساطع ... تَطلعُ ريّاه من الكَفِرات)
(تهادين ما بين المُحَصَّب من مِنىً ... وأقبلن لا شُعْثاً ولا غَبِرات)
(أعان الذي فوق السموات عرشُه ... مواشي بالبَطْحاء مُؤْتجِرات)
(مَرَرْن بَفَخٍّ ثم رُحْن عشيةً ... يُلبِّين للرحمن معتمِرات)
(يُخبِّئن أطرافَ البنان من التقى ... ويقتلن بالألحاظ مقتدرات)
(تَقسَّمن لُبّي يوم نَعْمانَ إنني ... رأيتُ فؤادي عارِم النظرات)
(جَلَوْنَ وجوهاً لم تَلُحْها سمائمٌ ... حَرورٌ ولم يُشْفَعْن بالسَّبَرات)
(فقلتُ يعافِيرُ الظباءِ تناولتْ ... نِياعَ غصون المرْد مُهْتَصِرات)
(ولما رأتْ ركبَ النُّمَيري راعَها ... وكنّ مِنَ أنْ يَلْقَيْنَه حذِرات)
(فأدْنين حتى جاوز الركبُ دونها ... حِجاباً من القسِّيّ والحِبرات)
(فكدتُ اشتياقاً نحوَها وصَبابةً ... تَقَطّعُ نفسي إثْرها حَسَرات)

(فراجعتُ نفسي والحفيظةَ بعدما ... بَلَلتُ رداء العصْب بالعَبرات)
غنى ابن سريج في الأول وبعده مررن بفخ وبعده يخمرن أطراف البنان ولحنه ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق قال أبو زيد فبلغت هذه القصيدة عبد الملك بن مروان فكتب إلى الحجاج قد بلغني قول الخبيث في زينب فاله عنه وأعرض عن ذكره فإنك إن أدنيته أو عاتبته أطمعته وإن عاقبته صدقته
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو سلمة الغفاري قال هرب النميري من الحجاج إلى عبد الملك واستجار به فقال له عبد الملك أنشدني ما قلت في زينب فأنشده فلما انتهى إلى قوله
(ولما رأتْ ركبَ النميريّ أعرضتْ ... وكُنَّ مِنَ أن يَلْقَيْنه حَذِراتِ)
قال له عبد الملك وما كان ركبك يا نميري قال أربعة أحمرة لي كنت أجلب عليها القطران وثلاثة أحمرة صحبتي تحمل البعر فضحك عبد الملك حتى
استغرب ضحكا ثم قال لقد عظمت أمرك وأمر ركبك وكتب له إلى الحجاج أن لا سبيل له عليه
فلما أتاه بالكتاب وضعه ولم يقرأه ثم أقبل على يزيد بن أبي مسلم فقال له أنا بريء من بيعة أمير المؤمنين لئن لم ينشدني ما قال في زينب لآتين على نفسه ولئن أنشدني لأعفون عنه وهو إذا أنشدني آمن فقال له يزيد ويلك أنشده فأنشده قوله
(تَضوّعَ مسكاً بطنُ نَعْمان إذ مشتْ ... به زينبٌ في نسوةٍ خَفِراتِ)
فقال كذبت والله ما كانت تتعطر إذا خرجت من منزلها ثم أنشده حتى بلغ إلى قوله
(ولما رأت ركبَ النُّمَيري راعها ... وكنّ مِنَ أن يلقينه حَذِراتِ)
قال له حق لها أن ترتاع لأنها من نسوة خفرات صالحات ثم أنشده حتى بلغ إلى قوله
(مَرَرْن بفَخٍّ رائحاتٍ عشيةً ... يُلبين للرحمن معتمِرات)
فقال صدقت لقد كانت حجاجة صوامة ما علمتها ثم أنشده حتى بلغ إلى قوله
(يُخمِّرن أطراف البنان من التقى ... ويخرجن جنحَ الليل مُعْتِجراتِ)
فقال له صدقت هكذا كانت تفعل وهكذا المرأة الحرة المسلمة ثم قاله له ويحك إني أرى ارتياعك ارتياع مريب وقولك قول بريء وقد أمنتك ولم يعرض له
قال أبو زيد وقيل إنه طالب عريفه به وأقسم لئن لم يجئه به ليضربن عنقه فجاءه به بعد هرب طويل منه فخاطبه بهذه المخاطبة
قال أبو زيد وقال النميري في زينب أيضا
صوت
(طَرِبتَ وشاقتك المنازلُ من جَفْنٍ ... ألاَ ربما يعتادك الشوقُ بالحُزْنِ)
(نظرت إلى أظعان زينبَ باللِّوى ... فأعولْتها لو كان إعوالُها يُغني)
(فوالله لا أنساك زينبُ مادعتْ ... مُطوَّقةٌ ورقاءُ شجواً على غُصن)
(فإنّ احتمال الحيّ يومَ تحمّلوا ... عَناك وهل يَعنيك إلا الذي يَعني)
(ومُرْسلة في السرّ أن قد فضحتَني ... وصرّحتَ باسمي في النَّسيب فماتَكْني)
(وأشمتَّ بي أهلي وجُلَّ عشيرتي ... ليِهْنِئْك ما تهواه إن كان ذا يَهْني)
(وقد لامني فيها ابنُ عمّي ناصحاً ... فقلتُ له خذ لي فؤاديَ أو دَعْني)
غنى ابن سريج في الأول والثاني والخامس والسادس من هذه الأبيات لحنا من الرمل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق قال أبو زيد فيقال إنه بلغ زينب بنت يوسف قوله هذا فبكت فقالت لها خادمتها ما يبكيك فقالت أخشى أن يسمع بقوله هذا جاهل بي لا يعرفني ولا يعلم مذهبي فيراه حقا
قال وقال النميري فيها أيضا
(أهاجتْك الظعائنُ يومَ بانوا ... بذي الزِّيِّ الجميلِ من الأثاثِ)
(ظعائنُ أسلكتْ نَقْبَ المُنقَّى ... تُحَثّ إذا ونتْ أيَّ احتثاث)
(تُؤمِّل أن تُلاقِيَ أهلَ بُصْرى ... فيالك من لقاءْ مستراث)
(كأنّ على الحدائج يومَ بانوا ... نِعاجاً ترتعي بَقْلَ البِراث)
(يُهيِّجني الحمام إذا تَداعَى ... كما سجَع النوائحُ بالمَراثي)
(كأن عيونَهنّ من التبكّي ... فصوصُ الجَزْعِ أو يُنْع الكَباث)
(ألاَقِ أنت في الحَجِج البواقي ... كما لاقيتَ في الحِجج الثلاث)
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق قال قرأت على أبي حدثنا عثمان بن حفص وغيره أن يوسف بن الحكم قام إلى عبد الملك بن مروان لما بعث بالحجاج لحرب ابن الزبير وقال له يا أمير المؤمنين إن غلاما منا قال في ابنتي زينب ما لا يزال الرجل يقول مثله في بنت عمه وإن هذا يعني ابنه الحجاج لم يزل يتتوق إليه ويهم به وأنت الآن تبعثه إلى ما هناك وما آمنه عليه
فدعا بالحجاج فقال له إن محمدا النميري جاري ولا سلطان لك عليه فلا تعرض له
قال إسحاق فحدثني يعقوب بن داود الثقفي قال قال لي مسلم بن جندب الهذلي
كنت مع النميري وقد قتل الحجاج عبد الله بن الزبير وجلس يدعو الناس للبيعة فتأخر النميري حتى كان في آخرهم فدعا به ثم قال له إن مكانك لم يخف علي ادن فبايع
ثم قال له أنشدني ما قلت في زينب قال ما قلت إلا خيرا قال لتنشدني فأنشده قوله
(تَضوّع مسكاً بطنُ نَعْمانَ إذ مشتْ ... به زينبٌ في نسوة عَطِرات)
(أعانَ الذي فوقَ السموات عرشُه ... مَواشيَ بالبطْحاء مؤتجِرات)
(يخمّرن أطرافَ الأكُفّ من التُّقَى ... ويخرُجْن جُنْحَ الليل معتجرات)
فما ذكرت أيها الأمير إلا كرما وخيرا وطيبا قال فأنشد كلمتك كلها قال فأنت آمن فأنشده حتى بلغ إلى قوله
(ولمّا رأتْ ركبَ النُّميريّ راعها ... وكُنّ منَ أن يَلْقَيْنه حَذِراتِ)
فقال له وما كان ركبك قال والله ما كان إلا أربعة أحمرة تحمل القطران فضحك الحجاج وأمره بالإنصراف ولم يعرض له

هربه من الحجاج
أخبرني عمي قال حدثنا الكراني عن الخليل بن أسد عن العمري عن عطاء عن عاصم بن الحدثان قال كان ابن نمير الثقفي يشبب بزينب بنت يوسف بن الحكم فكان الحجاج يتهدده ويقول لولا أن يقول قائل صدق لقطعت لسانه فهرب إلى اليمن ثم ركب بحر عدن وقال في هربه
(أَتَتْني عن الحجّاج والبحرُ بيننا ... عقاربُ تَسْري والعيونُ هواجعُ)
(فضِقْتُ بها ذَرْعاً وأجهشتُ خِيفةً ... ولم آمَنِ الحَجَّاجَ والأمرُ فاظعُ)
(وحلَّ بي الخطبُ الذي جاءني به ... سميعٌ فليستْ تستقرّ الأضالع)
(فبِتُّ أُدير الأمرَ والرأيَ ليلتي ... وقد أخضلتْ خدِّي الدموعُ التوابع)
(ولم أر خيراً لي من الصبر إنه ... أعفُّ وخيرٌ إذ عَرَتْني الفواجع)
(وما أَمِنتْ نفسي الذي خِفتُ شرَّه ... ولا طاب لي مما خَشِيتُ المضاجع)
(إلى أن بدا لي رأس إسْبِيلَ طالعاً ... وإسبيلُ حصن لم تَنَلْه الأصابع)
(فلي عن ثَقيفٍ إن هممتُ بنجْوة ... مَهامِهُ تَهوي بينهنّ الهَجارع)
(وفي الأرض ذاتِ العَرْض عنك ابن يوسف ... إذا شئتُ مَنْأًى لا أبا لكَ واسع)
(فإن نِلْتَني حَجّاجُ فاشتفِ جاهداً ... فإنّ الذي لا يحفظ اللّهُ ضائع)
فطلبه الحجاج فلم يقدر عليه وطال على النميري مقامه هاربا واشتاق إلى وطنه فجاء حتى وقف على رأس الحجاج فقال له إيه يا نميري أنت القائل
(... (فإن نلتَني حَجَّاجُ فاشْتَفِ جاهداً
فقال بل أنا الذي أقول
(أخاف من الحَجّاج ما لستُ خائفاً ... من الأسد العِرْباض لم يَثْنِه ذُعْرُ)
(أخاف يدَيْه أن تنالا مَقاتلي ... بأبيضَ عَضْبٍ ليس من دونه سِتْر)
وأنا الذي أقول
(فهأنذا طَوَّفْتُ شَرْقاً ومَغْرباً ... وأُبْتُ وقد دَوّخت كلَّ مكان)
(فلو كانت العَنْقَاء منكَ تَطير بي ... لخِلْتُك إلا أن تَصُدّ تراني)
قال فتبسم الحجاج وأمنه وقال له لا تعاود ما تعلم وخلى سبيله
زواج زينب أخت الحجاج
رجع الخبر إلى رواية حماد بن إسحاق
قال حماد فحدثني أبي قال ذكر المدائني وغيره أن الحجاج عرض على زينب أن يزوجها محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل وهو ابن سبع عشرة سنة وهو يومئذ أشرف ثقفي في زمانه
أو الحكم بن أيوب بن أبي الحكم بن عقيل وهو شيخ كبير فاختارت الحكم فزوجها إياه فأخرجها إلى الشام
وكان محمد بن رباط كريها وهو يومئذ يكري
فلما ولي الحجاج العراق استعمل الحكم بن أيوب على البصرة فكلمته زينب في محمد بن رباط فولاه شرطته بالبصرة فكتب إليه الحجاج إنك وليت أعرابيا جافيا شرطتك وقد أجزنا ذلك لكلام من سألك فيه قال ثم أنكر الحكم بعض تعجرفه فعزله
ثم استعمل الحجاج الحكم بن سعد العذري على البصرة وعزل الحكم بن أيوب عنها واستقدمه لبعض الأمر ثم رده بعد ذلك إلى البصرة وجهزه من ماله
فلما قدم البصرة هيأت له زينب طعاما وخرجت متنزهة إلى بعض البساتين ومعها نسوة فقيل لها إن فيهن امرأة لم ير أحسن ساقا منها فقالت لها زينب أريني ساقك فقالت لا إلا بخلوة فقالت ذاك لك فكشفته لها فأعطتها ثلاثين دينارا وقالت اتخذي منها خلخالا
قال وكان الحجاج وجه بزينب مع حرمه إلى الشام لما خرج ابن الأشعث خوفا عليهن فلما قتل ابن الأشعث كتب إلى عبد الملك بن مروان بالفتح وكتب مع الرسول كتابا إلى زينب يخبرها الخبر فأعطاها الكتاب وهي راكبة على بغلة في هودج فنشرته تقرؤه وسمعت البغلة قعقعة الكتاب فنفرت وسقطت زينب عنها فاندق عضداها وتهرا جوفها فماتت
وعاد إليه الرسول الذي نفذ بالفتح بوفاة زينب فقال النميري يرثيها
صوت
(لزينبَ طَيفٌ تَعتريني طوارِقُه ... هُدوءاً إذا النجم ارْجَحَنّتْ لواحقُهْ)
(سيبكيكِ مِرْنانُ العشيّ يُجيبه ... لَطيفُ بنانِ الكفِّ دُرْمٌ مَرافقه)
((إذا ما بِساطُ اللهو مُدّ وأُلقيتْ ... لِلّذّاته أنماطُه ونمارِقُه
غناه معبد ولحنه ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق وما بقي من شعره من الأغاني في نسيب النميري لم نذكر طريقته وصانعه لنذكر أخباره معه
صوت
(تَضوع مسكاً بطنُ نَعْمان أنْ مشتْ ... به زينبٌ في نسوة خَفِراتِ)
(مَرَرْن بفَخٍّ رائحاتٍ عشيةً ... يُلبِّين للرحمن مُعتمِرات)
الغناء لإبن سريج ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق
أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مزيد قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن المدائني عن عبد الله بن مسلم الفهري قال خرج عبد الله بن جعفر متنزها فصادف ابن سريج وعزة الميلاء متنزهين
فأناخ ابن جعفر راحلته وقال لعزة غنيني فغنته ثم قال لإبن سريج غنني يا أبا يحيى فغناه لحنه في شعر النميري
(... تَضوّع مسكاً بطنُ نَعْمان أن مشتْ)
فأمر براحلته فنحرت وشق حلته فألقى نصفها على عزة والنصف الآخر على ابن سريج فباع ابن سريج النصف الذي صار إليه بمائة وخمسين دينارا
وكانت عزة إذا جلست في يوم زينة أو مباهاة ألقت النصف الآخر عليها تتجمل به

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني الحسن بن علي بن منصور قال أخبرني أبو عتاب عن إبراهيم بن محمد بن العباس المطلبي أن سعيد بن المسيب مر في بعض أزقة مكة فسمع الأخضر الحربي يتغني في دار العاص بن وائل
(تَضوّع مسكاً بطنُ نعمانَ إذ مشت ... به زينبٌ في نسوة خَفِراتِ)
فضرب برجله وقال هذا والله مما يلذ استماعه ثم قال
(وليست كأخرى أوسعت جيبَ دِرْعِها ... وأبدت بنانَ الكفّ للجَمَراتِ)
((وعَلّت بَنان المسكِ وَحْفاً مرجَّلا ... على مثل بَدْرٍ لاح في الظلمات
(وقامتْ تَرَاءى يومَ جَمْعٍ فَأَفْتنتْ ... برؤيتها مَنْ راح من عَرَفاتِ)
قال فكانوا يرون أن هذا الشعر لسعيد بن المسيب
عائشة بنت طلحة تستنشده شعره في زينب
أخبرني عمي قال حدثني الكراني قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله أخي الأصمعي عن عبد الله بن عمران الهروي وأخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني المغيرة بن محمد المهلبي قال حدثني محمد بن عبد الوهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله عن عبد الله بن عمران الهروي قال لما تأيمت عائشة بنت طلحة كانت تقيم بمكة سنة وبالمدينة سنة
وتخرج إلى مال لها عظيم بالطائف وقصر كان لها هناك فتتنزه فيه وتجلس بالعشيات فيتناضل بين يديها الرماة فمر بها النميري الشاعر فسألت عنه فنسب لها فقالت ائتوني به فأتوها به فقالت له أنشدني مما قلت في زينب فامتنع عليها وقال تلك ابنة عمي وقد صارت عظاما بالية قالت أقسمت عليك بالله إلا فعلت فأنشدها قوله
(... تضوّع مسكاً بطنُ نعمان أنْ مشتْ)
الأبيات فقالت والله ما قلت إلا جميلا ولا ذكرت إلا كرما وطيبا ولا وصفت إلا دينا وتقى أعطوه ألف درهم
فلما كانت الجمعة الأخرى تعرض لها فقالت علي به فأحضر فقالت له أنشدني من شعرك في زينب فقال لها أو أنشدك من شعر الحارث بن خالد فيك فوثب مواليها إليه فقالت دعوه فإنه أراد أن يستقيد لبنت عمه هات مما قال الحارث في فأنشدها
(ظَعَن الأميرُ بأحسن الخَلْق ... وغَدَوْا بلبِّك مَطْلَع الشَّرْقِ)
فقالت والله ما ذكر إلا جميلا ذكر أني إذا صبحت زوجا بوجهي غدا بكواكب الطلق وأني غدوت مع أمير تزوجني إلى الشرق وأني أحسن الخلق في البيت ذي الحسب الرفيع أعطوه ألف درهم واكسوه حلتين ولا تعد لإتياننا بعد هذا يا نميري
أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة عن إسحاق وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه
أن الرشيد غضب على إبراهيم أبيه بالرقة فحبسه مدة ثم اصطبح يوما فبينا هو على حاله إذ تذكره فقال لو كان الموصلي حاضرا لانتظم أمرنا وتم سرورنا
قالوا يا أمير المؤمنين فجيء به فما له كبير ذنب فبعث فجيء به فلما دخل أطرق الرشيد فلم ينظر إليه وأومأ إليه من حضر بأن يغني فاندفع فغنى
(تَضَوَّع مسكاً بطنُ نَعْمان أن مشتْ ... به زينبٌ في نِسْوَة خَفِراتِ)
فما تمالك الرشيد أن حرك رأسه مرارا واهتز طربا ثم نظر إليه وقال أحسنت والله يا إبراهيم حلوا قيوده وغطوه بالخلع ففعل ذلك
فقال يا سيدي رضاك أولا قال لو لم أرض ما فعلت هذا وأمر له بثلاثين ألف درهم
ومما قاله النميري في زينب وغني فيه
صوت
(تَشْتو بمكة نَعْمةً ... ومَصِيفُها بالطائِف)
(أحْبِبْ بتلك مواقفاً ... وبزينبٍ مِنْ واقف)
(وعَزيزةٍ لم يَغْذُها ... بؤسٌ وجفوةُ حائف)
(غَرَّاء يَحْكيها الغزالُ ... بمُقلةٍ وسَوَالف)
الغناء ليحيى المكي خفيف رمل عن الهشامي وذكر عمرو بن بانة أنه لإبن سريج وأنه بالبنصر ورغم الهشامي أن فيه لإبن المكي أيضا لحنا من الثقيل الأول
ومن الغناء في أشعاره في زينب
صوت
(ألاَ مَنْ لقلبٍ مُعَنّىً غَزِلْ ... يُحِبّ المُحِلَّةَ أختَ المُحِلّ)
(تراءتْ لنا يومَ فرع الاراك ... بين العِشاء وبين الأُصُل)
(كأنّ القَرَنْفُلَ والزَّنْجَبيلَ ... وريحَ الخُزَامَي وذوْبَ العسل)
(يُعَلّ به بَرْدُ أنْيَابِها ... إذا ما صفا الكوكبُ المعتدل)
الغناء لمعبد ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وذكر يونس لمالك فيه لحنا في
(... كأن القرَنْفُلَ وَالزَّنْجبيل)
والبيت الذي بعده وبيتين آخرين وهما
(وقالت لجارتها هل رأيتِ ... إذْ أعرَض الركبُ فِعْلَ الرجلْ)
(وأنّ تَبَسُّمَه ضاحكاً ... أَجَدّ اشتياقاً لقلب غَزِل)
وذكر حماد عن أبيه أن فيها للهذلي لحنا ولم يذكر طريقته
المحل الذي عناه النميري ها هنا الحجاج بن يوسف سمي بذلك لإحلاله الكعبة وكان أهل الحجاز يسمونه بذلك ويسمي أهل الشأم عبد الله بن الزبير المحل لأنه أحل الكعبة زعموا أنه بمقامه فيها وكان أصحابه أحرقوها بنار إستضاؤوا بها

فأخبرني الحسين بن يحيى المرداسي قال قال حماد بن إسحاق قرأت على أبي وبلغني أن إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس تزوج أسماء بنت يعقوب امرأة من ولد عبد الله بن الزبير فزفت إليه من المدينة وهو بفارس فمرت بالأهواز على السيد الحميري فسأله عنها فنسبت له فقال فيها قوله
(مرّتْ تُزَفّ على بغلة ... وفوقَ رحالتِها قُبّهْ)
(زُبيريّةٌ من بنات الذي ... أحلّ الحرامَ من الكعبة)
(تُزَفُّ إلى مَلكٍ ماجدٍ ... فلا اجتمعا وبِها الوَجْبَه)
وقد قيل بأن الأبيات اللامية التي أولها
ألاَ مَنْ لقلبٍ معنىً غَزل ...) لخالد بن يزيد بن معاوية في زوجته رملة بنت الزبير وقيل إنها لأبي شجرة السلمي)
حدثني الحسين بن الطيب البلخي لالشاعر قال حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا أبو بكر بن شعيب بن الحبحاب المعولي قال كنت عند ابن سيرين فجاءه إنسان يسأله عن شيء من الشعر قبل صلاة العصر فأنشده ابن سيرين
(كأنّ المُدامةَ والزنجبيلَ ... وريحَ الخُزامَى وذَوْبَ العَسلْ)
(يُعَلّ به بَرْدُ أنيابها ... إذا النجم وَسْطَ السماء اعتدا)
وقال الله أكبر ودخل في الصلاة
صوت
من المائة المختارة
(يا قلبُ ويحكَ لا يذهبْ بك الخُرُق ... إنّ الأُلىَ كنتَ تَهْواهم قد انطلقوا)
ويروى يذهب بك الحرق
(ما بالهم لم يُبالوا إذ هجَرْتَهُمُ ... وأنت من هجرتهم قد كدتَ تحترقُ)
الشعر لوضاح اليمن والغناء لصباح الخياط ولحنه المختار ثقيل أول بالوسطى في مجراها
وفي أبيات من هذه القصيدة ألحان عدة فجماعة من المغنين قد خلطوا معها غيرها من شعر الحارث بن خالد ومن شعر ابن هرمة فأخرت ذكرها
إلى أن تنقضي أخبار وضاح ثم أذكرها بعد ذلك إن شاء الله تعالى
أخبار وضاح اليمن ونسبه
وضاح لقب غلب عليه لجماله وبهائه واسمه عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كلال بن داذ بن أبي جمد
ثم يختلف في تحقيق نسبه فيقول قوم إنه من أولاد الفرس الذين قدموا اليمن مع وهرز لنصرة سيف بن ذي يزن على الحبشة
ويزعم آخرون أنه من آل خولان بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن العرنجج وهو حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب وهو المرعف بن قحطان
فممن ذكر أنه من حمير خالد بن كلثوم قال كان وضاح اليمن من أجمل العرب وكان أبوه إسماعيل بن داذ بن ابي جمد من آل خولان بن عمرو بن معاوية الحميري
فمات أبوه وهو طفل فانتقلت أمه إلى أهلها وانقضت عدتها فتزوجت رجلا من أهلها من أولاد الفرس
وشب وضاح في حجر زوج أمه فجاء عمه وجدته أم أبيه ومعهم جماعة من أهل بيته من حمير ثم من آل ذي قيفان ثم من آل ذي جدن يطلبونه فادعى زوج أمه أنه ولده
فحاكموه فيه وأقاموا البينة أنه ولد على
فراش إسماعيل بن عبد كلال أبيه فحكم به الحاكم لهم وقد كان اجتمع الحميريون والأبناء في أمره وحضر معهم
فلما حكم به الحاكم للحميريين مسح يده على رأسه وأعجبه جماله وقال له إذهب فأنت وضاح اليمن لا من أتباع ذي يزن يعني الفرس الذين قدم بهم ابن ذي يزن لنصرته فعلقت به هذه الكلمة منذ يومئذ فلقب وضاح اليمن
قال خالد وكانت أم داذ بن أبي جمد جدة وضاح كندية فذلك حيث يقول في بنات عمه
(إن قلبي مُعَلّق بنساء ... واضحاتِ الخدود لَسْنَ بُهْجن)
(مِنْ بنات الكريم داذَ وفي كِندَةَ ... يُنسبن من أُباة اللّعْن)
وقال أيضا يفتخر بجده أبي جمد
(بَنَى ليَ إسماعيلُ مجداً مُؤَثَّلاً ... وعبدُ كُلال بعده وأبو جَمَدْ)
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني عمي عن العباس بن هشام عن أبيه قال
كان وضاح اليمن والمقنع الكندي وأبو زبيد الطائي يردون مواسم العرب مقنعين يسترون وجوههم خوفا من العين وحذرا على أنفسهم من النساء لجمالهم
قال خالد بن كلثوم فحدثت بهذا الحديث مرة وأبو عبيدة معمر بن المثنى حاضر ذلك وكان يزعم أن وضاحا من الأبناء فقال أبو عبيدة داذ اسم فارسي
فقلت له عبد كلال اسم يمان وأبو جمد كنية يمانية والعجم لا تكتني وفي اليمن جماعة قد تسموا بأبرهة وهو اسم حبشي فينبغي أن تنسبهم إلى الحبشة وأي شيء يكون إذا سمي عربي بإسم فارسي وليس كل من كني أبا بكر هو الصديق ولا من سمي عمرا هو الفاروق وإنما الأسماء علامات ودلالات لا توجب نسبا ولا تدفعه قال فوجم أبو عبيدة وأفحم فما أجاب
وممن زعم أنه من أبناء الفرس ابن الكلبي ومحمد بن زياد الكلابي
وقال خالد بن كلثوم إن أم إسماعيل أبي الوضاح بنت ذي جدن وأم أبيه بنت فرعان ذي الدروع الكندي من بني الحارث بن عمرو
شعره في حبيبته روضة
وكان وضاح يهوى امرأة من أهل اليمن يقال لها روضة أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال
ذكر هشام بن الكلبي أنها روضة بنت عمرو من ولد فرعان ذي الدروع الكندي
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني محمد بن سعيد الكراني قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي عن عبد الله بن عياش أن وضاحا هوي امرأة من بنات الفرس يقال لها روضة فذهبت به كل مذهب

وخطبها فامتنع قومها من تزويجه إياها وعاتبه أهله وعشيرته فقال في ذلك
صوت
(يأيها القلبُ بعضَ ما تجِدُ ... قد يعشَق المرءُ ثم يتَّئدُ)
(قد يكتم المرءُ حبَّه حِقَباً ... وهْوَ عَميدٌ وقلبُه كَمِد)
(ماذا تريدين من فتىً غَزِلٍ ... قد شفّه السُّقْمُ فيكِ والسَّهَد)
(يهدّدوني كيما أخافهُم ... هيهات أنّي يُهَدَّد الأسد)
الغناء لإبن محرز خفيف رمل بالوسطى عن عمرو وفيها لحن لإبن عباد من كتاب إبراهيم غير مجنس
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني سالم بن زيد قال أخبرني التوزي قال حدثنا الأصمعي عن الخليل بن أحمد قال كان وضاح يهوى امرأة من كندة يقال لها روضة فلما اشتهر أمره معها خطبها فلم يزوجها وزوجت غيره فمكثت مدة طويلة
ثم أتاه رجل من بلدها فأسر إليه شيئا فبكى
فقال له أصحابه مالك تبكي وما خبرك فقال أخبرني هذا أن روضة قد جذمت وأنه رآها قد ألقيت مع المجذومين ولم نجد لهما
خبرا يرويه أهل العلم إلا لمعا يسيرة وأشياء تدل على ذلك من شعره فأما خبر متصل فلم أجده إلا في كتاب مصنوع غث الحديث والشعر لا يذكر مثله
وأصابها الجذام بعد ذلك فانقطع ما بينهما ثم شبب بأم البنين بنت عبد العزيز بن مروان زوجة الوليد بن عبد الملك فقتله الوليد لذلك
وأخبارهما تذكر في موضعها بعقب هذه الحكاية
أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا أحمد بن زهير بن حرب قال حدثنا مصعب بن عبد الله قال كان وضاح اليمن يهوى امرأة يقال لها روضة ويشبب بها في شعره وهي امرأة من أهل اليمن وفيها يقول
صوت
(يا رَوْضة الوضّاح قد ... عَنّيتِ وضّاحَ اليمنْ)
(فاسقي خليلَكِ مِنْ شرابٍ ... لم يُكدِّره الدَّرَن)
(الريحُ ريح سَفَرْجَلٍ ... والطعمُ طعم سُلافٍ دَنّ)
(إني تُهيّجني إليكِ ... حمامتان على فَنَن)
قال مصعب فحدثني بعض أهل العلم ممن كان يعرف خبر وضاح مع روضة من أهل اليمن أن وضاحا كان في سفر مع أصحابه فبينا هو يسير إذ استوقفهم وعدل عنهم ساعة ثم عاد إليهم وهو يبكي
فسألوه عن حاله فقال عدلت إلى روضة وكانت قد جذمت فجعلت مع المجذومين وأخرجت من بلدها فأصلحت من شأنها وأعطيتها صدرا من نفقتي وجعل يبكي غما بها
الغناء في الأبيات المذكورة في هذا الخبر ينسب مع تمام الأبيات فإن في جميعها غناء
ومما قاله وضاح في روضة المذكورة وفيه غناء وأنشدنا حرمي عن الزبير عن عمه
صوت
(أيا روضةَ الوَضّاح يا خيرَ رَوْضةٍ ... لأهلكِ لو جادوا علينا بمنزلِ)
(رهينُكِ وَضّاحٌ ذهبتِ بعقله ... فإن شئتِ فاحييه وإن شئت فاقتلي)
(وتُوقد حيناً باليَلَنْجُوج نارَها ... وتوقِد أحياناً بمسك ومَنْدَل)
والأبيات الأول النونية فيها زيادة على ما رواه مصعب وفي سائرها غناء وتمامها بعد قوله
(إني تُهيّجني إليكِ ... حمامتان على فَنَن)
(الزوج يدعو إلفَه ... فتطاعما حُبَّ السكنْ)
(لا خيرَ في نَثّ الحديث ... ولا الجليس إذا فَطَن)
(فاعْصِي الوُشاةَ فإنما ... قول الوشاة هو الغَبَن)
(إنّ الوشاة إذا أتوكِ ... تَنَصّحوا ونَهَوْكِ عَنّ)
(دَسّتْ حُبَيبةُ مَوْهِناً ... إني وعيشكِ يا سَكَن)
(أبلغتُ عنكِ تبدُّلاً ... وأتى بذلك مُؤتَمن)
(وظننتُ أنكِ قد فعلت ... فكِدْتُ من حَزن أُجنّ)
((ذَرَفَتْ دموعي ثم قلت ... بمَنْ يبادلني بمن)
(أسكُتْ فلستُ مُصدِّقاً ... ما كان يفعل ذا أظن)
(إني وجَدِّكَ لو رأيت ... خليلَنا ذاك الحسن)
(يجفوه ثم يحبنا ... والله ميتٌ من الحَزَن)
(أخبرْه إمّا جئتَه ... أنّ الفؤاد به يُجَنّ)
(أبغضت فيه أحبّتي ... وقَلَيْت أهلي والوطن)
(أتركتَني حتى إذا ... عُلِّقت أبيض كالشَّطَن)
(أنشأتَ تطلب وصْلَنا ... في الصيف ضَيَّعت اللبن)
هكذا قال وغيره يرويه في الصيف ضيحت اللبن أي مذقته قال
(لو قيل يا وضّاح قم ... فاختر لنفسك أو تَمَنّ)
(لم أعْدُ رَوْضةَ والذي ... ساق الحجيج له البُدُن)
الغناء في الأول من القصيدة وهو يا روضة الوضاح ينسب إن شاء الله وله في روضة هذه أشعار كثيرة في أكثرها صنعة وبعضها لم يقع إلي أنه صنع فيه فمن قوله فيها
صوت
(يا روضُ جيرانكم الباكرُ ... فالقلبُ لا لاهٍ ولا صابرُ)

(قالت ألا لا تَلِجَنْ دارَنا ... إنّ أبانا رجلٌ غائر)
(قلت فإني طالبٌ غِرَّةً ... منه وسَيفي صارمٌ باتر)
(قالت فإن القَصرَ مِنْ دوننا ... قلتُ فإني فوقه ظاهر)
(قالت فإن البحرَ مِنْ دوننا ... قلت فإني سابحٌ ماهر)
(قالت فَحَوْلي إخوةٌ سبعةٌ ... قلت فإني غالبٌ قاهر)
(قالت فليثٌ رابضٌ بيننا ... قلت فإني أسدٌ عاقر)
(قالت فإن الله من فوقنا ... قلت فربّي راحمٌ غافر)
(قالت لقد أعييتَنا حُجّةً ... فَأْتِ إذا ما هَجع السامر)
(فاسقُط علينا كسقوط النَّدَى ... ليلَةَ لا ناهٍ ولا زاجز)
الغناء في هذه الأبيات هزج يمني وذكر يحيى المكي أنه له
وقال في روضة وهو بالشام
(أبتْ بالشام نفسي أن تطيبَا ... تذكَرتُ المنازلَ والحبيبَا)
(تذكّرتُ المنازلَ من شعُوب ... وحَيّاً أصبحوا قُطِعوا شعُوبا)
(سبَوا قلبي فَحلَّ بحيث حلّوا ... ويُعظم إن دَعَوا ألاّ يُجيبا
(ألاى ليت الرياحَ لنا رسولٌ ... إليكم إنْ شَمَالاً أو جَنُوبا)
(فتأتِيَكم بما قلنا سريعاً ... ويبلُغَنا الذي قلتم قريبا)
(ألاَ يا رَوْض قد عَذّبتِ قلبي ... فأصبح من تذكُّركمِ كئيبا)
(ورقّقني هواكِ وكنتُ جَلْداً ... وأبْدَى في مَفارقَي المَشيبا)
(أمَا يُنسيكِ روضةَ شحطُ دارٍ ... ولا قربٌ إذا كانت قريبا)
ومما قال فيها أيضا
(طَرِب الفؤاد لطَيْفِ روضةَ غاشِي ... والقومُ بين أباطحٍ وعِشاَش)
(أنّى اهتديتِ ودون أرضِك سَبْسَبٌ ... قَفْرٌ وحزْنٌ في دُجىً ورشاَش)
(قالت تكاليفُ المحبّ كَلِفْتُها ... إنّ المُحِبّ إذا أخيف لمَاشي)
(أدعوكِ روضة رحب واسمكِ غيرُه ... شَفَقاً وأخشى أن يَشي بِك واشي)
(قالت فَزُرْنا قلتُ كيف أزورُكم ... وأنا امرؤ لخُروج سرِّك خاشي)
(قالت فكُنْ لعمومتي سَلِماً معاً ... والطُفْ لإخوتيَ الذين تُماشي)
(فتزورنا معهم زيارةَ آمنٍ ... والسرُّ يا وضّاح ليس بفاشي)
(ولَقِيتُها تمشي بأبطَحَ مرّةٍ ... بخلاخلٍ وبحُلَةٍ أكْباش)
(فظلْلتُ معمودًا وبِت مُسهَّدًا ... ودموع عيني في الرداء غَواشي)
((يا روض حبُّك سَلّ جسمي وانتحى ... في العظم حتى قد بلغتِ مُشاشي
ومما قال فيها أيضا
(طَرَق الخيالُ فمرحباً سهلاَ ... بخيال مَنْ أهدى لنا الوصْلاَ)
(وسرَى إليّ ودون منزله ... خمسٌ دوائمُ تُعمِل الإبْلا)
(يا حبّذا مَنْ زار معتسفاً ... حَزْنَ البلاد إليّ والسَّهْلا)
(حتى ألمّ بنا فبِتُّ به ... أغْنَى الخلائق كلِّهم شمْلا)
(يا حبذا هي حسبِك قدكِ في ... والله ما أبقيت لي عقلا)
(والله ما لي عنكِ مُنْصَرَفٌ ... إلا إليكِ فأَجْمِلي الفِعْلا)
رأته أم البنين فهويته
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا القاسم بن الحسن المروزي قال حدثنا العمري عن لقيط والهيثم بن عدي أن أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان استأذنت الوليد بن عبد الملك في الحج فأذن لها وهو يومئذ خليفة وهي زوجته فقدمت مكة ومعها من الجواري ما لم ير مثله حسنا
وكتب الوليد يتوعد الشعراء جميعا إن ذكرها أحد منهم أو ذكر أحدا ممن تبعها وقدمت فتراءت للناس وتصدى لها أهل الغزل والشعر ووقعت عينها على وضاح اليمن فهويته
فحدثنا الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير ابن بكار قال حدثني إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز الزهري عن محمد بن جعفر مولى أبي هريرة عن أبيه عن بديح قال قدمت أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان وهي عند الوليد بن عبد الملك حاجة والوليد يومئذ خليفة
فبعثت إلى كثير وإلى وضاح اليمن أن انسبا بي فأما وضاح اليمن فإنه ذكرها وصرح بالنسيب بها فوجد الوليد عليه السبيل فقتله وأما كثير فعدل عن ذكرها ونسب بجاريتها غاضرة فقال
صوت
(شجا أظْعانُ غاضرةَ الغَوَادي ... بغير مَشُورة عَرَضاً فؤادي)
(أغاضِر لو شهِدتِ غداةَ بِنْتم ... حُنُوَّ العائدات على وسادي)
(أوَيْتِ لعاشق لم تشكُميه ... بواقدةٍ تلذّعُ كالزناد)
الغناء في هذه الأبيات لإبن محرز ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي وحبش قال بديح فكنت لما حجت أم البنين لا تشاء أن ترى وجها حسنا إلا رأيته معها
فقلت لعبيد الله بن قيس الرقيات بمن تشبب من هذا القطين فقال لي
((وما تصنعِ بالسرّ ... إذا لم تك مجنوناَ
(إذا عالجتَ ثِقْلَ الحبّ ... عالجت ألأمرِّينا)
(وقد بُحتَ بأمرٍ كان ... في قلبيَ مكنونا)
(وقد هِجْتَ بما حاولْتَ ... أمراً كان مدفونا)

قال ثم خلا بي فقال لي اكتم علي فإنك موضع للأمانة وأنشدني
صوت
(أصحوتَ عن أمِّ البنينَ ... وذكرِها وعنَائها)
(وهجرتَها هجرَ امرئ ... لم يَقْلُ صفوَ صفائها)
(قُرشيَّةٌ كالشمس أشرق ... نورُها ببهائها)
(زادتْ على البيض الحِسان ... بحسنها ونقائها)
(لمَا اسبكَّرتْ للشباب ... وقُنّعت بردائها)
(لم تلتفت لِلداتها ... ومضتْ على غُلوائها)
(لولا هَوَى أمِّ البنينَ ... وحاجتي للقائها)
(قد قرّبت لي بغلةً ... محبوسة لنَجائها)
قال بديح فلما قتل الوليد وضاح اليمن حجت بعد ذلك أم البنين محتجبة لا تكلم أحدا وشخصت كذلك فلقيني ابن قيس الرقيات فقال يا بديح
صوت
(بان الحبيبُ الذي به تَثِقُ ... واشتدّ دون الحبيبةَ القَلَقُ)
((يا من لصَفْراء في مفاصلها ... لِينٌ وفي بعض بطشها خُرُق
وهي قصيدة قد ذكرت مع أخبار ابن قيس الرقيات
الغناء في الأبيات الأول التي أولها
(... أصحوتَ عن أمِّ البنين)
ينسب في موضع آخر إن شاء الله
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمر بن أبي بكر المؤملي عن عبد الله بن أبي عبيدة قال حدثني كثير قال حججت مع أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان وهي زوجة الوليد بن عبد الملك فأرسلت إلي وإلى وضاح اليمن أن انسبا بي فهبت ذلك ونسبت بجاريتها غاضرة فقلت
(شجا أظعانُ غاضرة الغَوَادِي ... بغير مَشُورة عَرَضاً فؤادي)
(أغاضر لو شهدت غداةَ بِنْتم ... حُنُوّ العائدات على وسادي)
(أوَيْتِ لعاشقٍ لم تشكُميه ... بواقدةٍ تلذّع كالزناد)
وأما وضاح فنسب بها فبلغ ذلك الوليد فطلبه فقتله
أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد الكراني قال حدثني أبو عمر العمري عن العتبي قال مدح وضاح اليمن الوليد بن عبد الملك وهو يومئذ خليفة ووعدته أم
البنين بنت عبد العزيز بن مروان أن ترفده عنده وتقوي أمره فقدم عليه وضاح وأنشده قوله فيه
صوت
(صبا قَلبي ومال إليكِ مَيْلاَ ... وأرّقني خيالُكِ يا أُثيْلا)
(يمانَيةٌ تُلِمّ بنا فتُبدِي ... دقيقَ محاسنٍ وتُكِنّ غَيْلا)
(دَعِينا ما أممتُ بناتِ نَعْشٍ ... من الطّيْفِ الذي يَنتاب ليلا)
(ولكنْ إن أردتِ فَصبِّحينا ... إذا أمّتْ ركائبنُا سُهيلا)
(فإنك لو رأيتِ الخيل تعدو ... سِراعا يتخذن النَّقْع ذَيْلا)
(إذاً لرأيتِ فوقَ الخيل أُسْداً ... تُفيد مغانماً وتُفيت نَيْلا)
(إذا سار الوليدُ بنا وسِرْنا ... خيل نَلُفّ بهنّ خَيْلا)
(وندخل بالسرور ديارَ قوم ... ونُعقب آخرين أذىً ووَيْلا)
فأحسن الوليد رفده وأجزل صلته ومدحه بعدة قصائد ثم نمي إليه أنه شبب بأم البنين فجفاه وأمر بأن يحجب عنه ودبر في قتله
ومدحه وضاح بقوله أيضا
(ما بال عينكَ لا تَنام كأنما ... طلب الطبيبُ بها قَذىً فأضَلَّهُ)
((بل ما لِقلبكَ لا يزال كأنه ... نَشوانُ أنْهله النديمُ وعَلَّه
(ما كنت أحسَب أنْ أبيتَ ببلدةٍ ... وأخي بأُخْرى لا أَحُلُّ مَحلُّه)
(كنّا لعَمْرُكَ ناعِمين بغبطةٍ ... مع ما نُحبّ مَبيتَه ومَظَلّه)
(فأرى الذي كنّا وكان بغِرّة ... نلهوا بِغرّته ونهوىَ دَلّه)
(كالطيف وافقَ ذا هوىً فلَها به ... حتى إذا ذهب الرقاد أضلّه)
(قل للذي شَعف البلاءُ فؤادَه ... لا تهلكنّ أخاً فربّ أخ له)
(والقَ ابن مَروان الذي قد هزّه ... عِرقِ المكارمِ والنّدى فأقلّه)
(واشْكُ الذي لاقيته من دونه ... وانشرْ إليه داءَ قلبك كلَّه)
(فعلى ابن مَرْوان السلامُ من امرئ ... أمسى يذوق منَ الرُّقاد أقلّه)
(شوقاً إليك فما تنالك حالُه ... وإذا يَحُلّ البابَ لم يُؤذن له)
(فإليك أعملتُ المطايا ضُمَّراً ... وقطعتُ أرْواحَ الشتاء وظِلّه)
(وليالياً لو أنّ حاضرَ بَثّها ... طرف القضيب أصابه لأشلّه)
فلم يزل مجفوا حتى وجد الوليد له غرة فبعث إليه من اختلسه ليلا فجاءه به فقتله ودفنه في داره فلم يوقف له على خبر
الوليد يدفنه حيا
وقال خالد بن كلثوم في خبره كان وضاح قد شبب بأم البنين بنت عبد العزيز بن مروان إمرأة الوليد بن عبد الملك وهي أم ابنة عبد العزيز بن الوليد والشرف فيهم

فبلغ الوليد تشببه بها فأمر بطلبه فأبى به فأمر بقتله فقال له ابنه عبد العزيز لا تفعل يا أمير المؤمنين فتحقق قوله ولكن افعل به كما فعل معاوية بأبي دهبل فإنه لما شبب بإبنته
شكاه يزيد وسأله أن يقتله فقال إذاتحقق قوله ولكن تبره وتحسن إليه فيستحي ويكف ويكذب نفسه
فلم يقبل منه وجعله في صندوق ودفنه حيا
فوقع بين رجل من زنادقة الشعوبية وبين رجل من ولد الوليد فخار خرجا فيه إلى أن أغلظا المسابة وذلك في دولة بني العباس فوضع الشعوبي عليهم كتابا زعم فيه أن أم البنين عشقت وضاحا فكانت تدخله صندوقا عندها
فوقف على ذلك خادم الوليد فأنهاه إليه وأراه الصندوق فدفنه هكذا ذكر خالد بن كلثوم والزبير بن بكار جميعا
وأخبرني علي بن سليمان الأخفش في كتاب المغتالين قال حدثنا أبو سعيد السكري قال حدثنا محمد بن حبيب عن ابن الكلبي قال عشقت أم البنين وضاحا فكانت ترسل إليه فيدخل إليها ويقيم عندها فإذا خافت وارته في صندوق وأقفلت عليه
فأهدي للوليد جوهر له قيمة فأعجبه واستحسنه فدعا خادما له فبعث به معه إلى أم البنين وقال قل لها إن هذا الجوهر أعجبني فآثرتك به
فدخل الخادم عليها مفاجأة ووضاح عندها فأدخلته الصندوق وهو يرى فأدى إليها رسالة الوليد ودفع إليها الجوهر ثم قال يا مولاتي هبيني منه حجرا فقالت لا يابن اللخناء ولا كرامة
فرجع إلى الوليد فأخبره فقال كذبت يابن اللخناء وأمر به فوجئت عنقه ثم لبس نعليه ودخل على أم البنين وهي جالسة في ذلك البيت تمتشط وقد وصف له الخادم الصندوق الذي أدخلته فيه فجلس عليه ثم قال لها يا أم البنين ما أحب إليك هذا البيت
من بين بيوتك فلم تختارينه فقالت أجلس فيه وأختاره لأنه يجمع حوائجي كلها فأتناولها منه كما أريد من قرب
فقال لها هبي لي صندوقا من هذه الصناديق قالت كلها لك يا أمير المؤمنين قال ما أريدها كلها وإنما أريد واحدا منها
فقالت له خذ أيها شئت قال هذا الذي جلست عليه قالت خذ غيره فإن لي في أشياء أحتاج إليها قال ما أريد غيره قالت خذه يا أمير المؤمنين
فدعا بالخدم وأمرهم بحمله فحمله حتى انتهى به إلى مجلسه فوضعه فيه ثم دعا عبيدا له فأمرهم فحفروا بئرا في المجلس عميقة فنحى البساط وحفرت إلى الماء
ثم دعا بالصندوق فقال يا هذا إنه بلغنا شيء إن كان حقا فقد كفناك ودفناك ودفنا ذكرك وقطعنا أثرك إلى آخر الدهر وإن كان باطلا فإنا دفنا الخشب وما أهون ذلك ثم قذف به في البئر وعليه عليه التراب وسويت الأرض ورد البساط إلى حاله
وجلس الوليد عليه ثم ما رئي بعد ذلك اليوم لوضاح أثر في الدنيا إلى هذا اليوم قال ما رأت أم البنين لذلك أثرا في وجه الوليد حتى فرق الموت بينهما
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثني مصعب بن عبد الله قال مرضت أم البنين ووضاح مقيم بدمشق وكان نازلا عليها فقال في علتها
صوت
(حتّامَ نَكْتُم حزنَنا حتَاما ... وعَلاَم نستبقي الدموعَ علاماَ)
(إن الذي بي قد تفاقم واعتلى ... ونما وزاد وأوْرَث الأسقاما)
(قد أصبحت أمُّ البنين مريضةً ... نَخشى ونُشفق أن يكون حِماما)
(يا ربّ أمْتِعْنِي بطول بقائها ... واجبرُ بها الأرمالَ والأيتاما)
(واجبر بها الرجلَ الغريبَ بأرضها ... قد فارق الأخوالَ والأعماما)
(كم راغبين وراهبين وبُؤّسٍ ... عُصِموا بقرب جَنابِها إعصاما)
(بجناب ظاهرة الثَّنَا محمودةٍ ... لا يُستطاع كلامُها إعظاما)
الغناء في الأول والثاني والثالث والرابع والخامس لحكم الوادي خفيف رمل بالوسطى عن الهشامي وعبد الله بن موسى ومما وجد في روايتي هارون بن الزيات وابن المكي في الرابع ثم الخامس ثم الأول والثاني لعمر الوادي خفيف رمل من رواية الهشامي
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا مصعب قال بلغ الوليد بن عبد الملك تشبب وضاح بأم البنين فهم بقتله
فسأله عبد العزيز ابنه فيه وقال له إن قتلته فضحتني وحققت قوله وتوهم الناس أن بينه وبين أمي ريبة
فأمسك عنه على غيظ وحنق حتى بلغ الوليد أنه قد تعدى أم البنين إلى أخته فاطمة بنت عبد الملك وكانت زوجة عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه وقال فيها
(بنتُ الخليفةِ والخليفة جَدُّها ... أختُ الخليفة والخليفة بعلُها)
(فَرحتْ قوابلُها بها وتباشرتْ ... وكذاك كانوا في المَسرّة أهلُها)
فأحنق واشتد غيظه وقال أما لهذا الكلب مزدجر عن ذكر نسائنا وأخواتنا ولا
له عنا مذهب ثم دعا به فأحضر وأمر ببئر فحفرت ودفنه فيها حيا
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال أخبرني عبد الملك بن عبد العزيز عن يوسف بن الماجشون قال أنشدت محمد بن المنكدر قول وضاح
(فما نولتْ حتى تَضرّعتُ عندها ... وأعلمتُها ما رخَّص اللهُ في اللَّمَمْ)
قال فضحك وقال إن كان وضاح إلا مفتيا لنفسه وتمام هذه الأبيات
(ترحلْ وَضّاح وأسْبل بعدما ... تَكَهّل حيناً في الكهول وما احتَلَم)
(وعَلّق بيضاءَ العوارض طَفْلةً ... مُخضَّبة الأطراف طيبّة النَّسَمْ)
(إذا قلتُ يوماً نَوّليني تبسّمتْ ... وقالت مَعَاذَ اللهِ مِن فِعْلِ ما حَرُم)
(فما نَوّلت حتى تضرّعتُ عندها ... وأعلمتُها ما رَخّص اللهُ في اللّمَم)
وضاح يرثي أباه وأخاه
أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن العتبي في خبره الأول المذكور من أخبار وضاح مع أم البنين قال

كان وضاح مقيما عند أم البنين فورد عليه نعي أخيه وأبيه فقال يرثيهما
(أراعكَ طائرٌ بعد الخُفُوقِ ... بفاجعةٍ مُشنَّعة الطُّروقِ)
(نعمْ ولَهاً على رجل عَميد ... أظَلُّ كأنني شرِق بريقي)
(كأني إذ علمتُ بها هُوِيّاً ... هوتْ بي عاصفٌ من رأس نيق)
(أُعَلُّ بزفْرةٍ من بَعْدِ أُخرى ... لها في القلب حَرٌّ كالحريق)
(وتردف عبْرةٌ تهتانَ أخرى ... كفائض غَرْبِ نَضّاح فَتيق)
(كأني إذا أُكفْكِفُ دمعِ عيني ... وأنْهاها أقول لها هَريقي)
(ألاَ تلك الحوادث غِبْتُ عنها ... بأرض الشام كالفرد الغريق)
(فما أنفكُّ أنظر في كتاب ... تُداري النفسُ عنه هوى زَهوق)
(يُخبِّر عن وفاة أخٍ كريم ... بعيدِ الغور نَفّاع طَليق)
(وقَرْمٍ يُعرض الخُصْمانُ عنه ... كما حاد البِكارُ عن الفَنيق)
(كريم يملأ الشِّيزَى وبَقْري ... إذا ما قلّ إيماضُ البُروقِ)
((وأعظم ما رُميت بهِ فَجُوعاً ... كتابٌ جاء من فَجٍّ عميق
(يُخبِّر عن وفاة أخٍ فصبراً ... تَنجُّزْ وعدِ مَنّان صدوق)
(سأصبر للقضاء فكل حيّ ... سيلقى سَكرة الموت المَذوق)
(فما الدنيا بقائمةٍ وفيها ... من الأحياء ذو عين رَموق)
(وللأحياء أيّامٌ تَقَضَّى ... يَلُفّ ختامُها سُوقاً بسُوق)
(فأغناهم كأعدمهم إذا ما ... تقضّتْ مُدّةُ العيش الرقيق)
(كذلك يُبعثون وهم فُرادَى ... ليوم فيه تَوْفيةُ الحُقوق)
(أبعدَ هُمَام قومك ذي الأيادي ... أبى الوضّاح رَتّاق الفُتوق)
(وبعد عُبيدة المحمودِ فيهم ... وبَعد سَماعَة العَوْد العَتيق)
(وبعد ابن المفضَّل وابن كافٍ ... هما أخواك في الزمن الأنيق)
(تؤمِّل أن تعيش قرير عينٍ ... وأين أمامَ طَلاَّبٍ لحُوق)
(ودنياك التي أمسيتَ فيها ... مزايلةُ الشقيق عن الشقيق)
ومما قاله في مرثية أهله وذكر الموت وغنى فيه وإنما نذكر منها ما فيه غناء لأنها طويلة
صوت
(مالكَ وَضّاحُ دائمَ الغَزَلِ ... ألستَ تخشى تقارُبَ الأجلِ)
(صلِّ لذي العرش واتَّخِذْ قَدَماً ... تُنجيك يوم العِثار والزلَلِ)
(يا موت ما إن تزال معترضاً ... لآملٍ دون منتهى الأمَلِ)
(لو كان مَنْ فرَّ منك منفلتاً ... إذاً لأسرعتُ رِحلةَ الجَمل)
(لكنّ كفَّيْك نال طولُهما ... ما كَلَّ عنه نجائبُ الإبلِ)
((تنال كفَّاك كلَّ مُسهِلة ... وحُوتَ بحر ومَعْقِلَ الوعِلِ
(لولا حِذاري من الحُتُوف فقد ... أصبحتُ من خوفها على وَجَلِ)
(لكنتُ للقلبِ في الهوى تَبَعاً ... إنّ هواه ربائبُ الحَجَلِ)
(حِرْمِيّة تسكن الحجازَ لها ... شيخٌ غيور يعتلّ بالعِلل)
(عَلَّق قلبي ربيبَ بيتِ ملوكٍ ... ذاتَ قُرطين وعْثَةَ الكَفَلِ)
(تَفْتَرُّ عن منْطِقٍ تَضَنّ به ... يَجري رُضاباً كذائب العسل)
وضاح يشبب بحبابة وبروضة
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثني سليمان بن أبي أيوب عن مصعب قال قال وضاح اليمن في حبابة جارية يزيد بن عبد الملك وشاهدها بالحجاز قبل أن يشتريها يزيد وتصير إليه وسمع غناءها فأعجب بها إعجابا شديدا
صوت
(يا مَنْ لقلبٍ لا يُطيع ... الزاجرين ولا يُفيقْ)
(تسلو قلوبُ ذوي الهوى ... وهو المكلَّف والمَشوقْ)
((تَبَلت حَبَابةُ قلبَه ... بالدَّلّ والشكل الأنيقْ
(وبعين أحورَ يرتعي ... سَقْطَ الكثيب من العقيقْ)
(مكحولة بالسحر تُنْشِي ... نشوةَ الخمر العَتيق)
(هيفاء إن هي أقبلتْ ... لاحت كطالعة الشروق)
(والردفُ مثلُ نقاً تلبّد ... فهوْ زُحلوق زَلُوق)
(في درّة الأصداف معتنقاً ... بها رَدْع الخَلوق)
(دَاوِي هوايَ وأطْفِئي ... ما في الفؤاد من الحريق)
(وترفَّقي أملي فقد ... كلّفتِني مالا أُطيق)
(في القلب منك جَوى المُحبّ ... وراحةُ الصبّ الشفيق)
(هذا يقود برُمّتي ... قوداً إليك وذا يسوق)
(يا نفسُ قد كلّفتِني ... تَعَب الهوى منها فذوق)
(إن كنتِ تائقةً ... لحرّ ... صبابة منها فَتُوق)
ومما قاله في روضة وفيه غناء قوله
صوت
(يا لَقومي لِكثرة العذّال ... ولطيفٍ سرى مليح الدَّلالِ)

((زائر في قصور صنعاءَ يَسْري ... كلَّ أرض مخوفةٍ وجبالِ
والغناء لإبنِ عباد عنِ الهشامي رمل وهذه الأبيات من قصيدة له في روضة طويلة جيدة يقول فيها
(يقطع الحَزْن والمَهامهَ والبيد ... ومِنْ دونه ثَمانُ ليالِي)
(عاتبٌ في المنام أحْبِبْ بعُتْباه ... إلينا وقوله مِنْ مَقال)
(قلت أهلاً ومرحباً عَدَدَ القَطْر ... وسهلاً بَطيف هذا الخَيال)
(حبّذا مَنْ إذا خلونا نَجِيّاً ... قال أهلي لك الفِداء ومالي)
(وهي الهمّ والمُنى وهوى النفْس ... إذا اعتلّ ذو هوىً باعتلال)
(قِسْتُ ما كان قبلنا من هوى الناس ... فما قِسْتُ حبَّها بمثال)
(لم أجد حبَّها يُشاكله الحبّ ... ولا وَجْدنا كوَجْد الرجال)
(كل حبٍّ إذا استطال سيبلَى ... وهوى روضةِ المُنى غيرُ بالي)
(لم يَزِدْه تقادُمُ العهد إلاّ ... جِدّةً عندنا وحسنَ احتلال)
(أيها العاذلون كيف عتابي ... بعد ما شاب مَفْرِقي وقَذالي)
(كيف عَذْلي على التي هي منّي ... بمكان اليمين أُختِ الشِّمال)
(والذي أحْرموا لَه وأحلّوا ... بمنىً صُبْحَ عاشرات الليالي)
(ما ملكتُ الهوى ولا النفسَ منّي ... مُنذ عَلَّقْتها فكيف احتيالي)
(إن نأتْ كان نأيها الموتَ صِرْفاً ... أو دنتْ لي فثَمّ يبدو خَبالي)
((يابنة المالكيِّ يا بَهْجة النفس ... أفي حبّكم يَحِلُّ اقتتالي
(أيُّ ذنب عليّ إنْ قلتُ إنّي ... لأُحِبّ الحجازَ حبَّ الزُّلال)
(لأُحِبّ الحجازَ مِنْ حبّ مَنْ فيه ... وأهوى حِلالَه من حِلال)
صوت
ومما فيه غناء من شعر وضاح
(أيها النّاعِبُ ماذا تقولُ ... فكلانا سائلٌ ومَسولُ)
(لا كساك الله ما عشتَ ريشاً ... وبخوفٍ بتَّ ثم تَقيل)
(ثم لا أنْفَقْتَ في العُش فرخاً ... أبداً إلا عليك دليل)
(حين تُنبي أنّ هنداً قريبٌ ... يبلغُ الحاجاتِ منها الرسول)
(ونأت هند فَخَبَّرتَ عنها ... أن عهد الودّ سوف يزول)
ومنها
صوت
(حتيٍّ التي أقْصَى فؤادِكَ حَلّتِ ... علمتْ بأنك عاشِقٌ فأدلّتِ)
(وإذا رأتك تقلقتْ أحشاؤُها ... شوقاً إليك فأكثرتْ وأقلّت)
(وإذا دخلتَ فأُغلِقتْ أبوابُها ... عزم الغيورُ حجابَها فاعتلّت)
(وإذا خرجتَ بكتْ عليكَ صبابةً ... حتى تَبُلّ دموعُها ما بَلّت)
(إن كنتَ يا وضاحَ زرتَ فمرحباً ... رَحُبت عليك بلادُنا وأظلّت)
الغناء لإبن سريج رمل بالوسطى عن عمرو وفيها ليحيى المكي ثاني ثقيل
بالوسطى من كتابه ولإبنه أحمد فيها هزج وذكر حبش أن ليحيى فيها أيضا خفيف ثقيل
ومنها
صوت
(أتعرف أطلالاً بَمَيْسرة اللّوى ... إلى أرْعب قد حالفتك به الصَّبَا)
(فأهلاً وسهلاً بالتي حلّ حبُّها ... فؤادي وحلّت دارَ شَحْط من النَّوى)
الغناء فيه هزج يمني بالبنصر عن ابن المكي وهذه أبيات يقولها لأخيه سماعة وقد عتب عليه في بعض الأمور وفيها يقول
(أُبادر دُرْنوكَ الأمير وقُرْبَه ... لأُذْكَرَ في أهْل الكرامة والنُّهى)
(وأَتْبع القُصّاصَ كلَّ عشيّةٍ ... رجاءَ ثواب الله في عَدد الخُطا)
(وأمسيتُ بقصرٍ يضرب الماءُ سورَه ... وأصبحتُ في صنعاءَ أَلتمس النَّدى)
(فمن مُبْلِغٌ عنّى سماعةَ ناهياً ... فإن شئتَ فاقطعنا كما يُقْطَع السَّلَى)
(وإن شئتَ وصلَ الرِّحمِ في غير حيلة ... فعلنا وقُلْنا للذي تشتهي بَلى)
(وإن شئتَ صَرْماً للتفرُّق والنّوى ... فبُعْداً أدام الله تفرقةَ النّوى)
ومنها
صوت
(طرَق الخيالُ فمرحباً ألفاَ ... بالشاغفات قلوبَنا شَغْفاَ)
((ولقد يقول ليَ الطبيبُ وما ... نَبّأتُه من شأننا حَرفا
(إني لأحسب أنّ داءَك ذا ... مِن ذي دَمَالَج يخضِب الكفّا)
(إني أنا الوضّاح إنْ تَصِلي ... أُحسِنْ بك التشبيبَ والوَصْفا)
(شطّتْ فشفّ القلبَ ذِكْرَكَها ... ودنتْ فما بذلتْ لنا عُرْفا)
ومنها
صوت
ويروى لبشار
(يا مرحباً ألفاً وألفاَ ... بالكاسراتِ إليّ طَرْفَا)
(رُجُح الرَّوادف كالظِّبا ... تعرّضت حُوّاً ووُطْفا)
(أنكرنَ مركبيَ الحِما ... رَوكنّ لا يُنكرن طِرفْا)

(وسألنني أينَ الشبابُ ... فقلتُ بَانَ وكان حِلْفا)
(أَفْنَى شبابي فانقضى ... حِلْفُ النساءِ تِبِعن حِلْفا)
(أعطيتهن مودّتي ... فجزينَني كذباً وخُلْفا)
(وقصائدٌ مثلُ الرُّقَى ... أرسلتُهن فكنّ شَغْفا)
(أوجعن كلَّ مُغازلٍ ... وعَصَفْن بالغَيران عَصْفا)
(من كل لَذّات الفتى ... قد نلتُ مائلةً وعُرْفا)
(صِعدت الأوانَس كالدُّمى ... وسقيتُهنّ الخمرَ صِرْفا)
ومنها وهذه القصيدة تجمع نسيبه بمن ذكر وفخره بأبيه وجده أبي جمد
صوت
(أغنّي على بيضاءَ تَنْكلّ عن بَرَدْ ... وتمشي على هَوْنٍ كمِشيَه ذي الحَرَدْ)
(وتلبس من بَزِ العراق مَناصِفاً ... وأبرادَ عَصْبٍ من مُهَلْهَلَةٍ الجَنَد)
(إذا قلت يوماً نَوِّليني تبسّمتْ ... وقالت لعمرُ الله لو أنه اقتصد)
(سموتُ إليها بعد ما نام بعلُها ... وقد وسّدتْه الكفّ في ليلة الصَّرّد)
(أشارت بطرف العين أهلاً ومرحباً ... ستُعطَى الذي تهوَى على رغم مَنْ حسد)
(ألستَ ترى مَنْ حولنا مِنْ عدوّنا ... وكل غلام شامخ الأنف قد مَرَد
(فقلت لها إني امرؤ فاعلمِنّه ... إذا ما أخذتُ السيفَ لم أحفِل العَدَد)
(بَنَى ليَ إسماعيلُ مجداً مُؤَثّلاً ... وعبدُ كُلالٍ قبله وأبو جَمَد)
(تُطيف علينا قهوةٌ في زجاجةٍ ... تُريك جبانَ القوم أمضى من الأسد
ومنها
صوت
(يأيها القلبُ بعضَ ما تجدُ ... قد يعشَق القلبُ ثم يَتّئِدُ)
(قد يكتُم المرءُ حبّه حِقَباً ... وهو عَميدٌ وقلبُه كَمِد)
(ماذا تُراعون من فتًى غَزِلٍ ... قد تيّمتْه خَمْصانةٌ رُؤُدٌ)
(يهدّدوني كما أخافَهمُ ... هيهاتَ أنّى يُهدَّد الأسد)
ومنها
صوت
(صدَع البَيْنُ والتفرُّقُ قلبي ... وتولَّت أمُّ البنين بِلُبّي)
(ثَوتِ النفسُ في الحُمول لديها ... وتولّى بالجسم منّيَ صَحْبي)
(ولقد قلتُ والمدامعُ تجري ... بدموعٍ كأنها فَيْضُ غَرْب)
(جزعاً للفراق يوم تولّت ... حَسْبِيَ اللهُ ذو المعارج حسبي)
ومنها
صوت
(يابنة الواحد جودي فما ... إن تَصْرميني فَيما أو لِمَا)
(جُودِي علينا اليومَ أو بيِّني ... فِيمَ قتلتِ الرجلَ المسلِما)
(إني وأيدي قُلُصٍ ضُمَّرٍ ... وكلِّ خِرْقٍ وَرَدَ الموْسما)
(ما علَّق القلبُ كتعليقها ... واضعةً كفّاً عَلتْ معْصما)
(ربَّةُ محرابٍ إذا جئتُها ... لم ألْقَها أو أرتقي سلَّما)
(إخوتُها أربعة كلُّهم ... ينفون عنها الفارسَ المُعلَما)
(كيف أُرجِّيها ومِنْ دونِها ... بوّابٌ سوءٍ يُعجل المَشتَما)
(أسودُ هتّاك لأعراض مَنْ ... مرّ على الأبواب أو سَلّما)
(لا مِنّةٌ أعْلَمُ كانت لها ... عندي ولا تطلُب فينا دما)
(بل هي لمّا أن رأت عاشقاً ... صبًّا رمتْه اليومَ فيمن رَمى)
(لمّا ارتمينا ورأت أنّها ... قد أثبتتْ في قلبه أسهُما)
(أعجبها ذاك فأبْدت له ... سُنَّتَها البيضاءَ والمِعْصَما)
(قامت تراءى لي على قَصْرِها ... بين جَوارٍ خُرَّد كالدُّمى)
(وتَعقِد المِرْط على جسْرةٍ ... مثل كثيب الرمل أو أعْظَما)
ومنها
صوت
(دعاكَ من شوقك الدَّواعي ... وأنت وضّاحُ ذو اتباع)
(دعتْك ميّالةٌ لَعُوبٌ ... أسيلة الخد باللمّاع)
(دلالُكِ الحُلْوِ والمشهِّي ... وليس سرِّيك بالمُضاع)
(لا أمنع النفسَ عن هواها ... وكلُّ شيء إلى انقطاع)
ومنها
صوت
(ألاَ بالَقومي أطلِقوا غُلَّ مرتَهَنْ ... ومُنّوا على مُستشعر الهمّ والحَزَنْ)
(تذكّر سَلْمى وَهْي نازحةٌ فَحَنّ ... وهل تنفع الذكرى إذا اغترب الوطَنْ)
(ألم تَرَها صفراءَ رُؤْداً شبابُها ... أسيلَة مجرى الدمع كالشّادن الأغَنّ)
(وأبصرتُ سَلْمى بين بُرْدَيْ مَراجِلٍ ... وأبراد عَصْب من مُهلهَلة اليمن)
(فقلتُ لها لا تَرتَقي السطحَ إنني ... أخاف عليكم كلَّ ذي لِمَّة حَسَن)

والغناء لإبن سريج وله في هذا الشعر لحنان ثقيل أول بالبنصر عن عمرو ورمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وأول الرمل قوله
(...ألا يا لَقومي أطلقوا غلَّ مرتهنَ)
وأول الثقيل الأول تذكر سلمى وفي هذه الأبيات هزج يمني بالبنصر ومنها

صوت

(أغدوتَ أمْ في الرائحين تَرُوحُ ... أم أنت من ذِكْر الحسان صحيحُ)
(إذا قالت الحسناءُ ما لصديقنا ... رثَّ الثياب وإنه لمليح)
(لا تسألِنّ عن الثياب فإنني ... يومَ اللقاء على الكُماة مُشيح)
(أرْمِي وأطعن ثم أُتبِع ضربةً ... تَدَعُ النساءَ على الرجال تنوح)

صوت

من المائة المختارة

(يا صاحِ إني قد حَججتُ ... وزُرتِ بيتَ المَقْدس)
(وأتيت لُدّاً عامداً ... في عيد مَريا سِرْجِس)
(فرأيتُ فيه نِسوةً ... مثلَ الظباء الكُنّس)
الشعر والغناء للمعلى بن طريف مولى المهدي ولحنه المختار خفيف رمل بالبنصر وكان المعلى بن طريف وأخوه ليث مملوكين مولدين من مولدي الكوفة لرجل من أهلها فاشتراهما علي بن سليمان وأهداهما إلى المنصور فوهبهما المنصور للمهدي فأعتقهما
ونهر المعلى وربض المعلى ببغداد منسوب إلى المعلى هكذا ذكر ذلك ابن خرداذبه وكان ضاربا محسنا طيب الصوت حسن الأداء صالح الصنعة أخذ الغناء عن إبراهيم وابن جامع وحكم الوادي
وولي أخوه ليث السند وولي هو الطراز والبريد بخراسان وقاتل يوسف البرم فهزمه ثم ولي الأهواز بعد ذلك
فقال فيه بعض الشعراء يمدحه ويمدح أخاه الليث ويهجو علي بن صالح صاحب المصلى
(يا عليَّ بنَ صالحٍ ذا المصلّى ... أنت تَفْدي لَيْثاً وتفدي المعلّى)
(سَدّ ليثٌ ثغراً ووُلّيت فاخْتَنْتَ ... فبئس المَولي وبئس المولّى)
وعلي بن سليمان هذا الذي أهدى المعلى وأخاه إلى المهدي هو الذي يقول فيه أبو دلامة زند بن الجون الأسدي وكان خرج مع المهدي إلى الصيد فرمى المهدي وعلي بن سليمان ظبيا سنح لهما وقد أرسلت عليه الكلاب بسهمين فأصاب المهدي الظبي وأصاب علي بن سليمان الكلب فقتلاهما
فقال أبو دلامة
(قد رمى المهديُّ ظبياً ... شكّ بالسهم فؤادَه)
(وعليُّ بنُ سُليمانٍ ... رَمى كَلْباً فصاده)
(فهنيئاً لهما كلّ ... إمرىء يأكل زادَه)
حدثنا بذلك الحسن بن علي عن أحمد بن زهير عن مصعب وعن أحمد بن سعيد عن الزبير بن بكار عن عمه

صوت

من المائة المختارة

(ألاَ طَرَد الهوى عنّي رُقَادِي ... فحسبي ما لَقِيتُ من السُّهادِ)
(لعبدةَ إنّ عبدةَ تيّمتْني ... وحلّت من فؤادي في السّواد)
الشعر لبشار والغناء المختار في هذين البيتين هزج خفيف بالبنصر ذكر يحيى بن علي أنه يمني وذكر الهشامي أنه لسليم

أخبار بشار وعبدة خاصة إذ كانت أخباره سوى هذه تقدمت

حدثني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا أبو أيوب المديني عمن حدثه عن الأصمعي هكذا قال وأخبرني به عمي عن عبد الله بن أبي سعد عن علي بن مسرور عن الأصمعي قال كان لبشار مجلس يجلس فيه يقال له البردان فبينا هو في مجلسه ذات يوم وكان النساء يحضرنه إذ سمع كلام امرأة يقال لها عبدة في المجلس فدعا غلامه فقال إني قد علقت امرأة فإذا تكلمت فانظر من هي واعرفها فإذا انقضى المجلس وانصرف أهله فاتبعها وكلمها وأعلمها أني لها محب وأنشدها هذه الأبيات وعرفها أني قلتها فيها

صوت

(قالوا بمَنْ لا ترى تَهْذِي فقلتُ لهم ... الأذْنُ كالعين تُوفِي القلبَ ما كاناَ)
(ما كنتُ أوّلَ مشغوف بجارية ... يَلْقَى بِلُقْيانها رَوْحا ورَيْحانا)
ويروى هل من دواء لمشغوف بجارية
(يا قوم أُذْني لبعض الحيّ عاشقةٌ ... والأذْن تعشق قبل العين أحيانا)
غنى إبراهيم في هذه الأبيات ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق
وفيها لسياط ثقيل أول بالوسطى عن عمرو وفيها لإسحاق هزج من جامع أغانيه قال فأبلغها الغلام الأبيات فهشت لها وكانت تزوره مع نسوة يصحبنها فيأكلن عنده ويشربن وينصرفن بعد أن يحدثها وينشدها ولا تطمعه في نفسها قال وقال فيها
(قالت عُقَيل بنُ كعب إذ تعلّقها ... قلبي فأضحَى به من حبّها أثر)
(أنّى ولم ترها تَهذِي فقلتُ لهم ... إن الفؤادَ يَرَى ما لا يرى البصر)
(أصبحتُ كالحائم الحرّان مُجتَنباً ... لم يَقض ورْدا ولا يُرجى له صَدَر)
قال وقال فيها أيضا وهو من جيد ما قال فيها
(يُزَهِّدني في حبّ عبدةَ معشرٌ ... قلوبُهُمُ فيها مخالفةٌ قلبي)
(فقلتُ دعُوا قلبي وما اختار وارتضَى ... فبالقلب لا بالعين يُبصِر ذو الحبّ)

(فما تُبصر العينان في موضع الهوى ... ولا تسمع الأذْنان إلاّ من القلب)
(وما الحسْنُ إلا كلّ حُسْنٍ دعا الصِّبا ... وألّف بين العشق والعاشق الصبّ)
قال وقال فيها
(يا قلبُ مالي أراك لا تَقِرُ ... إياكَ أعْنِي وعندك الخبرُ)
(أضِعْتَ بين الأُلى مَضَوْا حُرَقاً ... أم ضاع ما استودعوك إذ بَكَروا)
(فقال بعضُ الحديث يَشْغَفُني ... والقلبُ راءٍ ما لا يَرى البصر)

هجوه الحسن البصري

وأخبرني بهذا الخبر أبو الحسن أحمد بن محمد الأسدي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا خالد بن يزيد بن وهب عن جرير عن أبيه بمثل هذه القصة وزاد فيها أن عبدة جاءت إليه في نسوة خمس قد مات لإحداهن قريب فسألنه أن يقول شعرا ينحن عليه به فوافينه وقد احتجم وكان له مجلسان مجلس يجلس فيه غدوة يسميه البردان ومجلس فيه عشية يسميه الرقيق وهو جالس في البردان وقد قال لغلامه أمسك علي بابي واطبخ لي وهيء طعامي وطيبه وصف نبيذي

قال فإنه لكذلك إذا قرع الباب عليه قرعا عنيفا فقال ويحك يا غلام انظر من يدق الباب دق الشرط فنظر الغلام وجاءه فقال خمس نسوة بالباب يسألنك أن تقول شعرا ينحن فيه فقال أدخلهن

فلما دخلن نظرن إلى النبيذ مصفى في قنانيه في جانب بيته فقالت إحداهن خمر وقالت الأخرى زبيب وقالت الأخرى معسل فقال لست بقائل لكن حرفا أو تطعمن من طعامي وتشربن من شرابي

فتماسكن ساعة وقالت إحداهن فما عليكن من ذلك هذا أعمى كلن من طعامه واشربن من شرابه وخذن شعره ففعلن وبلغ ذلك الحسن البصري فعابه وهتف به فبلغ ذلك بشارا وكان الحسن يلقب القس فقال فيه بشار

(لَمّا طلعنَ من الرَّقيق ... عليّ بالبَرَدّان خَمْساً)
((وكأنهن أهلّة ... تحت الثياب زَفَفن شمسا
(باكرْنَ طِيبَ لَطيمةٍ ... وغُمِس في الجاديّ عَمسا)
(فسألنني مَنْ في البيوت ... فقلتُ ما يحوين إنْسا)
(ليت العيونَ الناظراتِ ... طُمِسن عنّا اليوم طَمْسا)
(فأصبن من طَرَف الحديث ... لذاذةً وخرجن مُلْسا)
(لولا تَعرُّضهن لي ... يا قَسُّ كنتُ كأنت قَسّا)

أخبرني الأسدي ويحيى بن علي بن يحيى ومحمد بن عمران الصيرفي قالوا حدثنا العنزي قال حدثنا علي بن محمد عن جعفر بن محمد النوفلي قال أتيت بشارا ذات يوم فقال لي ما شعرت منذ أيام إلا بقارع يقرع بابي مع الصبح فقلت يا جارية انظري من هذا فقالت مالك بن دينار فقلت مالي ولمالك بن دينار ما هو من أشكالي إئذني له

فدخل فقال لي يا أبا معاذ أتشتم أعراض الناس وتشبب بنسائهم فلم يكن عندي إلا دفعه عن نفسي بأن قلت لا أعاود فخرج من عندي وقلت في إثره

(غدا مالكٌ بِمَلاماته ... عليّ وما بات من باليَهْ)
(فقلتُ دَعِ اللومَ في حُبِّها ... فقبلكَ أعييتُ عُذّالِيهْ)
(وإنّي لأكتُمهم سِرَّها ... غداةَ تقول لها الجالية)
(أعبدةَ مالكِ مَسْلوبةً ... وكنتِ مُقرطَقةً حاليه)
(فقالت على رِقْبةٍ إنني ... رهنتُ المرعَّث خَلْخاليه)
(بمجلس يومٍ سأُوفِي به ... وإن أنكر الناسُ أحواليه)

أخبرني وكيع قال حدثني عمرو بن محمد بن عبد الملك قال حدثني
الحسن بن جهور قال حدثني هشام بن الأحنف راوية بشار قال إني لعند بشار ذات يوم إذ أتته امرأة فقالت يا أبا معاذ عبدة تقرئك السلام وتقول لك قد اشتد شوقنا إليك ولم نرك منذ أيام فقال عن غير مقلية والله كان ذاك
ثم قال لراويته يا هشام خذ الرقعة واكتب فيها ما أقول لك ثم ادفعه للرسول
قال هشام فأملى علي

(عبد إنّي إليكِ بالأشواقِ ... لِتَلاقٍ وكيف لي بالتلاقي)
(أنا واللّه أشتهي سِحرَ عينيْك ... وأخشى مَصارِعَ العشّاق)
(وأهاب الحَرْسيّ مُحتسِبَ الجُنْد ... يَلُفّ البريءَ بالفُسّاق)

ومما يغني فيه من شعر بشار في عبدة قوله

صوت

(لعبدة دارٌ تكلّمنا الدارُ ... تَلُوح مَغانيها كما لاح أسطارُ)
(أُسائل أحجاراً ونُؤْياً مُهدَّماً ... وكيف يُجيب القولَ نؤيٌ وأحجار)
(وما كلّمتني دارُها إذ سألتُها ... وفي كبدي كالنِّفْط شُبَّت به النار)
(وعند مَغَانِي دارها لو تكلّمت ... لمِكتئبٍ بادِي الصَّبابة أخبار)

الغناء لإبراهيم ثاني ثقيل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق وفيه لإبن جامع ثقيل أول عن الهشامي ومن هذه القصيدة

صوت

(تحمَّل جيراني فعيني لِبَيْنهم ... تَفيض بتَهْتَانٍ إذا لاحتِ الدارُ)
((بكيتُ على من كنت أحظى بقربه ... وحقّ الذي حاذرتُ بالأمس إذ ساروا

الغناء ليحيى المكي ثقيل أول بالبنصر

ومن الأغاني في شعره في عبدة

صوت

(مسّني من صدود عبدة ضُرّ ... فبنات الفؤاد ما تستقرُّ)

(ذاك شيء في القلب من حبّ عبدةَ ... بادٍ وباطنٌ يسْتسِرَ)
الغناء لإبراهيم ثاني ثقيل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق
وفيه لإسحاق رمل بالبنصر عن عمرو وفيه لحكم ثقيل أول بالوسطى من جامع غنائه في كتاب إبراهيم وفيه لفريدة خفيف ثقيل عن إسحاق وفيه ليحيى المكي ثقيل أول من كتابه وفيه لحسين بن محرز رمل عن الهشامي
ومنها
صوت
(يا عبدِ إني قد ظُلمت وإنني ... مُبْدٍ مقالة راغبٍ أو راهبِ)
(وأتوبُ مما تَكْرَهين لِتَقْبَلي ... واللّهُ يقبل حُسن فعل التائب)
الغناء لحكم خفيف ثقيل عن إسحاق وفيه ليحيى المكي ثقيل أول من كتابه وفيه لحسين بن محرز رمل عن الهشامي
ومنها
صوت
(يا عبد حبُّك شفَّني شفّا ... والحبُّ داءٌ يُورث الحَتْفَا)
((والحبُّ يُخفيه المحبّ لكي ... لا يُستراب به وما يخفَى
الغناء لسياط خفيف رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق
ومنها
صوت
(يا عبد باللهِ فَرِّجي كُرَبي ... فقد براني وشفَّني نَصَبي)
(ضِقْتُ ذَرْعاً بما كَلِفْتُ به ... من حُبّكم والمحبُّ في تعب)
(ففرِّجي كُرْبةً شَجِيتُ بها ... وحرّ حُزْنٍ في الصدر كاللّهب)
(ولا تَظُنّي ما أشتكي لَعِباً ... هيهات قد جلّ ذا عن اللعب)
غناه سياط ثقيلا أول بالبنصر عن عمرو
ومنها
صوت
(يا عبد زُوريني تَكُنْ مِنّةً ... لله عندي يومَ ألْقاكِ)
(واللّهِ ثُمّ اللّهِ فاستيقني ... إني لأرجوكِ وأخشاك)
(يا عبدِ إني هالكٌ مُدْنَفٌ ... إنْ لم أذُقْ بَرْدَ ثناياك)
(فلا تَرُدّي عاشقاً مُدْنَفاً ... يرضى بهذا القدر من ذاك)
الغناء لحكم هزج خفيف بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق
ومنها
صوت
(يا عبد قد طال المِطالُ فانْعِمي ... واشفِي فؤاد فتى بهيم مُتيَّمِ)
الغناء ليزيد حوراء غير مجنس عن إبراهيم ومنها
صوت
(يا عبد هلْ لِلّقاء مِنْ سببِ ... أوْ لا فأدعو بالويل والحَربِ)
الغناء ليزيد حوراء غير مجنس ومنها
صوت
(يا عبد هلْ لي منكُمُ مِنْ عائِد ... أمْ هل لديكِ صلاحُ قلبٍ فاسدِ)
الغناء لإبن عباد عن إبراهيم غير مجنس ومنها
صوت
(يا عبدِ حيِّي عن قريب ... وتأمَّلي عين الرقيبِ)
(وارعَيْ ودادي غائباً ... فلقد رعيتُكِ في المَغيب)
(أشكو إليكِ وإنّما ... يشكو المُحبّ إلى الحبيب)
(غَرَضِي إليك من الهوى ... غرض المريض إلى الطبيب)
الغناء لحكم مطلق في مجرى البنصر ومنها
صوت
(يا عبد باللّه ارْحمي عَبْدِكِ ... وعَلّليه بمُنَى وَعْدِكِ)
(يُصبح مكروباً ويُمسي به ... وليس يَدري ما له عندك)
(ماذا تقولين لربّ العُلا ... إذا تخلّيتِ به وحدك)
الغناء لإبراهيم ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو وفيه لإسحاق هزج من جامع أغانيه وفيه ليزيد حوراء لحن ذكره إبراهيم ولم يجنسه وذكر حبش أن الثقيل الثاني لسياط
ومنها
صوت
(يا عَبْد جَلّي كروبي ... وأسْعِفي وأثيبي)
(فقد تَطاول هَمّي ... وزَفْرتي ونَحيبي)
الغناء لإبن سكرة عن إبراهيم ولم يجنسه ومنها
صوت
(يا عبد أنَتِ ذخيرتي ... نفسي فَدَتْكِ وجيرتي)
(اللّهُ يعلم فيكُمُ ... يا عبد حسنَ سريرتي)
(نفسي لنفسِك خُلّةٌ ... وكذاك أنت أميرتي)

الغناء لحكم الوادي خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو ومنها
صوت
(يا عبد حُبّي لكِ مستورُ ... وكلّ حبّ غيره زُورُ)
(إنْ كان هجري سَرّكم فاهجروا ... إنّي بما سَرّك مسرور)
الغناء لحكم هزج بالوسطى عن ابن المكي ومنها
صوت
(لم يَطُلْ لَيْلي ولكنْ لم أنمْ ... ونَفَى عنّي الكَرَى طيفٌ ألَمّ)
(وإذا قلتُ لها جُودي لنا ... خرجتْ بالصمت عن لا ونعم)
(رَفِّهي يا عَبْد عنّي واعلمي ... أنّني يا عبد من لحم ودم)
(إن في بُرْدي جسماً ناحلاً ... لو توكأتِ عليه لانهدم)
(خَتَم الحبُّ لها في عنقي ... موضعَ الخاتم من أهل الذمم)
الغناء لحكم هزج بالسبابة والوسطى عن ابن المكي وذكره إسحاق في هذه الطريقة فلم ينسبه إلى أحد
وفيه لعثعث الأسود خفيف رمل في الأول والخامس وكان بشار ينكر هذا البيت الأخير وهو
(... خَتَم الحب لها في عُنْقي)
أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثني أبو حاتم السجستاني قال حدثني من أنشد بشارا قوله
(...لم يَطُل لَيْلي ولكنْ لم أنم)
حتى بلغ إلى قوله
(ختم الحبُّ لها في عُنقي ... موضع الخاتَم مِنْ أهل الذممْ)
فقال بشار عمن أخذت هذا قلت عن راويتك فلان فقال قبحه الله والله ما قلت هذا البيت قط أما ترى إلى أثره فيه ما أقبحه وأشد تميزه عني فقال له بعض من حضر نعم هو ألحقه بالأبيات
ومنها
صوت
(عَبْد إنّي قد اعترفتُ بذَنْبي ... فاغفري واعْرُكِي خَطايَ بجَنْبِ)
(عبد لا صبر لي ولستُ فمهلاً ... قائلاً قد عَتَبتِ في غير عَتْب)
(ولقد قلتُ حين أنْصبني الحبِ ... فأبْلَى جِسْمي وعذب قلبي)
(ربّ لا صبرَ لي على الهجر حَسْبي ... أقِلْني حَسْبي لَكَ الحمدُ حسبي)
الغناء لسياط خفيف رمل بالوسطى عن عمرو وفيه لسليم هزج من كتاب ابن المكي ومنها
صوت
(عبد مُنّى وأنعمي ... قد مَلَكْتم قِيادَيْه)
(شابَ رأسي ولم تَشبْ ... أبْلاَئي لِداتِيه)
الغناء لسياط خفيف رمل بالوسطى عن عمرو وفيه لعريب هزج ومنها
صوت
(عبدُ يا هِمّتي عليك السلامُ ... فيم يُجْفَى حبيبُك المستهامُ)
(نزل الحبّ منزلاً في فؤادي ... وله فيه مجلسٌ ومقام)
الغناء لأبي زكار خفيف رمل بالوسطى عن عمرو وفيه لعريب هزج ومنها
صوت
(عبد ياقُرّة عيني ... أنصفي رُوحي فداكِ)
(عاشق ليس له ذِكر ... ولا همٌّ سواكِ)
الغناء لعريب هزج وفيه لحن ليزيد حوراء غير مجنس ومنها
صوت
(يا عَبْد يا جافيةً قاطعه ... أما رحِمتِ المُقْلة الدامعهْ)
(يا عبد خافِي اللّهَ في عاشقٍ ... يهواكِ حتى تقع الواقعة)
الغناء لأبي زكار هزج بالبنصر عن عمرو
صوت
من المائة المختارة
(أرْسلْتْ أمُّ جعفرِ لا تزورُ ... ليت شعري بالغيب منْ ذا دهاها)
(أأتاها محرِّش بنَميمٍ ... كاذبٌ ما أراد إلاّ رداها)
عروضه من الخفيف الشعر للأحوص والغناء لأم جعفر المدنية مولاة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب
ولحنه من الثقيل الأول في مجرى البنصر عن إسحاق وذكر عمرو بن بانة أن فيه لحنا من الثقيل الأول بالبنصر فلا أعلم أهذا يعني أم غيره
وفيه لإبن سريج ثاني ثقيل بالبنصر في مجراها عن يحيى المكي وإسحاق وفيه لإبراهيم خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو والهشامي
أخبار الأحوص مع أم جعفر
وقد ذكرت أخبار الأحوص متقدما إلا أخباره مع أم جعفر التي قال فيها هذا الشعر فإنها أخرت إلى هذا الموضع
وأم جعفر هذه امرأة من الأنصار من بني خطمة وهي أم جعفر بنت عبد الله بن عرفطة بن قتادة بن معد بن غياث بن رزاح بن عامر بن عبد الله بن خطمة بن جشم بن مالك بن الأوس
وله فيها أشعار كثيرة
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني يعقوب بن القاسم ومحمد بن يحيى الطلحي عن عبد العزيز بن أبي ثابت وأخبرني عمي قال حدثني محمد بن داود بن الجراح قال حدثني

أحمد بن زهير عن مصعب وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله عن المحرز بن جعفر الدوسي قالوا جميعا لما أكثر الأحوص التشبيب بأم جعفر وشاع ذكره فيها توعده أخوها أيمن وهدده فلم ينته فاستعدى عليه والي المدينة وقال الزبير في خبره فاستعدى عليه عمر بن عبد العزيز فربطهما في حبل ودفع إليهما سوطين وقال لهما تجالدا فتجالدا فغلب أخوها

وقال غير الزبير في خبره وسلح الأحوص في ثيابه وهرب

وتبعه أخوها حتى فاته الأحوص هربا

وقد كان الأحوص قال فيها

(لقد منعتْ معروفَها أمُّ جعفرٍ ... وإنّي إلى معروفها لفقيرُ)

(وقد أنكرتْ بعدَ اعترافٍ زيارتي ... وقد وَغِرتْ فيها عليّ صدور)

(أَدُورُ ولولا أنْ أرى أمَّ جعفرٍ ... بأبياتكم ما درتُ حيث أدور)

(أزور البيوتَ اللاصقاتِ ببيتها ... وقلبي إلى البيت الذي لا أزور)

(وما كنتُ زَوّارا ولكنّ ذا الهوى ... إذا لم يُزُرْ لا بدّ أن سيزور)

(أزور على أن لستُ أنفكُّ كلّما ... أتيتُ عدوّاً بالبنان يُشير)

فقال السائب بن عمرو أحد بني عمرو بن عوف يعارض الأحوص في هذه الأبيات ويعيره بفراره

(لقد منعَ المعروفَ من أم جعفرٍ ... أخو ثقةٍ عند الجلادِ صَبورُ)

(عَلاك بِمَتْنِ السوطِ حتى اتّقيتَه ... بأصفرَ من ماء الصِّفاق يفور)

فقال الأحوص

(إذا أنا لم أغفِر لأيْمَنَ ذنبَه ... فمن ذا الذي يعفو له ذنبَه بعدي)

(أريد انتقامَ الذنب ثم تَرُدُّني ... يدٌ لأدانيه مباركةٌ عندي)

وقال الزبير في خبره خاصة وإنما أعطاهما عمر بن عبد العزيز السوطين وأمرهما أن يتضاربا بهما اقتداء بعثمان بن عفان فإنه كان لما تهاجى سالم بن دارة ومرة ابن واقع الغطفاني الفزاري لزهما عثمان بحبل وأعطاهما سوطين فتجالدا بهما

وقال عمر بن شبة في خبره وقال الأحوص فيها أيضا وقد أنشدني علي بن سليمان الأخفش هذه الأبيات وزاد فيها على رواية عمر بن شبة بيتين فأضفتهما إليها

(وإني ليدعوني هوى أمِّ جعفرٍ ... وجاراتِها من ساعةٍ فأجيبُ)

(وإني لآتي البيتَ ما إن أحبُّه ... وأُكثر هجرَ البيت وهو حبيب)

(وأُغضِي على أشياء منكم تسوؤني ... وأُدعى إلى ما سرّكم فأجيب)

(هَبِيني أمرأً إما بريئاً ظَلمتِه ... وإمّا مُسيئاً مذنباً فيتوب)

(فلا تتركي نفسي شَعاعاً فإنها ... من الحزن قد كادت عليك تذوب)

(لكِ اللهُ إني واصلٌ ما وصلتِني ... ومُثْنٍ بما أوليتِني ومُثيب)

(وآخُذُ ما أعطيتِ عفواً وإنني ... لأزْوَرُ عما تكرهين هَيوب)

هكذا ذكره الأخفش في هذه الأبيات الأخيرة وهي مروية للمجنون في عدة روايات وهي بشعره أشبه وفي هذه الأشعار التي مضت أغان نسبتها

صوت

(أدور ولولا أن أرى أمِّ جعفرٍ ... بأبياتكم ما درتُ حيث أدورُ)

(أدور على أن لستُ أنفكّ كلما ... أتيتُ عدوّا بالبَنان يُشير)

الغناء لمعبد وله فيه لحنان ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن عمرو ولإسحاق فيهما وفي قوله

(... أزور البيوتَ اللّاصقات ببتها)

وبعده

(... أدور ولولا أن أرى أمَّ جعفر)

لحن من الرمل وفي البيتين اللذين فيهما غناء معبد للغريض ثقيل أول عن الهشامي ولإبراهيم خفيف ثقيل وفيه لحن لشاريه عن ابن المعتز ولم يذكر طريقته

(إذا أنا لم أغفِر لأيْمَنَ ذنبَه ... فَمَنْ ذا الذي يعفو له ذنبَه بعدي)

(أريد مكافأةً له وتَصُدُني ... يدٌ لأدانيه مباركةٌ عندي)

الغناء لمعبد ثاني ثقيل بالوسطى عن يحيى المكي وذكر غيره أنه منحول يحيى إلى معبد وفيه ثقيل أول ينسب إلى عريب ورونق

ومنها وهو

صوت

من المائة المختارة

(وإني لآتِي البيتَ ما إن أُحِبُّه ... وأُكثر هجر البيت وهو حبيبُ)

(وأُغضي على أشياءَ منكم تسوؤني ... وأُدعَى إلى ما سرّكم فأُجيب)

(وما زلتُ من ذكراكِ حتى كأنني ... أُميمٌ بأفْياء الديار سَليب)

(أَبُثُّك ما أَلقَى وفي النفس حاجةٌ ... لها بين جِلْدي والعظام دَبيب)

(لكِ اللهُ إنّي واصلٌ ما وصلتِني ... ومُثْنٍ بما أوليتِني ومُثيب)

(وآخُذ ما أعطيتِ عفواً وإنني ... لأزْوَر عما تكرهين هَيوب)

(فلا تتركي نفسي شَعاعاً فإنها ... من الحزن قد كادت عليك تذوب)

الشعر للأحوص ومن الناس من ينسب البيت الخامس وما بعده إلى المجنون

والغناء في اللحن المختار لدحمان وهو ثقيل أول مطلق في مجرى البنصر وذكر الهشامي أن في الأبيات الأربعة لابن سريج لحنا من الثقيل الأول فلا أعلم ألحن دحمان عنى أم ثقيلا آخر وفي

(لكِ الله إني واصلٌ ما وصلتِني ... ومُثْنٍ بما أوليتِني ومُثيب)
لإسحاق ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو وفيها لإبراهيم خفيف رمل بالوسطى
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن حسن قال الزبير وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري عن محرز
أن أم جعفر لما أكثر الأحوص في ذكرها جاءت منتقبة فوقفت عليه في مجلس قومه ولا يعرفها وكانت امرأة عفيفة فقالت له اقض ثمن الغنم التي ابتعتها مني فقال ما ابتعت منك شيئا
فأظهرت كتابا قد وضعته عليه وبكت وشكت حاجة وضرا وفاقة وقالت يا قوم كلموه فلامه قومه وقالوا اقض المرأة حقها فجعل يحلف أنه ما رآها قط ولا يعرفها
فكشفت وجهها وقالت ويحك أما تعرفني فجعل يحلف مجتهدا أنه ما يعرفها ولا رآها قط حتى إذا استفاض قولها وقوله واجتمع الناس وكثروا وسمعوا ما دار وكثر لغطهم وأقوالهم قامت ثم قالت أيها الناس اسكتوا
ثم أقبلت عليه وقالت يا عدو الله صدقت والله مالي عليك حق ولا تعرفني وقد حلفت على ذلك وأنت صادق وأنا أم جعفر وأنت تقول قلت لأم جعفر وقالت لي أم جعفر في شعرك فخجل الأحوص وانكسر عن ذلك وبرئت عندهم

أبو السائب المخزومي يطرب لشعره

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير وأخبرني به محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا ثعلب قال حدثنا الزبير عن عبد الملك بن عبد العزيز قال أنشدت أبا السائب المخزومي قول الأحوص
(لقد منعتْ معروفَها أمُّ جعفر ... وإنِّي إلى معروفها لفقيرُ)
فلما انتهيت إلى قوله
(أزور على أن لست أنفكُّ كلَّما ... أتيتُ عدوّا بالبنان يُشير)
أعجبه ذلك وطرب وقال أتدري يابن أخي كيف كانوا يقولون اساعة دخل الساعة خرج الساعة مر الساعة رجع وجعل يومئ بإبهاميه إلى وراء منكبيه وبسبابته إلى حيال وجهه ويقلبها يحكي ذهابه ورجوعه

صوت

من المائة المختارة

(صاحِ قد لُمْتَ ظالماَ ... فانظر أن كنتَ لائماَ)
(هل ترى مثلَ ظَبْية ... قَلَّدوها التمائما)
الشعر لعمر بن أبي ربيعة والغناء في اللحن المختار لمالك خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق وأخبرني ذكاء وجه الرزة أن فيه لعريب رملا بالبنصر وهو الذي فيه سجحة وفيه لإبن المكي خفيف ثقيل آخر بالوسطى وزعم الهشامي أن فيه خفيف رمل بالوسطى لإبن سريج وقد سمعها ممن يغنيه
وذكر حبش أن فيه رملا آخر للغريض ولعاتكة بنت شهدة فيه خفيف ثقيل وهو من جيد صنعتها وذكر جحظة عن أصحابه أن لحنها الرمل هو اللحن المختار وأن إسحاق كان يقدمها ويستجيدها ويزعم أنه أخذه عنها
وقال ابن المعتز حدثني أبو عبد الله الهشامي أن عريب صنعت فيه لحنها الرمل بعد أن أفضت الخلافة إلى المعتصم فأعجبه وأمرها أن تطرحه على جواريه ولم أسمع بشرا قط غناه أحسن من خشف الواضحية
وكل أخبار هؤلاء المغنين قد ذكرت أولها موضع تذكر فيه إلا عاتكة بنت شهدة فإن أخبارها تذكر ها هنا لأنه ليس لها شيء أعرفه من الصنعة فأذكره غير هذا
وقد ذكر جحظة عن أصحابه أن لحنها هو المختار فوجب أن نذكر أخبارها معه أسوة غيرها

عاتكة بنت شهدة وشيء من أخبارها

كانت عاتكة بنت شهدة مدنية وأمها شهدة جارية الوليد بن يزيد وهو الصحيح وكانت شهدة مغنية أيضا
حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا العلاء قال حدثني علي بن محمد النوفلي قال حدثني عبد الله بن العباس الربيعي عن بعض المغنين قال كنا ليلة عند الرشيد ومعنا ابن جامع والموصلي وغيرهما وعنده في تلك الليلة محمد بن داود بن إسماعيل بن علي فتغنى المغنون ثم اندفع محمد بن داود فغناه بين أضعافهم

صوت

(أمَّ الوليد سَلَبْتِني حِلْمي ... وقتلتِني فتخوّفي إثمي)
(بالله يا أمَّ الوليد أمَا ... تخشَيْن فيّ عواقبَ الظلم)
(وتركتِني أبغي الطبيبَ وما ... لطبيبنا بالداءِ من عِلْم)
(خافي إلهك في ابن عمِّكِ قد ... زوّدتِه سُقْماً على سُقم)
قال فاستحسن الرشيد الصوت واستحسنه جميع من حضره وطربوا له فقال له الرشيد ياحبيبي لمن هذا الصوت فقال يا أمير المؤمنين سل هؤلاء المغنين لمن هو فقالوا والله ما ندري وإنه لغريب فقال بحياتي لمن هو فقال وحياتك ما أدري إلا أني أخذته من شهدة جارية الوليد أم عاتكة بنت شهدة
هذا الشعر المذكور لإبن قيس الرقيات والغناء لإبن محرز وله فيه لحنان أحدهما ثقيل أول بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق والآخر خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو
وفيه لسليم خفيف رمل بالبنصر ولحسين بن محرز ثقيل أول عن الهشامي وحبش
أخبرني محمد بن مزيد عن حماد بن إسحاق عن أبيه أنه ذكر عاتكة بنت شهدة يوما فقال كانت أضرب من رأيت بالعود ولقد مكثت سبع سنين أختلف إليها في كل يوم فتضار بني ضربا أو ضربين ووصل إليها مني ومن أبي أكثر من ثلاثين ألف درهم بسببي دراهم وهدايا
أخبرني يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه عن إسحاق قال كانت عاتكة بنت شهدة أحسن خلق الله غناء وأرواهم وماتت بالبصرة
وأمها شهدة نائحة من أهل مكة وكان ابن جامع يلوذ منها بكثرة الترجيع
فكان إذا أخذ يتزايد في غنائه قالت له إلى أين يا أبا القاسم ما هذا الترجيع الذي لا معنى له عد بنا إلى معظم الغناء ودع من جنونك
فأضجرته يوما بين يدي الرشيد فقال لها إني أشتهي علم الله أن تحتك شعرتي بشعرتك فقالت أخسأ قطع الله ظهرك

ولم تعد لأذاه بعدها
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا الزبير بن بكار قال قال لي علي ابن جعفر بن محمد دخلت على جواري المرواني المغنيات بمكة وعاتكة بنت شهدة تطارحهن لحنها
(يا صاحبيّ دَعَا الملامةَ واعلمَا ... أنّ الهوى يَدَع الكِرامَ عَبيداَ)
فجعلت واحدة منهن تقول يدع الرجال عبيدا فصاحت بها عاتكة بنت شهدة ويلك بندار الزيات العاض بظر أمه رجل أفمن الكرام هو قال فكنت إذا مر بي بندار أو رأيته غلبني الضحك فأستحي منه وآخذ بيده وأجعل ذلك بشاشة حتى أورث هذا بيني وبينه مقاربة فكان يقول أبو الحسن علي بن جعفر صديق لي
وكان مخارق مملوكا لعاتكة وهي علمته الغناء ووضعت يده على العود ثم باعته فانتقل من ملك رجل إلى ملك آخر حتى صار إلى الرشيد
وقد ذكر ذلك في أخباره
صوت
من المائة المختارة
(ولو أنّ ما عندَ ابن بُجْرَةَ عندها ... من الخمر لم تَبْلُلْ لَهَاتي بناطِلِ)
(لعمري لأنتَ البيتُ أكرمُ أهلَه ... وأقعدُ في أفيائه بالأصائل)
عروضه من الطويل الشعر لأبي ذؤيب الهذلي والغناء لحكم الوادي ولحنه المختار من الثقيل الأول بالبنصر في مجراها ابن بجرة هذا فيما ذكره الأصمعي رجل كان يبيع الخمر بالطائف وزعم أن الناطل كوز تكال به الخمر وقال ابن الأعرابي ليس هذا بشيء وزعم أن الناطل الشيء يقال ما في الإناء ناطل أي شيء
وقال أبو عمرو الشيباني سمعت الأعراب يقولون الناطل الجرعة من الماء واللبن والنبيذ انتهى
ذكر أبي ذؤيب وخبره ونسبه
هو خويلد بن خالد بن محرث بن زبيد بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث نميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار
وهو أحد المخضرمين ممن أدرك الجاهلية والإسلام وأسلم فحسن إسلامه
ومات في غزاة إفريقية
أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال كان أبو ذؤيب شاعرا فحلا لا غميزة فيه ولا وهن
وقال ابن سلام قال أبو عمرو بن العلاء سئل حسان بن ثابت من أشعر الناس قال أحيا أم رجلا قالوا حيا قال أشعر الناس حيا هذيل وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب قال ابن سلام ليس هذا من قول أبي عمرو ونحن نقوله أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال أخبرني محمد بن معاذ العمري قال في التوراة أبو ذؤيب مؤلف زورا وكان اسم الشاعر بالسريانية مؤلف
زورا
فأخبرت بذلك بعض أصحاب العربية وهو كثير بن إسحاق فعجب منه وقال قد بلغني ذاك وكان فصيحا كثير الغريب متمكنا في الشعر
قال أبو زيد عمر بن شبة تقدم أبو ذؤيب جميع شعراء هذيل بقصيدته العينية التي يرثي فيها بنيه يعني قوله
(أمِن المَنون وريْبة تتوجّع ... والدهر ليس بمُعتِب من يَجْزَع)
وهذه يقولها في بنين له خمسة أصيبوا في عام واحد بالطاعون ورثاهم فيها وسنذكر جميع ما يغنى فيه منها على أثر أخباره هذه
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن مصعب الزبيري وأخبرني حرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي قال كان أبو ذؤيب الهذلي خرج في جند عبد الله بن سعد بن أبي سرج أحد بني عامر بن لؤي إلى أفريقية سنة ست وعشرين غازيا إفرنجة في زمن عثمان
فلما فتح عبد الله بن سعد إفريقية وما والاها بعث عبد الله بن الزبير وكان في جنده بشيرا إلى عثمان بن عفان وبعث معه نفرا فيهم أبو ذؤيب ففي عبد الله يقول أبو ذؤيب
(فصاحب صدقٍ كسِيدِ الضّرا ... ينهض في الغزو نهضا نجيحا)
في قصيدة له
فلما قدموا مصر مات أبو ذؤيب بها وقدم ابن الزبير على عثمان وهو يومئذ في قول ابن الزبير ابن ست وعشرين سنة وفي قول الواقدي ابن أربع وعشرين سنة
وبشر عبد الله عند مقدمه بخبيب بن عبد الله بن الزبير وبأخيه عروة بن الزبير وكانا ولدا في ذلك العام وخبيب أكبرهما قال مصعب فسمعت أبي والزبير بن خبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير يقولان قال عبد الله بن الزبير أحاط بنا جرجير صاحب إفريقية وهو ملك إفرنجة في عشرين ألفا ومائة ألف ونحن في عشرين ألفا فضاق بالمسلمين أمرهم واختلفوا في الرأي فدخل عبد الله بن سعد فسطاطه يخلو ويفكر قال عبد الله بن الزبير فرأيت عورة من جرجير والناس على مصافهم رأيته على برذون أشهب خلف أصحابه منقطعا منهم معه جاريتان له تظلانه من الشمس بريش الطواويس فجئت فسطاط عبد الله فطلبت الإذن عليه من حاجبه فقال إنه في شأنكم وإنه قد أمرني أن أمسك الناس عنه
قال فدرت فأتيت مؤخر فسطاطه فرفعته ودخلت عليه فإذا هو مستلق على فراشه ففزع وقال ما الذي أدخلك علي يابن الزبير فقلت إيه وإيه كل أزب نفور إني رأيت عورة من عدونا فرجوت الفرصة فيه وخشيت فواتها فاخرج فاندب الناس إلي قال وما هي فأخبرته فقال عورة لعمري ثم خرج فرأى ما رأيت فقال أيها الناس انتدبوا مع ابن الزبير إلى عدوكم فاخترت ثلاثين فارسا وقلت إني حامل فاضربوا عن ظهري فإني سأكفيكم من ألقى إن شاء الله تعالى
فحملت في الوجه الذي هو فيه وحملوا فذبوا عني حتى خرقتهم إلى أرض خالية وتبينته فصمدت صمدة فوالله ما حسب إلا إني رسول ولا ظن أكثر أصحابه إلا ذاك حتى رأى ما بي من أثر السلاح فثنى برذونه هاربا فأدركته فطعنته فسقط ورميت بنفسي عليه واتقت جاريتاه عنه السيف فقطعت يد إحداهما
وأجهزت عليه ثم رفعت رأسه في رمحي وجال أصحابه وحمل المسلمون في ناحيتي وكبروا فقتلوهم كيف شاؤوا وكانت

الهزيمة
فقال لي عبد الله بن سعد ما أحد أحق بالبشارة منك فبعثني إلى عثمان
وقدم مروان بعدي على عثمان حين اطمأنوا وباعوا المغنم وقسموه
وكان مروان قد صفق على
الخمس بخمسمائة ألف فوضعها عنه عثمان فكان ذلك مما تكلم فيه بسببه
فقال عبد الرحمن بن حنبل بن مليل وكان هو وأخوه كلدة أخوي صفوان بن أمية بن خلف لأمه وهي صفية بنت معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح وكان أبوهما ممن سقط من اليمن إلى مكة
(أَحْلِفُ بِاللهِ جهد اليمين ... ما ترك الله أمراً سُدَى)
(ولكنْ خُلقتَ لنا فتنةً ... لكي نُبتلَى فيكَ أو تُبتلى)
(دعوتَ الطَّرِيدَ فأدنيتَه ... خلافاً لسنّة منْ قد مضى)
(وأعطيتَ مَرْوان خُمس العباد ... ظلماً لهم وحَمَيْت الحمَى)
(ومالاً أتاكَ به الأشعريّ ... من الفيء أعطيتَه مَنْ دنا)
((وإن الأمينَيْن قد بَيّنا ... منارَ الطريق عليه الهدى
(فما أخذا درهماً غِيلةً ... ولا قسما درهماً في هوى)
قال والمال الذي ذكر أن الأشعري جاء به مال كان أبو موسى قدم به على عثمان من العراق فأعطى عبد الله بن أسيد بن أبي العيص منه مائة ألف درهم وقيل ثلثمائة ألف درهم فأنكر الناس ذلك
ذكره ابن بجرة
أخبرني أحمد بن عبيد الله قال حدثنا عمر بن شبة عن محمد بن يحيى عن عبد العزيز أظنه ابن الدراوردي قال ابن بجرة الذي ذكره أبو ذؤيب رجل من بني عبيد بن عويج بن عدي بن كعب من قريش ولم يسكنوا مكة ولا المدينة قط وبالمدينة منهم امرأة ولهم موال أشهر منهم يقال لهم بنو سجفان
وكان ابن بجرة هذا خمارا وهذا الصوت الذي ذكرناه من لحن حكم الوادي المختار من قصيدة لأبي ذؤيب طويلة فمما يغنى فيه منها
صوت
(أساءلتَ رَسْمَ الدار أم لم تُسائل ... عن الحيّ أم عن عهده بالأوائل)
(عفا غيرَ رسم الدار ما إن تُبينه ... وعفْر ظباءٍ قد ثَوَتْ في المنازل)
(فلو أنّ ما عند ابنُ بُجْرَةَ عندها ... من الخمر لم تَبْلُلِ لهاتي بناطل)
(فتلك التي لا يَذهبُ الدهر حُبُّها ... ولا ذِكرُها ما أَرْزَمتْ أمُّ حائِل)
غناه الغريض ثقيلا أول بالوسطى ويقال إن لمعبد فيه أيضا لحنا
قوله أساءلت يخاطب نفسه ويروي عن السكن أو عن أهله والسكن الذي كانوا فيه وقال الأصمعي السكن سكن الدار والسكن المنزل أيضا ويروى عفا غير نؤي الدار والنؤي حاجز يجعل حول بيوت الأعراب لئلا يصل المطر إليها ويروى وهو الصحيح
(... وأقطاع طُفْي قد عفَتْ في المعاقل)
والطفي خوص المنقل والمعاقل حيث نزلوا فامتنعوا واحدها معقل وواحد الطفي طفية وأرزمت حنت والحائل الأنثى والسقب الذكر ومنها
صوت
(وإنّ حديثاً منكِ لو تَبْذُلينه ... جنى النحل في ألبان عُوذٍ مطافل)
(مطافل أبْكار حَدِيث نِتاجها ... تُشاب بماءٍ مثل ماء المفاصل)
غناه ابن سريج رملا بالوسطى جنى النحل العسل والعوذ جمع عائذ الناقة حين تضع فهي عائذ فإذا تبعها ولدها قيل لها مطفل والمفاصل منفصل السهل من الجبل حيث يكون الرضراض والماء الذي يستنقع فيها أطيب المياه وتشاب تخلط
وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي
أن أبا ذؤيب إنما عنى بقوله مطافل أبكار أن لبن الأبكار أطيب الألبان وهو لبنها لأول بطن وضعت قال وكذلك العسل فإن أطيبه ما كان من بكر النحل قال وحدثني كردين قال كتب الحجاج إلى عامله على فارس ابعث إلي بعسل من عسل خلار من النحل الأبكار من الدستفشار الذي لم تمسه النار
بعض من قصيدته العينية الشهيرة
فأما قصيدته العينية التي فضل بها فمما يغنى به منها
صوت
(أمِنَ المَنون وريبها تتوجّع ... والدهرُ ليس بمُعْتِبٍ من يَجْزَعُ)
(قالت أمامة ما لجسمك شاحباً ... منذُ ابتُذلتَ ومثلُ مالك يَنْفع)
(أم ما لجنبك لا يُلائم مضجعاً ... إلا أَقضّ عليكَ ذاك المضجعُ)
(فأجبتُها أنْ ما لجسمي أنّه ... أودى بَنيّ من البلاد فودَعوا)
عروضه من الكامل غناه ابن محرز ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالبنصر في مجراها قال الأصمعي سميت المنون منونا لأنها تذهب بمنة كل شيء وهي قوته
وروى الأصمعي وريبه فذكر المنون والشاحب المغير المهزول يقال شحب يشحب ابتذلت امتهنت نفسك وكرهت الدعة والزينة ولزمت العمل والسفر ومثل مالك يغنيك عن هذا فاشتر لنفسك من يكفيك ذلك ويقوم لك به ويلائم يوافق أقض عليك أي خشن فلم تستطع أن تضطجع عليه والقضض الرمل والحصى قال الراجز
((إنّ أُحيحاً مات من غير مَرَضْ ... ووُجْدَ في مَرْمَضه حيث ارتَمضْ
(... عَساقلُ وجِباً فيها قَضَض)
وودعوا ذهبوا استعمل ذلك في الذهاب لأن من عادة المفارق أن يودع
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني أحمد بن عمر النحوي قال حدثني أبي عن الهيثم بن عدي عن ابن

عياش قال لما مات جعفر بن المنصور الأكبر مشى المنصور في جنازته من المدينة إلى مقابر قريش ومشى الناس أجمعون معه حتى دفنه ثم انصرف إلى قصره ثم أقبل على الربيع فقال يا ربيع أنظر من في أهلي ينشدني
(... أمِن المنون وريْبها تتوجّع)
حتى أتسلى عن مصيبتي قال الربيع فخرجت إلى بني هاشم وهم بأجمعهم حضور فسألتهم عنها فلم يكن فيهم أحد يحفظها فرجعت فأخبرته فقال والله لمصيبتي بأهل بيتي ألا يكون فيهم أحد يحفظ هذا لقلة رغبتهم في الأدب أعظم وأشد علي من مصيبتي بابني ثم قال أنظر هل في القواد والعوام من الجند من يعرفها فإني أحب أن أسمعها من إنسان ينشدها
فخرجت فاعترضت الناس فلم أجد أحدا ينشدها ألا شيخا كبيرا مؤدبا قد انصرف من موضع تأديبه فسألته هل تحفظ شيئا من شعره فقال نعم شعر أبي ذؤيب فقلت أنشدني فابتدأ هذه القصيدة العينية فقلت له أنت بغيتي ثم أوصلته إلى المنصور فاستنشده إياها فلما قال
(... والدهرُ ليس بمعْتِب مَن يَجْزَعُ)
قال صدق والله فأنشدني هذا البيت مائة مرة ليتردد هذا المصراع علي فأنشده ثم مر فيها فلما انتهى إلى قوله
(والدهر لا يَبْقى على حَدَثانه ... جَوْنُ السَّراة له جدائدُ أربعُ)
قال سلا أبو ذؤيب عند هذا القول ثم أمر الشيخ بالإنصراف فاتبعته فقلت له أأمر لك أمير المؤمنين بشيء فأراني صرة في يده فيها مائة درهم
الخيانة مشتركة
حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال كان أبو ذؤيب الهذلي يهوى امرأة يقال لها أم عمرو وكان يرسل إليها خالد بن زهير فخانه فيها وكذلك كان أبو ذؤيب فعل برجل يقال له عويم بن مالك بن عويمر وكان رسوله إليها
فلما علم أبو ذؤيب بما فعل خالد صرمها فأرسلت تترضاه فلم يفعل وقال فيها
(تُريدين كيما تجمعِيني وخالداً ... وهل يُجمع السيفانِ وَيْحِكِ في غِمْدِ)
(أخالدُ ما راعيتَ مِنّي قرابةً ... فتحفَظَني بالغيب أوْ بعض ما تُبدي)
(دعاكَ إليها مُقْلتاها وجيدُها ... فمِلتَ كما مال المُحبّ على عَمْدِ)
((وكنتَ كَرقْراقِ السَّراب إذا بدا ... لقوم وقد بات المطيُّ بهم يَخْدي
(فآليتُ لا أنفكّ أحْدو قصيدةً ... تكون وإياها بها مثلاً بعدي)
غناه ابن سريج خفيف رمل بالبنصر الغيب السر والرقراق الجاري ويروي أحذو قصيدة فمن قال أحذو بالذال المعجمة أراد أصنع ومن قال أحدو أراد أغني
وقال أبو ذؤيب في ذلك
(وما حُمِّل البُخْتِيُّ عامَ غِياره ... عليه الوُسوقُ بُرُّها وشعِيرُها)
(أتى قريةً كانت كثيراً طعامُها ... كَرَفْغِ التراب كلُّ شيءٍ يميرها)
الرفغ من التراب الكثير اللين
(فقيل تحمَّلْ فوق طوقك إنّها ... مُطَبَّعة مِنْ يَأتها لا يضيرُها)
(بأعظم مما كنتُ حمّلتُ خالداً ... وبعضُ أمانات الرجال غُرورها)
(ولو أنني حمّلتُه البُزْلَ ما مشتْ ... به البزلُ حتى تَتْلَئِبَّ صدورها)
تتلئب تستقيم وتنتصب وتمتد وتتابع
(خليلِي الذي دلَّى لغيٍّ خليلتي ... جِهاراً فكلٌّ قد أصاب عُرورها)
يقال عرة بكذا أي أصابه به
(فشأنكها إني أمينٌ وإنّني ... إذا ما تحالى مثلُها لا أطُورها)
تحالى من الحلاوة أطورها أقربها
(أُحاذر يوماً أن تَبِين قَرينتي ... ويُسْلمها أحْرازُها ونَصيرها)
الأحراز الحصون قرينتي نفسي
(وما أنفُس الفتيان إلا قرائنٌ ... تَبين ويبقَى هامُها وقُبورها)
(فنفسَكَ فاحفظْها ولا تُفش للعِدا ... من السِرّ ما يُطوَى عليه ضَميرُها)
(وما يَحْفظُ المكتومَ من سِرّ أهله ... إذا عُقَدُ الأسرار ضاع كبيرُها)
(مِنَ القوم إلا ذو عَفاف يُعينه ... على ذاك منهُ صِدْقُ نفس وخِيرُها)
(رَعَى خالدٌ سرّي ليالِيَ نفسُه ... تَوالَى على قَصْدِ السبيل أمورها)
(فلما تراماه الشبابُ وغَيُّه ... وفي النفس منه فِتْنَةٌ وفُجورها)
(لوى رأسَه عنّي ومال بودّه ... أغانيجُ خَوْد كان فينا يَزُورها)
(تَعلّقه منها دَلالٌ ومُقلة ... تَظَلّ لأصحاب الشَّقاء تُديرها)
(فإن حراماً أنْ أخون أمانَةً ... وآمَنَ نفساً ليس عندي ضميرها)
فأجابه خالد بن زهير
(لا يُبعدنّ الله لُبَّك إذ غَزَا ... وسافَر والأحلامُ جَمٌّ عُثُورُها)
غزا وسافر لبك ذهب عنك والعثور من العثار وهو الخطأ
((وكنتَ إماماً للعشيرة تنتهي ... إليك إذا ضاقتْ بأمرٍ صُدورها
(لعلك إمّا أمُّ عمرو تبدّلت ... سِواكَ خليلاً شاتِمي تَسْتخيرها)
الإستخارة الإستعطاف
(فإنّ التي فينا زعمتَ ومثلَها ... لَفِيكَ ولكنّي أراك تَجُورها)
تجورها تعرض عنها
(ألم تَنْتقذها من عويم بن مالك ... وأنت صفيُّ نفسه وسجيرُها)

(فلا تَجْزَعَنْ من سُنّةٍ أنت سِرتَها ... فأوّلُ راضٍ سُنّةً منْ يسيرها)
ويروى قد أسرتها أي جعلتها سائرة ومن رواه هكذا روى يسيرها لأن مستقبل أفعل أسارها يسيرها ويسيرها مستقبل سار السيرة يسيرها
(فإن كنتَ تشكو من خليلٍ مخانَةً ... فتلك الجوازي عَقْبها ونُصُورها)
عقبها يريد عاقبتها ونصورها أي تنصر عليك الواحد نصر
(وإن كنتَ تبْغِي للظُّلامة مرْكباً ... ذَلُولا فإني ليس عندي بَعيرها)
(نشأتُ عَسيراً لا تلِين عريكتي ... ولم يعْلُ يوماً فوق ظهري كُورها)
(متى ما تشأ أحمِلْك والرأسُ مائلٌ ... على صعْبةٍ حَرْفٍ وشيِكٍ طُمورها)
(فلا تكُ كالثور الذي دُفِنتْ له ... حديدةُ حتْفٍ ثم أمسى يُثيرها)
((يُطيل ثَواءً عندها ليَرُدَّها ... وهيهات منه دارها وقُصورها
(وقاسمها بالله جَهْداً لأنتمُ ... ألذُّ من السَّلْوَى إذا ما نَشُورها)
نشورها نجتنيها السلوى ها هنا العسل
(فلم يُغنِ عنه خَدْعُه يوم أزْمَعتْ ... صَريمتَها والنفسُ مُرٌّ ضميرُها)
(ولم يُلْفِ جَلْداً حازماً ذا عَزيمة ... وذَا قوّة يَنفِي بها من يَزورها)
(فأقْصِرْ ولم تأخذْك منّي سحابةٌ ... يُنَفِّر شاءَ المُقْلِعين خَريرُها)
المقلعين الذين أصابهم القلع وهو السحاب
(ولا تَسبِقنّ الناس منّي بخَمْطةٍ ... مِنَ السمّ مَذْرُورٍ عليها ذَرُورها)
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا السكن بن سعيد قال حدثنا العباس بن هشام قال حدثني أبو عمرو عبد الله بن الحارث الهذلي من أهل المدينة قال خرج أبو ذؤيب مع ابنه وابن أخ له يقال له ابو عبيد حتى قدموا على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له أي العمل افضل يا أمير المؤمنين قال الإيمان بالله ورسوله
قال قد فعلت فأيه أفضل بعده الجهاد في سبيل الله قال ذلك كان علي وإني لا أرجو جنة ولا أخاف نارا
ثم خرج فغزا أرض الروم مع المسلمين فلما قفلوا أخذه الموت فاراد ابنه وابن أخيه أن يتخلفا عليه جميعا فمنعهما صاحب الساقة وقال ليتخلف عليه أحدكما وليعلم أنه مقتول
فقال لهما أبو ذؤيب اقترعا فطارت القرعة لأبي عبيد فتخلف عليه ومضى ابنه مع
الناس
فكان أبو عبيد يحدث قال قال لي أبو ذؤيب يا أبا عبيد احفر ذلك الجرف برمحك ثم اعضد من الشجر بسيفك ثم اجررني إلى هذا النهر فإنك لا تفرغ حتى أفرغ فاغسلني وكفني ثم اجعلني في حفيري وإنثل علي الجرف برمحك وألق علي الغصون والشجر ثم اتبع الناس فإن لهم رهجة تراها في الأفق إذا مشيت كأنها جهامة قال فما أخطأ مما قال شيئا ولولا نعته لم أهتد لأثر الجيش وقال وهو يجود بنفسه
(أبا عُبيد رُفع الكتابُ ... واقترب الموعد والحسابُ)
(وعند رَحْلي جملٌ نُجاب ... أحمرُ في حاركه انصباب)
ثم مضيت حتى لحقت الناس فكان يقال إن أهل الإسلام ابعدوا الأثر في بلد الروم فما كان وراء قبر أبي ذؤيب قبر يعرف لأحد من المسلمين
ذكر حكم الوادي وخبره ونسبه
هو الحكم بن ميمون مولى الوليد بن عبد الملك وكان أبوه حلاقا يحلق رأس الوليد فاشتراه فأعتقه
وكان حكم طويلا أحول يكري الجمال ينقل عليها الزيت من الشام إلى المدينة ويكنى أبا يحيى
وقال مصعب بن عبد الله بن الزبير هو حكم بن يحيى بن ميمون وكان أصله من الفرس وكان جمالا ينقل الزيت من وادي القرى إلى المدينة
وذكر حماد بن إسحاق عن أبيه أنه كان شيخا طويلا أحول أجنأ يخضب بالحناء وكان جمالا يحمل الزيت من جدة إلى المدينة وكان واحد دهره في الحذق وكان ينقر بالدف ويغني مرتجلا وعمر عمرا طويلا وغني الوليد بن عبد الملك وغنى الرشيد ومات في الشطر من خلافته وذكر أنه أخذ الغناء من عمر الوادي
قال وكان بوادي القرى جماعة من المغنين فيهم عمر بن زاذان وقال ابن داود بن زاذان وهو الذي كان يسميه الوليد جامع لذتي وحكم بن يحيى وسليمان وخليد بن عتيك وقيل ابن عبيد ويعقوب
الوادي وكل هؤلاء كان يصنع فيحسن
أخبرني يحيى بن علي قال حدثني حماد قال قال لي أبي أحذق من رأيت من المغنين أربعة جدك وحكم وفليح بن العوراء وسياط قلت وما بلغ من حذقهم قال كانوا يصنعون فيحسنون ويؤدون غناء غيرهم فيحسنون
قال إسحاق وقال لي أبي ما في هؤلاء الذين تراهم من المغنين أطبع من حكم وابن جامع وفليح أدرى منهما بما خرج من رأسه
وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات أن أحمد بن المكي حدثه عن أبيه قال حدثني حكم الوادي وأخبرني به محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا الغلابي عن حماد بن إسحاق عن أحمد بن المكي عن أبيه عن حكم الوادي قال أدخلني عمر الوادي على الوليد بن يزيد وهو على حمار وعليه جبة وشي ورداء وشي وخف وشي وفي يده عقد جوهر وفي كمه شيء لا أدري ما هو فقال من غناني ما أشتهي فله ما في كمي وما علي وما تحتي فغنوه كلهم فلم يطرب فقال لي غن يا غلام فغنيت
صوت
(إكليلُها ألوانُ ... ووجهُها فَتّانُ)
(وخالُها فريدٌ ... ليس له جيران)
(إذا مشتْ تَثنّت ... كأنها ثعبان)
الشعر لمطيع بن إياس والغناء لحكم الوادي هزج بالوسطى وفيه لإبراهيم رمل خفيف بالوسطى فطرب وأخرج ما كان في كمه وإذا كيس فيه ألف

دينار فرمى به إلي مع عقد الجوهر فلما دخل بعث إلي بالحمار وجميع ما كان عليه
وهذا الخبر يذكر من عدة وجوه في أخبار مطيع بن إياس
وفي حكم الوادي يقول رجل من قريش
صوت
(أبو يحيى أخو الغَزَل المغنِّي ... بَصيرٌ بالثِّقال وبالخِفَافِ)
(على العيدان يُحسِن ما يُغنِّي ... ويحسُن ما يقول على الدِّفاف)
غناه حكم الوادي هزجا بالبنصر
قال هارون بن عبد الملك قال أبو يحيى العبادي قال حدثني أحمد البارد قال دخلت على حكم يوما فقال لي يا قصافي إن رجلا من قريش قال في هذا الشعر
(... أبو يحيى أخو الغَزَل المغنِّي)
وقد غنيت فيه فخذ العود حتى تسمعه مني فأخذت العود فضربت عليه وغنانيه فكنت أول من أخذ من حكم الوادي هذا الصوت
قال أبو يحيى وقال إسحاق سمعت حكما الوادي يغني صوتا فاعجبني فسألته لمن هو فقال ولمن يكون هذا إلا لي
وقال مصعب حدثني شيخ أنه سمع حكما الوادي يغني فقال له أحسنت فألقى الدف وقال للرجل قبحك الله تراني مع المغنين منذ ستين سنة وتقول لي أحسنت
وقال لي هارون حدثني مدرك بن يزيد قال قال لي فليح بعث إلي يحيى بن خالد وإلى حكم الوادي وابن جامع معنا فأتيناه
فقلت لحكم الوادي أو قال لي إن ابن جامع معنا فعاوني عليه لنكسره
فلما صرنا إلى الغناء غنى حكم فصحت وقلت هكذا والله يكون الغناء ثم غنيت ففعل بي حكم مثل ذلك وغنى ابن جامع فما كنا معه في شيء
فلما كان العشي أرسل إلى جاريته دنانير إن أصحابك عندنا فهل لك أن تخرجي إلينا فخرجت وخرج معها وصائف لها فأقبل عليها يقول لها من حيث يظن أنا لا نسمع ليس في القوم أنزه نفسا من فليح ثم أشار إلى غلام له إن ائت كل إنسان بألفي درهم فجاء بها فدفع إلى ابن جامع ألفين فأخذها فطرحها في كمه ولحكم مثل ذلك فطرحها في كمه ودفع إلي الفين
فقلت لدنانير قد بلغ مني النبيذ فاحتبسيها لي عندك فأخذت الدراهم مني وبعثت بها إلي من الغد وقد زادت عليها مثلها وأرسلت إلي قد بعثت إليك بوديعتك وبشيء أحببت أن تفرقه على أخواتي تعني جواري
شهرته في الهزج
قال هارون بن محمد قال حماد بن إسحاق قال أبي أربعة بلغوا في أربعة أجناس من الغناء مبلغا قصر عنه غيرهم معبد في الثقيل وابن سريج في الرمل وحكم في الهزج وإبراهيم في الماخوري
قال هارون وحدثني أبي قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي عن أبيه قال
زاد حكم الوادي الرشيد فبره ووصله بثلثمائة ألف درهم وسأله عمن يختار أن يكتب له بها إليه فقال اكتب لي بها إلى إبراهيم بن المهدي وكان عاملا له بالشام قال إبراهيم فقدم علي حكم بكتاب الرشيد فدفعت إليه ما كتب به ووصلته بمثل ما وصله إلا أني نقصته ألفا من الثلثمائة وقلت له لا أصلك بمثل صلة أمير المؤمنين
فأقام عندي ثلاثين يوما أخذت منه فيها ثلثمائة صوت كل صوت منها أحب إلي من الثلثمائة الألف التي وهبتها له
وأخبرني علي بن عبد العزيز عن عبيد الله بن خرداذبة قال قال مصعب بن عبد الله بينا حكم الوادي بالمدينة إذ سمع قوما يقولون لو ذهبنا إلى جارية ابن شقران فإنها حسنة الغناء فمضوا إليها وتبعهم حكم وعليه فروة فدخلوا ودخل معهم وصاحب المنزل يظن أنه معهم وهم يظنون أنه من قبل صاحب المنزل ولا يعرفونه
فغنت الجارية أصواتا ثم غنت صوتا ثم صوتا فقال حكم الوادي أحسنت والله وصاح
فقال له رب البيت يا ماص كذا وكذا من أمه وما يدريك ما الغناء فوثب عليه يتعتعه وأراد ضربه فقال له حكم يا عبدالله دخلت بسلام وأخرج كما دخلت وقام ليخرج فقال له رب البيت لا أو أضربك
فقال حكم على رسلك أنا أعلم بالغناء منك ومنها وقال شدي موضع كذا وأصلحي موضع كذا واندفع يغني فقالت الجارية إنه والله أبو يحيى فقال رب المنزل جعلت فداك المعذرة إلى الله وإليك لم أعرفك فقام حكم ليخرج فأبى الرجل فقال والله لأخرجن فسأعود إليها لكرامتها لا لكرامتك
وذكر أحمد بن المكي عن أبيه أن حكما لم يشهر بالغناء ويذهب له
الصوت به حتى صار الأمر إلى بني العباس فانقطع إلى محمد بن أبي العباس أمير المؤمنين وذلك في خلافة المنصور فأعجب به واختاره على المغنين وأعجبته أهزاجه
وكان يقال إنه من أهزج الناس
ويقال إنه غنى الأهزاج في آخر عمره وإن ابنه لامه على ذلك وقال له أبعد الكبر تغني غناء المخنثين فقال له اسكت فإنك جاهل غنيت الثقيل ستين سنة فلم أنل إلا القوت وغنيت الأهزاج منذ سنيات فأكسبتك ما لم تر مثله قط
قال هارون بن محمد وقال يحيى بن خالد ما رأينا فيمن يأتينا من المغنين أحدا أجود أداء من حكم
وليس أحد يسمع غناء ثم يغنيه بعد ذلك إلا وهو يغيره ويزيد فيه وينقص إلا حكما
فقيل لحكم ذلك فقال إني لست أشرب وغيري يشرب فإذا شرب تغير غناؤه
أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال كان خبر حكم الوادي يتناهى إلى المنصور ويبلغه ما يصله به بنو سليمان بن علي فيعجب لذلك ويستسرفه ويقول هل هو إلا أن حسن شعرا بصوته وطرب مستمعيه فماذا يكون وعلام يعطونه هذه العطايا المسرفة إلى أن جلس يوما في مستشرف له وقد كان حكم دخل إلى رجل من قواده أراه قال علي بن يقطين أو أبوه وهو يراه ثم خرج عشيا وقد حمله على بغلة له يعرفها المنصور وخلع عليه ثيابا يعرفها له
فلما رآه المنصور قال من هذا فقيل حكم الوادي فحرك رأسه عليا ثم قال الآن علمت أن هذا يستحق ما يعطاه قيل وكيف ذلك يا
أمير المؤمنين وأنت تنكر ما يبلغك منه قال لأن فلانا لا يعطي شيئا من ماله باطلا ولا يضعه إلا في حقه

المهدي يجيزه والهادي يعطيه
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن أبي سعد قال حدثنا قعنب بن المحرز الباهلي عن الأصمعي قال رأيت حكما الوادي حين مضى المهدي إلى بيت المقدس وقد عارضه في الطريق وأخرج دفه ونقر فيه وله شعيرات على راسه وقال أنا والله يا أمير المؤمنين القائل
(ومتى تَخرج العروس ... فقد طال حِبسُها)
فتسرع إليه الحرس فقال دعوه وسأل عنه فأخبر أنه حكم الوادي فوصله وأحسن إليه
لحن حكم في هذا الشعر المذكور هزج بالبنصر وفيه ألحان لغيره وقد ذكرت في أخبار الوليد بن يزيد
أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا علي بن محمد النوفلي عن صالح الأضجم عن حكم الوادي قال كان الهادي يشتهي من الغناء ما توسط وقل ترجيعه ولم يبلغ أن يستخف جدا فأخرج ليلة ثلاث بدر وقال من أطربني فهي له فغناه ابن جامع وإبراهيم الموصلي والزبير بن دحمان فلم يصنعوا شيئا وعرفت ما أراد فغنيته لإبن سريج
صوت
(غرّاءُ كالليلة المباركة الْقَمْراء ... تَهْدِي أوائلَ الظُّلَمِ)
(أكْنِي بغير اسمِها وقد علم ... اللهُ خَفِيّاتِ كلِّ مُكْتِتِمِ)
(كأن فاها إذا تُنسِّمَ عن ... طيب مَشَمٍّ وحسن مُبْتَسَمِ)
(يُسَنُّ بالضَّرْوِ من بَرَاقِشَ أو ... هَيْلانَ أو يانعٍ من العُتُمِ)
الشعر في هذا الغناء للنابغة الجعدي والصنعة لإبن سريج رمل بالبنصر فوثب عن فراشه طربا وقال أحسنت أحسنت والله اسقوني فسقي
ووثقت بأن البدر لي فقمت فجلست عليها فأحسن ابن جامع المحضر وقال أحسن والله كما قال أمير المؤمنين وإنه لمحسن مجمل
فلما سكن أمر الفراشين بحملها معي فقلت لإبن جامع مثلك يفعل ما فعلت في شرفك ونسبك فإن رأيت أن تشرفني بقبول إحداها فعلت
فقال لا والله لا فعلت والله لوددت أن الله زادك وأسأل الله أن يهنيك ما رزقك
ولحقني الموصلي فقال آخذ يا حكم من
هذا فقلت لا والله ولا درهما واحدا لأنك لم تحسن المحضر
موته وشعر الدارمي فيه
ومات حكم الوادي من قرحة أصابته في صدره فقال الدارمي فيه قبل وفاته
صوت
(إنّ أبا يحيى اشتكَى عِلّةً ... أصْبحَ منها بين عُوّادِ)
(فقلت والقلبُ به مُوجَعٌ ... يا رَبِّ عافِ الحَكَمَ الوادي)
(فرُبَّ بيضٍ قادةٍ سادةٍ ... كأنصُلٍ سُلّتْ من اغْماد)
(نادمهم في مجلس لاهياً ... فأصْمتَ المُنشِدَ والشادي)
غنى فيه حكم الوادي هزجا بالبنصر
صوت
من المائة المختارة
(أمعارفَ الدِّمَن القِفَار تَوَهّمُ ... ولقد مضى حولٌ لهنَ مُجَرَّمُ)
(ولقد وقفتُ على الديار لعلّها ... بجواب رَجْع تحيّة تتكلّمُ)
(عن عِلْم ما فعل الخليطُ فما دَرَتْ ... أنَّى توجّه بالخليط المَوْسِمِ)
(ولقد عهِدتُ بها سُعادَ وإنها ... بالله جاهدةَ اليمين لتُقسِمِ)
(إني لأَوْجَهُ مَنْ تكلّم عندها ... بأَلِيّةٍ ومخالفٌ مَن يَزْعُمِ)
(فلها لدينا بالذي بذَلَتْ لنا ... وُدٌّ يطول له العَناء ويَعْظُمِ)
عروضه من الكامل الشعر لنصيب من قصيدة يمدح بها عبد الملك بن
مروان والغناء لإبن جامع له فيه لحنان ذكرهما إسحاق أحدهما ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى
ولإبراهيم في البيتين الأولين ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى ولإسحاق وسياط فيهما ثقيل بالبنصر عن عمرو
ذكر ابن جامع وخبره ونسبه
هو إسماعيل بن جامع بن إسماعيل بن عبد الله بن المطلب بن أبي وداعة بن ضبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب
أخبرني الطوسي عن الزبير بن بكار عن عمه مصعب وأخبرنا محمد بن جرير الطبري قال حدثنا محمد بن حميد عن سلمة عن ابن إسحاق قالا جميعا مات ضبيرة السهمي وله مائة سنة ولم يظهر في رأسه ولا لحيته شيب فقال بعض شعراء قريش يرثيه
(حُجّاجَ بيتِ الله إنّ ... ضُبيرةَ السَّهْمِيّ ماتَا)
(سبقَتْ منّيتُه المَشيبَ ... وكان ميتتُه افتلاتا)
(فتزوّدوا لا تَهْلِكوا ... من دون أهلكُم خُفاتا)
قال وأسر أبو وداعة كافرا يوم بدر ففداه ابنه المطلب وكان المطلب رجل صدق
وقد روى عن النبي الحديث
ويكنى ابن جامع أبا القاسم وأمه امرأة من بني سهم وتزوجت بعد أبيه رجلا من أهل اليمن
فذكر هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات عن حماد عن أبيه عن بعض أصحابه عن عون حاجب معن بن زائدة قال رايت أم ابن جامع وابن جامع معها عند معن بن زائدة وهو ضعيف يتبعها وبطأ ذيلها وكانت من قريش ومعن يومئذ على اليمن فقالت أصلح الله الأمير إن عمي زوجني زوجا ليس بكفء ففرق بيني وبينه
قال من هو قالت ابن ذي مناجب قال علي به قال فدخل أقبح من خلق الله وأشوهه خلقا قال من هذه منك قال امرأتي

قال خل سبيلها ففعل فأطرق معن ساعة ثم رفع رأسه فقال
(لعمري لقد أصبحتَ غيرَ محبّب ... ولا حَسَنٍ في عينها ذا مناجِب)
(فما لمتُها لمّا تبينّتُ وجهَه ... وعيناً له حَوْصاءَ من تحت حاجب)
(وأنفاً كأنف البَكْرِ يقطُر دائباً ... على لِحيْة عَصْلاءَ شابتْ وشارب)
(أتيتَ بهامثلَ المَهاة تسوقها ... فياحُسْن مجلوب ويا قُبح جالب)
وأمر لها بمائتي دينار وقال لها تجهزي بها إلى بلادك
أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال أخبرني حماد عن أبيه أن الرشيد سأل ابن جامع يوما عن نسله وقال له أي بني الإنس ولدك يا إسماعيل قال لا أدري ولكن سل ابن أخي يعني إسحاق وكان يماظ إبراهيم الموصلي ويميل إلى ابنه إسحاق قال إسحاق ثم التفت إلي ابن جامع فقال أخبره يابن أخي بنسب عمك
فقال له الرشيد قبحك الله شيخا من قريش تجهل نسبك حتى يخبرك به غيرك وهو رجل من العجم
بعض من ورعه وتقواه
قال هارون حدثني عبد الله بن عمرو قال حدثني أبو هشام محمد بن عبد الملك المخزومي قال أخبرني محمد بن عبد الله بن أبي فروة بن أبي قراد المخزومي قال كان ابن جامع من أحفظ خلق الله لكتاب الله وأعلمه بما يحتاج إليه كان يخرج من منزله مع الفجر يوم الجمعة فيصلي الصبح ثم يصف قديمه حتى تطلع الشمس ولا يصلي الناس الجمعة حتى يختم القرآن ثم ينصرف إلى منزله
قال هارون وحدثني علي بن محمد النوفلي قال حدثني صالح بن علي بن عطية وغيره من رجال أهل العسكر قالوا قدم ابن جامع قدمة له من مكة على الرشيد وكان ابن جامع حسن السمت كثير الصلاة قد أخذ السجود جبهته وكان يعتم بعمامة سوداء على قلنسوة طويلة ويلبس لباس الفقهاء ويركب حمارا مريسيا في زي أهل الحجاز فبينا
هو واقف على باب يحيى بن خالد يلتمس الإذن عليه فوقف على ما كان يقف الناس عليه في القديم حتى يأذن لهم أو يصرفهم أقبل أبو يوسف القاضي بأصحابه أهل القلانس فلما هجم على الباب نظر إلى رجل يقف إلى جانبه ويحادثه فوقعت عينه على ابن جامع فرأى سمته وحلاوة هيئته فجاء فوقف إلى جانبه ثم قال له أمتع الله بك توسمت فيك الحجازية والقرشية قال أصبت قال فمن أي قريش أنت قال من بني سهم قال فأي الحرمين منزلك قال مكة قال ومن لقيت من فقهائهم قال سل عمن شئت ففاتحه الفقه والحديث فوجد عنده ما أحب فأعجب به
ونظر الناس إليهما فقالوا هذا القاضي قد اقبل على المغني وأبو يوسف لا يعلم أنه ابن جامع فقال أصحابه لو أخبرناه عنه ثم قالوا لا لعله لا يعود إلى مواقفته بعد اليوم فلم نغمه
فلما كان الإذن الثاني ليحيى غدا عليه الناس وغدا عليه أبو يوسف فنظر يطلب ابن جامع فرآه فذهب فوقف إلى جانبه فحادثه طويلا كما فعل في المرة الأولى فلما انصرف قال له بعض أصحابه أيها القاضي أتعرف هذا الذي تواقف وتحادث قال نعم رجل من قريش من أهل مكة من الفقهاء قالوا هذا ابن جامع المغني قال إنا لله
قالوا إن الناس قد شهروك بمواقفته وأنكروا ذلك من فعلك فلما كان الإذن الثالث جاء أبو يوسف ونظر إليه فتنكبه وعرف ابن جامع أنه قد أنذر به فجاء فوقف فسلم عليه فرد السلام عليه أبو يوسف بغير ذلك الوجه الذي كان يلقاه به ثم أنحرف عنه
فدنا منه ابن جامع وعرف الناس القصة وكان ابن جامع جهيرا فرفع صوته ثم قال يا أبا يوسف مالك تنحرف عني أي شيء أنكرت قالوا لك إني ابن جامع المغني فكرهت مواقفتي لك أسألك عن مسألة ثم اصنع ما شئت ومال الناس فأقبلوا نحوهما يستمعون فقال يا أبا يوسف لو أن أعرابيا جلفا وقف بين يديك فأنشدك بجفاء وغلظة من لسانه وقال
((يا دار مَيَّة بالعَلْياء فالسَّنَد ... أقْوتْ وطالَ عليها سالفُ الأبدِ
أكنت ترى بذلك بأسا قالا لا قد روي عن النبي في الشعر قول وروي في الحديث
قال ابن جامع فإن قلت أنا هكذا ثم اندفع يتغنى فيه حتى أتى عليه ثم قال يا أبا يوسف رأيتني زدت فيه أو نقصت منه قال عافاك الله أعفنا من ذلك قال يا أبا يوسف أنت صاحب فتيا ما زدته على أن حسنته بألفاظي فحسن في السماع ووصل إلى القلب ثم تنحى عنه ابن جامع
قال وحدثني عبد الله بن شبيب قال حدثني إبراهيم بن المنذر عن سفيان ابن عيينة ومر به ابن جامع يسحب الخز فقال لبعض أصحابه بلغني أن هذا القرشي أصاب مالا من بعض الخلفاء فبأي شيء أصابه قالوا بالغناء قال فمن منكم يذكر بعض ذلك فأنشد بعض أصحابه ما يغني فيه
(وأصحَب بالليل أهلَ الطَّواف ... وأرفع من مِئزَري المُسْبَل)
قال أحسن هيه قال
(وأسجدُ بالليل حتى الصباح ... واتلو من المُحْكَم المُنْزَل)
قال أحسن هيه قال
(عَسَى فارجُ الكرب عن يوسفٍ ... يُسخِّر لي رَبّة المَحْمِل)
قال أما هذا فدعه
طريقته في الغناء
وحدثني محمد بن الحسن العتابي قال حدثني جعفر بن محمد الكاتب قال
حدثني طيب بن عبد الرحمن قال كان ابن جامع يعد صيحة الصوت قبل أن يصنع عمود اللحن
وحدث محمد بن الحسن قال حدثني أبو حارثة بن عبد الرحمن بن سعيد بن سلم عن أخيه أبي معاوية بن عبد الرحمن قال قال لي ابن جامع لولا أن القمار وحب الكلاب قد شغلاني لتركت المغنين لا يأكلون الخبز
أخبرني علي بن عبد العزيز عن ابن خرداذبه قال أهدى رجل إلى ابن جامع كلبا فقال ما اسمه فقال لا أدري فدعا بدفتر فيه أسماء الكلاب فجعل يدعوه بكل اسم فيه حتى أجابه الكلب
قال هارون بن محمد حدثني علي بن محمد النوفلي قال حدثني محمد بن أحمد المكي قال حدثتني حولاء مولاة ابن جامع قالت انتبه مولاي يوما من قائلته فقال علي بهشام يعني ابنه ادعوه لي عجلوه فجاء مسرعا فقال أي بني خذ العود فإن رجلا من الجن ألقى علي في قائلتي صوتا فأخاف أن أنساه
فأخذ هشام العود وتغنى ابن جامع عليه رملا لم أسمع له رملا أحسن منه وهو

صوت
(أمسيتْ رُسوم الديارِ غيَّرها ... هوجُ الرِّياح الزَّعازع العُصُف)
(وكلُّ حنّانة لها زَجَلٌ ... مثلُ حنين الرَّوائم الشُّغُف)
فأخذه عنه هشام فكان بعد ذلك يتغناه وينسبه إلى الجن وفي هذا الصوت
للهذلي لحن من الثقيل الثاني بالخنصر في مجرى الوسطى
وفيه للغريض ثاني ثقيل بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو وقيل إن هذا اللحن لعبادل وفيه لإبن جامع الرمل المذكور
قال هارون وحدثني أحمد بن بشر بن عبد الوهاب قال حدثني محمد بن موسى بن فليح الخزاعي قال حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد المكي قال قال لي ابن جامع أخذت من هارون ببيتن غنيته بهما عشرة آلاف دينار
صوت
(لا بدّ للعاشق من وَقْفةٍ ... تكون بين الوَصْل والصرْمِ)
(يَعْتِب أحياناً وفي عَتْبة ... إظهارُ ما يُخْفِي من السُّقْم)
(إشفاقُه داعٍ إلي ظَنّه ... وظنُّه داعٍ إلي الظلم)
(حتى إذا ما مضّه هجره ... راجَع مَنْ يَهْوَى على رَغْم)
هكذا رويته الشعر للعباس بن الأحنف والغناء لإبن جامع ثاني ثقيل بالوسطى وذكر ابن بانة أن هذا اللحن لسيلم وفيه لإبراهيم ثقيل أول بالوسطى قال ثم قال لي ابن جامع فمتى تصيب أنت بالمروءة شيئا
وقال هارون حدثني أحمد بن زهير قال حدثني مصعب بن عبد الله قال خرج ابن أبي عمرو الغفاري وعبد الرحمن بن أبي قباحة وغيرهما من القرشيين عمارا يريدون مكة فلما كانوا بفخ نزلوا على البئر التي هناك
ليغتسلوا فيها
قال فبينما نحن نغتسل إذ سمعنا صوت غناء فقلنا لو ذهبنا إلى هؤلاء فسمعنا غناءهم فأتيناهم فإذا ابن جامع وأصحاب له يغنون وعندهم فضيخ لهم يشربون منه فقالوا تقدموا يا فتيان فتقدم ابن أبي عمرو فجلس مع القوم وكان رأسهم فجلسنا نشرب وطرب ابن أبي قباحة فغنى فقال ابن جامع وابأبي وأمي ابن أبي قباحة وإلا فهو ابن الفاعلة
فقام ابن أبي عمرو فأخرج من وسطه هميانا فيه ثلثمائة درهم فنثرها على ابن أبي قباحة فقال ابن جامع امضوا بنا إلى المنزل فمضنيا فأقمنا عنده شهرا ما نبرح ونحن على إحرامنا ذلك
قال هارون بن محمد بن عبد الملك حدثني علي بن سليمان عن محمد بن أحمد النوفلي عن جارية ابن جامع الحولاء قال وكانت تتبناني فتغنت يوما وطربت وقالت يا بني ألا أغنيك هزجا لسيدي في عشيقة له سوداء قلت بلى فتغنت هزجا ما سمعت أحسن منه وهو
صوت
(أشْبَهك المسكُ وأشبهته ... قائمةً في لونه قاعده)
(لا شكّ إذ لونُكما واحدٌ ... أنّكما من طينةٍ واحدهْ)
وقد روي هذا الشعر لأبي حفص الشطرنجي يقوله في دنانير مولاة البرامكة ونسب هذا الهزج إلى إبراهيم وابن جامع وغيرهما
قال عبد الله بن عمرو حدثنا أحمد بن عمر بن إسماعيل الزهري قال حدثني محمد بن جعفر بن عمر بن علي بن ابي طالب عليه السلام وكان يلقب الأبله قال قال برصوما الزامر وذكر إبراهيم الموصلي وابن جامع فقال الموصلي بستان تجد فيه الحلو والحامض وطريا لم ينضج فتأكل منه من ذا وذا
وابن جامع زق عسل إن فتحت فمه خرج عسل حلو وإن خرقت جنبه خرج عسل حلو وإن فتحت يده خرج عسل حلو كله جيد
غنى عند الرشيد فأخطأ ثم أجاد
أخبرنا يحيى بن علي عن أبيه وحماد عن إبراهيم بن المهدي وكان إبراهيم يفضل ابن جامع ولا يقدم عليه أحدا وابن جامع يميل إليه قال كنا في مجلس الرشيد وقد غلب على ابن جامع النبيذ فغنى صوتا فأخطأ في أقسامه فالتفت إلي إبراهيم الموصلي فقال قد خري فيه وفهمت صدقه قال فقلت لإبن جامع يا أبا القاسم أعد الصوت وتحفظ فيه فانتبه وأعاده فأصاب
فقال إبراهيم
(أُعلِّمه الرِّمايةَ كلَّ يومٍ ... فلمّا اشْتَدّ ساعدُه رماني)
وتنكر لميلي مع ابن جامع عليه فقلت للرشيد بعد أيام إن لي حاجة إليك قال وما هي قلت تسأل إبراهيم الموصلي أن يرضى غني ويعود إلى ما كان عليه
فقال إنما هو عبدك وقال له قم إليه فقبل رأسه فقلت لا ينفعني رضاه في الظاهر دون الباطن فسله أن يصحح الرضا
فقام إلي ليقبل راسي كما أمر فقال لي وقد أكب علي ليقبل رأسي أتعود قلت لا قال قد رضيت عنك رضا صحيحا وعاد إلى ما كان عليه
وقال حماد عن أبي يحيى العبادي قال قدم حوراء غلام حماد الشعراني وكان أحد المغنين المجيدين قال حدثني بعض أصحابنا قال كنا في دار أمير المؤمنين الرشيد فصاح بالمغنين من فيكم يعرف
((وكَعْبَةُ نَجْران حَتّمٌ عليكِ ... حتى تُناخِي بأبوابها
الشعر للأعشى فبدرهم إبراهيم الموصلي فقال أنا أغنيه وغناه فجاء بشىء عجيب فغضب ابن جامع وقال لزلزل دع العود أنا من جحاش وجرة لا أحتاج إلى بيطار ثم غنى الصوت فصاح إليه مسرور أحسنت يا أبا القاسم ثلاث مرات
نسبة هذا الصوت
صوت
(وكعبةُ نَجْرانَ حتمٌ عليكِ ... حتى تُناخِي بأبوابِها)
(نَزور يزيدَ وعبدَ المَسيح ... وقيساً هُمُ خيرُ أربابِها)
(وشاهدُنا الجُلّ والياسِمينُ ... والمُسْمِعاتُ بقُصّابِها)

(وَرَبْطنا دائمٌ مُعْمَل ... فأيُّ الثلاثةِ أزْرَى بها)
(فلما التقينا على آلةٍ ... ومَدّتْ إليّ بأسبابها)
الشعر للأعشى أعشى بني قيس بن ثعلبة وهؤلاء الذين ذكرهم أساقفة نجران وكان يزورهم ويمدحهم ويمدح العاقب والسيد وهما ملكا نجران ويقيم عندهما ما شاء يسقونه الخمر ويسمعونه الغناء الرومي فإذا انصرف أجزلوا صلته
أخبرنا بذلك محمد بن العباس اليزيدي عن عمه عبيد الله عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي وله أخبار كثيرة معهم تذكر في مواضعها إن شاء الله
والغناء لحنين الحيري خفيف ثقيل بالوسطى في مجراها عن إسحاق في الأربعة الأول وذكر عمرو أنه لابن محرز وذكر يونس أن فيها لحنا لمالك ولم يجنسه وذكر الهشامي أن في الخامس والسادس ثم الأول والثاني خفيف رمل بالوسطى ليحيى المكي

استحضره الفضل بن الربيع لما ولي الهادي

وقال حماد عن مصعب بن عبد الله قال حدثني الطراز وكان بريد الفضل بن الربيع قال لما مات المهدي وملك موسى الهادي أعطاني الفضل دنانير وقال إلحق بمكة فأتني بابن جامع واحمله في قبة ولا تعلمن بذا أحدا ففعلت فأنزلته عندي واشتريت له جارية له وكان ابن جامع صاحب نساء
فذكره موسى ذات ليلة وكان
هو والحراني منقطعين إلى موسى أيام المهدي فضربهما المهدي وطردهما فقال لجلسائه أما فيكم أحد يرسل إلى ابن جامع وقد علمتم موقعة مني فقال له الفضل بن الربيع هو والله عندي يا أمير المؤمنين وقد فعلت الذي أردت وبعث إليه فأتي به في الليل
فوصل الفضل تلك الليلة بعشرة آلاف دينار وولاه حجابته
قال إسحاق عن بعض أصحابه كنا عند أمير المؤمنين الرشيد يوما فقال الغلام الذي على الستارة يابن جامع تغن ببيت السعدي
(فلو سألتْ سَراةَ الحيِّ سَلْمى ... على أن قد تَلوّن بي زماني)
(لخبَّرها ذوو الأحساب عنّي ... وأعدائي فكلٌّ قد بَلاني)
(بذبِّي الذمَّ عن حسبي بمالي ... وزَبُّوناتِ أشْوسَ تَيْحان)
(وأني لا أزال أخا حروبٍ ... إذا لم أجْن كنتُ مِجَنَّ جاني)
قال فحرك ابن جامع رأسه وكان إذا اقترح عليه الخليفة شيئا قد أحسنه وأكمله طار فرحا فغنى به فأربد وجه إبراهيم لما سمعه منه وكذا كان ابن جامع أيضا يفعل فقال له صاحب الستارة أحسنت والله يا أميري أعد فأعاد فقال أنت في حلبة لا يلحقك أحد فيها أبدا
ثم قال صاحب الستارة لإبراهيم تغن بهذا
الشعر فتغنى فلما فرغ قال مرعى ولا كالسعدان أخطأت في موضع كذا وفي موضع كذا فقال نفي إبراهيم من أبيه إن كان يا أمير المؤمنين أخطأ حرفا وقد علمت أني أغفلت في هذين الموضعين
قال إبراهيم فلما انصرفنا قلت لإبن جامع والله ما أعلم أن أحدا بقي في الأرض يعرف هذا الغناء معرفة أمير المؤمنين قال حق والله لهو إنسان يسمع الغناء منذ عشرين سنة مع هذا الذكاء الذي فيه
قال إسحاق كان ابن جامع إذا تغنى في هذا الشعر

صوت

(مَنْ كان يَبْكي لِمَا بي ... مِنْ طول سُقْمٍ رَسيس)
(فالآنَ من قبل موتي ... لا عِطْرَ بعد عَرُوس)
((بنيْتُم في فؤادي ... أوكار طير النُحوس
(قلبي فريسُ المنايا ... يا ويحه من فريس)
الشعر لرجل من قريش والغناء لإبن جامع في طريقة الرمل لم يتغن في ذلك المجلس بغيره
وكان إذا أراد أن يتغنى سأل أن يزمر عليه برصوما فلما كثر ذلك سألوه فيه فقال لا والله ولكنه إذا ابتدأت فغنيت في الشعر عرف الغرض الذي يصلح فما يجاوزه وكنت معه في راحة وذلك أن المغني إذاتغنى بزمر زامر فأكثر العمل على الزامر لأنه لا يقفو الأثر فإذا زمر برصوما فأنا في راحة وهو في تعب وإذا زمر علي غيره فهو في راحة وأنا في تعب فإن شككتم فاسألوا برصوما ومنصور زلزل فسألوهما عما قال فقالا صدق
قال وحدثني علي بن أحمد الباهلي قال سمعت مصعب بن عبد الله يقول بلغ المهدي أن ابن جامع والموصلي يأتيان موسى فبعث إليهما فجيء بهما فضرب الموصلي ضربا مبرحا وقال له ابن جامع ارحم أمي فرق له وقال له قبحك الله رجل من قريش يغني وطرده
فلما قام موسى وجه الفضل خلفه بريدا حتى جاء به فقال له موسى ما كان ليفعل هذا غيرك
قال وحدثني الزبير بن بكار قال قال لي فلفلة تمنى يوما موسى أمير المؤمنين ابن جامع فدفع إلي الفضل بن الربيع خمسمائة دينار وقال امض حتى تحمل ابن جامع وبعث إليه بما يصلحه فمضيت فحملته
فلما دخلنا أدخله الفضل الحمام وأصلح من شأنه ودخل على موسى فغناه فلم يعجبه
فلما خرج قال له الفضل تركت الخفيف وغنيت الثقيل قال فأدخلني عليه أخرى فأدخله فغنى الخفيف فقال حاجتك فأعطاه ثلاثين ألف دينار
قال وحدثني عبد الرحمن بن أيوب قال حدثنا أبو يحيى العبادي قال حدثني ابن أبي الرجال قال حدثني زلزل قال أبطأ إبراهيم الموصلي عن الرشيد فأمر مسرورا الخادم يسأل عنه وكان أمير المؤمنين قد صير أمر المغنين إليه فقيل له لم يأت بعد
ثم جاء في آخر النهار فقعد بيني وبين برصوما فغني صوتا له فأطربه وأطرب والله كل من كان في المجلس قال فقام ابن جامع من مجلسه فقعد بيني وبين برصوما ثم قال أما والله يا نبطي ما أحسن إبراهيم وما أحسن غيركما
قال ثم غنى فنسينا أنفسنا والله لكأن العود كان في يده

إبراهيم الموصلي يشهد له بجودة الإيقاع

قال وحدثني عمر بن شبة قال حدثني يحيى بن إبراهيم بن عثمان بن نهيك قال دعا أبي الرشيد يوما فأتاه ومعه جعفر بن يحيى فأقاما عنده وأتاهما ابن جامع فغناهما يومهما
فلما كان الغد انصرف الرشيد وأقام جعفر قال فدخل
عليهم إبراهيم الموصلي فسأل جعفرا عن يومهم فأخبره وقال له لم يزل ابن جامع يغنينا إلا أنه كان يخرج من الإيقاع وهو في قوله يريد أن يطيب نفس إبراهيم الموصلي قال فقال له إبراهيم أتريد أن تطيب نفسي بما لا تطيب به لا والله ما ضرط ابن جامع منذ ثلاثين سنة إلا بإيقاع فكيف يخرج من الإيقاع
قال وحدثني يحيى بن الحسن بن عبد الخالق قال حدثني أبي قال كان سبب عزل العثماني أن ابن جامع سأل الرشيد أن يأذن له في المهارشة بالديوك والكلاب ولا يحد في النبيذ فأذن له وكتب له بذلك كتابا إلى العثماني فلما وصل الكتاب قال كذبت أمير المؤمنين لا يحل ما حرم الله وهذا كتاب مزور
والله لئن ثقفتك على حال من هذه الأحوال لأؤدبنك أدبك قال فحذره ابن جامع
ووقع بين العثماني وحماد اليزيدي وهو على البريد ما يقع بين العمال فلما حج هارون قال حماد لإبن جامع أعني عليه حتى أعزله قال أفعل قال فابدأ أنت وقل إنه ظالم فاجر واستشهدني فقال له ابن جامع هذا لا يقبل في العثماني ويفهم أمير المؤمنين كذبنا ولكني أحتال من جهة ألطف من هذه قال فسأله هارون ابتداء فقال له يابن جامع كيف أميركم العثماني قال خير أمير وأعدله وأفضله وأقومه بحق لولا ضعف في عقله قال
وما ضعفه قال قد أفنى الكلاب قال وما دعاه إلى إفنائها قال زعم أن كلبا دنا من عثمان بن عفان يوم ألقي على الكناس فأكل وجهه فغضب على الكلاب فهو يقتلها فقال هذا ضعيف اعزلوه فكان سبب عزله
قال هارون بن محمد وحدثني الحسن بن محمد الغياثي قال حدثني أبي عن القطراني قال كان ابن جامع بارا بوالدته وكانت مقيمة بالمدينة وبمكة
فدعاه إبراهيم بن المهدي وأظهر له كتابا إلى أمير المؤمنين فيه نعي والدته قال فجزع لذلك جزعا شديدا وجعل أصحابه يعزونه ويؤنسونه ثم جاؤوا بالطعام فلم يتركوه حتى طعم وشرب وسألوه الغناء فامتنع
فقال له إبراهيم بن المهدي إنك ستبذل هذا لأمير المؤمنين فابذله لإخوانك فاندفع يغني
صوت
(كم بِالدُّروبِ وأرضِ الرومِ مِنْ قَدَمٍ ... ومِنْ جماجم صَرْعَى ما بها قُبِرُوا)
(بقُنْدُهَارَ ومَنْ تُقْدَرْ منيّته ... بقُنْدُهار يُرَجَّمْ دونه الخبر)
الشعر ليزيد بن مفرغ الحميري والغناء لإبن جامع رمل وفيه لإبن سريج
خفيف رمل جميعا عن الهشامي قال وجعل إبراهيم يسترده حتى صلح له ثم قال لا والله ما كان مما خبرناك شيء إنما مزحنا بك
قال ثم قال له رد الصوت فغناه فلم يكن من الغناء الأول في شيء فقال له إبراهيم خذه الآن علي فأداه إبراهيم على السماع الأول
فقال له ابن جامع أحب أن تطرحه أنت على كذا
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني علي بن الحسن الشيباني عن أحمد بن يحيى المكي قال كان أبي بين يدي الرشيد وابن جامع معه يغني بين يدي الرشيد فغناه
(خليفةٌ لا يخيبُ سائلُه ... عليه تاجُ الوقارِ مُعْتدلُ)
قال وغنى من يتلوه وهوم ابن جامع سكرا ونعاسا فلما دار الغناء على أصحابه وصارت النوبة إليه حركه من بجنبه لنوبته فانتبه وهو يغني
(اِسْلَمْ وحُيِّيت أيّها الطَّلَلُ ... وإن عَفَتْكَ الرياح والسَّبَلُ)
قال وهو يتلو البيت الأول فعجب أهل المجلس من ذكائه وفهمه وأعجب ذلك الرشيد
نسبة هذا الصوت
صوت
(اِسلم وحُيِّيت أيها الطللُ ... وإن عفتْك الرياح والسَّبَلُ)
(خليفةٌ لا يخيب سائلُه ... عليه تاجُ الوقار مُعْتدل)
الشعر لأشجع أو لسلم الخاسر يمدح به موسى الهادي والغناء لإبن جامع ثقيل أول بالوسطى من رواية الهشامي وأحمد بن يحيى المكي
الرشيد يخبره بموت أمه كذبا ليحسن غناؤه
قال هارون وقد حدثني بهذا الخبر عبد الرحمن بن أيوب قال حدثني أحمد بن يحيى المكي قال كان ابن جامع أحسن ما يكون غناء إذا حزن صوته
فأحب الرشيد أن يسمع ذلك على تلك الحال فقال للفضل بن الربيع ابعث خريطة فيها نعي أم ابن جامع وكان بارا بأمه ففعل
فوردت الخريطة على أمير المؤمنين وهو في مجلس
لهوه فقال يابن جامع جاء في هذه الخريطة نعي أمك فاندفع ابن جامع يغني بتلك الحرقة والحزن الذي في قلبه
(كم بالدّروب وأرض السِّند من قدمٍ ... ومن جماجم صرْعى ما بها قُبِروا)
(بقُنْدُهار ومن تُكتب منِيّته ... بقُنْدُهار يُرجَّم دونه الخبر)
قال فوالله ما ملكنا أنفسنا وأريت الغلمان يضربون برؤوسهم الحيطان والأساطين
قال هارون لا أشك أن ابن المكي قد حدث به عن رجل حضر ذلك فأغفله عبد الرحمن بن أيوب قال ثم غنى بعد ذلك
(... يا صاحب القبر الغريب)
وهو لحن قديم وفيه لحن لإبن المكي فقال له الرشيد أحسنت وأمر له بعشرة آلاف دينار
نسبة هذا الصوت الأخير
صوت
(يا صاحب القبر الغريب ... بالشام في طرف الكثِيب)

(بالحِجْر بين صفائح ... صُمٍّ تُرصَّف بالجبُوب)
(رصْفا ولحدٍ مُمْكِنٍ ... تحت العجاجة في القليب)
(فإذا ذكرتُ أنينَهُ ... ومغيبَه تحت المغيب
(هاجتْ لواعجُ عَبْرة ... في الصدر دائمة الدَّبيب)
(أسفاً لحسنِ بلائه ... ولمصرعِ الشيخ الغريب)
(أقبلتُ أطلبُ طِبَّه ... والموتُ يُعْضِل بالطبيب)
الشعر لمكين العذري يرثي أباه وقيل إنه لرجل خرج بإبنه إلى الشأم هربا به من جارية هويها فمات هناك
والغناء لحكم الوادي رمل في مجرى البنصر وقيل إن الشعر لسلامة ترثي الوليد بن يزيد
ابن جامع وأم جعفر
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني الحسن بن محمد قال حدثنا أحمد بن الخليل بن مالك قال حدثني عبد الله بن علي بن عيسى بن ماهان قال سمعت يزيد يحدث أن أم جعفر بلغها أن الرشيد جالس وحده ليس معه أحد من الندماء ولا المسامرين فأرسلت إليه يا أمير المؤمنين إني لم أرك منذ ثلاث وهذا اليوم الرابع
فأرسل إليها عندي ابن جامع فأرسلت إليه أنت تعلم أني لا أتهنأ بشرب ولا سماع ولا غيرهما إلا أن تشركني فيه فما كان عليك أن أشركك في الذي أنت فيه فأرسل إليها إني سائر إليك الساعة
ثم قام وأخذ بيد ابن جامع وقال لحسين الخادم امض إليها فأعلمها أني قد جئت وأقبل الرشيد فلما نظر إلى الخدم والوصائف قد استقبلوه علم أنها قد قامت تستقبله فوجه إليها إن معي ابن جامع فعدلت إلى بعض المقاصير وجاء الرشيد وصير ابن جامع في بعض المواضع التي يسمع منه فيها ولا يكون حاضرا معهم
وجاءت أم جعفر فدخلت على الرشيد وأهوت لتنكب على يده فأجلسها إلى جانبه فاعتنقها واعتنقته ثم أمر ابن جامع أن يغني فاندفع فغنى
صوت
(ما رَعَدَتْ رَعْدَةً ولا بَرَقَتْ ... لكنّها أُنشئت لنا خلقه)
(الماء يجري على نظامٍ له ... لو يجدُ الماءُ مخْرِقا خرقه)
(بتنا وباتتْ على نَمارقها ... حتى بدا الصبحُ عينُها أرقه)
(أنْ قيل إنّ الرحيل بعد غدٍ ... والدارُ بعد الجميع مُفترقه)
الشعر لعبيد بن الأبرص والغناء لإبن جامع ثاني ثقيل من أصوات قليلات الأشباه عن إسحاق
وفيه لإبن محرز ثقيل أول بالبنصر عن عمرو بن بانة وذكر يونس أن فيه لحنا لمعبد ولم يجنسه
وفي لحكم هزج بالوسطى عن عمرو والهشامي ولمخارق في هذه الأبيات رمل بالبنصر عن الهشامي
وذكر حبش أن الثقيل الأول للغريض وذكر الهشامي أن لمتيم فيها ثاني ثقيل بالوسطى قال فقالت أم جعفر للرشيد ما أحسن ما اشتهيت والله يا أمير المؤمنين ثم قالت
لمسلم خادمها ادفع إلى ابن جامع لكل بيت مائة ألف درهم
فقال الرشيد غلبتنا يا بنت أبي الفضل وسبقتنا إلى بر ضيفنا وجليسنا فلما خرج حمل إليها مكان كل درهم دينارا
يشتري الصوت بثلاثة دراهم ويعوضها بثلاثة آلاف
أخبرنا أحمد بن عبيد الله بن عمار قال أخبرني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال حدثني محمد بن ضوين الصلصال التيمي قال حدثني إسماعيل بن جامع السهمي قال ضمني الدهر ضما شديدا بمكة فانتقلت منها بعيالي إلى المدينة فأصبحت يوما وما أملك إلا ثلاثة دراهم فهي في كمي إذا أنا بجارية حميراء على رقبتها جرة تريد الركي تسعى بين يدي وترنم بصوت شجي تقول
(شكونا إلى أحبابنا طولَ ليلنا ... فقالوا لنا ما أقصرَ الليلَ عندنا)
(وذاك لأنّ النوم يَغْشَى عيونَهم ... سِراعاً وما يغشى لنا النومُ أعْيُنا)
(إذا ما دنا الليلُ المُضِرّ لذي الهوى ... جزِعْنا وهم يستبشرون إذا دنا)
(فلو أنهم كانوا يلاقون مثلَ ما ... نلاقي لكانوا في المضاجع مثلَنا)
قال فأخذ الغناء بقلبي ولم يدر لي منه حرف فقلت يا جارية ما أدري أوجهك أحسن أم غناؤك فلو شئت أعدت قالت حبا وكرامة
ثم أسندت ظهرها إلى جدار قرب منها ورفعت إحدى رجليها فوضعتها على الأخرى ووضعت الجرة على ساقيها ثم انبعثت تغنيه فوالله ما دار لي منه حرف فقلت أحسنت فلو شئت أعدتيه مرة أخرى ففطنت وكلحت وقالت ما أعجب أمركم أحدكم لا يزال يجيء إلى الجارية عليها الضريبة فيشغلها فضربت بيدي إلى الثلاثة الدراهم فدفعتها إليها وقلت أقيمي بها وجهك اليوم إلى أن نلتقي قال فأخذتها
كالكارهة وقالت أنت الآن تريد أن تأخذ مني صوتا أحسبك ستأخذ به ألف دينار وألف دينار وألف دينار
قال وانبعثت تغني فأعملت فكري في غنائها حتى دار لي الصوت وفهمته وانصرفت مسرورا إلى منزلي أردده حتى خف على لساني ثم إني خرجت أريد بغداد فدخلتها فنزل بي المكاري على باب محول فبقيت لا أدري أين أتوجه ولا من أقصد فذهبت أمشي مع الناس حتى أتيت الجسر فعبرت معهم ثم انتهيت إلى شارع المدينة فرأيت مسجدا بالقرب من دار الفضل بن الربيع مرتفعا فقلت مسجد قوم سراة فدخلته وحضرت صلاة المغرب وأقمت بمكاني حتى صليت العشاء الآخرة على جوع وتعب
وانصرف أهل المسجد وبقي رجل يصلي خلفه جماعة خدم وخول ينتظرون فراغه فصلى مليا ثم انصرف فراني فقال أحسبك غريبا قلت أجل قال فمتى كنت في هذه المدينة قلت دخلتها آنفا وليس لي بها منزل ولا معرفة وليست صناعتي من الصنائع التي يمت بها إلى أهل الخير قال وما صناعتك قلت أتغنى قال فوثب مبادرا ووكل بي بعض من معه فسألت الموكل بي عنه فقال هذا سلام الأبرش قال وإذا رسول قد جاء في طلبي فانتهى بي إلى قصر من قصور الخلافة وجاوز بي مقصورة إلى مقصورة ثم أدخلت مقصورة في آخر الدهليز ودعا بطعام فأتيت بمائدة عليها من طعام الملوك فأكلت حتى امتلأت فإني لكذلك إذ سمعت ركضا في الدهليز وقائلا يقول أين الرجل قيل هو هذا

قال ادعوا له بغسول وخلعة وطيب ففعل ذلك بي فحملت على دابة إلى دار
الخلافة وعرفتها بالحرس والتكبير والنيران فجاوزت مقاصير عدة حتى صرت إلى دار قوراء فيها أسرة في وسطها قد أضيف بعضها إلى بعض
فأمرني الرجل بالصعود فصعدت وإذا رجل جالس عن يمينه ثلاث جوار في حجورهن العيدان وفي حجر الرجل عود
فرحب الرجل بي وإذا مجالس حياله كان فيها قوم قد قاموا عنها فلم ألبث أن خرج خادم من وراء الستر فقال للرجل تغن فانبعث يغني بصوت لي وهو

(لم تَمْش مِيلاً ولم تركب علي قَتَب ... ولم تَرَ الشمسَ إلا دونها الكِلَلُ)
(تمشي الهُوَيْنَى كأن الريح تَرْجِعها ... مَشْيَ اليَعافير في جيآتها الوَهَلُ)

فغنى بغير إصابة وأوتار مختلفة ودساتين مختلفة ثم عاد الخادم إلى الجارية التي تلي الرجل فقال لها تغني فغنت أيضا بصوت لي كانت فيه أحسن حالا من الرجل وهو قوله

((يا دار أضحتْ خلاءً لا أنيسَ بها ... إلا الظباءُ وإلا النّاشط الفَرِدُ)
(أين الذين إذا ما زرتُهم جَذِلوا ... وطار عن قلبيَ التَّشْواق والكَمَد)

ثم عاد إلى الثانية وأحسبه أغفلها وما تغنت به ثم عاد الخادم إلى الجارية التي تليها فانبعثت تغني بصوت الحكم الوادي وهو

(فوالله ما أدري أيَغلبني الهوَى ... إذا جدّ وَشْكُ البَيْن أم أنا غالِبُهْ)
(فإن أستطع أغلِبْ وإن يغلب الهوى ... فمثلُ الذي لاقيتُ يُغْلَب صاحبه)

قال ثم عاد الخادم إلى الجارية الثالثة فغنت بصوت لحنين وهو قوله

(مَرَرْنا على قَيْسيّة عامريّة ... لها بَشَرٌ صافي الأديم هِجانُ)
(فقالت وألقتْ جانبَ السِّتر دونها ... مِنَ آيّة أرض أو مَن الرجلان)
(فقلتُ لها أمّا تميم فأُسرتي ... هُديتِ وأما صاحبي فيمَان)
(رفيقان ضَمّ السَّفْرُ بيني وبينه ... وقد يَلْتقِي الشتّى فيأتلفان)

ثم عاد إلى الرجل فغنى صوتا فشبه فيه والشعر لعمر بن أبي ربيعة وهو قوله

(أمسى بأسماء هذا القلبُ معمودَا ... إذا أقول صحا يعتاده عِيدَا)
(كأنّ أحورَ من غِزْلان ذي بَقَر ... أعارها شَبَهَ العينين والجيدا)
(بمُشْرِقٍ كشُعاع الشمس بهجتُه ... ومُسْبَكِرٍّ على لَبّاتها سودا)

ثم عاد إلى الجارية فتغنت بصوت لحكم الوادي

(تُعيِّرنا أنّا قليلٌ عَدِيدُنا ... فقلتُ لها إن الكِرم قليلُ)
(وما ضَرّنا أنّا قليلٌ وجارُنا ... عزيزٌ وجارُ الأكثرين ذليل)
(وإنّا لقومٌ ما نرى القتلَ سُبَّةً ... إذا ما رأته عامرٌ وسَلول)
(يُقرّب حبُّ الموت آجالَنا لنا ... وتَكرهه آجالُهم فتطول)

وتغنت الثانية

(وَدِدْتُكِ لما كان وِدُكٌّ خالِصاً ... وأعرضتُ لما صِرْتِ نِهباً مُقَسَّمَا)
(ولا يَلْبث الحوضُ الجديدُ بناؤه ... إذا كَثُر الوُرّاد أن يَتهدّما)

وتغنت الثالثة بشعرِ الخنساء

(وما كَرّ إلا كان أوّلَ طاعنٍ ... ولا أبصرتْه الخيلُ إلا اقشعرّتِ)
(فيُدرك ثأراً وهو لم يُخْطِه الغنى ... فمثلُ أخي يوماً به العين قَرّت)
(فلستُ أُرَزَّا بعده برزيّة ... فأذكرَه إلا سَلَتْ وتجلّت)

وغنى الرجل في الدور الثالث

(لَحَى اللّه صُعلوكاً مُناه وهمّه ... من الدهر أن يلقى لَبُوساً ومطعماً)
((ينام الضحى حتى إذا ليلُه انتهى ... تنبه مثلوج الفؤاد مُوَرّما)
(ولكنّ صعلوكا يساور همّه ... ويمضي على الهيجاء ليثا مقدّما)
(فذلك إن يلْق الكريهة يلْقها ... كريما وإن يستغن يوما فربّما)

قال وتغنت الجارية

(إذا كنت ربّا للقلوص فلا يكن ... رفيقُك يمشي خلفها غير راكب)
(أنِخْها فأردفه فإن حملتكما ... فذاك وإن كان العِقابُ فعاقِب)

قال وتغنت الجارية بشعرِ عمرِو بن معد يكرب

(ألم تر لمّا ضمّني البلدُ القفرْ... سمعتُ نداء يصدع القلب يا عمرو)
(اغِثْنا فإنا عُصْبة مذْحِجيّة ... نُزار على وفْر وليس لنا وفْر)

قال وتغنت الثالثة بشعر عمر بن أبي ربيعة

(فلما تواقفْنا وسلّمتُ اسْفرتْ ... وجوهٌ زهاها الحسنُ أن تتقنعا)
(تبالهْن بالعرفان لمّا عرفْنني ... وقُلْن امرؤٌ باغ اكلّ وأوْضعا)
(ولما تنازعن الأحاديث قُلْن لي ... أخِفْت علينا أن نُغَرّ ونُخدَعا)

قال وتوقعت مجيء الخادم إلي فقلت للرجل بأبي أنت خذ العود فشد وتر كذا وارفع الطبقة وحط دستان كذ ففعل ما أمرته
وخرج الخادم فقال لي تغن عافاك الله فتغنيت بصوت الرجل الأول على غير ما غناه فإذا جماعة من الخدم يحضرون حتى استندوا إلى الأسرة وقالوا ويحك لمن هذا الغناء قلت لي فانصرفوا عني بتلك السرعة وخرج إلي الخادم وقال كذبت هذا الغناء لإبن جامع
ودار الدور فلما انتهى الغناء إلي قلت للجارية التي تلي الرجل خذي العود فعلمت ما أريد فسوت العود على غنائها للصوت الثاني فتغنيت به

فخرجت إلي الجماعة الأولى من الخدم فقالوا ويحك لمن هذا قلت لي فرجعوا وخرج الخادم فتغنيت بصوت لي فلا يعرف إلا بي وسقوني فتزيدت وهو
(عُوجي عليّ فسلِّمي جَبْرُ ... فيمَ الصدود وأنتُم سَفْرُ)
(ما نلتقي إلا ثلاثَ مِنىً ... حتى يُفرّق بيننا الدهر)
قال فتزلزلت والله الدار عليهم وخرج الخادم فقال ويحك لمن هذا الغناء قلت لي فرجع ثم خرج فقال كذبت هذا غناء ابن جامع فقلت فأنا إسماعيل بن جامع
فما شعرت إلا وأمير المؤمنين وجعفر بن يحيى قد أقبلا من وراء الستر الذي كان يخرج منه الخادم
فقال لي الفضل بن الربيع هذا أمير المؤمنين قد أقبل إليك فلما صعد السرير وثبت قائما فقال لي أبن جامع قلت ابن جامع جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين قال ويحك متى كنت في هذه البلدة قلت آنفا دخلتها في الوقت الذي علم بي أمير المؤمنين
قال اجلس ويحك يابن جامع ومضى هو وجعفر فجلسا في بعض تلك المجالس وقال لي أبشر وابسط أملك فدعوت له ثم قال غنني يابن جامع
فخطر بقلبي صوت الجارية الحميراء فأمرت الرجل بإصلاح العود على ما أردت من الطبقة فعرف ما أردت فوزن العود وزنا وتعاهده حتى استقامت الأوتار وأخذت الدساتين مواضعها وانبعثت أغني بصوت الجارية الحميراء فنظر الرشيد إلى جعفر وقال
أسمعت كذا قط فقال لا والله ما خرق مسامعي قط مثله
فرفع الرشيد رأسه إلى خادم بالقرب منه فدعا بكيس فيه ألف دينار فجاء به فرمى به إلي فصيرته تحت فخذي ودعوت لأمير المؤمنين فقال يابن جامع رد على أمير المؤمنين هذا الصوت فرددته وتزيدت فيه
فقال له جعفر يا سيدي أما تراه كيف يتزيد في الغناء هذا خلاف ما سمعناه أولا وإن كان الأمر في اللحن واحدا
قال فرفع الرشيد رأسه إلى ذلك الخادم فدعا بكيس آخر فيه ألف دينار فجاءني به فصيرته تحت فخذي
وقال تغن يا إسماعيل ما حضرك فجعلت أقصد الصوت بعد الصوت مما كان يبلغني أنه يشتري عليه الجواري فأغنيه فلم أزل أفعل ذلك إلى أن عسعس الليل فقال أتعبناك يا إسماعيل هذه الليلة بغنائك فاعد على أمير المؤمنين الصوت يعني صوت الجارية فتغنيت
فدعا الخادم وأمره فأحضر كيسا ثالثا فيه ألف دينار قال فذكرت ما كانت الجارية قالت لي فتبسمت ولحظني فقال يابن الفاعلة مم تبسمت فجثوت على ركبتي وقلت يا أمير المؤمنين الصدق منجاة فقال لي بانتهار قل فقصصت عليه خبر الجارية
فلما استوعبه قال صدقت قد يكون هذا وقام ونزلت من السرير ولا أدري أين أقصد فابتدرني فراشان فصارا بي إلى دار قد أمر بها أمير المؤمنين ففرشت وأعد فيها جميع ما يكون في مثلها من آلة جلساء الملوك وندمائهم من الخدم ومن كل آلة وخول إلى جوار ووصفاء فدخلتها فقيرا وأصبحت من جلة أهلها ومياسيرهم
وذكر لي هذا الخبر عبد الله بن الربيع عن أبي حفص الشيباني عن محمد بن القاسم عن إسماعيل بن جامع قال ضمني الدهر بمكة ضما شديدا فانتقلت إلى المدينة فبينا أنا يوما جالس مع بعض أهلها نتحدث إذ قال لي رجل حضرنا والله لقد بلغنا يابن جامع أن
الخليفة قد ذكرك وأنت في هذا البلد ضائع فقلت والله ما بي نهوض
قال بعضهم فنحن ننهضك فاحتلت في شيء وشخصت إلى العراق فقدمت بغداد ونزلت عن بغل كنت أكتريته
ثم ذكر باقي الحديث نحو الذي قبله في المعاني ولم يذكر خبر السوداء التي أخذ الصوت عنها
وأحسبه غلط في إدخاله هذه الحكاية ها هنا ولتلك خبر آخر نذكره ها هنا
قال في هذا الخبر إن الدور دار مرة أخرى حتى صار إلي فخرج الخادم فقال غن أيها الرجل فقلت ما أنتظر الآن ثم اندفعت أغني بصوت لي وهو
(فلو كان لي قلبان عِشْتُ بواحد ... وخَلّفْتُ قلباً في هواكِ يُعذَّبُ)
(ولكنما أحيا بقلب مُروَّع ... فلا العيشُ يصفوا لي ولا الموتُ يقرُب)
(تعلّمت أسبابَ الرضا خوفَ سُخْطها ... وعلمها حبّي لها كيف تغضب)
(ولي ألف وجهٍ قد عرفتُ مكانه ... ولكن بلا قلب إلى أين أذهب)
فخرج الرشيد حينئذ
نسبة ما في هذه الأصوات من الأغاني
صوت
(شكونا إلى أحبابنا طولَ ليلنا ... فقالوا لنا ما أقصر الليلَ عندنا)
(وذاك لأنّ النومَ يَغْشى عيونَهم ... سِراعاً وما يغشى لنا النومُ أعينَا)
(إذا ما دنا الليلُ المضرّ بذي الهوى ... جزِعْنا وهم يستبشرون إذا دنا)
(فلو أنهم كانوا يُلاقون مثلَ ما ... نُلاقي لكانوا في المضاجع مثلَنا)
عروضه من الطويل وذكر الهشامي أن الغناء لإبن جامع هزج بالوسطى وفي
الخبر أنه أخذه عن سوداء لقيها بمكة ومنها
صوت
(يا دار أضحت خلاءً لا أنيسَ بها ... إلا الظباءُ وإلا النّاشط الفَردُ)
(أين الذين إذا مازرتُهم جذِلوا ... وطار عن قلبي التشواق والكمد)
في هذا الصوت لحن لإبن سريج خفيف ثقيل أول بالوسطى من رواية حبش ولحن ابن جامع رمل ومنها
صوت
(لم تَمْش مِيلاً ولم تركب على جمَل ... ولم تَرَ الشمسَ إلا دونها الكِلَلُ)
(أقول للركب في دُرْنا وقد ثَمِلوا ... شيموا وكيف يَشيم الشارب الثَّمِل)
الشعر للأعشى والغناء لإبن سريج رمل بالبنصر وقد كتب فيما يغني فيه من قصيدة الأعشى التي أولها

(... وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إن الركبَ مُرْتحلُ)
ومنها
صوت
(مَرَرْنا على قَيْسيّةٍ عامريّةٍ ... لها بَشَرٌ صافي الأديمِ هِجانِ)
(فقالت وألقت جانبَ الستر دونها ... مِنَ آيّة أرض أو مَن الرجلان)
(فقلت لها أمّا تميمٌ فأسرتي ... هُديتِ وأمّا صاحبي فيماني)
(رفيقان ضمّ السَّفْرُ بيني وبينه ... وقد يَلْتقي الشتّى فيأتلفان)
غناه ابن سريج خفيف رمل بالبنصر ومنها
صوت
(أمسى بأسماءَ هذا القلبُ معمودَا ... إذا أقول صحا يعتاده عِيدَا)
(أجْري على موعد منها فتُخلفني ... فما أمَلّ ولا تُوفي المواعيدا)
(كأنني حين أُمْسِي لا تكلّمني ... ذو بغيْة يبتغي ما ليس موجودا)
الشعر لعمر بن أبي ربيعة والغناء للغريض خفيف ثقيل أول بالوسطى وله فيه ثقيل أول بالبنصر وذكر عمرو بن بانة أن لمعبد فيه ثقيلا أول بالوسطى على مذهب إسحاق ومنها
صوت
(فوالله ما أدري أيغلبني الهوى ... إذا جدّ وَشْكُ البين أم أنا غالبُهْ)
(فإن أستطع أغلِبْ وإن يَغْلِبِ الهوى ... فمثلُ الذي لاقيتُ يُغْلَب صاحبه)
عروضه من الطويل الشعر لإبن ميادة والغناء للحجبي خفيف ثقيل بالبنصر من رواية حبش
ومنها
صوت
(تُعيِّرنا أنا قليلٌ عديدُنا ... فقلتُ لها إنّ الكرام قليلُ)
(وما ضَرّنا أنّا قليلٌ وجارُنا ... عزيزٌ وجارُ الأكثرين ذليلُ)
(وإنّا لقومٌ ما نرى القتلَ سُبّةً ... إذا ما رأتْه عامرٌ وسَلُول)
(يقرِّب حبُّ الموت آجالنا لنا ... وتكرهه آجالُهم فتطول)
عروضه من مقبوض الطويل والشعر للسموءل بن عادياء اليهودي والغناء لحكم الوادي
ومنها
صوت
(وَدِدْتُكِ لمّا كان ودّكِ خالصا ... وأعرضتُ لما صار نَهْباً مقسَّمَا)
(ولن يلبَثَ الحوضُ الجديد بناؤه ... على كثرة الوّارِد أن يتهدّما)
عروضه من الطويل وفيه خفيف ثقيل قديم لأهل مكة وفيه لعريب ثقيل أول ومنها
صوت
(وما كَرّ إلاّ كان أوّلَ طاعن ... ولا أبصرتْه الخيلُ إلا اقشعرّتِ)
(فيُدرك ثأراً ثم لم يُخْطِه الغِنى ... فمثلُ أخي يوماً به العين قرّت)
(فإن طلبوا وتراً بَدَا بتراتهم ... ويَصبر يحميهم إذا الخيل وَلّت)
عروضه من الطويل الشعر للخنساء والغناء لإبن سريج ثقيل أول بالبنصر وذكر علي بن يحيى أنه لمعبد في هذه الطريقة
ومنها
صوت
(لحا الله صُعلوكاً مُناه وهَمُّه ... من الدهر أن يلقَى لَبوساً ومَطْعما)
(ينام الضحى حتى إذا ليلُه انتهى ... تنبّه مثلوجَ الفؤاد مُوَرّما)
(ولكن صعلوكاً يُساوِر هَمَّه ... ويمضي على الهَيْجاء ليثاً مصمِّما)
(فذلك إن يلقَ الكريهةَ يلقَها ... كريماً وإن يستغن يوماً فربَّما)
عروضه من الطويل الشعر يقال إنه لعروة بن الورد ويقال إنه لحاتم الطائي وهو الصحيح والغناء لطويس خفيف رمل بالبنصر
ومنها
صوت
(إذا كنتَ ربّاً للقَلوص فلا يكن ... رفيقُك يَمْشي خلفَها غيرَ راكبِ)
(أنِخْها فأردفه فإنْ حملتْكما ... فذاك وإن كان العِقاب فعاقب)
عروضه من الطويل والشعر لحاتم طيء ومنها
صوت
(ألم تَرَ لمّا ضَمّني البلد القَفْرُ ... سمعتُ نداءً يصدع القلبَ يا عمروُ)
(أغِثنا فإنا عُصْبة مَذْحِجيّة ... نُزار على وَفْر وليس لنا وَفْر)
عروضه من الطويل الشعر لعمرو بن معد يكرب والغناء لحنين رمل بالوسطى عن حبش ومنها
صوت
(فلما تواقفْنا وسلّمتُ أقبلتْ ... وجوهٌ زهاها الحسنُ أن تتقنّعا)
(تَبالَهْنَ بالعِرفان لما رأيْنَني ... وقُلْنَ امرؤ باغٍ أكَلّ وأوْضعا)
(ولما تنازعن الأحاديثَ قلن لي ... أخِفْتَ علينا أن تُغَرّ ونُخْدَعَا)
(وقرّبن أسبابَ الهوى لمتيّم ... يَقيس ذراعاً كلما قِسْن إصبعا)
عروضه من الطويل الشعر لعمر بن أبي ربيعة والغناء لإبن سريج والغريض ومالك ومعبد وابن جامع في عدة ألحان قد كتبت مع الخبر في موضع غير هذا ومنها
صوت

(عُوجي عليّ فسلِّمي جَبْرُ ... فيم الصدودُ وأنتم سَفْرُ)
((ما نلتقِي إلا ثلاث مِنىً ... حتى يفرِّق بيننا النَّفْرُ
(الحول ثم الحول يتبعه ... ما الدهر إلا الحول والشهر)
الشر للعرجي والغناء للأبجر ثقيل أول عن الهشامي ويقال إنه لإبن محرز ويقال بل لحنه فيه غير لحن الأبجر وفيه رمل يقال إنه لإبن جامع وهو القول الصحيح وذكر حبش أنه لإبن سريج وأن لحن ابن جامع خفيف رمل ومنها
صوت
(فلو كان لي قلبان عشتُ بواحد ... وخلّفتُ قلباً في هواك يعذَّبُ)
(ولكنما أحيا بقلب مروّع ... فلا العيش يصفو لي ولا الموت يقرُب)
(تعلّمتُ أسباب الرِّضا خوفَ هجرها ... وعلّمها حبي لها كيف تغضب)
(ولي ألف وجه قد عرفت مكانَه ... ولكن بلا قلب إلى أين أذهب)
عروضه من الطويل الشعر لعمرو الوراق والغناء لإبن جامع خفيف رمل ويقال إنه لعبد الله بن العباس
وفيه لعريب ثقيل أول وفيه لرذاذ خفيف ثقيل وفيه هزج يقال إنه لعريب ويقال إنه لنمرة ويقال إنه لأبي فارة ويقال إنه لإبن جامع
حدثني مصعب الزبيري قال قدم علينا ابن جامع المدينة قدمة في أيام الرشيد فسمعته يوما يغني في بعض بساتين المدينة
(وماليَ لا أبكي وأندبُ ناقتي ... إذا صَدَر الرُّعيانُ وردَ المناهل)
(وكنتُ إذا ما اشتدّ شوقي رحَلْتُها ... فسارت بمحزون كثير البَلابل)
وكان رجلا صيتا فكاد صوته يذهب بي كل مذهب وما سمعت قبله ولا بعده مثله
نسبة هذا الصوت
صوت
(ومالي لا أبكي وأندبُ ناقتي ... إذا صَدَر الرُّعيانُ ورْدَ المناهل)
(وكنت إذا ما اشتدّ شوقي رحلتها ... فسارتْ بمحزون كثير البلابل)
الغناء لإبن جامع خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن الهشامي وابن المكي
أخبرني وكيع قال حدثني هارون بن محمد الزيات قال حدثني حماد بن
إسحاق عن أبيه عن الفضل بن الربيع عن أبيه قال كنت في خمسين وصيفا أهدوا للمنصور ففرقنا في خدمته فصرت إلى ياسر صاحب وضوئه
فكنت أراه يفعل شيئا أعلم أنه خطأ يعطيه الإبريق في آخر المستراح ويقف مكانه لا يبرح
وقال لي يوما كن مكاني في آخر المستراح فكنت أعطيه الإبريق وأخرج مبادرا فإذا سمعت حركته بادرت إليه
فقال لي ما أخفك على قلبي يا غلام ويحك ثم دخل قصرا من تلك القصور فرأى حيطانه مملوءة من الشعر المكتوب عليها
فبينا هو يقرأ ما فيه إذا هو بكتاب مفرد فقرأه فإذا هو
(وماليَ لا أبكي وأندب ناقتي ... إذا صدر الرّعيانُ نحو المنَاهِل)
(وكنتُ إذا ما اشتدّ شوقي رحَلْتُها ... فسارتْ بمحزون طويل البلابل)
وتحته مكتوب آه آه فلم يدر ما هو وفطنت له فقلت يا أمير المؤمنين قد عرفت ما هو فقال قل فقلت قال الشعر ثم تأوه فقال آه آه فكتب تأوهه وتنفسه وتأسفه فقال مالك قاتلك الله قد أعتقتك ووليتك مكان ياسر
ذكر أخبار هذه الأصوات المتفرقة في الأخبار وإنما افردتها عنها لئلا تنقطع
خبر
(... أمسىَ بأسماءَ هذا القلبُ مَعْمودَا)
أخبرني الحسين بن يحيى قال حماد قرأت على أبي وذكر جعفر بن سعيد عن عبد الرحمن بن سليمان المكي قال حدثني المخزومي يعني الحارث بن خالد قال بلغني أن الغريض خرج مع نسوة من أهل مكة من أهل الشرف ليلا إلى بعض المتحدثات من نواحي مكة وكانت ليلة مقمرة فاشتقت إليهن وإلى مجالستهن وإلى حديثهن وخفت على نفسي لجناية كنت أطالب بها وكان عمر مهيبا معظما لا يقدم عليه سلطان ولا غيره وكان مني قريبا فأتيته فقلت له إن فلانة وفلانة وفلانة حتى سميتهن كلهن قد بعثنني وهن يقرأن عليك السلام وقلن تشوقن إليك في ليلتنا هذه لصوت أنشدناه فويسقك الغريض وكان الغريض يغني هذا الصوت فيجيده وكان ابن أبي ربيعة به معجبا وكان كثيرا ما يسأل الغريض أن يغنيه وهو قوله
(أمْسى بأسماءَ هذا القلبُ مَعْمودَا ... إذا أقول صَحا يعتاده عِيدَا)
(كأنّ أحورَ من غِزّلان ذي نفر ... أَهْدي لها شَبَه العينين والجِيدا)
) (قامت تراءَى وقد جدّ الرحيلُ بنا ... لتنكأ القرح من قلب قد اصطيدا)
(كأنني يومَ أمسي لا تكلّمني ... ذو بغْية يبتغي ما ليس مَوْجودا)
(أجري على موعد منها فتُخلفني ... فما أَمَلُّ وما تُوفي المواعيدا)
(قد طال مَطْلي لوَ أنّ اليأسَ يَنْفعني ... أوْ أن أُصادِفَ من تِلْقائها جُودا)
(فليس تَبْذُل لي عفواً وأكرمُها ... من أن ترى عندنا في الحرص تشديدا)
فلما أخبرته الخبر قال لقد أزعجتني في وقت كانت الدعة أحب فيه إلي ولكن صوت الغريض وحديث النسوة ليس له مترك ولا عنه محيص
فدعا بثيابه فلبسها وقال امض فمضينا نمشي العجل حتى قربنا منهن فقال لي عمر خفض عليك مشيك ففعلت حتى وقفنا عليهن وهن في أطيب حديث وأحسن مجلس فسلمنا فتهيبننا وتخفرن منا
فقال الغريض لا عليكن هذا ابن أبي ربيعة والحارث بن خالد جاءا متشوقين إلى حديثكن وغنائي
فقالت فلانة

وعليك السلام يا بن أبي ربيعة والله ما تم مجلسنا إلا بك فجلسنا غير بعيد وأخذن عليهن جلابيهن وتقنعن بأخمرتهن وأقبلن علينا بوجوههن وقلن لعمر كيف أحسست بنا وقد أخفينا أمرنا فقال هذا الفاسق جاءني برسالتكن وكنت وقيذا من علة وجدتها فأسرعت الإجابة ورجوت منكن على ذلك حسن الإثابة
فرددن عليه قد وجب أجرك ولم يخب سعيك ووافق منا الحارث إرادة فحدثهن بما قلت له من قصة غناء الغريض فقال النسوة والله ما كان ذلك كذلك ولقد نبهتنا على صوت حسن يا غريض هاته فاندفع الغريض يغني ويقول
(أمسى بأسْماء هذا القلبُ مَعْمودَا ... إذا أقولُ صَحا يَعْتاده عِيدَا)
حتى أتى على الشعر كله إلى آخره فكل استحسنه
وأقبل علي ابن أبي ربيعة فجزاني الخير وكذلك النسوة فلم نزل بأنعم ليلة وأطيبها حتى بدأ القمر يغيب فقمنا جيمعا وأخذ النسوة طريقا ونحن طريقا وأخذ الغريض معنا
وقال عمر في ذلك
صوت
(هل عند رَسْم برامةٍ خبرُ ... أم لا فأيَّ الأشياء تَنتظرُ)
(قد ذكَّرتْني الديارُ إذ دَرَستْ ... والشوقُ ممّا يَهيجه الذِّكَر)
(مَمْشَى رسولٍ إليّ يُخْبرني ... عنهم عِشاءً ببعض ما ائتمروا)
(ومجلسَ النِّسوةِ الثلاث لدى الْخَيْمات ... حتى تَبلَّج السَّحَر)
(فيهنّ هِنْدٌ والهمُّ ذكْرتُها ... تلك التي لا يُرى لها خَطَر)
((ثم انطلقنا وعندنا ولنا ... فيهنّ لو طال ليلُنا وطر
(وقولَها للفتاة إذ أزف البينُ ... أغادٍ أم رائحٌ عُمَر)
(عَجْلانَ لم يَقْضِ بعضَ حاجته ... هلا تأنّى يوماً فينتظرُ)
(اللهُ جارٌ له وإن نَزَحَتْ ... دارٌ به أو بدا له سفر)
غناه الغريض ثقيلا أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر وفيه لإبن سريج رمل بالوسطى وفيه لعبد الرحيم الدفاف ثقيل أول بالبنصر في البيتين الأولين وبعدهما
(هل من رسول إليّ يُخبرني ... بعد عشاءٍ ببعض ما ائتمروا)
(يومَ ظَلِلْنا وعندنا ولنا ... فيهنّ لو طال يومُنا وَطَرُ)
فلما كانت الليلة القابلة بعث إلي عمر فأتيته وإذا الغريض عنده فقال له عمر هات فاندفع يغني
(هل عند رَسْمٍ برامةٍ خبرُ ... أم لا فأيَّ الأشياءِ تنتظرُ)
(ومجلسَ النّسوة الثلاثِ لدى الخيمات ... حتى تبلّج السحر)
فقلت في نفسي هذا والله صفة ما كنا فيه فسكت حتى فرغ الغريض من الشعر كله فقلت يا أبا الخطاب جعلت فداك هذا والله صفة ما كنا فيه البارحة مع النسوة فقال إن ذلك ليقال
وذكر أحمد بن الحارث عن المدائني عن علي بن مجاهد قال إن موسى بن مصعب كان على الموصل فاستعمل رجلا من أهل حران
على كورة باهذرا وهي أجل كور الموصل فابطأ عليه الخراج فكتب إليه
(هل عند رسمٍ برامةٍ خبرُ ... أم لا فأيَّ الأشياء تنتظرُ)
احمل ما عندك يا ماص بظر أمه وإلا فقد أمرت رسولي بشدك وثاقا ويأتي بك
فخرج الرجل وأخذ ما كان معه من الخراج فلحق بحران وكتب إليه يا عاض بظر أمه إلي تكتب بمثل هذا
(وإذا أهلُ بلدةٍ أنكروني ... عرفتْني الدَّوِّية المَلْساء)
فلما قرأ موسى كتابه ضحك وقال أحسن يعلم الله الجواب ولا والله لا أطلبه أبدا وفي غير هذه الرواية أنه كتب إليه في آخر رقعة
(إن الخليط الأُولى تهوىَ قد أئتمروا ... للبَيْن ثم أجَدّوا السيرَ فانشمروا)
يا بن الزانية والسلام ثم هرب فلم يطلبه
أخبرنا الحسين بن يحيى عن حماد قال قال أبي غناني رجل من أهل المدينة لحن الغريض
(هل عند رَسْمٍ برامةٍ خبرُ ... أم لا فأيَّ الأشياء تنتظرُ)
فسألته أن يلقيه علي فقال لا إلا بألف درهم فلم أسمح له بذلك ومضى فلم ألقه
فوالله يا بني ما ندمت على شيء قط ندمي على ذلك ولوددت أني وجدته الآن فأخذته منه كما سمعته وأخذ مني ألف دينار مكان الألف درهم
خبر
(... تُعيّرنا أنّا قليلُ عديدُنا)
الشعر لشريح بن السموءل بن عادياء ويقال إن للسموءل وكان من يهود يثرب وهو الذي يضرب به المثل في الوفاء فيقال أوفي في السموءل
وكان السبب في ذلك فيما ذكر ابن الكلبي وأبو عبيدة وحدثني به محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا يحيى بن سعيد الأموي عن محمد بن السائب الكلبي قال
وفاء السموءل
كان امرؤ القيس بن حجر أودع السموءل بن عادياء أدراعا فأتاه الحارث بن ظالم ويقال الحارث بن أبي شمر الغساني ليأخذها منه فتحصن منه السموءل فأخذ ابنا له غلاما وناداه إما أن تسلم الأدراع وإما أن قتلت ابنك فأبى السموءل أن يسلم الأدراع إليه فضرب الحارث وسط الغلام بالسيف فقطعه أثنين فقال السموءل
(وفَيْتُ بأدْرُع الكِنْديّ إنّي ... إذا ما خان أقوامٌ وَفيْتُ)
(وأوصى عادِياً يوماً بألاّ ... تُهدِّمَ يا سموءلُ ما بنيتُ)
(بَنَى لي عادِياً حصناً حصيناً ... وماءً كلّما شئتُ استقيتُ)
وفي هذه القصيدة يقول

صوت
(أعاذِلتي ألاَ لا تَعذُلِيني ... فكَمْ مِنْ أمْر عاذلةٍ عَصَيْتُ)
(دَعيني وارْشُدِي إن كنتُ أغْوَى ... ولا تَغْوَيْ زعمت كما غَوَيْتُ)
(أعاذَل قد طلبتِ اللّومَ حتى ... لَوَ أني مُنْتَهٍ لقد انتهيتُ)
(وصفراءِ المعاصِم قد دَعَتني ... إلى وَصْل فقلتُ لها أَبَيْتُ)
(وزقٍّ قد جَرَرْتُ إلى النَّدامَى ... وزقٍّ قد شربتُ وقد سقيتُ)
(وحتى لو يكون فتى أُناسٍ ... بكى من عذل عاذلة بكيتُ)
عروضه من الوافر والشعر للسموءل بن عادياء والغناء لإبن محرز في الأول والثاني والرابع والخامس خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى
وغنى فيها مالك خفيف ثقيل بالبنصر في الأول والثاني وغنى دحمان ايضا في الأول والثاني والرابع والخامس رملا بالوسطى
وغنى عبد الرحيم الدفاف في الأول والثاني رملا بالبنصر وفي هذه الأبيات لإبن سريج لحن في الرابع وما بعده ثم في سائر الأبيات لحن ذكره يونس ولم ينسبه ولإبراهيم الموصلي فيها لحن غير منسوب أيضا
حدثني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني سليمان بن ابي شيخ قال حدثنا يحيى بن سعيد الأموي قال حدثني محمد بن السائب الكلبي قال هجا الأعشى رجلا من كلب فقال
(بنو الشهر الحرامِ فلستَ منهم ... ولستَ من الكرام بني عُبَيْدِ)
(ولا من رهط جبّار بن قُرْط ... ولا من رهط حارثةَ بن زيد)
قال وهؤلاء كلهم من كلب فقال الكلبي أنا لا أبالك أشرف من هؤلاء قال فسبه الناس بعد بهجاء الأعشى وكان متغيظا عليه
فأغار الكلبي على قوم قد بات بهم الأعشى فأسر منهم نفرا وأسرا الأعشى وهو لا يعرفه فجاء حتى نزل بشريح بن السموءل بن عادياء الغساني صاحب تيماء بحصنه الذي يقال
له الأبلق فمر شريح بالأعشى فنادى به الأعشى بقوله
(شُرَيْحُ لا تَتْرُكَنِّي بعد ما عَلِقَتْ ... حبالَك اليومَ بعد القِدّ أظفاري)
(قد جُلْتُ ما بين بانِقيا إلى عَدَنٍ ... فطال في العُجْم تَرْدادي وتَسْيارِي)
(فكان أكرمَهم عهداً وأوثقَهم ... عَقْداً أبوك بعرف غير إنكار)
(كالغيث ما استمطروه جادَ وابلُهْ ... وفي الشدائد كالمستأسِدِ الضَّاري)
(كُنْ كالسموءل إذ طاف الهمامُ به ... في جَحْفَلٍ كسواد الليل جَرَّار)
(إذ سامه خُطَّتَيْ خَسْفٍ فقال له ... قُلْ ما تشاء فإني سامعٌ حار)
(فقال غدرٌ وثُكْلٌ أنت بينهما ... فأخترْ وما فيهما حظٌّ لمختار)
(فشكَّ غيرَ طويلٍ ثم قال له ... أُقْتُلْ أسيرَكَ إني مانعٌ جاري)
(وسوف يُعقِبُنيه إن ظَفِرتَ به ... ربٌّ كريمٌ وبيضٌ ذاتُ أطهار)
(لاسِرُّهنَّ لدينا ذاهبٌ هَدَراً ... وحافظات إذا استُوْدِعن أسراري)
(فاختار أدراعه كي لا يُسَبَّ بها ... ولم يكن وعدهُ فيها بِخَتَّار)
قال فجاء شريح إلى الكلبي فقال له هب لي هذا الأسير المضرور فقال هو لك فأطلقه وقال له أقم عندي حتى أكرمك وأحبوك فقال له الأعشى إن من تمام صنيعك إلي أن تعطيني ناقة ناجية وتخليني الساعة قال فأعطاه ناقة
فركبها ومضى من ساعته وبلغ الكلبي أن الذي وهب لشريح هو الأعشى فأرسل إلى شريح ابعث إلي بالأسير الذي وهبت لك حتى أحبوه وأعطيه فقال قد مضى فأرسل الكلبي في أثره فلم يلحقه
وأما خبر
(... وما كرّ إلا كان أوّلَ طاعنٍ)
والشعر للخنساء فإنه خبر يطول لذكر ما فيه من الوقائع وهو يأتي فيما بعد هذا مفردا عن المائة الصوت المختارة في أخبار الخنساء
رجع الخبر إلى قصة ابن جامع
وأما خبر الجارية التي أخذ عنها ابن جامع الصوت وما حكيناه من أنه وقع في حكاية محمد بن ضوين الصلصال فيها خطأ فأخبرنا بخبرها الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي محمد العامري قال حدثني عكاشة اليزيدي بجرجان قال حدثني إسماعيل بن جامع قال بينا أنا في غرفة لي باليمن وأنا مشرف على مشرعة إذ أقبلت أمة سوداء على ظهرها قربة فملأتها ووضعتها على المشرعة لتستريح وجلست فغنت
صوت
(فَرُدّي مُصابَ القلب أنتِ قَتَلتِه ... ولا تُبْعِدي فيما تجشّمتِ كُلْثُمَا)
ويروى ولا تتركيه هائم القلب مغرما
(إلى الله أشكو بخلّها وسماحتي ... لها عسلٌ منّي وتبذُل عَلْقَما)
(أبى اللهُ أن أُمسي ولا تذكُرِينَني ... وعَيْناي من ذكراك قد ذَرَفَتْ دَمَا)
(أبيتُ فما تَنفَكّ لي منكِ حاجةٌ ... رمي الله بالحبّ الذي كان أظْلَما)
غناه سياط ثقيل أول بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمر بن بانة قال ثم أخذت قربتها لتمضي
فاستفزني من شهوة الصوت ما لا قوام لي به فنزلت إليها فقلت لها أعيديه فقالت أنا عنك في شغل بخراجي قلت وكم هو قالت درهمان في كل يوم قلت فهذان درهمان ورديه علي حتى آخذه منك وأعطيتها درهمين فقالت أما الآن فنعم فجلست فلم تبرح حتى أخذته منها وانصرفت فلهوت يومي به وأصبحت من غد لا أذكر منه حرفا فإذا أنا بالسوداء قد طلعت ففعلت كفعلها بالأمس
فلما وضعت القربة تغنت غيره فعدوت في أثرها وقلت يا جارية بحقي عليك ردي علي الصوت فقد ذهبت عني منه نغمة فقالت لا والله ما مثلك تذهب عنه نغمة أنت تقيس أوله على آخره ولكنك قد أنسيته ولست أفعل إلا بدرهمين آخرين

فدفعتهما إليها وأعادته علي حتى أخذته ثانية
ثم قالت إنك تستكثر فيه أربعة دراهم وكأني بك قد أصبت به أربعة آلاف دينار فكنت عند هارون يوما وهو على سريره فقال من غناني فأطربني فله ألف دينار وقدامه أكياس في كل كيس ألف دينار
فغنى القوم وغنيت فلم يطرب حتى دار الغناء إلي ثانية فغنيت صوت السوداء فرمى إلي بكيس فيه ألف دينار ثم قال أعده فغنيته فرمى إلي بثان ثم قال أعده فرمى إلي بثالث وأمسك
فضحكت فقال ما يضحكك فقلت لهذا الصوت حديث عجيب يا أمير المؤمنين فقال وما هو فحدثته به وقصصت عليه القصة فرمى إلي برابع وقال لا نكذب قولها
خبر
(... عُوجِي عليّ فسلِّمي جَبْرُ)
الشعر للعرجي وقد ذكرنا نسبة الصوت
عمر بن عبد العزيز وأحد المخنثين
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الواقدي عن ابن أبي الزناد قال حدثني محمد بن إسحاق قال قيل لعمر بن عبد العزيز إن بالمدينة مخنثا قد أفسد نساءها
فكتب إلى عامله بالمدينة أن يحمله فأدخل عليه فإذا خضيب اللحية والأطراف معتجر بسبنية قد حمل دفا في خريطته فلما وقف بين يدي عمر صعد بصره فيه وصوبه وقال سوأة لهذه الشيبة وهذه القامة أتحفظ القرآن قال لا والله يا أبانا قال قبحك الله وأشار إليه من حضره فقالوا اسكت فسكت فقال له عمر أتقرأ من المفصل شيئا قال وما المفصل قال ويلك أتقرأ من القرآن شيئا قل نعم أقرأ (الحمدلله) وأخطىء فيها في موضعين أو ثلاثة وأقرأ (قل أعوذ برب الناس) وأخطىء فيها وأقرأ (قل هو الله أحد) مثل الماء الجاري
قال ضعوه في الحبس ووكلوا به معلما يعلمه القرآن وما يجب عليه من حدود الطهارة والصلاة وأجروا عليه في كل يوم ثلاثة دراهم وعلى معلمه ثلاثة دراهم أخر ولا يخرج من الحبس حتى يحفظ القرآن أجمع
فكان كلما علم سورة نسي التي قبلها فبعث رسولا إلى عمر يا أمير المؤمنين وجه إلي من يحمل إليك ما أتعلمه أولا فأولا فإني لا أقدر على حمله جملة واحدة
فيئس عمر من فلاحه وقال ما أرى هذه الدراهم إلا ضائعة ولو أطعمناها جائعا أو أعطيناها محتاجا أو كسوناها عريانا لكان أصلح
ثم دعا به فلما وقف بين يديه قال له اقرأ (قل يأيها الكافرون) قال أسأل الله العافية أدخلت يدك في الجراب فأخرجت شر ما فيه وأصعبه فأمر
به فوجئت عنقه ونفاه فاندفع يغني وقد توجهوا به
(عُوجِي عليَّ فَسَلِّمي جَبْرُ ... فيم الوقوفُ وأنتم سَفْرٌ)
(ما نَلْتقي إلا ثلاثَ منىً ... حتى يفرِّق بيننا النَّفْرُ)
فلما سمع الموكلون به حسن ترنمه خلوه وقالوا له اذهب حيث شئت مصاحبا بعد استماعهم منه طرائف غنائه سائر يومهم وليلتهم
أخبرني الحسين قال قال حماد قرأت على أبي عن المدائني قال أحج خالد بن عبد الله ابنه محمدا وأصحبه رزاما مولاه وأعطاه مالا وقال إذا دخلت المدينة فاصرفه فيما أحببت
فلما صرنا بالمدينة سأل محمد عن جارية حاذقة فقيل عند محمد بن عمران التيمي القاضي
فصلينا الظهر في المسجد ثم ملنا إليه فاستأذنا عليه فأذن لنا وقد انصرف من المسجد وهو قاعد على لبد ونعلاه في آخر اللبد فسلمنا عليه فرد ونسب محمدا فانتسب له فقال خيرا ثم قال هل من حاجة فلجلج فقال كأنك ذكرت فلانة يا جارية اخرجي فخرجت فإذا أحسن الناس ثم تغنت فإذا أحذق الناس فجعل الشيخ يذهب مع حركاتها ويجيء إلى أن غنت قوله
(... عوجِي عليّ فسلّمي جَبْرُ)
فلما بلغت
(... حتى يفرِّق بيننا النَّفْرُ)
وثب الشيخ إلى نعله فعلقها في أذنه وجثا على ركبتيه وأخذ بطرف أذنه والنعل فيها
وجعل يقول أهدوني أنا بدنة أهدوني أنا بدنة
ثم أقبل عليهم فقال كم قيل لكم إنها تساوي قالوا ستمائة دينار قال هي وحق القبر خير من ستة آلاف دينار والله لا يملكها علي أحد أبدا فانصرفوا إذا شئتم
أخبرنا وسواسة بن الموصلي وهو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصلي قال حدثني حماد بن إسحاق قال وجدت في كتب أبي عن عثمان بن حفص الثقفي عن ابن عم لعمارة بن حمزة قال حدثني سليم الحساب عن داود المكي قال كنا في حلقة ابن جريج وهو يحدثنا وعنده ابن المبارك وجماعة من العراقيين إذ مر به ابن تيزن قال حماد ويقال ابن بيرن وقد ائتزر بمئزرة على صدره وهي إزرة الشطار عندنا
فدعاه ابن جريج فقال له إني مستعجل وقد وعدت أصحابا لي فلا أقدر أن أحتبس عنهم
فأقسم عليه حتى أتاه فجلس وقال له ما تريد قال أحب أن تسمعني قال أنا أجيئك إلى المنزل فلم تجلسني مع هؤلاء الثقلاء قال أسألك أن تفعل قال امرأته طالق إن غناك فوق ثلاثة أصوات
قال ويحك ما أعجلك باليمين قال أكره أن أحتبس عن أصحابي فالتفت ابن جريج إلى أصحابه فقال إعقلوا رحمكم الله ثم قال له
غنني الصوت الذي أخبرتني أن ابن سريج غناه في اليوم الثالث من أيام منى على جمرة العقبة فقطع الطريق على الذاهب والجائي حتى تكسرت المحامل فغناه
(... عوجِي عليّ فسلّمي جبرُ)
فقال ابن جريج أحسنت والله ثلاث مرات ويحك أعده قال أمن الثلاثة فإني قد حلفت قال أعده فأعاده فقال أحسنت أعده من الثلاثة فأعاده وقام فمضى

فقال ابن جريج لأصحابه لعلكم أنكرتم ما فعلت قالوا إنا لننكره بالعراق قال فما تقولون في الرجز يعني الحداء قالوا لا بأس به قال فما الفرق بينهما
أحسن الناس حلوقا في الغناء
وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك عن أبي أيوب المديني قال ثلاثة من المغنين كانوا أحسن الناس حلوقا ابن تيزن وابن عائشة وابن أبي الكنات
صوت
من المائة المختارة
(سَقَاني فَروَّاني كُمَيْتاً مُدامةً ... على ظمأٍ مني سَلَامٌ بن مِشْكَمِ)
(تخيّرتُه أهلَ المدينة واحداً ... سِواهمْ فلم أُغْبَن ولم أتَنَدَّمِ)
عروضه من الطويل والشعر لأبي سفيان بن حرب والغناء لسليمان أخي بابويه الكوفي مولى الأشاعثة خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى
ذكر أبي سفيان وأخباره ونسبه
هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وأم حرب بن أمية بنت أبي همهمة بن عبد العزى بن عامر بن عميرة بن وديعة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة وأم أبي سفيان صفية بنت حزن بن بجير بن الهزم بن رويبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة وهي عمة ميمونة أم المؤمنين وأم الفضل بنت الحارث بن حزن أم بني العباس بن عبد المطلب
وقد مضى ذكر أكثر أخبار ولد أمية والفرق بين الأعياص والعنابس منهم وجمل من أخبارهم في أول هذا الكتاب
وكان حرب بن أمية قائد بني أمية ومن مالأهم في يوم عكاظ ويقال إن سبب وفاته أن الجن قتلته وقتلت مرداس بن أبي عامر السلمي لإحراقهما شجر القرية وازدراعهما إياها
وهذا شيء قد ذكرته العرب في أشعارها وتواترت الروايات بذكره فذكرته والله أعلم
أخبرني الطوسي والحرمي بن أبي العلاء قالا حدثنا الزبير بن بكار قال
حدثني عمي مصعب وأخبرنا محمد بن الحسين بن دريد عن عمه عن العباس بن هشام عن أبيه وذكره أبو عبيدة وأبو عمرو الشيباني أن حرب بن أمية لما انصرف من حرب عكاظ هو وإخوته مر بالقريه وهي إذ ذاك غيضة شجر ملتف لا يرام فقال له مرداس بن أبي عامر أما ترى هذا الموضع قال بلى قال نعم المزدرع هو فهل لك أن نكون شريكين فيه ونحرق هذه الغيضة ثم نزدرعه بعد ذلك قال نعم فأضرما النار في الغيضة
فلما استطارت وعلا لهبها سمع من الغيضة أنين وضجيج كثير ثم ظهرت منها حيات بيض تطير حتى قطعتها وخرجت منها وقال مرداس بن أبي عامر في ذلك
(إني انتخبتُ لها حرباً وإخوتَه ... إنّي بِحَبْلٍ وثيقِ العَقْد دسّاسُ)
(إني أُقَوِّمُ قبل الأمر حُجَّتَه ... كيما يقالَ وليُّ الأمر مِرداسُ)
قال فسمعوا هاتفا يقول لما احترقت الغيضة
(ويلٌ لحربٍ فارساَ ... مُطاعِناً مُخَالِسَا)
(ويلٌ لعمرو فارسا ... إذ لبسوا القَوَانِسا)
(لَنَقْتُلَن بقتله ... جَحاجحاً عنابِسا)
ولم يلبث حرب بن أمية ومرداس بن أبي عامر أن ماتا فأما مرداس فدفن بالقرية
ثم ادعاها بعد ذلك كليب بن أبي عهمة السلمي ثم الظفري فقال في ذلك عباس بن مرداس
(أكليبُ مالكَ كلَّ يوم ظالماً ... والظلمُ أنكدُ وجهُه ملعونٌ ... قد كان قومُك يحسبونك سيِّداً ... وإخال أنك سيّدٌ معيون)
المعيون الذي أصابته العين وقيل المعيون الحسن المنظر فيما تراه العين ولا عقل له
((فإذا رجَعتَ إلى نسائك فادَّهِنْ ... إن المُسالِمَ رأسُه مدهونُ)
(وافعل بقومك ما أراد بوائلٍ ... يومَ الغدير سميُّك المطعون)
(وإخال أنكَ سوف تلقى مثلَها ... في صَفْحَتَيْك سِنانُها المسنون)
(إن القُرَيّةَ قد تبيّن أمرُها ... إن كان ينفع عندك التَّبيين)
(حيث انطلقتَ تخطُّها لي ظالماً ... وأبو يزيدَ بجوِّها مدفون)
أبو يزيد مرداس بن أبي عامر
منزلته في قريش
وكان أبو سفيان سيدا من سادات قريش في الجاهلية ورأسا من رؤوس الأحزاب وعلى رسول الله في حياته وكهفا للمنافقين في أيامه وأسلم يوم الفتح
وله في إسلامه أخبار نذكرها هنا
وكان تاجرا يجهز التجار بماله وأموال قريش إلى أرض العجم وشهد مع رسول الله مشاهدة الفتح وفقئت عينه يوم الطائف فلم يزل أعور إلى يوم اليرموك ففقئت عينه الأخرى يومئذ فعمي
أخبرنا الطوسي والحرمي قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني علي بن صالح عن جدي عبد الله بن مصعب عن إسحاق بن يحيى المكي عن أبي الهيثم عمن أخبره أنه سمع أبا سفيان يمازح رسول الله في بيت بنته أم حبيبة ويقول والله إن هو إلا أن تركتك فتركتك العرب فما انتطحت جماء ولا ذات قرن ورسول
الله يضحك ويقول أنت تقول ذاك يا أبا حنظلة
قال الزبير وحدثني عمي مصعب أن رسول الله تزوج أم حبيبة بنت أبي سفيان وأبو سفيان يومئذ مشرك يحارب رسول الله وقيل له إن محمدا قد نكح ابنتك فقال ذلك الفحل لا يقدع أنفه واسم أم حبيبة رملة وقيل هند والصحيح رملة
أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز قال حدثنا المدائني عن مسلمة بن محارب عن عثمان بن عبد الرحمن بن جوشن قال أذن رسول الله يوما للناس فأبطأ بإذن أبي سفيان فلما دخل قال يا رسول الله ما أذنت لي حتى كدت تأذن للحجارة فقال له يا أبا سفيان كل الصيد في جوف الفرا
حدثنا محمد بن العباس قال حدثنا الخليل بن أسد النوشجاني قال حدثنا عطاء بن مصعب قال حدثني سفيان بن عيينة

عن جعفر بن يحيى البرمكي قال أذن رسول الله للناس فكان آخر من دخل عليه أبا سفيان بن حرب فقال يارسول الله لقد أذنت للناس قبلي حتى ظننت أن حجارة الخندمة ليؤذن
لها قبلي فقال رسول الله أما والله إنك والناس لكما قال الأول كل الصيد في بطن الفرا أي كل شيء لهؤلاء من المنزلة فإن لك وحدك مثل ما لهم كلهم
عند هرقل
حدثني عمر بن إسماعيل بن أبي غيلان الثقفي قال حدثنا داود بن عمرو الضبي قال حدثنا المثنى بن زرعة أبو راشد عن محمد بن إسحاق قال حدثني الزهري عن عبد الله بن عبد الله عن عتبة عن ابن عباس قال حدثني أبو سفيان بن حرب قال كنا قوما تجارا وكانت الحرب بيننا وبين رسول الله قد حصرتنا حتى نهكت أموالنا
فلما كانت الهدنة هدنة الحديبية بيننا وبين رسول الله خرجت في نفر من قريش إلى الشأم وكان وجه متجرنا منه غزة فقدمناها حين ظهر هرقل على من كان بأرضه من الفرس فأخرجهم منها وانتزع منهم صليبه الأعظم وكانوا قد استلبوه إياه
فلما بلغه ذلك منهم وبلغه أن صليبه قد استنقذ منهم وكانت حمص منزله خرج منها يمشي على قدميه شكرا لله حين رد عليه ما رد ليصلي في بيت المقدس تبسط له البسط وتلقى عليها الرياحين
فلما انتهى إلى إيلياء فقضى فيها صلاته وكان معه بطارقته وأشراف الروم أصبح ذات غدوة مهموما يقلب طرفه إلى السماء
فقال له بطارقته والله لكأنك أصبحت الغداة مهموما فقال أجل رأيت البارحة أن ملك الختان ظاهر فقالوا أيها الملك ما نعمل أمة تختتن إلا اليهود وهم في سلطانك وتحت يدك فابعث إلى كل من
لك عليه سلطان في بلادك فمره فليضرب أعناق من تحت يدك منهم من يهود واسترح من هذا الهم فوالله إنهم لفي ذلك من رأيهم يدبرونه إذ أتاه رسول صاحب بصرى برجل من العرب يقوده وكانت الملوك تتهادى الأخبار بينهم فقال أيها الملك إن هذا رجل من العرب من أهل الشاء والإبل يحدث عن أمر حدث فاسأله فلما انتهي به إلى هرقل رسول صاحب بصرى قال هرقل لمن جاء به سله عن هذا الحديث الذي كان ببلده فسأله فقال خرج بين أظهرنا رجل يزعم أنه نبي وقد اتبعه ناس فصدقوه وخالفه آخرون وقد كانت بينهم ملاحم في مواطن كثيرة وتركتهم على ذلك
فلما أخبره الخبر قال جردوه فإذا هو مختون فقال هذا والله النبي الذي رأيت لا ما تقولون أعطوه ثيابه وينطلق ثم دعا صاحب شرطته فقال له اقلب الشأم ظهرا لبطن حتى تأتيني برجل من قولم هذا الرجل فإنا لبغزة إذ هجم علينا صاحب شرطته فقال أنتم من قوم الحجاز قلنا نعم قال انطلقوا إلى الملك فانطلقوا بنا فلما انتهينا إليه قال أنتم من رهط هذا الرجل الذي بالحجاز قلنا نعم قال فأيكم أمس به رحما قال قلت أنا قال أبو سفيان وايم الله ما رأيت رجلا أرى أنه أنكر من ذلك الأغلف يعني هرقل ثم قال أدنه فأقعدني بين يديه وأقعد أصحابي خلفي وقال إني سأسأله فإن كذب فردوا عليه
قال فوالله لقد علمت أن لو كذبت ما ردوا علي ولكني كنت أمرأ سيدا أتبرم عن الكذب وعرفت أن أيسر ما في ذلك إن أنا كذبته أن يحفظوه علي ثم يحدثوا به عني فلم أكذبه قال أخبرني عن هذا الرجل الذي خرج بين أظهركم
يدعي ما يدعي
فجعلت أزهد له شأنه وأصغر له أموره وأقول له أيها الملك ما يهمك من شأنه إن أمره دون ما بلغك فجعل لا يلتفت إلى ذلك مني ثم قال أنبئني فيما أسألك عنه من شأنه
قال قلت سل عما بدا لك قال كيف نسبه فيكم قلت محض هو أوسطنا نسبا قال أخبرن هل كان أحد من أهل بيته يقول ما يقول فهو يتشبه به قال قلت لا قال هل كان له فيكم ملك فسلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردوا عليه ملكه قال قلت لا قال أخبرني عن أتباعه منكم من هم قال قلت الضعفاء والمساكين والأحداث من الغلمان والنساء فأما ذوو الأسنان من الأشراف من قومه فلم يتبعه منهم أحد قال فأخبرني عمن يتبعه أيحبه ويلزمه أم يقليه ويفارقه قال قلت قلما يتبعه أحد فيفارقه قال فأخبرني كيف الحرب بينكم وبينه قال قلت سجال يدال علينا وندال عليه قال فأخبرني هل يغدر فلم أجد شيئا سألني عنه أغتمز فيه غيرها قال قلت لا ونحن منه في مدة ولا نأمن غدره قال فوالله ما التفت إليها مني ثم كرر علي الحديث فقال سألتك عن نسبه فيكم فزعمت أنه محض من أوسطكم نسبا فكذلك يأخذ الله النبي لا يأخذه إلا من أوسط قومه نسبا وسألتك هل كان أحد من أهل بيته يقول مثل قوله فهو يتشبه به فزعمت أن لا وسألتك هل كان له ملك فيكم فسلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث يطلب ملكه فزعمت أن لا وسألتك عن أتباعه فزعمت أنهم الضعفاء والأحداث والمساكين والنساء وكذلك أتباع الأنبياء في كل زمان وسألتك عمن يتبعه أيحبه ويلزمه أم يقليه ويفارقه فزعمت أنه لا يتبعه أحد فيفارقه فكذلك حلاوة الإيمان لا تدخل قلب رجل فتخرج منه وسألتك عن الحرب بينكم وبينه فزعمت أنها سجال تدالون عليه ويدال عليكم وكذلك حرب الأنبياء ولهم تكون العاقبة وسألتك هل يغدر فزعمت أن لا فلئن كنت صدقتني عنه فليغلبن علي ما تحت قدمي هاتين ولوددت أني عنده
فأغسل قدميه انطلق لشأنك
فقمت من عنده وأنا أضرب بإحدى يدي على الأخرى وأقول ياالعباد الله لقد أمر أمر ابن أبي كبشة أصبحت ملوك بني الأصفر يهابونه في ملكهم وسلطانهم
كتاب النبي إلى هرقل
قال ابن إسحاق فقدم عليه كتاب رسول الله مع دحية ابن خليفة الكلبي فيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم السلام على من اتبع الهدى أما بعد فأسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين وإن تتول فإن إثم الأكابر عليك)
قال ابن شهاب فأخبرني أسقف النصارى في زمن عبد الملك زعم أنه أدرك ذلك من أمر رسول الله وأمر هرقل وعقله قال فلما قدم عليه كتاب رسول الله من قبل دحية بن خليفة أخذه هرقل فجعله بين فخذيه وخاصرته ثم كتب إلى رجل برومية كان يقرأ العبرانية ما تقرأونه فذكر له أمره ووصف له شأنه وأخبره بما جاء به منه
فكتب إليه صاحب رومية إنه النبي الذي كنا ننتظره لا شك فيه فاتبعه وصدقه قال فأمر هرقل ببطارقة الروم فجمعوا له في دسكرة
ملكه وأمر بها فأغلقت عليهم أبوابها ثم اطلع عليهم من علية وخافهم على نفسه فقال يا معشر الروم قد جمعتكم لخبر

أتاني كتاب هذا الرجل يدعو إلى دينه فوالله إنه النبي الذي كنا ننتظره ونجده في كتابنا فهلم فلنبايعه ولنصدقه فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا
قال فنخرت الروم نخرة رجل واحد وابتدروا أبواب الدسكرة ليخرجوا فوجدوها قد أغلقت دونهم فقال كروهم علي وخافهم على نفسه فكروهم عليه فقال يا معشر الروم إنما قلت لكم المقالة التي قلت لأنظر كيف صلابتكم في دينكم في هذا الأمر الذي قد حدث فقد رأيت منكم الذي أسر به فخروا سجدا وأمر بأبواب الدسكرة ففتحت لهم فانطلقوا
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن زكريا الغلابي قال حدثني أبو بكر الهذلي عن عكرمة عن ابن عباس قال قال لي العباس خرجت في تجارة إلى اليمن في ركب منهم أبو سفيان بن حرب فقدمت اليمن فكنت أصنع يوما طعاما وأنصرف بأبي سفيان وبالنفر ويصنع أبو سفيان يوما فيفعل مثل ذلك فقال لي في يومي الذي كنت أصنع فيه هل لك يا ابا الفضل أن تنصرف إلى بيتي وترسل إلي غدائك فقلت نعم فانصرفت أنا والنفر إلى بيته وأرسلت إلي الغداء
فلما تغدى القوم قاموا واحتبسني فقال لي هل علمت يا أبا الفضل أن ابن أخيك يزعم أنه رسول الله قلت وأي بني أخي قال أبو سفيان إياي تكتم واي بني أخيك ينبغي له أن يقول هذا إلا رجل واحد قلت وأيهم هو على ذلك قال محمد بن عبد الله قلت ما فعل قال بلى قد فعل ثم أخرج إلي كتابا من ابنه حنظلة بن أبي سفيان إني أخبرك أن محمدا قام بالأبطح
غدوة فقال أنا رسول الله أدعوكم إلى الله قال قلت يا أبا حنظلة لعله صادق قال مهلا يا أبا الفضل فوالله ما أحب أن تقول مثل هذا وإني لأخشى أن تكون على بصر من هذا الأمر وقال الحسن بن علي في روايته على بصيرة من هذا الحديث ثم قال يا بني عبد المطلب إنه والله ما برحت قريش تزعم أن لكم يمنة وشؤمة كل واحدة منهما عامة فنشدتك الله يا أبا الفضل هل سمعت ذلك قلت نعم قال فهذه والله إذا شؤمتكم قلت فلعلها يمنتنا
فما كان بعد ذلك إلا ليال حتى قدم عبد الله بن حذافة السهمي بالخبر وهو مؤمن ففشا ذلك في مجالس أهل اليمن يتحدث به فيها
وكان أبو سفيان يجلس إلى حبر من أحبار اليمن فقال له اليهودي ما هذا الخبر الذي بلغني قال هو ما سمعت قال أين فيكم عم هذا الرجل الذي قال ما قال قال أبو سفيان صدقوا وأنا عمه قال اليهودي أأخو أبيه قال نعم قال حدثني عنه قال لا تسألني فما كنت أحسب أن يدعي هذا الأمر أبدا وما أحب أن أعيبه وغيره خير منه قال اليهودي فليس به أذى ولا بأس على يهود وتوراة موسى منه
قال العباس فتأدى إلي الخبر فحميت وخرجت حتى أجلس إلى ذلك المجلس من غد وفيه أبو سفيان والحبر فقلت للحبر بلغني أنك سألت ابن عمي هذا عن رجل منا يزعم أنه رسول الله فأخبرك أنه عمه وليس بعمه ولكنه ابن عمه وأنا عمه أخو أبيه فقال أأخو أبيه قلت أخو أبيه فأقبل على أبي سفيان فقال أصدق قال نعم صدق قال فقلت سلني عنه فإن كذبت فليردد علي فأقبل علي فقال أنشدك الله هل فشت لإبن أخيك صبوة أو سفهة قال قلت لا وإله عبد المطلب ولا كذب ولا خان وإن كان اسمه عند قريش الأمين قال فهل كتب بيده قال عباس فظننت أنه
خير له أن يكتب بيده فأردت أن أقولها ثم ذكرت مكان أبي سفيان وأنه مكذبي وراد علي فقلت لا يكتب فذهب الحبر وترك رداءه وجعل يصيح ذبحت يهود قتلت يهود
قال العباس فلما رجعنا إلى منزلنا قال أبو سفيان يا أبا الفضل إن اليهودي لفزع من ابن أخيك قال قلت قد رأيت ما رأيت فهل لك يا أبا سفيان أن تؤمن به فإن إن حقا كنت قد سبقت وإن كان باطلا فمعك غيرك من أكفائك قال لا والله ما أومن به حتى أرى خيلا تطلع من كداء وهو جبل بمكة
قال قلت ما تقول قال كلمة والله جاءت على فمي ما ألقيت لها بالا إلا أني أعلم أن الله لا يترك خيلا تطلع من كداء قال العباس فلما فتح رسول الله مكة ونظرنا إلى الخيل قد طلعت من كداء قلت يا أبا سفيان أتذكر الكلمة قال لي والله إني لذاكرها فالحمد لله الذي هداني للإسلام

إسلامه في غزاة الفتح

حدثنا محمد بن جرير الطبري قال حدثنا البغوي قال حدثنا الغلابي أبو كريب محمد بن العلاء قال حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق قال حدثني الحسين بن عبيد الله بن العباس عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزل رسول الله مر الظهران يعني في غزاة الفتح قال العباس بن عبد المطلب وقد خرج رسول الله من المدينة يا صباح قريش والله لئن بغتها رسول الله إنها لهلاك قريش آخر الدهر
فجلس على بغلة رسول الله البيضاء وقال أخرج إلى الأراك لعلي أرى حطابا أو صاحب لبن أو داخلا يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله فيستأمنونه
فوالله إني لأطوف في الأراك ألتمس ما خرجت له إذ سمعت صوت أبي سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتجسسون الخبر عن رسول الله فسمعت أبا سفيان وهو يقول والله ما رأيت كالليلة قط نيرانا
فقال بديل بن ورقاء هذه والله نيران خزاعة حمشتها الحرب فقال أبو سفيان خزاعة ألأم من ذلك وأذل فعرفت صوته فقلت أبا حنظلة فقال أبا الفضل قلت نعم فقال لبيك فداؤك أبي وأمي فما وراءك فقلت هذا رسول الله قد دلف إليكم بما لا قبل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين قال فما تأمرني فقلت تركب عجز هذه البغلة فأستأمن لك رسول الله فوالله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فردفني فخرجت به أركض بغلة رسول الله نحو رسول الله فكلما مررت بنار من نيران المسلمين فنظروا إلي قالوا عم رسول الله على بغلة رسول الله حتى مررنا بنار عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقال أبو سفيان الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ثم اشتد نحو النبي وركضت البغلة وقد أردفت أبا سفيان قال العباس حتى اقتحمت على باب القبة وسبقت عمر بما تسبق به الدابة البطيئة
الرجل البطيء فدخل عمر على رسول الله فقال يا رسول الله هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد فدعني أضرب عنقه
قلت يا رسول الله إني قد أجرته ثم جلست إلى رسول الله وأخذت برأسه وقلت والله لا يناجيه اليوم أحد دوني فلما أكثر فيه عمر قلت مهلا يا عمر فوالله ما تصنع هذا إلا لأنه رجل من عبد مناف ولو كان من بني عدي بن كعب ما قلت هذا قال مهلا يا عباس فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم وذلك لأني أعلم أن إسلامك أحب إلى رسول الله من إسلام الخطاب لو أسلم فقال رسول الله (اذهب فقد أمناه حتى تغدو به علي الغداة) فرجع به إلى منزله فلما أصبح غدا به على رسول الله

فلما رآه قال (ويحك أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله) فقال بأبي أنت وأمي ما أوصلك وأحلمك وأكرمك والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئا فقال (ويحك تشهد بشهادة الحق قبل والله أن تضرب عنقك)
قال فتشهد فقال رسول الله للعباس من حين تشهد أبو سفيان (انصرف يا عباس فاحتبسه عند خطم الجبل بمضيق الوادي حتى يمر عليه جنود الله) فقلت يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا يكون في قومه فقال ((نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن
فخرجت به حتى أجلسته عند خطم الجبل بمضيق الوادي فمرت عليه القبائل فجعل يقول من هؤلاء فأقول سليم فيقول ما لي ولسليم ثم تمر به قبيلة فيقول من هؤلاء فأقول أسلم فيقول ما لي ولأسلم وتمر به جهينة فيقول من هؤلاء فأقول جهينة فيقول ما لي ولجهينة حتى مر رسول الله في الخضراء كتيبة رسول الله من المهاجرين والأنصار في الحديد لا يرى منهم إلا الحدق فقال من هؤلاء يا أبا الفضل فقلت هذا رسول الله في المهاجرين والأنصار فقال يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما فقلت ويحك إنها النبوة قال نعم إذا فقلت الحق الآن بقومك فحذرهم
فخرج سريعا حتى أتى مكة فصرخ في المسجد يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به قالوا فمه قال من دخل داري فهو آمن فقالوا
ويحك ما تغني عنا دارك قال ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن

عدم إخلاصه الإسلام

حدثنا محمد بن جرير وأحمد بن الجعد قالا حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن يحى بن عباد عن عبد الله بن الزبير قال لما كان يوم اليرموك خلفني أبي فأخذت فرسا له وخرجت فرأيت جماعة من الخلفاء فيهم أبو سفيان بن حرب فوقفت معه فكانت الروم إذا هزمت المسلمين قال أبو سفيان إيه بني الأصفر فإذا كشفهم المسلمون قال أبو سفيان
(وبَنُو الأصفرِ الكرامُ ملوكُ الرّومِ ... لم يبق منهمُ مَذْكورُ)
فلما فتح الله على المسلمين حدثت أبي فقال قاتله الله يأبى إلا نفاقا أولسنا خيرا له من بني الأصفر ثم كان يأخذ بيدي فيطوف على أصحاب رسول الله يقول حدثهم فأحدثهم فيعجبون من نفاقه
حدثني أحمد بن الجعد قال حدثني ابن حميد قال حدثنا جرير عن عمرو بن ثابت عن الحسن قال دخل أبو سفيان على عثمان بعد أن كف بصره فقال هل علينا من عين فقال له عثمان لا فقال يا عثمان إن الأمر أمر عالمية والملك ملك جاهلية فاجعل أوتاد الأرض بني أمية
حدثني محمد بن حيان الباهلي قال حدثنا عمر بن علي الفلاس قال حدثنا سهل بن يوسف عن مالك بن مغول عن أشعث بن أبي الشعثاء عن ميسرة الهمداني عن أبي الأبجر الأكبر قال جاء أبو سفيان إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال يا أبا الحسن
ما بال هذا الأمر في أضعف قريش وأقلها فوالله لئن شئت لأملأنها عليهم خيلا ورجلا فقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه يا أبا سفيان طالما عاديت الله ورسوله فما ضرهم ذلك شيئا إنا وجدنا أبا بكر لها أهلا
أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الرياشي قال أنشدني ابن عائشة لأبي سفيان بن حرب لما ولي أبو بكر قال
(وأضحت قريش بعد عزّ ومَنْعةٍ ... خُضُوعاً لتَيْمٍ لا بضربِ القواضبِ)
(فيا لهف نفسي للذي ظَفِرتْ به ... وما زال منها فائزاً بالغرائب)
وحدثني أحمد بن الجعد قال حدثني محمد بن حميد قال حدثنا جرير عن عمرو بن ثابت عن الحسن قال لما ولي عثمان الخلافة دخل عليه أبو سفيان فقال يا معشر بني أمية إن الخلافة صارت في تيم وعدي حتى طمعت فيها وقد صارت إليكم فتلقفوها بينكم تلقف الكرة فوالله ما من جنة ولا نار هذا أو نحوه فصاح به عثمان قم عني فعل الله بك وفعل
ولأبي سفيان أخبار من هذا الجنس ونحوه كثيرة يطول ذكرها وفيما ذكرت منها مقنع
والأبيات التي فيها الغناء يقولها في سلام بن مشكم اليهودي ويكنى أبا غنم وكان نزل عليه في غزوة السويق فقراه وأحسن ضيافته فقال أبو سفيان فيه
(سقاني فَرَوَّاني كُمَيْتاً مُدامةً ... على ظمَأٍ منّي سَلاَمُ بن مِشْكَمِ)
((تخيَّرتُه أهلَ المدينة واحداً ... سواهم فلم أُغْبَن ولم أتندَّمِ)
(فلمّا تقضّى الليلُ قلتُ ولم أكن ... لأُفْرِحَه أبشِرْ بعُرف ومَغْنَمِ)
(وإنّ أبا غُنْم يجود ودارُه ... بيَثْربَ مأوى كلّ أبيضَ خِضْرمِ)

ذكر الخبر عن غزوة السويق ونزول أبي سفيان على سلام بن مشكم

كانت هذه الغزاة بعد وقعة بدر وذلك أن أبا سفيان نذر ألا يمس رأسه ماء من جنابة ولا يشرب خمرا حتى يغزو رسول الله فخرج في عدة من قومه ولم يصنع شيئا فعيرته قريش بذلك وقالوا إنما خرجتم تشربون السويق فسميت غزوة السويق
حدثنا محمد بن جرير قرأته عليه قال حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير ويزيد بن رومان عن عبيد الله بن كعب بن مالك وكان من أعلم الأنصار قال كان أبو سفيان حين رجع إلى مكة ورجع فل قريش من بدر نذر ألا يمس ماء من جنابة حتى يغزو محمدا
فخرج في مائتي راكب من قريش ليبر يمينه فسلك النجدية حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له تيت من المدينة على بريد أو نحوه ثم خرج من الليل حتى أتى بني النضير تحت الليل فأتى حيي بن أخطب بيثرب فدق عليه بابه فأبى أن يفتح له وخافه وانصرف إلى سلام بن
مشكم وكان سيد بني النضير في زمانه ذلك وصاحب كنزهم فاستأذن عليه فأذن له فقراه وسقاه ونظر له خبر الناس ثم خرج في عقب ليلته حتى جاء أصحابه فبعث رجالا من قريش إلى المدينة فأتوا ناحية منها يقال لها العريض فحرقوا في أصوار من نخل لها أتوا رجلا من الأنصار وحليفا له في حرث لهما فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين
فنذر بهم الناس فخرج رسول الله في طلبهم حتى بلغ قرقرة الكدر ثم انصرف راجعا وقد فاته أبو سفيان وأصحابه وقد رأوا من مزاود القوم ما قد طرحوه في الحرث يتخففون منه للنجاء
فقال المسلمون حين رجع بهم رسول الله أنطمع أن تكون غزوة قال نعم
وقد كان أبو سفيان قال وهو يتجهز خارجا من مكة إلى المدينة أبياتا من شعر يحرض فيها قريشا فقال
(كُرّوا على يَثْربٍ وجمعِهمُ ... فإنّ ما جمَّعوا لكم نَفَلُ)

(إن يكِ يومُ القَلِيب كان لهم ... فإن ما بعده لكم دوَلُ)
(آليتُ لا أقْرَبُ النساءَ ولا ... يَمسّ رأسي وجلديَ الغُسُلُ)
(حتى تُبِيدوا قبائلَ الأوْسِ والخَزْرَجِ ... إن الفؤاد مُشْتَعِلُ
فأجابه كعب بن مالك
(يا لَهْفَ أمّ المسبِّحِينَ على ... جيشِ ابن حرب بالحَرّة الفَشِلِ)
(أتطرحون الرجال من سَنَمِ الظَّهر ... تَرَقَّى في قُنّة الجَبَل)
(جاؤوا بجَمْعٍ لو قِيس منزلُه ... ما كان إلا كمُعْرَس الدُّئِلِ)
(عارٍ من النصر والثراءِ ومِنْ ... نَجْدة أهلِ البَطْحاء والأَسَلِ)
أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال حدثنا سليمان بن سعد عن الواقدي أن غزوة السويق كانت في ذي القعدة من سنة ثنتين من الهجرة
حدثني عمي قال حدثنا الحارث بن أبي أسامة قال حدثنا ابن سعد عن الواقدي عن أبي الزناد عن عبد الله بن الحارث قال شرب حسان بن ثابت يوما مع سلام بن مشكم وكان له نديما معهم كعب بن أسد وعبد الله بن أبي وقيس بن الخطيم فأسرع الشراب فيهم
وكانوا في موادعة وقد وضعت الحرب أوزارها بينهم
فقال قيس بن الخطيم لحسان تعال أشاربك فتشاربا في إناء عظيم فأبقى حسان من الإناء شيئا فقال له قيس اشرب فقال حسان وعرف الشر في وجهه أو خيرا من ذلك أجعل لك الغلبة قال لا إلا أن تشربه فأبى حسان وقال له سلام بن مشكم يا أبا يزيد لا تكرهه على ما لا يشتهي إنما دعوته لإكرامه ولم تدعه لتستخف به وتسيء مجالسته فقال له قيس أفتدعوني أنت على أن تسيء مجالستي فقال له سلام ما في هذا سوء مجالسة وما حملت عليك إلا لأنك مني وأني حليفك وليست عليك غضاضة في هذا وهذا رجل من الخزرج قد أكرمته وأدخلته منزلي فيجب أن تكرم لي من أكرمته ولعمري إن في الصحو لما تكتفون به من حروبكم فافترقوا وآلى سلام بن مشكم على نفسه ألا يشرب سنة وقد بلغ هذا من نديمه وكان كريما
صوت
من المائة المختارة
(مَنْ مُبلغ عنّي أبا كامل ... أنّي إذا ما غاب كالهامِلِ)
(قد زادني شوقاً إلى قربه ... معْ ما بدا من رأيه الفاضِلِ)
الشعر للوليد بن يزيد والغناء لأبي كامل ولحنه المختار من الثقيل الأول
بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق وذكر حبش أن لأبي كامل فيه أيضا لحنا من خفيف الثقيل الثاني بالوسطى
أخبار الوليد بن يزيد ونسبه
هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاصي ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ويكنى أبا العباس وأمّه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي وهي بنت أخي الحجّاج وفيه يقول أبو نخيلة
(بين أبي العاصِي وبين الحَجّاجْ ... يا لَكُمَا نُورَا سَراجٍ وَهَّاجْ)
(... عليه بعد عمّه عقد التّاجْ)
وأم يزيد بن عبد الملك عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أُمية وأمها أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر وأم عبد الله بن عامر أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم ولذلك قال الوليد بن يزيد
(نَبيُّ الهُدَى خالي ومن يَكُ خالُه ... نبيَّ الهدى يَقْهَرْ به من يُفاخرُ)
وكان الوليد بن يزيد من فتيان بني أمية وظرفائهم وشعرائهم وأجوادهم ونسبائهم وكان فاسقا خليعاً متهما في دينه مرميا بالزندقة وشاع ذلك من أمره وظهر حتى أنكره الناس فقتل
وله أشعار كثيرة تدل على خبثه وكفره ومن الناس من ينفي ذلك عنه وينكره ويقول إنه نحله وأُلصق إليه والأغلب الأشهر غير ذلك
ضعف الوليد أمام مكر هشام
أخبرني الحسن بن علي وأحمد بن الحارث الخراز عن المدائني عن إسحاق بن أيّوب القرشي وجُويرية بن أسماء وعامر بن الأسود والمِنهال بن عبد الملك وأبي عمرو بن المبارك وسُحيم بن حفص وغيرهم أن يزيد بن عبد الملك لما وجه الجيوش إلى يزيد بن المهلّب وعقَد لمَسلمة بن عبد الملك على الجيش وبعث العباس بن الوليد بن عبد الملك وعقد له على أهل دمشق قال له العباس يا أمير المؤمنين إن
أهل العراق أهل غدر وإرجافٍ وقد وجهتنا محاربين والأحداث تحدث ولا آمن أن يرجف أهل العراق ويقولوا مات أمير المؤمنين ولم يعهد فيفت ذلك في أعضاد أهل الشام فلو عهدت عهدا لعبد العزيز بن الوليد قال غداً
وبلغ ذلك مسلمة بن عبد الملك فأتى يزيد فقال يا أمير المؤمنين أيما أحب إليك ولد عبد الملك أو ولد الوليد فقال بل ولد عبد الملك قال أفأخوك أحقّ بالخلافة أم ابن أخيك قال إذا لم تكن في ولدي فأخي أحق بها من ابن أخي
قال فابنك لم يبلغ فبايع لهشام ثم لابنك بعد هشام قال والوليد يومئذ ابن إحدى عشرة سنة قال غدا أبايع له
فلما أصبح فعل ذلك وبايع لهشام وأخذ العهد عليه ألا يخلع الوليد بعده ولا يغير عهده ولا يحتال عليه
فلما أدرك الوليد ندم أبوه فكان ينظر إليه ويقول الله بيني وبين من جعل هشاما بيني وبينك
وتوفي يزيد سنة خمس ومائة وابنه الوليد ابن خمس عشرة سنة
قالوا فلم يزل الوليد مكرما عند هشام رفيع المنزلة مدة ثم طمع في خلعه وعقد العهد بعده لابنه مسلمة بن هشام فجعل يذكر الوليد بن يزيد وتهتّكه وإدمانه على الشراب ويذكر ذلك في مجلسه ويقوم ويقعد به وولاه الحج ليظهر ذلك منه بالحرمين فيسقط فحج وظهر منه فعل كثير مذموم وتشاغل بالمغنين وبالشراب وأمر مولى له فحج بالناس
فلما حج طالبه هشام بأن يخلع نفسه فأبى ذلك فحرمه العطاء وحرم سائر مواليه وأسبابه وجفاه جفاء شديدا
فخرج متبديا وخرج معه عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدبه وكان يرمى بالزندقة
ودعا هشام الناس إلى خلعه والبيعة لمسلمة بن هشام وأمه أم حكيم بنت يحيى بن الحكم بن أبي العاصي

وكان مسلمة يكنى أبا شاكر كني بذلك لمولى كان لمروان يكنى أبا
شاكر كان ذا رأي وفضل وكانوا يعظمونه ويتبركون به فأجابه إلى خلع الوليد والبيعة لمسلمة بن هشام محمد وإبراهيم
ابنا هشام بن إسماعيل المخزومي والوليد وعبد العزيز وخالد بن القعقاع بن خويلد العبسي وغيرهم من خاصة هشام
وكتب إلى الوليد ما تدع شيئاً من المنكر إلا أتيته وارتكبته غير متحاشٍ ولا مستتر فليت شعري ما دينك أعلى الإسلام
أنت أم لا فكتب إليه الوليد بن يزيد ويقال بل قال ذلك عبد الصمد بن عبد الأعلى ونحله إياه
صوت
(يا أيُّها السائلُ عن دِيننا ... نحن على دين أبي شاكر)
(نشربُها صِرْفاً وممزوجةً ... بالسُّخْن أحياناً وبالفاتِر)
غناه عمر الوادي رملا بالبنصر فغضب هشام على ابنه مسلمة وقال يعيرني بك الوليد وأنا أرشِّحك للخلافة فالزم الأدب
وأحضر الصلوات
وولاه الموسم سنة سبع عشرة ومائة فأظهر النّسك وقسم بمكة والمدينة أموالا
فقال رجل من موالي أهل المدينة
(يا أيُّها السائلُ عن دِيننا ... نحن على دين أبي شاكر)
(الواهبِ البُزْلَ بأرْسانها ... ليس بزنديقٍ ولا كافر)
قال المدائني وبلغ خالدا القسري ما عزم عليه هشام فقال أنا بريء من خليفة يُكنى أبا شاكر فبلغت هشاما عنه هذه
فكان ذلك سبب إيقاعه به
الوليد العابث
أخبرني محمد بن الحسن الكندي المؤدب قال حدثني أبي عن العباس ابن هشام قال دخل الوليد بن يزيد يوما مجلس
هشام بن عبد الملك وقد كان في ذكره قبل أن يدخل فحمقه من حضر من بني أمية فلما جلس قال له العباس بن الوليد
وعمر بن الوليد كيف حبك يا وليد للروميات فإن أباك كان بهن مشغوفا قال إني لأحبهن وكيف لا أحبهن ولن تزال الواحدة
منهن قد جاءت بالهجين مثلك وكانت أم العباس رومية قال اسكت فليس الفحل يأتي عسبه بمثلي فقال له الوليد
اسكت يابن البظراء قال
أتفخر علي بما قطع من بظر أمك
وأقبل هشام على الوليد فقال له ما شرابك قال شرابك يا أمير المؤمنين وقام مغضبا فخرج فقال هشام أهذا الذي
تزعمون أنه أحمق ما هو أحمق ولكني لا أظنّه على الملة
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال أخبرنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائني قال دخل الوليد بن يزيد مجلس هشام
بن عبد الملك وفيه سعيد بن هشام بن عبد الملك وأبو الزبير مولى مروان وليس هشام حاضرا فجلس الوليد مجلس
هشام ثم أقبل على سعيد بن هشام فقال له من أنت وهو به عارف قال سعيد ابن أمير المؤمنين قال مرحبا بك
ثم نظر إلى أبي الزبير فقال من أنت قال أبو الزبيرمولاك أيها الأمير قال أنسطاسُ أنت مرحبا بك
ثم قال لإبراهيم بن هشام من أنت قال إبراهيم بن هشام قال من إبراهيم بن هشام وهو يعرفه قال إبراهيم بن هشام
بن إسماعيل قال من إسماعيل وهو يعرفه قال إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة قال من الوليد بن المغيرة قال
الذي لم يكن جدّك يرى أنه في شيء حتى زوّجه أبي وهو بعض ولد ابنته قال يابن اللخناء أتقول هذا
وائتخذا
وأقبل هشام فقيل لهما قد جاء أمير المؤمنين فجلسا وكفا ودخل هشام فما كاد الوليد يتنحّى له عن صدر مجلسه إلا
أنه زحل له قليلا فجلس هشام وقال له كيف أنت يا وليد قال صالح قال ما فعلت بَرابطك قال معملة أو مستعملة
قال فما فعل ندماؤك قال صالحون ولعنهم الله إن كانوا شرا ممّن حضرك وقام فقال له هشام يابن اللخناء جؤوا عنقه فلم
يفعلوا ودفعوه رويدا فقال الوليد
(أنا ابن أبي العاصي وعثمانُ والدي ... ومروانُ جَدِّي ذو الفَعَال وعامرُ)
(أنا ابنُ عظيم القريتين وعِزُّها ... ثَقِيفٌ وفِهْرٌ والعُصَاةُ الأكابر)
(نَبِيُّ الهدى خالي ومن يَكُ خالُه ... نبيَّ الهُدَى يَقْهَر به من يُفاخرُ)
الوليد يرثي مسلمة بن عبد الملك
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال كان هشام بن عبد الملك يكثر تنقص الوليد بن
يزيد فكان مسلمة يعاتب هشاما ويكفه فمات مسلمة فغم الوليد ورثاه فقال
صوت
(أتانا بَريدانِ من واسطٍ ... يَخُبَّانِ بالكُتُبِ المُعْجَمَهْ)
(أقول وما البعدُ إلاّ الرَّدَى ... أمَسْلَمُ لا تَبْعَدَنْ مَسْلَمَهْ)
(فقد كنتَ نوراً لنا في البلاد ... تُضِيء فقد أصبحتْ مُظْلِمَهْ)
(كتَمْنا نَعِيَّك نَخْشَى اليقين ... فجَلَّي اليقينُ عن الجَمْجَمَهْ)
(وكم من يتيم تلافيتَه ... بأرض العدوّ وكم أيِّمَهْ)
(وكنتَ إذا الحربُ دَرَّتْ دَماً ... نصَبْتَ لها رايةً مُعْلَمَهْ)
غنى في هذه الأبيات التي أولها
(... أقول وما البعدُ إلا الرَّدَى)
يونس خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو
وذكر الهشاميّ أن فيه ثقيلا أول ينسب إلى أبي كامل وعمر الوادي
وذكر حبش أن ليونس فيه رملا بالبنصر
أخبرني الطوسي والحرمي بن أبي العلاء قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني موسى بن زهير بن مضرس بن منظور بن
زبان بن سيار عن أبيه قال رأيت هشام بن عبد الملك وأنا في عسكره يوم توفي مسلمة بن عبد الملك وهشام في
شرطته إذ طلع الوليد بن يزيد على الناس وهو نشوان يجر مطرف خز عليه فوقف على هشام فقال يا أمير المؤمنين إن
عقبى من بقي لحوق من مضى وقد أقفر بعد مسلمة الصيد لمن يرى واختل الثغر فوهى وعلى أثر من سلف يمضي

من خلف فتزودوا فإن خير الزاد التقوى فأعرض عنه هشام ولم يرد جوابا ووجم الناس فما همس أحد بشيء قال فمضى الوليد وهو يقول
(أَهيْنَمةٌ حديثُ القومِ أم هُمْ ... سُكُوتٌ بعد ما مَتَع النهارُ)
(عزيزٌ كان بينهمُ نبيًّا ... فقولُ القومِ وَحْيٌ لا يُحارُ)
(كأنّا بعد مَسْلَمَةَ المُرجَّى ... شُرُوبٌ طوَّحتْ بهمُ عُقَارُ)
(أو الآفُ هِجَانٌ في قيودٍ ... تَلفَّتُ كلّما حَنَتْ ظُؤارُ)
(فليتَك لم تَمُتْ وفِدَاكَ قومٌ ... تُريح غبيَّهم عنّا الدِّيارُ)
(سقيمُ الصَّدْر أو شَكِسٌ نَكِيدٌ ... وآخرُ لا يَزُور ولا يُزارُ)
يعني بالسقيم الصدر يزيد بن الوليد ويعني بالشكس هشاما والذي لا يزور ولا يزار مروان بن محمد
قال الزبير وحدثني محمد بن الضحاك عن أبيه قال أراد هشام أن يخلع الوليد ويجعل العهد لولده فقال الوليد
(كفرتَ يداً من مُنْعِمٍ لو شكرتَها ... جزَاكَ بها الرحمنُ ذو الفَضْلِ والمَنِّ)
(رأيتك تَبْنِي جاهداً في قَطِيعتي ... ولو كنتَ ذا حَزْمٍ لهدّمتَ ما تَبْني)
(أراكَ على الباقين تَجْنِي ضَغِينةً ... فياوَيْحَهم إن مُتَّ من شرِّ ما تَجْنِي)
(كأنِّي بهم يوماً وأكثرُ قولِهم ... أيا ليتَ أنّا حين يا ليت لا تُغْني)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني قال عتب هشام على الوليد وخاصته فخرج الوليد ومعه قوم من خاصته ومواليه فنزل بالأبرق بين أرض بلقين وفزارة على ماء يقال له الأغدف وخلّف بالرصافة كاتبه عياض بن مسلم مولى عبد الملك ليكاتبه بما يحدث وأخرج معه عبد الصمد بن عبد الأعلى
فشربوا يوما فقال له الوليد يا أبا وهب قل أبياتا تغني فيها فقال أبياتاً وأمر عمر الوادي فغنى فيها وهي
صوت
(ألَمْ تَرَ للنَّجْم إذ سَبَّعا ... يُبَادِر في بُرْجِه المَرْجِعَا)
(تحيَّر عن قَصْد مَجْراتِه ... إلى الغَوْرِ والتمس المَطْلَعَا)
(فقلتُ وأعجبني شأنُه ... وقد لاح إذ لاح لي مُطمِعا)
(لعلَّ الوليدَ دنا ملكُه ... فأمسى إليه قد اسْتجمعَا)
(وكنّا نؤمِّل في مُلْكه ... كتأميل ذي الجَدْبِ أن يُمْرِعا)
(عَقَدْنا مُحكَماتِ الأمور ... طَوْعاً وكان لها مَوْضِعا)
فروي هذا الشعر وبلغ هشاما فقطع عن الوليد ما كان يجري عليه وعلى أصحابه وحرمهم وكتب إلى الوليد قد بلغني أنك اتخذت عبد الصمد خدنا ومحدثا ونديما وقد حقق ذلك ما بلغني عنك ولن أبرئك من سوء فأخرج عبد الصمد مذموما قال فأخرجه الوليد وقال
(لقد قذَفوا أبا وَهْبٍ بأمر ... كبيرٍ بل يزيد على الكبيرِ)
(وأشهَد أنهم كذَبوا عليه ... شهادةَ عالمٍ بهمُ خبيرِ)
فكتب الوليد إلى هشام بأنه قد أخرج عبد الصمد واعتذر إليه من منادمته وسأله أن يأذن لابن سهيل في الخروج إليه وكان من خاصة الوليد فضرب هشام ابن سهيل ونفاه وسيره وكان ابن سهيل من أهل النباهة وقد ولي الولايات ولي دمشق مرارا وولي غيرها وأخذ عياض بن مسلم كاتب الوليد فضربه ضربا مبرحا وألبسه المسوح وقيده وحبسه فغم ذلك الوليد فقال من يثق بالناس ومن يصنع المعروف هذا الأحول المشؤوم قدمه أبي على ولده وأهل بيته وولاّه وهو يصنع بي ما ترون ولا يعلم أن لي في أحد
هوى إلا أضَر به كتب إلي بأن أخرج عبد الصمد فأخرجته وكتبت إليه في أن يأذن لابن سهيل في الخروج إلي فضربه وطرده وقد علم رأيي فيه وعرف مكان عياض مني وانقطاعه إليّ فضربه وحبسه يضارني بذلك اللهم أجرني منه
ثم قال الوليد
صوت
(أنا النّذِيرُ لمُسْدِي نعمةٍ أبداً ... إلى المَقارِيف لَمّا يَخْبُر الدَّخَلاَ)
(إن أنتَ أكرمتَهم ألفيتَهم بَطِروا ... وإن أهنتَهمُ ألفيتَهم ذُلُلا)
(أتشمَخُون ومنّا رأسُ نعمتكم ... ستعلَمون إذا أبصرتُمُ الدُّوَلا)
(أنظُرْ فإن أنت لم تقدِر على مَثَلٍ ... لهم سِوَى الكلبِ فاضربْه لهم مَثَلا)
(بَيْنَا يسمِّنه للصيد صاحبُه ... حتى إذا ما اسْتوى من بعد ما هُزِلا)
(عدا عليه فلم تَضْرُره عَدْوتُه ... ولو أطاق له أكلاً لقد أكلا)
غناه مالك خفيف ثقيل من رواية الهشامي

الوليد يفتخر على هشام

قال وقال الوليد أيضا يفتخر على هشام
صوت
(أنا الوليدُ أبو العباسِ قد علِمتْ ... عُلْيا مَعَدٍّ مَدَى كَرِّي وإقْدامي)
(إني لَفي الذِّروةِ العُليا إذا انتسبوا ... مُقَابَلٌ بين أخوالي وأعمامي)
(بَنى ليَ المجدَ بانٍ لم يكن وكِلاً ... على منارٍ مُضِيئاتٍ وأعلام)
(حللتُ من جوهر الأعْياص قد علِموا ... في باذخ مشمخرِّ العزّ قَمْقام)
(صَعْبِ المَرام يُسامِي النّجمَ مطلعُه ... يسمو إلى فرع طودٍ شامخ سامي)
غناه عمر الوادي خفيف ثقيل بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق
وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا أحمد بن زهير بن حرب قال حدثني مصعب الزبيري قال بعث الوليد بن يزيد إلى هشام بن عبد الملك راويته فأنشده قوله
(أنا الوليد أبو العباس قد علِمت ... عُليا مَعَدّ مَدَى كَرِّي وإقدامي)
فقال هشام والله ما علمت له معد كرا ولا إقداما إلا أنه شرب مرة مع عمه بكار بن عبد الملك فعربد عليه وعلى جواريه

فإن كان يعني ذلك بكرّه وإقدامه فعسى
الشاعر الحاقد
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال حُدثت أن أبا الزناد قال دخلت على هشام بن عبد الملك وعنده الزُّهري وهما يعيبان الوليد فأعرضت ولم أدخل في شيء من ذكره فلم ألبث أن استُؤذن للوليد فأذن له فدخل وهو مُغضب فجلس قليلاً ثم نهض
فلما مات هشام وولي الوليد كتب إلى المدينة فحملت فدخلت عليه فقال أتذكر قول الأحول والزهري قلت نعم وما عرضت في شيء من أمرك قال صدقت أتدري من أبلغني ذلك قلت لا قال الخادم الواقف على رأسه وايم الله لو بقي الفاسق الزهري لقتله ثم قال ذهب هشام بعمري فقلت بل يبقيك الله يا أمير المؤمنين وقام وصلّى العصر ثم جلس يتحدث إلى المغرب ثم صلّى المغرب ودعا بالعشاء فتعشيّت معه ثم جلس يتحدث حتى صلى العتمة ثم تحدثنا قليل ثم قال اسقينني فأتينه بإناء مغطّى وجاء جوار فقمن بيني وبينه فشرب وانصرفن ومكث قليلا ثم قال اسقينني ففعلن مثل ذلك وما زال والله ذلك دأبه حتى طلع الفجر فأحصيت له سبعين قدحا
وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب عن أبي الزناد قال أجمع الزهري على أن يدخل إلى بلاد الروم إن ولي الوليد بن يزيد فمات الزهري قبل ذلك
قال المدائني وبلغ الوليد أن العباس بن الوليد وغيره من بني مروان يعيبونه بالشراب فلعنهم وقال إنهم ليعيبون علي ما لو كانت لهم فيه لذة ما تركوه وقال هذا الشعر وأمر عمر الوادي أن يغني فيه وهو من جيد شعره ومختاره وفيه غناء قديم ذكره يونس لعمر الوادي غير مجنّس
صوت
(ولقد قضيتُ وإن تَجَلّل لِمّتي ... شيبٌ على رغم العِدَا لذَّاتي)
((من كاعباتٍ كالدُّمى ومَناصِفٍ ... ومراكبٍ للصيد والنَّشَواتِ
(في فِتيةٍ تأبى الهوانَ وجوهُهم ... شُمّ الأنوف جحاجح سادات)
(إن يَطلبوا بِتراتِهم يُعطَوْا بها ... أو يُطلَبوا لا يُدْرَكوا بترات)
الوليد يكتب وهشام يرد
حدثني المنهال بن عبد الملك قال كتب الوليد إلى هشام قد بلغني ما أحدث أمير المؤمنين من قطع ما قطع عني ومحو من محا من أصحابي وأنه حرمني وأهلي
ولم أكن أخاف أن يبتلي الله أمير المؤمنين بذلك في ولا ينالني مثله منه ولم يبلغ استصحابي لابن سهيل ومسألتي في أمره أن يجري علي ما جرى وإن كان ابن سهيل على ما ذكره أمير المؤمنين فبحسب العير أن يقرب من الذئب
وعلى ذلك فقد عقد الله لي من العهد وكتب لي من العمر وسبب لي من الرزق ما لا يقدر أحد دونه تبارك وتعالى على قطعه عني دون مدته ولا صرفه عن مواقعه المحتومة له
فقدر الله يجري على ما قدره فيما أحب الناس وكرهوا لا تعجيل لآجله ولا تأخير لعاجله والناس بعد ذلك يحتسبون الأوزار ويقترفون الآثام على أنفسهم من الله بما يستوجبون العقوبة عليه
وأمير المؤمنين أحق بالنظر في ذلك والحفظ له
والله يوفق أمير المؤمنين لطاعته ويحسن القضاء له في الأمور بقدرته وكتب اليه الوليد في آخر كتابه
((أليس عظيماً أن أرى كلَّ واردٍ ... حِياضَك يوماً صادراً بالنّوافل
(فأرْجِعَ محمودَ الرَّجاءِ مصرَّدا ... بتحلِئةٍ عن وِرْد تلك المناهل)
(فأصبحتُ مما كنت آمُلُ منكُم ... وليس بلاقٍ ما رجا كلُّ آمل)
(كمُقْتَبِض يوماً على عُرْضِ هَبْوةٍ ... يَشدُّ عليها كفَّه بالأنامل)
فكتب إليه هشام قد فهم أمير المؤمنين ما كتبت به من قطع ما وغير ذلك
وأمير المؤمنين يستغفر الله من إجرائه ما كان يجري عليك ولا يتخوف على نفسه اقتراف المآثم في الذي أحدث من قطع ما قطع ومحو من محا من صحابتك لأمرين أما أحدهما فإن أمير المؤمنين يعلم مواضعك التي كنت تصرف إليها ما يجريه عليك وأما الآخر فإثبات صحابتك وأرزاقهم دارّة عليهم لا ينالهم ما نال المسلمين عند قطع البعوث عليهم وهم معك تجول بهم في سفهك وأمير المؤمنين يرجو أن يكفر الله عنه ما سلف من إعطائه إياك باستئنافه قطعه عنك
وأما ابن سهيل فلعمري لئن كان نزل منك بحيث يسوءك ما جرى عليه لما جعله الله لذلك أهلاً
وهل زاد ابن سهيل لله أبوك علي أن كان زقّاناً مغنيا قد بلغ في السفه غايته وليس مع ذلك ابن سهيل بشر ممن كنت تستصحبه في الأمور التي ينزّه أمير المؤمنين نفسه
عنها مما كنت لعمري أهلا للتوبيخ فيه
وأما ما ذكرت مما سببه الله لك فإن الله قد ابتدأ أمير المؤمنين بذلك واصطفاه له والله بالغ أمره
ولقد أصبح أمير المؤمنين وهو على يقين من رأيه إلا أنه لا يملك لنفسه مما أعطاه الله من كرامته ضُرا ولا نفعا وإن الله ولي ذلك منه وإنه لا بد له من مفارقته وإن الله أرأف بعباده وأرحم من أن يولي أمرهم غير من يرتضيه لهم منهم
وإن أمير المؤمنين مع حسن ظنه بربه لعلي أحسن الرجاء لأن يوليه بسبب ذلك لمن هو أهله في الرضا به لهم فإن بلاء الله عند أمير المؤمنين أعظم من أن يبلغه ذكره أو يوازيه شكره إلا بعون منه
ولئن كان قد قدر الله لأمير المؤمنين وفاة تعجيل فإن في الذي هو مفض وصائر إليه من كرامة الله لخلفا من الدنيا
ولعمري إن كتابك لأمير المؤمنين بما كتبت به لغير مستنكر من سفهك وحمقك فأبق على نفسك وقصر من غلوائها وأربع على ظلعك فإن لله بسطوات وغِيرا يصيب بها من يشاء من عباده
وأمير المؤمنين يسأل الله العصمة والتوفيق لأحب الأمور إليه وأرضاها له وكتب في أسفل الكتاب
إذا أنتَ سامحتَ الهوى قادك الهوى ... إلى بعض ما فيه عليك مقالُ) والسلام)
بويع له بالخلافة وهو سكران
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخرّاز وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبّة عن المدائني عن جويرية بن أسماء عن المنهال بن عبد الملك عن إسحاق بن أيوب كلهم عن أبي الزبير المنذر بن عمرو قال وكان كاتبا للوليد بن يزيد قال أرسل إلي الوليد صبيحة اليوم الذي أتته فيه الخلافة فأتيته فقال لي يا أبا الزبير ما أتت

عليّ ليلة أطول من هذه الليلة عرضتني أمور وحدّثت
نفسي فيها بأمور وهذا الرجل قد أولع بي فاركب بنا نتنفّس فركب وسرت معه فسار ميلين ووقف على تل فجعل يشكو هشاما إذ نظر إلى رهج قد أقبل قال عمر بن شبّة في حديثه وسمع قعقعة البريد فتعوذ بالله من شر هشام وقال إن هذا البريد قد أقبل بموت وحي أو بملك عاجل فقلت لا يسوءك الله أيها الأمير بل يسرك ويبقيك إذ بدا رجلان على البريد يقبلان أحدهما مولى لآل أبي سفيان بن حرب فلما قربا رأيا الوليد فنزلا يعدوان حتى دنوا فسلما عليه بالخلافة فوجم وجعلا يكروان عليه التسليم بالخلافة فقال ويحكم ما الخبر أمات هشام قالا نعم قال فمرحبا بكما ما معكما قالا كتاب مولاك سالم بن عبد الرحمن فقرأ الكتاب وانصرفا
وسأل عن عياض بن مسلم كاتبه الذي كان هشام ضربه وحبسه فقالا يا أمير المؤمنين لم يزل محبوسا حتى نزل بهشام أمر الله فلما صار إلى حال لا ترجى الحياة لمثله معها أرسل عياض إلى الخزان احتفظوا بما في أيديكم فلا يصلن أحد إلى شيء وأفاق هشام إفاقة فطلب شيئا فمنعه فقال أرانا كنا خزانا للوليد وقضى من ساعته
فخرج عياض من السجن ساعة قضى هشام فختم الأبواب والخزائن وأمر بهشام فأنزل عن فراشه ومنعهم أن يكفنوه من الخزائن فكفنه غالب مولى هشام ولم يجدوا قمقما حتى استعاروه
وأمر الوليد بأخذ ابني هشام بن إسماعيل المخزومي فأخذا بعد أن عاذ إبراهيم بن هشام بقبر يزيد بن عبد الملك فقال الوليد ما أراه إلا قد نجا فقال له يحيى بن عروة بن الزبير وأخوه
عبد الله إن الله لم يجعل قبر أبيك معاذا للظالمين فخذه برد ما في يده من مال الله فقال صدقت وأخذهما فبعث بهما إلى يوسف بن عمر وكتب إليه أن يبسط عليهما العذاب حتى يتلفا ففعل ذلك بهما وماتا جميعا في العذاب بعد أن أقيم إبراهيم بن هشام للناس حتى اقتضوا منه المظالم
وقال عمر بن شبّة في خبره إنه لما نعي له هشام قال والله لأتلقين هذه النعمة بسكرة قبل الظهر ثم أنشأ يقول
(طاب يومي ولذّ شربُ السُّلافه ... إذ أتاني نَعِيُّ من بالرُّصَافَهْ)
(وأتانا البريدُ ينعَى هشاماً ... وأتانا بخاتم للخلافة)
(فاْصطبحنا من خمر عانَةَ صِرْفاً ... ولَهَوْنا بقَيْنةٍ عَزّافه)
ثم حلف ألا يبرح موضعه حتى يغنى في هذا الشعر ويشرب عليه فغني له فيه وشرب وسكر ثم دخل فبويع له بالخلافة
قال وسمع صياحا فسأل عنه فقيل له هذا من دار هشام يبكيه بناته فقال
(إني سمعتُ بليلٍ ... وَرَا المُصلَّي برَنَّهْ)
(إذا بناتُ هشامٍ ... يندُبْنَ والِدَهُنّهْ)
(يندُبْنَ قَرْماً جَليلاً ... قد كان يَعْضُدُهنّهُ)
(أنا المخنّث حقّاً ... إن لم أنِيكَنْهُنَّهْ)
وقال المدائني في خبر أحمد بن الحارث وشرب الوليد يوما فلما طابت نفسه تذكر هشاما فقال لعمر الوادي غنّني
(إنّي سمعت بليل ... وَرَا المصلّى برَنّهْ)
فغناه فيه فشرب عليه ثلاثة أرطال ثم قال والله لئن سمعه منك أحد أبدا لاقتلنك
قال فما سمع منه بعدها ولا عرف
نسبة ما في هذا الخبر من الغناء
صوت
(طاب يومي ولَذَّ شُرْبُ السُّلاَفه ... إذ أتانا نَعِيُّ من في الرُّصافَهْ)
غنّاه عمر الوادي خفيف رمل بالبنصر
أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبّة قال حدثني أبو غسان قال قال حكم الوادي كنا عند الوليد بن يزيد وهو يشرب إذ جاءنا خصيّ فشق جيبه وعزاه عن عمه هشام وهنأه بالخلافة وفي يده قضيب وخاتم وطومار فأمسكنا ساعة ونظرنا إليه بعين الخلافة فقال غنّوني غنياني قد طاب شرب السلافه البيتين فلم نزل نغنيه بهما الليل كله
أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبّة قال حدثنا
إسحاق بن إبراهيم قال حدثني مروان بن أبي حفصة قال دخلت على الرشيد أمير المؤمنين فسألني عن الوليد بن يزيد فذهبت أتزحزح فقال إن أمير المؤمنين لا ينكر ما تقول فقل قلت كان من أصبح الناس وأظرف الناس وأشعر الناس فقال أتروي من شعره شيئا قلت نعم دخلت عليه مع عمومتي وفي يده قضيب ولي جمّة فينانة فجعل يدخل القضيب في جمتي وجعل يقول يا غلام ولدتك سكر وهي أم ولد كانت لمروان بن الحكم فزوجها أبا حفصة قال فسمعته يومئذ ينشد
(ليت هشاماً عاش حتى يرى ... مكيالَه الأوفرَ قد أُتْرِعا)
(كِلْنا له الصاعَ التي كالَها ... فما ظلمناه بها أصْوُعا)
(لم نأتِ ما نأتيه عن بدعة ... أحلّه القرآن لي أجمعا)
قال فأمر الرشيد بكتابتها فكتبت
الشاعر المجيد
وللوليد أشعار جياد فوق هذا الشعر الذي اختاره مروان
فمنها وهو ما
برز فيه وجوده وتبعه الناس جميعا فيه وأخذوه منه قوله في صفة الخمر أنشدنيه الحسن بن علي قال أنشدني الحسين بن فهم قال أنشدني عمر بن شبّة قال أنشدني أبو غسان محمد بن يحيى وغيره للوليد
قال وكان أبو غسان يكاد يرقص إذا انشدها
(اِصدَع نجيَّ الهموم بالطرب ... وأنعَمْ على الدهرِ بابْنة العنبِ)
(واْستقبلِ العيشَ في غَضارته ... لا تَقْفُ منه آثارَ معتقِبِ)
(من قهوة زانها تقادُمها ... فهي عجوز تعلو على الحِقَب)
(أشهى إلى الشَّرْب يوم جَلوتها ... من الفتاة الكريمة النّسب)
(فقد تجلّت ورَقّ جوهرها ... حتى تبدّت في منظَر عجَب)

(فهي بغير المِزاج من شَرَر ... وهي لدى المزج سائلُ الذهب)
(كأنها في زجاجها قَبَسٌ ... تذكو ضياءً في عين مرتقِب)
(في فتيةٍ من بني أميّة أهل ... المجد والمأثُرات والحسب)
(ما في الورى مثلُهم ولا فيهم ... مثلي ولا مُنْتَمٍ لمثل أبي)
قال المدائني في خبره وقال الوليد حين أتاه نعي هشام
(طال ليلي فبتّ أسقى المداما ... إذ أتاني البريد ينعى هشاما)
(وأتاني بحلّة وقضيب ... وأتاني بخاتمٍ ثم قاما)
(فجعلتُ الوليّ من بعد فقدي ... بفضل الناسَ ناشئاً وغلاما)
(ذلك ابني وذاك قَرْم قريشٍ ... خيرُ قَرْمٍ وخيرُهم أعماما)
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المدائني عن جرير قال قال لي عمر الوادي كنت يوما أغني الوليد إذ ذكر هشاما فقال لي غنني بهذه الأبيات قلت وما هي يا أمير المؤمنين فأنشأ يقول
صوت
(هلَكَ الأحولُ المَشُومُ ... فقد أُرسل المطرْ)
(ثُمّتَ اسْتُخْلِف الوليد ... فقد أورق الشجرْ)
الشعراء يقتبسون معاني الوليد
وللوليد في ذكر الخمر وصفتها أشعار كثيرة قد أخذها الشعراء فأدخلوها في أشعارهم سلخوا معانيها وأبو نواس خاصة فإنه سلخ معانيه كلها وجعلها في شعره فكررها في عدة مواضع منه
ولولا كراهة التطويل لذكرتها ها هنا على أنها تنبىء عن نفسها
وله أبيات أنشدنيها الحسن بن علي قال أنشدني الحسين بن فهم قال أنشدني عمر بن شبّة قال أنشدني أبو غسان وغيره للوليد وكان أبو غسان يكاد أن يرقص إذا أنشدها
(اِصْدَع نجيّ الهموم بالطرب ... وانْعَمْ على الدهر بابْنة العنب)
الأبيات التي مضت متقدما
وهذا من بديع الكلام ونادره وقد جوّد فيه منذ ابتدأ إلى أن ختم وقد نقلها أبو نواس والحسين بن الضحاك في أشعارهما
ومن جيد معانيه قوله
(رأيتُك تَبني جاهداً في قطيعتي ... ولو كنتَ ذا حزم لهدَّمتَ ما تبني)
وقد مضت في أخباره مع هشام
وأنشدني الحسن بن علي عن الحسين بن فهم قال أنشدني عمرو بن أبي عمرو للوليد بن يزيد وكان يستجيده فقال
(إذا لم يكن خيرٌ مع الشرّ لم تَجِدْ ... نصيحاً ولا ذا حاجَةٍ حين تفزَع)
(وكانوا إذا هَمُّوا بإحدى هَنَاتِهم ... حسَرتُ لهم رأسي فلا أتقنّع)
ومن نادر شعره قوله لهشام
(فإن تك قد مَلِلتَ القربَ منّي ... فسوف تَرى مُجانبتي وبعدي)
(وسوف تلوم نفسَك إن بقِينا ... وتبلو الناسَ والأحوال بعدي)
(فتندمُ في الذي فرّطتَ فيه ... إذا قايستَ في ذمّي وحمدي)
أخبرني الحسين بن يحيى قال حدثنا ابن مهرويه وعبد الله بن عمرو بن أبي سعد قالا حدثنا عبد الله بن أحمد بن الحارث القرشي قال حدثنا محمد ابن عائذ قال حدثني الهيثم بن عمران قال سمعته يقول لما بويع الوليد سمعته على المنبر يقول بدمشق
(ضمِنتُ لكم إن لم تَرُعْني منيّتي ... بأنّ سماء الضرّ عنكم ستُقلِع)
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني عيسى ابن عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبي طالب رضي الله عنه قال لما ولي الوليد بن يزيد كتب إلى أهل المدينة والشعر له
(مُحَرَّمُكُم ديوانُكم وعطاؤكم ... به يكتب الكتّاب والكُتْب تُطبَعُ)
(ضمِنت لكم إن لم تصابوا بمهجتي ... بأنّ سماء الضرّ عنكم ستُقلِع)
وأول هذه الأبيات
(ألاَ أيّها الركب المُخِبّون أبلِغوا ... سلاميَ سُكّانَ البلاد فأسمعوا)
((وقولوا أتاكم أشبهُ الناس سنّةً ... بوالده فاستبشِروا وتوقّعوا
(سيُوشِك إلحاقٌ بكم وزيادة ... وأعطِيةٌ تأتي تِباعاً فتُشْفَع)
وكان سبب مكاتبته أهل الحرمين بذلك أن هشاما لما خرج عليه زيد بن علي رضي الله عنه منع أهل مكة وأهل المدينة أعطياتهم سنة
فقال حمزة ابن بيض يرد على الوليد لمّا فعل خلاف ما قال
(وصلتَ سماءَ الضرّ بالضرّ بعد ما ... زَعمتَ سماءَ الضرّ عنّا ستُقلِع)
(فليت هشاماً كان حيًّا يسوسنا ... وكنّا كما كنا نُرجِّي ونطمع)
أخبرني أحمد قال حدثني عمر بن شبة قال روى جرير بن حازم عن الفضل بن سويد قال بعث الوليد بن يزيد إلى جماعة من أ هله لما ولي الخلافة فقال أتدرون لم دعوتكم قالوا لا قال ليقل قائلكم فقال رجل منهم أردت يا أمير المؤمنين أن ترينا ما جدد الله لك من نعمته وإحسانه فقال نعم ولكني
(أشهِد الله والملائكةَ الأبرار ... والعابدين أهلَ الصلاح)
(أنني أشتهي السَّماع وشربَ الكأس ... والعضِ للخدود الملاح)
(والنديمَ الكريم والخادمَ الفارهَ ... يسعى عليّ بالأقداح)
قوموا إذا شئتم
الوليد يبتاع الجواري ويجيز المادحين
أخبرني إسماعيل بن يونس وأحمد بن عبد العزيز قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق قال عرضت على الوليد بن

يزيد جارية صفراء كوفية مولدة يقال لها سعاد فقال لها أي شيء تحسنين فقالت أنا مغنية فقال لها غنيني فغنت
صوت
(لولا الذي حُمّلتُ من حبّكم ... لكان في إظهارهِ مَخْرَجُ)
(أو مذهبٌ في الأرض ذو فسحةٍ ... أجَلْ ومن حجَّت له مَذْحِجُ)
(لكن سباني منكُم شادنٌ ... مُرَبَّبٌ ذو غُنّة أدعجُ)
(أغرُّ مَمكورٌ هَضِيمُ الحَشَى ... قد ضاق عنه الحَجْل والدُّمْلُجُ)
الشعر للحارث بن خالد
والغناء لابن سريج خفيف رمل بالبنصر وفيه لدحمان هزج بالوسطى وذكر الهشامي أن الهزج ليحيى المكي فطرب طرباً شديداً وقال يا غلام اسقني فسقاه عشرين قدحا وهو يستعيدها ثم قال لها لمن هذا الشعر قالت للحارث بن خالد قال وممن أخذتيه
قالت من حنين قال وأين لقيته قالت ربيت بالعراق وكان أهلي يجيئون به فيطارحني فدعا صاحبه فقال اذهب فابتعها بما بلغت ولا تراجعني في ثمنها ففعل ولم تزل عنده حظية
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني عبيد الله بن عمار قال حدثني عبيد الله بن أحمد بن الحارث القرشي قال حدثنا العباس بن الوليد قال حدثنا ضمرة قال خرج عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام يوما إلى بعض الديارات فنزل فيه وهو وال على الرملة فسأل صاحب الدير هل نزل بك أحد من بني أمية قال نعم نزل بي الوليد بن يزيد ومحمد بن سليمان بن عبد الملك قال فأي شيء صنعا قال شربا في ذلك الموضع ولقد رأيتهما شربا في آنيتهما ثم قال أحدهما لصاحبه هلمَّ نشرب هذا الجرن وأومأ إلى جرنٍ عظيم من رخام قال أفعل فلم يزالا يتعاطيانه بينهما ويشربان به حتى ثملا فقال عبد الوهاب لمولى له أسود هاته
قال ضمرة وقد رأيته وكان يوصف بالشدة فذهب يحركه فلم يقدر
فقال الراهب والله لقد رأيتهما يتعاطيانه وكل واحد منهما يملؤه لصاحبه فيرفعه ويشربه غير مكترث
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو غسان محمد بن يحيى قال وفد سعد بن مرة بن جبير مولى آل كثير بن الصلت وكان شاعرا على الوليد بن يزيد فعرض له في يوم من أيام الربيع وقد خرج إلى متنزه له فصاح به يا أمير المؤمنين وافدك وزائرك ومؤملك فتبادر الحرس إليه ليصدوه عنه فقال دعوه ادن إلي فدنا إليه فقال من أنت قال أنا رجل من أهل الحجاز شاعر قال تريد ماذا قال تسمع مني أربعة أبيات قال هات
صوت
شِمْنَ المَخَايِلَ نحوَ أرضِك بالحيَا ... ولَقِين ركباناً بعُرْفكِ قُفّلا) قال ثم مه قال)
فعمَدن نحوكَ لم يُنَخْن لحاجة ... إلاّ وقوعَ الطير حتى تَرْحلا) قال إن هذا السير حثيث ثم ماذا قال)
يعمِدن نحو مُوطِّيءٍ حجراتِه ... كَرَماً ولم تعدِل بذلك مَعْدِلا) قال فقد وصلت إليه فمه قال)
لاحت لها نيرانُ حَيَّيْ قَسْطَلٍ ... فأخترن نارَك في المنازل منزلا) قال فهل غير هذا قال لا قال أنْجحتْ وفادتُك ووجبت ضيافتك أعطوه أربعة آلاف دينار فقبضها ورحل
الغناء لابن عائشة ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو والهشامي
أخبار عن الوليد وزوجته
رجعت الرواية إلى حديث المدائني قال لما قدم العباس بن الوليد لإحصاء ما في خزائن هشام وولده سوى مسلمة بن هشام فإنه كان كثيرا ما يكف أباه عن الوليد ويكلمه فيه ألا يعرض له ولا يدخل منزله
وكانت عند مسلمة أم سلمة بنت يعقوب المخزومية وكان مسلمة يشرب
فلما قدم العباس لإحصاء ما كتب إليه الوليد كتبت إليه أم سلمة ما يفيق من الشراب ولا يهتم بشيء مما فيه إخوته ولا بموت أبيه
فلما راح مسلمة بن هشام إلى العباس قال له يا مسلمة كان أبوك يرشحك للخلافة ونحن نرجوك لما بلغني عنك وأنبه وعاتبه على الشراب فأنكر مسلمة ذلك وقال من أخبرك بهذا قال كتبت إلي به أم سلمة فطلقها في ذلك المجلس فخرجت إلى فلسطين وبها كانت تنزل وتزوجها أبو العباس السفاح هناك
وسلمى التي عناها الوليد هناك هي سلمى بنت سعيد بن خالد بن عمرو ابن عثمان بن عفان وأمها أم عمرو بنت مروان بن الحكم وأمها بنت عمر ابن أبي ربيعة المخزومي
فأخبرني محمد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلام وعن المدائني عن جويرية بن أسماء أن يزيد بن عبد الملك كان خرج إلى قرين متبديا به وكان هناك قصر لسعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان وكانت بنته أم عبد الملك واسمها سعدة تحت الوليد بن يزيد فمرض سعيد في ذلك الوقت وجاءه الوليد عائدا فدخل فلمح سلمى بنت سعيد أخت زوجته وسترها حواضنها وأختها
فقامت ففرعتهن طولا فوقعت بقلب الوليد
فلما مات أبوه طلق أم عبد الملك زوجته وخطب سلمى إلى أبيها وكانت لها أخت يقال لها أم عثمان تحت هشام بن عبد الملك فبعثت إلى أبيها وقيل بعث إليه هشام أتريد أن تستفحل الوليد لبناتك يطلق هذه وينكح هذه فلم يزوجه سعيد ورده أقبح رد
وهويها الوليد ورام السلو عنها فلم يسل وكان يقول العجب لسعيد خطبت إليه فردني ولو قد مات هشام ووليت لزوجني وهي طالق ثلاثا إن تزوجتها حينئذ وإن كنت أهواها
فيقال إنه لما طلق سعدة ندم على ذلك وغمه وكان لها من قلبه محل ولم تحصل له سلمى فاهتم لذلك وجزع وراسل سعدة وقد كانت زوجت غيره فلم ينتفع بذلك
فأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري والحسن بن علي قالا حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا أبو مسلم عبد الرحمن بن الجهم قال حدثنا المدائني قال بعث الوليد بن يزيد إلى أشعب بعد ما طلق امرأته فقال يا أشعب لك عندي عشرة آلاف درهم على أن تبلغ رسالتي سعدة فقال أحضر العشرة الآلاف الدرهم حتى أنظر إليها فأحضرها الوليد فوضعها أشعب على عنقه وقال هات رسالتك قال قل لها يقول لك أمير المؤمنين
(أسعْدةُ هل إليكِ لنا سبيلٌ ... وهل حتى القيامةِ من تَلاَقي)

(بَلَى ولعلّ دهراً أن يُؤاتِي ... بموت من حَليلك أو طلاق)
(فأُصبِحَ شامتاً وَتَقَرَّ عيني ... ويُجمعَ شملُنا بعد افتراق) فأتى أشعب الباب فأخبرت بمكانه فأمرت بفرش لها ففرشت وجلست وأذنت له
فلما دخل أنشدها ما أمره فقالت لخدمها خذوا الفاسق فقال يا سيدتي إنها بعشرة آلاف درهم
قالت والله لأقتلنك أو تبلغه كما بلغتني قال وما تهبين لي قالت بساطي الذي تحتي قال قومي عنه فقامت فطواه وجعله إلى جانبه ثم قال هات رسالتك جعلت فداك قالت قل له
(أتبكي على لُبْنَى وأنت تركتَها ... فقد ذهبتْ لبنى فما أنت صانعُ)
فأقبل أشعب فدخل على الوليد فقال هيه فأنشده البيت فقال أوه قتلتني يابن الزانية ما أنا صانع فاْختر أنت الآن ما أنت صانع يابن الزانية إما أن أُدلِّيَكَ على رأسك منكسا في بئر أو أرمي بك منكسا من فوق القصر أو أضرب رأسك بعمودي هذا ضربة هذا الذي أنا صانع فاختر أنت الآن ما أنت صانع فقال ما كنت لتفعل شيئا من ذلك قال ولم يابن الزانية قال لم تكن لتعذّب عينين نظرتا إلى سعدة قال أوه أفلت والله بهذا يابن الزانية اخرج عني
وقال الحسن في روايته إنها قالت له أنشده
(أتبكي على لُبْنى وأنت تركتها ... وأنت عليها بالمَلاَ كنتَ أقدرُ)
وفي هذه الأبيات غناء هذه نسبته
صوت
(أرى بيت لُبْنَى أصبح اليوم يُهجرُ ... وهِجرانُ لبنى يا لكَ الخيرُ مُنْكَرُ)
(فإن تكن الدنيا بِلُبْني تغيّرت ... فلِلدّهر والدنيا بطونٌ وأظْهُرُ)
(أتبكي على لُبْنَى وأنت تركتَها ... وأنت عليها بالحَرَا كنتَ أقدر)
عروضه من الطويل والشعر لقيس بن ذريح والغناء في الثاني والثالث للغريض ثقيل أول بالبنصر عن عمرو والهشامي وفيهما لعريب رمل بالبنصر وفيه لشارية خفيف رمل بالوسطى عن الهشامي
وفي الأول خفيف ثقيل مجهول
قال ابن سلام والمدائني في خبرهما وخرج الوليد بن يزيد يريد فرتنى لعله يراها فلقيه زيات معه حمار عليه زيت فقال له هل لك أن تأخذ فرسي هذا وتعطيني حمارك هذا بما عليه وتأخذ ثيابي وتعطيني ثيابك ففعل الزيات ذلك
وجاء الوليد وعليه الثياب وبين يديه الحمار يسوقه متنكرا حتى دخل قصر سعيد فنادى من يشتري الزيت فاطلع بعض الجواري فرأينه فدخلن إلى سلمى وقلن إن بالباب زياتا أشبه الناس بالوليد فاخرجي
فانظري إليه فخرجت فرأته ورآها فرجعت القهقرى وقالت هو والله الفاسق الوليد وقد رآني فقلن له لا حاجة بنا إلى زيتك فانصرف وقال
(إنني أبصرتُ شيخاً ... حسنَ الوجه مليحْ)
(ولِباسي ثوب شيخٍ ... من عِباءٍ ومُسوح)
وأبيعُ الزيت بيعاً ... خاسراً غيرَ ربيح) وقال أيضا)
(ما مِسْكٌ يُعَلُّ بزنجبيلٍ ... ولا عسلٌ بألبان اللَقاح)
(بأشهى من مُجاجة ريق سلمى ... ولا ما في الزِّقاق من القَراح)
(ولا والله لا أنسى حياتي ... وَثَاقَ الباب دوني واطِّراحي)
قال فلما ولي الخلافة أشخص إلى المغنّين فحضروه وفيهم معبدٌ وابن عائشة وذووهما
فقال لابن عائشة يا محمد إن غنيتني صوتين في نفسي فلك عندي مائة ألف درهم فغنّاه قوله
(...إنني أبصرتُ شيخاً)
وغناه
فما مسكٌ يعلّ بزنجبيل ...) الأبيات فقال الوليد ما عدوت ما في نفسي وأمر له بمائة ألف درهم وألطاف وخلع وأمر) لسائر المغنّين بدون ذلك
نسبة ما في هذا الخبر من الغناء
صوت
(فما مسكٌ يُعَلّ بزنجبيلٍ ... ولا عسلٌ بألبان اللّقاحِ)
(بأطيبَ من مُجاجة ريق سلمى ... ولا ما في الزِّقاق من القَراح)
غناه ابن عائشة ولحنه ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي وحماد بن إسحاق
الوليد يرثي زوجته سلمى
قال المدائني وابن سلام فلما طال بالوليد ما به كتب إلى أبيها سعيد
(أبا عثمان هل لكِ في صنيع ... تُصيب الرشدَ في صلتي هُدِيتا)
(فأشكرَ منك ما تُسدي وتُحيي ... أبا عثمان مَيّتةً ومَيْتا)
قالوا فلم يجبه إلى ذلك حتى ولي الخلافة فلما وليها زوجه إياها فلم يلبث إلا مدة يسيرة حتى ماتت وقال فيها ليلة زفت إليه
(خفَّ من دار جيرتي ... يابْن داود أُنْسُها) وهي طويلة وفيها مما يغنى به
(أو لا تخرج العروس ... فقد طال حبسُها)
(قد دنا الصبح أو بَدا ... وهي لم يُقضَ لُبْسها)
(برزت كالهلال في ... ليلةٍ غاب نحسُها)
بين خمس كواعبٍ ... أكرمُ الخمس جنسُها) غناءُ ابن سريج فيما ذكره حبش رمل بالبنصر أوله)
خَفَّ من دار جيرتي ...) وغناء معبد فيه خفيف ثقيل أوله)
(... ومتى تخرج العروس)
في رواية الهشامي وابن المكي
وغناء عمر الوادي في الأربعة الأبيات الأخر خفيف رمل بالبنصر عن عمرو

وذكر في النسخة الثانية ووافقه الهشامي أن فيه هزجا بالوسطى ينسب إلى حكم وإلى أبي كامل وإلى عمر
وقد أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا الأصمعي قال رأيت حكما الوادي قد تعرض للمهدي
وهو يريد الحج فوقف له في الطريق وكانت له شهرة فأخرج دفا له فنقر فيه وقال أنا أطال الله بقاءك القائل
(ومتى تخرج العروسُ ... فقد طال حبسُها)
(قد دنا الصبح أو بدا ... وهي لم يُقْضَ لُبْسُها
قال فتسرع اليه الحرس فصيح بهم وإذا هو حكم الوادي فأُدخل اليه المضرب فوصله وانصرف
نسبة أولا تخرج العروس قال الشعر للوليد بن يزيد والغناء لعمر الوادي وفيه لحنان هزج خفيف بالخنصر في مجرى البنصر
وخفيف رمل بالخنصر في مجرى البنصر جميعا عن إسحاق وذكر حكم الوادي أن الهزج له وذكر إسحاق أن لحن حكم
خفيف رمل بالخنصر في مجرى الوسطى وقال في كتاب يحيى إن هذا اللحن لعمر الوادي
وذكر الهشامي أن فيه خفيف ثقيل لمعبد ورملا لابن سريج وذكر عمرو بن بانة أن فيه للدلال خفيف ثقيل أول بالبنصر
وقال المدائني مكثت عنده سلمى أربعين يوما ثم ماتت فقال
(ألمّا تعلَما سَلْمى أقامت ... مُضَمَّنةً من الصحراء لحدا)
(لعمرك يا وليدُ لقد أجَنّوا ... بها حَسَباً ومَكرُمةً ومجدا)
(ووجهاً كان يقصُر عن مداه ... شعاعُ الشمسِ أَهْلٌ أن يُفدَّى)
(فلم أَرَ ميّتاً أبْكَى لعينٍ ... وأكثر جازِعاً وأجلَّ فقدا)
(وأجدرَ أن تكون لديه مِلْكاً ... يُريك جَلاَدةً ويُسِرّ وَجْدا)
ذكر أشعار الوليد التي قالها في سلمى وغنى المغنون فيها منها
صوت
(عرفتُ المنزلَ الخالي ... عفا من بعد أحوالِ)
(عفَاه كلُّ حَنّانٍ ... عَسُوفِ الوَبْلِ هَطّال
(لسلمى قرّةِ العين ... وبنتِ العمّ والخال)
(بذلتُ اليوم في سلمى ... خِطاراً أتلفتْ مالي)
(كأنّ الريق من فِيها ... سَحيقٌ بين جِرْيال)
غناه عمر الوادي هزجا بالوسطى عن عمرو
وذكر ابن خرداذبه أن هذا اللحن للوليد بن يزيد وفيه رَمَلٌ ذكر الهشامي أنه لابن سريج
ومنها وهو الصوت الذي غنّاه أبو كامل فأعطاه الوليد قلنسيته
صوت
(منازلُ قد تَحُلّ بها سليمى ... دوراسُ قد أضرّ بها السِّنونُ)
(أُمِيتُ السرَّ حفظاً يا سليمى ... إذا ما السرّ باح به الحَزُون)
غنّاه أبو كامل من الثقيل الأول وفيه لابن سريج ويقال للغريض خفيف ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي وقيل إنه لحكم
أو لعمر الوادي ومنها
صوت
(أراني قد تصابيتُ ... وقد كنت تناهيتُ)
(ولو يتركُني الحبُّ ... لقد صمت وصلّيتُ)
(إذا شئتُ تصبّرت ... ولا أصبر إن شيتُ)
(ولا والله لا يصبر ... في الدَّيْمومة الحُوت
(سليمى ليس لي صبر ... وإن رخَّصتِ لي جِيتُ)
(فقبّلتُكِ ألفين ... وفدّيت وحيّيْتُ)
(ألا أحْبِبْ بِزَوْرٍ زار ... من سلمى ببيروت)
(غزالٌ أدْعَجُ العين ... نقيُّ الجيدِ واللِّيتِ)
غناه ابن جامع في البيتين الأولين هزجا بالوسطى وغنّاه أبو كامل في الأبيات كلها على ما ذكرت بذل ولم تجنسه وغنى
حكم الوادي في الثالث والرابع والسابع والثامن خفيف رمل بالوسطى عن عمرو والهشامي ومنها
صوت
(عتِبتْ سَلْمى علينا سَفَاها ... أن سَبَبْتُ اليوم فيها أباها)
(كان حقُّ العتب يا قومُ منّي ... ليس منها كان قلبي فِداها)
(فلئن كنتُ أردتُ بقلبي ... لأبي سلمى خلافَ هواها)
(فثكِلتُ اليوم سلمى فسلمى ... ملأت أرضي معاً وسماها)
(غير أني لا أظن عدوّاً ... قد أتاها كاشحاً بأذاها)
(فلها العُتْبَى لدينا وقَلّتْ ... أبداً حتى أنال رضاها
غناه أبو كامل خفيف رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق وفيه ليحيى المكي ثقيل أول من رواية علي بن يحيى
وفيه رمل يقال إنه لابن جامع ويقال بل لحن ابن جامع خفيف رمل أيضا
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني عبد الله بن عمرو قال لقي
سعيد بن خالد الوليد بن يزيد وهو ثمل فقال له يا أبا عثمان أتردني على سلمى وكأني بك لو قد وليت الخلافة خطبتني
فلم أجبك وإن تزوجتها حينئذ فهي طالق ثلاثا فقال له سعيد إن المرء يجعل كريمته عند مثلك لحقيق بأكثر مما قلت
فأمضه الوليد وشتمه وتسامعا وافترقا
وبلغ الوليد أن سلمى جزعت لما جرى وبكت وسبت الوليد ونالت منه فقال
عتبت سلمى علينا سفاها ... أن هجوتُ اليوم فيها أباها) وذكر الأبيات وقال أيضا في ذلك
صوت
(على الدُّور التي بَلِيتُ سَفَاها ... قِفَا يا صاحبيّ فسائِلاها)

(دعتك صبابةٌ ودعاك شوق ... وأخضل دمعُ عينك مأقِياها)
(وقالت عند هجوتنا أباها ... أردتَ الصَّرمَ فانْتَدِه أنتِداها)
(أردتَ بعادَنا بهجاء شيخي ... وعندك خُلّةٌ تبغي هواها)
(فإن رضيتْ فذاك وإن تمادتْ ... فهَبْها خُطّةً بلغت مَداها)
غناه مالك بن أبي السمح خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق وللهذلي فيه ثاني ثقيل بالوسطى عن يونسٍ والهشامي وذكر حبش أن الثقيل الثاني لإسحاق يعني بقوله
أردت بعادنا بهجاء شيخي ...) أنه كان هجا سعيد بن خالد فقال
(ومن يك مفتاحاً لخير يريده ... فإنك قُفْلٌ يا سعيد بن خالد)
قال المدائني لما غضبت سلمى من هجائه أباها قال يعتذر إليه بقوله
(ألا أبْلِغْ أبا عثمانِ ... عِذْرَةَ مُعْتِبٍ أسفا)
(فلستُ كمن يودّك باللسان ... ويكثر الحَلِفا)
(عَتِبتَ عليّ في أشياء ... كانت بيننا سَرَفَا)
(فلا تُشمِتْ بي الأعداءَ ... والجيرانَ ملتهفا)
(تودّ لَوَ انّني لحمٌ ... رأته الطير فاختُطفا)
ولا ترفعْ به رأسا ... عفا الرحمن ما سَلَفا) ومنها وهو من سخيف شعره)
صوت
(خبَّروني أن سلمى ... خرجتْ يوم المُصَلَّى)
(فإذا طيرٌ مليح ... فوق غصن يتفلّى)
(قلتُ من يعرف سلمى ... قال ها ثم تعلّى)
(قلت يا طير اذنُ منّي ... قال ها ثم تدلّي)
(قلت هل أبصرتَ سلمى ... قال لا ثم تولّى)
(فنَكا في القلب كَلماً ... باطناً ثم تعلّى)
فيه ثقيل أول بالبنصر مطلق ذكر الهشامي أنه لأبي كامل ولعمر الوادي وذكر حبش أنه لدحمان ومنها
صوت
(اسقِني يأبن سالم قد أنارا ... كوكبُ الصبح وانجلى واستنارا)
(اسقِني من سُلاف ريق سليمى ... وأسق هذا النديمَ كأساً عُقارا)
غنّاه ابن قندح ثاني ثقيل بالوسطى من رواية حبش
أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدثني عمي عبيد الله قال
حدثني أبي أن المأمون قال لمن حضره من جلسائه أنشدوني بيتا لملك يدل البيت وإن لم يعرف قائله أنه شعر ملك فأنشده بعضهم قول امرىء القيس
(أمِن أجل أعرابيّة حلّ أهلُها ... جَنُوبَ المَلاَ عيناكَ تَبْتدِرانِ)
قال وما في هذا مما يدل على ملكه قد يجوز أن يقول هذا سوقة من أهل الحضر فكأنه يؤنب نفسه على التعلق بأعرابية ثم قال الشعر الذي يدل على أن قائله ملك قول الوليد
اسقِني من سُلاف ريق سليمى ... وأسق هذا النديمَ كأساً عقارا) أما ترى إلى إشارته في قوله هذا النديم وأنها إشارة ملك
ومثل قوله
ليَ المحضُ من ودّهم ... ويغمُرهم نائلي) وهذا قول من يقدر بالملك على طويات الرجال يبذل المعروف لهم ويمكنه استخلاصها لنفسه وفي هذا البيت مع أبيات قبله غناءٌ وهو قوله
صوت
(سقَيْتُ أبا كاملٍ ... من الأصفر البابلي)
(وسقَّيتُها معبداً ... وكلَّ فتى بازل)
(لي المحضُ من ودّهم ... ويغمُرهم نائلي)
(فما لامني فيهمُ ... سوى حاسدٍ جاهل) غناه أبو كامل ثقيلا أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر ومنها وهو من مُلح شعره
صوت
(أراني اللهُ يا سلمى حياتي ... وفي يوم الحساب كما أراك)
(ألاَ تَجْزِين مَنْ تيّمتِ عصراً ... ومن لو تطلبين لقد قضاكِ)
(ومَنْ لو متِّ مات ولا تموتي ... ولو أُنسي له أجلٌ بكاك)
(ومَنْ حقّا لَوُ أُعْطِي ما تمنّى ... من الدنيا العريضة ما عداك)
(ومَنْ لو قلتِ مُتْ فأطاق موتاً ... إذاً ذاق المماتَ وما عصاك)
(أثِيبي عاشقاً كَلِفاً مُعنَّى ... إذا خدِرت له رجلٌ دعاك)
كانت العرب تقول إن الإنسان إذا خدِرت قدمه دعا باسم أحب الناس اليه فسكنت في الخبر أن رجل عبد الله بن عمر خدرت فقيل له ادع باسم أحب الناس اليك فقال يا رسول الله
ذكر يونس أن في هذه الأبيات لحنا لسنان الكاتب وذكرت دنانير أنه لحكم ولم تجنسه ومنها
صوت
(وَيْحَ سَلْمى لو تَراني ... لعَنَاها ما عَناني)
((متلِفاً في اللهو مالي ... عاشقاً حُورَ القِيانِ)
(إنما أحزن قلبي ... قولُ سلمى إذ أتاني)
(ولقد كنتُ زماناً ... خاليَ الذَّرْع لشاني)

(شاق قلبي وعناني ... حبُّ سلمى وبراني)
(ولَكَمْ لام نصيحٌ ... في سليمى ونهاني)
غنته فريدة خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو
وفيه ثقيل أول ينسب إلى معبد وهو فيما يذكر إسحاق يشبه غناءه وليس تعرف صحته له وذكر كثير الكبير أنه له وذكر الهشامي أنه لابن المكي وفيه لحكم هزج صحيح ومنها
صوت
(بلِّغا عنِّي سليمى ... وسلاها ليَ عمّا)
(فعلتْ في شأن صبٍّ ... دَنِفٍ أُشْعِر هَمّا)
(ولقد قلت لسلمى ... إذ قتلتُ البين علما)
(أنتِ همِّي يا سليمى ... قد قضاه الربُّ حتما)
(نزلت في القلب قَسراً ... منزلاً قد كان يُحمى)
غنّاه حكم خفيف ثقيل ولعمر الوادي فيه خفيف رمل بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق ومنها
صوت
(يا سُلَيْمَى يا سليمى ... كنتِ للقلب عذابا)
(يا سليمى ابنةَ عمّي ... بَرد الليلُ وطابا)
((أيُّما واشٍ وشَى بي ... فاملئي فاهُ ترابا)
(ريقُها في الصبح مسك ... باشَر العذْب الرُّضابا)
غناه عمر الوادي هزجا بالبنصر عن الهشامي وذكر ابن المكي أنه لمعان
وفي كتاب إبراهيم أنه لعطرّد ومنها
صوت
(أسَلْمى تلك حُيِّيتِ ... قِفِي نُخْبِرْكِ إن شيت)
(وقِيلِي ساعةً نَشْكُ ... إليك الحبَّ أو بيتي)
(فما صهباءُ لم تُكْسَ ... قَذًى من خمر بيروت)
ثَوَتْ في الدَّنّ أعواماً ... خَتيماً عند حانوت) غناه عمر الوادي ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو ومنها)
صوت
(يا مَن لقلب في الهوى مُتشعِّبٍ ... بل مَنْ لقلب بالحبيب عميدِ)
(سَلْمى هواه ليس يعرف غيرَها ... دون الطَّريف ودون كلِّ تليد)
(إن القرابة والسعادة ألّفا ... بين الوليد وبين بنت سعيد)
((يا قلب كم كلِف الفؤادُ بغادةٍ ... ممْكورةٍ ريَّا العظام خريد
غناه عمر الوادي رملا بالبنصر عن عمرو ومنها
صوت
(قد تمنَّى معشرٌ إذ أُطربوا ... من عُقَار وسَوَامٍ وذَهَبْ)
(ثم قالوا لي تَمَنَّ واستمِعْ ... كيف ننحو في الأماني والطلبْ)
(فتمنّيتُ سليمى إنها ... بنت عمّي من لَهَامِيم العربْ)
فيه للهذلي خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو
وذكر الهشامي أن هذا الخفيف الثقيل لخالد صامة
وذكر ابن المكي أن فيه لمالك ثاني ثقيل بالوسطى ومنها
صوت
(هل إلى أمِّ سعيدٍ ... من رسول أو سبيل)
(ناصِحٍ يُخبِر أنّي ... حافظٌ وُدَّ خليل)
(يَبذُل الودَّ لغيري ... وأكافِي بالجميل)
((لستُ أرضى لخليلي ... من وصالي بالقليل
غناه عمر الوادي هزجا خفيفا بالسبابة في مجرى الوسطى ومنها
صوت
(طاف من سلمى خيالٌ ... بعد ما نِمتُ فهاجا)
(قلت عُجْ نحوي أسائِلْك ... عن الحبّ فعاجا)
(يا خليلي يا نديمي ... قم فأُنفِثْ لي سراجا)
(بفلاةٍ ليس تُرعَى ... أنبتَتْ شيحاً وحاجا)
غناه عمر الوادي ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو ولابن سريج فيه خفيف رمل بالوسطى عن حبش ... ولأبي سلمى المدني ثقيل أول عن ابن خرداذبه ومنها
صوت
(أمَّ سَلاّمٍ أثيبي عاشقاً ... يعلم اللهُ يقيناً ربُّه)
(أنّكم من عَيْشِه في نفسه ... يا سليمى فاعلَميه حَسْبُه)
(فارحميه إنه يَهْذِي بكم ... هائمٌ صبٌّ قَدَ اوْدَى قلبه)
(أنتِ لو كنت له راحمةً ... لم يُكدِّر يا سليمى شِربُه)
غناه حكم رملا بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وذكر عمرو بن بانة أن فيه لابن سريج رملا بالوسطى ومنها
صوت
(ربّ بيتٍ كأنه متن سهم ... سوف نأتيه من قُرى بيروتِ)

(مِن بلادٍ ليست لنا ببلاد ... كلما جئت نحوها حُييتِ)
(أمَّ سلاّمَ لا بَرِحْتِ بخير ... ثم لا زلتِ جنّتي ما حَييتِ)
(طرباً نحوكم وتَوْقاً وشوقاً ... لادّكاريكمُ وطيبِ المبيتِ)
(حيثما كنتِ من بلاد وسرتم ... فوقاك الإله ما قد خَشِيتِ)
في البيت الأول والثاني لابن عائشة ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن الهشامي وذكر غيره أنه لإبراهيم
وفي الثالث وما بعده والثاني لابن عائشة أيضا رمل بالوسطى ولابن سريج خفيف رمل بالبنصر وقيل إن الرمل لعمر
الوادي وهو أن يكون له أشبه ومنها
صوت
(طَرَقَتْني وصِحابي هُجُوعٌ ... ظبيةٌ أدْماءُ مثلُ الهلالِ)
(مثلُ قرن الشمس لما تبدّت ... واستقلت في رؤوس الجبال)
(تقطع الأهوالَ نحوي وكانت ... عندنا سلمى ألُوفَ الحِجال)
(كم أجازت نحوَنا من بلاد ... وَحْشةٍ قَتّالةٍ للرجال)
لابن محرز فيه ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق في الثاني والثالث
ولابن سريج في الأول وما بعده خفيف ثقيل بالوسطى عن
عمرو
وفيه لحن لابن عائشة ذكر الهشامي أنه رمل بالوسطى وفيه خفيف رمل ينسب إلى ابن سريج وعمر الوادي ومنها
صوت
(أنا الوليدُ الإمامُ مفتخِراً ... أُنْعِم بالي وأتْبَع الغَزَلا)
(أهوَى سلَيمى وهي تصرمني ... وليس حقّاً جفاء من وصلا)
(أسحَب بُرْدي إلى منازلها ... ولا أبالي مقالَ من عذَلا)
غنى فيه أبو كامل رملا بالبنصر وغنى عمر الوادي فيه خفيف رمل بالوسطى ويقال إن هذا اللحن للوليد
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال قال الوليد على لسان سلمى
صوت
(إقْرَ منّي على الوليد السلاما ... عددَ النجم قلّ ذا للوليدِ)
(حسداً ما حسدَتْ أختي عليه ... ربُّنا بيننا وبين سعيد)
غناه الهذلي خفيف ثقيل أول بالوسطى عن ابن المكي
حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا خالد بن النضر القرشي
بالبصرة قال حدثنا أبو حاتم السّجستاني قال حدثنا العتبيّ قال كانت للوليد بني يزيد جارية يقال لها صدوف فغاضبها ثم
لم يطعه قلبه فجعل يتسبب لصلحها فدخل عليه رجل قرشي من أهل المدينة فكلمه في حاجة وقد عرف خبره فبرم به
فأنشده
(أعَتَبْتَ أن عتبتْ عليك صَدُوفُ ... وعتابُ مثلِك مثلَها تشريف)
(لا تَقعُدَنّ تلوم نفسك دائما ... فيها وأنت بحبّها مشغوف)
(إن القطيعة لا يقوم لمثلها ... إلا القويّ ومن يحبّ ضعيف)
الحبّ أملَكُ بالفتى من نفسه ... والذلّ فيه مَسلَك مألوف) قال فضحك وجعل ذلك سببا لصلحها وأمر بقضاء حوائج)
القرشي كلها
الوليد يستقدم حماد الراوية
أخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن الحارث عن المدائني قال قال حماد الراوية استدعاني الوليد بن يزيد وأمر لي
بألفين لنفقتي وألفين لعيالي فقدمت عليه فلما دخلت داره قال لي الخدم أمير المؤمنين من خلف الستارة الحمراء
فسلمت بالخلافة فقال لي يا حماد قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال ثم ثاروا فلم أدر ما يعنى فقال ويحك يا حماد ثم ثاروا
فقلت في نفسي راوية أهل العراق لا يدري عما يسأل ثم انتبهت فقلت
((ثم ثاروا إلى الصَّبوح فقامت ... قَيْنةٌ في يمينها إبريقُ
(قدّمتْه على عُقار كعين الدّيك ... صفَّى سُلافَها الرّاووق)
(ثم فُضّ الخِتامُ عن حاجب الدّنّ ... وقامت لَدَى اليهوديّ سُوق)
(فسباها منه أشمُّ عزيز ... أريحيٌّ غذَاه عيش رقيق)
الشعر لعدي بن زيد والغناء لحنين خفيف ثقيل أول بالبنصر ... وفيه لمالك خفيف رمل ولعبد الله بن العباس الربيعي رمل
كل ذلك عن الهشامي قال فإذا جارية قد أخرجت كفا لطيفة من تحت الستر في يدها قدح والله ما أدري أيهما أحسن
الكف أم القدح فقال رديه فما أنصفناه تغدينا ولم نغده فأتيت بالغداء وحضر أبو كامل مولاه فغناه
صوت
(أَدِرِ الكأسَ يمينا ... لا تُدِرْها ليَسار)
(اِسقِ هذا ثم هذا ... صاحبَ العُود النُّضار)
((من كُمَيْت عتَّقوها ... منذُ دهر في جِرَار
(خَتموها بالأفَاويه ... وكافورٍ وقار)
(فلقد أيقنت أنّي ... غيرُ مبعوث لنار)
(سأروض الناسَ حتى ... يركبوا أيْرَ الحمار)
(وذَرُوا من يطلب الجنة ... يَسعى لتَبَار)
فيه هزجان بالوسطى والبنصر لعمر الوادي وأبي كامل فطرب وبرز إلينا وعليه غلالة موردة وشرب حتى سكر
فأقمت عنده مدة ثم أذن بالإنصراف وكتب لي إلى عامله بالعراق بعشرة آلاف درهم
الوليد إذا تهتّك
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني قال لما ولي الوليد بن يزيد لهج بالغناء والشراب

والصيد وحمل المغنين من المدينة وغيرها إليه وأرسل إلى أشعب فجاء به فألبسه سراويل من جلد قرد له ذنب وقال له ارقص وغنني شعرا يعجبني فإن فعلت فلك ألف درهم فغناه فأعجبه فأعطاه ألف درهم
ودخل إليه يوما فلما رآه الوليد كشف عن أيره وهو منعظ قال أشعب فرأيته كأنه مزمار آبنوس مدهون فقال لي أرأيت مثله قط قلت لا يا سيدي قال فاسجد له فسجدت ثلاثا فقال ما هذا قلت واحدة
لأيْرك وثنتين لخصيتيك قال فضحك وأمر لي بجائزة
قال وتكلم بعض جلسائه والمغنية تغني فكره ذلك وأضجره فقال لبعض جلسائه قم فنكه فقام فناكه والناس حضور وهو يضحك
وذكرت جارية أنه واقعها يوما وهو سكران فلما تنحى عنها آذنه المؤذن بالصلاة فحلف ألا يصلي بالناس غيرها فخرجت متلثمة فصلت بالناس
قال ونزل على غدير ماء فاستحسنه فلما سكر حلف ألا يبرح حتى يشرب ذلك الغدير كله ونام فأمر العلاء بن البندار بالقرب والروايا فأحضرت فجعل ينزحه ويصبه على الأرض والكثب التي حولهم حتى لم يبق فيه شيء فلما أصبح الوليد رآه قد نشف فطرب وقال أنا أبو العباس ارتحلوا فارتحل الناس
نسخت من كتاب الحسين بن فهم قال النضر بن حديد حدثني ابن أبي جناح قال أخبرني عمر بن جبلة أن الوليد بن يزيد بات عند امرأة وعدته المبيت فقال حين انصرف
(قامت اليَّ بتقبيل تعانقني ... ريَّا العظام كأن المسك في فيها)
(أُدخل فديتُك لا يشعُرْ بنا أحد ... نفسي لنفسك من داء تُفدِّيها)
(تبنا كذلك لا نومٌ على سُرُرٍ ... من شدّة الوجد تُدْنيني وأُدنِيها)
((حتى إذا ما بدا الخَيطان قلت لها ... حان الفِراقُ فكاد الحزن يُشجيها
(ثم انصرفتُ ولم يشعر بنا أحدٌ ... واللهُ عنّي بحسن الفعل يَجْزيها)
وحدثني النضر بن حديد قال حدثنا هشام بن الكلبي عن خالد بن سعيد قال مر الوليد بن يزيد وهو متصيد بنسوة من بني كلب من بني المنجاب فوقف عليهن واستسقاهن وحدثهن وأمر لهن بصلة ثم مضى وهو يقول
(ولقد مررتُ بنسوْة أعشينَني ... حُور المدامع من بنس المِنْجاب)
(فيهنّ خَرْعبةٌ مليح دلُّها ... غَرْثَى الوشاح دقيقة الأنيابِ)
زَيْنُ الحواضر ما ثَوَتْ في حَضْرها ... وتزين باديَها من الأعراب) قال النضر وحدثني ابن الكلبي عن أبيه أن الوليد خرج) يتصيد ذات يوم فصادت كلابه غزالا فأُتي به فقال خلّوه فما رأيت أشبه منه جيدا وعينين بسلمى ثم أنشأ يقول
(ولقد صِدْنا غزالاً سانحاً ... قد أردنا ذبحه لما سَنَحْ)
(فإذا شِبْهُك ما نُنكره ... حين أزجى طَرْفه ثم لمَح)
(فتركناه ولولا حبُّكم ... فاعلمي ذاك لقد كان انذبح)
(أنتَ يا ظبيُ طليقٌ آمِن ... فاغْدُفي الغِزْلانِ مسروراً وَرُحْ)
نسخت من كتاب الحسين بن فهم قال أخبرني عمرو عن أبيه عن عمرو ابن واقد الدمشقي قال
بعث الوليد بن يزيد إلى شراعة بن الزندبوذ فلما قدم عليه قال يا شراعة إني لم أستحضرك لأسألك عن العلم ولا لأستفتيك في الفقه ولا لتحدثني ولا لتقرئني القرآن قال لو سألتني عن هذا لوجدتني فيه حمارا قال فكيف علمك بالفتوّة قال ابن بجدتها وعلى الخبير بها سقطت فسل عما شئت
قال فكيف علمك بالأشربة قال ليسألني أمير المؤمنين عما أحب قال ما قولك في الماء قال هو الحياة ويشركني فيه الحمار قال فاللبن قال ما رأيته قط إلا ذكرت أمي فاستحييت قال فالخمر قال تلك السارة البارة وشراب أهل الجنة قال لله درك فأي شيء أحسن ما يشرب عليه قال عجبت لمن قدر أن يشرب على وجه السماء في كن من الحر والقر كيف يختار عليها شيئا
قصة الوليد والمصحف
قال وأخبرنا عمرو عن أبيه عن يحيى بن سليم قال دعا الوليد بن يزيد ذات ليلة بمصحف فلما فتحه وافق ورقة فيها (وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ . مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ) فقال أسجعا سجعا علقوه ثم أخذ القوس والنبل فرماه حتى مزقه ثم قال
((أتُوعِد كلَّ جبّار عنيدٍ ... فها أنا ذاك جبار عنيدُ
إذا لاقيتَ ربَّك يوم حشر ... فقل لله مزّقني الوليد) قال فما لبث بعد ذلك إلا يسيرا حتى قتل)
أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق ابن إبراهيم قال حدثني معاوية بن بكر عن يعقوب بن عياش المروزي من أهل ذي المروة أن أباه حمل عدة جوار إلى الوليد بن يزيد فدخل اليه وعنده أخوه عبد الجبار وكان حسن الوجه والشعرة وفيها فأمر الوليد جارية منهن أن تغني
لو كنتَ من هاشم أو من بني أسد ... أو عبد شمس أو أصحاب اللّوا الصِّيدِ) وأمرها أخوه أن تغني)
أتعجَبُ أن طربتُ لصوت حادٍ ... حدا بُزْلاً يَسِرْنَ ببطن وادِ) فغنت ما أمرها به الغمر فغضب الوليد واحمر وجهه وظن أنها) فعلت ذلك ميلا إلى أخيه وعرفت الشر في وجهه فاندفعت فغنت
صوت
(أيها العاتبُ الذي خاف هجري ... وبعادي وما عَمَدْتُ لذاكا)
(أتُرى أنّني بغيرك صبٌّ ... جعل الله من تظنّ فداكا)
(أنت كنت الملولَ في غير شيء ... بئس ما قلت ليس ذاك كذاكا)
(ولَو انّ الذي عتبتَ عليه ... خُيّر الناسَ واحداً ما عداكا)
(فارْضَ عنّي جُعلتُ نعليك إنّي ... والعظيم الجليل أهوى رضاكا)
الشعر لعمر والغناء لمعبد من روايتي يونس وإسحاق ولحنه من خفيف الثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر
وذكر حماد في أخبار ابن عائشة أن له فيه لحنا قال فسري عن الوليد وقال لها ما منعك أن تغني ما دعوتك إليه قالت لم أكن أحسنه وكنت أحسن الصوت الذي سألنيه أخذته من ابن عائشة فلما تبينت غضبك غنيت هذا الصوت وكنت أخذته من معبد

تعني الذي اعتذرت به إليه
نسبة ما في هذا الخبر من الغناء
صوت
(لو كنتَ من هاشم أو من بني أسد ... أو عبد شمس أو أصحاب اللّوا الصِّيدِ)
(أو من بني نوَفْلٍ أو آل مُطّلِبٍ ... أو من بني جُمَحَ الخُضْرِ الجَلاَعِيدِ)
(أو من بني زُهْرَةَ الأبطالِ قد عُرفوا ... لله درُّك لم تَهْمُمْ بتهديد)
الشعر لحسان بن ثابت يقوله لمسافع بن عياض أحد بني تيم بن مرة وخبره يذكر بعد هذا
والغناء لابن سريج خفيف رمل بالخنصر وقيل إنه لمالك ومنها
صوت
(أتعجَب أن طربتُ لصوت حادٍ ... حدا بُزْلاً يَسِرْنَ ببطن وادِ)
فلا تعجَبْ فإن الحبّ أمسى ... لبثْنة في السَّواد من الفؤاد) الشعر لجميل والغناء لابن عائشة رمل بالبنصر)
ولع الوليد بغناء الجواري
أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم قال عرضت على الوليد بن يزيد جارية مغنية فقال لها غني فغنت
صوت
(لولا الذي حُمِّلتُ من حُبّكم ... لكان من إظهاره مَخْرجُ)
(أو مذهبٌ في الأرض ذو فسحةٍ ... أجَلْ ومن حجّتْ له مَذْحِجُ)
(لكن سياني منهم شادنٌ ... مربَّبٌ بينهم أدْعَجُ)
أغرُّ ممكورٌ هضيمُ الحشى ... قد ضاق عنه الحجْل والدُّمْلُج) فقال لها الوليد لمن هذا الشعر قالت للوليد بن يزيد)
المخزومي قال فممن أخذت الغناء قالت من حنين فقال أعيديه فأعادته فأجادت فطرب الوليد ونعر وقال أحسنت وأبي وجمعت كل ما يحتاج إليه في غنائك وأمر بابتياعها وحظيت عنده
غنى في هذا الصوت ابن سريج ولحنه رمل بالبنصر
وغنى فيه إسحاق فيما ذكر الهشامي خفيف ثقيل ومما يغنى به من هذه القصيدة
صوت
(قد صرّح القوم وما لَجْلَجُوا ... لَجُّوا علينا ليت لم يَلْجَجُوا)
(باتوا وفيهم كالمهَا طَفْلَةٌ ... قد زانها الخلخال والدُّمْلُج)
غناه صباح الخياط خفيف ثقيل بالبنصر وغنى فيه ابن أبي الكنات خفيف ثقيل بالوسطى
حسان يهجو مسافع بن عياض
فأما خبر الشعر الذي قاله حسان بن ثابت لمسافع بن عياض أحد بني تيم بن مرة فأخبرني به الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا عثمان بن عبد الرحمن
أن عبيد الله بن معمر وعبد الله بن عامر بن كريز اشتريا من عمر ابن الخطاب رضي الله عنه رقيقا ممن سبي ففضل عليهما ثمانون ألف درهم فأمر بهما عمر أن يلزما فمر بهما طلحة بن عبيد الله وهو يريد الصلاة في مسجد رسول الله ما لابن معمر يلازم فأخبر خبره فأمر له بالأربعين ألفا التي عليه تقضى عنه فقال ابن معمر لابن عامر إنها إن قضيت عني بقيت ملازما وإن قضيت عنك لم يتركني طلحة حتى يقضي عني فدفع إليه الأربعين ألف درهم فقضاها ابن عامر عن نفسه وخليت سبيله
فمر طلحة منصرفا من الصلاة فوجد ابن معمر يلازم فقال ما لابن معمر ألم آمر بالقضاء عنه فأخبر بما صنع فقال أما ابن معمر فعلم أن له ابن عم لا يسلمه إحملوا عنه أربعين ألف درهم فاقضوها عنه ففعلوا وخلي سبيله
فقال حسان بن ثابت لمسافع بن عياض بن صخر بن عامر بن كعب ابن سعد بن تيم بن مرة
((يا آلَ تَيْم ألاَ تَنْهَوْن جاهلَكم ... قبل القِذاف بصُمٍّ كالجلاميدِ
(فنَهْنِهُوه فإنّي غير تارككم ... إن عاد ما اهتزّ ماءٌ في ثَرَى عودِ)
(لو كنتَ من هاشم أو من بني أسد ... أو عبد شمس أو اصحاب اللّوا الصِّيد)
(أو من بني نوفل أو آل مُطّلِبٍ ... أو من بني جُمَحَ الخُضْرِ الجَلاَعيد)
(أو من بني زُهْرَةَ الأبطال قد عُرفواً ... لله درُّك لم تَهْمُمْ بتهديد)
(أو في الذُّوابة من تَيْمٍ إذا انتَسبوا ... أو من بني الحارث البيض الأماجيد)
لكن سأصرفها عنكم وأعدلُها ... لطلحةَ بن عبيد الله ذي الجود) رجع الخبر إلى سياقة أخبار الوليد)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن عمرو قال قال الهيثم حدثني ابن عياش قال دخل أبو الأقرع علي الوليد بن يزيد فقال له أنشدني قولك في الخمر فأنشده قوله
(كُميْتٌ إذا شجّتْ وفي الكأس وَرْدةٌ ... لها في عظام الشاربين دبيبُ)
تُريك القَذَى من دونها وهي دونه ... لوجه أخيها في الإناء قُطُوب) فقال الوليد شربتها يا أبا الأقرع ورب الكعبة يا أمير)
المؤمنين
لئن كان نعتي له رابك لقد رابني معرفتك بها
أخبرني الحسن قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني عبد الله بن عمرو قال قال المدائني نظر الوليد بن يزيد إلى أم حبيب بنت عبد الرحمن بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف وقد مروا بين يديها بالشمع ليلا فلما رآها أعجبته وراعه جمالها وحسنها فسأل عنها فقيل له إن لها زوجا فأنشأ يقول
صوت
(إنما هاج لقلبي ... شَجْوه بعد المَشيبِ)
(نظرةٌ قد وقَرَتْ في القلب ... من أمّ حبيب)
(فإذا ما ذقتُ فاها ... ذقت عذباً ذا غُروب)
خالط الراح بمسك ... خالصٍ غير مشوب) غناه ابن محرز خفيف رمل بالوسطى عن الهشامي وذكر عمرو بن بانة أنه)

للأبجر وهو الصحيح

أأيقاظ أمية أم نيام

أخبرني عمي قال حدثني الكراني عن النضر بن عمرو عن العتبي قال

لما ظهرت المسودة بخراسان كتب نصر بن سيار إلى الوليد يستمده فتشاغل عنه فكتب إليه كتابا وكتب في أسفله يقول

(أرى خَلَلَ الرَّماد وَميضَ جمرٍ ... وأحْرِ بأن يكون له ضِرامُ)

(فإن النار بالعودين تُذْكى ... وإنّ الحرب مبدؤها الكلامِ)

(فقلتُ من التعجّب ليت شعري ... أأيقاظٌ أُميَّةُ أم نِيامُ)

فكتب إليه الوليد قد أقطعتك خراسان فاعمل لنفسك أو دع فإني مشغول عنك بابن سريج ومعبد والغريض

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد عن ابن الصباح عن ابن الكلبي عن حماد الراوية قال دخلت يوما على الوليد وكان آخر يوم لقيته فيه فاستنشدني فأنشدته كل ضرب من شعر أهل الجاهلية والإسلام فما هش لشيء منه حتى أخذت في السخف فأنشدته لعمار ذي كناز مجنبذا

(أشتهي مِنْكِ منك منك ... مكاناً مُجَنْبذا)

(فأجَا فيه فيه فيه ... بأيْر كمثل ذا)

(ليت أيْري وحِرَك يوماً ... جميعاً تجابَذَا)

(فأخذ ذا بشعر ذا ... وأخذ ذا بقعر ذا) فضحك حتى استلقى وطرب ودعا بالشراب فشرب وجعل يستعيدني الأبيات فأعيدها حتى سكر وأمر لي بجائزة فعلمت أن أمره قد أدبر ثم أدخلت على أبي مسلم فاستنشدني فأنشدته قول الأفوه

لنا معاشرُ لم يبنوا لقومهمُ ...) فلما بلغت إلي قوله)

تُهدَى الأمورُ بأهل الرشد ما صَلَحَتْ ... وإن تولّت فبالأشرار تَنقادُ) قال أنا ذلك الذي تنقاد به الناس فأيقنت حينئذ أن) أمره مقبل

الوليد السكران يخطب الجمعة شعرا

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال وجدت في كتاب عن عبيد الله ابن سعيد الزهري عن عمر عن أبيه قال خرج الوليد بن يزيد وكان مع أصحابه على شراب فقيل له إن اليوم الجمعة فقال والله لأخطبنهم اليوم بشعر فصعد المنبر فخطب فقال

(الحمد لله وليِّ الحمدِ ... أحمدُهُ في يُسْرنا والجَهْدِ)

(وهو الذي في الكرب أستعين ... وهو الذي ليس له قرينُ)

(أشهد في الدنيا وما سواها ... أن لا إله غيره إلها)

((ما إن له في خَلْقه شَريكُ ... قد خضَعتْ لملكه الملوك

(أشهد أن الدّين دينُ أحمدِ ... فليس من خالَفه بمهتدِي)

(وأنّه رسول ربِّ العرش ... القادر الفردِ الشديدِ البطش)

(أرسله في خَلْقه نذيرا ... وبالكتاب واعظاً بشيرا)

(ليُظهرَ اللهُ بذاك الدّنيا ... وقد جُعِلْنا قبلُ مُشركينا)

(من يُطِعِ اللهَ فقد أصابا ... أو يَعْصِه أو الرسولَ خابا)

(ثم القُرانُ والهدى السبيلُ ... قد بقيا لمّا مضى الرسولُ)

(كأنّه لما بقي لديكُم ... حيٌّ صحيحٌ لا يزال فيكم)

(إنّكُم من بعدُ إن تَزِلُّوا ... عن قصده أو نَهْجه تَضِلُّوا)

(لا تَتْركنْ نصحي فإني ناصحُ ... إنّ الطريق فاعلمنّ واضحُ)

(من يتّق الله يَجِد غِبَّ التّقى ... يوم الحساب صائراً إلى الهدى)

(إن التُّقى أفضلُ شيءٍ في العمل ... أرَى جِمَاعَ البرّ فيه قد دخلْ)

(خافوا الجحيمَ إخوتي لعلّكم ... يومَ اللقاء تعرفوا ما سِرّكمْ)

(قد قيل في الأمثال لو علِمتم ... فانتفِعوا بذاك إن عَقَلتُم)

(ما يزرع الزارعُ يوماً يحصدُهْ ... وما يقدّم من صلاح يَحمَدُهْ)

فاستغفِروا ربّكُم وتوبوا ... فالموتُ منكم فاعلموا قريبُ) ثم نزل)

نوادر الوليد

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد النوفلي عن أبيه عن الوليد البندار قال حججت مع الوليد بن يزيد فقلت له لما أراد أن يخطب الناس أيها الأمير إن اليوم يوم يشهده الناس من جميع الآفاق وأريد أن تشرّفني بشيء

قال وما هو قلت إذا علوت المنبر دعوت بي فيتحدث الناس بذلك وبأنك أسررت إلي شيئا فقال أفعل فلما جلس على المنبر قال الوليد البندار فقمت إليه فقال ادن مني فدنوت فأخذ بأذني ثم قال البندار ولد زنا والوليد ولد زنا وكل من ترى حولنا ولد زنا أفهمت قلت نعم قال انزل الآن فنزلت

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي عن أشعب قال دخلت على الوليد بن يزيد الخاسر وقد تناول نبيذا فقال لي تمن فقلت يتمنى أمير المؤمنين ثم أتمنى قال فإنما أردت أن تغلبني فإني لأتمنى ضعف ما تتمنى به كائنا ما كان قلت فإني أتمنى كفلين من العذاب فضحك ثم قال إذا نوفرهما عليك

ثم قال لي ما أشياء تبلغني عنك قلت يكذبون علي قال متى عهدك بالأصم قلت لا عهد لي به

فأخرج أيره كأنه ناي مدهون فسجدت له ثلاث سجدات فقال ويلك إنما يسجد الناس سجدة واحدة فقلت واحدة للأصم واثنتين لخصيتيك

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا محمد بن علي بن حمزة قال حدثني عبد الصمد بن موسى الهاشمي قال إنما أغلى الجوهر بنو أمية ولقد كان الوليد بن يزيد يلبس منه العقود ويغيرها في اليوم مرارا كما تغير الثياب شغفا فكان

يجمعه من كل وجه ويغالي به
قال وكان يوما في داره على فرس له وجارية تضرب بطبل قدامه
فأخذه منها ووضعه على رقبته ونفر الفرس من صوت الطبل فخرج به على أصحابه في هذه الهيئة وكان خليعا
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الخراز عن المدائني عن جويرية بن أسماء قال قدم الوليد بن يزيد المدينة فقلت
لاسماعيل بن يسار أحذنا مما أعطاك الله فقال هلم أقاسمك إن قبلت بعث إلي براوية من خمر
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب قال حدثني رجل قال كان الوليد بن يزيد
إذا أصبح يوم الاثنين تغدى وشرب رطلين ثم جلس للناس
قال فحدثني عمر الوادي قال دخلت عليه وعنده أصحابه وقد تغدى وهو يشرب فقال لي اشرب فشربت وطرب وغنى
صوتا واحدا وأخذ دفافة فدفف بها فأخذ كل واحد منا دفافة فدفف بها وقام وقمنا حتى بلغنا إلى الحاجب فلما رآنا الحاجب
صاح بالناس الحرم الحرم اخرجوا ودخل الحاجب فقال جعلني الله فداءك اليوم يحضر فيه الناس فقال له اجلس واشرب
فقال إنما أنا حاجب فلا تحملني على الشراب فما شربته قط قال اجلس فاشرب فامتنع فما فارقناه حتى صببنا في
حلقه بالقمع وقام وهو سكران
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن شريك قال
حدثني عمي علي بن عمرو قرقارة قال حدثني أنيف بن هشام بن الكلبي ومات قبل أبيه قال حدثني أبي قال خرج
الوليد بن يزيد من مقصورة له إلى مقصورة فإذا هو ببنت له معها حاضنتها فوثب عليها فافترعها فقالت له الحاضنة إنها
المجوسية قال اسكتي ثم قال
من راقَب الناسَ مات غمًّا ... وفاز باللذّة الجَسورُ) وأحسب أنا أن هذا الخبر باطل لأن هذا الشعر لسلم الخاسر ولم)
يدرك زمن الوليد
أخبرنا أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني إسحاق الموصلي قال أخبرني مسلمة بن سلم
الكاتب قال قال الوليد بن يزيد وددت أن كل كأس تشرب من خمر بدينار وأن كل حر في جبهة أسد فلا يشرب إلا سخي
ولا ينكح إلا شجاع
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب قال سمعت رجلا يحدث أبي بالكوفة
قال أرسلت إلى الوليد جفنة مملوءة قوارير فرعونية لم ير مثلها قط فلما أمسينا صببنا فيها الشراب في ليلة أربع عشرة
حتى إذا استوى القمر على
رؤوسنا وصار في الجفنة قال الوليد في أي منزلة القمر الليلة فقال بعضهم في الحمل وقال بعضهم في منزلة كذا وكذا
من منازل القمر فقال بعض جلسائه القمر في الجفنة قال قاتلك الله أصبت ما في نفسي لتشربن الهفتجنة
فقال مصعب فسأل أبي عن الهفتجنة فقال شرب كانت الفرس تشربه سبعة أسابيع فشرب تسعة وأربعين يوما
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري عن عبد الله بن عمران بن
أبي فروة قال أخبرني خالد صامة المغني وكان من أحسن الناس غناء على عود قال بعث إليّ الوليد بن يزيد فقدمت
عليه فوجدت عنده معبدا ومالكا والهذلي وعمر الوادي وأبا كامل فغنى القوم ونحن في مجلس يا له من مجلس وغلام
للوليد يقال له سبرة يسقي القوم الطلاء إذ جاءت نوبة الغناء إلي فأخذت عودي فغنيت بأبيات قالها عروة بن أذينة يرثي
أخاه بكرا
صوت
(سرَى همّي وهمُّ المرء يَسري ... وغار النجمُ إلا قِيدَ فِتْر)
(أُراقِب في المَجَرّة كلّ نجم ... تعرّض في المجرّة كيف يَجري)
((بحُزْن ما أزال له مُدِيماً ... كأنّ القلب أسعر حرَّ جمر
(على بكر أخي ولّى حميداً ... وأيُّ العيش يحسُن بعد بكر)
غناه ابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى وغنى فيه ابن عباد الكاتب ولحنه رمل بالوسطى عن الهشامي قال خالد فقال لي
الوليد أعد يا صام فأعدت فقال من يقوله ويحك قلت ابن أذينة قال هذا والله العيش الذي نحن فيه على رغم أنفه لقد
تحجر واسعا قال عبد الرحمن بن عبد الله قال عبد الله بن أبي فروة وأنشدها ابن أذينة ابن أبي عتيق فضحك ابن أبي
عتيق وقال كل العيش يحسن حتى الخبز والزيت فحلف ابن أذينة لا يكلمه أبدا فمات ابن أبي عتيق وابن أذينة مهاجر له
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال بلغني أن سكينة بنت الحسين رضى الله عنها أنشدت
وأخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير عن مصعب قال أنشدت سكينة وأخبرني الحسين بن يحيى عن عباد عن أبيه عن أبي
يحيى العبادي إن سكينة أنشدت أبيات عروة بن أذينة في أخيه بكر فلما انتهت إلى قولة
على بكر أخي ولّى حميداً ... وأيُّ العيش يحسُن بعد بكر) قالت سكينة ومن أخوه بكر أليس الدحداح الأُسيد القصير)
الذي
كان يمر بنا صباحا ومساء قالوا نعم قالت كل العيش والله يصلح ويحسن بعد بكر حتى الخبز والزيت
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبي عن إسحاق قال قدم سليمان بن عبد الملك المدينة فجمع
المغنّين وسبق بينهم ببدرة وقال أيكم كان أحسن غناء فهي له فاجتمعوا
فبلغ الخبر ابن سريج فجاء وقد أغلق الباب فقال للحاجب استأذن لي قال لا يمكن وقد أُغلق الباب ولو كنت جئت قبل أن
يغلق الباب لاستأذنت لك قال فدعني أغن من شق الباب قال نعم فسكت حتى فرغ جميع المغنّين من غنائهم ثم اندفع
فغنّى
سرى همّي وهمُّ المرء يسري ...) فنظر المغنون بعضهم إلى بعض وعرفوه فلما فرغ قال سليمان سليما أحسن والله)
هذا أحسن منكم غناء اخرج يا غلام إليه بالبدرة فأخرجها إليه
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني عن ابن جعدبة أن رجلا أهدى إلى هشام بن عبد
الملك خيلا فكان فيها فرس مربوع قريب الركاب فعرف الوليد منه ما لم يعرف هشام فنهر الرجل وشتمه وقال أتجيء
بمثل هذا إلى أمير المؤمنين ردوه عليه فردوه فلما
خرج وجه إليه بثلاثين ألف درهم وأخذه منه فهو فرسه الذي يسميه السندي
فأخبري بعض أصحابي أن الوليد خرج يوما يتصيد وحده فانتدب إليه مولى لهشام يريد الفتك به

فلما بصر به الوليد حاوله فقهره بفرسه الذي كان تحته فقتله وقال في ذلك
(ألم تَرَ أنّي بين ما أنا آمِنٌ ... يَخُبُّ بي السِّنْديُّ قفراً فَيَافِيَا)
(تطلّعتُ من غَوْرٍ فأبصرتُ فارساً ... فأوجستُ منه خِيفةً أن يرانيا)
(ولما بدا لي أنما هو فارس ... وقفتُ له حتى أتى فرمانيا)
(رماني ثلاثاً ثم إنّي طعنتُه ... فروَّيْتُ منه صعدتي وسِنانيا)
غناه أبو كامل لحنا من الماخوري بالبنصر
ولإبراهيم فيه ثقيل أول وقيل إن له فيه ماخوريا آخر وفيه لعمر الوادي ثاني ثقيل ولمالك رمل من رواية الهشامي قال
وقال الوليد أيضا في فرسه السندي
(قد أغْتدِي بذي سَبِيبٍ هَيْكلِ ... مُشَرَّب مثلِ الغرابِ أرْجَلِ)
(أعددته لحَلَبَاتِ الأحولِ ... وكلِّ نَقْع ثائرٍ لجَحْفَلِ)
(...وكلِّ خَطْب ذي شؤون مُعضِل)
فقال هشام لكنا أعددنا له ما يسوءه نخلعه ونُقصيه فيكون مهانا مدحورا مطرحا
نسخت من كتاب أحمد بن أبي طاهر حدثني أبو الحسن العقيلي أن الوليد لما ولي الخلافة خطب سلمى التي كان ينسب بها فزوجها لما مضى صدر من خلافته فقامت عنده سبعة أيام فماتت فقال يرثيها
(يا سلم كنتِ كجنّةٍ قد أطْعَمتْ ... أفنانُها دانٍ جَناها مُوضَّعُ)
(أربابُها شَفَقاً عليها نومُهم ... تحليل موضعها ولمّا يَهْجَعوا)
(حتى إذا فسح الربيعُ ظنونَهم ... نَثر الخريفُ ثمارَها فتصدّعوا)
الوليد يأمر بقتل نديمه ثم يرثيه
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب عن أبي العالية وأخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن سعيد عن الزبير بن بكار عن عمه أن الوليد بن يزيد لما انهمك على شربه ولذاته ورفض الآخرة وراء ظهره وأقبل على القصف والعسف مع المغنّين مثل مالك ومعبد وابن عائشة وذويهم كان نديمه القاسم بن الطويل العبادي وكان أديبا ظريفا شاعرا فكان لا يصبر عنه فغناه معبد ذات يوم شعر عدي
صوت
(بكَر العاذلون في وَضَح الصبح ... يقولون لي ألا تَستفيقُ)
((لست أدري وقد جفاني خليلي ... أعدوٌّ يلومني أم صديق
(ثم قالوا ألا اصْبَحونا فقامت ... قينةٌ في يمينها إبريق)
قدّمتْه على عُقار كعين الدّيك ... صفّى سُلافَها الرّاووق) فيه لمعبد ثقيل ويقال إنه لحنين وفيه لمالك خفيف رمل)
وفيه لعبد الله بن العباس رمل كل ذلك عن الهشامي قال فاستحسنه الوليد وأُجب به وطرب عليه وجعل يشرب إلى أن غلب عليه السكر فنام في موضعه فانصرف ابن الطويل فلما
أفاق الوليد سأل عنه فعرف حين انصرافه فغضب وقال وهو سكران لغلام كان واقفا على رأسه يقال له سبرة ائتني برأسه فمضى الغلام حتى ضرب عنقه وأتاه برأسه فجعله في طست بين يديه فلما رآه أنكره وسأل عن الخبر فعرفه فاسترجع وندم على ما فرط منه وجعل يقلب الرأس بيده ثم قال يرثيه
صوت
(عَيْنَيّ للحَدَث الجليل ... جُودَا بأرْبعةٍ هُمُول)
(جودا بدمعٍ إنّه ... يشفي الفؤاد من الغَليل)
(لله قبرٌ ضُمِّنت ... فيه عظامُ ابن الطويل)
(ماذا تضمَّن إذ ثَوَى ... فيه من اللّبّ الأصيل)
(قد كنتُ آوي من هواك ... إلى ذَرى كَهْفٍ ظَليل)
أصبحتُ بعدك واحداً ... فرداً بمَدْرَجة السيول) غناه الغريض ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو)
وغنى فيه سليم لحنا من الثقيل الأول بالبنصر عن الهشامي وذكر غيره أن لحن الغريض لدحمان
وذكر حبش أنه لأبي كامل وذكر غيره أن لحن الغريض لدحمان قال ثم دخل إلى جواريه فقال والله ما أبالي متى جاءني الموت بعد الخليل ابن الطويل فيقال إنه لم يعش بعده إلا مديدة حتى قتل والله أعلم
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال روى الهيثم بن عدي عن ابن عياش عن حماد الراوية قال دعاني الوليد يوما من الأيام في السحر والقمر طالع وعنده جماعة من ندمائه وقد اصطبح فقال أنشدني في النسيب فأنشدته أشعارا كثيرة فلم يهش لشيء منها حتى أنشدته قول عمار ذي كناز
(اصْبِحِ القومَ قهوةً ... في الأباريق تُحْتَذَى)
من كُمَيت مُدامةٍ ... حبّذا تلك حبّذا) فطرب ثم رفع رأسه إلى خادم وكان قائما كأنه الشمس فأومأ إليه فكشف سترا)
خلف ظهره فطلع منه أربعون وصيفا ووصيفة كأنهم اللؤلؤ المنثور في أيديهم الأباريق والمناديل فقال أسقُوهم فما بَقِي أحد إلا أُسقي وأنا في خلال ذلك أنشده الشعر فما زال يشرب ويسقي إلى طلوع الفجرثم لم نخرج عن حضرته حتى حملنا الفراشون في البسط فألقونا في دار الضيافة فما أفقنا حتى طلعت الشمس
قال حماد ثم أحضرني فخلع علي خلعا من فاخر ثيابه وأمر لي بعشرة آلاف درهم وحملني على فرس
تأتيه الأخبار فيرد شعراً
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني عن أبي بكر الهذلي قال كان بين الحكم بن الزبير أخي أبي بكر بن كلاب وبين بكر بن نوفل أحد بني جعفر بن كلاب شيء في وكالة للوليد بن يزيد يخاصم الجعفري في الرحبة من أرض دمشق وكان الجعفري قد استولى عليها فقطع شفره الأعلى فاستعدى عليه هشاما فلم يعده فقال الوليد في ذلك
صوت
(أيا حَكَمُ المَتْبولُ لو كنتَ تَعْتَزي ... إلى أُسرةٍ ليسوا بسُود زعانِفِ)
لأيقنتَ قد أدركتَ وَتْرَك عَنْوَةً ... بلا حُكْم قاضٍ بل بضرب السوالفِ) غناه الهذلي ثقيلا أول عن الهشامي ويونس قال)

فلما استخلف الوليد بعث إلى بكر بن نوفل الجعفري فقال ألا تعطي حكم بن الزبير حقه قال لا فأمر به فشترت عينه ثم قال
(يا ربَّ أمرٍ ذي شؤون جَحْفل ... قاسيتُ فيه جلَبَاتِ الأحْوَلِ)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال خرج الوليد إلى متصيد له فأقام به ومات له ابن يقال له مؤمن بن الوليد فلم يقدر أحد أن ينعاه إليه حتى ثمل فنعاه إليه سنان الكاتب وكان
مغنيا فقال الوليد وفي هذا الشعر غناء من الأصوات التي اختيرت للواثق والرشيد قبله
صوت
من المائة المختارة من رواية علي بن يحيى
(أتاني سِنَانٌ بالوَدَاع لمؤمنٍ ... فقلتُ له إني إلى الله راجعُ)
(ألاَ أيّها الحاثِي عليه ترابَه ... هُبِلْتَ وشَلَّتْ مِن يديك الأصابع)
(يقولون لا تجزَعْ وأظهِرْ جَلادةً ... فكيفَ بما تُحْنَى عليه الأضالع)
عروضه من الطويل غناه سنان الكاتب ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق وفيه لأبي كامل خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو وقيل إن فيه لحنا لعبد الله ابن يونس صاحب أيلة
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني عقيل ابن عمرو قال قال يزيد بن أبي مساحق السلمي مؤدِب الوليد شعرا وبعث به إلى النوار جارية الوليد فغنته به وهو
(مَضى الخلفاءُ بالأمر الحميدِ ... وأصبحت المذَمَّةُ للوليدِ)
(تشاغَل عن رعيَّته بلهو ... وخالف فعلَ ذي الرأي الرشيدِ) فكتب اليه الوليد
(ليت حظّي اليومَ من كلّ ... معاشٍ لي وزاد)
(قهوةٌ أبذُل فيها ... طارفي ثم تِلادي)
(فيَظَلّ القلب منها ... هائماً في كلّ واد)
(إن في ذاك صلاحي ... وفلاحي ورشادي)
أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إبراهيم ابن الوليد الحمصي قال حدثنا هارون بن الحسن العنبري قال قال الوليد بن يزيد يا بني أمية إياكم والغناء فإنه ينقص الحياء ويزيد في الشهوة ويهدم المروءة ويثور على الخمر ويفعل ما يفعل السكر فإن كنتم لا بد فاعلين فجنبوه النساء فإن الغناء رقية الزنا وإني لأقول ذلك فيه على أنه أحب إلي من كل لذة وأشهى إلي من الماء البارد إلى ذي الغلة ولكن الحق أحق أن يقال
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال حدثني بعض موالي الوليد قال دخلت إليه وقد عقد لابنيه بعده وقدم عثمان فقلت له يا أمير المؤمنين أقول قول الموثوق بنصيحته أو يسعني السكوت قال بل قل قول الموثوق به فقلت إن الناس قد أنكروا ما فعلت وقالوا يبايع لمن لم يحتلم وقد سمعت ما أكره فيك فقال عضوا ببظور أمهاتكم أفأُدخل بيني وبين ابني غيري فيلقى منه كما لقيت من الأحول بعد أبي ثم أنشأ يقول
صوت
(سرَى طيفُ ذا الظبي بالعاقِدان ... ليلاً فهيَّج قلباً عميدا)
(وأرّق عيني على غِرّة ... فباتت بحزنٍ تقاسي السُّهودا)
(نؤمل عثمان بعد الوليد ... للعهد فينا ونرجو سعيدا)
(كما كان إذ كان في دهرِه ... يزيدُ يرجّي لتلك الوليدا)
(على أنها شَسَعتْ شَسْعَةً ... فنحن نرجّي لها أن تعودا)
فإن هي عادت فعاصِ القريبَ ... منها لتؤيس منها البعيدا) غناه أبو كامل ثاني ثقيل بالبنصر من أصوات قليلة الأشباه)
وذكر عمرو ابن بانة أن فيه لعمر الوادي لحنا من الماخوري بالوسطى وذكر الهشامي أن فيه خفيف رمل لحكم وذكرت دنانير عن حكم أنه لعمر الوادي وذكر حبش أن الثقيل الثاني لمالك وأن فيه لفضل النجار رملا بالبنصر
أخبرني الحسن ابن علي قال حدثنا أحمد بن سعيد عن الزبير بن بكار قال هو
سرى طيفُ ظبي بأعلى الغُوَيْر ...) ولكن هذا تصحيف سليمان السوادي أو قال خليد)
أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق قال كان الوليد قد بايع لابنيه الحكم وعثمان وهو أول من بايع لابن سرية
أمة ولم يكونوا يفعلون ذلك وأخذهما يزيد بن الوليد الناقص فحبسهما ثم قتلهما وفيهما يقول ابن أبي عقب
(إذا قُتل الخَلْف المُديمُ لسُكره ... بقَفْر من البَخْراء أُسِّس في الرّمل)
(وسِيق بلا جُرْم إلى الحَتْف والرَّدَى ... بُنيَّاه حتى يُذْبحا مَذْبحَ السَّخْل)
(فويلٌ بني مروان ماذا أصابهم ... بأيدي بني العباس بالأسْر والقتل)
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد النوفلي قال حدثني أبي عن العلاء البندار قال كان الوليد زنديقا وكان رجل من كلب يقول بمقالة الثنوية فدخلت على الوليد يوما وذلك الكلبي عنده وإذا بينهما سفط قد رفع رأسه عنه فإذا ما يبدو لي منه حرير أخضر فقال ادْن يا علاء فدنوت فرفع الحريرة فإذا في السفط صورة إنسان وإذا الزئبق والنوشادر قد جعلا في جفنه فجفنه يطرف كأنه يتحرك فقال يا علاء هذا ماني لم يبتعث الله نبيا قبله ولا يبتعث نبيا بعده فقلت يا أمير المؤمنين اتق الله ولا يغرنك هذا الذي ترى عن دينك فقال له الكلبي يا أمير المؤمنين ألم أقل لك إن العلاء لا يحتمل هذا الحديث
قال العلاء ومكثت أياما ثم جلست مع الوليد على بناء كان بناه في عسكره يشرف به والكلبي عنده إذ نزل من عنده وقد كان الوليد حمله على برذون هملاج أشقر من أفره ما سخر فخرج على برذونه ذلك فمضى به في الصحراء حتى غاب عن العسكر فما شعر إلا وأعراب قد جاؤوا به يحملونه منفسخة عنقه ميتا وبرذونه يقاد حتى أسلموه فبلغني ذلك فخرجت متعمدا حتى أتيت أولئك الأعراب وقد كانت لهم أبيات بالقرب منه في أرض البخراء لا حجر فيها ولا مدر فقلت لهم كيف كانت قصة هذا الرجل قالوا أقبل علينا على برذون فوالله لكأنه دهن يسيل على صفاة من فراهته فعجبنا لذلك إذ انقض رجل من السماء عليه ثياب بيض فأخذ بضبعيه فاحتمله ثم نكسه وضرب برأسه الأرض فدق عنقه ثم غاب عن عيوننا فاحتملناه فجئنا به

مقتل الوليد
وأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الخراز عن المدائني قال لما أكثر الوليد بن يزيد التهتك وانهمك في اللذات وشرب الخمر وبسط المكروه على ولد هشام والوليد وأفرط في أمره وغيه مل الناس أيامه وكرهوه وكان قد عقد لابنيه بعده ولم يكونا بلغا فمشى الناس بعضهم إلى بعض في خلعه وكان أقواهم في ذلك يزيد الناقص بن الوليد بن عبد الملك بن مروان فمشى إلى أخيه العباس وكان امرأ صدق ولم يكن في بني أمية مثله كان يتشبه بعمر بن عبد العزيز فشكا إليه ما يجري على الناس من
الوليد فقال له يا أخي إن الناس قد ملوا بني مروان وإن مشى بعضكم في أمر بعض أكلتم والله أجل لا بد أن يبلغه فانتظره فخرج من عنده ومشى إلى غيره فبايعه جماعة من اليمانية الوجوه فعاد إلى أخيه ومعه مولى له وأعاد عليه القول وعرض له بأنه قد دعي إلى الخلافة فقال له والله لولا أني لا آمنه عليك من تحامله لوجهت بك إليه مشدودا فنشدتك الله ألا تسعى في شيء من هذا فانصرف من عنده وجعل يدعو الناس إلى نفسه وبلغ الوليد ذلك فقال يذكر قومه ومشي بعضهم إلى بعض في خلعه
صوت
(سَلِّ هَمَّ النفس عنها ... بِعَلَنْداةٍ عَلاَةِ)
(تتّقي الأرضَ وتَهوي ... بِخفَاف مُدْمَجَات)
(ذاك أمْ ما بال قومي ... كسَروا سِنَّ قَنَاتي)
(واستخفّوا بي وصاروا ... كقرودٍ خاسئاتِ)
الشعر للوليد بن يزيد بن عبد الملك والغناء لأبي كامل غزيل الدمشقي ماخوري بالبنصر وفي هذه القصيدة يقول الوليد بن يزيد
(أصبح اليومَ وليدٌ ... هائماً بالفَتَياتِ)
(عنده راحٍ وإبريقٌ ... وكأسٌ بالفَلاَة)
(اِبعثوا خيلاً لخيل ... ورُماةً لِرُماةِ)
وأخبرني بالسبب في مقتله الحسن بن علي قال أخبرنا أحمد بن
الحارث قال حدثني المدائني عن جويرية بن أسماء وأخبرني به ابن أبي الأزهر عن حماد عن أبيه عن المدائني عن جويرية بن أسماء قال قال ابن بشر بن الوليد بن عبد الملك لما أظهر الوليد بن يزيد أمره وأدمن على اللهو والصيد واحتجب عن الناس ووالى بين الشرب وانهمك في اللذات سئمه الناس ووعظه من أشفق عليه من أهله فلما لم يقلع دبوا في خلعه
فدخل أبي بشر بن الوليد على عمي العباس بن الوليد وأنا معه فجعل يكلم عمي في أن يخلع الوليد بن يزيد ومعه عمي يزيد بن الوليد فكان العباس ينهاه وأبي يرد عليه فكنت أفرح وأقول في نفسي أرى أبي يجترىء أن يكلم عمي ويرد عليه فقال العباس يا بني مروان أظن أن الله قد أذن في هلاككم ثم قال العباس
(إني أُعِيذكُم بالله من فِتَنٍ ... مثل الجبال تَسامَى ثم تندفعُ)
(إنّ البريّةَ قد ملّت سياستَكم ... فاستمسِكوا بعمود الدّين وارتَدِعوا)
(لا تُلْحِمُنّ ذئابَ الناس أنْفُسَكم ... إنّ الذئابَ إذا ما أُلْحِمَتْ رَتَعوا)
(لا تَبْقُرُنّ بأيديكم بطونَكمُ ... فَثَمَّ لا فِدْيَةٌ تُغْنِي ولا جَزَعُ)
قال المدائني عن رجاله فلما استجمع ليزيد أمره وهو متبد أقبل إلى دمشق وبين مكانه الذي كان متبديا فيه وبين دمشق أربع ليال فأقبل إلى دمشق متنكرا في سبعة أنفس على حمر وقد بايع له أكثر أهل دمشق وبايع له أكثر أهل المزة فقال مولى لعباد بن زياد إني لبجرود وبين جرود
ودمشق مرحلة إذ طلع علينا سبعة معتمون على حمر فنزلوا وفيهم رجل طويل جسيم فرمى بنفسه فنام وألقوا عليه ثوبا وقالوا لي هل عندك شيء نشتريه من طعام فقلت أما بيع فلا وعندي من قراكم ما يشبعكم فقالوا فعجله فذبحت له دجاجا وفراخا وأتيتهم بما حضر من عسل وسمن وشوانيز وقلت أيقظوا صاحبكم للغداء فقالوا هو محموم لا يأكل فسفروا للغداء فعرفت بعضهم وسفر النائم فإذا هو يزيد بن الوليد فعرفته فلم يكلمني ومضوا ليدخلوا دمشق ليلا في نفر من أصحابه مشاة إلى معاوية ابن مصاد وهو بالمزة وبينها وبين دمشق ميل فأصابهم مطر شديد فأتوا منزل معاوية فضربوا بابه وقالوا يزيد بن الوليد فقال له معاوية الفراش ادخل أصلحك الله قال في رجلي طين وأكره أن أفسد عليك بساطك فقال ما تريدني عليه أفسد فمشى على البساط وجلس على الفراش ثم كلم معاوية فبايعه
وخرج إلى دمشق فنزل دار ثابت بن سليمان الحسني مستخفيا وعلى دمشق عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف فخاف عبد الملك الوباء فخرج فنزل قطنا واستخلف ابنه على دمشق وعلى شرطته أبو العاج كثير بن عبد الله السلمي
وتم ليزيد أمره فأجمع على الظهور وقيل لعامل دمشق إن يزيد خارج فلم يصدق وأرسل يزيد إلى أصحابه بين المغرب والعشاء في ليلة الجمعة من جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة فكمنوا في ميضأة عند باب الفراديس حتى إذا أذنوا
العتمة دخلوا المسجد مع الناس فصلوا
وللمسجد حرس قد وكلوا بإخراج الناس من المسجد بالليل فإذا خرج الناس خرج الحرس وأغلق صاحب المسجد الأبواب ودخل الدار من باب المقصورة فيدفع المفاتيح إلى من يحفظها ويخرج فلما صلى الناس العتمة صاح الحرس بالناس فخرجوا وتباطأ أصحاب يزيد الناقص فجعلوا يخرجونهم من باب ويدخلون من باب حتي لم يبق في المسجد إلى الحرس وأصحاب يزيد فأخذوا الحرس ومضى يزيد بن عنبسة السكسكي إلى يزيد فأخبره وأخذ بيده وقال قم يا أمير المؤمنين وأبشر بعون الله ونصره فأقبل وأقبلنا ونحن اثنا عشر رجلا فلما كنا عند سوق القمح لقيهم فيها مائتا رجل من أصحابهم فمضوا حتى دخلوا المسجد وأتوا باب المقصورة وقالوا نحن رسل الوليد ففتح لهم خادم الباب ودخلوا فأخذوا الخادم وإذا أبو العاج سكران فأخذوه وأخذوا خزان البيت وصاحب البريد وأرسل إلى كل من كان يحذره فأخذه وأرسل من ليلته إلى محمد بن عبيدة مولى سعيد بن العاص وهو على بعلبك وإلى عبد الملك بن محمد بن الحجاج فأخذهما وبعث أصحابه إلى الخشبية فأتوه وقال للبوابين لا تفتحوا الأبواب غدوة إلا لمن أخبركم بشعار كذا وكذا

قال فتركوا الأبواب في السلاسل وكان في المسجد سلاح كثير قدم به سليمان بن هشام من الجزيرة فلم يكن الخزان قبضوه فأصابوا سلاحا
كثيرا فأخذوه وأصبحوا وجاء أهل المزة مع حريث بن أبي الجهم فما انتصف النهار حتى بايع الناس يزيد وهو يتمثل قول النابغة
إذا استُنْزلوا عنهنّ للطعن أرْقَلوا ... إلى الموت إرقالَ الجمال المَصاعبِ) فجعل أصحابه يتعجبون ويقولون انظروا إلى هذا)
كان قبيل الصبح يسبح وهو الآن ينشد الشعر قال وأمر يزيد عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بن مروان فوقف بباب
الجابية فنادى من كان له عطاء فليأت إلى عطائه ومن لم يكن له عطاء فله ألف درهم معونة فبايع له الناس وأمر بالعطاء
قال وندب يزيد بن الوليد الناس إلى قتال الوليد بن يزيد مع عبد العزيز وقال من انتدب معه فله ألفان فانتدب ألفا رجل
فأعطاهم وقال موعدكم ذنبة فوافى ذنبه ألف ومائتا رجل فقال ميعادكم مصنعة بالبرية وهي لبني عبد العزيز بن الوليد
فوافاه ثمانمائة رجل فسار فوافاهم ثقل الوليد فأخذوه ومع عبد العزيز فرسان منهم منصور بن جمهور ويعقوب بن عبد
الرحمن السلمي والأصبغ بن ذؤالة وشبيب بن أبي مالك الغساني وحميد بن نصر اللخمي فأقبلوا فنزلوا قريبا من الوليد
فقال الوليد أخرجوا لي سريرا فأخرجوه فصعد عليه وأتاه خبر العباس بن الوليد إني أجيئك وأُتي الوليد بفرسين الذائد
والسندي وقال أعلي يتواثب الرجال وأنا أثب على الأسد
وأتخصر الأفاعي وهم ينتظرون العباس أن يأتيهم ولم يكن بينهم كبير قتال فقتل عثمان الخشبي وكان من أولاد الخشبية
الذين كانوا مع المختار وبلغ عبد العزيز بن الحجاج أن العباس بن الوليد يأتي الوليد فأرسل منصور بن جمهور في جريدة
خيل وقال إنكم تلقون العباس بن الوليد ومعه بنوه في الشعب فخذوه
وخرج منصور في تلك الخيل وتقدموا إلى الشعب وإذا العباس ومعه ثلاثون تقدموا أصحابه فقال له اعدل إلى عبد العزيز
فشتمهم فقال له منصور والله لئن تقدمت لأنفذن حصينك بالرمح فقال إنا لله فأقبلوا به يسوقونه إلى عبد العزيز فقال له
عبد العزيز بايع ليزيد فبايع ووقف ونصبوا راية وقالوا هذا العباس قد بايع ونادى منادي عبد العزيز من لحق بالعباس بن
الوليد فهو آمن فقال العباس إنا لله خدعة من خدع الشيطان هلك والله بنو مروان فتفرق الناس عن الوليد وأتوا العباس
وظاهر الوليد في درعين وقاتلهم وقال الوليد من جاء برأس فله خمسمائة درهم فجاء جماعة بعدة رؤوس فقال اكتبوا
أسماءهم فقال له رجل من مواليه ليس هذا يا أمير المؤمنين يوما يعامل فيه
بالنسيئة وناداهم رجال اقتلوا اللوطي قتلة قوم لوط فرموه بالحجارة
فلما سمع ذلك دخل القصر وأغلق الباب وقال
صوت
(دَعُوا لي سُلَيْمَى والطِّلاَء وقَيْنةً ... وكأساً ألا حَسْبي بذلك مالا
(إذا ما صفا عيش برَمْلةِ عالِجٍ ... وعانقتُ سلمى لا أُريد بِدالا)
(خذوا مُلْكَكم لا ثبّت الله ملككم ... ثباتاً يساوي ما حَييتُ عِقالا)
وخَلُّوا عِناني قبل عَيْرٍ وما جرَى ... ولا تَحسدُوني أن أموت هُزالا) غناه عمر الوادي رملا بالوسطى عن حبش ثم قال)
لعمر الوادي يا جامع لذتي غنني بهذا الشعر وقد أحاط الجند بالقصر فقال لهم الوليد من وراء الباب أما فيكم رجل شريف
له حسب وحياء أكلمه فقال له يزيد ابن عنبسة السكسكي كلمني فقال له الوليد يا أخا السكاسك ما تنقمون مني ألم
أزد في أعطياتكم وأعطية فقرائكم وأخدمت زمناكم ودفعت عنكم المؤن فقال ما ننقم عليك في أنفسنا شيئا ولكن ننقم
عليك انتهاك ما حرم الله وشرب الخمور ونكاح أمهات أولاد أبيك واستخفافك بأمر الله قال حسبك يا أخا السكاسك
فلعمري لقد أغرقت فأكثرت وإن فيما
أحل الله لسعة عما ذكرت
ورجع إلى الدار فجلس وأخذ المصحف وقال يوم كيوم عثمان ونشر المصحف يقرأ فعلوا الحائط فكان أول من علا الحائط
يزيد بن عنبسة فنزل وسيف الوليد إلى جنبه فقال له يزيد نح سيفك فقال الوليد لو أردت السيف لكانت لي ولك حالة
غير هذه فأخذ بيده وهو يريد أن يدخله بيتا ويؤامر فيه فنزل من الحائط عشرة فيهم منصور ابن جمهور وعبد الرحمن
وقيس مولى يزيد بن عبد الملك والسري بن زياد بن أبي كبشة فضربه عبد الرحمن السلمي على رأسه ضربة وضربه
السري بن زياد على وجهه وجروه بين خمسة ليخرجوه فصاحت امرأة كانت معه في الدار فكفوا عنه فلم يخرجوه واحتز
رأسه أبو علاقة القضاعي وخاط الضربة التي في وجهه بالعقب وقدم بالرأس على يزيد قدم به روح بن مقبل وقال أبشر يا
أمير المؤمنين بقتل الفاسق فاستتم الأمر له وأحسن صلته ثم كان من خلع يزيد بعد ذلك ما ليس هذا موضع ذكره
قال ولما قتل الوليد بن يزيد جعل أبو محجن مولى خالد القسري يدخل سيفه في است الوليد وهو مقتول فقال الأصبغ
بن ذؤالة الكلبي في قتل الوليد وأخذهم ابنيه
(من مُبْلِغٌ قيساً وخِنْدِفَ كلَّها ... وساداتِهم من عبد شمس وهاشم)
(قتلنا أميرَ المؤمنين بخالد ... وبِعْنا وليّي عهدِه بالدراهم)
وقال أبو محجن مولى خالد
(لو شاهدوا حدَّ سيفي حين أدخله ... في استِ الوليد لماتوا عنده كَمَدا)
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن هشام بن الكلبي عن جرير قال قال لي عمر الوادي كنت أغني الوليد
أقول
صوت
كَذَبَتْكَ نفسُك أم رأيتَ بواسِطٍ ... غَلَسَ الظلامِ من الرَّبابِ خيالا) قال فما أتممت الصوت حتى رأيت رأسه قد فارق بدنه)
ورأيته يتشحط في دمه
يقال إن اللحن في هذا الشعر لعمر الوادي ويقال لابن جامع
قالوا وكان عثمان والحكم ابنا الوليد قد بايعهما بالعهد بعده فتغيبا فأخذهما يزيد بعد ذلك فحبسهما في الخضراء ودخل
عليهما يزيد الأفقم ابن هشام فجعل يشتم أباهما الوليد وكان قد ضربه وحلقه فبكى الحكم فقال عثمان أخوه اسكت يا
أخي وأقبل على يزيد فقال أتشتم أبي قال نعم قال لكني لا أشتم عمي هشاما ووالله لو كنت من بني مروان ما شتمت
أحدا منهم فانظر إلى وجهك فإن كنت رأيت حكميا يشبهك أوله
مثل وجهك فأنت منهم لا والله ما في الأرض حكمي يشبهك

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني عن مسلمة بن محارب قال لما قتل الوليد قال أيوب السختياني ليت القوم تركوا لنا خليفتنا لم يقتلوه قال وإنما قال ذلك تخوفا من الفتنة

الرشيد يلعن قاتلي الوليد

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني أن ابنا للغمر بن يزيد بن عبد الملك دخل على الرشيد فقال ممن أنت قال من قريش قال من أيها فأمسك قال قل وأنت آمن ولو أنك مرواني قال أنا ابن الغمر بن يزيد قال رحم الله عمك ولعن يزيد الناقص وقتلة عمك جميعا فإنهم قتلوا خليفة مجمعا عليه ارفع إلي حوائجك فقضاها

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا الغلابي قال حدثنا العلاء ابن سويد المنقري قال ذكر ليلة المهدي أمير المؤمنين الوليد بن يزيد فقال كان ظريفا أديبا فقال له شبيب بن شيبة يا أمير المؤمنين إن رأيت ألا تجري ذكره على سمعك ولسانك فافعل فإنه كان زنديقا فقال اسكت فما كان الله ليضع خلافته عند من يكفر به وهكذا رواه الصولي

وقد أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز إجازة قال حدثنا عمر بن شبة قال أخبرنا عقيل بن عمرو قال أخبرني شبيب بن شيبة عن أبيه قال كنا جلوسا عند المهدي فذكروا الوليد بن يزيد فقال المهدي أحسبه كان زنديقا فقام ابن علاثة الفقيه فقال يا أمير المؤمنين الله عز وجل أعظم من أن يولي خلافة النبوة وأمر الأمة من لا يؤمن بالله لقد أخبرني من كان يشهده في ملاعبه وشربه عنه بمروءة في طهارته وصلاته وحدثني أنه كان إذا حضرت الصلاة يطرح ثيابا كانت عليه من مطيبة ومصبغة ثم يتوضأ فيحسن الوضوء ويؤتى بثياب بيض نظاف من ثياب الخلافة فيصلي فيها أحسن صلاة بأحسن قراءة وأحسن سكوت وسكون وركوع وسجود فإذا فرغ عاد إلى تلك الثياب التي كانت عليه قبل ذلك ثم يعود إلى شربه ولهوه أفهذه أفعال من لا يؤمن بالله فقال له المهدي صدقت بارك الله عليك يابن علاثة

وفي جملة المائة الصوت المختارة عدة أصوات من شعر الوليد نذكرها ها هنا مع أخباره والله أعلم

صوت

من المائة المختارة

(أُمِّ سَلاّمَ ما ذكرتُكِ إلاّ ... شَرِقَتْ بالدموع منّي المآقي)

(أُمَّ سَلاّمَ ذِكْرُكُمْ حيث كنتم ... أنتِ دائي وفي لسانِكِ راقي)

((ما لقلبي يَجُول بين التَّراقي ... مُسْتَخِفًّا يَتُوق كلَّ مَتَاق)

(حَذَراً أن تَبين دارُ سُلَيْمَى ... أو يصيحَ الداعي لها بِفراق)

غناه عمر الوادي ولحنه المختار خفيف رمل مطلق في مجرى البنصر وذكر عمرو بن بانة أن لسلامة القس فيه خفيف رمل بالوسطى ولعله بمعنى هذا

ومن الناس من يروي هذه الأبيات لعبد الرحمن بن أبي عمار الجشمي في سلامة القس وليس ذلك له هو للوليد صحيح وهو كثيرا ما يذكر سلمى هذه في شعره بأم سلام وبسلمى لأنه لم يكن يتصنع في شعره ولا يبالي بما يقوله منه ومن ذلك قوله فيها

صوت

(أُمَّ سَلاّمَ لو لقِيتِ من الوجد ... عَشِيرَ الذي لَقِيتُ كفاكِ)

فأثِيبي بالوصل صَبًّا عميداً ... وشفيقاً شجاه ما قد شجاكِ) غناه مالك خفيف رمل بالبنصر عن الهشامي)

ذكر أخبار عمر الوادي ونسبه

هو عمر بن داود بن زاذان وجده زاذان مولى عمرو بن عثمان بن عفان وكان عمر مهندسا وأخذ الغناء عنه حكم وذووه من أهل وادي القرى وكان قدم إلى الحرم فأخذ من غناء أهله فحذق وصنع فأجاد وأتقن وكان طيب الصوت شجيه مطربا وكان أول من غنى من أهل وادي القرى واتصل بالوليد بن يزيد في أيام إمارته فتقدم عنده جدا وكان يسميه جامع لذاتي ومحيي طربي وقتل الوليد وهو يغنيه وكان آخر عهده به من الناس وفي عمر يقول الوليد بن يزيد وفيه غناء

صوت

(إنّني فكّرتُ في عمرٍ ... حين قال القولَ فاختلَجا)

(إنّه للمُستَنِير به ... قمر قد طمّس السُّرُجا)

(ويغنّي الشعر يَنْظِمُه ... سيّدُ القوم الذي فلَجا)

أكمل الواديُّ صنعتَه ... في لُباب الشعر فاندمجا) الشعر للوليد بن يزيد والغناء لعمر الوادي هزج خفيف بالبنصر في) مجراها

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مزيد قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال كان عمر الوادي يجتمع مع معبد ومالك وغيرهما من المغنّين عند الوليد ابن يزيد فلا يمنعه حضورهم من تقديمه والإصغاء إليه والإختصاص له وبلغني أنه كان لا يضرب وإنما كان مرتجلا وكان الوليد يسميه جامع لذاتي قال وبلغني أن حكما الوادي وغيره من مغني وادي القرى أخذوا عنه الغناء وانتحلوا أكثر أغانيه

قال إسحاق وحدثني عبد السلام الربيع إن الوليد بن يزيد كان يوما جالسا وعنده عمر الوادي وأبو رقية وكان ضعيف العقل وكان يمسك المصحف على أم الوليد فقال الوليد لعمر الوادي وقد غناه صوتا أحسنت والله أنت جامع لذاتي وأبو رقية مضطجع وهم يحسبونه نائما فرفع رأسه إلى الوليد فقال له وأنا جامع لذات أمك فغضب الوليد وهم به فقال له عمر الوادي جعلني الله فداك ما يعقل أبو رقية وهو صاح فكيف يعقل وهو سكران فأمسك عنه

عمر يأخذ الغناء عن راع ويمدحه

قال إسحاق وحدثت عن عمر الوادي قال بينا أنا أسير ليلة بين العرج والسقيا سمعت إنسانا يغني غناء لم أسمع قط أحسن منه وهو

صوت

(وكنتُ إذا ما جئتُ سُعْدَى بأرضِها ... أرى الأرضَ تُطْوَى لي ويدنو بعيدُها)

(من الخَفِراتِ البيضِ وَدّ جليسُها ... إذا ما انقضتْ أُحدوثةٌ لو تُعيدها)

فكدت أسقط عن راحلتي طربا فقلت والله لألتمسن الوصول إلى هذا الصوت ولو بذهاب عضو من أعضائي حتى هبطت من الشرف فإذا أنا برجل يرعى غنما وإذا هو صاحب الصوت فأعلمته الذي أقصدني إليه وسألته إعادته علي فقال والله لو كان عندي قرى ما فعلت ولكني أجعله قراك فربما ترنمت به وأنا جائع فأشبع وكسلان فأنشط ومستوحش فآنس فأعاده

علي مرارا حتى أخذته فوالله ما كان لي كلام غيره حتى دخلت المدينة ولقد وجدته كما قال حدثني بهذا الخبر الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير ابن بكار قال حدثني المؤمل بن طالوت الوادي قال حدثني مكين العذري قال سمعت عمر الوادي يقول بينا أنا أسير بين الروحاء والعرج ثم ذكر مثله وقال فيه فربما ترنمت به وأنا غرثان فيشبعني ومستوحش فيؤنسني وكسلان فينشطني قال فما كان زادي حتى ولجت المدينة غيره وجربت ما وصفه الراعي فيه فوجدته كما قال
نسبة هذا الصوت
صوت
(لقد هَجَرتْ سُعْدَى وطال صدودُها ... وعاوَد عَيْني دمْعُها وسهودُها)
(وكنتُ إذا ما زرتُ سُعْدَى بأرضها ... أرى الأرض تُطْوَى لي ويدنو بعيدُها)
((منعَّمةٌ لم تَلْقَ بؤسَ مَعيشةٍ ... هي الخُلْد في الدنيا لمن يَستفيدُها
(هي الخلدُ ما دامتْ لأهلك جارةً ... وهل دام في الدنيا لنفس خلودُها)
الشعر لكثير والغناء لابن محرز ثقيل أول مطلق بالبنصر عن يحيى المكي
وذكر الهشامي أن فيه ليزيد حوراء ثاني ثقيل وفيه خفيف رمل ينسب إلى عمر الوادي وهو بعض هذا اللحن الذي حكاه عن الراعي ولا أعلم لمن هو
وهذه الأبيات من قصيدة لكثير سائرها في الغزل وهي من جيد غزله ومختاره وتمام الأبيات بعد ما مضى منها
(فتلك التي أصفيتُها بمودّتي ... وليداً ولمّا يَستَبِنْ لي نهودُها)
(وقد قتلتْ نفساً بغير جريرة ... وليس لها عَقْل ولا من يُقيدُها)
(فكيف يَودّ القلبُ من لا يودّه ... بلى قد تُريد النفسُ من لا يُريدها)
(ألا ليت شِعري بعدنا هل تغيَّرتْ ... عن العهدِ أم أمستْ كعهدي عهودُها)
(إذا ذكرتْها النفسُ جُنّتْ بذكرها ... وريعتْ وحنّتْ واستُخِفّ جَليدُها)
(فلو كان ما بي بالجبال لَهدّها ... وإن كان في الدنيا شديداً هُدُودُها)
(ولستُ وإن أُوعِدْتُ فيها بمُنْتَهٍ ... وإن أُوقِدَتْ نارٌ فشبّ وَقُودها)
(أبيتُ نجيًّا للهموم مُسهَّداً ... إذا أُوقدتْ نحوي بليل وَقُودها)
(فأصبحتُ ذا نفسين نفس مريضة ... من اليأس ما ينفكّ همٌّ يعودُها)
((ونفسٍ إذا ما كنتُ وحدي تقطّعتْ ... كما انسَلّ من ذات النّظام فريدُها
(فلم تُبْدِ لي يأساً ففي اليأس راحة ... ولم تُبْدِ لي جُوداً فينفع جودُها)
عمر والوليد وخاتم الياقوت
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب ابن عباية قال قال عمر الوادي خرج إليّ الوليد بن يزيد يوما وفي يده خاتم ياقوت أحمر قد كان البيت يلتمع من شعاعه فقال لي يا جامع لذتي أتحب أن أهبه لك قلت نعم والله يا مولاي فقال غن في هذه الأبيات التي أنشدك فيها واجهد نفسك فإن أصبت إرادتي وهبته لك فقلت أجتهد وأرجو التوفيق
صوت
(ألا يُسليكَ عن سَلْمى ... قَتِيرُ الشَّيْبِ والحِلْمُ)
(وأن الشكّ ملتبِسٌ ... فلا وصلٌ ولا صُرمُ)
(فلا والله ربِّ الناس ... مالك عندنا ظلم)
(وكيف بظلم جاريةٍ ... ومنها اللّين والرُّحْمُ)
فخلوت في بعض المجالس فما زلت أديره حتى استقام ثم خرجت إليه وعلى رأسه وصيفة بيدها كأس وهو يروم أن يشربها فلا يقدر خمارا فقال ما صنعت فقلت فرغت مما أمرتني به وغنيته فصاح أحسنت والله ووثب قائما على رجليه وأخذ الكأس واستدناني فرضع يده اليسرى علي متكئا والكأس في يده اليمنى ثم قال لي أعد بأبي أنت وأمي فأعدته عليه
فشرب ودعا بثانية وثالثة ورابعة وهو على حاله يشرب قائما حتى كاد أن يسقط تعبا ثم جلس ونزع الخاتم والحلة التي كانت عليه فقال والله العظيم لا تبرح هكذا حتى أسكر فما زلت أعيده عليه ويشرب حتى مال على جنبه سكرا فنام
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد عن أبيه عن غرير بن طلحة الأرقمي عن أبي الحكم عبد المطلب بن عبد الله بن يزيد بن عبد الملك قال والله إني لبالعقيق في قصر القاسم بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان وعندي أشعب وعمر الوادي وأبو رقية إذ دعوت بدينار فوضعته بين يدي وسبقتهموه في رجز فكان أول من خسق عمر الوادي فقال
أنا ابن داود أنا ابن زَاذَانْ ... أنا ابن مولى عمرو بن عثمان) ثم خسق أبو رقية فقال)
أنا ابن عامر القاري ... أنا ابن أوّل أعجمي) تقدم في مسجد رسول الله خسق أشعب فقال)
أنا ابن أُمّ الخلنداج ... أنا ابن المحرِّشة بين أزواج) النبي أبو الحكم فقلت له أي أخزاك الله هل سمعت أحدا قط فخر)
بهذا فقال وهل فخر أحد بمثل فخري لولا أن أمي كانت عندهن ثقة ما قبلن منها حتى يغضب بعضهن على بعض
أخبار أبي كامل
اسمه الغزيل وهو مولى الوليد بن يزيد وقيل بل كان مولى أبيه وقيل بل كان أبوه مولى عبد الملك وكان مغنيا محسنا وطيبا مضحكا ولم أسمع له بخبر بعد أيام بني أمية ولعله مات في أيامهم أو قتل معهم
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني أن أبا كامل غنى الوليد بن يزيد ذات يوم فقال
صوت
(نام من كان خليًّا من ألَمْ ... وبدائي بِتُّ ليلي لم أنَمْ)
(أرقُب الصبحَ كأني مُسْنَدٌ ... في أكفّ القوم تَغْشاني الظُّلَمْ)
(إنّ سلمى ولِنا من حبّها ... دَيْدَنٌ في القلب ما اخضرّ السَّلَمْ)
قد سَبَتْني بشتيتٍ نَبْتُه ... وثنايا لم يَعِبْهنّ قَضَمْ) قال فطرب الوليد وخلع عليه قلنسية وشي مذهبة كانت على رأسه)
فكان أبو كامل يصونها ولا يلبسها إلا من عيد إلى عيد ويمسحها بكمه ويرفعها
ويبكي ويقول إنما أرفعها لأني أجد منها ريح سيدي يعني الوليد

الغناء في هذا الصوت هزج بالوسطى نسبه عمرو بن بانة إلى عمر الوادي ونسبه غيره إلى أبي كامل وزعم آخرون أنه لحكم هكذا نسبه ابن المكي إلى حكم وزعم أنه بالبنصر
أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني الأصمعي عن صفوان بن الوليد المعيطي قال غنى أبو كامل ذات يوم الوليد بن يزيد في لحن لابن عائشة وهو
جنِّباني أذاةَ كلّ لئيم ... إنّه ما علمتُ شرُّ نديم) فخلع عليه ثيابه كلها حتى قلنسيته ثم ذكر باقي الخبر مثل الذي) تقدمه وزاد فيه أنه أوصى أن تجعل في أكفانه وللوليد في أبي كامل أشعار كثيرة فمنها مما يغنى به
صوت
(سقَيْتُ أبا كامل ... من الأصفر البابلِي)
وسقَّيتُها معبداً ... وكلَّ فتىً فاضل) وقال أيضا فيه)
(وزقٍّ وافر الجنبين ... مثل الجمل البازلْ)
(به رُحْتُ إلى صَحْبي ... ونَدمانِي أبي كاملْ)
(شربناه وقد بِتْنا ... بأعلى الدَّيْر بالساحِلْ)
(ولم نَقْبَل من الواشي ... قبول الجاهل الخاطلْ)
الغناء لأبي كامل خفيف رمل بالوسطى وذكر الهشامي أنه ليحيى المكي وأنه نحله أبو كامل
وذكر أن لعمر الوادي أو لحكم فيه رملا بالوسطى وهو القائم
وأخبرني أبو الحسن محمد بن إبراهيم قريش رحمه الله أن لينشو فيه خفيف رمل ومنها في قول الوليد
صوت
(سَقَيْتُ أبا كامل ... من الأصفر البابلي)
(وسقّيتُها معبداً ... وكلّ فتيً فاضل)
(ليَ المحضُ من ودّهم ... ويَغْمُرهم نائلي)
وما لامني فيهمُ ... سوى حاسدٍ جاهل) فيه هزج ينسب إلى أبي كامل وإلى حكم وفيه لينشو ثقيل أول)
أخبرني بذلك قريش ووجه الرزة جميعا
وأخبرني قريش عن أحمد بن أبي العلاء قال كان للمعتضد علي صوتان من شعر الوليد أحدهما
والآخر (سقَيْتُ أبا كامِل ... من الأصفر البابلي)
(إن في الكأس لمسكاً ... أو بكَفّيْ من سقاني) وكان يعجب بهما ويقول لجلسائه أما ترون شمائل الملوك في شعره ما أبينها
ليَ المَحْضُ من ودّهم ... ويغمُرهم نائلي) وحين يقول)
(كلّلاني توّجاني ... وبشعري غنّياني)
وقد نسب إلى الوليد بن يزيد في هذه المائة الصوت المختارة شعر صوتين لأن ذكر سليمى في أحدهما ولأن الصنعة في الآخر لأبي كامل فذكرت من ذلك ها هنا صوتين أحدهما
صوت
من المائة المختارة
(سُلَيْمى تلك من العِير ... فِفي نُخْبِرْكِ أو سيري)
(إذا ما أنتِ لم تَرْثِي ... لصَبٍّ القلب مغمور)
(فلما أن دنا الصبحُ ... بأصواتِ العصافير)
(خرجنا نُتْبِع الشمس ... عيوناً كالقَوارير)
وفينا شادنٌ أحْوَرُ ... من حُور اليَعَافِير) الشعر ليزيد بن ضبة والغناء في اللحن المختار لإسماعيل بن)
الهربذ ولحنه رمل مطلق في مجرى الوسطى هكذا ذكر إسحاق في كتاب شجا لابن الهربذ وذكر في موضع آخر أن فيه لحنا لابن زرزور الطائفي رملا آخر بالسبابة في مجرى البنصر وذكر إبراهيم أن فيه لحنا لأبي كامل ولم يجنسه وذكر حبش أن فيه لعطرد هزجا بالوسطى
أخبار يزيد بن ضبّة ونسبه
أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال حدثني أحمد بن الهيثم عن الحسن بن إبراهيم بن سعدان عن عبد العظيم بن عبد الله بن يزيد بن ضبة الثقفي قال كان جدي يزيد بن ضبة مولى لثقيف واسم أبيه مقسم وضبة أمه غلبت على نسبه لأن أباه مات وخلّفه صغيرا فكانت أمه تحضن أولاد المغيرة بن شعبة ثم أولاد ابنه عروة بن المغيرة فكان جدي ينسب إليها لشهرتها قال وولاؤه لبني مالك بن حطيط ثم لبني عامر بن يسار قال عبد العظيم وكان جدي يزيد بن ضبة منقطعا إلى الوليد بن يزيد في حياة أبيه متصلا به لا يفارقه
فلما أفضت الخلافة إلى هشام أتاه جدي مهنئا بالخلافة فلما استقر به المجلس ووصلت إليه الوفود وقامت الخطباء تثني عليه والشعراء تمدحه مثل جدي بين السماطين فاستأذنه في الإنشاد فلم
حذف
يأذن له وقال عليك بالوليد فامدحه وأنشده وأمر بإخراجه وبلغ الوليد خبره فبعث إليه بخمسمائة دينار وقال له لو أمنت عليك هشاما لما فارقتني ولكن اخرج إلى الطائف وعليك بمالي هناك فقد سوغتك جميع غلته ومهما احتجت إلي من شيء بعد ذلك فالتمسه مني فخرج إلى الطائف وقال يذكر ما فعله هشام به
(أرَى سلمى تَصُدّ وما صدَدْنا ... وغير صدودِها كنّا أرَدْنا)
(لقد بخِلتْ بنائلها علينا ... ولو جادت بنائلِها حَمِدنا)
(وقد ضنّت بما وعدتْ وأمستْ ... تغيِّر عهدَها عمّا عَهدنا)
(ولو علمتْ بما لاقيتُ سلمى ... فتُخبرني وتعلم ما وجدنا)
(تُلِمّ على تنائي الدار منّا ... فيُسهرنا الخيال إذا رقَدْنا)
(ألم تَرَ أنّنا لمّا ولينا ... أموراً خُرِّقت فوهَتْ سدَدنا)
(رأينا الفَتْقَ حين وهَى عليهم ... وكم من مثله صَدَع رَفَأنا)

(إذا هاب الكريهةَ من يَلِيها ... وأعظَمها الهَيُوبُ لها عَمدنا)
(وجبّارٍ تركناه كَلِيلاً ... وقائدِ فتنةٍ طاغٍ أزَلْنا)
(فلا تنسَوْا مواطِنَنا فإنّا ... إذا ما عاد أهل الجُرم عُدْنا)
(وما هِيضتْ مَكاسِرُ من جَبرْنا ... ولا جُبِرتْ مصيبةُ من هدَدْنا)
(ألاَ مَن مُبلِغٌ عنّي هشاماً ... فما منّا البَلاءُ ولا بَعُدْنا)
(وما كنّا إلى الخلفاء نُفْضِي ... ولا كنّا نؤخَّر إن شَهِدنا)
(ألم يكُ بالبلاء لنا جَزَاءٌ ... فنُجْزَى بالمحاسِن أم حُسِدنا)
(وقد كان الملوك يرون حقًّا ... لوافِدنا فنُكْرَمُ إن وفَدْنا)
(ولِينا الناسَ أزماناً طِوالاً ... وسُسْناهم ودُسْناهم وقُدْنا)
(ألم تَرَ من ولَدْنا كيف أشْبَى ... وأشبَيْنا وما بهمُ قعَدْنا
(نكون لمن ولدْناه سماءً ... إذا شِيمتْ مَخَايلُنا رعَدنا)
(وكان أبوكَ قد أسدى إلينا ... جسيمةَ أمره وبه سَعِدنا)
(كذلك أوّلُ الخلفاء كانوا ... بنا جَدّوا كما بِهِم جدَدْنا)
(هُمُ آباؤنا وهُمُ بنونا ... لنا جُبِلوا كما لهمُ جُبِلنا)
(ونَكْوِي بالعداوة من بَغانا ... ونُسْعِد بالمودّة من وَدِدْنا)
(نرى حقًّا لسائلنا علينا ... فنحبوه ونُجزِل إن وعدنا)
(ونضمَن جارَنا ونراه منّا ... فنرفِدُه فنُجزل إن رفَدْنا)
(وما نعتدّ دون المجدِ مالاً ... إذا يُغْلَى بمكرُمةٍ أفَدْنا)
(وأتلَدُ مجدِنا أنّا كِرَامٌ ... بحدّ المَشْرَفِيّة عنه ذُدْنا)
لكل بيت ألف درهم
قال فلم يزل مقيما بالطائف إلى أن ولي الوليد بن يزيد الخلافة فوفد إليه فلما دخل عليه والناس بين يديه جلوس ووقوف على مراتبهم هنأه بالخلافة فأدناه الوليد وضمه إليه وقبل يزيد بن ضبة رجليه والأرض بين يديه فقال الوليد لأصحابه هذا طريد الأحول لصحبته إياي وانقطاعه إلي فاستأذنه يزيد في الإنشاد وقال له يا أمير المؤمنين هذا اليوم الذي نهاني عمك هشام عن الإنشاد فيه قد بلغته بعد يأس والحمد لله على ذلك فأذن له فأنشده
(سُلَيْمى تلك في العِير ... قفي أسألْكِ أو سِيري)
(إذا ما بنتِ لم تأوِي ... لصَبِّ القلبِ مَغْمور)
(وقد بانت ولم تَعْهَد ... مهاةٌ في مهاً حُورِ)
((وفي الآل حُمولُ الحي ... تُزْهَى كالقَراقِير
(يُواريها وتبدو منه ... آلٌ كالسَّمَادير)
(وتطفو حين تطفو فيه ... كالنَّخل المَوَاقِير)
(لقد لاقيتُ من سَلْمى ... تباريحَ التّناكِير)
(دعتْ عيني لها قلبي ... وأسبابُ المقادير)
(وما إنْ مَن به شيبٌ ... إذا يصبو بمعذور)
(لسلمى رسمُ أطلالٍ ... عفتْها الرّيحُ بالمُور)
(خَرِيقٌ تنخُل التُّربَ ... بأذيال الأعاصير)
(فأوْحِشْ إذ نأت سلمى ... بتلك الدُّور من دُور)
(سأرمي قانصاتِ البِيد ... إن عِشْتُ بعُسبور)
((من العِيس شَجَوْجاةٍ ... طواها النِّسْعُ بالكُور
(إذا ما حَقَبٌ منها ... قرنَّاه بتَصْدِير)
(زجرْنا العِيسَ فارقَدّتْ ... بإعصافٍ وتَشْمير)
(تُقاسِيها على أيْن ... بإدلاجٍ وتهجير)
(إذا ما اعصَوْصَب الآلُ ... ومالَ الظّلُّ بالقُور)
(وراحت تتَّقي الشمس ... مطايا القوم كالعُور)
(إلى أن يُفْضِح الصبحُ ... بأصوات العصافير)
(لِتَعْتَامَ الوليدَ القَرْمَ ... أهلَ الجودِ والخير)
(كريمٌ يَهبُ البُزْلَ ... مع الخُورِ الجَراجير)
(تُراعِي حين تُزجيها ... هَوِيًّا كالمزامير)
(كما جاوبَتِ النِّيبُ ... رِبَاعَ الخُلُجِ الخُور)
((ويُعطي الذهبَ الأحمر ... وزْناً بالقناطير
(بلَوْناه فأحمدناه ... في عُسْرٍ وميسور)
(كريمُ العُود والعُنْصر ... غَمْرٌ غير منزور)
(له السَّبْق إلى الغايات ... في ضَمّ المَضَامير)
(إمامٌ يُوضِح الحقَّ ... له نور على نور)
(مقالٌ من أخي ودّ ... بحفظ الصدق مأثور)
(بإحكام وإخلاص ... وتفهيم وتَحْبير)
قال فأمر الوليد بأن تعد أبيات القصيدة ويعطى لكل بيت ألف درهم فعدت فكانت خمسين بيتا فأعطي خمسين ألفا فكان أول خليفة عد أبيات الشعر وأعطى على عددها لكل بيت ألف درهم ثم لم يفعل ذلك إلا هارون الرشيد فإنه بلغه خبر جدي مع الوليد فأعطى مروان بن أبي حفصة ومنصورا النمري لما مدحاه وهجوا آل أبي طالب لكل بيت ألف درهم
يزيد يمدح فرس الوليد

قال عبد العظيم وحدثني أبي وجماعة من أصحاب الوليد أن الوليد خرج إلى الصيد ومعه جدي يزيد بن ضبة فاصطاد على فرسه السندي صيدا حسنا ولحق عليه حمارا فصرعه فقال لجدي صف فرسي هذا وصيدنا اليوم فقال في ذلك
((وأحْوَى سَلِسُ المَرْسِن ... مثلُ الصَّدَع الشَّعْب
(سما فوق مُنيفَاتٍ ... طوالٍ كالقَنَا سُلْب)
(طويلُ الساقِ عُنْجُوجٌ ... أشقُّ أصمعُ الكَعْب)
(على لأمٍ أصمَّ مُضمَّرٍ ... الأشْعَر كالقَعْب)
(ترى بين حَوامِيه ... نُسوراً كنَوَى القَسْب)
(مُعالَى شَنِجُ الأنْساء ... سامٍ جُرْشُعُ الجَنْب)
(طَوَى بين الشَّراسِيف ... إلى المَنْقَب فالقُنْب)
(يغوص الملحم القائِم ... ذو حَدّ وذو شَغْب)
(عَتِيدُ الشَّدّ والتَّقْريب ... والإحضار والعَقْب)
(صليبُ الأُذْن والكاهِل ... والمَوْقِف والعَجْب)
((عريضِ الخدّ والجَبْهة ... والبِرْكَة والهُلْب
(إذا ما حَثَّه حاثٌّ ... يُباري الرّيح في غَرْب)
(وإن وجَّهَه أسرع ... كالخُذْرُوف في الثَّقْب)
(وقَفّاهنّ كالأجْدَل ... لما انضمّ للضّرْب)
(ووالَى الطعنَ يختار ... جَوَاشِنَ بُدَّنٍ قُبّ)
(تَرَى كلَّ مُدِلٍّ قائماً ... يَلْهثُ كالكلب)
(كأن الماء في الأعطاف ... منه قِطَعُ العُطْب)
(كأن الدَّمَ في النَّحْر ... قَذَالُ عُلّ بالخَضْب)
(يَزِينُ الدارَ موقوفاً ... ويَشْفِي قَرَمَ الرَّكْب)
قال فقال له الوليد أحسنت يا يزيد الوصف وأجدته فاجعل لقصيدتك تشبيبا وأعطه الغزيل وعمر الوادي حتى يغنيا فيه فقال

صوت

(إلى هندٍ صبا قلبي ... وهندٌ مثلُها يُصْبي)
(وهندٌ غادةٌ غَيْداءُ ... من جُرْثومةٍ غُلْب)
((وما إنْ وجَدَ الناسُ ... من الأدواء كالحبّ
(لقد لَجَّ بها الإعراضُ ... والهجرُ بلا ذنب)
(ولمّا أَقْضِ من هندٍ ... ومن جاراتها نَحْبي)
(أرى وجدي بهندٍ دائماً ... يَزْداد عن غِبّ)
(وقد أطْوَلْتُ إعراضاً ... وما بغضُهُم طِبّي)
(ولكن رِقْبَةُ الأعين ... قد تحجُز ذا اللُّبّ)
ورغْمُ الكاشح الراغم ... فيها أيْسَرُ الخَطْب) قال ودفع هذه الأبيات إلى المغنين فغنوه فيها)
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي عن الأصمعي وحدثني به محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي قال كان يزيد بن ضبة مولى ثقيف ولكنه كان فصيحا وقد أدركته بالطائف وقد كان يطلب القوافي المعتاصة والحوشي من الشعر
قال أبو حاتم في خبره خاصة وحدثني غسان بن عبد الله بن عبد الوهاب الثقفي عن جماعة من مشايخ الطائفيين وعلمائهم قالوا قال يزيد بن ضبة ألف قصيدة فاقتسمتها شعراء العرب وانتحلتها فدخلت في أشعارها

أخبار إسماعيل بن الهربذ

إسماعيل بن الهربذ مكي مولى لآل الزبير بن العوام وقيل بل هو مولى بني كنانة أدرك آخر أيام بني أمية وغنى للوليد بن يزيد وعمر إلى آخر أيام الرشيد
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه عن عبد الله بن أبي سعد عن محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي عن أبيه إن إسماعيل بن الهربذ قدم على الرشيد من مكة فدخل إليه وعنده ابن جامع وإبراهيم وابنه إسحاق وفليح وغيرهم والرشيد يومئذ خاثر به خمار شديد فغنى ابن جامع ثم فليح ثم إبراهيم ثم إسحاق فما حركه أحد منهم ولا أطربه فاندفع ابن الهربذ يغني فعجبوا من إقدامه في تلك الحال على الرشيد فغنى

صوت

(يا راكبَ العيس التي ... وفدَت من البلد الحَرَام)
(قُل للإمام ابن الإمام ... أخي الإمام أبي الإمام)
(زينِ البريّة إذ بدا ... فيهم كمصباح الظلام)
(جعل الإلهُ الهِرْبِذيَّ ... فِداك من بين الأنام)
الغناء لابن الهربذ رمل بالوسطى عن عمرو قال فكاد الرشيد يرقص واستخفه الطرب حتى ضرب بيديه ورجليه ثم أمر له بعشرة آلاف درهم فقال له يا أمير المؤمنين إن لهذا الصوت حديثا فإن أذن مولاي حدثته به فقال حدث ... قال كنت مملوكا لرجل من ولد الزبير فدفع إلي درهمين أبتاع له بهما لحما فرحت فلقيت جارية على رأسها جرة مملوءة من ماء العقيق وهي تغني هذا اللحن في شعر غير هذا الشعر على وزنه ورويّه فسألتها أن تعلمنيه فقالت لا وحق القبر إلا بدرهمين فدفعت إليها الدرهمين وعلمتنيه فرجعت إلى مولاي بغير لحم فضربني ضربا مبرحا شغلت معه بنفسي فأنسيت الصوت ثم دفع إلي درهمين آخرين بعد أيام أبتاع له بهما لحما فلقيتني الجارية فسألتها أن تعيد الصوت علي فقالت لا والله إلا بدرهمين فدفعتهما إليها وأعادته علي مرارا حتى أخذته
فلما رجعت إلى مولاي أيضا ولا لحم معي قال ما القصة في هذين الدرهمين فصدقته القصة وأعدت عليه الصوت فقبل بين عيني وأعتقني فرحلت اليك بهذا الصوت وقد جعلت ذلك اللحن في هذا الشعر فقال دع الأول وتناسه وأقم على

الغناء بهذا اللحن في هذا الشعر فأما مولاك فسأدفع إليه بدل كل درهم ألف دينار ثم أمر له بذلك فحمل إليه
ومما نسب إلى الوليد بن يزيد من الشعر وليس له
صوت
من المائة المختارة
(اِمدَحِ الكأسَ ومن أعْمَلَها ... واهْجُ قوماً قتلونا بالعطشْ)
(إنما الكأس ربيعٌ باكرٌ ... فإذا ما غاب عنّا لم نَعِشْ)
الشعر لنابغة بني شيبان والغناء لأبي كامل ولحنه المختار من خفيف الثقيل الثاني بالوسطى وهو الذي تسميه الناس اليوم الماخوري وفيه لأبي كامل أيضا خفيف رمل بالبنصر عن عمرو
وذكر الهشامي أن فيه لمالك لحنا من الثقيل الأول بالوسطى ولعمر الوادي ثاني ثقيل بالبنصر
نسب نابغة بني شيبان
النابغة اسمه عبد الله بن المخارق بن سليم بن حصرة بن قيس بن سنان ابن حماد بن حارثة بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار شاعر بدوي من شعراء الدولة الأموية
وكان يفد إلى الشام إلى خلفاء بني أمية فيمدحهم ويجزلون عطاءه وكان فيما أرى نصرانيا لأني وجدته في شعره يحلف بالإنجيل والرهبان والأيمان التي يحلف بها النصارى ومدح عبد الملك بن مروان ومن بعده من ولده وله في الوليد مدائح كثيرة
نابغة بني شيبان يمدح عبد الملك
أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد الكراني قال حدثني العمري عن العتبيّ قال لما هم عبد الملك بخلع عبد العزيز أخيه وتولية الوليد ابنه العهد كان نابغة بني شيبان منقطعا إلى عبد الملك مداحا له فدخل إليه في يوم حفل والناس حواليه وولده قدامه فمثل بين يديه وأنشده قوله
أشتقتَ وانهلَّ دمعُ عينك أنْ ... أضحى قِفاراً من أهله طَلَحُ) حتى انتهى إلى قوله
(أزَحْتَ عنّا آلَ الزبير ولو ... كانوا هُمُ المالكين ما صَلَحوا)
(إن تلْقَ بَلْوَى فأنت مُصْطَبِرٌ ... وإن تُلاقِ النُّعْمَى فلا فرِحُ)
(ترمِي بعينَيْ أقْنَى على شَرَفٍ ... لم يؤذه عائرٌ ولا لَحَحُ)
(آلُ أبي العاص آلُ مَأثُرةٍ ... غُرٌّ عِتَاقٌ بالخير قد نَفَحوا)
(خيرُ قريشٍ وهم أفاضلُها ... في الجِدِّ جِدٌّ وإن هُمُ مزَحوا)
(أرْحَبها أذْرُعاً وأصبَرُها ... أنتم إذا القوم في الوَغَى كَلَحوا)
(أمّا قريشٌ فأنتَ وارثُها ... تكُفُّ من صعبهم إذا طمَحوا)
(حفِظْتَ ما ضَيّعوا وزَنْدَهم ... أورَيْتَ إذا أصلدوا وقد قدحوا)
(آليتُ جَهْداً وصادقٌ قسمي ... بربِّ عبدٍ تَجُنُّه الكُرُحُ)
(يَظَلُّ يتلو الإنجيلَ يدرُسه ... من خَشْية الله قلبُه طَفِحُ)
(لاَبنُكَ أولَى بمُلك والده ... ونجم من قد عصاكَ مُطَّرِحُ)
(داود عَدلٌ فاحكم بسيرته ... ثم ابنُ حَرْب فإنّهم نصَحوا)
(وهم خيارٌ فاعمل بسنّتهم ... واحْيَ بخير واكْدَحْ كما كدَحوا)
قال فتبسم عبد الملك ولم يتكلم في ذلك بإنذار ولا دفع فعلم الناس أن رأيه خلع عبد العزيز وبلغ ذلك من قول النابغة عبد العزيز فقال لقد أدخل ابن النصرانية نفسه مدخلا ضيقا فأوردها موردا خطرا وبالله علي لئن ظفرت بن لأخضبن قدمه بدمه
مدح يزيد
وقال أبو عمرو الشيباني لما قتل يزيد بن المهلب دخل النابغة الشيباني على يزيد بن عبد الملك بن مروان فأنشده قوله في تهنئته بالفتح
(ألاَ طال التنظُّر والثَّوَاءُ ... وجاء الصيف وانكشف الغِطاءُ)
(وليس يُقيم ذو شَجَنٍ مُقِيمٍ ... ولا يَمْضِي إذا ابتُغِي المَضَاءُ)
(طَوَالَ الدهر إلاّ في كتابٍ ... ومقدارٍ يُوافِقه القضاءُ)
(فما يُعطَى الحريصُ غِنىً لِحِرْصٍ ... وقد يَنْمِي لِذي الجود الثَّراء)
وكلُّ شديدةٍ نزلتْ بحيٍّ ... سيتبعُها إذا انتهت الرَّخَاء) ويقول فيها
(أؤمُّ فتىً من الأعياص مَلْكاً ... أغرَّ كأن غُرّته ضَياء)
(لأُسْمِعه غريبَ الشعر مدحاً ... وأُثْنِي حيث يتصِل الثناء)
(يزيدِ الخير فهو يزيد خيراً ... وينمِي كلّما ابتُغِي النَّماء)
(فضَضتَ كتائبَ الأزدي فَضًّا ... بكبشك حين لَفّهما اللقاء)
(سَمكْتَ المُلْكَ مقتبَلاً جديداً ... كما سُمِكَتْ على الأرض السماء)
(نرجّي أن تدوم لنا إماماً ... وفي مُلك الوليد لنا رجاءُ)
(هشامٌ والوليد وكلُّ نفسٍ ... تُريد لك الفناء لك الفِداء)
وهي قصيدة طويلة فأمر له بمائة ناقة من نعم كلب وأن توقر له برا وزبيبا وكساه وأجزل صلته
قال ووفد إلى هشام لما ولي الخلافة فلما رآه قال له يا ماص ما أبقت المواسي من بظر أمه ألست القائل
هشامٌ والوليدُ وكلُّ نفسٍ ... تريد لك الفناءَ لك الفِداء) أخرجوه عني والله لا يرزؤني شيئا أبدا وحرمه ولم يزل طول أيامه طريدا حتى ولي الوليد بن يزيد فوفد إليه ومدحه مدائح كثيرة فأجزل صلته
حدثني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني عبيد الله بن محمد الكوفي عن العمري الخصاف عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية أنه أنشده لنابغة بني شيبان
(أيها الساقي سقتْكَ مُزْنَةٌ ... من رَبِيعٍ ذي أهاضيبَ وطَشّ)

(اِمدح الكأس ومن أعملها ... واهْجُ قوما قتلونا بالعطش)
(إنما الكأسُ رِبيعٌ باكِرٌ ... فإذا ما غاب عنّا لم نَعِشْ)
(وكأنّ الشَّربَ قومٌ مُوِّتوا ... من يَقُمْ منهم لأمرٍ يَرْتعِش)
(خُرسُ الألسنِ ممّا نالهم ... بين مصروع وصاحٍ منتعش)
(من حُمَيّا قَرْقَفٍ حُصِّيَّةٍ ... قهوةٍ حَوْليّةٍ لم تُمتَحَشْ)
((ينفع المزكوم منها ريحُها ... ثم تنفي داءه إن لم تُنشّ
(كلّ من يشربها يألفُها ... يُنفق الأموالَ فيها كلُّ هَشّ)
مدح بني شيبان
أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الجمحي قال ابن أبي الأزهر وهو محمد بن سلام غني أبو كامل مولى الوليد بن يزيد يوما بحضرة الوليد بن يزيد
اِمدَح الكأسَ ومن أعملها ... واهْجُ قوماً قتلونا بالعطشْ) فسأل عن قائل هذا الشعر فقيل نابغة بني شيبان فأمر بإحضاره فأحضر فاستنشده القصيدة فأنشده إياها وظن أن فيه مدحا له فإذا هو يفتخر بقومه ويمدحهم فقال له الوليد لو سعد جدك لكانت مديحا فينا لا في بني شيبان ولسنا نخليك على ذلك من حظ ووصله وانصرف وأول هذه القصيدة قوله
(خَلِّ قلبي من سُلَيْمي نبلُها ... إذ رمتني بسهامٍ لم تَطِشْ)
(طَفْلَةُ الأعطاف رُؤْدٌ دُمْيةٌ ... وشَوَاها بَخْتَرِيّ لم يُحَشْ)
(وكأنّ الدُّرَّ في أخْراصها ... بَيْضُ كَحْلاء أقرّته بعُشّ)
(ولها عينا مَهاةٍ في مهاً ... تَرْتعي نبتَ خُزامَى ونَتَشْ)
((حُرّةُ الوجه رخيمٌ صوتُها ... رُطَبٌ تَجْنيه كفُّ المنْتقِشْ
وهي في الليل إذا ما عُونِقَتْ ... مُنْيةُ البعل وهمُّ المفْترش) وفيها يقول مفتخرا
(وبنو شَيْبان حولي عُصَبٌ ... منهم غُلْبٌ وليست بالقَمِش)
(ورِدوا المجدَ وكانوا أهلَه ... فرَوُوا والجودُ عافٍ لم يَنِشْ)
(وترى الجُرْدَ لدى أبياتهم ... أرِنَاتٍ بين صَلْصال وجَشْ)
(ليس في الألوان منها هُجْنَةٌ ... وضَحُ البُلْقِ ولا عيبُ البَرَش)
(فبِها يَحْوُون أموال العِدَا ... ويَصيدون عليها كلَّ وحش)
(دَمِيَتْ أكفالُها من طعنهم ... بالرُّدَيْنيّات والخيل النُّجُش)
(نُنْهِل الخَطِّيّ من أعدائنا ... ثم نَفْري الهامَ إن لم نفْترِشْ)
(فإذا العِيسُ من المحل غَدَتْ ... وهي في أعينها مثلُ العَمَش)
(حُسَّرَ الأوبار مما لَقِيتْ ... من سَحابٍ حاد عنها لم يرُش)
(خُسَّفَ الأعين تَرْعَى جُوفةً ... هَمَدتْ أوبارُها لم تَنْتفِش)
(تَنْعَش العافي ومن لاذ بنا ... بسِجال الخير من أيْدٍ نُعُشْ)
((ذاك قولي وثنائي وهمُ ... أهْلُ ودِّي خالصاً في غير غِشّ
(فسَلُوا شَيْبانَ إن فارقتُهم ... يوم يمشون إلى قبري بنعش)
هل غَشِينا مَحْرَماً في قومنا ... أو جزينا جازياً فُحْشاً بفُحشْ) ومما يغنى فيه من شعر نابغة بني شيبان)
صوت
(ذَرَفتْ عيني دموعاً ... من رسوم بحَفير)
(مُوحِشاتٍ طامساتٍ ... مثل آيات الزَّبور)
(وزِقَاقٍ مُتْرَعاتٍ ... من سُلاَفات العَصِير)
(مُجْلَخِدّات مِلاَءٍ ... بطُنوهنّ بقِير)
(فإذا صارت إليهم ... صيِّرتْ خيرَ مَصير)
(من شبابٍ وكُهولٍ ... حكّموا كأسَ المُدير)
(كم ترى فيهم نديماً ... من رئيس وأمير)
ذكر يونس أن فيه لمالك لحنا ولابن عائشة آخر ولم يذكر طريقتهما وفيه خفيف رمل معروف لا أدري لحن أيهما هو
صوت
من المائة المختارة
(يا عَمْرُ حُمّ فِراقُكم عَمْرا ... وعَزَمْتِ منّا النأيَ والهجرا)
(إحدى بني أَوْدٍ كَلِفتُ بها ... حَمَلت بلا تِرَةٍ لنا وِتْرا)
(وترى لها دَلاًّ إذا نطقتْ ... تركت بناتِ فؤاده صُعْرا)
((كتساقط الرُّطَبِ الجَنِيِّ من الأفنان ... لا بَثْراً ولا نزْرا
الشعر لأبي دهبل الجمحي والغناء لفزار المكي ولحنه المختار ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى عن الهشامي
أخبار أبي دهبل ونسبه
نسبه فيما ذكر الزبير بن بكار وغيره وهب بن زمعة بن أُسيد بن أُحيحة بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب ابن لؤي بن غالب ولخلف بن وهب يقول عبد الله بن الزبعري أو غيره
(خَلَفُ بن وَهْب كلَّ آخر ليلةٍ ... أبداً يكثّر أهلَه بعيال)
(سَقْياً لوَهْب كَهْلِها ووليدها ... ما دام في أبياتها الذيّال)
نعم الشبابُ شبابُهم وكهولُهم ... صُيّابة ليسوا من الجُهَّالِ) وأم أبي دهبل امرأة من هذيل وإياها يعني بقوله)
(أنا ابن الفروع الكرامِ التي ... هُذَيلٌ لأبياتها سائِلَهْ)
هُمُ ولدوني وأشبهتهم ... كما تُشْبِه الليلة القابلهْ) واسمها فيما ذكر ابن الأعرابي هذيلة بنت سلمة)
بعض من صفاته
قال المدائني كان أبو دهبل رجلا جميلا شاعرا وكانت له جمة

يرسلها فتضرب منكبيه وكان عفيفا وقال الشعر في آخر خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومدح معاوية وعبد الله بن الزبير وقد كان ابن الزبير ولاه بعض أعمال اليمن
حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثنا العمري عن الكلبي عن أبي مسكين وأخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثني العباس بن هشام عن أبيه عن أبي مسكين إن قوما مروا براهب فقالوا له يا راهب من أشعر الناس قال مكانكم حتى أنظر في كتاب عندي فنظر في رق له عتيق ثم قال وهب من وهبين من جمح أو جمحين
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا علي ابن صالح عن عبد الله بن عروة قال قال أبو دهبل يفخر بقومه
(قومي بنو جُمَحٍ قوم إذا انحدرَتْ ... شَهْباءُ تُبصر في حافاتها الزَّغَفا)
أهلُ الخلافة والمُوفُون إن وعَدوا ... والشاهِدو الروع لا عُزْلا ولا كُشُفا) قال الزبير وأنشدني عمي قال أنشدني مصعب لأبي دهبل يفخر بقومه بقوله
(أنا أبو دهبلَ وَهْبٌ لِوَهَبْ ... من جُمَحٍ في العز منها والحَسَبْ)
(والأُسرةِ الخضراءِ والعِيص الأشِبْ ... ومن هُذَيلٍ والدي عالي النَّسَبْ)
((أورثني المجدَ أبٌ من بعد أبْ ... رمحي رُدَيْنيٌ وسيفي المستلِبْ
(وبَيْضتي قَوْنسُها من الذَّهبْ ... دِرْعي دِلاصٌ سَرْدُها سردٌ عَجَبْ)
(والقوس فَجّاءُ لها نَبْلٌ ذَرِبْ ... محشورةٌ أحْكِم منهن القُطَبْ)
(... ليوم هَيْجاءَ أُعِدّت للرَّهَبْ)
نشيج الأحبّة
أخبرني محمد بن خلف قال حدثنا محمد بن زهير قال حدثنا المدائني أن أبا دهبل كان يهوى امرأة من قومه يقال لها عمرة وكانت امرأة جزلة يجتمع إليها الرجال للمحادثة وإنشاد الشعر والأخبار وكان أبو دهبل لا يفارق مجلسها مع كل من يجتمع إليها وكانت هي أيضا محبة له
وكان أبو دهبل رجلا سيدا من أشراف بني جمح وكان يحمل الحمالات ويعطي الفقراء ويقري الضيف وزعمت بنو جمح أنه تزوج عمرة هذه بعد ذلك وزعم غيرهم أنه لم يصل إليها وكانت عمرة توصيه بحفظ ما بينهما وكتمانه فضمن لها ذلك واتصل ما بينهما فوقفت عليه زوجته فدست إلى عمرة امرأة داهية من عجائز أهلها فجاءتها فحادثتها طويلا ثم قالت لها في عرض حديثها إني لأعجب لك كيف لا تتزوجين أبا دهبل مع ما بينكما قالت وأي شيء يكون بيني وبين أبي دهبل قال فتضاحكت وقالت أتسترين عني شيئا قد تحدثت به أشراف قريش في مجالسها وسوقة أهل الحجاز في أسواقها والسقاة في مواردها فما يتدافع اثنان أنه يهواك وتهوينه فوثبت عن مجلسها فاحتجبت ومنعت كل من كان يجالسها من المصير إليها
وجاء أبو دهبل على عادته فحجبته وأرسلت إليه بما كره ففي ذلك يقول
صوت
(تطاولَ هذا الليل ما يتبلّجُ ... وأعيَتْ غَوَاشِي عَبْرتي ما تَفَرّجُ)
(وبتُّ كئيباً ما أنام كأنما ... خِلالَ ضلوعي جمرةٌ تتوهّجُ)
(فطوْراً أُمَنّي النفسَ من عَمْرة المُنى ... وطوراً إذا ما لَجّ بي الحزنُ أنْشِجُ)
(لقد قطع الواشون ما كان بيننا ... ونحن إلى أن يُوصَل الحبلُ أحوجُ)
الغناء في البيت الأول وبعده بيت في آخر القصيدة
أُخَطِّط في ظهر الحصير كأنّني ... أسيرٌ يَخاف القتلَ ولهان مُلْفَجُ) لمعبد ثقيل أول بالوسطى)
وذكر حماد عن أبيه في أخبار مالك أنه لحائد بن جرهد وأن مالكا أخذه عنه فنسبه الناس إليه فكان إذا غنّاه وسئل عنه يقول هذا والله لحائد بن جرهد لا لي وفيه لأبي عيسى بن الرشيد ثاني ثقيل بالوسطى عن حبش وفي لقد قطع الواشون وقبله فطورا أمني النفس لمالك ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق وفيه لمعبد خفيف ثقيل بالوسطى عن حبش
(رأوا غِرّةً فاستقبلوها بألْبِهم ... فراحوا على مالا نُحِبّ وأدْلجوا)
(وكانوا أناساً كنتُ آمَنُ غَيْبَهم ... فلم يَنْهَهم حلمي ولم يتحرّجوا)
(فليت كوانيناً مِنَ أهلي وأهلها ... بأجمعهم في قعر دَجْلة لَجَّجُوا)
((همُ منعونا ما نحبّ وأوقدوا ... علينا وشبّوا نار صُرم تأجَّج
(ولو تركونا لا هَدَى اللهُ سعيَهم ... ولم يُلْحِموا قولاً من الشرّ يُنْسَج)
(لأوشك صرفُ الدهر يفرقُ بيننا ... ولا يستقيم الدّهر والدهرُ أعوج)
(عسى كُرْبَةٌ أمسيت فيها مقيمةً ... يكون لنا منها نجاةٌ ومَخْرج)
(فيُكْبَتَ أعداءٌ ويَجْذَل آلِفٌ ... له كَبِدٌ من لوعة الحبّ تُلْعَج)
(وقلت لعبّاد وجاء كتابُها ... لهذا وربّي كانت العين تَخلُج)
(وإنّي لمحزونٌ عشيّةَ زرتُها ... وكنتُ إذا ما جئتُها لا أُعرِّج)
أخطّط في ظهر الحصير كأنني ... أسيرٌ يخاف القتل وَلْهان مُلفَج) الملفج الفقير المحتاج)
(وأشفَق قلبي من فراق خليلةٍ ... لها نسبٌ في فرع فِهرٍ متوّج)
(وكفٌّ كهُدّاب الدِّمَقْس لطيفةٌ ... بها دَوْسُ حِنَّاء حديثٌ مُضرَّج)
(يَجُول وشاحاها ويَغتَصّ حجْلها ... ويَشبَع منها وَقْف عاج ودُمْلُج)
(فلما التقينا لَجْلَجَتْ في حديثها ... ومن آية الصُّرم الحديثُ المُلَجْلَجُ)
شعره في عمرة
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال أنشدني عمي ومحمد بن الضحاك عن أبيه محمد بن خشرم ومن شئت من قريش لأبي دهبل في عمرة
(يا عَمْر حُمّ فراقُكم عمرا ... وعزَمْتِ منّا النأيَ والهجرا)

((يا عمر شيخُكَ وهو ذو كرم ... يَحْمي الذِّمار ويُكرم الصِّهرا
(إن كان هذا السحرُ منك فلا ... تُرعِي عليّ وجدِّدي السِّحرا)
(إحدى بني أَوْد كلِفتُ بها ... حمَلتْ بلا وتْر لنا وِترا)
(وترى لها دَلاًّ إذا نطقتْ ... تركتْ بناتِ فؤاده صُعْرا)
(كتساقُطِ الرُّطَب الجَنِيّ من الأفنانِ ... لا نَثْراً ولا نَزْرا)
(أقسمتُ ما أحببتُ حبَّكم ... لا ثَيِّباً خُلقتْ ولا بِكْرا)
(ومقالةٌ فيكم عرَكْتُ بها ... جَنْبي أُريد بها لكِ العذرا)
(ومُريد سرِّكم عدَلتُ به ... فيما يحاول مَعْدِلاً وَعْرا)
(قالت يُقيم بنا لنَجْزِيَه ... يوماً فخيَّم عندها شهرا)
ما إن أُقيم لحاجةٍ عرَضَتْ ... إلاّ لأُبْلِيَ فيكمُ العذرا) قالوا وفيها يقول
صوت
(يلومونني في غيرِ ذنب جنيتُه ... وغيريَ في الذنب الذي كان ألومُ)
(أمِنَّا أُناساً كنتِ تأتمِنِينَهم ... فزادوا علينا في الحديث وأوهموا)
(وقالوا لنا ما لم يُقَلْ ثم كثَّروا ... علينا وباحوا بالذي كنت أكتُمُ)
غنى في هذه الأبيات أبو كامل مولى الوليد رملا بالبنصر
((وقد منِحتْ عيني القَذَى لفراقهم ... وعاد لها تَهْتَانُها فهي تَسْجُمُ
(وصافيتُ نِسْواناً فلم أر فيهمُ ... هوايَ ولا الوُدَّ الذي كنتُ أعلم)
(أليس عظيماً أن نكون ببلدة ... كلانا بها ثاوٍ ولا نتكلّم)
أخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان قال سمع أبو السائب المخزومي رجلا ينشد قول أبي دهبل
أليس عجيباً أن نكون ببلدة ... كلانا بها ثاوٍ ولا نتكلّم) فقال له أبو السائب قف يا حبيبي فوقف فصاح بجارية يا سلامة) اخرجي فخرجت فقال له أعِد بأبي أنت البيت فأعاده فقال بلى والله إنه لعجيب عظيم وإلا فسلامة حرة لوجه الله اذهب فديتك مصاحبا ثم دخل ودخلت الجارية تقول له ما لقيت منك لا تزال تقطعني عن شغلي فيما لا ينفعك ولا ينفعني
وحدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال كنا نختلف إلى أبي العباس المبرد ونحن أحداث نكتب عن الرواة ما يروونه من الآداب والأخبار وكان يصحبنا فتى من أحسن الناس وجها وأنظفهم ثوبا وأجملهم زيا ولا نعرف باطن أمره فانصرفنا يوما من مجلس أبي العباس المبرد وجلسنا في مجلس نتقابل بما كتبناه ونصحح المجلس الذي شهدناه فإذا بجارية قد اطلعت فطرحت في حجر الفتى رقعة ما رأيت أحسن من شكلها مختومة بعنبر فقرأها منفردا بها ثم أجاب عنها ورمى بها إلى الجارية فلم نلبث أن خرج خادم من الدار في يده كرش فدخل البنا فصفع الفتى به حتى رحمناه وخلصناه من يده
(وقمنا أسوأ الناس حالا فلما تباعدنا سألناه عن الرقعة فإذا فيها مكتوب
كفى حَزَناً أنّا جميعاً ببلدةٍ ... كلانا بها ثاوٍ ولا نتكلّم) فقلنا له هذا ابتداء ظريف فبأي شيء أجبت أنت قال هذا صوت) سمعته يُغنى فيه فلما قرأته في الرقعة أجبت عنه بصوت مثله فسألناه ما هو فقال كتبت في الجواب
أراعك بالخَابُور نُوقٌ وأجمال ...) فقلنا له ما وفاك القوم حقك قط وقد كان ينبغي أن يدخلونا معك في القصة لدخولك) في جملتنا ولكنا نحن نوفيك حقك ثم تناولناه فصفعناه حتى لم يدر أي طريق يأخذ وكان آخر عهده بالاجتماع معنا
رجع الخبر إلى سياقة أخبار أبي دهبل
أبو دهبل وعاتكة بنت معاوية
أخبرني عمي حدثني الكراني قال حدثني العمري عن الهيثم بن عدي قال حدثنا صالح بن حسان قال وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني محمد بن عمر قال حدثني محمد بن السري قال
حدثنا هشام بن الكلبي عن أبيه يزيد أحدهما على الآخر في خبره واللفظ لصالح بن حسان وخبره أتم قال حجت عاتكة بنت معاوية بن أبي سفيان فنزلت من مكة بذي طوى فبينا هي ذات يوم جالسة وقد اشتد الحر وانقطع الطريق وذلك في وقت الهاجرة إذ أمرت جواريها فرفعن الستر وهي جالسة في مجلسها عليها شفوف لها تنظر إلى الطريق إذ مر بها أبو دهبل الجمحي وكان من أجمل الناس وأحسنهم منظرا فوقف طويلا ينظر إليها وإلى جمالها وهي غافلة عنه فلما فطنت له سترت وجهها وأمرت بطرح الستر وشتمته فقال أبو دهبل
(إني دعاني الحَيْن فاقتادني ... حتى رأيتُ الظبي بالبابِ)
(يا حسنَه إذ سبَّني مُدْبِراً ... مستَتِراً عنّي بجِلبابِ)
(سبحان من وقّفها حسرةً ... صُبّت على القلب بأوصاب)
(يذود عنها إن تطلَّبتُها ... أبٌ لها ليس بوهّاب)
أحلّها قصراً منيعَ الذُّرَى ... يُحْمَى بأبواب وحُجّاب) قال وأنشد أبو دهبل هذه الأبيات بعض إخوانه فشاعت بمكة وشهرت) وغنى فيها المغنون حتى سمعتها عاتكة إنشادا وغناء فضحكت وأعجبتها وبعثت إليه بكسوة وجرت الرسل بينهما فلما صدرت عن مكة خرج معها إلى الشأم ونزل قريبا منها فكانت تعاهده بالبر واللطف حتى وردت دمشق وورد معها فانقطعت عن لقائه وبعد من أن يراها ومرض بدمشق مرضا طويلا فقال في ذلك
((طال ليلي وبِتّ كالمحزون ... ومَلِلتُ الثَّواءَ في جَيْرون
(وأطلتُ المُقام بالشأم حتى ... ظنّ أهلي مُرَجَّمَاتِ الظّنون)
(فبكتْ خشيةَ التفرّق جُمْلٌ ... كبكاء القرين إثْرَ القرين)
(وهي زهراءُ مثلُ لؤلؤة الغوّاص ... مِيزتْ من جوهر مكنون)
(وإذا ما نسبْتَها لم تجِدْها ... في سَناء من المكارِم دون)
(ثم خاصرتُها إلى القُبّة الخضْراءِ ... تمشي في مَرْمَرٍ مَسْنُون)
(قُبّةٌ من مَراجل ضربوها ... عند بَرْد الشتاء في قَيْطون)
(عن يَساري إذا دخلتُ من الباب ... وإن كنتُ خارجاً عن يميني)
(ولقد قلتُ إذ تطاول سُقْمي ... وتَقَلّبتُ ليلتي في فنون)

(ليت شعري أمِنْ هوىً طار نومي ... أم بَراني الباري قصيرَ الجفون)
قال وشاع هذا الشعر حتى بلغ معاوية فأمسك عنه حتى إذا كان في يوم الجمعة دخل عليه الناس وفيهم أبو دهبل فقال معاوية لحاجبه إذا أراد أبو دهبل الخروج فامنعه واردده إليّ وجعل الناس يسلمون وينصرفون فقام أبو دهبل لينصرف فناداه معاوية يا أبا دهبل إلي فلما دنا إليه أجلسه حتى خلا به ثم قال له ما كنت ظننت أن في قريش أشعر منك حيث تقول
(ولقد قلت إذ تطاول سُقْمِي ... وتقلّبتُ ليلتي في فنون)
(ليت شعري أمن هوىً طار نومي ... أم براني الباري قصيرَ الجفون)
غير أنك قلت
(وهي زهراءُ مثل لؤلؤة الغَوّاص ... مِيزتْ من جوهر مكنون)
وإذا ما نسبْتَها لم تَجدْها ... في سَناء من المكارم دُون) ووالله إن فتاة أبوها معاوية وجدها أبو سفيان وجدتها هند بنت عتبة لكما ذكرت وأي شيء زدت في قدرها ولقد أسأت في قولك
ثم خاصرتُها إلى القبّة الخضراء ... تَمشي في مرمر مَسْنون) فقال والله يا أمير المؤمنين ما قلت هذا وإنما قيل على لساني فقال له أما من جهتي فلا خوف عليك لأني أعلم صيانة ابنتي نفسها وأعرف أن فتيان الشعر لم يتركوا أن يقولوا النسيب في كل من جاز أن يقولوه فيه وكل من لم يجز وإنما أكره لك جوار يزيد وأخاف عليك وثباته فإن له سورة الشباب وأنفة الملوك وإنما أراد معاوية أن يهرب أبو دهبل فتنقضي المقالة عن ابنته فحذر أبو دهبل فخرج إلى مكة هاربا على وجهه فكان يكاتب عاتكة فبينا معاوية ذات يوم في مجلسه إذ جاءه خصي له فقال يا أمير المؤمنين والله لقد سقط إلى عاتكة اليوم كتاب فلما قرأته بكت ثم أخذته
فوضعته تحت مصلاها وما زالت خاثرة النفس منذ اليوم فقال له اذهب فالطف لهذا الكتاب حتى تأتيني به فانطلق الخصي فلم يزل يلطف حتى أصاب منها غرة فأخذ الكتاب وأقبل به إلى معاوية فإذا فيه
(أعاتِكُ هلاّ إذ بخلْتِ فلا تَرَيْ ... لذي صَبْوة زُلْفَى لديكِ ولا حَقّا)
(رَدَدْتِ فؤاداً قد تولّى به الهوى ... وسكّنْتِ عيناً لا تَمَلّ ولا تَرْقا)
(ولكن خلعتِ القلبَ بالوعد والمُنى ... ولم أرَ يوماً منك جُوداً ولا صدقا)
(أتَنْسَيْن أيّامي بِرَبْعك مُدْنَفاً ... صريعاً بأرض الشأم ذا سَقَم مُلْقَى)
(وليس صديقٌ يُرتضَى لوصِيّةٍ ... وأدعو لدائي بالشَّراب فما أُسْقَى)
(وأكبرُ همّي أن أرَى لك مُرْسَلاً ... فطولَ نهاري جالسٌ أرْقُبُ الطُّرْقا)
(فوَاكبِدي إذ ليس لي منك مجلسٌ ... فأشكو الذي بي من هواك وما ألقَى)
(رأيتُك تزدادين للصّبّ غِلظةً ... ويزداد قلبي كلَّ يوم لكم عشقا)
قال فلما قرأ معاوية هذا الشعر بعث إلى يزيد بن معاوية فأتاه فدخل عليه فوجد معاوية مطرقا فقال يا أمير المؤمنين ما هذا الأمر الذي شجاك قال أمر أمرضني وأقلقني منذ اليوم وما أدري ما أعمل في شأنه قال وما هو يا أمير المؤمنين قال هذا الفاسق أبو دهبل كتب بهده الأبيات إلى أختك عاتكة فلم تزل باكية منذ اليوم وقد أفسدها فما ترى فيه فقال والله إن الرأي لهين قال وما هو قال عبد من عبيدك يكمن له في أزقة مكة فيريحنا منه قال معاوية أُف لك والله إن امرأً يريد بك ما يريد ويسمو بك إلى ما يسمو لغير ذي رأي وأنت قد ضاق ذرعك بكلمة وقصر فيها باعك حتى أردت أن تقتل رجلا من قريش أو ما تعلم أنك إذا فعلت ذلك صدقت
قوله وجعلتنا أُحدوثة أبدا قال يا أمير المؤمنين إنه قال قصيدة أخرى تناشدها أهل مكة وسارت حتى بلغتني وأوجعتني وحملتني على ما أشرت به فيه قال وما هي قال قال
(ألاَ لا تَقُلْ مهلاً فقد ذهب المَهْلُ ... وما كلّ من يَلْحَى محبًّا له عقل)
(لقد كان في حوليْن حالاً ولم أزُرْ ... هواي وإن خُوِّفتُ عن حبها شغل)
(حمَى الملكُ الجبّار عنّي لقاءها ... فمن دونها تُخْشَى المتالِفُ والقتل)
(فلا خيرَ في حبٍّ يُخاف وبالُه ... ولا في حبيبٍ لا يكون له وصل)
(فواكَبِدي إنّي شُهِرتُ بحبّها ... ولم يك فيما بيننا ساعةً بَذْلُ)
(ويا عجباً إني أُكاتم حبَّها ... وقد شاع حتى قُطّعت دونها السُّبْلُ)
قال فقال معاوية قد والله رفهت عني فما كنت آمن أنه قد وصل إليها فأما الآن وهو يشكو أنه لم يكن بينهما وصل ولا بذل فالخطب فيه يسير قم عني فقام يزيد فانصرف وحجّ معاوية في تلك السنة فلما انقضت أيام الحج كتب أسماء وجوه قريش وأشرافهم وشعرائهم وكتب فيهم اسم أبي دهبل ثم دعا بهم ففرق في جميعهم صلات سنية وأجازهم جوائز كثيرة فلما قبض أبو دهبل جائزته وقام لينصرف دعا به معاوية فرجع إليه فقال له يا أبا دهبل مالي رأيت أبا خالد يزيد ابن أمير المؤمنين عليك ساخطا في قوارص تأتيه عنك وشعر لا تزال قد نطقت به وأنفذته إلى خصمائنا وموالينا لا تعرض لأبي خالد فجعل يعتذر إليه ويحلف له أنه مكذوب عليه فقال له معاوية لا بأس عليك وما يضرك ذلك عندنا هل
تأهلت قال لا قال فأي بنات عمك أحب إليك قال فلانة قال قد زوجتكها وأصدقتها ألفي دينار وأمرت لك بألف دينار فلما قبضها قال إن رأى أمير المؤمنين أن يعفو لي عما مضى فإن نطقت ببيت في معنى ما سبق مني فقد أبحت به دمي وفلانة التي زوجتنيها طالق البتة فسر بذلك معاوية وضمن له رضا يزيد عنه ووعده بإدرار ما وصله به في كل سنة وانصرف إلى دمشق ولم يحجج معاوية في تلك السنة إلى من أجل أبي دهبل

الرجل الضعيف والمرأة الآثمة

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب قال حدثني إبراهيم بن عبد الله قال خرج أبو دهبل يريد الغزو وكان رجلا صالحا وكان جميلا فلما كان بجيرون جاءته امرأة فأعطته كتابا فقالت اقرأ لي هذا الكتاب فقرأه لها ثم ذهبت فدخلت قصرا ثم خرجت إليه فقالت لو بلغت القصر فقرأت الكتاب على امرأة كان لك فيه أجر إن شاء الله فإنه من غائب لها يعنيها أمره فبلغ معها القصر فلما دخلا إذا فيه جوار كثيرة فأغلقن القصر عليه وإذا فيه امرأة وضيئة فدعته إلى نفسها فأبى فأمرت به فحبس في بيت في القصر وأطعم وسقي قليلا قليلا حتى ضعف وكاد يموت ثم دعته إلى نفسها فقال لا يكون ذلك أبدا ولكني أتزوجك قالت نعم فتزوجها فأمرت به فأُحسن إليه حتى رجعت إليه نفسه فأقام معها زمانا طويلا لا تدعه يخرج حتى يئس منه أهله وولده وتزوج بنوه وبناته واقتسموا ماله وأقامت زوجته تبكي

عليه حتى عمشت ولم تقاسمهم ماله ثم إنه قال لامرأته إنك قد أثمت فيّ وفي ولدي وأهلي فأذني لي أطالعهم وأعود إليك فأخذت عليه أيمانا ألا يقيم إلا سنة حتى يعود إليها فخرج من عندها يجر الدنيا حتى قدم على أهله فرأى حال زوجته وما صار إليه ولده وجاء إليه ولده فقال لهم لا والله ما
بيني وبينكم عمل أنتم قد ورثتموني وأنا حي فهو حظكم والله لا يشرك زوجتي فيما قدمت به أحد ثم قال لها شأنك به فهو لك كله وقال في الشامية
(صاحِ حيِّا الإلهُ حيًّا ودُوراً ... عند أصل القناة من جَيْرون)
(عن يَساري إذا دخلت من الباب ... وإن كنتُ خارجاً عن يميني)
فبذاك اغتربتُ في الشأم حتى)
(ظنّ أهلي مُرَجَّماتِ الظنون
(وهي زهراءُ مثلُ لؤلؤة الغوّاص ... مِيزتْ من جوهرٍ مكنون)
(وإذا ما نسبتَها لم تجِدْها ... في سَناء من المكارم دون)
(تجعل المسك واليَلَنْجُوجَ والنَّدَّ صِلاءً لها على الكانون)
(ثم ماشيتُها إلى القبّة الخضراء ... تمشي في مَرْمَرٍ مَسْنون)
(وقِبابٍ قد أُسرِجت وبيوت ... نُظِّمتْ بالرَّيْحان والزَّرجُونِ)
(قبّة من مراجل ضربوها ... عند حدّ الشتاء في قَيْطون)
(ثم فارقتُها على خير ما كان ... قرينٌ مُفارقٌ لقرين)
(فبكتْ خَشيةَ التفرّق للبين ... بكاءَ الحزين إثْرَ الحزين)
واسألي عن تذكّري واطمئني ... لأُناسي إذا هُمُ عذلوني) فلما حل الأجل أراد الخروج إليها فجاءه موتها فأقام)
أبو دهبل وابن الأزرق
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب قال وفد أبو دهبل الجمحي على ابن الأزرق عبد الله بن عبد الرحمن بن
الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان يقال له ابن الأزرق والهبرزي وكان عاملا لعبد الله بن الزبير على اليمن فأنكره ورأى منه جفوة فمضى إلى عمارة بن عمرو بن حزم وهو عامل لعبد الله بن الزبير على حضرموت فقال يمدحه ويعرض بابن الأزرق
(يا ربَّ حيٍّ بخير ما ... حيَّيتَ إنساناً عمارَهْ)
(أعطى فأسْنانا ولم ... يكُ من عطيّته الصِّغَاره)
(ومن العطيّة ما ترُى ... جذْماءَ ليس لها نَزَاره)
(حجراً تقلّبه وهل ... تُعْطِي على المدحِ الحجارة)
كالبغل يُحمد قائماً ... وتَذُمّ مِشْيَته المُصَارَة) ثم رجع من عند عمارة بن عمرو بن حزم فقدم فقال له حنين مولى ابن)
الأزرق في السر أرى أنك عجلت على ابن عمك وهو أجود الناس وأكرمهم فعد إليه فإنه غير تاركك واعلم أنا نخاف أن يكون قد عزل فلازمه ولا يفقدك فإني أخاف أن ينساك ففعل وأعطاه وأرضاه فقال في ذلك
(يا حُنّ إنّي لِمَا حدّثتني أُصُلاً ... مُرنَّح من صميم الوجد معمودُ)
(نخاف عزلَ امرىء كنّا نعيش به ... معروفُه إن طلبنا الجودَ موجودُ)
(اِعلم بأنّي لمن عاديتَ مُضْطَغِنٌ ... ضَبًّا وأنّي عليك اليوم محسود)
(وأنَّ شكرَك عندي لا انقضاءَ له ... ما دام بالهَضْبِ من لُبنان جُلْمود)
((أنتَ الممدَّح والمُغْلِي به ثمناً ... إذ لا تُمدَّح صُمُّ الجندل السُّودُ
(إنْ تَغْدُ من مَنْقَلَيْ نَجْرانَ مُرْتحِلاً ... يَرْحَلْ من اليمنِ المعروفُ والجودُ)
(ما زلتَ في دَفَعات الخير تفعلها ... لمَّا اعترى الناسَ لأْواءٌ ومجهود)
حتى الذي بين عُسْفانٍ إلى عَدَنٍ ... لَحْبٌ لمن يطلب المعروفَ أُخْدود) قال وأنشدنيها محمد بن الضحاك بن عثمان)
قال سمعتها من أبي
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال أخبرني الزبير بن بكار وحدثني حمزة بن عتبة قال قال أبو دهبل الجمحي لما قلت أبياتي التي قلت فيها
اِعْلَم بأنّي لِمن عاديتَ مُضْطَغِنٌ ... ضَبًّا وأنّي عليك اليوم محسود) قلت فيها نصف بيت (وأن شكرك عندي لا انقضاء)
له ...) ثم أُرتج علي فأقمت حولين لا أقع على تمامه حتى سمعت رجلا من الحاج في الموسم يذكر لبنان فقلت ما لبنان فقال جبل بالشأم فأتممت نصف البيت
ما دام بالهَضْب من لبنان جُلْمودُ ...) قال الزبير وحدثني محمد بن حبش المخزومي قال دخل نصيب على إبراهيم بن)
هشام وهو وال على المدينة فأنشده
قصيدة مدحه فيها فقال إبراهيم بن هشام ما هذا بشيء أين هذا من قول أبي دهبل لصاحبنا ابن الأزرق حيث قال
إن تَغْدُ من مَنْقَلَيْ نَجْرانَ مرتحِلاً ... يَبِنْ من اليمن المعروفُ والجودُ) فغضب نصيب فحمي فنزع عمامته وطرحها وبرك)
عليها ثم قال إن تأتونا برجال مثل ابن الأزرق نأتكم بمديح أجود من مديح أبي دهبل
قال الزبير وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزهري قال حدثني إسماعيل بن يعقوب بن مجمع التيمي قال كان إبراهيم بن هشام جبارا وكان يقيم بلا إذن إذ كان على المدينة الأشهر
فإذا أذن للناس أذن معهم لشاعر فينشد قصيدة مديح لهشام بن عبد الملك وقصيدة مديح لإبراهيم بن هشام فأذن لهم يوما وكان الشاعر الذي أذن له معهم نصيبا وعليه جبة وشي فاستأذنه في الإنشاد فأذن له فأنشده قصيدة لهشام به عبد الملك ثم قطعها وأنشد قصيدة مديح لإبراهيم بن هشام وقصيدة هشام أشعر فأراد الناس ممالحة نصيب فقالوا ما أحسن هذا يا أبا محجن أعد هذا البيت فقال إبراهيم أكثرتم إنه لشاعر وأشعر منه الذي يقول في ابن الأزرق
(إن تُمس من مَنْقَلَي نَجْران مرتَحِلاً ... يَبِن من اليمن المعروفُ والجودُ)
ما زلتَ في دَفَعات الخير تفعلها ... لما اعترى الناسَ لأْوَاءٌ ومجهود) وحمي نصيب فقال إنا والله ما نصنع المديح إلا على)
قدر الرجال كما يكون الرجل يمدح فعم الناس الضحك وحلم عنه وقال الحاجب ارتفعوا فلما صاروا في السقيفة ضحكوا

وقالوا أرأيتم مثل شجاعة هذا
الأسود على هذا الجبار وحلم من غير حلم
قال الزبير وحدثني عمي مصعب قال خرج أبو دهبل يريد ابن الأزرق فلقيه معزولا فشق ذلك عليه واسترجع فقال له ابن الأزرق هون عليك لم يفتك شيء فأعطاه مائتي دينار فقال في ذلك أبو دهبل
أعطى أميراً ومنزوعاً وما نَزَعَتْ ... عنه المكارمُ تَغْشاه وما نَزَعا) وحدثني محمد بن الضحاك مثل ذلك وأنشدني البيت)
وأخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أبو توبة صالح بن محمد بن دراج قال حدثنا أبو عمرو الشيباني قال ولى عبد الله بن الزبير ابنا لسعد بن أبي وقاص يقال له إبراهيم مكان الثبت بن عبد الرحمن بن الوليد الذي يقال له ابن الأزرق فخرج حتى نزل بزبيد فقال لابن الأزرق هلم حسابك فقال مالك عندي حساب ولا بيني وبينك عمل وخرج متوجها إلى مكة فاستأذنه أبو دهبل في صحبة الوقاصي فأذن له فرجع معه حتى إذا دخلوا صنعاء لقيهم بحير بن ريسان في نفر كثير من الفرس وغيرهم ومضى ابن الأزرق ومعه ما احتمله من أموال
اليمن فسار يوما ثم نزل فضرب رواقه ودعا الناس فأعطاهم ذلك المال حتى لم يبق منه درهم فقال أبو دهبل
أعطى أميراً ومنزوعاً وما نَزَعَتْ ... عنه المكارمُ تغشاه وما نَزَعا) وأقام أبو دهبل مع الوقاصي فلم يصنع به خيرا فقال أبو دهبل
(ماذا رُزِئْنا غَداةَ الخَلّ من رمعٍ ... عند التفرّق من خِيمٍ ومن كرمِ)
ظلّ لنا واقفاً يُعطي فأكثر ما ... سمّى وقال لنا في قوله نعم) نعم حرف موقوف فإذا حرك أُجريت حركته إلى الخفض لأنه أولى بالساكن
(ثم انتحى غيرَ مذمومٍ وأعينُنا ... لما تولّى بدمعٍ واكفٍ سَجِمِ)
(تَحْمِلُه الناقةُ الأدمَاءُ مُعْتَجِراً ... بالبُرد كالبدر جَلّى ليلةَ الظُّلَمِ)
(وكيف أنساكَ لا أيديكَ واحدةٌ ... عندي ولا بالذي أوليتَ من قِدَمِ)
(حتى لقِينا بَحِيراً عند مَقْدَمِنا ... في موكب كضِياع الجِزْع مُرْتَكمِ)
لما رأيتُ مُقامي عند بابهمُ ... وَدِدْت أنّي بذاك الباب لم أقِمِ) وبحير بن ريسان الذي يقول فيه أبو دهبل صوت
(بحِير بن ريسان الذي سكن الجَنَدْ ... يقول له الناسُ الجوادُ ومن وَلَدْ)
((له نفحاتٌ حين يُذكر فضلُه ... كسيل ربيع في ضَحَاضِحَةِ السَّنَدْ
في هذين البيتين هزج بالبنصر ذكر عمرو بن بانة أنه ليمان وذكر الهشامي أنه لابن جامع
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أبو توبة عن أبي عمرو الشيباني قال كان ابن الزبير بعث عبد الله بن عبد الرحمن على بعض أعمال اليمن فمد يده إلى أموالها وأعطى أعطية سنية وبث في قريش منها أشياء جزيلة فأثنت عليه قريش ووفدوا إليه فأسنى لهم العطايا وبلغ ذلك عبد الله بن الزبير فحسده وعزله بإبراهيم بن سعد بن أبي وقاص فلما قدم عليه أراد أن يحاسبه فقال له مالك عندي حساب ولا بيني وبينك عمل وقدم مكة فخافت قريش ابن الزبير عليه أن يفتشه أو يكشفه فلبست السلاح وخرجت إليه لتمنعه فلما لقيهم نزلت إليه قريش فسلمت عليه وبسطت له أرديتها وتلقته إماؤهم وولائدهم بمجامر الألوة والعود المندلي يبخرون بين يديه حتى انتهى إلى المسجد وطاف بالبيت ثم جاء إلى ابن الزبير فسلم عليه وهم معه مطيفون به فعلم ابن الزبير أنه لا سبيل له إليه فما عرض ولا صرح له بشيء ومضى إلي منزله فقال أبو دهبل
(فمن يك شان العزلُ أو هدّ ركنَه ... لأعدائه يوماً فما شانكَ العزلُ)
(وما أصبحت من نعمة مُستفادةٍ ... ولا رَحِمٍ إلا عليها لك الفضل)
وقال أبو دهبل أيضا فيه أخبرني بذلك ابن المرزبان عن أبي توبة عن أبي عمرو الشيباني وأخبرني به الحرمي عن الزبير عن عمه
(عَقِمَ النساءُفلم يَلِدْنَ شبيهَه ... إن النساء بمثله عُقْمُ)
(متهلّل بنَعَمْ بلا مُتَباعِدٌ ... سيّانِ منه الوفر والعُدْم)
(نَزْرُ الكلام من الحياء تخاله ... ضَمِناً وليس بجسمه سُقْم)
أبو دهبل وسليمان بن عبد الملك
أخبرني محمد بن خلف قال حدثنا أبو توبة عن أبي عمرو قال قال أبو دهبل يمدح ابن الأزرق
(بأبي وأمّي غيرَ قولِ الباطل ... الكاملُ ابن الكامل ابن الكامل)
(والحازمُ الأمر الكريمُ برأيه ... والواصلُ الأرحام وابنُ الواصل)
(جمع الرياسةَ والسماحَ كليهما ... جَمْعَ الجَفِير قِداحَ نبل النابل)
أخبرني محمد بن خلف قال حدثني محمد بن عمر قال حدثني سليمان ابن عباد قال حدثني أبو جعفر الشويفعي رجل من أهل مكة قال قدم سليمان بن عبد الملك مكة في حر شديد فكان ينقل سريره بفناء الكعبة وأعطى الناس العطاء فلما بلغ بني جمح نودي بأبي دهبل فقال سليمان أين أبو دهبل الشاعر علي به فأتي به فقال سليمان أنت أبو دهبل الشاعر قال نعم قال فأنت القائل
(فِتنةٌ يُشعْلها وُرَّادُها ... حطبَ النار فدعها تَشْتَعِلْ)
فإذا ما كان أمنٌ فأْتِهِمْ ... وإذا ما كان خوفٌ فاعتزل) قال نعم قال وأنت القائل)
((يدعون مروانَ كيما يَستجيبَ لهم ... وعند مروان خار القومُ أو رقدوا
قد كان في قوم موسى قبلهم جَسَد ... عجلٌ إذا خار فيهم خَوْرَةً سجدوا) قال نعم قال أنت القائل هذا ثم تطلب ما) عندنا لا والله ولا كرامة فقال يا أمير المؤمنين إن قوما فتنوا فكافحوكم بأسيافهم وأجلبوا عليكم بخيلهم ورجلهم ثم أدالكم الله منهم فعفوتم عنهم وإنما فتنت فقلت بلساني فلم لا يعفى عني فقال سليمان قد عفونا عنك وأقطعه قطيعة بحاذان باليمن فقيل لسليمان كيف أقطعته هذه القطيعة قال أردت أن أميته وأميت ذكره بها
أخبرني محمد بن خلف قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا المدائني عن جماعة من الرواة أن أبا دهبل كان يهوى امرأة من قومه يقال لها عمرة وكانت امرأة جزلة يجتمع الرجال عندها لإنشاد الشعر والمحادثة وكان أبو دهبل لا يفارق مجلسها مع كل من يجتمع إليها وكانت هي أيضا محبة له وكان أبو دهبل من أشراف بني جمح وكان يحمل الحمالة

وكان مسودا وزعمت بنو جمح أنه تزوجها بعد وزعم غيرهم من الرواة أنه لم يصل إليها ولم يجر بينهما حلال ولا حرام قال
وكانت عمرة تتقدم إلى أبي دهبل في حفظ ما بينهما وكتمانه فضمن ذلك لها فجاء نسوة كن يتحدثن إليها فذكرن لها
شيئا من أبي دهبل وقلن قد علق امرأة قالت وما ذاك قلن ذكر أنه عاشق لك وأنك عاشقة له فرفعت مجلسها
ومجالسة الرجال ظاهرة وضربت حجابا بينهم وبينها وكتبت إلى أبي دهبل تعذله وتخبره بما بلغها من سوء صنيعه فعند
ذلك يقول

((تطاوَل هذا الليلُ ما يتبلّج ... وأعْيَتْ غواشي عبْرتي ما تَفَرّجُ
(وبتُّ كئيباً ما أنام كأنما ... خلالَ ضلوعي جمرةٌ تتوهّجُ)
(فطوراً أُمنّي النفسَ من عَمْرةَ المنى ... وطوراً إذا ما لَجّ بي الحزن أنشِجُ)
(لقد قطع الواشون ما كان بيننا ... ونحن إلى أن يُوصل الحبلُ أحوجُ)
(رأوْا غِرّةً فاستقبلوها بألْبهم ... فراحوا على ما لا نُحبّ وأدْلجوا)
(وكانوا أُناساً كنتُ آمَنُ غيهم ... فلم يَنْهَهم حلم ولم يتحرّجوا)
(هُم منعونا ما نحبُّ وأوقدوا ... علينا وشبُّوا نار صُرْم تأجّج)
(ولو تركونا لا هَدَى اللّهُ سعيَهم ... ولم يُلْحِموا قولاً من الشر يُنْسج)
(لأوشك صرفُ الدهر يفرِّق بيننا ... وهل يَستقيم الدّهرُ والدهرُ أعوجُ)
(عسى كربةٌ أمسيتِ فيها مقيمةً ... يكون لنا منها نجاة ومَخْرَجُ)
(فيُكْبَت أعداءٌ ويَجْذَل آلِفٌ ... له كبد من لوعة الحب تَنْضَج)
(وقلتُ لعَبّادٍ وجاء كتابُها ... لهذا وربّي كانت العين تخلُج)
(وخطّطتُ في ظهر الحصير كأنّني ... أسيرٌ يَخاف القتلَ ولْهان مُلْفج)
(فلما التقينا لَجْلَجَتْ في حديثها ... ومن آية الصُّرم الحديثُ المُلَجْلَج)
(وإنّي لمحجوبٌ عشيّةَ زرتُها ... وكنتُ إذا ما جئتُها لا أُعرِّج)
(وأعيا عليّ القولُ والقولُ واسعٌ ... وفي القول مُسْتَنٌّ كثيرٌ ومَخْرَجُ)

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني خالد بن بكر الصواف قال أتيت ابن أبي العراقيب
فسألته أن يُدخلني على جارية مغنية لم ير أحد مثلها قط فقال لي إن في البيت والله شيخين كريمين علي لا أدري ما
يوافقهما من دخول أحد عليهما فلو أقمت حتى أطلع رأيهما في ذلك فدخل ثم خرج إلي فقال ادخل فدخلت فإذا أبو
السائب المخزومي وأبو
جندب الهذلي وخرجت علينا الجارية قاطبة عابسة فلما وضع العود في حجرها اندفعت تغني وتقول

(عسى كربةٌ أمسيتِ فيها مقيمةً ... يكون لنا منها نَجاة ومَخْرَجُ)

وإني لمحجوبٌ غداةَ أزورها ... وكنتُ إذا ما زرتُها لا أُعرِّج) قال ثم بكت فوثبا عليه جميعا فقالا له لعلك أربتها بشيء)
عليك وعلينا إن لم تقم إليها حتى تقبل رأسها وتترضاها ففعل
نسبة ما في هذه القصيدة من الغناء

صوت

(تطاوَل هذا الليلُ ما يتبلّج ... وأعْيَتْ غواشي عَبْرتي ما تَفَرَّج)
(أُخطِّط في ظهر الحصير كأنّني ... أسيرٌ يَخاف القتل ولْهان مُلْفَج)

الغناء لمعبد ثقيل أول بالوسطى عن عمرو وفيه لحن لمالك ذكره حماد عن أبيه في أخبار مالك ولم يجنسه وحكي أن
مالكا كان إذا سئل عنه يذكر أنه أخذه من حائد بن جرهد فقومه وأصلحه وفيه لأبي عيسى بن الرشيد ثاني ثقيل
بالوسطى عن حبش والهشامي

صوت

(لقد قطع الواشون ما كان بيننا ... ونحن إلى أن يُوصَل الحبلُ أحوجُ)
(فطوراً أُمنّي النفسَ من عَمْرةَ المنى ... وطوراً إذا ما لَجَّ بي الهمّ أنْشِجِ)

الغناء لمالك ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وذكر حبش أن فيه لمعبد خفيف ثقيل بالوسطى
رثاء الحسين بن علي
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب قال قال أبو دهبل في قتل الحسين بن علي صلوات
الله عليه وزكواته

(تَبِيتُ سُكارَى من أميّة نُوَّماً ... وبالطَّفّ قتلى ما يَنام حَميمُها)
(وما أفسد الإسلام إلا عصابةٌ ... تأمّر نَوْكاها ودام نعيمُها)
(فصارت قناةُ الدّين في كفّ ظالمٍ ... إذا اعوجّ منها جانب لا يُقيمها)

قال الزبير وحدثني يحيى بن مقداد بن عمران بن يعقوب الزمعي قال حدثني عمي موسى ين يعقوب قال أنشدني أبو
دهبل قصيدته التي يقول فيها

(سقى اللّهُ جازاناً فمن حلَّ وَلْيَه ... فكلَّ فَسِيلٍ من سَهام وسُرْدُدِ)

رثاء الحسين بن علي
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب قال قال أبو دهبل في قتل الحسين بن علي صلوات
الله عليه وزكواته

(تَبِيتُ سُكارَى من أميّة نُوَّماً ... وبالطَّفّ قتلى ما يَنام حَميمُها)
(وما أفسد الإسلام إلا عصابةٌ ... تأمّر نَوْكاها ودام نعيمُها)
(فصارت قناةُ الدّين في كفّ ظالمٍ ... إذا اعوجّ منها جانب لا يُقيمها)

قال الزبير وحدثني يحيى بن مقداد بن عمران بن يعقوب الزمعي قال حدثني عمي موسى ين يعقوب قال أنشدني أبو
دهبل قصيدته التي يقول فيها

(سقى اللّهُ جازاناً فمن حلَّ وَلْيَه ... فكلَّ فَسِيلٍ من سَهام وسُرْدُدِ)
((ومحصوله الدارَ التي خيَّمتْ بها ... سقاها فأروى كلَّ ربع وفَدْفدِ

(فأنتِ التي كلّفتنِي البِرْكَ شاتياً ... وأوْرَدْتِنِيه فانظري أيّ مَوْرِد)
صوت
(فوانَدَمي أن لم أَعُجْ إذ تقول لي ... تقدَّمْ فشيِّعنا إلى ضَحوة الغَدِ)
(تكن سكناً أو تقدُر العين أنها ... ستبكي مراراً فاسْلُ من بعد واحْمَدِ)
(فأصبحتُ ممّا كان بيني وبينها ... سوى ذكرها كالقابض الماء باليدِ)
الغناء لابن سريج خفيف رمل بالوسطى عن عمرو وفيه لبذل الكبير رمل عن الهشامي
(لعلّك أن تلقى محبًّا فتشتفي ... برؤية ريم بَضَّةِ المُتَجَرِّدِ)
(بلاد العدا لم تأتها غيرَ أنها ... بها همُّ نفسي من تَهامٍ ومُنْجِدِ)
(وما جعلت ما بين مكة ناقتي ... إلى البِرْك إلاّ نومَة المتهجِّدِ)
(وكانت قُبَيلَ الصبح تَنِيز رحلَها ... بدومةَ من لَغْط القَطَا المتبدِّدِ)
قال فقلت يا عمي فما يمنعك أن تكتري دابة بدرهمين فتشيعها وتصبح معك فضحك وقال نفع الله بك يابن أخي أما علمت أن الندم توبة وعمك كان أشغل مما تحسب
قال الزبير وحدثني عمي مصعب بن عبد الله قال أنشد رجل أبا السائب المخزومي قصيدة أبي دهبل
سقى اللهُ جازاناً فمن حلّ وَلْيَه ... فكلَّ فسيلٍ من سِهام وسُرْدُدِ) فلما بلغ قوله
فواندمي أن لم أعُجْ إذ تقول لي ... تقدّم فشيِّعنا إلى ضحوة الغد) قال أبو السائب ما صنع شيئا ألا اكترى حمارا بدرهمين فشيعهم ولم يقل فواندمي أو اعتذر وإني أظن أنه قد كان له عذر قال وما هو قال أظنه كان مثلي لا يجد شيئا
فقال الزبير وحدثني ابن مقداد قال حدثني عمي موسى بن يعقوب قال أنشدني أبو دهبل قوله
صوت
(ألاَ عَلِق القلبُ المتيَّمُ كُلْثُما ... لَجَاجاً ولم يَلْزَم من الحبّ مَلْزَمَا)
(خرجتْ بها من بطن مكة بعدما ... أصات المنادي بالصلاة فأعتما)
(فما نام من راعٍ ولا ارتدّ سامرٌ ... من الحيّ حتى جاوزتْ بي يَلَمْلَمَا)
((ومرّتْ ببطن اللِّيثِ تَهْوي كأنما ... تُبادِر بالإدلاج نَهْباً مقسّمَا
غنى في هذه الأبيات ابن سريج خفيف رمل بالبنصر عن الهشامي قال وفيه هزج يمان بالوسطى وذكر عمرو بن بانة أن خفيف الثقيل هو اليماني وفيه لفيل مولى العبلات رمل صحيح عن حماد عن أبيه عن الهشامي وقال الهشامي فيه لحكم ثقيل أول وذكر أبو أيوب المديني في أغاني ابن جامع أن فيه لحنا ولم يجنسه
(وجازَتْ على البزْواء والليلُ كاسِرٌ ... جناحيْن بالبزْواء وَرْداً وأدْهَمَا)
(فما ذَرَّ قرنُ الشمس حتى تبيّنتْ ... بعُلْيَب نخلاً مشرفاً أو مخيِّما)
(ومرّت على أشطان روْنق بالضّحى ... فما خَزَّرت للماء عيناً ولا فما)
(وما شربتْ حتى ثنيتُ زمامَها ... وخِفتُ عليها أن تَخِرَّ وتُكْلما)
فقلت لها قد بنتِ غير ذميمةٍ ... وأصبح وادي البِرْك غَيثاً مُدَيّما) قال فقلت له ما كنت إلا على الريح فقال يابن أخي إن عمك كان إذا هم فعل وهي الحاجة أما سمعت قول أخي بني مرة
(إذا أقبلتْ قلتَ مشحونةٌ ... أطاعتْ لها الرّيحُ قِلْعاً جَفُولا)
((وإن أدبرتْ قلت مذعورةٌ ... من الرُّبْد تتبع هَيْقاً ذَمُولا
(وإن أعرضتْ خال فيها البصير ... مالا تكلّفه أن يَميلا)
(يدا سُرُحٍ مائلٍ ضَبْعُها ... تسوم وتُقْدِم رجلاً زَحُولا)
(فمرّتْ على خُشُب غُدْوَةً ... ومرّتْ فُوَيق أَرَيْكٍ أصِيلا)
(تخبِّط بالليل حُزَّانَه ... كَخبْطِ القويِّ العزيز الذليلا)
أحاديث عن شعره
وأخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني جعفر بن الحسن اللهبي قال أنشدت ريان السواق قول أبي دهبل
(أليس عجيباً أن نكون ببلدة ... كلانا بها ثاوٍ ولا نتكلّمُ)
ولا تَصْرِميني أن تَرَيْني أحبّكم ... أبوء بذنبٍ إنّني أنا أظْلمُ) فقال أحسن أحسن الله إليه ما بعد هذا شيء وفي هذه القصيدة يقول
صوت
(أمِنَّا أُناساً كنتِ قد تأْمَنِينَهم ... فزادوا علينا في الحديث وأوْهَموا)
(وقالوا لنا ما لم يُقَل ثم كثّروا ... علينا وباحوا بالذي كنتُ أكتمُ)
(لقد كُحِلتْ عيني القَذَى لفراقكم ... وعاودها تُهْتانها فهي تَسْجُمُ)
(وأنكرتُ طيبَ العيش مني وكُدِّرتْ ... عليّ حياتي والهوى متقسِّمُ)
الغناء لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق وفيه لابن زرزور الطائفي خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو وفيه خفيفا رمل أحدهما بالوسطى لمتيم والآخر بالبنصر لعريب
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير قال حدثني عمي قال حدثني القاسم بن المعتمر الزهري قال قلت لأبي السائب المخزومي يا أبا السائب أما أحسن أبو دهبل حيث يقول
صوت
(أأَتْرُك ليلى ليس بيني وبينها ... سوى ليلةٍ إنّي إذاً لصبورُ)
(هَبُوني امرأً منكم أضَلّ بعيرَه ... له ذمّة إن الذِّمام كبيرُ)
وللصّاحبُ المتروكُ أفضلُ ذِمّةً ... على صاحبٍ من أن يَضِلَّ بعيرُ) قال فقال لي وبأبي أنت كنت والله لا أحبك وتثقل علي فأنا الآن أُحبّك وتخِفّ عليّ
وفي هذه الأبيات غناء لابن سريج خفيف رمل بالوسطى عن عمرو وفيه لعلويه رمل بالوسطى من جامع أغانيه وفيه للمازني خفيف ثقيل آخر من رواية الهشامي وذكاء وغيرهما وأول هذا الصوت بيت لم يذكر في الخبر وهو
(عفا اللهُ عن ليلى الغَدَاةَ فإنها ... إذا وَلِيَتْ حُكْماً عليّ تجور)

أخبرني الحرمي قال حدثني الزبير قال حدثني عمي مصعب ومحمد بن الضحاك عن أبيه أن أبا ريحانة عم أبي دهبل كان شديد الخلاف على عبد الله بن الزبير فتوعده عبد الله بن صفوان فلحق بعبد الملك بن مروان فاستمده الحجاج فأمده عبد الملك بطارق مولى عثمان في أربعة آلاف فأشرف أبو ريحانة على أبي قبيس فصاح أبو ريحانة أليس قد أخزاكم الله يا أهل مكة فقال له ابن أبي عتيق بلى والله قد أخزانا الله فقال له ابن الزبير مهلا يابن أخي فقال قلنا لك ائذن لنا فيهم وهم قليل فأبيت حتى صاروا إلى ما ترى من الكثرة قال وقال أبو دهبل في وعيد عبد الله بن صفوان عمه أبا ريحانة واسمه علي بن أسيد بن أحيحة
(ولا تُوعِد لتقتله عليًّا ... فإن وعيدَه كلأ وَبِيلُ)
(ونحن ببطن مكّة إذ تَدَاعى ... لرهطك من بني عمرو رَعِيلُ)
((أُولُو الجمع المقدّم حين ثابوا ... إليكِ ومن يودّعهم قليلُ
(فلما أن تفانيْنَا وأَوْدَى ... بثروتنا الترحّلُ والرحيلُ)
(جعلتَ لحومَنا غرضاً كأنا ... لتهلكنا عروبةُ أو سَلُولُ)
وصية أبي دهبل
أخبرني محمد بن خلف قال حدثنا أبو توبة عن أبي عمرو الشيباني قال مات ابن الأزرق وأبو دهبل حي فدفن بعليب فلما احتضر أبو دهبل أيضا أوصى أن يدفن عنده وفيه يقول أبو دهبل يرثيه عن أبي عمرو الشيباني
(لقد غال هذا اللحدُ من بطن عُلَيْبٍ ... فتىً كان من أهل الندى والتكرّمِ)
(فتى كان فيما ناب يوماً هو الفتى ... ونعم الفتى للطارق المتيمّمِ)
(أأَلْحَقَّ أنّي لا أزال على منىً ... إذا صدَر الحُجّاجُ عن كلّ مَوْسِمِ)
(سقى اللهُ أرضاً أنت ساكنُ قبرها ... سِجَال الغَوَادِي من سَحِيلٍ ومُبْرَمِ)
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير قال حدثني عمي قال حدثني إبراهيم بن أبي عبد الله قال وقع لأبي دهبل ميراث بمصر فخرج يريده ثم رجع من الطريق فقال
(اِسْلَمي أمَّ دهبلٍ بعد هَجْرٍ ... وتقضٍّ من الزمان وعُمْرِ)
(واذكري كرّيَ المطيَّ إليكم ... بعد ما قد توجّهتْ نحو مصر)
(لا تَخالي أنّي نسيتُك لمّا ... حال بيشٌ ومن به خلف ظهري)
(إن تكوني أنت المقدّم قبلي ... وأُطِعْ يَثْوِ عند قبرك قبري) قال إبراهيم فوقفت على قبره إلى جانب قبرها بعليب صوت
من المائة المختارة من رواية علي بن يحيى
(ألاَ أيها الشادنُ الأكحلُ ... إلى كم تقول ولا تفعلُ)
إلى كم تجود بما لا نريد ... منك وتمنع ما نَسألُ) الشعر للحسين بن الضحاك والغناء لأبي زكار الأعمى ولحنه المختار) هزج بالبنصر
أخبار حسين بن الضحاك ونسبه
الحسين بن الضحاك باهلي صليبة فيم ذكر محمد بن داود بن الجراح والصحيح أنه مولى لباهلة وهو بصري المولد والمنشأ من شعراء الدولة العباسية وأحد ندماء الخلفاء من بني هاشم ويقال إنه أول من جالس منهم محمد الأمين شاعر أديب ظريف مطبوع حسن التصرف في الشعر حلو المذهب لشعره قبول ورونق صاف
وكان أبو نواس يأخذ معانيه في الخمر فيغير عليها وإذا شاع له شعر نادر في هذا المعنى نسبه الناس إلى أبي نواس وله معان في صفتها أبدع فيها وسبق إليها فاستعارها أبو نواس وأخبارهما في هذا المعنى وغيره تذكر في أماكنها وكان يلقب الخليع والأشقر وهاجى مسلم بن الوليد فانتصف منه وله غزل كثير جيد وهو
من المطبوعين الذين تخلو أشعارهم ومذاهبهم جملة من التكلف وعمر عمرا طويلا حتى قارب المائة السنة ومات في خلافة المستعين أو المنتصر
وحدثني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيى المنجم قال كان حسين بن الضحاك بن ياسر مولى لباهلة وأصله من خراسان فكان ربما اعترف بهذا الولاء وربما جحده وكان يلقب بالأشقر وهو ومحمد ابن حازم الباهلي ابنا خالة
وحدثني الصولي عن إبراهيم بن المعلى الباهلي أنه سأله عن نسب حسين بن الضحاك فقال هو حسين بن الضحاك بن ياسر من موالي سليمان ابن ربيعة الباهلي قال الصولي وسألت الطيب بن محمد الباهلي عنه فقال لي هو الحسين بن الضحاك بن فلان بن فلان بن ياسر قديم الولاء وداره في بني مجاشع وفيها ولد الحسين أرانيها صاحبنا سعيد بن مسلم
أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة الكاتب ومحمد بن يحيى الصولي قالا حدثنا المغيرة بن محمد المهلبي قال حدثنا حسين بن الضحاك قال أنشدت أبا نواس لما حججت قصيدتي التي قلتها في الخمر وهي
(بُدِّلتَ من نَفَحات الورد بالآءِ ... ومن صَبوحك دَرَّ الإبْلِ والشاءِ) فلما انتهيت منها إلى قولي
(حتى إذا أُسْنِدَتْ في البيت واحتُضِرتْ ... عند الصَّبوح ببسّامِين أكْفاء)
فَضَّتْ خواتمُها في نَعْت واصفها ... عن مثل رَقْرَقَةٍ في جفن مرْهاءِ) قال فصعق صعقة أفزعني وقال أحسنت والله يا) أشقر فقلت ويلك يا حسن إنك أفزعتني والله فقال بلى والله أفزعتني ورُعتني هذا معنى من المعاني التي كان فكري لا بد أن ينتهي إليها أو أغوص عليها وأقولها فسبقتني إليه واختلسته مني وستعلم لمن يروى ألي أم لك فكان والله كما قال سمعت من لا يعلم يرويها له
أخبرني بهذا الخبر الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني محمد بن عبد الله مولى بني هاشم أبو جعفر قال سمعت الحسين بن الضحاك يقول لما قلت قصيدتي
(... بُدِّلتَ من نفحات الورد بالآ)
أنشدتها أبا نواس فقال ستعلم لمن يرويها الناس ألي أم لك فكان الأمر كما قال رأيتها في دفاتر الناس في أول أشعاره
أخبرني جعفر بن قدامة عن أحمد بن أبي طاهر عن أحمد بن صالح عن الحسين بن الضحاك فذكر نحوا منه
إذا سار المأمون إلى بغداد انحدر ابن الضحاك إلى البصرة
أخبرني الصولي قال حدثني عبد الله بن محمد الفارسي عن ثمامة بن

أشرس قال الصولي وحدثنيه عون بن محمد عن عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع قال لما قدم المأمون من خراسان وصار إلى بغداد أمر بأن يسمى له قوم من أهل الأدب ليجالسوه ويسامروه فذكر له جماعة فيهم الحسين بن الضحاك وكان من جلساء محمد المخلوع فقرأ أسماءهم حتى بلغ إلى اسم حسين فقال أليس هو ا لذي يقول في محمد
(هلاّ بَقِيتَ لسَدّ فاقَتِنا ... أبداً وكان لغيرك التّلَفُ)
فلقد خَلَفتَ خلائفاً سلَفوا ... ولَسَوْفَ يَعْوِز بعدك الخَلَفُ) لا حاجة لي فيه والله لا يراني أبدا إلا في الطريق ولم يعاقب الحسين على ما كان من هجائه له وتعريضه به قال وانحدر حسين إلى البصرة فأقام بها طول أيام المأمون
أخبرني عمي والكوكبي بهذا قالا حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا عبد الله بن الحارث المروزي عن إبراهيم بن عبد الله ابن أخي السندي بن شاهك فذكر مثله سواء
قال ابن أبي طاهر فحدثني محمد بن عبد الله صاحب المراكب قال أخبرني أبي عن صالح بن الرشيد قال
دخلت يوما على المأمون ومعي بيتان للحسين بن الضحاك فقلت يا أمير المؤمنين أحب أن تسمع مني بيتين فقال أنشدهما فأنشدته
(حَمِدنا اللهَ شكْراً إذ حبانا ... بنصرك يا أمير المؤمنينا)
فأنت خليفةُ الرحمن حقًّا ... جمعتَ سماحةً وجمعتَ دينا) فقال لمن هذان البيتان يا صالح فقلت لعبدك يا أمير المؤمنين حسين بن الضحاك قال قد أحسن فقلت وله يا أمير المؤمنين أجود من هذا فقال وما هو فأنشدته قوله صوت
(أيَبْخَل فرْدُ الحسن فَرْدُ صفاتِه ... عليَّ وقد أفردتُه بهوىً فَرِدِ)
رأى اللهُ عبدَ الله خيرَ عباده ... فملّكه واللهُ أعلمُ بالعبد) قال فأطرق ساعة ثم قال ما تطيب نفسي له بخير بعدما قال في أخي محمد وقال
قال أبو الفرج وهذه الأبيات تروى لابن البواب وستذكر في أبوابه إن شاء الله تعالى وعلى أن الذي رواها غلط في روايته غلطا بينا لأنها مشهورة من شعر حسين بن الضحاك وقد روي أيضا في أخباره أنه دفعها إلى ابن البواب فأوصلها إلى ابن المأمون وكان له صديقا ولعل الغلط وقع من هذه الجهة
الغناء في الأبيات المذكورة المنسوبة إلى حسين بن الضحاك وإلى ابن البواب الدالية لإبراهيم بن المهدي خفيف ثقيل بالبنصر وفيها لعبيد الله ابن موسى الطائفي رمل بالبنصر
أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا أحمد بن يزيد المهلبي عن أبيه عن عمرو بن بانة أنهم كانوا عند صالح بن الرشيد فقال لست تطرح على جواري وغلماني ما أستجيده فقال له ويلك ما أبغضك ابعث إلى منزلي فجيء بالدفاتر واختر منها ما شئت حتى ألقيه عليهم فبعث إلى منزلي فجيء إليه بدفاتر الغناء فأخذ منها دفترا ليتخير مما فيه فمر به شعر الحسين ابن الضحاك يرثي الأمين ويهجو المأمون وهو
(أطِلْ حَزَناً وابْكِ الإمامَ محمداً ... بحزن وإن خِفتَ الحُسامَ المهنّدا)
(فلا تَمّتِ الأشياءُ بعد محمد ... ولا زال شملُ الملك منها مُبَدَّدا)
ولا فرح المأمونُ بالملك بعده ... ولا زال في الدنيا طريداً مشرَّدا) فقال لي صالح أنت تعلم أن المأمون يجيء إلي في كل ساعة فإذا قرأ هذا ما تراه يكون فاعلا ثم دعا بسكين فجعل يحكه وصعد المأمون من الدرجة ورمى صالح الدفتر فقال المأمون يا غلام الدفتر فأُتي به فنظر فيه ووقف على الحك فقال إن قلت لكم ما كنتم فيه تصدقوني قلنا نعم قال ينبغي أن يكون أخي قال لك ابعث فجيء بدفاترك ليتخير ما تطرح فوقف على هذا الشعر فكره أن أراه فأمر بحكه قلنا كذا كان فقال غنه يا عمرو فقلت يا أمير المؤمنين الشعر لحسين بن الضحاك والغناء لسعيد بن جابر فقال وما يكون غنه فغنيته فقال اردده فرددته ثلاث مرات فأمر لي بثلاثين ألف درهم وقال حتى تعلم أنه لم يضررك عندي
قال وسعيد بن جابر الذي يقول فيه حسين بن الضحاك وكان نديمه وصديقه
(... يا سعيد وأين منّي سعيد)
مراثيه في الأمين
ولحسين بن الضحاك في محمد الأمين مراث كثيرة جياد وكان كثير التحقق به والموالاة له لكثرة أفضاله عليه وميله إليه وتقديمه إياه وبلغ من جزعه عليه
أنه خولط فكان ينكر قتله لما بلغه ويدفعه ويقول إنه مستتر وإنه قد وقف على تفرق دعاته في الأمصار يدعون إلى مراجعة أمره والوفاء ببيعته ضنا به وشفقة عليه ومن جيد مراثيه إياه قوله
صوت
(سألونا أن كيف نحن فقلنا ... مَنْ هَوَى نجمُه فكيف يكون)
(نحن قوم أصابنا حَدَثُ الدهر ... فظَلْنا لرَيْبه نَستكين)
(نتمنّى من الأمين إياباً ... لَهْفَ نفسي وأين منّي الأمين)
في هذه الأبيات لسعيد بن جابر ثاني ثقيل بالوسطى وفيها لعريب خفيف ثقيل ومن جيد قوله في مراثيه إياه
(أعزّي يا محمد عنك نفسي ... مَعاذَ الله والأيدي الجِسامِ)
(فهلاّ مات قوم لم يموتوا ... ودُوفِع عنك لي يوم الحِمامِ)
(كأن الموتَ صادف منك غُنْماً ... أو استشفى بقُربك من سَقام)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا علي بن محمد النوفلي قال قال لي محمد بن عباد قال لي المأمون وقد قدمت من البصرة كيف ظريف شعرائكم وواحد مصركم قلت ما أعرفه قال ذاك الحسين بن الضحاك أشعر شعرائكم وأظرف ظرفائكم أليس هو الذي يقول
رأى اللهُ عبدَ الله خيرَ عباده ... فملّكه واللهُ أعلم بالعبد) قال ثم قال لي المأمون ما قال في أحد من شعراء زماننا بيتا أبلغ من
بيته هذا فاكتب إليه فاستقدمه وكان حسين عليلا وكان يخاف بوادر المأمون لما فرط منه فقلت للمأمون إنه عليل يا أمير المؤمنين علته تمنعه من الحركة والسفر قال فخذ كتابا إلى عامل خراجكم بالبصرة حتى يعطيه ثلاثين ألف درهم فأخذت الكتاب بذلك وأنفذته إليه فقبض المال

حدثنا علي بن العباس بن أبي طلحة الكاتب قال سمعت أبا العباس محمد بن يزيد الأزدي يقول حسين بن الضحاك أشعر المحدثين حيث يقول
(أيُّ ديباجةِ حُسنْ ... هيّجَتْ لوعة حزني)
(إذ رماني القمرِ الزاهر ... عن فَترة جفنِ)
(بأبي شمسُ نهارٍ ... برزَتْ في يوم دَجْنِ)
(قرّبتني بالمنى حتى ... إذا ما أخلفَتْني)
(تركتني بين ميعاد ... وخُلْفٍ وتَجَنّي)
(ما أراني لي من الصبوة ... إلاّ حسنُ ظنّي)
(إنما دامت على الغدر ... لِمَا تعرف منّي)
(أستعيذ اللّهَ من إعراض ... من أعْرَض عنّي)
حسين بن الضحاك والمعتصم
أخبرني علي بن العباس قال حدثني سوادة بن الفيض المخزومي قال حدثني أبو الفيض بن سوادة عن جدي قال لما ولي المعتصم الخلافة سألني عن حسين بن الضحاك فأخبرته
بإقامته بالبصرة لانحراف المأمون عنه فأمر بمكاتبته بالقدوم عليه فقدم فلما دخل وسلم استأذن في الإنشاد فأذن له فأنشده قوله
(هلاّ سألت تلذُّذَ المُشتاقِ ... ومَنَنْت قبل فراقه بتَلاقِ)
(إنّ الرقيب ليَستريب تنفُّساً ... صُعُداً اليك وظاهرَ الإقلاق)
(ولئن أرَبْتُ لقد نظرتُ بمقلةٍ ... عبْرى عليك سخينةِ الآماق)
(نفسي الفِداءُ لخائفٍ مترقّب ... جعلِ الوداعَ إشارةً بعناق)
إذ لا جوابَ لمُفْحَمٍ متحيِّر ... إلا الدموعُ تُصان بالإطراق) حين انتهى إلى قوله
(خيرُ الوفود مبشِّرٌ بخلافةٍ ... خَصَّتْ ببهجتها أبا إسحاق)
(وافتْه في الشهر الحرامِ سليمةً ... من كل مُشْكلة وكلّ شِقاق)
(أعطته صفقتَها الضمائرُ طاعةً ... قبل الأكُفّ بأوكد الميثاق)
(سكن الأنامُ إلى إمام سلامةٍ ... عفِّ الضمير مهذَّبِ الأخلاق)
فحمى رعيّتَه ودافع دونها ... وأجار مُمْلِقَها من الإملاق) حتى أتمها فقال له المعتصم أُدن مني فدنا منه فملأ فمه جوهرا من جوهر كان بين يديه ثم أمره بأن يخرجه من فيه فأخرجه وأمر بأن ينظم ويدفع إليه ويخرج إلى الناس وهو في يده ليعلموا موقعه من رأيه ويعرفوا فعله فكان أحسن ما مدح به يومئذ
ومما قدمه أهل العلم على سائر ما قالته الشعراء قول حسين بن الضحاك حيث قال
(قل للأُلي صرفوا الوجوه عن الهدى ... متعسّفين تعسّفَ المُرّاق)
(إني أحذّركم بوادرَ ضَيْغَمٍ ... دَرِبٍ بحَطْم مَوَائِل الأعناق)
((متأهبٍ لا يستفِزّ جَنانَه ... زَجِلُ الرُّعُود ولا معُ الإبراق
(لم يَبْق من متعرِّمين توثّبوا ... بالشأم غيرُ جماجمٍ أفْلاقِ)
(من بين منْجَدِلٍ تمجّ عروقُه ... عَلَقَ الأخادع أو أسير وَثاقِ)
(وثنى الخيولَ إلي معاقل قيصرٍ ... تختال بين أحزّةٍ ورقاق)
(يحملن كلَّ مُشمّرٍ مُتَغَشّمٍ ... ليثٍ هِزَبْرٍ أهْرَت الأشداق)
(حتى إذا أمَّ الحصونَ مُنازلاً ... والموتُ بين ترائبٍ وتَراق)
(هَرّت بطارقُها هريرَ قَساوِرٍ ... بُدِهَتْ بأكْرَهِ منظَرٍ ومَذَاق)
(ثم استكانت للحصار ملوكُها ... ذُلاًّ وناط حلوقَها بخِناق)
(هَربَتْ وأسلمتِ الصليبَ عشيّةً ... لم يَبْق غيرُ حُشاشَة الأرْماق)
قال فأمر له المعتصم لكل بيت بألف درهم وقال له أنت تعلم يا حسين أن هذا أكثر ما مدحني به مادح في دولتنا فقبل الأرض بين يديه وشكره وحمل المال معه
شاعر الخمرة
حدثني علي قال حدثني عثمان بن عمر الآجري قال سمعت الرياشي ينشد هذين البيتين ويستحسنهما ويستظرفهما جدا وهما
(إذا ما الماءُ أمكنني ... وصفوُ سُلافةِ العِنَبِ)
صببتُ الفضّةَ البيضاءَ ... فوق قُراضةِ الذهب) فقلت له من يقولهما يا أبا الفضل قال أرق الناس طبعا وأكثرهم ملحا وأكملهم ظرفا حسين بن الضحاك
أخبرني يحيى بن علي إجازة قال حدثني أبي عن حسين بن الضحاك قال أنشدت أبا نواس قصيدتي
وشاطِرِيِّ اللسان مختلِق التكريه ... شاب المُجونَ بالنُّسُك) حتى بلغت إلى قولي
كأنما نُصْبَ كأسه قمرٌ ... يكرَعُ في بعض أنْجُم الفِلك) قال فأنشدني أبو نواس بعد أيام لنفسه)
إذا عَبّ فيها شاربُ القومِ خِلتَه ... يُقبِّل في داجٍ من الليل كوكبا) قال فقلت له يا أبا علي هذه مصالتة فقال لي أتظن أنه يروى لك في الخمر معنى جيد وأنا حي
أخبرني به جعفر بن قدامة عن علي
ابن محمد بن نصر عن أحمد بن حمدون عن حسين بن الضحاك فذكر مثله
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال أنشدت إبراهيم بن المدبر قول حسين بن الضحاك
(كأنما نُصْبَ كأسِه قمرٌ ... حاسده بعض أنْجُم الفلك)
(حتى إذا رنّحته سوْرتها ... وأبدلته السكونَ بالحَرَك)
كشفتُ عن وَرَّة مسنّمة ... في لين صِينيّة من الفَلَكِ) فقال لي إبراهيم بن المدبر إن الحسين كان يزعم أن أبا نواس سرق منه هذا المعنى حين يقول يقبل في داج من الليل كوكبا فإن كان سرقه منه فهو أحق به لأنه قد برز عليه وإن كان

حسين سرقه منه فقد قصر عنه
حسين بن الضحاك والواثق
أخبرني محمد بن يحيى الخراساني قال حدثني محمد بن مخارق قال لما بويع الواثق بالخلافة ودخل عليه الحسين بن الضحاك فأنشده قصيدته التي أولها
صوت
(ألم يَرُعِ الإسلامَ موتُ نصيره ... بَلَى حَقّ أن يرتاع من مات ناصرُهْ)
(سيُسْلِيك عمّا فات دولةُ مُفْضِلٍ ... أوائلُه محمودةٌ وأواخرُهْ)
((ثنى الله عِطْفَيْه وألّف شخصَه ... على البرّ مُذْ شُدّت عليه مآزرُه
(يَصُبُّ ببَذْل المال حتى كأنما ... يرى بذلَه للمال نَهْباً يُبادرُه)
وما قدّم الرحمنُ إلاّ مقدَّماً ... مواردُه محمودةٌ ومصادرُه) فقال الواثق إن كان الحسين لينطق عن حسن طوية ويمدح بخلوص نية
ثم أمر بأن يعطى لكل بيت قاله من هذه القصيدة ألف درهم فأعجبته الأبيات حتى أمر فصنعت فيها عدة ألحان منها لعريب في طريقة الثقيل الأول
وأخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عون بن محمد قال حدثني محمد ابن عمرو الرومي قال لما ولي الواثق الخلافة أنشده حسين بن الضحاك قصيدة منها
(سيُسْلِيك عمّا فات دولةُ مُفْضِلٍ ... أوائلُه محمودةٌ وأواخره)
وما قدّم الرحمنُ إلاّ مقدَّماً ... مواردُه محمودةٌ ومصادرُه) قال فأنشدت إسحاق الموصلي هذا الشعر فقال لي نقل حسين كلام أبي العتاهية في الرشيد حتى جاء بألفاظه بعينها حيث يقول
(جَرَى لك من هارونَ بالسعد طائرُه ... إمامٌ اعتزام لا تُخاف بوادرُهْ)
إمامٌ له رأيٌ حميدٌ ورحمةٌ ... مواردُه محمودةٌ ومصادرُه) قال فعجبت من رواية إسحاق شعر المحدثين وإنما كان يروي للأوائل ويتعصب على المحدثين وعلى أبي العتاهية خاصة
في هذين الشعرين أغاني نسبتها
صوت
(جرى لك من هارون بالسعد طائرهُ ... إمامُ اعتزامٍ لا تُخاف بوادرُه)
(إمامُ له رأي حميدٌ ورحمةٌ ... مواردُه محمودةٌ ومصادره)
(هو الملكُ المجبولُ نفساً على التقى ... مُسلَّمةٌ من كل سوءٍ عساكره)
(لِتُغْمَدْ سيوفُ الحرب فاللّهُ وحده ... وليُّ أمير المؤمنين وناصره)
الشعر لأبي العتاهية على ما ذكره الصولي وقد وجدت هذه القصيدة بعينها في بعض النسخ لسلم الخاسر والغناء لإبراهيم وله فيه لحنان خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو وثاني ثقيل بالبنصر عن الهشامي
صوت
(سَيُسْلِيكَ عمّا فات دولةُ مُفْضِلٍ ... أوائلُه محمودةٌ وأواخرُهْ)
(ثنى اللّه عِطْفَيْه وألّف شخصَه ... على البرّ مُذ شُدّت عليه مآزرُه)
الشعر لحسين بن الضحاك والغناء لعريب ثقيل أول مطلق وفيه لقلم الصالحية خفيف رمل وهو أغرب اللحنين ولحن عريب المشهور
أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني محمد بن يحيى قال حدثني علي بن الصباح قال حدثني علي بن صالح كاتب الحسن بن رجاء قال حدثني إبراهيم بن الحسن بن سهل قال
كنا مع الواثق بالقاطول وهو يتصيد فصاد صيدا حسنا وهو في الزو من الإوز والدراج وطير الماء وغير ذلك ثم رجع فتغدى ودعا بالجلساء والمغنين وطرب وقال من ينشدنا فقام الحسين بن الضحاك فأنشده
سقى اللّهُ بالقاطول مَسْرَحَ طرفكا ... وخَصّ بسُقْياه مناكبَ قصركا) حتى انتهى إلى قوله
(تَحَيَّن للدُّرّاج في جَنَباته ... وللغرّ آجالٌ قُدِرْن بكفّكا)
(حُتُوفاً إذا وجّهْتَهن قواضِباً ... عِجَالاً إذا أغريتهنّ بزجركا)
(أبحتَ حَمَاماً مُصْعِداً ومُصوِّباً ... وما رمْتَ في حاليك مجلسَ لهوكا)
(تصرّفُ فيه بين ناي ومُسْمِعٍ ... ومشمولةٍ من كفّ ظبيٍ لسَقْيكا)
(قضيتَ لُبَاناتٍ وأنت مخيِّمٌ ... مُريحٌ وإن شطّتْ مسافةُ عزْمكا)
وما نال طِيبَ العيش إلاّ مُودِّعٌ ... وما طاب عيشٌ نال مجهودَ كدّكا) فقال الواثق ما يعدل الراحة ولذة الدعة شيء فلما انتهى إلى قوله
(خُلِقتَ أمينَ اللّه للخَلْق عصْمةً ... وأمْناً فكلٌّ في ذَرَاك وظِلّكا)
(وثِقْتَ بمن سمّاك بالغيب واثقاً ... وثَبّت بالتأييد أركان مُلْككا)
(فأعطاك مُعْطِيك الخلافةَ شكرَها ... وأسْعد بالتقوى سريرةَ قلبكا)
((وزادك من أعمارنا غيرَ منّة ... عليك بها أضعافَ أضعافِ عمركا
(ولا زالت الأقدارُ في كلّ حالةٍ ... عُداةً لمن عاداك سِلْماً لسلمكا)
إذا كنتُ من جَدْواك في كل نعمةٍ ... فلا كنتُ إن لم أُفْنِ عمري بشكركا) فطرب الواثق فضرب الأرض بمخصرة كانت في يده وقال لله درك يا حسين ما أقرب قلبك من لسانك فقال يا أمير المؤمنين جودك ينطق المفحم بالشعر والجاحد بالشكر فقال له لن تنصرف إلا مسرورا ثم أمر له بخمسين ألف درهم
حدثنا علي بن العباس بن أبي طلحة قال حدثنا أبو العباس الرياشي قال حدثنا الحسين بن الضحاك قال دخلت على الواثق ذات يوم وفي السماء لطخ غيم فقال لي ما الرأي عندك في هذا اليوم فقلت يا أمير المؤمنين ما حكم به وأشار إليه قبلي أحمد بن يوسف فإنه أشار بصواب لا يرد وجعله في شعر لا يعارض فقال وما قال فقلت قال
(أرى غيماً تؤلّفه جَنُوبٌ ... وأحسبَه سيأتينا بِهَطْلِ)
فعينُ الرأي أن تدعو برِطلٍ ... فتشربه وتدعو لي بِرطل) فقال أصبتما ودعا بالطعام وبالشراب والمغنين والجلساء)

واصطبحنا
أخبرني علي بن العباس قال حدثني الحسين بن علوان قال حدثني العباس بن عبيد الله الكاتب قال كان حسين بن الضحاك ليلة عند الواثق وقد شربوا إلى أن مضى ثلث من الليل فأمر بأن يبيت مكانه فلما أصبح خرج إلى الندماء وهم مقيمون
فقال لحسين هل وصفت ليلتنا الماضية وطيبها فقال لم يمض شيء وأنا أقول الساعة وفكر هنيهة ثم قال
(حَثّتْ صَبُوحي فكاهةُ اللاّهي ... وطاب يومي بقرب أشباهي)
(فاستَثِرِ اللهوَ من مكامنه ... من قبل يومٍ منغِّصٍ ناهي)
(بابنة كَرْمٍ من كفّ مُنْتَطِقٍ ... مؤزَّرٍ بالمُجون تَيّاه)
(يسقيك من طرفه ومن يده ... سقى لطيف مجرِّبٍ داهي)
كأساً فكأساً كأنّ شاربها ... حيرانُ بين الذَّكور والساهي) قال فأمر الواثق برد مجلسه كهيئته واصطبح يومه ذلك معهم)
وقال نحقق قولك يا حسين ونقضي بك كل أرب وحاجة
أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني محمد بن مغيرة المهلبي قال حدثنا حسين بن الضحاك قال كانت لي نوبة في دار الواثق أحضرها جلس أو لم يجلس فبينا أنا نائم ذات ليلة في حجرتي إذ جاء خادم من خدم الحرم فقال قم فإن أمير المؤمنين يدعوك فقلت له وما الخبر قال كان نائما وإلى جنبه حظية له فقام وهو يظنها نائمة فألم بجارية له أخرى ولم تكن ليلة نوبتها وعاد إلى فراشه فغضبت حظيته وتركته حتى نام ثم قامت ودخلت حجرتها فانتبه وهو يرى أنها عنده فلم يجدها فقال اختلست عزيزتي ويحكم أين هي فأخبر أنها قامت غضبى ومضت إلى حجرتها فدعا بك فقلت في طريقي
(غضِبَتْ أنْ زُرْتُ أخرى خِلْسةً ... فلها العُتْبَى لدينا والرِّضا)
(يا فَدَتْكِ النفسُ كانت هفوةً ... فاغفِريها واصفَحي عمّا مضى)
(واتركي العذَل على من قاله ... وانسُبي جَوْري إلى حكم القضا)
(فلقد نَبَّهتِني من رَقْدتي ... وعلى قلبي كنيرانِ الغَضَا) قال فلما جئته خبرني القصة وقال لي قل في هذا شيئا ففكرت هنيهة كأني أقول شعرا ثم أنشدته الأبيات فقال أحسنت وحياتي أعدها يا حسين فأعدتها عليه حتى حفظها وأمر لي بخمسمائة دينار وقام فمضى إلى الجارية وخرجت أنا إلى حجرتي
أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة قال حدثني الغلابي قال حدثني مهدي بن سابق قال قال لي حسين بن الضحاك كان الواثق يتحظى جارية فماتت فجزع عليها وترك الشرب أياما ثم سلاها وعاد إلى حاله فدعاني ليلة فقال لي يا حسين رأيت فلانة في النوم فليت نومي كان طال قليلا لأتمتع بلقائها فقل في هذا شيئا فقلت
(ليتَ عينَ الدهر عنّا غَفَلتْ ... ورقيبَ الليلِ عنّا رَقَدا)
(وأقام النومُ في مدّته ... كالذي كان وكنّا أبدا)
(بأبي زَوْرٌ تَلَفَّتُّ له ... فتنفَّسْتُ إليه الصُّعَدا)
بينما أضحك مسروراً به ... إذ تقطَّعتُ عليه كَمَدا) قال فقال لي الواثق أحسنت ولكنك وصفت رقيب فشكوته ولا ذنب)
لليل وإنما رأيت الرؤيا نهارا ثم عاد إلى منامه فرقد
أخباره مع أبو نواس
أخبرني جحظة قال حدثني علي بن يحيى المنجم قال حدثني حسين بن الضحاك وأخبرني به جعفر بن قدامة عن علي بن يحيى عن حسين بن الضحاك قال لقيني أبو نواس ذات يوم عند باب أم جعفر من الجانب الغربي فأنشدته
((أخَوَيَّ حيّ على الصَّبوح صباحاً ... هُبَّا ولا تَعِدا الصباحَ رَواحا
(هذا الشَّميطِ كأنه متحيِّرٌ ... في الأُفْق سدَّ طريقُه فألاحا)
ما تأمرانِ بسَكْرة قَرَوِيَة ... قَرَنَتْ إلى درك النجاح نجاحا) هكذا قال جحظة والذي أحفظه)
ما تأمرانِ بقهوةٍ قَرَوِيّة ...) قال فلما كان بعد أيام لقيني في ذلك الموضع فأنشدني يقول)
ذكر الصَّبُوحَ بسُحْرة فارتاحا ... وأمَلّه ديكُ الصَّباح صِياحا) فقلت له حسن يابن الزانية أفعلتها فقال دع هذا عنك فوالله لا)
قلت في الخمر شيئا أبدا وأنا حي إلا نسب لي
أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني محمد بن سعيد قال حدثني أبو أمامة الباهلي عن الحسين بن الضحاك قال محمد بن يحيى وحدثني المغيرة بن محمد المهلبي إن الحسين بن الضحاك شرب يوما عند إبراهيم بن المهدي فجرت بينهما ملاحاة في أمر الدين والمذهب فدعا له إبراهيم بنطع وسيف وقد
أخذ منه الشراب فانصرف وهو غضبان فكتب إليه إبراهيم يعتذر إليه ويسأله أن يجيئه فكتب إليه
(نديمي غيرُ منسوب ... إلى شيءٍ من الحَيْفِ)
(سقاني مثلَ ما يشرب ... فِعلَ الضَّيفِ بالضيفِ)
(فلما دارت الكأسُ ... دعا بالنِّطْعِ والسيف)
كذا من يشرب الخمر ... مع التِّنّينِ في الصيف) قال ولم يعد إلى منادمته مدة ثم إن إبراهيم تحمل عليه ووصله فعاد)
إلى منادمته
حدثني عمي قال حدثني ميمون بن هارون قال حدثني حسين بن الضحاك قال كنت أنا وأبو نواس تربين نشأنا في مكان واحد وتأدبنا بالبصرة وكنا نحضر مجالس الأدباء متصاحبين ثم خرج قبلي عن البصرة وأقام مدة واتصل بي ما آل إليه أمره وبلغني إيثار السلطان وخاصته له فخرجت عن البصرة إلى بغداد ولقيت الناس ومدحتهم وأخذت جوائزهم وعددت في الشعراء وهذا كله في أيام الرشيد إلا أني لم أصل إليه واتصلت بابنه صالح فكنت في خدمته فغني يوما بهذا الصوت
أأن زُمّ أجمالٌ وفارق جيرةٌ ... وصاح غرابُ البين أنت حزين) فقال لي صالح قل أنت في هذا المعنى شيئا فقلت)
(أأن دبَّ حُسَّادٌ ومَلّ حبيب ... وأورق عودُ الهجرِ أنت حبيبُ)
(لِيَبْلُغْ بنا هجرُ الحبيب مرامَه ... هلِ الحبُّ إلاّ عَبْرةٌ ونحيب)
(كأنك لم تسمع بفرقة أُلْفةٍ ... وغَيْبةِ وصل لا تراه يؤوب) فأمر بأن يغنى فيه واتصلت بمحمد بن زبيدة في أيام أبيه وخدمته ثم اتصلت خدمتي له في أيام خلافته
أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني أبو العيناء عن الحسين بن الضحاك قال كنت يوما عند صالح بن الرشيد فجرى بيننا

كلام على النبيذ وقد أخذ مني الشراب مأخذا قويا فرددت عليه ردا أنكره وتأوله على غير ما أردت فهاجرني فكتبت إليه صوت
(يابن الإمام تركتني هَمَلاً ... أبكي الحياةَ وأندُبُ الأملا)
(ما بالُ عينِك حين تلحَظُني ... ما إنْ تُقِلُّ جُفُونَها ثِقَلا)
(لو كان لي ذنبٌ لبُحْتُ به ... كي لا يقال هجرتني مَلَلا)
(إن كنتُ أعرف زَلَّةً سلَفَتْ ... فرأيتُ مِيتَةَ واحدي عجَلا)
فيه خفيف ثقيل ينسب إلى عبد الله بن العلاء وإلى عبد الله بن العباس الربيعي قال فكتب إلي قد تلافى لسانك بشعرك ما جناه في وقت سكرك وقد رضيت عنك رضا صحيحا فصر إلي على أتم نشاطك وأكمل بساطك فعدت إلى خدمته فما سكرت عنده بعدها قال وكانت في حسين عربدة

تقلب المأمون عليه

وأخبرني ببعضه محمد بن مزيد بن أبي الأزهر ومحمد بن خلف بن المرزبان وألفاظهما تزيد وتنقص وأخبرني ببعضه محمد بن خلف وكيع عن آخره وقصة وصوله إلى المأمون ولم يذكر ما قبل ذلك قال وحدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه ولم يقل وكيع عن أبيه واللفظ في الخبر لابن أبي الأزهر وحديثه أتم قال كنت بين يدي المأمون واقفا فأدخل إليه ابن البواب رقعة فيها أبيات وقال إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في إنشادها فظنها له فقال هات فأنشده
(أَجِرْني فإنّي قد ظَمِئْتُ إلى الوعد ... متى تُنجِزُ الوعدَ المؤكَّدَ بالعهد)
(أُعِيذُكَ من خُلْف الملوك وقد بدا ... تقطُّعُ أنفاسي عليك من الوجد)
أَيَبْخَلُ فَرْدُ الحسن عنّي بنائلٍ ... قليلٍ وقد أفردتُه بهوىً فرد) إلى أن بلغ إلى قوله
(رأى اللهُ عبدَ الله خيرَ عباده ... فملّكه والله أعلمُ بالعبد)
ألا إنّما المأمونُ للناس عصمةٌ ... مميِّزةٌ بين الضَّلالة والرُّشْد) فقال المأمون أحسنت يا عبد الله فقال يا أمير المؤمنين أحسن قائلها قال ومن هو فقال عبدك حسين بن الضحاك فغضب ثم قال لاحيا الله من ذكرت ولا بياه ولا قربه ولا أنعم به عينا أليس القائل
(أعينيَّ جُودَا وابكيا لي محمداً ... ولا تَذْخَرا دمعاً عليه وأسْعِدا)
(فلا تَمَّتِ الأشياءُ بعد محمد ... ولا زال شملُ الملك فيه مبدَّدا)
ولا فرح المأمونُ بالمُلك بعده ... ولا زال في الدّنيا طريداً مشرَّدا) هذا بذاك ولا شيء له عندنا فقال له ابن البواب فأين فضل إحسان
أمير المؤمنين وسعة حلمه وعادته في العفو فأمر بإحضاره فلما حضر سلم فرد عليه السلام ردا جافيا ثم أقبل عليه فقال أخبرني عنك هل عرفت يوم قتل أخي محمد هاشمية قتلت أو هتكت قال لا قال فما معنى قولك
(وسِرْبِ ظِباءٍ من ذُؤابةِ هاشمٍ ... هَتَفْنَ بدعوى خير حيٍّ وميّتِ)
(أرُدّ يداً منّي إذا ما ذكرتُه ... على كبدٍ حرَّى وقلبٍ مفتَّتِ)
فلا بات ليلُ الشامتين بغِبْطةٍ ... ولا بلَغتْ آمالُهم ما تمنّتِ) فقال يا أمير المؤمنين لوعة غلبتني وروعة فاجأتني ونعمة فقدتها بعد أن غمرتني وإحسان شكرته فأنطقني وسيد فقدته فأقلقني فإن عاقبت فبحقك وإن عفوت فبفضلك فدمعت عينا المأمون وقال قد عفوت عنك وأمرت بإدرار أرزاقك وإعطائك ما فات منها وجعلت عقوبة ذنبك امتناعي من استخدامك
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبي قال لما أعيت حسين بن الضحاك الحيلة في رضا المأمون عنه رمى بأمره إلى عمرو بن مسعدة وكتب إليه
(أنتَ طَوْدي من بين هذي الهضابِ ... وشِهابي من دون كلِّ شِهابِ)
(أنتَ يا عمرو قوّتي وحياتي ... ولساني وأنت ظُفْري ونابي)
(أتُراني أنسى أياديَك البِيضَ ... إذ اسودّ نائلُ الأصحاب)
(أين عطف الكرام في مَأْقِطِ الحاجة ... يحْمُون حَوْزةَ الآداب)
((أين أخلاقُك الرضيّة حالت ... فيّ أم أين رقّة الكُتّاب
(أنا في ذمّة السَّحَاب وأظما ... إنّ هذا لوصمةٌ في السّحاب)
(قمْ إلى سيّد البريّة عنّي ... قومةً تستَحِرُّ حسن خطاب)
فلعلَّ الإلهَ يُطفيء عنّي ... بك ناراً عليّ ذاتَ الْتِهابِ) قال فلم يزل عمرو يلطف للمأمون حتى أوصله إليه وأدر أرزاقه
حدثني الصولي قال حدثني عون بن محمد قال حدثني الحسين بن الضحاك قال غضب المعتصم علي في شيء جرى على النبيذ فقال والله لأؤدِّبنّه وحجبني أياما فكتبت إليه
(غَضَبُ الإمام أشدُّ من أدَبِهْ ... وقد استجرْتُ وعُذْتُ من غَضَبِهْ)
(أصبحتُ معتصِماً بمعتصِمٍ ... أثْنى الإلهُ عليه في كُتُبه)
(لا والذي لم يُبْقِ لي سبباً ... أرجو النجاةَ به سوى سببه)
مالي شفيعٌ غيرُ حُرْمتِه ... ولكلٍّ من أشفَى على عَطَبه) قال فلما قرىء عليه التفت إلى الواثق ثم قال بمثل هذا الكلام يستعطف الكرام ما هو إلا أن سمعت أبيات حسين هذه حتى أزالت ما في نفسي عليه فقال له الواثق هو حقيق بأن يوهب له ذنبه ويتجاوز عنه فرضي عني وأمر بإحضاري
قال الصولي فحدثني الحسين بن يحيى أن هذه الأبيات إنما كتب بها إلى المعتصم لأنه بلغه عنه أنه مدح العباس بن المأمون وتمنى له
الخلافة فطلبه فاستتر وكتب بها إلى المعتصم على يدي الواثق فأوصلها وشفع له فرضي عنه وأمنه فظهر إليه وهجا العباس بن المأمون فقال
(خَلِّ اللَّعِينَ وما اكتَسَبْ ... لا زال منقطِعَ السَّبَبْ)
(يا عُرّةَ الثَّقَلَيْن لا ... ديناً رعَيتَ ولا حَسَبْ)
(حَسَدُ الإمامِ مكانَه ... جهلاً حَذَاكَ على العَطَبْ)
(وأبوك قدَّمه لها ... لما تخيَّر وانتخب)
(ما تستطيع سوى التنفّس ... والتجرُّع للكرب)

(ما زلتَ عند أبيك مُنْتَقَصَ ... المروءة والأدب)
مع صالح بن الرشيد ومحبوبه محمد
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات وابن مهرويه قالا كنا عند صالح بن الرشيد ليلة ومعنا حسين بن الضحاك وذلك في خلافة المأمون وكان صالح يهوى خادما له فغاضبه في تلك الليلة فتنحى عنه وكان جالسا في صحن حوله نرجس في قمر طالع حسن فقال للحسين قل في مجلسنا هذا وما نحن فيه أبياتا يغني فيها عمرو بن بانة فقال الحسين
صوت
(وصف البدرُ حسنَ وجهك حتى ... خِلْتُ أنّي وما أراكَ أراكا)
(وإذا ما تنفّس النرجسُ الغَضّ ... توهّمتُه نسيمَ شَذَاكا)
(خُدَعٌ للمُنى تعلّلني فيك ... بإشراق ذا ونفحة ذاكا)
لأدومنّ يا حبيبي على العهد ... لهذا وذاك إذ حَكَيَاكا) قال عمرو فقال لي صالح تغن فيها فتغنيت فيها من ساعتي)
لحن عمرو في هذه الأبيات ثقيل بالبنصر من روايته
وقد حدثني بهذا الخبر علي بن العباس بن أبي طلحة قال حدثني عبيد الله بن زكريا الضرير قال حدثنا الجماز عن أبي نواس قال كنت أتعشق ابنا للعلاء يقال له محمد وكان حسين يتعشق خادما لأبي عيسى بن الرشيد يقال له يسر فزارني يوما فسألته عنه فقال قد كاد قلبي أن يسلو عنه وعن حبه قال وجاءني ابن العلاء صاحبي فدخل علي وفي يده نرجس فجلسنا نشرب وطلع القمر فقلت له يا حسين أيما أحسن القمر أم محمد فأطرق ساعة ثم قال اسمع جواب الذي سألت عنه
(وصَف البدرُ حسنَ وجهك حتى ... خِلْتُ أنّي وما أراك أراكا)
(وإذا ما تنفس النرجس الغَضّ ... توهّمتُه نسيمَ شَذَاكا)
(وأخال الذي لثَمتُ أنيسي ... وجليسي ما باشرتْه يداكا)
(فإذا ما لثَمتُ لَثْمَكَ فيه ... فكأني بذاك قبّلتُ فاكا)
(خُدَعٌ للمُنَى تعلّلني فيك ... بإشراق ذا ونَفْحة ذاكا)
لأُقِيمنّ ما حَييتُ على الشكر ... لهذا وذاك إذ حَكَيَاكا) قال فقلت له أحسنت والله ما شئت ولكنك يا كشخان هو ذا (تقدر أن تقطع الطريق في عملي فقال يا كشخان أو شعري الذي سمعته في حاضر أم بذكر غائب والله للنعل التي يطأ عليها يسر أحسن عندي من صاحبك ومن القمر ومن كل ما أنتم فيه
أخبرني علي بن العباس قال حدثني أحمد بن سعيد بن عنبسة القرشي الأموي قال حدثني علي بن الجهم قال دخلت يوما على المتوكل وهو جالس في صحن خلده وفي يده غصن آس وهو يتمثل بهذا الشعر
(بالشَّطِّ لي سَكَنٌ أفْدِيه من سَكَن ... أهْدَى من الآس لي غصنين في غُصُن)
(فقلتُ إذ نَظما إلفين والتَبسا ... سَقْياً ورَعْياً لفألٍ فيكما حسن)
(فالآسُ لا شَكَّ آسٍ من تشوّقنا ... شافٍ وآسٍ لنا يبقى على الزمن)
أبْشَرْتُماني بأسبابٍ ستجمعنا ... إن شاء ربي ومهما يَقْضِه يَكُن) قال فلما فرغ من إنشادها قال لي وكدت أنشق (حسدا لمن هذا الشعر يا علي فقلت للحسين بن الضحاك يا سيدي فقال لي هو عندي أشعر أهل زماننا وأملحهم مذهبا وأظرفهم نمطا فقلت وقد زاد غيظي في الغزل يا مولاي قال وفي غيره وإن رغم أنفك ومت حسدا وكنت قد مدحته بقصيدة وأردت إنشادها يومئذ فلم أفعل وعلمت أني لا أنتفع مع ما جرى بيننا بشيء لا به ولا بالقصيدة فأخرتها إلى وقت آخر
خبره مع خادم المتوكل
أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني أحمد بن يزيد المهلبي قال حدثني أبي قال
أحب المتوكل على الله أن ينادمه حسين بن الضحاك وأن يرى ما بقي من شهوته لما كان عليه فأحضره وقد كبر وضعف فسقاه حتى سكر وقال لخادمه شفيع اسقه فسقاه وحياه بوردة وكانت على شفيع ثياب موردة فمد الحسين يده إلى ذراع شفيع فقال له المتوكل يا حسين أتجمش أخص خدمي عندي بحضرتي فكيف لو خلوت ما أحوجك إلى أدب وقد كان المتوكل غمز شفيعا على العبث به فقال الحسين يا سيدي أريد دواة وقرطاسا فأمر له بذلك فكتب بخطه
(وكالوردةِ الحَمْراء حيّا بأحمرٍ ... من الورد يمشي في قَرَاطِقَ كالوردِ)
(له عَبَثاتٌ عند كلِّ تحيّةٍ ... بعينيه تَستدعي الحليمَ إلى الوجد)
(تمنّيتُ أن أُسقَى بكفّيْه شَرْبةً ... تذكِّرني ما قد نَسِيتُ من العهد)
سقى الله دهراً لم أبِتْ فيه ليلةً ... خَلِيًّا ولكن من حبيب على وعد) ثم دفع الرقعة إلى شفيع وقال له ادفعها إلى (مولاك فلما قرأها استملحها وقال أحسنت والله يا حسين لو كان شفيع ممن تجوز هبته لوهبته لك ولكن بحياتي إلا كنت ساقيه باقي يومه هذا واخدمه كما تخدمني وأمر له بمال كثير حمل معه لما انصرف قال أحمد بن يزيد فحدثني أبي قال صرت إلى الحسين بعد انصرافه من عند المتوكل بأيام فقلت له ويلك أتدري ما صنعت قال نعم أدري وما كنت لأدع عادتي بشيء وقد قلت بعدك
صوت
(لا رأى عَطْفَةَ الأحبّة ... من لا يُصَرِّحُ)
(أصغرُ الساقِيَيْن أشكُل ... عندي وأمْلَحُ)
(لو تراه كالظَّبْي يَسنَح ... حيناً ويبرَحُ)
(خِلْتَ غصناً على كَثِيبٍ ... بنَوْرٍ يرشّحُ)
غنى عمرو بن بانة في هذه الأبيات ثاني ثقيل بالبنصر
وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن العباس اليزيدي وقال حدثني محمد ابن أبي عون قال حضرت المتوكل وعنده محمد بن عبد الله بن طاهر وقد أحضر حسين ابن الضحاك للمنادمة فأمر خادما كان واقفا على رأسه فسقاه وحياه بتفاحة عنبر وقال لحسين قل في هذا شيئا فقال
(وكالدُّرّةِ البيضاءِ حيّا بعنبرٍ ... وكالورد يَسْعَى في قَرَاطِقَ كالوَرْدِ)

(له عَبَثاتٌ عند كلِّ تحيّة ... بعينيه تَستدعي الحليمَ إلى الوجد)
(تمنّيتُ أن أُسقَى بكفّيه شربةً ... تُذكّرني ما قد نسِيتُ من العهد)
سقى الله عيشاً لم أبِتْ فيه ليلةً ... من الدّهر إلا من حبيب على وعد) فقال المتوكل يحمل إلى حسين لكل بيت) مائة دينار فالتفت إليه محمد بن عبد الله بن طاهر كالمتعجب وقال لم ذاك يا أمير المؤمنين فوالله لقد أجاب فأسرع وذكر فأوجع وأطرب فأمتع ولولا أن يد أمير المؤمنين لا تطاولها يد لأجزلت له العطاء ولو أحاط بالطارف والتالد فخجل المتوكل وقال يعطى حسين بكل بيت ألف دينار وقد أخبرني بهذا الخبر ابن قاسم الكوكبي قال حدثنا بشر بن محمد قال وحدثني علي بن الجهم أنه حضر المتوكل وقد أمر شفيعا أن يسقي حسين بن الضحاك وذكر باقي الخبر نحو ما مضى من رواية غيره

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد المبرد وحدثني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال أخبرني محمد بن مروان عن محمد بن عمرو الرومي قال اجتمع حسين بن الضحاك وعمرو بن بانة يوما عند ابن شغوف الهاشمي فاحتبسهما عنده وكان لابن شغوف خادم حسن يقال له مقحم وكان عمرو ابن بانة يتعشقه ويسر ذلك من ابن شغوف فلما أكلوا وضع النبيذ قال عمرو ابن بانة للحسين قل في مقحم أبياتا أغن فيها الساعة فقال الحسين صوت

(وابأبي مُقْحمٌ لعزّته ... قلتُ له إذ خلوتُ مُكْتَتِما)
تحبّ بالله من يخصّك بالودّ ... فما قال لا ولا نَعَما) وغنى فيه عمرو قال فبينا هم كذلك إذ جاء الحاجب فقال إسحاق) لموصلي بالباب فقال له عمرو أعفنا من دخوله ولا تنغص علينا ببغضه وصلفه وثقله ففعل وخرج الحاجب فاعتل على إسحاق حتى انصرف وأقاموا يومهم وباتوا ليلتهم عند ابن شغوف فلما أصبحوا مضى الحسين بن الضحاك إلى إسحاق فحدثه الحديث بنصه فقال إسحاق

(يابن شغوفٍ أمَا علمتَ بما ... قد صار في الناس كلِّهم عَلَما)
(دعوتَ عمراً فبات ليلتَه ... في كلّ ما يَشتهي كما زعما)
(حتى إذا ما الظلامُ ألبسه ... سَرَى دَبِيباً فضاجَعَ الخَدَما)
(ثَمّتَ لم يَرْضَ أن يُضاجِعهم ... سِرًّا ولكن أبْدى الذي كتما)
(ثم تغنَّى لفرط صَبْوته ... صوتاً شفى من غَليله السَّقَما)
((وابأبي مُقْحم لعزّته ... قلتُ له إذ خلوت مكتتما
(تحبّ بالله من يخصّك بالودّ ... فما قال لا ولا نعما)

قال وشاعت الأبيات في الناس وغنى فيها إسحاق أيضا فيما أظن فبلغت ابن شغوف فحلف ألا يدخل عمرا داره أبدا ولا يكلمه وقال فضحني وشهرني وعرضني للسان إسحاق فمات مهاجرا له وقال ابن أبي سعد في خبره إن إسحاق غنى فيها للمعتصم فسأله عن خبرها فحدثه بالحديث فضحك وطرب وصفق ولم يزل يستعيد الصوت والحديث وابن شغوف يكاد أن يموت إلى أن سكر ونام

لحن عمرو بن بانة في البيتين اللذين قالهما حسين في مقحم من الثقيل الثاني بالوسطى

أشعرهم غزلا

أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة قال حدثني محمد بن موسى بن حماد قال سمعت مهدي بن سابق يقول التقى أبو نواس وحسين بن الضحاك فقال أبو نواس أنت أشعر أهل زمانك في الغزل قال وفي أي ذلك قال ألا تعلم يا حسين قال لا قال في قولك

(وابأبي مُقْحم لعزّته ... قلت له إذ خلوتُ مكتتما)
(تحبّ بالله من يَخُصّك بالودّ ... فما قال لا ولا نعما)
(ثم تولّى بمقلتَيْ خَجِلٍ ... أراد رَجْعَ الجواب فاحتشما)
فكنتُ كالمبتغِي بحيلته ... بُرءاً من السُّقْم فابتدا سَقَما) فقال الحسين ويحك يا أبا نواس فأنت لا تفارق مذهبك في) الخمر البتة قال لا والله وبذلك فضلتك وفضلت الناس جميعا

أخبرني علي بن العباس قال أنشدنا أبو العباس ثعلب قال أنشدني حماد ابن المبارك صاحب حسين بن الضحاك قال أنشدني حسين لنفسه

(لا وحُبِّيكَ لا أُصافِح ... بالدَّمْع مَدمَعَا)
(من بَكَى شَجْوَه استراح ... وإن كان مُوجَعا)
(كبِدِي من هواكَ أسقمُ ... من أن تَقَطّعا)
لم تدَعْ سَوْرةُ الضَّنَى ... فيَّ للسُّقم مَوْضِعا) قال ثم قال لنا ثعلب ما بقي من يحسن أن يقول مثل هذا)

أخبرني علي قال حدثني محمد بن الفضل الأهوازي قال سمعت علي ابن العباس الرومي يقول حسين بن الضحاك أغزل الناس وأظرفهم فقلت حين يقول ماذا فقال حين يقول

(يا مستعِيرَ سَوالِف الخِشْفِ ... اِسْمَعْ لحَلْفَةِ صادِق الحَلْفِ)
(إنْ لم أصِحْ ليلِي ويا حَرَبِي ... من وجنتيكَ وَفَتْرةِ الطَّرْف)
(فجحَدتُ ربِّي فضلَ نعمته ... وعبدتُه أبداً على حَرْف)

أخبرني علي بن العباس الرومي قال حدثني قتيبة عن عمرو السكوني بالكوفة قال حدثني أبي قال حدثني حسين بن الضحاك قال كانت تألفني مغنية وتجيئني دائما وكنت أميل إليها وأستملحها وكان يقال لها فتن فكان يجيء معها خادم لمولاتها يحفظها يسمى نجحا وكان بغيضا شرس الخلق فإذا جاء معها توقيته فمرض فجاءتني ومعها غيره فبلغت منها مرادي وتفرجت يومي وليلتي فقلت

(لا تَلُمْنِي على فِتَنْ ... إنها كاسمِها فِتَنْ)
(فإذا لم أهِمْ بها ... فبمن لا بمن إذَنْ)
(أين لا أين مثلُها ... في جميع الوَرَى سَكَنْ)
(طِيب نَشْرٍ إذا انْثَمَتَ ... وغُنْج ومُحتضَن)
(وَالِ عَشْراً من الصَّبُوح ... على وجهها الحسن)

(وعلى لفظها المُنَوَّن ... للاّم بالغُنَنْ)
(لست أنسى من الغَريرة ... إذ بُحت بالشَّجَنْ)
(قولَها إذ سلبتُها ... عن كَثيبٍ وعن عُكَنِ)
(ليس يُرضيكَ يا فتى ... من هوىً دون أن تَهِنْ)
(فامتزجنا معاً مُمَازَجة ... الرُّوح للبدن)
(وكُفِينا من أن نُراقِبَ ... نُجُحاً إذا فَطَن)
(وأمِنّاه أن يَنِمَّ ... وما كان مؤتَمنْ)
(كلُّ ما كان من حبيبك ... مستطْرَفٌ حسن)
حدثني جحظة قال حدثني أبو عبد الله الهشامي أن مخارقا وحسين بن الضحاك تلاحيا في أبي العتاهية وأبي نواس أيهما أشعر فاتفقا على اختيار شعر من شعريهما يتخايران فيه فاختار الحسين بن الضحاك شيئا من شعر أبي نواس جيدا قويا لمعرفته بذلك واختار مخارق شيئا من شعر أبي العتاهية ضعيفا سخيفا غزلا كان يغني فيه لا لشيء عرفه منه إلا لأنه استملحه وغنى فيه فخاير به لقلة علمه ولما كان بينه وبين أبي العتاهية من المودة وتخاطرا على مال وتحاكما إلى من يرتضيه الواثق بالله ويختاره لهما فاختار الواثق لذلك أبا محلم وبعث فأحضره وتحاكما إليه بالشعرين فحكم لحسين بن الضحاك فتلكأ مخارق وقال لم أحسن الاختيار للشعر ولحسين أعلم مني بذلك ولأبي العتاهية خير مما اخترت وقد اختار حسين أجود ما قدر عليه لأبي نواس لأنه أعلم مني بالشعر ولكنا نتخاير بالشاعرين ففيهما وقع الجدال فتحاكما فحكم لأبي نواس وقال هو أشعر وأذهب في فنون الشعر وأكثر إحسانا في جميع تصرفه فأمر الواثق بدفع الخطر إلى حسين وانكسر مخارق فما انتفع به بقية يومه

مدح الحسن بن سهل

أخبرني ابن أبي طلحة قال حدثني سوادة بن الفيض قال حدثني أبي قال لما اطرح المأمون حسين بن الضحاك لهواه كان في أخيه محمد وجفاه لاذ الحسين بن الضحاك بالحسن بن سهل وطمع أن يصلحه له فقال يمدحه
(أرى الآمالَ غيرَ مُعرِّجاتٍ ... على أحدٍ سوى الحسن بن سَهْلِ)
(يُباري يومَه غدُه سَماحاً ... كِلاَ اليومين بان بكلّ فضل)
(أرى حَسَناً تقدّم مستبِدًّا ... ببَعْدٍ من رياسته وقَبْلِ)
((فإن حضرَتْك مشكلةٌ بشَكٍّ ... شفاكَ بحِكْمةٍ وخطابِ فَصْلِ)
(سليلُ مَرَازبٍ برعُوا حلوماً ... وراع صغيرُهم بسداد كهل)
(ملوكٌ إن جريتَ بهِم أبرّوا ... وعزّوا أن تُوازنَهم بعدْلِ)
(ليَهْنِكَ أنّ ما أرجأتَ رشدٌ ... وما أمضيتَ من قول وفعل)
وأنك مؤثرٌ للحقِّ فينا ... أراكَ اللّه من قطع ووصلِ)
وأنّك للجميع حيَا ربيعٍ ... يَصُوب على قَرَارة كلِّ مَحْلِ) قال فاستحسنها الحسن بن سهل ودعا بالحسين فقربه وآنسه ووصله وخلع عليه ووعده إصلاح المأمون له فلم يمكنه ذلك لسوء رأي المأمون فيه ولما عاجل الحسن من العلة
قال علي بن العباس بن أبي طلحة وحدثني أبو العباس أحمد بن الفضل المروزي قال سمعت الحسن بن سهل يقول لحسين بن الضحاك ما عنيت بقولك
يا خَلِيَّ الذَرْعِ من شَجَنِي ... إنما أشكو لترحمَني) قال قد بينته قال بأي شيء قال قلت)
منعُك الميسورَ يُؤيسُني ... وقليلُ اليأس يقتلني) فقال له أبو محمد إنك لتضيع بالخلاعة ما أعطيته من البراعة)

شاعر الغلمان

أخبرني علي بن العباس قال حدثني أحمد بن القاسم المري قال حدثنا أبو هفان قال
سألت حسين بن الضحاك عن خبره المشهور مع الحسن بن سهل في اليوم الذي شرب معه فيه وبات عنده وكيف كان ابتداؤه فقلت له إني أشتهي أن أسمعه منك فقال لي دخلت على الحسن بن سهل في فصل الخريف وقد جاء وسمي من المطر فرش رشا حسنا واليوم في أحسن منظر وأطيبه وهو جالس على سرير آبنوس وعليه قبة فوقها طارمة ديباج أصفر وهو يشرف على بستان في داره وبين يديه وصائف يترددن في خدمته وعلى رأسه غلام كالدينار فسلمت عليه فرد علي السلام ونظر إلي كالمستنطق فأنشأت أقول
ألستَ ترى ديمةً تَهْطِلُ ... وهذا صباحُك مُستْقبَلُ) فقال بلى فقلت)
وتلك المُدَامُ وقد شاقنا ... برؤيته الشادنُ الأكحل) فقال صدقت فمه فقلت)
فعاد به وبنا سَكْرةٌ ... تُهوِّن مكروهَ ما نَسأل) فسكت فقلت)
فإني رأيت له نظرةً ... تُخبِّرني أنه يفعل) ثم قال مه فقلت)
وقد أشْكل العيشُ في يومنا ... فيا حبّذا عيشُنا المُشْكِلُ) فقال العيش مشكل فما ترى فقلت مبادرة القصف وتقريب)
الإلف قال علي أن تقيم معنا وتبيت عندنا فقلت له لك الوفاء وعليك مثله لي من الشرط قال وما هو قلت يكون هذا الواقف على رأسك
يسقيني فضحك ثم قال ذلك لك على ما فيه ودعا بالطعام فأكلنا وبالشراب فشربنا أقداحا ولم أر الغلام فسألت عنه فقال لي الساعة يجيء فلم نلبث أن وافاني فسألته أين كان فقال كنت في الحمام وهو الذي حبسني عنك فقلت لوقتي
(وابأبي أبيضُ في صفْرةٍ ... كأنه تِبْرٌ على فضّهْ)
(جرّده الحمامُ عن دُرّةٍ ... تلوح فيها عُكَنٌ بَضّهْ)
(غصنٌ تبدّى يتثّنى على ... مأكَمة مُثْقَلةِ النَّهْضَهْ)
(كأنما الرَّشُّ على خدّه ... طَلٌّ على تُفّاحةٍ غَضّهْ)
(صفاتُه فاتنة كلُّها ... فبعضُه يُذْكِرُني بعضَهْ)
يا ليتني زوّدني قُبْلةً ... أو لاَ فمِنْ وَجْنته عَضّه) فقال لي الحسن قد عمل فيك النبيذ فقلت لا وحياتك فقال هذا شر من ذلك فقلت)
(إسقياني وصرِّفا ... بنتَ حولين قَرْقَفَا)

(واسْقِيا المُرْهَفَ الغَرير ... سقَى اللهُ مُرْهَفا)
(لا تقولا نراه أكلفَ ... نِضْواً مخفّفا)
(نِعْم ريحانةُ النديم ... وإن كان مُخْطَفا)
(إن يكن أكلفاً فإني ... أرى البدرَ أكْلَفا)
((بأبي ما جنُ السريرة ... يُبْدي تَعَفُّفا
(حَفَّ أصداغه وعَقْر ... بها ثم صفّفا)
(وحشَا مَدْرَجَ القُصاص ... بمسك ورصّفا)
(فإذا رُمتَ منه ذاك ... تأبّي وعنَّفا)
(ليس إلا بأنْ يُرنِّحه ... السُّكْر مُسْعِفا)
(باكِرَا لا تسوِّفاني ... عدِمتُ المُسوِّفا)
(أعْجِلاه وبالفَضاضةِ ... في السَّقْي فاعنُفا)
(واحمِلا شَعْبَه وإن ... هو زنّي وأقفا)
فإذا همَّ للمنام ... فقُومَا وخفِّفا) فتغاضب الغلام وقام فذهب ثم عاد فقال لي أقبل على شرابك ودع الهذيان وناولني) قدحا وقام أبو محمد ليبول فشربت وأعطاني نقلا فقلت اجعل بدله قبلة فضحك وقال أفعل هذا وقته فبدا له وقال لا أفعل فعاودته فانتهرني فقال له خادم للحسن يقال له فرج بحياتي يا بني أسعفه بما طلب فضحك ثم دنا مني كأنه يناولني نقلا وتغافل فاختلست منه قبلة فقال لي هي حرام عليك فقلت
(وبديع الدَّلّ قَصْريّ الغَنَجْ ... مَره العين كَحيل بالدَّعَج)
(سُمتُه شيئاً وأصْغيتُ له ... بعد ما صرَّف كأساً وَمَزَج)
(واستخفّتْه على نَشْوته ... نَبراتٌ من خفيفٍ وهَزَج)
((فتأبَّى وتثنَّى خَجَلاً ... وذَرَا الدمعَ فنوناً ونَشَجْ
(لجّ في لولا وفي سوف تَرى ... وكذا كَفْكَف عنّي وخَلَجْ)
(ذهب الليلُ وما نوّلني ... دون أن أسفَرَ صبحٌ وانبَلَجْ)
(هوّن الأمرَ عليه فرجٌ ... بتأتّيه فسَقْياً لفَرَجْ)
(خَمِرُ النكهة لا من قهوةٍ ... أرِّجَ الأصداغَ بالمسكِ أرِجْ)
وبنفسي نفسُ من قال وقد ... كان ما كان حرامٌ وحرَجْ) قال ثم أسفر الصبح فانصرفت وعدت من غد إلى الحسن فقال) لي كيف كنت في ليلتك وكيف كنت عند نومك فقلت له أأصف ذلك نثرا أم نظما فقال بل نظما فهو أحسن عندي فقلت
(تألّفتُ طيفَ غزال الحَرَم ... فواصَلَني بعد ما قد صَرَم)
(وما زلتُ أقنَع من نَيْله ... بما تجتنيه بَنَاتُ الحُلُم)
(بنفسي خيالٌ على رقْبَةٍ ... ألَمّ به الشوقُ فيما زعَم)
(أتاني يُجاذب أردافه ... من البُهْر تحت كسوفِ الظُّلَمْ)
(تمُجّ سوالفُه مِسْكةً ... وعنبرةٌ ريقُه والنَّسَمْ)
(تضمّخ من بعد تجميره ... فطاب من القَرْن حتى القَدَم)
(يقول ونازعتُه ثوبَه ... على أن يقولَ لشيء نعم)
(فغَضّ الجفونَ على خَجْلَةٍ ... وأعرضَ إعراضةَ المحْتَشِم)
(فشبّكتُ كفّي على كفّه ... وأصغيتُ ألثِمُ دُرًّا بفَم)
(فَنَهْنَهني دفْعَ لا مؤيسٍ ... بجدّ ولا مُطْمِعٍ مُعْتزِم)
(إذا ما هممْتُ فأدنيتُه ... تَثّنى وقال لي الوَيْلُ لِمْ)
((فما زلتُ أبسُطه مازحاً ... وأُفْرِط في اللهو حتى ابتسم
(وحكَّمني الرِّيمُ في نفسه ... بشيء ولكنّه مُكْتَتَمْ)
فواهاً لذلك من طارقٍ ... على أن ما كان أبقى سَقَم) قال فقال لي الحسن يا حسين يا فاسق أظن ما ادعيته على) الطيف في النوم كان في اليقظة مع الشخص نفسه وأصلح الأشياء لنا بعد ما جرى أن نرحض العار عن أنفسنا بهبة الغلام لك فخذه لا بورك لك فيه فأخذته وانصرفت
حدثني علي بن العباس قال حدثني أبو العيناء قال أنشدني الحسين بن الضحاك لنفسه في غلام للحسن بن سهل كان اجتمع معه في دار الحسن ثم لقيه بعد ذلك فسلم عليه فلم يكلمه الغلام فقال
(فديتُك ما لوجهك صدَّ عنّي ... وأبديتَ التندُّم بالسلام)
(أحين خلبتني وقَرَنْتَ قلبي ... بطَرْفِك والصَّبابة في نِظام)
(تَنَكَّر ما عهدتُ لِغبّ يوم ... فيا قرب الرَّضاع من الفِطام)
(لأسْرعَ ما نهيتَ إلى همومي ... سروري بالزيارة واللِّمام)
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني حسين بن الضحاك الخليع قال كنت في المسجد الجامع بالبصرة فدخل علينا أبو نواس وعليه جبة خز جديدة فقلت له من أين هذه يا أبا نواس فلم يخبرني فتوهمت أنه أخذها من موسى بن عمران لأنه دخل من باب بني تميم فقمت فوجدت موسى قد لبس جبة خز أخرى فقلت له
كيف أصبحتَ يا أبا عمران ...) فقال بخير صبحك الله به فقلت)
(يا كريم الإخاء والإخوان ...) فقال أسمعك الله خيرا فقلت
إن لي حاجةً فرأيَك فيها ... إننا في قضائها سِيّان) فقال هاتها على اسم الله وبركته فقلت)
جُبّةٌ من جِبابك الخَزّ حتى ... لا يَراني الشتاءُ حيث يراني) قال خذها على بركة الله ومد كمه فنزعتها وجئت وأبو نواس) جالس فقال من أين لك هذه فقلت من حيث جاءتك تلك
حسين بن الضحاك والمعتصم
أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثني محمد بن موسى بن حماد قال أخبرني عبد الله بن الحارث عن إبراهيم بن

عبد السلام عن الحسين بن الضحاك قال دخلت أنا ومحمد بن عمرو الرومي دار المعتصم فخرج علينا كالحا قال فتوهمنا أنه أراد النكاح فعجز عنه قال وجاء إيتاخ فقال مخارق وعلويه وفلان وفلان من أشباههما بالباب فقال اعزب عني عليك وعليهم لعنة الله قال فتبسمت إلى محمد بن عمرو وفهم المعتصم تبسمي فقال لي مم تبسمت فقلت من شيء حضرني فقال هاته فأنشدته

صوت

(اِنْفِ عن قلبك الحَزَنْ ... باقترابٍ من السَّكَنْ)
(وتمتَّعْ بكرِّ طَرْفك ... في وجهه الحَسَنْ)
إنَّ فيه شفاءَ صدرك من لاعِجِ الحَزَنْ) قال فدعا بألفي دينار ألف لي وألف لمحمد فقلت الشعر لي فما معنى الألف) لمحمد بن عمرو قال لأنه جاءنا معك ثم أذن لمخارق وعلويه فدخلا فأمرهما بأن يغنيا فيه ففعلا فما زال يعيد هذا الشعر ولقد قام ليبول فسمعته يردده
الغناء في هذا الشعر اشترك فيه مخارق وعلويه وهو من الثقيل الأول بالبنصر
أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن محمد بن مروان قال كان الحسين بن الضحاك عند أبي كامل المهندس وأنا معهم حاضر فرأى خادما فاستحسنه وأعجبه فقال له بعض أصحابه أتحبه قال نعم والله قال فأعلمه قال هو أعلم بحبي له مني به ثم قال
(عالمٌ بحبِّيه ... مُطْرِقٌ من التِّيه)
(يوسفُ الجمالِ وفرعونُ ... في تَعَدِّيه)
(لا وحقِّ ما أنا مِنْ ... عَطْفِه أُرجِّيه)
(ما الحياة نافعةٌ ... لي على تأبِّيه)
(النعيمُ يشغَلُه ... والجمالُ يُطْغِيه)
(فهو غير مُكترثٍ ... للذي أُلاقيه)
تائهٌ تزهِّدُه ... فيَّ رغبتي فيه) قال محمد بن محمد وغنى في هذا الشعر عمرو بن بانة وعريب وسليم وجماعة من) المغنين
حدثني عمي قال حدثني ميمون بن هارون قال كان للحسين بن الضحاك صديق وكان يتعشق جارية مغنية فزاحمه فيها غلام كان في مرودته حسن الوجه فلما خرجت لحيته جعل ينتف ما يخرج منها ومالت القينة إليه لشبابه فشكا ذلك إلى الحسين بن الضحاك وسأله أن يقول فيها شعرا فقال
(خَلِّ الذي عنكَ لا تَسطيعُ تدفعُه ... يا من يُصارع من لا شكَّ يَصْرعُه)
(جاءت طرائقُ شَعْر أنت ناتفُها ... فكيف تصنع لو قد جاء أجمعُه)
(الله أكبر لا أَنْفَكُّ من عَجَبٍ ... أأنت تحصُد ما ذو العرش يزرعه)
تَبًّا لسعيك بل تَبًّا لأمِّك إذ ... تَرْعَى حِمىً خالقُ الأحْماء يَمنعُه) وقال فيه أيضا
(ثَكِلَتْكَ أمُّك يابن يوسفَ ... حتَّامَ ويْحكَ أنت تَنْتِفْ)
(لو قد أتى الصيفُ الذي ... فيه رؤوسِ الناس تُكْشَفْ)
(فكشفتَ عن خدَّيكَ لي ... لكشفتَ عن مثل المُفَوَّفْ)
(أو مثل زَرْعٍ ناله اليَرَقانُ ... أو نكْباءُ حَرْجَفْ)
(فغدا عليه الزارعون ... ليَحْصُدوه وقد تقصَّفْ)
(فظَلَلْتَ تأسَف كالأُلى ... أسِفوا ولم يُغْنِ التأسُّفْ)
حدثني علي بن العباس قال حدثني عمير بن أحمد بن نصر الكوفي قال حدثني زيد بن محمد شيخنا قال قلت لحسين بن الضحاك وقد قدم إلينا الكوفة يا أبا علي شهرت نفسك وفضحتها في خادم فألا أشتريته فقال فديتك إن الحب لجاج كله وكنت أحببت هذا الخادم ووافقني على أن يستبيع لأشتريه فعارضني فيه صالح بن الرشيد فاختلسه مني ولم أقدر على الانتصاف منه وآثره الخادم واختاره وكلانا يحبه إلا أن صالحا يناك ولا أناك والخادم في الوسط بلا شغل فضحكت من قوله ثم سألته أن ينشدني شيئا من شعره فأنشدني
(إنّ من لا أرى وليس يَراني ... نُصْبَ عيني مُمَثَّلٌ بالأماني)
(بأبي من ضميرهُ وضميري ... أبداً بالمَغيبِ يَنْتجيان)
(نحن شخصانِ إن نظرتَ ورُوحانِ ... إذا ما اختبرتَ يمتزجانِ)
(فإذا ما هَممتُ بالأمر أو هَمَّ ... بشيء بدأتُه وبدَاني)
(كان وَفْقاً ما كان منه ومنّي ... فكأني حكَيتُه وحكاني)
خطراتُ الجفون منّا سَوَاءٌ ... وسواءٌ تحرُّكُ الأبدان) فسألته أن يحدثني بأسر يوم مر له معه فقال نعم اجتمعنا يوما) فغنى مغن لنا بشعر قلته فيه فاستحسنه كل من حضر ثم تغنى بغيره فقال لي عارضه فقلت بقبلة فقال هي لك فقبلته قبلة وقلت
(فديتُ من قال لي على خَفَرِهْ ... وغضَّ من جَفْنِه على حَوَرِهْ)
(سمِّع بي شعرُك المَليحُ فما ... ينفكُّ شادٍ به على وَتَرِهْ)
(حسبُك بعضُ الذي أذعتَ ولا ... حَسْبَ لصبٍّ لم يَقْضِ من وَطَرِهْ)
(وقلتُ يا مستعيرَ سالفةِ الخِشْفِ ... وحسنِ الفُتُور من نَظَرِهْ)
(لا تُنكرنّ الحَنِينَ من طَرِبٍ ... عاودَ فيكَ الصِّبا على كِبَرِه)
حدثني الصولي وعلي بن العباس قالا حدثنا المغيرة بن محمد المهلبي قال كان حسين بن الضحاك يتعشق خادما لأبي عيسى أو لصالح بن الرشيد أخيه فاجتمعا يوما عند أخي مولى الخادم فجعل حسين يشكو إليه ما به فلا يسمع به ويكذبه ثم سكن نفاره وضحك إليه وتحدثا ساعة فأنشدنا حسين قوله فيه
((سائلْ بطَيْفِكَ عن ليلي وعن سَهري ... وعن تَتَابُع أنفاسي وعن فِكَري
(لم يَخْلُ قلبي من ذِكراكَ إذ نظرتْ ... عيني إليكَ على صَحْوي ولا سَكَري)
(سَقْياً ليوم سروري إذ تُنازعني ... صفوَ المدامةِ بين الأُنْسِ والخَفَرِ)

(وفضلُ كأسِكَ يأتيني فأشربُه ... جَهْراً وتشربُ كأسي غيرَ مستتر)
(وكيفَ أشْمِلُه لَثْمي وألْزِمه ... نحري وترفَعه كفّي إلى بصري)
(فليتَ مدّةَ يومي إذ مضى سلَفاً ... كانت ومدّةَ أيامي على قَدَر)
(حتى إذا ما انطوتْ عنّا بشاشتُه ... صِرْنا جميعاً كذا جارَيْن في الحُفَر)
حدثني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن محمد بن مروان قال حدثني حسين بن الضحاك قال كان صالح بن الرشيد يتعشق غلاما يسمى يسرا خادم أخيه أبي عيسى فكان يراوده عن نفسه فيعده ولا يفي له فأرسله أبو عيسى ذات يوم إلى صالح أخيه في السحر يقول له يا أخي إني قد اشتهيت أن أصطبح اليوم فبحياتي لما ساعدتني وصرت إلي لنصطبح اليوم جميعا فسار يسر إلى صالح أخيه في السحر وهو منتش قد شرب في السحر فأبلغه الرسالة فقال نعم وكرامة اجلس أولا فجلس فقال يا غلام أحضرني عشرة آلاف درهم فأحضرها فقال له يا يسر دعني من مواعيدك ومطلك هذه عشرة آلاف درهم فخذها واقض حاجتي وإلا فليس ها هنا إلا الغضب فقال له يا سيدي إني أقضي الحاجة ولا آخذ المال ثم فعل ما أراد وطاوعه فقضى حاجته وأمر صالح بحمل العشرة الآلاف الدرهم معه قال الحسين ثم خرج إلي صالح من خلوته فقال يا حسين قد رأيت ما كنا فيه فإن حضرك شيء فقل فقلت
صوت
(أيا مَنْ طَرْفُه سِحْرُ ... ومَنْ رِيقتُه خمرُ)
(تجاسرتُ فكاشفتُك ... لمّا غُلِبَ الصبرُ)
((وما أحْسنَ في مثلك ... أن يَنْهتِكَ السِّتْرُ)
(وإنْ لامنِيَ الناسُ ... ففي وجهك لي عذرُ)
(فدَعْني من مَوَاعِيدِك ... إذ حيَّنكَ الدهرُ)
(فلا واللهِ لا تبرحُ ... أو ينقضيَ الأمرُ)
(فإمّا الغَضْبُ والذمّ ... وإما البذلُ والشكرُ)
(ولو شئتَ تيسَّرتَ ... كما سُمِّيتَ يا يُسْرُ)
(وكن كاسمِكَ لا تَمنْعُكَ ... النَّخْوةُ والكِبْرُ)
(فلا فُزْتُ بحَظّي منك ... إن ذاع له ذكرُ)
قال الحسين فضحك ثم قال قد لعمري تيسر يسر كما ذكرت فقلت نعم ومن لا يتيسر بعد أخذه الدية لو أردتني أيضا بهذا لتيسرت فضحك ثم قال نعطيك يا حسين الدية لحضورك ومساعدتك ولا نريدك لما أردنا له يسرا فبعثت المطية أنت وأمر لي بها ثم أمر عريب بعد ذلك فغنت في بعض هذا الشعر
حدثني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن محمد بن مروان قال حدثني حسين بن الضحاك قال كنت عند عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع وهو مصطبح وخادم له يسقيه فقال لي يا أبا علي قد استحسنت سقي هذا الغلام فإن حضرك شيء في قصتنا هذه فقل فقلت
(أحْيَتْ صَبُوحي فُكَاهةُ اللاّهِي ... وطاب يومي لقرب أشباهي)
(فاستَثِرِ اللهوَ من مَكامِنه ... من قبل يومٍ منغِّصٍ ناهي)
(بابنةِ كَرْمٍ من كفّ مُنْتَطِق ... مؤتزِرٍ بالمُجون تَيّاه)
(يسقيك من طَرْفه ومن يده ... سقْيَ لطيفٍ مجرّب داهي)
(كأساً فكأساً كأن شاربَها ... حيرانُ بين الذُّكور والساهي) قال فاستحسنه عبد الله وغنى فيه لحنا مليحا وشربنا عليه بقية يومنا
والغلمان عندهم نخوة
أخبرني علي بن العباس قال حدثني سوادة بن الفيض المخزومي قال حدثني أبي قال خرج حسين بن الضحاك إلى القفص متنزها ومعه جماعة من إخوانه ظرفاء وبلغ يسرا الخادم خروجه فشد في وسطه خنجرا وخرج إليه فجاءه وهو على غفلة فسر به حسين وتلقاه وأقام معه إلى آخر النهار يشربان فلما سكرا جمشه حسين فأخرج خنجره عليه وعربد فأمسك حسين وعاد إلى شرابه وقال في ذلك
(جَمَّشتُ يُسراً على تسكُّره ... وقد دَهَاني بحُسْن منظَرِهِ)
(فهَمّ بالفَتْك بي فناشدَه ... فيّ كريمٌ من خير مَعْشره)
(يا مَنْ رأى مثل شادنٍ خَنِثٍ ... يَصُول في خِدْرِه بزُوَّرِه)
(يسحب ذيلَ القميص صعْتَره ... وواردات من هُدْب مِئْزره)
(ولا يُعاطِي نديمَه قدحاً ... إلاّ بإبهامه وخِنْصِره)
(أخاف من كِبْرِه بوادرَه ... أدالني اللهُ من تَكَبُّره)
((قد قلتُ للشَّرْب إذ بَدَا فُضُلاً ... في رَيْطتَيْه وفي مُمَصَّره)
(وَيْلِي على شادنٍ توعَّدني ... بَسلِّ سِكِّينِه وخِنْجَره)
(أمَا كفاه ما حَزّ في كبدي ... بسِحْرِ أجفانِه ومَحْجِره)
(إذا نسيمُ الرياح قابَلَنا ... بالطِّيب من مسكه وعنبره)
(هَزّ قَوَاماً كأنه غُصُنٌ ... وارتجّ ما انحطّ من مُخَصَّره)
أخبرني علي بن العباس قال حدثني سوادة بن الفيض قال حدثني أبي قال حضرت حسين بن الضحاك يوما وقد جاءه يسر فجلس عنده وأخذنا نتحدث مليا ثم غازله حسين فقال له يسر إياك والتعرض لي واربح نفسك فقال حسين
صوت
(أيُّها النَّفَّاثُ في العُقَدِ ... أنا مَطْوِيٌّ على الكَمَدِ)
(إنما زَخْرَفتِ لي خُدَعاً ... قدَحتْ في الرُّوح والجَسَد)
(هاتِ يا خَدَّاعُ واحدةً ... من كثيرٍ قلتَه وقِدِي)
(ليت شعري بعد حَلْفك لي ... بوفاء العهد بعد غدِ)
(ما الذي باللهِ صيَّره ... بعد قربٍ في مَدَى الأبد)

(مالأُنْسِ كان مُبْتَذَلاً ... منك لي بالأمس لم يَعُدِ)
(إيهِ قُلْ لي غيرَ مُحتَشِمٍ ... هل دَهَاني فيكَ من أحدِ)
(حبَّذا والكأسُ دائرةٌ ... لَهْوُنا والصَّيْدُ بالطَّرَدِ)
(وحديثٌ في القلوب له ... أُخَذٌ يَصْدَعْنَ في الكبد)
(يومَ تُعطيني وتأخذها ... دون نَدْماني يداً بيدِ
(فإذا ألويت هيَّجني ... تَلَعٌ من ظبية البلد)
(وإذا أصغيتُ ذكَّرني ... نَشْرَ كافورٍ على بَرَد)
(ذاكَ يومٌ كان حاسدُنا ... فيه معذوراً على الحَسَدِ)
حدثني الصولي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبي قال حدثنا عمرو بن بانة قال خرجنا مع المعتصم إلى الشام لما غزا فنزلنا في طريقنا بدير مران وهو دير على تلعة مشرفة عالية تحتها مروج ومياه حسنة فنزل فيه المعتصم فأكل ونشط للشرب ودعا بنا فلما شربنا أقداحا قال لحسين بن الضحاك أين هذا المكان من ظهر بغداد فقال لا أين يا أمير المؤمنين والله لبعض الغياض والآجام هناك أحسن من هنا قال صدقت والله وعلى ذلك فقل أبياتا يغن فيها عمرو فقال أما أن أقول شيئا في وصف هذه الناحية بخير فلا أحسب لساني ينطق به ولكني أقول متشوفا إلى بغداد فضحك وقال قل ما شئت
صوت
(يا دَيْرَ مِدْيانَ لا عُرِّيتَ من سَكَنٍ ... هيَّجْتَ لي سَقَماً يا دَيْرَ مِدْيانَا)
(هل عند قَسِّكَ من علمٍ فيخبرَنا ... أم كيف يُسْعِفُ وجهُ الصبر من بانا)
(حُثَّ المُدَامَ فإن الكأسَ مُتْرَعةٌ ... ممّا يَهيجُ دوَاعِي الشوقِ أحيانا)
(سَقْياً ورَعْياً لكَرْخايا وساكِنِها ... وللجُنينة بالرَّوْحاء مَنْ كانا
فاستحسنها المعتصم وأمرني ومخارقا فغنينا فيها وشرب على ذلك حتى سكر وأمر للجماعة بجوائز
لحن عمرو بن بانة في هذه الأبيات رمل ولحن مخارق هزج ويقال إنه لغيره
أخبرني الصولي قال حدثنا يزيد بن محمد قال كان حسين بن الضحاك يميل إلى خادم لأبي عيسى بن الرشيد فعبث به يوما على سكر فأخذ قنينة فضرب بها رأسه فشجه شجة منكرة وشاع خبره وتوجع له إخوانه وعولج منها مدة فجفا الخادم واطرحه وأبغضه ولم يعرض له بعدها فرآه بعد ذلك في مجلس مولاه فعبث به الخادم وغازله فلما أكثر ذلك قال له الحسين
صوت
(تَعَزَّ بيأسٍ عن هواي فإنّني ... إذا انصرفتْ نفسي فهيهات عن رَدّي)
(إذا خُنْتُمُ بالغيب ودي فما لكم ... تُدِلُّون إدْلالَ المقيم على العهد)
(ولي منك بُدٌّ فاجتنبْني مُذَمَّماً ... وإن خلتَ أنّي ليس لي منك من بُدّ)
الغناء في هذه الأبيات لعمرو بن بانة وله فيه لحنان رمل وخفيف رمل
تهنئة الواثق بالخلافة
حدثني أحمد بن العباس العسكري قال حدثني عبد الله بن المؤمل العسكري قال
لما ولي الواثق الخلافة جلس للناس ودخل إليه المهنئون والشعراء فمدحوه وهنؤوه ثم استأذن حسين بن الضحاك بعدهم في الإنشاد وكان من الجلساء فترفع عن الإنشاد مع الشعراء فأذن له فأنشده قوله
(أكاتِمُ وَجْدي فما يَنْكَتِمْ ... بِمَنْ لو شكوتُ إليه رَحِمْ)
(وإنّي على حسنِ ظنّي به ... لأحْذَر إن بُحْتُ أن يحتشِمْ)
(ولي عند لَحْظته رَوْعةٌ ... تُحَقّق ما ظَنّه المتَّهِمْ)
وقد علم الناسُ أنّي له ... مُحِبٌّ وأحسَبه قد عَلِمْ) وفي هذا رمل لعبد الله بن العباس بن الربيع)
(وإنّي لمُغْضٍ على لوعةٍ ... من الشوق في كَبِدي تضْطَرِم)
(عشيّةَ ودّعتُ عن مقلةٍ ... سفُوحٍ وزفرةِ قلبٍ سَدِم)
(فما كان عند النّوى مُسعِدٌ ... سوى العين تمزُج دمعاً بدَم)
سيذكر من بان أوطانَه ... ويَبْكي المقيمين من لم يُقِمْ) وقال فيها يصف السفينة)
(إلى خازن الله في خَلْقه ... سراج النَّهار وبَدْرِ الظُّلَم)
(رحلنا غَرابيبَ زفّافةً ... بدِجْلةَ في مَوْجها المُلْتَطِمْ)
(إذا ما قصدْنا لقاطُولِها ... ودُهْمُ قراقِيرها تَصْطَدِمْ)
(سكنّا إلى خير مسكونةٍ ... تيمّمها راغبٌ من أَمَمْ)
(مباركةٌ شاد بنيانَها ... بخيرِ المواطن خيرُ الأُمم
(كأنّ بها نَشْرَ كافورةٍ ... لبَرْدِ نَدَاها وطِيبِ النَّسَمْ)
(كظهر الأديمِ إذا ما السحابُ ... صابَ على مَتْنها وانسَجَم)
(مُبرَّأةٌ من وحولِ الشتاء ... إذا ما طمَى وحلُه وارتَكَم)
(فما إنْ يزال بها راجلٌ ... يمرّ الهُوَيْنَى ولا يلتطِم)
(ويَمشي على رِسْله آمناً ... سليمَ الشَّراكِ نقيَّ القدم)
(ولِلنُّونِ والضَّبِّ في بطنها ... مراتعُ مسكونةٌ والنَّعَم)
(غدوتُ على الوَحْش مغترّةً ... رواتعَ في نَوْرِها المنتظم)
ورُحتُ عليها وأسرابُها ... تَحُوم بأكنافها تَبْتَسِمْ) ثم قال يمدح الواثق)
(يَضيق الفضاءُ به إن غدا ... بطَوْدَيْ أعاريبه والعجمْ)
(ترى النصرَ يقدُم راياتِه ... إذا ما خفَقْنَ أمامَ العلم)
(وفي الله دوَّخ أعداءه ... وجرّد فيهم سيوفَ النِّقَم)
(وفي الله يكظِم من غيظه ... وفي الله يصفَح عمّن جَرَم)
(رأى شِيَمَ الجود محمودةً ... وما شِيَمُ الجود إلاّ قِسَمْ)

فراح على نَعَمٍ واغتدى ... كأنْ ليس يُحسن إلاّ نَعم) قال فأمر له الواثق بثلاثين ألف درهم واتصلت أيامه بعد ذلك ولم يزل من ندمائه
حدثني أحمد بن العباس قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدثني مهدي بن سابق قال قال الواثق لحسين بن الضحاك قل الساعة أبياتا ملاحا حتى أهب لك شيئا مليحا فقال في أي معنى يا أمير المؤمنين فقال امدد طرفك وقل فيما شئت ممّا ترى بين يديك وصفه فالتفت فإذا ببساط زهره قد تفتحت أنواره وأشرق في نور الصبح فأُرتج علي ساعة حتى خجلت وضقت ذرعا فقال لي الواثق مالك ويحك ألست ترى نور صباح ونور أقاح فانفتح القول فقلت
(ألستَ ترى الصبحَ قد أسفرا ... ومُبْتكِرَ الغيث قد أمْطرا)
(وأسفرتِ الأرضُ عن حُلّة ... تُضاحِك بالأحمرِ الأصفرا)
(ووافاك نَيْسانُ في ورده ... وحَثّك في الشُّرْب كي تَسْكَرا)
(وتُعْمِل كأسين في فِتْيةٍ ... تُطارِد بالأصغر الأكبرا)
(يَحُثّ كؤوسَهم مُخْطَفٌ ... تُجاذِبُ أردافُه المِئزَرا)
(ترجّل بالبانِ حتى إذا ... أدار غدائرَه وقَّرا)
(وفضّضَ في الجُلّنارِ البَهارَ ... والآبنوسةَ والعَبْهرا)
(فلمّا تمازَج ما شَذَّرتْ ... مَقَاريضُ أطرافِه شذَّرا)
(فكلٌّ يُنافِس في بِرِّه ... ليفعل في ذاتِه المُنْكَرا)
قال فضحك الواثق وقال سنستعمل كل ما قلت يا حسين إلا الفسق الذي ذكرته فلا ولا كرامة ثم أمر بإحضار الطعام فأكل وأكلوا معه ثم قال قوموا بنا إلى حانة الشط فقاموا اليها فشرب وطرب وما ترك يومئذ أحدا من الجلساء والمغنين والحشم إلا أمر له بصلة وكانت من الأيام التي سارت أخبارها وذكرت في الآفاق قال حسين فلما كان من الغد غدوت إليه فقال أنشدني يا حسين شيئا إن كنت قلته في يومنا الماضي فقد كان حسنا فأنشدته
صوت
(يا حانةَ الشَّطِّ قد أكرَمْتِ مَثْوانا ... عُودِي بيومِ سرورٍ كالذي كانا)
(لا تُفْقِدِينا دُعَاباتِ الإمامِ ولا ... طِيبَ البَطَالَة إسراراً وإعلانا)
(ولا تَخَالُعَنا في غير فاحشةٍ ... إذا يطرِّبنا الطُّنْبورُ أحيانا)
(وهاجَ زَمْرُ زُنَامٍ بين ذاك لنا ... شَجْواً فأهْدَى لنا رَوْحاً ورَيْحاناً)
(وسَلْسَلَ الرِّطلَ عمروٌ ثم عَمّ به السُّقْيَا ... فألْحَقَ أولانا بأخرانا)
(سَقْياً لشكلِك من شكل خُصِصتِ به ... دونَ الدَّساكر من لَذّات دنيانا)
(حَفَّتْ رياضَك جَنّاتٌ مجاورةٌ ... في كلِّ مُخْتَرَقٍ نهراً وبستانا)
(لا زلتِ آهلةَ الأوطان عامرةً ... بأكرمِ الناس أعْرَاقاً وأغصانا)
قال فأمر له الواثق بصلة سنية مجددة واستحسن الصوت وأمر فغني في عدة أبيات منها غنت فريدة في البيتين الأولين من هذه الأبيات ولحنها هزج مطلق
حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيى قال اجتمعت أنا وحسين بن الضحاك وأبو شهاب الشاعر وهو الذي يقول
لقد كنتُ ريحانةً في النَّديّ ... وتُفّاحةً في يد الكاعِب) وعمرو بن بانة يغنيها فتذاكرنا الدواب واتصل الحديث إلى أن) تلاحى حسين وأبو شهاب في دابتيهما وتراهنا على المسابقة بهما فتسابقا فسبقه أبو شهاب فقال حسين في ذلك
(كُلُوا واشربوا هُنِّئتم وتمتَّعوا ... وعيشوا وذُمّوا الكَوْدَنين جميعا)
(فأُقسم ما كان الذي نال منهما ... مَدَى السبق إذ جَدّ الجِراءُ سريعا)
وهي قصيدة معروفة في شعره فقال أبو شهاب يجيبه
(أيا شاعر الخُصْيان حاولتَ خُطّةً ... سُبِقْتَ إليها وانكفأتَ سريعا)
(تُحاول سبقي بالقَرِيض سفاهةً ... لقد رمت جهلاً من حِمَايَ مَنيعا)
وهي أيضا قصيدة فكان ذلك سبب التباعد بينهما وكنا إذا أردنا العبث بحسين نقول له أيا شاعر الخصيان فيجن ويشتمنا
حدثني جعفر قال حدثني علي بن يحيى قال حدثني حسين بن الضحاك قال كان يألفني إنسان من جند الشأم عجيب الخلقة والزي والشكل غليظ جلف جاف فكنت احتمل ذلك كله له ويكون حظي التعجب به وكان يأتيني بكتب من عشيقة له ما رأيت كتبا أحلى منها ولا أظرف ولا أبلغ ولا أشكل من معانيها ويسألني أن أجيب عنها فأجهد نفسي في الجوابات وأصرف عنايتي إليها على علمي بأن الشامي بجهله لا يميز بين الخطأ والصواب ولا يفرق بين الابتداء والجواب فلما طال ذلك علي حسدته وتنبهت إلى إفساد حاله عندها فسألته عن اسمها فقال بصبص فكتبت إليها عنه في جواب كتاب منها جاءني به
(أرْقَصني حبُّكِ يا بَصْبَصُ ... والحبُّ يا سيّدتي يُرْقِصُ)
((أرمَصْتِ أجفاني بطول البكا ... فما لأجفانك لا تَرْمَص
(وبأبي وجهُك ذاك الذي ... كأنه من حسنه عُصْعُصُ)
فجاءني بعد ذلك فقال لي يا أبا علي جعلني الله فداءك ما كان ذنبي إليك وما أردت بما صنعت بي فقلت له وما ذاك عافاك الله فقال ما هو والله إلا أن وصل ذلك الكتاب إليها حتى بعثت إلي إني مشتاقة إليك والكتاب لا ينوب عن الرؤية فتعال إلي الروشن الذي بالقرب من بابنا فقف بحياله حتى أراك فتزينت بأحسن ما قدرت عليه وصرت إلى الموضع فبينا أنا واقف أنتظر مكلما أو مشيرا إلي إذا شيء قد صب علي فملأني من قرني إلى قدمي وأفسد ثيابي وسرجي وصيرني وجميع ما علي ودابتي في نهاية السواد والنتن والقذر وإذا به ماء قد خلط ببول وسواد سرجين فانصرفت بخزي وكان ما مر بي من الصبيان وسائر من مررت به من الضحك والطنز والصياح بي أغلظ مما مر بي ولحقني من أهلي ومن في منزلي شر من ذلك وأوجع وأعظم من ذلك أن رسلها انقطعت عني جملة قال فجعلت أعتذر إليه وأقول له إن الآفة أنها لم تفهم معنى الشعر لجودته وفصاحته وأنا أحمد الله على ما ناله وأسر الشماتة به
ابن الضحاك يدعى فيلبي ويعتذر
أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني ميمون بن هارون عن حسين ابن الضحاك قال

كتب إلي الحسن بن رجاء في يوم شك وقد أمر الواثق بالإفطار فقال
(هَزَزْتك للصَّبوح وقد نهاني ... أميرُ المؤمنين عن الصِّيامِ)
(وعندي من قِيان المصر عَشْرٌ ... تَطِيب بهِنّ عاتقةُ المُدامِ)
(ومِن أمثالهن إذا انتشينا ... تَرانا نجتني ثمرَ الغرام)
فكن أنتَ الجوابَ فليس شيءٌ ... أحبَّ إليّ من حذف الكلام) قال فوردت علي رقعته وقد سبقه إلي محمد بن الحارث) بن بسخنر ووجه إلي بغلام نظيف الوجه كان يتخطاه ومعه ثلاثة غلمة أقران حسان الوجوه ومعهم رقعة قد كتبها إلي كما تكتب المناشير وختمها في أسفلها وكتب فيها يقول
(سِرْ على اسم الله يا أشكلَ ... من غصن لُجَين)
(في ثلاثٍ من بني الروم ... إلى دار حسين)
(فاشخِصِ الكهلَ إلى مولاك ... يا قُرّةَ عيني)
(أرِهِ العُنْفَ إذا استعصى ... وطالِبْه بدَيْن)
(ودعِ اللفظَ وخاطِبْه ... بغمز الحاجِبَيْن)
واحذرِ الرَّجعة من وجهك ... في خُفَّيْ حُنَيْن) قال فمضيت معهم وكتبت إلى الحسن بن رجاء جواب رقعته)
(دعوتَ إلى مماحكة الصِّيامِ ... وإعمال الملاهي والمُدامِ)
(ولو سبق الرسولُ لكان سعيي ... إليك ينوب عن طول الكلام)
(وما شوْقي إليك بدون شوقي ... إلى ثَمر التَّصابي والغرام)
(ولكن حلّ في نفر عَسُوفٌ ... بمنشورٍ محلَّ المستهام)
(حسينٍ فاستباح له حريماً ... بطَرْف باعثٍ سببَ الحِمام)
((وأظهر نخوةً وسَطاً وأبدى ... فَظاظتَه بتركٍ للسلام
(وأزعجني بألفاظٍ غِلاَظٍ ... وقد أعطيته طَرَفَيْ زمامي)
(ولو خالفتُه لم يَخْشَ قتلي ... وقتّعني سريعاً بالحُسام)
أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثني جعفر بن هارون بن زياد قال حدثني أبي قال كان الواثق يلاعب حسين بن الضحاك بالنرد وخاقان غلام الواثق واقف على رأسه وكان الواثق يتحظاه فجعل يلعب وينظر إليه ثم قال للحسين ابن الضحاك إن قلت الساعة شعرا يشبه ما في نفسي وهبت لك ما تفرح به فقال الحسين
صوت
(أُحبُّك حبًّا شابه بنصيحةٍ ... أبٌ لكَ مأمونٌ عليك شفيقُ)
وأقسم ما بيني وبينك قُرْبةٌ ... ولكنّ قلبي بالحِسان علُوق) فضحك الواثق وقال أصبت ما في نفسي وأحسنت وصنع) الواثق فيه لحنا وأمر لحسين بألفي دينار لحن الواثق في هذين البيتين من الثقيل الأول بالوسطى
أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أحمد بن خلاد قال أنشدني حسين بن الضحاك لنفسه
بُدِّلتَ من نفحات الورد بالآء ... ومن صَبُوحك دَرَّ الإبْلِ والشاءِ) حتى أتى على آخرها وقال لي ما قال أحد من المحدثين) مثلها فقلت أنت تحوم حول أبي نواس في قوله
((دَعْ عنك لومي فإنّ اللوم إغراءُ ... ودَاوني بالتي كانت هي الداء
وهي أشعر من قصيدتك فغضب وقال ألي تقول هذا علي وعلي إن لم أكن نكت أبا نواس فقلت له دع ذا عنك فإنه كلام في الشعر لا قدح في نسب لو نكت أبا نواس وأمه وأباه لم تكن أشعر منه وأحب أن تقول لي هل لك في قصيدتك ببيت نادر غير قولك
فُضّت خَوَاتِمُها في نعت واصفها ... عن مثل رَقْرَاقةٍ في عين مَرَهاء) وهذه قصيدة أبي نواس يقول فيها)
(دارتْ على فِتْيةٍ ذَلّ الزمانُ لهم ... فما أصابهمُ إلاَّ بما شاؤوا)
(صفراءُ لا تَنْزل الأحزانُ ساحتَها ... لو مَسَّها حَجَرٌ مسّته سرَّاء)
فأُرسِلتْ من فم الإبريق صافيةً ... كأنما أخذُها بالعقل إغفاء) والله ما قدرت على هذا ولا تقدر عليه فقام وهو مغضب) كالمقر بقولي
يتحاكم مع أبي نواس
حدثني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني إبراهيم بن المدبر قال حدثني أحمد بن المعتصم قال
حج أبو نواس وحسين بن الضحاك فجمعهما الموسم فتناشدا قصيدتيهما قول أبي نواس
دَعْ عنك لومي فإنّ اللّوم إغراءُ ... ودَاوني بالتي كانت هي الداء) وقصيدة حسين)
بُدّلتَ من نَفَحات الورد بالآء ...) فتنازعها أيهما أشعر في قصيدته فقال أبو نواس هذا ابن مناذر حاضر الموسم وهو) بيني وبينك فأنشده قصيدته حتى فرغ منها فقال ابن مناذر ما أحسب أن أحدا يجيء بمثل هذه وهم بتفضيله فقال له الحسين لا تعجل حتى تسمع فقال هات فأنشده قوله
بُدِّلتَ من نَفَحات الورد بالآءِ ... ومن صبُوحك دَرَّ الإبل والشاء) حتى انتهى إلى قوله)
فُضّتْ خواتمُها في نعت واصفها ... عن مثل رَقْراقةٍ في عين مَرْهاء) فقال له ابن مناذر حسبك قد استغنيت عن أن تزيد) شيئا والله لو لم تقل في دهرك كله غير هذا البيت لفضلتك به على سائر من وصف الخمر قم فأنت أشعر وقصيدتك أفضل فحكم له وقام أبو نواس منكسرا
أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن محمد قال حدثني كثير بن إسماعيل التحتكار قال لمّا قدم المعتصم بغداد سأل عن ندماء صالح بن الرشيد وهم أبو)
الواسع وقنينة وحسين بن الضحاك وحاتم الريش وأنا فأُدخلنا عليه فلشؤمي وشقائي كتبت بين عيني سيدي هب لي شيئا فلما رآني قال ما هذا على جبينك فقال حمدون بن إسماعيل يا سيدي تطايب بأن كتب على جبينه سيدي هب لي شيئا فلم يستطب لي ذلك ولا استملحه ودعا بأصحابي من غد ولم يدع بي ففزعت إلى حسين بن الضحاك فقال لي إني لم أحلل من أنسه بعد بالمحل الموجب أن أشفع إليه فيك ولكني أقول لك بيتين من شعر وادفعهما إلى حمدون بن إسماعيل يوصلهما فإن ذلك أبلغ فقلت أفعل فقال حسين

(قُلْ لدينا أصبحتْ تلعب بي ... سلَّط الله عليك الآخرهْ)
إن أكن أبردَ من قِنِّينةٍ ... ومن الرِّيش فأمّي فاجرهْ) قال فأخذتهما وعرفت حمدون أنهما لي وسألته إيصالهما ففعل)
فضحك المعتصم وأمر لي بألفي دينار واستحضرني وألحقني بأصحابي
أخبرني عمي قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال قال لي أحمد بن حمدون كان محمد بن الحارث بن بسخنر لا يرى الصبوح ولا يؤثر على الغبوق شيئا ويحتج بأن من خدم الخلفاء كان اصطباحه استخفافا بالخدمة لأنه لا يأمن أن يدعى على غفلة والغبوق يؤمنه من ذلك وكان المعتصم يحب الصبوح فكان يلقب ابن بسخنر الغبوقي فإذا حضر مجلس المعتصم مع المغنين منعه الصبوح وجمع له مثل ما يشرب نظراؤه فإذا كان الغبوق سقاه إياه جملة غيظا عليه فيضج من ذلك ويسأل أن يترك حتى يشرب مع الندماء إذا حضروا فيمنعه ذلك فقال فيه حسين بن الضحاك وفي حاتم الريش الضراط وكان من المضحكين
(حُبّ أبي جعفر للغَبُوق ... كقُبْحِك يا حاتمٌ مُقْبِلاَ)
(فلا ذاك يُعْذَر في فعله ... وحقُّك في الناس أن تُقتلا)
(وأشبه شيء بما اختاره ... ضُراطُك دونَ الخَلاَ في المَلاَ)
حدثني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا محمد بن علي بن حمزة قال مزح أبو أحمد بن الرشيد مع حسين بن الضحاك مزاحا أغضبه فجاوبه حسين جوابا غضب منه أبو أحمد أيضا فمضى إليه حسين من غد فاعتذر إليه وتنصل وحلف فأظهر له قبولا لعذره ورأى ثقلا في طرفه وانقباضا عما كان يعهده منه فقال في ذلك
(لا تَعْجِبَنّ لمَلّةٍ صرَفتْ ... وجهَ الأمير فإنه بشرُ)
(وإذا نبا بك في سَريرته ... عَقْدُ الضمير نبا بك البصرُ)
يحكي للنشار صحبته للأمين
حدثني الصولي قال حدثني أبو محمد بن النشار قال كان أبي صديقا للحسين بن الضحاك وكان يعاشره فحملني معه يوما إليه وجعل أبي يحادثه إلى أن قال له يا أبا علي قد تأخرت أرزاقك وانقطعت موادك ونفقتك كثيرة فكيف يمشي أمرك فقال له بلى والله يا أخي ما قوام أمري إلا ببقايا هبات الأمين محمد بن زبيدة وذخائره وهبات جارية له لم يسمها أغنتني للأبد لشيء ظريف جرى على غير تعمد وذلك
أن الأمين دعاني يوما فقال لي يا حسين إن جليس الرجل عشيره وثقته وموضع سره وأمنه وإن جاريتي فلانة أحسن الناس وجها وغناء وهي مني بمحل نفسي وقد كدرت علي صفوها ونغصت علي النعمة فيها بعجبها بنفسها وتجنيها علي وإدلالها بما تعلم من حبي إياها وإني محضرها ومحضر صاحبة لها ليست منها في شيء لتغني معها فإذا غنت وأومأت لك إليها على أن أمرها أبين من أن يخفى عليك فلا تستحسن الغناء ولا تشرب عليه وإذا غنت الأخرى فاشرب واطرب واستحسن واشقق ثيابك وعلي مكان كل ثوب مائة ثوب فقلت السمع والطاعة فجلس في حجرة الخلوة وأحضرني وسقاني وخلع علي وغنت المحسنة وقد أخذ الشراب مني فما تمالكت أن استحسنت وطربت وشربت فأومأ إلي وقطب في وجهي ثم غنت الأخرى فجعلت أتكلف ما أقوله وأفعله
ثم غنت المحسنة ثانية فأتت بما لم أسمع مثله قط حسنا فما ملكت نفسي أن صحت وشربت وطربت وهو ينظر إلي ويعض شفتيه غيظا وقد زال عقلي فما أفكر فيه حتى فعلت ذلك مرارا وكلما ازداد شربي ذهب عقلي وزدت مما يكره فغضب فأمضني وأمر بجر رجلي من بين يديه وصرفي فجررت وصرفت فأمر بأن أحجب وجاءني الناس يتوجعون لي ويسألوني عن قصتي فأقول لهم حمل علي النبيذ فأسأت أدبي فقومني أمير المؤمنين بصرفي وعاقبني بمنعي من الوصول إليه ومضى لما أنا فيه شهر ثم جاءتني البشارة أنه قد رضي عني وأمر بإحضاري فحضرت وأنا خائف
فلما وصلت أعطاني الأمين يده فقبلتها وضحك إلي وقام وقال اتبعني ودخل إلى تلك الحجرة بعينها ولم يحضر غيري وغنت المحسنة التي نالني من أجلها ما نالني فسكت فقال لي قل ما شئت ولا تخف فشربت واستحسنت ثم قال لي يا حسين لقد خار الله لك بخلافي وجرى القدر بما تحب فيه إن هذه الجارية عادت إلى الحال التي أريد منها ورضيت كل أفعالها فأذكرتني بك وسألتني الرضا عنك والاختصاص لك وقد فعلت ووصلتك بعشرة آلاف دينار ووصلتك هي بدون ذلك والله لو كنت فعلت ما قلت لك حتى تعود إلى مثل هذه الحال ثم تحقد ذلك عليك فتسألني ألا تصل إلي لأجبتها فدعوت له وشكرته وحمدت الله على توفيقه وزدت في الاستحسان والسرور إلى أن سكرت وانصرفت وقد حمل معي المال فما كان يمضي أسبوع إلا وصلاتها وألطافها تصل إلي من الجوهر والثياب والمال بغير علم الأمين وما جالسته مجلسا بعد ذلك إلا سألته أن يصلني فكل شيء أنفقته بعده إلى هذه الغاية فمن فضل مالها وما ذخرت من صلاتها قال ابن النشار فقال له أبي ما سمعت بأحسن من هذا الحديث ولا أعجب مما وفقه الله لك فيه
حدثني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبي قال دخل حسين بن الضحاك على محمد الأمين بعقب وقعة أوقعها أهل بغداد بأصحاب طاهر فهزموهم وفضحوهم فهنأه بالظفر ثم استأذنه في الإنشاد فأذن له فأنشده
(أمينَ اللهِ ثِقْ بالليهِ ... تُعْطَ العزَّ والنُّصْرهْ)
(كلِ الأمرَ إلى الله ... كَلاَكَ اللهُ ذو القُدْرهْ)
(لنا النصرُ بإذن الله والكَرّةُ لا الفَرّه)
(وللمُرّاقِ أعداءك ... يومُ السَّوْء والدَّبْره)
((وكأسٌ تُورِد الموت ... كريهٌ طعمُها مُرّه)
(سَقَوْنا وسَقيناهم ... فكانت بهمُ الحَرّه)
كذاك الحربُ أحياناً ... علينا ولنا مَرّه) فأمر له بعشرة آلاف درهم ولم يزل يتبسم وهو ينشده)
الأمين يركب ظهره
حدثني الصولي قال حدثني الحسين بن يحيى أبو الحمار قال قال لي الحسين بن الضحاك شربنا يوما مع الأمين في بستان فسقانا على الريق وجد بنا في الشرب وتحرز من أن نذوق شيئا فاشتد الأمر علي وقمت لأبول فأعطيت خادما من الخدم ألف درهم على أن يجعل لي تحت شجرة أومأت إليها رقاقة فيها لحم فأخذ الألف وفعل ذلك ووثب محمد فقال من يكون منكم حماري فكل واحد منهم قال له أنا لأنه كان يركب الواحد منا عبثا ثم يصله ثم قال يا حسين أنت أضلع القوم فركبني وجعل يطوف وأنا أعدل به عن الشجرة وهو يمر بي إليها حتى صار تحتها فرأى الرقاقة فتطأطأ فأخذها

فأكلها على ظهري وقال هذه جعلت لبعضكم ثم رجع إلى مجلسه وما وصلني بشيء فقلت لأصحابي أنا أشقى الناس ركب ظهري وذهب ألف درهم مني وفاتني ما يمسك رمقي ولم يصلني كعادتي ما أنا إلا كما قال الشاعر
(ومُطْعِمِ الصيدِ يومَ الصيد مَطْعَمَه ... أنّى توجَّه والمحروم محروم)
حدثني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي المبرد قال كان حسين بن الضحاك الأشقر وهو الخليع يهوى جارية لأم
جعفر وكانت من أجمل الجواري وكان لها صدغان معقربان وكانت تخرج إليه إذا جاء فتقول له ما قلت فينا أنشدنا منه شيئا فيخرج إليها الصحيفة فتقول له اقرأ معي فيقرأ معها حتى تحفظه ثم تدخل وتأخذ الصحيفة فشكا ذلك إلى عاصم الغساني الذي كان يمدحه سلم الخاسر وكان مكينا عند أم جعفر وسأله أن يستوهبها له فاستوهبها فأبت عليه أم جعفر فوجه إلى الخليع بألف دينار وقال خذ هذا الألف فقد جهدت الجهد كله فيها فلم تمكني حيلة فقال الحسين في ذلك
(رَمَتْكِ غَدَاةَ السبت شمسٌ من الخُلْدِ ... بسهم الهوى عَمْداً وموتُك في العَمْدِ)
(مؤزَّرةُ السِّرْبال مهضومةُ الحَشَا ... غُلاَمِيّةُ التقطيع شاطرة القدّ)
(مُحَنّأة الأطراف رُؤْدٌ شبابُها ... مُعَقْرَبَةُ الصُّدْغين كاذبة الوعدِ)
(أقول ونفسي بين شَوْقٍ وزَفْرةٍ ... وقد شخَصتْ عيني ودمعي على الخدّ)
(أجيزي على من قد تركتِ فؤادَه ... بلحظته بين التأسُّف والجهد)
(فقالت عذابٌ بالهوى مع قربكم ... وموتٌ إذا أقرحتُ قلبكَ بالبعد)
(لقد فَطَنت للجوْر فطنةَ عاصمٍ ... لصُنْع الأيادي الغُرّ في طلب الحمد)
(سأشكوكِ في الأشعار غيرَ مُقَصِّرٍ ... إلى عاصمٍ ذي المَكْرُمات وذي المجدِ)
(لعلّ فتى غسّان يَجمع بيننا ... فيأمنَ قلبي منكُم رَوْعةَ الصّدّ)
حدثني محمد بن خلف وكيع قال حدثني هارون بن مخارق قال أقطع المعتصم الناس الدور بسر من رأى وأعطاهم النفقات لبنائها ولم يقطع الحسين بن الضحاك شيئاً فدخل عليه فأنشده قوله
(يا أمينَ الله لا خِطَّةَ لي ... ولقد أفردتَ صَحْبي بخِطَطْ)
(أنا في دَهْيَاءَ من مُظْلِمةٍ ... تحمِل الشيخَ على كلّ غلَط)
(صعبة المَسْلَك يرتاع لها ... كلُّ من أصْعَد فيها وهَبطْ)
(بَوِّني منك كما بَوَّأتَهم ... عَرْصةً تبسُط طَرْفي ما انبسط)
(أبتنِي فيها لنفسي موطِناً ... ولعَقْبِي فَرَطاً بعد فَرَطْ)
(لم يَزل منكَ قريباً مسكني ... فأعِدْ لي عادَةَ القربِ فقطْ)
كلُّ من قرّبتَه مُغْتَبِطٌ ... ولمن أبعدتَ خِزْيٌ وسخَط) قال فأقطعه دارا وأعطاه ألف دينار لنفقته عليها)
مع أبي العتاهية
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال أخبرني عمي الفضل عن الحسين بن الضحاك قال كنت أمشي مع أبي العتاهية فمررت بمقبرة وفيها باكية تبكي بصوت شج على ابن لها فقال أبو العتاهية
أمَا تنفكّ باكيةٌ بعينٍ ... غَزيرٌ دمعُها كَمِدٌ حشاها) أجز يا حسين فقلت)
(تُنادي حفرةً أعْيَتْ جوابا ... فقد وَلِهَتْ وصمّ بها صَداها)
حدثني الصولي قال حدثني الحسين بن يحيى قال حدثني الحسين بن الضحاك قال
كنت عازما على أن أرثي الأمين بلساني كله وأشفي لوعتي فلقيني أبو العتاهية فقال لي يا حسين أنا إليك مائل ولك محب وقد علمت مكانك من الأمين وإنه لحقيق بأن ترثيه إلا أنك قد أطلقت لسانك من التلهف عليه والتوجع له بما صار هجاء لغيره وثلبا له وتحريضا عليه وهذا المأمون منصب إلى العراق قد أقبل عليك فأبق على نفسك يا ويحك أتجسر على أن تقول
(تركوا حريمَ أبيهمُ نَفَلاً ... والمُحْصَناتُ صوارخٌ هُتُفُ)
هيهاتَ بعدَك أن يدومَ لهم ... عزٌّ وأن يبقى لهم شَرَفُ) أكفف غرب لسانك واطو ما انتشر عنك وتلاف ما فرط منك)
فعلمت أنه قد نصحني فجزيته الخير وقطعت القول فنجوت برأيه وما كدت أن أنجو
حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني أبو العيناء قال وقف علينا حسين بن الضحاك ومعنا فتى جالس من أولاد الموالي جميل الوجه فحادثنا طويلا وجعل يقبل على الفتى بحديثه والفتى معرض عنه حتى طال ذلك ثم أقبل عليه الحسين فقال
(تَتِيه علينا أن رُزِقْتَ ملاحةً ... فمَهْلاً علينا بعضَ تِيهك يا بدرُ)
لقد طالما كنّا مِلاَحاً وربما ... صَدَدْنا وتِهْنا ثم غيّرنا الدهر) وقام فانصرف)
أخبرني الحسن بن القاسم الكوفي قال حدثني ابن عجلان قال غنى بعض المغنين في مجلس محمد المخلوع بشعر حسين بن الضحاك وهو
صوت
(ألستَ تَرى دِيمةً تَهْطِلُ ... وهذا صباحُك مُسْتقبَلُ)
(وهذي العُقَار وقد راعنا ... بطلعته الشادنُ الأكحلُ)
(فعادَ به وبنا سكرةٌ ... تُهوِّن مكروهَ ما نسأل)
(فإني رأيتُ له نظرةً ... تخبِّرنا أنه يفعل)
قال فأمر بإحضار حسين فأحضر وقد كان محمد شرب أرطالا فلما مثل بين يديه أمر فسقي ثلاثة أرطال فلم يستوفها الحسين حتى غلبه السكر وقذف فأمر بحمله إلى منزله فحمل فلما أفاق كتب إليه
(إذا كنتُ في عُصْبَةٍ ... من المَعْشر الأَخْيَبِ)
(ولم يَكُ لي مُسْعِدٌ ... نديمٌ سوى جُعْدُبِ)
(فأشْرَبُ من رَمْلةٍ ... وأسهرُ من قُطْرُبِ)
(ولمّا حباني الزمان ... من حيث لم أحسبِ)

(ونادمتُ بدرَ السماء ... في فَلَك الكوكبِ)
(أبتْ لي غُضُوضيَّتي ... ولؤمٌ من المَنْصِب)
(فأسكرني مسرعاً ... قويٌّ من المَشْرَب)
(كذا النذلُ يَنْبو به ... منادمةُ المُنْجب) قال فرده إلى منادمته وأحسن جائزته وصلته
أخبرني الكوكبي قال حدثني علي بن محمد بن نصر عن خالد بن حمدون أن الحسين بن الضحاك أنشده وقد عاتبه خادم من خدام أبي أحمد بن الرشيد كان حسين يتعشقه ولامه في أن قال فيه شعرا وغنى فيه عمرو ابن بانة فقال حسين فيه
صوت
(فَدّيتُ من قال لي على خَفَرهُ ... وغَضَّ جفناً له على حَوَرِهْ)
(سمَّع بي شعرُك المليح فما ... ينفكّ شادٍ به على وَتَره)
(فقلتُ يا مستعيرَ سالفةِ الْخِشفِ ... وحسنِ الفتورِ من نَظَره)
لا تُنكرنَ الحنينَ من طربٍ ... عاود فيك الصِّبا على كِبَره) وغنى فيه عمرو بن بانة هزجا مطلقا)
شعره على قبر أبي نواس
أخبرني الكوكبي قال حدثني أبو سهل بن نوبخت عن عمرو بن بانة قال لما مات أبو نواس كتب حسين بن الضحاك على قبره
(كابَرَنيكَ الزمانُ يا حسنُ ... فخابَ سَهْمِي وأفلَح الزمنُ)
(ليتك إذ لم تكن بقيتَ لنا ... لم تَبْقَ روحٌ يَحُوطُها بدنُ)
أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبي قال كان في جوار الحسين بن الضحاك طبيب يدواي الجراحات يقال له نصير وكان مخنثا فإذا كانت وليمة دخل مع المخنثين وإذا لم تكن عالج الجراحات فقال فيه الحسين بن الضحاك
((نُصَيرُ ليس المُرْدُ من شأنه ... نصيرُ طَبٌّ بالنَّكاريش
(يقول للنِّكْريش في خلوة ... مقالَ ذي لُطْف وتَجْميش)
هل لك أن نلعبَ في فرشنا ... تقلُّبَ الطيرِ المَراعيش) يعني المبادلة فكان نصير بعد ذلك يصيح به الصبيان يا نصير)
نلعب تقلب الطير المراعيش فيشتمهم ويرميهم بالحجارة
حدثني جعفر قال حدثني علي بن يحيى عن حسين بن الضحاك قال أنشدت ابن مناذر قصيدتي التي أقول فيها
لفقدك ريحانة العسكر ...) وكانت من أول ما قلته من الشعر فأخذ رداءه ورمى به إلى السقف وتلقاه برجله وجعل يردد)
هذا البيت فقلنا لحسين أتراه فعل ذلك استحسانا لما قلت فقال لا فقلنا فإنما فعله طنزا بك فشتمه وشتمنا وكنا بعد ذلك نسأله إعادة هذا البيت فيرمي بالحجارة ويجدد شتم ابن مناذر بأقبح ما يقدر عليه
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أحمد بن أبي كامل قال مررت بباب حسين بن الضحاك وإذا أبو يزيد السلولي وأبو حزرة الغنوي وهما ينتظران المحاربي وقد استؤذن لهم على ابن الضحاك فقلت لهما لم لا تدخلان فقال أبو يزيد ننتظر اللؤم أن يجتمع فليس في الدنيا أعجب مما اجتمع منا الغنوي والسلولي ينتظران المحاربي ليدخلوا على باهلي
أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر البوشنجي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني حسين بن الضحاك قال كان الواثق يميل إلى الفتح بن خاقان ويأنس به وهو يومئذ غلام وكان الفتح ذكيا جيد الطبع والفطنة فقال له المعتصم يوما وقد دخل على أبيه خاقان عرطوج يا فتح أيما أحسن داري أو دار أبيك فقال له وهو غير متوقف وهو صبي له سبع سنين أو نحوها دار أبي إذا كنت فيها فعجب منه وتبناه وكان الواثق له بهذه المنزلة وزاد المتوكل عليهما فاعتل الفتح في أيام الواثق علة صعبة ثم أفاق وعوفي فعزم الواثق على الصبوح فقال لي يا حسين اكتب بأبيات عني إلى الفتح تدعوه إلى الصبوح فكتبت إليه
(لمّا اصطبحتُ وعينُ اللهو ترمُقُني ... قد لاح لي باكراً في ثوب بِذْلَته)
(ناديتُ فتحاً وبَشَّرتُ المدامَ به ... لمّا تخلّص من مكروه عِلّته)
(ذبَّ الفتى عن حريم الراح مَكْرُمةٌ ... إذا رآه امرؤٌ ضَدًّا لِنِحْلَته)
فاعْجَلْ إلينا وعَجِّل بالسرور لنا ... وخالِس الدهر في أوقات غَفْلَتِه) فلما قرأها الفتح صار إليه فاصطبح معه)
أخبرني عمي قال حدثني يعقوب بن نعيم وعبد الله بن أبي سعد قالا حدثنا محمد بن محمد الأنباري قال حدثني حسين بن الضحاك قال كنت عند عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع وهو مصطبح وخادم له يسقيه فقال لي يا أبا علي قد استحسنت سقي هذا الخادم فإن حضرك شيء في قصتنا هذه فقل فقلت
(أحيَتْ صَبُوحي فكاهةُ اللاهي ... وطاب يومي بقرب أشباهي)
(فاستَثِرِ اللهوَ من مكامِنه ... من قبل يومٍ منغِّص ناهي)
(بابنةِ كَرْم من كفِّ مُنْتَطِقٍ ... مؤتزِرٍ بالمُجون تيّاه)
(يَسْقِيك من طَرْفه ومن يده ... سَقْيَ لطيفٍ مجرِّب داهي)
كأساً فكأساً كأن شارِبَها ... حيرانُ بين الذُّكُور والساهي) قال فاستحسنه عبد الله وغنى فيه لحنا مليحا وشربنا عليه)
بقية يومنا
أخباره مع يسر
أخبرني علي بن العباس قال حدثني سوادة بن الفيض عن أبيه قال اتفق حسين بن الضحاك ويسر مرة عند بعض إخوانهما وشربا وذلك في العشر الأواخر من شعبان فقال حسين ليسر يا سيدي قد هجم الصوم علينا فتفضل بمجلس نجتمع فيه قبل هجومه فوعده بذلك فقال له قد سكرت وأخشى أن يبدو لك فحلف له يسر أنه يفي فلما كان من الغد كتب إليه حسين وسأله الوفاء فجحد الوعد وأنكره فكتب إليه يقول
(تجاسرتَ على الغدر ... كعاداتك في الهجر)
(فأخلفتَ وما استخلفتَ ... من إخوانك الزُّهْر)
(لئن خِستَ لَمَا ذلكَ ... من فعلك بالنُّكْر)

((وما أقنعني فعلُك ... يا مختلِقَ العذر
(بنفسي أنت إن سُؤْتَ ... فلا بدّ من الصبر)
(وإن جرّعني الغيظَ ... وإن خَشّن بالصدر)
(ولولا فَرَقي منك ... لسمَّيتُك في الشعر)
(وعنّفتُك لا آلُو ... وإن جُزْتُ مدى العُذْر)
(أمّا تخرج من إخلاف ... ميعادك في العَشْرِ)
(غداً يفطِمنا الصومُ ... عن الرّاح إلى الفِطْر)
قال فسألت الحسين بن الضحاك عما أثر له هذا الشعر وما كان الجواب فقال كان أحسن جواب وأجمل فعل كان اجتماعنا قبل الصوم في بستان لمولاه وتممنا سرورنا وقضينا أوطارنا إلى الليل وقلت في ذلك
(سقى اللّهُ بطنَ الدَّيْر من مستوى السَّفْح ... إلى ملتقَى النَّهرين فالأَثْل فالطَّلْح)
(مَلاعِبُ قُدْن القلبَ قَسراً إلى الهوى ... ويسَّرْنَ ما أمّلتُ من دَرَك النُّجْح)
(أتنْسَى فلا أنسَى عتابَك بينها ... حبيبَك حتى انقاد عفواً إلى الصلح)
سمحتُ لمن أهْوَى بصفو مودّتي ... ولكنّ من أهواه صيغ على الشُّح) قال علي بن العباس وأنشدني سوادة بن الفيض عن أبيه لحسين بن الضحاك يصف أياما مضت له بالبصرة ويومه بالقفص ومجيء يسر إليه يسر سأله أن يقول في ذلك شعرا
(تَيَسَّري للّمام من أَمَمِ ... ولا تُراعِي حمامةَ الحَرَم)
(قد غاب لا آبَ من يُراقبنا ... ونام لا قام سامرُ الخَدَم)
(فاستصحبي مُسْعِداً يفاوِضُنا ... إذا خَلَوْنا في كلِّ مُكْتَتَم)
(تَبَذّلي بِذْلةً تَقَرُّ بها العينُ ... ولا تحصري وتحتشمي)
(ليت نجومَ السماء راكدةٌ ... على دُجَى ليلِنا فلم تَرِمِ)
(ما لسروري بالشكّ ممتزجاً ... حتى كأنّي أراه في حُلُم)
(فَرِحْتُ حتى استخفّني فرحي ... وشُبْتُ عين اليقين بالتُّهَم)
(أمسح عيني مُستَثبتاً نظري ... أخالُني نائماً ولم أنم)
(سَقْياً لليلٍ أفنيتُ مدَّته ... ببارد الرِّيق طيِّبِ النّسمَ)
(أبيضَ مُرتَجَّةٍ روادفُه ... ما عِيب من قَرْنه إلى القدمِ)
(إذ قَصَباتُ العريشِ تجمعنا ... حتى تجلَّت أواخرُ الظُّلَم)
(وليلةٍ بِتُّها محسدَّةٍ ... محفوفةٍ بالظنون والتُّهَم)
(أَبثُّ عَبراته على غَصَصٍ ... يردُّ أنفاسه إلى الكَظَمِ)
(سَقْياً لقَيْطُونها ومُخدَعِها ... كم من لِمامٍ به ومن لَمَمِ)
(لا أكفُر السَّيْلَحين أزمنةً ... مطيعةً بالنَّعيم والنِّعم)
((وليلة القُفْص إن سألتَ بها ... كانت شفاءً لعلّة السَّقَمِ
(بات أنيسِي صريعَ خمرته ... وتلك إحدى مصارع الكرم)
(وبتّ عن موعِدٍ سبقتُ به ... ألثِم دُرًّا مُفَلَّجاً بفمِ)
(وبأبي من بدا بَرْوعةٍ لا ... وعاد من بعدها إلى نَعَم)
(أباحني نفسه ووسَّدني ... يُمْنَى يديه وبات مُلْتزمي)
(حتى إذا اهتاجت النواقسُ في ... سُحْرةٍ أحْوَى أحَمَّ كالحُمَم)
(وقلتُ هُبَّا يا صاحبيَّ ونَبَّهتُ ... أباناً فهبَّ كالزَّلَمَ)
(فاستنّها كالشّهاب ضاحكةً ... عن بارقٍ في الإناء مُبتَسِمِ)
(صفراءَ زيتيّةً موشّحةً ... بأُرْجوانٍ مُلَمَّع ضَرِمِ)
(أخذتُ ريحانةً أَرَاحُ لها ... دبَّ سروري بها دبيبَ دَمِي)
(فراجِع العذرَ إن بدا لك في العُذر ... وإن عُدْتَ لائماً فَلُمِ)
أخبرني علي بن العباس قال حدثني سوادة بن الفيض المخزومي قال حدثني المعتمر بن الوليد المخزومي قال قال لي الحسين بن الضحاك وهو على شراب له ويحكم أُحدثكم عن يسر بأعجوبة قلنا هات قال بلغ مولاه أنه جرى له مع أخيه سبب فحجبه كما تحجب النساء وأمر بالحجر عليه وأمره ألا يخرج عن داره إلا ومعه حافظ له موكل به فقلت في ذلك
(ظنّ من لا كان ظنَّا ... بحبيبي فحماه)
(أرْصد البابَ رقيبين ... له فاكتنفاه)
(فإذا ما اشتاق قربي ... ولقائي مَنَعاه)
(جعل اللّه رقيبيه ... من السوء فداه)
(والذي أفرح في الشادن ... قلبي ولَواه)
(كلُّ مشتاق إليه ... فمن السوء فِداه)
((سيما من حالت الأحراس ... من دون مناه
: أخبرني علي بن العبّاس قال حدّثنا أحمد بن العباس الكاتب قال حدثني عبدالله بن زكريّا الضَّرير قال
قال أبو نواس قال لي حسين بن الضحّاك يوماً يا أبا عليّ أمَا ترى غضبَ يُسْرٍ عليّ فقلت له وما كان سبب ذلك قال حالٌ أردتُها منه فَمَنَعنيها فغضبتُ فأسألك أن تُصلح بيني وبينه فقلت وما تحبُّ أن أُبلِغه عنك قال تقول له
(بحُرْمه السكر وما كانا ... عزمْتَ ان تقتل إنسانا)
(أخاف أن تهجُرني صاحياً ... بعد سروري بك سكرانا)
(إنّ بقلبي روعةً كلما ... أضمر لي قلبُك هِجرانا)
(يا ليت ظنّي أبداً كاذبٌ ... فإنه يصدُق أحيانا)
قال فقلت له وَيْحَك أتجتنبه وتريد أن تترضّاه وترسل إليه بمثل هذه الرسالة فقال لي أنا أعْرَف به وهو كثير التبذّل فأبلغه

ما سألتك فأبلغته فرضي عنه وأصلحتُ بينهما
حدثني جعفر بن قُدامة قال حدّثني عليّ بن يحيى قال
جاءني يوماً حسين بن الضحّاك فقلت له أي شيء كان خبرُك أمسِ فقال لي اسمعه شعراً ولا أزيدك على ذلك وهو أحسن فقلت هات يا سيّدي فقال
(زائرةٌ زادت على غفلةٍ ... يا حبّذا الزَّورةُ والزائره)
(فلم أزلْ أخدَعُها ليلتي ... خديعةَ السّاحر للسّاحره)
(حتى إذا ما أذعَنَتْ بالرّضا ... وأنعَمَتْ دارتْ بها الدائره)
(بتُّ إلى الصبح بها ساهراً ... وباتت الجوزاءُ بي ساهره)
(أفعل ما شئتُ بها ليلتي ... وملءُ عيني نعمةٌ ظاهره)
(فلم ننم إلاّ على تسعة ... من غُلْمة بي وبها ثائره)
(سَقْياً لها لا لأخي شِعْرةٍ ... شِعْرتُه كالشّعرة الوافِره)
(وبين رجليه له حَرْبةٌ ... مشهورةٌ في حَقْوه شاهره)
وفي غدٍ يتبعها لحيةٌ ... تُلحقه بالكرَّة الخاسره) قال فقلت له زنيت يعلم الله إن كنت صادقا فقال قل أنت ما شئت)
حدثني الحسن بن علي قال حدثنا أبو العيناء قال دخل حسين بن الضحاك على الواثق في خلافة المعتصم في يوم طيب فحثه على الصبوح فلم ينشط له فقال اسمع ما قلت قال هات قال فأنشده
(اِستْثِرِ اللهوَ من مكامنه ... من قبل يومٍ منغِّصٍ ناهِي)
(بابنة كرْم من كفّ مُنْتطِقٍ ... مؤْتَزِرٍ بالمُجون تيّاه)
(يسقيك من لحظه ومن يده ... سقيَ لطيفٍ مجرّبٍ داهِي)
كأساً فكأساً كأنّ شاربها ... حيرانُ بين الذّكور والسّاهي) قال فنشط الواثق وقال إن فرصة العيش لحقيقة أن تنتهز)
واصطبح ووصل الحسين
حدثني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبو الشبل عاصم بن وهب البرجمي قال حج الحسين بن الضحاك فمر في منصرفه عل موضع يعرف
بالقريتين فإذا جارية تطلع في ثيابها وتنظر في حرها ثم تضربه بيدها وتقول ما أضيعني وأضيعك فأنشأ يقول
(مررتُ بالقريتين مُنصرفاً ... من حيث يقضي ذوو النُّهَى النُّسُكا)
(إذا فتاةٌ كأنها قمرٌ ... للّتمّ لمّا توسَّطَ الفَلَكا)
واضعةٌ كفَّها على حِرها ... تقول يا ضَيْعتي وضَيْعَتكا) قال فلما سمعت قوله ضحكت وغطت وجهها وقالت وافضيحتاه)
أوقد سمعت ما قلت
حدثني محمد الصولي قال حدثني ميمون بن هارون قال كان الحسين بن الضحاك صديقا لأبي وكنت ألقاه معه كثيرا وكانت نفسه قد تتبعت شفيعا بعد انصرافه من مجلس المتوكل فأنشدنا لنفسه فيه
وأبيض في حُمْرِ الثياب كأنه)
(إذا ما بدا نِسرْينةٌ في شقائق
(سقاني بكفَّيْه رحيقاً وسامَني ... فسُوقاً بعينيه ولستُ بِفاسق)
(وأقسم لولا خشيةُ الله وحدَه ... ومن لا أُسمِّي كنتُ أوّلَ عاشِق)
(وإنّي لمعذورٌ على وجَناته ... وإن وسمَتْني شيبةٌ في المفَارِق)
(ولا عِشْقَ لي أو يُحدِثَ الدهرُ شِرّةً ... تعود بعادات الشباب المُفارق)
(ولو كنتُ شكلاً للصِّبا لاتّبعتُه ... ولكن سنّي بالصِّبا غيرُ لائق)
حدثني الصولي قال حدثنا ميمون بن هارون قال
كان للحسين بن الضحاك ابن يسمى محمدا له أرزاق فمات فقطعت أرزاقه فقال يخاطب المتوكل ويسأله أن يجعل أرزاق ابنه المتوفى لزوجته وأولاده
(إنّي أتيتُك شافِعاً ... بوليِّ عهد المسلمينا)
(وشبيهِك المعتزِّ أوجهِ ... شافعٍ في العالَمينا)
(يابن الخَلائف الأوّلين ... ويا أبا المتأخِّرينا)
(إنّ ابن عبدك مات والأيامُ ... تختَرِم القَرِينا)
(ومضى وخلّف صبيةً ... بعرَاصِه متلَدِّدينا)
(ومُهَيْرةً عَبْرَى خِلاَفَ ... أقاربٍ مُسْتَعْبِرينا)
(أصبحنَ في رَيب الحوادث ... يُحسِنون بك الظُّنونا)
(قطَع الوُلاةُ جِرايةً ... كانوا بها مُسْتَمْسِكينا)
(فامنُنْ بردّ جميع ما ... قطعوه غيرَ مراقِبينا)
أعطاكَ أفضل ما تؤمِّل ... أفضلُ المتفضِّلينا) قال فأمر المتوكل له بما سأل فقال يشكره)
(يا خيرَ مُسْتَخلَفٍ من آل عبَاس ... اِسلَمْ وليس على الأيّام من باس)
(أحييْتَ من أملي نِضْواً تعاوَرَه ... تَعاقُبُ اليأس حتى مات بالياس)
مغنية تهرب من هجائه
أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال كنا في مجلس ومعنا حسين بن الضحاك ونحن على نبيذ فعبث بالمغنية وجمشها فصاحت عليه واستخفت به فأنشأ يقول
(لها في وجهها عُكَنٌ ... وثُلْثَا وجهها ذَقَنُ)
((وأسنانٌ كريش البَطّ ... بين أصولها عَفَنُ
قال فضحكا وبكت المغنية حتى قلت قد عميت وما انتفعنا بها بقية يومنا وشاع هذان البيتان فكسدت من أجلهما وكانت إذا حضرت في موضع أنشدوا البيتين فتجن ثم هربت من سر من رأى فما عرفنا لها بعد ذلك خبرا
قال جعفر وحدثنا أبو العيناء أنه حضر هذا المجلس وحكى مثل ما حكاه محمد

حدثني عمي قال حدثني يزيد بن محمد المهلبي قال سألت حسين بن الضحاك ونحن في مجلس المتوكل عن سنه فقال لست أحفظ السنة التي ولدت فيها بعينها ولكني أذكر وأنا بالبصرة موت شعبة بن الحجاج سنة ستين ومائة
حدثني الصولي قال حدثني علي بن محمد بن نصر قال حدثني خالي يعني أحمد بن حمدون قال أمر المتوكل أن ينادمه حسين بن الضحاك ويلازمه فلم يطق ذلك لكبر سنه فقال للمتوكل بعض من حضر عنده هو يطيق الذهاب إلى القرى والمواخير والسكر فيها ويعجز عن خدمتك فبلغه ذلك فدفع إلي أبياتاً قالها وسألني إيصالها فأوصلتها إلى المتوكل وهي
(أمَا في ثمانين وفّيتُها ... عَذيرٌ وإن أنا لم أعْتَذرْ)
(فكيف وقد جُزتُها صاعداً ... مع الصّاعدين بتِسعْ أُخَرَ)
(وقد رفع اللهُ أقلامَه ... عن ابنِ ثمانين دون البشر)
(سوى من أصرّ على فتنةٍ ... وألْحَد في دينه أو كفر)
(وإنّي لمن أُسَراء الإله ... في الأرض نُصْبَ صروفِ القدر)
(فإن يَقْضِ لي عملاً صالحاً ... أثاب وإن يَقضِ شرًّا غَفَر)
(فلا تَلْحَ في كِبَرٍ هدّني ... فلا ذنبَ لي أنْ بَلَغتُ الكِبَرْ)
(هو الشيبُ حلّ بعَقْب الشباب ... فأعقبني خَوَراً من أشَرْ)
(وقد بسَط اللهُ لي عذرَه ... فمن ذا يلوم إذا عذَر)
(وإنّي لَفِي كَنَفٍ مُغْدِقٍ ... وعزٍّ بنصر أبي المنتَصِرْ)
(يُباري الرياحَ بفضل السماح ... حتى تَبَلَّدَ أو تَنْحسِر)
(له أكّد الوحيُ ميراثَه ... ومن ذا يُخالف وَحْيَ السُّوَر)
(وما للحسود وأشياعه ... ومَنْ كذَّب الحقَّ إلا الحَجَرْ)
قال ابن حمدون فلما أوصلتها شيعتها بكلامي أعذره وقلت لو أطاق خدمة أمير المؤمنين لكان أسعد بها فقال المتوكل صدقت خذ له عشرين ألف درهم واحملها إليه فأخذتها فحملتها إليه
الخلفاء يضربونه
حدثني عمي قال حدثني علي بن محمد بن نصر قال حدثني خالي عن حسين بن الضحاك قال ضربني الرشيد في خلافته لصحبتي ولده ثم ضربني الأمين لممايلة ابنه عبد الله ثم ضربني المأمون لميلي إلى محمد ثم ضربني المعتصم لمودة كانت بيني وبين العباس بن المأمون ثم ضربني الواثق لشيء بلغه من ذهابي إلى المتوكل وكل ذلك يجري مجرى الولع بي والتحذير لي ثم أحضرني المتوكل وأمر شفيعا بالولع بي فتغاضب المتوكل علي فقلت له يا أمير المؤمنين إن كنت تريد أن تضربني كما ضربني آباؤك فاعلم أن آخر
ضرب ضربته بسببك فضحك وقال بل أحسن إليك يا حسين وأصونك وأكرمك
حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن إسرائيل قال حدثني محمد بن محمد بن مروان الأبزاري قال دخلت على حسين بن الضحاك فقلت له كيف أنت جعلني الله فداءك فبكى ثم أنشأ يقول
(أصبحتُ من أُسَراء الله مُحتَسَباً ... في الأرض نحو قضاء الله والقَدَر)
(إنّ الثمانين إذ وفّيْتُ عِدّتها ... لم تُبْقِ باقيةً منّي ولم تَذَر)
أخبار أبي زكار الأعمى
قال أبو الفرج أبو زكار هذا رجل من أهل بغداد من قدماء المغنين وكان منقطعا إلى آل برمك وكانوا يؤثرونه ويفضلون عليه إفضالا
فحدثني محمد بن جعفر بن قدامة قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي قال سمعت مسرورا يحدث أبي قال لما أمرني الرشيد بقتل جعفر بن يحيى دخلت عليه وعنده أبو زكار الأعمى وهو يغنيه بصوت لم أسمع بمثله
(فلا تَبْعَدْ فكلُّ فتىً سيأتي ... عليه الموتُ يَطرُق أو يُغادي)
(وكلّ ذخيرةٍ لا بدّ يوماً ... وإن بَقِيَتْ تَصير إلى نَفاد)
ولو يُفْدَى من الحدثان شيءٌ ... فديتُك بالطَّريف وبالتِّلاد) فقلت له في هذا والله أتيتك فأخذت بيده فأقمته وأمرت بضرب عنقه فقال لي أبو زكار نشدتك الله إلا ألحقتني به فقلت وما رغبتك في ذلك قال إنه أغناني عمن سواه بإحسانه فما أحب أن أبقى بعده فقلت
أستأمر أمير المؤمنين في ذلك فلما أتيت الرشيد برأس جعفر أخبرته بقصة أبي زكار فقال لي هذا رجل فيه مصطنع فاضممه إليك وانظر ما كان يجريه عليه فأتممه له
حدثني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق قال غنى علويه يوما بحضرة أبي فقال أبي مه هذا الصوت معرق في العمى الشعر لبشار الأعمى والغناء لأبي زكار الأعمى وأول الصوت عميت أمري
صوت
من المائة المختارة من رواية جحظة عن أصحابه
(ما جَرَتْ خَطْرةٌ على القلب منّي ... فيكِ إلا استَتَرْتُ عن أصحابي)
(من دموع تجري فإن كنتُ وحدي ... خالياً أسعدتْ دموعي انتحابي)
(إن حبّي إيّاكِ قد سَلّ جسمي ... ورماني بالشيب قبل الشباب)
(لو مَنَحْتِ اللقا شَفى بك صبًّا ... هائمَ القلب قد ثَوى في التراب)
الشعر في الأبيات للسيد الحميري والغناء لمحمد نعجة الكوفي مغن غير مشهور ولا ممن خدم الخلفاء وليس له خبر ولحنه المختار ثاني ثقيل مطلق في مجرى البنصر وذكر حبش أن لمحمد نعجة فيه أيضا خفيف رمل بالبنصر
أخبار السيد الحميري
السيد لقبه واسمه إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري ويكنى أبا هاشم وأمه امرأة من الأزد ثم من بني الحدان وجده يزيد بن ربيعة شاعر مشهور وهو الذي هجا زيادا وبنيه ونفاهم عن آل حرب وحبسه عبيد الله بن زياد لذلك وعذبه ثم أطلقه معاوية وخبره في هذا طويل يذكر في موضعه مع سائر أخباره إذ كان الغرض ها هنا ذكر أخبار السيد
ووجدت في بعض الكتب عن إسحاق بن محمد النخعي قال

سمعت ابن عائشة والقحذمي يقولان هو يزيد بن مفرغ ومن قال إنه يزيد ابن معاوية فقد أخطأ
ومفرغ لقب ربيعة لأنه راهن أن يشرب عسا من لبن فشربه حتى فرغه فلقب مفرغا وكان شعابا بسيالة ثم صار إلى البصرة
وكان شاعرا متقدما مطبوعا يقال إن أكثر الناس شعرا في الجاهلية والإسلام ثلاثة بشار وأبو العتاهية والسيد فإنه لا يعلم أن أحدا قدر على تحصيل شعر أحد منهم أجمع
وإنما مات ذكره وهجر الناس شعره لما كان يفرط فيه من سب أصحاب رسول الله في شعره ويستعمله من قذفهم
والطعن عليهم فتحومي شعره من هذا الجنس وغيره لذلك وهجره الناس تخوفا وتراقبا وله طراز من الشعر ومذهب قلما يلحق فيه أو يقاربه ولا يعرف له من الشعر كثير وليس يخلو من مدح بني هاشم أو ذم غيرهم ممن هو عنده ضد لهم
ولولا أن أخباره كلها تجري هذا المجرى ولا تخرج عنه لوجب ألا نذكر منها شيئا ولكنا شرطنا أن نأتي بأخبار من نذكره من الشعراء فلم نجد بدا من ذكر أسلم ما وجدناه له وأخلاها من سيء اختياره على قلة ذلك
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد النوفلي عن إسماعيل بن الساحر راوية السيد قال ابن عمار وحدثني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ عن أبيه أن أبوي السيد كانا إباضيين وكان منزلهما بالبصرة في غرفة بني ضبة وكان السيد يقول طالما سب أمير المؤمنين في هذه الغرفة فإذا سئل عن التشيع من أين وقع له قال غاصت علي الرحمة غوصا
وروي عن السيد أن أبويه لما علما بمذهبه هما بقتله فأتى عقبة بن سلم الهنائي فأخبره بذلك فأجاره وبوأه منزلا وهبه له فكان فيه حتى ماتا فورثهما

على مذهب الكيسانية

وقد أخبرني الحسن بن علي البري عن محمد بن عامر عن القاسم بن الربيع عن أبي داود سليمان بن سفيان المعروف بالحنزق راوية السيد الحميري قال ما مضى والله إلا على مذهب الكيسانية وهذه القصائد التي يقولها الناس مثل
تجعفرتُ باسم الله واللهُ أكبرُ ...) و)
تجعفرت باسم الله فيمن تجعفرا ...) وقوله)
(أيا راكباً نحو المدينة جَسْرةً ... عُذَافِرَةً تهوي بها كلَّ سَبْسَبِ)
إذا ما هداك اللهُ لاقيتَ جعفراً ... فقل يا أمين الله وابنَ المهذَّبِ) لغلام للسيد يقال له قاسم الخياط قالها ونحلها للسيد)
وجازت على
كثير من الناس ممن لم يعرف خبرها بمحل قاسم منه وخدمته إياه

بعض أوصافه

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد النوفلي قال حدثني أبو جعفر الأعرج ابن بنت الفضيل بن بشار قال كان السيد أسمر تام القامة أشنب ذا وفرة حسن الألفاظ جميل الخطاب إذا تحدث في مجلس قوم أعطى كل رجل في المجلس نصيبه من حديثه
أخبرني أحمد قال حدثني محمد بن عباد عن أبي عمرو الشيباني عن لبطة بن الفرزدق قال تذاكرنا الشعراء عند أبي فقال إن ها هنا لرجلين لو أخذا في معنى الناس لما كنا معهما في شيء فسألناه من هما فقال السيد الحميري وعمران بن حطان السدوسي ولكن الله عز وجل قد شغل كل واحد منهما بالقول في مذهبه
أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثني علي بن محمد النوفلي قال حدثني أبو جعفر ابن بنت الفضيل بن بشار قال
كان السيد أسمر تام الخلقة أشنب ذا وفرة حسن الألفاظ وكان مع ذلك أنتن الناس إبطين لا يقدر أحد على الجلوس معه لنتن رائحتهما
قال حدثني التوزي قال رأى الأصمعي جزءا فيه من شعر السيد فقال لمن هذا فسترته عنه لعلمي بما عنده فيه فأقسم علي أن أخبره فأخبرته فقال أنشدني قصيدة منه فأنشدته قصيدة ثم أخرى وهو يستزيدني ثم قال قبحه الله ما أسلكه لطريق الفحول لولا مذهبه ولولا ما في شعره ما قدمت عليه أحدا من طبقته
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم قال سمعت أبا عبيدة يقول أشعر المحدثين السيد الحميري وبشار
أخبرني عمي قال حدثني الحسن بن عليل العنزي عن أبي شراعة القيسي عن مسعود بن بشر إن جماعة تذاكروا أمر السيد وأنه رجع عن مذهبه في ابن الحنفية وقال بإمامة جعفر بن محمد فقال ابن الساحر راويته والله ما رجع عن ذلك ولا القصائد الجعفريات إلا منحولة له قيلت بعده وآخر عهدي به قبل
موته بثلاث وقد سمع رجلا يروي عن النبي قال لعلي عليه السلام (إنه سيولد لك بعدي ولد وقد نحلته اسمي وكنيتي) فقال في ذلك وهي آخر قصيدة قالها
(أشاقَتْكَ المنازلُ بعد هِند ... وتِرْبيها وذات الدَّلِّ دَعْدِ)
(منازل أقفرتْ منهنّ مَحّتْ ... معالمُهن من سَبَلٍ ورَعْد)
(وريحٍ حَرْجَفٍ تَستَنُّ فيها ... بسافي التُّرْب تُلْحِم ما تُسدّي)
(ألم يَبْلُغك والأنباءُ تَنْمِي ... مقالُ محمدٍ فيما يؤدِّي)
(إلى ذي علمه الهادي عليّ ... وخَوْلةُ خادمٌ في البيت تَرْدِي)
(ألم تر أنّ خولةَ سوف تأتي ... بِواري الزَّند صافي الخِيم نَجْد)
(يفوز بكنيتي واسمي لأنّي ... نَحَلْتُهُماهُ والمهديّ بعدي)
(يُغَيَّب عنهم حتى يقولوا ... تضمَّنه بطَيْبة بطنُ لَحْد)
(سنينَ وأشهراً ويرى برَضْوَى ... بشِعْب بين أنْمار وأُسْد)
(مقيم بين آرامٍ وعِينٍ ... وحُفَّانٍ تروح خِلالَ رُبْد)
(تُراعِيها السِّباعُ وليس منها ... ملاقيهنّ مفترِساً بحَدّ)
(أمِنَّ به الرَّدَى فرتَعْن طوراً ... بلا خوف لدى مرْعىً ووِرْد)
(حلَفْتُ بربِّ مكة والمُصَلَّى ... وبيتٍ طاهر الأركان فَرْد)
(يطوف به الحَجيجُ وكلَّ عامٍ ... يَحُلُّ لديه وفدٌ بعد وفدِ)

(لقد كان ابن خَوْلة غيرَ شكٍّ ... صَفاءَ ولايتي وخُلُوصَ وُدّي)
(فما أحدٌ أحبّ إليّ فيما ... أسِرّ وما أبوح به وأُبدي)
(سوى ذي الوحي أحمد أو عليٍّ ... ولا أزكى وأطيب منه عندي)
((ومن ذا يابن خولة إذ رمتني ... بأسهُمها المنيّةُ حين وعدي
(يُذَبّ عنكُم ويسدّ مما ... تَثَلّم من حصونكم كسدّي)
(وما لي أن أمرّ به ولكن ... أؤمّل أن يؤخّر يومُ فقدي)
(فأدرك دولةً لك لستَ فيها ... بجبّار فتُوصَفَ بالتّعدّي)
(على قوم بَغَوْا فيكم علينا ... لتُعْدي منكم يا خير مَعْدِ)
(لِتَعْلُ بنا عليهم حيث كانوا ... بغَوْرٍ من تِهامة أو بنجد)
(إذا ما سِرتَ من بلدٍ حرامٍ ... إلى مَن بالمدينة من مَعَدّ)
(وماذا غَرّهم والخيرُ منهم ... بأشْوَسَ أعْصَلِ الأنيابِ وَرْدِ)
(وأنت لمن بغى وعَداً وأذكى ... عليك الحربَ واسترداك مُرْدِ)
في البيتين الأولين من هذه القصيدة غناء نسبته
صوت
(أشاقتك المنازلُ بعد هندٍ ... وتِربَيْها وذاتِ الدَّلّ دعد)
(منازلُ أقفرت منهنّ مَحّتْ ... معالمُهن من سَبَلٍ ورعد)
عروضه من الوافر الشعر للسيد الحميري والغناء لمعبد ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن يحيى المكي وذكر الهشامي أنه لكردم وذكر عمرو بن بانة أن اللحن لمالك ثقيل أول بالوسطى
وقال إسماعيل بن الساحر راوية السيد كنت عنده يوما في جناح له فأجال بصره فيه ثم قال يا إسماعيل طال والله ما شتم أمير المؤمنين علي
في هذا الجناح قلت ومن كان يفعل قال أبواي وكان يذهب مذهب الكيسانية ويقول بإمامة محمد بن الحنفية وله في ذلك شعر كثير وقد روى بعض من لم تصح روايته أنه رجع عن مذهبه وقال بمذهب الإمامية وله في ذلك
تجعفرتُ باسم الله واللّهُ أكبر ... وأيقنتُ أن اللّه يعفو ويغفِر) وما وجدنا ذلك في رواية محصل ولا شعره أيضا من هذا)
الجنس ولا في هذا المذهب لأن هذا شعر ضعيف يتبين التوليد فيه وشعره في قصائده الكيسانية مباين لهذا جزالة ومتانة وله رونق ومعنى ليسا لما يذكر عنه في غيره
الأصمعي يمدح شعره ويذم مذهبه
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد الثمالي قال حدثني التوزي قال قال لي الأصمعي أُحب أن تأتيني بشيء من شعر هذا الحميري فعل الله به وفعل فأتيته بشيء منه فقرأه فقال قاتله الله ما أطبعه وأسلكه لسبيل الشعراء والله لولا ما في شعره من سب السلف لما تقدمه من طبقته أحد
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال أتيت أبا عبيدة معمر بن المثنى يوما وعنده رجل من بني هاشم يقرأ عليه كتابا فلما رآني أطبقه فقال له أبو عبيدة إن أبا زيد ليس ممن يحتشم منه فاقرأ فأخذ الكتاب وجعل يقرأه فإذا هو شعر السيد فجعل أبو عبيدة يعجب منه ويستحسنه قال أبو زيد وكان أبو عبيدة يرويه قال وسمعت محمد بن أبي بكر المقدمي يقول سمعت جعفر بن سليمان الضبعي ينشد شعر السيد
أخبرني ابن دريد قال سئل أبو عبيدة من أشعر المولدين قال السيد وبشار
وقال الموصلي حدثني عمي قال جمعت للسيد في بني هاشم ألفين وثلثمائة قصيدة فخلت أن قد استوعبت شعره حتى جلس إلي يوما رجل ذو أطمار رثة فسمعني أنشد شيئا من شعره فأنشدني له ثلاث قصائد لم تكن عندي فقلت في نفسي لو كان هذا يعلم ما عندي كله ثم أنشدني بعده ما ليس عندي لكان عجيبا فكيف وهو لا يعلم وإنما أنشد ما حضره وعرفت حينئذ أن شعره ليس مما يدرك ولا يمكن جمعه كله
رأي بشار بالسيد الحميري
أخبرني عمي قال حدثني الكراني عن ابن عائشة قال وقف السيد على بشار وهو ينشد الشعر فأقبل عليه وقال
(أيها المادحُ العبادَ ليُعْطَى ... إنّ للّه ما بأيدي العبادِ)
(فاسأل الله ما طلبتَ إليهم ... وارْجُ نفعَ المُنَزِّل العوّاد)
لا تَقُلْ في الجَواد ما ليس فيه ... وتُسَمِّي البخيلَ باسم الجَواد) قال بشار من هذا فعرفه فقال لولا أن هذا الرجل قد)
شغل عنا بمدح بني هاشم لشغلنا ولو شاركنا في مذهبنا لأتعبنا وروي في هذا الخبر أن
عمران بن حطان الشاري خاطب الفرزدق بهذه المخاطبة وأجابه بهذا الجواب
أخبرني علي بن سليمان الأخفش عن سعيد بن المسيب عن أبي سعيد السكري عن الطوسي قال إذا رأيت في شعر السيد دع ذا فدعه فإنه لا يأتي بعده إلا سب السلف أو بلية من بلاياه
وروى الحسن بن علي بن المعتز الكوفي عن أبيه عن السيد قال رأيت النبي النوم وكأنه في حديقة سبخة فيها نخل طوال وإلى جانبها أرض كأنها الكافور ليس فيها شيء فقال أتدري لمن هذا النخل قلت لا يا رسول الله قال لامرىء القيس بن حجر فاقلعها واغرسها في هذه الأرض ففعلت وأتيت ابن سيرين فقصصت رؤياي عليه فقال أتقول الشعر قلت لا قال أما إنك ستقول شعرا مثل شعر امرىء القيس إلا أنك تقوله في قوم بررة أطهار قال فما انصرفت إلا وأنا أقول الشعر
قال الحسن وحدثني غانم الوراق قال خرجت إلى بادية البصرة فصرت إلى عمرو بن تميم فأثبتني بعضهم فقال هذا الشيخ والله راوية فجلسوا إلي وأنسوا بي وأنشدتهم وبدأت بشعر ذي الرمة فعرفوه وبشعر جرير
والفرزدق فعرفوهما ثم أنشدتهم للسيد
(أتعرف رسماً بالسّوَيّيْن قد دَثَرْ ... عَفَتْه أهاضِيبُ السحائبُ والمطر)
(وجرت به الأذيالَ ريحانِ خِلْفةً ... صَباً ودَبُورٌ بالعَشِيّاتِ والبُكَر)
(منازلُ قد كانت تكون بجوّها ... هضيمُ الحشاريّا الشّوَى سِحرُها النظر)
(قَطُوفُ الخُطَا خَمْصانةٌ بَخْتَرِيّةٌ ... كأنّ مُحيّاها سَنَا دارة القمر)
(رمَتْني ببُعْد بعد قرب بها النّوَى ... فبانت ولمَّا أقْضِ من عَبْدَة الوَطَرْ)

(ولما رأتني خشية البين مُوجَعاً ... أُكَفْكِف منّي أدمُعاً فَيْضُها درر)
(أشارت بأطرافٍ إليّ ودمعُها ... كنَظْم جُمَانٍ خانه السِّلْكُ فانتثر)
(وقد كنتُ ممّا أحدث البينُ حاذِراً ... فلم يُغْنِ عنّي منه خوفيَ والحذر)
قال فجعلوا يمرقون لإنشادي ويطربون وقالوا لمن هذا فأعلمتهم فقالوا هو والله أحد المطبوعين لا والله ما بقي في هذا الزمان مثله
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثنا الزبير بن بكار قال سمعت عمي يقول لو أن قصيدة السيد التي يقول فيها
(إنّ يومَ التطهير يومٌ عظيم ... خُصَّ بالفضل فيه أهلُ الكِساءِ) قرئت على منبر ما كان فيها بأس ولو أن شعره كله كان مثله لرويناه وما عبناه
وأخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا العباس بن ميمون طائع قال حدثنا نافع عن التوزي بهذه الحكاية بعينها فإنه قالها في
إنّ يومَ التّطْهير يومٌ عظيم ...) قال ولم يكن التوزي متشيعا)
قال علي بن المغيرة حدثني الحسين بن ثابت قال قدم علينا رجل بدوي وكان أروى الناس لجرير فكان ينشدني الشيء من شعره فأنشد في معناه للسيد حتى أكثرت فقال لي ويحك من هذا هو والله أشعر من صاحبنا
مع السفاح وجعفر بن محمد
أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثني الحسن بن عليل العنزي عن ابن عائشة قال لما استقام الأمر لبني العباس قام السيد إلى أبي العباس السفاح حين نزل عن المنبر فقال
((دُونَكُموها يا بني هاشِمٍ ... فَجدِّدوا من عهدِها الدَّارسا
(دُونَكُموها لا علا كعبُ مَنْ ... كان عليكم مُلكُها نافسا)
(دونَكُموها فالْبَسوا تاجَها ... لا تَعْدَموا منكمُ له لابسا)
(لو خُيِّر المنبرُ فُرسانَه ... ما اختار إلاّ منكُم فارسا)
(قد ساسها قبلَكُم ساسةٌ ... لم يتركوا رَطباً ولا يابسا)
ولستُ من أن تَمْلكوها إلى ... مَهْبِط عيسى فيكُم آيسا) فسر أبو العباس بذلك وقال له أحسنت يا إسماعيل سلني حاجتك قال تولي سليمان بن حبيب الأهواز ففعل وذكر التميمي وهو علي بن إسماعيل عن أبيه قال كنت عند أبي عبد الله جعفر بن محمد إذ استأذن آذنه للسيد فأمره بإيصاله وأقعد حرمه خلف ستر ودخل فسلم وجلس فاستنشده فأنشده قوله
(أمْرُرْ على جَدَث الحسين ... فَقُل لأعْظُمِه الزكيّه)
(آأعْظُماً لا زلْتِ من ... وَطْفَاءَ ساكبةٍ رَوِيّهْ)
(وإذا مررتَ بقبره ... فأطِلْ به وَقْفَ المطيّه)
(وابْكِ المُطَهَّرَ للمطهَّر ... والمطهَّرة النّقيّهْ)
(كبُكاء مُعْوِلةٍ أتت ... يوماً لواحدها المنيّه)
قال فرأيت دموع جعفر بن محمد تتحدر على خديه وارتفع الصراخ والبكاء من داره حتى أمره بالإمساك فأمسك قال فحدثت أبي بذلك لما انصرفت فقال لي ويلي على الكيساني الفاعل ابن الفاعل يقول
(فإذا مررتَ بقبره ... فأطِل به وقْفَ المطيّه)
فقلت يا أبت وماذا يصنع قال أو لا ينحر أو لا يقتل نفسه فثكلته أمه
حدثني أبو جعفر الأعرج وهو ابن بنت الفضيل بن بشار عن إسماعيل بن الساحر راوية السيد وهو الذي يقول فيه السيد في بعض قصائده
(وإسماعيلُ يَبْرُز من فلانٍ ... ويزعُم أنّه للنّار صالِي)
قال تلاحى رجلان من بني عبد الله بن دارم في المفاضلة بعد رسول الله فرضيا بحكم أول من يطلع فطلع السيد فقاما إليه وهما لا يعرفانه فقال له مفضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه منهما إني وهذا اختلفنا في خير الناس بعد رسول الله علي بن أبي طالب فقطع السيد كلامه ثم قال وأي شيء قال هذا الآخر ابن الزانية فضحك من حضر ووجم الرجل ولم يحر جوابا
وقال التميمي وحدثني أبي قال قال لي فضيل الرسان أُنشد جعفر بن محمد قصيدة السيد
لأمِّ عمرو باللِّوَى مَرْبَعُ ... دارسةٌ أعلامُه بَلْقَعُ) فسمعت النحيب من داره فسألني لمن هي فأخبرته أنها للسيد)
وسألني عنه فعرفته وفاته فقال رحمه الله قلت إني رأيته يشرب النبيذ في
الرستاق قال أتعني الخمر قلت نعم قال وما خطر ذنب عند الله أن يغفره لمحب علي
كان يقول بالرجعة
وأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن موسى قال جاء رجل إلى السيد فقال بلغني أنك تقول بالرجعة فقال صدق الذي أخبرك وهذا ديني قال أفتعطيني دينارا بمائة دينار إلى الرجعة قال السيد نعم وأكثر من ذلك إن وثقت لي بأنك ترجع إنسانا قال وأي شيء أرجع قال أخشى أن ترجع كلبا أو خنزيراً فيذهب مالي فأفحمه
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال قال جعفر ابن عفان الطائي الشاعر أهدى إليّ سليمان بن علي مهرا أعجبني وعزمت تربيته فلما مضت علي أشهر عزمت على الحج ففكرت في صديق لي أودعه المهر ليقوم عليه فأجمع رأيي على رجل من أهلي يقال له عمر بن حفص فصرت إليه فسألته أن يأمر سائسه بالقيام عليه وخبرته بمكانه من قلبي ودعا بسائسه فتقدم إليه في ذلك ووهبت للسائس دراهم وأوصيته به ومضيت إلى الحج ثم انصرفت وقلبي متعلق فبدأت بمنزل عمر بن حفص قبل منزلي لأعرف حال المهر فإذا هو قد ركب حتى دبر ظهره وعجف من قلة القيام عليه فقلت له يا أبا حفص أهكذا أوصيتك في هذا المهر فقال وما ذنبي لم ينجع فيه العلف فانصرفت به وقلت
(مَنْ عاذري من أبي حفص وثِقْتُ به ... وكان عندي له في نفسه خطرُ)
((فلم يكن عند ظنّي في أمانته ... والظنّ يُخْلَف والإنسانُ يُخْتَبَر
(أضاع مهري ولم يُحسن ولايتَه ... حتى تبيّن فيه الجَهْدُ والضّرر)

(عاتبتُه فيه في رِفقٍ فقلتُ له ... يا صاحِ هل لك من عذر فتعتذِر)
(فقال داءٌ به قِدْماً أضرّ به ... ودِاؤه الجوعُ والإتعابِ والسفر)
(قد كان لي في اسمه عنه وكُنْيتِه ... لو كنتُ معْتَبِراً ناهٍ ومُعْتَبَر)
(فكيف ينصحني أو كيف يحفظني ... يوماً إذا غِبتُ عنه واسمه عمر)
(لو كان لي وَلَدٌ شتّى لِهم عددٌ ... فيهم سميُّوه إن قلّوا وإن كثُروا)
(لم ينصحوا لي ولم يُبْقُوا عليّ ولو ... ساوى عديدَهمُ الحصْباءُ والشجرُ)
نصيحته للمهدي
قال وحدثني أبو سليمان الناجي قال جلس المهدي يوما يعطي قريشا صلات لهم وهو ولي عهد فبدأ ببني هاشم ثم بسائر قريش فجاء السيد فرفع إلى الربيع رقعة مختومة وقال إن فيها نصيحة للأمير فأوصلها إليه فأوصلها فإذا فيها
(قُل لابن عبّاسٍ سَميِّ محمدٍ ... لا تُعطِيَنّ بني عَدِيّ درهَما)
(اِحرِمْ بني تَيْم بن مُرّة إنهم ... شرُّ البريّة آخراً ومُقَدَّما)
(إن تُعطِهِمْ لا يشكروا لك نعمةً ... ويكافئوك بأن تُذَمّ وتُشتْما)
(وإنِ ائتمنتهمُ أو استعملتَهم ... خانوك واتّخذوا خَراجك مَغْنما)
(ولئن منعتَهمُ لقد بدأوكمُ ... بالمَنْع إذ ملكوا وكانوا أظلما)
(منعوا تُراثَ محمدٍ أعمامَه ... وابنَيْهِ وابنتَه عَدِيلةَ مَرْيما)
(وتأمّروا من غير أن يُستَخْلَفوا ... وكفى بما فعلوا هنالك مَأْثَما)
(لم يشكروا لمحمد إنعامَه ... أفيشكرون لغيرهِ إن أنْعما)
(واللهُ منّ عليهمُ بمحمد ... وهداهمُ وكَسا الجُنوبَ وأطعما)
(ثم انبَروا لوصيّه ووليّه ... بالمُنْكَرات فجرّعوه العَلْقَما)
وهي قصيدة طويلة حذف باقيها لقبح ما فيه قال فرمى بها إلى أبي عبيد الله ثم قال اقطع العطاء فقطعه وانصرف الناس ودخل السيد إليه فلما رآه ضحك وقال قد قبلنا نصيحتك يا اسماعيل ولم يعطهم شيئا
أخبرني به عمي عن محمد بن داود بن الجراح عن إسحاق النخعي عن أبي سلمان الرياحي مثله
السيد الحميري وشيطان الطاق
أخبرني الحسن بن محمد بن الجمهور القمي قال حدثني أبي قال حدثني أبو داود المسترق راوية السيد أنه حضر يوما وقد ناظره محمد بن علي بن النعمان المعروف بشيطان الطاق في الإمامة فغلبه محمد في دفع ابن الحنفية عن الإمامة فقال السيد
((ألاَ يأيّها الجَدِلُ المعنّي ... لنا ما نحن وَيْحَك والعَناءُ
(أتُبْصِر ما تقول وأنت كهلٌ ... تُراك عليك من ورعٍ رداء)
(ألا إن الأئمةَ من قريشٍ ... ولاةُ الحقّ أربعةٌ سَواء)
(عليٌّ والثلاثةُ من بنيه ... همُ أسْباطه والأوصياء)
(فأنّى في وصيّته إليهم ... يكون الشك منّا والمِراء)
(بهم أوصاهمُ ودعا إليه ... جميعَ الخلق لو سُمِع الدّعاء)
(فسِبْطٌ سِبْطُ إيمانٍ وحِلْمٍ ... وسِبطٌ غيّبته كَرْبَلاء)
(سقى جَدَثاً تضمّنه مُلِثٌّ ... هَتوفُ الرعدِ مُرتَجِزٌ رواء)
(تَظَلُّ مُظِلّةً منها عَزَالٍ ... عليه وتَغْتدي أخرى مِلاء)
(وسِبْط لا يذوق الموتَ حتى ... يقودَ الخيلَ يَقْدُمها اللواء)
(من البيت المحجَّبِ في سَراةٍ ... شَراةٍ لَفّ بينهمُ الإخاء)
(عصائبُ ليس دونَ أغرَّ أجلي ... بمكة قائمٍ لهمُ انتهاءُ)
وهذه الأبيات بعينها تروى لكثير ذكر ذلك ابن أبي سعد فقال وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا علي بن محمد النوفلي قال حدثني إبراهيم بن هاشم العبدي البصري قال رأيت النبي في المنام وبين يديه السيد الشاعر وهو ينشد أجَدٌّ بآل فاطمةَ البُكورُ ... فدمعُ العين مُنْهَمِرٌ غزيرُ) حتى أنشده إياها على آخرها وهو يسمع قال فحدثت هذا الحديث) رجلا جمعتني وإياه طوس عند قبر علي بن موسى الرضا فقال لي والله لقد كنت على خلاف فرأيت النبي في المنام وبين يديه رجل ينشد
أجَدٌّ بآل فاطمةَ البُكورُ ...) إلى آخرها فاستيقظتُ من نومي وقد رسخ في قلبي من حب علي بن أبي طالب رضي الله) عنه ما كنت أعتقده
أخبرني وكيع قال حدثني إسحاق بن محمد قال حدثنا أبو سليمان الناجي ومحمد بن حليم الأعرج قالا كان السيد إذا استنشد شيئا من شعره لم يبدأ بشيء إلا بقوله
(أجَدٌّ بآل فاطمةَ البُكورُ ... فدمعُ العين مُنْهَمِرٌ غزيرُ)
قال إسحاق وسمعت العتبي يقول ليس في عصرنا هذا أحسن مذهبا في شعره ولا أنقى ألفاظا من السيد ثم قال لبعض من حضر أنشدنا قصيدته اللامية التي أنشدتناها اليوم فأنشده قوله
(هل عند من أحببتَ تَنْويلُ ... أم لا فإن اللَّومَ تَضْليلُ)
(أم في الحشى منك جوىً باطِن ... ليس تُداويه الأباطيلُ)
(عُلِّقتَ يا مغرورُ خَدّاعةً ... بالوعد منها لك تَخْييلُ)
(رَيَّا رَدَاح النوم خَمْصانة ... كأنها أدْماءُ عُطْبول)
(يَشفيك منها حين تخلو بها ... ضمٌّ إلى النحر وتَقْبيل)
(وذَوْقُ ريقٍ طيّبٍ طعمُه ... كأنه بالمسك مَعْلولُ)
في نِسوةٍ مثلِ المَها خُرَّدٍ ... تَضِيق عنهنّ الخلاخيلُ) يقول فيها
(أُقسم بالله وآلائِه ... والمرءُ عمّا قال مسؤول)
(إنّ عليّ بن أبي طالب ... على التُّقَى والبِرِّ مَجْبول)

فقال العتبي أحسن والله ما شاء هذا والله الشعر الذي يهجم على القلب بلا حجاب
في البيتين الأولين من هذه القصيدة لمخارق رمل بالبنصر عن الهشامي وذكر حبش أنه للغريض وفيه لحن لسليمان من كتب بذل غير مجنس
أخبرني عمي قال حدثني محمد بن داود بن الجراح قال حدثني إسحاق
ابن محمد النخعي عن عبد الحميد بن عقبة عن إسحاق بن ثابت العطار قال كنا كثيرا ما نقول للسيد مالك لا تستعمل في شعرك من الغريب ما تسأل عنه كما يفعل الشعراء قال لأن أقول شعرا قريبا من القلوب يلذه من سمعه خير من أن أقول شيئا متعقدا تضل فيه الأوهام
يسب محارب بن دثار ويترحم على أبي الأسود
أخبرني أحمد بن عمار قال أخبرنا يعقوب بن نعيم قال حدثني إبراهيم ابن عبد الله الطلحي راوية الشعراء بالكوفة قال حدثنا أبو مسعود عمرو بن عيسى الرباح ومحمد بن سلمة يزيد بعضهم على بعض أن السيد لما قدم الكوفة أتاه محمد بن سهل راوية الكميت فأقبل عليه السيد فقال من الذي يقول
(يَعِيب عليّ أقوامٌ سَفَاهاً ... بأن أُرْجِي أبا حسن عليّا)
(وإرجائي أبا حسن صوابٌ ... عن العُمَرين بَرًّا أو شقيّا)
(فإن قدّمت قوماً قال قومٌ ... أسأتَ وكنتَ كذّاباً ردياً)
(إذا أيقنتُ أنّ الله ربّي ... وأرْسل أحمداً حقًّا نَبيّا)
(وأنّ الرُّسْلَ قد بُعِثوا بحقّ ... وأنّ الله كان لهم وليّا)
فليس عليّ في الإرجاء بأسٌ ... ولا لَبْسٌ ولست أخاف شيّا) فقال محمد بن سهل هذا يقوله محارب بن دثار الذهلي) فقال
السيد لا كان الله وليا للعاض بظر أمه من ينشدنا قصيدة أبي الأسود
أحِبّ محمداً حباً شديداً ... وعبّاساً وحمزةَ والوصيّا) فأنشده القصيدة بعض من كان حاضرا فطفق يسب محارب بن دثار)
ويترحم على أبي الأسود فبلغ الخبر منصورا النمري فقال ما كان على أبي هاشم لو هجاه بقصيدة يعارض بها أبياته ثم قال
(يَوَدُّ محاربٌ لو قد رآها ... وأبصرهم حَوَالَيْها جُثِيّا)
(وأنّ لسانَه من نابِ أفعى ... وما أرْجا أبا حسن عليًّا)
(وأنَّ عَجُوزَه مَصَعَتْ بكلبٍ ... وكان دماءُ ساقَيْها جَرِيّا)
(متى تُرْجِىء أبا حسن عليًّا ... فقد أرجَيْتَ يا لُكَعُ نبيًّا)
أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا أحمد بن القاسم البزي قال حدثني إسحاق بن محمد النخعي قال حدثني إبراهيم بن الحسن الباهلي قال دخلت على جعفر بن سليمان الضبعي ومعي أحاديث لأسأله عنها وعنده قوم لم أعرفهم وكان كثيرا ما ينشد شعر السيد فمن أنكره عليه لم يحدثه فسمعته ينشدهم
ما تعدِلُ الدُّنيا جميعاً كلُّها ... من حوض أحمدَ شَرْبةً من ماءِ) ثم جاءه خبر فقام فقلت للذين كانوا عنده من يقول هذا) الشعر قالوا السيد الحميري
حدثني عمي والكراني قالا حدثنا عبد الله بن أبي سعد عن عبد الله بن الحسين عن أبي عمرو الشيباني عن الحارث بن صفوان وأخبرني به الحسين ابن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه أن السيد كان بالأهواز فمرت به امرأة من آل الزبير تزف إلى إسماعيل ابن عبد الله بن العباس وسمع الجلبة فسأل عنها فأُخبر بها فقال
(أتتنا تُزَفُّ على بغلة ... وفوق رحالتها قُبّهْ)
(زُبَيْرِيّةٌ من بنات الذي ... أحلّ الحرام من الكعبهْ)
(تُزَفّ إلى ملك ماجد ... فلا اجتمعا وبها الوَجْبهْ)
روى هذا الخبر إسماعيل بن الساحر فقال فيه فدخلت في طريقها إلى خربة للخلاء فنهشتها أفعى فماتت فكان السيد يقول لحقتها دعوتي
حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن إسرائيل عن أبي طالب الجعفري وهو محمد بن عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن إسماعيل بن جعفر قال أخبرني أبي قال خرج أهل البصرة يستسقون وخرج فيهم السيد وعليه ثياب خز وجبة ومطرف وعمامة فجعل يجر مطرفه ويقول
(اِهْبِطْ إلى الأرض فخُذْ جَلْمداً ... ثم ارْمِهِم يا مُزْنُ بالجَلْمَدِ)
(لا تَسْقِهِم من سَيلٍ قطرةً ... فإنهم حَرْبُ بني أحمد)
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا محمد بن إسحاق البغوي
قال حدثنا الحرمازي قال حدثني رجل قال كنت أختلف إلى ابني قيس وكانا يرويان عن الحسن فلقيني السيد يوما وأنا منصرف من عندهما فقال أرني ألواحك أكتب فيها شيئا وإلا أخذتها فمحوت ما فيها فأعطيته ألواحي فكتب فيها
(لَشَرْبَةٌ من سَوِيقٍ عند مَسْغَبةٍ ... وأكْلَةٌ من ثَرِيدٍ لحمُه واري)
(أشَدُّ ممّا روى حُبًّا إليّ بنو ... قيس وممّا روى صَلْتُ بن دينار)
(ممّا رواه فلانٌ عن فلانِهمُ ... ذاك الذي كان يدعوهم إلى النار)
أخبرني أحمد بن علي الخفاف قال حدثني أبو إسماعيل إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن حسن بن طباطبا قال سمعت زيد بن موسى بن جعفر يقول رأيت رسول الله في النوم وقدامه رجل جالس عليه ثياب بيض فنظرت إليه فلم أعرفه إذ التفت إليه رسول الله يا سيد أنشدني قولك
لأمّ عمرو في اللّوى مَرْبَعُ ...) فأنشده إياها كلها ما غادر منها بيتا واحدا فحفظتها عنه كلها في النوم)
قال أبو إسماعيل وكان زيد بن موسى لحانة رديء الإنشاد فكان إذا أنشد هذه القصيدة لم يتتعتع فيها ولم يلحن
وقال محمد بن داود بن الجراح في روايته عن إسحاق النخعي حدثني
عبد الرحمن بن محمد الكوفي عن علي بن إسماعيل الهيثمي عن فضيل الرسان قال دخلت على جعفر بن محمد أعزيه عن عمه زيد ثم قلت له ألا أنشدك شعر السيد فقال أنشد فأنشدته قصيدة يقول فيها
(فالناس يوم البعْث راياتُهُم ... خمسٌ فمنها هالكٌ أربَعُ)

(قائدُها العجل وفِرْعَونهم ... وسامِريّ الأُمّةِ المُفْظع)
(ومارقٌ من دينهِ مُخْرَج ... أسودُ عبدٌ لُكَعٌ أوْكع)
وراية قائدها وجهُه ... كأنه الشمس إذا تطلُع) فسمعت مجيبا من وراء الستور فقال من قائل هذا الشعر فقلت السيد)
فقال رحمه الله فقلت جعلت فداك إني رأيته يشرب الخمر فقال رحمه الله فما ذنب على الله أن يغفره لآل علي إن محب علي لا تزل له قدم إلا تثبت له أخرى
حدثني الأخفش عن أبي العيناء عن علي بن الحسن بن علي بن الحسين عن أبيه عن جعفر بن محمد أنه ذكر السيد فترحم عليه وقال إن زلت له قدم فقد ثبتت الأخرى
نسخت من كتاب الشاهيني حدثني محمد بن سهل الحميري عن أبيه قال انحدر السيد الحميري في سفينة إلى الأهواز فماراه رجل في تفضيل علي وباهله على ذلك فلما كان الليل قام الرجل ليبول على حرف
السفينة فدفعه السيد فغرقه فصاح الملاحون غرق والله الرجل فقال السيد دعوه فإنه باهلي
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد المبرد قال حدثني التوزي قال جلس السيد يوما إلى قوم فجعل ينشدهم وهم يلغطون فقال
(قد ضيّع اللهُ ما جمّعتُ من أدب ... بين الحَمير وبين الشَّاءِ والبقرِ)
(لا يَسمعون إلى قولٍ أجيءُ به ... وكيف تَستمِعُ الأنعامُ للبَشرِ)
(أقول ما سكتوا إنْسٌ فإن نطقوا ... قلتُ الضفادعُ بين الماء والشجر)
أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا أحمد بن القاسم البزي قال حدثنا إسحاق بن محمد النخعي عن محمد بن الربيع عن سويد بن حمدان ابن الحصين قال كان السيد يختلف إلينا ويغشانا فقام من عندنا ذات يوم فخلفه رجل وقال لكم شرف وقدر عند السلطان فلا تجالسوا هذا فإنه مشهور بشرب الخمر وشتم السلف فبلغ ذلك السيد فكتب إليه
(وصَفْتُ لكِ الحوضَ يابنَ الحُصَيْنِ ... على صفةِ الحارث الأعور)
(فإن تُسْقَ منه غداً شَرْبَةً ... تَفُزْ من نصيبك بالأوفر)
(فما ليَ ذنبٌ سوى أنّني ... ذكرتُ الذي فرّ عن خيبرِ)
((ذكرتُ امْرأً فرّ عن مرْحَبٍ ... فِرارَ الحِمارِ من القَسْوَرِ
(فأنكر ذاك جليسٌ لكم ... زنيمٌ أخو خُلُقٍ أعورِ)
(لَحَاني بحبِّ إمامِ الهدى ... وفاروقِ أُمَّتنا الأكبر)
سأحلِق لحيتَه إنها ... شهودٌ على الزّورِ والمُنْكرِ) قال فهجر والله مشايخنا جميعا ذلك الرجل ولزموا محبة السيد)
ومجالسته
هجاؤه سوار القاضي
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدثنا مهدي بن سابق
أن السيد تقدم إلى سوار القاضي ليشهد عنده وقد كان دافع المشهود له بذلك وقال أعفني من الشهادة عند سوار وبذل له مالا فلم يعفه فلما تقدم إلى سوار فشهد قال ألست المعروف بالسيد قال بلى قال استغفر الله من ذنب تجرأت به على الشهادة عندي قم لا أرضى بك
فقام مغضبا من مجلسه وكتب إلى سوار رقعة فيها يقول
إن سوّار بن عبد اللّه ... من شرِّ القضاة) فلما قرأها سوار وثب عن مجلسه وقصد أبا جعفر المنصور وهو يومئذ نازل)
بالجسر فسبقه السيد إليه فأنشده
(قل للإمامِ الذي يُنْجِي بطاعته ... يوم القيامة من بُحْبُوحة النارِ)
(لا تَستعِينَنْ جزاك اللهُ صالحةً ... يا خيرَ من دَبّ في حكمٍ بسوّارِ)
(لا تَستَعِنْ بخبيثِ الرأي ذي صَلَفٍ ... جَمّ العيوب عظيم الكِبْرِ جبّار)
(تُضْحِي الخصومُ لديه من تجبّره ... لا يَرفعون إليه لحظَ أبصارِ)
تِيهاً وكِبْراً ولولا ما رفعتَ له ... من ضَبْعِه كان عينَ الجائعِ العاري) ودخل سوار فلما رآه المنصور تبسم وقال أما بلغك)
خبر إياس بن معاوية حيث قبل شهادة الفرزدق واستزاد في الشهود فما أحوجك للتعريض للسيد ولسانه ثم أمر السيد بمصالحته
وقال إسحاق بن محمد النخعي حدثني عبد الله بن محمد الجعفري قال حدثني محمد بن عبد الله الحميري قال دخل السيد على المهدي لما بايع لابنيه موسى وهارون فأنشأ يقول
(ما بالُ مَجْرى دمْعِكَ الساجِمِ ... أمِنْ قَذًى بات بها لازمِ)
((أمْ من هوىً أنت له ساهر ... صبابةً من قلبك الهائِمِ
(آليتُ لا أمدح ذا نائلٍ ... من مَعْشرٍ غيرَ بني هاشمِ)
(أوْلَتْهُمُ عندي يدُ المصطفى ... ذي الفضل والمَنّ أبي القاسمِ)
(فإنها بيضاءُ محمودةٌ ... جزاؤها الشّكْرُ على العالَم)
(جزاؤها حفظُ أبي جعفر ... خليفةِ الرحمن والقائِم)
(وطاعةُ المهديّ ثم ابنِه ... موسى على ذي الإرْبَةِ الحازمِ)
(وللرشيد الرّابع المُرْتَضَى ... مُفْتَرَضٌ من حقّه اللاّزِمِ)
(ملكُهمُ خمسونَ معدودةً ... برغْمِ أنف الحاسد الرّاغمِ)
(ليس علينا ما بَقُوا غيرَهم ... في هذه الأمّة من حاكمِ)
(حتى يُردّوها إلى هابط ... عليه عيسى منهمُ ناجمِ)
حبه لعلي بن أبي طالب
وقال علي بن المغيرة حدثني علي بن عبد الله السدوسي عن المدائني قال كان السيد يأتي الأعمش فيكتب عنه فضائل علي رضي الله عنه ويخرج من عنده ويقول في تلك المعاني شعرا فخرج ذات يوم من عند بعض أمراء الكوفة وقد حمله على فرس وخلع عليه فوقف بالكناسة ثم
قال يا معشر الكوفيين من جاءني منكم بفضيلة لعلي بن أبي طالب لم أقل فيها شعرا أعطيته فرسي هذا وما علي

فجعلوا يحدثونه وينشدهم حتى أتاه رجل منهم وقال إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالي عنه عزم على الركوب فلبس ثيابه وأراد لبس الخف فلبس أحد خفيه ثم أهوى إلى الآخر ليأخذه فانقض عقاب من السماء فحلق به ثم ألقاه فسقط منه أسود وانساب فدخل حجرا فلبس علي رضي الله عنه الخف قال ولم يكن قال في ذلك شيئا ففكر هنيهة ثم قال
(ألاَ يا قومِ للعَجَبِ العُجَاب ... لخُفّ أبي الحسين وللحُبَابِ)
(أتى خُفًّا له وانساب فيه ... لِيَنْهَش رِجلَه منه بِناب)
(فخرّ من السماء له عُقابٌ ... من العِقْبان أو شِبْهُ العُقابِ)
(فطار به فحلّق ثم أهْوَى ... به للأرضِ من دونِ السّحاب)
(إلى حُجْرٍ له فانساب فيه ... بعيدِ القَعْرِ لم يُرْتَجْ بباب)
(كريهُ الوجه أسودُ ذو بَصِيصٍ ... حديدُ النّاب أزْرقُ ذو لُعابِ)
ودُوفِع عن أبي حسن عليٍّ ... نَقيعُ سِمامه بعد انسياب) ثم حرك فرسه ومضى وجعل تشبيبها بعد ذلك)
(صبوتُ إلى سُلَيْمى والرَّبابِ ... وما لأخي المشيَب وللتَّصابي)
أخبرني أحمد بن محمد بن محمد بن سعيد قال حدثني عبد الله بن أحمد بن مستورد قال
وقف السيد يوما بالكوفة فقال من أتاني بفضيلة لعلي بن أبي طالب ما قلت فيها شعرا فله دينار وذكر باقي الحديث فأما العقاب الذي انقض على خف علي بن أبي طالب رضى الله عنه فحدثني بخبره أحمد بن محمد ابن محمد بن سعيد الهمداني قال حدثني جعفر بن علي بن نجيح قال حدثنا أبو عبد الرحمن المسعودي عن أبي داود الطهوي عن أبي الزعل المرادي قال قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فتطهر للصلاة ثم نزع خفه فانساب فيه أفعى فلما عاد ليلبسه انقضت عقاب فأخذته فحلقت به ثم ألقته فخرج الأفعى منه وقد روي مثل هذا لرسول الله
حدثني به أحمد بن محمد بن محمد بن سعيد قال حدثني محمد بن عبيد بن عقبة قال حدثنا محمد بن الصلت قال حدثنا حيان بن علي عن أبي سعيد عن عكرمة عن ابن عباس قال كان النبي إذا أراد حاجة تباعد حتى لا يراه أحد فنزع خفه فإذا عقاب قد تدلى فرفعه فسقط منه أسود سالخ فكان النبي يقول (اللهم إني أعوذ بك من شر ما يمشي على بطنه ومن شر ما يمشي على رجليه ومن شر ما يمشي على أربع ومن شر الجن والإنس)
قال أبو سعيد وحدثنا محمد بن إسماعيل الراشدي قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا حيان بن علي عن سعد بن طريف عن عكرمة عن ابن عباس مثله
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا حاتم بن قبيصة قال سمع السيد محدثا يحدث أن النبي كان ساجدا فركب الحسن والحسين على ظهره فقال عمر رضي الله عنه نعم المطي مطيكما فقال النبي الراكبان هما فانصرف السيد من فوره فقال في ذلك
(أتى حسناً والحسينَ النبيُّ ... وقد جلسا حَجْرةً يلعبانِ)
(ففَدّاهما ثم حَيّاهما ... وكانا لديه بذاك المكانِ)
(فرَاحَا وتحتَهما عاتِقاه ... فنعم المَطِيَّةُ والراكبانِ)
(وليدانِ أمُّهما بَرّةٌ ... حَصَانٌ مُطَهَّرةٌ للحَصَانِ)
(وشيخُهما ابن أبي طالب ... فنِعْمَ الوَليدانِ والوالِدانِ)
(خليليَّ لا تُرْجِيا واعلما ... بأن الهُدَى غيرُ ما تزعُمانِ)
(وأنّ عَمَى الشكِّ بعد اليقين ... وضَعْفَ البَصيرة بعد العِيانِ)
(ضلالٌ فلا تَلْجَجَا فيهما ... فبئستْ لعَمْرُكما الخَصْلَتانِ)
(أيُرْجَى عليٌّ إمامُ الهدى ... وعثمانُ ما أعند المُرْجِيانِ)
(ويُرْجى ابنُ حَرْبٍ وأشياعُه ... وهُوجُ الخَوارجِ بالنَّهْروانِ)
(يكون إمامهمُ في المَعَاد ... خبيثُ الهوى مومن الشَّيْصَبانِ)
مدح المنصور
وذكر إسماعيل بن الساحر قال أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني محمد عن أبيه قال حدثني أبي وعمي عن أحمد بن إبراهيم بن سليمان بن يعقوب بن سعيد بن عمرو قال حدثنا الحارث بن عبد المطلب قال
كنت جالسا في مجلس أبي جعفر المنصور وهو بالجسر وهو قاعد مع جماعة على دجلة بالبصرة وسوار بن عبد الله العنبري قاضي البصرة جالس عنده والسيد بن محمد بين يديه ينشد قوله
(إن الاله الذي لا شيءَ يُشْبهه ... أعطاكم الملكَ للدّنيا وللدِّين)
(أعطاكم اللهُ مُلكاً لا زوالَ له ... حتى يُقادَ اليكم صاحبُ الصِّينِ)
وصاحبُ الهند مأخوذاً برُمَّته ... وصاحبُ التُّرْك محبوساً على هُون) والمنصور يضحك سرورا بما ينشده فحانت منه) التفاتة فرأى وجه سوار يتربد غيظا ويسود حنقا ويدلك إحدى يديه بالأخرى ويتحرق فقال له المنصور مالك أرابك شيء قال نعم هذا الرجل يعطيك بلسانه ما ليس في قلبه والله يا أمير المؤمنين ما صدقك ما في نفسه وإن الذين يواليهم لغيركم فقال المنصور مهلا هذا شاعرنا ولينا وما عرفت منه إلا صدق محبة وإخلاص نية فقال له السيد يا أمير المؤمنين والله ما تحملت غضكم لأحد وما وجدت أبوي عليه فافتتنت بهما وما زلت مشهورا بموالاتكم في أيام عدوكم فقال له صدقت قال ولكن هذا وأهلوه أعداء الله ورسوله قديما والذين نادوا رسول الله وراء الحجرات فنزلت فيهم آية من القرآن (أكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُون) وجرى بينهما خطاب طويل فقال السيد قصيدته التي أولها
(قِفْ بنا يا صَاحِ وارْبَعْ ... بالمَغَاني المُوحِشَاتِ)
أنشدها أحمد بن عبيد الله بن عمار عن النوفلي وأخبرنا محمد بخبره مع سوار بالقصة من ها هنا إلى آخرها وقال فيها
(يا أمينَ اللهِ يا منصورُ ... يا خيرَ الوُلاةِ)
(إنّ سوّارَ بن عبد اللّه ... من شرّ القُضاة)
(نعثليٌّ جَمَليٌّ ... لكُم غيرُ مُوَاتِ)
(جَدُّه سارقُ عَنْز ... فَجْرَةً من فَجَرات)
(لرسولِ اللّه والقاذِفه ... بالمُنْكَرات)

(وابنُ من كان ينادي ... من وراءِ الحُجُراتِ)
(يا هَناةُ أخرجْ إلينا ... إننا أهلُ هَناتِ)
(مَدْحُنا المدحُ ومَنْ نَرْمِ ... يُصَبْ بالزّفَراتِ)
فاكْفِنِيهِ لا كفاه الله ... شَرَّ الطارقاتِ) فشكاه سوار إلى أبي جعفر فأمره بأن يصير إليه معتذرا ففعل فلم يعذره فقال)
(أتيتُ دعِيَّ بني العَنْبَرِ ... أروم اعتذاراً فلم أُعْذَرِ)
(فقلتُ لنفسي وعاتبتُها ... على اللؤمِ في فعلِها أقْصِري)
(أيَعْتذر الحرُّ مما أتى ... إلى رجل من بَني العَنْبَرِ)
(أبوك ابنُ سارق عَنْز النبي ... وأمُّك بنت أبي جَحْدَرِ
(ونحن على رَغْمِك الرّافِضون ... لأهل الضَّلالة والمُنْكَرِ)
قال وبلغ السيد أن سوارا قد أعد جماعة يشهدون عليه بسرقة ليقطعه فشكاه إلى أبي جعفر فدعا بسوار وقال له قد عزلتك عن الحكم للسيد أو عليه فما تعرض له بسوء حتى مات
وروى عبد الله بن أبي بكر العتكي أن أبا الخلال العتكي دخل على عقبة بن سلم والسيد عنده وقد أمر له بجائزة وكان أبو الخلال شيخ العشيرة وكبيرها فقال له أيها الأمير أتعطي هذه العطايا رجلا ما يفتر عن سب أبي بكر وعمر فقال له عقبة ما علمت ذاك ولا أعطيته إلا على العشرة والمودة القديمة وما يوجبه حقه وجواره مع ما هو عليه من موالاة قوم يلزمنا حقهم ورعايتهم فقال له أبو الخلال فمره إن كان صادقا أن يمدح أبا بكر وعمر حتى نعرف براءته مما ينسب إليه من الرفض فقال قد سمعك فإن شاء فعل فقال السيد
(إذا أنا لم أحفَظ وَصَاةَ محمدٍ ... ولا عهدَه يومَ الغدير المؤكدا)
(فإنّي كمن يَشري الضَّلالةَ بالهُدى ... تنصّر من بعد التُّقى وتَهَوّدا
(وما لي وتَيْمٍ أو عَدِيٍّ وإنما ... أُولو نعمتي في الله من آل أحمدا)
(تَتِمّ صلاتي بالصلاة عليهمُ ... وليستْ صلاتي بعد أن أتشهّدا)
(بكاملةٍ إن لم أُصَلِّ عليهمُ ... وأدْعُ لهم ربًّا كريماً ممجَّدا)
(بذلتُ لهم وُدّي ونصحي ونُصرتي ... مدى الدهر ما سُمّيتُ يا صاح سيّدا)
(وإنّ امرأً يَلْحَى على صدق وُدّهم ... أحقُّ وأَولَى فيهمُ أن يُفَنَّدا)
فإن شئتَ فاخْتَرْ عاجلَ الغَمّ ضِلَّةً ... وإلاّ فأمْسِك كي تُصانَ وتُحْمدا) ثم نهض مغضبا فقام أبو الخلال إلى عقبة فقال أعذني من شره أعاذك الله من السوء أيها الأمير قال قد فعلت على ألا تعرض له بعدها
خبر زواجه من امرأة تميمية
ومما يحكى عنه أنه اجتمع في طريقه بامرأة تميمية إباضية فأعجبها وقالت أريد أن أتزوج بك ونحن على ظهر الطريق قال يكون كنكاح أم خارجة قبل حضور ولي وشهود فاستضحكت وقالت ننظر في هذا وعلى ذلك فمن أنت فقال
(إن تَسألِيني بقومي تسألي رجلاً ... في ذِرْوة العزّ من أحياء ذي يمنِ)
(حَوْلي بها ذو كَلاعٍ في منازلها ... وذو رُعَيْنٍ وهَمْدانٌ وذو يَزَن)
(والأزْدُ أزْدُ عُمَانَ الأكْرمون إذا ... عُدَّت مآثِرُهم في سالف الزمنِ
(بانت كريمتُهم عنّي فدارهُمُ ... داري وفي الرّحْب من أوطانهم وطني)
(لي منزلان بلَحْجٍ منزلٌ وَسَطٌ ... منها ولي منزلٌ للعز في عدن)
(ثمّ الوَلاء الذي أرجو النجاة به ... من كَبَّة النار للهادي أبي حسن)
فقالت قد عرفناك ولا شيء أعجب من هذا يمان وتميمية ورافضي وإباضية فكيف يجتمعان فقال بحسن رأيك في تسخو نفسك ولا يذكر أحدنا سلفا ولا مذهبا قالت أفليس التزويج إذا علم انكشف معه المستور وظهرت خفيات الأمور قال فأنا أعرض عليك أخرى قالت ما هي قال المتعة التي لا يعلم بها أحد قالت تلك أخت الزنا قال أعيذك بالله أن تكفري بالقرآن بعد الإيمان قالت فكيف قال قال الله تعال (فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ) فقالت أستخير الله وأقلدك إن كنت صاحب قياس ففعلت فانصرفت معه وبات معرسا بها وبلغ أهلها من الخوارج أمرها فتوعدوها بالقتل وقالوا تزوجت بكافر فجحدت ذلك ولم يعلموا بالمتعة فكانت مدة تختلف إليه على هذه السبيل من المتعة وتواصله حتى افترقا
ابن سليمان بن علي يعارضه في مذهبه
وقال الحسن بن علي بن المغيرة حدثني أبي قال كنت مع السيد على باب عقبة بن سلم ومعنا ابن لسليمان بن علي ننتظره وقد أسرج له ليركب إذ قال ابن سليمان بن علي يعرض بالسيد أشعر الناس والله الذي يقول
(محمد خيرُ من يمشي على قَدمٍ ... وصاحِباه وعثمانُ بن عفَّانَا)
فوثب السيد وقال أشعر والله منه الذي يقول
(سائِلْ قريشاً إذا ما كنتَ ذا عَمَهٍ ... مَنْ كان أثبتَها في الدِّين أوتادَا)
(من كان أعلَمها عِلماً وأحلَمها ... حلماً وأصدقَها قَولاً وميعادا)
إن يَصْدُقُوك فلن يَعْدُوا أبا حسنٍ ... إن أنتَ لم تَلْقَ للأبرار حُسّادا) ثم أقبل على الهاشمي فقال يا فتى نعم الخلف أنت لشرف سلفك أراك تهدم شرفك وتثلب سلفك وتسعى بالعداوة على أهلك وتفضل من ليس أصلك من أصله على من فضلك من فضله وسأخبر أمير المؤمنين عنك بذا حتى يضعك فوثب الفتى خجلا ولم ينتظر عقبة بن سلم وكتب إليه صاحب خبره بما جرى عند الركوبة حتى خرجت الجائزة للسيد
أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا ابن القاسم البزي عن إسحاق بن محمد النخعي عن عقبة بن مالك الديلي عن الحسن بن علي بن أبي حرب بن أبي الأسود الدؤلي قال كنا جلوساً عند أبي عمرو بن العلاء فتذاكرنا السيد فجاء فجلس وخضنا في ذكر الزرع والنخل ساعة فنهض فقلنا يا أبا هاشم مم القيام فقال
(إني لأكره أن أُطيل بمجلس ... لا ذكرَ فيه لفضلِ آلِ محمد)
(لا ذكر فيه لأحمدٍ ووصيّه ... وبَنِيه ذلك مجلسٌ نَطِفٌ ردِي)
(إن الذي ينساهمُ في مجلس ... حتّى يفارقَه لغيرُ مسدَّد)
العسس يحبس السيد الحميري

وروى أبو سليمان الناجي أن السيد قدم الأهواز وأبو بجير بن سماك
الأسدي يتولاها وكان له صديقا وكان لأبي بجير مولى يقال له يزيد بن مذعور يحفظ شعر السيد ينشده أبا بجير وكان أبو بجير يتشيع فذهب السيد إلى قوم من إخوانه بالأهواز فنزل بهم وشرب عندهم فلما أمسى انصرف فأخذه العسس فحبس فكتب من غده بهذه الأبيات وبعث بها إلى يزيد بن مذعور
فدخل على أبي بجير وقال قد جنى عليك صاحب عسسك ما لا قوام لك به قال وما ذلك قال اسمع هذه الأبيات كتبها السيد من الحبس فأنشده يقول

(قِفْ بالدِّيار وحيِّها يا مَرْبَعُ ... واسأل وكيف يُجيب من لا يَسمعُ)
(إنّ الدِّيار خَلَتْ وليس بجوِّها ... إلاّ الضَّوابحُ والحَمامُ الوُقَّع)
(ولقد تكون بها أوانسُ كالدُّمَى ... جُمْلٌ وعَزَّةُ والرَّبابُ وبَوْزَع)
(حورٌ نواعمُ لا تُرى في مثلها ... أمثالهن من الصيانة أربَع)
(فَعَرِينَ بعد تألُّفٍ وتَجمُّعٍ ... والدَّهرُ صاح مُشتِّتٌ ما تَجمع)
(فاسلَمْ فإنّك قد نزلتَ بمنزل ... عند الأمير تَضُرُّ فيه وتَنْفَع)
(تُؤتَى هواك إذا نطقتَ بحاجةٍ ... فيه وتَشْفَع عنده فيُشفَّع)
(قلْ للأمير إذا ظفِرتَ بخَلْوة ... منه ولم يك عنده من يَسمع)
(هَبْ لي الذي أحببته في أحمد ... وبَنِيه إنك حاصدٌ ما تَزْرع)
يَختصّ آلَ محمد بمحبّة ... في الصدر قد طُويَتْ عليها الأضْلُع) في هذا الغناء لسعيد)

وحكى ابن الساحر أن السيد دعي لشهادة عند سوار القاضي فقال لصاحب الدعوى أعفني من الشهادة عند سوار فلم يعفه صاحبها منها
وطالبه بإقامتها عند سوار فلما حضر عنده وشهد قال له ألم أعرفك وتعرفني وكيف مع معرفتك بي تقدم على الشهادة عندي فقال له إني تخوفت إكراهه ولقد افتديت شهادتي عندك بمال فلم يقبل مني فأقمتها فلا يقبل الله لك صرفا ولا عدلا إن قبلتها وقام من عنده ولم يقدر سوار له على شيء لما تقدم به المنصور إليه في أمره واغتاظ غيظا شديدا
وانصرف من مجلسه فلم يقض يومئذ بين اثنين ثم إن سوارا اعتل علته التي مات فيها فلم يقدر السيد على هجائه في حياته لنهي المنصور إياه عن ذلك ومات سوار فأخرج عشيا وحفر له فوقع الحفر في موضع كنيف وكان بين الأزد وبين تميم عداوة فمات عقب موته عباد بن حبيب بن المهلب فهجا السيد سوارا في قصيدة رثى بها عبادا ودفعها إلى نوائح الأزد لما بينهم وبين تميم من العداوة ولقربهم من دار سوار ينحن بها وأولها

(يا مَنْ غدا حاملاً جُثمانَ سوّار ... من داره ظاعناً منها إلى النار)
(لا قدّس اللّهُ رُوحاً كان هيكلَها ... فقد مضتْ بعظيم الخِزْي والعار)
(حتى هَوَتْ قَعْرَ بُرْهُوتٍ مُعَذَّبةً ... وجسمُه في كنيف بين أقذار)
(لقد رأيتُ من الرحمن مُعْجِبةً ... فيه وأحكامُه تجري بمقدار)
(فاذهَبْ عليك من الرحمن بَهْلَتُه ... يا شرَّ حيٍّ براه الخالقُ الباري)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني علي بن محمد البقال قال حدثنا شيبان بن محمد الحراني وكان يلقب بعوضة وصار من سادات الأزد قال
كان السيد جاري وكان أدلم وكان ينادم فتيانا من فتيان الحي فيهم فتى مثله أدلم غليظ الأنف والشفتين مزنج الخلقة وكان السيد من أنتن الناس إبطين وكانا يتمازحان فيقول له السيد أنت زنجي الأنف والشفتين ويقول الفتى للسيد أنت زنجي اللون والإبطين فقال السيد

(أعارك يومَ بِعْناه رَبَاحٌ ... مشافرَه وأنفَك ذا القبيحا)
(وكانت حِصّتي إبطَيَّ منه ... ولوناً حالكاً أمسى فَضُوحا)
(فهل لك في مُبادلَتِيك إبْطِي ... بأنفك تَحمدُ البيعَ الرَّبيحا)
(فإنّك أقبحُ الفتيان أنْفاً ... وإبْطِي أنتنُ الآباط ريحا)

بعض من هجائه ومدحه وغزله
أخبرني أحمد قال حدثني شيبان قال مات منا رجل موسر وخلف ابنا له فورث ماله وأتلفه بالإسراف وأقبل على الفساد واللهو وقد تزوج امرأة تسمى ليلى واجتمع على السيد وكان من أظرف الناس وكان الفتى لا يصبر عنه وأنفق عليه مالا كثيرا وكانت ليلى تعذله على إسرافه وتقول له كأني بك قد افتقرت فلم يغن عنك شيئا فهجاها السيد وكان مما قال فيها

(أقول يا ليتَ ليلى في يَدَيْ حَنِقٍ ... من العداوة منْ أعدى أعاديها)
(يعلو بها فوق رَعْنٍ ثم يحْدِرها ... في هُوّة فَتَدهْدَى يومَها فيها)
(أوليتَها في غِمار البحر قد عصفت ... فيه الرِّياح فهاجت من أواذِيها)
(أوليتَها قُرِنَت يوماً إلى فرسِي ... قد شُدَّ منها إلى هاديه هادِيها)
((حتى يرى لحمُها من حُضْره زِيَماً ... وقد أتى القومَ بعد الموت ناعيها
(فمَنْ بكاها فلا جفّتْ مدامعُه ... لا أسْخَن اللّهُ إلاّ عينَ باكيها)

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني إسحاق بن محمد النخعي وعبد الحميد بن عقبة قالا حدثنا الحسن بن علي بن المغيرة الكسلان عن محمد بن كناسة قال أهدى بعض ولاة الكوفة إلى السيد رداء عدنيا فكتب إليه السيد فقال

(وقد أتانا رداءٌ من هَدِيّتكم ... فلا عَدِمتُك طولَ الدهر مِنْ والِ)
هو الجمالُ جزاك اللّه صالحةً ... لو أنّه كان موصولاً بِسرْبال) فبعث إليه بخلعة تامة وفرس جواد وقال يقطع عتاب أبي) هاشم واستزادته إيانا

حدثني عمي قال حدثنا الكراني عن بعض البصريين عن سليمان بن أرقم قال كنت مع السيد فمر بقاص على باب أبي سفيان بن العلاء وهو يقول يوزن رسول الله القيامة في كفة بأمته أجمع فيرجع بهم ثم يؤتى بفلان فيوزن بهم فيرجح ثم يؤتى بفلان فيوزن بهم فيرجح فأقبل على أبي سفيان فقال لعمري إن رسول اللهليرجح على أمته في الفضل والحديث

حق وإنما رجح الآخران الناس في سيئاتهم لأن من سن سنة سيئة فعمل بها بعده كان عليه وزرها ووزر من عمل بها
قال فما أجابه أحد فمضى فلم يبق أحد من القوم إلا سبه
وقال أبو جعفر الأعرج حدثني إسماعيل بن الساحر قال خرجت من منزل نصر بن مسعود أنا وكاتب عقبة بن سلم والسيد ونحن سكارى فلما كنا بزهران لقيتنا بنت الفجاءة بن عمرو بن قطري بن الفجاءة وكانت امرأة برزة حسناء فصيحة فواقفها السيد وتخاطب عليها وأنشدها من شعره بتجميش فأعجب كل واحد منهما صاحبه فقال السيد
(... من ناكِثين وقاسطين الأَرْوعُ)
(... حول الأمين وقال هاتِ لِيَسمعوا)
(قم يابن مَذْعورٍ فأنْشِد نكَّسوا ... خُضُعَ الرِّقاب بأعينٍ لا تُرْفَع)
(لولا حِذارُ أبي بجيرٍ أظهروا ... شنآنهم وتفرَّقوا وتصدَّعوا)
(لا تجزَعوا فلقد صبرْنا فاصبروا ... سبعين عاماً والأنوفُ تُجَدَّع)
(إذ لا يزالُ يقوم كلَّ عَرُوبةٍ ... منكم بصاحبنا خطيبٌ مِصْقع)
(مُستحنِفرٌ في غيِّه مُتتابعٌ ... في الشَّتم مثّلَه بخيلٍ يسجع)
(ليَسرُّ مخلوقاً ويُسْخِط خالقاً ... إن الشقيَّ بكلِّ شرٍّ مُولَع)
فلما سمعها أبو بجير دعا صاحب عسسه فشتمه وقال جنيت علي ما لا يد لي به اذهب صاغرا إلى الحبس وقل أيكم أبو هاشم فإذا أجابك فأخرجه واحمله على دابتك وامش معه صاغرا حتى تأتيني به ففعل فأبى السيد ولم يجبه إلى الخروج إلا بعد أن يطلق له كل من أخذ معه فرجع إلى أبي بجير فأخبره فقال الحمد لله الذي لم يقل أخرجهم وأعط كل واحد منهم مالا فما كنا نقدر على خلافه افعل ما أحب برغم أنفك الآن
فمضى فخلى سبيله وسبيل كل من كان معه ممن أخذ في تلك الليلة وأُتي به إلى أبي بجير فتناوله بلسانه وقال قدمت علينا فلم تأتنا وأتيت بعض أصحابك الفساق وشربت ما حرم عليك حتى جرى ما جرى فاعتذر من ذلك إليه فأمر له أبو بجير بجائزة سنية وحمله وأقام عنده مدة
قال النوفلي وحدثني أبي أن جماعة من أهل الثغور قدموا على أبي بجير بتسبيب بهم فأطلقهم ثم جاؤوه فعاتبوه على التشيع وسألوه الرجوع فغضب من ذلك ودعا بمولاه يزيد بن مذعور فقال أنشدني ويلك لأبي هاشم فأنشده قوله
يا صاحبيّ لدِمْنَتَيْن عفاهما ... مَرُّ الرِّياح عليهما فمحاهما) حتى فرغ ثم قال هات النونية فأنشده)
يا صاحبيّ تَروَّحَا وذَراني ... ليس الخليُّ كمُسْعَر الأحزانِ) فلما فرغ قال أنشدني الدماغة الرائية فأنشده إياها فلما فرغ)
أقبل عليه الثغريون فقالوا له ما أعتبتنا فيما عاتبناك عليه فقال يا حمير هل في الجواب أكثر مما سمعتم والله لولا أني لا أعلم كيف يقع فعلي من أمير المؤمنين لضربت أعناقكم قوموا إلى غير حفظ الله فقاموا وبلغ السيد الخبر فقال
(إذا قال الأمير أبو بجيرٍ ... أخو أسدٍ لمنشده يَزيدَا)
((طَرِبتُ إلى الكرام فهاتِ فيهم ... مديحاً من مديحك أو نشيدا
(رأيتَ لمن بحضرته وجُوهاً ... من الشُكَّاك والمُرْجِين سُودا)
(كأنّ يزيد يُنْشِد بامتداح ... أبا حسنٍ نَصارى أو يهودا)
وروى أبو داود المسترق أن السيد والعبدي اجتمعا فأنشد السيد
(إني أدِين بما دان الوَصِيّ به ... يوم الخُرَيْبةِ من قتل المُحِلِّينا)
وبالذي دان يومَ النهروان به ... وشاركت كفُّه كفّي بِصفِّينا) فقال له العبدي أخطأت لو شاركت كفك كفه كنت مثله)
ولكن قل تابعت كفي كفه لتكون تابعا لا شريكا فكان السيد بعد ذلك يقول أنا أشعر الناس إلا العبدي
أبو بجير يهين السيد الحميري
وقال إسحاق النخعي عن عبد الحميد بن عقبة عن أبي جعفر الأعرج عن إسماعيل بن الساحر قال كنت مع السيد وقد اكترينا سفينة إلى الأهواز فجلس فيها معنا قومٌ شراة فجعلوا ينالون من عثمان فأخرج السيد رأسه إليهم وقال
(شَفَيْتَ من نَعْثَلٍ في نَحْتِ أثْلته ... فاعْمِد هُدِيتَ إلى نَحْتِ الغَوِيَّيْنِ)
(اِعمِد هُدِيتَ إلى نحت اللّذيْن هما ... كانَا عن الشرّ لو شاءا غَنِيَّيْن)
قال إسماعيل فلما قدمنا الأهواز قدم السيد وقد سكر فأُتي به أبا بجير ابن سماك الأسدي وكان ابن النجاشي عند ابن سماك بعد العشاء الآخرة وكان يعرفه باسمه ولم يعرفه فقال له يا شيخ السوء تخرج سكران في هذا الوقت لأُحسنن أدبك فقال له والله لا فعلت ولتكرمني ولتخلعن علي وتحملني وتجيزني قال أو تهزأ أيضا قال لا والله ثم اندفع ينشده فقال
(من كان معتذِراً من شَتْمه عمراً ... فابنُ النَّجاشيّ منه غيرُ مُعْتذِرِ)
وابنُ النجاشِي بَراءٌ غيرَ محتشمٍ ... في دينه من أبي بكر ومن عمر) ثم أنشده قوله)
(إحداهما نَمَّتْ عليه حديثَه ... وبغَتْ عليه نفسه إحداهما)
فهما اللتان سمِعتُ ربَّ محمد ... في الذكر قصَّ على العباد نَباهما) فقال أبو هاشم فقال نعم قال ارتفع فحمله وأجازه)
وقال والله لأُصدقن قولك في جميع ما حلفت عليه
قال إسماعيل رأى أبو بجير السيد متغير اللون فسأله عن حاله فقال فقدت الشراب الذي ألفته لكراهة الأمير إياه قال فاشربه فإننا نحتمله لك قال ليس عندي قال لكاتبه اكتب له بمائتي دورق ميبختج فقال له السيد ليس هذا من البلاغة قال وما هي قال البلاغة أن تأتي من الكلام بما يحتاج إليه وتدع ما يستغنى عنه قال وكيف
ذلك قال اكتب بمائتي دورق مي ولا تكتب بختج فإنك تستغني عنه فضحك ثم أمر فكتب له بذلك قال والمي النبيذ
قال إسماعيل وبلغ السيد وهو بالأهواز أن أبا بجير قد أشرف على الموت فأظهرت المرجئة الشماتة به فخرج السيد متحرقا حتى اكترى سفينة وخرج إليها وأنشأ يقول
(تَباشَرَ أهلُ تَدْمُرَ إذا أتاهم ... بأمر أميرنا لهم بَشيرُ)
(ولا لأميرنا ذنبٌ إليهم ... صغيرٌ في الحياة ولا كبير)
(سوى حبِّ النبيِّ وأقْرَبيه ... ومولاهم بحبِّهم جدير)
(وقالوا لي لكَيما يحزنوني ... ولكن قولهم إفْكٌ وزور)
(لقد أمسى أخوك أبو بجير ... بمنزلة يُزار ولا يَزور)

(وظلّت شيعةُ الهادي عليٍّ ... كأنّ الأرض تحتهمُ تَمور)
(فبِتُّ كأنَّني مما رَمَوْني ... به في قِدّ ذي حَلَقٍ أسيرُ)
(كأنّ مدامعي وجفونَ عيني ... تُوخّز بالقَتاد فهنّ عُور)
(أقول عَليَّ للرحمنِ نَذْرٌ ... صحيحٌ حيث تُحْتَبس النّذور)
بمكة إن لقيتُ أبا بُجَيْرٍ ... صحيحاً واللّواءُ له يسير) وهي قصيدة طويلة)
وروى محمد بن عاصم عن أبي داود المسترق عن السيد أنه رأى النبي النوم فاستنشده فأنشده قوله
لأمّ عمرو باللّوى مَرْبَعُ ... طامِسةٌ أعلامُه بَلْقَعُ) حتى انتهى إلى قوله)
(قالوا له لو شئتَ أَعْلَمْتنا ... إلى مَن الغايةُ والمَفْزَعُ)
فقال حسبك ثم نفض يده وقال قد والله أعلمتهم

مرضه ووفاته

وروى أبو داود وإسماعيل بن الساحر أنهما حضرا السيد عند وفاته بواسط وقد أصابه شرى وكرب فجلس ثم قال اللهم أهكذا جزائي في حب آل محمد قال فكأنها كانت نارا فطفئت عنه
وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي بإسناد له لم يحضرني وأنا أخرجه إن شاء الله تعالى قال حدثني من حضر السيد وقد احتضر فقال
(بَرئتُ إلى الإله من ابنِ أرْوَى ... ومن دِينِ الخوارج أجمعينا)
ومن فِعْلٍ بَرئتُ ومن فُعَيْل ... غداةَ دُعِي أميرَ المؤمنينا) ثم كأن نفسه كانت حصاة فسقطت)
أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة عن أبي الهذيل العلاف عن أبي جعفر المنصور قال بلغني أن السيد مات بواسط فلم يدفنوه والله لئن تحقق عندي لأحرقنها
ووجدت في بعض الكتب حدثني محمد بن يحيى اللؤلئي قال حدثني محمد بن عباد بن صهيب عن أبيه قال
كنت عند جعفر بن محمد فأتاه نعي السيد فدعا له وترحم عليه فقال رجل يا بن رسول الله تدعو له وهو يشرب الخمر ويؤمن بالرجعة فقال حدثني أبي عن جدي أن محبي آل محمد لا يموتون إلا تائبين وقد تاب ورفع مصلى كانت تحته فأخرج كتابا من السيد يعرفه فيه أنه قد تاب ويسأله الدعاء له
وذكر محمد بن إدريس العتبي أن معاذ بن يزيد الحميري حدثه أن السيد عاش إلى خلافة هارون الرشيد وفي أيامه مات وأنه مدحه بقصيدتين فأمر له ببدرتين ففرقهما فبلغ ذلك الرشيد فقال أحسب أبا هاشم تورع عن قبول جوائزنا
أخبرني ابن عمار قال حدثنا يعقوب بن نعيم قال حدثنا إبراهيم بن عبد الله الطلحي قال حدثني إسحاق بن محمد بن بشير بن عمار الصيرفي عن جده بشير بن عمار قال حضرت وفاة السيد في الرميلة ببغداد فوجه رسولا إلى صف الجزارين الكوفيين يعلمهم بحاله ووفاته فغلط الرسول فذهب إلى صف السموسين فشتموه ولعنوه فعلم أنه قد غلط فعاد إلى الكوفيين يعلمهم بحاله ووفاته فوافاه سبعون كفنا قال وحضرناه جميعا وإنه ليتحسر تحسرا شديدا وإن وجهه لأسود كالقار وما يتكلم إلى أن أفاق إفاقة وفتح عينيه فنظر إلى ناحية القبلة ثم قال يا أمير المؤمنين أتفعل هذا بوليك قالها ثلاث مرات مرة بعد أخرى
قال فتجلى والله في جبينه عرق بياض فما زال يتسع ويلبس وجهه حتى صار كله كالبدر وتوفي فأخذنا في جهازه ودفناه في الجنينة ببغداد وذلك في خلافة الرشيد

أخبار عبد الله بن علقمة وحبيشة

صوت

من المائة المختارة

(فلا زِلْنَ حَسْرَى ظُلَّعاً لِمْ حَمَلْنها ... إلى بلدٍ ناءٍ قليل الأصادق)
(ولا ذَنبَ لي إذ قلتُ إذ نحن جيرةٌ ... أثِيبي بوُدٍّ قبل إحدى البوائق)
عروضه من الطويل
قوله فلا زلن حسرى دعاء على الإبل التي ظعنت بها وأبعدتها عنه وحسرى قد حسرن أي بلغ منهن الجهد فلم يبق فيهم بقية يقال حسر ناقته فهو يحسرها وهي حسرى والذكر حسير قال الله عز وجل (يَنْقَلِبْ إلَيْكَ البَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ) وفي الحديث فإن أتعبتها حسرتها والظلع في كل شيء أن تألم رجله فلا يقدر أن يمشي عليها فيغمز في مشيه كالأعرج إذا مشى ويقال ظلع فهو ظالع والنائي البعيد والنية الناحية التي تنوي إليها والنوى البعد والتنائي التباعد والبوائق الحوادث التي تأتي بما يحذر بغتة وهي مثل المصائب والنوائب
البيت الأول من الشعر لكثير ويقال إنه لأبي جندب الهذلي والبيت
الثاني لرجل من كنانة ثم من بني جذيمة وزعم ابن دأب أنه عبد الله بن علقمة أحد بني عامر بن عبد مناة بن كنانة وقيل أيضا إنه يقال له عمرو الذي قتله خالد بن الوليد في بعض مغازيه التي وجهه رسول الله
الغناء في اللحن المختار لمتيم مولاة علي بن هشام وأم أولاده ولحنها رمل بالبنصر من رواية إسحاق وعمرو وهو من الأرمال النادرة المختارة وفيه خفيف ثقيل يقال إنه لحسين بن محرز ويقال إنه قديم من غناء أهل مكة

عبد الله بن علقمة وحبيشة

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدثنا العباس بن بكار قال حدثنا ابن دأب قال كان من حديث عبد الله بن علقمة أحد بني عامر بن عبد مناة بن كنانة أنه خرج مع أمه وهو مع ذلك غلام يفعة دون المحتلم لتزور جارة لها وكان لها بنت يقال لها حبيشة بنت حبيش أحد بني عامر بن عبد مناة بن كنانة فلما رآها عبد الله بن علقمة أعجبته ووقعت في نفسه وانصرف وترك أمه عند جارتها فلبثت عندها يومين
ثم أتاها عبد الله بن علقمة ليرجعها إلى منزلها فوجد حبيشة قد زينت لأمر كان في الحي فازداد بها عجبا وانصرف بأمه في غداة تمطر فمشى معها شيئا ثم أنشأ يقول
(وما أدري بَلَى إنّي لأدري ... أصَوْبُ القَطْر أحسنُ أم حُبَيْشُ
حُبَيْشَةُ والذي خلق الهَدَايا ... وما عن بُعْدها للصَّبِّ عيشُ) فسمعت ذلك أمه فتغافلت عنه وكرهت قوله ثم مشيا مليا
فإذا هو بظبي على ربوة من الأرض فقال
(يا أُمَّتاَ أَخْبِريني غيرَ كاذبةٍ ... وما يُريد مَسُولُ الحقِّ بالكذب)

أنلك أحسنُ أم ظبيٌ برابيةٍ ... لا بل حُبَيْشةُ في عيني وفي أَرَبي) فزجرته أُمه وقالت له ما أنت وهذا نزوجك بنت)
عمك فهي أجمل من تلك وأتت امرأة عمه فأخبرتها خبره وقالت زيني ابنتك له ففعلت وأدخلتها عليه فلما رآها أطرق
فقالت له أمه أيهما الآن أحسن فقال
(إذا غُيِّبتْ عنّي حُبيشةُ مرّةً ... من الدّهر لم أمْلِك عزاءً ولا صبرا)
كأنّ الحشى حَرُّ السَّعير يَحُشّه ... وَقود الغضَى والقلبُ مستعِرا) وجعل يراسل الجاريه وتراسله حتى علقته كما)
علقها وكثر قوله للشعر فيها فمن ذلك قال
(حُبَيشةُ هل جَدّي وجدُّك جامعٌ ... بشَمْلِكُمُ شَمْلي وأهلِكُمُ أهلي)
(وهل أنا ملتفٌّ بثوبك مَرّةً ... بصَحْراء بين الأَلْيَتَيْن إلى النخل)
(وهل أشْتفِي من ريق ثغركِ مَرّةً ... كراحٍ ومسكٍ خالطا ضَرَبَ النَّحْل)
فلما بلغ أهلها خبرهما حجبوها عنه مدة وهو يزيد غراما بها ويكثر قول الشعر فيها فأتوها فقالوا لها عديه السرحة فإذا
أتاك فقولي له نشدتك الله إن كنت أحببتني فوالله ما على الأرض شيء أبغض إلي منك ونحن قريب نستمع ما تقولين
فوعدته وجلسوا قريبا يستمعون وجلست عند السرحة وأقبل عبد الله لوعدها فلما دنا منها دمعت عينها والتفتت إلى
حيث أهلها جلوس فعرف أنهم قريب فرجع وبلغه ما قالوا لها أن تقوله فأنشأ يقول
(لو قلتِ ما قالوا لَزِدتُ جوًى بكم ... على أنه لم يَبْق سِتر ولا صبرُ)
(ولم يك حبّي عن نوالٍ بذلتِه ... فيُسْلِيَني عنه التجهُّمُ والهجرُ)
(وما أنسَ مِ الأشياء لا أنسَ دمعَها ... ونظرتَها حتى يُغَيِّبَني القبرُ)
سرية خالد بن الوليد إلى بني عامر
وبعث النبي أثر ذلك خالد بن الوليد إلى بني عامر بن عبد مناة ابن كنانة وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام فإن أجابوه وإلا)
قاتلهم فصبحهم خالد بن الوليد بالغميصاء وقد سمعوا به فخافوه فظعنوا وكانوا قتلوا أخاه الفاكه بن الوليد وعمه الفاكه بن
المغيرة في الجاهلية وكانوا من أشد حي في كنانة بأسا يسمون لعقة الدم فلما صبحهم خالد ومعه بنو
سليم وكانت بنو سليم طلبتهم بمالك بن خالد بن صخر بن الشريد وإخوته كرز وعمرو والحارث وكانوا قتلوهم في موطن
واحد فلما صبحهم خالد في ذلك اليوم ورأوا معه بني سليم زادهم ذلك نفورا فقال لهم خالد أسلموا تسلموا قالوا نحن
قوم مسلمون قال فألقوا سلاحكم وانزلوا قالوا لا والله فقال جذيمة بن الحارث أحد بني أقرم يا قوم لا تضعوا سلاحكم والله
ما بعد وضع السلاح إلا القتل قالوا لا والله لا نلقي سلاحنا ولا ننزل ما نحن منك ولا لمن معك بآمنين قال خالد فلا أمان
لكم إن لم تنزلوا فنزلت فرقة منهم فأسرهم وتفرق بقية القوم فرقتين فأصعدت فرقة وسفلت فرقة أخرى
قال ابن دأب فأخبرني من لا أتهم عن عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي قال كنت يومئذ في جند خالد فبعثنا في أثر ظعن
مصعدة يسوق بهن فتية فقال أدركوا أولئك قال فخرجنا في أثرهم حتى أدركناهم وقد مضوا ووقف لنا غلام شاب على
الطريق
فلما انتهينا إليه جعل يقاتلنا وهو يقول
(بَيِّنَّ أطرافَ الذُّيول واربَعْنْ ... مَشْيَ حَيِيّاتٍ كأن لم يَفْزَعْنْ)
إن يُمْنَع اليومَ نساءٌ تُمْنَعْنْ ...) فقاتلنا طويلا فقتلناه ومضينا حتى لحقنا الظعن فخرج إلينا غلام كأنه الأول فجعل يقاتلنا)
ويقول
(أقسم ما إن خَادِرٌ ذو لِبْدَه ... يزأر بين أيْكةٍ ووَهْدَهْ)
(يفرس شُبّانَ الرجال وحْدَه ... بأصدق الغداةَ منّي نَجْدَهْ) فقاتلنا حتى قتلناه وأدركنا الظعن فأخذناهن فإذا فيهن غلام
وضيء به صفرة في لونه كالمنهوك فربطناه بحبل وقدمناه لنقتله فقال لنا هل لكم في خير قلنا وما هو قال تدركون بي
الظعن أسفل الوادي ثم تقتلونني قلنا نفعل فخرجنا حتى نعارض الظعن أسفل الوادي فلما كان بحيث يسمعن الصوت
نادى بأعلى صوته اسلمي حبيش عند نفاد العيش فأقبلت إليه جارية بيضاء حسناء فقالت وأنت فاسلم على كثرة
الأعداء وشدة البلاء فقال سلام عليكم دهرا وإن بقيت عصرا قالت وأنت سلام عليك عشرا وشفعا تترى وثلاثا وترا فقال
(إن يَقْتلوني يا حبيشُ فلم يَدَعْ ... هواكِ لهم منّي سوى غُلّة الصدر)
وأنتِ التي أخليتِ لحميَ من دمي ... وعظمي وأسبلتِ الدموعَ على نحري) فقالت له)
(ونحن بكينا من فراقك مرّةً ... وأخرى وآسيْناك في العسر واليسر)
وأنت فلا تَبْعَدْ فنعم فتى الهوى ... جميلُ العفاف في المودّة والسّتر) فقال لها)
(أرَيْتَكِ إن طالبتُكم فوجدتُم ... بحَلْيةَ أو أدركتُكم بالخوانِق)
ألم يك حقًّا أن يُنَوَّل عاشقٌ ... تكلَّف إدلاجَ السُّرى والودائق) فقالت بلى والله فقال)
((فلا ذنبَ لي إذ قلتُ إذ نحن جيرةٌ ... أثِيبي بودٍّ قبل إحدى البوائق
(أثيبي بودّ قبل أن تَشْحط النّوى ... ويَنْأى خليطٌ بالحبيب المفارق)
قال ابن أبي حدرد فضربنا عنقه فتقحمت الجارية من خدرها حتى أتت نحوه فالتقمت فاه فنزعنا منها رأسه وإنها لتكسع
بنفسها حتى ماتت مكانها وأفلت من القوم غلام من بني أقرم يقال له السميدع حتى اقتحم على رسول الله بما صنع
خالد وشكاه
علي يدي أهل قتلى خالد
قال ابن دأب فأخبرني صالح بن كيسان أن رسول الله هل أنكر عليه أحد ما صنع فقال نعم رجل أصفر ربعة ورجل أحمر
طويل فقال عمر أنا والله يا رسول الله أعرفهما أما الأول فهو ابني وصفته وأما الثاني فهو سالم مولى أبي حذيفة
وكان خالد قد أمر كل من أسر أسيرا أن يضرب عنقه فأطلق عبد الله بن عمر وسالم مولى أبي حذيفة أسيرين كانا معهما
فبعث رسول الله رضي الله عنه بعد فراغه من حنين وبعث معه بإبل وورق وأمره أن يديهم فوداهم ثم رجع إلى رسول الله
فسأله فقال علي قدمت عليهم فقلت لهم هل لكم أن تقبلوا هذا الجمل بما أصيب منكم من القتلى والجرحى وتحللوا
رسول الله نعم فقلت لهم فهل لكم أن تقبلوا الثاني بما دخلكم من الروع والفزع قالوا نعم فقلت لهم فهل لكم أن تقبلوا
الثالث وتحللوا رسول الله مما علم ومما لم يعلم قالوا نعم قال فدفعته إليهم وجعلت أديهم حتى إني لأدي ميلغة الكلب
وفضلت فضلة فدفعتها إليهم فقال رسول الله
أفقبلوها قال نعم قال فوالذي أنا عبده لهي أحب إلي من حمر النعم

وقالت سلمى بنت عميس
(وكم غادروا يومَ الغُمَيْصاء من فتىً ... أُصيبَ فلم يَجْرَح وقد كان جارحا)
(ومن سيّدٍ كهلٍ عليه مَهابةٌ ... أُصيبَ ولمّا يَعْلُه الشيبُ واضحا)
(أحاطت بخُطَّابِ الأيامى وطلّقت ... غداتَئذٍ من كان منهنّ ناكحا)
(ولولا مقالُ القوم للقوم أسلِموا ... للاقتْ سُلَيمٌ يوم ذلك ناطحا)
قريش وبنو عامر
قال ابن دأب وأما سبب قتلهم القرشيين فإنه كان نفر من قريش بضعة عشر أقبلوا من اليمن حتى نزلوا على ماء من مياه بني عامر بن عبد مناة ابن كنانة وكان يقال لهم لعقة الدم وكانوا ذوي بأس شديد فجاءت إليهم بنو عامر فقالوا للقرشيين إياكم أن يكون معكم رجل من فهم لأنه كان له عندهم ذحل قالوا لا والله ما هو معنا وهو معهم فلما راحوا أدركهم العامريون ففتشوهم فوجدوا الفهمي معهم في رحالهم فقتلوه وقتلوهم وأخذوا أموالهم فقال راجزهم
(إنّ قريشاً غَدَرتْ وعادَهْ ... نحن قتلنا منهمُ بِغَادَهْ)
عشرين كهلاً ما لهم زِيادَهْ ...) وكان فيمن قتل يومئذ عفان بن أبي العاصي أبو عثمان بن عفان وعوف ابن عوف أبو عبد الرحمن بن عوف والفاكه بن المغيرة والفاكه بن الوليد بن المغيرة فأرادت قريش قتالهم حتى خذلتهم بنو الحارث بن عبد مناة فلم يفعلوا شيئا وكان خالد بن عبيد الله أحد بني الحارث بن عبد مناة فيمن حضر الوقعة هو وضرار فأشار إلى ذلك ضرار بن الخطاب بقوله
(دعوتُ إلى خُطَّةٍ خالداً ... من المجد ضيَّعها خالدُ)
(فواللّه أدري أضَاهيَ بها ... بَنِي العمِّ أم صدرهُ باردُ)
ولو خالدٌ عاد في مثلها ... لتابعه عُنُقٌ وارد) وقال ضرار أيضا)
(أرى ابْنَيْ لُؤَيٍّ أسرَعا أن تَسالما ... وقد سلكت أبناؤها كلَّ مَسْلَك)
(فإن أنتُم لم تَثأروا برجالكم ... فَدُوكوا الذي أنتم عليه بِمدْوَك)
(فإنّ أداةَ الحرب ما قد جمعتُم ... ومن يَتَّقِ الأقوامَ بالشرّ يُترَكِ)
سرايا النبي ص إلى قبائل كنانة
فلما كان يومُ فتح مكة بعث رسول الله بالجيوش إلى قبائل بني كنانة حوله فبعث إلى بني ضمرة نميلة بن عبد الله الليثي وإلى بني الدئل عمرو ابن أمية الضمري وبعث إلى بني مدلج عياش بن أبي ربيعة المخزومي وبعث إلى بني بغيض ومحارب بن فهر عبد الله بن نهيك أحد بني مالك بن حسل وبعث إلى بني عامر بن عبد مناة خالدا فوافاهم خالد بماء يقال له الغميصاء وقد كان خبره سقط إليهم فمضى منهم سلف قتله بقوم منهم يقال لهم بنو قيس بن عامر وبنو قعين بن عامر وهم خير القوم وأشرفهم فأصيب من أصيب فلما أقبل خالد ودخل المدينة قال له النبي خالد ما دعاك إلى هذا قال يا رسول الله آيات سمعتهن أنزلت عليك قال وما هي قال قول الله عز ذكره (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ) وجاءني ابن أصرم فقال لي إن رسول الله أن تقاتل فحينئذ بعث رسول الله
أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدثنا سعيد بن أبي نصر قال حدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق عن رجل من مزينة يقال له ابن عاصم عن أبيه قال بعثنا رسول الله سرية وأمرنا ألا نقتل أحدا إن رأينا مسجدا أو سمعنا أذانا قال وكيع وأخبرني أحمد بن أبي خيثمة قال حدثنا إبراهيم بن بشار الرمادي قال حدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن نوفل عن ابن عاصم هذا عن أبيه بهذا الحديث قال فبينا نحن نسير إذا بفتى يسوق ظعائن فعرضنا عليه الإسلام فإذا هو لا يعرفه فقال ما أنتم صانعون بي إن لم أسلم قلنا نحن قاتلوك قال فدعوني ألحق هذه الظعائن فتركناه فأتى هودجا منها وأدخل رأسه فيه وقال اسلمي حبيش قبل نفاد العيش فقالت وأنت فاسلم تسعا وترا وثمانيا تترى وعشرا أخرى
فقال لها
(فلا ذنبَ لي قد قلتُ إذ نحن جيرةٌ ... أثِيبي بوُدٍّ قبل إحدى البوائق)
أثيبي بودّ قبل أن تَشْحَط النَّوى ... وينْأى أميرٌ بالحبيب المُفارق) قال ثم جاء فضربنا عنقه فخرجت من ذلك الهودج جارية جميلة فجنأت عليه فما زالت تبكي حتى ماتت
غزوة خالد لبني جذيمة
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وعمرو بن عبد الله العتكي قالا حدثنا عمر بن شبة قال يروى أن خالد بن الوليد كان جالسا عند النبي عن غزوته بني جذيمة فقال إن أذن رسول الله فقال تحدث فقال لقيناهم بالغميصاء عند وجه الصبح فقاتلناهم حتى كاد قرن الشمس يغيب فمنحنا الله أكتافهم فتبعناهم نطلبهم فإذا بغلام له ذوائب على فرس ذنوب في أخريات القوم فبوأت له الرمح فوضعته بين كتفيه فقال لا إله فقبضت عنه الرمح فقال إلا اللات أحسنت أو أساءت فهمسته همسة أذريته وقيذا ثم أخذته أسيرا فشددته وثاقا ثم كلمته فلم يكلمني واستخبرته فلم يخبرني فلما كان ببعض الطريق رأى نسوة من بني جذيمة يسوق بهن المسلمون فقال أيا خالد قلت ما تشاء قال هل أنت واقفي على هؤلاء النسوة فأتيت على أصحابي ففعلت وفيهن جارية تدعى حبيشة فقال لها ناوليني يدك فناولته يدها في ثوبها فقال اسلمي حبيش قبل نفاد العيش فقالت حييت عشرا وتسعا وترا وثمانيا تترى فقال
(أرَيْتَكِ إن طالبتُكم فوجدتكم ... بِحَلْيَةَ أو أدركتُكم بالخوانِق)
(ألم يَكُ حقًّا أن يُنوَّل عاشقٌ ... تكلَّف إدلاج السُّرَى والودائق)
(وقد قلتُ إذ أهلي لأهلِكِ جيرةٌ ... أثِيبي بودّ قبل إحدى الصّعائق)
(أثيبِي بوُدٍّ قبل أن تَشْحَطَ النَّوى ... وينأى أميرٌ بالحبيب المفارق)
فإنّيَ لا ضيعتُ سرَّ أمانتي ... ولا راقَ عيني بعد عينك رائقُ) سوى أنّ ما نال العشيرةَ شاغلٌ ... عن الوُدّ إلا أن يكون التَّوامُقُ) فلما جاء على حاله تلك قدّمته فضربت عنقه فأقبلت الجارية ووضعت رأسه في حجرها وجعلت ترشفه وتقول
(لا تَبْعَدنْ يا عمرو حيًّا وهالكاً ... فحقّ بحسن المدحِ مثلُك من مثلي)
(لا تَبْعَدن يا عمرو حيًّا وهالكاً ... فقد عشتَ محمودَ الثّنا ماجدَ الفعل)
فمَنْ لِطِرَاد الخيل تُشجَر بالقَنَا ... وللفخر يوماً عند قَرْقَرة البُزْل) وجعلت تبكي وتردد هذه الأبيات حتى ماتت وإن رأسه

لفي حجرها فقال رسول الله رفعت لي يا خالد وإن سبعين ملكا لمطيفون بك يحضونك على قتل عمرو حتى قتلته
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال
حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الله بن المنذر عن صفية بنت الزبير بن هشام قالت كان أبو السائب المخزومي رجلا صالحا زاهدا متقللا يصوم الدهر وكان أرق خلق الله وأشدهم غزلا
فوجه ابنه يوما يأتيه بما يفطر عليه فأبطأ الغلام إلى العتمة فلما جاء قال له يا عدو نفسه ما أخرك إلى هذا الوقت قال جزت بباب بني فلان فسمعت منه غناء فوقفت حتى أخذته فقال هات يا بني فوالله لئن كنت أحسنت لأحبونك ولئن كنت أسأت لأضربنك فاندفع يغني بشعر كثير
(ولما عَلَوْا شَغْباً تبيّنتُ أنه ... تقطّع من أهل الحجاز علائِقي)
فلا زِلْن حَسْرَى ظُلَّعاً لِمْ حَمَلْنها ... إلى بلدٍ ناءٍ قليلِ الأصادِق) فلم يزل يغنيه إلى نصف الليل فقالت له زوجته يا هذا قد انتصف الليل وما أفطرنا قال لها أنت طالق إن كان فطورنا غيره فلم يزل يغنيه إلى السحر فلما كان السحر قالت له زوجته هذا السحر وما أفطرنا فقال أنت طالق إن كان سحورنا غيره فلما أصبح قال لابنه خذ جبتي هذه وأعطني خلقك ليكون الحباء فضل ما بينهما فقال له يا أبت أنت شيخ وأنا شاب وأنا أقوى على البرد منك قال يا بني ما ترك صوتك هذا للبرد علي سبيلا ما حييت
أخبرني وكيع قال أنشدنا أحمد بن يزيد الشيباني عن مصعب الزبيري لسليمان بن أبي دباكل قال
((فهلاّ نظرتَ الصبحَ يا بَغْلَ زينبٍ ... فتَقْضَى لُبَاناتُ الحبيب المفارق
(يروح إذا يُمسي حنيناً ويغتدي ... وتهجيرُه عند احتدامِ الودائِق)
(فَطِرْ جاهداً أو كن حليفاً لصخرةٍ ... مُمَنَّعةٍ في رأس أرْعَنَ شاهِق)
(فما زال هذا الدهرُ من شؤم صَرْفِهِ ... يُفرِّق بين العاشقين الأوامق)
(فَيُبْعِدنا ممّن نُريد اقترابَه ... ويُدْني إلينا من نُحبّ نُفَارِق)
(ولما عَلَوْا شَغْباً تبيّنتُ أنه ... تقطّع من أهل الحجاز علائِقي)
(فلا زِلْن حَسْرى ظُلَّعاً لِمْ حَمَلْنها ... إلى بلدٍ ناءٍ قليل الأصادق)

ذكر متيم الهشامية وبعض أخبارها

كانت متيم صفراء مولدة من مولدات البصرة وبها نشأت وتأدبت وغنت وأخذت عن إسحاق وعن أبيه من قبله وعن طبقتهما من المغنين وكانت من تخريج بذل وتعليمها
وعلى ما أخذت عنها كانت تعتمد فاشتراها علي بن هشام بعد ذلك فازدادت أخذا ممن كان يغشاه من أكابر المغنين وكانت من أحسن الناس وجها وغناء وأدبا وكانت تقول الشعر ليس مما يستجاد ولكنه يستحسن من مثلها وحظيت عند علي بن هشام حظوة شديدة وتقدمت على جواريه جمع عنده وهي أم ولده كلهم
وقال عبد الله بن المعتز فيما أخبرني عنه محمد بن إبراهيم قريش قال أخبرني الحسن بن أحمد المعروف بأبي عبد الله الهشامي قال كانت متيم للبانة بنت عبد الله بن إسماعيل المراكبي مولى عريب فاشتراها علي بن هشام منها بعشرين ألف درهم وهي إذ ذاك جويرية فولدت له صفية وتكنى أم العباس ثم ولدت محمدا ويعرف بأبي عبد الله ثم ولدت بعده ابنا يقال له هارون ويعرف بأبي جعفر سماه المأمون وكناه لما ولد بهذا
الإسم والكنية قال ولما توفي علي بن هشام عتقت وكان المأمون يبعث إليها فتجيئه فتغنيه
فلما خرج المعتصم إلى سر من رأى أرسل إليها فأشخصها وأنزلها داخل الجوسق في دار كانت تسمى الدمشقي وأقطعها غيرها وكانت تستأذن المعتصم في الدخول إلى بغداد إلى ولدها فتزورهم وترجع ثم ضمها لما خرجت قلم وقلم جارية كانت لعلي بن هشام وكانت متيم صفراء حلوة الوجه
فذكر محمد بن الحسن الكاتب أن الحسين بن يحيى بن أكثم حدثه عن الحسن بن إبراهيم بن رياح قال سألت عبد الله بن العباس الربيعي من أحسن من أدركت صنعة قال إسحاق قلت ثم من قال علويه قلت ثم من قال متيم قلت ثم من قال ثم أنا فعجبت من تقديمه متيم على نفسه فقال الحق أحق أن يتبع
أخبرني محمد بن الحسن قال حدثنا عمر بن شبة قال سئل عبد الله بن العباس الربيعي عن أحسن الناس غناء فذكر مثل هذه الحكاية وزاد فيها أن قال له ما أحسن أن أصنع كما صنعت متيم في قوله
فلا زِلْن حَسْرى ظُلَّعا لِمْ حَمَلْنَها ...) ولا كما صنع علويه في قول الصمة)
(فواحَسْرتي لم أقْضِ منكِ لُبانةً ... ولم أتمتَّع بالجِوار وبالقُرْب) قال فأين عمرو بن بانة قال عمرو لا يضع نفسه في الصنعة هذا الموضع ولكنه صنع لحنا في هذا الغناء
نسبة صوت علويه

صوت
(فواحَسْرتي لم أقْضِ منكِ لُبانةً ... ولم أتمتَّع بالجِوار وبالقُرْب)
(يقولون هذا آخرُ العهد منهم ... فقلت وهذا آخر العهد من قلبي)
(ألا يا حمامَ الشِّعْب شِعْب مراهق ... سقتك الغوادي من حمامٍ ومن شِعْب)
الشعر للصمة بن عبد الله القشيري والغناء فيه لعلويه ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى وفيه لمخارق خفيف رمل بالوسطى أوله ألا يا حمام الشعب ثم الثاني ثم الأول وذكر حبش أن فيه لإسحاق ثاني ثقيل بالبنصر
وقال ابن المعتز أخبرني الهشامي قال كانت متيم ذات يوم جالسة بين يدي المعتصم ببغداد وإبراهيم بن المهدي حاضر فغنت متيم في الثقيل الأول
لزينب طيفٌ تَعْتريني طوارقُهْ ... هُدُوًّا إذا ما النّجمُ لاحتْ لواحقُهْ) فأشار إليها إبراهيم أن تعيده فقالت متيم للمعتصم يا سيدي إبراهيم يستعيدني الصوت وكأنه يريد أن يأخذه فقال لها لا تعيديه فلما كان بعد أيام كان إبراهيم حاضرا مجلس المعتصم ومتيم غائبة فانصرف إبراهيم بعد حين إلى منزله ومتيم في منزلها بالميدان وطريقه عليها وهي في منظرة لها مشرفة على الطريق وهي تغني هذا الصوت وتطرحه على جواري علي بن هشام فتقدم إلى المنظرة وهو على دابته فتطاول حتى أخذ الصوت ثم ضرب باب المنظرة بمقرعته وقال قد أخذناه بلا حمدك
وقال ابن المعتز وحدثت أن المأمون سأل علي بن هشام أن يهبها له وكان بغنائها معجبا فدفعه بذلك ولم يكن له منها ولد فلما ألح المأمون في طلبها حرص علي على أن تعلق منه حتى حبلت ويئس المأمون منها فيقال إن ذلك كان سببا

لغضبه عليه حتى قتله
وحدثني سليمان الطبال أنه رأى متيم في بعض مجالس المعتصم يمازحها ويجبذ بردائها
وحكى علي بن محمد الهشامي قال أهدي إلى علي بن هشام برذون أشهب قرطاسي وكان في النهاية من الحسن والفراهة وكان علي به معجبا وكان إسحاق يشتهيه شهوة شديدة وعرض لعلي بطلبه مرارا فلم يرض أن يعطيه له فسار إسحاق إلى علي يوما بعقب صنعة متيم فلا زلن حسرى فاحتبسه علي وبعث إلى متيم أن تجعل صوتها هذا في صدر غنائها ففعلت فأطرب إسحاق إطرابا شديدا وجعل يستردده فترده وتستوفيه ليزيد في إطرابه إسحاق وهو يصغي إليها ويتفهمه حتى صح له ثم قال لعلي ما فعل البرذون الأشهب قال على ما عهدت من حسنه وفراهته قال فاختر الآن مني خلة من اثنتين إما أن طبت لي نفسا به وحملتني عليه وإما أن أبيت فأدعي والله هذا الصوت لي وقد أخذته أفتراك تقول إنه لمتيم وأقول إنه لي ويؤخذ قولك ويترك قولي قال لا والله ما
أظن هذا ولا أراه يا غلام قد البرذون إلى منزل أبي محمد بسرجه ولجامه لا بارك الله له فيه
قال علي بن محمد وحدثني أحمد بن حمدون أن إسحاق قال لمتيم لما سمع هذا الصوت منها أنت أنا فأنا من يريد أنها قد حلت محله وساوته
قال علي بن محمد وقال جدي أبو جعفر كانت متيم تقول
صوت
فلا زلْن حسرى ظُلّعا لم حملنها ...) الرمل كله)
وحدثني الهشامي قال مد علي بن هشام يده إلي بذل جاريته في عتاب يعاتبها ثم ندم على فعله ذلك ثم أنشأ يقول فليتَ يدي بانت غَداةَ مدَدْتُها ... إليكِ ولم تَرْجِع بكفٍّ وساعد) وغنت متيم جاريته فيه في الثقيل الأول فكان يقال لبذل جارية علي بذل الصغيرة
وحدثني الهشامي قال
موت بذل
كان سبب موت بذل هذه أنها كانت ذات يوم جالسة عند المأمون فغنته وكان حاضرا في ذلك المجلس موسوس يكنى بأبي الكركدن من أهل طبرستان يضحك منه المأمون فعبثوا به فوثب عليهم وهرب الناس من بين يديه فلم يبق أحد حتى هرب المأمون وبقيت بذل جالسة والعود في حجرها
فأخذ العود من يدها وضرب به رأسها فشجها في شابورتها اليمنى فانصرفت وحمت وكان سبب موتها
وحدثني الهشامي قال لما مات علي بن هشام ومات المأمون أخذ المعتصم جواري علي بن هشام كلهن فأدخلهن القصر فتزوج ببذل المغنية وبقيت عنده إلى أن مات فخرجت بذل الكبيرة والباقون إلا بذل الصغيرة لأنها كانت حرمته فلم يخرجوها
ويقال إنه لم يكن في المغنين أحسن صنعة من علويه وعبد الله بن العباس ومتيم وفي أولادها يقول علي بن الجهم
(بَنِي مُتيَّمَ هل تَدْرون ما الخبرُ ... وكيف يُستَرُ أمرٌ ليس يَستَتِرُ)
حاجيْتُكم مَنْ أبوكم يا بَنِي عُصَبٍ ... شتَّى ولكنّما للعاهر الحَجَرُ) قال وحدثني جدي قال كلم علي بن هشام متيم فأجابته جوابا لم يرضه فدفع يده في صدرها فغضبت ونهضت فتثاقلت عن الخروج إليه فكتب إليها
صوت
(فليتَ يدي بانتْ غداةَ مَدَدْتُها ... إليك ولم تَرْجِع بكفٍّ وساعد)
فإن يَرْجِع الرحمنُ ما كان بيننا ... فلستُ إلى يوم التَّنادي بعائد) غنته متيم خفيف رمل بالبنصر)
قال وعتبت عليه مرة فتمادى عتبها وترضاها فلم ترض فكتب إليها الإدلال يدعو إلى الإملال ورب هجر دعا إلى صبر وإنما سمي القلب قلبا لتقلبه ولقد صدق العباس بن الأحنف حيث يقول
((ما أُرانِي إلاَ سأهجرُ من ليس ... يَراني أَقْوَى على الهِجْرانِ
قد حَدَا بي إلى الجفاء وفائي ... ما أضرَّ الوفاءَ بالإنسان) قال فخرجت إليه من وقتها ورضيت)
وحدثني الهشامي قال كانت متيم تحبني حبا شديدا يتجاوز محبة الأخت لأخيها وكانت تعلم أني أحب النبق فكانت لا تزال تبعث إلي منه فإني لأذكر في ليلة من الليالي في وقت السحر إذا أنا ببابي يدق فقيل من هذا فقالوا خادم متيم يريد أن يدخل إلى أبي عبد الله فقلت يدخل فدخل ومعه إلي صينية فيها نبق فقال لي تقرئك السلام وتقول لك كنت عند أمير المؤمنين المعتصم بالله فجاؤوه بنبق من أحسن ما يكون فقلت له يا سيدي أطلب من أمير المؤمنين شيئا فقال لي تطلبين ما شئت قالت يطعمني أمير المؤمنين من هذا النبق فقال لسمانة اجعل من هذا النبق في صينية واجعلوها قدام متيم فأخذته وذللته لك وقد بعثت به إليك معي ثم دفعت إلي دراهم وقالت هب للحراس هذه الدراهم لكي يفتحوا الدروب لك حتى تصير به اليه
ثم حدثنا الهشامي قال بعث علي بن هشام إلى إسحاق فجاء فأخرج متيم جاريته إليه فغنت بين يديه
فلا زلْن حَسْرَى ظُلّعاً لِمْ حَمَلْنها ... إلى بلد ناءٍ قليل الأصادق) فاستعاده إسحاق واستحسنه ثم قال له بكم تشتري) مني هذا الصوت فقال له علي بن هشام جاريتي تصنع هذا الصوت وأشتريه منك قال قد
أخذته الساعة وأدعيه فقول من يصدق قولي أو قولك فافتداه منه ببرذون اختاره له
وحدثني الهشامي قال سمع علي بن هشام قدام المأمون من قلم جارية زبيدة صوتا عجيبا فرشا لمن أخرجه من دار زبيدة بمائة ألف دينار حتى صار إلى داره وطرح الصوت على جواريه ولو علمت بذلك زبيدة لاشتد عليها لو سألها أن توجه به ما فعلت
وحدثني يحيى بن علي بن يحيى المنجم عن أبيه قال لما صنعت متيم اللحن في قوله
فلا زلن حَسْرى ظُلّعاً لِمْ حَمَلْنها ...) أُعجب به علي بن هشام وأسمعه إسحاق فاستحسنه وقال من أين لك هذا) فقال من بعض الجواري فقال إنه لعريب ولم يزل يستعيده حتى قال إنه لمتيم فأطرق
وكان متحاملا على المغنين شديد النفاسة عليهم كثير الظلم لهم مسرفا في حط درجاتهم وما رأيته في غنائه ذكر لعلويه ولا مخارق ولا عمرو بن بانة ولا عبد الله بن عباس ولا محمد بن الحارث صوتا واحدا ترفعا عن ذكرهم منتصبا لهم وذكر في آخر الكتاب قوله
فلا زلْن حَسْرَى ظُلّعاً لِمْ حَمَلْنها ... إلى بلد ناءٍ قليل الأصادق) ووقع تحته لمتيم)

وذكر آخر كل صوت في الكتاب ونسب إلى كل مغن صوته غير مخارق وعلويه وعمرو بن بانة وعبد الله بن عباس فما ذكرهم بشيء
أخبرنا أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني ابن المكي عن أبيه قال قال لي علي بن هشام لما قدمت علي شاهك جدتي من خراسان قالت أعرض جواريك علي فعرضتهن عليها ثم جلسنا على الشراب وغنتنا متيم وأطالت جدتي الجلوس فلم أنبسط إلى جواري كما كنت أفعل فقلت هذين البيتين
صوت
(أَنَبْقَى على هذا وأنتِ قريبةٌ ... وقد مَنَعَ الزُّوّارُ بعضَ التَّكلُّمِ)
سلامٌ عليكم لا سلامَ مُودِّعٍ ... ولكن سلامٌ من حبيب متيَّم) وكتبتهما في رقعة ورميت بها إلى متيم فأخذتها ونهضت)
إلى الصلاة ثم عادت وقد صنعت فيه اللحن الذي يغنى فيه اليوم فغنت فقالت شاهك ما أرانا إلا قد ثقلنا عليكم اليوم
وأمرت الجواري فحملن محفتها وأمرت بجوائز للجواري وساوت بينهن وأمرت لمتيم بمائة ألف درهم
وأخبرني قال أول من عقد من النساء في طرف الإزار زنارا وخيط إبريسم ثم تجعله في رأسها فيثبت الإزار ولا يتحرك ولا يزول متيم
أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال مرت متيم في نسوة وهي مستخفية بقصر علي بن هشام بعد أن قتل فلما رأت بابه مغلقا لا أنيس عليه وقد علاه التراب والغبرة وطرحت في أفنيته المزابل وقفت عليه وتمثلت
صوت
(يا منزلاً لم تَبْلَ أطلالُهُ ... حاشا لأطلالِكَ أن تَبْلَى)
(لم أَبْكِ أطلالَك لكنّني ... بكيتُ عيشي فيك إذ ولّى)
(قد كان بي فيك هوىً مرّةً ... غيّبه التربُ وما مَلاّ)
(فصرتُ أبْكِي جاهداً فقدَه ... عند ادّكاري حيثما حلاّ)
فالعيشُ أولَى ما بكاه الفتى ... لا بدّ للمحزون أن يَسْلَى) فيه رمل بالوسطى لابن جامع قال ثم بكت حتى سقطت)
من قامتها وجعل النسوة يناشدنها ويقلن الله الله في نفسك فإنك تؤخذين الآن فبعد لأي ما حُملت تتهادى بين امرأتين حتى تجاوزت الموضع
نسخت من كتاب أبي سعيد السكري حدثني الحارث بن أبي أسامة قال حدثني محمد بن الحسن عن عبد الله بن العباس الربيعي قال قالت لي متيم بعث إلي المعتصم بعد قدومه بغداد فذهبت إليه فأمرني بالغناء فغنيت
هل مُسعدٌ لبكاء ... بعَبْرة أو دماء) فقال أعد لي عن هذا البيت إلى غيره فغنيته غيره من معناه فدمعت عيناه وقال)
غني غير هذا فغنيت في لحني
أولئك قومي بعد عزٍّ ومَنْعَةٍ ... تفانَوْا وإلاّ تَذْرف العينُ أكْمَدِ) فبكى وقال ويحك لا تغنيني في هذا المعنى شيئا البتة)
فغنيت في لحني
(لا تأمَن الموتَ في حِلٍّ وفي حَرَمٍ ... إنّ المنايا تَغَشّى كلَّ إنسانِ)
واسلُك طريقَك هوناً غيرَ مكترثٍ ... فسوف يأتيك ما يَمْنِي لك الماني) فقال والله لولا أني أعلم أنك إنما غنيت بما في)
قلبك لصاحبك وأنك
لم تريديني لمثلت بك ولكن خذوا بيدها فأخرجوها فأخذوا بيدي فأخرجت
نسبة ما في هذا الخبر من الغناء
صوت
(هل مُسعِدٌ لبكاءِ ... بعَبْرةٍ أو دماء)
وذا لفقد خليلٍ ... لسادةٍ نُجَباء) الشعر لمراد شاعرة علي بن هشام ترثيه لما قتله المأمون والغناء لمتيم ولحنه من)
الثقيل الأول بالوسطى منها
ذهبتُ من الدّنيا وقد ذهبتْ منّي ...) وقد أخرج في أخبار إبراهيم بن المهدي لأنه من غنائه وشعره وشرحت أخباره)
فيه ولحنه رمل بالوسطى ومنها
صوت
أولئك قومي بعد عزّ ومَنْعة ... تفانَوْا وإلاّ تَذْرفِ العينُ أكْمَدِ) وقد أخرج في أخبار أبي سعيد مولى فائد والعبلي وغنيا)
فيه من مراثيهما في بني أمية ولحن متيم هذا الذي غنت فيه المعتصم ثاني ثقيل بالوسطى ومنها
صوت
(... لا تأمَن الموتَ في حلّ وفي حرم)
ذكر الهشامي انه مما وجده من غناء متيم غير أن لها لحنا فيه يذكر في
موضع غير هذا على شرح إن شاء الله تعالى وإنما ألفت صوتا تولعت به وغنته فنسبه إليها
وأخبرني قال كنا في مجلسنا نياما فلما كان مع الفجر إذا متيم قد دخلت علينا وقالت أطعموني شيئا فأخرجوا إليها شيئا تأكله فأكلت ودعت بنبيذ وابتدأت الشرب ودعت بعود فاندفعت تغني لنفسها وتشرب وكان مما غنت
كيف الثّواءُ بأرض لا أراك بها ... يا أكثرَ الناس عندي مِنّةً ويدا) خفيف رمل وقال ما رأيت أحدا من المغنين والمغنيات إذا)
غنوا لأنفسهم يكادون يغنون إلا خفيف رمل
نوح متيم على سيدها
وأخبرني قال حدثني بعض أهلها قال لما أصبنا بعلي بن هشام جاء النوائح فطرح بعض من حضر من مغناته عليهن نوحا من نوح متيم وكان حسنا جيدا فأبطأ نوح النوائح اللاتي جئن لحسنه وجودته وكانت زين حاضرة فاستحسنه جدا وقالت رضي الله عنك يا متيم كنت علما في السرور وأنت علم في المصائب
وأخبرني قال إني لأذكر من بعض نوحها
لعليٍّ وأحمد وحسينٍ ... ثم نصر وقبلهَ للخليل) هزج)
قال ابن المعتز وأخبرني الهشامي قال وجهت مؤنسة جارية المأمون إلى متيم جارية علي بن هشام في يوم احتجمت فيه مخنقة في وسطها حبة

لها قيمة جليلة كبيرة وعن يمين الحبة ويسارها أربع يواقيت وأربع زمردات وما بينها من شذور الذهب وباقي المخنقة قد طيب بغالية
وأخبرني قال كانت متيم يعجبها البنفسج جدا وكان عندها آثر من كل ريحان وطيب حتى إنها من شدة إعجابها به لا يكاد يخلو من كمها الريحان ولا نراه إلا كما قطف من البستان
وقد أخبرني رحمه الله قال حدثنا أبو جعفر بن الدهقانة إن جارية للمعتصم قالت له لما ماتت متيم وإبراهيم بن المهدي وبذل يا سيدي أظن أن في الجنة عرسا فطلبوا هؤلاء إليه فنهاها المعتصم عن هذا القول وأنكره
فلما كان بعد أيام وقع حريق في حجرة هذه القائلة فاحترق كل ما تملكه وسمع المعتصم الجلبة فقال ما هذا فأخبر عنه فدعا بها فقال ما قصتك فبكت وقالت يا سيدي احترق كل ما أملكه فقال لا تجزعي فإن هذا لم يحترق وإنما استعاره أصحاب ذلك العرس
وقد ذكرت في متقدم أخبار متيم أنها كانت تقول الشعر ولم أذكر شيئا فمن ذلك ما أخبرنا به الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الحسن بن أحمد بن أبي طالب الدِّيناريّ قال حدثني الفضل بن العبّاس بن يعقوب قال حدّثني أبي قال قال المأمون لمتيم جارية علي بن هشام أجيزي لي هذين البيتين
(تعالَيْ تكون الكُتْبُ بيني وبينكم ... ملاحَظَةً نُومِي بِها ونُشيرُ)
(ورُسْلي بحاجاتي وهنّ كثيرةٌ ... إليك إشاراتٌ بها وزفير)
صوت
من المائة المختارة
(إنّ العيون التي في طَرْفها مرضَ ... قَتَلْنَنَا ثم لم يُحْيِين قَتْلانا)
((يَصْرَعْن ذا اللُّبِّ حتى لا حَراكَ له ... وهنّ أضعفُ خلق الله أرْكانا
عروضه - من البسيط - والشعر لجرير والغناء لابن محرز ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل وفي هذه القصيدة أبيات أخر تغنى فيها ألحان سوى هذا اللحن منها قوله
صوت
من المائة المختارة
(أتْبَعْتُهم مقلةً إنسانُها غَرِقٌ ... هل ما تَرى تاركٌ للعين إنسانا)
(إنّ العيون التي في طَرْفها مرضَ ... قَتَلْنَنَا ثم لم يُحْيِين قَتْلانا)
الغناء في هذين البيتين ثقيل أول مطلق بإطلاق الوتر في مجرى البنصر ومنها أيضا
صوت
(بان الأخِلاّ وما ودّعتُ مَنْ بانا ... وقطّعوا من حبال الوصل أركانا)
(أصبحتُ لا أبتغِي من بعدهم بَدَلاً ... بالدار داراً ولا الجِيران جيرانا)
(وصرتُ مذ ودّع الأظعانُ ذا طَرَبٍ ... مروَّعاً من حِذار البين مِحْزانا)
في الأول والثاني والثالث من الأبيات خفيف رمل بالبنصر وفيها للغريض ثاني ثقيل بالبنصر من رواية عمرو بن بانة والهشامي وذكر حبش أن فيه لمالك خفيف رمل بالوسطى وابن سرجس في الأول والثاني وبعدهما
(...أتبعتُهم مقلةً إنسانُهَا غَرِقٌ)
رمل بالوسطى
وذكر الهشامي أن لابن محرز في الأول والثاني بعدهما أتبعتهم مقلة لحنا من الثقيل الأول بالبنصر وذكر المكي أنه لمعبد . . انتهى بحمد الله
بسم الله الرحمن الرحيم
نسب جرير وأخباره
جرير بن عطية بن الخَطَفي والخَطَفي لقب واسمه حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار ويكنى أبا حزرة ولقب الخطفي لقوله
(يَرْفَعْنَ لِلّيْل إذا ما أسْدَفَا ... أعناقَ جِنّانٍ وهاماً رُجَّفا)
(... وعَنَقاً بعد الكَلال خَيْطَفَا)
ويروى خَطَفَى
وهو الفرزدق والأخطل المقدمون على شعراء الإسلام الذين لم يدركوا الجاهلية جميعا ومختلف في أيهم المتقدم ولم يبق أحد من شعراء عصرهم إلا تعرض لهم فافتضح وسقط وبقوا يتصاولون على أن الأخطل إنما دخل بين جرير والفرزدق في آخر أمرهما وقد أسن ونفد أكثر عمره وهو وإن كان له فضله وتقدمه فليس نجره من نجار هذين في شيء وله أخبار مفردة عنهما ستذكر بعد هذا مع ما يغنى من شعره
أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي قال حدثنا محمد بن سلام الجمحي وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي وعلي بن سليمان الأخفش قالا حدثنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب وأبي غسان دماذ وإبراهيم بن سعدان عن أبيه جميعا عن أبي عبيدة معمر بن المثنى بنسب جرير على ما ذكرته وسائر ما أذكره في الكتاب من أخباره فأحكيه عن أبي عبيدة أو عن محمد بن سلام قالوا جميعا
وأم جرير أم قيس بنت معيد بن عمير بن مسعود بن حارثة بن عوف بن كليب بن يربوع وأم عطية النوار بنت يزيد بن عبد العزى بن مسعود بن حارثة بن عوف بن كليب
قال أبو عبيدة ومحمد بن سلام ووافقهما الأصمعي فيما أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبة عنه اتفقت العرب على أن أشعر أهل الإسلام ثلاثة جرير والفرزدق والأخطل واختلفوا في تقديم بعضهم على بعض قال محمد بن سلام والراعي معهم في طبقتهم ولكنه آخرهم والمخالف في ذلك قليل وقد سمعت يونس يقول ما شهدت مشهدا) قط قد ذكر فيه جرير والفرزدق فاجتمع أهل المجلس على أحدهما وكان يونس فرزدقيا
الفرزدق أشعر عامة وجرير أشعر خاصة
(
قال ابن سلام وقال ابن دأب الفرزدق أشعر عامة وجرير أشعر خاصة وقال أبو عبيدة كان أبو عمرو يشبه جريرا بالأعشى

والفرزدق بزهير والأخطل بالنابغة قال أبو عبيدة يحتج من قدم جريرا بأنه كان أكثرهم فنون شعر وأسهلهم ألفاظا وأقلهم تكلفا وأرقهم نسيبا وكان دينا عفيفا وقال عامر بن عبد الملك جرير كان أشبههما وأنسبهما
ونسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشيباني قال خالد بن كلثوم ما رأيت أشعر من جرير والفرزدق قال الفرزدق بيتا مدح فيه قبيلتين وهجا قبيلتين قال
(عجبتُ لعِجْلٍ إذ تُهَاجِي عبيدَها ... كما آلُ يَرْبُوعٍ هَجَوْا آلَ دارمِ)
يعني بعبيدها بني حنيفة وقال جرير بيتا هجا فيه أربعة
(إن الفرزدق والبَعيث وأمَّه ... وأبا البَعيث لشرُّ ما إسْتار)
قال وقال جرير لقد هجوت التيم في ثلاث كلمات ما هجا فيهن شاعر شاعرا قبلي قلت
(من الأصلاب يَنْزل لؤمُ تَيْمٍ ... وفي الأرحام يُخلق والمَشيمِ)
وقال محمد بن سلام قال العلاء بن جرير العنبري وكان شيخا قد جالس الناس إذا لم يجيء الأخطل سابقا فهو سكيت والفرزدق لا يجيء سابقا ولا سكيتا وجرير يجيء سابقا ومصليا وسكيتا قال محمد بن سلام ورأيت أعرابيا من بني أسد أعجبني ظرفه وروايته فقلت له أيهما عندكم أشعر قال بيوت الشعر أربعة فخر ومديح وهجاء ونسيب وفي كلها غلب جرير قال في الفخر
(إذا غضِبتْ عليكَ بنو تَميمٍ ... حسِبتَ الناسَ كلَّهُمُ غِضابا)
والمديح
(ألَستم خيرَ من ركب المطايا ... وأنْدَى العالَمين بطونَ راحِ)
والهجاء
(فغُضَّ الطَّرْفَ إنك من نُمَيرٍ ... فلا كَعْباً بلغتَ ولا كِلابا)
والنسيب
(إنّ العيون التي في طَرْفها حَوَرٌ ... قتلْننا ثم لم يُحْيِين قَتْلانا)
قال أبو عبد الله محمد بن سلام وبيت النسيب عندي
(فلما التقى الحيَّانِ أُلْقيتِ العصا ... ومات الهوى لما أُصيبتْ مَقَاتِلُهْ)
قال كيسان أما والله لقد أوجعكم يعني في الهجاء فقال يا أحمق أوذاك يمنعه أن يكون شاعرا
عبيدة بن هلال يفضل جريرا على الفرزدق
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني عمر بن شبة قال قال أبو عبيدة وأخبرنا أبو خليفة قال حدثني محمد بن سلام الجمحي قال حدثني أبان بن عثمان البلخي قال
تنازع في جرير والفرزدق رجلان في عسكر المهلب فارتفعا إليه وسألاه فقال لا أقول بينهما شيئا ولكني أدلكما على من يهون عليه سخطهما
عبيدة بن هلال اليشكري وكان بإزائه مع قطري وبينهما نهر وقال عمر بن شبة في هؤلاء الخوارج من تهون عليه سبال كل واحد منهما فأما أنا فما كنت لأعرض نفسي لهما فخرج أحد الرجلين وقد تراضيا بحكم الخوارج فبدر من الصف ثم دعا بعبيدة بن هلال للمبارزة فخرج إليه فقال إني أسألك عن شيء تحاكمنا إليك فيه فقال وما هو عليكما لعنة الله قال فأي الرجلين عندك أشعر أجرير أم الفرزدق فقال لعنكما الله ولعن جريرا والفرزدق أمثلي يسأل عن هذين الكلبين قالا لابد من حكمك قال فإني سائلكم قبل ذلك عن ثلاث قالوا سل قال ما تقولون في إمامكم إذا فجر قالوا نطيعه وإن عصى الله عز وجل قال قبحكم الله فما تقولون في كتاب الله وأحكامه قالوا ننبذه وراء ظهورنا ونعطل أحكامه قال لعنكم الله إذا فما تقولون في اليتيم قالوا نأكل ماله وننيك أمه قال أخزاكم الله إذا والله لقد زدتموني فيكم بصيرة ثم ذهب لينصرف فقالوا له إن الوفاء يلزمك وقد سألتنا فأخبرناك ولم تخبرنا فرجع فقال من الذي يقول
(إنَّا لَنَذْعَر يا قُفَيرُ عدوَّنا ... بالخيل لاحِقةَ الأياطِلِ قُودَا)
(وَنَحُوطُ حوزَتَنا وتَحْمِي سَرْحَنا ... جُرْدٌ تَرَى لمُغَارِها أُخْدُودا)
((أَجْرَى قلائدَها وقَدَّد لحمَها ... ألاّ يَذُقْنَ مع الشَّكائمِ عُودَا
(وطَوَى القِيادُ مع الطِّرَاد مُتونَها ... طَيَّ التِّجار بحضْرَمَوْتَ بُرودا)
قالا جرير قال فهو ذاك فانصرفا
أخبرني عم أبي عبد العزيز بن أحمد قال حدثنا الرياشي قال قال الأصمعي وذكر جريرا فقال
كان ينهشه ثلاثة وأربعون شاعرا فينبذهم وراء ظهره ويرمي بهم واحدا واحدا ومنهم من كان ينفحه فيرمي به وثبت له الفرزدق والأخطل وقال جرير والله ما يهجوني الأخطل وحده وإنه ليهجوني معه خمسون شاعرا كلهم عزيز ليس بدون الأخطل وذلك أنه كان إذا أراد هجائي جمعهم على شراب فيقول هذا بيتا وهذا بيتا وينتحل هو القصيدة بعد أن يتمموها
قال ابن سلاَّم وحدثني أبو البيداء الرياحي قال قال الفرزدق إني وإياه لنغترف من بحر واحد وتضطرب دلاؤه عند طول النهر
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني زيرك بن هبيرة المناني قال
كان جرير ميدان الشعر من لم يجر فيه لم يرو شيئا وكان من هاجى جريرا فغلبه جرير أرجح عندهم ممن هاجى شاعرا آخر غير جرير فغلب
أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال تذاكروا جريرا والفرزدق في حلقة يونس بن معاوية بن أبي عمرو بن العلاء وخلف الأحمر ومسمع وعامر
) ابنا عبد الملك المسمعيان فسمعت عامرا وهو شيخ بكر بن وائل يقول كان جرير والله أنسبهما وأسبهما وأشبههما
الراعي يقر بأسبقيته
)
قال ابن سلام وحدثني أبو البيداء قال مر راكب بالراعي وهو يغني بيتين لجرير وهما
(وعاوٍ عَوَى من غير شيء رميتُه ... بقارعةٍ أَنْفاذُها تَقْطُرُ الدَّمَا)
(خَرُوجٍ بأفواه الرُّواةِ كأنَّها ... قَرَا هِنْدُوَانِيٍ إذا هُزَّ صَمَّمَا)
فأتبعه الراعي رسولا يسأله لمن البيتان قال لجرير قال لو اجتمع على هذا جميع الجن والإنس ما أغنوا فيه شيئا ثم قال لمن حضر ويحكم أألام على أن يغلبني مثل هذا

رأي بشار فيه
قال ابن سلام وسألت بشارا المرعث أي الثلاثة أشعر فقال لم يكن الأخطل مثلهما ولكن ربيعة تعصبت له وأفرطت فيه قلت فهذان قال كانت لجرير ضروب من الشعر لا يحسنها الفرزدق ولقد ماتت النوار فقاموا ينوحون عليها بشعر جرير فقلت لبشار وأي شيء لجرير من المراثي إلا
التي رثى بها امرأته فأنشدني لجرير يرثي ابنه سوادة ومات بالشام
(قالوا نَصِيبَك من أجرٍ فقلتُ لهم ... كيف العَزاءُ وقد فارقتُ أشبالي)
(فارقتني حين كَفَّ الدهرُ من بصري ... وحين صِرْتُ كعظمِ الرِّمَّة البالي)
(أمْسَى سَوَادةُ يَجْلُو مُقْلَتَيْ لَحِمٍ ... بازٍ يُصَرْصِرُ فوق المَرْبأ العالي)
(قد كنتُ أعرفه منِّي إذا غَلِقتْ ... رُهْنُ الجِياد ومَدُّ الغَايَة الغَالي)
(إنّ الثَّوِيّ بذي الزَّيْتُون فاحتسبي ... قد أسرعَ اليومَ في عقلي وفي حالي)
(إلاّ تَكُنْ لكَ بالدَّيْرَيْن مُعْوِلَةٌ ... فرُبَّ باكيةٍ بالرَّمْل مِعْوالِ)
(كأمّ بَوٍّ عَجُولٍ عند مَعْهَدِه ... حَنَّتْ إلى جَلَدٍ منه وأوْصَال)
(حتى إذا عرَفتْ أن لا حياةَ به ... رَدَّتْ هَمَاهِمَ حَرَّى الجوفِ مِثْكالِ)
(زادت على وَجْدِها وَجْداً وإن رجَعتْ ... في الصدر منها خُطوبٌ ذاتُ بَلْبَالِ)
أخبرني عبد الواحد بن عبيد عن قعنب بن المحرز الباهلي عن المغيرة بن حجناء وعمارة بن عقيل قالا
خرج جرير إلى دمشق يؤم الوليد فمرض ابن له يقال له سوادة وكان به معجبا فمات بالشام فجزع عليه ورثاه جرير فقال
(أوْدَى سَوَادةُ يَجْلُو مُقْلَتَيْ لَحِمٍ ... بازٍ يُصَرْصِرُ فوق المَرْبأ العالي)
)
رأي الفرزدق فيه
)
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أحمد بن معاوية قال حدثني رجل من أصحاب الحديث يقال له الحسن قال حدثني أبو نصر البشكري عن مولى لبني هاشم قال
امترى أهل المجلس في جرير والفرزدق أيهما أشعر فدخلت على الفرزدق فما سألني عن شيء حتى قال يا نوار أدركت برنيتك قالت قد فعلت أو كادت قال فابعثي بدرهم فاشتري لحما ففعلت وجعلت تشرحه وتلقيه على النار ويأكل ثم قال هاتي برنيتك فشرب قدحا ثم ناولني وشرب آخر ثم ناولني ثم قال هات حاجتك يابن أخي فأخبرته قال أعن ابن الخطفي تسألني ثم تنفس حتى قلت انشقت حيازيمه ثم قال قاتله الله فما أخشن ناحيته وأشرد قافيته والله لو تركوه لأبكى العجوز على شبابها والشابة على أحبابها ولكنهم هروه فوجدوه عند الهراش نابحا وعند الجراء قارحا وقد قال بيتا لأن أكون قلته أحب إلي مما طلعت عليه الشمس
(إذا غضِبتْ عليكَ بنو تَميم ... حسِبتَ الناسَ كلَّهمُ غِضَابَا)
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي عبيدة قالا نزل الفرزدق على الأحوص حين قدم المدينة فقال الأحوص ما تشتهي قال شواء وطلاء وغثاء قال ذلك لك ومضى به إلى قينة بالمدينة فغنته
صوت
(ألاَ حَيِّ الديارَ بسُعْدَ إنِّي ... أُحِبُّ لحبِّ فاطمةَ الدِّيارَا)
(إذا ما حَلَّ أهلُكِ يا سلَيْمى ... بدارةِ صُلْصُلٍ شحَطوا مَزَارَا)
(أراد الظاعنون ليَحْزُنُوني ... فهاجُوا صَدْعَ قلبي فاستطارَا)
غناه ابن محرزخفيف ثقيل أول بالبنصر فقال الفرزدق ما أرق أشعاركم يا أهل الحجاز وأملحها قال أوما تدري لمن هذا الشعر قال لا والله قال فهو والله لجرير يهجوك به فقال ويل ابن المراغة ما كان
) أحوجه مع عفافه إلى صلابة شعري وأحوجني مع شهواتي إلى رقة شعره
تغنى أشعب بشعره فأجازه
)
أخبرني أحمد قال حدثنا عمر بن شبة عن إسحاق الموصلي وأخبرني محمد بن مزيد عن حماد عن أبيه قال قال إسحاق بن يحيى بن طلحة
قدم علينا جرير المدينة فحشدنا له فبينا نحن عنده ذات يوم إذ قام لحاجته وجاء الأحوص فقال أين هذا فقلنا قام آنفا ما تريد منه قال أخزيه والله إن الفرزدق لأشعر منه وأشرف فأقبل جرير علينا وقال من الرجل قلنا الأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح قال هذا الخبيث ابن الطيب ثم أقبل عليه فقال قد قلت
(يَقَرُّ بعَيْني ما يَقَرُّ بعينها ... وأحسنُ شيءٍ ما به العينُ قرَّتِ)
فإنه يقر بعينها أن يدخل فيها مثل ذراع البكر أفيقر ذلك بعينك قال وكان الأحوص يرمي بالأبنة فانصرف وأرسل إليه بتمر وفاكهة وأقبلنا نسأل جريرا وهو في مؤخر البيت وأشعب عند الباب فأقبل أشعب يسأله فقال له جرير والله إنك لأقبحهم وجها ولكني أراك أطولهم حسبا وقد أبرمتني
فقال أنا والله أنفعهم لك فانتبه جرير فقال كيف قال إني لأملح شعرك واندفع يغنيه قوله
صوت
(يا أختَ ناجِيةَ السلامُ عليكُم ... قبلَ الفراق وقبل لَوْم العُذَّلِ)
(لو كنتُ أعلم أن آخرَ عهدكم ... يوم الفراق فعلتُ ما لم أفعلِ)
قال فأدناه جرير منه حتى ألصق ركبته بركبته وجعله قريبا منه ثم قال أجل والله إنك لأنفعهم لي وأحسنهم تزيينا لشعري أعد فأعاده عليه وجرير يبكي حتى أخضلت لحيته ثم وهب لأشعب دراهم كانت معه وكساه حلة من حلل الملوك وكان يرسل إليه طول مقامه بالمدينة فيغنيه أشعب ويعطيه جرير شعره فيغني فيه قال وكان أشعب من أحسن الناس صوتا قال حماد والغناء الذي غناه فيه أشعب لابن سريج
أخبرني علي بن سليمان قال حدثنا أبو سعيد السكري عن الرياشي عن الأصمعي قال وذكر المغيرة بن حجناء قال

حدثني أبي عن أبيه عن جده يحيى بن أعين وذكر ذلك هشام بن الكلبي قال حدثني النهشلي من بني مسعود بن خالد بن مالك بن ربعي بن سلمى بن جندل قال حدثني مسحل بن كسيب بن عمران بن عطاء بن الخطفي وأمه الربداء بنت جرير وهذا الخبر وإن كان فيه طول محتو على سائر أخبار من ناقض جريرا أو اعتن بينه وبين
) الفرزدق وغيره فذكرته هنا لاشتماله على ذلك في بلاغ واختصار

شعره في مدح الحكم بن أيوب

(
أن جريرا قدم علي الحكم بن أيوب بن يحيى بن الحكم بن أبي عقيل وهو خليفة للحجاج يومئذ فمدحه جرير فقال
(أقبلتُ من ثَهْلانَ أو جَنْبَيْ خِيَمْ ... على قِلاَصٍ مثل خيطانِ السَّلَمْ)
ثهلان جبل كان لباهلة ثم غلبت عليه نمير وخيم جبل يناوحه من طرفه الأقصى فيما بين ركنه الأقصى وبين مطلع الشمس به ماء ونخل
(قد طُويتْ بطونُها طيَّ الأدَمْ ... يَبْحَثْنَ بحثاً كمُضِلاَّتِ الخَدَمْ)
(إذا قَطَعْنَ عَلَماً بَدا عَلَمْ ... حتى تناهَيْنَ إلي بابِ الحَكَمْ)
(خليفةِ الحَجّاج غيرِ المُتَّهمْ ... في مَعْقِد العِزّ وبُؤْبُوء الكَرَمْ)
(... بعد انْفِضَاج البُدْنِ واللحمُ زِيَمْ)
فلما قدم عليه استنطقه فأعجبه ظرفه وشعره فكتب إلى الحجاج إنه قدم علي أعرابي شيطان من الشياطين فكتب إليه أن ابعث به إلي ففعل فقدم عليه فأكرمه الحجاج وكساه جبة صبرية وأنزله فمكث أياما ثم أرسل
إليه بعد نومه فقالوا أجب الأمير فقال ألبس ثيابي فقالوا لا والله لقد أمرنا أن نأتيه بك على الحال التي نجدك عليها ففزع
) جرير وعليه قميص غليظ وملاءة صفراء فلما رأى ما به رجل من الرسل دنا منه وقال لا بأس عليك إنما دعاك للحديث

هجوه للشعراء

(
قال جرير فلما دخلت عليه قال إيه يا عدو الله علام تشتم الناس وتظلمهم فقلت جعلني الله فداء الأمير والله إني ما أظلمهم ولكنهم يظلمونني فأنتصر ما لي ولابن أم غسان وما لي وللبعيث وما لي وللفرزدق وما لي وللأخطل وما لي وللتيمي حتى عددهم واحدا واحدا فقال الحجاج ما أدري ما لك ولهم قال أخبر الأمير أعزه الله أما غسان بن ذهيل فإنه رجل من قومي هجاني وهجا عشيرتي وكان شاعرا قال فقال لك ماذا قال قال لي
(لعمْري لئن كانت بَجِيلةُ زانَها ... جريرٌ لقد أخْزَى كُلَيْباً جَريرُها)
(رميتَ نِضَالاً عن كُلَيبٍ فقصَّرتْ ... مَراميكَ حتى عادَ صِفْراً جَفيرُها)
(ولا يَذْبَحون الشاةَ إلا بمَيْسِرٍ ... طويلٌ تَنَاجيها صِغارٌ قُدُورُها)
قال فما قلتَ له قال قلتُ
((ألاَ ليتَ شِعْري عن سليطٍ ألم تَجِدْ ... سَلِيطٌ سِوَى غَسَّانَ جاراً يُجِيرُها
(فقد ضَمَّنوا الأحسابَ صاحبَ سَوْءة ... يُناجِي بها نفساً خبيثاً ضميرُها)
(كأنَّ سَلِيطاً في حَوَاشِيها الخُصَى ... إذا حَلّ بين الأمْلَحَيْن وَقِيرُها)
(أضِجُّوا الرَّوَايَا بالمَزَادِ فإنَّكم ... ستُكْفَوْنَ رَكْضَ الخيلِ تَدْمَى نحورُها)
(كأن السَّليطِيَّاتِ مَجْنَاةُ كَمْأةٍ ... لأوَّلِ جانٍ بالعصا يستثيرُها)
(غَضَاريطُ يَشْوُون الفَرَاسِنَ بالضُّحَى ... إذا ما السَّرَايا حَثَّ رَكْضاً مُغِيرها)
(فما في سَلِيطٍ فارسٌ ذو حَفيظةٍ ... ومَعْقِلُها يومَ الهِياجِ جُعُورُها)
(عجبتُ من الدَّاعِي جُحَيشاً وصائداً ... وعَيْساءُ يسعَى بالعِلاَبِ نَفِيرُها)
قال ثم من قال البعيث قال ما لك وله قال اعترض دون ابن أم غسان يفضله علي ويعينه قال فما قال لك قال قال لي
((كُلَيبٌ لئامُ الناسِ قد تَعْلمونه ... وأنتَ إذا عُدَّتْ كُلَيْبٌ لئيمُها
(أترجوا كُلَيبٌ أن يجيء حديثُها ... بخيرٍ وقد أعيا كُلَيباً قديمُها)
قال فما قلت له قال قلت
(ألم تر أنِّي قد رميتُ ابنَ قَرْتَنَى ... بصَمَّاءَ لا يرجو الحياةَ اميمُها)
(له أمُّ سَوْءٍ بئس ما قَدَّمتْ له ... إذا فَرَطُ الأحسابِ عُدَّ قديمُها)
قال ثم من قلت الفرزدق قال وما لك وله قلت أعان البعيث علي قال فما قلت له قال قلت
(تمنَّى رجالٌ من تَمِيم ليَ الرَّدَى ... وما ذَاد عن أحسابِهم ذائدٌ مِثْلي)
(كأنَّهم لا يعلمون مَواطني ... وقد جرَّبوا أني أنا السابقُ المُبْلي)
(فلو شاء قومي كان حِلْمِيَ فيهمُ ... وكان على جُهّالِ أعدائهم جَهْلي)
(وقد زَعموا أنَّ الفرزدقَ حَيَّةٌ ... وما قَتَل الحيَّاتِ من أحدٍ قَبْلِي)
قال ثم من قلت الأخطل قال ما لك وله قلت رشاه محمد بن عمير بن عطارد زقا من خمر وكساه حلة على أن يفضل علي الفرزدق ويهجوني
قال فما قال لك قال قال
(إخسأْ إليكَ كُلَيبُ إنَّ مُجَاشِعاً ... وأبا الفَوَارِسِ نَهْشَلاً أخَوَانِ)
((وإذا وَرَدْتَ الماءَ كان لدارمٍ ... جُمَّاتُه وسُهُولةُ الأعْطان
(وإذا قَذَفْتَ أباك في ميزانِهمْ ... رجَحُوا وشالَ أبوك في الميزانِ)
قال فما قلت له قال قلت
(يا ذا العَبَاءةِ إنَّ بِشْراً قد قَضَى ... ألاَّ تَجُوزَ حكومةُ النَّشْوانِ)
(فدَعُوا الحكومةَ لَستُمُ من أهلِها ... إنَّ الحكومةَ في بني شَيْبانِ)
(قَتلوا كُلَيبَكُمُ بِلِقْحةِ جارِهم ... يا خُزْرَ تَغْلِبَ لستُمُ بِهِجَانِ)
قال ثم من قلت عمر بن لجأ التيمي قال ما لك وله قال قلت بيتا من شعر فقبحه وقاله على غير ما قلته قلت
(لَقَوْمِيَ أحْمَى للحقيقةِ منكمُ ... وأضْرَبُ للجَبَّار والنَّقْعُ ساطِعُ)

(وأوثقُ عند المُرْهَفاتِ عشيَّةً ... لَحَاقاً إذا ما جرَّد السيفَ لامعُ)
فزعم أني قلت
(وأوْثَقُ عند المُرْدَفات عشيَّةً ... لَحَاقاً إذا ما جرَّد السيفَ لامعُ)
فقال لحقتهن عند العشي وقد أخذن غدوة والله ما يمسين حتى يفضحن قال فما قلت له قال قلت
(يا تَيْمُ تَيْمَ عَدِيّ لا أبا لكُم ... لا يُوقِعنَّكُمُ في سَوءةٍ عُمَرُ)
(خَلِّ الطريقَ لمن يَبني المنارَ به ... وَابرُزْ بَبَرْزَةَ حيثُ اضطرَّك القَدَرُ)
حتى أتى على الشعر قال ثم من قلت سراقة بن مرداس البارقي قال ما لك وله قال قلت لا شيء حمله بشر من مروان وأكرهه على هجائي ثم بعث إلي رسولا وأمرني أن أجيبه قال فما قال لك قال قال
(إنَّ الفَرَزْدَقَ بَرَّزتْ أعراقُه ... عَفْواً وغُودِر في الغُبار جريرُ)
(ما كنتَ أوَّلَ مِحْمَرٍ قعدتْ به ... مسعاتُه إنَّ اللئيمِ عَثُور)
(هذا قضاءُ البارقيِّ وإنه ... بالمَيْل في ميزانكم لَبَصِيرُ)
قال فما قلت له قال قلت
(يا بِشْرُ حَقٌّ لوجهك التبشيرُ ... هَلاَّ غضِبتَ لنا وأنت أميرُ)
(بِشْرٌ أبو مروانَ إن عاسرتَه ... عَسِرٌ وعند يَساره مَيْسورُ)
(إنَّ الكريمةَ ينصُر الكرمَ ابنُها ... وابنُ اللئيمةِ للِّئامِ نَصُورُ)
(قد كان حقُّك أن تقول لبارقٍ ... يا آلَ بارقَ فِيمَ سُبَّ جَرير)
(وكسَحْتَ بآستِك للفَخَار وبارقٌ ... شَيْخانِ أعْمَى مُقْعَدٌ وكَسِير)
قال ثم من قلت البلتع وهو المستنير بن سبرة العنبري قال ما لك
وله قلت أعان علي ابن لجأ قال فما قال لك قلت قال
(إنَّ التي ربَّتْكَ لما طُلِّقتْ ... قعدتْ على جَحْشِ المَرَاغةِ تَمْرَغُ)
(أتَعيبُ مَنْ رضيتْ قريشٌ صِهْرَه ... وأبوك عبدٌ بالخَوَرْنَق) أدْلَغُ)
قال فما قلت له قال قلت
(فما مستنيرُ الخُبْثِ إلا فَرَاشةٌ ... هَوَتْ بين مُؤْتَجِّ الحَريقَيْن ساطِعِ)
(نهيتُ بناتِ المستنير عن الرُّقَى ... وعن مشيهنّ الليلَ بين المَزَارع)
ويروى
(... بين مؤتجٍّ من النار ساطِع . .)
قال ثم من قلت راعي الإبل قال ما لك وله قلت قدمت البصرة وكان بلغني أنه قال لي
(يا صاحبيَّ دنا الرَّواحُ فسيراَ ... غَلَب الفَرَزْدَقُ في الهجاء جَريراَ)
وقال أيضا
(رأيتُ الجَحْشَ جحشَ بني كُليبٍ ... تَيَمَّم حوضَ دِجْلةَ ثم هابا)
فقلت يا أبا جندل إنك شيخ مضر وشاعرها وقد بلغني أنك تفضل علي الفرزدق وأنت يسمع قولك وهو ابن عمي دونك فإن كان لا بد من تفضيل فأنا أحق به لمدحي قومك وذكري إياهم قال وابنه جندل على فرس
له فأقبل يسير بفرسه حتى ضرب عجز دابتي وأنا قائم فكاد يقطع أصبع رجلي وقال لا أراك واقفا على هذا الكلب من بني كليب فمضى وناديته أنا ابن يربوع إن أهلك بعثوك مائرا من هبود وبئس المائر وإنما بعثني أهلي لأقعد على قارعة هذا المربد فلا يسبهم أحد إلا سببته وإن علي نذرا إن جعلت في عيني غمضا حتى أخزيك قال فما أصبحت حتى هجوته فقلت
(فغُضَّ الطَّرْفَ إنك من نُمَيرٍ ... فلا كعباً بلغتَ ولا كِلاَبَا)
قال فغدوت عليه من الغد فأخذت بعنانه فما فارقته حتى أنشدته إياها فلما مررت على قولي
(أجَنْدَلُ ما تقول بنو نُمَيرٍ ... إذا ما الأيْرُ في استِ أبيك غابَا)
قال فأرسل يدي وقال يقولون والله شرا
قال ثم من قلت العباس بن يزيد الكندي قال ما لك وله قال لما قلت
(إذا غَضِبتْ عليكَ بنو تَميم ... حسِبتَ الناسَ كلَّهُم غِضابَا)
قال
(ألا رَغِمَتْ أُنوفُ بني تَميمٍ ... فُسَاةِ التمرِ إن كانوا غِضابَا)
(لقد غضِبتْ عليك بنو تميمٍ ... فما نَكَأَتْ بغَضْبتها ذُبَابَا)
(لو اطَّلع الغرابُ على تَميمٍ ... وما فيها من السَّوْءات شابا)
قال فتركته خمس سنين لا أهجوه ثم قدمت الكوفة فأتيت مجلس
كندة فطلبت إليهم أن يكفوه عني فقالوا ما نكفه وإنه لشاعر وأوعدوني فقلت
(ألاَ أبْلِغْ بني حُجْرِ بن وَهْبٍ ... بأنَّ التمرَ حُلْوٌ في الشتاءِ)
(فَعُودوا للنَّخِيل فأبِّرُوها ... وعِيثُوا بالمُشَقَّر فالصَّفَاءِ)
قال فمكثت قليلا ثم بعثوا إلي راكبا فأخبروني بمثالبه وجواره في طيىء حيث جاور عتابا وحبل أخته هضيبة حيث حبلت قال فقلت ماذا قال قلت
(إذا جهِل الشَّقِيُّ ولم يُقَدِّرْ ... لبعض الأمر أوْشكَ أن يُصَابَا)
(أعَبْداً حلَّ في شُعَبى غريباً ... ألؤماً لا أبالكَ واغترابَا)
(فما خَفِيتْ هَضَيبة حين جَرَّتْ ... ولا إطعامُ سَخْلَتِها الكِلاَبَا)
(تُخَرِّقُ بالمَشَاقِصِ حالِبَيْها ... وقد بَلَّتْ مَشِيمَتُها الترابَا)
(فقد حَملتْ ثمانيةً وأوْفَتْ ... بتاسعِها وتَحْسَبُها كَعَابَا)
قال ثم من قلت جفنة الهزاني بن جعفر بن عباية بن شكس من عنزة قال وما لك وله قال أقبل سائلا حتى أتاني وأنا أمدر حوضا لي فقال لي يا جرير قم إلي ها هنا قلت نعم ثم أتيته فقلت ما حاجتك قال مدحتك فاستمع مني قلت أنشدني

فأنشد فقلت قد والله أحسنت
وأجملت فما حاجتك قال تكسوني الحلة التي كساكها الوليد بن عبد الملك العام فقلت إني لم أقف فيها بالموسم ولا بد من أن أقف فيها العام ولكني أكسوك حلة خيرا منها كان كسانيها الوليد عاما أول فقال ما أقبل غيرها بعينها فقلت بلى فأقبل وأزيدك معها دنانير نفقة فقال ما أفعل ومضى فأتى المرار بن منقذ أحد بني العدوية فحمله على ناقة له يقال لها القصواء فقال جفنة
(لَعَمْرُكَ لَلْمَرَّارُ يومَ لَقِيتُهُ ... على الشَّحْطِ خيرٌ من جرير وأكرمُ)
قال فما قلت له قال قلت
(لقد بَعثتْ هِزَّانُ جَفْنَةَ مائراً ... فآب وأَحْذَى قومَه شَرَّ مَغْنَم)
(فيا راكبَ القَصْواءِ ما أنت قائلٌ ... لِهزَّانَ إذ أسلَمْتَها شَرَّ مُسْلَمِ)
(أظنُّ عِجانَ التَّيْسِ هِزَّانَ طالباً ... عُلالَةَ سَبَّاقِ الأَضَامِيمِ مِرْجَم)
(كأنَّ بني هِزَّانَ حين رَدِيتُهم ... وبارٌ تَضَاغَتْ تحتَ غَارٍ مهدَّمِ)
(بَنِي عَبْدِ عمرٍو قد فَرَغْتُ إليكُم ... وقد طال زَجْري لو نَهَاكُمْ تقدُّمِي)
(ورَصْعَاءَ هِزَّانِيَّةٍ قد تَحَفَّشَتْ ... على مِثْلِ حِرْباءِ الفَلاَةِ المعمَّمِ)
قال ثم من قلت المرار بن منقذ قال ما لك وله قلت أعان علي الفرزدق قال فما قلت له قال قلت
((بَني مُنْقِذٍ لا صُلْحَ حتى تَضُمَّكُمْ ... من الحربِ صَمَّاءُ القَنَاةِ زَبُونُ)
(وحتى تَذُوقوا كأسَ مَنْ كان قبلَكم ... ويسْلَحَ منكم في الحِبال قَرِينُ)
(فإن كنتُم كَلْبَى فعِندي شفاؤكم ... وللجنِّ إن كان اعتراكَ جنونُ)
قال ثم من قلت حكيم بن معية من بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم قال وما لك وله قلت بلغني أنه اعان علي غسان السليطي قال فما قلت له قال قلت
(إذا طلعَ الرُّكْبَانُ نَجْداً وغَوَّرُوا ... بها فارْجُزَا يا بْنَيْ مُعَيَّةَ أو دَعَا)
أتَسْمَنُ أسْتَاهُ المَجَرِّ وقد رأَوْا ... مَجَرّاً بوَعْساوَيْ رَمَاحَ مصرَّعَا) ألا إنَّما كانت غَضُوبُ مُحَامِياً ... غَدَاةَ اللَّوَى لم تَدْفَع)
(الضَّيْمَ مَدْفَعَا
قال ثم من قلت ثور بن الأشهب بن رميلة النهشلي قال وما لك وله قلت أعان علي الفرزدق قال فما قلت له قال قلت
(سيَخْزَى إذا ضَنَّتْ حَلاَئبُ مالكٍ ... ثُوَيرٌ ويَخْزَى عاصِمٌ وجَمِيعُ)
(وقَبْلَكَ ما أَعْيَا الرُّمَاةَ إذا رَمَوْا ... صفاً ليس في قاراتِهنَّ صُدُوعُ)
قال ثم من قلت الدلهمس أحد بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة قال ما لك وله قلت أعان علي الفرزدق قال فما قلت له قال قلت
(لقد نَفَخَتْ منكَ الوَرِيدَيْنِ عِلْجَةٌ ... خَبِيثَةُ ريحِ المَنْكِبَيْنِ قَبوعُ)
(ولو أنْجَبَتْ أُمُّ الدَّلَهْمَسِ لم يَعِبْ ... فَوَارِسَنا لا عاش وهو جميعُ)
(أليس ابنَ حَمْراءِ العِجَانِ كأنَّما ... ثلاثةُ غِرْبانٍ عليه وُقُوعُ)
(فلا تُدْنِيَا رَحْلَ الدَّلَهْمَسِ إنه ... بصيرٌ بما يأتي اللئامُ سَمِيعُ)
(هو النَّخْبَةُ الخَوَّارُ ما دون قلبِه ... حِجَابٌ ولا حولَ الحجابِ ضُلوعُ)
قال ثم مررت على مجلس لهم فاعتذرت إليهم فلم يقبلوا عذري وأنشدوني شعرا لم يخبروني من قاله
(غضِبتَ علينا أن عَلاَكَ ابنُ غالبٍ ... فَهَلاَّ على جَدَّيْكَ في ذاكَ تغضَبُ)
(هُمَا إذْ عَلَا بالمرءِ مَسعاةُ قومِه ... أَنَاخَا فشَدَّاكَ العِقَالُ المؤرَّبُ)
قال فعلمت أنه شعر قبضة الكلب قال فجمعتهم في شعري فقلت
(وأكثرُ ما كانت رَبيعةُ أنها ... خِبَاءانِ شتَّى لا أَنِيسٌ ولا قَفْرُ)
(مَحَالِفُهم فَقْرٌ شديدٌ وذِلَّةٌ ... وبئس الحَلِيفان المَذَلَّةُ والفقْرُ)
(فصَبْراً على ذُلٍّ ربيعَ بنَ مالكٍ ... وكلُّ ذليلٍ خيرُ عادتِه الصبرُ)
قال ثم من قلت هبيرة بن الصلت الربعي من ربيعة بن مالك أيضا كان يروي شعر الفرزدق قال فما قلت له قال قلت
((يَمشِي هُبَيرَةُ بعد مَقْتَلِ شَيْخِه ... مَشْيَ المُراسِلِ أُوذِنَتْ بطَلاَقِ
(ماذا أردتَ إليَّ حِينَ تَحَرَّقَتْ ... ناري وشَمَّر مِئْزَري عن ساقِي)
(إنَّ الفِرَافَ بِمِنْخَرَيْكَ لَبِيِّنٌ ... وسواد وجهِكَ يابن أُمِّ عِفاقِ)
(سِيرُوا فرُبَّ مُسبِّحِين وقائِلٍ ... هذا شَقاً لبَنِي رَبيعةَ بَاقِي)
(أَبَنِي رَبيعةَ قد أَخَسَّ بحظِّكُمْ ... لؤمُ الجُدودِ ودِقَّة الأخلاقِ)
قال ثم من قلت علقة والسرندى من بني الرباب كانا يعينان ابن لجأ
قال فما قلت لهما قال قلت
(عَضَّ السَّرَنْدَى على تَثْلِيمِ ناجِذه ... من أمِّ عِلْقَةَ بَظْراً غَمَّه الشَّعَرُ)
(وعَضَّ عِلْقَةَ لا يألُوا بعُرْعُرَةٍ ... من بَظْرِ أُمِّ السَّرَنْدَى وهو منتصِرُ)
قال ثم من قلت الطهوي كان يروي شعر الفرزدق قال ما قلت له قال قلت
(أتَنْسَوْنَ وَهْباً يا بَنِي زَيدِ استِها ... وقد كنتمُ جيرانَ وَهْبِ بنِ أَبْجَرا)
(فما تتَّقُون الشرَّ حتَّى يُصِيبَكم ... ولا تَعْرِفون الأمر إلا تدبُّرا)
(ألا رُبَّ أَعْشَى ظالمٍ متخمِّطٍ ... جعلتُ لعينيه جِلاءً فأَبْصَرَا)
قال ثم من قلت عقبة بن السنيع الطهوي وكان نذر دمي قال
فما قلت له قال قلت
(يا عُقْبُ يابنَ سُنَيْعٍ ليس عندكمُ ... مأوَى الرِّفَاقِ ولا ذو الرايةِ الغَادِي)
(يا عُقْبُ يابنَ سُنَيْعٍ بعضَ قولِكُم ... إن الوِثَابَ لكم عندي بمِرْصَادِ)
(ما ظنُّكم ببَنِي مَيْثَاءَ إن فَزِعُوا ... ليلاً وشدَّ عليهم حَيَّةُ الوادي)
(يَغْدوا عليَّ أبو لَيْلَى ليقتلَني ... جَهْلاً عليَّ ولم يَثْأر بشَدَّاد)

إرْوُوا عليَّ وأرْضُوا بي صديقَكُم ... واستسْمِعُوا يا بَنِي مَيْثاء إنشادِي) ميثاء هي بنت زهير بن شداد الطهوي وهي أم)
عوف بن أبي سود بن مالك بن حنظلة
وقال أيضا لبني ميثاء
(نُبِّئتُ عُقْبةَ خَصَّافاً تَوَعَّدَنِي ... يا رُبَّ آدَرَ من مَيْثاءَ مَأْفُونِ)
لَوْ في طُهَيَّةَ أحلامٌ لما اعترضوا ... دونَ الذي كنتُ أرْمِيه ويرْمِيني) قال ثم من قلت سحمة الأعور النبهاني كانت له)
امرأة من طيىء ولدت في بني سليط فأعطوه وحملوه علي فسألني فاشتط ولم يكن عندي فحرمته فقال
(أقول لأصحابي النَّجَاءَ فإنه ... كَفَى الذَّم أن يأتي الضيوفَ جَرِيرُ)
(جَرِيرُ ابن ذاتِ البَظْرِ هل أنت زائلٌ ... لقِدْرِك دون النازلين سُتُورُ)
(وهل يُكْرِم الأضيافَ كلبٌ لكلبةٍ ... لها عند أطْنابِ البيوت هَرِيرُ)
((فلو عندَ غَسَّانَ السَّلِيطِي عَرَّسَتْ ... رَغَا قَرْنٌ منها وكَسٌ عَقِيرُ
(فتىً هو خيرٌ منكَ نفساً ووالداً ... عليكَ إذا كان الجِوار يُجِيرُ)
فقال جرير
(وَجَدْنا بَنِي نَبْهانَ أذنابَ طِيِّىء ... وللناس أذنابٌ تُرَى وصُدورُ)
(تغنَّى ابنُ نَبْهانِيَّةٍ طال بَظْرُها ... وباعُ ابنِها عند الهياج قَصيرُ)
(وأعْوَرَ من نَبْهانَ أمَّا نَهَارُه ... فأعْمَى وأمَّا ليلُه فَبَصِيرُ)
(ستأتي بَنِي نَبْهانَ مِنِّي قصائدٌ ... تطلعُ من سَلْمَى وهنّ وُعُورُ)
(تَرَى قَزَمَ المِعْزَى مُهُورَ نسائهم ... وفي قَزَمِ المِعْزَى لهنّ مُهُورُ)
قال وطلع الصبح فنهض ونهضت قال فأخبرني من كان قاعدا معه أنه قال قاتله الله أعرابيا إنه لجرو هراش

خبره مع راعي الإبل وابنه جندل

أخبرني علي بن سليمان قال حدثنا أبو سعيد السكري عن الرياشي عن الأصمعي قال وذكر المغيرة بن حجناء قال حدثني أبي عن أبيه قال
كان راعي الإبل يقضي للفرزدق على جرير ويفضله وكان راعي الإبل قد ضخم أمره وكان من شعراء الناس فلما أكثر من ذلك خرج جرير إلى رجال من قومه فقال هلا تعجبون لهذا الرجل الذي يقضي للفرزدق علي وهو يهجو قومه وأنا أمدحهم قال جرير فضربت رأيي فيه ثم خرج جرير ذات يوم
يمشي ولم يركب دابته وقال والله ما يسرني أن يعلم أحد وكان لراعي الإبل والفرزدق وجلسائهما حلقة بأعلى المربد بالبصرة يجلسون فيها قال فخرجت أتعرض له لألقاه من حيال حيث كنت أراه يمر إذا انصرف من مجلسه وما يسرني أن يعلم أحد حتى إذا هو قد مر على بغلة له وابنه جندل يسير وراءه على مهر له أحوى محذوف الذنب وإنسان يمشي معه يسأله عن بعض السبب فلما استقبلته قلت مرحبا بك يا أبا جندل وضربت بشمالي على معرفة بغلته ثم قلت يا أبا جندل إن قولك يستمع وإنك تفضل الفرزدق علي تفضيلا قبيحا وأنا أمدح قومك وهو يهجوهم وهو ابن عمي ويكفيك من ذاك هين إذا ذكرنا أن تقول كلاهما شاعر كريم ولا تحتمل مني ولا منه لائمة قال فبينا أنا وهو كذاك واقفا علي وما رد علي بذلك شيئا حتى لحق ابنه جندل فرفع كرمانية معه فضرب بها عجز بغلته ثم قال لا أراك واقفا على كلب من بني كليب كأنك تخشى منه شرا أو ترجو منه خيرا وضرب البغلة ضربة فرمحتني رمحة وقعت منها قلنسوتي فوالله لو يعرِّج علي الراعي لقلت سفيه غوى يعني جندلا ابنه ولكن لا والله ما عاج علي فأخذت قلنسوتي فمسحتها ثم أعدتها على راسي ثم قلت
(أجَنْدَلُ ما تقول بنو نُمَيْرٍ ... إذا ما الأير في استِ أبيك غابَا)
فسمعت الراعي قال لابنه أما والله لقد طرحت قلنسوته طرحة مشؤومة
قال جرير ولا والله ما القلنسوة بأغيظ أمره إلي لو كان عاج علي فانصرف جرير غضبان حتى إذا صلى العشاء بمنزله في علية له قال ارفعوا إلي
باطية من نبيذ وأسرجوا لي فأسرجوا له وأتوه بباطية من نبيذ قال فجعل يهمهم فسمعت صوته عجوز في الدار فاطلعت في الدرجة حتى نظرت إليه فإذا هو يحبو على الفراش عريانا لما هو فيه فانحدرت فقالت ضيفكم مجنون رأيت منه كذا وكذا فقالوا لها اذهبي لطيتك نحن أعلم به وبما يمارس فما زال كذلك حتى كان السحر ثم إذا هو يكبر قد قالها ثمانين بيتا في بني نمير فلما ختمها بقوله
(فغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ من نُمَيرٍ ... فلا كَعْباً بلغتَ وَلا كِلاَبَا)
كبر ثم قال أخزيته ورب الكعبة ثم أصبح حتى إذا عرف أن الناس قد جلسوا في مجالسهم بالمربد وكان يعرف مجلسه ومجلس الفرزدق دعا بدهن فادهن وكف رأسه وكان حسن الشعر ثم قال يا غلام أسرج لي فأسرج له حصانا ثم قصد مجلسهم حتى إذا كان بموضع السلام قال يا غلام ولم يسلم قل لعبيد ابعثك نسوتك تكسبهن المال بالعراق أما والذي نفس جرير بيده لترجعن إليهن بمير يسوءهن ولا يسرهن ثم اندفع فيها فأنشدها قال فنكس الفرزدق وراعي الإبل وأرم القوم حتى إذا فرغ منها سار وثبت راعي الإبل ساعة ثم ركب بغلته بشر وعر وخلى المجلس حتى ترقى إلى منزله الذي ينزله قال لأصحابه ركابكم فليس لكم ها هنا مقام فضحكم والله جرير فقال له بعض القوم ذاك شؤمك وشؤم ابنك قال فما كان إلا ترحلهم قال فسرنا إلى أهلنا سيرا ما ساره أحد وهم بالشريف
وهو أعلى دار بني نمير فيحلق بالله راعي الإبل إنا وجدنا في أهلنا
(... فغُضَّ الطَّرْفَ إنكَ من نُمَيرٍ)
وأقسم بالله ما بلغه إنسي قط وإن لجرير لأشياعا من الجن فتشاءمت به بنو نمير وسبوه وابنه فهم يتشاءمون به إلى الآن

قصيدته في هجو الراعي

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد النوفلي عن أبيه قال حدثني مولى لبني كليب بن يربوع كان يبيع الرطب بالبصرة أنسيت اسمه قال
كنت أجمع شعر جرير وأشتهي أن أحفظه وأرويه فجاءني ليلة فقال إن راعي الإبل النميري قد هجاني وإني آتيك الليلة فأعد لي شواء رشراشا ونبيذا مخفسا فأعددت له ذلك فلما أعتم جاءني فقال هلم عشاءك فأتيته به فأكل ثم قال هلم

نبيذك فأتيته به فشرب أقداحا ثم قال هات دواة وكتفا فأتيته بهما فجعل يملي علي قوله
(أَقِلِّي اللومَ عَاذِلَ والعتابَا ... وقُولِي إن أَصَبْتِ لقد أصابَا)
حتى بلغ إلى قوله
(... فغُضَّ الطَّرْفَ إنكَ من نُمَيرٍ)
فجعل يردده ولا يزيد عليه حتى حملتني عيني فضربت بذقني صدري نائما فإذا به قد وثب حتى أصاب السقف رأسه وكبر ثم صاح أخزيته والله اكتب
(... (فلا كَعْباً بلغتَ ولا كِلاَبَا
غضضته وقدمت إخوته عليه والله لا يفلح بعدها أبدا فكان والله كما قال ما افلح هو ولا نميري بعدها
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال
اقبل راكب من اليمامة فمر بالفرزدق وهو جالس في المربد فقال له من اين أقبلت قال من اليمامة فقال هل رأيت ابن المراغة قال نعم قال فأي شيء أحدث بعدي فأنشده
(... هاجَ الهوى لفؤادك المُهْتاجِ)
فقال الفرزدق
(... فانظُرْ بتُوضِحَ باكِرَ الأَحْداجِ)
فأنشده الرجل
(... هذا هوىً شغَفَ الفؤادَ مبرِّحٌ)
فقال الفرزدق
ونَوىً تَقَاذَفُ غيرُ ذاتِ خِلاَجِ ...) ِ)
فأنشده الرجل
(...إن الغراب بما كرِهتَ لمُولَعُ)
فقال الفرزدق
(... بِنَوَى الأحبَّةِ دائمُ التَّشْحَاجِ)
فقال الرجل هكذا والله قال أفسمعتها من غيري قال لا ولكن هكذا ينبغي أن يقال أوما علمت أن شيطاننا واحد ثم قال أمدح بها الحجاج قال نعم قال إياه أراد
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا محمد بن إسحاق بن عبد الرحمن قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال حدثني أبو عبيدة قال
التقى جرير والفرزدق بمنى وهما حاجان فقال الفرزدق لجرير
(فإنك لاقٍ بالمنازل من مِنىً ... فَخَاراً فخبِّرْني بمن أنت فاخرُ)
فقال له جرير بلبيك اللهم لبيك قال إسحاق فكان أصحابنا يستحسنون هذا الجواب من جرير ويعجبون منه
أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام وأخبرني وكيع عن محمد بن إسماعيل عن ابن سلام قال حدثنا أبو الخطاب عن أبيه عن حجناء بن جرير قال
قلت لأبي يا ابت ما هجوت قوما قط إلا أفسدتهم سوى التيم فقال
إني لم أجد حسبا أضعه ولا بناء أهدمه
قال ابن سلام أخبرني أبو قيس عن عكرمة بن جرير قال قلت لأبي يا أبت من أشعر الناس فقال ألجاهلية تريد أم الإسلام قلت أخبرني عن الجاهلية قال شاعر الجاهلية زهير قلت فالإسلام قال نبعة الشعر الفرزدق قلت فالأخطل قال) يجيد صفة الملوك ويصيب نعت الخمر قلت فما تركت لنفسك قال دعني فإني نحرت الشعر نحرا

الفرزدق توقع سلفا ما هجاه به جرير

)
أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني الحسن بن عليل قال حدثني محمد بن عبد الله العبدي عن عمارة بن عقيل عن جده قال
وقف الفرزدق على أبي بمربد البصرة وهو ينشد قصيدته التي هجا بها الراعي فلما بلغ إلى قوله
(فغُضَّ الطَّرْف إنك من نُمَيرٍ ... فلا كَعْباً بلغت ولا كِلابا)
أقبل الفرزدق على روايته فقال غضه والله فلا يجيبه أبدا ولا يفلح بعدها فلما بلغ إلى قوله
(... بها بَرَصٌ بجانبِ إسْكَتَيْها)
وضع الفرزدق يده على فيه وغطى عنفقته فقال أبي
(...كَعَنْفَقَةِ الفرزدقِ حين شابَا)
فانصرف الفرزدق وهو يقول اللهم أخزه والله لقد علمت حين بدأ بالبيت أنه لا يقول غير هذا ولكن طمعت ألا يأبه فغطيت وجهي فما أغناني ذلك شيئا قال العنزي حدثني مسعود بن بشر عن أبي عبيدة قال قال يونس ما أرى جريرا قال هذا المصراع إلا حين غطى الفرزدق عنفقته فإنه نبهه عليه بتغطيته إياها

الفرزدق يعترف بمجاراة جرير له

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا المدائني عن أبي بكر الهذلي قال
قال رجل من بني دارم للفرزدق وهو بالبصرة يا ابا فراس هل تعلم اليوم أحدا يرمي معك فقال لا والله ما أعرف نابحا إلا وقد استكان ولا ناهشا إلا وقد انجحر إلا القائل
(فإنْ لم أجِدْ في القُرْبِ والبعدِ حاجتي ... تَشأَّمتُ أو حوَّلتُ وجهي يمانيَا)
(فردِّي جِمَالَ الحيِّ ثم تَحمَّلي ... فما لكِ فيهم من مُقَامٍ ولا لِيَا)
(فإنّي لمغرورٌ أُعلِّل بالمُنَى ... ليالِيَ أرجو أنَّ ما لَكَ ما ليا)
(وقائلةٍ والدمعُ يَحْدِر كُحْلَها ... ابعدَ جرير تُكرِمون المَوَاليا)
(بأيِّ نِجَادٍ تحمِلِ السيفَ بعدما ... قطعتَ القُوَى من مِحْمَلٍ كان باقيا)
(بأيِّ سنانٍ تطعُنُ القَوْمَ بعدما ... نزَعْتَ سِناناً من قَنَاتِك ماضيا)

(لساني وسيفي صارمانِ كلاهما ... ولَلسَّيْفُ أشْوَى وَقْعةً من لسانيا)
قال وهذا الشعر لجرير
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد عن عمارة بن عقيل عن أبيه قال
قال جرير وفدت إلى يزيد بن معاوية وأنا شاب يومئذ فاستؤذن لي عليه في جملة الشعراء فخرج الحاجب إلي وقال يقول لك أمير المؤمنين إنه لا يصل إلينا شاعر لا نعرفه ولا نسمع بشيء من شعره وما سمعنا لك بشيء فنأذن لك على بصيرة فقلت له تقول لأمير المؤمنين أنا القائل
(وإنّي لَعَفٌّ الفقر مُشْتَرَكُ الغِنَى ... سريعٌ إذا لم أرضَ داري انتقاليا)
(جريءُ الجَنَانِ لا أهاب مِنَ الرَّدَى ... إذا ما جعلتُ السيفَ قَبْضَ بَنَانيا)
وليس لسيفي في العظامِ بَقِيَّةٌ ... ولَلسَّيْفُ أشْوَى وقعةً من لسانيا) فدخل الحاجب عليه فأنشده الأبيات ثم خرج إلي وأذن لي فدخلت وأنشدته وأخذت الجائزة مع الشعراء فكانت أول جائزة أخذتها من خليفة وقال لي لقد فارق أبي الدنيا) وما يظن أبياتك التي توسلت بها إلي إلا لي
حماد الرواية يوازن بينه وبين الفرزدق
)
أخبرني عمي قال حدثني الكراني قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية قال
أتيت الفرزدق فأنشدني ثم قال لي هل أتيت الكلب جريرا قلت نعم قال فأنا أشعر أو هو فقلت أنت في بعض الأمر وهو في بعض فقال لم تناصحني فقلت هو أشعر إذا أرخى من خناقه وأنت أشعر منه إذا خفت أو رجوت فقال وهل الشعر إلا في الخوف والرجاء وعند الخير والشر
أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن الحارث قال حدثنا المدائني عن يحيى بن عنبسة القرشي وعوانة بن الحكم أن جريرا والفرزدق اجتمعا عند بشر بن مروان فقال لهما بشر إنكما قد تقارضتما الأشعار وتطالبتما الآثار وتقاولتما الفخر وتهاجيتما فأما الهجاء فليست بي إليه حاجة فجددا بين يدي فخرا ودعاني مما مضى فقال الفرزدق
(نحن السَّنَامُ والمَنَاسِمُ غيرُنا ... فمَنْ ذا يُساوي بالسَّنَامِ المناسمَا)
فقال جرير
(على موضع الأسْتاهِ أنتم زعمتُمُ ... وكلُّ سَنَامٍ تابعٌ للغَلاَصِمِ)
فقال الفرزدق
(على مَحْرِثٍ للفَرْث أنتم زعمتُمُ ... ألاَ إنَّ فوق الغَلْصَمات الجَمَاجِمَا)
فقال جرير
(وأنبأتُمونا أنكم هامُ قومِكم ... ولا هامَ إلا تابعٌ للخَرَاطم)
فقال الفرزدق
(فنحن الزِّمامُ القائدُ المقتدَى به ... من الناس ما زلنا ولسنا لَهَازِمَا)
فقال جرير
(فنحن بَنِي زيد قطعنا زمامِها ... فتاهت كسارٍ طائِش الرأس عارمِ)
فقال بشر غلبته يا جرير بقطعك الزمام وذهابك بالناقة وأحسن الجائزة لهما وفضل جريرا
قال المدائني وحدثني عوانة بن الحكم قال
جاء جرير إلى باب سكينة بنت الحسين عليه السلام يستأذن عليها فلم تاذن له وخرجت إليه جارية لها فقالت تقول لك سيدتي أنت القائل
(طَرَقَتْكَ صائدةُ القلوب وليس ذا ... حينَ الزيارةِ فارْجِعِي بسلامِ)
قال نعم قالت فألا أخذت بيدها فرحبت بها وأدنيت مجلسها وقلت لها ما يقال لمثلها أنت عفيف وفيك ضعف فخذ هذين الألفي الدرهم فالحق بأهلك
سكينة بنت الحسين فضلته على الفرزدق
قال المدائني في خبره هذا وحدثني أبو يعقوب الثقفي عن الشعبي أن الفرزدق خرج حاجا فلما قضى حجه عدل إلى المدينة فدخل إلى سكينة بنت الحسين عليهما السلام فسلم فقالت له يا فرزدق من أشعر الناس قال أنا قالت كذبت أشعر منك الذي يقول
(بنفسِي مَنْ تَجَنُّبُه عزيزٌ ... عليّ ومَنْ زيارتُه لِمَامُ)
(ومَنْ أمسِي وأُصبِح لا أراه ... ويطْرُقُني إذا هَجَع النِّيام)
فقال والله لو أذنت لي لأسمعتك أحسن منه قالت أقيموه فأخرج
ثم عاد إليها من الغد فدخل عليها فقالت يا فرزدق من أشعر الناس قال أنا قالت كذبت صاحبك جرير أشعر منك حيث يقول
(لولا الحياءُ لعادني استعبارُ ... ولَزُرْتُ قبرك والحبيبُ يُزَارُ)
(كانت إذا هَجَر الضَّجيعُ فِراشَها ... كُتِمَ الحديثُ وعَفَّت الأسرارُ)
(لا يَلْبَثُ القُرَنَاءُ أنْ يتفرَّقوا ... ليلٌ يكُرُّ عليهمُ ونهارُ)
فقال والله لئن أذنت لي لأسمعنك أحسن منه فأمرت به فأخرج ثم عاد إليها في اليوم الثالث وحولها مولدات لها كأنهن التماثيل فنظر الفرزدق إلى واحدة منهن فأعجب بها وبهت ينظر إليها فقالت له سكينة يا فرزدق من أشعر الناس قال أنا قالت كذبت صاحبك أشعر منك حيث يقول
(إنَّ العيونَ التي في طَرْفِها مَرَضٌ ... قتلْنَنَا ثم لم يُحْيِينَ قَتْلانا)
(يَصْرَعْنَ ذا اللُّبِّ حتى لا حَرَاكَ به ... وهنّ أضعفُ خَلْقِ اللَّه اركانا)
(أتْبعتُهم مُقْلةً إنسانُها غَرِقٌ ... هل ما تَرَى تاركٌ للعين إنسانا)
فقال والله لئن تركتني لأسمعنك أحسن منه فأمرت بإخراجه فالتفت إليها وقال يا بنت رسول الله إن لي عليك حقا عظيما قالت وما هو قال ضربت إليك آباط الإبل من مكة إرادة التسليم عليك فكان جزائي من ذلك تكذيبي وطردي وتفضيل جرير علي ومنعك إياي أن أنشدك شيئا من شعري وبي ما قد عيل منه صبري وهذه

المنايا تغدوا وتروح ولعلي لا أفارق المدينة حتى أموت فإذا أنا مت فمري بي أن أدرج في كفني وأدفن في حر هذه يعني الجارية التي أعجبته فضحكت سكينة وأمرت له بالجارية فخرج بها آخذا بريطتها وأمرت الجواري فدفعن في أقفيتهما ونادته يا فرزدق احتفظ بها وأحسن صحبتها فإني آثرتك بها على نفسي
قال المدائني في خبره هذا وحدثني أبو عمران بن عبدالملك بن عمير عن أبيه وحدثنيه عوانة أيضا قالا
صنع عبدالملك بن مروان طعاما فأكثر وأطاب ودعا إليه الناس فأكلوا فقال بعضهم ما أطيب هذا الطعام ما نرى أن أحدا رأى أكثر منه ولا أكل أطيب منه فقال أعرابي من ناحية القوم أما أكثر فلا وأما أطيب فقد والله أكلت أطيب منه فطفقوا يضحكون من قوله فأشار إليه عبدالملك فأدني منه فقال ما أنت بمحق فيما تقول إلا أن تخبرني بما يبين به صدقك فقال نعم يا أمير المؤمنين بينا أنا بهجر في برث أحمر في أقصى حجر إذ توفي أبي وترك كلا وعيالا وكان له نخل فكانت فيه نخلة لم ينظر الناظرون إلى مثلها كأن تمرها أخفاف الرباع لم ير تمر قط أغلظ ولا أصلب ولا أصغر نوى ولا أحلى حلاوة منه وكانت تطرقها أتان وحشية قد ألفتها تأوي الليل تحتها
فكانت تثبت رجليها في أصلها وترفع يديها وتعطو بفيها فلا تترك فيها إلا النبيذ والمتفرق فأعظمني ذلك ووقع مني كل موقع فانطلقت بقوسي وأسهمي وأنا أظن أني أرجع من ساعتي فمكثت يوما وليلة لا اراها حتى إذا كان السحر أقبلت فتهيأت لها فرشقتها فأصبتها وأجهزت عليها ثم عمدت إلى سرتها فاقتددتها ثم عمدت إلى حطب جزل فجمعته إلى رضف وعمدت إلى زندي فقدحت وأضرمت النار في ذلك الحطب وألقيت سرتها فيه وأدركني نوم الشباب فلم يوقظني إلا حر الشمس في ظهري فانطلقت إليها فكشفتها وألقيت ما عليها من قذى وسواد ورماد ثم قلبت منها مثل الملاءة البيضاء فألقيت عليها من رطب تلك النخلة المجزعة والمنصفة فسمعت لها أطيطا كتداعي عامر وغطفان ثم أقبلت أتناول الشحمة واللحمة فأضعها بين التمرتين وأهوي إلى فمي فيما أحلف إني ما أكلت طعاما مثله قط فقال له عبد الملك لقد أكلت طعاما طيبا فمن أنت قال أنا رجل جانبتني عنعنة تميم وأسد وكشكشة ربيعة وحوشي أهل اليمن وإن كنت منهم فقال من ايهم أنت قال من أخوالك من عذرة قال أولئك فصحاء الناس فهل لك علم بالشعر قال سلني عما بدا لك يا أمير المؤمنين قال أي بيت قالته العرب أمدح قال قول جرير
(ألستم خيرَ مَنْ ركِبَ المَطايا ... وأنْدَى العالمين بطونَ راحِ
قال وكان جرير في القوم فرفع رأسه وتطاول لها ثم قال فأي بيت قالته العرب أفخر قال قول جرير
(إذا غضبتْ عليك بنو تَميم ... حسبتَ الناسَ كلَّهمُ غِضَابَا)
قال فتحرك لها جرير ثم قال له فأي بيت أهجى قال قول جرير
(فغُضَّ الطَّرْفَ إنك من نُمَيرٍ ... فلا كَعْباً بلغتَ ولا كِلاَبا)
قال فاستشرف لها جرير قال فأي بيت أغزل قال قول جرير
إن العيون التي في طَرْفِها مَرَضٌ ... قَتَلْنَنا ثم لم يُحيين قَتْلانا) قال فاهتز جرير وطرب ثم قال له فأي بيت قالته العرب)
أحسن تشبيها قال قول جرير
(سَرَى نحوَهم ليلٌ كأنّ نجومَه ... قَنَادِيلُ فيهنّ الذُّبَال المفتَّلُ)
فقال جرير جائزتي للعذري يا أمير المؤمنين فقال له عبد الملك وله مثلها من بيت المال ولك جائزتك يا جرير لا تنتقص منها شيئا وكانت جائزة جرير أربعة آلاف درهم وتوابعها من الحملان والكسوة فخرج العذري وفي يده اليمنى ثمانية آلاف درهم وفي اليسرى رزمة ثياب
أخبرنا هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا المدائني عن أبي عبد الرحمن عن عبد الله بن عياش الهمداني قال
بينا المهلب ذات يوم (أو ليلة) بفارس وهو يقاتل الأزارقة إذ سمع في عسكره جلبة وصياحا فقال ما هذا قالوا جماعة من العرب تحاكموا إليك
في شيء فأذن لهم فقالوا إنا اختلفنا في جرير والفرزدق فكل فريق منا يزعم أن أحدهما أشعر من الآخر وقد رضينا بحكم الأمير فقال كأنكم أردتم أن تعرضوني لهذين الكلبين فيمزقا جلدتي لا أحكم بينهما ولكني ادلكم على من يهون عليه سبال جرير وسبال الفرزدق عليكم بالأزارقة فإنهم قوم عرب يبصرون بالشعر ويقولون فيه بالحق فلما كان الغد خرج عبيدة بن هلال اليشكري ودعا إلى المبارزة فخرج إليه رجل من عسكر المهلب كان لقطري صديقا فقال له يا عبيدة سألتك الله إلا أخبرتني عن شيء أسألك عنه قال سل قال أوتخبرني قال نعم إن كنت أعلمه قال أجرير أشعر أم الفرزدق قال قبحك الله أتركت القرآن والفقه وسألتني عن الشعر قال إنا تشاجرنا في ذلك ورضينا بك فقال من الذي يقول
(وَطوَى الطِّرَادُ مع القِيَادِ بطونَها ... طَيَّ التِّجَارِ بحَضْرَمَوْتَ بُرُودَا)
) فقال جرير قال هذا أشعر الرجلين
لم ينسب ولم يرجز
)
أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا الرياشي عن العتيبي قال
قال جرير ما عشقت قط ولو عشقت لنسبت نسيبا تسمعه العجوز فتبكي على ما فاتها من شبابها وإني لأرى من الرجز أمثال آثار الخيل في الثرى ولولا أني أخاف أن يستفزعني لأكثرت منه
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي وعمي قالا حدثنا ابن الأعرابي
قال حدثنا عبد الرحمن بن سعيد بن بيهس بن صهيب الجرمي عن عامر بن شبل الجرمي قال
قدم جرير على عبدالعزيز بن الوليد بن عبد الملك وهو نازل بدير مران فكنا نغدوا إليه بكرا فيخرج إلينا ويجلس في برنس خز له لا يكلمنا كلمة حتى يجيء طباخ عبد العزيز إليه بقدح من طلاء مسخن يفور وبكتلة من سمن كأنها هامة رجل فيخوضها فيه ثم يدفعه إليه فيأتي عليه ويقبل علينا ويحدثنا في كل فن وينشدنا لنفسه ولغيره حتى يحضر غداء عبد العزيز فنقوم إليه جميعا وكان يختم مجلسه بالتسبيح فيطيل فقال له رجل ما يغني عنك هذا التسبيح مع قذفك للمحصنات فتبسم وقال يابن أخي (خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم) إنهم والله يابن أخي يبدأوني ثم لا أحلم
أخبرني عمي قال حدثنا ابن أبي سعد قال حدثني إبراهيم بن عبد الرحمن بن سعيد بن جعفر بن يوسف بن محمد بن موسى قال حدثني الأخفش عن أبي محذورة الوراق عن أبي مالك الراوية قال سمعت الفرزدق يقول وأخبرني بهذا الخبر

محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني إبراهيم بن محمد الطائفي قال حدثني محمد بن مسعدة الأخفش عن أبي محذورة الوراق عن أبي مالك الراوية قال
سمعت الفرزدق يقول أبق غلامان لرجل منا يقال له الخضر فحدثني قال خرجت في طلبهما وأنا على ناقة لي عيساء كوماء أريد اليمامة فلما صرت في ماء لبني حنيفة يقال له الصرصران ارتفعت سحابة فرعدت وبرقت وأرخت عزاليها فعدلت إلى بعض ديارهم وسألت القرى فأجابوا فدخلت داراً لهم وأنخت الناقة وجلست تحت ظلة لهم من جريد النخل وفي الدار جويرية لهم سوداء إذ دخلت جارية كأنها سبيكة فضة وكأن عينيها كوكبان دريان فسألت الجارية لمن هذه العيساء تعني ناقتي فقالت لضيفكم هذا فعدلت إلي فقالت السلام عليكم فرددت عليها السلام فقالت لي ممن الرجل فقلت من بني حنظلة فقالت من أيهم فقلت من بني نهشل فتبسمت وقالت أنت إذا ممن عناه الفرزدق بقوله
(إن الذي سمَكَ السماءَ بنَى لنا ... بيتاً دعائمُه أعزُّ وأطولُ)
(بيتاً بناه لنا المليكُ وما بَنَى ... مَلِكُ السماءِ فإنه لا يُنْقَلُ)
(بيتاً زُرارةُ مُحْتَبٍ بفِنائه ... ومُجَاشِعٌ وأبو الفوارس نَهْشَلُ)
قال فقلت نعم جعلت فداك وأعجبني ما سمعت منها فضحكت وقالت فإن ابن الخطفي قد هدم عليكم بيتكم هذا الذي فخرتم به حيث يقول
(أخْزَى الذي رفَع السماء مُجَاشِعاً ... وبَنى بِناءَكَ بالحَضِيض الأسفل)
(بيتاً يُحَمِّمُ قَيْنُكم بفِنائه ... دَنِساً مَقَاعِدُه خبيثَ المَدْخَلِ)
قال فوجمت فلما رأت ذلك في وجهي قالت لا عليك فإن الناس يقال فيهم ويقولون ثم قالت اين تؤم قلت اليمامة فتنفست الصعداء ثم قالت ها هي تلك أمامك ثم أنشأت تقول
(تُذكِّرُني بلاداً خيرُ أهلي ... بها أهلُ المروءة والكَرامه)
(ألا فسقَى الإلهُ أجَشَّ صَوْباً ... يَسُحُّ بدرِّه بلدَ اليمامه)
(وحيِّا بالسلام أبا نُجَيدٍ ... فأهلٌ للتحيّة والسلامه)
قال فأنست بها وقلت لها أذات خدن أم ذات بعل فأنشأت تقول
(إذا رَقد النِّيَامُ فإن عمراً ... تؤرِّقه الهمومُ إلى الصباح)
(تُقطِّع قلبَه الذِّكْرى وقلبي ... فلا هو بالخَلِيّ ولا بِصاحِ)
(سقَى اللّهُ اليمامة دار قوم ... بها عمرو يَحِنُّ إلى الرَّواحِ)
فقلت لها من عمرو هذا فأنشأت تقول
(سألتَ ولو علمتَ كَفَفْتَ عنه ... ومن لكَ بالجوابِ سِوَى الخبير)
(فإن تَكُ ذا قَبولٍ إن عَمْراً ... هو القَمرُ المُضيءُ المستنيرُ)
(وما لي بالتبعُّل مُسْتَراحٌ ... ولو ردَّ التبعُّلُ لي أسيري)
قال ثم سكتت سكتة كأنها تتسمع إلى كلام ثم تهافتت وأنشأت تقول
(يخيَّل لي هَيَا عمرُو بنَ كَعْبٍ ... كأنك قد حُمِلْتَ على سرير)
(يسير بِكَ الهُوَيْنَى القومُ لما ... رَماك الحبُّ بالعَلَق العسير)
((فإن تَكُ هكذا يا عَمْرُو إنِّي ... مُبكِّرةٌ عليك إلى القبور
ثم شهقت شهقة فخرت ميتة فقلت لهم من هذه فقالوا هذه عقيلة بنت الضحاك بن عمرو بن محرق بن النعمان بن المنذر بن ماء السماء فقلت لهم فمن عمرو هذا قالوا ابن عمها عمرو بن كعب بن محرق بن النعمان بن المنذر فارتحلت من عندهم فلما دخلت اليمامة سألت عن عمرو هذا فإذا هو قد دفن في ذلك الوقت الذي قالت فيه ما قالت

خبره مع عمر بن عبد العزيز

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا محمد بن الحكم وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو الهيثم بدر بن سعيد العطار قال حدثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال
لما استخلف عمر بن عبد العزيز جاءه الشعراء فجعلوا لا يصلون إليه فجاء عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وعليه عمامة قد أرخى طرفيها فدخل فصاح به جرير
(يأيُّها القارىءُ المُرْخي عِمامَته ... هذا زمانُك إنِّي قد مَضَى زَمَنِي)
(أبلِغ خليفتَنا إن كنتَ لاقيَه ... أنِّي لَدَى البابِ كالمَصْفودِ في قَرَنِ)
قال فدخل على عمر فاستأذن له فأدخله عليه وقد كان هيأ له شعرا فلما دخل عليه غيره وقال
(إنا لنرجو إذا ما الغيثُ أخْلَفَنا ... من الخليفةِ ما نرجوا من المطر)
(نال الخلافةَ إذ كانت له قَدَراً ... كما أتَى ربَّه موسى على قَدَر)
((أأذكر الجَهْدَ والبَلْوَى التي نزلتْ ... أم تَكْتفي بالذي بُلِّغْتَ من خَبَرِي
(ما زِلْتُ بعدك في دارٍ تَعَرَّقُنِي ... قد طال بعدك إصعادي ومُنحدَري)
(لا ينفع الحاضرُ المجهودُ بادِيَنا ... ولا يجود لنا بادٍ على حَضَر)
(كم بالمواسِم من شَعْثاءَ أرْمَلةٍ ... ومن يتيمٍ ضعيفِ الصوتِ والبصر)
(يدعوك دعوةَ ملهوفٍ كأنّ به ... خَبْلاً من الجِنِّ أو مَسّاً من النُّشَرِ)
(ممّن يَعُدُّك تَكْفِي فَقْدَ والدِه ... كالفَرْخ في العُشِّ لم يَنْهَضْ ولم يَطِرِ)
قال فبكى عمر ثم قال يابن الخطفي أمن أبناء المهاجرين أنت فنعرف لك حقهم أم من ابناء الأنصار فيجب لك ما يجب لهم أم من فقراء المسلمين فنأمر صاحب صدقات قومك فيصلك بمثل ما يصل به قومك فقال يا أمير المؤمنين ما أنا بواحد من هؤلاء وإني لمن أكثر قومي مالا وأحسنهم حالا ولكني اسألك ما عودتنيه الخلفاء أربعة آلاف درهم وما يتبعها من كسوة وحملان فقال له عمر كل امرىء يلقى فعله وأما أنا فما أرى لك في مال الله حقا ولكن انتظر يخرج فانظر ما يكفي عيالي سنة منه فأدخره لهم ثم إن فضل فضل صرفناه إليك فقال جرير لا بل يوفر أمير المؤمنين ويحمد وأخرج راضيا قال فذلك أحب إلي فخرج فلما ولى قال عمر إن شر هذا ليتقى ردوه إلي فردوه فقال إن عندي أربعين دينارا وخلعتين إذا غسلت إحداهما لبست الأخرى وأنا مقاسمك ذلك على أن الله جل وعز يعلم أن عمر أحوج إلى ذلك منك فقال له قد وفرك الله يا

أمير المؤمنين وأنا والله راض قال أما وقد حلفت فإن ما وفرته علي ولم تضيق به معيشتنا آثر في نفسي من المدح فامض مصاحبا فخرج فقال له أصحابه وفيهم الفرزدق
ما صنع بك أمير المؤمنين يا أبا حزرة قال خرجت من عند رجل يقرب الفقراء ويباعد الشعراء وأنا مع ذلك عنه راض ثم وضع رجله في غرز راحلته وأتى قومه فقالوا له ما صنع بك أمير المؤمنين أبا حزرة فقال
(تركتُ لكم بالشام حَبْلَ جماعةٍ ... أمِينَ القُوَى مُسْتَحْصِدَ العَقْدِ باقِيَا)
(وجدتُ رُقَى الشيطانِ لا تستفِزُّه ... وقد كان شيطاني من الجِنّ راقِيَا)
هذه رواية عمر بن شبة وأما اليزيدي فإنه قال في خبره فقال له جرير يا أمير المؤمنين فإني ابن سبيل قال لك ما لأبناء السبيل زادك ونفقة تبلغك وتبدل راحلتك إن لم تحملك فألح عليه فقالت له بنو أمية يا أبا حزرة مهلا عن أمير المؤمنين ونحن نرضيك من أموالنا عنه فخرج وجمعت له بنو أمية مالا عظيما فما خرج من عند خليفة بأكثر مما خرج من عند عمر
أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبيدة قال
رأت أم جرير وهي حامل به كأنها ولدت حبلا من شعر أسود فلما سقط منها جعل ينزو فيقع في عنق هذا فيخنقه حتى فعل ذلك برجال كثير فانتبهت فزعة فأولت الرؤيا فقيل لها تلدين غلاما شاعرا ذا شر وشدة شكيمة وبلاء على الناس فلما ولدته سمته جريراً باسم الحبل الذي رأت أنه خرج منها قال والجرير الحبل
قال إسحاق وقال الأصمعي حدثني بلال بن جرير أو حدثت عنه
أن رجلا قال لجرير من أشعر الناس قال له قم حتى أعرفك الجواب فأخذ بيده وجاء به إلى أبيه عطية وقد أخذ عنزا له فاعتقلها وجعل يمص ضرعها
فصاح به اخرج يا أبت فخرج شيخ دميم رث الهيئة وقد سال لبن العنز على لحيته فقال ألا ترى هذا قال نعم قال أوتعرفه قال لا قال هذا أبي أفتدري لم كان يشرب من ضرع العنز قلت لا قال مخافة أن يسمع صوت الحلب فيطلب منه لبن ثم قال أشعر الناس من فاخر بمثل هذا الأب ثمانين شاعرا وقارعهم به فغلبهم جميعا
حدثني عمي قال حدثنا عبدالله بن أبي سعد قال حدثني عبدالله بن محمد بن موسى مولى بني هاشم قال حدثني عمارة بن عقيل عن المغيرة بن حجناء عن أبيه قال
ولد جرير لسبعة اشهر فكان الفرزدق يعيره ذلك وفيه يقول
(... وأنت أبنُ صُغْرَى لم تَتِمَّ شهورُها)
قال وولد عطية جريرا وأمه أم قيس بنت معيد من بني كليب وعمرا وأبا الورد فأما ابو الورد فكان يحسد جريرا فذهبت لجرير إبل فشمت به أبو الورد فقال له جرير
(أبا الوردِ أبْقَى اللّهُ منها بَقِيَّةً ... كَفَتْ كلَّ لَوَّامٍ خَذُولٍ وحاسِدِ)
وأما عمرو فكان أكبر من جرير وكان يقارضه الشعر فقال له جرير
(وعمرو قد كرهتُ عتابَ عمرو ... وقد كثُر المَعَاتِبُ والذُّنوبُ)
(وقد صَدَّعتُ صخرةَ مَنْ رماكم ... وقد يُرْمَى بيَ الحَجرُ الصَّلِيبُ)
(وقد قطعَ الحديدَ فلا تُماروا ... فِرِنْدٌ لا يُفَلّ ولا يَذُوبُ)
يزيد بن معاوية يعاتب أباه بشعر جرير وينسبه إلى نفسه
قال وأول شعر قاله جرير في زمن معاوية قاله لابنه
((فَرِّدِّي جِمالَ البَيْنِ ثم تَحَمَّلِي ... فما لكِ فيهم من مُقَامٍ ولا لِيَا)
(لقد قادَنِي الجِيرانُ يوماً وقُدتُهم ... وفارقتُ حتّى ما تصُبُّ جِمَالِيَا)
(وإنِّي لمغرورٌ أُعلِّلُ بالمُنَى ... لياليَ أرجو أن مالكَ مالِيَا)
(بأيّ سِنَانٍ تَطْعُنُ القَرْمَ بعدما ... نَزَعْتَ سِنَاناً من قَنَاتِك ماضِيَا)
(بأيّ نِجَادٍ تحمِل السَّيفَ بعدما ... قطعتَ القُوَى من مِحْمَلٍ كان باقِيَا)
قال وكان يزيد بن معاوية عاتب أباه بهذه الأبيات ونسبها إلى نفسه لأن جريرا لم يكن شعره شهر حينئذ فقدم جرير على يزيد في خلافته فاستؤذن له مع الشعراء فأمر يزيد ألا يدخل عليه شاعر إلا من عرف شعره فقال جرير قولوا له أنا القائل
(فرُدِّي جِمالَ الحيِّ ثم تَحَمَّلِي ... فما لكِ فيهم من مُقامٍ ولا لِيَا)
فأمر بإدخاله فلما أنشده قال يزيد لقد فارق أبي الدنيا وما يحسب إلا أني قائلها وأمر له بجائزة وكسوة
أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا محمد بن صالح بن النطاح قال قال ابو عبيدة قال أبو عمرو
استعار جرير من أبيه فحلا يطرقه في إبله فلما استغنى عنه جاءه أبوه في بت خلق يسترده فدفعه إليه وقال يا ابت هذا تُرَدّ إلى عطيَّةَ تُعْتَلُ يعرِّض بقول الفرزدق فيه
(ليس الكرامُ بناحِلِيكَ اباهُم ... حتى تُرَدَّ إلى عَطِيَّةَ تُعْتَلُ)
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي وعمر بن شبة قالا حدثنا الأصمعي قال أخبرنا أبو عمرو بن العلاء قال
جلس جرير يملي على رجل قوله
(وَدِّعْ أُمامةِ حانَ منكَ رحيلُ ... إنَّ الوَدَاعَ لمن تحبّ قليلُ)
فمروا عليه بجنازة فقطع الإنشاد وجعل يبكي ثم قال شيبتني هذه الجنازة قال أبو عمرو فقلت له فعلام تقذف المحصنات منذ كذا وكذا فقال إنهم يبدأونني ثم لا أعفو
أخبرني عمي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبي قال حدثنا عبد الله بن المعذل قال
كان أبي وجماعة من علمائنا يقولون إنما فضل جرير لمقاومته الفرزدق وأفضل شعر قاله جرير
(... حَيِّ الهِدَمْلَةَ من ذات المَوَاعِيس)
أخبرني ابو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثنا ابو الغراف قال
أتى الفرزدق مجلس بني الهجيم في مسجدهم فأنشدهم وبلغ ذلك جريرا فأتاهم من الغد لينشدهم كما أنشدهم الفرزدق فقال له شيخ منهم يا هذا اتق الله فإن هذا المسجد إنما بني لذكر الله والصلاة فقال جرير أقررتم للفرزدق ومنعتموني وخرج مغضبا وهو يقول
((إنّ الهُجَيْمَ قبيلةٌ ملعونةٌ ... حُصُّ اللِّحَى متشابهو الألوانِ

(هم يتركون بَنِيهمُ وبناتِهم ... صُعْرَ الأنوفِ لريحِ كلِّ دُخَانِ)
(لو يَسمعون بأكلةٍ أو شَرْبَةٍ ... بعُمَانَ أصبح جَمْعُهم بعُمَانِ)
قال وخفة اللحى في بني هجيم ظاهرة وقيل لرجل منهم ما بالكم يا بني الهجيم حص اللحى قال إن الفحل واحد
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني محمد بن عبد الله بن آدم قال سمعت عمارة بن عقيل يحدث عن أبيه عن جده قال
قال عبد الملك أو الوليد ابنه لجرير من اشعر الناس قال فقال ابن العشرين قال فما رأيك في ابني أبي سلمى قال كان شعرهما نيرا يا أمير المؤمنين قال فما تقول في امرىء القيس قال اتخذ الخبيث الشعر نعلين وأقسم بالله لو أدركته لرفعت ذلاذله قال فما تقول في ذي الرمة قال قدر من ظريف الشعر وغريبه وحسنه على ما لم يقدر عليه أحد قال فما تقول في الأخطل قال ما أخرج لسان ابن النصرانية
ما في صدره من الشعر حتى مات قال فما تقول في الفرزدق قال في يده والله يا أمير المؤمنين نبعة من الشعر قد قبض عليها قال فما أراك أبقيت لنفسك شيئا قال بلى والله يا أمير المؤمنين إني لمدينة الشعر التي منها يخرج وإليها يعود نسبت فأطربت وهجوت فأرديت ومدحت فسنيت وأرملت فأغزرت ورجزت فأبحرت فأنا قلت ضروب الشعر كلها وكل واحد منهم قال نوعا منها قال صدقت

شعره في جارية له طلبت منه أن يبيعها

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح عن ابن الكلبي قال
كانت لجرير أمة وكان بها معجبا فاستخفت المطعم والملبس والغشيان واستقلت ما عنده وكانت قبله عند قوم يقال لهم بنو زيد أهل خصبٍ ونعمة فسامته أن يبيعها وألحت في ذلك فقال فيها
(تكلِّفُني معيشةَ آلِ زيدٍ ... ومَنْ لِي بالمُرَقَّقِ والصِّنَابِ)
(تقول ألَا تَضُمّ كَضَمِّ زيدٍ ... وما ضَمِّي وليس معي شَبابي)
فقال الفرزدق يعيره ذلك
(فإن تُفْقِرْك عِلْجَةُ آل زيدٍ ... ويُعْجِزْكِ المرقَّقُ والصِّنَابُ)
(فقِدْماً كان عيشُ أبيك مُرّاً ... يَعيشُ بما تعيش به الكلابُ)

خبره مع ذي الرمة

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا العباس بن ميمون قال حدثنا التوزي عن أبي عبيدة عن أيوب بن كسيب قال
دخل جرير على المهاجر بن عبد الله وهو والي اليمامة وعنده ذو الرمة ينشده فقال المهاجر بن عبد الله لجرير كيف ترى قال لقد قال وما أنعم فغضب ذو الرمة ونهض وهو يقول
(... أنا أبو الحارثِ واسْمِي غَيْلانْ)
فنهض جرير وقال
(إنِّي امرؤٌ خُلِقتُ شَكْساً أشْوَسا ... إن تَضْرِسَاني تَضْرِسا مُضَرَّسا)
(قد لبِس الدهرَ وأبْقَى مَلْبَسَا ... من شاء من نارِ الجَحيمِ اقتَبَسا)
قال فجلس ذو الرمة وحاد عنه فلم يجبه
أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا ابن النطاح عن أبي عبيدة قال كان ذو الرمة ممن أعان على جرير ولم يصحر له فقال جرير فيه
(أقولُ نَصَاحةً لبَني عَدِيٍّ ... ثيابَكُمُ ونَضْحَ دمِ القتِيلِ)
وهي قصيدة قال وكانوا يتعاونون عليه ولا يصحرون له
أخبرنا ابو خليفة الفضل بن الحباب قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثني أبو الغراف قال
قال الفرزدق لذي الرمة ألهاك البكاء في الديار وهذا العبد يرجز بك
(يعني هشاما المرئي) بمقبرة بني حصن قال وكان السبب في الهجاء بين ذي الرمة وهشام أن ذا الرمة نزل بقرية لبني امرىء القيس يقال لها مرأة فلم يقروه ولم يعلفوا له فارتحل وهو يقول
(نزلنا وقد طال النهارُ وأوْقدتْ ... علينا حَصَى المِعْزَاءِ شمسٌ تَنَالُها)
(أَنَخْنَا فظلَّلْنَا بأبْرادِ يُمْنَةٍ ... رِقاقٍ وأسيافٍ قديمٍ صِقالُها)
(فلمَّا رآنا أهلُ مَرْأةَ أغْلَقوا ... مَخَادِعَ لم تُرْفَع لخيرٍ ظِلالُها)
(وقد سُمِّيتْ باسمِ امرىءِ القَيْس قَرْيةٌ ... كِرَامٌ صَوادِيها لئامٌ رجالُها)
(يظَلُّ الكِرامُ المُرْمِلُونَ بجَوِّها ... سواءٌ عليهم حَمْلُها وحِيَالُها)
(ولو وُضِعتْ أكوارُها عند بَيْهسٍ ... على ذاتِ غِسْلٍ لم تُشَمِّسْ رِحَالُها)
فقال جرير لهشام وكان يتهم ذا الرمة بهجائه التيم وهم إخوة عدي عليك العبد يعني ذا لرمة قال فما أصنع يا أبا حزرة وهو يقول القصيد وأنا أقول الرجز والرجز لا يقوم للقصيد فلو رفدتني قال قل له
(عجِبتَ لِرَحْلٍ من عَدِيٍّ مُشَمَّسٍ ... وفي أيِّ يومٍ لم تُشَمَّسْ رحالُها)
(وفِيمَ عَدِيٌّ عند تَيْمٍ من العُلاَ ... وأيَّامُنا اللاَّتي يُعَدّ فَعالُها)
(مَدَدْتَ بكفٍّ من عديٍّ قصيرةٍ ... لِتُدْرِكَ من زيد يداً لا تنالُها)
((وضَبَّةُ عَمِّي يابنَ جَلٍّ فلا تَرُمْ ... مساعيَ قومٍ ليس منك سِجالُها)
(يُمَاشي عَدِيّاً لؤمُها ما تُجِنُّه ... من الناس ماشتْ عَدِيّاً ظِلاَلُها)
(فقل لعَدِيٍّ تَستعِنْ بنسائِها ... عليَّ فقد أعْيَا عَدِيّاً رجالُها)
(أذَا الرُّمِّ قد قَلَّدتُ قومَك رُمَّةً ... بطيئاً بأيدي المُطلقِين انحلالُها)
(تَرَى اللُّؤمَ ما عاشتْ عديٌّ مخلَّداً ... سَرابيلُها منه ومنه نِعالُها)
قال فلج الهجاء بين ذي الرمة وهشام فلما أنشد المرئي هذه الأبيات وسمعها ذو الرمة قال كذب العبد السوء ليس هذا الكلام له هذا كلام نجدي حنظلي هذا كلام ابن الأتان قال ولم يزل ذو الرمة مستعليا على هشام حتى لقيه جرير فرفده هذه الأبيات

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عدنان قال حدثني أبو صخر من ولد حجناء بن نوح بن جرير قال سمعت أبي يحدث عن أبيه قال
أتى هشام بن قيس المرئي أبي يعني جريرا فاسترفده على ذي الرمة وقد كانا تهاجيا دهرا وكان سبب ذلك أن ذا الرمة نزل على أهل قرية لبني امرىء القيس فلم يدخلوا رحله فذمهم في القرى ومدح بيهسا صاحب ذات غسل وهو مرئي وذات غسل قرية له فقال ذو الرمة
(ولمَّا وردْنا مَرْأةَ اللُّؤمِ أُغلِقتْ ... دَساكِرُ لم تُفتَحْ لخيرٍ ظِلالُها)
(ولو عُرِّيتْ أصلابُها عند بَيْهَسٍ ... على ذاتِ غِسْلٍ لم تُشَمَّس رِحالُها)
(إذا ما امرؤ القيس ابنُ لؤمٍ تَطَعَّمتْ ... بكأسِ الندامَى خَبَّثتْها سِبالُها)
فقال جرير للمرئي قل له
(غَضِبتَ لرَحْلٍ من عديٍّ مُشَمَّسٍ ... وفي أيِّ يومٍ لم تُشَمَّس رحالُها)
وذكر الأبيات الماضية المذكورة في رواية أبي خليفة قال فلقي ذو الرمة جريرا فقال له تعصبت للمرئي وأنا خالك قال حين قلت ماذا قال حين قلت له أن يقول لي
(... عجبتَ لرَحْلٍ من عَدِيٍّ مشمَّسٍ)
فقال له جرير لا بل ألهاك البكاء في دار مية حتى أبيحت محارمك قال وكان قد بلغ جريرا ميل ذي الرمة عليه فجعل يعتذر إليه ويحلف له فقال له جرير اذهبِ الآن فقل للمرئي
(يَعُدّ الناسبون إلى تَميم ... بيوتَ المجدِ أربعةً كِبارا)
(يَعُدُّون الرِّباب وآلَ سَعْدٍ ... وعَمْراً ثم حَنْظَلةَ الخِيارا)
(ويَهْلِكُ بينها المَرَئيُّ لَغْواً ... كما ألغيتَ في الدِّية الحُوَارا)
فقال ذو الرمة قصيدته التي أولها
(نَبَتْ عيناكَ عن طَلَلٍ بحُزْوَى ... عَفَتْه الرِّيحُ وامتُنِحَ القِطارَا)
وألحق فيها هذه الأبيات فلما أنشدها وسمعها المرئي جعل يلطم رأسه ووجهه ويدعو بويله وحربه ويقول ما لي ولجرير فقيل له وأين جرير منك هذا رجل يهاجيك وتهاجيه فقال هيهات لا والله ما يحسن ذو الرمة أن يقول
((ويذهَب بينها المَرَئيّ لَغْواً ... كما ألغيتَ في الدِّية الحُوارَا
هذا والله كلام جرير ما تعداه قط قال ومر الفرزدق بذي الرمة وهو ينشد هذه القصيدة فلما أنشد الأبيات الثلاثة فيها قال له الفرزدق أعد يا غيلان فأعاد فقال له أأنت تقول هذا قال نعم يا أبا فراس قال كذب فوك والله لقد نحلكها أشد لحيين منك هذا شعر ابن الأتان قال وجاء المرئيون إلى جرير فقالوا يا أبا حزرة قد استعلى علينا ذو الرمة فأعنا على عادتك الجميلة فقال هيهات قد والله ظلمت خالي لكم مرة وجاءني فاعتذر وحلف وما كنت لأعينكم عليه بعدها قال ومات ذو الرمة في تلك الأيام

نصيب يقر بأسبقيته عليه وعلى جميل

أخبرني عمي قال حدثني الكراني قال حدثني العمري عن لقيط قال حدثني أبو بكر بن نوفل قال حدثني من سأل النصيب قال قلت له يا أبا محجن بيت قلته نازعك فيه جرير وجميل فأحب أن تخبرني أيكم فيه أشعر قال وما هو قلت قولك
(أَضَرَّ بها التَهجيرُ حتى كأنها ... أَكَبّ عليها جازرٌ مُتَعَرِّقُ)
وقال جميل
(أَضَرَّ بها التهجيرُ حتى كأنها ... بقايَا سُلاَلٍ لم يَدَعْها سُلاَلُها)
وقال جرير
(إذا بلغوا المنازلَ لم تُقَيَّدْ ... وفي طُول الكَلاَلِ لها قيودُ)
فقال نصيب قاتل الله ابن الخطفي ما أشعره قال فقال له الرجل أما أنت فقد فضلته فقال هو ما أقول لك
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني عبد الرحمن بن القاسم العجلي قال حدثني الحسن بن علي المنقري قال قال مسعود بن بشر
قلت لابن مناذر بمكة من أشعر الناس قال من إذا شئت لعب وإذا شئت جد فإذا لعب أطمعك لعبه فيه وإذا رمته بعد عليك وإذا جد فيما قصد له أيأسك من نفسه قلت مثل من قال مثل جرير حين يقول إذا لعب
(إنَّ الّذين غَدَوْا بلُبِّك غادروا ... وَشَلاً بعينك ما يزال مَعينَا)
ثم قال حين جد
(إنّ الذي حَرَم المكارم تَغْلباً ... جعل الخلافةَ والنبوَّةَ فينا)
(مُضَرٌ أبي وأبو الملوكِ فهل لكم ... يا آل تَغْلِبَ من أبٍ كأبينا)
(هذا ابن عمِّي في دِمَشْقَ خليفةً ... لو شئتُ ساقكُم إليّ قطينا)
اخبرني هاشم بن محمد قال حدثني الرياشي قال حدثنا الأصمعي عن أبي عمرو قال
لما بلغ عبد الملك قول جرير
(هذا ابن عمِّي في دِمَشْق خليفةً ... لو شئتُ ساقكُم إليّ قَطينا)
قال ما زاد ابن المراغة على أن جعلني شرطيا أما إنه لو قال
(... لو شاء ساقكم إليّ قطينا)
لسقتهم إليه كما قال

بشار يفضله على الفرزدق والأخطل

أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال
سألت بشارا العقيلي عن الثلاثة فقال لم يكن الأخطل مثلهما ولكن ربيعة تعصبت له وأفرطت فيه قلت فجرير والفرزدق قال كان جرير يحسن ضروبا من الشعر لا يحسنها الفرزدق وفضل جريرا عليه
وقال ابن سلام قال العلاء بن جرير وكان قد أدرك الناس وسمع كان يقال الأخطل إذا لم يجىء سابقا فهو سكيت والفرزدق لا يجيء سابقا ولا سكيتا فهو بمنزلة المصلي أبدا وجرير يجيء سابقا ومصليا وسكيتا قال ابن سلام وتأول قوله

إن للأخطل خمسا أو ستا أو سبعا طوالا روائع غررا جيادا هو بهن سابق وسائر شعره دون اشعارهما فهو فيما بقي بمنزلة السكيت والسكيت آخر الخيل في الرهان والفرزدق دونه في هذه الروائع وفوقه في بقية شعره فهو كالمصلي أبدا وهو الذي يجيء بعد السابق وقبل السكيت وجرير له روائع هو بهن سابق وأوساط هو بهن مصل وسفسافات هو بهن سكيت

مناقضة بينه وبين الفرزدق

أخبرنا أبو خليفة قال حدثني محمد بن سلام قال حدثني حاجب بن زيد بن شيبان بن علقمة بن زرارة قال

قال جرير بالكوفة

(لقد قادَنِي من حُبِّ ماوِيَّةَ الهَوَى ... وما كنتُ تَلْقَانِي الجَنِيبةُ أَقْوَدَا)

(أُحِبُّ ثَرَى نَجْدٍ وبالغَوْرِ حاجةٌ ... فغارَ الهَوَى يا عبدَ قَيْسٍ وأَنْجَدَا)

(أقول له يا عبدَ قَيْسٍ صَبابةً ... بأيِّ تَرَى مستوقِدِ النارِ أَوْقدا)

(فقال أَرَى ناراً يُشَبُّ وُقُودها ... بحيثُ استفاض الجِزْعِ شِيحاً وغَرْقَدَا)

فأعجبت الناس وتناشدوها قال فحدثني جابر بن جندل قال فقال لنا جرير أعجبتكم هذه الأبيات قالوا نعم قال كأنكم بابن القين وقد قال

(أَعِدْ نظراً يا عبدَ قَيْسٍ لعلَّما ... أضاءت لك النارُ الحِمَارَ المقيَّدا)

قال فلم يلبثوا أن جاءهم قول الفرزدق هذا البيت وبعده

(حمارٌ بمَرُّوتِ السُّخَامَةِ قاربتْ ... وَظِيفيْهِ حَوْلَ البيتِ حتى تَرَدَّدا)

(كُلَيْبِيَّةٌ لم يجعل اللَّهُ وجهَها ... كريماً ولم يَسْنَحْ بِها الطيرُ أَسْعُدَا)

قال فتناشدها الناسُ فقال الفرزدق كأنكم بابن المَرَاغةِ قد قال

(وما عِبْتَ من نارٍ أضاء وُقُودُها ... فِراساً وبِسْطَامَ بنَ قَيْسٍ مقيَّدا)

قال فإذا بالبيت قد جاء لجرير ومعه

(وأَوْقدتَ بالسِّيرَانِ ناراً ذَلِيلةً ... وأَشْهدْتَ من سَوْءاتِ جِعْثِنَ مَشْهَدَا)

رآه الأخطل عند عبد الملك فعرفه

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني محمد بن عبد الله بن آدم بن جشم عن عمارة بن عقيل عن أبيه قال

وقف جرير على باب عبد الملك بن مروان والأخطل داخل عنده وقد كانا تهاجيا ولم ير أحد منهما صاحبه فلما استأذنوا عليه لجرير أذن له فدخل فسلم ثم جلس وقد عرفه الأخطل فطمح طرف جرير إلى الأخطل وقد رآه ينظر إليه نظرا شديدا فقال له من أنت فقال أنا الذي منعت نومك وتهضمت قومك فقال له جرير ذلك أشقى لك كائنا من كنت ثم أقبل على عبد الملك بن مروان فقال من هذا يا أمير المؤمنين جعلني الله فداءك فضحك ثم قال هذا الأخطل يا أبا حزرة فرد عليه بصره ثم قال فلا حياك الله يابن النصرانية أما منعك نومي فلو نمت عنك لكان خيرا لك وأما تهضمك قومي فكيف تهضمهم وأنت ممن ضربت عليه الذلة وباء بغضب من الله وأدى الجزية عن يد وهو صاغر وكيف تتهضم لا أم لك قوما فيهم النبوة والخلافة وأنت لهم عبد مأمور ومحكوم عليه لا حاكم ثم أقبل على عبد الملك فقال ائذن لي يا أمير المؤمنين في ابن النصرانية فقال لا يجوز أن يكون ذلك بحضرتي

أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثني أبو يحيى الضبي قال

نازع جرير بني حمان في ركية لهم فصاروا إلى إبراهيم بن عدي باليمامة يتحاكمون إليه فقال جرير

(أعوذ بالأمير غير الجَبَّارْ ... من ظُلْمِ حِمَّان وتحويل الدارْ)

(ما كان قبلَ حَفْرِنا من مِحْفَارْ ... وضَرْبِيَ المِنْقَار بعد المِنْقَارْ)

(في جَبَلٍ أَصمَّ غير خَوَّارْ ... يَصِيحُ بالجُبِّ صِياحَ الصَّرَّارْ)

(له صَهِيلٌ كصَهِيلِ الأمْهارْ ... فاسأل بني صَخْبٍ ورَهْطَ الجَرَّارْ)

(والسَّلَمِيِّينَ العِظَامَ الأخْطَارْ ... والجارُ قد يُخْبِر عن دار الجارْ)

فقال الحماني

(ما لِكُلَيْبٍ من حِمًى ولا دارْ ... غيرُ مُقامِ أُتُنٍ وأعْيارْ)

(... قُعْسِ الظهورِ داميات الأثْفارْ)

قال فقال جرير فعن مقامهن جعلت فداك أجادل فقال ابن عدي للحماني قد أقررت لخصمك وحكم بها لجرير

قال ابن سلام وأخبرني أبو يحيى الضبي قال

بينا جرير يسير على راحلته إذ هجم على أبيات من مازن وهلال وهما بطنان من ضبة فخافهم لسوء أثره في ضبة فقال

((فلا خوفٌ عليكِ ولن تُراعِي ... بعَقْوةِ مازنٍ وبني هِلاَلِ)

(هما الحَيَّانِ إن فَزِعا يَطِيرا ... إلى جُرْدٍ كامثال السَّعَالِي)

(أمازنُ يابنَ كعبٍ إنَّ قلبي ... لكم طولَ الحياة لَغيرُ قالي)

(غَطَارِيفٌ يَبِيتُ الجارُ فيهم ... قريرَ العين في أهلٍ ومالِ)

قال أجل يا أبا حزرة فلا خوف عليك

تجمع الناس حوله في المسجد دون الفرزدق

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال قال شعيب بن صخر حدثني هارون بن إبراهيم قال رأيت جريرا والفرزدق في مسجد دمشق وقد قدماها على الوليد بن عبد الملك والناس عنق واحد على جرير قيس وموالي بني أمية يسلمون عليه ويسألونه كيف كنت يا أبا حزرة في مسيرك وكيف أهلك وأسبابك وما يطيف بالفرزدق إلا نفر من خندف جلوس معه قال شعيب فقلت لهارون ولم ذلك قال لمدحه قيسا وقوله في العجم

(فيجمعُنا والغُرَّ أولادَ سارَةٍ ... أبٌ لا نُبالِي بعدَه من تعذَّرا)

قال شعيب بلغني أنه أهديت له يومئذ مائة حلة أهداها إليه الموالي سوى غيرهم وأخبرني بهذا الخبر أبو خليفة عن محمد بن سلام عن شعيب بن صخر فذكر نحوا من حكاية أبي زيد إلا أنها أتم من حكاية ابن سلام وقال أبو خليفة في خبره سمعت عمارة بن عقيل بن بلال يقول وافته في يومه ذلك مائة حلة من بني الأحرار

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني أحمد بن الهيثم الفراسي قال
بينا جرير بقباء إذ طلع الأحوص وجرير ينشد قوله
(لولا الحياءُ لعادني استعبارٌ ... ولزُرْتُ قبرَكِ والحبيبُ يُزارُ)
فلما نظر إلى الأحوص قطع الشعر ورفع صوته يقول
(عَوَى الشعراءُ بعضُهمُ لبعضٍ ... عليّ فقد أصابهمُ انتقامُ)
(إذا أرسلتُ قافيةً شَروداً ... رأوْا أخرى تحرِّق فاستداموا)
(فمُصْطَلَمُ المسامِع أو خَصِيٌّ ... وآخرُ عظمُ هامتِه حُطَامُ)
ثم عاد من حيث قطع فلما فرغ قيل له ولم قلت هذا قال قد نهيت الأحوص أن يعين علي الفرزدق فأنا والله يا بني عمرو بن عوف ما تعوذت من شاعر قط ولولا حقكم ما تعوذت منه

محمد بن الحجاج يلح على عبد الملك بالإذن لجرير بالدخول عليه لإنشاده

أخبرنا علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا الحسن بن الحسين السكري قال قال عمارة بن عقيل حدثني أبي عن أبيه أن الحجاج أوفد ابنه محمد بن الحجاج إلى عبد الملك وأوفد إليه
جريرا معه ووصاه به وأمره بمسألة عبد الملك في الاستماع منه ومعاونته عليه فلما وردوا استأذن له محمد على عبد الملك فلم يأذن له وكان لا يسمع من شعراء مضر ولا يأذن لهم لأنهم كانوا زبيرية فلما استأذن له محمد على عبد الملك ولم يأذن له أعلمه أن أباه الحجاج يسأله في أمره ويقول إنه لم يكن ممن والى ابن الزبير ولا نصره بيده ولا لسانه وقال له محمد يا أمير المؤمنين إن العرب تتحدث أن عبدك وسيفك الحجاج شفع في شاعر قد لاذ به وجعله وسيلته ثم رددته فأذن له فدخل فاستأذن في الإنشاد فقال له وما عساك أن تقول فينا بعد قولك في الحجاج ألست القائل
(من سَدَّ مُطَّلَعَ النِّفَاقِ عليكُم ... أم من يَصُول كصوْلة الحجاج)
إن الله لم ينصرني بالحجاج وإنما نصر دينه وخليفته أولست القائل
(أم مَنْ يَغَارُ على النساء حَفِيظةً ... إذ لا يَثِقْنَ بغَيْرةِ الأزواجِ)
يا عاض كذا وكذا من أمه والله لهممت أن أطير بك طيرة بطيئا سقوطها أخرج عني فأخرج بشر فلما كان بعد ثلاث شفع إليه محمد لجرير وقال له يا أمير المؤمنين إني أديت رسالة عبدك الحجاج وشفاعته في جرير فلما أذنت له خاطبته بما أطار لبه منه وأشمت به عدوه ولو لم تأذن له لكان خيرا له مما سمع فإن رأيت أن تهب كل ذنب له لعبدك الحجاج وَلِي فافعلْ فأذن له فاستأذنه في الإنشاد فقال لا تُنْشِدني إلاَّ في الحجَّاج فإنما أنت للحجاج خاصة فسأله أن ينشده مديحه فيه فأبى وأقسم ألا ينشده إلا من قوله في الحجاج فأنشده وخرج بغير جائزة فلما أزف الرحيل قال جرير لمحمد إن رحلت عن أمير المؤمنين ولم يسمع مني ولم آخذ له جائزة سقطت آخر الدهر ولست بارحا بابه أو يأذن لي في الإنشاد وأمسك عبد الملك عن الإذن له فقال جرير ارحل أنت وأقيم أنا فدخل
محمد على عبد الملك فأخبره بقول جرير واستأذنه له وسأله أن يسمع منه وقبل يده ورجله فأذن له فدخل فاستأذن في الإنشاد فأمسك عبد الملك فقال له محمد أنشد ويحك فأنشده قصيدته التي يقول فيها
(ألستُم خيرَ من ركب المطايا ... وأنْدَى العالَمين بطون راح)
فتبسم عبد الملك وقال كذلك نحن وما زلنا كذلك ثم اعتمد على ابن الزبير فقال
(دعوتَ المُلْحِدِينَ أبا خُبَيْب ... جِماحاً هل شُفِيتَ من الجِماح)
(وقد وجدوا الخليفةَ هِبْرِزِيّاً ... ألَفَّ العِيصِ ليسِ من النَّواحي)
(وما شجراتُ عِيصكَ في قريش ... بعَشَّاتِ الفروع ولا ضَواحي)
قال ثم أنشده إياها حتى أتى على ذكر زوجته فيها فقال
(تَعزَّتْ أمُّ حَزْرة ثم قالت ... رأيتُ المُورِدين ذوي لِقَاحِ)
(تُعَلِّل وهي ساغبةٌ بَنِيها ... بأنفاسٍ من الشَّبِم القَرَاحِ)
فقال عبد الملك هل ترويها مائة لقحة فقال إن لم يروها ذلك فلا أرواها الله فهل إليها جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين من سبيل فأمر له بمائة لقحة وثمانية من الرعاء وكانت بين يديه جامات من ذهب فقال له جرير يا أمير المؤمنين تأمر لي بواحدة منهن تكون محلبا فضحك وندس إليه واحدة منهن بالقضيب وقال خذها لا نفعتك فأخذها وقال بلى والله يا أمير المؤمنين لينفعني كل ما منحتنيه وخرج من عنده قال وقد ذكر ذلك جرير في شعره فقال يمدح يزيد بن عبد الملك
(أعطَوْا هُنَيْدةَ يَحْدُوها ثمانيةٌ ... ما في عطائهمُ مَنٌّ ولا سَرَفُ)

هجا سراقة لأنه أعان الفرزدق عليه

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا دماذ أبو غسان عن أبي عبيدة قال
بذل محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة أربعة آلاف درهم وفرسا لمن فضل من الشعراء الفرزدق على جرير فلم يقدم عليه أحد منهم إلا سراقة البارقي فإنه قال يفضل الفرزدق
(أَبْلِغ تَميماً غثَّها وسَمِينَها ... والحكمِ يَقْصِد مرَّةً ويَجُورُ)
(أنَّ الفرزدقَ بَرَّزَتْ أعراقُه ... سَبْقاً وخُلِّفَ في الغُبارِ جريرُ)
(ذهب الفرزدقُ بالفضائل والعُلاَ ... وابن المَرَاغةِ مُخَلَّفٌ محسورُ)
(هذا قضاءُ البارقيِّ وإنني ... بالمَيْل في ميزانهم لبَصِيرُ)
قال أبو عبيدة فحدثني أيوب بن كسيب قال حدثني أبي قال كنت مع
جرير فأتاه رسول بشر بن مروان فدفع إليه كتابه وقال له إنه قد أمرني أن أوصله إليك ولا أبرح حتى تجيب عن الشعر في يومك إن لقيتك نهارا أو ليلتك إن لقيتك ليلا وأخرج إليه كتاب بشر وقد نسخ له القصيدة وأمره بأن يجيب عنها فأخذها ومكث ليلته يجتهد أن يقول شيئا فلا يمكنه فهتف به صاحبه من الجن من زاوية البيت فقال له أزعمت أنك تقول الشعر ما هو إلا أن غبت عنك ليلة حتى لم تحسن أن تقول شيئا فهلا قلت
(يا بِشْرُ حَقّ لوجهك التبشيرُ ... هلاَّ قضيتَ لنا وأنت أميرُ)
فقال له جرير حسبك كفيتك قال وسمع قائلا يقول لآخر قد أنار الصبح فقال جرير
(يا صاحبيَّ هل الصباحُ مُنِيرُ ... أم هل للومِ عواذلي تَفْتِيرُ)
إلى أن فرغ منها وفيها يقول

(قد كان حَقُّكَ أن تقول لبارقٍ ... يا آلَ بارقَ فِيمَ سُبَّ جريرُ)
(يُعْطَى النساءُ مهورَهنّ كَرامةً ... ونساءُ بارقَ ما لهنّ مُهورُ)
فأخذها الرسول ومضى بها إلى بشر فقرئت بالعراق وأفحم سراقة فلم ينطق بعدها بشيء من مناقضته
مناقضة بينه وبين عمر بن لجأ
أخبرني أبو خليفة قال حدثني محمد بن سلام قال حدثني أبو يحيى الضبي قال
كان الذي هاج الهجاء بين جرير وعمر بن لجأ أن عمر كان ينشد أرجوزة له يصف فيها إبله وجرير حاضر فقال فيها
(قد وَرِدتْ قبل إنَا ضَحَائِها ... تُفَرِّسُ الحَيَّاتِ في خِرْشَائِها)
(... جَرّ العَجُوزِ الثِّنْيَ من رِدائِها)
فقال له جرير أخفقت فقال كيف أقول قال تقول
جَرّ العَرُوس الثِّنْيَ من رِدائِها ...) فقال له التيمي أنت أسوأ قولا مني حيث تقول)
(وأوْثَقُ عند المُرْدفاتِ عَشِيَّةً ... لَحَاقاً إذا ما جَرّد السيفَ لامِعُ)
فجعلتهن مردفات غدوة ثم تداركتهن عشية فقال كيف أقول قال تقول
(... وأوْثَقُ عند المُرْهَفاتِ عَشِيّةً)
فقال جرير والله لهذا البيت أحب إلي من بكري حزرة ولكنك مجلب للفرزدق
وقال فيه جرير
(هَلاّ سِوَانا ادَّرأتم يا بَنِي لَجَأ ... شيئاً يُقَارِبُ أو وَحْشاً لها غِرَرُ)
(أحِينَ كنتُ سِمَاماً يا بَنِي لَجَأٍ ... وخاطرتْ بِيَ عن أحسابِها مُضَرُ)
(خَلِّ الطريقَ لِمن يَبْنِي المَنارَ به ... وابرُزْ بِبَرْزَةَ حيث اضطرَّكَ القَدَرُ)
((أنت ابن بَرْزةَ منسوباً إلى لجأٍ ... عند العُصَارةِ والعيدانُ تُعْتَصرُ
ويروى
(ألستَ نَزْوَةَ خَوَّارٍ على أَمَةٍ ... عند العُصَارةِ والعِيدانُ تُعْتَصَرُ)
فقال ابن لجأ يرد عليه
(لقد كَذَبْتَ وشَرُّ القولِ أكذَبُه ... ما خاطرتْ بِكَ عن أحسابِها مُضَرُ)
(بل أنت نَزْوَةُ خَوَّارٍ على أمَةٍ ... لا يَسبِقُ الحَلَباتِ اللؤمُ والخَوَرُ)
(ما قلتَ من هذه إلا سأنقُضُها ... يابنَ الأتَانِ بمثلي تُنْقَضُ المِرَرُ)
وقال عمر بن لجأ
(عجبتُ لما لاقتْ رِيَاحٌ من الأذَى ... وما اقتَبَسُوا منّي وللشرِّ قابِسُ)
(غِضَاباً لكلبٍ من كُلَيْبٍ فَرَسْتُه ... هَوَى ولشَدَّاتِ الأُسُودِ فَرَائِسُ)
(إذا ما ابنُ يَرْبُوعٍ أتاكَ لمأكَلٍ ... على مجلسٍ إن الأكِيلَ مُجالِسُ)
(فقل لابنِ يَرْبوعٍ ألستَ براحضٍ ... سِبَالَكَ عنّا إنهنّ نجائسُ)
(تُمَسِّحُ يربوعٌ سِبَالاً لئيمةً ... بها من مَنِيِّ العبدِ رَطْبٌ ويابِسُ)
قال ثم اجتمع جرير وابن لجأ بالمدينة وقد وردها الوليد بن عبد الملك وكان يتأله في نفسه فقال أتقذفان المحصنات وتغضبانهن ثم أمر ابا بكر محمد بن حزم الأنصاري وكان واليا له بالمدينة بضربهما فضربهما وأقامهما على البلس مقرونين والتيمي يومئذ أشب من جرير فجعل يشول بجرير وجرير يقول وهو المشول به
((فلستُ مُفارقاً قَرَنَيَّ حتى ... يَطُولَ تصعُّدي بكَ وانحداري
فقال ابن لجأ
(ولمَّا أن قُرِنتُ إلى جريرٍ ... أبَى ذو بَطْنِه إلاَّ انحدارا)
فقال له قدامة بن إبراهيم الجمحي وبئسما قلت جعلت نفسك المقرون إليه قال فكيف أقول قال تقول
(... ولمَّا لُزَّ في قَرَنِي جريرٌ)
فقال جزيت خيرا لا أقوله والله ابدا إلا هكذا
حدثني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا العنزي قال حدثني محمد بن عبد الله العبدي قال حدثني عمارة بن عقيل عن أبيه قال
وقف جرير على باب عبد الملك بن مروان والأخطل داخل عنده وقد كانا تهاجيا ولم يلق أحدهما صاحبه فلما أستأذنوا لجرير أذن له فسلم وجلس وقد عرفه الأخطل فطمح بصر جرير إليه فقال له من أنت فقال أنا الذي منعت نومك وهضمت قومك فقال له جرير ذاك أشقى لك كائنا من كنت ثم اقبل على عبد الملك فقال من هذا يا أمير المؤمنين فضحك وقال هذا الأخطل يا ابا حزرة فرد بصره إليه وقال فلا حياك الله يابن النصرانية أما منعك نومي فلو نمت عنك لكان خيرا لك واما تهضمك قومي فكيف تهضمهم وأنت ممن ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ائذن لي يا أمير المؤمنين في ابن النصرانية فقال لا يكون ذلك بين يدي فوثب جرير مغضبا فقال عبد الملك قم يا أخطل واتبع صاحبك فإنما قام غضبا علينا فيك فنهض الأخطل فقال عبد الملك لخادم له انظر ما يصنعان إذا برز له الأخطل فخرج جرير فدعا بغلام له فقدم إليه حصانا له أدهم فركبه وهدر
والفرس يهتز من تحته وخرج الأخطل فلاذ بالباب وتوارى خلفه ولم يزل واقفا حتى مضى جرير فدخل الخادم إلى عبد الملك فأخبره فضحك وقال قاتل الله جريرا ما أفحله أما والله لو كان النصراني برز إليه لأكله
أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي عن أبي عمرو قال
سئل جرير أي الثلاثة أشعر فقال أما الفرزدق فيتكلف مني ما لا يطيقه وأما الأخطل فأشدنا اجتراء وأرمانا للغرض وأما أنا فمدينة الشعر وقد حدثني بهذا الخبر حبيب بن نصر عن عمر بن شبة عن الأصمعي فذكر نحو ما ذكره الرياشي وقال في خبره وأما الأخطل فأنعتنا للخمر وأمدحنا للملوك
أبو مهدي الباهلي فضله على جميع الشعراء
أخبرنا عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن عطاء بن مصعب قال
قلت لأبي مهدي الباهلي وكان من علماء العرب أيما أشعر أجرير أم الفرزدق فغضب ثم قال جرير أشعر العرب كلها ثم قال

لا يزال الشعراء موقوفين يوم القيامة حتى يجيء جرير فيحكم بينهم
أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني العباس بن ميمون قال سمعت أبا عثمان المازني يقول
قال جرير هجوت بني طهية أنواع الهجاء فلم يحفلوا بقولي حتى قلت
في قصيدة الراعي
(كأنّ بني طُهَيَّةَ رهطَ سَلْمَى ... حجارةُ خارىءٍ يَرمِي كلابَا)
فجزعوا حينئذ ولاذوا بي
أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال حدثنا المدائني قال
كان جرير من أعق الناس بأبيه وكان بلال ابنه أعق الناس به فراجع جرير بلالا الكلام يوما فقال له بلال الكاذب مني ومنك ناك أمه فأقبلت أمه عليه وقالت له يا عدو الله أتقول هذا لأبيك فقال جرير دعيه فوالله لكأنه سمعها مني وأنا أقولها لأبي
هجا عمر بن يزيد لأنه أعان الفرزدق عليه
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم قال حدثنا العمري عن لقيط قال
كان عمر بن يزيد بن عمير الأسدي يتعصب للفرزدق على جرير فتزوج امرأة من بني عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم فقال جرير
(نكحتَ إلى بني عُدُسِ بن زيدٍ ... فقد هَجَّنْتَ خيلَهمُ العِرَابَا)
(أتنْسَى يومَ مَسْكِنَ إذ تُنَادِي ... وقد أخطأْتَ بالقَدَمِ الرِّكابا)
وهي قصيدة فأجتمعوا على عمر بن يزيد ولم يزالوا به حتى خلعوا المرأة منه
أخبرني محمد بن خلف قال حدثني محمد بن الهيثم قال حدثني عمي
أبو فراس قال حدثني ودقة بن معروف قال
نزل جرير على عنبسة بن سعيد بواسط ولم يكن أحد يدخلها إلا بإذن الحجاج فلما دخل على عنبسة قال له ويحك لقد غررت بنفسك فما حملك على ما فعلت قال شعر قلته اعتلج في صدري وجاشت به نفسي وأحببت أن يسمعه الأمير قال فعنفه وأدخله بيتا في جانب داره وقال لا تطلعن رأسك حتى ننظر كيف تكون الحيلة لك قال فأتاه رسول الحجاج من ساعته يدعوه في يوم قائظ وهو قاعد في الخضراء وقد صب فيها ماء استنقع في أسفلها وهو قاعد على سرير وكرسي موضوع ناحية قال عنبسة فقعدت على الكرسي وأقبل علي الحجاج يحدثني فلما رأيت تطلقه وطيب نفسه قلت اصلح الله الأمير رجل من شعراء العرب قال فيك شعرا اجاد فيه فاستخفه عجبه به حتى دعاه إلى أن رحل إليك ودخل مدينتك من غير أن يستأذن له قال ومن هو قلت ابن الخطفي قال وأين هو قلت في المنزل قال يا غلام فأقبل الغلمان يتسارعون قال صف لهم موضعه من دارك فوصفت لهم البيت الذي هو فيه فانطلقوا حتى جاؤوا به فأدخل عليه وهو مأخوذ بضبعيه حتى رمي به في الخضراء فوقع على وجهه في الماء ثم قام يتنفش كما يتنفش الفرخ فقال له هيه ما اقدمك علينا بغير إذننا لا أم لك قال أصلح الله الأمير قلت في الأمير شعرا لم يقل مثله أحد فجاش به صدري وأحببت أن يسمعه مني الأمير فأقبلت به إليه قال فتطلق الحجاج وسكن واستنشده فأنشده ثم قال يا غلام فجاؤوا يسعون فقال علي بالجارية التي بعث بها إلينا عامل اليمامة فأتي بجارية بيضاء مديدة القامة فقال إن أصبت صفتها فهي لك فقال ما أسمها قال أمامة فأنشأ يقول
(وَدِّعْ أُمَامَةَ حانَ منكِ رحيلُ ... إن الوَدَاعَ لمِن تُحِبّ قليلُ)
(مثلُ الكَثِيبِ تهيَّلتْ أعطافُه ... فالريحُ تَجْبُرُ مَتْنَه وتَهيلُ)
(تلك القلوبُ صوادياً تيَّمْتِها ... وأَرى الشفاءَ وما إليه سبيلُ)
فقال خذ بيدها فبكت الجارية وانتحبت فقال ادفعوها إليه بمتاعها وبغلها ورحالها
أخبرنا أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثني أبو الغراف قال
قال الحجاج لجرير والفرزدق وهو في قصره بحزيز البصرة ائتياني في لباس آبائكما في الجاهلية فلبس الفرزدق الديباج والخز وقعد في قبة وشاور جرير دهاة بني يربوع فقالوا له ما لباس آبائنا إلا الحديد فلبس جرير درعا وتقلد سيفا وأخذ رمحا وركب فرسا لعباد بن الحصين يقال له المنحاز وأقبل في أربعين فارسا من بني يربوع وجاء الفرزدق في هيئته فقال جرير
(لبِستُ سلاحي والفرزدقُ لُعْبةٌ ... عليه وشاحا كُرَّجٍ وجَلاَجِلُهْ)
(أَعِدُّوا مع الحَلْيِ المَلاَبَ فإنما ... جريرٌ لكم بَعْلٌ وأنتم حَلاَئِلُهْ)
ثم رجعا فوقف جرير في مقبرة بني حصن ووقف الفرزدق في المربد قال فأخبرني أبي عن محمد بن زياد قال كنت أختلف إلى جرير والفرزدق وكان جرير يومئذ كأنه أصغرهما في عيني
هجاؤه للفرزدق
أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثنا ابو اليقظان عن جويرية بن أسماء قال
قدم الفرزدق اليمامة وعليها المهاجر بن عبد الله الكلابي فقال لودخلت على هذا فأصبت منه شيئا ولم يعلم بي جرير فلم تستقر به الدار حتى قال جرير
(رأيتُك إذ لم يُغْنِكَ اللهُ بالغِنَى ... رجعتَ إلى قيسٍ وخَدُّك ضارِعُ)
(وما ذاك إن أَعْطَى الفرزدقُ باسْتِه ... بأوّل ثَغْرٍ ضيَّعَتْه مُجَاشِعُ)
فلما بلغ ذلك الفرزدق قال لا جرم والله لا أدخل عليه ولا أرزؤه شيئا ولا أقيم باليمامة ثم رحل
أخبرنا أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال قال أبو البيداء
لقي الفرزدق عمر بن عطية أخا جرير وهو حينئذ يهاجي ابن لجأ فقال له ويلك قل لأخيك ثكلتك أمك ائت التيمي من عل كما أصنع أنا بك وكان الفرزدق قد أنف لجرير وحمي من أن يتعلق به التيمي قال ابن سلام فأنشدني له خلف الأحمر يقوله للتيمي
(وما أنت إن قَرْمَا تَميمٍ تَسَامَيَا ... أخا التَّيْمِ إلا كالوَشِيظةِ في العَظْمِ)
(فلو كنتَ مَوْلَى العِزّ أو في ظلالِه ... ظُلِمْتَ ولكن لا يَدَيْ لك بالظلم)
فقال له التيمي
((كذَبْتَ أنا القَرْمُ الذي دَقّ مالكاً ... وأَفْناءَ يَرْبُوعٍ وما أنت بالقَرْمِ

قال أبن سلام فحدثني ابو الغراف أن رجال تميم مشت بين جرير والتيمي وقالوا والله ما شعراؤنا إلا بلاء علينا ينشرون مساوينا ويهجون أحياءنا وموتانا فلم يزالوا بهما حتى أصلحوا بينهما بالعهود والمواثيق المغلظة الا يعودا في هجاء فكف التيمي وكان جرير لا يزال يسل الواحدة بعد الواحدة فيه فيقول التيمي والله ما نقضت هذه ولا سمعتها فيقول جرير هذه كانت قبل الصلح

قال ابن سلام فحدثني عثمان بن عثمان عن عبد الرحمن بن حرملة قال لما ورد علينا هجاء جرير والتيمي قال لي سعيد بن المسيب ترو شيئا مما قالا فأتيته وقد أستقبل القبلة يريد أن يكبر فقال لي اورويت قلت نعم فأقبل علي بوجهه فأنشدته للتيمي وهو يقول هيه هيه ثم أنشدته لجرير فقال أكله اكله

قال أبن سلام وحدثني الرازي عن حجناء بن جرير قال قلت لأبي يا ابت ما هجوت قوما قط إلا فضحتهم إلا التيم فقال يا بني لم أجد بناء أهدمه ولا شرفا أضعه وكانت تيم رعاء غنم يغدون في غنمهم ثم يروحون وقد جاء كل رجل منهم بأبيات فينتحلها ابن لجأ فقيل لجرير ما صنعت في التيم شيئا فقال إنهم شعراء لئام

أخبرنا أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني ابن النطاح قال حدثني أبو اليقظان قال

قال جرير لرجل من بني طهية ايما اشعر أنا أم الفرزدق فقال له أنت

عند العامة والفرزدق عند العلماء فصاح جرير أنا ابو حزرة غلبته ورب الكعبة والله ما في كل مائة رجل عالم واحد

طلب من الوليد بن عبد الملك أن يأذن له في ابن الرقاع

حدثنا أحمد بن عمار قال حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك قال حدثني أبن النطاح قال وحدثني أبو الأخضر لمخارق بن الأخضر القيسي قال إني كنت والله الذي لا إله إلا هو أخص الناس بجرير وكان ينزل إذا قدم على الوليد بن عبد الملك عند سعيد بن عبد الله بن خالد بن أسيد وكان عدي بن الرقاع خاصا بالوليد مداحا له فكان جرير يجيء إلى باب الوليد فلا يجالس أحدا من النزارية ولا يجلس إلا إلى رجل من اليمن بحيث يقرب من مجلس ابن الرقاع إلى أن يأذن الوليد للناس فيدخل فقلت له يا ابا حزرة اختصصت عدوك بمجلسك فقال إني والله ما أجلس إليه إلا لأنشده اشعارا تخزيه وتخزي قومه قال ولم يكن ينشده شيئا من شعره وإنما كان ينشده شعر غيره ليذله ويخوفه نفسه فأذن الوليد للناس ذات عشية فدخلوا ودخلنا فأخذ الناس مجالسهم وتخلف جرير فلم يدخل حتى دخل الناس وأخذوا مجالسهم واطمأنوا فيها فبينما هم كذلك إذا بجرير قد مثل بين السماطين يقول السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في ابن الرقاع المتفرقة أؤلف بعضها إلى بعض قال وأنا جالس أسمع فقال الوليد والله لهممت أن أخرجه على ظهرك إلى الناس فقال جرير وهو قائم كما هو

((فإن تَنْهَني عنه فسمعاً وطاعةً ... وإلا فإنّي عُرْضَةٌ للمَرَاجِمِ

قال فقال له الوليد لا كثر الله في الناس أمثالك فقال له جرير يا أمير المؤمنين إنما أنا واحد قد سعرت الأمة فلو كثر أمثالي لأكلوا الناس أكلا قال فنظرت والله إلى الوليد تبسم حتى بدت ثناياه تعجبا من جرير وجلده قال ثم أمره فجلس

أخبرني ابن عمار قال حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثنا أبن النطاح عن أبي عبيدة قال

كان جرير عند الوليد وعدي بن الرقاع ينشده فقال الوليد لجرير كيف تسمع قال ومن هو يا أمير المؤمنين قال عدي بن الرقاع قال فإن شر الثياب الرقاع ثم قال جرير (عاملة ناصبة تصلى نارا حامية) فغضب الوليد وقال يابن اللخناء ما بقي لك إلا أن تتناول كتاب الله والله ليركبنك يا غلام أوكِفْه حتى يركبه فغمز عمر بن الوليد الغلام الذي أمره الوليد فأبطأ بالإكاف فلما سكن غضب الوليد قام إليه عمر فكلمه وطلب إليه وقال هذا شاعر مضر ولسانها فإن رأى أمير المؤمنين ألا يغض منه ولم يزل به حتى أعفاه وقال له والله لئن هجوته أو عرضت به لأفعلن بك ولأفعلن فقال فيه تلك القصيدة التي يقول فيها

(أَقْصِرْ فإن نزاراً لن يفاخرها ... فرعٌ لئيمٌ وأصلٌ غيرُ مغروس)

وذكر وقائع نزار في اليمن فعلمنا أنه عناه ولم يجبه الآخر بشيء

حدثني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن العتبي قال

قال هشام بن عبد الملك لشبة بن عقال وعنده جرير والفرزدق والأخطل وهو يومئذ أمير ألا تخبرني عن هؤلاء الذين قد مزقوا أعراضهم وهتكوا أستارهم وأغروا بين عشائرهم في غير خير ولا بر ولا نفع أيهم أشعر فقال شبة أما جرير فيغرف من بحر وأما الفرزدق فينحت من صخر وأما الأخطل فيجيد المدح والفخر فقال هشام ما فسرت لنا شيئا نحصله فقال ما عندي غير ما قلت فقال لخالد بن صفوان صفهم لنا يابن الأهتم فقال أما أعظمهم فخرا وابعدهم ذكرا وأحسنهم عذرا وأسيرهم مثلا وأقلهم غزلا وأحلاهم عللا الطامي إذا زخر والحامي إذا زأر والسامي إذا خطر الذي إن هدر قال وإن خطر صال الفصيح اللسان الطويل العنان فالفرزدق وأما أحسنهم نعتا وامدحهم بيتا وأقلهم فوتا الذي إن هجا وضع وإن مدح رفع فالأخطل وأما أغزرهم بحرا وارقهم شعرا وأهتكهم لعدوه سترا الأغر الأبلق الذي إن طلب لم يسبق وإن طلب لم يلحق فجرير وكلهم ذكي الفؤاد رفيع العماد واري الزناد فقال له مسلمة بن عبد الملك ما سمعنا بمثلك يا خالد في الأولين ولا رأينا في الآخرين وأشهد أنك أحسنهم وصفا وألينهم عطفا وأعفهم مقالا وأكرمهم فعالا فقال خالد أتم الله عليكم نعمه وأجزل لديكم قسمه وآنس بكم الغربة وفرج بكم الكربة وأنت والله ما علمت أيها الأمير كريم الغراس عالم بالناس جواد في المحل بسام عند البذل حليم عند الطيش في ذروة قريش ولباب عبد شمس ويومك خير من أمس فضحك هشام وقال ما رأيت كتخلصك يابن صفوان في مدح هؤلاء ووصفهم حتى أرضيتهم جميعا وسلمت منهم

قرنهما عمر بن عبد العزيز لأنهما تقاذفا

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا أبو أيوب المديني قال حدثني مصعب الزبيري قال حدثني إبراهيم بن عبد الله مولى بني زهرة قال

حضرت عمر بن لجأ وجرير بن الخطفي موقوفين للناس بسوق المدينة لما تهاجيا وتقاذفا وقد أمر بهما عمر بن عبد العزيز فقرنا وأقيما قال وعمر بن لجأ شاب كأنه حصان وجرير شيخ قد أسن وضعف قال فيقول ابن لجأ

(رأوْا قَمَراً بساحتهم مُنِيراً ... وكيف يُقارِنُ القمرُ الحِمَارَا)

قال ثم ينزو به وهما مقرونان في حبل فيسقطان إلى الأرض فأما ابن لجأ فيقع قائما وأما جرير فيخر لركبتيه ووجهه فإذا قام نفض الغبار عنه ثم قال بغنته قولا يخرج الكلام به من أنفه وكان كلامه كأن فيه نونا

(فلستُ مفارقاً قَرَنَيّ حتَّى ... يَطُولَ تصعُّدي بكَ وانحداري)

قال فقال رجل من جلساء عمر له حين حضر غداؤه لو دعا الأمير بأسيريه فغداهما معه ففعل ذلك عمر وإنما فعله بهما لأنهما تقاذفا وكان جرير قال له
(تقول والعبدُ مِسْكِينٌ يُجَرِّرُها ... أرْفُقْ فَدَيْتُك أنت الناكحُ الذَّكَرُ)
قال وهذه قصيدته التي يقول فيها
(يا تَيْمُ تَيْمَ عَدِيّ لا أبَا لكمُ ... لا يُوقِعَنَّكُمُ في سوْءةٍ عمرُ)
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد النوفلي قال حدثني أبي قال
كنت باليمامة وأنا واليها فكان ابن لجرير يكثر عندي الدخول وكنت أوثره فلم اقل له قط أنشدني أجود شعر لأبيك إلا أنشدني الدالية
(أهَوىً أرَاكَ بَرامَتَيْنِ وُقُودا ... أم بالجُنَيْنَةِ من مَدَافِعِ أُودَا)
فأقول له ويحك لا تزيدني على هذه فيقول سألتني عن أجود شعر أبي وهذه أجود شعره وقد كان يقدمها على جميعه
حدثني ابن عمار قال حدثني النوفلي قال حدثني علي بن عبد الملك الكعبي من ولد كعب مولى الحجاج قال حدثني فلان العلامة التميمي يرويه عن جرير قال
ما ندمت على هجائي بني نمير قط إلا مرة واحدة فإني خرجت إلى الشام فنزلت بقوم نزول في قصر لهم في ضيعة من ضياعهم وقد نظرت إليه من بين القصور مشيدا حسنا وسألت عن صاحبه فقيل لي هو رجل من بني نمير فقلت هذا شآم وأنا بدوي لا يعرفني فجئت فاستضفت فلما أذن لي ودخلت عليه عرفني فقراني أحسن القرى ليلتين فلما أصبحت جلست ودعا بنية له فضمها إليه وترشفها فإذا هي أحسن الناس وجها ولها نشر لم اشم أطيب منه فنظرت إلى عينيها فقلت تالله ما رأيت أحسن من عيني هذه الصبية ولا من حورها قط وعوذتها فقال لي يا ابا حزرة أسوداء المحاجر هي فذهبت أصف طيب رائحتها فقال أصن وبر هي فقلت يرحمك
الله إن الشاعر ليقول والله لقد ساءني ما قلته ولكن صاحبكم بدأني فانتصرت وذهبت أعتذر فقال دع ذا عنك أبا حزرة فوالله ما لك عندي إلا ما تحب قال وأحسن والله إلي وزودني وكساني فانصرفت وأنا أندم الناس على ما سلف مني إلى قومه
أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن يعقوب بن داود قال حدثني ابن أبي علقمة الثقفي قال
كان المفضل يقدم الفرزدق فأنشدته قول جرير
(حَيِّ الهِدَمْلَةَ من ذاتِ المَوَاعِيسِ ... فالحِنْوُ أصْبَحَ قَفْراً غيرَ مأنوسِ)
وقلت أنشدني لغيره مثلها فسكت قال وكان الفرزدق إذا أنشدها يقول مثلها فليقل ابن اللخناء
أخبرنا ابو خليفة الفضل بن الحباب قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثني عبد الجبار بن سعيد بن سليمان المساحقي عن المحرر بن أبي هريرة قال
إني لفي عسكر سليمان بن عبد الملك وفيه جرير والفرزدق في غزاة إذ أتانا الفرزدق في غداة ثم قال اشهدوا أن محمد ابن أخي ثم أنشأ يقول
(فيتٌّ بدَيْرَيْ أرْيَحَاءَ بلَيْلةٍ ... خُدَارِيَّةٍ يزدادُ طُولاً تَمامُها)
(أكابِدُ فيها نفسَ أقْربِ مَنْ مَشَى ... أبوهِ بأمٍّ غاب عنها نِيامُها)
(وكنَّا نَرَى من غالبٍ في محمد ... شمائلَ تَعْلُو الفاعلين كِرامُها)
(وكان إذا ما حلَّ أرضاً تزيَّنَتْ ... بزينتِها صحراؤها وإكامُها)
(سَقَى أرْيَحَاءَ الغيثُ وهي بَغِيضةٌ ... إلينا ولكن بي لتُسْقَاه هامُها)
قال ثم انصرف وجاء جرير فقال قد رأيت هذا وسمعت ما قال في ابن أخيه وما ابن أخيه فعل الله به وفعل قال ومضى جرير فوالله ما لبثنا إلا جمعا حتى جاءنا جرير فقام مقامه ونعى ابنه سواده فقال
رثاؤه ابنه
(أوْدَى سَوادةُ يَجْلُو مُقلتيْ لَحِمٍ ... بازٍ يُصَرْصِرُ فوقَ المَرْبَأ العالي)
(فارقتني حين كَفَّ الدهرُ من بَصَري ... وحين صِرْتُ كعظْم الرِّمَّة البالي)
(إلاّ تَكُنْ لكَ بالدَّيْرَيْن باكيةٌ ... فرُبَّ باكيةٍ بالرَّمْلِ مِعْوالِ)
(قالوا نَصِيبَك من أجر فقلتُ لهم ... كيفَ العَزَاءُ وقد فارقتُ أشْبالِي)
أخبرنا أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثني حاجب بن زيد وأبو الغراف قالا
تزوج الفرزدق حدراء بنت زيق بن بسطام بن قيس على حكم أبيها فاحتكم مائة من الإبل فدخل على الحجاج يسأله ذلك فعذله وقال له أتتزوج امرأة على حكمها فقال عنبسة بن سعيد وأراد نفعه إنما هي من حواشي إبل الصدقة فأمر له الحجاج بها فوثب جرير فقال
(يا زِيقُ قد كنتَ من شَيْبانَ في حَسَبٍ ... يا زيقُ وَيْحَكَ مَنْ أنْكحتَ يا زيقُ)
(أنْكحتَ وَيْحَكَ قَيْناً باستِهِ حِمَمٌ ... يا زيقُ وَيْحَكَ هل بارتْ بك السُّوقُ)
(غاب المُثَنَّى فلم يَشْهَدْ نَجِيَّكُما ... والحَوْفَزانُ ولم يَشْهَدْك مَفْرُوقُ)
(يا رُبَ قائلةٍ بعد البِناء بها ... لا الصِّهْرُ راضٍ ولا ابنُ القَيْنِ معشوقُ)
(أين الألَى استنزَلُوا النُّعْمانَ ضاحيةً ... أم أين ابناءُ شَيْبانَ الغَرَانِيقُ)
قال فلم يجبه الفرزدق عنها فقال جرير ايضا
(فلا أنا مُعْطِي الحكمِ عن شِفِّ مَنْصِبٍ ... ولا عن بَناتِ الحَنْظَلِيِّينَ راغبُ)
(وهُنّ كماءِ المُزْنِ يُشْفَى به الصَّدَى ... وكانت مِلاَحاً غيرَهُنّ المَشارِبُ)
(فلو كنتَ حُرّاً كان عَشْراً سِياقُكم ... إلى آل زيقٍ والوَصِيفُ المُقَارِب)
فقال الفرزدق
(فنَلْ مثلَها من مثلِهم ثم لُمْهُمُ ... على دارميٍّ بين لَيْلَى وغالِبِ)
(هُمُ زوَّجوا قبلي لَقِيطاً وأنْكَحُوا ... ضِراراً وهم أكفاؤنا في المَنَاسِبِ)
(ولو قبِلوا منِّي عَطِيَّةَ سُقْتُه ... إلى مال زيقٍ من وَصِيفٍ مُقَارِبِ)

(ولو تُنْكِحُ الشمسُ النجومَ بَنَاتها ... إذاً لنكحناهنّ قبل الكواكبِ)
قال ابن سلام فحدثني الرازي عن أبيه قال ما كانت امرأة من بني حنظلة
إلا ترفع لجرير اللوية في عظمها لتطرفه بها لقوله
(وهُنّ كماءِ المُزْنِ يُشْفَى به الصَّدَى ... وكانت مِلاَحاً غيرَهنَّ المَشَارِبُ)
فقلت للرازي ما اللوية قال الشريحة من اللحم أو الفدرة من التمر أو الكبة من الشحم أو الحفنة من الأقط فإذا ذهب الألبان وضاقت المعيشة كانت طرفة عندهم
قال وقال جرير أيضا في شأن حدراء
(أثائِرةٌ حَدْراءُ مَنْ جُرَّ بالنَّقَا ... وهل لأبي حَدْراءَ في الوِتْرِ طالبُ)
(أتَثْأرُ بِسْطاماً إذا ابتلّتِ استُها ... وقد بَوَّلتْ في مِسْمَعَيْهِ الثعالبُ)
قال ابن سلام والنقا الذي عناه جرير هو الموضع الذي قتلت فيه بنو ضبة بسطاما وهو بسطام بن قيس قال فكرهت بنو شيبان أن يهتك جرير أعراضهم فلما أراد الفرزدق نقل حدراء اعتلوا عليه وقالوا له إنها ماتت فقال جرير
(فأُقْسِمُ ما ماتتْ ولكنَّما التَوَى ... بِحَدْراءَ قومٌ لم يروك لها أهْلا)
(رأوْا أنّ صهر القَيْن عارٌ عليهم ... وأنّ لِبسْطامٍ على غالبٍ فضْلاً)
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا ابن أبي سعد قال حدثنا محمد بن إدريس اليمامي قال حدثنا علي بن عبد الله بن محمد بن مهاجر عن أبيه عن جده قال
دخلنا على جرير في نفر من قريش نعوده في علته التي مات فيها فالتفت إلينا فقال
((أهلاً وسهلاً بقوم زيَّنوا حَسَبي ... وإن مَرِضْتُ فهم أهلي وعُوَّادِي
إن تَجْرِ طَيْرٌ بأمر فيه عافيةٌ ... أو بالفراق فقد أحسنتُم زادِي) لو أن ليثاً أبا شِبْلَيْن أوْعَدَنِي ... لم يُسْلِمُونِي لليثِ الغابة) (العادِي)

رثاؤه الفرزدق

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا محمد بن صالح بن النطاح قال حدثني أبو جناح أحد بني كعب بن عمرو بن تميم قال
نُعي الفرزدق إلى المهاجر بن عبد الله وجرير عنده فقال
(مات الفرزدقُ بعد ما جدَّعتُه ... ليت الفرزدقَ كان عاش قليلا)
فقال له المهاجر بئس لعمر الله ما قلت في ابن عمك أتهجو ميتا أما والله لو رثيته لكنت أكرم العرب وأشعرها فقال إن رأى الأمير أن يكتمها علي فإنها سوءة ثم قال من وقته
(فلا وَضَعَتْ بعد الفرزدقِ حاملٌ ... ولا ذات بَعْلٍ من نِفَاسٍ تَعَلَّتِ)
(هو الوافدُ الميمونُ والراتِقُ الثأى ... إذا النعل يوماً بالعشيرة زَلَّتِ)
قال ثم بكى ثم قال أما والله إني لأعلم أني قليل البقاء بعده ولقد كان نجمنا واحدا وكل واحد منا مشغول بصاحبه وقلما مات ضد أو صديق إلا
تبعه صاحبه فكان كذلك مات بعد سنة وقد زاد الناس في بيتي جرير هذين أبياتا أخر ولم يقل غيرهما وإنما أضيف إلى ما قاله

صوت

من المائة المختارة من رواية علي بن يحيى

(رحَل الخَلِيطُ جِمالَهم بسَوَادِ ... وحدَا على إثْرِ البَخِيلة حَادِي)
(ما إن شَعَرْتُ ولا علِمتُ ببينهم ... حتى سمعتُ به الغرابَ يُنادِي)
الشعر لجميل والغناء لإبراهيم ولحنه المختار من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى

نسب جميل وأخباره

هو جميل بن عبد الله بن معمر بن الحارث بن ظبيان وقيل ابن معمر بن حن بن ظبيان بن قيس بن جزء بن ربيعة بن حرام بن ضنة بن عبد بن كثير بن عذرة بن سعد وهو هذيم وسمي بذلك إضافة لاسمه إلى عبد لأبيه يقال له هذيم كان يحضنه فغلب عليه ابن زيد بن سود بن اسلم بن الحاف بن قضاعة والنسابون مختلفون في قضاعة فمنهم من يزعم أن قضاعة بن معد وهو أخو نزار بن معد لأبيه وأمه وهي معانة بنت جوسم بن جلهمة بن عامر بن عوف بن عدي بن دب بن جرهم ومنهم من يزعم أنهم من حمير وقد ذكر جميل ذلك في شعره فانتسب معديا فقال
(أنا جميلٌ في السَّنَامِ من معدّ ... في الأُسْرَةِ الحَصْداءِ والعِيص الأشدّ)
وقال راجز من قضاعة ينسبهم إلى حمير
(قُضَاعةُ الأثْرَوْنَ خيرُ مَعْشَر ... قضاعةُ بنُ مالكِ بنِ حِمْيَر)
ولهم في هذا أراجيز كثيرة إلا أن قضاعة اليوم تنسب كلها في حمير فتزعم أن قضاعة بن مالك بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ بن
يشجب بن يعرب بن قحطان وقال القحذمي اسم سبأ عامر وإنما قيل له سبأ لأنه أول من سبى النساء وكان يقال له عب الشمس أي عديل الشمس سمي بذلك لحسنه ومن زعم من هؤلاء أن قضاعة ليس ابن معد ذكر أن أمه عكبرة امرأة من سبأ كانت تحت مالك بن عمر فمات عنها وهي حامل فخلفه عليها معد بن عدنان فولدت قضاعة على فراشه وقال مؤرج بن عمرو هذا قول أحدثوه بعد وصنعوا شعراً ألصقوه به ليصححوا هذا القول وهو
(يا أيُّها الدَّاعِي ادْعُنا وأبشِرِ ... وكُنْ قُضَاعِيّاً ولا تَنَزَّرِ)
(قضاعةُ الأثْرَوْنَ خيرُ مَعْشَر ... قضاعةُ بنُ مالك بنِ حمير)
(... النسبُ المعروفُ غيرُ المُنْكَر)
قال مؤرج وهذا شيء قيل في آخر أيام بني أمية وشعراء قضاعة في الجاهلية والإسلام كلها تنتمي إلى معد قال جميل
(وأيّ معَدٍّ كان فَيْءُ رِمَاحِهِمْ ... كما قد أَفَأْنا والمُفَاخِرُ مُنْصِفُ)
وقال زيادة بن زيد يهجو بني عمه بني عامر رهط هدبة بن خشرم
(وإذا مَعَدٌّ أوْقدتْ نِيرانَها ... للمجدِ أغْضَتْ عامرٌ وتضعضعوا)

روى له كثير
وجميل شاعر فصيح مقدم جامع للشعر والرواية كان راوية هدبة بن
خشرم وكان هدبة شاعرا راوية للحطيئة وكان الحطيئة شاعرا راوية لزهير وابنه وقال أبو محلم آخر من اجتمع له الشعر
والرواية كثير وكان راوية جميل وجميل راوية هدبة وهدبة راوية الحطيئة والحطيئة راوية زهير
أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا عيسى بن إسماعيل عن القحذمي قال كان جميل يهوى بثينة بنت حبأ بن ثعلبة بن
الهوذ بن عمرو بن الأحب بن حن بن ربيعة تلتقي هي وجميل في حن من ربيعة في النسب
حدثني أبو الحسن أحمد بن محمد الأسدي وهاشم بن محمد أو دلف الخزاعي قالا حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي
عن ابن أبي الزناد قال
كان كثير راوية جميل وكان يقدمه على نفسه ويتخذه إماما وإذا سئل عنه قال وهل علم الله عز وجل ما تسمعون إلا منه
أخبرني محمد بن مزيد عن حماد عن أبيه عن صباح بن خاقان عن عبد الله بن معاوية الزبيري قال
كان كثير إذا ذكر له جميل قال وهل علم الله ما تسمعون إلا منه
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عمران عن
المسور بن عبد الملك عن نصيب مولى عبد العزيز بن مروان قال
قدمت المدينة فسألت عن اعلم أهلها بالشعر فقيل لي الوليد بن سعيد بن أبي سنان الأسلمي فوجدته بشعب سلع
مع عبد الرحمن بن حسان وعبد الرحمن بن أزهر فإنا لجلوس إذ طلع علينا رجل طويل بين المنكبين طوال يقود راحلة
عليها بزة حسنة فقال عبد الرحمن بن حسان لعبد الرحمن بن أزهر يا أبا جبير هذا جميل فادعه لعله أن ينشدنا فصاح به
عبد الرحمن هيا جميل هيا جميل فالتفت فقال من هذا فقال أنا عبد الرحمن بن أزهر فقال قد علمت أنه لا يجترىء علي
إلا مثلك فأتاه فقال له أنشدنا فأنشدهم
(نحنُ مَنَعْنا يومَ أَوْلٍ نساءَنا ... ويومَ أُفَيٍّ والأسِنَّةُ تَرْعُفُ)
(ويومَ رَكَايا ذِي الجُذَاةِ ووقعةٍ ... بِبَنْيَانَ كانت بعضَ ما قد تَسلَّفُوا)
(يُحِبُّ الغَوَانِي البِيضُ ظِلَّ لِوائنا ... إذا ما أتانا الصارخُ المُتَلَهِّفُ)
(نَسيرُ أمامَ الناس والناسُ خَلْفَنا ... فإن نحن أَوْمَأْنا إلى الناس وَقَّفُوا)
(فأيُّ مَعَدٍّ كان فَيْءَ رِمَاحِهِ ... كما قد أفأنا والمُفَاخِرُ يُنْصِفُ)
(وكنَّا إذا ما مَعْشَرٌ نَصَبُوا لنا ... ومرَّتْ جَوَارِي طَيْرِهم وتَعَيَّفُوا)
(وضَعْنا لهم صاعَ القِصَاصِ رهينةً ... بما سوف نُوفِيها إذا الناسُ طَفَّفُوا)
(إذا استبق الأقوامُ مجداً وجدتَنا ... لنا مِغْرَفَا مَجْدٍ وللناس مِغْرَفُ)
قال ثم قال له أنشدنا هزجا قال وما الهزج لعله هذا القصير قال
نعم فأنشده قال الزبير لم يذكر في هذا الخبر من هذه القصيدة الهزج سوى بيتين وأنشدنا باقيها بهلول بن سليمان بن
قرضاب البلوي
صوت
(رَسْمِ دَارٍ وقفتُ في طَلَلِهْ ... كِدتُ أقضِي الغَداةَ من جَلَلِهْ)
(مُوحِشاً ما تَرَى به أحداً تَنْتَسِجُ ... الريحُ تُرْبَ مُعْتَدِلِهْ)
(وصريعاً من الثُّمَامِ تَرَى ... عارِمَاتِ المَدَبِّ في أَسَلِهْ)
(بين عَلْيَاءَ وابشٍ فَبُلَيٍّ ... فالغَميمِ الذي إلى جَبَلِهْ)
(واقفاً في ديارِ أُمِّ جُسَيرٍ ... من ضُحَى يومِهِ إلى أُصُلِهْ)
(يا خليلَيَّ إن أُمَّ جُسَيرٍ ... حين يدنو الضجيجُ من عَلَلِهْ)
(روضةٌ ذاتُ حَنْوَةٍ وخُزَامَى ... جاد فيها الربيعُ من سَبَلِهْ)
(بينما هنّ بالأَرَاكِ معاً ... إذ بدا راكبٌ على جَمَلِهْ)
(فتأطَّرْنَ ثم قلن لها ... أكْرِميهِ حُيِّيتِ في نُزُلِهْ)
(فظَلِلْنا بِنَعْمَةٍ واتَّكأنا ... وشَرِبنا الحلالَ من قُلَلِهْ)
((قد أَصُونُ الحديثَ دونَ خليلٍ ... لا أخافُ الأذاةَ من قِبَلِهْ)
(غيرَ ما بِغْضَةٍ ولا لاجتنابٍ ... غير أنّي أَلِحْتُ من وَجَلِهْ)
(وخليلٍ صاقَبْتُ مُرْتَضِياً ... وخليلٍ فارقتُ من مَلَلِه)
قال فأنشده إياها حتى فرغ منها ثم اقتاد راحلته موليا فقال ابن الأزهر هذا أشعر أهل الإسلام فقال ابن حسان نعم والله
وأشعر أهل الجاهلية والله ما لأحد منهم مثل هجائه ولا نسيبه فقال عبد الرحمن بن الأزهر صدقت قال نصيب وأنشدت
الوليد فقال لي أنت أشعر أهل جلدتك والله ما زاد عليها فقلت يا أبا محجن أرضيت منه بأن تكون أشعر السودان قال
وددت والله يا ابن أخي أنه أعطاني أكثر من هذا ولكنه لم يفعل ولست بكاذبك
كان مقدماً في النسيب على غيره
أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال
كان لكثير في النسب حظ وافر وجميل مقدم عليه وعلى أصحاب النسيب في النسيب وكان كثير راوية جميل وكان
جميل صادق الصبابة والعشق ولم يكن كثير بعاشق ولكنه كان يتقول وكان الناس يستحسنون بيت كثير في النسيب
(أريد لأنسَى ذكرَها فكأنَّما ... تمثَّلُ لي لَيْلَى بكلِّ سبيل)
قال ورأيت من يفضل عليه بيت جميل
((خليليّ فيما عِشْتُما هل رأيتُما ... قَتِيلاً بَكى من حبّ قاتلِه قَبْلِي
قال ابن سلام وهذا البيت الذي لكثير أخذه من جميل حيث يقول
(أريد لأنْسَى ذكرَها فكأنَّما ... تَمثَّلُ لي لَيْلَى على كلِّ مَرْقَبِ)
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار عن محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عمران عن محمد بن
عبد العزيز عن أبي شهاب طلحة بن عبد الله بن عوف قال
لقي الفرزدق كثيرا بقارعة البلاط وأنا وهو نمشي نريد المسجد فقال له الفرزدق يا أبا صخر أنت أنسب العرب حين تقول

(أُريد لأنسَى ذكرَها فكأنَّما ... تمثَّلُ لي لَيْلَى بكلِّ سبيل)
يعرض له بسرقته من جميل فقال له كثير وأنت يا أبا فراس أفخر الناس حين تقول
(تَرَى الناسَ ما سِرْنا يَسيرون خَلْفَنا ... وإن نحن أوْمَأْنا إلى الناس وَقَّفُوا)
قال عبد العزيز وهذا البيت أيضا لجميل سرقة الفرزدق فقال الفرزدق لكثير هل كانت أمك مرت بالبصرة قال لا ولكن أبي فكان نزيلا لأمك قال طلحة بن عبد الله فوالذي نفسي بيده لعجبت من كثير وجوابه وما رأيت أحداً قط أحمق منه رأيتني دخلت عليه يوما في نفر من قريش وكنا كثيرا ما نتهزأ به فقلنا كيف تجدك يا أبا صخر قال بخير أما سمعتم الناس يقولون شيئا قلنا نعم يتحدثون أنك الدجال فقال والله
لئن قلتم ذاك إني لأجد في عيني هذه ضعفاً منذ أيام
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال كتب إلي أبو محمد إسحاق بن إبراهيم يقول حدثني أبو عبيدة عن جويرية بن أسماء قال
كان أبو صخر كثير صديقا لي وكان يأتيني كثيرا فقلما استنشدته إلا بدأ بجميل وأنشد له ثم أنشد لنفسه وكان يفضله ويتخذه إماما
قال الزبير وكتب إلي إسحاق يقول حدثني صباح بن خاقان عن عبد الله بن معاوية بن عاصم بن المنذر بن الزبير قال ذكر جميل لكثير فقالوا ما تقول فيه فقال منه علم الله عز وجل
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو يحيى الزهري عن إسحاق بن قبيصة الكوفي عن رجل سماه قال
سألت نصيبا أجميل أنسب أم كثير فقال أنا سألت كثيرا عن ذاك فقال وهل وطأ لنا النسيب إلا جميل
قال عمر بن شبة وقال إسحاق حدثني السعيدي عن أبي مالك النهدي قال
جلس إلينا نصيب فذكرنا جميلا فقال ذاك إمام المحبين وهل هدى الله عز وجل لما ترى إلا بجميل
أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة عن جويرية بن
أسماء قال ما استنشدت كثيرا قط إلا بدأ بجميل وأنشدني له ثم أنشدني بعده لنفسه وكان يفضله ويتخذه إماما
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني بهلول بن سليمان بن قرضاب البلوي قال

خبر تعرفه ببثينة

كان جميل ينسب بأم الجسير وكان أول ما علق بثينة أنه أقبل يوما بإبله حتى أوردها واديا يقال له بغيض فاضطجع وأرسل إبله مصعدةً وأهل بثينة بذنب الوادي فأقبلت بثينة وجارة لها واردتين الماء فمرتا على فصال له بروك فعرمتهنّ بثينة يقول نفرتهن وهي إذ ذاك جويرية صغيرة فسبها جميل فأفترت عليه فملح إليه سبابها فقال
(وأوّلُ ما قاد المودّةَ بيننا ... بِوَادِي بَغيضٍ يا بُثَيْنَ سِبابُ)
(وقلنا لها قَوْلاً فجاءت بمثله ... لكلِّ كلامٍ يا بُثَيْنَ جوابُ)
قال الزبير وحدثني محمد بن إسماعيل بن جعفر عن سعيد بن نبيه بن الأسود العذري وكانت بثينة عند أبيه نبيه بن الأسود وإياه يعني جميل بقوله
(لقد أنْكَحُوا جَهْلاً نُبَيهاً ظَعِينةً ... لَطِيفةَ طَيِّ الكَشْحِ ذاتَ شَوًى خَدْلِ)
قال الزبير وحدثني أيضا الأسباط بن عيسى بن عبد الجبار العذري أن جميل بن معمر خرج في يوم عيد والنساء إذ ذاك يتزين ويبدو بعضهن لبعض ويبدون للرجال وأن جميلا وقف على بثينة وأختها أم الجسير في نساء من بني
الأحب وهن بنات عم عبيد الله بن قطبة أخي أبيه لحا فرأى منهن منظرا وأعجبنه وعشق بثينة وقعد معهن ثم راح وقد كان معه فتيان من بني الأحب فعلم أن القوم قد عرفوا في نظره حب بثينة ووجدوا عليه فراح وهو يقول
(عَجِلَ الفِراقُ ولَيْتَه لم يَعْجَلِ ... وجرتْ بوادرُ دَمْعِكَ المُتَهلِّلِ)
(طَرَباً وشاقكَ ما لَقِيتَ ولم تَخَفْ ... بَيْنَ الحبيبِ غداةَ بُرْقَةِ مِجْوَلِ)
(وعرفتَ انك حين رُحْتَ ولم يكن ... بعدُ اليقينُ وليس ذاك بمُشْكِلِ)
(لن تَستطيع إلى بثينة رَجْعةً ... بعد التفرُّق دون عامٍ مُقبِلِ)
قال وإن بثينة لما أخبرت أن جميلا قد نسب بها حلفت بالله لا يأتيها على خلاء إلا خرجت إليه ولا تتوارى منه فكان يأتيها عند غفلات الرجال فيتحدث إليها ومع أخواتها حتى نمي إلى رجالها أنه يتحدث إليها إذا خلا منهم وكانوا أصلافا غيرا أو قال غيارى فرصدوه بجماعة نحو من بضعة عشر رجلا وجاء على الصهباء ناقته حتى وقف على بثينة وأم الجسير وهما يحدثانه وهو ينشدهما يومئذ
(حلفتُ بربِّ الراقصاتِ إلى مِنًى ... هُوِيَّ القَطَا يَجْتَزْنَ بطنَ دَفِينِ)
((لقد ظَنَّ هذا القلبُ أن ليس لاقياً ... سُلَيْمَى ولا أُمَّ الجُسَيْرِ لحِينِ)
(فليت رجالاً فيكِ قد نذَروا دمِي ... وهَمُّوا بقَتْلِي يا بُثَيْنَ لَقُونِي)
فبينا هو على تلك الحال إذ وثب عليه القوم فرماهم بها فسبقت به وهو يقول
(إذا جمع الاثنان جمعاً رميتُهم ... بأركانها حتى تُخَلَّى سبيلُها)
فكان هذا أول سبب المهاجاة بينه وبين عبيد الله بن قطبة

تشكيه في شعره

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا بهلول بن سليمان عن مشيخة من عذرة
أن بثينة واعدت جميلا أن يلتقيا في بعض المواضع فأتى لوعدها وجاء أعرابي يستضيف القوم فأنزلوه وقروه فقال لهم قد رأيت في بطن هذا الوادي ثلاثة نفر متفرقين متوارين في الشجر وأنا خائف عليكم أن يسلبوا بعض إبلكم فعرفوا أنه جميل وصاحباه فحرسوا بثينة ومنعوها من الوفاء بوعده فلما أسفر له الصبح انصرف كئيبا سيء الظن بها ورجع إلى أهله فجعل نساء الحي يقرعنه بذلك ويقلن له إنما حصلت منها على الباطل والكذب والغدر وغيرها أولى بوصلك منها كما أن غيرك يحظى بها فقال في ذلك

صوت

(أَبُثَيْنَ إنَّكِ قد مَلَكْتِ فأسْجِحِي ... وخُذِي بحظك من كريمٍ واصلِ)
(فأجبتُها في القول بعد تَستُّرٍ ... حُبِّي بثينةَ عن وِصَالِكِ شاغِلِي)

(فلربَّ عارضةٍ علينا وَصْلَها ... بالجِدّ تَخْلِطه بقول الهازل)
((لو كان في صدري كقَدْر قُلاَمةٍ ... فَضْلاً وصلتُكِ أو أتتكِ رسائلي
الغناء ليحيى المكي ثقيل أول بالوسطى من رواية ابنه أحمد عنه
صوت
(ويَقُلْنَ إنَّكَ قد رَضِيتَ بباطلٍ ... منها فهل لكَ في اجتناب الباطل)
(ولَبَاطِلٌ ممَّا أُحِبُّ حديثه ... أشهى إليّ من البَغيض الباذِل)
(لِيُزِلْنَ عنك هواي ثم يَصِلْنَنِي ... وإذا هَويتُ فما هوايَ بزائل)
الغناء لسليم رمل بالوسطى عن عمرو وذكر في نسخته الثانية أنه ليزيد حوراء وروى حماد عن أبيه في أخبار ابن سريج أن لابن سريج فيه لحنا ولم يجنسه
(صادتْ فؤادي يا بُثَيْنِ حِبالُكُم ... يومَ الحَجُونِ وأخطأتْكِ حبائلي)
(مَنَّيْتِنِي فلَوَيْتِ ما مَنَّيْتِنِي ... وجعلتِ عاجلَ ما وعدتِ كآجلِ)
(وتثاقلتْ لمَّا رأت كَلَفِي بها ... أحْبِبْ إليَّ بذاكَ من متثاقلِ)
(وأطعتِ فيَّ عواذِلاً فهجرتِني ... وعَصَيْتُ فيكِ وقد جَهَدْنَ عواذلي)
(حاولنَني لأَبُتَّ حبلَ وِصَالكم ... مني ولستُ وإن جَهَدْنَ بفاعل)
((فرددتُهن وقد سَعَيْنَ بهجركم ... لمَّا سَعَيْنَ له بأفْوَقَ ناصِلِ
(يَعْضَضْنَ من غَيظٍ عليَّ أناملاً ... ووَدِدْتُ لو يَعْضَضْنَ صُمَّ جَنَادِلِ)
(ويقلن إنكِ يا بُثَيْن بخيلةٌ ... نفسي فداؤكِ من ضَنِينٍ باخل)
قالوا وقال جميل في وعد بثينة بالتلاقي وتأخرها قصيدة أولها
(يا صاحِ عن بعض المَلاَمةِ أقْصِرِ ... إنّ المُنَى لِلِقاءِ أُمِّ المِسْوَرِ)
فمما يغنى فيه منها قوله
صوت
(وكأنّ طارقَها على عَلَل الكرَى ... والنجمُ وَهْناً قد دنا لتَغَوُّرِ)
(يَسْتَافُ ريحَ مُدَامةٍ معجونةٍ ... بذَكِيِّ مِسْكٍ أو سَحِيقِ العَنْبَرِ)
الغناء لابن جامع ثقيل أول بالبنصر من رواية الهشامي وذكر عمرو بن بانة أنه لابن المكي
ومما يغنى فيه منها قوله
صوت
(إنّي لأحفظُ غَيْبَكم ويسرُّني ... إذ تَذْكُرِينَ بصالحٍ أن تَذْكُري)
((ويكون يومٌ لا أرى لكِ مُرْسَلاً ... أو نَلْتَقِي فيه عليَّ كأشْهُر
(يا ليتني ألقَى المنيَّةَ بغتةً ... إن كان يومُ لقائكم لم يُقْدَرِ)
(أو أستطيعُ تَجَلُّداً عن ذكركم ... فيُفِيقَ بعضُ صبابتي وتَفَكُّري)
الغناء لابن محرز خفيف رمل بالوسطى عن الهشامي وفيه يقول
(لو قد تُجِنّ كما أُجِنّ من الهوى ... لَعَذَرْتِ أو لظلمتِ إن لم تَعْذِرِ)
(واللّه ما للقلبِ من علمٍ بها ... غيرُ الظنون وغير قول المُخْبِرِ)
(لا تحسَبي أنّي هجرتُكِ طائعاً ... حَدَثٌ لعمركِ رائعٌ أن تُهْجَرِي)
(فَلْتَبْكِيَنَّ الباكياتُ وإن أَبُحْ ... يوماً بسرِّكِ مُعْلِناً لم أُعْذَرِ)
(يهواكِ ما عشتُ الفؤادُ فإن أَمُتْ ... يَتْبَعْ صَدَايَ صداكِ بين الأقْبُرُ)
صوت)
(إنّي إليكِ بما وعدتِ لناظرٌ ... نظرَ الفقير إلى الغَنِيِّ المُكْثِرِ)
(يَعِدُ الديونَ وليس يُنْجِزُ موعداً ... هذا الغريمُ لنا وليس بمُعسِرِ)
(ما أنتِ والوَعْدَ الذي تَعِدِينَنِي ... إلاَّ كبرق سحابةٍ لم تُمْطِرِ)
(قلبي نصحتُ له فردَّ نصيحتي ... فمتى هَجَرْتِيهِ فمنه تَكَثَّرِي)
الغناء في هذه الأبيات لسليم رمل عن الهشامي وفيه قدح طنبوري اظنه لجحظة أو لعلي بن مودة قالوا وقال في إخلافها إياه هذا الموعد
صوت
(ألاَ ليتَ رَيْعانَ الشباب جديدُ ... ودهراً تولَّى يا بُثَينَ يَعُودُ)
(فنَغْنَى كما كنّا نكون وأنتُم ... قريبٌ وإذ ما تَبْذُلِين زهيدُ) ويروى
(... وممَّا لا يَزيد بعيدُ)
وهكذا يغنى فيه
الغناء لسليم خفيف ثقيل أول بالوسطى ومما يغنى فيه من هذه القصيدة
صوت
(ألاَ ليت شعري هل أَبِيتنّ ليلةً ... بوادي القُرَى إنِّي إذاً لسَعِيدُ)
(وهل أَلْقَيَنْ فَرْداً بثينةَ مرّةً ... تجود لنا من وُدّها ونجودُ)
(عَلِقْتُ الهوى منها وليداً فلم يَزَلْ ... إلى اليوم يَنْمِي حبُّها ويَزيد)
(وأفنيْتُ عُمْري بانتظارِيَ وَعْدَها ... وأبْلَيتُ فيها الدهرَ وهو جديدُ)
(فلا أنا مردودٌ بما جئتُ طالباً ... ولا حبُّها فيما يَبِيدُ يَبِيدُ)
الغناء لمعبد ثقيل أول بالوسطى ومما يغنى فيه منها
صوت
(وما أنْسَ مِ الأشياءِ لا أَنْسَ قولَها ... وقد قَرُبتْ بُصرَى أمصرَ تُريدُ)
(ولا قولَهَا لولا العيونُ التي تَرَى ... لزُرْتُكَ فاعذِرْني فَدَتْكَ جُدُودُ)

(خليليّ ما أَلْقَى من الوجد قاتِلي ... ودَمْعِي بما قلتُ الغَداةَ شَهيدُ)
(يقولون جاهدْ يا جميلُ بغَزْوةٍ ... وأيَّ جهادٍ غيرَهنّ أُريدُ)
(لكلّ حديثٍ بينهنّ بَشاشةٌ ... وكلُّ قَتيلٍ عندهنّ شَهيدُ)
الغناء للغريض خفيف ثقيل من رواية حماد عن أبيه وفي هذه القصيدة يقول
(إذا قلتُ ما بي يا بثينةُ قاتِلي ... من الحبّ قالت ثابتٌ ويَزيدُ)
(وإن قلتُ رُدّي بعضَ عقلي أَعِشْ به ... مع الناس قالت ذاكَ منكَ بعيدُ)
(ألا قد أَرَى واللّهِ أن رُبَّ عَبْرةٍ ... إذا الدَّارُ شَطَّتْ بيننا ستَزُودُ)
(إذا فكَّرتْ قالت قد ادركتُ وُدَّه ... وما ضَرَّني بُخْلي فكيف أَجُودُ)
(فلو تُكْشَفُ الأحْشاءُ صُودِفَ تحتَها ... لبَثْنَةَ حبٌّ طارِفٌ وتَلِيدُ)
(تُذَكِّرُنيها كلُّ ريحٍ مَريضةٍ ... لها بالتِّلاَعِ القاوياتِ وَئِيدُ -
((وقد تَلْتقي الأشْتاتُ بعد تفرُّقٍ ... وقد تُدْرَكُ الحاجاتُ وهي بعيدُ

التقى بثينة بعد غياب فتعاتبا

أخبرني علي بن صالح قال حدثني عمر بن شبة عن إسحاق قال
لقي جميل بثينة بعد تهاجر كان بينهما طالت مدته فتعاتبا طويلا فقالت له ويحك يا جميل أتزعم أنك تهواني وأنت الذي تقول
(رمَى اللّهُ في عينيْ بُثَينَةَ بالقَذَى ... وفي الغُرّ من أنْيابها بالقَوَادِحِ)
فأطرق طويلا يبكي ثم قال بل أنا القائل
(ألا ليتَنِي أعْمَى أصمُّ تَقُودُنِي ... بثينةُ لا يَخْفَى عليّ كلامُها)
فقالت له ويحك ما حملك على هذه المنى أوليس في سعة العافية ما كفانا جميعا
قال إسحاق وحدثني أيوب بن عباية قال
سعت أمة لبثينة بها إلى أبيها وأخيها وقالت لهما إن جميلا عندها الليلة فأتياها مشتملين على سيفين فرأياه جالسا حجرة منها يحدثها ويشكو إليها بثه ثم قال لها يا بثينة أرأيت ودي إياك وشغفي بك ألا تجزينيه قالت بماذا قال بما يكون بين المتحابين فقالت له يا جميل أهذا تبغي والله لقد كنت عندي بعيدا منه ولئن عاودت تعريضا بريبة لا رأيت وجهي أبدا فضحك وقال والله ما قلت لك هذا إلا لأعلم ما عندك فيه ولو علمت أنك تجيبينني إليه لعلمت أنك تجيبين غيري ولو رأيت منك مساعدة عليه لضربتك
بسيفي هذا ما استمسك في يدي ولو أطاعتني نفسي لهجرتك هجرة الأبد أو ما سمعت قولي
(وإنّي لأرْضَى من بُثَينةَ بالذي ... لو ابْصرَه الواشِي لقَرَّتْ بَلاَبِلُهْ)
(بلاَ وبأن لا أستطيعَ وبالمُنَى ... وبالأملِ المرجوِّ قد خاب آملُهْ)
(وبالنَّظْرَةِ العَجْلَى وبالحَول تَنْقَضِي ... أواخرُه لا نَلْتَقِي وأوائلُهْ)
قال فقال أبوها لأخيها قم بنا فما ينبغي لنا بعد اليوم أن نمنع هذا الرجل من لقائها فانصرفا وتركاهما
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب بن عباية عن رجل من عذرة قال
كنت تربا لجميل وكان يألفني فقال لي ذات يوم هل تساعدني على لقاء بثينة فمضيت معه فكمن لي في الوادي وبعث بي إلى راعي بثينة بخاتمه فدفعته إليه فمضى به إليها ثم عاد بموعد منها إليه فلما كان الليل جاءته فتحدثا طويلا حتى أصبحا ثم ودعها وركب ناقته فلما استوى في غرزها وهي باركة قالت له ادن مني يا جميل

صوت

(إنّ المنازل هيَّجتْ أطْرابي ... واستَعجمَتْ آياتُها بجَوابي)
(قَفْراً تَلُوح بذي اللُّجَينِ كأنها ... أنْضَاءُ رَسْمٍ أو سُطورُ كتابِ)
(لما وَقَفْتُ بها القَلُوصَ تبادرتْ ... منّي الدموعُ لفُرْقة الأحبابِ)
((وذكرتُ عصراً يا بثينةُ شاقَني ... وذكرتُ أيّامي وشَرْخَ شبابِي
الغناء في هذه الأبيات للهذلي ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق

كثير يسعى لجمعهما

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إسحاق الموصلي عن السعيدي وأخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد عن أبيه قال حدثنا أبو مالك النهدي قال
جلس إلينا كثير ذات يوم فتذاكرنا جميلا فقال لقيني مرة فقال لي من أين أقبلت قلت من عند أبي الحبيبة أعني بثينة فقال وإلى أين تمضي قلت إلى الحبيبة أعني عزة فقال لا بد من أن ترجع عودك على بدئك فتستجد لي موعدا من بثينة فقلت عهدي بها الساعة وأنا أستحيي أن أرجع فقال لا بد من ذلك فقلت له فمتى عهدك ببثينة فقال في أول الصيد وقد وقعت سحابة بأسفل وادي الدوم فخرجت ومعها جارية لها تغسل ثيابها فلما أبصرتني أنكرتني فضربت بيديها إلى ثوب في الماء فالتحفت به وعرفتني الجارية فأعادت الثوب في الماء وتحدثنا حتى غابت الشمس وسألتها الموعد فقالت أهلي سائرون وما وجدت أحداً آمنه فأرسله إليها فقال له كثير فهل لك في أن آتي الحي فأنزع بأبيات من شعر أذكر فيها هذه العلامة إن لم أقدر على الخلوة بها قال ذلك الصواب فأرسله إليها فقال له انتظرني ثم خرج كثير حتى أناخ بهم فقال له أبوها ما ردك قال ثلاثة
أبيات عرضت لي فأحببت أن أعرضها عليك قال هاتها قال كثير فأنشدته وبثينة تسمع
(فقلتُ لها يا عزّ أُرْسِلَ صاحبي ... إليكِ رسولاً والموَكَّلُ مُرْسَلُ)
(بأن تجعلَي بَيْنِي وبيْنَكِ موعِداً ... وأنْ تأمُريني ما الذي فيه أَفعلُ)
(وآخِرُ عهدِي منكِ يومَ لقيتِني ... بأسفلِ وادي الدَّوْمِ والثوبُ يُغْسَلُ)
قال فضربت بثينة جانب خدرها وقالت إخسأ إخسأ فقال أبوها مهيم يا بثينة قالت كلب يأتينا إذا نوم الناس من وراء الرابية ثم قالت للجارية ابغينا من الدومات حطبا لنذبح لكثير شاة ونشويها له فقال كثير أنا أعجل من ذلك وراح إلى جميل فأخبره فقال له جميل الموعد الدومات وقالت لأم الحسين وليلى ونجيا بنات خالتها وكانت قد أنست إليهن واطمأنت بهن إني قد رأيت في نحو نشيد كثير أن جميلا معه وخرج كثير وجميل حتى أتيا الدومات وجاءت بثينة ومن معها فما برحوا

حتى برق الصبح فكان كثير يقول ما رأيت مجلسا قط أحسن من ذلك ولا مثل علم أحدهما بضمير الآخر ما أدري أيهما كان أفهم
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي وأخبرني عمي عن الكراني عن العمري عن الهيثم بن عدي قال قال لي صالح بن حسان
هل تعرف بيتا نصفه أعرابي في شملة وآخره مخنث من أهل العقيق يتقصف تقصفا قلت لا قال قد أجلتك حولا قلت لا أدري ما هو فقال قول جميل
(... ألا أيُّها النُّوّامُ وَيْحَكُمُ هُبُّوا)
كأنه أعرابي في شملة ثم أدركه ما يدرك العاشق فقال
(... أسائلُكم هل يقتُل الرجلَ الحبُّ)
كأنه من كلام مخنثي العقيق
ماذا فعل بعد أن أهدر السلطان دمه
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير بن حرب قال أخبرنا عبد الله بن أبي كريم عن أبي عمرو وإسحاق بن مروان قال
عشق جميل بثينة وهو غلام فلما بلغ خطبها فمنع منها فكان يقول فيها الأشعار حتى اشتهر وطرد فكان يأتيها سرا ثم تزوجت فكان يزورها في بيت زوجها في الحين خفية إلى أن استعمل دجاجة بن ربعي على وادي القرى فشكوه إليه فتقدم إليه ألا يلم بأبياتها وأهدر دمه لهم إن عاود زيارتها فاحتبس حينئذ
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال حدثنا أحمد بن أبي العلاء قال حدثني إبراهيم الرماح قال حدثنا جابر أبو العلاء التنوخي قال
لما نذر أهل بثينة دم جميل وأهدره لهم السلطان ضاقت الدنيا بجميل
فكان يصعد بالليل على قور رمل يتنسم الريح من نحو حي بثينة ويقول
(أيا ريحَ الشَّمالِ أما تَرَيْني ... أهيمُ وأنّني بادِي النُّحُولِ)
(هَبِي لي نَسْمَةً من ريح بَثْنٍ ... ومُنِّي بالهُبُوبِ إلى جَمِيل)
(وقولي يا بُثينَةُ حَسْبُ نَفْسِي ... قليلُكِ أو أقلُّ من القليل)
فإذا بدا وضح الصبح انصرف وكانت بثينة تقول لجوار من الحي عندها ويحكن إني لأسمع أنين جميل من بعض القيران فيقلن لها اتقي الله فهذا شيء يخيله لك الشيطان لا حقيقة له
تذاكر النسيب مع كثير
حدثني أحمد بن عمار قال حدثني يعقوب بن نعيم قال حدثني أحمد بن يعلى قال حدثني سويد بن عصام قال حدثني روح أبو نعيم قال
التقى جميل وكثير فتذاكرا النسيب فقال كثير يا جميل اترى بثينة لم تسمع بقولك
(يَقِيكِ جميل كلَّ سُوءٍ أما له ... لديكِ حديثٌ أو إليكِ رسولُ)
(وقد قلتُ في حبِّي لكم وصَبَابتي ... مَحَاسِنَ شِعرٍ ذِكْرُهنَّ يَطُول)
(فإن لم يكن قولي رضاكِ فعَلِّمِي ... هُبوبَ الصَّبا يا بَثْن كيفَ أقولُ)
(فما غاب عن عيني خيالُكِ لحظةً ... ولا زال عنها والخيالُ يَزُول)
فقال جميل أترى عزة يا كثير لم تسمع بقولك
(يقول العِدا يا عَزّ قد حال دونكم ... شجاعٌ على ظهر الطريقِ مُصَمِّمُ)
(فقلتُ لها واللّهِ لو كان دونكم ... جهنَّمُ ما راعتْ فؤادِي جهنَّمُ)
((وكيف يَرُوع القلبَ يا عزّ رائعٌ ... ووجهك في الظَّلْماء للسَّفْر مَعْلَمُ
(وما ظلمتْكِ النفسُ يا عَزّ في الهوى ... فلا تَنْقِمِي حبِّي فما فيه مَنْقَمُ)
قال فبكيا قطعة من الليل ثم انصرفا
وقال الهيثم بن عدي ومن ذكر روايته معه من أصحابه
زار جميل بثينة ذات يوم فنزل قريبا من الماء يترصد أمة لها أو راعية فلم يكن نزوله بعيدا من ورود أمة حبشية معها قربة وكانت به عارفة وبما بينها وبينه فسلمت عليه وجلست معه وجعل يحدثها ويسألها عن أخبار بثينة ويحدثها بخبره بعدها ويحملها رسائله ثم أعطاها خاتمه وسألها دفعه إلى بثينة وأخذ موعد عليها ففعلت وانصرفت إلى أهلها وقد أبطأت عليهم فلقيها أبو بثينة وزوجها وأخوها فسألوها عما أبطأ بها فالتوت عليهم ولم تخبرهم وتعللت فضربوها ضربا مبرحا فأعلمتهم حالها مع جميل ودفعت إليهم خاتمه ومر بها في تلك الحال فتيان من بني عذرة فسمعا القصة كلها وعرفا الموضع الذي فيه جميل فأحبا أن يثبطا عنه فقالا للقوم إنكم إن لقيتم جميلا وليست بثينة معه ثم قتلتموه لزمكم في ذلك كل مكروه وأهل بثينة أعز عذرة فدعوا الأمة توصل خاتمه إلى بثينة فإذا زارها بيتموهما جميعا قالوا صدقتما لعمري إن هذا الرأي فدفعوا الخاتم إلى الأمة وأمروها بإيصاله وحذروها أن تخبر بثينة بأنهم علموا القصة ففعلت ولم تعلم بثينة بما جرى ومضى الفتيان فأنذرا جميلا فقال والله ما أرهبهم وإن في كنانتي ثلاثين سهما والله لا أخطأ كل واحد منها رجلا منهم وهذا سيفي والله ما أنا به رعش اليد ولا جبان الجنان فناشداه الله وقالا البقية أصلح فتقيم عندنا في بيوتنا حتى يهدأ الطلب ثم نبعث إليها فتزورك وتقضي من لقائها وطرا وتنصرف سليما غير مؤبن فقال أما الآن فابعثا إليها من ينذرها فأتياه براعية لهما وقالا له قل بحاجتك فقال ادخلي إليها وقولي لها إني أردت اقتناص ظبي فحذره ذلك جماعة اعتوروه من القناص ففاتني الليلة فمضت فأعلمتها ما قال لها فعرفت قصته وبحثت عنها فعرفتها فلم تخرج لزيارته تلك الليلة ورصدوها فلم تبرح مكانها ومضوا يقتصون أثره فرأوه بعر ناقته فعرفوا أنه قد فاتهم فقال جميل في ذلك
(خليليّ عُوجَا اليومَ حتى تسلِّما ... على عَذْبَةِ الأنيابِ طيِّبةِ النَّشْرِ)
(ألِمَّا بها ثم اشفَعا لي وسلِّما ... عليها سقاها اللّهُ من سَبَلِ القَطْرِ)
(إذا ما دَنَتْ زدْتُ اشتياقا وإن نأت ... جزِعتُ لنَأْيِ الدار منها ولِلبُعْدِ)
(أبَى القلبُ إلاّ حبَّ بَثْنةَ لم يُرِدْ ... سِوَاها وحبُّ القلبِ بَثْنَةَ لا يُجْدِي)
قال وقال أيضا ومن الناس من يضيف هذه الأبيات إلى هذه القصيدة وفيها أبيات معادة القوافي تدل على أنها مفردة عنها

وهي
(ألم تَسْأل الدارَ القديمةَ هل لها ... بأُمِّ جُسَيْرٍ بعد عهدكَ من عهد)
وفيها يقول
صوت
(سَلِي الرَّكْبَ هل عُجْنَا لِمَغْنَاكِ مَرَّةً ... صدورَ المطايا وهي مُوقَرَةً تَخْدِي)
(وهل فاضتِ العينُ الشَّرُوقُ بمائها ... مِنَ اجْلِكِ حتى اخْضَلَّ من دمعها بُرْدِي)
الغناء لأحمد بن المكي ثاني ثقيل بالوسطى
(وإنِّي لأسْتَجْري لكِ الطَّيرَ جاهداً ... لتجري بِيُمْنٍ من لقائِك من سعد)
(وإنِّي لأسْتَبْكِي إذا الركبُ غَرَّدُوا ... بذكراكِ أن يحيا بكِ الركبُ إذ يَخْدِي)
(فهل تَجْزِيَنِّي أمُّ عمروٍ بودِّها ... فإنّ الذي أُخْفِي بها فوقَ ما أُبْدِي)
(وكلُّ محبٍّ لم يَزِدْ فوقَ جَهْدِه ... وقد زدتُها في الحبّ منّي على الجَهْدِ)
(خبره مع أم منظور التي اؤتمنت على بثينة)
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمر بن إبراهيم وغيره وبهلول بن سليمان البلوي
أن رهط بثينة ائتمنوا عليها عجوزا منهم يثقون بها يقال لها أم منظور فجاءها جميل فقال لها يا أم منظور أريني بثينة فقالت لا والله ما أفعل قد ائتمنوني عليها فقال أما والله لأضرنك فقالت المضرة والله في أن أريكها فخرج من عندها وهو يقول
(ما أنْسَ لا أنْسَ منها نظرةً سَلَفَتْ ... بالحِجْرِ يومَ جَلَتْها أُمُّ منظورِ)
(ولا انسِلاَبَتها خُرْساً جبائرُها ... إليَّ من ساقِطِ الأرواقِ مستورِ)
قال فما كان إلا قليل حتى انتهى إليهم هذان البيتان قال فتعلقوا بأم منظور فحلفت لهم بكل يمين فلم يقبلوا منها هكذا ذكر الزبير بن بكار في خبر أم منظور وقد ذكر فيه غير ذلك
مصعب يستفسر أم منظور عن قصة جميل وبثينة
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثني العمري عن الهيثم بن عدي
وأخبرني به ابن أبي الأزهر عن حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي
أن رجلا أنشد مصعب بن الزبير قول جميل
(ما أنْسَ لا أنسَ منها نظرةً سلفتْ ... بالحِجْرِ يومَ جَلَتْها أُمّ منظورِ)
فقال لوددت أني عرفت كيف جلتها فقيل له إن أم منظور هذه حية فكتب في حملها إليه مكرمة فحملت إليه فقال لها أخبريني عن قول جميل
(ما أنْس لا أنْس منها نظرةً سَلَفَتْ ... بالحِجْرِ يومَ جَلَتْها أُمّ منظورِ)
كيف كانت هذه الجلوة قالت ألبستها قلادة بلح ومخنقة بلح واسطتها تفاحة وضفرت شعرها وجعلت في فرقها شيئا من الخلوق ومر بنا جميل راكبا ناقته فجعل ينظر إليها بمؤخر عينه ويلتفت إليها حتى غاب عنا فقال لها مصعب فإني أقسم عليك إلا جلوت عائشة بنت طلحة مثل ما جلوت بثينة ففعلت وركب مصعب ناقته وأقبل عليهما وجعل ينظر إلى عائشة بمؤخر عينه ويسير حتى غاب عنهما ثم رجع
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني بهلول عن بعض مشايخه
أن جميلا جاء إلى بثينة ليلة وقد أخذ ثياب راع لبعض الحي فوجد عندها ضيفانا لها فانتبذ ناحية فسألته من أنت فقال مسكين مكاتب فجلس وحده فعشت ضيفانها وعشته وحده ثم جلست هي وجارية لها على صلائهما واضطجع القوم منتحين فقال جميل
(هل البائسُ المَقْرورُ دانٍ فمُصْطَلٍ ... من النار أو مُعْطًى لِحافاً فلابسُ)
فقالت لجاريتها صوت جميل والله اذهبي فانظري فرجعت إليها فقالت هو والله جميل فشهقت شهقة سمعها القوم فأقبلوا يجرون وقالوا مالك فطرحت برداً لها من حبرة في النار وقالت احترق بردي فرجع القوم وارسلت جاريتها إلى جميل فجاءتها به فحبسته عندها ثلاث ليال ثم سلم عليها وخرج
وقال الهيثم وأصحابه في أخبارهم
كانت بثينة قد واعدت جميلا للالتقاء في بعض المواضع فأتى لوعدها وجاء أعرابي يستضيف القوم فأنزلوه وقروه فقال لهم إني قد رأيت في بطن هذا الوادي ثلاثة نفر متفرقين متوارين في الشجر وأنا خائف عليكم أن يسلوا بعض إبلكم فعرفوا أنه جميل وصاحباه فحرسوا بثينة ومنعوها من الوفاء بوعده فلما أسفر له الصبح انصرف كئيبا سيىء الظن بها ورجع إلى أهله فجعل نساء الحي يقرعنه بذلك ويقلن له إنما حصلت منها على الباطل والكذب والغدر وغيرها أولى بوصلك منها كما أن غيرك يحظى بها فقال في ذلك
((أبُثَين إنَّكِ قد مَلَكْتِ فأَسْجِحِي ... وخُذِي بحظِّكِ من كريم واصلِ
صوت
(فلرُبَّ عارضةٍ علينا وصلَها ... بالجِدّ تَخْلِطُه بقول الهازلِ)
(فأجبتُها بالقول بعد تستُّرٍ ... حُبِّي بثينةَ عن وِصالكِ شاغلي)
(لو كان في قلبي كقَدْرِ قُلاَمةٍ ... فضلاً وصلتُك أو أَتَتْكِ رسائلي)
الغناء ليحيى المكي ثقيل أول بالوسطى من رواية أحمد
(وَيَقُلْنَ إنَّكَ قد رضيتَ بباطلٍ ... منها فهل لك في اجتناب الباطلِ)
(ولباطلٌ ممَّن أحبُّ حديثَه ... أشْهَى إليّ من البغيض الباذِلِ)
الغناء لسليم رمل بالوسطى عن عمرو وذكر عمر أنه ليزيد حوراء
شعره بعد أن علم زوج بثينة بمقامه معها
وذكر الهيثم بن عدي وأصحابه أن جماعة من بني عذرة حدثوا أن جميلا رصد بثينة ذات ليلة في نجعة لهم حتى إذا صادف منها خلوة سكر ودنا منها وذلك في ليلة ظلماء ذات غيم وريح ورعد فحذفها بحصاة فأصابت بعض أترابها ففزعت وقالت والله ما حذفني في هذا الوقت بحصاة إلا الجن فقالت لها بثينة وقد فطنت إن جميلا فعل ذلك فانصرفي ناحية إلى

منزلك حتى ننام فانصرفت وبقيت مع بثينة أم الجسير وأم منظور فقامت إلى جميل فأدخلته الخباء معها وتحدثا طويلا ثم اضطجع واضطجعت إلى جنبه فذهب النوم بهما حتى أصبحا وجاءها غلام زوجها بصبوح من اللبن بعث به إليها فرآها نائمة مع جميل فمضى لوجهه حتى خبر سيده ورأته ليلى والصبوح معه وقد عرفت خبر جميل وبثينة فاستوقفته كأنها تسأله عن حاله وبعثت بجارية لها
وقالت حذري بثينة وجميلا فجاءت الجارية فنبهتهما فلما تبينت بثينة الصبح قد أضاء والناس منتشرين ارتاعت وقالت يا جميل نفسك نفسك فقد جاءني غلام نبيه بصبوحي من اللبن فرآنا نائمين فقال لها جميل وهو غير مكترث لما خوفته منه
(لعَمْرُكِ ما خَوَّفْتِنِي من مَخَافةٍ ... بُثَيْن ولا حَذَّرْتِنِي موضعَ الحَذَرْ)
(فأُقْسِمُ لا يُلْفَى لِيَ اليومَ غِرَّةٌ ... وفي الكَفِّ مني صارمٌ قاطعٌ ذَكَرْ)
فأقسمت عليه أن يلقي نفسه تحت النضد وقالت إنما أسألك ذلك خوفا على نفسي من الفضيحة لا خوفا عليك ففعل ذلك ونامت كما كانت واضجعت أمّ الجسير إلى جانبها وذهبت خادم ليلى إليها فأخبرتها الخبر فتركت العبد يمضي إلى سيده فمضى والصبوح معه وقال له إني رأيت بثينة مضطجعة وجميل إلى جنبها فجاء نبيه إلى أخيها وأبيها فأخذ بأيديهما وعرفهما الخبر وجاؤوا بأجمعهم إلى بثينة وهي نائمة فكشفوا عنها الثوب فإذا أم الجُسير إلى جانبها نائمة فخجل زوجها وسب عبده وقالت ليلى لأخيها وأبيها قبحكما الله أفي كل يوم تفضحان فتاتكما ويلقاكما هذا الأعور فيها بكل قبيح قبحه الله وإياكما وجعلا يسبان زوجها ويقولان له كل قول قبيح وأقام جميل عند بثينة حتى أجنه الليل ثم ودعها وانصرف وحذرتهم بثينة لما جرى من لقائه إياها فتحامته مدة فقال في ذلك
صوت
(أأن هتَفتْ وَرْقاءُ ظَلْتَ سَفَاهةً ... تُبَكِّي على جُمْلٍ لوَرْقَاءَ تَهْتِفُ)
((فلو كان لي بالصرم يا صاح طاقةٌ ... صرمتُ ولكّني عن الصرم أضعُفُ
للهذلي في هذين البيتين لحنان أحدهما ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق والآخر خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو وذكر غيره أنه لابن جامع وفيه لبذل الكبرى خفيف ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن أحمد بن المكي ومما يغنى فيه من هذه القصيدة قوله
صوت
(لها في سَوَاد القلب بِالحُبِّ مَيْعةٌ ... هي الموتُ أو كادتْ على الموت تُشْرفُ)
(وما ذكرَتْكِ النفسُ يا بُثْنَ مرَّةً ... من الدهر إلا كادتِ النفسُ تَتْلَفُ)
(وإلاَّ اعترتْني زَفْرةٌ واستكانةٌ ... وجاد لها سَجْلٌ مع الدمع يَذْرِفُ)
(وما استَطْرفتْ نفسي حديثاً لخُلّةٍ ... أُسَرُّ به إلا حديثُكِ أطْرَفُ)
الغناء لإبراهيم ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي وأول هذه القصيدة
(أمِنْ منزلٍ قَفْرٍ تَعفَّتْ رُسُومه ... شَمَالٌ تُغَادِيه ونَكْبَاءُ حَرْجَفُ)
(فأصبح قَفْراً بعد ما كان آهِلاً ... وجُمْلُ المُنَى تَشْتُو به وتُصَيِّفُ)
(ظَلِلتُ ومُسْتَنٌّ من الدمع هامِلٌ ... من العين لما عُجْتُ بالدَّار يَنْزِفُ)
(أمُنْصِفَتِي جُمْلٌ فتَعْدِلَ بيننا ... إذا حكمتْ والحاكمُ العَدْلُ يُنْصِفُ)
(تعلَّقْتُها والجسمُ مِنّي مصحَّحٌ ... فما زال يَنْمِي حبُّ جُمْلٍ وأَضْعُفُ)
(إلى اليومِ حتى سلَّ جسمِي وشفّنِي ... وأنكرتُ من نفسي الذي كنت أعرفُ)
((قَنَاةٌ من المُرّانِ مما فوقَ حَقْوِها ... وما تحتَه منها نَقاً يتقصَّفُ
(لها مُقْلَتا ريم وجِيدُ جِدايةٍ ... وكَشْحٌ كطَيِّ السابِريَّة أهْيَفُ)
(ولستُ بناسٍ أهلَها حين أَقْبلُوا ... وجَالُوا علينا بالسيوفِ وطَوَّفُوا)
(وقالوا جَمِيلٌ بات في الحيّ عندها ... وقد جَرّدوا أسيافَهم ثم وَقَّفُوا)
(وفي البيت لَيْثُ الغابِ لولا مَخَافةٌ ... على نفس جُمْلٍ والإلهِ لأُرْعِفُوا)
(هممْتُ وقد كادتْ مِرَاراً تطلَّعتْ... إلى حَرْبِهم نفسي وفي الكفِّ مُرْهَفُ)
(وما سرَّني غيرُ الذي كان منهمُ ... ومنّي وقد جاؤوا إليّ وأوْجَفُوا)
(فكم مُرْتَجٍ أمراً أُتيح له الرَّدَى ... ومن خائفٍ لم يَنْتَقِصْه التخوُّفُ)
حدثني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري وأخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي قال قال لي صالح بن حسان
هل تعرف بيتا نصفه أعرابي في شملة وآخره مخنث يتفكك من مخنثي العقيق فقلت لا أدري قال قد أجلتك فيه حولا فقلت لو أجلتني حولين ما علمت قال قول جميل
(... ألا أيُّها النُّوَّامُ وَيْحَكُمُ هُبُّوا)
هذا أعرابي في شملة ثم قال
(...نسائلُكم هل يقتُل الرجلَ الحُبُّ)
كأنه والله من مخنثي العقيق في هذا الشعر غناء نسبته وشرحه
صوت
(ألا أيُّها النُّوَّامُ وَيْحَكُمُ هُبُّوا ... نسائلُكم هل يقتُل الرجلَ الحُبُّ)
(ألا رُبَّ رَكْبٍ قد دفعتُ وَجِيفَهم ... إليكِ ولولا أنتِ لم يُوجِفِ الرَّكْبُ)
الغناء لابن محرز خفيف رمل بالسبابة والوسطى عن يحيى المكي وذكره إسحاق في هذه الطريقة ولم ينسبه إلى أحد وفيه لسليم ماخوريّ عن الهشامي وفيه لمالك ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق وقيل إنه لمعبد وفيه لعريب هزج من رواية ابن المعتز وذكر عبد الله بن موسى أن لحن مالك من الثقيل الأول وأن خفيف الرمل لابن سريج وأن الهزج لحمدونة بنت الرشيد
حل جفاء بينه وبين بثينة بعد تعلقها بحجنة الهلالي
أخبرنا لحسين بن يحيى المرداسي قال أخبرنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب بن عباية المحرزي عن شيخ من رهط

جميل من عذرة
أن بثينة لما علقت حجنة الهلالي جفاها جميل قال وأنشدني لجميل في ذلك
صوت
(بَيْنا حِبالٌ ذاتُ عَقْدٍ لِبَثْنةٍ ... أُتِيحَ لها بعضُ الغواة فحلَّها)
(فعُدْنا كأنَّا لم يكن بيننا هَوىً ... وصار الذي حَلَّ الحبالَ هَوىً لها)
(وقالوا نَراها يا جميلُ تبدَّلتْ ... وغيَّرها الواشي فقلتُ لعلَّها)
الغناء للهذلي خفيف ثقيل مطلق في مجرى الوسطى وذكره إسحاق في هذه الطريقة والإصبع ولم ينسبه إلى أحد
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثنا أبو عوف عن عبد الرحمن بن مقرن قال
بعثني المنصور لأبتاع له جارية من المدينة وقال لي اعمل برأي ابن نفيس فكنت أفعل ذلك وأغشى ابنه وكانت له جارية مغنية قد كلف بها فتى من آل عثمان بن عفان فكان يبيع عقدة من ماله وينفق ثمنها عليها وابتلي برجل من أهل إفريقية ومعه ابن له فغشي ابن الإفريقي بيت ابن نفيس فجعل يكسو الجارية وأهلها ويبرهم حتى حظي عندهم وغلب عليهم وتثاقلوا العثماني فقضي أن اجتمعنا عشية وحضر ابن الإفريقي والعثماني فنزع ابن الإفريقي خفه فتناثر المسك منه وأراد العثماني أن يكيده بفعله فجلسنا ساعة فقال لها ابن الإفريقي غني
(بَيْنَا حِبالٌ ذاتُ عَقْدٍ لبَثْنةٍ ... أُتِيح لها بعضُ الغُوَاةِ فحَلَّها)
يعرض بالعثماني فقال لها العثماني لا حاجة لنا في هذا ولكن غني
((ومن يَرْعَ نَجْداً يُلْفِنِي قد رَعَيْته ... بجَنْبَيْهِ الأولى ويُوردْ على وِرْدِي
قال فنكس ابن الإفريقي رأسه وخرج العثماني فذهب وخمد أهل البيت فما انتفعوا بقية يومهم
شعره بعد زواج بثينة من نبيه
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمر بن أبي بكر المؤملي وبهلول بن سليمان البلوي
أن جميلا قال لما زوجت بثينة نبيها
صوت
(أَلاَ نَادِ عِيراً من بُثَينةَ تَرْتَعِي ... نودِّعْ على شَحْطِ النَّوَى ونُوَدَّعِ)
(وحُثُّوا على جَمْعِ الرِّكَابِ وقَرِّبوا ... جِمالاً ونُوقا جِلَّةً لم تَضَعْضَعِ)
في هذين البيتين رمل لابن سريج عن الهشامي ومما يغني فيه من هذه القصيدة
صوت
(أُعِيذُكِ بالرحمن من عَيْشِ شِقْوةٍ ... وأن تَطْمَعِي يوماً إلى غير مَطْمَعِ)
(إذا ما ابنُ ملعونٍ تَحدَّر رَشْحُهُ ... عليكِ فموتِي بعد ذلك أو دَعِي)
(مَلِلْنَ ولم أَمْلَلْ وما كنتُ سائماً ... لأجمالِ سُعْدَى ما أَنَخْنَ بجَعْجَعِ)
(وحُثُّوا على جَمْعِ الرِّكابِ وقَرِّبوا ... جِمالاً ونُوقاً جِلَّةً لم تَضَعْضَعِ)
((أَلاَ قد أرَى إلاَّ بُثَينةَ ها هنا ... لنا بعد ذا المُصْطَافِ والمتربَّعِ)
لمعبد في الثالث والرابع من هذه الأبيات ثقيل أول بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق ولابن سريج في الأول والثاني والخامس خفيف رمل بالبنصر عن عمرو وللأبجر في الأول والخامس والثالث والرابع رمل بالبنصر وفي الأول والثاني خفيف ثقيل ينسب إلى معبد وغيره ولم تعرف صحته من جهة يوثق بها
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال أنشدنا بهلول بن سليمان لجميل لما بعد عن بثينة وخاف السلطان وكان بهلول يعجب به
(أَلاَ قد أَرَى إلا بُثَينةَ للقلبِ ... بِوادِي بَدِاً لا بِحِسْمَى ولا الشَّغْبِ)
(ولا ببُصَاقٍ قد تَيمَّمتَ فاعترِف ... لما أنت لاقٍ أو تَنَكَّبْ عن الرَّكْبِ)
(أفي كلِّ يومٍ أنت مُحْدِثُ صَبْوةٍ ... تموت لها بُدِّلْتَ غيرَك من قلبِ)
أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا أبي عن يعقوب بن محمد الزهري عن سليمان بن صخر الحرشي قال حدثنا سليمان بن زياد الثقفي
أن بثينة دخلت على عبد الملك بن مروان فرأى امرأة خلفاء مولية
فقال لها ما الذي رأى فيك جميل قالت الذي رأى فيك الناس حين استخلفوك فضحك عبد الملك حتى بدت له سن سوداء كان يسترها
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمر بن إبراهيم العويثي
أن جمل جميل الذي كان يزور عليه بثينة يقال له جديل وفيه يقول
(أَنَخْتُ جَدِيلاً عند بَثْنةَ ليلةً ... ويوماً أطال اللهُ رَغْمَ جَدِيلِ)
(أليس مُنَاخُ النَّضْوِ يوماً وليلةً ... لبَثْنةَ فيما بيننا بقليلِ)
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان محمد بن يحيى المكي
أن جميلا لما اشتهرت بثينة بحبه إياها اعترضه عبيد الله بن قطبة أحد بني الأحب وهو من رهطها الأدنين فهجاه وبلغ ذلك جميلا فأجابه وتطاولا فغلبه جميل وكف عنه ابن قطبة واعترضه عمير بن رمل رجل من بني الأحب فهجاه وإياه عنى جميل بقوله
(إذا الناسُ هابُوا خِزْيَةً ذهبتْ بها ... أَحَبُّ المَخَازِي كَهْلُها ووليدُها)
(لَعَمْرُ عَجُوزٍ طَرَّقتْ بكَ إنني ... عُمَيرَ بنَ رَمْلٍ لابنُ حَرْبٍ أَقُودُها)
(بنَفْسِي فلا تَقْطَعْ فؤادَك ضَلَّةً ... كذلك حَزْني وَعْثُها وصعودُها)
قال فاستعدوا عليه عامر بن ربعي بن دجاجة وكانت إليه بلاد عذرة وقالوا يهجونا ويغشى بيوتنا وينسب بنسائنا فأباحهم دمه وطلب فهرب منه وغضبت بثينة لهجائه أهلها جميعا فقال جميل
((وما صائبٌ من نابلٍ قَذَفَتْ به ... يدٌ ومَمَرُّ العُقْدتَيْن وَثِيقُ
له من خَوَافِي النَّسْرِ حُمٌّ نَظَائِرٌ ... ونَصْلٌ كنَصْلِ الزَّاعِبِيِّ فَتِيقُ)
(على نَبعةٍ زَوْراءَ أمَّا خِطامُها ... فمَتْنٌ وأمَّا عُودُها فعَتِيقُ)

(بأوشَكَ قتلاً منكِ يوم رَميتِني ... نَوَافِذَ لم تَظْهَرْ لهنَّ خُروقُ)
(تَفَرَّقَ أهْلاَنا بُثَين فمنهمُ ... فريقٌ أقاموا واستمرَّ فريقُ)
(فلو كنتُ خَوَّاراً لقد باح مُضْمَري ... ولكنَّني صُلْبُ القَناةِ عَريقُ)
(كأنْ لم نُحارِبْ يا بُثَين لو انه ... تَكَشَّفُ غمّاها وأنتِ صديقُ)
قال ويدل على طلب عامر بن ربعي إياه قوله
أضَرَّ بأخْفافِ البُغَيْلةِ أنَّها)
(حِذَارَ ابن رِبْعيٍّ بهنّ رُجومُ
هرب إلى اليمن بعد أن أهدر دمه
أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا محمد بن عبد الله الحزنبل الأصبهاني قال حدثني عمرو بن ابي عمرو الشيباني عن أبيه قال حدثني بعض رواة عذرة
أن السلطان أهدر دم جميل لرهط بثينة إن وجدوه قد غشي دورهم فحذرهم مدة ثم وجدوه عندها فأعذروا إليه وتوعدوه وكرهوا أن ينشب بينهم
وبين قومه حرب في دمه وكان قومه أعز من قومها فأعادوا شكواه إلى السلطان فطلبه طلبا شديدا فهرب إلى اليمن فأقام بها مدة وأنشدني له في ذلك
(ألَمَّ خَيالٌ من بُثَينةَ طارقُ ... على النَّأيِ مُشْتاقٌ إليَّ وشائقُ)
(سرَتْ من تِلاَع الحِجْر حتى تخلَّصتْ ... إليّ ودُوني الأشْعَرون وغافِقُ)
(كأنَّ فَتِيتَ المسك خالط نَشْرَها ... تُغَلُّ به أرْدانُها والمَرافِقُ)
(تقوم إذا قامت به عن فِراشها ... ويَغْدُو به من حِضْنِها من تُعانِقُ)
قال أبو عمرو وحدثني هذا العذري
أن جميلا لم يزل باليمن حتى عزل ذلك الوالي عنهم وانتجعوا ناحية الشام فرحل إليهم قال فلقيته فسألته عما أحدث بعدي فأنشدني
(سقَى منزلَيْنا يا بُثَين بحاجرٍ ... على الهَجْر منَّا صَيِّفٌ وربيعُ)
ودُورَكِ يا لَيْلَى وإن كُنّ بَعْدنا ... بَلِينَ بلًى لم تَبْلَهُنَّ رُبوعُ) وخَيْماتِكِ اللاَّتِي بمُنْعَرَجِ اللِّوَى ... لقُمْرِيِّها بالمَشْرِقَيْن) (سجيعُ
(تُزَعْزعُ منها الريحُ كلَّ عشيَّةٍ ... هَزيمٌ بسُلاَّفِ الرياح رَجِيعُ)
(وإنِّي أن يَعْلَى بكِ اللَّوْمُ أو تُرَيْ ... بدار أذىً مِن شامتٍ لَجَزُوعُ)
(وإنّي على الشيء الذي يُلْتَوى به ... وإن زَجَرَتْني زَجْرةً لَوريعُ)
((فَقَدْتُكِ من نَفْسٍ شَعَاعٍ فإنَّني ... نَهيتُكِ عن هذا وأنتِ جميعُ
(فقَرَّبتِ لي غيرَ القريبِ وأشرفتْ ... هناكَ ثَنَايَا ما لهنَّ طُلُوعُ)
(يقولون صَبٌّ بالغَوانِي مُوَكَّلٌ ... وهل ذاك من فعل الرجال بَديعُ)
(وقالوا رعيتَ اللَّهوَ والمالُ ضائعٌ ... فكالناس فيهم صالحٌ ومُضِيعُ)
الغناء لصالح بن الرشيد رمل بالوسطى عن الهشامي وابن خرداذبة وإبراهيم وذكر حبش أن في هذه الأبيات لإسحاق لحنا من الثقيل بالوسطى ولم يذكر هذا أحد غيره ولا سمعناه ولا قرأناه إلا في كتابه ومن الناس من يدخل هذه الأبيات في قصيدة المجنون التي على روي وقافية هذه القصيدة وليست له
كثير ينعته بأشعر الناس
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمر بن أبي بكر المؤملي عن أبي عبيدة عن أبيه قال دخل علينا كثير يوما وقد أخذ بطرف ريطته وألقى طرفها الآخر وهو يقول هو والله أشعر الناس حيث يقول
((وخَبَّرْتُمانِي أنَّ تَيْماء منزلٌ ... لليلِي إذا ما الصَّيفُ ألقَى المَرَاسِيا
(فهذِي شهورُ الصيفِ عنِّي قد انقضتْ ... فما للنَّوى ترمِي بليلَى المَرَامِيا)
ويجر ريطته حتى يبلغ إلينا ثم يولي عنا ويجرها ويقول هو والله اشعر الناس حيث يقول
(وأنتِ التي إن شئتِ كدَّرْتِ عِيشتي ... وإن شئتِ بعد اللّه أنْعمتِ باليَا)
(وأنتِ التي ما مِنْ صديقٍ ولا عِداً ... يَرَى نِضْوَ ما أبْقيتِ إلاَّ رَثَى لِيَا)
ثم يرجع إلينا ويقول هو والله أشعر الناس فقلنا من تعني يا أبا صخر فقال ومن أعني سوى جميل هو والله أشعر الناس حيث يقول هذا وتيماء خاصة منزلٌ لبني عذرة وليس من منازل عامر وإنما يرويه عن المجنون من لا يعلمه
وفي هذه القصيدة يقول جميل
(وما زِلْتُمُ يا بَثْن حتَّى لَوَانَّني ... من الشوق أستبكِي الحمامَ بَكَى ليا)
(إذا خَدِرتْ رجلي وقيل شفاؤها ... دعاءُ حبيبٍ كنتِ أنتِ دُعَائيا)
(وما زادني النَّأيُ المُفرِّق بعدكم ... سُلُوّاً ولا طولُ التلاقي تَقَاليا)
(ولا زادني الواشون إلاَّ صَبابةً ... ولا كثرةُ الناهين إلا تَمَاديا)
(ألم تعلمي يا عَذْبةَ الرِّيق أنَّني ... أظَلُّ إذا لم ألْقَ وجهَكِ صاديا)
(لقد خِفْتُ أنْ ألقَى المنيّة بَغْتةً ... وفي النفس حاجاتٌ إليكِ كما هيا)
أخبرنا الحرمي بن ابي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني بعض أصحابنا عن محمد بن معن الغفاري عن الأصبغ بن عبد العزيز قال
كنت عند طلحة بن عبد الله بن عوف فدخل عليه كثير فلما دخل من
الباب أخذ برجله فثناها ثم حجل حتى بلغ الفراش وهو يقول جميل والله أشعر العرب حيث يقول
(... وخَبَّرْتُمانِي أنّ تَيْماءَ منزلٌ)
ثم ذكر باقي الخبر الذي رواه محمد بن مزيد
أخبرني الحرمي قال حدثني الزبير قال حدثني عمر بن إبراهيم السعدي
أن رهط بثينة قالوا إنما يتبع جميل أمة لنا فواعد جميل بثينة حين لقيها ببرقاء ذي ضال فتحادثا ليلا طويلا حتى أسحرا ثم

قال لها هل لك أن ترقدي قالت ما شئت وأنا خائفة أن نكون قد أصبحنا فوسدها جانبه ثم اضطجعا ونامت فانسل واستوى على راحلته فذهبت وأصبحت في مضجعها فلم يرع الحي إلا بها راقدة عند مناخ راحلة جميل فقال جميل في ذلك
(فَمَنْ يَكُ في حُبِّي بُثَيْنَةَ يَمْتَرِي ... فبَرْقاءُ ذي ضالٍ عليَّ شهيدُ)
أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن شبيب عن الحزامي عن فليح بن إسماعيل بمثل هذه القصة وزاد فيها فلما انتبهت بثينة علمت ما اراده جميل بها فهجرته وآلت ألا تظهر له فقال
(ألاَ هل إلى إلمامةٍ أن أُلِمَّها ... بُثَيْنةُ يوماً في الحياةِ سبيلُ)
(فإن هي قالتْ لا سبيلَ فقُلْ لها ... عَناءٌ على العُذْرِيِّ منكِ طويلُ)
(على حين يسلو الناسُ عن طَلَبِ الصِّبَا ... وينسَى اتِّباعَ الوصلِ منه خليلُ)
لامه أهله على حبه بثينة
وقال الهيثم وأصحابه في أخبارهم
تشكى زوج بثينة إلى أبيها وأخيها إلمام جميل بها فوجهوا إلى جميل وأعذروا إليه وشكوه إلى عشيرته وأعذروا إليهم فيه وتوعدوه وأتاهم فلامه أهله وعنفوه وقالوا إنا نستحلف إليهم ونتبرأ منك ومن جريرتك فأقام مدة لا يلم بها ثم لقي ابني عمه روقا ومسعودا فشكا إليهما ما به وأنشدهما قوله
(وإنِّي على الشيء الذي يُلْتَوَى به ... وإنْ زَجَرَتْنِي زَجْرةً لوَرِيعُ)
(فَقَدْتُكِ من نَفْسٍ شَعَاعٍ فإنني ... نهيتُكِ عن هذا وأنتِ جميعُ)
(فقَرَّبْتِ لي غيرَ القريبِ وأشرفتْ ... هناكَ ثَنَايَا ما لهنَّ طُلُوعُ)
(يقولون صَبٌّ بالغواني مُوَكَّلٌ ... وهل ذاكَ من فعل الرجال بديعُ)
(وقالوا رَعَيْتَ اللَّهْوَ والمالُ ضائعٌ ... فكالنَّاس فيهم صالحٌ ومضِيعُ)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثني مصعب بن عبد الله قال
كانت تحت محمد بن عبد الله بن حسن امرأة من ولد الزبير يقال لها فليحة وكانت لها صبية يقال لها رخية قد ربتها لغير رشدة وكانت من أجمل النساء وجها فرأت محمدا وقد نظر إليها ذات يوم نظرا شديدا ثم تمثل قول جميل
(بُثَيْنَةُ من صِنْفٍ يُقَلِّبْنَ أيديَ الرُّماةِ ... وما يحْمِلْنَ قوساً ولا نَبْلا)
(ولكنَّما يَظْفَرْنَ بالصيدِ كلَّما ... جَلَوْنَ الثَّنايا الغُرَّ والأعيُنَ النُّجْلاَ)
(يُخالسْنَ ميعاداً يُرَعْنَ لقولِها ... إذا نطقتْ كانت مقالتُها فَصْلاَ)
((يَرَيْنَ قريباً بيتَها وهي لا تَرَى ... سوى بيتِها بيتاً قريباً ولا سَهْلاَ
فقالت له فليحة كأنك تريد رخية قال إي والله قالت إني أخشى أن تجيء منك بولد وهي لغير رشدة فقال لها إن الدنس لا يلحق الأعقاب ولا يضر الأحساب فقالت له فماذا يضر إذاً والله ما يضر إلا الأعقاب والأحساب وقد وهبتها لك فسر بذلك وقال أما والله لقد أعطيتك خيراً منها قالت وما هو قال أبيات جميل التي أنشدتك إياها لقد مكثت أسعى في طلبها حولين فضحكت وقالت ما لي ولأبيات جميل والله ما ابتغيت إلا مسرتك قال فولدت منه غلاما وكانت فليحة تدعو الله إلا يبقيه فبينا محمد في بعض هربه من المنصور والجارية وابنها معه إذ رهقهما الطلب فسقط الصبي من الجبل فتقطع فكان محمد بعد ذلك يقول أجيب في هذا الصبي دعاء فليحة
وقال الهيثم بن عدي وأصحابه في أخبارهم
لما نذر أهل بثينة دم جميل وأباحهم السلطان قتله أعذروا إلى أهله وكانت منازلهم متجاورة إنما هم بيوتات يفترقون كما يفترق البطون والأفخاذ والقبائل غير متباعدين ألم تر قول جميل
(أَبِيتُ مع الهُلاَّكِ ضَيْفاً لأهلِها ... وأَهْلِي قريبٌ مُوسِعونَ أُولُو فَضْلِ)
فمشت مشيخة الحي إلى أبيه وكان يلقب صباحا وكان ذا مال وفضل وقدر في أهله فشكوه إليه وناشدوه الله والرحم وسألوه كف ابنه عما يتعرض له ويفضحهم به في فتاتهم فوعدهم كفه ومنعه ما استطاع ثم انصرفوا فدعا به فقال له يا بني حتى متى أنت عمه في ضلالك لا تأنف من أن تتعلق بذات بعل يخلو بها وينكحها وأنت عنها بمعزل ثم تقوم من تحته إليك فتغرك
بخداعها وتريك الصفاء والمودة وهي مضمرة لبعلها ما تضمره الحرة لمن ملكها فيكون قولها لك تعليلا وغرورا فإذا انصرفت عنها عادت إلى بعلها على حالتها المبذولة إن هذا لذل وضيم ما أعرف أخيب سهما ولا أضيع عمرا منك فأنشدك الله إلا كففت وتأملت أمرك فإنك تعلم أن ما قلته حق ولو كان إليها سبيل لبذلت ما أملكه فيها ولكن هذا أمر قد فات واستبد به من قدر له وفي النساء عوض فقال له جميل الرأي ما رأيت والقول كما قلت فهل رأيت قبلي أحداً قدر أن يدفع عن قلبه هواه أو ملك أن يسلي نفسه أو استطاع أن يدفع ما قضي عليه والله لو قدرت أن أمحو ذكرها من قلبي أو أزيل شخصها عن عيني لفعلت ولكن لا سبيل إلى ذلك وإنما هو بلاء بليت به لحين قد أتيح لي وأنا أمتنع من طروق هذا الحي والإلمام بهم ولو مت كمدا وهذا جهدي ومبلغ ما أقدر عليه وقام وهو يبكي فبكى ابوه ومن حضر جزعاً لما رأوا منه فذلك حين يقول جميل
صوت
(ألاَ مَنْ لقَلْبٍ لا يَمَلُّ فَيَذْهَلُ ... أفِقْ فالتَّعَزِّي عن بُثَينَةَ أجملُ)
(سَلاَ كلُّ ذي وِدٍّ علمتُ مكانَه ... وأنتَ بها حتى المماتِ مُوَكَّلُ)
(فما هكذا أحببتَ مَنْ كان قبلها ... ولا هكذا فيما مضَى كنتَ تفعلُ)
الغناء لمالك ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق
(فيا قلبُ دَعْ ذِكْرَى بُثَيْنَةَ إنَّها ... وإن كنتَ تَهْواها تَضِنُّ وتبخلُ)
(وقد أيأستْ من نَيْلِها وتجهَّمتْ ... ولَلْيأسُ إن لم يُقْدَرِ النَّيْلُ أمثَلُ)
(وإلاَّ فسَلْها نائلاً قبلَ بَيْنِها ... وأبْخِلْ بها مسؤولةً حين تُسأَلُ)
(وكيف تُرَجِّي وصلَها بعد بُعْدِها ... وقد جُدَّ حبلُ الوصلِ ممن تؤمِّلُ)
(إنّ التي أحببتَ قد حِيلَ دونها ... فكُنْ حازماً والحازمُ المُتَحَوِّلُ)
((ففي اليأسِ ما يُسْلي وفي الناسِ خُلَّةٌ ... وفي الأرض عمَّن لا يُوَاتِيكَ مَعْزِلُ

(بدا كَلَفٌ منِّي بها فتثاقلتْ ... وما لا يُرَى من غائب الوجد أفضَلُ)
(هَبِيني بريئاً نِلْتِهِ بظُلاَمةٍ ... عَفَاها لكم أو مُذْنِباً يتنصَّلُ)
(قَنَاةٌ من المُرَّانِ ما فوق حَقْوها ... وما تحته منها نَقاً يتهيَّل)
قال وقال أيضا في هذه الحال
صوت
(أَعَنْ ظُعُنِ الحيّ الألَى كنتَ تَسألُ ... بليلٍ فرَدُّوا عِيرهم وتحمَّلوا)
(فأمسَوْا وهم أهلُ الديار وأصبحوا ... ومن أهلها الغِربانُ بالدار تَحْجُلُ)
في هذين البيتين لسياط خفيف رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وفيه لابن جامع ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو
(على حينَ ولَّى الأمرُ عنَّا وأَسْمحتْ ... عَصَا البَيْن وانبَتَّ الرجاءُ المؤمَّلُ)
(فما هو إلاَّ أن أَهِيمَ بذكرها ... وبحظَي بجَدْوَاها سِوايَ وَيَجْذَلُ)
(وقد أبقتِ الأيَّامُ منِّي على العِدَا ... حُساماً إذا مَسَّ الضريبةَ يَفصِلُ)
(ولستُ كمن إن سِيمَ ضَيْماً أطاعَه ... ولا كامرىءٍ إن عضَّه الدهرُ يَنكُلُ)
(لعمري لقد أبْدَى لِيَ البينُ صَفْحَه ... وبيَّن لي ما شئتُ لو كنتُ اعقِلُ
(وآخِرُ عهدِي من بُثينة نظرةٌ ... على موقفٍ كادت من البين تَقتُلُ)
(فلِلَّه عَيْنَا مَنْ رأى مثلَ حاجةٍ ... كَتَمْتُكِهَا والنفسُ منها تَمَلْمَلُ)
((وإني لأسْتَبكِي إذا ذُكِرَ الهوى ... إليكِ وإنِّي من هواكِ لأوجَلُ
(نظرتِ بِبِشْرٍ نظرةً ظَلْتُ أمْتري ... بها عَبْرةً والعينُ بالدمع تُكْحَلُ)
(إذا ما كَرَرْتُ الطَّرْفَ نحوَكِ ردَّه ... من البعد فيَّاضٌ من الدمع يَهْمِلُ)

خروجه إلى الشام

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب بن عباية قال
لما أراد جميل الخروج إلى الشام هجم ليلاً على بثينة وقد وجد غفلة فقالت له أهلكتني والله وأهلكت نفسك ويحك أما تخاف فقال لها هذا وجهي إلى الشام إنما جئتك مودعا فحادثها طويلا ثم ودعها وقال يا بثينة ما أرانا نلتقي بعد هذا وبكيا طويلا ثم قال لها وهو يبكي
(ألاَ لا أُبالِي جفوةَ الناس ما بدَا ... لنا منك رأيٌ يا بُثَيْن جميلُ)
(وما لم تُطيعي كاشحاً أو تَبَدَّلي ... بنا بدلاً أو كان منك ذُهول)
(وإنِّي وتَكْرارِي الزيارةَ نحوكم ... بُثَيْن بذي هجرٍ بُثَين يطول)
(وإن صَبَاباتي بكم لكثيرةٌ ... بُثَيْن ونِسْيانِيكُم لقليلُ)
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني شيوخ من عذرة
أن مروان بن الحكم خرج مسافرا في نفر من قريش ومعه جميل بن معمر وجواس بن قطبة أخو عبيد الله بن قطبة فقال مروان لجواس إنزل فارجز بنا وهو يريد أن يمدحه فنزل جواس وقال
(يقول أميري هل تَسوقُ ركابَنا ... فقلت له حادٍ لهنّ سِوَائيَا)
(تكرَّمتُ عن سوْقِ المطِيِّ ولم يكن ... سِيَاقُ المطيِّ همَّتي ورَجائيا)
((جعلتَ أبي رَهْناً وعِرْضِيَ سادراً ... إلى أهلِ بيت لم يكونوا كِفائيا
(إلى شرِّ بيتٍ من قُضَاعَةَ مَنْصِباً ... وفي شرِّ قومٍ منهمُ قد بَدَا لِيَا)
فقال مروان إركب لا ركبت ثم قال لجميل إنزل فارجز بنا وهو يريد أن يمدحه فنزل جميل فقال
(أنا جميلٌ في السَّنَامِ الأعظمِ ... الفارعِ الناسَ الأعزِّ الأكرمِ)
(أحْمِي ذِمَارِي ووجدتُ أقْرُمِي ... كانوا على غاربِ طَوْدٍ خِضْرِمِ)
(... أعيا على النَّاس فلم يُهَدَّمِ)
فقال عد عن هذا فقال جميل
(لَهْفاً على البيتِ المَعَدِّي لهفا ... من بعدِ ما كان قد استكَفَّا)
(ولو دعا اللَّه ومَدَّ الكَفَّا ... لَرَجَفَتْ منه الجبالُ رَجْفَا)
فقال له إركب لا ركبت
قال الزبير وحدثني عمر بن أبي بكر المؤملي قال
كان جميل مع الوليد بن عبد الملك في سفر والوليد على نجيب فرجز به مكين العذري فقال
(يا بَكْرُ هل تعلَم مَنْ عَلاَكَا ... خليفةُ اللَّه على ذُرَاكا)
فقال الوليد لجميل إنزل فارجز وظن الوليد أنه يمدحه فنزل فقال
(أنا جميلٌ في السَّنَام من مَعَدّ ... في الذِّرْوةِ العَلْياء والرُّكْنِ الأشَدّ)
((والبيت من سَعْدِ بن زيد والعَدَدْ ... ما يَبْتغِي الأعداءِ منِّي ولقدْ
(أضْرِي بالشَّتْمِ لِساني ومَرَدْ ... أقودُ منْ شِئتُ وصَعْبٌ لم أُقَدْ)
فقال له الوليد إركب لا حملك الله قال وما مدح جميل أحداً قط
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا يونس بن عبد الله بن سالم قال
وقف جميل على الحزين الديلي والحزين ينشد الناس فقال له الحزين وهو لا يعرفه كيف تسمع شعري قال صالح وسط فغضب الحزين وقال له ممن أنت فوالله لأهجونك وعشيرتك فقال جميل إذاً تندم فأقبل الحزين يهممهم يريد هجاءه فقال جميل
(الدِّيلُ أذنابُ بَكْرٍ حين تنسُبهم ... وكلُّ قومٍ لهم من قومهم ذَنَبُ)
فقامت له بنو الديل وناشدوه الله إلا كف عنهم ولم يزالوا به حتى أمسك وانصرف
أخبرني الحرمي ومحمد بن مزيد واللفظ له قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن الضحاك عن أبيه قال
لما هاجى عبيد الله بن قطبة جميلا واستعلى عليه جميل أعرض عنه واعترضه أخوه جواس بن قطبة فهجاه وذكر أختاً

لجميل وكان جميل قبل ذلك يحتقره ولا ينصب له حتى هجا أخته فقال فيما ذكرها به من شعره
(إلى فَخِذَيْها العَبْلَتَيْن وكانتا ... بعَهْدِيَ لَفَّاوَين أُرْدِفَتا ثِقْلاَ
فغضب جميل حينئذ فواعده للمراجزة قال الزبير فحدثني بعض آل العباس بن سهل بن سعد عن عباس قال
قدمت من عند عبد الملك بن مروان وقد أجازني وكساني بردا كان ذلك البرد أفضل جائزتي فنزلت وادي القرى فوافقت)
الجمعة بها فاستخرجت بردي الذي من عند عبد الملك وقلت أصلي مع الناس فلقيني جميل وكان صديقا لي فسلم
بعضنا على بعض وتساءلنا ثم افترقنا فلما أمسيت إذا هو قد أتاني في رحلي فقال البرد الذي رأيته عليك تعيرنيه حتى
أتجمل به فإن بيني وبين جواس مراجزة وتحضر فتسمع قال قلت لا بل هو لك كسوة فكسوته إياه وقلت لأصحابي ما من
شيء أحب إلي من أن أسمع مراجزتهما فلما أصبحنا جعل الأعاريب يأتون أرسالا حتى اجتمع منهم بشر كثير وحضرت
وأصحابي فإذا بجميل قد جاء وعليه حلتان ما رأيت مثلهما على أحد قط وإذا بردي الذي كسوته إياه قد جعله جلاّ لجمله
فتراجزا فرجز جميل وكانت بثينة تكنى أم عبد الملك فقال
(يا أُمَّ عبد الملك اصْرِمِيني ... فبَيِّني صرمي أو صِلِيني)
(أبْكِي وما يُدْرِيكِ ما يُبْكِيني ... أبكي حِذَارَ أنْ تُفَارِقيني)
(وتجعلي أبعدَ منِّي دُوني ... إنَّ بني عَمِّكِ أوْعدوني)
(أن يقطعوا رأسِي إذا لَقُوني ... ويقتلوني ثم لا يَدُوني)
(كلاَّ وربِّ البيتِ لو لَقُوني ... شَفْعاً ووَتْراً لتَوَاكلُوني)
((قد علِم الأعداءُ أنّ دُوني ... ضَرْباً كإيزاغِ المخاضِ الجُونِ
(ألاَ أسُبُّ القومَ إذ سَبُّوني ... بَلَى وما مرَّ علي دَفِين)
(وسابحاتٍ بِلِوَى الحَجُونِ ... قد جرَّبوني ثم جرَّبوني)
(حتى إذا شابوا وشَيَّبوني ... أخزاهمُ اللَّه ولا يَخْزيني)
(أشباهُ أعْيَارٍ على مَعِين ... أحْسَسْنَ حِسَّ أسَدٍ حَرُونِ)
(فهنَّ يَضْرِطْنَ من اليقين ... أنا جميلٌ فتعرَّفوني)
(وما تَقنَّعتُ فتُنْكِروني ... وما أعَنِّيكم لتَسْألوني)
(أنْمَي إلى عاديَّةٍ طَحُونِ ... يَنْشقّ عنها السَّيْلُ ذو الشؤونِ)
(غَمْرٌ يدُقُّ رُجُحَ السَّفِينِ ... ذو حَدَبٍ إذا يُرَى حَجُونِ)
(... تَنحلّ أحقادُ الرجالِ دُوني)
قال ورجز جميل أيضا
(... أنا جميلٌ في السَّنام من مَعَدّ)
وقد تقدمت هذه الأرجوزة ثم رجز بعده جواس فلم يصنع شيئا قال فما رأيت غلبة مثلها قط

شعره في هجاء خوات العذري وبني الأحب

أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا بهلول بن سليمان عن العلاء بن سعيد البلوي وجماعة غيره من قومه
أن رجلا من بني عذرة كان يقال له خوَّات أمه بلوية وكان شاعرا وكان جميل بن جذامية فخرج جميل إلى أخواله بجذام
وهو يقول
(جُذامُ سيوفُ اللَّه في كلِّ موطنٍ ... إذا أزَمَتْ يومَ اللِّقاء أزَامِ)
(هُمُ منعوا ما بين مِصرَ فذي القُرَى ... إلى الشامِ مِن حلٍّ به وحَرَامِ)
(بضربٍ يُزيل الهامَ عن سَكناتِهِ ... وطَعْنٍ كإيزاغِ المَخاضِ تُؤامِ)
(إذا قَصُرتْ يوماً أكُفُّ قبيلةٍ ... عن المجدِ نالته أكُفُّ جُذَامِ)
فأعطوه مائة بكرة قال وخرج خوات إلى أخواله من بلي وهو يقول
(إنّ بَلِيّاً غُرَّةٌ يُهْتَدَى بها ... كما يَهْتَدِي الساري بمُطَّلَع النجمِ)
(هُمُ ولدوا أُميَّ وكنتُ ابنَ أختِهم ... ولم أتَخَوَّلْ جِذْمَ قومٍ بلا علم)
قال فأعطوه مائة غرة ما بين فرس إلى وليدة ففخر على صاحبه وذكر أن الغرة الواحدة مما أتى به مما معه تعدل كل
شيء أتى به جميل فقال عبيد اللَّه بن قطبة
(ستَقْضِي بيننا حكماءُ سَعْدٍ ... أقُطْبَةُ كان خيراً أم صُبَاحُ)
قال وكان عبد الله بن معمر أبو جميل يلقب صباحا وكان عبيد الله بن قطبة يلقب حماظا فقال النخار العذري أحد بني
الحارث بن
سعد قطبة كان خيرا من صباح فقال جميل يهجو بني الأحب رهط قطبة ويهجو النخار
(إنّ أحبَّ سُفَّلٌ أشرارُ ... حُثَالةٌ عُودُهمُ خَوَّارُ)
(أذَلُّ قومٍ حين يُدْعَى الجارُ ... كما أذلَّ الحارثَ النَّخَّارُ)
وقال الأبيرق العتبي قطبة كان خيرا من صباح فقال جميل
(يابنَ الأُبيرق وَطْبَ يتَّ مُسنِدَهَ ... إلى وِسَادِكَ من حَمِّ الدُّرى جُون)
(وأكلتان إذا ما شئت مرتفقاً ... بالسير من نغل الدفين مدهون)
(أذْكُرْ وأُمِّكَ منِّي حين تَنْكُبني ... جِنِّي فيَغْلِب جِنِّي كلَّ مجنونِ)
وقال جماعة من شعراء سعد في تفضيل قطبة على صباح أقوالا اجابهم عنها جميل فأفحمهم حتى قال له جعفر بن
سراقة أحد بني قرة
(نحن مَنَعْنا ذَا القُرى من عَدُوّنا ... وعُذْرَةَ إذ نلقَى يَهُوداً وبعشرا)
(مَنَعْناه من عُلْيَا مَعَدٍّ وأنتم ... سَفَاسِيفُ رَوْحٍ بين قُرْحٍ وخَيْبرَا)
(فريقانِ رُهْبَانٌ بأسفَلِ ذي القُرَى ... وبالشام عَرَّافون فيمن تَنصَّرَا)
فلما بلغت جميلا اتقاه وعلم أنه سيعلو عليه فقال جميل
(بَني عامرٍ أنَّى انتجعتمْ وكنتمُ ... إذا حُصِّلَ الأقوامُ كالخُصْية الفَرْدِ)
((فأنتم ولأيٌّ موضعَ الذُّلِّ حجْرَةً ... وقُرَّةُ أولَى بالعَلاَءِ وبالمجدِ

فأعرض عنه جعفر قال الزبير بنو عامر بن ثعلبة بن عبد الله بن ذبيان بن الحارث بن سعد رهط هدبة بن خشرم بن كرز بن أبي حية بن الكاهن وهو سلمة بن أسحم بن عامر بن ثعلبة بن عبد الله بن ذبيان بن سعد هذيم بن زيد وزيادة بن زيد بن مالك بن عامر بن قرة بن خنبس بن عمرو بن ثعلبة بن عبد الله بن ذبيان بن الحارث بن سعد هذيم ولأي بن عبد مناة بن الحارث بن سعد هذيم قال فدخل جميل على هدبة بن خشرم السجن وهو محبوس بدم زيادة بن زيد وأهدى له بردين من ثياب كساه إياهما سعيد بن العاصي وجاءه بنفقة فلما دخل عليه عرض ذلك عليه فقال هدبة أنت يابن قميئة الذي تقول

(بني عامرٍ أنَّى انتجعتم وكنتمُ ... إذا عُدِّد الأقوامُ كالخصْية الفَرْد)

أما والله لئن خلص الله لي ساقي لأمدن لك مضمارك خذ برديك ونفقتك فخرج جميل فلما بلغ باب السجن خارجا قال اللهم أغن عني أجدع بني عامر وكانت بنو عامر قد قلوا فحالفوا لأيا

لقاؤه بعمر بن أبي ربيعة وتناشدهما الشعر

اخبرني الحرمي بن أبي العلاء ومحمد بن مزيد بن أبي الأزهر قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم المخزومي قال حدثني شيخ من أهلي عن أبيه عن الحارث مولى هشام بن المغيرة الذي يقول له عمر بن أبي ربيعة

(... (يا أبا الحارث قلبي طائر

قال شهدت عمر بن أبي ربيعة وجميل بن عبد الله بن معمر وقد إجتمعا بالأبطح فأنشد جميل قصيدته

(لقد فرِحَ الواشون أن صرمتْ حَبْلِي ... بُثَيْنةُ أو أبدتْ لنا جانبَ البُخْلِ)

(يقولون مَهْلاً يا جميلُ وإنني ... لأُقسمِ ما بي عن بُثَيْنة من مَهْلِ)

(أحِلْماً فقبل اليوم كان أوانُه ... أم اخْشَى فقبل اليومِ أُوعِدتُ بالقتلِ)

(لقد أنْكَحوا حَرْبي نُبَيْهاً ظَعِينةً ... لطيفةَ طَيِّ البَطْنِ ذاتَ شَوًى خَدْلِ)

(وكم قد رأينا ساعياً بنَميمةٍ ... لآخرَ لم يَعْمِدْ بكفٍّ ولا رِجلِ)

(إذا ما تراجعْنا الذي كان بيننا ... جَرى الدمعُ من عينَي بُثَيْنةَ بالكحلِ

صوت

(كلانا بكَى أو كاد يَبْكي صَبابةً ... إلى إلْفِه واستعجلتْ عَبْرةً قبلي)

(فلو تركتْ عَقْلي معي ما طلبتُها ... ولكنْ طِلاَبِيها لِمَا فات من عقلي)

(فيا وَيْحَ نفسي حَسْبُ نفسِي الذي بها ... ويا وَيْحَ أهلي ما أُصِيب به أهلي)

(وقالت لأتْرابٍ لها لا زَعَانِفٍ ... قصارٍ ولا كُسٍّ الثَّنَايا ولا ثُعْلِ)

(إذا حميتْ شمسُ النَّهار اتَّقَينها ... بأكسية الدِّيباج والخزِّ ذي الخَمْلِ)

(تَدَاعَيْنَ فاستَعْجَمْنَ مَشْياً بذي الغَضَا ... دَبِيبَ القَطا الكُدْرِيِّ في الدَّمِثِ السَّهْلِ)

((إذا ارْتَعْنَ أو فُزِّعْنَ قُمْنَ حَوَالَها ... قيامَ بناتِ الماءِ في جانب الضَّحْلِ

(أجِدِّيَ لا أَلْقَى بُثَيْنَةَ مرةً ... من الدهر إلا خائفاً أو على رجْلِ)

(خليليَّ فيما عِشْتُما هل رأيتُما ... قتيلاً بكى من حبِّ قاتِله قبلي)

قال وأنشده عمر قوله

(جرى ناصحٌ بالودِّ بيني وبينها ... فقرَّبني يومَ الحِصابِ إلى قتلي)

(فما أنْسَ مِ الأشياء لا أنْسَ مَوْقِفِي ... وموقفَها وَهْناً بقارعة النخلِ)

(فلمَّا تواقَفْنا عرفتُ الذي بها ... كمثلِ الذي بي حَذْوَكَ النعلَ بالنعلِ)

(فقلْنَ لها هذا عِشاءٌ وأهلُنا ... قَريبٌ أَلَمَّا تَسأَمِي مَرْكَبَ البغلِ)

(فقالت فما شِئْتُنَّ قُلْنَ لها انزلي ... فلَلأرضُ خيرٌ من وقوفٍ على رَحْلِ)

(فأقبَلْنَ أمثالَ الدُّمَى فاكتَنَفْنَها ... وكُلٌّ يُفَدِّي بالمودَّة والأهلِ)

(نُجومٌ دَرَاريٌّ تكنَّفْنَ صورةً ... من البدر وافتْ غيرَ هُوجٍ ولا ثُجْلِ)

(فسلَّمْتُ واستأنستُ خِيفةَ أن يَرَى ... عدوٌّ مكاني أو يرى كاشحٌ فعلي)

(فقالتْ وألْقتْ جانبَ السِّتْر إنما ... معي فتحدَّثْ غيرَ ذي رِقْبةٍ أهلي)

(فقلتُ لها ما بي لهم من ترقُّبٍ ... ولكنَّ سِرِّي ليس يحمِلُه مِثلي)

(فلما اقتصرْنا دونهن حديثَنا ... وهُنَّ طَبِيباتٌ بحاجة ذي التَّبْلِ)

(عرَفْنَ الذي نَهْوَى فقُلْنَ ائذَنِي لنا ... نَطُفْ ساعةً في بَرْدِ ليلٍ وفي سَهْلِ)

(فقالت فلا تَلْبَثْنَ قُلْنَ تحدَّثِي ... أتيناكِ وانسَبْنَ انسيابَ مَهَا الرملِ)

((وقُمْنَ وقد أفهمْنَ ذا اللُّبِّ إنما ... أَتَينَ الذي يأْتينَ من ذاك من أجْلِي

فقال جميل هيهات يا أبا الخطاب لا أقول والله مثل هذا سجيس الليالي وما خاطب النساء مخاطبتك أحد وقام مشمرا

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

صوت

(خليليَّ فيما عشتُما هل رأيتُما ... قتيلاً بَكَى من حبِّ قاتله قبلي)

(أبِيتُ مع الهُلاَّكِ ضيفاً لأهلِها ... وأهلي قريبٌ مُوسِعُون ذوو فَضْلِ)

(فلو تركتْ عقلي معي ما طلبتُها ... ولكن طِلاَبِيها لِمَا فات من عقلي)

الغناء للغريض ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو وذكر حماد والهشامي أن فيه لنافع الخير مولى عبد الله بن جعفر لحنا من الثقيل الأول

ومنها

صوت

(أَلاَ أيُّها البيتُ الذي حِيلَ دونَه ... بنا أنت من بيتٍ وأَهْلُكَ من أهلِ)

(ثلاثةُ أبياتٍ فبَيْتٌ أُحِبُّه ... وبيتان ليسا من هوايَ ولا شكلي)

(كِلاَنا بَكَى أو كاد يَبْكِي صَبابةً ... إلى إلْفِه واستَعْجَلَتْ عَبْرةً قبلي)

الغناء لإسحاق خفيف ثقيل الثاني بالبنصر
ومنها
صوت
(لقد فرح الواشُونَ أن صَرَمَتْ حبلِي ... بثينةُ أو أَبْدَتْ لنا جانبَ البخلِ)
(يقولون مَهْلاً يا جميلُ وإنني ... لأُقْسِمُ ما بي عن بُثَينةَ من مَهْلِ
الغناء لابن محرز من كتاب يونس ولم يجنسه وذكر إسحاق أنه مما ينسب إلى ابن محرز وابن مسجح ولم يصح عنده لأيهما هو ولا ذكر طريقته
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني غير واحد من الرواة عن صالح بن حسان قال أخبرني نافع مولى عبد الله بن جعفر وما رأيت أحدا قط كان أشكل ظرفا ولا أزين في مجلس ولا أحسن غناء منه قال
قدمنا مع عبد الله بن جعفر مرة على معاوية فأرسل إلي يزيد يدعوني ليلا فقلت أكره أن يعلم أمير المؤمنين مكاني عندك فيشكوني إلى ابن جعفر قال فامهل حتى إذا سمر أمير المؤمنين فإن ابن جعفر يكون معه فلا يفتقدك ونخلو نحن بما نريد قبل قيامهما فأتيته فغنيته فوالله ما رأيت فتى أشرف أريحية منه والله لألقى علي من الكسا الخز والوشي وغيره ما لم استطع حمله ثم أمر لي بخمسمائة دينار قال وذهب بنا الحديث وما كنا فيه حتى قام معاوية ونهض ابن جعفر معه وكان باب يزيد في سقيفة معاوية فسمع صوتي فقال لابن جعفر ما هذا يابن جعفر قال هذا والله صوت نافع فدخل علينا فلما أحسَّ به يزيد تناوم فقال له معاوية ما لك يا بني قال
صدعت فرجوت أن يسكن عني بصوت هذا قال فتبسم معاوية وقال يا نافع ما كان أغنانا عن قدومك فقال له ابن جعفر يا أمير المؤمنين إن هذا في بعض الأحايين يذكي القلب قال فضحك معاوية وانصرف فقال لي ابن جعفر ويلك هل شرب شيئا قلت لا والله قال والله إني لأرجو أن يكون من فتيان بني عبد مناف الذين ينتفع بهم قال نافع ثم قدمنا على يزيد مع عبد الله بن جعفر بعدما استخلف فأجلسه معه على سريره ودخلت حاشيته تسلم عليه ودخلت معهم فلما نظر إلي تبسم ثم نهض ابن جعفر وتبعناه فقيل له نظر إلى نافع وتبسم فقال ابن جعفر هذا تأويل تلك الليلة فقضى حوائج ابن جعفر وأضعف ما كان يصله به معاوية فلما أراد الانصراف أتاه يودعه ونحن معه فأرسل إلي يزيد فدخلت عليه قال ويحك يا نافع ما أخرتك إلا لأتفرغ لك هات لحنك
(خليليَّ فيما عشتُما هل رايتُما ... قتيلاً بَكَى من حبِّ قاتِله قبلي)
فأسمعته فقال أعد ويلك فأعدته ثم قال أعد فأعدته ثلاثا فقال أحسنت فسل حاجتك فما سألته في ذلك اليوم شيئا إلا أعطانيه ثم قال إن يصلح لنا هذا الأمر من قبل ابن الزبير فلعلنا أن نحج فتلقانا بالمدينة فإن هذا الأمر لا يصلح إلا هناك قال نافع فمنعنا والله من ذلك شؤم ابن الزبير
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفري قال حدثنا القاسم بن أبي الزناد قال خرج عمر بن أبي ربيعة يريد الشام فلما كان بالجناب لقيه جميل فقال له عمر أنشدني فأنشده
(خليليّ فيما عشتُما هل رايتُما ... قتيلاً بَكَى من حبِّ قاتله قبلي)
ثم قال جميل أنشدني يا ابا الخطاب فأنشده
(ألم تَسْألِ الأطلالَ والمُتَربَّعَا ... ببطن حُلَيَّاتٍ دَوَارِسَ بَلْقَعَا)
فلما بلغ إلى قوله
(فلما تواقفْنا وسلَّمتُ أشْرَقتْ ... وجوهٌ زَهاها الحسنُ أن تتقنَّعا)
(تَبَالَهْنَ بالعِرْفان لمَّا عرفْنَنِي ... وقُلْنَ امرؤٌ باغٍ أكَلَّ وأوْضَعَا)
(وقرَّبْنَ اسبابَ الهوى لمتيَّم ... يقيسُ ذِراعاً كلَّما قِسْنَ إصْبَعَا)
عمر بن أبي ربيعة يطلب منه أن يأخذ به إلى بثينة
قال فصاح جميل واستخذى وقال ألا إن النسيب أخذ من هذا وما أنشده حرفا فقال له عمر إذهب بنا إلى بثينة حتى نسلم عليها فقال له جميل قد أهدر لهم السلطان دمي إن وجدوني عندها وهاتيك أبياتها فأتاها عمر حتى وقف على ابياتها وتأنس حتى كلم فقال يا جارية أنا عمر بن أبي ربيعة فأعلمي بثينة مكاني فخرجت إليه بثينة في مباذلها وقالت والله يا عمر لا أكون من نسائك اللاتي يزعمن أن قد قتلهن الوجد بك فانكسر عمر قال وإذا امرأة أدماء طوالة
وأخبرني بهذا الخبر علي بن صالح عن أبي هفان عن إسحاق عن المسيبي والزبير فذكر مثل ما ذكره الزبير وزاد فيه قال فقال لها قول جميل
(وهُمَا قالتا لَوَانَّ جميلاً ... عَرَض اليومَ نَظْرةً فرآنا)
(بَيْنَما ذاك منهما وإذا بي ... أعْمِلُ النَّصَّ سَيْرةً زَفَيانَا)
(نظرتْ نحوَ تِرْبِها ثم قالت ... قد أتانا وما علمنا مُنَانَا)
فقالت إنه استملى منك فما أفلح وقد قيل اربط الحمار مع الفرس
فإن لم يتعلم من جريه تعلم من خلقه
وذكر الهيثم بن عدي وأصحابه في أخبارهم أن جميلا طال مقامه بالشام ثم قدم وبلغ بثينة خبره فراسلته مع بعض نساء الحي تذكر شوقها إليه ووجدها به وطلبها للحيلة في لقائه وواعدته لموضع يلتقيان فيه فسار إليها وحدثها طويلا وأخبرها خبره بعدها وقد كان أهلها رصدوها فلما فقدوها تبعها أبوها وأخوها حتى هجما عليهما فوثب جميل فانتضى سيفه وشد عليهما فاتقياه بالهرب وناشدته بثينة الله إلا انصرف وقالت له إن أقمت فضحتني ولعل الحي أن يلحقوك فأبى وقال أنا مقيم وامضي أنت وليصنعوا ما أحبوا فلم تزل تناشده حتى انصرف وقال في ذلك وقد هجرته وانقطع التلاقي بينهما مدة
(ألم تَسْألِ الربعَ الخَلاَء فينطقُ ... وهل تُخبِرنْكَ اليومَ بَيْدَاءُ سَمْلَقُ)
(وقِفتُ بها حتى تجلَّتْ عَمَايتي ... وملَّ الوقوفَ الأرْحَبِيُّ المنوَّق)
(تَعزَّ وإن كانت عليك كريمةً ... لعلَّك من رقٍّ لبَثْنَةَ تَعْتِقُ)
(لعَمْرُكُم إن البِعادِ لشائقي ... وبعضُ بعاد البَيْن والنأي أشْوَقُ)
(لعلَّكَ محزونٌ ومُبدٍ صَبابة ... ومُظْهِرُ شكوى من أناسٍ تفرَّقوا)
(وبيضٍ غَريراتٍ تَثَنَّي خُصورَها ... إذا قُمْنَ أعجازٌ ثِقَال وأسْؤُقُ)
غَرائرَ لم يَلْقَيْنَ بؤسَ معيشةٍ ... يُجنّ بهنّ الناظر المتنوِّقُ)

(وغَلْغَلْتُ من وَجْدٍ إليهنَّ بعدما ... سَرَيْتُ وأحْشائي من الخوف تَخفِقُ)
(معي صارمٌ قد أخْلَصَ القَيْنُ صقْله ... له حين أُغْشيه الضَّريبةَ رونَقُ)
(فلولا احتيالي ضِقْن ذرعا بزائرٍ ... به من صَباباتٍ إليهنَّ أوْلَقُ)
(تَسوكُ بقُضْبانِ الأَرَاكِ مفلَّجاً ... يُشَعْشِعُ فيه الفارسِيُّ المروَّقُ)
(أبُثَينةُ للْوَصْلِ الذي كان بيننا ... نَضَا مِثلَ ما يَنْضُو الخِضابُ فيَخْلُقُ)
(أبُثَيْنَةُ ما تَنْأَيْنَ إلاَّ كأنَّني ... بنجم الثُّرَيَّا ما نأيتِ مُعلَّقُ)
أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال
دخلت على الرشيد يوما فقال لي يا إسحاق أنشدني أحسن ما تعرف في عتاب محب وهو ظالم متعتب فقلت يا أمير المؤمنين قول جميل
(رِدِ الماءَ ما جاءتْ بصَفْوٍ ذَنَائبُهْ ... ودَعْهُ إذا خِيضَتْ بطَرْقٍ مَشَارِبُهْ)
(أُعاتِبُ مَنْ يحلو لديَّ عتابُه ... وأترك مَنْ لا أشتهي وأُجانِبُهْ)
(ومن لذَّة الدنيا وإن كنتَ ظالماً ... عِناقُك مظلوماً وأنت تُعاتبُهْ)
فقال أحسن والله أعدها علي فأعدتها حتى حفظها وأمر لي بثلاثين ألف درهم وتركني وقام فدخل إلى دار الحُرَم
فشل محاولته في لقاء بثينة
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن السعيدي قال حدثني رجل كان يصحب جميلا من أهل تيماء قال
كنت يوما جالسا مع جميل وهو يحدثني وأحدثه إذ ثار وتربد وجهه فأنكرته ورأيت منه غير ما كنت أرى ووثب نافرا مقشعر الشعر متغير اللون حتى أتي بناقة له قريبة من الأرض مجتمعة موثقة الخلق فشد عليها رحله ثم أتي بمحلب فيه لبن فشربه ثم ثنى فشربت حتى رويت ثم قال لي اشدد أداة رحلك واشرب واسق جملك فإني ذاهب بك إلى بعض
مذاهبي ففعلت فجال في ظهر ناقته وركبت ناقتي فسرنا بياض يومنا وسواد ليلتنا ثم أصبحنا فسرنا يومنا كله لا والله ما نزلنا إلا للصلاة فلما كان اليوم الثالث دفعنا إلى نسوة فمال إليهن ووجدنا الرجال خلوفاً وإذا قدر لبن ثم وقد جهدت جوعا وعطشا فلما رأيت القدر اقتحمت عن بعيري وتركته جانبا ثم أدخلت رأسي في القدر ما يثنيني حرها حتى رويت فذهبت أخرج رأسي من القدر فضاقت علي وإذا هي على رأسي قلنسية فضحكن مني وغسلن ما أصابني وأتي جميل بقرى فوالله ما التفت إليه فبينا هو يحدثهن إذا رواعي الإبل وقد كان السلطان أحل لهم دمه إن وجدوه في بلادهم وجاء الناس فقالوا له ويحك انج وتقدم فوالله ما أكبرهم كل الإكبار وغشيه الرجال فجعلوا يرمونه ويطردونه فإذا قربوا منه قاتلهم ورمى فيهم وهام بي جملي فقال لي يسر لنفسك مركبا خلفي فأردفني خلفه ولا والله ما انكسر ولا انحل عن
فرصته حتى رجع إلى أهله وقد سار ست ليال وستة ايام وما التفت إلى طعام
ابن عمه روق يلومه على حبه بثينة
وشكا زوج بثينة إلى أبيها وأخيها إلمام جميل بها فوجهوا إلى جميل فأعذروا إليه وشكوه إلى عشيرته وأعذروا إليهم وتوعدوه وإياهم فلامه أهله وعنفوه وقالوا استخلص إليهم ونبرأ منك ومن جريرتك فأقام مدة لا يلم بها ثم لقي ابني عمه روقا ومسعدة فشكا إليهما ما به وأنشدهما قوله
صوت
(زُورَا بُثَيْنةَ فالحبيبُ مَزُورُ ... إن الزيارةَ للمحبِّ يسيرُ)
(إنَّ الترحُّلَ إن تلبَّس أمرنا ... واعتاقَنا قَدَرٌ أُحِمَّ بكور)
الغناء لعريب رمل بالوسطى
صوت
(إنِّي عشيَّةَ رُحْتُ وهي حزينةٌ ... تشكو إليّ صبابةً لَصَبُورُ)
(وتقول بِتْ عندي فَدَيْتُكَ ليلةً ... أشكو إليكَ فإنّ ذاك يسيرُ)
الغناء لسليم خفيف رمل بالوسطى عن عمرو وفيه ثقيل أول بالبنصر ذكر الهشامي أنه لمخارق وذكر حبش أنه لإبراهيم وذكر حبش أن لحن
مخارق خفيف رمل
(غَرَّاءُ مِبْسامٌ كأنّ حديثَها ... دُرٌ تَحَدَّرَ نَظْمُه منثورُ)
(محطوطةُ المَتْنَيْنِ مُضْمَرةُ الحَشَى ... ريَّا الرّوادِفِ خَلْقُها ممكور)
(لا حُسْنِها حُسْنٌ ولا كَدَلاَلِها ... دَلٌّ ولا كَوقارها توقير)
(إنّ اللسانَ بذكرها لَمُوَكَّلٌ ... والقلب صادٍ والخواطر صُورُ)
(ولئن جَزَيْتِ الودَّ منِّي مثلَه ... إني بذلك يا بُثَيْنَ جدير)
فقال له روق إنك لعاجز ضعيف في استكانتك لهذه المرأة وتركك الاستبدال بها مع كثرة النساء ووجود من هو أجمل منها وإنك منها بين فجور أرفعك عنه أو ذل لا أحبه لك أو كمد يؤديك إلى التلف أو مخاطرة بنفسك لقومها إن تعرضت لها بعد إعذارهم إليك وإن صرفت نفسك عنها وغلبت هواك فيها وتجرعت مرارة الحزم حتى تألفها وتصبر نفسك عليها طائعة أو كارهة الفت ذلك وسلوت فبكى جميل وقال يا أخي لو ملكتُ اختياري لكان ما قلت صوابا ولكني لا أملك الاختيار ولا أنا إلا كالأسير لا يملك لنفسه نفعا وقد جئتك لأمر أسالك ألا تكدر ما رجوته عندك فيه بلوم وأن تحمل على نفسك في مساعدتي فقال له فإن كنت لا بد مهلكا نفسك فاعمل على زيارتها ليلا فإنها تخرج مع بنات عم لها إلى ملعب لهن فأجيء معك حينئذ سرا ولي أخ من رهط بثينة من بني الأحب نأوي عنده نهارا وأسأله مساعدتك على هذا فتقيم عنده أياما نهارك وتجتمع معها بالليل إلى أن تقضي أربك فشكره ومضى روق إلى الرجل الذي من رهط بثينة فأخبره الخبر واستعهده كتمانه وسأله مساعدته فيه فقال له لقد جئتني بإحدى العظائم ويحك إن في هذا
معاداتي الحي جميعا إن فطن به فقال انا أتحرز في أمره من أن يظهر فواعده في ذلك ومضى إلى جميل فأخبره القصة فأتيا الرجل ليلا فأقاما عنده وأرسل إلى بثينة بوليدة له بخاتم جميل فدفعته إليها فلما رأته عرفت فتبعتها وجاءته فتحدثا ليلتهما واقام بموضعه ثلاثة أيام ثم ودعها وقال لها عن غير قلى والله ولا ملل يا بثينة كان وداعي لك ولكني قد تذممت من هذا الرجل الكريم وتعريضه نفسه لقومه وأقمت عنده ثلاثا ولا مزيد على ذلك ثم انصرف وقال في عذل روق ابن عمه

إياه
(لقد لامني فيها أخٌ ذو قرابةٍ ... حبيبٌ إليه في مَلاَمتِهِ رُشْدِي)
(وقال أفِقْ حتى متى أنتِ هائمٌ ... ببَثْنَةَ فيها قد تُعيدُ وقد تُبْدِي)
(فقلت له فيها قضَى اللّهُ ما ترى ... عليَّ وهل فيما قضَى اللّه من رَدِّ)
(فإن يك رُشْداً حُبُّها أو غَوَايةً ... فقد جئتُه ما كان منّي على عَمْدِ)
صوت
(لقد لجّ ميثاقٌ من اللّه بيننا ... وليس لمن لم يُوفِ للّه من عَهْدِ)
(فلا وأبيها الخير ما خُنْتُ عهدَها ... ولا لِيَ علمٌ بالذي فعلتْ بعدي)
(وما زادها الواشون إلا كرامة ... عليَّ وما زالت مودَّتُها عندي)
الغناء لمتيم ثقيل أول عن الهشامي وذكر ابن المعتز أنه لشارية وذكر ابن خرداذبه أنه لقلم الصالحية
(أفي الناس أمثالي أحَبَّ فحالُهم ... كحالِي أمْ أحببتُ من بينهم وحدي)
وهل هكذا يلقَى المحبُّون مثلَ ما ... لَقِيتُ بها أم لم يَجِدْ أحدٌ وَجْدِي)
وقال جميل فيها
(خليليّ عوجَا اليوم حتى تُسلِّما ... على عَذْبَةِ الأنياب طَيِّبة النَّشْرْ)
(ألِمَّا بها ثم اشفعا لي وسلِّما ... عليها سَقَاها اللّه من سائغ القطر)
(وبوحَا بذكري عند بَثْنَةَ وانظُرا ... أترتاح يوماً أم تَهَشُّ إلى ذكري)
(فإن لم تَكُنْ تَقْطَعْ قُوَى الودِّ بيننا ... ولم تَنسَ ما أسلفتُ في سالف الدهر)
(فسوف يُرَى منها اشتياقٌ ولَوْعةٌ ... بِبَيْنٍ وغَرْبٌ من مدامعها يجري
(وإن تكُ قد حالتْ عن العهد بَعدَنا ... وأصغتْ إلى قول المُؤَنِّبِ والمُزْرِي)
(فسوف يُرَى منها صدودٌ ولم تكن ... بنَفْسِيَ من أهل الخِيانة والغَدْرْ)
(أعوذُ بك اللّهمَّ أن تَشْحَطَ النَّوَى ... ببثنةَ في أدنى حياتي ولا حَشْرِي)
(وجاوِرْ إذا ما مِتُّ بيني وبينها ... فيا حبَّذا موتي إذا جاورتْ قبري)
(عَدِمْتُكَ من حبٍّ أمَا منك راحةٌ وما بك عنّي من تَوَانٍ ولا فَتْرِ)
(ألا أيُّها الحبُّ المبرِّح هلى ترى ... أخَا كَلَفٍ يُغْرِي بحبٍّ كما أُغْرِي)
(أجِدَّكَ لا تَبْلَى وقد بَلِيَ الهوى ... ولا ينتهي حبِّي بُثَيْنَةَ للزَّجْرِ)
صوت
(هي البدرُ حسناً والنساءُ كواكبٌ ... وشَتَّانَ ما بين الكواكبِ والبدرِ)
(لقد فُضِّلتْ حسناً على الناس مثلَما ... على ألِف شهرٍ فُضِّلتْ ليلةُ القَدْرْ)
غنت شارية في هذين البيتين خفيف رمل من رواية ابن المعتز
صلح بعد تهاجر
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال أخبرنا إسحاق بن محمد بن أبان قال حدثني الرحال بن سعد المازني قال وقع بين جميل وبثينة هجر في غيرة كان غارها عليها من فتى كان يتحدث إليها من بني عمها فكان جميل يتحدث إلى غيرها فيشق ذلك على بثينة وعلى جميل وجعل كل واحد منهما يكره أن يبدي لصاحبه شأنه فدخل جميل يوما وقد غلبه الأمر إلى البيت الذي كان يجتمع فيه مع بثينة فلما رأته بثينة جاءت إلى البيت ولم تبرز له فجزع لذلك جميل وجعل كل واحد منهما يطالع صاحبه وقد بلغ الأمر من جميل كل مبلغ فأنشأ يقول
(لقد خِفْتُ أن يغتالني الموتُ عُنْوةً ... وفي النفسِ حاجاتٌ إليكِ كما هِيَا)
(وإني لَتَثْنِينِي الحَفِيظةُ كلَّما ... لَقِيتُكِ يوماً أن أبُثَّكِ ما بِيا)
(ألم تعلمي يا عذبةَ الرِّيق أنَّني ... أظَلّ إذا لم أسْقَ رِيقَكِ صَادِيا)
قال فرقت له بثينة وقالت لمولاة لها كانت معها ما أحسن الصدق بأهله ثم اصطلحا فقالت له بثينة أنشدني قولك
(تَظَلُّ وراء السِّتْر تَرْنُو بلَحْظِها ... إذا مرَّ من أترابها مَنْ يَرُوقُها)
فأنشدها إياها فبكت وقالت كلا يا جميل ومن ترى أنه يروقني غيرك
كيف نعي جميل إلى بثينة
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال ذكر أيوب بن عباية قال خرجت من تيماء في أغباش السحر فرأيت عجوزا على أتان فتكلمت فإذا أعرابية فصيحة فقلت ممن أنت فقالت عذرية فأجريت ذكر جميل وبثينة فقالت والله إنا لعلى ماء لنا بالجناب وقد تنكبنا الجادة لجيوش كانت تأتينا من قبل الشام تريد الحجاز وقد خرج رجالنا لسفر وخلفوا معنا أحداثا فانحدروا ذات عشية إلى صرم قريب منا يتحدثون إلى جوار منهم فلم يبق غيري وغير بثينة إذ انحدر علينا منحدر من هضبة تلقاءنا فسلم ونحن مستوحشون وجلون فتأملته ورددت السلام فإذا جميل فقلت أجميل قال إي والله وإذا به لا يتماسك جوعا فقمت إلى قعب لنا فيه أقط مطحون وإلى عكة فيها سمن ورب فعصرتها على الأقط ثم أدنيتها منه وقلت أصب من هذا فأصاب منه وقمت إلى سقاء فيه لبن فصببت عليه ماء باردا فشرب منه وتراجعت نفسه فقلت له لقد بلغت ولقيت شرا فما أمرك قال أنا والله في هذه الهضبة التي ترين منذ ثلاث ما أريمها أنتظر أن أرى فرجة فلما رأيت منحدر فتيانكم أتيتكم لأودعكم وأنا عامد إلى مصر فتحدثنا ساعة ثم ودعنا وشخص فلم تطل غيبته أن جاءنا نعيه فزعموا أنه قال حين حضرته الوفاة
(صَدَعَ النَّعِيُّ وما كنى بجميلِ ... وثَوَى بمِصْرَ ثَوَاءَ غير قُفولِ)
(ولقد أجُرّ الذَّيْلَ في وادي القُرَى ... نَشْوانَ بين مزارعٍ ونخيلِ)
((قُومِي بُثَينَةُ فاندبِي بعَوِيلِ ... وابكِي خليلَكِ دون كلِّ خليل
أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثني محمد بن القاسم عن الأصمعي قال حدثني رجل شهد جميلا لما حضرته الوفاة بمصر أنه دعاه فقال هل لك في أن أعطيك كل ما أخلفه على أن تفعل شيئا أعهده إليك فقال قلت اللهم نعم قال إذا أنا مت فخذ حلتي هذه التي في عيبتي فاعزلها جانبا ثم كل شيء سواها لك وارحل إلى رهط بني الأحب من عذرة وهم رهط بثينة فإذا صرت إليهم فارتحل ناقتي هذه واركبها ثم البس حلتي هذه واشققها ثم اعل على شرف وصح بهذه

الأبيات وخلاك ذم ثم أنشدني هذه الأبيات
(صدَع النَّعِيُّ وما كَنَى بجميلِ ... وثوى بمِصْرَ ثَوَاء غيرِ قُفولِ)
وذكر الأبيات المتقدمة فلما قضى وواريته أتيت رهط بثينة ففعلت ما أمرني به جميل فما استتممت الأبيات حتى برزت إلي امرأة يتبعها نسوة قد فرعتهن طولا وبرزت أمامهن كأنها بدر قد برز في دجنة وهي تتعثر في مرطها حتى أتتني فقالت يا هذا والله لئن كنت صادقا لقد قتلتني ولئن كنت كاذبا لقد فضحتني قلت والله ما أنا إلا صادق وأخرجت حلته فلما رأتها صاحت بأعلى صوتها وصكت وجهها واجتمع نساء الحي يبكين معها ويندبنه حتى صعقت فمكثت مغشيا عليها ساعة ثم قامت وهي تقول
(وإنّ سلُوِّي عن جميلٍ لَساعةٌ ... من الدَّهْرِ ما حانتْ ولا حان حِينُها)
(سواءٌ علينا يا جميلُ بن مَعْمَرٍ ... إذا مُتَّ بأساءُ الحياةِ ولِينُها)
قال فلم أر يوما كان أكثر باكيا وباكية منه يومئذ
صوت
من المائة المختارة من رواية جحظة عن أصحابه
(أمسى الشبابُ مُوَدِّعاً محموداً ... والشيبُ مُؤْتَنِفَ المحلِّ جديدَا)
(وتغيَّر البيضُ الأوانسُ بعد ما ... حَمَّلْتُهُنَّ مَوَاثِقاً وعُهودا)
عروضه من الكامل الشعر ليزيد بن الطثرية والغناء لإسحاق ولحنه المختار من الثقيل الأول بالبنصر وفيه لبابويه خفيف ثقيل بالوسطى كلاهما من رواية عمرو بن بانة
ذكر يزيد بن الطثرية وأخباره ونسبه
ذكر ابن الكلبي أن اسمه يزيد بن الصمة أحد بني سلمة الخير بن قشير وذكر البصريون أنه من ولد الأعور بن قشير وقال ابو عمرو الشيباني اسمه يزيد بن سلمة بن سمرة بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وإنما قيل إنه يزيد بن المنتشر بن سلمة
والطثرية أمه فيما أخبرني به علي بن سليمان الأخفش عن السكري عن محمد بن حبيب امرأة من طثر وهم حي من) اليمن عدادهم في جرم وقال غيره إن طثرا من عنز بن وائل إخوة بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار وكان أبو جراد أحد بني المنتفق بن عامر بن عقيل أسر طثرا فمكث عنده زمانا ثم خلاه وأخذ عليه إصرا ليبعثن إليه بفدائه أو ليأتينه بنفسه وأهله فلم يجد فداء فاحتمل بأهله حتى دخل على أبي جراد فوسمه سمة إبله فهم حلفاء لبني المنتفق إلى اليوم نحو من خمسمائة رجل متفرقين في بني عقيل يوالون بني المنتفق وهم يعيرون ذلك الوسم وقال بعض من يهجو
(... عليه الوَسْمُ وسمُ أبي جَرادِ)
وفيهم يقول يزيد بن الطثرية
(ألاَ بئسما أن تَجْرِمُوني وتغضَبوا ... عليّ إذا عاتبتُكم يا بني طَثْرْ)
وزعم بعض البصريين أن الطثرية أم يزيد كانت مولعة بإخراج زبد اللبن فسميت الطثرية وطثرة اللبن زبدته
سبب تلقيبه بالمودّق
ويكنى يزيد أبا المكشوح وكان يلقب مودقا سمي بذلك لحسن وجهه وحسن شعره وحلاوة حديثه فكانوا يقولون إنه إذا جلس بين النساء ودقهن
أخبرني محمد بن خلف عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال
كان يزيد بن الطثرية يقول من أفحم عند النساء فلينشد من شعري قال وكان كثيرا ما يتحدث إلى النساء وكان يقال إنه عنين
وروى عنه عبد الله بن عمر عن يحيى بن جابر أحد بني عمرو بن كلاب عن سعاد بنت يزيد بن زريق امرأة منهم أن يزيد بن الطثرية كان من أحسن من مضى وجها وأطيبه حديثا وأن النساء كانت مفتونة به وذكر الناس أنه كان عنينا وذلك أنه لا عقب له وأن الناس أمحلوا حتى ذهبت الدقيقة من المال ونهكت الجليلة فأقبل صرم
من جرم ساقته السنة والجدب من بلاده إلى بلاد بني قشير وكان بينهم وبين بني قشير حرب عظيمة فلم يجدوا بدا من رمي قشير بأنفسهم لما قد ساقهم من الجدب والمجاعة ودقة الأموال وما أشرفوا عليه من الهلكة ووقع الربيع في بلاد بني قشير فانتجعها الناس وطلبوها فلم يعد أن لقيت جرم قشيراً فنصبت قشير لهم الحرب فقالت جرم إنما جئنا مستجيرين غير محاربين قالوا مما ذا قالوا من السنة والجدب والهلكة التي لا باقية لها فأجارتهم قشير وسالمتهم وأرعتهم طرفا من بلادها وكان في جرم فتى يقال له مياد وكان غزلا حسن الوجه تام القامة آخذا بقلوب النساء والغزل في جرم جائز حسن وهو في قشير نائرة فلما نازلت جرم قشيرا وجاورتها اصبح مياد الجرمي فغدا إلى القشيريات يطلب منهن الغزل والصبا والحديث واستبراز الفتيات عند غيبة الرجال واشتغالهم بالسقي والرعية وما أشبه ذلك فدفعنه عنهن وأسمعنه ما يكره وراحت رجالهن عليهن وهن مغضبات فقال عجائز منهن والله ما ندري أرعيتم جرما المرعى أم أرعيتموهم نساءكم فاشتد ذلك عليهم فقالوا وما أدراكنه قلن رجل منذ اليوم ظل مجحرا لنا ما يطلع منا رأس واحدة يدور بين بيوتنا فقال بعضهم بيتوا جرما فاصطلموها وقال بعضهم قبيح قوم قد سقيتموهم مياهكم وأرعيتموهم مراعيكم وخلطتموهم بأنفسكم وأجرتموهم من القحط والسنة تفتانون عليهم هذا الافتيات لا تفعلوا ولكن تصبحوا وتقدموا إلى هؤلاء القوم في هذا الرجل فإنه سفيه من سفهائهم فليأخذوا على يديه فإن يفعلوا فأتموا لهم إحسانكم وإن يمتنعوا ويقروا ما كان منه يحل لكم البسط عليهم وتخرجوا من ذمتهم فأجمعوا على ذلك فلما
أصبحوا غدا نفر منهم إلى جرم فقالوا ما هذه البدعة التي قد جاورتمونا بها إن كانت هذه البدعة سجية لكم فليس لكم عندنا إرعاء ولا إسقاء فبرزوا عنا أنفسكم وأذنوا بحرب وإن كان افتتانا فغيروا على من فعله وإنهم لم يعدوا أن قالوا لجرم ذلك فقام رجال من جرم وقالوا ما هذا الذي نالكم قالوا رجل منكم أمس ظل يجر أذياله بين ابياتنا ما ندري علام كان أمره فقهقهت جرم من جفاء القشيرين وعجرفيتها وقالوا إنكم لتحسون من نسائكم ببلاء ألا فابعثوا إلى بيوتنا رجلا ورجلا فقالوا والله ما نحسّ من نسائنا ببلاء وما نعرف منهن إلا العفة والكرم ولكن فيكم الذي قلتم قالوا فإنا نبعث رجلا إلى بيوتكم يا بني قشير إذا غدت الرجال وأخلف النساء وتبعثون رجلا إلى البيوت ونتحالف أنه لا يتقدم رجل منا إلى زوجة ولا أخت ولا بنت ولا يعلمها بشيء مما دار بين القوم فيظل كلاهما في بيوت أصحابه حتى يردا علينا عشيا الماء وتخلى

لهما البيوت ولا تبرز عليهما امرأة ولا تصادق منهما واحدا فيقبل منهما صرف ولا عدل إلا بموثق يأخذه عليها وعلامة تكون معه منها قالوا اللهم نعم فظلوا يومهم ذلك وباتوا ليلتهم حتى إذا كان من الغد غدوا إلى الماء وتحالفوا أنه لا يعود إلى البيوت منهم أحد دون الليل وغدا مياد الجرمي إلى القشيريات وغدا يزيد بن الطثرية القشيري إلى الجرميات فظل عندهن بأكرم مظل لا يصير إلى واحدة منهن إلا افتتنت به وتابعته إلى المودة والإخاء وقبض منها رهنا وسألته ألا يدخل من بيوت جرم إلا بيتها فيقول لها واي شيء تخافين وقد أخذت مني المواثيق والعهود وليس لأحد في قلبي نصيب غيرك حتى صليت العصر فانصرف يزيد بفتخ كثير وذبل
وبراقع وانصرف مكحولا مدهونا شبعان ريان مرجل اللمة وظل مياد الجرمي يدور بين بيوت القشيريات مرجوما مقصى لا يتقرب إلى بيت إلا استقبلته الولائد بالعمد والجندل فتهالك لهن وظن أنه ارتياد منهن له حتى أخذه ضرب كثير بالجندل ورأى البأس منهن وجهده العطش فانصرف حتى جاء إلى سمرة قريبا إلى نصف النهار فتوسد يده ونام تحتها نويمة حتى أفرجت عنه الظهيرة وفاءت الأظلال وسكن بعض ما به من ألم الضرب وبرد عطشه قليلا ثم قرب إلى الماء حتى ورد على القوم قبل يزيد فوجد أمة تذود غنما في بعض الظعن فأخذ برقعها فقال هذا برقع واحدة من نسائكم فطرحه بين يدي القوم وجاءت الأمة تعدو فتعلقت ببرقعها فرد عليها وخجل مياد خجلا شديدا وجاء يزيد ممسيا وقد كاد القوم أن يتفرقوا فنثر كمه بين ايديهم ملآن براقع وذبلا وفتخا وقد حلف القوم ألا يعرف رجل شيئا إلا رفعه فلما نثر ما معه اسودت وجوه جرم وأمسكوا بأيديهم إمساكة فقالت قشير أنتم تعرفون ما كان بيننا أمس من العهود والمواثيق وتحرج الأموال والأهل فمن شاء أن ينصرف إلى حرام فليمسك يده فبسط كل رجل يده إلى ما عرف فأخذه وتفرقوا عن حرب وقالوا هذه مكيدة يا قشير فقال في ذلك يزيد بن الطثرية
(فإنْ شئتَ يا مَيَّادُ زُرْنا وزُرْتُمُ ... ولم تَنْفَسِ الدّنيا عليَ من يُصِيبُها)
(أيذهب مَيَّادٌ بألْبابِ نِسوْتي ... ونسوةُ مَيَّادٍ صحيحٌ قُلوبها
وقال مياد الجرمي
(لَعَمْرُكَ إنّ جَمْعَ بني قُشَيْرٍ ... لِجَرْمٍ في يزيدَ لظالمونا)
(أليس الظلمُ أنّ اباكَ مِنَّا ... وأنكَ في كَتيبةِ آخَرِينا)
(أحالفةٌ عليكَ بنو قُشَيْرٍ ... يمينَ الصَّبْرِ أمْ مُتَحَرِّجونا)
حبه لوحشية ومرضه لغيابها
قال وبلي يزيد بعشق جارية من جرم في ذلك اليوم يقال لها وحشية وكانت من أحسن النساء ونافرتهم جرم فلم يجد إليها سبيلا فصار من العشق إلى أن أشرف على الموت واشتد به الجهد فجاء إلى ابن عم له يقال له خليفة بن بوزل بعد اختلاف الأطباء إليه ويأسهم منه فقال له يابن عم قد تعلم أنه ليس إلى هذه المرأة سبيل وأن التعزي أجمل فما أربك في أن تقتل نفسك وتأثم بربك قال وما همي يابن عم بنفسي وما لي فيها أمر ولا نهي ولا همي إلا نفس الجرمية فإن كنت تريد حياتي فأرنيها قال كيف الحيلة قال تحملني إليها فحمله إليها وهو لا يطمع في الجرمية إلا أنهم كانوا إذا قالوا له نذهب بك إلى وحشية أبل قليلا وراجع وطمع وإذا أيس منها اشتد به الوجع فخرج به خليفة بن بوزل فحمله فتخلل به اليمن حتى إذا دخل في قبيلة انتسب إلى أخرى ويخبر أنه طالب حاجة وأبل حتى صلح بعض الصلاح وطمع فيه ابن عمه وصارا بعد زمان إلى حي وحشية فلقيا الرعيان وكمنا في جبل من الجبال فجعل خليفة ينزل فيتعرض لرعيان الشاء فيسألهم عن راعي وحشية حتى لقي غلامها وغنمها فواعدهم موعدا وسألهم ما حال وحشية فقال غلامها هي والله بشر لا حفظ الله بني قشير ولا يوما رأيناهم فيه فما زالت عليلة منذ رأيناهم وكان بها طرف مما بابن الطثرية فقال ويحك فإن ها هنا إنسانا يداويها فلا تقل لأحد غيرها قال نعم إن شاء الله تعالى فأعلمها الراعي ما قال له الرجل حين صار إليها فقالت له ويحك فجيء به ثم إنه خرج فلقيه بالغد فأعلمه وظل عنده يرعى غنمه وتأخر عن الشاء حتى تقدمته الشاء وجنح الليل وانحدر بين يدي غنمه حتى أراحها ومشى فيها يزيد حتى قربت من البيت على أربع وتجلل شملة سوداء بلون شاة من الغنم فصار إلى وحشية فسرت به سرورا شديدا وأدخلته سترا لها وجمعت عليه من الغد من تثق به من صواحباتها وأترابها وقد كان عهد إلى ابن عمه أن يقيم في الجبل ثلاث ليال فإن لم يره فلينصرف فأقام يزيد عندها ثلاث ليال ورجع إلى أصح ما كان عليه ثم انصرف فصار إلى صاحبه فقال ما وراءك يا يزيد ورأى من سروره وطيب نفسه ما سره فقال
(لَوَانَّكَ شاهدتَ الصِّبا يابنَ بَوْزَلٍ ... بفَرْعِ الغَضَى إذ راجعتْني غَيَاطِلُهْ)
(لشاهدتَ لهواً بعد شَحْطٍ من النَّوَى ... على سَخَطِ الأعداء حُلْواً شَمَائلُه)
صوت
(ويوماً كإبهامِ القَطَاةِ مُزَيَّناً ... لِعيني ضُحاهُ غالباً لِيَ باطلُه)
غنى في البيت الثالث وبعده البيت الثاني وروايته
(... تُشاهد لهواً بعد شحطٍ من النوى)
مخارق ثاني ثقيل بالوسطى عن حبش
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن عمرو قال حدثني علي بن الصباح قال
قال أبو محضة الأعرابي وأنشد هذه الأبيات ليزيد بن الطثرية فلما بلغ إلى قوله
(بِنَفْسِي مَنْ لو مَرَّ بَرْدُ بنانِهِ ... على كبِدي كانت شِفاءً أَنامِلُهْ)
(ومَنْ هابني في كل أمرٍ وهِبْتُه ... فلا هو يُعطيني ولا أنا سائلُهْ)
طرب لذلك وقال هذا والله من مغنج الكلام
وحشية تجيبه شعرا على رسالته
ونسخت من كتاب الحسن بن علي حدثنا عبد الله بن عمرو قال حدثني هشام بن محمد بن موسى قال حدثنا عبد الله بن إبراهيم الطائي قال حدثني عبد الله بن روح الغنوي قال حدثتني ظبية بنت وزير الباهلية قالت
كتب يزيد بن الطثرية إلى وحشية
(أُحِبُّكِ أطرافَ النهار بشاشةً ... وباللَّيل يدعوني الهوى فأجِيبُ)
(لئن أصبحتْ ريحُ المودَّةِ بينَنا ... شَمَالاً لَقِدْماً كنتِ وهي جَنُوبُ)
فأجابته بقولها

(أُحِبّكَ حبَّ اليأس إن نفع الحيا ... وإن لم يكن لي من هواك طبيبُ)
أخبرني يحيى بن علي إجازة عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني هانىء بن سعد
أن ابن الطثرية وابن بوزل وهو قطري بن بوزل خرجا يسيران حتى نزلا برملة حائل بين قفار الملح فقال يزيد لابن بوزل إذهب فاسق راحلتك
واسقنا فلما جاوز أوفى يزيد على أجرع فرأى اشباحا فأتاها فقيل له هذه والله فلانة وأهلها عجيبة بها أي معجبون بها فأتاها فظل عشيته وبات ليلته وأقام الغد حتى راح عشيا وقد لقي ابن بوزل كل شر ومات غيظا فلما دنا منه قال
(لَوَ انَّكَ شاهدتَ الصِّبا يابنَ بوزلٍ ... بجزْعِ الغَضَى إذ راجعتْني غَيَاطِلُهْ)
(بأسفلِ خَلِّ المِلْحِ إذ دِيْنُ ذي الهَوَى ... مُؤَدَّى وإذ خيرُ الوِصالِ أوائلُه)
(لشاهدْتَ يوماً بعد شَحْطٍ من النَّوى ... وبعد تَنَائي الدار حُلْواً شَمائلُه)
وقد روي
(... وغَيْمَ الصِّبا إذ راجعتْني غَيَاطِلُهْ)
فاخترط سيفه ابن بوزل وحاوطه يزيد بعصاه ثم اعتذر إليه وأخبره خبره فقبل منه وقد روى هذه الأبيات أبو عمرو الشيباني وغيره فزاد فيها على إسحاق هذه الأبيات
(ألاَ حَبَّذَا عيناكِ يا أُمَّ شَنْبَلٍ ... إذا الكُحْلُ في جَفْنَيْهما جال جائلُهْ)
(فَدَاكِ مِن الخُلاَّنِ كلُّ مُمَزَّجٍ ... تكون لأدنى مَنْ يُلاَقي وسائلُهْ)
(فَرُحْنا تَلَقَّانا به أُمُّ شَنْبَلٍ ... ضُحَيّاً وأبكتْنا عَشِيّاً أصائلُهْ)
(وكنتُ كأنّي حينَ كان كلامُها ... وَدَاعاً وخَلَّى مَوْثِقَ العهدِ حاملُه)
(رَهينٌ بنفسٍ لم تُفَكَّ كُبُولُه ... عن الساقِ حتى جَرد السيفَ قاتلُه)
(فقال دَعُوني سَجْدَتَيْن وأُرْعِدَتْ ... حِذَارَ الرَّدَى أحشاؤه ومَفَاصِلُهْ)
قال إسحاق وقال أبو عثمان سعيد بن طارق
نزلت سارية من بني سدرة على بني قشير بمالهم فجعلت فتيان قشير تترجل وتتزين وتزور بيوت سدرة فاستنهوهم فقال يزيد بن الطثرية وما في هذا عليكم زوروا بيوتنا كما نزور بيوتكم وقال
(دعوهنّ يَتْبَعْنَ الصِّبَا وتبادلوا ... بنا ليس بأسٌ بينَنا بالتَّبادُلِ)
ثم إن بني سدرة قالوا لنسائهم ويحكن فضحتننا نأتي نساء هؤلاء فلا نقدر عليهن ويأتونكن فلا تحتجبن عنهم فقالت كهلة منهن مروا نساءكم يجتمعن إلى بيتي فإذا جاؤوا لم يجدوا امرأة إلا عندي فإن يزيد أتاني لم يعد في بيوتكم ففعلوا فجاء يزيد فقال
(سلامٌ عليكنّ الغَدَاةَ فما لنا ... إليكنّ إلا أن تَشَأْنَ سبيلُ)
فقالت الكهلة ومن أنت فقال
(أنا الهائم الصَّبُّ الذي قاده الهوى ... إليكِ فأمْسَى في حبالِكِ مُسْلَمَا)
(بَرَتْه دَوَاعِي الحبّ حتى تركْنَه ... سقيماً ولم يَتْرُكْنَ لحماً ولا دَمَا)
فقالت اختر إحدى ثلاث خصال إما أن تمضي ثم ترجع علينا فإنا نرقب عيون الرجال فإنهم قد سبونا فيك وإما أن تختار أحبنا إليك وأن تطلب
امرأة واحدة خير من أن يشهرك الناس ونسي الثالثة فقال سآخذ إحداهن فاختاري أنت إحدى ثلاث خصال قالت وما هن قال إما أن أحملك على مرضوف من أمري فتركبيه وإما أن تحمليني على مشروج من أمرك فأركبه وإما أن تلزي بكري بين قلوصيك قالت لو وقع بكرك بين قلوصي لطمرتا به طمرة يتطامن عنقه منها قال كلا إنه شديد الوجيف عارم الوظيف فغلبها فلما أتاها القوم قالت لهم إنه أتاني رجل لا تمتنع عليه امرأة فإما أن تغمضوا له وإما أن ترحلوا عن مكانكم هذا فرحلوا وذهبوا فقال حكيم بن أبي الخلاف السدري في قصيدة له يذكر أنه إنما ارتحلوا عنهم لأنهم آذوهم بكثرة ما يصنعون بهم
(فكان الذي تُهْدُون للجار منكم ... بخاتج حبّاتٍ كثيراً سُعَالُها)
خبره مع اسماء الجعفرية
قال إسحاق فأخبرني الفزاري أن قوما من بني نمير وقوما من بني جعفر تزاوروا فزار شبان من بني جعفر بيوت بني نمير فقبلوا وحدثوا وزار بنو نمير بني جعفر فلم يقبلوا فاستنجدوا ابن الطثرية فزار معهم بيوت بني جعفر فأنشدهن وحدثهن فأعجبن به واجتمعن إليه من البيوت فتوعد بنو جعفر ابن
الطثرية فتتاركوا وأمسك بعضهم عن بعض فأرسلت أسماء الجعفرية إلى ابن الطثرية أن لا تقطعني وإن منعت فإني سأتخلص إلى لقائك فأنشأ يقول
(خَلِيلَيَّ بين المنحَنى من مُخَمّرٍ ... وبين اللِّوَى من عَرْفَجَاءَ المُقَابِلِ)
(قِفَا بين أعناقِ اللِّوى لمُرِبَّةٍ ... جَنُوبٍ تُداوي غُلَّ شَوْقٍ مُمَاطِلِ)
(لكَيْما أَرَى أسماءَ أو لِتَمَسَّنِي ... رياحٌ برِيَّاها لِذَاذُ الشَّمائِلِ)
(لقد حادَلَتْ أسماءُ دونَك باللِّوَى ... عيونُ العِدَا سَقْياً لها من مُحَادِلِ)
(ودسَّتْ رسولاً أنّ حَوْلِي عِصَابَةً ... همُ الْحَرْبُ فاسْتَبطِنْ سلاحَ المُقَاتِلِ)
(عشيَّةَ ما لي من نصيرٍ بأرضِها ... سوى السَّيْفِ ضَمَّتْه إليَّ حَمَائلي)
(فيأيُّها الواشون بالغِشِّ بيننا ... فُرَادَى ومَثْنَى من عدوٍّ وعاذِلِ)
(دَعُوهنَّ يَتْبَعْن الهوى وتبادَلُوا ... بنا ليس بأسٌ بيننا بالتَّبَادُلِ)
(تَرَوْا حين نأتيهنّ نحنُ وأنْتُمُ ... لِمَنْ وعلى مَنْ وَطْأَةُ المُتَثَاقِلِ)
(ومَنْ عُرِيتْ لِلَّهو قِدْماً رِكَابُه ... وشاعت قَوافي شعره في القبائل)
(تُبرِّزْ وجوهُ السابقين وتَخْتَلِطْ ... على المُقْرِفِ الكافي غبارُ القنابل)
(فإنْ تمنعوا أسماءَ أو يَكُ نَفْعُها ... لكم أو تَدِبُّوا بيننا بالغوائل)
(فلن تمنعوني أنْ أُعَلِّل صُحْبَتي ... على كل شيء من مدى العين قابل)
حبس لديون عليه

قال إسحاق وحدثني أبو زياد الكلابي
أن يزيد بن الطثرية كان شريفا متلافا يغشاه الدين فإذا أخذ به قضاه عنه أخ له يقال له ثور ثم إنه كثر عليه دين لمولى لعقبة بن شريك الحرشي يقال له البربري فحبسه له عقبة بالعقيق من بلاد بني عقيل وعقبة عليها يومئذ أمير وقال المفضل بن سلمة قال أبو عمرو الشيباني كان يزيد قد هرب منه فرجع إليه من حب اسماء وكانت جارة البربري فأخذه البربري ويقال إنه أعطاه بعيرا من إبل ثور أخيه فقال يزيد في السجن
(قضى غُرمائي حبُّ أسماءَ بعد ما ... تَخَوَّنني ظلمٌ لهم وفجورُ)
(فلو قَلَّ دَيْنُ البربريِّ قضيتُه ... ولكنّ دَيْنَ البربريِّ كثيرُ)
(وكنتُ إذا حلَّتْ عليّ ديونُهم ... أضُمّ جَناحِي منهمُ فأطيرُ)
(عليَّ لهم في كل شهرٍ أَدِيَّةٌ ثمانون وافٍ نَقْدُها وجَزورُ)
(نَجيءُ إلى ثَوْرٍ ففيمَ رحيلُنا ... وثَورٌ علينا في الحياة صَبُورُ)
(أشُدُّ على ثَوْرٍ وثورٌ إذا رأى ... بنا خَلَّةً جَزْلُ العطاء غفورُ)
(فذلك دَأْبِي ما بَقِيتُ وما مَشَى ... لِثَوْرٍ على ظهر البِلاد بعيرُ)
ويروى فهذا له ما دمت حيا ثم إن عقبة حج على جمل له يقال له ابن الكميت أنجب ما ركب الناس وثبت ابن الطثرية في السجن حتى انصرف عقبة بن شريك من مكة فأرسل ابن الكميت في مخاضة مستقبلة الربيع وهي حاضرة العقيق تأكل الغضى وتشرب بأحسائه وانحدر عقبة نحو اليمامة وعليها المهاجر بن عبد الله الكلابي فلما ضاقت بابن الطثرية المخارج قال له صاحب له لا أعلم لك أنجى إن قدرت على الخروج من
السجن إلا أن تركب ابن الكميت فينجيك نحو بلد من البلاد فلم يزل حتى جعل للحداد على أن يرسله ليلةً إلى ابن عمه جعلا فشكا إليه وجده بها فأرسله فمضى يزيد نحو الإبل عشاء فاحتكم ابن الكميت حتى جلس عليه فوجهه قصد اليمامة يريد عقبة بن شريك وقال في طريقه
(لَعَمْرِيَ إن ابن الكُمَيْتِ على الوَجَا ... وسَيْرِيَ خَمْساً بعد خَمْسٍ مُكَمَّلُ)
(لَطَلْقُ الهَوَادِي بالوَجِيفِ إذا وَنَى ... ذواتُ البَقَايا والعَتِيقُ الهَمَرْجَلُ)
فورد اليمامة فأناخ بابن الكميت على باب المهاجر فكان أول من خرج عليه عقبة بن شريك فلما نظر إليه عرفه وعرف الجمل فقال ويحك أيزيد أنت قال نعم وهذا ابن الكميت قال نعم قال ويحك فما شأنك قال يا عقبة فار منك إليك وأنشده قصيدته التي يقول فيها
(يا عُقْبُ قد شَذَبَ اللِّحاءُ عن العصا ... عنّي وكنتُ مُؤَزَّراً محمودا)
(صِلْ لي جَناحِي واتَّخِذْني عُدَّةً ... ترمي بي المُتَعَاشِيَ الصِّنْدِيدا)
فقال له عقبة وكانت من خير فعلة علمناه فعلها أشهدكم أني قد أبرأته من دين البربري وأن له ابن الكميت وأمره أن يحتكم فيما سوى ذلك من ماله
وهذان البيتان من القصيدة التي أولها
(... أمسى الشبابُ مُوَدَّعاً محمودا)
وهي من جيد شعره يقول فيها
(ومُدِلَّةٍ عند التبذُّل يَفْتَرِي ... منها الوشاحُ مُخَصَّراً أُملودا)
(نازعتُها غُنْمَ الصِّبا إنّ الصِّبا ... قد كان منّي للكواعبِ عِيدا)
(يا لَلرِّجالِ وإنما يشكو الفتى ... مَرَّ الحوادث أو يكونَ جليدا)
(بَكَرتْ نَوَارُ تَجِدُّ باقيةَ القُوَى ... يومَ الفِراقِ وتُخْلِف الموعودا)
(ولَرُبَّ أمر هَوًى يكون نَدامةً ... وسبيل مَكْرَهَةٍ يكون رشيدا)
ثم قال يفخر
(لا أتَّقِي حَسَكَ الضَّغائن بالرُّقى ... فِعْلَ الذَّليل وإن بَقِيتُ وحيدا)
(لكنْ أُجَرِّد للضغائن مثلَها ... حتى تموتَ وللحُقود حُقودا)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح قال قال أبو محضة الأعرابي وأنشد هذه الأبيات ليزيد بن الطثرية هي والله من مغنج الكلام
(بِنَفْسِيَ مَنْ لو مَرَّ بَرْدُ بَنانِهِ ... على كبدي كانت شفاءً أنامِلُهْ)
(ومَنْ هابَني في كلّ شيء وهِبْتُه ... فلا هو يُعطيني ولا أنا سائلُهْ)
وهذه الأبيات من قصيدته التي قالها في وحشية الجرمية التي مضى ذكرها
أعداؤه يستولون على راحلته
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثتني ظبية قالت
مر يزيد بن الطثرية بأعداء له فأرادوه وهو على راحلته فركضها وركضوا الإبل على أثره فخشي أن يدركوه وكانت نفسه عنده أوثق من الراحلة فنزل فسبقهم عدوا وأدركوا الراحلة فعقروها فقال في ذلك
(ألاَ هل أتى ليلَى على نَأْيِ دارها ... بأن لم أُقاتِلْ يومَ صَخْرٍ مُذَوِّدا)
(وأنّيَ أسلمتُ الرِّكابَ فعُقِّرتْ وقد كنتُ مِقْداماً بسيفي مُفْرَدا)
(أثرتُ فلم أسْطِعْ قتالا ولا ترى ... أخا شِيعةٍ يوماً كآخر أَوْحَدا)
(فهل تَصْرِمَنَّ الغانياتُ مودَّتي ... إذا قيل قد هاب المنونَ فَعَرَّدا)
هجوه لفديك الجرمي لأنه عذب وحشية
أخبرني يحيى إجازة عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي زياد قال
كان يزيد بن الطثرية يتحدث إلى نساء فديك بن حنظلة الجرمي ومنزلهما بالفلج فبلغ ذلك فديكا فشق عليه فزجر نساءه عن ذلك فأبين إلا أن يدخل عليهن يزيد فدخل عليهن فديك ذات يوم وقد جمعهن جميعا أخواته وبنات عمه وغيرهن من حرمه ثم قال لهن قد بلغني أن يزيد دخل عليكن وقد نهيتكن عنه وإن لله علي نذرا واجبا واخترط سيفه إن لم أضرب أعناقكن به فلما ملأهن رعبا ضرب عنق غلام له مولد يقال له عصام فقتله ثم أنشأ يقول
(جعلتُ عصاماً عِبْرةً حين رابَني ... أَنَاسِيُّ من أهلي مِرَاضٌ قلوبُها)

ثم إن فديكا رأى يزيد قائما عند باب أهله فظن أنه يواعد بعض نسائه فارتصده على طريقه وأمر بزبية فحفرت على الطريق ثم أوقد فيها نارا لينة ثم اختبأ في مكان ومعه عبدان له وقال لهما تبصرا هل تريان أحدا فلم يلبثا إلا قليلا حتى خرجت بنت أخي فديك وكان يقال لها وحشية تتهادى في برودها لميعاد يزيد فأيقظه العبدان ومضت حتى وقعت على الزبية فاحترق بعضها وأمر بها فأخرجت واحتملها العبدان فانطلقا بها إلى داره فقال فديك
(شفى النفسَ من وَحْشِيَّةَ اليوم أنَّها ... تَهادَى وقد كانت سريعاً عَنِيقُها)
(فإلاَّ تَدَعْ خَبْطَ المواردِ في الدُّجى ... تَكُنْ قَمَناً من غَشْيَةٍ لا تُفِيقُها)
(دواءُ طبيبٍ كان يعلم أنَّه ... يُداوي المجانينَ المُخَلّى طريقُها)
فبلغ ذلك يزيد فقال
(سَتَبْرأُ من بعدِ الضَّمَانَةِ رجلُها ... وتأتي الذي تَهْوَى مُخَلَّى طريقُها)
(عليَّ هَدَايا البُدْنِ إن لم أُلاقِها ... وإن لم يكن إلا فُدَيْكٌ يسوقُها)
(يُحَصِّنها منّي فديكٌ سَفَاهةً ... وقد ذهبتْ فيها الكُباسُ وحُوقُها)
(تُذيقونها شيئاً من النَّار كلَّما ... رأتْ من بني كعبٍ غلاماً يَرُوقُها)
قال وإنما كانت وضعت رجلها فأحرقتها النار
وقال يزيد أيضا
(يا سُخْنَةَ العين لِلجَرْميّ إذ جمعَتْ ... بيني وبين نَوَارٍ وحشةُ الدار)
(خَبِّرتُهم عذَّبوا بالنار جارتَهم ... ومَنْ يُعَذِّبُ غيرُ اللّه بالنار)
فبلغ ذلك فديكا فقال
(أحالفةٌ عليك بنو قُشَيْرٍ ... يمينَ الصَّبْر أم متحرِّجونا)
ويروى يمين اللّه
(فإنْ تَنْكُلْ قُشَيْرٌ تَقْض جَرْمٌ ... وتقض لها مع الشبه اليقينا)
(أليس الجَوْرُ أنَّ أباك منَّا ... وأنَّك في قبيلةِ آخرينا)
(لَعَمْرُ اللّهِ إن بني قُشَيْرٍ ... لِجَرْمٍ في يزيدَ لظالمونا) فإلاَّ يحلِفوا فعليك شَكْلٌ ... ونَجْرٌ ليس مما يعرفونا)
(وأعرفُ فيك سِيمَا آلِ صَقْرٍ ... ومِشْيَتَهم إذا يتخيَّلونا)
قال وكانت جرم تدعيه وقشير تدعيه فأراد أن يخبر أنه دعي
وقال فديك بن حنظلة يهجوه
(وإنَّا لسيَّارون بالسُّنَّة التي ... أُحِلَّتْ وفينا جَفْوةٌ حين نُظْلَمُ)
(ومنَّا الذي لاقْته أُمُّك خالياً ... فلم تدرِ ما أيّ الشهور المحرَّمُ)
فقال يزيد يهجو فديكا
(أنعتُ عَيْراً من عُيورِ القَهْرِ ... أقْمَرَ من شرِّ حَمِيرٍ قُمْرِ)
((صبَّح أبياتَ فُدَيْكٍ يجري ... منزلةَ اللُّؤمِ ودارَ الغَدْرِ
(فلَقِيتُه عند بابِ العَقْرِ ... يَنْشِطُها والدِّرْعُ عند الصَّدْرِ)
(... نَشْطَكَ بالدَّلْو قَرَاحَ الجَفْرِ)
أخبرنا يحيى بن علي إجازة عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثنا أبو الحارث هانىء بن سعد الخفاجي قال ذكرت ليزيد بن الطثرية امرأة حدثة جميلة فخرج حتى يدفع إليها فوجد عندها رجلين قاعدين يتحدثان فسلم عليهم فأوجست أنه يزيد ولم تتثبت ورأت عليه مسحة فقالت أي ريح جاءت بك يا رجل قال الجنوب قالت فأي طير جرت لك الغداة قال عنز زنمة رأيتها يداورها ثعلبان فانقض عليها سرحان فراغ الثعلبان قال فطفرت وراء سترها وعرفت أنه يزيد قال إسحاق وحدثني عطرد قال
قال قطري بن بوزل ليزيد بن الطثرية انطلق معي إلى فلانة وفلانة فإنهن يبرزن لك ويستترن عني عسى أن أراهن اليوم على وجهك فذهب به معه فخرج عليهما النسوة وظلا يتحدثان عندهن حتى تروحا وقال يزيد في ذلك
((على قَطَرِيٍّ نعمةٌ إن جرى بها ... يزيدَ وإلاَّ يَجْزِهِ اللّهُ لي أجْرا
(دنوتُ به حتّى رَمَى الوحشَ بعدما ... رأى قَطَرِيٌّ من أوائلها نَفْرا)

خبره مع رجل من صداء أحب خثعمية فأعانه يزيد عليها

أخبرنا يحيى إجازة عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن عطرد قال
نزل نفر من صداء بناحية العقيق وهو منزل ابن الطثرية نصف النهار فلم يأتهم أحد فأبصرهم ابن الطثرية فمر عليهم وهو منصرف وليسوا قريبا من أهله فلما رآهم مرملين أنفذ إليهم هدية ومضى على حياله ولم يراجعهم فسألوا عنه بعد حتى عرفوه فحلا عندهم وأعجبهم ثم إن فتى منهم واده فآخاه فأهدى له بردا وجبة ونعلين ثم أغار المقدم بن عمرو بن همام بن مطرف بن الأعلم بن ربيعة بن عقيل على ناس من خثعم وفي ذلك يقول الشاعر
(... مُغَار ابنِ هَمَّامٍ على حَيِّ خَثْعَمَا)
فأخذ منهم إبلا ورقيقا وكانت فيهن جارية من حسان الوجوه وكان يهواها الذي آخى يزيد فأصابه عليها بلاء عظيم حتى نحل جسمه وتغيرت حاله فأقبل الفتى حتى نزل العقيق متنكرا فشكا إلى يزيد ما أصابه في تلك الجارية فقال أفيك خير قال نعم قال فإني أدفعها إليك فخبأه في عريش له اياما حتى خطف الجارية فدفعها إليه فبعث إليها قطري بن بوزل فاعترض لها بين أهلها وبين السوق فذهب بها حتى دفعها إليه وقد وطن له ناقة مفاجة فقال النجاة فإنك لن تصبح حتى تخرج من بلاد قشير وتصير إلى دار
نهد فقد نجوت وأنا أخفي أثرك فعفى أثره وقال لابنة خمارة كان يشرب عندها إسحبي ذيلك على أثره ففعلت ثم بحث على ذلك حتى قيل قد كان قطري أحدث الناس بها عهدا فاستعدي عليه فظفر بيزيد فأخذ مكانه فحبس بحجر حبسه المهاجر ففي ذلك يقول يزيد
(ألاَ لا أُبالي إن نجا لي ابنُ بَوْزَلٍ ... ثَوَائِي وتَقْيِيدي بِحُجْرٍ لَيَالِيَا)
(إذا حُمَّ أمرٌ فهو لا بدَّ واقعٌ ... له لا أُبالِي ما عليَّ ولا لِيَا)
(هو العَسَلُ الماذِيُّ طوراً وتارةً ... هو السَّمُّ والذِّيفان واللَّيْث عاديا)

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب عن محمد بن سلام الجمحي قال حدثني أبو الغراف قال
كان يزيد بن الطثرية صاحب غزل ومحادثة للنساء وكان ظريفا جميلا من أحسن الناس كلهم شعرا وكان أخوه ثور سيدا كثير المال والنخل والرقيق وكان متنسكا كثير الحج والصدقة كثير الملازمة لإبله ونخله فلا يكاد يلم بالحي إلا الفلتة والوقعة وكانت إبله ترد مع الرعاء على أخيه يزيد بن الطثرية فتسقى على عينه فبينا يزيد مار في الإبل وقد صدر عن الماء إذ مر بخباء فيه نسوة من الحاضر فلما رأينه قلن يا يزيد أطعمنا لحما فقال أعطينني سكينا فأعطينه ونحر لهن ناقة من إبل أخيه وبلغ الخبر أخاه فلما جاءه أخذ بشعره وفسقه وشتمه فأنشأ يزيد يقول

(يا ثَوْرُ لا تشتُمَنْ عِرْضِي فداكَ أبي ... فإنما الشتمُ للقومِ العَوَاوِيرِ)
(ما عَقْرُ نابٍ لأمثالِ الدُّمَى خُرُدٍ ... عِينٍ كِرامٍ وأبكارٍ مَعَاصِيرِ
(عَطَفْنَ حَوْلِي يسألْنَ القِرَى أُصُلاً ... وليس يرضَيْنَ منِّي بالمَعاذيرِ)
(هَبْهُنَّ ضيفاً عَرَاكم بعد هَجْعَتِكم ... في قِطْقِطٍ من سَقِيطِ اللَّيل منثورِ)
(وليس قُرْبَكُمُ شاءٌ ولا لبنٌ ... أيرحَلُ الضيفُ عنكم غيرَ مجبورِ)
(ما خيرُ واردةٍ للماء صادرةٍ ... لا تنجلي عن عَقِيرِ الرِّجْلِ منحورِ)

شعره في امرأة أحبها سبعة رجال

أخبرني أبو خليفة قال قال ابن سلام
كان يزيد بن الطثرية يتحدث إلى امرأة ويعجب بها فبينما هو عندها إذ حدث لها شاب سواه قد طلع عليه ثم جاء آخر ثم آخر فلم يزالوا كذلك حتى تموا سبعة وهو الثامن فقال

(أرى سبعةً يَسْعَوْنَ للوصل كلُّهم ... له عند ليلَى دِينةٌ يستدينُها)
(فألقَيْتُ سهمِي وسْطَهم حين أوْخَشُوا ... فما صار لي من ذاك إلاَّ ثَمِينُها)
(وكنتُ عَزُوفَ النَّفْسِ أشْنأُ أن أرَى ... على الشِّرْكِ من وَرْهاء طَوْعٌ قرينُها)
(فيوماً تراها بالعهود وَفِيَّةً ... ويوماً على دِين ابن خَاقَانَ دينُها)
((يَداً بيَدٍ مَنْ جاء بالعَين منهمُ ... ومَنْ لم يجيء بالعين حِيزَتْ رُهونُها

وقال فيها وقد صارمها

(ألاَ بأبي مَنْ قد بَرَى الجسمَ حُبُّهُ ... ومَنْ هو مرموقٌ إليّ حبيبُ)
(ومن هو لا يزداد إلا تَشَوُّقاً ... وليس يُرَى إلاَّ عليه رقيبُ)
(وإنِّي وإن أحْموْا عليَّ كلامَها ... وحالت أعادٍ دونها وحروبُ)
(لَمُثْنٍ على ليلَى ثناءً يزيدها ... قَوَافٍ بأفواه الرُّواةِ تَطِيبُ)
(ألَيْلَى احْذَرِي نَقْضَ القُوى لا يَزَلْ لنا ... على النَأْيِ والهِجْرانِ منكِ نصيبُ)
(وكُونِي على الواشين لَدَّاءَ شَغْبَةً ... كما أنا للواشي ألدُّ شَغُوبُ)
(فإنْ خِفْتِ ألاَّ تُحْكِمِي مِدَّةَ القُوَى ... فرُدِّي فؤادي والمَزارُ قريبُ)

أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه عن رجل من بني عامر ثم من بني خفاجة قال
استعذب جرم على ابن الطثرية في وحشية امرأة منهم كان يشبب بها فكتب بها صاحب اليمامة إلى ثور أخي يزيد بن الطثرية وأمره بأدبه فجعل عقوبته حلق لمته فحلقها فقال يزيد

(أقول لِثَوْرٍ وهو يَحْلِقُ لِمَّتِي ... بحَجْنَاءَ مردودٍ عليها نِصَابُها)

قال عبد الرحمن كان عمي يحتج في تأنيث الموسى بهذا البيت

(تَرَفَّقْ بها يا ثورُ ليس ثوابُها ... بهذا ولكن غيرُ هذا ثوابُها)
((ألاَ ربَّما يا ثَوْرُ قد غَلَّ وَسْطَها ... أنَامِلُ رَخْصاتٌ حديثٌ خِضَابُها
(وتَسْلُكُ مِدْرَى العاجِ في مُدْلَهِمَّةٍ ... إذا لم تُفَرَّجْ مات غَمّاً صُؤابُها)
(فراحِ بها ثَوْرٌ تَرِفُّ كأنها ... سلاسلُ دِرْعٍ خيرُهاوانسكابُها)
(مُنَعَّمةً كالشَّرْيَةِ الفَرْدِ جادَها ... نِجاءُ الثُّرَيَّا هَطْلُها وذِهَابُها)
(فأصبح رأسي كالصُّخَيْرة أشْرفتْ ... عليها عُقابٌ ثم طارتْ عُقابُها)

ونظير هذا الخبر أخبار من حلقت جمته فرثاها وليس من هذا الباب ولكن يذكر الشيء بمثله
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرني عبد الرحمن عن عمه قال
شرب طخيم الأسدي بالحيرة فأخذه العباس بن معبد المري وكان على شرط يوسف بن عمر فحلق رأسه فقال

(وبالحِيرةِ البَيْضاءِ شيخٌ مُسَلَّطٌ ... إذا حلَفَ الأيمانَ باللّهِ بَرَّتِ)
(لقد حَلَقُوا مِنَّا غُدَافاً كأنها ... عَناقيدُ كَرْمٍ أيْنعتْ فاسْبَطَرَّتِ)
(يَظَلّ العَذَارَى حين تُحْلَقُ لِمَّتِي ... على عَجَلٍ يَلْقُطْنَها حين جُزَّتِ)

أخبرني محمد عن عبد الرحمن عن عمه عن بعض بني كلاب قال
أخذ فتى منا مع بعض فتيات الحي فحلق رأسه فقال

((يا لِمَّتِي ولقد خُلِقْتِ جَميلةً ... وكرُمْتِ حين أصابكِ الجَلَمانِ
(أمستْ تَرُوق الناظرين وأصبحتْ ... قَصَصاً تكون فواصلَ المَرْجان)

شعره في أخيه ثور

أخبرني وكيع قال حدثني علي بن الحسين بن عبد الأعلى قال حدثنا أبو محلم قال
كان ليزيد بن الطثرية أخ يقال له ثور أكبر منه فكان يزيد يغير على ماله ويتلفه فيتحمله ثور لمحبته إياه فقال يزيد في ذلك

(نُغِيرُ على ثَوْرٍ وثورٌ يَسرُّنا ... وثورٌ علينا في الحياة صَبُورُ)
(وذلك دَأْبِي ما حَيِيتُ وما مَشَى ... لثورٍ على عَفْرِ التُّرابِ بعيرُ)

مقتله ورثاء الشعراء له

وقتل يزيد بن الطثرية في خلافة بني العباس قتلته بنو حنيفة
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال أخبرنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل بن

سلمة عن أبي عبيدة وابن الكلبي وأخبرنا يحيى بن علي عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي الجراح العقيلي قال أغارت بنو حنيفة على طائفة من بني عقيل ومعهم رجل من بني قشير جار لهم فقتل القشيري ورجل من بني عقيل واطردت إبل من العقيليين فأتى الصريخ عقيلا فلحقوا القوم فقاتلوهم فقتلوا من بني حنيفة رجلا وعقروا أفراسا ثلاثة من خيل حنيفة وانصرفوا فلبثوا سنة ثم إن عقيلا انحدرت منتجعة من بلادها إلى بلاد بني تميم فذكر لحنيفة وهم بالكوكبة والقيضاف فغزتهم حنيفة وحذر العقيليون وأتتهم النذر من نمير فانكشفوا فلم يقدروا عليهم فبلغ ذلك من بني عقيل وتلهفوا على بني حنيفة فجمعوا جمعا ليغزوا حنيفة ثم تشاوروا فقال بعضهم لا تغزوا قوما في منازلهم ودورهم فيتحصنوا دونكم ويمتنعوا منكم ولا نأمن أن يفضحوكم فأقاموا بالعقيق وجاءت حنيفة غازية كعبا لا تتعداها حتى وقعت بالفلج فتطاير الناس ورأس حنيفة يومئذ المندلف وجاء صريخ كعب إلى أبي لطيفة بن مسلم العقيلي وهو بالعقيق أمير عليها فضاق بالرسول ذرعا وأتاه هولٌ شديد فأرسل في عقيل يستمدها فأتته ربيعة بن عقيل وقشير بن كعب والحريش بن كعب وأفناء خفاجة وجاش إليه الناس فقال إني قد أرسلت طليعة فانتظروها حتى تجيء ونعلم ما تشير به قال أبو الجراح فأصبح صبح ثالثة على فرس له يهتف أعز الله نصركم وأمتعنا بكم انصرفوا راشدين فلم يكن بأس فانصرف الناس وصار في بني عمه ورهطه دنية وإنما فعل ذلك لتكون له السمعة والذكر فكان فيمن سار معه القحيف بن خمير ويزيد بن الطثرية الشاعران فساروا حتى واجهوا القوم فواقعوهم فقتلوا المندلف رموه في عينه وسبوا وأسروا ومثلوا بهم وقطعوا أيدي اثنين منهم وأرسلوهما إلى اليمامة وصنعوا ما أرادوا ولم يقتل ممن كان
مع أبي لطيفة غير يزيد بن الطثرية نشبب ثوبه في جذل من عشرة فانقلب وخبطه القوم فقتل فقال القحيف يرثيه
(ألاَ تَبْكِي سَرَاةُ بني قشيْرٍ ... على صِنْدِيدِها وعلى فَتاها)
(فإنْ يُقْتَلْ يزيدُ فقد قَتَلْنا ... سَرَاتَهُمُ الكهولَ على لِحَاها)
(أبَا المَكْشوحِ بَعْدَكَ مَنْ يُحَامِي ... وَمَنْ يُزْجِي المَطِيَّ على وَجَاها)
وقال القحيف أيضا يرثيه
(إن تقتُلوا مِنَّا شهيداً صابراً ... فقد تركنا منكُمُ مَجَازِرا)
(عشرين لمَّا يدخُلوا المقابرا ... قَتْلَى أصِيبتْ قَعَصاً نَحائرا)
(... نعجاً تَرَى أرجُلَها شوَاغِرا)
وهذه من رواية ابن حبيب وحده وقال القحيف أيضا ولم يروها إلا ابن حبيب
(يَا عينِ بَكِّي هَمَلاً على هَمَلْ ... على يَزيد ويزيدَ بن حَمَلْ)
(... قَتَّال أبطالٍ وجَرَّار حُلَلْ)
قال ويزيد بن حمل قشيري قتل يومئذ أيضا وقالت زينب بنت الطثرية ترثي أخاها يزيد وعن أبي عمرو الشيباني أن الأبيات لأم يزيد قال وهي من الأزد ويقال إنها لوحشية الجرمية
(أرَى الأثْلَ من بطن العَقيق مُجَاوِري ... مُقيماً وقد غالت يزيدَ غوائلُهْ)
(فَتًى قُدَّ قَدَّ السيْفِ لا مُتَضَائِلٌ ... ولا رَهِلٌ لَبَّاتُه وبَآدِلُهْ)
(فتًى لا تَرَى قَدَّ القميصِ بِخَصْره ... ولكنَّما تُوهِي القميصَ كواهِلُهْ)
(إذا نزل الضِّيفان كان عَذَوَّراً ... على الحيّ حتى تَستَقِلَّ مَرَاجِلُه)
(يَسرُّك مظلوماً ويُرضيك ظالماً ... وكلُّ الذي حَمَّلتَه فهو حامِلُه)
(إذا جَدَّ عند الجِدّ أرضاك جِدُّه ... وذو باطلٍ إن شئتَ ألْهاكَ باطلُهْ)
(مضَى وورِثْناه دَرِيسَ مُفَاضَةٍ ... وأبيضَ هِنْدِيّاً طويلاً حمائلُه)
(وقد كان يَحْمِي المَحْجِرين بسيفه ... ويبلغُ أقْصَى حَجْرةِ الحيِّ نائلُه)
(فتًى ليس لابن العم كالذئب إن رأى ... بصاحبه يوماً دماً فهو آكِلُه)
(سيَبْكِيه مولاه إذا ما ترفَّعت ... عن الساق عند الرَّوْع يوما ذلاَذِلُه)
الذلذل هدب الثياب
وقد أخبرنا الحرمي عن الزبير عن عمر بن إبراهيم السعدي عن عباس بن عبد الصمد قال
قال هشام بن عبد الملك للعجير السلولي اصدقت فيما قلت في ابن
عمك قال نعم يا أمير المؤمنين ألا إني قلت
(فتًى قُدّ قَدَّ السيفِ لا متضائِلٌ ... ولا رَهِلٌ لَبَّاتُه وأبَاجِلُه)
فذكر هذا البيت وحده ونسبه إلى العجير السلولي من الأبيات المنسوبة إلى أخت يزيد بن الطثرية أو إلى أمه وأتى بأبيات أخر ليست منها وسيذكر ذلك في أخبار العجير مشروحا إن شاء الله تعالى
ومما يغنى فيه من شعر يزيد بن الطثرية قوله)
صوت
(بنفسيَ مَنْ لا بدّ أنِّيَ هاجِرُه ... ومن أنا في الميسورِ والعُسْرِ ذاكِرُهْ)
(ومن قد رماه الناسُ بي فاتَّقاهُم ... ببغضيَ إلاَّ ما تُجِنُّ ضمائرُهْ)
عروضه من الطويل غنى في هذين البيتين عبد الله بن العباس الربيعي لحنا من خفيف الثقيل بالبنصر وغنت فيه عريب وفي أبيات أضافتها إليها لحنا من خفيف الثقيل الأول آخر وغنت علية بنت المهدي فيها خفيف رمل وذكر الهشامي أن لإبراهيم فيها لحنا ماخوريا والأبيات المضافة
(بنفسيَ من لا أُخْبِرُ الناسَ باسمه ... وإن حَمَلَتْ حِقْداً عليّ عشائرُهْ)
(بأهلي ومالي من جلَبتُ له الأذَى ... ومَنْ ذكرُه مِنّي قريبٌ أسامِرُه)
(ومَنْ لو جرت شَحْناءُ بيني وبينه ... وحاوَرني لم أدْرِ كيف أُحَاوِرُهْ)
صوت
من المائة المختارة
(شأتْكَ المنازلُ بالأبْرَقِ ... دوارسَ كالعين في المُهْرَقِ)
(لآلِ جَميلةَ قد أخْلَقتْ ... ومهما يَطُلْ عهدُه يُخْلِقِ)
(فإن يقُلِ الناسُ لي عاشِقٌ ... فأين الذي هو لم يَعْشَقِ)

(ولم يَبْكِ نُؤْياً على عَبْرةٍ ... بداء الصَّبابة والمَعْلَق)
شأتك بعدت عنك والشأو البعد يقال جرى الفرس شأوا يريد طلقا والمهرق الصحيفة والجمع المهارق يريد أن الدار قد بقيت منها طرائق كالصحف وما فيها
الشعر للأحوص والغناء لجميلة ولحنها المختار خفيف رمل بالوسطى عن إسحاق وفيه لعطرد ثقيل أول بالخنصر في مجرى الوسطى وفيه لمعبد خفيف ثقيل عن حبش وفيه رمل يقال إنه لفريدة ويقال إنه لمالك وقيل إن الثقيل الأول لابن عائشة وذكر عمرو بن بانة أن خفيف الرمل لعطرد أيضا
حذف

ذكر جميلة وأخبارها

هي جميلة مولاة بني سليم ثم مولاة بطن منهم يقال لهم بنو بهز وكان لها زوج من موالي بني الحارث بن الخزرج وكانت تنزل فيهم فغلب عليها ولاء زوجها فقيل إنها مولاة للأنصار تنزل بالسنح وهو الموضع الذي كان ينزله أبو بكر الصديق ذكر ذلك إبراهيم بن زياد الأنصاري الأموي السعيدي وذكر عبد العزيز بن عمران أنها مولاة للحجاج بن علاط السلمي وهي أصل من أصول الغناء وعنها أخذ معبد وابن عائشة وحبابة وسلامة وعقيلة العقيقية والشماسيتان خليدة وربيحة وفيها يقول عبد الرحمن بن أرطأة

صوت

(إنّ الدَّلاَل وحسنَ الغناءِ ... وَسْطَ بيوت بني الخزْرجِ)
(وتلكم جميلةُ زينُ النساء ... إذا هي تزْدان للمخْرَج)
(إذا جئتَها بَذلتْ وُدَّها ... بوجه منيرٍ لها أبْلَج)
الشعر لعبد الرحمن بن أرطأة والغناء لمالك خفيف ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى ويقال فيه للدلال وجميلة لحنان

جميلة هي أصل الغناء

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي جعفر القرشي عن المحرزي قال
كانت جميلة أعلم خلق الله بالغناء وكان معبد يقول أصل الغناء جميلة وفرعه نحن ولولا جميلة لم نكن نحن مغنين

أنى لها هذا الغناء

قال إسحاق وحدثني ايوب بن عباية قال حدثني رجل من الأنصار قال
سئلت جميلة أنى لك هذا الغناء قالت والله ما هو إلهام ولا تعليم ولكن ابا جعفر سائب خاثر كان لنا جاراً وكنت أسمعه يغني ويضرب بالعود فلا أفهمه فأخذت تلك النغمات فبنيت عليها غنائي فجاءت أجود من تأليف ذلك الغناء فعلمت وألقيت فسمعني موالياتي يوما وأنا أغني سراً ففهمنني ودخلن علي وقلن قد علمنا فما تكتمينا فأقسمن علي فرفعت صوتي وغنيتهن بشعر زهير بن ابي سلمى
(وما ذكرتُكِ إلاَّ هِجْتِ لي طَرَباً ... إنّ المحبَّ ببعض الأمر معذورُ)
(ليس المحبّ بمن إن شَطَّ غيَّره ... هجرُ الحبيب وفي الهجران تغيرُ

صوت

(نام الخليّ فنومُ العين تَعْذيرُ ... مما ادَّكرتُ وهمُّ النفسِ مذكورُ)
(ذكرتُ سَلْمى وما ذِكْري براجِعِها ... ودونها سَبْسَبٌ يَهْوِي به المُورُ)
الشعر لزهير والغناء في هذين البيتين لجميلة فقط رمل بالوسطى عن حبش فحينئذ ظهر أمري وشاع ذكري فقصدني الناس وجلست للتعليم فكان الجواري يتكاوسنني فربما انصرف أكثرهن ولم يأخذن شيئا سوى ما يمنعنني أطارح لغيرهن ولقد كسبت لموالي ما لم يخطر لهن ببال وأهل ذلك كانوا وكنت
وحدثني أبو خليفة قال حدثني ابن سلام قال حدثني مسلمة بن محمد بن مسلمة الثقفي قال
كانت جميلة ممن لا يشك في فضيلتها في الغناء ولم يدع أحد مقاربتها في ذلك وكل مدني ومكي يشهد لها بالفضل

وصف مجلس من مجالسها غنت فيه وغنى فيه كبار مغنّي مكة والمدينة

قال إسحاق وحدثني هشام بن المرية المدني قال حدثني جرير المدني قال إسحاق وكانا جميعا مغنيين حاذقين شيخين جليلين عالمين ظريفين وكانا قد أسنا فأما هشام فبلغ الثمانين وأما جرير فلا أدري قال جرير
وفد ابن سريج والغريض وسعيد بن مسجح ومسلم بن محرز المدينة لبعض من وفدوا عليه فأجمع رأيهم على النزول على جميلة مولاة بهز فنزلوا عليها فخرجوا يوما إلى العقيق متنزهين فوردوا على معبد وابن عائشة فجلسوا إليهما فتحدثوا ساعة ثم سأل معبد ابن سريج وأصحابه أن يعرضوا عليهم بعض ما ألفوا فقال ابن عائشة إن للقوم أعمالا كثيرة حسنة ولك أيضا يا ابا عباد ولكن قد اجتمع علماء مكة وأنا وأنت من اهل المدينة فليعمل كل واحد منا صوتا ساعته ثم يغن به قال معبد يابن عائشة قد أعجبتك نفسك حتى بلغتك هذه المرتبة قال ابن عائشة أوغضبت يا ابا عباد إني لم اقل هذا وأنا أريد أن أتنقصك فإنك لأنت المفاد منه قال معبد أما إذ قد اختلفنا واصحابنا المكيون سكوت فلنجعل بيننا حكما قال ابن عائشة إن أصحابنا شركاء في الحكومة قال ابن سريج على شريطة قال على أن يكون ما نغني به من الشعر ما حكمت فيه امرأة قال ابن عائشة ومعبد رضينا وهي أم جندب فأجمع رأيهم على الاجتماع في منزل جميلة من غد فلما حضروا قال ابن عائشة ما ترى يا ابا عباد قال أرى أن يبتدىء أصحابنا أو أحدهم قال ابن سريج بل أنتما أولى قالا لم نكن لنفعل فأقبل ابن سريج على سعيد بن مسجح فسأله أن يبتدىء فأبى فأجمع رأي المكيين على أن يبتدىء ابن سريج فغنى ابن سريج

صوت

(ذهبتَ من الهجْران في غيرِ مَذْهبِ ... ولم يَكُ حقّاً كلُّ هذا التجنُّبِ)
(خليليّ مُرّا بي على أمّ جُنْدب ... أُقَضّ لُبانات الفؤاد المُعَذَّبِ)
(فإنَّكما إن تَنْظرانِيَ ساعةً ... من الدَّهر تَنْفَعْني لدى أمّ جُنْدبِ)
(ألم تَرَياني كلَّما جئتُ طارقاً ... وجدتُ بها طِيباً وإن لم تَطَيَّبِ)
الشعر لامرىء القيس ولابن سريج فيه لحنان ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى وخفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى جميعا عن إسحاق
وغنى معبد

صوت
(فَلِلَّهِ عينَا مَنْ رأى مِنْ تَفَرُّقٍ ... أشَتَّ وأنأى من فِراقِ المُحَصَّبِ)
(عَلَوْنَ بأنطاكيّةٍ فوقَ عِقْمَةٍ ... كجِرْمَةِ نخلٍ أو كجَنَّةِ يَثْرِبِ)
(فريقانِ منهم سالكٌ بطنَ نَخْلَةٍ ... وآخَرُمنهم جازعٌ نَجْدَ كَبْكَبِ)
(فعَيناكَ غَرْبا جَدْوَلٍ في مُفاضةٍ ... كَمرِّ خَليجٍ في سَنيحٍ مُثَقَّبِ)
وغنى ابن مسجح
صوت
(وقالت فإن يُبْخَلْ عليكَ ويُعْتَلَلْ ... يَسُؤْكَ وإن يُكْشَفْ غرامُك تَدْرَبِ)
(وإنّك لم يَفْخَرْ عليك كفاخِرٍ ... ضعيفٍ ولم يَغْلِبك مثلُ مُغَلَّبِ)
(وإنك لم تَقْطَعْ لُبَانَةَ عاشقٍ ... بمثل بُكُورٍ أو رَوَاحٍ مُؤَوِّبِ)
(بأدْمَاءَ حُرْجُوجٍ كأنَّ قُتُودَها ... على أبْلَقِ الكَشْحَيْن ليس بِمُغْرَبِ)
(يغرّد بالأسحار في كلّ سُدْفةٍ ... تَغُرُّدَ مَيّاحِ النَّدامَى المُطَرِّبِ)
وغنى ابن عائشة
صوت
(وقد أغْتَدي والطيرُ في وُكُنَاتِها ... وماءُ النَّدَى يَجْرِي على كل مِذْنَبِ)
(بمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأوابِدِ لاحَهُ ... طِرادُ الهَوادِي كلَّ شأوٍ مُغَرِّبِ)
((إذا ما جَرَى شأوَيْنِ وابتلَّ عِطْفُه ... تقول هَزِيزُ الرِّيحِ مرَّتْ بأثْأبِ
(له أيْطَلاَ ظَبْيٍ وساقَا نَعامةٍ ... وصَهْوةُ عَيْرٍ قائمٍ فوقَ مَرْقَبِ)
وغنى ابن محرز
صوت
(فللسَّوْطِ ألْهُوبٌ وللساقِ دِرَّةٌ ... وللزَّجْرِ منه وَقْعُ أخْرَجَ مُهْذِبِ)
(فأدْرَكَ لم يَجْهَدْ ولم يُبْلِ شَدَّه ... يمرُّ كخُذْرُوفِ الوَليدِ المُثَقَّبِ)
(تَذُبُّ به طَوْراً وطَوْراً تُمِرُّه ... كَذَبِّ البَشيرِ بالرِّداءِ المُهَدَّبِ)
(إذا ما ضربتُ الدَّفَّ أو صُلْتُ صَوْلةً ... تَرَقَّبُ منّي غيرَ أدْنى تَرَقُّبِ)
وغنّى الغريض
صوت
(أخا ثقةٍ لا يَلْعَنُ الحيُّ شخصَه ... صبوراً على العِلاّتِ غيرَ مُسَبَّبِ)
((رأينا شِياهاً يرْتَعِين خَميلةً ... كَمَشْيِ العَذارَى في المُلاَءِ المُجَوَّبِ
(وما أنتِ أمْ مَا ذِكْرُها رَبَعِيَّةً ... تَحُلُّ بإيرٍ أو بأكنافِ شُرْبُبِ)
(أطعتُ الوُشاةَ والمُشاةَ بصُرْمِها ... فقد أنْهَجَتْ حِبالُها للتقضُّبِ)
فقالت جميلة كلكم محسن وكلكم مجيد في معناه ومذهبه قال ابن عائشة ليس هذا بمقنع دون التفضيل فقالت أما أنت يا أبا يحيى فتضحك الثكلى بحسن صوتك ومشاكلته للنفوس وأما أنت يا أبا عباد فنسيج وحدك بجودة تأليفك وحسن نظمك مع عذوبة غنائك وأما أنت يا أبا عثمان فلك أولية هذا الأمر وفضيلته وأما أنت يا أبا جعفر فمع الخلفاء تصلح وأما أنت يا أبا الخطاب فلو قدمت أحدا على نفسي لقدمتك وأما انت يا مولى العبلات فلو ابتدأت لقدمتك عليهم ثم سألوها جميعا أن تغنيهم لحنا كما غنوا فغنتهم بيتا لامرىء القيس وأربعة أبيات لعلقمة وهي
(خَليليّ مُرَّا بي على أمِّ جُنْدَبِ ... أقَضِّ لُباناتِ الفؤادِ المُعَذَّبِ)
((لَيالِيَ لا تَبْلَى نصيحةُ بَيْنِنا ... لياليَ حَلُّوا بالسِّتارِ فغُرَّبِ
(مُبَتَّلَةٌ كأنَّ أنْضاءَ حَلْيِها ... على شادِنٍ من صاحَةٍ مُتَرَبِّبِ)
(مَحَالٌ كأجْوازِ الجَرادِ ولؤلؤٌ ... من القَلَقِيِّ والكَبِيسِ المُلَوَّبِ)
(إذا ألْجَم الواشون للشرِّ بيننا ... تبلَّغ رَسُّ الحبِّ غيرُ المُكَذَّبِ)
فكلهم أقروا لها وفضلوها فقالت لهم ألا أحدثكم بحديث يتم به حسن غنائكم وتمام اختياركم قالوا بلى والله قال الغريض قد والله فهمته يا سيدتي قالت لعنك الله يا مخنث ما أجود فهمك وأحسن وجهك وما يلام فيك أبو يحيى إذ عرفته فهاته حدثنا قال يا سيدتي وسيدة من حضر والله لا نطقت بحرف منه وأنت حاضرة ولك الفضل والعتبى قالت نازع أمرؤ القيس علقمة بن عبدة الفحل الشعر فقال له قد حكمت بيني وبينك أمرأتك أم جندب قال قد رضيت فقالت لهما قولا شعرا على روي واحد وقافية واحدة صفا فيه الخيل فقال أمرؤ القيس
(خليليّ مُرَّا بي على أمِّ جُنْدَبِ ... أقَضِّ لُباناتِ الفؤادِ المُعَذَّبِ)
وقال علقمة
((ذهبتَ من الهِجْرانِ في غير مَذْهَبِ ... ولم يَكُ حقّاً كلُّ هذا التجنُّبِ
وأنشداها فغلبت علقمة فقال لها زوجها بأي شيء غلبته قالت لأنك قلت
(فللسَّوْطِ ألْهوبٌ وللساقِ درّةٌ ... وللزَّجْرِ منه وَقْعُ أهْوجَ مِنْعَبِ)
فجهدت فرسك بسوطك ومريته بساقك وزجرك وأتعبته بجهدك وقال علقمة
(فولّى على آثارهنَّ بحاصِبٍ ... وغَيْبَةِ شُؤْبوبٍ من الشَّدِّ مُلْهِبِ)
(فأدركهنّ ثانياً من عِنَانه ... يَمُرّ كمَرّ الرائحِ المتحلّبِ)
فلم يضرب فرسه بسوط ولم يمره بساق ولم يتعبه بزجر فقال ابن عائشة جعلت فداك أتأذنين أن أحدث قالت هيه قال إنما تزوج أم جندب حين هرب من ماء السماء فأتى جبلي طيىء وكان مفركا فبينا هو معها ذات ليلة إذ قالت له قم يا خير الفتيان فقد أصبحت فلم يقم فكررت عليه فقام فوجد الفجر لم يطلع فرجع فقال لها ما حملك على ما صنعت فأمسكت وألح عليها فقالت حملني أنك ثقيل الصدر خفيف العجيزة سريع الإراقة بطيء الإفاقة فعرف تصديق قولها وسكت فلما
أصبح أتى علقمة وهو في خيمته وخلفه أم جندب فتذاكروا الشعر فقال امرؤ القيس أنا أشعر منك وقال علقمة مثل ذلك

فتحاكما إلى أم جندب ففضلت أم جندب علقمة على امرىء القيس فقال لها بم فضلته علي قالت فرس ابن عبدة أجود من فرسك زجرت وضربت وحركت ساقيك وابن عبدة جامد لا مقتدر فغضب من قولها وطلقها وخلف عليها علقمة فقالت جميلة ما أحسن مجلسنا لو دام اجتماعنا ثم دعت بالغداء فأتي بألوان الأطعمة وأنواع من الفاكهة ثم قالت لولا شناعة مجلسنا لكان الشراب معدا ولكن الليل بيننا فلم يزالوا يومهم ذلك بأطيب مجلس وأحسن حديث فلما جنهم الليل دعت بالشراب ودعت لكل رجل منهم بعود وأخذت هي عودا فضربت ثم قالت اضربوا فضربوا عليها بضرب واحد وغنت بشعر امرىء القيس

(أَأَذْكَرْتَ نفسَكَ ما لن يَعُودَا ... فهاج التَّذكُّرُ قلباً عَمِيدَا)
(تَذَكَّرتَ هنداً وأترابَها ... وأيَّامَ كنتَ لها مُستقيدا)
(ويُعجبكَ اللَّهْوُ والمُسْمِعاتُ ... فأصبحتَ أزمعتَ منها صُدودا)
(ونادمتُ قَيْصَرَ في مُلكه ... فأوجهني وركِبتُ البَريدا)

فما سمع السامعون بشيء أحسن من ذلك ثم قالت تغنوا جميعا بلحن واحد فغنوها هذا الشعر والصوت بعينه كما غنته وعلم القوم ما أرادت بهذا الشعر فقال ابن عائشة جعلت فداك نرجو أن يدوم مجلسنا ويؤثر أصحابنا المقام بالمدينة فنواسيهم من كل ما نملكه قال أبو عباد وكيف بذاك فباتوا
بأنعم ليلة وأحسنها قال إسحاق قال أبي قال لي يونس قال أبو عباد لا أعرف يوما واحدا منذ علقت ولا ليلة عند خليفة ولا غيره مثل ذلك اليوم ولا أحسبه يكون بعد قال يونس ولا أدركنا نحن مثل ذلك اليوم ولا بلغنا قال إسحاق ولا أنا ولا أحسب ذلك اليوم يكون بعد

عبد الله بن جعفر يزورها في منزلها لأنها آلت على نفسها أن لا تغني خارجه

وحدثني أبي قال حدثنا يونس قال قال لي أبو عباد
أتيت جميلة يوما وكان لي موعد ظننت أني سبقت الناس إليها فإذا مجلسها غاص فسألتها أن تعلمني شيئا فقالت لي إن غيرك قد سبقك ولا يجمل تقديمك على من سواك فقلت جعلت فداك إلى متى تفرغين ممن سبقني قالت هو ذاك الحق يسعك ويسعهم فينا نحن كذلك إذ أقبل عبد الله بن جعفر وإنه لأول يوم رأيته وآخره وكنت صغيرا كيسا وكانت جميلة شديدة الفرح فقامت وقام الناس فتلقته وقبلت رجليه ويديه وجلس في صدر المجلس على كوم لها وتحوق أصحابه حوله وأشارت إلى من عندها بالانصراف وتفرق الناس وغمزتني أن لا أبرح فأقمت وقالت يا سيدي وسيد آبائي ومواليي كيف نشطت إلى أن تنقل قدميك إلى أمتك قال يا جميلة قد علمت ما آليت على نفسك ألا تغني أحداً إلا في منزلك وأحببت الاستماع وكان ذلك طريقا مادا فسيحا قالت جعلت فداك فأنا أصير إليك وأكفر قال لا أكلفك ذلك وبلغني أنك تغنين بيتين لامرىء القيس تجيدين الغناء فيهما وكان الله أنقذ بهما جماعة من المسلمين من الموت قالت يا سيدي نعم فاندفعت تغني فغنت بعودها فما سمعت منها قبل ذلك
ولا بعد إلى أن ماتت مثل ذلك الغناء فسبح عبد الله بن جعفر والقوم معه وهما

(ولما رأتْ أنّ الشَّريعةَ هَمُّها ... وأنّ البَياضَ من فَرَائِصها دَامِي)
(تَيَمَّمَتِ العينَ التي عند ضارجٍ ... يَفِيءُ عليها الظِّلُّ عَرْمَضُها طامِي)

ولابن مسجح في هذا الشعر صوت وهذا أحسنهما فلما فرغت قالت جميلة أي سيدي أزيدك قال حسبي فقال بعض من كان معه بأبي جعلت فداك وكيف أنقذ الله من المسلمين جماعة بهذين البيتين قال نعم أقبل قوم من أهل اليمن يريدون النبي فضلوا الطريق ووقعوا على غيرها ومكثوا ثلاثا لا يقدرون على الماء وجعل الرجل منهم يستذري بفيء السمر والطلح يائسا من الحياة إذ أقبل راكب على بعير له وأنشد بعض القوم هذين البيتين فقال

(ولما رأتْ أن الشَّريعةَ همُّها ... وأنَّ البياضَ من فَرَائِصها دامِي)
(تَيَمَّمَتِ العينَ التي عند ضارج ... يَفِيءُ عليها الظِّلُّ عَرْمَضُها طامِي)

فقال الراكب من يقول هذا قال امرؤ القيس قال والله ما كذب هذا ضارج عندكم وأشار لهم إليه فحبوا على الركب فإذا ماء عذب وإذا عليه العرمض والظل يفيء عليه فشربوا منه ريهم وحملوا ما اكتفوا به حتى بلغوا الماء فأتوا النبي فأخبروه وقالوا يا رسول الله أحيانا الله عز وجل ببيتين من شعر امرىء القيس وأنشدوه الشعر فقال رسول الله
ذلك رجل مذكور في الدنيا شريف فيها منسي في الآخرة خامل فيها يجيء يوم القيامة معه لواء الشعراء إلى النار فكل استحسن الحديث ونهض عبد الله بن جعفر ونهض القوم معه فما رأيت مجلسا كان أحسن منه

عمر بن الخطاب يفضل امرأ القيس على غيره من الشعراء

قال إسحق حدثني بعض أهل العلم عن ابن عياش عن الشعبي قال
رأيت دغفلا النسابة يحدث أنه رأى العباس بن عبد المطلب سأل عمر بن الخطاب عن الشعراء فقال امرؤ القيس سابقهم خسف لهم عين الشعر فافتقر عن معان عور أصح بصرا قال إسحاق معنى خسف احتفر وهو من كندة من اليمن وليست لهم فصاحة مضر ولا شعرهم بجيد فجعل معاني اليمن معاني عورا وما قاله أصح بصرا أي أجود شعرا ومعنى افتقر احتفر والفقيرة الحفيرة تحفر للفسيلة لتغرس وكل ما ابتدأت حفره فهو فقير والمعنى أنه قال شعرا جيدا وليس هو في معنى شعر مضر
وقال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن الخطفي
سمعت أبي يقول دخل جدي على بعض ملوك بني أمية فقال ألا تخبرني عن الشعراء قال بلى قال من أشعر الناس قال ابن العشرين يعني طرفة قال فما تقول في امرىء القيس قال اتخذ الخبيث الشعر نعلين فأقسم بالله لو أدركته لرفعت له ذلاذله قال فما رأيك في ابن
أبي سلمى قال كان يبري الشعر قال فما رأيك في ذي الرمة قال قدر من طريف الكلام وغريبه وحسنه على ما لم يقدر عليه حتى أحد صنف الشعر

معبد ومالك يجتمعان في منزل جميلة

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني أيوب بن عباية عن رجل من الأنصار قال
زار معبد مالك بن أبي السمح فقال له هل لك أن نصير إلى جميلة فمضيا جميعا فقصداها فأذنت لهما فدخلا فأخرجت إليها رقعة فيها أبيات فقالت لمعبد بعث بهذه الرقعة إلي فلان أغني فيها فقال معبد فابتدئي فابتدأت جميلة فغنت
صوت

(إنما الذَّلْفاءُ همِّي ... فلْيَدَعْنِي من يَلُومُ)
فغنى معبد
(أحسنُ الناس جميعاً ... حين تمشي وتقوم)
فغنت جميلة
(حبِّبَ الذَّلْفاءَ عندي ... مَنْطِقٌ منها رَخيم)
فغنى معبد)
(أصِلُ الحبلَ لترضَى ... وهي للحبل صَرُومُ)
فغنت جميلة
(حبُّها في القلب داءٌ ... مستكنٌّ لا يَريمُ)
طريقة واحدة الشعر للأحوص وذكر ابن النطاح أنه للبختري العبادي والغناء لمعبد وله فيه لحنان خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن ابن المكي وثقيل أول بالوسطى عن عمرو وذكر أحمد بن سعيد المالكي أن له فيه خفيف ثقيل آخر وذكر حماد بن إسحاق أن فيه لمالك وجميلة لحنين وقالت لمعبد ولمالك يغني كل واحد منكما لحنا مما عمله فغناها معبد بشعر قاله فيها الأحوص يصفها به وكان معجبا بها وكانت هي له مكرمة وهو قوله
(شَأَتْكَ المنازلُ بالأبْرَقِ ... دوارسَ كالعين في المُهْرَقِ)
(لآلِ جَميلةَ قد أخْلقتْ ... ومَهما يَطُلْ عهدُه يُخْلِقِ)
(فإن يقلِ الناسُ لي عاشقٌ ... فأين الذي هو لم يَعْشَقِ)
(ولم يَبْكِ نُؤْياً على عَبْرةٍ ... بداء الصَّبابة والمَعْلَقِ)
في هذه الأبيات ثقيل أول بالخنصر في مجرى الوسطى ذكر إسحاق أنه لعطرد وذكر ابن المكي أنه لجميلة وفيها خفيف رمل بالوسطى في مجراها ذكر إسحاق أنه لعطرد أيضا وعمرو وذكر الهشامي أن الثقيل الأول لابن عائشة وذكر حبش أن فيه خفيف ثقيل لمعبد وأن خفيف الرمل لمالك قال معبد فسرت جميلة بما غنيتها به وتبسمت وقالت حسبك يا أبا عباد ولم تكنني قبلها ولا بعدها ثم قالت لمالك يا أخا طيىء هات ما عندك وجنبنا مثل قول عبد ابن قطن فاندفع وغنى بلحن لها وقد تغنى به أيضا معبد لها واللحن
((ألاَ مَنْ لقلبٍ لا يَمَلُّ فيَذْهَلُ ... أفِقْ فالتعزِّي عن بُثينةَ أجملُ)
(فما هكذا أحببت مَنْ كان قبلها ... ولا هكذا فيما مضى كنت تفعلُ)
(فإنّ التي أحْببتَ قد حِيلَ دونها ... فكن حازماً والحازم المتحوِّلُ)
لحن جميلة هكذا ثقيل أول بالبنصر وفيه ألحان عدة مع أبيات أخر من القصيدة وهي لجميل فقالت جميلة أحسنت والله في غنائك وفي الأداء عني أما قوله شأتك فأراد بعدت عنك والشأو البعد يقال جرى الفرس شأوا أو شأوين أي طلقا أو طلقين والمهرق الصحيفة بما فيها من الكتابة والجمع مهارق قال ذو الرمة
(كَمُسْتَعْبِر في رَسْم دارٍ كأنَّها ... بوَعْساءَ تَنْضُوها الجماهيرُ مُهْرَقُ)
والعين أن تتعين الإداوة أو القربة التي تخرز ويسيل الماء عن عيون الخرز فشبه ما بقي من الدار بتعين القربة وطرائق خروقها التي ينزل منها الماء شيئا بعد شيء فأما الذلفاء الذي ذكرت فيها فهي التي فتن بها أهل المدينة وقال بعض من كانت عنده بعد ما طلقها
(لا بارَكَ اللّهُ في دارٍ عدَدْتُ بها ... طلاقَ ذَلْفاءَ من دارٍ ومن بلدِ)
(فلا يقولَنْ ثلاثاً قائلٌ أبداً ... إني وجدتُ ثلاثاً أنكدَ العدد)
فكان إذا عد شيئا يقول واحد اثنان أربعة ولا يقول ثلاثة
بثينة تبوح لجميلة عن حب جميل لها وعفته
وقالت جميلة حدثتني بثينة وكانت صدوقة اللسان جميلة الوجه
حسنة البيان عفيفة البطن والفرج قالت والله ما أرادني جميل رحمة الله عليه بريبة قط ولا حدثت أنا نفسي بذلك منه وإن الحي انتجعوا موضعا وإني لفي هودج لي أسير إذا أنا بهاتف ينشد أبياتا فلم أتمالك أن رميت بنفسي وأهل الحي ينظرون فبقيت أطلب المنشد فلم أقف عليه فناديت أيها الهاتف بشعر جميل ما وراءك منه وأنا أحسبه قد قضى نحبه ومضى لسبيله فلم يجبني مجيب فناديت ثلاثا وفي كل ذلك لا يرد علي أحد شيئا فقال صواحباتي أصابك يا بثينة طائف من الشيطان فقلت كلا لقد سمعت قائلا يقول قلن نحن معك ولم نسمع فرجعت فركبت مطيتي وأنا حيرى والهة العقل كاسفة البال ثم سرنا فلما كان في الليل إذا ذلك الهاتف يهتف بذلك الشعر بعينه فرميت بنفسي فسعيت إلى الصوت فلما قربت منه انقطع فقلت أيها الهاتف ارحم حيرتي وسكن عبرتي بخبر هذه الأبيات فإن لها شأنا فلم يرد علي شيئا فرجعت إلى رحلي فركبت وسرت وأنا ذاهبة العقل وفي كل ذلك لا يخبرني صواحباتي أنهن سمعن شيئا فلما كانت الليلة القابلة نزلنا وأخذ الحي مضاجعهم ونامت كل عين فإذا الهاتف يهتف بي ويقول يا بثينة أقبلي إلي أنبئك عما تريدين فأقبلت نحو الصوت فإذا شيخ كأنه من رجال الحي فسألته عن اسمه وبيته فقال دعي هذا وخذي فيما هو أهم عليك فقلت له وإن هذا لمما يهمني قال اقنعي بما قلت لك قلت له أنت المنشد الأبيات قال نعم قلت فما خبر جميل قال نعم فارقته وقد قضى نحبه وصار إلى حفرته رحمة الله عليه فصرخت صرخة آذنت منها الحي وسقطت لوجهي فأغمي علي فكأن صوتي لم يسمعه أحد وبقيت سائر ليلتي ثم أفقت عند طلوع الفجر وأهلي يطلبونني فلا يقفون على موضعي ورفعت صوتي بالعويل والبكاء ورجعت إلى مكاني فقال لي أهلي ما خبرك وما شأنك فقصصت عليهم القصة فقالوا يرحم الله جميلا واجتمع نساء الحي وأنشدتهن الأبيات فأسعدنني بالبكاء فأقمن كذلك لا يفارقنني ثلاثا وتحزن الرجال أيضا وبكوا ورثوه وقالوا كلهم يرحمه الله فإنه كان عفيفا
صدوقا فلم أكتحل بعده بإثمد ولا فرقت رأسي بمخيط ولا مشط ولا دهنته إلا من صداع خفت على بصري منه ولا لبست خمارا مصبوغا ولا إزاراً ولا أزال أبكيه إلى الممات قالت جميلة فأنشدتني الشعر كله وهذا الغناء بعضه وهو
(ألا مَنْ لقلبٍ لا يَمَلُّ فيَذْهَلُ ... أفِقْ فالتعزّي عن بُثَينَةَ أجملُ)
قال ابن سلام حدثني جرير قال
زار ابن سريج جميلة ليسمع منها ويأخذ عنها فلما قدم عليها أنزلته وأكرمته وسألته عن أخبار مكة فأخبرها وبلغ معبداً الخبر وكانت تطارحه وتسأله عن أخبار مكة فيخبرها وكانت عندها جارية محسنة لبقة ظريفة فابتدأت تطارحها فقال ابن

سريج سبحان الله نحن كنا أحق بالابتداء قالت جميلة كل إنسان في بيته أمير وليس للداخل أن يتأمر عليه فقال ابن سريج صدقت جعلت فداءك وما أدري أيهما أحسن أدبك أم غناؤك فقالت له كف يا عبيد فإن النبي قال احثوا في وجوه المداحين التراب فسكت ابن سريج وطارحت الجارية بشعر حاتم الطائي
(أتعرفُ آثارَ الديار توهُّماً ... كَخَطِّك في رَقٍّ كتاباً مُنَمْنما)
(أذاعتْ به الأرواحُ بعد أنيسِها ... شهوراً وأيَّاماً وحَوْلاً مجرَّما)
(فأصبحْنَ قد غيَّرنَ ظاهرَ تُرْبِه ... وغيَّرتِ الأنواءُ ما كان مَعْلَما)
(وغيَّرها طولُ التقادُم والبِلَى ... فما أعرف الأطلالَ إلا توهَّمَا)
قال فحدثت أنه حضر ذلك المجلس جماعة من حذاق أهل الغناء فكلهم قال مزامير داود قال ابن سريج لها أفأسمعك صوتا لي في هذا الشعر قالت هاته فغنى
(ديارِ التي قامت تُريكَ وقد عَفَتْ ... وأقْوَتْ من الزُّوَّار كَفّاً ومِعْصَمَا)
(تَهادَى عليها حَلْيُها ذاتَ بهجة ... وكَشْحاً كطَيِّ السابِريَّة أهْضَما)
(فبانتْ لِطِيَّاتٍ لها وتبدَّلتْ ... به بَدَلا مَرَّتْ به الطيرُ أشْؤُما)
(وعاذلتانِ هَبَّتا بعد هَجْعةٍ ... تَلُومانِ مِتْلافاً مُفِيداً ملوَّما)
قالت جميلة أحسنت يا عبيد وقد غفرنا لك زلتك لحسن غنائك قال معبد جعلت فداءك أفلا أسمعك أنا ايضا لحنا عملته في هذا الشعر قالت هات وإني لأعلم انك تحسن فاندفع فغنى
(فقلتُ وقد طال العتاب عليهما ... وأوْعَدَتَاني أن تَبِينَا وتَصْرِمَا)
(ألا لا تَلُوماني على ما تَقَدَّما ... كَفَى بِصُرُوف الدَّهر للمرء مُحْكِما)
(تَلُومانِ لما غَوَّرَ النجمُ ضَلَّةً ... فَتًى لا يَرى الإنفاقَ في الحقِّ مَغْرَما)
قالت جميلة ما عدوت الظن بك ولا تجاوزت الطريقة التي أنت عليها قال مالك أفلا أغنيك أنا ايضا قالت ما علمتك إلا تجيد الغناء وتحسن فهات فاندفع فغنى في هذا الشعر
(يضيء لنا البيتُ الظَّلِيلُ خَصاصُه ... إذا هي ليلاً حاولتْ أن تَبَسَّمَا)
(إذا انقلبتْ فوقَ الحَشِيَّة مَرَّةً ... تَرَنَّم وَسْواسُ الحُليِّ ترنُّما)
((ونَحْراً كفَاثُور اللُّجَيْنِ يَزِينه ... توقُّدُ ياقوتٍ وشَذْرٍ مَنَظَّما
(كجَمْر الغَضَى هَبَّتْ به بعد هَجْعةٍ ... من الليل أرْواحُ الصَّبَا فتنسَّما)
فقالت جميل ما قلت وحسن ما نظمت وإن صوتك يا مالك لمما يزيد العقل قوة والنفس طيبا والطبيعة سهولة وما أحسب أن مجلسنا هذا إلا سيكون علما وفي آخر الزمان متواصفا والخبر ليس كالمشاهدة والواصف ليس كالمعاين وخاصة في الغناء

جميلة تغني ابن أبي عتيق وابن أبي ربيعة والأحوص

وحدثني الحسن بن عتبة اللهبي قال حدثني من رأى ابن أبي عتيق وابن أبي ربيعة والأحوص بن محمد الأنصاري وقد أتوا منزل جميلة فاستأذنوا عليها فأذنت لهم فلما جلسوا سألت عمر وأحفت فقال لها إني قصدتك من مكة للسلام عليك فقالت له أهل الفضل أنت قال وقد أحببت أن تفرغي لنا نفسك اليوم وتخلي لنا مجلسك قالت أفعل قال لها الأحوص أحب ألا تغني إلا ما أسألك قالت ليس المجلس لك والقوم شركاؤك فيه قال أجل قال عمر إن ترد أن تفعل ذلك بك يكن قال الأحوص كلا قال عمر فإني أرى أن نجعل الخيار إليها قال ابن أبي عتيق وفقك الله فدعت بالعود وغنت
(تَمْشِي الهُوَيْنَى إذا مشتْ فُضُلاً ... مَشْيَ النَّزيفِ المخمور في الصُّعُدِ)
(تَظَلُّ من زَوْر بيت جارتها ... واضعةً كفَّها على الكَبِدِ)
((يا من لقلبٍ متيَّمٍ سَدِمٍ ... عانٍ رهينٍ مكلَّمٍ كَمِدِ
(أزجُرُه وهو غيرُ مُزْدجِرٍ ... عنها وطَرْفي مكحَّلُ السَّهَدِ)
فلقد سمعت للبيت زلزلة وللدار همهمة فقال عمر لله درك يا جميلة ماذا أعطيت أنت أول الغناء وآخره ثم سكتت ساعة وأخذوا في الحديث ثم أخذت العود وغنت
(شطَّتْ سُعَادُ وأمْسَى البَيْنُ قد أفِدَا ... وأوْرثوكَ سَقاماً يَصْدَع الكَبِدا)
(لا أستيطع لها هَجْراً ولا تِرَةً ... ولا تَزال أحاديثي بها جُدُدا)
الغناء فيه لسياط خفيف رمل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق ولم يذكر حبش لحن جميلة وذكر إبراهيم أن فيه لحنا لحكم الوادي وذكر الهشامي وابن خرداذبة أنه من الحان عمر بن عبد العزيز بن مروان في سعاد وأن طريقته من الثقيل الثاني بالوسطى وذكر إبراهيم أن لابن جامع فيه أيضا صنعة فاستخف القوم أجمعين وصفقوا بأيديهم وفحصوا بأرجلهم وحركوا رؤوسهم وقالوا نحن فداؤك من السوء ووقاؤك من المكروه ما أحسن ما غنيت وأجمل ما قلت وأحضر الغداء فتغدى القوم بأنواع من الأطعمة الحارة والباردة ومن الفاكهة الرطبة واليابسة ثم دعت بأنواع من الأشربة فقال عمر لا أشرب وقال ابن أبي عتيق مثل ذلك فقال الأحوص لكنني اشرب وما جزاء جميلة أن يمتنع من شرابها قال عمر ليس ذلك كما ظننته قالت جميلة من شاء أن يحملني بنفسه ويخلط روحي بروحه شكرناه ومن أبى ذلك عذرناه ولم يمنعه ذلك عندنا ما يريد من قضاء حوائجه والأنس
بمحادثته قال ابن أبي عتيق ما يحسبن بنا إلا مساعدتك قال عمر لا أكون أخسكم افعلوا ما شئتم تجدوني سميعاً مطيعا فشرب القوم أجمعون فغنت صوتا بشعر لعمر
(ولقد قالت لجاراتٍ لها ... كالمَهَا يلعبْنَ في حُجْرَتِها)
(خُذْنَ عنِّي الظِّلَّ لا يتبعُني ... ومضتْ تَسعَى إلى قُبَّتها
(لم تُعَانِقْ رجلاً فيما مَضَى ... طَفْلةٌ غَيْداءُ في حُلَّتِها)
(لم يَطِشْ قَطُّ لها سَهْمٌ ومَنْ ... تَرْمِه لا يَنْجُ من رَمْيتِها)
لم يذكر طريقة لحنها في هذا الصوت وذكر الهشامي أن فيه لابن المكي رملا بالبنصر وذكر علي بن يحيى أن فيه لابن سريج رملا بالوسطى فصاح عمر ويلاه ويلاه ثلاثا ثم عمد إلى جيب قميصه فشقه إلى أسفله فصار قباء ثم آب إليه عقله فندم واعتذر وقال لم أملك من نفسي شيئا قال القوم قد أصابنا كالذي أصابك وأغمي علينا غير أنا فارقناك في تخريق الثياب فدعت جميلة بثياب فخلعتها على عمر فقبلها ولبسها وانصرف القوم إلى منازلهم وكان عمر نازلا على ابن أبي

عتيق فوجه عمر إلى جميلة بعشرة آلاف درهم وبعشرة أثواب كانت معه فقبلتها جميلة وانصرف عمر إلى مكة جذلان مسرورا

رافقها الشعراء والمغنون والمغنيات في حجها إلى مكة

قال إسحاق وحدثني أبي عن سياط وابن جامع عن يونس قالا حجت جميلة وأخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال حدثني أبي عن سياط وابن جامع عن يونس الكاتب

وأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب قالوا جميعا

إن جميلة حجت وقد جمعت رواياتهم لتقاربها وأحسب الخبر كله مصنوعا وذلك بين فيه فخرج معها من المغنين مشيعين حتى وافوا مكة ورجعوا معها من الرجال المشهورين الحذاق بالغناء هيت وطويس والدلال وبرد الفؤاد ونومة الضحى وفند ورحمة وهبة الله هؤلاء مشايخ وكلهم طيب الغناء ومعبد ومالك وابن عائشة ونافع بن طنبورة وبديح المليح ونافع الخير ومن المغنيات الفرهة وعزة الميلاء وحبابة وسلامة وخليدة وعقيلة والشماسية وفرعة وبلبلة ولذة العيش وسعيدة والزرقاء ومن غير المغنين ابن أبي عتيق والأحوص وكثير عزة ونصيب وجماعة من الأشراف وكذلك من النساء من مواليها وغيرهن واما سياط فذكر أنه حج معها من القيان مشيعات لها ومعظمات لقدرها ولحقها زهاء خمسين قينة وجه بهن مواليهن معها فأعطوهن النفقات وحملوهن على الإبل في الهوادج والقباب وغير ذلك فأبت جميلة أن تنفق واحدة منهن درهما فما فوقه حتى رجعن وأما يونس فذكر أنه حج معها من الرجال المغنين مع من سمينا زهاء ثلاثين رجلا وتخايروا في اتخاذ أنواع اللباس العجيب الظريف وكذلك في الهوادج والقباب وقيل فيما قال أهل المدينة إنهم ما رأوا مثل ذلك الجمع سفرا طيبا وحسنا وملاحة قالوا ولما

قاربوا مكة تلقاهم سعيد بن مسجح وابن سريج والغريض وابن محرز والهذليون وجماعة من المغنين من أهل مكة وقيان كثير لم يسمين لنا ومن غير المغنين عمر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد المخزومي والعرجي وجماعة من الأشراف فدخلت جميلة مكة وما بالحجاز مغن حاذق ولا مغنية إلا وهو معها وجماعة من الأشراف ممن سمينا وغيرهم من الرجال والنساء وخرج أبناء أهل مكة من الرجال والنساء ينظرون إلى جمعها وحسن هيئتهم فلما قضت حجها سألها المكيون أن تجعل لهم مجلسا فقالت للغناء أم للحديث قالوا لهما جميعا قالت ما كنت لأخلط جدا بهزل وأبت أن تجلس للغناء فقال عمر بن أبي ربيعة أقسمت على من كان في قلبه حب لاستماع غنائها إلا خرج معها إلى المدينة فإني خارج فعزم القوم الذين سميناهم كلهم على الخروج ومعهم جماعة ممن نشط فخرجت في جمع أكثر من جمعها بالمدينة فلما قدمت المدينة تلقاها أهلها وأشرافهم من الرجال والنساء فدخلت أحسن مما خرجت به منها وخرج الرجال والنساء من بيوتهم فوقفوا على أبواب دورهم ينظرون إلى جمعها وإلى القادمين معها فلما دخلت منزلها وتفرق الجمع إلى منازلهم ونزل أهل مكة على أقاربهم وإخوانهم أتاها الناس مسلمين وما استنكف من ذلك كبير ولا صغير فلما مضى لمقدمها عشرة أيام جلست للغناء فقالت لعمر بن أبي ربيعة إني جالسة لك ولأصحابك وإذا شئت فعد الناس لذلك اليوم فغصت الدار بالأشراف من الرجال والنساء فابتدأت جميلة فغنت صوتا بشعر عمر

(هيهاتَ من أَمَةِ الوَهَّابِ منزلُنا ... إذا حَلَلْنَا بسِيفِ البحر من عَدَنِ)

(واحتلَّ أهْلُكِ أَجْياداً فليس لنا ... إلا التذكُّرُ أو حَظٌّ من الحَزَنِ)

(لو أنها أبْصرتْ بالجزْعِ عَبْرَته ... وقد تَغَرَّد قُمْرِيٌّ على فَنَن)

((إذاً رأتْ غيرَ ما ظَنَّتْ بِصاحبها ... وأيْقنتْ أن عَكّاً ليس من وَطَنِي

(ما أَنْسَ لا أَنْسَ يومَ الخَيْفِ موقفَها ... ومَوْقِفِي وكِلاَنا ثَمَّ ذو شَجَن)

(وقولَها للثُّرَيَّا وهي باكيةٌ ... والدمعُ منها على الخدَّين ذو سَنَن)

(باللَّه قُولي له في غير مَعْتَبَةٍ ... ماذا أردتَ بطول المُكْثِ في اليَمَن)

(إن كنتَ حاولتَ دنيا أو نَعِمْتَ بها ... فما أصبْتَ بتركِ الحجّ من ثَمَن)

فكلهم استحسن الغناء وضج القوم من حسن ما سمعوا ويقال إنهم ما سمعوا غناء قط أحسن من غنائها ذلك الصوت في ذلك اليوم ودمعت عين عمر حتى جرى الدمع على ثيابه ولحيته وإنه ما رئي عمر كذلك في محفل غيره قط ثم أقبلت على ابن سريج فقالت هات فاندفع يغني ورفع صوته بشعر عمر

غناء ابن سريج في مجلسها بشعر عمر بن أبي ربيعة

(أليستْ بالتي قالت ... لمَوْلاةٍ لها ظُهْرا)

(أشِيري بالسلام له ... إذا هو نحوَنا نَظَرا)

(وقُولي في مُلاطفةٍ ... لزَينبَ نَوِّلي عُمَرا)

(وهذا سِحْرُكَ النِّسْوانَ ... قد خبَّرْنَني الخَبَرا)

سماعها لعدد كبير من المغنين

فسمع من ابن سريج في هذا اللحن من الحسن ما يقال إنه ما سمع مثله ثم قالت لسعيد بن مسجح هات يا أبا عثمان فاندفع فغنى

(قد قلتُ قبل البَيْن لمَّا خَشِيتُه ... لتُعْقِبَ وُدّاً أو لتعلمَ ما عندي)

(لكِ الخيرُ هل من مَصْدَرٍ تَصْدُرِينَهُ ... يُريحُ كما سَهَّلْتِ لي سُبُلَ الوِرْد)

((فلمَّا شكوتُ الحبّ صَدَّتْ كأنَّما ... شكوتُ الذي ألْقَى إلى حَجَرٍ صَلْدِ

(تولَّتْ فأبْدتْ غُلَّةً دونَ نَقْعِها ... كما أرْصدتْ من بُخْلِها إذ بَدَا وَجْدي)

فاستحسن ذلك منه وبرع فيه ثم قالت يا معبد هات فغنى

(أحَاربُ مَنْ حاربتَ من ذي عَداوةٍ ... وأحْبِس مالي إن غرمتَ فأَعْقِلُ)

(وإنِّي أخوكَ الدائمُ العهدِ لم أَحُلْ ... إنَ ابْزَاكَ خَصْمٌ أو نبا بكَ منزلُ)

(ستقطعَ في الدنيا إذا ما قطعتَني ... يمينَك فانظرْ أيَّ كفٍّ تَبَدَّلُ)

قالت جميلة أحسنت يا معبد اختيار الشعر والغناء هذا الشعر لمعن بن أوس ثم قالت هات يابن محرز فإني لم أؤخرك لخساسة بك ولا جهلا بالذي يجب في الصناعة ولكنني رأيتك تحب من الأمور كلها أوسطها وأعدلها فجعلتك حيث تحب واسطة بين المكيين والمدنيين فغنى

(وقفتُ بِرَبْعٍ قد تحمَّل أهلُه ... فأذْرَيْتُ دمعاً يسبِق الطَّرْفَ هامِلُهْ)
(بسائلة الرَّوْحاءِ أو بَطْن مَثْغَرٍ ... لها الضاحكاتُ الرابياتُ سواهِلُه)
(هو الموتُ إلاَّ أن للموتِ مدَّةً ... متى يَلْقَ يوماً فارغاً فهو شاغلُهْ)
فقالت جميلة يا أبا الخطاب كيف بدا لك في ثلاثة وأنت لا ترى ذلك قال أحببت أن أواسي معبدا قال معبد والله ما عدوت ما أردت ثم قالت للغريض هات يا مولى العبلات فاندفع يغني
(فوانَدَمِي على الشَّبابِ وواندَمْ ... نَدِمتُ وبانَ اليومَ منّي بغير ذَمّ)
(وإذ إخوتي حَوْلِي وإذ انا شائخٌ ... وإذ لا أُجيبُ العاذلاتِ من الصَّمَمْ)
(أرادتْ عراراً بالهَوانِ ومن يُردْ ... عراراً لعَمْرِي بالهَوانِ فقد ظَلَمْ)
قالت جميلة أحسن عمرو بن شأس ولم تحسن إذ أفسدت غناءك بالتعريض والله ما وضعناك إلا موضعك ولا نقصنا من حظك فبماذا أهناك ثم أقبلت على الجماعة فقالت يا هؤلاء اصدقوه وعرفوه نفسه ليقنع بمكانه فأقبل القوم عليه وقالوا له قد أخطأت إن كنت عرضت فقال قد كان ذلك ولست بعائد وقام إلى جميلة فقبل طرف ثوبها واعتذر فقبلت عذره وقالت له لا تعد ثم أقبلت على ابن عائشة فقالت يا ابا جعفر هات فتغني بشعر النابغة
(سقَى الغيثُ قبراً بين بُصْرَى وجاسِمٍ ... عليه من الوَسْمِيّ جَوْدٌ ووابِلُ)
(وأَنْبتَ حَوْذاناً وعوْفاً منوِّراً ... سأُتْبِعُه من خيرِ ما قال قائلُ)
(بكَى حارثُ الجَوْلانِ من هُلْك ربِّه ... فحَوْرانُ منه خاشعٌ مُتضائلُ)
((وما كان بيْني لو لَقِيتُك سالماً ... وبين الغِنَى إلاّ ليالٍ قلائلُ
قالت جميلة حسن ما قلت يا ابا جعفر ثم اقبلت على نافع وبديح فقالت أحبُّ أن تغنياني صوتا واحدا فغنيا جميعا بصوت واحد ولحن واحد
(ألاَ يا مَنْ يلُوم على التصابي ... أَفِقْ شيئاً لتسمعَ من جوابِي)
(بَكَرْتَ تَلُومنِي في الحبِّ جَهْلاً ... وما في حبِّ مثلي من مَعَابِ)
(أليس من السعادةِ غيرَ شكٍّ ... هَوَى متواصلين على اقترابِ)
(كريمٌ نال وُدّاً في عَفَافٍ ... وستر من مُنعَّمةٍ كَعَابِ)
فقالت جميلة هواكما والله واحد وغناؤكما واحد وأنتما نحتما من بقية الكرم وواحد الشرف عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ثم أقبلت على الهذليين الثلاثة فقالت غنوا صوتا واحدا فاندفعوا فغنوا بشعر عنترة العبسي
(حُيِّيتَ من طَلَلٍ تَقَادم عهدُه ... أقْوَى وأقْفَر بعد أمِّ الهيْثَم)
(كيف المَزارُ وقد تربَّع أهلُها ... بعُنَيْزَتَيْن وأهلُنا بالغَيْلَمِ)
(إن كنتِ أزمعتِ الفِراقَ فإنما ... زُمَّتْ رِكَابُكُم بلَيْلٍ مُظْلِمِ)
(شرِبتْ بماء الدُّحْرُضَيْن فأصْبحتْ ... زَوْراء تَنْفِر عن حِياضِ الدَّيْلَمِ)
قالت ما رأيت شيئا أشبه بغنائكم من اتفاق أرواحكم ثم أقبلت على نافع بن طنبورة فقالت هات يا نقش الغضار ويا حسن اللسان فاندفع يغني
(يا طُولَ ليلي وبتٌّ لم أنَمِ ... وِسَادِيَ الهَمُّ مُبْطِنٌ سَقَمِي)
(أنْ قمتُ يوماً على البَلاَطِ فأبْصرتُ ... رَقَاشاً وليت لم أقُمِ)
فقالت جميلة حسن والله ولابن سريج في هذا اللحن أربعة أبيات في صوت ثم قالت يا مالك هات فإني لم أؤخرك لأنك في طبقة آخرهم ولكني أردت أن أختم بك يومنا تبركا بك وكي يكون أول مجلسنا كآخره ووسطه كطرفه وإنك عندي ومعبدا لفي طريقة واحدة ومذهب واحد لا يدفع ذلك إلا ظالم ولا ينكره إلا عاضل الحق أقول فمن شاء فلينكر فسكت القوم كلهم إقرارا لما قالت واندفع يغني
(عدُوٌّ فمن عادَتْ وسَلْمٌ لِسِلْمِها ... ومن قرَّبتْ سَلْمَى أحبَّ وقَرَّبا)
(هَبِيني امرأً إمَّا بريئاً ظلمتِه ... وإمَّا مُسيئاً تاب بعدُ وأعْتبا)
(أقول التماسَ العُذْر لمَّا ظلَمْتِنِي ... وحمَّلْتِنِي ذنباً وما كنتُ مُذْنِبَا)
(ليَهْنِئْك إشماتُ العدوّ بهَجْرنا ... وقطْعُك حبلَ الوصل حتى تقضَّبا)
قالت جميلة ليت صوتك يا مالك قد دام لنا ودمنا له وقطعت المجلس وانصرف عامة الناس وبقي خواصهم فلما كان اليوم الثاني حضر القوم جميعا فقالت لطويس هات يا أبا عبد النعيم قال فأنكر ما فعلت جميلة في اليوم الأول لأن طويسا لم يكن يرضى بذلك فأخبرني ابن جامع أن جميلة صنفتهم طويسا واصحابه وابن سريج وأصحابه ثم أقرعت بينهم فخرجت القرعة
الأولى لابن سريج وأصحابه والثانية لطويس وأصحابه فابتدأ طويس فغنى
(قد طال لَيْلِي وعاد لي طَرَبِي ... من حبِّ خَوْدٍ كريمةِ الحَسَبِ)
(غَرَّاءَ مثل الهلال آنسةٍ ... أو مثلِ تِمْثالِ صُورةِ الذَّهبِ)
(صادت فؤادي بجِيد مُغزِلةٍ ... تَرْعَى رِياضاً ملتفَّةَ العُشُبِ)
فقالت جميلة حسن والله يا أبا عبد النعيم ثم قالت للدلال هات يا أبا يزيد فاندفع فغنى
(قد كنت آمُلُ فيكُم أملاً ... والمرءِ ليس بمدركٍ أمَلُهْ)
(حتى بَدا لي منكُم خُلُفٌ ... فزجرْتُ قلبي فارْعَوَى جَهَلُهْ)
(ليس الفتى بمخلَّد أبداً ... حيّاً وليس بفائتٍ أجلُهْ)
(حيٌّ البَغُومَ ومَنْ بعَقْوتها ... وقَفَا العَمُودِ وإن خَلا أهَلُهْ)
قالت حسن والله يا أبا يزيد ثم قالت لهيت إنا نجلك اليوم لكبر سنك ورقة عظمك قال أجل يا ماما ثم قالت لبرد الفؤاد ونومة الضحى هاتيا جميعا لحنا واحدا فغنيا
(إني تذكَّرتُ فلا تَلْحَني ... لؤلؤةً مكنونةً تَنْطِقُ)
(مسكنُها طَيْبةُ لم يَغْذُها ... بؤسٌ ولا والٍ بها يَخْرُقُ)
(قد قلت والعِيسُ سِراعٌ بنا ... تُرْقِل إرقالاً وما تُعْنِقُ)
((يا صاحبي شَوْقي أرَى قاتلي ... ومُورِدِي منها جَوىً يُقْلِقُ

قالت جميلة أحسنتما ثم قالت لفند ورحمة وهبة الله هاتوا جميعا صوتا واحدا فإنكم متفقون في الأصوات والألحان فاندفعوا فغنوا
(أشاقكَ من نحوِ العَقيقِ بُروقُ ... لموامعُ تَخْفَى تارة وتَشُوقُ)
(وما لِيَ لا أَهْوَى جواريَ بَرْبَرٍ ... ورُوحي إلى أرْواحِهن تَتُوق)
(لهنّ جمالٌ فائقٌ ومَلاحةٌ ... ودلٌّ على دَلِّ النساء يَفوقُ)
وكان برير حاضرا فقال جواري والله على ما وصفتم فمن شاء أقر ومن شاء انكر فقالت جميلة صدق ثم غنت جميلة بشعر الأعشى ولمعبد فيه صوت أخذه عنها
(بانت سُعادُ وأَمْسَى حبلُها انقطعا ... واحتلَّتِ الغَوْرَ فالجَدَّيْنِ فالفَرَعَا)
(واستنكرتْني وما كان الذي نَكِرَتْ ... من الحوادثِ إلا الشَّيْبَ والصَّلَعَا)
(تقول بِنْتي وقد قَرَّبْتُ مرتحلاً ... يا ربِّ جَنِّبْ أبي الأَوْصابَ والوَجَعَا)
(وكان شيءٌ إلى شيءٍ فغيَّره ... دهرٌ مُلِحٌّ على تفريق ما جَمعا)
فلم يسمع شيء أحسن من ابتدائنا بالأمس وختمها في اليوم الثاني وقطعت المجلس فانصرف القوم واقام آخرون فلما كان اليوم الثالث اجتمع الناس فضربت ستارة وأجلست الجواري كلهن فضربن وضربت فضربن على خمسين وترا فتزلزلت الدار ثم غنت على عودها وهن يضربن على ضربها بهذا الشعر
(فإن خَفِيَتْ كانت لعينك قُرَّةً ... وإن تَبْدُ يوماً لم يُعَمِّمْك عارُها)
((من الخَفِراتِ البِيضِ لم تَرَ غِلْظَةً ... وفي الحَسَبِ الضَّخْمِ الرَّفِيع نِجَارُها
(فما رَوْضةٌ بالحَزْنِ طيِّبةُ الثَّرَى ... يَمُجُّ النَّدا جَثْجاثُها وعَرارُها)
(بأطيبَ من فيها إذا جئتَ طارقاً ... وقد أوقدتْ بالمَنْدَلِ الرَّطْبِ نارُها)
فدمعت أعين كثير منهم حتى بل ثوبه وتنفس الصعداء وقال بنفسي أنت يا جميلة ثم قالت للجواري أكففن فكففن وقالت يا عزة غني فغنت بشعر لعمر
(تذكَّرتَ هنداً وأَعْصارَها ... ولم تَقْضِ نفسُكَ أوطارَها)
(تذكَّرتِ النفسُ ما قد مَضَى ... وهاجتْ على العينِ عُوَّارَها)
(لتمنحَ رامةَ منَّا الهوى ... وتَرْعَى لرامةَ أسرارَها)
(إذا لم نَزُرْها حِذارَ العِدَا ... حَسَدْنا على الزَّوْرِ زُوَّارَها)
فقالت جميلة يا عزة إنك لباقية على الدهر فهنيئا لك حسن هذا الصوت مع جودة هذا الغناء ثم قالت لحبابة وسلامة هاتيا لحنا واحدا فغنتا
(كَفَى حَزَناً أني أَغِيبُ وتَشْهَدُ ... وما نَلْتَقِي والقلبُ حَرَّانُ مُقْصدُ)
(ومن عَجَبٍ أنّي إذا الليلُ جَنَّنِي ... أقومُ من الشوقِ الشديد وأَقعدُ)
(أَحِنُّ إليكم مِثلَ ما حَنَّ تائقٌ ... إلى الوِرْدِ عَطْشانُ الفؤاد مُصرَّدُ)
(ولي كَبِدٌ حَرَّى يعذِّبها الهَوَى ... ولي جسدٌ يَبْلَى ولا يتجدَّدُ)
فاستحسن غناؤهما ثم أقبلت على خليدة فقالت لها بنفسي أنت غني فغنت
(ألاَ يا مَنْ يلُوم على التَّصابِي ... أَفِقْ شيئاً لتسمعَ من جوابِي)
(بَكَرْتَ تَلُومني في الحبِّ جَهْلاً ... وما في حبِّ مثلي من مَعابِ)
(أليس من السعادة غيرَ شكٍّ ... هَوًى مُتَواصلين على اقترابِ)
(كريمٌ نال وُدّاً في عَفافٍ ... وسَتْرٍ من منعَّمةٍ كَعَابِ)
فاستحسن منها ما غنت وهو بلحنها حسن جدا ثم قالت لعقيلة والشماسية هاتيا فغنتا
(هجرتِ الحبيبَ اليومَ في غير ما اجْتَرَمْ ... وقطَّعْتِ من ذي وُدِّكِ الحبلَ فانصرمْ)
(أطعتِ الوُشاةَ الكاشحين ومن يُطِعْ ... مقالةَ واشٍ يَقْرَعِ السنَّ من نَدَمْ)
ثم قالت لفرعة وبلبلة ولذة العيش هاتين فغنين فاندفعن بصوت واحد
(لعَمْري لئن كان الفؤادُ من الهوى ... بغَى سَقَماً إنِّي إذاً لسَقِيمُ)
(عليَّ دِماءُ البُدْنِ إن كان حبُّها ... على النأيِ في طول الزمان يَريمُ)
(تُلِمُّ مُلِمَّاتٌ فيُنْسِيْنَ بَعْدَها ... ويُذْكَر منها العهدُ وهو قديمُ)
(فأُقْسِمُ ما صافيتُ بعدكِ خُلَّةً ... ولا لكِ عندي في الفؤاد قَسِيمُ)
قالت أحسنتن وهو لعمري حسن وقالت لسعدة والزرقاء غنيا فغنتا
(قد أرسلوني يُعَزُّوني فقلتُ لهم ... كيف العَزاءُ وقد سارتْ بها الرُّفَقُ)
(اسْتَهْدَتِ الرِّيمَ عينيه فجادلها ... بمُقْلَتَيْه ولم تُتْرَكْ له عُنُقُ)
فاستحسن ذلك ثم قالت للجماعة فغنوا وانقضى المجلس وعاد كل إنسان إلى وطنه فما رئي مجلس ولا جمع أحسن من اليوم الأول ثم الثاني ثم الثالث
وحدثتني عمتي وكانت أسن من أبي وعمرت بعده قالت كان السبب في طلب أبيك الغناء والمواظبة عليه لحنا سمعه لجميلة في منزل يونس بن محمد الكاتب فانصرف وهو كئيب حزين مغموم لم يطعم ولم يقبل علينا بوجهه كما كان يفعل فسألته عن السبب فأمسك فألححت عليه فانتهرني وكان لي مكرما فغضبت وقمت من ذلك المجلس إلى بيت آخر فتبعني وترضاني وقال لي أحدثك ولا كتمان منك عشقت صوتا لامرأة قد ماتت فأنا بها وبصوتها هائم إن لم يتداركني الله منه برحمته فقالت أتظن أن الله يحيي لك ميتا قال بل لا أشك قالت فما تعليقك قلبك بما لا يعطاه إلا نبي ولا نبي بعد محمد وأما عشقك الصوت فهو أن تحذقه وتغنيه عشر مرار فتمله ويذهب عشقك له فكأنه ارعوى ورجع إلى نفسه وقام فقبل رأسي ويدي ورجلي وقال لي فرّجت عني ما كنت فيه من الكرب والغم ثم تمثل حبك الشيء يعمي ويصم ولزم بيت يونس حتى حذق الصوت ولم يمكث إلا زمنا يسيرا حتى مات يونس وانضم إلى سياط وكان من أحذق أهل زمانه بالغناء وأحسنهم أداء عمن مضى قالت عمتي فقلت لإبراهيم وما الصوت فأنشدني الشعر ولم يحسن أداء الغناء
(من البَكَراتِ عِراقيَّةٌ ... تُسَمَّى سُبَيْعةَ أَطْرِيتُها)
(من آلِ أبي بَكْرَةَ الأكرمين ... خَصَصْتُ بودِّي فأَصْفيتُها)

(ومن حبّها زرتُ أهلَ العراق ... وأسْخَطْتُ أهلي وأرضيْتُها)
(أموتُ إذا شَحَطَتْ دارُها ... وأَحْيا إذا أنا لاقيتُها)
(فأُقْسِم لو أن ما بي بها ... وكنتُ الطبيبَ لداويتُها)
قالت عمتي هذا شعر حسن فكيف به إذا قطع ومدد تمديد الأطربة
وضرب عليها بقضبان الدفلى على بطون المعزى فما مضت الأيام والليالي حتى سمعت اللحن مؤدى فما خرق مسامعي شيء قط أحسن منه ولقد أذكرني بما يؤثر من حسن صوت داود وجمال يوسف فبينا أنا يوما جالسة إذ طلع علي إبراهيم ضاحكا مستبشرا فقال لي ألا أحدثك بعجب قلت وما هو قال إن لي شريكا في عشق صوت جميلة قلت وكيف ذلك قال كنت عند سياط في يومنا هذا وأنا أغنيه الصوت وقد وقفني فيه على شيء لم أكن أحكمته عن يونس وحضر عند سياط شيخ نبيل فسبح على الصوت تسبيحا طويلا فظننت أنه فعل ذلك لاستحسانه الصوت فلما فرغت أنا وسياط من اللحن قال الشيخ ما أعجب أمر هذا الشعر وأحسن ما غني به وأحسن ما قال قائله فقلت له دون القوم وما بلغ من العجب به قال نعم

غنيت بشعر عمر بن أبي ربيعة في سبيعة أجمل النساء

حجّت سبيعة من ولد عبد الرحمن بن أبي بكرة وكانت من أجمل النساء فأبصرها عمر بن أبي ربيعة فلما انحدرت إلى العراق اتبعها يشيعها حتى بلغ معها موضعا يقال له الخورنق فقالت له لو بلغت إلى أهلي وخطبتني لزوجوك فقال لها ما كنت لأخلط تشييعي إياكِ بخِطبة ولكن أرجع ثم آتيكم خاطبا فرجع ومر بالمدينة فقال فيها
(من البَكَراتِ عِراقيّةٌ ... تُسمَّى سُبَيعةَ أطريتُها)
ثم أتى بيت جميلة فسألها أن تغني بهذا الشعر ففعلت فأعجبه ما سمع من حسن غنائها وجودة تأليفها فحسن موقع ذلك منه فوجه إلى بعض موالياته ممن كانت تطلب الغناء أن تأتي جميلة وتأخذ الصوت منها فطارحتها إياه أياما حتى حذقت ومهرت به فلما رأى ذلك عمر قال أرى أن تخرجي إلى سبيعة
وتغنيها هذا الصوت وتبلغيها رسالتي قالت نعم جعلني الله فداك فأتتها فرحبت بها وأعلمتها الرسالة فحيت وأكرمت ثم غنتها فكادت أن تموت فرحا وسرورا لحسن الغناء والشعر ثم عادت رسول عمر فأعلمته ما كان وقالت له إنها خارجة في تلك السنة فلما كان أوان الحج استأذنت سبيعة أباها في الحج فأبى عليها وقال لها قد حججت حجة الإسلام قالت له تلك الحجة هي التي أسهرت ليلي وأطالت نهاري وتوقتني إلى أن أعود وأزور البيت وذلك القبر وإن أنت لم تأذن لي مت كمدا وغما وذلك أن بقائي إنما كان لحضور الوقت فإن يئست فالموت لا شك نازل بي فلما رأى ذلك أبوها رق لها وقال ليس يسعني منعها مع ما أرى بها فأذن لها ووافى عمر المدينة ليعرف خبرها فلما قدمت علم بذلك وسألها أن تأتي منزل جميلة وقد سبق إليه عمر فأكرمتها جميلة وسرت بمكانها فقالت لها سبيعة جعلني الله فداك اقلقني وأسهرني صوتك بشعر عمر في فأسمعيني إياه قالت جميلة وعزازة لوجهك الجميل فغنتها الصوت فأغمي عليها ساعة حتى رش على وجهها الماء وثاب إليها عقلها ثم قالت أعيدي علي فأعادت الصوت مرار في كل مرة يغشى عليها ثم خرجت إلى مكة وخرج معها فلما رجعت مرت بالمدينة وعمر معها فأتت جميلة فقالت لها أعيدي علي الصوت ففعلت وأقامت عليها ثلاثا تسألها أن تعيد الصوت فقالت لها جميلة إني أريد أن أغنيك صوتا فاسمعيه قالت هاتيه يا سيدتي فغنتها
(أبتِ المليحةُ أن تُواصلَني ... وأظنُّ أني زائرٌ رمْسِي)
(لا خيرَ في الدنيا وزينتِها ... ما لم تُوَافِقْ نفسُها نفسِي)
(لا صبرَ لي عنها إذا حسَرتْ ... كالبدر أو قَرْنٍ من الشمس)
(ورمتْ فؤادَك عند نظرتها ... بمَلاحةِ الإيثار والأُنْس)
قالت سبيعة لولا أن الأول شعر عمر لقدمت هذا على كل شيء سمعته فقال عمر فإنه والله أحسن من ذلك فأما الشعر فلا قالت جميلة صدقت
والله قالت عمتي قال لها أبي لعمري إن ذلك على ما قالا
ولابن سريج في هذا الشعر لحن عن جميلة وربما حكي بزيادة أو نقصان أو مثلاً بمثل

شيخ يثنيها عن عزمها اعتزال الغناء

أخبرني من يفهم الغناء قال
بلغني أن جميلة قعدت يوما على كرسي لها وقالت لآذنتها لا تحجبي عنا أحداً اليوم واقعدي بالباب فكل من يمر بالباب فاعرضي عليه مجلسي ففعلت ذلك حتى غصت الدار بالناس فقالت جميلة اصعدوا إلى العلالي فصعدت جماعة حتى امتلأت السطوح فجاءتها بعض جواريها فقالت لها يا سيدتي إن تمادى أمرك على ما أرى لم يبق في دارك حائط إلا سقط فأظهري ما تريدين قالت اجلسي فلما تعالى النهار واشتد الحر استسقى الناس الماء فدعت لهم بالسويق فشرب من أراد فقالت أقسمت على كل رجل وامرأة دخل منزلي إلا شرب فلم يبق في سفل الدار ولا علوها أحد إلا شرب وقام على رؤوسهم الجواري بالمناديل والمراوح الكبار وأمرت جواريها فقمن على كراسي صغار فيما بين كل عشرة نفر جارية تروح ثم قالت لهم إني قد رأيت في منامي شيئا أفزعني وأرعبني ولست أعرف ما سبب ذلك وقد خفت أن يكون قرب أجلي وليس ينفعني إلا صالح عملي وقد رأيت أن أترك الغناء كراهة أن يلحقني منه شيء عند ربي فقال قوم منهم وفقك الله وثبت عزمك وقال آخرون بل لا حرج عليك في الغناء وقال شيخ منهم ذو سن وعلم وفقه وتجربة قد تكلمت الجماعة وكل حزب بما لديهم فرحون ولم أعترض عليهم في قولهم ولا شركتهم في رأيهم فاستمعوا الآن لقولي وأنصتوا ولا تشغبوا إلى وقت انقضاء كلامي فمن قبل قولي فالله موفقه ومن خالفني فلا بأس عليه إذ كنت في طاعة ربي فسكت القوم جميعا فتكلم الشيخ فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد النبي ثم قال يا معشر أهل الحجاز إنكم متى تخاذلتم فشلتم ووثب عليكم عدوكم وظفر بكم ولا تفلحوا بعدها أبدا إنكم قد انقلبتم على أعقابكم لأهل العراق وغيرهم ممن لا يزال ينكر عليكم ما هو وارثه عنكم لا ينكره عالمكم ولا يدفعه عابدكم بشهادة شريفكم ووضيعكم يندب إليه كما يندب جموعكم وشرفكم وعزكم فأكثر ما يكون عند عابدكم فيه الجلوس عنه لا للتحريم له لكن للزهد في الدنيا لأن الغناء من أكبر اللذات وأسر للنفوس من جميع الشهوات يحيي القلب ويزيد في العقل ويسر النفس ويفسح في الرأي ويتيسر به العسير وتفتح به الجيوش ويذلل به الجبارون حتى يمتهنوا أنفسهم عند استماعه ويبرىء المرضى ومن مات قلبه وعقله وبصره ويزيد أهل الثروة غنى وأهل الفقر قناعة ورضا باستماعه فيعزفون عن طلب الأموال من تمسك به كان عالما ومن فارقه كان جاهلا لأنه لا منزلة أرفع ولا شيء أحسن منه فكيف يستصوب تركه ولا يستعان به

على النشاط في عبادة ربنا عز وجل وكلام كثير غير هذا ذهب عن المحدث به فما رد عليه أحد ولا أنكر ذلك منهم بشر وكل عاد بالخطأ على نفسه وأقر بالحق له ثم قال لجميلة أوعيت ما قلت ووقع من نفسك وما ذكرت قالت أجل وأنا أستغفر الله قال لها فاختمي مجلسنا وفرقي جماعتنا بصوت فقط فغنت
(أفي رسمِ دارٍ دمعُك المترقرقُ ... سَفَاهاً وما استنطاقُ ما ليس يَنْطِقُ)
(بحيثُ التقَى جَمْعٌ وأقْصَى مُحسِّرٍ ... مَغَانِيه قد كادتْ عن العهد تَخْلَقُ)
((مُقامٌ لنا بعد العِشاءِ ومنزلٌ ... به لم يكدِّرْه علينا مُعوِّق
(فأحسنُ شيءٍ كان أوّلُ ليلنا ... وآخرهُ حزنٌ إذا نتفرَّق)
فقال الشيخ حسن والله أمثل هذا يترك فيم يتشاهد الرجال لا والله ولا كرامة لمن خالف الحق ثم قام وقام الناس معه وقال الحمد لله الذي لم يفرق جماعتنا على اليأس من الغناء ولا جحود فضيلته وسلام عليك ورحمة الله يا جميلة
وصف مجلس آخر لها
وقال أبو عبد الله جلست جميلة يوما ولبست برنسا طويلا وألبست من كان عندها برانس دون ذلك وكان في القوم ابن سريج وكان قبيح الصلع قد اتخذ وفرة شعر يضعها على رأسه وأحبت جميلة أن ترى صلعته فلما بلغ البرنس إلى ابن سريج قال دبرت علي ورب الكعبة وكشف صلعته ووضع القلنسية على رأسه وضحك القوم من قبح صلعته ثم قامت جميلة ورقصت وضربت بالعود وعلى رأسها البرنس الطويل وعلى عاتقها بردة يمانية وعلى القوم أمثالها وقام ابن سريج يرقص ومعبد والغريض وابن عائشة ومالك وفي يد كل واحد منهم عود يضرب به على ضرب جميلة ورقصها فغنت وغنى القوم على غنائها
(ذهب الشبابُ وليتَه لم يَذْهبِ ... وعَلاَ المَفَارِقَ وَقْعُ شيبٍ مُغْرَب)
(والغانياتُ يُرِدْنَ غيرَك صاحباً ... ويَعِدْنَكَ الهِجْرانَ بعد تقرُّب)
(إنّي أقولُ مقالةً بتجاربٍ ... حقّاً ولم يُخْبِرْكَ مثلُ مجرِّب)
(صَافِ الكريمَ وكُنْ لعِرْضِكَ صائناً ... وعن اللّئيم ومِثْلِه فتَنَكَّبِ)
ثم دعت بثياب مصبغة ووفرة شعر مثل وفرة ابن سريج فوضعتها على رأسها ودعت للقوم بمثل ذلك فلبسوا ثم ضربت بالعود وتمشت وتمشى القوم خلفها وغنت وغنوا بغنائها بصوت واحد
(يَمْشِينَ مَشْيَ قَطَا البِطاحِ تَأوُّداً ... قُبَّ البطون رواجحَ الأكفال)
(فيهنّ آنسةُ الحديثِ حَيِيَّةٌ ... ليست بفاحشةٍ ولا مِتْفالِ)
(وتكون ريقتُها إذا نَبَّهْتَها ... كالمسك فوق سُلاَفَةِ الجِرْيالِ)
ثم نعرت ونعر القوم طربا ثم جلست وجلسوا وخلعوا ثيابهم ورجعوا إلى زيهم وأذنت لمن كان ببابها فدخلوا وانصرف المغنون وبقي عندها من يطارحها من الجواري
وحدثتني عمتي قالت سمعت سياطا يحدث أباك يوما بأحاديث جميلة فقال بنفسي هي وأمي فما كان أحسن وجهها وخلقها وغناءها ما خلفت النساء مثلها شبيها فأعجبني ذلك ثم قال سياط جلست جميلة يوما للوفادة عليها وجعلت على رؤوس جواريها شعوراً مسدلة كالعناقيد إلى أعجازهن وألبستهن أنواع الثياب المصبغة ووضعت فوق الشعور التيجان وزينتهن بأنواع الحلي ووجهت إلى عبد الله بن جعفر تستزيره وقالت لكاتب أملت عليه بأبي أنت وأمي قدرك يجل عن رسالتي وكرمك يحتمل زلتي وذنبي لا تقال عثرته ولا تغفر حوبته فإن صفحت فالصفح لكم معشر أهل البيت يؤثر والخير والفضل كله فيكم مدخر ونحن العبيد وأنتم الموالي فطوبى لمن كان لكم مقاربا وإلى وجوهكم ناظرا وطوبى لمن كان لكم مجاوراً وبعزكم
قاهراً وبضيائكم مبصراً والويل لمن جهل قدركم ولم يعرف ما أوجبه الله على هذا الخلق لكم فصغيركم كبير بل لا صغير فيكم وكبيركم جليل بل الجلالة التي وهبها الله عز وجل للخلق هي لكم ومقصورة عليكم وبالكتاب نسألك وبحق الرسول ندعوك إن كنت نشيطا لمجلس هيأته لك لا يحسن إلا بك ولا يتم إلا معك ولا يصلح أن ينقل عن موضعه ولا يسلك به غير طريقه فلما قرأ عبد الله الكتاب قال إنا لنعرف تعظيمها لنا وإكرامها لصغيرنا وكبيرنا وقد علمت أنها قد آلت ألية ألا تغني أحدا إلا في منزلها وقال للرسول والله قد كنت على الركوب إلى موضع كذا وكان في عزمي المرور بها فأما إذا وافق ذلك مرادها فإني جاعل بعد رجوعي طريقي عليها فلما صار إلى بابها أدخل بعض من كان معه إليها وصرف بعضهم فنظر إلى ذلك الحسن البارع والهيئة الباذة فأعجبه ووقع في نفسه فقال يا جميلة لقد أوتيت خيرا كثيرا ما أحسن ما صنعت فقالت يا سيدي إن الجميل للجميل يصلح ولك هيأت هذا المجلس فجلس عبد الله بن جعفر وقامت على رأسه وقامت الجواري صفين فأقسم عليها فجلست غير بعيد ثم قالت يا سيدي ألا أغنيك قال بلى فغنت
(بَنِي شَيْبَةِ الحمدِ الّذي كان وجهُه ... يُضيء ظلامَ اللّيلِ كالقمر البَدْرْ)
(كُهولُهُم خيرُ الكهولِ ونَسْلُهم ... كنسلِ الملوكِ لا يَبُورُ ولا يجري)
(أبو عُتْبةَ المُلْقي إليكَ جَمَالَه ... أغرُّ هِجانُ اللّوْنِ من نَفَرٍ زُهْرِ)
((لِساقِي الحجيجِ ثم للخَيْرِ هاشمٍ ... وعبدِ منافٍ ذلكَ السيِّدِ الغَمْرْ
(أبوكم قُصيٌّ كان يُدْعَى مُجمِّعاً ... به جمَّع اللهُ القبائلَ من فِهْرِ)
فقال عبد الله أحسنت يا جميلة وأحسن حذافة ما قال بالله أعيديه علي فأعادته فجاء الصوت أحسن من الارتجال ثم دعت لكل جارية بعود وأمرتهن بالجلوس على كراسي صغار قد أعدتها لهن فضربن وغنت عليهن هذا الصوت وغنى جواريها على غنائها فلما ضربن جميعا قال عبد الله ما ظننت أن مثل هذا يكون وإنه لمما يفتن القلب ولذلك كرهه كثير من الناس لما علموا فيه ثم دعا ببغلته فركبها وانصرف إلى منزله وقد كانت جميلة أعدت طعاما كثيراً وكان أراد المقام فقال لأصحابه تخلفوا للغداء فتغدوا وانصرفوا مسرورين وهذا الشعر لحذافة بن غانم بن عبيد الله بن عويج بن عدي بن كعب يمدح به عبد المطلب
أنزلت العرجي على الأحوص بعد فراره من مكة
قال وحدثني بعض المكيين قال
كان العرجي وهو عبد الله بن عمرو بن عثمان شاعرا سخيا شجاعا أديبا ظريفا ويشبه شعره بشعر عمر بن ابي ربيعة والحارث بن خالد بن هشام وإن كانا قدما عليه وقد نسب كثير من شعره إلى شعرهما وكان صاحب صيد فخرج يوما متنزهاً من مكة ومعه جماعة من غلمانه ومواليه ومعه كلابه وفهوده وصقوره وبوازيه نحو الطائف إلى مال له بالعرج وبهذا

الموضع سمي
العرجي فجرى بينه وبين مولى لبني أمية كلام فأمضه المولى فكف عنه العرجي حتى أوى إلى منزله ثم هجم عليه ومعه غلمانه فأمرهم أن يوثقوه ثم أمرهم أن ينكحوا امرأته وهو يراهم ففعلوا ثم أخرجه فقتله فبلغ أمير مكة ما فعل فطلبه فخرج من منزله وأخرج معه غلمانه ومواليه وآلة الصيد وتوجه نحو المدينة وقد ركب أفراسه وأعد عدته فلم يزل يتصيد ويقصف في طريقه حتى دخل المدينة ليلا وأراد المقام في منزل جميلة وكانت آلت ألا تغني بشعره ولا تدخله منزلها لكثرة عبثه وسفهه وحداثة سنه فلما أعلمت بمكانه ليلا قالت طارق إن له لشأنا فاستخبرت خبره فقيل لها إنه قدم مستخفيا ولم ير بالمدينة موضعا هو أطيب له من منزلك والأيمان تكفر والأشراف لا يردون فقالت لرسولها إليه منزلي منزل جوار ولا يمكن مثلك الاستخفاء فيه فعليك بالأحوص وكان الأحوص مجانبا له لشيء جرى بينه وبينه في منزل جميلة فقال أنى لي بالأحوص مع الذي كان بيننا قالت ائته عني وقل له قد غنَّينا بذلك الشعر فإن أحببت أن تظهر وتبقى مودتنا لك فأصلح ما بينك وبين عبد الله إذ أصلح ما بيننا وأنزله منزلك قال لها ليس هذا بمقنعي أما إذ أبيت أن أقيم بمنزلك فوجهي معي رسولا إلى الأحوص فإن منزله أحب المنازل إلي بعد منزلك فوجهت معه إلى الأحوص بعض مولياتها فأنزله الأحوص وأكرمه وأحسن جواره وستر أمره فقال شعرا ووجه به إلى جميلة
(ألاَ قاتَل اللّه الهَوَى كيف أخلَقَا ... فلم تُلْفِهِ إلاّ مَشوباً مُمَذَّقا)
(وما من حبيبٍ يستزير حبيبَه ... يُعاتبه في الودّ إلا تَفَرَّقا)
(أَمَرَّ وِصالُ الغانياتِ فأصبحت ... مَضَاضتُه يشجَى بها مَنْ تَمَطَّقا)
(تعلَّق هذا القلبُ للحَيْن مَعْلَقاً ... غَزَالاً تحلَّى عِقْدَ دُرٍّ وبارَقا)
(إذا قلتُ مهلاً للفؤاد عن الّتي ... دعتْك إليها العينُ أغضَى وأطْرَقا
(دعانَا فلم نَسْتَبْقِ حِبّاً بما نَرَى ... فما منك هذا العذلُ إلا تَخرُّقا)
(فقد سنّ هذا الحبَّ مَنْ كان قبلَنا ... وقاد الصِّبا المرءَ الكريمَ فأَعنقَا)
فلما قرأت شعره رقت له وقالت كيف لي بإيلائي ألاّ يدخل منزلي ولا أغنيه بشعره فقيل لها يدخل منزلك وتغنين وتكفرين عن يمينك فوجهت إليه أن صر إلينا والأحوص في تلك الليلة فجاءاها وعرفت الأحوص تكفير اليمين فقال لها وأنا والله شفيعه إليك ففرجي ما به من غم فقد فارق من يحب ويهوى فتؤنسينه وتسرينه وتغنينه بشعره فغنت
(ألاَ قاتَلَ اللّهُ الهوَى كيف أخلقَا ... فلم تُلْفِهِ إلاّ مشوباً مُمَذَّقا)

إعجاب الأحوص بها ودعوتها له في مجلس خاص

وحدثني بعض أهلنا قال قال يونس بن محمد
كان الأحوص معجبا بجميلة ولم يكن يكاد يفارق منزلها إذا جلست فصار إليها يوما بغلام جميل الوجه يفتن من رآه فشغل أهل المجلس وذهبت اللحون عن الجواري وخلطن في غنائهن فأشارت جميلة إلى الأحوص أن أخرج الغلام فالخلل قد عم مجلسي وأفسد علي أمري فأبى الأحوص وتغافل وكان بالغلام معجبا فآثر لذته بالنظر إلى الغلام مع السماع ونظر الغلام إلى الوجوه الحسان من الجواري ونظرن إليه وكان مجلسا عاما فلما خافت عاقبة المجلس وظهور أمره أمرت بعض من حضر بإخراج الغلام فأخرج وغضب الأحوص وخرج مع الغلام ولم يقل شيئا فأحمد أهل المجلس ما كان من جميلة وقال لها بعضهم هذا كان الظن بك أكرمك الله فقالت إنه
والله ما استأذنني في المجيء به ولا علمت به حتى رأيته في داري ولا رأيت له وجها قبل ذلك وإنه ليعز علي غضب الأحوص ولكن الحق أولى وكان ينبغي له ألا يعرض نفسه وإياي لما نكره مثله فلما تفرق أهل المجلس بعثت إليه الذنب لك ونحن منه برءاء إذ كنت قد عرفت مذهبي فلم عرضتني للذي كان فقد ساءني ذلك وبلغ مني ولكن لم أجد بدا من الذي رأيت إما حياء وإما تصنعا فرد عليها ليس هذا لك بعذر إن لم تجعلي لي وله مجلسا نخلو فيه جميعا تمحين به ما كان منك قالت أفعل ذلك سرا قال الأحوص قد رضيت فجاءاها ليلا فأكرمتهما ولم تظهر واحدة من جواريها على ذلك إلا عجائز من مواليها وسألها الأحوص وأقسم عليها أن تغنيه من شعره
(وبالقَفْر دارٌ من جميلةَ هيجتْ ... سوالفَ حُبٍّ في فؤادِكَ مُنْصِبِ)
(وكانت إذا تنأى نَوًى أو تفرَّقتْ ... شِدادُ الهَوَى لم تدرِ ما قولُ مِشْغَبِ)
(أسيلةُ مَجْرَى الدمعِ خُمْصانةُ الحَشَا ... بَرُودُ الثَّنايا ذاتُ خَلْقٍ مُشَرْعَبِ)
(ترى العينُ ما تهوَى وفيها زيادةٌ ... من الحسن إذ تبدو ومَلْهًى لمُلْعِبِ)
قال يونس ما لها صوت أحسن منه وابن محرز يغنيه وعنها أخذه وأنا أغنيه فتعجبني نفسي ويدخلني شيء لا أعرفه من النخوة والتيه وقال المحدث لي بهذا الحديث عن يونس إن هذا للأحوص في جميلة والذي عندي أنه لطفيل الغنوي قاله في ابن زيد الخيل وهو زيد بن المهلهل بن المختلس بن عبد رضا أحد بني نبهان ونبهان لقب له ولكنه سودان بن عمرو بن الغوث بن طيىء أغار على بني عامر فأصاب بني كلاب وبني كعب واستحر القتل في غني بن أعصر ومالك بن أعصر وأعصر هو الدخان ولذلك قيل لهما ابنا دخان وأخوهما الحارث وهو الطفاوة وهو مالك بن سعد بن قيس بن عيلان وغطفان بن سعد عمهم وكانت غني مع بني عامر في دارهم موالي لنمير وكان فيهم فرسان وشعراء ثم إن غنيا أغارت على طيىء وعليهم سيار بن هريم فقال في ذلك قصيدته الطويلة
(وبالقفر دارٌ من جميلة هيَّجتْ ... سوالفَ شوقٍ في فؤادك مُنْصِبِ)
وحدثني ايوب بن عباية قال
كان عمرو بن أحمر بن العمرد بن عامر بن عبد شمس بن فراص بن معن بن مالك بن أعصر بن قيس بن عيلان بن مضر من شعراء الجاهلية المعدودين وكان ينزل الشام وقد أدرك الإسلام وأسلم وقال في الجاهلية والإسلام شعراً كثيراً وفي الخلفاء الذين أدركهم عمر بن الخطاب فمن دونه إلى عبد الملك بن مروان وكان في خيل خالد بن الوليد حين وجه أبو بكر خالداً إلى الشام ولم يأت أبا بكر وقال في خالد رحمه الله
(إذا قال سيفُ اللّه كُرُّوا عليهمُ ... كَرَرْتُ بقلبٍ رابطِ الجأش صارمِ)
وقال في عمر بن الخطاب رضي الله عنه قصيدة له طويلة جيدة
(أدركتُ آل أبي حَفْص وأُسرتَه ... وقبل ذاك ودهراً بعده كَلِبا)
(قد ترتمي بقوافٍ بيننا دُوَلٌ ... بين الهناتين لا جِدّاً ولا لَعِبَا)
(اللّهُ يعلم ما قولي وقولهُمُ ... إذ يركبون جَنَاناً مُسْهَباً وَرِبَا)

وقال في عثمان بن عفان رضي الله عنه
(حُثِّي فليس إلى عثمانَ مُرْتَجَعٌ ... إلاَّ العداء وإلاَّ مُكْنِعٌ ضررُ)
(إخالُها سَمِعت عَزْفاً فتحسبه ... إهابةَ القَسْر ليلاً حين تنتشر)
وقال في علي بن أبي طالب رضي الله عنه
(مَنْ مُبْلِغٌ مَأْلُكاً عنِّي أبا حَسَنٍ ... فارتَحْ لخَصْمٍ هداك اللَّه مظلومِ)
فلما أنشدت جميلة قصيدته في عمر بن الخطاب قالت والله لأعملن فيها لحنا لا يسمعه أحد أبداً إلا بكى قال إبراهيم وصدقت والله ما سمعته قط إلا ابكاني لأني أجد حين أسمعه شيئا يضغط قلبي ويحرقه فلا أملك عيني وما رأيت أحدا قط سمعه إلا كانت هذه حاله

صوت

من المائة المختارة

(يا دارَ عَبْلةَ من مَشارقِ مَأسَلِ ... دَرَس الشؤونُ وعهدُها لم يَنجلِ)
(فاستبدلتْ عُفْرَ الظِّباء كأنما ... أبعارُها في الصَّيف حَبُّ الفُلْفُلِ)
(تمشي النَّعامُ به خلاءً حولَه ... مَشْيَ النَّصارى حولَ بيت الهيكل)
((إحذرْ مَحَلَّ السّوءِ لا تَحْلُلْ به ... وإذا نَبَا بك منزلٌ فتحَوَّلِ
الشعر فيما ذكر يحيى بن علي عن إسحاق لعنترة بن شداد العبسي وما رأيت هذا الشعر في شيء من دواوين شعر عنترة ولعله من رواية لم تقع إلينا فذكر غير أبي أحمد أن الشعر لعبد قيس بن خفاف البرجمي إلا أن البيت الأخير لعنترة صحيح لا يشك فيه والغناء لأبي دلف القاسم بن عيسى العجلي ولحنه المختار على ما ذكره أبو أحمد من الثقيل الأول وذكر ابن خرداذبه أن لحن أبي دلف خفيف ثقيل بالوسطى وذكر إسحاق أن فيه لمعبد لحنا من الثقيل الأول المطلق في مجرى الوسطى وأن فيه لأبي دلف لحنا ولم يجنسه وذكر حبش أن فيه لابن محرز ثاني ثقيل بالوسطى وأن لابن سريج في البيت الثاني ثقيلا أول وذكر ابن خرداذبه أن خفيف الثقيل لمالك وليس ممن يعتمد على قوله وقد ذكر يونس أيضا أن فيه غناء لمالك ولم يذكر جنسه ولا طريقته

ذكر عنترة ونسبه وشيء من أخباره

هو عنترة بن شداد وقيل ابن عمرو بن شداد وقيل عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد بن مخزوم بن ربيعة وقيل مخزوم بن عوف بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن الريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر وله لقب يقال له عنترة الفلحاء وذلك لتشقق شفتيه وأمه أمة حبشية يقال لها زبيبة وكان لها ولد عبيد من غير شداد وكانوا إخوته لأمه وقد كان شداد نفاه مرة ثم اعترف به فألحق بنسبه وكانت العرب تفعل ذلك تستعبد بني الإماء فإن أنجب اعترفت به وإلا بقي عبدا
فأخبرني علي بن سليمان النحوي الأخفش قال أخبرنا أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري عن محمد بن حبيب قال أبو سعيد وذكر ذلك أبو عمرو الشيباني قالا كان عنترة قبل أن يدعيه أبوه حرشت عليه امرأة أبيه وقالت إنه يراودني عن نفسي فغضب من ذلك شداد غضبا شديدا وضربه ضربا مبرحا وضربه بالسيف فوقعت عليه امرأة أبيه وكفته عنه فلما رأت ما به من الجراح بكت وكان اسمها سمية وقيل سهية فقال عنترة

صوت

(أمِنْ سُمَيَّةَ دمعُ العين مذروفُ ... لو أنّ ذا منكِ قبل اليوم معروفُ)
((كأنَّها يوم صدَّتْ ما تكلِّمني ... ظَبْيٌ بعُسفانَ ساجي العَين مطروفُ
(تَجَلَّلتني إذ أهوَى العَصَا قِبَلي ... كأنَّها صَنَمٌ يُعتادُ معكوف)
(العبدُ عبدُكم والمالُ مالُكُمُ ... فهل عذابُكِ عنّي اليوم مصروفُ)
(تنسَى بلائي إذا ما غارةٌ لَحِقتْ ... تخرجُ منها الطُّوَالاتُ السَّراعيف)
(يخرُجن منها وقد بُلَّتْ رَحائلها ... بالماء تركضُها الشُّمُّ الغطاريف)
(قد أطعَن الطعنةَ النَّجْلاء عن عُرُضٍ ... تَصْفَرُّ كَفُّ أخيها وهو منزوف)
غنى في البيت الأول والثاني علوية ولحنه من الثقيل الأول مطلق في مجرى البنصر وقيل إنه لإبراهيم وفيهما رمل بالوسطى يقال إنه لابن سريج وهو من منحول ابن المكي
قوله مذروف من ذرفت عينه يقال ذرفت تذرف ذريفا وذرفا وهو قطر يكاد يتصل وقوله لو أن ذا منك قبل اليوم معروف أي قد أنكرت هذا الحنو والإشفاق منك لأنه لو كان معروفا قبل ذلك لم ينكره ساجي العين ساكنها والساجي الساكن من كل شيء مطروف أصابت عينه طرفة وإذا كان كذلك فهو أسكن لعينه تجللتني ألقت نفسها علي وأهوى اعتمد صنم يعتاد أي يؤتى مرة بعد مرة ومعكوف يعكف عليه والسراعيف السراع واحدتها سرعوفة والطوالات الخيل والرحائل السروج والشمم ارتفاع في الأنف والغطاريف الكرام والسادة أيضا والغطرفة ضرب من السير والمشي يختال فيه والنجلاء الواسعة يقال سنان منجل واسع الطعنة عن عرض أي
عن شق وحرف وقال غيره أعترضه اعتراضا حين أقتله

كيف ادعاه أبوه

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني عمي عن ابن الكلبي وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة قال قال ابن الكلبي
شداد جد عنترة غلب على نسبه وهو عنترة بن عمرو بن شداد وقد سمعت من يقول إن شدادا عمه كان نشأ في حجره فنسب إليه دون أبيه قال وإنما ادعاه أبوه بعد الكبر وذلك لأن أمه كانت أمة سوداء يقال لها زبيبة وكانت العرب في الجاهلية إذا كان للرجل منهم ولد من أمة استعبدوه وكان لعنترة إخوة من أمه عبيد وكان سبب ادعاء أبي عنترة إياه أن بعض أحياء العرب أغاروا على بني عبس فأصابوا منهم واستاقوا إبلا فتبعهم العبسيون فلحقوهم فقاتلوهم عما معهم وعنترة يومئذ فيهم فقال له أبوه كر يا عنترة فقال عنترة العبد لا يحسن الكر إنما يحسن الحلاب والصر فقال كر وأنت حر فكر وهو يقول
(أنا الهجينُ عَنْتَرهْ ... كلُّ امرىء يحمي حِرَهْ)
أسودَه وأحمرَه)

(والشَّعَراتِ المُشْعَره
(... الوارداتِ مِشْفَره)
وقاتل يومئذ قتالا حسنا فادعاه أبوه بعد ذلك وألحق به نسبه
وحكى غير ابن الكلبي أن السبب في هذا أن عبسا أغاروا على طيىء
فأصابوا نعما فلما أرادوا القسمة قالوا لعنترة لا نقسم لك نصيبا مثل أنصبائنا لأنك عبد فلما طال الخطب بينهم كرت
عليهم طيىء فاعتزلهم عنترة وقال دونكم القوم فإنكم عددهم واستنقذت طيىء الإبل فقال له أبوه كر يا عنترة فقال أو
يحسن العبد الكر فقال له أبوه العبد غيرك فاعترف به فكر واستنقذ النعم وجعل يقول
(أنا الهجينُ عَنْتَرهْ ... كلُّ امرىء يحمي حِرَهْ)
الأبيات
قال ابن الكلبي وعنترة أحد أغربة العرب وهم ثلاثة عنترة وأمه زبيبة وخفاف بن عمير الشريدي وأمه ندبة والسليك بن
عمير السعدي وأمه السلكة وإليهن ينسبون وفي ذلك يقول عنترة
(إنّي امرؤٌ من خير عَبْسٍ مَنْصِباً ... شَطْري وأحمِي سائري بالمُنْصُلِ)
(وإذا الكتيبةُ أحجمتْ وتلاحظت ... أُلفِيتُ خيراً من مُعَمٍّ مُخْوَلِ)
يقول إن أبي من أكرم عبس بشطري والشطر الآخر ينوب عن كرم أمي فيه ضربي بالسيف فأنا خير في قومي ممن
عمه وخاله منهم وهو لا يغني غنائي وأحسب أن هذه القصيدة هي التي يضاف إليها البيتان اللذان يغنى فيهما وهذه
الأبيات قالها في حرب داحس والغبراء

كان حامي لواء بني عبس

قال أبو عمرو الشيباني غزت بنو عبس بني تميم وعليهم قيس بن
زهير فانهزمت بنو عبس وطلبتهم بنو تميم فوقف لهم عنترة ولحقتهم كبكبة من الخيل فحامى عنترة عن الناس فلم
يصب مدبر وكان قيس بن زهير سيدهم فساءه ما صنع عنترة يومئذ فقال حين رجع والله ما حمى الناس إلا ابن السوداء
وكان قيس أكولا فبلغ عنترة ما قال فقال يعرض به قصيدته التي يقول فيها

صوت

(بَكَرَتْ تُخَوِّفُني الحُتوفَ كأنّني ... أصبحتُ عن عَرَض الحُتوف بمَعْزِلِ)
(فأجبتُها أنّ المنيَّةَ مَنْهَلٌ ... لا بدّ أن أُسقَى بكأس المنهلِ)
(فاقْنَيْ حياءكِ لا أبالكِ واعلمي ... أنّي امرؤ سأموت إن لم أُقْتَلِ)
(إنّ المنيَّة لو تُمَثَّلُ مُثِّلتْ ... مِثْلي إذا نزلوا بضَنْكِ المنزلِ)
(إني امرؤ من خير عَبْسٍ مَنْصِباً ... شَطْري وأحمي سائري بالمُنْصُلِ)
(وإذا الكتيبةُ أحْجمتْ وتلاحظتْ ... أُلْفِيتُ خيراً من مُعَمٍّ مُخْوَلِ)
(والخيلُ تعلم والفوارسُ أنّني ... فرَّقتُ جَمْعَهمُ بضَربةِ فيصلِ)
(إذ لا أبادِرُ في المَضيقِ فوارسي ... أوَ لا أُوَكَّلُ بالرَّعِيلِ الأوّلِ)
(إن يُلْحَقُوا أكْرُرْ وإن يستَلْحِمُوا ... أشْدُدْ وإن يُلْفَوْا بضَنْكٍ أنزلِ)
(حين النزولُ يكون غايةَ مِثلنا ... ويَفِرّ كلُّ مُضَلَّلٍ مُستَوْهِلِ
(والخيلُ ساهمةُ الوجوهِ كأنما ... تُسقَى فوارسُها نقيعَ الحنظلِ)
(ولقد أبيتُ على الطَّوَى وأظَلُّه ... حتى أنالَ به كريمَ المأكلِ)
عروضه من الكامل غنت في الأربعة الأبيات الأول والبيت الثاني عريب خفيف رمل بالبنصر من رواية الهشامي وابن المعتز
وأبي العبيس
الحتوف ما عرض للإنسان من المكاره والمتالف عن عرض أي ما يعرض منها بمعزل أي في ناحية معتزلة عن ذلك ومنهل
مورد وقوله فاقني حياءك أي احفظيه ولا تضيعيه والضنك الضيق يقول إن المنية لو خلقت مثالا لكانت في مثل صورتي
والمنصب الأصل والمنصل السيف ويقال منصل أيضا بفتح الصاد وأحجمت كعت والكتيبة الجماعة إذا اجتمعت ولم تنتشر
وتلاحظت نظرت من يقدم على العدو وأصل التلاحظ النظر من القوم بعضهم إلى بعض بمؤخر العين والفيصل الذي يفصل
بين الناس وقوله لا أبادر في المضيق فوارسي أي لا أكون أول منهزم ولكني أكون حاميتهم والرعيل القطعة من كل
شيء ويستلحموا يدركوا والمستلحم المدرك وأنشد الأصمعي
(نَجَّى علاجاً وبِشْراً كلُّ سَلْهَبَةٍ ... واستلحم الموتُ أصحابَ البَرَاذِينِ)
وساهمة ضامرة متغيرة قد كلح فوارسها لشدة الحرب وهولها وقوله ولقد أبيت على الطوى وأظله قال الأصمعي أبيت
بالليل على الطوى وأظل بالنهار كذلك حتى أنال به كريم المأكل أي ما لا عيب فيه عليّ
ومثله قوله إنه ليأتي علي اليومان لا أذوقهما طعاما ولا شرابا أي لا أذوق فيهما والطوى خمص البطن يقال رجل طيان
وطاوي البطن
وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا ابن عائشة قال
أنشد النبي قول عنترة
(ولقد أبيتُ على الطَّوَى وأظَلُّه ... حتيَّ أنالَ به كريمَ المأكل)
فقال ما وصف لي أعرابي قط فأحببت أن أراه إلا عنترة

خبر إلحاقه إخوته لأمه بنسب قومه

أخبرني علي بن سليمان قال حدثنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي وأبي عبيدة
أن عنترة كان له إخوة من أمه فأحب عنترة أن يدعيهم قومه فأمر أخا له كان خيرهم في نفسه يقال له حنبل فقال له أرو
مهرك اللبن ثم مر به علي عشاء فإذا قلت لكم ما شأن مهركم متخددا مهزولا ضامراً فاضرب بطنه بالسيف كأنك تريهم
أنك قد غضبت مما قلت فمر عليهم فقال له يا حنبل ما شأن مهركم متخددا أعجر من اللبن فأهوى أخوه بالسيف إلى
بطن مهره فضربه فظهر اللبن فقال في ذلك عنترة
(أبَنِي زَبِيبةَ ما لِمُهْرِكُمُ ... مُتَخَدِّداً وبطونُكم عُجْرُ)
(ألكم بإيغال الوليدِ على ... أَثَر الشِّياه بشدّةٍ خُبْرُ)

وهي قصيدة قال فاستلاطه نفر من قومه ونفاه آخرون ففي ذلك يقول عنترة
(ألاَ يا دارَ عَبْلَةَ بالطَّويِّ ... كَرَجْعِ الوَشْمِ في كَفِّ الهَدِيِّ)
وهي طويلة يعدد فيها بلاءه وآثاره عند قومه
أخبرني عمي قال أخبرني الكراني عن النضر بن عمرو عن الهيثم بن عدي قال
قيل لعنترة أنت أشجع العرب وأشدها قال لا قيل فبماذا شاع لك هذا في الناس قال كنت أقدم إذا رأيت الإقدام عزما وأحجم إذا رأيت الإحجام حزما ولا أدخل إلا موضعا أرى لي منه مخرجا وكنت أعتمد الضعيف الجبان فأضربه الضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع فأثني عليه فأقتله
أخبرني حبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدثنا عمر بن شبة قال
قال عمر بن الخطاب للحطيئة كيف كنتم في حربكم قال كنا ألف فارس حازم قال وكيف يكون ذلك قال كان قيس بن زهير فينا وكان حازما فكنا لا نعصيه وكان فارسنا عنترة فكنا نحمل إذا حمل ونحجم إذا أحجم وكان فينا الربيع بن زياد وكان ذا رأي فكنا نستشيره ولا نخالفه وكان فينا عروة بن الورد فكنا نأتم بشعره فكنا كما وصفت لك فقال عمر صدقت
أخبرني علي بن سليمان قال حدثنا أبو سعيد السكري قال قال محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل عن أبي عبيدة وابن الكلبي قالا

موته

أغار عنترة على بني نبهان من طيىء فطرد لهم طريدة وهو شيخ كبير فجعل يرتجز وهو يطردها ويقول
(... آثارُ ظُلْمَانٍ بقاعٍ مُحرب)
قال وكان زر بن جابر النبهاني في فتوة فرماه وقال خذها وأنا ابن سلمى فقطع مطاه فتحامل بالرمية حتى أتى أهله فقال وهو مجروح
(وإنّ ابنَ سَلْمَى عنده فاعلموا دَمِي ... وهيهاتَ لا يُرْجَى ابن سلمى ولا دَمِي)
(يحلُّ بأكناف الشِّعاب وينتمي ... مكانَ الثُّرَيَّا ليس بالمُتَهضَّمِ)
(رماني ولم يَدْهَشْ بأزرقَ لَهْذَمٍ ... عشيَّةَ حلُّوا بين نَعْفٍ ومَخْرِمِ)
قال ابن الكلبي وكان الذي قتله يلقب بالأسد الرهيص وأما أبو عمرو الشيباني فذكر أنه غزا طيئا مع قومه فانهزمت عبس فخر عن فرسه ولم يقدر من الكبر أن يعود فيركب فدخل دغلا وأبصره ربيئة طيىء فنزل إليه وهاب أن يأخذه أسيرا فرماه وقتله
وذكر أبو عبيدة أنه كان قد أسن واحتاج وعجز بكبر سنه عن الغارات وكان له على رجل من غطفان بكر فخرج يتقاضاه إياه فهاجت عليه ريح من صيف وهو بين شرج وناظرة فأصابته فقتلته
قال أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال
كان عمرو بن معد يكرب يقول ما أبالي من لقيت من فرسان العرب ما لم يلقني حراها وهجيناها يعني بالحرين عامر بن الطفيل وعتيبة بن الحارث بن شهاب وبالعبدين عنترة والسليك بن السلكة
هذه أخبار عنترة قد ذكرت فيها ما حضر

نبذة عن ترجمة عبد قيس البرجمي

وأما عبد قيس بن خفاف البرجمي فإني لم أجد له خبرا أذكره إلا ما أخبرني به جعفر بن قدامة قال قرأت في كتاب لأبي عثمان المازني كان عبد قيس بن خفاف البرجمي أتى حاتم طيىء في دماء حملها عن قومه فأسلموه فيها وعجز عنها فقال والله لآتين من يحملها عني وكان شريفا شاعرا شجاعا فقدم على حاتم وقال له إنه وقعت بيني وبين قومي دماء فتواكلوها وإني حملتها في مالي وأهلي فقدمت مالي وأخرت أهلي وكنت أوثق الناس في نفسي فإن تحملتها فكم من حق قضيته وهم كفيته وإن حال دون ذلك حائل لم أذمم يومك ولم أنس غدك ثم أنشأ يقول
(حملتُ دماءً للبَرَاجِمِ جَمَّةً ... فجئتُكَ لَمَّا أسلمتْني البراجِمُ)
(وقالوا سَفَاهاً لِمْ حَمَلْتَ دماءَنَا ... فقلتُ لهم يكفي الحَمَالَةَ حاتمُ)
(متى آته فيها يَقُلْ لِيَ مرحباً ... وأهلاً وسهلاً أخطأتْكَ الأشائم)
(فيحملها عنِّي وإن شئتُ زادَني ... زيادةَ مَنْ حِيزَتْ إليه المكارمُ)
(يعيشُ النَّدَى ما عاش حاتمُ طَيِّىءٍ ... وإن مات قامت للسخاء مآتمُ)
(يُنادِينَ مات الجودُ مَعْكَ فلا نَرَى ... مُجيباً له ما حام في الجوِّ حائم)
(وقال رجال أنهبَ العامَ مالَه ... فقلت لهم إنِّي بذلك عالِمُ)
(ولكنه يُعطِى مِنَ اموال طيِّىءٍ ... إذا حلَّق المالَ الحقوقُ اللَّوازمُ)
(فيُعطِي الَّتي فيها الغِنَى وكأنه لتصغيره تلك العطيَّةَ جارِمُ)
(بذلك أوصاه عَدِيٌّ وحَشْرَجٌ ... وسَعْدٌ وعبدُ اللّه تلك القَماقِمُ)
فقال له حاتم إني كنت لأحب أن يأتيني مثلك من قومك وهذا
مرباعي من الغارة على بني تميم فخذه وافراً فإن وفى بالحمالة وإلا أكملتها لك وهي مائتا بعير سوى نيبها وفصالها مع أني لا أحب أن تؤيس قومك بأموالهم فضحك أبو جبيل وقال لكم ما أخذتم منا ولنا ما أخذنا منكم وأي بعير دفعته إلي وليس ذنبه في يد صاحبه فأنت منه بريء فأخذها وزاده مائة بعير وانصرف راجعا إلى قومه فقال حاتم
(أتاني البُرْجُمِيُّ أبو جُبَيْلٍ ... لِهَمٍّ في حَمَالتِه طويل)
(فقلت له خُذِ المرباعَ منها ... فإنِّي لستُ أرضَى بالقليل)
(على حالٍ ولا عوّدتُ نفسي ... على عِلاَّتِها عِلَلَ البخيل)
(فخُذْها إنها مائتَا بعيرٍ ... سوى النابِ الرذِيَّة والفصيل)
(ولا مَنٌّ عليك بها فإنِّي ... رأيتُ المَنَّ يُزْرِي بالجميل)
(فآبَ البُرْجُمِيُّ وما عليه ... مِنَ اعباءِ الحَمالةِ من فتيل)
(يَجُرُّ الذَّيْلَ ينفض مِذْرَوَيْهِ ... خفيفَ الظهر من حملٍ ثقيل)

ذكر أبي دلف ونسبه وأخباره

هو القاسم بن عيسى بن إدريس أحد بني عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ومحله في الشجاعة وعلو

المحل عند الخلفاء وعظم الغناء في المشاهد وحسن الأدب وجودة الشعر محل ليس لكبير أحد من نظرائه وذكر ذلك أجمع مما لا معنى له لطوله وفي هذا القدر من أخباره مقنع وله أشعار جياد وصنعة كثيرة حسنة فمن جيد شعره وله فيه صنعة قوله

صوت

(بنفسِي يا جِنَانُ وأنتِ منِّي ... محلَّ الروح من جَسَدِ الجَبَانِ)
(ولو أنِّي أقول مكانَ نفسي ... خَشِيتُ عليكِ بادِرَةَ الزمانِ)
(لإقدامي إذا ما الخيلُ حامتْ ... وهابَ كُمَاتُها حَرَّ الطِّعانِ)

وله فيه لحن وهذا البيت الأول أخذه من كلام إبراهيم النظام
أخبرني به علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن الحسن بن الحرون قال
لقي إبراهيم النظام غلاما حسن الوجه فاستحسنه وأراد كلامه فعارضه
ثم قال له يا غلام إنك لولا ما سبق من قول الحكماء مما جعلوا به السبيل لمثلي إلى مثلك في قولهم لا ينبغي لأحد أن يكبر عن أن يسأل كما أنه لا ينبغي لأحد أن يصغر عن أن يقول لما أنبت إلى مخاطبتك ولا انشرح صدري لمحادثتك لكنه سبب الإخاء وعقد المودة ومحلك من قلبي محل الروح من جسد الجبان فقال له الغلام وهو لا يعرفه لئن قلت ذلك أيها الرجل لقد قال أستاذنا إبراهيم النظام الطبائع تجاذب ما شاكلها بالمجانسة وتميل إلى ما قاربها بالموافقة وكياني مائل إلى كيانك بكليتي ولو كان الذي انطوى عليه عرضا لم أعتد به ودا ولكنه جوهر جسمي فبقاؤه ببقاء النفس وعدمه بعدمها وأقول كما قال الهذلي

(فتَيَقَّنِي أنْ قد كَلِفتُ بكم ... ثم افْعَلِي ما شئتِ عن علمِ)

فقال له النظام إنما كلمتك بما سمعت وأنت عندي غلام مستحسن ولو علمت أن محلك مثل محل معمر وطبقته في الجدل لما تعرضت لك قال أبو الحسن ومن هذا أخذ أبو دلف قوله

(أُحِبُّكِ يا جِنانُ وأنتِ منِّي ... محلَّ الرُّوح من جسد الجبانِ)

ومن جيد شعره وله فيه صنعة قوله

صوت

(في كل يومٍ أرَى بيضاءَ طالعةً ... كأنَّما أُنبِتتْ في ناظر البَصَرِ)
(لئن قَصَصْتُكِ بالمِقْراضِ عن بَصَرِي ... لَمَا قطعتُكِ عن هَمِّي وعن فِكَرِي)

حارب الشراة وهو بالسرادن

أخبرني علي بن عبد العزيز الكاتب قال حدثني أبي قال سمعت عبد العزيز بن دلف بن أبي دلف يقول حدثتني ظبية جارية أبي قالت إني لمعه ليلة بالسرادن وهو جالس يشرب معي وعليه ثياب ممسكة إذ أتاه الصريح بطروق الشراة أطراف عسكره فلبس الجوشن ومضى فقتل وأسر وانصرف إلي في آخر الليل وهو يغني قالت والشعر له

صوت

(ليلتِي بالسَّرَادِنِ ... كُلِّلتْ بالمحاسنِ)
(وجَوَارٍ أوَانسٍ ... كالظِّباءِ الشَّوادِنِ)
(بُدِّلتْ بالمُمسَّكَاتِ ... ادِّراعَ الجَوَاشِنِ)

الشعر لأبي دلف والغناء له رمل بالسبابة في مجرى البنصر

خرج مع الإفشين لحرب بابك

وقال أحمد بن أبي طاهر كان أبو دلف القاسم بن عيسى في جملة من كان مع الإفشين خيذر بن كاووس لما خرج لمحاربة بابك ثم تنكر له فوجه يوما بمن جاء به ليقتله وبلغ المعتصم الخبر فبعث إليه بأحمد بن أبي دواد وقال له أدركه وما أراك تلحقه فاحتل في خلاصه منه كيف شئت قال ابن أبي دواد فمضيت ركضا حتى وافيته فإذا أبو دلف واقف بين يديه وقد أخذ بيديه غلامان له تركيان فرميت بنفسي على البساط وكنت إذا جئته دعا لي بمصلى فقال لي سبحان الله ما حملك على هذا قلت أنت أجلستني هذا المجلس ثم كلمته في القاسم وسألته فيه وخضعت له فجعل لا يزداد إلا غلظة فلما رأيت ذلك قلت هذا عبد وقد أغرقت في الرفق به فلم ينفع وليس إلا أخذه بالرهبة والصدق فقمت فقلت كم تراك قدرت تقتل أولياء أمير المؤمنين واحداً بعد واحد وتخالف أمره في قائد بعد قائد قد حملت إليك هذه الرسالة عن أمير المؤمنين فهات الجواب قال فذل حتى لصق بالأرض وبان لي الاضطراب فيه فلما رأيت ذلك نهضت إلى أبي دلف وأخذت بيده وقلت له قد أخذته بأمر أمير المؤمنين فقال لا تفعل يا أبا عبد الله فقلت قد فعلت وأخرجت القاسم فحملته على دابة ووافيت المعتصم فلما بصر بي قال بك يا ابا عبد الله وريت زنادي ثم رد علي خبري مع الإفشين حدسا بظنه ما أخطأ فيه حرفا ثم سألني عما ذكره لي وهو كما قال فأخبرته أنه لم يخطىء حرفا

أحمد بن أبي دواد ينكر عليه غناءه

وقال علي بن محمد حدثني جدي قال
كان أحمد بن أبي دواد ينكر أمر الغناء إنكارا شديداً فأعلمه المعتصم أن صديقه ابا دلف يغني فقال ما أراه مع عقله يفعل ذلك فستر احمد بن أبي دواد في موضع وأحضر ابا دلف وأمره أن يغني ففعل ذلك وأطال ثم خرج احمد بن أبي دواد عليه من موضعه والكراهة ظاهرة في وجهه فلما رآه
أحمد قال له سوءة لهذا من فعل بعد هذه السن وهذا المحل تضع نفسك كما أرى فخجل ابو دلف وتشور وقال إنهم أكرهوني على ذلك فقال هبهم أكرهوك على الغناء أفأكرهوك على الإحسان والإصابة
قال علي وحدثني جدي أن سبب منادمته للمعتصم أنه كان نديما للواثق وكان ابو دلف قد وصف للمعتصم فأحب أن يسمعه وسأل الواثق عنه فقال يا أمير المؤمنين أنا على الفصد غداً وهم عندي فقال له المعتصم أحب ألاَّ تخفي علي شيئا من خبركم وفصد الواثق فأتاه أبو دلف وأتته رسل الخليفة بالهدايا وأعلمهم الواثق حضور أبي دلف عنده فلم يلبث أن أقبل الخدم يقولون قد جاء الخليفة فقام الواثق وكل من عنده حتى تلقوه حين برز من الدهليز إلى الصحن فجاء حتى جلس وأمر بندماء الواثق فردوا إلى مجالسهم قال حمدون وخنست عن مجلسي الذي كنت فيه لحداثتي فنظر المعتصم إلى مكاني خاليا فسأل عن صاحبه فسميت له فأمر بإحضاري فرجعت إلى مكاني وأمر بأن يؤتى برطل من شرابه فأتي به فأقبل على أبي دلف فقال له يا قاسم غنِّ أمير المؤمنين صوتا فما حصر ولا تثاقل وقال أغني أمير المؤمنين صوتا بعينه

أو ما اخترته قال بل غنِّ صنعتك في شعر جرير
(...بَانَ الخليطُ برامَتَيْنِ فودَّعوا)
فغناه إياه فقال المعتصم أحسن أحسن ثلاثا وشرب الرطل ولم يزل يستعيده ويشرب عليه حتى والى بين سبعة أرطال ثم دعا بحمار فركبه وأمر أبا دلف أن ينصرف معه وأمرني بالانصراف معهما فخرجت أسعى مع ركابه فثبت في ندمائه من ذلك اليوم وأمر لأبي دلف بعشرين ألف دينار
نسبة الصوت الذي غناه ابو دلف
صوت
(بَانَ الخليطُ برامتَيْنِ فودَّعوا ... أوَكُلَّما اعتزموا لبينٍ تَجْزَعُ)
(كيف العَزاءُ ولم أجِدْ مذ غِبْتُمُ ... قلباً يَقَرُّ ولا شراباً يَنْقَعُ)
عروضه من الكامل الشعر لجرير والغناء لأبي دلف ثاني ثقيل بالبنصر عن الهشامي وعمرو بن بانة
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال
كان جعفر بن أبي جعفر المنصور المعروف بابن الكردية يستخف مطيع بن إياس وكان منقطعا إليه وله منه منزلة حسنة فذكر له مطيع بن إياس حماداً الراوية وكان مطرحا مجفوا في أيامهم فقال له دعني فإن دولتي كانت في بني أمية وما لي عند هؤلاء خير فأبى مطيع إلا الذهاب به إليه فاستعار سواداً وسيفاً ثم أتاه فدخل على جعفر فسلم عليه وجلس فقال له جعفر أنشدني فقال لمن أيها الأمير قال لجرير قال حماد فسلخ الله شعره أجمع من قلبي إلا قوله
(... (بَانَ الخليطُ برامتين فودَّعوا
فاندفعت أنشده إياه حتى بلغت إلى قوله
(وتقول بَوْزَعُ قد دَبَبْتَ على العَصَا ... هَلاَّ هَزِئْتِ بغيرنا يا بَوْزَعُ)
قال حماد فقال لي جعفر أعد هذا البيت فأعدته فقال إيش هو بوزع قلت اسم امرأة قال امرأة اسمها بوزع هو بريء من الله ورسوله ومن العباس بن عبد المطلب إن كانت بوزع إلا غولا من الغيلان تركتني والله يا هذا لا أنام الليل من فزع بوزع يا غلمان قفاه قال فصفعت والله حتى لم أدر أين أنا ثم قال جروا برجله فجروا برجلي حتى أخرجت من بين يديه وقد تخرق السواد وانكسر جفن السيف ولقيت شرا عظيما مما جرى من ذلك وكان أغلظ من ذلك علي غرامتي السواد والسيف فلما انصرف إلي مطيع جعل يتوجع لي فقلت له ألم أخبرك أني لا أصيب منهم خيرا وأن حظي قد مضى مع من مضى من بني أمية
رجع الحديث إلى اخبار أبي دلف
وكان أبو دلف جوادا ممدحا وفيه يقول علي بن جبلة
(إنما الدُّنيا أبو دُلَفٍ ... بين مَغْزاهُ ومُحْتَضَرِهْ)
(وإذا وَلَّى أبو دُلَفٍ ... وَلَّتِ الدُّنيا على أَثَرِهْ)
وهي من جيد شعره وحسن مدائحه وفيها يقول
(ذادَ وِرْدَ الغَيِّ عن صَدَرِهْ ... وارعَوَى واللَّهْوُ من وَطَرِهْ)
(نَدَمِي أنَّ الشَّبابَ مَضَى ... لم أُبَلِّغْهُ مَدَى أَشَرِهْ)
(حَسَرَتْ عنِّي بَشاشَتُه ... وذَوَى المحمودُ من ثَمَرِهْ)
(ودمٍ أَهْدَرتُ من رَشَأٍ ... لم يُرِدْ عَقْلاً على هَدَرِهْ)
(فأَتَتْ دون الصِّبَا هَنَةٌ ... قلبتْ فُوقي على وَتَرِهْ)
(دَعْ جَدَا قَحْطانَ أو مُضَرٍ ... في يمانِيهِ وفي مُضَرِهْ)
(وامْتَدِحْ من وائلٍ رجلاً ... عُصُرُ الآفاقِ من عُصُرِهْ)
(المنايا في مَقَانِبِه ... والعطايَا في ذَرَا حُجَرِهْ)
(مَلِكٌ تندَى أنَامِلُه ... كانبلاج النَّوْءِ عن مَطَرِهْ)
(مستهلٌّ عن مَواهِبِه ... كابتسام الرَّوْضِ عن زَهَرِهْ)
(جَبَلٌ عزَّتْ مَنَاكِبُه ... أمِنتْ عَدْنانُ في ثَغَرِهْ)
(إنما الدُّنيا أبو دُلَفٍ ... بين مَغْزاهُ ومُحتَضَرِهْ)
(فإذا وَلَّى أبو دُلَفٍ ... وَلَّتِ الدنيا على أَثَرِهْ)
(كلُّ مَنْ في الأرضِ من عَرَبٍ ... بين بادِيهِ إلى حَضَرِهْ)
(مستعيرٌ منه مَكْرُمَةً ... يكتسيها يومَ مُفْتَخَرِهْ)
وهذان البيتان هما اللذان احفظا المأمون على علي بن جبلة حتى سل لسانه من قفاه وقوله في أبي دلف أيضا
(أنت الذي تُنزِل الأيّامَ منزلَها ... وتَنْقُلُ الدهرَ من حالٍ إلى حالِ)
(وما مددتَ مَدَى طَرْفٍ إلى أحدٍ ... إلاّ قضيتَ بأرزاقٍ وآجال)
وسنذكر ذلك في موضعه من أخبار علي بن جبلة إن شاء الله تعالى
إذ كان القصد ها هنا أمر أبي دلف
أخبار عن شدة كرمه
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال
كنا عند أبي العباس المبرد يوما وعنده فتى من ولد أبي البختري وهب بن وهب القاضي أمرد حسن الوجه وفتى من ولد أبي دلف العجلي شبيه به في الجمال فقال المبرد لابن أبي البختري أعرف لجدك قصة ظريفة من الكرم حسنة لم يسبق إليها قال وما هي قال دعي رجل من أهل الأدب إلى بعض المواضع فسقوه نبيذا غير الذي كانوا يشربون منه فقال فيهم
(نَبِيذانِ في مجلسٍ واحدٍ ... لإيثارِ مُثْرٍ على مُقْتِرِ)
(فلو كان فعلُك ذا في الطعامِ ... لَزِمْتَ قياسَك في المُسْكِرِ)
(ولو كنتَ تطلب شأوَ الكرام ... صنعتَ صنيعَ أبي البَخْتَرِي)
(تتبَّعَ إخوانَه في البلاد ... فأغنى المُقِلَّ عن المُكْثِرِ)

فبلغت الأبيات أبا البختري فبعث إليه بثلثمائة دينار قال ابن عمار فقلت قد فعل جد هذا الفتى في هذا المعنى ما هو أحسن من هذا قال وما فعل قلت بلغه أن رجلا افتقر بعد ثروة فقالت له امرأته افترض في الجند فقال

(إليكِ عنِّي فقد كَلَّفْتِنِي شَطَطاً ... حَمْلَ السلاح وقِيلَ الدَّارعين قِفِ)

تمشي المنايا إلى غيري فأكْرَهُها)

(فكيف أمشِي إليها عاريَ الكَتِفِ

(حَسِبتِ أنّ نفادَ المال غيَّرني ... وأنّ رُوحِيَ في جَنْبَيْ أبي دُلَفِ)

فأحضره أبو دلف ثم قال له كم أملت امرأتك أن يكون رزقك قال مائة دينار قال وكم أملت أن تعيش قال عشرين سنة قال فذلك لك علي

على ما أملت امرأتك في مالنا دون مال السلطان وأمر بإعطائه إياه قال فرأيت وجه ابن أبي دلف يتهلل وانكسر ابن أبي البختري انكساراً شديداً

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد المبرد قال أخبرني علي بن القاسم قال

قال علي بن جبلة زرت أبا دلف بالجبل فكان يظهر من إكرامي وبري والتحفي بي أمراً مفرطاً حتى تأخرت عنه حيناً حياء فبعث إلي معقل بن عيسى فقال يقول لك الأمير قد انقطعت عني وأحسبك استقللت بري بك فلا يغضبنك ذلك فسأزيد فيه حتى ترضى فقلت والله ما قطعني إلا إفراطه في البر وكتبت إليه

(هجرتُكَ لم أهجُرْكَ من كفر نعمةٍ ... وهل يُرْتَجَى نَيْلُ الزيادة بالكفر)

(ولكنّني لمّا أتيتُك زائراً ... فأفرطتَ في برِّي عجزتُ عن الشكر)

(فَمِ الانَ لا آتيك إلا مُسَلِّماً ... أزورُك في الشهرين يوماً أو الشهر)

(فإن زدْتَنِي بِرّاً تزايدتُ جفوةً ... ولم تلقَني طولَ الحياةِ إلى الحشر)

فلما قرأها معقل استحسنها جدا وقال أحسنت والله أما إن الأمير لتعجبه هذه المعاني فلما أوصلها إلى أبي دلف قال قاتله الله ما اشعره وأدق معانيه فأعجبته فأجابني لوقته وكان حسن البديهة حاضر الجواب

(ألاَ رُبَّ ضيفٍ طارقٍ قد بَسَطتُه ... وآنستُه قبل الضِّيافة بالبِشْرِ)

(أتاني يرجِّيني فما حالَ دونه ... ودون القِرَى والعُرْفِ ما نائلي سِتْري)

(وجدتُ له فضلاً عليَّ بقَصْدِهِ ... إليَّ وبِرّاً زاد فيه على بِرِّي)

(فزوَّدته مالاً يَقِلّ بقاؤه ... وزوَّدني مدحاً يدوم على الدهر)

حذف

قال وبعث إلي بالأبيات مع وصيف له وبعث معه إلي بألف دينار فقلت

حينئذ إنما الدنيا أبو دُلَفٍ ...) الأبيات)

أخبرني علي بن سليمان قال أخبرنا المبرد قال أخبرني إبراهيم بن خلف قال

بينا أبو دلف يسير مع معقل وهما إذ ذاك بالعراق إذ مرا بقصر فأشرفت منه جاريتان فقالت إحداهما للأخرى هذا أبو دلف الذي يقول فيه الشاعر

(... إنما الدنيا أبو دُلَفِ)

فقالت الأخرى أوهذا قد والله كنت أحب أن أراه منذ سمعت ما قيل فيه فالتفت أبو دلف إلى معقل فقال ما أنصفنا علي بن جبلة ولا وفيناه حقه إن ذلك لمن كبير همي وكان أعطاه ألف دينار

صوت من المائة المختارة من رواية علي بن يحيى

(أمَّا القَطاةُ فإنِّي سوف أنعَتُها ... نعتاً يُوافِقُ منها بعضَ ما فيها)

(سَكَّاءُ مخطوبةٌ في ريشها طَرَقٌ ... صُهْبٌ قَوادِمُها كُدْرٌ خَوافيها)

عروضه من البسيط والشعر مختلف في قائله ينسب إلى أوس بن غلفاء الهجيمي وإلى مزاحم العقيلي وإلى العباس بن يزيد بن الأسود الكندي وإلى العجير السلولي وإلى عمرو بن عقيل بن الحجاج الهجيمي وهو أصح الأقوال

رواه ثعلب عن أبي نصر عن الأصمعي وعلى أن في هذه الروايات أبياتا ليست مما يغنى فيه وأبياتا ليست في الرواية وقد روي أيضا أن الجماعة المذكورة تساجلوا هذه الأبيات فقال كل واحد منهم بعضا وأخبار ذلك وما يحتاج إليه في شرح غريبه يذكر بعد هذا والغناء في اللحن المختار لمعبد خفيف ثقيل أول بالوسطى وفي هذين البيتين مع أبيات أخر من القصيدة اشتراك كثير بين المغنين يتقدم بعض الأبيات فيه بعضا ويتأخر بعضها عن بعض على اختلاف تقديم ذلك وتأخيره والأبيات تكتب ها هنا ثم تنسب صنعة كل صانع في شيء منها إليه وهي بعد البيتين الأولين إذ كانا قد مضيا واستغني عن إعادتهما

(لمَّا تبدَّى لها طارت وقد علِمتْ ... أنْ قد أظِلَ وأنّ الحيّ غاشِيها)

(تَشْتَقُّ في حيث لم تُبْعِدْ مُصَعِّدةً ... ولم تُصَوِّبْ إلى أدنى مَهَاوِيها)

(تَنْتاشُ صفراءَ مطروقاً بقيَّتُها ... قد كاد يأزي عن الدُّعْموص آزِيها)

(ما هاج عينَكَ أمْ قد كاد يُبكِيها ... من رَسْمِ دار كسَحْقِ البُرْدِ باقيها)

(فلا غنيمة تُوفِي بالذي وَعَدتْ ... ولا فؤادُك حتى الموتِ ناسِيها)

ثبط مولى عبد الله بن جعفر خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر من رواية إسحاق في أما القطاة والذي بعده وتنتاش صفراء خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو ولإبراهيم الموصلي في لما تبدى لها وأما القطاة خفيف رمل عن الهشامي ولعمر الوادي في أما القطاة ثقيل بالوسطى ولابن جامع في لما تبدى لها وبعده أما القطاة خفيف رمل ولسياط في الأول والثاني وبعدهما تشتق في حيث لم تبعد خفيف ثقيل بالبنصر ومن الناس من ينسب

لحنه إلى عمر الوادي وينسب لحن عمر إليه ولعلويه في أما القطاة والذي بعده رمل هو من صدور أغانيه ومقدمها فجميع ما وجدته في هذه الأبيات من الصنعة أحد عشر لحنا

أقوال بعض الشعراء في وصف القطاة

فأما خبر هذا الشعر فإن ابن الكلبي زعم أن السبب فيه أن العجير السلولي وأوس بن غلفاء الهجيمي ومزاحما العقيلي والعباس بن يزيد بن الأسود الكندي وحميد بن ثور الهلالي اجتمعوا فتفاخروا بأشعارهم وتناشدوا وادعى كل واحد منهم أنه أشعر من صاحبه ومر بهم سرب قطا فقال أحدهم تعالوا حتى نصف القطا ثم نتحاكم إلى من نتراضى به فأينا كان

أحسن وصفا لها غلب أصحابه فتراهنوا على ذلك فقال أوس بن غلفاء الأبيات المذكورة وهي أما القطاة وقل حميد أبياتا وصف ناقته فيها ثم خرج إلى صفة القطاة فقال

(كما انصَلَتتْ كَدْراءُ تسقِي فِرَاخَها ... بشَمْظَةَ رِفْهاً والمِياهُ شُعُوبُ)

(غدتْ لم تُباعدْ في السماء ودونها ... إذا ما علتْ أُهْوِيَّةٌ وصَبُوبُ)

(قرينةُ سبْعٍ إنْ تَواترنَ مَرَّةً ... ضَرَبن فصَفَّتْ أرؤس وجُنوبُ)

(فجاءتْ وما جاء القطا ثم قَلَّصتْ ... بمَفْحَصِها والواردات تَنوبُ)

(وجاءت ومَسْقَاها الذي وردتْ به ... إلى الصَّدْر مشدودُ العِصَامِ كَتِيبُ)

(تُبادِر أطفالاً مساكينَ دونها ... فَلاً لا تَخَطَّاه العيونُ رَغِيبُ)

(وصفْنَ لها مُزْناً بأرض تَنُوفةٍ ... فما هي إلاَّ نَهْلَةٌ وتؤوبُ)

وقال العباس بن يزيد بن الأسود هكذا ذكر ابن الكلبي وغيره يرويها لبعض بني مرة

(حَذَّاءُ مُدْبِرةً سَكَّاءُ مقبلةً ... للماء في النحر منها نَوْطةٌ عَجَبُ)

(تسقي أُزَيْغِبَ تُرويه مُجاجتها ... وذاك من ظَمْأةٍ من ظِمْئها شَرَبُ)

(مُنْهَرِت الشِّدْقِ لم تَنْبُتْ قَوَادِمُه ... في حاجِبِ العين من تسبيده زَبَبُ)

(تدعو القَطَا بقصير الخطو ليس له ... قُدَّام مَنْحَرها ريشٌ ولا زَغَبُ)

(تدعو القَطَا وبه تُدْعَى إذا انتسبتْ ... يا صِدْقَها حين تدعوه وتنتسبُ)

وقال مزاحم العقيلي

(أذلكَ أم كُدْرِيَّةٌ هاج وِرْدَها ... من القيظ يومٌ وَاقِدٌ وسَمُومُ)

(غدتْ كَنواة القَسْبِ لا مُضْمِحِلَّةٌ ... ونَاةٌ ولا عَجْلَى الفُتورِ سؤومُ)

(تُواشِكُ رَجْعَ المَنْكِبين وترتمي ... إلى كَلْكَلٍ للهاديات قَدُومُ)

(فما انخفضتْ حتى رأتْ ما يسرُّها ... وفَيْءُ الضُّحَى قد مال فهو ذميمُ)

((أباطِح وانتصَّتْ على حيث تستقى ... بها شَرَكٌ للواردات مُقيمُ)

(سقتْها سيولُ المُدْجِناتِ فأصبحتْ ... عَلاَجِيمَ تَجْري مرّةً وتدومُ)

(فلما استقتْ من بارد الماء وانجلَى ... عن النفس منها لَوْحَةٌ وهمومُ)

(دعتْ باسمِها حين استقتْ فاستقلَّها ... قَوَادِمُ حجنٌ ريشُهن مليمُ)

(بجَوْزٍ كحُقِّ الهاجرية زانَه ... بأطراف عودِ الفارسِ وُشومُ)

يعني حق الطيب شبه حوصلتها بها والوشوم يعني الشية التي في صدرها

(لتسقِي زُغْباً بالتَّنوفةِ لم يكن ... خِلافَ مُوَلاَّها لهنّ حميمُ)

(تَرَائكَ بالأرضِ الفَلاةِ ومن يَدَعْ ... بمنزلها الأولادَ فهو مُليمُ)

(إذا استقبلتْها الريحُ طَمَّتْ رفيقةً ... وهنَّ بمهوًى كالكُرَاتِ جُثُومُ)

(بَراطِنَ وَقْصاءَ القَفَا وَحْشةَ الشَّوَى ... بدعوى القَطَا لَحْنٌ لهنّ قديمُ)

(فيتْنَ قريراتِ العيونِ وقد جرى ... عليهن شِرْبٌ فاستقَيْنَ مُنيمُ)

(صبِيبُ سِقَاءٍ نِيطَ قد بَرَكتْ به ... مُعَاودةٌ سَقْيَ الفِرَاخ رَؤومُ)

وقال العجير فيما روى ابن الكلبي وقد تروى لغيره

(سأغلِبُ والسماءِ ومَنْ بناها ... قَطاةَ مُزاحِمٍ ومَنْ انتحاها)

((قَطاةَ مُزاحِمٍ وأبي المُثَنَّى ... على جُوزِيَّةٍ صُلْبٍ شَوَاها)

(غدتْ كالقَطْرةِ السَّفْواء تَهْوي ... أمام مُجَلْجِلٍ زَجِلٍ نَفَاها)

(تَكَفَّأ كالجُمانَةِ لا تُبالي ... أبالموماةِ أضحتْ أم سِواها)

(نبتْ منها العَجيزةُ فاحزألّتْ ... ونَبَّسَ للتقتُّل مَنْكِبَاها)

(كأنّ كعوبها أطرافُ نَبْلٍ ... كساها الزَّارقيَّةَ مَنْ بَراها)

قال واحتكموا إلى ليلى الأخيلية فحكمن لأوس بن غلفاء

وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا يعقوب بن إسرائيل عن قعنب بن محرز الباهلي قال حدثني رجل عن أبي عبيدة قال أخبرنا حميد بن ثور والعجير السلولي ومزاحم العقيلي وأوس بن غلفاء الهجيمي أنهم تحاكموا إلى ليلى الأخيلية لما وصفوا القطاة أيهم أحسن وصفاً لها فقالت

(ألاَ كلُّ ما قال الرُّواة وأنشدوا ... بها غير ما قال السَّلُوليُّ بَهْرَجُ)

وحكمت له فقال حميد بن ثور يهجوها

(كأنَّكِ وَرْهاءُ العِنانَيْن بغلةٌ ... رأت حُصُناً فعارضتْهنّ تَشْحَجُ)

ووجدت هذه الحكاية عن أبي عبيدة مذكورة عن دماذ عنه وأنه سأله عن أبيات العجير فأنشده

(تجوبُ الدُّجَى سَكَّاءُ من دونِ فَرخِها ... بِمَطْلَى أَرِيكٍ نَفْنَفٌ وسُهوبُ)

(فجاءت وقَرْنُ الشمس بادٍ كأنّه ... هِجانٌ بصحراء الخُبَيْبِ شَبُوبُ)

(لتسقيَ أفراخاً لها قد تبلَّلتْ ... حلاقيمُ أسماطٌ لها وقلوبُ)

قِصارُ الخُطَا زُغْبُ الرؤوس كأنَّها ... كُرَاتٌ تَلَظَّى مرَّةً وتَلوبُ) فأما ما ذكرت من رواية ثعلب في الأبيات التي فيها الغناء فإنه أنشدها عن أبي حاتم عن الأصمعي أن أبا الحضير أنشده لعمرو بن عقيل بن الحجاج الهجيمي

(أمَّا القطاةُ فإنِّي سوف أنعتُها ... نعتاً يُوافِق نعتِي بعضَ ما فيها)

(صفراءُ مطروقةٌ في ريشِها خَطَبٌ ... صُفْرٌ قوادمُها سُودٌ خَوافِيها)

(مِنْقارُها كنَواة القسْبِ قَلَّمها ... بمِبرَد حاذقُ الكفَّين يَبْريها)

(تمشي كمَشْي فتاةِ الحيِّ مسرعةً ... حذارَ قومٍ إلى سِتْرٍ يُواريها)

قال الأصمعي مطروقة يعني أن ريشها بعضه فوق بعض والخطب لون الرماد يقال للمشبه به أخطب

((تَنْتاشُ صفراءَ مطروقاً بَقيَّتُها ... قد كادَ يَأزي عن الدُّعْموص آزيها)

تنتاش تتناويل بقية من الماء والمطروق الماء الذي قد خالطه البول وقوله يأزي أي يقل عن الدعموص فيخرج منه لقلته

والدعموص الصغير من الضفادع وجمعه دعاميص
(تسقي رَذِيَّيْن بالمَوْماةِ قُوتُهما ... في ثُغْرةِ النَّحْر من أعلى تَرَاقيها)
الرذيّ الساقط من الضعف يعني فرخيها
(كأنّ هَيْدَبَةً من فوق جُؤْجئها ... أو جِرْوُ حَنْظلةٍ لم يعدُ راميها)
جرو الحنظل صغاره وقوله لم يعد من العداء أي لم يعد عليها فيكسرها
(تَشْتَقّ من حيث لم تُبْعِدْ مُصعِّدة ... ولم تُصوِّبْ إلى أدنى مَهاويها)
(حتى إذا استأنسا للوقت واحتضرت ... تَوَجَّسا الوَحْيَ منها عند غَاشيها)
ويروى حتى إذا استأنسا للصوت وتوجسا تسمعا وحيها أي سرعة طيرانها وغاشيها أي حين تغشاهما وتنتهي إليهما
(تَرَفَّعَا عن شؤون غير ذاكيةٍ ... على لَدِيدَيْ أعالي المَهْدِ أُدْحِيها)
الذاكية الشديدة الحركة والمهد أفحوصها ولديداه جانباه
(مَدَّا إليها بأفواهٍ مُزَيَّنةٍ ... صُعْداً ليستنزلا الأرزاقَ مِنْ فِيها)
(كأنّها حين مَدَّاها لجِنَّأتها ... طَلَى بَوَاطِنَها بالوَرْس طَالِيها)
جنأتها أي جنأت عليهما بصدرها لتزقهما
((حِثْلَيْن رَضًّا رُفَاضَ البَيْضِ عن زَغَبٍ ... وُرْقٌ أسافلُها بيضٌ أعَالِيها
حثلين دقيقين ضاويين رضاً كسرا والرفاض ما ارفض وتفرق
(تَرَأَّدا حين قاما ثُمّت احتطبَا ... على نَحَائفَ مُنْآدٍ مَحانيها)
ترأدا تثنيا واحتطبا دنوا والمنآد المنعطف ومحانيها حيث انحنت
(تكاد من لِينها تنآد أسْؤُقُها ... تَأوُّدَ الرَّبْل لم تَعرمْ نواميها)
تعرم تشتد ونواميها أعاليها
(لا أشتكي نَوْشةَ الأيّام من وَرَقي ... إلاّ إلى مَنْ أرَى أن سوف يُشْكِيها)
(لِدِلْهِمٍ مأثرات قد عُدِدْن له ... إن المآثِرَ معدودٌ مَسَاعِيها)
(تَنْمِي به في بني لأيٍ دَعَائمُها ... ومن جُمَانة لم تخضَعْ سَوَاريها)
(بَنَى له في بيوت المجد والدُه ... وليس مَنْ ليس يَبْنِيها كبانيها)
وأنشدني هذه الأبيات الحسن بن محمد الضبعي الشاعر المعروف بابن الحداد قال وجدتها بخط محمد بن داود بن الجراح عن إسماعيل بن يونس الشيعي شيخنا رحمه الله عن أخيه عن أبي محلم مثل رواية ثعلب وزاد فيها قال أبو محلم جمانة بن جرير بن عبد ثعلبة بن سعد بن الهجيم وهم أخوال دلهم هذا الممدوح ودلهم من بني لأي ثم من بني يزيد بن هلال بن بذل بن عمرو بن الهيثم وكان أحد الشجعان وهو قتل الضحاك بن قيس الخارجي
بيده مع مروان بن محمد ليلة كفرتوثا

صوت من المائة المختارة عن علي بن يحيى

(أيّها القلبُ لا أراك تُفيق ... طالما قد تعلّقتْك العُلوقُ)
(مَن يكن من هوى حبيبٍ قريباً ... فأنا النازحُ البعيدُ السَّحيقُ)
(قُدِّر الحبُّ بيننا فالتقينا ... وكِلانا إلى اللقاءِ مَشُوقُ)
الشعر لعمر بن أبي ربيعة وقد مضت أخباره والغناء في اللحن المختار لبابويه الكوفي خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق وفيه لابن سريج ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق وفيه ايضا لمخارق خفيف ثقيل بالوسطى عن الهشامي وفيه لعلويه رمل بالبنصر عنه وعن الهشامي وبابويه رجل من أهل الكوفة قليل الصنعة ليس ممن خدم الخلفاء ولا الأكابر ولا أعلم له خبراً فأذكره

صوت من المائة المختارة

(مَنْ لِقَلْبٍ أضحَى بكم مُستهامَا ... خائفاً للوُشاةِ يُخْفِي الكلاما)
(إنّ طَرْفي رسولُ نفسي ونفسي ... عن فؤادي تقرَا عليك السلاما)
لم يقع إلينا قائل الشعر فنذكر خبره والغناء لرياض جارية أبي حماد
خفيف ثقيل بالوسطى وكان أبو حماد هذا أحد القواد الخراسانية ومن أولاد الدعاة وكان يعاشر إسحاق ويبره ويهاديه فأخذت رياض عنه غناء كثيرا وكانت محسنة ضاربة كثيرة الرواية وأحب إسحاق أن ينوه باسمها ويرفع من شأنها فذكر صنعتها في هذا الصوت فيما اختاره للواثق قضاء لحق مولاها وليس فيما قلته في هذا لأن الصوت غير مختار ولكن في الغناء ما هو أفضل منه بكثير ولم يذكره وقد فعل ذلك بجماعة ممن كان يوده ويتعصب له مثل متيم وأبي دلف وغيرهم ومن يعلم هذه الصناعة يعرف صحة ما قلناه وماتت رياض هذه مملوكة لمولاها لم تخرج من يده ولا شهرت ولا روي لها خبر

صوت من المائة المختارة عن علي بن يحيى

(راح صحبي وعاود القلبَ داءٌ ... من حبيبٍ طِلاَبُه لي عَناءُ)
(حَسَنُ الرأي والمواعيد لا يُلْفَى ... لشيء مما يقول وفاء)
(مَنْ تَعَزَّى عمن يحبّ فإني ... ليس لي ما حَييتُ عنه عزاء)
(أُمُّ عثمان قد قتلتِ قتيلاً ... عَمْدَ عَيْنٍ قتلتِه لا خَطَاءُ)
لم يقع إلينا قائل هذا الشعر فنذكره والغناء لنافع بن طنبورة ولحنه المختار خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى وفي هذا الشعر لحن لعبد الله بن طاهر ثاني ثقيل من جيد صنعته وكان نسبه إلى لميس جاريته وله خبر سنذكره في أخباره إذا انتهينا وكان نافع بن طنبورة يكنى أبا عبد الله مغن محسن من أهل المدينة حسن الوجه نظيف الثوب يلقب نقش الغضار لحسن وجهه وجعلته جميلة في المرتبة لما اجتمع المغنون إليها بعد نافع وبديح وقبل مالك بن أبي السمح وغناها يومئذ
(يا طُولَ ليلي وبتُّ لم أنَمِ ... وسادِيَ الهَمُّ مُبطِنٌ سَقَمِي)
((أنْ قمتُ يوماً على البَلاَطِ وأبصرتُ ... رَقَاشاً فليتَ له أقُمِ
فقالت جميلة أحسنت والله يا نقش الغضار ويا حلو اللسان ويا حسن البيان ولم يفارق ابن طنبورة الحجاز ولا خدم الخلفاء

ولا انتجعهم بصنعة فخمل ذكره
(صوت من المائة المختارة عن علي بن يحيى
(عَتَقَ الفؤادُ من الصِّبا ... ومن السَّفاهة والعَلاَقِ)
(وحططتُ رحلي عن قَلُوصِ ... الغيِّ في قُلُص عِتَاقِ)
(ورفعتُ فضلَ إزاريَ الْمَجرور ... عن قدمي وساقي)
(وكَفَفْتُ غَرْبَ النفسِ حتَّى ... ما تتوقُ إلى مَتاقِ)
الشعر لسعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت والغناء لابن عباد الكاتب ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق وفيه لإبراهيم خفيف ثقيل وقيل إنه لغيره

أخبار سعيد بن عبد الرحمن

وقد مضى نسبه في نسب جده حسان بن ثابت متقدما وهو شاعر من شعراء الدولة الأموية متوسط في طبقته ليس معدوداً في الفحول وقد وفد إلى الخلفاء من بني أمية فمدحهم ووصلوه ولم تكن له نباهة أبيه وجده
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثني ابو عمرو الخصاف عن العتبي قال خرج سعيد بن عبد الرحمن بن حسان مع جماعة من قريش إلى الشام في خلافة هشام بن عبد الملك وسألهم معاونته فلم يصادفوا من هشام له نشاطاً وكان الوليد بن يزيد قد طلق امرأته العثمانية ليتزوج أختها فمنعه هشام عن ذلك ونهى أباها أن يزوجه فمر يوما بالوليد وقد خرج من داره ليركب فلما رآه وقف فأمر به الوليد فدعي إليه فلما جاءه قال أنت ابن عبد الرحمن بن حسان قال نعم أيها الأمير فقال له ما أقدمك قال وفدت على أمير المؤمنين منتجعا ومادحا ومستشفعاً بجماعة صحبتهم من أهله فلم أنل منه حظوة ولا قبولا قال لكنك تجد عندي ما تحب فأقم حتى أعود فأقام ببابه حتى دخل إلى هشام وخرج من عنده فنزل ودعا بسعيد فدخل إليه فأمر بتغيير هيئته وإصلاح شأنه ثم قال له أنشدني قصيدة بلغتني لك فشوقتني
إليك وغنيت في بعضها فلم أزل أتمنى لقاءك فقال أي قصيدة أيها الأمير قال قولك
(أبائنةٌ سُعْدَى ولم تُوفِ بالعَهْدِ ... ولم تَشْفِ قلباً تيَّمتْه على عَمْدِ)
(نَعَمْ أفَمُودٍ أنت إن شَطَّتِ النَّوى ... بسُعْدَى وما من فُرقةِ الدهر من رَدِّ)
(كأنْ قد رأيتَ البينَ لا شيءَ دونه ... فَمِ الآنَ أَعْلِنْ ما تُسِرّ من الوجدِ)
(لعلكَ منها بعد أن تَشْحَطَ النَّوَى ... مُلاَقٍ كما لاقى ابنُ عَجْلانَ من هندِ)
(فوَيْلُ ابنِ سَلْمَى خُلَّةً غيرَ أنها ... تُبَلِّغ منِّي وهي مازحةٌ جِدِّي)
(وتدنو لنا في القول وهي بعيدةٌ ... فما إنْ بسَلْمَى من دُنُوٍّ ولا بُعْدِ)
(ومهما أكُنْ جَلْداً عليه فإنَّني ... على هَجْرِها غيرُ الصَّبور ولا الجَلْدِ)
(إذا سُمْتُ نفسي هجرَها قُطِعتْ به ... فجانبتُه فيما أُسِرّ وما أُبْدِي)
(كأنِّي أرى في هجرِها أيَّ ساعةٍ ... هَمَمْتُ به موتي وفي وصلِها خُلْدي)
(ومن أجلِها صافَيْتُ مَنْ لا تَرُدُّني ... عليه له قُرْبى ولا نعمةٌ عندي)
(وأغضيتُ عيني من رجالٍ على القَذَى ... يقولون أقوالاً أَمَضُّوا بها جِلْدِي)
(وأقصيتُ مَنْ قد كنتُ أُدْنِي مكانَه ... وأدنيتُ من قد كنتُ أقصيتُه جَهْدِي)
(فإن يَكُ أمسى وصلُ سَلْمى خِلابةً ... فما أنا بالمفتونِ في مثلِها وحدي)
(فأصْبحَ ما مَنَّتْكَ دَيْناً مُسَوَّفاً ... لواه غريمٌ ذو اعتلالٍ وذو جَحْدِ)
((تجود بتقريبِ الذي هو آجِلٌ ... من الوعد ممطولٌ وتبخَل بالنَّقْدِ
(وقد قلت إذ أَهدَتْ إلينا تحيَّةً ... عليها سلامُ الله من نازحٍ مُهْدِي)
(سقى الغيثُ ذاك الغورَ ما سكنتْ به ... ونجداً إذا صارت نَواهَا إلى نجدِ)
قال فجعل ينشدها ودموع الوليد تنحدر على خديه حتى فرغ منها ثم قال له لن تحتاج إلى رفد أحد ولا معونته ما بقيت وأمر له بخمسمائة درهم وقال ابعث بها إلى أهلك واقم عندي فلن تعدم ما تحبه ما بقيت فلم يزل معه زمانا ثم استأذنه وانصرف وفي بعض هذه الأبيات غناء نسبته

صوت

(أبائنةٌ سُعْدَى ولم تُوفِ بالعهدِ ... ولم تَشفِ قلباً أقصدتْه على عَمْدِ)
(ومهما أكن جلداً عليه فإنَّني ... على هجرها غيرُ الصبّور ولا الجَلْدِ)
الغناء لمالك خفيف ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي ومن هذه القصيدة

صوت

(وأغضيتُ عيني من رجالٍ على القَذَى ... يقولون أقوالاً أَمَضُّوا بها جِلْدِي
(إذا سُمْتُ نفسي هجرَها قُطِعتْ به ... فجانبتُه فيما أسِرّ وما أُبْدِي)
الغناء لابن محرز ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو

خبره مع عبد الصمد مؤدب الوليد بن يزيد

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي ومحمد بن الضحاك بن عثمان قالا
وفد سعيد بن عبد الرحمن بن حسان على هشام بن عبد الملك وكان حسن الوجه فاختلف إلى عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدب الوليد بن يزيد بن عبد الملك فأراده على نفسه وكان لوطيا زنديقا فدخل سعيد على هشام مغضبا وهو يقول
(إنه واللّه لولا أنت لم ... ينجُ منِّي سالماً عبدُ الصَّمَدْ)
فقال له هشام ولماذا قال
(إنه قد رام منِّي خُطَّةً ... لم يَرُمْها قبله منِّي أحدْ)
فقال وما هي قال
(رامَ جهلاً بي وجهلاً بأبي ... يُدْخِلُ الأفعَى إلى خِيسِ الأسَدْ)

قال فضحك هشام وقال له لو فعلت به شيئا لم أنكر عليك
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني عمر بن شبة قال أخبرنا ابن عائشة لا أعلمه إلا عن أبيه قال
سأل سعيد بن عبد الرحمن بن حسان صديقاً له حاجة وقال هاشم بن محمد في خبره سأل سعيد بن عبد الرحمن ابا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم حاجة يكلم فيها سليمان بن عبد الملك فلم يقضها له ففزع فيها إلى غيره فقضاها فقال
(سُئلتَ فلم تفعلْ وأدركتُ حاجتي ... تولّى سِواكم حَمْدَها واصطناعَها)
(أبى لكَ كَسْبَ الحمد رأيٌ مُقصِّرٌ ... ونفسٌ أضاقَ اللّهُ بالخير باعَها)
(إذا ما أرادته على الخير مرّةً ... عصاها وإن هَمّتْ بشرٍّ أطاعها)
قال ابن عمار وقد أنشدنا هذه الأبيات سليمان بن أبي شيخ لسعيد بن عبد الرحمن ولم يذكر لها خبرا

عدي بن الرقاع يشهد له بشاعريته

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي عن ابن عائشة قال
قال رجل من الأنصار لعدي بن الرقاع أكتبني شيئا من شعرك قال ومن أي العرب أنت قال أنا رجل من الأنصار قال ومن منكم القائل
(إنّ الحَمامَ إلى الحِجازِ يَهيجُ لي ... طَرَباً تَرنُّمُهُ إذا يَترنّمُ)
(والبرقُ حين أشِيمُهُ متيامِناً ... وجنائبُ الأرواحِ حين تَنسّمُ)
فقال له سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فقال عليكم بصاحبكم فاكتب شعره فلست تحتاج معه إلى غيره
وفي أول هذه القصيدة غناء نسبته

صوت

(بَرِحَ الخفاءُ فأيَّ ما بكَ تَكتُمُ ... والشَّوْقُ يُظْهِرُ ما تُسِرّ فيُعْلَمُ)
(وحملتَ سُقْماً من علائِقِ حبِّها ... والحبُّ يَعْلَقُه الصحيحُ فيَسْقَمُ)
الغناء لحكم خفيف رمل بالوسطى عن الهشامي وذكره إبراهيم له ولم يجنسه وفي هذه القصيدة يقول
(عِلْويّةٌ أمستْ ودونَ وِصالِها ... مضمارُ مصرَ وعايدٌ والقُلْزُمُ)
(خَوْدٌ تَطِيفُ بها نواعمُ كالدُّمَى ... مما اصطفى ذو النِّيقة المتوسِّمُ)
(حُلّينَ مَرْجانَ البحورِ وجوهراً ... كالجمرِ فيه على النحورِ يُنَظّمُ)
(قالت وماءُ العين يغسِلُ كحلَها ... عند الفِراقِ بمستهِلٍّ يسجُمُ)
(يا ليتَ أنكَ يا سعيدُ بأرضِنا ... تُلْقِي المَراسِيَ ثاوياً وتُخيِّمُ)
(فتُصِيبَ لذّةَ عيشِنا ورخاءَه ... فنكونَ أجواراً فماذا تَنقِمُ)
(لا تَرجِعَنَّ إلى الحجاز فإنه ... بلدٌ به عيشُ الكريمِ مُذمَّمُ)
(وهَلُمَّ جاوِرْنا فقلت لها اقصِري ... عيشٌ بطَيْبةَ ويحَ غيرِك أنعَمُ)
(أيُفارَقُ الوطنُ الحبيبُ لمنزلٍ ... ناءٍ ويُشرَى بالحديثِ الأقدمُ)
(إنّ الحمامَ إلى الحجاز يَهيجُ لي ... طَرَباً تَرنُّمُه إذا يترنّمُ)
(والبرقُ حين أشيمُه متيامناً ... وجنائبُ الأرواحِ حين تَنسّمُ)
(لو لَجَّ ذو قَسَمٍ على أنْ لم يكن ... في الناسِ مُشْبِهُها لَبرّ المُقْسِمُ)
(من أجلها تَرْكِي القَرارَ وخَفْضَه ... وتَجشُّمي ما لم أكن أتَجشّمُ)
(ولقد كتمتُ غداةَ بانتْ حاجةً ... في الصدرِ لم يعلمْ بها متكلّمُ)
(تَشفِي برؤيتِها السقيمَ وترتمي ... حَبَّ القلوبِ رَمِيُّها لا يَسلَمُ)
(رَقْراقةٌ في عُنْفوانِ شبابِها ... فيها عن الخُلُقِ الدَّنيّ تَكرُّمُ)
(ضَنّتْ على مُعْرًى بطول سؤالِها صَبٍّ كما يَسَلُ الغَنِيُّ المُعْدِمُ)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبو مسلم عن الحرمازي قال
خرج سعيد بن عبد الرحمن بن حسان إلى عسكر يزيد بن عبد الملك فأتى عنبسة بن سعيد بن العاصي وكان أبوه صديقاً لأبيه فسأله أن يرفع أمره إلى الخليفة فوعده أن يفعل فلم يمكث إلا يسيراً حتى طرقه لص فسرق متاعه وكل شيء كان معه فأتى عنبسة فتنجزه ما وعده فاعتل عليه ودافعه فرجع سعيد من عنده فارتجل وقال
(أعَنْبَسُ قد كنت لا تَعْتَزي ... إلى عِدَةٍ منكَ كانت ضَلالاَ)
(وعدتَ عِداتٍ لَوَانجزتَها ... إذاً لحَمِدْتَ ولم تُزْرَ مالاَ)
(وما كان ضَرّكَ لو قد شفعتَ ... فأعطى الخليفةُ عفواً نَوالا)
(وقد يُنْجِزُ الحرُّ موعودَه ويفعل ما كان بالأمسِ قالا)
(فيا ليتني والمنَى كاسمِها ... وقد يصرف الدهرُ حالاً فحالا)
(قعدتُ ولم ألتمس ما وعدتَ ... ويا ليتَ وعدَك كان اعتلالا)
(وكانت نَعَمْ منك مخزونةً ... وقلتَ من أوّلِ يومٍ ألاَلا)
(أرى كذبَ القولِ من شرِّ ما ... يُعدّ إذا الناسُ عدوا الخِصالا)
(فأبقيتَ لي عنكَ مندوحةً ... ونفساً عَزُوفاً تُقِلّ السؤالا)
(فإن عدتُ أرجوكُمُ بعدَها ... فبُدِّلتْ بعد العَلاَءِ السَّفَالا)
(أأرجوك من بعد ما قد عَزَفْتَ ... لَعَمري لقد جئت شيئا عُضَالا)

الوليد يستأنس به في الحج

نسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشيباني يأثر
كان سعيد بن عبد الرحمن بن حسان إذا وفد إلى الشام نزل على الوليد بن يزيد فأحسن نزله وأعطاه وكساه وشفع له فلما حج الوليد لقيه سعيد بن عبد الرحمن في أول من لقيه فسلم عليه فرد الوليد عليه السلام وحياه وقربه وأمر بإنزاله معه وبسطه ولم يأنس بأحد أنسه به وأنشده سعيد قوله فيه
(يا لَقَوْمي لِلهجْرِ بعد التَّصافِي ... وتَنَائي الجميع بعد ائتلافِ)
(ما شجا القلبَ بعد طول اندمال ... غيرُ هابٍ كالفَرْخِ بين أثَافِي)

(ونعيبِ الغراب في عَرْصَةِ الدار ... ونُؤْيٍ تَسْفِي عليه السَّوافي)
وقد روى عن سعيد بن عبد الرحمن بن حسان قال رأى علي ابن عمر أوضاحا فقال ألقها عنك فقد كبرت
صوت من المائة المختارة من رواية جحظة
(ما جرتْ خَطْرةٌ على القلبِ منِّي ... فيكِ إلاَّ استترتُ عن أصحابِي)
(من دموعٍ تجري فإن كنتُ وحدي ... خالياً أسعدتْ دموعي انتحابي)
(إنّ حُبِّي إيَّاكِ قد سَلّ جِسْمِي ... ورمانِي بالشيبِ قبل الشَّباب)
(ارْحَمِي عاشقاً لكِ اليوم صبّاً ... هائمَ العقل قد ثَوَى في التُّرابِ)
الشعر للسيد الحميري والغناء لمحمد نعجة خفيف رمل أيضا
ولم أجد لهذا المغني خبراً ولا ذكراً في موضع من المواضع اذكره وقد مضت أخبار السيد متقدما
صوت من المائة المختارة
(أكرَعُ الكَرْعةَ الرويَّةَ منها ... ثم أصحو ما شَفَيتُ غَليلِي)
(كم أتى دون عهدِ أُمِّ جميل ... من إنَى حاجةٍ ولُبْثٍ طويل)
(وصياح الغراب أن سِرْ فأسْرِعْ ... سوف تحظَى بنائلٍ وقَبُولِ)
الشعر للأحوص والغناء للبردان خفيف ثقيل مطلق في مجرى البنصر
أخبار البردان
البردان لقب غلب عليه ومن الناس من يقول بردان من أهل المدينة وأخذ الغناء عن معبد وقبله عن جميلة وعزة الميلاء وكان معدلا مقبول الشهادة وكان متولي السوق بالمدينة
قال هارون بن الزيات حدثني أبو أيوب المديني عن محمد بن سلام قال هو بردان بضم الباء وتسكين الراء
أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر وحسين بن يحيى قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه وأخبرني علي بن عبد العزيز عن ابن خرداذبه قال قال إسحاق
كان بردان متولي السوق بالمدينة فقدم إليه رجل خصما يدعي عليه حقا فوجب الحكم عليه فأمر به إلى الحبس فقال له الرجل أنت بغير هذا أعلم منك بهذا فقال ردوه فرد فقال لعلك تعني الغناء إني والله به لعارف ولو سمعت شيئا جاء البارحة لازددت علماً بأني عارف ومهما جهلت فإني بوجوب الحق عليك عالم اذهبوا به إلى الحبس حتى يخرج إلى غريمه من حقه
سياط المغني يأخذ عنه أصواتاً
قال وحدثني أبو أيوب عن حماد عن أبيه عن ابن جامع عن سياط قال
رأيت البردان بالمدينة يتولى سوقها وقد أسن فقلت له يا عم إني رويت لك صوتا صنعته وأحببت أن تصححه لي فضحك ثم قال نعم يا بني وحبا وكرامة لعله
(... كم أتى دون عهد أمّ جميل)
فقلت قال مل بنا إلى ها هنا فمال بي إلى دار في السوق ثم قال غنه فقلت بل تتم إحسانك يا عم وتغنينيه به فإنه أطيب لنفسي فإن سمعته كما أقول غنيته وأنا غير متهيب وإن كان فيه مستصلح استعدته فضحك ثم قال أنت لست تريد أن تصحح غناءك إنما تريد أن تقول سمعتني وأنا شيخ وقد انقطعت وأنت شاب فقلت للجماعة إن رأيتم أن تسألوه أن يشفعني فيما طلبت منه فسألوه فاندفع فغناه فأعاده ثلاث مرات فما رأيت أحسن من غنائه على كبر سنه ونقصان صوته ثم قال غنه فغنيته فطرب الشيخ حتى بكى وقال اذهب يا بني فأنت أحسن الناس غناء ولئن عشت ليكونن لك شأن قال وكان بردان خفيف الروح طيب الحديث مليح النادرة مقبول الشهادة قد لقي الناس فكان بعد ذلك إذا رآني يدعوني فيأخذني معه إلى منزله ويسألني أن أغنيه فأفعل فإذا طابت نفسه سألته أن يطرح علي شيئاً من أغاني القدماء فيفعل إلى أن أخذت عنه عدة أصوات
صوت من المائة المختارة
(لمِنِ الدِّيارُ بحائلٍ فُوعَالِ ... دَرَستْ وَغَيَّرها سِنُونَ خَوالِي)
(دَرَجَ البَوارِحُ فوقها فتنكَّرتْ ... بعد الأنيسِ مَعارفُ الأطلالِ)
((دِمَنٌ تُذَعذِعها الرياحُ وتارةً ... تعفو بِمُرتَجِزِ السَّحابِ ثِقَالِ
(فكأنما هي من تَقادُمِ عهدِها ... وَرَقٌ نُشِرنَ من الكتاب بَوالِي)
الشعر للأخطل والغناء لسائب خاثر ولحنه المختار من الثقيل الأول بالبنصر من أصوات قليلة الأشباه وذكر عمرو بن بانة أن في الثاني والرابع من الأبيات للأبجر ثقيلا أول وذكر حبش أن لمعبد فيه ثقيلاً أول بالوسطى وأنه أحد السبعة وأن لإسحاق فيه ثاني ثقيل وذكر الهشامي أن لحن إسحاق خفيف ثقيل
ذكر الأخطل وأخباره ونسبه
هو غياث بن غوث بن الصلت بن الطارقة ويقال ابن سيحان بن عمرو بن الفدوكس بن عمرو بن مالك بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ويكنى ابا مالك وقال المدائني هو غياث بن غوث بن سلمة بن طارقة قال ويقال لسلمة سلمة اللحام قال وبعث النعمان بن المنذر بأربعة أرماح لفرسان العرب فأخذ ابو براء عامر بن مالك رمحا وسلمة بن طارقة اللحام رمحا وهو جد الأخطل وأنس بن مدرك رمحا وعمرو بن معديكرب رمحا
والأخطل لقب غلب عليه ذكر هارون بن الزيات عن ابن النطاح عن أبي عبيدة أن السبب فيه أنه هجا رجلا من قومه فقال له يا غلام إنك الأخطل فغلبت عليه وذكر يعقوب بن السكيت أن عتبة بن الزعل بن عبد الله بن عمر بن عمرو بن حبيب بن الهجرس بن تيم بن سعد بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب حمل حمالة فأتى قومه يسأل فيها فجعل الأخطل يتكلم وهو يومئذ غلام فقال عتبة من هذا الغلام الأخطل فلقب به
قال يعقوب وقال غير أبي عبيدة إن كعب بن جعيل كان شاعر تغلب وكان لا يأتي منهم قوماً إلا أكرموه وضربوا له قبة حتى إنه كان تمد له حبال بين وتدين فتملأ له غنماً فأتى في مالك بن جشم ففعلوا ذلك به فجاء الأخطل وهو غلام فأخرج الغنم وطردها فسبه عتبة ورد الغنم إلى مواضعها فعاد وأخرجها وكعب ينظر إليه فقال إن غلامكم هذا الأخطل والأخطل السفيه فغلب عليه ولج الهجاء بينهما فقال الأخطل فيه
(سُمِّيتَ كعباً بشرّ العظام ... وكان أبوك يُسَمَّى الجُعَلْ)

(وإنّ مَحَلَّك من وائلٍ ... محلُّ القُرَاد من است الجمل)
فقال كعب قد كنت أقول لا يقهرني إلا رجل له ذكر ونبأ ولقد أعددت هذين البيتين لأن أهجى بهما منذ كذا وكذا فغلب عليهما هذا الغلام
وقال هارون بن الزيات حدثني قبيصة بن معاوية المهلبي قال حدثني عيسى بن إسماعيل قال حدثني القحذمي قال وقع بين ابني جعيل وأمهما ذرء من كلام فأدخلوا الأخطل بينهم فقال الأخطل
(لَعَمرُكَ إنني وابْنَيْ جُعَيلٍ ... وأمَّهما لإستارٌ لئيمُ)
فقال ابن جعيل يا غلام إن هذا لخطل من رأيك ولولا أن أمي سمية
أمك لتركت أمك يحدو بها الركبان فسمي الأخطل بذلك وكان اسم أمهما وأم الأخطل ليلى
وقال هارون حدثني إسماعيل بن مجمع عن ابن الكلبي عن قوم من تغلب في قصة كعب بن جعيل والأخطل بمثل ما ذكره يعقوب عن غير أبي عبيدة ممن لم يسمه وقال فيها وكان الأخطل يومئذ يقرزم والقرزمة الابتداء بقول الشعر فقال له أبوه أبقرزمتك تريد أن تقاوم ابن جعيل وضربه قال وجاء ابن جعيل على تفئة ذلك فقال من صاحب الكلام فقال أبوه لا تحفل به فإنه غلام أخطل فقال له كعب
(... شَاهِدُ هذا الوجه غِبَّ الحُمَّهْ)
فقال الأخطل
(... فناكَ كعبُ بن جُعَيْلٍ أُمَّهْ)
فقال كعب ما اسم أمك قال ليلى قال أردت أن تعيذها باسم أمي قال لا أعاذها الله إذا وكان اسم أم الأخطل ليلى وهي امرأة من إياد فسمي الأخطل يومئذ وقال
(هجا الناسُ ليلى أُمَّ كَعْبٍ فمُزِّقتْ ... فلم يبقَ إلا نَفْنَفٌ أنا رافعُهْ)
وقال فيه أيضا
(هجاني المُنْتِنَانِ ابنا جُعَيْلٍ ... وأيُّ الناسِ يقتله الهجاءُ)
(وُلِدتم بعد إخوتكم منِ استٍ ... فهَلاَّ جئتُمُ من حيث جاؤوا)
فانصرف كعب ولج الهجاء بينهما
من هو الأشعر الأخطل أم جرير أم الفرزدق
وكان نصرانيا من أهل الجزيرة ومحله في الشعر أكبر من أن يحتاج إلى وصف وهو وجرير والفرزدق طبقة واحدة فجعلها ابن سلام أول طبقات الإسلام ولم يقع إجماع على أحدهم أنه أفضل ولكل واحد منهم طبقة تفضله عن الجماعة
أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي الفضل قال حدثني إسحاق بن إبراهيم عن أبي عبيدة قال
جاء رجل إلى يونس فقال له من أشعر الثلاثة قال الأخطل قلنا من الثلاثة قال أي ثلاثة ذكروا فهو أشعرهم قلنا عمن تروي هذا قال عن عيسى بن عمر وابن أبي إسحاق الحضرمي وأبي عمرو بن العلاء وعنبسة الفيل وميمون الأقرن الذين ماشوا الكلام وطرقوه أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز قال قال أبو عبيدة عن يونس فذكر مثله وزاد فيه لا كأصحابك هؤلاء لا بدويون ولا نحويون فقلت للرجل سله وبأي شيء فضلوه قال بأنه كان أكثرهم عدد طوال جياد ليس فيها سقط ولا فحش وأشدهم تهذيبا للشعر فقال ابو وهب الدقاق أما إن حماداً وجناداً كانا لا يفضلانه فقال وما حماد وجناد لا نحويان ولا بدويان ولا يبصران الكسور ولا يفصحان وأنا
أحدثك عن أبناء تسعين أو أكثر أدوا إلى أمثالهم ماشوا الكلام وطرقوه حتى وضعوا أبنيته فلم تشذ عنهم زنة كلمة وألحقوا السليم بالسليم والمضاعف بالمضاعف والمعتل بالمعتل والأجوف بالأجوف وبنات الياء بالياء وبنات الواو بالواو فلم تخف عليهم كلمة عربية وما علم حماد وجناد
قال هارون حدثني القاسم بن يوسف عن الأصمعي
أن الأخطل كان يقول تسعين بيتاً ثم يختار منها ثلاثين فيطيرها
أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحباب قال أخبرنا محمد بن سلام قال سمعت سلمة بن عياش وذكر أهل المجلس جريراً والفرزدق والأخطل ففضله سلمة عليهما قال وكان إذا ذكر الأخطل يقول ومن مثل الأخطل وله في كل بيت شعر بيتان ثم ينشد قوله
(ولقد علِمت إذا العِشارُ تَرَوَّحتْ ... هَدَجَ الرِّئالِ تَكُبُّهُنَّ شَمَالا)
(أنَّا نُعَجِّلُ بالعَبِيطِ لضيفِنا ... قبل العِيال ونضرب الأبطالا)
ثم يقول ولو قال
(ولقد علمت إذا العِشارُ ... تروّحت هَدَجَ الرئال)
كان شعراً وإذا زدتَ فيه تكبهن شمالا كان أيضا شعراً من روي آخر
أخبرنا ابو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثني أبو يحيى الضبي قال
كعب بن جعيل لقبه الأخطل سمعه ينشد هجاء فقال يا غلام إنك لأخطل اللسان فلزمته
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أحمد بن معاوية قال حدثنا بعض أصحابنا عن رجل من بني سعد قال
كنت مع نوح بن جرير في ظل شجرة فقلت له قبحك الله وقبح أباك أما أبوك فأفنى عمره في مديح عبد ثقيف يعني الحجاج وأما أنت فامتدحت قثم بن العباس فلم تهتد لمناقبه ومناقب آبائه حتى امتدحته بقصر بناه فقال والله لئن سؤتني في هذا الموضع لقد سؤت فيه أبي بينا أنا آكل معه يوماً وفي فيه لقمة وفي يده أخرى فقلت يا ابت أنت أشعر أم الأخطل فجرض باللقمة التي في فيه ورمى بالتي في يده وقال يا بني لقد سررتني وسؤتني فأما سرورك إياي فلتعهدك لي مثل هذا وسؤالك عنه وأما ما سؤتني به فلذكرك رجلا قد مات يا بني أدركت الأخطل وله ناب واحد ولو أدركته وله ناب آخر لأكلني به ولكني أعانتني عليه خصلتان كبر سن وخبث دين
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد قال
سئل حماد الراوية عن الأخطل فقال ما تسألوني عن رجل قد حبب شعره إلي النصرانية)
قال إسحاق وحدثني ابو عبيدة قال قال أبو عمرو لو أدرك الأخطل يوما واحدا من الجاهلية ما قدمت عليه أحداً
قال إسحاق وحدثني الأصمعي أن أبا عمرو أنشد بيت شعر فاستجاده وقال لو كان للأخطل ما زاد

وذكر يعقوب بن السكيت عن الأصمعي عن أبي عمرو
أن جريراً سئل أي الثلاثة أشعر فقال أما الفرزدق فتكلف مني ما لا يطيق وأما الأخطل فأشدنا اجتراء وأرمانا للفرائص وأما أنا فمدينة الشعر
وقال ابن النطاح حدثني الأصمعي قال
إنما أدرك جرير الأخطل وهو شيخ قد تحطم وكان الأخطل أسن من جرير وكان جرير يقول أدركته وله ناب واحد ولو أدركت له نابين لأكلني قال وكان أبو عمرو يقول لو أدرك الأخطل يوما واحداً من الجاهلية ما فضلت عليه أحداً
أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال
قال العلاء بن جرير إذا لم يجىء الأخطل سابقاً فهو سكيت والفرزدق لا يجىء سابقاً ولا سكيتاً وجرير يجيء سابقا ومصلياً وسكيتاً
وقال يعقوب بن السكيت قال الأصمعي
قيل لجرير ما تقول في الأخطل قال كان أشدنا اجتزاء بالقليل وأنعتنا للحمر والخمر
وروى إسماعيل عن عبيد الله عن مؤرج عن شعبة عن سماك بن حرب
أن الفرزدق دخل الكوفة فلقيه ضوء بن اللجلاج فقال له من أمدح
أهل الإسلام فقال له وما تريد إلى ذلك قال تمارينا فيه قال الأخطل أمدح العرب
وقال هارون بن الزيات حدثني هارون بن مسلم عن حفص بن عمر قال
سمعت شيخاً كان يجلس إلى يونس كان يكنى أبا حفص فحدثه انه سأل جريراً عن الأخطل فقال أمدح الناس لكريم وأوصفه للخمر قال وكان ابو عبيدة يقول شعراء الإسلام الأخطل ثم جرير ثم الفرزدق قال أبو عبيدة وكان ابو عمرو يشبه الأخطل بالنابغة لصحة شعره
وقال ابن النطاح حدثني عبد الله بن رؤبة بن العجاج قال
كان أبو عمرو يفضل الأخطل
وقال ابن النطاح حدثني عبد الرحمن بن برزخ قال كان حماد يفضل الأخطل على جرير والفرزدق فقال له الفرزدق إنما تفضله لأنه فاسق مثلك فقال لو فضلته بالفسق لفضلتك
قال ابن النطاح قال لي إسحاق بن مرار الشيباني الأخطل عندنا أشعر الثلاثة فقلت يقال أنه أمدحهم فقال لا والله ولكن أهجاهم من منهما يحسن أن يقول
(ونحن رفعنا عن سَلُولَ رماحَنا ... وعَمْداً رَغِبنا عن دماء بني نَصْر)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن موسى عن أحمد بن الحارث عن المدائني قال
قال الأخطل أشعر الناس قبيلة بنو قيس بن ثعلبة وأشعر الناس بيتا آل
أبي سلمى وأشعر الناس رجل في قميصي
عبد الملك بن مروان يجيزه على مدحه
أخبرني الحسن قال حدثني محمد قال حدثني الخراز عن المدائني عن علي بن حماد هكذا قال وأظنه علي بن مجاهد قال
قال الأخطل لعبد الملك يا امير المؤمنين زعم ابن المراغة أنه يبلغ مدحتك في ثلاثة أيام وقد أقمت في مدحتك
(... خَفَّ القَطِينُ فراحوا منك أو بَكَروا)
سنة فما بلغت كل ما أردت فقال عبد الملك فأسمعناها يا أخطل فأنشده إياها فجعلت أرى عبد الملك يتطاول لها ثم قال ويحك يا أخطل أتريد أن أكتب إلى الآفاق أنك أشعر العرب قال أكتفي بقول أمير المؤمنين وأمر له بجفنة كانت بين يديه فملئت دراهم وألقى عليه خلعا وخرج به مولى لعبد الملك على الناس يقول هذا شاعر أمير المؤمنين هذا أشعر العرب
وقال ابن الزيات حدثني جعفر بن محمد بن عيينة بن المنهال عن هشام عن عوانة قال
أنشد عبد الملك قول كثير فيه
(فما تركوها عَنْوةً من مودَّةٍ ... ولكن بحَدِّ المَشْرَفِيّ استقالَها)
فأعجب به فقال له الأخطل ما قلت لك والله يا أمير المؤمنين أحسن
منه قال وما قلت قال قلت
(أهَلُّوا من الشهر الحَرَامِ فأصبحوا ... مَوالِيَ مُلْكٍ لا طَرِيفٍ ولا غَصْبِ)
جعلته لك حقا وجعلك أخذته غصبا قال صدقت
ادعاؤه بأنه اشعر من جرير والفرزدق
قال أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال أخبرنا عمر بن شبة قال أخبرنا أبو دقاقة الشامي مولى قريش عن شيخ من قريش قال
رأيت الأخطل خارجا من عند عبد الملك فلما انحدر دنوت منه فقلت يا أبا مالك من أشعر العرب قال هذان الكلبان المتعاقران من بني تميم فقلت فأين أنت منهما قال أنا واللات أشعر منهما قال فحلف باللات هزؤا واستخفافا بدينه
وروى هذا الخبر أبو أيوب المديني عن المدائني عن عاصم بن شبل الجرمي أنه سأل الأخطل عن هذا فذكر نحوه وقال واللات والعزى
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال ذكر الحرمازي أن رجلا من بني شيبان جاء إلى الأخطل فقال له يا أبا مالك إنا وإن كنا بحيث تعلم من افتراق العشيرة واتصال الحرب والعداوة تجمعنا ربيعة وإن لك عندي نصحا فقال هاته فما كذبت فقلت إنك قد هجوت جريرا ودخلت بينه وبين الفرزدق وأنت غني عن ذلك ولا سيما أنه يبسط لسانه بما ينقبض عنه لسانك ويسب ربيعة سبا لا تقدر على سب مضر بمثله والملك فيهم والنبوة قبله فلو شئت أمسكت عن مشارته ومهارته فقال صدقت في
نصحك وعرفت مرادك وصلتك رحم فوالصليب والقربان لأتخلصن إلى كليب خاصة دون مضر بما يلبسهم خزيه ويشملهم عاره ثم اعلم أن العالم بالشعر لا يبالي وحق الصليب إذا مر به البيت المعاير السائر الجيد أمسلم قاله أم نصراني
أخبرني وكيع قال حدثني أبو أيوب المديني عن أبي الحسن المدائني قال
أصبح عبد الملك يوما في غداة باردة فتمثل قول الأخطل

(إذا اصطبح الفتى منها ثلاثاً ... بغيرِ الماءِ حاول أن يَطُولاَ)
(مَشَى قرشيَّةً لا شكَّ فيها ... وأرخَى من مآزره الفُضولا)
ثم قال كأني أنظر إليه الساعة مجلل الإزار مستقبل الشمس في حانوت من حوانيت دمشق ثم بعث رجلا يطلبه فوجده كما ذكره
وقال هارون بن الزيات حدثني طائع عن الأصمعي قال أنشد أبو حية النميري يوما أبا عمرو
(يا لَمَعَدٍّ ويا لَلّناس كلِّهمُ ... ويا لَغائبهم يوماً ومَنْ شَهِدا)
كأنه معجب بهذا البيت فجعل أبو عمرو يقول له إنك لتعجب بنفسك كأنك الأخطل
حواره مع عبد الملك بعد أن عرض عليه الإسلام
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الغلابي عن عبد الرحمن التيمي عن
هشام بن سليمان المخزومي
أن الأخطل قدم على عبد الملك فنزل على ابن سرحون كاتبه فقال عبد الملك على من نزلت قال على فلان قال قاتلك الله ما أعلمك بصالح المنازل فما تريد أن ينزلك قال درمك من درمككم هذا ولحم وخمر من بيت رأس فضحك عبد الملك ثم قال له ويلك وعلى أي شيء اقتتلنا إلا على هذا ثم قال ألا تسلم فنفرض لك في الفيء ونعطيك عشرة آلاف قال فكيف بالخمر قال وما تصنع بها وإن أولها لمر وإن آخرها لسكر فقال أما إذا قلت ذلك فإن فيما بين هاتين لمنزلة ما ملكك فيها إلا كعلقة ماء من الفرات بالإصبع فضحك ثم قال ألا تزور الحجاج فإنه كتب يستزيرك فقال أطائع ام كاره قال بل طائع قال ما كنت لأختار نواله على نوالك ولا قربه على قربك إنني إذا لكما قال الشاعر
(كَمُبْتاعٍ ليركبَه حماراً ... تَخَيَّره من الفرس الكبير)
فأمر له بعشرة آلاف درهم وأمره بمدح الحجاج فمدحه بقوله
(صَرمتْ حِبالَك زينبٌ ورَعُومُ ... وبدا المُجَمْجَمُ منهما المكتومُ)
ووجه بالقصيدة مع ابنه إليه وليست من جيد شعره
وقال هارون بن الزيات حدثني محمد بن إسماعيل عن أبي غسان قال
ذكروا الفرزدق وجريرا في حلقة المدائني فقلت لصباح بن خاقان أنشدك بيتين للأخطل وتجيء لجرير والفرزدق بمثلهما قال هات فأنشدته
(ألَمْ يأتِها أنّ الأرَاقِمَ فَلّقَتْ ... جَمَاجِمَ قَيْسٍ بين رَاذَانَ والحَضْرِ)
(جَمَاجِمِ قومٍ لم يَعافوا ظُلاَمَةً ... ولم يعرفوا أين الوفاءُ من الغَدْرِ)
قال فسكت
قال إسحاق وحدثني أبو عبيدة أن يونس سئل عن جرير والفرزدق والأخطل أيهم أشعر قال أجمعت العلماء على الأخطل فقلت لرجل إلى جنبه سله ومن هم فقال من شئت ابن أبي إسحاق وأبو عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر وعنبسة الفيل وميمون الأقرن هؤلاء طرقوا الكلام وماشوه لا كمن تحكمون عنه لا بدويين ولا نحويين فقلت للرجل سله وبأي شيء فضل على هؤلاء قال بأنه كان أكثرهم عدد قصائد طوال جياد ليس فيها فحش ولا سقط قال أبو عبيدة فنظرنا في ذلك فوجدنا للأخطل عشرا بهذه الصفة وإلى جانبها عشرا إن لم تكن مثلها فليست بدونها ووجدنا لجرير بهذه الصفة ثلاثا
قال إسحاق فسألت أبا عبيدة عن العشر فقال
عَفَا واسِطٌ من آل رَضْوَى فَنَبْتَلُ ...) و)
(...تأبَّد الرَّبْعُ من سَلْمَى بأحفار)
و
خَفَّ القَطِينُ فراحوا منك وابتكَروا ...) و)
كَذَبْتك عينُك أم رأيتَ بِواسطٍ ...) و)
دَعِ المُعَمَّرَ لا تسأل بمَصْرَعِه ...) و)
(... لمن الديارُ بحائلٍ فوُعَالِ)
قال إسحاق ولم احفظ بقية العشر قال وقصائد جرير
حيِّ الهِدَمْلَةَ من ذاتِ المَوَاعِيسِ ...) و)
ألاَ طرقَتْكَ وأهلي هُجُودُ ...) و)
(... أهَوًى أراكَ برامَتَيْنِ وُقودا)
قال وقال أبو عبيدة الأخطل أشبه بالجاهلية وأشدهم أسر شعر وأقلهم سقطا
واخبرنا الجوهري عن عمر بن شبة عن أبي عبيدة مثله
وفي بعض هذه القصائد التي ذكرت للأخطل اغان هذا موضع ذكرها
منها
صوت
(تأبَّد الرَّبْعُ من سَلْمَى بأحفار ... وأقْفرتْ من سُلَيْمَى دِمْنةُ الدار)
(وقد تَحُلُّ بها سَلْمَى تُحاذِبُني ... تَساقُطَ الحَلْيِ حاجاتي وأسراري)
غناه عمر الوادي هزجا بالسبابة في مجرى الوسطى وسنذكر خبر هذا الشعر في أخبار عبد الرحمن بن حسان لما هجاه الأخطل وهجا الأنصار إذ كان هذا الشعر قيل في ذلك
ومنها
صوت
(خَفَّ القَطِينُ فراحوا منك وابتكروا ... وأزعجتْهم نَوًى في صَرْفِها غِيَرُ)
(كأنَّني شاربٌ يومَ استُبِدَّ بِهم ... من قَهْوةٍ ضُمِّنَتْها حِمْصُ أو جَدَرُ)
(جادتْ بها من ذواتِ القارِ مُتْرَعةٌ ... كَلْفاءُ يَنْحَتُّ عن خُرْطومها المَدَرُ)
غناه إبراهيم خفيف ثقيل بالبنصر ولابن سريج فيه رمل بالوسطى عن عمرو وفيه رمل آخر يقال إنه لعلويه ويقال إنه لإبراهيم وفيه لعلويه خفيف ثقيل آخر لا يشك فيه

بماذا أجاب عمر بن الوليد عندما سأله عن أشعر الناس

وقال هارون بن الزيات حدثني ابن النطاح عن أبي عمرو الشيباني عن رجل من كلب يقال له مهوش عن أبيه
أن عمر بن الوليد بن عبد الملك سأل الأخطل عن أشعر الناس قال الذي كان إذا مدح رفع وإذا هجا وضع قال ومن هو قال الأعشى قال ثم من قال ابن العشرين يعني طرفة قال ثم من قال أنا
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال أخبرنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو بكر العليمي قال حدثنا أبو قحافة المري عن أبيه قال
دخل الأخطل على بشر بن مروان وعنده الراعي فقال له بشر أنت
أشعر أم هذا قال أنا أشعر منه واكرم فقال للراعي ما تقول قال أما أشعر مني فعسى وأما اكرم فإن كان في أمهاته من ولدت مثل الأمير فنعم فلما خرج الأخطل قال له رجل أتقول لخال الأمير أنا أكرم منك قال ويلك إن أبا نسطوس وضع في رأسي أكؤساً ثلاثا فوالله ما أعقل معها

أنشد عبد الملك وهو نشوان

قال ودخل الأخطل على عبد الملك بن مروان فاستنشده فقال قد يبس حلقي فمر من يسقيني فقال اسقوه ماء فقال شراب الحمار وهو عندنا كثير قال فاسقوه لبنا قال عن اللبن فطمت قال فاسقوه عسلا قال شراب المريض قال فتريد ماذا قال خمرا يا أمير المؤمنين قال أوعهدتني اسقي الخمر لا أم لك لولا حرمتك بنا لفعلت بك وفعلت فخرج فلقي فراشا لعبد الملك فقال ويلك إن أمير المؤمنين استنشدني وقد صحل صوتي فاسقني شربة خمر فسقاه فقال اعدله بآخر فسقاه آخر فقال تركتهما يعتركان في بطني اسقني ثالثا فسقاه ثالثاً فقال تركتني أمشي على واحدة اعدل ميلي برابع فسقاه رابعا فدخل على عبد الملك فأنشده

(خَفَّ القطينُ فراحوا منك وابتكَروا ... وأزعجتْهم نَوًى في صرفها غِيَرُ)

فقال عبد الملك خذ بيده يا غلام فأخرجه ثم ألق عليه من الخلع ما يغمره واحسن جائزته وقال إن لكل قوم شاعرا وإن شاعر بني أمية الأخطل
أخبرني أبو خليفة إجازة عن محمد بن سلام قال قال أبان بن عثمان حدثني سماك بن حرب عن ضوء بن اللجلاج قال دخلت حماما بالكوفة وفيه الأخطل قال فقال ممن الرجل قلت من بني ذهل قال أتروي للفرزدق شيئا قلت نعم قال ما أشعر خليلي على أنه ما أسرع ما رجع في هبته قلت وما ذاك قال قوله

(أَبَني غُدَانَةَ إنَّني حَرَّرتكم ... فوَهبتُكم لعطيَّة بن جِعَالِ)
(لولا عَطِيَّةُ لاجتدعتُ أنوفَكم ... من بين ألأم أنُفٍ وسِبَالِ)

وهبهم في الأول ورجع في الآخر فقلت لو أنكر الناس كلهم هذا ما كان ينبغي أن تنكره أنت قال كيف قلت هجوت زفر بن الحارث ثم خوفت الخليفة منه فقلت

(بني أُميَّةَ إنِّي ناصحٌ لكمُ ... فلا يَبيتنَّ فيكم آمِناً زُفَرُ)
(مفترشاً كافتراش اللَّيث كَلْكَلَه ... لوقعةٍ كائنٍ فيها له جَزَرُ)

مدحت عكرمة بن ربعي فقلت

(قد كنتُ أحسَبه قَيْناً وأُخْبَره ... فاليومَ طُيِّرَ عن أثوابه الشَّرَرُ)

قال لو أردت المبالغة في هجائه ما زدت على هذا فقال له الأخطل والله لولا أنك من قوم سبق لي منهم ما سبق لهجوتك هجاء يدخل معك قبرك ثم قال

(ما كنتَ هاجِيَ قوم بعد مَدْحِهِمُ ... ولا تُكَدِّرُ نُعْمَى بعد ما تَجِبُ)

أخرج عني
وقال هارون بن الزيات حدثني أحمد بن إسماعيل الفهري عن أحمد بن عبد العزيز بن علي بن ميمون عن معن بن خلاد عن ابيه قال
لما استنزل عبد الملك زفر بن الحارث الكلابي من قرقيسيا أقعده معه على سريره فدخل عليه ابن ذي الكلاع فلما نظر إليه مع عبد الملك على السرير بكى فقال له ما يبكيك فقال يا أمير المؤمنين كيف لا أبكي وسيف هذا يقطر من دماء قومي في طاعتهم لك وخلافه عليك ثم هو معك على السرير وأنا على الأرض قال إني لم أجلسه معي أن يكون أكرم علي منك ولكن لسانه لساني وحديثه يعجبني فبلغت الأخطل وهو يشرب فقال أما والله لأقومن في ذلك مقاما لم يقمه ابن ذي الكلاع ثم خرج حتى دخل على عبد الملك فلما ملأ عينه منه قال

(وكأسٍ مثل عين الدِّيكِ صِرْفٍ ... تُنَسِّي الشاربين لها العقولاَ)
(إذا شرِب الفَتَى منها ثلاثاً ... بغير الماءِ حاول أن يَطُولاَ)
(مَشَى قُرَشيةً لا شكَّ فيها ... وأرخَى من مآزره الفُضولاَ)

فقال له عبد الملك ما أخرج هذا منك يا أبا مالك إلا خطة في رأسك قال اجل والله يا أمير المؤمنين حين تجلس عدو الله هذا معك على السرير وهو القائل بالأمس

(وقد ينْبُت المَرْعَى على دِمَن الثَّرَى ... وتبقَى حزازاتُ النفوسِ كما هيا)

قال فقبض عبد الملك رجله ثم ضرب بها صدر زفر فقلبه عن السرير وقال أذهب الله حزازات تلك الصدور فقال أنشدك الله يا أمير المؤمنين والعهد الذي أعطيتني فكان زفر يقول ما أيقنت بالموت قط إلا تلك الساعة حين قال الأخطل ما قال
وقال هارون بن الزيات حدثني هارون بن مسلم عن سعيد بن الحارث عن عبد الخالق بن حنظلة الشيباني قال
قال الأخطل فضلت الشعراء في المديح والهجاء والنسيب بما لا يلحق بي فيه فأما النسيب فقولي

(ألاَ يا اسْلَمِي يا هندُ هندَ بني بَدْر ... وإن كان حيَّانَا عِدًى آخِرَ الدَّهْرِ)
(من الخَفِراتِ البِيضِ أمَّا وشاَحُها ... فيجري وأمَّا القُلْبُ منها فلا يجري)
(تموت وتحيا بالضجيع وتلتوي ... بمُطَّرِد المَتْنَيْن مُنْبَتر الخَصْرِ)

وقولي في المديح

(نفسِي فداءُ أمير المؤمنين إذا ... أبدى النَّواجِذَ يوماً عارمٌ ذَكَرُ)
(الخائضُ الغمرةِ الميمونُ طائرهُ ... خليفةُ اللّه يُستَسْقَى به المَطَرُ)

وقولي في الهجاء

(وكنتَ إذا لَقِيتَ عبيدَ تَيْمٍ ... وتيماً قلتَ أيُّهمُ العبيدُ)
(لئيمُ العالَمين يَسُودُ تَيْماً ... وسيِّدُهم وإن كَرِهوا مَسُودُ)
قال عبد الخالق وصدق لعمري لقد فضلهم
طلق زوجته وتزوج من مطلقة
أخبرني احمد بن عبد العزيز قال حدثني عمر بن شبة عن أحمد بن معاوية عن محمد بن داود قال
طلق أعرابي امرأته فتزوجها الأخطل وكان الأخطل قد طلق امرأته قبل ذلك فبينا هي معه إذ ذكرت زوجها الأول فتنفست فقال الأخطل
(كِلاَنَا على هَمٍّ يبيتُ كأنما ... بجَنْبَيْهِ من مَسِّ الفِراشِ قُروحُ)
(على زوجِها الماضي تنوحُ وإنني ... على زوجتي الأُخْرى كذاك أنوحُ)
أخبرني الحسن بن علي قال أخبرنا أحمد بن زهير بن حرب عن خالد بن خداش
أن الأخطل قال لعبد الملك بن المهلب ما نازعتني نفسي قط إلى مدح أحد ما نازعتني إلى مدحكم فأعطني عطية تبسط بها لساني فوالله لأردينكم أردية لا يذهب صقالها إلى يوم القيامة فقال أعلم والله يا أبا مالك أنك بذلك مليء ولكني أخاف أن يبلغ أمير المؤمنين أني أسأل في غرم وأعطي الشعراء فأهلك ويظن ذلك مني حيلة فلما قدم على إخوته لاموه كل اللوم فيما فعله فقال قد أخبرته بعذري
أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال قال أبو الخطاب حدثني نوح بن جرير قال
قلت لأبي أنت أشعر أم الأخطل فنهرني وقال بئس ما قلت وما أنت وذاك لا أم لك فقلت وما أنا وغيره قال لقد أعنت عليه بكفر وكبر سن وما رأيته إلا خشيت أن يبتلعني
أخبرني عمِّي عن الكراني عن دماذ عن أبي عبيدة قال
قال رجل لأبي عمرو يا عجباً للأخطل نصراني كافر يهجو المسلمين فقال أبو عمرو يا لكع لقد كان الأخطل يجيء وعليه) جبة خز وحرز خز في عنقه سلسة ذهب فيها صليب ذهب تنفض لحيته خمراً حتى يدخل على عبد الملك بن مروان بغير إذن
أبو العسكر يصنف الشعراء الثلاثة
وقال هارون حدثني أحمد بن إسماعيل الفهري عن أحمد بن عبد الله بن علي الدوسي عن معقل بن فلان عن أبيه عن أبي العسكر قال
كنا بباب مسلمة بن عبد الملك فتذاكرنا الشعراء الثلاثة فقال أصحابي حكمناك وتراضينا بك فقلت نعم هم عندي كأفراس ثلاثة أرسلتهن في رهان فأحدها سابق الدهر كله وأحدها مصل وأحدها يجيء أحيانا سابق الريح وأحيانا سكيتا وأحيانا متخلفاً فأما السابق في كل حالاته فالأخطل وأما المصلي في كل حالاته فالفرزدق وأما الذي يسبق الريح أحيانا ويتخلف أحيانا فجرير ثم أنشد له
(سَرَى لهمُ ليلٌ كأنّ نجومَه ... قناديلُ فيهنّ الذُّبَالُ المُفَتَّلُ)
وقال أحسن في هذا وسبق ثم أنشد
(التَّغْلِبِيَّةُ مَهْرُها فَلْسانِ ... والتغلَبيّ جنازةُ الشَّيْطانِ)
وقال تخلف في هذه فخرجنا من عنده على هذا
وقال هارون بن الزيات حدثني محمد بن عمرو الجرجاني عن أبيه
أن الفرزدق والأخطل بينا هما يشربان وقد اجتمعا بالكوفة في إمارة بشر بن مروان إذ دخل عليهما فتًى من أهل اليمامة فقالا له هل تروي لجرير شيئاً فأنشدهما
(لو قد بعثتُ على الفرزدقِ مِيسمِي ... وعلى البَعِيثِ لقد نكحتُ الأخطلاَ)
فأقبل الفرزدق فقال يا ابا مالك أتراه إن وسمني يتوركك على كبر سنك ففزع الفتى فقام وقال أنا عائذ بالله من شركما فقالا اجلس لا بأس عليك ونادماه بقية يومهما
الفرزدق في ضيافته
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال أخبرنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو يعلى قال حدثني عبد السلام بن حرب قال نزل الفرزدق على الأخطل ليلاً وهو لا يعرفه فجاءه بعشاء ثم قال له إني نصراني وأنت حنيف فأي الشراب أحب إليك قال شرابك ثم جعل الأخطل لا ينشد بيتا إلا أتم الفرزدق القصيدة فقال الأخطل لقد نزل بي الليلة شر من أنت قال الفرزدق بن غالب قال فسجد لي وسجدت له فقيل للفرزدق في ذلك فقال كرهت أن يفضلني فنادى الأخطل يا بني تغلب هذا الفرزدق فجمعوا له إبلاً كثيرة فلما اصبح فرقها ثم شخص
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال
كان مما يقدم به الأخطل أنه كان أخبثهم هجاء في عفاف عن الفحش وقال الأخطل ما هجوت أحداً قط بما تستحي العذراء أن تنشده أباها
أخبرني أحمد وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن عباد الموصلي قال
خرج يزيد بن معاوية معه عام حج بالأخطل فاشتاق يزيد أهله فقال
(بكَى كلُّ ذي شَجْوٍ من الشام شاقَهُ ... تَهامٍ فأنَّى يلتقي الشَّجِيَانِ)
أجز يا أخطل فقال
(يغور الذي بالشام أو يُنْجِدُ الذي ... بغَوْرِ تهاماتٍ فيلتقيان)
أخبرني أحمد وحبيب قالا حدثنا عمر بن شبة قال
قيل لأبي العباس أمير المؤمنين إن رجلاً شاعراً قد مدحك فتسمع شعره قال وما عسى أن يقول في بعد قول ابن النصرانية في بني أمية
(شُمْسُ العداوةِ حتى يُسْتقادَ لهم ... وأعظمُ الناسِ أحلاماً إذا قَدَرُوا)
خبر له مع أمه
أخبرني به وكيع عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدي بمثله
قال هارون وحدثني هارون بن سليمان عن الحسن بن مروان التميمي عن أبي بردة الفزاري عن رجل من تغلب قال

لحظ الأخطل شكوة لأمه فيها لبن وجرابا فيه تمر وزبيب وكان جائعا وكان يضيق عليه فقال لها يا أمّه آل فلان يزورونك ويقضون حقك وأنت لا تأتينهم وعندهم عليل فلو أتيتهم لكان اجمل وأولى بك قالت جزيت خيراً يا بني لقد نبهت على مكرمة وقامت فلبست ثيابها ومضت إليهم فمضى
الأخطل إلى الشكوة ففرغ ما فيها وإلى الجراب فأكل التمر والزبيب كله وجاءت فلحظت موضعها فرأته فارغاً فعلمت أنه قد دهاها وعمدت إلى خشبة لتضربه بها فهرب وقال
(أَلَمَّ على عِنَبات العجوز ... وشَكْوَتها من غِيَاثٍ لَمَمْ)
(فظلَّت تُنادي ألاَ وَيْلَها ... وتَلْعَن واللعنُ منها أَمَمْ)
وذكر يعقوب بن السكيت هذه القصة فحكى أنها كانت مع امرأة لأبيه لها منه بنون فكانت تؤثرهم باللبن والتمر والزبيب وتبعث به يرعى أعنزاً لها وسائر القصة والشعر متفق وقال في خبره وهذا أول شعر قاله الأخطل
نسيبه بأمامة ورعوم
أخبرني الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن علي بن فيروز عن الأصمعي عن أمامة ورعوم اللتين قال فيهما الأخطل
(... صَرَمتْ أَمَامَةُ حبلَها ورَعومُ)
ورعوم وأمامة بنتا سعيد بن إياس بن هانىء بن قبيصة وكان الأخطل نزل عليه فأطعمه وسقاه خمراً وخرجتا وهما جويريتان فخدمتاه ثم نزل عليه ثانية وقد كبرتا فحجبتا عنه فسأل عنهما وقال فأين ابنتاي فأخبر بكبرهما فنسب بهما قال والرعوم هي التي كانت عند قتيبة بن مسلم وكان يقال لها أم الأخماس تزوجت في أخماس البصرة محمد بن المهلب وعامر بن مسمع وعباد بن الحصين وقتيبة بن مسلم وكان يقال لها الجارود
أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخراز عن المدائني قال قال أبو عبد الملك
كانت بكر بن وائل إذا تشاجرت في شيء رضيت بالأخطل وكان يدخل المسجد فيقدمون إليه قال فرأيته بالجزيرة وقد شكي إلى القس وقد أخذ بلحيته وضربه بعصاه وهي يصيء كما يصيء الفرخ فقلت له أين هذا مما كنت فيه بالكوفة فقال يابن أخي إذا جاء الدين ذللنا
وقال يعقوب بن السكيت زعم غيلان عن يحيى بن بلال عن عمر بن عبد الله عن داود بن المساور قال
دخلت إلى الأخطل فسلمت عليه فنسبني فانتسبت واستنشدته فقال أنشدك حبة قلبي ثم أنشدني)
(لَعَمْرِي لقد أَسْرِيتُ لا لِيلَ عاجز ... بسَلْهَبَةِ الخَدَّيْن ضاويةِ القُرْبِ)
(إليكَ أميرَ المؤمنين رَحَلْتُها ... على الطائرِ الميمون والمنزل الرَّحْبِ)
فقلت من أشعر الناس قال الأعشى قلت ثم من قال ثم أنا
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه عن أبي أيوب المديني عن المدائني قال
امتدح الأخطل هشاما فأعطاه خمسمائة درهم فلم يرضها وخرج فاشترى بها تفاحاً وفرقه على الصبيان فبلغ ذلك هشاماً فقال قبحه الله ما ضر إلا نفسه
وقال يعقوب بن السكيت حدثني سلمة النميري وتوفي وله مائة وأربعون سنة أنه حضر هشاماً وله يومئذ تسع عشرة سنة وحضر جرير والفرزدق والأخطل عنده فأحضر هشام ناقة له فقال متمثلا
(... أنيخها ما بَدَا لِي ثم أَرْحَلُها)
ثم قال أيكم أتم البيت كما أريد فهي له فقال جرير)
(... كأنَّها نِقْنِقٌ يَعْدُو بصَحْراءِ)
فقال لم تصنع شيئا فقال الفرزدق)
(... كأنَّها كاسِرٌ بالدَّوّ فَتْخاءُ)
فقال لم تغن شيئاً فقال الأخطل
تُرْخِي المَشافِرَ واللَّحْيين إرخاءَ ...) فقال اركبها لا حملك الله)
هجا جارية بعد أن هجته
وقال هارون بن الزيات حدثني الخراز عن المدائني قال
هجت الأخطل جارية من قومه فقال لأبيها يا أبا الدلماء إن ابنتك تعرضت لي فاكففها فقال له هي امرأة مالكة لأمرها فقال الأخطل
(ألاَ أَبْلِغْ أبا الدَّلْمَاءِ عنِّي ... بأن سِنانَ شاعرِكم قصيرُ)
(فإنْ يَطْعُنْ فليس بذي غَناءٍ ... وإن يُطْعَنْ فمَطْعَنُهُ يسيرُ)
(متى ما ألقَه ومعي سِلاحي ... يخِرّ على قفاه فلا يُجيرُ)
فمشى أبوها في رجال من قومه إلى الأخطل فكلموه فقال أما ما مضى فقد مضى ولا أزيد
أخبرنا ابو خليفة إجازة عن محمد بن سلام قال
لما حضرت الأخطل الوفاة قيل له يا أبا مالك ألا توصي فقال
(أوَصِّي الفرزدق عند المماتِ ... بأُمِّ جريرٍ وأعيارها)
(وزار القبورَ أبو مالكٍ ... برغم العُداة وأَوْتارها)
راي كبار الرواة فيه
أخبرنا أبو خليفة إجازة عن محمد بن سلام قال قال لي معاوية بن أبي عمرو بن العلاء أي البيتين عندك أجود قول جرير
(ألستم خيرَ مَنْ رَكِب المَطَايَا ... وأَنْدَى العالمين بُطُونَ رَاحِ)
أم قول الأخطل
(شُمْسُ العداوةِ حتى يُسْتَقادَ لهم ... وأعظمُ الناسِ أحلاماً إذا قَدَرُوا)
فقلت بيت جرير أحلى وأسير وبيت الأخطل أجزل وأرزن فقال صدقت وهكذا كانا في أنفسهما عند الخاصة والعامة
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الحلبي وجعفر بن سعيد أن رجلاً سأل حماداً الراوية عن الأخطل فقال ويحكم ما أقول في شعر رجل قد والله حبب إلي شعره النصرانية
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو عثمان الأشنانداني عن أبي عبيدة قال كان يونس بن حبيب وعيسى بن عرم وابو عمرو يفضلون الأخطل على الثلاثة

وقال هارون بن الزيات حدثني أبو عثمان المازني عن العتبي عن أبيه
أن سليمان بن عبد الملك سأل عمر بن عبد العزيز أجرير اشعر أم الأخطل فقال له أعفني قال لا والله لا أعفيك قال إن الأخطل ضيق عليه كفره القول وإن جريراً وسع عليه إسلامه قوله وقد بلغ الأخطل منه حيث رأيت فقال له سليمان فضلت والله الأخطل
قال هارون وحدثني أبو عثمان عن الأصمعي عن خالد بن كلثوم قال
قال عبد الملك للفرزدق من أشعر الناس في الإسلام قال كفاك بابن النصرانية إذا مدح

قصة أبي سواج

أخبرنا أحمد وحبيب قالا حدثنا عمر بن شبة قال
حدثت أن الحجاج بن يوسف أوفد وفداً إلى عبد الملك وفيهم جرير فجلس لهم ثم أمر بالأخطل فدعي له فلما دخل عليه قال له يا أخطل هذا سبك يعني جريراً وجرير جالس فأقبل عليه جرير فقال أين تركت خنازير أمك قال راعية مع أعيار أمك وإن أتيتنا قريناك منها فأقبل جرير على عبد الملك فقال يا أمير المؤمنين إن رائحة الخمر لتفوح منه قال صدق يا أمير المؤمنين وما اعتذاري من ذلك
(تَعِيبُ الخمرَ وهي شرابُ كِسْرَى ... ويشرَبِ قومُكَ العَجَبَ العجيبَا)
(مَنِيُّ العبد عبدِ ابي سُوَاج ... أحَقُّ من المُدامةِ أن تَعِيبا)
فقال عبد الملك دعوا هذا وأنشدني يا جرير فأنشده ثلاث قصائد كلها في الحجاج يمدحه بها فأحفِظ عبد الملك وقال له يا جرير إن الله
لم ينصر الحجاج وإنما نصر خليفته ودينه ثم أقبل على الأخطل فقال
(شُمْسُ العداوةِ حتى يُستقادَ لهم ... وأعظمُ الناس أحلاماً إذا قَدروا)
فقال عبد الملك هذه المزمرة والله لو وضعت على زبر الحديد لأذابتها ثم أمر له بخلع فخلعت عليه حتى غاب فيها وجعل يقول إن لكل قوم شاعراً وإن الأخطل شاعر بني أمية
فأما قول الأخطل
(... مَنيّ العبدِ عبدِ أبي سُوَاجِ)
فأخبرني بخبر أبي سواج علي بن سليمان الأخفش ومحمد بن العباس اليزيدي قالا حدثنا أبو سعيد السكري قال حدثنا محمد بن حبيب وابو غسان دماذ عن أبي عبيدة معمر بن المثنى أن ابا سواج وهو عباد بن خلف الضبي جاور بني يربوع وكانت له فرس يقال لها بذوة وكان لصرد بن جمرة اليربوعي فرس يقال لها القضيب فتراهنا عشرين بعشرين فسبقت بذوة فظلمه ابن جمرة حقه ومنعه سبقه وجعل يفجر بامرأته ثم إن ابا سواج ذهب إلى البحرين يمتار فلما اقبل راجعاً وكان رجلاً شديداً معجباً بنفسه جعل يقول وهو يحدو
(... يا ليتَ شِعْري هل بَغَتْ من بَعْدِي)
فسمع قائلاً يقول من خلفه
(... نَعَمْ بمكويٍّ قَفاهُ جَعْدِي)
فعاد إلى قوله فأجابه بمثل ذلك وقدم إلى منزله فأقام به مدة فتغاضب
صرد على امرأة أبي سواج وقال لا أرضى أو تقدي من است أبي سواج سيراً فأخبرت زوجها بذلك فقام إلى نعجة له فذبحها وقد من باطن أليتيها سيراً فدفعه إليها فجعله صرد بن جمرة في نعله فقال لقومه إذا أقبلت وفيكم أبو سواج فسلوني من أين أقبلت ففعلوا فقال من ذي بليان وأريد ذابليان وفي نعلي شراكان من است إنسان فقام ابو سواج فطرح ثوبه وقال أنشدكم الله هل ترون بأساً ثم أمر أبو سواج غلامين له راعيين أن يأخذا أمة له فيتراوحاها ودفع إليهما عساً وقال لئن قطرت منكما قطرة في غير العس لأقتلنكما فباتا يتراوحانها ويصبان ما جاء منهما في العس وأمرهما أن يحلبا عليه فحلبا حتى ملآه ثم قال لامرأته والله لتسقنه صرد أو لأقتلنك واختبأ وقال ابعثي إليه حتى يأتيك ففعلت واتاها لعادتها كما كان يأتيها فرحبت به واستبطأته ثم قامت إلى العس فناولته إياه فلما ذاقه رأى طعماً خبيثاً وجعل يتمطق من اللبن الذي يشرب وقال إني أرى لبنكم خاثراً أحسب إبلكم رعت السعدان فقالت إن هذا من طول مكثه في الإناء أقسمت عليك إلا شربته فلما وقع في بطنه وجد الموت فخرج إلى أهله ولا يعلم أصحابه بشيء من أمره فلما جن على أبي سواج الليل أتى أهله وغلمانه فانصرفوا إلى قومه وخلف الفرس وكلبه في الدار فجعل الكلب ينبح والفرس يصهل وذلك ليظن القوم أنه لم يرتحل فساروا ليلتهم والدار ليس فيها غيره وكلبه وفرسه وعسه فلما اصبح ركب فرسه وأخذ العس فأتى مجلس بني يربوع فقال جزاكم الله من جيران خيراً فقد أحسنتم الجوار وفعلتم ما كنتم له أهلاً فقالوا له يا أبا سواج ما بدا لك في الانصراف عنا قال إن صرد بن جمرة لم يكن فيما بيني وبينه محسنا وقد قلت في ذلك
)
(إن المَنِيَّ إذا سَرَى ... في العبد اصبح مُسْمَغِدًّا)
(أتُنالُ سَلْمَى باطلاً ... وخُلِقْتُ يوم خُلِقتُ جَلْدَا)
(صُرَدَ بنَ جمرةَ هل لَقِيتَ ... رثيئةً لبناً وعَصْدَا)
واعلموا أن هذا القدح قد أحبل منكم رجلاً وهو صرد بن جمرة ثم رمى بالعس على صخرة فانكسر وركض فرسه وتنادوا عليكم الرجل فأعجزهم ولحق بقومه وقال في ذلك عمر بن لجأ التيمي
(تُمَسِّحُ يربوعٌ سِبالاً لئيمةً ... بها من مَنِيِّ العبدِ رَطْبٌ ويابسُ)
وإياه عنى الأخطل بقوله
(... ويشرَب قومُك العجبَ العجيبا)
حبسه القس ثم أطلقه بعد شفاعة
أخبرنا ابو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال زعم محمد بن حفص بن عائشة التيمي عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب قال
قدمت الشام وأنا شاب مع أبي فكنت أطوف في كنائسها ومساجدها فدخلت كنيسة دمشق وإذا الأخطل فيها محبوس فجعلت أنظر إليه فسأل عني فاخبر بنسبي فقال يا فتى إنك لرجل شريف وإني أسألك حاجة فقلت حاجتك مقضية قال إن القس حبسني ها هنا فتكلمه ليخلي عني فأتيت القس فانتسبت له فرحب وعظم قلت إن لي إليك حاجة قال ما

حاجتك قلت الأخطل تخلي عنه قال أعيذك بالله من هذا مثلك لا يتكلم فيه فاسق يشتم أعراض الناس ويهجوهم فلم أزل أطلب إليه حتى مضى معي متكئاً على عصاه فوقف عليه ورفع عصاه وقال يا عدو الله أتعود تشتم الناس وتهجوهم وتقذف المحصنات وهو يقول لست بعائد ولا أفعل ويستخذي له قال فقلت له يا ابا مالك الناس يهابونك والخليفة يكرمك وقدرك في الناس قدرك وأنت تخضع لهذا هذا الخضوع وتستخذي له قال فجعل يقول لي إنه الدين إنه الدين
أخبرنا اليزيدي عن عمه عبيد الله عن ابن حبيب عن الهيثم بن عدي قال
كانت امرأة الأخطل حاملا وكان متمسكا بدينه فمر به الأسقف يوما فقال لها الحقيه فتمسحي به فعدت فلم تلحق إلا ذنب حماره فتمسحت به ورجعت فقال لها هو وذنب حماره سواء
أخبرنا أبو خليفة قال حدثنا ابن سلام قال حدثني يونس قال قال أبو الغراف
سمع هشام بن عبد الملك الأخطل وهو يقول
(إذا افتقرتَ إلى الذخائرِ لم تَجِدْ ... ذُخْراً يكون كصالح الأعمال)
فقال هنيئا لك أبا مالك هذا الإسلام فقال له يا أمير المؤمنين ما زلت مسلما في ديني
أخبرني أبو خليفة قال حدثنا ابن سلام قال حدثني يونس وعبد الملك وأبو الغراف فألفت ما قالوا قالوا
أتى الأخطل الكوفة فأتى الغضبان بن القبعثري الشيباني فسأله في حمالة فقال إن شئت أعطيتك ألفين وإن شئت أعطيتك درهمين قال وما بال الألفين وما بال الدرهمين قال إن أعطيتك ألفين لم يعطكها إلا قليل وإن أعطيتك درهمين لم يبق في الكوفة بكري إلا أعطاك درهمين وكتبنا إلى إخواننا بالبصرة فلم يبق بكري بها إلا أعطاك درهمين فخفت عليهم المؤنة وكثر لك النيل فقال فهذه إذا فقال نقسمها لك على أن ترد علينا فكتب بالبصرة إلى سويد بن منجوف السدوسي فقدم البصرة فقال يونس في حديثه فنزل على مال الصلت بن حريث الحنفي فأخبر من سمعه يقول والله لا أزال أفعل ذلك ثم رجع الحديث الأول فأتى سويدا فأخبره بحاجته فقال نعم وأقبل على قومه فقال هذا أبو مالك قد اتاكم يسألكم أن تجمعوا له وهو الذي يقول
(إذا ما قلتُ قد صالحتُ بَكْراً ... أبَى البَغْضاءُ والنَّسبُ البعيدُ)
(وأيَّامٌ لنا ولَهُمْ طِوالٌ ... يَعَضّ الهامَ فيهنّ الحديدُ)
(ومُهْراقُ الدماءِ بوارِدَاتٍ ... تَبِيدُ المُخْزِيَاتُ ولا تَبِيدُ)
(هُمَا أخوانِ يَصْطليانِ ناراً ... رداءُ الحربِ بينهما جديدُ)
فقالوا فلا والله لا نعطيه شيئا فقال الأخطل
(فإنْ تَبْخَلْ سَدُوسُ بدِرْهَمَيْها ... فإنَّ الرِّيحَ طَيِّبةٌ قَبُولُ)
((تَوَاكَلَني بنو العلاّت منهم ... وغالتْ مالكاً ويزيدَ غُولُ)
(صَرِيعَا وائلٍ هَلَكَا جميعاً ... كأنّ الأرضَ بعدهما مَحُولُ)
وقال في سويد بن منجوف وكان رجلا ليس بذي منظر
(وما جِذْعُ سَوْءٍ خَرَّب السُّوسُ أصلَه ... لِمَا حَمَّلَتْه وائلٌ بمُطِيقِ)
كان مع مهارته يسقط أحيانا
أخبرنا أبو خليفة قال قال محمد بن سلام
كان الأخطل مع مهارته وشعره يسقط أحيانا كان مدح سماكا الأسدي وهو سماك الهالكي من بني عمرو بن أسد وبنو عمرو يلقبون القيون ومسجد سماك بالكوفة معروف وكان من أهلها فخرج أيام علي هاربا فلحق بالجزيرة فمدحه الأخطل فقال
(نعم المُجيرُ سِمَاكٌ من بني أسَدٍ ... بالقاع إذ قتلت جيرانَها مُضَرُ)
(قد كنتُ أحسَبه قَيْناً وأُخْبَرُه ... فاليومَ طُيِّر عن أثوابه الشَّرَرُ)
(إنّ سماكاً بني مجداً لأُسرته ... حتى المماتِ وفِعلُ الخير يبتدرُ)
فقال سماك يا أخطل أردت مدحي فهجوتني كان الناس يقولون قولا فحققته فلما هجا سويدا قال له سويد والله يا أبا مالك ما تحسن تهجو ولا تمدح لقد أردت مدح الأسدي فهجوته يعني قوله
((قد كنتُ أحسَبه قَيْناً وأُنْبَؤُه ... فاليومَ طُيِّر عن أثوابه الشَّرَرُ)
(إنّ سماكاً بنى مجداً لأُسرته ... حتى المماتِ وفِعلُ الخير يبتدرُ)
وأردت هجائي فمدحتني جعلت وائلا حملتني أمورها وما طمعت في بني تغلب فضلا عن بكر
أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال حدثني أبان البجلي قال
مر الأخطل بالكوفة في بني رؤاس ومؤذنهم ينادي بالصلاة فقال له بعض فتيانهم ألا تدخل يا أبا مالك فتصلي فقال
(أُصَلِّي حيث تُدركني صَلاتِي ... وليس البِرُّ عند بني رُؤَاسِ)
أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال حدثني أبو الحصين الأموي قال
بينا الأخطل قد خلا بخميرة له في نزهة مع صاحب له وطرأ عليهما طارىء لا يعرفانه ولا يستخفانه فشرب شرابهما وثقل عليهما فقال الأخطل في ذلك
صوت
(وليسَ القَذَى بالعُودِ يَسقُط في الإنَا ... ولا بذُبابٍ خطْبُه أيسرُ الأمر)
(ولكنّ شخصاً لا نُسرُّ بقُرْبه ... رمتْنا به الغيطانُ من حيث لا ندري)
ويروى
(...ولكن قَذَاها زائرٌ لا نُحِبّه)
وهو الجيد الغناء لإبراهيم خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو وقد أخبرنا بهذا الخبر محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثنا العمري قال حدثنا الهيثم بن عدي عن ابن عياش قال
بينا الأخطل جالس عند امرأة من قومه وكان أهل البدو إذ ذاك يتحدث رجالهم إلى النساء لا يرون بذلك بأسا وبين يديه باطية شراب والمرأة تحدثه وهو يشرب إذ دخل رجل فجلس فثقل على الأخطل وكره أن يقول له قم استحياء منه وأطال الرجل الجلوس إلى أن أقبل ذباب فوقع في الباطية في شرابه فقال الرجل يا أبا مالك الذباب في شرابك فقال
(وليسَ القَذَى بالعود يَسقُط في الخمر ... ولا بذُبابٍ نَزْعُه أيسرُ الأمر)

(ولكن قَذَاها زائرٌ لا نُحِبُّه ... رمتْنا به الغيطانُ من حيث لا نَدْري)
قال فقام الرجل فانصرف
وأخبرني عمي رحمه الله بهذا الحديث عن الكراني عن الزيادي عن علي بن الحفار أخي أبي الحجاج
أن الأخطل جاء إلى معبد في قدمةٍ قدمها إلى الشام فقال له معبد إني أحب محادثتك فقال له وأنا أحب ذلك وقاما يتصبحان الغدران حتى وقفا على غدير فنزلا وأكلا فتبعهما أعرابي فجلس معهما وذكر الخبر مثل الذي قبله
أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال قال أبان بن عثمان حدثني أبي قال
دعا الأخطل شاب من شباب أهل الكوفة إلى منزله فقال له يابن أخي
أنت لا تحتمل المئونة وليس عندك معتمد فلم يزل به حتى انتجعه فأتى الباب فقال يا شقراء فخرجت إليه امرأة فقال لأمه هذا أبو مالك قد أتاني فباعت غزلاً لها واشترت له لحما ونبيذا وريحانا فدخل خصا لها فأكل معه وشرب وقال في ذلك
(وبيتٍ كظهر الفيل جُلُّ مَتَاعِه ... أباريقُه والشاربُ المُتَقَطِّرُ)
(ترى فيه أثلامَ الأَصِيص كأنَّها ... إذا بال فيها الشيخُ جَفْرٌ مُعَوَّرُ)
(لَعَمْرُك ما لاقيتُ يومَ معيشةٍ ... من الدهر إلاَّ يومُ شقراءَ أقصرُ)
(حَوَارِيَّةٌ لا يدخل الذَّمُّ بيتَها ... مُطَهَّرَةٌ يأوي إليها مُطَهَّرُ)
وذكر هارون بن الزيات هذا الخبر عن حماد عن أبيه أنه كان نازلا على عكرمة الفياض وأنه خرج من عنده يوما فمر بفتيان يشربون ومعهم قينة يقال لها شقراء وذكر الخبر مثل ما قبله وزاد فيه فأقام عندهم أربعة أيام وظن عكرمة أنه غضب فانصرف عنه فلما أتاه اخبره بخبره فبعث إلى الفتيان بألف درهم وأعطاه خمسة آلاف فمضى بها إليهم وقال استعينوا بهذه على أمركم ولم يزل ينادمهم حتى رحل

إجتماع الشعراء الثلاثة عند بشر بن مروان

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال حدثني أبو يحيى الضبي قال
اجتمع الفرزدق وجرير والأخطل عند بشر بن مروان وكان بشر يغري بين الشعراء فقال للأخطل احكم بين الفرزدق وجرير فقال اعفني أيها الأمير
قال احكم بينهما فاستعفاه بجهده فأبى إلا أن يقول فقال هذا حكم مشؤوم ثم قال الفرزدق ينحت من صخر وجرير يغرف من بحر فلم يرضَ بذلك جرير وكان سبب الهجاء بينهما فقال جرير في حكومته
(يا ذَا الغباوةِ إنّ بِشْراً قد قَضَى ... ألاَّ تجوزَ حكومةُ النَّشْوانِ)
(فدَعُوا الحكومةَ لستُم من أهلها ... إنّ الحكومة في بني شَيْبانِ)
(قَتلوا كُلَيْبَكُم بِلَقْحةِ جارهِمْ ... يا خُزْرَ تَغْلِبَ لستُم بهِجانِ)
فقال الأخطل يرد على جرير
(ولقد تَنَاسيتمْ إلى أحسابكم ... وجعلتُم حَكَماً من السُّلطان)
(فإذا كُلَيْبٌ لا تُساوي دَارماً ... حتى يُساوَى حَزْرَمٌ من بأَبَانِ)
(وإذا جعلتَ أباكَ في مِيزانهم ... رَجَحُوا وشال أبوك في المِيزانِ)
(وإذا وردتَ الماءَ كان لدارمٍ ... عِفْوَاتُه وسهولةُ الأعطانِ)
ثم استطار في الهجاء

مناقضة بينه وبين جرير

أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثنا أبو الغراف قال
لما قال جرير
(إذا أخَذَتْ قَيْسٌ عليكَ وخِنْدِفٌ ... بأقطارها لم تَدْرِ من اين تَسْرَحُ)
قال الأخطل لا أين سد والله علي الدنيا فلما أنشد قوله
(فما لك في نَجْدٍ حَصَاةٌ تَعُدُّها ... وما لك من غَوْرَيْ تِهامةَ أبطَحُ)
قال الأخطل لا أبالي والله ألا يكون فتح لي والصليب القول ثم قال
(ولكنْ لنا بَرُّ العِراقِ وبَحْرُه ... وحيث تَرَى القُرْقُورَ في الماء يَسْبَحُ)
أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال حدثني محمد بن الحجاج الأسيدي قال
خرجت إلى الصائفة فنزلت منزلا ببني تغلب فلم أجد به طعاما ولا شرابا ولا علفاً لدوابي شرى ولا قرى ولم أجد ظلا فقلت لرجل منهم ما في داركم هذه مسجد يستظل فيه فقال ممن أنت قلت من بني تميم قال ما كنت أرى عمك جريراً إلا قد أخبرك حين قال
(فينا المساجدُ والإمامُ ولا ترى ... في آل تَغْلِبَ مسجداً معمورا)
أخبرني أبو خليفة قال أنبأنا محمد بن سلام قال حدثني شيخ من ضبيعة قال
خرج جرير إلى الشام فنزل منزلاً ببني تغلب فخرج متلثماً عليه ثياب سفره فلقيه رجل لا يعرفه فقال ممن الرجل قال من بني تميم قال أما سمعت ما قلت لغاوي بني تميم فأنشده مما قال لجرير فقال أما سمعت
ما قال لك غاوي بني تميم فأنشده ثم عاد الأخطل وعاد جرير في نقضه حتى كثر ذلك بينهما فقال التغلبي من أنت لا حياك الله والله لكأنك جرير قال فأنا جرير قال وأنا الأخطل

كان يدخل على عبد الملك وهو سكران

أخبرني عمي قال أنبأنا الكراني قال أنبأنا أبو عبد الرحمن عن المدائني قال
دخل الأخطل على عبد الملك وقد شرب فكلمه فخلط في كلامه فقال له ما هذا فقال
(إذا شرب الفتى منها ثلاثاً ... بغير الماء حاول أن يَطُولاَ)
(مشى قُرَشِيَّةً لا عيبَ فيها ... وأرخَى من مآزره الفُضولا)
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن إسرائيل قال أخبرني إسماعيل بن أبي محمد اليزيدي قال أخبرني أبو محمد اليزيدي قال
خرج الفرزدق يؤم بعض الملوك من بني أمية فرفع له في طريقه بيت أحمر من أدم فدنا منه وسأل فقيل له بيت الأخطل

فأتاه فقال انزل فلما نزل قام إليه الأخطل وهو لا يعرفه إلا أنه ضيف فقعدا يتحدثان فقال له الأخطل ممن الرجل قال من بني تميم قال فإنك إذاً من رهط أخي الفرزدق فقال تحفظ من شعره شيئا قال نعم كثيراً فما زالا يتناشدان ويتعجب الأخطل من حفظه شعر الفرزدق إلى أن عمل فيه الشراب وقد كان الأخطل قال له قبل ذلك أنتم معشر الحنيفية لا ترون أن تشربوا من شرابنا فقال له الفرزدق خفض قليلاً وهات من شرابك فاسقنا فلما عملت الراح في أبي فراس قال أنا والله الذي أقول في جرير فأنشده فقام إليه الأخطل
فقبل رأسه وقال لا جزاك الله عني خيرا لم كتمتني نفسك منذ اليوم وأخذا في شرابهما وتناشدهما إلى أن قال له الأخطل والله إنك وإياي لأشعر منه ولكنه أوتي من سير الشعر ما لم نؤته قلت أنا بيتاً ما أعلم أن أحداً أهجى منه قلت
(قومٌ إذا استنبح الأضيافُ كلبَهُمُ ... قالوا لأُمّهِمُ بُولي على النارِ)
فلم يروه إلا حكماء أهل الشعر وقال هو
(والتغلَبيّ إذا تنحنح للقِرَى ... حَكّ اسْتَه وتمثّلَ الأمثالا)
فلم تبق سقاة ولا أمثالها إلا رووه فقضيا له أنه أسير شعراً منهما
أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال قال المدائني
كان للأخطل الشاعر دار ضيافة فمر به عكرمة الفياض وهو لا يعرفه فقيل له هذا رجل شريف قد نزل بنا فلما أمسى بعث إليه فتعشى معه ثم قال له أتصيب من الشراب شيئاً قال نعم قال أيه قال كله إلا شرابك فدعا له بشراب يوافقه وإذا عنده قينتان هما خلفه وبينه وبينهما ستر وإذا الأخطل أشهب اللحية له ضفيرتان فغمز الستر بقضيب في يده وقال غنياني بأردية الشعر فغنتاه بقول عمرو بن شأس
(وبِيضٍ تَطَلَّى بالعَبير كأنما ... يطأنَ وإن أعنقنَ في جُدَدٍ وَحْلاَ)
(لَهَوْنا بها يوماً ويوماً بشاربٍ ... إذا قلتَ مغلوباً وجدتَ له عقلا)
فأما السبب في مدح الأخطل عكرمة بن ربعي الفياض فأخبرنا به أبو خليفة عن محمد بن سلام قال
قدم الأخطل الكوفة فأتى حوشب بو رويم الشيباني فقال إني تحملت حمالتين لأحقن بهما دماء قومي فنهره فأتى سيار بن البزيعة فسأله فاعتذر إليه فأتى عكرمة الفياض وكان كاتباً لبشر بن مروان فسأله وأخبره بما رد عليه الرجلان فقال أما إني لا أنهرك ولا أعتذر إليك ولكني أعطيك إحداهما عيناً والأخرى عرضاً قال وحدث أمر بالكوفة فاجتمع له الناس في المسجد فقيل له إن أردت أن تكافىء عكرمة يوماً فاليوم فلبس جبة خز وركب فرساً وتقلد صليباً من ذهب وأتى باب المسجد ونزل عن فرسه فلما رآه حوشب وسيار نفسا عليه ذلك وقال عكرمة يا ابا مالك فجاء فوقف وابتدأ ينشد قصيدته
(لِمَنِ الدّيارُ بحائلٍ فوُعالِ)
حتى انتهى إلى قوله
(إنّ ابنَ رِبْعِيٍّ كَفَاني سَيْبُه ... ضِغْنَ العدوِّ وغَدْرَةَ المُحتالِ)
(أغْلَيْتَ حين تواكَلَتْني وائلٌ ... إنّ المكارمَ عند ذاك غَوالِ)
(ولقد مَنَنْتَ على ربيعةَ كلِّها ... وكَفَيْتَ كلَّ مُوَاكِلٍ خَذّال)
(كابنِ البَزيعة أو كآخَرِ مثلِه ... أوْلَى لكَ ابنَ مُسِيمَةِ الأجمالِ)
(إنّ اللّئيم إذا سألتَ بَهَرْتَه ... وترى الكريمَ يَرَاحُ كالمختال)
(وإذا عدلتَ به رجالاً لم تَجِد ... فيضَ الفُرَاتِ كراشحِ الأوشالِ)
قال فجعل عكرمة يبتهج ويقول هذه والله أحب إلي من حمر النعم
ومما في شعر الأخطل من الأصوات المختارة
صوت من المائة المختارة
(أراعكَ بالخابور نوقٌ وأجمال ... ودارٌ عَفَتْها الرِّيحُ بعدِي بأذيالِ)
(ومَبْنَى قِبَابِ المالكيَّة حَوْلَنا ... وجُرْدٌ تَعَادَى بين سَهْلٍ وأجبالِ)
عروضه من الطويل الشعر للأخطل والغناء لابن محرز ولحنه المختار من خفيف الثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق وفيه خفيف رمل في هذا الوجه نسبه يحيى المكي إلى ابن محرز وذكر الهشامي أنه منحول وفيه لحنين الحيري ثقيل أول عن الهشامي
ذكر سائب خاثر ونسبه
كان سائب خاثر مولى بني ليث وأصله من فيء كسرى واشترى عبد الله بن جعفر ولاءه من مواليه وقيل بل اشتراه فأعتقه وقيل بل كان على ولائه لبني ليث وإنما انقطع إلى عبد الله بن جعفر فلزمه وعرف به وكان يبيع الطعام بالمدينة واسم أبيه الذي أعتقه بنو ليث يشا
قال ابن الكلبي وأبو غسان وغيرهما هو أول من عمل العود بالمدينة وغنى به وقال ابن خرداذبه كان عبد الله بن عامر) اشترى إماء صناجات وأتى بهن المدينة فكان لهن يوم في الجمعة يلعبن فيه وسمع الناس منهن فأخذ عنهن ثم قدم رجل فارسي بنشيط فغنى فأعجب عبد الله بن جعفر به فقال له سائب خاثر أنا أصنع لك مثل غناء هذا الفارسي بالعربية ثم غدا على عبد الله بن جعفر وقد صنع
(... لِمَنِ الدّيارُ رسومُها قَفْرُ)
قال ابن الكلبي وهو أول صوت غني به في الإسلام من الغناء العربي المتقن الصنعة قال ثم اشترى عبد الله بن جعفر نشيطاً بعد ذلك فأخذ عن سائب خاثر الغناء العربي وأخذ عنه ابن سريج وجميلة ومعبد وعزة الميلاء وغيرهم
قال ابن الكلبي وحدثني أبو مسكين قال
كان سائب خاثر يكنى أبا جعفر ولم يكن يضرب بالعود إنما كان يقرع بقضيب ويغني مرتجلا ولم يزل يغني وقتل يوم الحرة ومر به بعض القرشيين وهو قتيل فضربه برجله وقال إن ها هنا لحنجرة حسنة وكان سائب من ساكني المدينة
قال ابن الكلبي وكان سائب تاجراً موسراً يبيع الطعام وكان تحته أربع نسوة وكان انقطاعه إلى عبد الله بن جعفر وكان مع ذلك يخالط سروات الناس وأشرافهم لظرفه وحلاوته وحسن صوته وكان قد آلى ألا يغني أحداً سوى عبد الله بن جعفر إلا أن يكون خليفة أو ولي عهد أو ابن خليفة فكان على ذلك إلى أن قتل قال وأخذ معبد عنه غناء كثيراً فنحل الناس بعضه إليه وأهل العلم بالغناء يعرفون ذلك وزعم ابن خرداذبه أن أم محمد بن عمرو الواقدي القاضي المحدث بنت عيسى بن جعفر بن سائب خاثر

هو أول من غنى بالعربية الغناء الثقيل

وقال ابن الكلبي سائب خاثر أول من غنى بالعربية الغناء الثقيل وأول لحن صنعه منه

(... لِمَنْ الدِّيارُ رسومُها قَفْرُ)

قال فألفت هذا الصوت الفروح

قال وحدثني محمد بن يزيد أن أول صوت صنعه في شعر امرىء القيس

(...أفاطِمُ مَهْلاً بعضَ هذا التدلُّل)

وأن معبداً أخذ لحنه فيه فغنيّ عليه

(... أمِنْ آل ليلى باللِّوَى مُتَرَبَّعُ)

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن ابن الكلبي عن لقيط قال

وفد عبد الله بن جعفر على معاوية ومعه سائب خاثر فوقع له في حوائجه ثم عرض عليه حاجة لسائب خاثر فقال معاوية من سائب خاثر قال رجل من أهل المدينة ليثي يروي الشعر قال أوَكلّ من روى الشعر أراد أن نصله قال إنه حسنه قال وإن حسنه قال أفأدخله إليك يا أمير المؤمنين قال نعم قال فألبسته ممصرتين إزاراً ورداء فلما دخل قام على الباب ثم رفع صوته يتغنى

(... لِمَن الديارُ رُسومُها قَفْرُ)

فالتفت معاوية إلى عبد الله بن جعفر فقال أشهد لقد حسنه فقضى حوائجه وأحسن إليه

نسبة هذا الصوت

(لِمَنِ الديارُ رُسُومُها قَفْرُ ... لَعِبتْ بِها الأرواحُ والقَطْرُ)

(وخَلاَ لها من بعد ساكِنِها ... حِجَجٌ مَضَين ثَمَانٍ أوْ عَشْرُ)

(والزَّعْفرانُ على تَرَائِبِها ... شَرِقٌ به اللَّبَّاتُ والنَّحْرُ)

الشعر ينسب إلى أبي بكر بن المسور بن مخرمة الزهري وإلى الحارث بن خالد المخزومي وإلى بعض القرشيين من السبعة المعدودين

من شعراء العرب والغناء لسائب خاثر ثقيل أول بالسبابة عن الكلبي وحبش وذكر أن لحن سائب خاثر ثقيل أول بالوسطى ووافق إسحاق في ذلك وذكر أن الثقيل الأول لنشيط وذكر يونس أن فيه لحناً لمعبد ولم يجنسه وذكر الهشامي أن لحن معبد خفيف ثقيل وأن فيه لابن سريج خفيف رمل

سمعه معاوية فأعجب به

أخبرنا أحمد بن عبيد الله بن عمار وأحمد بن عبد العزيز الجوهري وإسماعيل بن يونس قالوا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني قبيصة بن عمرو قال حدثنا محمد بن المنهال عن رجل حدثه وذكر ذلك أيضا ابن الكلبي عن لقيط قال

أشرف معاوية بن أبي سفيان ليلاً على منزل يزيد ابنه فسمع صوتاً أعجبه واستخفه السماع فاستمع قائماً حتى مل ثم دعا بكرسي فجلس عليه واشتهى الاستزادة فاستمع بقية ليلته حتى مل فلما أصبح غدا عليه يزيد فقال له يا بني من كان جليسك البارحة قال أي جليس يا أمير المؤمنين واستعجم عليه قال عرفني فإنه لم يخف علي شيء من أمرك قال سائب خاثر قال فأخثر له يا بني من برك وصلتك فما رأيت بمجالسته بأساً

قال ابن الكلبي قدم معاوية المدينة في بعض ما كان يقدم فأمر حاجبه بالإذن للناس فخرج الآذن ثم رجع فقال ما بالباب أحد فقال معاوية وأين الناس قال عند ابن جعفر فدعا ببغلته فركبها ثم توجه إليهم فلما جلس قال

بعض القرشيين لسائب خاثر مطرفي هذا لك وكان من خز إن أنت اندفعت تغني ومشيت بين السماطين وأنت تغني فقام ومشى بين السماطين وغنى

(لنا الجَفَنَاتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بالضُّحَى ... وأسيافُنا يَقْطُرْنَ من نجدةٍ دَمَا)

فسمع منه معاوية وطرب وأصغى إليه حتى سكت وهو مستحسن لذلك ثم قام وانصرف إلى منزله وأخذ سائب خاثر المطرف

قتل يوم الحرة

أخبرني حبيب بن نصر عن عمر بن شبة عن الزبيري وأخبرني ابو بكر بن أبي شيبة البزاز قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني قال

قتل سائب خاثر يوم الحرة وكان خشي على نفسه من أهل الشام فخرج إليهم وجعل يحدثهم ويقول أنا مغن ومن) حالي وقصتي كيت وكيت وقد خدمت أمير المؤمنين يزيد وأباه قبله قالوا فغن لنا فجعل يغني فقام إليه أحدهم فقال له أحسنت والله ثم ضربه بالسيف فقتله وبلغ يزيد خبره ومر به اسمه في أسماء من قتل يومئذ فلم يعرفه وقال من سائب خاثر هذا فقيل له هو سائب خاثر المغني فعرفه فقال ويله ما له ولنا ألم نحسن إليه ونصله ونخلطه بأنفسنا فما الذي حمله على عداوتنا لا جرم أن بغيه صرعه وقال المدائني في خبره فقال إنا لله أو بلغ القتل إلى سائب خاثر وطبقته ما أرى أنه بقي بالمدينة أحد ثم قال قبحكم الله يا أهل الشام تجدهم صادفوه في حديقة أو حائط مستتراً منهم فقتلوه

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال أنبأنا عمر بن شبة قال حدثني قبيصة بن

عمرو قال حدثني حاتم بن قبيصة قال حدثني ابن جعدبة قال حدثني مويلك عن أبيه قال قال لي سائب خاثر يوم الحرة هل سمعت شيئاً صنعته فغناني صوتاً

صوت

(لِمَنْ طَلَلٌ بين الكُرَاعِ إلى القَصْرِ ... يُغَيِّبُ عنا آية سَبَلُ القَطْرِ)

(إلى خالداتٍ ما تَريمُ وهامِدٍ ... وأشعث تُرْسِيه الوَليدةُ بالفِهْرِ)

قال فسمعت عجباً معجباً ثم ذكر أهله وولده فبكى فقلت له وما يمنعك منهم فقال أما بعد شيء سمعته ورأيته من يزيد بن معاوية فلا ثم تقدم حتى قتل

صوت من المائة المختارة

(أَقْفَر من أهلِه مَصِيفُ ... فبَطْنُ نَخْلَةَ فالعَرِيفُ)

(هل تُبلِغَنّي دِيارَ قومي ... مَهْرِيّةٌ سَيْرُها زَفِيفُ)

(يا أمَّ نُعْمانَ نَوِّلينا ... قد ينفَعُ النائلُ الطَّفِيفُ)

((أعمامُها الصِّيدُ من لُؤَيٍّ ... حَقّاً وأخوالُها ثَقِيفُ
الشعر لأبي فرعة الكناني والغناء لجرادتي عبد الله بن جدعان ولحنه من خفيف الثقيل وفيه في الثالث والرابع ثقيل أول مطلق

ذكر جرادتي عبد الله بن جدعان وخبرهما وشيء من أخبار ابن جدعان

هو عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب
قال ابن الكلبي كانت لابن جدعان أمتان تسميان الجرادتين تتغنيان في الجاهلية سماهما بجرادتي عاد ووهبهما عبد الله بن جدعان لأمية بن أبي الصلت الثقفي وقد كان امتدحه وكان ابن جدعان سيداً جواداً فرأى أمية ينظر إليهما وهو عنده فأعطاه إياهما
وأخبرني أبو الليث نصر بن القاسم الفرائضي قال حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال حدثنا حفص بن غياث عن داود عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت
قلت يا رسول الله إن ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه قال لا لم يقل يوما اغفر لي خطيئتي يوم الدين
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني جعفر بن الحسين قال حدثني إبراهيم بن أحمد قال قدم أمية بن أبي الصلت على عبد الله بن جدعان فلما دخل عليه قال
له عبد الله أمر ما أتى بك فقال أمية كلاب غرماء نبحتني ونهشتني فقال له عبد الله قدمت علي وأنا عليل من حقوق لزمتني ونهشتني فأنظرني قليلا ما في يدي وقد ضمنتك قضاء دينك ولا اسأل عن مبلغه قال فأقام أمية أياماً فأتاه فقال
(أأذكُر حاجتي أم قد كَفَاني ... حياؤك إن شِيمتَك الحَياءُ)
(وعِلْمُك بالأمور وأنت قَرْمٌ ... لك الحسبُ المهذَّبُ والسَّناء)
(كريمٌ لا يُغَيِّره صباحٌ عن الخُلُق السَّنِيّ ولا مَساء)
(تُباري الرِّيحَ مَكْرُمةً وجوداً ... إذا ما الكلبُ أَجْحره الشتاء)
(إذا أثْنَى عليك المرءُ يوماً ... كفاه من تَعرُّضه الثناءُ)
(إذا خلَّفتَ عبدَ اللّه فاعلم ... بأن القومَ ليس لهم جَزاء)
(فأرضُك كلُّ مَكْرُمةٍ بناها ... بنو تَيْمٍ وأنت لهم سماءُ)
(فأبْرَز فضلَه حقّاً عليهم ... كما بَرَزتْ لناظرها السماء)
(فهل تَخْفَى السماءُ على بَصير ... وهل بالشمس طالعةً خَفَاءُ)
فلما أنشده أمية هذا الشعر كانت عنده قينتان فقال خذ أيتهما شئت فأخذ إحداهما وانصرف فمر بمجلس من مجالس قريش فلاموه على أخذها وقالوا له لقد لقيته عليلاً فلو رددتها عليه فإن الشيخ يحتاج إلى خدمتها كان ذلك أقرب لك عنده وأكثر من كل حق ضمنه لك فوقع الكلام من أمية موقعاً وندم ورجع إليه ليردها عليه فلما أتاه بها قال له ابن جدعان لعلك إنما رددتها لأن قريشاً لاموك على أخذها وقالوا كذا وكذا فوصف لأمية ما قال له القوم فقال أمية والله ما أخطأت يا أبا زهير فقال عبد الله بن جدعان فما الذي قلت في ذلك فقال أمية

صوت

(عطاؤكَ زَيْنٌ لامرىء إن حَبَوْتَه ... ببَذْلٍ وما كلُّ العطاء يَزِينُ)
(وليس بشَيْنٍ لامرىء بذلُ وجهه ... إليكَ كما بعضُ السؤال يَشين)
غنت فيه جرادتا عبد الله بن جدعان فقال عبد الله لأمية خذ الأخرى فأخذهما جمعاً وخرج فلما صار إلى القوم بهما أنشأ يقول وقد أنشدنا هذه الأبيات أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن عمر بن شبة وفيها زيادة
(وما ليَ لا أحيِّيه وعندي ... مواهِبُ يَطَّلِعْنَ من النِّجادِ)
(لأبيضَ من بني تَيْم بن كَعْبٍ ... وهم كالمَشْرَفِيَّاتِ الحِداد)
(لكل قبيلةٍ هادٍ ورأسٌ ... وأنت الرأسُ تَقْدُم كلَّ هادي)
(له بالخَيْف قد علمتْ مَعَدٌّ ... وإن البيت يُرْفَع بالعماد)
(له داعٍ بمكَّة مُشْمَعِلٌّ ... وآخرُ فوق دارته يُنادي)
(إلى رُدُحٍ من الشِّيزَى مِلاءٍ ... لُبابَ البُرِّ يُلْبَكُ بالشِّهادِ)
وقال فيه أيضا
(ذُكِر ابنُ جُدْعانٍ بِخيرٍ ... كلَّما ذُكِر الكرامُ)
(من لا يخون ولا يَعُقُّ ... ولا تُغيِّره اللئامُ)
(نَجْبُ النَّجيبة والنجيب ... له الرِّحالةُ والزِّمامُ)
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا محمد بن إسحاق البغوي قال حدثنا الأثرم عن أبي عبيدة قال
كان ابن جدعان سيداً من قريش فوفد على كسرى فأكل عنده الفالوذ فسأل عنه فقيل له هذا الفالوذ قال وما الفالوذ قالوا لباب البر يلبك مع عسل النحل قال ابغوني غلاماً يصنعه فأتوه بغلام يصنعه فابتاعه ثم قدم به مكة معه ثم أمره فصنع له الفالوذ بمكة فوضع الموائد بالأبطح إلى باب المسجد ثم نادى مناديه ألا من أراد الفالوذ فليحضر فحضر الناس فكان فيمن حضر أمية بن أبي الصلت فقال فيه
(وما ليَ لا أُحيِّيه وعندي ... مواهِبُ يَطَّلِعْنَ من النِّجاد)
(إليّ وإنّه للناس نِهْيٌ ... ولا يَعْتلُّ بالكَلِم الصَّوادِي)
وذكر باقي الأبيات التي مضت متقدماً
حدثنا أحمد بن عبيد الله بن عمار قال أخبرنا يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال حدثني محمد بن عمران الجرجاني وليس بصاحب إسحاق الموصلي قال وهو شيخ لقيته بجرجان قال حدثنا الحسين بن الحسن المروزي قال
سألت سفيان بن عيينة فقلت يا أبا محمد ما تفسير قول النبي وعلى آله كان من أكثر دعاء الأنبياء قبلي لا إله إلا الله) وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وإنما هو ذكر وليس فيه من الدعاء شيء فقال لي أعرفت حديث مالك بن الحارث يقول الله جل ثناؤه إذا شغل عبدي ثناؤه علي عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين قلت نعم أنت حدثتنيه عن منصور عن مالك بن الحارث قال فهذا تفسير ذلك ثم قال أما علمت ما قال

أمية بن الصلت حين خرج إلى ابن جدعان يطلب نائله وفضله قلت لا أدري قال قال
(أأذكُر حاجتي أم قد كَفَانِي ... حياؤك إنّ شيمتَك الحياءُ)
(إذا أثْنَى عليكَ المرءُ يوماً ... كفاه من تعرُّضه الثناءُ)
ثم قال سفيان فهذا مخلوق ينسب إلى الجود فقيل له يكفينا من مسألتك أن نثني عليك ونسكت حتى تأتي على حاجتنا فكيف بالخالق
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا حميد بن حميد قال حدثني جبار بن جابر قال)
دخل أمية بن أبي الصلت على عبد الله بن جدعان وهو يجود بنفسه فقال له أمية كيف تجدك أبا قال زهير إني لمدابر) أي ذاهب فقال أمية
(عِلِمَ ابنِ جُدْعانَ بن عمرو ... أنَّه يوماً مُدَابِرْ)
(ومسافرٌ سفراً بعيداً ... لا يؤوبُ به المُسافِر)
(فقُدُورُه بفنائه ... للضيف مُتْرَعَةٌ زَوَاخِرْ)
(تبدو الكسورُ من انْضِراج ... الغَلْي فيها والكَرَاكِرْ)
(فكأنهن بما حَمِينَ ... وما شُحِنَّ بها ضَرَائر)
(بَذَّ المَعَاشِرَ كلَّها ... بالفضل قد عَلِم المَعاشِرْ)
(وعلا عُلُوَّ الشمسِ حتَّى ... ما يُفَاخِرُه مُفَاخِرْ)
((دانت له أبناءُ فِهْرٍ ... مِن بني كعبٍ وعامر
(أنتَ الجوادُ ابنُ الجوادِ ... بكم يُنَافِرُ من يُنَافِرْ)

شعره في ذم الخمر

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أبو سعيد السكري قال أخبرني أبو عبد الرحمن الغلابي عن الواقدي عن ابن أبي الزناد قال
ما مات أحد من كبراء قريش في الجاهلية إلا ترك الخمر استحياء مما فيها من الدنس ولقد عابها ابن جدعان قبل موته فقال
(شَرِبتُ الخمرَ حتى قال قَومي ... ألستَ عن السِّفَاه بمُستفيق)
(وحتى ما أُوسَّدُ في مَبِيتٍ ... أنام به سِوى التُّرْبِ السَّحيق)
(وحتى أَغْلَق الحانوتُ رَهْني ... وآنَسْتُ الهوانَ من الصديق)
قال وكان سبب تركه الخمر أن أمية بن أبي الصلت شرب معه فأصبحت عين أمية مخضرة يخاف عليها الذهاب فقال له ما بال عينك فسكت فلما ألح عليه قال له أنت صاحبها أصبتها البارحة فقال أوبلغ مني الشراب الذي أبلغ معه من جليسي هذا لا جرم لأدينها لك ديتين فأعطاه عشرة آلاف درهم وقال الخمر علي حرام أن أذوقها أبداً وتركها من يومئذ

صوت من المائة المختارة

(قد لَعَمْري بِتُّ لَيْلِي ... كأخي الداءِ الوَجِيع)
((ونَجِيُّ الهمّ منّي ... بات أدنى من ضجيعي
(كلما أبصرتُ رَبْعاً ... خالياً فاضت دموعي)
(لا تَلُمْنا إن خَشَعْنا ... أو هَمَمْنا بالخشوع)
(إذ فقدْنا سيِّداً كان ... لنا غيرَ مُضِيع)
الشعر للأحوص والغناء لسلامة القس ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالوسطى في مجراها وقد قيل إن الشعر والغناء جميعاً لها وقد قيل إن الغناء لمعبد وإنها أخذته عنه

ذكر سلامة القس وخبرها

كانت سلامة مولدة من مولدات المدينة وبها نشأت وأخذت الغناء عن معبد وابن عائشة وجميلة ومالك بن أبي السمح وذويهم فمهرت وإنما سميت سلامة القس لأن رجلا يعرف بعبد الرحمن بن أبي عمار الجشمي من قراء أهل مكة وكان يلقب بالقس لعبادته شغف بها وشهر فغلب عليها لقبه واشتراها يزيد بن عبد الملك في خلافة سليمان وعاشت بعده وكانت إحدى من اتهم به الوليد من جواري أبيه حين قال له قتلته ننقم عليك أنك تطأ جواري أبيك وقد ذكرنا ذلك في خبر مقتله
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال
كانت حبابة وسلامة القس من قيان أهل المدينة وكانتا حاذقتين ظريفتين ضاربتين وكانت سلامة أحسنهما غناء وحبابة أحسنهما وجهاً وكانت سلامة تقول الشعر وكانت حبابة تتعاطاه فلا تحسن وأخبرني بذلك المدائني عن جرير
وحدثني الزبيري قال حدثني من رأى سلامة قال
ما رأيت من قيان المدينة فتاة ولا عجوزاً أحسن غناء من سلامة وعن جميلة أخذت الغناء
حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار وإسماعيل بن يونس قالا حدثنا أبو زيد عمر بن شبة قال حدثني المدائني قال
كانت حبابة وسلامة قينتين بالمدينة أما سلامة فكانت لسهيل بن عبد الرحمن ولها يقول ابن قيس الرقيات
(لقد فَتَنَتْ ريَّا وسَلاَّمةُ القَسَّا ... فلم تتركا للقَسِّ عقلاً ولا نَفْسَا)
... فتاتانِ أمَّا منهما فشبيهةُ الهلالِ ... وأُخرى منهما تُشبه الشمسا)
وغناه مالك بن أبي السمح وفيها يقول ابن قيس الرقيات
(أختانِ إحداهما كالشمس طالعةً ... في يوم دَجْنٍ وأخرى تشبه القمرا)
قال وفتن القس بسلامة وفيها يقول
(أهابُكِ أن أقول بذلتُ نفسي ... ولو أنّي أُطيع القلبَ قالا)
(حياءً منكِ حتى سُلَّ جسمي ... وشَقَّ عليّ كتماني وطالا)

سبب افتتان القس بها

قال والقس هو عبد الرحمن بن أبي عمار من بني جشم بن معاوية وكان منزله بمكة وكان سبب افتتانه بها فيما حدثني خلاد الأرقط قال سمعت من شيوخنا أهل مكة يقولون كان القس من أعبد أهل مكة وكان يشبه بعطاء بن أبي رباح وأنه

سمع غناء سلامة القس على غير تعمد منه لذلك فبلغ غناؤها منه كل مبلغ فرآه مولاها فقال له هل لك أن أخرجها إليك أو تدخل فتسمع فأبى فقال مولاها أنا أقعدها في موضع تسمع غناءها ولا تراها فأبى فلم يزل به حتى دخل فأسمعه غناءها فأعجبه فقال له هل لك في أن أخرجها إليك فأبى فلم يزل به حتى أخرجها فأقعدها بين يديه فتغنت فشغف بها وشغفت به وعرف ذلك أهل مكة فقالت له يوماً أنا والله أحبك قال وأنا والله أحبك قالت وأحب أن أضع فمي على فمك قال وأنا والله أحب ذلك قالت فما يمنعك فوالله إن الموضع لخال قال إني سمعت الله عز وجل يقول (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) وأنا أكره أن تكون خلة ما بيني وبينك تؤول إلى عداوة ثم قام وانصرف وعاد إلى ما كان عليه من النسك وقال من فوره فيها

(إنّ التي طَرَقَتْكَ بين ركائبٍ ... تَمْشي بمِزْهَرِها وأنتَ حَرَامُ)
(لَتَصِيدُ قلبَك أو جزاءَ مودَّةٍ ... إنّ الرفيق له عليك ذِمامُ)
(باتت تعلّلنا وتحسب أنّنا ... في ذاك أيقاظٌ ونحن نِيامُ)
(حتى إذا سطَع الضّياءُ لناظرٍ ... فإذا وذلك بيننا أحلامُ)
(قد كنتُ أعذُلُ في السَّفاهة أهلَها ... فاعجَبْ لِما تأتي به الأيّامُ)
(فاليومَ أعذِرُهم وأعلم أنما ... سُبُلُ الضّلالة والهُدَى أقسامُ)

ومن قوله فيها

(ألم تَرَها لا يُبْعِد اللّه دارَها ... إذا رَجّعتْ في صوتها كيف تصنعُ)
(تَمُدُّ نظامَ القولِ ثم تَرُدّه ... إلى صَلْصَلٍ في صوتها يترجَّعُ)

وفيها يقول

(ألاَ قُلْ لهذا القلبِ هل أنت مُبْصِرُ ... وهل أنت عن سَلاَّمةَ اليومَ مُقْصِرُ)
(ألا ليت أنّي حين صارتْ بها النّوى ... جليسٌ لسَلْمى كلّما عَجّ مِزْهَرُ)

وقال في قصيدة له

(سلاَّمُ وَيْحَكِ هل تُحيين مَنْ ماتا ... أو تَرْجعينَ على المحزون ما فاتا)

وقال أيضا

(سَلاَّمُ هلي لي منكمُ ناصرُ ... أم هل لقلبي عنكمُ زاجرُ)
(قد سمِع الناسُ بوجدي بكم ... فمنهمُ اللائمُ والعاذرُ)

في أشعار كثيرة يطول ذكرها

هي وأختها ريا من أجمل النساء وأحسنهن غناء

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني الجمحي قال

كانت سلامة وريا أختين وكانتا من أجمل النساء وأحسنهن غناء فاجتمع الأحوص وابن قيس الرقيات عندهما فقال لهما ابن قيس الرقيات إني أريد أن أمدحكما بأبيات وأصدق فيها ولا أكذب فإن أنتما غنيتماني بذلك وإلا هجوتكما ولا أقربكما قالتا فما قلت قال قلت

(لقد فتنتْ ريَّا وسَلاَّمةُ القَسَّا ... فلم تتركا للقَسِّ عقلاً ولا نفسا)
(فتاتانِ أمَّا منهما فشبيهةُ الهلالِ ... وأُخْرَى منهما تُشبِه الشمسا)
(تَكُنَّانِ أبشاراً رِقاقاً وأَوجُهاً ... عِتَاقاً وأطرافاً مُخَضَّبةً مُلْسا

فغنته سلامة واستحسنتاه وقالتا للأحوص ما قلت يا أخا الأنصار قال قلت

صوت

(أسَلاَمِ هل لمتيَّم تنويلُ ... أم هل صَرَمْتِ وغالَ وِدَّكِ غولُ)
(لا تَصْرِفِي عنّي دلالَكِ إنّه ... حَسَنٌ لديّ وإن بَخِلْتِ جميلُ)
(أزَعمتِ أنّ صَبابتي أُكذوبةٌ ... يوماً وأنّ زيارتي تعليلُ)

الغناء لسلامة القس خفيف ثقيل أول بالبنصر عن الهشامي وحماد وفيه لإبراهيم لحنان أحدهما خفيف ثقيل بالبنصر في مجراها عن إسحاق وعمرو والآخر ثقيل أوله استهلال عن الهشامي فغنت الأبيات فقال ابن قيس الرقيات يا سلامة أحسنت والله وأظنك عاشقة لهذا الحلقي فقال له الأحوص ما الذي أخرجك إلى هذا قال حسن غنائها بشعرك فلولا أن لك في قلبها محبة مفرطة ما جاءها هكذا حسنا على هذه البديهة فقال له الأحوص على قدر حسن شعري على شعرك هكذا حسن الغناء به وما هذا منك إلا حسد ونبين لك الآن ما حسدت عليه فقالت سلامة لولا أن الدخول بينكما يوجب بغضة لحكمت بينكما حكومة لا يردها أحد قال الأحوص فأنت من ذلك آمنة قال ابن قيس الرقيات كلا قد أمنت أن تكون الحكومة عليك فلذلك سبقت بالأمان لها قال الأحوص فرأيك يدلك على أن معرفتك بأن المحكوم عليه انت وتفرقا فلما صار الأحوص إلى منزله جاءه ابن قيس

الرقيات فقرع بابه فأذن له وسلم عليه واعتذر

ومما قاله الأحوص في سلامه القس وغني به

صوت

(أسَلاَمُ إنك قد ملكتِ فأسْجِحِي ... قد يملك الحرُّ الكريم فيُسْجِح)
(مُنِّي على عانٍ أطَلْتِ عَناءَه ... في الغُلّ عندكِ والعُنَاةُ تُسَرَّحُ)
(إنِّي لأنصَحُكم وأعلَمُ أنَّه ... سِيَّانِ عندكِ من يَغُشّ وينصَحُ)
(وإذا شكوتُ إلى سَلاَمة حُبَّها ... قالت أجِدٌّ منك ذا أم تمزَحُ)

الشعر للأحوص والغناء لابن مسجح في الأول والثاني ثقيل أول بالوسطى عن عمرو ولدحمان في الأربعة الأبيات ثقيل أول بالبنصر فيه استهلال وفيه خفيف ثقيل يقال إنه لمالك ويقال إنه لسلامة القس

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه قال قال أيوب بن عباية

كان عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار من بني جشم بن معاوية وكان فقيها عابداً من عباد مكة يسمى القس لعبادته وكانت سلامة بمكة لسهيل وكان يدخل عليها الشعراء فينشدونها وتنشدهم وتغني من أحب الغناء ففتن بها عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار القس فشاع ذاك وظهر فسميت سلامة القس بذلك

غنت القس بشعر له

قال إسحاق وحدثني أيوب بن عباية قال سألها عبد الرحمن بن
عبد الله بن أبي عمار القس أن تغنيه بشعر مدحها به ففعلت وهو
(ما بالُ قلبِكَ لا يزال يُهِيمُه ... ذِكَرٌ عَوَاقِبُ غِبِّهِنّ سَقَامُ)
(إنّ التي طرقتْك بين ركائبٍ ... تمشي بمِزْهَرِها وأنت حَرَامُ)
(لَتَصِيدُ قلبَك أو جزاءَ مودَّةٍ ... إنّ الرفيقَ له عليك ذِمامُ)
(باتت تعلِّلنا وتحسَب أننا ... في ذاك أيقاظٌ ونحن نِيامُ)
(حتى إذا سطعَ الصباحُ لناظرٍ ... فإذا وذلك بيننا أحلامُ)
(قد كنتُ أعذِلُ في السَّفاهة أهلَها ... فاعْجَبْ لِمَا تأتي به الأيّامُ)
(فاليومَ أعذرهم وأعلَمُ أنما ... سُبُلُ الغَوايةِ والهُدَى أقسامُ)
قال إسحاق وحدثني المدائني قال حدثني جرير قال
لما قدم يزيد بن عبد الملك مكة وأراد شراء سلامة القس وعرضت عليه أمرها أن تغنيه فكان أول صوت غنته
(إنّ التي طرقتك بين ركائبٍ ... تمشي بمِزْهَرِها وأنت حرامُ)
(والبيضُ تَمْشِي كالبُدورِ وكالدُّمَى ... ونَوَاعِمٌ يَمْشين في الأرْقام)
(لَتَصِيدُ قلبَك أو جزاءَ مودَّةٍ ... إنّ الرفيق له عليك ذمامُ
فاستحسنه يزيد فاشتراها فكان أول صوت غنته لما اشتراها
(ألاَ قُلْ لهذا القلبِ هل أنت مبصرُ ... وهل أنت عن سَلاَّمةَ مُقْصِرُ)
(ألاَ ليتَ أنّي حين صار بها النَّوَى ... جليسٌ لسَلْمى حيث ما عَجَّ مِزْهَرُ)
(وإنّي إذا ما الموتُ زالَ بنفْسها ... يُزَالُ بنفسي قبلَها حين تُقْبَرُ)
(إذا أخذتْ في الصوتِ كاد جليسُها ... يطيرُ إليها قلبُه حين ينظُرُ)
((كأنَّ حَمَاماً راعِبِيّاً مُؤَدِّياً ... إذا نطقتْ من صدرها يَتَغَشْمَرُ
فقال لها يزيد يا حبيبتي من قائل هذا الشعر فقصت عليه القصة فرق له وقال أحسن وأحسنت

غنت يزيد بن عبد الملك بشعر الأحوص

قال إسحاق وحدثني المدائني قال
لما اشترى يزيد بن عبد الملك سلامة وكان الأحوص معجباً بها وبحسن غنائها وبكثرة مجالستها فلما أراد يزيد الرحلة قال ابياتاً وبعث بها إلى سلامة فلما جاءها الشعر غنت به يزيد وأخبرته الخبر وهو

صوت

(عاودَ القلبَ من سَلاَمةَ نَصْبُ ... فلعينيّ من جَوَى الحُبِّ غَرْبُ)
(ولقد قلتُ أيها القلبُ ذُو الشوقِ ... الّذي لا يُحبّ حُبَّك حِبُّ)
(إنه قد دنا فِراقُ سُلَيْمَى ... وغدا مَطْلَبٌ عن الوصل صَعْبُ)
غناه ابن محرز ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وفيه لابن مسجح خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو وفيه لابن عباد وعلويه رملان وفيه لدحمان خفيف رمل هذه الحكايات الثلاث عن الهشامي وذكر حبش أن لسلامة القس فيه ثاني ثقيل بالوسطى

عتابها لحبابة لاستخفافها بها

قال إسحاق وحدثني أيوب بن عباية قال كانت سلامة وريا لرجل واحد
وكانت حبابة لرجل وكانت المفدمة منهن سلامة حتى صارتا إلى يزيد بن عبد الملك فكانت حبابة تنظر إلى سلامة بتلك العين الجليلة المتقدمة وتعرف فضلها عليها فلما رأت أثرتها عند يزيد ومحبة يزيد لها استخفت بها فقال لها سلامة أي أخية نسيت لي فضلي عليك ويلك أين تأديب الغناء وأين حق التعليم أنسيت قول جميلة يوما وهي تطارحنا وهي تقول لك خذي إحكام ما أطارحك من أختك سلامة ولن تزالي بخير ما بقيت لك وكان أمركما مؤتلفاً قالت صدقت خليلتي والله لا عدت إلى شيء تكرهينه فما عادت لها إلى مكروه وماتت حبابة وعاشت سلامة بعدها دهراً
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب عن عبد الرحمن بن المغيرة الحزامي الأكبر قال
لما قدم عثمان بن حيان المري المدينة والياً عليها قال له قوم من وجوه الناس إنك قد وليت على كثرة من الفساد فإن كنت تريد أن تصلح فطهرها من الغناء والزنا فصاح في ذلك وأجل أهلها ثلاثاً يخرجون فيها من المدينة وكان ابن أبي عتيق غائباً وكان من أهل الفضل والعفاف والصلاح فلما كان آخر ليلة من الأجل قدم فقال لا أدخل منزلي حتي أدخل على سلامة القس فدخل عليها فقال ما دخلت منزلي حتى جئتكم أسلم عليكم قالوا ما أغفلك عن أمرنا وأخبروه الخبر فقال اصبروا علي الليلة فقالوا نخاف ألا يمكنك شيء وننكظ قال إن خفتم شيئاً فاخرجوا في السحر ثم خرج فاستأذن على عثمان بن حيان فأذن له فسلم عليه وذكر له غيبته وأنه جاءه
ليقضي حقه ثم جزاه خيراً على ما فعل من إخراج أهل الغناء والزنا وقال أرجو ألا تكون عملت عملاً هو خير لك من ذلك قال عثمان قد فعلت ذلك وأشار به على أصحابك فقال قد أصبت ولكن ما تقول أمتع الله بك في امرأة كانت هذه صناعتها وكانت تكره على ذلك ثم تركته وأقبلت على الصلاة والصيام والخير وأتى رسولها إليك تقول اتوجه إليك وأعوذ بك أن تخرجني من جوار رسول الله ومسجده قال فإني أدعها لك ولكلامك قال ابن أبي عتيق لا يدعك الناس ولكن تأتيك وتسمع من كلامها وتنظر إليها فإن رأيت أن مثلها ينبغي أن يترك تركتها قال نعم فجاءه بها وقال لها اجعلي معك سبحة وتخشعي ففعلت فلما دخلت على عثمان حدثته وإذا هي من أعلم الناس بالناس وأعجب بها وحدثته عن آبائه وأمورهم ففكه لذلك فقال لها ابن أبي عتيق اقرئي للأمير فقرأت له فقال لها احدي له ففعلت فكثر تعجبه فقال كيف لو سمعتها في صناعتها فلم يزل ينزله شيئاً شيئاً حتى أمرها بالغناء فقال لها ابن أبي عتيق غني فغنت
(سَدَدْنَ خَصَاصَ الخَيْمِ لمَّا دخَلْنَهُ ... بكلِّ لَبَانٍ واضحٍ وجبينِ)
فغنته فقام عثمان من مجلسه فقعد بين يديها ثم قال لا والله ما مثل هذه تخرج قال ابن أبي عتيق لا يدعك الناس يقولون أقر سلامة وأخرج غيرها قال فدعوهم جميعاً فتركوهم جميعاً

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا عبد الله بن أبي فروة قال
قدمت رسل يزيد بن عبد الملك المدينة فاشتروا سلامة المغنية من آل
رمانة بعشرين ألف دينار فلما خرجت من ملك أهلها طلبوا إلى الرسل أن يتركوها عندهم أياماً ليجهزوها بما يشبهها من حلي وثياب وطيب وصبغ فقالت لهم الرسل هذا كله معنا لا حاجة بنا إلى شيء منه وأمروها بالرحيل فخرجت حتى نزلت سقاية سليمان بن عبد الملك وشيعها الخلق من أهل المدينة فلما بلغوا السقاية قالت للرسل قوم كانوا يغشونني ويسلمون علي ولا بد لي من وداعهم والسلام عليهم فأذن للناس عليها فانقضوا حتى ملأوا رحبة القصر ووراء ذلك فوقفت بينهم ومعها العود فغنتهم

(فارَقوني وقد علمتُ يقيناً ... ما لِمَن ذاقَ مِيتةً من إيابِ)
(إنّ أهلَ الحِصابِ قد تركوني ... مُولَعاً مُوزَعاً بأهل الحِصابِ)
(أهلُ بيتٍ تَتَابَعُوا للمنايا ... ما على الدهر بعدهم من عِتابِ)
(سكنوا الجِزْعَ جِزْعَ بيتِ أبي موسى ... إلى النخل من صُفِيِّ السِّبَابِ)
(كم بذاك الحَجُونِ من حَيِّ صِدْقٍ ... وكُهولٍ أعِفَّةٍ وشَبابِ)

قال عيسى وكنت في الناس فلم تزل تردد هذا الصوت حتى راحت وانتحب الناس بالبكاء عند ركوبها فما شئت أن أرى باكياً إلا رأيته

وساطتها للغريض عند يزيد

وجه يزيد بن عبد الملك إلى الأحوص في القدوم عليه وكان الغريض معه فقال له أخرج معي حتى آخذ لك جائزة أمير المؤمنين وتغنيه فإني لا أحمل إليه شيئاً هو أحب إليه منك فخرجا فلما قدم الأحوص على يزيد جلس له ودعا به فأنشده مدائح فاستحسنها وخرج من عنده فبعثت إليه سلامة جارية يزيد بلطف فأرسل إليها إن الغريض عندي قدمت به هدية إليك فلما جاءها الجواب اشتاقت إلى الغريض وإلى الاستماع منه فلما دعاها أمير المؤمنين تمارضت وبعثت إلى الأحوص إذا دعاك أمير المؤمنين فاحتل له في أن تذكر له الغريض فلما دعا يزيد الأحوص قال له يزيد ويحك يا أحوص هل سمعت شيئاً في طريقك تطرفنا به قال نعم يا أمير المؤمنين مررت في بعض الطريق فسمعت صوتاً أعجبني حسنه وجودة شعره فوقفت حتى استقصيت خبره فإذا هو الغريض وإذا هو يغني بأحسن صوت وأشجاه

(ألاَ هاجَ التَّذَكُّرُ لي سَقَامَا ... ونُكْسَ الداءِ والوجعَ الغَرَامَا)
(سَلاَمةُ إنها هَمِّي ودائي ... وشَرُّ الداءِ ما بَطَن العِظاما)
(فقلتُ له ودمعُ العينِ يجري ... على الخَدَّيْن أربعةً سِجَاما)
(عليكَ لها السلامُ فمَنْ لِصَبٍّ ... يبيت الليلَ يَهْذِي مُستهاما)

قال يزيد ويلك يا أحوص أنا ذاك في هوى خليلتي وما كنت أحسب مثل هذا يتفق وإن ذاك لمما يزيد لها في قلبي فما صنعت يا أحوص حين سمعت ذاك قال سمعت ما لم أسمع يا أمير المؤمنين أحسن منه فما صبرت
حتى أخرجت الغريض معي وأخفيت أمره وعلمت أن أمير المؤمنين يسألني عما رأيت في طريقي فقال له يزيد ائتني بالغريض ليلاً وأخف أمره فرجع الأحوص إلى منزله وبعث إلى سلامة بالخبر فقالت للرسول قل له جزيت خيراً قد انتهى إلي كل ما قلت وقد تلطفت وأحسنت فلما وارى الليل أهله بعث إلى الأحوص أن عجل المجيء إلي مع ضيفك فجاء الأحوص مع الغريض فدخلا عليه فقال غنني الصوت الذي أخبرني الأحوص أنه سمعه منك وكان الأحوص قد أخبر الغريض الخبر وإنما ذلك شعر قاله الأحوص يريد يحركه به على سلامة ويحتال للغريض في الدخول عليه فقال غنني الصوت الذي أخبرني الأحوص فلما غناه الغريض دمعت عين يزيد ثم قال ويحك هل يمكن أن تصير إلى مجلسي قيل له هي صالحة فأرسل إليها فأقبلت فقيل ليزيد قد جاءت فضرب لها حجاب فجلست وأعاد عليه الغريض الصوت فقالت أحسن والله يا أمير المؤمنين فاسمعه مني فأخذت العود فضربته وغنت الصوت فكاد يزيد أن يطير فرحاً وسروراً وقال يا أحوص إنك لمبارك يا غريض غنني في ليلتي هذا الصوت فلم يزل يغنيه حتى قام يزيد وأمر لهما بمال وقال لا يصبح الغريض في شيء من دمشق فارتحل الغريض من ليلته وأقام الأحوص بعده أياماً ثم لحق به وبعثت سلامة إليهما بكسوة ولطف كثير

نوحها على يزيد حين مات

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد النوفلي قال حدثني رجل من أهلي من بني نوفل قال قدمت في جماعة من قريش على يزيد بن عبد الملك فألفيناه في علته التي مات فيها بعد وفاة حبابة فنزلنا منزلاً لاصقا بقصر يزيد فكنا إذا
أصبحنا بعثنا بمولًى لنا يأتينا بخبره وربما أتينا الباب فسألنا فكان يثقل في كل يوم فإنا لفي منزلنا ليلة إذ سمعنا همساً من بكاء ثم يزيد ذلك ثم سمعنا صوت سلامة القس وهي رافعة صوتها تنوح وتقول

(لا تَلُمْنا إنْ خَشَعْنا ... أوْ هَمَمْنَا بخُشوعِ)
(قد لَعَمْري بِتُّ ليلي ... كأخي الداءِ الوجيعِ)
(كلّما أبصرتُ ربعاً ... خالياً فاضتْ دُموعي)
(قد خلا من سيِّدٍ كان ... لنا غيرَ مُضِيعِ)

ثم صاحت وا أمير المؤمنين فعلمنا وفاته فأصبحنا فغدونا في جنازته
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا إسماعيل بن أبي أويس عن أبيه قال
قال يزيد بن عبد الملك ما يقر عيني ما أوتيت من أمر الخلافة حتى أشتري سلامة جارية مصعب بن سهيل الزهري وحبابة جارية آل لاحق المكية فأرسل فاشتريتا له فلما اجتمعتا عنده قال أنا الآن كما قال الشاعر

(فألقتْ عَصاها واستقرّ بها النَّوَى ... كما قَرَّ عيناً بالإيابِ المسافرُ)

فلما توفي يزيد رثته سلامة فقالت وهي تنوح عليه هذا الشعر

(لا تَلُمْنا إن خَشَعْنا ... أو هَمَمْنا بخُشوعِ)
(إذ فقدْنا سَيِّداً كان ... لنا غيرَ مُضِيعِ)
(وهو كاللَّيْثِ إذا ما ... عُدَّ أصحابُ الدروعِ)
(يَقْنِصُ الأبطالَ ضرباً ... في مُضِيٍّ ورجوعِ)

أخبرنا الحسين بن يحيى قال حدثنا الزبير والمدائني أن سلامة كانت لسهيل بن عبد الرحمن بن عوف فاشتراها يزيد بن

عبد الملك وكانت مغنية حاذقة جميلة ظريفة تقول الشعر فما رأيت خصالاً أربعاً اجتمعن امرأة مثلها حسن وجهها وحسن غنائها وحسن شعرها قال والشعر الذي كانت تغني به
(لا تَلُمْنا إن خَشَعْنا ... أو هَمَمْنا بخُشوع)
(لِلَّذي حَلَّ بنا اليومَ ... من الأمر الفظيع)
وذكر باقي الأبيات مثل ما ذكره غيره
قال إسحاق وحدثني الجمحي قال حدثنا من رأى سلامة تندب يزيد بن عبد الملك بمرثية رثته بها فما سمع السامعون بشيء أحسن من ذلك ولا أشجى ولقد أبكت العيون وأحرقت القلوب وأفتنت الأسماع وهي
(يا صاحبَ القبر الغريبِ ... بالشامِ في طَرَفِ الكثيبِ)
(بالشام بين صفائحٍ ... صُمٍّ تُرَصَّفُ بالجَبُوبِ)
(لمَّا سمعتُ أنينَه ... وبكاءه عند المَغِيبِ)
(أقبلتُ أطلُبُ طِبَّه ... والداءُ يُعْضِلُ بالطبيبِ)
الشعر لرجل من العرب كان خرج بابن له من الحجاز إلى الشام بسبب امرأة هويها وخاف أن يفسد بحبها فلما فقدها مرض بالشام وضني فمات ودفن بها كذا ذكر ابن الكلبي وخبره يكتب عقب أخبار سلامة القس والغناء لسلامة ثقيل أول بالوسطى عن حبش وفيه لحكم رمل مطلق في مجرى البنصر
عن إسحاق وفيه لحن لابن غزوان الدمشقي من كتاب ابن خرداذبه غير مجنس
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني الجمحي قال
حدثني من حضر الوليد بن يزيد وهو يسأل سلامة أن تغنيه شعرها في يزيد وهي تتنغص من ذلك وتدمع عيناها فأقسم عليها فغنته فما سمعت شيئا أحسن من ذلك فقال لها الوليد رحم الله أبي وأطال عمري وأمتعني بحسن غنائك يا سلامة بم كان أبي يقدم عليك حبابة قالت لا أدري والله قال لها لكنني والله أدري ذلك بما قسم الله لها قالت يا سيدي أجل

انتحل إسحاق الموصلي ما ناحت به على يزيد

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني عبد الله بن عبد الملك الهدادي عن بعض رجاله عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال
سمعت نائحة مدنية تنوح بهذا الشعر
(قَدْ لعَمْري بِتُّ ليلِي ... كأخي الداءِ الوَجِيع)
(ونجيُّ الهمِّ مِنّي ... بات أدنى من ضلوعي)
(كلَّما أبصرتُ رَبْعاً ... دارساً فاضتْ دموعي)
(مُقْفِراً من سَيِّدٍ كان ... لنا غيرَ مُضِيع)
والشعر للأحوص والنوح لمعبد وكان صنعه لسلامة وناحت به سلامة على يزيد فلما سمعته منها استحسنته واشتهيته ولهجت به فكنت أترنم به كثيرا فسمع ذلك مني أبي فقال ما تصنع بهذا قلت شعر قاله الأحوص
وصنعه معبد لسلامة وناحت به سلامة على يزيد ثم ضرب الدهر فلما مات الرشيد إذا رسول أم جعفر قد وافاني فأمرني بالحضور فسرت إليها فبعثت إلي إني قد جمعت بنات الخلفاء وبنات هاشم لننوح على الرشيد في ليلتنا هذه فقل الساعة أبياتا رقيقة واصنعهن صنعة حسنة حتى أنوح بهن فأردت نفسي على أن أقول شيئا فما حضرني وجعلت ترسل إلي تحثني فذكرت هذا النوح فأريت أني أصنع شيئا ثم قلت قد حضرني القول وقد صنعت فيه ما أمرت فبعثت إلي بكنيزة وقالت طارحها حتى تطارحنيه فأخذت كنيزة العود ورددته عليها حتى أخذته ثم دخلت فطارحته أم جعفر فبعثت إلي بمائة ألف درهم ومائة ثوب

نسبة ما في هذه الأخبار من الأصوات

صوت

(لقد فتنَتْ رَيَّا وسَلاَّمةُ القَسّا ... فلم تَتْرُكا للقَسّ عقلاً ولا نفسا)
(فتاتانِ أمَّا منهما فشبيهةُ الهلالِ ... وأخرى منهما تُشبه الشمسا)
الشعر لعبد الله بن قيس الرقيات والغناء لمالك خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وفيه لابن سريج ثقيل أول عن الهشامي وزعم عمرو بن بانة أن خفيف الثقيل لحنين الحيري وقيل إن الثقيل الأول لدحمان
ومنها الشعر الذي أوله
(... أهابُكِ أن أقولَ بذلتُ نفسي)

صوت

(أأَثْلةُ جَرّ جِيرتُكِ الزِّيالا ... وعاد ضميرُ ودِّكُم خَبَالاَ)
(فإنِّي مستقيلُكِ أَثْلُ لُبِّي ... ولُبُّ المرء أفضلُ ما استقالا)
(أهابُكِ أن أقولَ بذلتُ نفسي ... ولو أنِّي أطيعُ القلبَ قالا)
(حياءً منكِ حتى سُلَّ جِسْمِي ... وشقَّ عليَّ كتماني وصالا)
الشعر للقس والغناء لمعبد خفيف ثقيل أول مطلق في مجرى البنصر وفيه لمعبد ثقيل أول بالوسطى أوله
(... أهابُكِ أن اقولَ بذلتُ نفسي)
خبر لها مع القس
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا بكار بن رباح قال
كان عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار من بني جشم بن معاوية وقد كانت أصابت جدة منه من صفوان بن أمية وكان ينزل مكة وكان من عباد أهلها فسمي القس من عبادته فمر ذات يوم بسلامة وهي تغني فوقف فتسمع غناءها فرآه مولاها فدعاه إلى أن يدخله إليها فيسمع منها فأبى عليه فقال له فإني أقعدك في مكان تسمع منها ولا تراها فقال أما هذا فنعم فأدخله داره وأجلسه حيث يسمع غناءها ثم أمرها فخرجت إليه فلما رآها علقت بقلبه فهام بها واشتهر وشاع خبره بالمدينة قال وجعل يتردد إلى منزل مولاها مدة طويلة ثم إن مولاها خرج يوما لبعض شأنه وخلفه مقيما عندها

فقالت له أنا والله أحبك فقال لها وأنا والله الذي لا إله إلا هو قالت وأنا والله أشتهي أن أعانقك وأقبلك قال وأنا والله قالت وأشتهي والله أن أضاجعك واجعل بطني على بطنك وصدري على صدرك قال وأنا والله قالت فما يمنعك من ذلك فوالله إن المكان لخال قال يمنعني منه قول الله عز وجل (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) فأكره أن تحول مودتي لك عداوة يوم القيامة ثم خرج من عندها وهو يبكي فما عاد إليها بعد ذلك
وأخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة عن المدائني قال
لما ملك يزيد بن عبد الملك حبابة وسلامة القس تمثل
(فألقتْ عصاها واستقرّ بها النَّوَى ... كما قَرَّ عيناً بالإِيابِ المسافرُ)
ثم قال ما شاء بعد من أمر الدنيا فليفتني
صوت من المائة المختارة
(وإنِّي لَيُرْضِيني قليلُ نَوالِكُمْ ... وإن كنتُ لا أرضَى لكم بقليل)
(بحُرْمةِ ما قد كان بيني وبينكم ... من الوصل إلاّ عُدْتُمُ بجميل)
الشعر للعباس بن الأحنف والغناء لسليمان الفزازي ولحنه المختار من الرمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وفيه خفيف رمل أوله الثاني ثم الأول ينسب إلى حكم الوادي وإلى سليمان أيضا وفيه لحن من الثقيل الأول يقال إنه لمخارق ذكر حبش أن لحن مخارق ثاني ثقيل
أخبار العباس بن الأحنف ونسبه
هو فيما ذكر ابن النطاح العباس بن الأحنف بن الأسود بن طلحة بن جدان بن كلدة من بني عدي بن حنيفة
وأخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني القاسم بن إسماعيل قال سمعت إبراهيم بن العباس يقول
العباس بن الأحنف بن الأسود بن قدامة بن هميان من بني هفان بن الحارث بن الذهل بن الدول بن حنيفة قال وكان حاجب بن قدامة عم العباس من رجال الدولة
قال محمد بن يحيى وحدثني أبو عبد الله الكندي قال حدثني محمد بن بكر الحنفي الشاعر قال حدثني أبي قال سمعت العباس بن الأحنف يذكر أن هوذة بن علي الحنفي قد ولده من قبل بعض أمهاته
سخر شعره للغزل دون الهجاء أو المديح
وكان العباس شاعرا غزلا ظريفا مطبوعا من شعراء الدولة العباسية وله مذهب حسن ولديباجة شعره رونق ولمعانيه عذوبة ولطف ولم يكن يتجاوز الغزل إلى مديح ولا هجاء ولا يتصرف في شيء من هذه المعاني وقدمه أبو العباس المبرد في كتاب الروضة على نظرائه وأطنب في وصفه وقال رأيت جماعة من الرواة للشعر يقدمونه قال وكان العباس من الظرفاء ولم يكن من الخلعاء وكان غزلا ولم يكن فاسقا وكان ظاهر النعمة ملوكي المذهب شديد الترف وذلك بين في شعره وكان قصده الغزل وشغله النسيب وكان حلوا مقبولا غزلا غزير الفكر واسع الكلام كثير التصرف في الغزل وحده ولم يكن هجاء ولا مداحا
أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا أبو ذكوان قال
سمعت إبراهيم بن العباس يصف العباس بن الأحنف فقال كان والله ممن إذا تكلم لم يحب سامعه أن يسكت وكان فصيحا جميلا ظريف اللسان لو شئت أن تقول كلامه كله شعر لقلت
حدثني محمد بن يحيى قال حدثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال
رأيت نسخا من شعر العباس بن الأحنف بخراسان وكان عليها مكتوب شعر الأمير أبي الفضل العباس
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال حدثني صالح بن عبد الوهاب
أن العباس بن الأحنف كان من عرب خراسان ومنشؤه ببغداد ولم تزل العلماء تقدمه على كثير من المحدثين ولا تزال قد ترى له الشيء البارع جدا حتى تلحقه بالمحسنين
أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا يموت بن المزرع قال
سمعت خالي يعني الجاحظ يقول لولا أن العباس بن الأحنف أحذق الناس وأشعرهم وأوسعهم كلاما وخاطرا ما قدر أن يكثر شعره في مذهب واحد لا يجاوزه لأنه لا يهجو ولا يمدح ولا يتكسب ولا يتصرف وما نعلم شاعرا لزم فنا واحدا لزومه فأحسن فيه وأكثر
حدثني محمد بن يحيى قال حدثنا محمد بن القاسم بن خلاد قال أنشد الحرمازي أبو علي وأنا حاضر للعباس بن الأحنف
صوت
(لا جَزَى اللّهُ دمعَ عينِيَ خيراً ... وجزى اللّهُ كلَّ خيرٍ لساني)
(نَمَّ دمعِي فليس يكتُم شيئاً ... ورأيتُ اللّسان ذا كِتْمانِ)
(كنتُ مثلَ الكتابِ أخفاه طَيٌّ ... فاستدلُّوا عليه بالعُنْوان)
الغناء لعريب رمل ثم قال الحرمازي هذا والله طراز يطلب الشعراء مثله فلا يقدرون عليه
أخبرني محمد قال حدثني حسين بن فهم قال سمعت العطوي يقول
كان العباس بن الأحنف شاعرا مجيدا غزلا وكان أبو الهذيل العلاف يبغضه ويلعنه لقوله
(إذا أردتُ سُلُوّاً كان ناصركم ... قلبي وما أنا من قلبي بمنتصِرِ)
(فأكْثِروا أو أقِلُّوا من إساءتكم ... فكلُّ ذلك محمولٌ على القَدَرِ)
قال فكان أبو الهذيل يلعنه لهذا ويقول يعقد الكفر والفجور في شعره
قال محمد بن يحيى وأنشدني محمد بن العباس اليزيدي شعرا للعباس أظنه يهجو به أبا الهذيل وما سمعت للعباس هجاء غيره
(يا من يُكَذِّبُ أخبارَ الرسولِ لقد ... أخطأتَ في كلِّ ما تأتي وما تَذَرُ)
(كَذَّبتْ بالقَدَر الجاري عليك فقد ... أتاك منِّي بما لا تَشْتهي القدرُ)
الأصمعي يعترف بأنه أحسن المحدثين
حدثني محمد بن يحيى قال حدثني محمد بن سعيد عن الرياشي قال
قيل للأصمعي أو قلت له ما أحسن ما تحفظ للمحدثين قال قول العباس بن الأحنف
صوت

(لو كنتِ عاتبةً لَسَكَّنَ رَوْعَتِي ... أمَلِي رضاكِ وزرتُ غيرَ مُرَاقِبِ)
(لكن مَلِلْتِ فلم تكن لِيَ حيلةٌ ... صَدُّ المَلُولِ خلافُ صدِّ العاتبِ)
الغناء للعباس أخي بحر رمل
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي ومحمد بن العباس اليزيدي قالا واللفظ لهاشم قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي قال
دخل عمي على الرشيد والعباس بن الأحنف عنده فقال العباس للرشيد دعني أعبث بالأصمعي قال له الرشيد إنه ليس ممن يحتمل العبث
فقال لست أعبث به عبثا يشق عليه قال أنت اعلم فلما دخل عمي قال له يا أبا سعيد من الذي يقول
(إذا أحببتَ أن تصنع ... شيئاً يُعجب الناسا)
(فصَوِّرْ ها هُنا فَوزاً ... وصَوِّرْ ثَمَّ عَبَّاسا)
(فإنْ لم يَدْنُوَا حتَّى ... ترى رأسَيْهما راسا)
(فكَذِّبْها بما قاستْ ... وكَذِّبْه بما قاسى)
فقال له عمي يعرض بأنه نبطي قاله الذي يقول
(إذا أحببتَ أن تُبْصِرَ ... شيئاً يُعجب الخَلْقا)
(فصَوِّرْ ها هنا دوراً ... وصَوِّرْ ها هنا فلقا)
(فإنْ لم يَدْنُوَا حتَّى ... ترى خَلْقَيْهما خَلْقا)
(فكَذِّبْها بما لاقتْ ... وكَذِّبْه بما يَلْقَى)
قال فخجل العباس وقال له الرشيد قد نهيتك فلم تقبل
حدثني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال أنشدني إبراهيم بن العباس للعباس بن الأحنف
صوت
(قالت ظَلُومُ سَمِيَّةُ الظُّلْمِ ... ما لي رأيتُكَ ناحلَ الجسمِ)
(يا مَنْ رَمَى قلبي فأقْصَده ... أنت العليمُ بموضعِ السَّهْمِ)
فقلت له إن أبا حاتم السجستاني حكى عن الأصمعي أنه أنشد للعباس بن الأحنف
صوت
(أتَأْذَنُون لِصَبٍّ في زيارتكم ... فعندكم شَهَواتُ السمعِ والبَصَرِ)
(لا يُضْمِرُ السُّوءَ إن طال الجلوسُ به ... عَفُّ الضمير ولكن فاسقُ النظر)
فقال الأصمعي ما زال هذا الفتى يدخل يده في جرابه فلا يخرج شيئا حتى أدخلها فأخرج هذا ومن أدمن طلب شيء ظفر ببعضه فقال إبراهيم بن العباس أنا لا أدري ما قال الأصمعي ولكن أنشدك للعباس ما لا تدفع أنت ولا غيرك فضله ثم أنشدني قوله
(واللّهِ لو أنَّ القلوبَ كقلبها ... ما رَقَّ للولدِ الضعيفِ الوَالدُ)
وقوله
(لكن مَلِلْتِ فلم تكن ليَ حيلةٌ ... صَدُّ المَلُولِ خِلافُ صدِّ العاتبِ)
وقوله
(حتى إذا اقتحم الفتى لُجَجَ الهَوَى ... جاءت أمورٌ لا تُطَاقُ كِبارُ)
ثم قال هذا والله ما لا يقدر أحد على أن يقول مثله أبدا
حدثني عمي قال حدثني ميمون بن هارون قال كنا عند الحسن بن وهب فقال لبنان غنيني
(أتَأْذَنُون لِصَبٍّ في زيارتكم ... فعندكم شَهَواتُ السَّمْعِ والبَصَرِ)
(لا يُضْمِرُ السُّوءَ إن طال الجلوسُ به ... عَفُّ الضمير ولكن فاسقُ النظر)
قال فضحكت ثم قالت فأي خير فيه إن كان كذا أو أي معنى فخجل الحسن من نادرتها عليه وعجبنا من حدة جوابها وفطنتها
حدثني الصولي قال أخبرنا أحمد بن إسماعيل النصيبيني قال سمعت سعيد بن جنيد يقول ما أعرف أحسن من شعر العباس في إخفاء أمره حيث يقول
(أُرِيدُكِ بالسلامِ فأتَّقِيهم ... فأعمِدُ بالسلام إلى سِواكِ)
(وأُكثِرُ فيهمُ ضَحِكِي ليَخْفَى ... فسِنِّي ضاحكٌ والقلبُ باك)
الواثق يتمثل بشعره في غضبه
حدثني الصولي قال حدثني علي بن محمد بن نصر قال حدثني خالي أحمد بن حمدون قال
كان بين الواثق وبين بعض جواريه شر فخرج كسلان فلم أزل أنا والفتح بن خاقان نحتال لنشاطه فرآني أضاحك الفتح فقال قاتل اللهُ ابن الأحنف حيث يقول
(عَدْلٌ من اللّه أبكاني وأضحكها ... فالحمدُ للّه عدلٌ كلُّ ما صنَعا)
(اليوم أبْكي على قلبي وأندُبُه ... قلبُ ألَحَّ عليه الحُبُّ فانصدَعا)
فقال الفتح أنت والله يا أمير المؤمنين في وضع التمثل موضعه أشعر منه وأعلم واظرف
أخبرني الصولي قال حدثني أحمد بن يزيد المهلبي عن أبيه قال
قالت للواثق جارية له كان يهواها وقد جرى بينهما عتب إن كنت تستطيل بعز الخلافة فأنا أدل بعز الحب أتراك لم تسمع بخليفة عشق قبلك قط فاستوفى من معشوقه حقه ولكني لا أرى لي نظيرا في طاعتك فقال الواثق لله در ابن الأحنف حيث يقول
(أمَا تَحْسَبيني أرى العاشقينَ ... بلَى ثم لستُ أرى لي نظيرا)
(لعلَّ الذي بيديه الأمورُ ... سيَجعل في الكُرْه خيراً كثيرا)
الزبير بن بكار يقول ابن الأحنف أشعر الناس
حدثني الصولي قال حدثني المغيرة بن محمد المهلبي قال سمعت الزبير يقول ابن الأحنف أشعر الناس في قوله

(تَعْتَلّ بالشُّغْل عنَّا ما تكلّمنا ... الشغلُ للقلب ليس الشغلُ للبَدَنِ)
ويقول لا أعلم شيئا من أمور الدنيا خيرها وشرها إلا وهو يصلح أن يتمثل فيه بهذا النصف الأخير
حدثني الصولي قال حدثني محمد بن سعيد عن حماد بن إسحاق قال كان أبي يقول لقد ظرف ابن الأحنف في قوله يصف طول عهده بالنوم
(قِفَا خبِّراني أيُّها الرجلانِ ... عن النوم إنّ الهجرَ عنه نَهاني)
(وكيف يكون النومُ أم كيف طَعْمُه ... صِفَا النَّومَ لي إن كنتما تَصِفَانِ)
قال على قلة إعجابه بمثل هذه الأشعار
حدثني الصولي قال حدثني ميمون بن هارون بن مخلد قال حدثنا أحمد بن إبراهيم قال رأيت سلمة بن عاصم ومعه شعر العباس بن الأحنف
فعجبت منه وقلت مثلك أعزك الله يحمل هذا فقال ألا أحمل شعر من يقول
صوت
(أسأتُ أنْ أحسنتُ ظنّي بكم ... والحَزْمُ سوءُ الظنّ بالنَّاس)
(يُقلقني الشوقُ فآتيكمُ ... والقلبُ مملوءٌ من الياس)
غنى هذين البيتين حسين بن محرز خفيف رمل بالوسطى وأول الصوت
(يا فوزُ يا مُنيةَ عبَّاسِ ... واحَرَبَا من قلبكِ القاسي)
وروى أحمد بن إبراهيم قال أتاني أعرابي فصيح ظريف فجعلت أكتب عنه أشياء حساناً ثم قال أنشدني لأصحابكم الحضريين فأنشدته للعباس بن الأحنف
ذكرتُك بالتُّفَّاح لمَّ شَمِمْتُه ... وبالرَّاح لما قابلتْ أوْجُهَ الشَّرْبِ) تذكَّرتُ بالتّفاح منك سَوَالِفاً ... وبالرَّاح طعماً من مُقَبَّلَك (العَذبِ
فقال هذا عندك وأنت تكتب عني لا أنشدك حرفا بعد هذا
وحدثني الصولي قال حدثني الحسين بن يحيى الكاتب قال سمعت عبد الله بن العباس بن الفضل يقول ما أعرف في العراق أحسن من قول ابن الأحنف
(سبحانَ ربِّ العُلاَ ما كان أغْفَلَنِي ... عما رمَتْنِي به الأيامُ والزمنُ)
(مَنْ لم يَذُقْ فُرقةَ الأحبابِ ثم يرى ... آثارَهم بعدهم لم يَدْرِ ما الحَزَنُ)
قال أبو بكر وقد غنى عبد الله بن العباس فيه صوتاً خفيف رملٍ
حدثني الصولي قال حدثنا ميمون بن هارون قال سمعت حسين ين الضحاك يقول
لو جاء العباس بن الأحنف بقوله ما قاله في بيتين في أبيات لعذر وهو قوله
(لَعَمْرُك ما يستريح المُحِبُّ ... حتى يَبوحَ بأسرارِهِ)
(فقد يكتمُ المرءُ أسرارَه ... فتظهرُ في بعض أشعاره)
ثم قال أما قوله في هذا المعنى الذي لم يتقدمه فيه أحد فهو
(الحُبُّ أمْلَكُ للفؤاد بقهرِه ... من أن يُرَى للسَّتر فيه نصيبُ)
(وإذا بَدَا سرُّ اللبيبِ فإنَّه ... لم يَبْدُ إلاَّ والفتى مغلوبُ)
أخبرني الصولي قال حدثني الغلابي قال حدثني الزبير بن بكار قال قال أبو العتاهية ما حسدت أحداً إلا العباس بن الأحنف في قوله
(إذا امتنع القريبُ فلم تَنَلْهُ ... على قُرْبٍ فذاك هو البعيدُ)
فإني كنت أولى به منه وهو بشعري أشبه منه بشعره فقلت له صدقت هو يشبه شعرك

الكندي يستجيد شعره

أخبرني الصولي قال حدثني أبو الحسن الأنصاري قال سمعت
الكندي يقول العباس بن الأحنف مليح ظريف حكيم جزل في شعره وكان قليلاً ما يرضيني الشعر فكان ينشد له كثيراً
صوت
(ألاَ تَعْجَبون كما أعجبُ ... حبيبٌ يُسيء ولا يُعْتِبُ)
(وأبغِي رِضاهُ على سُخْطِهِ ... فيأبَى عليَّ ويستصعِبُ)
(فيا ليتَ حَظِّي إذا ما أسأتَ ... أنَّك ترضَى ولا تَغْضَبُ)

شغف إبراهيم الموصلي بشعره فتغنى به

أخبرني الصولي قال حدثنا محمد بن الفضل قال حدثني حماد بن إسحاق قال
كان جدي إبراهيم مشغوفا بشعر العباس فتغنى في كثير من شعره فذكر أشعاراً كثيرة حفظت منها
صوت
(وقد مُلِئتْ ماءَ الشَّبابِ كأنَّها ... قضيبٌ من الرَّيْحان رَيَّانُ أخضرِ)
(همُ كتموني سَيْرَهم حين أزمعُوا ... وقالوا اتَّعدْنا للرَّواح وبكَّرُوا)
ذكر الهشامي أن اللحن في هذين البيتين لعلويه رمل وفي كتاب ابن المكي أنه لابن سريج وهو غلط
وقد أخبرني الحسن بن علي عن الحسين بن فهم قال
أنشد المأمون قول عباس بن الأحنف
((همُ كتموني سَيْرَهم حين أزمعوا ... وقالوا اتَّعَدْنا للرَّواح وبكَّرُوا
فقال المأمون سخروا بأبي الفضل
قال وحفظت منها
صوت
(تمنَّى رجالٌ ما أحبُّوا وإنما ... تمنَّيتُ أن أشكو إليكَ وتَسْمعا)
(أرَى كلَّ معشوقيْن غيري وغيرها ... قد استعذَبا طولَ الهوى وتمتَّعا)
الغناء لإبراهيم ثقيل أول بالبنصر وفيه ثقيل أول بالوسطى ينسب إلى يزيد حوراء وإلى سليم بن سلام

قال وحفظت منها
(بكتْ عيني لأنْواع ... من الحزن وأوجاع)
(وأني كلَّ يومٍ عندكم ... يَحْظى بيَ السَّاعي)
(أعيشُ الدَّهرَ إن عشتُ ... بقلبٍ منكِ مُرْتاع)
(وإن حلَّ بيَ البعدُ ... سيَنْعاني لكِ النَّاعي)
الغناء لإبراهيم الموصلي ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو وفي كتاب إبراهيم بن المهدي الذي رواه الهشامي عنه أن لإبراهيم بن المهدي فيه لحنين ثقيلا أول وماخورياً وفيه هزج محدث
أخبرني الصولي قال حدثنا أصحابنا عن محمد بن الفضل عن حماد بن إسحاق قال
ما غنى جدي في شعر أحد من الشعراء أكثر مما غنى في شعر ذي الرمة وعباس بن الأحنف
أخبرني الصولي قال حدثني محمد بن عبد الله التميمي قال
كنا في مجلس ابن الأعرابي إذ أقبل رجل من ولد سعيد بن سالم كان يلزم ابن الأعرابي وكان يحبه ويأنس به فقال له ما أخرك عني فاعتذر بأشياء ثم قال كنت مع مخارق عند بعض بني الرشيد فوهب له مائة ألف درهم على صوت غناه به فاستكثر ذلك ابن الأعرابي واستهاله وعجب منه وقال ما هو قال غناه بشعر عباس بن الأحنف
بكتْ عيْني لأنواع)
(من الحزن وأوجاع
(وأني كل يوم عندكم ... يَحْظَى بيَ السَّاعي)
فقال ابن الأعرابي أما الغناء فما أدري ما هو ولكن هذا والله كلام قريب مليح
حدثني الصولي قال حدثنا محمد بن الهيثم قال حدثني محمد بن عمرو الرومي قال
كنا عند الواثق فقال أريد أن أصنع لحناً في شعر معناه أن الإنسان كائناً من كان لا يقدر على الاحتراس من عدوه فهل تعرفون في هذا شيئاً فأنشدنا ضروباً من الأشعار فقال ما جئتم بشيء مثل قول عباس بن الأحنف
(قلبي إلى ما ضرَّني داعِي ... يُكْثِر أسقامي وأوجاعِي)
(كيف احتراسي من عدوّي إذا ... كان عدوّي بين أضلاعي)
((أسْلمني للحبّ أشياعي ... لمَّا سعى بي عندها السَّاعي
(لقلَّما أبْقى على كلّ ذا ... يُوشك أن يَنْعانِيَ النَّاعي)
قال فعمل فيه الواثق لحنه الثقيل الأول النشيد بالوسطى

خبر المتوكل وعلي بن الجهم في صدد شعره

حدثني الصولي قال حدثني محمد بن موسى أو حدثت به عنه عن علي بن الجهم قال
انصرفت ليلة من عند المتوكل فلما دخلت منزلي جاءني رسوله يطلبني فراعني ذلك وقلت بلاء تتبعت به بعد انصرافي فرجعت إليه وجلا فأدخلت عليه وهو في مرقده فلما رآني ضحك فأيقنت بالسلامة فقال يا علي أنا مذ فارقتك ساهر خطر على قلبي هذا الشعر الذي يغني فيه أخي قول الشاعر
(... قلبي إلى ما ضرَّني دَاعِي)
الأبيات فحرصت أن أعمل مثل هذا فلم يجئني أو أن أعمل مثل اللحن فما أمكنني فوجدت في نفسي نقصاً فقلت يا سيدي كان أخوك خليفة يغني وأنت خليفة لا تغني فقال قد والله أهديت إلى عيني نوماً أعطوه الف دينار وحييته وانصرفت
وجدت في كتاب الشاهيني بغير إسناد
أنشد ابو الحارث جميز قول العباس بن الأحنف
(... قلبي إلى ما ضرَّني دَاعِي)
الأبيات فبكى ثم قال هذا شعر رجل جائع في جارية طباخة مليحة فقلت له من اين قلت ذاك قال لأنه بدأ فقال
(... قلبي إلى ما ضرَّني داعِي)
وكذلك الإنسان يدعوه قلبه وشهوته إلى ما يضره من الطعام والشراب فيأكله فتكثر علله وأوجاعه وهذا تعريض ثم صرح فقال
(كيف احتراسي من عدوّي إذا ... كان عدوّي بين أضلاعي)
وليس للإنسان عدو بين أضلاعه إلا معدته فهي تتلف ماله وهي سبب أسقامه وهي مفتاح كل بلاء عليه ثم قال
(إن دام لي هجرُكِ يا مالِكي ... أوْشك أن يَنْعانيَ النَّاعِي)
فعلمت أن الطباخة كانت صديقته وأنها هجرته ففقدها وفقد الطعام فلو دام ذلك عليه لمات جوعاً ونعاه الناعي
وحدثني الصولي قال حدثني محمد بن عيسى قال
جاء عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع إلى الحسن بن وهب وعنده بنان جارية محمد بن حماد وهي نائمة سكرى وهي يبكي عندها فقال له ما لك قال قد كنت نائما فجاءتني فأنبهتني وقالت اجلس حتى تشرب فجلست فوالله ما غنت عشرة أصوات حتى نامت وما شربت إلا قليلا فذكرت قول أشعر الناس وأظرفهم العباس بن الأحنف

صوت

(أبكي الذين أذاقوني مودَّتَهم ... حتى إذا أيقظوني للهوى رقَدُوا)
فأنا أبكي وأنشد هذا البيت

ابنه إبراهيم يمدح شعره وينشد له

وحدثني الصولي قال حدثني القاسم بن إسماعيل قال
سمعت إبراهيم بن العباس يقول ما رأيت كلاما محدثا أجزل في رقة ولا أصعب في سهولة ولا أبلغ في إيجاز من قول العباس بن الأحنف
(تعالَيْ نُجَدِّدْ دارسَ العهد بيننا ... كلانا على طول الجفاء مَلُومُ)
قال الصولي ووجدت بخط عبد الله بن الحسن أنشد ابو محمد الحسن بن مخلد قال أنشدني إبراهيم بن العباس بن الأحنف

صوت
(إن قال لم يَفْعَل وإن سِيلَ لم ... يَبْذُل وإن عُوتِبَ لم يُعتِبِ)
(صبٌّ بعِصْياني ولو قال لي ... لا تَشْرَبِ الباردَ لم أشْرَبِ)
(إليك أشكو ربِّ ما حلَّ بي ... من صدِّ هذا المُذْنِب المُغْضَبِ)
غنى في هذه الأبيات أحمد بن صدقة هزجاً بالوسطى وفيها لحن آخر لغيره قال الحسن بن مخلد ثم قال لي إبراهيم بن العباس هذا والله الكلام الحسن المعنى السهل المورد القريب المتناول المليح اللفظ العذب المستمع
حدثني الصولي قال حدثني أحمد بن يزيد المهلبي قال
سمعت علي بن يحيى يقول من الشعر المرزوق من المغنين خاصة
شعر العباس بن الأحنف وخاصة قوله
(نامَ من أهْدى ليَ الأرَقَا ... مستريحاً سامَني قَلَقَا)
فإنه غنى فيه جماعة من المغنين منهم إبراهيم الموصلي وابنه إسحاق وغيرهما قال وكان يستحسن هذا الشعر وأظن استحسانه إياه حمله على أن قال في رويه وقافيته
(بأبي واللّهِ مَن طرَقَا ... كابتسام البرق إذا خَفَقَا)
وعمل فيه لحناً من خفيف الثقيل في الإصبع الوسطى هكذا رواه الصولي
وأخبرني جحظة قال حدثني حماد بن إسحاق قال قال أبي هذا الصوت
(... نام من أهدى ليَ الأرَقا)
كان محظوظاً من المغنين
من الأشعار المحظوظة في الغناء لكثرة ما فيه من الصنعة واشتراك المغنين في ألحانه وذكر محمد بن الحسن الكاتب عن علي بن محمد بن نصر عن جده حمدون أنه قال ذلك ولم يذكره عن إسحاق
نسبة هذين الصوتين منهما
صوت
(نامَ من أهْدى ليَ الأرَقا ... مستريحاً زادَني قَلَقَا)
(لو يَبيتُ الناسُ كلُّهم ... بسهادي بيَّض الحدَقا)
(كان لي قلبٌ أعيش به ... فاصطلى بالحبّ فاحترقا)
(أنا لم أرْزَق مودَّتكم ... إنما للعبد ما رُزقا)
لإسحاق في هذا الشعر خفيف بالوسطى في مجراها ولأبيه إبراهيم أيضا فيه خفيف ثقيل آخر ولابن جامع فيه لحنان رمل مطلق في مجرى الوسطى في الأول والثالث وخفيف رمل مطلق في مجرى الوسطى أيضاً في الأبيات كلها وفيه لسليم هزج وفيه لعلويه ثقيل أول
نسبة صوت علي بن يحيى
صوت
(بأبي واللّه مَنْ طَرَقا ... كابتسام البرق إذ خَفَقَا)
(زادني شوقاً بزَوْرَته ... وملا قلبي به حرقَا)
(مَنْ لقلبٍ هائمٍ دَنِفٍ ... كلَّما سلَّيتُه قَلِقا)
(زارني طيفُ الحبيب فما ... زاد أن أغْرى بيَ الأرَقا)
الشعر لعلي بن يحيى وذكر الصولي أن الغناء له خفيف ثقيل أول بالوسطى وذكر أبو العبيس بن حمدون أن هذا الخفيف الثقيل من صنعته وفيه لعريب ثاني ثقيل بالوسطى أيضا
حدثني الصولي قال سمعت عبد الله بن المعتز يقول لو قيل ما أحسن شيء تعرفه لقلت شعر العباس بن الأحنف
صوت
(قد سحَّبَ الناسُ أذيالَ الظنونِ بنا ... وفرَّق الناسُ فينا قولَهم فِرَقَا)
(فكاذِبٌ قد رمَى بالحبّ غيرَكُم ... وصادقٌ ليس يَدْري أنَّه صدَقا)
قال وللمسدود في هذا الشعر لحن قال ولم يغن المسدود أحسن
من غنائه في شعر العباس بن الأحنف هكذا ذكر الصولي ولم يأت بغير هذا ولإسحاق في هذين البيتين ثقيل أول بالبنصر من نسخة عمرو بن بانة الثانية ولابن جامع ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي وليزيد حوراء خفيف ثقيل عنه وللمسدود رمل ولعبد الله بن العباس الربيعي خفيف رمل
وأخبرني الصولي قال حدثني محمد بن سعيد قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال
غضب الفضل بن الربيع على جارية له كانت أحب الناس إليه فتأخرت عن استرضائه فغمه ذلك فوجه إلى أبي يعلمه ويشكوها إليه فكتب إليه أبي لك العزة والشرف ولأعدائك الذل والرغم استعمل قول العباس بن الأحنف
(تحمَّلْ عظيمَ الذنبِ ممَّن تحبّه ... وإن كنتَ مظلوماً فقُل أنا ظالمُ)
(فإنك إلاَّ تَغْفِر الذنبَ في الهوى ... يُفارِقْك من تَهوى وأنفُك راغِمُ)
فقال صدقت وبعث إليها فترضاها
دفاع مصعب بن الزبير عن شعره
أخبرني الصولي قال حدثني أبو بكر بن أبي خثيمة قال
قيل لمصعب الزبيري إن الناس يستبردون شعر العباس بن الأحنف فقال لقد ظلموه أليس الذي يقول
صوت
(قالت ظلومُ سميّةُ الظُّلْمِ ... ما لي رأيتُك ناحلَ الجسمِ)
((يا من رمى قَلبي فأقْصَدَه ... أنت العليمُ بموقع السَّهْمِ
الغناء لأبي العبيس أو ابنه إبراهيم ماخوري
أخبرني الصولي قال حدثنا ميمون بن هارون قال حدثني أبو عبد الله الهشامي الحسن بن أحمد قال حدثنا عمرو بن بانة قال

كنا في دار أم جعفر جماعة من الشعراء والمغنين فخرجت جارية لها وكمها مملوء دراهم فقالت أيكم القائل
(من ذا يُعيرك عينَه تبكي بها ... أرأيت عيناً للبكاء تُعارُ)
فأومىء إلى العباس بن الأحنف فنثرت الدراهم في حجره فنفضها فلقطها الفراشون ثم دخلت ومعها ثلاثة نفر من الفراشين على عنق كل فراش بدرة فيها دراهم فمضوا بها إلى منزل العباس بن الأحنف
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن موسى قال
أنشد الرشيد قول العباس بن الأحنف
(... من ذا يُعيرك عينَه تبكي بها)
فقال من لا صحبه الله ولا حاطه
حدثني الصولي قال حدثني عون بن محمد الكندي قال
كنا مع مخلد الموصلي في مجلس وكان معنا عبد الله بن ربيعة الرقي فأنشد مخلد الموصلي قصيدة له يقول فيها
(كلُّ شيء أقْوى عليه ولكنْ ... ليس لي بالفِراق منك يَدانِ)
فجعل يستحسنه ويردده فقال له عبد الله أنت الفداء لمن أبتدأ هذا
المعني فأحسن فيه حيث يقول
(سلبتني من السُّرور ثِيابا ... وكستني من الهموم ثِيابَا)
(كلما أغلَقتْ من الوصل بابا ... فتَحَتْ لي إلى المنيّةِ بابا)
(عذَّبيني بكلِّ شيء سوى الصدّ ... فما ذقتُ كالصدود عذابا)
قال فضحك الموصلي والشعر للعباس بن الأحنف

الرياشي يمتدح شعره

وأخبرني الصولي قال حدثني أبو الحسن الأسدي قال
سمعت الرياشي يقول وقد ذكر عنده العباس بن الأحنف والله لو لم يقل من الشعر إلا هذين البيتين لكفيا

صوت

(أُحْرَمُ منكم بما أقولُ وقد ... نالَ به العاشِقونَ من عَشِقُوا)
(صِرْت كأني ذُبالةٌ نُصِبَتْ ... تُضِيءُ للنَّاس وهي تحْترقُ)
وفي هذين البيتين لحن لعبد الله بن العباس من الثقيل الثاني بالبنصر وفيه لخزرج رمل أول عن عبد الله بن العباس
(أنتِ لا تعلمينَ ما الهمُّ والحُزْنُ ... ولا تعلمين ما الأرَقُ)

الرشيد وإسحاق الموصلي يختلفان في مدحه ومدح أبي العتاهية

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد المبرد قال حدثني بعض مشايخ الأزد عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال
كان الرشيد يقدم أبا العتاهية حتى يجوز الحد في تقديمه وكنت أقدم العباس بن الأحنف فاغتابني بعض الناس عند الرشيد وعابني عنده وقال عقب ذلك وبحسبك يا أمير المؤمنين أنه يخالفك في العباس بن الأحنف على حداثة سنه وقلة حذقه وتجريبه ويقدمه على أبي العتاهية مع ميلك إليه وبلغني الخبر فدخلت على الرشيد فقال لي ابتداء أيما أشعر عندك العباس بن الأحنف أو أبو العتاهية فعلمت الذي يريد فأطرقت كأني مستثبت ثم قلت أبو العتاهية أشعر قال أنشدني لهذا ولهذا قلت فبأيهما أبدأ قال بالعباس قال فأنشدته أجود ما أرويه للعباس وهو قوله
(أُحْرَمُ مِنكم بما أقولُ وقد ... نالَ به العاشِقونَ مَنْ عَشِقُوا)
فقال لي أحسن فأنشدني لأبي العتاهية فأنشدته أضعف ما أقدر عليه وهو قوله
(كأنَّ عتَّابَةَ من حُسنْها ... دُمْيَة قَسٍّ فتنتْ قَسَّها)
(يا رَبِّ لو أنسيتَنِيها بما ... في جَنَّةِ الفِردوسِ لم أنْسَها) ... (إني إذاً مثلُ التي لم تزل ... دائبةً في طحنها كُدْسَها)
(حتى إذا لم يبقَ منها سوى ... حَفْنةِ بُرٍّ قتلتْ نفسَها)
قال أتعيره هذا فأين أنت عن قوله
(قال لي أحمدٌ ولم يدْرِ ما بي ... أتحبُّ الغداةَ عُتبةَ حَقّا)
(فتنفَّستُ ثُمَّ قلت نعم حُبّاً ... جرى في العروق عِرْقاً فعِرْقا)
ويحك أتعرف لأحد مثل هذا أو تعرف أحدا سبقه إلى قوله فتنفست ثم قلت كذا وكذا اذهب ويحك فاحفظها فقلت نعم يا أمير المؤمنين
ولو كنت سمعت بها لحفظتها قال إسحاق وما أشك أني كنت أحفظ لها حينئذ من أبي العتاهية ولكني إنما أنشدت ما أنشدت تعصبا
قال محمد بن يزيد
وحدثت من غير وجه أن الرشيد ألف العباس بن الأحنف فلما خرج إلى خراسان طال مقامه بها ثم خرج إلى أرمينية والعباس معه ماشيا إلى بغداد فعارضه في طريقه فأنشده
(قالوا خُراسانُ أقصى ما يُرادُ بنا ... ثم القُفولُ فقد جئنا خراسانا)
(ما أقدرَ اللّه أن يُدْني على شَحَط ... سُكّانَ دِجلَة من سُكّان جَيْحانا)
(متى الذي كنتُ أرجوه وآمُلُه ... أمَّا الذي كنتُ أخشاه فقد كانا)
(عينُ الزمانِ أصابتْنا فلا نَظَرتْ ... وعذَّبتْ بصنوفِ الهجر ألوانا)
في هذين البيتين الأخيرين رمل بالوسطى ينسب إلى مخارق وإلى غيره قال فقال له الرشيد قد اشتقت يا عباس وأذنت لك خاصة وأمر له بثلاثين ألف درهم
أخبرني الصولي قال حدثنا محمد بن القاسم قال سمعت مصعبا الزبيري يقول
العباس بن الأحنف وعمرو العراف ما ابتدلا شعرهما في رغبة ولا رهبة ولكن فيما أحباه فلزما فنا واحدا لو لزمه غيرهما ممن يكثر إكثارهما لضعف فيه

ذكر الأصوات التي تجمع النغم العشر

منها

صوت
(تَوهَّمتُ بالخَيْف رسماً مُحِيلاً ... لعَزَّةَ تَعْرفُ منه الطُّلولا)
(تَبَدَّل بالحيّ صوتَ الصَّدى ... ونوحَ الحمامة تدعو هَدِيلا)
عروضه من المتقارب الخيف الذي عناه كثير ليس بخيف منى بل هو موضع آخر في بلاد ضمرة والطلول جمع طلل وهو ما كان له شخص وجسم عال من آثار الديار والرسم ما لم يكن له شخص وجسم والصدى ها هنا طائر وفي موضع آخر العطش ويزعم أهل الجاهلية أن الصدى طائر يخرج من رأس المقتول فلا يزال يصيح اسقوني حتى يدرك بثأره قال طرفة
(كريم يروِّي نفسَه في حياته ... ستعلم إن مِتْنا صَدًى أيُّنا الصَّدِي)
والحمام القماري ونحوها من الطير والهديل أصواتها
الشعر لكثير والغناء لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر ونسبه إلى جاريته وكنى عنها فذكر أن الصنعة لبعض من كثرت دربته بالغناء وعظم علمه وأتعب نفسه حتى جمع النغم العشر في هذا الصوت وذكر أن طريقته من الثقيل الأول وأنه ليس يجوز أن ينسبه إلى موضع إصبع مفردة لأن ابتداءه على المثنى مطلقا ثم بسبابة المثنى ثم وسطى المثنى ثم بنصر المثنى ثم خنصر المثنى ثم سبابة الزير ثم وسطاه ثم بنصره ثم خنصره ثم النغمة الحادة وهي العاشرة وفيه لابن محرز ثاني ثقيل مطلق في مجرى البنصر وفيه لابن الهربذ رمل بالوسطى عن عمرو وهذا الصوت من الثقيل الثاني وهو الذي ذكر إسحاق في كتاب النغم وعللها أن لحن ابن محرز فيه يجمع ثمانيا من النغم العشر وأنه لا يعرف صوتا يجمعها غيره وأنه يمكن من كان له علم ثاقب بالصناعة أن يأتي في صوت واحد بالنغم العشر بعد تعب طويل ومعاناة شديدة وذكر عبيد الله أن صانع هذا الصوت الذي كنى عنه فعل ذلك وتلطف له حتى أتى بالنغم العشر في هذا متوالية من أولها إلى آخرها وأتى بها في الصوت الذي بعده متفرقة على غير توال إلا أنها كلها فيه وذكر أن ذلك الصوت أحسن مسموعا وأحلى وحكى ذلك أيضا عنه يحيى بن علي بن يحيى في كتاب النغم وإذ فرغت من حكاية ما ذكره وحكاه عبيد الله في نسبة هذا الصوت فقد ينبغي ألا أجري الأمر فيه على التقليد دون القول الصحيح فيما ذكره وحكاه والذي وصفه من جهة النغم العشر متوالية في صوت واحد محال لا حقيقة له ولا يمكن أحدا بتة أن يفعله وأنا أبين العلة في ذلك على تقريب إذ كان استقصاء شرحها طويلا وقد ذكرته في رسالة إلى بعض إخواني في علل النغم وشرحت هناك العلة في أن قسم الغناء قسمين وجعل على مجريين الوسطى والبنصر دون غيرهما حتى لا يدخل واحدة منهما على صاحبتها في مجراها قرب مخرج الصوت إذا كان على الوسطى منه أو إذا كان على البنصر وشبهه به فإذا أراد مريد إلحاق هذا بهذا لم يمكنه بتة على وجه ولا سبب ولا يوجد في استطاعة حيوان أن يتلو إحداهما بالأخرى وإذا أتبعت إحداهما بالأخرى في ناي أو آلة من آلات الزمر تفصلت إحداهما من الأخرى وإنما قلت النغم في غناء الأوائل لأنهم قسموها قسمين بين هاتين الإصبعين فوجدوهما إذا دخلت إحداهما مع الأخرى في طريقتها لم يكن ذلك إلا بعد أن يفصل بينهما بنغم أخرى للسبابة والخنصر يدخل بينهما حتى تتباعد المسافة بينهما ثم لا يكون لذلك الغناء ملاحة ولا طيب للمضادة في المجريين بينهما فتركوه ولم يستعملوه فإن كان صح لعبيد الله عمل في النغم العشر في صوت فلعله صح له في الصوت الذي ذكر أنه فرقها فيه فأما المتوالية على ما ذكره ها هنا فمحال ولست أقدر في هذا الموضع على شرح أكثر من هذا وهو في الرسالة التي ذكرتها مشروح
انتهى الجزء الثامن من كتاب الأغاني ويليه الجزء التاسع وأوله نسب كثير وأخباره
ترجمة حارثة بن بدر
لحق بالجزء الثامن من طبعة دار الكتب
صوت من المائة المختارة
(يا دار عَبْلَةَ من مَشارق مَأسَل ... دَرس الشؤون وعَهدُها لم يَنْجَل)
(واستبدلتْ عُفْرَ الظّباء كأنما ... أبعارُها في الصَّيف حَبُّ الفُلْفل)
ذكر يحيى بن علي أن الشعر لعنترة بن شداد وليس ذلك بصحيح وذكر غيره من الرواة أنه لعبد قيس بن خفاف البرجمي وليس ذلك بصحيح أيضا والشعر لحارثة بن بدر الغداني من قصيدة له طويلة يفتخر فيها ويذكر سالف أيامه وقد ذكرت المختار منها بعقب أخبار حارثة وبعد انقضائها والغناء المختار لأبي دلف العجلي ولحنه في المختار ثقيل اول وفيه ألحان كثيرة
نسب حارثة بن بدر وأخباره
حارثة بن بدر بن حصين بن قطن بن غدانة بن يربوع
وقال خالد بن حبل
حارثة بن بدر بن مالك بن كليب بن غدانة بن يربوع
وأم حارثة بن بدر امرأة من بني صريم بن الحارث يقال لها الصدوف بنت صدى
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني العلاء بن الفضل بن عبد الملك بن أبي سوية المنقري قال
مر عمرو بن الأهتم بحارثة بن بدر والأحنف بن قيس وزيد بن جبلة وهم مجتمعون فسلم عليهم ثم بقي مفكراً فقالوا ما لك فقال ما في الأرض ثلاثة أنجب من آبائكم حيث جاؤوا بأمثالكم من أمثال أمهاتكم فضحكوا منه
قال
وأم الأحنف الزافرية واسمها حبى من باهلة وأم زيد بن جبلة
عمرة بنت حذلم من بني الشعيراء وأم حارثة الصدوف بنت صدى من بني صريم بن الحارث
وقد مضى نسب بني يربوع في نسب جرير وغيره من عشيرته من هذا الكتاب
وفي بني غدانة يقول الفرزدق
(أبني غُدانة أنَّني حَرَّرْتُكم ... فوهبتُكم لعطيَّة بن جِعَالِ)
(لولا عَطِيَّة لاجْتَدَعْتُ أنوفكم ... من بين ألأمِ أعيُنٍ وسِبَال)
وكان عطية استوهب منه أعراضهم لصهر كان بينه وبينهم وكان عطية سيداً من سادات بني تميم فلما سمع هذا الشعر قال والله لقد امتن علي أبو فراس بهذه الهبة وما تممها حتى ارتجعها ووصل الامتنان بتحريرهم بأقبح هجاء لهم
قال

وكان عطية هذا جواداً وفيه يقول جرير
(إن الجوادَ على المواطنِ كلِّها ... وابنَ الجواد عطيةُ بن جِعَال)
(يهب النجائبَ لا يَملُّ عطاءها ... والمُقرَبَاتِ كأنهن سَعالى)

مرتبته بين الشعراء

وحارثة بن بدر من فرسان بني تميم ووجوهها وساداتها وجودائها وأحسب أنه قد أدرك النبي في حال صباه وحداثته وهو من ولد بني الأحنف بن قيس وليس بمعدود في فحول الشعراء ولكنه كان يعارض نظراءه الشعر وله من ذلك أشياء كثيرة ليست مما يلحقه بالمتقدمين في الشعر والمتصرفين في فنونه
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال أنبأنا عمر بن شبة قال أنبأنا المدائني قال
كان زياد مكرماً لحارثة بن بدر قابلا لرأيه محتملا لما يعلمه من تناوله الشراب فلما ولي عبيد الله بن زياد أخر حارثة بعض التأخير فعاتبه على ذلك فقال له عبيد الله إنك تتناول الشراب فقال له قد كان أبوك يعلم هذا مني ويقربني ويكرمني فقال له إن أبي كان لا يخاف من القالة في تقريبك ما أخاف وإن اللسان إلي فيك لأسرع منه إلى أبي فقال حارثة
(وكم من أميرٍ قد تجبَّر بعدما ... مَريت له الدنيا بسَيفي فدرَّتِ)
(إذا ما هي احلولتْ نَفَى حق مقسمي ... ويَقْسِمِ لي منها إذا ما أمرَّت)
(إذا زَبَنَتْه عن فُواقٍ يريدُه ... دُعِيتُ ولا أُدْعَى إذا ما أَقَرَّت)
وقال حارثة بن بدر أيضا وقد شاوره عبيد الله في بعض الأمر
(أُهَانُ وأُقصى ثم يَنتصحونني ... ومَنْ ذا الذي يُعطي نصيحتَه قَسْرَا)
(رأيتُ أكفَّ المُصْلِتِينَ عليكمُ ... مِلاءً وكفِّي من عَطاياكُمُ صِفرا)
(متى تسألوني ما عليَّ وتَمنعوا الذي ... ليَ لم أسطِعْ على ذلكم صبرا)
فقال له عبيد الله فإني معوضك ومُوليك فولاه

نماذج من شعره

أخبرني يحيى بن علي إجازة قال أنبأنا أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري قال قال لي أبو اليقظان
حول زياد دعوة حارثة بن بدر وديوانه في قريش لمكانه منه فقال فيه رجل من بني كليب يهجوه بذلك
(شهدتُ بأن حارثةَ بن بدرٍ ... غُدانيُّ اللَّهازم والكَلامِ)
(سَجاح في كتاب اللّه أدنى ... له من نَوفلٍ وبني هشام)
يعني سجاح التي ادعت النبوة وهي امرأة من بني تميم
قال أحمد بن يحيى وقال المدائني
احترقت دار حارثة بن بدرٍ بالبصرة أحرقها بعض أعدائه من بني عمه فقال في ذلك
(رأيتُ المنايا بَادِيَاتٍ وعُوَّداً ... إلى دارنا سهلاً إليها طَرِيقُهَا)
(لها نَبْعَةٌ كانت تَقينا فُروعها ... فقد تَلِفت إلا قليلاً عُروقها)
قال
وكان لحارثة أخ يقال له دارع فأحرق مع ابن الحضرمي بالبصرة
وقال أحمد بن يحيى أيضا
كان عطية بن جعال يهاجي حارثة بن بدر ثم اصطلحا وكان أيضاً يهاجيه من قومه العكمص وكانت بنو سليط تروي هجاءه لحارثة بن بدرٍ فقال حارثة يهجوهم
(أراويةً عليَّ بنو سَليط ... هجاءَ الناس يا لَبَني سَلِيط)
(فما لَحْمي لتأكله سَليط ... شبيهاً بالذكيِّ ولا العَبيط)

حوار شعري بينه وبين أنس بن زنيم

أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الله بن صالح بن سمح بن عمرة الأسدي أبو الحسن قال أنبأنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال قال روح بن السكن
كان أنس بن زنيم الليثي صديقاً لعبيد الله بن زياد فرأى منه جفوة وأثرة لحارثة بن بدر الغداني فقال
(أُهانُ وأُقصى ثم تُرجَى نَصيحتي ... وأيُّ امرىء يُعطي نصيحته قَسْرَا)
(رأيتُ أكفَّ المُصْلِتينَ عليكمُ ... مِلاءً وكفِّي من عَطاياكُم صِفْرا)
(فإن تسألوني ما عليّ وتمنعوا الّ ... ذي ليَ لم أسطِعِ على ذلكم صبرا)
(رأيتكمُ تُعطون من تَرهبونه ... زربيةً قد وُشِّحتْ حَلَقاً صُفرا)
(وإنِّي مع الساعي عليكم بسيفه ... إذا عَظْمكم يوماً رأيتُ به كَسرا)
فقال عبيد الله بن زياد لحارثة بن بدر أجبه فاستعفاه لمودة كانت بينهما فأكرهه على ذلك وأقسم عليه ليجيبنه فقال
(تبدلْتُ من أُنسٍ إنَّه ... كَذَوبُ المودةِ خَوَّانُها)
(أراهُ بصيراً بضُرِّ الخليل ... وخير الأخلاَّءِ عُورانُها)
فأجابه أنس فقال
(إن الخيانةَ شرُّ الخَليل ... والكُفْرُ عندكِ ديوانُها)
(بَصُرْتُ به في قديم الزمانِ ... كما بَصُرُ العين إنسانُها)
فأجابه حارثة بن بدرٍ فقال
(ألكني إلى أنسٍ إنَّه ... عَظِيمُ الحُوَاشِيَة عِنْدِي مَهِيبْ)
(فما أبْتَغِي عَثَراتِ الخليلِ ... ولاَ أبغينَّ عليهِ الوثوب)
(وما إن أَرَى مالَهُ مغنماً ... من الدهر إنْ أعوزتني الكُسُوب)
فقال أنس
(أحار بنَ بدرٍ وأنت امرؤٌ ... لَعمري المتاعُ إليّ الحبيبْ)
(متى كان مالُكَ لي مَغْنَماً ... من الدهر إن أعوزتني االكُسُوب)
(وشرُّ الأخلاَّءِ عند البلاءِ ... وعند الرزيَّةِ خِلٌّ كَذُوب)

قال فتهادى أنس وحارثة الشعر عند عبيد الله زمانا ووقع بينهما شر حتى قدم سلم بن زياد من عند يزيد بن معاوية عاملاً على خراسان وسجستان
فجعل ينتخب ناساً من أهل البصرة والكوفة وكان الذي بين عبيد الله وبين سلم شيئاً فأرسل سلم إلى أنس يعرض عليه صحبته وجعل له أن يستعمله على كورة فقال له أنس أمهلني حتى أنظر في أمري وكتب إلى عبيد الله بن زياد
(ألم تَرَني خُيِّرْتُ والأمرُ واقعٌ ... فما كنت لما قلت بالمتخيِّر)
(رضاك على شيءٍ سواه ومن يكن ... إذا اختار ذا حزمٍ من الأمرِ يَظْفَر)
(فعُدْت لترضى عن جهادٍ وصاحبٍ ... شفيقٍ قديمِ الودِّ كان موقَّري)
(على أحد الثغرين ثم تركته ... وقد كنتَ في تأميره غير مُمْتَري)
(فأمسكتُ عن سَلْمٍ عِنَانِي وصُحبتي ... ليعرفَ وجه العُذر قبل التعذر)
(فإن كنتَ لمَّا تَدْرِ ما هي شيمتي ... فسلْ بيَ أكفائي وسَل بيَ معشَري)
(ألستُ مع الإحسانِ والجُودِ ذا غِنِيً ... وبأسٍ إذا ما كُفِّروا في التَّستُّر)
(ورأيٍ وقد أعصى الهوى خشيةَ الرَّدى ... وأعرفُ غِبَّ الأمرِ قبلَ التَّدبّر)
(وما كنتُ لولا ذاك ترتدُّ بُغيتي ... عليَّ ارتدادَ المُظلِم المُتَجَبّر)
قال ودفعها إلى عبيد الله بن زياد في صحيفة فقرأها ثم دفعها إلى حارثة بن بدر وقال له اردد على أنس صحيفته فلا حاجة لنا فيها فقال حارثة
(ألِكْني إلى مَنْ قال هذا وقُلْ له ... كذبتَ فما إنْ أنت بالمتخيِّر)
(وإنك لو صاحبتَ سَلْماً وجدتَه ... كعهدك عَهْدِ السَّوءِ لَمْ يَتَغَيَّر)
(أتنصحُ لي يوماً ولستَ بناصحٍ ... لنفسكَ فَاغْشُشْ ما بدا لك أو ذَر)
(كذبتَ ولكنْ أنت رَهْنٌ بِخزيَةٍ ... ويومٍ كأيَّام عبُوسٍ مُذَكَّر)
((كَأَشْقَرَ أَضْحَى بين رُمحين إنْ مَضَى ... على الرُّمْح يُنْحَرْ أو تَأخَّر يُعْقَر
قال وأعجبت عبيد الله وقال لعمري لقد أجبته على إرادتي وأمسك عبيد الله في يده الصحيفة فلما دخل عليه أنس دفعها إليه فنظر فيها ثم قال لعبيد الله لقد رد علي من لا أستطيع جوابه وظن أن عبيد الله قالها وخرج أنس والصحيفة في يده فلقيه عبد الرحمن بن رألان فدفعها إليه أنس فلما قرأها قال هذا شعر حارثة بن بدر أعرفه فقال له أنس صدقت والله ثم قال لحارثة
(عجبتُ لِهَرْجٍ من زمان مُضلِّل ... ورأيٍ لألبابِ الرجالِ مُغَيِّر)
ومن حِقْبةٍ عوجاءَ غُولٍ تلبَّستْ ... على الناس جِلدِ الأرْبَدِ المُتَنَمِّر) ً)
(فلا يُعْرَفُ المعروفُ فيه لأهله ... وإن قِيلَ فيه مُنْكَرٌ لم يُنَكَّر)
(لحارثةَ المُهْدي الخَنَى لِيَّ ظالماً ... ولم أرَ مِثْلَ مُدَّرٍ صَيْدِ مُدَّري)
(لِحار بن بدرٍ قد أتتني مقالةٌ ... فما بال نُكْرٍ منك من غيرِ مُنكِرِ)
(أيَروي عليكَ الناسُ ما لا تقُولُه ... فَتُعْذَرَ أم أنت امرؤٌ غيرُ مُعْذَرِ)
(فإنْ يكُ حقّاً ما يُقالُ فلا يكُن ... دَبيباً وجاهِرْني فما من تَستُّرِ)
(أُقَلِّدْكَ إن كنتَ امرأً خانَ عِرْضَه ... قوافِيَ من بَاقِي الكلامِ المشَهَّرِ)
(وقد كنتَ قبل اليومِ جرَّبتَ أنَّني ... أشَقُّ على ذي الشِّعْرِ والمُتَشعِّر)
(وأن لِساني بالقصائد ماهرٌ ... تَعِنُّ له غُرُّ القوافي وتَنْبَري)
(أصادِفُها حيناً يسيراً وأبتغِي ... لها مِرَّةً شَزْراً إذا لم تَيَسَّرِ)
((تناوَلْني بالشتم في غيرِ كُنْهِه ... فمَهلاً ابا الخَيْمَاءِ وابنَ المُعَذّرِ
(هجوتَ وقد سَامَاكَ في الشعرِ خُطَّةَ الذَّلِيل ... ولم يفعل كأفعال مُنْكِرِ)
قال وقال أنس بن زنيم لعبيد الله بن زياد وفيه غناء
(سلْ أميري ما الذي غيَّره ... عن وِصَالي اليومَ حتى ودَّعَهْ)
(لا تُهِنّي بعد إكرامِك لي ... فشديدٌ عادةٌ مُنْتَزَعَه)
(لا يكن وعدُك بَرْقاً خُلَّباً ... إنَّ خيرالبرقِ ما الغيثُ مَعَه)

شعره في طلب الخمر

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال
زعم عاصم بن الحدثان أن حارثة بن بدر قال لعبيد الله بن ظبيان وكانا في عرس لابن مسمع هل لك في شراب قال نعم فأتيا بنبيذ من زبيب وعسل فأخذ ابن ظبيان العس فكرع فيه حتى كاد يأتي عليه ثم ناوله حارثة فقال له حارثة يابن ظبيان إنك لطب بحسوها فقال أجل والله إني لأشربها حلالاً وأجاهر بها إذا أخفى غيري شرب الحرام فقال له حارثة من غيرك هذا قال سائلي عن هذا الأمر فقال حارثة
(إذا كنتَ نَدْمَاني فخذْها وسَقِّني ... ودَعْ عنك من رآكَ تكرعُ في الخمر)
(فإنّي امرؤٌ لا أشربِ الخمرَ في الدُّجَا ... ولكنني أحْسُو النبيذَ من التمر)
((حَياً وتُقاً للّه واللّهُ عالمٌ ... بكُل الذي نأتيه في السِّرِّ والجهر
(ومِثْلُكَ قد جرَّبْتُه وخَبَرْتُه ... أبَا مطرٍ والحَيْنُ أسبْابُه تَجْري)
(حساها كَمُسْتَدْمِي الغزال عتيقةً ... إذا شُعْشِعَتْ بالماءِ طَيِّبةَ النَّشْر)
(أقام عليها دَهْرِه كلَّ ليلةٍ ... يُشَافِهُها حتى يَرى وَضَحَ الفجر)
(فأصبح ميْتاً مِيتَةَ الكلبِ ضُحْكَةً ... لأصحابه حتى يُدَهْدَهَ في القَبر)
(فما إن بكاهُ غيرُ دَنٍّ ومِزْهرٍ ... وغانيةٍ كالبَدرِ واضِحَةِ الثَّغْر)
(وباطِيَةٍ كانت له خِدْنَ زَنْيَةٍ ... يُعاقِرُها والَّليلُ مُعْتَكِرُ السَّتْر)

رده على الأحنف وقد عاتبه على شربه الخمر

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن عاصم بن الحدثان قال
عاتب الأحنف بن قيس حارثة بن بدر على معاقرة الشراب وقال له قد فضحت نفسك وأسقطت قدرك وأوجعه عتاباً فقال

له إني سأعتبك فانصرف الأحنف طامعاً في صلاحه فلما أمسى راح إليه فقال له اسمع يا ابا بحر ما قلت لك فقال هات فأنشده
(يَذُمُّ أبو بَحْرٍ أُموراً يُريدها ... ويَكرهُها للأريحيِّ المُسَوَّد)
(فإن كنتَ عَيَّاباً فَقُلْ ما تُريده ... ودَعْ عنكَ شُرْبي لستَ فيه بأوْحَد)
((سأشربُها صِهباءَ كالمِسك ريحُها ... وأشربُها في كل نادٍ ومشهد
(فنفسكَ فانْصَحْ يابن قيسٍ وخلّني ... ورأيي فما رأيي برأيٍ مُفَنَّد)
(وقائلةٍ يا حار هل أنت ممسكٌ ... عليكَ من التبذير قلتُ لها اقْصدي)
(ولا تأمريني بالسَّدادِ فإنني ... رأيتُ الكثيرَ المالِ غيرَ مُخَلَّد)
(ولا عيبَ إلا اصْطِبَاحِيَ قَهْوةً ... متى يَمتزجْها الماءُ في الكأس تُزْبِد)
(مُعَتَّقَةً صهباءَ كالمسكِ ريحُها ... إذا هي فاحت أذهبتْ غُلَّةَ الصَّدِي)
(إلا إنما الرُّشْدُ المُبِينُ طَرِيقُه ... خلافَ الذي قد قلتَ إذ أنت مُرْشِدي)
(سأشربُها ما حجّ لِلّه راكبٌ ... مجاهرةً وَحْدي ومعْ كلِ مُسْعِدِ)
(وأُسْعِدُ نَدماني وأتبعُ شهوتي ... وأبذل عَفْواً كُلَّ ما ملَكت يَدِي)
(كذا العيشُ لا عيشُ ابن قيسٍ وصحبه ... من الشُّرْبِ للماء القَراح المُصَرَّد)
فقال له الأحنف حسبك فإني أراك غير مقلع عن غيك ولن أعاتبك بعدها أبداً
قال عاصم ثم كان بعد ذلك بين الأحنف وحارثة كلام وخصومة فافترقا عن مجلسهما متغاضبين فبلغ حارثة أن الأحنف قال أما والله لولا ما يعلم لقلت فيه ما هو أهله فقال حارثة وهل يقدر على أن يذمني بأكثر من الشراب وحبي له وذلك أمر لست أعتذر منه إلى أحد ثم قال في ذلك
(وكم لائمٍ لي في الشرابِ زَجَرْتُه ... فقلتُ له دَعني وما أنا شاربُ)
(فلستُ عن الصهباء ما عِشتُ مُقْصِراً ... وإنْ لامني فيها اللئامُ الأشائِب)
(أأَتْرُكُ لذَّاتي وآتي هواكُمُ ... ألا ليس مِثلي يابنَ قيسٍ يُخالِب)
((أنا الليثُ مَعْدُواً عليه وعادياً ... إذا سُلَّتْ البِيضُ الرِّقَاقُ القَوَاضِب
(فأنت حليمٌ تزجرُ الناسَ عن هوى ... نفوسهِمُ جَهْلاً وحلمُكَ عَازِب)
(فَحِلْمَكَ صُنْهُ لا تُذِلْهُ وخلِّني ... وشأنيَ وارْكَبْ كلَّ ما أنت راكِب)
(فإنِّي امرُؤٌ عَوَّدْتُ نَفْسِيَ عادةً ... وكل امرئٍ لا شكَ ما اعتاد طالِبُ)
(أجود بمالي ما حييتُ سماحةً ... وأنت بخيلٌ يجتويك المُصاحِب)
(فما أنت أو ما غَيٌّ من كان غاوياً ... إذا أنت لم تُسْدَدْ عليك المذاهب)

قصته مع الوليد بن عبد الملك

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال أنبأنا أبو الأسود الخليل بن اسد قال أنبأنا العمري عن العتبي قال
أجرى الوليد بن عبد الملك الخيل وعنده حارثة بن بدر الغداني وهو حينئذ في ألف وستمائة من العطاء فسبق الوليد فقال حارثة هذه فرصة فقام فهنأه ودعا له ثم قال
(إلى الألفين مطَّلَعٌ قريب ... زيادةُ أربعٍ لي قد بَقِينا)
(فإنْ أهْلِكْ فهنَّ لكم وإلا ... فهنَّ من المتاع لكم سنِينَا)
فقال له الوليد فتشاطرني ذلك لك مائتان ولي مائتان فصير عطاءه ألفاً وثمانمائة ثم أجرى الوليد الخيل فسبق أيضاً فقال حارثة هذه فرصة أخرى فقام فهنأه ودعا له ثم قال
(وما احتجب الألفان إلا بهيِّنٍ ... هما الآن أدنى منهما قبلَ ذَالِكَا)
(فَجُدْ بهما تَفديك نفسي فإنني ... مُعَلِّق آمالي ببعض حبالكَا)
فأمر الوليد له بالمائتين فانصرف وعطاؤه ألفان
أخبرني محمد بن يحيى قال أنبأنا محمد بن زكريا قال أنبأنا مهدي بن سابق قال أنبأنا عبد الرحمن بن شبيب بن شيبة عن أبيه قال
قال زياد يوماً لحارثة بن بدر من أخطب الناس أنا أو أنت فقال الأمير أخطب مني إذا توعد ووعد وأعطى ومنع وبرق ورعد وأنا أخطب منه في الوقادة وفي الثناء والتحبير وأنا أكذب إذا خطبت فأحشوا كلامي بزيادة مليحة شهية والأمير يقصد إلى الحق وميزان العدل ولا يزيد فيه شعيرة ولا ينقص منه فقال له زياد قاتلك الله فلقد اجدت تخليص صفتك وصفتي من حيث أعطيت نفسك الخطابة كلها وأرضيتني وتخلصت ثم التفت إلى أولاده فقال هذا لعمركم البيان الصريح
أخبرني محمد بن يحيى قال أنبأنا محمد بن زكريا عن الحرمازي قال
شرب حارثة بن بدر مع بني زياد ليلة إلى الصبح فأكثر وصرف ومزجوا فلما أن غدا على زياد كان وجهه شديد الحمرة ففطن له زياد فقال مالك يا حارثة فقال أكلت البارحة رمانا فأكثرت قال قد عرفت مع من أكلته ولكنهم قشروه وأكلته بقشره فأصارك إلى ما ترى

رثاؤه زياداً بن عبيد الله

قال الحرمازي
قال بعض أهل العلم إن زياداً استعمل حارثة على سرق فمات زياد وهو بها ثم إنه بلغه موته فقال حارثة يرثيه
(إن الرزيَّةَ في قَبرٍ بمنزِلةٍ ... تجري عليها بظَهْرِ الكُوفَةِ المُورُ)
(أدَّتْ إليه قُريش نَعْشَ سيِّدها ... ففيه ضَافِي النَّدَى والحزمِ مَقْبُور)
(أبَا المُغيرة والدنيا مُغَيِّرةٌ ... وإنّ من غرَّ بالدنيا لمَغْرُور)
(قد كان عندكَ للمعروفِ مَعْرِفَةٌ ... وكان عندكَ لِلنَّكْرَاءِ تَنْكِير)
(وكنْتَ تُؤتَى فتُعْطِي الخيرَ عن سَعَةٍ ... فاليومَ بابُكَ دونَ الهجرِ مَهْجُور)
(ولا تَلين إذا عُوسِرْتَ مُقْتَسِراً ... وكُلُّ أمركَ ما يُوسِرْتَ مَيسور)
قال وكان الذي أتاه بنعيه مسعود بن عمرو الأزدي فقال حارثة

(لقد جاء مسعودٌ أخو الأزدِ غدْوَةً ... بداهيةٍ غَرَّاءَ بَادٍ حُجُولُهَا)
(من الشر ظَلَّ الناسُ فيها كأنهم ... وقد جاء بالأَخْبَار من لا يُحِيلُها)

هو وسعد الرابية في مجلس لابن زياد

أخبرني الحسن بن علي قال أنبأنا العمري عن أحمد بن خالد بن منجوف عن مؤرج السدوسي قال
دخل حارثة بن بدر على عبيد الله بن زياد وعنده سعد الرابية أحد بني عمرو بن يربوع بن حنظلة وكان شريرا يضحك ابن زياد ويلهيه وله يقول الفرزدق
(إني لأُبْغِض سعداً أن أجاورَه ... ولا أُحِب بني عمرو بن يَربوع)
(قومٌ إذا حاربوا لم يخشَهم أحدٌ ... والجارُ فيهم ذليلٌ غير ممنوع)
فلما جلس حارثة قال له سعد يا حارثة أينع الكرم قال نعم واستودع ماءه الأصيص فمه قال إني لم أرد بأسا قال أجل ولست من أهل البأس ولكن هل لك علم بالأتان إذا اعتاص رحمها كيف يسطى عليها أكما يسطى على الفرس أم كيف قال واحدة بواحدة والبادي أظلم سألتني عما لا علم لي به وسألتك عما تعلم قال أنت بما سألتك عنه أعلم مني بما سألتني عنه ولكن من شاء جهل نفسه وأنكر ما يعرف وقال حارثة يهجو سعداً
(لا تَرْجُ مني يابنَ سعدٍ هَوادةً ... ولا صُحبةً ما أرْزَمَتْ أُمُّ حَائِل)
(أعند الأمير ابن الأمير تَعيبني ... وأنت ابنُ عمرو مُضْحِكٌ في القبائل)
(ولو غيرَنا يا سعد رُمْتَ حريمهَ ... بِخَسْفٍ لقد غُودِرْتَ لحماً لآكل)
(فشالت بك العَنقاءُ أو صِرت لحمة ... لأغْبسُ عوَّاء العشيّات عاسِل)
أخبرني هاشم بن محمد قال أنبأنا الرياشي عن الأصمعي وأبي عبيدة قالا
كان حارثة بن بدر يجالس مالك بن مسمع فإذا جاء وقت يشرب فيه قام فأراد مالك أن يعلم من حضره أنه قام ليشرب فقال له إلى أين تمضي يا أبا العنبس قال أجيء بعباد بن الحصين يفقأ عينك الأخرى وقال
الأصمعي أمضي فأفقأ عين عباد بن الحصين لآخذ لك بثأرك وكان عباد فقأ عين مالك يوم المربد

شعره في فتنة مسعود

قال
وذكر المدائني أن حارثة بن بدر كان يومئذ وهو يوم فتنة مسعود على خيل حنظلة بإزاء بكر بن وائل فجعل عبس بن مطلق بن ربيعة الصريمي على الخيل بحيال الأزد ومعه سعد والرباب والأساورة وقال حارثة بن بدر
(سيكفيكَ عبسٌ أخو كَهْمَسٍ ... مُقارعةَ الأزْدِ بالمِربدِ)
(ويكفيكَ عمرو وأشياعُه ... لُكيز بنَ أفصى وما عدَّدوا)
(وأكفيكَ بَكراً إذا أقبلَتْ ... بطَعْنٍ يشيب له الأمْرَد)
فلما اصطف الناس أرسل مالك بن مسمع إلى ضرار بن القعقاع يسأله الصلح على أن يعطيه ما أحب فقال له حارثة إنه والله ما أرسل إليك نظراً لك ولا إبقاء عليك ولكنه أراد أن يغري بينك وبين سعد فمضى ضرار إلى راية الأحنف فحملها وحمل على مالك فهزمه وفقئت عينه يومئذ
أخبرني محمد بن يحيى قال أنبأنا محمد بن زكريا عن محمد بن سلام عن أبي اليقظان قال
مر حارثة بن بدر بالمسجد الذي يقال له مسجد الأحامرة بالبصرة فرأى مشيخة قد خضبوا لحاهم بالحناء فقال ما هذه الأحامرة فالمسجد الآن يلقب مسجد الأحامرة منذ يوم قال حارثة هذا القول
خبرني محمد بن يحيى قال أنبأنا محمد بن زكريا عن القحذمي قال
عرض لحارثة بن بدر رجل من الخلج في أمر كرهه عند زياد فقال فيه حارثة
(لقد عجبتُ وكم للدهر من عَجَبٍ ... مما تَزيّد في أنسابها الخُلُجُ)
(كانوا خَساً أو زَكاً من دون أربعة ... لم يخْلَقُوا وجُدود الناس تَعتلج)
الخسا الفرد والزكا الزوج
أخبرني الحسن بن علي قال أنبأنا أحمد بن يحيى قال أنبأنا محمد بن عمر بن زياد الكندي قال أنبأنا يحيى بن آدم عن أبي زائدة عن مجالد عن الشعبي قال
كنت عند عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فأنشدته لحارثة بن بدر
(وكان لنا نَبْعٌ تَقينا عُروقه ... فَقَدْ بلَغت إلا قليلاً حُلوقها)
(وشيَّب رأسي واستَخَفَّ حُلُومَنا ... رُعودُ المنايا فوقَنا وبُروقها)
(وإنَّا لتَستحلي المنايا نُفوسنا ... وتترك أخرى مُرَّة ما تذوقها)
(رأيتُ المنايا بادئاتٍ وعوداً ... إلى دارنا سهلاً إليها طريقها)
(فقد قُسِّمتْ نفسي فريقين منهما ... فريقٌ مع الموتى وعندي فَريقها)
قال الشعبي فقال لي ابن جعفر نحن كنا أحق بهذا الشعر وجاءه غلامه بدراهم في منديل فقال له هذه غلة أرضك بمكان كذا وكذا فقال ألقها في حجر الشعبي فألقاها في حجري
أخبرني الحسن بن علي قال أنبأنا أحمد بن الحارث الخراز عن
المدائني عن مسلمة بن محارب
أن زياداً استعمل حارثة بن بدر على كوار وهو إذ ذاك عامل علي بن أبي طالب رضي الله عنه على فارس وكان حارثة بن بدر صاحب شراب فكتب زياد إلى حارثة يحثه على جباية الخراج فكتب إليه علقمة بن معبد المازني
(ألم تَرَ أنّ حارثة بنَ بدرٍ ... يُصلِّي وهو أكفر من حمار)
(وأن المال يُعرف من حوَاه ... ويُعرفُ بالزَّواني والعُقَار)
وقال المدائني في خبره هذا
حمل زياد بن أبيه حارثة بن بدر على بغلة يقال لها أطلال كان خرزاذ بن الهربد ابتاعها بأربعة آلاف درهم وأهداها له فركبها حارثة وكان فيها نفار فصرعته عن ظهرها فقام فركبها وقال
(ما هاج أطلالَ بجَنبي حِرِمَهْ ... تحمل وضَّاحاً رفيع الحِكمه)
(...قَرْماً إذا زاحم قَرْماً زَحَمهْ)

جوابه على سليمان بن عمرو وقد قراه وقرى أصحابه
أخبرني محمد بن يحيى قال أنبأنا محمد بن زكرياء قال أنبأنا إبراهيم بن عمر عن أبي عبيدة وعبد الله بن محمد قالا مر سليمان بن عمرو بن مرثد بحارثة بن بدر وهو بفارس يريد خراسان فأنزله وقراه وقرى اصحابه وحملهم وإياه فلما ركبوا للمسير قال سليمان
(قَريتَ فأحسنتَ القِرى وسَقَيْتنا ... مُعتَّقةً صهباءَ كالعَنبر الرَّطِبِ)
(وواسيتَنا فيما ملكْتَ تبرُّعاً ... وكنتَ ابنَ بَدرٍ نعم ذو منزل الرَّكب)
(وأنتَ لَعمري في تَميم عِمادُها ... إذا ما تداعتْ لِلعُلي موضع القُطبِ)
(وفارسُها في كل يومِ كريهةٍ ... وملجؤُها إن حلَّ خَطْبٌ من الخَطْب)
(وعِندكمُ نال الغنى من أراده ... إذا ما خَطرتم كالضَّراغمة الغُلْب)
(يُرى الحلقُ الماذيّ فوقَ حُماتِهم ... إذا الحربُ شُبَّتْ بالمُهنَّدة القُضب)
(وعند الرَّخا والأمن غيثٌ ورحمةٌ ... لمن يعتريهم خائفاً صولةَ الحربِ)
(وجدتُهم جُوداً صِباحاً وجوهُهم ... كِراماً على العِلاَّتِ في فادح الخَطْبِ)
(كأن دنانيراً على قَسَماتِهمْ ... إذا جئتَهم قد خِفْتَ نُكْباً من النُّكْب)
(فمنْ مُبلِغٌ عنّي تميماً فخيرُكُمْ ... غُدانة حقّاً قاله غيرُ ذِي لعْب)
فقال حارثة يجيبه
(وأسحَم ملآنٍ جررتُ لفِتيةٍ ... كرامٍ أبوهم خيرٌ بكر بن وائلِ)
((وأطولِهم كفّاً وأصدقِهم حياً ... وأكرمِهم عند اختلافِ المَناصِلِ
(مِنَ المَرثِديِّين الذين إذا انْتَدَوا ... رأيتَ نَدِيّاً جدُّه غير خامِلِ)
(فَعالِهِم زَيْنٌ لهم ووجوهُهم ... تَزِينُ الذي يأتونه في المَحافل)
(فَسَقْياً ورَعْياً لابن عمرو بن مرثد ... سليمانَ ذي المجد التليد الحُلاَحِلِ)
(فتًى لم يزل يسمو إلى كل نَجدةٍ ... فيُدرِكُ ما أعْيَتْ يدَ المتناوِلِ)
(فحَسبُك بي عِلماً به وبفَضْله ... إذا ذُكر الأقوامُ أهل الفضائل)
في مجلس ابن زياد
أخبرني عمي قال أنبأنا الكراني قال أنبأنا العمري عن عطاء بن مصعب عن عاصم بن الحدثان قال
دخل أنس بن زنيم على عبيد الله بن زياد وعنده حارثة بن بدر وكان بينهما تعارض ومقارضة قبل ذلك فلما خرج أنس قال عبيد الله لحارثة أي رجل هو أنس عندك قال هو عندي أصلح الله الأمير كما قلت فيه
(يَبيتُ بَطيناً من لُحومِ صديقِه ... خَميصاً من التَّقوى ومن طلب الحَمْدِ)
(ينام إذا ما الليلُ جَنَّ ظلامُه ... ويَسري إلى حاجاته نومة الفَهْدِ)
(يُراعي عَذارى قومِه كلما دَجَا ... له الليلُ والسوآتِ كالأسد الوِرْدِ)
(جريئاً على أكل الحَرام وفِعله ... جَباناً عن الأقْران مُعْترَمَ الكَرْدِ)
فلما كان من الغد دخل أنس على عبيد الله فقال له عبيد الله بحضرة حارثة إني سألت هذا عنك فأخبرني بما كرهته لك ولم أكن إخالك كما نعت لي فقال أصلح الله الأمير إن يكن قال خيراً فأنا أهله وإن قال غير ذلك فلم يعد ما هو أولى به مني أما والله لو كان أصلح الله الأمير حقاً لحفظ غيبتي فلقد أوليته حسن الثناء بما ليس أهله والله يعلم أني كنت كاذباً وما إخال ما قاله في إلا عقوبة فإن عقوبة الكذب حاضرة وثمرة الكذب الندامة فقد لعمري أجنيتها بكذبي وقولي فيه ما ليس فيه وهو عندي كما أقول أصلح الله الأمير وأنشد
(يُحلى ليَ الطرفَ ابنُ بَدْرٍ وإنني ... لأعرفُ في وجه ابنِ بدرٍ ليَ البُغْضَا)
(رآني شَجاً في حَلقه ما يُسيغُه ... فما إنْ يزال الدهر يُجْرَضُ بي جَرْضا)
(وما لِيَ من ذنْبٍ إليه علِمتَه ... سوى أن رآني في عشيرته مَحضا)
(وإنَّ ابن بدرٍ في تميمٍ مُكَرْكَسٌ ... إذا سِيمَ خَسفاً أو مَشنَّعةً أغْضى)
(فعِشْ يابن بدرٍ ما بقيتَ كما أرَى ... كثيرَ الخَنا لا تسأم الذلَّ والغَضَّا)
(تعيبُ الرجالَ الصالحين وفعلَهم ... وتبذلُ بُخلاً دون ما نِلتَه العِرْضا)
(وترضى بما لا يرتضي الحرُّ مثلَه ... وذو الحِلم بالتَّخْبيس والذُّلّ لا يَرضى)
قال وقال أنس في حارثة بن بدرٍ ينسبه إلى الخمر والفجور
(أحارِ بنَ بدرٍ باكِرِ الراحَ إنها ... تُنسِّيكَ ما قدَّمتَ في سالف الدَّهْرِ)
(تُنَسيكَ أسباباً عِظاماً ركبتَها ... وأنتَ على عَمياءَ في سَنَنٍ تَجري)
((أتذكر ما أسديتَ واخترتَ فِعلَه ... وجئت من المكروه والشرِّ والنُّكْرِ
(إذا قلتُ مهلاً نِلتَ عِرضي فما الذي ... تَعيب على مثلي هُبِلْتَ أبا عَمْرو)
(أليس عظيماً أن تُكايِدَ حُرَّةً ... مُهفْهَفةَ الكَشحَيْنِ طيبةَ النَّشْر)
(فإنْ كنتَ قد أزمعتَ يشرْك بالذي ... عُرفت به إذ أنت تَخزي ولا تَدري)
(فدع عنك شُرْبَ الخمر وارجع إلى التي ... بها يَرتضِي أهلُ النباهةِ والذِّكْر)
(عليك نبيذَ التمر إن كنتَ شارباً ... فإن نبيذَ التمر خيرٌ من الخمر)
(ألا إنَّ شُرْبَ الخمر يُزري بذي الحَجَى ... ويَذْهب بالمال التّلاد وبالوَفْر)
(فَصَبْراً عن الصَّهْباءِ واعلمْ بأنني ... نَصيحٌ وأنّي قد كبرت عن الزَّجْر)
(وأنك إن كَفْكَفْتَني عن نصيحةٍ ... تركتُك يا حارَ بنَ بدرٍ إلى الحَشْر)
(أأبذل نُصْحِي ثمَّ تعصِي نَصيحتي ... وتهجرني عنها هُبِلْتَ ابا بَدْر)
جوابه على أبي الأسود الدؤلي وقد ولي سرّق
أخبرني احمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عبد الله بن محمد بن حكيم عن خالد بن سعيد عن أبيه قال
لما ولي حارثة بن بدر سرق خرج معه المشيعون من البصرة وفيهم أبو الأسود الدؤلي فلما انصرف المشيعون دنا منه ابو

الأسود فقال له
(أحار بن بدرٍ قد وَلِيتَ إمارةً ... فكن جُرَذاً فيها تَخون وتَسرقُ)
(ولا تَحقرنْ يا حار شيئاً تُصيبُه ... فحظُّك من مُلك العراقين سُرَّق)
(فإن جميعَ الناس إما مُكَذِّبٌ ... يقول بما يَهْوى وإما مُصَدِّق)
(يقولون أقوالاً بِظَنٍّ وشُبهةٍ ... فإن قيل هاتوا حقِّقوا لم يُحَقِّقوا)
(فلا تَعجزنْ فالعجز أبطأُ مَركبٍ ... وما كل من يُدعَى إلى الرِّزق يُرْزَق)
(وَكَاثِرْ تميماً بالغنى إن للغنَى ... لساناً به يَسطو العَييُّ ويَنطِق)
فقال له حارثة
(جزاك مليكُ الناس خيرَ جزائِه ... فقد قلتَ معروفاً وأوصيتَ كَافِيَا)
(أمرتَ بحَزمٍ لو أمرتَ بغيرِه ... لألفَيْتَني فيه لرأيك عاصيا)
(ستَلْقَى أخاً يُصْفيك بالوُدِّ حاضراً ... ويُوليك حِفظَ الغَيب إنْ كنتَ نائيا)
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحدثان قال
لما ندب حارثة بن بدر لقتال الأزارقة بدولاب لقيهم فلما حميت الحرب بينهم واشتدت قال حارثة لأصحابه
(كَرْنبُوا ودَوْلبُوا ... وحيث شئتم فاذْهَبُوا)
ثم انهزم فقال غوث بن الحباب يهجوه ويعيره بالفرار ويعيره بشرب الخمر ومعاقرتها
(أحار بنَ بدرٍ دونك الكأسَ إنها ... بمثلك أولى من قِرَاعِ الكَتَائبِ)
(عليك بها صهْبَاءَ كالمِسك ريحُها ... يَظَلُّ أخوها للعِدَا غيرَ هائِب)
(فدَعِ عنك أقواماً وَليت قتالَهم ... فلستَ صَبُوراً عند وَقْع القواضِبِ)
(وخُذْها كعَين الدِّيكِ تَشْفي من الجَوَى ... وتترك ذَا الهِمَّات حَصْرَ المذاهبِ)
(إذا شُعْشِعَتْ بالماء خِلْتَ حَبابَها ... نَظائمَ دُرٍّ أو عيونَ الجَنَادِبِ)
(كأنك إذ تَحْسُو ثلاثةَ أكؤُسٍ ... من التِّيهِ قَرْمٌ من قُرُوم المرَازِبِ)
(ودَعْ عنك أبناءَ الحُروبِ وشدَّهم ... إذا خَطَروا مثل الجِمال المَصَاعِب)
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا العلاء بن الفضل بن أبي سوية قال حدثني أبي قال
كانت في تميم حمالتان فاجتمعوا في مقبرة بني شيبان فقال لهم الأحنف لا تعجلوا حتى يحضر سيدكم فقالوا من سيدنا غيرك قال حارثة بن بدر قال وقدم حارثة من الأهواز بمال كثير فبلغه ما قال الأحنف فقال اغرمنيها والله ابن الزافرية ثم أتاهم كأنه لم يعلم فيما اجتمعوا فقال فيم اجتمعتم فأخبروه فقال لا تلقوا فيهما أحداً فهما علي ثم أتى منزله فقال
(خَلَتِ الديارُ فسُدْتُ غير مُسوَّدِ ... ومن الشَّقاء تَفَرُّدي بالسُّودَدِ)
سفيان بن عيينة يتمثل بشعره
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا أحمد بن سليمان بن أبي شيخ عن أبيه قال
خرج أصحاب الحديث إلى سفيان بن عيينة فازدحموا فقال لقد هممت ألا أحدثكم شهراً فقام إليه شاب من أهل العراق فقال له يا أبا محمد ألن جانبك وحسن قولك وتأس بصالحي سلفك وأجمل مجالسة جلسائك فقد أصبحت بقية الناس وأميناً لله ورسوله على العلم والله إن الرجل ليريد الحج فتتعاظمه مشقته حتى يكاد أن يقيم فيكون لقاؤه إياك وطعمه فيك أكثر ما يحركه عليه قال فخضع سفيان وتواضع ورق وبكى ثم تمثل بقول حارثة
(خَلَتِ الديارُ فسُدت غير مُسوّدِ ... ومن الشقاء تَفَرُّدي بالسُّودَدِ)
ثم حدثهم بعد ذلك بكل ما أرادوا إلى أن رحلوا
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي ومحمد بن الحسين الكندي قالا حدثنا الخليل بن اسد قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي عن الحسن بن عمارة عن الحكيم بن عتيبة
أن حارثة بن بدر الغداني كان سعى في الأرض فساداً فأهدر علي بن أبي طالب عليه السلام دمه فهرب فاستجار بأشراف الناس فلم يجره أحد فقيل له عليك بسعيد بن قيس الهمداني فلعله أن يجيرك فطلب سعيداً فلم يجده فجلس في طلبه حتى جاء فأخذ بلجام فرسه فقال أجرني أجارك الله قال ويحك ما لك قال أهدر أمير المؤمنين دمي قال وفيم ذاك قال سعيت في الأرض فساداً قال ومن أنت قال حارثة بن بدر الغداني
قال أقم وانصرف إلى علي عليه السلام فوجده قائماً على المنبر يخطب فقال يا أمير المؤمنين ما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً قال أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض قال يا أمير المؤمنين إلا من قال إلا من تاب قال فهذا حارثة بن بدر قد جاء تائباً وقد أجرته قال أنت رجل من المسلمين وقد أجرنا من أجرت ثم قال علي عليه السلام وهو على المنبر أيها الناس إني كنت نذرت دم حارثة بن بدر فمن لقيه فلا يعرض له فانصرف إليه سعيد بن قيس فأعلمه وحمله وكساه وأجازه بجائزة سنية فقال فيه حارثة
(اللّهُ يَجزي سعيدَ الخير نافلةً ... أعْني سعيدَ بنَ قيسٍ قَرْمِ هَمْدَانِ)
(أنقذَني من شَفَا غَبراء مُظلِمةٍ ... لولا شفاعتُه أُلبِسْتُ أكفاني)
(قالت تَميمُ بن مُرٍّ لا نُخَاطِبُه ... وقد أبَتْ ذلكم قيسُ بنُ عَيلان)
قال الهيثم
لم يكن الحسن بن عمارة يروي من هذا الشعر غير هذه الثلاثة الأبيات وأخذت الشعر كله من حماد الراوية فقلت له ممن أخذته قال من سماك بن حرب وهو
(أساغ في الحَلق رِيقاً كان يَجْرِضُني ... وأظهر اللّه سِرِّي بعد كِتمانِ)
(إني تدارَكني عفٌّ شمائلُه ... آباؤه حين يُنمى خيرُ قحطان)
(يَنميه قيسٌ وزيدٌ والفتى كُرَبٌ ... وذو جَبائرَ من أولاد عثمان)
(وذو رُعَيْنٍ وسيف وابن ذي يزنٍ ... وعلقم قبلهم أعني ابنَ نَبْهان)
قال فلما أراد الانصراف إلى البصرة شيعه سعيد بن قيس إلى نهر
البصريين في ألف راكب وحمله وجهزه فقال حارثة

(لقد سُررتُ غَدَاةَ النهر إذ بَرزت ... أشياخُ همدانَ فيها المجدُ والخير)
(يقودهم ملكٌ جَزْلٌ مواهبُه ... وَارِي الزِّناد لدى الخيرات مَذكور)
(أعني سعيدَ بن قيسٍ خيرِ ذي يَزَنٍ ... سامي العِماد لدى السُّلطانِ مَحبور)
(ما إنْ يلين إذا ما سِيمَ مَنْقَصَةً ... لكن له غَضَبٌ فيها وتَنكير)
(أغرُّ أبْلَجُ يُستسقى الغمامُ به ... جَنابُه الدهرَ يُضحي وهو مَمطور)
أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا محمد بن زكريا قال حدثنا محمد بن معاوية الزيادي عن القحذمي قال
كان حارثة بن بدر فصيحاً بليغاً عارفاً بأخبار الناس وأيامهم حلواً شاعراً ذا فكاهة فكان زياد يأنس به طول حياته فلما مات وولي عبيد الله ابنه كان يجفوه فدخل إليه في جمهور الناس فجلس متواريا منه حتى خف الناس ثم قام فأذكره بحقوقه على زياد وأنسه به فقال له ما أعرفني بما قلت غير أن أبي كان قد عرفه الناس وعرفوا سيرته فلم يكن يلصق به من أهل الريبة مثل ما يلحقني مع الشباب وقرب العهد بالإمارة فأما إن قلت ما قلت فاختر مجالستي إن شئت ليلاً وإن شئت نهاراً فقال الليل أحب إلي فكان يدعوه ليلاً فيسامره فلما عرفه استحلاه فغلب عليه ليله ونهاره حتى كان يغيب فيبعث من يحضره فجاءه ليلة وبوجهه آثار فقال له ما هذا يا حار قال ركبت فرسي الأشقر فلجج بي مضيقاً فسحجني قال لكنك لو ركبت أحد
الأشهبين لم يصبك شيء من هذا يعني اللبن والماء

طلق زوجته ثم ندم على ذلك

أخبرني محمد بن يحيى قال أنبأنا محمد بن زكريا قال أنبأنا محمد بن معاوية الزيادي عن القحذمي عن عمه قال خرج حارثة بن بدر إلى سلم بن زياد بخراسان فأوصى رجلاً من غدانة أن يتعاهد امرأته الشماء ويقوم بأمرها فكان الغداني يأتيها فيتحدث عندها ويطيل حتى أحبها وصبا بها فكتب إلى حارثة يخبره أنها فسدت عليه وتغيرت ويشير عليه بفراقها ويقول له إنها قد فضحتك من تلعب الرجال بها فكتب إليها بطلاقها وكتب في آخر كتابه
(ألا آذِنَا شَمَّاءَ بالبَيْن إنه ... أَبَى أَوَدُ الشَّمَّاء أن يَتَقَوَّمَا)
قال فلما طلقها وقضت عدتها خطبها الغداني فتزوجها وكان حارثة شديد الحب لها وبلغه ذلك وما صنعت فقال
(ل - عمركَ ما فارقتُ شَمَّاءَ عن قِلًى ... ولكنْ أطَلَّتْ النَّأيَ عنها فَمَلَّتِ0
(مُقيماً بِمَرْوَرُّوذَ لا أنا قَافِلٌ ... إليها ولا تَدْنُو إذا هي حَلَّتِ)

رثاء زوجته له

أخبرني محمد بن يحيى قال أنبأنا محمد بن زكريا قال أنبأنا
مهدي بن سابق قال أنبأنا عطاء عن عاصم بن الحدثان قال
تزوج حارثة بن بدر ميسة بنت جابر وكانت تذكر بجمال وعقل ولسان فلما هلك حارثة تزوجها بشر بن شعاف بعده فلم تحمده فقالت ترثي حارثة
(بُدِّلْتُ بِشْراً شَقَاءً أو مُعَاقبةً ... من فَارسٍ كان قِدْماً غَيْرَ خَوَّار)
(يا ليتني قبلَ بِشْرٍ كان عَاجَلَنِي ... داعٍ من اللّهِ أو دَاعٍ من النَّار)
وقالت أيضا فيه
(مَا خَارَ لي ذُو العرش لمَّا استَخَرْتُه ... وعَذَّبني أن صِرْتُ لابن شِعَافِ)
(فما كان لي بَعْلاً وما كان مثله ... يكون حَلِيفاً أو يَنَالُ إلافي)
(فيا ربِّ قد أوْقَعْتَنِي في بَلِيَّةٍ ... فكُن ليَ حِصْناً منه رَبِّ وكَافِ)
(ونَحِّ إلهي رِبْقَتِي من يد امرىءٍ ... شَتِيمٍ مُحَيَّاهُ لكُل مُصَافي)
(هو السَّوْأَةُ السَّوْآءُ لا خير عنده ... لطالبِ خَيرٍ أو أحَدِّ قَوَافي)
(يَرَى أكْلَةً إن نِلْتُها قَلْعَ ضِرْسِه ... وما تلكَ زُلْفَى يَالَ عَبدِ مَناف)
(وإن حَادِثٌ عَضَّ الشِّعَافِيَّ لم يكُن ... صَلِيباً ولا ذا تُدْرأ وقُذَاف)
أخبرني محمد بن مزيد قال أنبأنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحدثان قال
لقي أنس بن زنيم الدئلي حارثة بن بدر فقال له يا حارثة قد قلت لك أبياتاً فاسمعها فقال هاتها فأنشده
((فحتَّى متي أنتَ ابنَ بَدْرٍ مُخَيِّمٌ ... وصَحْبُكَ يحسُونَ الحلِيبَ من الكَرْمِ
(فَإنْ كان شرّاً فالْهُ عنه وخَلِّهِ ... لغيركَ من أهل التَّخَبُّطِ والظُّلْم)
(وإن كان غُنْماً يابن بدرٍ فقد أُرَى ... سَئِمْتُ من الإكثار من ذلك الْغُنْمِ)
(وإن كنتَ ذَا علم بها واحْتِسائِها ... فما لك تأتي ما يَشِينكَ عن عِلْم)
(تَقِ اللّهَ واقْبَلْ يابنَ بدرٍ نَصِيحتي ... ودَعْها لمن أمْسَى بَعِيداً من الحَزْم)
(فلو أنها كانت شَرَاباً مُحَلَّلاً ... وقُلتَ لِيَ اتركها لأَوْضَعْتُ في الحُكْم)
(وأيقِنت أن القولَ ما قلتَ فَانْتَفِعْ ... بقوْلِي ولا تَجْعَلْ كلامي من الجُرْم)
(فَرُبَّ نَصِيحِ الجَيبِ رُدَّ انْتِصَاحُه ... عليه بلا ذَنبٍ وعُوجِلَ بالشَّتْم)
فقال له حارثة لقد قلت فأحسنت ونصحت فبالغت جزيت الخير أبا زنيم فلما رجع إلى منزله أتاه ندماؤه فذكر لهم ما قال ابن زنيم فقالوا والله ما نرى ذلك إلا حسداً ثم قال حارثة بن بدر لابن زنيم
(يَعِيبُ عليَّ الرَّاحَ مَنْ لو يَذُوقُها ... لَجُنَّ بها حتى يُغَيَّبَ في القبر)
(فَدَعْها أو امْدَحْها فإنَّا نُحِبُّها ... صُرَاحاً كما أغْرَاكَ رَبُّكَ بالهَجْر)
(عَلاَمَ تَذُمُّ الرَّاحَ والرَّاحُ كاسْمِها ... تُرِيحُ الفتى من هَمِّه آخِرَ الدَّهْر)
(فَلُمْني فإن اللَّوْمَ فيها يَزِيدُني ... غَرَاماً بها إن المَلامة قد تُغْري)
(وباللّهِ أُولِي صَادِقاً لو شَرِبْتَها ... لأَقْصَرْتَ عن عَذْلي ومِلْتَ إلى عُذْري)
(وإن شئتَ جَرِّبْها وذُقْها عَتِيقةً ... لها أَرَجٌ كالمسكِ مَحْمودَةَ الخُبْر)
(فإن أنت لم تَخْلَعْ عِذَارَكَ فَالحَنِي ... وقُلْ لِي لَحاكَ اللهُ من عَاجِزٍ غُمْر)
((وقَبْلَكَ ما قد لامني في اصْطِبَاحِها ... وفي شُربها بَدْرٌ فأعْرَضْتُ عن بَدْر
(وحَاسَيْتُها قوماً كأنَّ وجوهَهم ... دنانيرُ في اللأْوَاءِ والزَّمَنِ النُّكْر)

(فدَعني من التَّعْذَلِ فيها فإنني ... خُلِقْتُ أَبِيّاً لا أَلِينُ على القَسْرِ)
(أجُودُ وأُعطِي المُنْفِساتِ تَبَرُّعاً ... وأُغْلِي بِها عند اليَسارَة والعُسْرْ)
(وأشربها حتى أخِرِّ مُجَدَّلاً ... مُعَتَّقَةً صَهْباءَ طَيِّبة النَّشْرِ)
(ولولا النُّهَى لم أَصْحُ ما عشتُ ساعةً ... ولكنني نَهْنَهْتُ نَفْسِي عن الهَجْرِ)
(فقَصَّرْتُ عنها بعد طُولِ لَجَاجَةٍ ... وحُبٍّ لها في سِرِّ أَمْرِي وفي الجَهْرِ)
(وحَقٌّ لمِثْلِي أن يَكُفَّ عن الْخَنَى ... ويُقْصِرَ عن بعض الغَوَايَةِ والنُّكْرِ)
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي عبيدة
أن عبيد الله بن زياد استعمل حارثة بن بدر على نيسابور فغاب عنه أشهراً ثم قدم فدخل عليه فقال له ما جاء بك ولم أكتب إليك قال استنظفت خراجك وجئت به وليس لي بها عمل فما مقامي قال أوبذلك أمرتك ارجع فاردد عليهم الخراج وخذه منهم نجوماً حتى تنقضي السنة وقد فرغت من ذلك فإنه أرفق بالرعية وبك واحذر أن تحملهم على بيع غلاتهم ومواشيهم ولا التعنيف عليهم فرجع فرد الخراج عليهم وأقام يستخرجه منهم نجوماً حتى مضت السنة
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي عن الأصمعي قال
قال الأحنف بن قيس ما غبت عن أمر قط فحضره حارثة بن بدر إلا
وثقت بإحكامه إياه وجودة عقده له وكان حارثة بن بدر من الدهاة
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي قال
كان حارثة بن بدر يصيب من الشراب وكان حظياً عند زياد فعوتب زياد على رأيه فيه فقال أتلومونني على حارثة فوالله ما تفل في مجلسي قط ولا حك ركابه ركابي ولا سار معي في علاوة الريح فغبر علي ولا دعوته قط فاحتجت إلى تجشم الالتفات إليه حتى يوازيني ولا شاورته في شيء إلا نصحني ولا سألته عن شيء من أمر العرب وأخبارها إلا وجدته به بصيراً
ماذا قال في يوم دولاب
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وأحمد بن عبيد الله بن عمار قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا الأصمعي قال لما كان يوم دولاب وأفضت الحرب إلى حارثة بن بدر صاح من جاءنا من الموالي فله فريضة العرب ومن جاءنا من الأعراب فله فريضة المهاجر فلما رأى ما يلقى أصحابه من الأزارقة قال
(أَيْرُ الحمارِ فَرِيضةٌ لشبابكم ... والخُصْيَتانِ فرِيضَةُ الْأَعْرابِ)
(عَضَّ المَوَالِي جِلْدَ أَيْرِ أَبِيهِمُ ... إن المَوالِيَ مَعْشَرُ الخُيَّابِ)
ثم قال
(... كَرْنِبُوا ودَوْلِبُوا وشَرِّقُوا وغَرِّبُوا)
(...وحيْثُ شِئْتُمْ فاذْهَبُوا)
يعني بقوله كرنبوا أي خذوا طريق كرنبى ودولبوا خذوا طريق دولاب
أخبرني محمد بن زكريا الصحاف قال حدثنا قعنب بن محرز قال حدثنا الهيثم بن عدي عن ابن عياش عن المغيرة بن المنتشر قال
إنا عند عبيد الله بن زياد وعنده الأحنف بن قيس وحارثة بن بدر وكان حارثة يتهم بالشراب فقال له عبيد الله يا حارثة أي الشراب أطيب قال برة طبرية بأقطة عنزية بسمنة عربية بسكرة سوسية فتبسم عبيد الله ثم قال للأحنف يا أبا بحر أي الشراب أطيب قال الخمر فقال له عبيد الله وما يدريك ولست من أهلها قال من يستحلها لا يعدوها إلى غيرها ومن يحرمها يتأول فيها حتى يشربها قال فضحك عبيد الله
أخبرني أحمد بن محمد أبو الحسن الأسدي وعمرو بن عبد الله العتكي قالا حدثنا الرياشي وقال العتكي في خبره عن أبي عبيدة ولم يقله الأسدي ولا تجاوز الرياشي به
إن حارثة كان بكوار من أردشير خره يتنزه فقال
(ألم تَرَ أن حارثة بن بَدْرٍ ... أقَامَ بِدَيْرِ أبْلَقْ من كُوَارَا)
ثم قال لجند كانوا معه من أجاز هذا البيت فله حكمه فقال له رجل
منهم أنا أجيزه على أن تجعل لي الأمان من غضبك وتجعلني رسولك إلى البصرة وتطلب لي القفل من الأمير قال ذلك لك قال ثم رد عليه نشيد البيت فقال الرجل
(مُقِيماً يشربُ الصَّهْبَاءَ صِرْفاً ... إذا ما قلتَ تَصْرُعه اسْتَدَارَا)
فقال له حارثة لك شرطك ولو كنت قلت لنا شيئا يسرنا لسررناك
هجوه الأبيرد الرياحي
كتب إلي ابو خليفة الفضل بن الحباب أخبرنا محمد بن سلام قال
قدم الأبيرد الرياحي على حارثة بن بدر فقال له اكسني ثوبين أدخل بهما على الأمير فكساه ثوبين لم يرضهما فقال فيه
(أحارِثُ أَمْسِكْ فَضْلَ بُرْدَيْكَ إنما ... أَجَاعَ وَأَعْرَى اللَّهُ مِن كُنْتَ كَاسِيَا)
(وكُنْتُ إذا استَمْطَرْتُ منكَ سَحَابَةً ... لِتمْطِرَني عَادَتْ عَجَاجاً وسَافِياً)
(أَحَارِثُ عَاوِدْ شُرْبَكَ الخَمْرَ إنني ... رأيتُ زِيَاداً عنكَ أَصْبَحَ لاَهِيا)
فبلغت زياداً وبلغت حارثة فقال قبحه الله لقد شهد علي بما لم يعلم ولم أدع جوابه إلا لما يعلم
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحدثان قال
كان الحكم بن المنذر بن الجارود يشرب الشراب فقيل له في ذلك وعوتب وعرف أن الصلتان العبدي هجاه فقال فيه
((تَرَكَ الأشياءَ طُرّاً وانْحَنَى ... يضرب الصَّهْباءَ من ماءِ العِنَبْ
(لا يَخَافُ الناسَ قد أَدْمَنها ... وهِيَ تُزْرِي بِاللَّئِيمِ المُؤْتَشِبِ)
(وَهْيَ بِالأشْرَافِ أزْرَى وإلى ... غَايَةِ التَّأْنِيبِ تَدْعُو ذا الحسَبَ)
(فَدَعِ الخَمْرَ أبا حَرْبٍ وَسُدْ ... قَوْمَكَ الأدْنَيْنَ مِن بَيْنِ العَرَبِ)
فقال لعنه الله والله ما ترك للصلح موضعا ولقد صدق ولولا الشرب لكنت الرجل الكامل وما يخفى علي قبيحه وسوء القالة فيه ولكني سمعت حارثة بن بدر الغداني أنشد ابياتً يوماً فحملتني على المجاهرة بالشراب وغن كان ذلي إلي بغيضاً

قيل له وما الأبيات قال سمعته ينشد
(أَذْهَبَ عنّي الغمَّ والذي ... به تَطْرُدُ الأحْدَاثُ شُرْبُ المُرَوَّقِ)
(فواللّه ما أنفكُّ بالرَّاح مُهْتَراً ... ولو لام فيها كُلُّ حَبْرٍ مُوَفَّقِ -
(فما لائمي فيها وإن كان ناصِحاً ... بأعلم منّي بالرَّحِيقِ المُعَتَّقِ)
(ولكنَّ قلبي مُسْتَهَامٌ بِحُبِّها ... وحُبُّ القِيان رأيُ كلِّ مُحَمَّقِ)
(أُحِبُّ التي لا أَمْلِكُ الدَّهْرَ بُغْضَها ... وذلك فِعْلُ مُعجِبٌ كلَّ أخْرَقِ)
(سأشْرَبُها صِرفاً وأسْقِي صحابتي ... وأطلب غِرَّاتِ الغَزَال المُنَطَّقِ
شعره في نديم له
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحدثان قال
كان لحارثة بن بدر نديم من قريش يصيب معه الشراب ولا يفارقه إذا شرب وقال فيه
(وأَبْيَضَ من أولاد سعد بن مَالِك ... سَقيتُ من الصَّهْباء حتى تَقَطَّرَا)
(وحتى رأى الشَّخْصَ القريبَ بِسُكْره ... شُخُوصاً فنادى يَالَ سعدٍ وكَبَّرا)
(فقلتُ أسَكْرَانٌ فَقَالَ مُكَابِراً ... أَبَى اللّهُ لي أن أسْتَخِفَّ وأسْكَرَا)
(فقلتُ له اشْرَبْ هذه بَابِلِيَّةٌ ... تَخالُ بها مِسكاً ذَكِيّاً وعَنْبرا)
(فلما حَسَاها هَرَّها ثمَّ إنَّه ... تماسَكَ شيئاً واجِماً مُتَفَكِّرا)
(وقال أَعِدْها قلتُ صَبْراً سُوَيْعَةً ... فَهَوَّمَ شيئاً ثم قام فَبَرْبَرَا)
(فقلتُ له نَم ساعةً عَلَّ ما أرَى ... من السُّكْر يُبْدِي منك صُرْماً مُذكَّرا)
خبره مع أبي صخر مخارق حين عاتبه على شربه الخمر
قال إسحاق قال عاصم بن الحدثان
كان أبو صخر مخارق بن صخر أحد بني ربيعة بن مالك شاعراً وهو خال أبي حزانة أو خال أبي جميعة وكان صديقاً لحارثة بن بدر فدخل عليه يوماً وهو مصطبح فعاتبه حارثة بن بدر وقال له قد أسقطت الخمر قدرك
ومروءتك قال له دع عنك هذا الجنون وهلم نتساعد واسمع ما قلت قال هاته فأنشده
(غدا نَاصِحاً لم يَأْلُ جُهْداً مُخَارِقٌ ... يَلُومُ على شُرْبِ السُّلاَفِ المُعَتَّقِ)
(فقلتُ ابا صَخْرٍ دَعِ الناس يَجْهَلُوا ... ودُونَكها صَهْبَاء ذَاتَ تَأَلُّقِ)
(تراها إذا ما الماءُ خَالَطَ جِسْمها ... تَخَايَلُ في كَفِّ الوَصِيفِ المُنَطَّقِ)
(لها أَرَجٌ كَالْمِسْكِ تُذْهِبِ رِيحُها ... عَمَايَةَ حَاسِيها بِحُسْنِ تَرَقُّقِ)
(وكم لائِم فيها بصيرٍ بِفَضْلِها ... رَمَتْهُ بِسَهْمٍ صَائِبٍ مُتَزَلِّقِ)
(فَظَلَّ لِرَيَّاها يَعضُّ نَدَامَةً ... يديه وأرْغَى بعد طُولِ تَمَطُّقِ)
(وقال لَكَ العُذْرُ ابن بدرٍ على التي ... تُسَلِّي هُمُومَ المُسْتَهامِ المُشَوَّقِ)
(فلستُ ابنَ صَخْرٍ تاركاً شُرْبَ قَهْوَةٍ ... لِقَولِ لَئِيمٍ جَاهِلٍ مُتَحَذْلِقِ)
(يعيب عليَّ الشُّرْبَ والشربُ هَمُّه ... لِيُحْسَبَ ذَا رأيٍ أَصِيلٍ مُصَدَّقِ)
(فما أنا بالغِرِّ ابنَ صَخْرٍ ولا الذي ... يُصَمِّمُ في شيءٍ من الأمْرِ مُوبِقِ)
فقال له مخارق بن صخر إنما عاتبتك لأن الناس قد كثروا فيك ورأيت النصيحة لله واجبة علي وكرهت أن تضع لذلك قدرك فإن أطعتني في تركها وإلا فلا تجاهر بها فإنك قادر على أن تبلغ حاجتك في ستر فقال حارثة ما عندي غير ما سمعت فتركه وانصرف
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال أنبأنا الرياشي عن محمد بن
سلام عن يونس بن حبيب قال
لما بنى فيل مولى زياد داره بالسبابجة صنع طعاماً ودعا أصحاب زياد فدخلوا الحمام المعروف بحمام فيل وخرجوا فتغدوا عنده وركب فيل وأصحابه الهماليج والمقاريف والبغال واجتاز بهم معه على حارثة بن بدر وأبي الأسود الدؤلي وهما جالسان فقال أبو الأسود
(لَعَمْرُ أبيكَ ما حَمَّامُ كِسْرَى ... على الثُّلْثَيْن من حَمَّامِ فِيلِ)
فقال له حارثة
(وما إيجافُنَا خَلْفَ المَوالي ... بِسُنَّتِنَا على عَهد الرَّسُولِ)
أخبرني محمد بن مزيد قال أنبأنا حماد عن أبيه عن عاصم بن الحدثان قال حدثني عمي عن الحارث الهجيمي قال ذكر حلم الأحنف بن قيس عند عبيد الله بن زياد وعنده حارثة بن بدر فنفس عليه حارثة ذلك فقال لعبيد الله أيها الأمير ما يبلغ حلم من لا قدرة له ولا يملك لعدوه ضراً ولا لصديقه نفعاً وإنما يتكلف الدخول فيما لا يعنيه فبلغ ذلك من قوله الأحنف فقال أهون بحارثة وكلامه وما حارثة ومقداره أليس الذي يقول قبح الله رأيه في قوله
(إذا ما شَرِبْتُ الراحَ أبْدَتْ مَكَارِمِي ... وَجُدْتُ بما حَازَتْ يَدَايَ مِنِ الوَفْرِ)
((وإن سَبَّنِي جَهْلاً نَدِيمِي لم أزِدْ ... على اشْرَبْ سَقَاكَ اللّهُ طَيِّبَةَ النَّشْرِ
(أرَى ذاك حَقّاً وَاجِباً لِمُنَادِمِي ... إذا قال لي غَيْرَ الجَمِيلِ من النُّكْرِ)
شعره في جاريته ميسته
أخبرني عمي قال أنبأنا الكراني قال أنبأنا الرياشي عن الأصمعي
قال
كان لحارثة بن بدر جارية يقال لها ميسة وكان بها مشغوفاً فلما مات تزوجت بعده بشر بن شغاف فهؤلاء الشغافيون من ولدها وفيها يقول حارثة
(خليليَّ لولا حُبُّ مَيْسةَ لَمْ أُبَلْ ... أفي اليوْمِ لاَقَيْتُ المَنِيَّةَ أمْ غَدَا)
(خليليَّ إنْ أفْشَيْتُ سِرِّي إلَيْكُما ... فَلاَ تَجْعَلا سِرِّي حديثاً مُبَدَّدا)
(وإنْ أنْتُما أفشيتُماه فلا رأتْ عُيُونُكُما يَوْمَ الحِسَابِ مُحَمَّدَا)
ولا زِلْتُمَا في شِقْوَةٍ ما بَقِيتُما ... تَذُوقانِ عَيْشاً سَيِّىءَ الحَالِ أنْكَدا) أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال أنبأنا الحسين)

بن عليل قال أنبأنا مسعود بن بشر عن أبي عبيدة قال
اجتاز حارثة بن بدر الغداني بمجلس من مجالس قومه من بني تميم ومعه كعب مولاه فكلما اجتاز بقوم قاموا إليه وقالوا مرحباً بسيدنا فلما ولى قال له كعب ما سمعت كلاماً قط أقر لعيني ولا ألذ بسمعي من هذا الكلام الذي سمعته اليوم فقال له حارثة لكني لم أسمع كلاماً قط أكره لنفسي وأبغض إلي مما سمعته قال ولم قال ويحك يا كعب إنما سودني قومي حين ذهب خيارهم وأماثلهم فاحفظ عني هذا البيت
(خلَت الدِّيارُ فَسُدْتُ غير مُسَوَّدِ ... ومن الشَّقَاءِ تَفَرُّدِي بالسُّودَدِ)

وصيته قبل وفاته

قال
واشتكى حارثة بن بدر وأشرف على الموت فجعل قومه يعودونه فقالوا له هل لك من حاجة أو شيء تريده قال نعم اكسروا رجل مولاي كعب لئلا يبرح من عندي فإنه يؤنسني ففعلوا وأنشأ يقول
(يا كَعْبُ مَهْلاً فلا تَجْزَع على أحدٍ ... يا كَعْبُ لم يَبْقَ منَّا غيرُ أجْسَادِ)
(يا كَعْبُ مَا رَاحَ مِن قَوْمٍ ولا بكَرُوا ... إلا ولِلْمَوْتِ في آثارِهِمْ حَادي)
(يا كعبُ ما طَلَعَتْ شمسٌ ولا غَرُبَتْ ... إلا تُقَرِّبُ آجالاً لمِيعَادِ)
(يا كَعْبُ كم من حِمَى قَوْمٍ نَزلْتُ بِهِ ... على صَوَاعِقَ مِن زَجْرٍ وإيعَاد)
(فإنْ لَقِيتَ بوادٍ حيَّةً ذَكراً ... فَاذْهَبْ ودَعْني أُمَارِسْ حَيَّةَ الوَادي)
جاء بعقب هذه الترجمة في الجزء الحادي والعشرين

صوت

(عِشْ فَحُبِّيكِ سَرِيعاً قاتلي ... والضَّنَى إنْ لَمْ تَصِلْنِي واصِلِي)
(ظَفِرَ الشَّوْقُ بِقَلْبٍ دَنِفٍ ... فيكِ والسُّقْمُ بِجِسْمٍ نَاحِلِ)
(فهما بين اكتئابٍ وضَنًى ... تَرَكاني كالقضيب الذَّابِلِ)
الشعر لخالد الكاتب والغناء للمسدود رمل مطلق في مجرى الوسطى وذكر جحظة أن هذا الرمل أخذ عنه وأنه أول صوت سمعه فكتبه
ثم جاءت بعد هذا أخبار خالد الكاتب

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر أخبار كثير ونسبه

هو فيما أخبرنا به محمد بن العباس اليزيدي عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي أبو صخر كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن عويمر بن مخلد بن سعيد بن سبيع بن جعثمة بن سعد بن مليح بن عمرو وهو خزاعة بن ربيعة وهو يحيى بن حارثة بن عمرو وهو مزيقيا بن عامر وهو ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول ابن مازن بن الأزد وهو درء وقيل دراء ممدودا ابن الغوث بن نبت بن مالك ابن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان
وأخبرنا أبو عبد الرحمن أحمد بن محمد بن إسحاق الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا أبو صخر بن أبي الزعراء الخزاعي عن أمه ليلى
بنت كثير قالت هو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن مخلد بن سبيع بن سعد بن مليح بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر
وأمه جمعة بنت الأشيم بن خالد بن عبيد ابن مبشر بن رياح بن سيالة بن عامر بن جعثمة بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر وكانت كنية الأشيم جده أبي أمه أبا جمعة ولذلك قيل له ابن أبي جمعة
وكان له ابن يقال له ثواب من أشعر أهل زمانه مات سنة إحدى وأربعين ومائة ولا ولد له
ومات كثير سنة خمس ومائة في ولاية يزيد بن عبد الملك وليس له اليوم ولد إلا من بنته ليلى ولليلى بنته ابن يكنى أبا سلمة شاعر وهو الذي يقول

صوت

(وكان عزيزاً أن تبيتي وبيننا ... حجابٌ فقد أمسيتِ منِّي على شهر)
(ففي القرب تعذيبٌ وفي النأي حَسْرَةٌ ... فيا وَيْح نفسي كيف أصنع بالدهر)
في هذين البيتين غناء لمقاسة ولحنه من الثقيل الأول بالخنصر عن حبش

طبقته ونحلته

ويكنى كثير أبا صخر وهو من فحول شعراء الإسلام وجعله ابن سلام
في الطبقة الأولى منهم وقرن به جريرا والفرزدق والأخطل والراعي وكان غاليا في التشيع يذهب مذهب الكيسانية ويقول بالرجعة والتناسخ وكان محمقا مشهورا بذلك وكان آل مروان يعلمون بمذهبه فلا يغيرهم ذلك لجلالته في أعينهم ولطف محله في أنفسهم وعندهم وكان من أتيه الناس وأذهبهم بنفسه على كل أحد
أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني هارون بن عبد الله الزهري قال حدثني سليمان بن فليح قال سمعت محمد بن عبد العزيز يعني ابن عمر بن عبد الرحمن بن عوف يقول ما قصد القصيد ولا نعت الملوك مثل كثير
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير بن بكار قال كتب إلي إسحاق بن إبراهيم الموصلي حدثني إبراهيم بن سعد قال إني لأروي
لكثير ثلاثين قصيدة لورقي بها مجنون لأفاق
أخبرني الحرمي قال حدثني الزبير قال حدثني بعض أصحاب الحديث قال
كنا نأتي إبراهيم بن سعد وهو خبيث النفس فنسأله عن شعر كثير فتطيب نفسه ويحدثنا
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا عمر بن أبي بكر المؤملي عن عبد الله بن أبي عبيدة قال من لم يجمع من شعر كثير ثلاثين لامية فلم يجمع شعره قال الزبير قال المؤملي وكان ابن أبي عبيدة يملي شعر كثير بثلاثين دينارا قال وسئل عمي مصعب من أشعر الناس فقال كثير بن أبي جمعة وقال هو أشعر من جرير والفرزدق والراعي وعامتهم يعني

الشعراء لم يدرك أحد في مديح الملوك ما أدرك كثير
أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب إجازة قال حدثنا محمد بن سلام الجمحي قال كان كثير شاعر أهل الحجاز وهو شاعر فحل ولكنه منقوص حظه بالعراق
أخبرني أبو خليفة قال أخبرنا ابن سلام قال سمعت يونس النحوي يقول كثير أشعر أهل الإسلام قال ابن سلام وسمعت ابن أبي حفصة يعجبه مذهبه في المديح جدا ويقول كان يستقصي المديح وكان فيه مع جودة شعره خطل وعجب
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن إسماعيل الجعفري قال أخبرني إبراهيم بن إبراهيم بن حسين بن زيد قال سمعت المسور بن عبد الملك يقول ما ضر من يروي شعر كثير وجميل ألا تكون عنده مغنيتان مطربتان
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم عن المدائني عن الوقاصي قال رأيت كثيرا يطوف بالبيت فمن حدثك أنه يزيد على ثلاثة أشبار فكذبه وكان إذا دخل على عبد العزيز بن مروان يقول طأطئ رأسك لا يصبه السقف
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني إسحاق ابن إبراهيم عن المدائني وعن ابن حبيب عن أبيه عن جده عن جد أبيه عبد العزيز وأمه جمعة بنت كثير قال قال جرير لكثير أي رجل أنت لولا دمامتك فقال كثير
(إن أكُ قَصْداً في الرجال فإنّني ... إذا حلّ أمرٌ ساحتي لطويلُ)
كثير والحزين الديلي
أخبرني حبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر ابن شبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم عن المدائني عن الوقاصي قال وأخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن يحيى عن بعض أصحابهم الديليين قال التقى كثير والحزين الديلي بالمدينة في دار ابن أزهر في سوق الغنم فضمهما المجلس فقال كثير للحزين ما أنت شاعر يا حزين إنما توصل الشيء إلى الشيء فقال له الحزين أتأذن لي أن أهجوك قال نعم وكان كثير قال قبل ذلك وهو ينتسب إلى بني الصلت بن النضر بن كنانة
((أليس أبي بالنَّضْرِ أوليس إخوتي ... بكلِّ هِجَانٍ من بني الصَّلْت أزْهَرَا
(فإن لم تكونوا من بني الصّلْت فاتركوا ... أراكاً بأذيال الخمائل أخضرا)
قال فلما أذن كثير للحزين أن يهجوه قال الحزين
(لقد عَلِقتْ زُبَّ الذُّبَابِ كُثَيِّراً ... أساوِدُ لا يُطْنِيه وأراقمُ)
(قصيرُ القميص فاحشٌ عند بيته ... يعضّ القُراد باسته وهو قائم)
(وما أنتُم منّا ولكنكم لنا ... عبيدُ العصا ما ابتلّ في البحر عائم)
(وقد عَلِم الأقوامُ أن بني استِها ... خُزَاعةَ أذنابٌ وأنّا القَوادِمُ)
(وواللهِ لولا اللهُ ثم ضِرابُنا ... بأسيافنا دارتْ عليها المَقاسمُ)
(ولولا بنو بكر لَذَلَّتْ وأُهلِكتْ ... بطعنٍ وأفنتْها السيوفُ الصوارمُ)
قال فقام كثير فحمل عليه فلكزه وكان الحزين طويلا أيدا فقال له الحزين أنت عن هذا أعجز واحتمله فكان في يده مثل الكرة فضرب به الأرض فخلصه منه الأزهريون فبلغ ذلك أبا الطفيل عامر بن واثلة وهو
بالكوفة فأقسم لئن ملأ عينيه من كثير ليضربنه بالسيف أو ليطعننه بالرمح وكان خندف الأسدي صديقا لأبي الطفيل فطلب إلى أبي الطفيل في كثير واستوهبه إياه فوهبه له والتقيا بمكة وجلسا جميعا مع عمر بن علي بن أبي طالب فقال أما والله لولا ما أعطيت خندفا من العهد لوفيت لك فذلك قول كثير في قصيدته التي يرثي فيها خندفا
(ينال رجالاً نفعُه وهو منهمُ ... بعيدٌ كعيُّوقِ الثُّرَيَّا المُحَلِّقِ)
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال قال كثير في أي شعر أعطى هؤلاء الأحوص عشرة آلاف دينار قالوا في قوله فيهم
(وما كان مالي طارفاً من تجارةٍ ... وما كان مِيراثاً من المال مُتْلَدَا)
(ولكن عطايَا من إمامٍ مُبَارَكٍ ... مَلاَ الأرضَ معروفاً وجُوداً وسُودَدَا)
فقال كثير إنه لضرع قبحه الله ألا قال كما قلت
صوت
(دَعْ عنكَ سَلْمَى إذ فاتَ مَطْلَبُها ... واذكُرْ خليلَيْكَ من بني الحَكَمِ)
((ما أعطياني ولا سألتُهما ... إلاّ وإنّي لحاجزي كَرَمي
(إنّي متى لا يكن نوالُهما ... عندي بما قد فعلتُ أحتشم)
(مُبْدِي الرِّضا عنهما ومنصرفٌ ... عن بعض ما لو فعلتُ لم أُلَمِ)
(لا أنْزُرُ النائلَ الخليلَ إذا ... ما اعتلّ نَزْرَ الظَّؤور لم تَرَمِ)
عروضه من المنسرح غنى في هذا الشعر يونس ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق وغنى فيه الغريض ثاني ثقيل بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة وفيه لحن من الثقيل الأول ينسب إلى معبد وليس بصحيح له قال الزبير بن بكار في تفسير قوله لا أنزر النائل الخليل يقول لا ألح عليه بالمسألة يقال نزرته أنزره إذا ألححت عليه والظؤور المتعطفة على غير أولادها
أخبرني الحرمي قال حدثني الزبير قال حدثنا المؤملي عن أبي عبيدة وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالا حدثنا عبد الله بن محمد بن حكيم عن خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد عن أبيه قال دخل كثير على عبد الملك بن مروان فقال يا أمير المؤمنين إن أرضا لك يقال لها غرب ربما أتيتها وخرجت إليها بولدي وعيالي فأصبنا من رطبها وتمرها بشراء مرة وطعمة مرة فإن رأى أمير المؤمنين أن يعمرنيها فعل فقال له عبد الملك ذلك لك فندمه الناس وقالوا له أنت شاعر الخليفة ولك عنده منزلة فهلا سألت الأرض قطيعة فأتى الوليد فقال إن لي إلى أمير المؤمنين حاجة فأجلسني قريبا من البرذون فلما استوى عليه عبد الملك قال له إيه وعلم أن له إليه حاجة فقال كثير
(جزَتْكَ الجوازي عن صديقكَ نَضْرةً ... وأدناكَ ربِّي في الرَّفيق المُقَرَّبِ)
(فإنَّك لا يُعْطَى عليك ظُلاَمةً ... عدوٌّ ولا تنأى عن المتقرِّب)
(وإنّك ما تَمنَعْ فإنك مانعٌ ... بحقٍّ وما أعطيتَ لم تَتَعقّبِ)

فقال له أترغب غربا قال نعم يا أمير المؤمنين قال اكتبوها له ففعلوا
أخبرني الحرمي قال حدثني الزبير قال حدثنا عمر بن أبي بكر المؤملي قال حدثني عبد الله بن أبي عبيدة قال كان الحزين الكناني قد ضرب علىكل رجل من قريش درهمين في كل
شهر منهم ابن أبي عتيق فجاءه لأخذ درهميه على حمار له أعجف قال وكثير مع ابن أبي عتيق فدعا ابن أبي عتيق للحزين بدرهمين فقال الحزين لابن أبي عتيق من هذا معك قال هذا أبو صخر كثير بن ابي جمعة قال وكان قصيرا دميما فقال له الحزين أتأذن لي أن أهجوه ببيت من شعر قال لا لعمري لا آذن لك أن تهجو جليسي ولكني أشتري عرضه منك بدرهمين آخرين ودعا له بهما فأخذهما ثم قال لا بد من هجائه ببيت قال أو أشتري ذلك منك بدرهمين آخرين ودعا له بهما فأخذهما ثم قال ما أنا بتاركه حتى أهجوه قال أو أشتري ذلك منك بدرهمين فقال له كثير ايذن له ما عسى أن يقول في بيت فأذن له ابن أبي عتيق فقال
(قصيرُ القميص فاحشٌ عند بيته ... يَعَضّ القُرَادُ بِاسته وهو قائمُ)
قال فوثب كثير إليه فلكزه فسقط هو والحمار وخلص ابن أبي عتيق بينهما وقال لكثير قبحك الله أتأذن له وتسفه عليه فقال كثير أو أنا ظننته أن يبلغ بي هذا كله في بيت واحد

كثير يدعي أنه قرشي

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة ولم يتجاوزه وأخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا عبد الرحمن ابن الخضر الخزاعي عن ولد جمعة بنت كثير أنه وجد في كتب أبيه التي فيها شعر كثير أن عبد الملك بن مروان قال له ويحك الحق بقومك من خزاعة فأخبر أنه من كنانة قريش وأنشد كثير قوله
(أليس أبي بالصَّلْتِ أم ليس إخوتي ... بكلِ هِجانٍ من بني النَّضْر أزهَرا)
(فإن لم تكونوا من بني النَّضْر فاتركوا ... أراكاً بأذناب القوابِلِ أخضرا)
(أبَيْتُ التي قد سُمْتَني ونَكِرتُها ... ولو سُمْتَها قبلي قبيصة أنكرا)
(لَبسنا ثيابَ العَصْبِ فاختلط السَّدَى ... بِنا وبِهم والحَضْرَمِيِّ المُخَصَّرا)
فقال له عبد الملك لابد أن تنشد هذا الشعر على مبنري الكوفة والبصرة وحمله وكتب إلى العراق في أمره قال عمر بن شبة في خبره خاصة فأجابته خزاعة الحجاز إلى ذلك وقال فيه الأحوص ويقال بل قاله سراقة البارقي
(لَعَمْري لقدجاء العراقَ كُثَيِّرٌ ... بأحدوثة من وَحْيِهِ المُتَكَذِّبِ)
(أيزعمُ أنِّي من كِنانةَ أوّلِي ... وما لِيَ من أمٍّ هناك ولا أبِ)
(فإنْ كنتَ حُرًّا أو تخاف مَعَرّةً ... فخُذْ ما أخذتَ من أميرك واذهبِ)
فقال كثير يجيبه وفي خبر الزبير قال هذا لأبي علقمة الخزاعي
((أبا خُبَثٍّ أكرمْ كِنانةَ إنّهم ... مواليك إنْ أمرٌ سما بك معلق
وفي رواية الزبير أبا علقم
(بنو النَّضْر تَرْمِي من ورائك بالحصى ... أُولُو حَسَبٍ فيهم وفاءٌ ومَصْدَقُ)
(يُفِيدونكَ المالَ الكثيرَ ولم تَجِدْ ... لمُلكهمُ شِبْهاً لَو انَّك تصدُق)
(إذا ركِبوا ثارتْ عليك عَجَاجةٌ ... وفي الأرض من وقع الأسِنَّة أوْلَقُ)
فأجابه الأحوص بقوله
(دَعِ القومَ ما حَلّوا ببطن قُرَاضِمٍ ... وحيث تَفَشَّى بيضُه المتفلّق)
(فإنّك لو قاربتَ أو قلتَ شُبْهةً ... لذي الحقّ فيها والمخاصِم مَعلَق)
(عذَرناك أو قلنا صدقتَ وإنما ... يُصدَّق بالأقوال من كان يصدُق)
(ستأبَى بنو عمرو عليك وينتمي ... لهم حسبٌ في جِذْمِ غَسّانَ مُعْرَقُ)
(فإنّك لا عمراً أباكَ حَفِظتَه ... ولا النَّضْرَ إن ضَيّعتَ شيخَك تَلْحَقُ)
(ولم تُدْرِك القومَ الذين طلبتَهم ... فكنتَ كما كان السَّقاءُ المعلّق)
(بجِذْمةِ ساقٍ ليس منه لِحاؤها ... ولم يَكُ عنها قلُبه يتعلّق)
((فأصبحتَ كالمُهْريقِ فضلةَ مائه ... لبادي سَرَابٍ بالمَلاَ يترقرقُ
قال فخرج كثير فأتى الكوفة فرمي به إلى مسجد بارق فقالوا له أنت من أهل الحجاز قال نعم قالوا فأخبرنا عن رجل شاعر ولد زنا يدعى كثيرا قال سبحان الله أما تسمعون أيها المشايخ ما يقول الفتيان قالوا هو ما قاله لنفسه فانسل منهم وجاء إلى والي الكوفة حسان بن كيسان فطيره على البريد وقال عمر بن شبة في خبره إن سراقة البارقي هو المخاطب له بهذه الشتيمة وإنه عرفه وقال له إن قلت هذا على المنبر قتلتك قحطان وأنا أولهم فانصرف إلى منزله ولم يعد إلى عبد الملك
وكان سراقة هذا شاعرا ظريفا فأخبرني عمي حدثني الكراني عن النضر بن عمر عن الهيثم بن عدي عن الأعمش عن إبراهيم قال كان سراقة البارقي من ظرفاء أهل العراق فأسره المختار يوم جبانة السبيع وكانت للمختار فيها وقعة منكرة فجاء به الذي أسره إلى
المختار فقال له إني أسرت هذا فقال له سراقة كذب ما هو الذي أسرني إنما أسرني غلام أسود على برذون أبلق عليه ثياب خضر ما أراه في عسكرك الآن وسلمني إليه فقال المختار أما إن الرجل قد عاين الملائكة خلوا سبيله فخلوه فهرب فأنشأ يقول
(ألاَ أبلِغْ أبا إسحاق أنِّي ... رأيتُ البُلْقَ دُهْماً مُصْمَتاتِ)
(أري عَيْنَيَّ ما لم تُبْصِراه ... كِلاَنَا عالِمٌ بالتُّرَّهَاتِ)
(كفرتُ بدينِكم وجعلتُ نذراً ... عليَّ قتالَكم حتى المماتِ)

تشيع كثير وشعره في ابن الحنفية

أخبرنا الحرمي قال أخبرنا الزبير قال أخبرنا عمرو ومحمد بن الضحاك قالا كان كثير يتشيع تشيعا قبيحا يزعم أن محمد بن الحنفية لم يمت قال وكان ذلك رأي السيد وقد قال فيه يعني السيد شعرا كثيرا منه
((ألاَ قلْ للوَصِيِّ فدتْك نفسي ... أطلتَ بذلك الجبل المُقاما
(أضَرّ بمَعْشَرٍ وَالَوْكَ منّا ... وسمَّوك الخليفةَ والإماما)

(وعادَوْا فيك أهلَ الأرض طُرًّا ... مُقامُك عنهمُ ستِّين عاما)
(وما ذاق ابنُ خَوْلةَ طعمَ مَوْتٍ ... ولا وارتْ له أرضٌ عِظاما)
(لقد أوْفَى بمُورقِ شِعْبِ رَضْوَى ... تُراجِعه الملائكةُ الكلاما)
(وإنّ له به لمَقِيلَ صدقٍ ... وأندية تحدِّثه كِرَاما)
(هدانا اللهُ إذ جُرْتُمْ لأمرٍ ... به ولديه نَلْتَمِسُ التَّمَاما)
(تمامَ مَوَدّةِ المهديِّ حتّى ... تَروْا راياتِنا تَترَى نِظَاما)
وقال كثير في ذلك
(ألاَ إنّ الأئمّةَ من قُرَيْشٍ ... وُلاةَ الحقِّ أربعةٌ سواءُ)
(عليٌّ والثلاثةُ من بَنِيه ... همُ الأسباطُ ليس بهم خَفَاءُ)
(فسِبْطٌ سِبْطُ إيمان وبِرٍّ ... وسِبْطٌ غَيَّبَتْهُ كَرْبَلاءُ)
(وسِبْطٌ لا تراه العينُ حتّى ... يقودَ الخيلَ يقدُمها اللّواء)
(تغيّب لا يُرَى عنهم زماناً ... برضْوَى عنده عسلٌ وماء)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الحارث بن محمد عن المدائني عن أبي بكر الهذلي قال
كان عبد الله بن الزبير قد أغري ببني هاشم يتبعهم بكل مكروه ويغري بهم ويخطب بهم على المنابر ويصرح ويعرض بذكرهم فربما عارضه ابن عباس وغيره منهم ثم بدا له فيهم فحبس ابن الحنفية في سجن عارم ثم جمعه وسائر من كان بحضرته من بني هاشم فجعلهم في محبس وملأه حطبا وأضرم فيه النار وقد كان بلغه أن أبا عبد الله الجدلي وسائر شيعة ابن الحنفية قد وافوا لنصرته ومحاربة ابن الزبير فكان ذلك سبب إيقاعه به وبلغ أبا عبد الله الخبر فوافى ساعة أضرمت النار عليهم فأطفأها واستنقذهم وأخرج ابن الحنفية عن جوار ابن الزبير منذ يومئذ فأنشدنا محمد بن العباس اليزيدي قال أنشدنا محمد بن حبيب لكثير يذكر ابن الحنفية وقد حبسه ابن الزبير في سجن يقال له سجن عارم
(مَنْ يَرَ هذا الشيخَ بالخَيْفِ من مِنًى ... من الناس يعلَمْ أنّه غيرُ ظالمِ)
(سَمِيُّ النبيِّ المصطفي وابنُ عمِّه ... وفَكّاكُ أغلالٍ ونفّاعُ غارمِ)
(أَبَى فهو لا يَشْري هدًى بضلالةٍ ... ولا يتّقي في الله لومةَ لائمِ)
(ونحن بحمد الله نتلو كتابَه ... حُلُولاً بهذا الخَيْفِ خَيْفِ المحارمِ)
(بحيث الحمامُ آمِنُ الرَّوْعِ ساكنٌ ... وحيثُ العدوُّ كالصديق المُسالِمِ)
(فما فَرَحُ الدُّنيا بباقٍ لأهلِه ... ولا شِدّةُ البَلْوَى بضربة لازمِ)
(تُخَبِّرُ مَنْ لاقيتَ أنك عائذٌ ... بل العائذُ المظلوم في سجن عارمِ)
حدثني أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني قال حدثنا يحيى بن الحسن العلوي قال حدثنا الزبير بن بكار وأخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن إسماعيل الجعفري عن سعيد عن عقبة الجهني عن أبيه قال سمعت كثيرا ينشد علي بن عبد الله بن جعفر قوله في محمد بن الحنفية
(أقَرَّ اللهُ عيني إذ دعاني ... أمينُ الله يلطُف في السؤالِ)
(وأثنَى في هوايَ عليَّ خيراً ... وساءلَ عن بَنِيَّ وكيف حالي)
(وكيف ذكرتِ حالَ أبي خُبَيْبٍ ... وزلَّة فعلِه عند السُّؤالِ)
(هو المَهْدِيّ خَبَّرَناهُ كَعْبٌ ... أخو الأحبار في الحِقَبِ الخوالي)
فقال له علي بن عبد الله يا أبا صخر ما يثنى عليك في هواك خيرا إلا من كان على مثل مذهبك قال أجل بأبي أنت وأمي قال وكان كثير كيسانيا يرى الرجعة قال الزبير أبو خبيب عبد الله بن الزبير كناه بابنه
خبيب وهو أكبر ولده وكان كثير سيئ الرأي فيه قال الزبير كناه بابنه خبيب وهو أكبر ولده وكان كثير سيئ الرأي فيه قال الزبير فأخبرني عمي قال لما قال كثير
(هو المهديّ خَبَّرَناه كعبٌ ... أخو الأحبار في الحِقَبِ الخوالي)
فقيل له ألقيت كعبا قال لا قيل فلم قلت خبرناه كعب قال بالتوهم
قال وكان كثير شيعيا غاليا يزعم أن الأرواح تتناسخ ويحتج بقول الله تعالى (في أي صورة ما شاء ركبك) ويقول ألا ترى أنه حوله من صورة في صورة
قال فحدثني عمر بن أبي بكر المؤملي عن عبد الله بن أبي عبيدة قال خندف الأسدي الذي أدخل كثيرا في الخشبية
أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني إبراهيم بن المنذر الحزامي عن محمد بن معن الغفاري قال كنا بالسيالة في مشيخة نتحدث إذا بكثير قد طلع علينا متكئا على عصا فقال كنا ببيداء بأشراف السيالة وبهذه الناحية فما بقي موضع ببيداء إلا وقد جئته فإذا هو على حاله ما تغير وما تغيرت الجبال ولا الموضع الذي كنا نطوف فيه وهذا يكون حتى نرجع إليه وكان يؤمن بالرجعة
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني يحيى بن محمد قال دخل عبد الله بن حسن على كثير يعوده في مرضه الذي مات فيه فقال له كثير أبشر فكأنك بي بعد أربعين ليلة قد طلعت عليك على فرس عتيق فقال له عبد الله بن حسن ما لك عليك لعنة الله فوالله لئن مت لا أشهدك ولا أعودك ولا أكلمك أبدا
أخبرني الحرمي قال حدثا الزبير قال حدثني يحيى بن محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز أحسبه عن ابن الماجشون قال وكان أبو هاشم عبد الله بن محمد بن علي قد وضع الأرصاد على كثير فلا يزال يؤتى بالخبر من خبره فيقول له إذا لقيه كنت في كذا وكنت في كذا إلى أن جرى بين كثير وبين رجل كلام فأتي به أبو هاشم فأقبل به على أدراجه فقال له أبو هاشم كنت الساعة مع فلان فقلت له كذا وكذا وقال لك كذا وكذا فقال له كثير أشهد أنك رسول الله
أخبرنا محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا محمد وأخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا محمد بن إسماعيل عن موسى بن عبد الله فيما أحسب قال نظر كثير إلى بني حسن بن حسن وهم صغار فقال بأبي أنتم هؤلاء الأنبياء الصغار وكان يرى الرجعة وروى علي بن بشر بن سعيد الرازي عن محمد بن حميد عن أبي زهير عبد الرحمن بن مغراء الدوسي عن محمد ابن عمارة قال مر كثير بمعاوية بن عبد الله بن جعفر وهو في المكتب فأكب عليه
يقبله وقال أنت من الأنبياء الصغار ورب الكعبة
أخبرنا أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا محمد بن إسماعيل قال حدثنا قعنب بن المحرز قال حدثني إبراهيم بن داجة

قال كان كثير شيعيا وكان يأتي ولد حسن بن حسن إذا أخذ عطاءه فيهب لهم الدراهم ويقول وابأبي الأنبياء الصغار وكان يؤمن بالرجعة فيقول له محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وهو أخوهم لأمهم يا عم هب لي فيقول لا لست من الشجرة

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني عثمان بن عبد الرحمن عن إبراهيم بن يعقوب بن أبي عبيد الله قال قال عمر بن عبد العزيز إني لأعرف صلاح بني هاشم من فسادهم بحب كثير من أحبه منهم فهو فاسد ومن أبغضه فهو صالح لأنه كان خشبيا يقول بالرجعة

أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن أبي لهيعة عن رجاء بن حيوة قال سمعت عمر بن عبد العزيز يقول إن مما أعتبر به صلاح بني هاشم وفسادهم حب كثير ثم ذكر مثله

أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا علي بن صالح عن ابن دأب قال كان كثير يدخل على عمة له برزة فتكرمه وتطرح له وسادة يجلس عليها فقال لها يوما لا والله ما تعرفينني ولا تكرمينني حق كرامتي قالت بلى والله إني لأعرفك قال فمن أنا قالت ابن فلان وابن فلانة وجعلت تمدح أباه وأمه فقال قد عرفت أنك لا تعرفينني قالت فمن أنت قال أنا يونس بن متى

كان كثير عاقا لأبيه

أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني أبي قال كان كثير عاقا لأبيه وكان أبوه قد أصابته قرحة في إصبع من أصابع يده فقال له كثير أتدري لم أصابتك هذه القرحة في إصبعك قال لا أدري قال مما ترفعها إلى الله في يمين كاذبة

أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا إبراهيم بن المنذر عن محمد ابن معن الغفاري عن أبيه وغيره قال حدثني رجل من مزينة قال

إني لأعرف صلاح بني هاشم من وفسادهم بحب كثير من أحبه منهم فهو فاسد ومن أبغضه فهو صالح لأنه كان خشبيا يقول بالرجعة

أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن أبي لهيعة عن رجاء بن حيوة قال سمعت عمر بن عبد العزيز يقول إن مما أعتبر به صلاح بني هاشم وفسادهم حب كثير ثم ذكر مثله

أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا علي بن صالح عن ابن دأب قال كان كثير يدخل على عمة له برزة فتكرمه وتطرح له وسادة يجلس عليها فقال لها يوما لا والله ما تعرفينني ولا تكرمينني حق كرامتي قالت بلى والله إني لأعرفك قال فمن أنا قالت ابن فلان وابن فلانة وجعلت تمدح أباه وأمه فقال قد عرفت أنك لا تعرفينني قالت فمن أنت قال أنا يونس بن متى

كان كثير عاقا لأبيه

أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني أبي قال كان كثير عاقا لأبيه وكان أبوه قد أصابته قرحة في إصبع من أصابع يده فقال له كثير أتدري لم أصابتك هذه القرحة في إصبعك قال لا أدري قال مما ترفعها إلى الله في يمين كاذبة

أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا إبراهيم بن المنذر عن محمد ابن معن الغفاري عن أبيه وغيره قال حدثني رجل من مزينة قال

ضفت كثيرا ليلة وبت عنده ثم تحدثنا ونمنا فلما طلع الفجر تضور ثم قمت فتوضأت وصليت وكثير راقد في لحافه فلما طلع قرن الشمس تضور ثم قال يا جارية اسجري لي ماء قال قلت تبا لك سائر اليوم أو هذه الساعة هذا وركبت راحلتي وتركته قال الزبير أسخني لي ماء

أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عمران عن محمد بن عبد العزيز عن ابن شهاب عن طلحة بن عبيد الله قال ما رأيت قط أحمق من كثير دخلت عليه يوما في نفر من قريش وكنا كثيرا ما نتهزأ به وكان يتشيع تشيعا قبيحا فقلت له كيف تجدك يا أبا صخر وهو مريض فقال أجدني ذاهبا فقلت كلا فقال هل سمعتم الناس يقولون شيئا فقلت نعم يتحدثون أنك الدجال قال أما لئن قلت ذاك إني لأجد في عيني ضعفا منذ أيام

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عمران أن ناسا من أهل المدينة كانوا يلعبون بكثير فيقولون وهو يسمع إن كثيرا لا يلتفت من تيهه فكان الرجل يأتيه من ورائه فيأخذ رداءه فلا يلتفت من الكبر ويمضي في قميص

أخبرنا إبراهيم بن محمد بن أيوب قال حدثنا عبد الله بن مسلم بن قتيبة قال بلغني أن كثيرا دخل على عبد الملك بن مروان فسأله عن شيء

فأخبره به فقال وحق علي بن أبي طالب إنه كما ذكرت قال كثير يا أمير المؤمنين لو سألتني بحقك لصدقتك قال لا أسألك إلا بحق أبي تراب فحلف له به فرضي

أخبرنا الفضل بن الحباب أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال أخبرني عثمان بن عبد الرحمن وأخبرنا محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب ابن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة وأخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا المؤملي عن ابن أبي عبيدة قالوا جميعا لما أراد عبد الملك الخروج إلى مصعب لاذت به عاتكة بنت يزيد ابن معاوية وهي أم ابنه يزيد وقالت يا أمير المؤمنين لا تخرج السنة لحرب مصعب فإن آل الزبير ذكروا خروجك وابعث إليه الجيوش وبكت وبكى جواريها معها وجلس وقال قاتل الله ابن أبي جمعة فأين قوله

صوت

(إذا ما أراد الغَزْوَ لم تَثْنِ هَمَّه ... حصَانٌ عليها عِقدُ دُرٍّ يَزِينُها)

(نهتْه فلما لم تَرَ النَّهْيَ عاقَه ... بكتْ فبكى مما شجاها قَطِينُها)

غناه ابن سريج ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق والله لكأنه يراني ويراك يا عاتكة ثم خرج قال محمد بن جعفر النحوي في خبره ووافقه عليه عمر بن شبة فلما خرج عبد الملك نظر إلى كثير في ناحية عسكره يسير مطرقا فدعا به وقال لأعلم ما أسكتك وألقى عليك بثك فإن أخبرتك عنه أتصدقني قال نعم قال قل وحق أبي تراب لتصدقني قال والله لأصدقنك قال لا أو تحلف به فحلف به فقال تقول رجلان من قريش يلقى أحدهما صاحبه فيحاربه القاتل والمقتول في النار فما معنى سيري مع أحدهما إلى الآخر ولا آمن سهما عائرا لعله أن يصيبني فيقتلني فأكون معهما قال والله يا أمير المؤمنين ما أخطأت قال فارجع من قريب وأمر له بجائزة

أخبرنا وكيع قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال حدثنا أبو تمام الطائي حبيب بن أوس قال حدثني العطاف بن هارون عن يحيى بن حمزة قاضي دمشق قال حدثني حفص الأموي قال كنت أختلف إلى كثير أتروى شعره قال فوالله إني لعنده يوما إذ وقف
عليه واقف فقال قتل آل المهلب بالعقر فقال ما أجل الخطب ضحى آل أبي سفيان بالدين يوم الطف وضحى بنو مروان بالكرم يوم العقر ثم انتضحت عيناه باكيا فبلغ ذلك يزيد بن عبد الملك فدعا به فلما دخل عليه قال عليك لعنة الله أترابية وعصبية وجعل يضحك منه
أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد عن أبيه قال قال عبد الملك بن مروان لكثير من أشعر الناس اليوم يا أبا صخر قال من يروي أمير المؤمنين شعره فقال عبد الملك أما إنك لمنهم
أخبرنا وكيع قال حدثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثنا حماد بن إسحاق عن ابن أبي عوف عن عوانة قال قال كثير لعبد الملك كيف ترى شعري يا أمير المؤمنين قال أراه يسبق السحر ويغلب الشعر
أخبرنا عمي عن الكراني عن النضر بن عمر قال
كان عبد الملك بن مروان يخرج شعر كثير إلى مؤدب ولده مختوما يرويهم إياه ويرده
أخبرنا الحرمي قال أخبرنا الزبير قال حدثنا عبد الله بن خالد الجهني إن كثيرا شب في حجر عم له صالح فلما بلغ الحلم أشفق عليه أن يسفه وكان غير جيد الرأي ولا حسن النظر في عواقب الأمور فاشترى له عمه قطيعا من الإبل وأنزله فرش ملل فكان به ثم ارتفع فنزل فرع المسور ابن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف من جبل جهينة الأصغر وكان قبل المسور لبني مالك بن أفصى فضيقوا على كثير وأساؤوا جواره فانتقل عنهم وقال
(أبَتْ إبِلِي ماءَ الرَّداةِ وشَفَّها ... بنو العَمِّ يحمون النَّضِيحِ المُبَرَّدا)
(وما يمنعون الماءِ إلاّ ضَنانةً ... بأصلاب عُسْرَى شوكِها قد تخدّدا)
(فعادتْ فلم تَجْهَدْ على فضل مائه ... رياحاً ولا سُقْيَا ابن طَلْقِ بنِ أسعدا)
قال ويروى أنه أول شعر قاله
بدء قوله الشعر وعشقه عزة
أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي قال
قال كثير ما قلت الشعر حتى قولته قيل له وكيف ذاك قال بينا أنا يوما نصف النهار أسير على بعير لي بالغميم أو بقاع حمدان إذا راكب قد دنا مني حتى صار إلى جنبي فتأملته فإذا هو من صفر وهو يجر نفسه في الأرض جرا فقال لي قل الشعر وألقاه علي قلت من أنت قال أنا قرينك من الجن فقلت الشعر
ونسب كثير لكثرة تشبيبه بعزة الضمرية إليها وعرف بها فقيل كثير عزة وهي عزة بنت حميل بن وقاص أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن الحسن قال أبو بصرة الغفاري المحدث واسمه حميل بن وقاص هو أبو عزة التي كان ينسب بها كثير وكان ابتداء عشقه إياها على أنه قد قيل إنه كان في ذلك كاذبا ولم يكن بعاشق وذلك يذكر بعد خبره معها فيما أخبرني به
الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الله بن إبراهيم السعدي قال حدثني إبراهيم بن يعقوب بن جميع الخزاعي أنه كان أول عشق كثير عزة أن كثيرا مر بنسوة من بني ضمرة ومعه جلب غنم فأرسلن إليه عزة وهي صغيرة فقالت يقلن لك النسوة بعنا كبشا من هذه الغنم وأنسئنا بثمنه إلى أن ترجع فأعطاها كبشا وأعجبته فلما رجع جاءته امرأة منهن بدراهمه فقال وأين الصبية التي أخذت مني الكبش قالت وما تصنع بها هذه دراهمك قال لا آخذ دراهمي إلا ممن دفعت الكبش إليها وخرج وهو يقول
(قضى كلُّ ذي دَيْنٍ فوفَّى غريمه ... وعَزّةُ ممطولٌ مُعَنًّى غريمُها)
قال فكان أول لقائه إياها
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الرحمن بن الخضر بن أبي بكر بن عبد العزيز بن عبد الرحمن أبي جندل عن أبيه عبد العزيز الخزاعي وأمه جمعة بنت كثير عن أمه جمعة عن أبيها كثير أن أول علاقته بعزة أنه خرج من منزله يسوق خلف غنم إلى
الجار فلما كان بالخبت وقف على نسوة من بني ضمرة فسألهن عن الماء فقلن لعزة وهي جارية حين كعب ثدياها أرشديه إلى الماء فأرشدته وأعجبته فبينا هو يسقي غنمه إذ جاءته عزة بدراهم فقالت يقلن لك النسوة بعنا بهذه الدراهم كبشا من ضأنك فأمر الغلام فدفع إليها كبشا وقال ردي الدراهم وقولي لهن إذا رحت بكن اقتضيت حقي فلما راح مر بهن فقلن له هذا حقك فخذه فقال عزة غريمي ولست أقتضي حقي إلا منها فمزحن معه وقلن ويحك عزة جارية صغيرة وليس فيها وفاء لحقك فأحله على إحدانا فإنها أملأ به منها وأسرع له أداء فقال ما أنا بمحيل حقي عنها ومضى لوجهه ثم رجع إليهن حين فرغ من بيع جلبه فأنشدهن فيها
(نظرتُ إليها نظرةً وهي عاتِقٌ ... على حين أن شَبّتْ وبانَ نُهودها)
(وقد دَرَّعُوها وهي ذات مُؤَصَّدٍ ... مَجُوبٍ ولمّا يَلْبَسِ الدِّرْعَ رِيدُها)
((من الخفِراتِ البِيضِ وَدّ جليسُها ... إذا ما انقضتْ أُحدوثةٌ لو تُعيدها
في هذا البيت وأبيات أخر معه غناء يذكر بعد تمام هذا الخبر وما يضاف إليه من جنسه وأنشدهن أيضا
(قضى كلُّ ذي دَيْنٍ فوفَّى غريمَه ... وعَزّةُ ممطولٌ مُعَنى غريمُها)
فقلن له أبيت إلا عزة وأبرزنها إليه وهي كارهة ثم أحبته عزة بعد ذلك أشد من حبه إياها قال الزبير فسألت محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز ابن عبد الرحمن الخزاعي المعروف بأبي جندل عن هذا الحديث فعرفه وحدثنيه عن أبيه عن جده عبد العزيز بن أبي جندل عن أمه جمعة بنت كثير عن أبيها
وأخبرني عمي الحسن بن محمد الأصفهاني رحمه الله قال حدثني محمد بن سعد الكراني قال حدثنا النضر بن عمرو قال حدثني عمر بن عبد الله بن خالد المعيطي وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن نعيم قال حدثني إبراهيم بن إسحاق الطلحي وأخبرني الحرمي ابن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني يعقوب بن عبد الله الأسدي وغيره قال الزبير وحدثني محمد بن صالح الأسلمي قال دخلت عزة على عبد الملك بن مروان وقد عجزت فقال لها أنت عزة كثير فقالت أنا عزة بنت حميل قال أنت التي يقول لك كثير
(لِعَزّة نارٌ ما تَبُوخُ كأنها ... إذا ما رَمَقْناها من البعدِ كوكبُ)

فما الذي أعجبه منك قالت كلا يا أمير المؤمنين فوالله لقد كنت في عهده أحسن من النار في الليلة القرة وفي حديث محمد بن صالح الأسلمي
فقالت له أعجبه مني ما أعجب المسلمين منك حين صيروك خليفة قال وكانت له سن سوداء يخفيها فضحك حتى بدت فقالت له هذا الذي أردت أن أبديه فقال لها هل تروين قول كثير فيك
(وقد زعمتْ أنّي تغيَّرتُ بعدَها ... ومَنْ ذا الذي يا عزّ لا يَتَغيَّرُ)
(تغيَّر جسمي والخليقةُ كالتي ... عَهِدْتِ ولم يُخْبَرْ بسرِّك مُخْبِرُ)
قالت لا ولكني أروي قوله
(كأنِّي أنادي صخرةً حين أعرضتْ ... من الصمِّ لو تمشي بها العُصْمُ زَلّتِ)
(صَفُوحاً فما تلقاكَ إلاّ بخيلةً ... فمَنْ مَلّ منها ذلك الوصلَ مَلّتِ)
فأمر بها فأدخلت على عاتكة بنت يزيد وفي غير هذه الرواية أنها أدخلت على أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان فقالت لها أرأيت قول كثير
(قضى كلُّ ذَي دَينٍ فوفَّى غريمَه ... وعزّة ممطولٌ معنَّى غريمُها)
ما هذا الذي ذكره قالت قبلة وعدته إياها قالت أنجزيها وعلي إثمها
أخبرنا الحسن بن الطيب البجلي الشجاعي وأحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالوا حدثنا عمر بن شبة قال روى ابن جعدبة عن أشياخه وأخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا أبو بكر بن يزيد بن عياض بن جعدبة عن أبيه
أن كثيرا كان له غلام تاجر فباع من عزة بعض سلعه ومطلته مدة وهو لا يعرفها فقال لها يوما أنت والله كما قال مولاي
((قضى كلُّ ذي دَينٍ فوفَّى غريمَه ... وعزّة ممطولٌ معنَّى غريمُها
فانصرفت عنه خجلة فقالت له امرأة أتعرف عزة قال لا والله قالت فهذه والله عزة فقال لا جرم والله لا آخذ منها شيئا أبدا ولا أقتضيها ورجع إلى كثير فأخبره بذلك فأعتقه ووهب له المال الذي كان في يده
أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني يعقوب بن حكيم السلمي عن قسيمة بنت عياض بن سعيد الأسلمية وكنيتها أم البنين قالت سارت علينا عزة في جماعة من قومها بين يدي يربوع وجهينة فسمعنا بها فاجتمعت جماعة من نساء الحاضر أنا فيهن فجئناها فرأينا امرأة حلوة حميراء نظيفة فتضاءلنا لها ومعها نسوة كلهن لها عليهن فضل من الجمال والخلق إلى أن تحدثت ساعة فإذا هي أبرع الناس وأحلاهم حديثا فما فارقناها إلا ولها علينا الفضل في أعيننا وما نرى في الدنيا امرأة تروقها جمالا وحسنا وحلاوة
أخبرني عمي قال حدثني فضل اليزيدي عن إسحاق الموصلي عن أبي نصر شيخ له عن الهيثم بن عدي أن عبد الملك سأل كثيرا عن أعجب خبر له مع عزة فقال حججت سنة من السنين وحج زوج عزة بها ولم يعلم أحد منا بصاحبه فلما كنا ببعض الطريق أمرها زوجها بابتياع سمن تصلح به طعاما لأهل رفقته فجعلت تدور الخيام خيمة خيمة حتى دخلت إلي وهي لا تعلم أنها خيمتي وكنت أبري أسهما لي فلما رأيتها جعلت أبري وأنا أنظر إليها ولا أعلم حتى بريت عظامي مرات ولا أشعر به والدم يجري فلما تبينت ذلك دخلت إلي فأمسكت يدي وجعلت تمسح الدم عنها بثوبها وكان عندي نحي من سمن فحلفت لتأخذنه فأخذته وجاءت إلى زوجها بالسمن فلما رأى الدم سألها عن خبره فكاتمته حتى حلف لتصدقنه فصدقته فضربها وحلف لتشتمني في وجهي فوقفت علي وهو معها فقالت لي يابن الزانية وهي تبكي ثم انصرفا فذلك حين أقول
(يُكَلِّفها الخِنزيرُ شَتْمِي وما بها ... هواني ولكن للمليك استذلَّتِ)
نسبة ما في هذه القصيدة من الغناء
صوت
(خَلِيليَّ هذا رَسْمُ عَزّةَ فاعْقِلاَ ... قَلُوصَيْكما ثم أبْكيَا حيثُ حَلّتِ)
(وما كنتُ أدري قبل عَزّةَ ما البكا ... ولا مُوجِعاتِ القلب حتّى تَوَلّتِ)
(فليتَ قَلُوصِي عند عزّة قُيِّدتْ ... بحبلٍ ضعيفٍ بانَ منها فضَلَّتِ)
(وأصبح في القوم المقيمين رحلُها ... وكان لها باغٍ سِوَايَ فَبَلّتِ)
(فقلتُ لها يا عزّ كلُّ مُصيبةٍ ... إذا وُطِّنَتْ يوماً لها النفسُ ذَلّتِ)
(أسيئي بنا أو أحْسِنِي لا ملومةٌ ... لدينا ولا مَقْلِيّةٌ إنْ تَقَلّتِ)
(هَنِيئاً مريئاً غيرَ داءٍ مُخَامِرٍ ... لِعَزَّةَ من أعراضِنا ما اسْتَحَلّتِ)
(تَمَنَّيْتُها حتّى إذا ما رأيتُها ... رأيتُ المنايا شُرَّعاً قد أظلّتِ)
(كأنِّي أنادي صخرةً حين أعرضتْ ... من الصُّمِّ لو تمشي بها العُصْمُ زَلّتِ)
((صَفُوحاً فما تلقاكَ إلاّ بخيلةً ... فمَنْ ملّ منها ذلك الوصل مَلّتِ
(أصاب الرَّدَى مَنْ كان يهوى لكِ الرَّدَى ... وجُنَّ اللواتي قلن عَزّةُ جُنّتِ)
عروضه من الطويل غنى معبد في الخمسة الأول ثقيلا أول بالوسطى وغنى إبراهيم في الثالث والرابع ثقيلا أول بالبنصر عن عمرو وغنى في هنيئا مريئا والذي بعده خفيف رمل بالوسطى وغنى إبراهيم في الخامس وما بعده ثاني ثقيل وذكر الهشامي أن لابن سريج في هنيئا مريئا وما بعده ثاني ثقيل بالبنصر وذكر أحمد بن المكي أن لإبراهيم في كأني أنادي والذي بعده وفي أسيئي بنا أو أحسني هزجا بالسبابة في مجرى البنصر ولإسحاق فيه هزج آخر به ولعريب في كأني أنادي أيضا رمل ولإسحاق في وما كنت أدري ثقيل أول وله في أصاب الردى ثقيل أول آخر وقيل إن لإبراهيم في فقلت لها يا عز خفيف ثقيل ينسب إلى دحمان وإلى سياط
أخبرني الحرمي وحبيب بن نصر قالا حدثنا الزبير قال حدثنا يعقوب بن حكيم عن إبراهيم بن أبي عمرو الجهني عن أبيه قال سارت علينا عزة في جماعة من قومها فنزلت حيالنا فجاءني كثير ذات يوم فقال لي أريد أن أكون عندك اليوم فأذهب إلى عزة فصرت به إلى منزلي فأقام عندي حتى كان العشاء ثم أرسلني إليها وأعطاني خاتمه وقال إذا سلمت فستخرج إليك جارية فادفع إليها خاتمي وأعلمها مكاني فجئت بيتها فسلمت فخرجت إلي الجارية فأعطيتها الخاتم فقالت أين الموعد قلت صخرات أبي عبيد الليلة فواعدتها هناك فرجعت إليه فأعلمته فلما أمسى قال لي انهض بنا فنهضنا فجلسنا هناك نتحدث حتى جاءت من الليل فجلست فتحدثا فأطالا فذهبت لأقوم فقال لي إلى أين تذهب فقلت أخليكما ساعة

لعلكما تتحدثان ببعض ما تكتمان فقال لي اجلس فوالله ما كان بيننا شيء قط فجلست وهما يتحدثان وإن بينهما لثمامة عظيمة هي من ورائها جالسة حتى أسحرنا ثم قامت فانصرفت وقمت أنا وهو فظل عندي حتى أمسى ثم انطلق
أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم عن عبد الله بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاصي قال خرج كثير في الحاج بجمل له يبيعه فمر بسكينة بنت الحسين ومعها
عزة وهو لا يعرفها فقالت سكينة هذا كثير فسوموه بالجمل فساموه فاستام مائتي درهم فقالت ضع عنا فأبى فدعت له بتمر وزبد فأكل ثم قالت له ضع عنا كذا وكذا لشيء يسير فأبى فقالوا قد أكلت يا كثير بأكثر مما نسألك فقالت ما أنا بواضع شيئا فقالت سكينة اكشفوا فكشفوا عنها وعن عزة فلما رآهما استحيا وانصرف وهو يقول هو لكم هو لكم
هل كان كثير صادقا في عشقه
من ذكر أن كثيرا كان يكذب في عشقه
أخبرنا أبو خليفة قال حدثنا ابن سلام قال كان كثير مدعيا ولم يكن عاشقا وكان جميل صادق الصبابة والعشق
أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال زعم إسحاق بن إبراهيم أنه سمع أبا عبيدة يقول كان جميل يصدق في حبه وكان كثير يكذب
ومما وجدناه في أخباره ولم نسمعه من أحد أنه نظر إلى عزة ذات يوم وهي منتقبة تميس في مشيتها فلم يعرفها كثير فاتبعها وقال يا سيدتي قفي حتى أكلمك فإني لم أر مثلك قط فمن أنت ويحك قالت ويحك وهل تركت عزة فيك بقية لأحد قال بأبي أنت والله لو أن عزة أمة لي
لوهبتها لك قالت فهل لك في المخاللة قال وكيف لي بذلك قالت أنى وكيف بما قلت في عزة قال أقلبه فأحوله إليك فسفرت عن وجهها ثم قالت أغدرا يا فاسق وإنك لهكذا فأبلس ولم ينطق وبهت فلما مضت أنشأ يقول
(ألاَ ليتني قبل الذي قلتُ شِيبَ لي ... من السمّ جَدْحاتٌ بماء الذَّرَارِحِ)
(فمتُّ ولم تعلم عليَّ خيانة ... وكم طالبٍ للربح ليس برابح)
(أبوءُ بذنبي إنني قد ظلمتُها ... وإني بباقي سِرِّها غيرُ بائح)
عتاب المحبين
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني عمر بن شبة قال زعم ابن الكلبي عن أبي المقوم قال أخبرني سائب راوية كثير قال خرجت معه نريد مصر فمررنا بالماء الذي فيه عزة فإذا هي في خباء فسلمنا جميعا فقالت عزة وعليك السلام يا سائب ثم أقبلت على كثير فقالت ويحك ألا تتقي الله أرأيت قولك
(بآيةِ ما أتيتُكِ أمَّ عمروٍ ... فقمتِ لحاجتي والبيتُ خالي)
أخلوت معك في بيت أو غير بيت قط قال لم أقله ولكنني قلت
(فأُقسم لو أتيتُ البحرَ يوماً ... لأشربَ ما سقَتْني من بِلاَلِ)
(وأُقسم إنَّ حُبَّكِ أمَّ عمروٍ ... لَداءٌ عند منقطَع السُّعَال)
قالت أما هذا فنعم فأتينا عبد العزيز ثم عدنا فقال كثير عليك السلام يا عزة قالت عليك السلام يا جمل فقال كثير
صوت
(حَيّتْكَ عَزّةُ بعد الهجر فانصرفتْ ... فحَيِّ ويحكَ مَنْ حيّاك يا جملُ)
(لو كنتَ حيّيتَها ما زلتَ ذا مِقةٍ ... عندي وما مَسَّكَ الإدلاجُ والعملُ)
(ليتَ التحيّةَ كانت لي فأشكُرَها ... مكانَ يا جملُ حُيِّيتَ يا رجلُ)
ذكر يونس أن في هذه الأبيات غناء لمعبد وذكر الهشامي أن فيها لبثينة خفيف رمل بالبنصر وذكر حبش أن فيها للغريض خفيف ثقيل أول بالوسطى ولإبراهيم ثاني ثقيل بالوسطى
أخبرني عمي قال حدثني الحسن بن عليل العنزي قال حدثني علي بن محمد البرمكي قال حدثني إبراهيم بن المهدي قال قدم علي هشام بن محمد الكلبي فسألته عن العشاق يوما فحدثني قال تعشق كثير امرأة من خزاعة يقال لها أم الحويرث فنسب بها وكرهت أن يسمع بها ويفضحها كما سمع بعزة فقالت له إنك رجل فقير لا مال لك فابتغ مالا يعفي عليك ثم تعال فاخطبني كما يخطب الكرام قال
فاحلفي لي ووثقي أنك لا تتزوجين حتى أقدم عليك فحلفت ووثقت له فمدح عبد الرحمن بن إبريق الأزدي فخرج إليه فلقيته ظباء سوانح ولقي غرابا يفحص التراب بوجهه فتطير من ذلك حتى قدم على حي من لهب فقال أيكم يزجر فقالوا كلنا فمن تريد قال أعلمكم بذاك قالوا ذاك الشيخ المنحني الصلب فأتاه فقص عليه القصة فكره ذلك له وقال له قد توفيت أو تزوجت رجلا من بني عمها فأنشأ يقول
صوت
(تَيمّمتُ لِهْباً أبتغي العلمَ عندهم ... وقد رُدَّ علمُ العائفين إلى لهبِ)
(تيمّمتُ شيخاً منهمُ ذا بَجالةٍ ... بصيراً بزجر الطير منحني الصُّلْبِ)
(فقلت له ماذا ترى في سوَانحٍ ... وصوتِ غُرابٍ يفحَصِ الوجهَ بالتُّرْبِ)
(فقال جرى الطيرُ السَّنيح بِبَيْنِها ... وقال غرابٌ جَدَّ مُنْهَمِرُ السَّكْبِ)
(فإلاّ تكن ماتتْ فقد حال دونَها ... سواكَ خليلٌ باطنٌ من بني كَعْبِ)
غناه مالك من رواية يونس ولم يجنسه قال فمدح الرجل الأزدي ثم أتاه فأصاب منه خيرا كثيرا ثم قدم عليها فوجدها قد تزوجت رجلا
من بني كعب فأخذه الهلاس فكشح جنباه بالنار فلما اندمل من علته وضع يده على ظهره فإذا هو برقمتين فقال ما هذا قالوا إنه أخذك الهلاس وزعم الأطباء أنه لا علاج لك إلا الكشح بالنار فكشحت بالنار فأنشأ يقول
صوت
(عفا الله عن أمِّ الحُوَيْرِثِ ذنبَها ... علامَ تُعَنِّيني وتَكْمِي دَوَائيا)
(فلو آذنوني قبل أن يرقُموا بها ... لقلتُ لهم أمُّ الحُوَيْرث دائيا)
في هذين البيتين لمالك ثقيل أول بالوسطى ولابن سريج رمل بالبنصر كلاهما عن عمرو والهشامي وقيل إن فيهما لمعبد لحنا وقد أخبرني بهذا الخبر أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة ولم يتجاوزاه بالرواية فذكر نحو هذا وقال فيه إنه قصد ابن الأزرق بن حفص بن المغيرة المخزومي الذي كان باليمن وإنه فعل ذلك بعد موت عزة

وسائر الخبر متقارب
وأخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن إسماعيل الجعفري عن محمد بن سليمان بن فليح أو فليح بن سليمان أنا شككت عن أبيه عن جده قال جاء كثير إلى عبد الله بن جعفر وقد نحل وتغير فقال له عبد الله مالي أراك متغيرا يا أبا صخر قال هذا ما عملت بي أم الحويرث ثم ألقى قميصه فإذا به قد صار مثل القش وإذا به آثار من كي ثم أنشده
(... عفا الله عن أُمّ الحويرات ذنبَها)
الأبيات
عزة تمتحن كثيرا
أخبرني عمي قال حدثني ابن أبي قال حدثني الحزامي عمن حدثه من أهل قديد أن عزة قالت لبثينة تصدي لكثير وأطمعيه في نفسك حتى أسمع ما يجيبك به فأقبلت إليه وعزة تمشي وراءها مختفية فعرضت عليه الوصل فقاربها ثم قال
(رَمتْني على عَمْدٍ بُثَيْنَةُ بعد ما ... تولَّى شَبَابي وارْجَحَنّ شبابُها)
وذكر أبياتا أخرى سقط من الكتاب ذكرها فكشفت عزة عن وجهها فبادرها الكلام ثم قال
(ولكنَّما تَرْمِينَ نفساً مريضةً ... لِعَزّةَ منها صَفْوُها ولُبَابُها)
فضحكت ثم قالت أولى لك بها قد نجوت وانصرفتا تتضاحكان
أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري قال بكى بعض أهل كثير عليه حين نزل به الموت فقال له كثير لا تبك فكأنك بي بعد أربعين ليلة تسمع خشفة نعلي من تلك الشعبة راجعا إليكم
أخبرني الفضل بن الحباب أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثني ابن جعدبة وأبو اليقظان عن جويرية بن أسماء قال مات كثير وعكرمة مولى ابن عباس في يوم واحد فاجتمعت قريش في جنازة كثير ولم يوجد لعكرمة من يحمله
أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمر بن مصعب قال حدثني الواقدي قال حدثني خالد بن القاسم البياضي قال مات عكرمة مولى ابن عباس وكثير بن عبد الرحمن الخزاعي صاحب عزة في يوم واحد في سنة خمس ومائة فرأيتهما جميعا صلي عليهما في يوم واحد بعد الظهر في موضع الجنائز فقال الناس مات اليوم أفقه الناس وأشعر الناس
وقال ابن أبي سعد الوراق حدثني رجاء بن سهل أبو نصر الصاغاني قال حدثنا يحيى بن غيلان قال حدثني المفضل بن فضالة عن يزيد بن عروة قال مات عكرمة وكثير عزة في يوم واحد فأخرجت جنازتاهما فما علمت تخلفت امرأة بالمدينة ولا رجل عن جنازتيهما قال وقيل مات أشعر الناس وأعلم الناس قال وغلب النساء على جنازة كثير يبكينه ويذكرن عزة في ندبتهن له قال فقال أبو جعفر محمد بن علي افرجوا لي عن جنازة كثير لأرفعها قال فجعلنا ندفع عنها النساء وجعل يضربهن محمد بن علي بكمه ويقول تنحين يا صواحبات يوسف فانتدبت له امرأة منهن فقالت يابن رسول الله لقد صدقت إنا لصواحبات يوسف وقد كنا له خيرا منكم له قال فقال أبو جعفر لبعض مواليه احتفظ بها حتى تجيئني بها إذا انصرفنا قال فلما انصرف أتي بتلك المرأة كأنها شرارة النار فقال لها محمد بن علي أنت القائلة إنكن ليوسف خير منا قالت نعم تؤمنني غضبك يابن رسول الله قال أنت آمنة من غضبي فأبيني قالت نحن يا بن رسول الله دعوناه إلى اللذات من المطعم والمشرب والتمتع والتنعم وأنتم معاشر الرجال ألقيتموه في الجب وبعتموه بأبخس الأثمان وحبستموه في السجن فأينا كان عليه أحنى وبه أرأف فقال محمد لله درك ولن تغالب امرأة إلا غلبت ثم قال لها ألك بعل قالت لي من الرجال من أنا بعله قال فقال أبو جعفر صدقت مثلك من تملك بعلها ولا يملكها قال فلما انصرفت قال رجل من القوم هذه زينب بنت معيقب
نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء
صوت
(نظرتُ إليها نَظْرةً وهي عاتقٌ ... على حين أنْ شَبَّتْ وبانَ نُهودُها)
(نظرتُ إليها نظرة ما يسُرُّني ... بها حُمْرُ أنعامِ البلادِ وسُودُها)
(وكنتُ إذا ما جئتُ سُعْدَى بأرضِها ... أرى الأرضَ تُطْوَى لي ويدنو بعيدُها)
(من الخَفِراتِ البِيض وَدّ جَلِيسُها ... إذا ما انقضتْ أُحدوثةٌ لو تُعيدها)
عروضه من الطويل البيت الأول لكثير والثاني والثالث لنصيب من قصيدته التي أولها
(... لقد هجرت سعْدَى وطال صدودُها)
غنى في البيت الثاني والثالث جحدر الراعي خفيف رمل بالبنصر وغنى فيهما الهذلي رملا بالوسطى وغنى في الثالث والرابع دعامة ثقيلا أول بالبنصر
أخبرنا الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال قال عمر الوادي وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني مكين العذري قال سمعت عمر الوادي يقول بينا أنا أسير بين الروحاء والعرج إذ سمعت إنسانا يغني غناء لم أسمع قط مثله في بيتي كثير
(وكنت إذا ما جئتُ سُعْدَى بأرضها ... أرى الأرض تُطْوَى لي ويدنو بعيدُها)
(من الخَفِرات البِيض وَدّ جليسُها ... إذا ما انقضتْ أحدوثةٌ لو تُعيدها)
قال فكدت أسقط عن راحلتي طربا وقلت والله لألتمسن الوصول إلى هذا الصوت ولو بذهاب عضو من أعضائي فتيممت سمته فإذا راع في غنم فسألته إعادته علي قال نعم ولو حضرني قرى أقريكه ما أعدته ولكني أجعله قراك فربما ترنمت به وأنا غرثان فأشبع وعطشان فأروى ومستوحش فآنس وكسلان فأنشط قال فأعادهما علي حتى أخذتهما فما كان زادي حتى ولجت المدينة غيرهما
أخبار عبيد الله بن عبد الله بن طاهر
هو عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين ويكنى أبا أحمد وله محل من الأدب والتصرف في فنونه ورواية الشعر وقوله والعلم باللغة وأيام الناس وعلوم الأوائل من الفلاسفة في الموسيقى والهندسة وغير ذلك مما يجل عن الوصف ويكثر ذكره وله صنعة في الغناء حسنة متقنة عجيبة تدل على ما ذكرناه هاهنا من توصله إلى ما عجز عنه الأوائل من جمع النغم كلها في صوت واحد تتبعه هو وأتى به على فضله فيها وطلبه لها وكان المعتضد بالله رحمة الله عليه ربما كان

أراد أن يصنع في بعض الأشعار غناء وبحضرته أكابر المغنين مثل القاسم بن زرزور وأحمد بن المكي ومن دونهما مثل أحمد بن أبي العلاء وطبقتهم فيعدل عنهم إليه فيصنع فيها أحسن صنعة ويترفع عن إظهار نفسه بذلك ويومئ إلى أنه من صنعة جاريته شاجي وكانت إحدى المحسنات المبرزات المقدمات وذلك بتخريجه وتأديبه وكان بها معجبا ولها مقدما

المعتضد يتفقده بالصلات

فأخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال لما اختلت حال عبيد الله بن
عبد الله بن طاهر كان المعتضد يتفقده بالصلات الفينة بعد الفينة واتفق يوما كان فيه مصطبحا أن غني بصوت الصنعة فيه لشاجي جارية عبيد الله فكتب إليه كتابا يقسم أن يأمرها بزيارته ففعل قال فحدثني من حضر من المغنيات ذلك المجلس بعد موت المعتضد قالت دخلت إلينا وما منا إلا من يرفل في الحلي والحلل وهي في أثواب ليست كثيابنا فاحتقرناها فلما غنت احتقرنا أنفسنا ولم تزل تلك حالنا حتى صارت في أعيننا كالجبل وصرنا كلا شيء قال ولما انصرفت أمر لها المعتضد بمال وكسوة ودخلت إلى مولاها فجعل يسألها عن أمرها وما رأت مما استظرفت وسمعت مما استغربت فقالت ما استحسنت هناك شيئا ولا استغربته من غناء ولا غيره إلا عودا من عود محفور فإني استظرفته قال جحظة فما قولك فيمن يدخل دار الخلافة فلا يمد عينه لشيء يستحسنه فيها إلا عودا

قال محمد بن الحسن الكاتب وحدثني النوشجاني قال كان المعتضد إذا استحسن شعرا بعث به إلى شاجي جارية عبيد الله بن طاهر فتغني فيه قال وكانت صنعتها تسمى في عصره غناء الدار

قال محمد بن الحسن وماتت شاجي في حياة عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وكان عليلا فقال يرثيها وله فيه صنعة من خفيف الثقيل الأول بالوسطى

(يَميناً يقيناً لو بُلِيتُ بفقدها ... وبي نَبْضُ عِرْقٍ للحياة أو النُّكْس)

(لأوْشكتُ قتلَ النفسِ قبل فِراقها ... ولكنها ماتت وقد ذهبتْ نفسي)

ومن نادر صنعة عبيد الله وجيد شعره قوله وله فيه لحنان ثقيل أول وهزج والثقيل الأول أجودهما

(أنفِقْ إذا أيسرتَ غيرَ مقتّرٍ ... وأنفِقْ على ما خَيلت حين تُعْسِرُ)

(فلا الجُودُ يُفني المالَ والمالُ مقبلٌ ... ولا البخلُ يُبقي المالَ والجَدّ مُدْبِرُ)

وأشعاره كثيرة جيدة كثيرة النادر والمختار وكتابه في النغم وعلل الأغاني المسمى كتاب الآداب الرفيعة كتاب مشهور جليل الفائدة دال على فضل مؤلفه

أخبرني جحظة قال حدثني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني موسى بن هارون فيما أرى قال كنت عند عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وقد جاءه الزبير بن بكار فأعلمه أن المتوكل أو المعتز وأراه المعتز بعث إلى أخيه محمد بن عبد الله بن طاهر يأمر بإحضاره وتقليده القضاء فقال له الزبير بن بكار قد بلغت هذه السن وأتولى القضاء أو بعد ما رويت أن من ولي القضاء فقد ذبح بغير سكين فقال له فتلحق بأمير المؤمنين بسر من رأى فقال له أفعل فأمر له بمال ينفقه ويظهر يحمله ويحمل ثقله ثم قال له إن رأيت يا أبا عبد الله أن تفيدنا شيئا قبل أن نفترق قال نعم انصرفت من عمرة المحرم

فبينا أنا بأثاية العرج إذا أنا بجماعة مجتمعة فأقبلت إليهم وإذا رجل كان يقنص الظباء وقد وقع ظبي في حبالته فذبحه فانتفض في يده فضرب بقرنه صدره فنشب القرن فيه فمات وأقبلت فتاة كأنها المهاة فلما رأت زوجها ميتا شهقت ثم قالت

(يا حُسْنُ لو بَطَلٌ لكنّه أجلٌ ... على الأُثاية ما أوْدَى به البطلُ)

(يا حُسن جمَّع أحشائي وأقلقها ... وذاك يا حسن لولا غيرُه جَلَلُ)

(أضحتْ فتاةُ بني نَهْدٍ عَلاَنِيَةً ... وبعلُها بين أيدي القوم محتملُ)

قال ثم شهقت فماتت فما رأيت أعجب من الثلاثة الظبي مذبوح والرجل جريح ميت والفتاة ميتة حرى فأمر له عبيد الله بمال آخر ثم أقبل إلى أخيه محمد بن عبد الله بعد خروج الزبير فقال أما إن الذي أخذناه من الفائدة في خبر حسن وفي قولها

(... أضحت فتاةُ بني نَهْد علانيةً)

تريد ظاهرة أكثر عندي مما أعطيناه من الحباء والصلة وقد أخبرني الحسين بن علي عن الدمشقي عن الزبير بخبر حسن فقط ولم يذكر فيه من خبر عبيد الله شيئا

ومن الأصوات التي تجمع النغم العشر

صوت

وهو يجمع النغم العشر كلها على غير توال

(وإنّكِ إذ أطمعتِني منكِ بالرِّضا ... وأيأستِني من بعد ذلك بالغضبْ)

((كَمُمْكِنَةٍ من ضَرْعِها كفَّ حالبٍ ... ودافقةٍ من بعد ذلك ما حَلَبْ

عروضه من الطويل الشعر لإبراهيم بن علي بن هرمة والغناء في هذا اللحن الجامع للنغم لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر - خفيف ثقيل - أول بالوسطى في مجراها وعليها ابتدأ الصوت

وقال عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات حدثني بعض أصحابنا عن أبي نواس أنه قال شاعران قالا بيتين وضعا التشبيه فيهما في غير موضعه فلو أخذ البيت الثاني من شعر أحدهما فجعل مع بيت الآخر وأخذ بيت ذاك فجعل مع هذا لصار متفقا معنى وتشبيها فقلت له أنى ذلك فقال قول جرير للفرزدق

(فإنكَ إذ تهجو تَميماً وترتشي ... تَبَابِينَ قيس أو سُحوق العمائم)

(كمُهْريقِ ماءٍ بالفَلاةِ وغَرّه ... سرابٌ أذاعتْه رياح السَّمائِم)

وقول ابن هرمة

(وإنّي وتَرْكِي نَدَى الأكرمينَ ... وقَدْحِي بكَفَّيَّ زَنْدا شَحَاحا)

(كتاركةٍ بيضَها بالعَراء ... ومُلْبِسةٍ بيضَ أخرى جَناحا)

فلو قال جرير

(فإنك إذ تَهْجو تَميماً وتَرْتشِي ... تَبَابِينَ قَيْسٍ أو سُحُوق العمائمِ)

(كتاركةٍ بيضَها بالعَراء ... ومُلْبِسةٍ بَيْضَ أُخرى جَناحا)

لكان أشبه منه ببيته ولو قال ابن هرمة مع بيته

(وإني وتركي ندى الأكرمين ... وقدحي بكَفَّيَّ زَنْدا شَحاحا)
(كمُهريق ماءٍ بالفلاة وغَرَّه ... سرابٌ أذاعته رياح السمائم)
كان أشبه به ثم قال ولكن ابن هرمة قد تلافى ذلك بعد فقال
(وإنكِ إذا أطمعتنِي منكِ بالرضا ... وأيأستِني من بعد ذلك بالغضبْ)
(كممكنةٍ من ضرعها كفَّ حالب ... ودافقةٍ من بعد ذلك ما حلبْ)
وقد أتى عبيد الله بهذا الكلام بعينه في الآداب الرفيعة وإنما أخذه من أبي نواس على ما روي عنه
ووجدت في كتاب مؤلف في النغم غير مسمى الصانع أن من الأصوات التي تجمع النغم صوت ابن أبي مطر المكي في شعر نصيب وهو
صوت
(ألاَ أيُّها الرَّبْعُ المُقِيمُ بعُنْبُبِ ... سَقَتْكَ السَّوَاقِي من مُرَاحٍ ومَعْزَبِ)
(بذي هَيْدَبٍ أمَّا الرُّبى تحت وَدْقِه ... فَتَرْوَى وأمَّا كلُّ وادٍ فَيزْعَبُ)
عروضه من الطويل ويروى الربع الخلاء بعنبب أي الخالي وعنبب موضع ويروى سقتك الغوادي من مراد والمراد الموضع الذي يرتاد فيرعى فيه الكلأ والمراح الموضع الذي تروح إليه المواشي وتبيت فيه وفي الحديث أنه رخص في الصلاة في مراح الغنم ونهى عنها في أعطان الإبل والمعزب الموضع الذي يعزب فيه الرجل عن البيوت والمنازل وأصل العزوب البعد يقال عزب عنه رأيه وحلمه أي بعد والعزب مأخوذ من ذلك وهيدب السماء أطراف تراه في أذنابه كأنه معلق به قال أوس بن حجر
(دانٍ مُسِفٌّ فُوَيْقَ الأرضِ هَيْدَبُه ... يكاد يدفَعه مَنْ قام بالراح)
ويزعب يطفح يقال زعبه السيل إذا ملأه الشعر لنصيب يقوله في عبد العزيز بن مروان
أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني جميع بن علي النميري عن عبد الله بن عبد العزيز بن محجن بن النصيب قال الزبير وكتب إلي بذلك عبد الله بن عبد العزيز يذكره عن عوضة بنت النصيب قالت وفد أبي على عبد العزيز بن مروان بمصر فوقف على الباب فاستأذن فلم يؤذن له فأرسل إليه حاجبه فقال استنشده فإن كان شعره رديئا فاردده وإن كان جيدا فأدخله فقال نصيب قد جلبنا شيئا للأمير فإن قبله نشرناه
عليه وإلا طويناه ورجعنا به فقال عبد العزيز إن هذا لكلام رجل ذهن فأدخله فلما واجهه أنشده قصيدته التي يقول فيها
(ألاَ هلِ أتي الصقرَ بنَ مَرْوان أنّني ... أُرَدُّ لدى الأبوابِ عنه وأُحْجَبُ)
(وأنّي ثَوَيتُ اليومَ والأمسِ قبلَه ... على البابِ حتى كادتِ الشمسُ تغرُب)
(وأنّي إذا رمتُ الدخولَ تَرُدُّني ... مهابةُ قَيْسٍ والرِّتاجُ المُضَبَّبُ)
قال وكان حاجب عبد العزيز يسمى قيسا قال وتشبيب هذه القصيدة
(ألاَ أيها الرَّبْعُ المقيمُ بعُنْبُبِ ... سقتْكَ السّواقي من مُراحٍ ومَعْزَبِ)
قال فلما دخل على عبد العزيز أعجب بشعره وأوجهه وقال للفرزدق كيف تسمع هذا الشعر قال حسن إلا من لغته قال هذا والله أشعر منك قال وقال نصيب فيها أيضا
(وأهلي بأرضٍ نازحون وما لهَمْ ... بها كاسبٌ غيري ولا مُتَقَلَّبُ)
(فهل تُلْحِقَنِّيهِمْ بعَيْلٍ مُواشِكٍ ... على الأينِ من نُجْبِ ابنِ مَرْوانَ أصْهَبِ)
(أبو بَكَراتٍ إن أردتُ افتحالَه ... وذو ثَبَاتٍ بالرَّدِيفَيْن مُتْعَبُ)
فقال له عبد العزيز ادخل على المهاري فخذ منها ما شئت فلو كنت سألت غيره لأعطيته فدخل فرده الجمال فقال عبد العزيز دعه فإنما يأخذ الذي نعت فأخذه
قال الزبير وحدثني بعض أصحابنا عن محمد بن عبد العزيز قال
نزل عبد العزيز بن عبد الوهاب على المهدي بعنبب من وادي السراة الذي عنى نصيب بقوله
(... ألاَ أيها الرَّبْعُ الخَلاءُ بعُنْبُبِ)
والمهدي هو الذي يقول فيه الشاعر
(اِسلمي يا دارُ من هِنْدٍ ... بالسُّوَيْقاتِ إلى المَهْدِي)
صوت
وهو يجمع من النغم ثمانيا
(يا مَنْ لِقَلْبٍ مُقْصِرِ ... ترك المُنَى لِفَواتها)
(وتظلُّف النفس التي ... قد كان من حاجاتها)
(وطِلاَبُكَ الحاجاتِ مِنْ ... سَلْمَى ومِنْ جاراتها)
(كَتَطَرُّد العَنْس الذَّمُولِ ... الفَضْلَ من مَثْنَاتِها)
قوله يا من لقلب مقصر تأسف على شبابه ويدل على ذلك قوله
(وتظلُّف النفس التي ... قد كان من حاجاتها)
يقال أظلف نفسك عن كذا أي امنعها منه لئلا يكون لها أثر فيه وهو مأخوذ من ظلف الأرض وهو المكان الذي لا أثر فيه قال عوف بن الأحوص
(ألم أظْلِفْ عن الشعراء عِرْضِي ... كما ظُلِفَ الوَسِيقةُ بالكُرَاع)
الوسيقة الجماعة من الإبل يعني أنها تساق فلا يوجد لها أثر في الكراع وهو منقطع الجبل قال الشاعر
(أمستْ كُرَاعُ الغَمِيمِ مُوحِشةً ... بعد الذي قد خلا من العَجَبِ)
وقوله
(كَتَطرُّدِ العَنْس الذَّمُولِ ... الفضلَ من مَثْنَاتها)
يقول طلابك هذه الحاجات ضلال وتتابع كتطرد العنس وهي الناقة المذكرة الخلق الفضل من مثناتها والتطرد التتبع ومثله قول الشاعر
(خَبَطتُ الصِّبَا خَبْطَ البعير خِطَامَهُ ... فلم أنْتَهِ للشَّيْبِ حتى عَلاَنِيَا)
الشعر لمسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس والغناء لابن محرز ثاني ثقيل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق

وهذا الصوت يجمع من النغم ثمانيا وكذلك ذكر إسحاق ووصف أنه لم يجمع شيء من الغناء قديمه وحديثه إلى عصره من النغم ما جمعه هذا الصوت ووصف أنه لو تلطف متلطف لأن يجمع النغم الشعر في صوت واحد لأمكنه ذلك بعد أن يكون فهما بالصناعة طويل المعاناة لها وبعد أن يتعب نفسه في ذلك حتى يصح له فلم يقدر على ذلك سوى عبيد الله بن عبد الله إلى وقتنا هذا

ذكر مسافر ونسبه

مسافر بن أبي عمرو بن أمية ويكنى أبا أمية وقد تقدم نسبه وأنساب أهله وأمه آمنة بنت أبان بن كليب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وهي أم أبي معيط أبان بن عمرو بن أمية وأبو معيط ومسافر أخوان لأب وأم وهما أخوا عمومتهما أبي العاصي وأخويه من بني أمية الذين أمهم آمنة لأن أبا عمرو تزوجها بعد أبيه وكان سيدا جوادا وهو أحد أزواد الركب وإنما سموا بذلك لأنهم كانوا لا يدعون غريبا ولا مار طريق ولا محتاجا يجتاز بهم إلا أنزلوه وتكفلوا به حتى يظعن

وهو أحد شعراء قريش وكان يناقض عمارة بن الوليد الذي أمر النجاشي السواحر فسحرته فمن ذلك قول عمارة

(خُلِق البِيضُ الحِسانُ لنا ... وجِيادُ الرَّيْطِ والأُزُرُ)

(كابِراً كَنّا أحقَّ به ... حين صِيغَ الشمسُ والقمرُ)

وقال مسافر يرد عليه

(أعُمارَ بنَ الوليد وقد ... يذكر الشَّاعِرُ مَنْ ذَكَرَهْ)

(هلْ أخو كأسٍ مُحَقِّقُها ... ومُوَقٍّ صحبِه سَكَرَهْ)

(ومُحَيِّيهمْ إذا شربوا ... ومُقِلٌّ فِيهمُ هَذَرَهْ)

(خُلِق البِيضُ الحِسانُ لنا ... وجِيادُ الرَّيْطِ والحِبَرَهْ)

(كابِراً كَنّا أحقَّ به ... كلُّ حَيٍّ تابعٌ أثَرَهْ)

مسافر وهند بنت عتبة

وله شعر ليس بالكثير والأبيات التي فيها الغناء يقولها في هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وكان يهواها فخطبها إلى أبيها بعد فراقها الفاكه بن المغيرة فلم ترض ثروته وماله فوفد على النعمان يستعينه على أمره ثم عاد فكان أول من لقيه أبو سفيان فأعلمه بتزويجه من هند فأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني ابن أبي سلمة عن هشام قال ابن عمار وقد حدثناه ابن أبي سعد عن علي بن الصباح عن هشام قال ابن عمار وحدثنيه علي بن محمد بن سليمان النوفلي عن أبيه دخل حديث بعضهم في بعض

أن مسافر بن أبي عمرو بن أمية كان من فتيان قريش جمالا وشعرا وسخاء قالوا فعشق هندا بنت عتبة بن ربيعة وعشقته فاتهم بها وحملت منه قال بعض الرواة فقال معروف بن خربوذ فلما بان حملها أو كاد قالت

له اخرج فخرج حتى أتى الحيرة فأتى عمرو بن هند فكان ينادمه وأقبل أبو سفيان بن حرب إلى الحيرة في بعض ما كان يأتيها فلقي مسافرا فسأله عن حال قريش والناس فأخبره وقال له فيما يقول وتزوجت هندا بنت عتبة فدخله من ذلك ما اعتل معه حتى استسقى بطنه قال ابن خربوذ فقال مسافر في ذلك

(ألاَ إنّ هنداً أصبحتْ منك مَحْرَما ... وأصبحتَ من أدنى حُمُوَّتِها حَمَا)

(وأصبحتَ كالمقمور جَفْنَ سلاحه ... يقلِّب بالكَفَّيْنِ قوساً وأَسْهُمَا)

فدعا له عمرو بن هند الأطباء فقالوا لا دواء له إلا الكي فقال له ما ترى قال افعل فدعا له الذي يعالجه فأحمى مكاويه فلما صارت كالنار قال ادع أقواما يمسكونه فقال لهم مسافر لست أحتاج إلى ذلك فجعل يضع المكاوي عليه فلما رأى صبره ضرط الطبيب فقال مسافر

(... قد يَضْرطُ العَيْرُ والمِكواةُ في النار)

فجرت مثلا فلم يزده إلا ثقلا فخرج يريد مكة فلما انتهى إلى موضع يقال له هبالة مات فدفن بها ونعي إلى قريش فقال أبو طالب بن عبد المطلب يرثيه

(ليتَ شِعْرِي مُسَافِرَ بنَ أبي عمرو ... ولَيْتٌ يقولها المحزونُ)

(رجَع الركبُ سالمين جميعاً ... وخليلي في مَرْمَسٍ مدفونُ)

(بُورِكَ الميّتُ الغريبُ كما بورك ... نَضْرُ الرَّيْحان والزيتونُ)

(بيتُ صِدْقٍ على هُبَالَةَ قد حالت ... فيافٍ من دونه وحُزونُ)

(مِدْرَهٌ يدفع الخصومَ بأيْدٍ ... وبوجهٍ يَزِينُه العِرْنِينُ)

صوت

(كَمْ خليلٍ رُزِئتُه وابن عَمٍّ ... وحَميمٍ قضتْ عليه المَنُونُ)

(فتعزَّيتُ بالتأسِّي وبالصبر ... وإنّي بصاحبي لضنينُ)

غنى في هذين البيتين يحيى المكي ثاني ثقيل بالوسطى من رواية ابنه والهشامي

وأنشدنا الحرمي قال أنشدنا الزبير لأبي طالب بن عبد المطلب في مسافر بن أبي عمرو

(ألاَ إنّ خيرَ الناسِ غيرَ مُدَافَعٍ ... بسَرْوِ سُحَيْمٍ غيَّبتْه المقابِرُ)

(تُبَكِّي أباها أُمُّ وَهْبٍ وقد نأى ... وريسانُ أمسى دونه ويُحَابِرُ)

(على خير حافٍ من مَعَدٍّ وناعلٍ ... إذا الخيرُ يُرْجَى أو إذا الشرُّ حاضرُ)

(تَنادَوْا ولا أبو أُمَيّة فيهمُ ... لقد بَلَغتْ كَظَّ النفوسِ الحناجرُ)

قال وقال النوفلي إن البيتين

(... ألاَ إنّ هنداً أصبحتْ منك مَحْرَما)

والذي بعده لهشام بن المغيرة وكانت عنده أسماء بنت مخرمة النهشلية فولدت له أبا جهل وأخاه الحارث ثم غضب عليها فجعلها مثل ظهر أمه وكان أول ظهار كان فجعلته قريش طلاقا فأرادت أسماء الانصراف إلى أهلها فقال لها هشام وأين الموعد قالت الموسم فقال لها ابناها أقيمي معنا فأقامت معهما فقال المغيرة بن عبد الله وهو أبو زوجها أما والله لأزوجنك غلاما ليس بدون هشام فزوجها أبا ربيعة ولده الآخر فولدت له عياشا وعبد الله فذلك قول هشام

(تُحَدِّثنا أسماءُ أن سوف نَلْتقِي ... أحاديث طَسْمٍ إنما أنت حالمُ)

وقوله

(ألاَ أصبحتْ أسماءُ حَجراً مُحَرَّما ... وأصبحتَ من أدنى حُمُوَّتها حَمَا)
قال النوفلي في خبره وحدثني أبي أنه إنما كان مسافر خرج إلى النعمان بن المنذر يتعرض لإصابة مال ينكح به هندا فأكرمه النعمان واستظرفه ونادمه وضرب عليه قبة من أدم حمراء وكان الملك إذا فعل ذلك
برجل عرف قدره منه ومكانه عنده وقدم أبو سفيان بن حرب في بعض تجاراته فسأله مسافر عن حال الناس بمكة فذكر له أنه تزوج هندا فاضطرب مسافر حتى مات وقال بعض الناس إنه استسقى بطنه فكوي فمات بهذا السبب قال النوفلي فهو أحد من قتله العشق
هند والفاكه بن المغيرة
فأما خبر هند وطلاق الفاكه بن المغيرة إياها فأخبرني به أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني ابن أبي سعد قال حدثني أبو السكين زكريا بن يحيى ابن عمرو بن حصن بن حميد بن حارثة الطائي قال حدثني عمي زحر بن حصن عن جده حميد بن حارثة قال كانت هند بنت عتبة عند الفاكه بن المغيرة وكان الفاكه من فتيان قريش وكان له بيت للضيافة بارز من البيوت يغشاه الناس من غير إذن فخلا البيت ذات يوم فاضطجع هو وهند فيه ثم نهض لبعض حاجته وأقبل رجل ممن كان يغشى البيت فولجه فلما رآها رجع هاربا وأبصره الفاكه فأقبل إليها فضربها برجله وقال من هذا الذي خرج من عندك قالت ما رأيت أحدا ولا انتبهت حتى أنبهتني فقال لها ارجعي إلى أمك وتكلم الناس فيها وقال لها أبوها يا بنية إن الناس قد أكثروا فيك فأنبئيني نبأك فإن يكن الرجل عليك صادقا دسست عليه من يقتله فتنقطع عنك المقالة وإن يك كاذبا حاكمته إلى بعض كهان اليمن فقالت لا والله ما هو علي بصادق فقال له يا فاكه إنك قد رميت بنتي بأمر عظيم فحاكمني إلى بعض كهان اليمن فخرج الفاكه في جماعة من بني مخزوم وخرج عتبة في جماعة من عبد مناف ومعهم هند ونسوة فلما شارفوا البلاد وقالوا غدا نرد على الرجل تنكرت حال هند فقال لها عتبة إني أرى ما حل بك من تنكر الحال وما ذاك إلا لمكروه عندك قالت لا والله يا أبتاه ما ذاك لمكروه ولكني أعرف أنكم تأتون بشرا يخطئ ويصيب ولا آمنه أن يسمني ميسما يكون علي سبة
فقال لها إني سوف أختبره لك فصفر بفرسه حتى أدلى ثم أدخل في إحليله حبة بر وأوكأ عليها بسير فلما أصبحوا قدموا على الرجل فأكرمهم ونحر لهم فلما قعدوا قال له عتبة جئناك في أمر وقد خبأت لك خبئا أختبرك به فانظر ما هو قال ثمرة في كمرة قال إني أريد أبين من هذا قال حبة بر في إحليل مهر قال صدقت انظر في أمر هؤلاء النسوة فجعل يدنو من إحداهن فيضرب بيده على كتفها ويقول انهضي حتى دنا من هند فقال لها انهضي غير رسحاء ولا زانية ولتلدن ملكا يقال له معاوية فنهض إلينا الفاكه فأخذ بيدها فنثرت يدها من يده وقالت إليك عني فوالله لأحرص أن يكون ذلك من غيرك فتزوجها أبو سفيان
وقد قيل إن بيتي مسافر بن أبي عمرو أعني
(... ألاَ إنّ هنداً أصبحت منك محرما)
لابن عجلان
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني عبد الله بن علي بن الحسن عن أبي نصر عن الأصمعي عن عبد الله بن أبي سلمة عن أيوب عن ابن سيرين قال
خرج عبد الله بن العجلان في الجاهلية فقال
(ألا إنّ هنداً أصبحت منكِ مَحْرَما ... وأصبحتَ من أدنى حُمُوَّتِها حَمَا)
(فأصبحتَ كالمقمور جَفْنَ سلاحِه ... يُقَلِّب بالكَفَّين قوساً وأَسْهُما)
ثم مد بهما صوته فمات قال ابن سيرين فما سمعت أن أحدا مات عشقا غير هذا ومما يغنى فيه من شعر مسافر بن أبي عمرو وهو من جيد شعره قوله يفتخر
صوت
(ألم نَسقِ الحَجِيجَ ونَنْحَر ... المِذْلاقةَ الرُّفُدا)
(وزمزمُ من أرومتنا ... ونفقأ عينَ مَنْ حَسَدا)
(وإنّ مناقبَ الخيرات ... لم نُسبَق بها عَدَدَا)
(فإنْ نَهْلِكْ فلم نملك ... وهل من خالدٍ خَلَدا)
غناه ابن سريج رملا بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق وفيه لسائب خاثر لحن من خفيف الثقيل الأول بالوسطى من رواية حماد وفيه للزف ثقيل بالوسطى
فأما خبر عمارة بن الوليد والسبب الذي من أجله أمر النجاشي السواحر فسحرته
فإن الواقدي ذكره عن عبد الله بن جعفر بن أبي عون قال
كان عمارة بن الوليد المخزومي بعد ما مشت قريش بعمارة إلى أبي طالب خرج هو وعمرو بن العاص بن وائل السهمي وكانا كلاهما تاجرين إلى النجاشي وكانت أرض الحبشة لقريش متجرا ووجها وكلاهما مشرك شاعر فاتك وهما في جاهليتهما وكان عمارة معجبا بالنساء صاحب محادثة فركبا في السفينة ليالي فأصابا من خمر معهما فلما انتشى عمارة قال لامرأة عمرو بن العاص قبليني فقال لها عمرو قبلي ابن عمك فقبلته وحذر عمرو على زوجته فرصدها ورصدته فجعل إذا شرب معه أقل عمرو من الشراب وأرق لنفسه بالماء مخافة أن يسكر فيغلبه عمارة على أهله وجعل عمارة يراودها على نفسها فامتنعت منه ثم إن عمرا جلس إلى ناحية السفينة يبول فدفعه عمارة في البحر فلما وقع فيه سبح حتى أخذ بالقلس فارتفع فظهر على السفينة فقال له عمارة أما والله لو علمت يا عمرو أنك تحسن السباحة ما فعلت فاضطغنها عمرو وعلم أنه أراد قتله فمضيا على وجههما
ذلك حتى قدما أرض الحبشة ونزلاها وكتب عمرو بن العاص إلى أبيه العاص أن اخلعني وتبرأ من جريرتي إلى بني المغيرة وجميع بني مخزوم وذلك أنه خشي على أبيه أن يتبع بجريرته وهو يرصد لعمارة ما يرصد فلما ورد الكتاب على العاص بن وائل مشى في رجال من قومه منهم نبيه ومنبه ابنا الحجاج إلى بني المغيرة وغيرهم من بني مخزوم فقال إن هذين الرجلين قد خرجا حيث علمتم وكلاهما فاتك صاحب شر وهما غير مأمونين على أنفسهما ولا ندري ما يكون وإني أبرأ إليكما من عمرو ومن جريرته وقد خلعته فقالت بنو المغيرة وبنو مخزوم أنت تخاف عمرا على عمارة وقد خلعنا نحن عمارة وتبرأنا إليك من جريرته فخل بين الرجلين فقال السهميون قد قبلنا فابعثوا مناديا بمكة أنا قد خلعناهما وتبرأ كل قوم من صاحبهم ومما جر عليهم فبعثوا مناديا ينادي بمكة بذلك فقال الأسود بن المطلب بطل والله دم عمارة بن

الوليد آخر الدهر فلما اطمأنا بأرض الحبشة لم يلبث عمارة أن دب لامرأة النجاشي فأدخلته فاختلف إليها فجعل إذا رجع من مدخله يخبر عمرو بن العاص بما كان من أمره فجعل عمرو يقول ما أصدقك أنك قدرت على هذا الشأن إن المرأة أرفع من ذلك فلما أكثر على عمرو مما كان يخبره وقد كان صدقه ولكن أحب التثبت وكان عمارة يغيب عنه حتى يأتيه في السحر وكان في منزل واحد معه وجعل عمارة يدعوه إلى أن يشرب معه فيأبى عمرو ويقول إن هذا يشغلك عن مدخلك وكان عمرو يريد أن يأتيه بشيء لا يستطيع دفعه إن هو رفعه إلى النجاشي فال له في بعض ما يذكر له من أمرها إن كنت صادقا فقل لها
تدهنك من دهن النجاشي الذي لا يدهن به غيره فإني أعرفه لو أتيتني به لصدقتك ففعل عمارة فجاء بقارورة من دهنه فلما شمه عرفه فقال له عمرو عند ذلك أنت صادق لقد أصبت شيئا ما أصاب أحد مثله قط من العرب ونلت من امرأة الملك شيئا ما سمعنا بمثل هذا وكانوا أهل جاهلية ثم سكت عنه حتى إذا اطمأن دخل على النجاشي فقال أيها الملك إن ابن عمي سفيه وقد خشيت أن يعرني عندك أمره وقد أردت أن أعلمك شأنه ولم أفعل حتى استثبت أنه قد دخل على بعض نسائك فأكثر وهذا من دهنك قد أعطيه دهني منه فلما شم النجاشي الدهن قال صدقت هذا دهني الذي لا يكون إلا عند نسائي ثم دعا بعمارة ودعا بالسواحر فجردوه من ثيابه فنفخن في إحليله ثم خلى سبيله فخرج هاربا فلم يزل بأرض الحبشة حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب فخرج إليه عبد الله بن أبي ربيعة وكان اسمه قبل أن يسلم بحيرا فسماه رسول الله فرصده على ماء بأرض الحبشة وكان يرده مع الوحش فورد فلما وجد ريح الإنس هرب حتى إذا أجهده العطش ورد فشرب حتى تملأ وخرجوا في طلبه فقال عبد الله بن أبي ربيعة فسعيت إليه فالتزمته فجعل يقول لي يا بحير أرسلني يا بحير أرسلني إني أموت إن أمسكتموني قال عبد الله وضغطته فمات في يدي مكانه فواراه ثم انصرف وكان شعره قد غطى على كل شيء منه
قال الواقدي عن ابن أبي الزناد وقال عمرو لعمارة يا فائد إن كنت تحب أن أصدقك بهذا أو أقبله منك فأتني بثوبين أصفرين فلما رأى النجاشي الثوبين قال له عمرو أتعرف الثوبين قال نعم
وقال الواقدي عن ابن أبي الزناد عن أبيه قال النجاشي لعمارة إني أكره أن أقتل قرشيا ولو قتلت قرشيا لقتلتك فدعا بالسواحر

شعر عمرو بن العاص في عمارة

فقال عمرو بن العاص يذكر عمارة وما صنع به قال الواقدي أخبرني ابن أبي الزناد أنه سمع ذلك من ابن ابنه عمرو بن شعيب بن عبد الله بن عمرو يذكره لحده
(تَعَلَّمْ عُمَارُ أنّ من شرِّ شِيمةٍ ... لمثلِكَ أن يُدْعَى ابنُ عَمٍّ له ابْنَمَا)
(وإنْ كنتَ ذا بُرْدَيْن أحْوَى مُرَجَّلاً ... فلستَ براعٍ لابن عمِّك مَحْرَمَا)
(إذا المرءُ لم يترك طعاماً يُحِبُّه ... ولم يَنْهَ قلباً غاوياً حيث يَمَّمَا)
(قضَى وَطَراً منه يسيراً وأصبحتْ ... إذا ذُكِرتْ أمثالُها تملأ الفما)
(فليس الفتى ولو أتَمَّتْ عروقُه ... بذي كرمٍ إلا بأن يَتَكَرَّمَا)
(صَحِبتُ من الأمر الرفيق طريقه ... ووَلَّيتُ غَيَّ الأمر مَنْ قد تَلَوّما)
(مِن الآن فانْزِعْ عن مَطاعِمَ جَمّةٍ ... وعالِجْ أمورَ المجد لا تَتَنَدَّما)
قال إسحاق وحدثني الأصمعي أن خولة بنت ثابت أخت حسان قالت في عمارة لما سحر
(يا ليلتي لم أَنَمْ ولم أكَدِ ... أقطَعُها بالبكاء والسَّهَدِ)
(أبكي على فِتْيةٍ رُزِئتُهمُ ... كانوا جِبالي فأوهنوا عَضُدِي)
(كانوا جمالي ونُصْرتي وبهم ... أمنَع ضَيْمِي وكلَّ مُضْطَهِدِ)
(فبعدَهم أرقُب النجومَ وأُذري ... الدمعَ والحزنُ والجٌ كَبِدي)
قال الأصمعي واجتاز ابن سريج بطويس ومعه فتية من قريش وهو
يغنيهم في هذا الصوت فوقف حتى سمعه ثم أقبل عليهم فقال هذا والله سيد من غناه
هذه الأصوات التي ذكرتها الجامعة للنغم العشر والثماني النغم منها هي المشهورة المعروفة عند الرواة وفي روايات الرواة وعند المغنين
وكان عبيد الله بن عبد الله بن طاهر يراسل المعتضد بالله إذا استزار جواريه على ألسنتهن ومع ذوي الانس عنده من رسله مع أحمد بن الطيب وثابت بن قرة الطائي يذكر النغم وتفصيل مجاريها ومعانيها حتى فهم ذلك فصنع لحنا فجمع النغم الشعر في قول دريد بن الصمة
(يا ليتني فيها جَذَعْ ... أخُبُّ فيها وأضَعْ)

المكتفي يراسله في الغناء

وصنع صنعة متقنة جيدة منها ما سمعناه من المحسنين والمحسنات ومنها ما لم نسمعه يكون مبلغها نحو خمسين صوتا وقد ذكرت من ذلك ما
صلح في أغاني الخلفاء ثم صنع مثل ذلك للمكتفي بالله لرغبته في هذه الصناعة فوجدت رقعة بخطه كتب بها إلى المكتفي نسختها قال ابن إسحاق إبراهيم حين صاغ عند أبي العباس عبد الله بن طاهر بأمره لحنه في
(يومَ تُبْدِي لنا قُتَيْلةُ عن جيدٍ ... تَليعٍ تَزينه الأطواقُ)
(وشَتِيتٍ كالأُقْحُوانِ جَلاَه الطَّلُّ ... فيه عُذوبةٌ واتّساقُ)
إني نظرت مع إبراهيم وتصفحت غناء العرب كله فلم نجد في جميع غناء العرب صوتا أطول إيقاعا من
(عادَكَ الهمُّ ليلةَ الإيجافِ ... من غزالٍ مُخَضَّبِ الأطرافِ)
ولحنه خفيف ثقيل لابن محرز فإن إيقاعه ستة وخمسون دورا ثم لحن معبد
(هُرَيْرَةَ وَدِّعْها وإن لامَ لائمُ ... غداةَ غدٍ أمْ أنتَ للبَيْن واجمُ)
وهو أحد سبعته ولحنه خفيف ثقيل ودور إيقاعه ستة وخمسون دورا إلا أن صوت ابن محرز سداسي في العروض من الخفيف وصوت معبد ثماني من الطويل فصوت ابن محرز أعجب لأنه أقصر وما زلنا حتى تهيأ لنا شعر رباعي في سيدنا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه دور إيقاعه ستة
وخمسون دورا وهو يجمع من النغم العشر ثمانيا وهذا ظريف جدا بديع لم يكن مثله وأما الصوت الذي في تهنئة النوروز

فلأنفسنا عملناه إذ لم يكن لنا من يدبر مثل هذا معه غيره وقد كتبنا شعره وشعر الآخر وإيقاع كل واحد منهما خفيف ثقيل والصنعة فيهما تستظرف
(جُمِعَ الخلائفُ كلُّهم لجميع ما ... بَلغوا وأُعْطُوا في الإمام المكتفِي)
(وله الهدايا ألفُ نَوْرُوزٍ وهذا ... الشعرُ منها لحنُه لم يُعْرَفِ)
والآخر
(دولةُ المكتفِي الخليفةِ ... تُفْني مَدَى الدُّوَلْ)
(يومُ عِيدٍ ويومُ عُرْسٍ ... فما بعدَها أَمَلْ)
الصنعة في البيت الأول خاصة تدور على ستة وخمسين إيقاعا
هكذا وجدت في الرقعة بخط عبيد الله وما سمعت أحدا يغني هذين الصوتين وقد عرضتهما على غير واحد من المتقدمين ومن مغنيات القصور فما عرفهما أحد منهن وذكرتهما في الكتاب لأن شريطته توجب ذكرهما

الأرمال الثلاثة المختارة

أخبرني يحيى بن علي ومحمد بن خلف وكيع والحسين بن يحيى قالوا حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني أبي قال أبو أحمد رحمه الله وأخبرني أبي أيضا عن إسحاق وأخبرنا علي بن عبد العزيز قال حدثنا عبيد الله بن خرداذبه قال قال إسحاق أجمع العلماء بالغناء أن أحسن رمل غني رمل
(... فلم أرَ كالتَّجْمير مَنْظَرَ ناظرِ)
ثم رمل
(... أفاطمُ مَهْلاً بعضَ هذا التدلُّلِ)
ولو عاش ابن سريج حتى يسمع لحني الرمل
(... لعلَّكَ إن طالت حياتُك أن تَرَى)
لاستحيا أن يصنع بعده شيئا وفي روايتي وكيع وعلي بن يحيى ولعلم أني نعم الشاهد له

نسبة الأصوات وأخبارها

صوت

(فلم أرَ كالتّجْمير منظرَ ناظرٍ ... ولا كليالي الحجّ أَفْلَتْنَ ذا هوَى)
((فكم من قَتيلٍ ما يُباءُ به دمٌ ... ومن غَلِقٍ رهناً إذا لفَّه مِنَى
(ومن مالئٍ عينيه من شيْءِ غيره ... إذا راح نحوَ الجمرةِ البِيضُ كالدُّمَى)
(يُسحِّبْنَ أذيالَ المُروطِ باسؤقٍ ... خِدالٍ وأعجازٍ مآكِمُها روَا)
عروضه من الطويل الشعر لعمر بن أبي ربيعة والغناء لابن سريج رمل بالبنصر وقد كان علويه فيما بلغنا صنع فيه رملا وفي أفاطم مهلا خفيف رمل وفي لعلك إن طالت حياتك رملا آخر ولم يصنع شيئا وسقطت ألحانه فيها فما تكاد تعرف وهذه الأبيات يقولها عمر بن أبي ربيعة في بنت مروان بن الحكم

عمر بن أبي ربيعة وأم عمرو بنت مروان

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا ابن كناسة عن أبي بكر بن عياش قال حجت أم عمرو بنت مروان فلما قضت نسكها أتت عمر بن أبي ربيعة وقد أخفت نفسها في نساء معها فحادثته ثم انصرفت وعادت إليه منصرفها
من عرفات وقد أثبتها فقالت له لا تذكرني في شعرك وبعثت إليه بألف دينار فقبلها واشترى بها ثيابا من ثياب اليمن وطيبا فأهداه إليها فردته فقال إذا والله أنهبه الناس فيكون مشهورا فقبلته وقال فيها
(أيُّها الرائحُ المُجِدُّ ابتكارَا ... قد قضَى من تِهامةَ الأوطارَا)
(مَنْ يكن قلُبه الغداةَ خليًّا ... ففؤادي بالخَيْفِ أمْسَى مُعَارَا)
(ليت ذا الدهرَ كان حتماً علينا ... كلَّ يومين حِجَّة واعتمارَا)
قال ابن كناسة قال ابن عياش فلما وجهت منصرفة قال فيها
(فكم من قَتيلٍ ما يُباء به دمٌ ... ومن غَلِقٍ رهناً إذا لفَّه مِنَى)
قال ويروى ومن غلق رهن كأنه قال ومن رهن غلق لا يجعل من نعت الرهن كأنه جعل الإنسان غلقا وجعله رهنا كما يقال كم من عاشق مدنف ومن كلف صب
قال الزبير وحدثني مسلم بن عبد الله بن مسلم بن جندب عن أبيه قال أنشده ابن أبي عتيق فقال إن في نفس الجمل ما ليس في نفس الجمال
قال وقال عبد الله بن عمر وقد أنشده عمر بن أبي ربيعة شعره هذا يابن أخي أما اتقيت الله حيث يقول
(ليت ذا الدهرَ كان حتماً علينا ... كلَّ يومين حِجَّةً واعتمارَا)
فقال له عمر بن أبي ربيعة بأبي أنت وأمي إني وضعت ليتا حيث لا تغني

عمر بن أبي ربيعة يتوب عن التشبيب بالنساء

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه وأخبرني علي بن عبد العزيز عن عبيد الله بن عبد الله عن إسحاق وأخبرني ببعض هذا الخبر الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا مصعب بن عثمان
أن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة لم تكن له همة إلا عمر بن أبي ربيعة والأحوص فكتب إلى عامله على المدينة قد عرفت عمر والأحوص بالخبث والشر فإذا أتاك كتابي هذا فاشددهما واحملهما إلي فلما أتاه الكتاب حملهما إليه فأقبل على عمر فقال له هيه
(فلم أر كالتَّجْمِير منظرَ ناظرٍ ... ولا كليالي الحجّ أَفْلَتْنَ ذا هوَى)
(وكم مالئٍ عينيه من شيءِ غيره ... إذا راح نحوَ الجمرةِ البِيضُ كالدُّمَى)
فإذا لم يفلت الناس منك في هذه الأيام فمتى يفلتون أما والله لو اهتممت بأمر حجك لم تنظر إلى شيء غيرك ثم أمر بنفيه فقال يا أمير المؤمنين أو خير من ذلك قال وما هو قال أعاهد الله ألا أعود إلى مثل هذا الشعر ولا أذكر النساء في شعر أبدا وأجدد توبة على يديك قال أو تفعل قال نعم فعاهد الله على توبة وخلاه ثم دعا بالأحوص فقال هيه
(اللهُ بيني وبين قَيِّمِها ... يهرُب منِّي بها وأَتَّبِعُ)

بل الله بين قيمها وبينك ثم أمر بنفيه إلى بيش وقيل إلى دهلك وهو الصحيح فنفي إليها فم يزل بها فرحل إلى عمر عدة من الأنصار فكلموه في أمره وسألوه أن يقدمه وقالوا له قد عرفت نسبه وقدمه وموضعه وقد
أخرج إلى بلاد الشرك فنطلب إليك أن ترده إلى حرم رسول الله ودار قومه فقال لهم عمر من الذي يقول
(فما هو إلا أن أراها فُجَاءةً ... فأبْهَتَ حتى ما أكاد أُحير)
وفي رواية الزبير أجيب مكان أحير قالوا الأحوص قال فمن الذي يقول
(أدورُ ولولا أنْ أرى أُمَّ جَعْفَرٍ ... بأبياتكم ما دُرْتُ حيث أدورُ)
(وما كنتُ زَوّاراً ولكنّ ذا الهوى ... إذا لم يَزُرْ لا بدّ أن سيزور)
قالوا الأحوص قال فمن الذي يقول
(كأنّ لُبْنَى صَبِيرُ غاديةٍ ... أو دُمْيةٌ زُيِّنت بها البِيَعُ)
(اللهُ بيني وبين قَيِّمِها ... يهرُب منّي بها وأتّبِعُ)
قالوا الأحوص قال إن الفاسق عنها يومئذ لمشغول والله لا أرده ما كان لي سلطان فمكث هناك بعد ولاية عمر صدرا من ولاية يزيد بن عبد الملك ثم خلاه قال وكتب إلى عمر بن عبد العزيز من موضعه قال الزبير أنشدنيها عبد الملك بن عبد العزيز ابن بنت الماجشون قال أنشدنيها يوسف ابن الماجشون يعني هذه الأبيات
(أيا راكباً إمّا عَرَضتَ فبلِّغنْ ... هُديِتَ أميرَ المؤمنين رسائلي)
(وقُلْ لأبي حفصٍ إذا ما لَقِيتَه ... لقد كنتَ نفّاعاً قليلَ الغوائلِ)
(أفِي اللهِ أن تُدْنُوا ابنَ حزمٍ وتقطَعوا ... قُوَى حُرُماتٍ بيننا ووَصَائل)
(فكيف ترى للعيش طِيباً ولَذّةً ... وخالُك أمسى مُوثَقاً في الحبائل)
(وما طمِع الحَزْمِيُّ في الجاه قبلها ... إلى أحدٍ من آل مَرْوان عادِلِ)
(وشَى وأطاعوه بنا وأعانَه ... على أمرِنا مَنْ ليس عنّا بغافلِ)
(وكنتُ أرى أنّ القرابة لم تَدَعْ ... ولا الحُرُماتِ في العصور الأوائل)
(إلى أحدٍ من آل مَرْوان ذي حِجىً ... بأمرٍ كرهناه مقالاً لقائل)
(يسرّ بما أنْهى العدوُّ وإنه ... كنافلةٍ لي من خِيار النوافل)
(فهل يَنْقُصَنّي القوم أن كنتُ مُسْلِماً ... بريئاً بلائي في ليالٍ قلائل)
(ألاَ ربَّ مسرورٍ بنا سيَغيظه ... لدى غِبِّ أمرٍ عضُّه بالأنامل)
(رَجَا الصُّلْحَ منّي آلُ حَزْمِ بن فَرْتَنى ... على دِينهم جهلاً ولستُ بفاعل)
(ألاَ قد يُرجُّون الهوانَ فإنهم ... بنو حَبَقٍ ناء عن الخير فائل)
(على حين حَلّ القول بي وتنظّرت ... عقوبتَهم منّي رؤوس القبائل)
(فمَنْ يكُ أمْسَى سائلاً بشماتةٍ ... بما حلَّ بي أو شامتاً غيرَ سائل)
(فقد عجمتْ منّي العواجمُ ماجداً ... صبوراً على عضَّات تلك التلاتل)
(إذا نال لم يَفْرَحْ وليس لنَكْبةٍ ... إذا حدثتْ بالخاضع المتضائل)
قال الزبير وقال الأحوص أيضا
(هَلِ انتَ أميرَ المؤمنين فإنّني ... بودِّك من ودِّ العِباد لقانعُ)
(متمِّمُ أجرٍ قد مضى وصنيعةٍ ... لكم عندنا أو ما تُعَدّ الصنائعُ)
(فكم من عدوٍّ سائل ذي كَشَاحَةٍ ... ومنتظرٍ بالغيب ما أنت صانعُ)
فلم يغن عنه ذلك ولم يخل سبيله عمر حتى ولي يزيد بن عبد الملك فأقدمه وقد غنته حبابة بصوت في شعره
أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال قال هشام بن حسان كان السبب في رد يزيد بن عبد الملك الأحوص أن جميلة غنته يوما
(كريمُ قريشٍ حين يُنْسَبُ والّذي ... أقرّتْ له بالملك كَهْلاً وأمرَدا)
فطرب يزيد وقال ويحك من كريم قريش هذا قالت أنت يا أمير المؤمنين ومن عسى أن يكون ذلك غيرك قال ومن قائل هذا الشعر في قالت الأحوص وهو منفي فكتب برده وحمله إليه وأنفذ إليه صلات سنية فلما قدم إليه أدناه وقربه وأكرمه وقال له يوما في مجلس حافل والله لو لم تمت الينا بحق ولا صهر ولا رحم إلا بقولك
(وإني لأستحييكُم أن يقودَني ... إلى غيركم من سائر الناس مَطْمَعُ)
لكفاك ذلك عندنا قال ولم يزل ينادمه وينافس به حتى مات وأخبار الأحوص في هذا السبب وغيره قد مضت مشروحة في أول ما مضى من ذكره وأخباره لأن الغرض هاهنا ذكر بقية خبره مع عمر بن أبي ربيعة في الشعرين اللذين أنكرهما عليهما عمر بن عبد العزيز وأشخصا من أجلهما

سليمان بن عبد الملك ينفي عمر بن أبي ربيعة إلى الطائف

أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدثنا أحمد بن زهير قال قال مصعب ابن عبد الله قال حج سليمان بن عبد الملك وهو خليفة فأرسل إلى عمر بن أبي ربيعة فقال له ألست القائل
(فكم من قتيلٍ ما يُباء به دمٌ ... ومن غَلِقٍ رهناً إذا لفَّه مِنَى)
(ومن مالئٍ عينيه من شيء غيره ... إذا راح نحوَ الجمرة البيضُ كالدُّمَى)
(يسحّبْن أذيالَ المُروط بأسؤقٍ ... خِدالٍ وأعجاز مآكمُها روَا)
(أوانسُ يسلُبن الحليمَ فؤادَه ... فيا طُولَ ما شوقٍ ويا طول مُجْتلَى)
قال نعم قال لا جرم والله لا تحضر الحج العام مع الناس فأخرجه إلى الطائف
أخبرنا الحسين بن يحيى قال قال حماد قرأت على أبي حدثني ابن الكلبي عن أبي مسكين وعن صالح بن حسان قال قدم ابن أبي عتيق إلى مكة فسمع غناء ابن سريج
(فلم أر كالتجمير مَنْظَرَ ناظرٍ ... ولا كليالي الحجِّ أفلتنَ ذا هوى)
فقال ما سمعت كاليوم قط وما كنت أحسب أن مثل هذا بمكة وأمر
له بمال وحدره معه إلى المدينة وقال لأصغرن إلى معبد نفسه ولأهدين إلى المدينة شيئا لم ير أهلها مثله حسنا وظرفا وطيب مجلس ودماثة خلق ورقة منظر ومقة عند كل أحد فقدم به المدينة وجمع بينه وبين معبد فقال لابن سريج ما تقول

فيه قال إن عاش كان مغني بلاده
وقال إسحاق وحدثني المدائني عن جرير قال قال لي أبو السائب يوما ما معك من مرقصات ابن سريج فغنيته
(... فلم أر كالتجمير منظرَ ناظر)
فقال كما أنت حتى أتحرم لهذا بركعتين
حدثني الحسين قال قال حماد قرأت على أبي وحدثني أبو عبد الله الزبيري قال كتب الوليد بن عبد الملك إلى عامل مكة أن أشخص إلي ابن سريج فورد الرسول إلى الوالي فمر في بعض طريقه على ابن سريج وهو جالس بين قرني بئر وهو يغني
(... فلم أر كالتجمير منظر ناظر)
فقال له الرسول تالله ما رأيت كاليوم قط ولا رأيت أحمق ممن يتركك ويبعث إلى غيرك فقال له ابن سريج أما والله ما هو بقدم ولا ساق ولكنه بقسم وأرزاق ثم مضى الرسول فأوصل الكتاب وبعث الوالي إلى ابن سريج فأحضره فلما رآه الرسول قال قد عجبت أن يكون المطلوب غيرك
اعجاب عبد الله بن الزبير بغناء ابن سريج
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي قال رقي عبد الله بن الزبير أبا قبيس ليلا فسمع غناء فنزل هو وأصحابه يتعجبون وقال لقد سمعت صوتا إن كان من الإنس إنه لعجب وإن كان من الجن لقد أعطوا شيئا كثيرا فاتبعوا الصوت فإذا ابن سريج يتغنى في شعر عمر
فلم أر كالتجمير منظر ناظر ...) ومن هذه الأرمال الثلاثة)
صوت
(أفاطمُ مهلاً بعضَ هذا التدلُّل ... وإن كنتِ قد أزمعتِ صرمي فأجملي)
(أغرَّكِ منِّي أنّ حبَّكِ قاتلي ... وأنّك مهما تأمري القلبَ يفعل)
الشعر لامرئ القيس والغناء في هذين البيتين من الرمل المختار لإسحاق بالبنصر وفي هذين البيتين مع أبيات أخر من هذه القصيدة ألحان شتى لجماعة نذكرها هاهنا ومن غنى فيها ثم نتبع ما يحتاج إلى ذكره منها وقد يجمع سائر ما يغنى فيه من القصيدة معه
(قِفَا نَبْكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ ... بِسقُطِ اللِّوَى بين الدَّخُول فَحوْمَل)
(فتُوضِحَ فالمِقْراةِ لم يعف رسمُها ... لِما نَسَجَتْها من جَنُوبٍ وَشمْأَل)
(أفاطمَ مَهْلاً بعضَ هذا التَّدلُّل ... وإن كنتِ قد أزمعتِ صرمِي فأجْمِلي)
(وإن كنتِ قد ساءتكِ منِّي خليقةٌ ... فسُلِّي ثيابي من ثيابك تَنْسُل)
(أغَرَّكِ منِّي أنّ حُبَّكِ قاتلي ... وأنّكِ مهما تأمري القلبَ يفعل)
((وما ذَرَفتْ عيناكِ إلاّ لتضربي ... بسهمَيْكِ في أعشار قلبٍ مُقَتَّل
(تسلَّتْ عَمَاياتُ الرجالِ عن الصِّبا ... وليس فؤادي عن هواكِ بِمُنْسَل)
(ألاَ أيّها اللَّيلُ الطويلُ ألاَ انجلِ ... بصبحٍ وما الإصباحُ فيك بأمْثَل)
(وَبيْضةِ خِدْرٍ لا يُرامُ خِباؤها ... تمتّعتُ من لهوٍ بها غيرَ مُعْجَل)
(تجاوزتُ أحراساً إليها ومَعْشَرا ... عليَّ حِراصاً لو يُسِرُّون مَقْتَلي)
(ألاَ ربَّ يومٍ صالحٍ لك منهما ... ولا سِيما يومٌ بدارةِ جُلْجُل)
(ويوم عقرتُ للعذارَى مطيَّتي ... فَواعَجبي من رَحْلِها المتحَمَّل)
(وقد أغتدي والطيرُ في وُكُناتها ... بمنْجَردٍ قَيْدِ الأوابدِ هَيْكَل)
(مِكَرٍّ مِفرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ معاً ... كجُلْمود صخرٍ حطَّه السيلُ من عَل)
(فقلت لها سِيري وأرخي زمامَه ... ولا تُبعدينا من جَناك المُعَلَّل)
عروضه من الطويل وسقط اللوى منقطعه واللوى المستدق من الرمل حيث يستدق فيخرج منه إلى اللوى والدخول وحومل وتوضح والمقراة مواضع ما بين إمرة إلى أسود العين وقال أبو عبيدة في سقط
اللوى وسقط الولد وسقط النار سقط وسقط وسقط ثلاث لغات وقال أبو زيد اللوى أرض تكون بين الحزن والرمل فصلا بينهما وقال الأصمعي قوله بين الدخول فحومل خطأ ولا يجوز إلا بواو وحومل لأنه لا يجوز أن يقال رأيت فلانا بين زيد فعمرو إنما يقال وعمرو ويقال رأيت زيدا فعمرا إذا رأى كل واحد منهما بعد صاحبه وقال غيره يجوز فحومل كما يقال مطرنا بين الكوفة فالبصرة كأنه قال من الكوفة إلى البصرة يريد أن المطر لم يتجاوز ما بين هاتين الناحيتين وليس هذا مثل بين زيد فعمرو ويعف رسمها يدرس ونسجتها ضربتها مقبلة ومدبرة فعفتها يعني أن الجنوب تعفي هذا الرسم إذا هبت وتجيء الشمال فتكشفه وقال غير أبي عبيدة المقراة ليس اسم موضع إنما هو الحوض الذي يجمع فيه الماء والرسم الأثر الذي لا شخص له ويروى لما نسجته يعني الرسم ويقال عفا يعفو عفوا وعفاء قال الشاعر
(... على آثارِ مَنْ ذهب العَفَاءُ)
يعني محو الأثر وفاطمة التي خاطبها فقال أفاطم مهلا بنت العبيد بن ثعلبة بن عامر بن عوف بن كنانة بن عوف بن عذرة وهي التي يقول فيها
(... لاَ وأبيك ابنة العامريّ)
وأزمعت صرمي يقال أزمعت وأجمعت وعزمت وكله سواء يقول إن كنت عزمت على الهجر فأجملي ويقول الأسير أجملوا في قتلي قتلة أحسن من هذه أي على رفق وجميل والصرم القطيعة والصرم المصدر يقال صرمته أصرمه صرما مفتوح إذا قطعته ومنه سيف صارم أي قاطع
ومنه الصرام ومنه الصرائم وهي القطع من الرمل تنقطع من معظمه وقوله سلي ثيابي من ثيابك كناية أي اقطعي أمري من أمرك وقوله تنسل تبن عنها ويقال للسن إذا بانت فسقطت والنصل إذا سقط نسل ينسل وهو النسيل والنسال وقال قوم الثياب القلب وقوله وما ذرفت عيناك أي ما بكيت إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل قال الأصمعي يعني أنك ما بكيت إلا لتخرقي قلبا معشرا أي مكسرا شبهه بالبرمة إذا كانت قطعا ويقال برمة أعشار قال ولم أسمع للأعشار واحدا يقول لتضربي بسهميك أي بعينيك فتجعلي قلبي مخرقا فاسدا كما يخرق الجابر أعشار البرمة فالبرمة تنجبر إذا أخرقت وأصلحت والقلب لا ينجبر قال ومثله قوله

(... رمتْك ابنةُ البكريِّ عن فرع ضالةٍ)
أي نظرت إليك فأقرحت قلبك وقال غير الأصمعي وهو قول الكوفيين إنما هذا مثل أعشار الجزور وهي تنقسم على عشرة أنصباء فضربت فيها بسهميك المعلى وله سبعة أنصباء والرقيب وله ثلاثة أنصباء فأراد أنها ذهبت بقلبه كله مقتل أي مذلل يقال بعير مقتل أي مذلل وتسلت ذهبت يقال سلوت عنه وسليت إذا طابت نفسك بتركه قال رؤبة
(... (لو أشرب السُّلْوانَ ما سَلِيتُ
والعمايات الجهالات عد الجهل عمى والصبا اللعب قال ابن السكيت صبا يصبو صبوا وصبوا وصباء وصبا انجل انكشف والأمر الجلي المنكشف وقوله أنا ابن جلا أي أنا ابن المكشوف الأمر المشهور غير المستور ومنه جلاء العروس وجلاء السيف وقوله فيك بأمثل يقول إذا جاءني الصباح وأنا فيك فليس ذلك بأمثل لأن الصبح قد يجيء والليل مظلم بعد يقول ليس الصبح بأمثل وهو فيك أي يريد أن يجيء منكشفا منجليا لا سواد فيه ولو أراد أن الصباح فيك أمثل من الليل لقال منك بأمثل ومثله قول حميد بن ثور في ذكر مجيء الصبح والليل باق
(فلما تجلَّى الصبح عنها وأبصرت ... وفي غبش الليل الشخوصُ الأباعدُ)
غبش الليل بقيته هذا قول يعقوب بن السكيت وبيضة خدر شبه المرأة بالبيضة لصفائها ورقتها غير معجل أي لم يعجلني أحد عما أريده منها والخباء ما كان على عمودين أو ثلاثة والبيت ما كان على ستة أعمدة إلى تسعة والخيمة من الشعر وقوله يسرون مقتلي قال الأصمعي يسرونه وروي غيره يشرون بالشين المعجمة أي يظهرونه وقال الشاعر
((فما برحوا حتى أتى اللهُ نصرَه ... وحتى أُشيرَتْ بالأكُفِّ الأصابع
أي أظهرت وقال غيرهما لو يسرونه من الإسرار أي لو يستطيعون قتلي لأسروه من الناس وقتلوني قال أبو عبيدة دارة جلجل في الحمى وقال ابن الكلبي هي عند عين كندة ويروى سيما مخففة وسيما مشددة ويقال رب رجل ورب رجل وربت رجل ومن القراء من يقرأ (ربما يود الذين كفروا) مخففة وقرأ عليه رجل ربما فقال له أظنك يعجبك الرب ويروى
(... فيا عجبا من رحلها المُتحَمَّل)
أي يا عجبا لسفهي وشبابي يومئذ ويروى
(... وقد أغتدى والطير في وَكَراتها)
بالراء قال أبو عبيد ة والأكنات في الجبال كالتماريد في السهل والواحدة أكنة وهي الوقنات والواحدة أقنة وقد وقن يقن وقال الأصمعي إذا أوى الطير إلى وكره قيل وكر يكر ووكن يكن ويقال إنه جاءنا والطير وكن ما خرجن والمنجرد القصير الشعرة وذلك من العتق والأوابد الوحش وتأبدت توحشت وتأبد الموضع إذا توحش وقيد الأوابد يعني الفرس يقول هو قيد لها لأنها لا تفوته كأنها مقيدة والهيكل العظيم من الخيل ومن
الشجر ومنه سمي بيت النصارى الهيكل وقال أبو عبيدة يقال قيد الأوابد وقيد الرهان وهو الذي كأن طريدته في قيد له إذا طلبها وكأن مسابقه في الرهان مقيد قال أبو عبيدة وأول من قيدها امرؤ القيس والمنجرد القصير الشعرة الصافي الأديم والهيكل الذكر والأنثى هيكلة والجمع هياكل وهو العظيم العبل الكثيف اللين وقوله مكر مفر يقول إذا شئت أن أكر عليه وجدته وكذلك إذا أردت أن أفر عليه أو أقبل أو أدبر والجلمود الصخرة ووصفها بأن السيل حطها من عل لأنها إذا كانت في أعلى الجبل كان أصلب لها من عل من فوق ويقال من عل ومن عل ومن علا ومن علو ومن عال ومن علو ومن معال وقوله سيري وأرخي زمامه أي هوني عليك الأمر ولا تبالي أعقر أم سلم وجناك كل شيء اجتنيته من قبلة وما أشبه ذلك هو الجنى وهو من الإنسان مثل الجنى من الشجر أي ما اجتني من ثمره والمعلل الملهي
غنى في قفا نبك وأفاطم مهلا وأغرك وما ذرفت عيناك معبد لحنا من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى الوسطى وغنى معبد أيضا في الأول والرابع من هذه الأبيات خفيف رمل بالوسطى وغنى سعيد بن جابر في الأربعة الأبيات رملا وغنت عريب في
(... أغرَّك مني أن حبَّك قاتلي)
وبعده شعر ليس منه وهو
(فلا تَحْرَجِي من سفك مهجة عاشقٍ ... بَلَى فاقتلي ثم اقتلي ثم فاقتلي)
(فلا تَدَعي أن تفعلي ما أردِته ... بنا ما أراكِ اللهُ من ذاك فافْعَلِي)
ولحنها فيها خفيف رمل وغنى ابن محرز في تسلت عمايات الرجال وبعده ألا أيها الليل الطويل ثاني ثقيل بالوسطى وغنى فيهما عبد الله بن العباس الربيعي ثاني ثقيل آخر بالسبابة في مجرى البنصر وغنت جميلة في تسلت عمايات الرجال وبعده ألا رب يوم لك لحنا من الثقيل الأول عن
الهشامي وغنت عزة الميلاء في تسلت عمايات الرجال وبعده ويوم عقرت للعذارى مطيتي ثقيلا أول آخر عن الهشامي وغنت حميدة جارية ابن تفاحة في وبيضة خدر وتجاوزت أحراسا لحنا من الثقيل الأول بالوسطى ولطويس في قفا نبك وبعده فتوضح فالمقراة ثقيل أول آخر وفي أفاطم مهلا وأغرك مني أن حبك قاتلي ليزيد بن الرحال هزج ولأبي عيسى بن الرشيد في وقد أغتدي ومكر مفر ثقيل أول ولفليح في قفا نبك وبعده أغرك مني رمل وقيل إن لمعبد في وبيضة خدر لحنا من الثقيل الأول وقيل هو لحن حميدة ولعريب في هذين البيتين خفيف ثقيل من رواية أبي العبيس وغنى سلام بن الغسال وقيل بل عبيدة أخوه في وإن كنت قد ساءتك مني وأغرك مني رملا بالوسطى وغنى في فقلت لها سيري وأرخي زمامه سعدويه بن نصر ثاني ثقيل وغنى في قفا نبك وبعده فتوضح فالمقراة إبراهيم الموصلي ثقيلا أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن ابن المكي وزعم حبش أن لإسحاق فيهما ثقيلا وغنى في أغرك مني وما ذرفت ابن سريج خفيف رمل بالوسطى من رواية ابن المكي وقيل بل هو من منحوله وغنى بديح مولى ابن جعفر في وما ذرفت عيناك بيتا واحدا ثقيلا أول مطلقا في مجرى الوسطى عن ابن المكي فجميع ما جمع في هذه المواضع مما وجد في شعر قفا نبك من الأغاني صحيحها والمشكوك فيه منها اثنان وعشرون لحنا منها في الثقيل الأول تسعة أصوات وفي الثقيل الثاني ثلاثة أصوات وفي الرمل أربعة أصوات وفي خفيف الرمل صوتان وفي الهزج صوت وفي خفيف الثقيل ثلاثة أصوات

ذكر امرئ القيس ونسبه وأخباره

قال الأصمعي هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن معاوية بن ثور وهو كندة وقال ابن الأعرابي هو امرؤ القيس بن حجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن ثور وهو كندة وقال محمد بن حبيب هو امرؤ القيس

بن حجر بن الحارث الملك ابن عمرو ابن حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن يعرب بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة وقال بعض الرواة هو امرؤ القيس بن السمط بن امرئ القيس بن عمرو بن معاوية بن ثور وهو كندة وقالوا جميعا كندة هو كندة بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفحشذ بن سام بن نوح وقال ابن الأعرابي ثور هو كندة بن مرتع ابن عفير بن الحارث بن مرة بن عدي بن أدد بن زيد بن عمرو بن مسمع بن عريب بن عمرو بن زيد بن كهلان
وأم امرئ القيس فاطمة بنت ربيعة بن الحارث بن زهير أخت كليب ومهلهل ابني ربيعة التغلبيين وقال من زعم أنه امرؤ القيس بن السمط أمه تملك بنت عمرو بن زبيد بن مذحج رهط عمرو بن معد يكرب قال من ذكر هذا وأن أمه تملك قد ذكر ذلك امرؤ القيس في شعره فقال
(ألاَ هل أتاها والحوادثُ جَمَّةٌ ... بأن امرأ القيس بن تَمْلِكَ بَيْقَرا)
بيقر أي جاء العراق والحضر ويقال بيقر الرجل إذا هاجر وقال يعقوب بن السكيت أم حجر أبي امرئ القيس أم قطام بنت سلمة امرأة من عنزة

الملك الضليل وذو القروح

ويكنى امرؤ القيس على ما ذكره أبو عبيدة أبا الحارث وقال غيره يكنى أبا وهب وكان يقال له الملك الضليل وقيل له أيضا ذو القروح وإياه عنى الفرزدق بقوله
(وهَب القصائدَ لي النوابغُ إذ مَضَوْا ... وأبو يزيد وذو القروح وجَرْوَلُ)
يعني بأبي يزيد المخبل السعدي وجرول الحطيئة
قال وولد ببلاد بني أسد وقال ابن حبيب كان ينزل المشقر من اليمامة ويقال بل كان ينزل في حصن بالبحرين وقال جميع من ذكرنا من الرواة إنما سمي كندة لأنه كند أباه أي عقه وسمي مرتع بذلك لأنه كان يجعل لمن أتاه من قومه مرتعا له ولماشيته وسمي حجر آكل المرار بذلك لأنه لما أتاه الخبر بأن الحارث بن جبلة كان نائما في حجر امرأته هند وهي تفليه جعل يأكل المرار وهو نبت شديد المرارة من الغيظ وهو لا يدري ويقال بل قالت هند للحارث وقد سألها ما ترين حجرا فاعلا قالت كأنك به قد أدركك في الخيل وهو كأنه بعير قد أكل المرار قال وسمي عمرو المقصور لأنه قد قصر على ملك أبيه أي أقعد فيه كرها

الحارث بن عمرو وقباذ وابنه

أخبرني بخبره على ما قد سقته ونظمته أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة ولم يتجاوزه وروى بعضه عن علي بن الصباح عن هشام بن الكلبي وأخبرنا الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد عن علي بن الصباح عن هشام بن الكلبي قال ابن أبي سعد وأخبرني دارم بن عقال بن حبيب الغساني أحد ولد السموءل بن عادياء عن أشياخه وأخبرنا إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي يوسف عن عمه إسماعيل وأضفت إلى ذلك رواية ابن الكلبي مما لم أسمعه من أحد ورواية الهيثم بن عدي ويعقوب بن السكيت والأثرم وغيرهم لما في ذلك من الاختلاف ونسبت رواية كل راو إذا خالف رواية غيره إليه قالوا كان عمرو بن حجر وهو المقصور ملكا بعد أبيه وكان أخوه معاوية وهو الجون على اليمامة وأمهما شعبة بنت أبي معاهر بن حسان بن عمرو بن تبع ولما مات ملك بعده ابنه الحارث وكان شديد الملك بعيد الصيت
ولما ملك قباذ بن فيروز خرج في أيام ملكه رجل يقال له مزدك فدعا الناس إلى الزندقة وإباحة الحرم وألا يمنع أحد منهم أخاه ما يريده من ذلك وكان المنذر بن ماء السماء يومئذ عاملا على الحيرة ونواحيها فدعاه قباذ إلى الدخول معه في ذلك فأبى فدعا الحارث بن عمرو فأجابه فشدد له ملكه وأطرد المنذر عن مملكته وغلب على ملكه وكانت أم أنو شروان بين يدي قباذ يوما فدخل عليه مزدك فلما رأى أم أنو شروان قال لقباذ ادفعها لي لأقضي حاجتي منها فقال دونكها فوثب إليه أنو شروان فلم يزل يسأله ويضرع إليه أن يهب له أمه حتى قبل رجله فتركها له فكانت تلك في نفسه فهلك قباذ على تلك الحال وملك أنو شروان فجلس في مجلس الملك وبلغ المنذر هلاك قباذ فأقبل إلى أنوشروان وقد علم خلافه على أبيه فيما كانوا دخلوا فيه فأذن أنوشروان للناس فدخل عليه مزدك ثم دخل عليه المنذر فقال أنوشروان إني كنت تمنيت أمنيتين أرجو أن يكون الله قد جمعهما لي فقال مزدك وما هما أيها الملك قال تمنيت أن أملك فأستعمل هذا الرجل الشريف يعني المنذر وأن أقتل هؤلاء الزنادقة فقال له مزدك أو تستطيع أن تقتل الناس كلهم قال إنك لها هنا يابن الزانية والله ما ذهب نتن ريح جوربك من أنفي منذ قبلت رجلك إلى يومي هذا وأمر به فقتل وصلب وأمر بقتل الزنادقة فقتل منهم ما بين جازر إلى النهروان إلى المدائن في ضحوة واحدة مائة ألف زنديق وصلبهم وسمي يومئذ أنوشروان وطلب أنوشروان الحارث بن عمرو فبلغه ذلك وهو بالأنبار وكان بها منزله
وإنما سميت الأنبار لأنه كان يكون بها أهراء الطعام وهي الأنابير فخرج هاربا في هجائنه وماله فمر بالثوية وتبعه المنذر بالخيل من تغلب وبهراء وإياد فلحق بأرض كلب فنجا وانتهبوا ماله وهجائنه وأخذت بنو تغلب ثمانية وأربعين نفسا من بني آكل المرار فقدم بهم على المنذر فضرب رقابهم بحفر الأملاك في ديار بني مرينا العباديين بين دير هند والكوفة فذلك قول عمرو بن كلثوم
(فآبُوا بالنِّهاب وبالسَّبَايَا ... وأبْنَا بالملوك مُصَفَّدينا)
وفيهم يقول امرؤ القيس
(ملوكٌ من بني حُجْر بن عمرو ... يُساقون العَشيّةَ يُقْتَلونا)
(فلو في يوم معركةٍ أصيبوا ... ولكن في ديار بني مَرِينَا)
(ولم تُغْسَلْ جماجمُهم بغُسلٍ ... ولكن في الدماء مُرَمَّلينا)
(تَظَلُّ الطيرُ عاكفةً عليهم ... وتنتزع الحواجبَ والعيونا)
قالوا ومضى الحارث فأقام بأرض كلب فكلب يزعمون أنهم قتلوه وعلماء كندة تزعم أنه خرج إلى الصيد فألظ بتيس من الظباء فأعجزه فآلى ألية ألا يأكل أولا إلا من كبده فطلبته الخيل ثلاثا فأتي بعد ثالثة وقد هلك جوعا فشوي له بطنه فتناول فلذة من كبده فأكلها حارة فمات وفي ذلك يقول الوليد بن عدي الكندي في أحد بني بجيلة
(فشوَوْا فكان شِواؤهم خَبْطاً له ... إن المنيَّة لا تُحِلّ جَلِيلا)
وزعم ابن قتيبة أن أهل اليمن يزعمون أن قباذ بن فيروز لم يملك الحارث بن عمرو وأن تبعا الأخير هو الذي ملكه قال ولما أقبل المنذر إلى الحيرة هرب الحارث وتبعته خيل فقتلت ابنه عمرا وقتلوا ابنه مالكا بهيت وصار الحارث إلى مسحلان

فقتلته كلب وزعم غير ابن قتيبة أنه مكث فيهم حتى مات حتف أنفه

الحارث بن عمرو وتمليكه أولاده على قبائل العرب

وقال الهيثم بن عدي حدثني حماد الراوية عن سعيد بن عمرو بن سعيد عن سعية بن عريض من يهود تيماء قال لما قتل الحارث بن أبي شمر
الغساني عمرو بن حجر ملك بعده ابنه الحارث بن عمرو وأمه بنت عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان ونزل الحيرة فلما تفاسدت القبائل من نزار أتاه اشرافهم فقالوا إنا في دينك ونحن نخاف أن نتفانى فيما يحدث بيننا فوجه معنا بنيك ينزلون فينا فيكفون بعضنا عن بعض ففرق ولده في قبائل العرب فملك ابنه حجرا على بني أسد وغطفان وملك ابنه شرحبيل قتيل يوم الكلاب على بكر بن وائل بأسرها وبني حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم والرباب وملك ابنه معد يكرب وهو غلفاء سمي بذلك لأنه كان يغلف رأسه على بني تغلب والنمر بن قاسط وسعد بن زيد مناة وطوائف من بني دارم بن مالك بن حنظلة والصنائع وهم بنو رقية قوم كانوا يكونون مع الملوك من شذاذ العرب وملك ابنه عبد الله على عبد القيس وملك ابنه سلمة على قيس

مقتل حجر

وقال ابن الكلبي حدثني أبي أن حجرا كان في بني أسد وكانت له عليهم إتاوة في كل سنة مؤقتة فغبر ذلك دهرا ثم بعث إليهم جابيه الذي كان يجبيهم فمنعوه ذلك وحجر يومئذ بتهامة وضربوا رسله وضرجوهم ضرجا شديدا قبيحا فبلغ ذلك حجرا فسار إليهم بجند من ربيعة وجند من جند أخيه من قيس وكنانة فأتاهم وأخذ سراتهم فجعل يقتلهم بالعصا فسموا عبيد العصا وأباح الأموال وصيرهم إلى تهامة وآلى بالله ألا يساكنوهم في بلد أبدا وحبس منهم عمرو بن مسعود بن كندة بن فزارة الأسدي وكان سيدا وعبيد بن الأبرص الشاعر فسارت بنو أسد ثلاثا ثم إن عبيد بن الأبرص قام فقال أيها الملك اسمع مقالتي

(يا عَيْنُ فابكي ما بنى ... أسدٍ فهم أهلُ النَّدَامَةْ)
(أهلَ القِبَابِ الحُمرِ والنَّعَمِ ... المؤبَّلِ والنَّدامة)
(وذوي الجيادِ الجُرْدِ ... والأَسَلِ المُثَقَّفَة المُقامه)
(حِلاًّ أبيتَ اللَّعْنَ حِلاًّ ... إنّ فيما قلتَ آمه)
(في كلِّ وادٍ بين يَثْربَ ... فالقصورِ إلى اليمامة)
(تطريبُ عانٍ أو صياح ... مُحَرَّقٍ أو صوتُ هامه)
(ومنعتَهم نجداً فقد ... حَلُّوا على وَجَلٍ تِهَامه)
(بَرِمتْ بنو أسدٍ كما ... بَرِمتْ ببيضتها الحمامة)
(جعلتْ لها عُودين من ... نَشَمٍ وآخر من ثُمَامه)
(إمّا تركتَ تركتَ عَفْواً ... أو قتلتَ فلا مَلاَمهْ)
(أنت المليكُ عليهمُ ... وهمُ العبيدُ إلى القيامه)
(ذَلُّوا لسَوْطِك مثلَ ما ... ذلّ الأُشَيْقِرِ ذو الخِزَامه)

قال فرق لهم حجر حين سمع قوله فبعث في أثرهم فأقبلوا حتى إذا كانوا على مسيرة يوم من تهامة تكهن كاهنهم وهو عوف بن ربيعة بن سوادة بن سعد بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة فقال لبني أسد يا عبادي قالوا لبيك ربنا قال من الملك الأصهب الغلاب غير المغلب في الإبل كأنها الربرب لا يعلق رأسه الصخب هذا دمه ينثعب وهذا غدا أول من يسلب قالوا من هو يا ربنا قال لولا أن تجيش نفس جاشية لأخبرتكم أنه حجر ضاحية فركبوا كل صعب وذلول فما أشرق لهم النهار حتى أتوا على عسكر حجر فهجموا على قبته وكان حجابه من بني الحارث ابن سعد يقال لهم بنو خدان بن خنثر منهم معاوية بن الحارث وشبيب ورقية
ومالك وحبيب وكان حجر قد أعتق أباهم من القتل فلما نظروا إلى القوم يريدون قتله خيموا عليه ليمنعوه ويجيروه فأقبل عليهم علباء بن الحارث الكاهلي وكان حجر قد قتل أباه فطعنه من خللهم فأصاب نساه فقتله فلما قتلوه قالت بنو أسد يا معشر كنانة وقيس أنتم إخواننا وبنو عمنا والرجل بعيد النسب منا ومنكم وقد رأيتم ما كان يصنع بكم هو وقومه فانتهبوهم فشدوا على هجائنه فمزقوها ولفوه في ريطة بيضاء وطرحوه على ظهر الطريق فلما رأته قيس وكنانة انتهبوا أسلابه ووثب عمرو بن مسعود فضم عياله وقال أنا لهم جار
قال ابن الكلبي وعدة قبائل من بني أسد يدعون قتل حجر ويقولون إن علباء كان الساعي في قتله وصاحب المشورة ولم يقتله هو
قال ابن حبيب خدان في بني أسد وخدان في بني تميم وفي بني جديلة بالخاء مفتوحة وخدان مضمومة في الأزد وليس في العرب غير هؤلاء
قال أبو عمرو الشيباني بل كان حجر لما خاف من بني أسد استجار عوير بن شجنة أحد بني عطارد بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم لبنته هند بنت حجر وعياله وقال لبني أسد لما كثروه أما إذا كان هذا شأنكم فإني مرتحل عنكم ومخليكم وشأنكم فواعدوه على ذلك ومال على خالد بن خدان أحد بني سعد بن ثعلبة فأدركه علباء بن الحارث أحد بني كاهل فقال يا خالد اقتل صاحبك لا يفلت فيعرك وإيانا بشر فامتنع خالد ومر علباء بقصدة رمح مكسورة فيها سنانها فطعن بها في خاصرة حجر وهو غافل فقتله ففي ذلك يقول الأسدي

(وقِصْدَةُ عِلْباءِ بن قَيْس بن كاهلٍ ... مَنِيَّةُ حُجْرٍ في جوار ابن خَدّان

وذكر الهيثم بن عدي أن حجرا لما استجار عوير بن شجنة لبنيه وقطينه تحول عنهم فأقام في قومه مدة وجمع لبني أسد جمعا عظيما من قومه وأقبل مدلا بمن معه من الجنود فتآمرت بنو أسد بينها وقالوا والله لئن قهركم هذا ليحكمن عليكم حكم الصبي فما خير عيش يكون بعد قهر وأنتم بحمد الله أشد العرب فموتوا كراما فساروا إلى حجر وقد ارتحل نحوهم فلقوه فاقتتلوا قتالا شديدا وكان صاحب أمرهم علباء بن الحارث فحمل على حجر فطعنه فقتله وانهزمت كندة وفيهم يومئذ امرؤ القيس فهرب على فرس له شقراء وأعجزهم وأسروا من أهل بيته رجالا وقتلوا وملؤوا أيديهم من الغنائم وأخذوا جواري حجر ونساءه وما كان معه من شيء فاقتسموه بينهم
وقال يعقوب بن السكيت حدثني خالد الكلابي قال كان سبب قتل حجر أنه كان وفد إلى أبيه الحارث بن عمرو في مرضه الذي مات فيه وأقام عنده حتى هلك ثم أقبل راجعا إلى بني أسد وقد كان أغار عليهم في النساء وأساء ولايتهم وكان

يقدم بعض ثقله أمامه ويهيأ نزله ثم يجيء وقد هيء له من ذلك ما يعجبه فينزل ويقدم مثل ذلك إلى ما بين يديه من المنازل فيضرب له في المنزلة الأخرى فلما دنا من بلاد بني أسد وقد بلغهم موت أبيه طمعوا فيه فلما أظلهم وضربت قبابه اجتمعت بنو أسد إلى نوفل بن ربيعة بن خدان فقال يا بني أسد من يتلقى هذا الرجل منكم فيقتطعه فإني قد أجمعت على الفتك به فقال له القوم ما لذلك أحد غيرك فخرج نوفل في خيله حتى أغار على الثقل فقتل من وجد فيه وساق الثقل وأصاب جاريتين قينتين لحجر ثم أقبل حتى أتى قومه فلما رأوا ما قد حدث وأتاهم
به عرفوا أن حجرا يقاتلهم وأنه لا بد من القتال فحشد الناس لذلك وبلغ حجرا أمرهم فأقبل نحوهم فلما غشيهم ناهضوه القتال وهم بين أبرقين من الرمل في بلادهم يدعيان اليوم أبرقي حجر فلم يلبثوا حجرا أن هزموا أصحابه وأسروه
فحبسوه وتشاور القوم في قتله فقال لهم كاهن من كهنتهم بعد أن حبسوه ليروا فيه رأيهم أي قوم لا تعجلوا بقتل الرجل حتى أزجر لكم فانصرف عن القوم لينظر لهم في قتله فلما رأى ذلك علباء خشي أن يتواكلوا في قتله فدعا غلاما من بني كاهل وكان ابن أخته وكان حجر قتل أباه زوج أخت علباء فقال يا بني أعندك خير فتثأر بأبيك وتنال شرف الدهر وإن قومك لن يقتلوك فلم يزل بالغلام حتى حربه ودفع اليه حديدة وقد شحذها وقال ادخل عليه مع قومك ثم اطعنه في مقتله فعمد الغلام إلى الحديدة فخبأها ثم دخل على حجر في قبته التي حبس فيها فلما رأى الغلام غفلة وثب عليه فقتله فوثب القوم على الغلام فقالت بنو كاهل ثأرنا وفي أيدينا فقال الغلام إنما ثأرت بأبي فخلوا عنه وأقبل كاهنهم المزدجر فقال أي قوم قتلتموه ملك شهر وذل دهر أما والله لا تحظون عند الملوك بعده أبدا
قال ابن السكيت ولما طعن الأسدي حجرا ولم يجهز عليه أوصى ودفع كتابه إلى رجل وقال له انطلق إلى ابني نافع وكان أكبر ولده فإن بكى وجزع فاله عنه واستقرهم واحدا واحدا حتى تأتي امرأ القيس وكان أصغرهم فأيهم لم يجزع فادفع إليه سلاحي وخيلي وقدوري ووصيتي وقد كان بين في وصيته من قتله وكيف كان خبره فانطلق الرجل بوصيته إلى نافع ابنه فأخذ التراب فوضعه على رأسه ثم استقراهم واحدا واحدا فكلهم فعل ذلك حتى أتى امرأ القيس فوجده مع نديم له يشرب الخمر ويلاعبه بالنرد فقال له قتل حجر فلم يلتفت إلى قوله وأمسك نديمه فقال له امرؤ القيس اضرب فضرب حتى إذا فرغ قال ما كنت لأفسد عليك دستك ثم سأل الرسول عن أمر أبيه كله فأخبره فقال الخمر علي والنساء حرام حتى أقتل من بني أسد مائة وأجز نواصي مائة وفي ذلك يقول
(أرقتُ ولم يأرَقْ لِمَا بيَ نافعُ ... وهاجَ لِي الشوقَ الهمومُ الروادعُ)
وقال ابن الكلبي حدثني أبي عن ابن الكاهن الأسدي أن حجرا كان طرد امرأ القيس وآلى ألا يقيم معه أنفة من قوله الشعر وكانت الملوك تأنف من ذلك فكان يسير في أحياء العرب ومعه أخلاط من شذاذ العرب من طيئ وكلب وبكر بن وائل فإذا صادف غديرا أو روضة أو موضع صيد أقام فذبح لمن معه في كل يوم وخرج إلى الصيد فتصيد ثم عاد فأكل وأكلوا معه وشرب الخمر وسقاهم وغنته قيانه ولا يزال كذلك حتى ينفد ماء ذلك الغدير ثم ينتقل عنه إلى غيره فأتاه خبر أبيه ومقتله وهو بدمون من أرض اليمن أتاه به رجل من بني عجل يقال له عامر الأعور أخو الوصاف فلما أتاه بذلك قال
((تَطَاولَ الليلُ علي دَمُّونْ ... دَمّونُ إنّا معشرٌ يمانونْ
(... وإنّنا لأهلها مُحِبُّونْ)
ثم قال ضيعني صغيرا وحملني دمه كبيرا لا صحو اليوم ولا سكر غدا اليوم خمر وغدا أمر فذهبت مثلا ثم قال
(خليليَّ لا في اليومِ مَصْحىً لشاربٍ ... ولا في غدٍ إذ ذاك ما كان يُشْرَبُ)
ثم شرب سبعا فلما صحا آلى ألا يأكل لحما ولا يشرب خمرا ولا يدهن بدهن ولا يصيب امرأة ولا يغسل رأسه من جنابة حتى يدرك بثأره فلما جنه الليل رأى برقا فقال
(أرقتُ لبرقٍ بليلٍ أهَلّْ ... يُضيءِ سَنَاه بأعلَى الجبلْ)
(أتاني حديثٌ فكذّبْتُه ... بأمر تَزَعْزَعُ منه القُلَلْ)
(بقتل بني أسَدٍ ربَّهم ... ألاَ كلُّ شيءٍ سواه جَلَلْ)
(فأين رَبيعةُ عن ربّها ... وأين تميمٌ وأين الخَوَلْ)
(ألاَ يحضُرون لدى بابه ... كما يحضُرون إذا ما أكلْ)
وروى الهيثم عن أصحابه أن امرأ القيس لما قتل أبوه كان غلاما قد ترعرع وكان في بني حنظلة مقيما لأن ظئره كانت امرأة منهم فلما بلغه ذلك قال
(يا لَهْفَ هندٍ إذ خَطِئن كاهلا ... القاتلين المَلِكَ الحُلاَحِلا)
(تاللهِ لا يذهب شيخي باطلا ... ياخيرَ شيخٍ حَسَباً ونائلا)
(وخيرَهم قد علموا فواضِلا ... يَحْمِلْننا والأسَلَ النّواهلا)
(وحيَّ صَعْبٍ والوَشِيجَ الذّابلا ... مُسْتَثْفِراتٍ بالحصى جَوافِلاَ)
يعني صعب بن علي بن بكر بن وائل معنى قوله مستثفرات بالحصى يريد أنها أثارت الحصى بحوافرها لشدة جريها حتى ارتفع إلى أثفارها فكأنها استثفرت به
خبر هند بنت حجر مع عوير بن شجنة
وقال الهيثم بن عدي لما قتل حجر انحازت بنته وقطينه إلى عوير بن شجنة فقال له قومه كل أموالهم فإنهم مأكولون فأبى فلما كان الليل حمل هندا وقطينها وأخذ بخطام جملها وأشأم بهم في ليلة طخياء مدلهمة فلما أضاء البرق أبدى عن ساقيه وكانتا حمشتين فقالت هند ما رأيت كالليلة ساقي واف فسمعها فقال يا هند هما ساقا غادر شر فرمى بها النجاد حتى أطلعها نجران وقال لها إني لست أغني عنك شيئا وراء هذا الموضع وهؤلاء قومك وقد برئت خفارتي فمدحه امرؤ القيس بعدة قصائد منها قوله في قصيدة له
(ألاَ إنّ قوماً كنتُم أمسِ دونَهم ... هم منعوا جاراتِكم آلَ غُدْرانِ)
(عُوَيْرٌ ومَنْ مثلُ العُوَيْر ورَهطِه ... أبرَّ بميثاقٍ وأوْفَى بجيران)
(هم أبلغوا الحيّ المُضَيَّعَ أهلَه ... وساروا بهم بين الفُرات ونَجْرانِ)
وقوله
(ألاَ قَبَح اللهُ البَراجِمَ كلَّها ... وجدَّع يَرْبوعاً وعفَّر دارِما)
(فما فعلوا فعلَ العُوَيْر ورهطِه ... لدى باب حُجْرٍ إذ تجرّد قائما)
وقال ابن قتيبة في خبره إن القصة المذكورة عن عوير كانت مع أبي حنبل وجارية بن مر قال ويقال بل كانت مع عامر بن

جوين الطائي وإن ابنته أشارت عليه بأخذ مال حجر وعياله فقام ودخل الوادي ثم صاح ألا إن عامر بن جوين غدر فأجابه الصدى مثل قوله فقال ما أقبح هذا من قول ثم صاح ألا إن عامر بن جوين وفى فأجابه الصدى بمثل قوله فقال ما أحسن هذا ثم دعا ابنته بجذعة من غنم فاحتلبها وشرب واستلقى على قفاه وقال والله لا أغدر ما أجزأتني جذعة ثم نهض وكانت ساقاه حمشتين فقالت ابنته والله ما رأيت كاليوم ساقي واف فقال وكيف بهما إذا كانتا ساقي غادر هما والله حينئذ أقبح

امرؤ القيس في ديار بكر وتغلب

وقال ابن الكلبي عن أبيه ويعقوب بن السكيت عن خالد الكلابي إن امرأ القيس ارتحل حتى نزل بكرا وتغلب فسألهم النصر على بني أسد فبعث العيون على بني أسد فنذروا بالعيون ولجؤوا إلى بني كنانة وكان الذي أنذرهم بهم علباء بن الحارث فلما كان الليل قال لهم علباء يا معشر بني أسد تعلمون والله إن عيون امرئ القيس قد أتتكم ورجعت إليه بخبركم فارحلوا بليل ولا تعلموا بني كنانة ففعلوا واقبل امرؤ القيس بمن معه من بكر وتغلب حتى انتهى إلى بني كنانة وهو يحسبهم بني أسد فوضع السلاح فيهم وقال يا لثارات الملك يا لثارات الهمام فخرجت إليه عجوز من بني كنانة فقالت أبيت اللعن لسنا لك بثأر نحن من كنانة فدونك ثأرك فاطلبهم فإن القوم قد ساروا بالأمس فتبع بني أسد ففاتوه ليلتهم تلك فقال في ذلك

(ألا يا لَهْفَ هندٍ إثْرَ قومٍ ... همُ كانوا الشفاءَ فلم يُصابوا)

(وقاهم جَدُّهم ببني أبيهم ... وبالأشْقَيْنَ ما كان العقابُ)

(وأفْلتهنّ عِلْباءٌ جَريضاً ... ولو أدركْنَه صَفِرَ الوطابُ)

يعني ببني أبيهم بني كنانة لأن أسدا وكنانة ابني خزيمة أخوان

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال سمعت رجلا سأل يونس عن قوله صفر الوطاب فقال سألنا رؤبة عنه فقال لو أدركوه قتلوه وساقوا إبله فصفرت وطابه من اللبن وقال غيره صفر الوطاب أي إنه كان يقتل فيكون جسمه صفرا من دمه كما يكون الوطاب صفرا من اللبن

وأدركهم ظهرا وقد تقطعت خيله وقطع أعناقهم العطش وبنو أسد جامون على الماء فنهد إليهم فقاتلهم حتى كثرت الجرحى والقتلى فيهم وحجز الليل بينهم وهربت بنو أسد فلما أصبحت بكر وتغلب أبوا أن يتبعوهم وقالوا له قد أصبت ثأرك قال والله ما فعلت ولا أصبت من بني كاهل ولا من غيرهم من بني أسد أحدا قالوا بلى ولكنك رجل مشؤوم وكرهوا قتالهم بني كنانة وانصرفوا عنه ومضى هاربا لوجهه حتى لحق بحمير

امرؤ القيس يستنجد بالقبائل واسيادها

وقال ابن السكيت حدثني خالد الكلابي أن امرأ القيس لما أقبل من الحرب على فرسه الشقراء لجأ إلى ابن عمته عمرو بن المنذر وأمه هند بنت عمرو بن حجر بن آكل المرار وذلك بعد قتل أبيه وأعمامه وتفرق ملك أهل بيته وكان عمرو يومئذ خليفة لأبيه المنذر ببقة وهي بين الأنبار وهيت فمدحه وذكر صهره ورحمه وأنه قد تعلق بحباله ولجأ إليه فأجاره ومكث عنده زمانا ثم بلغ المنذر مكانه عنده فطلبه وأنذره عمرو فهرب حتى أتى حمير

وقال ابن الكلبي والهيثم بن عدي وعمر بن شبة وابن قتيبة فلما امتنعت بكر بن وائل وتغلب من اتباع بني أسد خرج من فوره ذلك إلى اليمن فاستنصر أزدشنوءة فأبوا أن ينصروه وقالوا إخواننا وجيراننا فنزل بقيل يدعى مرثد الخير بن ذي جدن الحميري وكانت بينهما قرابة فاستنصره واستمده على بني أسد فأمده بخمسمائة رجل من حمير ومات مرثد قبل رحيل امرئ القيس بهم وقام بالمملكة بعده رجل من حمير يقال له قرمل بن الحميم وكانت أمه سوداء فردد امرأ القيس وطول عليه حتى هم بالانصراف وقال

(وإذ نحن ندعو مَرْثَد الخير ربَّنا ... وإذ نحن لا نُدْعَى عَبيداً لقَرْمَلِ)

فأنفذ له ذلك الجيش وتبعه شذاذ من العرب واستأجر من قبائل

العرب رجالا فسار بهم إلى بني أسد ومر بتبالة وبها صنم للعرب تعظمه يقال له ذو الخلصة فاستقسم عنده بقداحه وهي ثلاثة الآمر والناهي والمتربص فأجالها فخرج الناهي ثم أجالها فخرج الناهي ثم أجالها فخرج الناهي فجمعها وكسرها وضرب بها وجه الصنم وقال مصصت بظر أمك لو أبوك قتل ما عقتني ثم خرج فظفر ببني أسد ويقال إنه ما استقسم عند ذي الخلصة بعد ذلك بقدح حتى جاء أمر الله بالإسلام وهدمه جرير بن عبد الله البجلي

قالوا وألح المنذر في طلب امرئ القيس ووجه الجيوش في طلبه من إياد وبهراء وتنوخ ولم تكن لهم طاقة وأمده أنوشروان بجيش من الأساورة فسرحهم في طلبه وتفرقت حمير ومن كان معه عنه فنجا عصبة من بني آكل

المرار حتى نزل بالحارث بن شهاب من بني يربوع بن حنظلة ومع امرئ القيس أدراع خمسة الفضفاضة والضافية والمحصنة والخريق وأم الذيول كن لبني آكل المرار يتوارثونها ملكا عن ملك فقلما لبثوا عند الحارث بن شهاب حتى بعث إليه المنذر مائة من أصحابه يوعده بالحرب إن لم يسلم إليه بني آكل المرار فأسلمهم ونجا امرؤ القيس ومعه يزيد بن معاوية بن الحارث وبنته هند بنت امرئ القيس والأدرع والسلاح ومال كان بقي معه فخرج على وجهه حتى وقع في أرض طيئ وقيل بل نزل قبلهم على سعد بن الضباب الإيادي سيد قومه فأجاره

قال ابن الكلبي وكانت أم سعد بن الضباب تحت حجر أبي امرئ القيس فطلقها وكانت حاملا وهو لا يعرف فتزوجها الضباب فولدت سعدا على فراشه فلحق نسبه به فقال امرؤ القيس يذكر ذلك

(يُفاكهنا سعدٌ ويُنْعِمُ بالَنا ... ويغدو علينا بالجِفَانِ وبالجُزُرْ)

(ونعرف فيه من أبيه شمائلاً ... ومن خاله ومن يزيدَ ومن حُجُرْ)

(سماحةَ ذا وبِرَّ ذا ووفاء ذا ... ونائلَ ذا إذا صحا وإذا سكِرْ)

ثم تحول عنه فوقع في أرض طيئ فنزل برجل من بني جديلة يقال له المعلى بن تيم ففي ذلك يقول

(كأنّي إذ نزلتُ على المُعلَّى ... نزلتُ على البواذخ من شَمَامِ)

((فما مَلِكُ العراقِ على المعلَّى ... بمقتدرٍ ولا مَلِكُ الشآمِ)

(اقرَّ حَشَى امرىء القيس بن حُجْرٍ ... بنو تَيْمٍ مصابيحُ الظلامِ)

قالوا فلبث عنده واتخذ إبلا هناك فغدا قوم من بني جديلة يقال لهم بنو زيد فطردوا الإبل وكانت لامرئ القيس رواحل مقيدة عند البيوت خوفا من أن يدهمه أمر ليسبق عليهن فخرج حينئذ فنزل ببني نبهان من طيئ فخرج نفر منهم فركبوا الرواحل ليطلبوا له الإبل فأخذتهن جديلة فرجعوا إليه بلا شيء فقال في ذلك

(وأعجبني مَشْيُ الحُزُقَّة خالدٍ ... كمشي أتانٍ حُلِّئتْ بالمناهل)
(فدع عنك نَهْباً صِيحَ في حَجَراتهِ ... ولكن حديثاً ما حديثُ الرَّواحل)
ففرقت عليه بنو نبهان فرقا من معزى يحلبها فأنشأ يقول
(إذا ما لم تَجِدْ إبلاً فمِعْزىً ... كأن قرُون جِلَّتها العِصِيُّ)
(إذا ما قام حالبُها أَرَنَّتْ ... كأن القومَ صبَّحهم نَعِيُّ)
((فتملأُ بيتَنا أقِطاً وسَمْناً ... وحَسْبُك من غِنىً شِبَعٌ وريُّ
فكان عندهم ما شاء الله ثم خرج فنزل بعامر بن جوين واتخذ عنده إبلا وعامر يومئذ أحد الخلعاء الفتاك قد تبرأ قومه من جرائره فكان عنده ما شاء الله ثم هم أن يغلبه على أهله وماله ففطن امرؤ القيس بشعر كان عامر ينطق به وهو قوله
(فكم بالصعيد من هِجَان مؤبَّلَهْ ... تَسير صحاحاً ذاتَ قيد ومُرْسَلَهْ)
(أردتُ بها فَتْكاً فلم أَرْتَمِضْ له ... ونَهْنهتُ نفسي بعدما كدتُ أفعلَه)
وكان عامر أيضا يقول يعرض بهند بنت امرئ القيس
(ألاَ حَيِّ هنداً وأطلالَها ... وتَظْعانَ هندٍ وتَحْلالَها)
(هَممتُ بنفسيَ كلَّ الهُموم ... فأَوْلَى لنفسيَ أَوْلَى لها)
(سأحمِل نفسي على آلة ... فإمّا عليها وإمّا لها)
هكذا روى ابن أبي سعد عن دارم بن عقال ومن الناس من يروي هذه الأبيات للخنساء في قصيدتها
(ألاَ ما لِعَيْنِي ألاَ ما لَها ... لقد أخْضَلَ الدمعُ سِرْبالَها)
قالوا فلما عرف امرؤ القيس ذلك منه وخافه على أهله وماله تغفله وانتقل إلى رجل من بني ثعل يقال له حارثة بن مر فاستجار به فوقعت
الحرب بين عامر وبين الثعلي فكانت في ذلك أمور كثيرة

عمرو بن جابر يدل امرأ القيس على السموءل

قال دارم بن عقال في خبره فلما وقعت الحرب بين طيئ من أجله خرج من عندهم فنزل برجل من بني فزارة يقال له عمرو بن جابر بن مازن فطلب منه الجوار حتى يرى ذات عيبه فقال له الفزاري يابن حجر إني أراك في خلل من قومك وأنا أنفس بمثلك من أهل الشرف وقد كدت بالأمس تؤكل في دار طيئ وأهل البادية أهل بر لا أهل حصون تمنعهم وبينك وبين أهل اليمن ذؤبان من قيس أفلا أدلك على بلد فقد جئت قيصر وجئت النعمان فلم أر لضيف نازل ولا لمجتد مثله ولا مثل صاحبه قال من هو وأين منزله قال السموءل بتيماء وسوف أضرب لك مثله هو يمنع ضعفك حتى ترى ذات عيبك وهو في حصن حصين وحسب كبير فقال له امرؤ القيس وكيف لي به قال أوصلك إلى من يوصلك إليه فصحبه إلى رجل من بني فزارة يقال له الربيع بن ضبع الفزاري ممن يأتي السموءل فيحمله ويعطيه فلما صار إليه قال له الفزاري إن السموءل يعجبه الشعر فتعال نتناشد له أشعارا فقال امرؤ القيس قل حتى أقول فقال الربيع
(قُلْ للمنيَّة أيَّ حِين نلتقي ... بِفناء بيتِك في الحَضِيض المَزْلَقِ)
وهي طويلة يقول فيها
(ولقد أتيتُ بَني المُصاص مُفَاخِراً ... وإلى السموءل زُرتُه بالأَبْلَقِ)
(فأتيتُ أفضلَ مَنْ تحمَّل حاجةً ... إن جئته في غارمٍ أو مُرْهَقِ)
(عرفتْ له الأقوامُ كلَّ فضيلةٍ ... وحوَى المكارمَ سابقاً لم يُسبَقِ)
قال فقال امرؤ القيس
(طرَقتْك هندٌ بعد طول تجنُّبٍ ... وَهْناً ولم تَكُ قبل ذلك تَطْرُقُ)
وهي قصيدة طويلة وأظنها منحولة لأنها لا تشاكل كلام امرئ القيس والتوليد فيها بين وما دونها في ديوانه أحد من الثقات وأحسبها مما صنعه دارم لأنه من ولد السموءل ومما صنعه من روى عنه من ذلك فلم تكتب هنا قال فوفد الفزاري بامرئ القيس إليه فلما كانوا ببعض الطريق إذا هم ببقرة وحشية مرمية فلما نظر إليها أصحابه قاموا فذكوها فبينما هم كذلك إذا هم بقوم قناصين من بني ثعل فقالوا لهم من أنتم فانتسبوا لهم وإذا هم من جيران السموءل فانصرفوا جميعا وقال امرؤ القيس
(رُبَّ رامٍ من بني ثُعَلٍ ... مُخْرِج كَفَّيْهِ من قُتَرِهْ)
(عارضٍ زَوْراءَ من نَشَمٍ ... مع باناةٍ على وَتَرِهْ)
هكذا في رواية ابن دارم ويروى غير باناة وتحت باناة
((إذ أتتْه الوحشُ واردةً ... فتنَّى النزعَ في يَسَرِهْ
(فرماها في فرائصِها ... بإزاءِ الحوضِ أو عُقُرِه)
(برهِيشٍ من كِنانتِه ... كتلظِّي الجمر في شَرَرِهْ)
(راشَه من ريشِ ناهضةٍ ... ثم أمْهاه على حَجَرِهْ)
(فهو لا تَنْمِي رَمِيَّتُه ... ما لَهُ لا عُدَّ من نَفَرِه)
قال ثم مضى القوم حتى قدموا على السموءل فأنشده الشعر وعرف لهم حقهم فأنزل المرأة في قبة أدم وأنزل القوم في مجلس له براح فكان عنده ما شاء الله ثم إنه طلب إليه أن يكتب له إلى الحارث بن أبي شمر الغساني بالشأم ليوصله إلى قيصر فاستنجد له رجلا واستودع عنده المرأة والأدراع والمال وأقام معها يزيد بن معاوية بن الحارث ابن عمه فمضى حتى انتهى إلى قيصر فقبله وأكرمه وكانت له عنده منزلة فاندس رجل من
بني أسد يقال له الطماح وكان امرؤ القيس قد قتل أخا له من بني أسد حتى أتى إلى بلاد الروم فأقام مستخفيا ثم إن قيصر ضم إليه جيشا كثيفا وفيهم جماعة من أبناء الملوك فلما فصل قال لقيصر قوم من أصحابه إن العرب قوم غدر ولا تأمن أن يظفر بما يريد ثم يغزوك بمن بعثت معه

قصة الحلة المسمومة وموت امرئ القيس

وقال ابن الكلبي بل قال له الطماح إن امرأ القيس غوي عاهر وإنه لما انصرف عنك بالجيش ذكر أنه كان يراسل ابنتك ويواصلها وهو قائل في ذلك أشعارا يشهرها بها في العرب فيفضحها ويفضحك فبعث إليه حينئذ بحلة وشي مسمومة منسوجة بالذهب وقال له إني أرسلت إليك بحلتي التي كنت ألبسها تكرمة لك فإذا وصلت إليك فالبسها باليمن والبركة

واكتب إلي بخبرك من منزل منزل فلما وصلت إليه لبسها واشتد سروره بها فأسرع فيه السم وسقط جلده فلذلك سمي ذا القروح وقال في ذلك

(لقد طمَح الطمَّاح من بُعدِ أرضه ... ليُلْبِسَني ممّا يلبِّس أبؤسا)

(فلو أنها نفسٌ تموت سَوِيَّةً ... ولكنّها نفسٌ تَساقَطُ أنفُسا)

قال فلما صار إلى بلدةٍ من بلاد الروم تدعى أنقرة احتضر بها فقال

(رُبَ خُطْبَةٍ مُسْحَنْفِرَهْ ... وطَعْنَةٍ مُثْعَنْجِرَهْ)

(وجَفْنَةٍ متحيِّرة ... حلّت بأرض أَنقِره)

ورأى قبر امرأة من أبناء الملوك ماتت هناك فدفنت في سفح جبل يقال له عسيب فسأل عنها فأخبر بقصتها فقال

(أجارتَنا إنّ المَزارَ قريبُ ... وإنّي مقيمٌ ما أقام عَسِيبٌ)

(أجارتَنا إنّا غريبانِ هاهنا ... وكلُّ غريبٍ للغريب نسيبُ)

ثم مات فدفن إلى جنب المرأة فقبره هناك

أخبرني محمد بن القاسم عن مجالد بن سعيد عن عبد الملك بن عمير قال قدم علينا عمر بن هبيرة الكوفة فأرسل إلى عشرة أنا أحدهم من وجوه الكوفة فسمروا عنده ثم قال ليحدثني كل رجل منكم أحدوثة وابدأ أنت يا أبا عمر فقلت أصلح الله الأمير أحديث الحق أم حديث الباطل قال بل حديث الحق قلت إن امرأ القيس آلى بألية ألا يتزوج امرأة حتى يسألها عن ثمانية وأربعة وثنتين فجعل يخطب النساء فإذا سألهن

عن هذا قلن أربعة عشر فبينما هو يسير في جوف الليل إذا هو برجل يحمل ابنة له صغيرة كأنها البدر ليلة تمامه فأعجبته فقال لها يا جارية ما ثمانية وأربعة واثنتان فقالت أما ثمانية فأطباء الكلبة وأما أربعة فأخلاف الناقة وأما اثنتان فثديا المرأة فخطبها إلى أبيها فزوجه إياها وشرطت هي عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصال فجعل لها ذلك وأن يسوق إليها مائة من الإبل وعشرة أعبد وعشر وصائف وثلاثة أفراس ففعل ذلك ثم إنه بعث عبدا له إلى المرأة وأهدى إليها نحيا من سمن ونحيا من عسل وحلة من عصب فنزل العبد ببعض المياه فنشر الحلة ولبسها فتعلقت بعشرة فانشقت وفتح النحيين فطعم أهل الماء منهما فنقصا ثم قدم على حي المرأة وهم خلوف فسألها عن أبيها وأمها وأخيها ودفع إليها هديتها فقالت له أعلم مولاك أن أبي ذهب يقرب بعيدا ويبعد قريبا وأن أمي ذهبت تشق النفس نفسين وأن أخي يراعي الشمس وأن سماءكم انشقت وأن وعاءيكم نضبا فقدم الغلام على مولاه فأخبره فقال أما قولها إن أبي ذهب يقرب بعيدا ويبعد قريبا فإن أباها ذهب يحالف قوما على قومه وأما قولها ذهبت أمي تشق النفس نفسين فإن أمها ذهبت تقبل امرأة نفساء وأما قولها إن أخي يراعي الشمس فإن أخاها في سرح له يرعاه فهو ينتظر وجوب الشمس ليروح به وأما قولها إن سماءكم انشقت فإن البرد الذي بعثت به انشق وأما قولها إن وعاءيكم نضبا فإن النحيين اللذين بعثت بهما نقصا

فاصدقني فقال يا مولاي إني نزلت بماء من مياه العرب فسألوني عن نسبي فأخبرتهم أني ابن عمك ونشرت الحلة فانشقت وفتحت النحيين فأطعمت منهما أهل الماء فقال أولى لك ثم ساق مائة من الإبل وخرج نحوها ومعه الغلام فنزلا منزلا فخرج الغلام يسقي الإبل فعجز فأعانه امرؤ القيس فرمى به الغلام في البئر وخرج حتى أتى المرأة بالإبل وأخبرهم أنه زوجها فقيل لها قد جاء زوجك فقالت والله ما أدري أزوجي هو أم لا ولكن انحروا له جزورا وأطعموه من كرشها وذنبها ففعلوا فقالت اسقوه لبنا حازرا وهو الحامض فسقوه فشرب فقالت افرشوا له عند الفرث والدم ففرشوا له فنام فلما أصبحت أرسلت إليه إني أريد أن أسألك فقال سلي عما شئت فقالت مم تختلج شفتاك قال لتقبيلي إياك قالت فمم يختلج كشحاك قال لالتزامي إياك قالت فمم يختلج فخذاك قال لتوركي إياك قالت عليكم العبد فشدوا أيديكم به ففعلوا قال ومر قوم فاستخرجوا امرأ القيس من البئر فرجع إلى حيه فاستاق مائة من الإبل وأقبل إلى امرأته فقيل لها قد جاء زوجك فقالت والله ما أدري أهو زوجي أم لا ولكن انحروا له جزورا فأطعموه من كرشها وذنبها ففعلوا فلما أتوه بذلك قال وأين الكبد والسنام والملحاء فأبى أن يأكل فقالت اسقوه لبنا حازرا فأبى أن يشربه وقال فأين الصريف والرثيئة فقالت أفرشوا له عند الفرث والدم فأبى أن ينام وقال افرشوا لي فوق التلعة الحمراء واضربوا عليها خباء ثم أرسلت إليه هلم شريطتي عليك في المسائل الثلاث فأرسل إليها أن سلي عما شئت فقالت مم تختلج شفتاك قال لشربي المشعشعات قالت فمم يختلج كشحاك قال للبسي الحبرات قالت فمم تختلج فخذاك قال لركضي المطهمات فقالت هذا زوجي لعمري فعليكم به واقتلوا العبد فقتلوه ودخل امرؤ القيس بالجارية فقال ابن هبيرة حسبكم فلا خير في الحديث في سائر الليلة بعد حديثك يا أبا عمرو ولن تأتينا بأعجب منه فقمنا وانصرفنا وأمر لي بجائزة

مفاوضات امرئ القيس وقبائل أسد

نسخت من كتاب جدي يحيى بن محمد بن ثوابة بخطه رحمه الله حدثني الحسن بن سعيد عن أبي عبيدة قال أخبرني سيبويه النحوي أن الخليل بن أحمد أخبره قال

قدم على امرئ القيس بن حجر بعد مقتل أبيه رجال من قبائل بني أسد كهول وشبان فيهم المهاجر بن خداش ابن عم عبيد بن الأبرص وقبيصة بن نعيم وكان في بني أسد مقيما وكان ذا بصيرة بمواقع الأمور وردا وإصدارا يعرف ذلك له من كان محيطا بأكناف بلده من العرب فلما علم بمكانهم أمر بإنزالهم وتقدم بإكرامهم والإفضال عليهم واحتجب عنهم ثلاثا فسألوا من حضرهم من رجال كندة فقال هو في شغل بإخراج ما في خزائن حجر من السلاح والعدة فقالوا اللهم غفرا إنما قدمنا في أمر نتناسى به ذكر ما سلف ونستدرك به ما فرط فليبلغ ذلك عنا فخرج عليهم في قباء وخف وعمامة سوداء وكانت العرب لا تعتم بالسواد إلا في الترات فلما نظروا إليه قاموا

له وبدر إليه قبيصة إنك في المحل والقدر والمعرفة بتصرف الدهر وما تحدثه أيامه وتتنقل به أحواله بحيث لا تحتاج إلى تبصير واعظ ولا تذكرة مجرب ولك من سؤدد منصبك وشرف أعراقك وكرم أصلك في العرب محتمل يحتمل ما حمل عليه من إقالة العثرة ورجوع عن هفوة ولا تتجاوز الهمم إلى غاية إلا رجعت إليك فوجدت عندك من فضيلة الرأي وبصيرة الفهم وكرم الصفح في الذي كان من الخطب الجليل الذي عمت رزيته نزارا واليمن ولم تخصص كندة بذلك دوننا للشرف البارع كان لحجر التاج والعمة فوق الجبين الكريم وإخاء الحمد وطيب الشيم ولو كان يفدى هالك بالأنفس الباقية بعده لما بخلت كراعنا على مثله ببذل ذلك ولفديناه منه ولكن مضى به سبيل لا يرجع أولاه على أخراه ولا يلحق أقصاه أدناه فأحمد الحالات في ذلك أن تعرف الواجب عليك في إحدى خلال إما أن اخترت من بني أسد أشرافها بيتا وأعلاها في بناء المكرمات صوتا فقدناه إليك بنسعه تذهب مع شفرات حسامك قصدته فيقول رجل امتحن بهلك عزيز فلم تستل سخيمته

إلا بتمكينه من الانتقام أو فداء بما يروح من بني أسد من نعمها فهي ألوف تجاوز الحسبة فكان ذلك فداء رجعت به
القضب إلى أجفانها لم يردده تسليط الإحن على البرءاء وإما أن توادعنا حتى تضع الحوامل فنسدل الأزر ونعقد الخمر فوق
الرايات قال فبكى ساعة ثم رفع رأسه فقال لقد علمت العرب أن لا كفء لحجر في دم وإني لن أعتاض به
جملا أو ناقة فأكتسب بذلك سبة الأبد وفت العضد وأما النظرة فقد أوجبتها الأجنة في بطون أمهاتها ولن أكون لعطبها
سببا وستعرفون طلائع كندة من بعد ذلك تحمل القلوب حنقا وفوق الأسنة علقا
(إذا جالت الخيل في مأزقٍ ... تُصافِح فيه المنايا النفوسا)
أتقيمون أم تنصرفون قالوا بل ننصرف بأسوأ الاختيار وأبلى الاجترار لمكروه وأذية وحرب وبلية ثم نهضوا عنه وقبيصة يقول
متمثلا
(لعلكَ أن تستوخم الموتَ إن غدتْ ... كتائبُنا في مأزق الموت تَمْطُرُ)
فقال امرؤ القيس لا والله لا أستوخمه فرويدا ينكشف لك دجاها عن فرسان كندة وكتائب حمير ولقد كان ذكر غير هذا
أولى بي إذ كنت نازلا بربعي ولكنك قلت فأجبت فقال قبيصة ما نتوقع فوق قدر المعاتبة والإعتاب قال امرؤ القيس فهو
ذاك
أصوات معبد المعروفة بألقابها وهي خمسة
أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه وأخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال
حدثنا عمر بن شبة عن إسحاق وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه وأخبرني علي بن عبد العزيز
عن ابن خرداذبة عن إسحاق أن معبدا كان يسمى صوته
(...هُرَيْرَةَ ودِّعها وإن لام لائم)
الدوامة لكثرة ما فيه من الترجيع ويسمي صوته
(... عاود القلبَ من تذكُّر جُملٍ)
المنمنم ويسمي صوته
(... أمِنْ آل ليلى بالمَلاَ مُتَربَّعُ)
معقصات القرون أي يحرك خصل الشعر ويسمي صوته
(... جعل الله جعفرا لكِ بَعْلاً)
المتبختر ويسمي صوته
(ضوءُ بَرْقٍ بدا لعينيك أم شَبَّتْ ... بذي الأثْل من سَلاَمَةَ نارُ)
مقطع الأثفار
نسبة هذه الأصوات وأخبارها
(هُرَيْرةَ وَدِّعْها وإن لام لائمُ ... غداةَ غدٍ أم أنت للبَيْنِ واجمُ)
(لقد كان في حولٍ ثَوَاءٍ ثَوَيتُه ... تقضّى لُبانات ويسأم سائمُ)
(مُبَتَّلةٌ هَيْفاءُ رُودٌ شبابُها ... لها مقلتا ريمٍ وأسودُ فاحمُ)
(ووجهٌ نقيُّ اللَّون صافٍ يَزينه ... مع الحَلْي لَبَّاتٌ لها ومَعاصِمُ)
الواجم الساكت المطرق من الحزن يقال وجم يجم وجوما وقوله لقد كان في حول ثواء ثويته قال الكوفيون أراد لقد كان
في ثواء حول
ثويته فجعل ثواء بدلا من حول وأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام عن يونس قال كان أبو عمرو بن العلاء يعيب قول
الأعشى
(... لقد كان في حول ثواء ثويته)
جدا ويقول ما أعرف له معنى ولا وجها يصح قال أبو خليفة وأما أبو عبيدة فإنه قال معناه لقد كان في ثواء حول ثويته
واللبانات والمآرب والحوائج والأوطار واحد والمبتلة الحسنة الخلق والهيفاء اللطيفة الخصر والرئم الظبي والفاحم الشديد
السواد وقال لبات لها وإنما لها لبة واحدة ولكن العرب تقول ذلك كثيرا يقال لها لبات حسان يراد اللبة وما حولها والمعاصم
موضع الأسورة وواحدها معصم
الشعر للأعشى والغناء لمعبد وله فيه لحنان أحدهما وهو الملقب بالدوامة خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى
الوسطى عن إسحاق والآخر ثقيل عن الهشامي وابن خرداذبة
أخبار الأعشى ونسبه
الأعشى هو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة الحصن بن عكابة بن
صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ويكنى أبا
بصير وكان يقال لأبيه قيس بن جندل قتيل الجوع سمي بذلك لأنه دخل غارا يستظل فيه من الحر فوقعت صخرة عظيمة
من الجبل فسدت فم الغار فمات فيه جوعا فقال فيه جهنام واسمه عمرو وهو من قومه من بني قيس بن ثعلبة يهجوه
وكانا يتهاجيان
(أبوكَ قَتيلُ الجوع قَيْسُ بن جَنْدلٍ ... وخالُك عبدٌ من خُمَاعةَ راضعُ)
وهو أحد الأعلام من شعراء الجاهلية وفحولهم وتقدم على سائرهم وليس ذلك بمجمع عليه لا فيه ولا في غيره
أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال سألت يونس النحوي من أشعر الناس قال لا أومىء إلى رجل بعينه ولكني
أقول امرؤ القيس إذا غضب والنابغة إذا رهب وزهير إذا رغب والأعشى إذا طرب
أخبرني ابن عمار عن ابن مهرويه عن حذيفة بن محمد عن ابن سلام بمثله
أخبرني عمي قال حدثنا ابن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح عن ابن الكلبي عن أبيه وأبي مسكين
أن حسانا سئل من أشعر الناس فقال أشاعر بعينه أم قبيلة قالوا بل قبيلة قال الزرق من بني قيس بن ثعلبة وهذا
حديث يروى أيضا عن غير حسان
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار عن ابن مهرويه قال حدثنا عبدة بن عصمة عن فراس بن خندف عن علي بن شفيع
قال إني لواقف بسوق حجر إذ أنا برجل من هيئته وحاله عليه مقطعات خز وهو على نجيب مهري عليه رحل لم أر قط
أحسن منه وهو يقول من يفاخرني من ينافرني ببني عامر بن صعصعة فرسانا وشعراء وعددا وفعالا قلت أنا قال بمن قلت

ببني ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر ابن وائل فقال أما بلغك أن رسول الله نهى عن المنافرة ثم ولى هاربا
قلت من هذا قيل عبد العزيز بن زرارة بن جزء بن سفيان الكلابي

صناجة العرب

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة قال
قال أبو عبيدة من قدم الأعشى يحتج بكثرة طواله الجياد وتصرفه في المديح والهجاء وسائر فنون الشعر وليس ذلك لغيره
ويقال هو أول من سأل بشعره وانتجع به أقاصي البلاد وكان يغنى في شعره فكانت العرب تسميه صناجة العرب
أخبرني المهلبي والجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة قال سمعت خلادا الأرقط يقول سمعت خلفا الأحمر يقول لا يعرف
من أشعر الناس كما لا يعرف من أشجع الناس ولا من كذا ولا من كذا لأشياء ذكرها خلف ونسيتها أنا أبو زيد عمر بن
شبة يقول هذا
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي يوسف قال حدثني عمي إسماعيل بن أبي محمد قال أخبرني أبي
قال سمعت أبا عمرو بن العلاء يقدم الأعشى
وقال هشام بن الكلبي أخبرني أبو قبيصة المجاشعي أن مروان بن أبي حفصة سئل من أشعر الناس قال الذي يقول
(كِلاَ أَبَوَيْكم كان فرعَ دِعَامةٍ ... ولكنّهم زادوا وأصبحتَ ناقصا)
يعني الأعشى
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي قال قال سلمة بن نجاح أخبرني يحيى بن سليم الكاتب قال بعثني
أبو جعفر أمير المؤمنين بالكوفة إلى حماد الراوية أسأله عن أشعر
الشعراء قال فأتيت باب حماد فاستأذنت وقلت يا غلام فأجابني إنسان من أقصى بيت في الدار فقال من أنت فقلت
يحيى بن سليم رسول أمير المؤمنين قال ادخل رحمك الله فدخلت أتسمت الصوت حتى وقفت على باب البيت فإذا
حماد عريان على فرجه دستجة شاهسفرم فقلت إن أمير المؤمنين يسألك عن أشعر الناس فقال نعم ذلك الأعشى
صناجها
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال سمعت أبا عبيدة يقول سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول عليكم
بشعر الأعشى فإني شبهته بالبازي يصيد ما بين العندليب إلى الكركي

مرتبته بين الشعراء

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال سمعت أبا عبيدة يقول
بلغني أن رجلا من أهل البصرة حج وروى هذا الحديث ابن الكلبي عن شعيب بن عبد الرحمن أبي معاوية النحوي عن
رجل من أهل البصرة أنه حج قال فإني لأسير في ليلة إضحيانة إذ نظرت إلى رجل شاب راكب على ظليم قد زمه
بخطامه وهو يذهب عليه ويجيء وهو يرتجز ويقول
(هل يُبْلِغَنِّيهم إلى الصَّباحْ ... هِقْلٌ كأن رأسه جُمَّاحْ)
الجماح أطراف النبت الذي يسمى الحلي وهو سنبله إلا أنه ليس بخشن يشبه أذناب الثعالب قال والجماح أيضا سهيم
يلعب به الصبيان يجعلون مكان زجه طينا قال فعلمت أنه ليس بإنسي فاستوحشت منه فتردد علي ذاهبا وراجعا حتى
أنست به فقلت من أشعر الناس يا هذا قال الذي يقول
(وما ذَرَفَتْ عيناكِ إلاّ لتضربي ... بسَهْمَيْكِ في أعشار قلبٍ مُقَتَّلِ)
قلت ومن هو قال امرؤ القيس قلت فمن الثاني قال الذي يقول
(تَطْرُدُ القُرَّ بحرٍّ ساخنٍ ... وعَكِيكَ القَيْظِ إن جاء بِقُرّ)
قلت ومن يقوله قال طرفة قلت ومن الثالث قال الذي يقول
(وتبرُد بردَ رداء العَرُوسِ ... بالصَّيْف رَقْرَقْتَ فيه العَبِيرَا)
قلت ومن يقوله قال الأعشى ثم ذهب به
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني أبو عدنان قال وقال لي يحيى بن الجون العبدي راوية بشار نحن حاكة
الشعر في الجاهلية والإسلام ونحن أعلم الناس به أعشى بني قيس بن ثعلبة أستاذ الشعراء في الجاهلية وجرير بن
الخطفي أستاذهم في الإسلام

حديث الشعبي عنه

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الرياشي قال قال الشعبي الأعشى أغزل الناس في بيت وأخنث الناس
في بيت
وأشجع الناس في بيت فأما أغزل بيت فقوله
(غَرَّاءُ فَرْعاءُ مصقولٌ عوارضُها ... تَمْشِي الهُوَيْنَى كما يمشي الوَجِي الوَحِلِ)
وأما أخنث بيت فقوله
(قالت هُرَيْرةُ لمّا جئتُ زائرَها ... وَيْلي عليك ووَيْلي منك يا رجل)
وأما أشجع بيت فقوله
(قالوا الطِّرادَ فقلنا تلك عادتنا ... أوْ تنزلون فإنا مَعْشَرٌ نُزُلُ)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه عن ابن أبي سعد قال ذكر الهيثم بن عدي أن حمادا الراوية سئل عن
أشعر العرب قال الذي يقول
(نازعتُهم قُضُبَ الرَّيْحانِ مُتَّكئاً ... وقَهْوةً مُزّةً راوُوقُها خَضِل)
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا أبو علي العنزي قال حدثني محمد بن معاوية الأسدي قال حدثني رجل
من أبان بن تغلب عن سماك بن حرب قال قال لي يحيى بن متى راوية الأعشى وكان نصرانيا عباديا وكان معمرا قال كان
الأعشى قدريا وكان لبيد مثبتا قال لبيد
(مَنْ هَدَاه سُبُلَ الخير اهتدَى ... ناعمَ البالِ ومَنْ شاء أضَلّ)
وقال الأعشى
(إستأثر اللهُ بالوفاء وبالعَدْل ... ووَلّى المَلامةَ الرَّجُلاَ)
قلت فمن أين أخذ الأعشى مذهبه قال من قبل العباديين نصارى الحيرة كان يأتيهم يشتري منهم الخمر فلقنوه ذلك

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أبو شراعة في مجلس الرياشي قال حدثنا مشايخ بني قيس بن ثعلبة قالوا كانت هريرة التي يشبب بها الأعشى أمة سوداء لحسان بن عمرو بن مرثد
وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن فراس بن الخندف قال كانت هريرة وخليدة أختين قينتين كانتا لبشر بن عمرو بن مرثد وكانتا تغنيانه النصب وقدم بهما اليمامة لما هرب من النعمان قال ابن دريد فأخبرني عمي عن ابن الكلبي بمثل ذلك
الشعر واسطة للزواج
وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي عن الرياشي مما أجازه له عن العتبي عن رجل من قيس عيلان قال كان الأعشى يوافي سوق عكاظ في كل سنة وكان المحلق الكلابي
مئناثا مملقا فقالت له امرأته يا أبا كلاب ما يمنعك من التعرض لهذا الشاعر فما رأيت أحدا اقتطعه إلى نفسه إلا وأكسبه خيرا قال ويحك ما عندي إلا ناقتي وعليها الحمل قالت الله يخلفها عليك قال فهل له بد من الشراب والمسوح قالت إن عندي ذخيرة لي ولعلي أن أجمعها قال فتلقاه قبل أن يسبق إليه أحد وابنه يقوده فأخذ الخطام فقال الأعشى من هذا الذي غلبنا على خطامنا قال المحلق قال شريف كريم ثم سلمه إليه فأناخه فنحر له ناقته وكشط له عن سنامها وكبدها ثم سقاه وأحاطت بناته به يغمزنه ويمسحنه فقال ما هذه الجواري حولي قال بنات أخيك وهن ثمان شريدتهن قليلة قال وخرج من عنده ولم يقل فيه شيئا فلما وافى سوق عكاظ إذا هو بسرحة قد اجتمع الناس عليها وإذا الأعشى ينشدهم
(لعمري لقد لاحتْ عيونٌ كثيرةٌ ... إلى ضوء نار باليَفَاع تَحَرَّقُ)
(تُشَبُّ لمقرورَيْن يصطليانها ... وبات على النار النَّدَى والمُحَلَّقُ)
(رَضِيعَيْ لِبانِ ثَدْيِ أمٍّ تحالفا ... بأسْحَمَ داجٍ عَوْضُ لا نَتَفَرَّقُ)
فسلم عليه المحلق فقال له مرحبا يا سيدي بسيد قومه ونادى يا معاشر العرب هل فيكم مذكار يزوج ابنه إلى الشريف الكريم قال
فما قام من مقعده وفيهن مخطوبة إلا وقد زوجها وفي أول القصيدة غناء وهو
صوت
(أَرِقْتُ وما هذا السُّهادُ المؤرِّقُ ... وما بيَ من سُقْمٍ وما بيَ مَعْشَقُ)
(ولكن أُراني لا أزال بحادثٍ ... أُغادَى بما لم يُمسِ عندي وأُطْرَقُ)
غناه ابن محرز خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وفيه لحن ليونس من كتابه غير مجنس وفيه لابن سريج ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق وعمرو
أخبرني أبو العباس اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله عن ابن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل قال اسم المحلق عبد العزى بن حنتم بن شداد بن ربيعة بن عبد الله بن عبيد وهو أبو بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وإنما سمي محلقا لأن حصانا له عضه في وجنته فحلق فيه حلقة
قال وأنشد الأعشى قصيدته هذه كسرى ففسرت له فلما سمعها قال إن كان هذا سهر لغير سقم ولا عشق فما هو إلا لص
المحلق الكلابي وسبب اتصاله بالأعشى
وذكر علي بن محمد النوفلي في خبر المحلق مع الأعشى غير هذه الحكايات وزعم أن أباه حدثه عن بعض الكلابيين من أهل البادية قال كان لأبي المحلق شرف فمات وقد أتلف ماله وبقي المحلق وثلاث أخوات له ولم يترك لهم إلا ناقة واحدة وحلتي برود حبرة كان يشهد فيهما
الحقوق فأقبل الأعشى من بعض أسفاره يريد منزله باليمامة فنزل الماء الذي به المحلق فقراه أهل الماء فأحسنوا قراه فأقبلت عمة المحلق فقالت يابن أخي هذا الأعشى قد نزل بمائنا وقد قراه أهل الماء والعرب تزعم أنه لم يمدح قوما إلا رفعهم ولم يهج قوما إلا وضعهم فانظر ما أقول لك واحتل في زق من خمر من عند بعض التجار فأرسل إليه بهذه الناقة والزق وبردي أبيك فوالله لئن اعتلج الكبد والسنام والخمر في جوفه ونظر إلى عطفيه في البردين ليقولن فيك شعرا يرفعك به قال ما أملك غير هذه الناقة وأنا أتوقع رسلها فأقبل يدخل ويخرج ويهم ولا يفعل فكلما دخل على عمته حضته حتى دخل عليها فقال فقد ارتحل الرجل ومضى قالت الآن والله أحسن ما كان القرى تتبعه ذلك مع غلام أبيك مولى له أسود شيخ فحيثما لحقه أخبره عنك أنك كنت غائبا عن الماء عند نزوله إياه وأنك لما وردت الماء فعلمت أنه كان به كرهت أن يفوتك قراه فإن هذا أحسن لموقعه عنده فلم تزل تحضه حتى أتى بعض التجار فكلمه أن يقرضه ثمن زق خمر وأتاه بمن يضمن ذلك عنه فأعطاه فوجه بالناقة والخمر والبردين مع مولى أبيه فخرج يتبعه فكلما مر بماء قيل ارتحل أمس عنه حتى صار إلى منزل الأعشى بمنفوحة اليمامة فوجد عنده عدة من الفتيان قد غداهم بغير لحم وصب لهم فضيخا فهم يشربون منه إذ قرع الباب فقال انظروا
من هذا فخرجوا فإذا رسول المحلق يقول كذا وكذا فدخلوا عليه وقالوا هذا رسول المحلق الكلابي أتاك بكيت وكيت فقال ويحكم أعرابي والذي أرسل إلي لا قدر له والله لئن اعتلج الكبد والسنام والخمر في جوفي لأقولن فيه شعرا لم أقل قط مثله فواثبه الفتيان وقالوا غبت عنا فأطلت الغيبة ثم أتيناك فلم تطعمنا لحما وسقيتنا الفضيخ واللحم والخمر ببابك لا نرضى بدا منك فقال ائذنوا له فدخل فأدى الرسالة وقد أناخ الجزور بالباب ووضع الزق والبردين بين يديه قال أقره السلام وقل له وصلتك رحم سيأتيك ثناؤنا وقام الفتيان إلى الجزور فنحروها وشقوا خاصرتها عن كبدها وجلدها عن سنامها ثم جاؤوا بهما فأقبلوا يشوون وصبوا الخمر فشربوا وأكل معهم وشرب ولبس البردين ونظر إلى عطفيه فيهما فأنشأ يقول
(... أرقتُ وما هذا السهادُ المؤرِّق)
حتى انتهى إلى قوله
(أبَا مِسْمَعٍ سار الذي قد فعلتُم ... فأنجد أقوامٌ به ثم أَعْرَقوا)
(به تُعْقَدُ الأحمالُ في كلِّ منزلٍ ... وتُعْقَدُ أطرافُ الحبالِ وتُطْلَقُ)
قال فسار الشعر وشاع في العرب فما أتت على المحلق سنة حتى زوج أخواته الثلاث كل واحدة على مائة ناقة فأيسر وشرف
وذكر الهيثم بن عدي عن حماد الراوية عن معقل عن أبي بكر الهلالي قال خرج الأعشى إلى اليمن يريد قيس بن معد يكرب فمر ببني

كلاب فأصابه مطر في ليلة ظلماء فأوى إلى فتى من بني بكر بن كلاب فبصر به المحلق وهو عبد العزى بن حنتم بن شداد بن ربيعة بن عبد الله بن عبيد بن كلاب وهو يومئذ غلام له ذؤابة فأتى أمه فقال يا أمه رأيت رجلا أخلق به أن يكسبنا مجدا قالت وما تريد يا بني قال نضيفه الليلة فأعطته جلبابها فاشترى به عشيرا من جزور وخمرا فأتى الأعشى فأخذه إليه فطعم وشرب واصطلى ثم اصطبح فقال فيه
(... أرقتُ وما هذا السُّهادُ المؤرِّق)
والرواية الأولى أصح
أخبرني أحمد بن عمار قال حدثنا يعقوب بن نعيم قال حدثنا قعنب بن المحرز عن الأصمعي قال حدثني رجل قال جاءت امرأة إلى الأعشى فقالت إن لي بنات قد كسدن علي فشبب بواحدة منهن لعلها أن تنفق فشبب بواحد منهن فما شعر الأعشى إلا بجزور قد بعث به إليه فقال ما هذا فقالوا زوجت فلانة فشبب بالأخرى فأتاه مثل ذلك فسأل عنها فقيل زوجت فما زال يشبب بواحدة فواحدة منهن حتى زوجن جميعا
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا يحيى بن أبي سعيد الأموي عن محمد بن السائب الكلبي قال
هجا الأعشى رجلا من كلب فقال
(بنو الشهرِ الحرامِ فلستَ منهم ... ولستَ من الكِرام بني عُبَيْد)
(ولا من رَهْط جبَّار بن قُرْطٍ ... ولا من رَهْط حارثةَ بن زيد)
قال وهؤلاء كلهم من كلب فقال الكلبي لا أبا لك أنا أشرف من هؤلاء قال فسبه الناس بعد بهجاء الأعشى إياه وكان متغيظا عليه فأغار على قوم قد بات فيهم الأعشى فأسر منهم نفرا وأسر الأعشى وهو لا يعرفه ثم جاء حتى نزل بشريح بن السموءل بن عادياء الغساني صاحب تيماء بحصنه الذي يقال له الأبلق فمر شريح بالأعشى فناداه الأعشى
(شُرَيحُ لا تَتْرُكَنِّي بعد ما عَلِقَتْ ... حبالَك اليومَ بعد القِدِّ أظفاري)
(قد جُلْتُ ما بين بانِقْيا إلى عَدَنٍ ... وطال في العُجْم تَردادي وتَسْياري)
(فكان أكرَمهم عهداً وأوثقَهم ... مجداً أبوك بعُرْفٍ غير إنكار)
(كالغيث ما استمطروه جاد وابلُه ... وفي الشدائد كالمُستأسِد الضاري)
(كُنْ كالسموءل إذ طاف الهُمَامُ به ... في جَحْفَلٍ كهَزِيع اللَّيلِ جَرَّار)
(إذ سامه خُطَّتَيْ خَسْفٍ فقال له ... قل ما تشاء فإني سامعٌ حارِ)
(فقال غَدْرٌ وثُكْلٌ أنتَ بينهما ... فاخْتَرْ وما فيهما حَظٌّ لمختار)
(فشَكَّ غيرَ طويلٍ ثم قال له ... أُقْتُلْ أسيرَك إنّي مانعٌ جاري)
(وسوف يُعقِبُنيه إن ظَفِرتَ به ... ربٌّ كريمٌ وبيضٌ ذاتُ أطهار)
(لا سِرُّهنَّ لدينا ذاهبٌ هَدَراً ... وحافظاتٌ إذا استُودِعنَ أسراري)
(فاختار أدراعَه كي لا يُسَبَّ بها ... ولم يكن وعدُه فيها بخَتَّار)
قال وكان امرؤ القيس بن حجر أودع السموءل بن عادياء أدراعا مائة فأتاه الحارث بن ظالم ويقال الحارث بن أبي شمر الغساني ليأخذها منه فتحصن منه السموءل فأخذ الحارث ابنا له غلاما وكان في الصيد فقال إما أن سلمت الأدراع إلي وإما أن قتلت ابنك فأبى السموءل أن يسلم إليه الأدراع فضرب الحارث وسط الغلام بالسيف فقطعه قطعتين فيقال إن جريرا حين قال للفرزدق
(بسيفِ أبي رَغْوانَ سيفٍ مُجَاشِعٍ ... ضربتَ ولم تَضْرِب بسيف ابن ظالم)
إنما عنى هذه الضربة فقال السموءل في ذلك
(وَفَيْتُ بذمّة الكِنْديّ إنّي ... إذا ما ذُمّ أقوامٌ وَفَيْتُ)
(وأوصى عَادِيَا يوماً بأن لا ... تهُدّم يا سموءلُ ما بَنَيْتُ)
(بَنى لي عَادِيَا حِصْناً حَصيناً ... وماءً كلَّما شئتُ استقيتُ)
قال فجاء شريح إلى الكلبي فقال له هب لي هذا الأسير المضرور فقال هو لك فأطلقه وقال أقم عندي حتى أكرمك وأحبوك فقال له الأعشى إن من تمام صنيعتك أن تعطيني ناقة نجيبة وتخليني الساعة قال
فأعطاه ناقة فركبها ومضى من ساعته وبلغ الكلبي أن الذي وهب لشريح هو الأعشى فأرسل إلى شريح ابعث إلي الأسير الذي وهبت لك حتى أحبوه وأعطيه فقال قد مضى فأرسل الكلبي في أثره فلم يلحقه

الأعشى يمدح عامر بن الطفيل ويهجو علقمة بن علاثة

حدثنا ابن علاثة عن محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا يحيى بن سعيد بن يحيى الأموي عن محمد بن السائب قال أتى الأعشى الأسود العنسي وقد امتدحه فاستبطأ جائزته فقال الأسود ليس عندنا عين ولكن نعطيك عرضا فأعطاه خمسمائة مثقال دهنا وبخمسمائة حللا وعنبرا فلما مر ببلاد بني عامر خافهم على ما معه فأتى علقمة بن علاثة فقال له أجرني فقال قد أجرتك قال من الجن والإنس قال نعم قال ومن الموت قال لا فأتى عامر بن الطفيل
فقال أجرني قال قد أجرتك قال من الجن والإنس قال نعم قال ومن الموت قال نعم قال وكيف تجيرني من الموت قال إن مت وأنت في جواري بعثت إلى أهلك الدية فقال الآن علمت أنك قد أجرتني من الموت فمدح عامرا وهجا علقمة فقال علقمة لو علمت الذي أراد كنت أعطيته إياه
قال الكلبي ولم يهج علقمة بشي أشد عليه من قوله
(تَبِيتُون في المَشْتَى مِلاَءً بطونُكم ... وجاراتُكم غَرْثَى يَبِتْنَ خَمائصَا)
فرفع علقمة يديه وقال لعنه الله إن كان كاذبا أنحن نفعل هذا بجاراتنا وأخبار الأعشى وعلقمة وعامر تأتي مشروحة في خبر منافرتهما إن شاء الله تعالى
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله قال حدثني محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل وغيره من أصحابه أن الأعشى تزوج امرأة من عنزة ثم من هزان قال وعنزة هو ابن أسد بن ربيعة بن نزار فلم يرضها ولم يستحسن خلقها فطلقها وقال فيها
((بِينِي حَصَانَ الفَرْجِ غيرَ ذَميمةٍ ... وموموقةً فينا كذاك ووامِقَهْ

(وذُوقِي فَتى قومٍ فإنِّي ذائقٌ ... فتاةَ أُناسٍ مثلَ ما أنتِ ذائقَه)
(لقد كان في فِتْيانِ قومِكِ مَنْكَحٌ ... وشُبَّانِ هِزَّانَ الطِّوالِ الغَرَانِقَه)
(فبِينِي فإنّ البَيْنَ خيرٌ من العصا ... وإلاّ تَرَيْ لي فوق رأسك بارقه)
(وما ذاك عندي أن تكوني دنيئةً ... ولا أن تكوني جئتِ عندي ببائقه)
(ويا جارتا بِيني فإنّك طالقه ... كذاك أمورُ الناس غادٍ وطارقه)
أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا الحسين بن إبراهيم بن الحر قال حدثنا المبارك بن سعيد عن سفيان الثوري قال طلاق الجاهلية طلاق كانت عند الأعشى امرأة فأتاها قومها فضربوه وقالوا طلقها فقال
(أيا جارتَا بِيِني فإنّك طالقَهْ ... كذاك أمورُ النَّاس غادٍ وطارقهْ)
وذكر باقي الأبيات مثل ما تقدم
أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال حدثنا عثمان البرقي في إسناد له قال أخذ قوم الأعشى فقالوا له طلق امرأتك فقال
(أيا جارتا بِيني فإنّك طالقهْ ... كذاك أمور الناس غادٍ وطارقهْ)
ثم ذكر نحو الخبر الذي قبله على ما قدمناه
في هذه الأبيات غناء نسبته
صوت
(فبِينِي فإنّ البينَ خيرٌ من العصا ... وإلاّ تَرَيْ لي فوق رأسكِ بارقهْ)
(وما ذاك عندي أن تكوني دنيئةً ... ولا أن تكوني جئتِ عندي ببائقه)
(ويا جارتا بيني فإنّكِ طالقه ... كذاك أمورُ الناس غادٍ وطارقه)
الشعر للأعشى والغناء للهذلي خفيف ثقيل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق وفيه لابن جامع ثاني ثقيل بالبنصر عن الهشامي قال الهشامي وفيه لفليح خفيف ثقيل بالوسطى لا يشك فيه من غنائه وذكر حبش أن الثقيل الثاني لابن سريج وذكر عبيد الله بن عبد الله بن طاهر أن الخفيف الثاني المنسوب إلى فليح لأبيه عبد الله بن طاهر وهذا الصوت يغنى في هذا الزمان على ما سمعناه
(أيا جارتا دُومِي فإنك صادقَهْ ... وموموقةٌ فينا كذاك ووامِقهْ)
(ولم نفترق أنْ كنتِ فينا دنيئةً ... ولا أن تكوني جئتِ عندي ببائقه)
وأحسبه غير في دور الطاهرية على هذا
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني سوار بن أبي شراعة قال حدثني أبي عن مسعود بن بشر عن أبي عبيدة قال دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان وقد شرب خمرا وتضمخ بلخالخ وخلوق وعنده الشعبي فلما رآه قال يا شعبي ناك الأخطل أمهات الشعراء جميعا فقال له الشعبي بأي شيء قال حين يقول
(وتظلُّ تَنْصُفُنا بِها قَرَوِيّةٌ ... إبرِيقُها برِقاعِهِ ملثومُ)
(فإذا تعاورتِ الأكُفُّ زُجَاجَها ... نفحتْ فشمَّ رياحَها المزكومُ)
فقال الأخطل سمعت بمثل هذا يا شعبي قال إن أمنتك قلت لك قال أنت آمن فقلت له أشعر والله منك الذي يقول
(وأدْكَنَ عاتِقٍ جَحْلٍ رَبَحْلٍ ... صَبحتُ براحِه شَرْباً كِرَاما)
(من اللائي حُمِلن على المَطَايا ... كريح المسك تستلّ الزُّكاما)
فقال الأخطل ويحك ومن يقول هذا قلت الأعشى أعشى بني قيس ابن ثعلبة فقال قدوس قدوس ناك الأعشى أمهات الشعراء جميعا وحق الصليب
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة والهيثم بن عدي وحدثني الصولي قال حدثني الغلابي عن العتبي عن أبيه وذكر هارون بن الزيات عن حماد عن أبيه عن عبد الله بن الوليد عن جعفر بن سعيد الضبي قالوا جميعا قدم الأخطل الكوفة فأتاه الشعبي يسمع من شعره قال فوجدته يتغدى فدعاني أتغدى فأتيته فوضع الشراب فدعاني إليه فأتيته فقال ما حاجتك قلت أحب أن أسمع من شعرك فأنشدني قوله
(... صَرَمتْ أُمَامَةُ حبلَنا ورَعُومُ)
حتى انتهى إلى قوله
(فإذا تعاورت الأكُفُّ خِتامَها ... نَفَحَتْ فشَمَّ رياحَها المزكومُ)
فقال يا شعبي ناك الأخطل أمهات الشعراء بهذا البيت قلت الأعشى أشعر منك يا أبا مالك قال وكيف قلت لأنه قال
(منْ خمرِ عانةَ قد أتى لِختامها ... حَوْلٌ تَسُلُّ غُمَامةَ المزكومِ)
فضرب بالكأس الأرض وقال هو والمسيح أشعر مني ناك والله الأعشى أمهات الشعراء إلا أنا
حدثني وكيع قال حدثني محمد بن إسحاق المعولي عن إسحاق الموصلي عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية عن سماك بن حرب قال قال الأعشى أتيت سلامة ذا فائش فأطلت المقام ببابه حتى وصلت إليه فأنشدته
(إنّ مَحَلاًّ وإن مُرْتَحَلا ... وإنّ في السَّفْرِ من مَضَى مَهَلا)
(اِستأثِرِ اللّهُ بالوفاء وبالعَدْل ... وولّى المَلاَمةَ الرجلا)
(الشعرُ قَلّدتُه سَلاَمةَ ذا ... فائشَ والشيءُ حيث ما جُعلا)
فقال صدقت الشيء حيث ما جعل وأمر لي بمائة من الإبل وكساني حللا وأعطاني كرشا مدبوغة مملوءة عنبرا وقال إياك أن تخدع عما فيها فأتيت الحيرة فبعتها بثلاثمائة ناقة حمراء
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة قال قال هشام بن القاسم الغنوي وكان علامة بأمر الأعشى إنه وفد إلى النبي وقد مدحه بقصيدته التي أولها
(ألم تَغْتَمِضْ عيناكَ ليلةَ أرْمَدَا ... وعادك ما عاد السَّليمَ المُسَهَّدَا)
(وما ذاك من عشق النساء وإنما ... تناسيتَ قبل اليوم خُلَّةَ مَهْدَدَا)
وفيها يقول لناقته
(فآليتُ لا أرْثِي لها من كَلاَلَةٍ ... ولا من حَفاً حتى تَزُورَ محمدا)
(نبيٌّ يَرى ما لا تَرَوْن وذكرُه ... أغارَ لعَمْري في البلاد وأنْجدا)

(متى ما تُناخِي عند باب ابن هاشمٍ ... تُراحِي وتَلْقَيْ من فَوَاضِله يدا)
فبلغ خبره قريشا فرصدوه على طريقه وقالوا هذا صناجة العرب ما مدح أحدا قط إلا رفع في قدره فلما ورد عليهم قالوا له أين أردت يا أبا بصير قال أردت صاحبكم هذا لأسلم قالوا إنه ينهاك عن خلال ويحرمها عليك وكلها بك رافق ولك موافق قال وما هن فقال أبو سفيان بن حرب الزنا قال لقد تركني الزنا وما تركته ثم ماذا قال القمار قال لعلي إن لقيته أن أصيب منه عوضا من القمار ثم ماذا قالوا الربا قال ما دنت ولا ادنت ثم ماذا قالوا الخمر قال أوه أرجع إلى صبابة قد بقيت لي في المهراس فأشربها فقال له أبو سفيان هل لك في خير مما هممت به قال وما هو قال نحن وهو الآن في هدنة فتأخذ مائة من الإبل وترجع إلى بلدك سنتك هذه وتنظر ما يصير إليه أمرنا فإن ظهرنا عليه كنت قد أخذت
خلفا وإن ظهر علينا أتيته فقال ما أكره ذلك فقال أبو سفيان يا معشر قريش هذا الأعشى والله لئن أتى محمدا واتبعه ليضرمن عليكم نيران العرب بشعره فاجمعوا له مائة من الإبل ففعلوا فأخذها وانطلق إلى بلده فلما كان بقاع منفوحة رمى به بعيره فقتله

الفتيان يتنادمون على قبره بمنفوحة

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثنا محمد بن إدريس بن سليمان بن أبي حفصة قال قبر الأعشى بمنفوحة وأنا رأيته فإذا أراد الفتيان أن يشربوا خرجوا إلى قبره فشربوا عنده وصبوا عنده فضلات الأقداح
أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا علي بن سليمان النوفلي قال حدثنا أبي قال أتيت اليمامة واليا عليها فمررت بمنفوحة وهي منزل الأعشى التي يقول فيها
(... بشَطِّ منفوحةَ فالحاجر)
فقلت أهذه قرية الأعشى قالوا نعم فقلت أين منزله قالوا ذاك وأشاروا إليه قلت فأين قبره قالوا بفناء بيته فعدلت إليه بالجيش فانتهيت إلى قبره فإذا هو رطب فقلت ما لي أراه رطبا فقالوا إن الفتيان ينادمونه فيجعلون قبره مجلس رجل منهم فإذا صار إليه القدح صبوه عليه لقوله أرجع إلى اليمامة فأشبع من الأطيبين الزنا والخمر
وأخبرنا الحسن بن علي قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثنا الأطروش بن إسحاق بن إبراهيم عن أبيه أن ابن عائشة غنى يوما
(...هُرَيْرَةَ ودّعها وإن لام لائمُ)
فأعجبته نفسه ورآه ينظر في أعطافه فقيل له لقد أصبحت اليوم تائها فقال وما يمنعني من ذلك وقد أخذت عن أبي عباد معبد أحد عشر صوتا منها
(... هريرةَ ودِّعها وإن لام لائم)
وأبو عباد مغني أهل المدينة وإمامهم
قال وكان معبد يقول والله لقد صنعت صوتا لا يقدر أن يغنيه شبعان ممتلئ ولا يقدر متكئ على أن يغنيه حتى يجثو ولا قائم حتى يقعد قيل وما هو يا أبا عباد قال إسحاق فأخبرني بذاك محمد بن سلام الجمحي أنه بلغه أن معبدا قاله
وأخبرني بهذا الخبر اسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو غسان محمد بن يحيى قال قال معبد والله لأغنين صوتا لا يغنيه مهموم ولا شبعان ولا حامل حمل ثم غنى
(ولقد قلتُ والضميرُ ... كثيرُ البلابِلِ)
(ليت شعري تَمَنّياً ... والمُنى غيرُ طائل)
(هل رسولٌ مبلّغ ... فيُؤَدِّي رسائلي)
لحن معبد هذا خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس وفيه ثقيل أول ينسب إليه أيضا ويقال إنه لأهل مكة
ومنها الصوت المسمى بالمنمنم
صوت
(هاجَ ذا القلبَ من تَذَكُّر جُمْلٍ ... ما يَهيج المتيَّمَ المحزونا)
(إذ تراءتْ على البَلاَطِ فلمّا ... واجهتْنا كالشمسِ تُعْشِي العيونا)
(ليلةَ السبت إذ نظرتُ إليها ... نظرةً زادت الفؤادَ جنونا)
الشعر لإسماعيل بن يسار والغناء لمعبد ثقيل أول بالوسطى وفيه لدحمان ثاني ثقيل بالبنصر ذكر الهشامي أنه لا يشك فيه من غنائه وقد مضت أخبار إسماعيل بن يسار في المائة المختارة فاستغني عن إعادتها ها هنا
صوت
(آمِن آل لَيْلَى بالمَلاَ مُتَربَّعُ ... كما لاح وَشْمٌ في الذراع مُرَجَّعُ)
(سأَتْبَع لَيْلَى حيث سارت وخيَّمتْ ... وما الناسُ إلا آلِفٌ ومُوَدِّعُ)
الشعر لعمرو بن سعيد بن زيد وقيل إنه للمجنون وإن مع هذين البيتين أخر وهي
(وقفتُ لليلَى بعد عشرين حِجَّةً ... بمنزلةٍ فانهلّتِ العينُ تَدْمَعُ)
(فأمرضَ قلبي حبُّها وطِلاَبُها ... فيا آلَ ليلَى دعوةً كيف أصْنَعُ)
(سأتبع ليلى حيث حلّت وخيّمتْ ... وما الناسُ إلا آلِفٌ ومودِّعُ)
(كأنّ زماماً في الفؤاد معلّقاً ... تَقُود به حيث استمرّتْ وأتْبَعُ)
والغناء لمعبد خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى وقد ذكر حماد بن إسحاق عن أبيه أن هذا الصوت منحول إلى معبد وأنه مما يشبه
غناءه وذكر ابن الكلبي عن محمد بن يزيد أن معبدا أخذ لحن سائب خاثر في
(... أفاطمُ مهلاً بعضَ هذا التدلُّل)
فغنى فيه
(...أمن آلِ ليلَى بالمَلاَ متربَّعُ)

نسب عمرو بن سعيد بن زيد وأخباره

هو عمرو بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب وسعيد بن زيد يكنى أبا الأعور وهو أحد العشرة الذين كانوا مع رسول الله على حراء فرجف بهم فقال اثبت

حراء فليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد
أخبرني ابن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني أبي قال حدثني الهيثم بن سفيان عن أبي مسكين قال جلس الوليد بن يزيد يوما للمغنين وكانوا متوافرين عنده وفيهم معبد وابن عائشة فقال لابن عائشة يا محمد قال لبيك يا أمير المؤمنين قال إني قد قلت شعرا فغن فيه قال وما هو فأنشده إياه وترنم به محمد ثم غناه فأحسن وهو

صوت

(عَلِّلاني واسقِيانِي ... من شرابٍ أصْبَهانِي)
(من شرابِ الشيخِ كِسْرَى ... أو شرابِ القَيْروانِ)
(إنّ في الكاسِ لَمِسْكاً ... أو بكفّيْ مَنْ سَقانِي)
(أو لقد غُودِرَ فيها ... حين صُبّت في الدِّنانِ)
(كَلِّلانِي تَوِّجانِي ... وبشعري غَنِّياني)
(أطْلِقاني بِوَثاقِي ... واشْدُداني بِعِناني)
(إنّما الكأسُ ربيعٌ ... يُتعاطَى بالبَنانِ)
(وحُمَيَّا الكأسِ دبّتْ ... بين رِجْلِي ولساني)

الغناء لابن عائشة هزج بالبنصر من رواية حبش قال فأجاد ابن عائشة واستحسن غناءه من حضر فالتفت إلى معبد فقال كيف ترى يا أبا عباد فقال له معبد شنت غناءك بصلفك قال ابن عائشة يا أحول والله لولا أنك شيخنا وأنك في مجلس أمير المؤمنين لأعلمتك من الشائن لغنائه أنا بصلفي أم أنت بقبح وجهك وفطن الوليد بحركتهما فقال ما هذا فقال خير يا أمير المؤمنين لحن كان معبد طارحنيه فأنسيته فسألته عنه لأغني فيه أمير المؤمنين فقال وما هو قال

(أمِنْ آلِ ليلى بالمَلاَ مُتَرَبَّعُ ... كما لاح وشمٌ في الذِّراع مُرَجَّعُ)

فقال هات يا معبد فغناه إياه فاستحسنه الوليد وقال أنت والله سيد من غنى وهذا الخبر أيضا مما يدل على أن ما ذكره حماد من أن هذا الصوت منحول لمعبد لا حقيقة له
أخبرني محمد بن إبراهيم قريض قال حدثني أحمد بن أبي العلاء المغني قال غنيت المعتضد صوتا في شعر له ثم أتبعته بشعر الوليد بن يزيد

(كلِّلانِي توِّجانِي ... وبشِعْري غنِّياني)

فقال أحسن والله هكذا تقول الملوك المترفون وهكذا يطربون وبمثل هذا يشيرون وإليه يرتاحون أحسنت يا أحمد الاختيار لما شاكل الحال وأحسنت الغناء أعد فأعدته فأمر لي بعشرة آلاف درهم وشرب رطلا ثم استعاده فأعدته وفعل مثل ذلك حتى استعاده ست مرات وشرب ستة أرطال وأمر لي بعشرة آلاف درهم وقال مرة أخرى بستمائة دينار ثم سكر وما رئي قبل ذلك ولا بعده أعطى مغنيا هذه العطية وفي الخبر زيادة وقد ذكرته في موضع آخر يصلح له
وقد ذكر محمد بن الحسن الكاتب عن أحمد بن سهل النوشجاني أنه حضر أحمد بن أبي العلاء وقد غنى المعتضد هذا الصوت في هذا المجلس وأمر له بهذا المال بعينه ولم يشرح القصة كما شرحها أحمد

ومنها صوت وهو المتبختر

(جَعل الله جعفراً لكِ بَعْلاً ... وشِفاءً مِن حادثِ الأوْصابِ)
(إذ تقولين للوَليدة قُومِي ... فانظُري مَنْ تَرَيْنَ بالأبواب)

الشعر للأحوص والغناء لمعبد - خفيف ثقيل - أول بالبنصر وذكر حماد عن أبيه في كتاب معبد أنه منحول إلى معبد وأنه لكردم

صوت

وهو المسمى مقطع الأثفار

(ضوءُ نارٍ بدا لعينك أم شَبَّتْ ... بذي الأثْل من سَلامةَ نارُ)
(تلك بين الرِّياضِ والأثْلِ والباناتِ ... منّا ومن سَلامةَ دارُ)
(وكذاكَ الزمانُ يذهبُ بالناسِ ... وتَبْقى الرُّسومُ والآثارُ)

الشعر للأحوص والغناء لمعبد - خفيف ثقيل - بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق وذكر يونس أن فيه صوتين لمعبد وعمر الوادي رمل عن الهشامي وفيه لعبد الله بن العباس خفيف رمل بالوسطى

الأحوص وموسى شهوات

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثنا عمي قال مدح موسى شهوات أبا بكر بن عبد العزيز بن مروان بقصيدة أحسن فيها وأجاد وقال فيها

(وكذاكَ الزمانُ يذهب بالناس ... وتَبْقى الديارُ والآثارُ)

فقام الأحوص ودخل منزله وقال قصيدة مدح فيها أبا بكر بن عبد العزيز أيضا وأتى فيها بهذا البيت بعينه وخرج فأنشدها فقال له موسى شهوات ما رأيت يا أحوص مثلك قلت قصيدة مدحت فيها الأمير فسرقت أجود بيت فيها وجعلته في قصيدتك فقال له الأحوص ليس الأمر كما ذكرت ولا البيت لي ولا لك هو للبيد سرقناه جميعا منه إنما ذكر لبيد قومه فقال

((فعفا آخرُ الزمانِ عليهم ... فَعلى آخر الزمان الدَّبارُ)
(وكذاك الزمانُ يذهب بالناس ... وتبقى الرُّسُوم والآثارُ)

قال فسكت موسى شهوات فلم يحر جوابا كأنما ألقمه حجرا
ونسخت من كتاب أحمد بن سعيد الدمشقي خبر الأحوص مع سلامة التي ذكرها في هذا الشعر وهو موضوع لا أشك فيه لأن شعره المنسوب إلى الأحوص شعر ساقط سخيف لا يشبه نمط الأحوص والتوليد بين فيه يشهد على أنه محدث والقصة أيضا باطلة لا أصل لها ولكني ذكرته في موضعه على ما فيه من سوء العهدة قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني أبو محمد الجزري قال كانت بالمدينة سلامة من أحسن الناس وجها وأتمهن عقلا وأحسنهن حديثا قد قرأت القرآن وروت الأشعار وقالت الشعر وكان عبد الرحمن بن حسان والأحوص بن محمد يختلفان إليها فيرويانها الشعر ويناشدانها إياه فعلقت الأحوص وصدت عن عبد الرحمن فقال لها عبد الرحمن يعرض لها بما ظنه من ذلك

(أرَى الإقبالَ منكِ على خليلي ... وما لي في حديثكُم نَصيبُ)

فأجابته

(لأن الله علَّقه فؤادي ... فحاز الحبَّ دونَكم الحبيبُ)
فقال الأحوص
(خليلي لا تَلُمْها في هواها ... ألذُّ العيش ما تَهْوَى القلوبُ)
قال فأضرب عنها ابن حسان وخرج ممتدحا ليزيد بن معاوية فأكرمه وأعطاه فلما أراد الانصراف قال له يا أمير المؤمنين عندي نصيحة قال وما هي قال جارية خلفتها بالمدينة لامرأة من قريش من أجمل الناس وأكملهم وأعقلهم ولا تصلح أن تكون إلا لأمير المؤمنين وفي سماره فأرسل إليها يزيد فاشتريت له وحملت إليه فوقعت منه موقعا عظيما وفضلها على جميع من عنده وقدم عبد الرحمن المدينة فمر بالأحوص وهو قاعد على باب داره وهو مهموم فأراد أن يزيده إلى ما به فقال
(يا مُبْتَلىً بالحب مفدوحَا ... لاقَى من الحبِّ تَبَاريحَا)
(أَلْجمه الحبُّ فما يَنْثَنِي ... إلا بكأس الشوق مَصْبوحَا)
(وصار ما يُعْجبه مُغْلَقاً ... عنه وما يكره مفتوحَا)
(قد حازها من أصبحتْ عنده ... ينال منها الشَّمَّ والرِّيحَا)
(خليفةُ الله فسَلِّ الهوَى ... وعَزِّ قلباً منك مجروحا)
فأمسك الأحوص عن جوابه ثم إن شابين من بني أمية أرادا الوفادة إلى يزيد فأتاهما الأحوص فسألهما أن يحملا له كتابا ففعلا فكتب إليها معهما
(سَلاَمُ ذكرِكِ مُلْصَقٌ بلساني ... وعلى هواكِ تَعُودُني أَحْزانِي)
(ما لي رأيتُكِ في المنام مطيعةً ... وإذا انتبهتُ لَجَجْتِ في العصيان)
(أبداً محبُّك مُمْسِكٌ بفؤاده ... يخشى اللَّجَاجةَ منكِ في الهِجْرانِ)
(إن كنتِ عاتبةً فإنّي مُعْتِبٌ ... بعد الإساءة فاقبلِي إحساني)
((لا تقتُلي رجلاً يَراكِ لما به ... مثلَ الشراب لغُلَّة الظمآن)
(ولقد أقول لقاطنَيْن مِنَ اَهلنا ... كانا على خُلُقي من الإخوان)
(يا صاحبيَّ على فؤادي جمرةٌ ... وبَرَى الهوى جسمي كما تَرَيان)
(أَمُرَقِّيانِ إلى سلامة أنتما ... ما قد لقيتُ بها وتَحْتَسِبان)
(لا أستطيع الصبر عنها إنها ... من مهجتي نزلتْ بكلِّ مكان)
قال ثم غلبه جزعه فخرج إلى يزيد ممتدحا له فلما قدم عليه قربه وأكرمه وبلغ لديه كل مبلغ فدست إليه سلامة خداما وأعطته مالا على أن يدخله إليها فأخبر الخادم يزيد بذلك فقال امض برسالتها ففعل ما أمره به وأدخل الأحوص وجلس يزيد بحيث يراهما فلما بصرت الجارية بالأحوص بكت إليه وبكى إليها وأمرت فألقي له كرسي فقعد عليه وجعل كل واحد منهما يشكو إلى صاحبه شدة الشوق فلم يزالا يتحدثان إلى السحر ويزيد يسمع كلامهما من غير أن تكون بينهما ريبة حتى إذا هم بالخروج قال
(أمْسَى فؤاديَ في همٍّ وبِلْبال ... من حبِّ مَنْ لم أزَلْ منه على بال)
فقالت
(صحا المحبُّون بعد النأيِ إذ يئسوا ... وقد يئستُ وما أصحوا على حال)
فقال
(مَنْ كان يسلو بيأسٍ عن أخي ثِقَةٍ ... فعن سَلاَمَة ما أمسيتُ بالسَّالِي)
فقالت
(واللهِ واللهِ لا أنساكَ يا سَكَنِي ... حتى يُفارقَ منِّي الرُّوحُ أَوْصَالِي)
فقال
(واللهِ ما خاب مَنْ أمسَى وأنتِ له ... يا قُرَّة العين في أهل وفي مال)
ثم ودعها وخرج فأخذه يزيد ودعا بها فقال أخبراني عما كان جرى بينكما في ليلتكما واصدقاني فأخبراه وأنشداه ما قالاه فلم يخرما حرفا ولا غيرا شيئا مما سمعه فقال له يزيد أتحبها يا أحوص قال إي والله يا أمير المؤمنين
(حُبَّا شديداً تليداً غيرَ مُطَّرِفٍ ... بين الجوانح مثلَ النار يَضْطَرِمُ)
فقال لها أتحبينه قالت نعم يا أمير المؤمنين
(حبًّا شديداً جرى كالرُّوح في جسدي ... فهل يُفَرَّق بين الرُّوح والجسد)
فقال يزيد إنكما لتصفان حبا شديدا خذها يا أحوص فهي لك ووصله بصلة سنية وانصرف بها وبالجارية إلى الحجاز وهو من أقر الناس عينا مضى الحديث
مدن معبد
أصوات معبد المسماة مدن معبد وتسمى أيضا حصون معبد
أخبرني ابن أبي الأزهر والحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حسين في خبره واللفظ له عن إسماعيل بن جامع عن يونس الكاتب قال قال معبد وقد سمع رجلا يقول إن قتيبة بن مسلم فتح سبعة حصون أو سبع مدن بخراسان فيها سبعة حصون صعبة المرتقى والمسالك لم يوصل إليها قط فقال والله لقد صنعت سبعة ألحان كل لحن منها أشد من فتح تلك الحصون فسئل عنها فقال
(... لعَمْري لئن شَطَّتْ بعَثْمةَ دارُها)
(... و : هُرَيْرَةَ وَدِّعها وإن لام لائمُ)
(... و : رأيتُ عَرابةَ الأَوْسيَّ يَسْمُو)
(... و : كم بذاك الحَجُونِ من حَيِّ صِدْقٍ)
(... و : لو تعلمين الغَيْبَ أيقنتِ أنني)
(... و : يا دار عَبْلَةَ بالجِوَاءِ تكلّمي)
(... و : ودِّع هريرةَ إنّ الركبَ مُرْتحلُ)
ومن الناس من يروي مدن معبد

(... تقطَّع من ظَلاَّمةَ الوصلُ أجمعُ)
(... و : خَمْصانةٌ قَلِقٌ مُوشَّحُها)
(... و : يومَ تُبدِي لنا قُتَيْلةُ)
مكان
(...كم بذاك الحَجُونِ من حي صدق)
(... (و : لو تعلمين الغيب أيقنتِ أنني
(... و : يا دارَ عَبْلة بالجِواء تكلّمِي)
نسبة هذه الأصوات وأخبارها
صوت
(لعَمْري لئن شَطَّتْ بعَثْمةَ دارُها ... لقد كدتُ من وَشْكِ الفِراق أُلِيحُ)
(أرُوح بهَمٍّ ثم أغْدُو بمثله ... ويُحسَب أنّي في الثياب صحيح)
عروضه من الطويل شطت بعدت ووشك الفراق دنوه وسرعته وأليح أشفق وأجزع الشعر لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة الفقيه والغناء لمعبد - خفيف ثقيل - أول بالخنصر في مجرى البنصر من رواية يونس وإسحاق وعمرو وغيرهم وفيه رمل يقال إنه لابن سريج
ذكر عبيد الله بن عبد الله ونسبه
هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن فأر بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار وهو في حلفاء بني زهرة من قريش وعداده فيهم وعتبة بن مسعود وعبد الله بن مسعود البدري صاحب رسول الله أخوان ولعتبة صحبة بالنبي وليس من البدريين وكان ابنه عبد الله أبو عبيد الله بن عبد الله رجلا صالحا واستعمله عمر بن الخطاب فأحمده
ولعبيد الله بن عبد الله أخوان عون وعبد الرحمن
وكان عون من أهل الفقه والأدب وكان يقول بالإرجاء ثم رجع عنه وقال وكان شاعرا
(فأوّلُ ما أُفارِقُ غيرَ شَكٍّ ... أُفَارِقُ ما يقول المُرْجِئونا)
(وقالوا مؤمنٌ من آل جَوْرٍ ... وليس المؤمنون بجائرينا)
(وقالوا مؤمنٌ دَمُه حلالٌ ... وقد حَرُمتْ دِماءُ المؤمنينا)
وخرج مع ابن الأشعث فلما هزم هرب وطلبه الحجاج فأتى محمد بن مروان بن الحكم بنصيبين فأمنه وألزمه ابنيه مروان بن محمد وعبد الرحمن بن محمد فقال له كيف رأيت ابني أخيك قال أما عبد الرحمن فطفل وأما مروان فإني إن أتيته حجب وإن قعدت عنه عتب وإن عاتبته صخب وإن صاحبته غضب ثم تركه ولزم عمر بن عبد العزيز فلم يزل معه ذكر ذلك كله ومعانيه الأصمعي عن أبي نوفل الهذلي عن أبيه ولعون يقول جرير
(يا أيُّها القارئُ الْمُرخِي عِمَامَته ... هذا زمانُك إنّي قد مضى زمني)
(أبْلغْ خليفتَنا إن كنتَ لاقِيَه ... أنّي لدى الباب كالمصفود في قَرَنِ)
وخبره يأتي في أخبار جرير
وأما عبد الرحمن فلم تكن له نباهة أخويه وفضلهما فسقط ذكره
بعض من صفاته
وأما عبيد الله فإنه أحد وجوه الفقهاء الذين روي عنهم الفقه والحديث
وهو أحد السبعة من أهل المدينة وهم القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق وعروة بن الزبير وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وسعيد بن المسيب وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وخارجة ابن زيد بن ثابت وسليمان بن يسار
وكان عبيد الله ضريرا وقد روى عن جماعة من وجوه الصحابة مثل ابن عباس وعبد الله ابن مسعود عمه وأبي هريرة وروى عنه الزهري وابن أبي الزناد وغيرهما من نظرائهما
وكان عبد الله بن عباس يقدمه ويؤثره
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثنا أبي قال حدثنا يونس بن محمد قال حدثنا حماد بن زيد عن معمر عن الزهري قال كان عبيد الله بن عبد الله يلطف لابن عباس فكان يعزه عزا
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار عن محمد بن الحسن عن مالك بن أنس عن ابن شهاب الزهري قال كنت أخدم عبيد الله بن عبد الله بن عتبة حتى إن كنت لأستقي الماء الملح وإن كان ليسأل جاريته فتقول غلامك الأعمش
أخبرني وكيع قال حدثنا محمد بن عبد الملك بن زنجويه قال حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال أدركت اربعة بحور عبيد الله بن عبد الله أحدهم
أخبرني وكيع قال حدثنا محمد قال حدثنا حامد بن يحيى عن ابن عيينة عن الزهري قال سمعت من العلم شيئا كثيرا فلما لقيت عبيد الله بن عبد الله كأني كنت في شعب من الشعاب فوقعت في الوادي وقال مرة صرت كأني لم أسمع من العلم شيئا
أخبرني وكيع قال حدثني بشر بن موسى قال حدثنا الحميدي عن ابن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان قال كان عمر بن عبد العزيز يقول ليت لي مجلسا من عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بدية
أخبرني وكيع قال حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال حدثني عمي عن يعقوب بن عبد الرحمن الزهري عن حمزة بن عبد الله قال
قال عمر بن عبد العزيز لو كان عبيد الله بن عبد الله بن عتبة حيا ما صدرت إلا عن رأيه ولوددت أن لي بيوم من عبيد الله غرما قال ذلك في خلافته
أخبرنا محمد بن جرير الطبري وعم أبي عبد العزيز بن أحمد ومحمد ابن العباس اليزيدي والطوسي ووكيع والحرمي بن أبي العلاء وطاهر بن عبد الله الهاشمي قالوا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا إبراهيم بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وابن أخيه يحيى بن محمد بن طلحة جميعا عن عثمان بن عمر بن موسى عن الزهري قال دخل عروة بن الزبير وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة على عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة فقال عروة لشيء حدث به من

ذكر عائشة وعبد الله بن الزبير سمعت عائشة تقول ما أحببت أحدا حبي عبد الله بن الزبير لا أعني رسول الله ولا أبوي فقال عمر إنكم لتنتحلون عائشة لابن الزبير انتحال من لا يرى لكل مسلم معه فيها نصيبا فقال عروة بركة عائشة كانت أوسع من ألا يرى لكل مسلم فيها حق ولقد كان عبد الله منها بحيث وضعته الرحم والمودة التي لا يشرك كل واحد منهما فيه عند صاحبه أحد فقال عمر كذبت فقال عروة هذا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود يعلم أني غير كاذب وإن من أكذب الكاذبين من كذب الصادقين فسكت عبيد الله ولم يدخل بينهما في شيء فأفف بهما عمر وقال اخرجا عني ثم لم يلبث أن بعث إلى عبيد الله بن عبد الله رسولا يدعوه لبعض ما كان يدعوه إليه فكتب إليه عبيد الله
(لَعمرُ ابنِ لَيْلَى ابنِ عائشةَ التي ... لمَرْوانَ أدّتْهُ أبٌ غيرِ زُمَّل)
((لَوَ أنهمُ عمَّاً وجدَّاً ووالداً ... تأسَّوْا فسنُّوا سنَّة المُتَعَطِّل
(عذرتُ أبا حَفْص وإن كان واحداً ... من القوم يَهدي هديَهم ليس يأتلي)
(ولكنهم فاتُوا وجئتَ مُصَلِّياً ... تقرِّب إثْرَ السابق المتمهل)
(وعُمْتَ فإن تَسبِق فضِنْءٌ مبرِّز ... جوادٍ وإن تُسبَق فنفسَك فاعذِلِ)
(فمالك بالسلطان أن تَحْمِل القَذَى ... جفون عيونٍ بالقَذَى لم تُكَحَّل)
(وما الحقُّ أن تَهْوَى فُتسْعَفَ بالذي ... هَويتَ إذا ما كان ليس بأعدل)
(أبى اللهُ والأحسابُ أن تَرْأم الخَنَا ... نفوسٌ كرامٌ بالخَنا لم تُوكَّلِ)
قال الزبير في خبره وجده الضنء والضنء الولد قال وأنشد الخليل بن أسد قال أنشدني دهثم
(ابنُ عَجوزٍ ضَنْؤُها غيرُ أَمِرْ ... لو نحرتْ في بيتها عشرَ جُزُرْ)
(لأصبحتْ من لحمهنّ تعتذِرْ ... تغدو على الحيّ بعود من سَمُرْ)
(... حتى يَفِرَّ أهلُها كلَّ مَفَرّ)
أخبرني الحسن بن علي ووكيع قالا حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير وأخبرناه الحرمي بن أبي العلاء إجازة قال حدثنا الزبير عن ابن أبي أويس عن بكار بن حارثة عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة إن عبيد الله بن عبد الله جاء إلى عمر بن عبد العزيز فاستأذن عليه فرده الحاجب وقال له عنده عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان وهو مختل به فانصرف غضبان وكان في صلاحه ربما صنع الأبيات فقال لعمر
(أَبِنْ لي فكُنْ مِثْلي أو ابتغ صاحباً ... كمثلكَ إنّي تابع صاحباً مثلي)
(عزيزٌ إخائي لا يَنال مودّتي ... من الناس إلا مسلمٌ كامل العقل)
(وما يَلْبثُ الفِتْيانُ أن يتفرّقوا ... إذا لم يُؤلِّفْ روحُ شكل إلى شكل)
قال فأخبر عمر بأبياته فبعث إليه أبا بكر بن سليمان بن أبي خيثمة وعراك بن مالك يعذرانه عنده ويقولان إن عمر يقسم بالله ما علم بأبياتك ولا برد الحاجب إياك فعذره قال الزبير وقد أنشدني محمد بن الحسن قال أنشدني محرز بن جعفر لعبيد الله بن عبد الله هذه الأبيات وزاد فيها وهو أولها
(وإنّي امرؤ من يُصْفِني الودَّ يُلْفِني ... وإن نَزحتْ دارٌ به دائمَ الوصل)
(عزيزٌ إخائي لا ينال مودّتي ... من الناس إلا مسلمٌ كاملُ العقل)
(ولولا اتّقائي اللهَ قلتُ قصيدةً ... تسير بها الرُّكْبانُ أبْرَدُها يَغْلِي)
(بها تُنْقَض الأحلاسُ في كلَّ منزل ... وينْفِي الكَرَى عنه بها صاحبُ الرَّحْل)
(كفاني يسيرٌ إذ أراكَ بحاجتي ... كَلِيلَ اللسانِ ما تُمِرُّ وما تُحْلِي)
(تُلاوذُ بالأبواب منّي مخافةَ المَلامة ... والإخلافُ شر من البخل)
وذكر الأبيات الأول بعد هذه
شعره في عراك بن مالك وابن حزم
أخبرني وكيع قال حدثني علي بن حرب الموصلي قال حدثنا إسماعيل ابن ريان الطائي قال سمعت ابن إدريس يقول كان عراك بن مالك وأبو بكر بن حزم وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة يتجالسون بالمدينة زمانا ثم إن ابن حزم ولي إمرتها وولي عراك القضاء وكانا يمران بعبيد الله فلا يسلمان عليه ولا يقفان وكان ضريرا فأخبر بذلك فأنشأ يقول
(ألا أبلغا عنّي عِراكَ بنَ مالك ... ولا تَدَعا أن تَثْنيا بأبي بكر)
(فقد جعلتْ تَبْدو شَوَاكِلُ منكما ... كأنّكما بي مُوقَرانِ من الصَّخْر)
(وطاوعتُما بي داعِكاً ذا مَعَاكةٍ ... لعَمْري لقد أزْرَي وما مثله يُزْرِي)
(ولولا اتّقائي ثم بقْيايَ فيكما ... للمتُكما لوماً أحرَّ من الجمر)
صوت
(فَمَساًّ تُرابَ الأرض منها خُلِقتُما ... ومنها المَعَادُ والمَصِيرُ إلى الحَشْرِ)
(ولا تأنَفا أن تسألا وتسلّما ... فما خشي الإنسانُ شرّاً من الكِبْر)
(فلو شئتُ أن ألفِي عدوَّا وطاعنا ... لألْفيْتُه أو قال عنديَ في السرِّ)
(فإن أنا لم آمُرْ ولم أنْهَ عنكما ... ضحكتُ له حتى يَلِجَّ ويسْتَشْرِي)
عروضه من الطويل غني في
(... فمَساَّ ترابَ الأرض منها خُلِقتُما)
والذي بعده لحن من الثقيل الأول بالبنصر من رواية عمرو بن بانة
وابن المكي ويونس وغيرهم وزعم ابن شهاب الزهري أن عبيد الله قال هذه الأبيات في عمر بن عبد العزيز وعمرو بن عثمان يعني أن الأبيات الأول ليست منها في شيء وإنما أدخلت فيها لاتفاق الروي والقافية
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إبراهيم ابن المنذر الحزامي قال حدثنا إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز عن أبيه عن ابن شهاب قال جئت عبيد الله بن عبد الله يوما في منزله فوجدته ينفخ وهو مغتاظ فقلت له مالك قال جئت أميركم آنفا يعني عمر بن عبد العزيز فسلمت عليه وعلى عبد الله بن عمرو بن عثمان فلم يردا علي فقلت
(... فَمساَّ ترابَ الأرض منها خُلقتما)
وذكر الأبيات الأربعة قال فقلت له رحمك الله أتقول الشعر في فضلك ونسكك قال إن المصدور إذا نفث برأ

قال أبو زيد حدثنا إبراهيم بن المنذر وأنشدني هذه الأبيات عبد العزيز ابن أبي ثابت عن ابن أبي الزناد له وذكر مثل ذلك وأنها في عمر بن عبد العزيز وعبد الله بن عمرو وزاد فيها
(وكيف يُريدانِ ابنَ تسعين حِجَّةً ... على ما أتى وهو ابن عشرين أو عشر)
بعض من شعره الجيد
ولعبيد الله بن عبد الله شعر فحل جيد ليس بالكثير منه قوله
(إذا كان لي سِرٌّ فَحدَّثْتُه العِدَا ... وضاق به صدري فلَلنَّاسُ أعْذَرُ)
(وسِرُّك ما استودعتَه وكتمتَه ... وليس بسرٍّ حين يفشو ويظهر)
وقوله لابن شهاب الزهري
(إذا قلتُ أمَّا بعدُ لم يُثْنِ مَنْطِقِي ... فحاذِرْ إذا ما قلتُ كيف أقولُ)
(إذا شئتَ أن تَلْقَى خليلاً مصافِياً ... لقيتَ وإخوانُ الثِّقاتِ قليل)
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الجبار ابن سعيد المساحقي عن ابن أبي الزناد عن أبيه قال أنشد عبيد الله بن عبد الله جامع بن مرخية الكلابي لنفسه
(لَعَمْرُ أبي المُحْصِينَ أيامَ نلتقي ... لِمَا لا نُلاقِيها من الدهر أكثرُ)
(يَعُدُّون يوماً واحداً إن أتيتُها ... ويَنْسَوْن ما كانت على الدهر تهجُر)
(وإن أولعَ الواشون عَمْداً بوصلنا ... فنحن بتجديد المودة أبصر)
قال فأعجبت أبياته هذه جامعا فسر ذلك عبيد الله فكساه وحمله
جامع بن مرخية هذا من شعراء الحجاز وهو الذي يقول
(سألتُ سعيدَ بن المسيَّب مفتيَ المدينة ... هل في حبِّ ظَمْياءَ من وِزْر)
(فقال سعيد بن المسيَّب إنما ... تُلام على ما تستطيع من الأمر)
فبلغ قوله سعيدا فقال كذب والله ما سألني ولا أفتيته بما قال أخبرني بذلك الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير
ومن جيد شعر عبيد الله وسهله
(أعاذلَ عاجلُ ما أشتهي ... أحبُّ من الآجل الرائثِ
(سأُنفق مالي على لذّتي ... وأوثِر نفسي على الوارث)
(أُبادِر إهلاكَ مستهلِك ... لماليَ أو عبثَ العابث)
وقوله يفتخر في أبيات
(إذا هي حلَّت وَسْط عُوذِ ابن غالبٍ ... فذلك ودٌّ نازحٌ لا أُطالعُه)
(شددتُ حَيَازيمي على قلب حازمٍ ... كتومٍ لما ضُمّتْ عليه أضالعه)
(أُدَاجي رِجالاً لستُ مُطْلِعَ بعضِهم ... على سرِّ بعضٍ إنّ صدريَ واسعه)
(بنِي ليَ عبدُ الله في ذِرْوة العلا ... وعُتْبةُ مجداً لا تُنال مصانعه)
وقوله فيه غناء
صوت
(إن يَكُ الدهرُ قد أضرَّ بنا ... من غيرِ ذَحْلٍ فربَّما نفعا)
(أبكي على ذلكِ الزمانِ ولا ... أحسب شيئاً قد فات مُرْتَجَعَا)
(إذ نحن في ظلّ نعمةٍ سلَفتْ ... كانت لها كلُّ نعمةٍ تَبَعا)
عروضه من المنسرح غنت فيها عريب خفيف رمل عن الهشامي
حدثنا محمد بن جرير الطبري والحرمي بن أبي العلاء ووكيع قالوا
حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني إسماعيل بن يعقوب عن ابن أبي الزناد عن أبيه قال قدمت المدينة امرأة من ناحية مكة من هذيل وكانت جميلة فخطبها الناس وكادت تذهب بعقول أكثرهم فقال فيها عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة
(أحِبُّكِ حبًّا لو علمتِ ببعضه ... لَجُدْتِ ولم يَصعُبْ عليكِ شديدُ)
(وحُبُّكِ يا أُمَّ الصبيِّ مُدلِّهي ... شهيدي أبو بكرٍ وأيُّ شهيدِ)
(ويعلم وَجْدِي القاسمُ بن محمد ... وعُرْوةُ ما ألقى بكم وسعيدُ)
(ويعلم ما أُخْفِي سليمانُ علمَه ... وخارجةٌ يُبْدِي لنا ويُعيدُ)
(متى تَسألي عمَّا أقول فَتُخْبَري ... فللحبِّ عندي طارفٌ وتَلِيدُ)
فبلغت أبياته سعيد بن المسيب فقال والله لقد أمن أن تسألنا وعلم أنها لو استشهدت بنا لم نشهد له بالباطل عندها
وقال الزبير أبو بكر الذي ذكر والنفر المسمون معه أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام والقاسم بن محمد بن أبي بكر وعروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وسليمان بن يسار وخارجة بن زيد بن ثابت وهم الفقهاء الذين أخذ عنهم أهل المدينة
شعره في عثمة
أخبرني وكيع قال حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات عن أحمد بن سعيد الفهري عن إبراهيم بن المنذر بن عبد الملك بن الماجشون
أن أبيات عبيد الله بن عبد الله بن عتبة التي أولها
(لَعَمْري لئن شَطَّت بعَثْمَةَ دارُها ... لقد كدتُ من وَشْكِ الفراق أُلِيحُ)
قالها في زوجة له كانت تسمى عثمة فعتب عليها في بعض الأمر فطلقها وله فيها أشعار كثيرة منها هذه الأبيات ومنها قوله يذكر ندمه على طلاقها
(كتمتَ الهوى حتى أضرَّ بك الكَتْمُ ... ولامك أقوامٌ ولومُهُم ظلمُ)
وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال قال لي عمي لقيني علي بن صالح فأنشدني بيتا وسألني من قائله وهل فيه زيادة فقلت لا أدري وقد قدم ابن أخي أعنيك وقلما فاتني شيء إلا وجدته عنده قال الزبير فأنشدني عمي البيت وهو
(غُرَابٌ وظبيٌ أعضبُ القَرْنِ نَادَيَا ... بصُرْمٍ وصِرْدَانُ العَشِيّ تَصِيحُ)

فقلت له قائله عبيد الله بن عبد الله بن عتبة وتمامها
(لَعَمْري لئن شَطَّت بعَثْمةَ دارُها ... لقد كدتُ من وَشْكِ الفِراقِ أُلِيحُ)
(أَروحُ بهَمٍّ ثم أغدو بمثله ... ويُحْسَبُ أنّي في الثياب صحيحُ)
فكتبهما عمي عني وانصرف بهما إليه
صوت
(ألاَ مَنْ لنفسٍ لا تموت فيَنقضي ... عَناها ولا تحيا حياةً لها طعم)
(أأترُكُ إتيانَ الحبيب تأثُّماً ... ألاَ إنّ هِجْرانَ الحبيب هو الإثم)
(فذُقْ هجرَها قد كنتَ تزعُم أنه ... رشادٌ ألاَ يا ربّما كذَب الزَّعْم)
عروضه من الطويل غنى يونس في هذه الأبيات الثلاثة لحنا ماخوريا
وهو خفيف الثقيل الثاني من رواية إسحاق ويونس وابن المكي وغيرهم وغنت عريب في
(... أأترك إتيانَ الحبيب تأثُّما)
لحنا من الثقيل الأول وأضافت إليه بعده على الولاء بيتين ليسا من هذا الشعر وهما
(وأقبل أقوالَ الوُشاة تَجَرُّماً ... ألاَ إن أقوالِ الوُشاة هي الجُرْمُ)
(وأشتاقُ لي إلْفاً على قُرب داره ... لأنّ مُلاقاةَ الحَبيب هي الغُنْم)
ومما قاله عبيد الله أيضا في زوجته هذه وغني فيه
صوت
(عَفَتْ أطلالُ عَثْمةَ بالغَميم ... فأضحتْ وهي مُوحِشةُ الرُّسوم)
(وقد كُنَّا نَحُلُّ بها وفيها ... هَضيمُ الكَشْح جائلةُ البَريم)
عروضه من الوافر عفت درست والأطلال ما شخص من آثار الديار والرسوم ما لم يكن له شخص منها ولا ارتفاع وإنما هو أثر والهضيم الكشح الخميص الحشى والبطن والبريم الخلخال وقيل بل هو اسم لكل ما يلبس من الحلي في اليدين والرجلين والجائل ما يجول في موضعه لا يستقر غنى في هذين البيتين قفا النجار ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالخنصر في مجرى البنصر
ومما قاله في زوجته عثمة وفيها غناء
صوت
(تغلغلَ حُبُّ عَثْمةَ في فؤادي ... فباديه مع الخافِي يسيرُ)
(تغلغل حيث لم يَبْلُغْ شرابٌ ... ولا حُزْنٌ ولم يبلُغ سرورُ)
(صدَعْتِ القلبَ ثم ذَررتِ فيه ... هواكِ فَليمَ والتأمَ الفُطورُ)
(أكاد إذا ذَكرتُ العهد منها ... أطيرُ لَوَ أنّ إنساناً يَطير)
(غَنِيٌّ النفس أنْ أزدادَ حبًّا ... ولكنّي إلى صِلَةٍ فَقير)
(وأنْفَذ جارحاكِ سوادَ قلبي ... فأنتِ عليَّ ما عِشنا أميرُ)
لمعبد في الأول والثاني من الأبيات هزج بالبنصر عن حبش وذكر أحمد بن عبيد الله أنه منحول من المكي وفي الثالث ثم الثاني لأبي عيسى ابن الرشيد رمل
قال ابن أبي الزناد في الخبر الذي تقدم ذكره عن عبيد الله وما قاله من الشعر في عثمة وغيرها فقيل له أتقول في مثل هذا قال في اللدود راحة المفؤود
أخبرني وكيع قال حدثنا أحمد بن عبد الرحمن قال حدثنا ابن وهب عن يعقوب يعني ابن عبد الرحمن عن أبيه قال كان رجل يأتي عبيد الله بن عبد الله ويجلس إليه فبلغ عبيد الله أنه يقع ببعض أصحاب رسول الله فجاءه الرجل فلم يلتفت إليه عبيد الله وكان الرجل شديد العقل فقال له يا أبا محمد إن لك لشأنا فإن رأيت لي عذرا فأقبل عذري فقال له أتتهم الله في علمه قال أعوذ بالله قال أتتهم رسول الله في حديثه قال أعوذ بالله قال يقول الله عز وجل
(لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) وأنت تقع في فلان وهو ممن بايع فهل بلغك أن الله سخط عليه بعد أن رضي عنه قال والله لا أعود أبدا قال والرجل عمر بن عبد العزيز
أخبرني وكيع عن أحمد بن زهير عن يحيى بن معين قال مات عبيد الله بن عبد الله بن عتبة سنة اثنتين ومائة ويقال سنة تسع وتسعين
أخبرني محمد بن جرير الطبري والحسن بن علي عن الحارث عن ابن سعد عن معن عن محمد بن هلال أن عبيد الله توفي بالمدينة سنة ثمان وتسعين
ومنها
صوت
(ودِّع هُرَيْرةَ إن الرَّكْب مُرْتَحِلُ ... وهل تُطيق وَداعاً أيُّها الرجلُ)
(غَرَّاءُ فَرْعاءُ مصقولٌ عوارِضُها ... تمشي الهُوَيْنَى كما يمشي الوَجِي الوَحِلُ)
(تسمع للحَلْي وَسْوَاساً إذا انصرفتْ ... كما استعان بريح عِشْرِقٌ زَجِلُ)
(عُلِّقْتُها عَرَضاً وعُلِّقتْ رجُلاً ... غيري وعلّق أخرى غيرَها الرَّجلُ)
(قالت هريرةُ لمّا جئتُ زائرَها ... وَيْلي عليك وويلي منك يا رجلُ)
(لم تمشِ مِيلاً ولم تركب على جملٍ ... ولم تر الشمس إلا دونها الكِلَلُ
(أقول للركب في دُرْنى وقد ثَمِلوا ... شِيمُوا وكيف يَشيم الشاربُ الثَّمِلُ)
(كناطحٍ صخرةً يوماً ليَفْلِقَها ... فلم يَضِرْها وأوْهى قَرْنَه الوَعِلُ)
(أبلغ يزيدَ بني شَيْبانَ مَألُكَةً ... أبا ثُبَيتٍ أمَا تَنْفَكُّ تأتَكِلُ)
(إن تركبوا فركوبُ الخيل عادتُنا ... أو تنزلون فإنّا معشرٌ نُزُلُ)
(وقد غدوتُ إلى الحانوت يَتْبَعُني ... شاوٍ نَشُولٌ مِشَلٌّ شُلْشُلٌ شَوِلُ)
(في فِتْيةٍ كسيوف الهند قد علموا ... أن ليس يدفَع عن ذي الحيلة الحِيَلُ)
(نازعتُهم قُضُبَ الرَّيْحان مُتَّكِئاً ... وقهوةً مُزَّةً راووقُها خَضِلُ)

غنى معبد في الأول والثاني في لحنه المذكور من مدن معبد لحنا من القدر الأوسط من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق وذكرت دنانير أن فيهما لابن سريج أيضا صنعة ولمعبد أيضا في الرابع والخامس والثالث ثقيل أول ذكره حبش وقيل بل هو لحن ابن سريج وذلك الصحيح ولابن محرز في الثقيل في إن تركبوا وفي كناطح صخرة ثاني ثقيل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق ولحنين الحيري في أبلغ يزيد بني شيبان وإن تركبوا ثاني ثقيل آخر وذكر أحمد بن
المكي أن لابن محرز في ودع هريرة وتسمع للحلي ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر وفي وقد غدوت وما بعده رمل لابن سريج ومخارق عن الهشامي ولابن سريج في تسمع للحلي وقبله ودع هريرة رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وللغريض في قالت هريرة وعلقتها عرضا رمل وفي هذه الأبيات بعينها هزج ينسب إليه أيضا وإلى غيره وفي تسمع للحلي وقالت هريرة هزج لمحمد بن حسن بن مصعب وفي لم تمش ميلا وأقول للركب لابن سريج خفيف الثقيل الأول بالبنصر عن حبش وفي قالت هريرة وتسمع للحلي لحن لابن سريج وإن لحنين في البيتين الآخرين لحنا آخر وقد مضت أخبار هريرة مع الأعشى في
(... هُرَيرةَ ودِّعها وإن لام لائمُ)
وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الأصمعي قال قلت لأعرابية ما الغراء قالت التي بين حاجبيها بلج وفي جبهتها اتساع تتباعد قصتها معه عن حاجبيها فيكون بينهما نفنف وقال أبو عبيدة الفرعاء الكثيرة الشعر والعوارض الأسنان والهويني تصغير الهونى والهونى مؤنث الأهون والوجي الظالع وهو الذي قد حفي فليس يكاد يستقل على رجله والوحل الذي قد وقع في الوحل والعشرق نبت يبس فتحركه الريح شبه صوت حليها بصوته الزجل المصوت من العشرق وعلقتها أجببتها وعرضا على غير موعد الوعل التيس الجبلي والجمع أوعال مألكة رسالة والجمع مآلك ما تنفك ما تزال وتأتكل تتحرق وقال أبو عبيدة الشاوي الذي يشوي اللحم والنشول الذي ينشل اللحم من
القدر ومشل سواق سريع يسوق به وشلشل خفيف وشول طيب الريح

خلاف بني كعب وبني همام

الشعر للأعشى وقد تقدم نسبه وأخباره يقول هذه القصيدة ليزيد بن مسهر أبي ثابت الشيباني قال أبو عبيدة وكان من حديث هذه القصيدة أن رجلا من بني كعب بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة يقال له ضبيع قتل رجلا من بني همام يقال له زاهر بن سيار بن أسعد بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان وكان ضبيع مطروقا ضعيف العقل فنهاهم يزيد بن مسهر أن يقتلوا ضبيعا بزاهر وقال اقتلوا به سيدا من بني سعد بن مالك بن ضبيعة فحض بني سيار بن أسعد على ذلك وأمرهم به وبلغ بني قيس ما قاله فقال الأعشى هذه الكلمة يأمره أن يدع بني سيار وبني كعب ولا يعين بني سيار فإنه إن أعانهم أعانت قبائل بني قيس بن كعب وحذرهم أن تلقى شيبان منهم مثل ما لقوا يوم العين عين محلم بهجر

يوم عين محلم

قال أبو عبيدة وكان من حديث ذلك اليوم كما زعم عمر بن هلال أحد بني سعد بن قيس بن ثعلبة أن يزيد بن مسهر كان خالع أصرم بن عوف ابن ثعلبة بن سعد بن قيس بن ثعلبة وكان عوف أبو بني الأصرم يقال له
الأعجف والضيعة له وهي قرية باليمامة فلما خلع يزيد أصرم من ماله خالعه على أن يرهنه ابنيه أقلت وشهابا ابني أصرم وأمهما فطيمة بنت شرحبيل بن عوسجة بن ثعلبة بن سعد بن قيس وأن يزيد قمر أصرم فطلب أن يدفع إليه ابنيه رهينة فأبت أمهما وأبى يزيد إلا أخذهما فنادت قومها فحضر الناس للحرب فاشتملت فطيمة على ابنيها بثوبها وفك قومها عنها وعنهما فذلك قول الأعشى
(نحن الفوارس يوم العَيْن ضاحيةً ... جَنْبَيْ فُطَيْمةَ لا ميلٌ ولا عُزُلُ)
قال فانهزمت بنو شيبان فحذر الأعشى أن يلقى مسهر مثل تلك الحال
قال أبو عبيدة وذكر عامر ومسمع عن قتادة الفقيه أن رجلين من بني مروان تنازعا في هذا الحديث فجردا رسولا في ذلك إلى العراق حتى قدم إلى الكوفة فسأل فأخبر أن فطيمة من بني سعد بن قيس كانت عند رجل من بني شيبان وكانت له زوجة أخرى من بني شيبان فتعايرتا فعمدت الشيبانية فحلت ذوائب فطيمة فاهتاج الحيان فاقتتلوا فهزمت بنو شيبان يومئذ
أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدثنا أحمد بن محمد القصير قال حدثنا محمد بن صالح قال حدثني أبو اليقظان قال حدثني جويرية عن يشكر ابن وائل اليشكري وكان من علماء بكر بن وائل وولد أيام مسيلمة فجيء
به إليه فمسح على رأسه فعمي قال جويرية فحدثني يشكر هذا قال حدثني جرير بن عبد الله البجلي قال سافرت في الجاهلية فأقبلت على بعيري ليلة أريد أن أسقيه فجعلت أريده على أن يتقدم فوالله ما يتقدم فتقدمت فدنوت من الماء وعقلته ثم أتيت الماء فإذا قوم مشوهون عند الماء فقعدت فبينا أنا عندهم إذ أتاهم رجل أشد تشويها منهم فقالوا هذا شاعرهم فقالوا له يا فلان أنشد هذا فإنه ضيف فأنشد
(... ودِّع هريرةَ إن الركب مرتحلُ)
فلا والله ما خرم منها بيتا واحدا حتى انتهى إلى هذا البيت
(تسمع للحَلْي وَسْوَاساً إذا انصرفتْ ... كما استعان بريحٍ عِشْرِقٍ زَجِلُ)
فأعجب به فقلت من يقول هذا القصيدة قال أنا قلت لولا ما تقول لأخبرتك أن أعشى بني ثعلبة أنشدنيها عام أول بنجران قال فإنك صادق أنا الذي ألقيتها على لسانه وأنا مسحل صاحبه ما ضاع شعر شاعر وضعه عند ميمون بن قيس
صوت
(رأيتُ عَرابةَ الأوْسِيَّ يسمو ... إلى الخيرات مُنْقَطِعَ القَرينِ)
(إذا ما رايةٌ رُفعت لمجد ... تلقَّاها عَرابةُ باليمين)
عروضه من الوافر الشعر للشماخ والغناء لمعبد خفيف الثقيل
الأول بالوسطى وذكر إسحاق أنه من الأصوات القليلة الأشباه وذكر ابن المكي أن له فيه لحنا آخر من خفيف الثقيل وقد أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني عمر بن شبة عن محمد بن يحيى أبي غسان قال غنى أبو نؤى
(رأيت عرابة الأوسي يسمو ... إلى الخيرات منقطع القرين)
فنسبه الناس إلى معبد ولعله يعني اللحن الآخر الذي ذكره ابن المكي وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات

أخبرني حماد عن ابن أبي جناح قال الناس ينسبون هذا الصوت إلى معبد
ذكر الشماخ ونسبه وخبره
هو فيما ذكر لنا أبو خليفة عن محمد بن سلام الشماخ بن ضرار ابن سنان بن أمية بن عمرو بن جحاش بن بجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد ابن ذبيان وذكر الكوفيون أنه الشماخ بن ضرار بن حرملة بن صيفي بن إياس ابن عبد بن عثمان بن جحاش بن بجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان ابن بغيض بن ريث بن غطفان وأم الشماخ أنمارية من بنات الخرشب ويقال أنهن أنجب نساء العرب واسمها معاذة بنت بجير بن خالد بن إياس والشماخ مخضرم ممن أدرك الجاهلية والإسلام وقد قال للنبي
(تَعَلَّمْ رسولَ الله أنا كأننا ... أفَأْنا بأنْمارٍ ثعالبَ ذي غِسْلِ)
يعني أنمار بن بغيض وهم قومه وهو أحد من هجا عشيرته وهجا أضيافه ومن عليهم بالقرى والشماخ لقب واسمه معقل وقيل الهيثم والصحيح معقل قال جبل بن جوال له في قصة كانت بينهما
((لعَمْري لعل الخيرَ لو تعلمانِه ... يمُنّ علينا مَعْقِلٌ ويزيد
(منيحةَ عنزٍ أو عطاءَ قَطِيمةٍ ... ألاّ إنّ نيل الثَّعْلبيِّ زهيد)
وللشماخ أخوان من أمه وأبيه شاعران أحدهما مزرد وهو مشهور واسمه يزيد وإنما سمي مزردا لقوله
(فقلتُ تَزَرَّدْها عُبَيْدُ فإنني ... لدُرْدِ الشيوخ في السنين مُزَرِّدُ)
والآخر جزء بن ضرار وهو الذي يقول يرثي عمر بن الخطاب رضي الله عنه
(عليك سلامٌ من أميرٍ وباركتْ ... يدُ الله في ذاك الأدِيم الممزَّقِ)
(فمن يَسْعَ أو يركبْ جَناحَيْ نَعامةٍ ... لُيدرك ما حاولتَ بالأمس يُسْبَقِ)
وقد أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا شهاب بن عباد قال حدثنا محمد بن بشر قال حدثنا مسعر عن عبد الملك بن عمير عن الصقر بن عبد الله عن عروة عن عائشة قالت ناحت الجن على عمر قبل أن يقتل بثلاث فقالت
((أبعد قَتيلٍ بالمدينة أَظْلمتْ ... له الأرضُ تهتزُّ العِضَاهُ بأسْؤُقِ
(جزى اللهُ خيراً من إمامٍ وباركتْ ... يدُ الله في ذاك الأديم الممزَّق)
(فمن يَسْعَ أو يركب جَناحَيْ نعامةٍ ... لُيدرك ما حاولتَ بالأمس يُسبَق)
(قضيتَ أموراً ثم غادرتَ بعدها ... بوائقَ في أكمامها لم تُفَتَّق)
(وما كنتُ أخشى أن تكون وفاته ... بكَفَّيْ سَبَنْتَى أزرقِ العين مُطْرِق)
أخبرني أحمد قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا سليمان بن داود الهاشمي قال أخبرنا إبراهيم بن سعد الزهري عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة عن أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق أن عائشة حدثتها أن عمر أذن لأزواج النبي أن يحججن في آخر حجة حجها عمر قال فلما ارتحل عمر من المحصب أقبل رجل متلثم فقال وأنا أسمع هذا كان منزله فأناخ في منزل عمر ثم رفع عقيرته يتغنى
(عليك سلامٌ من أميرٍ وباركتْ ... يدُ الله في ذاك الأديم الممزَّقِ)
(فمن يَجْرِ أو يركبْ جناحَيْ نَعامة ... ليدرك ما قدَّمتَ بالأمس يُسْبَقِ)
(قضيتَ أموراً ثم غادرتَ بعدها ... بوائقَ في أكمامها لم تفتَّقِ)
قالت عائشة فقلت لبعض أهلي اعلموا لي علم هذا الرجل فذهبوا
فلم يجدوا في مناخه أحدا قالت عائشة فوالله إني لأحسبه من الجن فلما قتل عمر نحل الناس هذه الأبيات للشماخ بن ضرار أو جماع بن ضرار هكذا في الخبر وهو جزء بن ضرار
طبقته بين الشعراء
وجعل محمد بن سلام في الطبقة الثالثة الشماخ وقرنه بالنابغة ولبيد وأبي ذؤيب الهذلي ووصفه فقال كان شديد متون الشعر أشد كلاما من لبيد وفيه كزازة ولبيد أسهل منه منطقا أخبرنا بذلك أبو خليفة عنه
وقد قال الحطيئة في وصيته أبلغوا الشماخ أنه أشعر غطفان قد كتب ذلك في شعر الحطيئة
وهو أوصف الناس للحمير أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني عمي عن ابن الكلبي قال أنشد الوليد بن عبد الملك شيئا من شعر الشماخ في صفة الحمير فقال ما أوصفه لها إني لأحسب أن أحد أبويه كان حمارا
أخبرني إبراهيم بن عبد الله قال حدثنا عبد الله بن مسلم قال كان الشماخ يهجو قومه ويهجو ضيفه ويمن عليه بقراه وهو أوصف الناس للقوس والحمار وأرجز الناس على البديهة
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال قال مزرد لأمه كان كعب بن زهير لا يهابني وهو اليوم يهابني فقالت يا بني نعم إنه يرى جرو الهراش موثقا ببابك تعني أخاه الشماخ وقد ذكر محمد ابن الحسن الأحول هذا الخبر عن ابن الأعرابي عن المفضل قال قالت معاذة بنت بجير بن خلف للشماخ ومزرد عرضتماني لشعراء العرب الحطيئة وكعب ابن زهير فقالا كلا لا تخافي قالت فما يؤمنني قالا إنك ربطت بباب بيتك جروي هراش لا يجترئ أحد عليهما يعنيان أنفسهما
أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال أخبرني شعيب بن صخر قال كانت عند الشماخ امرأة من بني سليم أحد بني حرام بن سماك فنازعته وادعته طلاقا وحضر معها قومها فاختصموا إلى كثير بن الصلت وكان عثمان بن عفان أقعده للنظر بين الناس وهو رجل من كندة وعداده في بني جمح وقد ولدتهم بنو جمح ثم تحولوا إلى بني العباس فهم فيهم اليوم
فرأى كثير عليهم يمينا فالتوى الشماخ باليمين يحرضهم عليها ثم حلف وقال
(أتَتْني سُلَيمٌ قَضُّها وقَضِيضُها ... تمسَّحُ حولي بالبَقيع سِبالَها)
(يقولون لي يا احلِفْ ولستُ بحالفٍ ... أخاتِلهم عنها لكيما أنالَها)
(ففرَّجتُ همَّ النفس عنِّي بحَلْفةٍ ... كما شَقَّتِ الشَّقْراءُ عنها جِلالَها)
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال قدم ناس من بهز المدينة يستعدون على الشماخ وزعموا أنه هجاهم ونفاهم فجحد ذلك الشماخ فأمر عثمان كثير بن الصلت أن يستحلفه على منبر النبي ما هجاهم فانطلق به كثير إلى المسجد ثم انتحاه دون بني بهز وبهز اسمه تيم بن سليم بن منصور فقال له ويلك يا شماخ إنك لتحلف على منبر رسول

الله ومن حلف به آثما يتبوأ مقعده من النار قال فكيف أفعل فداؤك أبي وأمي قال إني سوف أحلفك ما هجوتهم فاقلب الكلام علي وعلى ناحيتي فقل والله ما هجوتكم فأردني وناحيتي بذلك وإني سأدفع عنك فلما وقف حلف كما قال له وأقبل على كثير فقال ما هجوتكم فقالت بهز ما عنى غيركم فأعد اليمين عليه فقال مالي أتأوله هل استحلفته إلا لكم وما اليمين إلا مرة واحدة انصرف يا شماخ فانصرف وهو يقول
(أتتني سُلَيم قَضُّها وقَضيضُها ... تمسِّح حولي بالبَقيع سِبالَها)
(يقولون لي يا احلِتذفْ ولستُ بحالفٍ ... أُخادِعهم عنها لكيما أنالَها)
(فلو لا كَثيرٌ نعَّم اللّهُ بالَه ... أزلَّتْ بأعلى حُجَّتَيْك نعالَها)
((ففرّجتُ همَّ الموت عنّي بحَلْفةٍ ... كما شَقَّتِ الشَّقْراءُ عنها جلالَها
ونسخت هذا الخبر على التمام من كتاب يحيى بن حازم قال حدثني علي بن صالح صاحب المصلى قال قال القاسم بن معن كان الشماخ تزوج امرأة من بني سليم فأساء إليها وضربها وكسر يدها فعرضت امرأة من قومها يقال لها أسماء ذات يوم للطريق تسأل عن صاحبتها فاجتاز الشماخ وهي لا تعرفه فقالت له مافعل الخبيث شماخ فقال لها وما تريدين منه قالت إنه فعل بصاحبة لنا كيت وكيت فتجاهل عليها وقال لا أعلم له خبرا ومضى وتركها وهو يقول
(تُعارِضُ أسماءُ الرِّفاقَ عشيَّةً ... تسائل عن ضِغْن النساءِ النَّواكح)
(وماذا عليها إنْ قَلُوصٌ تمرَّغتْ ... بِعدْلين أو ألقتْهما بالصَّحاصِح)
(فإنكِ لو أُنكِحتِ دارتْ بكِ الرَّحَا ... وألْقيتِ رَحْلِي سَمْحةً غيرَ طامح)
(أأسماءُ إنّي قد أتاني مخبِّرٌ ... بِفيقةَ يُنْبِي منطقاً غيرَ صالح)
(بَعَجتُ إليه البطنَ ثم انتصحتُه ... وما كلُّ من يُفشَى إليه بناصح)
(وإنّيَ من قومٍ علي أن ذَمَمْتِهم ... إذا أَوْلَموا لم يُولِموا بالأَنَافِحِ)
(وإنكِ من قوم تحِن نساؤهم ... إلى الجانب الأَقْصى حنينَ المنَائح)
ثم دخل المدينة في بعض حوائجه فتعلقت به بنو سليم يطلبونه بظلامة صاحبتهم فأنكر فقالوا احلف فجعل يطلب إليهم ويغلظ عليهم أمر
اليمين وشدتها عليه ليرضوا بها منه حتى رضوا فحلف لهم وقال
(ألا أصبحتْ عِرْسِي من البيت جامحاً ... بغير بلاءٍ أيُّ أمرٍ بَدا لَها)
(على خَيْرةٍ كانتْ أمِ العِرْسُ جامحٌ ... فكيف وقد سُقْنا إلى الحَيِّ ما لَها)
(سترجِع غَضْبَى رَثَّةَ الحال عندنا ... كما قطعتْ منَّا بلَيْلٍ وِصالَها)
فذكر بعد هذه الأبيات قوله
(... أتتني سُلَيْم قَضُّها وقَضِيضُها)
إلى آخر الأبيات
وقال ابن الكلبي كان الشماخ يهوى امرأة من قومه يقال لهاكلبة بنت جوال أخت جبل ابن جوال الشاعر ابن صفوان بن بلال بن أصرم بن إياس بن عبد تميم بن جحاش بن بجالة بن مازن بن ثعلبة وكان يتحدث إليها ويقول فيها الشعر فخطبها فأجابته وهمت أن تتزوجه ثم خرج إلى سفر له فتزوجها أخوه جزء بن ضرار فآلى الشماخ ألا يكلمه أبدا وهجاه بقصيدته التي يقول فيها
(لنا صاحبٌ قد خان من أجل نَظْرةٍ ... سقيمُ الفؤاد حبُّ كَلْبةَ شاغلُهْ)
فماتا متهاجرين
أشعر ما قالت العرب
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني عبد الله بن أبي سعد الوراق قال حدثني أحمد بن محمد بن بكر الزبيري قال حدثنا الحسن بن موسى بن رباح مولى الأنصار عن أبي غزية الأنصاري قال
كنت على باب المهدي يوما فخرج حاجبه فقال أين ابن دأب فقال هأنذا فقال ادخل فدخل ثم خرج فجلس فقلت يابن دأب ما جرى بينك وبين أمير المؤمنين قال قال لي أنشدني أبياتا من أشعر ما قالت العرب فأردت أن أنشده قول صاحبك أبي صرمة الأنصاري التي يقول فيها
(لنا صُوَرٌ يؤول الحقُّ فيها ... وأخلاقٌ يَسُود بها الفقيرُ)
(ونصحٌ للعَشيرة حيث كانت ... إذا مُلِئت من الغشِّ الصدور)
(وحِلْمٌ لا يَصُوب الجهلُ فيه ... وإطعامٌ إذا قَحِطَ الصَّبِير)
(بذات يدٍ على ما كان فيها ... نجود به قليلٌ أو كثير)
فتركتها وقلت إن من أشعر ما قالت العرب قول الشماخ
(وأشعثَ قد قَدّ السِّفارُ قميصَه ... يجرّ شِواءً بالعصا غيرَ مُنْضَج)
(دعوتُ إلى ما نابني فأجابني ... كريمٍ من الفتيان غير مُزَلَّج)
(فتىً يملأ الشِّيزَى ويُرْوِي سِنانَه ... ويضرب في رأس الكَمِيِّ المُدَجَّج)
((فتىً ليس بالراضي بأدنى معيشةٍ ... ولا في بيوت الحيِّ بالمتولِّج
فقال أحسنت ثم رفع رأسه إلى عبد الله بن مالك فقال هذه صفتك يا أبا العباس فأكب عليه عبد الله فقبل رأسه وقال ذكرك الله بخير الذكر يا أمير المؤمنين قال أبو غزية فقلت له الأبيات التي تركت والله أشعر من التي ذكرت
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال عرابة الذي عناه الشماخ بمدحه هو أحد أصحاب النبي وهو عرابة ابن أوس بن قيظي بن عمرو بن زيد بن جشم بن حارثة بن الحارث بن الخزرج وإنما قال له الشماخ عرابة الأوسي وهو من الخزرج نسبة إلى أبيه أوس بن قيظي ولم يصنع إسحاق في هذا القول شيئا عرابة من الأوس لا من الخزرج وفي الأوس رجل يقال له الخزرج ليس هذا هو الجد الذي ينتهي إليه الخزرجيون الذي هو أخو الأوس هذا الخزرج بن النبيت بن مالك ابن الأوس وهكذا نسبه النسابون
وأخبرني به الحرمي بن أبي العلاء عن عبد الله بن جعفر بن مصعب عن جده مصعب الزبيري عن ابن القداح وأتى النبي في غزاة أحد ليغزو معه فرده في غلمة استصغرهم منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب
وزيد بن ثابت وأسيد بن حضير والبراء بن عازب وعرابة بن أوس وأبو سعيد الخدري

قصة أبي عرابة وعمه مع النبي

أخبرني بذلك محمد بن جرير الطبري عن الحارث بن سعد عن الواقدي عن محمد بن حميد عن محمد بن سلمة عن ابن إسحاق وأوس بن قيظي أبو عرابة من المنافقين الذين شهدوا أحدا مع النبي وهو الذي قال له إن بيوتنا عورة وأخوه مربع بن قيظي الأعمى الذي حثا في
وجه رسول الله التراب لما خرج إلى أحد وقد مر في حائطه وقال له إن كنت نبيا فما أحل لك أن تدخل في حائطي فضربه سعد بن زيد الأشهلي بقوسه فشجه وقال دعني يا رسول الله أقتله فإنه منافق فقال دعوه فإنه أعمى القلب أعمى البصر فقال أخوه أوس بن قيظي أبو عرابة لا والله ولكنها عداوتكم يا بني عبد الأشهل فقال رسول الله لا والله ولكنه نفاقكم يا بني قيظي
أخبرنا بذلك الحرمي عن عبد الله بن جعفر الزبيري عن جده مصعب عن ابن القداح أن عرابة كان سيدا من سادات قومه وجوادا من أجوادهم وكان أبوه أوس بن قيظي من وجوه المنافقين
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني عن ابن جعدبة وأخبرني علي بن سليمان عن محمد بن يزيد وأخبرني إبراهيم ابن أيوب عن عبد الله بن مسلم أن الشماخ خرج يريد المدينة فلقيه عرابة بن أوس فسأله عما أقدمه المدينة فقال أردت أن أمتار لأهلي وكان معه بعيران فأوقرهما له برا وتمرا وكساه وبره وأكرمه فخرج عن المدينة وامتدحه بهذه القصيدة التي يقول فيها
(رأيت عَرابةَ الأوْسيَّ يسمو ... إلى الخيرات منقطعَ القرين
وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال قال معاوية لعرابة بن أوس بأي شيء سدت قومك فقال أعفو عن جاهلهم وأعطي سائلهم وأسعى في حاجاتهم فمن فعل كما أفعل فهو مثلي ومن قصر عنه فأنا خير منه ومن زاد فهو خير مني قال الأصمعي وقد انقرض عقب عرابة فلم يبق منهم أحد
أخبرني أحمد بن يحيى بن محمد بن سعيد الهمداني قال قال يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال ابن دأب وسمع قول الشماخ بن ضرار في عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه
(إنك يابنَ جعفرٍ نِعم الفتى ... ونعم مأوى طارقٍ إذا أتَى)
(وجارُ ضيفٍ طرَقَ الحيَّ سُرَى ... صادف زاداً وحديثاً ما اشتهى)
(... إن الحديثَ طَرَفٌ من القِرَى)
فقال ابن دأب العجب للشماخ يقول مثل هذا لابن جعفر ويقول لعرابة
(إذا ما رايةٌ رُفعت لمجد ... تلقَّاها عَرابةُ باليمين)
ابن جعفر كان أحق بهذا من عرابة
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني الكراني محمد بن سعد قال حدثني طائع قال أخبرني أبو عمرو الكيس قال قال لي أبو نواس ما أحسن الشماخ في قوله
(إذا بلغْتِني وحملتِ رحلي ... عَرابةَ فأشرَقي بدم الوتين
لا كما قال الفرزدق
(علامَ تَلَفَّتِين وأنتِ تحتي ... وخيرُ النّاس كلِّهم أمامي)
(متى ترِدِي الرُّصافةَ تستريحي ... من التَّهْجير والدَّبَر الدَّوَامي)
قلت أنا وقد أخذ معنى قول الفرزدق هذا داود بن سلم في مدحه قثم بن العباس فأحسن فقال
(نجوتِ من حِلِّي ومن رِحلتي ... يا ناقُ إن أدنيتِني من قُثَمْ)
(إنكِ إن أدنيتِ منه غداً ... حالفنا اليُسْرُ ومات العَدَمْ)
(في كفِّه بحرٌ وفي وجهه ... بدرٌ وفي العِرْنين منه شَمَمْ)
(أصمُّ عن قِيل الخَنا سمعُه ... وما عن الخير به من صَمَم)
(لم يَدْرِ ما لاَ وبَلَى قد درَى ... فعافها واعتاض منها نعم)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الخراز عن المدائني قال أنشد عبد الملك قول الشماخ في عرابة بن أوس
(إذا بلَّغْتِني وحملتِ رحلي ... عرابةَ فاشرَقي بدم الوَتين)
فقال بئست المكافأة كافأها حملت رحله وبلغته فجعل مكافأتها نحرها

المهلب والشعراء

قال الخراز ومثل هذا ماحدثناه المدائني عن ابن دأب أن رجلا لقي المهلب فنحر ناقته في وجهه فتطير من ذلك وقال له ما قصتك فقال
(إني نذرتُ لئن لَقِيتُكَ سالماً ... أن تستمرّ بها شِفارُ الجازر)
فقال المهلب فأطعمونا من كبد هذه المظلومة ووصله
قال المدائني ولقيته امرأة من الأزد وقد قدم من حرب كان نهض إليها فقالت أيها الأمير إني نذرت إن وافيتك سالما أن أقبل يدك وأصوم يوما وتهب لي جارية صغدية وثلثمائة درهم فضحك المهلب وقال قد وفينا لك بنذرك فلا تعاودي مثله فليس كل أحد يفي لك به
وأخبرني الحسن قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني بعض أصحابنا عن القحذمي أن أبادلامة لقي المهدي لما قدم بغداد فقال له
(إني نذرتُ لئن رأيتكَ وارداً ... أرضَ العراق وأنت ذو وَفْرِ)
(لَتُصَلّينّ على النبيّ محمدٍ ... ولتملأنّ دراهماً حِجْري)
فقال له أما النبي فصلى الله على النبي محمد وآله وسلم وأما الدراهم فلا سبيل إليها فقال له أنت أكرم من أن تعطيني أسهلهما عليك وتمنعني الأخرى فضحك وأمر له بما سأل وهذا مما ليس يجري في هذا الباب ولكن يذكر الشيء بمثله
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا مسعود بن عيسى العبدي قال حدثني أحمد بن طالب الكناني كنانة تغلب وأخبرني به محمد بن أحمد بن الطلاس عن الخراز عن المدائني لم يتجاوزه به قال

نصب عبد الملك بن مروان الموائد يطعم الناس فجلس رجل من أهل العراق على بعض تلك الموائد فنظر إليه خادم لعبد الملك فأنكره فقال له أعراقي أنت قال نعم قال أنت جاسوس قال لا قال بلى قال ويحك دعني أتهنأ بزاد أمير المؤمنين ولا تنغصني به ثم إن عبد الملك وقف على تلك المائدة فقال من القائل
(إذا الأَرْطَى توسَّدَ أَبْرَدَيْهِ ... خدودُ جوازئٍ بالرَّمْلِ عِينِ)
وما معناه ومن أجاب فيه أجزناه والخادم يسمع فقال العراقي
للخادم أتحب أن أشرح لك قائله وفيم قاله قال نعم قال يقوله عدي ابن زيد في صفة البطيخ الرمسي فقال ذلك الخادم فضحك عبد الملك حتى سقط فقال له الخادم أخطأت أم أصبت فقال بل أخطأت فقال يا أمير المؤمنين هذا العراقي فعل الله به وفعل لقننيه فقال أي الرجال هو فأراه إياه فعاد إليه عبد الملك وقال أنت لقنته هذا قال نعم قال أفخطأ لقنته أم صوابا قال بل خطأ قال ولم قال لأني كنت متحرما بمائدتك فقال لي كيت وكيت فأردت أن أكفه عني وأضحكك قال فكيف الصواب قال يقوله الشماخ بن ضرار الغطفاني في صفة البقر الوحشية قد جزأت بالرطب عن الماء قال صدقت وأجازه ثم قال له حاجتك قال تنحي هذا عن بابك فإنه يشينه
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال كتب إلي إسحاق بن إبراهيم الموصلي أن أبا عبيدة حدثه عن غير واحد من أهل المدينة أن يزيد بن عبد الملك لما قدم عليه الأحوص وصله بمائة ألف درهم فأقبل إليه كثير يرجو أكثر من ذلك وكان قد عوده من كان قبل يزيد من الخلفاء أن يلقى عليهم بيوت الشعر ويسألهم عن المعاني فألقى على يزيد بيتا وقال يا أمير المؤمنين ما يعني الشماخ بقوله
(فما أَرْوَى وإن كَرُمتْ علينا ... بأَدْنى من موقَّفةٍ حَرُونِ)
(تُطِيف على الرُّماة فتتّقِيهم ... بأوعالٍ مُعَطَّفةِ القُرون
فقال يزيد وما يضر يا ماص بظر أمه ألا يعلم أمير المؤمنين هذا وإن احتاج إلى علمه سأل عبدا مثلك عنه فندم كثير وسكته من حضر من أهل بيته وقالوا له إنه قد عوده من كان قبلك من الخلفاء أن يلقي عليه أشباه هذا وكانوا يشتهونه منه ويسألونه إياه فطفئ عنه غضبه وكانت جائزته ثلاثين ألفا وكان يطمع في أكثر من جائزة الأحوص
وأخبرنا أبو خليفة بهذا الخبر عن محمد بن سلام فذكر أنه سأل يزيد عن قول الشماخ
(وقد عَرِقتْ مَغَابِنُها وجادتْ ... بِدِرَّتِها قِرَى حَجِنٍ قَتِينِ)
فسكت عنه يزيد فقال يزيد وما على أمير المؤمنين لا أم لك ألا يعرف هذا هو القراد أشبه الدواب بك
نسخت من كتاب يحيى بن حازم حدثنا علي بن صالح صاحب المصلى قال حدثنا ابن داب قال قال معاوية لعبد الله بن الزبير وهو عنده بالمدينة في أناس يابن الزبير ألا تعذرني في حسن بن علي ما رأيته مذ قدمت المدينة إلا مرة قال دع عنك حسنا فأنت والله وهو كما قال الشماخ
(أجامِلُ أقواماً حياءً وقد أَرَى ... صدورَهمُ تَغْلي عليّ مِراضُها)
والله لو يشاء حسن أن يضربك بمائة ألف سيف ضربك والله لأهل العراق أرأم له من أم الحوار لحوارها فقال معاوية رحمه الله أردت أن تغريني به والله لأصلن رحمه ولأقبلن عليه وقال
(ألاَ أيُّها المرءُ المُحَرِّشُ بيننا ... ألاَ اقتُلْ أخاك لستُ قاتلَ أرْبَدِ)
(أبَى قُرْبُه منّي وحسنُ بلائه ... وعلمي بما يأتي به الدهرُ في غد)
والشعر لعروة بن قيس فقال ابن الزبير أما والله إني وإياه ليد عليك بحلف الفضول فقال معاوية من أنت لا أعرض لك وحلف الفضول والله ما كنت فيها إلا كالرهينة تثخن معنا وتردى هزيلا كما قال أخو همدان
(إذا ما بعيرٌ قام علّق رحله ... وإن هو أبقى بالحياة مُقَطّعا)
صوت من مدن معبد
وهو الذي أوله
(... كم بذاك الحَجُون من حيٍّ صدقِ)
(أسْعدانِي بعَبْرةٍ أَسْرابِ ... من شؤونٍ كثيرةِ التَّسْكاب)
(إن أهلَ الحِصاب قد تركوني ... مُوزَعاً مُولَعاً بأهل الحِصاب
(كم بذاك الحَجُونِ من حَيِّ صِدْقٍ ... وكهولٍ أعِفّةٍ وشَبابِ)
(سكَنوا الجِزْعَ جِزْعَ بيت أبي موسى ... إلى النخل من صُفِيِّ السِّباب)
(فارَقوني وقد علِمتُ يقيناً ... ما لمن ذاق مِيتةً من إياب)
(فَلِيَ الويلُ بعدَهم وعليهم ... صرتُ فرداً وملَّني أصحابي)
عروضه من الخفيف الشؤون الشعب التي يتداخل بعضها في بعض من عظام الرأس واحدها شأن مهموزا والجزع منعطف الوادي وصفي السباب جمع صفاة وهي الحجارة ولقبت صفي السباب لأن قوما من قريش ومواليهم كانوا يخرجون إليها بالعشيات يتشاتمون ويذكرون المعايب والمثالب التي يرمون بهافسميت تلك الحجارة صفي السباب
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن علي بن محمد النوفلي عن أبيه قال يقال صفا السباب وصفي السباب بفتح الفاء وكسرها جميعا وهو شعب من شعاب مكة فيها صفا أي صخر مطروح وكانت قريش تخرج فتقف على ذلك الموضع فيفتخرون ثم يتشاتمون وذلك في الجاهلية فلا يفترقون إلا عن قتال ثم صار ذلك في صدر من الإسلام أيضا حتى نشأ سديف مولى عتبة بن أبي سديف وشبيب مولى بني أمية فكان هذا يخرج في موالي بني هاشم وهذا في موالي بني أمية فيفتخرون ثم يتشاتمون ثم يتجالدون بالسيوف وكان يقال لهم السديفية والشبيبية وكان أهل مكة مقتسمين بينهما في العصبية ثم درس ذلك فصارت العصبية بمكة بين الجزارين والحناطين فهي بينهم إلى اليوم وكذلك بالمدينة في القمار وغيره
الشعر لكثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة السهمي وقيل بل هو
لكثير عزة وقد روي في ذلك خبر نذكره والغناء لمعبد ثقيل أول بالوسطى في مجراها عن إسحاق وذكر عمرو بن بانة أن فيه ثقيلا أول بالخنصر للغريض ولحنا آخر لابن عباد ولم يجنسه ولابن جامع في الخامس والسادس رمل بالوسطى ولابن سريج في الأربعة الأول ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ولابن أبي دباكل الخزاعي فيها ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشامي وأبي أيوب المدني وحبش فمن روى هذا الشعر لكثير عزة يرويه
(... إن أهل الخضاب قد تركوني)

ويزعم أن كثيرا قاله في خضاب خضبته عزة به
ابن عائشة يذكر بحادثة لكثير وعزة فيغني بشعره
أخبرني بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة ولم يتجاوزه وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني الزبيري قال حدثني بهذا الخبر أيضا وفيه زيادة وخبره أحسن وأكثر تلخيصا وأدحل في معنى الكتاب قال الزبيري حدثني أبي قال خرجت إلى ناحية فيد متنزها فرأيت ابن عائشة يمشي بين رجلين من آل الزبير وإحدى يديه على يد هذا والأخرى على يد هذا وهو يمشي بينهما كأنه امرأة تجلى على زوجها فلما رأيتهم دنوت فسلمت وكنت أحدث القوم سنا فاشتهيت غناء ابن عائشة فلم أدر كيف أصنع وكان ابن عائشة إذا هيجته تحرك فقلت رحم الله كثيرا وعزة ما كان أوفاهما وأكرمهما
وأصونهما لأنفسهما لقد ذكرت بهذه الأودية التي نحن فيها خبر عزة حين خضبت كثيرا فقال ابن عائشة وكيف كان حديث ذلك قلت حدثني من حضره بذلك ومن هاهنا تتفق رواية عمر بن شبة والزبيري قال خرج كثير يريد عزة وهي منتجعة بالصواري وهي الأودية بناحية فدك فلما كان منها قريبا وعلم أن القوم جلسوا عند أنديتهم للحديث بعث أعرابيا فقال له اذهب إلى ذلك الماء فإنك ترى امرأة جسيمة لحيمة تبالط الرجال الشعر قال إسحاق المبالطة أن تنشد أول الشعر وآخره فإذا رأيتها فناد من رأى الجمل الأحمر مرارا ففعل فقالت له ويحك قد أسمعت فانصرف فانصرف إليه فأخبره فلم يلبث أن أقلبت جارية معها طست وتور وقربة ماء حتى انتهت إليه ثم جاءت بعد ذلك عزة فرأته جالسا محتبيا قريبا من ذراع راحلته فقالت له ما على هذا فارقتك فركب راحلته وهي باركة وقامت إلى لحيته فأخذت التور فخضبته وهو على ظهر جمله حتى فرغت من خضابه ثم نزل فجعلا يتحدثان حتى علق الخضاب ثم قامت إليه فغسلت لحيته ودهنته ثم قام فركب وقال
(إنّ أهل الخِضاب قد تركوني ... مُوزَعاً مُولَعاً بأهل الخضاب)
وذكر باقي الأبيات كلها وإلى هاهنا رواية عمر بن شبة فقال ابن عائشة فأنا والله أغنيه وأجيده فهل لكم في ذلك فقلنا وهل لنا عنه
مدفع فاندفع يغني بالأبيات فخيل إلي أن الأودية تنطق معه حسنا فلما رجعنا إلى المدينة قصصت القصة فقيل لي إن ذلك أحسن صوت يغنيه ابن عائشة فقلت لا أدري إلا أني سمعت شيئا وافق محبتي

معبد وابن سريج يبكيان أهل مكة بغنائهما

وقال عبد الله بن أبي سعد حدثني عبد الله بن الصباح عن هشام بن محمد عن أبيه قال زار معبد ابن سريج والغريض بمكة فخرجا به إلى التنعيم ثم صاروا إلى الثنية العليا ثم قالوا تعالوا حتى نبكي أهل مكة فاندفع ابن سريج فغنى صوته في شعر كثير بن كثير السهمي
(أسْعِديني بعَبْرةٍ أسْرابِ ... من دموعٍ كثيرةِ التَّسْكاب)
فأخذ أهل مكة في البكاء وأنوا حتى سمع أنينهم ثم غنى معبد

صوت

(يا راكباً نحوَ المدينة جَسْرةً ... أجُداً تلاعِب حَلْقةً وزماما)
(اِقرأ على أهل البَقيع من امرئ ... كَمِدٍ على أهل البقيع سلاما)
(كم غيَّبوا فيه كريماً ماجداً ... شَهْماً ومقْتَبِل الشباب غلاما)
((ونفيسةً في أهلها مرجوَّةً ... جمعتْ صَباحةَ صورةٍ وتَماما)
فنادوا من الدروب بالويل والحرب والسلب وبقي الغريض لا يقدر من البكاء والصراخ أن يغني
الشعر لعمر بن أبي ربيعة والغناء لمعبد ثقيل أول بالوسطى وذكر عمرو بن بانة أنه ليحيى المكي وقد غلط وذكر حبش أن لعلويه فيه ثقيلا أول آخر
ومن مدن معبد

صوت

وقد أضيف إليه غيره من القصيدة
(سَلِي هل قَلاَني من عَشيرٍ صَحِبتُه ... وهل ذَمَّ رحلي في الرِّفاق رفيقُ)
(وهل يجْتوي القومُ الكِرامُ صَحابتي ... إذا اغبرَّ مَخْشيٌّ الفِجَاج عَميق)
(ولو تعلمين الغيبَ أيقنتِ أنني ... لكم والهَدايا المُشعَراتِ صديق)
(تكاد بلادُ الله يا أمَّ مَعْمَرٍ ... بما رَحُبتْ يوماً عليّ تَضيق)
(أذُود سَوَامَ الطَّرْف عنكِ وهل لها ... إلى أحدٍ إلا إليكِ طريق)
(وجدّتْتِنِي يا قلبُ أنك صابرٌ ... على البَيْن من لُبْنَى فسوف تذوق)
(فَمُتْ كَمداً أو عِشْ سَقيماً فإنما ... تكلّفني ما لا أراك تُطيق)
(بلُبْنَى أنادَى عند أوّل غَشْيةٍ ... ولو كنتُ بين العائدات أُفيق)
((إذا ذُكرت لبنى تَجلَّتْكَ زَفْرةٌ ... ويَثْنِي لك الدَّاعي بها فتُفيق
عروضه من الطويل الشعر لقيس بن ذريح والغناء لمعبد في اللحن المذكور ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق في الأول والثاني والثالث وذكر في موضع آخر وافقته دنانير أن لمعبد ثقيلا أول بالبنصر في مجرى الوسطى أوله

صوت

(أتجمع قلباً بالعراق فَريقُه ... ومنه بأطلال الأَرَاكِ فريقُ)
(فكيف بها لا الدارُ جامعةُ النَّوَى ... ولا أنت يوماً عن هواكَ تُفيقُ)
(ولو تعلمين الغيب أيقنتِ أنّني ... لكم والهدايا المشعَراتِ صديقُ)
البيتان الأولان يرويان لجرير وغيره والثالث لقيس بن ذريح أضافه إليهما معبد وذكر عمرو ويونس أن لحن معبد الأول في خمسة أبيات أولى من الشعر وذكر عمرو بن بانة أن لبذل الكبيرة خفيف رمل بالوسطى في الرابع من الأبيات وبعده
(دَعَوْنَ الهوى ثم ارتَمَيْنَ قلوبَنا ... بأعيُن أعداءٍ وهنّ صديقُ)
وبعده الخامس من الأبيات وهو أذود سوام الطرف وزعم حبش أن في لحن معبد الثاني الذي أوله أتجمع قلبا لابن سريج خفيف رمل بالبنصر وذكر أيضا أن للغريض في الأول والثاني والسابع ثاني ثقيل بالبنصر ولابن مسجح خفيف رمل بالبنصر

وفي السادس وما بعده لحكم
الوادي ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وذكر حبش أن للغريض فيها ثقيلا أول بالوسطى
ذكر قيس بن ذريح ونسبه وأخباره
هو فيما ذكر الكلبي والقحذمي وغيرهما قيس بن ذريح بن سنة ابن حذافة بن طريف بن عتوارة بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة وهو علي ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار وذكر أبو شراعة القيسي أنه قيس بن ذريح بن الحباب بن سنة وسائر النسب متفق واحتج بقول قيس
(فإنْ يك تَهْيامِي بِلُبْنَى غَوايةً ... فقد يا ذَرِيحُ بنَ الحُبَابِ غَوَيْتُ)
وذكر القحذمي أن أمه بنت سنة بن الذاهل بن عامر الخزاعي وهذا هو الصحيح وأنه كان له خال يقال له عمرو بن سنة شاعر وهو الذي يقول
(ضربوا الفِيلَ بالمغمَّس حتى ... ظَلَّ يحبو كأنه محمومُ)
وفيه يقول قيس
(أُنبئتُ أن لخالي هَجْمةً حُبُساً ... كأنّهن بجَنْبِ المَشْعَرِ النُّصُلُ)
((قد كنتَ فيما مضى قِدْماً تجاورُنا ... لا ناقةٌ لك ترعاها ولا جملُ
(ما ضَرَّ خالي عمراً لو تقَسَّمها ... بعضُ الحياض وجمُّ البئر مُحْتفِلِ)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن موسى بن حماد قال حدثني أحمد بن القاسم بن يوسف قال حدثني جزء بن قطن قال حدثنا جساس بن محمد بن عمرو أحد بني الحارث بن كعب عن محمد بن أبي السري عن هشام بن الكلبي قال حدثني عدد من الكنانيين أن قيس بن ذريح كان رضيع الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما أرضعته أم قيس
قصته مع لبنى
أخبرني بخبر قيس ولبنى امرأته جماعة من مشايخنا في قصص متصلة ومنقطعة وأخبار منثورة ومنظومة فألفت ذلك أجمع ليتسق حديثه إلا ما جاء مفردا وعسر إخراجه عن جملة النظم فذكرته على حدة فممن أخبرنا بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة ولم يتجاوزه إلى غيره وإبراهيم بن محمد بن أيوب عن ابن قتيبة والحسن بن علي عن محمد بن موسى بن حماد البربري عن أحمد بن القاسم بن يوسف عن جزء بن قطن عن جساس بن محمد عن محمد بن أبي السري عن هشام بن الكلبي وعلى روايته أكثر المعول ونسخت أيضا من أخباره المنظومة أشياء ذكرها القحذمي عن رجاله وخالد بن كلثوم عن نفسه ومن روى عنه وخالد بن جمل ونتفا حكاها اليوسفي صاحب الرسائل عن أبيه عن أحمد بن حماد عن جميل عن ابن أبي جناح الكعبي وحكيت كل متفق فيه متصلا وكل مختلف في معانيه منسوبا إلى راوية قالوا جميعا
كان منزل قومه في ظاهر المدينة وكان هو وأبوه من حاضرة المدينة وذكر خالد بن كلثوم أن منزله كان بسرف واحتج بقوله
(الحمد لله قد أمستْ مُجَاورةً ... أهلَ العَقيق وأمسَيْنا على سَرِفِ)
قالوا فمر قيس لبعض حاجته بخيام بني كعب بن خزاعة فوقف على خيمة منها والحي خلوف والخيمة خيمة لبنى بنت الحباب الكعبية فاستسقى ماء فسقته وخرجت إليه به وكانت امرأة مديدة القامة شهلاء حلوة المنظر والكلام فلما رآها وقعت في نفسه وشرب الماء فقالت له أتنزل فتتبرد عندنا قال نعم فنزل بهم وجاء أبوها فنحر له وأكرمه فانصرف قيس وفي قلبه من لبنى حر لا يطفأ فجعل ينطق بالشعر فيها حتى شاع وروي ثم أتاها يوما آخر وقد اشتد وجده بها فسلم فظهرت له وردت سلامه وتحفت به فشكا إليها ما يجد بها وما يلقى من حبها وشكت إليه مثل ذلك فأطالت وعرف كل واحد منهما ما له عند صاحبه فانصرف إلى أبيه وأعلمه حاله وسأله أن يزوجه إياها فأبى عليه وقال يا بني عليك بإحدى بنات
عمك فهن أحق بك وكان ذريح كثير المال موسرا فأحب ألا يخرج ابنه إلى غريبة فانصرف قيس وقد ساءه ما خاطبه أبوه به فأتى أمه فشكا ذلك إليها واستعان بها على أبيه فلم يجد عندها ما يحب فأتى الحسين بن علي بن أبي طالب وابن أبي عتيق فشكا إليهما ما به وما رد عليه أبوه فقال له الحسين أنا أكفيك فمشى معه إلى أبي لبنى فلما بصر به أعظمه ووثب إليه وقال له يابن رسول الله ما جاء بك ألا بعثت إلي فأتيتك قال إن الذي جئت فيه يوجب قصدك وقد جئتك خاطبا ابنتك لبنى لقيس بن ذريح فقال يابن رسول الله ما كنا لنعصي لك أمرا وما بنا على الفتى رغبة ولكن أحب الأمر إلينا أن يخطبها ذريح أبوه علينا وأن يكون ذلك عن أمره فإنا نخاف إن لم يسع أبوه في هذا أن يكون عارا وسبة علينا فأتى الحسين رضي الله عنه ذريحا وقومه وهم مجتمعون فقاموا إليه إعظاما له وقالوا له مثل قول الخزاعيين فقال لذريح أقسمت عليك إلا خطبت لبنى لابنك قيس قال السمع والطاعة لأمرك فخرج معه في وجوه من قومه حتى أتوا لبنى فخطبها ذريح على ابنه إلى أبيها فزوجه إياها وزفت إليه بعد ذلك فأقامت معه مدة لا ينكر أحد من صاحبه شيئا وكان أبر الناس بأمه فألهته لبنى وعكوفه عليها عن بعض ذلك فوجدت أمه في نفسها وقالت لقد شغلت هذه المرأة ابني عن بري ولم تر للكلام في ذلك موضعا حتى مرض مرضا شديدا فلما برأ من علته قالت أمه لأبيه لقد خشيت أن يموت قيس وما يترك خلفا وقد حرم الولد من هذه المرأة وأنت ذو مال فيصير مالك إلى الكلالة فزوجه بغيرها لعل الله أن يرزقه ولدا وألحت عليه في ذلك
فأمهل قيسا حتى إذا اجتمع قومه دعاه فقال يا قيس إنك اعتللت هذه العلة فخفت عليك ولا ولد لك ولا لي سواك وهذه المرأة ليست بولود فتزوج إحدى بنات عمك لعل الله أن يهب لك ولدا تقر به عينك وأعيننا فقال قيس لست متزوجا غيرها أبدا فقال له أبوه فإن في مالي سعة فتسر بالإماء قال ولا أسوءها بشيء أبدا والله قال أبوه فإني أقسم عليك إلا طلقتها فأبى وقال الموت والله علي أسهل من ذلك ولكني أخيرك خصلة من ثلاث خصال قال وما هي قال تتزوج أنت فلعل الله أن يرزقك ولدا غيري قال فما في فضلة لذلك قال فدعني أرتحل عنك بأهلي واصنع ما كنت صانعا لو مت في علتي هذه قال ولا هذه قال فأدع لبنى عندك وأرتحل عنك فلعلي أسلوها فإني ما أحب بعد أن تكون نفسي طيبة أنها في خيالي قال لا أرض أو تطلقها وحلف لا يكنه سقف بيت أبدا حتى يطلق لبنى فكان يخرج فيقف في حر الشمس ويجيء قيس فيقف إلى جانبه فيظله بردائه ويصلى هو بحر الشمس حتى يفيء الفيء فينصرف عنه ويدخل إلى لبنى فيعانقها وتعانقه ويبكي وتبكي معه وتقول له يا قيس لا تطع أباك فتهلك وتهلكني فيقول ما كنت لأطيع أحدا فيك أبدا فيقال إنه مكث

كذلك سنة وقال خالد بن كلثوم ذكر ابن عائشة أنه أقام على ذلك أربعين يوما ثم طلقها وهذا ليس بصحيح
طلاقه لبنى ثم ندمه
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني أحمد بن زهير قال حدثني
يحيى بن معين قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرني عمر بن أبي سفيان عن ليث بن عمرو أنه سمع قيس بن ذريح يقول لزيد بن سليمان هجرني أبواي في لبنى عشر سنين أستأذن عليهما فيرداني حتى طلقتها قال ابن جريج وأخبرت أن عبد الله بن صفوان الطويل لقي ذريحا أبا قيس فقال له ما حملك على أن فرقت بينهما أما علمت أن عمر بن الخطاب قال ما أبالي أفرقت بينهما أو مشيت إليهما بالسيف وروى هذا الحديث إبراهيم بن يسار الرمادي عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال قال الحسين بن علي رضي الله عنهما لذريح بن سنة أبي قيس أحل لك أن فرقت بين قيس ولبنى أما إني سمعت عمر بن الخطاب يقول ما أبالي أفرقت بين الرجل وامرأته أو مشيت إليهما بالسيف قالوا فلما بانت لبنى بطلاقه إياها وفرغ من الكلام لم يلبث حتى استطير عقله وذهب به ولحقه مثل الجنون وتذكر لبنى وحالها معه فأسف وجعل يبكي وينشج أحر نشيج وبلغها الخبر فأرسلت إلى أبيها ليحتملها وقيل بل أقامت حتى انقضت عدتها وقيس يدخل عليها فأقبل أبوها بهودج على ناقة وبإبل تحمل أثاثها فلما رأى ذلك قيس أقبل على جاريتها فقال ويحك ما دهاني فيكم فقال لا تسألني وسل لبنى فذهب ليلم بخبائها فيسألها فمنعه قومها فأقبلت عليه امرأة من قومه فقالت له ما
لك ويحك تسأل كأنك جاهل أو تتجاهل هذه لبنى ترتحل الليلة أو غدا فسقط مغشيا عليه لا يعقل ثم أفاق وهو يقول
(وإنّي لمُفْنٍ دمعَ عيْنيَ بالبكا ... حِذَارَ الذي قد كان أو هو كائنُ)
(وقالوا غداً أو بعد ذاك بليلةٍ ... فراقُ حبيبٍ لم يَبِنْ وهو بائن)
(وما كنتُ أخشى أن تكون منيّتي ... بكفّيْكِ إلاّ أنّ ما حان حائن)
في هذه الأبيات غناء ولها أخبار قد ذكرت في أخبار المجنون قال وقال قيس
(يقولون لُبْنَى فتنةٌ كنتَ قبلها ... بخير فلا تَنْدَمْ عليها وطلِّق)
(فطاوعتُ أعدائي وعاصيتُ ناصحي ... وأقررْتُ عين الشامتِ المُتخلّق)
(وَدِدْتُ وبيتِ الله أنّي عَصَيْتُهم ... وحُمِّلْتُ في رضوانِها كلَّ مُوبِق)
(وكُلِّفتُ خوضَ البحر والبحر زاخرٌ ... أَبِيتُ على أثْبَاج موج مُغَرِّق)
(كأنّي أرى الناسَ المحبّين بعدها ... عُصارةَ ماء الحنظل المُتَفَلِّق)
(فتُنكر عيني بعدها كلَّ منظَرٍ ... ويكره سمعي بعدَها كلَّ منطق)
قال وسقط غراب قريبا منه فجعل ينعق مرارا فتطير منه وقال
(لقد نادى الغرابُ ببيْنِ لُبْنَى ... فطار القلبُ من حَذَرِ الغرابِ)
(وقال غداً تَبَاعَدُ دارُ لُبْنَى ... وتَنْأى بعد ودٍّ واقتراب)
(فقلتُ تَعِستَ وَيْحَكَ من غراب ... وكان الدهرَ سعيُك في تَباب)
وقال أيضا وقد منعه قومه من الإلمام بها
صوت
(ألاَ يا غرابَ البَيْنِ وَيْحَكَ نَبِّني ... بعلمك في لُبْنَى وأنتَ خبيرُ)
(فإن أنتَ لم تُخْبِر بما قد علمتَه ... فلا طِرْتَ إلاّ والجناحُ كَسِيرُ)
(ودُرْتَ بأعداءٍ حبيبُك فيهمُ ... كما قد تَراني بالحبيب أدورُ)
غنى سليمان أخو حجبة رملا بالوسطى
قالوا وقال أيضا وقد أدخلت هودجها ورحلت وهي تبكي ويتبعها
صوت
(ألاَ يا غرابَ البَيْنِ هل أنتَ مُخبِري ... بخيرٍ كما خَبَّرتَ بالنأي والشرِّ)
(وقلتَ كذاك الدهرُ ما زال فاجعاً ... صدقتَ وهل شيءٌ بباقٍ على الدهر)
غنى فيهما ابن جامع ثاني ثقيل بالبنصر عن الهشامي وذكر حبش أن لقفا النجار فيهما ثقيلا أول بالوسطى قالوا فلما ارتحل قومها مليا ثم علم أن أباها سيمنعه من المسير معها فوقف ينظر إليهم ويبكي حتى غابوا عن عينه فكر راجعا ونظر إلى أثر خف بعيرها فأكب عليه يقبله ورجع يقبل موضع مجلسها وأثر قدمها فليم على ذلك وعنفه قومه على تقبيل التراب فقال
(وما أحببتُ أرضَكُم ولكن ... أُقَبِّل إثْرَ من وَطِئ التُّرابا)
(لقد لاقيتُ من كَلَفِي بلُبْنَى ... بَلاءً ما أُسِيغ به الشَّرابا)
(إذا نادى المنادي باسمِ لُبْنَى ... عَيِيتُ فما أُطيقُ له جوابا)
وقال وقد نظر إلى آثارها
صوت
(ألاَ يا رَبْعَ لُبْنَى ما تقولُ ... ابِنْ لي اليومَ ما فعل الحُلولُ)
(فلو أن الديارَ تُجيب صَبًّا ... لردّ جوابيَ الرَّبْعُ المُحِيلُ)
(ولو أنّي قدرْتُ غداةَ قالتْ ... غدَرتَ وماءُ مُقْلتِها يَسيلُ)
(نحرتُ النفسَ حين سمعتُ منها ... مقالتَها وذاك لها قليلُ)
(شَفَيْتُ غليلَ نفسي من فِعالي ... ولم أَغبُرْ بلا عقلٍ أجُولُ)
غني فيه حسين بن محرز خفيف ثقيل من روايتي بذل وقريض وتمام هذه الأبيات
(كأنّي والِهٌ بفراقِ لُبْنَى ... تَهِيمُ بفقد واحدِها ثَكُولُ)
(ألاَ يا قلبُ وَيْحَكَ كن جَليداً ... فقد رحَلتْ وفاتَ بها الذَّمِيل)
(فإنك لا تُطيق رجوعَ لُبنى ... إذا رحَلتْ وإن كثُر العَوِيل)
(وكَمْ قد عِشْتَ كَمْ بالقرب منها ... ولكنّ الفِراقَ هو السبيل)
(فصبراً كلُّ مؤتَلِفَيْنِ يوماً ... من الأيام عيشُهما يزول)

قال فلما جن عليه الليل وانفرد وأوى إلى مضجعه لم يأخذه القرار وجعل يتململ فيه تململ السليم ثم وثب حتى أتى موضع خبائها فجعل يتمرغ فيه ويبكي ويقول
صوت
(بِتُّ والهمُّ يا لُبيني ضَجيعي ... وجرتْ مُذْ نأيتِ عنّي دموعي)
(وتنفّستُ إذ ذكرتُكِ حتى ... زالت اليومَ عن فؤادي ضلوعي)
(أتناساكِ كي يُريغَ فؤادي ... ثم يشتدُّ عند ذاك وَلُوعي)
(يا لُبَيْنى فَدَتْكِ نفسي وأهلي ... هل لدهرٍ مضى لنا من رجوع)
غنت في البيتين الأولين شارية خفيف رمل بالوسطى وغنى فيهما
حسين بن محرز ثاني ثقيل هكذا ذكر الهشامي وقد قيل إنه لهاشم بن سليمان
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال قال الزبير بن بكار حدثني عبد الجبار ابن سعيد المساحقي عن محمد بن معن الغفاري عن أبيه عن عجوز لهم يقال لها حمادة بنت أبي مسافر قالت جاورت آل ذريح بقطيع لي فيه الرائمة وذات البر والحائل والمتبع قالت فكان قيس بن ذريح إلى شرف في ذلك القطيع ينظر إلى ما يلقين فيتعجب فقلما لبث حتى عزم عليه أبوه بطلاق لبنى فكاد يموت ثم آلى أبوه لئن أقامت لا يساكن قيسا فظعنت فقال
(أيا كبداً طارتْ صُدوعاً نوافذاً ... ويا حَسْرتَا ماذا تَغَلْغَلَ في القلب)
(فأقْسِمُ ما عُمْشُ العيون شوارِفٌ ... روائمُ بَوٍّ حائماتٌ على سَقْب)
(تشمَّمْنه لو يستطِعن ارتشفنَه ... إذا سُفْنه يَزْددنَ نَكْباً على نَكْب)
(رَئِمْنَ فما تَنْحاش منهنّ شارفٌ ... وحالَفْنَ حبساً في المُحول وفي الجَدْب)
(بأَوْجَدَ منّي يومَ وَلَّتْ حُمُولُها ... وقد طلعتْ أولَى الرِّكابِ من النَّقْبِ)
(وكلُّ مُلِمّات الزمان وجدتُها ... سوى فُرْقةِ الأحباب هيّنَةَ الخَطْب
أخبرني عمي قال حدثني الكراني قال سمعت ابن عائشة يقول قال إسحاق بن الفضل الهاشمي لم يقل الناس في هذا المعنى مثل قول قيس ابن ذريح
(وكلُّ مُصيبات الزمان وجدتُها ... سوى فُرْقَة الأحباب هيّنةَ الخَطْبِ)
قال وقال ابن النطاح قال أبو دعامة
اشتاقها فقصدها وقال شعرا
خرج قيس في فتية من قومه واعتل على أبيه بالصيد فأتى بلاد لبنى فجعل يتوقع أن يراها أو يرى من يرسل إليها فاشتغل الفتيان بالصيد فلما قضوا وطرهم منه رجعوا إليه وهو واقف فقالوا له قد عرفنا ما أردت بإخراجنا معك وأنك لم ترد الصيد وإنما أردت لقاء لبنى وقد تعذر عليك فانصرف الآن فقال
(وما حائماتٌ حُمْنَ يوماً وليلةً ... على الماء يَغْشَيْن العَصِيَّ حَوَانِ)
(عَوَافِيَ لا يَصْدُرْن عنه لوجهةٍ ... ولا هنّ من بَرْدِ الحِياضِ دَوَانِ)
(يَرَيْنَ حَبَابَ الماءِ والموتُ دونه ... فهنّ لأصواتِ السُّقَاةِ رَوانِ)
(بأجهدَ منّي حَرَّ شوقٍ ولَوْعةٍ ... عليكِ ولكنّ العدوَّ عَدَاني)
(خليليَّ إني ميّتٌ أو مُكَلِّمٌ ... لُبَيْنى بسرّي فامضِيا وذَراني)
(أنَلْ حاجتي وَحْدِي ويا رُبَّ حاجةٍ ... قضيتُ على هَوْلٍ وخوفِ جَنَانِ)
(فإنّ أحقَّ الناس ألا تُجَاوِزَا ... وتَطَّرِحا من لو يشاء شَفاني)
(ومن قادني للموت حتى إذا صفَتْ ... مشاربُه السمَّ الذُّعافَ سقانِي)
قال فأقاموا معه حتى لقيها فقالت له يا هذا إنك متعرض لنفسك وفاضحي فقال لها
(صدَعْتِ القلبَ ثم ذرَرْتِ فيه ... هواكِ فَلِيمَ فالتأم الفُطورُ)
(تَغَلْغَلَ حيثُ لم يبلُغ شرابٌ ... ولا حزنٌ ولم يبلغ سرورُ)
وقال القحذمي حدثني أبو الوردان قال حدثني أبي قال أنشدت أبا السائب المخزومي قول قيس
(صدعتِ القلبَ ثم ذررتِ فيه ... هواكِ فليمِ فالتأم الفطور)
فصاح بجارية له سندية تسمى زبدة فقال أي زبدة عجلي فقالت أنا أعجن فقال ويحك تعالي ودعي العجين فجاءت فقال لي أنشد بيتي قيس فأعدتهما فقال لها يا زبدة أحسن قيس وإلا فأنت حرة ارجعي الآن إلى عجينك أدركيه لا يبرد
قالوا وجعل قيس يعاتب نفسه في طاعته أباه في طلاقه لبنى ويقول فألا رحلت بها عن بلده فلم أر ما يفعل ولم يرني فكان إذا فقدني أقلع عما يفعله وإذا فقدته لم أتحرج من فعله وما كان علي لو اعتزلته وأقمت في حيها أو في بعض بوادي العرب أو عصيته فلم أطعه هذه جنايتي على نفسي فلا لوم على أحد وهأنذا ميت مما فعلته فمن يرد روحي إلي وهل لي سبيل إلى لبنى بعد الطلاق وكلما قرع نفسه وأنبها بلون من التقريع والتأنيب بكى أحر بكاء وألصق خده بالأرض ووضعه على آثارها ثم قال
صوت
(وَيْلِي وعَوْلِي ومالي حين تُفلِتُني ... من بعد ما أحرزتْ كفّي بها الظَّفَرا)
(قد قال قلبي لطَرْفي وهو يعذُله ... هذا جزاؤك منّي فاكدِمُ الحجرا)
((قد كنتُ أنهاك عنها لو تُطاوعُني ... فاصبِرْ فما لكَ فيها أجرُ من صبرا
غناه الغريض خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو وفيه لإبراهيم ثقيل أول بالوسطى عن حبش وفي الثالث والأول خفيف رمل يقال إنه لابن الهربذ
قالوا وقال أيضا
(بانت لُبَيْنَى فأنت اليوم متبول ... والرأي عندك بعد الحزم مخبول)
(أستودِعُ اللّهَ لُبْنَى إذ تفارقني ... بالرغم منّي وقولُ الشيخ مفعول)
(وقد أراني بلبنى حقَّ مُقتنِعٍ ... والشملُ مجتمعٌ والحبل موصول)
قال خالد بن كلثوم وقال
(ألاَ ليت لُبْنَى في خلاءٍ تزورني ... فأشكو إليها لَوْعتي ثم ترجعُ)

(صحا كلُّ ذي لبٍّ وكلُّ متيَّم ... وقلبي بُلبْنَى ما حَييتُ مروَّع)
(فيا مَنْ لِقلبٍ ما يُفِيق من الهوى ... ويا مَنْ لعينٍ بالصَّبابة تَدْمَع)
قالوا وقال في ليلته تلك
(قد قلتُ للقلب لا لُبْناك فاعتِرف ... واقضِ اللُّبانةَ ما قضَّيْتَ وانصرف)
(قد كنت أحلف جَهْداً لا أُفارقها ... أُفٍّ لكثرة ذاك القِيل والحَلِف)
((حتى تكنَّفني الواشون فافتُلِتتْ ... لا تأمَنَنْ أبداً من غشِّ مُكتنِف
(هيهات هيهات قد أمستْ مُجاورةً ... أهلَ العَقيق وأمسيْنا على سَرَف)
قال وسرف على ستة أميال من مكة والعقيق واد باليمامة
(حي يَمانُونَ والبَطْحاء منزلَنا ... هذا لَعَمْرُك شملٌ غيرُ مؤتلِف)
قالوا فلما أصبح خرج متوجها نحو الطريق الذي سلكته يتنسم روائحها فسنحت له ظبية فقصدها فهربت منه فقال من شعره في لبنى
(ألاَ يا شِبْهَ لُبْنَى لا تُرَاعِي ... ولا تتيمَّمِي قُلَلَ القِلاع)
وهي قصيدة طويلة يقول فيها
(فوا كبِدي وعاودني رُدَاعِي ... وكان فراقُ لُبْنَى كالخداع)
(تكنَّفني الوُشاةُ فأزعجوني ... فيا للهِ لِلْواشِي المُطاع)
(فأصبحتُ الغَداةَ ألوم نفسي ... على شيءٍ وليس بمستطاع)
(كمغبونٍ يَعَضُّ على يديه ... تَبيَّنَ غَبْنَه بعد البِياع)
(بدار مَضِيعةٍ تركتُك لُبْنَى ... كذاكَ الحَيْنُ يُهْدَى للمُضاع)
(وقد عِشْنا نَلَذُّ العيش حِيناً ... لَوَ ان الدهرَ للإنسان داع)
(ولكنّ الجميعَ إلى افتراق ... وأسبابُ الحُتوفِ لها دواع)
غناه الغريض من القدر الأوسط من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق وفيه لمعبد خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو والهشامي ولشارية في البيتين الأولين ثقيل أول آخر بالوسطى ولابن سريج رمل بالوسطى عن الهشامي في
(... بدار مَضِيعةٍ تركْتك لُبْنَى)
وقبله
(... فواكبدِي وعاودنِي رُدَاعِي)
ولسياط في البيتين الأولين خفيف رمل بالبنصر عن حبش
حدثني عمي عن الكراني عن العتبي عن أبيه قال بعثت أم قيس بن ذريح بفتيات من قومه إليه يعبن إليه لبنى ويعبنه بجزعه وبكائه ويتعرض لوصاله فأتينه فاجتمعن حواليه وجعلن يمازحنه ويعبن لبنى عنده ويعيرنه ما يفعله فلما أطلن أقبل عليهن وقال
صوت
(يَقَرُّ بعيني قربُها ويَزيدُني ... بها كَلَفاً مَنْ كان عندي يَعِيبُها)
(وكم قائلٍ قد قال تُبْ فعصَيْتُه ... وتلك لعمْري توبةٌ لا أتوبها)
(فيا نفسُ صبراً لستِ واللهِ فاعلمي ... بأوَّلِ نفسٍ غاب عنها حبيبُها)
غناه دحمان ثقيلا أول بالوسطى وفيه هزج بالبنصر لسليم وذكر حبش أنه لإسحاق قال فانصرفن عنه إلى أمه فأيأسنها من سلوته وقال سائر الرواة الذي ذكرتهم اجتمع إليه النسوة فأطلن الجلوس عنده وحادثنه وهو ساه
عنهن ثم نادى يا لبنى فقلن له ما لك ويحك فقال خدرت رجلي ويقال إن دعاء الإنسان باسم أحب الناس إليه يذهب عنه خدر الرجل فناديتها لذلك فقمن عنه وقال
(إذا خدِرتْ رجلي تذكرتُ مَنْ لها ... فناديتُ لُبْنَى باسمِها ودعوتُ)
(دعوتُ التي لو أنّ نفسي تُطِيعني ... لفارقتُها من حبِّها وقَضيتُ)
(بَرَتْ نبلَها للصيد لبنى وريَّشتْ ... وريَّشْتُ أخرى مثلَها وبَرَيْتُ)
(فلمّا رمتني أقْصدتْني بسهمِها ... وأخطأتُها بالسَّهم حين رميتُ)
(وفارقتُ لبنى ضَلَّةً فكأنني ... قُرِنت إلى العَيُّوق ثم هَوَيْتُ)
(فيا ليتَ أنّي مُتُّ قبل فراقها ... وهل تَرْجِعَنْ فوتَ القضيّةِ لَيْتُ)
(فصرتُ وشيخِي كالذي عثَرتْ به ... غَداةَ الوَغَى بين العُداة كُمَيْتُ)
(فقامت ولم تُضْرَرْ هناك سَوِيَّةً ... وفارسُها تحت السَّنابِك مَيْتُ)
(فإن يكُ تَهْيامي بلُبْنى غَوايَةً ... فقد يا ذَرِيحُ بن الحُبَابِ غَوَيْتُ)
(فلا أنت ما أمَّلتَ فيّ رأيتَه ... ولا أنا لبنى والحياةَ حَوَيْتُ)
(فوَطِّنْ لهُلْكِي منك نفساً فإنّني ... كأنك بي قد يا ذَرِيحُ قَضَيْتُ)
وقال خالد بن كلثوم مرض قيس فسأل أبوه فتيات الحي أن يعدنه ويحدثنه لعله أن يتسلى أو يعلق بعضهن ففعلن ذلك ودخل إليه طبيب
ليداويه والفتيات معه فلما اجتمعن عنده جعلن يحادثنه وأطلن السؤال عن سبب علته فقال
صوت
(عِيدَ قيسٌ من حبِّ لُبنى ولُبنى ... داءُ قيسٍ والحبُّ داءٌ شديدُ)
(وإذا عادني العوائدُ يوماً ... قالت العين لا أرَى من أُريد)
(ليت لُبْنَى تَعُودني ثم أقْضِي ... إنها لا تعود فيمن يعود)
(وَيحَ قيسٍ لقد تضمَّن منها ... داءَ خَبْلٍ فالقلبُ منه عَميد)
غناه ابن سريج خفيف رمل عن الهشامي وفيه للحجبي ثقيل أول بالوسطى وفيه ليحيى المكي رمل قالوا فقال له الطبيب منذ كم هذه العلة ومنذ كم وجدت بهذه المرأة ما وجدت فقال

صوت
(تعلَّق رُوحِي روحَها قبل خَلْقِنا ... ومن بعدِ ما كنَّا نِطافاً وفي المهدِ)
(فزاد كما زدنا فأصبح نامياً ... وليس إذا مُتْنا بمُنْصَرِم العهدِ)
(ولكنَّه باقٍ على كلِّ حادثٍ ... وزائرُنا في ظُلْمة القبر واللَّحْدِ)
غناه الغريض ثقيلا أول بالوسطى من رواية حبش قالوا فقال له الطبيب إن مما يسليك عنها أن تتذكر ما فيها من المساوئ والمعيب وما تعافه النفس من أقذار بني آدم فإن النفس تنبو حينئذ وتسلو ويخف ما بها فقال
((إذا عِبتُها شبَّهتُها البدرَ طالعاً ... وحَسْبُكَ من عيب لها شَبَهُ البدرِ
(لقد فُضِّلتْ لبنى على الناس مثلَ ما ... على ألف شهر فُضِّلتْ ليلةُ القدر)
صوت
(إذا ما مشتْ شبراً من الأرض أرْجَفتْ ... من البُهْر حتى ما تَزيدُ على شبر)
(لها كَفَلٌ يَرْتَجُّ منها إذا مشتْ ... ومتنٌ كغصن البان مُضْطَمِرُ الخَصْر)
غنى في هذين البيتين ابن المكي خفيف رمل بالوسطى وفيهما رمل ينسب إلى ابن سريج وإلى ابن طنبورة عن الهشامي قالوا ودخل أبوه وهو يخاطب الطبيب بهذه المخاطبة فأنبه ولامه وقال له يا بني الله الله في نفسك فإنك ميت إن دمت على هذا فقال
(وفِي عُرْوةَ العُذْرِيِّ إن متُّ أُسوةٌ ... وعمرو بن عَجْلانَ الذي قتلتْ هندُ)
(وبي مثلُ ما ماتا به غيرَ أنني ... إلى أجلٍ لم يأتِني وقتُه بعدُ)
صوت
(هل الحبُّ إلاّ عَبْرةٌ بعد زَفْرةٍ ... وحَرٌّ على الأحشاء ليس له بَرْدُ)
(وفَيْضُ دموعٍ تَستهِل إذا بدا ... لنا علَمٌ من أرضكم لم يكن يبدو)
غنى في هذين البيتين زيد بن الخطاب مولى سليمان بن أبي جعفر وقيل إنه مولى سليمان بن علي ثقيلا أول بالوسطى عن الهشامي
وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير وأخبرنا اليزيدي عن ثعلب عن الزبير قال حدثني إسماعيل بن أبي أويس قال جلست أنا وأبو السائب في النبالين فأنشدني قول قيس بن ذريح
(عِيدَ قيسٌ من حبِّ لُبْنَي ولُبنى ... داءُ قيسٍ والحبُّ داءٌ شديدُ)
(لَيت لُبنَى تعودني ثم أقْضِي ... إنها لا تعود فيمن يعود)
قال فأنشدته أنا لقيس
(تعلَّق رُوحِي رُوحَها قبل خَلْقِنا ... ومن بعد ما كنّا نِطافاً وفي المهد)
(فزاد كما زدنا وأصبح نامياً ... وليس إذا متْنا بمنتَقِضِ العهد)
(ولكنَّه باقٍ على كل حادثٍ ... وزائرُنا في ظلمة القبر واللَّحْد)
فحلف لا يزال يقوم ويقعد حتى يرويها فدخل زقاق النبالين وجعلت أرددها عليه ويقوم ويقعد حتى رواها
رجع الخبر إلى سياقته
زوجوه لينسى لبنى
وقال خالد بن جمل فلما طال على قيس ما به أشار قومه على أبيه بأن يزوجه امرأة جميلة فلعله أن يسلو بها عن لبنى فدعاه إلى ذلك فأباه وقال
(لقد خِفتُ ألاّ تَقْنَع النفسُ بعدها ... بشيءٍ من الدنيا وإن كان مَقْنَعا)
((وأزجُر عنها النفس إذ حيل دونها ... وتأبَى إليها النفسُ إلاّ تَطلُّعا
فأعلمهم أبوه بما رد عليه قالوا فمره بالمسير في أحياء العرب والنزول عليهم فلعل عينه أن تقع على امرأة تعجبه فأقسم عليه أبوه أن يفعل فسار حتى نزل بحي من فزارة فرأى جارية حسناء قد حسرت برقع خز عن وجهها وهي كالبدر ليلة تمه فقال لها ما اسمك يا جارية قالت لبنى فسقط على وجهه مغشيا عليه فنضحت على وجهه ماء وارتاعت لما عراه ثم قالت إن لم يكن هذا قيس بن ذريح إنه لمجنون فأفاق فنسبته فانتسب فقالت قد علمت أنك قيس ولكن نشدتك بالله وبحق لبنى إلا أصبت من طعامنا وقدمت إليه طعاما فأصاب منه بإصبعه وركب فأتى على أثره أخ لها كان غائبا فرأى مناخ ناقته فسألهم عنه فأخبروه فركب حتى رده إلى منزله وحلف عليه ليقيمن عنده شهرا فقال له لقد شققت علي ولكني سأتبع هواك والفزاري يزداد إعجابا بحديثه وعقله وروايته فعرض عليه الصهر فقال له يا هذا إن فيك لرغبة ولكني في شغل لا ينتفع بي معه فلم يزل يعاوده والحي يلومونه ويقولون له قد خشينا أن يصير علينا فعلك سبة فقال دعوني ففي مثل هذا الفتى يرغب الكرام فلم يزل به حتى أجابه وعقد الصهر بينه وبينه على أخته المسماة لبنى وقال له أنا أسوق عنك صداقها فقال أنا والله يا أخي أكثر قومي مالا فما حاجتك إلى تكلف هذا أنا سائر إلى قومي وسائق إليها المهر ففعل وأعلم أباه الذي كان منه فسره وساق المهر عنه ورجع إلى الفزاريين حتى أدخلت عليه زوجته فلم يروه هش إليها ولا دنا منها ولا خاطبها بحرف ولا نظر إليها وأقام على ذلك أياما كثيرة ثم أعلمهم أنه يريد الخروج إلى قومه أياما فأذنوا له في ذلك فمضى لوجهه إلى المدينة وكان له صديق من الأنصار بها فأتاه فأعلمه الأنصاري أن خبر تزويجه بلغ لبنى فغمها وقالت إنه لغدار ولقد كنت أمتنع من إجابة قومي إلى التزويج فأنا الآن أجيبهم وقد كان أبوها شكا قيسا إلى معاوية وأعلمه
تعرضه لها بعد الطلاق فكتب إلى مروان بن الحكم يهدر دمه إن تعرض لها وأمر أباها أن يزوجها رجلا يعرف بخالد بن حلزة من بني عبد الله بن غطفان ويقال بل أمره بتزويجها رجلا من آل كثير بن الصلت الكندي حليف قريش فزوجها أبوها منه قال فجعل نساء الحي يقلن ليلة زفافها
(لُبَيْنَى زوجُها أصبح ... لا حرَّ بِواديه)
(له فضلٌ على الناس ... بما باتت تُناجيه)
(وقيسٌ ميّتٌ حيٌّ ... صريعٌ في بَواكيه)
(فلا يُبعِدُه الله ... وبُعْداً لنَواعيه)
قال فجزع قيس جزعا شديدا وجعل ينشج أحر نشيج ويبكي أحر بكاء ثم ركب من فوره حتى أتى محلة قومها فناداه

النساء ما تصنع الآن ها هنا قد نقلت لبنى إلى زوجها وجعل الفتيان يعارضونه بهذه المقالة وما أشبهها وهو لا يجيبهم حتى أتى موضع خبائها فنزل عن راحلته وجعل يتمعك في موضعها ويمرغ خده على ترابها ويبكي أحر بكاء ثم قال صوت
(إلى الله أشكو فَقْدَ لُبنى كما شكا ... إلى الله فقدَ الوالدَيْنِ يتيمُ)
(يتيمٌ جفاه الأقربون فجسمُه ... نَحيلٌ وعهدُ الوالدَيْن قديمُ)
((بكت دارُهم من نأيهم فتهلّلتْ ... دموعي فأيَّ الجازعَيْنِ ألوم)
(أمُستعبِراً يبكي من الشوق والهوى ... أمَ آخَر يبكي شَجْوَه ويَهيم)
لابن جامع في البيتين الأولين ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي ولعريب فيهما ثاني ثقيل وفي الثالث والرابع لمياسة خفيف رمل بالبنصر عن عمرو وحبش والهشامي وتمام هذه الأبيات وليست فيها صنعة قوله
(تهيَّضَني من حبِّ لُبْنى علائقٌ ... وأصنافُ حبٍّ هَوْلُهن عظيمُ)
(ومن يتعلّق حبَّ لبنى فؤادُه ... يَمُتْ أو يَعِشْ ما عاش وهو كَليم)
(فإنّي وإن أجمعتُ عنكِ تَجلُّداً ... على العهد فيما بيننا لمُقِيم)
(وإنّ زماناً شتَّت الشملَ بيننا ... وبينكم فيه العِدَا لمَشُوم)
(أفي الحقِّ هذا أنّ قلبكِ فارغٌ ... صحيح وقلبي في هواكِ سَقيم)
وقد قيل إن هذه الأبيات ليست لقيس وإنما خلطت بشعره ولكنها في هذه الرواية منسوبة إليه
قال وقال أيضا في رحيل لبنى عن وطنها وانتقالها إلى زوجها بالمدينة وهو مقيم في حيها
صوت
(بانت لُبَيْنَي فهاج القلبَ مَنْ بانا ... وكان ما وعدتْ مَطْلاً وَلَيّانَا)
(وأخْلفتْك منًى قد كنتَ تأمُلها ... فأصبح القلبُ بعد البين حيرانا)
(اللهُ يدري وما يدري به أحدٌ ... ماذا أُجَمْجِم من ذكراكِ أحيانا)
(يا أكملَ الناسِ من قَرْنٍ إلى قدمٍ ... وأحسنَ الناس ذا ثوبٍ وعُرْيانا)
((نعم الضَّجيعُ بُعَيْد النوم تَجْلُبه ... إليكَ ممتلئاً نوما ويَقْظانا
للغريض في هذه الأبيات ثاني ثقيل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق وعمرو وذكر الهشامي أن فيه لابن محرز ثاني ثقيل آخر وقال أحمد ابن عبيد فيه لحنان ليحيى المكي وعلويه وتمام هذه القصيدة
(لا بارك اللّهُ فيمن كان يحسَبُكم ... إلاّ على العهد حتى كان ما كانا)
(حتى استفقتُ أخيراً بعد ما نُكحت ... كأنما كان ذاك القلب حيرانا)
(قد زارني طَيْفُكم ليلاً فأرّقني ... فبتُّ للشوق أُذْرِي الدمع تَهْتانا)
(إن تَصْرِمي الحبَل أو تُمْسِي مُفارِقةً ... فالدهر يُحدث للإنسان ألوانا)
(وما أرى مثلَكم في الناس من بَشَرٍ ... فقد رأيتُ به حَيًّا ونسْوانا)
أبو لبنى يشكوه إلى معاوية
وقال ابن قتيبة في خبره عن الهيثم بن عدي ورواه عمر بن شبة أيضا أن أبا لبنى شخص إلى معاوية فشكا إليه قيسا وتعرضه لابنته بعد طلاقه إياها فكتب معاوية إلى مروان أو سعيد بن العاص يهدر دمه إن ألم بها وأن يشتد في لك فكتب مروان أو سعيد في ذلك إلى صاحب الماء الذي ينزله أبو لبنى كتابا وكيدا ووجهت لبنى رسولا قاصدا إلى قيس تعلمه ما جرى
وتحذره وبلغ أباه الخبر فعاتبه وتجهمه وقال له انتهى بك الأمر إلى أن يهدر السلطان دمك فقال
صوت
(فإن يَحْجُبُوها أو يَحُلْ دون وصلها ... مقالةُ واشٍ أو وَعيدُ أمير)
(فلن يمنعوا عينيَّ من دائم البُكا ... ولن يُذهبوا ما قد أجَنَّ ضَميري)
(إلى الله أشكو ما أُلاَقِي من الهوى ... ومن حُرَقٍ تعتادني وزَفير)
(ومن حَرَقٍ للحبّ في باطن الحشى ... وليلٍ طويلِ الحزن غيرِ قصير)
(سأبكي على نفسي بعينٍ غزيرةٍ ... بكاءَ حَزينٍ في الوَثاق أسير)
(وكنَّا جميعاً قبل أن يظهر الهوى ... بأنْعَم حالَيْ غِبْطَةٍ وسرور)
(فما برح الواشون حتى بَدَتْ لهم ... بطونُ الهوى مقلوبةً لظهور)
(لقد كنتِ حَسْبَ النفس لو دام وصلُنا ... ولكنَّما الدنيا متاعُ غرور)
هكذا في هذا الخبر أن الشعر لقيس بن ذريح وذكر الزبير بن بكار أنه لجده عبد الله بن مصعب غنى يزيد حوراء في الأول والثاني والسادس والثالث من هذه الأبيات خفيف رمل بالوسطى وغنى إبراهيم في
الأول والثاني لحنا من كتابه غير مجنس وذكر حبش أن فيهما لإسحاق خفيف ثقيل بالوسطى وفي الخامس وما بعده لعريب ثقيل أول ابتداؤه نشيد وقال ابن الكلبي في خبره قال قيس في إهدار معاوية دمه إن زارها
(إن تكُ لُبْنَى قد أتى دون قربها ... حجابٌ منيعٌ ما إليه سبيل)
(فإنّ نسيم الجوّ يجمع بيننا ... ونُبصر قَرْنَ الشمس حين تزول)
(وأرواحنا باللّيل في الحيّ تلتقي ... ونعلم أنّا بالنهار نَقيل)
(وتجمعنا الأرضُ القرارُ وفوقنا ... سماء نرى فيها النجومَ تجول)
(إلى أن يعود الدهر سَلْماً وتنقضي ... تراتٌ بغاها عندنا وذُحول)
ومما وجد في كتاب لابن النطاح قال العتبي حدثنا أبي قال حج قيس ابن ذريح واتفق أن حجت لبنى في تلك السنة فرآها ومعها امرأة من قومها فدهش وبقي واقفا مكانه ومضت لسبيلها ثم أرسلت إليه بالمرأة تبلغه السلام وتسأله عن خبره فألفته جالسا وحده ينشد ويبكي
(ويومَ مِنًى أعرضتِ عنّي فلم أقل ... بحاجة نفسٍ عند لُبْنَي مقالُها)
(وفي اليأس للنفس المريضة راحةٌ ... إذا النفسُ رامت خُطَّةً لا تَنالُها)
فدخلت خباءه وجعلت تحدثه عن لبنى ويحدثها عن نفسه مليا ولم تعلمه أن لبنى أرسلتها إليه فسألها أن تبلغها عنه

السلام فامتنعت عليه فأنشأ يقول
(إذا طلعتْ شمسُ النهار فسلِّمي ... فآيةُ تسليمي عليكِ طلوعُها)
((بعشر تحيَّاتٍ إذا الشمسُ أشرقتْ ... وعشرٍ إذا اصفرَّتْ وحانَ رجوعُها
(ولو أبلغتْها جارةٌ قوليَ اسلَمي ... بكتْ جزَعاً ارفَضَّ منها دموعُها)
(وبانَ الذي تُخْفِي من الوجد في الحَشى ... إذا جاءها عنّي حديث يَرُوعُها)
غنى في البيتين الأولين علويه خفيف رمل بالوسطى قال وقضى الناس حجهم وانصرفوا فمرض قيس في طريقه مرضا شديدا أشفى منه على الموت فلم يأته رسولها عائدا لأن قومها رأوه وعلموا به فقال
(ألُبْنى لقد جلَّتْ عليكِ مصيبتي ... غَداةَ غدٍ إذ حلَّ ما أتوقَّعُ)
(تُمنِّينني نَيْلاً وتَلْوينني به ... فنفسي شوقاً كلَّ يوم تَقَطَّع)
(وقلبكِ قطُّ ما يَلين لما يَرى ... فواكبدي قد طال هذا التضرُّع)
(ألومُكِ في شأني وأنتِ مُلِيمةٌ ... لعَمْري وأجْفَى للمحبِّ وأقطع)
(أخُبِّرتِ أنّي فيكِ ميِّتُ حَسْرتي ... فما فاض من عينيكِ للوَجْد مَدْمَع)
(ولكن لعَمْري قد بكيتُكِ جاهداً ... وإن كان دائي كلُّه منكِ أجمع)
(صبيحةَ جاء العائدات يَعُدْنني ... فظلَّتْ عليَّ العائداتُ تَفَجَّع)
(فقائلةٌ جئنا إليه وقد قضَى ... وقائلةٌ لا بل تركْناه يَنْزع)
وروى القحذمي هاهنا
(فما غَشِيتْ عينيكِ من ذاك عَبْرةٌ ... وعيني على ما بي بذِكْراكِ تدمَع)
(إذا أنتِ لم تَبْكِي عليّ جِنازةً ... لديكِ فلا تبكي غداً حين أُرفَع)
قال فبلغتها الأبيات فجزعت جزعا شديدا وبكت بكاء كثيرا ثم خرجت إليه ليلا على موعد فاعتذرت وقالت إنما أبقي عليك وأخشى أن تقتل فأنا أتحاماك لذلك ولولا هذا لما افترقنا وودعته وانصرفت
وقال خالد بن كلثوم فبلغه أن أهلها قالوا لها إنه عليل لما به وإنه سيموت في سفره هذا فقالت لهم لتدفعهم عن نفسها ما أراه إلا كاذبا فيما يدعي ومتعللا لا عليلا فبلغه ذلك فقال
((تكاد بلادُ اللهِ يا أُمَّ مَعْمَرٍ ... بما رحُبتْ يوماً عليّ تَضِيقُ
(تكذِّبني بالودّ لُبْنى وليتَها ... تُكلَّف منّي مثلَه فتذوق)
(ولو تعلمين الغَيْبَ أيقنتِ أنني ... لكم والهدايا المُشْعَراتِ صديق)
(تتوق إليكِ النفس ثم أرُدُّها ... حياءً ومثلي بالحياء حَقيق)
(أذُود سَوَامَ النفس عنكِ وما له ... على أحدٍ إلا عليكِ طريق)
(فإنّي وإن حاولتِ صُرْمي وهِجْرتي ... عليكِ منَ احداثِ الرَّدى لشَفيق)
(ولم أرَ أيّاماً كأيّامنا التي ... مَرَرْنَ علينا والزمانُ أنِيق)
(ووعدُكِ إيّانا ولو قلتِ عاجلٌ ... بعيدٌ كما قد تعلمين سَحِيق)
(وحدّثتني يا قلبُ أنك صابرٌ ... على البين من لُبْنى فسوف تذوق)
(فمُتْ كَمَداً أو عِشْ سَقيماً فإنَّما ... تكلِّفني ما لا أراكَ تُطيق)
(أطعتَ وُشاةً لم يكن لك فيهم ... خليلٌ ولا جارٌ عليك شَفيق)
(فإن تكُ لمّا تَسْلُ عنها فإنّني ... بها مُغرمٌ صَبُّ الفؤاد مَشُوق)
(بلُبْنى أنادَى عند أوّل غَشْيَةٍ ... ويَثْنِي بها الدَّاعِي لها فأفِيق)
(شهدتُ على نفسي بأنك غادةٌ ... رَداحٌ وأنّ الوجه منكِ عتيق)
(وأنكِ لا تَجزينَني بصَحابةٍ ... ولا أنا للهجرانِ منكِ مُطِيق)
(وأنكِ قسَّمتِ الفؤادَ فنصفُه ... رَهينٌ ونصفٌ في الحبال وَثيق)
(صَبُوحِي إذا ماذرَّتِ الشمسُ ذكرُكم ... ولي ذكرُكم عند المساء غَبُوق)
(إذا أنا عَزَّيتُ الهوى أو تركتُه ... أتتْ عَبَراتٌ بالدموع تَسُوق)
(كأنّ الهوى بين الحَيَازيم والحَشى ... وبين التَّراقي واللَّهاة حَريق)
((فإن كنتِ لمّا تَعْلمي العلم فاسألي ... فبعضٌ لبعضٍ في الفَعال فَؤوق
(سَلِي هل قَلاَني من عَشِيرٍ صحبتُه ... وهل مَلَّ رَحْلي في الرِّفاق رفيق)
(وهل يجْتوِي القومُ الكرامُ صِحابتي ... إذا اغْبرَّ مَخْشِيُّ الفِجاج عَميق)
(وأكتم أسرارَ الهوى فأُميتها ... إذا باح مَزَّاحٌ بهنّ بَرُوق)
(سعى الدهرُ والواشون بيني وبينها ... فقطَّع حبلُ الوصل وهو وَثيق)
(هل الصبر إلا أن أصُدَّ فلا أرَى ... بأرضِكِ إلاّ أن يكون طريق)
قصته مع لبنى وزوجها
قال ثم أتى قومه فاقتطع قطعة من إبله وأعلم أباه أنه يريد المدينة ليبيعها ويمتار لأهله بثمنها فعرف أبوه أنه إنما يريد لبنى فعاتبه وزجره عن ذلك فلم يقبل منه وأخذ إبله وقدم بها المدينة فبينا هو يعرضها إذ ساومه زوج لبنى بناقة منها وهما لا يتعارفان فباعه إياها فقال له إذا كان غد فأتني في دار كثير بن الصلت فاقبض الثمن قال نعم ومضى زوج لبنى إليها فقال لها إني ابتعت ناقة من رجل من أهل البادية وهو يأتينا غدا لقبض ثمنها فأعدي له طعاما ففعلت فلما كان من الغد جاء قيس فصوت بالخادم قولي لسيدك صاحب الناقة بالباب فعرفت لبنى نغمته فلم تقل شيئا فقال زوجها للخادم قولي له ادخل فدخل فجلس فقالت لبنى للخادم قولي له يا فتى مالي أراك أشعث أغبر فقالت له ذلك فتنفس ثم قال لها هكذا تكون حال من فارق الأحبة واختار الموت على الحياة وبكى فقالت لها لبنى قولي له حدثنا حديثك فلما ابتدأ يحدث به كشفت الحجاب وقالت حسبك قد عرفنا حديثك وأسبلت الحجاب فبهت ساعة لا يتكلم ثم انفجر باكيا ونهض فخرج فناداه زوجها ويحك ما قصتك ارجع اقبض ثمن ناقتك وإن شئت زدناك فلم يكلمه وخرج
فاعترز في رحله ومضى وقالت لبنى لزوجها ويحك هذا قيس بن ذريح فما حملك على ما فعلت به قال ما عرفته وجعل قيس يبكي في طريقه ويندب نفسه ويوبخها علىفعله ثم قال

صوت
(أبتكي على لُبْنَى وأنت تركتَها ... وأنت عليها بالمَلاَ أنت أقدَرُ)
(فإن تكن الدنيا بلُبْنَى تقلَّبتْ ... عليَّ فللدنيا بطونٌ وأظهُر)
(لقد كان فيها للأمانة موضعٌ ... وللكَفِّ مُرْتَادٌ وللعين مَنْظَر)
(وللحائم العطشان ريٌّ بريقِها ... وللمَرِح المختالِ خمرٌ ومُسْكِرُ)
(كأنّي لها أُرْجوحةٌ بين أحْبُلٍ ... إذا ذُكْرَةٌ منها على القلب تَخْطُر)
للغريض في البيتين الأولين ثقيل أول بالوسطى عن عمرو والهشامي وفيهما لعريب رمل ولشارية خفيف رمل من رواية أبي العبيس
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز قال تزوج رجل من أهل المدينة يقال له أبو درة امرأة كانت قبله عند رجل آخر من أهل المدينة يقال له أبو بطينة فلقيه زوجها الأول فضربه ضربة شلت يده منها فلقيه أبو السائب المخزومي فقال له يا ابا درة أضربك أبو بطينة في زوجته قال نعم قال أما إني أشهد أنها ليست كما قال قيس بن ذريح في زوجته لبنى
(لقد كان فيها للأمانة موضعٌ ... وللكَفِّ مُرْتَادٌ وللعين مَنْظَرُ)
((وللحائم العطشان ريٌّ بريقها ... وللمَرِح المختال خمر ومُسْكِرِ
قال وكانت زوجة أبي درة هذه سوداء كأنها خنفساء
مرض قيس
قال وعاد إلى قومه بعد رؤيته إياها وقد أنكر نفسه وأسف ولحقه أمر عظيم فأنكروه وسألوه عن حاله فلم يخبرهم ومرض مرضا شديدا أشرف منه على الموت فدخل إليه أبوه ورجال قومه فكلموه وعاتبوه وناشدوه الله فقال ويحكم أتروني أمرضت نفسي أو وجدت لها سلوة بعد اليأس فاخترت الهم والبلاء أو لي في ذلك صنع هذا ما اختاره لي أبواي وقتلاني به فجعل أبوه يبكي ويدعو له بالفرج والسلوة فقال قيس
(لقد عذَّبتَني يا حبَّ لُبْنَى ... فقَعْ إمّا بموتٍ أو حياةِ)
(فإنّ الموت أرْوحُ من حياةٍ ... تدوم على التباعد والشّتات)
(وقال الأقربون تَعَزَّ عنها ... فقلت لهم إذاً حانت وفاتي)
قال ودست إليه لبنى بعد خروجه رسولا وقالت له استنشده فإن سألك عن نسبتك فانتسب له خزاعيا فإذا أنشدك فقل له لم تزوجت بعدها حتى أجابت إلى أن تتزوج بعدك واحفظ ما يقول لك حتى ترده علي فأتاه الرسول فسلم وانتسب خزاعيا وذكر أنه من أهل الشام واستنشده فأنشده قوله
(فأقْسِم ما عُمْشُ العيونِ شوارِفٌ ... روائمُ بَوٍّ حانياتٌ على سَقْبِ)
وقد مضت هذه الأبيات فقال له الرجل فلم تزوجت بعدها فأخبره الخبر وحلف له أن عينه ما اكتحلت بالمرأة التي تزوجها وأنه لو رآها في نسوة ما عرفها وأنه ما مد يده إليها ولا كلمها ولا كشف لها عن ثوب فقال له الرجل فإني جار لها وإنها من الوجد بك على حال قد تمنى زوجها معها أن تكون بقربها لتصلح حالها بك فحملني إليها ماشئت أؤده إليها قال تعود إلي إذا أردت الرحيل فعاد إليه لما أراد الرحيل فقال تقول لها
(ألاَ حيِّ لُبْنَى اليومَ إن كنتَ غاديًا ... وألمِمْ بها من قبل أنْ لا تَلاَقِيَا)
(وأهْدِ لها منك النصيحةَ إنها ... قليلٌ ولا تَخْشَ الوُشاةَ الأدانيا)
(وقل إنّني والراقصاتِ إلى مِنىً ... بأجْبُل جَمْعٍ ينتظرنَ المناديا)
(أصونُكِ عن بعض الأمور مَضَنَّةً ... وأخشَى عليكِ الكاشحين الأعاديا)
(تَساقَطُ نفسي حين ألقاكِ أنفُساً ... يَرِدْنَ فما يَصْدُرْنَ إلا صَوَادِيا)
(فإنْ أحْيَ أو أهلِكْ فلستُ بزائلٍ ... لكم حافظاً ما بَلَّ ريقٌ لسانيا)
(أقول إذا نفسي من الوَجْد أصْعدتْ ... بها زَفْرةٌ تعتادني هي ما هيا)
(وبين الحَشَى والنحر منّي حرارةٌ ... ولوعةُ وجدٍ تترك القلب ساهيا)
(ألاَ ليت لُبْنَى لم تكن ليَ خُلَّةً ... ولم تَرَني لُبْنى ولم أدرِ ما هيا)
(سَلِي الناسَ هل خبّرتُ سرَّكِ منهمُ ... أخا ثقةٍ أو ظاهرَ الغِشِّ باديا)
(يقول ليَ الواشون لمّا تَظاهروا ... عليكِ وأضْحَى الحبلُ للبين واهيا)
(لعَمْري لقبلَ اليومِ حُمِّلتَ ما ترى ... وأُنْذِرتَ من لُبْنَى الذي كنتَ لاقيا)
(خليليَّ مالي قد بَلِيتُ ولا أرَى ... لُبَيْنَي على الهِجْران إلاّ كما هيا)
(ألاَ يا غرابَ البَيْن مالكَ كلَّما ... ذكرتُ لُبَيْنَى طِرْتَ لي عن شِماليا)
(أعندكَ علمُ الغيبِ أم لستَ مُخْبِري ... عن الحيِّ إلا بالذي قد بدا ليا)
(جَزِعتُ عليها لو أرَى ليَ مَجْزَعاً ... وأفنيتُ دمعَ العين لو كان فانيا)
(حياتَك لا تُغْلَبْ عليها فإنه ... كفَى بالذي تَلْقَى لنفسِك ناهيا)
(تَمرّ الليالي والشهور ولا أرَى ... وَلُوعِي بها يزداد إلاّ تماديا)
(فما عن نَوالٍ من لُبَيْنَى زيارتي ... ولا قِلَّةُ الإلمام أن كنتُ قاليا)
(ولكنّها صَدَّتْ وحُمِّلتُ من هوىً ... لها ما يَؤود الشامخاتِ الرواسيا)
وهذه القصيدة تخلط بقصيدة المجنون التي في وزنها وعلى قافيتها لتشابههما فقلما يتميزان
غنى الحسين بن محرز في البيت الأول والبيت الخامس من هذه القصيدة ثقيلا أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى من روايتي بذل والهشامي
حدثني المدائني عن عوانة عن يحيى بن علي الكناني قال شهر أمر قيس بالمدينة وغنى في شعره الغريض ومعبد ومالك وذووهم فلم يبق شريف ولا وضيع إلا سمع بذلك فأطربه وحزن لقيس مما به وجاءها زوجها فأنبها على ذلك وعاتبها وقال قد فضحتني بذكرك فغضبت وقالت يا هذا إني والله ما تزوجتك رغبة فيك ولا فيما عندك ولا دلس أمري عليك ولقد علمت أني كنت زوجته قبلك وأنه أكره على طلاقي ووالله ما قبلت التزويج حتى أهدر دمه إن ألم بحينا فخشيت أن يحمله ما يجد على المخاطرة فيقتل فتزوجتك وأمرك الآن إليك ففارقني فلا حاجة بي إليك فأمسك عن جوابها وجعل

يأتيها بجواري المدينة يغنينها بشعر قيس كيما يستصلحها بذلك فلا تزداد إلا تماديا وبعدا ولا تزال تبكي كلما سمعت شيئا من ذلك أحر بكاء وأشجاه
رجع الحديث إلى سياقته
بريكة تجمعهما سرا
وقال الحرمازي وخالد بن جمل كانت امرأة من موالي بني زهرة يقال لها بريكة من أظرف النساء وأكرمهن وكان لها زوج من قريش له دار ضيافة فلما طالت علة قيس قال له أبوه إني لأعلم أن شفاءك في القرب من لبنى فارحل إلى المدينة فرحل إليها حتى أتى دار الضيافة التي لزوج بريكة
فوثب غلمانه إلى رحل قيس ليحطوه فقال لا تفعلوا فلست نازلا أو ألقى بريكة فإني قصدتها في حاجة فإن وجدت لها عندها موضعا نزلت بكم وإلا رحلت فأتوها فأخبروها فخرجت إليه فسلمت عليه ورحبت به وقالت حاجتك مقضية كائنة ما كانت فانزل ودنا منها فقال أذكر حاجتي قالت إن شئت قال أنا قيس بن ذريح قالت حياك الله وقربك إن ذكرك لجديد عندنا في كل وقت قال وحاجتي أن أرى لبنى نظرة واحدة كيف شئت قالت ذلك لك علي فنزل بهم وأقام عندها وأخفت أمره ثم أهدى لها هدايا كثيرة وقال لاطفيها وزوجها بهذا حتى يأنس بك ففعلت وزارتها مرارا ثم قالت لزوجها أخبرني عنك أنت خير من زوجي قال لا قالت فلبنى خير مني قال لا قالت فما بالي أزورها ولا تزورني قال ذلك إليها فأتتها وسألتها الزيارة وأعلمتها أن قيسا عندها فتسارعت إلى ذلك وأتتها فلما رآها ورأته بكيا حتى كادا يتلفان ثم جعلت تسأله عن خبره وعلته فيخبرها ويسألها فتخبره ثم قالت أنشدني ما قلت في علتك فأنشدها قوله
(أعالِج من نفسي بَقايا حُشاشةٍ ... على رَمَقٍ والعائداتُ تعود)
(فإنْ ذُكِرتْ لُبْنَى هَشِشْتُ لذكرها ... كما هَشَّ للثدي الدَّرُورِ وَليدُ)
(أُجيب بلُبنى مَنْ دعاني تَجَلُّداً ... وبي زَفَراتٌ تنجلي وتعود)
(تُعيد إلى روحي الحياةَ وإنني ... بنفسيَ لو عاينتني لأجود)
قال وفي هذه القصيدة يقول
صوت
(ألاَ ليتَ أيّاماً مَضَيْن تعود ... فإن عُدْنَ يوماً إنني لسعيدُ)
(سَقَى دارَ لُبنى حيث حَلَّتْ وخَيَّمتْ ... من الأرض مُنْهَلُّ الغَمامِ رَعود)
في هذين البيتين لعريب خفيف ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى وقيل إنه لغيرها وتمام هذه القصيدة
(على كلِّ حالٍ إن دَنَتْ أو تباعدتْ ... فإن تَدْنُ منّا فالدنوُّ مزيد)
(فلا اليأسُ يُسْلِيني ولا القربُ نافعي ... ولُبْنَى مَنُوعٌ ما تكاد تجود)
(كأنّي من لُبنى سليمٌ مُسهَّدٌ ... يَظَلُّ على أيدي الرجال يَميد)
(رمتْني لُبَيْنَى في الفؤاد بسهمها ... وسهمُ لبينى للفؤاد صَيُود)
(سلاَ كُلُّ ذي شَجْوٍ علمتُ مكانَه ... وقلبي للبنى ما حَيِيتُ ودود)
(وقائلةٍ قد مات أو هو ميِّتٌ ... وللنفس منّي أن تَفيض رَصيد)
(أعالِج من نفسي بقايا حُشاشةٍ ... على رَمَقٍ والعائداتُ تعود)
وقال الحرمازي في خبره خاصة وعاتبته على تزوجه فحلف أنه لم ينظر إليها ملء عينيه ولا دنا منها فصدقته وقال
صوت
(ولقد أردتُ الصبر عنكِ فعاقَني ... عَلَقٌ بقلبي من هواكِ قديمُ)
(يبقَى على حَدَثِ الزمانِ ورَيْبِه ... وعلى جَفائِك إنه لكريمُ)
(فصَرَمتِه وصَحَحْت وهو بدائه ... شتَّانَ بين مُصَحَّح وسَقِيم)
(وَارَيْتِه زمناً فعاد بحلمه ... إنّ المحبّ عن الحبيب حليمُ)
لعريب في هذه الأبيات خفيف ثقيل وللدارمي خفيف رمل من رواية الهشامي ومن الناس من ينسب خفيف الثقيل إليه وخفيف الرمل إليها قالوا فلم يزل يومه معها يحدثها ويشكو إليها أعف شكوى وأكرم حديث حتى
أمسى فانصرفت ووعدته الرجوع إليه من غد فلم ترجع وشاع خبره فلم ترسل إليه رسولا فكتب هذه الأبيات في رقعة ودفعها إلى بريكة وسألها أن توصلها إليها ورحل متوجها إلى معاوية والأبيات
صوت
(بنفسيَ مَنْ قلبي له الدَّهرَ ذاكرُ ... ومَنْ هو عنِّي مُعرِضُ القلبِ صابرُ)
(ومَنْ حُبُّه يزداد عنديَ جِدَّةً ... وحبِّي لديه مُخْلَقُ العهدِ داثرُ)
غنت في هذين البيتين ضنين جارية خاقان بن حامد خفيف رمل قالوا
يزيد يرق لحاله
ثم ارتحل إلى معاوية فدخل إلى يزيد فشكا ما به إليه وامتدحه فرق له وقال سل ما شئت إن شئت أن أكتب إلى زوجها فأحتم عليه أن يطلقها فعلت قال لا أريد ذلك ولكن أحب أن أقيم بحيث تقيم من البلاد أتعرف أخبارها وأقنع بذلك من غير أن يهدر دمي قال لو سألت هذا من غير أن ترحل إلينا لما فيه لما وجب أن تمنعه فأقم حيث شئت وأخذ كتاب أبيه له بأن يقيم حيث شاء وأحب ولا يعترض عليه أحد وأزال ما كان كتب به في إهدار دمه فقدم إلى بلده وبلغ الفزاريين خبره وإلمامه بلبنى فكاتبوه في ذلك وعاتبوه فقال للرسول قل للفتى يعني أخا الجارية التي تزوجها يا أخي ما غررتك من نفسي ولقد أعلمتك أني مشغول عن كل أحد وقد جعلت أمر أختك إليك فأمض فيه من حكمك ما رأيت فتكرم الفتى عن أن يفرق بينهما فمكثت في حباله مدة ثم ماتت
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني سليمان بن عياش السعدي عن أبيه قال
أقبلت ذات يوم من الغابة فلما كنت بالمذاذ إذا ربع حديث العهد بالساكن وإذا رجل مجتمع في جانب ذلك الربع يبكي ويحدث نفسه فسلمت فلم يرد علي سلاما فقلت في نفسي رجل ملتبس به فوليت عنه فصاح بي بعد ساعة وعليك السلام هلم هلم إلي يا صاحب السلام فأتيته فقال أما والله لقد فهمت سلامك ولكني رجل مشترك اللب يضل عني أحيانا ثم يعود إلي فقلت ومن أنت قال قيس بن ذريح الليثي قلت صاحب لبنى قال صاحب لبنى لعمري وقتيلها ثم أرسل عينيه كأنهما مزادتان فما أنسى حسن قوله

(أبائنةٌ لُبْنَى ولم تَقطعِ المَدَى ... بوصلٍ ولا صُرْمٍ فييأسَ طامعُ)
(نهاري نهارُ الوالهين صَبابةً ... وليلِيَ تنبو فيه عنّي المضاجعِ)
(وقد كنتُ قبل اليوم خِلْواً وإنّما ... تُقسِّم بين الهالِكين المَصارع)
(فلولا رجاءُ القلبِ أن تُسعِف النَّوَى ... لَمَا حبستْه بينهنّ الأضالع)
(له وَجَباتٌ إثْرِ لُبْنَى كأنها ... شَقائق برقٍ في السماء لَوَامِع)
(أبَى اللهُ أن يَلْقَى الرشادَ مُتيَّم ... ألاَ كلُّ أمرٍ حُمَّ لا بُدّ واقعُ)
(هما بَرَّحَابي مُعْوِلَيْن كِلاهما ... فؤادٌ وعينٌ جفنُها الدَّهرَ دامع)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن سعيد قال حدثنا الزبير قال وأخبرنا به وكيع عن أبي أيوب المديني قال الزبير قال حدثتني ظبية قالت
سمعت عبد الله بن مسلم بن جندب ينشد زوجي قول قيس بن ذريح
(إذا ذُكِرتْ لُبْنَى تأوّه واشتكى ... تأوُّهَ محمومٍ عليه البَلابلُ)
(يَبيت ويُضْحى تحت ظِلِّ منيَّةٍ ... به رَمَقٌ تَبْكي عليه القبائل)
(قتيلٌ للُبْنَى صدَّع الحبُّ قلبَه ... وفي الحب شغلٌ للمحبِّين شاغل)
فصاح زوجي أوه واحرباه واسلباه ثم أقبل على ابن جندب فقال ويلك أتنشد هذا كذا قال فكيف أنشده قال لم لا تتأوه كما يتأوه وتشتكي كما يشتكي
وقال القحذمي قال ابن أبي عتيق لقيس يوما أنشدني أحر ما قلت في لبنى فأنشده قوله
(وإني لأهوَى النَّومَ في غير حِينه ... لعلّ لقاءً في المنام يكون)
(تُحَدِّثني الأحلامُ أنّي أراكُم ... فيا ليتَ أحلامَ المنام يقين)
(شهدتُ بأني لم أحُلْ عن مَوَدّةٍ ... وأنّي بكم لو تَعْلمين ضَنين)
(وأن فؤادي لا يَلِين إلى هوَى ... سواكِ وإن قالوا بَلَى سيَلِين)
فقال له ابن أبي عتيق لقل ما رضيت به منها يا قيس قال ذلك جهد المقل
غنى في البيتين الأولين قفا النجار ثاني ثقيل بالوسطى عن حبش
أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال أنشدني أحمد بن يحيى ثعلب
لقيس بن ذريح وكان يستحسن هذه الأبيات من شعره
(سقَى طَلَلَ الدار التي أنتُم بها ... حَياً ثم وَبْلٌ صَيِّفٌ ورَبيعُ)
(مضى زمنٌ والناس يستشفِعون بي ... فهل لي إلى لُبْنَى الغَداةَ شَفيع)
(سأصرِم لُبْنَى حبلَكِ اليومَ مُجْمِلاً ... وإن كان صَرْمُ الحبل منكِ يَرُوع)
(وسوف أُسَلِّي النفسَ عنكِ كما سَلاَ ... عن البلد النائي البعيدِ نَزيع)
(وإنْ مَسَّني للضُّرِّ منكِ كآبةٌ ... وإن نال جسمي للفِراق خُشوع)
(يقولون صَبٌ بالنساء موكَّلٌ ... وما ذاك من فعل الرجال بَديع)
(نَدِمتُ على ما كان منّي ندامةً ... كما ندِم المغبونُ حين يَبيع)
(فقَدتُكِ من نفسٍ شَعاعٍ ألم أكن ... نهيتُكِ عن هذا وأنتِ جَميع)
(فقرّبت لي غيرَ القريبِ وأشرفتْ ... هناكَ ثَنايا ما لهنَّ طلوع)
(إلى الله أشكو نِيَّةً شقَّت العصا ... هي اليوم شَتَّى وهي أمس جميعُ)
(فيا حَجَراتِ الدار حيث تحمَّلوا ... بذي سَلَمٍ لا جادكنَّ ربيع)
صوت
(فلو لم يَهِجْني الظاعنون لهاجَني ... حمائمُ وُرْقٌ في الدِّيار وُقوع)
(تَداعَيْنَ فاستبكَيْنَ مَنْ كان ذا هوىً ... نوائحَ لم تَقْطُرْ لهنّ دُموع)
غنى في هذين البيتين ابن سريج خفيف ثقيل أول عن الهشامي
صوت
(إذا أمرتْني العاذلاتُ بهجرِها ... أبتْ كَبِدٌ عمّا يَقُلْنَ صَديع)
(وكيف أُطِيع العاذلاتِ وذكرُها ... يؤرِّقني والعاذلاتُ هُجوع)
غنى في هذين البيتين إبراهيم ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو
فكاهات لأبي السائب المخزومي في شعره وفي سيرته
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز قال أنشدت أبا السائب المخزومي قول قيس بن ذريح
صوت
(أُحبُّك أصنافاً من الحبِّ لم أجِدْ ... لها مَثَلاً في سائر الناس يُوصَفُ)
(فمنهنَّ حبٌّ للحبيبِ ورحمةٌ ... بمعرفتي منه بما يتكلّف)
(ومنهن ألاّ يَعْرِضَ الدّهرَ ذكرُها ... على القلب إلاّ كادتِ النفس تَتْلَفُ)
(وحبٌّ بدا بالجسم واللونِ ظاهرٌ ... وحبٌّ لدى نفسي من الرُّوح ألطف)
قال أبو السائب لا جرم والله لأخلصن له الصفاء ولأغضبن لغضبه
ولأرضين لرضاه غنى في البيتين الأولين الحسين بن محرز خفيف ثقيل عن الهشامي وبذل
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز عن أبي السائب المخزومي أنه أخبره أنه كان مع عبد الرحمن بن عبد الله بن كثير في سقيفة دار كثير إذ مر بجنازة فقال لي يا أبا السائب جارك ابن كلدة ألا تقوم بنا فنصلي عليه قال قلت بلى والله فديتك فقمنا حتى إذا كنا عند دار أويس إذ ذكرت أن جده كان تزوج لبنى ونزل بها المدينة فرجعت فطرحت نفسي في السقيفة وقلت لا يراني الله أصلي عليه فرجع الكثيري فقال أكنت جنبا قلت لا والله قال فعلى غير وضوء قلت لا والله قال فما لك قلت ذكرت أن جده كان تزوج لبنى وفرق بينها وبين قيس بن ذريح لما ظعن بها من بلادها فما كنت لأصلي عليه

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن يحيى قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال حدثني هارون بن موسى الفروي قال أخبرنا الخليل ابن سعيد قال مررت بسوق الطير فإذا الناس قد اجتمعوا يركب بعضهم بعضا فاطلعت فإذا أبو السائب المخزومي قائم على غراب يباع وقد أخذ بطرف ردائه وهو يقول للغراب يقول لك قيس بن ذريح
(ألاَ يا غرابَ البين قد طِرْتَ بالذي ... أُحاذِر من لُبْنَى فهل أنت واقعُ)
لم لا تقع ويضربه بردائه والغراب يصيح قال فقال قائل له أصلحك الله يا أبا السائب ليس هذا ذاك الغراب فقال قد علمت ولكن آخذ البريء حتى يقع الجريء
وقال الحرمازي في خبره لما بلغ لبنى قول قيس
(ألاَ يا غرابَ البين قد طِرْتَ بالذي ... أُحاذِر من لبنى فهل أنت واقع)
آلت ألا ترى غرابا إلا قتلته فكانت كلما رأته أو رأته خادم لها أو جارة ابتيع ممن هو معه وذبحته
وهذه القصيدة العينية أيضا من جيد شعر قيس والمختار منها قوله
(أتبكي على لُبنى وأنت تركتَها ... وكنتَ كآتٍ حَتْفَه وهو طائعُ)
(فيا قلبُ صبراً واعترافاً لما ترَى ... ويا حبَّها قَعْ بالذي أنت واقع)
(ويا قلبُ خبِّرني إذا شَطَّتِ النَّوَى ... بلُبْنَى وبانت عنك ما أنت صانع)
(أتصبِر للبَيْن المُشِتِّ مع الجَوَى ... أم انت امرؤ ناسي الحياء فجازع)
(كأنَّك بِدْعٌ لم تَرَ الناسَ قبلَها ... ولم يَطَّلِعْك الدهرُ فيمن يُطالع)
(ألاَ يا غرابَ البَيْن قد طِرْتَ بالذي ... أُحاذِر من لُبنى فهل أنت واقع)
(فليس محبٌّ دائماً لحبيبه ... ولا ثقةٌ إلا له الدهرَ فاجع)
(كأنَّ بلادَ الله ما لم تكن بها ... وإن كان فيها الناسُ قَفْرٌ بَلاَقِع)
(فما أنت إذ بانت لُبَيْنَى بهاجعٍ ... إذا ما اطمأنّتْ بالنِّيَام المَضاجع)
صوت
(أُقَضِّي نهاري بالحديث وبالمُنَى ... ويَجْمعني والهمَّ بالليل جامعُ)
(نهاري نهارُ الناس حتى إذا دَجَا ... لِيَ الليلُ هَزَّتْني إليكِ المضاجع)
(لقد رسَخَتْ في القلب منكِ مَوَدّةٌ ... كما رسَخَتْ في الراحتين الأصابع)
(أحالَ عليَّ الهمُّ من كلِّ جانب ... ودامتْ فلم تبرحْ عليَّ الفواجع)
(ألاَ إنّما أبكي لِما هو واقعٌ ... فهل جزَعِي من وَشْكِ ذلك نافع)
(وقد كُنت أبكي والنَّوى مطمئنّةٌ ... بنا وبكم من عِلْمِ ما البينُ صانع)
((وأهجُركم هجرَ البَغيض وحبُّكم ... على كبدي منه كُلومٌ صوادع
(وأعمِد للأرض التي لا أريدها ... لِتَرْجِعَني يوماً إليكِ الرواجع)
(وأشفِق من هِجرانكم وترُوعني ... مخافةُ وَشْكِ البين والشَّملُ جامع)
(فما كلُّ ما منَّتْكَ نفسُك خالياً ... تُلاَقِي ولا كلُّ الهوى أنت تابع)
(لَعَمْري لمَنْ أمْسَى ولُبْنَى ضَجيعُه ... من الناس ما اختيرتْ عليه المضاجع)
(فتلكَ لُبَيْنَى قد تراخَى مَزارُها ... وتلكَ نَواها غُرْبَةٌ ما تُطاوع)
(وليس لأمرٍ حاول اللهُ جمعَه ... مُشِتٌّ ولا ما فرَّق اللهُ جامع)
(فلا تَبْكِيَنْ في إثر لُبْنَى نَدَامةً ... وقد نَزَعتْها من يديك النوازع)
غنى الغريض في الثالث والرابع والأول والعشرين وهو لعمري لمن أمسى ولبنى ضجيعه ثقيلا أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق وغنى إبراهيم الموصلي في العاشر وهو أقضي نهاري بالحديث وبالمنى والحادي عشر والثاني عشر رملا بالوسطى عن عمرو وقد قيل إن ثلاثة أبيات من هذه وهي أقضي نهاري بالحديث وبالمنى والبيتان اللذان بعده لابن الدمينة الخثعمي وهو الصحيح وإنما أدخلها الناس في هذه الأبيات لتشابهها
نهاية قيس ولبنى
وقد اختلف في آخر أمر قيس ولبنى فذكر أكثر الرواة أنهما ماتا على افتراقهما فمنهم من قال إنه مات قبلها وبلغها ذلك فماتت أسفا عليه ومنهم من قال بل ماتت قبله ومات بعدها أسفا عليها وممن ذكر ذلك
اليوسفي عن علي بن صالح صاحب المصلى قال قال لي أبو عمرو المدني
ماتت لبنى فخرج قيس ومعه جماعة من أهله فوقف على قبرها فقال
(ماتت لُبْنَى فموتُها موتِي ... هل تنفعنْ حَسْرتي على الفَوْتِ)
(وسوف أبكي بكاءَ مكتئبٍ ... قضى حياةً وَجْداً على مَيْت)
ثم أكب على القبر يبكي حتى أغمي عليه فرفعه أهله إلى منزله وهو لا يعقل فلم يزل عليلا لا يفيق ولا يجيب مكلما ثلاثا حتى مات فدفن إلى جنبها
وذكر القحذمي وابن عائشة وخالد بن جمل أن ابن أبي عتيق صار إلى الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم وجماعة من قريش فقال لهم إن لي حاجة إلى رجل أخشى أن يردني فيها وإني أستعين بجاهكم وأموالكم فيها عليه قالوا ذلك لك مبتذل منا فاجتمعوا ليوم وعدهم فيه فمضى بهم إلى زوج لبنى فلما رآهم أعظم مصيرهم إليه وأكبره فقالوا لقد جئناك بأجمعنا في حاجة لابن أبي عتيق قال هي مقضية كائنة ما كانت قال ابن أبي عتيق قد قضيتها كائنة ما كانت من ملك أو مال أو أهل قال نعم قال تهب لهم ولي لبنى زوجتك
وتطلقها قال فإني أشهدكم أنها طالق ثلاثا فاستحيا القوم واعتذروا وقالوا والله ما عرفنا حاجته ولو علمنا أنها هذه ما سألناك إياها وقال ابن عائشة فعوضه الحسن من ذلك مائة ألف درهم وحملها ابن أبي عتيق إليه فلم تزل عنده حتى انقضت عدتها فسأل القوم أباها فزوجها قيسا فلم تزل معه حتى ماتا قالوا فقال قيس يمدح ابن أبي عتيق
(جزى الرحمنُ أفضلَ ما يُجازي ... على الإحسان خيراً من صديق)
(فقد جَرَّبتُ إخواني جميعاً ... فما ألْفَيْتُ كابن أبي عتيق)
(سعى في جمع شَمْلِي بعد صَدْعٍ ... ورأيٍ حِدْتُ فيه عن الطريق)
(وأطفأ لوعةً كانت بقلبي ... أغصَّتْني حرارتُها بريقي)

قال فقال له ابن أبي عتيق يا حبيبي أمسك عن هذا المديح فما يسمعه أحد إلا ظنني قوادا مضى الحديث
ومن مدن معبد وهو الذي أوله
(... يا دارَ عَبْلة بالجِواء تكلَّمي)
وقد جمع معه سائر ما يغنى فيه من القصيدة
منها
صوت
(هل غادرِ الشعراءُ مِن مُتَردَّمِ ... أم هل عَرَفتَ الدارَ بعد تَوَهمِ)
(يا دارَ عَبْلة بالجِواء تَكَلَّمِي ... وعِمِي صَباحاً دارَ عبلةَ واسْلَمي)
((وتَحُلّ عبلةُ بالجِواء وأهلُنا ... بالحَزْن فالصَّمَّان فالمُتَثلَّمِ
(كيف القَرَارُ وقد تربَّع أهلُها ... بعُنَيْزتَيْن وأهلُنا بالغَيْلَمِ)
(حُيِّيتَ من طَلَلٍ تَقَادمَ عهدُه ... أقْوَى وأقْفرَ بعد أُمِّ الهَيْثَمِ)
(ولقد نزلتِ فلا تَظُنِّي غيرَه ... منِّي بمنزلة المُحَبِّ المُكْرَمِ)
(ولقد خَشِيتُ بأن أموتَ ولم تَدُرْ ... للحربِ دائرةٌ على ابنَيْ ضَمْضَم)
(الشَّاتِمَيْ عِرْضِي ولم أشتُمْهما ... والنَّاذِرَيْن إذا لَمَ القهما دمي)
(ولقد شَفَى نفسي وأبرأ سُقْمَها ... قِيلُ الفوارسِ وَيْكَ عنترُ فاقدُم)
(ما زِلتُ أرميهم بثُغْرة نَحْره ... ولَبَانِه حتى تَسَرْبلَ بالدَّمِ)
(هَلاَّ سألتِ الخيلَ يابنةَ مالكٍ ... إن كنتِ جاهلةً بما لم تَعْلَمي)
(يُخْبِرْكِ مَنْ شَهِد الوَقِيعةَ أنّني ... أغْشَى الوَغَى وأعِفُّ عند المَغْنَم)
(يَدْعُون عَنْتَرَ والرِّماحُ كأنّها ... أشْطانُ بئرٍ في لَبَان الأدهمِ)
(فشكَكْتُ بالرُّمْح الطويل ثيابَه ... ليس الكريمُ على القَنَا بمحرَّمِ)
(فإذا شَرِبتُ فإنني مستهلِكٌ ... مالي وعِرْضِي وافرٌ لم يُكْلَم)
(وإذا صحوتُ فما أُقَصِّر عن نَدًى ... وكما علمتِ شمائلي وتكرّمي)
الشعر لعنترة بن شداد العبسي وقد تقدمت أخباره ونسبه وغنى في البيت الأول على ما ذكره ابن المكي إسحاق خفيف ثقيل أول بالوسطى وما وجدت هذا في رواية غيره وغنى معبد في البيت الثاني والثالث خفيف ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق وهو الصوت المعدود
في مدن معبد وغنى سلام الغسال في السابع والثامن والثالث والعاشر رملا بالسبابة في مجرى البنصر ووجدت في بعض الكتب أن له أيضا في السابع وحده ثاني ثقيل أيضا وذكر عمرو بن بانة أن هذا الثقيل الثاني بالوسطى لمعبد ووافقه يونس وذكر ابن المكي أن هذا الثقيل الثاني للهذلي وذكر غيره أنه لابن محرز وذكر أحمد بن عبيد أن في السابع ثقيلا أول للهذلي ووافقه حبش وذكر حبش أن في الثاني لمعبد ثقيلا أول وأن لابن سريج فيه رملا آخر غير رمل ابن الغسال وأن لابن مسجح أيضا فيه خفيف ثقيل بالوسطى وفي كتاب أبي العبيس له في الثالث لحن وفي كتاب أبي أيوب المديني لابن جامع في هذه الأبيات لحن ولمعبد في الحادي عشر والثاني عشر والخامس عشر والسادس عشر خفيف ثقيلا أول مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق أيضا ولعلويه في السادس والرابع ثاني ثقيل وله أيضا في الرابع عشر والثالث عشر رمل وفي كتاب هارون بن الزيات لعبد آل في الخامس ثقيل أول وقد نسب الثقيل الثاني المختلف فيه لابن محرز وفي كتاب هارون لأحمد النصبي في الرابع والخامس لحن
هل غادر الشعراء البيت يدفع اكثر الرواة أن يكون لعنترة وممن يدفعه الأصمعي وابن الأعرابي وأول القصيدة عندهما يا دار عبلة فذكر أبو عمرو الشيباني أنه لم يكن يرويه حتى سمع ابا حزام العكلي يرويه له
قوله هل غادر الشعراء من متردم يقول هل تركوا شيئا ينظر فيه لم ينظروا فيه والمتردم المتعطف وهو مصدر يقول هل تركوا شيئا يتردم عليه أي يتعطف ويقال تردمت الناقة على ولدها إذا تعطفت عليه وثوب مردم وملدم إذا سدت خروقه بالرقاع والربع المنزل سمي ربعا لارتباعهم فيه والربيعة الصخرة حكى أبو نصر أنه يقول هل ترك الشعراء من خرق لم يرقعوه وفتق لم يرتقوه وهو أشبه بقوله من متردم وقال غيره يعني بقوله
من متردم البناء وهو الردم أي لم يتركوا بناء إلا بنوه قال الله عز وجل (أجعل بينكم وبينهم ردما) يعني بناء وردم فلان حائطه أي بناه والجواء بلد بعينه والجواء أيضا جمع جو وهو البطن الواسع من الأرض عمي صباحا وانعمي صباحا تحية تربع أهلها نزلوا في الربيع وعنيزتين أكمة سوداء بين البصرة ومكة والغيلم موضع والطلل ما كان له شخص من الدار مثل أثفية أو وتد أو نؤي وتقول العرب حيا الله طللك أي شخصك وابنا ضمضم حصين وهرم المريان وثغرة نحره موضع لبته واللبان مجرى لببه من صدره وهو الصدر نفسه ويروى بغرة وجهه وتسربل أي صار له سربال من الدم وقوله هلا سألت الخيل يريد فرسان الخيل كما قال الله تعالى (واسأل القرية) والوقيعة الوقعة والوغى والوحى أصوات الناس وجلبتهم في الحرب وقال الشاعر
(وليلٍ كَسَاجِ الحِمْيَرِيِّ ادَّرعتُه ... كأنَّ وَغَى حافاتِه لَغَطُ العُجْمِ)
والأشطان الحبال واحدها شطن شبه اختلاف الرماح في صدر فرسه بالأشطان وشككت بالرمح نظمت وقال أبو عمرو يعني بثيابه قلبه والعرض موضع المدح والذم من الرجل يقال طيب العرض أي طيب ريح الجسم والكلوم الجراح والوافر التام وشمائلي أخلاقي واحدها شمال يقال فلان حلو الشمائل والنحائت والضرائب والغرائز
سبب قول عنترة معلقته
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أبو سعيد السكري قال قال أبو عمرو الشيباني قال عنترة هذه القصيدة لأن رجلا من بني عبس سابه فذكر سواده وسواد
أمه وإخوته وعيره ذلك فقال عنترة والله إن الناس ليترافدون بالطعمة فوالله ما حضرت مرفد الناس أنت ولا أبوك ولا جدك قط وإن الناس ليدعون في الفزع فما رأيتك في خيل قط ولا كنت في أول النساء وإن اللبس يعني الاختلاط ليكون بيننا فما حضرت أنت ولا أحد من أهل بيتك لخطة فيصل قط وكنت فقعا بقرقرة ولو كنت في مرتبتك ومغرسك الذي أنت فيه ثم ما جدتك لمجدتك أو طاولتك لطلتك ولو سألت أمك وأباك عن هذا لأخبراك بصحته وإني لأحتضر الوغى وأوفى المغنم وأعف عن المسألة وأجود بما ملكت وأفصل الخطة الصمعاء فقال له الآخر أنا أشعر منك فقال ستعلم وكان عنترة لا يقول

من الشعر إلا البيت أو البيتين في الحرب فقال هذه القصيدة ويزعمون أنها أول قصيدة قالها وكانت العرب تسميها المذهبة
نسبة الأصوات التي جعلت مكان بعض هذه الأصوات في مدن معبد وهن
صوت
(تَقطَّع من ظَلاَّمةَ الوصلُ أَجْمَعُ ... أخيراً على أنْ لم يكن يَتَقَطَّعُ)
(وأصبحتُ قد ودّعت ظَلاَّمةَ التي ... تَضُرُّ وما كانت مع الضُّرّ تنفع)
الشعر لكثير والغناء لمعبد خفيف ثقيل أول بالبنصر عن عمرو ويونس
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني سليمان بن عياش السعدي قال قال السائب راوية كثير وأخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال زعم ابن الكلبي عن أبي المقوم قال حدثني سائب راوية كثير قال كنت مع كثير عند ظلامة فأقمنا أياما فلما أردنا الانصراف عقدت له في علاقة سوطه عقدا وقالت احفظها ثم انصرفنا فمررنا على ماء لبني ضمرة فقال إن في هذه الأخبية جارية ظريفة ذات جمال فهل لك أن تستبرزها فقلت ذاك إليك قال فملنا إليهم فخرجت إلينا جاريتها فأخرجتها إلينا فإذا هي عزة فجلس معها يحادثها وطرح سوطه بينه وبينها إلى أن غلبته عيناه وأقبلت عزة على تلك العقد تحلها واحدة واحدة فلما استيقظ انصرفنا فنظر إلى علاقة سوطه فقال أحلتها قلت نعم فلا وصلها الله والله إنك لمجنون قال فسكت عني طويلا ثم رفع السوط فضرب به واسطة رحله وأنشأ يقول
(تقطّع من ظَلاَّمة الوصلُ أجمعُ ... أخيراً على أن لم يكن يتقطّعِ)
(وأصبحتُ قد ودّعت ظَلاَّمةَ التي ... تَضُرُّ وما كانت مع الضُّرّ تنفع)
(وقد سُدَّ من أبواب ظَلاَّمة التي ... لنا خَلَفٌ للنَّفْس منها ومَقْنَع)
ثم وصل عزة بعد ذلك وقطع ظلامة
ومنها
وهو الذي أوله خمصانة قلق موشحها
صوت
(أَقْوَى مِنَ الِ ظُلَيمةَ الحَزْمُ ... فالغَمْرتانِ فأَوْحَش الخَطْمُ)
(فجنوبُ أَثْيِرةٍ فَمُلْحَدُها ... فالسِّدْرتانِ فما حَوَى دَسْمُ)
(وبما أَرَى شخصاً به حسناً ... في القوم إذ حَيَّتْكُمُ نُعْمُ)
(إذ وُدُّها صافٍ ورؤيتُها ... أُمنيَّةٌ وكلامُها غُنْمُ)
(لَفّاءُ مملوءٌ مُخَلْخَلُها ... عَجْزاءُ ليس لعَظْمِها حَجْمُ)
(خَمْصانةٌ قَلِقٌ موشَّحُها ... رُؤْدُ الشبابِ عَلا بها عَظْمِ)
(وكأنَّ غاليَةً تُباشرها ... تحت الثيابِ إذا صَغا النَّجمُ)
((أظُلَيمُ إنّ مُصابَكم رجلاً ... أَهْدَى السلامَ تحيةً ظُلْمُ)
(أَقْصيتِه وأراد سَلْمَكمُ ... فَلْيَهْنِهِ إذْ جاءكِ السَّلْمُ)
عروضه من الكامل الشعر للحارث بن خالد المخزومي والغناء لمعبد ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالخنصر في مجرى البنصر قال ولحن معبد
(... خمصانةٌ قَلِقٌ مُوشَّحُها)
وأول لحن مالك
(...أقوى مِنَ الِ ظُلْيمةَ الحزمُ)
ذكر الحارث بن خالد ونسبه وخبره في هذا الشعر
الحارث بن خالد بن العاصي بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وقد تقدم ذكره وأخباره في كتاب المائة المختارة في بعض الأغاني المختارة التي شعرها له وهو
(... إنّ امرأً تَعْتادُه ذِكَرُ)
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال بلغني أن الحارث بن خالد بن العاصي بن هشام بن المغيرة ويقال بل خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة كان تزوج حميدة بنت النعمان بن بشير بدمشق لما قدم على عبد الملك بن مروان فقالت فيه
(نَكَحتُ المدينيَّ إذ جاءني ... فيا لَكِ من نَكْحَةٍ غاوية)
(كهولُ دِمَشْقَ وشُبَّانُها ... أحبُّ إلينا من الجالِية)
(صُنَانٌ لهم كصُنَان التُّيُوس ... أعيا على المسك والغالية)
فقال الحارث يجيبها
صوت
(أَسَنَا ضوءِ نارِ ضَمْرةِ بالقَفْرة ... أبصرْتَ أم سَنَا ضوءِ بَرْقِ)
(قاطناتُ الحَجونِ أشهى إلى قلبي ... من ساكناتِ دُورِ دِمَشْقِ)
(يَتَضوَّعْنَ لو تضمَّخْنَ بالمسكِ ... صُنَاناً كأنّه ريحُ مَرْقِ)
غناه مالك بن أبي السمح خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر من رواية إسحاق وفيه لابن محرز لحن من رواية عمرو بن بانة ثقيل أول بالوسطى
رجعت الرواية إلى خبر الحارث
قال وطلقها الحارث فخلف عليها روح بن زنباع قال وكان الحارث خطب أمة لمالك بن عبد الله بن خالد بن أسيد وخطبها عبد الله بن مطيع
فتزوجها عبد الله ثم طلقها أو مات عنها فتزوجها الحارث بن خالد بعد ذلك وقال فيها قبل أن يتزوج
(أَقْوَى مِنَ آلِ ظُلَيمةَ الحَزْمُ ... فالغَمْرتانِ فأَوْحَش الخَطْمُ)
الأبيات التي فيها الغناء
قال وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا محمد بن الحكم عن عوانة بهذا الخبر

فذكر مثله ولم يذكر أن الحارث هو المتزوجها وفسر قولها
(... أحبُّ إلينا من الجالِيةْ)
وقال الجالية أهل الحجاز كان أهل الشام يسمونهم بذلك لأنهم كانوا يجلون عن بلادهم إلى الشام وقال في الحديث فبلغ عبد الملك قولها فقال لولا أنها قدمت الكهول على الشبان لعاقبتها
قال عوانة وكانت لحميدة أخت يقال لها عمرة وكانت تحت المختار ابن أبي عبيد الثقفي فأخذها مصعب بعد قتله المختار وأخذ امرأته الأخرى وهي بنت سمرة بن جندب فأمرهما بالبراءة من المختار أما بنت سمرة فبرئت منه وأبت ذلك عمرة فكتب به مصعب إلى أخيه عبد الله فكتب
إليه إن أبت أن تبرأ منه فاقتلها فأبت فحفر لها حفيرة وأقيمت فيها فقتلت فقال عمر بن أبي ربيعة في ذلك
(إنّ من أعجبِ العجائب عندي ... قتل بيضاءَ حُرَّةٍ عُطْبولِ)
(قُتِلتْ حُرَّةٌ على غير جُرْمٍ ... إنّ للهِ دَرَّها من قَتيل)
(كُتب القتلُ والقتالُ علينا ... وعلى الغانياتِ جَرُّ الذيول)
رجع الحديث إلى رواية عمر بن شبة
قال أبو زيد وحدثني ابن عائشة عن أبيه بهذا الخبر ونحوه وزاد فيه أن الحارث لما تزوجها قالت فيه
(نكَحتُ المدينيَّ إذ جاءني ... فيا لكِ من نَكْحةٍ غاويهْ)
وذكر الأبيات المتقدمة وقال عمر بن شبة فيه وتزوجها روح بن زنباع فنظر إليها يوما تنظر إلى قومه جذام وقد اجتمعوا عنده فلامها فقالت وهل أرى إلا جذام فوالله ما أحب الحلال منهم فكيف بالحرام وقالت تهجوه
(بكى الخَزُّ من رَوْحٍ وأنكر جلدَه ... وعَجَّتْ عَجيجاً من جُذامَ المطارفُ)
(وقال العَبَا قد كنتُ حيناً لباسَكم ... وأكسيةٌ كُرْدِيَّةٌ وقَطائفُ)
فقال روح
(إن تَبْكِ منّا تَبْكِ ممن يُهينُها ... وإن تَهْوَكم تهوَ اللِّئامَ المقَارِفَا)
وقال روح
(أثْنِي عليَّ بما علمتِ فإنَّني ... مُثْنٍ عليكِ لبئس حَشوُ المِنْطَق)
فقالت
(أثْنِي عليكَ بأنّ باعَكَ ضَيِّقٌ ... وبأن اصْلَك في جُذَامٍ مُلْصَقُ)
فقال روح
(أثْنِي عليَّ بما عَلِمْتِ فإنّني ... مُثْنٍ عليكِ بمثل ريح الجَوْرَب)
فقالت
(فثناؤنا شرُّ الثَّنَاء عليكمُ ... أسْوَا وأنْتَنُ من سُلاَح الثَّعْلَبِ)
وقالت
(وهل أنا إلا مُهْرَةٌ عربيّةٌ ... سَليلةُ أفراس تجلَّلها بَغْلُ)
(فإنْ نُتِجتْ مُهْراً كريماً فبالحَرَى ... وإن يك إقرافٌ فما أنْجب الفحلُ)
فقال روح
(فما بالُ مُهْرٍ رائعٍ عَرَضتْ له ... أتانٌ فبالتْ عند جَحْفَلة البغلِ)
(إذا هو وَلّى جانباً رَبَختْ له ... كما ربختْ قَمْراءُ في دَمسٍ سهل)
وقالت عمرة لأخيها أبان بن النعمان
(أطال اللهُ شأوك من غُلاَمٍ ... متى كانتْ مَنَاكِحَنا جُذَامُ)
(أترضَى بالأكارع والذُّنَابَى ... وقد كنّا يَقِرُّ بنا السَّنَامُ)
وقال ابن عم لروح
(رَضِي الأشياخ بالفِطْيَوْنِ فَحْلاً ... وترغَب للحماقة عن جُذامِ)
(يهوديٌّ له بُضْعُ العَذَارَى ... فقبحاً للكهول وللغلام)
(تُزَفُّ إليه قبل الزوج خَوْدٌ ... كأنْ شَمْساً تدلَّتْ من غَمام)
(فأبقى ذلكم عاراً وخِزياً ... بقاءَ الوَحْي في صُمِّ السِّلام)
(يهودٌ جُمِّعُوا من كلِّ أَوْبٍ ... وليسوا بالغَطَاريفِ الكرام)
وقالت
(سُمِّيتَ رَوْحاً وأنت الغمُّ قد عَلِموا ... لا روَّح اللهُ عن رَوْح بن زِنْباع)
فقال روح
(لا روَّح اللهُ عمن ليس يمنعنا ... مالٌ رَغيبٌ وبعلٌ غير ممناع)
(كشافعٍ جَوْنةٍ نُجْلٍ مَخاصِرُها ... دَبَّابةٍ شَثْنةِ الكَفَّين جَبَّاع)
قال والجباع القصيرة والجباع من السهام الذي لا نصل له والجباع الرصف
وقالت
(تُكَحِّل عينيكَ بَرْدَ العَشيّ ... كأنّكَ مُومِسةٌ زانيهْ)
(وآيةُ ذلك بعد الخُفُوقِ ... تَغَلُّفُ رأسِك بالغاليه)
(وأنّ بَنِيكَ لرَيْبِ الزمان ... أمستْ رقابهمُ حاليه)
(فلوكان أوْسٌ لهم حاضراً ... لقال لهم إنّ ذا ماليه)
وأوس رجل من جذام يقال إنه استودع روحا مالا فلم يرده عليه فقال لها روح
(إن يكن الخُلْعُ من بالكم ... فليس الخلاعةُ من باليهْ)
(وإن كان مَنْ قد مضى مثلَكم ... فأفٍّ وتُفٍّ على الماضيه)
(وما إنْ بَرَا اللهُ فاستيقنيه ... من ذات بعلٍ ومن جاريه)
(شبيهاً بك اليوم فيمن بَقِي ... ولا كان في الأعْصُرِ الخاليه)

(فبُعداً لَمِحْياكِ إذ ما حَيِيتِ ... وبُعداً لأعظُمِكِ الباليه)
وقال روح في بعض ما يتنازعان فيه اللهم إن بقيت بعدي فابتلها ببعل يلطم وجهها ويملأ حجرها قيئا فتزوجها بعده الفيض بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل وكان شابا جميلا يصيب من الشراب فأحبته فكان ربما أصاب من الشراب مسكرا فيلطم وجهها ويقيء في حجرها فتقول يرحم الله أبا زرعة قد أجيبت دعوته في وقالت لفيض
(سُمِّيت فيضاً وما شيءٌ تَفِيضُ به ... إلاّ سُلاَحَكَ بين الباب والدار)
((فتلك دعوةُ رَوْح الخير أعرفُها ... سقى الإلهُ صَدَاه الأَوْطَفَ السَّاري
وقالت لفيض أيضا
(ألا يَا فَيْضُ كنتُ أراكَ فَيْضاً ... فلا فَيْضاً أصبتُ ولا فُرَاتا)
وقالت
(وليس فيضٌ بفَيّاض العَطاء لنا ... لكنَّ فيضاً لنا بالقَّيْءِ فَيّاضُ)
(ليثُ اللُّيوثِ علينا باسلٌ شَرِسٌ ... وفي الحروب هَيُوبُ الصدرِ جَيَّاضُ)
فولدت من الفيض ابنة فتزوجها الحجاج بن يوسف وقد كانت قبلها عند الحجاج أم أبان بنت النعمان بن بشير فقالت حميدة للحجاج
(إذا تذكَّرتُ نكاحَ الحَجّاجْ ... من النَّهار أو من اللَّيل الداجْ)
(فاضتْ له العينُ بدمع ثَجَّاجْ ... وأُشْعِل القلبُ بوَجْدٍ وَهَّاجْ)
(لو كان نُعمانُ قتيلُ الأعْلاجْ ... مستَوِيَ الشَّخص صَحِيحَ الأوداجْ)
(لكنتَ منها بمكان النَّسَّاجْ ... قد كنتُ أرجو بعضَ ما يرجو الرَّاجْ)
(... أن تَنْكِحيه مَلِكاً أو ذا تاجْ)
فقدمت حميدة على ابنتها زائرة فقال لها الحجاج يا حميدة إني كنت أحتمل مزاحك مرة وأما اليوم فإني بالعراق وهم قوم سوء فإياك فقالت سأكف حتى أرحل
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا سليمان بن أيوب قال حدثنا المدائني عن مسلمة بن محارب قال قالت حميدة بنت النعمان لزوجها روح بن زنباع وكان أسود ضخما كيف تسود وفيك ثلاث خصال أنت من جذام وأنت جبان وأنت غيور فقال أما جذام فأنا في أرومتها وبحسب الرجل أن يكون في أرومة قومه وأما الجبن فإنما لي نفس واحدة ولو كان لي نفسان لجدت بإحداهما وأما الغيرة فهو أمر لا أحب أن أشارك فيه وإن المرء لحقيق بالغيرة على المرأة مثلك الحمقاء الورهاء لا يأمن أن تأتي بولدمن غيره فتقذفه في حجره ثم ذكر باقي خبرها مثل ما تقدم وقال فيه فخلف بعده عليها الفيض بن محمد عم يوسف بن عمر فكان يشرب ويلطمها ويقيء في حجرها فقالت
(سُمِّيتَ فَيْضا وما شيءٌ تَفيض به ... إلا سُلاحَكَ بين الباب والدار)
قال المدائني وتمثل فيض يوما بهذا البيت
(إن كنتِ ساقيةً يوماً على كَرَمٍ ... صَفْوَ المدامةِ فاسقِيها بني قَطَنِ)
ثم تحرك فضرط فقالت واسق هذه أيضا بني قطن
وهذا الصوت أعني
(...أقْوَى مِن آلِ ظُلَيْمةَ الحَزْمُ)
هو الصوت الذي أشخص الواثق له أبا عثمان المازني بسبب بيت منه اختلف في إعرابه بحضرته وهو قوله
(أَظُلَيْمُ إنّ مُصابَكم رجلاً ... أَهْدَى السَّلامَ تَحِيَّةً ظُلْمُ)
وقال آخرون رجل حدثني بذلك علي بن سليمان الأخفش عن أبي العباس محمد بن يزيد عن أبي عثمان وأخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا القاسم بن إسماعيل وعون بن محمد وعبد الواحد بن العباس بن عبد الواحد والطيب بن محمد الباهلي يزيد بعضهم على بعض قالوا حدثنا أبو عثمان المازني قال كان سبب طلب الواثق لي أن مخارقا غنى في مجلسه
(أظُلَيمُ إنّ مُصابَكم رجلاً ... أَهْدَى السَّلامَ تحيّةً ظلمُ)
فغناه مخارق رجل فتابعه بعض القوم وخالفه آخرون فسأل الواثق
عمن بقي من رؤساء النحويين فذكرت له فأمر بحملي فلما وصلت إليه قال ممن الرجل قلت من بني مازن قال أمن مازن تميم أم مازن قيس أم مازن ربيعة أم مازن اليمن قلت من مازن ربيعة فقال لي با اسمك يريد ما اسمك وهي لغة كثيرة في قومنا فقلت على القياس مكر أي بكر فضحك فقال اجلس واطبئن يريد واطمئن فجلست فسألني عن البيت فقلت إن مصابكم رجلا فقال أين خبر إن قلت ظلم وهو الحرف الذي في آخر البيت وقال الأخفش في خبره وقلت له إن معنى مصابكم إصابتكم مثل ما تقول إن قتلكم رجلا حياكم ظلم ثم قلت يا أمير المؤمنين إن البيت كله معلق لا معنى له حتى يتم بقوله ظلم ألا ترى أنه لو قال أظليم إن مصابكم رجل أهدى السلام تحية لما احتيج إلى ظلم ولا كان له معنى إلا أن يجعل التحية بالسلام ظلما وذلك محال ويجب حينئذ أن يقول
(أظُلَيمُ إن مُصابَكم رجلٌ ... أَهْدَى السَّلامَ تحيّةً ظُلْما)
ولا معنى لذلك ولا هو لو كان له وجه معنى قول الشاعر في شعره فقال صدقت ألك ولد قلت بنية لا غير قال فما قالت حين ودعتها قال قلت أنشدت شعر الأعشى
(تقول ابنتي حين جَدَّ الرَّحِيلُ ... أرَانا سواءً ومَنْ قد يَتِمْ)
(أبانا فلا رِمْتَ من عندِنا ... فإنّا بخَيرٍ إذا لم تَرِمْ)
(أَرَانا إذا أضمرتْك البلادُ ... نُجْفَى وتُقْطَعُ منّا الرَّحِمْ)
قال فما قلت لها قال قلت لها قول جرير
(ثِقِي بالله ليس له شريكٌ ... ومِن عندِ الخليفةِ بالنَّجاح)
فقال ثق بالنجاح إن شاء الله تعالى إن ها هنا قوما يختلفون إلى أولادنا فامتحنهم فمن كان منهم عالما ينتفع به ألزمناهم إياه ومن كان بغير هذه الصورة قطعناه عنهم فأمر فجمعوا إلي فامتحنتهم فما وجدت فيهم طائلا وحذروا ناحيتي فقلت لا بأس على أحد فلما رجعت إليه قال كيف رأيتهم قلت يفضل بعضهم بعضا في علوم ويفضل الباقون في غيرها وكل يحتاج إليه فقال لي الواثق إني خاطبت منهم واحدا فكان في نهاية من الجهل في خطابه ونظره

فقلت يا أمير المؤمنين أكثر من تقدم منهم بهذه الصفة ولقد أنشدت فيهم
(إنّ المعلِّمَ لا يزال مُضَعَّفاً ... ولو ابتنى فوق السماء بناءَ)
(من علَّم الصبيانَ أضْنَوْا عقلَه ... مما يلاقي غُدْوةً ومَساء)
مضى الحديث
ومنها
صوت
(يومَ تُبْدي لنا قُتَيْلةُ عن جيد ... أسيلٍ تَزِينُه الأطواقُ)
(وشتِيتٍ كالأقْحُوانِ جَلاَه الطَّلُّ ... فيه عُذوبةٌ واتِّساق)
الشعر للأعشى والغناء لمعبد وذكر إسحاق أن لحنه خفيف ثقيل من أصوات قليلات الأشباه وذكر عمرو بن بانة أن لحنه من الثقيل الأول بالبنصر ولإسحاق لحن من الثقيل أيضا وهو مما عارض فيه معبدا فانتصف منه ومن أوائل أغانيه وصدورها أخبرنا إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة عن إسحاق قال ذكر الحسن بن عتبة اللهبي المعروف بفورك قال قال لي الوليد بن يزيد أريد الحج فما يمنعني منه إلا أن يلقاني أهل المدينة بقتيلات معبد وبقصره ونخله فأفتضح به طربا يعني ثلاثة أصوات لمعبد من شعر الأعشى في قتيلة هذه ونسبتها تأتي بعد ويعني بقصره ونخله لحنه
(... (القصرُ فالنخلُ فالجَمَّاء بينهما
قال أبو زيد قال إسحاق وحدثني عبد الملك بن هلال وبلغني أن فتية من قريش دخلوا إلى قينة ومعهم روح بن حاتم المهلبي فتماروا فيما يختارونه من الغناء فقالت لهم أغني لكم صوتا يزيل الاختلاف ويوقع بينكم الاجتماع فرضوا بها فغنت
(يومَ تُبْدِي لنا قُتَيْلةُ عن جِيد ... أسِيلٍ تَزِينُه الأطواقُ)
فرضوا به واتفقوا على أنه أحسن صوت يعرفونه وأقاموا عندها أسبوعا لا يسمعون غيره
نسبة أصوات معبد في قتيلة
منها
(أثْوَى وقَصَّر ليلَه ليُزَوَّدا ... فمضىَ وأُخْلِف من قُتَيْلَة مَوْعِدا)
(يَجْحَدْنَ دَيْنِي بالنَّهار وأقتضِي ... دَيْني إذا وقَذ النُّعاسُ الرُّقَّدا)
(وأرى الغوانيَ لا يُواصِلْنَ امرأً ... فقَدَ الشَّبابَ وقد يَصِلْنَ الأمردا)
الشعر للأعشى والغناء لمعبد خفيف ثقيل أول بالوسطى
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أبو شراعة في مجلس الرياشي قال حدثت أن رجلا نظر إلى الأعشى يدور بين البيوت ليلا فقال له يا أبا بصير إلى أين في هذا الوقت فقال
(يجحدن دَيْنِي بالنَّهار وأقتضِي ... دَيْني إذا وقَذ النُّعاسُ الرُّقَّدا)
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدثنا أحمد بن القاسم بن جعفر بن سليمان قال حدثني إسحاق الموصلي قال حدثني أبي قال غنيت بين يدي الرشيد وستارته منصوبة
(وأرى الغوانيَ لا يُواصلن امرأً ... فقَدَ الشبابَ وقد يَصِلْنَ الأمردا)
فطرب واستعاده وأمر لي بمال فلما أردت أن أنصرف قال لي يا عاض كذا وكذا أتغني بهذا الصوت وجواري من وراء ستارة يسمعنه لولا حرمتك لضربت عنقك فتركته والله حتى أنسيته
ومنها
صوت
(ألَمَّ خيالٌ من قُتَيْلةَ بعد ما ... وهي حبلُها من حبالنا فَتَصرَّمَا)
(فبِتُّ كأني شاربٌ بعد هَجْعةٍ ... سُخَاميَّةً حمراءَ تُحْسَبُ عَنْدَمَا)
الشعر للأعشى والغناء لمعبد خفيف ثقيل أول بالبنصر عن عمرو وفيه لابن محرز ثاني ثقيل بالوسطى عنه وعن ابن المكي
سبعة ابن سريج
فأما السبعة التي جعلت لابن سريج بإزاء سبعة معبد فإني قرأت خبرها في كتاب محمد بن الحسن قال حدثني الحسين بن أحمد الأكثمي عن أبيه قال ذكرنا عند إسحاق يوما أصوات معبد السبعة فقال والله ما سبعة ابن سريج بدونهن فقلنا له وأي سبعة فقال إن مغني المكيين لما سمعوا بسبعة معبد وشهرتها لحقتهم لذلك غيرة فاجتمعوا فاختاروا من غناء ابن سريج سبعة فجعلوها بإزاء سبعة معبد ثم خايروا أهل المدينة فانتصفوا منهم فسألوا إسحاق عن السبعة السريجية فقال منها
(... تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجَرْيَ لما جَهَدتُه)
وقد مضت نسبته في الثلاثة الأصوات المختارة
(... و لقد حَبَّبت نُعْمٌ إلينا بوجهها)
(... و قَرَّب جِيرانُنا جِمالَهمُ)
(... و أرقتُ وما هذا السُّهاد المؤرِّقُ)
وقد مضى في أخبار الأعشى المذكورة في مدن معبد
(... و بَيْنَا كذاك إذا عَجَاجةُ مَوْكِبٍ)
(... و فلم أرَ كالتَّجْمير منظَر ناظرٍ)
وقد مضى في الأرمال المختارة
(...و تَضوَّعَ مِسْكاً بطنُ نَعْمَانَ إذ مشتْ)
وقد ذكر في المائة مع غيره في شعر النميري
و إن جاء فلْيَأتِ على بغلةٍ ...) نسبة ما لم تمض نسبته من هذه الأصوات إذ كان بعضها قد مضى متقدما)
فمنها
صوت
(لقد حَبَّبتْ نُعْمٌ إلينا بوجهها ... مساكنَ ما بين الوَتَائر فالنَّقْع)

(ومن أجْلِ ذاتِ الخال أعْملتُ ناقتي ... أكلِّفها سَيْرَ الكَلاَلِ مع الظَّلْع)
عروضه من الطويل والشعر لعمر بن أبي ربيعة والغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالبنصر وذات الخال التي عناها هاهنا عمر امرأة من ولد أبي سفيان بن حرب كان عمر يكني عنها بذلك
حدثني علي بن صالح بن الهيثم قال حدثني أبو هفان عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن الزبيري والمسيبي ومحمد بن سلام والمدائني وأخبرنا به الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي ولم يتجاوزه أن عمر بن أبي ربيعة وابن أبي عتيق كانا جالسين بفناء الكعبة إذ مرت بهما امرأة من آل أبي سفيان فدعا عمر بكتف فكتب إليها وكنى عن اسمها
صوت
(ألِمَّا بذاتِ الخالِ فاستطلِعا لنا ... على العهد باقٍ وِدُّها أم تَصَرَّما)
(وقولاَ لها إنّ النَّوَى أجنبيّةٌ ... بنا وبكم قد خِفتُ أن تَتَيمَّما)
غناه ابن سريج خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق قال فقال له ابن أبي عتيق سبحان الله ما تريد إلى امرأة مسلمة محرمة أن تكتب إليها مثل هذا قال فكيف بما قد سيرته في الناس من قولي
(لقد حَبَّبتْ نُعْمٌ إلينا بوجهها ... مساكنَ ما بين الوَتائر و النَّقْع)
(ومن أجْلِ ذاتِ الخال أعْملتُ ناقتي ... أكلِّفها سيْرَ الكَلاَلِ مع الظَّلْع)
(ومن أجل ذات الخال يومَ لقِيتُها ... بمُنْدَفَع الأخباب أخْضلني دمعي)
((ومن أجل ذات الخال آلَفُ منزلاً ... أحُلُّ به لا ذا صديقٍ ولا زَرْع
(ومن أجل ذات الخال عُدْتُ كأنني ... مُخامرُ سُقْمٍ داخلٍ أو أخو رَبْع)
(ألِمّا بذات الخال إن مُقَامَها ... لدى الباب زاد القلبَ صَدْعاً على صَدْع)
(وأخرَى لَدَى البيت العَتيق نظرتُها ... إليها تَمشّتْ في عظامي وفي سمعي)
وقال الحرمي في خبره أما ترى ما سار لي من الشعر ما علم الله أني اطلعت حراما قط ثم انصرفنا فلما كان من الغد التقينا فقال عمر أشعرت أن ذلك الإنسان قد رد الجواب قال وما كان من رده قال كتب
صوت
(أمسى قَريضُك بالهوى نَمّاما ... فاربَعْ هُديتَ وكن له كَتّاما)
(واعلم بأن الخال حين وصفتَه ... قعد العدوُّ به عليك وقاما)
(لا تحسبَنَّ الكاشحين عَدِمتَهم ... عما يسوءك غافلين نِياما)
(لا تمكننَّ من الدَّفِينة كاشحاً ... يتلو بها حفظاً عليك إماما)
غنى فيه سليم خفيف رمل بالبنصر عن عمرو قال وفيه لفريدة وإبراهيم لحنان وفي بعض النسخ لإسحاق فيه ثقيل أول غير منسوب وذكر حبش أن خفيف الرمل لفريدة
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال أخبرنا أبو أيوب المديني عن محمد ابن سلام قال وأخبرني حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلام قال سألت عمر بن أبي خليفة العبدي وكان عابدا وكان يعجبه الغناء أي
القوم كان أحسن غناء قال ابن سريج إذا تمعبد يريد إذا غنى في مذهب معبد من الثقيل قلت مثل ماذا قال مثل صوته
صوت
(لقد حَبَّبتْ نُعْمٌ إلينا بوجهها ... مساكنَ ما بين الوَتَائر فالنَّقْع)
وقال حماد بن إسحاق حدثني أبي قال حدثني أبو محمد العامري قال جلس معبد والأبجر وجماعة من المغنين فتذاكروا ابن سريج وما اشتهاه الناس من غنائه فقالوا ما هو إلا من غناء الزطف والمخنثين فنمي الحديث إلى ابن سريج فغنى
(... لقد حَبَّبتْ نعمٌ إلينا بوجهها)
فلما جاء معبد وأصحابه واجتمعوا غناهم إياه فلما سمعوه قاموا هاربين وجعل ابن سريج يصفق خلفهم ويقول إلى أين إنما هو ابن ليلته فكيف لو اختمر قال فقال معبد دعوه مع طرائقه الأول ولا تهيجوه على طرائقكم وإلا لم يدع لكم والله خبزا تأكلونه
قال الزبير في خبره عن عمه وعلق نعما هذه فقال فيها شعرا كثيرا ونحن نذكر هاهنا ما فيه غناء من ذلك فمنه قوله
صوت
(خَطَرتْ لذات الخال ذِكْرَى بعد ما ... سلَكَ المَطِيُّ بنا على الأنصابِ)
((أنصابِ عمرةَ والمَطِيُّ كأنَّها ... قِطَعُ القَطَا صدرتْ عن الأجْباب
(فانْهَلّ دمعي في الرِّداء صَبابةً ... فسترتُه بالبُرْدِ عن أصحابي)
(فرأى سوابقَ دمعةٍ مسكوبةٍ ... بَكْرٌ فقال بكَى أبو الخَطّاب)
عروضه من الكامل بكر الذي ذكره هاهنا عمر هو ابن أبي عتيق وهو يسميه في شعره ببكر وبعتيق وإياه يعني بقوله
(لا تَلُمْنِي عَتِيقُ حَسْبِي الذي بي ... إنّ بي يا عَتيقُ ما قد كفاني)
الغناء في خطرت لذات الخال للغريض ولحنه ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق وذكر عمرو بن بانة أن فيه ثقيلا أول بالبنصر لأبي سعيد مولى فائد
وأخبرني الحرمي قال حدثني الزبير قال حدثني عمي أن عمر بن أبي ربيعة وافقها وهي تستلم الركن فقرب منها فلما رأته تأخرت وبعثت إليه جاريتها فقالت له تقول لك ابنة عمك إن هذا مقام لا بد منه كما ترى وأنا اعلم أنك ستقول في موقفنا هذا فلا تقولن هجرا فأرسل إليها لست أقول إلا خيرا ثم تعرض لها وهي ترمي الجمار فأعرضت عنه واستترت فقال
صوت
(دِينَ هذا القلبُ من نُعْمٍ ... بسَقَامٍ ليس كالسُّقْمِ)
(إن نُعْماً أقصدتْ رجلاً ... آمِناً بالخَيْفِ إذ تَرْمي)
(اِسمعي منّا تَحَاوُرَنا ... واحكُمِي رُضِّيتِ بالحكم)
(بشَتيتٍ نبتُه رَتِلٍ ... طيِّبِ الأنياب والطَّعْم)
((يأتِكم منه بحُجَّته ... فله العُتْبَى ولا أحْمي

عروضه من المديد الغناء لإسحاق خفيف رمل بالوسطى عن عمرو وفيه لمالك ثقيل أول من أصوات قليلات الأشباه عن إسحاق وفيه لابن سريج رمل بالبنصر عن حبش وفيه لابن مسجح ثقيل أول بالوسطى عن حبش أيضا وذكر الهشامي أن هذا الصوت مما يشك فيه أنه لمعبد أو غيره
قال وقال فيها أيضا
صوت
(أَبِينِي اليومَ أيْ نُعْمُ ... أوَصْلٌ منكِ أم صُرْمُ)
(فإن يكُ صُرْمُ عاتبةٍ ... فقد نَغْنَى وهُو سَلْمُ)
(تَلُومكِ في الهوى نُعْمُ ... وليس لها به عِلْمُ)
(صحيحٌ لو رأى نُعْماً ... لخالط جسمَه سُقْمُ)
عروضه من الهزج غناه مالك ولحنه ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق وفيه لمتيم خفيف رمل بالبنصر عن إسحاق وذكر أن فيه أيضا صنعة لابن سريج
ومما يغنى فيه مما قاله فيها وهو من قصيدة طويلة
صوت
(فقلتُ لَجنَّادٍ خُذِ السَّيْفَ واشْتمِلْ ... عليه بحزمٍ وانظُرِ الشمس تَغْرُبِ)
(وأسْرِجْ لنا الدَّهْمَاءَ واعجَلْ بِممْطَرِي ... ولا تُعْلِمَنْ خَلْقاً من الناس مذهبي)
عروضه من الطويل غناه زرزور غلام المارقي خفيف ثقيل بالبنصر
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي قال قيل لعمر بن أبي ربيعة ما أحب شيء أصبته إليك قال بينا أنا في منزلي ذات ليلة إذ طرقني رسول مصعب بن الزبير بكتابه يقول إنه قد وقعت عندنا أثواب مما يشبهك وقد بعثت بها إليك وبدنانير ومسك وطيب وبغلة قال فإذا بثياب من وشي وخز العراق لم أر مثلها قط وأربعمائة دينار ومسك وطيب كثير وبغلة فلما أصبحت لبست بعض تلك الثياب وتطيبت وأحرزت الدنانير وركبت البغلة وأنا نشيط لا هم لي قد أحرزت نفقة سنتي فما أفدت فائدة كانت أحب إلي منها وقلت في ذلك
(ألاَ أرْسلتْ نُعْمٌ إلينا أنِ ائْتِنا ... فأحْبِبْ بها من مُرسِلٍ مُتغَضِّبِ)
(فأرسلتُ أن لا أستطيعُ فأَرْسلتْ ... تؤكِّد أيمانَ الحبيبِ المؤنِّبِ)
(فقلت لجَنَّادٍ خُذِ السيفَ واشتمِلْ ... عليه بحزمٍ وانظُرِ الشمسَ تَغْرُبِ)
(وأسْرِجْ ليَ الدَّهْمَاءَ واعجَلْ بِممطَرِي ... ولا تُعلِمنْ خَلْقاً من الناسِ مذهبي)
(وموعدُك البَطْحَاءُ أو بَطْنُ يأجِجٍ ... أو الشِّعْبُ بالمَمْرُوخ من بطنِ مُغْرِبِ)
((فلما التقنيا سلَّمتْ وتبسَّمتْ ... وقالت مقالَ المُعْرِضِ المتجنِّبِ)
(أَمِنْ أجلِ واشٍ كاشحٍ بنَميمةٍ ... مشَى بيننا صدَّقتَه لم تُكَذِّبِ)
(قطعتَ وصالَ الحبلِ منَّا ومن يُطِعْ ... بذِي وِدِّه قولَ المحرِّشِ يُعْتِبِ)
(فبات وسادِي ثِنْيَ كفٍّ مُخضَّبٍ ... مُعاوِدِ عَذْبٍ لم يُكَدَّرْ بِمَشْربِ)
(إذا مِلتُ مالتْ كالكَثيبِ رخيمةٌ ... مُنَعَّمةٌ حُسَّانةُ المُتَجَلْبَبِ)
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي قال بلغ عمر بن أبي ربيعة أن نعما اغتسلت في غدير فنزل عليه ولم يزل يشرب منه حتى نضب
قال الزبير قال عمي وقال فيها أيضا
صوت
(طال ليلِي وعادني اليومَ سُقْمُ ... وأصابت مقاتِلَ القلب نُعْمُ)
(وأصابتْ مَقَاتلي بسِهامٍ ... نافذاتٍ وما تَبَيَّن كَلْمُ)
(حُرَّةُ الوجهِ والشمائلِ والجوهرِ ... تكليمُها لمن نال غُنْمُ)
(هكذا وَصْفُ ما بدا لِي منها ... ليس لي بالذي تغيَّب عِلْمُ)
(غيرَ أني أرى الثيابَ مِلاءً ... في يَفَاعٍ يزين ذلك جسمُ)
(وحديثٍ بمثله تَنْزِل العُصْمُ ... رَخيمٍ يشوب ذلك حِلْمُ)
عروضه من الخفيف غنى ابن سريج في الأربعة الأبيات لحنا ذكره إسحاق وأبو أيوب المديني في جامع غنائه ولم يجنسه وذكر حبش أنه خفيف رمل بالبنصر
إسحاق وإبراهيم بن المهدي ورأيهما في معبد وابن سريج
أخبرني عمي قال حدثني الحسين بن يحيى أبو الحمار قال حدثني عمرو بن بانة قال كنت حاضرا مع إسحاق بن إبراهيم الموصلي عند إبراهيم بن المهدي
فتفاوضنا حديث المغنين حتى انتهوا إلى أن حكى إسحاق قول عمر بن أبي خليفة إذا تمعبد ابن سريج كان أحسن الناس غناء فقال إبراهيم لإسحاق حاشاك يا أبا محمد أن تقول هذا فقد رفع الله علمك وقدر ابن سريج عن مثل هذا القول وأغنى ابن سريج بنفسه عن أن يقال له تمعبد وماكان معبد يضع نفسه هذا الموضع وكيف ذلك وهو إذا أحسن يقول أصبحت اليوم سريجيا وما قد أنصف أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي معبدا في هذا القول لأن معبدا وإن كان يعظم ابن سريج ويوفيه حقه فليس بدونه ولا هو بمرذول عنده وقد مضى في صدر الكتاب خبر ابن سريج لما قدم المدينة مع الغريض ليستمنحا أهلها فسمعاه وهو يصيد الطير يغني لحنه
(... القَصْرُ فالنخل فالجَمَّاءُ بينهما)
فرجع ابن سريج ورد الغريض وقال لا خير لنا عند قوم هذا غناء غلام فيهم يصيد الطير فكيف بمن داخل الجونة وأظرف من ذلك من أخباره وأدل على تعظيم ابن سريج معبدا ما أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني علي بن سليمان النوفلي قال حدثني أبي قال التقى ابن سريج ومعبد ليلة بعد افتراق طويل وبعد عهد فتساءلا عما صنعا من الأغاني بعد افتراقهما فتغنى هذا وتغنى هذا ثم تغنى ابن سريج لحنه في
(أنا الهالكُ المسلوبُ مهجةَ نفسه ... إذا جاوزَتْ مَرًّا وعُسْفانَ عِيرُها)
فغناه مرسلا لا صيحة فيه فقال له معبد أفلا حسنته بصيحة قال فأين أضعها قال في

(... غدتْ سافراً والشمسُ قد ذَرَّ قَرْنُها)
قال فصح أنت فيه حتى أسمع منك قال فصاح فيه معبد الصيحة التي يغنى بها فيه اليوم فاستعاده ابن سريج حتى أخذه فغنى صوته كما رسمه معبد فحسن به جدا وفي هذا دليل يبين فيه التحامل على معبد في الحكاية
صوت
(غَدَتْ سافِراً والشمسُ قد ذَرَّ قَرْنُها ... فأغْشَى شُعَاع الشمس منها سفورُها)
(وقد علمتْ شمسُ النهار بأنّها ... إذا ما بدتْ يوماً سيذهب نورها)
(أنا الهالك المسلوبُ مهجةَ نفسِه ... إذا جاوزتْ مَرًّا وعُسْفانَ عيرُها)
(أهاجتك سلمى إذ أجَدَّ بُكورُها ... وهجَّر يوماً للرَّواح بعيرها)
الشعر يقال إنه لطريف العنبري والغناء لابن سريج خفيف ثقيل أول بالوسطى في مجراها عن ابن المكي وذكر عمرو أنه لسياط ولإبراهيم في الثالث والأول والرابع خفيف رمل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق وعمرو وفيه لبسباسة ثقيل أول بالبنصر عن حبش وفيه لابن جامع لحن عن حبش من رواية أبي أيوب المديني
ومن سبعة ابن سريج
صوت
(قَرَّب جيرانُنا جِمالَهُمُ ... ليلاً فأضْحَوْا معاً قد ارتفعوا)
((ما كنت أدْري بوَشْكِ بينِهُم ... حتى رأيتُ الحُداة قد طلَعوا
(على مِصَكَّيْنِ من جِمالِهمُ ... وعَنْتَريسَيْن فيهما شَجَعُ)
(يا نفسُ صبراً فإنّه سَفَهٌ ... بالحُرِّ أن يستفزَّه الجَزَعُ)
الشعر لعمر بن أبي ربيعة والغناء لابن سريج ثقيل أول بالوسطى عن عمرو وذكر حبش أن فيه للغريض ثقيلا أول بالبنصر وذكر ابن أبي حسان أن هبة الله بن إبراهيم بن المهدي حدثه عن أبيه عن ابن جامع قال عيب على ابن سريج خفة غنائه فأخذ أبيات عمر بن أبي ربيعة
(... قَرَّب جيرانُنا جِمالَهُم)
فغنى فيها في كل إيقاع لحنا فجميع ما فيها من الألحان له
وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني منصور بن أبي مزاحم قال حدثني رزام أبو قيس مولى خالد بن عبد الله قال قال لي إسماعيل بن عبد الله يا أبا قيس أي رجل أنت لولا أنك تحب السماع
قلت أصلحك الله أما والله لو سمعت فلانة تغنيك
(قَرَّب جيرانُنا جِمالهُم ... ليلاً فأضحَوْا معاً قد ارتفعوا)
لعذرتني فقال يا أبا قيس لا عاتبتك بعد هذا أبدا
ومنها
صوت
(بَيْنَا كذلك إذا عَجَاجةُ مَوْكِبٍ ... رفَعوا ذَميلَ العيس في الصحراءِ)
((قالت أبو الخَطّاب أعرف زيّه ... ولباسَه لا شكَّ غيرَ خَفَاء
الشعر لابن أبي ربيعة والغناء لابن سريج ثقيل أول بالبنصر وذكر الهشامي وأبو العبيس أنه لمعبد وليس الأمر كما ذكرا
ومنها
صوت
وهو الذي أوله
(... إن جاء فَلْيَأتِ على بغلةٍ)
(سَلْمَى عديهِ سَرْحَتَيْ مالكٍ ... أو الرُّبا دونَهما مَنْزِلاَ)
(إن جاء فلْيَأتِ على بغلهٍ ... إني أخاف المُهْرَ أن يَصْهَلا)
الشعر لعمر بن أبي ربيعة والغناء لابن سريج من رواية يحيى بن المكي والهشامي ثقيل أول بالبنصر وذكر يونس أنه للغريض وذكر إسحاق في أغاني الغريض ولم يجنسه
أغاني الخلفاء وأولادهم وأولاد أولادهم
قال مؤلف هذا الكتاب المنسوب إلى الخلفاء من الأغاني والملصق بهم منها لا أصل لجله ولا حقيقة لأكثره لا سيما ما حكاه ابن خرداذبة فإنه بدأ بعمر بن الخطاب رضي الله عنه فذكر أنه تغنى في هذا البيت
(... كأنّ راكبها غصنٌ بمَرْوَحةٍ)
ثم والى بين جماعة من الخلفاء واحدا بعد واحد حتى كأن ذلك عنده ميراث من مواريث الخلافة أو ركن من أركان الإمامة لا بد منه ولا معدل عنه يخبط خبط العشواء ويجمع جمع حاطب الليل فأما عمر بن الخطاب فلو جاز هذا أن يروى عن كل أحد لبعد عنه وإنما روي أنه تمثل بهذا البيت وقد ركب ناقة فاستوطأها لا أنه غنى به ولا كان الغناء العربي أيضا عرف في زمانه إلا ما كانت العرب تستعمله من النصب والحداء وذلك جار مجرى الإنشاد إلا أنه يقع بتطريب وترجيع يسير ورفع للصوت والذي صح من ذلك عن رواة هذا الشأن فأنا ذاكر منه ما كان متقن الصنعة لاحقا بجيد الغناء قريبا من صنعة الأوائل وسالكا مذاهبهم لا ما كان ضعيفا سخيفا وجامع منه ما
اتصل به خبر له يستحسن ويجري مجرى هذا الكتاب وما تضمنه
فأول من دونت له صنعة منه عمر بن عبد العزيز فإنه ذكر عنه أنه صنع في أيام إمارته على الحجاز سبعة ألحان يذكر سعاد فيها كلها فبعضها عرفت الشاعر القائل له فذكرت خبره وبعضها لم أعرف قائله فأتيت به كما وقع إلي فإن مر بي بعد وقتي هذا أثبته في موضعه وشرحت من أخباره ما اتصل بي وإن لم يقع لي ووقع إلى بعض من كتب هذا الكتاب فمن أقل الحقوق عليه أن يتكلف إثباته ولا يستثقل تجشم هذا القليل فقد وصل إلى فوائد جمة تجشمناها له ولنظرائه في هذا الكتاب فحظي بها من غير نصب ولا كدح فإن جمال ذلك موفر عليه إذا نسب إليه وعيبه عنا ساقط مع اعتذارنا عنه إن شاء الله
ومن الناس من ينكر أن تكون لعمر بن عبد العزيز هذه الصنعة ويقول إنها أصوات محكمة العمل لا يقدر على مثلها إلا من طالت دربته بالصنعة وحذق الغناء ومهر فيه وتمكن منه ولم يوجد عمر بن عبد العزيز في وقت من الأوقات ولا حال من

الحالات اشتهر بالغناء ولا عرف به ولا بمعاشرة أهله ولا جالس من ينقل ذلك عنه ويؤديه وإنما هو شيء يحسن المغنون نسبته إليه وروي من غير وجه خلاف لذلك وإثبات لصنعته إياها وهو أصح القولين لأن الذين أنكروا ذلك لم يأتوا على إنكارهم بحجة أكثر من هذا الظن والدعوى ومخالفوهم قد أيدتهم أخبار رويت
أخبرني محمد بن خلف وكيع والحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق قال حدثني أبي عن أبيه وعن إسماعيل بن جامع عن سياط عن يونس الكاتب عن شهدة أم عاتكة بنت شهدة عن كردم بن معبد عن أبيه
أن عمر بن عبد العزيز طارحه لحنه في
(... ألِمَّا صاحِبَيّ نَزُرْ سُعَادَا)
ونسخت هذا الخبر من كتاب محمد بن الحسين الكاتب قال حدثني أبو يعلى زرقان غلام أبي الهذيل وصاحب أحمد بن أبي داود قال حدثني محمد ابن يونس قال حدثني هاتف أراه قال أم ولد المعتصم قالت حدثتني علية ابنة المهدي قالت حدثتني عاتكة بنت شهدة عن أمها شهدة عن كردم قال طرح علي عمر بن عبد العزيز لحنه
(عَلِقَ القلبُ سُعَادا ... عادتِ القلبَ فعادا)
(كلَّما عُوتِبَ فيها ... أو نُهِي عنها تَمادَى)
(وهو مشغوف بسُعْدَى ... قد عصَى فيها وزادا)
قال كردم وكان عمر أحسن خلق الله صوتا وكان حسن القراءة للقرآن
ونسخت من كتاب ابن الكرنبي بخطه حدثني أحمد بن الفتح الحجاجي في مجلس حماد بن إسحاق قال أخبرني أحمد بن الحسين قال رأيت عمر بن عبد العزيز في النوم وعليه عمامة ورأيت الشجة في وجهه تدل على أنها ضربة حافر فسمعته يقول قال عمر بن الخطاب لا تعلموا نساءكم الخلع قال حدثني محمد بن الحسين فأقبلت عليه في نومي فقلت له يا أمير المؤمنين صوت يزعم الناس أنك صنعته في شعر جرير
(ألِمَّا صاحِبَيّ نَزُرْ سُعَادا ... لوَشْكِ فِرقِها وذَرَا البِعادا)
(لَعَمْرُك إنَّ نفعَ سُعَادَ عنِّي ... لمصروفٌ ونفعِي عن سعادا)
(إلى الفاروقِ يَنتسبُ ابنُ لَيْلَى ... ومروانَ الذي رفع العِمادا)
فتبسم عمر ولم يرد علي شيئا
نسبة هذين الصوتين
صوت
(ألِمَّا صاحِبَيّ نَزُرْ سُعادا ... لوَشْكِ فِرقِها وذَرَا البِعاد)
(لَعَمْرُك إنَّ نفعَ سُعَادَ عنِّي ... لمصروفٌ ونفعي عن سعادا)
(إلى الفاروقِ يَنتسبُ ابنُ لَيْلَى ... ومروانَ الذي رفع العِمادا)
الشعر لجرير يمدح عمر بن عبد العزيز بن مروان والغناء لعمر بن عبد العزيز ثقيل أول مطلق في مجرى البنصر وفيه خفيف ثقيل ينسب إلى معبد
صوت
(عَلِقَ القلبُ سُعَادا ... عادتِ القلبَ فعادا)
(كلَّما عُوتِب فيها ... أو نُهِي عنها تَمادَى)
(وهو مشغوفٌ بِسُعْدَى ... قد عصى فيها وزادا)
الغناء لعمر بن عبد العزيز خفيف ثقيل وفيه ثاني ثقيل ينسب إلى الهذلي

ذكر عمر بن عبد العزيز وشيء من أخباره

عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ويكني أبا حفص وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان يقال له أشج قريش لأنه كان في جبهته أثر يقال إنه ضربة حافر فذكر يحيى بن سعيد الأموي عن أبيه أن عبد الملك بن مروان كان يؤثر عمر بن عبد العزيز ويرق عليه ويدنيه وإذا دخل عليه رفعه فوق ولده جميعا إلا الوليد فعاتبه بعض بنيه على ذلك فقال له أو ما تعلم لم فعلت ذلك قال لا قال إن هذا سيلي الخلافة يوما وهو أشج بني مروان الذي يملأ الأرض عدلا بعد أن تملأ جورا فمالي لا أحبه وأدنيه
أخبرني محمد بن يزيد قال حدثنا الرياشي قال حدثنا سالم بن عجلان قال خرج عمر بن عبد العزيز يلعب فرمحته بغلة على جبينه فبلغ الخبر أمه أم عاصم فخرجت في خدمها واقبل عبد العزيز بن مروان إليها فقالت أما الكبير فيخدم وأما الصغير فيكرم وأما الوسط فيضيع لم لا تتخذ لابني حاضنا حتى أصابه ما ترى فجعل عبد العزيز بمسح الدم عن وجهه ثم نظر إليها وقال لها ويحك إن كان أشج بني مروان أو أشج بني أمية إنه لسعيد
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن أحمد المقدمي قال حدثنا عبيد الله بن سعد الزهري قال حدثنا هارون بن معروف قال حدثنا ضمرة قال سمعت ثروان مولى عمر بن عبد العزيز قال دخل عمر بن عبد العزيز وهو غلام إصطبل أبيه فضربه فرس على وجهه فأتي به أبوه يحمل فجعل أبوه يمسح الدم عن وجهه ويقول لئن كنت أشج بني أمية إنك لسعيد
حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا مصعب الزبيري قال كانت بنت لعبيد الله بن عمر بن الخطاب تحت إبراهيم بن نعيم النحام فماتت فأخذ عاصم بن عمر بيده فأدخله منزله وأخرج إليه ابنتيه حفصة وأم عاصم فقال له اختر فاختار حفصة فزوجها إياه فقيل له تركت أم عاصم وهي أجملهما فقال رأيت جارية رائعة وبلغني أن آل مروان ذكروها فقلت علهم أن يصيبوا من دنياهم فتزوجها عبد العزيز بن مروان فولدت له أبا بكر وعمر وكانت عنده وقتل إبراهيم بن نعيم يوم الحرة وماتت أم عاصم عند عبد العزيز بن مروان فتزوج أختها حفصة بعدها
فحملت إليه بمصر فمرت بأيلة وبها مخنث أو معتوه وقد كان أهدى لأم عاصم حين مرت به فأثابته فلما مرت به حفصة أهدى لها فلم تثبه فقال ليست حفصة من رجال أم عاصم فذهبت مثلا
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا أبو بكر الرمادي وسليمان ابن أبي شيخ قالا حدثنا أبو صالح كاتب الليث قال حدثني الليث قال لما ولي عمر بن عبد العزيز بدأ بلحمته وأهل بيته فأخذ ما كان في أيديهم وسمى أعمالهم المظالم ففزعت بنو أمية إلى فاطمة بنت مروان عمته فأرسلت إليه إنه قد عناني أمر لا بد من لقائك فيه فأتته ليلا فأنزلها عن دابتها فلما أخذت مجلسها قال يا عمة أنت أولى بالكلام لأن الحاجة لك فتكلمي قالت تكلم يا أمير المؤمنين

فقال إن الله تبارك وتعالى بعث محمدا رحمة لم يبعثه عذابا إلى الناس كافة ثم اختار له ما عنده فقبضه إليه وترك لهم نهرا شربهم فيه سواء ثم قام أبو بكر فترك النهر على حاله ثم ولي عمر فعمل على عمل صاحبه فلما ولي عثمان اشتق من ذلك النهر نهرا ثم ولي معاوية فشق منه الأنهار ثم لم يزل ذلك النهر يشق منه يزيد ومروان وعبد الملك والوليد وسليمان حتى أفضى الأمر إلي وقد يبس النهر الأعظم ولن يروى أصحاب النهر حتى يعود اليهم النهر الأعظم إلى ما كان عليه فقالت له قد أردت كلامك ومذاكرتك فأما إذ كانت هذه مقالتك فلست بذاكرة لك شيئا أبدا ورجعت اليهم فأبلغتهم كلامه

وقال سليمان بن أبي شيخ في خبره فلما رجعت إلى بني أمية قالت لهم ذوقوا مغبة أمركم في تزويجكم آل عمر بن الخطاب

كثير والأحوص ونصيب عند عمر بن عبد العزيز

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال أخبرني عبد الله بن دينار مولى بني نصر ابن معاوية قال حدثنا محمد بن عبد الرحمن التيمي قال حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن سهيل عن حماد الراوية وأخبرني محمد بن حسين الكندي خطيب القادسية قال حدثنا الرياشي قال حدثنا شيبان بن مالك قال حدثنا عبد الله بن إسماعيل الجحدري عن حماد الراوية والروايتان متقاربتان وأكثر اللفظ للرياشي قال دخلت المدينة ألتمس العلم فكان أول من لقيت كثير عزة فقلت يا أبا صخر ما عندك من بضاعتي قال عندي ما عند الأحوص ونصيب قلت وما هو قال هما أحق بإخبارك فقلت له إنا لم نحث المطي نحوكم شهرا نطلب ما عندكم إلا ليبقى لكم ذكر وقل من يفعل ذلك فأخبرني عما سألتك ليكون ما تخبرني به حديثا آخذه عنك فقال إنه لما كان من أمر عمر بن عبد العزيز ما كان قدمت أنا ونصيب والأحوص وكل واحد منا يدل بسابقته عند عبد العزيز وإخائه لعمر فكان أول من لقينا مسلمة بن عبد الملك وهو يومئذ فتى العرب وكل واحد منا ينظر في عطفيه لا يشك أنه شريك الخليفة في الخلافة فأحسن ضيافتنا وأكرم مثوانا ثم قال أما علمتم أن إمامكم لا يعطي الشعراء شيئا قلنا قد جئنا الآن فوجه لنا في هذا الأمر وجها فقال إن كان ذو دين من آل مروان قد ولي الخلافة فقد بقي من ذوي دنياهم من يقضي حوائجكم ويفعل بكم ما أنتم له أهل فأقمنا على بابه أربعة أشهر لا نصل إليه وجعل مسلمة يستأذن لنا فلا يؤذن فقلت لو أتيت المسجد يوم الجمعة فتحفظت من كلام عمر شيئا فأتيت المسجد فأنا أول من حفظ كلامه

سمعته يقول في خطبة له لكل سفر زاد لا محالة فتزودوا من الدنيا إلى الآخرة التقوى وكونوا كمن عاين ما أعد الله له من ثوابه وعقابه فعمل طلبا لهذا وخوفا من هذا ولا يطولن عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم وتنقادوا لعدوكم واعلموا أنه إنما يطمئن بالدنيا من وثق بالنجاة من عذاب الله في الآخرة فأما من لا يداوي جرحا إلا أصابه جرح من ناحية أخرى فكيف يطمئن بالدنيا أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى نفسي عنه فتخسر صفقتي وتبدو عيلتي وتظهر مسكنتي يوم لا ينفع فيه إلا الحق والصدق فارتج المسجد بالبكاء وبكى عمر حتى بل ثوبه حتى ظننا أنه قاض نحبه فبلغت إلى صاحبي فقلت جددا لعمر من الشعر غير ما أعددناه فليس الرجل بدنيوي ثم إن مسلمة استأذن لنا يوم جمعة بعدما أذن للعامة فدخلنا فسلمنا عليه بالخلافة فرد علينا فقلت له يا أمير المؤمنين طال الثواء وقلت الفائدة وتحدثت بجفائك إيانا وفود العرب فقال يا كثير أما سمعت إلى قول الله عز وجل في كتابه (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) أفمن هؤلاء أنت فقلت له وأنا ضاحك أنا ابن سبيل ومنقطع به قال أو لست ضيف أبي سعيد قلت بلى قال ما أحسب من كان ضيف أبي سعيد ابن سبيل ولا منقطعا به ثم استأذنه في الإنشاد فقال قل ولا تقل إلا حقا فإن الله سائلك فقلت

(وَلِيتَ فلم تَشْتُم عليًّا ولم تُخِفْ ... بَرِيًّا ولم تتبعْ مقالة مُجْرِمِ)
(وقلتَ فصدَّقتَ الذي قلت بالذي ... فعلتَ فأضحى راضياً كلُّ مسلم)
(ألاَ إنّما يَكْفِي الفتى بعد زَيْغه ... من الأوَدِ الباقي ثِقَافُ المقوِّمِ)
(لقد لبِستَ لُبْس الهَلُوكِ ثيابَها ... وأَبْدتْ لك الدنيا بكفٍ ومِعْصَمِ)
(وتُومِضُ أحياناً بعينٍ مَرِيضةٍ ... وتَبْسِمُ عن مثل الجُمانِ المنظَّمِ)
(فأعرضتَ عنها مشمئزًّا كأنما ... سَقَتْكَ مَدُوفاً من سِمامٍ وعَلْقَمِ)
(وقد كُنتَ من أجبالها في مُمَنَّعٍ ... ومن بحرِها في مُزْبِد الموجِ مُفْعَمِ)
(وما زلتَ سبَّاقاً إلى كلّ غايةٍ ... صَعِدتَ بها أعلى البناء المقدَّمِ)
(فلما أتاك الملكُ عفْواً ولم يكن ... لطالبِ دنيا بعده من تَكَلُّمِ)
(تركتَ الذي يَفْنَى وإن كان مُونِقاً ... وآثرتَ ما يبقى برأيٍ مصمِّمِ)
(فأضررْتَ بالفاني وشمَّرتَ للذي ... أمامَك في يومٍ من الهَوْلِ مُظلم)
(ومالك أن كُنتَ الخليفةَ مانعٌ ... سوى الله من مالٍ رَغيبٍ ولا دمِ)
(سَمَا لَكَ همٌّ في الفؤاد مؤرِّقٌ ... صَعِدْتَ به أعلى المعالي بسُلَّمِ)
(فما بين شرق الأرض والغرب كلِّها ... مُنادٍ ينادِي من فصيح وأعجمِ)
(يقول أميرَ المؤمنين ظلمتَني ... بأخذٍ لدينارٍ ولا أخذِ درهمِ)
(ولا بسطِ كَفٍّ لامرئٍ ظالمٍ له ... ولا السفكِ منه ظالماً مِلْءَ مِحْجَمِ)
(فلو يستطيع المسلمون تقسَّموا ... لك الشَّطْرَ من أعمارهم غيرَ نُدَّمِ)
(فعِشْتَ به ما حَجَّ لله راكبٌ ... مُغِذٌّ مُطِيفٌ بالمقام وَزَمْزَمِ)
(فأَرْبِحْ بها من صَفْقَةٍ لمبايعٍ ... وأَعْظِمْ بها أَعْظِمْ بها ثم أَعْظِمِ)

فقال لي يا كثير إن الله سائلك عن كل ما قلت ثم تقدم إليه الأحوص فاستأذنه فقال قل ولا تقل إلا حقا فإن الله سائلك فأنشده

(وما الشعرُ إلاّ خطبةٌ من مؤلِّفٍ ... بمنطقِ حقٍّ أو بمنطقِ باطلِ)
(فلا تَقْبَلَنْ إلاّ الذي وافق الرِّضا ... ولا تَرْجِعَنَّا كالنساء الأرامل)
(رأيناك لم تَعْدِلْ عن الحقّ يَمْنةً ... ولا يَسْرةً فعلَ الظَّلومِ المجادِلِ)
(ولكن اخذتَ القَصْدَ جهدَك كلَّه ... وتَقْفُو مثالَ الصالحين الأوائل)
(فقلنا ولم نَكْذِبْ بما قد بَدَا لنا ... وَمَنْ ذا يَرُدُّ الحقَّ من قول عاذلِ)
(ومَنْ ذا يردُّ السَّهمَ بعد مُروقِه ... على فُوقِه إن عارَ من نَزْع نابِلِ)

(ولولا الذي قد عودَّتْنا خلائفٌ ... غَطَارِيفُ كانت كالليوث البواسل)
(لما وَخَدَتْ شهراً بِرَحْلِيَ جَسْرَةٌ ... تَفُلُّ مُتونَ البِيدِ بين الرَّواحل)
(ولكن رَجَوْنا منك مثلَ الذي به ... صُرِفنا قديماً من ذويكَ الأفاضل)
(فإن لم يكن للشعر عندك موضعٌ ... وإن كان مثلَ الدُّرِّ من قول قائِل)
(وكان مُصيبا صادقاً لا يَعِيبه ... سوى أنه يُبْنَى بِناءَ المنازل)
(فإنّ لنا قُرْبى ومَحْضَ مَوَدَّةٍ ... وميراثَ آباءٍ مَشَوْا بالمناصل)
(فذادُوا عدوَّ السِّلْم عن عُقْر دارهم ... وأَرْسَوْا عَمُودَ الدِّين بعد تَمَايُل)
(فقبلَك ما أعطَى الهُنيدةَ جِلَّةً ... على الشعر كَعْباً من سَديس وبازل)
(رسولُ الإله المصطفَى بِنُبُوَّةٍ ... عليه سلامٌ بالضُّحَى والأصائل)
(فكلُّ الذي عدَّدتُ يَكْفِيكَ بعضُه ... ونَيْلُك خيرٌ من بحور السوائل)
فقال له عمر يا أحوص إن الله سائلك عن كل ما قلت ثم تقدم إليه نصيب فاستأذن في الإنشاد فأبى أن يأذن له وغضب غضبا شديدا وأمره باللحاق بدابق وأمر لي وللأحوص لكل واحد بمائة وخمسين درهما
وقال الرياشي في خبره فقال لنا ما عندي ما أعطيكم فانتظروا حتى يخرج عطائي فأواسيكم منه فانتظرناه حتى خرج فأمر لي وللأحوص بثلاثمائة
درهم وأمر لنصيب بمائة وخمسين درهما فما رأيت أعظم بركة من الثلاث المائة التي أعطاني ابتعت بها وصيفة فعلمتها الغناء فبعتها بألف دينار
عمر ودكين الراجز
أخبرني عمي عبد العزيز بن أحمد قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني قال قال دكين الراجز امتدحت عمر بن عبد العزيز وهو والي المدينة فأمر لي بخمس عشرة ناقة كرائم فكرهت أن أرمي بهن الفجاج ولم تطب نفسي ببيعهن فقدمت علينا رفقة من مصر فسألتهم الصحبة فقالوا ذاك إليك ونحن نخرج الليلة فأتيته فودعته وعنده شيخان لا أعرفهما فقال لي يا دكين إن لي نفسا تواقة فإن صرت إلى أكثر مما أنا فيه فأتني ولك الإحسان قلت أشهد لي بذلك قال أشهد الله به قلت ومن خلقه قال هذين الشيخين فأقبلت على أحدهما فقلت من أنت أعرفك قال سالم بن عبد الله بن عمر فقلت له لقد استسمنت الشاهد وقلت للآخر من أنت قال أبو يحيى مولى الأمير فخرجت إلى بلدي بهن فرمى الله في أذنابهن بالبركة حتى اعتقدت منهن الإبل والعبيد فإني لبصحراء فلج إذا ناع ينعى سليمان قلت فمن القائم بعده قال عمر بن عبد العزيز فتوجهت نحوه فلقيني جرير منصرفا من عنده فقلت يا أبا حزرة من أين فقال من عند من يعطي الفقراء ويمنع الشعراء فانطلقت فإذا هو في عرصة دار وقد أحاط الناس به فلم أخلص اليه فناديت
((يا عُمَرَ الخيراتِ والمكَارِم ... وعُمَرَ الدَّسائع العظائِم
(إني امرؤٌ من قَطَنِ بنِ دارم ... طلبتُ دَيْنِي من أخي مَكَارِم)
(إذ تَنْتَجِي والليلُ غيرُ نائم ... عند أبي يَحْيى وعند سالم)
فقام أبو يحيى فقال يا أمير المؤمنين لهذا البدوي عندي شهادة عليك فقال أعرفها ادن يا دكين أنا كما ذكرت لك إن نفسي لم تنل شيئا قط إلا تاقت لما هو فوقه وقد نلت غاية الدنيا فنفسي تتوق إلى الآخرة والله ما رزأت من أموال الناس شيئا ولا عندي إلا ألف درهم فخذ نصفها قال فوالله ما رأيت ألفا كان أعظم بركة منه قال ودكين الذي يقول
(إذا المرءُ لم يَدْنَسْ من اللُّؤم عِرْضُه ... فكلُّ رداءٍ يَرتديه جميلُ)
(وإن هو لم يَرْفَع عن اللؤم نفسَه ... فليس إلى حُسْنِ الثَّناء سبيلُ)
زهده وحبه آل البيت
أخبرني الحرمي عن الزبير عن هارون بن صالح عن أبيه قال كنا نعطي الغسال الدراهم الكثيرة حتى يغسل ثيابنا في أثر ثياب عمر بن عبد العزيز من كثرة الطيب فيها يعني المسك قال ثم رأيت ثيابه بعد ذلك وقد ولي الخلافة فرأيت غير ما كنت أعرف
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي عن نافع بن أبي نعيم قال قدم عبد الله بن الحسن على عمر بن عبد العزيز فقال إنك لا تغنم أهلك شيئا خيرا من نفسك فارجع وأتبعه حوائجه
قال الرياشي وحدثنا نصر بن علي قال حدثنا أبو أحمد محمد بن الزبير الأسدي عن سعيد بن أبان قال رأيت عمر بن عبد العزيز آخذا بسرة عبد الله بن حسن وقال اذكرها عندك تشفع لي يوم القيامة
حدثني أبو عبيد الصيرفي قال حدثنا الفضل بن الحسن المصري قال حدثنا عبد الله بن عمر القواريري قال حدثنا يحيى بن سعيد عن سعيد بن أبان القرشي قال دخل عبد الله بن حسن على عمر بن عبد العزيز وهو حديث السن وله وفرة فرفع مجلسه وأقبل عليه وقضى حوائجه ثم أخذ عكنة من عكنه فغمزها حتى أوجعه وقال له اذكرها عندك للشفاعة فلما خرج لامه أهله وقالوا فعلت هذا بغلام حديث السن فقال إن الثقة حدثني حتى كأني أسمعه من في رسول الله قال إنما فاطمة بضعة مني يسرني ما يسرها وأنا أعلم أن فاطمة لو كانت حية لسرها ما فعلت بابنها قالوا فما معنى غمزك بطنه وقولك ما قلت قال إنه ليس أحد من بني هاشم إلا وله شفاعة فرجوت أن أكون في شفاعة هذا
أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عيسى ابن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي قال أخبرني يزيد بن عيسى بن مورق قال كنت بالشام زمن ولي عمر بن عبد العزيز وكان بخناصرة وكان
يعطي الغرباء مائتي درهم قال فجئته فأجده متكئا على إزار وكساء من صوف فقال لي ممن أنت قلت من أهل الحجاز قال من أيهم قلت من أهل المدينة قال من أيهم قلت من قريش قال من أي قريش قلت من بني هاشم قال من أي بني هاشم قلت مولى علي قال من علي فسكت قال من فقلت ابن أبي طالب فجلس وطرح الكساء ثم وضع يده على صدره وقال وأنا والله مولى علي ثم قال أشهد على عدد ممن أدرك النبي يقول قال رسول الله من كنت مولاه فعلي مولاه أين مزاحم كم تعطي مثله قال مائتي درهم قال أعطه خمسين دينارا لولائه من علي ثم قال أفي فرض أنت قلت لا قال وافرض له ثم قال الحق بلادك فإنه سيأتيك إن شاء الله ما يأتي غيرك
قال أبو زيد فحدثني عيسى بن عبد الله قال حدثني أبي عن أبيه قال قال أبي ولد لي غلام يوم قام عمر بن عبد العزيز فغدوت عليه فقلت له ولد لي في هذه الليلة غلام فقال لي ممن قلت من التغلبية قال فهب لي اسمه قلت نعم قال قد سميته اسمي ونحلته غلامي مورقا وكان نوبيا فأعتقه عمر بن العزيز بعد ذلك فولده اليوم موالينا

أخبرني محمد بن العباس قال حدثنا عمر قال حدثنا عيسى بن عبد الله قال أخبرني موسى بن عبد الله بن حسن عن أبيه قال كان عمر بن عبد العزيز يراني إذا كانت لي حاجة أتردد إلى بابه فقال
لي ألم أقل لك إذا كانت لك حاجة فارفع بها إلي فوالله إني لأستحيي من الله أن يراك على بابي
أخبرني عمي قال حدثني الكراني قال حدثني العمري عن العتبي عن أبيه قال لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة جمع ولده حوله فلما رآهم استعبر ثم قال بأبي وأمي من خلفتهم بعدي فقراء فقال له مسلمة بن عبد الملك يا أمير المؤمنين فتعقب فعلك وأغنهم فما يمنعك أحد في حياتك ولا يرتجعه الوالي بعدك فنظر إليه نظر مغضب متعجب فقال يا مسلمة منعتهم إياه في حياتي وأشقى به بعد وفاتي إن ولدي بين رجلين إما مطيع لله فالله مصلح له شأنه ورازقه ما يكفيه أو عاص له فما كنت لأعينه على معصيته يا مسلمة إني حضرت أباك لما دفن فحملتني عيني عند قبره فرأيته قد أفضى إلى أمر من أمر الله راعني وهالني فعاهدت الله ألا أعمل بمثل عمله إن وليت وقد اجتهدت في ذلك طول حياتي وأرجو أن أفضي إلى عفو من الله وغفران قال مسلمة فلما دفن حضرت دفنه فلما فرغ من شأنه حتى حملتني عيني فرأيته فيما يرى النائم وهو في روضة خضراء نضرة فيحاء وأنهار مطردة وعليه ثياب بيض فأقبل علي فقال يا مسلمة لمثل هذا فليعمل العاملون هذا أو نحوه فإن الحكاية تزيد أو تنقص
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم قال حدثنا عبد الله ابن أبي سعد قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ عن يحيى بن سعيد الأموي قال لما مات عمر بن عبد العزيز وقف مسلمة عليه بعد أن أدرج في كفنه فقال رحمك الله يا أمير المؤمنين فقد أورثت صالحينا بك اقتداء وهدى
وملأت قلوبنا بمواعظك وذكرك خشية وتقى وأثلت لنا بفضلك شرفا وفخرا وأبقيت لنا في الصالحين بعدك ذكرا
كتابه إلى أساري قسطنطينية
أخبرني الحسن قال أخبرنا الغلابي عن ابن عائشة عن أبيه إن عمر بن عبد العزيز كتب إلى الأساري بقسطنطينية أما بعد فإنكم تعدون أنفسكم أسارى ولستم أسارى معاذ الله أنتم الحبساء في سبيل الله واعلموا أني لست أقسم شيئا بين رعيتي إلا خصصت أهلكم بأوفر ذلك وأطيبه وقد بعثت اليكم خمسة دنانير خمسة دنانير ولولا أني خشيت إن زدتكم أن يحبسه عنكم طاغية الروم لزدتكم وقد بعثت إليكم فلان بن فلان يفادي صغيركم وكبيركم ذكركم وأنثاكم حركم ومملوككم بما يسأل فأبشروا ثم أبشروا
رده على كتاب الحسن البصري
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عبد الله بن مسلم قال زعم لنا سليمان بن أرقم قال كتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز وكان يكاتبه فلما
استخلف كتب إليه من الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز فقيل له إن الرجل قد ولي وتغير فقال لو علمت أن غير ذلك أحب إليه لاتبعت محبته ثم كتب من الحسن بن أبي الحسن إلى عمر بن عبد العزيز أما بعد فكأنك بالدنيا لم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل قال فمضيت إليه بالكتاب فقدمت عليه به فإني عنده أتوقع الجواب إذ خرج يوما غير يوم جمعة حتى صعد المنبر واجتمع الناس فلما كثروا قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إنكم في أسلاب الماضين وسيرثكم الباقون حتى تصيروا إلى خير الوارثين كل يوم تجهزون غاديا إلى الله ورائحا قد حضر أجله وطوي عمله وعاين الحساب وخلع الأسلاب وسكن التراب ثم تدعونه غير موسد ولا ممهد ثم وضع يديه على وجهه فبكى مليا ثم رفعهما فقال يا أيها الناس من وصل الينا منكم بحاجته لم نأله خيرا ومن عجز فوالله لوددت أنه وآل عمر في العجز سواء قال ثم نزل فأرسل إلي فدخلت إليه فكتب بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإنك لست بأول من كتب عليه الموت وقد مات والسلام
آخر خطبة له
أخبرني ابن عمار قال حدثني سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا أبو مطرف المغيرة بن مطرف عن شعيب بن صفوان عن أبيه أن عمر بن عبد العزيز خطب بخناصرة خطبة لم يخطب بعدها حمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إنكم لم تخلقوا عبثا ولم تتركوا سدى وإن لكم معادا يتولى الله فيه الحكم فيكم والفصل بينكم فخاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء وحرم الجنة التي عرضها السماوات والأرض
واعلموا أن الأمان غدا لمن حذر الله وخافه وباع قليلا بكثير ونافدا بباق وخوفا بأمان ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين وسيخلفها من بعدكم الباقون وكذلك حتى تردوا إلى خير الوارثين ثم إنكم في كل يوم وليلة تشيعون غاديا إلى الله ورائحا قد قضى نحبه وانقضى أجله ثم تضعونه في صدع من الأرض في بطن لحد ثم تدعونه غير موسد ولا ممهد قد خلع الأسلاب وفارق الأحباب ووجه للحساب غنيا عما ترك فقيرا إلى ما قدم وايم الله إني لأقول لكم هذه المقالة ولا أعلم عند أحد منكم أكثر مما عندي وأستغفر الله لي ولكم وما يبلغنا أحد منكم حاجته يسعها ما عندنا إلا سددنا من حاجته ما قدرنا عليه ولا أحد يتسع له ما عندنا إلا وددت أنه بدئ بي وبلحمتي الذي يلونني حتى يستوي عيشنا وعيشكم وايم الله لو أردت غير هذا من عيش أو غضارة لكان اللسان به مني ناطقا ذلولا عالما بأسبابه ولكنه من الله عز وجل كتاب ناطق وسنة عادلة دل فيهما على طاعته ونهى فيهما عن معصيته ثم بكى فتلقى دموعه بطرف ردائه ثم نزل فلم ير على تلك الأعواد بعد حتى قبضه الله إليه رحمة الله عليه
شراؤه موضع قبره
أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو سلمة المديني عن إبراهيم بن ميسرة أن عمر بن عبد العزيز اشترى موضع قبره بعشرة دنانير
أخبرني اليزيدي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو سلمة المديني قال أخبرني ابن مسلمة بن عبد الملك قال حدثني أبي مسلمة قال كنا عند عمر في اليوم الذي توفي فيه أنا وفاطمة بنت عبد الملك فقلنا له يا أمير المؤمنين إنا نرى أنا قد منعناك النوم فلو تأخرنا عنك شيئا عسى أن تنام قال ما أبالي لو فعلتما قال فتنحيت أنا وهي وبيننا وبينه ستر قال فما
نشبنا أن سمعناه يقول حي الوجوه حي الوجوه فابتدرناه أنا وهي فجئناه وقد أغمض ميتا فإذا هاتف يهتف في البيت لا (نراه (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين
ومن أصوات عمر في سعاد
صوت
(ألاَ يا دِينَ قلْبُك من سُلَيْمى ... كما قد دِينَ قلبُك من سُعَادَا)

(هما سَبَتَا الفؤادَ وأَصْبَاه ... ولم يُدْرِك بذلك ما أراد)
(قِفَا نَعْرِفْ منازلَ من سُلَيْمَى ... دَوَارِسَ بين حَوْمَلَ أو عُرَادَا)
(ذكرتُ بها الشَّبابَ وآلَ لَيلَى ... فلم يَرِدِ الشباب بها مرادا)
(فإن تَشِبِ الذُّؤابةُ أُمَّ زيدٍ ... فقد لاقيتَ أيّاماً شِدادا)
عروضه من الوافر الشعر لأشهب بن رميلة فيما ذكر ابن الأعرابي وأبو عمرو الشيباني وحكى ابن الأعرابي أنه سمع بعض بني ضبة يذكر أنها لابن ابي رميلة الضبي والغناء لعمر بن عبد العزيز رمل بالوسطى عن الهشامي وحبش وغيرهما وفي نسخة عمرو بن بانة الثانية لخزرج رمل بالبنصر
نسب الأشهب بن رميلة وأخباره
رملية أمه وهي أمة لخالد بن مالك بن ربعي بن سلمى بن جندل بن نهشل بن دارم بن عمرو بن تميم وهو الأشهب بن ثور بن أبي حارثة بن عبد الدار بن جندل بن نشهل بن دارم في النسب قال أبو عمرو وولدها يزعمون أنها كانت سبية من سبايا العرب فولدت لثور بن أبي حارثة أربعة نفر وهم رباب وحجناء والأشهب وسويد فكانوا من أشد إخوة في العرب لسانا ويدا وأمنعهم جانبا وكثرت أموالهم في الإسلام وكان أبوهم ثور ابتاع رميلة في الجاهلية وولدتهم في الجاهلية فعزوا عزا عظيما حتى كانوا إذا وردوا ماء من مياه الصمان حظروا على الناس ما يريدون منه وكانت لرميلة قطيفة حمراء فكانوا يأخذون الهدب من تلك القطيفة فيلقونه على الماء أي قد سبقنا إلى هذا فلا يرده أحد لعزهم فيأخذون من الماء ما يحتاجون إليه ويدعون ما يستغنون عنه فوردوا في بعض السنين ماء من مياه الصمان وورد معهم ناس من بني قطن بن نهشل وكانت بنو قطن بن نهشل وبنو زيد بن نهشل وبنو مناف بن درام حلفاء وكانت الأعجاز حلفاء عليهم وهم جندل وجرول وصخر بنو نهشل فأورد بعضهم بعيره فأشرعه حوضا قد حظروا عليه وبلغهم ذلك فغضبوا منه واجتمعوا وأحلافهم واجتمعت الأحلاف عليهم فاقتتلوا قتالا شديدا فضرب رباب بن رميلة رأس نسير بن صبيح المعروف بأبي بدال وأمه بنت أبي الحمام بن قراد بن مخزوم وقال رباب في ذلك
((ضربتُه عَشِيَّةَ الهلالِ ... أوّلَ يومٍ عُدَّ من شوّالِ
(ضرباً على رأسِ أبي بَدَّال ... ثُمَّتَ ما أُبْتُ ولا أُبالي)
(... ألاّ يؤوبَ آخرَ اللّيالي)
فجمع كل واحد منهما لصاحبه فقالت بنو قطن يا بني جرول ويا بني صخر ويا بني مناف ضرب صاحبكم صاحبنا ضربة لا ندري أيموت منها أم يعيش فأنصفونا فأبى القوم أن يفعلوا فاقتتلوا يومهم ذلك إلى الليل وكان أبي بن أشيم أخو بني جرول وهو سيدهم خرج في حاجة له فلقيه بعض بني قطن فأسره وأتى به أ صحابه فقال نهشل بن حري يا بني قطن أطيعوني اليوم واعصوني أبدا قالوا نعم فقل فقال إن هذا لم يشهد شركم ولا حربكم ولا يحل لكم دمه وإن قومه أحر من يقاتلكم وشوكتهم فخذوا عليه العهد أن يصرفهم عنكم وخلوا سبيله قالوا افعل ما رأيت فأتاه نهشل بن حري فقال له يا أبا أسماء إن قومك قد حالوا بيننا وبين حقنا وقاتلوا دونه وقد أمكننا الله منك وأنت والله أوفى دما عندنا من بني رميلة فوالله لأقتلنك أو تعطيني ما أسألك قال سل قال تجعل أن تصرف بني جرول جميعا فإن لم يطيعوك انصرفت ببني أشيم فإن لم يطيعوك أتيتنا قال نعم فخلي سبيله تحت الليل فأتاهم وهم بحيث يرى بعضهم بعضا فقال يا بني جرول انصرفوا أتعترضون على قوم يريدون حقهم ألا تتقون الله والله لقد أسرني القوم ولو أرادوا قتلى لكان فيه وفاء بحقهم ولكنهم يكرهون حربكم فلا تبغوا
عليهم فانصرف منهم أكثر من سبعين رجلا فلما رأى ذلك بنو صخر وبنو جرول قالوا والله إنا لنظلم قومنا إن قاتلناهم وانصرفوا وتخاذل القوم فلما رأى ذلك الأشهب بن رميلة قال ويلكم أفي ضربة من عصا لم تصنع شيئا تسفكون دماءكم والله ما به من بأس فأعطوا قومكم حقهم فقال حجناء ورباب والله لننصرفن فلنلحقن بغيركم ولا نعطي ما بأيدينا فجعل الأشهب ابن رميلة يقول ويلكم أتخربون دار قومكم في ضربة عصا لم تبلغ شيئا فلم يزل بهم حتى جاؤوا برباب فدفعوه إلى بني قطن وأخذوا منهم أبا بدال وهو المضروب فمات في تلك الليلة في أيديهم فكتموه وأرسلوا إلى عباد بن مسعود ومالك بن ربعي ومالك بن عوف والقعقاع بن معبد فعرضوا عليهم الدية فقالوا وما الدية وصاحبنا حي قالوا فإن صاحبكم ليس بحي فأمسكوا وقالوا ننظر ثم جاؤوا إلى رباب فقالوا أوصنا بما بدا لك قال دعوني أصلي قالوا صل فصلى ركعتين ثم قال أما والله إني إلى ربي لذو حاجة وما منعني أن أزيد في صلاتي إلا أن تروا أن ذلك فرق من الموت فليضربني منكم رجل شديد الساعد حديد السيف فدفعوه إلى أبي خزيمة بن نسير المكني بأبي بدال فضرب عنقه فدفنوه وذلك في الفتنة بعد مقتل عثمان بن عفان فقال الأشهب يرثي أخاه ويلوم نفسه في دفعه إليهم لتسكن الحرب
(أعَيْنَيَّ قَلَّتْ عَبْرةٌ من أخيكما ... بأن تسهرَا ليلَ التَّمامِ وتَجْزَعا)
(وباكيةٍ تَبْكي الرَّبابَ وقائلٍ ... جزَى اللهُ خيراً ما أعفَّ وأمْنَعا)
((وأضْرَبَ في الهَيْجا إذا حَمِسِ الوَغَى ... وأطعَمَ إذ أمْسىَ المَرَاضِيعُ جُوَّعا
(إذا ما اعترضْنا من أخينا أخاهُم ... روينا ولم نَشْفِ الغَلِيلَ فَيَنْقَعا)
(قَرَوْنا دماً والضَّيْف منتظِرُ القِرَى ... ودعوةِ داعٍ قد دعانا فأسمعا)
(مَرَدْنا وكانت هفوةً من حُلومنا ... يَنْدي إلى أولادِ ضَمْرَة أَقْطَعا)
(وقد لامني قومي ونفسي تَلُومني ... بما فال رأيي في ربابٍ وضيَّعا)
(فلو كان قلبي من حديدٍ أذابَه ... ولو كان من صُمِّ الصَّفَا لتصدَّعا)
مضى الحديث
اصوات عمر في سعاد
ونسخت من كتاب محمد بن الحسن الكاتب حدثني محمد بن أحمد بن يحيى المكي عن أبيه قال لعمر بن عبد العزيز في سعاد سبعة ألحان
منها
(يا سُعادُ التي سَبَتْنِي فؤادي ... ورُقَادي هَيِي لعيني رُقادي)
ولحنه رمل مطلق
ومنها
(حظُّ عيني من سُعاد ... أبداً طولُ السُّهَاد)

ولحنه رمل بالسبابة في مجرى البنصر
ومنها
(سبحان ربيِّ بَرَا سُعادا ... لا تعرف الوصلَ والودادا)
ولحنه خفيف رمل
ومنها
(لعَمْري لئن كانت سعادُ هي المُنَى ... وجنَّةَ خُلْد لا يُمَلُّ خلودُها)
ولحنه ثقيل أول
ومنها
(أسُعادُ جُودِي لا شَقِيتِ سُعَادا ... واجْزِي مُحِبَّكِ رأفةً ووِدادَا)
ولحنه خفيف رمل
ومنها
(... ألِمَّا صاحبيّ نَزُرْ سُعادَا)
ومنها
(... ألاَ يا دِينَ قلبُكَ من سُلَيْمَى)
وقد ذكرت طريقتهما
وقد روي عن عمر بن عبد العزيز حديث كثير وفقه وحمل عنه أهل العلم
أخبرنا محمد بن جرير الطبري قال حدثنا عمران بن بكار الكلاعي قال حدثنا خالد بن علي قال حدثنا بقية بن الوليد عن مبشر بن إسماعيل عن بشر ابن عمر بن عبد العزيز عن أبيه عمر عن جده عبد العزيز عن معاوية بن أبي سفيان قال قال رسول الله من أحب أن تمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي وعمي قالا حدثنا العنزي قال حدثني وزير بن محمد أبو هاشم الغساني قال حدثني محمد بن أيوب بن سعيد
السكري عن عمر بن عبد العزيز عن أمه عن أبيها عاصم بن عمر عن أبيه عمر ابن الخطاب قال قال رسول الله نعم الإدام الخل
وممن حكي عنه أنه صنع في شعره غناء يزيد بن عبد الملك ولم يأت ذلك برواية عمن يحصل قوله كما حكي عن عمر بن عبد العزيز وإنما وجد في الكتب أنه صنع لحنا في شعره وذكره من لا يوثق به ولم نروه عن أحد فلم نأت بأخباره هاهنا مشروحة وأتيت بها في أخبار ه مع حبابة بحيث يصلح وأما اللحن الذي ذكر أنه صنعه فهو
صوت
(أبلغْ حَبَابةَ أَسْقَى رَبْعَهَا المطرُ ... ما للفؤاد سوى ذكراكُم وَطَرُ)
(إن سار صَحْبِيَ لم أمْلِكْ بذكركُم ... أو عرَّسوا فهمومُ النفسِ والفِكَرُ)
في هذين البيتين ثقيل أول يقال إنه ليزيد بن عبد الملك وذكر ابن المكي أنه لحبابة
وحكي عن الهيثم بن عدي أن يزيد بن عبد الملك لما رأى حبابة تعلقها ولم يقدر على ابتياعها خوفا من أخيه سليمان أو من عمر بن عبد العزيز وقال فيها هذين البيتين وهو راحل عن الحجاز وغناه فيهما معبد فوصله بعد ذلك بما كان يغنيه وأخذته حبابة وغيرها عنه وذكر الهشامي أنه مما لا يشك فيه من غناء معبد وقد مضت أخبار يزيد بن عبد الملك وحبابة في صدر هذا الكتاب فاستغني عن إعادتها هنا
وممن غنى منهم الوليد بن يزيد
وله أصوات صنعها مشهورة وقد كان يضرب بالعود ويوقع بالطبل ويمشي بالدف على مذهب أهل الحجاز
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني عبد الله بن أبي سعد عن الفطراني عن محمد بن جبر قال حدثني من سمع خالد صامة يقول كنت يوما عند الوليد بن يزيد وأنا أغنيه
(... أرانِي الله يا سَلْمَى حياتي)
وهو يشرب حتى سكر ثم قال لي هات العود فدفعته إليه فغناه أحسن غناء فنفست عليه إحسانه ودعوت بطبل فجعلت أوقع عليه وهو يضرب حتى دفع العود وأخذ الطبل فجعل يوقع به أحسن إيقاع ثم دعا بدف فأخذه ومشى به وجعل يغني أهزاج طويس حتى قلت قد عاش ثم جلس وقد انبهر فقلت يا سيدي كنت أرى أنك تأخذ عنا ونحن الآن نحتاج إلى الأخذ عنك فقال اسكت ويلك فوالله لئن سمع هذا منك أحد ما دمت حيا لأقتلنك فوالله ما حكيته عنه حتى قتل
أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال أخبرنا أبو أيوب المديني قال ذكر أبو الحسن المدائني أن يحيى مولى العبلات المعروف بقيل وهو الذي غني
(... أزْرَى بنا أننا شالتْ نَعامتُنا)
كان مقيما بمكة فلما قدمها الوليد بن يزيد سأل عن أحسن الناس غناء
وحكاية لابن سريج فقيل له فيل فدعاه وقال له امش لي بالدف ففعل ثم قال له الوليد هاته حتى أمشى به فإن أخطأت فقومني فمشى به أحسن من مشية فيل فقال له يحيى جعلت فداءك ايذن لي حتى أختلف إليك لأتعلم منك
فمن مشهور صنعته في شعره
(وَصَفْراءَ في الكأسِ كالزعفران ... سباها التُّجِيبيُّ من عَسْقَلانْ)
(تُريكَ القَذاةَ وعَرْضُ الإِ ناء ... سِتْرٌ لها دون لمْسِ البنانْ)
لحنه فيه خفيف رمل وفيه لأبي كامل ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس ولعمر الوادي فيه ثقيل أول بالوسطى عن يونس والهشامي وقد مضت أخباره مشروحة في المائة الصوت المختارة
وممن دونت صنعته من خلفاء بني العباس الواثق بالله
ولم نعلمه حكي ذلك عن أحد منهم قبله إلا ما قدمنا سوء العهدة فيه عن ابن خرداذبة فإنه حكى أن للسفاح والمنصور وسائرهم غناء وأتى فيها بأشياء غثة لا يحسن لمحصل ذكرها
وأخبرني يحيى بن محمد الصولي قال حدثني أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال دخلت يوما دار الواثق بغير إذن إلى موضع أمر أن أدخله إذا كان جالسا فسمعت صوت عود من بيت وترنما لم أسمع

أحسن منه قط فأطلع خادم رأسه ثم رده وصاح بي فدخلت فإذا الواثق فقال أي شيء سمعت فقلت الطلاق لازم لي وكل مملوك لي حر لقد سمعت ما لم أسمع مثله قط حسنا فضحك فقال وما هو إنما هذه فضلة أدب وعلم مدحه الأوائل واشتهاه أصحاب رسول الله ورحمهم والتابعون بعدهم وكثر في حرم الله ومهاجر رسول الله أتحب أن تسمعه مني قلت إي والذي شرفني بخطابك وجميل رأيك فقال يا غلام هات العود وأعط إسحاق رطلا فدفع الرطل إلي وضرب وغنى في شعر لأبي العتاهية بلحن صنعه فيه

(أضحتْ قبورهُم من بعد عِزِّهمُ ... تَسفِي عليها الصَّبا والحَرْجَف السَّمَلُ)

(لا يَدْفَعون هَوَاماً عن وجوههمُ ... كأنهمْ خَشَبٌ بالقاع مُنْجَدِلُ)

فشربت الرطل ثم قمت فدعوت له فأجلسني وقال أتشتهي أن تسمعه

ثانية فقلت إي والله فغنانيه ودعا لي برطل ففعلت كما فعلت ثانية ثم ثالثة وصاح ببعض خدمه وقال له احمل إلى إسحاق ثلثمائة ألف درهم ثم قال يا إسحاق قد سمعت ثلاثة أصوات وشربت ثلاثة أرطال وأخذت ثلثمائة ألف درهم فانصرف إلى أهلك ليسروا بسرورك فانصرفت بالدراهم

أخبرني محمد قال سمعت أحمد بن محمد بن الفرات يقول سمعت عريب تقول

الواثق له صنعة جيدة في الغناء

صنع الواثق مائة صوت ما فيها صوت ساقط ولقد صنع في هذا الشعر

(هل تعلمين وراء الحبِّ منزلةً ... تُدْنِي إليكِ فإنّ الحبَّ أقصاني)

(هذا كتابُ فتًى طالتْ بَلِيَّتُه ... يقول يا مُشْتَكَى بَثى وأحزاني)

لحنا من الرمل تشبه فيه بصنعة الأوائل

نسبة هذا الصوت

الشعر ليعقوب بن إسحاق الربعي المخزومي والغناء للواثق رمل بالوسطى من رواية الهشامي

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي والحرمي بن أبي العلاء وعلي بن سليمان الأخفش قالوا حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال قال الزبير بن بكار كتب ابن أبي مسرة المكي إلى أهل المدينة ببيتين وهما

(هذا كتابُ فتًى طالتْ بَلِيَّتُه ... يقول يا مُشْتَكَى بَثِّي وأحزاني)

(هل تعلمين وراءَ الحبِّ منزلةً ... تُدني إليكِ فإنّ الحبّ أقصاني)

قال الزبير وكنت غائبا فلما قدمت قال لي أهل المدينة ذلك فقلت

لهم أيكتب إليكم صاحبكم فلا تجيبونه

أنشدني يعقوب بن إسحاق الربعي المخزومي لنفسه

(قال الوُشاةُ لهندٍ عن تَصَارُمِنَا ... ولستُ أنسى هوى هندٍ وتنساني)

(يعقوبُ ليس بمتبولٍ ولا كَلِفٍ ... وَيْحَ الوُشاةِ فإنّ الداء أضناني)

(ما بي سوى الحبِّ من هندٍ وإن بَخِلْت ... حُبِّي لهندٍ برى جسمي وأبلاني)

(قد قلتُ حين بدا لي بُخْلُ سيِّدتي ... وقد تتابع بي بَثِّي وأحزاني)

(هل تعلمين وراء الحبِّ منزلةً ... تُدْنِي إليكِ فإنّ الحبَّ أقصاني)

(قالت نعم قلتُ ما ذاكم أسيِّدتي ... وطاعةُ الحبِّ تَنفي كلَّ عِصْيان)

(قالت فدَعْنا بلا صُرْمٍ ولا صِلَةٍ ... ولا صدودٍ ولا في حال هِجران)

(حتى يَشُكَّ وُشاةٌ قد رَمَوْك بنا ... وأعلنوا بك فينا أيَّ إعلان)

ومن غناء الواثق بالله

صوت

(خليليَّ عُوجَا من صدور الرَّواحِل ... بجَرْعاءِ حُزْوَى وابكيا في المنازل)

(لعلَّ انحدارَ الدمع يُعْقِب راحةً ... من الوَجْدِ أو يَشْفِي نَجِي البَلابِل)

الشعر لذي الرمة والغناء للواثق بالله رمل مطلق في مجرى الوسطى عن الهشامي ولإسحاق فيهما رمل بالسبابة في مجرى البنصر ولحن الواثق منهما الذي أوله البيت الثاني وهو اللحن المحثوث المسجح وله ردة في لعل ولحن إسحاق أوله البيت الأول ثم الثاني وهو أشدهما إمساكا وفيه صياح

أخبرنا أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى قال حدثنا أبو أيوب المديني قال حدثنا محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي أنه دخل على إسحاق بن إبراهيم الطاهري وقد كان تكلم له في حاجة فقضيت فقال له أعطاك الله أيها الأمير ما لم تحط به أمنية ولم تبلغه رغبة قال فاشتهى هذا الكلام فاستعاده فأعدته قال ثم مكثنا ما شاء الله وأرسل الواثق إلى محمد بن إبراهيم يأمره بإشخاصي إليه في الصوت الذي أمرني أن أتغنى فيه وهو

(... لقد بَخِلت حتى لَوَ أنّي سألتُها)

فأمر لي بمائة ألف درهم فأقمت ما شاء الله ليس أحد من مغنيهم يقدر على أن يأخذ هذا الصوت مني فلما طال مقامي قلت يا أمير المؤمنين ليس أحد من هؤلاء المغنين يقدر على أن يأخذ هذا الغناء مني فقال لي ولم ويحك قلت لأني لا أصححه ولا تسخو نفسي لهم به فما فعلت يا

أمير المؤمنين في الجارية التي أخذتها مني يعني شجا وهي التي كان أهداها إلى الواثق وعمل لها المصنف الذي في أيدي الناس لإسحاق قال وكيف فقلت لأنها تأخذه مني وأطيب به لها نفسا وهم يأخذونه منها قال فأمر بها فأخرجت وأخذته على المكان فأمر لي بمائة ألف درهم أخرى وأذن لي في الانصراف وكان إسحاق بن إبراهيم الطاهري حاضرا عنده فقلت له عند وداعي إياه أعطاك الله يا أمير المؤمنين ما لم تحط به أمنية ولم تبلغه رغبة فالتفت إلي إسحاق بن إبراهيم فقال لي ويحك يا إسحاق تعيد الدعاء فقلت إي والله أعيده قاص أنا أو مغن فانصرفت إلى بغداد وأقمت حتى قدم إسحاق فجئته مسلما فقال ويلك يا إسحاق أتدري ما قال أمير المؤمنين بعد خروجك من عنده قلت لا أيها الأمير قال قال لي ويحك كنا أغنى الناس عن أن نبعث إسحاق على لحننا فيفسده علينا هذه رواية أبي أيوب

قال أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى وأخبرني أبي رحمه الله عن إسحاق أنه قال لما صنعت لحني في

(... خليلي عُوجَا من صدور الرواحل)

غنيته الواثق فاستحسنه وعجب من صحة قسمته ومكث صوته أياما ثم قال لي يا إسحاق قد صنعت لحنا في صوتك

وفي إيقاعه وأمر فغنيت به فقلت يا أمير المؤمنين بغضت إلي لحني وسمجته عندي وقد كنت استأذنته مرات في الانحدار إلى بغداد بعد أن ألقيت اللحن الذي كان أمرني بصنعه في
(... لقد بَخِلت حتى لَوَ اني سألتها)
فمنعني ودافعني بذلك فلما صنع لحنه الرمل في
(...خليليّ عُوجا من صدور الرّواحل)
قلت له يا أمير المؤمنين قد والله اقتصصت وزدت فأذن لي بعد ذلك قال أبو الحسن علي بن يحيى قلت لإسحاق فأيهما أجود الآن لحنك فيه أو لحنه فقال لحني أجود قسمة وأكثر عملا ولحنه أظرف لأنه جعل ردته من نفس قسمته فليس يقدر على أدائه إلا متمكن من نفسه قال أبو الحسن فتأملت اللحنين بعد ذلك فوجدتهما كما ذكر إسحاق قال وقال لي إسحاق ما كان يحضر مجلس الواثق أعلم منه بالغناء
فأما نسبة هذين الصوتين فإن أحدهما قد مضى ومضت نسبته والآخر
صوت
(أيا مُنْشِرَ الموتى أقِدْني من التي ... بها نَهِلتْ نفسي سَقاماً وعَلَّتِ)
(لقد بَخِلتْ حتى لَوَ انّي سألتُها ... قَذَى العين من ضاحِي التُّراب لضَنَّتِ)
الشعر لأعرابي رواه إسحاق عنه ولم يذكر اسمه والناس يغلطون فينسبونه إلى كثير ويظنونه من قصيدته التي أولها
(خليليَّ هذا رسْمُ عَزّةَ فاعْقِلاَ ... قَلُوصَيْكما ثم ابكيا حيث حَلَّتِ)
وهذا خطأ ممن قال ذلك والغناء للواثق ثاني ثقيل بالوسطى ولإسحاق في البيت الثاني وبعده بيت ألحقه به ليس من الشعر ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى والبيت الذي ألحقه إسحاق به من شعره
(فإن بَخِلتْ فالبخلُ منها سَجِيةٌ ... وإن بَذَلَتْ أعطتْ قليلاً وأكْدَتِ)
أخبرني عمي رحمه الله قال حدثني أبو جعفر بن الدهقانة النديم قال كان الواثق إذا أراد أن يعرض صنعته على إسحاق نسبها إلى غيره وقال وقع إلينا صوت قديم من بعض العجائز ما سمعه أحد ويأمر من يغنيه إياه وكان إسحاق يأخذ نفسه في ذلك بقول الحق أشد أخذ فإن كان جيدا من
صناعته قرظه ووصفه واستحسنه وإن كان مطرحا أو فاسدا أو متوسطا ذكر ما فيه فربما كان للواثق فيه هوى فيسأله عن تقويمه وإصلاح فساده وربما اطرحه بقول إسحاق فيه إلى أن صنع لحنا في قول الشاعر
(لقد بَخِلت حتى لو أنّي سألتها ... قَذَى العين من ضاحِي التراب لضَنَّتِ)
فأعجب به واستحسنه وأمر المغنين فغنوا فيه وأمر بإشخاص إسحاق إليه من بغداد ليسمعه فكاده مخارق عنده وقال يا أمير المؤمنين إن إسحاق شيطان خبيث داهية وإن قولك له فيما تصنعه هذا صوت وقع إلينا لا يخفى عليه به أن الصوت لك ومن صنعتك ولا يوقع في فهمه أنه قديم فيقول لك وبحضرتك ما يقارب هواك فإذا خرج عن حضرتك قال لنا ضد ذلك فأحفظ الواثق قوله وغاظه وقال له أريد على هذا القول منك دليلا قال أنا أقيم عليه الدليل إذا حضر فلما قدم به وجلس في أول مجلس اندفع مخارق يغني لحن الواثق
(... لقد بَخِلتْ حتَّى لَوَ انّي سألتُها)
فزاد فيه زوائد أفسدت قسمته فسادا شديدا وخفيت على الواثق لكثرة زوائد مخارق في غنائه فسأله الواثق عنه فقال هذا غناء فاسد غير مرضي عندي فغضب الواثق وأمر بإسحاق فسحب حتى أخرج من المجلس فلما كان من الغد قالت فريدة للواثق يا أمير المؤمنين إن إسحاق رجل يأخذ نفسه بقوله الحق في صناعته على كل حال ساءته أو سرته لا يخاف في ذلك ضررا ولا يرجو نفعا وما لك منه عوض وقد كاده مخارق عندك فزاد في صدر الصوت من زوائده التي تعرف وتركه في المصراع الثاني على حاله ونقص من البيت الثاني وقد تبينت ذلك وأنا أعرضه على إسحاق وأغنيه إياه على صحته واسمع ما يقول وما زالت تلطف للواثق حتى رضي عنه وأمر بإحضاره فغنته إياه فريدة كما صنعه الواثق فلما سمعه قال هذا صوت صحيح الصنعة والقسمة والتجزئة وما هكذا سمعته في المرة الأولى ثم
أخبر الواثق عن مواضع فساده حينئذ وأبان ذلك له بما فهمه وغنته فريدة عدة أصوات من القديم والحديث كلها يقول فيها بما عنده من مدح لبعضها وطعن على بعض فاستحسن الواثق ذلك وأجازه يومئذ وحباه وجفا مخارقا مدة لما فعله به
منزلة إسحاق عنده
أخبرني جحظة قال حدثني ابن المكي عن أبيه قال كان الواثق إذا صنع شيئا من الغناء أخبر إسحاق به وعرضه عليه حتى يصلح ما فيه ثم يظهره
وقد أخبرني الحسن بن علي عن يزيد بن محمد المهلبي بهذا الخبر فذكر نحو ما ذكرته ها ههنا وفي ألفاظه اختلاف وقد تقدم ذكره وابتدأناه في أخبار إسحاق والأبيات الثانية التي غنى فيها الواثق وإسحاق أنشدنيها علي بن سليمان الأخفش وعلي بن هارون بن علي بن يحيى جميعا عن هارون بن علي بن يحيى عن أبيه عن إسحاق لأعرابي وأنشدناها محمد بن العباس اليزيدي قال أنشدني أحمد بن يحيى ثعلب لبعض الأعراب
(ألاَ قاتل اللهُ الحمامةَ غُدْوةً ... على الغصن ماذا هَيَّجَتْ حين غَنَّتِ)
(فغَنَّتْ بصوتٍ أعجميٍّ فهيَّجتْ ... هوايَ الذي كانت ضُلوعي أكَنَّتِ)
(فلو قَطَرتْ عين امرئ من صَبابةٍ ... دَماً قطَرتْ عيني دماً وألَمَّتِ)
(فما سكتتْ حتى أوَيتُ لصوتها ... وقلتُ أرى هذِي الحمامةَ جُنَّتِ)
(ولي زَفَراتٌ لو يَدُمْنَ قتَلْنَني ... بشوقٍ إلى نادي التي قد تَولَّتِ)
(إذا قلتُ هذِي زفرةُ اليوم قد مضتْ ... فمَنْ لي بأُخرَى في غدٍ قد أظَلَّتِ)
(أيا مُنْشِرَ الموتَى أعِنّي على التي ... بها نَهِلَتْ نفسي سَقاماً وعَلَّت)
(لقد بَخِلَتْ حتى لَوَ انّي سألتُها ... قَذَى العين من سافِي الترابِ لضَنَّتِ)
(فقلتُ ارْحَلاَ يا صاحبيَّ فليتني ... أرى كلَّ نفس أُعطِيَتْ ما تمنَّت)
((حلَفتْ لها باللّه ما أمُّ واحدٍ ... إذا ذكرتْه آخرَ الليل أَنَّتِ)
(وما وَجْدُ أعرابيّةٍ قَذَفتْ بها ... صروفُ النَّوَى من حيثُ لم تَكُ ظَنَّتِ)
(إذا ذكرتْ ماءَ العِضَاهِ وطِيبَه ... وبطنَ الحَصَى من بطن خَبْت أرَنَّتِ)
(بأعظمَ من وجدي بها غيرَ أنني ... أُجَمْجِمُ أحشائي على ما أجَنَّتِ)

أخبرني جحظة وابن أبي الأزهر ويحيى بن علي والحسين بن يحيى قالوا جميعا أخبرنا حماد بن إسحاق عن أبيه وقد جمعت روايتهم في هذا الخبر وزدت فيه ما نقصه كل واحد منهم حتى كملت ألفاظه قال ما وصلني أحد من الخلفاء بمثل ما وصلني به الواثق وما كان أحد منهم يكرمني إكرامه ولقد غنيته لحني
(لعلّكَ إن طالتْ حياتُك أن تَرى ... بِلاداً بها مَبْدًى لليلَى ومَحْضَرُ)
فاستعاده مني ليلة لا يشرب على غيره ثم وصلني بثلثمائة ألف درهم ولقد قدمت عليه في بعض قدماتي فقال لي ويحك يا إسحاق أما اشتقت إلي فقلت بلى والله يا سيدي وقلت في ذلك أبياتا إن أمرتني أنشدتها قال هات فأنشدته
(أشكو إلى الله بُعْدِي عن خليفتِه ... وما أقاسيه من همٍّ ومن كِبَرِ)
(لا أستطيع رَحيلاً إن هَممتُ به ... يوماً إليه ولا أقوَى على السفر)
(أنوي الرحيلَ إليه ثم يمنَعني ... ما أحْدثَ الدهرُ والأيّامُ في بصري)
ثم استأذنته في إنشاد قصيدة مدحته بها فأذن لي فأنشدته قصيدتي التي أقول فيها
(لمّا أمرتَ بإشخاصي إليك هَوَى ... قلبي حَنيناً إلى أهلي وأولادي)
(ثم اعتزمتُ فلم أحْفِلْ ببَيْنِهِمُ ... وطابتِ النفسُ عن فَضْلٍ وحَمّاد)
(كم نعمةٍ لأبيك الخَيْرِ أفردني ... بها وخَصَّ بأخْرَى بعد إفرادي)
(فلو شكرتُ أياديكم وأنْعُمَكم ... لَمَا أحاط بها وصفي وتَعْدادي)
(لأشكرنَّك ما غار النجومُ وما ... حَدَا على الصُّبْحِ في إثر الدُّجَى حاد)
قال علي بن يحيى خاصة في خبره فقال لي أحمد بن إبراهيم يا أبا الحسن أخبرني لو قال الخليفة لإسحاق أحضر لي فضلا وحمادا أليس كان يفتضح إسحاق يعني من دمامة خلقتهما وتخلف شاهدهما
الواثق وإسحاق في طريقهما إلى النجف
قال إسحاق ثم انحدرت مع الواثق إلى النجف فقلت يا أمير المؤمنين قد قلت في النجف قصيدة فقال هاتها فأنشدته قولي
(يا راكِبَ العِيسِ لا تَعْجَلْ بنا وقفِ ... نُحَيِّ داراً لسُعْدَي ثم ننصرف)
(لم يَنْزِلِ الناسُ في سهلٍ ولا جبلٍ ... أصْفَى هواءً ولا أغْذَى من النَّجَفِ)
(حُفَّتْ ببرٍّ وبحرٍ في جوانبها ... فالبَرُّ في طَرَفٍ والبحرُ في طَرَفِ)
(ما إن يزال نسيمٌ من يَمانِيةٍ ... يأتيك منها بريَّا رَوْضةٍ أُنُفِ)
حتى انتهيت إلى مديحه فقلت وقد انتهيت إلى قولي فيه
(لا يَحْسَبُ الجودَ يُفني مالَه أبداً ... ولا يرى بَذْلَ ما يَحْوي من السَّرَفِ)
فقال لي أحسنت يا أبا محمد فكناني وأمر لي بألف درهم وانحدرنا إلى الصالحية التي يقول فيها أبو نواس
(... فالصالحيّةُ من أكناف كَلْواذا)
وذكرت الصبيان وبغداد فقلت
(أتَبْكِي على بغدادَ وهي قريبةٌ ... فكيف إذا ما ازددتَ منها غداً بُعدا)
(لَعَمْرُكَ ما فارقتُ بغدادَ عن قِلًى ... لَو انّا وجدنا من فِراقٍ لها بُدّا)
(إذا ذَكرتْ بغدادَ نفسي تَقَطّعتْ ... من الشوقِ أو كادت تموت بها وجدا)
(كفى حَزَناً أن رُحْتَ لم تستطع لها ... وَدَاعاً ولم تُحْدِثْ لساكنها عهدا)
فقالت لي يا موصلي لقد اشتقت إلى بغداد فقلت لا والله يا أمير المؤمنين ولكني اشتقت إلى الصبيان وقد حضرني بيتان فقال هاتهما فقلت
(حَنَنتَ إلى الأُصَيْبِيةِ الصِّغار ... وشاقكَ منهمُ قُرْبُ المزَار)
(وكلُّ مُفارِقٍ يزداد شوقاً ... إذا دنت الدِّيار من الديار)
فقال لي يا إسحاق سر إلى بغداد فأقم شهرا مع صبيانك ثم عد إلينا وقد أمرت لك بمائة ألف درهم
أخبرني جحظة عن ابن حمدون أن إسحاق كان يحضر مجالس الخلفاء إذا جلسوا للشرب في جملة المغنين وعوده معه إلى أيام الواثق فإنه كان إذا قدم عليه يحضر مع الجلساء بغير عود ويدنيه الواثق ولا يغني حتى يقول له غن فإذا قال له غن جاؤوه بعود فغنى به وإذا فرغ رفع العود من بين يديه إكراما من الواثق له
أخبرني الحسين بن يحيى عن وسواسة بن الموصلي عن حماد بن إسحاق قال كتب حمدون بن إسماعيل إلى أبي إن أمير المؤمنين الواثق يأمرك أن تصنع لحنا في هذا الشعر
(... لقد بَخِلَتْ حتى لَوَ انّي سألتُها)
وقد كان الواثق غنى فيه غناء أعجبه فغنى فيه أبي فلما سمعه الواثق قال أفسد علينا إسحاق ما كنا أعجبنا به من غنائنا قال حماد ثم لم أعلم أن أبي صنع بعده غناء حتى مات
ومن مشهور أغاني الواثق
صوت
(سقَى العَلَمَ الفردَ الذي في ظِلاَلِه ... غزالان مكحولانِ مؤتلِفانِ)
(أرَغْتُهما خَتْلاً فلم أستطعهما ... ورَمْياً ففاتاني وقد رَمَياني)
ولحنه فيه من الثقيل الأول ولإسحاق فيه رمل
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال أخبرني محمد بن منصور بن علية القرشي قال أخبرني جعفر بن عبيد الله بن جعفر الهاشمي عن إسحاق بن سليمان بن علي قال
لقيت أعرابيا بالسمية فصيحا فاستخففته وتأملته فإذا هو مصفر شاحب ناحل الجسم فاستنشدته فأنشدني الشيء بعد الشيء على استكراه مني له فقلت له ما بالك فوالله إنك لفصيح فقال أما ترى الجبلين قلت بلى قال في ظلالهما والله ما يمنعني من إنشادك ويشغلني ويذهلني عن الناس قلت وما ذاك قال بنت عم لي قد تيمتني وذهبت بعقلي والله إنه لتأتي علي ساعات ما أدري أفي السماء أنا أم في الأرض ولا أزال ثابت العقل ما لم يخامر ذكرها قلبي فإذا خامره بطلت حواسي وعزب عني لبي قلت فما يمنعك منها أقلة ما في يدك قال والله ما يمنعني منها غير ذلك قلت وكم مهرها قال مائة ناقة قلت فأنا أدفعها إليك إذا لتدفعها إليهم قال والله لئن فعلت ذلك إنك لأعظم الناس علي منة فوعدته

بذلك واستنشدته ما قال فيها فأنشدني أشياء كثيرة منها قوله
(سقى العَلَمَ الفردَ الذي في ظلاله ... غَزَالانِ مكحولانِ مؤتلفانِ)
البيتان فقلت له يا أعرابي والله لقد قتلتني بقولك ففاتاني وقد قتلاني وأنا برئ من العباس إن لم أقم بأمرك ثم دعوت بمركوب فركبته وحملت معي الأعرابي فصرنا إلى أبي الجارية في جماعة من أهلي وموالي حتى زوجته إياها وضمنت عنه الصداق واشتريت له مائة ناقة فسقتها عنه وأقمت عندهم ثلاثا ونحرت لهم ثلاثين جزورا ووهبت للأعرابي عشرة آلاف درهم وللجارية مثلها وقلت استعينا بهذا على اتصالكما وانصرفت فكان الأعرابي يطرقنا في كل سنة وامرأته معه فأهب له وأصله وينصرف
غناؤه في شعر حسان
ومن أغانيه أخبرني به ذكاء وجه الرزة عن أحمد بن أبي العلاء عن مخارق وأنه أخذه عنه
صوت
(إنّ التي عاطيتَها فرَدَدْتَها ... قُتِلتْ قُتِلْتَ فهاتِها لم تُقْتَلِ)
(كلتاهما حَلَبُ العَصير فعاطِني ... بزجاجةٍ أرخاهما للمَفْصِلِ)
يروى كلتاهما جلب العصير وحلب العصير ويروى للمفصل وللمفصل والمفصل الواحد من المفاصل والمفصل هو اللسان ذكر ذلك علي بن سليمان الأخفش عن محمد بن الحسن الأحول عن ابن الأعرابي
الشعر لحسان بن ثابت والغناء للواثق خفيف رمل بالبنصر وفيه لإبراهيم الموصلي رمل مطلق في مجرى الوسطى وهذه الأبيات من قصيدة حسان المشهورة التي يمدح بها بني جفنة وأولها
(... أسألتَ رسمَ الدار أم لم تسألِ)
وهي من فاخر المديح منها قوله
(أولادُ جَفْنةَ عند قبرِ أبيهمُ ... قبرِ ابنِ ماريَةَ الكريمِ المُفْضِلِ)
(يَسْقُون مَنْ ورد البَريصَ عليهمُ ... بَرَدَى يُصفَّق بالرَّحيق السَّلْسَلِ)
(بِيضُ الوجوهِ كريمةٌ أنسابُهم ... شُمُّ الأنوفِ من الطِّراز الأوّلِ)
(يُغْشَوْن حتى ما تَهِرُّ كِلابُهم ... لا يَسألون عن السَّواد المُقْبِلِ)
نسخت من كتاب الشاهيني حدثني ابن عليل العنزي قال حدثني أحمد بن عبد الملك بن أبي السمال السعدي قال حدثني أبو ظبيان الحماني قال اجتمعت جماعة من الحي على شراب لهم فتغنى رجل منهم بشعر حسان
((إنّ التي عاطيتَني فرددتُها ... قُتِلَتْ قُتِلْتَ فهاتِها لم تُقتلِ
(كلتاهما حَلَبُ العَصير فعاطِني ... بزجاجةٍ أرخاهما للمَفْصِلِ)
فقال رجل من القوم ما معنى قوله إن التي عاطيتني فجعلها واحدة ثم قال كلتاهما حلب العصير فجعلهما ثنتين فلم يعلم أحد منا الجواب فقال رجل من القوم امرأته طالق ثلاثا إن بات أو يسأل القاضي عبيد الله بن الحسن عن تفسير هذا الشعر قال أبو ظبيان فحدثني بعض أصحابنا السعديين قال فأتيناه نتخطى إليه الأحياء حتى أتيناه وهو في مسجده يصلي بين العشاءين فلما سمع حسنا أوجز في صلاته ثم أقبل علينا وقال ما حاجتكم فبدأ رجل منا كان أحسننا بقية فقال نحن أعز الله القاضي قوم نزعنا إليك من طرف البصرة في حاجة مهمة فيها بعض الشيء فإن أذنت لنا قلنا قال قولوا فذكر يمين الرجل والشعر فقال أما قوله إن التي ناولتني هي الخمرة وقوله قتلت يعني مزجت بالماء وقوله كلتاهما حلب العصير يعني به الخمر ومزاجها فالخمر عصير العنب والماء عصير السحاب قال الله عز وجل (وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا) انصرفوا إذا شئتم
أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني أحمد بن يزيد المهلبي عن أبيه قال غنى مخارق يوما بحضرة الواثق
(حتى إذا الليلُ خَبا ضوءهُ ... وغابتِ الجَوْزاءُ والمِرْزَمُ)
((خرجتُ والوطءُ خَفِيٌّ كما ... ينسابُ من مَكْمَنه الأرقمُ
فاستملح الواثق الشعر واللحن فصنع في نحوه
(قالت إذا الليلُ دَجَا فأْتِنا ... فجئتُها حين دجا الليلُ)
(خَفِيَّ وطءِ الرِّجلِ من حارسٍ ... ولو درَى حلَّ بيَ الويلُ)
ولحنه فيه من الرمل وصنع فيه الناس ألحانا بعده منها لعريب خفيف رمل ومنها ثقيل أول لا أعلم لمن هو وسمعت ذكاء ومحمد بن إبراهيم قريضا يغنيانه وذكرا أنهما أخذاه عن أحمد بن أبي العلاء ولا أدري لمن هو
حدثني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني أبي قال سرت إلى سر من رأى بعد قدومي من الحج فدخلت إلى الواثق فقال بأي شيء أطرفتني من أحاديث الأعراب وأشعارهم فقلت يا أمير المؤمنين جلس إلي فتى من الأعراب في بعض المنازل فحادثني فرأيت منه أحلى ما رأيت من الفتيان منظرا وحديثا وأدبا فاستنشدته فأنشدني
(سقَى العَلَمَ الفَرْدَ الذي في ظِلاله ... غزالان مكحولان مؤتلِفان)
(إذا أمِنَا التفّا بجِيدَيْ تَواصُلٍ ... وطَرْفاهما للرَّيْب مُسترِقان)
(أرغْتُهما خَتْلاً فلم أستطعهما ... ورمياً ففاتاني وقد قتلاني)
ثم تنفس تنفسا ظننت أنه قد قطع حيازيمه فقلت مالك بأبي أنت
فقال إن لي وراء هذين الجبلين شجنا وقد حيل بيني وبين المرور به ونذروا دمي وأنا أتمتع بالنظر إلى الجبلين تعللا بهما إذا قدم الحاج ثم يحال بيني وبين ذلك فقلت له زدني مما قلت في ذلك فأنشدني
(إذا ما وردتَ الماءَ في بعضِ أهله ... حَضُورُ فعرِّض بي كأنّك مازحُ)
(فإنْ سألتْ عنّي حَضُورُ فقُلْ لها ... به غُبَّرٌ من دائه وهو صالح)
فأمرني الواثق فكتبت له الشعرين فلما كان بعد أيام دعاني فقال قد صنع بعض عجائز دارنا في أحد الشعرين لحنا فاسمعه فإن ارتضيته أظهرناه وإن رأيت فيه موضع إصلاح أصلحته فغني لنا من وراء الستار فكان في نهاية الجودة وكذلك كان يفعل إذا صنع شيئا فقلت له أحسن والله صانعه يا أمير المؤمنين ما شاء فقال بحياتي فقلت وحياتك وحلفت له بما وثق به وأمر لي برطل فشربته ثم أخذ العود فغناه ثلاث مرات وسقاني ثلاثة أرطال وأمر لي بثلاثين ألف درهم فلما كان بعد أيام دعاني فقال قد صنع أيضا عندنا في الشعر الآخر وأمر فغني به فكانت حالي فيه مثل الحال في الأول فلما

استحسنته وحلفت له على جودته ثلاث مرات سقاني ثلاثة أرطال وأمر لي بثلاثين ألف درهم ثم قال لي هل قضيت حق هديتك فقلت نعم يا أمير المؤمنين فأطال الله بقاءك وتمم نعمتك ولا أفقدنيها منك وبك ثم قال لكنك لم تقض حق جليسك الأعرابي ولا سألتني معونته على أمره وقد سبقت مسألتك وكتبت بخبره إلى صاحب الحجاز وأمرته بإحضاره وخطبت المرأة له وحمل صداقها إلى قومها عنه من مالي فقبلت يده وقلت السبق إلى المكارم لك وأنت أولى بها من عبدك ومن سائر الناس
نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني
منها الصوتان اللذان في الأخبار المتقدمة
صوت
(حتى إذا الليلُ خَبَا ضوءهُ ... وغابتِ الجَوْزاءُ والمِرْزَمُ)
(أقبلتُ والوطءُ خَفِيٌّ كما ... ينساب من مَكْمَنة الأرقَمُ)
ذكر يحيى المكي أن اللحن لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى البنصر وذكر الهشامي أنه منحول
طرب شيخ فرمى بنفسه في الفرات
فأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار وإسماعيل بن يونس وغيرهما قالوا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم عن ابن كناسة قال
اصطحب شيخ مع شباب في سفينة في الفرات ومعهم مغنية فلما صاروا في بعض الطريق قالوا للشيخ معنا جارية لبعضنا وهي مغنية فأحببنا أن نسمع غناءها فهبناك فإن أذنت لنا فعلنا قال أنا أصعد إلى طلل السفينة فاصنعوا أنتم ما شئتم فصعد وأخذت الجارية عودها فغنت
(حتى إذا الصبحُ بدا ضوءهُ ... وغابت الجَوْزاءُ والمِرْزَمُ)
(أقبلتُ والوطءُ خفيٌّ كما ... ينساب من مَكْمَنه الأرقم)
فطرب الشيخ وصاح ثم رمى بنفسه بثيابه في الفرات وجعل يغوص في الفرات ويطفو ويقول أنا الأرقم أنا الأرقم فألقوا أنفسهم خلفه فبعد لأي ما استخرجوه وقالوا له يا شيخ ما حملك على ما صنعت فقال إليكم عني فإني والله أعرف من معاني الشعر ما لا تعرفون وقال إسماعيل في خبره فقلت له ما أصابك فقال دب شيء من قدمي إلى رأسي كدبيب النمل ونزل في رأسي مثله فلما وردا على قلبي لم أعقل ما عملت
وأما ما في الخبر من الصنعة في قالت إذا الليل دجا فإن لحن الواثق
هو المشهور وما وجدت في كتب الأغاني غيره بل سمعت محمد بن إبراهيم المعروف بقريض وذكاء وجه الرزة يغنيان فيه لحنا من الثقيل الأول المذموم فسألتهما عن صانعه فلم يعرفاه وذكرا جميعا أنهما أخذاه عن أحمد بن أبي العلاء
الواثق أعلم الخلفاء بالغناء
وأخبرني الصولي عن أحمد بن محمد بن إسحاق عن حماد بن إسحاق قال كان الواثق أعلم الخلفاء بالغناء وبلغت صنعته مائة صوت وكان أحذق من غنى بضرب العود قال ثم ذكرها فعد منها
(يفرَح الناسُ بالسَّماعِ وأبكي ... أنا حُزْناً إذا سمعتُ السَّماعا)
(ولها في الفؤاد صَدْعٌ مُقيمٌ ... مثل صَدْعِ الزُّجاجِ أعْيا الصَّنَاعا)
الشعر للعباس بن الأحنف والغناء للواثق خفي ثقيل وفيه لأبي دلف خفيف رمل
ومنها
(ألاَ أيُّها النفسُ التي كادها الهوى ... أفأنتِ إذا رمتُ السُّلُوَّ غَريمي)
(أفِيقي فقد أفنيتِ صبري أو اصبري ... لِما قد لقيته عليَّ ودومي
الشعر والغناء للواثق خفيف رمل
ومنها
(سَقَى العَلَمَ الفردَ الذي في ظلاله ... غزالانِ مكحولان مؤتلِفان)
(أرغتُهما خَتْلاً فلم أستطعْهما ... ورمياً ففاتاني وقد قتلاني)
الغناء للواثق ثقيل أول وفيه لإسحاق رمل وهو من غريب صنعته يقال إنه صنعه بالرقة
ومنها
(كلَّ يومٍ قَطيعةٌ وعِتابُ ... ينقضي دهرُنا ونحن غِضابُ)
(ليت شعري أنَا خُصِصْتُ بهذا ... دون ذا الخلقِ أم كذا الأحبابُ)
(فاصبِرِ النفسَ لا تكونَنْ جَزوعاً ... إنما الحبّ حَسْرةٌ وعذاب)
فيه للواثق رمل ولزرزور ثقيل أول ولعريب هزج
ومنها
(ولم أر لَيْلَى بعد موقف ساعةٍ ... بخَيْفِ منيً ترمي جِمارَ المحصَّب)
(ويُبْدِي الحصَى منها إذا قذَفت به ... من البُرْد أطرافَ البَنان المُخَضَّب)
(فأصبحتُ من ليلَى الغَدَاةَ كناظرٍ ... مع الصبح في أعْقاب نجم مغرِّب)
(ألاَ إنما غادرتِ يا أمَّ مالكٍ ... صَدىً أينما تذهبْ به الريحُ يَذْهب)
الصنعة في هذا الشعر ثقيل أول وهو لحن الواثق فيما أرى ونسبه
حبش وهو قليل التحصيل إلى ابن محرز في موضع وإلى سليم في موضع آخر وإلى معبد في موضع ثالث
ومنها
(أمستْ وُشَاتُكِ قد دَبَّتْ عقاربُها ... وقد رَمَوْكِ بعين الغِشّ وابتَدروا)
(تُريكِ أعينُهم ما في صدورهم ... إنّ الصدور يؤدِّي غيبَها النظر)
الشعر للمجنون والغناء للواثق ثاني ثقيل وفيه لمتيم ثقيل أول وقد نسب لحن كل واحد منهما إلى الآخر
ومنها
(عجبتُ لِسَعْي الدهر بيني وبينها ... فلمّا انقضى ما بيننا سكَن الدهرُ)
(فيا هجرَ لَيْلَى قد بلغتَ بي المَدَى ... وزدتَ على ما لم يكن بلَغ الهجر)

الغناء للواثق رمل وفيه لمعبد ثاني ثقيل بالوسطى ولابن سريج ثقيل أول بالبنصر ولعريب ثقيل أول آخر
ومنها
(كأنّ شخصي وشخصه حَكَيا ... نظامَ نِسْرِينَتَيْنِ في غُصُنِ)
(فليت لَيْلى وليلَه أبداً ... دام ودُمْنا به فلم نَبِن)
الشعر أظنه لعلي بن هشام أو لمراد ولحن الواثق فيه ثقيل أول وفيه لعريب ثقيل أول آخر وفيه لأبي عيسى بن الرشيد ولمتيم لحنان لم يقع إلي جنسهما
ومنها
(اهابُكِ إجلالاً وما بِكِ قدرةٌ ... عليّ ولكن ملءُ عينٍ حَبيبُها)
((وما فارقتْكِ النفسُ يا ليلُ أنها ... قَلَتْكِ ولكن قَلَّ منكِ نصيبُها
لحن الواثق فيه ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى وفيه لغيره لحن
ومنها
(في فمي ماءٌ وهل يَنطِق ... مَنْ في فيه ماءُ)
(أنا مملوكٌ لمملوكٍ ... عليه الرُّقَباءُ)
(كنت حُرًّا هاشميًّا ... فاسترقَّتْني الإماءُ)
(وسِباني مَنْ له كان ... على الكُرْه السِّباءُ)
(أَحْمَدَ اللَّهَ على ما ... ساقه نَحْوي القضاءُ)
(ما بعينيَّ دموعٌ ... أنفد الدمعَ البكاء)
الغناء للواثق رمل
ومنها
(أيُّ عَوْنٍ على الهموم ثلاثُ ... مُتْرَعاتٌ من بعدهنَّ ثلاثُ)
(بعدها أربعٌ تَتِمةُ عَشْرٍ ... لا بطاءٌ لكنهنَّ حِثَاثُ)
فيه رمل ينسب إلى الواثق وإلى متيم
ومنها
(أيا عَبْرة العينين قد ظَمِئ الخدُّ ... فما لكما من أن تُلِمَّا به بُدُّ)
(ويا مُقْلَةً قد صار يُبْغِضها الكَرَى ... كأن لم يكن من قبلُ بينهما وُدّ)
(لئن كان طولُ العهد أحدث سَلْوةً ... فموعدُ بين العين والعَبْرة الوُجْدُ)
(وما أنا إلاّ كالذين تُخُرِّموا ... على أنّ قلبي من قلوبهم فَرْد)
الشعر والغناء للواثق رمل وفيه لأبي حشيشة هزج ذكر ذلك الهشامي
الملقب بالمسك وأخبرني جحظة أنه للمسدود وأخبرني جحظة أن من صنعة أبي حشيشة في شعر الواثق خفيف رمل وهو
(سألتُه حُوَيْجةً فأعرضا ... وعَلِق القلبُ به وَمَرِضَا)
(فاستَلَّ منّي سيفَ عزمٍ مُنْتضى ... فكان ما كان وكابرْنا القَضَا)
قال وفي هذا الشعر أيضا بعينه للواثق رمل ولقلم الصالحية فيه هزج وقد غلط جحظة في هذا الشعر وهو لسعيد بن حميد مشهور وله فيه خبر قد ذكرناه في موضعه
أخبرني عمي عن علي بن محمد بن نصر عن جده ابن حمدون عن أبيه حمدون بن إسماعيل قال كان الواثق يحب خادما له كان أهدي إليه من مصر فغاضبه يوما وهجره فسمع الخادم يحدث صاحبا له بحديث أغضبه عليه إلى أن قال له والله إنه ليجهد منذ أمس على أن أصالحه فما أفعل فقال الواثق في ذلك
(يا ذا الذي بعذابي ظلَّ مفتخرَا ... هل أنت إلاّ مليكٌ جار إذ قَدَرا)
(لولا الهوى لتجازَيْنا على قَدَرٍ ... وإن أفِقْ مَرّةً منه فسوف تَرَى)
قال وغنى الواثق وعلويه فيه لحنين ذكر الهشامي أن لحن الواثق خفيف ثقيل وفي أغاني علويه لحنه في هذا الشعر خفيف رمل
حدثني الصولي قال حدثني ابن أبي العيناء عن أبيه عن إبراهيم بن الحسن ابن سهل قال كنا وقوفا على رأس الواثق في أول مجالسه التي جلسها لما ولي الخلافة فقال من ينشدنا شعرا قصيرا مليحا فحرصت على أن أعمل شيئا فلم يجئني فأنشدته لعلي بن الجهم
(لو تنصَّلتَ إلينا ... لَوَهَبْنا لكَ ذَنْبَكْ)
(ليتني أملِك قلبي ... مثلَما تملِك قلبَكْ)
(أيُّها الواثق بالله ... لقد ناصحتَ ربَّكْ)
(سيِّدي ما أبغض العيشَ ... إذا فارقتُ قُربَكْ)
(أصبحتْ حُجَّتُك العُلْيا ... وحِزبُ الله حِزبَكْ)
فاستحسنها وقال لمن هذه فقلت لعبدك علي بن الجهم فقال خذ ألف دينار لك وله وصنع فيها لحنا كنا نغني به بعد ذلك
أخبرني محمد بني يحيى بن أبي عباد قال حدثني أبي قال لما خرج المعتصم إلى عمورية استخلف الواثق بسر من رأى فكانت أموره كلها كأمور أبيه فوجه إلى الجلساء والمغنين أن يبكروا إليه يوما حدد لهم
ووجه إلى إسحاق فحضر الجميع فقال لهم الواثق إني عزمت على الصبوح ولست أجلس على سرير حتى أختلط بكم ونكون كالشيء الواحد فاجلسوا معي حلقة وليكن كل جليس إلى جانبه مغن فجلسوا كذلك فقال الواثق أنا أبدأ فأخذ عودا فغنى وشربوا وغنى من بعده حتى انتهى إلى إسحاق فأعطي العود فلم يأخذه فقال دعوه ثم غنوا دورا آخر فلما بلغ الغناء إلى إسحاق لم يغن وفعل هذا ثلاث مرات فوثب الواثق فجلس على سريره وأمر بالناس فأدخلوا فما قال لأحد منهم اجلس ثم قال علي بإسحاق فلما رآه قال يا خوزي يا كلب أتنزل لك وأغني وترتفع عني أترى لو أني قتلتك كان المعتصم يقيدني بك أبطحوه فبطح فضرب ثلاثين مقرعة ضربا خفيفا وحلف ألا يغني سائر يومه سواه فاعتذر وتكلمت الجماعة فيه فأخذ العود وما زال يغني حتى انقضى ذلك اليوم وعاد الواثق إلى مجلسه

وجدت في بعض الكتب عن ابن المعتز قال كان الواثق يهوى خادما له فقال فيه
(سأمنع قلبي من مودَّةِ غادر ... تعبَّدني خُبْثاً بمكرٍ مُكاشِرِ)
(خطبتُ إليه الوصل خِطْبَةَ راغبٍ ... فَلاَحظَنِي زَهْواً بِطَرْفِ مُهَاجِرِ)
قال أبو العباس عبد الله بن المعتز وللواثق في هذا الشعر لحن من الثقيل الأول
أخبرني محمد بني يحيى قال حدثني الحسين بن يحيى أبو الحمار قال حدثني عبد أم غلام الواثق قال
دعا بنا الواثق مع صلاة الغداة وهو يستاك فقال خذوا هذا الصوت ونحن عشرون غلاما كلنا يغني ويضرب ثم ألقى علينا
(أشكو إلى الله ما أَلقَى من الكَمَدِ ... حَسْبِي بربيٍّ فلا أشكو إلى أحدِ)
فما زال يردده حتى أخذنا عنه
نسبة هذا الصوت
(أشكو إلى الله ما أَلْقَى من الكَمَدِ ... حَسْبِي بربيٍّ فلا أشكو إلى أحد)
(أين الزمانُ الذي قد كنت ناعمةً ... مُهِلَّةً بِدُنُوِّي منك يا سَنَدِي)
(وأسألُ الله يوماً منكِ يُفْرِحُني ... فقد كَحَلْتِ جُفونَ العين بالسَّهَدِ)
(شوقاً إليكِ وما تَدْرِين ما لقيتْ ... نفسي عليكِ وما بالقلب من كَمَدِ)
الغناء للواثق ثقيل أول بالبنصر وفيه لعريب أيضا ثقيل أول بالوسطى
أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني محمد بن أحمد المكي قال حدثني أبي قال كان الواثق يعرض صنعته على إسحاق فيصلح الشيء بعد الشيء مما يخفى على الواثق فإذا صححه أخرجه إلينا وسمعناه
حدثنا جحظة قال حدثني حماد بن إسحاق قال حدثني مخارق قال لما صنع الواثق لحنه في
(حَوْراءُ مَمْكورَةٌ مُنَعَّمةٌ ... كأنما شفَّ وجهَها نُزُفُ)
وصنع لحنه في سأذكر سربا طال ما كنت فيهم أمرني وعلويه وعريب أن نعارض صنعته فيهما ففعلنا واجتهدنا ثم غنيناه فضحك فقال أمنا معكم أن نجد من يبغض إلينا صنعتنا كما بغض إسحاق إلينا أيا منشر الموتى قال حماد هذا آخر لحن صنعه أبي يعني الذي عارض به لحن الواثق في أيا منشر الموتى
أخبرني جحظة قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال دخلت يوما إلى الواثق وهو مصطبح فقال لي غنني يا إسحاق بحياتي عليك صوتا غريبا لم أسمعه منك حتى أسر به بقية يومي فكأن الله أنساني الغناء كله إلا هذا الصوت
(يا دارُ إن كان البِلَى قد مَحَاكْ ... فإنه يُعْجِبني أن أراكْ)
(أَبْكِي الذي قد كان لي مَأْلَفاً ... فِيكِ فآتِي الدارَ من أجل ذاكْ)
والغناء في هذا اللحن للأبجر رمل بالوسطى عن ابن المكي وهو الصواب وذكر عمرو بن بانة أنه لسليم قال فتبينت الكراهية في وجهه وندمت على ما فرط مني وتجلد فشرب رطلا كان في يده وعدلت عن الصوت إلى غيره فكان والله ذلك اليوم آخر جلوسي معه
وممن حكي عنه أنه صنع في شعره وشعر غيره المنتصر فإني ذكرت ماروي عنه أنه غنى فيه على سوء العهدة في ذلك وضعف
الصنعة لئلا يشذ عن الكتاب شيء قد روي وقد تداوله الناس فمما ذكر عنه أنه غنى فيه
صوت
(سُقِيتُ كأساً كَشَفَتْ ... عن ناظريَّ الخُمُرَا)
(فَنَشَّطَتْنِي ولقد ... كنتُ حزينا خاثِرا)
الشعر للمنتصر وهو شعر ضعيف ركيك إلا أنه يغني فيه
المنتصر متخلف في قول الشعر
وحدثني الصولي عن أحمد بن يزيد المهلبي عن أبيه قال كان طبع المنتصر متخلفا في قول الشعر وكان متقدما في كل شيء غيره فكان إذا قال شعرا صنع فيه وأمر المغنين بإظهاره وكان حسن العلم بالغناء فلما ولي الخلافة قطع ذلك وأمر بستر ما تقدم منه من ذلك صنعته في شعره وهو من الثقيل الأول المذموم
(سُقِيتُ كأساً كَشَفَتْ ... عن ناظريَّ الخُمُرَا)
قال ومن شعره الذي غنى فيه ولحنه ثاني ثقيل
صوت
(متى تَرْفَعُ الأيّامُ مَنْ قد وضعْنَه ... وينقادُ لي دهرٌ عليّ جَمُوحُ)
(أُعَلِّل نفسي بالرجاء وإنني ... لأغدو على ما ساءني وأروحُ)
قال وكان أبي يستجيد هذين البيتين ويستحسنهما ونذكر هاهنا شيئا من أخبار المنتصر في هذا المعنى دون غيره أسوة ما فعلنا في نظرائه
أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني محمد بن يحيى بن أبي عباد قال حدثني أبي قال أراد المنتصر أن يشرب في الزقاق فوافى الناس من كل وجه ليروه ويخدموه فوقف على شاطئ دجلة وأقبل على الناس فقال
(لَعَمْرِي لقد أَصْحرتْ خيلُنا ... بأكناف دِجْلَةَ لِلمَلْعَبِ)
والشعر بأكناف دجلة للمصعب ولكنه غيره لأنه تطير من ذكر المصعب
(فمَنْ يَكُ مِنّا يَبِتْ آمِناً ... وَمَنْ يَكُ من غيرنا يهرُبِ)
قال فعلم أنه يريد الخلوة بالندماء والمغنين فانصرفوا فلم يبق معه إلا من يصلح للأنس والخدمة
حدثني الصولي قال حدثني أحمد بن يزيد المهلبي قال كان أبي أخص الناس بالمنتصر وكان يجالسه قبل مجالسته المتوكل فدخل المتوكل يوما على المنتصر على غفلة فسمع كلامه فاستحسنه فأخذه إليه وجعله في جلسائه وكان المنتصر يريد منه أن يلازمه كما كان فلم يقدر على ذلك لملازمته أباه فعتب عليه لتأخره عنه على ثقة بمودة وأنس به فلما أفضت إليه الخلافة استأذن عليه فحجبه وأمر بأن يعتقل في الدار فحبس أكثر يومه ثم أذن له فدخل وسلم وقبل الأرض بين يديه ثم قبل يده فأمره بالجلوس ثم التفت إلى بنان ابن عمرو وقال له غن وكان العود في يده
(غَدَرْتَ ولم أَغْدِرِ وخُنْتَ ولم أَخُنْ ... ورُمْتَ بَدِيلاً بي ولم أَتَبَدَّلِ)
قال والشعر للمنتصر فغناه بنان وعلم أبي أنه أراده بذلك فقام فقال والله ما اخترت خدمة غيرك ولا صرت إليها إلا بعد إذنك

فقال صدقت إنما قلت هذا مازحا أتراني أتجاوز بك حكم الله عز وجل إذ يقول
(وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما) ثم استأذنه في الإنشاد فأذن له فأنشده
(ألاَ يا قَوْمِ قد بَرِح الخفاء ... وبان الصبرُ منَّي والعزاءُ)
(تَعَجَّبَ صاحبي لضياعِ مِثلي ... وليس لداء محرومٍ دواء)
(جفاني سيّدٌ قد كان بَرًّا ... ولم أُذْنِبْ فما هذا الجفاء)
(حَلَلْتُ بداره وعلمتُ أنّي ... بدارٍ لا يَخيبُ بها الرجاء)
(فلمّا شاب رأسي في ذَرَاه ... حُجِبتُ بعُقْبِ ما بَعُد اللّقاء)
(فإن تَنْأى ستورُ الإذن عنّا ... فما نأتِ المحبّةُ والثناء)
(وإن يَكُ كادني ظلماً عَدُوٌّ ... فعند البحث يَنكشف الغِطاء)
(ألم تر أنّ بالآفاق منّا ... جَماجِمَ حَشْوُ أقْبُرِها الوفاء)
(وقد وَصَفَ الزمانَ لنا زيادٌ ... وقال مقالةً فيها شفاء)
(ألاَ يا رُبَّ مغمومٍ سيَحْظَى ... بدولتنا ومسرورٍ يُساء)
(أمنتصِرَ الخَلائِفِ جُدْتَ فينا ... كما جادت على الأرض السماء)
((وَسِعْتَ الناسَ عدلاً فاستقاموا ... بأحكامٍ عليهنّ الضياء
(وليس يفوتنا ما عِشْتَ خيرٌ ... كفانا أن يطول لك البقاء)
قال فقال له المنتصر والله إنك لمن ذوي ثقتي وموضع اختياري ولك عندي الزلفى فطب نفسا قال ووصلني بثلاثة آلاف دينار
من شعر حسين بن الضحاك في المنتصر
حدثني الصولي قال حدثني عون بن محمد الكندي قال لما ولي المنتصر الخلافة دخل عليه الحسين بن الضحاك فهنأه بالخلافة وأنشده
(تجدَّدتِ الدنيا بِمُلْكِ محمدٍ ... فأهْلاً وسَهْلاً بالزمان المجدَّدِ)
(هي الدولة الغَرّاءُ راحتْ وبَكّرتْ ... مُشَهرةً بالرُّشْد في كل مَشْهَد)
(لَعَمْري لقد شَدَّتْ عُرَا الدِّين بَيْعةٌ ... أعزَّ بها الرحمنُ كلَّ موحِّد)
(هَنَتْكَ أميرَ المؤمنين خلافةٌ ... جمَعَتْ بها أهواءَ أُمّة أحمد)
قال فأظهر إكرامه والسرور به وقال له إن في بقائك بهاء للملك وقد ضعفت عن الحركة فكاتبني بحاجاتك ولا تحمل على نفسك بكثرة الحركة ووصله بثلاثة آلاف دينار ليقضي بها دينا بلغة أنه عليه
قال وقال الحسين بن الضحاك فيه وقد ركب الظهور وراء الناس وهو آخر شعر قاله
(ألاَ ليتَ شِعري أبَدْرٌ بَدَا ... نهاراً أم المَلِكُ المنتصرْ)
(إمامٌ تَضَمَّنُ أثوابُه ... على سَرجِه قمراً من بشرْ)
(حَمى اللهُ دولةَ سلطانِه ... بجُنْدِ القضاءِ وجُنْدِ القَدَرْ)
(فلا زال ما بَقِيتْ مدّةٌ ... يروح بها الدهرُ أو يَبْتَكِرْ)
قال وغنى فيه بنان وعريب
حدثني الصولي قال حدثني أحمد بن يزيد المهلبي قال أول قصيدة أنشدها أبي في المنتصر بعد أن ولي الخلافة
(لَيَهْنِكَ مُلْكٌ بالسعادة طائرُهْ ... مَوَارِدُه محمودةٌ ومَصَادِرُهُ)
(فأنت الذي كنّا نُرَجِّي فلم نَخِبْ ... كما يُرتَجَى من واقع الغيث باكره)
(بمنتصرٍ بالله تَمّتْ أمورُنا ... ومَنْ ينتصرْ بالله فاللهُ ناصره)
فأمر المنتصر عريب أن تغني نشيدا في أول الأبيات وتجعل البسيط في البيت الأخير فعملته وغنته به
حدثني الصولي قال حدثني أحمد بن يزيد قال صلى المنتصر بالناس في الأضحى سنة سبع وأربعين ومائتين فأنشده أبي لما انصرف
(ما استشرف الناسُ عيداً مِثلَ عِيدِهِمِ ... مع الإمامِ الذي بالله ينتصرُ)
(غَدَا يجَمْعٍ كجُنْح الليل يقدمُه ... وجهٌ أغرُّ كما يجلو الدُّجَى القمرُ)
(يَؤُمُّهم صادعٌ بالحق أحْكَمه ... حزمٌ وعلمٌ بما يأتي وما يَذَرُ)
(لو خَيِّر الناسُ فاختاروا لأنفسهم ... أحظَّ منك لِما نالوه ما قدَروا)
قال فأمر له بألف دينار وتقدم إلى ابن المكي أن يغني في الأبيات
حدثني الصولي قال حدثني الحسين بن يحيى قال حدثني بنان بن عمرو المغني قال غنيت يوما بين يدي المنتصر
(هل تَطْمِسون من السماء نجومَها ... بأكُفّكم أو تسترُون هِلالَها)
فقال لي إياك وأن تغني بحضرتي هذا الصوت وأشباهه فما أحب أن أغنى إلا في أشعار آل أبي حفصة خاصة
وممن هذه سبيله في صنعة الغناء المعتز بالله فإني لم أجد له منها شيئا إلا ما ذكره الصولي في أخباره فأتيت بما حكاه للعلة التي قدمتها من أني كرهت أن يخل الكتاب بشيء قد دونه الناس وتعارفوه فمما ذكر أنه غنى فيه
صوت
(لَعَمْري لقد أصْحرتْ خيلُنا ... بأكناف دجْلَةَ للمُصْعَبِ)
(فمَنْ يَكُ مِنّا يَبِتْ آمناً ... ومن يَكُ من غيرنا يَهربِ)
الشعر لعدي بن الرقاع والغناء للمعتز خفيف رمل وهذه الأبيات من قصيدة لعدي يقولها في الوقعة التي كانت بين عبد الملك بن مروان والمصعب ابن الزبير بطسوج مسكن فقتل فيها مصعب بقرية من مسكن يقال لها دير الجاثليق وذكرته الشعراء في هذه الأبيات
(لَعَمْري لقد أصْحرتْ خيلُنا ... بأكناف دِجْلَةَ للمُصْعَبِ)
((يهزُّون كلَّ طويلِ القناةِ ... لَدْنٍ ومعتدلِ الثَّعْلَبِ
(فِداؤك أُمِّي وأبناؤُها ... وإن شئتَ زدتُ عليها أبي)

(وما قلتُها رهبةً إنما ... يَحُلّ العقابُ على المذْنِبِ)
(إذا شئتُ نازلتُ مُسْتقتِلاً ... أُزاحِمُ كالجمل الأجربِ)
(فمن يَكُ منّا يَبِتْ آمِناً ... ومن يَكُ من غيرنا يهرُبِ)

أخبار عدي بن الرقاع ونسبه

هو عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع بن عصر بن عك بن شعل بن معاوية بن الحارث وهو عاملة بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد وأم معاوية بن الحارث عاملة بنت وديعة من قضاعة وبها سموا عاملة ونسبه الناس إلى الرقاع وهو جد جده لشهرته أخبرني بذلك أبو خليفة عن محمد بن سلام

طبقته بين الشعراء

وكان شاعرا مقدما عند بني أمية مداحا لهم خاصا بالوليد بن عبد الملك وله بنت شاعرة يقال لها سلمى ذكر ذلك ابن النطاح وجعله محمد بن سلام في الطبقة الثالثة من شعراء الإسلام وكان منزله بدمشق وهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم وقد تعرض لجرير وناقضه في مجلس الوليد بن عبد الملك ثم لم تتم بينهما مهاجاة إلا أن جريرا قد هجاه تعريضا في قصيدته

(...حَيِّ الهِدَمْلَةَ من ذات المواعِيس)

ولم يصرح لأن الوليد حلف إن هو هجاه أسرجه وألجمه وحمله على ظهره فلم يصرح بهجائه

أخبرني أبو خليفة إجازة قال حدثنا محمد بن سلام قال أخبرني أبو الغراف قال دخل جرير على الوليد بن عبد الملك وهو خليفة وعنده عدي بن الرقاع العاملي فقال الوليد لجرير أتعرف هذا قال لا يا أمير المؤمنين فقال الوليد هذا عدي بن الرقاع فقال جرير فشر الثياب الرقاع قال ممن هو قال العاملي فقال جرير هي التي يقول فيها الله عز وجل (عاملة ناصبة تصلى نارا حامية) ثم قال

(يُقَصِّر باعُ العامليِّ عن النَّدَى ... ولكنَّ أيْرَ العاملّي طويلُ)

فقال له عدي بن الرقاع

(أأمُّكَ كانت أخبرتْك بطُولِه ... أمَ أنت امرؤٌ لم تَدْرِ كيف تقول)

فقال لا بل أدري كيف أقول فوثب العاملي إلى رجل الوليد فقبلها وقال أجرني منه فقال الوليد لجرير لئن شتمته لأسرجنك ولألجمنك حتى يركبك فيعيرك الشعراء بذلك فكنى جرير عن اسمه فقال

(إني إذا الشاعر المغرورُ حرّبني ... جارٌ لقبرٍ على مَرَّانَ مَرْمُوسِ)
(قد كان أشْوَسَ آباءٍ فورَّثنا ... شَغْباً على الناسِ في أبنائه الشُّوسِ)
((أقْصِرْ فإنّ نِزاراً لن يفاضِلَها ... فرعٌ لئيمٌ وأصلٌ غيرُ مغروسِ
(وابن اللَّبُون إذا ما لُزَّ في قَرَنٍ ... لم يَستطعْ صَوْلةَ البُزْلِ القَنَاعِيسِ)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال قال أبو عبيدة

دخل جرير على الوليد بن عبد الملك وعنده عدي بن الرقاع العاملي فقال له الوليد أتعرف هذا قال لا فمن هو قال هذا ابن الرقاع قال فشر الثياب الرقاع فممن هو قال من عاملة قال أمن التي قال الله تعالى فيها (عاملة ناصبة تصلى نارا حامية) فقال الوليد والله ليركبنك لشاعرنا ومادحنا والراثي لأمواتنا تقول هذه المقالة يا غلام علي بإكاف ولجام فقام إليه عمر بن الوليد فسأله أن يعفيه فأعفاه فقال والله لئن هجوته لأفعلن ولأفعلن فلم يصرح بهجائه وعرض فقال قصيدته التي أوليها

(... حَيِّ الهِدَمْلَةَ من ذاتِ المواعِيسِ)

وقال فيها يعرض به

(قد جَرَّبت عَرَكَتِي في كلِّ مُعْتَرَكٍ ... غُلْبُ الأُسودِ فما بالُ الضَّغَابِيسِ)

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني سليمان بن عياش السعدي قال ذكر كثير وعدي بن الرقاع العاملي في مجلس بعض خلفاء بني أمية فامتروا فيهما أيهما أشعر وفي المجلس جرير فقال جرير لقد قال كثير بيتا هو أشهر وأعرف في الناس من عدي بن الرقاع نفسه ثم أنشد قول كثير

((أأن زُمَّ أجمالٌ وفارق جيرةٌ ... وصاح غرابُ البين أنت حزينُ

قال فحلف الخليفة لئن كان عدي بن الرقاع أعرف في الناس من بيت كثير ليسرجن جريرا وليلجمنه وليركبن عدي بن الرقاع على ظهره فكتب إلى واليه بالمدينة إذا فرغت من خطبتك فسل الناس من الذي يقول

(أأن زُمَّ أجمالٌ وفارق جيرةٌ ... وصاح غرابُ البين أنت حزينُ)

وعن نسب ابن الرقاع فلما فرغ الوالي من خطبته قال إن أمير المؤمنين كتب إلي أن أسألكم من الذي يقول

(... أأن زُمَّ أجمالٌ وفارق جيرةٌ)

قال فابتدروا من كل وجه يقولون كثير كثير ثم قال وأمرني أن أسأل عن نسب ابن الرقاع فقالوا لا ندري حتى قام أعرابي من مؤخر المسجد فقال هو من عاملة

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه قال قال لي محمد بن المنجم ما أحد ذكر لي فأحببت أن أراه فإذا رأيته أمرت بصفعه إلا عدي بن الرقاع قلت ولم ذلك قال لقوله

(وعلمتُ حتى ما أُسائل عالماً ... عن علم واحدةٍ لكي أزدَادَها)

فكنت أعرض عليه أصناف العلوم فكلما مر به شيء لا يحسنه أمرت بصفعه

حدثني إبراهيم بن محمد بن أيوب قال حدثنا عبد الله بن مسلم قال

كان عدي بن الرقاع ينزل بالشام وكانت له بنت تقول الشعر فأتاه ناس من الشعراء ليماتنوه وكان غائبا فسمعت بنته وهي صغيرة لم تبلغ دور وعيدهم فخرجت إليهم وأنشأت تقول

(تجمّعتُمُ من كل أوْبٍ وبَلْدةٍ ... على واحدٍ لا زلتُم قِرْنَ واحِدِ)

فأفحمتهم

عدي بن الرقاع شاعر المطية

وقال عبد الله بن مسلم وما ينفرد به ويقدم فيه وصف المطية فإنه كان من أوصف الشعراء لها

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا محمد بن عباد بن موسى قال كنت عند أبي عمرو أعرض أو يعرض عليه

رجل بحضرتي من شعر عدي ابن الرقاع وقرأت أو قرأ هذه الأبيات
(لولا الحياءُ وأنّ رأسيَ قد عَسَا ... فيه المشِيبُ لزُرْتُ أمَّ القاسمِ)
(وكأنها وَسْطَ النساء أعارَها ... عينيه أحْورُ من جآذِرِ جاسِمِ)
(وَسْنانُ أقْصدَه النُّعاسُ فَرَنَّقتْ ... في عِينه سِنَةٌ وليس بنائم)
فقال أبو عمرو أحسن والله فقال رجل كان يحضر مجلسه أعرابي كأنه مدني أما والله لو رأيته مشبوحا بين أربعة وقضبان الدفلى تأخذه لكنت أشد له استحسانا يعني إذا كان يغنى به على العود
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني عبد الله بن أبي سعد عن علي بن المغيرة قال
كان أبو عبيدة يستحسن بيت عدي بن الرقاع
(وَسْنانُ أقْصدَه النُّعاسُ فَرَنَّقتْ ... في عِينه سِنَةٌ وليس بنائم)
جدا ويقول ما قال أحد في مثل هذا المعنى أحسن منه في هذا الشعر وفي هذا الشعر غناء نسبته
صوت
(لولا الحياءُ وأنّ رأسيَ قد عَسَا ... فيه المشِيبُ لزُرْتُ أمَّ القاسِمِ)
(وكأنّها وَسْطَ النساء أعارَها ... عينيه أحْورُ من جآذِرِ جاسِمِ)
(وَسْنانُ أقْصدَه النُّعاسُ فَرَنَّقتْ ... في عِينه سِنَةٌ وليس بنائم)
(ألْمِمْ على طَلَلٍ عَفَا مُتَقادِمِ ... بين الذُّؤَيْبِ وبين غَيْبِ النَّاعِمِ)
عروضه من الكامل الجآذر جمع جؤذر وهي أولاد البقر الوحشية وجاسم موضع ويروى في هذا الشعر عاسم مكان جاسم والوسنان النائم والوسن النوم الواحدة منه سنة والترنيق الدنو من الشيء يريد أن يفعله يقال رنقت العقاب لصيدها إذا دنت منه وترنيقها أيضا أن تقصر عن الخفقان بجناحيها ويقال طير مرنقة إذا جاءت تطير ثم أرادت الوقوع ومدت أجنحتها فلم تخفق وترجحت ويقال للقوم إذا قصروا في سيرهم وللسابح إذا قصر في الخفق بيديه ورجليه قد رنقوا ترنيقا الشعر لعدي بن الرقاع والغناء لابن مسجح خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق وفيه ثقيل أول بالبنصر ينسب إليه أيضا وذكر الهشامي أنه من منحول يحيى بن المكي إليه
أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني محمد بن عبد الله المعروف بالحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو قال
كنت عند أبي ورجل يقرأ عليه شعر عدي بن الرقاع فلما قرأ عليه القصيدة التي يقول فيها
(لولا الحياءُ وأنّ رأسيَ قد عَسَا ... فيه المشيبُ لزرتُ أمَّ القاسم)
قال أبي أحسن والله عدي بن الرقاع قال وعنده شيخ مدني جالس فقال الشيخ والله لئن كان عدي أحسن لما أساء أبو عباد قال أبي ومن هو أبو عباد قال معبد والله لو سمعت لحنه في هذا الشعر لكان طربك أشد واستحسانك له أكثر فجعل أبي يضحك
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن جرير عن محمد بن سلام قال عزل الوليد بن عبد الملك عبيدة بن عبد الرحمن عن الأردن وضربه وحلقه وأقامه للناس وقال للمتوكلين به من أتاه متوجعا وأثنى عليه فأتوني به فأتى عدي بن الرقاع وكان عبيدة إليه محسنا فوقف عليه وأنشأ يقول
(فما عزَلوك مسبوقاً ولكنْ ... إلى الخيرات سَبَّاقاً جَوَادَا)
(وكنتَ أخي وما ولدتْك أُمّي ... وَصُولاً باذلاً لي مسترادا)
(وقد هِيضتْ لِنَكْبتك القُدامَى ... كذاك الله يفعل ما أراد)
فوثب المتوكلون به إليه فأدخلوه إلى الوليد وأخبروه بما جرى فتغيظ عليه الوليد وقال له أتمدح رجلا قد فعلت به ما فعلت فقال يا أمير المؤمنين إنه كان إلي محسنا ولي مؤثرا وبي برا ففي أي وقت كنت أكافئه بعد هذا اليوم فقال صدقت وكرمت فقد عفوت عنك وعنه لك فخذه وانصرف فانصرف به إلى منزله
رأي جرير فيه
أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أحمد بن يحيى ثعلب قال قال نوح بن جرير لأبيه يا أبت من أنسب الشعراء قال له أتعني ما
قلت قال إني لست أريد من شعرك إنما أريد من شعر غيرك قال ابن الرقاع في قوله
(لولا الحياء وأنّ رأسيَ قد عَسَا ... فيه المشيب لزُرْتُ أمَّ القاسم)
الثلاثة الأبيات ثم قال لي ما كان يبالي أن لم يقل بعدها شيئا
أخبرني الحسن بن علي عن هارون بن محمد بن عبد الملك عن أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني قال قال جرير سمعت عدي بن الرقاع ينشد
(... تُزْجِي أغَنَّ كأنَّ إبرةَ رَوْقِه)
فرحمته من هذا التشبيه فقلت بأي شيء يشبهه ترى فلما قال
(... قلمٌ أصاب من الدَّواةِ مِدادَها)
رحمت نفسي منه
أخبرني اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله عن ابن حبيب عن أبي عبيدة قال مال روح بن زنباع الجذامي إلى يزيد بن معاوية لما فصل بين الخطبتين فقال يا أمير المؤمنين ألحقنا بإخوتنا من معد فإنا معديون والله ما نحن من قصب الشأم و من زعاف اليمن فقال يزيد إن أجمع قومك على ذلك جعلناك حيث شئت فبلغ ذلك عدي بن الرقاع فقال
(إنَّا رَضِينا وإن غابت جماعتُنا ... ما قال سيِّدُنا رَوْحُ بن زِنْباعِ)
(يرعَى ثمانين ألفاً كان مثلُهمُ ... مّما يُخالفِ أحياناً على الرَّاعي)
قال فبلغ ناتل بن قيس الجذامي فجاء يركض فرسه حتى دخل
المقصورة في الجمعة الثانية فلما قام يزيد على المنبر وثب فقال أين الغادر الكاذب روح بن زنباع فأشاروا إلى مجلسه فأقبل عليه وعلى يزيد ثم قال يا أمير المؤمنين قد بلغني ما قال لك هذا وما نعرف شيئا منه ولا نقر به ولكنا قوم من قحطان يسعنا ما يسعهم ويعجز عنا ما يعجز عنهم فأمسك روح ورجع عن رأيه فقال عدي بن الرقاع في ذلك
(أضلالُ ليلٍ ساقطٍ أكنافُه ... في الناس أعْذَرُ أم ضَلالُ نهار)

(قَحْطانُ والدُنا الذي نُدْعَى له ... وأبو خُزَيْمةَ خِنْدِفُ بن نِزار)
(أنبيع والدَنا الذي نُدْعَى له ... بأبي مَعَاشِرَ غائبٍ مُتواري)
(تلك التجارةُ لا زَكَاءَ لمثلها ... ذهبٌ يباع بآنُكٍ وإبار)
فقال له يزيد غيرت يابن الرقاع قال إن ناتلا والله علي أعزهما سخطا وأنصحهما لي ولعشيرتي قال أبو عبيدة الإبار جمع إبرة
عدي بن الرقاع وابن سريج في حضرة الوليد
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن جده إبراهيم أن الأحوص وابن سريج قدما المدينة فنزلا في بعض الخانات ليصلحا من شأنهما وقد قدم عدي بن الرقاع وكانت هذه حاله فنزل عليهما فلماكان في بعض الليل أفاضوا في الأحاديث فقال عدي بن الرقاع لابن سريج والله لخروجنا كان إلى أمير المؤمنين أجدى علينا من المقام معك يا مولى بن نوفل قال وكيف ذلك قال لأنك توشك أن تلهينا فتشغلنا عما قصدنا له فقال له ابن سريج أو قلة شكر أيضا فغضب عدي وقال إنك لتمن علينا أن نزلنا
عليك وإني أعاهد الله ألا يظلني وإياك سقف إلا أن يكون بحضرة أمير المؤمنين وخرج من عندهما وقدم الوليد من باديته فأذن لهما فدخلا وبلغه خبر ابن الرقاع وماجرى بينه وبين ابن سريج فأمر بابن سريج فأخفي في بيت ودعا بعدي فأدخله فأنشده قصيدة امتدحه بها فلما فرغ أومأ إلى بعض الخدم فأمر ابن سريج فغنى في شعر عدي بن الرقاع يمدح الوليد
(عَرَف الديارَ تَوَهُّماً فاعتادها ... من بعدِ ما شَمِل البِلَى أبلادَها)
فطرب عدي وقال لا والله ما سمعت يا أمير المؤمنين بمثل هذا قط ولا ظننت أن يكون مثله طيبا وحسنا ولولا أنه في مجلس أمير المؤمنين لقلت طائف من الجن أيأذن لي أمير المؤمنين أن أقول قال قل قال مثل هذا عند أمير المؤمنين وهو يبعث إلى ابن سريج يتخطى به قبائل العرب فيقال ابن سريج المغني مولى بني نوفل بعث أمير المؤمنين إليه فضحك ثم قال للخادم أخرجه فخرج فلما رآه عدي أطرق خجلا ثم قال المعذرة إلى الله وإليك يا أخي فما ظننت أنك بهذه المنزلة وإنك لحقيق أن تحتمل على كل هفوة وخطيئة فأمر لهم الوليد بمال سوى بينهم فيه ونادمهم يومئذ إلى الليل
نسبة هذا الصوت المذكور في هذا الخبر وسائر ما مضى في أخبار عدي قبله من الأشعار التي فيها غناء
صوت
(عَرَف الديارَ تَوَهُّماً فاعتادها ... من بعدِ ما شَمِل البِلَى أبلادَها)
(إلاّ رَوَاكِدَ كلُّهن قد اصطَلى ... حمراءَ أشْعَل أهلُها إيقادَها)
عروضه من الكامل الشعر لعدي بن الرقاع والغناء لابن محرز خفيف ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق
أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثني أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثني العمري عن الهيثم بن عدي قال أنشد عدي بن الرقاع الوليد بن عبد الملك قصيدته التي أولها
(... عرَف الديارَ تَوَهُّماً فاعتادها)
وعنده كثير وقد كان يبلغه عن عدي أنه يطعن على شعره ويقول هذا شعر حجازي مقرور إذا أصابه قر الشأم جمد وهلك فأنشده إياها حتى أتى على قوله
(وقصيدةٍ قد بِتُّ أجمع بينها ... حتى أقوِّمَ مَيْلَها وسِنَادَها)
فقال له كثير لو كنت مطبوعا أو فصيحا أو عالما لم تأت فيها بميل ولا سناد فتحتاج إلى أن تقومها ثم أنشد
(نَظَرَ المثقِّف في كُعوب قَناته ... حتى يُقيمَ ثِقافُه مُنْآدَها)
فقال له كثير لا جرم أن الأيام إذا تطاولت عليها عادت عوجاء ولأن تكون مستقيمة لا تحتاج إلى ثقاف أجود لها ثم أنشد
(وعلمتُ حتى ما أُسائل واحداً ... عن علم واحدةٍ لكي أزدادَها)
فقال كثير كذبت ورب البيت الحرام فليمتحنك أمير المؤمنين بأن يسألك عن صغار الأمور دون كبارها حتى يتبين جهلك وما كنت قط أحمق منك الآن حيث تظن هذا بنفسك فضحك الوليد ومن حضر وقطع بعدي بن الرقاع حتى ما نطق
أخبار المعتز في الأغاني ومع المغنين وما جرى هذا المجرى
حدثني محمد بني يحيى الصولي قال حدثني علي بن محمد بن نصر قال حدثني جدي حمدون بن إسماعيل قال اصطبح المعتز في يوم ثلاثاء ونحن بين يديه ثم وثب فدخل واعترضته جارية كان يحبها ولم يكن ذلك اليوم من أيامها فقبلها وخرج فحدثني بما كان وأنشدني لنفسه في ذلك
صوت
(إني قَمَرْتُكَ يا سؤلي ويا أمَلي ... أمراً مُطاعاً بلا مَطْلٍ ولا عِلَلِ)
(حتّى متى يا حبيبَ النفس تَمطُلني ... وقد قمرتك مرَّاتٍ فلم تَفِ لي)
(يومُ الثلاثاء يومٌ سوف أشكره ... إذ زارني فيه مَنْ أهوى على عَجَلِ)
(فلم أنَلْ منه شيئاً غَيرَ قُبْلته ... وكان ذلك عندي أعظمَ النَّفَلِ)
قال وعمل فيه لحن خفيف وشربنا عليه سائر يومنا الغناء في هذه الأبيات لعريب رمل عن الهشامي ولأبي العبيس في الثالث والرابع هزج
أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني أحمد بن يزيد المهلبي قال حدثني أبي قال
كان المعتز يشرب على بستان مملوء من النمام وبين النمام شقائق النعمان فدخل إليه يونس بن بغا وعليه قباء أخضر فقال المعتز
صوت
(شبّهْتُ حُمرةَ خدّه في ثوبه ... بشقائق النُّعمان في النَّمّامِ)
ثم قال أجيزوا فابتدر بنان المغني وكان ربما عبث بالبيت بعد البيت فقال
(والقَدُّ منه إذا بدا في قَرْطَقٍ ... كالغصن في لِينٍ وحسن قَوامِ)
فقال له المعتز فغن فيه الآن فعمل فيه لحنا لحن بنان في هذين البيتين من خفيف الثقيل الثاني وهو الماخوري
أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني محمد بن يحيى بن أبي عباد قال حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك قال شرب المعتز ويونس بن بغا بين يديه يسقيه والجلساء والمغنون بين يديه وقد أعد الخلع والجوائز إذ دخل بغا فقال يا أمير المؤمنين والدة عبدك يونس في الموت وهي تحب أن تراه فأذن له فخرج وفتر المعتز ونعس بعده وقام الجلساء وتفرق

المغنون إلى أن صليت المغرب وعاد المعتز إلى مجلسه ودخل يونس وبين يديه الشموع فلما رآه المعتز دعا برطل فشربه وسقى يونس رطلا وغناه المغنون وعاد المجلس أحسن ما كان فقال المعتز
صوت
(تَغِيبُ فلا أَفْرَحُ ... فليْتَك ما تَبْرَحُ)
(وإنْ جِئتَ عَذَّبتَني ... بأنّك لا تَسْمِحِ)
(فأصبحتُ ما بين ذَيْن ... لي كبد تُجْرَحُ)
(على ذاك يا سيّدي ... دُنُوُّك لي أصلَحُ)
ثم قال غنوا فيه فجعلوا يفكرون فقال المعتز لسليمان بن القصار الطنبوري ويلك ألحان الطنبور أملح وأخف فغن فيه أنت فغنى فيه لحنا فدفع إليه دنانير الخريطة وهي مائة دينار مكية ومائتان مكتوب على كل دينار منها ضرب هذا الدينار بالجوسق بخريطة أمير المؤمنين المعتز بالله ثم دعا بالخلع والجوائز لسائر الناس فكان ذبلك المجلس من أحسن المجالس
لحن سليمان بن القصار في هذه الأبيات رمل مطلق
حدثني الصولي قال حدثني محمد بن عبد السميع الهاشمي قال حدثني أبي قال لما قتل بغا دخلنا فهنأنا المعتز بالظفر فاصطبح ومعه يونس بن بغا وما رأينا قط وجهين اجتمعا أحسن من وجهيهما فما مضت ثلاث ساعات حتى سكر ثم خرج علينا المعتز فقال
(ما إنْ تَرَى مَنْظَراً إن شئتَه حسناً ... إلاّ صَريعاً يُهَادَى بين سُكْرَين)
(سُكْرُ الشراب وسكرٍ من هَوَى رَشَأٍ ... تخاله والذي يَهْواهُ غُصْنَين)
ثم أمر فتغنى فيه بعض المغنين
حدثني الصولي قال حدثني أحمد بن محمد بن إسحاق الخراساني قال حدثني الفضل بن العباس بن المأمون قال كنت مع المعتز في الصيد فانقطع عن الموكب وأنا ويونس بن بغا معه ونحن بقرب قنطرة وصيف وكان هناك دير فيه ديراني يعرفني وأعرفه نظيف ظريف مليح الأدب واللفظ فشكا المعتز العطش فقلت يا أمير المؤمنين في هذا الدير ديراني أعرفه خفيف الروح لا يخلو من ماء بارد أفترى أن نميل إليه قال نعم فجئناه فأخرج لنا ماء باردا وسألني عن المعتز ويونس فقلت فتيان من أبناء الجند فقال بل مفلتان من حور الجنة فقلت له هذا ليس في دينك فقال هو الآن في ديني فضحك المعتز فقال لي الديراني أتأكلون شيئا قلت نعم فأخرج شطيرات وخبزا وإداما نظيفا فأكلنا أطيب أكل وجاءنا بأطراف أشنان فاستظرفه المعتز وقال لي قل له فيما بينك وبينه من تحب أن يكون معك من هذين لا يفارقك فقلت له فقال كلاهما وتمرا فضحك المعتز حتى مال على حائط الدير فقلت للديراني لا بد من أن تختار فقال الاختيار والله في هذا دمار وماخلق الله عقلا يميز بين هذين ولحقهما الموكب فارتاع الديراني فقال له المعتز بحياتي لا تنقطع عما كنا فيه فإني لمن ثم مولى ولمن هاهنا صديق فمزحنا ساعة ثم أمر له بخمسمائة ألف درهم فقال والله ما أقبلها إلا على شرط قال وما هو قال يجيب أمير المؤمنين دعوتي مع من أراد قال ذلك لك فأتعدنا ليوم جئناه فيه فلم يبق غاية وأقام للموكب كله ما احتاج إليه وجاءنا بأولاد النصارى يخدموننا ووصله المعتز يومئذ صلة سنية ولم يزل يعتاده ويقيم عنده

ولي الخلافة وهو صغير

حدثني الصولي قال حدثنا عبد الله بن المعتز قال بويع للمعتز بالخلافة وله سبع عشرة سنة كاملة وأشهر فلما انقضت البيعة قال
(تَوَحَّدكَ الرحمنُ بالعز والعُلاَ ... فأنت على كل الأنام أميرُ)
هكذا ذكر الصولي في قافية الشعر ووجدته في أغاني بنان مرفوع القافية وله فيه صنعة ولعل المعتز قال البيت فأضاف بنان إليه آخر وجعل المخاطبة عن نفسه للمعتز فقال
صوت
(تَوحَّدني الرحمنُ بالعزِّ والعُلاَ ... فأصبحتُ فوق العالمين أميرَا)
(تُقاتِلُ عنك التُّرْكُ والخَزْرُ كلُّها ... كأنّهُم أُسْدٌ لهنّ زَئيرُ)
الغناء لبنان لحنان خفيف ثقيل وخفيف رمل ومما قاله المعتز وغنى فيه قوله ذكر الصولي أن عبد الله بن المعتز أنشده إياه لأبيه
صوت
(ألاَ حيِّ الحبيبَ فَدَتْه نفسي ... بكأسٍ من مُدامة خَانِقِينَا)
(فإنيّ قد بَقِيتُ مع الليالي ... أُقاسي الهمَّ في يده سِنينا)
الغناء فيه لعريب خفيف رمل ولبنان هزج
وممن ذكر أن له صنعة من الخلفاء المعتمد
قال محمد بن يحيى الصولي ذكر عبد الله بن المعتز عن القاسم بن زرزور أن المعتمد ألقى عليه لحنا صنعه في هذا الشعر وهو
(ليس الشّفِيعُ الذي يأتيكَ مُؤْتزرا ... مثلَ الشّفيع الذي يأتيكَ عُرْيانَا)
الشعر للفرزدق والغناء للمعتمد ولحنه فيه خفيف ثقيل هذه حكاية الصولي
وفي غناء عريب لها في هذا البيت خفيف ثقيل ولا أعلم لمن هو منهما على صحة إلا أن المشهور في أيدي الناس أنه لعريب ولم اسمع للمعتمد غناء إلا من هذه الجهة التي ذكرتها

ذكر أخبار الفرزدق في هذا الشعر خاصة دون غيره

لأن أخباره كثيرة جدا فكرهت أن أثبتها هاهنا في غناء مشكوك فيه فذكرت نسبه وخبره في هذا الشعر خاصة وأخباره تأتي بعد هذا في موضع مفرد يتسع لطول أحاديثه
الفرزدق لقب غلب عليه واسمه همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة ابن مالك بن زيد مناة بن تميم
وهو وجرير والأخطل أشعر طبقات الإسلاميين والمقدم في الطبقة الأولى منهم وأخباره تذكر مفردة في موضع آخر يتسع لها ونذكر هاهنا خبره في هذا المعنى فأخبرني خبره في ذلك جماعة فممن أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهري

قال حدثنا عمر بن شبة وأخبرني به أبو خليفة إجازة عن محمد بن سلام وأخبرني به محمد بن العباس اليزيدي عن السكري عن محمد بن حبيب عن أبي عبيدة وابن الأعرابي قال عمر بن شبة خاصة في خبره حدثني محمد بن يحيى قال حدثني أبي أن عبد الله بن الزبير تزوج تماضر بنت منظور بن زبان وأمها مليكة بنت خارجة بن سنان بن أبي حارثة فخاصم الفرزدق امرأته النوار إلى ابن الزبير هكذا ذكر محمد بن يحيى ولم يذكر السبب في الخصومة وذكرها عمر بن شبة ولم يروها عن أحد وذكرها ابن حبيب عن أصحابه وذكرها
أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة أن رجلا من بني أمية خطب النوار بنت أعين المجاشعية فرضيته وجعلت أمرها إلى الفرزدق فقال لها أشهدي لي بذلك على نفسك شهودا ففعلت واجتمع الناس لذلك فتكلم الفرزدق ثم قال اشهدوا أني قد تزوجتها وأصدقتها كذا وكذا فأنا ابن عمها وأحق بها فبلغ ذلك النوار فأبته واستترت من الفرزدق وجزعت ولجأت إلى بني قيس بن عاصم المنقري فقال فيها
(بَني عاصمٍ لا تُلْجِئوها فإنكم ... مَلاجِيءُ للسَّوْءات دُسْمُ العمائِم)
(بني عاصمٍ لو كان حيًّا أبوكُم ... لَلاَمَ بَنِيه اليومَ قيسُ بن عاصم)
فقالوا والله لئن زدت على هذين البيتين لنقتلنك غيلة فنافرته إلى عبد الله بن الزبير وأرادت الخروج إليه فتحامى الناس كراءها ثم إن رجلا من بني عدي يقال له زهير بن ثعلبة وقوما يعرفون ببني أم النسير أكروها فقال الفرزدق
(ولولا أن تقول بنو عدِيٍّ ... أليستْ أمَّ حَنْظَلَةَ النَّوارُ)
(أتتكم يا بني مِلْكانَ عنِّي ... قوافٍ لا تُقَسِّمها التِّجارُ)
يعني بالنوار هاهنا بنت جل بن عدي بن عبد مناة وهي أم حنظلة بن مالك بن زيد مناة وهي إحدى جداته وقال فيها أيضا
(سرَى بالنَّوار عَوْهَجِيٌّ يَسوقُه ... عُبَيْدٌ قَصِيرُ الشِّبْرِ نائي الأقاربِ)
(تؤمُّ بلادَ الأمن دائبةَ السُّرَى ... إلى خير والٍ من لُؤَيِّ بن غالب)
(فدونكَ عِرْسِي تبتغي نَقْضَ عُقْدتي ... وإبطالَ حقِّي باليمين الكواذب)
وقال أيضا
(ولولا أنّ أمِّي من عَدِيٍّ ... وأني كارهٌ سُخْطَ الرِّباب)
(إذاً لأتَى الدواهِي من قَريبٍ ... جزاءً غيرَ مُنْصَرِف العِقاب)
(وصُلْتُ على بني مِلْكانَ منِّي ... بجيشٍ غيرِ مُنْتَظَرِ الإياب)
وقال لزهير أيضا
(لبئسَ العِبْءُ يحمله زُهَيرٌ ... على أعجاز صِرْمته نَوارُ)
(لقد أهْدتْ وليدتُنا إليكم ... عوائرَ لا تقسِّمها التِّجَار)
وقال لبني أم النسير
(لَعمْري لقد أرْدَى النَّوارَ وساقها ... إلى الغَوْر أحلامٌ خِفافٌ عقولُها)
(أطاعت بني أمِّ النُّسيرِ فأصبحتْ ... على قَتَبٍ يعلو الفَلاةَ دليلُها)
(وقد سَخِطتْ مِنِّي النَّوارُ الذي ارتضَى ... به قبلها الأزواجُ خابَ رَحِيلُها)
(وإن امرأً أمسى تخبِّبُ زوجتي ... كماشٍ إلى أُسْدِ الشَّرَى يستبيلها)
(ومن دون أبوالِ الأسود بِسالةٌ ... وبَسْطةُ أيدٍ يمنَع الضَّيمَ طُولُها)
(وإنّ أمير المؤمنين لعالمٌ ... بتأويلِ ما أوْصَى العبادَ رسولها)
(فدونكها يابن الزُّبير فإنها ... مولَّعةٌ يُوهي الحجارةَ قِيلُها)
فلما قدمت مكة نزلت على بنت منظور بن زبان واستشفعت بها إلى
زوجها عبد الله وانضم الفرزدق إلى حمزة بن عبد الله بن الزبير وأمه بنت منظور هذه ومدحه فقال
(أصبحتُ قد نزلتِ بحمْزَةَ حاجتي ... إنَّ المنوّه باسمِه الموثوقُ)
الأبيات وقال فيه أيضا
(يا حَمْزُ هل لك في ذي حاجة غَرِضتْ ... أنضاؤه بمكانٍ غير ممطور)
(فأنت أحْرَى قريشٍ أن تكون لها ... وأنت بين أبي بَكْرٍ ومنظور)
(بين الحَوَاريِّ والصِّدِّيقِ في شُعَبٍ ... نَبَتْنَ في طيِّبِ الإسلامِ والخِير)
هذه الأبيات كلها من رواية أبي زيد خاصة قالوا جميعا وقال في النوار
(هَلُمِّي لابن عمِّك لا تكوني ... كمختارٍ على الفرسِ الحِمارا)
وقال فيها أيضا
(تُخاصمُني النَّوَارُ وغاب فيها ... كرأس الضَّبِّ يلتمس الجرادا)
قال أبو زيد في خبره خاصة فجعل أمر الفرزدق يضعف وأمر النوار يقوى وقال الفرزدق
(أمّا بَنُوه فلم تُقْبَلْ شفاعتهم ... وشفعت بنتَ منظور بن زَبَّانَا)
صوت
(ليس الشَّفِيعُ الذي يأتيكَ مُؤْتزراً ... مثلَ الشَّفيع الذي يأتيك عُرْيانَا)
غنت في هذا البيت عريب خفيف ثقيل أول بالبنصر فبلغ ابن الزبير هذا فدعا النوار فقال إن شئت فرقت بينكما وقتلته فلا يهجونا أبدا وإن شئت سيرته إلى بلاد العدو فقالت ما أريد واحدة منهما قال فإنه ابن عمك وهو فيك راغب أفأزوجه إياك قالت نعم فزوجه إياها فكان الفرزدق يقول خرجنا متباغضين ورجعنا متحابين
أخبرني أحمد قال حدثني عمر بن شبة قال قال عثمان بن سليمان
شهدت الفرزدق يوم نازع النوار فتوجه القضاء عليه فأشفق من ذلك وتعرض لابن الزبير بكلام أغضبه وكان ابن الزبير حديدا فقال له ابن الزبير أيا ألأم الناس وهل أنت وقومك إلا جالية العرب وأمر به فأقيم وأقبل علينا فقال إن بني تميم كانوا وثبوا على البيت قبل الإسلام بمائة وخمسين سنة فاستلبوه وأجمعت العرب عليها لما انتهكت ما لم ينتهكه أحد قط فأجلتها من أرض تهامة فلما كان في طائفة من ذلك اليوم لقيني الفرزدق فقال هيه أيعيرنا ابن الزبير جلاءنا عن البيت اسمع ثم قال
(فإن تَغْضَبْ قريشٌ ثم تغضبْ ... فإنّ الأرض ترعاها تميمُ)

(همُ عَدَدُ النجوم وكلُّ حيٍّ ... سواهم لا تُعَدُّ لهم نجوم)
(فلولا بنتُ مُرٍّ من نِزارٍ ... لَمَا صحَّ المنَابتُ والأديم)
(بها كثر العَديدُ وطابَ منكم ... وغيركُم أحدُّ الرِّيشِ هِيم)
(فمهلاً عن تذلُّلِ مَنْ عَزَزْتُم ... بِخُولَتِه وعَزَّ به الحَميم)
(أعبدَ الله مهلاً عن أذَاتي ... فإنِّي لا الضعيف ولا السَّؤوم)
(ولكنِّي صَفاةٌ لم تُؤَبَّس ... تَزلُّ الطيرُ عنها والعُصُوم)
((أنا ابن العاقر الخُور الصَّفَايَا ... بصَوأَرَ حيث فُتِّحت العُكوم
وذكر الزبير بن بكار عن عمه أن عبد الله بن الزبير لما حكم على الفرزدق قال إنما حكمت علي بهذا لأفارقها فتثب عليها وأمر به فأقيم وقال له ما قال في بني تميم قال ثم خرج عبد الله بن الزبير إلى المسجد فرأى الفرزدق في بعض طرق مكة وقد بلغته أبياته التي قالها فقبض ابن الزبير على عنقه فكاد يدقها ثم قال
(لقد أصبحتْ عِرسُ الفرزدق ناشِزاً ... ولو رضيتْ رَمْحَ استِه لاستقرّتِ)
قال الزبير وهذا الشعر لجعفر بن الزبير
أخبرنا أبو خليفة قال أخبرنا ابن سلام قال أخبرنا إبراهيم بن حبيب الشهيد قال قال ابن الزبير للفرزدق ما حاجتك بها وقد كرهتك كن لها أكره وخل سبيلها فخرج وهو يقول ما أمرني بطلاقها إلا ليثب عليها فبلغ ذلك ابن الزبير فخرج وقد استهل هلال ذي الحجة ولبس ثياب الإحرام يريد البيت الحرام فألفى الفرزدق بباب المسجد عند الباعة فأخذ بعنقه فغمزها حتى جعل رأسه بين ركبتيه وقال
((لقد أصبحتْ عِرسُ الفرزدق ناشِزاً ... ولو رضيتْ رَمْحَ استِه لاستقرَّتِ
قال الزبير وهذا البيت لجعفر بن الزبير
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة عن محمد بن يحيى عن أبيه قال لما قال الفرزدق في ابن الزبير
(أمّا بنوه فلم تُقْبَلْ شفاعتُهم ... وشُفِّعتْ بنتُ منظور بن زَبَّانَا)
قال جعفر بن الزبير
(ألا تِلْكُمُ عِرْسُ الفرزدقِ جامِحاً ... ولو رضيتْ رمحَ استِه لاستقرَّتِ)
فقال عبد الله بن الزبير أتجزرنا كلبا من كلاب بني تميم لئن عدت لم أكلمك أبدا
قال وتماضر التي عناها الفرزدق أم خبيب وثابت ابني عبد الله بن الزبير وماتت عند عبد الله فتزوج أختها أم هاشم فولدت له هاشما وحمزة وعبادا
قال وفي أم هاشم يقول الفرزدق يستعينها على ابن الزبير ويشكو طول مقامه
(تروَّحتِ الرُّكْبانُ يا أمَّ هاشم ... وهنَّ مُناخَاتٌ لهنّ حَنينُ)
(وخُيِّسْنَ حتى ليس فيهنّ نافِقٌ ... لبَيْعٍ ولا مركوبُهن سَمِينُ)
قال وهذا يدل على أن النوار كانت استعانت بأم هاشم لا بتماضر
فلما أذنت النوار لعبد الله في تزويجها بالفرزدق حكم لها عليه بمهر
مثلها عشرة آلاف درهم فسأل هل بمكة أحد يعينه فدل على سلم بن زياد وكان ابن الزبير حبسه فقال فيه
(دَعِي مُغْلِقِي الأبوابِ دون فَعالهم ... ومُرِّي تَمَشَّيْ بي هُبِلْتِ إلى سَلْمِ)
(إلى من يرى المعروفَ سَهْلاً سبيلُه ... ويفعل أفعالَ الكرام التي تَنْمي)
ثم دخل على سلم فأنشده فقال له هي لك ومثلها نفقتك ثم أمر له بعشرين ألفا فقبضها فقالت له زوجته أم عثمان بنت عبد الله بن عثمان بن أبي العاصي الثقفية أتعطي عشرين ألفا وأنت محبوس فقال
(ألاَ بَكرت عِرْسِي تَلُوم سَفاهةً ... على ما مضَى منِّي وتأمر بالبخل)
(فقلت لها والجودُ منِّي سَجِيَّةٌ ... وهل يمنع المعروفَ سُؤّاله مثلي)
(ذَريني فإنّي غير تاركِ شِيمتي ... ولا مُقْصِرٍ عن السَّماحةِ والبَذْلِ)
(ولا طاردٍ ضَيْفِي إذا جاء طارقاً ... فقد طرَقَ الأضيافُ شَيْخِيَ من قبلي)
(أأبخَلَ إنَّ البخل ليس بمُخْلِدٍ ... ولا الجُود يُدْنِيني إلى الموت والقتل)
(أبِيع بني حَرْبٍ بآل خُوَيْلِدٍ ... وما ذاكَ عند الله في البيع بالعدل)
(وأشْرِي ابنَ مروان الخليفةَ طائعا ... بنَجْلِ بني العَوَّام قُبِّح من نَجْلِ)
(فإن تَظْهروا لي البخلَ آلَ خُوَيلدٍ ... فما دَلُّكم دَلِّي ولا شَكْلُكم شكلي)
(وإن تَقْهَروني حيث غابت عَشيرتي ... فمن عَجَبِ الأيام أن تَقْهَروا مثلي)
لم تحسن النوار عشرته فتزوج عليها
قال دماذ في خبره ثم اصطلحا ورضيت به وساق إليها مهرها ودخل بها وأحبلها قبل أن تخرج من مكة ثم خرج بها وهما عديلان في محمل فكانت لا تزال تشاره وتخالفه لأنها كانت صالحة حسنة الدين وكانت تكره كثيرا من أمره فتزوج عليها حدراء بنت زيق بن بسطام بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن عبد الله بن عمرو بن الحارث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان فتزوجها على مائة من الإبل فقالت له النوار ويلك تزوجت أعرابية دقيقة الساقين بوالة على عقبيها على مائة بعير فقال الفرزدق يفضلها عليها ويعيرها أنها كانت تربيها أمة
(لَجاريةٌ بين السَّلِيل عُروقُها ... وبين أبي الصَّهْباء من آل خالد)
(أحقُّ بإغلاء المُهور من التي ... ربتْ وهي تَنْزو في حُجور الولائد)
ومدحها أيضا فقال
(عَقِيلةٌ من بني شَيْبانَ ترفعها ... دَعائمٌ للعُلاَ من آل هَمّام)
(من آل مُرَّةَ بين المُستضاء بهم ... من رَهْطِ صيدٍ مَصَاليتٍ وحُكّام)
(بين الأحَاوص من كَلبٍ مُرَكَّبُها ... وبين قيس بن مسعودٍ وبسْطام)
وقال أيضا يمدحها ويعرض بالنوار
((لعَمْري لأعرابيّةٌ في مِظَلّة ... تَظَلُّ بأعلى بيتها الرِّيحُ تَخْفُقُ
(كأُمِّ غَزالٍ أو كدُرَّةِ غائص ... إذا ما أتَتْ مثلَ الغمامة تُشْرِق)

(أحبُّ إلينا من ضِنَاكٍ ضِفِنَّة ... إذا وُضِعتْ عنها المراوحُ تَعْرَق)
فقال بعض باهلة يجيبه
(أعوذ بالله من غُولٍ مُغَوِّلةٍ ... كأنّ حافرَها في الحدِّ ظُنْبُوبُ)
(تَسْتَرْوحُ الشاةَ من مِيلٍ إذا ذُبِحَت ... حُبَّ اللِّحامِ كما يَسْتَرْوحُ الذِّيبُ)
وأغضب الفرزدق النوار بمدحه إياها فقالت والله لأخزينك يا فاسق وبعثت إلى جرير فجاءها فقالت ألا ترى ما قال لي الفاسق وشكت إليه فقال
(فلا أنا مُعْطِي الحُكْمِ عَن شِفِّ مَنْصِبٍ ... ولا عن بنات الحَنْظَلِيّين راغبُ)
(وهنّ كماءِ المُزْنِ يُشْفَى به الصَّدَى ... وكانت مِلاحاً غيرَهُنَّ المشاربُ)
(لقد كنتَ أهلاً أن تَسُوقَ دِيَاتِكم ... إلى آلِ زِيقٍ أن يَعِيبَك عائب)
(وما عَدَلَتْ ذاتُ الصَّلِيبِ ظعينةً ... عُتَيْبةُ والرِّدْفانِ منها وحاجب)
(ألاَ رُبَّما لم نُعْطِ زيقاً بحُكْمِه ... وأدَّى إلينا الحُكْمَ والغُلُّ لازبُ)
(حَوَيْنا أبا زِريقٍ وزِيقاً وعمَّه ... وجَدَّةُ زِيقٍ قد حوتْها المَقَانِبُ)
فأجابه الفرزدق بقصيدة منها
(ألستَ إذ القَعْساء أَنْسَلَ ظَهرُها ... إلى آل بِسْطامِ بن قيس بخاطبِ)
(فنَلْ مثلَها من مثلهم ثم لُمْهمُ ... بملْكك من مالٍ مُرَاحٍ وعازب)
(فلو كنتَ من أكفاء حَدْراءَ لم تَلُمْ ... على دارميٍّ بين ليلى وغالب)
(وإني لأخشى إن خطبتَ إليهمُ ... عليك التي لاقى يَسَارُ الكواعب)
يسار كان عبدا لبني ددانة فأراد مولاته على نفسها فنهته مرة بعد مرة وألح فوعدته فجاء فقالت له إني أريد أن أبخرك فإن رائحتك متغيرة فوضعت تحته مجمرة وقد أعدت له حديدة حادة فأدخلت يدها فقبضت على ذكره وهو يرى أن ذلك لشيء فقطعته بالموسى فقالت صبرا على مجامر الكرام فذهبت مثلا عاد الشعر
(ولو قَبِلوا منّي عَطِيَّةَ سُقْتُه ... إلى آلِ زِيقٍ من وَصِيفٍ مُقَارِبِ)
(همُ زَوَّجوا قبلي ضِراراً وأَنْكَحوا ... لَقِيطاً وهم أكفاؤنا في المَناسب)
(ولو تُنكِح الشمسُ النجومَ بناتِها ... إذاً لنكحناهنّ قبل الكواكب)
وقال جرير
(يا زيقُ أَنْكحتَ قَيْناً باستِه حَمَمٌ ... يا زيقُ وَيْحَكَ مَنْ أَنْكحتَ يا زيقُ)
(غاب المثنَّى فلم يَشْهَدْ نَجِيَّكما ... والحَوْفَزانُ ولم يشهَدْك مفروقُ)
(أين الأُلَى أنْزلوا النعمانَ مُقْتَسَراً ... أم أين أبناءُ شَيْبَانَ الغَرَانِيقُ)
(يا رُبَّ قائلةٍ بعد البِناء بها ... لا الصِّهْرُ راضٍ ولا ابنُ القَيْنِ معشوق)
وقال الفرزدق لجرير في هذا
(إن كان أنفُك قد أعْيَاك مَحْمَلُه ... فاركبْ أتانَك ثم اخطُبْ إلى زيق)
قال ولامه الحجاج وقال أتزوجت ابنة نصراني على مائة ناقة قال وما هي في جود الأمير قال فاشترى الإبل وساقها فلما كان في بعض الطريق ومعه أوفى بن خنزير أحد بني التيم بن شيبان بن ثعلبة دليله رأى كبشا مذبوحا فقال يا أوفى هلكت والله حدراء قال مالك بذلك من علم فلما بلغ قال له بعض قومها هذا البيت فانزل وأما حدراء فهلكت وقد عرفنا الذي يصيبكم في دينكم من ميراثها وهو النصف فهو لك عندنا فقال لا والله لا أرزأ منه قطميرا وهذه صدقتها فاقبضوها فقال يا بني دارم والله ما صاهرنا أكرم منكم قال وفي هذه القصة يقول الفرزدق
(عجِبتُ لحادِينا المقحِّمِ سيره ... بنا مُوجَفاتٍ من كَلاَل وظُلَّعَا)
(ليُدْنِيَنَا ممن إلينا لقاؤه ... حبيبٌ ومن دارٍ أَرَدْنَا لتجمَعا)
(ولو يعلم الغَيْبَ الذي مِنْ أمامِنا ... لكرَّ بنا حادِي المطيِّ فأسرَعا)
(يقولون زُرْ حَدْراءَ والتُّربُ دونَها ... وكيف بشيءٍ وصلُه قد تقطَّعا)
(وما مات عند ابن المَرَاغة مثلُها ... ولا تبعتْه ظاعناً حيث ودَّعا)
(يقول ابنُ خِنْزِيرٍ بكيتَ ولم تكن ... على امرأةٍ عيَنا أخيك لتدْمَعا)
(وأهونُ رُزْءٍ لامرئٍ غيرِ جازعٍ ... رَزِيَّةُ مُرْتَجِّ الرَّوادِفِ أَفْرَعا)
وقال ابن سلام فيما أخبرنا به أبو خليفة عنه قال حدثني حاجب بن زيد وأبو الغراف قالا تزوج الفرزدق حدراء بنت زيق بن بسطام بن قيس بن مسعود بن قيس ابن خالد بن ذي الجدين وهو عبد الله بن عمرو بن الحارث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان على حكم أبيها فاحتكم مائة من الإبل فدخل علىالحجاج فعذله فقال أتزوجتها على حكمها وحكم أبيها مائة بعير وهي نصرانية وجئتنا متعرضا أن نسوقها عنك اخرج ما لك عندنا شيء فقال عنبسة بن سعيد بن العاصي وأراد نفعه أيها الأمير إنها من حواشي إبل الصدقة فأمر بها فوثب عليه جرير فقال
(يا زيقُ قد كنتَ من شَيْبَان في حَسَبٍ ... يا زيقُ وَيْحَكَ مَنْ أَنْكحتَ يا زيقُ)
(أَنْكحتَ وَيْحَكَ قَيْناً باستِه حَمَمٌ ... يا زيقُ وَيْحَكَ هل بارتْ بكَ السُّوقُ)
ثم ذكر باقي القصيدة بمثل رواية دماذ
قال ابن سلام وأراد الفرزدق أن تحمل فاعتلوا عليه وقالوا ماتت كراهة أن يهتك جرير أعراضهم فقال جرير
(وأقْسِم ما ماتتْ ولكنّه الْتَوَى ... بحدْراءَ قومٌ لم يَرَوْك لها أهلاَ)
(رأوا أن صِهْرَ القَيْنِ عارٌ عليهمُ ... وأن لِبسطامٍ على غالبٍ فضلا)
(إذا هي حلَّتْ مُسْحُلانَ وحاربتْ ... بشَيْبان لاقى القومُ من دونها شُغْلا)
وحدراء هذه هي التي ذكرها الفرزدق في أشعاره ومن ذلك قوله
صوت
(عَزَفْتَ بأَعْشاشٍ وما كِدْتَ تَعْزُفُ ... وأنكرتَ من حَدْراءَ ما كنتَ تعرفُ)
(ولَجَّ بك الهِجْرانُ حتى كأنَّما ... ترى الموتَ في البيت الذي كنتَ تألَفُ)
عروضه من الطويل عزفت عن الشيء انصرفت عنه عزف يعزف عزوفا الشعر للفرزدق والغناء لسلسل ثاني ثقيل

بالوسطى وفيه لحن للغريض من الثقيل الأول بالبنصر من رواية حبش
الفرزدق وابن أبي بكر بن حزم
أخبرني علي بن سليمان الأخفش ومحمد بن العباس اليزيدي قالا حدثنا أبو سعيد السكري قال حدثنا محمد بن حبيب وأبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال قال اليربوعي قال إبراهيم بن محمد بن سعد بن أبي وقاص الزهري قدم الفرزدق المدينة في إمارة أبان بن عثمان قال فإني والفرزدق وكثيرا لجلوس في
المسجد نتناشد الأشعار إذ طلع علينا غلام شخت آدم في ثوبين ممصرين أي مصبوغين بصفرة غير شديدة ثم قصد نحونا حتى جاء إلينا فلم يسلم فقال أيكم الفرزدق فقلت مخافة أن يكون من قريش أهكذا تقول لسيد العرب وشاعرها فقال لو كان كذلك لم أقل هذا له فقال له الفرزدق ومن أنت لا أم لك قال رجل من بني الأنصار ثم من بني النجار ثم أنا ابن أبي بكر بن حزم بلغني أنك تزعم أنك أشعر العرب وتزعم مضر ذلك لك وقد قال صاحبنا حسان شعرا فأردت أن أعرضه عليك وأؤجلك سنة فإن قلت مثله فأنت أشعر العرب وإلا فأنت كذاب منتحل ثم أنشده قول حسان
(لنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بالضُّحَى ... وأسيافُنا يَقْطُرْنَ من نَجْدةٍ دَمَا)
(مَتَى ما تَزُرْنا من مَعَدٍّ عِصابةٌ ... وغسّانَ نَمْنَع حَوْضَنا أن يُهَدَّمَا)
قيل إن قوله وغسان هاهنا قسم أقسم به لأن غسان لم تكن تغزوهم مع معد
(أبَى فعلُنا المعروفَ أن نَنْطِق الخَنَا ... وقائلنا بالعُرْف إلاّ تكَلُّما)
(ولَدْنا بني العَنْقاءِ وابنَيْ مُحَرِّقٍ ... فأكْرِمْ بنا خالاً وأكْرِمْ بنا ابنَمَا)
فأنشده القصيدة إلى آخرها وقال له إني قد أجلتك بها حولا ثم انصرف وانصرف الفرزدق مغضبا يسحب رداءه ما يدري أي طريق يسلك حتى خرج من المسجد قال فأقبل كثير علي فقال قاتل الله الأنصاري ما أفصح لهجته وأوضح حجته وأجود شعره قال فلم نزل في حديث الفرزدق والأنصاري بقية يومنا حتى إذا كان الغد خرجت من منزلي إلى مجلسي الذي كنت فيه بالأمس وأتاني كثير فجلس معي فإنا لنتذاكر الفرزدق ونقول ليت شعري ما فعل إذ طلع علينا في حلة أفواف يمانية موشاة له غديرتان حتى جلس في مجلسه بالأمس ثم قال ما فعل الأنصاري قال فنلنا منه وشتمناه فقال قاتله الله ما رميت بمثله ولا سمعت بمثل شعره فارقتكما فأتيت منزلي فأقبلت أصعد وأصوب في كل فن من الشعر فلكأني مفحم أو لم أقل قط شعرا حتى نادى المنادي بالفجر فرحلت ناقتي ثم أخذت بزمامها فقدتها حتى أتيت ذبابا ثم ناديت بأعلى صوتي أخاكم أبا لبنى وقال سعدان أبا ليلى فجاش صدري كما يجيش المرجل ثم عقلت ناقتي وتوسدت ذراعها فما قمت حتى قلت مائة وثلاثة عشر بيتا فبينا هو ينشدنا إذ طلع علينا الأنصاري حتى انتهى إلينا فسلم ثم قال أما إني لم آتك لأعجلك عن الأجل الذي وقته لك ولكني أحببت ألا أراك إلا سألتك عما صنعت فقال اجلس ثم أنشده
(... عزَفْتَ بأعْشاشٍ وما كِدْتَ تَعزفُ)
فلما فرغ الفرزدق من إنشاده قام الأنصاري كئيبا فلما توارى طلع أبوه وهو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم في مشيخة من الأنصار فسلموا علينا وقالوا يا أبا فراس قد عرفت حللنا ومكاننا من رسول الله ووصيته بنا وقد بلغنا أن سفيها من سفهائنا تعرض لك فنسألك بالله لما حفظت فينا وصية النبي ووهبتنا له ولم تفضحنا قال إبراهيم بن محمد فأقبلت أكلمه أنا وكثير فلما أكثرنا عليه قال اذهبوا فقد وهبتكم لهذا القرشي قال وقد كان جرير قال
(ألاَ أيُّها القلبُ الطَّروبُ المُكَلَّفُ ... أفِقْ ربَّما ينأى هواكَ ويُسْعِفُ)
(ظَلِلتَ وقد خَبَّرْتَ أن لستَ جازعاً ... لِرَبْع بسُلْمَانَيْنِ عَيْنُك تَذْرِفُ)
فجعل الفرزدق هذه القصيدة نقيضة لها
نسبة ما في هذا الخبر من الأصوات
صوت
منها
(لنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بالضُّحَى ... وأسيافُنا يَقْطُرْنَ من نَجْدةٍ دمَا)
(ولَدْنا بني العَنْقاءِ وابنَيْ مُحَرِّقٍ ... فأكْرِمْ بنا خالاً وأكْرِمْ بنا ابنَمَا)
عروضه من الطويل الشعر لحسان بن ثابت والغناء لمعبد خفيف ثقيل أول بالبنصر عن عمرو بن بانة
النابغة وحسان بسوق عكاظ
أخبرني عمي الحسن بن محمد قال حدثني محمد بن سعد الكراني عن أبي عبد الرحمن الثقفي وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة وأخبرنا إبراهيم بن أيوب الصائغ عن ابن قتيبة أن نابغة بني ذبيان كان تضرب له قبة من أدم بسوق عكاظ يجتمع إليه فيها الشعراء فدخل إليه حسان بن ثابت وعنده الأعشى وقد أنشده شعره وأنشدته الخنساء قولها
قَذىً بعينِكِ أم بالعينِ عُوّارُ ...) حتى انتهت إلى قولها)
(وإنّ صخراً لتأتمُّ الهُداةُ به ... كأنه عَلَمٌ في رأسه نارُ)
(وإنّ صخراً لمولانا وسيِّدُنا ... وإن صخراً إذا نَشْتُو لَنحّارُ)
فقال لولا أن أبا بصير أنشدني قبلك لقلت إنك أشعر الناس أنت
والله أشعر من كل ذات مثانة قالت الله ومن كل ذي خصيتين فقال حسان أنا والله أشعر منك ومنها قال حيث تقول ماذا قال حيث أقول
(لنا الجَفَناتُ الغُرّ يَلْمَعْنَ بالضُّحَى ... وأسيافُنا يَقْطُرْنَ من نَجْدةٍ دَمَا)
(ولَدْنا بني العَنْقاءِ وابنَيْ مُحَرِّقٍ ... فأكْرِمْ بنا خالاً وأكْرِمْ بنا ابنَمَا)
فقال إنك لشاعر لولا أنك قللت عدد جفانك وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك وفي رواية أخرى فقال له إنك قلت الجفنات فقللت العدد ولو قلت الجفان لكان أكثر وقلت يلمعن في الضحى ولو قلت يبرقن بالدجى لكان أبلغ في المديح لأن الضيف بالليل أكثر طروقا وقلت يقطرن من نجدة دما فدللت على قلة القتل ولو قلت يجرين لكان أكثر لانصباب الدم وفخرت بمن ولت ولم تفخر بمن ولدك فقام حسان منكسرا منقطعا
مما يغنى فيه من قصيدة الفرزدق الفائية قوله
صوت
(تَرَى الناسَ ما سِرْنا يَسيِرُون خَلْفَنا ... وإن نحن أَوْمَأْنا إلى الناس وَقَّفُوا)

فيه رمل بالوسطى يقال إنه لابن سريج وذكر الهشامي أنه من منحول يحي المكي
أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني أبو مسلمة موهوب بن رشيد الكلابي قال وقف الفرزدق على جميل والناس مجتمعون عليه وهو ينشد
(تَرَى الناسَ ما سِرْنا يَسيرُون خَلْفَنا ... وإن نحن أوْمَأنا إلى الناس وَقَّفُوا)
فأشرع إليه رأسه من وراء الناس وقال أنا أحق بهذا البيت منك قال أنشدك الله يا أبا فراس فمضى الفرزدق وانتحله
الفرزدق وكثير والبيت المسروق
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير قال حدثني أبي عن جدي أن الفرزدق لقي كثيرا فقال له ما أشعرك يا كثير في قولك
(أُريد لأنسَى ذكرَها فكأنّما ... تَمثَّلُ لي لَيْلَى بكلّ سبيل)
فعرض له بسرقته إياه من جميل
(أريد لأنسى ذكرها فكأنّما ... تمثَّلُ لي لَيْلَى على كلِّ مَرْقَبِ)
فقال له كثير أنت يا فرزدق أشعر مني في قولك
(تَرَى الناسَ ما سِرْنا يَسيرُون خَلْفَنا ... وإن نحن أوْمَأنا إلى الناس وَقَّفوا)
قال وهذا البيت لجميل سرقه الفرزدق فقال الفرزدق لكثير هل كانت أمك ترد البصرة قال لا ولكن أبي كان نزيلا لأمك
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عمران عن محمد بن عبد العزيز عن ابن شهاب عن طلحة بن عبد الله بن عوف قال لقي الفرزدق كثيرا بقارعة البلاط وأنا وهو نمشي فقال له الفرزدق يا أبا صخر أنت أنسب العرب حيث تقول
(أريد لأنْسَى ذكرَها فكأنّما ... تَمثَّلُ لي ليلى بكلِّ سبيلِ)
قال وأنت يا أبا فراس أفخر العرب حيث تقول
(تَرَى الناسَ ما سِرْنا يَسيرُون خَلْفَنا ... وإن نحن أوْمَأنا إلى الناس وَقَّفوا)
قال عبد العزيز وهذان البيتان جميعا لجميل سرق أحدهما الفرزدق وسرق الآخر كثير فقال له الفرزدق يا أبا صخر هل كانت أمك
ترد البصرة قال لا ولكن أبي كان كثيرا يردها قال طلحة فوالذي نفسي بيده لقد تعجبت من كثير وجوابه وما رأيت أحدا قط أحمق منه لقد دخلت عليه يوما في نفر من قريش وكنا كثيرا نهزأ به وكان يتشيع تشيعا قبيحا فقلنا له كيف تجدك يا أبا صخر فقال بخير هل سمعتم الناس يقولون شيئا قلت نعم يتحدثون أنك الدجال قال والله إن قلت ذلك إني لأجد في عيني هذه ضعفا منذ أيام
ولجرير قصيدة يناقض بها هذه القصيدة في أولها غناء نسبته
(ألاَ أيُّها القلبُ الطَّرُوبُ المكلَّفُ ... أفِقْ رُبَّما يَنْأَى هواك ويُسعِفُ)
(ظَلِلْتَ وقد خَبَّرتَ أنْ لستَ جازعاً ... لربْعٍ بِسُلْمانَيْن عينُك تَذْرِفُ)
الشعر لجرير والغناء لمحمد بن الأشعث الكوفي ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو بن بانة وقال حبش فيه ثقيل أول بالوسطى وليس ذلك بصحيح
رجع الحديث إلى سياقة حديث الفرزدق والنوار
قال دماذ وتزوج الفرزدق على النوار امرأة من اليرابيع وهم بطن من النمر بن قاسط حلفاء لبني الحارث بن عباد القيني وقد انتسبوا فيهم فقالت له النوار وما عسى أن تكون القينية فقال
(أرتك نجومَ اللّيلِ والشمسُ حيَّةٌ ... زِحامُ بناتِ الحارث بن عُبادا)
(نساءٌ أبوهنّ الأغرُّ ولم تكن ... من الحُتِّ في أجبالها وهَدَادِ)
(ولم يكن الجَوْفُ الغموضُ مَحَلَّها ... ولا في الهِجَارِيِّين رَهْطِ زِيادِ)
(أبوها الذي أدْنَى النَّعامةَ بعدما ... أبَتْ وائلٌ في الحرب غيرَ تَمَادِ)
يعني بأبيها الذي أدنى النعامة الحارث بن عباد وأراد قوله
(...قرِّبا مَربِطَ النَّعامةِ منّي)
((عدلتُ بها مَيْلَ النَّوَار فأصبحتْ ... مُقاربةً لي بعد طول بعادِ
(وليست وإنْ أنبأتُ أنّي أحِبُّها ... إلى دَارِمِيّات النِّجار جيادِ)
وقال أبو عبيدة حدثني أعين بن لبطة قال تزوج الفرزدق مضارة للنوار امرأة يقال لها رهيمة بنت غنيم بن درهم من اليرابيع قوم من النمر بن قاسط في بني الحارث بن عباد وأمها الحميضة من بني الحارث فنافرته الحميضة فاستعدت عليه فأنكرها الفرزدق وقال أنا منها بريء وطلق ابنتها وقال
(إنّ الحميضة كانت لي ولابنتِها ... مِثلَ الهَرَاسةِ بين النَّعل والقَدَمِ)
(إذا أتتْ أهلَها منّي مُطَلَّقةً ... فلن أرُدَّ عليها زَفْرَةَ النَّدمِ)
مضى الحديث ولم أجد لأحد من الخلفاء الذين ذكرتهم والذين لم أذكرهم بعد الواثق صنعة يعتد بها إلا المعتضد فإنه صنع صنعة متقنة عجيبة أبرت على صنعة سائر الخلفاء سوى الواثق وفضل فيها أكثر أهل الزمان الذي نشأ فيه وإنما ذكرت صنعة من بينهما لأنها قد رويت فأما حقيقة الغناء الجيد فليس بينهما مثلهما وذكر عبيد الله بن عبد الله بن طاهر صنعة المعتضد فقرظها وقال لم أجد لحنا قديما قد جمع من النغم ما جمعه لحن ابن محرز في شعر مسافر بن أبي عمرو وهو
(يا مَنْ لِقَلْبٍ مُقْصِرِ ... تَركَ المُنَى لفواتها)
فإنه جمع من النغم العشر ثمانيا ولحن ابن محرز أيضا في شعر كثير
(توهَّمتُ بالخَيْف رَسْماً مُحِيلاَ ... لِعزَّةَ تَعْرِفُ منه الطُّلُولا)
وهو أيضا يجمع ثمانيا من النغم وقد تلطف بعض من له دربة وحذق بهذه الصناعة حتى جمع النغم العشر في هذا الصوت الأخير متوالية وجمعها في صوت آخر غير متوالية وهو في شعر ابن هرمة
((فإنَّكِ إذ أطمعتِني منكِ بالرضا ... وأيأستِني من بعد ذلك بالغضبْ
وأعجب من ذلك ما عمله أمير المؤمنين المعتضد بالله فإنه صنع في رجز دريد بن الصمة يا ليتني فيها جذع لحنا من الثقيل الأول يجمع النغم العشر فأتى به مستوفى الصنعة محكم البناء صحيح الأجزاء والقسمة مشبع المفاصل كثير

الأدوار لاحقا بجيد صنعة الأوائل وإنما زاد فضله على من تقدمه لأنه عمله في ضرب من الرجز قصير جدا واستوفى فيه الصنعة كلها على ضيق الوزن فصار أعجب مما تقدمه إذ تلك عملت في أوزان تامة وأعاريض طوال يتمكن الصانع فيها من الصنعة ويقتدر على كثرة التصرف وليس هذا الوزن في تمكنه من ذلك فيه مثل تلك
نسبة هذا اللحن
صوت
(يا ليتني فيها جَذَعْ ... أخُبُّ فيها وأَضَعْ)
(أقُود وَطْفاءَ الزَّمَعْ ... كأنها شاةٌ صَدَعْ)
الشعر لدريد بن الصمة والغناء للمعتضد ولحنه ثقيل أول يجمع النغم العشر
بسم الله الرحمن الرحيم
أخبار المنخل ونسبه
هو المنخل بن عمرو ويقال المنخل بن مسعود بن أفلت بن عمرو بن كعب بن سواءة بن غنم بن حبيب بن يشكر بن بكر بن وائل
وذكر أبو محلم النسابة أنه المنخل بن مسعود بن أفلت بن قطن بن سوءة بن مالك بن ثعلبة بن حبيب بن غنم بن حبيب بن كعب بن يشكر وقال ابن الأعرابي هو المنخل بن الحارث بن قيس بن عمرو بن ثعلبة بن عدي بن جشم بن حبيب بن كعب بن يشكر
اتهمه النعمان بامرأته المتجردة فقتله
شاعر مقل من شعراء الجاهلية وكان النعمان بن المنذر قد اتهمه بامرأته المتجردة وقيل بل وجده معها وقيل بل سعي به إليه في أمرها فقتله وقيل بل حبسه ثم غمض خبره فلم تعلم له حقيقة إلى اليوم فيقال إنه دفنه حيا ويقال إنه غرقه والعرب تضرب به المثل كما تضربه بالقارظ العنزي
وأشباهه ممن هلك ولم يعلم له خبر وقال ذو الرمة
(تُقارب حتى تُطمِعَ التابعَ الصِّبا ... وليست بأدنى من إياب المنخّل)
وقال النمر بن تولب
(وقَوْلِي إذا ما أُطلقوا عن بعيرهم ... تلاقونه حتى يؤوبَ المنخّلُ)
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال أخبرني أحمد بن زهير قال أخبرني عبد الله بن كريم قال أخبرني أبو عمرو الشيباني قال
كان سبب قتل المنخل أن المتجردة واسمها ملوية وقيل عند بنت المنذر بن الأسود الكلبية كانت عند ابن عمر لها يقال له حلم وهو الأسود بن المنذر بن حارثة الكلبي وكانت أجمل أهل زمانها فرآها المنذر بن المنذر الملك اللخمي فعشقها فجلس ذات يوم على شرابه ومعه حلم وامرأته المتجردة فقال المنذر لحلم إنه لقبيح بالرجل أن يقيم على المرأة زمانا طويلا حتى لا يبقى في رأسه ولا لحيته شعرة بيضاء إلا عرفتها فهل لك أن تطلق امرأتك المتجردة وأطلق امرأتي سلمى قال نعم فأخذ كل واحد منهما على صاحبه عهدا قال فطلق المنذر امرأته سلمى وطلق حلم امرأته المتجردة فتزوجها المنذر ولم يطلق لسلمى أن تتزوج حلما
وحجبها وهي أم ابنه النعمان بن المنذر فقال النابغة الذبياني يذكر ذلك
(قد خادعوا حُلماً عن حرّة خَرِدٍ ... حتى تبطّنها الخدّاع ذو الحُلُم)
قال ثم مات المنذر بن المنذر فتزوجها بعده النعمان بن المنذر ابنه وكان قصيرا دميما أبرش وكان ممن يجالسه ويشرب معه النابغة الذبياني وكان جميلا عفيفا والمنخل اليشكري وكان جميلا وكان يتهم بالمتجردة
فأما النابغة فإن النعمان أمره بوصفها فقال قصيدته التي أولها
(مِن آل ميّةَ رائح أو مغتدي ... عجلانَ ذا زاد وغيرَ مزوَّد)
ووصفها فأفحش فقال
(وإذا طعنتَ طعنتَ في مستهدِفٍ ... رابي المَجسّة بالعَبير مُقَرمَدِ)
(وإذا نزعتَ نزعتَ عن مستحصِفٍ ... نزع الحَزَوّر بالرشاء المحصَدِ)
فغار المنخل من ذلك وقال هذه صفة معاين فهم النعمان بقتل النابغة حتى هرب منه وخلا المنخل بمجالسته وكان يهوى المتجردة وتهواه وقد ولدت للنعمان غلامين جميلين يشبهان المنخل وكانت العرب تقول إنهما منه
فخرج النعمان لبعض غزواته قال ابن الأعرابي بل خرج متصيدا فبعثت المتجردة إلى المنخل فأدخلته قبتها وجعلا يشربان فأخذت خلخالها وجعلته في رجله وأسدلت شعرها فشدت خلخالها إلى خلخاله الذي في رجله من شدة إعجابها به و دخل النعمان بعقب ذلك فرآها
على تلك الحال فأخذه فدفعه إلى رجل من حرسه من تغلب يقال له عكب وأمره بقتله فعذبه حتى قتله فقال المنخل يحرض قومه عليه
(ألا من مبلغ الحيين عنّي ... بأن القوم قد قتلوا أُبَيّا)
(فإن لم تثأروا لي من عِكَبٍّ ... فلا رَوّيتمُ أبدا صَدِيا)
وقال أيضا
(ظلّ وسْط النديّ قتلَى بِلا جُرْم ... وقومي يُنتِّجون السِّخالا)
وقال في المتجردة
(دِيارٌ لِلّتي قتلتك غصباً ... بلا سيف يُعَدّ ولا نِبالِ)
(بطَرفٍ ميّت في عين حَيٍّ ... له خَبَل يزيدُ على الخَبالِ)
وقال أيضا
(ولقد دخلتُ على الفتاة ... الخِدرَ في اليومِ المطير)
(الكاعبِ الخنساءِ ترفُلَ ... في الدِّمَقْس وفي الحرير)
(دافعتُها فتدافَعتْ ... مَشْيَ القطاةِ إلى الغدير)
(ولثمتُها فتنفّست ... كتنفّس الظبي البَهير)

(ورَنَت وقالت يا مُنخّل ... هل بجسمك من فتور)
((ما مس جسمي غيرُ حُبّك ... فاهدئي عنّي وسيري
(يا هندُ هل من نائلٍ ... يا هند للعاني الأسير)
(وأُحبّها وتُحبّني ... ويُحبّ ناقتَها بعيري)
(ولقد من شربتُ من المدامة ... بالكبير وبالصغير)
(فإذا سكرتُ فإنني ... ربُّ الخورنق والسدير)
(وإذا صحوتُ فإنني ... ربّ الشُّوَيهة والبعير)
(يا رُبَّ يومٍ للمنخّل ... قد لها فيه قصير)
رواية أخرى عن علاقته بالمتجردة وشعره فيها
وأخبرني بخبر المنخل مع المتجردة أيضا علي بن سليمان الأخفش قال
أخبرني أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال
كانت المتجردة امرأة النعمان فاجرة وكانت تتهم بالمنخل وقد ولدت للنعمان غلامين جميلين يشبهان المنخل فكان يقال إنهما منه وكان جميلا وسيما وكان النعمان أحمر أبرش قصيرا دميما
وكان للنعمان يوم يركب فيه فيطيل المكث وكان المنخل من ندمائه لا يفارقه وكان يأتي المتجردة في ذلك اليوم الذي يركب فيه النعمان فيطيل عندها حتى إذا جاء النعمان آذنتها بمجيئه وليدة لها موكلة بذلك فتخرجه
فركب النعمان ذات يوم وأتاها المنخل كما كان يأتيها فلاعبته وأخذت
قيدا فجعلت إحدى حلقتيه في رجله والأخرى في رجلها وغفلت الوليدة عن ترقب النعمان لأن الوقت الذي يجيء فيه لم يكن قرب بعد وأقبل النعمان حينئذ ولم يطل في مكثه كما كان يفعل فدخل إلى المتجردة فوجدها مع المنخل قد قيدت رجلها ورجله بالقيد فأخذه النعمان فدفعه إلى عكب صاحب سجنه ليعذبه وعكب رجل من لخم فعذبه حتى قتله
وقال المنخل قبل أن يموت هذه الأبيات وبعث بها إلى ابنيه
(ألا مَن مبلغ الحُرّين عنّي ... بأن القوم قد قتلوا أُبيا)
(وإن لم تثأروا لي من عِكَبٍّ ... فلا أرويتما أبداً صَدِيّا)
(يُطوّف بي عِكبٌّ في معدٍّ ... ويطعن بالصُّملّة في قَفَيّا)
قال ابن حبيب وزعم ابن الجصاص أن عمرو بن هند هو قاتل المنخل والقول الأول أصح
وهذه القصيدة التي منها الغناء يقولها في المتجردة وأولها قوله
(إن كنتِ عاذلتي فسيري ... نحوَ العراق ولا تَحوري)
(لا تسألي عن جُلّ ما ... لي واذكري كرَمي وخِيري)
(وإذا الرياح تناوحَتْ ... بجوانب البيت الكسير)
(ألفيتني هشّ النديّ ... بمرّ قدِحي أو شجيري)
الشجير القدح الذي لم يصلح حسنا ويقال بل هو القدح العارية
((ونَهى أبو أفعى فقلّدني ... أبو أفعى جريري
(وجُلالة خطّارة ... هوجاءَ جائلةَ الضُّفور)
(تعدو بأشعثَ قد وهَى ... سِربالُه باقي المسير)
(فُضُلا على ظهر الطريق ... إليك علقمةَ بنَ صير)
(الواهب الكومِ الصّفايا ... والأوانس في الخُدور)
(يُصفيك حين تجيئه ... بالعَصْب والحَلْي الكثير)
(وفوارسٍ كأُوار حرِّ ... النار أحلاسِ الذُّكور)
(شدُّوا دوابرَ بيضِهم ... في كلّ محكمةِ القتير)
(فاستلأموا وتَلبَّبُوا ... إن التلبّب للمغير)
(وعلى الجياد المضمَرات ... فوارسٌ مثل الصقور)
(يَخرجن من خَلَل الغبار ... يجِفْن بالنَّعَم الكثير)
(فشفيتُ نفسي من أولئك ... والفوائح بالعبير)
((يرفُلن في المسك الذكيّ ... وصائكٍ كدَم النّحير
(يعكُفن مثلَ أساود التَّنُّومِ ... لم تُعكَف لِزور)
(ولقد دخلتُ على الفتاة ... الخِدرَ في اليوم المطير)
(الكاعبِ الخنساء ترفل في الدِّمَقْس وفي الحرير)
(فدفَعتُها فتدافعتْ ... مشيَ القطاة إلى الغدير)
(ولثمتُها فتنفّستْ ... كتنفّس الظبي البَهير)
(فدنّتْ وقالت يا منخّل ... ما بجسمك من حرور)
(ما شفّ جسمي غيرُ حبّك ... فاهدئي عنّي وسيري)
(ولقد شربتُ من المُدامة ... بالصغير وبالكبير)
(ولقد شربتُ الخمر بالخيل ... الإناث وبالذُّكور)
(ولقد شربتُ الخمر بالعبد الصحيح وبالأسير)
(فإذا سكِرتُ فإنني ... ربُّ الخَوَرْنَق والسدير)
(وإذا صحوتُ فإنني ... ربّ الشُّوَيهة والبعير)
(يا رُبَّ يوم للمنخّل قد لها فيه قصير)
(يا هند هل من نائل ... يا هند للعاني الأسير)
ومن الناس من يزيد في هذه القصيدة
(وأُحبّها وتُحبّني ... ويحبّ ناقتَها بعيري)

ولم أجده في رواية صحيحة
صوت
(لِمَن شيخان قد نَشَدا كلابا ... كتابَ الله لو قَبِل الكتابا)
(أناشده فيُعرض في إباءٍ ... فلا وأبِي كلابٍ ما أصابا)
الشعر لأمية بن الأسكر الليثي والغناء لعبد الله بن طاهر رمل بالوسطى
صنعه ونسبه إلى لميس جاريته وذكر الهشامي أن اللحن لها وذكره عبيد الله بن عبد الله بن طاهر في جامع أغانيهم ووقع إلي فقال الغناء فيه للدار الكبيرة وكذلك كان يكني عن أبيه وعن إسحاق بن إبراهيم ابن مصعب وجواريهم ويكني عن نفسه وجاريته شاجي وما يصنع في دور إخوته بالدار الصغيرة
أخبار أمية بن الأسكر ونسبه
هو أمية بن حرثان بن الأسكر بن عبد الله بن سرابيل الموت بن زهرة ابن زبينة بن جندع بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن إلياس بن مضر بن نزار
شاعر فارس مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام وكان من سادات قومه وفرسانهم وله أيام مأثورة مذكورة
وكان له أخ يقال له أبو لاعق الدم وكان من فرسان قومه وشعرائهم وابنه كلاب بن أمية أيضا أدرك النبي فأسلم مع أبيه ثم هاجر إلى النبي فقال أبوه فيه شعرا ذكر أبو عمرو الشيباني أنه هذا الشعر وهو خطأ إنما خاطبه بهذا الشعر لما غزا مع أهل العراق لقتال الفرس وخبره في ذلك يذكر بعد هذا
قال أبو عمرو في خبره فأمره بصلة أبيه وملازمته طاعته
وكان عمر بن الخطاب استعمل كلابا على الأبلة فكان أبواه ينتابانه يأتيه أحدهما في كل سنة ثم أبطآ عليه وكبرا فضعفا عن لقائه فقال أبياتا وأنشدها عمر فرق له ورده إليهما فلم يلبث معهما إلا مدة حتى
نهشته أفعى فمات وهذا أيضا وهم من أبي عمرو وقد عاش كلاب حتى ولي لزياد الأبله ثم استعفى فأعفاه
وسأذكر خبره في ذلك وغيره ها هنا إن شاء الله تعالى
شعره لابنه كلاب لما طالت غيبته
فأما خبره مع عمر فإن الحسن بن علي أخبرني به قال حدثني الحارث بن محمد قال حدثني المدائني عن أبي بكر الهذلي عن الزبيري عن عروة بن الزبير قال
هاجر كلاب بن أمية بن الأسكر إلى المدينة في خلافة عمر بن الخطاب فأقام بها مدة ثم لقي ذات يوم طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام فسألهما أي الأعمال أفضل في الإسلام فقالا الجهاد فسأل عمر فأغزاه في جيش وكان أبوه قد كبر وضعف فلما طالت غيبة كلاب عنه قال
(لِمَن شيخان قد نشدا كلابا ... كتابَ الله إن قَبِل الكتابا)
(أناديه فيُعرض في إباء ... فلا وأبي كلابٍ ما أصابا)
(إذا سجعَتْ حمامةُ بطن وادٍ ... إلى بَيْضاتها دعَوَا كلابا)
(أتاه مهاجران تكنّفاه ... ففارق شيخه خَطِئا وخابا)
(تركتَ أباك مُرعَشةً يداه ... وأمَّك ما تُسيغ لها شرابا)
(تُمسّح مُهره شفقاً عليه ... وتجنبُه أبا عرِها الصعابا)
قال تجنبه وتجنبه واحد من قول الله عز وجل (واجنبني وبني أن نعبد الأصنام) قال
(فإنك قد تركت أباك شيخاً ... يطارق أينُقا شُزُبا طِرابا)
(فإنك والتماسَ الأجر بَعدي ... كباغي الماء يتّبع السرابا)
شعره في استرحام عمر لاسترداد ابنه
فبلغت أبياته عمر فلم يردد كلابا وطال مقامه فأهتر أميه وخلط جزعا عليه ثم أتاه يوما وهو في مسجد رسول الله وحوله المهاجرون والأنصار فوقف عليه ثم أنشأ يقول
(أعاذلَ قد عذَلْتِ بغير قدرٍ ... ولا تدرين عاذلَ ما أُلاقي)
(فإمّا كنتِ عاذلتي فَرُدّي ... كِلاباً إذ توجَّه للعراق)
(ولم أقضِ اللُّبانة من كِلابٍ ... غداةَ غدٍ وآذّن بالفِراق)
(فتى الفِتيان في عُسْرٍ ويُسرٍ ... شديدُ الرُّكنِ في يوم التلاقِي)
(فلا والله ما باليتَ وَجدي ... ولا شفقي عليكَ ولا اشتياقِي)
(وإبقائي عليكَ إذا شتَونا ... وضمَّك تحت نحري واعتناقي)
(فلو فَلَق الفؤادَ شَديدُ وجْدٍ ... لهَمَّ سوادُ قلبي بانفلاق)
(سأستعدي على الفاروق ربًّا ... له دُفِعَ الحجيجُ إلى بُساقِ)
((وأدعو الله مجتهداً عليه ... ببطن الأخشبَين إلى دُفاق
(إنِ الفاروقُ لم يردد كلاباً ... إلى شيخين هامُهما زَواق)
قال فبكى عمر بكاء شديدا وكتب برد كلاب إلى المدينة فلما قدم دخل إليه فقال ما بلغ من برك بأبيك قال كنت أوثره وأكفيه أمره وكنت أعتمد إذا أردت أن أحلب له لبنا أغزر ناقة في إبله وأسمنها فأريحها وأتركها حتى تستقر ثم أغسل أخلافها حتى تبرد ثم أحتلب له فأسقيه
فبعث عمر إلى أمية من جاء به إليه فأدخله يتهادى وقد ضعف بصره وانحنى
فقال له كيف أنت يا أبا كلاب قال كما تراني يا أمير المؤمنين
قال فهل لك من حاجة قال نعم أشتهي أن أرى كلابا فأشمه شمة وأضمه ضمة قبل أن أموت
فبكى عمر ثم قال ستبلغ من هذا ما تحب إن شاء الله تعالى
ثم أمر كلابا أن يحتلب لأبيه ناقة كما كان يفعل ويبعث إليه بلبنها ففعل فناوله عمر الإناء وقال دونك هذا يا أبا كلاب فلما أخذه وأدناه إلى فمه قال لعمر والله يا أمير المؤمنين إني لأشم رائحة يدي كلاب من هذا الإناء فبكى عمر وقال هذا كلاب عندك حاضرا قد جئناك به فوثب إلى ابنه وضمه إليه وقبله وجعل عمر يبكي ومن حضره وقال لكلاب الزم أبويك فجاهد فيهما ما بقيا ثم شأنك بنفسك بعدهما وأمر له بعطائه وصرفه مع أبيه فلم يزل معه مقيما حتى مات أبوه

أصيبت ابله بالهيام فأخرجه قومه
ونسخت من كتاب أبي سعيد السكري أن أمية كانت له إبل هائمة أي أصابها الهيام وهو داء يصيب الإبل من العطش فأخرجته بنو بكر مخافة أن يصيب إبلهم فقال لهم يا بني بكر إنما هي ثلاث ليال ليلة بالبقعاء وليلة بالفرع وليلة بلقف في سامر من بني بكر فلم ينفعه ذلك وأخرجوه فأتى مزينة فأجاروه وأقام عندهم إلى أن صحت إبله وسكنت فقال يمدح مزينة
(تكنّفها الهُيامِ وأخرجوها ... فما تأوي إلى إبلٍ صِحاحِ)
(فكان إلى مُزَينةَ منتهاها ... على ما كان فيها من جُناحِ)
(وما يكن الجُناحُ فإنّ فيها ... خلائقَ ينتمين إلى صلاحِ)
(ويوماً في بني ليث بن بكرٍ ... تُراعى تحت قعقعة الرماحِ)
(فإمّا أُصبِحَنْ شيخا كبيرا ... وراء الدار يُثقلني سلاحي)
(فقد آتي الصريخَ إذا دعاني ... على ذي مَنْعة عَتِدٍ وَقاحِ)
(وشرٌّ أخي مؤامرةٍ خَذولٌ ... على ما كان مؤتِكلٌ ولاحِ)
عمر حتى خرف وسخر منه
أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن عبد الله الحزنبل عن عمرو بن أبي
عمرو الشيباني عن أبيه وأخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أبو توبة عن أبي عمرو قال عمر أمية بن الأسكر عمرا طويلا حتى خرف فكان ذات يوم جالسا في نادي قومه وهو يحدث نفسه إذ نظر إلى راعي ضأن لبعض قومه يتعجب منه فقام لينهض فسقط على وجهه فضحك الراعي منه واقبل ابناه إليه فلما رآهما أنشأ يقول
(يا بْنَي أمية إني عنكما غانِ ... وما الغنى غير أني مُرعَشٌ فانِ)
(يا بْني أمية إلاّ تحفظا كِبَري ... فإنما أنتما والثُّكلُ سِيّان)
(هل لكما في تُراثٍ تذهبان به ... إن التراث لِهَيّان بن بيّان)
يقال هيان بن بيان وهي ترى للقريب والبعيد
(أصبحت هُزْءاً لراعي الضأن يَسخر بي ... ماذا يَريبك مِنّي راعيَ الضّان)
(أعجَبْ لغيريَ إني تابع سلفي ... أعمامَ مجد وأجدادي وإخواني)
(وانعَقْ بضأنك في أرض تُطيف بها ... بين الأساف وأنتجها بِجِلْذان)
جلذان موضع بالطائف
(ببلدة لا ينام الكالئان بها ... ولا يقَرُّ بها أصحابُ ألوان)
إعجاب الإمام علي بشعره
وهذه الأبيات تمثل بها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه في خطبة له على المنبر بالكوفة
حدثنا بها أحمد بن عبيد الله بن عمار وأحمد بن عبد العزيز الجوهري
قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن أبي رجاء قال حدثنا إبراهيم بن سعد قال قال عبد الله بن عدي بن الخيار شهدت الحكمين ثم أتيت الكوفة وكانت لي إلى علي عليه السلام حاجة فدخلت عليه فلما رآني قال مرحبا بك يا ابن أم قتال أزائرا جئتنا أم لحاجة فقلت كل جاء بي جئت لحاجة وأحببت أن أجدد بك عهدا وسألته عن حديث فحدثني على ألا أحدث به واحدا
فبينا أنا يوما بالمسجد في الكوفة إذا علي صلوات الله عليه متنكب قرنا له فجعل يقول الصلاة جامعة
وجلس على المنبر فاجتمع الناس وجاء الأشعث بن قيس فجلس إلى جانب المنبر
فلما اجتمع الناس ورضي منهم قال فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إنكم تزعمون أن عندي من رسول الله ما ليس عند الناس ألا وإنه ليس عندي إلا ما في قرني هذا ثم نكت كنانته فأخرج منها صحيفة فيها المسلمون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم
من أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين
فقال له الأشعث بن قيس هذه والله عليك لا لك دعها تترحل فخفض علي صلوات الله عليه إليه بصره وقال ما يدريك ما علي مما لي عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين حائك ابن حائك منافق ابن منافق كافر ابن كافر
والله لقد
أسرك الإسلام مرة والكفر مرة فما فداك من واحد منهما حسبك ولا مالك ثم رفع إلي بصره فقال يا عبيد الله
(أصبحتُ قِنًّا لراعي الضأن يلعب بي ... ماذا يَريبك منّي راعيَ الضان)
فقلت بأبي أنت وأمي قد كنت والله أحب أن أسمع هذا منك
قال هو والله ذلك قال
(فما قِيلَ لي من بعدها من مقالة ... ولا عَلِقتْ مني جديدا ولا دَرْسا)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الحارث عن المدائني قال
لما مات أمية بن الأسكر عاد ابنه كلاب إلى البصرة فكان يغزو مع المسلمين منها مغازيهم وشهد فتوحات كثيرة وبقي إلى أيام زياد فولاه الأبلة فسمع كلاب يوما عثمان بن أبي العاص يحدث أن داود نبي الله عليه السلام كان يجمع أهله في السحر فيقول ادعوا ربكم فإن في السحر ساعة لا يدعو فيها عبد مؤمن إلا غفر له إلا أن يكون عشار أو عريفا فلما سمع ذلك كلاب كتب إلى زياد فاستعفاه من عمله فأعفاه
قال المدائني ولم يزل كلاب بالبصرة حتى مات والمربعة المعروفة بمربعة كلاب بالبصرة منسوبة إليه
وقال أبو عمرو الشيباني كان بين بني غفار قومه وبني ليث حرب فظفرت بنو ليث بغفار فحالف رحضة بن خزيمة بن خلاف بن حارثة بن
غفار وقومه جميعا بني أسلم بن أفصى بن خزاعة فقال أمية بن الأسكر في ذلك وكان سيد بني جندع بن ليث وفارسهم
(لقد طِبتَ نفساً عن مواليك يا رَحْضا ... وآثرتَ أذناب الشوائل والحمضا)
(تُعللنا بالنّصر في كل شتوة ... وكلّ ربيع أنت رافضنا رفضا)

(فلولا تأسّينا وحدُّ رماحنا ... لقد جلاّ قوم لحمنا تَرِباً قَضَّا)
القض والقضيض الحصا الصغار
تمثل عبد الله بن الزبير بشعره
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني أحمد بن زهير قال حدثنا مصعب بن عبد الله عن أبيه قال
افتعل عمرو بن الزبير كتابا عن معاوية إلى مروان بن الحكم بأن يدفع إليه مالا فدفعه إليه فلما عرف معاوية خبره كتب إلى مروان بأن يحبس عمرا حتى يؤدي المال فحبسه مروان وبلغ الخبر عبد الله بن الزبير فجاء إلى مروان وسأله عن الخبر فحدثه به فقال مالكم في ذمتي فأطلق عمرا وأدى عبد الله المال عنه وقال والله إني لأؤديه عنه وإني لأعلم أنه غير شاكر ثم تمثل قول أمية بن الأسكر الليثي
(فلولا تأسّينا وحدّ رماحنا ... لقد جرّ قوم لحمنا تَربا قَضّا)
وقال ابن الكلبي حدثنا بعض بني الحارث بن كعب قال
سيدان يخطبان ابنة له جميلة
اجتمع يزيد بن عبد المدان وعامر بن الطفيل بموسم عكاظ فقدم أمية بن الأسكر ومعه بنت له من أجمل أهل زمانها فخطبها يزيد وعامر فقالت أم كلاب امرأة أمية من هذان الرجلان قال هذا ابن الديان وهذا عامر بن الطفيل
قالت أعرف ابن الديان ولا أعرف عامرا
قال هل سمعت بملاعب الأسنة قالت نعم والله
قال فهذا ابن أخيه
وأقبل يزيد فقال يا أمية أنا ابن الديان صاحب الكثيب ورئيس
مذحج ومكلم العقاب ومن كان يصوب أصابعه فتنطف دما ويدلك راحتيه فتخرجان ذهبا
قال أمية بخ بخ
فقال عامر جدي الأحزم وعمي أبو الأصبع وعمي ملاعب الأسنة وجدي الرحال وأبي فارس قرزل
قال أمية بخ بخ مرعى ولا كالسعدان فأرسلها
مثلا
فقال يزيد يا عامر هل تعلم شاعرا من قومي رحل بمدحه إلى رجل من قومك قال لا قال فهل تعلم أن شعراء قومك يرحلون بمدحهم إلى قومي قال نعم قال فهل لك نجم يمان أو برد يمان أو سيف يمان أو ركن يمان فقال لا قال فهل ملكناكم ولم تملكونا قال نعم فنهض يزيد وقام ثم قال
(أميّ يا بنَ الأسكر بنِ مُدلج ... لا تجعلَنْ هوازنا كَمذحِجِ)
(إنكَ إن تلهج بأمر تلجَجِ ... ما النّبع في مغرسه كالعَوْسج)
(... ولا الصَّريحُ المحضُ كالممزَّج)
وقال مرة بن دودان العقيلي وكان عدوا لعامر بن الطفيل
((يا ليت شعري عنك يا يزيدُ ... ماذا الذي من عامر تريدُ)
(لكلّ قوم فخرُهم عتيدُ ... أمُطلَقون نحن أم عبيدُ)
(... لا بل عَبيدٌ زادُنا الهَبيد)
فزوج أمية يزيد فقال يزيد في ذلك
(يا لَلرجال لطارق الأحزان ... ولِعامر بن طفيلٍ الوسنانِ)
(كانت إتاوةُ قومه لمحرِّق ... زمنا وصارت بعدُ للنعمان)
(عَدّ الفوارسَ من هوازن كلّها ... كثَفْا عليّ وجئتُ بالديان)
(فإذا ليَ الفضلُ المبين بوالدٍ ... ضخمِ الدَّسيعة أزأنيٍّ ويمان)
(يا عامِ إنك فارسٌ متهوّرٌ ... غضٌّ الشباب أخونَديٍ وقيان)
(واعلم بأنك يا بن فارس قرْزَل ... دون الذي تسمو له وتُداني)
(ليستْ فوارسُ عامر بمُقِرَّةٍ ... لك بالفضيلة في بني عَيْلان)
(فإذا لقيتَ بني الخميس ومالكا ... وبني الضِّباب وحيَّ آل قنان)
(فاسأل مَن المرءُ المنُوَّه باسمه ... والدافعُ الأعداء عن نَجران)
(يُعطَى المَقادةَ في فوارس قومِه ... كرما لعمرك والكريم يمان)
فقال عامر بن الطفيل مجيبا له
(يا للرجال لطارقِ الأحزانِ ... ولِما يجيء به بنو الدّيانِ)
(فخروا عليَّ بحبْوة لمحرِّق ... وإتاوةَ سلفت من النعمان)
(ما أنت وابنَ محرقٍ وقبيلَه ... وإتاوةَ اللخميِّ في عَيْلان)
((فاقصِد بذَرْعِك قَصْدَ أمرك قصده ... ودعِ القبائل من بني قحطان)
(إذ كان سالفُنا الإتاوةِ فيهم ... أولى ففخرك فخر كل يمان)
(وافخر بَرهط بني الحَماس ومالك ... وابن الضِّباب وزعبل وقيان)
(وأنا المنخل وابنُ فارس قُرْزُلٍ ... وأبو نزارٍ زانني ونماني)
(وإذا تعاظمت الأمور موازنا ... كنتُ المنوَّه باسمه والثاني)
فلما رجع القوم إلى بني عامر وثبوا على مرة بن دودان وقالوا أنت شاعر بني عامر ولم تهج بني الديان فقال
(تكلّفني هوازنُ فخْرَ قومٍ ... يقولون الأنامُ لنا عبيدُ)
(أبوهم مَذْحِج وأبو أبيهم ... إذا ما عُدّت الآباءُ هودُ)
(وهل لي إن فخَرتُ بغير فخر ... مقالٌ والأنام له شهود)
(فإنّا لم نزل لهمُ قطينا ... تجيء إليهمُ منا الوفود)
(فإنّا نضرب الأحلام صفحا ... عن العلياء أو من ذا يكيد)
(فقولوا يا بني عَيلان كنا ... لكم قِنًّا وما عنكم محيد)

وهذا الخبر مصنوع من مصنوعات ابن الكلبي والتوليد فيه بين وشعره شعر ركيك غث لا يشبه أشعار القوم وإنما ذكرته لئلا يخلو الكتاب من شيء قد روي
شعره في يوم المريسيع
وقال محمد بن حبيب فيما روى عنه أبو سعيد السكري ونسخته من كتابه قال أبو عمرو الشيباني
أصيب قوم من بني جندع بن ليث بن بكر بن هوازن رهط أمية بن
الأسكر يقال لهم بنو زبينة أصابهم أصحاب النبي يوم المريسيع في غزوته بني المصطلق وكانوا جيرانه يومئذ ومعهم ناس من بني لحيان من هذيل ومع بني جندع رجل من خزاعة يقال له طارق فاتهمه بنو ليث بهم وأنه دل عليهم
وكانت خزاعة مسلمها ومشركها يميلون إلى النبي على قريش
فقال أمية بن الأسكر لطارق الخزاعي
(لعمرك إني والخزاعيَّ طارقا ... كنَعجة عادٍ حتفَها تتحفّر)
(أثارت عليها شَفرةً بِكُراعها ... فظلّت بها من آخر الليل تجزَر)
(شمِتَّ بقوم هم صديقك أهلِكوا ... أصابهمُ يوم من الدهر أعسر)
(كأنك لم تُنبأ بيوم ذُؤالة ... ويومِ الرَّجيع إذ تنحّر حبتر)
(فهلاّ أباكم في هذيل وعمَّكم ... ثأرتُمْ وهمْ أعدى قلوبا وأوتر)
(ويومِ الأراك يوم أُردِف سبيكم ... صميمُ سَراة الدِّيل عبدٌ ويعمرُ)
(وسعد بن ليث إذ تُسَلُّ نساؤكم ... وكلب بن عوف نحرّوكم وعقّروا)
(عجبت لشيخ من ربيعةَ مُهْتَر ... أُمِرّ له يومٌ من الدهر منكَر)
فأجابه طارق الخزاعي فقال
(لعمرك ما أدري وإني لقائل ... إلى أيِّ مَن يظُنّني أتعذَّر)
((أُعنَّف أنْ كانت زبينة أُهلكت ... ونال بني لحيان شرٌ ونُفّروا
وهذه الأبيات الابتداء والجواب تمثل بابتدائها ابن عباس في رسالة إلى معاوية وتمثل بجوابها معاوية في رسالة أجابه بها
حدثني بذلك أحمد بن عيسى بن أبي موسى العجلي العطار بالكوفة قال حدثنا الحسين بن نصر بن مزاحم المنقري قال حدثنا زيد بن المعذل النمري قال حدثنا يحيى بن شعيب الخراز قال حدثنا أبو مخنف قال
لما بلغ معاوية مصاب أمير المؤمنين علي عليه السلام دس رجلا من بني القين إلى البصرة يتجسس الأخبار ويكتب بها إليه فدل على القيني بالبصرة في بني سليم فأخذ وقتل
وكتب ابن عباس من البصرة إلى معاوية
أما بعد فإنك ودسك أخا بني القين إلى البصرة تلتمس من غفلات قريش مثل الذي ظفرت به من يمانيتك لكما قال الشاعر
(لعمرك إني والخزاعيَّ طارقا ... كنعجة عاد حتفَها تتحفّر (
(أثارت عليها شَفرةً بكُراعها ... فظلّت بها من آخر الليل تُجزَر)
(شمِتَّ بقوم هم صديقك أهُلكوا ... أصابهمُ يوم من الدهر أمعر)
فأجابه معاوية أما بعد فإن الحسن قد كتب إلي بنحو مما كتبت به وأنبني بما لم أجن ظنا وسوء رأي وإنك لم تصب مثلنا ولكن مثلنا ومثلكم كما قال طارق الخزاعي
(فوالله ما أدري وإني لصادق ... إلى أيِّ من يظَنّني أتعذر)
(أُعنَّف أن كانتَ زبينةُ أهلِكت ... ونال بني لِحيان شرٌ ونُفّروا)

صوت

(أبُنيّ إني قد كبِرتُ ورابني ... بَصري وفيّ لمُصلح مستمَتعُ)
(فلئن كبِرتُ لقد دنوتُ من البلى ... اوحَلّتْ لكم منّي خَلائقُ أربع)
عروضه من الكامل والشعر لعبدة بن الطبيب والغناء لابن محرز ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالبنصر في مجراها عن إسحاق وفيه لمعبد خفيف ثقيل أول بالبنصر في مجراها عنه أيضا

نسب عبدة بن الطبيب وأخباره

هو فيما ذكر ابن حبيب عن ابن الأعرابي وأبو نصر أحمد بن حاتم عن الأصمعي وأبي عمرو الشيباني وأبي فروة العكلي عبدة بن الطبيب والطبيب اسمه يزيد بن عمرو بن وعلة بن أنس بن عبد الله بن عبد تيم بن جشم بن عبد شمس ويقال عبشمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم
وقال ابن حبيب خاصة وقد أخبرني أبو عبيدة قال
تميم كلها كانت في الجاهلية يقال لها عبد تيم وتيم صنم كان لهم يعبدونه

أجاد الشعر ولم يكثر

وعبدة شاعر مجيد ليس بالمكثر وهو مخضرم أدرك الإسلام فأسلم وكان في جيش النعمان بن المقرن الذين حاربوا معه الفرس بالمدائن
وقد ذكر ذلك في قصيدته التي أولها
(هل حَبلُ خَوْلةَ بعد الهَجر موصولُ ... أم أنت عنها بَعيدُ الدار مشغولُ)
((حلّت خُويْلة في دارٍ مجاورةً ... أهلَ المدينة فيها الديك والفيل
(يقارعون رؤوس العُجْم ضاحيةً ... منهم فوارس لا عُزْلٌ ولا مِيل)
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال
أرثى بيت قالته العرب قول عبدة بن الطبيب
(فما كان قيس هُلْكهُ هُلكَ واحدٍ ... ولكنه بُنيانُ قوم تهدَّما)
وتمام هذه الأبيات أنشدناه علي بن سليمان الأخفش عن السكري والمبرد والأحول لعبدة يرثي قيسا
(عليكَ سلامُ الله قيسَ بنَ عاصم ... ورحمتُه ما شاء أن يترحّما)
(تحيةَ من أوليتَه منك نعمةً ... إذا زار عن شَحْطٍ بلادَك سلّما)

(وما كان قيس هُلكهُ هلكَ واحد ... ولكنه بُنيانُ قوم تهدَّما)
كان يترفع عن الهجاء ويراه ضعة
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو عثمان الأشنانداني عن التوزي عن أبي عبيدة عن يونس قال
قال رجل لخالد بن صفوان كان عبدة بن الطبيب لا يحسن أن يهجو فقال لا تقل ذاك فوالله ما أبى من عي ولكنه كان يترفع عن الهجاء ويراه ضعة كما يرى تركه مروءة وشرفا قال
((وأجرأ من رأيتُ بظَهْرِ غيبٍ ... على عيب الرجال أولو العيوب
أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابي أن عبد الملك بن مروان قال يوما لجلسائه
أي المناديل أشرف فقال قائل منهم مناديل مصر كأنها غرقئ البيض وقال آخرون مناديل اليمن كأنها نور الربيع فقال عبد الملك مناديل أخي بني سعد عبدة بن الطبيب قال
(لمّا نزلنا نصبنا ظلّ أخبيةٍ ... وفارَ لِلقوم باللحم المراجيلُ)
(وَرْدٌ وأشقرُ ما يؤنيه طابخهُ ... ما غيَّر الغليُ منه فهو مأكول)
(ثُمّتَ قمنا إلى جُرْدٍ مُسوَّمةٍ ... أعرافُهنّ لأيدينا مناديل)
يعني بالمراجيل المراجل فزاد فيها الياء ضرورة
صوت
(إن الليالي أسرعَت في نقضي ... أخذن بعَضِي وتركن بعِضي)
(حَنَيْنَ طُولي وطَوَين عَرْضي ... أقعدْنني مِن بعد طول نهض)
عروضه من الرجز الشعر للأغلب العجلي والغناء لعمرو بن بانة هزج بالبنصر

أخبار الأغلب ونسبه

هو فيما ذكر ابن قتيبة الأغلب بن جشم بن سعد بن عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل
وهو أحد المعمرين عمر في الجاهلية عمرا طويلا وأدرك الإسلام فأسلم وحسن إسلامه وهاجر ثم كان فيمن توجه إلى الكوفة مع سعد ابن أبي وقاص فنزلها واستشهد في وقعة بنهاوند فقبره هناك في قبور الشهداء

هو أول من رجز الأراجيز من العرب

ويقال إنه أول من رجز الأراجيز الطوال من العرب وإياه عنى الحجاج بقوله مفتخرا
(...إني أنا الأغلب أمسى قد نشد)
قال ابن حبيب كانت العرب تقول الرجز في الحرب والحداء والمفاخرة وما جرى هذا المجرى فتأتِي منه بأبيات يسيرة فكان الأغلب أول من قصد الرجز ثم سلك الناس بعده طريقته
أخبرنا الفضل بن الحباب الجمحي أبو خليفة في كتابه إلينا قال أخبرنا محمد بن سلام قال حدثنا الأصمعي
وأخبرنا أحمد بن محمد أبو الحسن الأسدي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا معمر بن عبد الوارث عن أبي عمرو بن العلاء قال
كانت للأغلب سرحة يصعد عليها ثم يرتجز
(قد عرَفَتْني سَرْحتي فأطَّتِ ... وقد شَمِطتُ بعدها واشمطَّتِ)
فاعترضه رجل من بني سعد ثم أحد بني الحارث بن عمرو بن كعب ابن سعد فقال له
أنشِد من شعر الجاهلية فأنقص عمر عطاءه
(قَبُحتَ من سالِفةٍ ومن قفا ... عبدٌ إذا ما رسب القوم طفا)
(...كما شِرار الرَّعْي أطرافُ السَّفَى)
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن عباد بن حبيب المهلبي قال حدثني نصر بن ناب عن داود بن أبي هند عن الشعبي قال
كتب عمر بن الخطاب إلى المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة أن استنشد من قبلك من شعراء قومك ما قالوا في الإسلام فأرسل إلى الأغلب العجلي فاستنشده
(فقال (لقد سألتَ هيِّنا موجودا ... أرجَزاً تريد أم قصيدا
ثم أرسل إلى لبيد فقال له إن شئت مما عفا الله عنه يعني الجاهلية فعلت
قال لا أنشدني ما قلت في الإسلام
فانطلق لبيد فكتب سورة البقرة في صحيفة وقال أبدلني الله عز وجل بهذه في الإسلام مكان الشعر
فكتب المغيرة بذلك إلى عمر فنقص عمر من عطاء الأغلب خمسمائة وجعلها في عطاء لبيد فكتب إلى عمر يا أمير المؤمنين أتنقص عطائي أن أطعتك فرد عليه خمسمائة وأقر عطاء لبيد على ألفين وخمسمائة
أخبرني محمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال
حدثنا محمد بن حاتم قال حدثنا علي بن القاسم عن الشعبي قال
دخل الأغلب على عمر فلما رآه قال هيه أنت القائل
(أرجزاً تريد أم قصيدَا ... لقد سألتَ هيّنا موجودا)
فقال يا أمير المؤمنين إنما أطعتك فكتب عمر إلى المغيرة أن أردد عليه الخمس المائة وأقر الخمس المائة للبيد
شعره في سجاح حين تزوجت مسيلمة الكذاب
أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال قال الأغلب العجلي في سجاح لما تزوجت مسيلمة الكذاب
(لقد لقيتْ سجاح من بعد العمى ... مُلَوَّحا في العين مجلود القَرا)
(مثل العتيق في شبابٍ قد أتى ... من اللُّجَيْميّين أصحابِ القِرَى)
(ليس بذي واهنة ولا نَسا ... نشا بلحم وبخبز ما اشترى)
((حتى شتا يَنتح ذِفراه الندى ... خاظي البضيع لحمهُ خظابظا
(كأنما جمّع من لحم الخُصى ... إذا تمطّى بين بُرديه صأى)
(كأنَّ عِرق أيره إذا ودى ... حَبلُ عجوز ضَفَّرت سبعَ قُوى)

(يمشي على قوائمٍ خمس زَكا ... يرفع وُسطاهنّ من بَرد النَّدى)
(قالت متى كنت أبا الخير متى ... قال حديثاً لم يغيِّرني البِلى)
(ولم أفارق خُلَّة لي عن قِلَى ... فانتُسفَتْ فَيشتُه ذاتُ الشَّوى)
(كأن في أجلادها سبعَ كُلَى ... ما زال عنها بالحديث والمُنى)
(والخُلُقِ السَّفسافِ يُردِي في الردى ... قال ألا تَرينَه قالت أرى)
(قال ألا أدخله قالت بلى ... فشام فيها مثلَ محراثِ الغضى)
(يقول لما غاب فيها واستوى ... لمِثلها كنتُ أُحسِّيك الحَسا)
من أخبار سجاح
وكان من خبر سجاح وادعائها النبوة وتزويج مسيلمة الكذاب إياها ما أخبرنا به إبراهيم بن النسوي يحيى عن أبيه عن شعيب عن سيف
أن سجاح التميمية ادعت النبوة بعد وفاة رسول الله واجتمعت عليها بنو تميم فكان فيما ادعت أنه أنزل عليها يأيها المؤمنون المتقون لنا نصف الأرض ولقريش نصفها ولكن قريشا قوم يبغون
واجتمعت بنو تميم كلها إليها لتنصرها
وكان فيهم الأحنف بن قيس وحارثة بن بدر ووجوه تميم كلها
وكان مؤذنها شبيب بن ربعي الرياحي فعمدت في جيشها إلى مسيلمة الكذاب وهو باليمامة وقالت يا معشر تميم اقصدوا اليمامة فاضربوا فيها كل هامة وأضرموا فيها نارا ملهامة حتى تتركوها سوداء كالحمامة
وقالت لبني تميم إن الله لم يجعل هذا الأمر في ربيعة وإنما جعله في مضر فاقصدوا هذا الجمع فإذا فضضتموه كررتم على قريش
فسارت في قومها وهم الدهم الداهم
وبلغ مسيلمة خبرها فضاق بها ذرعا وتحصن في حجر حصن اليمامة
وجاءت في جيوشها فأحاطت به فأرسل إلى وجوه قومه وقال ما ترون قالوا نرى أن نسلم هذا الأمر إليها وتدعنا فإن لم نفعل فهو البوار
وكان مسيلمة ذا دهاء فقال سأنظر في هذا الأمر
ثم بعث إليها إن الله تبارك وتعالى أنزل عليك وحيا وأنزل علي
فهلمي نجتمع فنتدارس ما أنزل الله علينا فمن عرف الحق تبعه واجتمعنا فأكلنا العرب أكلا بقومي وقومك
فبعثت إليه أفعل فأمر بقبة أدم فضربت وأمر بالعود المندلي فسجر فيها وقال أكثروا من الطيب والمجمر فإن المرأة إذا شمت رائحة الطيب ذكرت الباه ففعلوا ذلك
وجاءها رسوله يخبرها بأمر القبة المضروبة للاجتماع فأتته فقالت هات ما أنزل عليك
فقال ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى أخرج منها نطفة تسعى بين صفاق وحشا من بين ذكر وأنثى وأموات وأحيا ثم إلى ربهم يكون المنتهى
قالت وماذا قال ألم تر أن الله خلقنا أفواجا وجعل النساء لنا أزواجا فنولج فيهن الغراميل إيلاجا ونخرجها منهن إذا شئن إخراجا
قالت فبأي شيء أمرك قال
(ألا قومي إلى النَّيكِ ... فقد هُيِّي لك المضجعْ)
(فإن شئتي ففي البيت ... وإن شئتي ففي المُخدعْ)
(وإن شئتي سلقناك ... وإن شئتي على أربعْ)
(وإن شئتي بثلثيه ... وإن شئتي به أجمعْ)
قال فقالت لا إلا به أجمع
قال فقال كذا أوحى الله إلي فواقعها
فلما قام عنها قالت إن مثلي لا يجري أمرها هكذا فيكون وصمة على قومي وعلي ولكني مسلمة النبوة إليك فاخطبني إلى أوليائي يزوجوك ثم أقود تميما معك
فخرج وخرجت معه فاجتمع الحيان من حنيفة وتميم فقالت لهم سجاح إنه قرأ علي ما أنزل عليه فوجدته حقا فاتبعته ثم خطبها فزوجوه إياها وسألوه عن المهر فقال قد وضعت عنكم صلاة العصر فبنو تميم إلى الآن بالرمل لا يصلونها ويقولون هذا حق لنا ومهر كريمة منا لا نرده
قال وقال شاعر من بني تميم يذكر أمر سجاح في كلمة له
(أضحَتْ نَبِيّتنا أنثى نطيف بها ... وأصبحت أنبياءُ الله ذُكْرانا)
قال وسمع الزبرقان بن بدر الأحنف يومئذ وقد ذكر مسيلمة وما تلاه عليهم فقال الأحنف والله ما رأيت أحمق من هذا النبي قط فقال الزبرقان والله لأخبرن بذلك مسيلمة
قال إذا والله أحلف أنك كذبت فيصدقني ويكذبك
قال فأمسك الزبرقان وعلم أنه قد صدق
قال وحدث الحسن البصري بهذا الحديث فقال أمن والله أبو بحر من نزول الوحي
قال فأسلمت سجاح بعد ذلك وبعد قتل مسيلمة وحسن إسلامها
صوت
(كم ليلةٍ فيكِ بِتُّ أسهرها ... ولوعةٍ من هواكِ أُضمِرُها)
(وحُرقةٍ والدموعُ تُطفئها ... ثم يعود الجوى فيُسعِرُها)
(بيضاءِ رُود الشباب قد غُمسَت ... في خَجلٍ دائبٍ يعصفرها
(الله جارٌ لها فما امتلأت ... عيناي إلا من حيث أُبصِرُها)
الشعر للبحتري والغناء لعريب رمل مطلق من مجموع أغانيها وهو لحن مشهور في أيدي الناس والله أعلم
أخبار البحتري ونسبه

هو الوليد بن عبيد الله بن يحيى بن عبيد بن شملال بن جابر بن سلمة بن مسهر بن الحارث بن خيثم بن أبي حارثة بن جدي بن تدول بن بحتر بن عتود بن عثمة بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن جلهمة وهو طيىء بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان

هجاؤه جيد على ندرته

ويكنى أبا عبادة شاعر فاضل فصيح حسن المذهب نقي الكلام مطبوع كان مشايخنا رحمة الله عليهم يختمون به الشعراء وله تصرف حسن فاضل نقي في ضروب الشعر سوى الهجاء فإن بضاعته فيه نزرة وجيده منه قليل

وكان ابنه أبو الغوث يزعم أن السبب في قلة بضاعته في هذا الفن أنه لما حضره الموت دعا به وقال له اجمع كل شيء قلته في الهجاء

ففعل فأمره بإحراقه ثم قال له يا بني هذا شيء قلته في وقت فشفيت به غيظي وكأفات به قبيحا فعل بي وقد انقضى أربي في ذلك وإن بقي روي وللناس أعقاب يورثونهم العداء والمودة

وأخشى أن يعود عليك من هذا شيء في نفسك أو معاشك لا فائدة لك ولي فيه قال فعلمت أنه قد نصحني وأشفق علي فأحرقته

أخبرني بذلك علي بن سليمان الأخفش عن أبي الغوث

وهذا كما قال أبو الغوث لا فائدة لك ولا لي فيه لأن الذي وجدناه وبقي في أيدي الناس من هجائه أكثره ساقط مثل قوله في ابن شير زاد

(نفقْتَ نُفُوقَ الحمار الذّكَرْ ... وبان ضُراطُك عنا فمرْ)

ومثل قوله في علي بن الجهم

(ولو أعطاك ربُّك ما تمنّى ... لزادك منه في غِلَظ الأيور)

(علامَ طَفِقْتَ تهجوني مليًّا ... بما لفقّت من كذبٍ وزُور)

وأشباه لهذه الأبيات ومثلها لا يشاكل طبعه ولا تليق بمذهبه وتنبيء بركاكتها وغثاثة ألفاظها عن قلة حظه في الهجاء وما يعرف له هجاء جيد إلا قصيدتان إحداهما قوله في ابن أبي قماش

(مرّت على عَزْمِها ولم تقفِ ... مُبدِيةً للشّنان والشّنَفِ)

يقول فيها لابن أبي قماش

((قد كان في الواجب المُحقّق أن ... تعرف ما في ضميرها النّطفِ

(بما تَعاطيتَ في العيوب وما ... أُوتيت من حكمة ومن لَطَفِ)

(أمَا رأيت المرّيخ قد مازج الزّهرة في الجدّ منه والشّرَفِ)

(وأخبرتك النّحوس أنكما ... في حالتي ثابت ومُنصرَفِ)

(من أين أعلمت ذا وأنت على ... التّقْويم والزّيج جِدُّ مُنْعكفِ)

(أما زجرتَ الطّير العلا أو تَعَيَّفْت ... المها أو نظرت في الكَتِفِ)

(رذُلت في هذه الصناعةِ أو ... أكديتَ أو رمتها على الخَرَفِ)

(لم تَخْطُ باب الدّهليز منصرفاً ... إلا وخَلخالُها مع الشّنَفِ)

وهي طويلة ولم يكن مذهبي ذكرها إلا للإخبار عن مذهبه في هذا الجنس وقصيدته في يعقوب بن الفرج النصراني فإنها وإن لم تكن في أسلوب هذه وطريقتها تجري مجرى التهكم باللفظ الطيب الخبيث المعاني وهي

(تظنّ شجُوني لم تَعْتلِجْ ... وقد خلج البَيْنُ من قد خَلَجْ)

وكان البحتري يتشبه بأبي تمام في شعره ويحذو مذهبه وينحو نحوه في البديع الذي كان أبو تمام يستعمله ويراه صاحبا وإماما ويقدمه على نفسه ويقول في الفرق بينه وبينه قول منصف إن جيد أبي تمام خير من جيده ووسطه ورديئه خير من وسط أبي تمام ورديئه وكذا حكم هو على نفسه

من أشعر هو أو أبو تمام

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني الحسين بن علي الباقطاني قال

قلت للبحتري أيما أشعر أنت أو أبو تمام فقال جيده خير من جيدي ورديئي خير من رديئه

حدثني محمد بن يحيى قال حدثني أبو الغوث يحيى بن البحتري قال

كان أبي يكنى أبا الحسن وأبا عبادة فأشير علي في أيام المتوكل بأن أقتصر على أبي عبادة فإنها أشهر فاقتصرت عليها

حدثني محمد قال

سمعت عبد الله بن الحسين بن سعد يقول للبحتري وقد اجتمعنا في دار عبد الله بالخلد وعنده المبرد في سنة ست وسبعين ومائتين وقد أنشد البحتري شعرا لنفسه قد كان أبو تمام قال في مثله أنت والله أشعر من أبي تمام في هذا الشعر قال كلا والله إن أبا تمام للرئيس والأستاذ والله ما أكلت الخبز إلا به فقال له المبرد لله درك يا أبا الحسن فإنك تأبى إلا شرفا من جميع جوانبك

حدثني محمد قال حدثني الحسين بن إسحاق قال

قلت للبحتري إن الناس يزعمون أنك أشعر من أبي تمام فقال والله ما ينفعني هذا القول ولا يضر أبا تمام والله ما أكلت الخبز إلا به ولوددت أن الأمر كان كما قالوا ولكني والله تابع له آخذ منه لائذ به نسيمي يركد عند هوائه وأرضي تنخفض عند سمائه

حدثني محمد بن يحيى قال حدثني سوار بن أبي شراعة عن

البحتري قال وحدثني أبو عبد الله الألوسي عن علي بن يوسف عن البحتري قال

كان أول أمري في الشعر ونباهتي أني صرت إلى أبي تمام وهو بحمص فعرضت عليه شعري وكان الشعراء يعرضون عليه أشعارهم فأقبل علي وترك سائر من حضر فلما تفرقوا قال لي أنت أشعر من أنشدني فكيف بالله حالك فشكوت خلة فكتب إلى أهل معرة النعمان وشهد لي بالحذق بالشعر وشفع لي إليهم وقال امتدحهم فصرت إليهم فأكرموني بكتابه ووظفوا لي أربعة آلاف درهم فكانت أول مال أصبته

وقال علي بن يوسف في خبره فكانت نسخة كتابه يصل كتابي هذا على يد الوليد أبي عبادة الطائي هو على بذاذته شاعر فأكرموه

حدثني جحظة قال سمعت البحتري يقول كنت أتعشق غلاما من أهل منبج يقال له شقران واتفق لي سفر فخرجت فيه فأطلت الغيبة ثم عدت وقد التحى فقلت فيه وكان أول شعر قلته
(نَبَتَتْ لِحْيَةُ شُقرانَ ... شَقِيقِ النَّفْس بَعْدِي)
(حُلِقت كيف أتته ... قبل أن يُنجِزَ وعدِي)
كيف تم التعارف بينه وبين أبي تمام
وقد روي في غير هذه الحكاية أن اسم الغلام شندان
حدثني علي بن سليمان قال حدثني أبو الغوث بن البحتري عن
أبيه وحدثني عمي قال حدثني علي بن العباس النوبختي عن البحتري وقد جمعت الحكايتين وهما قريبتان قال
أول ما رأيت أبا تمام أني دخلت على أبي سعيد محمد بن يوسف وقد مدحته بقصيدتي
(أأفاق صبٌّ من هَوًى فأُفِيقَا ... أو خان عهداً أو أطاع شفيقا)
فسر بها أبو سعيد وقال أحسنت والله يا فتى وأجدت قال وكان في مجلسه رجل نبيل رفيع المجلس منه فوق كل من حضر عنده تكاد تمس ركبته ركبته فأقبل علي ثم قال يا فتى أما تستحي مني هذا شعر لي تنتحله وتنشده بحضرتي فقال له أبو سعيد أحقا تقول قال نعم وإنما علقه مني فسبقني به إليك وزاد فيه ثم اندفع فأنشد أكثر هذه القصيدة حتى شككني علم الله في نفسي وبقيت متحيرا فأقبل علي أبو سعيد فقال يا فتى قد كان في قرابتك منا وودك لنا ما يغنيك عن هذا فجعلت أحلف له بكل محرجة من الأيمان أن الشعر لي ما سبقني إليه أحد ولا سمعته منه ولا انتحلته فلم ينفع ذلك شيئا وأطرق أبو سعيد وقطع بي حتى تمنيت أني سخت في الأرض فقمت منكسر البال أجر رجلي فخرجت فما هو إلا أن بلغت باب الدار حتى خرج الغلمان فردوني فأقبل علي الرجل فقال الشعر لك يا بني والله ما قلته قط ولا سمعته إلا منك ولكنني ظننت أنك تهاونت بموضعي فأقدمت على الإنشاد بحضرتي من غير معرفة كانت بيننا تريد بذلك مضاهاتي ومكاثرتي حتى عرفني الأمير نسبك وموضعك ولوددت ألا تلد أبدا طائية إلا مثلك وجعل أبو سعيد يضحك ودعاني أبو تمام وضمني إليه وعانقني وأقبل
يقرظني ولزمته بعد ذلك وأخذت عنه واقتديت به هذه رواية من ذكرت
وقد حدثني علي بن سليمان الأخفش أيضا قال حدثني عبد الله بن الحسين بن سند القطربلي
أن البحتري حدثه أنه دخل على أبي سعيد محمد بن يوسف الثغري وقد مدحه بقصيدة وقصده بها فألفى عنده أبا تمام وقد أنشده قصيدة له فيه فاستأذنه البحتري في الإنشاد وهو يومئذ حديث السن فقال له يا غلام أتنشدني بحضرة أبي تمام فقال تأذن ويستمع فقام فأنشده إياها وأبو تمام يسمع ويهتز من قرنه إلى قدمه استحسانا لها فلما فرغ منها قال أحسنت والله يا غلام فممن أنت قال من طيء فطرب أبو تمام وقال من طيء الحمد لله على ذلك لوددت أن كل طائية تلد مثلك وقبل بين عينيه وضمه إليه وقال لمحمد بن يوسف قد جعلت له جائزتي فأمر محمد بها فضمت إلى مثلها ودفعت إلى البحتري وأعطى أبا تمام مثلها وخص به وكان مداحا له طول أيامه ولابنه بعده ورثاهما بعد مقتليهما فأجاد ومراثيه فيهما أجود من مدائحه وروي أنه قيل له في ذلك فقال من تمام الوفاء أن تفضل المراثي المدائح لا كما قال الآخر وقد سئل عن ضعف مراثيه فقال كنا نعمل للرجاء نحن نعمل اليوم للوفاء
وبينهما بعد
حدثني حكم بن يحيى الكنتحي قال
بعض من صفاته
كان البحتري من أوسخ خلق الله ثوبا وآلة وأبخلهم على كل شيء وكان له أخ وغلام معه في داره فكان يقتلهما جوعا فإذا بلغ منهما الجوع أتياه يبكيان فيرمي إليهما بثمن أقواتهما مضيقا مقترا ويقول كلا أجاع الله أكبادكما وأعرى أجلادكما وأطال إجهادكما
قال حكم بن يحيى وأنشدته يوما من شعر أبي سهل بن نوبخت فجعل يحرك رأسه فقلت له ما تقول فيه فقال هو يشبه مضغ الماء ليس له طعم ولا معنى
وحدثني أبو مسلم محمد بن بحر الأصبهاني الكاتب قال
دخلت على البحتري يوما فاحتبسني عنده ودعا بطعام له ودعاني إليه فامتنعت من أكله وعنده شيخ شامي لا أعرفه فدعاه إلى الطعام فتقدم وأكل معه أكلا عنيفا فغاظه ذلك والتفت إلي فقال لي أتعرف هذا الشيخ فقلت لا قال هذا شيخ من بني الهجيم الذين يقول فيهم الشاعر
(وبَنو الهُجَيْم قبيلةٌ مَلْعونةٌ ... حُصُّ اللِّحى مُتشابِهو الألْوانِ)
(لو يسمعون بأكلة أو شَرْبة ... بعُمانَ أصبح جَمعُهم بعُمانِ)
قال فجعل الشيخ يشتمه ونحن نضحك
وحدثني جحظة قال حدثني علي بن يحيى المنجم قال
اجتازت جارية بالمتوكل معها كوز ماء وهي أحسن من القمر فقال لها ما اسمك
قالت برهان قال ولمن هذا الماء قالت لستي قبيحة قال صبيه في حلقي فشربه عن آخره ثم قال للبحتري قل في هذا شيئا فقال البحتري
(ما شَرْبَةٌ من رَحِيق كأسُها ذَهَبٌ ... جاءت بها الحُورُ من جَنَّات رِضْوان)
(يوما بأطيبَ من ماءٍ بلا عَطَش ... شربتُه عبثاً من كف بُرْهان)
أخبرني علي بن سليمان الأخفش وأحمد بن جعفر جحظة
قالا حدثنا أبو الغوث بن البحتري قال
كتبت إلى أبي يوما أطلب منه نبيذا فبعث إلي بنصف قنينة دردي وكتب إلي دونكها يا بني فإنها تكشف القحط وتضبط الرهط
قال الأخفش وتقيت الرهط
خبره مع أحمد بن علي الإسكافي
حدثني أبو الفضل عباس بن أحمد بن ثوابة قال
قدم البحتري النيل على أحمد بن علي الإسكافي مادحا له فلم يثبه ثوابا يرضاه بعد أن طالت مدته عنده فهجاه بقصيدته

التي يقول فيها
(ما كسبنا من أحمدَ بن عَلِيٍّ ... ومن النَّيل غيرَ حُمَّى النَّيل)
وهجاه بقصيدة أخرى أولها
(... قِصَّةُ النَّيل فاسمعوها عُجابَه)
فجمع إلى هجائه إياه هجاء أبي ثوابة وبلغ ذلك أبي فبعث إليه بألف درهم وثياب ودابة بسرجها ولجامها فرده إليه وقال قد أسلفتكم إساءة لا يجوز معها قبول رفدكم فكتب إليه أبي أما الإساءة فمغفورة وأما المعذرة فمشكورة والحسنات يذهبن السيئات وما يأسو جراحك مثل يدك
ولقد رددت إليك ما رددته علي وأضعفته فإن تلافيت ما فرط منك أثبنا وشكرنا وإن لم تفعل احتملنا وصبرنا
فقبل ما بعث به وكتب إليه كلامك والله أحسن من شعري وقد أسلفتني ما أخجلني وحملتني ما اثقلني وسيأتيك ثنائي
ثم غدا إليه بقصيدة أولها
(... ضَلالٌ لها ماذا أرادت إلى الصّد)
وقال فيه بعد ذلك
(... برقٌ أضاء العقيقَ من ضَرَمِه)
وقال فيه أيضا
(دانٍ دعا داعي الصَّبا فأجابَهْ)
قال ولم يزل أبي يصله بعد ذلك ويتابع بره لديه حتى افترقا
شعره في نسيم غلامه
أخبرني جحظة قال
كان نسيم غلام البحتري الذي يقول فيه
((دَعا عَبْرتي تجري على الجَور والقصد ... ظنُّ نسيماً قارِفَ الهمِّ من بعدي
(خلاَ ناظِري من طيفِه بعد شخصِه ... فيا عجبا للدَّهْر فقدٌ على فَقْدِ)
غلاما روميا ليس بحسن الوجه وكان قد جعله بابا من أبواب الحيل على الناس فكان يبيعه ويعتمد أن يصيره إلى ملك بعض أهل المروءات ومن ينفق عنده الأدب فإذا حصل في ملكه شبب به وتشوقه ومدح مولاه حتى يهبه له فلم يزل ذلك دأبه حتى مات نسيم فكفي الناس أمره
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال
كتب البحتري إلى أبي محمد بن علي القمي يستهديه نبيذا فبعث إليه نبيذا مع غلام له أمرد فجمشه البحتري فغضب الغلام غضبا شديدا دل البحتري على أنه سيخبر مولاه بما جرى فكتب إليه
(أبا جعفرٍ كان تَجْميشُنا ... غلامَك إحدى الهَنات الدَّنِّيهْ)
(بعثتَ إلينا بشمس المُدام ... تضيء لنا مع شمس البُريّهْ)
(فليت الهديّة كان الرّسول ... وليتَ الرسولَ إلينا الهديّهْ)
فبعث إليه محمد بن علي الغلام هدية فانقطع البحتري عنه بعد ذلك مدة خجلا مما جرى فكتب إليه محمد بن علي
(هجرتَ كأنّ البِرّ أعقب حِشمَةً ... ولم أرَ وَصْلاً قبل ذا أعقب الهَجْرا)
فقال فيه قصيدته التي أولها
((فتى مَذْحج عَفْواً فتى مذحجٍ غُفْرا
وهي طويلة
وقال فيه أيضا
(أمواهبٌ هاتيك أم أنواءُ ... هُطُلٌ وأخذٌ ذاكَ أم إعطاءُ)
(إن دامَ ذا أو بعضُ ذا من فعل ذا ... ذهب السخاءُ فلا يُعَدُّ سَخاءُ)
(ليس الذي حلّت تمِيمٌ وسْطَه الدّهناء ... لكن صدرُكَ الدهناءُ)
(ملك أغرّ لآل طَلحة مَجدُه ... كفّاه بحرُ سماحةٍ وسماءُ)
(وشريف أشراف إذا احتكَّت بهم ... جُرُبُ القبائلِ أحسنوا وأساءوا)
(أمحمدُ بنَ عليٍّ اسمَعْ عُذْرَةً ... فيها شفاءٌ للمُسيء وداءُ)
(مالي إذا ذُكِر الكِرامُ رأيتُني ... مالِي مع النّفر الكرامِ وَفاءُ)
(يضفو عليَّ العَذْلُ وهو مُقاربٌ ... ويضيق عني العُذْرُ وهْو فَضاءُ)
(إنّي هجرتُك إذ هجرتُك حِشْمةً ... لا العَوْدُ يُذهِبُها ولا الإبداءُ)
(أخجلتَني بَندَى يديْك فسوّدت ... ما بيننا تلك اليدُ البَيضاءُ)
(وقطعتَني بالبرّ حتى إنّني ... متوهّم أن لا يكون لقاءُ)
(صِلَةٌ غدَت في الناس وهْي قطيعةٌ ... عجباً وبِرٌّ راح وهْو جَفاء)
(ليواصِلنَّك رَكْبُ شِعرِيَ سائرا ... تُهدَى به في مدحك الأعداءُ)
(حتى يتمّ لك الثّناءُ مُخَلَّداً ... أبداً كما دامت لك النّعماء)
(فتظلَّ تَحسُدك الملوكُ الصيدُ بي ... وأظَلَّ يحْسدُني بك الشُّعراء)
مات في السكتة
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال سألني القاسم بن عبيد الله عن خبر البحتري وقد كان أسكت ومات من تلك العلة فأخبرته بوفاته وأنه مات في تلك السكتة فقال ويحه رمي في أحسنه
أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني محمد بن علي الأنباري قال
سمعت البحتري يقول أنشدني أبو تمام يوما لنفسه
(وسابحٍ هطِلِ التَّعداء هَتّانِ ... على الجراءِ أمِينٍ غير خوَّانِ)
(أظْمى الفصوصِ ولم تظمأ قوائِمهُ ... فخلِّ عينيك في ظمآنَ رَيّانِ)
(فلو تراه مُشيحا والحصى زِيَمٌ ... بين السّنابك من مثنًى ووُحدان)

(أيقنتَ إنْ لم تَثَبَّتْ أنّ حافَره ... من صَخْر تَدْمُر أو من وَجْه عثمان)
ثم قال لي ما هذا الشعر قلت لا أدري قال هذا هو المستطرد أو قال الاستطراد
قلت وما معنى ذلك قال يريك أنه يريد وصف الفرس وهو يريد هجاء عثمان وقد فعل البحتري ذلك فقال في صفة الفرس
(ما إن يَعافُ قَذًى ولو أوردتَه ... يوماً خلائقَ حَمْدَوَيْهِ الأحول)
وكان حمدويه الأحول عدوا لمحمد بن علي القمي الممتدح بهذه القصيدة فهجاه في عرض مدحه محمدا
والله أعلم

رأي أبي تمام في شاعريته

حدثني علي بن سليمان الأخفش
قال حدثني أبو الغوث بن البحتري قال حدثني أبي قال قال لي أبو تمام بلغني أن بني حميد أعطوك مالا جليلا فيما مدحتهم به فأنشدني شيئا منه فأنشدته بعض ما قلته فيهم فقال لي كم أعطوك فقلت كذا وكذا فقال ظلموك والله ما وفوك حقك فلم استكثرت ما دفعوه إليك والله لبيت منها خير مما أخذت ثم أطرق قليلا ثم قال لعمري لقد استكثرت ذلك واستكثر لك لما مات الناس وذهب الكرام وغاضت المكارم فكسدت سوق الأدب أنت والله يا بني أمير الشعراء غدا بعدي فقمت فقبلت رأسه ويديه ورجليه وقلت له والله لهذا القول أسر إلى قلبي وأقوى لنفسي مما وصل إلي من القوم
حدثني محمد بن يحيى عن الحسن بن علي الكاتب قال قال لي البحتري أنشدت أبا تمام يوما شيئا من شعري فتمثل ببيت أوس بن حجر
(إذا مُقرمٌ منا ذرا حدُّ نابِه ... تخمَّطَ فينا نابُ آخَر مُقرَمِ)
ثم قال لي نعيت والله إلي نفسي فقلت أعيذك بالله من هذا القول فقال إن عمري لن يطول وقد نشأ في طيء مثلك أما علمت أن خالد
ابن صفوان رأى شبيب بن شيبة وهو من رهطه يتكلم فقال يا بني لقد نعى إلي نفسي إحسانك في كلامك لأنا أهل بيت ما نشأ فينا خطيب قط إلا مات من قبله فقلت له بل يبقيك الله ويجعلني فداءك
قال ومات أبو تمام بعد سنة

شعره في المتوكل

حدثني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني أبو العنبس الصيمري قال كنت عند المتوكل والبحتري ينشده
(عن أيّ ثغر تبتَسِمْ ... وبأيّ طرفٍ تحتكمْ)
حتى بلغ إلى قوله
(قل للخليفَة جعفر المتوكّل ... بن المعتصم)
(المُبْتدِي للمُجْتَدِي ... والمنعِم بن المُنْتَقِم)
(اسلَمْ لدِين محمدٍ ... فإذا سلمتَ فقد سلِمْ)
قال وكان البحتري من أبغض الناس إنشادا يتشادق ويتزاور في مشيه مرة جانبا ومرة القهقرى ويهز رأسه مرة ومنكبيه أخرى ويشير بكمه ويقف عند كل بيت ويقول أحسنت والله ثم يقبل على المستمعين فيقول ما لكم لا تقولون أحسنت هذا والله ما لا يحسن أحد
أن يقول مثله فضجر المتوكل من ذلك وأقبل علي وقال أما تسمع يا صيمري ما يقول فقلت بلى يا سيدي فمرني فيه بما أحببت فقال بحياتي اهجه على هذا الروي الذي أنشدنيه فقلت تأمر ابن حمدون أن يكتب ما أقول فدعا بدواة وقرطاس وحضرني على البديهة أن قلت

المتوكل يأمر الصيمري أن يهجوه

(أدخلتَ رأسك في الرّحم ... وعلمتَ أنّك تنهَزِمْ)
(يا بحتريُّ حَذار وَيْحَك ... من قُضاقِضةٍ ضُغُم)
(فلقد أسلْتَ بواديَيْك ... من الهجا سَيْلَ العَرِمْ)
(فبأيِّ عِرْضٍ تَعتصمْ ... وبَهتِكه جَفَّ القَلَمْ)
(والله حِلْفَةَ صادقٍ ... وبقبر أحمد والحرَمْ)
(وبحقّ جعفرٍ الإمامِ ... ابن الإمام المعتصِمْ)
(لأصَيِّرنَّك شُهرةً ... بين المَسيل إلى العَلَمْ)
(حَيِّ الطّلول بذي سلَمْ ... حيثُ الأراكةُ والخِيَمْ)
(يا بنَ الثَّقِيلَة والثقيل ... على قُلوبِ ذَوي النِّعم)
(وعلى الصغير مع الكبير ... من المَوالي والحَشَمْ)
(في أيّ سَلْح ترتطمْ ... وبأيّ كفّ تلتقِمْ)
(يا بنَ المُباحةِ للورَى ... أمن العفاف أم التُّهَم)
(إذ رَحلُ أختكَ للعَجَم ... وفراشُ أمّك في الظُّلَم)
((وبباب دَارك حانَةٌ ... في بَيْتِه يُؤتَى الحَكَمْ)
قال فغضب وخرج يعدو وجعلت أصيح به
(أدخلت رأسك في الرّحِمْ ... وعلمتَ أنّك تَنْهَزِم)
والمتوكل يضحك ويصفق حتى غاب عن عينه
هكذا حدثني جحظة عن أبي العنبس
ووجدت هذه الحكاية بعينها بخط الشاهيني حكاية عن أبي العنبس فرأيتها قريبة اللفظ موافقة المعنى لما ذكره جحظة والذي يتعارفه الناس أن أبا العنبس قال هذه الأبيات ارتجالا وكان واقفا خلف البحتري فلما ابتدأ وأنشد قصيدته
(عن ايّ ثغرٍ تبتسِمْ ... وبأيّ طرْف تحتكِم)
صاح به أبو العنبس من خلفه
(في أيّ سَلْح ترتَطِم ... وبأيّ كَفٍّ تَلْتَقِمْ)
(أدخلتَ رأسَك في الرّحِم ... وعلمتَ أنك تنهزمْ)

فغضب البحتري وخرج فضحك المتوكل حتى أكثر وأمر لأبي العنبس بعشرة آلاف درهم والله أعلم
وأخبرني بهذا الخبر محمد بن يحيى الصولي وحدثني عبد الله بن أحمد بن حمدون عن أبيه قال وحدثني يحيى بن علي عن أبيه
أن البحتري أنشد المتوكل وأبو العنبس الصيمري حاضر قصيدته
(عن أيّ ثَغْر تَبْتَسم ... وبأيّ طَرْف تحتكم)
إلى آخرها وكان إذا أنشد يختال ويعجب بما يأتي به فإذا فرغ من القصيدة رد البيت الأول فلما رده بعد فراغه منها وقال
((عن أيّ ثغر تبتسم ... وبأيّ طرف تحتكم
قال أبو العنبس وقد غمزه المتوكل أن يولع به
(في أي سَلْحٍ تَرْتَطِم ... وبأي كفٍّ تَلْتَقِمْ)
(أدخلت رأسك في الرّحم ... وعلمتَ أنّك تَنْهَزِمْ)
فقال نصف البيت الثاني فلما سمع البحتري قوله ولى مغضبا فجعل أبو العنبس يصيح به
(... وعلمتَ أنك تنهزم)
فضحك المتوكل من ذلك حتى غلب وأمر لأبي العنبس بالصلة التي أعدت للبحتري
قال أحمد بن زياد فحدثني أبي قال
جاءني البحتري فقال لي يا أبا خالد أنت عشيرتي وابن عمي وصديقي وقد رأيت ما جرى علي أفتأذن لي أن أخرج إلى منبج بغير إذن فقد ضاع العلم وهلك الأدب فقلت لا تفعل من هذا شيئا فإن الملوك تمزح بأعظم مما جرى ومضيت معه إلى الفتح فشكا إليه ذلك فقال له نحوا من قولي ووصله وخلع عليه فسكن إلى ذلك
الصيمري يصر على هجائه بعد موت المتوكل
حدثني جحظة عن علي بن يحيى المنجم قال
لما قتل المتوكل قال أبو العنبس الصيمري
((يا وحشةَ الدنيا على جَعْفَرِ ... على الهمامِ الملك الأزْهر
(على قتيلٍ من بني هاشمٍ ... بين سريرِ المُلْكِ والمِنْبَر)
(واللّهِ ربِّ البَيْتِ والمَشْعَر ... والله أن لو قُتِل البُحْتُري)
(لثارَ بالشّام له ثائرٌ ... في ألف بَغْلٍ من بني عَضْ خَرى)
(يقدُمهم كُلُّ أخي ذِلّة ... على حمارٍ دابِرٍ أعورِ)
فشاعت الأبيات حتى بلغت البحتري فضحك ثم قال هذا الأحمق يرى أني أجيبه على مثل هذا فلو عاش امرؤ القيس فقال من كان يجيبه
ذكر نتف من أخبار عريب مستحسنة
منزلتها في الغناء والشعر والخط
كانت عريب مغنية محسنة وشاعرة صالحة الشعر وكانت مليحة الخط والمذهب في الكلام ونهاية في الحسن والجمال والظرف وحسن الصورة وجودة الضرب وإتقان الصنعة والمعرفة بالنعم والأوتار والرواية للشعر والأدب لم يتعلق بها أحد من نظرائها ولا رئي في النساء بعد القيان الحجازيات القديمات مثل جميلة وعزة الميلاء وسلامة الزرقاء ومن جرى مجراهن على قلة عددهن نظير لها وكانت فيها من الفضائل التي وصفناها ما ليس لهن مما يكون لمثلها من جواري الخلفاء ومن نشأ في
قصور الخلافة وغذي برقيق العيش الذي لا يدانيه عيش الحجاز والنش بين العامة والعرب الجفاة ومن غلظ طبعه وقد شهد لها بذلك من لا يحتاج مع شهادته إلى غيره
أخبرني محمد بن خلف وكيع عن حماد بن إسحاق قال قال لي أبي
ما رأيت امرأة أضرب من عريب ولاأحسن صنعة ولا أحسن وجها ولا أخف روحا ولا أحسن خطابا ولا أسرع جوابا ولا ألعب بالشطرنج والنرد ولا أجمع لخصلة حسنة لم أر مثلها في امرأة غيرها
قال حماد فذكرت ذلك ليحيى بن أكثم في حياة أبي فقال صدق أبو محمد هي كذلك قلت أفسمعتها قال نعم هناك يعني في دار المأمون قلت أفكانت كما ذكر أبو محمد في الحذق فقال يحيى هذه مسألة الجواب فيها على أبيك فهو أعلم مني بها فأخبرت بذلك أبي فضحك ثم قال ما استحييت من قاضي القضاة أن تسأله عن مثل هذا
أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني أبي قال
قال لي إسحاق كانت عندي صناجة كنت بها معجبا واشتهاها أبو إسحاق المعتصم في خلافة المأمون فبينا أنا ذات يوم في منزلي إذ أتاني إنسان يدق الباب دقا شديدا فقلت أنظروا من هذا فقالوا رسول أمير المؤمنين فقلت ذهبت صناجتي تجده ذكرها له ذاكر فبعث إلي فيها
فلما مضى بي الرسول انتهيت إلى الباب وأنا مثخن فدخلت فسلمت فرد علي السلام ونظر إلى تغير وجهي فقال لي اسكن فسكنت فقال
لي غن صوتا وقال لي أتدري لمن هو فقلت أسمعه ثم أخبر أمير المؤمنين إن شاء الله ذلك فأمر جارية من وراء الستارة فغنته وضربت فإذا هي قد شبهته بالغناء القديم فقلت زدني معها عودا آخر فإنه أثبت لي فزادني عودا آخر فقلت هذا الصوت محدث لامرأة ضاربة قال من أين قلت ذاك قلت لما سمعت لينه عرفت أنه محدث من غناء النساء ولما رأيت جودة مقاطعه علمت أن صاحبته ضاربة وقد حفظت مقاطعه وأجزاءه ثم طلبت عودا آخر فلم أشك فقال صدقت الغناء لعريب
عدت أصواتها فكانت ألفا
قال ابن المعتز وقال يحيى بن علي
أمرني المعتمد على الله أن أجمع غناءها الذي صنعته فأخذت منها دفاترها وصحفها التي كانت قد جمعت فيها غناءها فكتبته فكان ألف صوت
وأخبرني علي بن عبد العزيز عن ابن خرداذبه
أنه سأل عريب عن صنعتها فقالت قد بلغت إلى هذا الوقت ألف صوت

وحدثني محمد بن إبراهيم قريض أنه جمع غناءها من ديواني ابن المعتز وأبي العبيس بن حمدون وما أخذه عن بدعة جاريتها التي أعطاها إياها بنو هاشم فقابل بعضه ببعض فكان ألفا ومائة وخمسة وعشرين صوتا
وذكر العتابي أن أحمد بن يحيى حدثه قال
سمعت أبا عبد الله الهشامي يقول وقد ذكرت صنعة عريب صنعتها مثل قول أبي دلف في خالد بن يزيد حيث يقول
(يا عينُ بَكى خالِدا ... ألْفا ويُدعَى واحدًا)
يريد أن غناءها ألف صوت في معنى واحد فهي بمنزلة صوت واحد
وحكى عنه أيضا هذه الحكاية ابن المعتز
وهذا تحامل لا يحل ولعمري إن في صنعتها لأشياء مرذولة لينة وليس ذلك مما يضعها ولا عري كبير أحد من المغنين القدماء والمتأخرين من أن يكون في صنعته النادر والمتوسط سوى قوم معدودين مثل ابن محرز ومعبد في القدماء ومثل إسحاق وحده في المتأخرين وقد عيب بمثل هذا ابن سريج في محله فبلغه أن المغنين يقولون إنما يغني ابن سريج الأرمال والخِفاف وغناؤه يصلح للأعراس والولائم فبلغه ذلك فتغنى بقوله
(لقد حبَّبَتْ نُعمٌ إلينا بوجهها ... مساكنَ ما بين الوتائِر فالنَّقْع)
ثم توفي بعدها وغناؤه يجري مجرى المعيب عليه
وهذا إسحاق يقول في أبيه على عظيم محله في هذه الصناعة وما كان إسحاق يشيد به من ذكره وتفضيله على ابن جامع وغيره ولأبي ستمائة صوت منها مائتان تشبه فيها بالقديم وأتى بها في نهاية من الجودة ومائتان غناء وسط مثل أغاني سائر الناس ومائتان فلسية ووددت أنه لم يظهرها وينسبها لنفسه فأسترها عليه فإذا كان هذا قول إسحاق في أبيه فمن يعتذر بعده من أن يكون له جيد ورديء وما عري أحد في صناعة من الصناعة من حال ينقصه عن الغاية لأن الكمال شيء تفرد الله العظيم به والنقصان جبلة طبع بني آدم عليها وليس ذلك إذا وجد في بعض أغاني عريب مما يدعو إلى إسقاط سائرها ويلزمه اسم الضعف واللين وحسب المحتج لها شهادة إسحاق بتفضيلها وقلما شهد لأحد أو سلم خلق وإن تقدم وأجمع على فضله من شينه إياه وطعنه عليه لنفاسته في هذه الصناعة واستصغاره أهلها فقد تقدم في أخباره مع علوية ومخارق وعمرو بن بانة وسليم بن سلام وحسين بن محرز ومن قبلهم ومن فوقهم مثل ابن جامع وإبراهيم بن المهدي وتهجينه إياهم وموافقته لهم على خطئهم فيما غنوه وصنعوه مما يستغنى به عن الإعادة في هذا الموضع فإذا انضاف فعله هذا بهم وتفضيله إياها كان ذلك أدل دليل على التحامل ممن طعن عليها وإبطاله فيما ذكرها به ولقائل ذلك وهو أبو عبد الله الهشامي سبب كان يصطنعه عليها فدعاه إلى ما قال نذكره بعد هذا إن شاء الله تعالى
ومما يدل على إبطاله أن المأمون أراد أن يمتحن إسحاق في المعرفة
بالغناء القديم والحديث فامتحنه بصوت من غنائها من صنعتها فكاد يجوز عليه لولا أنه أطال الفكر والتلوم واستثبت مع علمه بالمذاهب في الصنعة وتقدمه في معرفة النغم وعللها والإيقاعات ومجاريها
وأخبرنا بذلك يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني أبي عن إسحاق
فأما السبب الذي كان من أجله يعاديها الهشامي فأخبرني به يحيى بن محمد بن عبد الله بن طاهر قال ذكر لأبي أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر عمي أن الهشامي زعم أن أحسن صوت صنعته عريب
(... صَاحِ قد لمتَ ظالما)
وأن غناءها بمنزلة قول أبي دلف في خالد
(يا عينُ بكي خالدا ... ألفاً ويُدعَى واحِدا)
فقال ليس الأمر كما ذكر ولعريب صنعة فاضلة متقدمة وإنما قال هذا فيها ظلما وحسدا وغمطها ما تستحقه من التفضيل بخبر لها معه طريف فسألناه عنه فقال أخرجت الهشامي معي إلى سر من رأى بعد وفاة أخي يعني أبا محمد بن عبد الله بن طاهر فأدخلته على المعتز وهو يشرب وعريب تغني فقال له يا بن هشام غن فقال تبت من الغناء مذ قتل سيدي المتوكل فقالت له عريب قد والله أحسنت حيث تبت فإن غناءك كان قليل المعنى لا متقن ولا صحيح ولا مطرب فأضحكت أهل المجلس جميعا منه فخجل فكان بعد ذلك يبسط لسانه فيها ويعيب
صنعتها ويقول هي ألف صوت في العدد وصوت واحد في المعنى
وليس الأمر كما قاله إن لها لصنعة تشبهت فيها بصنعة الأوائل وجودت وبرزت فيها منها
(... أَئن سكنت نَفْسِي وقلَّ عَويلُها)
ومنها
(... تقول هَمِّي يومَ وَدَّعتها)
ومنها
(... إذا أردت انتصافا كان ناصركم)
ومنها
(... بأبي من هو دائي)
ومنها
(... أسلموها في دمشقَ كما)
ومنها
(... فلا تتعنّتي ظلما وزورا)
ومنها
(... لقد لام ذا الشوق الخَلِيُّ من الهوى)
ونسخت ما أذكره من أخبارها فأنسبه إلى ابن المعتز من كتاب دفعه إلي محمد بن إبراهيم الجراحي المعروف بقريض وأخبرني أن عبد الله بن المعتز دفعه إليه من جمعه وتأليفه فذكرت منها ما استحسنته من أحاديثها إذ كان فيها حشو كثير وأضفت إليه ما سمعته ووقع إلي غير مسموع مجموعا ومتفرقا ونسبت كل رواية إلى راويها

نسبها

قال ابن المعتز حدثني الهشامي أبو عبد الله وأخبرني علي بن عبد العزيز عن ابن خرداذبة قالا

كانت عريب لعبد الله بن إسماعيل صاحب مراكب الرشيد وهو الذي رباها وأدبها وعلمها الغناء
قال ابن المعتز وحدثني غير الهشامي عن إسماعيل بن الحسين خال المعتصم أنها بنت جعفر بن يحيى وأن البرامكة لما انتهبوا سرقت وهي صغيرة
قال فحدثني عبد الواحد بن إبراهيم بن محمد بن الخصيب قال
حدثني من أثق به عن أحمد بن عبد الله بن إسماعيل المراكبي أن أم عريب كانت تسمى فاطمة وكانت قيمة لأم عبد الله بن يحيى بن خالد وكانت صبية نظيفة فرآها جعفر بن يحيى فهويها وسأل أم عبد الله أن تزوجه إياها ففعلت وبلغ الخبر يحيى بن خالد فأنكره وقال له أتتزوج من لا تعرف لها أم ولا أب اشتر مكانها مائة جارية وأخرجها فأخرجها وأسكنها دارا في ناحية باب الأنبار سرا من أبيه
ووكل بها من يحفظها وكان يتردد إليها فولدت عريب في سنة إحدى وثمانين ومائة فكانت سنوها إلى أن ماتت ستا وتسعين سنة قال وماتت أم عريب في حياة جعفر فدفعها إلى امرأة نصرانية وجعلها داية لها فلما حدثت الحادثة بالبرامكة باعتها من سنبس النخاس فباعها من المراكبي
قال ابن المعتز وأخبرني يوسف بن يعقوب
أنه سمع الفضل بن مروان يقول كنت إذا نظرت إلى قدمي عريب شبهتهما بقدمي جعفر بن يحيى قال وسمعت من يحكي أن بلاغتها في كتبها ذكرت لبعض الكتاب فقال فما يمنعها من ذلك وهي بنت جعفر بن يحيى
وأخبرني جحظة قال دخلت إلى عريب مع شروين المغني وأبي العبيس بن حمدون وأنا يومئذ غلام علي قباء ومنطقة فأنكرتني وسألت عني فاخبرها شروين وقال هذا فتى من أهلك هذا ابن جعفر بن موسى ابن يحيى بن خالد وهو يغني بالطنبور فأدنتني وقربت مجلسي ودعت بطنبور وأمرتني بأن أغني فغنيت أصواتا فقالت قد أحسنت يا بني ولتكونن مغنيا ولكن إذا حضرت بين هذين الأسدين ضعت أنت وطنبورك بين عوديهما وأمرت لي بخمسين دينارا
قال ابن المعتز وحدثني ميمون بن هارون
قال
حدثتني عريب قالت بعث الرشيد إلى أهلها تعني البرامكة رسولا يسألهم عن حالهم وأمره ألا يعلمهم أنه من قبله قالت فصار إلى عمي الفضل فسأله فأنشأ عمي يقول
صوت
(سألُونا عن حالنا كيف أنتمُ ... مَنْ هَوَى نَجمهُ فكيفَ يكونُ)
(نحن قومٌ أصابنا عَنَتُ الدّهر ... فَظَلْنا لريبه نَسْتكينُ)
ذكرت عريب أن هذا الشعر للفضل بن يحيى ولها فيه لحنان ثاني ثقيل وخفيف ثقيل كلاهما بالوسطى وهذا غلط من عريب ولعله بلغها أن الفضل تمثل بشعر غير هذا فأنسيته وجعلت هذا مكانه
فأما هذا الشعر فللحسين بن الضحاك لا يشك فيه يرثي به محمدا الأمين بعد قوله
(نحن قوم أصابنا حادثُ الدَّهر ... فظلْنا لرَيْبه نَسْتكِينُ)
(نتمنَّى من الأمين إياباً ... كلّ يوم وأينَ منّا الأمينُ)
وهي قصيدة
هربت إلى معشوقها ومكثت عنده زمانا
قال ابن المعتز وحدثني الهشامي
أن مولاها خرج إلى البصرة وأدبها وخرجها وعلمها الخط والنحو والشعر والغناء فبرعت في ذلك كله وتزايدت حتى قالت الشعر وكان لمولاها صديق يقال له حاتم بن عدي من قواد خراسان وقيل إنه كان يكتب لعجيف على ديوان الفرض فكان مولاها يدعوه كثيرا ويخالطه ثم ركبه دين فاستتر عنده فمد عينه إلى عريب فكاتبها فأجابته وكانت المواصلة بينهما وعشقته عريب فلم تزل تحتال حتى اتخذت سلما من عقب وقيل من خيوط غلاظ وسترته حتى إذا همت بالهرب إليه بعد انتقاله عن منزل مولاها بمدة وقد أعد لها موضعا لفت ثيابها وجعلتها في فراشها بالليل ودثرتها بدثارها ثم تسورت من الحائط حتى هربت فمضت إليه فمكثت عنده زمانا قال وبلغني أنها لما صارت عنده بعث إلى مولاها يستعير منه عودا تغنيه به فأعاره عودها وهو لا يعلم أنها عنده ولا يتهمه بشيء من أمرها فقال عيسى بن عبد الله بن إسماعيل المراكبي وهو عيسى ابن زينب يهجو أباه ويعيره بها وكان كثيرا ما يهجوه
(قاتلَ اللّه عَرِيبَا ... فعلَت فِعْلاً عَجِيبَا)
(رَكِبت والليلُ دَاجٍ ... مركباً صَعْباً مهوبا)
(فارتقَت مُتّصِلا بالنَّجم ... أو منه قريبا)
(صبرت حتى إذا ما ... أقصد النّومُ الرَّقيبا)
(مَثَّلت بين حَشَايَا ... هالِكيلا تَستريبَا)
(خَلفاً منها إذا نودِيَ ... لم يُلفَ مُجيبَا)
(ومضت يحملها الخوفُ ... قَضيباً وكَثِيبا)
(مُحّةً لو حُرّكت خِفْتَ ... عليها أن تَذوبا)
(فتدلّت لمُحِبّ ... فتلقّاها حَبِيبَا)
(جَذِلاً قد نال في الدُّنْيا ... من الدُّنيا نصِيبا)
(أيّها الظَّبْي الذي تَسحَرُ ... عيناه القُلُوبَا)
(والذي يأكل بعضا ... بَعضُه حُسناً وطِيبا)
(كُنتَ نَهْباً لذئابٍ ... فَلَقَد أطعمْتَ ذِيبا)
(وكذا الشاةُ إذا لم ... يَكُ راعيها لَبيبَا)
(لا يُبالي وبأ المَرْعَى ... إذا كان خَصيبا)
(فلقد أصبح عبدُ اللّه ... كشخانَ حَرِيبَا)
(قد لعمري لَطَم الوَجهَ ... وقد شَقَّ الجيوبَا)
(وجرت منه دُموعٌ ... بلّت الشَّعْر الخَضِيبا)

وقال ابن المعتز حدثنا محمد بن موسى بن يونس
أنها ملته بعد ذلك فهربت منه فكانت تغني عند أقوام عرفتهم ببغداد وهي متسترة متخفية فلما كان يوم من الأيام اجتاز ابن أخ للمراكبي ببستان كانت فيه مع قوم تغني فسمع غناءها فعرفه فبعث إلى عمه من وقته وأقام هو بمكانه فلم يبرح حتى جاء عمه فلببها وأخذها فضربها مائة مقرعة وهي تصيح يا هذا لم تقتلني أنا لست أصبر عليك أنا امرأة حرة إن كنت مملوكة فبعني لست أصبر على الضيقة فلما كان من غد ندم على فعله وصار إليها فقبل رأسها ورجلها ووهب لها عشرة آلاف درهم ثم بلغ محمدا الأمين خبرها فأخذها منه قال وكان خبرها سقط إلى محمد في حياة أبيه فطلبها منه فلم يجبه إلى ما سأل وقبل ذلك ما كان طلب منه خادما عنده فاضطغن لذلك عليه فلما ولي الخلافة جاء المراكبي ومحمد راكب ليقبل يده فأمر بمنعه ودفعه ففعل ذلك الشاكري فضربه المراكبي وقال له أتمنعني من يد سيدي أن أقبلها فجاء الشاكري لما نزل محمد فشكاه فدعا محمد بالمراكبي وأمر بضرب عنقه فسئل في أمره
فأعفاه وحبسه وطالبه بخمسمائة ألف درهم مما اقتطعه من نفقات الكراع وبعث فأخذ عريب من منزله مع خدم كانوا له فلما قتل محمد هربت إلى المراكبي فكانت عنده قال وأنشدني بعض أصحابنا لحاتم بن عدي الذي كانت عنده لما هربت إليه ثم ملته فهربت منه وهي أبيات عدة هذان منها
(ورُشُّوا على وَجْهِي من الماء واندُبُوا ... قتيلَ عَرِيبٍ لا قتيلَ حُروبِ)
(فليتكِ إن عجّلتني فقتَلتِني ... تَكونين من بعد الممات نصِيبي)
قال ابن المعتز وأما رواية إسماعيل بن الحسين خال المعتصم فإنها تخالف هذا وذكر أنها إنما هربت من دار مولاها المراكبي إلى محمد بن حامد الخاقاني المعروف بالخشن أحد قواد خراسان قال وكان أشقر أصهب الشعر أزرق وفيه تقول عريب ولها فيه هزج ورمل من روايتي الهشامي وأبي العباس
(بأبِي كلّ أزرقٍ ... أصهبِ اللون أشقرِ)
(جُن قلبي به وليس ... جُنُوني بمُنْكَرِ)
تقول الشعر الفاحش
قال ابن المعتز وحدثني ابن المدبر قال
خرجت مع المأمون إلى أرض الروم أطلب ما يطلبه الأحداث من الرزق فكنا نسير مع العسكر فلما خرجنا من الرقة رأينا جماعة من الحرم
في العماريات على الجمازات وكنا رفقة وكنا أترابا فقال لي أحدهم على بعض هذه الجمازات عريب فقلت من يراهنني أمر في جنبات هذه العماريات وأنشد أبيات عيسى ابن زينب
(قاتل الله عريبَا ... فعلت فعلاً عجيبَا)
فراهنني بعضهم وعدل الرهنان وسرت إلى جانبها فأنشدت الأبيات رافعا صوتي بها حتى أتممتها فإذا أنا بامرأة قد أخرجت رأسها فقالت يا فتى أنسيت أجود الشعر وأطيبه أنسيت قوله
(وعَريبٌ رَطْبَةُ الشَّفْرَيْن ... قد نِيكت ضُروبا)
اذهب فخذ ما بايعت فيه ثم ألقت السجف فعلمت أنها عريب وبادرت إلى أصحابي خوفا من مكروه يلحقني من الخدم
شعر في مظلومة رقيبة عريب
أخبرني إسماعيل بن يونس قال قال لنا عمر بن شبة
كانت للمراكبي جارية يقال لها مظلومة جميلة الوجه بارعة الحسن فكان يبعث بها مع عريب إلى الحمام أو إلى من تزوره من أهله ومعارفه فكانت ربما دخلت معها إلى ابن حامد الذي كانت تميل إليه فقال فيها بعض الشعراء وقد رآها عنده
(لقد ظلموكِ يا مظلومَ لمّا ... أقاموكِ الرّقيبَ على عَريبِ)
(ولو أوْلَوكِ إنصافاً وَعَدْلا ... لما أخلوْكِ أنت من الرّقيبِ
(أَتنْهَين المُريبَ عن المعاصي ... فكيف وأنتِ من شأنِ المُريبِ)
(وكيف يُجانِبُ الجاني ذنوباً ... لديكِ وأنت داعيَةُ الذُّنوبِ)
(فإن يَسْترقِبُوكِ على عَريبٍ ... فما رَقَبُوكِ من غيب القلوبِ)
وفي هذا المعنى وإن لم يكن من جنس ما ذكرته ما أنشدنيه علي بن سليمان الأخفش في رقيبة مغنية استحسنت وأظنه للناشئ
(فديتُكِ لو أنهم أنصَفُوا ... لقد منعوا العينَ عن ناظرَيْكِ)
(ألم يقرءوا ويحهم ما يرون ... من وحي طَرْفك في مُقْلَتَيْكِ)
(وقد بعثوكِ رَقِيباً لنا ... فمن ذا يكون رَقِيباً عليكِ)
(تصُدّين أعْيُنَنا عن سواكِ ... وهل تنظر العينُ إلا إليكِ)
محمد الأمين يبعث في إحضارها وإحضار مولاها
قال ابن المعتز وحدثني عبد الواحد بن إبراهيم عن حماد بن إسحاق عن أبيه وعن محمد بن إسحاق البغوي عن إسحاق بن إبراهيم
أن خبر عريب لما نمي إلى محمد الأمين بعث في إحضارها وإحضار مولاها فأحضرا وغنت بحضرة إبراهيم بن المهدي تقول
(لكلّ أُناسٍ جَوْهَر متنافسٌ ... وأنتِ طرازُ الآنساتِ المَلائح)
فطرب محمد واستعاد الصوت مرارا وقال لإبراهيم يا عم كيف سمعت قال يا سيدي سمعت حسنا وإن تطاولت بها الأيام وسكن روعها ازداد غناؤها حسنا فقال للفضل بن الربيع خذها إليك وساوم بها ففعل فاشتط مولاها في السوم ثم أوجبها له بمائة ألف دينار وانتقض
أمر محمد وشغل عنها وشغلت عنه فلم يأمر لمولاها بثمنها حتى قتل بعد أن افتضها فرجعت إلى مولاها ثم هربت منه إلى حاتم بن عدي وذكر باقي الخبر كما ذكره من تقدم
وقال في خبره إنها هربت من مولاها إلى ابن حامد فلم تزل عنده حتى قدم المأمون بغداد فتظلم إليه المراكبي من محمد بن حامد فأمر بإحضاره فأحضر فسأله عنها فأنكر فقال له المأمون كذبت قد سقط إلي خبرها
وأمر صاحب الشرطة أن يجرده في مجلس الشرطة ويضع عليه السياط حتى يردها فأخذه وبلغها الخبر فركبت حمار مكار

وجاءت وقد جرد ليضرب وهي مكشوفة الوجه وهي تصيح أنا عريب إن كنت مملوكة فليبعني وإن كنت حرة فلا سبيل له علي فرفع خبرها إلى المأمون فأمر بتعديلها عند قتيبة بن زياد القاضي فعدلت عنده وتقدم إليه المراكبي مطالبا بها فسأله البينة على ملكه إياها فعاد متظلما إلى المأمون وقال قد طولبت بما لم يطالب به أحد في رقيق ولا يوجد مثله في يد من ابتاع عبدا أو أمة
وتظلمت إليه زبيدة وقالت من أغلظ ما جرى علي بعد قتل محمد ابني هجوم المراكبي على داري وأخذه عريبا منها فقال المراكبي إنما أخذت ملكي لأنه لم ينقدني الثمن فأمر المأمون بدفعها إلى محمد بن عمر الواقدي وكان قد ولاه القضاء بالجانب الشرقي فأخذها من قتيبة بن زياد فأمر ببيعها ساذجة فاشتراها المأمون بخمسين ألف درهم فذهبت به كل مذهب ميلا إليها ومحبة لها
قال ابن المعتز ولقد حدثني علي بن يحيى المنجم أن المأمون قبل
في بعض الأيام رجلها قال فلما مات المأمون بيعت في ميراثه ولم يبع له عبد ولا أمة غيرها فاشتراها المعتصم بمائة ألف درهم وأعتقها فهي مولاته
وذكر حماد بن إسحاق عن أبيه أنها لما هربت من دار محمد حين قتل تدلت من قصر الخلد بحبل إلى الطريق وهربت إلى حاتم بن عدي
وأخبرني جحظة عن ميمون بن هارون
أن المأمون اشتراها بخمسة آلاف دينار ودعا بعبد الله بن إسماعيل فدفعها إليه وقال لولا أني حلفت ألا أشتري مملوكا بأكثر من هذا لزدتك ولكني سأوليك عملا تكسب فيه أضعافا لهذا الثمن مضاعفة ورمى إليه بخاتمين من ياقوت أحمر قيمتهما ألف دينار وخلع عليه خلعا سنية فقال يا سيدي إنما ينتفع الأحياء بمثل هذا وأما أنا فإني ميت لا محالة لأن هذه الجارية كانت حياتي وخرج عن حضرته فاختلط وتغير عقله ومات بعد أربعين يوما
قال ابن المعتز فحدثني علي بن يحيى قال حدثني كاتب الفضل بن مروان قال
حدثني إبراهيم بن رباح قال
كنت أتولى نفقات المأمون فوصف له إسحاق بن إبراهيم الموصلي عريب فأمره أن يشتريها فاشتراها بمائة ألف درهم فأمرني المأمون بحملها وأن أحمل إلى إسحاق مائة ألف درهم أخرى ففعلت ذلك ولم أدر كيف أثبتها فحكيت في الديوان أن المائة الألف خرجت في ثمن جوهرة والمائة الألف الأخرى خرجت لصائغها ودلالها فجاء الفضل بن مروان إلى المأمون وقد رأى ذلك فأنكره وسألني عنه فقلت نعم هو ما رأيت فسأل المأمون عن ذلك وقال أوجب وهب لدلال وصائغ مائة ألف درهم وغلظ القصة فأنكرها المأمون فدعاني ودنوت إليه وأخبرته أن المال الذي خرج في ثمن عريب وصلة إسحاق وقلت أيما أصوب يا أمير المؤمنين ما فعلت أو أثبت في الديوان أنها خرجت في صلة مغن وثمن مغنية فضحك المأمون وقال الذي فعلت أصوب ثم قال للفضل بن مروان يا نبطي لا تعترض على كاتبي هذا في شيء

بعض من أخبارها

وقال ابن المكي حدثني أبي عن نحرير الخادم قال
دخلت يوما قصر الحرم فلمحت عريب جالسة على كرسي ناشرة شعرها تغتسل فسألت عنها فقيل هذه عريب دعا بها سيدها اليوم فافتضها
قال ابن المعتز فأخبرني ابن عبد الملك البصري
أنها لما صارت في دار المأمون احتالت حتى وصلت إلى محمد بن حامد وكانت قد عشقته وكاتبته بصوت قالته ثم احتالت في الخروج إليه وكانت تلقاه في الوقت بعد الوقت حتى حبلت منه وولدت بنتا وبلغ ذلك المأمون فزوجه إياها
وأخبرنا إبراهيم بن القاسم بن زرزور عن أبيه وحدثني به المظفر بن كيغلغ عن القاسم بن زرزور قال
لما وقف المأمون على خبرها مع محمد بن حامد أمر بإلباسها جبة
صوف وختم زيقها وحبسها في كنيف مظلم شهرا لا ترى الضوء يدخل إليها خبز وملح وماء من تحت الباب في كل يوم ثم ذكرها فرق لها وأمر بإخراجها فلما فتح الباب عنها وأخرجت لم تتكلم بكلمة حتى اندفعت تغني
(حجبوه عن بصري فمُثِّل شخصُه ... في القلب فهْو محجَّبٌ لا يُحجَبُ)
فبلغ ذلك المأمون فعجب منها وقال لن تصلح هذه أبدا فزوجها إياه
نسبة هذا الصوت

صوت
(لو كان يَقدرُ أن يَبُثَّك ما به ... لرأيتَ أحسنَ عاتب يتعَتَّبُ)
(حجبوه عن بَصَري فمُثِّل شخصُه ... في القَلْب فهو مُحجَّب لا يُحجبُ)
الغناء لعريب ثقيل أول بالوسطى
قال ابن المعتز وحدثني لؤلؤ صديق علي بن يحيى المنجم قال حدثني أحمد بن جعفر بن حامد قال
لما توفي عمي محمد بن حامد صار جدي إلى منزله فنظر إلى تركته وجعل يقلب ما خلف ويخرج إليه منها الشيء بعد الشيء إلى أن أخرج إليه سفط مختوم ففض الخاتم وجعل يفتحه فإذا فيه رقاع عريب إليه فجعل يتصفحها ويبتسم فوقعت في يده رقعة فقرأها ووضعها من يده وقام لحاجة فقرأتها فإذا فيها قوله

صوت
(وبلي عليكَ ومِنْكَا ... أوقعت في الحق شَكّا)
(زعمتَ أنّي خئونٌ ... جَوْراً عليّ وإفْكَا)
(إن كان ما قلتَ حقّا ... أو كنت أزمعتُ تَرْكَا)
(فأبدلَ الله ما بي ... من ذِلّة الحبّ نُسْكَا)
لعريب في هذه الأبيات رمل وهزج عن الهشامي والشعر لها
قصة بيت من الشعر
قال ابن المعتز وحدثني عبد الوهاب بن عيسى الخراساني عن يعقوب الرخامي قال
كنا مع العباس بن المأمون بالرقة وعلى شرطته هاشم رجل من أهل خراسان فخرج إلي وقال يا أبا يوسف ألقي إليك سرا لثقتي بك وهو عندك أمانة قلت هاته قال كنت واقفا على رأس الأمين وبي حر شديد فخرجت عريب فوقفت معي

وهي تنظر في كتاب فما ملكت نفسي أن أومأت إليها بقبلة فقالت كحاشية البرد فوالله ما أدري ما أرادت فقلت قالت لك طعنة
قال وكيف ذاك قلت أرادت قول الشاعر
(رَمَى ضرعَ نابٍ فاستمرّ بطعنةٍ ... كحاشية البُرْد اليمانِي المُسهّم)
وحكى هذه القصة أحمد بن أبي طاهر عن بشر بن زيد عن عبد الله
ابن أيوب بن أبي شمر أنهم كانوا عند المأمون ومعهم محمد بن حامد وعريب تغنيهم فغنت تقول
(رمى ضَرع نابٍ فاستمرّ بطعنة ... كحاشية البرد اليماني المسهّم)
فقال لها المأمون من أشار إليك بقبلة فقلت له طعنة فقالت له يا سيدي من يشير إلي بقبلة في مجلسك فقال بحياتي عليك قالت محمد بن حامد فسكت
أحبت أميرا وتزوجت خادما
قال ابن المعتز وحدثني محمد بن موسى قال
اصطبح المأمون يوما ومعه ندماؤه وفيهم محمد بن حامد وجماعة من المغنين وعريب معه على مصلاه فأومأ محمد بن حامد إليها بقبلة فاندفعت تغني ابتداء
(رَمَى ضَرْع نابٍ فاستَمرَّ بطَعْنةٍ ... كحاشية البرد اليمانيّ المسهّم)
تريد بغنائها جواب محمد بن حامد بأن تقول له طعنة فقال لها المأمون أمسكي فأمسكت ثم أقبل على الندماء فقال من فيكم أومأ إلى عريب بقبلة والله لئن لم يصدقني لأضربن عنقه فقام محمد فقال أنا يا أمير المؤمنين أومأت إليها والعفو أقرب للتقوى فقال قد عفوت
فقال كيف استدل أمير المؤمنين على ذلك قال ابتدأت صوتا وهي لا تغني ابتداء إلا لمعنى فعلمت أنها لم تبتدئ بهذا الصوت إلا لشيء أومئ به إليها ولم يكن من شرط هذا الموضع إلا إيماء بقبلة فعلمت أنها أجابت بطعنة
قال ابن المعتز وحدثني علي بن الحسين
أن عريب كانت تتعشق أبا عيسى بن الرشيد وروى غيره أنها كانت لا تضرب المثل إلا بحسن وجه أبي عيسى وحسن غنائه وكانت تزعم أنها ما عشقت أحدا من بني هاشم وأصفته المحبة من الخلفاء وأولادهم سواه
قال ابن المعتز وحدثني بعض جوارينا
أن عريب كانت تتعشق صالحا المنذري الخادم وتزوجته سرا فوجه به المتوكل إلى مكان بعيد في حاجة له فقالت فيه شعرا وصاغت لحنه في خفيف الثقيل وهو
صوت
(أمَّا الحبيبُ فقد مضى ... بالرغم منّيَ لا الرِّضا)
(أخطأتُ في تركِي لمن ... لم ألق منه مُعوّضا)
قال فغنته يوما بين يدي المتوكل فاستعاده وجعل جواريه يتغامزن ويضحكن فأصغت إليهن سرا من المتوكل فقالت يا سحاقات هذا خير من عملكن
قال وحدثت عن بعض جواري المتوكل أنها دخلت يوما على عريب فقالت لها تعالي ويحك إلي فجاءت
قال فقالت قبلي هذا الموضع مني فإنك تجدين ريح الجنة فأومأت إلى سالفتها ففعلت ثم قالت لها ما السبب في هذا قالت قبلني صالح المنذري في ذلك الموضع
قال ابن المعتز وأخبرني أبو عبد الله الهشامي قال حدثني حمدون بن إسماعيل قال
حدثني محمد بن يحيى الواثقي قال
قال لي محمد بن حامد ليلة أحب أن تفرغ لي مضربك فإني أريد أن أجيئك فأقيم عندك ففعلت ووافاني فلما جلس جاءت عريب فدخلت
وقد حدثني به جحظة قال حدثني أبو عبد الله بن حمدون
أن عريب زارت محمد بن حامد وجلسا جميعا فجعل يعاتبها ويقول فعلت كذا وفعلت كذا فقالت لي يا محمد هذا عندك رأي ثم أقبلت عليه فقالت يا عاجز خذ بنا فيما نحن فيه وفيما جئنا إليه
وقال جحظة في خبره
اجعل سراويلي مخنقتي وألصق خلخالي بقرطي فإذا كان غد فاكتب إلي بعتابك في طومار حتى أكتب إليك بعذري في ثلاثة ودع هذا الفضول فقد قال الشاعر
صوت
(دَعِي عَدَّ الذّنوب إذا التقينا ... تعاليْ لا أعدُّ ولا تعدِّي)
وتمام هذا قوله
(فأقسِم لو هممت بمدّ شعري ... إلى نار الجحيم لقُلْتِ مُدِّي)
الشعر للمؤمل والغناء لعريب خفيف رمل وفيه لعلوية رمل بالبنصر من رواية عمرو بن بانة
عاشرت ثمانية من الخلفاء
أخبرني أبو يعقوب إسحاق بن الضحاك بن الخصيب قال
حدثني أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات قال كنت يوما عند أخي أبي العباس وعنده عريب جالسة على دست مفرد لها وجواريها يغنين بين يدينا وخلف ستارتنا فقلت لأخي وقد جرى ذكر الخلفاء قالت لي عريب ناكني منهم ثمانية ما اشتهيت منهم أحدا إلا المعتز فإنه كان يشبه أبا عيسى بن الرشيد
قال ابن الفرات فأصغيت إلى بعض بني أخي فقلت له فكيف ترى شهوتها الساعة فضحك ولمحته فقالت أي شيء قلتم فجحدتها
فقالت لجواريها أمسكن ففعلن فقالت هن حرائر لئن لم تخبراني بما قلتما لينصرفن جميعا وهن حرائر إن حردت من شيء جرى ولو أنها تسفيل فصدقتها
فقالت وأي شيء في هذا أما الشهوة فبحالها ولكن الآلة قد بطلت أو قالت قد كلت عودوا إلى ما كنتم فيه
شرطان فاحشان

وحدثني الحسن بن علي بن مودة قال حدثني إبراهيم بن أبي العبيس قال حدثنا أبي قال
دخلنا على عريب يوما مسلمين فقالت أقيموا اليوم عندي حتى
أطعمكم لوزينجة صنعتها بيدها من لوز رطب وما حضر من الوظيفة وأغنيكم أنا وهي قال فقلت لها على شريطة
قالت وما هي قلت شيء أريد أن أسألك عنه منذ سنين وأنا أهابك قالت ذاك لك وأنا أقدم الجواب قبل أن تسأل فقد
علمت ما هو فعجبت لها وقلت فقولي فقالت تريد أن تسألني عن شرطي أي شرط هو فقلت إي والله ذاك الذي أردت
قالت شرطي أير صلب ونكهة طيبة فإن انضاف إلى ذلك حسن يوصف وجمال يحمد فقد زاد قدره عندي وإلا فهذان ما لا
بد لي منهما
وحدثني الحسن بن علي عن محمد بن ذي السيفين إسحاق بن كنداجيق عن أبيه قال
كانت عريب تولع بي وأنا حديث السن فقالت لي يوما يا إسحاق قد بلغني أن عندك دعوة فابعث إلي نصيبي منها قال
فاستأنفت طعاما كثيرا وبعثت إليها منه شيئا كثيرا فأقبل رسولي من عندها مسرعا فقال لي لما بلغت إلى بابها وعرفت
خبري أمرت بالطعام فأنهب وقد وجهت إليك برسول وهو معي فتحيرت وظننت أنها قد استقصرت فعلي فدخل الخادم
ومعه شيء مشدود في منديل ورقعة فقرأتها فإذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم يا عجمي يا غبي ظننت أني من الأتراك
ووخش الجند فبعثت إلي بخبز ولحم وحلواء الله المستعان عليك يا فدتك نفسي قد وجهت إليك زلة من حضرتي فتعلم
ذلك من الأخلاق ونحوه من الأفعال ولا تستعمل أخلاق العامة في رد الظرف فيزداد العيب والعتب عليك إن شاء الله
فكشفت المنديل فإذا طبق ومكبة من ذهب منسوج على عمل الخلاف
وفيه زبدية فيها لقمتان من رقاق وقد عصبت طرفيهما وفيها قطعتان من صدر دراج مشوي ونقل وطلع وملح
وانصرف رسولها

تحلم ثلاث مرات في النوم بحبيبها

قال ابن المعتز حدثني الهشامي أبو عبد الله عن رجل ذكره عن علوية قال
أمرني المأمون وسائر المغنين في ليلة من الليالي أن نصير إليه بكرة ليصطبح فغدونا ولقيني المراكبي مولى عريب
وهي يومئذ عنده فقال لي يأيها الرجل الظالم المعتدي أما ترق ولا ترحم ولا تستحي عريب هائمة تحلم بك في النوم
ثلاث مرات في كل ليلة قال علوية فقلت أم الخلافة زانية
ومضيت معه فحين دخلت قلت استوثق من الباب فإني أعرف خلق الله بفضول البوابين والحجاب وإذا عريب جالسة على
كرسي تطبخ وبين يديها ثلاث قدور من دجاج فلما رأتني قامت تعانقني وتقبلني ثم قالت أيما أحب إليك أن تأكل من
هذه القدور أو تشتهي شيئا يطبخ لك فقلت بل قدر من هذه تكفينا فغرفت قدرا منها وجعلتها بيني وبينها فأكلنا ودعونا
بالنبيذ فجلسنا نشرب حتى سكرنا ثم قالت يا أبا الحسن صنعت البارحة صوتا في شعر لأبي العتاهية فقلت وما هو
فقالت هو
(عَذِيري من الإنسان لا إن جفوته ... صَفا لي ولا إن كنت طوعَ يديه)
وقالت لي قد بقي فيه شيء فلم نزل نردده أنا وهي حتى استوى ثم جاء الحجاب فكسروا باب المراكبي واستخرجوني
فدخلت على المأمون فلما رأيته أقبلت أمشي إليه برقص وتصفيق وأنا أغني الصوت فسمع وسمع من عنده ما لم
يعرفوه واستظرفوه وسألني المأمون عن خبره فشرحته له
فقال لي ادن ورده فرددته عليه سبع مرات فقال في آخر مرة يا علوية
خذ الخلافة واعطني هذا الصاحب

نسبة هذا الصوت

صوت
(عَذِيري من الإنسان لا إن جَفَوتُه ... صفا لي ولا إن كُنتُ طَوعَ يديه)
(وإنّي لمشتاقٌ إلى قُربِ صاحبٍ ... يَرُوق ويَصْفُو إن كَدرْتُ عليه)
الشعر من الطويل وهو لأبي العتاهية والغناء لعريب خفيف ثقيل أول بالوسطى ونسبه عمرو بن بانة في هذه الطريقة
والأصبغ إلى علويه

سبب غضب الواثق والمعتصم عليها

قال ابن المعتز وحدثني القاسم ين زرزور قال حدثتني عريب قالت كنت في أيام محمد ابنة أربع عشرة سنة وأنا حينئذ
أصوغ الغناء
قال القاسم وكانت عريب تكايد الواثق فيما يصوغه من الألحان وتصوغ في ذلك الشعر بعينه لحنا فيكون أجود من لحنه
فمن ذلك
(لم آتِ عامدةً ذَنْباً إليكَ بَلَى ... أُقِرّ بالذنب فاعفُ اليوم عن زَللي)
لحنها فيه خفيف ثقيل ولحن الواثق رمل ولحنها أجود من لحنه ومنها
((أشكو إلى الله ما أَلْقَى من الكَمَدِ ... حَسْبي ربِّي ولا أشكو إلى أحَدِ
لحنها ولحن الواثق جميعا من الثقيل الأول ولحنها أجود من لحنه
نسبة هذين الصوتين
صوت
(لم آتِ عامدةً ذنباً إليك بلى ... أُقِرُّ بالذّنبِ فاعفُ اليوم عن زللي)
(فالصّفح من سَيّدٍ أولى لمُعتَذِرٍ ... وقاكَ ربُّك يوم الخوفِ والوَجَلِ)
الغناء للواثق رمل ولعريب خفيف ثقيل وذكر ذكاء وجه الرزة أن لطالب ابن يزداد فيه هزجا مطلقا
صوت
(أشكو إلى الله ما ألقَى من الكَمَد ... حَسْبي ربي ولا أشكُو إلى أحد)
(أين الزمان الذي قد كنت ناعمةً ... في ظِلّه بدُنُوّي منك يا سَنَدي)
(وأسألُ الله يوما منك يُفْرحني ... فقد كحلتُ جفونُ العين بالسَّهَد)
(شوقا إليك وما تدري بما لقيت ... نفسي عليك وما بالقلب من كمد)
الغناء لعريب ثقيل أول بالوسطى وللواثق ثقيل أول بالبنصر

قال ابن المعتز وكان سبب انحراف الواثق عنها
وكيادها إياه وانحراف المعتصم عنها أنه وجد لها كتابا إلى العباس بن المأمون ببلد الروم اقتل أنت العلج ثم حتى أقتل أنا الأعور الليلي ها هنا
تعني الواثق وكان يسهر بالليل وكان المعتصم استخلفه ببغداد
قال وحدثني أبو العبيس بن حمدون قال
غضبت عريب على بعض جواريها المذكورات وسماها لي فجئت إليها يوما وسألتها أن تعفو عنها فقالت في بعض ما تقوله مما تعتد به عليها من ذنوبها يا أبا العبيس إن كنت تشتهي أن ترى زناي وصفاقة وجهي وجراءتي على كل عظيمة أيام شبابي فانظر إليها واعرف أخبارها
أجادت ركوب الخيل
قال ابن المعتز وحدثني القاسم بن زرزور قال حدثني المعتمد قال
حدثتني عريب أنها كانت في شبابها يقدم إليها برذون فتطفر عليه بلا ركاب
قال وحدثني الأسدي قال حدثني صالح بن علي بن الرشيد المعروف بزعفرانة قال
تمارى خالي أبو علي مع المأمون في صوت فقال المأمون أين عريب فجاءت وهي محمومة فسألها عن الصوت فقالت فيه بعلمها فقال لها غنيه فولت لتجيء بعود فقال لها غنيه بغير عود فاعتمدت على الحائط للحمى وغنت فأقبلت عقرب فرأيتها قد لسعت يدها مرتين أو ثلاثا فما نحت يدها ولا سكتت حتى فرغت من الصوت ثم سقطت وقد غشي عليها
قال ابن المعتز وحدثني أبو العباس بن الفرات قال
قالت لي تحفة جارية عريب كانت عريب تجد في رأسها بردا فكانت تغلف شعرها مكان العلة بستين مثقالا مسكا وعنبرا وتغسله من جمعة إلى جمعة فإذا غسلته أعادته وتتقسم الجواري غسالة رأسها بالقوارير وما تسرحه منه بالميزان
حدثني أحمد بن جعفر جحظة عن علي بن يحيى المنجم قال
دخلت يوما على عريب مسلما عليها فلما اطمأننت جالسا هطلت السماء بمطر عظيم فقالت أقم عندي اليوم حتى أغنيك أنا وجواري وابعث إلي من أحببت من إخوانك فأمرت بدوابي فردت وجلسنا نتحدث فسألتني عن خبرنا بالأمس في مجلس الخليفة ومن كان يغنينا وأي شيء استحسنا من الغناء فأخبرتها أن صوت الخليفة كان لحنا صنعه بنان من الماخوري فقالت وما هو فأخبرتها أنه
صوت
(تُجافِي ثم تَنطَبِقُ ... جفونٌ حَشوُها الأرقُ)
(وذي كَلَفٍ بكى جَزَعاً ... وسَفْرُ القومِ مُنطلِقُ)
(به قَلَقٌ يُمَلْمِلُه ... وكان وما به قَلَقُ)
(جوانحُهُ على خَطَرٍ ... بنار الشَّوق تَحترقُ)
فوجهت رسولا إلى بنان فحضر من وقته وقد بلته السماء فأمرت بخلع فاخرة فخلعت عليه وقدم له طعام فاخر فأكل وجلس يشرب معنا وسألته عن الصوت فغناها إياه فأخذت دواة ورقعة وكتبت فيها
(أجاب الوابِلُ الغَدِقُ ... وصاح النّرجس الغَرِقُ)
(وقد غنّى بنانٌ لنَا ... جُفونٌ حَشوُها الأرقُ)
(فهاتِ الكأسَ مُترعةً ... كأنّ حُبابَها حدَقْ)
قال علي بن يحيى فما شربنا بقية يومنا إلا على هذه الأبيات
ترد على من دعاها برموز
حدثني محمد بن خلف بن المرزبان عن عبد الله بن محمد المروزي قال
قال لي الفضل بن العباس بن المأمون زارتني عريب يوما ومعها عدة من جواريها فوافتنا ونحن على شرابنا فتحادثنا ساعة وسألتها أن تقيم عندي فأبت وقالت دعاني جماعة من إخواني من أهل الأدب والظرف وهم مجتمعون في جزيرة المؤيد فيهم إبراهيم بن المدبر وسعيد بن حميد ويحيى بن عيسى بن منارة وقد عزمت على المسير إليهم فحلفت عليها فأقامت عندنا ودعت بداوة وقرطاس فكتبت
بسم الله الرحمن الرحيم وكتبت بعد ذلك في سطر واحد ثلاثة أحرف متفرقة لم تزد عليها وهي
أردت ولولا ولعلي
ووجهت به إليهم فلما وصلت الرقعة عيوا بجوابها فأخذ إبراهيم بن المدبر الرقعة فكتب تحت أردت ليت وتحت لولا ماذا وتحت لعلي
أرجو ووجهوا بالرقعة فصفقت ونعرت وشربت رطلا وقالت لنا أأترك هؤلاء وأقعد عندكم إذا تركني الله من يديه ولكني أخلف عندكم من جواري من يكفيكم وأقوم إليهم ففعلت ذلك وخلفت عندنا بعض جواريها وأخذت معها بعضهن وانصرفت
أخبرنا محمد بن خلف عن سعيد بن عثمان بن أبي العلاء عن أبيه قال
عتب المأمون على عريب فهجرها أياما ثم اعتلت فعادها فقال لها كيف وجدت طعم الهجر فقالت يا أمير المؤمنين لولا مرارة الهجر ما عرفت حلاوة الوصل ومن ذم بدء الغضب أحمد عاقبة الرضا قال فخرج المأمون إلى جلسائه فحدثهم بالقصة ثم قال أترى هذا لو كان من كلام النظام ألم يكن كبيرا
هجرت المأمون أياما لأنها غضبت منه
حدثني محمد بن خلف عن أبي العيناء عن أحمد بن أبي دؤاد قال
جرى بين عريب وبين المأمون كلام فكلمها المأمون بشيء غضبت منه فهجرته أياما قال أحمد بن أبي داود فدخلت على المأمون فقال لي
يا أحمد اقض بيننا فقالت عريب لا حاجة لي في قضائه ودخوله فيما بيننا وأنشأت تقول
(وتخلِط الهجرَ بالوصال ولا ... يدْخُل في الصُّلح بيننَا أحدُ)
حدثني محمد بن خلف قال حدثني محمد بن عبد الرحمن عن أحمد بن حمدون عن أبيه قال
كنت حاضرا مجلس المأمون ببلاد الروم بعد صلاة العشاء الآخرة في ليلة ظلماء ذات رعود وبروق فقال لي المأمون اركب الساعة فرس النوبة وسر إلى عسكر أبي إسحاق يعني المعتصم فأد إليه رسالتي في كيت وكيت قال فركبت ولم تثبت

معي شمعة وسمعت وقع حافر دابة فرهبت ذلك وجعلت أتوقاه حتى صك ركابي ركاب تلك الدابة وبرقت بارقة فأضاءت وجه الراكب فإذا عريب فقلت عريب قالت نعم حمدون قلت نعم
ثم قلت من أين أقبلت في هذا الوقت قالت من عند محمد ابن حامد قلت وما صنعت عنده قالت عريب ياتكش عريب تجيء من عند محمد بن حامد في هذا الوقت خارجة من مضرب الخليفة وراجعة إليه تقول لها أي شيء عملت عنده صليت معه التراويح أوقرأت عليه أجزاء من القرآن أو دارسته شيئا من الفقه يا أحمق تعاتبنا وتحادثنا واصطلحنا ولعبنا وشربنا وغنينا وتنايكنا وانصرفنا فأخجلتني وغاظتني وافترقنا ومضيت فأديت الرسالة ثم عدت إلى المأمون وأخذنا في الحديث وتناشد الأشعار وهممت والله أن أحدثه حديثها ثم هبته فقلت أقدم قبل ذلك تعريضا بشيء من الشعر فأنشدته
(ألا حيِّ أطلالاً لواسعة الحبل ... ألوفٍ تسوّي صالح القوم بالرَّذْل
(فلو أن من أمسَى بجانب تلعَة ... إلى جبليْ طيٍّ فساقطة الحَبْل)
(جلوس إلى أن يَقْصر الظّلّ عندها ... لراحوا وكُلّ القوم منها على وصْل)
فقال لي المأمون اخفض صوتك لا تسمعك عريب فتغضب وتظن أنا في حديثها فأمسكت عما أردت أن أخبره وخار الله لي في ذلك
حدثني محمد بن أحمد الحكيمي قال أخبرني ميمون بن هارون قال قال لي ابن اليزيدي
حدثني أبي قال خرجنا مع المأمون في خروجه إلى بلد الروم فرأيت عريب في هودج فلما رأتني قالت لي يا يزيدي أنشدني شعرا قلته حتى أصنع فيه لحنا فأنشدتها
(ماذا بقلبي من دوامِ الخفْق ... إذَا رأيتُ لمعانَ البَرْق)
(من قِبَل الأردُنّ أو دِمشْق ... لأنّ من أهوَى بذاك الأفْق)
(فإنّ فيه وهو أعزّ الخَلْق ... عليّ والزّورُ خلاف الحقّ)
(ذاك الذي يَملِك بني رقّي ... ولستُ أبغي ما حَييتُ عِتْقِي)
قال فتنفست تنفسا ظننت أن ضلوعها قد تقصفت منه فقلت هذا والله تنفس أعشق فقالت اسكت يا عاجز أنا عاشق والله لقد نظرت نظرة مريبة في مجلس فادعاها من أهل المجلس عشرون رئيسا طريفا
شعر لعباس بن الأحنف يصلح بينها وبين حبيبها
حدثني محمد بن خلف قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال حدثني أحمد بن حمدون قال
وقع بين عريب وبين محمد بن حامد شر وكان يجد بها الوجد كله فكادا يخرجان من شرهما إلى القطيعة وكان في قلبها منه أكثر مما في قلبه منها فلقيته يوما فقالت له كيف قلبك يا محمد قال
أشقى والله ما كان وأقرحه فقالت له استبدل تسل فقال لها لو كانت البلوى باختيار لفعلت فقالت لقد طال إذا تعبك فقال وما يكون أصبر مكرها أما سمعت قول العباس بن الأحنف
(تَعَبٌ يطولُ مع الرجاء بذِي الهَوى ... خَيرٌ له مِن رَاحةٍ في الياس)
(لولا كرامتُكم لما عاتَبتُكم ... ولكنتُم عندي كبَعْض النَّاس)
قال فذرفت عيناها واعتذرت إليه وأعتبته واصطلحا وعادا إلى أفضل ما كانا عليه
اختلاف في تقييم فنها
حدثني أحمد بن جعفر جحظة قال قال لي أبو العباس بن حمدون وقد تجاذبنا غناء عريب ليس غناؤها مما يعتد بكثرته لأن سقطه كثير وصنعتها ساذجة فقلت له ومن يعرف في الناس كلهم من مغني الدولة العباسية سلمت صنعته كلها حتى تكون مثله ثم جعلت أعد ما أعرفه من جيد صنعتها ومتقدمها وهو يعترف بذلك حتى عددت نحوا من مائة صوت مثل لحنها في
(...يا عزّ هل لك في شيخٍ فتًى أبدا)
و
سيسليك عما فات دولةَ مفضل ...) و)
صاح قد لمت ظالما ...) و)
(... وضحك الزمان وأشرقت)
ونحو هذا ثم قال لي ما خلفت عريب بعدها امرأة مثلها في الغناء والرواية والصنعة فقلت له لا ولا كثيرا من الرجال أيضا ولعريب في صنعتها
(... يا عزّ هل لكِ في شيخٍ فتى أبدا)
خبر أخبرني ببعضه أحمد بن عبيد الله بن عمار عن ميمون بن هارون
وذكر ابن المعتز أن عبد الواحد بن إبراهيم بن الخصيب حدثه عمن يثق به عن أحمد بن عبد الله بن إسماعيل المراكبي قال
قالت لي عريب حج بي أبوك وكان مضعوفا فكان عديلي وكنت في طريقي أطلب الأعراب فأستنشدهم الأشعار وأكتب عنهم النوادر وسائر ما أسمعه منهم فوقف شيخ من الأعراب علينا يسأل فاستنشدته فأنشدني
(يا عزّ هل لكِ في شيخ فَتًى أبدا ... وقد يكون شَبابٌ غَيرُ فِتيان)
فاستحسنته ولم أكن سمعته قبل ذلك قلت فأنشدني باقي الشعر فقال لي هو يتيم فاستحسنت قوله وبررته وحفظت البيت وغنيت فيه صوتا من الثقيل الأول ومولاي لا يعلم بذلك لضعفه
فلما كان في ذلك اليوم عشيا قال لي ما كان أحسن ذلك البيت الذي أنشدك إياه الأعرابي وقال لك إنه يتيم أنشدينيه إن كنت حفظته فأنشدته إياه وأعلمته أني قد غنيت فيه ثم غنيته له فوهب لي ألف درهم بهذا السبب وفرح بالصوت فرحا شديدا
قال ابن المعتز قال ابن الخصيب
فحدثني هذا المحدث أنه قد حضر بعد ذلك بمجلس أبي عيسى بن المتوكل
ومن ها هنا تتصل رواية ابن عمار عن ميمون وقد جمعت الروايتين إلا أن ميمون بن هارون ذكر أنهم كانوا عند جعفر بن المأمون وعندهم أبو عيسى وكان عندهم علي ابن يحيى وبدعة جارية عريب تغنيهم فذكر علي بن يحيى أن الصنعة فيه لغير عريب وذكر أنها لا تدعي هذا وكابر فيه فقام جعفر بن المأمون فكتب رقعة إلى عريب ونحن لا نعلم يسألها عن

أمر الصوت وأن تكتب إليه بالقصة ففعلت فكتبت إليه بخطها
بسم الله الرحمن الرحيم
(هَنِيًّا لأرباب البيوت بُيوتُهم ... وللعَزَب المسكين ما يَتَلمَّسُ)
أنا المسكينة وحيدة فريدة بغير مؤنس وأنتم فيما أنتم وقد أخذتم أنسي ومن كان يلهيني تعني جاريتيها بدعة وتحفة فأنتم في القصف والعزف وأنا في خلاف ذلك هناكم الله وأبقاكم وسألت مد الله في عمرك عما اعترض فيه فلان والقصة في هذا الصوت كذا وكذا وقصت قصتها مع الأعرابي كما حدثت به ولم تخرم حرفا منها فجاء الجواب إلى جعفر بن المأمون فقرأه وضحك ثم رمى به إلى أبي عيسى ورمى به أبو عيسى إلي وقال اقرأه وكان علي بن يحيى جالسا إلى جنبي فأراد أن يستلب الرقعة فمنعته وقمت ناحية فقرأتها فأنكر ذلك وقال ما هذا فورينا الأمر عنه لئلا تقع عربدة وكان عفا الله عنا وعنه مبغضا لها
تعرف خبر صوت لا يعرفه أحد على وجه الأرض
قال ابن المعتز وحدثني أبو الخطاب العباس بن أحمد بن الفرات قال حدثني أبي قال
كنا يوما عند جعفر بن المأمون نشرب وعريب حاضرة إذ غنى بعض من كان هناك
((يا بدرُ إنّك قد كُسِيت مشابِهاً ... من وجه ذاك المستنير اللائح
(وأراك تمصَح بالمحاق وحسنُها ... باقٍ على الأيام ليس ببارح)
فضحكت عريب وصفقت وقالت ما على وجه الأرض أحد يعرف خبر هذا الصوت غيري فلم يقدم أحد منا على مسألتها عنه غيري فسألتها فقالت أنا أخبركم بقصته ولولا أن صاحب القصة قد مات لما أخبرتكم إن أبا محلم قدم بغداد فنزل بقرب دار صالح المسكين في خان هناك فاطلعت أم محمد ابنة صالح يوما فرأته يبول فأعجبها متاعه وأحبت مواصلته فجعلت لذلك علة بأن وجهت إليه تقترض منه مالا وتعلمه أنها في ضيقة وأنها ترده إليه بعد جمعة فبعث إليها عشرة آلاف درهم وحلف أنه لو ملك غيرها لبعث به فاستحسنت ذلك وواصلته وجعلت القرض سببا للوصلة فكانت تدخله إليها ليلا وكنت أنا أغني لهم فشربنا ليلة في القمر وجعل أبو محلم ينظر إليه ثم دعا بدواة ورقعة وكتب فيها قوله
(يا بدرُ إنك قد كُسِيتَ مشابِهاً ... من وَجْهِ أمّ محمد ابنةِ صَالحَ)
والبيت الآخر وقال لي غني فيه ففعلت واستحسناه وشربنا عليه فقالت لي أم محمد في آخر المجلس يا أختي قد تنبلت في هذا الشعر إلا أنه سيبقى علي فضيحة آخر الدهر فقال أبو محلم وأنا أغيره فجعل مكان أم محمد ابنة صالح
(... ذاك المستنير الائح)
وغنيته كما غيره وأخذه الناس عني ولو كانت أم محمد حية لما أخبرتكم بالخبر
فأما نسبة هذا الصوت
فإن الشعر لأبي محلم النسابة والغناء لعريب ثقيل أول مطلق في مجرى
الوسطى من رواية الهشامي وغيره وأبو محلم اسمه عوف بن محلم
كتبت إلى حبيبها تستزيره
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي عن ميمون بن هارون قال
كتبت عريب إلى محمد بن حامد الذي كانت تهواه تستزيره فكتب إليها إني أخاف على نفسي فكتبت إليه
صوت
(إذا كنتَ تحذرُ ما تحذرُ ... وتزعُم أنك لا تَجسُرُ)
(فمالي أُقيمُ على صَبْوَتي ... ويومُ لِقائِك لا يُقدَرُ)
فصار إليها من وقته
لعريب في هذين البيتين وبيتين آخرين بعدهما لم يذكرا في الخبر رمل ولشارية خفيف رمل جمعا من رواية ابن المعتز والبيتان الآخران
(تبيّنتَ عذري وما تَعذِر ... وأبليتَ جسمي وما تشعرُ)
(أَلِفْتَ السُّرورَ وخَلَّيْتَني ... ودَمْعِي من العين ما يَفترُ)
وذكر ميمون في هذا الخبر أن محمد بن حامد كتب إليها يعاتبها في شيء كرهه فكتبت إليه تعتذر فلم يقبل فكتبت إليه بهذين البيتين الآخرين اللذين ذكرتهما بعد نسبة هذا الصوت
صوت
(أحببتُ من شعر بَشّار لحبكمُ ... بَيْتا كلِفت به من شِعْرِ بَشّار)
((يا رحمةَ اللّهِ حُلّي في مَنازلنا ... وجاوِرِينا فدَتْكِ النَّفسُ من جار
(إذا ابتهلتُ سألتُ اللّهَ رحمتَه ... كنيتُ عنك وما يَعدُوك إضماري)
الشعر لأبي نواس منه البيت الأول والثاني لبشار ضمنه أبو نواس والغناء لعريب ثقيل أول بالبنصر ولعمرو بن بانة في الثاني والثالث رمل
وهذا الشعر يقوله أبو نواس في رحمة ابن نجاح عم نجاح بن سلمة الكاتب
أخبرني بخبره علي بن سليمان الأخفش عن محمد بن يزيد النحوي قال
كان بشار يشبب بامرأة يقال لها رحمة وكان أبو نواس يتعشق غلاما اسمه رحمة بن نجاح عم نجاح بن سلمة الكاتب وكان متقدما في جماله وكان أبوه قد ألزمه وأخاه رجلا مدنيا وكان معهم كأحدهم وأكثر أبو نواس التشبيب برحمة في إقامته ببغداد وشخوصه عنها وكان بشار قد قال في رحمة المرأة التي يهواها
(يا رحمةَ اللّه حُلّي في منازلنا ... حَسْبي برائحة الفِرْدَوْس من فِيك)
(يا أطيبَ الناس ريقاً غيرَ مُختَبر ... إلا شهادةَ أطرافِ المساويكِ)
فقال أبو نواس وضمن بيت بشار
(أحببت من شعر بشار لُحبِّكم ... بَيْتا كَلِفْت به من شِعْر بَشّار)
الأبيات الثلاثة
وقال فيه
(يا مَن تأهّب مُزمعاً لِرواحَ ... مُتَيَمّما بغدادَ غيرَ مُلاحِ)

(في بَطْن جَارية كَفَتْك بسَيْرها ... رَمَلاً وكلَّ سِباحة السَّبّاح)
(بُنيت على قَدَرٍ ولاءم بينها ... صِنْفان من قارٍ ومن ألواح)
((وكأنها والماء ينضح صدرها ... والخَيزُرانة في يَدِ المَلاّح
(جُونٌ من الغِربان يبتدر الدّجى ... يَهْوِي بصَوْتٍ واصطِفاقِ جَناحِ)
(سلِّم على شاطئ الصّراة وأهلِها ... واخصُص هناك مَدِينةَ الوَضّاح)
(واقصدْ هُديت ولا تكن متحيّرا ... في مقصِدٍ عن ظَبْي آل نَجاح)
(عن رحمة الرحمن واسأل مَنْ ترى ... سِيماه سيما شارب للرّاح)
(فإذا دُفِعْتَ إلى أغنّ وألثغٍ ... ومُنَعَّم ومُكَحَّل ورَداح)
(وكشَمْسِنا وكبدرنا حاشي التي ... سَمَّيْتَها منه بنَوْر أقاحي)
(فاقصِد لوقت لِقائه في خَلْوة ... لِتَبوح عني ثَمَّ كلّ مباح)
(واخبرْ بما أحبَبْت عن حالي التي ... ممسايَ فيها واحدٌ وصبَاحِي)
قال فافتدى أبو رحمة من أبي نواس ذكر ابنه بأن عقد بينه وبينه حرمة ودعاه إلى منزله فجاءه أبو نواس والمديني لا يعرفه فمازحه مزاحا أسرف عليه فيه فقام إليه رحمة فعرفه أنه أبو نواس فأشفق المديني من ذلك وخاف أن يهجوه ويشهر اسمه فسأل رحمة أن يكلمه في الصفح له والإغضاء عن الانتقام فأجابه أبو نواس وقال
(اذهبْ سلِمتَ من الهجاء ولذعِه ... وأمَا ولَثغةِ رحمةَ بن نجاح)
(لولا فُتورٌ في كلامك يشتهى ... وتَرفُّقِي لك بعدُ واستِملاحِي)
(وتَكَسُّرٌ في مقلتيك هو الذي ... عطَف الفُؤاد عليكَ بعد جِماح)
((لعَلِمت أنك لا تمازح شاعِراً ... في ساعةٍ ليست بحين مُزاحِ
صوت
(أأبكاك بالعُرُف المنزلُ ... وما أنت والطَّلَلُ المُحولُ)
(وما أنتِ ويْكَ ورسمُ الدّيَار ... وستُّك قد قاربت تَكمُلُ)
عروضه من المتقارب والشعر للكميت بن زيد الأسدي والغناء لمعقل بن عيسى أخي أبي دلف العجلي ولحنه من الثقيل الأول بالبنصر وهذان البيتان من قصيدة مدح الكميت بهما عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد بن العاصي بن أمية
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني الحسن بن عليل العنزي عن علي بن هشام عن محمد بن عبد الأعلى بن كناسة قال
كان بين بني أسد وبين طيء بالحص وهي قريبة من قادسية الكوفة حرب فاصطلحوا وبقي لطيء دماء رجلين فاحتمل ذلك رجل من بني أسد فمات قبل أن يؤديه فاحتمله الكميت بن زيد فأعانه فيه عبد الرحمن بن عنبسة فمدحه بقوله
(أأبكاك بالعُرُفِ المنزلُ ... وما أنت والطّلل المحولُ)
فأعانه الحكم بن الصلت الثقفي فمدحه بقصيدته التي أولها
(... رأيت الغوانيَ وحشا نَفُورا)
وأعانه زياد بن المغفل الأسدي فمدحه بقصيدته التي أولها
(... (هل للشباب الذي قد فات من طلب
ثم جلس الكميت وقد خرج العطاء فأقبل الرجل يعطي الكميت المائتين والثلاث المائة وأكثر وأقل قال وكانت دية الأعاربي حينئذ ألف بعير ودية الحضري عشرة آلاف درهم وكانت قيمة الجمل عشرة دراهم فأدى الكميت عشرين ألفا عن قيمة ألفي بعير
نسبة ما في أشعار الكميت هذه من الأغاني
صوت
منها
(هل للشباب الذي قد فات من طلبِ ... أم ليس غابرُه الماضي بمُنقلبِ)
(دَع البكاء على ما فات من طلب ... فالدّهر يأتي بألوان من العجبِ)
غناه إبراهيم الموصلي خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى من رواية إسحاق
ذكر معقل بن عيسى
كان شاعرا ومغنيا
كان معقل بن عيسى فارسا شاعرا جوادا مغنيا فهما بالنغم والوتر وذكره الجاحظ مع ذكر أخيه أبي دلف وتقريظه في المعرفة بالنغم وقال إنه من أحسن أهل زمانه وأجود طبقته صنعة إذ سلم ذلك له أخوه معقل وإنما أخمل ذكره ارتفاع شأن أخيه وهو القائل لأبي دلف في عتب عتبه عليه
(أُخَيَّ مالكَ ترميني فتُقصِدَني ... وإن رَمَيتُك سهماً لم يجزْ كبدِي)
(أُخيَّ مالَكَ مجبولاً على تِرتي ... كأن أجسادنا لم تُغْذَ من جسدِ)
وهو القائل لمخارق وقد كان زار أبا دلف إلى الجبل ثم رجع إلى العراق أخبرني بذلك علي بن سليمان الأخفش عن أبي سعيد السكري
صوت
(لعمري لئن قَرَّتْ بقُربك أعينٌ ... لقد سَخِنت بالبَيْن منك عُيونُ)
((فَسِرْ أو أقِم وقفٌ عليك محبّتي ... مكانُك من قلبي عليكَ مَصونُ
(فما أوحشَ الدنيا إذا كنتَ نازحاً ... وما أحسنَ الدنيا بحيثُ تكونُ)
عروضه من الطويل والشعر لمعقل بن عيسى والغناء لمخارق ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى وفيه لحن لمعقل بن عيسى خفيف رمل وفيه ثاني ثقيل يقال إنه لمخارق ويقال إنه لمعقل
ومن شعر معقل قوله يمتدح المعتصم وفيه غناء للزبير بن دحمان من الثقيل الأول بالبنصر
صوت
(الدارُ هاجك رسمُها وطلولُها ... أم بَيْنُ سُعْدَى يوم جَدَّ رحِيلُها)

(كُلٌّ شجاك فقل لعينك أعولي ... إن كان يُغنِي في الديار عَوِيلُها)
(ومحمدٌ زينُ الخَلائِف والذي ... سَنَّ المكارمَ فاستَبان سَبِيلُها)
صوت
(أليسَ إلى أجبال شمخ إلى اللّوى ... لِوَى الرَّمل يوما للنُّفوس مَعادُ)
(بِلادٌ بها كُنّا وكنا مِنَ أهلِها ... إذِ النّاسُ ناسٌ والبلادُ بلادُ)
الشعر لرجل من عاد فيما ذكروا والغناء لابن محرز ولحنه من الثقيل الأول بالبنصر عن ابن المكي وقيل إنه من منحوله إليه
أخبرني ابن عمار عن أبي سعد عن محمد بن الصباح قال حدثنا يحيى بن سلمة بن أبي الأشهب التيمي عن الهيثم بن عدي قال أخبرني حماد الراوية قال
حدثني ابن أخت لنا من مراد قال وليت صدقات قوم من العرب فبينا أنا أقسمها في أهلها إذ قال لي رجل منهم ألا أريك عجبا قلت بلى فأدخلني في
شعب من جبل فإذا أنا بسهم من سهام عاد من فتى قد نشب في ذروة الشعب وإذا على الجبل تجاهي مكتوب
(ألا هَلْ إلى أبياتِ شمخ إلى اللّوى ... لِوى الرّمل يوماً للنفوس معادُ)
(بلاد بها كُنّا وكنا مِن أهلها ... اذِ النّاسُ ناسٌ والبلاد بلادُ)
ثم أخرجني إلى ساحل البحر وإذا أنا بحجر يعلوه الماء طورا ويظهر تارة وإذا عليه مكتوب يا بن آدم يا بن عبد ربه اتق الله ولا تعجل في أمرك فإنك لن تسبق رزقك ولن ترزق ما ليس لك ومن البصرة إلى الديل ستمائة فرسخ فمن لم يصدق بذلك فليمش الطريق على الساحل حتى يتحققه فإن لم يقدر على ذلك فلينطح برأسه هذا الحجر
صوت
(يا بيت عاتِكَة الذي أتعَزّل ... حَذَر العِدا وبه الفُؤادُ موكَّلُ)
(إني لأمنحُكَ الصّدودَ وإنني ... قَسماً إليك مع الصّدود لأمَيَلُ)
أتعزله أتجنبه وأكون بمعزل عنه
العدا جمع عدو ويقال عدا بالضم وعدا بالكسر وأمنحك أعطيك
والمنيحة العطية
وفي الحديث أن رجلا منح بعض ولده شيئا من ماله فقال له النبي أكل ولدك منحت مثل هذا قال لا قال فارجعه
الشعر للأحوص بن محمد الأنصاري من قصيدة يمدح بها عمر بن عبد العزيز الغناء لمعبد ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق ويونس وغيرهما وفيه لابن سريج خفيف ثقيل الأول بالبنصر عن الهشامي وابن المكي وعلي بن يحيى

الأحوص وبعض أخباره

سرق أبيات سليمان بأعيانها وأدخلها في شعره وغير قوافيها فقط

أخبرني بخبر الأحوص في هذا الشعر الحرمي عن الزبير قال حدثني عمر بن أبي بكر المؤملي وأخبرنا به الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن مصعب الزبيري عن المؤملي عن عمر بن أبي بكر الموصلي عن عبد الله بن أبي عبيدة بن عمار بن ياسر قال
خرجت أنا والأحوص بن محمد مع عبد الله بن الحسن بن الحسن إلى الحج فلما كنا بقديد قلنا لعبد الله بن الحسن لو أرسلت إلى سليمان بن أبي دباكل فأنشدنا شيئا من شعره فأرسل إليه فأتانا فاستنشدناه فأنشدنا قصيدته التي يقول فيها
(يا بيتَ خَنْساءَ الذي أتجنَّب ... ذهب الشباب وحُبُّها لا يَذْهب)
(أصبحت أمنَحُكِ الصدودَ وإنّني ... قَسماً إليك مع الصّدودِ لأجنَبُ)
(ما لي أحنّ إلى جِمالِك قُرِّبت ... وأَصُدُّ عنك وأنت مِنّي أقربُ)
(لله درُّك هل لديك مُعوَّلٌ ... لمتيَّم أم هل لوُدّك مَطلبُ)
(فلقد رأيتك قبل ذاكَ وإنني ... لمُوكَّل بهواك أو مُتَقَرِّب)
(إذ نحن في الزمنِ الرخيِّ وأنتم ... متجاورون كلامُكم لا يُرقَبُ)
(تبكي الحمامةُ شَجوها فتَهيجُني ... ويروح عازبُ همِّيَ المتأوِّبُ)
(وتَهبُّ جاريةُ الرياح مِنَ أرضكم ... فأرى البلاد لها تُطِلُّ وتُخصِب)
(وأرى السَّمِية باسمكم فيزيدُني ... شوقاً إليك رجاؤك المُتَنسَّبُ)
(وأرى العدوَّ يودّكم فأودّه ... إن كان يُنسب منك أو لا يُنسبُ)
(وأخالِف الواشِينَ فيك تجمُّلا ... وهُم عليَّ ذَوُو ضغائِنٍ دُوَّبُ)
(ثم اتخذتِهم عليَّ وَليجةً ... حتى غَضِبت ومثلُ ذلك يُغضِبُ)
قال فلما كان من قابل حج أبو بكر بن عبد العزيز بن مروان فقدم المدينة فدخل عليه الأحوص واستصحبه فأصحبه فلما خرج الأحوص قال له بعض من عنده ماذا تريد بنفسك تقدم بالأحوص الشام وبها من ينافسك من بني أبيك وهو من الأفن والسفه على ما قد علمت فيعيبونك به
فلما رجع أبو بكر من الحج دخل عليه الأحوص متنجزا لما وعده من الصحابة فدعا له بمائة دينار وأثواب وقال يا خال إني نظرت فيما سألتني من الصحابة فكرهت أن أهجم بك على أمير المؤمنين من غير إذنه فيجبهك فيشمت بك عدوي من أهل بيتي ولكن خذ هذه الثياب والدنانير وأنا مستأذن لك أمير المؤمنين فإذا أذن لك كتبت إليك فقدمت علي فقال له الأحوص لا ولكن قد سبعت عندك ولا حاجة لي بعطيتك ثم خرج من عنده فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فأرسل إلى الأحوص وهو يومئذ أمير المدينة فلما دخل عليه أعطاه مائة دينار وكساه ثيابا فأخذ ذلك ثم قال له
يا أخي هب لي عرض أبي بكر قال هو لك ثم خرج الأحوص فقال في عروض قصيدة سليمان بن أبي دباكل قصيدة مدح بها عمر بن عبد العزيز
وقال حماد قال أبي سرق أبيات سليمان بأعيانها فأدخلها في شعره وغير قوافيها فقط فقال
(يا بيتَ عاتكة الذي أتعزّل ... حذَر العِدَا وبه الفؤاد موكَّل)

(أصبحتُ أمنحُك الصّدودَ وإنَّني ... قسَماً إليك مع الصّدود لأمْيَل)
(فصددتُ عنك وما صددتُ لِبِغْضةٍ ... أخشى مقالةَ كاشحٍ لا يَعْقِلُ)
(هل عيشُنا بك في زمانك راجعٌ ... فلقد تفاحش بعدكَ المتعلَّل)
(إني إذا قُلتُ استقام يحُطُّه ... خُلْفٌ كما نظر الخِلافَ الأقبَلُ)
(لو بالّذي عالجت لينَ فؤاده ... فأبَى يُلانُ بِه لَلانَ الْجَنْدلُ)
(وتجنُّبي بيتَ الحبيبِ أودُّه ... أُرضِي البغيضَ به حديثٌ معْضِلُ)
(ولئن صددتُ لأنتِ لولا رِقبتي ... أهوَى من اللائي أزورُ وأدْخُلُ)
(إنّ الشّبابَ وعيشَنا اللذَّ الذي ... كُنَّا به زمنا نُسرُّ ونَجذَلُ)
(ذهبت بشاشتُه وأصبح ذكرُه ... حُزْنا يُعلُّ به الفؤاد وينهلُ)
(إلاَّ تَذَكُّرَ ما مضى وصبابة ... مُنِيَتْ لقلْب متيَّمٍ لا يَذْهلُ)
(أودَى الشبابُ وأخلقَتْ لذّاتُه ... وأنا الحزينُ على الشباب المُعْوِلُ)
(يبكي لما قَلَب الزمانُ جديدَه ... خَلَقاً وليس على الزّمان مُعوَّلُ)
(والرأس شامِلُه البَياضُ كأنه ... بعد السَّواد به الثَّغامُ المُحْجِل)
((وسفيهةٍ هبَّت عليَّ بسُحْرةٍ ... جَهْلاً تلوم على الثَّواء وتعذلُ
(فأجبتُها أن قلتُ لستِ مُطاعةً ... فذري تنصُّحكِ الذي لا يُقبَلُ)
(إنّي كَفاني أن أعالج رِحْلَةً ... عُمرٌ ونبوةُ من يضِنّ ويبخل)
(بِنَوال ذي فجرٍ تكون سِجالُه ... عَمَمًا إذا نزل الزَّمانُ الممحِلُ)
(ماضٍ على حدث الأمور كأنه ... ذو رَوْنق عَضْبٌ جَلاهُ الصَّيْقَلُ)
(تُبدي الرجال إذا بدا إعظامه ... حذَرَ البُغاثِ هوَى لهنّ الأجْدَلُ)
(فيرون أنّ له عليهم سورةً ... وفضيلَةً سَبَقَت له لا تُجْهَلُ)
(مُتحمِّل ثِقَلَ الأمور حوى له ... سبقَ المكارم سابقٌ مُتمَهِّلُ)
(وله إذا نُسِبت قريشٌ منهم ... مجد الأرومة والفَعالُ الأفضلُ)
(وله بمكة إذْ أميّة أهلُها ... إرثٌ إذا عُدَّ القديمُ مُؤثّلُ)
(أعيت قرابَته وكان لُزومُه ... أمْراً أبانَ رَشادَه منْ يَعْقِل)
(وسموتَ عن أخلاقهم فتركتهم ... لنداك إنّ الحازمَ المتحوّلُ)
(ولقد بدأتُ أُريدُ وُدَّ معاشرٍ ... وعَدوا مواعدَ أخلفت إن حُصِّلوا)
(حتى إذا رجع اليقينُ مطامعي ... يأساً وأخلَفني الذين أؤمِّلُ)
(زايلتُ ما صَنعوا إليك برحلةٍ ... عَجْلَى وعندك عنهم مُتحوَّلُ)
(ووعدتَني في حاجةٍ فصدَقْتَني ... ووفيتَ إذ كَذَبُوا الحديثَ وبدَّلوا)
(وشكوتُ غُرماً فادحاً فحملتَه ... عنِّي وأنت لمثلِه مُتحمِّل)
(فلأشكرنَّ لك الذي أوليتَني ... شُكراً تُحلُّ به المطيُّ وتُرحَلُ)
((مِدَحاً تكون لكم غرائبُ شعرها ... مَبْذُولَةً ولغيركم لا تبذل
(فإذا تَنَحَّلْتُ القريضَ فإنّه ... لكم يكون خِيارُ ما أتَنَحَّلُ)
(ولعمرُ مَن حَجَّ الحجيجُ لِبَيْته ... تَهْوي به قُلُص المَطِيّ الذُّمَّلُ)
(إنَّ امرأً قد نال منك قرابةً ... يَبْغي منافِعَ غيرها لمُضَلَّلُ)
(تعْفُو إذا جَهِلُوا بحملك عنهم ... وتُنِيل إن طلبوا النّوال فتجزلُ)
(وتكون مَعْقِلَهمْ إذا لم يُنجِهم ... من شرِّ ما يخشون إلاّ المَعْقِل)
(حتى كأنكَ يُتّقى بك دونهمْ ... من أُسْدِ بِيشة خادِرٌ مُتبَسِّلُ)
(وأراكَ تفعلُ ما تقول وبَعضُهم ... مَذِقُ الحديث يقول ما لا يَفْعَل)
(وأرى المدينةَ حين صِرْتَ أميرَها ... أمِنَ البَريءُ بها ونام الأعزل)
فقال عمر ما أراك أعفيتني مما استعفيت منه قال لأنه مدح عمر وعرض بأخيه أبي بكر
نسبة ما مضى في هذه الأخبار من الأغاني
صوت
(مالي أحِنُّ إذا جِمالُك قُرِّبت ... وأصدّ عنك وأنت مني أقربُ)
(وأرى البلادَ إذا حللت بغيرها ... وَحْشاً وإن كانت تُظَلّ وتُخصِبُ)
(يا بيت خنساءَ الذي أتجنَّب ... ذهب الشباب وحُبُّها لا يذهَبُ)
(تبكي الحمامةُ شجوَها فتهيجني ... ويَرُوحُ عازب هَمِّيَ المتأوِّبُ)
الشعر لسليمان بن أبي دباكل والغناء لمعبد خفيف ثقيل أول بالبنصر عن عمرو
وقال ابن المكي فيه خفيف ثقيل آخر لابن محرز وأوله
(... تبكي الحمامة شجوها فتهيجني)
من هي عاتكة التي يذكرها الأحوص في شعره
أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد قرأت على أبي وقال محمد بن كناسة حدثني أبو دكين بن زكريا بن محمد بن عمار بن ياسر قال رأيت عاتكة التي يقول فيها الأحوص
(... يا بيت عاتكة الذي أتعزل)
وهي عجوز كبيرة وقد جعلت بين عينيها هلالا من نيلج تتملح به
أخبرني الحرمي عن الزبير عن محمد بن محمد العمري قال
عاتكة التي يشبب بها الأحوص عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية
أخبرني الحرمي عن الزبير عن إسحاق بن عبد الملك
أن الأحوص كان لينا وأن عاتكة التي ينسب بها ليست عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية وإنما هو رجل كان ينزل

قرى كانت بين الأشراف كنى عنه بعاتكة
أخبرني الحرمي عن الزبيري عن يعقوب بن حكيم قال
كان الأحوص لينا وكان يلزم نازلا بالأشراف فنهاه أخوه عن ذلك فتركه فرقا من أخيه وكان يمر قريبا من خيمة النازل بالأشراف ويقول
((يا بيت عاتكة الذي أتعزّل ... حذر العدا وبه الفؤاد موكل
يكني عنه بعاتكة ولا يقدر أن يدخل عليه
الفرزدق وكثير يزوران الأحوص
أخبرني الحرمي عن الزبيري عن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن إبراهيم قال حدثني عبد العزيز بن عمران قال قدم الفرزدق المدينة فقال لكثير هل لك بنا في الأحوص نأتيه ونتحدث عنده فقال له وما نصنع به إذا والله نجد عنده عبدا حالكا أسود حلوكا يؤثره علينا ويبيت مضاجعه ليلته حتى يصبح قال الفرزدق فقلت إن هذا من عداوة الشعراء بعضهم لبعض قال فانهض بنا إليه إذا لا أب لغيرك قال الفرزدق فأردفت كثيرا ورائي على بغلتي وقلت تلفف يا أبا صخر فمثلك لا يكون رديفا فخمر رأسه وألصق في وجهه فجعلت لا أجتاز بمجلس قوم إلا قالوا من هذا وراءك يا أبا فراس فأقول جارية وهبها لي الأمير فلما أكثرت عليه من ذلك واجتاز على بني زريق وكان يبغضهم فقلت لهم ما كنت أقول قبل ذلك كشف عن رأسه وأومض وقال كذب ولكني كرهت أن أكون له رديفا وكان حديثه لي معجبا فركبت وراءه ولم تكن لي دابة أركبها إلا دابته فقالوا لا تعجل يا أبا صخر ههنا دواب كثيرة تركب منها ما أردت فقال دوابكم والله أبغض إلي من ردفه فسكتوا عنه وجعل يتغشم عليهم حتى جاوز أبصارهم فقلت والله ما قالوا لك بأسا فما
الذي أغضبك عليهم فقال والله ما أعلم نفرا أشد تعصبا للقرشيين من نفر اجتزت بهم قال فقلت له وما أنت لا أم لك ولقريش قال أنا والله أحدهم قلت إن كنت أحدهم فأنت والله دعيهم قال دعيهم خير من صحيح نسب العرب وإلا فأنا والله من أكرم بيوتهم أنا أحد بني الصلت بن النضر قلت إنما قريش ولد فهر بن مالك فقال كذبت
فقال ما علمك يا بن الجعراء بقريش هم بنو النضر بن كنانة ألم تر إلى النبي انتسب إلى النضر بن كنانة ولم يكن ليجاوز أكرم نسبه قال فخرجنا حتى أتينا الأحوص فوجدناه في مشربة له فقلنا له أنرقى إليك أم تنزل إلينا قال لا أقدر على ذلك عندي أم جعفر ولم أرها منذ أيام ولي فيها شغل فقال كثير أم جعفر والله بعض عبيد الزرانيق فقلنا له فأنشدنا بعض ما أحدثت به فأنشدنا قوله
(يا بَيْتَ عاتكةَ الذي أتعزّل ... حذرَ العِدا وبه الفُؤادُ مُوكَّل)
حتى أتى على آخرها فقلت لكثير قاتله الله لولا ما أشعره لولا ما أفسد به نفسه قال ليس هذا إفسادا هذا خسف إلى التخوم فقلت صدقت وانصرفنا من عنده فقال أين تريد فقلت إن شئت فمنزلي وأحملك على البغلة وأهب لك المطرف وإن شئت فمنزلك ولا أرزؤك شيئا فقال بل منزلي وأبذل لك ما قدرت عليه وانصرفنا إلى منزله فجعل يحدثني وينشدني حتى جاءت الظهر فدعا لي بعشرين دينارا وقال استعن بهذه يا أبا فراس على مقدمك قلت هذا أشد من حملان بني زريق قال والله إنك ما تأنف من أخذ هذا من أحد غير الخليفة قال الفرزدق فجعلت أقول في
نفسي تالله إنه لمن قريش وهممت ألا أقبل منه
فدعتني نفسي وهي طمعة إلى أخذها منه فأخذتها
معنى قول كثير للفرزدق يا بن الجعراء يعيره بدغة وهي أم عمرو بن تميم وبها يضرب المثل في الحماقة فيقال هي أحمق من دغة وكانت حاملا فدخلت الخلاء فولدت وهي لا تعلم ما الولد وخرجت وسلاها بين رجليها وقد استهل ولدها فقالت يا جارتا أيفتح الجعر فاه فقالت جارتها نعم يا حمقاء ويدعو أباه فبنو تميم يعيرون بذلك ويقال للمنسوب منهم يا بن الجعراء
ملاحاة بينه وبين السري بن عبد الرحمن
أخبرني الحرمي عن الزبير قال حدثني سليمان بن داود المجمعي قال
اجتاز السري بن عبد الرحمن بن عتبة بن عويم بن ساعدة الأنصاري بالأحوص وهو ينشد قوله
(... يا بيتَ عاتكةَ الذي أتعزّل)
فقال السري
(يا بيت عاتكة المُنَوَّهَ باسْمِه ... اقعُد على مَنْ تحتَ سَقْفِك واعْجَل)
فواثبه الأحوص وقال في ذلك
(فأنت وشتمي في أكارِيسِ مالك ... وسَبّي به كالكَلْب إذ يَنبح النَّجْما)
((تَداعَى إلى زَيْد وما أنتَ منهم ... تَحُقُّ أباً إلاّ الولاءَ ولا أما
(وإنَّك لو عَدَّدْتَ أحسابَ مالك ... وأيامها فيها ولم تنطق الرَّجْما)
(أعادتْك عَبْداً أو تَنَقَّلْ كاذِباً ... تَلَمَّسُ في حيٍّ سِوى مالك جِذْما)
(وما أنا بالمجْسوسِ في جِذْمِ مالك ... ولا بالمُسمَّى ثم يلتزم الإسْمَا)
(ولكن أبِي لَوْ قد سألتَ وجدتَه ... توسَّطَ منها العِزَّ والحَسَب الضَّخْما)
فأجابه السري فقال
(سألتُ جميعَ هذا الخلق طُرًّا ... متى كان الأُحَيْوص من رجالي)
وهي أبيات ليست بجيدة ولا مختارة فألغيت ذكرها
شعره يسعف دليل المنصور
أخبرني محمد بن أحمد بن الطلاس أبو الطيب عن أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني وأخبرني به الحرمي عن الزبير قال حدثني عمي وقد جمعت روايتيهما
أن المنصور أمر الربيع لما حج أن يسايره برجل يعرف المدينة وأهلها وطرقها ودورها وحيطانها فكان رجل من أهلها قد انقطع إلى الربيع زمانا وهو رجل من الأنصار فقال له تهيأ فإني أظن جدك قد تحرك إن أمير المؤمنين قد أمرني أن أسايره برجل يعرف المدينة وأهلها وطرقها وحيطانها
ودورها فتحسس موافقته ولا تبتدئه بشيء حتى يسألك ولا تكتمه شيئا ولا تسأله حاجة فغدا عليه بالرجل وصلى المنصور فقال يا ربيع الرجل فقال ها هو ذا فسار معه يخبره عما سأل حتى ندر من أبيات المدينة فأقبل عليه المنصور

فقال من أنت أولا فقال من لا تبلغه معرفتك هكذا ذكر الخراز وليس في رواية الزبير فقال مالك من الأهل والولد فقال والله ما تزوجت ولا لي خادم قال فأين منزلك قال ليس لي منزل قال فإن أمير المؤمنين قد أمر لك بأربعة آلاف درهم فرمى بنفسه فقبل رجله فقال له اركب فركب فلما أراد الانصراف قال للربيع يا أبا الفضل قد أمر لي أمير المؤمنين بصلة قال إيه قال إن رأيت أن تنجزها لي قال هيهات قال فأصنع ماذا قال لا أدري والله وفي رواية الخراز أنه قال ما أمر لك بشيء ولو أمر به لدعاني فقال أعطه أو وقع إلي فقال الفتى هذا هم لم يكن في الحساب فلبثت أياما ثم قال المنصور للربيع ما فعل الرجل قال حاضر قال سايرنا به الغداة ففعل وقال له الربيع إنه خارج بعد غد فاحتل لنفسك فإنه والله إن فاتك فإنه آخر العهد به فسار معه فجعل لا يمكنه شيء حتى انتهى إلى مسيره ثم رجع وهو كالمعرض عنه فلما خاف فوته أقبل عليه فقال يا أمير المؤمنين هذا بيت عاتكة قال وما بيت عاتكة قال إن أمرأ الذي يقول فيه الأحوص

(... يا بيتَ عاتكة الذي أتعزل)

قال فمه قال إنه يقول فيها

(أنّ أمراً قد نال منك وسيلةً ... يرجُو منافعَ غَيرِها لمضلّلُ)

(وأراكَ تفعَلُ ما تقول وبعضُهم ... مَذِقُ الحديث يقول ما لا يَفْعَل)

فقال الزبير في خبره فقال له لقد رأيتك أذكرت بنفسك يا سليمان

ابن مخلد أعطه أربعة آلاف درهم فأعطاه إياها وقال الخراز في خبره فضحك المنصور وقال قاتلك الله ما أظرفك يا ربيع أعطه ألف درهم فقال يا أمير المؤمنين إنها كانت أربعة آلاف درهم فقال ألف يحصل خير من أربعة آلاف لا تحصل

وقال الخراز في خبره حدثني المدائني قال

أخذ قوم من الزنادقة وفيهم ابن لابن المقفع فمر بهم على أصحاب المدائن فلما رآهم ابن المقفع خشي أن يسلم عليهم فيؤخذ فتمثل

(يا بيتَ عاتكةَ الذي أتعزَّلُ ... حذرَ العِدا وبه الفؤادُ مُوكَّلُ)

الأبيات ففطنوا لما أراد فلم يسلموا عليه ومضى

هو ومعبد المغني في حضرة يزيد بن عبد الملك

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن ابن شبة قال

بلغني أن يزيد بن عبد الملك كتب إلى عامله أن يجهز إليه الأحوص الشاعر ومعبدا المغني

فأخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال حدثني إسماعيل بن أبي أويس قال حدثني أبي قال حدثنا سلمة بن صفوان الزرقي عن الأحوص الشاعر وذكر إسماعيل بن سعيد الدمشقي أن الزبير بن بكار حدثه عن ابن أبي أويس عن أبيه عن مسلمة بن صفوان عن الأحوص وأخبرني به الحرمي عن الزبير عن عمه عن جرير المديني المغني وأبو مسكين قالوا جميعا

كتب يزيد بن عبد الملك في خلافته إلى أمير المدينة وهو عبد الواحد ابن عبد الله النصري أن يحمل إليه الأحوص الشاعر ومعبدا المغني مولى

ابن قطن قال فجهزنا وحملنا إليه فلما نزلنا عمان أبصرنا غديرا وقصورا فقعدنا على الغدير وتحدثنا وذكرنا المدينة فخرجت جارية من بعض تلك القصور ومعها جرة تريد أن تستقي فيها ماء قال الأحوص فتغنت بمدحي في عمر بن عبد العزيز

(... يا بيت عاتكةَ الذي أتعزل)

فتغنت بأحسن صوت ما سمعته قط ثم طربت فألقت الجرة فكسرتها فقال معبد غنائي والله وقلت شعري والله فوثبنا إليها وقلنا لها لمن أنت يا جارية قالت لآل سعيد بن العاص وفي خبر جرير المغني لآل الوليد بن عقبة ثم اشتراني رجل من آل الوحيد بخمسين ألف درهم وشغف بي فغلبته بنت عم له طرأت عليه فتزوجها فعاقبت منزلتها منزلتي ثم علا مكانها مكاني فلم تزدها الأيام إلا ارتفاعا ولم تزدني إلا اتضاعا فلم ترض منه إلا بأن أخدمها فوكلتني باستقاء الماء فأنا على ما تريان أخرج أستقي الماء فإذا رأيت هذه القصور والغدران ذكرت المدينة فطربت إليها فكسرت جرتي فيعذلني أهلي ويلومونني

قال فقلت لها أنا الأحوص والشعر لي وهذا معبد والغناء له ونحن ماضيان إلى أمير المؤمنين وسنذكرك له أحسن ذكر وقال جرير في خبره ووافقه وكيع ورواية عمر بن شبة قالوا فأنشأت الجارية تقول

(إن تروني الغداةَ أسعى بجرٍّ ... أستقي الماءَ نحو هذا الغدير)

(فلقد كنتُ في رخاء من العيش ... وفي كل نعمةٍ وسرُور)

(ثم قد تُبصِران ما فيه أمْسَيْتُ ... وماذا إليه صار مَصِيري)

(فإلى الله أشتكي ما ألاقي ... من هَوانٍ وما يُجِنُّ ضَمِيري)

(أبلغا عَنّي الإمامَ وما يعرف ... صِدقَ الحَديث غيرُ الخَبير)

(أنني أضرَبُ الخَلائِق بالعُود ... وأحْكاهُم ببَمٍّ وزير)

(فلعلّ الإلهَ يُنقِذ مما ... أنَا فيه فإنّني كالأسير)

(ليتني مِتّ يوم فارقتُ أهلي ... وبلادي فزُرت أهلَ القُبور)

(فاسمعا ما أقول لقَّا كما ... الله نجاحاً في أحسن التيسير)

فقال الأحوص من وقته

صوت

(إنّ زينَ الغدير من كسر الجرْ ... وَغَنَّي غِناء فحلٍ مُجِيد)

(قلتُ من أنتِ يا ظعينُ فقالت ... كنتُ فيما مضى لآل الوليدِ)

وفي رواية الدمشقي

(قلت من أيْن يا خَلوبُ فقالت ... كنتُ فيما مضى لآل سعيد)

(ثم أصبحْتُ بعد حَيٍّ قريشٍ ... في بني خالد لآل الوحيد)

(فغِنائي لمعبد ونَشِيدي ... لفتى الناس الأحْوَص الصِّنّديد)

(فتباكيْتُ ثم قلت أنا الأحْوص ... والشيخ مَعْبَدٌ فأعِيدي)

(فأعادت لنا بصوتٍ شجِيٍّ ... يترك الشيخَ في الصِّبا كالوَليدِ)

وفي رواية أبي زيد
(فأعادت فأحسنَتْ ثم ولَّتْ ... تَتهادَى فقلتُ قولَ عميدِ)
(يعجِزُ المالُ عن شِراكِ ولكن ... أنتِ في ذِمّة الهُمام يزيدِ)
(ولكِ اليومَ ذِمّتي بوفاءٍ ... وعلى ذاكِ من عِظامِ العهودِ)
(أنْ سيَجْري لكِ الحديثُ بصوتٍ ... مَعبديٍّ يَرُدُّ حَبْلَ الوريدِ)
(يفعل اللهُ ما يشاء فَظُنّي ... كُلَّ خيرٍ بنا هناكِ وزِيدِي)
(قالت القَينةُ الكَعَابُ إلى ... اللّهِ أُموري وأرتَجي تَسْديدِي)
غناه معبد ثاني ثقيل بالبنصر من رواية حبش والهشامي وغيرهما وهي طريقة هذا الصوت وأهل العلم بالغناء لا يصححونه لمعبد
قال الأحوص وضع فيه معبد لحنا فأجاده فلما قدمنا على يزيد قال يا معبد أسمعني أحدث غناء غنيت وأطراه فغناه معبد
(إنّ زيَن الغدير من كَسَرَ الجرَّ ... وغنى غناء فحْلٍ مُجيدِ)
فقال يزيد إن لهذا لقصة فأخبراني بها فأخبراه فكتب لعامله بتلك الناحية إن لآل فلان جارية من حالها ذيت وذيت فاشترها بما بلغت فاشتراها بمائة ألف درهم وبعث بها هدية وبعث معها بألطاف كثيرة فلما قدمت على يزيد رأى فضلا بارعا فأعجب بها وأجازها وأخدمها وأقطعها وأفرد لها قصرا قال فوالله ما برحنا حتى جاءتنا منها جوائز وكسا وطرف
وقال الزبير في خبره عن عمه قال
أظن القصة كلها مصنوعة وليس يشبه الشعر شعر الأحوص ولا هو من طرازه وكذلك ذكر عمر بن شبة في خبره
أخبرني الحرمي عن الزبير قال
سمعت هشام بن عبد الله بن عكرمة يحدث عن عتبة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال
ينذر بزوال الدولة الأموية
كنت مع يزيد بن عمر بن هبيرة ليلة الفرات فلما انهزم الناس التفت إلي فقال يا أبا الحارث أمسينا والله وهم كما قال الأحوص
(أبْكِي لما قَلَبَ الزمانُ جديدَه ... خَلَقاً وليس على الزمان مُعَوَّلُ)
أخبرني الحرمي عن الزبير عن محمد بن محمد العمري
أن عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية رئيت في النوم قبل ظهور دولة بني العباس على بني أمية كأنها عريانة ناشرة شعرها تقول
(أين الشَّبابُ وعيشُنا اللّذُّ الذي ... كُنَّا بِهِ زَمناً نُسَرُّ ونُجذَلُ)
(ذهبت بَشاشتُه وأصبح ذِكرُه ... حُزْناً يُعلُّ به الفؤادُ ويُنْهَلُ)
فتأول الناس ذلك بزوال دنيا بني أمية فكان كما قالوا
أخبرني بهذا الخبر الحسن بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الجمحي عن شيخ من قريش
أنه رأى في النوم امرأة من ولد عثمان بن عفان على منايم على دار عثمان المقبلة على المسجد وهي حاسرة في يديها عود وهي تضرب به وتغني
(أينَ الشباب وعيشنا اللّذ الذي ... كنا به يوماً نُسرّ ونجذل)
(ذهبت بشاشته وأصبح ذكره ... حُزناً يُعلَّ به الفؤاد وينهل)
قال فما لبثنا إلا يسيرا حتى خرج الأمر عن أيديهم وقتل مروان
قال إسحاق المنامة الدكان وجمعها منايم
صوت
(يا هندُ إنَّكِ لو علمتِ ... بعاذلَيْن تتابعا)
(قالا فلمْ أسْمَعْ لِمَا ... قالا وقلتُ بلِ اسْمَعا)
(هندٌ أحبُّ إليَّ من ... مالي وروحيَ فارْجِعَا)
(ولقد عَصَيْتُ عَواذِلي ... وأطعْتُ قلباً مُوجعا)
الشعر لعبد الله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام والغناء لابن سريج ولحنه فيه لحنان أحدهما من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق والآخر رمل بالوسطى عن عمرو وفيه خفيف ثقيل ذكر أبو العبيس أنه لابن سريج وذكر الهشامي وابن المكي أنه للغريض وذكر حبش أن لإبراهيم فيه رملا آخر بالبنصر وقال أحمد بن عبيد الذي صح فيه ثقيل الأول وخفيفه ورمله وذكر إبراهيم أن فيه لحنا لابن عباد
ذكر عبد الله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام ونسبه وأخباره وخبر هذا الشعر
عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وقد مضى نسبه في أخبار عمه الحسين صلوات الله عليه في شعره الذي يقول فيه
(لعمرُكَ إنني لأُحِبُّ دارا ... تَحلُّ بِهَا سُكَيْنَةُ والرَّبابُ)
ويكنى عبد الله بن الحسن أبا محمد وأم عبد الله بن الحسن بن الحسن فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وأمها أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله وأمها الجرباء بنت قسامة بن رومان عن طيء
لماذا سميت جدته الجرباء
أخبرني أحمد بن سعيد قال حدثنا يحيى بن الحسن قال
إنما سميت الجرباء لحسنها كانت لا تقف إلى جنبها امرأة وإن كانت جميلة إلا استقبح منظرها لجمالها وكان النساء يتحامين أن يقفن إلى جنبها فشبهت بالناقة الجرباء التي تتوقاها الإبل مخافة أن تعديها
وكانت أم إسحاق من أجمل نساء قريش وأسوئهن خلقا ويقال إن نساء بني تيم كانت لهن حظوة عند أزواجهن على سوء أخلاقهن ويروى أن
أم إسحاق كانت ربما حملت وولدت وهي لا تكلم زوجها
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار عن عمه بذلك قال
وقد كانت أم إسحاق عند الحسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه قبل أخيه الحسين عليه السلام فلما حضرته

الوفاة دعا بالحسين صلوات الله عليه فقال له يا أخي إني أرضى هذه المرأة لك فلا تخرجن من بيوتكم فإذا انقضت عدتها فتزوجها
فلما توفي الحسن عنها تزوجها الحسين عليه السلام وقد كانت ولدت من الحسن عليه السلام ابنه طلحة بن الحسن فهو أخو فاطمة لأمها وابن عمها وقد درج طلحة ولا عقب له
ومن طرائف أخبار التيميات من نساء قريش في حظوتهن وسوء أخلاقهن ما أخبرنا به الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار عن محمد بن عبد الله قال
كانت أم سلمة بنت محمد بن طلحة عند عبد الله بن الحسن وكانت تقسو عليه قسوة عظيمة وتغلظ له ويفرق منها ولا يخالفها فرأى يوما منها طيب نفس فأراد أن يشكو إليها قسوتها فقال لها يا بنت محمد قد أحرق والله قلبي فحددت له النظر وجمعت وجهها وقالت له أحرق قلبك ماذا فخافها فلم يقدر على أن يقول لها سوء خلقك فقال لها حب أبي بكر الصديق فأمسكت عنه
وتزوج الحسن بن الحسن فاطمة بنت الحسين في حياة عمه وهو عليه السلام زوجه إياها
زواجه فاطمة بنت الحسين
أخبرني الطوسي والحرمي عن الزبير عن عمه بذلك وحدثني أحمد
ابن محمد بن سعيد عن يحيى بن الحسن عن إسماعيل بن يعقوب قال حدثني جدي عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن قال
خطب الحسن بن الحسن إلى عمه الحسين صلوات الله عليه وسأله أن يزوجه إحدى ابنتيه فقال له الحسين عليه السلام
اختر يا بني أحبهما إليك فاستحيا الحسن ولم يحر جوابا فقال له الحسين عليه السلام فإني اخترت منهما لك ابنتي فاطمة فهي أكثر شبها بأمي فاطمة بنت رسول الله
أخبرني الطوسي والحرمي عن الزبير عن عمه مصعب
أن الحسن لما خيره عمه اختار فاطمة وكانوا يقولون إن امرأة سكينة مردودتها لمنقطعة القرين في الجمال
أخبرني الطوسي والحرمي بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي عن أحمد بن يحيى وأحمد بن زهير عن الزبير وأخبرني أحمد بن سعيد عن يحيى بن الحسن عن الزبير بن بكار واللفظ للحسن بن علي وخبره أتم قال قال الزبير حدثني عمي مصعب ولم يذكر أحدا
ماذا قال حين حضرته الوفاة
وأخبرني محمد بن يحيى عن أيوب عن عمر بن أبي الموالي قال الزبير وحدثني عبد الملك بن عبد العزيز بن يوسف بن الماجشون وقد دخل حديث بعضهم في بعض حديث الآخرين
أن الحسن بن الحسن لما حضرته الوفاة جزع وجعل يقول إني لأجد
كربا ليس إلا هو كرب الموت وأعاد ذلك دفعات فقال له بعض أهله ما هذا الجزع تقدم على رسول الله وهو جدك وعلى علي والحسن والحسين صلوات الله عليهم وهم آباؤك فقال لعمري إن الأمر لكذلك ولكن كأني بعبد الله بن عمرو بن عثمان حين أموت وقد جاء في مضرجتين أو ممصرتين وهو يرجل جمته يقول أنا من بني عبد مناف جئت لأشهد ابن عمي وما به إلا أن يخطب فاطمة بنت الحسين فإذا جاء فلا يدخل علي فصاحت فاطمة أتسمع قال نعم قالت أعتقت كل مملوك لي وتصدقت بكل ملك لي إن أنا تزوجت بعدك أحدا أبدا قال فسكن الحسن وما تنفس ولا تحرك حتى قضى فلما ارتفع الصياح أقبل عبد الله على الصفة التي ذكرها الحسن فقال بعض القوم ندخله
وقال بعضهم لا يدخل وقال قوم لا يضر دخوله فدخل وفاطمة تصك وجهها فأرسل إليها وصيفا كان معه فجاء يتخطى الناس حتى دنا منها فقال لها يقول لك مولاي أبقي على وجهك فإن لنا فيه أربا قال فأرسلت يدها في كمها واختمرت وعرف ذلك منها فما لطمت وجهها حتى دفن صلوات الله عليه
فلما انقضت عدتها خطبها فقالت فكيف لي بنذري ويميني فقال نخلف عليك بكل عبد عبدين وبكل شيء شيئين ففعل وتزوجته وقد قيل في تزويجه إياها غير هذا
أخبرني به أحمد بن محمد بن إسماعيل الهمداني عن يحيى بن الحسن العلوي عن أخيه أبي جعفر عن إسماعيل بن يعقوب عن محمد بن عبد الله البكري
أن فاطمة لما خطبها عبد الله أبت أن تتزوجه فحلفت عليها أمها لتتزوجنه وقامت في الشمس وآلت لا تبرح حتى تتزوجه فكرهت فاطمة أن تحرج فتزوجته
وكان عبد الله بن الحسن بن الحسن شيخ أهله وسيدا من ساداتهم ومقدما فيهم فضلا وعلما وكرما وحبسه أبو جعفر المنصور في الهاشمية بالكوفة لما خرج عليه ابناه محمد وإبراهيم فمات في الحبس وقيل إنه سقط عليه وقيل غير ذلك
انتهى كل حسن إليه
أخبرني أحمد بن محمد بن سعيد عن يحيى بن الحسن عن علي بن أحمد الباهلي قال سمعت مصعبا الزبيري يقول
انتهى كل حسن إلى عبد الله بن حسن وكان يقال من أحسن الناس فيقال عبد الله بن الحسن ويقال من أفضل الناس فيقال عبد الله بن الحسن
حدثني محمد بن الحسن الخثعمي الأشناني والحسن بن علي السلولي قالا حدثنا عباد بن يعقوب قال
حدثنا تلميذ بن سليمان قال رأيت عبد الله بن الحسن وسمعته يقول أنا أقرب الناس إلى رسول الله ولدتني بنت رسول الله مرتين
حدثني أحمد بن محمد بن سعيد عن يحيى بن الحسن عن إسماعيل ابن يعقوب عن عبد الله بن موسى قال
أول من اجتمعت له ولادة الحسن عليه السلام والحسين صلوات الله عليهما عبد الله بن الحسن عليه السلام
حدثني محمد بن الحسن الأشناني عن عبد الله بن يعقوب عن بندقة ابن محمد بن حجازة الدهان قال
رأيت عبد الله بن الحسن فقلت هذا والله سيد الناس كان مكسوا نورا من قرنه إلى قدمه
قال علي بن الحسين وقد روي ذلك في أخبار أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام وأمه أم عبد الله بنت الحسن بن علي عليه السلام
حدثني أحمد بن محمد بن سعيد عن يحيى بن الحسن عن القاسم بن عبد الرزاق قال

جاء منظور بن زيان الفزاري إلى حسن بن حسن وهو جده أبو أمه فقال له لعلك أحدثت بعدي أهلا قال نعم تزوجت بنت عمي الحسين ابن علي عليهما السلام قال بئسما صنعت أما علمت أن الأرحام إذا التقت أضوت كان ينبغي أن تتزوج في الغرب قال فإن الله جل وعز قد رزقني منها ولدا قال أرنيه فأخرج إليه عبد الله بن الحسن فسر به وقال أنجبت هذا والله ليث غاب ومعدو عليه قال فإن الله تعالى قد رزقني منها ولدا ثانيا قال فأرنيه فأخرج إليه حسن بن حسن بن حسن فسر به وقال أنجبت وهذا دون الأول قال فإن الله قد رزقني منها ولدا ثالثا قال فأرنيه
فأراه إبراهيم بن الحسن
حدثني أبو عبيد محمد بن أحمد الصيرفي قال حدثنا محمد بن علي
ابن خلف قال حدثنا عمر بن عبد الغفار قال حدثنا سعيد بن أبان القرشي قال
كنت عند عمر بن عبد العزيز فدخل عبد الله بن الحسن عليه وهو يومئذ شاب في إزار ورداء فرحب به وأدناه وحياه وأجلسه إلى جنبه وضاحكه ثم غمز عكنة من بطنه وليس في البيت حينئذ إلا أموي فقيل له ما حملك على غمز بطن هذا الفتى قال إني لأرجو بها شفاعة محمد
حدثني عمر بن عبد الله بن جميل العتكي عن عمر بن شبة عن إسماعيل بن جعفر الجعفري قال
حدثني سعيد بن عقبة الجهني قال إني لعند عبد الله بن الحسن إذ أتاني آت فقال هذا رجل يدعوك فخرجت فإذا أنا بأبي عدي الشاعر الأموي فقال أعلم أبا محمد فخرج إليه عبد الله وهم خائفون فأمر له بأربعمائة دينار وهند بمائتي دينار فخرج بستمائة دينار
وقد روى مالك ابن أنس عن عبد الله بن الحسن الحديث

كان يسدل شعره

حدثني أحمد بن محمد بن سعيد عن يحيى بن الحسن قال
حدثنا علي بن أحمد الباهلي عن مصعب بن عبد الله قال سئل مالك
عن السدل قال رأيت من يرضى بفعله عبد الله بن الحسن يفعله والسبب في حبس عبد الله بن الحسن وخروج ابنيه وقتلهما يطول ذكره
وقد أتى عمر بن شبة منه بما لا يزيد عليه أحد إلا اليسير ولكن من أخباره ما يحسن ذكره ها هنا فنذكره
أخبرني عمر بن عبد الله العتكي عن عمر بن شبة قال حدثني موسى ابن سعيد بن عبد الرحمن وأيوب بن عمر عن إسماعيل بن أبي عمرو قالوا

شعر تمثل به

لما بنى أبو العباس بناءه بالأنبار الذي يدعى الرصافة رصافة أبي العباس قال لعبد الله بن الحسن ادخل فانظر ودخل معه فلما رآه تمثل
(ألم ترَ حَوْشَباً أمْسَى يُبَنِّي ... بِناءً نَفعُه لبني نُفَيْله)
(يُؤمِّل أن يُعَمَّرَ عُمْرَ نُوحٍ ... وأمرُ اللّهِ يحدُث كلَّ لَيْلَة)
فاحتمله أبو العباس ولم يبكته بها
أخبرني عمي عن ابن شبة عن يعقوب بن القاسم عن عمرو بن شهاب وحدثني أحمد بن محمد بن سعيد عن يحيى بن الحسن عن الزبير عن محمد ابن الضحاك عن أبيه قالوا
إن أبا العباس كتب إلى عبد الله بن الحسن في تغيب ابنيه
(أريد حَياتَه ويُريد قَتلِي ... عَذيرَك من خَليلك من مُرادِ)
قال عمر بن شبة وإنما كتب بها إلى محمد قال عمر بن شبة فبعثوا إلى عبد الرحمن بن مسعود مولى أبي حنين فأجابه
((وكيف يُريدُ ذاكَ وأنتَ منه ... بِمنزلة النِّياط من الفُؤادِ
(وكيف يُريد ذاكَ وأنتَ منه ... وزَنْدُك حين تقدح من زنادِ)
(وكيف يُريد ذاك وأنتَ منه ... وأنتَ لِهَاشمٍ رأسٌ وَهادِ)
أخبرني عمر بن عبد الله بن شبة عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عليهم السلام عن الحسن بن زيد عن عبد الله بن الحسن قال
بينا أنا في سمر أبي العباس وكان إذا تثاءب أو ألقى المروحة من يده قمنا فألقاها ليلة فقمنا فأمسكني فلم يبق غيري فأدخل يده تحت فراشه وأخرج إضبارة كتب وقال اقرأ يا أبا محمد فقرأت فإذا كتاب من محمد بن هشام بن عمرو التغلبي يدعوه إلى نفسه فلما قرأته قلت له يا أمير المؤمنين لك عهد الله وميثاقه ألا ترى منهما شيئا تكرهه ما كانا في الدنيا
أخبرنا العتكي عن ابن شبة عن محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عمر عن عبد الله بن عبدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال
لما استخلف أبو جعفر ألح في طلب محمد والمسألة عنه وعمن يؤويه فدعا بني هاشم رجلا رجلا فسألهم عنه فكلهم يقول قد علم أمير المؤمنين أنك قد عرفته بطلب هذا الشأن قبل اليوم فهو يخافك على نفسه ولا يريد لك خلافا ولا يحب لك معصية إلا الحسن بن زيد فإنه أخبره خبره فقال والله ما آمن وثوبه عليك وأنه لا ينام فيه فر رأيك فيه قال ابن أبي عبيدة فأيقظ من لا ينام
أخبرني عمر بن عبد الله بن شبة عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام عن محمد بن عمران عن عقبة بن سلم
أن أبا جعفر دعاه فسأله عن اسمه ونسبه فقال أنا عقبة بن سلم بن نافع بن الأزدهاني قال إني أرى لك هيئة وموضعا وإني لأريدك لأمر أنا به معني قال أرجو أن أصدق ظن أمير المؤمنين قال فأخف شخصك وائتني في يوم كذا وكذا فأتيته فقال إن بني عمنا هؤلاء قد أبوا إلا كيدا بملكنا ولهم شيعة بخراسان بقرية كذا وكذا يكاتبونهم ويرسلون إليهم بصدقات وألطاف فاذهب حتى تأتيهم متنكرا بكتاب تكتبه عن أهل تلك القرية ثم تسير ناحيتهم فإن كانوا نزعوا عن رأيهم علمت ذلك وكنت على حذر منهم حتى تلقى عبد الله بن الحسن متخشعا وإن جبهك وهو فاعل فاصبر وعاوده أبدا حتى يأنس بك فإذا ظهر لك ما في قلبه فاعجل إلي ففعل ذلك وفعل به حتى أنس عبد الله بناحيته فقال له عقبة الجواب فقال له أما الكتاب فإني لا أكتب إلى أحد ولكن أنت كتابي إليهم فأقرئهم السلام وأخبرهم أن ابني خارج لوقت كذا وكذا فشخص عقبة حتى قدم على أبي جعفر فأخبره الخبر

بماذا أجاب أبا جعفر عندما سأله عن ابنيه

أخبرني العتكي عن عمر بن محمد بن يحيى بن الحارث بن إسحاق قال
سأل أبو جعفر عبد الله بن الحسن عن ابنيه لما حج فقال لا أعلم بهما حتى تغالظا فأمضه أبو جعفر فقال له يا أبا جعفر بأي أمهاتي
تمضني أبخديجة بنت خويلد أم بفاطمة بنت رسول الله أم بفاطمة بنت الحسين عليهم السلام أم بأم إسحاق بنت طلحة قال لا ولا بواحدة منهن ولكن بالجرباء بنت قسامة فوثب المسيب بن زهير فقال يا أمير المؤمنين دعني أضرب عنق ابن الفاعلة فقام زياد بن عبيد الله فألقى عليه رداءه وقال يا أمير المؤمنين هبه لي فأنا المستخرج لك ابنيه فتخلصه منه
قال ابن شبة وحدثني بكر بن عبد الله مولى أبي بكر عن علي بن رياح أخي إبراهيم بن رياح عن صاحب المصلى قال إني لواقف على رأس أبي جعفر وهو يتغدى بأوطاس وهو متوجه إلى مكة ومعه على مائدته عبد الله بن الحسن وأبو الكرام الجعفري وجماعة من بني العباس فأقبل على عبد الله بن الحسن فقال يا أبا محمد محمد وإبراهيم أراهما قد استوحشا من ناحيتي وإني لأحب أن يأنسا بي ويأتياني فأصلهما وأزوجهما وأخلطهما بنفسي قال وعبد الله يطرق طويلا ثم يرفع رأسه ويقول وحقك يا أمير المؤمنين مالي بهما ولا بموضعهما من البلاد علم ولقد خرجا عن يدي فيقول لا تفعل يا أبا محمد اكتب إليهما وإلى من يوصل كتابك إليهما قال وامتنع أبو جعفر عن عامة غدائه ذلك اليوم إقبالا على عبد الله وعبد الله يحلف أنه لا يعرف موضعهما وأبو جعفر يكرر عليه لا تفعل يا أبا محمد
قال ابن شبة فحدثني محمد بن عباد عن السندي بن شاهك
أن أبا جعفر قال لعقبة بن سلم إذا فرغنا من الطعام فلحظتك فامثل
بين يدي عبد الله فإنه سيصرف بصره عنك فدر حتى تغمز ظهره بإبهام رجلك حتى يملأ عينيه منك ثم حسبك وإياك أن يراك ما دام يأكل ففعل ذلك عقبة فلما رآه عبد الله وثب حتى جثا بين يدي أبي جعفر وقال يا أمير المؤمنين أقلني أقالك الله قال لا أقالني الله إن أقلتك ثم أمر بحبسه
قال ابن شبة فحدثني أيوب بن عمر عن محمد بن خلف المخزومي قال أخبرني العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس قال
لما حج أبو جعفر في سنة أربعين ومائة أتاه عبد الله وحسن ابنا حسن فإنهما وإياي لعنده وهو مشغول بكتاب ينظر فيه إذ تكلم المهدي فلحن فقال عبد اله يا أمير المؤمنين ألا تأمر بهذا من يعدل لسانه فإنه يفعل فعل الأمة فلم يفهم وغمزت عبد الله فلم ينتبه وعاد لأبي جعفر فأحفظ من ذلك وقال له أين ابنك قال لا أدري قال لتأتيني به قال لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه قال يا ربيع قمر به إلى الحبس

توفي في محبسه بالهاشمية

أخبرني أحمد بن محمد بن سعيد عن يحيى بن الحسن قال
توفي عبد الله في محبسه بالهاشمية وهو ابن خمس وسبعين سنة في سنة خمس وأربعين ومائة وهند التي عناها عبد الله في شعره الذي فيه الغناؤ زوجته هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي وأمها قرينة بنت يزيد بن عبد الله بن وهب بن زمعة بن الأسود بن الطلب
وكان أبو عبيدة جوادا وممدحا وكانت هند قبل عبد الله بن الحسن
تحت عبد الله بن عبد الملك بن مروان فمات عنها
فأخبرني الحرمي عن الزبير عن سليمان بن عياش السعدي قال
لما توفي أبو عبيدة وجدت ابنته هند وجدا شديدا فكلم عبد الله بن الحسن محمد بن بشير الخارجي أن يدخل على هند بنت أبي عبيدة فيعزيها ويؤسيها عن أبيها فدخل معه عليها فلما نظر إليها صاح بأبعد صوته
(قومي اضربي عينيك يا هندُ لن تَرَىْ ... أباً مثلَه تسمُو إليه المَفاخِرُ)
(وكنت إذا أسبَلْتِ فوقكِ والدا ... تَزيني كما زان اليدين الأساوِرُ)
فصكت وجهها وصاحت بحربها وجهدها فقال له عبد الله بن الحسن ألهذا دخلت فقال الخارجي وكيف أعزي عن أبي عبيدة وأنا أعزى به
أخبرني العتكي عن شبة قال حدثني عبد الرحمن بن جعفر بن سليمان عن علي بن صالح قال
زوج عبد الملك بن مروان ابنه عبد الله هند بنت أبي عبيدة وريطة بنت عبد الله بن عبد المدان لما كان يقال إنه كائن في أولادهما فمات عنهما عبد الله أو طلقهما فتزوج هندا عبد الله ابن الحسن وتزوج ريطة محمد بن علي فجاءت بأبي العباس السفاح
أخبرني العتكي عن عمر بن شبة عن ابن داجة عن أبيه قال
لما مات عبد الله بن عبد الملك رجعت هند بميراثها منه فقال عبد الله بن حسن لأمه فاطمة اخطبي علي هندا فقالت إذا تردك أتطمع في هند وقد ورثت ما ورثته وأنت ترب لا مال لك فتركها ومضى إلى أبي عبيدة
أبي هند فخطبها إليه فقال في الرحب والسعة أما مني فقد زوجتك مكانك لا تبرح ودخل على هند فقال يا بنية هذا عبد الله بن حسن أتاك خاطبا قالت فما قلت له قال زوجته
قالت أحسنت
قد أجزت ما صنعت وأرسلت إلى عبد الله لا تبرح حتى تدخل على أهلك
قال فتزينت له فبات بها معرسا من ليلته ولا تشعر أمه فأقام سبعا ثم أصبح يوم سابعه غاديا على أمه وعليه ردع الطيب وفي غير ثيابه التي تعرف فقالت له يا بني من أين لك هذا قال من عند التي زعمت أنها لا تريدني
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي وعمي عبد العزيز بن أحمد بن بكار قالا حدثنا الزبير قال حدثتني ظبية مولاة فاطمة قالت كان جدك عبد الله بن مصعب يستنشدني كثيرا أبيات عبد الله بن حسن ويعجب بها
(إنّ عيني تعوّدت كُحْل هِنْدٍ ... جمَعت كَفُّها مع الرِّفق لِينا)
صوت
(يا عِيدُ مالكَ من شوقٍ وإيراقِ ... ومرِّ طَيْفٍ على الأهوال طَرّاقِ)
(يَسْري على الأيْن والحيَّات مُحْتفياً ... نفسي فِداؤُك من سارٍ على ساقِ)
عروضه من البسيط

العيد ما اعتاد الإنسان من هم أو شوق أو مرض أو ذكر
والأين والأيم ضرب من الحيات
والأين الإعياء أيضا وروى أبو عمرو
(... يا عيد قلبُك من شوق وإيراق)
الشعر لتأبط شرا والغناء لابن محرز ثقيل أول بالوسطى من رواية يحيى المكي وحبش وذكر الهشامي أنه من منحول يحيى إلى ابن محرز

أخبار تأبط شرا ونسبه

هو ثابت بن جابر بن سفيان بن عميثل بن عدي بن كعب بن حزن
وقيل حرب بن تميم بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر بن نزار
وأمه امرأة يقال لها أميمة يقال إنها من بني القين بطن من فهم ولدت خمسة نفر تأبط شرا وريش بلغب وريش نسر وكعب جدر ولا بواكي له وقيل إنها ولدت سادسا اسمه عمرو

لقبه وسببه

وتأبط شرا لقب لقب به ذكر الرواة أنه كان رأى كبشا في الصحراء فاحتمله تحت إبطه فجعل يبول عليه طول طريقه فلما قرب من الحي ثقل عليه الكبش فلم يقله فرمى به فإذا هو الغول فقال له قومه ما تأبطت يا ثابت قال الغول
قالوا لقد تأبطت شرا فسمي بذلك
وقيل بل قالت له أمه كل إخوتك يأتيني بشيء إذا راح غيرك فقال لها سآتيك الليلة بشيء ومضى فصاد أفاعي كثيرة من أكبر ما قدر عليه
فلما راح أتى بهن في جراب متأبطا له فألقاه بين يديها ففتحته فتساعين في بيتها فوثبت وخرجت فقال لها نساء الحي ماذا أتاك به ثابت فقالت أتاني بأفاع في جراب
قلن وكيف حملها قالت تأبطها قلن لقد تأبط شرا فلزمه تأبط شرا
حدثني عمي قال حدثني علي بن الحسين بن عبد الأعلى عن أبي محلم بمثل هذه الحكاية وزاد فيها
أن أمه قالت له في زمن الكمأة ألا ترى غلمان الحي يجتنون لأهليهم الكمأة فيروحون بها فقال أعطيني جرابك حتى أجتني لك فيه فأعطته فملأه لها أفاعي وذكر باقي الخبر مثل ما تقدم
ومن ذكر أنه إنما جاءها بالغول يحتج بكثرة أشعاره في هذا المعنى فإنه يصف لقاءه إياها في شعره كثيرا فمن ذلك قوله
(فأصبحت الغُولُ لي جارةً ... فيا جارتا لكِ ما أهولا)
(فطالبتُها بُضْعَها فالتوت ... عليّ وحاولتُ أن أفعلا)
(فمن كان يسأل عن جارتي ... فإنّ لها باللّوى مَنْزِلا)
كان أحد العدائين المعدودين
أخبرني عمي عن الحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني قال نزلت على حي من فهم إخوة بني عدوان من قيس فسألتهم عن خبر تأبط شرا فقال لي بعضهم وما سؤالك عنه أتريد أن تكون لصا قلت لا ولكن أريد أن
أعرف أخبار هؤلاء العدائين فأتحدث بها فقالوا نحدثك بخبره إن تأبط شرا كان أعدى ذي رجلين وذي ساقين وذي عينين وكان إذا جاع لم تقم له قائمة فكان ينظر إلى الظباء فينتقي على نظره أسمنها لم يجري خلفه فلا يفوته حتى يأخذه فيذبحه بسيفه ثم يشويه فيأكله
وإنما سمي تأبط شرا لأنه فيما حكي لنا لقي الغول في ليلة ظلماء في موضع يقال له رحى بَطان في بلاد هذيل فأخذت عليه الطريق فلم يزل بها حتى قتلها وبات عليها فلما أصبح حملها تحت إبطه وجاء بها إلى أصحابه فقالوا له لقد تأبطت شرا فقال في ذلك

شعره في غول تأبطها

(تأبَّطَ شراً ثم راح أو اغْتَدى ... تُوائم غُنْما أو يَشِيف على ذَحْل)
يوائم يوافق ويشيف يقتدر
وقال أيضا في ذلك
(ألا مَنْ مُبلغٌ فِتيانَ فَهمٍ ... بما لاقيتُ عند رَحَى بطانِ)
(وأنّي قد لقيتُ الغولَ تهوي ... بسَهْب كالصحيفة صحصحانِ)
(فقلت لها : كلانا نِضْوُ أيْنٍ ... أخو سفرٍ فخلّى لي مكاني)
(فشدَّت شدَّةً نحوي فأهوى ... لها كفّي بمصقولٍ يَمانِي)
(فأضربها بلا دَهَشٍ فَخَرّت ... صريعاً لليدين وللجِرانِ)
(فقالت عُد فقلت لها رُوَيْداً ... مكانَكِ إنني ثَبْت الجنانِ)
(فلم أنفكَّ مُتّكِئاً عليها ... لأنظر مُصبحاً ماذا أتاني)
((إذا عينان في رأسٍ قبيح ... كرأس الهرِّ مَشْقوق اللّسان)
(وساقا مُخدجٍ وشواةُ كلْب ... وثوب من عَباءٍ أو شِنان)
أخبرنا الحسين بن يحيى قال قرأت على حماد وحدثك أبوك عن حمزة ابن عتبة اللهبي قال
قيل لتأبط شرا هذه الرجال غلبتها فكيف لا تنهشك الحيات في سراك فقال إني لأسري البردين
يعني أول الليل لأنها تمور خارجة من حجرتها وآخر الليل تمور مقبلة إليها
قال حمزة ولقي تأبط شرا ذات يوم رجلا من ثقيف يقال له أبو وهب كان جبانا أهوج وعليه حلة جيدة فقال أبو وهب لتأبط شرا بم تغلب الرجال يا ثابت وأنت كما أرى دميم ضئيل قال باسمي إنما أقول ساعة ما ألقى الرجل أنا تأبط شرا فينخلع قلبه حتى أنال منه ما أردت فقال له الثقفي أقط قال قط قال فهل لك أن تبيعني اسمك قال نعم فبم تبتاعه قال بهذه الحلة وبكنيتك قال له أفعل ففعل وقال له تأبط شرا لك اسمي ولي كنيتك وأخذ حلته وأعطاه طمرية ثم انصرف وقال في ذلك يخاطب زوجة الثقفي
(ألا هل أتى الحسناءَ أنّ حَلِيلهَا ... تأبّط شَراًّ واكتنيتُ أبَا وَهْب)
(فهبه تَسمْى اسْمي وسُمِّيتُ باسمِه ... فأين له صبري على مُعْظَمِ الخطب)

(وأين له بأسٌ كَبَأسي وسَوْرتي ... وأين له في كل فادحةٍ قَلْبي)

أحب جارية وعجز عنها

قال حمزة وأحب تأبط شرا جارية من قومه فطلبها زمانا لا يقدر عليها ثم لقيته ذات ليلة فأجابته وأرادها فعجز عنها فلما رأت جزعه من ذلك تناومت عليه فآنسته وهدأ ثم جعل يقول

(مالكَ من أيْرٍ سُلِبْتَ الخلّه ... عجَزْت عن جارية رِفَلّه)

(تمشي إليكَ مشيةً خوزلّه ... كمشية الأرخ تريد العلّهْ)

الأرخ الأنثى من البقر التي لم تنتج

العلة تريد أن تعل بعد النهل أي أنها قد رويت فمشيتها ثقيلة

والعل الشرب الثاني

(لو أنها راعِيةٌ في ثُلّه ... تحمل قِلْعَين لها قَبَلّه)

(... لصرتُ كالهراوة العُتُلّه)

خبره مع بجيلة

أخبرني الحسن بن علي عن عبد الله بن أبي سعد عن أحمد بن عمر عن أبي بركة الأشعجي قال

أغار تأبط شرا وهو ثابت بن العميثل الفهمي ومعه ابن براق الفهمي على بجيلة فأطردا لهم نعما ونذرت بهما بجيلة فخرجت في آثارهما ومضيا هاربين في جبال السراة وركبا الحزن وعارضتهما بجيلة في السهل فسبقوهما إلى الوهط وهو ماء لعمرو بن العاص بالطائف فدخلوا لهما في قصبة العين وجاءا وقد بلغ العطش منهما إلى العين فلما وقفا عليها قال تأبط شرا لابن براق أقل من الشراب فإنها ليلة طرد قال وما يدريك قال

والذي أعدو بطيره إني لأسمع وجيب قلوب الرجال تحت قدمي

وكان من أسمع العرب وأكيدهم

فقال له ابن براق ذلك وجيب قلبك

فقال له تأبط شرا والله ما وجب قط ولا كان وجابا وضرب بيده عليه وأصاخ نحو الأرض يستمع فقال والذي أعدو بطيره إني لأسمع وجيب قلوب الرجال فقال له براق فأنا أنزل قبلك فنزل فبرك وشرب وكان أكل القوم عند بجيلة شوكة فتركوه وهم في الظلمة ونزل ثابت فلما توسط الماء وثبوا عليه فأخذوه وأخرجوه من العين مكتوفا وابن براق قريب منهم لا يطمعون فيه لما يعلمون من عدوه فقال لهم ثابت إنه من أصلف الناس وأشدهم عجبا بعدوه وسأقول له أستأسر معي فسيدعوه عجبه بعدوه إلى أن يعدو من بين أيديكم وله ثلاثة أطلاق أولها كالريح الهابة والثاني كالفرس الجواد والثالث يكبو فيه ويعثر فإذا رأيتم منه ذلك فخذوه فإني أحب أن يصير في أيديكم كما صرت إذ خالفني ولم يقبل رأيي ونصحي له قالوا فافعل فصاح به تأبط شرا أنت أخي في الشدة والرخاء وقد وعدني القوم أن يمنوا عليك وعلي فاستأسر وواسني بنفسك في الشدة كما كنت أخي في الرخاء فضحك ابن براق وعلم انه قد كادهم وقال مهلا يا ثابت أيستأسر من عنده هذا العدو ثم عدا فعدا أول طلق مثل الريح الهابة كما وصف لهم والثاني كالفرس الجواد والثالث جعل يكبو ويعثر ويقع على وجهه

فقال ثابت خذوه فعدوا بأجمعهم فلما أن نفسهم عنه شيئا عدا تأبط شرا في كتافه وعارضه ابن براق فقطع كتافه وأفلتا جميعا فقال تأبط شرا قصيدته القافية في ذلك

((يا عيدُ مالكَ من شوقٍ وإبراقِ ... ومَرِّ طيفٍ على الأهوال طرَّاقِ

(يسري على الأيْنِ والحيّاتِ محتفياً ... نفسي فداؤك من سارٍ على ساقِ)

(طيْف ابنة الحُرِّ إذ كنّا نواصلُها ... ثم اجتُنِبْتُ بها من بعد تَفراقِ)

(لتَقرعِنَّ عليَّ السِّنَّ من نَدَمٍ ... إذا تذكّرتِ يوماً بعضَ أخلاقي)

(تالله آمنُ أنثى بعدما حَلَفَتْ ... أسماءُ بالله من عهدٍ وميثاقِ)

(ممزوجَةَ الودِّ بينا واصلَتْ صَرمَتْ ... الأوّلُ اللّذْ مَضَى والآخِرِ الباقِي)

(فالأوّلُ اللّذْ مضى قالٍ مودّتَها ... واللَّذُّ منها هُذاءٌ غيرِ إحقاقِ)

(تُعْطِيك وعدَ أمانيٍّ تَغُرُّ به ... كالقَطْرِ مَرَّ على صَخْبَانَ برّاقِ)

(إنّي إذا خُلّةٌ ضَنَّتْ بنائلها ... وأمْسكَتْ بضعيف الحَبْل أحْذَاقِ)

(نجوْتُ منها نجائي من بجيلةَ إذ ... ألقيْتُ للقوم يوم الرَوْع أرواقي)

وذكرها ابن أبي سعيد في الخبر إلى آخرها

وأما المفضل الضبي فذكر أن تأبط شرا وعمرو بن براق والشنفرى وغيره يجعل مكان الشنفرى السليك بن السلكة غزوا بجيلة فلم يظفروا منهم بغرة وثاروا إليهم فأسروا عمرا وكتفوه وأفلتهم الآخران عدوا فلم يقدروا عليهما فلما علما أن ابن براق قد أسر قال تأبط شرا لصاحبه امض فكن قريبا من عمرو فإني سأتراءى لهم وأطمعهم في نفسي حتى يتباعدوا عنه فإذا فعلوا ذلك فحل كتافه وانجوا ففعل ما أمره به وأقبل تأبط شرا

حتى تراءى لبجيلة فلما رأوه طمعوا فيه فطلبوه وجعل يطمعهم في نفسه ويعدو عدوا خفيفا يقرب فيه ويسألهم تخفيف الفدية وإعطاءه الأمان حتى يستأسر لهم وهم يجيبونه إلى ذلك ويطلبونه وهو يحضر إحضارا خفيفا ولا يتباعد حتى علا تلعة أشرف منها على صاحبيه فإذا هما قد نجوا ففطنت لهما بجيلة فألحقتهما طلبا ففاتاهم فقال يا معشر بجيلة أأعجبكم عدو ابن براق اليوم والله لأعدون لكم عدوا أنسيكم به عدوه ثم عدا عدوا شديدا ومضى وذلك قوله

(... يا عيدُ مالَكَ من شَوقٍ وإبراقِ)

وأما الأصمعي فإنه ذكر فيما أخبرني به ابن أبي الأزهر عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن عمه

أن بجيلة أمهلتهم حتى وردوا الماء وشربوا وناموا ثم شدوا عليهم فأخذوا تأبط شرا فقال لهم إن ابن براق دلاني في هذا وإنه لا يقدر على العدو لعقر في رجليه فإن تبعتموه أخذتموه فكتفوا تأبط شرا ومضوا في أثر ابن براق فلما بعدوا عنه عدا في كتافه ففاتهم ورجعوا

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا أبو سعيد السكري قال حدثنا ابن الأثرم وعن أبيه

وحدثنا محمد بن حبيب عن أبي عمرو قالا

كان تأبط شرا يعدو على رجليه وكان فاتكا شديدا فبات ليلة ذات ظلمة وبرق ورعد في قاع يقال له رحى بطان فلقيته

الغول فما زال يقاتلها ليلته إلى أن أصبح وهي تطلبه قال والغول سبع من سباع الجن وجعل يراوغها وهي تطلبه وتلتمس غرة منه فلا تقدر عليه إلى أن أصبح
فقال تأبط شرا
(ألا مَنْ مُبلغٌ فِتيانَ فَهمٍ ... بما لاقيتُ عند رَحَى بِطانِ)
(بأنّي قد لقيتَ الغولَ تَهوي ... بسهْبٍ كالصحيفة صَحصحانِ)
(فقلت لها كلانا نِضْوُأينٍ ... أخو سَفَر فخَلّي لي مكاني)
(فشدّت شدّةً نحوي فأهوى ... لها كفّي بمصقولٍ يمانِي)
(فأضربها بلا دَهَشٍ فخرّت ... صريعاً لليدين وللجِرانِ)
(فقالت عُدْ فقلتُ لها رويداً ... مكانَك إنني ثَبْتُ الجَنانِ)
(فلم أنفكّ متّكئاً عليها ... لأنظُرَ مُصبِحاً ماذا أتاني)
(إذا عينان في رأسٍ قبيحٍ ... كرأسِ الهرِّ مشقوق اللّسان)
(وساقا مُخْدِجٍ وشواةُ كلب ... وثوبٌ من عَباءٍ أو شِنان)
غزا بجيلة فقتل رجلا واستاق غنما
قالوا وكان من حديثه انه خرج غازيا يريد بجيلة هو ورجل معه وهو يريد أن يغترهم فيصيب حاجته فأتى ناحية منهم فقتل رجلا ثم استاق غنما كثيرة فنذروا به فتبعه بعضهم على خيل وبعضهم رجالة وهم كثير فلما رآهم وكان من أبصر الناس عرف وجوههم فقال لصاحبه هؤلاء قوم قد عرفتهم ولن يفارقونا اليوم حتى يقاتلونا أو يظفروا بحاجتهم فجعل صاحبه ينظر فيقول ما أتبين أحدا حتى إذ دهموهما قال لصاحبه اشتد فإني سأمنعك ما دام في يدي سهم فاشتد الرجل ولقيهم تأبط شرا وجعل يرميهم حتى نفدت نبله ثم إنه اشتد فمر بصاحبه فلم يطق شدة فقتل صاحبه وهو ابن عم لزوجته فلما رجع تأبط شرا وليس صاحبه معه عرفوا أنه قد قتل فقالت له امرأته تركت صاحبك وجئت متباطئا فقال تأبط شرا في ذلك
((ألا تلكما عرسي منيعةُ ضُمِّنت ... من اللّهِ إثماً مُستسِراً وعالِنا
(تقول تركتَ صاحباً لك ضائعاً ... وجئت إلينا فارقاً مُتبَاطِنا)
(إذا ما تركتُ صاحبي لثلاثة ... أو اثْنَيْن مثْلَينا فلا أُبْتُ آمِنا)
(وما كنت أبّاء على الخِلّ إذ دعا ... ولا المرءِ يدعوني مُمرّا مُداهِنا)
(وكَرّي إذا أُكْرِهتُ رهطاً وأهلَه ... وأرضا يكون العَوْصُ فيها عُجاهِنَا)
(ولمّا سمعت العوصَ تدعو تنفّرت ... عصافيرُ رأسي من غُواةٍ فَراتِنا)
(ولم أنتظِر أن يَدهموني كأنهم ... ورائيَ نَحْلٌ في الخليّة واكِنَا)
(ولا أن تُصيبَ النافذاتُ مقاتلي ... ولم أكُ بالشدِّ الذليق مُدايِنا)
(فأرسلتُ مثنيًّا عن الشدِّ واهِناً ... وقلتُ تزحزحْ لا تكوننّ حائِنا)
(وحثحثتُ مشعوفَ النَّجاء كأنه ... هِجفٌ رأى قصراً سِمالاً وداجنا)
((من الحُصِّ هِزْروفٌ يطير عِفاؤه ... إذا استدرج الفَيْفا ومدّ المغابنا
(أزجُّ زَلوجٌ هذر في زفازفٍ ... هِزَفٌّ يبذُ الناجيات الصوّافِنا)
(فزحزت عنهم أو تجِئْني مَنِيَّتي ... بغبراءَ أو عرفاءَ تَفْري الدَّفائنا)
(كأنّي أراها الموتَ لا درَّ درُّها ... إذا أمكنَتْ أنيابَها والبراثنا)
(وقالت لأخرى خلفها وبناتها ... حتوف تُنَقّي مخَّ مَنْ كان واهنا)
(أخاليجُ ورَّادٍ على ذي محافل ... إذا نزعوا مدّوا الدِّلا والشّواطنا)
وقال غيره بل خرج تأبط شرا هو وصاحبان له حتى أغاروا على العوص من بجيلة فأخذوا نعما لهم واتبعتهم العوص فأدركوهم وقد كانوا استأجروا لهم رجالا كثيرة فلما رأى تأبط شرا ألا طاقة لهم بهم شمر وتركهما فقتل صاحباه وأخذت النعم وأفلت حتى أتى بني القين من فهم فبات عند امرأة منهم يتحدث إليها فلما أراد أن يأتي قومه دهنته ورجلته فجاء إليهم وهم يبكون فقالت له امرأته لعنك الله تركت صاحبيك
وجئت مدهنا
وإنه إنما قال هذه القصيدة في هذا الشأن وقال تأبط شرا يرثيهما وكان اسم أحدهما عمرا
(أبعد قتيل العَوصْ آسَى على فتىً ... وصاحِبه أو يأمُلُ الزّادَ طارقُ)
(أأطْرُد فهماً آخر الليل أبتغي ... عُلالة يوم أن تَعُوقَ العوائق)
(لَعَمرُ فتىً نلتم كأنّ رداءه ... على سرحةٍ من سرح دومة سامق)
(لأطرُدُ نَهْباً أو نرودَ بفِتْيَةٍ ... بأيمانهم سُمْرُ القَنا والعقائق)
(مَساعَرةٌ شُعْثٌ كأنّ عيونهم ... حريقُ الغضا تُلْفَى عليها الشقّائق)
(فعُدُّوا شهورَ الحُرْمِ ثم تعرّفوا ... قتيل أناسٍ أو فتاةٍ تعانقُ)
محاولة قتله هو وأصحابه بالسم
قال الأثرم قال أبو عمرو في هذه الرواية وخرج تأبط شرا يريد أن يغزو هذيلا في رهط فنزل على الأحل بن قنصل رجل من بجيلة وكان بينهما حلف فأنزلهم ورحب بهم ثم إنه ابتغى لهم الذراريح ليسقيهم فيستريح منهم ففطن له تأبط شرا فقام إلى أصحابه فقال إني أحب ألا يعلم أنا قد فطنا له ولكن سابوه حتى نحلف ألا نأكل من طعامه ثم أغتره فأقتله لأنه إن علم حذرني وقد كان مالأ ابن قنصل رجل منهم يقال له لكيز
قتلت فهم أخاه فاعتل عليه وعلى أصحابه فسبوه وحلفوا ألا يذوقوا من طعامه ولا من شرابه ثم خرج في وجهه وأخذ في بطن واد فيه النمور وهي لا يكاد يسلم منها أحد والعرب تسمي النمر ذا اللونين وبعضهم يسميه البسنتى فنزل في بطنه وقال لأصحابه انطلقوا جميعا فتصيدوا فهذا الوادي كثير الأروى فخرجوا وصادوا وتركوه في بطن الوادي فجاءوا فوجدوه قد قتل نمرا وحده وغزا هديلا فغنم وأصاب فقال تأبط شرا في ذلك
(أقسمتُ لا أنسى وإن طال عيشُنا ... صنيع لكُيْزٍ والأحلّ بن قنصل)
(نزلنا به يوماً فساء صَبَاحُنا ... فإنكَ عَمْري قد ترى أيّ منزل)
(بَكَى إذ رآنا نازلين ببابه ... وكَيف بُكاءُ ذي القليل المُعَيَّل)

(فلا وأبيك ما نَزَلنا بعامر ... ولا عامر ولا الرئيس ابن قَوقل)
عامر بن مالك أبو براء ملاعب الأسنة وعامر بن الطفيل وابن قوقل مالك بن ثعلبة أحد بني عوف بن الخزرج
(ولا بالشّليل ربِّ مروان قاعداً ... بأحسن عَيْش والنُّفاثيِّ نوفَل)
رب مروان جرير بن عبد الله البجلي
ونوفل بن معاوية بن عروة بن صخر بن يعمر أحد بني الديل بن بكر
(ولا ابن وَهيب كاسبِ الحمد والعُلا ... ولا ابن ضُبَيْع وسط آل المُخبَّل)
(ولا ابن حُلَيْس قاعدا في لِقاحه ... ولا ابن جُرَيٍّ وسط آل المغفّل)
(ولا ابن رِياحٍ بالزُّليفات دارُه ... رِياح بن سعد لا رياح بن مَعْقِل
(أولئك أعطَى للوَلائد خِلْفَةً ... وأدْعَى إلى شحم السَّديف المُرَعْبَل)
نجاته من موت محتم
وقال أيضا في هذه الرواية كان تأبط شرا يشتار عسلا في غار من بلاد هذيل يأتيه كل عام وأن هذيلا ذكرته فرصدوه لإبان ذلك حتى إذا جاء هو وأصحابه تدلى فدخل الغار وقد أغاروا عليهم فأنفروهم فسبقوهم ووقفوا على الغار فحركوا الحبل فأطلع تأبط شرا رأسه فقالوا اصعد فقال ألا أراكم قالوا بلى قد رأيتنا
فقال فعلام أصعد أعلى الطلاقة أم الفداء قالوا لا شرط لك قال فأراكم قاتلي وآكلي جناي لا والله لا أفعل قال وكان قبل ذلك نقب في الغار نقبا أعده للهرب فجعل يسيل العسل من الغار ويهريقه ثم عمد إلى الزق فشده على صدره ثم لصق بالعسل فلم يبرح ينزلق عليه حتى خرج سليما وفاتهم وبين موضعه الذي وقع فيه وبين القوم مسيرة ثلاث فقال تأبط شرا في ذلك
(أقول للحيانٍ وقد صَفِرت لهم ... وِطابي ويَوْمي ضَيّق الحَجْر مُعورُ)
(هما خُطَّتا إما إسارٌ ومِنَّةٌ ... وإما دمٌ والقتلُ بالحُرّ أجدرُ)
(وأُخرى أُصادِي النّفسَ عنها وإنها ... لموردُ حَزْم إن ظَفِرت ومَصدَرُ)
(فرَشْتُ لها صدري فزَلّ عن الصّفا ... به جؤجؤٌ صَلْبٌ ومتنٌ مُخصَّرُ)
(فخالطَ سهلَ الأرض لم يكدح الصَّفا ... به كَدْحَةً والموتُ خَزيانُ يَنْظُرُ)
((فأُبْتُ إلى فَهمٍ وما كُنتُ آئباً ... وكم مثلها فارقتُها وهي تَصْفِر
(إذا المرءِ لم يَحْتلْ وقد جَدّ جِدّه ... أضاع وقاسى أمرَه وهو مُدبِر)
(ولكن أخو الحَزْم الذي ليس نازلاً ... به الأمرُ إلا وهْو للحزم مُبْصِرُ)
(فذاك قَريعُ الدَّهر ما كان حوَّلا ... إذا سُدَّ منه مَنْخِرٌ جاش مَنْخِرُ)
(فإنّك لو قايَسْت باللِّصب حِيلَتي ... بلُقْمان لم يَقصِر بي الدهرَ مُقْصِرُ)
قتل هو وأصحابه نفرا من العوص
وقال أيضا في حديث تأبط شرا إنه خرج في عدة من فهم فيهم عامر ابن الأخنس والشنفرى والمسيب وعمرو بن براق ومرة بن خليف حتى بيتوا العوص وهم حي من بجيلة فقتلوا منهم نفرا وأخذوا لهم إبلا فساقوها حتى كانوا من بلادهم على يوم وليلة فاعترضت لهم خثعم وفيهم ابن حاجز وهو رئيس القوم وهم يومئذ نحو من أربعين رجلا فلما نظرت إليهم صعاليك فهم قالوا لعامر بن الأخنس ماذا ترى قال لا أرى لكم إلا صدق الضراب فإن ظفرتم فذاك وإن قتلتم كنتم قد أخذتم ثأركم قال تأبط شرا بأبي أنت وأمي فنعم رئيس القوم أنت إذا جد الجد وإذا كان قد أجمع رأيكم على هذا فإني أرى لكم أن تحملوا على القوم حملة واحدة فإنكم قليل والقوم كثير ومتى افترقتم كثركم القوم فحملوا عليهم فقتلوا منهم في حملتهم فحملوا ثانية فانهزمت خثعم وتفرقت وأقبل ابن حاجز فأسند في الجبل فأعجز فقال تأبط شرا في ذلك
((جَزَى الله فِتيانا على العوْص أمطرت ... سَماؤُهُم تحت العَجاجة بالدَّم
(وقد لاح ضَوءُ الفجر عَرْضا كأنه ... بلَمْحته إقراب أبْلَق أدْهَم)
(فإنَّ شِفَاء الداء إدراك ذَحْلَةٍ ... صباحاً على آثار حوم عَرَمْرَم)
(وضاربْتُهم بالسفح إذ عارَضَتْهُمُ ... قبائلُ من أبناء قسر وخثعم)
(ضِرابا عَدَا منه ابنُ حاجز هاربا ... ذُرا الصَّخر في جوف الوجين المُدَيَّم)
وقال الشنفرى في ذلك
(دَعيني وقُولي بَعدُ ما شئتِ إنّني ... سيُغدّى بنَعْشِي مرةً فأُغيَّب)
(خرجنَا فلم نعهد وقَلّت وِصاتنا ... ثمانيةً ما بعدها مُتعتَّب)
(سَراحينُ فتيانٍ كأن وجوهَهم ... مصابيحُ أو لونٌ من الماء مذهب)
(نَمُرُّ برَهْوِ الماء صَفْحاً وقد طوَتْ ... ثمائلُنا والزّادُ ظَنٌّ مُغيَّبُ)
(ثلاثاً على الأقدام حتى سما بنا ... على العَوص شَعْشاعٌ من القوم مِحْربُ)
(فثاروا إلينا في السواد فَهجْهَجُوا ... وصوّت فينا بالصّباح المُثوّب)
(فشنَّ عليهم هذة السيف ثابتٌ ... وصمَّم فيهم بالحُسام المُسيّبُ)
(وظَلْتُ بفتيانٍ معي أتّقيهمُ ... بهنّ قليلا ساعة ثم جنبوا)
((وقد خرّ منهم راجلان وفارسٌ ... كميٌّ صرعناه وحوْمٌ مسلّب
(يَشُقُّ إليه كلّ رَبْعٍ وقَلْعَةٍ ... ثمانيةٌ والقوم رَجْلٌ ومِقْنَبُ)
(فلما رآنا قومنا قيل أفْلَحُوا ... فقلنا : اسألوا عن قائل لا يُكَذَّبُ)
وقال تأبط شرا في ذلك
(أرى قدمَيَّ وقْعهما خَفيفٌ ... كتحليل الظّليم حَدَا رِئالَه)
(أرى بهما عذاباً كلّ يوم ... بخَثْعَم أو بَجِيلَةَ أو ثُمالَه)
ففرق تأبط شرا أصحابه ولم يزالوا يقاتلونهم حتى انهزمت خثعم وساق تأبط شرا وأصحابه الإبل حتى قدم بها عليا مكة
وقال غيره إنما سمي تأبط شرا ببيت قاله وهو
(تأبط شراً ثم راح أو اغتدى ... يُوائِم غُنْما أو يَشيفُ على ذَحْل)
شعره عندما هرب من مراد إلى قومه

قال وخرج تأبط شرا يوما يريد الغارة فلقى سرحا لمراد فأطرده ونذرت به مراد فخرجوا في طلبه فسبقهم إلى قومه وقال في ذلك
(إذا لاقيتَ يومَ الصّدق فاربَع ... عليه ولا يَهمّك يومُ سَوِّ)
(على أنّي يسرْحِ بني مرادٍ ... شجوتهُم سِباقاً أيَّ شجو)
(وآخِرِ مثله لا عيبَ فيه ... بَصرتُ به ليوم غير زوِّ)
(خَفَضتُ بساحةٍ تجري علينا ... أباريق الكرامة يومَ لَهْو)
أغار تأبط شرا وحده على خثعم فبينا هو يطوف إذ مر بغلام يتصيد الأرانب معه قوسه ونبله فلما رآه تأبط شرا أهوى ليأخذه فرماه الغلام فأصاب يده اليسرى وضربه تأبط شرا فقتله وقال في ذلك
(وكادت وبيتِ الله أطناب ثابت ... تقوّضُ عن لَيْلَى وتبكي النَّوائح)
(تمنّى فتى منّا يلاقي ولم يَكد ... غلامٌ نَمَتْه المُحْصنات الصّرائح)
(غلام نَمى فوق الخماسيِّ قدره ... ودون الذي قد تَرْتَجِيه النّوّاكحُ)
(فإن تك نالته خطاطِيف كفّه ... بأبيضٍ قصّال نمى وهو فادح)
(فقد شد في إحدى يديه كِنانه ... يُداوَى لها في أسود القلب قادح)
هذه الأبيات أن تكون لقوم المقتول أشبه منها بتأبط شرا
خبره مع امرأة من هذيل
قال وخطب تأبط شرا امرأة من هذيل من بني سهم فقال لها قائل لا تنكحيه فإنه لأول غدا يفقد فقال تأبط شرا
(وقالوا لها لا تَنكَحِيه فإنّه ... لأول نَصْلٍ أن يُلاقى مَجمَعا)
(فلم تَرَ مِنْ رأيٍ فتيلا وحاذرت ... تأيّمها من لابس الليلِ أرْوَعا)
(قليل غِرار النوم أكبر همّه ... دمُ الثّأر أو يلقى كَمِيا مُقنَّعا
(قليلِ ادّخارِ الزّادِ إلاّ تَعِلّة ... وقد نَشَزَ الشُّرسُوفُ والتصق المِعَى)
(تُناضِله كلُّ يشجّع نفسَه ... وما طبُّه في طرْقه أن يُشجَّعا)
(يبيت بمغنى الوحش حتى ألِفْنه ... ويصبح لا يحمي لها الدهرَ مرتعا)
(رأين فتىً لا صَيْدُ وحش يَهمّه ... فَلَوْ صافحت إنْسا لصافَحْنَه معا)
(ولكنّ أربابَ المخاضِ يشقهم ... إذا افتقدوه أو رأوه مُشيّعا)
(وإني ولا عِلمٌ لأعلَمُ أنني ... سألقَى سِنانَ الموت يرشُق أضلعا)
(على غِرّةٍ أو جَهْرةٍ من مُكاثِرٍ ... أطال نِزالَ الموت حتى تَسَعْسَعا)
تسعسع فني وذهب
(يقال قد تسعسع الشهر ومنه حديث عمر رضي الله عنه حين ذكر شهر رمضان فقال (إن هذا الشهر قد تسعسع
(وكنت أظن الموت في الحي أو أرى ... ألَذَّ وأكْرَى أو أمُوتَ مُقَنَّعا)
(ولست أبيتُ الدّهر إلا على فتى ... أسلّبه أو أذعَرِ السِربَ أجمَعَا)
(ومن يَضربُ الأبطالَ لا بدّ أنه ... سيَلْقى بهم من مَصْرع الموت مَصْرعا)
قال وخرج تأبط شرا ومعه صاحبان له عمرو بن كلاب أخو المسيب
وسعد بن الأشرس وهم يريدون الغارة على بجيلة فنذروا بهم وهم في جبل ليس لهم طريق عليهم فأحاطوا بهم وأخذوا عليهم الطريق فقاتلوهم فقتل صاحبا تأبط شرا ونجا ولم يكد حتى أتى قومه
فقالت له امرأته وهي أخت عمرو بن كلاب إحدى نساء كعب بن علي بن إبراهيم بن رياح هربت عن أخي وتركته وغررته أما والله لو كنت كريما لما أسلمته فقال تأبط شرا في ذلك
(ألا تِلكما عِرْسي مَنيعة ضُمِّنَت ... من الله خِزياً مُستسراًّ وعاهنا)
وذكر باقي الأبيات
وإنما دعا امرأته إلى أن عيرته أنه لما رجع بعد مقتل صاحبيه انطلق إلى امرأة كان يتحدث عندها وهي من بني القين بن فهم فبات عندها فلما أصبح غدا إلى امرأته وهو مدهن مترجل فلما رأته في تلك الحال علمت أين بات فغارت عليه فعيرته
غارته على خثعم
وذكروا أن تأبط شرا أغار على خثعم فقال كاهن لهم أروني أثره حتى آخذه لكم فلا يبرح حتى تأخذوه فكفئوا على أثره جفنة ثم أرسلوا إلى الكاهن فلما رأى أثره قال هذا ما لا يجوز في صاحبه الأخذ فقال تأبط شرا
(ألا أبلِغ بني فَهْم بن عمرو ... على طولِ التّنائي والمقَالَهْ)
((مقَال الكاهنِ الجاميّ لمّا ... رأى أثري وقد أُنهِبتُ مالَهْ
(رأى قدمَيّ وقعُهما حثيثٌ ... كتحليل الظليم دعا رئاله)
(أرى بِهما عذاباً كلَّ عام ... لخثعمَ أو بجيلةَ أو ثُماله)
(وشرٌّ كان صُبَّ على هذيل ... إذا علقت حِبالهم حِباله)
(ويومُ الأزد منهم شرّ يوم ... إذا بَعُدوا فقد صَدَّقتُ قاله)
فزعموا أن ناسا من الأزد بئوا لتأبط شرا ربيئة وقالوا هذا مضيق ليس له سبيل إليكم من غيره فأقيموا فيه حتى يأتيكم فلما دنا من القوم توجس ثم انصرف ثم عاد فنهضوا في أثره حين رأوه لا يجوز ومر قريبا فطمعوا فيه وفيهم رجل يقال له حاجز ليث من ليوثهم سريع فأغروه به فلم يلحقه فقال تأبط شرا في ذلك
(تَتعتعتُ حِضْنَيْ حاجزٍ وصِحابِه ... وقد نبذوا خُلْقانَهم وتشنَّعوا)
(أظن وإن صادفتُ وعثاً وأنْ جرّي ... بِيَ السّهلُ أو متنٌ من الأرض مَهْيَع)
(أجاري ظِلالَ الطير لو فات واحدٌ ... ولو صدقوا قالوا له هو أسرع)
(فلو كان من فتيان قيسٍ وخِنْدفٍ ... أطاف به القُنّاصُ من حيث أفزعوا)
(وجاب بلادا نصف يومٍ وليلة ... لآبَ إليهم وهو أشوس أروع)
(فلو كان منكم واحدٌ لكُفِيتُه ... وما ارتجعوا لو كان في القوم مطمع)

فأجابه حاجز
(فإن تك جاريْتَ الظلال فربما ... سُبِقْتَ ويومُ القِرْنِ عُريان أسْنَع
(وخلَّيْتَ إخوانَ الصفاء كأنهم ... ذبائحُ عَنزٍ أو فَحِيلٌ مُصرَّعُ)
(تبكِّيهمُ شجوَ الحمامة بعدما ... أرحْتَ ولَم تُرفَع لهم منك إصْبَع)
(فهذي ثلاثٌ قد حويت نجاتَها ... وإن تنجُ أخرى فهي عندك أربع)
خير أيامه
أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال ذكر علي بن محمد المدائني عن ابن دأب قال
سئل تأبط شرا أي يوم مر بك خير قال خرجت حتى كنت في بلاد بجيلة أضاءت لي النار رجلا جالسا إلى امرأة
فعمدت إلى سيفي فدفنته قريبا ثم أقبلت حتى استأنست فنبحني الكلب فقال ما هذا فقلت بائس
فقال ادنه فدنوت فإذا رجل جلحاب آدم وإذا أضوى الناس إلى جانبه فشكوت إليه الجوع والحاجة فقال اكشف تلك القصعة
فأتيت قصعة إلى جنب إبله فإذا فيها تمر ولبن فأكلت منه حتى شبعت ثم خررت متناوما فو الله ما شئت أن أضطجع
حتى اضطجع هو ورفع رجله على رجله ثم اندفع يغني وهو يقول
(خَيرُ اللَّيالي إن سألت بليلة ... ليلٍ بخَيْمة بين بيش وعَثّرِ)
((لِضجيع آنسةٍ كأنَّ حَدِيثَها ... شهدٌ يُشاب بمزجةٍ من عَنبر
(وضجيعِ لاهيةٍ ألاعِبِ مِثلَها ... بيضاءَ واضحةٍ كَظِيظ المِئْزَر)
(ولأنْت مثلُهما وخَيرٌ منهما ... بعد الرُّقاد وقبل أن لم تُسْحِرِي)
قال ثم انحرف فنام ومالت فنامت فقلت ما رأيت كالليلة في الغرة فإذا عشر عشراوات بين أثلاث فيها عبد واحد وأمه
فوثبت فانتضيت سيفي وانتحيت للعبد فقتلته وهو نائم ثم انحرفت إلى الرجل فوضعت سيفي على كبده حتى أخرجته
من صلبه ثم ضربت فخذ المرأة فجلست فلما رأته مقتولا جزعت فقلت لا تخافي أنا خير لك منه
قال وقمت إلى جل متاعها فرحلته على بعض الإبل أنا والأمة فما حللت عقده حتى نزلت بصعدة بني عوف بن فهر
وأعرست بالمرأة هناك وحين اضطجعت فتحت عقيرتي وغنيت
(بحَليلة البجليّ بِتْ من ليلِها ... بين الإزار وكَشحِها ثم الصقِ)
(بأنسيةٍ طُويت على مَطْوِيِّها ... طيَّ الحِمالةِ أو كطيّ المِنْطَقِ)
(فإذا تقوم فصَعدةٌ في رَمْلَة ... لبَدَت بريّقِ دِيمة لم تُغدِقِ)
((وإذا تجيءُ تجيء شحب خلفها ... كالأيم أصْعَد في كَثِيبٍ يَرْتَقِي
(كَذَب الكوَاهِنُ والسَّواحِرُ والهُنا ... أن لا وفاء لعاجِزٍ لا يَتّقِي)
قال فهذا خير يوم لقيته
وشر يوم لقيت أني خرجت حتى إذا كنت في بلاد ثمالة أطوف حتى إذا كنت من الفقير عشيا إذا بسبع خلفات فيهن
عبد فأقبلت نحوه وكأني لا أريده وحذرني فجعل يلوذ بناقة فيها حمراء فقلت في نفسي والله إنه ليثق بها
فأفوق له ووضع رجله في أرجلها وجعل يدور معها فإذا هو على عجزها
وأرميه حين أشرف فوضعت سهمي في قلبه فخر وندت الناقة شيئا وأتبعتها فرجعت فسقتهن شيئا ثم قلت والله لو
ركبت الناقة وطردتهن وأخذت بعثنون الحمراء فوثبت فساعة استويت عليها كرت نحو الحي تريع وتبعتها الخلفات وجلعت
أسكنها وذهبت فلما خشيت أن تطرحني في أيدي القوم رميت بنفسي عنها فانكسرت رجلي وانطلقت والذود معها
فخرجت أعرج حتى انخنست في طرف كثيب وجازني الطلب فمكثت مكاني حتى أظلمت وشبت لي ثلاثة أنوار فإذا نار
عظيمة ظننت أن لها أهلا كثيرا ونار دونها ونويرة صغيره فهويت للصغرى وأنا أجمر فلما نبحني الكلب نادى رجل فقال من
هذا فقلت بائس فقال ادنه فدنوت وجلست وجعل يسائلني إلى أن قال والله إني لأجد منك ريح دم
فقلت لا والله ما بي دم
فوثب إلي فنفضني ثم نظر في جعبتي فإذا
السهم فقلت رميت العشية أرنبا فقال كذبت هذا ريح دم إنسان ثم وثب إلي ولا أدفع الشر عن نفسي فأوثقني كتافا ثم
علق جعبتي وقوسي وطرحني في كسر البيت ونام فلما أسحرت حركت رجلي فإذا هي صالحة وانفتل الرباط فحللته ثم
وثبت إلى قوسي وجعبتي فأخذتهما ثم هممت بقتله فقلت أنا ضمن الرجل وأنا أخشى أن أطلب فأدرك ولم أقتل أحدا
أحب إلي فوليت ومضيت
فو الله إني لفي الصحراء أحدث نفسي إذا أنا به على ناقة يتبعني فلما رأيته قد دنا مني جلست على قوسي وجعبتي
وأمنته وأقبل فأناخ راحلته ثم علقها ثم أقبل إلي وعهده بي عهده فقلت له ويلك ما تريد مني فأقبل يشتمني حتى إذا
أمكنني وثبت عليه فما ألبثته أن ضربت به الأرض وبركت عليه أربطه فجعل يصيح يا لثمالة لم أر كاليوم
فجنبته إلى ناقته وركبتها فما نزعت حتى أحللته في الحي وقلت
(أغرّكَ منّي يا بن فَعْلة عِلَّتي ... عَشِيَّةَ أن رابت عليَّ روائِبي)
(وَ موقد نيران ثَلاثٍ فشَرُّهَا ... وألأمُها إذ قُدْتُها غيرِ عازب)
(سلبتَ سِلاحِي بَائِساً وشَتَمْتَنِي ... فيا خَيْر مَسْلُوبٍ ويا شرَّ سَالِب)
(فإن أكُ لم أخْضِبْك فِيها فإنَّها ... نُيوبُ أساوِيد وشَوْلُ عَقارب)
(ويا رَكْبة الحَمْراء شَرَّة رَكْبةٍ ... وكادَتْ تكون شرّ ركبةِ راكِبِ)
غارته على الأزد
قال وخرج تأبط غازيا يريد الغارة على الأزد في بعض ما كان يغير عليهم وحده فنذرت به الأزد فأهملوا له إبلا وأمروا ثلاثة
من ذوي بأسهم حاجزين أبي وسواد بن عمرو بن مالك وعوف بن عبد الله أن يتبعوه حتى ينام فيأخذوه أخذا فكمنوا له
مكمنا وأقبل تأبط شرا فبصر بالإبل فطردها بعض يومه
ثم تركها ونهض في شعب لينظر هل يطلبه أحد فكمن القوم حين رأوه ولم يرهم فلما لم ير أحدا في أثره عاود الإبل
فشلها يومه وليلته والغد حتى أمسى ثم عقلها وصنع طعاما فأكله والقوم ينظرون إليه في ظله ثم هيأ مضطجعا على
النار ثم أخمدها وزحف على بطنه ومعه قوسه حتى دخل بين الإبل وخشي أن يكون رآه أحد وهو لا يعلم ويأبى إلا الحذر
والأخذ بالحزم فمكث ساعة وقد هيأ سهما على كبد قوسه فلما أحسوا نومه أقبلوا ثلاثتهم يؤمون المهاد الذي رأوه هيأه

فإذا هو يرمي أحدهم فيقتله وجال الآخران ورمى آخر فقتله وأفلت حاجز هاربا وأخذ سلب الرجلين وأطلق عقل الإبل وشلها حتى جاء بها قومه وقال تأبط في ذلك
(تُرَجِّي نِساءُ الأَزْدِ طلعةَ ثابتِ ... أسيراً ولم يَدْرِين كيف حَوِيلي)
(فإنّ الأُلي أوصَيْتُم بَيْن هاربٍ ... طَريدٍ ومسفوحِ الدِّماءِ قَتِيلِ)
(وخدتُ بهم حتى إذا طال وَخْدُهم ... وراب عليهم مَضْجَعِي ومَقِيلي)
(مهدتُ لهم حتى إذا طاب رَوعهم ... إلى المِهد خاتلْت الضَّيا بِختِيل)
(فلما أحسُّوا النَّوم جاءوا كأنَّهم ... سِباعٌ أصابت هجمةً بِسَلِيل
(فَقلّدتُ سَوَّارَ بنَ عَمْرو بن مَالِكٍ ... بأسْمَر جَسْر القُذَّتَين طَمِيل)
(فخَرَّ كأنّ الفِيلَ ألقى جِرانَه ... عليه بريّان القِواء أسِيل)
(وظل رِعاع المَتْن من وقع حاجزٍ ... يخرّ ولو نَهْنَهْتَ غيرُ قَلِيل)
(لأبتَ كما آبا ولو كُنتَ قارناً ... لجئتَ وما مالكتَ طول ذَمِيلي)
(فسرك ندماناك لما تتابعا ... وأنك لم ترجع بعوص قتيل)
(سَتأتي إلى فَهْمٍ غَنِيمَةُ خلْسة ... وفي الأزد نَوْحٌ وَيْلَةٍ بِعَوِيل)
فقال حاجز بن أبي الأزدي يجيبه
(... سألت فلم تُكلِّمني الرُّسوم)
وهي في أشعار الأزد
فأجابه تأبط شرا
(لقد قال الخليُّ وقال خَلْساً ... بظهر الليل شُدَّ بِه العُكومُ)
(لِطَيفٍ من سُعادَ عَناك منها ... مُراعاةُ النُّجوم ومن يهيمُ)
((وتلك لئن عُنِيت بها رَداحٌ ... من النّسوان مَنْطِقُها رَخِيمُ)
(نِياقُ القُرطِ غَرَّاءُ الثَّنايَا ... ورِيداءُ الشَّباب ونِعْم خِيم)
(ولكن فات صاحبُ بَطْن رَهْو ... وصاحبه فأنت به زَعِيم)
(أُؤاخِذُ خُطَّة فيها سواء ... أَبِيتُ ولَيلُ واترها نَؤُومُ)
(ثأرتُ بها وما اقْتَرفت يَدَاه ... فَظَلَّ لها بنا يومٌ غَشُومُ)
(نَحزُّ رِقابَهم حتى نَزَعْنا ... وأنفُ الموت مَنْخِرُه رَمِيمُ)
(وإن تَقع النّسور عليَّ يوماً ... فلَحْم المعنْفِي لَحْم كَرِيمُ)
(وذِي رَحِمٍ أحالَ الدَّهر عنه ... فلَيْس له لذي رَحِمٍ حَرِيم)
(أصاب الدَّهرُ آمنَ مَرْوَتَيْه ... فألقاه المصاحِب والحَمِيمُ)
(مَددتُ له يَميناً من جَناحي ... لها وَفرٌ وكافيَةٌ رَحُومُ)
(أُواسِيه على الأيَّام إني ... إذا قَعَدت به اللُّؤَما ألومُ)
رثاؤه لأخيه عمرو
ذكروا انه لما انصرف الناس عن المستغل وهي سوق كانت العرب تجتمع بها قال عمرو بن جابر بن أخو سفيان تأبط شرا لمن حضر من قومه لا واللات والعزى لا أرجع حتى أغير على بني عتير من هذيل ومعه رجلان من قومه هو ثالثهما فأطردوا إبلا لبني عتير فأتبعهم أرباب الإبل فقال عمرو أنا كار على القوم ومنهنهم عنكما فامضيا بالإبل
فكر عليهم فنهنهم طويلا فجرح في القوم رئيسا ورماه رجل من بني عتير بسهم فقتله فقالت بنو عتير هذا عمرو بن جابر ما تصنعون أن تلحقوا بأصحابه أبعدها الله من إبل فإنا نخشى أن نلحقهم فيقتل القوم منا فيكونوا قد أخذوا الثأر فرجعوا ولم يجاوزوه
وكانوا يظنون أن معه أناسا كثيرا فقال تأبط لما بلغه قتل أخيه
(وحرّمتُ النساءَ وإن أُحِلّت ... بشَورٍ أو بمزج أو لَصابِ)
(حياتي أو أزورِ بني عُتير ... وكاهلها بجَمْعٍ ذي ضَباب)
(إذا وَقَعتِ لكَعْب أو خثيمٍ ... وسيار يَسُوغ لها شَرابِي)
(أظُنّي مَيِّتا كَمداً ولَمّا ... أطالِعْ طلعةً أهلَ الكِراب)
(ودمْتُ مُسَيَّرا أهدِي رعيلا ... أؤم سوادَ طَوْدٍ ذِي نِقاب)
فأجابه أنس بن حذيفة الهذلي
(لعلّك أن تَجِيء بِك المَنايَا ... تُساق لِفِتْية منا غضابِ)
(فتنزلَ في مَكَرِّهُم صريعاً ... وتنزلَ طُرْقَةَ الضَّبُعُ السِّغابِ)
((تأبّطَ سَوْأةً وحملتَ شَرًّا ... لعلك أن تكون من المُصاب
ثم أن السمع بن جابر أخا تابط شرا خرج في صعاليك من قومه يريد الغارة على بني عتير ليثأر بأخيه عمرو بن جابر حتى إذا كان ببلاد هذيل لقي راعيا لهم فسأله عنهم فأخبره بأهل بيت من عتير كثير مالهم فبيتهم فلم يفلت منهم مخبر واستاقوا أموالهم فقال في ذلك السمع بن جابر
(بأعلى ذِي جماجم أهلُ دارٍ ... إذا ظَعَنت عشيرتُهم أقاموا)
(طرقْتُهمُ بفتيانٍ كِرامٍ ... مَساعِير إذا حَمِي المُقامُ)
(متى ما أدعُ من فَهْمٍ تُجِبْني ... وعدوان الحماةِ لهم نِظامُ)
أصابته في غارته غلى الأزد
ذكروا أن تأبط شرا خرج ومعه مرة بن خليف يريدان الغارة على الأزد وقد جعلا الهداية بينهما فلما كانت هداية مرة نعس فجار عن الطريق ومضيا حتى وقعا بين جبال ليس فيها جبل متقارب وإذا فيها مياه يصيح الطير عليها وإذا البيض والفراخ بظهور الأكم فقال تأبط شرا هلكنا واللات يا مرة ما وطيء هذا المكان إنس قبلنا ولو وطئته إنس ما باضت الطير بالأرض فاختر أية هاتين القنتين شئت وهما أطول شيء يريان من الجبال فأصعد إحداهما وتصعد أنت الأخرى فإن رأيت الحياة

فألح بالثوب وإن رأيت الموت فألح بالسيف فإني فاعل مثل ذلك فأقاما يومين
ثم إن تأبط شرا ألاح بالثوب وانحدرا حتى التقيا في سفح الجبل فقال مرة ما رأيت يا ثابت قال دخانا أو جرادا قال مرة
إنك إن جزعت منه هلكنا فقال تأبط شرا أما أنا فإني سأخرم بك من حيث تهتدي الريح فمكثا بذلك يومين وليلتين ثم تبعا الصوت فقال تأبط شرا النعم والناس
أما والله لئن عرفنا لنقتلن ولئن أغرنا لندركن فأت الحي من طرف وأنا من الآخر ثم كن ضيفا ثلاثا فإن لم يرجع إليك قلبك فلا رجع ثم أغر على ما قبلك إذا تدلت الشمس فكانت قدر قامة وموعدك الطريق
ففعلا حتى إذا كان اليوم الثالث أغار كل واحد منهما على ما يليه فاستاقا النعم والغنم وطردا يوما وليلة طردا عنيفا حتى أمسيا الليلة الثانية دخلا شعبا فنحرا قلوصا فبينا هما يشويان إذ سمعا حسا على باب الشعب فقال تأبط الطلب يا مرة إن ثبت فلم يدخل فهم مجيزون وإن دخل فهو الطلب فلم يلبث أن سمع الحس يدخل فقال مرة هلكنا ووضع تأبط شرا يده على عضد مرة فإذا هي ترعد فقال ما أرعدت عضدك إلا من قبل أمك الوابشية من هذيل خذ بظهري فإن نجوت نجوت وإن قتلت وقيتك
فلما دنا القوم أخذ مرة بظهر تأبط وحمل تأبط فقتل رجلا ورموه بسهم فأعلقوه فيه وأفلتا جميعا بأنفسهما فلما أمنا وكان من آخر الليل قال مرة ما رأيت كاليوم غنيمة أخذت على حين أشرافنا على أهلنا وعض مرة عضده وكان الحي الذين أغاروا عليهم بجيلة وأتى تأبط امرأته فلما رأت جراحته ولولت فقال تأبط في ذلك
(وبالشِّعب إذ سدّت بجيلةُ فَجَّهُ ... ومِن خلفه هَضبٌ صغار وجامل)
(شدَدْتُ لنفس المرء مُرَّةَ حَزْمَه ... وقد نُصِبت دون النَّجاء الحبائل)
(وقلت له كن خلفَ ظهري فإنني ... سأفديك وانظر بعدُ ما أنتَ فاعِل)
(فعاذ بَحدّ السيف صاحبُ أمرهم ... وخلَّوْا عن الشيء الذي لم يحاولوا
(وأخطأهم قَتلِي ورفَّعتُ صاحبي ... على الليل لم تُؤخذ عليه المخاتلُ)
(واخطأ غُنْم الحيّ مُرَّة بعدما ... حوته إليه كفُّه والأناملُ)
(يعض على أطرافه كيف زَوْلُه ... ودون الملا سهلٌ من الأرض ماثل)
(فقلت له هذي بتلك وقد يَرَى ... لها ثَمَنا من نفسه ما يُزاول)
(تُوَلْول سُعدى أن أتيتُ مُجرَّحا ... إليها وقد منَّت عليّ المَقاتلُ)
(وكائِنْ أتاها هارباً قبل هذه ... ومن غانمٍ فأين مِنْكِ الوَلاول)
أراد هو وأصحابه الأخذ بثأر صاحبيهم
فلما انقضت الأشهر الحرم وخرج تأبط والمسيب بن كلاب في ستة نفر يريدون الغارة على بجيلة والأخذ بثأر صاحبيهم عمرو بن كلاب وسعد بن الأشرس
فخرج تأبط والمسيب بن كلاب وعامر بن الأخنس وعمرو بن براق ومرة ابن خليف والشنفرى بن مالك والسمع وكعب بن حدار ابنا جابر أخوا تأبط
فمضوا حتى أغاروا على العوص فقتلوا منهم ثلاثة نفر فارسين وراجلا وأطردوا لهم إبلا وأخذوا منهم امرأتين فمضوا بما غنموا حتى إذا كانوا على يوم وليلة من قومهم عرضت لهم خثعم في نحو من أربعين رجلا فيهم أبي بن جابر الخثعمي وهو رئيس القوم فقال تأبط يا قوم لا تسلموا لهم ما في أيديكم حتى تبلوا عذرا وقال عامر بن الأخنس عليكم بصدق الضراب وقد أدركتم بثأركم وقال
المسيب اصدقوا القوم الحملة وإياكم والفشل وقال عمرو بن براق ابذلوا مهجكم ساعة فإن النصر عند الصبر وقال الشنفرى
(نحن الصَّعالِيك الحُماةُ البُزَّلُ ... إذا لَقِينا لا نُرَى نُهَلّلُ)
وقال مرة بن خليف
(يا ثابتَ الخَيْر ويا بِنَ الأخنس ... ويا بنَ بَرّاق الكَريم الأشْوس)
(والشّنفَرى عند حُيودِ الأنفس ... أنا ابن حَامِي السَّربِ في المغمَّس)
(... نحن مساعِيرُ الحُروبِ الضُّرَّس)
وقال كعب حدار أخو تأبط
(يا قوم أمَّا إذ لَقِيتم فاصْبِرُوا ... ولا تَخيمُوا جزَعاً فتُدْبِروا)
وقال السمع أخو تأبط
(يا قومِ كونوا عندها أحْرارا ... لا تُسلِموا العُونَ ولا البِكارا)
(ولا القَنَاعيسَ ولا العِشارا ... لخَثْعم وقد دَعَوْا غِرَارَا)
(ساقوهُم المَوْت معاً أحرارا ... وافتخِرُوا الدَّهْر بها افْتِخارا)
فلما سمع تأبط مقالتهم قال بأبي أنتم وأمي نعم الحماة إذا جد الجد أما إذا أجمع رأيكم على قتال القوم فاحملوا ولا تتفرقوا فإن القوم أكثر منكم فحملوا عليهم فقتلوا منهم ثم كروا الثانية فقتلوا ثم كروا الثالثة فقتلوا فانهزمت خثعم وتفرقت في رؤوس الجبال ومضى تأبط وأصحابه بما غنموا وأسلاب من قتلوا فقال تأبط في ذلك
(جَزَى اللَّهُ على فِتْياناً على العَوْص أشرقت ... سيوفهم تحت العَجاجة بالدَّم)
الأبيات
وقال الشنفرى في ذلك
(دَعِيني وقُولي بعد ما شئتِ إنني ... سيفدى بنَفْسي مَرَّةً فأُغيَّبُ)
الأبيات
وقال الشنفرى أيضا
(ألا هل أتى عَنَّا سُعادَ ودُونَها ... مهامِهُ بِيدٍ تعْتَلي بالصعالِكِ)
(بأنّا صَبَحْنا القوم في حُرّ دارهِم ... حِمامَ المنايا بالسُّيوف البَواتِك)
(قَتَلْنا بعمرو منهمُ خيْرَ فارس ... يزيدَ وسعدا وابنَ عوفٍ بمالك)

(ظَلَلْنا نُفَرِّي بالسّيوف رُؤوسَهم ... ونَرشُقهم بالنَّبْل بين الدَّكَادِك)
كان ضعيفا أمام النساء
قال وخرج تأبط في سرية من قومه فيهم عمرو بن براق ومرة بن خليف والمسيب بن كلاب وعامر بن الأخنس وهو رأس القوم وكعب
حدار وريش كعب والسمع وشريس بنو جابر إخوة تأبط شرا وسعد ومالك ابنا الأقرع حتى مروا ببني نفاثة بن الديل وهم يريدون الغارة عليهم فباتوا في جبل مطل عليهم فلما كان في وجه السحر أخذ عامر بن الأخنس قوسه فوجد وترها مسترخيا فجعل يوترها ويقول له تأبط بعض حطيط وترك يا عامر وسمعه شيخ من بني نفاثة فقال لبنات له أنصتن فهذه والله غارة لبني ليث وكان الذي بينهم يومئذ متفاقما في قتل حميصة بن قيس أخي بلعاء وكانوا أصابوه خطأ وكانت بنو نفاثة في غزوة والحي خلوف وليس عندهم غير أشياخ وغلمان لا طباخ بهم فقالت امرأة منهم اجهروا الكلام والبسوا السلاح فإن لنا عدة فو اللات ما هم إلا تأبط وأصحابه
فبرزن مع نوفل وأصحابه
فلما بصر بهم قال انصرفوا فإن القوم قد نذروا بكم فأبوا عليه إلا الغارة فسل تأبط سيفه وقال لئن أغرتم عليهم لأتكئن على سيفي حتى أنفذه من ظهري فانصرفوا ولا يحسبون إلا أن النساء رجال حتى مروا بإبل البلعاء بن قيس بقرب المنازل فأطردوها فلحقهم غلام من بني جندع بن ليث فقال يا عامر بن الأخنس أتهاب نساء بني نفاثة وتغير على رجال بني ليث هذه والله إبل لبلعاء بن قيس
فقال له عامر أو كان رجالهم خلوفا قال نعم قال أقرئ بلعاء مني السلام وأخبره بردي إبله وأعلمه أني قد حبست منها بكرا لأصحابي فإنا قد أرملنا فقال الغلام لئن حبست منها هلبة لأعلمنه ولا أطرد منها بعيرا أبدا
فحمل عليه تأبط فقتله ومضوا بالإبل إلى قومهم فقال في ذلك تأبط
(ألا عَجِبَ الفِتْيان من أمّ مالك ... تقول أراك اليوم أشعثَ أغبرا)
(تَبوعاً لآثارِ السَّرِيَّة بعد ما ... رأيتُك بَرَّاق المَفارق أَيْسرا)
(فقلتُ له يَوْمان يَومٌ إقامة ... أهزّ به غُصْناً من البانِ أخضرا)
(ويومٌ أهزّ السَّيفَ في جِيد أغيد ... له نِسوةٌ لم تلق مثلي أنكرا)
(يخفن عليه وهو ينزع نفسَه ... لقد كنتَ أبّاء الظلامة قَسْوَرا)
(وقد صِحْت في آثار حَوْم كأنها ... عَذارَى عُقيل أو بَكارةُ حِمْيرا)
(أبعد النّفاثيين آمل طرقةً ... وآسَى على شيءٍ إذا هو أدبرا)
(أكفكِف عنهم صُحْبتي وإخالهم ... من الذلّ يَعْراً بالتّلاعة أعْفَرَا)
(فلو نالت الكَفَّان أصحابَ نوفل ... بمهمهةٍ من بطنِ ظَرْء فعَرْعَرا)
(ولمَّا أَبَى الليثيُّ إلا تَهَكُّماً ... بِعرضي وكان العِرضُ عِرضي أوفرا)
(فقلت له حقَّ الثناءُ فإنّني ... سأذهب حتى لم أجِد متأخَّرَا)
(ولما رأيتُ الجَهْلَ زاد لَجاجةً ... يقول فلا يألوك أن تَتَشوَّرَا)
(دنوت له حتى كأنَّ قَميصَه ... تَشرَّب من نضح الأخادِع عُصْفُرا)
(فمن مُبَلغٌ ليثُ بنَ بكرٍ بأننَّا ... تركنا أخاهم يوم قِرْنٍ مُعَفَّرا)
قال غزا تأبط بني نفاثة بن الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وهم خلوف ليس في دارهم رجل وكان الخبر قد أتى تأبط فأشرف فوق جبل ينظر إلى الحي وهم أسفل منه فرأته امرأة فطرح نفسه فعلمت المرأة أنه تأبط وكانت عاقلة فأمرت النساء فلبسن لبسة الرجال ثم خرجن كأنهن يطلبن الضالة وكان أصحابه يتفلتون ويقولون اغز وإنما كان في سرية من بين الستة إلى السبعة فأبى أن يدعهم وخرج يريد هذيلا وانصرف عن النفاثيين فبينا هو يتردد في تلك الجبال إذ لقي حليفا له من هذيل فقال له العجب لك يا تأبط قال وما هو قال إن رجال بني نفاثة كانوا خلوفا فمكرت بك امرأة وأنهم قد رجعوا
ففي ذلك يقول
(ألا عَجِبَ الفِتيان من أمّ مالك ... تقول لقد أصبحت أشعثَ أغبرا)
وذكر باقي الأبيات المتقدمة
وقال غيره لا بل قال هذه القصيدة في عامر بن الأخنس الفهمي وكان من حديث عامر بن الأخنس انه غزا في نفر بضعة وعشرين رجلا فيهم عامر بن الأخنس وكان سيدا فيهم وكان إذا خرج في غزو رأسهم وكان يقال له سيد الصعاليك فخرج بهم حتى باتوا على بني نفاثة بن عدي بن الديل ممسين ينتظرون أن ينام الحي حتى إذا كان في سواد الليل مر بهم راع من الحي قد أغدر فمعه غديرته يسوقها فبصر بهم وبمكانهم فخلى الغديرة وتبع الضراء ضراء الوادي حتى جاء الحي فأخبرهم بمكان القوم وحيث رآهم فقاموا فاختاروا فتيان الحي فسلحوهم وأقبلوا نحوهم حتى إذا دنوا منهم قال رجل من النفاثيين والله ما قوسي بموترة
فقالوا فأوتر
قوسك فوضع قوسه فأوترها فقال تأبط لأصحابه
اسكتوا واستمع فقال أتيتم والله قالوا وما ذلك قال أنا والله أسمع حطيط وترقوس
قالوا والله ما نسمع شيئا قال بلى والله إني لأسمعه يا قوم النجاء قالوا لا والله ما سمعت شيئا فوثب فانطلق وتركهم ووثب معه نفر وبيتهم بنو نفاثة فلم يفلت منهم إنسان وخرج هو وأصحابه الذين انطلقوا معه وقتل تلك الليلة عامر بن الأخنس
قال ابن عمير وسألت أهل الحجاز عن عامر بن الأخنس فزعموا أنه مات على فراشه
فلما رجع تأبط قالت له امرأته تركت أصحابك فقال حينئذ
(ألا عَجِب الفِتيان من أُمّ مالِك ... تقول لقد أصبحْتَ أشعثَ أغْبَرا)
مصرعه على يد غلام
فلما رجع تأبط وبلغه ما لقي أصحابه قال والله ما يمس رأسي غسل ولادهن حتى أثأر بهم
فخرج في نفر من قومه حتى عرض لهم بيت من هذيل بين صوى جبل فقال اغنموا هذا البيت أولا قالوا لا والله ما لنا فيه

أرب ولئن كانت فيه غنيمة ما نستطيع أن نسوقها
فقال إني أتفاءل أن أنزل ووقف وأتت به ضبع من يساره فكرهها وعاف على غير الذي رأى فقال أبشري أشبعك من القوم غدا
فقال له أصحابه ويحك انطلق فو الله ما نرى أن نقيم عليها
قال لا والله لا أريم حتى أصبح وأتت
به ضبع عن يساره فقال أشبعك من القوم غدا فقال أحد القوم والله إني أرى هاتين غدا بك فقال لا والله لا أريم حتى أصبح
فبات حتى إذا كان في وجه الصبح وقد رأى أهل البيت وعدهم على النار وأبصر سواد غلام من القوم دون المحتلم وغدوا على القوم فقتلوا شيخا وعجوزا وحازوا جاريتين وإبلا
ثم قال تأبط إني قد رأيت معهم غلاما فأين الغلام الذي كان معهم فأبصر أثره فاتبعه فقال له أصحابه ويلك دعه فإنك لا تريد منه شيئا فاتبعه واستتر الغلام بقتادة إلى جنب صخرة وأقبل تأبط يقصه وفوق الغلام سهما حين رأى انه لا ينجيه شيء وأمهله حتى إذا دنا منه قفز قفزة فوثب على الصخرة وأرسل السهم فلم يسمع تأبط إلى الحبضة فرفع رأسه فانتظم السهم قلبه وأقبل نحوه وهو يقول لا بأس فقال الغلام لا بأس والله لقد وضعته حيث تكره وغشيه تأبط بالسيف وجعل الغلام يلوذ بالقتادة ويضر بها تأبط بحشاشته فيأخذ ما أصابت الضربة منها حتى خلص إليه فقتله ثم نزل إلى أصحابه يجر رجله فلما رأوه وثبوا ولم يدروا ما أصابه فقالوا مالك فلم ينطق ومات في أيديهم فانطلقوا وتركوه فجعل لا يأكل منه سبع ولا طائر إلا مات فاحتملته هذيل فألقته في غار يقال له غار رخمان فقالت ريطة أخته وهي يومئذ متزوجة في بني الديل

(نِعْمَ الفتَى غادَرتُم برُخمانْ ... ثابتٌ بنُ جابر بن سُفْيانْ)

وقال مرة بن خليف يرثيه

(إن العَزيمةَ والعَزَّاءَ قد ثَوَيا ... أكفانَ ميت غدا في غار رُخْمانِ)
(إلاّ يَكُن كُرسفٌ كُفِّنتَ جيّدَه ... ولا يكن كَفَنٌ من ثَوْبِ كَتَّانِ)
(فإن حُرّاً من الأنْساب ألبسه ... ريش الندى والنّدَى من خير أكفان)
(وليلةٍ رأسُ أفعاها إلى حجرٍ ... ويومِ أورٍ من الجوزاءِ رنَّان)
(أمضيتَ أولَ رهطٍ عند آخره ... فَي إثر عاديةٍ أو إثر فتيان)

وقالت أم تأبط ترثيه

(... وابناهُ وابنَ اللّيْل)

قال أبو عمرو الشيباني لا بل كان من شأن تأبط وهو ثابت بن جابر بن سفيان وكان جزيئا شاعرا فاتكا انه خرج من أهله بغارة من قومه يريدون بني صاهلة بن كاهل بن الحارث بن سعيد بن هذيل وذلك في عقب شهر حرام مما كان يحرم أهل الجاهلية حتى هبط صدر أدم وخفض عن جماعة بني صاهلة فاستقبل التلاعة فوجد بها دارا من بني نفاثة بن عدي ليس فيها إلا النساء غير رجل واحد فبصر الرجل بتأبط وخشيه وذلك في الضحى فقام الرجل إلى النساء فأمرهن فجعلن رؤوسهن جمما وجعلن دروعهن أردية وأخذن من بيوتهن عمدا كهيئة السيوف فجعلن لها حمائل ثم تأبطنها ثم نهض ونهضن معه يغريهن كما يغري القوم وأمرهن أن لا يبرزن
خدا وجعل هو يبرز للقوم ليروه وطفق يغري ويصيح على القوم حتى أفزع تأبط شرا وأصحابه وهو على ذلك يغري في بقية ليلة أوليلتين من الشهر الحرام فنهضوا في شعب يقال له شعب وشل وتأبط ينهض في الشعب مع أصحابه ثم يقف في آخرهم ثم يقول يا قوم لكأنما يطردكم النساء فيصيح عليه أصحابه فيقولون انج أدركك القوم وتأبى نفسه فلم يزل به أصحابه حتى مضى معهم فقال تأبط في ذلك

(أبعد النّفاثيين أزجر طائرا ... وآسَى على شيءٍ إذا هو أدبرا)
(أنهنهِ رجلي عنهم وإخالهم ... من الذّلّ يعراً بالتّلاعة أعفرا)
(ولو نالت الكَفّان أصحابَ نوفل ... بمَهْمَهَة من بين ظَرْء وعرعرا)

قال ثم طلعوا الصدر حين أصبحوا فوجدوا أهل بيت شاذ من بني قريم ذنب نمار فظل يراقبهم حتى أمسوا وذلك البيت لساعدة بن سفيان أحد بني حارثة بن قريم فحصرهم تأبط وأصحابه حتى أمسوا
قال وقد كانت قالت وليدة لساعدة إني قد رأيت اليوم القوم أو النفر بهذا الجبل فبات الشيخ حذرا قائما بسيفه بساحة أهله
وانتظر تأبط وأصحابه أن يغفل الشيخ وذلك آخر ليلة من الشهر الحرام فلما خشوا أن يفضحهم الصبح ولم يقدروا على غرة مشوا إليه وغروه ببقية الشهر الحرام وأعطوه من مواثيقهم ما أقنعه وشكوا إليه الجوع فلما اطمأن إليهم وثبوا عليه فقتلوه وابنا له صغيرا حين مشى قال ومضى تأبط شرا إلى ابن له ذي ذؤابة كان أبوه قد أمره فارتبأ
من وراء ماله يقال له سفيان بن ساعدة
فأقبل إليه تأبط شرا مستترا بمجنة فلما خشي الغلام أن يناله تأبط بسيفه مع الغلام سيف وهو مفوق سهما رمى مجن تأبط بحجر فظن تأبط انه قد أرسل سهمه فرمى مجنة عن يده ومشى إليه فأرسل الغلام سهمه فلم يخط لبته حتى خرج منه السهم ووقع في البطحاء حذو القوم وأبوه ممسك فقال أبو الغلام حين وقع السهم أخاطئه سفيان فحرد القوم فذلك حين قتلوا الشيخ وابنه الصغير ومات تأبط

أمه ترثيه

فقالت أمه وكانت امرأة من بني القين بن جسر بن قضاعة ترثيه

(قتيلٌ ما قتِيلُ بني قُرَيْمٍ ... إذا ضَنّت جُمادى بالقِطار)
(فتى فَهْمٍ جميعا غادَروهُ ... مقيما بالحُرَيْضَةِ من نُمار)

وقالت أمه ترثيه أيضا

(ويلُ امِّ طِرفٍ غادروا برُخْمانْ ... بثابت بن جابر بن سفيان)
(يجدّلُ القرنَ ويُروي النَّدمانْ ... ذو مأقِطٍ يحمي وراء الإخوان)

وقالت ترثيه أيضا

وابناه ابن الليل ليس بزميل شروب للقيل رقود بالليل وواد ذي هول أجزت بالليل تضرب بالذيل برجل كالثول
قال وكان تأبط شرا يقول قبل ذلك
(ولقد علمتُ لتعدُوَنَّم ... عليّ شتْمٌ كالحساكل)
(ياكلنَ أوصالا ولحما ... كالشّكاعِي غيرَ جاذِل)
(يا طيرُ كُلْنَ فإنني ... سُمٌّ لكُنّ وذو دَغاوِل)
وقال قبل موته
(لعلي ميّتٌ كمداً ولّما ... أطالع أهلَ ضيمٍ فالكرابِ)
(وإن لم آتِ جمع بني خُثيم ... وكاهلها بِرَجْل كالضّباب)
(إذا وقعتُ بكعب أو قُرَيْمٍ ... وسيّارٍ فياسَوْغَ الشّراب)
فأجابه شاعر من بني قريم
(تأبّطَ سَوْأةً وحملْتَ شرًّا ... لعلك أن تكونَ من المُصابِ)
(لعلك أن تجيءَ بك المنايا ... تُساقُ لفتيةٍ منا غِضاب)
(فتُصْبحَ في مَكَرّهمُ صريعاً ... وتصبحَ طرفةَ الضّبُعِ السّغاب)
((فزلتم تهربون ولو كرهتم ... تسوقون الحَرائمَ بالنقاب
(وزال بأرضكم منّا غلامٌ ... طليعةُ فتْيَةٍ غُلْبِ الرقاب)
ونذكر ها هنا بعد أخبار تأبط شرا أخبار صاحبيه عمرو بن براق والشنفرى ونبدأ بما يغنى فيه من شعريهما ونتبعه بالأخبار
فأما عمرو بن براق فمما يغنى فيه من شعره قوله
صوت
(متى تجمع القلبَ الذكيَّ وصارما ... وأنفا حَمِيًّا تجتنبْك المَظالِمُ)
(وكنت إذا قومٌ غَزوني غَزَوتهم ... فهل أنا في ذا يا لَهَمْدَانَ ظَالِم)
(كذبتم وبيتِ الله لا تأخذونها ... مراغمةً ما دام للسيف قائم)
(ولا صُلْحَ حتى تعثُر الخَيلُ بالقَنا ... وتُضْرَبَ بالبيض الرّقاقِ الجَماجِمُ)
عروضه من الطويل الشعر لابن براق وقيل ابن براقة
والغناء لمحمد ابن إسحاق بن عمرو بن بزيع ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى عن الهشامي
عمرو بن براق
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا السكري عن ابن حبيب قال واخبرنا الهمداني ثعلب عن ابن الأعرابي عن المفضل قالا
سلب منه ماله ثم استرده
فقال في ذلك
أغار رجل من همدان يقال له حريم على إبل لعمرو بن براق وخيل فذهب بها فأتى عمرو امرأة كان يتحدث إليها ويزورها فأخبرها أن حريما أغار على إبله وخيله فذهب بها وأنه يريد الغارة عليه فقالت له المرأة ويحك لا تعرض لتلفات حريم فإني أخافه عليك قال فخالفها وأغار عليه فاستاق كل شيء كان له فأتاه حريم بعد ذلك يطلب إليه أن يرد عليه ما أخذه منه فقال لا أفعل وأبى عليه فانصرف فقال عمرو في ذلك
(تقول سُلَيمى لا تَعَرَّضْ لِتَلفةٍ ... وليلُك عن ليل الصعاليك نائمُ)
(وكيف ينامُ الليلَ من جلّ مالِهِ ... حُسامٌ كلون المِلح أبيضُ صارمُ)
(صَمُوتٌ إذا عضَّ الكريهةَ لم يَدَعْ ... لها طَمَعاً طوعُ اليمين ملازمُ)
(نَقدْتُ به ألْفاً وسامحتُ دونه ... على النقدِ إذ لا تُستطاع الدراهمُ)
((ألم تَعلمي أنّ الصعاليكَ نومُهم ... قليلٌ إذا نام الدَّثُور المُسالِمْ
(إذا الليل أدجى واكفهرّت نجومه ... وصاح من الإفراطِ هامٌ جواثم)
(ومال بأصحاب الكرى غالباتُه ... فإني على أمر الغَواية حازمِ)
(كذبتم وبيتِ الله لا تأخذونها ... مُراغمةً ما دام للسيف قائمُ)
(تَحالفَ أقوامٌ عليّ ليسمَنُوا ... وجروا عليَّ الحَرْبَ إذا أنَا سَالِمُ)
(أفَالآن أُدْعى للهَوادة بعدما ... أُجيل على الحيّ المَذاكِي الصَّلادمُ)
(كأنّ حُريماً إذ رجا أن يَضُمَّها ... ويُذْهِبَ مالي يا بنَة القوم حالِمُ)
(متى تجمع القلبَ الذَّكِيَّ وصارماً ... وأنفاً حَمِيًّا تَجْتَنبْك المظالِمُ)
(ومَن يَطلبِ المالَ المُمَنَّع بالقَنَا ... يَعِشْ ذا غِنىً أو تَخْتَرمْه المَخارمُ)
(وكنتُ إذا قومٌ غَزوني غزَوتُهم ... فهل أنا في ذا يالَهمْدان ظالم)
(فلا صُلْحَ حتى تعثر الخَيل بالقنا ... وتضْربَ بالبيض الرّقاقِ الجَماجِمُ)
وأما الشنفرى فإنه رجل من الأزد ثم من الأواس بن الحجر بن الهنو بن الأزد
ومما يغنى فيه من شعره قوله
صوت
(ألا أمِّ عَمْرو أزمعت فاستقَلّت ... وما ودَّعت جيرانها إذ تولّت)
(فوانَدَما بانَت أُمامةُ بعدما ... طَمِعتُ فهَبْها نِعْمةً قد تولّتِ)
(وقد أعجَبتْني لا سَقُوطاً خِمارُها ... إذا ما مشَت ولا بذاتِ تَلَفُّتِ)
غنى في هذه الأبيات إبراهيم ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو بن بانة
أخبار الشنفرى ونسبه
أخبار في غير قومه
وأخبرني بخبره الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا أبو يحيى المؤدب وأحمد ابن أبي المنهال المهلبي عن مؤرج عن أبي هشام محمد بن هشام النميري

أن الشنفرى كان من الأواس بن الحجر بن الهنو بن الأزد بن الغوث أسرته بنو شبابة بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان فلم يزل فيهم حتى أسرت بنو سلامان بن مفرج بن عوف بن ميدعان بن مالك بن الأزد رجلا من فهم أحد بني شبابة ففدته بنو شبابة بالشنفرى قال فكان الشنفرى في بني سلامان بن مفرج لا تحسبه إلا أحدهم حتى نازعته بنت الرجل الذي كان في حجره وكان السلامي اتخذه ولدا وأحسن إليه وأعطاه فقال لها الشنفرى اغسلي رأسي يا أخية وهو لا يشك في أنها أخته فأنكرت أن يكون أخاها ولطمته فذهب مغاضبا حتى أتى الذي اشتراه من فهم فقال له الشنفرى اصدقني ممن أنا قال أنت من الأواس بن الحجر فقال أما إني لن أدعكم حتى أقتل منكم مائة بما استعبدتموني ثم إنه ما زال يقتلهم حتى قتل تسعة وتسعين رجلا وقال الشنفرى للجارية السلامية التي لطمته وقالت لست بأخي

(ألا ليتَ شِعْري والتّلَهُّفُ ضَلّةٌ ... بما ضَربتْ كَفُّ الفتاة هَجِينَها

(ولو علمت قُعسوسُ أنسابَ والدي ... ووالدِها ظَلّت تقاصَرُ دونها)

(أنا ابن خيار الحُجْر بيتا ومَنْصِبا ... وأمي ابنةُ الأحرار لوْ تعْرفينها)

قال ثم لزم الشنفرى دار فهم فكان يغير على الأزد على رجليه فيمن تبعه من فهم وكان يغير وحده أكثر من ذلك وقال الشنفرى لبني سلامان

(وإني لأهوىَ أن ألُفَّ عجَاجتي ... على ذي كِساء من سَلامانَ أو بُرد)

(وأصبحَ بالعضْدَاء أبغي سَراتَهم ... وأسلكَ خَلاًّ بين أرباع والسّرد)

فكان يقتل بني سلامان بن مفرج حتى قعد له رهط من الغامديين من بني الرمداء فأعجزهم فأشلوا عليه كلبا لهم يقال له حبيش ولم يضعوا له شيئا ومر وهو هارب بقرية يقال لها دحيس برجلين من بني سلامان بن مفرج فأرادهما ثم خشي الطلب فقال

(قتيلَيْ فِجارٍ أنتُما إن قُتِلتُما ... بجوف دَحِيس أو تبالةَ يا اسمعا)

يريد يا هذان اسمعا وقال فيما كان يطالب به بني سلامان

(فإلا تزرني حَتْفتي أو تُلاقني ... أُمشِّ بدَهْرٍ أو عذافَ فنوَّرا)

(أمشي بأطراف الحماطِ وتارةً ... تُنفِّضُ رجلي بَسْبُطاً فعَصَنْصَرا)

(وأبغي بني صَعب بن مُرّ بلادَهم ... وسوف ألاقيهم إنِ اللّهُ يسّرا)

(ويوما بذاتِ الرَّأس أو بطن مِنجَلٍ ... هنالك تَلْقى القاصيَ المُتغَوّرا)

سملوا عينه ثم قتلوه

قال ثم قعد له بعد ذلك أسيد بن جابر السلاماني وخازم الفهمي بالناصف من أبيدة ومع أسيد ابن أخيه فمر عليهم الشنفرى فأبصر السواد بالليل فرماه وكان لا يرى سوادا إلا رماه كائنا ما كان فشك ذراع ابن أخي أسيد إلى عضده فلم يتكلم فقال الشنفرى إن كنت شيئا فقد أصبتك وإن لم تكن شيئا فقد أمنتك وكان خازم باطحا يعني منبطحا بالطريق يرصده فنادى أسيد يا خازم أصلت يعني اسلل سيفك

فقال الشنفرى لكل أصلت فأصلت الشنفرى

فقطع إصبعين من أصابع خازم الخنصر والبنصر وضبطه خازم حتى لحقه أسيد وابن أخيه نجدة فأخذ أسيد سلاح الشنفرى وقد صرع الشنفرى خازما وابن أخي أسيد فضبطاه وهما تحته وأخذ أسيد برجل ابن أخيه فقال أسيد رجل من هذه فقل الشنفرى رجلي فقال ابن أخي أسيد بل هي رجلي يا عم فأسروا الشنفرى وأدوه إلى أهلهم وقالوا له أنشدنا فقال إنما النشيد على المسرة فذهبت مثلا ثم ضربوا يده فتعرضت أي اضطربت فقال الشنفرى في ذلك

(لا تَبْعَدي إمّا ذَهَبْتِ شامَهْ ... فرُبَّ وادٍ نَفَرَتْ حَمامَه)

(...ورُبَّ قِرْنٍ فَصَلَتْ عِظامَهْ)

ثم قال له السلامي أأطرفك ثم رماه في عينه فقال الشنفرى له كأن كنا نفعل أي كذلك كنا نفعل وكان الشنفرى إذا رمى رجلا منهم قال له أأطرفك ثم يرمي عينه

ثم قالوا له حين أرادوا قتله أين نقبرك فقال

(لا تَقبُروني إنّ قَبري مُحرَّم ... عليكم ولكن أبشري أُمَّ عامرِ)

(إذا احْتمَلتْ رأسي وفي الرأس أكثَري ... وغُودِر عند المُلْتَقَى ثَمّ سائِري)

(هنالك لا أرجو حياةً تَسرُّني ... سَمِيرَ الليالي مُبْسَلاً بالجَرائِر)

تأبط شرا يرثيه

وقال تأبط شرا يرثي الشنفرى

(على الشَّنْفَرَى ساري الغمام ورائحٌ ... غزيرُ الكلى وَصَيِّبُ الماء باكر)

(عليك جزاءٌ مثلُ يومِكَ بالجَبَا ... وقد أُرعِفتْ منك السُّيوفُ البواتر)

(ويومِكَ يومَ العَيْكَتَين وعطفةٍ ... عطفت وقد مَسَّ القلُوبَ الحناجِرُ)

((تجول ببز الموت فيهم كأنهم ... بشوكتك الحُدّي ضَئِينٌ نوافرُ

(فإنك لو لاقيتني بعدما ترى ... وهل يُلقَيْن مَنْ غَيَّبته المقابر)

(لألفيتني في غارة أنتمي بها ... إليك وإمّا راجعاً أنا ثائِرُ)

(وإن تكُ مأسورا وظلْت مُخَيِّماً ... وأبْليت حتى ما يكيدك واتِرُ)

(وحتى رماك الشَّيبُ في الرأس عانسا ... وخيرُك مبسوطٌ وزادك حاضر)

(وأجملُ موتِ المرءِ إذ كان ميتا ... ولا بد يوما موتُه وهو صابر)

(فلا يَبعدَنَّ الشَّنْفَرَي وسِلاحُه الْحَديدُ ... وشِدٌّ خَطْوُه متواتر)

(إذا راع رَوْعُ الموت راع وإن حَمَى ... معه حُرٌّ كريم مُصابِرُ)

خبر آخر عن سبب اسره ومقتله

قال وقال غيره لا بل كان من أمر الشنفرى وسبب أسره ومقتله أن الأزد قتلت الحارث بن السائب الفهمي فأبوا أن يبوءوا بقتله فباء بقتله رجل منهم يقال له حزام بن جابر قبل ذلك فمات أخو الشنفرى فأنشأت أمه تبكيه فقال الشنفرى وكان أول ما قاله من الشعر

(ليس لوالدة هوءُها ... ولا قولُها لابنها دَعْدَع)

((تُطيف وتُحدِث أحوالهَ ... وغيْرُكِ أملكُ بالمَصْرَع
قال فلما ترعرع الشنفرى جعل يغير على الأزد مع فهم فيقتل من أدرك منهم ثم قدم منى وبها حزام بن جابر فقيل له هذا قاتل أبيك فشد عليه فقتله ثم سبق الناس على رجليه فقال
(قتلتُ حزاماً مُهْدِياً بمُلَبِّدٍ ... ببطن مِنىً وسْط الحجيج المُصَوِّتِ)
قال ثم إن رجلا من الأزد أتى أسيد بن جابر وهو أخو حزام المقتول فقال تركت الشنفرى بسوق حباشة فقال أسيد بن جابر والله لئن كنت صادقا لا نرجع حتى نأكل من جنى ألِيف أبيدة فقعد له على الطريق هو وابنا حزام فأحسوه في جوف الليل وقد نزع نعلا ولبس نعلا ليخفي وطأه فلما سمع الغلامان وطأه قالا هذه الضبع فقال أسيد ليست الضبع ولكنه الشنفرى ليضع كل واحد منكما نعله على مقتله حتى إذا رأى سوادهم نكص مليا لينظر هل يتبعه أحد ثم رجع حتى دنا منهم فقال الغلامان أبصرنا فقال عمهما لا والله ما أبصركما ولكنه أطرد لكيما تتبعاه فليضع كل وحدا منكما نعله على مقتله
فرماهم الشنفرى فخسق في النعل ولم
يتحرك المرمي
ثم رمى فانتظم ساقي أسيد فلما رأى ذلك أقبل حتى كان بينهم فوثبوا عليه فأخذوه فشدوه وثاقا ثم إنهم انطلقوا به إلى قومهم فطرحوه وسطهم فتماروا بينهم في قتله فبعضهم يقول أخوكم وابنكم فلما رأى ذلك أحد بني حزام ضربه ضربة فقطع يده من الكوع وكانت بها شامة سوداء فقال الشنفرى حين قطعت يده
(لا تَبعَدي إمّا هلكت شامَهْ ... فربَّ خَرقٍ قَطَعتُ قتامَهْ)
(... وربَّ قِرْنٍ فصَلَت عظامَه)
وقال تأبط شرا يرثيه
(لا يبعَدنَّ الشَّنفرى وسلاحُه الحديدُ ... وشَدٌّ خَطْوُه مُتواتِر)
(إذا راع رَوْعَ الموت راعَ وإن حَمى ... حَمى معه حُرٌّ كريمٌ مُصابِرُ)
قال وذرع خطو الشنفرى ليلة قتل فوجد أول نزوة نزاها إحدى وعشرين خطوة ثم الثانية سبع عشرة خطوة
قال وقال ظالم العامر في الشنفرى وغاراته على الأزد وعجزهم عنه ويحمد أسيد بن جابر في قتله الشنفرى
(فما لَكُم لم تدركوا رِجْلَ شنفرى ... وأنتم خِفافٌ مثلُ أجنحة الغُرْبِ)
(تعاديتم حتى إذا ما لحِقتُم ... تباطأ عنكم طالبٌ وأبو سَقْبِ)
(لعمركَ للَسَّاعي أُسَيدُ بن جابرٍ ... أحقُّ بها مِنْكم بني عقبِ الكلب)
قال ولما قتل الشنفرى وطرح رأسه مر به رجل منهم فضرب جمجمة الشنفرى بقدمه فعقرت قدمه فمات منها فتمت به المائة

شعره لما قتل حزاما قاتل أبيه

وكان مما قاله الشنفرى فيهم من الشعر وفي لطمه المرأة التي أنكرته الذي ذكرته واستغني عن إعادته مما تقدم ذكره من شعر الشنفرى وقال الشنفرى في قتله حزاما قاتل أبيه
(أرى أُمَّ عمرو أجمعت فاستقلّتِ ... وما ودّعت جيرانَها إذْ تولّتِ)
(فقد سبقتنا أُمُّ عمرو بأمرها ... وقد كان أعناقُ المطيِّ أظلَّت)
(فواندمَا على أميمةَ بعدما ... طمِعتُ فَهبْها نِعمةَ العيش ولَّت)
(أُميمةُ لا يُخزي نَثاها حَليلَها ... إذا ذُكِر النسوانُ عَفَّت وجَلَّت)
(يَحُلّ بمنجاةٍ من اللّوم بيتُها ... إذا ما بُيوتٌ بالمَلامة حُلَّت)
(فقد أعجبتني لا سَقُوطٌ قِناعُها ... إذا ما مَشت ولا بذاتِ تَلَفُّت)
(كأنّ لها في الأرض نِسْياً تَقُصُّه ... إذا ما مشت وإن تُحدِّثْك تَبْلِت)
النسي الذي يسقط من الإنسان وهو لا يدري أين هو يصفها بالحياء وأنها لا تلتفت يمينا ولا شمالا ولا تبرج
ويروى
(... تقصه على أمها وإن تُكلِّمك)
(فدَقَّت وجلَّت واسْبَكرَّت وأُكملت ... فلو جَنَّ إنسانٌ من الحُسْن جُنَّتِ)
(تبيتُ بُعَيْدَ النوم تُهدي غَبُوقَها ... لجاراتِها إذا الهديّة قَلَّت) الغبوب ما غب عندها من الطعام أي بات ويروى غبوقها
(فبتنا كأنَّ البيت حُجِّرَ حولنا ... بريحانة راحت عِشاءً وطُلَّتِ)
(بريحانةٍ من بطن حلْيةَ أُمْرِعت ... لها أرَجٌ مِنْ حَولِها غيرُ مُسْنِت)
(غدوتُ من الوادي الذي بين مَشْعَلٍ ... وبين الجبَا هيهات أنْسأتُ سُربتي)
(أمشّي على الأرض التي لن تضيرني ... لأكسِبَ مالا أو أُلاقِيَ حُمَّتِي)
(إذا ما أتتني حَتْفتي لم أُبالِها ... ولم تُذْرِ خالاتي الدموعَ وعَمَّتِي)
(وهُنِّيءَ بي قومٌ وما إن هنأتُهم ... وأصبحت في قومٍ وليسوا بمنبِتي)
(وأُمِّ عيالٍ قد شهدتُ تقوتُهم ... إذا أطعَمتْهم أوتَحَتْ وأقلَّت)
(تخاف علينا الجوعَ إن هيَ أكثرت ... ونحن جياعٌ أيَّ أَلْيٍ تألَّت)
(عُفَاهِيَةٌ لا يقصرُ السّترُ دونها ... ولا تُرتَجى للبَيْت إن لم تُبيَّت)
(لها وَفْضَةٌ فيها ثلاثون سَلْجَماً ... إذَا ما رأت أُولى العَدِي اقْشَعَرَّت)
((وتأتي العَدِيَّ بارزاً نصفُ ساقِها ... كَعَدْو حِمار العانةِ المتفَلِّت
(إذا فُزِّعت طارت بأبيضَ صارمٍ ... وراحت بما في جُفرها ثم سَلَّت)
(حُسامٍ كلون الملح صافٍ حديدُه ... جُرازٍ من أقطار الحديد المنعَّت)
(تراها كأذنابِ المَطِيِّ صوادراً ... وقد نهلتْ منَ الدّماء وعلَّت)
(سنجزي سلامانَ بنَ مُفْرِجَ قرضَهم ... بما قدّمت أيديهم وأزلَّت)
(شفَيْنا بعبد الله بعضَ غليلِنا ... وعوفٍ لدى لمَعْدَى أوانَ استهلَّت)
(قتلنا حزاما مُهدِيا بمُلَبّدٍ ... محلّهما بين الحجيج المصوِّت)

(فإن تُقبلوا تُقيل بمَنْ نِيلَ منهمُ ... وإن تُدبروا فأُمّ مَنْ نيلَ فُتّت)
(ألا لا تزرني إن تشكيت خُلّتي ... كفاني بأعلى ذي الحُميرةِ عُدْوَتي)
(وإني لُحلوٌ إن أُريدت حلاوتي ... ومرٌّ إذا النفس الصَّدوفُ استمرَّت)
(أبيّ لما آبى وشيكٌ مَفِيئتي ... إلى كُلِّ نفس تَنْتَحِي بمودّتي)
وقال الشنفرى أيضا
(ومرقبةٍ عَنقاء يَقصُرُ دونها ... أخو الضَّرْوة الرّجْل الخفيُّ المخَفَّف)
(نَميتُ إلى أعلى ذراها وقد دنا ... من الليل ملتَفُّ الحديقةِ أسدَف)
(فبتُّ على حَدّ الذّراعين أحدباً ... كما يتطَوَّى الأرقَم المُتَعطِّفُ)
(قليلُ جَهازي غيرُ نعلين أسحقَت ... صدورُهما مخصورةً لا تُخصَّفُ)
(ومِلْحَفَةٍ دَرْسٍ وجَرْدِ مُلاَءةٍ ... إذا أنهجت من جانب لا تَكَفّفُ)
(وأبيضَ من ماء الحديد مهنّدُ ... مجدٌّ لأطراف السّواعد مِقطفُ)
(وصفراءُ من نبع أبيٌّ ظَهيرةٌ ... تُرِنُّ كإرنان الشّجي وتَهْتِفُ)
(إذا طال فيها النزع تأتي بعَجْسِها ... وترمي بذَرْوَيْها بهنّ فتَقْذِفُ)
(كأنّ حفيفَ النّبل من فوق عَجْسِها ... عوازبُ نحلٍ أخطأ الغارَ مُطْنِفُ)
(نأت أمُّ قيسِ المربَعين كليهما ... وتحذَر أن يَنأى بها المتصيَّفُ)
(وإنك لو تدرين أنْ رُبَّ مشربٍ ... مخوفٍ كداء البطن أو هو أخوفُ)
(وردتُ بمأثور ونبلٍ وضالةٍ ... تخيَّرتها مما أريش وأرصُفُ)
(أُركِّبها في كلِ أحمر عاترٍ ... وأقذف منهن الذي هو مقرِف)
(وتابعتُ فيه البَرْيَ حتى تركتُه ... يَزِفُّ إذا أنفذته ويزفزفُ)
(يكفّيَ منها للبغيض عُراضَةٌ ... إذا بعتُ خلاً ما له مُتَخَوَّفُ)
(وواد بعيدِ العُمق ضنكٍ جِماعُه ... بواطنُه للجنّ والأسْدِ مألَفُ)
(تعسّفتُ منه بعد ما سقط الندى ... غَماليل يخشى غِيلَها المُتعسِّفُ)
(وإني إذا خَامَ الجبانُ عن الرّدى ... فلي حيث يُخشى أن يُجاوزَ مخسَف)
(وإن امرأً أجار سعدَ بنَ مالكٍ ... عليّ وأثوابِ الأُقَيْصِرِ يَعْنُف)
وقال الشنفرى أيضا
(ومُستبسلٍ ضافي القميصِ ضَغَتُّه ... بأزرقَ لا نِكسٍ ولا مُتَعَوِّجِ)
(عليه نُساريٌّ على خُوطِ نَبْعةٍ ... وفُوقٌ كعرقوب القطاة مُحَدْرجِ)
(وقاربتُ من كفَّيَّ ثم فَرَجتها ... بنزع إذا ما استُكره النزعُ مُخْلِجِ)
(فصاحت بكفي صيحةً ثم رجَّعَت ... أنينَ الأمِيم ذي الجراح المُشجَّج)
وقد روى فناحت بكفي نوحة
رواية ثالثة في مقتله
وقال غيره لا بل كان من أمر الشنفرى انه سبت بنو سلامان بن مفرج
ابن مالك بن هوازن بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد الشنفرى وهو أحد بني ربيعة بن الحجر بن عمران بن عمرو بن حارثة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن الأزد وهو غلام فجعله الذي سباه في بهمة يرعاها مع ابنه له فلما خلا بها الشنفرى أهوى ليقبلها فصكت وجهه ثم سعت إلى أبيها فأخبرته فخرج إليه ليقتله فوجده وهو يقول
(ألاَ هل أتى فِتيانَ قومي جَماعةً ... بما لطمت كفُّ الفتاة هجينها)
(ولو علمتْ تلك الفتاةُ مَناسبي ... ونسبتها ظلَّت تقَاصَرُ دونها)
(أليس أبي خيرَ الأواس وغيرها ... وأمي ابنةُ الخَيْرينَ لو تَعلمينها)
(إذا ما أرُومُ الودَّ بيني وبينها ... يؤمُّ بياضُ الوجه مني يمينَها)
قال فلما سمع قوله سأله ممن هو فقال أنا الشنفرى أخو بني الحارث بن ربيعة وكان من أقبح الناس وجها فقال له لولا أني أخاف أن يقتلني بنو سلامان لأنكحتك ابنتي
فقال علي إن قتلوك أن أقتل بك مائة رجل منهم فأنكحه ابنته وخلى سبيله فسار بها إلى قومه فشدت بنو سلامان خلافه على الرجل فقتلوه فلما بلغه ذلك سكت ولم يظهر جزعا عليه وطفق يصنع النبل ويجعل أفواقها من القرون والعظام ثم إن امرأته بنت السلاماني قالت له ذات يوم لقد خست بميثاق أبي عليك فقال
(كأن قَدْ فلا يغْرُرْكِ مني تمَكُّثِي ... سلكتُ طريقا بين يُرْبَغ فالسَّردِ)
(وإنّي زعيمٌ أن تثور عَجاَجتي ... على ذي كِساءٍ من سَلامان أو بُرد)
(همُ عرفوني ناشئاً ذا مَخيلة ... أُمشِّي خلال الدار كالفرسِ الوَرْدِ)
(كأني إذا لم يُمسِ في الحي مالك ... بتيهاء لا أُهدَي السَّبيلَ ولا أَهدِي)
قال ثم غزاهم فجعل يقتلهم ويعرفون نبله بأفواقها في قتلاهم حتى قتل منهم تسعة وتسعين رجلا ثم غزاهم غزوة فنذروا به فخرج هاربا وخرجوا في إثره فمر بامرأة منهم يلتمس الماء فعرفته فأطعمته أقطا ليزيد عطشا ثم استسقى فسقته رائبا ثم غيبت عنه الماء ثم خرج من عندها وجاءها القوم فأخبرتهم خبره ووصفت صفته وصفة نبله فعرفوه فرصدوه على ركي لهم وهو ركي ليس لهم ماء غيره فلما جن عليه الليل أقبل إلى الماء فلما دنا منه قال إني أراكم وليس يرى أحدا إنما يريد بذلك أن يخرج رصدا إن كان ثم فأصاخ القوم وسكتوا
ورأى سوادا وقد كانوا أجمعوا قبل إن قتل منهم قتيل أن يمسكه الذي إلى جنبه لئلا تكون حركة قال فرمى لما أبصر السواد فأصاب رجلا فقتله فلم يتحرك أحد فلما رأى ذلك أمن في نفسه وأقبل إلى الركي فوضع سلاحه ثم انحدر فيه فلم يرعه إلا بهم على رأسه قد أخذوا سلاحه فنزا ليخرج
فضرب بعضهم شماله فسقطت فأخذها فرمى بها كبد الرجل فخر عنده في القليب فوطئ على رقبته فدقها
وقال في قطع شماله
(لا تبعَدِي إمَّا ذهبتِ شامهْ ... فرُبَّ وادٍ نَفَرتْ حَمَامَهُ

(وربّ قِرْنٍ فَصَلَتْ عظامَهْ ... وربَّ حيٍّ فرَّقت سَوامَهْ)
قال ثم خرج إليهم فقتلوه وصلبوه فلبث عاما أو عامين مصلوبا وعليه من نذره رجل قال فجاء رجل منهم كان غائبا فمر به وقد سقط فركض رأسه برجله فدخل فيها عظم من رأسه فعلت عليه فمات منها فكان ذلك الرجل هو تمام المائة
صوت
(ألا طرقتْ في الدّجى زينبُ ... وأحببْ بزينبَ إذ تَطْرُقُ)
(عجبتُ لزينب أنّى سرت ... وزينبُ من ظلّها تَفرَقُ)
عروضه من المتقارب الشعر لابن رهيمة والغناء لخليل المعلم رمل بالبنصر عن الهشامي وأبي أيوب المدني
أخبار الخليل ونسبه
هو الخليل بن عمرو مكي مولى بني عامر بن لؤي مقل لا تعرف له صنعة غير هذا الصوت
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني القطراني المغني عن محمد بن حسين قال
عمل في تأديب الصبيان وتعليم الجواري الغناء
كان خليل المعلم يلقب خليلان وكان يؤدب الصبيان ويلقنهم القرآن والخط ويعلم الجواري الغناء في موضع واحد فحدثني من حضره قال كنت يوما عنده وهو يردد على صبي يقرأ بين يديه (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم) ثم يلتفت إلى صبية بين يديه فيردد عليها
(اعتادَ هذا القلبَ بلبالُهُ ... أن قُرّبتْ للبَيْن أجمالُهُ)
فضحكت ضحكا مفرطا لما فعله فالتفت الي فقال ويلك مالك فقلت أتنكر ضحكي مما تفعل والله ما سبقك إلى هذا أحد ثم قلت أنظر أي
شيء أخذت على الصبي من القرآن وأي شيء هوذا على الصبية والله إني لأظنك ممن يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله فقال أرجو ألا أكون كذلك إن شاء الله
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال حدثني عبد الصمد بن المعذل قال
كان خليلان المعلم أحسن الناس غناء وأفتاهم وأفصحهم فدخل يوما على عقبة بن سلم الأزدي الهنائي فاحتبسه عنده فأكل معه ثم شرب وحانت منة التفاتة فرأى عودا معلقا فعلم أنه عرض له به فدعا به وأخذه فغناهم
(يا بنةَ الأزديّ قلبي كَئِيبُ ... مُستَهام عندها ما يُنِيبُ)
وحانت منه التفاتة فرأى وجه عقبة بن سلم متغيرا وقد ظن أنه عرض به ففطن لما أراد فغنى
(ألا هزئت بنا قُرَشِيَّة ... يهتزُّ موكِبُها)
فسري عن عقبة وشرب فلما فرغ وضع العود من حجره وحلف بالطلاق ثلاثا أنه لا يغني بعد يومه ذلك إلا لمن يجوز حكمه عليه
نسبة هذين الصوتين
(يا بنةَ الأزْديِّ قلبي كئيبُ ... مستهام عندها ما يُنِيبُ)
(ولقد لاموا فقلتُ دعوني ... إنّ مَنْ تَنهوْنَ عنه حَبِيبُ)
(إنما أبلَى عِظامِي وجِسْمِي ... حُبُّها والحُبُّ شيءٌ عَجِيبُ)
(أيها العائِبُ عندي هواها ... أنتَ تَفدي مَن أراك تَعِيبُ)
عروضه من المديد والشعر لعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه والغناء لمعبد ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وفيه لمالك خفيف ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر عنه وفيه خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى لم ينسبه إسحاق إلى أحد ووجدته في روايات لا أثق بها منسوبا إلى حنين وقد ذكر يونس أن فيه لحنين ولمالك كلاهما ولعل هذا أحدهما وذكر حبش أن خفيف الرمل لابن سريج وذكر الهشامي وعلي بن يحيى أن لحن مالك الآخر ثاني ثقيل وذكر الهشامي أن فيه لطويس هزجا مطلقا في مجرى البنصر وذكر عمرو بن بانة أن لمالك فيه ثقيلا أول وخفيفه ولمعبد خفيف ثقيل آخر
صوت
(ألا هزئت بنا قُرَشِيَّةٌ ... يهتزُّ موكِبُها)
(رأت بي شَيْبَةً في الرأس ... منّي ما أُغَيّبُها)
(فقالت لِي ابنُ قَيْسٍ ذا ... وبَعضُ الشيبِ يُعجِبها)
(لها بعلٌ خَبِيثُ النَّفْس ... يحصُرُها ويحْجُبُها)
(يراني هكذا أمشي ... فيُوعِدُها ويَضْرِبُها)
عروضه من الوافر الشعر لابن قيس الرقيات والغناء لمعبد خفيف
ثقيل بالخنصر في مجرى الوسطى وفيه ليونس ثقيل أول عن إسحاق بن إبراهيم والهشامي
صوت
(هل ما علمتَ وما استُودِعْتَ مكتومُ ... أم حَبلُها إذ نأتك اليومَ مَصرومُ)
(أم هل كئيبٌ بكى لم يقضِ عبرتَهُ ... إثْرَ الأحِبَّة يومَ البينِ مَشْكومُ)
(يحملن أترُجَّةً نَضْخُ العبير بها ... كأنَّ تَطيابَها في الأنف مَشْموم)
(كأنّ فَأرةَ مسكٍ في مفارقها ... للباسطِ المُتعاطي وَهْوَ مزكوم)
(كأن إبريقَهم ظَبيٌ على شرفٍ ... مُفَدَّمٌ بسَبَا الكتّان ملثُوم)
(قد أشْهدُ الشَّربَ فيهم مِزْهرٌ صَدِحٌ ... والقومُ تصرعهم صهباءُ خُرطومُ)
الشعر لعلقمة بن عبدة والغناء لابن سريج وله فيه لحنان أحدهما في الأول والثاني خفيف ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق
والآخر رمل بالخنصر في مجرى البنصر في الخامس والسادس من الأبيات وذكر عمرو بن بانة أن في الأربعة الأبيات الأول المتوالية لمالك خفيف ثقيل بالوسطى وفيها ثقيل أول نسبه الهشامي إلى الغريض وذكر حبش أن لحن الغريض ثاني ثقيل بالبنصر وذكر حبش أن في الخامس والسادس خفيف رمل بالبنصر لابن سريج

أخبار علقمة ونسبه

هو علقمة بن عبدة بن النعمان بن ناشرة بن قيس بن عبيد بن ربيعة ابن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار

وكان زيد مناة بن تميم وفد هو وبكر بن وائل وكانا لدة عصر واحد على بعض الملوك وكان زيد مناة حسودا شرها طعانا وكان بكر بن وائل خبيثا منكرا داهيا فخاف زيد مناة أن يحظى من الملك بفائدة ويقل معها حظه فقال له يا بكر لا تلق الملك بثياب سفرك ولكن تأهب للقائه وادخل عليه في أحسن زينة ففعل بكر ذلك وسبقه زيد مناة إلى الملك فسأله عن بكر فقال ذلك مشغول بمغازلة النساء والتصدي لهن وقد حدث نفسه بالتعرض لبنت الملك فغاظه ذلك وأمسك عنه ونمى الخبر إلى بكر بن وائل فدخل إلى الملك فأخبره بما دار بينه وبين زيد مناة وصدقه عنه واعتذر إليه مما قاله فيه عذرا قبله فلما كان من غد اجتمعا عند الملك فقال الملك لزيد مناة ما تحب أن أفعل بك فقال لا تفعل ببكر شيئا إلا فعلت بي مثليه وكان بكر أعور العين اليمنى قد أصابها ماء فذهب بها فكان لا يعلم من رآه أنه أعور فأقبل الملك على بكر بن وائل فقال له ما تحب أن أفعل بك يا بكر قال تفقأ عيني اليمنى وتضعف لزيد مناة فأمر بعينه العوراء ففقئت وأمر بعيني زيد مناة ففقئتا فخرج بكر وهو أعور بحاله وخرج زيد مناة وهو أعمى

سبب تلقيبه بالفحل

واخبرني بذلك محمد بن الحسن بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة

ويقال لعلقمة بن عبدة علقمة الفحل سمي بذلك لأنه خلف على امرأة امرئ القيس لما حكمت له على امرئ القيس بأنه أشعر منه في صفة فرسه فطلقها فخالفه عليها وما زالت العرب تسميه بذلك وقال الفرزدق

(والفحلُ عَلمقةُ الذي كانت له ... حُلَلُ الملوك كلامُه يتنحل)

علقمة يحكم قريشا في شعره

أخبرني عمي قال حدثني النضر بن عمرو قال حدثني أبو السوار عن أبي عبيد الله مولى إسحاق بن عيسى عن حماد الراوية قال

كانت العرب تعرض أشعارها على قريش فما قبلوه منها كان مقبولا وما ردوه منها كان مردودا فقدم عليهم علقمة بن عبدة فأنشدهم قصيدته التي يقول فيها

(هل ما علمتَ وما استُودعْتَ مكتوم ... أم حَبْلُها أنْ نأتكَ اليومَ مصرومُ)

فقالوا هذه سمط الدهر ثم عاد إليهم العام المقبل فأنشدهم

(طحابك قلب في الحِسان طروبُ ... بُعَيْدَ الشَّباب عَصْرَ حان مَشِيبُ)

فقالوا هاتان سمطا الدهر

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك عن حماد بن إسحاق قال سمعت أبي يقول

سرق ذو الرمة قوله

(... يطفو إذا ما تلقَّته الجراثيم)

من قول العجاج

(... إذا تلقَّتْه العقاقيلُ طفا)

وسرقه العجاج من علقمة بن عبدة في قوله

(...يطفو إذا ما تلقته العقاقِيل)

هو امرؤ القيس يتحاكمان إلى زوجته

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن لقيط وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو عبيدة قال

كانت تحت امرئ القيس امرأة من طيء تزوجها حين جاور فيهم فنزل به علقمة الفحل بن عبدة التميمي فقال كل واحد منهما لصاحبه أنا أشعر منك فتحاكما إليها فأنشد امرؤ القيس قوله

(خليليَّ مُرّا بي على أمّ جُنْدُبِ)

حتى مر بقوله

(فللسَّوط ألهوبٌ وللسَّاق دِرَّةٌ ... وللزَّجر منه وَقْعُ أخْرَجَ مُهذِبِ)

ويروى أهوج منعب

فأنشدها علقمة قوله

(... ذَهَبْتَ من الهجران في غير مَذْهَب)

حتى انتهى الى قوله

(فأدركه حتى ثنى من عِنانه ... يمُرُّ كغيث رائح مُتَحَلِّب)

فقالت له علقمة أشعر منك قال وكيف قالت لأنك زجرت فرسك وحركته بساقك وضربته بسوطك وأنه جاء هذا الصيد ثم أدركه ثانيا من عنانه فغضب امرؤ القيس وقال ليس كما قلت ولكنك هويته فطلقها فتزوجها علقمة بعد ذلك وبهذا لقب علقمة الفحل

ربيعة بن حذار يصنف الشعراء

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن لقيط قال

تحاكم علقمة بن عبدة التميمي

والزبرقان بن بدر السعدي والمخبل وعمرو بن الأهتم إلى ربيعة بن حذار الأسدي فقال أما أنت يا زبرقان فإن شعرك كلحم لا أنضج فيؤكل ولا ترك نيئا فينتفع به وأما أنت يا عمرو فإن شعرك كبرد حبرة يتلألأ في البصر فكلما أعدته فيه نقص وأما أنت يا مخبل فإنك قصرت عن الجاهلية ولم تدرك الإسلام وأما أنت يا علقمة فإن شعرك كمزادة قد أحكم خرزها فليس يقطر منها شيء

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني عمي عن العباس بن هشام عن أبيه قال

مر رجل من مزينة على باب رجل من الأنصار وكان يتهم بامرأته فلما حاذى بابه تنفس ثم تمثل

(هل ما علمتَ وما استُوْدِعْتَ مكتومُ ... أم حبلُها إذ نأتك اليوم مصرومُ)

قال فتعلق به الرجل فرفعه إلى عمر رضوان الله عليه فاستعداه عليه فقال له المتمثل وما علي في أن أنشدت بيت شعر فقال له عمر رضي الله عنه مالك لم تنشده قبل أن تبلغ بابه ولكنك عرضت به مع ما تعلم من القالة فيه ثم أمر به فضرب عشرين سوطا
صوت
(فو الله لا أنسَى قتيلاً رُزِيتُه ... بجانبِ قَوسَى ما حييتُ على الأرض)
(بلى إنها تَعْفُو الكُلُومُ وإنما ... نُوكَّلُ بالأدنى وإن جَلَّ ما يَمضِي)
(ولم أدرِ مَن أَلْقَى عليه رداءَه ... ولكنه قد بُزَّ عن ماجِدٍ محضِ)
الشعر لأبي خراش الهذلي والغناء لابن محرز خفيف ثقيل أول بالوسطى من رواية عمرو بن بانة وذكر يحيى بن المكي أنه لابن مسجح وذكر الهشامي أنه ليحيى المكي لحنه ابن مسجح وفي أخبار معبد إن له فيه لحنا

ذكر أبي خراش الهذلي وأخباره

نسبه وموته

أبو خراش اسمه خويلد بن مرة أحد بني قرد واسم قرد عمرو بن معاوية بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار
شاعر فحل من شعراء هذيل المذكورين الفصحاء مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام فأسلم وعاش بعد النبي مدة ومات في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه نهشته أفعى فمات وكان ممن يعدو فيسبق الخيل في غارات قومه وحروبهم
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي وعمي والحسن بن علي قالوا
حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا أحمد بن عمير بن إسماعيل بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف قال حدثني أبو بركة الأشجعي من أنفسهم قال
خرج أبو خراش الهذلي من أرض هذيل يريد مكة فقال لزوجته أم خراش ويحك إني أريد مكة لبعض الحاجة وإنك من أفك النساء وإن بني الديل يطلبونني بترات فإياك وأن تذكريني لأحد من أهل مكة حتى نصدر منها قالت معاذ الله أن أذكرك لأهل مكة وأنا أعرف السبب
قال فخرج بأم خراش وكمن لحاجته وخرجت إلى السوق لتشتري عطرا أو بعض ما تشتريه النساء من حوائجهن فجلست إلى عطار فمر بها فتيان من بني الديل فقال أحدهما لصاحبه أم خراش ورب الكعبة وإنها لمن أفك النساء وإن كان أبو خراش معها فستدلنا عليه قال فوقفا عليها فسلما وأحفيا المسألة والسلام فقالت من أنتما بأبي أنتما فقالا رجلان من أهلك من هذيل قالت بأبي أنتما فإن أبا خراش معي ولا تذكراه لأحد ونحن رائحون العشية فخرج الرجلان فجمعا جماعة من فتيانهم وأخذوا مولى لهم يقال له مخلد وكان من أجود الرجال عدوا فمكنوا في عقبة على طريقه فلما رآهم قد لاقوه في عين الشمس قال لها قتلتني ورب الكعبة لمن ذكرتني فقالت والله ما ذكرتك لأحد إلا لفتيين من هذيل فقال لها والله ما هما من هذيل ولكنهما من بني الديل وقد جلسا لي وجمعا علي جماعة من قومهم فاذهبي أنت فإذا جزت عليهم فإنهم لن يعرضوا لك لئلا أستوحش فأفوتهم فاركضي بعيرك وضعي عليه العصا والنجاء النجاء
قال فانطلقت وهي على قعود عقيلي يسابق الريح فلما دنا منهم وقد تلثموا ووضعوا تمرا على طريقه على كساء فوقف قليلا كأنه يصلح شيئا وجازت بهم أم خراش فلم يعرضوا لها لئلا ينفر منهم ووضعت العصا على قعودها وتواثبوا إليه ووثب يعدو
قال فزاحمه على المحجة التي يسلك فيها على العقبة ظبي فسبقه أبو خراش وتصايح القوم يا مخلد أخذا أخذا
قال ففات الأخذ
فقالوا ضربا ضربا فسبق الضرب فصاحوا رميا
رميا فسبق الرمي وسبقت أم خراش إلى الحي فنادت ألا إن أبا خراش قد قتل فقام أهل الحي إليها وقام أبوه وقال ويحك ما كانت قصته فقالت إن بني الديل عرضوا له الساعة في العقبة قال فما رأيت أو ما سمعت قالت سمعتهم يقولون يا مخلد أخذا أخذا قال ثم سمعت ماذا قالت ثم سمعتهم يقولون ضربا ضربا قال ثم سمعت ماذا قالت سمعتهم يقولون رميا رميا قال فإن كنت سمعت رميا رميا فقد أفلت وهو منا قريب ثم صاح يا أبا خراش فقال أبو خراش يا لبيك وإذا هو قد وافاهم على أثرها
وقال أبو خراش في ذلك

شعره في نجاته من خصومه

(رَفَوْني وقالوا يا خُوَيْلدُ لم تُرَعْ ... فقلت وأنكرتُ الوجوهَ هُم هُم)
رفوني بالفاء سكنوني وقالوا لا بأس عليك
(فغارَرْتُ شيئاً والدَّريسُ كأنما ... يزعزعُه وعْكٌ من المُومِ مُرْدِمُ)
غاررت تلبثت
والدريس الخلق من الثياب ومثله الجرد والسحق والحشيف
ومردم لازم
(تذكرتُ ما أينَ المفرُّ وإنني ... بحبلِ الذي يُنْجِي من الموتِ مُعْصِم)
(فواللّهِ ما رِبْداءُ أو عِلْجُ عَانَةٍ ... أقبٌّ وما إنْ تَيْسُ رَمْلٍ مُصمِّم)
(بأسرعَ منّي إذ عرفتِ عَدِيَّهُم ... كأني لأولاهُمْ من القُرْبِ تَوْأم)
(وأجودَ مِنّي حينَ وافيْتُ ساعِياً ... وأخطأني خَلْفَ الثَّنِيَّة اسهُم)
(أُوَائِلُ بالشدِّ الذَّلِيقِ وحَثَّنِي ... لدى المتنِ مشبوحَ الذراعين خَلْجَمُ)
(تَذَكَّرَ ذَحْلاً عندنا وهْو فاتكٌ ... من القومِ يَعْرُوه اجتراءٌ ومأْثم)
(تقول ابنتي لما رأتني عشيَّةً ... سلمتَ وما إن كِدتَ بالأمسِ تَسلمُ)
(فقلتُ وقد جاوزتُ صارَى عشيَّةً ... أجاوزتُ أولَى القومِ أم أنا أحلُم)
(فلولا دِراكُ الشدِّ آضتْ حليلَتي ... تخيَّر في خُطَّابِها وهْيَ أيِّمُ)
(فستخطَ أو ترضَى مكانِي خليفةً ... وكادَ خِراشٌ عند ذلك يَيْتَم)
عدا بين فرسين فسبقهما

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي ومحمد بن الحسين الكندي خطيب المسجد الجامع بالقادسية قالا حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال حدثني رجل من هذيل قال
دخل أبو خراش الهذلي مكة وللوليد بن المغيرة المخزومي فرسان يريد أن يرسلهما في الحلبة فقال للوليد ما تجعل لي إن سبقتهما قال إن فعلت فهما لك فأرسلا وعدا بينهما فسبقهما فأخذهما
قال الأصمعي إذا فاتك الهذلي أن يكون شاعرا أو ساعيا أو راميا فلا خير فيه
وأخبرني بما أذكره من مجموع أخبار أبي خراش علي بن سليمان الأخفش عن أبي سعيد السكري وأخبرني بما أذكره من مجموع أشعارهم وأخبارهم فذكره أبو سعيد عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن أبي حاتم عن أبي عبيدة وعن ابن حبيب عن أبي عمرو
وأخبرني ببعضه محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الرياشي عن الأصمعي وقد ذكرت ما رواه في أشعار هذيل وأخبارها كل واحد منهم عن أصحابه في مواضعه قال السكري فيما رواه عن ابن حبيب عن أبي عمرو قال
نزل أبو خراش الهذلي دبية السلمي وكان صاحب العزى التي في غطفان وكان يسدنها وهي التي هدمها خالد بن الوليد لما بعثه رسول الله إليها فهدمها وكسرها وقتل دبية السلمي قال فلما نزل عليه أبو خراش أحسن ضيافته ورأى في رجله نعلين قد أخلقتا فأعطاه نعلين من حذاء السبت فقال أبو خراش يمدحه
(حذَانِي بعد ما خَذِمَتْ نِعالي ... دُبَيَّةُ إنَّه نِعمَ الخليلُ)
(مُقابَلَتين من صَلَويْ مُشِبٍّ ... من الثيران وصلُهما جميلُ)
((بمثلهما يروح المرءُ لَهواً ... ويقْضِي الهمَّ ذو الأربِ الرّجيل
(فنِعم مُعرَّسُ الأضياف تُذْحِي ... رحالَهُم شآمية بَلِيلُ)
(يُقاتِل جوعَهم بمكلَّلاتٍ ... من الفُرْنَيِّ يَرْعَبُها الجميل)
قال أبو عمرو الجميل الإهالة ولا يقال لها جميل حتى تذاب إهالة كانت أو شحما وقال أبو عمرو ولما بعث رسول الله خالد بن الوليد فهدم عزى غطفان وكانت ببطن نخلة نصبها ظالم بن أسعد بن عامر بن مرة وقتل دبية فقال أبو خراش الهذلي يرثيه
(ما لِدُبَيَّةَ منذُ اليوم لم أرَهُ ... وسْطَ الشُّرُوب ولم يُلْمِمْ ولم يطفِ)
(لو كان حياًّ لغاداهم بمُترعَةٍ ... فيها الرّواويق من شِيزَى بني الهَطِف)
بنو الهطف قوم من بني أسد يعملون الجفان
(كابِي الرماد عظيمُ القِدْرِ جَفْنَتُه ... حين الشتاء كحَوْضِ المُنْهَلِ اللَّقِف)
المنهل الذي إبله عطاش
واللقف الذي يضرب الماء أسفله فيتساقط وهو ملآن
(أمسى سَقامٌ خَلاءً لا أنيسَ به ... إلا السِّباعُ ومَرُّ الريح بالغَرَفِ)
يرثي زهير بن العجوة
وقال الأصمعي وأبو عمرو في روايتهما جميعا
أخذ أصحاب رسول الله في يوم حنين أسارى وكان فيهم زهير بن العجوة أخو بني عمرو بن الحارث فمر به جميل بن معمر بن حبيب بن وهب نب حذافة بن جمح وهو مربوط في الأسرى وكانت بينهما إحنة في الجاهلية فضرب عنقه فقال أبو خراش يرثيه
(فَجَّع أصحابي جميلُ بن معْمَرٍ ... بذي فَجَرٍ تأوي إليه الأراملُ)
(طويلُ نِجادِ السيف ليس بحيْدرٍ ... إذا قام واستنَّت عليه الحمائلُ)
(إلى بَيْتِهِ يأوي الغريبُ إذا شتا ... ومُهتَلِكٌ بالي الدّرِيسَيْن عائلُ)
(تروّح مقرورا وراحت عشيّة ... لها حَدَبٌ تحتثُّه فيُوائِلُ)
(تكاد يداه تُسْلِمَان رداءَه ... من القُرِّ لمّا استقبلْته الشمائل)
(فما بالُ أهلِ الدّار لم يتصدَّعوا ... وقد خفّ منها اللّوذعيُّ الحُلاَحلُ)
(فأُقسِمُ لو لاقيتَه غيرَ موثَقٍ ... لآبك بالجِزْع الضِّباعُ النّواهلُ)
(لظلّ جميلٌ أسوأَ القومِ تَلَّةً ... ولكنَّ ظَهْرَ القِرْنِ للمَرْء شاغلُ)
(فليس كعهدِ الدار يا أمَّ مالكٍ ... ولكنْ أحاطت بالرقاب السلاسلُ)
((وعاد الفتى كالكهل ليس بقائلٍ ... سوى الحقِّ شيئا فاستراح العواذلُ
(ولم أنْسَ أياماً لا ولياليا ... بِحَلْيَةَ إذ نلقى بها ما نحاول)
وقال أيضا يرثيه
(أفِي كلِّ ممسى ليلةٍ أنا قائل ... من الدهرِ لا يبعَدْ قتيلُ جميلِ)
(فما كنتُ أخشى أن تصيبَ دماءَنا ... قريشٌ ولما يُقتلوا بقتيل)
(فأبرحُ ما أُمِّرْتُمُ وعَمَرتُمُ ... مدَى الدهر حتى تُقْتَلُوا بِغليل)
شعره في إنقاذ أسرى
وقال أبو عمرو في خبره خاصة أقبل أبو خراش وأخوه عروة وصهيب القردي في بضعة عشر رجلا من بني قرد يطلبون الصيد فبينا هم بالمجمعة من نخلة لم يرعهم إلا قوم قريب من عدتهم فظنهم القرديون قوما من بني ذؤيبة أحد بني سعد بن بكر بن هوازن أو من بني حبيب أحد بني نصر فعدا الهذليون إليهم يطلبونهم وطمعوا فيهم حتى خالطوهم وأسروهم جميعا وإذا هم قوم من بني ليث بن بكر فيهم ابنا شعوب أسرهما صهيب القردي فهم بقتلهما وعرفهم أبو خراش فاستنقذهم جميعا من أصحابه وأطلقهم فقال أبو خراش في ذلك يمن على ابني شعوب أحد بني شجع بن عامر بن ليث فعله بهما
(عدونَا عدوةَ لا شكَّ فيها ... وخِلناهمْ ذُؤَيبةَ أو حَبيبا)
(فنُغرِي الثائرين بهم وقلنا ... شفاءُ النفس أنْ بَعثوا الحروبا)
((منَعْنا من عديٍّ بني حُنَيفٍ ... صِحابَ مضرِّسٍ وابني شعوبا
(فأثْنُوا يا بني شِجْعٍ علَيْنا ... وحقٌّ ابني شعُوب أنْ يُثيبا)

(وسائلْ سَبرةَ الشِّجْعِيِّ عنا ... غداة نخالهم نَجْواً جَنيبا)
(بأن السابقِ القردي ألقى ... عليه الثوبَ إذ ولى دبيبا)
(ولولا ذاكَ أرهقَه صُهيبٌ ... حسامَ الحدِّ مطروراً خشيبا)
شعره في زهده
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال أقفر أبو خراش الهذلي من الزاد أياما ثم مر بامرأة من هذيل جزلة شريفة فأمرت له بشاة فذبحت وشويت فلما وجد بطنه ريح الطعام قرقر فضرب بيده على بطنه وقال إنك لتقرقر لرائحة الطعام والله لاطعمت منه شيئا ثم قال يا ربة البيت هل عندك شيء من صبر أو مر قالت تصنع به ماذا قال أريده فأتته منه بشيء فاقتمحه ثم أهوى إلى بعيره فركبه فناشدته المرأة فأبى فقالت له يا هذا هل رأيت بأسا أو أنكرت شيئا قال لا والله ثم مضى وأنشأ يقول
(وإني لأثوي الجوعَ حتى يَملّني ... فأحيا ولم تدنَس ثيابي ولا جِرمي)
(وأصْطَبحُ الماءَ القَراحَ فأكتفي ... إذا الزادُ أضحى للمزلّج ذا طَعْمِ)
(أردُّ شجاعَ البطن قد تَعلمينه ... وأوثِر غيري من عِيالِك بالطُّعْمِ)
((مخافَةَ أن أحيا برَغمٍ وذلّةٍ ... فلَلْموتُ خيرٌ من حياةٍ على رَغْم
يفتدي أخاه عروة بن مرة
وأخبرني عمي بن هارون بن محمد الزيات عن أحمد بن الحارث عن المدائني بنحو مما رواه الأصمعي
وقال أبو عمرو
أسرت فهم عروة بن مرة أخا أبي خراش وقال غيره بل بنو كنانة أسرته فلما دخلت الأشهر الحرم مضى أبو خراش إليهم ومعه ابنه خراش فنزل بسيد من ساداتهم ولم يعرفه نفسه ولكنه استضافه فأنزله وأحسن قراه فلما تحرم به انتسب له وأخبره خبر أخيه وسأله معاونته حتى يشتريه منهم فوعده بذلك وغدا على القوم مع ذلك الرجل فسألهم في الأسير أن يهبوه له فما فعلوا فقال لهم فبيعونيه فقالوا أما هذا فنعم فلم يزل يساومهم حتى رضوا بما بذله لهم فدفع أبو خراش إليهم ابنه خراشا رهينة وأطلق أخاه عروة ومضيا حتى أخذ أبو خراش فكاك أخيه وعاد به إلى القوم حتى أعطاهم إياه وأخذ ابنه
فبينما أبو خراش ذات يوم في بيته إذ جاءه عبد له فقال إن أخاك عروة جاءني وأخذ شاة من غنمك فذبحها ولطمني لما منعته منها فقال له دعه فلما كان بعد أيام عاد فقال له قد أخذ أخرى فذبحها فقال دعه فلما أمسى قال له إن أخاك اجتمع مع شرب من قومه فلما انتشى جاء إلينا وأخذ ناقة من إبلك لينحرها لهم فعاجله فوثب أبو خراش إليه فوجده قد أخذ الناقة لينحرها فطردها أبو خراش فوثب أخوه عروة إليه فلطم وجهه وأخذ الناقة فعقرها وانصرف أبو خراش فلما كان من غد لامه قومه وقالوا له بئست لعمر الله المكافأة كانت منك لأخيك رهن ابنه فيك وفداك بماله ففعلت به ما فعلت
فجاء عروة يعتذر إليه فقال أبو خراش
((لَعلَّكَ نافعي يا عُروَ يوماً ... إذا جاورْتُ مَنْ تحتَ القبورِ
(أخذتَ خُفَارَتي ولطمتَ عَيْني ... وكيف تُثِيبُ بالمنِّ الكبير)
(ويومٍ قد صبَرتُ عليكَ نفسي ... لدى الأشْهَاد مُرْتَدِيَ الحرور)
(إذا ما كان كَسُّ القومِ رَوْقاً ... وحالت مقلتا الرجل البصير)
(بما يممتُه وتركْتُ بِكْرِي ... وما أطْعِمْتَ من لحم الجَزُورِ)
قال معنى قوله بكري أي بكر ولدي أي أولهم
كان بنو مرة عشرة
وقال الأصمعي وأبو عبيدة وأبو عمرو وابن الأعرابي
كان بنو مرة عشرة أبو خراش وأبو جندب وعروة والأبح والأسود وأبو الأسود وعمرو وزهير وجناد وسفيان وكانوا جميعا شعراء دهاة سراعا لا يدركون عدوا فأما الأسود بن مرة فإنه كان على ماء من داءة وهو غلام شاب فوردت عليه إبل رئاب بن ناضرة بن المؤمل من بني لحيان ورئاب شيخ كبير فرمى الأسود ضرع ناقة من الإبل فعقرها فغضب رئاب فضربه بالسيف فقتله وكان أشدهم أبو جندب فعرف خبر أخيه فغضب غضبا شديدا وأسف فاجتمعت رجال هذيل إليه يكلمونه وقالوا خذ عقل أخيك واستبق ابن عمك فلم يزالوا به حتى قال نعم اجمعوا العقل فجاؤوه به في مرة واحدة فلما أراحوه عليه صمت فطال صمته فقالوا
له أرحنا اقبضه منا فقال إني أريد أن أعتمر فاحبسوه حتى أرجع فإن هلكت فلأم ما أنتم هذه لغة هذيل يقولون إم بالكسر ولا يستعملون الضم وإن عشت فسوف ترون أمري وولى ذاهبا نحو الحرم فدعا عليه رجال من هذيل وقالوا اللهم لا ترده فخرج فقدم مكة فواعد كل خليع وفاتك في الحرم أن يأتوه يوم كذا وكذا فيصيب بهم قومه فخرج صادرا حتى أخذته الذبحة في جانب الحرم فمات قبل أن يرجع فكان ذلك خبره
خبر أخيه زهير
قالوا واما زهير بن مرة فخرج معتمرا قد جعل على جسده من لحاء الحرم حتى ورد ذات الأقير من نعمان فبينا هو يسقي إبلا له إذ ورد عليه قوم من ثمالة فقتلوه فله يقول أبو خراش وقد انبعث يغزو ثمالة ويغير عليهم حتى قتل منهم بأخيه أهل دارين أي حلتين من ثمالة
(خذوا ذلكم بالصّلْح إني رأيتكُمُ ... قتلتم زُهيرا وهو مهْدٍ ومُهْمِل)
مهد أي أهدى هديا للكعبة
ومهمل قد أهمل إبله في مراعيها
(قتلتم فتى لا يفجُرُ اللهَ عامداً ... ولا يجتويه جارُه عامَ يُمْحِل)
ولهم يقول أبو خراش
(إنّي امرؤٌ أسْألُ كيما أعلَما ... مَنْ شرُّ رهْطٍ يَشْهَدُون الموسِمَا)
((وجدتُهم ثُمالةَ بنَ أسلمَا
وكان أبو خراش إذا لقيهم في حروبه أوقع بهم ويقول
(إليك أمَّ ذِبَّان ... ما ذاكِ من حلْبِ الضّأنْ)

(لكن مَصاع الفِتيانْ ... بكل لِيْنٍ حَرّان)

خبر أخيه عروة

قال وأما عروة بن مرة وخراش بن أبي خراش فأخذهما بطنان من ثمالة يقال لهما بنو رزام وبنو بلال وكانوا متجاورين فخرج عروة بن مرة وابن أبي خراش أخيه مغيرين عليهم طمعا في أن يظفروا من أموالهم بشيء فظفر بهما الثماليون فأما بنو رزام فنهوا عن قتلهما وأبت بنو بلال إلا قتلهما حتى كاد يكون بينهم شر فألقى رجل من القوم ثوبه على خراش حين شغل القوم بقتل عروة ثم قال له انج وانحرف القوم بعد قتلهم عروة إلى الرجل وكانوا أسلموه إليه فقالوا أين خراش فقال أفلت مني فذهب فسعى القوم في أثره فأعجزهم فقال أبو خراش في ذلك يرثي أخاه عروة ويذكر خلاص ابنه

(حمدتُ إلَهي بعد عُروةَ إذ نجا ... خراشٌ وبعضُ الشر أهونُ من بعض)

(فواللّهِ لا أنسى قتيلاً رُزيته ... بجانبِ قَوْسى ما حييتُ على الأرض)

(بلى إنها تَعفو الكلومُ وإنما ... نُوكلُ بالأدْنى وإن جلَّ ما يَمضِي)

((ولم أدرِ مَن ألْقَى عليه رِداءَهُ ... سوى أنه قد سُلَّ عن ماجِدٍ محضِ

(ولم يكُ مثلوجَ الفؤادِ مهبَّلاً ... أضاع الشبابَ في الرَّبِيلَةِ والخفض)

(ولكنهُ قد نازعته مَجَاوعٌ ... على أنه ذو مرة صادق النهض)

قال ثم إن أبا خراش وأخاه عروة استنفرا حيا من هذيل يقال لهم بنو زليفة بن صبيح ليغزوا ثمالة بهم طالبين بثأر أخيهما فلما دنوا من ثمالة أصاب عروة ورد حمى وكانت به حمى الربع فجعل عروة يقول

(أصبحتُ موروداً فقرِّبوني ... إلى سواد الحيِّ يَدْفِنوني)

(إنّ زهيراً وسطَهم يَدعوني ... رَبَّ المخاض واللِّقاحِ الجُون)

فلبثوا إلى أن سكنت الحمى ثم بيتوا ثمالة فوجدوهم خلوفا ليس فيهم رجال فقتلوا من وجدوا من الرجال وساقوا النساء والذراري والأموال وجاء الصائح إلى ثمالة عشاء فلحقوهم وانهزم أبو خراش واصحابه وانقطعت بنوزليفة فنظر الأكنع الثمالي وكان مقطوع الأصبع إلى عروة فقال يا قوم ذلك والله عروة وأنا والله رام بنفسي عليه حتى يموت أحدنا وخرج يمعج نحو عروة فصلح عروة بأبي خراش أخيه أي

أبا خراش هذا والله الأكنع وهو قاتلي فقال أبو خراش أمضه وقعد له على طريقه ومر به الأكنع مصمما على عروة وهو لا يعلم بموضع أبي خراش فوثب عليه أبو خراش فضربه على حبل عاتقه حتى بلغت الضربة سحره وانهزمت ثمالة ونجا أبو خراش وعروة

وقال أبو خراش يرثي أخاه ومن قتلته ثمالة وكنانة من أهله وكان الأصمعي يفضلها

(فَقَدْتُ بني لُبْنَى فلما فقدتُهم ... صبرتُ فلم أقطعْ عليهم أبَاجِلي)

الأبجل عرق في الرجل

(رماحٌ من الخطِّيِّ زُرْقٌ نِصالُها ... حِدادٌ أعاليها شِدادُ الأسافل)

(فلَهفِي على عمرِو بن مُرَّةَ لهفةً ... ولهْفِي على مَيْتٍ بقَوسَى المعاقل)

(حِسانُ الوجوهِ طيِّبٌ حُجُزاتُهم ... كريمٌ نَثاهم غيرُ لُفٍّ مَعازلِ)

(قتلتَ قتيلاً لا يُحالِفُ غَدْرَةً ... ولا سُبَّةً لا زلتَ أسفلَ سافل)

(وقد أمِنُوني واطمأنّتْ نفوسُهم ... ولم يعلموا كلّ الذي هو داخلي)

(فمن كان يرجو الصلْحَ مِنِّي فإنه ... كأحمرِ عادٍ أو كُلَيْبِ بن وائل)

(أصبحتْ هُذيلٌ بابنِ لُبْنَى وجُدِّعت ... أنوفُهمُ باللَّوْذعيِّ الحُلاَحِلِ)

((رأيتُ بني العَلاَّتِ لما تضافروا ... يَحوزون سهْمِي دونَهم بالشّمائل

أخبار سائر اخوته

قالوا وأما أبو الأسود فقتلته فهم بياتا تحت الليل وأما الأبح فكان شاعرا فأمسى بدار بعرعر من ضيم فذكر لسارية بن زنيم العبدي أحد بني عبد بن عدي ابن الديل فخرج بقوم من عشيرته يريده ومن معه فوجدوهم قد ظعنوا

وكان بين بني عبد بن عدي بن الديل وبينهم حرب فقال الأبح في ذلك

(لعمرُكَ ساريَ بْنَ أبي زُنَيْمٍ ... لأنتَ بعرْعَرَ الثأرُ المنيمُ)

(تركتَ بني معاويةَ بن صخرٍ ... وأنت بمربعٍ وهُم بضِيمِ)

(تُساقيهمْ على رَصَفٍ وظُرٍّ ... كدابغةٍ وقد حَلِم الأديمُ)

رصف وظر ماءان ومربع وضيم موضعان

(فلم نتركهُمُ قصداً ولكنْ ... فرقْتَ من المصاليتِ كالنّجوم)

(رأيتَهُم فوارسَ غيرَ عُزْلٍ ... إذا شَرِقَ المُقاتِلُ بالكُلومِ)

فأجابه سارية قال

((لعلك يا أبَحُّ حسِبْتَ أنّي ... قتلتُ الأسودَ الحسَنَ الكريمَا

(أخذتُمْ عقلَه وتركتُموه ... يسوقُ الظُّمْيَ وسْطَ بني تميمَا)

عيرهم بأخذ دية الأسود بن مرة أخيهم وأنهم لم يدركوا بثأره وبنو تميم من هذيل

قالوا وأما جنادة وسفيان فماتا وقتل عمرو ولم يسم قاتله

قالوا وأمهم جميعا لبنى إلا سفيان بن مرة فإن أمه أم عمرو القردية وكان أيسر القوم وأكثرهم مالا

وقال أبو عمرو وغزا أبو خراش فهما فأصاب منهم عجوزا وأتى بها منزل قومه فدفعها إلى شيخ منهم وقال احتفظ بها حتى آتيك وانطلق لحاجته فأدخلته بيتا صغيرا وأغلقت عليه وانطلقت فجاء أبو خراش وقد ذهبت فقال

(سَدَّتْ عليه دَوْلَجاً ثم يَمَّمَت ... بني فالجٍ بالليث أهلَ الخزائم)

الدولج بيت صغير يكون للبهم والليث ماء لهم والخزائم البقر واحدتها خزومة

(وقالت له دَنِّخْ مكانَكَ إنني ... سألقاك إن وافيتَ أهلَ المواسم)

يقال دنخ الرجل ودمخ إذا أكب على وجهه ويديه

وقال أبو عمرو دخلت أميمة امرأة عروة بن مرة على أبي خراش وهو يلاعب ابنه فقالت له يا أبا خراش تناسيت عروة وتركت الطلب بثأره ولهوت مع ابنك أما والله لو كنت المقتول ما غفل عنك ولطلب قاتلك حتى يقتله فبكى أبو خراش

وأنشأ يقول
(لعمري لقد راعتْ أُميمةَ طلعَتِي ... وإنّ ثَوَائي عندها لقليلُ
(وقالت : أُراه بعد عُرْوة لاهِياً ... وذلك رُزْءٌ لو علمْت جليلُ)
(فلا تحسبي أني تناسيْتُ فقْدَهُ ... ولكنّ صبري يا أُميم جميلُ)
(ألم تعلمِي أنْ قدْ تفرّق قبلَنَا ... نديما صفاءٍ مالكٌ وعَقيلُ)
(أبى الصبر أنّى لا يزال يَهيجُنِي ... مبيتٌ لنا فيما خلا ومقيلُ)
(وأني إذا ما الصبحُ آنسْتُ ضوءه ... يعاودني قُطْعٌ عليّ ثقيلُ)
قال أبو عمرو فأما أبو جندب أخو أبي خراش فإنه كان جاور بني نفاثة ابن عدي بن الديل حينا من الدهر ثم إنهم هموا بأن يغدروا به وكانت له إبل كثيرة فيها أخوه جنادة فراح عليه أخوه جنادة ذات ليلة وإذا به كلوم فقال له أبو جندب حتى أتى جيرانه من بني نفاثة فقال لهم يا قوم ما هذا الجوار لقد كنت أرجو من جواركم خيرا من هذا أيتجاور أهل الأعراض بمثل هذا
فقالوا أو لم يكن بنو لحيان يقتلوننا فو الله ما قرت دماؤنا وما زالت تغلي والله إنك للثأر المنيم فقال أما إنه لم يصب أخي إلا خير ولكنما هذه معاتبة لكم وفطن للذي يريد القوم من الغدر به وكان بأسفل دفاق فأصبحوا ظاعنين وتواعدوا ماء ظر فنفذ الرجال إلى الماء وأخروا
النساء لأن يتبعنهم إذا نزلوا واتخذوا لحياض للإبل فأمر أبو جندب أخاه جنادة وقال له اسرح مع نعم القوم
ثم توقف وتأخر حتى تمر عليك النعم كلها وأنت في آخرها سارح بإبلك واتركها متفرقة في المرعى فإذا غابوا عنك فاجمع إبلك واطردها نحو أرضنا وموعدك نجد ألوذثنية في طريق بلاده وقال لامرأته أم زنباع وهي من بني كلب بن عوف اظعني وتمكثي حتى تخرج آخر ظعينة من النساء
ثم توجهي فموعدك ثنية يدعان من جانب النخلة وأخذ أبو جندب دلوه ورده مع الرجال فاتخذ القوم الحياض واتخذ أبو جندب حوضا فملأه ماء ثم قعد عنده فمرت به إبل ثم إبل فكلما وردت إبل سأل عن إبله فيقولون قد بلغت تركناها بالضجن ثم قدمت النساء كلما قدمت ظعينة سألها عن أهله فيقولون بلغتك تركناها تظعن حتى إذا ورد آخر النعم أتخر الظعن قال والله لقد حبس أهلي حابس أبصر يا فلان حتى أستأنس أهلي وإبلي وطرح دلوه على الحوض
ثم ولى حتى أدرك القوم بحيث وعدهم فقال أبو جندب في ذلك
(أقول لأُمِّ زنْبَاعٍ أقِيمي ... صُدورَ العِيسِ شطرَ بني تميم)
(وغَرّبْتُ الدُّعاءَ وأيْنَ منّي ... أُناسٌ بين مرَّ وذي يدومِ)
غربت الدعاء دعوت من بعيد
(وحَيٍّ بالمناقب قد حمَوْها ... لدى قُرَّانَ حتى بطنِ ضِيمِ)
(وأحياءٍ لدى سعْدِ بن بكر ... بأملاحِ فظاهرةِ الأديم
(أُولئِكَ معشري وهُمُ أرومي ... وبعضُ القومِ ليس بذي أُروم)
(هنالِكَ لو دَعَوْت أتاك منهم ... رجالٌ مثل أرمِيةِ الحميمِ)
الأرمية السحاب الشديد الوقع واحدها رمي والحميم مطر القيظ
(أقلَّ اللهُ خَيْرَهُم ألمَّا ... يَدَعْهُم بعضُ شرّهُم القديم)
(ألمَّا يَسلِم الجيرانُ منهم ... وقد سال الفِجاج من الغميم)
(غداةَ كأنَّ جنَّادَ بن لُبنى ... به نضخُ العبيرِ من الكُلوم)
(دعى حَوْلي نفاثةَ ثم قالوا ... لعلك لستَ بالثّأر المنيمِ)
المنيم الذي إذا أدرك استراح أهله وناموا
(نعوْا مَنْ قَتَّلَتْ لِحَيانُ منهم ... ومن يغترُّ بالْحرب القرومِ)
قالوا جميعا وكان أبو جندب ذا شر وبأس وكان قومه يسمونه المشؤوم فاشتكى شكوى شديدة وكان له جار من خزاعة يقال له حاطم فوقعت به بنو لحيان فقتلوه قبل أن يستبل أبو جندب من مرضه واستاقوا أمواله وقتلوا امرأته وقد كان أبو جندب كلم قومه فجمعوا لجاره غنما فلما أفاق أبو جندب من مرضه خرج من أهله حتى قدم مكة ثم جاء يمشي حتى استلم الركن وقد شق ثوبه عن استه فعرف الناس أنه يريد شرا فجعل يصيح ويقول
(إنّي امرؤ أبكي على جاريَّهْ ... أبكِي على الكعبيِّ والكعبيَّهْ)
(ولو هَلكتُ بَكَيا عليَّهْ ... كَانا مكَان الثوب من حَقْوَيَّهْ)
فلما فرغ من طوافه وقضى حاجته من مكة خرج في الخلعاء من بكر وخزاعة فاستجاشهم على بني لحيان فقتل منهم قتلى وسبى من نسائهم وذراريهم سبايا وقال في ذلك
(لقد أمسى بنو لِحْيان مني ... بحمدِ اللهِ في خِزْيٍ مُبين)
(تركتهمُ على الرَّكَباتِ صُعْراً ... يُشِيبُون الذوائب بالأنين)
يشكو إلى عمر شوقه إلى ابنه
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي قال حدثني عمي قال
هاجر خراش بن أبي خراش الهذلي في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغزا مع المسلمين فأوغل في أرض العدو فقدم أبو خراش المدينة فجلس بين يدي عمر وشكا إليه شوقه إلى ابنه وأنه رجل قد انقرض أهله وقتل إخوته ولم يبق له ناصر ولا معين غير ابنه خراش وقد غزا وتركه وأنشأ يقول
(ألا من مُبلغٌ عني خِراشاً ... وقد يأتيك بالنّبأ البعيدُ)
(وقد يأتيكَ بالأخبار منْ لا ... تُجَهِّزُ بالحِذاء ولا تُزيدُ)
تزيد وتزود واحد من الزاد
(يُناديه ليَغْبِقَه كَلِيبٌ ... ولا يأتي لقد سَفُه الوليدُ)
(فردَّ إناءَه لا شيءَ فيه ... كأنّ دموعَ عينيه الفَرِيد)
(وأصبحَ دون عابقِه وأمسى ... جبالٌ من حِرارِ الشام سُود)
(ألا فاعلم خِراشُ بأنّ خيرَ المهاجر ... بعد هجرته زهيد)

(رأيتكَ وابتغاءَ البِرِّدوني ... كمحصور اللِّبان ولا يصيد)
قال فكتب عمر رضي الله عنه بأن يقبل خراش إلى أبيه وألا يغزو من كان له أب شيخ إلا بعد أن يأذن له
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا الأصمعي
وأخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح عن ابن الكلبي عن أبيه
وأخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ قال أبو عبيدة
وأخبرني أيضا هاشم قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي
عن عمه وذكره أبو سعيد السكري في رواية الأخفش عنه عن أصحابه قالوا جميعا
أسلم أبو خراش فحسن إسلامه ثم أتاه نفر من أهل اليمن قدموا حجاجا فنزلوا بأبي خراش والماء منهم غير بعيد فقال يا بني عمي ما أمسى عندنا ماء ولكن هذه شاة وبرمة وقربة فردوا الماء وكلوا شاتكم ثم دعوا برمتنا وقربتنا على الماء حتى نأخذها قالوا والله ما نحن بسائرين في ليلتنا هذه وما نحن ببارحين حيث أمسينا فلما رأى ذلك أبو خراش أخذ قربته وسعى نحو الماء تحت الليل حتى استقى ثم أقبل صادرا فنهشته حية قبل أن يصل إليهم فأقبل مسرعا حتى أعطاهم الماء وقال اطبخوا شاتكم وكلوا ولم يعلمهم بما أصابه فباتوا على شاتهم يأكلون حتى أصبحوا وأصبح أبو خراش في الموت فلم يبرحوا حتى دفنوه وقال وهو يعالج الموت
(لعمرُكَ والمنايا غالباتٌ ... على الإنسان تطلُع كلَّ نجدِ)
(لقد أهلكْتِ حيّةَ بطنِ أنفٍ ... على الأصحاب ساقاً ذاتَ فقد)
وقال أيضا
(لقد أهلكتِ حيةَ بطنِ أنفٍ ... على الأصحاب ساقاً ذاتَ فضل)
(فما تركتْ عدوًّا بين بُصْرَى ... إلى صنعاءَ يطلبُهُ بذَحْل)
قال فبلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه خبره فغضب غضبا شديدا وقال لولا أن تكون سبة لأمرت ألا يضاف يمان أبدا ولكتبت بذلك إلى الآفاق
إن الرجل ليضيف أحدهم فيبذل مجهوده فيسخطه ولا يقبله منه ويطالبه بما لا يقدر عليه كأنه يطالبه بدين أو يتعنته ليفضحه فهو يكلفه التكاليف حتى أهلك ذلك من فعلهم رجلا مسلما وقتله ثم كتب إلى عامله باليمن بأن يأخذ النفر الذين نزلوا بأبي خراش فيغرمهم ديته ويؤدبهم بعد ذلك بعقوبة تمسهم جزاء لأعمالهم
صوت
(تهيمُ بها لا الدهرُ فانٍ ولا المنى ... سواها ولا يُنسيك نَأْيٌ ولا شُغلُ)
(كبيضةِ أُدحيٍّ بِميثِ خميلةٍ ... يحفُّها جَوْنٌ بجؤجؤه صَعْلُ)
الشعر لعبد الرحمن بن مسافع بن دارة والغناء لابن محرز ثقيل أول بالوسطى عن ابن المكي

أخبار ابن دارة ونسبه

هو عبد الرحمن بن مسافع بن دارة وقيل بل هو عبد الرحمن بن ربعي بن مسافع بن دارة وأخوه مسافع بن دارة وكلاهما شاعر وفي شعريهماجميعا غناء يذكرها هنا وأخوهما سالم بن مسافع بن دارة شاعر أيضا وفي بعض شعره غناء يذكر بعد أخبار هذين
فأما سالم فمخضرم قد أدرك الجاهلية والإسلام
وأما هذان فمن شعراء الإسلام ودارة لقب غلب على جدهم ومسافع أبوهم وهو ابن شريح بن يربوع الملقب بدارة بن كعب بن عدي بن جشم بن عوف بن بهثة بن عبد الله بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر
وهذا الشعر يقوله عبد الرحمن في حبس السمهري العكلي اللص وقتله وكان نديما له وأخا

هجا بني أسد وحرض عكلا عليهم

أخبرني بخبره هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال
لما أخذ السمهري العكلي وحبس وقتل وكانت بنو أسد أخذته وبعثت به إلى السلطان وكان نديما لعبد الرحمن بن مسافع بن دارة فقتل بعد طول حبس فقال عبد الرحمن بن مسافع يهجو بني أسد ويحرض عليهم عكلا
صوت
(إن يُمْسِ بالعينين سُقْمٌ فقد أتى ... لعينيكَ من طول البكاء على جُمْلِ)
(تهيمُ بها لا الدهرُ فانٍ ولا المني ... سواها ولا تَسْلى بنأيٍ ولا شُغلِ)
(كبيضة أُدحيٍّ بمَيْثِ خميلةٍ ... يُحَفِّفُها جَوْن بجؤجؤه الصَّعل)
(وما الشمسُ تبدو يومَ غيمٍ فأشرقَتْ ... على الشّامة العنقاء فالنِّير فالذبل)
(بدا حَاجبٌ منهَا وضَنَّتْ بحَاجب ... بأحسن منها يوم زالت على الحمْلِ)
(يقولون إزْلٌ حُبُّ جُمْلٍ وقُرْبُها ... وقد كذبوا ما في المودة من إزْلِ)
(إذا شحطتْ عنّي وجدتُ حرارة ... على كبدي كادت بها كمَداً تغلي)
(ولم أرَ محزونَين أجملَ لوعةً ... علي نَائبات الدهر منِي ومن جُمل)
(كلانا يذود النفسَ وهي حزينة ... ويضمر وجداً كَالنوافذ بالنبل)
(وإني لمُبلِي اليأسِ من حُبِّ غيرها ... فأمَّا على جُمْلٍ فإنيَ لا أُبلي)
(وإنّ شفاء النفس لو تُسْعِفُ المنى ... ذواتُ الثنايا الغُرُّ والحدَق النُّجل)
(أولئك إن يَمْنَعْنَ فالمنعُ شِيمةٌ ... لهنَّ وإنْ يُعْطِينَ يُحْمدن بالبذلِ)
(سأمسِكُ بالوصل الذي كان بيننا ... وهل تركَ الواشون والنأيُ من وصل)
((ألا سَقِّيَانِي قهوةً فارسيّةً ... من الأوّل المختوم ليست من الفضل
(تُنسّي ذوي الأحلامِ واللبِّ حلمَهم ... إذا أزبدت في دَنِّهَا زَبدَ الفحل)
(ويا راكباً إمَّا عرضت فبلِّغَنْ ... عَلَى نأيهم مني القبائلَ من عُكل)
(بأنّ الذي أمست تجمجم فقعَسٌ ... إسارٌ بلا أسْرٍ وقتلٌ بلا قتل)
(وكيف تنام الليلَ عكلٌ ولم تنَل ... رضَى قَوَدٍ بالسمْهريِّ ولا عقل)
(فلا صلحَ حتى تَنْحِط الخيلُ في القنا ... وتوقدَ نارُ الحرب بالحطب الجزل)

(وَجُرْدٍ تَعادَى بالكماة كأنها ... تُلاحِظ من غيظٍ بأعينها القُبْل)
(عليها رجال جالدوا يوم مَنْعِجٍ ... ذوي التاج ضَرَّابو الملوكِ على الوَهل)
(بضربٍ يُزيل الهامَ عن مستقرِّه ... وطعنٍ كأفواه المفرَّجة الهُدْل)
(علامَ تُمشّي فقعسٌ بدمائكم ... وما هي بالفَرْعِ المُنيفِ ولا الأصل)
(وكنّا حسِبنا فقعساً قبل هذه ... أذلَّ على وقع الهوان من النَّعْل)
(فقد نظرْت نحو السماءِ وسلّمَت ... على الناس واعتاضت بخِصْبٍ من المحل)
(رمى اللّه في أكبادكم أن نجت بها ... شِعابُ القِنان من ضعيفٍ ومن وَغْل)
((وإن أنتُم تثأروا بأخيكم ... فكونوا نِساءً للخَلوق وللكُحْل
(وبيعوا الرّدينياتِ بالحَلْيِ واقْعدُوا ... على الذلّ وابتاعوا المغازل بالنّبل)
(ألا حبّذا من عندَهُ القلبُ في كَبْلٍ ... ومَنْ حُبّه داءٌ وخَبْلٌ من الخبل)
(ومَن هو لا يَنسَى ومَنْ كلُّ قَولِه ... لدينا كطعم الراح أو كجَنَى النّحل)
(ومن إن نأى لم يحدث النأيُ بغْضَه ... ومن إن دنا في الدار أُرْصِدَ بالبَذْلِ)
وأما خبر السمهري ومقتله فإن علي بن سليمان الأخفش أخبرني به قال حدثنا أبو سعيد السكري قال حدثنا محمد)
بن حبيب عن أبي عمرو الشيباني قال
خبر مصرع السمهري
لقي السمهري بن بشر بن أقيش بن مالك بن الحارث بن أقيش العكلي ويكنى أبا الديل هو وبهدل ومروان بن قرفة الطائيان عون بن جعدة بن هبيرة ابن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ومعه خاله أحد بني حارثة بن لأم من طيء بالثعلبية وهو يريد الحج من الكوفة أو يريد المدينة وزعم آخرون أنهم لقوه بين نخل والمدينة فقالوا له العراضة أي مر لنا بشيء فقال يا غلام جفن لهم فقالوا لا والله ما الطعام نريد فقال عرضهم فقالوا ولا ذلك نريد فارتاب بهم فأخذ السيف فشد عليهم وهو صائم وكان بهدل لا
يسقط له سهم فرمى عونا فأقصده فلما قتلوه ندموا فهربوا ولم يأخذوا إبله فتفرقت إبله ونجا خاله الطائي إما عرفوه فكفوا عن قتله وإما هرب ولم يعرف القتلة فوجد بعض إبله في يدي شافع بن واتر الأسدي
وبلغ عبد الملك بن مروان الخبر فكتب إلى الحجاج بن يوسف وهو عامله على العراق وإلى هشام بن إسماعيل وهو عامله على المدينة والى عامل اليمامة أن يطلبوا قتله عون ويبالغوا في ذلك وأن يأخذوا السعادة به أشد أخذ ويجعلوا لمن دل عليهم جعله وانشام السمهري في بلاد غطفان ما شاء الله
ثم مر بنخل فقالت عجوز من بني فزارة أظن والله هذا العكلي الذي قتل عونا فوثبوا عليه فأخذوه ومر أيوب بن سلمة المخزومي بهم فقالت له بنو فزارة هذا العكلي قاتل عون ابن عمك فأخذه منهم فأتى به هشام ابن إسماعيل المخزومي عامل عبد الملك على المدينة فجحد وأبى أن يقر فرفعه إلى السجن فحبسه
وزعم آخرون أن بني عذرة أخذوه فلما عرفت إبل عون في يدي شافع ابن واتر اتهموه بقتله فأخذوه وقالوا أنت قرفتنا قتلت عونا وحبسوه بصل ماء لبني أسد وجحد وقد كان عرف من قتله إما أن يكون كان معهم فورى عنهم وبرأ نفسه وإما أن يكون أودعوها إياه أو باعوها منه فقال شافع
(فإن سرَّكم أن تعلموا أين ثأرُكم ... فسلمَي معانٌ وابن قرفة ظالمُ)
((وفي السجن عُكْلِيٌّ شَريك لبهدل ... فولّوا ذُبابَ السّيف من هو حازم
(فواللّه ما كنا جُناةً ولا بنا ... تأوّب عونا حتفُه وهو صائم)
فعرفوا من قتله فألحوا على بهدل في الطلب وضيقوا على السمهري في القيود والسجن وجحد فلما كان ذلك من إلحاحهم على السمهري أيقنت نفسه أنه غير ناج فجعل يلتمس الخروج من السجن فلما كان يوم الجمعة والإمام يخطب وقد شغل الناس بالصلاة فك إحدى حلفتي قيده ورمى بنفسه من فوق السجن والناس في صلاتهم فقصد نحو الحرة فولج غارا من الحرة وانصرف الإمام من الصلاة فخاف أهل المدينة عامتهم أتباعه وغلقوا أبوابهم وقال لهم الأمير اتبعوه فقالوا وكيف نتبعه وحدنا فقال لهم أنتم ألفا رجل فكيف تكونون وحدكم فقالوا أرسل معنا الأبليين وهم حرس وأعوان من أهل الأبلة فأعجزهم الطلب فلما أمسى كسر الحلقة الأخرى ثم همس ليلته طلقا فأصبح وقد قطع أرضا بعيدة فبينا هو يمضي إذ نعب غراب عن شماله فتطير فإذا الغراب على شجرة بان ينشنش ريشه ويلقيه فاعتاف شيئا في نفسه فمضى وفيها ما فيها فإذا هو قد لقي راعيا في وجهه ذلك فسأله من أنت قال رجل من لهب من أزد شنوءة أنتجع أهلي فقال له هل عندك شيء من زجر قومك فقال إني لآنس من ذلك شيئا أي لأبصر فقص عليه حاله غير أنه ورى
الذنب على غيره والعيافة وخبره عن الغراب والشجرة فقال اللهبي هذا الذي فعل ما فعل ورأى الغراب على البانة يطرح ريشه سيصلب فقال السمهري بفيك الحجر فقال اللهبي بل بفيك الحجر استخبرتني فأخبرتك ثم تغضب
ثم مضى حتى اغترز في بلاد قضاعة وترك بلاد غطفان وذكر بعض الرواة أنه توقف يومه وليلته فيما يعمله وهل يعود من حيث جاء ثم سار حتى أتى أرض عذرة بن سعد يستجير القوم فجاء إلى القوم متنكرا ويستحلب الرعيان اللبن فيحلبون له ولقيه عبد الله الأحدب السعدي أحد بني مخزوم من بني عبد شمس وكان أشد منه وألص فجنى جناية فطلب فترك بلاد تميم ولحق ببلاد قضاعة وهو على نجيبة لا تساير فبينا السمهري يماشي راعيا لبني عذرة ويحدثه عن خيار إبلهم ويسأله السمهري عن ذلك وإنما يسأله عن أنجاههن ليركبها فيهرب بها لئلا يفارق الأحدب أشار له إلى ناقة فقال السمهري هذه خير من التي تفضلها هذه لا تجارى فتحين الغفلة فلما غفل وثب عليها ثم صاح بها فخرجت تطير به وذلك في آخر الليل فلما أصبحوا فقدوها وفقدوه فطلبوه في الأثر
وخرجا حتى إذا كان حجر عن يسارهما وهو واد في جبل أو شبه الثقب فيه استقبلتهما سعة هي أوسع من الطريق فظنا أن الطريق فيها فسارا مليا فيها ولا نجم يأتمان به فلما عرفا أنهما حائدان والتفت عليهما الجبال أمامهما وجد الطلب إثر بعيريهما ورأوه وقد سلك الثقب في غير طريق عرفوا أنه سيرجع فقعدوا له بفم الثقب ثم كرا راجعين وجاءت الناقة وعلى رأسها مثل الكوكب من لغامها فلما أبصر القوم هم أن يعقر ناقتهم فقال له الأحدب ما هذا جزاؤها
فنزل ونزل الأحدب فقاتلهما القوم حتى كادوا
يغشون السمهري فهتف بالأحدب فطرد عنه القوم حتى توقلا في الجبل وفي ذلك يقول السمهري يعتذر من ضلاله

متفرقات من شعر السمهري
وما كنت محيارا ولا فزع السرى ... ولكنِ حذا حجر بغير دليل) وقال الأحدب في ذلك)
(لمّا دعاني السمهريُّ أجبتُه ... بأبيضَ من ماء الحديدِ صقيلِ)
(وما كنتُ ما اشتدّتْ على السيفِ قبضتي ... لأُسْلِمَ من حُبِّ الحياة زميلي)
وقال السمهري أيضاً
(نجوتُ ونفسِي عند ليلي رهينة ... وقد غَمّني داجٍ من الليل دامسُ)
(وغامستُ عن نفسي بأخلَقَ مِقصلٍ ... ولا خيرَ في نفس امرئٍ لاتُغَامِس)
(ولو أنّ ليلَى أبصرتنِي غدوة ... ومَطْوايَ والصفُّ الذين أُمارس)
(إذاً لبكت ليلَى عليّ وأعولت ... وما نالت الثوبَ الذي أنا لابس)
فرجع إلى صحراء منعج وهي إلى جنب أضاخ والحلة قريب منها وفيها منازل عكل فكان يتردد ولا يقرب الحلة وقد كان أكثر الجعل فيه فمر بابني فائد بن حبيب من بني أسد ثم من بني فقعس فقال أجيرا متنكرا فحلبا له فشرب ومضى لا يعرفانه وذهبا ثم لبث السمهري ساعة وكر راجعا فتحدث إلى أخت ابني فائد فوجداه منبطحا على بطنه يحدثها فنظر أحدهما إلى ساقه مكدحة وإذا كدوح طرية فأخبر أخاه بذلك فنظر فرأى ما أخبره أخوه فارتابا به فقال أحدهما هذا والله السمهري الذي جعل فيه ما جعل فاتفقا على مضابرته فوثبا عليه فقعد أحدهما على ظهره وأخذ الآخر برجليه فوثب السمهري فألقى الذي على ظهره وقال أتلعبان وقد ضبط رأس الذي كان على ظهره تحت إبطه وعالجه الآخر فجعل رأسه تحت إبطه أيضا وجعلا يعالجانه فناديا أختهما أن تعينهما فقالت ألي الشرك في جعلكما قالا نعم فجاءت بجرير فجعلته في عنقه بأنشوطة ثم جذبته وهو مشغول بالرجلين يمنعهما فلما استحكمت العقدة وراحت من علابيه خلى عنهما وشد أحدهما فجاء بصرار فألقاه في رجله وهو يداور الآخر والأخرى تخنقه فخر لوجهه فربطاه ثم انطلقا به إلى عثمان بن حيان المري وهو في إمارته على المدينة فأخذا ما جعل لأخذه فكتب فيه إلى الخليفة فكتب أن ادفعه إلى ابن أخي عون عدي فدفع إليه فقال السمهري أتقتلني وأنت لا تدري أقاتل عمك أنا أم لا ادن أخبرك فأراد الدنو منه فنودي إياك والكلب وإنما أراد أن يقطع أنفه فقتله بعمه ولما حبسه ابن حيان في السجن تذكر زجر اللهبي وصدقة فقال
(ألا أيّها البيتُ الذي أنا هاجِرُه ... فلا البيتُ منسيٌّ ولا أنا زائِرُهْ)
(ألا طرقت ليلَى وساقي رهينةٌ ... بأشهبَ مشدودٍ عليّ مَسامرُه)
(فإن أنجُ يا ليلى فربّ فتىً نجا ... وإن تَكنِ الأخرى فشيءٌ أحاذره)
((وما أصْدَق الطيْر التي برحت لنا ... وما أعيفَ اللّهبيّ لا عزَّ ناصرُه
(رأيتُ غُرابا ساقطا فوق بانة ... ينشنشُ أعلى ريشه ويُطايره)
(فقال غرابٌ باغترابٍ من النوى ... وبانٌ بِبيْنٍ من حبيبٍ تُحاذره)
(فكان اغترابٌ بالغراب ونيةٌ ... وبالبان بَيْنٌ بَيِّنٌ لك طائِرُه)
وقال السمهري في الحبس يحرض أخاه مالكا على ابني فائد
(فمن مُبلغٌ عنّي خليليَ مالكاً ... رسالةَ مشدود الوَثَاق غريبِ)
(ومن مبلغْ حَزْماً وتَيْماً ومالكاً ... وأربابَ حامِي الحفر رهطِ شبيبِ)
(ليُبْكوا التي قالت بصحراء مَنْعِجٍ ... لِيَ الشِّركُ يا بني فائدِ بن حبيب)
(أتضرب في لحمي بسهمٍ ولم يكن ... لها في سهام المسلمين نَصِيبُ)
وقال السمهري يرقق بني أسد
(تمنّتْ سُليمى أن أقِيلَ بأرضها ... وأنّى لسَلْمَى وَيْبَهَا ما تَمَنَّتِ)
(ألا ليتَ شعري هل أزورنَّ ساجِراً ... وقد رَوِيَت ماءَ الغوادي وعلّت)
(بني أسد هل فيكمُ من هَوادةٍ ... فَتَغْفِرَ إن كانتْ بي النعل زَلَّتِ)
وبنو تميم تزعم أن البيت لمرة بن محكان السعدي
وقال السمهري في الحبس يذم قومه
(لقد جمع الحدّادُ بين عِصابة ... تسائلُ في الأقياد ماذا ذُنوبُها)
(بمنزلة أمّا اللئيمُ فشامِتٌ ... بها وكِرامُ القوم بادٍ شحوبُها)
(إذا حَرَسِيٌّ قَعقعَ البابَ أُرْعِدَتْ ... فرائصُ أقوامٍ وطارت قلوبُها)
(ألا ليتني من غير عُكْلٍ قبيلتي ... ولم أدرِ ما شُبّانُ عُكلٍ وشِيبُها)
(قبيلة مَنْ لا يقرع البابَ وفدُها ... لخيرٍ ولا يَهْدي الصوابَ خطيبُها)
(نرى البابَ لا نَسطيع شيئا وراءه ... كأنّا قُنِيٌّ أسلَمَتْها كُعوبُها)
(وإن تكُ عُكلٌ سرَّها ما أصابني ... فقد كنتُ مصبوباً على ما يَريبها)
وقال السمهري أيضا في الحبس
(ألا حيِّ ليلَى إذ ألَمَّ لِمامُها ... وكان مع القوم الأعادِي كلامُها)
(تعلَّلْ بليلَى إنما أنتَ هامَةٌ ... من الغد يدنو كلَّ يومٍ حِمامُها)
(وبادِرْ بليلَى أوجهَ الركب إنهم ... متى يرجعوا يَحْرمْ عليك كلامها)
(وكيف ترجِّيها وقد حِيلَ دونها ... وأقسم أقوامٌ مَخوفٌ قِسَامُها)
(لأجْتَنِبَنْها أو لَيَبْتَدِرُنَّني ... ببيضٍ عليها الأثْرُ فعمٌ كلامُها)
(لقد طرقتْ ليلَى ورجْلِي رهينةٌ ... فما راعني في السجن إلا لِمامها)
(فلمّا انتبهتُ للخيال الذي سرى ... إذا الأرضُ قفرٌ قد علاها قَتامُها)
((فإلاّ تكنِ ليلَى طَوَتْك فإنه ... شبيهٌ بليلى حُسنُها وقوامُها
(ألا ليتنَا نَحْيا جميعاً بغِبْطَةٍ ... وتَبلى عظامِي حين تبلى عِظامُها)
وقال أيضا
(ألا طرقتْ ليلَى وساقِي رَهينةٌ ... بأسمَرَ مشدودٍ عليّ ثقيلُ)
(فما البينُ يا سلْمى بأن تَشْحَطَ النّوى ... ولكنّ بيناً ما يُريد عقيلُ)

(فإن أنجُ منها أَنْجُ من ذي عظيمةٍ ... وإن تكن الأخرى فتلك سبيلُ)
وقال أيضا وهو طريد
(فلا تيأسَا من رحمةِ اللهِ وانظُرا ... بوادي جَبُونَا أن تَهُبَّ شَمال)
(ولا تيأسا أن تُرْزَقا أريحيَّةً ... كعِينِ المها أعناقُهنّ طِوال)
(من الحارثِيِّينَ الذين دِماؤهم ... حرامٌ وأما مالُهُم فحلال)
وقال أيضا
(ألم ترَ أنّي وابنَ أبيضَ قد جفت ... بنا الأرضُ إلا أنْ نَؤمَّ الفَيافيا)
(طَريدَيْنِ من حيَّيْنِ شتى أشَدَّنا ... مخافَتُنا حتى تخالُنا التّصافيا)
(وما لُمْتُه في أمرِ حَزمٍ ونجدةٍ ... ولا لامني في مِرَّتِي واحتياليا)
((وقلتُ له إذْ حلَّ يسقي ويَستَقي ... وقد كان ضوءُ الصبح لِلَّيْلِ حاديا
(لعمري لقد لاقت ركابُك مشْرَباً ... لئنْ هِيَ لم تَصْبَحْ عليهنَّ عاليا)
وأخذت طيء ببهدل ومروان أخيه أشد الأخذ وحبسوا فقالوا إن حبسنا لم نقدر عليهما ونحن محبوسون ولكن خلوا عنا حتى نتجسس عنهما فنأتيكم بهما وكانا تأبدا مع الوحش يرميان الصيد فهو رزقهما
ولما طال ذلك على مروان هبط إلى راع فتحدث إليه فسقاه وبسطه حتى اطمأن إليه ولم يشعره أنه يعرفه فجعل يأتيه بين الأيام فلا ينكره فانطلق الراعي فأخبره باختلافه إليه فجاء معه الطلب وأكمنهم حتى إذا جاء مروان إلى الراعي كما كان يفعل سقاه وحدثه فلم يشعر حتى أطافوا به فأخذوه وأتوا به عثمان بن حيان أيضا عامل الوليد بن عبد الملك على المدينة فأعطى الذي دل عليه جعله وقتله
نهاية بهدل
وأما بهدل فكان يأوي إلى هضبة سلمى فبلغ ذلك سيدا من سلمى من طيء فقال قد أخيفت طيء وشردت من السهل من أجل هذا الفاسق الهارب فجاء حتى حل بأهله أسفل تلك الهضبة ومعه أهلات من قومه فقال لهم إنكم بعيني الخبيث فإذا كان النهار فليخرج الرجال من البيوت وليخلوا النساء فإنه إذا رأى ذلك انحدر إلى القباب وطلب الحاجة والعل فكانوا يخلون الرجال نهارا فإذا أظلموا ثابوا إلى رحالهم أياما فظن بهدل أنهم يفعلون ذلك لشغل يأتيهم فانحدر إلى قبة السيد وقد أمر النساء إن
انحدر إليكن رجل فإنه ابن عمكن فأطعمنه وادهن رأسه
وفي قبة السيد ابنتان له فسألهما من أنتما فأخبرتاه وأطعمتاه ثم انصرف فلما راح أبوهما أخبرتاه فقال أحسنتما إلى ابن عمكما فجعل ينحدر اليهما حتى اطمأن وغسلتا رأسه وفلتاه ودهنتاه فقال الشيخ لابنتيه أفلياه ولا تدهناه إذا أتاكما هذه المرة واعقدا خصل لمته إذا نعس رويدا بخمل القطيفة
ثم إذا شددنا عليه فاقلبا القطيفة على وجهه وخذا أنتما بشعره من ورائه فمدا به إليكما ففعلتا واجتمع له أصحابه فكروا إلى رحالهم قبل الوقت الذي كانوا يأتونها وشدوا عليه فربطوه فدفعوه إلى عثمان بن حيان فقتله فقالت بنت بهدل ترثيه
(فيَا ضَيْعَةَ الفِتيانِ إذ يَعتِلونه ... ببطنِ الشَّرى مثل الفنيق المسدّمِ)
(دعَا دعوة لما أتى أرضَ مالك ... ومن لا يُجبْ عند الحفيظة يُسلِمِ)
(أما كان في قيسٍ من ابن حفيظة ... من القوم طَلاَّبِ التِّرات غَشَمْشَم)
(فيقتُل جَبراً بامرئٍ لم يكن به ... بواءً ولكنْ لا تكايُلَ بالدم)
وكان دعا يا لمالك لينتزعوه فلم يجبه أحد
تساجل هو والكميت بن معروف
قال ولما قال عبد الرحمن بن دارة ابن عم سالم بن دارة هذه القصيدة
يحض عكلا على بني فقعس اعترض الكميت بن معروف الفقعسي فعيره بقتل سالم حين قتله زميل الفزاري فقال قوله
(فلا تُكثِروا فيه الضَّجاج فإنه ... محا السيفُ ما قال ابنُ دارة أجمعا)
فقال عبد الرحمن بن دارة
(فيا راكباً إمّا عرضْتَ فبلِّغَنْ ... مُغَلْغَلةً عنّي القبَائلَ من عُكلِ)
(جلت حمماً عنها القِصافُ وما جلتْ ... قُشَيْرٌ وفي الشدّاتِ والحرب ما يُجلي)
(فإن يك باع الفَقعسِيُّ دماءَهم ... بوَكْسٍ بوكس فقد كانت دماؤكم تَغلي)
(وكيف تنام الليلَ عُكلٌ ولم يكن ... لها قَوَدٌ بالسَّمْهريّ ولا عَقْلُ)
(رمى اللّهُ في أكبادِهم إن نجتْ بها ... حروفُ القِنَانِ من ذليلٍ ومن وغل)
(وكنا حسِبْنَا فقْعساً قبل هذه ... أذلَّ على طول الهوانِ من النَّعل)
(فإن انتمُ لم تثأروا بأخيكمُ ... فكونوا بَغايا للخَلُوق وللكُحل)
(وبيعوا الردينيّاتِ بالحلْيِ واقعدوا ... على الوتْر وابتاعوا المغازلَ بالنَّبل)
(فإنّ الذي كانت تُجمجِمُ فقْعَسٌ ... قتيلٌ بلا قَتْلَى وتَبْلٌ بلا تَبْلِ)
(فلا سِلْمَ حتى تنحَطَ الخيلُ بالقنا ... وتُوقَدَ نارُ الحَرْبِ بالحَطَبِ الجَزْلِ)
فلما بلغ قوله مالكا أخا السمهري بخراسان انحط من خراسان حتى قدم بلاد عكل فاستجاش نفرا من قومه فعلقوا في أرض بني أسد يطلبون الغرة فوجدوا بثادق رجلا معه امرأة من فقعس فقتلوه وحزوا رأسه
وذهبوا بالرأس وتركوا جسده كما قتلوها أيضا وذكر لي أن الرجل ابن سعدة والمرأة التي كانت معه هي سعدة أمه فقال عبد الرحمن في ذلك
(مَا لقتيلٍ فَقْعَسٍ لا رَأسَ له ... هلاَّ سألْتَ فقْعَساً من جَدّلَهْ)
(لا يتْبعَنَّ فَقْعَسِيٌّ جملَهْ ... فرداً إذا ما الفقعسِيُّ أعملَه)
(لا يلقَيَنَّ قاتلاً فيقتلَه ... بسيفه قد سَمَّهْ وصقلَهْ)
وقال عبد الرحمن أيضا
(لمَّا تمَالَى القومُ في رَأْدِ الضُّحَى ... نَظراً وقد لَمَعَ السّرابُ فجالا)
(نظر ابنُ سعْدةَ نظرةً ويَلاً لها ... كانت لصحبك والمطيِّ خَبالا)

(لَمْحاً رَأَى من فوقِ طودٍ يافعٍ ... بعضَ العُداة وجُنّة وظِلالا)
(عيَّرتَنِي طَلَبَ الحُمُولِ وقد أَرَى ... لم آتهِنَّ مكفّفا بطّالا)
(فانظر لنفسِكَ يا بن سَعْدةَ هل ترى ... ضَبُعاً تجرُّ بثادِقٍ أوْصالا)
(أوصالَ سَعْدةَ والكميتِ وإنما ... كان الكُميتُ على الكُميت عِيالا)
وقال عبد الرحمن في ذلك
((أصبحتُمُ ثُكْلَى لِئاماً وأصبحتْ ... شياطينُ عُكْلٍ قد عَراهُنَّ فقْعَسُ)
(قَضَى مالكٌ ما قد قَضَى ثم قلّصت ... به في سوادِ الليلِ وجناءُ عِرْمِسُ)
(فأضحتْ بأعلى ثادقٍ وكأنها ... مَحَالَةُ غَرْبٍ تستَمِرُّ وتمْرُسُ)
مقتله
وحدثني علي بن سليمان الأخفش أن بني أسد ظفرت بعبد الرحمن بن دارة بالجزيرة بعدما أكثر من سبهم وهجائهم وتآمروا في قتله فقال بعضهم لا تقتلوه ولتأخذوا عليه أن يمدحنا ونحسن إليه فيمحو بمدحه ما سلف من هجائه فعزموا على ذلك ثم إن رجلا منهم كان قد عضه بهجائه اغتفله فضربه بسيفه فقتله وقال في ذلك
(قُتِلَ ابنُ دارةَ بالجزيرةِ سَبَّنا ... وزعمتَ أن سِبَابَنَا لا يَقْتُلُ)
قال علي بن سليمان وقد روي أن البيت المتقدم
(فلا تكثروا فيه الضَجَاج فإنه ... محا السيفُ ما قال ابنُ دارة أجمعا)
لهذا الشاعر الذي قتل ابن دارة وهو من بني أسد وهكذا ذكر السكري
صوت
(كلانا يرى الجوزاءَ يا جُملُ إذ بدت ... ونَجْمَ الثريا والمزارُ بعيدُ)
((فكيف بكم يا جملُ أهلاً ودونكم ... بحورٌ يُقمِّصْن السَّفين وبيدُ)
(إذا قلتُ قد حان القفول يَصُدُّنا ... سليمانُ عن أهوائنا وسعيد)
الشعر لمسعود بن خرشة المازني والغناء لبحر خفيف ثقيل بالوسطى عن الهشامي

أخبار مسعود بن خرشة

حنينه إلى جارية عشقها
مسعود بن خرشة أحد بني حرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم شاعر إسلامي بدوي من لصوص بني تميم قال أبو عمرو وكان مسعود بن خرشة يهوى امرأة من قومه من بني مازن يقال لها جمل بنت شراحيل أخت تمام بن شراحيل المازني الشاعر فانتجع قومها ونأوا عن بلادهم فقال مسعود
(كلانا يرى الجوازءَ يا جُملُ إذ بدتْ ... ونَجْمَ الثّريَّا والمَزَارُ بعيدُ)
(فيكف بكم يا جُملُ أهلاً ودونَكم ... بُحورٌ يُقَمِّصْنَ السّفينَ وبِيدُ)
(إذا قلت قد حان القُفولُ يصدُّنا ... سليمانُ عن أهوائنا وسعيدُ)
قال أبو عمرو ثم خطبها رجل من قومها وبلغ ذلك مسعودا فقال
(أيا جملُ لا تشقَيْ بأقْعَسَ حَنْكَلٍ ... قليل النَّدى يسعى بكِير ومِحْلَب)
(له أعنزٌ حُوٌّ ثمانٍ كأنما ... يراهنّ غُرّ الخيل أو هُنّ أنجب)
وقال أبو عمرو وسرق مسعود بن خرشة إبلا من مالك بن سفيان بن عمرو الفقعسي هو ورفقاء له وكان معه رجلان من قومه فأتوا بها اليمامة ليبيعوها فاعترض عليهم أمير كان بها من بني أسد ثم عزل وولي مكانه رجل من بني عقيل فقال مسعود في ذلك
يقول المرجفون أجاءَ عهدُ)

(كفى عهداً بتنفيذ القِلاص

(أتى عهدُ الإمارة من عُقيلٍ ... أغرَّ الوجه رُكّب في النواصي)
(حُصونُ بني عُقيلٍ كلُّ عَضْبٍ ... إذا فَزِعوا وسابِغةٍ دِلاصِ)
(وما الجارات عند المَحْل فيهم ... ولو كثر الروازحُ بالخِماصِ)
قال وقال مسعود وقد طلبه والي اليمامة فلجأ إلى موضع فيه ماء وقصب
(ألا ليت شِعري هل أبيتنَّ ليلةً ... بوعثاءَ فيها للظباءِ مكانسُ)
(وهل أنجُوَنْ من ذي لَبِيدِ بن جابرٍ ... كأنَّ بناتِ الماء فيه المُجالس)
(وهل أسمعَنْ صوتَ القَطَا تندب القطا ... إلى الماء منه رابع وخوامس)

أخبار بحر ونسبه

هو بحر بن العلاء مولى بني أمية حجازي أدرك دولة بني هاشم وعمر إلى أيام الرشيد وقد هرم وكان له أخ يقال له عباس وأخوه بحر أصغر منه مات في أيام المعتصم وكان يلقب حامض الرأس وله صنعة وأقدمه الرشيد عليه ثم كرهه فصرفه

الرشيد يشرب على أصواته

حدثني جحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال حدثني أحمد بن أبي خالد الأحول عن علي بن صالح صاحب المصلى أن الرشيد سمع من علوية ومخارق وهما يومئذ من صغار المغنين في الطبقة الثالثة أصواتا استحسنها ولم يكن سمعها فقال لهما ممن أخذتما هذه الأصوات فقالا من بحر فاستعادها وشرب عليها ثم غناه مخارق بعد أيام صوتا لبحر فأمر بإحضاره وأمره أن يغني ذلك الصوت فغناه
فسمع الرشيد صوتا حائلا مرتعشا فلم يعجبه واستثقله لولائه لبني أمية فوصله وصرفه ولم يصل إليه بعد ذلك

صوت

(إلا يا لَقومي للِنوائب والدّهرِ ... وللمرءِ يُردي نفسه وَهْوِ لا يَدري)
(وللأرض كم من صالح قد تودّأت ... عليه فوارتْه بلمّاعةٍ قَفْر)
عروضه من الطويل قال الأصمعي يقال للرجل أو للقوم إذا دعوتهم يال كذا بفتح اللام وإذا دعوت للشيء قلت بالكسرة تقول يا للرجال ويا للقوم

وتقول يا للغنيمة ويا للحادثة أي اعجلوا للغنيمة وللحادثة فكأنه قال يا قوم اعجلوا للغنيمة
وروى الأصمعي وغيره مكان قد تودأت قد تلمأت عليه وتلاءمت أي وارته ويروى تأكمت أي صارت أكمة
الشعر لهدبة بن خشرم والغناء لمعبد ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق

أخبار هدبة بن خشرم ونسبه

وقصته في قوله هذا الشعر وخبر مقتله

هو هدبة بن خشرم بن كرز بن أبي حية بن الكاهن وهو سلمة بن أسحم بن عامر بن ثعلبه بن عبد الله بن ذبيان بن الحارث بن سعد بن هذيم وسعد بن هذيم شاعر من أسلم بن الحاف بن قضاعة ويقال بل هو سعد بن أسلم وهذيم عبد لأبيه رباه فقيل سعد بن هذيم يعني سعدا هذا

طبقته في الشعر

وهدبة شاعر فصيح متقدم من بادية الحجاز وكان شاعرا راوية كان يروي للحطيئة والحطيئة يروي لكعب بن زهير وكعب بن زهير يروي لأبيه زهير وكان جميل راوية هدبة وكثير راوية جميل فلذلك قيل إن آخر فحل اجتمعت له الرواية إلى الشعر كثير
وكان لهدبة ثلاثة إخوة كلهم شاعر حوط وسيحان والواسع أمهم حية بنت أبي بكر بن أبي حية من رهطهم الأدنين وكانت شاعرة أيضا
وهذا الشعر يقوله هدبة في قتله زيادة بن زيد بن مالك بن عامر بن قرة ابن حنش بن عمرو بن عبد الله بن ثعلبة بن ذبيان بن الحارث بن سعد بن هذيم
أخبرني بالخبر في ذلك جماعة من شيوخنا فجمعت بعض روايتهم إلى بعض واقتصرت على ما لا بد منه من الأشعار وأتيت بخبرهما على شرح وألحقت ما نقص من رواية بعضهم عن رواية صاحبه في موضع النقصان
فممن حدثني به محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل العتكي تينة قال حدثنا خلف بن المثنى الحداني عن أبي عمرو المديني
وأخبرني الحسن بن يحيى ومحمد بن مزيد بن أبي الأزهر البوشنجي عن حماد بن إسحاق الموصلي عن أبيه

الحرب بين قومه بني عامر وقوم زيادة بن زياد

وأخبرني إبراهيم بن أيوب الصائغ عن ابن قتيبة
وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار عن علي بن محمد بن سليمان النوفلي عن أبيه عن عمه
وقد نسبت إلى كل واحد منهم ما انفرد به من الرواية وجمعت ما اتفقوا عليه قال عيسى بن إسماعيل في خبره خاصة كان أول ما هاج الحرب بين بني عامر بن عبد الله بن ذبيان وبين بني رقاش وهم بنو قرة بن حفش بن عمرو بن عبد الله بن ثعلبة بن ذبيان وهم
رهط زيادة بن زيد وبنو عامر رهط هدبة أن حوط بن خشرم أخا هدبة راهن زيادة بن زيد على جملين من إبلهما وكان مطلقهما من الغاية على يوم وليلة وذلك في القيظ فتزودوا الماء في الروايا والقرب وكانت أخت حوط سلمى بنت خشرم تحت زيادة بن زيد فمالت مع أخيها على زوجها فوهنت أوعية زيادة ففني ماؤه قبل ماء صاحبه فقال زيادة
(قد جعلت نَفْسِيَ في أديم ... مُحَرّمِ الدّباغ ذِي هُزُومِ)
(ثمّ رَمَت بِي عُرُضَ الدّيْمومِ ... في بارحٍ من وَهجِ السّموم)
(... عند اطّلاع وعرة النجوم)
قال اليزيدي في خبره المحرم الذي لم يدبغ والهزوم الشقوق
قال
وقال زيادة أيضا
(قد عِلِمَتْ سلمةُ بالعَميس ... ليلَة مَرْمَارٍ وَمَرْمَريس)
(أنّ أَبَا المِسْوَر ذو شَريس ... يَشفي صُدَاعَ الأبلَج الدّلْعِيس)
العميس موضع والمرمار والمرمريس الشدة والاختلاط وأبا المسور يعني زيادة نفسه وكانت كنيته أبا المسور

تبادل التشبيب بأختيهما

قال فكان ذلك أول ما أثبت الضغائن بينهما
ثم إن هدبة بن خشرم وزيادة بن زيد اصطحبا وهما مقبلان من الشام في ركب من قومهما فكانا يتعاقبان السوق بالإبل وكان مع هدبة أخته فاطمة فنزل زيادة فارتجز فقال
(عُوجي علينا واربَعي يا فاطِمَا ... ما دون أن يُرَى البَعيرُ قائمَا)
أي ما بين مناخ البعير إلى قيامه
(ألا تَرِين الدمع منّي ساجِمَا ... حِذارَ دارٍ منكِ لن تُلائمَا)
(فَعرَّجَتْ مطَّرداً عُراهِمَا ... فَعْماً يبذّ القُطُفَ الرَّوَاسما)
مطرد متتابع السير وعراهم شديد وفعم ضخم والرسيم سير فوق العنق والرواسم الإبل التي تسير هذا السير الذي ذكرناه
(كأن في المثْناة منه عائَما ... إنّكَ والله لأنْ تُبَاغِمَا)
المثناة الزمام وعائم سائح تباغم تكلم
(خَوْداً كأنّ البُوْصَ والمآكما ... منها نقاً مُخالطٌ صَرائما)
البوص العجز والمأكمتان ما عن يمين العجز وشماله والنقا ما عظم من الرمل
والصرائم دونه
(خيرٌ من استقبالك السَّمائمَا ... ومن مُنادٍ يبتغي مُعَاكِما)
ويروى ومن نداء أي رجل تناديه تبتغي أن يعينك على عكمك حتى تشده
فغضب هدبة حين سمع زيادة يرتجز بأخته فنزل فرجز بأخت زيادة وكانت تدعى فيما روى اليزيدي أم حازم وقال الآخرون وأم القاسم فقال هدبة
(لقد أراني والغُلامَ الحازمَا ... نُزجِي المَطيَّ ضُمّراً سَوَاهِما)

(متى تَظُنّ القُلُصَ الرّوَاسـما ... والجِلّةَ النّاجيةَ العَيَاهِما)
العَياهم الشداد
(يُبلِغْن أمَّ حازم وحازماً ... إذا هَبَطن مُسْتَحيراً قاتِمَا)
(ورجَّع الحادي لهما الهَمَاهِمَا ... ألا تَريْنَ الحُزنَ مني دائمَا)
(حِذارَ دارٍ منكِ لن تُلائما ... واللهِ لا يَشـفِي الفؤادَ الهائمَا)
(تَمسـاحُكَ اللَّبّاتِ والمآكمَا ... ولا اللِّمامُ دون أن تلازمَا)
(ولا اللِثامِ دون أن تُفاقما ... ولا الفِقامُ دون أن تفاغمَا)
(... (وتَعْلُوَ القوائمُ القوائما
قال فشتمه زيادة وشتمه هدبة وتسابا طويلا فصاح بهما القوم اركبا لاحملكما الله
فإنا قوم حجاج وخشوا أن يقع بينهما شر فوعظوهما حتى أمسك كل واحد منهما على ما في نفسه وهدبة أشدهما حنقا لأنه رأى أن زيادة قد ضامه إذ رجز بأخته وهي تسمع قوله ورجز هو بأخته وهي غائبة لا تسمع قوله فمضيا ولم يتحاورا بكلمة حتى قضيا حجهما ورجعا إلى عشيرتيهما
خبر عمه زفر وسبب غضب قومه
قال اليزيدي خاصة في خبره
ثم التقى نفر من بني عامر من رهط هدبة فيهم أبو جبر وهو رئيسهم الذي لا يعصونه وخشرم أبو هدبة وزفر عم هدبة وهو الذي بعث الشر وحجاج بن سلامة وهو أبو ناشب ونفر من بني رقاش رهط زيادة وفيهم زيادة بن زيد وإخواته عبد الرحمن ونفاع وأدرع بواد من أودية حرتهم فكان بينهم كلام فغضب ابن الغسانية وهو أدرع وكان زفر عم هدبة يعزى إلى رجل من بني رقاش فقام له أدرع فرجز به فقال
(أدُّوا إلينا زُفَرَا ... نعرفُ منه النَّظَرَا)
(... وعينَه والأثَرَا)
قال فغضب رهط هدبة وادعوا حدا على بني رقاش فتداعوا إلى السلطان ثم اصطلحوا على أن يدفع إليهم أدرع فيخلو به نفر منهم فما رأوه عليه أمضوه فلما خلوا به ضربوه الحد ضربا مبرحا فراح بنو رقاش وقد
أضمروا الحرب وغضبوا فقال عبد الرحمن بن زيد
(ألا أبلغ أبا جَبْرٍ رسولاً ... فما بيني وبينكُم عِتابُ)
(ألم تعلم بأن القوم راحوا ... عشيةَ فارقوك وهم غِضابُ)
فأجابه الحجاج بن سلامة فقال
(إن كان ما لاقى ابنُ كنعاء مُرغِماً ... رقاشَ فزاد اللَّهُ رَغْما سِبالَها)
(منعنا أخانا إذ ضربنا أخاكُم ... وتلك من الأعداء لا مِثْلَ مالها)
هدبة وزيادة يتهاديان الأشعار
قال اليزيدي في خبره وجعل هدبة وزيادة يتهاديان الأشعار ويتفاخران ويطلب كل واحد منهما العلو على صاحبه في شعره وذكر أشعارا كثيرة فذكرت بعضها وأتيت بمختار ما فيه فمن ذلك قول زيادة في قصيدة أولها
(أراك خليلاً قد عزمت التَجنبا ... وقطَّعتَ حاجاتِ الفؤاد فأصحبا)
اخترت منها قوله
(وأنك للناس الخليلُ إذا دنتْ ... به الدارُ والباكي إذا ما تغيَّبا)
(وقد أعذَرَتْ صرفُ الليالي بأهلها ... وشَحْطُ النَّوى بيني وبينك مَطلبا)
(فلا هي تألو ما نأتْ وتباعدَتْ ... ولا هو يألو ما دنا وتقرَّبا)
(اطعتُ بها قول الوشاةِ فلا أرى الوشاةَ ... انتهوا عنه ولا الدهرَ أعتبا)
((فهلاّ صَرمْتِ والحبالُ متينةٌ ... أميمةُ إن واشٍ وشـى وتكذَّبا
(إذا خفتَ شكَّ الأمر فارمِ بعزمة ... غَيَابَتَه يركب بك الدهرُ مركبا)
(وإن وجهةٌ يُدَّتْ سدت عليك فُرُوجُها ... فإنّك لاقٍ لا محالةَ مذهبا)
(يُلامُ رجالٌ قبل تجريبِ غَيْبِهم ... وكيف يُلام المرءُ حتى يُجرَّبا)
(وإنيّ لمِعراضٌ قليلٌ تعرُّضي ... لوجه امرئ يوما إذا ما تجنَّبا)
(قليلٌ عِثَاري حين أُذعَرُ ساكنٌ ... جَنانِي إذا ما الحربِ هرّت لتكْلَبا)
(بحسبكَ ما يأتيك فاجمع لنازل ... قِراهُ ونَوِّبْه إذا ما تنوّبا)
(ولا تَنتجِع شرّاً إذا حِيل دونه ... بِسِتْرٍ وهَبْ أسبابَه ما تهيّبا)
(أنا ابن رَقاشٍ وابنُ ثعلبةَ الذي ... بنى هاديا يعلو الهواديَ أغلبا)
(بنَى العِزُّ بنياناً لقومي فما صعَوا ... بأسيافهم عنه فأصبح مُصعَبا)
(فما إنْ ترى في الناس أماً كأُمِّنا ... ولا كأبينا حين ننسبُهُ أبا)
(أتمَّ وأنمى بالبنين إلى العلا ... وأكرمَ منا في المناصب مَنصِبا)
(مَلَكنا ولم نُملَكْ وقُدْنا ولم نُقَدْ ... كأنّ لنا حقاً على الناس تُرتَبا)
قال اليزيدي ترتب ثابت لازم
(بآيةِ أنّا لا نرى مُتَتوِّجاً ... من الناس يعلونا إذا ما تعصّبا)
(ولا مِلكاً إلا اتّقانا بمُلكه ... ولا سُوقةً إلا على الخَرْج أتعِبا)
(ملكنا ملوكاً واستبحْنا حِماهُم ... وكنّا لهم في الجاهلية موكِبا)
((ندامى وأردافاً فلم ترَ سُوقةً ... توازننا فاسأل إياداً وتَغلِبا
فأجابه هدبة وهذا مختار ما فيها فقال
(تَذَكَّرِ شجواً من أُميمةَ مُنصِبا ... تليداً ومُنتاباً من الشوق مُجْلِبا)
(تَذَكّرَ حبًّا كان في مَيْعة الصِّبا ... ووجداً بها بعد المشيب مُعتّبا)
(إذا كادَ ينساها الفؤادُ ذكرتُها ... فيا لكِ ما عَنّى الفؤادَ وعذَّبا)

(غَدّا في هواها مستكيناً كأنه ... خليعُ قِداحٍ لم يجد متنشَّبا)
(وقد طال ما كان عُلِّقْتَ ليلى مُغَمّرا ... وليدا إلى أن صار رأسُكَ أشْيَبا)
المغمر الغمر أي غير حدث
(رأيتك في لَيلَى كذي الدَّاءِ لم يجد ... طبيباً يداوي ما به فَتَطَبَّبا)
(فلما اشتفى مما به كرَّ طِبُّه ... على نفسه من طول ما كان جرَّبا)
قتل زيادة وتنحى ثم استسلم
فلم يزل هدبة يطلب غرة زيادة حتى أصابها فبيته فقتله وتنحى مخافة السلطان وعلى المدينة يومئذ سعيد بن العاص فأرسل إلى عم هدبة وأهله فحبسهم بالمدينة فلما بلغ هدبة ذلك أقبل حتى أمكن من نفسه وتخلص عمه وأهله فلم يزل محبوسا حتى شخص عبد الرحمن بن زيد أخو زيادة إلى معاوية فأورد كتابه إلى سعيد بأن يقيد منه إذا قامت البينة فأقامها فمشت عذرة إلى عبد الرحمن فسألوه قبول الدية فامتنع وقال
صوت
(أنختُم علينا كَلْكَلَ الحرب مُرَّة ... فنحن منيخوها عليكم بكلكَلِ)
(فلا يدْعُني قومي لزيدِ بنِ مالك ... لئن لم أُعجِّل ضربةً أو أُعجَّلِ)
(أبعد الذي بالنَّعْف نعفِ كُوَيْكِبٍ ... رهينةِ رمسٍ ذي تراب وجندلِ)
(كريمٌ أصابته دياتٌ كثيرة ... فلم يدرِ حتى جِين من كل مدخل)
(أُذكَّر بالبُقْيا على من أصابني ... وبُقيايَ أني جاهدٌ غيرُ مؤتِلي)
غناه ابن سريج رملا بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وقيل إنه لمالك بن أبي السمح وله فيه لحن آخر
رجع الخبر إلى سياقته
سعيد بن العاص يحكم معاوية في أمر هدبة
وأما علي بن محمد النوفلي فذكر عن أبيه أن سعيد بن العاص كره الحكم بينهما فحملهما إلى معاوية فنظر في القصة ثم ردها إلى سعيد
وأما غيره فذكر أن سعيدا هو الذي حكم بينهما من غير أن يحملهما إلى معاوية
قال علي بن محمد عن أبيه
فلما صاروا بين يدي معاوية قال عبد الرحمن أخو زيادة له يا أمير المؤمنين أشكو إليك مظلمتي وما دفعت إليه وجرى علي وعلى أهلي وقرباي
وقتل أخي زيادة وترويع نسوتي فقال له معاوية يا هدبة قل
فقال إن هذا رجل سجاعة فإن شئت أن أقص عليك قصتنا كلاما أو شعرا فعلت قال لا بل شعرا فقال هدبة هذه القصيدة ارتجالا
(ألا يا لقَومي لِلنّوائب والدّهرِ ... وللمرء يُردِي نفسَه وهْو لا يدري)
(ولِلأرض كم من صالحٍ قد تأكَّمت ... عليه فوارتْه بِلمَّاعةٍ قَفْرِ)
(فلا تتّقي ذا هَيْبة لجلالِه ... ولا ذا ضياعٍ هنّ يتْركْن للفقر)
حتى قال
(رُمِينا فَرامَينا فصادف رَمْيُنا ... مَنايا رجالٍ في كتابٍ وفي قَدْرِ)
(وأنت أميرُ المؤمنين فما لنا ... وراءك من مَعدىً ولا عنك من قَصْرِ)
(فإن تك في أموالنا لم نَضِق بها ... ذِراعاً وإن صبرٌ فنصبِرُ للصّبر)
فقال له معاوية أراك قد أقررت بقتل صاحبهم ثم قال لعبد الرحمن هل لزيادة ولد قال نعم المسور وهو غلام صغير لم يبلغ وأنا عمه وولي دم أبيه فقال إنك لا تؤمن على أخذ الدية أو قتل الرجل بغير حق والمسور أحق بدم أبيه فرده إلى المدينة فحبس ثلاث سنين حتى بلغ المسور
جميل بن معمر يزوره في السجن ويهديه
أخبرني الحرمي بن العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال نسخت من كتاب عامر بن صالح قال
دخل جميل بن معمر العذري على هدبة بن خشرم السجن وهو محبوس بدم زيادة بن زيد وأهدى له بردين من ثياب كساه إياها سعيد بن العاص وجاءه بنفقة فلما دخل إليه عرض ذلك عليه وسأله أن يقبله منه فقال له هدبة أأنت يا بن معمر الذي تقول
(بني عامرٍ أنّى انتجعْتُم وكنتُم ... إذا عُدِّد الأقوامُ كالخُصْية الفرد)
أما والله لئن خلص الله لي ساقي لأمدن لك مضمارك خذ برديك ونفقتك فخرج جميل فلما بلغ باب السجن خارجا قال اللهم أغن عني أجدع بني عامر قال وكانت بنو عامر قد قلت فحالفت لإياد
قال أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني
فقالت أم هدبة فيه لما شخص إلى المدينة فحبس بها
(أيا إخوتي أهلَ المدينة أكرموا ... أسيركُم إن الأسيرَ كريمُ)
(فَرُبَّ كريمٍ قد قَرَاه وضافَه ... ورُبَّ أمورٍ كلُّهن عظيم)
(عَصَى جلُّهَا يوماً عليه فراضَه ... من القوم عَيّافٌ أشمُّ حليمُ)
فأرسل هدبة العشيرة إلى عبد الرحمن في أول سنة فكلموه فاستمع منهم ثم قال
(أبعد الذي بالنّعف نعفِ كُوَيْكِبٍ ... رهينةِ رمس ذي تُرابٍ وجندَلِ)
(أُذكَّر بالبُقْيا على مَنْ أصابني ... وبُقْيايَ أني جاهدٌ غيرُ مؤْتلي)
فرجعوا إلى هدبة بالأبيات فقال لم يؤئسني بعد فلما كانت السنة
الثالثة بلغ المسور فأرسل هدبة إلى عبد الرحمن من كلمه فأنصت حتى فرغوا ثم قام عنه مغضبا وأنشأ يقول
(سأُكذِب أقواماً يقولون إنّني ... سآخذُ مالاً من دمٍ أنا ثائرُهْ)
(فياسْتِ امرئٍ واسْتِ التي زَحَرت به ... يسوق سَواماً من أخٍ هو واترُهْ)
ونهض فرجعوا إلى هدبة فأخبروه الخبر فقال الآن أيست منه وذهب عبد الرحمن بالمسور وقد بلغ إلى والي المدينة وهو

سعيد بن العاص وقيل مروان بن الحكم فأخرج هدبة
لقاؤه الأخير بزوجته
قالوا فلما كان في الليلة التي قتل في صباحها أرسل إلى امرأته وكان يحبها إيتيني الليلة أستمتع بك وأودعك فأتته في اللباس والطيب فصارت إلى رجل قد طال حبسه وأنتنت في الحديد رائحته فحادثها وبكى وبكت ثم راودها عن نفسها وطاوعته فلما علاها سمعت قعقعة الحديد فاضطربت تحته فتنحى عنها وأنشأ يقول
(وأدْنَيْتِني حتى إذا ما جعلتِني ... لَدَى الخصْرِ أو أدنَى استقَلَّك راجفُ)
(فإن شئتُ واللهِ انتهيتُ وإنَّني ... لئلا ترَيْني آخرَ الدهر خائفُ)
(رأت ساعدَيْ غُولٍ وتحت ثيابه ... جآجئ يدْمَى حدُّها والحراقفُ)
ثم قال الشعر حتى أتى عليه وهو طويل جدا وفيه يقول
((فلم ترَ عيني مثلَ سربٍ رأيتُه ... خرجْنَ علينا من زقاقِ ابنِ وَاقفِ
(تضمَّخْن في الجاديِّ حتى كأنَّما الأنوفُ ... إذا استعْرَضْتَهُنّ رواعِفِ)
(خرجن بأعناق الظباء وأعينُ الجآذر وارتجَّت لهن السَّوالف)
(فلو أنّ شيْئاً صاد شيئا بطَرفه ... لصِدْن ظباء فوقهنّ المطارفُ)
غنى فيه الغريض رملا بالبنصر من رواية حبش وفيه لحن خفيف ثقيل وذكر إسحاق أن فيه لحنا ليونس ولم يذكر طريقته في مجرده
أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير عن عمه قال
مر أبو الحارث جمين يوما بسوق المدينة فخرج عليه رجل من زقاق ابن واقف بيده ثلاث سمكات قد شق أجوافها وقد خرج شحمها فبكى أبو الحارث ثم قال
تعس الذي يقول
(فلم ترَ عيني مثلَ سِربٍ رأيته ... خرجن علينا من زُقاقِ ابن وَاقفِ)
وانتكس ولا انجبر والله لهذه السمكات الثلاث أحسن من السرب الذي وصف
وأحسب أن هذا الخبر مصنوع لأنه ليس بالمدينة زقاق يعرف بزقاق ابن واقف ولا بها سمك ولكن رويت ما روي
شعره في حبى امرأة مالك
وقال حماد بن إسحاق عن أبيه أن ابن كناسة قال
مر بهدبة على حبى فقالت في سبيل الله شبابك وجلدك وشعرك وكرمك فقال هدبة
(تَعجَبُ حُبَّى من أسيرٍ مُكبَّلٍ ... صَليبِ العَصَا باقٍ على الرّسَفَانِ)
(فلا تَعْجَبي مِنّي حَليلَةَ مالكٍ ... كذلك يأتي الدهرُ بالحدَثانِ)
وقال النوفلي عن أبيه
فلما مضي به من السجن للقتل التفت فرأى امرأته وكانت من أجمل النساء فقال
(أقِلِّي عليَّ اللَّومَ يا أُمّ بوزَعا ... ولا تَجْزَعي ممّا أصابَ فأوجعا)
(ولا تَنْكَحي إن فرّق الدهرُ بيننا ... أغَمّ القفا والوجهِ ليس بأنْزَعا)
(كَليلاً سوى ما كان من حدّ ضِرْسه ... أُكَيْبِدَ مِبطانَ العَشيّاتِ أرْوَعا)
(ضَروباً بلَحييْه على عَظمِ زَوره ... إذا الناس هَشُّوا للفَعال تَقنَّعا)
(وحلِّي بذي أكرومة وحَمِيَّةٍ ... وصبرٍ إذا ما الدهر عَضّ فأسرعا)
يذكر شرط زوجته في الزواج بعد موته
وقال حماد عن أبيه عن مصعب بن عبد الله قال
لما أخرج هدبة من السجن ليقتل جعل الناس يتعرضون له ويخبرون صبره ويستنشدونه فأدركه عبد الرحمن بن حسان فقال له يا هدبة
أتأمرني أن أتزوج هذه بعدك يعني زوجته وهي تمشي خلفه فقال نعم إن كنت من شرطها قال وما شرطها قال قد قلت في ذلك
(فلاَ تنكَحِي إنْ فَرَّق الدهرُ بيننا ... أغَمّ القفا والوجهِ ليس بأنزعا)
(وكُوني حَبِيساً أو لأروعَ ماجدٍ ... إذا ضَنَّ أعشاشُ الرّجال تَبرَّعا)
فمالت زوجته إلى جزار وأخذت شفرته فجدعت بها أنفها وجاءته تدمى مجدوعة فقالت أتخاف أن يكون بعد هذا نكاح قال فرسف في قيوده وقال الآن طاب الموت
وقال النوفلي عن أبيه
إنها فعلت ذلك بحضرة مروان وقالت له إن لهدبة عندي وديعة فأمهله حتى آتيه بها قال أسرعي فإن الناس قد كثروا وكان جلس لهم بارزا عن داره فمضت إلى السوق فانتهت إلى قصاب وقالت أعطني شفرتك وخذ هذين الدرهمين وأنا أردها عليك ففعل فقربت من حائط وأرسلت ملحفتها على وجهها ثم جدعت أنفها من أصله وقطعت شفتيها ثم ردت الشفرة وأقبلت حتى دخلت بين الناس وقالت يا هدبة أتراني متزوجة بعد ما ترى قال لا الآن طابت نفسي بعد بالموت ثم خرج يرسف في قيوده فإذا هو بأبويه يتوقعان الثكل فهما بسوء حال فأقبل عليهما وقال
(أبلِياني اليومَ صبراً منكما ... إنّ حُزْناً إن بدا بادئُ شرَ)
(لا أُراني اليومَ إلا ميّتاً ... إنّ بعدَ الموت دارَ المستَقرّ)
(اصبِرَا اليوم فإني صابرٌ ... كلُّ حَيًّ لقَضاء وقَدرْ)
زوجته تنكث بعهدها
قال النوفلي فحدثني أبي قال حد
حدثني رجل من عذرة عن أبيه قال إني لببلادنا يوما في بعض المياه فإذا أنا بامرأة تمشي أمامي وهي مدبرة ولها خلق عجيب من عجز وهيئة وتمام جسم وكمال قامة فإذا صبيان قد اكتنفاها يمشيان قد ترعرعا فتقدمتها والتفت إليها فإذا هي أقبح منظر وإذا هي مجدوعة الأنف مقطوعة الشفتين فسألت عنها فقيل لي هذه امرأة هدبة تزوجت بعده رجلا فأولدها هذين الصبيين

قال ابن قتيبة في حديثه
فسأل سعيد بن العاص أخا زيادة أن يقبل الدية عنه قال أعطيك ما لم يعطه أحد من العرب أعطيك مائة ناقة حمراء ليس فيها جداء ولا ذات داء فقال له والله لو نقبت لي قبتك هذه ثم ملأتها لي ذهبا ما رضيت بها من دم هذا الأجدع فلم يزل سعيد يسأله ويعرض عليه فيأبى ثم قال له والله لو أردت قبول الدية لمنعني قوله
(لنَجدَعَنّ بأيدينا أُنوفَكم ... ويذهبُ القتلُ فيما بيننا هَدَرا)
فدفعه حينئذ لقتله بأخيه
تعريضه بحبى في طريقه إلى الموت
قال حماد وقرأت على أبي عن مصعب بن عبد الله الزبيري قال
ومر هدبة بحبى فقالت له كنت أعدك في الفتيان وقد زهدت فيك اليوم لأني لا أنكر أن يصبر الرجال على الموت لكن كيف تصبر عن
هذه فقال أما والله إن حبي لها لشديد وإن شئت لأصفن لك ذلك ووقف الناس معه فقال
(وَجدت بها ما لم تَجِد أُمّ واحِد ... ولا وجدُ حُبّى بابن أُمّ كِلابِ)
(رأته طويل السّاعدين شمَرْدَلا ... كما تَشْتَهي من قوة وشباب)
فانقمعت داخلة إلى بيتها فأغلقت الباب دونه
قالوا فدفع إلى أخي زيادة ليقتله قال فاستأذن في أن يصلي ركعتين فأذن له فصلاهما وخفف ثم التفت إلى من حضر فقال لولا أن يظن بي الجزع لأطلتهما فقد كنت محتاجا إلى إطالتهما ثم قال لأهله إنه بلغني أن القتيل يعقل ساعة بعد سقوط رأسه فإن عقلت فإني قابض رجلي وباسطها ثلاثا ففعل ذلك حين قتل وقال قبل أن يقتل
(إن تقتلوني في الحديد فإنني ... قتلتُ أخاكم مُطْلقا لم يُقَيّدِ)
فقال عبد الرحمن أخو زيادة والله لا قتلته إلا مطلقا من وثاقه فأطلق له فقام إليه وهز السيف ثم قال
(قد علِمتْ نفسِي وأنت تعلمُهْ ... لأقتلَنّ اليومَ من لا أرحمُهْ)
ثم قتله
فقال حماد في روايته
ويقال إن الذي تولى قتله ابنه المسور دفع إليه عمه السيف وقال له قم فاقتل قاتل أبيك فقام فضربه ضربتين قتله فيهما
هو أول من أقيد منه في الإسلام
أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد قرأت على أبي قال
بلغني أن هدبة أول من أقيد منه في الإسلام
قال أحمد بن الحارث الخراز قال المدائني
مرت كاهنة بأم هدبة وهو وأخوته نيام بين يديها فقالت يا هذه إن الذي معي يخبرني عن بنيك هؤلاء بأمر قالت وما هو قالت أما هدبة وحوط فيقتلان صبرا وأما الواسع وسيحان فيموتان كمدا فكان كذلك
أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد قرأت على أبي أخبرك مروان بن أبي حفصة قال
كان هدبة أشعر الناس منذ يوم دخل السجن إلى أن أقيد منه قال الخراز عن المدائني قال واسع بن خشرم يرثي هدبة لما قتل
(يا هُدْبَ يا خيْرَ فتيان العشيرةِ مَنْ ... يُفجَعْ بمثلك في الدّنيا فقد فُجِعَا)
(الله يعلم أنّي لو خشيتهمُ ... أو أوجسَ القلبُ مِن خوفٍ لهم فزعا)
(لم يقتلوه ولم أُسلِم أخي لهمُ ... حتى نَعيش جَميعاً أو نَمُوت معا)
وهذه الأبيات تمثل بها إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي ابن أبي طالب رضي عنهم لما بلغه قتل أخيه محمد
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال
حدثني مصعب الزبيري قال
كنا بالمدينة أهل البيوتات إذا لم يكن عند أحدنا خبر هدبة وزيادة وأشعارهما ازدريناه وكنا نرفع من قدر أخبارهما وأشعارهما ونعجب بها
كان جميل بن معمر راوية هدبة
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال أخبرني محمد بن الحسن الأحول عن رواية من الكوفيين قالوا
كان جميل بن معمر العذري راوية هدبة وكان هدبة راوية الحطيئة وكان الحطيئة راوية كعب بن زهير وأبيه
حدثني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال
حدثني أبو المغيرة محمد بن إسحاق قال حدثني أبو مصعب الزبيري قال حدثني المنكدر بن محمد بن المنكدر عن أبيه قال
بعث هدبة بن خشرم إلى عائشة زوج النبي يقول لها استغفري لي فقالت إن قتلت استغفرت لك
صوت
(ألم تَرَ أنّي يومَ جوِّ سُوَيْقَةٍ ... بكيتُ فنادتني هُنيدةُ ماليَا)
(فقلتُ لها إنّ البكاء لراحةٌ ... به يشتفي مَنْ ظنّ أن لا تلاقيا)
(قِفي ودّعينا يا هُنَيْدَ فإنني ... أرى القوم قد شاموا العَقِيقَ اليمانيا)
ويروى أرى الركب قد شاموا
(إذا اغرورقت عَيناي أسبَلَ منهما ... إلى أن تغيب الشّعْريان بكائيا)
الشعر للفرزدق من قصيدة يهجو بها جريرا وهي فيما قيل أول قصيدة هجاه بها والغناء لابن سريج خفيف ثقيل عن الهشامي قال الهشامي وفيه لمالك ثقيل أول وابتداء اللحنين جميعا
(... ألم تر أني يوم جوّ سُوَيْقَة)
ولعلوية فيه لحن من الرمل المطلق ابتداؤه
(...قفي ودعينا يا هنيدَ فإنني)

نسب الفرزدق وأخباره وذكر مناقضاته

الفرزدق لقب غلب عليه وتفسيره الرغيف الضخم الذي يجففه النساء للفتوت وقيل بل هو القطعة من العجين التي تبسط فيخبز منها الرغيف شبه وجهه بذلك لأنه كان غليظا جهما
واسمه همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك ابن حنظلة بن زيد مناة بن تميم
قال أبو عبيدة اسم دارم بحر واسم أبيه مالك عوف ويقال عرف
وسمي دارم دارما لأن قوما أتوا أباه مالكا في حمالة فقال له قم يا بحر فأتني بالخريطة يعني خريطة كان له فيها مال فحملها يدرم عنها ثقلا والدرمان تقارب الخطو فقال لهم جاءكم يدرم بها فسمي دارما وسمي أبوه مالك عرفا لجوده
وأم غالب ليلى بنت حابس بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع
وكان للفرزدق أخ يقال له هميم ويلقب الأخطل ليست له نباهة فأعقب ابنا يقال له محمد فمات والفرزدق حي فرثاه وخبره يأتي بعد
وكان للفرزدق من الولد خبطة ولبطة وسبطة هؤلاء المعروفون وكان له غيرهم فماتوا ولم يعرفوا
وكان له بنات خمس أو ست
وأم الفرزدق فيما ذكر أبو عبيدة لينة بنت قرظة الضبية

كان يقال لجده صعصعة محيي المؤودات

وكان يقال لصعصعة محيي الموءودات وذلك أنه كان مر برجل من قومه وهو يحفر بئرا وامرأته تبكي فقال لها صعصعة ما يبكيك قالت يريد أن يئد ابنتي هذه فقال له ما حملك على هذا قال الفقر
قال فإني أشتريها منك بناقتين يتبعهما أولادهما تعيشون بألبانهما ولا تئد الصبية قال قد فعلت فأعطاه الناقتين وجملا كان تحته فحلا وقال في نفسه إن هذه لمكرمة ما سبقني إليها أحد من العرب فجعل على نفسه ألا يسمع بموءودة إلا فداها فجاء الإسلام وقد فدى ثلثمائة موءودة وقيل أربعمائة
أخبرني بذلك هاشم بن محمد الخزاعي عن دماذ عن أبي عبيدة
وأخبرني بهذا الخبر محمد بن العباس اليزيدي وعلي بن سليمان الأخفش قالا حدثنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن أبي عبيدة عن عقال بن شبة قال قال صعصعة
خرجت باغيا ناقتين لي فارقتين والفارق التي تفرق إذا ضربها المخاض فتند على وجهها حتى تنتج فرفعت لي نار فسرت نحوها وهممت بالنزول فجعلت النار تضيء مرة وتخبو أخرى فلم تزل تفعل ذلك حتى قلت اللهم لك علي إن بلغتني هذه النار ألا أجد أهلها يوقدون لكربة يقدر أحد من الناس أن يفرجها إلا فرجتها عنهم قال فلم أسر إلا قليلا حتى أتيتها فإذا حي بن بني أنمار من الهجيم بن عمرو بن تميم وإذا
أنا بشيخ حادر أشعر يوقدها في مقدم بيته والنساء قد اجتمعن إلى امرأة ماخض قد حبستهن ثلاث ليال
فسلمت فقال الشيخ من أنت فقلت أنا صعصعة بن ناجية بن عقال قال مرحبا بسيدنا ففيم أنت يا بن أخي فقلت في بغاء ناقتين لي فارقتين عمي علي أثرهما فقال قد وجدتهما بعد أن أحيا الله بهما أهل بيت من قومك وقد نتجناهما وعطفت إحداهما على الأخرى وهما تانك في أدنى الإبل
قال قلت ففيم توقد نارك منذ الليلة قال أوقدها لامرأة ماخض قد حبستنا منذ ثلاث ليال وتكلمت النساء فقلن قد جاء الولد فقال الشيخ إن كان غلاما فو الله ما ادري ما أصنع به وإن كانت جارية فلا أسمعن صوتها أي اقتلنها فقلت يا هذا ذرها فإنها ابنتك ورزقها على الله فقال اقتلنها فقلت أنشدك الله فقال إني أراك بها حفيا فاشترها مني فقلت إني أشتريها منك فقال ما تعطيني قلت أعطيك إحدى ناقتي قال لا قلت فأزيدك الأخرى فنظر إلى جملي الذي تحتي فقال لا إلا أن تزيدني جملك هذا فإني أراه حسن اللون شاب السن فقلت هو لك والناقتان على أن تبلغني أهلي عليه قال قد فعلت فابتعتها منه بلقوحين وجمل وأخذت عليه عهد الله وميثاقه ليحسنن برها وصلتها ما عاشت حتى تبين منه أو يدركها الموت فلما برزت من عنده حدثتني نفسي وقلت إن هذه لمكرمة ما سبقني إليها أحد من العرب فآليت ألا يئد أحد بنتا له إلا اشتريتها منه بلقوحين وجمل فبعث الله عز وجل محمدا عليه السلام وقد أحييت مائة موءودة إلا أربعا ولم يشاركني في ذلك أحد حتى أنزل الله تحريمه في القرآن وقد فخر بذلك الفرزدق في عدة قصائد من شعره ومنها قصيدته التي أولها

(أبِي أحدُ الغَيْثَيْنِ صعصعةُ الذي ... متى تُخْلِفِ الجوزاءُ والدَّلْوُ يُمْطِرِ)
(أجارَ بناتِ الوائدِينَ ومن يُجِرْ ... على الفقر يُعْلَمْ أنه غيرُ مُخْفِرِ)
(على حينَ لا تحيا البناتُ وإذ هُمُ ... عكوف على الاصنام حول المدَوَّرِ)

المدور يعني الدوار الذي حول الصنم وهو طوافهم

(أنا ابن الذي ردّ المنيةَ فضلُه ... فما حسبٌ دافعتُ عنه بمُعْوِرِ)
(وفارقِ ليلٍ من نساء أتت أبي ... تُمارس ريحاً ليلُها غير مُقْمِرِ)
(فقالت أجِرْ لي ما ولدتُ فإنني ... أتيتك من هزلَى الحَمولةِ مُقتِرِ)
(هِجفٌّ من العُثْو الرؤوس إذا بدت ... له ابنةُ عامٍ يحطم العظم منكر)
(رأى الأرضَ منها راحةً فرمى بها ... إلى خُدَدٍ منها إلى شرِّ مخفر)
(فقال لها فِيئي فإني بذمتي ... لبنتك جارٌ من أبيها القَنَوَّرِ)

إسلام أبيه على يد الرسول

ووفد غالب بن صعصعة إلى النبي فأسلم وقد كان وفده أبوه صعصعة إلى النبي فأخبره بفعله في الموءودات فاستحسنه وسأله هل له في ذلك من أجر قال نعم فأسلم وعمر غالب حتى لحق أمير المؤمنين
عليا صلوات الله عليه بالبصرة وأدخل إليه الفرزدق وأظنه مات في إمارة زياد وملك معاوية
أخبرني محمد بن الحسين الكندي وهاشم بن محمد الخزاعي وعبد العزيز بن أحمد عم أبي قالوا حدثنا الرياشي قال حدثنا العلاء بن الفضل ابن عبد الملك بن أبي سوية قال حدثني عقال بن كسيب أبو الخنساء العنبري قال حدثني الطفيف بن عمرو الربعي عن ربيعة بن مالك بن حنظلة عن صعصعة بن ناجية المجاشعي جد الفرزدق قال
قدمت على النبي فعرض علي الإسلام فأسلمت وعلمني آيات من القرآن فقلت يا رسول الله إني عملت أعمالا في الجاهلية هل لي فيها من أجر فقال وما عملت فقلت إني أضللت ناقتين لي عشراوين فخرجت أبغيهما على جمل فرفع

لي بيتان في فضاء من الأرض فقصدت قصدهما فوجدت في أحدهما شيخا كبيرا فقلت له هل أحسست من ناقتين عشراوين قال وما نارهما يعني السمة فقلت ميسم بني دارم فقال قد أصبت ناقتيك ونتجناهما وظأرتا على أولادهما ونعش الله بهما أهل بيت من قومك من العرب من مضر فبينا هو يخاطبني إذ نادته امرأة من البيت الآخر قد ولدت فقال وما ولدت إن كان غلاما فقد شركنا في قوتنا وإن كانت جارية فادفنوها فقالت هي جارية أفأئدها فقلت وما هذا المولود قالت بنت لي فقلت إني أشتريها منك فقال يا أخا بني تميم أتقول لي أتبيعني ابنتك وقد أخبرتك أني من العرب من مضر فقلت إني لا أشتري منك رقبتها إنما أشتري دمها لئلا تقتلها

فقال وبم تشتريها فقلت بناقتي هاتين وولديهما

قال لا حتى تزيدني هذا البعير

الذي تركبه قلت نعم على أن ترسل معي رسولا فإذا بلغت أهلي رددت إليك البعير ففعل فلما بلغت أهلي رددت إليه البعير فلما كان في بعض الليل فكرت في نفسي فقلت إن هذه مكرمة ما سبقني إليها أحد من العرب فظهر الإسلام وقد أحييت ثلثمائة وستين موؤودة أشتري كل واحدة منهن بناقتين عشراوين وجمل فهل لي في ذلك من أجر يا رسول الله فقال عليه السلام هذا باب من البر ولك أجره إذ من الله عليك بالإسلام قال عباد ومصداق ذلك قول الفرزدق

(وجدِّي الذي منع الوائداتِ ... وأحيا الوئيد فلم يُوأَدِ)

أخبرني محمد بن يحيى عن الغلابي عن العباس بن بكار عن أبي بكر الهذلي قال

وفد صعصعة بن ناجية جد الفرزدق على رسول الله في وفد من تميم وكان صعصعة قد منع الوئيد في الجاهلية فلم يدع تميما تئد وهو يقدر على ذلك فجاء الإسلام وقد فدى أربعمائة جارية فقال للنبي أوصني فقال أوصيك بأمك وأبيك وأختك وأخيك وإمائك قال زدني قال احفظ ما بين لحييك وما بين رجليك

ثم قال له عليه السلام ما شيء بلغني عنك فعلته قال يا رسول الله رأيت الناس يموجون على غير وجه ولم أدر أين الوجه غير أني علمت أنهم ليسوا عليه ورأيتهم يئدون بناتهم فعلمت أن ربهم لم يأمرهم بذلك فلم أتركهم يئدون وفديت من قدرت عليه

وروى أبو عبيدة أنه قال للنبي إني حملت حمالات في الجاهلية

والإسلام وعلي منها ألف بعير فأديت من ذلك سبعمائة فقال له إن الإسلام أمر بالوفاء ونهى عن الغدر فقال حسبي حسبي ووفى بها

وروي أنه إنما قال هذا القول لعمر بن الخطاب وقد وفد إليه في خلافته

وكان صعصعة شاعرا وهو الذي يقول أنشدنيه محمد بن يحيى له

(إذا المرء عادى من يودُّك صدرُه ... وكان لمن عاداك خِدْناً مُصافيَا)

(فلا تسألنْ عما لديه فإنّه ... هو الداءُ لا يخفى بذلك خافيا)

أبوه هو أعطى تميم وبكر

أخبرني محمد بن يحيى عن محمد بن زكريا عن عبد الله بن الضحاك عن الهيثم بن عدي عن عوانة قال

تراهن نفر من كلب ثلاثة على أن يختاروا من تميم وبكر نفرا ليسائلوهم فأيهم أعطى ولم يسألهم عن نسبهم من هم فهو أفضلهم فاختار كل رجل منهم رجلا والذين اختيروا عمير بن السليك بن قيس بن مسعود الشيباني وطلبة بن قيس بن عاصم المنقري وغالب بن صعصعة المجاشعي أبو الفرزدق فأتوا ابن السليك فسألوه مائة ناقة فقال من أنتم فانصرفوا عنه

ثم أتوا طلبة بن قيس فقال لهم مثل قول الشيباني فأتوا غالبا فسألوه فأعطاهم مائة ناقة وراعيها ولم يسألهم من هم فساروا بها ليلة ثم ردوها وأخذ صاحب غالب الرهن وفي ذلك يقول الفرزدق

((وإذا ناحبتْ كلبٌ على الناس أيُّهم ... أحقُّ بتاج الماجد المتكرِّم)

(على نفر هُم من نزار ذوي العلا ... وأهلِ الجراثيم التي لم تَهدَّم)

(فلم يُجْز عن أحسابهم غيرُ غالبٍ ... جرَى بعنان كلِّ أبيضَ خِضرم)

مباراة في الكرم بين أبيه وسحيم بن وثيل

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن جهم السليطي عن إياس بن شبة عن عقال بن صعصعة قال

أجدبت بلاد تميم وأصابت بني حنظلة سنة في خلافة عثمان فبلغهم خصب عن بلاد كلب بن وبرة فانتجعتها بنو حنظلة فنزلوا أقصى الوادي وتسرع غالب بن صعصعة فيهم وحده دون بني مالك بن حنظلة ولم يكن مع بني يربوع من بني مالك غير غالب فنحر ناقته فأطعمهم إياها فلما وردت إبل سحيم بن وثيل الرياحي حبس منها ناقة فنحرها من غد فقيل لغالب إنما نحر سحيم مواءمة لك أي مساواة لك فضحك غالب وقال كلا ولكنه امرؤ كريم وسوف أنظر في ذلك فلما وردت إبل غالب حبس منها ناقتين فنحرهما فأطعمهما بني يربوع فعقر سحيم ناقتين فقال غالب الآن علمت انه يوائمني فعقر غالب عشرا فأطعمها بني يربوع فعقر سحيم عشرا فلما بلغ غالبا فعله ضحك وكانت إبله ترد لخمس فلما وردت عقرها كلها عن آخرها فالمكثر يقول كانت أربعمائة والمقل يقول كانت مائة فأمسك سحيم حينئذ ثم إنه عقر في خلافة علي بن أبي

طالب صلوات الله عليه بكناسة الكوفة مائتي ناقة وبعير فخرج الناس بالزنابيل والأطباق والحبال لأخذ اللحم ورآهم علي عليه السلام فقال أيها الناس لا يحل لكم إنما أهل بها لغير الله عز وجل

قال فحدثني من حضر ذلك قال كان الفرزدق يومئذ مع أبيه وهو غلام فجعل غالب يقول يا بني اردد علي والفرزدق يردها عليه ويقول له يا أبت اعقر قال جهم فلم يغن عن سحيم فعله ولم يجعل كغالب إذ لم يطق فعله

قيد نفسه حتى حفظ القرآن

حدثني محمد بن يحيى عن محمد بن القاسم يعني أبا العيناء عن أبي زيد النحوي عن أبي عمرو قال

جاء غالب أبو الفرزدق إلى علي بن أبي طالب صلوات الله عليه بالفرزدق بعد الجمل بالبصرة فقال إن ابني هذا من شعراء مضر فاسمع منه قال علمه القرآن فكان ذلك في نفس الفرزدق فقيد نفسه في وقت وآلى لا يحل قيده حتى يحفظ القرآن

قال محمد بن يحيى فقد صح لنا أن الفرزدق كان شاعرا موصوفا أربعا وسبعين سنة وندع ما قبل ذلك لأن مجيئه به بعد

الجمل على الاستظهار كان في سنة ست وثلاثين وتوفي الفرزدق في سنة عشر ومائة في أول خلافة هشام هو وجرير والحسن البصري وابن سيرين في ستة أشهر وحكي ذلك
عن جماعة منهم الغلابي عن ابن عائشة عن أبيه
أخبرني محمد بن يحيى الصولي عن الغلابي عن ابن عائشة أيضا عن أبيه قال قال الفرزدق أيضا
كنت أجيد الهجاء في أيام عثمان قال ومات غالب أبو الفرزدق في أول أيام معاوية ودفن بكاظمة فقال الفرزدق يرثيه
(لقد ضمّت الأكفانُ من آل دارمٍ ... فتىً فائِضَ الكفّين محضَ الضّرائب)
المفضل الضبي يفاضل بينه وبين جرير
أخبرني حبيب المهلبي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عمران الضبي قال حدثني جعفر بن محمد العنبري عن خالد ابن أم كلثوم قال
قيل للمفضل الضبي الفرزدق أشعر أم جرير قال الفرزدق قال قلت ولم قال لأنه قال بيتا هجا فيه قبيلتين ومدح فيه قبيلتين وأحسن في ذلك فقال
(عجبتُ لِعِجلٍ إذ تُهاجِي عَبِيدَها ... كما آلُ يربوع هَجَوْا آلَ دَارِم)
فقيل له قد قال جرير
(إنّ الفرزدقَ والبَعيثَ وأمّه ... وأبَا البَعِيث لشرّ ما إستار)
فقال وأي شيء أهون من أن يقول إنسان فلان وفلان وفلان والناس كلهم بنو الفاعلة
أخبرني عبد الله بن مالك قال حدثنا محمد بن حبيب قال حدثني موسى بن طلحة قال قال أبو عبيدة معمر بن المثنى كان الشعراء في الجاهلية من قيس وليس في الإسلام مثل حظ تميم في الشعر وأشعر تميم جرير والفرزدق ومن بني تغلب الأخطل
قال يونس بن حبيب ما ذكر جرير والفرزدق في مجلس شهدته قط فاتفق المجلس على أحدهما قال وكان يونس فرزدقيا
أخبرني عمي عن محمد بن رستم الطبري عن أبي عثمان المازني قال
مر الفرزدق ابن ميادة الرماح والناس حوله وهو ينشد
(لو أنّ جميعَ الناس كانوا بربوة ... وجئت بجِدّي ظَالمٍ وابن ظَالم)
(لظلّت رقاب الناس خاضعةً لنا ... سُجوداً على أقدامنا بالجماجم)
فسمعه الفرزدق فقال أما والله يا بن الفارسية لتدعنه لي أو لأنبشن أمك من قبرها فقال له بان ميادة خذه لا بارك الله لك فيه فقال الفرزدق
(لو أنّ جميعَ الناس كانوا بربوة ... وجئت بجدّي دارمٍ وابنِ دارم)
(لظلّت رقاب الناس خاضعةً لنا ... سُجوداً على أقدامنا بالجماجم)
هو وجرير يتشاكيان عند يزيد بن عبد الملك
أخبرني عمي عن الكراني عن أبي فراس الهيثم بن فراس قال
حدثني ورقة بن معروف عن حماد الراوية قال
دخل جرير والفرزدق على يزيد بن عبد الملك وعنده بنية لها يشمها فقال جرير ما هذه يا أمير المؤمنين فيها عندك قال بنية لي قال بارك الله لأمير المؤمنين فيها
فقال الفرزدق إن يكن دارم يضرب فيها فهي أكرم العرب ثم أقبل يزيد على جرير فقال مالك والفرزدق قال إنه يظلمني ويبغي علي فقال الفرزدق
وجدت آبائي يظلمون آباءه فسرت فيه بسيرتهم قال جرير وأما والله لتردن الكبائر على أسافلها سائر اليوم فقال الفرزدق أما بك يا حمار بني كليب فلا ولكن إن شاء صاحب السرير فلا والله ما لي كفء غيره فجعل يزيد يضحك
أخبرنا عبد الله بن مالك عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن حماد الراوية قال
أنشدني الفرزدق يوما شعرا له ثم قال لي أتيت الكلب يعني جريرا قلت نعم قال أفأنا أشعر أم هو قلت أنت في بعض وهو في بعض قال لم تناصحني قال قلت هو أشعر منك إذا أرخي من خناقه وأنت أشعر منه إذا خفت أو رجوت قال قضيت لي والله عليه وهل الشعر إلا في الخير والشر
قال وروي عن أبي الزناد عن أبيه قال
قال لي جرير يا أبا عبد الرحمن أنا أشعر أم هذا الخبيث يعني الفرزدق وناشدني لأخبرنه فقلت لا والله ما يشاركك ولا يتعلق بك في النسيب قال أوه قضيت والله له علي أنا والله أخبرك ما دهاني إلا أني هاجيت كذا وكذا شاعرا فسمى عددا كثيرا وأنه تفرد لي وحدي

خبره مع النوار ابنة عمه

أخبرني عبد الله قال قال المازني قال أبو علي الحرمازي
كان من خبر الفرزدق والنوار ابنة أعين بن صعصعة بن ناجية بن عقال المجاشعي وكانت ابنة عمه أنه خطبها رجل من بني عبد الله بن دارم فرضيته وكان الفرزدق وليها فأرسلت إليه أن زوجني من هذا الرجل فقال لا أفعل أو تشهديني أنك قد رضيت بمن زوجتك ففعلت فلما توثق منها قال أرسلي إلى القوم فليأتوا فجاءت بنو عبد الله بن دارم فشحنوا مسجد بني مجاشع وجاء الفرزدق فحمد الله وأثنى عليه ثم قال قد علمتم أن النوار قد ولتني أمرها وأشهدكم أني قد زوجتها نفسي على مائة ناقة حمراء سوداء الحدقة
فنفرت من ذلك وأرادت الشخوص إلى ابن الزبير حين أعياها أهل البصرة ألا يطلقوها من الفرزدق حتى يشهد لها الشهود وأعياها الشهود أن يشهدوا لها اتقاء الفرزدق وابن الزبير يومئذ أمير الحجاز والعراق يدعى له بالخلافة فلم تجد من يحملها وأتت فتية من بني عدي بن عبد مناة بن أد يقال لهم بنو أم النسير فسألتهم برحم تجمعهم وإياها وكانت بينها وبينهم قرابة فأقسمت عليهم أمها ليحملنها فحملوها فبلغ ذلك الفرزدق فاستنهض عدة من أهل البصرة فأنهضوه وأوقروا له عدة من الإبل وأعين بنفقة فتبع النوار وقال
((أطاعت بني أم النُّسَيْر فأصبحت ... على شارفٍ ورقاءَ صعبٍ ذلولُها
(وإنّ الذي أمسى يخبّب زوجتي ... كماشٍ إلى أُسْد الشّرى يستبيلها)
فأدركها وقد قدمت مكة فاستجارت بخولة بنت منظور بن زبان بن سيار الفزاري وكانت عند عبد الله بن الزبير فلما قدم

الفرزدق مكة اشرأب الناس إليه ونزل على بني عبد الله بن الزبير فاستنشدوه واستحدثوه ثم شفعوا له إلى أبيهم فجعل يشفعهم في الظاهر حتى إذا صار إلى خولة قلبته عن رأيه فمال إلى النوار فقال الفرزدق في ذلك
صوت
(أمّا بنوه فلم تُقْبل شفاعتُهم ... وشُفّعت بنتُ منظور بن زبّانَا)
(ليس الشّفيع الذي يأتيك مُؤْتزراً ... مثلّ الشفيع الذي يأتيكَ عُرْيانَا)
لعريب في هذا البيت خفيف رمل
قال وسفر بينهما رجال من بني تميم كانوا بمكة فاصطلحا على أن يرجعا إلى البصرة ولا يجمعهما ظل ولا كن حتى يجمعا في أمرهما ذلك بني تميم ويصيرا على حكمهم
ففعلا فلما صارا إلى البصرة رجعت إليه النوار بحكم عشيرتها
قال وقال غير الحرمازي إن ابن الزبير قال للفرزدق جئني بصداقها
وإلا فرقت بينكما فقال الفرزدق أنا في بلاد عربة فكيف أصنع قالوا له عليك بسلم بن زياد فإنه محبوس في السجن يطالبه ابن الزبير بمال فأتاه فقص عليه قصته قال كم صداقها قال أربعة آلاف درهم فأمر له بها وبألفين للنفقة فقال الفرزدق
(دعي مُغلقي الأبواب دون فَعالِهم ... ولكن تمشَّى بي هُبِلْت إلى سَلمِ)
(إلى من يرى المعروفَ سهلاً سَبيلُه ... ويفعلُ أفعال الرجال التي تَنِمي)
قال فدفعها إليه ابن الزبير فقال الفرزدق
(هلمّي لابن عمك لا تكوني ... كمختارٍ على الفرس الحمارا)
قال فجاء بها إلى البصرة وقد أحبلها فقال جريرٌ في ذلك
(ألا تِلكمُ عِرسُ الفرزدق جامحاً ... ولو رَضِيتْ رمح استِهِ لاستقرَّت)
فأجابه الفرزدق وقال
(وأمُّك لو لاقيتَها بِطمرَّةٍ ... وجاءت بها جوف استِها لاستقرَّت)
وقال الفرزدق وهو يخاصم النوار
(تُخاصمني وقد أولجتُ فيها ... كرأس الضَّبِّ يلتمس الجرادا)
قال الحرماني ومكثت النوار عنده زمانا ترضى عنه أحيانا وتخاصمه أحيانا وكانت النوار امرأة صالحة فلم تزل تشمئز منه وتقول له ويحك
أنت تعلم أنك إنما تزوجت بي ضغطة وعلى خدعة ثم لا تزال في كل ذلك حتى حلفت بيمين موثقة ثم حنثت وتجنبت فراشه فتزوج عليها امرأة يقال لها جهيمة من بني النمر بن قاسط حلفاء لبني الحارث بن عباد بن ضبيعة وأمها الخميصة من بني الحارث بن عباد فنافرته الخميصة واستعدت عليه فأنكرها الفرزدق وقال إنها مني بريء طالق وطلق ابنتها وقال
(إن الخميصةَ كانت لي ولابنتها ... مثل الهَراسةِ بين النّعل والقَدَم)
(إذا أتت أهلَها مني مُطَلّقة ... فلن أردَّ عليها زَفرةَ النَّدم)
جعل يأتي النوار وبه ردع الخلوق وعليه الأثر فقالت له النوار هل تزوجتها إلا هدادية تعني حيا من أزد عمان فقال الفرزدق في ذلك
(تُريك نجومَ الليل والشَّمسُ حَيَّةٌ ... كرامُ بنات الحارث بن عُبادِ)
(أبوها الذي قاد النَعامة بعد ما ... أبت وائلٌ في الحرب غير تمادِ)
(نساءٌ أبوهنّ الأعزُّ ولم تكن ... من الأزد في جاراتها وهَدادِ)
(ولم يكُ في الحيّ الغموض محلُّها ... ولا في العُمانيِّين رهطِ زياد)
(عدلتُ بها مَيلَ النّوار فأصبحتْ ... وقد رضيت بالنِّصف بعد بعادِ)
قال فلم تزل النوار ترققه وتستعطفه حتى أجابها إلى طلاقها وأخذ عليها ألا تفارقه ولا تبرح من منزله ولا تتزوج رجلا بعده ولا تمنعه من مالها ما كانت تبذله له وأخذت عليه أن يشهد الحسن البصري على طلاقها ففعل ذلك
قال المازني وحدثني محمد بن روح العدوي عن أبي شفقل راوية الفرزدق قال
ما استصحب الفرزدق أحدا غيري وغير راوية آخر وقد صحب النوار رجال كثيرة إلا أنهم كانوا يلوذون بالسواري خوفا من أن يراهم الفرزدق فأتيا الحسن فقال له الفرزدق يا أبا سعيد قال له الحسن ما تشاء قال أشهد أن النوار طالق ثلاثا فقال الحسن قد شهدنا فلما انصرفنا قال يا أبا شفقل قد ندمت فقلت له والله إني لأظن أن دمك يترقرق أتدري من أشهدت والله لئن رجعت لترجمن بأحجارك فمضى وهو يقول
(ندمتُ ندامةَ الكُسَعيّ لمّا ... غدت منّي مُطَلّقةً نوارُ)
(ولو أنّي ملكتُ يدي وقلبي ... لكان عليَّ للقدَر الخيارُ)
(وكانت جَنّتي فخرجتُ منها ... كآدم حين أخرجه الضِرارُ)
(وكنتُ كفاقئٍ عينيه عمداً ... فأصبح ما يضيء له النهارُ)
يهجو بني قيس لأنهم ألجأوا النوار
وأخبرني بخبره مع النوار أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن
شبة قال حدثني محمد بن يحيى عن أبيه يحيى بن علي بن حميد
أن النوار لما كرهت الفرزدق حين زوجها نفسه لجأت إلى بني قيس بن عاصم المنقري ليمنعوها فقال الفرزدق فيهم
(بني عاصم لا تجنبوها فإنكم ... ملاجئُ للسوءات دُسْم العَمائِم)
(بَني عاصمٍ لو كان حَيّاً أبوكم ... للام بنيه اليومَ قيسُ بن عاصمِ)
فبلغهم ذلك الشعر فقالوا له والله لئن زدت على هذين البيتين لنقتلنك غيلة وخلوه والنوار وأرادت منافرته إلى ابن الزبير فلم يقدر أحد على أن يكريها خوفا منه
ثم إن قوما من بني عدي يقال لهم بنو أم النسير أكروها فقال الفرزدق
(ولولا أن يقول بنو عدِيٍّ ... ألم تَك أمَّ حَنظلة النَّوارُ)

(أتتكم يا بني مِلْكان عنّي ... قوافٍ لا تُقسّمها التِّجارُ)
وقال فيهم أيضا
(لعمري لقد أردى النّوارَ وساقها ... إلى البور أحلامٌ خِفافٌ عقولُها)
(أطاعت بني أمّ النُّسَير فأصبحت ... على قَتبٍ يعلو الفلاةَ دليلُها)
(وقد سَخِطَت مِنّي النّوارُ الذي ارتضَى ... به قبلَها الأزواجُ خاب رحيلُها)
((وإن امرأً أمسى يُخبّب زوجتي ... كساعٍ إلى أُسْدِ الشرى يستبيلها
(ومن دون أبواب الأسود بَسالةٌ ... وبَسْطَةُ أيد يمنع الضّيمَ طُولُها)
(وإنّ أميرَ المؤمنين لعالمٌ ... بتأويل ما وَصّى العِبادَ رسولُها)
(فدُونَكَها يا بنَ الزبير فإنها ... مُولَّعة يُوهِي الحِجارةَ قِيلُها)
(وما جادل الأقوامَ من ذي خصومة ... كورهاء مَشْنوءٍ إليها حليلُها)
فلما قدمت مكة نزلت على تماضر بنت منظور بن زبان زوجة عبد الله ابن الزبير ونزل الفرزدق بحمزة بن عبد الله بن الزبير ومدحه بقوله
(أمسيتُ قد نزلتّ بحمزة حاجَتِي ... إن المنوَّه باسمِه الموثوقُ)
(بأبي عمارةَ خير من وَطِئ الحصا ... وجرت له في الصالحين عُروقُ)
(بين الحواريِّ الأعزّ وهاشمٍ ... ثم الخليفةُ بعدُ والصِّدِّيق)
غنى في هذه الأبيات ابن سريج رملا بالبنصر
قال فجعل أمر النوار يقوى وأمر الفرزدق يضعف فقال
(أمّا بنوه فلم تُقْبَل شفاعتُهم ... وشُفِّعَتْ بنتُ منظور بن زَبّانَا)
ملاحاة بينه وبين ابن الزبير
وقال ابن الزبير للنوار إن شئت فرقت بينكما وقتلته فلا يهجونا أبدا وإن شئت سيرته إلى بلاد العدو فقالت ما أريد واحدة منهما فقال
لها فإنه ابن عمك راغب فأزوجك أياه قالت نعم فزوجها منه فكان الفرزدق يقول خرجنا ونحن متحابين
قال وكان الفرزدق قال لعبد الله بن الزبير وقد توجه الحكم عليه إنما تريد أن أفارقها فتثب عليها وكان ابن الزبير حديدا فقال له هل أنت وقومك إلا جالية العرب
ثم أمر به فأقيم وأقبل على من حضر فقال إن بني تميم كانوا وثبوا على البيت قبل الإسلام بمائة وخمسين سنة فاستلبوه فاجتمعت العرب عليها لما انتهكت منه ما لم ينتهكه أحد قط فأجلتها من ارض تهامة قال فلقي الفرزدق بعض الناس فقال إيه يعيرنا ابن الزبير بالجلاء اسمع ثم قال
(فإن تغْضَبْ قريشٌ أو تَغَضَّبْ ... فإنّ الأرضَ تُوعِبُها تميم)
(هُم عَددُ النجوم وكلُّ حيٍّ ... سواهمْ لا تُعدُّ له نجوم)
(ولولا بيت مكةَ ما ثويتم ... بها صحَّ المنابتُ والأروم)
(بها كثُر العديدُ وطاب منكم ... وغيرُكم أخِيذُ الريشِ هِيم)
(فمهلاً عن تعلّل مَن غَدَرْتم ... بخونته وعذَّبه الحَميم)
(أعبدَ اللّهِ مهلاً عن أذاتي ... فإني لا الضعيفُ ولا السؤوم)
(ولكنّي صفاةٌ لم تُدنَّس ... تزلُّ الطيرُ عنها والعُصوم)
((أنا ابن العاقِر الخُورَ الصّفايا ... بضوّى حين فُتِّحت العُكوم
قال فبلغ هذا الشعر ابن الزبير وخرج للصلاة فرأى الفرزدق في طريقه فغمز عنقه فكاد يدقها ثم قال
(لقد أصبحت عِرسُ الفرزدق ناشزاً ... ولو رَضِيت رُمحَ استِه لاستقرّت)
وقال هذا الشعر لجعفر بن الزبير
وقيل إن الذي كان تقرر عليه عشرة آلاف درهم وإن سلم بن زياد أمر له بعشرين ألف درهم مهرا ونفقة فقبضها فقالت له زوجته أم عثمان بنت عبد الله بن عمرو بن أبي العاص الثقفية أتعطي عشرين ألف درهم وأنت محبوس فقال
(ألا بَكَرَتْ عِرسِي تلومُ سفاهةً ... على ما مضى مني وتأمرُ بالبُخْلِ)
(فقلتُ لها والجودُ مِنّي سجيّةٌ ... وهل يمنع المعروفَ سُؤّاً له مِثلي)
(ذَريني فإنّي غيرُ تارك شيمتي ... ولا مُقصرٍ طول الحياة عنِ البذْلِ)
(ولا طاردٍ ضيفي إذا جاء طارقا ... وقد طرق الأضيافُ شيخيَ من قبلي)
(أأبخَلُ إن البُخْل ليس بمُخْلِدي ... ولا الجودُ يدنيني إلى الموت والقتل)
(أبيعُ بني حرب بآلِ خويلدٍ ... وما ذاك عند الله في البيع بالعدل)
(وليس ابنُ مروان الخليفةُ مشبهاً ... لفحلِ بَني العوّام قُبِّح من فحل)
(فإن تُظهروا ليَ البخلَ آلَ خُوَيْلد ... فما دأبكم دأبي ولا شكلُكم شكلِي)
(وإن تَقهروني حين غابت عشيرتي ... فمن عجبِ الأيام أن تقهروا مِثلي)
فلما اصطلحا ورضيت به ساق إليها مهرها ودخل بها وأحبلها قبل أن يخرج من مكة
ثم خرجا وهما عديلان في محمل
وأخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام عن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد بنحو من هذه القصة
قال عمر بن شبة قال الفرزدق في خبره
(يا حمزَ هل لك في ذي حاجة عَرضت ... أنضاؤه بمكان غير ممطور)
(فأنت أحرى قريش أن تكون لها ... وأنت بين أبي بكر ومنظور)
(بين الحواريّ والصدّيق في شُعَبٍ ... نَبَتْنَ في طُنُب الإسلام والخير)
كانت القبائل تتقي هجاءه
أخبرنا أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثنا عبد القاهر بن السري السلمي قال
كان فتى من بني حرام شويعر هجا الفرزدق قال فأخذناه فأتينا به الفرزدق وقلنا هذا بين يديك فإن شئت فاضرب وإن

شئت فاحلق فلا عدوى عليك ولا قصاص قد برئنا إليك منه قال فخلى سبيله وقال
(فمن يك خائفاًلأذاة شعري ... فقد أمِنَ الهجاء بَنُو حرامِ)
(هم قادوا سفيههم وخافوا ... قلائدَ مثل أطواق الحمامِ)
قال ابن سلام وحدثني عبد القاهر قال
مر الفرزدق بمجلسنا مجلس بني حرام ومعنا عنبسة مولى عثمان بن عفان فقال يا أبا فراس متى تذهب إلى الآخرة قال وما حاجتك إلى ذاك يا أخي قال أكتب معك إلى ابي قال أنا لا أذهب إلى حيث أبوك أبوك في النار اكتب إليه مع زيالويه واصطقانوس
أخبرني الحسن بن يحيى عن حماد عن أبيه قال أخبرني مخبر عن خالد بن كلثوم الكلبي قال
مررت بالفرزدق وقد كنت دونت شيئا من شعره وشعر جرير وبلغه ذلك فاستجلسني فجلست إليه وعذت بالله من شره وجعلت أحدثه حديث أبيه وأذكر له ما يعجبه ثم قلت له إني لأذكر يوم لقبك بالفرزدق قال وأي يوم قلت مررت به وأنت صبي فقال له بعض من كان يجالسه كأن ابنك هذا الفرزدق دهقان الحيرة في تيهه وأبهته فسماك بذلك فأعجبه هذا القول وجعل يستعيد ثم قال أنشدني بعض أشعار ابن المراغة في فجعلت أنشده حتى انتهيت ثم قال فأنشد نقائضها التي أجبته بها فقلت ما أحفظها فقال يا خالد أتحفظ ما قاله في ولا تحفظ نقائضه والله لأهجون كلبا هجاء يتصل عاره بأعقابها إلى يوم القيامة إن لم تقم حتى تكتب نقائضها أو تحفظها وتنشدنيها فقلت أفعل فلزمته شهرا حتى حفظت نقائضها وأنشدته إياها خوفا من شره

زواجه من حدراء بنت زيق

أخبرني عبد الله بن مالك قال حدثنا محمد بن حبيب قال حدثني الأصمعي قال
تزوج الفرزدق حدراء بنت زيق بن بسطام بن قيس الشيباني وخاصمته النوار وأخذت بلحيته فجاذبها وخرج عنها مغضبا وهو يقول
(قامَتْ نوارُ إليَّ تَنتِفُ لِحيتي ... تَنْتافَ جعدةَ لحيةَ الخشخاش)
(كلتاهما أسدٌ إذا ما أُغْضِبت ... وإذا رَضِينَ فهنْ خير معاش)
قال والخشخاش رجل من عنزة وجعدة امرأته فجاءت جعدة إلى النوار فقالت ما يريد مني الفرزدق أما وجد لامرأته أسوة غيري
وقال الفرزدق يفضل عليها حدراء
(لعمري لأعرابيَّةٌ في مَظَلّةٍ ... تظلُّ برَوقي بيتها الريحُ تخْفُق)
(أحبُّ إلينا من ضِنَاك ضِفَنَّة ... إذا وُضعت عنها المراويحُ تَعْرَقُ)
(كريمِ غزالٍ أو كُدرَّةِ غائصٍ ... يكاد إذا مرت لها الأرض تشرقُ)
فلما سمعت النوار ذلك أرسلت إلى جرير وقالت للفرزدق والله لأخزينك يا فاسق فجاء جرير فقالت له أما ترى ما قال الفاسق وشكته إليه وأنشدته شعره فقال جرير أنا أكفيك وأنشأ يقول
(ولَستَ بمعطي الحكمِ عن شَفِّ منصبٍ ... ولا عن بنات الحنظليّين راغبُ)
(وهنّ كماءِ المزنِ يُشْفَى به الصَّدى ... وكانت مِلاحاً غيرَهُنَّ المشاربُ)
(لقد كنتَ أهلاً أن يسوق دياتكم ... إلى آلِ زيق أن يعيبَك عائب
(وما عدلتْ ذاتُ الصليبِ ظَعينةً ... عُتَيبةُ والرِّدفان منها وحاجبُ)
(أأهْديتَ يا زيقُ بن بَسطامَ ظَبيةً ... إلى شرِّ من تُهْدى إليه القرائب)
(ألا ربَّما لم نُعْطِ زيقاً بحُكمِه ... وأدّى إلينا الحكمَ والغُلُّ لازبُ)
(حَوينَا أبا زيقٍ وزيقاً وعمَّه ... وجدّةُ زيق قد حَوتْها المقانِبُ)
فأجابه الفرزدق فقال
(تقول كليبٌ حين مثَّت سِبالها ... وأعشَبَ من مروْتِها كلُّ جانب)
(لسوّاقِ أغنام رعتهنّ أمَه ... إلى أن علاها الشيبُ فوق الذوائب)
(ألستَ إذا القعساءُ مرت براكبٍ ... إلى آل بِسطامِ بن قيس بخاطب)
(وقالوا سمعنا أنّ حدراءَ زُوِّجتْ ... على مائَةٍ شُمِّ الذُّرى والغوارب)
(فلو كنتَ من أكفاء حدْراء لم تلُمْ ... على دارميٍّ بين ليلى وغالبِ)
(فنل مثلَها من مثلهم ثم أمَّهم ... بمِلكك من مال مُراح وعازب)
(وإني لأخشى إن خطبتَ إليهمُ ... عليك الذي لاقَى يسارُ الكواعبِ)
((ولو تنكحُ الشّمسُ النجوم بناتها ... نكحنا بنات الشمس قبل الكواكب
وفي المناقضات التي دارت بين الفرزدق وجرير حول زواج بنت زيق قال جرير أبياته التي أولها
(يا زيقُ أنكحتَ قَيناً في استه حَمَمٌ ... يا زيقُ ويْحَك من أنكحتَ يا زيق)
(أين الألى أنزلوا النعمان ضاحيةً ... أم أين أبناءُ شيبانَ الغرانيق)
(يا ربّ قائلةٍ بعد البناء بها ... لا الصهرُ راضٍ ولا ابنُ القينِ معشوقُ)
(غاب المثنّى فلم يشهد نَجِيَّكُما ... والحوفزانُ ولم يشهدْك مفروق)
والفرزدق يقول لجرير
(إن كان أنفُك قد أعياك تحمِلُه ... فاركب أتانك ثم اخطُب إلى زيق)
أخبرني الحسن بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن زكريا بن ثباة الثقفي قال
أنشدني الفرزدق قصيدته التي رثى فيها ابنه فلما انتهى إلى قوله
(بَفي الشَّامِتِينَ الَّصخرُ إن كان مسَّني ... رزيّةُ شِبْلٍ مُخْدِرٍ في الضَّراغم)
قال يا أبا يحيى أرأيت ابني قلت لا قال والله ما كان يساوي عباءته

لبطة بن الفرزدق ينشد لأبيه

قال إسحاق حدثني أبو محمد العبدي عن اليربوعي عن أبي نصر قال قدم لبطة بن الفرزدق الحيرة فمر بقوم من بني تغلب فاستقراهم فقروه ثم قالوا له من أنت قال ابن شاعركم ومادحكم وأنا والله ابن الذي يقول فيكم

(أضحى لتغلبَ من تميمٍ شاعِرٌ ... يرمي الأعاديَ بالقريض الأثقل)
(إن غاب كعبُ بني جُعَيلٍ عنهم ... وتنمَّر الشعراء بعد الأخطل)
(يتباشرون بموته ووراءهم ... مِنّي لهم قِطعُ العذاب الْمُرْسَل)
فقالوا له فأنت ابن الفرزدق إذا قال أنا هو فتنادوا يا آل تغلب اقضوا حق شاعركم والذائد عنكم في ابنه فجعلوا له مائة ناقة وساقوها إليه فانصرف بها
أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال أتى الفرزدق عبد الله بن مسلم الباهلي فسأله فثقل عليه الكثير وخشيه في القليل وعنده عمرو بن عفراء الضبي راوية الفرزدق وقد وكان هجاه جرير لروايته للفرزدق في قوله
(ونُبِّئْتُ جوَّاباً وسَلْماً يسبّني ... وعمرو بن عِفْري لا سلامٌ على عمرو)
فقال ابن عفراء للباهلي لا يهولنك أمره أنا أرضيه عنك فأرضاه بدون
ما كان هم له به فأعطاه ثلثمائة درهم فقبلها الفرزدق ورضي عنه فبلغه بعد ذلك صنيع عمرو فقال
(ستعلم يا عمرو بن عفْرى مَن الذي ... يُلام إذا ما الأمر غَبَّتْ عواقبُه)
(نهيتُ ابنَ عِفرى أن يعفّر أمّه ... كعفْر السّلا إذ جرَّرتْه ثعالبُه)
(فلو كنت ضَبِّياً صفحتُ ولو سرتْ ... على قَدَمِي حيَّاتُه وعقاربه)
(ولكنْ دِيافِيٌّ أبوه وأمّه ... بحوْران يعصرْن السليط أقاربه)
(ولما رأى الدّهنا رمته جبالُها ... وقالت دِيافيٌّ مع الشام جانبه)
فإن تغضب الدهنا عليك فما بها ... طريقٌ لمرتاد تُقاد رَكائبُه) (تضِنُّ بمال الباهليِّ كأنما ... تضِنُّ على المال الذي أنت) كاسِبُه)
(وإنّ امرأ يَغْتَابُني لم أطأْ لَه ... حَرِيماً ولا يَنْهاه عنِّي أقاربُه)
(كمحتَطِبٍ يوما أساوِدَ هَضْبة ... أتاه بها في ظلمة الليل حاطبُه)
(أحينَ التقى ناباي وأبيضّ مِسْحلي ... وأطرق إطراق الكرى من يُجانِبه)
فقال ابن عفراء وأتاه في نادي قومه اجهد جهدك هل هو إلا أن تسبني والله لا أدع لك مساءة إلا أتيتها ولا تأمرني بشيء إلا اجتنبته ولا
تنهاني عن شيء إلا ركبته قال فاشهدوا أني أنهاه أن ينيك أمه فضحك القوم وخجل ابن عفرى
أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال حدثنا شعيب بن صخر قال
تزوج ذبيان بن أبي ذبيان العدوي من بلعدوية فدعا الناس في وليمته فدعا ابن أبي شيخ الفقيمي فألقى الفرزدق عنده فقال له يا أبا فراس انهض قال إنه لم يدعني قال إن ابن ذبيان يؤتى وإن لم يدع ثم لا تخرج من عنده إلا بجائزة فأتياه فقال الفرزدق حين دخل
(كم قال لي ابنُ أبي شيخ وقلت له ... كيف السَّبيلُ إلى معروف ذُبيان)
(إنّ القلوصَ إذا ألقت جآجئها ... قُدامَّ بابك لم نرحل بحِرمان)
قال أجل يا أبا فراس فدخل فتغدى عنده وأعطاه ثلثمائة درهم
أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال حدثني أبو بكر المدني قال
دخل الفرزدق المدينة فوافق فيها موت طلحة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري وكان سيدا سخيا شريفا فقال يا أهل المدينة أنتم أذل قوم الله قالوا وما ذاك يا أبا فراس قال غلبكم الموت على طلحة حتى أخذه منكم
يعطى عروضا بدل النقد
وأتى مكة فأتى عمرو بن عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف الجمحي وهو سيد أهل مكة يومئذ وليس عنده نقد حاضر وهو يتوقع
أعطيته وأعطية ولده وأهله فقال والله يا أبا فراس ما وافقت عندنا نقدا ولكن عروضا إن شئت فعندنا رقيق فرهة فإن شئت أخذتهم قال نعم فأرسل له بوصفاء من بنيه وبني أخيه فقال هم لك عندنا حتى تشخص وجاءه العطاء فأخبره الخبر وفداهم فقال الفرزدق ونظر إلى عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد وكان يطوف بالبيت الحرام يتبختر
(تمْشي تَبَخْتُر حولَ البيتِ منتخَباً ... لو كنتَ عمرو بنَ عبد الله لم تزدِ)
أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال حدثنا عامر بن أبي عامر وهو صالح بن رستم الخراز قال أخبرني أبو بكر الهذلي قال
إنا لجلوس عند الحسن إذ جاء الفرزدق يتخطى حتى جلس إلى جنبه فجاء رجل فقال يا أبا سعيد الرجل يقول لا والله وبلى والله في كلامه قال لا يريد اليمين فقال الفرزدق أو ما سمعت ما قلت في ذلك قال الحسن ما كل ما قلت سمعوا فما قلت قال قلت
ولستَ بمأخوذٍ بلغو تقوله ... إذا لم تعمَّدْ عاقداتِ العزائم) قال فلم ينشب أن جاء رجل آخر فقال يا أبا سعيد)
نكون في هذه المغازي فنصيب المرأة لها زوج أفيحل غشيانها وإن لم يطلقها زوجها فقال الفرزدق أو ما سمعت ما قلت في ذلك قال الحسن ما كل ما قلت سمعوا فما قلت قال قلت
(وذات حَليلٍ أنكحْتنا رماحُنا ... حلالاً لمن يَبْني بها لم تُطَلَّق)
يهجو في شعره إبليس
قال أبو خليفة أخبرني محمد بن سلام وأخبرني محمد بن جعفر قالا
أتى الفرزدق الحسن فقال إني هجوت إبليس فاسمع قال لا حاجة لنا بما تقول قال لتسمعن أو لأخرجن فأقول للناس إن الحسن ينهى عن هجاء إبليس قال اسكت فإنك بلسانه تنطق
قال محمد بن سلام أخبرني سلام أبو المنذر عن علي بن زيد قال ما سمعت الحسن متمثلا شعرا قط إلا بيتا واحدا وهو قوله
(الموتُ بابٌ وكُلُّ الناس داخلُه ... فليتَ شعريَ بعد الباب ما الدَّار)
قال وقال لي يوما ما تقول في قول الشاعر
(لولا جريرٌ هلكتْ بَجِيلهْ ... نِعْمَ الفتى وبِئسَتِ القبيلهْ)
أهجاه أم مدحه قلت مدحه وهجا قومه قال ما مدح من هجي قومه

وقال جرير بن حازم ولم أسمعه ذكر شعرا قط إلا
(ليس مَنْ مات فاستراح بمَيْتٍ ... إنما الميْتُ ميّتُ الأحياء)
وقال رجل لابن سيرين وهو قائم يستقبل القبلة يريد أن يكبر أيتوضأ من الشعر فانصرف بوجهه إليه فقال
(ألا أصبحتْ عرسُ الفرزدق ناشِزاً ... ولو رضِيتْ رُمحَ استه لاستَقَرَّت)
ثم كبر
متفرقات من أبياته الشائعة
قال ابن سلام وكان الفرزدق أكثرهم بيتا ومقلدا والمقلد المغني المشهور الذي يضرب به المثل من ذلك قوله
(فيا عجباً حتى كليبٌ تسبني ... كأنّ أباها نَهْشَلٌ أو مُجاشِعُ)
وقوله
(ليس الكرام بناحِليك أباهمُ ... حتى يُردَّ إلى عطية نَهْشَل)
وقوله
(وكنّا إذا الجبّار صَعَّر خَدّه ... ضربناه حتى تستقيم الأخادع)
وقوله
(وكنتَ كذئب السوء لما رأى دَمَاً ... بصاحبه يوماً أحال على الدَّم)
وقوله
(وكنتَ ترجّي رُبيعٌ أن تجيء صغارُها ... بخير وقد أعيا رُبيعاً كبارُها)
وقوله
(أكلتْ دوابرها الإكَامُ فمشيها ... مما وَجِئْن كمشية الإعياء)
وقوله
(قوارص تأتيني وتحتقرونها ... وقد يملأ القطرُ الإناءَ فَيَفعُم)
وقوله
(أحلاَمُنا تزن الجبالَ رَزانةً ... وتخالنا جِناً إذا ما نجهل)
وقوله
(وإنك إذ تسعى لتدرك دارما ... لأنت المُعَنَّى يا جرير المُكَلف)
(وقوله (فإن تنجُ مني تنج من ذي عَظيمةٍ ... وإلا فإنّي لا إخالك ناجيا
وقوله
(ترى كل مظلوم إلينا فِرارُه ... ويهربُ منا جهدَه كُلُّ ظالمِ)
وقوله
(ترى الناس ما سِرْنا يسيرون حولَنا ... وإن نحن أومأنا إلى النّاس وقّفوا)
وقوله
(فسَيف بني عبسٍ وقد ضربوا به ... نَبا بيَدَيْ وَرْقاءَ عن رأسِ خالد)
((كذاك سيوف الهند تنبو ظُباتها ... ويَقطعن أحيانا مَنَاط القَلائِد
وكان يداخل الكلام وكان ذلك يعجب أصحاب النحو من ذلك قوله يمدح هشام بن إسماعيل المخزومي خال هشام بن عبد الملك
(وأصبَح ما في الناس إلا مُمَلَّكاً ... أبو أمه حَيٌّ أبوه يُقاربه)
وقوله
(تا الله قد سَفِهَتْ أميّةُ رأيَها ... فاستجهلت سُفهاؤها حلماءَها)
وقوله
(ألستم عائجين بنا لعنَّا ... نرى العَرصاتِ أو أثَر الخيام)
فقالوا
(إن فعلتَ فأغنِ عنا ... دُموعاً غيرَ راقِئة السّجام)
وقوله
(فهل أنتَ إن ماتت أتانُكَ راحِلٌ ... إلى آل بِسطام بن قيس فخاطب)
وقوله
(فَنَلْ مثلَها من مثلِهم ثم دُلَّهمَ ... على دارميّ بين ليلى وغالب)
وقوله
(تعالَ فإن عاهدتني لا تخونُني ... نكنْ مثلَ مَنْ يا ذئبُ يَصْطحبان)
وقوله
(إنا وإياك إن بلّغْنَ أرحُلَنا ... كمَنْ يواديه بعد المَحْل مَمْطورُ)
وقوله
(بنى الفاروق أمّك وابن أروى ... به عثمان مروان المصابا)
وقوله
(إلى مَلِك ما أمُّه من مُحاربٌ ... أبوه ولا كانت كليب تصاهِرُه)
وقوله
(إليك أميرَ المؤمنين رمَتْ بنا ... هموم المنا والهَوْجَل المتعسّف)
(وعض زمانٌ يا بن مروان لم يدعْ ... من المال إلا مُسحتاً أو مُجلَّف)
وقوله
(ولقد دنت لك بالتخلّف إذْ دنَت ... منها بلا بَخَلٍ ولا مبذولِ)
(وكأنّ لونَ رُضابِ فيها إذ بدا ... بَرَدٌ بفرع بَشامةٍ مصْقولُ)

وقوله فيها لمالك بن المنذر
(إنّ ابن ضبّارى ربيعةَ مالِكاً ... لله سيفٌ صنيعةٍ مَسْلولُ)
(ما نال من آل المُعلّى قبلَه ... سيفٌ لكل خليفة ورسُولُ)
(ما من يَدي رَجُلٍ أحقُّ بما أتى ... من مكرمات عظاية الأخطار)
(من راحتين يزيدُ يقدح زندَه ... كفّاهما ويشد عقد جوار)
ومن قوله
(إذا جئتَه أعطاك عفواً ولم يكن ... على ماله حال الندى منك سائله)
(لدى ملك لا تنصف النعلُ ساقَه ... أجل لا وإن كانت طِوالاً حمائله)
(وقوله (والشيب يَنْهَضُ في الشباب كأنه ... ليل يسير بجانبيه نهار
كان صادقا في مدحه
قال أبو خليفة أخبرنا محمد بن سلام قال حدثني شعيب بن صخر
عن محمد بن زياد وأخبرني به الجوهري وجحظة عن ابن شبة عن محمد ابن سلام وكان محمد في زمام الحجاج زمانا قال
انتهيت إلى الفرزدق بعد موت الحجاج بالردم وهو قائم والناس حوله ينشد مديح سليمان بن عبد الملك
(وكم أطلقتْ كفاك من غلّ بائس ... ومن عُقدةٍ ما كان يُرجَى انحلالُها)
(كثيراً من الأيدي التي قد تُكُتِّفَتْ ... فَكَكْتَ وأعناقاً عليها غِلالها)
قال قلت أنا والله أحدهم فأخذ بيدي وقال أيها الناس سلوه عما أقول والله ما كذبت قط
أخبرني جحظة قال حدثني ابن شبة عن محمد بن سلام فذكر مثله وقال فيه والله ما كذبت قط ولا أكذب أبدا
يأبى الحضور إلى يزيد بن المهلب قبل أن يدفع له
قال أبو خليفة قال ابن سلام وسمعت الحارث بن محمد بن زياد يقول
كتب يزيد بن المهلب لما فتح جرجان إلى أخيه مدركة أو مروان احمل إلي الفرزدق فإذا شخص فأعط أهله كذا وكذا ذكر عشرة آلاف درهم فقال له الفرزدق ادفعها إلي قال اشخص وأدفعها إلى أهلك فأبى وخرج وهو يقول
(دعاني إلى جُرجانَ والرّيُّ دونه ... لآتِيَهُ إنّي إذاً لزءورُ)
((لآتيَ من آل المهلّب ثائراً ... بأعراضهم والدّائرات تدورُ
(سآبى وتأبى لي تميمٌ وربما ... أَبَيْتُ فلم يقدر عليّ أمير)
قال أبو خليفة قال ابن سلام
وسمعت سلمة بن عياش قال حبست في السجن فإذا فيه الفرزدق قد حبسه مالك بن المنذر بن الجارود فكان يريد أن يقول البيت فيقول صدره وأسبقه إلى القافية ويجيء إلى القافية فأسبقه إلى الصدر فقال لي ممن أنت قلت من قريش قال كل أير حمار من قريش من أيهم أنت قلت من بني عامر بن لؤي قال لئام والله أذلة جاورتهم فكانوا شر جيران قلت ألا أخبرك بأذل منهم وألأم قال من قلت بنو مجاشع قال ولم ويلك قلت أنت سيدهم وشاعرهم وابن سيدهم جاءك شرطي مالك حتى أدخلك السجن لم يمنعوك
قال قاتلك الله
قال أبو خليفة قال ابن سلام
وكان مسلمة بن عبد الملك على العراق بعد قتل يزيد بن المهلب فلبث بها غير كثير ثم عزله يزيد بن عبد الملك واستعمل عمر بن هبيرة على العراق فأساء عزل مسلمة فقال الفرزدق وأنشدنيه يونس
(ولت بمسلمةَ الركابُ مُودَّعاً ... فارعَيْ فزارةُ لا هَناكِ المَرْتَعُ)
(فسد الزمانُ وبُدِّلت أعلامُه ... حتى أميّةُ عن فزارةَ تنْزع)
(ولقد علمتُ إذا فزارةُ أُمِّرت ... أن سوف تطمع في الإمارة أشجعُ)
((وبحق ربك ما لهم ولمثلهم ... في مثلِ ما نالت فَزارةُ مطمع
(عُزِل ابنُ بشر وابنُ عَمْرو قبلَه ... وأخو هَراةَ لمثلها يتوقّع)
ابن بشر عبد الملك بن بشر بن مروان كان على البصرة أمره عليها مسلمة وابن عمرو سعيد بن حذيفة بن عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط وأخو هراة عبد العزيز بن الحكم بن أبي العاصي
ويروى للفرزدق في ابن هبيرة
(أمير المؤمنين وأنت عفٌّ ... كريمٌ لستَ بالطَّبع الحريص)
(أولَّيتَ العِراقَ ورافِدَيْه ... فزاريًّا أحذَّ يدِ القَميص)
(ولم يكُ قبلها راعي مخاضٍ ... لتأمنَه على وَرِكَيْ قَلُوص)
(تفنَّن بالعراق أبو المثَّنى ... وعَلّم أهلَه أكْلَ الخَبيص)
وأنشدني له يونس
(جَهِّز فإنك ممتارٌ ومُبتعثٌ ... إلى فزارة عِيراً تحمِل الكَمَرَا)
(إنَّ الفزاريَّ لو يعمى فأطعَمَه ... أيرَ الحِمار طبيبٌ أبرأ البَصَرَا)
(إن الفزاريّ لا يشفيه من قَرَمٍ ... أطايبُ العَيْر حتى ينهش الذّكرا)
(يقول لمّا رأى ما في إنائهم ... لله ضيف الفزاريين ما انْتَظَرَا)
فلما قدم خالد بن عبد الله القسري واليا على ابن هبيرة حبسه في السجن فنقب له سرب فخرج منه فهرب إلى الشام فقال فيه الفرزدق يذكر خروجه
(ولما رأيتَ الأرض قد سدَّ ظهرُها ... ولم تر إلا بطنَها لك مخرجا)
(دعوت الذي ناداه يونُس بعد ما ... ثوى في ثلاث مظلمات ففرّجا)
(فأصبحت تحت الأرض قد سِرْت ليلةً ... وما سار سارٍ مثلها حين أدلجا)
(خرجتَ ولم تمنن عليك شفاعةٌ ... سوى رَبذِ التقريب من آل أعوجا)
(أغرَّ من الحُوِّ اللهاميم إذ جرى ... جرى بكَ محبوكُ القِرى غير أفحجا)

(جرى بك عُريان الحماتين ليلَهُ ... به عنك أرخى الله ما كان أشرجا)
(وما احتال مُحتالٌ كحيلته التي ... بها نفسه تحت الصّرِيمة أولجا)
(وظَلماء تحت الأرض قد خُضت هولَها ... وليلٍ كلون الطيلسانيّ أدْعجا)
(هما ظُلْمتا ليل وأرض تلاقتا ... على جامع من همّه ما تعوَّجا)
هجوه لخالد القسري
فحدثني جابر بن جندل قال فقيل لابن هبيرة من سيد العراق قال
الفرزدق هجاني أميراً ومدحني سوقة
وقال الفرزدق لخالد القسري حين قدم العراق أميرا لهشام
(ألا قطع الرحمن ظهرَ مطيَّةٍ ... أتتنا تمطَّى من دمشقٍ بخالد)
(وكيف يؤمّ المسلمين وأمُّه ... تدين بأنّ الله ليس بواحد)
(بَنى بَيْعَةً فيها الصَّليبُ لأمّه ... وهدّم من كُفرٍ منارَ المساجدِ)
وقال أيضا
(نزلت بجيلَةُ واسطاً فتمكَّنت ... ونفتْ فزارةَ عن قرار المنزل)
وقال أيضا
(لعمري لئن كانت بجيلةُ زانها ... جَريرٌ لقد أخزى بجيلة خالدُ)
فلما قدم العراق خالد أميرا أمر على شرطة البصرة مالك بن المنذر بن الجارود وكان عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر يدعي على مالك قرية فأبطلها خالد وحفر النهر الذي سماه المبارك فاعترض عليه الفرزدق فقال
(أهلكتَ مالَ الله في غير حقّه ... على النَّهَر المشؤوم غير المباركِ)
(وتَضربُ أقواماً صِحاحاً ظهورهم ... وتتركُ حقَّ الله في ظَهْر مالك)
(أإنفاقَ مالِ الله في غير كُنهه ... ومَنعاً لَحقِّ المرمِلات الضرائك)
دخل على الحجاج يستميحه مهر حدراء زوجته
أخبرني عبد الله بن مالك قال حدثنا محمد بن حبيب عن الأصمعي قال قال أعين بن لبطة
دخل الفرزدق على الحجاج لما تزوج حدراء يستميحه مهرها فقال له تزوجت أعرابية على مائة بعير فقال له عنبسة بن سعيد إنما هي فرائض قيمتها ألفا درهم الفريضة عشرون درهما فقال له الحجاج ليس غيرها يا كعب أعط الفرزدق ألفي درهم
قال وقدم الفضيل العنزي بصدقات بكر بن وائل فاشترى الفرزدق مائة بعير بألفين وخمسمائة درهم على أن يثبتها له في الديوان قال الفرزدق فصليت مع الحجاج الظهر حتى إذا سلم خرجت فوقفت في الدار فرآني فقال مهيم فقلت إن الفضيل العنزي قدم بصدقات بكر بن وائل وقد اشتريت منه مائة بعير بألفين وخمسمائة درهم على أن تحتسب له في الديوان فإن رأى الأمير أن يأمر لي بإثباتها له فعل فأمر أبا كعب أن يثبت للفضيل ألفين وخمسمائة درهم ونسي ما كان أمر له به قال فلما جاء الفرزدق بالإبل قالت له النوار خسرت صفقتك أتتزوج أعرابية نصرانية سوداء مهزولة خمشاء الساقين على مائة من الإبل فقال يعرض بالنوار وكانت أمها وليدة
(لجَاريةٌ بين السّليل عروقُها ... وبين أبي الصّهباء من آل خالدِ)
(أحقُّ بإغلاء المهور من التي ... ربتْ تتردّى في حجور الولائدِ)
فأبت النوار عليه أن يسوقها كلها فحبس بعضها وامتار عليه ما يحتاج إليه أهل البادية ومضى ومعه دليل يقال له أوفى بن خنزير قال أعين فلما كان في أدنى الحي رأوا كبشا مذبوحا فقال الفرزدق يا أوفى هلكت والله حدراء قال وما علمك بذلك قال ويقال إن أوفى قال للفرزدق يا أبا فراس لن ترى حدراء فمضوا حتى وقفوا على نادي زيق وهو جالس فرحب به وقال له انزل فإن حدراء قد ماتت وكان زيق نصرانيا فقال قد عرفنا أن نصيبك من ميراثها في دينكم النصف وهو لك عندنا فقال له الفرزدق والله لا أرزؤك منه قطميرا فقال زيق يا بني دارم ما صاهرنا أكرم منكم في الحياة ولا أكرم منكم شركة في الممات فقال الفرزدق
(عَجِبت لحادينا المقحِّم سيره ... بنا مُوجعاتٍ من كَلالٍ وظُلَّعَا)
(ليُدنينَا ممن إلينَا لقاؤه ... حبيبٌ ومن دارٍ أردنا لتجمعا)
(ولو نعلمُ الغيبَ الذي من أمامنا ... لكرّبنا الحادي المطيّ فأسرعا)
(يقولون زُرْ حدراءَ والتُّربُ دونها ... وكيف بشيء وصلُه قد تقطَّعا)
(يقول ابن خِنزير بكيت ولم تكن ... على امرأة عيني إدخال لتدمعا)
(وأهونُ رزء لامرئٍ غير جازع ... رزئية مرتج الروادف أفرعا)
(ولست وإن عزت علي بزائر ... تُرابا على مرموسةٍ قد تضعضعا)
وقيل إن النوار كانت استعانت بأم هاشم لا بتماضر وأم هاشم أخت تماضر لأن تماضر ماتت عند عبد الله بعد أن ولدت له خبيبا وثابتا ابني
عبد الله بن الزبير وتزوج بعدها أختها أم هاشم فولدت له هاشما وحمزة وعبادا وفي أم هاشم يقول الفرزدق
(تروّحتِ الرّكبانُ يا أُمَّ هاشم ... وهنَّ مُنَاخاتٌ لهن حنين)
(وحبّسْن حتّى ليس فيهن نافقٌ ... لبيعٍ ولا مركوبُهن سمين)
طلق رهيمة زوجته لأنها نشزت به
أخبرنا عبد الله قال حدثنا محمد بن حبيب قال حدثني الأصمعي قال
نشزت رهيمة بنت غني بن درهم النمرية بالفرزدق فطلقها وقال يهجوها بقوله
(لا ينكحن بعدي فتىً نَمرِيَّةً ... مُرمَّلةً من بعلها لبعادِ)
(وبيضاء زَعراء المفارق شَخْتَةً ... مولّعةً في خُضرة وسوادِ)
(لها بَشَرٌ شَثْنٌ كأن مَضَمّه ... إذا عانقت بَعْلاً مَضَمُّ قتادِ)
(قرنتُ بنفسي الشؤمَ في ورد حوضها ... فَجُرِّعتُه مِلحا بماء رمادِ)
(وما زلتُ حتى فرَّق الله بيننا ... له الحمدُ منها في أذىً وجهاد)

(تُجدِّد لي ذكرى عذَاب جهنَّمٍ ... ثلاثاً تُمسِّيني بها وتغادي)
يحظى بجارية بنسيئة فتحمل منه
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني الحسين بن موسى قال قال
المدائني لقي الفرزدق جارية لبني نهشل فجعل ينظر إليها نظرا شديدا فقالت له مالك تنظر فو الله لو كان لي ألف حر ما
طمعت في واحد منها قال ولم يالخناء قالت لأنك قبيح المنظر سيء المخبر فيما أرى فقال أما والله لو جربتني لعفى
خبري على منظري قال ثم كشف لها عن مثل ذراع البكر فتضبعت له عن مثل سنام البكر فعالجها فقالت أنكاح بنسيئة
هذا شر القضية قال ويحك ما معي إلا جبتي أفتسلبينني إياها ثم تسنمها فقال
(أولجتُ فيها كذِراع البَكر ... مُدملَكَ الرأسِ شديدَ الأسْر)
(زاد على شِبْرٍ ونصفِ شِبْر ... كأنني أولجتُه في جَمر)
(يُطير عنه نَفَيانَ الشَّعْر ... في شُعور الناس يَوْمَ النحر)
قال فحملت منه ثم ماتت فبكاها وبكى ولده منها
(وغمدِ سِلاحٍ قد رزئتُ فلم أنُح ... عليه ولم أبعثْ عليه البواكيا)
(وفي جَوفه من دارمٍ ذو حفيظةٍ ... لو أنَّ المنايا أنسأته لياليا)
(ولكنَّ ريبَ الدهر يعثُر بالفتى ... فلم يستطع رَدًّا لما كان جائيَا)
(وكم مثلِه في مثلها قد وضعته ... وما زلت وثَّاباً أجرُّ المخازيا)
فقال جرير يعيره
(وكم لكَ يا بنَ القيْن إنْ جاء سائلٌ ... من ابنٍ قصيرِ الباع مثلُك حاملُه)
((وآخر لم تشعُر به قد أضعتَه ... وأوردته رحما كثيراً غوائِلُه
زواجه من ظبية ابنة حالم وعجزه عنها
أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا محمد بن موسى قال حدثني محمد بن سليمان الكوفي عن أبيه قال
تزوج الفرزدق ظبية ابنة حالم من بني مجاشع بعد أن أسن فضعف وتركها عند أمها بالبادية سنة ولم يكن صداقها عنده
فكتب إلى أبان بن الوليد البجلي وهو على فارس عامل لخالد بن عبد الله القسري فأعطاه ما سأل وأرضاه فقال يمدحه
(فلو جمعوا من الخِلاَّنِ ألفا ... فقالوا أعطِنا بهمُ أبانا)
(لقلتُ لهم إذاً لغبنتموني ... وكيف أبيع من شرطِ الزمانا)
(خليلٌ لا يرى المائةَ الصَّفايا ... ولا الخيلَ الجيادَ ولا القيانَا)
(عَطاءً دون أضعاف عليها ... ويُطعمُ ضَيفَه العُبُطَ السِّمانا)
العبط الإبل التي لا وجع بها
(فما أرجو لظبيةَ غيرَ ربِّي ... وغيرَ أبي الوليد بما أعانا)
(أعانَ بهجمة أرضَتْ أباها ... وكانت عنده غَلَقاً رهانا)
وقال أيضا في ذلك
(لقد طال ما استودعتُ ظبيةَ أمَّها ... وهذا زمان رُدّ فيه الودائعُ)
وقال حين أراد أن يبني بها
(أبادر سُؤَّالا بظبية أنني ... أتتني بها الأهوالُ من كل جانب)
(بمالِئةِ الحِجْلَيْن لو أنَّ مّيِّتاً ... ولو كان في الأموات تحت النصائب)
(دعته لألقى الرَّبَ عند انتفاضِه ... ولو كان تحت الراسيات الرواسب)
فلما ابتنى منها عجز عنها فقال
(يا لهفَ نفسي على نَعْظٍ فُجِعْتُ به ... حين التقى الرَّكَبُ المحلوقُ والرَّكَبُ)
وقال جرير
(وتقول ظَبيةُ إذ رأتك محوقِلاً ... حَوقَ الحمارِ من الخبال الخابل)
(إنَّ البليَّة وهْي كلُّ بليةٍ ... شيخٌ يُعلّل عِرسَه بالباطل)
(لو قد عَلقتِ من المهاجر سُلَّما ... لنجوتِ منه بالقضاء الفاصِلِ)
قال فنشزت منه ونافرته إلى المهاجر وبلغه قول جرير فقال المهاجر لو أتتني بالملائكة معها لقضيت للفرزدق عليها
شعره في ابنته مكية وأمها الزنجية
قال وكان للفرزدق ابنة يقال لها مكية وكانت زنجية وكان إذا حمي الوطيس وبلغ منه الهجاء يكتني بها ويقول
((ذا كمْ إذاً ما كنتُ ذا محميَّهْ ... بدارميٍّ أمُّه ضَبِّيهْ
(... صمحمح يُكنَى أبا مكِّية)
وقال في أمها
(ويا ربَّ خَوْدٍ من بنات الزّنج ... تحمل تنُّوراً شديدَ الوهْج)
(أقعبَ مثْل القدح الخَلَنج ... يزداد طيباً عند طول الهرج)
(... مَخَجْتُها بالأير أيَّ مخج)
فقالت له النوار ريحها مثل ريحك
وقال في أم مكية يخاطب النوار
(فإن يكُ خالُها من آل كسرى ... فكِسرى كان خيراً من عِقال)
(وأكثرَ جزيةً تُهدَى إليه ... وأصبرَ عند مختِلف العوالي)
قال وكانت أم النوار خراسانية فقال لها في أم مكية
(أغرك منها أُدْمَةٌ عربيّةٌ ... علت لونَها إن اليجَادِيَّ أحمرُ)
يمدح سعيد بن العاص فيحقد عليه مروان
حدثني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد عن ابن الكلبي قال
دخل الفرزدق على سعيد بن العاص وهو والي المدينة لمعاوية فأنشده

(ترى الغرّ الجحاجحَ من قريش ... إذا ما الخطب في الحدثان غالا)
(وقُوفاً ينظرون إلى سعيد ... كأنهمُ يرون به هلالا)
وعنده كعب بن جعيل فلما فرغ من إنشاده قال كعب هذه والله رؤياي البارحة رأيت كأن ابن مرة في نواحي المدينة وأنا أضم ذلاذلي
خوفا منه فلما خرج الفرزدق خرج مروان في أثره فقال لم ترض أن نكون قعودا حتى جعلتنا قياما في قولك
(قِياماً ينظرون إلى سعيد ... كأنهمُ يرون به هلالا)
فقال له يا أبا عبد الملك إنك من بينهم صافن فحقد عليه مروان ذلك ولم تطل الأيام حتى عزل سعيد وولي مروان فلم يجد على الفرزدق متقدما حتى قال قصيدته التي قال فيها
(هما دَلّتاني من ثمانين قامة ... كما انقضَّ بازٍ أقتمُ الريش كاسِرُهْ)
(فلما استوت رجلايَ في الأرض قالتا ... أحيٌّ يُرجَّى أم قتيلٌ نُحاذره)
(فقلت ارفعا الأمراسَ لا يشعروا بنا ... وأقبلت في أعقاب ليل أبادره)
(أبادر بوابين لم يشعروا بنا ... وأحمرَ من ساجٍ تلُوح مسامره)
فقال له مروان أتقول هذا بين أزواج رسول الله اخرج عن المدينة فذلك قول جرير
(تدلَّيتَ تزني من ثمانينَ قامةً ... وقَصَّرت عن باع الندى والمكارم)
أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا الرياشي عن محمد بن سلام قال
خبر آخر في مدحه سعيدا
دخل الفرزدق المدينة هاربا من زياد وعليها سعيد بن العاص بن أمية
ابن عبد شمس أميرا من قبل معاوية فدخل على سعيد ومثل بين يديه وهو معتم وفي مجلس سعيد الحطيئة وكعب بن جعيل التغلبي وصاح الفرزدق أصلح الله الأمير أنا عائذ بالله وبك أنا رجل من تميم ثم أحد بني دارم أنا الفرزدق بن غالب قال فأطرق سعيد مليا فلم يجبه فقال الفرزدق رجل لم يصب دما حراما ولا مالا حراما فقال سعيد إن كنت كذلك فقد أمنت فأنشده
(إليكَ فررتُ منكَ ومن زيادٍ ... ولم أحسب دمي لكما حَلالا)
(ولكنّي هجوتُ وقد هجاني ... معاشرُ قد رضخْتُ لهم سِجالا)
(فإن يكن الهجاء أحلَّ قتلي ... فقد قلنا لشاعرهم وقالا)
(أرقتُ فلم أنم ليلاً طويلا ... أراقب هل أرى النَّسرين زالا)
(عليك بني أمية فاستجرهم ... وخذ منهم لما تخشى حِبالا)
(فإنّ بني أمية في قريش ... بَنَوْا لبيوتهم عَمَداً طوالا)
(ترى الغرَّ الجحاجح من قريش ... إذا ما الأمر في الحدثان غالا)
(قياما ينظرون إلى سعيد ... كأنّهمُ يرون به هلالا)
قال فلما قال هذا البيت قال الحطيئة لسعيد هذا والله الشعر لا ما كنت تعلل به منذ اليوم فقال كعب بن جعيل فضلته على نفسك فلا تفضله على غيرك قال بلى والله إنه ليفضلني وغيره يا غلام أدركت من قبلك وسبقت من بعدك ولئن طال عمرك لتبرزن
ثم عبث الحطيئة بالفرزدق فقال يا غلام أنجدت أمك قال لا بل أبي أراد الحطيئة إن كانت أمك أنجدت فقد أصبتها فولدتك إذ شابهتني في الشعر فقال الفرزدق لا بل أبي فوجده لقنا
أخبرني ابن دريد قال قال لنا أبو حاتم قال الأصمعي
ومن عبثات الفرزدق انه لقي مخنثا فقال له من أين راحت عمتنا فقال له المخنث نفاها الأغر بن عبد العزيز يريد قول جرير
(نفاكَ الأغرّ بن عبد العزيز ... وحقُّك تُنْفَى من المسجدِ)
جرير يقر له بالغلبة ويلقبه بالعزيز
أخبرنا ابن دريد عن الرياشي عن النضر بن شميل قال قال جرير
ما قال لي ابن القين بيتا إلا وقد اكتفأته أي قلبته إلا قوله
(ليس الكِرامُ بناحليكَ أباهم ... حتى يرد إلى عطية تعتل)
فإني لا أدري كيف أقول فيها
وأخبرني ابن دريد قال حدثنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد عن ابن الكلبي عن عوانة بن الحكم قال
بينما جرير واقف في المربد وقد ركبه الناس وعمر بن لجأ مواقفه فأنشده عمر جواب قوله
(يا تَيْمَ تيمِ عديٍّ لا أبا لكم ... لا يقذفنَّكُم في سَوأةٍ عمرُ)
(أحين صرْتُ سِماماً يا بني لجأٍ ... وخاطرَتْ بيَ عن أحسابها مُضرُ)
فقال عمر جواب هذا
(لقد كذبتَ وشرُّ القولِ أكذبُهُ ... ما خاطرَتْ بك عن أحسابها مُضَر)
(ألستَ نَزوَةَ خوّارٍ على أمة ... لا يسبق الحلباتِ اللؤمُ والخورُ)
وقد كان الفرزدق رفده بهذين البيتين في هذه القصيدة فقال جرير لما سمعها قبحا لك يا بن لجأ أهذا شعرك كذبت والله ولو مت هذا شعر حنظلي هذا شعر العزيز يعني الفرزدق فأبلس عمر فما رد جوابا
وخرج غنيم بن أبي الرقراق حتى أتى الفرزدق فضحك وقال إيه يا بن أبي الرقراق وإن عندك لخبرا قلت خزي أخوك ابن قتب فحدثته فضحك حتى فحص برجليه ثم قال في ساعته
(وما أنت إن قُرْمَا تَميم تساميا ... أخا التّيم إلا كالوشيظة في العَظم)
(فلو كنت مولى الظلم أو في ثيابِه ... ظلمتَ ولكن لا يَدَيْ لك بالظُّلْم)
فما بلغ هذان البيتان جريرا قال ما أنصفني في شعر قط قبل هذا يعني قوله
(...إنْ قرمَا تميم تساميا)
يغتصب جيد الشعراء
أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا الرياشي قال

كان الفرزدق مهيبا تخافه الشعراء فمر يوما بالشمردل وهو ينشد قصيدته حتى بلغ إلى قوله
(وما بين مَنْ لم يُعطِ سمعاً وطاعةً ... وبين تميمٍ غيرُ حزّ الغَلاصم)
قال والله لتتركن هذا البيت أو لتتركن عرضك قال خذه على كره مني فهو في قصيدة الفرزدق التي أولها قوله
(... تحنّ بزوراءِ المدينة ناقَتِي)
قال وكان الفرزدق يقول خير السرقة ما لا يجب فيه القطع يعني سرقة الشعر
أخبرنا ابن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة عن الضحاك بن بهلول الفقيمي قال بينما أنا بكاظمة وذو الرمة ينشد قصيدته التي يقول فيها
(أحينَ أعاذت بي تميمٌ نساءَها ... وجُرّدْت تجريدَ اليمَانِي من الغِمد)
إذا راكبان قد تدليا من نعف كاظمة متقنعان فوقفا فلما فرغ ذو الرمة حسر الفرزدق عن وجهه وقال يا عبيد اضممها إليك يعني راويته وهو عبيد أخو بني ربيعة بن حنظلة فقال ذو الرمة نشدتك الله يا أبا فراس إن فعلت قال دع ذا عنك فانتحلها في قصيدته وهي أربعة أبيات
(أحين أعاذت بي تميمٌ نساءَها ... وجُرِّدت اليمانِي من الغِمدِ)
(ومدت بضَبْعيَّ الرِّبابُ ومالكٌ ... وعمروٌ وشالت من ورائي بنو سعد)
(ومن آل يربوعٍ زُهَاءٌ كأنه ... دُجَى الليل محمودِ النِّكاية والورد)
(وكنّا إذا الجبّارُ صَعَّرَ خدَّه ... ضربناه فوق الأُنثَيَيْن على الكَرْد)
أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال
اجتمع الفرزدق وجرير وكثير وابن الرقاع عند سليمان بن عبد الملك فقال أنشدونا من فخركم شيئا حسنا فبدرهم الفرزدق فقال
(وما قوم إذا العلماء عَدّت ... عروقَ الأكرمين إلى الترابِ)
(بمختلفين إن فضَّلتمونا ... عليهم في القَديم ولا غِضاب)
(ولو رَفع السحابُ إليه قوماً ... عَلَوْنا في السماء إلى السحاب)
فقال سليمان لا تنطقوا فو الله ما ترك لكم مقالا
أخبرنا عبد الله بن مالك قال حدثنا محمد بن عمران الضبي عن سليمان بن أبي سليمان الجوزجاني قال
غاب الفرزدق فكتبت النوار تشكو إليه مكية وكتب إليه أهله يشكون سوء خلقها وتبذيها عليهم فكتب إليهم
((كتبتم عليها أنها ظلمتكم ... كذبتم وبيتِ الله بل تظلمونها
(فإلاّ تعدُّوا أنها من نسائكم ... فإنّ ابنَ ليلى والدٌ لا يشينها)
(وإنّ لها أعمامَ صدق وإخوة ... وشيخاً إذا شاءت تَنَمّر دونها)
كان ابنه لبطة عاقا به
قال وكان للفرزدق ثلاثة أولاد يقال لواحد منهم لبطة والآخر جبطة والثالث سبطة وكان لبطة من العققة فقال له الفرزدق
(إن أرعِشتْ كفَّا أبيك وأصبحتْ ... يداك يَدَيْ ليثٍ فإنك جاذِبُه)
(إذا غالَبَ ابنٌ بالشباب أباً له ... كبيراً فإن الله لا بدّ غالبُه)
(رأيتُ تباشيرَ العقوق هي التي ... من ابن امرئ ما إن يزال يُعاتبُه)
(ولما رآني قد كبِرتُ وأنني ... أخو الحي واستغنى عن المسح شاربُه)
(أصاخ لغربان النَجيِّ وإنه ... لأزورُ عن بعض المقالة جانبُه)
قال أبو عبيدة في - كتاب النقائض - قال رؤبة بن العجاج حج سليمان ابن عبد الملك وحجت معه الشعراء فمر بالمدينة منصرفا فأتي بأسرى من الروم نحو أربعمائة فقعد سليمان وعنده عبد الله بن حسن بن حسن عليهم السلام وعليه ثوبان ممصران وهو أقربهم منه مجلسا فأدنوا إليه بطريقهم وهو في جامعة فقال لعبد الله بن حسن قم فاضرب عنقه فقام فما أعطاه أحد سيفا حتى دفع إليه حرسي سيفا كليلا فضربه فأبان عنقه وذراعه وأطن ساعده وبعض الغل فقال له سليمان والله ما ضربته بسيفك ولكن بحسبك وجعل يدفع الأسرى إلى الوجوه فيقتلونهم حتى دفع إلى جرير رجلا منهم فدست إليه بنو عبس سيفا قاطعا في قراب أبيض فضربه فأبان رأسه ودفع إلى الفرزدق أسير فدست إليه القيسية سهما كليلا فضرب به الأسير ضربات فلم يصنع شيئا فضحك سليمان وضحك الناس معه
وقيل إن سليمان لما دفع إليه الأسير دفع إليه سيفا وقال اقتله به فقال لا بل أقتله بسيف مجاشع واخترط سيفه فضربه فلم يغن شيئا فقال سليمان أما والله لقد بقي عليك عارها وشنارها فقال جرير قصيدته التي يهجوه فيها وأولها
جرير يهجوه وهو يجيب
ألا حيٍّ ربعَ المنزلِ المُتقادِمِ ... وما حُلَّ مُذ حلت به أمُّ سالمِ) منها)
(ألم تشهد الجَوْنَيْن والشِّعب ذا الغَضَى ... وكَرَّات قيسٍ يومَ دَيْر الجماجم)
(تُحرِّضُ يا بنَ القَيْن قيساً ليجعلوا ... لقومك يوماً مثل يومِ الأراقم)
((بسيفِ أبي رَغْوَانَ سيفِ مُجاشعٍ ... ضربتَ ولم تضرِبْ بسيف ابن ظالم
(ضربتَ به عند الإمام فأُرعِشتْ ... يداك وقالوا مُحدثٌ غيرُ صارمِ)
فقال الفرزدق يجيب جريرا عن قوله
(وهل ضربةُ الرُّوميِّ جاعلةٌ لكم ... أباً عن كُلَيْب أو أباً مثلَ دارمِ)
(كذاك سيوفُ الهندِ تنبو ظُباتُها ... وتقطعُ أحياناً مَناطَ التمائمِ)
(ولا نقتلُ الأسرَى ولكن نفكُّهُم ... إذا أثقل الأعناقَ حملُ المغارمِ)
وقال يعرض بسليمان ويعيره نبو سيف ورقاء بن زهير العبسي عن خالد بن جعفر وبنو عبس هم أخوال سليمان
(فإن يكُ سيفٌ خان أو قَدَرٌ أبى ... بتعجيل نفسٍ حتفُها غير شاهد)
(فسيفُ بني عبسٍ وقد ضربوا به ... نبا بيدَيْ ورَقاءَ عن رأس خالد)
(كذاك سيوفُ الهندِ تنبو ظُباتُها ... وتقطع أحيانا مَناط القلائدِ)
وأولها
(تباشَرُ يربوعٌ بنبوةِ ضربةٍ ... ضربتُ بها بين الطلا والمحارد)

(ولو شئتُ قدَّ السيفُ ما بين عُنقه ... إلى عَلَق بين الحِجَابَيْن جامدِ)
وقيل إن الفرزدق قال لسليمان يا أمير المؤمنين هب لي هذا الاسير فوهبه له فأعتقه وقال الأبيات التي منها
((ولا نقتُل الأسرى ولكن نفكُّهم ... إذا أثقل الأعناقَ حملُ المغارم
ثم أقبل على راويته فقال كأني بابن المراغة وقد بلغه خبري
فقال
(بسيفِ أبي رَغوانَ سيفِ مجاشعٍ ... ضربتَ ولم تضرِب بسيف ابن ظالمِ)
(ضربتَ به عند الإمام فأُرعِشت ... يداك وقالوا مُحدَثٌ غير صارم)
فما لبثنا إلا أياما يسيرة حتى جاءتنا القصيدة وفيها البيتان فعجبنا من فطنة الفرزدق
وقال أيضا في ذلك
(أيعجبُ النَّاس أن أضحكتُ خيرَهُم ... خليفةَ الله يُستسقَى به المطرُ)
(فما نبا السيفُ عن جُبْنٍ وعن دَهَش ... عند الإمامِ ولكن أُخِّر القدرُ)
(ولو ضربتُ به عمداً مُقلَّدَهُ ... لخرَّ جثمانُه ما فوقه شَعَرُ)
(وما يُقدِّم نفساً قبل مِيتَتِها ... جمعُ اليدين ولا الصَّمْصَامة الذكر)
متفرقات من شعره
وأخبرني عبد الله بن مالك قال حدثنا محمد بن حبيب عن أبي عبيدة قال
هجا الفرزدق خالدا القسري وذكر المبارك النهر الذي حفره بواسط فبلغه ذلك وكتب خالد إلى مالك بن المنذر أن احبس الفرزدق فإنه هجا نهر أمير المؤمنين بقوله
(وأهلكتَ مالَ اللّهِ في غير حقِّه ... على نهرك المشؤوم غير المُبَارك)
الأبيات فأرسل مالك إلى أيوب بن عيسى الضبي فقال ائتني بالفرزدق فلم يزل يعمل فيه حتى أخذه فطلب إليهم أن يمروا به على بني حنيفة فقال الفرزدق ما زلت أرجو أن أنجو حتى جاوزت بني حنيفة فلما قيل لمالك هذا الفرزدق انتفخ وريد مالك غضبا فلما أدخل عليه قال
(أقول لنفسي حين غصَّت بريقها ... ألا ليتَ شعري مالها عند مالكِ)
(لها عنده أن يَرجِعَ اللّهُ رُوحَها ... إليها وتنجو من جميع المهالك)
(وأنت ابنُ حَبَّارَيْ ربيعةَ أدركت ... بك الشمسُ والخضراءَ ذاتَ الحبائك)
فسكن مالك وأمر به إلى السجن فقال يهجو أيوب بن عيسى الضبي
(فلو كنتَ قَيْسياً إذاً ما حبستني ... ولكن زنجيا غليظا مشافره)
(متت له بالرحم بيني وبينه ... فألفيتُه مني بعيداً أواصِرُه)
(وقلت امرؤ من آل ضبةَ فاعتزى ... لغيرهم لونُ استِه ومَحاجِرُه)
(فسوف يرى النوبيّ ما اجترحَت له ... يَدَاه إذا ما الشِّعر عَنَّتْ نَوَافره)
(ستُلقِي عليك الخنفساء إذا فست ... عليك من الشعرِ الذي أنت حاذِرُه)
(وتأتي ابنَ زُبِّ الخنفساء قصيدةٌ ... تكون له مني عَذاباً يُباشِره)
(تعذرتَ يا بن الخنفساء ولم تكن ... لتُقْبَلَ لابْنِ الخنفساء معاذرُه)
(فإنكما يا بني يسار نزوتما ... على ثفرها ما حنّ للزيت عاصره)
(لزنجيَّة بظراءَ شقق بظرَها ... زحيرٌ بأيوبٍ شديدٌ زوافره)
ثم مدح خالد بن عبد الله ومالك بن المنذر وهو محبوس مديحا كثيرا فأنشدني يونس في كلمة له طويلة
(يا مالِ هل هو مُهلكي ما لم أقل ... وليُعلَمَنَّ من القصائد قيلي)
(يا مالِ هل لك في كبيرٍ قد أَتَتْ ... تسعون فوق يديه غيرِ قليل)
(فتجيرَ ناصِيتي وتُفرجَ كُربتِي ... عني وتطلقَ لي يداك كُبُولي)
(ولقد بنى لكم المُعَلّى ذِروةً ... رَفعتْ بناءك في أشَمَّ طويل)
(والخيلُ تعلم في جَذِيمة أنها ... تَرْدَى بكل سَمَيدَعٍ بهلُول)
(فاسقُوا فقد ملأ المعلّى حوضَكم ... بذَنوبِ مُلتَهِم الرِّباب سَجيل)
وقال يمدح مالكا وكانت أم مالك هذا بنت مالك بن مسمع
(وقِرْمٍ بين أولاد المُعلّى ... وأولاد المَسامَعةِ الكرامِ)
(تخمَّط في ربيعة بين بكر ... وعبد القيس في الحسب اللُّهام)
فلما لم تنفعه مديحة مالك قال يمدح هشام بن عبد الملك ويعتذر إليه
(ألِكْني إلى رَاعِي البريَّةِ والذي ... له العَدلُ في الأرض العريضة نوّرا)
(فإن تُنكروا شعري إذاً خرجت له ... بوادرُ لو يُرمى بها لتَفَقَّرا)
((ثبير ولو مست حِراء لحرّكت ... به الراسيات الصُّمَّ حتي تكوّرا
(إذا قال غاو من مَعَدٍّ قصيدةً ... بها حَرَبٌ كانت وبالاً مدَّ مرّا)
(أينطِقُها غيري وأُرمَى بجُرمها ... فكيف ألوم الدَّهرَ أن يتغيّرا)
(لئن صَبَرتْ نفسِي لقد أُمِرت به ... وخيرُ عباد الله من كان أصبرا)
(وكنت ابنَ أحْذارٍ ولو كنتُ خائفاً ... لكنت من العصماء في الطود أحذرا)
(ولكنْ أتوْني آمناً لا أخافهم ... نهاراً وكان اللّهُ ما شاء قدَّراً)
أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال حدثني أبو يحيى قال
قال الفرزدق لابنه لبطة وهو محبوس اشخص إلى هشام وامدحه بقصيدة وقال استعن بالقيسية ولا يمنعك قولي فيهم فإنهم سيغضبون لك وقال
(بكت عينُ محزونٍ ففاض سجامُها ... وطالت ليالي ساهرٍ لا ينامُها)
(فإن تبك لا تبكِ المصيبات إذ أتَى ... بها الدهر والأيام جَمٌّ خِصامُها)
(ولكنما تبكي تَهتّكَ خالد ... محارمَ مِنّا لا يحلل حَرامُها)

(فقُل لبني مروان ما بال ذِمَّة ... وحرمَةِ ... حَقٍّ ليس يُرْعى ذِمامُها)
(أنُقْتَل فيكم أن قَتْلنا عدوَّكُم ... على دينكم والحرب باقٍ قتامُها)
(أتاك بقتل ابن المُهلّب خالدٌ ... وفينا بَقِيّاتُ الهدى وإمامها)
((فغيِّرِ أمير المؤمنين فإنها ... يمانيةٌ حَمْقاءُ وأنت هشامُها
(أرى مُضَرَ المِصْرين قد ذَلَّ نصرُها ... ولكنْ عسى أن لا يَذِلّ شآمُها)
(فمَنْ مُبلغ بالشام قيساً وخِندفاً ... أحاديثَ ما يَشفي ببرءٍ سَقامُها)
(أحاديثَ منا نشتكيها إليهمُ ... ومظلمةً يغشى الوجوهَ قتامُها)
(فإن مَنْ بها لم يُنكر الضَّيمَ منهمُ ... فيغضبَ منها كهلُها وغلامُها)
(نمتْ مثلُها من مثلِهم وتُنكّلوا ... فيعلمَ أهلُ الجَوْر كيف انتقامُها)
(بغلباءَ من جُمهورنا مضريّةٍ ... يُزايل فيها أذرعَ القوم هامُها)
(وبيْضٍ على هام الرجال كأنّها ... كواكب يجلوها لسار ظلامُها)
(غضِبنا لكم يا آل مروان فاغضبوا ... عسى أنَّ أرواحا يسوغُ طعامها)
(ولا تقطعوا الأرحامَ منا فإنها ... ذُنوبٌ من الأعمال يُخشى أثامُها)
(ألم تكُ في الأرحام منّا ومنكمُ ... حواجزُ أيام عزيزٍ مرامُها)
(فترعى قُريشٌ من تميم قرابةً ... ونَجْزي بأيامٍ كريمٍ مقامُها)
(لقد علمتْ أبناءُ خِندف أننا ... ذُراها وأنا عزُّها وسنامُها)
(وقد علم الأحياءِ من كل موطن ... إذا عُدَّت الأحياء أنّا كرامها)
(وأنّا إذا الحربُ العَوانُ تضرّمت ... نَلِيها إذا ما الحرب شُبَّ ضِرامُها)
(قِوامُ قُوَى الإسلام والأمرِ كلّه ... وهل طاعة إلا تميم قوامها)
((تميمُ التي تخشى معدٌّ وغيرُها ... إذا ما أبى أن يستقيم همامها
(إلى الله تشكو عزَّنا الأرضُ فوقَها ... وتعلم أنا ثِقْلُها وغَرامها)
(شكتنا إلى الله العزيز فأسمعتْ ... قريباً وأعيا مَن سواه كلامُها)
(نَصولُ بحول الله في الأمر كلّه ... إذا خِيف من مصدوعةٍ ما التآمها)
فأعانته القيسية وقالوا كلما كان ناب من مضر أو شاعر أو سيد وثب عليه خالد وقال الفرزدق أبياتا كتب بها إلى سعيد بن الوليد الأبرش وكلم له هشاما
(إلى الأبرش الكلبيّ أسندتُ حاجةً ... تواكلَها حَيّا تميمٍ ووائلِ)
(على حين أن زلت بي النعل زَلّةً ... فأخلف ظنّي كُلُّ حافٍ وناعل)
(فدونكها يا بن الوليد فإنها ... مفضّلة أصحابَها في المحافل)
(ودونكها يا بن الوليد فقم بها ... قيام امرئ في قومه غير خامل)
فكلم هشاما وأمر بتخليته فقال يمدح الأبرش
(لقد وثب الكلبيُّ وَثبةَ حازمٍ ... إلى خير خلقِ الله نفساً وعُنصرا)
(إلى خيرِ أبناء الخليفة لم يجد ... لحاجته من دونها مُتأخّرا)
(أبى حِلْفُ كلبٍ في تميمٍ وعقدُها ... كما سنَّت الاباء أن يتغيَّرا)
وكان هذا الحلف حلفا قديما بين تميم وكلب في الجاهلية وذلك قول جرير بن الخطفى في الحلف
(تميمٌ إلى كلبٍ وكلبٌ إليهمُ ... أحقُّ وأدنى من صُداءَ وحمِيرَا)
((أشدُّ حبالٍ بين حيَّين مِرّةً ... حبالٌ أُمِرَّت من تميمٍ ومن كلبِ
(وليس قُضاعيٌّ لدينا بخائفٍ ... ولو أصبحت تغلي القدورُ من الحرب)
وقال أيضا
(ألم تَرَ قيساً قَيسَ عَيلانَ شمَّرتْ ... لنَصري وحاطتني هناك قُرومُها)
(فقد حالفتْ قيسٌ على النأي كلُّهم ... تميماً فهم منها ومنها تَميمُها)
(وعادتْ عَدوّي إن قيساً لأسرتي ... وقومي إذا ما الناس عُدَّ صميمُها)
خبره مع الشرطيين
أخبرني ابن دريد قال حدثني أبو حاتم عن أبي عبيدة قال
بينما الفرزدق جالس بالبصرة أيام زياد في سكة ليس لها منفذ إذ مر به رجلان من قومه كانا في الشرطة وهما راكبان فقال أحدهما لصاحبه هل لك أن أفزعه وكان جبانا فحركا دابتيهما نحوه فأدبر موليا فعثر في طرف برده فشقه وانقطع شسع نعله وانصرفا عنه وعرف أنهما هزئا منه فقال
(لقد خار إذ يجري عليّ حماره ... ضِرارُ الخنا والعنبريُّ بن أخوقَا)
(وما كنتُ لو خَوّفتماني كلاكما ... بأُمّيكما عُرْيانَتَيْن لأفرَقا)
(ولكنما خَوّفتماني بخادر ... شتيم إذا ما صادف القِرن مزّقا)
نزل بدار ليلى الأخيلية والتقى توبة بن الحمير
أخبرني عبد الله بن مالك قال حدثنا محمد بن موسى قال حدثنا القحذمي عن بعض ولد قتيبة بن مسلم عن ابن زالان المازني قال حدثني الفرزدق قال
لما طردني زياد أتيت المدينة وعليها مروان بن الحكم فبلغه أني خرجت من دار ابن صياد وهو رجل يزعم أهل المدينة أنه الدجال فليس يكلمه أحد ولا يجالسه أحد ولم أكن عرفت خبره فأرسل إلي مروان فقال أتدري ما مثلك حديث تحدث به العرب أن ضبعا مرت بحي قوم وقد رحلوا فوجدت مرآة فنظرت وجهها فيها فلما نظرت قبح وجهها ألقتها وقالت من شر ما أطرحك أهلك ولكن من شر ما أطرحك أميرك فلا تقيمن بالمدينة بعد ثلاثة أيام قال فخرجت أريد اليمن حتى إذا صرت بأعلى ذي قسي وهو طريق اليمن من البصرة فإذا رجل مقبل فقلت من أين أوضع الراكب قال من البصرة قلت فما الخبر وراءك قال أتانا أن زيادا مات بالكوفة قال فنزلت عن راحلتي فسجدت وقلت لو رجعت فمدحت عبيد الله بن زياد وهجوت مروان بن الحكم فقلت

(وقفت بأعلى ذي قسِيٍّ مطيّتي ... أمثّل في مروانَ وابن زيادِ)
(فقلت عُبّيْد الله خَيرُهما لنا ... وأدناهما من رأفةٍ وسَداد)
ومضيت لوجهي حتى وطئت بلاد بني عقيل فوردت ما بين مياههم فإذا بيت عظيم وإذا فيه امرأة سافرة لم أر كحسنها وهيئتها قط فدنوت فقالت أتأذنين في الظل قالت انزل فلك الظل والقرى فأنخت وجلست إلى قال فدعت جارية لها سوداء كالراعية فقلت ألطفيه شيئا واسعي إليها الراعي فردي علي شاة فاذبحيها له وأخرجت إلي تمرا وزبدا قال وحادثتها فو الله ما رأيت مثلها قط ما أنشدتها شعرا إلا أنشدتني أحسن منه قال فأعجبني المجلس والحديث إذ أقبل رجل بين بردين فلما رأته رمت ببرقعها على وجهها وجلس وأقبلت عليه بوجهها وحديثها فدخلني من ذلك غيظ فقلت للحين هل لك في الصراع فقال سوأة لك إن الرجل لا يصارع ضيفه قال فألححت عليه فقالت له ما عليك لو لاعبت ابن عمك فقام وقمت فلما رمى ببرده إذا خلق عجيب فقلت هلكت ورب الكعبة فقبض على يدي ثم اختلجني إليه فصرت في صدره ثم حملني قال فو الله ما اتقيت الأرض إلا بظهر كبدي وجلس على صدري فما ملكت نفسي أن ضرطت ضرطة منكرة قال وثرت إلى جملي فقال أنشدك الله فقالت المرأة عافاك الله الظل والقرى فقلت أخزى الله ظلكم وقراكم ومضيت فبينا أسير إذ لحقني الفتى على نجيب يجنب بختيا برحله وزمامه وكان رحله من أحسن الرحال فقال يا هذا والله ما سرني ما كان وقد أراك أبدعت أي كلت ركابك فخذ هذا النجيب وإياك أن تخدع عنه فقد والله أعطيت به مائتي دينار قلت نعم آخذه ولكن أخبرني من أنت ومن هذه المرأة قال أنا توبة بن الحمير وتلك ليلى الأخيلية

خبر آخر عن لقائه بليلى وتوبة

وقد أخبرني بهذا الخبر عمي قال حدثني القاسم بن محمد الأنباري قال حدثني أحمد بن عبيد عن الأصمعي قال كانت امرأة من عقيل يقال لها ليلى يتحدث إليها الشباب فدخل الفرزدق إليها فجعل يحادثها وأقبل فتى من قومها كانت تألفه ودخل إليها فأقبلت عليه بحديثها وتركت الفرزدق فغاظه ذلك فقال للرجل أتصارعني قال ذلك إليك فقام إليه الرجل فلم يلبث أن أخذ الفرزدق مثل الكرة فصرعه وجلس على صدره فضرط الفرزدق فوثب عنه الرجل خجلا وقال له الرجل يا أبا فراس هذا مقام العائذ بك والله ما أردت بك ما جرى فقال ويحك ما بي أن صرعتني ولكن كأني بابن الأتأن جرير وقد بلغه خبري هذا فقال يهجوني
(جلستَ إلى ليلى لتحظَى بقُربها ... فخانكَ دُبْرٌ لا يزال يَخونُ)
(فلو كنتَ ذا حزمٍ شددتَ وكاءَها ... كما شدَّ خَرْتاً للدِّلاص قُيونُ)
قالوا فو الله ما مضت أيام حتى بلغ جريرا الخبر فقال فيه هذين البيتين

يومه كيوم امرئ القيس بدارة جلجل

أخبرنا عبد الله بن مالك قال حدثني محمد بن موسى قال حدثني القحذمي قال حدثني بعض أصحابنا عن عبد الله بن زالان التميمي راوية
الفرزدق أن الفرزدق قال أصابنا بالبصرة مطر جود ليلا فإذا أنا بأثر دواب قد خرجت ناحية البرية فظننت قوما قد خرجوا لنزهة فقلت خليق أن تكون معهم سفرة وشراب فقصصت أثرهم حتى وقفت إلى بغال عليها رحائل موقوفة على غدير فأغذذت السير نحو الغدير فإذا نسوة مستنقعات في الماء فقلت لم أر كاليوم قط ولا يوم دارة جلجل وانصرفت مستحييا منهن فنادينني بالله يا صاحب البغلة ارجع نسألك عن شيء فانصرفت إليهن وهن في الماء إلى حلوقهن فقلن بالله إلا ما خبرتنا بحديث دارة جلجل فقلت إن امرأ القيس كان عاشقا لابنة عم له يقال لها عنيزة فطلبها زمانا فلم يصل إليها وكان في طلب غرة من أهلها ليزورها فلم يقض له حتى كان يوم الغدير وهو يوم دارة جلجل وذلك أن الحي احتملوا فتقدم الرجال وتخلف النساء والخدم والثقل فلما رأى ذلك امرؤ القيس تخلف بعد ما سار مع قومه غلوة فكمن في غيابة من الأرض حتى مر به النساء فإذا فتيات وفيهن عنيزة فلما وردن الغدير قلن لو نزلنا فذهب عنا بعض الكلال فنزلن إليه ونحين العبيد عنهن ثم تجردن فاغتمسن في الغدير كهيئتكن الساعة فأتاهن امرؤ القيس
محتالا كنحو ما أتيتكن وهن غوافل فأخذ ثيابهن فجمعها ورمى الفرزدق بنفسه عن بغلته فأخذ بعض أثوابهن فجمعها ووضعها على صدره وقال لهن كما أقول لكن والله لا أعطي جارية منكن ثوبها ولو أقامت في الغدير يومها حتى تخرج مجردة قال الفرزدق فقالت إحداهن وكانت أمجنهن ذلك كان عاشقا لابنة عمه أفعاشق أنت لبعضنا قال لا والله ما أعشق منكن واحدة ولكن أشتهيكن قال فنعرن وصفقن بأيديهن وقلن خذ في حديثك فلست منصرفا إلا بما تحب قال الفرزدق في حديث امرئ القيس فتأبين ذلك عليه حتى تعالى النهار ثم خشين أن يقصرن دون المنزل الذي أردنه فخرجت إحداهن فوضع لها ثوبها ناحية فأخذته فلبسته ثم تتابعن على ذلك حتى بقيت عنيزة فناشدته الله أن يطرح إليها ثوبها فقال دعينا منك فأنا حرام إن أخذت ثوبك إلا بيدك فخرجت فنظر إليها مقبلة ومدبرة فوضع لها ثوبها فأخذته وأقبلن عليه يلمنه ويعذلنه ويقلن عريتنا وحبستنا وجوعتنا قال فإن نحرت لكن مطيتي أتأكلن منها قلن نعم فاخترط سيفه فعقرها ونحرها وكشطها وصاح بالخدم فجمعوا له حطبا فأجج نارا عظيمة ثم جعل يقطع لهن من سنامها وأطايبها وكبدها فيلقيها على الجمر فيأكلن ويأكل معهن ويشرب من ركوة كانت معه ويغنيهن وينبذ إلى العبيد والخدم من الكباب حتى شبعن وطربن فلما أراد الرحيل قالت إحداهن أنا أحمل طنفسته وقالت الأخرى أنا أحمل رحله وقالت الأخرى أنا أحمل حشيته وأنساعه فتقسمن متاع راحلته بينهن وبقيت عنيزة لم يحملها شيئا فقال لها امرؤ القيس يا بنة الكرام لا بد لك أن تحمليني معك فإني لا أطيق المشي وليس من عادتي فحملته على غارب بعيرها فكان يدخل رأسه في خدرها فيقبلها فإذا امتنعت مال حدجها فتقول يا امرأ القيس عقرت بعيري فانزل فلذلك قوله
(تقول وقد مال الغَبيطُ بنا معاً ... عقرتَ بعيري يا امرأ القيس فانزلِ)
فلما فرغ الفرزدق من الحديث قالت تلك الماجنة قاتلك الله ما أحسن حديثك يا فتى وأظرفك فمن أنت قال قلت من مضر قالت ومن أيها فقلت من تميم قالت ومن أيها قلت إلى ههنا انتهى الكلام قالت إخالك والله الفرزدق قلت الفرزدق شاعر وأنا راوية قالت دعنا من توريتك على نسبك أسألك بالله أنت هو قال أنا هو والله قالت فإن كنت أنت هو فلا أحسبك مفارقا ثيابنا إلا عن رضا قلت أجل قالت فاصرف وجهك عنا ساعة وهمست إلى صويحباتها بشيء لم أفهمه فغططن في الماء فتوارين وأبدين رؤوسهن وخرجن ومع كل واحدة منهن ملء كفيها طينا وجعلن يتعادين نحوي فضربن بذلك الطين والحمأة وجهي وملأن عيني وثيابي فوقعت على وجهي فصرت مشغولا بعيني وما فيها وشددن على ثيابهن فأخذنها وركبت الماجنة بغلتي وتركتني منبطحا بأسوأ حال وأخزاها وهي تقول زعم الفتى أنه لا بد أن ينيكنا فما زلت من ذلك المكان حتى غسلت وجهي وثيابي وجففتها وانصرفت عند مجيء الظلام إلى منزلي على قدمي وبغلتي قد وجهن بها

إلى منزلي مع رسول لهن
وقلن قل له تقول لك أخواتك طلبت منا ما لم يمكننا وقد وجهنا إليك بزوجتك فنكها سائر ليلتك وهذا كسر درهم لحمامك إذا أصبحت فكان إذا حدث بهذا الحديث يقول ما منيت بمثلهن
يهجو مسكينا الدارمي
أخبرني عبد الله بن مالك قال حدثنا أبو مسلم الحراني قال حدثني الأصمعي قال حدثنا العلاء بن أسلم قال
لما مات زياد رثاه مسكين الدارمي فقال الفرزدق
(أمسكينُ أبكى اللهُ عينيكَ إنما ... جرى في ضلال دمعُها إذ تحدَّرَا)
(بكيتَ امرأً من آل مَيْسانَ كافراً ... ككِسرى على عِدَّانِه أو كقيصرا)
(أقول له لمّا أتاني نَعِيُّه ... به لا بظبيٍ بالصَّريمة أعفرا)
هجا ومدح آل المهلب
أخبرنا عبد الله بن مالك عن أبي مسلم الحراني قال حدثنا الأصمعي قال حدثنا العلاء بن أسلم قال
لما أراد المهلب الخروج إلى الأزارقة لقي الفرزدق جريرا فقال
له يا أبا فراس هل لك أن تكلم المهلب حتى يضع عني البحث وأعطيك ألف درهم فكلم المهلب فأجابه فلامه جذيع رجل من عشيرته وشكا ذلك إلى خيرة امرأة المهلب وقال لها لا يزال الآن الرجل يجيء فيسأل في عشيرته وصديقه فلامته خيرة بنت ضمرة القشيرية فقال المهلب إنما اشتريت عرضي منه فبلغ ذلك الفرزدق فقال يهجو جذيعا
(إن تَبْنِ دارَكَ يا جُذَيع فما بنى ... لكِ يا جذيع أبوكَ من بُنْيانِ)
(وابوكِ ملتزم السفينة عاقدٌ ... خُصْيَيْه فوق بنائق التُّبّان)
(ويظلّ يدفَع باستِه متقاعِساً ... في البحرِ معتمدا على السُّكّان)
(لا تحسبنّ دراهماً جمعتها ... تمحو مَخازيك التي بِعُمان)
وقال يهجو خيرة
(ألاَ قشرَ الإلهُ بني قَشيْرٍ ... كقَشْرِ عصا المنقّح من مُعَال)
(أرى رهطاً لخيرة لم يَؤُوبوا ... بسهم في اليمين ولا الشمال)
(إذا رُهِزَت رأيت بني قُشَيْرٍ ... من الخُيَلاء مُنتفِشي السِّبالِ)
فغضب بنو المهلب لما هجا جذيعا وخيرة فنالوا منه فهجاهم فقال
(وكائِنِ للمهلّب من نَسِيبٍ ... يُرى بلَبانه أثرُ الزِّيار)
(يخارَكَ لم يقُد فرساً ولكن ... يقودِ السّاج بالمسَد المغار)
((عمِي بالتَّنائف حين يُضحى ... دَليلَ الليل في اللجج الغِمار
(وما لِلّه يسجُد إذ يصلّي ... ولكن يسجدون لكل نار)
فلما ولي يزيد بن المهلب خراسان والعراق بعد أبيه ولاه سليمان بن عبد الملك خاف الفرزدق من بني المهلب فقال يمدحهم
(فلأ مدحنَّ بني المهلّب مِدحةً ... غرّاء قاهرة على الأشعار)
(مثل النجوم أمامها قَمْراؤها ... تجلو العَمى وتضيء ليلَ السّاري)
(ورثوا الطّعان عن المهلّب والقِرى ... وخلائقاً كتدفّق الأنهار)
(كان المهلّب للعراق وقايةً ... وحَيَا الرّبيع ومَعقِل الفُرّار)
(وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتَهم ... خضع الرقاب نواكس الأبصار)
(مازال مذ شد الإزار بكفه ... ودنا فأدرك خمسة الأشبار)
(أيزيد إنك للمهلب أدركت ... كفاك خير خلائق الأخيار)
أخبرنا عبد الله بن مالك قال حدثنا محمد بن حبيب قال حدثني الأصمعي قال
لما قدم يزيد بن المهلب واسطا قال لأمية بن الجعد وكان صديق الفرزدق إني لأحب أن تأتيني بالفرزدق فقال للفرزدق ماذا فاتك من يزيد أعظم الناس عفوا وأسخى الناس كفا قال صدقت ولكن أخشى أن آتيه فأجد العمانية ببابه فيقوم إلي رجل منهم فيقول هذا الفرزدق الذي هجانا فيضرب عنقي فيبعث إليه يزيد فيضرب عنقه ويبعث إلى أهلي ديتي فإذا يزيد قد صار أوفى العرب وإذا الفرزدق فيما بين ذلك قد ذهب قال لا والله لا أفعل فأخبر يزيد بما قال فقال أما إذ قد وقع هذا بنفسه فدعه لعنه الله
خبره مع الماجن الذي أراده
قال ابن حبيب وحدثنا يعقوب بن محمد الزهري عن أبيه عن جده قال
دخل الفرزدق مع فتيان من آل المهلب في بركة يتبردون فيها ومعهم ابن أبي علقمة الماجن فجعل يتفلت إلى الفرزدق فيقول دعوني أنكحه حتى لا يهجونا أبدا وكان الفرزدق من أجبن الناس فجعل يستغيث ويقول ويلكم لا يمس جلده جلدي فيبلغ ذلك جريرا فيوجب علي أنه قد كان منه الذي يقول فلم يزل يناشدهم حتى كفوه عنه
أخبرني عبيد الله قال حدثني محمد بن حبيب قال حدثني موسى بن طلحة قال لما ولي خالد بن عبد الله العراق فقدمها وكان من أشد خلق الله عصبية على نوار فقال لبطة بن الفرزدق فلبس أبي من صالح ثيابه وخرج يريد السلام عليه فقلت له يا أبت إن هذا الرجل يماني وفيه من العصبية ما قد علمت فلو دخلت إليه فأنشدته مدائحك أهل اليمن لعل الله أن يأتيك منه بخير فإنك قد كبرت على الرحلة فجعل لا يرد علي شيئا حتى دفعنا إلى البواب فأذن له فدخل وسلم فاستجلسه ثم قال إيه يا أبا فراس أنشدنا مما أحدثت فأنشدته
(يختلف الناسُ ما لم نجتمعْ لهمُ ... ولا خلاف إذا ما أجمعت مُضرُ)
(فينا الكواهلُ والأعناقُ تقدُمها ... فيها الرؤوس وفيها السَّمعُ والبصر)
((ولا نحالف غيرَ الله من أحد ... إلا السيوفَ إذا ما اغرَوْرَق النظر
(ومن يَملْ يمل المأثورُ قُلَّتَه ... بحيث يَلقى حِفَافَيْ رأسه الشعرِ)
(أما الملوكُ فإنا لا نلين لهم ... حتى يلينَ لضرسِ الماضِغ الحجرُ)
ثم قام فخرجنا قلت أهكذا أوصيتك قال اسكت لا أم لك فما كنت قط أملأ لقلبه مني الساعة

يفحم المنذر بن الجارود
أخبرني عبد الله قال حدثني محمد بن حبيب عن موسى بن طلحة قال
كان الفرزدق في حلقة في المسجد الجامع وفيها المنذر بن الجارود العبدي فقال المنذر من الذي يقول
(وجدنا في كتاب بني تميم ... أحقُّ الخيلِ بالركضِ المعارُ)
فقال الفرزدق يا أبا الحكم هو الذي يقول
(أشاربُ قهوةٍ وخدينُ زيرٍ ... وعبْدي لِفسوَته بُخار)
(وجدنا الخيلَ في أبناء بكرٍ ... وأفضلُ خيلهم خشبٌ وقار)
قال فخجل المنذر حتى ما قدر على الكلام
أخبرني عبد الله بن مالك قال حدثني محمد بن موسى قال حدثنا الأصمعي قال
دخل الفرزدق على بعض خلفاء بني مروان ففاخره قومٌ من الشعراء فأنشأ يقول
(ما حملَتْ ناقةٌ من معشر رجلاً ... مثلي إذا الريح لفَّتْني على الكُور)
(أعزَّ قوماً وأوفى عند مكرمةٍ ... لمعْظَمٍ من دماء القوم مهجور)
فقال له إيه فقال
(إلاّ قُريشاً فإنّ الله فضَّلها ... على البريّةِ بالإسلام والخير)
(تلقى وجوهَ بني مرْوانَ تحسبُها ... عند اللقاء مشُوفاتِ الدَّنانير)
ففضله عليهم ووصله
يمدح عيسى بن حصيلة لأنه أعانه على الفرار
قال ابن حبيب وكان الفرزدق يهاجي الأشهب بن رميلة النهشلي وبني فقيم فأرفث بهم فاستعدوا عليه زيادا فحدثني جابر بن جندل قال فأتى عيسى بن حصيلة بن مغيث بن نصر بن خالد السلمي ثم من بني بهز فقال يا أبا حصيلة إن هذا الرجل قد أخافني وقد لفظني جميع من كنت أرجو قال فمرحبا بك يا أبا فراس فكان عنده ليالي ثم قال إني أريد أن ألحق بالشام قال إن أقمت ففي الرحب والسعة وإن شخصت فهذه ناقة أرحبية أمتعك بها وألف درهم فركب الناقة وخرج من عنده ليلا
فأرسل عيسى معه من أجازه من البيوت فأصبح وقد جاوز مسيرة ثلاث فقال يمدحه
(كفاني بها البَهْزيُّ حُملانَ منْ أبى ... من الناس والجاني تُخاف جرائمُهْ)
(فتى الجودِ عيسى والمكارمِ والعُلا ... إذا المال لم ينفَع بخيلاً كرائمه)
(ومن كان يا عيسى يُؤنّب ضيْفَه ... فضَيْفُك يا عيسى هنيءٌ مطاعمُه)
(وقال تَعلَّمْ أنها أرحبيَّةٌ ... وأنّ لك الليلَ أنت جاشِمه)
(فأصْبَحْتُ والملقى ورائي وحنبل ... وما صدرت حتى علا النجم عاتمه)
(تزاور في آل الحقيق كأنها ... ظليمٌ تباري جُنح ليلٍ نعائمه)
(رأت دون عينيها ثويّة فانجلى ... لها الصبح عن صعْلٍ أسيلٍ مخاطمه)
وقال
(تدارَكني أسبابُ عيسى من الرَّدَى ... ومن يَكُ مولاه فليس بواحدِ)
(نمتْه النواصي من سُليمٍ إلى العلا ... وأعراقُ صدق بين نَصر وخالد)
(سأُثنِي بما أوليْتَني وأرُبُّه ... إذا القوم عدُّوا فضْلَهم في المشاهد)
فلما بلغ زيادا شخوصه أتبعه علي بن زهدم الفقيمي أحد بني مؤلة فلم يلحقه فقال الفرزدق
(فإنك لو لاقيتَني يا بنَ زهدمٍ ... لأبت شعاعيًّا على غير تمثال)
يلجأ إلى بكر بن وائل
فأتى بكر بن وائل فجاورهم فأمن فقال
(وقد مَثلت أين المسيرُ فلم تجد ... لعَوذَتها كالحيّ بكر بن وائل)
(وسارت إلى الأجفان خمساً فأصبحت ... مكان الثريا من يد المتناول)
(وما ضرها إذ جاورت في بلادها ... بني الحصِن ما كان اختلاف القبائل)
الحصن بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل
اطمأن عند سعيد بن العاصي بالمدينة
وهرب الفرزدق من زياد فأتى سعيد بن العاصي بن سعيد بن العاصي ابن أمية وهو على المدينة لمعاوية بن أبي سفيان فأمنه سعيد فبلغ الفرزدق أن زيادا قال لو أتاني أمنته وأعطيته فقال في كلمة له
(دعاني زيادٌ للعطاءِ ولم أكُنْ ... لآتِيَهُ ما ساق ذو حسبٍ وَفْرا)
(وعند زيادٍ لو أراد عطاءَهم ... رجالٌ كثيرٌ قد يرى بهمُ فقرا)
(قعودٌ لدى الأبواب طلاَّبُ حاجة ... عوانٍ من الحاجاتِ أو حاجة بكرا)
(فلما خشيتُ أن يكون عطاؤه ... أداهمَ سوداً أو مُحَدْرَجَةً سُمرا)
(نمْيتُ إلى حَرف أضرَّ بنَيِّها ... سُرَى الليل واستعراضُها البلد القفْرا)
فلما اطمأن عند سعيد بن العاصي بالمدينة قال
(ألا مَنْ مبلغٌ عنّي زياداً ... مُغلغلةً يخُبُّ بها البَريدُ)
(بأني قد فررتُ إلى سعيدٍ ... وَلا يُسْطَاعُ ما يَحْمي سعيد)
(فررتُ إليه من ليثٍ هِزبْرٍ ... تفادى عن فريسته الأُسود)
(فإن شئت انتميْت إلى النصارى ... وَنَاسبني وَنَاسبتِ اليهودُ)
(وإن شئت انتسبت إلى فُقَيْمٍ ... وَنَاسبني وَنَاسبتِ القرود)
(وأبغضُهم إليَّ بَنُو فُقيم ... ولكن سوف آتي ما تُريد)
فأقام الفرزدق بالمدينة فكان يدخل بها على القيان فقال
(إذا شئتُ غنَّاني من العاج قاصفٌ ... على معصم ريّان لم يتخدَّدِ)

(لبيضاءَ من أهلِ المدينة لم تعِش ... ببؤس ولم تتبعْ حُمولة مُجْحد)
(وقامت تُخشيِّني زياداً وأجفلت ... حواليَّ في بُردَيْ يمانٍ ومُجسَد)
(فقلتُ دعيني من زياد فإنَّني ... أرى الموت وقَّاعاً على كل مُرْصَدِ)
ملاحاة بينه وبين مسكين الدارمي
فلما هلك زياد رثاه مسكين بن عامر بن شريح بن عمرو بن عدي بن عدس بن عبد الله بن دارم فقال
(رأيت زيادة الإسلام ولّت ... جهاراً حين فارقها زيادُ)
فبلغ ذلك الفرزدق فقال
(أمسكينُ أبكى الله عينيك إنّما ... جرى في ضلالٍ دَمعُها فتحدَّرا)
(أتبكي امرأ من آل مَيسان كافراً ... ككسرى على عِدَّانه أو كقيصرا)
(أقول له لما أتاني نَعِيُّه ... بهِ لا بظبيٍ بالصّريمة أعفرا)
فقال مسكين
(ألا أيها المرءُ الذي لَستُ قائماً ... ولا قاعداً في القوم إلاَّ انبرى لِيَا)
(فجِئني بعمٍّ مثل عمّي أو أبٍ ... كمثل أبي أو خالِ صدقٍ كخاليَا)
(بعمرو بن عمرو أو زرارةَ ذي النّدى ... سموتُ به حتى فَرعتُ الرّوابيا)
فأمسك الفرزدق عنه وكان يقول نجوت من أن يهجوني مسكين فإن أجبته ذهبت بشطر فخري وإن أمسكت عنه كانت وصمة على مدى الدهر
أخبرني أبو خليفة فقال أخبرنا ابن سلام قال حدثني الحكم بن محمد المازني قال كان تميم بن زيد القضاعي ثم أحد بني القين بن جسر غزا الهند في جيش فجمرهم وفي جيشه رجل يقال له حبيش فلما طالت غيبته على أمه إشتاقته فسألت عمن يكلم لها تميم بن زيد أن يقفل ابنها فقيل لها عليك بالفرزدق فاستجيري بقبر أبيه فأتت قبر غالب بكاظمة حتى علم الفرزدق مكانها
ثم أتته وطلبت إليه حاجتها فكتب إلى تميم بن زيد هذه الأبيات
(هَبْ لي حُبَيشاً واتخذ فيه مِنّةً ... لغُصَّةِ أمٍّ ما يَسوغُ شرابُها)
(أتتني فعاذت يا تميمُ بغالبٍ ... وبالحفرة السافي عليها تُرابُها)
(تَميمُ بن زَيدٍ لا تكوننَّ حاجتي ... بظَهرٍ فلا يخفى عليَّ جَوابها)
فلما أتاه كتابه لم يدر ما اسمه حبيش أو حنيش فأخرج ديوانه وأقفل كل حبيش وحنيش في جيشه وهم عدة وأنفذهم إلى الفرزدق
قبر أبيه معاذ الناس
قال أبو خليفة قال ابن سلام وحدثني أبو يحيى الضبي قال
ضرب مكاتب لبني منقر بساطا على قبر غالب أبي الفرزدق فقدم الناس على الفرزدق فأخبروه بمكانه عند قبر أبيه ثم قدم عليه فقال
(بقبر ابن لَيْلى غالب عُذْتُ بعدما ... خَشيتُ الرَّدَى أو أن أُرَدَّ عَلَى قَسْرْ)
(فأخبرني قبرُ ابنِ لَيْلى فقال لي ... فِكاكُكَ أن تأتي الفرزدقَ بالمِصْر)
فقال الفرزدق صدق أبي أنخ ثم طاف له في الناس حتى جمع له مكاتبته وفضلا
وكان نفيع ذو الأهدام أحد بني جعفر بن كلاب يتعصب لجرير بمدحه قيسا فهجاه الفرزدق فاستجارت أمه بقبر غالب وعاذت من هجاء الفرزدق فقال
(ونُبّئتُ ذا الأهدام يعوي ودونه ... مِن الشَّام زُرَّاعَاتُها وَقُصُورُها)
(على حِينَ لم أترِكْ عَلَى الأرضْ حيَّةً ... ولا نابحاً إلا استقرَّ عقورُها)
(كلابٌ نَبَحن الحيّ من كل جانبٍ ... فعاد عُواءً بعد نَبْحٍ هريرُها)
(عجوزٌ تصلي الخمس عاذت بغالبٍ ... فلا والذي عاذت به لا أضيرها)
(لئن نافعٌ لم يرع أرحامَ أُمِّه ... وكانت كدَلوٍ لا يزال يعيرُها)
(لبئس دمُ المولود بلَّ ثيَابها ... عشيَّةَ نادى بالغلام بشيرُها)
(وإنّي على إشفاقها من مخافتي ... وإن عقّهَا بي نافعٌ لمجيرها)
(ولو أنَّ أمَّ الناس حواء جاورت ... تميمَ بن مُرٍّ لم تجد من يجيرها)
وهذا البيت يروى لغيره في غير هذه القصيدة
أخبرني عبد الله بن مالك قال حدثنا محمد بن حبيب قال حدثنا أحمد بن حاتم المعروف بابن نصر عن الأصمعي قال كان عبد الله بن عطية راوية الفرزدق وجرير قال فدعاني الفرزدق يوما فقال إني قلت بيت شعر والنوار طالق إن نقضه ابن المراغة قلت ما هو قال قلت
(فإني أنا الموتُ الذي هو نازلٌ ... بنفسك فانظر كيف أنت تُحاوله)
ارحل إليه بالبيت قال فرحلت إلى اليمامة قال ولقيت جريرا بفناء بيته يعبث بالرمل فقلت إن الفرزدق قال بيتا وحلف بطلاق النوار أنك لا تنقضه قال هيه أظن والله ذلك ما هو ويلك فأنشدته إياه فجعل يتمرغ في الرمل ويحثوه على رأسه وصدره حتى كادت الشمس تغرب ثم قال أنا أبو حزرة طلقت امرأة الفاسق وقال
(أنا الدهرُ يفنى الموتُ والدهر خالدٌ ... فجئني بمثل الدهر شيئاً يطاوله)
ارحل إلى الفاسق قال فقدمت على الفرزدق فأنشدته إياه وأعلمته بما قال فقال أقسمت عليك لما سترت هذا الحديث
أخبرني عبد الله قال أخبرني محمد بن حبيب قال حدثنا الأصمعي وأبو عبيدة قال
دخل الفرزدق على بلال بن أبي بردة وعنده ناس من اليمامة فضحكوا فقال يا أبا فراس أتدري مم ضحكوا قال لا قال من جفائك قال أصلح الله الأمير حججت فإذا أنا برجل منهم على عاتقه الأيمن صبي وعلى عاتقه الأيسر صبي وإذا امرأة آخذة بمئزره وهو يقول
(أنت وهبت زائداً ومزيْدا ... وكهلةً أُولجُ فيها الأجردا)
والمرأة تقول من خلفه إذا شئت فسألت ممن هو فقيل من الأشعريين أفأنا أجفى أم ذلك فقال بلال لا حياك الله قد

علمت أنهم لن يقتلوا منك
أخبرني عبد الله بن مالك قال حدثني محمد بن حبيب قال حدثنا موسى بن طلحة عن أبي زيد الأنصاري قال
ركب الفرزدق بغلته فمر بنسوة فلما حاذاهن لم تتمالك البغلة أن ضرطت فضحكن منه فالتفت إليهن فقال لا تضحكن فما حملتني أنثى إلا ضرطت فقالت له إحداهن ما حملتك أنثى أكثر من أمك فأراها قاست منك ضراطا كثيرا فحرك بغلته وهرب منهن وبهذا الإسناد قال
أتى الفرزدق الحسن البصري فقال إني قد هجوت إبليس فقال كيف تهجوه وعن لسانه تنطق
وبهذا الإسناد قال حمزة بن بيض للفرزدق يا أبا فراس أسألك عن مسألة قال سل عما أحببت قال أيما أحب إليك أتسبق الخير أم
يسبقك قال إن سبقني فاتني وإن سبقته فته ولكن نكون معا لا يسبقني ولا أسبقه ولكن أسألك عن مسألة
قال ابن بيض سل قال أيما أحب إليك أن تنصرف إلى منزلك فتجد امرأتك قابضة على أير رجل أم تراه قابضا على هنها قال فتحير وكان قد نهي عنه فلم يقبل

هو وجرير لا يصطلحان أبدا

أخبرني عبد الله قال حدثني محمد بن عمران الضبي قال حدثني الأصمعي قال
اجتمع الفرزدق وجرير عند بشر بن مروان فرجا أن يصلح بينهما حتى يتكافا فقال لهما ويحكما قد بلغتما من السن ما قد بلغتما وقربت آجالكما فلوا اصطلحتما ووهب كل واحد منكما لصاحبه ذنبه فقال جرير أصلح الله الأمير إنه يظلمني ويتعدى علي فقال الفرزدق أصلح الله الأمير إني وجدت آبائي يظلمون آباءه
فسلكت طريقهم في ظلمه فقال بشر عليكما لعنة الله لا تصطلحان والله أبدا
وأخبرني عبد الله بن مالك قال حدثنا محمد بن عمران الضبي قال حدثنا الأصمعي قال الفرزدق
ما أعياني جواب أحد ما أعياني جواب دهقان مرة قال لي أنت الفرزدق الشاعر قلت نعم قال أفأموت إن هجوتني قلت لا قال أفتموت عيشونة ابنتي قلت لا قال فرجلي إلى عنقي في حر أمك قال قلت ويلك لم تركت رأسك قال حتى أنظر أي شيء تصنع
أخبرني عبد الله قال حدثنا محمد بن حبيب عن الأصمعي قال
مر الفرزدق بمأجل فيه ماء فأشرع بغلته فيه فقال له مجنون بالبصرة يقال له حربيش نح بغلتك جذ الله رجليك قال ولم ويلك قال لأنك كذوب الحنجرة زاني الكمرة فقال الفرزدق لبغلته عدس ومضى وكره أن يسمع قوله الناس

يؤثر القصائد القصار

أخبرنا عبد الله بن مالك عن ابن حبيب عن سعدان بن المبارك قال قيل للفرزدق ما اختيارك في شعرك للقصار قال لأني رأيتها أثبت في الصدور وفي المحافل أجول قال وقيل للحطيئة ما بال قصارك أكثر من طوالك قال لأنها في الآذان أولج وفي أفواه الناس أعلق
أخبرني عبد الله بن حبيب عن سعدان بن المبارك قال قيل لعقيل ابن علفة مالك تقصر في هجائك قال حسبك من القلادة ما أحاط بالرقبة
أخبرني عبد الله عن محمد بن علي بن سعيد الترمذي عن أحمد بن حاتم أبي نصر قال
قال الجهم بن سويد بن المنذر الجرمي للفرزدق أما وجدت أمك اسما لك إلا الفرزدق الذي تكسره النساء في سويقها قال والعرب تسمي خبز الفتوت الفرزدق فأقبل الفرزدق على قوم معه في المجلس فقال ما اسمه فلم يخبروه باسمه فقال والله لئن لم تخبروني لأهجونكم كلكم قال
الجهم بن سويد بن المنذر فقال الفرزدق أحق الناس ألا يتكلم في هذا أنت لأن اسمك اسم متاع المرأة واسم أبيك اسم الحمار واسم جدك اسم الكلب

بيتان لكثير يغيران لون وجهه

أخبرنا عبد الله بن مالك عن الزبير عن عمه عن بعض القرويين قال
قدم علينا الفرزدق فقلنا له قدم علينا جرير فأنشدنا قصيدة يمدح بها هؤلاء القوم ومضى يريدهم فقال أنشدونيها فأنشدناه قصيدة كثير التي يقول فيها
(وما زالت رُقاك تسُلُّ ضِغْني ... وتخرج من مكامنها ضِبابي)
(ويَرقيني لك الحاوون حتى ... أجابك حيّةٌ تحت الحِجاب)
قال فجعل وجهه يتغير وعندنا كانون ونحن في الشتاء فلما رأينا ما به قلنا هون عليك يا أبا فراس فإنما هي لابن أبي جمعة فانثنى سريعا ليسجد فأصاب ناحية الكانون وجهه فأدماه
أخبرني عبد الله بن مالك عن محمد بن موسى قال أخبرني القحذمي قال
لقي الفرزدق الحسين بن علي عليهما السلام متوجها إلى الكوفة خارجا من مكة في اليوم السادس من ذي الحجة فقال له الحسين صلوات الله عليه وآله ما وراءك قال يا بن رسول الله أنفس الناس معك وأيديهم عليك قال ويحك معي وقر بعير من كتبهم يدعونني ويناشدونني الله
قال فلما قتل الحسين صلوات الله عليه قال الفرزدق انظروا فإن غضبت العرب لابن سيدها وخيرها فاعلموا أنه سيدوم عزها وتبقى هيبتها وإن صبرت عليه ولم تتغير لم يزدها الله إلا ذلا إلى آخر الدهر وأنشد في ذلك
(فإن أنتمُ لم تثأروا لابن خيركم ... فألقوا السلاح واغزلوا بالمغازل)
أخبرنا عبد الله بن مالك قال أخبرني أبو مسلم قال حدثني الأصمعي قال أنشد الراعي الفرزدق أربع قصائد فقال له الفرزدق أعيدها عليك لقد أتى علي زمان ولو سمعت ببيت شعر وأنا أهوي في بئر ما ذهب عني
أخبرني عبد الله بن مالك قال حدثني أبو مسلم الحراني عن الأصمعي قال
تغدى الفرزدق عند صديق له
ثم انصرف فمر ببني أسد فحدثهم ساعة ثم استسقى ماء فقال فتى منهم أو لبنا فقال لبنا فقام إلى عس فصب فيه رطلا من خمر ثم حلب وناوله إياه فلما كرع فيه انتفخت أوادجه واحمر وجهه ثم رد العس وقال جزاك الله خيرا فإني ما علمتك تحب أن تحفي صديقك وتخفي معروفك ثم مضى
قصته مع المرأة الشريفة وزوجته النوار

وأخبرنا عبد الله بن مالك عن محمد بن موسى عن القحذمي قال
كان الفرزدق أراد امرأة شريفة على نفسها فامتنعت عليه وتهددها بالهجاء والفضيحة فاستغاثت بالنوار امرأته وقصت عليها القصة فقالت لها واعديه ليلة ثم أعلميني ففعلت وجاءت النوار فدخلت الحجلة مع المرأة فلما دخل الفرزدق البيت أمرت الجارية فأطفأت السراج وغادرت المرأة الحجلة واتبعها الفرزدق فصار إلى الحجلة وقد انسلت المرأة خلف الحجلة وبقيت النوار فيها فوقع بالنوار وهو لا يشك أنها صاحبته فلما فرغ قالت له يا عدو الله يا فاسق فعرف نغمتها وأنه خدع فقال لها وأنت هي يا سبحان الله ما أطيبك حراما وأردأك حلالا

يهجو ابن سبرة لأنه منعه عن جارية

أخبرني عبد الله بن مالك
قال حدثني محمد بن موسى قال حدثني القحذمي قال
استعمل الحجاج الخيار بن سبرة المجاشعي على عمان فكتب إليه الفرزدق يستهديه جارية فكتب إليه الخيار
(كتبت إليّ تستهدي الجواري ... لقد أنعظتَ من بلدٍ بعيد)
فأجابه الفرزدق
(ألا قال الخيارُ وكان جهلا ... قد استهدى الفرزدقُ من بعيد)
(فلولا أن أمك كان عمِّي ... أباها كنت أخرس بالنشيد)
(وأنّ أبي لَعَمٌّ أبيك لجَّا ... وأنك حين أغضبُ من أسودي)
((إذاً لشددتُ شدّةَ أعوجيٍّ ... يدقّ شكيمَ مجدول الحديد
أخبرنا عبد الله بن مالك عن الأصمعي قال
سمع الفرزدق رجلا يقرأ (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله غفور رحيم) فقال لا ينبغي أن يكون هذا هكذا قال فقيل له إنما هو (عزيز حكيم) قال هكذا ينبغي أن يكون

يمدح أسماء بن خارجة

أخبرنا عبد الله بن مالك قال حدثنا أبو مسلم قال حدثنا الأصمعي قال
مر أسماء بن خارجة الفزاري على الفرزدق وهو يهنأ بعيرا له بنفسه فقال له أسماء يا فرزدق كسد شعرك واطرحتك الملوك فصرت إلى مهنة إبلك فقد أمرت لك بمائة بعير فقال الفرزدق فيه يمدحه
(إنَّ السّماحَ الذي في الناس كلّهمُ ... قد حازه اللّهُ للمفضَال أسماءِ)
(يعطي الجزيلَ بلا من يكدره ... عفوا ويتبع آلاء بنعماء)
(ما ضر قوما إذا أمسى يجاورهم ... ألاّ يكونوا ذوي إبلٍ ولا شاءِ)
اخبرني عبد الله بن مالك عن محمد بن موسى بن طلحة قال قال أبو عبيدة
دخل الفرزدق على بلال بن أبي بردة فأنشده قصيدته المشهورة فيهم التي يقول فيها
(فإن أبا موسى خليلُ محمدٍ ... وكفَّاه يُمْنَى للهدى وشِمالُها)
فقال ابن أبي بردة هلكت والله يا أبا فراس فارتاع الشيخ وقال كيف ذاك قال ذهب شعرك أين مثل شعرك في سعيد وفي العباس بن الوليد وسمى قوما فقال جئني بحسب مثل أحسابهم حتى أقول فيك كقولي فيهم فغضب بلال حتى درت أوداجه ودعي له بطست فيه ماء بارد فوضع يده فيها حتى سكن فكلمه فيه جلساؤه وقالوا قد كفاك الشيخ نفسه وقل ما يبقى حتى يموت فلم يحل عليه الحول حتى مات

اغتلم فاحتال على قابلة

أخبرنا عبد الله بن مالك عن محمد بن موسى عن سعيد بن همام اليمامي قال
شرب الفرزدق شرابا باليمامة وهو يريد العراق فقال لصاحب له إن الغلمة قد آذتني فأكسبني بغيا قال من أين أصيب لك ها هنا بغيا قال فلا بد لك من أن تحتال قال فمضى الرجل إلى القرية وترك الفرزدق ناحية فقال هل من امرأة تقبل فإن معي امرأتي وقد أخذها الطلق فبعثوا معه امرأة فأدخلها على الفرزدق وقد غطاه فلما دنت منه واثبها ثم ارتحل مبادرا وقال كأني بابن الخبيثة يعني جريرا لو قد بلغه الخبر قد قال
((وكنت إذا حللتَ بدار قومٍ ... رحلتَ بخِزْيةٍ وتركتَ عارا
قال فبلغ جريرا الخبر فهجاه بهذا الشعر
وأخبرنا عبد الله بن مالك عن محمد بن موسى قال قال أبو نهشل حدثنا بعض أصحابنا قال
وقف الفرزدق على الشمردل وهو ينشد قصيدة له فمر هذا البيت في بعض قوله
(وما بين مَن لم يعطِ سمعاً وطاعة ... وبين جرير غير حزّ الحلاقم)
فقال الفرزدق يا شمردل لتتركن هذا البيت لي أو لتتركن عرضك قال خذه لا بارك الله لك فيه فهو في قصيدته التي ذكر فيها قتيبة بن مسلم وهي التي أولها قوله
(تحنُّ إلى زورا اليمامة ناقتي ... حنينَ عجولٍ تبتغي البّو رائمِ)

امرأة تستعيذ بقبر أبيه

أخبرنا عبد الله بن مالك قال حدثنا محمد بن حبيب عن الأصمعي قال
جاءت امرأة إلى قبر غالب أبي الفرزدق فضربت عليه فسطاطا
فأتاها فسألها عن أمرها
فقالت إني عائذة بقبر غالب من أمر نزل بي قال لها وما هو قد ضمنت خلاصك منه قالت إن ابنا لي أغزي إلى السند مع تميم بن زيد وهو واحدي قال انصرفي فعلي انصرافه إليك إن شاء الله قال وكتب من وقته إلى تميم بقوله
(تميم بنَ زيدٍ لاتكوننّ حاجتِي ... بظَهرٍ فلا يخفى عليّ جَوابُها)
(وهب لي حُبيْشاً واتّخِذْ فيه مِنَّةً ... لحرْمة أمٍّ ما يسوغُ شرَابُهَا)
(أتتِني فعاذت يا تَميمُ بغَالبٍ ... وبالحفْرة السّافي عليها ترابُهَا)
قال فعرض تميم جميع من معه من الجند فلم يدع أحدا اسمه حبيش ولا حنيش إلا وصله وأذن له في الانصراف إلى أهله
أخبرنا عبد الله بن مالك قال أخبرنا محمد بن حبيب عن الأصمعي قال

مر الفرزدق بصديق له فقال له ما تشتهي يا أبا فراس قال أشتهي شواء رشراشا ونبيذا سعيرا وغناء يفتق السمع
الرشراش الرطب والسعير الكثير
أخبرنا عبد الله بن مالك قال حدثنا محمد بن حبيب قال حدثني السعدي عن أبي مالك الزيدي
قال
أتينا الفرزدق لنسمع منه شيئا فجلسنا ببابه ننتظر إذ خرج علينا في ملحفة فقال لنا يا أعداء الله ما اجتماعكم ببابي
والله لو أردت أن أزني ما قدرت
أخبرني عبد الله بن مالك قال حدثنا أبو مسلم قال حدثنا الأصمعي عن هشام بن القاسم قال
قال الفرزدق قد علم الناس أني فحل الشعراء وربما أتت علي
الساعة لقلع ضرس من أضراسي أهون علي من قول بيت شعر
حدثنا عبد الله بن مالك عن أبي مسلم عن الأصمعي قال
كان الفرزدق وأبو شقفل راويته في المسجد فدخلت امرأة فسألت عن مسالة مسألة وتوسمت فرأت هيئة أبي شقفل
فسألته عن مسألتها فقال الفرزدق
(أبو شقفل شيخ عن الحق جائرٌ ... بباب الهدى والرّشد غيرُ بصير)
فقالت المرأة سبحان الله أتقول هذا لمثل هذا الشيخ فقال أبو شقفل دعيه فهو أعلم بي
سكينة بنت الحسين تكذب ادعاءاته
أخبرنا عبد الله بن مالك قال حدثنا محمد بن موسى قال حدثنا المدائني قال
خرج الفرزدق حاجا فمر بالمدينة فأتى سكينة بنت الحسين صلوات الله عليه وآله فقالت يا فرزدق من أشعر الناس قال
أنا قالت كذبت أشعر منك الذي يقول
(بنفسي مَن تجنُّبه عزيزٌ ... عليَّ ومَنْ زيارتُه لِمامُ)
(ومن أُمسِي وأُصبح لا أراه ... ويطرقني إذا هجع النيامُ)
فقال والله لو أذنت لي لأسمعتك أحسن منه
فقالت أقيموه فأخرج
ثم عاد إليها في اليوم الثاني
فقالت له يا فرزدق
من أشعر الناس قال أنا قالت كذبت أشعر منك الذي يقول
(لولا الحياءُ لهاجني استعبارُ ... ولزرتُ قبركِ والحبيبُ يزارُ)
(لا يلبث القُرَناءُ أن يتفرّقوا ... ليلٌ بكرِّ عليهمُ ونهارُ)
(كانت إذا هجر الضجيعُ فراشها ... كُتِمَ الحديثُ وعفّت الأسرار)
قال أفأسمعك أحسن منه قالت اخرج
ثم عاد إليها في اليوم الثالث وعلى رأسها جارية كأنها ظبية فاشتد عجبه بها
فقالت يا فرزدق من أشعر الناس قال أنا
قالت كذبت
أشعر منك الذي يقول
(إنّ العيونَ التي في طَرفِها مَرَضٌ ... قتَلننا ثم لم يُحيين قَتْلاَنا)
(يَصرعْن ذا اللُّبّ حتى لا حَراكَ له ... وهُنَّ أضعفُ خلق الله أركانا)
ثم قالت قم فاخرج
فقال لها يا بنت رسول الله إن لي عليك لحقا
إذ كنت إنما جئت مسلما عليك فكان من تكذيبك إياي وصنيعك بي حين أردت أن أسمعك شيئا من شعري ما ضاق به
صدري
والمنايا تغدو وتروح ولا أدري لعلي لا أفارق المدينة حتى أموت
فإن مت فمري من يدفنني في حر هذه الجارية التي على رأسك فضحكت سكينة حتى كادت تخرج من ثيابها وأمرت له
بالجارية وقالت أحسن صحبتها فقد
آثرتك بها على نفسي قال فخرج وهو آخذ بريطتها
يطالب معاوية بتراث عمه
أخبرنا عبد الله بن مالك قال حدثنا محمد بن موسى قال حدثنا المدائني قال
وفد الحتات عم الفرزدق على معاوية فخرجت جوائزهم فانصرفوا ومرض الحتات فأقام عند معاوية حتى مات فأمر معاوية
بماله فأدخل بيت المال فخرج الفرزدق إلى معاوية وهو غلام فلما أذن للناس دخل بين السماطين ومثل بين يدي معاوية
فقال
(أبوك وعمّي يا معاويَ ورَّثا ... تراثاً فيحتازُ التّراثَ أقاربُه)
(فما بال ميراثِ الحتات أكلتَهُ ... وميراثُ حربٍ جامدٌ ليَ ذائبه)
(فلو كان هذا الأمرُ في جاهليّةٍ ... علمتَ مَن المولى القليلُ حلائبهُ)
(ولو كان هذا الأمر في مِلك غيركم ... لأدّاه لي أو غصّ بالماء شاربه)
فقال له معاوية من أنت قال أنا الفرزدق قال ادفعوا إليه ميراث عمه الحتات وكان ألف دينار فدفع إليه
امرأة ترجز به فيذكرها بشعر فاحش
أخبرنا عبد الله بن مالك عن أبي حمزة الأنصاري قال أخبرنا أبو زيد قال قال أبو عبيدة
انصرف الفرزدق من عند بعض الأمراء في غداة بادرة وأمر بجزور فنحرت ثم قسمت فأغفل امرأة من بني فقيم نسيها
فرجزت به فقالت
(فَيْشَلةٌ هدْلاءُ ذات شِقْشق ... مشرفةُ اليافوخ والمحوَّقِ)
(مُدمَجةٌ ذاتُ حِفافٍ أخلق ... نِيطت بحَقْوَيْ قَطِمٍ عشَنَّق)

(... أولجتها في سبة الفرزدق)
قال أبو عبيدة فبلغني أنه هرب منها فدخل في بيت حماد بن الهيثم ثم إن الفرزدق قال فيها بعد ذلك
(قتلتُ قتيلاً لم ير الناسُ مثلَه ... أُقلِّبه ذا تَوْمَتين مُسَوَّرا)
(حملتُ عليه حملتين بطعنةٍ ... فغَادرتُه فوق الحشَايا مكوّرا)
(ترى جرحَه من بعد ما قد طعنته ... يفوح كمثل المسكِ خالطَ عنبرا)
(وما هو يوم الزحف بارزَ قِرنَه ... ولا هو ولىّ يوم لاقى فأدبرا)
(بني دارم ما تأمرون بشاعرٍ ... برود الثّنَايَا ما يزال مزعفرا)
(إذا ما هو استلقى رأيت جِهازه ... كمقطع عُنق الناب أسودَ أحمرا)
(وكيف أُهَاجي شاعراً رمحُهُ استُه ... أعدَّ ليوم الروع درعاً ومَجْمرا)
فقالت المرأة ألا لا أرى الرجال يذكرون مني هذا وعاهدت الله ألا تقول شعرا
أخبرنا عبد الله بن مالك بن مسلم عن الأصمعي قال
مر الفرزدق يوما في الأزد فوثب عليه ابن أبي علقمة لينكحه وأعانه على ذلك سفهاؤهم فجاءت مشايخ الأزد وأولو النهى منهم فصاحوا بابن أبي علقمة وبأولئك السفهاء فقال لهم ابن أبي علقمة ويلكم أطيعوني اليوم واعصوني الدهر هذا شاعر مضر ولسانها قد شتم أعراضكم وهجا ساداتكم والله لا تنالون من مضر مثلها أبدا فحالوا بينه وبينه فكان الفرزدق يقول بعد ذلك قاتله الله
إي والله لقد كان أشار عليهم بالرأي
رجل من الأنصار يتحداه بشاعرهم حسان بن ثابت
أخبرني عبد الله بن مالك قال حدثنا محمد بن حبيب قال قال الكلبي قال إبراهيم بن محمد بن سعد بن أبي وقاص وأخبرنا بهذا الخبر محمد بن العباس اليزيدي والأخفش جميعا عن السكري عن ابن حبيب عن أبي عبيدة والكلبي قال وأخبرنا به إبراهيم بن سعدان بن سعدان عن أبيه عن أبي عبيدة قالوا جميعا
قدم الفرزدق المدينة في إمارة أبان بن عثمان فأتى الفرزدق وكثير عزة فبينا هما يتناشدان الأشعار إذ طلع عليهما غلام شخت رقيق الأدمة في ثوبين ممصرين فقصد نحونا فلم يسلم وقال أيكم الفرزدق فقلت مخافة أن يكون من قريش أهكذا تقول لسيد العرب وشاعرها فقال لو كان
كذلك لم أقل هذا فقال له الفرزدق من أنت لا أم لك قال رجل من الأنصار ثم من بني النجار ثم أنا ابن أبي بكر بن حزم بلغني أنك تزعم أنك أشعر العرب وتزعمه مضر وقد قال شاعرنا حسان بن ثابت شعرا فأردت أن اعرضه عليك وأؤجلك سنة فإن قلت مثله فأنت أشعر العرب كما قيل وإلا فأنت منتحل كذاب ثم أنشده
(... ألم تسألِ الربّع الجديدَ التكلُّما)
حتى بلغ إلى قوله
(وأبقى لنا مَرُّ الحروبِ ورزؤُها ... سيوفاً وأدراعاً وجمّاً عرمرما)
(متى ما تُردْنا من معدٍّ عِصابةٌ ... وغسانَ نمنعْ حوضنا أن يُهدَّما)
(لنا حاضرٌ فعْمٌ وبادٍ كأنه ... شماريخُ رَضْوَى عِزةً وتكرُّما)
(أبى فِعلُنَا المعروفَ أن ننطقَ الخنا ... وقائلُنا بالعُرف إلا تَكلُّما)
(بكل فتىً عاري الأشاجع لاحَه ... قِراعُ الكماة يرشح المِسكَ والدّما)
(ولدنا بني العنقاء وابنَيْ محرِّقٍ ... فأكرم بذا خالاً وأكرم بذا ابْنما)
(يُسَوِّدُ ذا المالِ القليل إذا بدت ... مروءتُه فينا وإن كان مُعدِما)
(وإنا لنَقْري الضيفَ إن جاء طارقاً ... من الشحم ما أمسى صحيحا مُسلَّما)
(لنا الجَفَنَاتُ الغُرُّ يلمعَن بالضّحى ... وأسيافُنا يقطُرن من نجدةٍ دمَا)
فأنشده القصيدة وهي نيف وثلاثون بيتا وقال له قد أجلتك في
جوابها حولا فانصرف الفرزدق مغضبا يسحب رداءه وما يدري أية طرقه حتى خرج من المسجد فأقبل على كثير فقال له قاتل الله الأنصار ما أفصح لهجتهم وأوضح حجتهم وأجود شعرهم فلم نزل في حديث الأنصار والفرزدق بقية يومنا حتى إذا كان من الغد خرجت من منزلي إلى المسجد الذي كنت فيه بالأمس فأتى كثير فجلس معي وإنا لنتذاكر الفرزدق ونقول ليت شعري ما صنع إذ طلع علينا في حلة أفواف قد أرخى غديرته حتى جلس في مجلسه بالأمس ثم قال ما فعل الأنصاري فنلنا منه وشتمناه فقال قاتله الله ما منيت بمثله ولا سمعت بمثل شعره فارقته وأتيت منزلي فأقبلت أصعد وأصوب في كل فن من الشعر فكأني مفحم لم أقل شعرا قط حتى إذا نادى المنادي بالفجر رحلت ناقتي وأخذت بزمامها حتى أتيت ريانا وهو جبل بالمدينة ثم ناديت بأعلى صوتي أخاكم أخاكم يعني شيطانه فجاش صدري كما يجيش المرجل فعقلت ناقتي وتوسدت ذراعها فما عتمت حتى قلت مائة بيت من الشعر وثلاثة عشر بيتا فبينا هو ينشد إذ طلع الأنصاري حتى إذا انتهى إلينا سلم علينا ثم قال إني لم آتك لأعجلك عن الأجل الذي وقته لك ولكني أحببت ألا أراك إلا سألتك إيش صنعت فقال اجلس وأنشده قوله
(عزفتَ بأعشاشٍ وما كنت تعزفُ ... وأنكرتَ من حدراءَ ما كنت تعرف)
(ولجّ بك الهجرانُ حتى كأنما ... ترى الموت في البيت الذي كنت تألف)
في رواية ابن حبيب تيلف حتى بلغ إلى قوله
(تَرى الناسَ ما سِرنا يسيرون خلفنا ... وإن نحن أومأنا إلى النّاس وقَّفوا)
وأنشدها الفرزدق حتى بلغ إلى آخرها فقام الأنصاري كئيبا فلما توارى طلع أبوه أبو بكر بن حزم في مشيخة من الأنصار فسلموا عليه وقالوا يا أبا فراس قد عرفت حالنا ومكاننا من رسول الله وقد بلغنا أن سفيها من سفهائنا ربما تعرض لك فنسألك بحق الله وحق رسوله لما حفظت فينا وصية رسول الله ووهبتنا له ولم تفضحنا
قال محمد بن إبراهيم فأقبلت عليه أكلمه فلما أكثرنا عليه قال اذهبوا فقد وهبتكم لهذا القرشي
قال سليمان بن عبد الملك للفرزدق أنشدني أجود شعر عملته فأنشده
(... عزفتَ بأعشاش وما كدت تعزف)
فقال زدني فأنشده

(ثلاثٌ واثنتان فتلك خمس ... وواحدةٌ تميل إلى الشِّمام)
(فبتْنَ بجانبيّ مصرَّعاتٍ ... وبتُّ أفضُّ أغلاق الخِتَام)
فقال له سليمان ما أراك إلا قد أحللت نفسك للعقوبة أقررت بالزنى عندي وأنا إمام ولا تريد مني إقامة الحد عليك فقال إن أخذت في بقول الله عز وجل لم تفعل
قال وما قال
قال قال الله تبارك وتعالى (والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون) فضحك سليمان وقال تلافيتها ودرأت عنك الحد وخلع عليه وأجازه

يجتمع هو وجرير بالشام

أخبرنا عبد الله بن مالك قال حدثنا محمد بن حبيب عن الأصمعي قال قدم الفرزدق الشام وبها جرير بن الخطفي فقال له جرير ما ظننتك تقدم بلدا أنا فيه فقال له الفرزدق إني طالما أخلفت ظن العاجز
أخبرنا عبد الله بن مالك قال حدثنا محمد بن موسى بن طلحة قال قال أبو مخنف
كان الفرزدق لعنة أي يتلعن به كأنه لعنة على قوم وكان جرير شهابا من شهب النار
أخبرنا عبد الله بن مالك قال حدثنا الأزدي قال حدثنا عمرو بن أبي عمرو عن أبيه قال قال أبو عمرو بن العلاء
مر الفرزدق بمحمد بن وكيع بن أبي سود وهو على ناقة فقال له غدني قال ما يحضرني غداء قال فاسقني سويقا قال ما هو عندي قال فاسقني نبيذا قال أو صاحب نبيذ عهدتني قال فما يقعدك في الظل قال فما أصنع قال أطل وجهك بدبس ثم تحول إلى الشمس واقعد فيها حتى يشبه لونك لون أبيك الذي تزعمه قال أبو عمرو فما زال ولد محمد يسبون بذلك من قول الفرزدق انتهى
أخبرنا عبد الله بن مالك عن ابن حبيب عن موسى بن طلحة عن
أبي عبيدة عن أبي العلاء قال أخبرني هاشم بن القاسم العنزي انه قال
جمعني والفرزدق مجلس فتجاهلت عليه فقلت له من أنت قال أما تعرفني قلت لا قال فأنا أبو فراس قلت ومن أبو فراس قال أنا الفرزدق قلت ومن الفرزدق قال أو ما تعرف الفرزدق قلت أعرف الفرزدق أنه شيء يتخذه النساء عندنا يتسمن به وهو الفتوت فضحك وقال الحمد الله الذي جعلني في بطون نسائكم
أخبرني عبد الله بن مالك عن محمد بن حبيب عن النضر بن حديد قال
مر الفرزدق بماء لبني كليب مجتازا فأخذوه وكان جبانا فقالوا والله لتلقين منا ما تكره أو لتنكحن هذه الأتان وأتوه بأتان فقال ويلكم اتقوا الله فإنه شيء ما فعلته قط فقالوا إنه لا ينجيك والله إلا الفعل قال أما إذا أبيتم فأتوني بالصخرة التي يقوم عليها عطية فضحكوا وقالوا اذهب لا صحبك الله

فتى اسود يستخف به

أخبرنا عبد الله بن مالك عن محمد بن موسى عن العتبي قال
دخل الفرزدق على قوم يشربون عند رجل بالبصرة وفي صدر مجلسهم فتى أسود وعلى رأسه إكليل فلم يحفل بالفرزدق ولم يحف به تهاونا فغضب الفرزدق من ذلك وقال
(جلوسُك في صدر الفراش مَذَلّةٌ ... ورأسك في الإكليل إحدى الكبائر)
(وما نَطَفَتْ كأسٌ ولا لذَّ طعمُها ... ضربْتُ على حافاتها بالمشافِرِ)
أخبرني عبد الله بن مالك عن محمد بن موسى عن العتبي قال
لما مات وكيع بن أبي سود أقبل الفرزدق حين أخرج وعليه قميص أسود وقد شقه إلى سرته وهو يقول
(فمات ولم يوتر وما من قبيلة ... من الناس إلا قد أباءت على وتر)
(وإنّ الذي لاقى وكيعاً وناله ... تناول صِدّيق النبيّ أبا بكر)
قال فعلق الناس الشعر فجعلوا ينشدونه حتى دفن وتركوا الاستغفار له
ميميته المشهورة في مدح زين العابدين
أخبرنا عبد الله بن علي بن الحسن الهاشمي عن حيان بن علي العنزي عن مجالد عن الشعبي قال
حج الفرزدق بعد ما كبر وقد أتت له سبعون سنة وكان هشام بن عبد الملك قد حج في ذلك العام فرأى علي بن الحسين في غمار الناس في الطواف فقال من هذا الشاب الذي تبرق أسرة وجهه كأنه مرآة صينية تتراءى فيها عذارى الحي وجوهها فقالوا هذا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم فقال الفرزدق
(هذا الذي تَعرف البطحاءُ وطأَته ... والبَيْتُ يَعْرفه والحِلُّ والحرمُ)
(هذا ابنُ خيرِ عبادِ الله كلِّهم ... هذا التقيُّ النقيُّ الطاهرُ العلَمُ)
(هذا ابنُ فاطمةٍ إن كنتَ جاهله ... بِجدِّهِ أنبياءُ الله قد خُتِموا)
((وليس قولُك من هذا بضائره ... العُرْبُ تعرف مَنْ أنكرتَ والعجم
(إذا رأته قريشٌ قال قائلها ... إلى مكارمِ هذا ينتهي الكرمُ)
(يُغضِي حياءً ويُغْضَى من مهابته ... فما يُكلَّمُ إلا حين يَبْتسِم)
(بكَفِّه خيزرانٌ ريحُها عَبِقٌ ... من كفِّ أروعَ في عِرنينه شمم)
(يكاد يُمسكه عِرْفانَ راحته ... رُكنُ الحطيم إذا ما جاء يستلم)
(الله شرَّفه قِدْماً وعظمه ... جرَى بذاك له في لوحِهِ القلم)
(أيُّ الخلائق ليست في رقابهم ... لأوَّليَّة هذا أولَهُ نِعَمُ)
(مَنْ يشكر الله يشكرْ أوَّليَّة ذا ... فالدِّين من بيت هذا ناله الأمم)
(يَنْمِي إلى ذِروة الدين التي قَصُرت ... عنها الأكفُّ وعن إدراكها القَدَمُ)
(مَنْ جَدُّه دان فَضْلُ الأنبياء له ... وفَضْلُ أمَّته دانت له الأمم)
(مُشتقَّةٌ من رسول الله نَبعَته ... طابت مغارسُه والخِيمُ والشِّيَمُ)
(ينشقُّ ثَوبُ الدجى عن نُور غُرَّته ... كالشمس تَنجابُ عن إشراقها الظُلَم)
(مِن معشرٍ حبُّهم دينٌ وبغضهم ... كُفْرٌ وقُرْبُهم مَنْجىً ومُعْتَصَم)
(مُقَدَّمٌ بعد ذكر الله ذِكرُهُم ... في كلِّ بدْء ومختومٌ به الكَلِم)

(إن عُدَّ أهلُ التُّقى كانوا أئمتَهم ... أو قيل مَنْ خيرُ أهل الأرض قيلَ همُ)
(لا يستطيع جوادٌ كنهَ جودهمُ ... ولا يدانيهمُ قومٌ وإن كرموا)
(يُستَدفَع الشرُّ والبلوى بحبِّهمُ ... ويسترَبُّ به الإحسانُ والنِّعَمِ)
وقد حدثني بهذا الخبر أحمد بن الجعد قال حدثنا أحمد بن القاسم البرتي قال حدثنا إسحاق بن محمد النخعي فذكر أن هشاما حج في حياة
أبيه فرأى علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهم يطوف بالبيت والناس يفرجون له
فقال من هذا فقال الأبرش الكلبي ما أعرفه فقال الفرزدق ولكني أعرفه فقال من هو فقال
(... هذا الذي تعرف البطحاء وطأته)
وذكر الأبيات الخ
قال فغضب هشام فحبسه بين مكة والمدينة فقال
(أتَحبِسني بين المدينة والتي ... إليها قلوب الناس يَهْوِي مُنِيبُها)
(يقلِّبُ رأساً لم يكن رأس سيِّد ... وعيناً له حولاء بادٍ عيوبُها)
فبلغ شعره هشاما فوجه فأطلقه
يعجب بشعر لحائك
أخبرنا عبد الله بن مالك عن محمد بن موسى عن الهيثم بن عدي قال اخبرنا أبو روح الراسبي قال
لما ولي خالد بن عبد الله العراق ولي مالك بن المنذر شرطة البصرة فقال الفرزدق
(يُبَغِّض فينا شرطةَ المصر أنني ... رأيتُ عليها مالكاً عَقِبَ الكلبِ)
قال فقال مالك علي به فمضوا به إليه فقال
(أقول لنفسي إذ تَغَصُّ بريقها ... ألا ليت شعري ما لها عند مَالِكِ)
قال فسمع قوله حائك يطلع من طرازه فقال
(لها عنده أن يَرجعَ اللّهُ ريقها ... إليها وتنجُو من عظيم المهالك)
فقال الفرزدق هذا أشعر الناس وليعودن مجنونا يصيح الصبيان في أثره فقال فرأوه بعد ذلك مجنونا يصيح الصبيان في أثره
أخبرنا عبد الله بن مالك قال حدثنا محمد بن علي بن سعيد قال حدثنا القحذمي قال
فلما أتوا مالك بن المنذر بالفرزدق قال هيه عقب الكلب قال ليس هذا هكذا قلت وإنما قلت
(ألم ترني ناديتُ بالصوت مالكاً ... ليسمع لما غصَّ من ريقه الفمُ)
(أعوذ بقبر فيه أكفانُ مُنْذِرٍ ... فهن لأيدي المستجيرين محْرَمِ)
قال قد عذت بمعاذ وخلى سبيله
خالد القسري يأمر مالك بن المنذر بطلب الفرزدق
أخبرنا عبد الله قال حدثني محمد بن موسى قال
كتب خالد القسري إلى مالك بن المنذر يأمره بطلب الفرزدق ويذكر أنه بلغه أنه هجاه وهجا نهره المبارك وهو النهر الذي بواسط الذي كان
خالد حفره فاشتد مالك في طلبه حتى ظفر به في البراجم فأخذه وحبسه ومروا به على بني مجاشع فقال يا قوم اشهدوا أنه لا خاتم بيدي وذلك أنه أخذ عمر بن يزيد بن أسيد ثم أمر به فلويت عنقه ثم أخرجوه ليلا إلى السجن فجعل رأسه يتقلب والأعوان يقولون له قوم رأسك فلما أتوا به السجان قال لا أتسلمه منكم ميتا فأخذوا المفاتيح منه وأدخلوه الحبس وأصبح ميتا فسمعوا أنه مص خاتمه وكان فيه سم فمات وتكلم الناس في أمره فدخل لبطة بن الفرزدق على أبيه فقال يا بني هل كان من خبر قال نعم عمر بن يزيد مص خاتمه في الحبس وكان فيه سم فمات فقال الفرزدق والله يا بني لئن لم تلحق بواسط ليمص أبوك خاتمه وقال في ذلك
(ألم يَكُ قَتْلُ عبد اللّه ظُلما ... أبا حفص من الحُرَم العظامِ)
(قتيلُ عداوة لم يجن ذنباً ... يُقطَّعُ وهو يهتف للإمامِ)
قال وكان عمر عارض خالدا وهو يصف لهشام طاعة أهل اليمن وحسن موالاتهم ونصيحتهم فصفق عمرو بن يزيد إحدى يديه على الأخرى حتى سمع له في الإيوان دوي ثم قال كذب والله يا أمير المؤمنين ما أطاعت اليمانية ولا نصحت أليس هم أعداؤك وأصحاب يزيد بن المهلب وابن الأشعث والله ما ينعق ناعق إلا أسرعوا الوثبة إليه فاحذرهم يا أمير المؤمنين قال فتبين ذلك في وجه هشام ووثب رجل من بني أمية فقال لعمرو بن يزيد وصل الله رحمك وأحسن جزاءك فلقد شددت من أنفس قومك وانتهزت الفرصة في وقتها ولكن أحسب هذا الرجل سيلي العراق وهو منكر حسود وليس يخار لك إن ولي فلم يرتدع عمر بقوله وظن أنه
لا يقدم عليه فلما ولي لم تكن له همة غيره حتى قتله قال
شفاعة جرير له
ثم إن مالكا وجه الفرزدق إلى خالد فلما قدم عليه وجده قد حج واستخلف أخاه أسد بن عبد الله على العراق فحبسه أسد ووافق عنده جريرا فوثب يشفع له وقال إن رأى الأمير أن يهبه لي فقال أسد أتشفع له يا جرير فقال إن ذلك أذل له أصلحك الله وكلم أسدا ابنه المنذر فخلى سبيله فقال الفرزدق في ذلك
(لا فضلَ إلا فضلُ أمٍّ على ابنها ... كفضل أبي الأشبال عند الفرزدق)
(تداركني من هُوَّةٍ دون قعرها ... ثمانون باعاً للطُّوال العَشَنَّقِ)
وقال جرير يذكر شفاعته له
(وهل لك في عانٍ وليس بشاكرٍ ... فتطلَق عنه عضَّ مَسَّ الحدائدِ)
(يعودُ وكان الخُبْثُ منه سجيةً ... وإن قال إني مُنْتَهٍ غَيْرُ عائد)
هجاؤه بني فقيم
أخبرني عبيد الله عن محمد بن موسى عن القحذمي قال كان سبب هرب الفرزدق من زياد وهو على العراق أنه كان هجا بني فقيم فقال فيهم أبياتا منها
(وآب الوفدُ وفدُ بني فُقَيْمٍ ... بأخبث ما تؤوب به الوفودُ)

((أتَونا بالقرود مُعادليها ... فصار الجَدُّ للجدِّ السعيدُ
وقال يهجو زيد بن مسعود الفقيمي والأشهب بن رميلة بأبيات منها قوله
(تمنّى ابنُ مسعودٍ لقائي سفاهةً ... لقد قال مَيْناً يوم ذاك ومنكرا)
(غناءٌ قَليلٌ عن فُقَيمٍ ونهْشلٍ ... مَقامُ هَجينٍ ساعةً ثم أدْبرا)
يعني الأشهب بن رميلة وكان الأشهب خطب إلى بني فقيم فردوه وقالوا له اهج الفرزدق حتى نزوجك فرجز به الأشهب فقال
(يا عجبا هل يركبُ القَيْنُ الفرسْ ... وَعَرَقُ القيْنِ على الخيل نَجَسْ)
(وإنما سلاحُه إذا جَلَسْ ... الكَلْبتان والعَلاةُ والقَبسْ)
يهرب من زياد
فلما بلغ الفرزدق قوله هجاه فأرفث له وألح الفرزدق على النهشليين بالهجاء فشكوه إلى زياد وكان يزيد بن مسعود ذا منزلة عند زياد فطلبه زياد فهرب فأتى بكر بن وائل فأجاروه فقال الفرزدق يمدحهم بأبيات
(إني وإن كانت تميمٌ عِمارتي ... وكنتُ إلى القُرْمُوس منها القُماقم)
(لُمثنٍ على أبناء بكرِ بن وائلٍ ... ثناءً يوافي ركبهم في المواسمِ)
((همو يوم ذي قار أناخوا فجالدوا ... برأسٍ به تَدْمَى رؤوسُ الصّلادم
وهرب حتى أتى سعيد بن العاصي فأقام بالمدينة يشرب ويدخل إلى القيان وقال
(إذا تشئتُ غنَّاني من العاج قاصف ... على معصم ريّانَ لم يتخدّدِ)
(لبيضاءَ من أهل المدينة لم تعِشْ ... ببؤسٍ ولم تتبعْ حمولةَ مُجْحَدِ)
(وقامتِ تخشّيني زياداً وأجفلت ... حواليَّ في بُردٍ يمانٍ ومَجْسَدِ)
(فقلتُ دعيني من زياد فإنني ... أرى الموت وقّافاً على كلِّ مَرْصَدِ)
مروان يتوعده ويؤجله ثلاثا
فبلغ شعره مروان فدعاه وتوعده وأجله ثلاثا وقال اخرج عني فأنشأ يقول الفرزدق
(دعانا ثم أجلنا ثلاثاً ... كما وُعِدَتْ لمهلكها ثمودُ)
قال مروان قولوا له عني إني أجبته فقلت
(قال للفرزدقِ والسّفاهةُ كاسْمِها ... إن كنت تاركَ ما أمرتُك فاجلِس)
(ودعِ المدينةَ إنها محظورةٌ ... والحَقْ بمكةَ أو ببيت المقدسِ)
قال وعزم على الشخوص إلى مكة فكتب له مروان إلى بعض عماله
ما بين مكة والمدينة بمائتي دينار فارتاب بكتاب مروان فجاء به إليه وقال
(مروانُ إنّ مطيتي معقولةٌ ... ترجو الحباءَ وربُّها لم ييأسِ)
(آتيتني بصحيفةٍ مختومةٍ ... يُخشى عليَّ بها حِباءُ النّقرِسِ)
(ألقِ الصحيفةَ يا فرزدق لا تكن ... نكراء مثلَ صحيفةِ المُتلَمّسِ)
قال ورمى بها إلى مروان فضحك وقال ويحك إنك أمي لا تقرأ فاذهب بها إلى من يقرؤها ثم ردها حتى أختمها فذهب بها فلما قرئت إذا فيها جائزة قال فردها إلى مروان فختمها وأمر له الحسين بن علي عليهما السلام بمائتي دينار قال ولما بلغ جريرا أنه أخرج عن المدينة قال
(إذا حلَّ المدينةَ فارجُمُوهُ ... ولا تدْنوهُ من جَدَثِ الرسول)
(فما يُحمَى عليه شرابُ حدٍّ ... ولا وَرْهاءُ غائبةُ الحليل)
فأجابه الفرزدق فقال
(نعتّ لنا من الورْهاء نَعْتاً ... قعدتُ به لِأُمك بالسبيلِ)
(فلا تبْغي إذا ما غاب عنها ... عطيةُ غيرَ نَعْتِك من حَليل)
مرضه وموته
أخبرنا عبد الله بن مالك قال حدثني محمد بن موسى قال حدثنا أبو
عكرمة الضبي عن أبي حاتم السجستاني عن محمد بن عبد الله الأنصاري قال أبو عكرمة وحكي لنا عن لبطة بن الفرزدق أن أباه أصابته ذات الجنب فكانت سبب وفاته
قال ووصف له أن يشرب النفط الأبيض فجعلناه له في قدح وسقيناه إياه فقال يا بني عجلت لأبيك شراب أهل النار فقلت له يا أبت قل لا إله إلا الله فجعلت أكررها عليها مرارا فنظر الي وجعل يقول
(فَظَلّتْ تعالى باليَفاع كأنها ... رماح نحاها وجْهة الرّيح راكز)
فكان ذا هجيراه حتى مات
أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال حدثني شعيب بن صخر قال
ودخل بلال بن أبي بردة على الفرزدق في مرضه الذي مات وفيه وهو يقول
(أروني مَنْ يقومُ لكم مقامي ... إذا ما الأمر جلَّ عن الخطاب)
البيتين فقال بلال إلى الله إلى الله
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الأصمعي قال
كان الفرزدق قد دبر عبيدا له وأوصى بعتقهم بعد موته ويدفع شيء من ماله إليهم فلما احتضر جمع سائر أهل بيته وأنشأ يقول
(أروني مَنْ يقوم لكم مقامي ... إذا ما الأمرُ جلَّ عن الخطاب)
((إلى مَن تفزعون إذا حَثْوتم ... بأيديكم عليَّ من التّرابِ
فقال له بعض عبيده الذين أمر بعتقهم إلى الله فأمر ببيعه قبل وفاته وأبطل وصيته فيه والله أعلم
أخبرني الحسن بن علي عن بشر بن مروان عن الحميدي عن سفيان عن لبطة بن الفرزدق قال
لما احتضر أبو فراس قال أي لبطة أبغني كتابا أكتب فيه وصيتي فأتيته بكتاب فكتب وصيته
(... اروني من يقوم لكم مقامي)

البيتين فقالت مولاة له قد كان أوصى لها بوصية إلى الله عز و جل فقال يا لبطة امحها من الوصية
قال سفيان نعم ما قالت وبئس ما قال أبو فراس
وصيته شعرا
وقال عوانة قيل للفرزدق في مرضه الذي مات فيه أوص فقال
(أُوصي تميماً إن قضاعةَ ساقها ... نَدَى الغيث عن دارٍ بدومةَ أو جدْبِ)
(فإنكم الأكفاءُ والغيث دَولةٌ ... يكون بشرق من بلاد ومن غرْبِ)
(إذا انتجعت كلْبٌ عليكم فوسِّعوا ... لها الدارَ في سهل المقامَة والرَّحب)
(فأعظمُ من أحلامِ عاد حلومُهم ... وأكثرهم عند العديد من التُّرْب)
(أشدُّ حبالٍ بعد حَيَّيْن مِرَّةً ... حِبالٌ أُمِرّت من تميم ومن كلب)
قال وتوفي للفرزدق ابن صغير قبل وفاته بأيام وصلى عليه ثم التفت إلى الناس فقال
(وما نَحْن إلا مِثلُهم غير أنَّنا ... أقمنا قليلاً بعدهم وتَقَدَّمُوا)
قال فلم يلبث إلا أياما حتى مات
شعره عند موته
وقال المدائني قال لبطة أغمي على أبي فبكينا ففتح عينيه وقال أعلي تبكون قلنا نعم أفعلى ابن المراغة نبكي فقال ويحكم أهذا موضع ذكره وقال
(إذا ما دبَّت الانقاءُ فوقي ... وصاح صدىً عليَّ مع الظلامِ)
(فقد شَمِتتْ أعاديكم وقالت ... أدانيكم مِنَ أينَ لنا المحامي)
أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب إجازة قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثنا أبو العراف قال
نعي الفرزدق لجرير وهو عند المهاجر بن عبد الله باليمامة فقال
(مات الفرزدقُ بعد ما جرَّعتُهُ ... ليْتَ الفرزدقَ كان عاش قليلا)
فقال له المهاجر بئس ما قلت أتهجو ابن عمك بعد ما مات ولو رثيته كان أحسن بك
فقال والله إني لأعلم أن بقائي بعده لقليل وأن نجمي لموافق لنجمه أفلا أرثيه قال أبعد ما قيل لك ألو كنت بكيته ما نسيتك العرب
قال أبو خليفة قال ابن سلام فأنشدني معاوية بن عمرو قال أنشدني عمارة بن عقيل لجرير يرثي الفرزدق بأبيات منها
(فلا ولَدَتْ بعد الفرزدق حاملٌ ... ولا ذاتُ بعلٍ من نِفاسٍ تعلَّتِ)
(هو الوافد المأمونُ والرّاتِقُ الثَّأى ... إذا النعلُ يوماً بالعشيرة زلَّتِ)
أخبرني أحمد بن عبد العزيز عن ابن شبة بخبر جرير لما بلغه وفاة الفرزدق وهو عند المهاجر فذكر نحوا مما ذكره ابن سلام وزاد فيه قال
ثم قام وبكى وندم وقال ما تقارب رجلان في أمر قط فمات أحدهما إلا أوشك صاحبه أن يتبعه
الاختلاف في سنة وفاته
قال أبو زيد مات الحسن وابن سيرين والفرزدق وجرير في سنة عشر ومائة فقبر الفرزدق بالبصرة وقبر جرير وأيوب السختياني ومالك بن دينار باليمامة في موضع واحد
وهذا غلط من أبي زيد عمر بن شبة لأن الفرزدق مات بعد يوم كاظمة وكان ذلك في سنة اثنتي عشرة ومائة وقد قال فيه الفرزدق شعرا وذكره في مواضع من قصائده ويقوي ذلك ما أخبرنا به وكيع قال
حدثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني ابن النطاح عن المدائني عن أبي اليقظان وأبي همام المجاشعي أن الفرزدق مات سنة أربع عشرة ومائة
قال أبو عبيدة
جرير يرثي نفسه ويرثيه
حدثني أبو أيوب بن كسيب من آل الخطفي وأمه ابنة جرير بن عطية قال
بينا جرير في مجلس بفناء داره بحجر إذ راكب قد أقبل فقال له جرير من أين وضح الراكب قال من البصرة فسأل عن الخبر فأخبره بموت الفرزدق فقال
(مات الفرزدق بعد ما جرّعته ... ليت الفرزدقَ كان عاش قليلا)
ثم سكت ساعة فظنناه يقول شعرا فدمعت عيناه فقال القوم سبحان الله أتبكي على الفرزدق فقال والله ما أبكي إلا على نفسي أما والله إن بقائي خلافه لقليل إنه قل ما كان مثلنا رجلان يجتمعان على خير أو شر إلا كان أمد ما بينهما قريبا ثم أنشأ يقول
(فُجِعنا بحمَّالِ الدِّيات ابنِ غالبٍ ... وحامي تميم كلِّها والبَراجِم)
(بكيناكَ حِدْثَانَ الفِراق وإنما ... بكينَاك شجْواً للأمورِ العظائم)
(فلا حَملت بعدَ ابنِ ليلى مَهيرةٌ ... ولا شُدَّ أنساعُ المطيِّ الرَّواسِمِ)
وقال البلاذري حدثنا أبو عدنان عن أبي اليقظان قال
أسن الفرزدق حتى قارب المائة فأصابته الدبيلة وهو بالبادية فقدم إلى البصرة فأتي برجل من بني قيس متطبب فأشار بأن يكوى ويشرب النفط
الأبيض فقال أتعجلون لي طعام أهل النار في الدنيا وجعل يقول
(أروني مَنْ يقوم لكم مقامي ... إذا ما الأمرُ جلَّ عن الخطابِ)
أبو ليلى المجاشعي يرثيه
وقال أبو ليلى المجاشعي يرثي الفرزدق
(لعمري لقد أشجى تميماً وهدَّها ... على نكباتِ الدهر موتُ الفرزدق)
(عشيَّةَ قُدْنَا للفرزدق نعشَه ... إلى جَدَثٍ في هَوَّة الأرض مُعْمَق)
(لقد غيَّبوا في اللَّحد مَنْ كان ينتمي ... إلى كل بدر في السماء مُحَلِّق)
(ثَوَى حاملُ الاثقال عن كل مُثقل ... ودفَّاعُ سلطانِ الغشوم السَّمَلَّق)

(لسانُ تميمٍ كلِّها وعِمَادُها ... وناطقُها المعروف عند المُخَنَّق)
(فمن لتميمٍ بعد موت ابنِ غالبٍ ... إذا حل يومٌ مظلمٌ غَيرُ مُشرِق)
(لتبكِ النِّساءُ المعْولاتُ ابنَ غالبٍ ... لجانٍ وعانٍ في السلاسل مُوثق)
وقال ابن زكريا الغلابي عن ابن عائشة قال
مات الفرزدق وجرير في سنة عشرة ومائة ومات جرير بعده بستة أشهر ومات في هذه السنة الحسن البصري وابن سيرين قال
فقالت امرأة من أهل البصرة كيف يفلح بلد مات فقيهاه وشاعراه في سنة ونسبت جريرا إلى البصرة لكثرة قدومه إليها من اليمامة وقبر جرير باليمامة وبها مات وقبر الأعشى أيضا باليمامة أعشى بني قيس بن ثعلبة وقبر الفرزدق بالبصرة في مقابر بني تميم
وقال جرير لما بلغه موت الفرزدق قلما تصاول فحلان فمات أحدهما إلا أسرع لحاق الآخر به
ورثاهما جماعة فمنهم أبو ليلى الأبيض من بني الأبيض بن مجاشع فقال فيهما
(لعمري لئِنْ قَرْمَا تَمِيمٍ تتابعا ... مُجِيبيْن لِلدّاعي الذي قد دَعَاهُما)
(لرُبّ عَدُوٍّ فرّق الدهرُ بينه ... وَبَينْهما لم تُشوْه ضَغْمَتَاهما)
أخبرني ابن عمار عن يعقوب بن إسرائيل عن قعنب بن المحرز الباهلي عن الأصمعي عن جرير يعني أبا حازم قال
رئي الفرزدق وجرير في النوم فرئي الفرزدق بخير وجرير معلق
قال قعنب وأخبرني الأصمعي عن روح الطائي قال
رئي الفرزدق في النوم فذكر انه غفر له بتكبيره كبرها في المقبرة عند قبر غالب
قال قعنب وأخبرني أبو عبيدة النحوي وكيسان بن المعروف النحوي عن لبطة بن الفرزدق قال
رأيت أبي فيما يرى النائم فقلت له ما فعل الله بك قال نفعتني الكلمة التي نازعنيها الحسن على القبر
هو والحسن البصري في جنازة النوار
أخبرني وكيع عن محمد بن إسماعيل الحساني عن علي بن عاصم عن سفيان بن الحسن وأخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام والرواية قريب
بعضها من بعض أن النوار لما حضرها الموت أوصت الفرزدق وهو ابن عمها أن يصلي عليها الحسن البصري فأخبره الفرزدق فقال إذا فرغتم منها فأعلمني وأخرجت وجاءها الحسن وسبقهما الناس فانتظروهما فأقبلا والناس ينتظرون فقال الحسن ما للناس فقال ينتظرون خير الناس وشر الناس فقال إني لست بخيرهم ولست بشرهم وقال له الحسن على قبرها ما أعددت لهذا المضجع فقال شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة
هذا لفظ محمد بن سلام
وقال وكيع في خبره فتشاغل الفرزدق بدفنها وجلس الحسن يعظ الناس فما فرغ الفرزدق وقف على حلقة الحسن وقال
(لقد خاب من أولاد آدمَ مَنْ مَشَى ... إلى النار مغلولَ القِلادةِ أزرقا)
(أخاف وراءَ القبرِ إن لم يُعافِني ... أشدَّ من القبرِ التهابا وأضيقا)
(إذا جاءني يومَ القيامة قائدٌ ... عَنِيفٌ وسوّاقٌ يَقُودُ الفرزدقا)
أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا حيان بن هلال قال حدثنا خالد بن الحر قال
رأيت الحسن في جنازة أبي رجاء العطاردي فقال للفرزدق ما أعددت لهذا اليوم فقال شهادة أن لا إله إلا الله منذ بضع وتسعين سنة قال إذا تنجو إن صدقت
قال وقال الفرزدق في هذه الجنازة خير الناس وشر الناس فقال الحسن لست بخير الناس ولست بشرهم

يذكر ذنوبه ويبكي

أخبرنا ابن عمار عن أحمد بن إسرائيل عن عبيد الله بن محمد القرشي بطوس قال
حدثني يزيد بن هاشم العبدي قال حدثنا أبي قال حدثنا فضيل الرقاشي قال
خرجت في ليلة باردة فدخلت المسجد فسمعت نشيجا وبكاء كثيرا فلم أعلم من صاحب ذلك إلى أن أسفر الصبح فإذا الفرزدق فقلت يا أبا فراس تركت النوار وهي لينة الدثار دفئة الشعار قال إني والله ذكرت ذنوبي فأقلقني ففزعت إلى الله عز وجل
أخبرني وكيع عن أبي العباس مسعود بن عمرو بن مسعود الجحدري قال حدثني هلال بن يحيى الرازي قال حدثني شيخ كان ينزل سكة قريش قال
رأيت الفرزدق في النوم فقلت يا أبا فراس ما فعل الله بك قال غفر لي بإخلاصي يوم الحسن وقال لولا شيبتك لعذبنك بالنار
أخبرني هاشم الخزاعي عن دماذ عن أبي عبيدة عن لبطة بن الفرزدق عن أبيه قال
لقيت الحسين بن علي صلوات الله عليهما وأصحابه بالصفاح وقد ركبوا الإبل وجنبوا الخيل متقلدين السيوف متنكبين القسي عليهم يلامق من الديباج فسلمت عليه وقلت أين تريد قال العراق فكيف
تركت الناس قال تركت الناس قلوبهم معك وسيوفهم عليك والدنيا مطلوبة وهي في أيدي بني أمية والأمر إلى الله عز وجل والقضاء ينزل من السماء بما شاء
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي وأحمد بن عبد العزيز عن ابن شبة قال حدثني هارون بن عمر عن ضمرة بن شوذب قال
قيل لأبي هريرة هذا الفرزدق قال هذا الذي يقذف المحصنات ثم قال له إني أرى عظمك رقيقا وعرقك دقيقا ولا طاقة لك بالنار فتب فإن التوبة مقبولة من ابن آدم حتى يطير غرابه
أخبرني هاشم بن محمد عن الرياشي عن المنهال بن بحر بن أبي سلمة عن صالح المري عن حبيب بن أبي محمد قال
رأيت الفرزدق بالشام فقال لي أبو هريرة إنه سيأتيك قوم يؤنسونك من رحمة الله فلا تيأس

موازنة بينه وبين جرير والأخطل

قال أبو الفرج والفرزدق مقدم على الشعراء الإسلاميين هو وجرير والأخطل ومحله في الشعر أكبر من أن ينبه عليه بقول أو يدل على مكانه بوصف لأن الخاص والعام يعرفانه بالاسم ويعلمان تقدمه بالخبر الشائع علما يستغنى به عن الإطالة في الوصف وقد تكلم الناس في هذا قديما وحديثا وتعصبوا واحتجوا بما لا مزيد فيه واختلفوا بعد اجتماعهم على

تقديم هذه الطبقة في أيهم أحق بالتقدم على سائرها فأما قدماء أهل العلم والرواة فلم يسووا بينهما وبين الأخطل لأنه لم يلحق شأوهما في الشعر ولا له مثل ما لهما من فنونه ولا تصرف كتصرفهما في سائره وزعموا أن ربيعة أفرطت فيه حتى ألحقته بهما وهم في ذلك طبقتان أما من كان يميل إلى جزالة الشعر وفخامته وشدة أسره فيقدم الفرزدق وأما من كان يميل إلى أشعار المطبوعين والى الكلام السمح السهل الغزل فيقدم جريرا
أخبرنا أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال سمعت يونس بن حبيب يقول
ما شهدت مشهدا قط ذكر فيه الفرزدق وجرير فاجتمع أهل ذلك المجلس على أحدهما
قال ابن سلام وكان يونس يقدم الفرزدق تقدمة بغير إفراط وكان المفضل يقدمه تقدمة شديدة
قال ابن سلام وقال ابن دأب وسئل عنهما فقال الفرزدق أشعر خاصة وجرير أشعر عامة
أخبرني الجوهري وحبيب المهلبي عن ابن شبة عن العلاء بن الفضل قال قال لي أبو البيداء يا أبا الهذيل أيهما أشعر أجرير أم الفرزدق قال قلت ذاك إليك ثم قال ألم تسمعه يقول
(ما حُمِّلت ناقةٌ من معشرٍ رجلاً ... مثلي إذا الريح لفّتني على الكُورِ)
(إلا قريشاً فإن الله فضّلها ... مع النبوّة بالإسلام والخِيرِ)
ويقول جرير
(لا تحسبَنَّ مِرّاسَ الحرب إذ لَقِحَتْ ... شُرْبَ الكسيس وأكلَ الخبز بالصِّير)
سلح والله أبو حرزة
أخبرني هاشم الخزاعي عن أبي حاتم السجستاني عن أبي عبيدة قال
سمعت يونس يقول لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب
أخبرني هاشم الخزاعي عن أبي غسان عن أبي عبيدة قال قال يونس أبو البيداء قال الفرزدق
كنت أهاجي شعراء قومي وأنا غلام في خلافة عثمان بن عفان فكان قومي يخشون معرة لساني منذ يومئذ ووفد بي أبي إلى علي بن أبي طالب صلوات الله عليه عام الجمل فقال له إن ابني هذا يقول الشعر فقال علمه القرآن فهو خير له
يمضي خمسا وسبعين سنة يباري الشعراء ويهجو الأشراف
قال أبو عبيدة ومات الفرزدق في سنة عشر ومائة وقد نيف على التسعين سنة كان منها خمسة وسبعين سنة يباري الشعراء ويهجو الأشراف فيغضهم ما ثبت له أحد منهم قط إلا جريرا
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني محمد بن معاوية الأسدي قال حدثنا ابن الرازي عن خالد بن كلثوم قال
قيل للفرزدق مالك وللشعر فو الله ما كان أبوك غالب شاعرا ولا كان صعصعة شاعرا فمن أين لك هذا قال من قبل خالي قيل أي أخوالك قال خالي العلاء بن قرظة الذي يقول
((إذا ما الدهر جرّ على أناسٍ ... بكلكله أناخ بآخرينا
(فقل للشامتين بنا أفيقوا ... سيلقى الشامتون كما لقينا)
يرد على قوم من بني ضبة
أخبرني عمي قال حدثنا الكراني عن العمري عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية وأخبرني هاشم الخزاعي قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال
دخل قوم من بني ضبة على الفرزدق فقالوا له قبحك الله من ابن أخت قد عرضتنا لهذا الكلب السفيه يعنون جريرا حتى يشتم أعراضنا ويذكر نساءنا فغضب الفرزدق وقال بل قبحكم الله من أخوال فو الله لقد شرفكم من فخري أكثر مما غضكم من هجاء جرير أفأنا ويلكم عرضتكم لسويد بن أبي كاهل حيث يقول
(لقد زَرِقتْ عيناك يا بن مُكَعْبَرٍ ... كما كلُّ ضَبِّيٍّ من اللؤم أزرقُ)
(ترى اللؤمَ فيهم لائحاً في وجوههم ... كما لاح في خيل الحلائب أبلق)
أو أنا عرضتكم للأغلب العجلي حيث يقول
(لن تجد الضَّبِّيَّ إلاّ فَلاّ ... عبداً إذانا ولقومٍ ذَلاًّ)
((مثل قَفا المُدية أو أكَلاَ ... حتى يكون الألأمَ الأقلاَّ
أو أنا عرضتكم له حيث يقول
(إذا رأيتَ رجلاً من ضبَّهْ ... فنكه عمداً في سَوَاء السَّبَّهْ)
(... إن اليَمانِيَّ عِقَاصُ الزِّبَّه)
أو أنا عرضتكم لمالك بن نويرة حيث يقول
(ولو يُذبَح الضَّبيُّ بالسيف لم تجد ... من اللؤم للضّبيّ لحماً ولا دما)
والله لما ذكرت من شرفكم وأظهرت من أيامكم أكثر البيت القائل
(وأنا ابنُ حنظلةَ الأغرُّ وإنني ... في آل ضبَّة للمُعِمِّ المُخْوِلُ)
(فرعان قد بلغ السّماءَ ذُرَاهما ... وإليهما من كل خوف يُعْقَلُ)
بنو حرام يخشون معرة لسانه
أخبرنا أبو خليفة عن ابن سلام عن أبي بكر محمد بن واسع وعبد القاهر قالا
كان فتى في بني حرام بن سماك شويعر قد هجا الفرزدق فأخذناه فأتينا به الفرزدق وقلنا هو بين يديك فإن شئت فاضرب وإن شئت فاحلق لا عدوى عليك ولا قصاص فخلى عنه وقال
((فمن يكُ خائفاً لأذاة قولي ... فقد أمِنَ الهجاءَ بنو حَرامِ
(همُ قادوا سفيهَهُمُ وخافوا ... قلائدَ مثلَ أطواق الحمَام)
أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال حدثني الحكم بن محمد قال كان رجل من قضاعة ثم من بني القين على السند وفي حبسه رجل يقال له حبيش أو خنيس وطالت غيبته عن أهله فأتت أمه قبر غالب بكاظمة فأقامت عليه حتى علم الفرزدق بمكانها ثم إنها أتت فطلبت إليه في أمر ابنها فكتب إلى تميم القضاعي
(هَب لي خُنَيْساً واتّخذْ فيه منّةً ... لُغصّة أُمٍّ ما يسوغ شرابُها)
(أتَتْني فعاذت يا تميمُ بغالبٍ ... وبالحفرة السَّافي عليه ترابها)

(تميمُ بنَ زيد لا تكونَنَّ حاجتي ... بظهر فلا يخفَى عليَّ جوابُها)
فلما أتاه الكتاب لم يدر أخنيس أم حبيش فأطلقهما جميعا
أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثني أبو يحيى الضبي قال ضرب مكاتب لبني منقر خيما على قبر غالب فقدم الناس على الفرزدق فأخبروه أنهم رأوا بناء على قبر غالب أبيه ثم قدم عليه وهو بالمربد فقال
(بقبر ابن ليلى غالب عُذْتُ بعدما ... خشيتُ الرَّدَى أو أن أُردَّ على قسر)
(فخاطبني قبرُ ابن ليلى وقال لي ... فَكَاكُك أن تَلْقَى الفرزدقَ بالمِصْر)
فقال له الفرزدق صدق أبي أنخ أنخ ثم طاف في الناس حتى جمع كتابته وفضلا
يناقض نفسه في شعره
أخبرني ابن خلف وكيع عن هارون بن الزيات عن أحمد بن حماد ابن الجميل قال حدثنا القحذمي عن ابن عياش قال لقيت الفرزدق فقلت له يا فراس أنت الذي تقول
(فليتَ الأكفَّ الدافناتِ ابنَ يوسف ... يُقطَّعْن إذ غَيَّبْن تحت السقائِف)
فقال نعم أنا فقلت له ثم قلت بعد ذلك له
(لئن نفرُ الحجّاج آلُ مُعَتِّب ... لَقُوا دوْلةً كان العدوُّ يُدالُها)
(لقد أصبح الأحياءُ منهم أذلةً ... وفي الناس موتاهم كلوحاً سِبالُها)
قال فقال الفرزدق نعم نكون مع الواحد منهم ما كان الله معه فإذا تخلى منه انقلبنا عليه
أخبرنا هاشم بن محمد عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه عن بعض أشياخه قال
شهد الفرزدق عند إياس بن معاوية فقال أجزنا شهادة الفرزدق أبي فراس وزيدونا شهودا فقام الفرزدق فرحا فقيل له أما والله ما أجاز شهادتك قال بلى قد سمعته يقول قد قبلنا شهادة أبي فراس قالوا أفما سمعته يستزيد شاهدا آخر فقال وما يمنعه ألا يقبل شهادتي وقد قذفت ألف محصنة
أخبرنا ابن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة عن يونس قال
كان عطية بن جعال الغذاني صديقا ونديما للفرزدق فبلغ الفرزدق أن
رجلا من بني غدانة هجاه وعاون جريرا عليه وأنه أراد أن يهجو بني غدانة فأتاه عطية بن جعال فسأله أن يصفح له عن قومه ويهب له أعراضهم ففعل ثم قال
(أبني غُدانة إنني حَرَّرتكم ... فوهبتكم لعطيةَ بن جُعال)
(لولا عطيةُ لاجتَدعْتُ أنوفكم ... من بين ألأم أعين وسبال)
فبلغ ذلك عطية فقال ما أسرع ما ارتجع أخي هبته قبحها الله من هبة ممنوعة مرتجعة
خبر آخر عن المجنون الذي أراده
أخبرني وكيع عن هارون بن محمد قال حدثني قبيصة بن معاوية المهلبي عن المدائني عن محمد بن النضر
أن الفرزدق مر بباب المفضل بن المهلب فأرسل إليه غلمة فاحتملوه حتى أدخل إليه بواسط وقد خرج من تيار ماء كان فيه فأمر به فألقي فيه بثيابه وعنده ابن أبي علقمة اليحمدي المجنون فسعى إلى الفرزدق فقال له المفضل ما تريد قال أريد أن أنيكه وأفضحه فو الله لا يهجو بعدها أحدا من الأزد فصاح الفرزدق الله الله أيها الأمير في أنا جوارك وذمتك فمنع عنه ابن أبي علقمة فلما خرج قال قاتل الله مجنونهم والله لو مس ثوبه لقام بها جرير وقعد وفضحني في العرب فلم يبق لي فيهم باقية
وأخبرني بنحو هذا الخبر حبيب المهلبي عن ابن شبة
عن محمد بن يحيى عن عبد الحميد عن أبيه عن جده قال أبو زيد وأخبرني أبو
حذف 404
عاصم عن الحسن بن دينار قال قال لي الفرزدق
ما مر بي يوم قط أشد علي من يوم دخلت فيه على أبي عيينة بن المهلب وكان يوما شديد الحر فما منا أحد إلا جلس في أبزن
فقلنا له إن أردت أن تنفعنا فابعث إلى ابن أبي علقمة فقال لا تريدوه فإنه يكدر علينا مجلسنا فقلنا لا بد منه فأرسل إليه فلما دخل فرآني قال الفرزدق والله
ووثب إلي وقد أنعظ أيره وجعل يصيح والله لأنيكنه فقلت لأبي عيينة الله الله في أنا في جوارك فو الله لئن دنا إلي لا تبقى لي باقية مع جرير فلم يتكلم أبو عيينة ولم تكن لي همة إلا أن عدوت حتى صعدت إلى السطح فاقتحمت الحائط فقيل له ولا يوم زياد كان مثل يومئذ فقال ولا مثل يوم زياد
عمر بن عبد العزيز يجيزه ثم ينفيه
أخبرني عمي عن ابن أبي سعد عن أحمد بن عمر عن إسحاق بن مروان مولى جهينة وكان يقال له كوزا الراوية قال احمد بن عمر وأخبرني عثمان بن خالد العثماني
أن الفرزدق قدم المدينة في سنة مجدبة حصاء فمشى أهل المدينة إلى عمر بن عبد العزيز فقالوا له أيها الأمير إن الفرزدق قدم مدينتنا هذه في هذه السنة الجدبة التي أهلكت عامة الأموال التي لأهل المدينة وليس عند أحد منهم ما يعطيه شاعرا فلو أن الأمير بعث إليه فأرضاه وتقدم إليه ألا يعرض لأحد بمدح ولا هجاء فبعث إليه عمر إنك يا فرزدق قدمت مدينتنا هذه في هذه السنة الجدبة وليس عند أحد ما يعطيه شاعرا وقد
أمرت لك بأربعة آلاف درهم فخذها ولا تعرض لأحد بمدح ولا هجاء فأخذها الفرزدق ومر بعبد الله بن عمرو بن عثمان وهو جالس في سقيفة داره وعليه مطرفا خز أحمر وجبة خز أحمر فوقف عليه وقال
(أعبد الله أنت أحقُّ ماشٍ ... وساعٍ بالجماهير الكِبار)
(نما الفاروقُ أُمَّك وابنُ أروَى ... أبوك فأنت مُنصَدَعُ النهار)
(هما قَمَرَا السماء وأنت نجمٌ ... به في الليل يُدْلج كُلُّ سار)
فخلع عليه الجبة والعمامة والمطرف وأمر له بعشرة آلاف درهم فخرج رجل كان حضر عبد الله والفرزدق عنده ورأى ما أعطاه إياه وسمع ما أمره عمر به من ألا يعرض لأحد فدخل إلى عمر بن عبد العزيز فأخبره فبعث إليه عمر ألم أتقدم إليك يا فرزدق ألا تعرض لأحد بمدح ولا هجاء أخرج فقد أجلتك ثلاثا فإن وجدتك بعد ثلاث نكلت بك فخرج وهو يقول

(فأجّلني وواعدني ثلاثاً ... كما وُعِدَت لمهْلِكها ثَمُودُ)
قال وقال جرير فيه
(نفَاكَ الأغرُّ ابنُ عبد العزيزِ ... ومثلُك يُنفَى منَ المسجِدِ)
(وَشبَّهْتَ نفسكَ أشقى ثَمُودَ ... فقالوا ضلَلْتَ ولم تهْتَدِ)
يهجو ابن عفراء لأنه استكثر عليه الجائزة
أخبرني حبيب المهلبي عن ابن أبي سعد عن صباح عن النوفلي بن خاقان عن يونس النحوي قال
مدح الفرزدق عمر بن مسلم الباهلي فأمر له بثلثمائة درهم وكان عمرو بن عفراء الضبي صديقا لعمر فلامه وقال أتعطي الفرزدق ثلثمائة درهم وإنما كان يكفيه عشرون درهما فبلغه ذلك فقال
(نهيتُ ابنَ عِفْرَى أن يعفِّر أمَّهُ ... كعَفْرِ السَّلا إذ جرَّرَتْه ثعَالبُه)
(وإنَّ امرأً يَغْتابني لم أطأ له ... حريماً فلا ينهاهُ عنّي أقاربُه)
(كمحتطبٍ يوماً أساودَ هضبةٍ ... أتاه بها في ظلمة الليل حاطبِه)
(ألمّا استوى ناباي وأبيضَّ مِسْحلي ... وأطرقَ إطراقَ الكرى مَنْ أحاربُه)
(فلو كان ضَبِّيًّا صفحتُ ولو سرت ... على قدمي حيَّاتُه وعقاربُه)
(ولكن دِيافيٌّ أبوه وأمه ... بحُورانَ يعصِرنَ السّليطَ قرائبه)
صوت
(ومقالها بالنَّعف نعف مُحّسَّرٍ ... لفتاتها هل تعرفين المُعْرِضا)
(ذاك الذي أعطى مواثقَ عَهدِه ... ألاّ يخونَ وخلتُ أن لن يَنْقُضا)
(فلئن ظفرتُ بمثْلِها من مثلِه ... يوماً ليَعترفَنَّ ما قد أقْرَضا)
الشعر لخالد القسري والناس ينسبونه إلى عمر بن أبي ربيعة والغناء للغريض ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي وابن المكي وحبش
وقبل أن أذكر أخباره ونسبه فإني أذكر الرواية في أن هذا الشعر له
أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال أخبرني عبد الواحد بن سعيد قال حدثني أبو بشر محمد بن خالد البجلي قال حدثني أبو الخطاب بن يزيد بن عبد الرحمن قال سمعت أبي يحدث قال حدثني مسمع بن مالك بن جحوش البجلي قال
ركب خالد بن عبد الله وهو أمير العراق وهو يومئذ بالكوفة إلى ضيعته التي يقال لها المكرخة وهي من الكوفة على أربعة فراسخ وركبت معه في زورق فقال لي نشدتك الله يا بن جحوش هل سمعت غريض مكة يتغنى
(ومقالها بالنّعفِ نعفِ مُحّسَّرٍ ... لفتاتها هل تعرفين المُعْرِضا)
قال قلت نعم قال الشعر والله لي والغناء لغريض مكة وما وجدت هذا الشعر في شيء من دواوين عمر بن أبي ربيعة التي رواها المدنيون والمكيون وإنما يوجد في الكتب المحدثة والإسنادات المنقطعة ثم نرجع الآن إلى ذكره
بسم الله الرحمن الرحيم
أخبار النابغة ونسبه
النابغة اسمه زياد بن معاوية بن ضباب بن جناب بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس ابن عيلان بن مضر
ويكنى أبا أمامة
وذكر أهل الرواية أنه إنما لقب النابغة لقوله
(... فقد نَبَغتْ لهم منّا شؤونُ)
طبقته ومنزلته عند الخلفاء
وهو أحد الأشراف الذين غض الشعر منهم
وهو من الطبقة الأولى المقدمين على سائر الشعراء
أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر ابن شبة قال حدثنا أبو نعيم قال حدثنا شريك عن مجاهد عن الشعبي عن
ربعي بن حراش قال قال عمر يا معشر غطفان من الذي يقول
(أتيتُك عارياً خَلَقاً ثِيَابي ... على خَوْفٍ تُظَنُّ بِيَ الظُّنونُ)
قلنا النابغة
قال ذاك أشعر شعرائكم
أخبرني أحمد وحبيب قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عبيد بن جناد قال حدثنا معن بن عبد الرحمن عن عيسى بن عبد الرحمن السلمي عن جده عن الشعبي قال قال عمر من أشعر الناس قالوا أنت أعلم يا أمير المؤمنين قال من الذي يقول
(إلاّ سليمانَ إذ قال الإله له ... قُمْ في البَرِيَّةِ فاحْدُدْها عن الفَنَد)
(وخَبِّر الجِنَّ أنّي قد أذِنتُ لهم ... يبنُون تَدْمُرَ بالصُّفّاح والعمدِ)
قالوا النابغة
قال فمن الذي يقول
(أتيتُك عارياً خَلَقاً ثيابي ... على خوفٍ تُظَنُّ بيَ الظنونُ)
قالوا النابغة
قال فمن الذي يقول
(حلفتُ فلم أترُكْ لنفسك ريبةً ... وليس وراءَ اللهِ للمرءِ مَذْهَبُ)
(لئن كنتَ قد بُلِّغتَ عنّي خِيانةً ... لمُبْلِغُك الواشِي أغَشُّ وأكْذَبُ)
((ولستَ بمُسْتَبْقٍ أخاً لا تَلُمُّهُ ... على شَعَثٍ أيَّ الرجالِ المهَذَّبُ)
قالوا النابغة
قال فهو أشعر العرب

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال حدثنا عمر بن أبي زائدة عن الشعبي قال ذكر الشعر عند عمر ثم ذكر مثله
أخبرني أحمد قال حدثنا عمر قال حدثني علي بن محمد عن المدائني عن عبد الله بن الحسن عن عمر بن الحباب عن أبي المؤمل قال
قام رجل إلى ابن عباس فقال أي الناس أشعر فقال ابن عباس أخبره يا أبا الأسود الدؤلي قال الذي يقول
(فإنّكَ كاللّيل الذي هو مُدْرِكي ... وإنْ خِلْتُ أنّ المُنْتَأَى عنك واسعُ)
أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد قرأت على أبي عن جرير بن شريك بن جرير بن عبد الله البجلي قال كنا عند الجنيد بن عبد الرحمن
بخراسان وعنده بنو مرة وجلساؤه من الناس فتذاكروا شعر النابغة حتى أنشدوا قوله
(فإنّك كاللّيل الذي هو مدركي ... وإن خلتُ أنّ المنتأى عنك واسع)
فقال شيخ من بني مرة ما الذي رأى في النعمان حيث يقول له هذا وهل كان النعمان إلا على منظرة من مناظر الحيرة وقالت ذلك القيسية فأكثروا
فنظر إلي الجنيد وقال يا أبا خالد لا يهولنك قول هؤلاء الأعاريض فأقسم بالله أن لو عاينوا من النعمان ما عاين صاحبهم لقالوا أكثر مما قال ولكنهم قالوا ما تسمع وهم آمنون
كان الشعراء يحتكمون إليه
أخبرني حبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو بكر العليمي قال حدثني عبد الملك بن قريب قال
كان يضرب للنابغة قبة من أدم بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها
قال وأول من أنشده الأعشى ثم حسان بن ثابت ثم أنشدته الشعراء ثم أنشدته الخنساء بنت عمرو بن الشريد
((وإنّ صخراً لَتَأتمُّ الهُدَاةُ به ... كأنّه عَلَمٌ في رأسه نارُ)
فقال والله لولا أن أبا بصير أنشدني آنفا لقلت إنك أشعر الجن والإنس
فقام حسان فقال والله لأنا أشعر منك ومن أبيك
فقال له النابغة يا بن أخي أنت لا تحسن أن تقول
(فإنّكَ كاللّيلِ الذي هو مُدْرِكِي ... وإن خِلتُ أنّ المنتأى عنك واسع)
(خَطَاطِيفُ حُجْنٌ في حِبالٍ مَتِينةٍ ... تَمُدُّ بها أيدٍ إليك نَوَازِعُ)
قال فخنس حسان لقوله
أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا الأصمعي قال حدثنا أبو عمرو بن العلاء قال قال فلان لرجل سماه فأنسيته
بينا نحن نسير بين أنقاء من الأرض تذاكرنا الشعر فإذا راكب أطيلس يقول أشعر الناس زياد بن معاوية ثم تملس فلم نره
أخبرني أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا الأصمعي قال سمعت أبا عمرو
يقول ما كان ينبغي للنابغة إلا أن يكون زهير أجيرا له
أخبرني أحمد قال حدثنا عمر قال عمرو بن المنتشر المرادي
وفدنا على عبد الملك بن مروان فدخلنا عليه فقام رجل فاعتذر من أمر وحلف عليه فقال له عبد الملك ما كنت حريا أن تفعل ولا تعتذر
ثم أقبل على أهل الشأم فقال أيكم يروي من اعتذار النابغة الى النعمان
(حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبةً ... وليس وراء الله للمرء مذهبُ)
فلم يجد فيهم من يرويه فأقبل علي فقال أترويه قلت نعم فأنشدته القصيدة كلها فقال هذا أشعر العرب
أخبرنا حبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدثنا عمر بن شبة قال قال معاوية بن بكر الباهلي قلت لحماد الراوية بم تقدم النابغة قال باكتفائك بالبيت الواحد من شعره لا بل بنصف بيت لا بل بربع بيت مثل قوله
(حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبةً ... وليس وراء الله للمرء مذهبُ)
كل نصف يغنيك عن صاحبه وقوله
أيّ الرجال المهذّبُ ...) ربع بيت يغنيك عن غيره)
وهذه القصيدة العينية يقولها في النعمان بن المنذر يعتذر اليه بها وبعدة قصائد قالها فيه تذكر في مواضعها
ولقد اختلفت الرواة في السبب الذي دعاه الى ذلك
خبره مع النعمان وزوجته المتجردة
فأخبرني حبيب بن نصر المهلبي وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة عن أبي عبيدة وغيره من علمائهم
ان النابغة كان كبيرا عند النعمان خاصا به وكان من ندمائه وأهل أنسه فرأى زوجته المتجردة يوما وغشيها تشبيها بالفجاءة فسقط نصيفها واستترت بيدها وذراعها فكادت ذراعها تستر وجهها لعبالتها وغلظها فقال قصيدته التي أولها
(أمِنَ آلِ مَيّةَ رائحٌ أو مُغْتَدِي ... عجلانَ ذا زادٍ وغيرَ مُزَوَّدِ)
(زعَمَ البوارحُ أنّ رِحْلَتَنا غداً ... وبذاك تَنْعَابُ الغُرابِ الأسودِ)
(لا مرحباً بغدٍ ولا أهلاً به ... إن كان تفريقُ الأحِبّةِ في غَدِ)
(أزفَ التَّرَحُّلُ غيرَ أنّ رِكَابَنا ... لمّا تَزُلْ بِرِحالنا وكأنْ قَدِ)
(في إثْرِ غانيةٍ رمتْك بسهْمِها ... فأصاب قلبَك غيرَ أنْ لم تُقْصِدِ)
(بالدُّرّ والياقوتِ زُيِّن نحرُها ... ومُفَصَّلٍ من لُؤْلُؤٍ وزبَرْجَدِ)
عروضه من الكامل
وغناه أبو كامل من رواية حبش ثقيلا أول بالبنصر
وغناه الغريض من روايته ثاني ثقيل بالوسطى
وغناه ابن سريج من رواية إسحاق ثقيلا أول بالسبابة في مجرى الوسطى

قوله أمن آل مية يخاطب نفسه كالمستثبت
وعجلان من العجلة نصبه على الحال
والزاد في هذا الموضع ما كان من تسليم ورد تحية
والبوارح ما جاء من ميامنك إلى مياسرك فولاك مياسره
والسانح ما جاء من مياسرك فولاك ميامنه حكى ذلك أبو عبيدة عن رؤبة وقد سأله يونس عنه
وأهل نجد يتشاءمون بالبوارح وغيرهم من العرب تتشاءم بالسانح وتتيمن بالبارح ومنهم من لا يرى ذلك شيئا قال بعضهم
(ولقد غدوتُ وكنتُ لا ... أغدو على واقٍ وحاتِمْ)
(فإذا الأشائمُ كالأيَامِن ... والأيامِنُ كالأشائمْ)
وتنعاب الغراب صياحه يقال نعب الغراب ينعب نعيبا ونعبانا والتنعاب تفعال من هذا
وكان النابغة قال في هذا البيت
وبذاك خبَّرنا الغُرَابُ الأسودُ ...) ثم ورد يثرب فسمعه يغنى فيه فبان له الإقواء فغيره في مواضع من شعره)
الإقواء عيب في شعره
وأخبرنا الحسين بن يحيى قال قال حماد بن إسحاق قرأت على أبي قال أبو عبيدة كان فحلان من الشعراء يقويان النابغة وبشر بن أبي
خازم فأما النابغة فدخل يثرب فهابوه أن يقولوا له لحنت وأكفأت فدعوا قينة وأمروها أن تغني في شعره ففعلت
فلما سمع الغناء وغير مزوَّد والغرابُ الأسوُد وبان له ذلك في اللحن فطن لموضع الخطأ فلم يعد
وأما بشر بن أبي خازم فقال له أخوه سوادة إنك تقوي قال وما ذاك قال قولك
(... وينْسِي مثلَ ما نُسِيت جُذَامُ)
ثم قلت بعده
(... إلى البلد الشآمِ)
ففطن فلم يعد
أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا خلاد الأرقط وغيره من علمائنا قالوا
كان النابغة يقول إن في شعري لعاهة ما أقف عليها
فلما قدم المدينة غني في شعره فلما سمع قوله
واتَّقَتْنا باليد ...) و)
يكاد من اللَّطافةِ يُعْقَدُ ...) تبين له لما مدت باليد فصارت الكسرة ياء ومدت يُعْقَدُ فصارت الضمة كالواو ففطن فغيره)
وجعله
(... عَنَمٌ على أغصانِهِ لم يُعْقَدِ)
وكان يقول وردت يثرب وفي شعري بعض العاهة فصدرت عنها
وأنا أشعر الناس
وقوله لا مرحبا لا سعة ونصبه ها هنا شبيه بالمصدر كأنه قال لا رحب رحبا ولا أهل أهلا
وأزف قرب
قال وقال في قصيدته هذه يذكر ما نظر إليه من المتجردة وسترها وجهها بذراعها
صوت
(سقَطَ النَّصِيفُ ولم تُرِدْ إسقاطَه ... فتناولتْه واتَّقَتْنا باليَدِ)
(بمُخَضَّب رَخْصٍ كأنّ بَنَانَه ... عَنَمٌ على أغصانِه لم يُعْقَدِ)
(وبفاحِمٍ رَجْلٍ أثِيثٍ نبتُه ... كالكَرْمِ مَالَ على الدِّعَامِ المُسْنَدِ)
(نظرتْ اليك بحاجةٍ لم تَقْضِها ... نَظَرَ السَّقِيم إلى وُجوه العُوَّدِ)
غناه ابن سريج ولحنه من خفيف الثقيل الأول بالوسطى عن عمرو
والنصيف الخمار والجمع أنصفة ونصف
والعنم فيما ذكر أبو عبيدة يساريع حمر تكون في البقل في الربيع
وقال الأصمعي العنم شجر يحمر وينعم نبته
والفاحم الشديد السواد
والرجل الذي ليس بجعد
والأثيث المتكاثف قال أمرؤ القيس
(... أثِيثٍ كقِنْوِ النخلة المتَعَثْكِلِ)
ويقال شعر رجِل ورجَل ويروى
(...ورنتْ إليَّ بمقلتَيْ مكحولةٍ)
والمكحولة البقرة
وقوله لم تقضها يعني المرأة أي لم تقدر على الكلام من مخافة أهلها فهي كالسقيم الذي ينظر الى من يعوده
غناه ابن سريج خفيف ثقيل أول بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة
اتهم بالتخنث
وأخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثنا العمري قال
قال الهيثم بن عدي قال لي صالح بن حسان كان والله النابغة مخنثا
قلت وما علمك به أرأيته قط قال لا والله
قلت أفأخبرت عنه قال لا
قلت فما علمك به قال أما سمعت قوله
(سَقَطَ النَّصِيفُ ولم تُرِدْ إسقاطَه ... فتناولته واتَّقتْنا باليدِ)
لا والله ما أحسنَ هذه الإشارة ولا هذا القولَ إلا مُخَنَّثٌ

قال فأنشدها النابغة مرة بن سعد القريعي فأنشدها مرة النعمان فامتلأ غضبا فأوعد النابغة وتهدده فهرب منه فأتى قومه ثم شخص إلى ملوك غسان بالشأم فامتدحهم
وقيل إن عصام بن شهبر الجرمي حاجب النعمان أنذره وعرفه ما يريده النعمان وكان صديقه فهرب
وعصام الذي يقول
فيه الراجز
(نَفْسُ عِصَامٍ سَوَّدتْ عِصَامَا ... وَعلَّمتْه الكَرَّ والإقدامَا)
(... وجعلته مَلِكاً هُمَامَا)
وقال من رويت عنه خبر النابغة إن السبب في هربه من النعمان أن عبد القيس بن خفاف التميمي ومرة بن سعد بن قريع السعدي عملا هجاء في النعمان على لسانه وأنشدا النعمان منه أبياتا يقال فيها
مَلْكٌ يُلاعِبُ أُمَّه وقَطِينَه ... رِخْوُ المَفَاصِلِ أَيْرُه كالمِرْوَدِ) ومنه)
(قَبَّحَ اللهُ ثم ثَنَّى بِلَعْنٍ ... وارثَ الصائغِ الجَبَانَ الجهُولاَ)
(... مَنْ يَضُرُّ الأدنَى وَيَعْجِزُ عن ضَرِّ الأقاصِي ومَنْ يَخُونُ الخليلا)
(يجمع الجيشَ ذا الألوفِ ويغزو ... ثم لا يَرْزأُ العَدُوَّ فَتيلا)
يعني بوارث الصائغ النعمان وكان جده لأمه بفدك يقال له عطية
وأم النعمان سلمى بنت عطية
فأخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله عن ابن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل أن مرة بن سعد القريعي الذي وشى
بالنابغة كان له سيف قاطع يقال له ذو الريقة من كثرة فرنده وجوهره فذكره النابغة للنعمان فأخذه
فاضطغن ذلك القريعي حتى وشى به إلى النعمان وحرضه عليه
وأخبرنا الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن محمد بن سلام عن يونس بن حبيب عن أبي عمرو بن العلاء وأخبرنا إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبة قالوا جميعا
إن الذي من أجله هرب النابغة من النعمان أنه كان والمنخل بن عبيد ابن عامر اليشكري جالسين عنده وكان النعمان دميما أبرش قبيح المنظر وكان المنخل بن عبيد من أجمل العرب وكان يرمي بالمتجردة زوجة النعمان ويتحدث العرب أن ابني النعمان منها كانا من المنخل
فقال النعمان للنابغة يا أبا أمامة صف المتجردة في شعرك فقال قصيدته التي وصفها فيها ووصف بطنها وروادفها وفرجها
فلحقت المنخل من ذلك غيرة فقال للنعمان ما يستطيع أن يقول هذا الشعر إلا من جربه
فوقر ذلك في نفس النعمان وبلغ النابغة فخافه فهرب فصار في غسان

تشبيبه بهند صاحبة المنخل اليشكري

قالوا وكان المنخل يهوى هندا بنت عمرو بن هند وفيها يقول

صوت

(ولقد دخلتُ على الفتاة ... الخِدْرَ في اليومِ المَطِير)
(الكاعِبِ الحسناءِ تَرْفُلُ ... في الدِّمَقْسِ وفي الحرير)
(فدفعتُها فتدافعتْ ... مَشْيَ القَطَاةِ إلى الغَدِير)
(وَلَثَمتُها فَتنفَّستْ ... كتنفُّسِ الظَّبْيِ البَهِير)
غناه ابراهيم الموصلي من رواية عمرو بن بانة ثاني ثقيل بالوسطى على مذهب إسحاق
(وَدَنَتْ وقالت يا مُنَخَّلُ ... ما بجسمِك من فُتور)
(ما مَسَّ جِسْمِي غيرُ حُبِّكِ ... فاهْدَئي عنِّي وسِيري)
(ولقد شَرِبتُ من المُدامةِ ... بالكبيرِ وبالصغير)
(فإذا سَكِرتُ فإنَّني ... رَبُّ الخَوَرْنَقِ والسَّدِير)
(وإذا صحوتُ فإنَّني ... ربُّ الشُّوَيْهَةِ والبعير)
(يا هِنْدُ هل من نائلٍ ... يا هندُ للعانِي الأسير)
(وأُحِبُّها وتُحِبُّني ... وتُحِبّ ناقتُها بعيري)
وقال حماد بن إسحاق عن أبيه في كتاب أغاني ابن مسجح في هذا الصوت لمالك ومعبد وابن سريج وابن محرز والغريض وابن مسجح لكلهم فيه ألحان قال فبلغ عمرا خبر المنخل فأخذه فقتله
وقال المنخل قبل أن يقتله وهو محبوس في يده يحض قومه على طلب الثأر به
(ظُلَّ وَسْطَ العِرَاقِ قَتْلِي بِلاَ جُرْمٍ ... وَقَوْمِي يُنَتِّجون السِّخَالاَ)
رجع الخبر إلى سياقه
قالوا جميعا فلما صار النابغة الى غسان نزل بعمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبي شمر وأم الحارث الأعرج مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع الكندية وهي ذات القرطين اللذين يضرب بهما المثل فيقال لما يغلى به الثمن خذه ولو بقرطي مارية
وأختها هند الهنود امرأة حجر آكل المرار
وإياها عنى حسان بقوله في جبلة بن الأيهم
(أولادُ جَفْنَةَ حولَ قبرِ أبيهِمُ ... قبرِ ابن مَارِيَةَ الجَوَادِ المُفْضِلِ)

مدحه النعمان وأخاه عمرو بن الحارث

ولذلك خبر يأتي في موضعه فمدحه النابغة ومدح أخاه النعمان
ولم يزل مقيما مع عمرو حتى مات وملك أخوه النعمان فصار معه الى أن استطلعه النعمان فعاد إليه
فمما مدح به عمرا قوله

صوت

(كِلِيني لِهَمٍّ يا أمَيْمَةَ نَاصِبِ ... وَلَيْلٍ أقَاسِيهِ بَطِيءِ الكواكبِ)

(وَصَدْرٍ أراحَ الليلُ عازبَ هَمِّهِ ... تضاعَفَ فيه الحُزْنُ من كلِّ جانب)
(تَقَاعَسَ حتى قلتُ ليس بمُنْقَضٍ ... وليس الذي يَهْدِي النجومَ بآئِبِ)
(عَلَيَّ لِعَمْرٍو نِعْمَةٌ بعد نعمةٍ ... لوالده ليست بذاتِ عَقَارِبِ)
عروضه من الطويل
غنى في البيتين الأولين ابن محرز خفيف ثقيل أول بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو
وغنى فيه الأبجر من رواية حبش ثاني ثقيل بالوسطى
وغنى مالك في البيت الرابع ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى من رواية هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات
وغنى في الأربعة الأبيات عبد الله بن العباس الربيعي ماخوريا عن حبش وغنى فيها طويس رملا بالوسطى بحكايتين عن حبش
هكذا روي قوله يا أميمة مفتوح الهاء
قال الخليل من عادة العرب أن تنادي المؤنث بالترخيم فتقول يا أميم ويا عز ويا سلم فلما لم يرخم لحاجته الى الترخيم أجراها على لفظها مرخمة وأتى بها بالفتح
وكليني أي دعيني
ووكلته الى كذا أكله وكالة
وناصب متعب
وبطيء الكواكب أي قد طال حتى إن كواكبه لا تجري ولا تغور
أراح رد
يقال أراح الرجل إبله أي ردها
فيقول رد هذا الليل إلي ما عزب من همي بالنهار لأنه يتعلل نهارا بمحادثة الناس والتشاغل بغير الفكر فإذا خلا بالليل راح اليه همه
وتقاعس تأخر وأصل التقاعس الرجوع الى خلف القهقري فشبه الليل في طوله بالمتقاعس
والذي يهدي النجوم أولها شبهها بهواديها
وقوله
ليست بذات عقارب ...) أي لا يكدرها ولا يمنها ومما يغنى فيه من هذه القصيدة)
(حلفتُ يميناً غيرَ ذِي مَثْنَوِيَّةٍ ... ولا عِلْمَ إلاَّ حسنَ ظَنِّي بصاحبِ)
(لئن كان للقَبْرَين قَبْرٍ بجِلَّقٍ ... وَقَبْرٍ بصَيْدَاءَ الذي عند حارِبِ)
(وللحارثِ الجَفْنِيِّ سيِّدِ قومِهِ ... لَيَلْتَمِسَنْ بالجيش دارَ المُحَارِبِ)
غناه إسحاق خفيف ثقيل أول بالبنصر على مذهبه من رواية عمرو بن بانة عنه ومن رواية حبش
وغناه ابن سريج ثاني ثقيل بالبنصر
يقول ليس لي علم بما يكون من صاحبي إلا أني أحسن الظن به
وقوله
لئن كان للقبرين ...) يعني لئن كان عمرو ابنا للمدفونين في هذين القبرين يعني قبر أبيه وجده وهما الحارث الأكبر)
والحارث الأعرج ليلتمسن جيشه دار المحارب له يحرضه بذلك
ويروى أرض المحارب
((ولا عيبَ فيهم غير أنّ سيوفَهم ... بهنّ فلولٌ من قِرَاع الكتائبِ
(إذا استنْزلوا عنهن الطعن أرْقَلوا ... إلى الموت إرقال الجِمَال المَصَاعِبِ)
صوت
(لهم شِيمةٌ لم يُعْطِها اللهُ غيرَهم ... من النَّاسِ والأحلامُ غيرُ عَوَازب)
(على عارفاتٍ للطِّعانِ عَوَابِسٍ ... بهنّ كلومٌ بين دامٍ وجالِبِ)
(ولا عيبَ فيهم غير أنّ سيوفَهم ... بهن فلولٌ من قِرَاعِ الكتائب)
(إذا استُنْزلوا عنهنّ للطعن أرْقَلوا ... إلى الموت إرقالَ الجمال المصاعب)
(حَبَوْتُ بها غسّان إذ كنتُ لاحقاً ... بقومي وإذْ أعيتْ عليّ مَذَاهِبِي)
وجدت في كتاب لهارون بن محمد بن عبد الملك الزيات في البيتين والثالث والرابع لحنا منسوبا إلى معبد من خفيف الرمل بالوسطى
وأحسبه من لحن يحيى المكي
الشيمة الطبيعة وجمعها شيم
غير عوازب أي لا تعزب أحلامهم فتنفذ عنهم
وعارفات للطعان أي صابرات عليه قد عودت أن يحارب عليها
وعوابس كوالح
وجالب أي عليه جلبة وهي قشرة تكون على الجرح يقال جلب الجرح يجلب جلوبا وأجلب إجلابا
والإرقال مشي يشبه الخبب سريع
والمصاعب واحدها مصعب وهو الفحل الذي لم يمسسه الحبل وإنما يقتنى للفحلة ويقال له قرم ومقرم
وقوله حبوت بها يعني
بالقصيدة وروى أبو عبيدة إذ كنت لاحقا بقوم وقال يعني إذ كنت لاحقا بغيركم أي بقوم آخرين فكنتم أحق بالمدح منهم
قالوا فنظر إلى النعمان بن الحارث أخي عمرو وهو يومئذ غلام فقال
(هذا غلامٌ حسَنٌ وجهُهُ ... مُقتبِلُ الخيرِ سريعُ التَّمَام)
(للحارثِ الأكبرِ والحارثِ الأصغر ... والأعْرَجِ خيرِ الأنام)
(ثم لِهندٍ ولِهندٍ فقد ... أسرع في الخيراتِ منه إمام)
(خمسةُ آباءٍ وهُم ما هُمُ ... هُمْ خيرُ من يشرب صوبَ الغَمَام)

غناه حنين خفيف رمل بالبنصر عن حبش
الشعبي يفضله على الأخطل في مجلس عبد الملك بن مروان
أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثناعمر بن شبة قال حدثنا هارون بن عبد الله الزبيري قال حدثنا شيخ يكنى أبا داود عن الشعبي قال
دخلت على عبد الملك بن مروان وعنده الأخطل وأنا لا أعرفه
فقلت حين دخلت عامر بن شراحيل الشعبي
فقال على علم ما أذنا لك
فقلت في نفسي خذ واحدة على وافد أهل العراق
فسأل عبد الملك الأخطل من أشعر الناس قال أنا يا أمير المؤمنين
فقلت لعبد الملك من هذا يا أمير
المؤمنين فتبسم وقال هذا الأخطل
فقلت في نفسي خذها ثنتين على وافد أهل العراق فقلت أشعر منك الذي يقول
(هذا غلامٌ حَسَنٌ وجهُهُ ... مُستَقْبِلُ الخير سريعُ التَّمَام)
(للحارثِ الأكبرِ والحارثِ الأصغرِ ... والأَعْرَجِ خير الأنام)
(خمسةُ آباءٍ وهُم ما هم ... هُمْ خيرُ من يشرب ماء الغمام)
والشعر للنابغة فقال الأخطل إن أمير المؤمنين إنما سألني عن أشعر أهل زمانه ولو سألني عن أشعر أهل الجاهلية لكنت حريا أن أقول كما قلت أو شبيها به
فقلت في نفسي خذها ثلاثا على وافد أهل العراق
يعني أنه أخطأ ثلاث مرات
ونسخت هذا الخبر من كتاب أحمد بن الحارث الخراز ولم أسمعه من أحد ووجدته أتم مما رأيت في كل موضع فأتيت به في هذا الموضع وإن لم يكن من خاص خبر النابغة لأنه أليق به
قال أحمد بن الحارث الخراز حدثني المدائني عن عبد الملك بن مسلم قال
كتب عبد الملك إلى الحجاج إنه ليس شيء من لذة الدنيا إلا وقد أصبت منه ولم يكن عندي شيء ألذه إلا مناقلة الإخوان للحديث
وقبلك عامر الشعبي فابعث به إلي يحدثني
فدعا الحجاج الشعبي فجهزه وبعث به إليه وقرظه وأطراه في كتابه
فخرج الشعبي حتى إذا كان بباب عبد الملك قال للحاجب استأذن لي
قال من أنت قال أنا عامر الشعبي
قال حياك الله ثم نهض فأجلسني على كرسيه
فلم يلبث أن خرج إلي فقال ادخل يرحمك الله
فدخلت فإذا عبد الملك جالس على كرسي وبين يديه رجل أبيض الرأس واللحية على كرسي فسلمت فرد علي السلام ثم أومأ إلي بقضيبه فقعدت عن يساره ثم أقبل على الذي بين يديه فقال ويحك
من اشعر الناس قال أنا يا أمير المؤمنين
قال الشعبي فأظلم علي ما بيني وبين عبد الملك فلم أصبر أن قلت ومن هذا يا أمير المؤمنين الذي يزعم أنه أشعر الناس قال فعجب عبد الملك من عجلتي قبل أن يسألني عن حالي قال هذا الأخطل
فقلت يا أخطل أشعر والله منك الذي يقول
(هذا غلامٌ حَسَنٌ وجهُهُ ... مُستَقْبِلُ الخير سريعُ التَّمَامْ)
(للحارثِ الأكبرِ والحارثِ الأصغرِ ... والأَعْرَجِ خير الأنام)
(ثم لهندٍ ولهندٍ فقد ... أسرع في الخيراتِ منه إمام)
(خمسةُ آباءٍ وهُم ما هُمُ ... هُمْ خيرُ من يشرب صوبَ الغَمَام)
فرددتها حتى حفظها عبد الملك
فقال الأخطل من هذا يا أمير المؤمنين قال هذا الشعبي
قال فقال صدق والله يا أمير المؤمنين النابغة والله أشعر مني
فقال الشعبي ثم أقبل علي فقال كيف أنت يا شعبي قلت بخير يا أمير المؤمنين فلا زلت به
ثم ذهبت لأضع معاذيري لما كان من خلافي على الحجاج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقال مه إنا لا نحتاج إلى هذا المنطق ولا تراه منا في قول ولا فعل حتى تفارقنا
ثم أقبل علي فقال ما تقول في النابغة قال قلت يا أمير المؤمنين قد فضله عمر بن الخطاب في غير موطن على الشعراء أجمعين وببابه وفد غطفان فقال يا معشر غطفان أي شعرائكم الذي يقول
(حلَفتُ فلم أتركْ لنفسك ريبةً ... وليس وراءَ اللهِ للمرءِ مَذْهَبُ)
(لئن كنتَ قد بُلِّغتَ عنّي خِيانةً ... لَمُبْلِغُكَ الواشي أَغَشُّ وأكْذَبُ)
(ولستَ بمُسْتَبْقٍ أخاً لا تَلُمُّه ... على شَعَثٍ أيُّ الرجالِ المهذَّب)
قالوا النابغة يا أمير المؤمنين قال فأيكم الذي يقول
(فإنَّكَ كاللّيلِ الذي هو مُدْرِكِي ... وإن خِلتُ أن المنتأى عنك واسعُ)
(خَطَاطِيفُ حُجْنٌ في حبالٍ متِينةٍ ... تَمُدّ بها أيدٍ إليك نوازع)
قالوا النابغة
قال فأيكم الذي يقول
(إلى ابن مُحَرِّقٍ أعملتُ نفسي ... وراحلتي وقد هَدَتِ العيونُ)
(أتيتُك عارياً خَلَقاً ثِيَابِي ... على خَوْفٍ تُظَنُّ بِيَ الظُّنونُ)
(فألفيْتُ الأمانة لم تَخُنْها ... كذلك كان نُوحٌ لا يخون)

قالوا النابغة يا أمير المؤمنين
قال هذا أشعر شعرائكم
قال ثم أقبل على الأخطل فقال أتحب أن لك قياضا بشعرك شعر أحد من العرب أو تحب أنك قلته قال لا والله يا أمير المؤمنين إلا أني وددت أن كنت قلت أبياتا قالها رجل منا كان والله ما علمت مغدف القناع قليل السماع قصير الذراع
قال وما قال فأنشد قصيدته
(إنّا مُحَيُّوكَ فاسْلَمْ أيُّها الطَّلَلُ ... وإن بَلِيتَ وإن طالت بكَ الطِّيَلُ)
(ليس الجديدُ به تبقَى بَشَاشتُه ... إلاَّ قليلاً ولا ذو خُلَّةٍ يصلُ)
(والعيشُ لا عيشَ إلاَّ ما تَقَرُّ به ... عينٌ ولا حالَ إلاَّ سوف تنتقل)
(إن تَرْجِعي من أبي عثمانَ مُنْجِحةً ... فقد يَهُون على المُسْتَنْجِحِ العمل)
(والناسُ مَنْ يَلْقَ خيراً قائلون له ... ما يشتهي ولأُمِّ المخطىء الهَبَلُ)
(قد يُدْرِكُ المُتَأَنّي بعضَ حاجتِه ... وقد يكون مع المستعجِلِ الزلل)
حتى أتى على آخرها قال الشعبي فقلت قد قال القطامي أفضل من هذا قال وما قال قلت قال
(طَرَقتْ جَنُوبُ رحالَنا من مَطْرَقِ ... ما كنت أحسَبُها قريبَ المُعْنَق)
(قطَعتْ اليك بمثل جِيدِ جَدايةٍ ... حَسَنٍ مُعلَّقِ تُومَتَيْه مُطَوَّقِ)
(ومُصَرَّعِين من الكَلاَلِ كأنما ... شَرِبوا الغَبُوقَ من الرَّحِيق المُعْرَقِ)
(متوسِّدين ذراعَ كلِّ نَجيبةٍ ... ومُفرَّجٍ عَرَقِ المَقَذِّ مُنوَّقِ)
(وَجَثَتْ على رُكَبٍ تَهُدُّ بها الصَّفَا ... وعلى كَلاَكِلَ كالنَّقِيلِ المُطْرَقِ)
(وإذا سمِعْنَ إلى هَمَاهِمِ رُفْقَةٍ ... ومن النجوم غوابرٌ لم تَخْفِق)
(جعلتْ تُميلُ خدودَها آذانُها ... طَرَباً بهنّ إلى حُداء السُّوَّقِ)
((كالمُنْصِتات إلى الغناء سمعنَه ... من رائع لقلوبهن مُشوِّق
(وإذا نظرنَ إلى الطَّريق رأينه ... لهِقاً كشاكلة الحِصان الأبلق)
(وإذا تخلَّف بعدهنّ لحاجةٍ ... حادٍ يُشَسِّعُ نَعْلَه لم يَلْحَق)
(وإذا يصيبك والحوادثُ جَمَّةٌ ... حَدَثٌ حَدَاك إلى أخيكَ الأوثق)
(لئن الهمومُ عن الفؤاد تفرّقت ... وَخَلاَ التَّكَلُّمُ للّسان المُطْلَق)
قال فقال عبد الملك هذا والله أشعر ثكلت القطامي أمه قال فالتفت إلي الأخطل فقال يا شعبي إن لك فنونا في الأحاديث وإنما لنا فن واحد فإن رأيت ألا تحملني على أكتاف قومك فأدعهم حرضا فقلت لا أعرض لك في شيء من الشعر أبدا فأقلني في هذه المرة قال من يتكفل بك قلت أمير المؤمنين
فقال عبد الملك هو علي ألا يعرض لك أبدا ثم قال يا شعبي أي نساء الجاهلية أشعر قلت خنساء
قال ولم فضلتها على غيرها قلت لقولها
(وقائلةٍ والنَّعْشُ قد فات خَطْوَها ... لِتُدْرِكه يالَهْفَ نفسي على صَخْر)
ألاَ ثَكِلتْ أمُّ الذين غَدَوْا به ... إلى القبر ماذا يحملون إلى القبر) فقال عبد الملك أشعر منها والله التي تقول)
(مُهَفْهَفٌ الكَشْحِ والسربالِ منخرِقٌ ... عنه القميصُ لسيرِ الليلِ محتقرُ)
((لا يأمَنُ الناسُ مُمساه ومُصْبَحَهُ ... في كلِّ فَجٍّ وإن لم يغْزُ يُنْتَظَرُ
ثم قال يا شعبي لعلك شق عليك ما سمعت
قلت إي والله يا أمير المؤمنين أشد المشقة
إني أحدثك منذ شهرين لم أفدك إلا أبيات النابغة في الغلام
قال يا شعبي إنما أعلمتك هذا لأنه بلغني أن اهل العراق يتطاولون على أهل الشام يقولون إن كانوا غلبونا على الدولة فلم يغلبونا على العلم والرواية وأهل الشام أعلم بعلم أهل العراق من أهل العراق ثم رد علي الأبيات أبيات ليلى حتى حفظتها ولم أزل عنده فكنت أول داخل وآخر خارج
قال فمكثت كذلك سنتين وجعلني في ألفين من العطاء وعشرين رجلا من ولدي وأهل بيتي في ألفين ألفين فبعثني إلى أخيه عبد العزيز بن مروان بمصر وكتب اليه يا أخي إني قد بعثت اليك الشعبي فأنظر هل رأيت مثله قط ثم أذن لي فأنصرفت
أخبرني الحسين بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني وأخبرني ببعضه أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني عمر بن شبة عن أبي بكر الهذلي قال
قال حسان بن ثابت قدمت علىالنعمان بن المنذر وقد أمتدحته فأتيت حاجبه عصام بن شهبر فجلست إليه فقال إني لأرى عربيا أفمن الحجاز أنت قلت نعم
قال فكن قحطانيا
فقلت فأنا قحطاني
قال فكن يثربيا
قلت فأنا يثربي
قال فكن خزرجيا
قلت فأنا خزرجي
قال فكن حسان بن ثابت
قلت فأنا هو
قال أجئت بمدحة الملك قلت نعم
قال فإني أرشدك إذا دخلت إليه فإنه يسألك عن جبلة بن الأيهم
ويسبه فإياك أن تساعده على ذلك ولكن أمر ذكره إمرارا لا توافق فيه ولا تخالف وقل ما دخول مثلي أيها الملك بينك وبين جبلة وهو منك وأنت منه
وإن دعاك إلى الطعام فلا تؤاكله فإن أقسم عليك فأصب منه اليسير إصابة بار قسمه متشرف بمؤاكلته لا أكل جائع

سغب ولا تطل محادثته ولا تبدأه بإخبار عن شيء حتى يكون هو السائل لك ولا تطل الإقامة في مجلسه
فقلت أحسن الله رفدك قد أوصيت واعيا
ودخل ثم خرج إلي فقال لي ادخل
فدخلت فسلمت وحييت تحية الملوك
فجاراني من أمر جبلة ما قاله عصام كأنه كان حاضرا وأجبت بما أمرني ثم أستأذنته في الإنشاد فأذن لي فأنشدته
ثم دعا بالطعام ففعلت ما أمرني عصام به وبالشراب ففعلت مثل ذلك
فأمر لي بجائزة سنية وخرجت
فقال لي عصام بقيت علي واحدة لم أوصك بها قد بلغني أن النابغة الذبياني قدم عليه وإذا قدم فليس لأحد منه حظ سواه فأستأذن حينئذ وانصرف مكرما خير من أن تنصرف مجفوا فأقمت ببابه شهرا
ثم قدم عليه الفزاريان وكان بينهما وبين النعمان دخلل أي خاصة وكان معهما النابغة قد استجار بهما وسألهما مسألة النعمان أن يرضى عنه
فضرب عليهما قبة من أدم ولم يشعر بأن النابغة معهما
ودس النابغة قينة تغنيه بشعره
(... يا دار مَيّةَ بالعَلْياء فالسَّنَدِ)
فلما سمع الشعر قال أقسم بالله إنه لشعر النابغة وسأل عنه فأخبر أنه مع الفزاريين فكلماه فيه فأمنه
وقال أبو زيد عمر بن شبة في خبره لما صار معهما إلى النعمان كان يرسل إليهما بطيب وألطاف مع قينة من إمائه فكانا يأمرانها أن تبدأ بالنابغة
قبلهما
فذكرت ذلك للنعمان فعلم أنه النابغة
ثم ألقى عليها شعره هذا وسألها أن تغنيه به إذا أخذت فيه الخمر ففعلت فأطربته فقال هذا شعر علوي هذا شعر النابغة
قال ثم خرج في غب سماء فعارضه الفزاريان والنابغة بينهما قد خضب بحناء فقنأ خضابه
فلما رآه النعمان قال هي بدم كانت أحرى أن تخضب
فقال الفزاريان أبيت اللعن لا تثريب قد أجرناه والعفو أجمل فأمنه واستنشده أشعاره
فعند ذلك قال حسان بن ثابت
فحسدته على ثلاث لا أدري على أيتهن كنت له أشد حسدا على إدناء النعمان له بعد المباعدة ومسامرته له وإصغائه إليه أم على جودة شعره أم على مائة بعير من عصافيره أمر له بها
قال أبو عبيدة قيل لأبي عمرو أفمن مخافته امتدحه وأتاه بعد هربه منه أم لغير ذلك فقال لا لعمر الله ما لمخافته فعل إن كان لامنا من أن يوجه النعمان له جيشا وما كانت عشيرته لتسلمه لأول وهلة ولكنه رغب في عطاياه وعصافيره
وكان النابغة يأكل ويشرب في آنية الفضة والذهب من عطايا النعمان وأبيه وجده لا يستعمل غير ذلك
وقيل إن السبب في رجوعه إلى النعمان بعد هربه منه أنه بلغه أنه عليل لا يرجى فأقلقه ذلك ولم يملك الصبر على البعد عنه مع علته وما خافه عليه وأشفق من حدوثه به فصار إليه وألفاه محمولا على سريره ينقل ما بين الغمر وقصور الحيرة
فقال لعصام بن شهبر حاجبه فيما أخبرنا به اليزيدي عن عمه عبيد الله وابن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل
صوت
(ألم أُقْسِمْ عَلَيكَ لَتُخْبِرَنِّي ... أمحمولٌ على النَّعْشِ الهُمَامُ)
(فإنّي لا أَلومُكَ في دخولي ... ولكن ما وراءكَ يا عِصَامُ)
(فإنْ يَهْلِكْ أبو قابُوسَ يَهْلِكْ ... رِبيعُ النَّاسِ والشهرُ الحرامُ)
(ونُمْسِكْ بعده بِذِنَابِ عيشٍ ... أجبِّ الظهر ليس له سَنَامُ)
غناه حنين ثقيلا أول بالبنصر عن حبش
قال أبو عبيدة كانت ملوك العرب إذا مرض أحدهم حملته الرجال على أكتافها يتعاقبونه فيكون كذلك على أكتاف الرجال لأنه عندهم أوطأ من الأرض
وقوله
(... فإني لا ألومُك في دخولي)
أي لا ألومك في ترك الإذن لي في الدخول ولكن أخْبِرْني بكُنْه أمره وقوله
(... ربيع الناس والشهر الحرام)
يريد أنه كالربيع في الخِصْب لِمُجْتَدِيه وكالشهر الحرام لجاره لا يوصل إلى من أجاره كما لا يوصل في الشهر الحرام إلى أحد
أصوات من شعره تغنى
صوت
(رأيتُك تَرْعَاني بعينٍ بصيرةٍ ... وتبعث حُرَّاساً عليَّ وناظرا)
(فآليتُ لا آتيك إن كنتُ مُجْرِماً ... ولا أبتغي جاراً سواك مجاورا)
(وأهلي فداءٌ لامرىء إن أتيتُهُ ... تقبَّل معروفي وسدَّ المَفَاقِرا)
(ألاَ أبْلِغِ النُّعْمَانَ حيث لَقِيتَه ... وأهدى له اللهُ الغيوثَ البواكرا)
غناه خليد الوادي رملا بالبنصر من رواية حبش
ومما يغنى فيه من قصائد النابغة التي يعتذر فيها إلى النعمان
صوت
(يا دارَ مَيّةَ بالعَلْياء فالسَّنَدِ ... أقْوَتْ وطال عليها سالف الأمَدِ)
(وقفتُ فيها أُصَيلاناً أسائلها ... أعْيَتْ جواباً وما بالرَّبْع من أحدِ)
(إلاَّ الأواريَّ لأْياً ما أُبَيِّنُها ... والنُّؤْيُ كالحوْض بالمظلومة الجَلَدِ)

(ردّتْ عليه أقاصيه ولبّده ... ضَرْبُ الوليدةِ بالمِسْحاةِ في الثَّأَدِ)
(خَلَّتْ سبيلَ أَتِيٍّ كان يحبسه ... ورفَّعته إلى السَّجْفين فالنَّضَدِ)
(أضحتْ خَلاَءً وأضحى أهلُها احْتَمَلوا ... أخْنَى عليها الذي أخْنَى على لُبَدِ)
الغناء لمعبد ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق
وفيه لجميلة ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو وحبش
قال الأصمعي قوله يا دار مية يريد يا أهل دار مية كما قال امرؤ القيس
(... ألاَعِمْ صَبَاحاً أيُّها الطَّلَلُ البالي)
يريد أهل الطلل وقال الفراء إنما نادى الدار لا أهلها أسفا عليها وتشوقا إلى أهلها وتمنيه أن تكون أهلا والعلياء المكان المرتفع بناؤه يقال من ذلك علا يعلو وعلي يعلى مثل حلا يحلو وحلي يحلى وسلا يسلو وسلي يسلى
والسند سند الجبل وهو ارتفاعه حيث يسند فيه أي يصعد
أقوت أقفرت وخلت من أهلها
وقال أبو عبيدة في قوله يا دار مية ثم قال أقوت ولم يقل أقويت
إن من شأن العرب أن يخاطبوا الشيء ثم يتركوه ويكفوا عنه وروى الأصمعي أصيلانا وهو تصغير أصلان
ويروى عيت جوابا أي عييت بالجواب
والأواري جمع آري
ولأيا بطأ
والمظلومة التي لم يكن فيها أثر فحفر أهلها فيها حوضا وظلمهم إياها إحداثهم فيها ما لم يكن فيها
شبه النؤي بذلك الحوض لاستدارته
والجلد الأرض الصلبة الغليظة من غير حجارة
وإنما جعلها جلدا لأن الحفر فيها لا يسهل
وقوله ردت عليه أقاصيه يعني أمة فعلت ذلك أضمرها ولم يكن جرى لها ذكر
وأقاصيه يعني أقاصي النؤي على أدناه ليرتفع
ولبده طأمنه والوليدة الأمة
الشابة
والثأد الندى
والسبيل الطريق والأتي النهر المحفور والأتي السيل من حيث كان يقول لما أفسدت طريق الأتي سهلت له طريقا حتى جرى
ورفعته أي قدمت الحفر الى موضع السجفين وليس رفعته ها هنا من ارتفاع العلو
والسجفان ستران رقيقان يكونان في مقدم البيت
والنضد ما نضد من المتاع
وأخنى أفسد
ولبد آخر نسور لقمان التي اختار أن يعمر مثل أعمارها وله حديث ليس هذا موضعه
صوت
(أسْرَتْ عليه من الجَوْزاءِ ساريةٌ ... تُزْجِي الشَّمَالُ عليه جامدَ البَرَدِ)
(فأرتاعَ من صَوْتِ كَلاَّبٍ فباتَ له ... طَوْعَ الشَّوامِتِ من خَوْفٍ ومن صَرَدِ)
(فَبَثَّهُنَّ عليه واستمرّ به ... صُمْعُ الكُعُوبِ بَرِيَّاتٍ من الحَرَدِ)
(وكانَ ضُمْرَانُ منه حيثُ يُوزِعُهُ ... طَعْنَ المُعَارِكِ عند المُحْجَرِ النَّجُدِ)
(شَكَّ الفَريصةَ بالمِدْرَى فأنْفَذَها ... طَعْنَ المُبَيْطِرِ إذ يَشْفِي من العَضَدِ)
غنى فيه إبراهيم الموصلي هزجا بالبنصر من رواية عمرو بن بانة
وفيه لحن لمالك
يعني أن سحابة مرت عليه ليلا وأن أنواء الجوزاء أسرت عليه بها
وتزجي تسوق وتدفع
عليه أي على الثور
والكلاب صاحب
الكلاب
وقوله بات له طوع الشوامت أي بات له ما يسر الشوامت اللواتي شمتن به
وصمع الكعوب يعني قوائمه أنها لازقة محددة الأطراف ليست برهلات
وأصل الصمع رقة الشيء ولطافته
والحرد داء يعيبه يقال بعير أحرد وناقة حرداء
والمحجر الملجأ
والنجد الشجاع
والفريصة مرجع الكتف الى الخاصرة
والمدرى القرن
والمبيطر البيطار
والعضد داء يأخذ في العضد
وفي لحن ابراهيم الموصلي بعد فارتاع من صوت كلاب
(كأنّ رَحْلِي وقد زَالَ النَّهارُ بنا ... يومَ الجَلِيلِ على مُسْتَأْنِسٍ وَحَدِ)
(مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مَوْشِيٍّ أكارِعُه ... طاوي المَصِيرِ كَسَيْفِ الصَّيْقَلِ الفَرَدِ)
قال الأصمعي زال النهار بنا أي انتصف

وبنا ها هنا في موضع علينا
ومن روى مستوجس فإنه يعني أنه قد أوجس شيئا خافه فهو يستوجس
والجليل الثمام واحدته جليلة
ووجرة طرف السي وهي فلاة بين مران وذات عرق وهي ستون ميلا يجتمع فيها الوحش
وموشي أكارعه أي إنه أبيض في قوائمه نقط سود وفي وجهه سفعة
وطاوي المصير ضامر
والمصير المعي وجمعه المصران
والفرد المنقطع القرين يقال فرد وفرد وفرد
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال غنى مخارق يوما بين يدي الرشيد
سرت عليه من الجوزاء ساريةٌ ...) فلما بلغ إلى قوله)
(... فأرتاع من صوت كَلاَّبٍ فبات له)
قال فارتاع بضم العين فأردت أن أرد عليه خطأه ثم خفت أن يغضب الرشيد ويظن أني حسدته على منزلته منه وأردت إسقاطه
فالتفت إليه بعض من حضر أظنه قال محمد بن عمر الرومي فقال له ويلك يا مخارق أتغني بمثل هذا الخطأ القبيح لسوقة فضلا عن الملوك ويلك لو قلت فارتاع كان أخف على اللسان وأسهل من قولك فارتاع
فخجل مخارق وكفيت ما أردته بغيري
قال وكان مخارق لحانا ومنها
صوت
(قالت ألاَ لَيْتَما هذا الحمامُ لنا ... إلى حمامتنا ونِصْفُه فَقَدِ)
(يَحُفُّه جَانِبَا نِيقٍ وتُتْبِعُه ... مثلَ الزُّجَاجة لم تُكْحَلْ من الرَّمَدِ)
((فحسبوه فأَلْفَوْه كما حَسِبتْ ... تسعاً وتسعين لم تنقُص ولم تَزِدِ
(فكمّلَتْ مائةً فيها حمامتُها ... وأسرعتْ حِسْبَةً في ذلك العدد)
غناه ابن سريج خفيف ثقيل عن الهشامي
هذا خبر روي عن زرقاء اليمامة ويروى عن بنت الخس
اعجابه بمعنى لزرقاء اليمامة واخذه عنها
حدثني محمد بن العباس اليزيدي قال سمعت أبا العباس محمد بن الحسن الأحول يقول هذا أخذه النابغة من زرقاء اليمامة قالت
(ليت الحمامَ لِيَهْ ... ونِصْفَه قَدِيَهْ)
(الى حَمَامَتِيَهْ ... تَمّ الحمامُ مِيَهْ)
فسلَخه النابغة
وقال الأصمعي سمعت أناسا من أهل البادية يتحدثون أن بنت الخس كانت قاعدة في جوار فمر بها قطا وارد في مضيق من الجبل فقالت
(ياليتَ ذا القَطَا لِيَهْ ... ومثلَ نِصْفٍ مَعِيَهْ)
(إلى قَطاةِ أهْلِيَهْ ... إذاً لنا قَطاً مِيَهْ)
وأتبعت فعدت على الماء فإذا هي ست وستون
وقوله فقد أي فحسب
ويحفه أي يكون من ناحية هذا الثمد يقال حف القوم بالرجل أي اكتنفوه
والنيق الجبل
ومثل الزجاجة يريد عينا صافية كصفاء الزجاجة
الحسبة الهيئة التي تحسب يقال ما أحسن حسبته مثل الجلسة واللبسة والركبة ومنها
صوت
(نُبِّئْتُ أنّ أبا قابُوسَ أوعدني ... ولا قَرَارَ على زَأْرٍ من الأسَدِ)
(مَهْلاً فِداءٌ لكَ الأقوامُ كُلُّهمُ ... وما أُثَمِّرُ من مالٍ ومن ولد)
(إنْ كنتُ قلتُ الذي بُلِّغتَ مُعْتَمِداً ... إذاً فلا رفعتْ سَوْطِي إليَّ يدي)
(هذا الثناءُ فإنْ تَسمَعْ به حَسَناً ... فلم أُعَرِّضْ أَبَيْتَ اللّعْنَ بالصَّفَدِ)
غناه الهذلي ولحنه من الثقيل الأول عن الهشامي
أثمر أصلح وأجمع
والزأر صياح الأسد يقال زأر زئيرا وهو الزأر
والصفد العطية يقال أصفده يصفده إصفادا إذا أعطاه وصفده يصفده صفدا إذا أوثقه
رواية حسان عنه حين وفد على النعمان
أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني الصلت بن مسعود قال حدثنا أحمد بن شبويه عن سليمان بن صالح عن عبد الله بن المبارك عن فليح بن سليمان عن رجل قد سماه عن حسان بن ثابت ونسخت من كتاب ابن أبي خيثمة عن أبيه عن مصعب الزبيري قال قال حسان بن ثابت وأخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي يوسف بن محمد عن عمه إسماعيل بن أبي محمد قال قال أبو عمرو الشيباني قال حسان ابن ثابت وقد جمعت رواياتهم وذكرت اختلافهم فيها وأكثر اللفظ للجوهري قال خرجت الى النعمان بن المنذر فلقيت رجلا وقال اليزيدي في خبره فلقيت صائغا من أهل فدك فلما رآني قال كن يثربيا فقلت الأمر كذلك
قال كن خزرجيا قلت أنا خزرجي
قال كن نجاريا قلت أنا نجاري

قال كن حسان بن ثابت قلت أنا هو
فقال أين تريد قلت إلى هذا الملك
قال تريد أن أسددك إلى أين تذهب ومن تريد قلت نعم
قال إن لي به علما وخبرا
قلت فأعلمني ذلك
قال فإنك إذا جئته متروك شهرا قبل أن يرسل إليك ثم عسى أن يسأل عنك رأس الشهر ثم إنك متروك آخر بعد المسألة ثم عسى أن يؤذن لك
فإن أنت خلوت به وأعجبته فأنت مصيب منه خيرا فأقم ما أقمت فإن رأيت أبا أمامة فأظعن فلا شيء لك عنده
قال فقدمت ففعل بي ما قال الرجل ثم أذن لي وأصبت منه مالا كثيرا ونادمته وأكلت معه
فبينا أنا على ذلك وأنا معه في قبة له إذا رجل يرتجز حولها
(أَصَمٌّ أم يسمع ربُّ القُبَّهْ ... يا أوهبَ الناس لِعَنْسٍ صُلْبَهْ)
(ضَرَّابةٍ بالمِشْفَرِ الأذِبَّهْ ... ذات هِبَاتٍ في يديها جُلْبَهْ)
(...في لاَحِبٍ كأنّه الأطِبَّهْ)
وفي رواية اليزيدي في يديها خدبة أي طول واضطراب والأطبة جمع طباب وهو الشراك يجمع فيه بين الأديمين في الخرز
وقال عمر بن شبة في خبره قال فليح بن سليمان أخذت هذا الرجز عن ابن دأب قال فقال أليس بأبي أمامة قالوا بلى قال فأذنوا له
ودخل فحياه وشرب معه
ثم وردت النعم السود ولم يكن لأحد من العرب بعير أسود يعرف مكانه ولا يفتحل أحد بعيرا أسود غير النعمان
فأستأذنه في أن ينشده كلمته على الباء فأذن له أن ينشده قصيدته التي يقول فيها
(فإنّك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ ... إذا طلعتْ لم يبدُ منهن كوكبُ)
ووردت عليه مائةٌ من الإبل السُّود الكَلْبيّة فيها رعاؤها وبيتها وكلبها فقال شأنك بها يا أبا أمامة فهي لك بما فيها
قال حسان
فما أصابني حسد في موضع ما أصابني يومئذ وما أدري أيما كنت أحسد له عليه ألما أسمع من فضل شعره أم ما أرى من جزيل عطائه فجمعت جراميزي وركبت إلى بلادي
وقد روى الواقدي عن محمد بن صالح الخبر فذكر أن حسان قدم علىجبلة بن أبي شمر ولعله غلط
أخبرنا به محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي يوسف قال حدثني عمي إسماعيل عن الواقدي عن محمد بن صالح قال
كان حسان بن ثابت يقدم على جبلة بن الأيهم سنة ويقيم سنة في أهله فقال لو وفدت على الحارث فإن له قرابة ورحما بصاحبي وهو أبذل
الناس لمعروف وقد يئس مني أن أقدم عليه لما يعرف من انقطاعي إلى جبلة
فخرجت في السنة التي كنت أقيم فيها بالمدينة حتى قدمت على الحارث وقد هيأت مديحا
فقال لي حاجبه وكان لي ناصحا إن الملك قد سر بقدومك عليه وهو لا يدعك حتى تذكر جبلة
فإياك أن تقع فيه فإنه يختبرك فإنك إن وقعت فيه زهد فيك وإن ذكرت محاسنه ثقل عليه فلا تبتدىء بذكره فإن سألك عنه فلا تطنب في الثناء عليه ولا تعبه امسح ذكره مسحا وجاوزه
وإنه سوف يدعوك الى الطعام وهو يثقل عليه أن يؤكل طعامه أو يشرب شرابه فلا تضع يدك في شيء حتى يدعوك إليه قال فشكرت له ذلك
ثم دعاني فسألني عن البلاد والناس وعن عيشنا في الحجاز وكيف ما بيننا من الحرب وكل ذلك أخبره حتى انتهى الى ذكر جبلة فقال كيف تجد جبلة فقد انقطعت إليه وتركتنا فقلت له إنما جبلة منك وأنت منه فلم أجر معه في مدح ولا ذم وفعلت في الطعام والشراب كما قال لي الحاجب
قال ثم قال لي الحاجب قد بلغني قدوم النابغة وهو صديقه وآنس به وهو قبيح أن يجفوك بعد البر فاستأذنه من الآن فهو أحسن
فاستأذنته فأذن لي وأمر لي بخمسمائة دينار وكسا وحملان فقبضتها وانصرفت إلى أهلي
صوت
(ملوكٌ وإخوانٌ إذا ما لَقِيتُهمْ ... أُحَكَّمُ في أموالهم وأقَرَّبُ)
(ولكنّني كنتُ امرأً لِيَ جانبٌ ... من الأرض فيه مُستَرادٌ ومطلب)
الغناء لإبراهيم ثقيل أول
الجانب هنا المتسع من الأرض
والمستراد المختلف يذهب فيه ويجيء ويقال راد الرجل لأهله إذا خرج رائدا لهم في طلب الكلإ ونحوه
ثم ذكر مستراده فقال ملوك وإخوان
ومن القصيدة العينية
صوت
(عفَا ذو حُساً من فَرْتَنَا فالفوارعُ ... فَجَنْبَا أريكٍ فالتِّلاعُ الدوافعُ)
(فمُجْتَمَعُ الأشراجِ غَيَّرَ رَسْمَها ... مَصَايفُ مرّتْ بعدنا ومَرَابعُ)
(توهّمتُ آياتٍ لها فعرفتُها ... لِستّة أعوامٍ وذا العامُ سابعُ)
(رَمَادٌ ككُحْل العين مَا إنْ أُبِينُه ... ونُؤْيٌ كجِذْم الحوض أثْلَمُ خاشع)
غناه معبد من رواية حبش رملا بالبنصر
صوت
(آذنتنا ببينِها أسماءُ ... رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثَّوَاءُ)
(بعد عَهْدٍ لها ببُرْقة شَمَّا ... ءَ فأدنى ديارها الخصاءُ)

عروضه من الخفيف آذنتنا أعلمتنا
والبين الفرقة
والثاوي المقيم يقال ثوى ثواء
والبرقة أرض ذات رمل وطين
وشماء والخلصاء موضعان
الشعر للحارث بن حلزة اليشكري
والغناء لمعبد ثقيل أول بالوسطى عن عمرو ومن الناس من ينسبه إلى حنين
أخبار الحارث بن حلزة ونسبه
هو الحارث بن حلزة بن مكروه بن يزيد بن عبد الله بن مالك بن عبد بن سعد بن جشم بن عاصم بن ذبيان بن كنانة بن يشكر بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار
مناسبة قصيدته المعلقة
قال أبو عمرو الشيباني كان من خبر هذه القصيدة والسبب الذي دعا الحارث إلى قولها أن عمرو بن هند الملك وكان جبارا عظيم الشأن والملك لما جمع بكرا وتغلب ابني وائل وأصلح بينهم أخذ من الحيين رهنا من كل حي مائة غلام ليكف بعضهم عن بعض فكان أولئك الرهن يكونون معه في مسيره ويغزون معه فأصابتهم سموم في بعض مسيرهم فهلك عامة التغلبيين وسلم البكريون
فقالت تغلب لبكر أعطونا ديات أبنائنا فإن ذلك لكم لازم فأبت بكر بن وائل
فاجتمعت تغلب إلى عمرو بن كلثوم وأخبروه بالقصة
فقال عمرو ابن كلثوم لتغلب بمن ترون بكرا تعصب أمرها اليوم قالوا بمن عسى إلا برجل من أولاد ثعلبة
قال عمرو أرى والله الأمر سينجلي عن أحمر أصلج أصم من بني يشكر
فجاءت بكر بالنعمان بن هرم أحد بني ثعلبة بن غنم بن يشكر وجاءت تغلب بعمرو بن كلثوم
فلما
اجتمعوا عند الملك قال عمرو بن كلثوم للنعمان بن هرم يا أصم جاءت بك أولاد ثعلبة تناضل عنهم وهم يفخرون عليك
فقال النعمان وعلى من أظلت السماء كلها يفخرون ثم لا ينكر ذلك
فقال عمرو بن كلثوم له أما والله لو لطمتك لطمة ما أخذوا لك بها
فقال له النعمان والله لو فعلت ما أفلت بها قيس أير أبيك
فغضب عمرو بن هند وكان يؤثر بني تغلب على بكر فقال يا جارية أعطيه لحيا بلسان أنثى أي سبية بلسانك
فقال أيها الملك أعط ذلك أحب أهلك إليك
فقال يا نعمان أيسرك أني أبوك قال لا ولكن وددت أنك أمي
فغضب عمرو بن هند غضبا شديدا حتى هم بالنعمان
وقام الحارث بن حلزة فارتجل قصيدته هذه ارتجالا توكأ على قوسه وأنشدها وانتظم كفه وهو لا يشعر من الغضب حتى فرغ منها
قال ابن الكلبي أنشد الحارث عمرو بن هند هذه القصيدة وكان به وضح فقيل لعمرو بن هند إن به وضحا فأمر أن يجعل بينه وبينه ستر فلما تكلم أعجب بمنطقه فلم يزل عمرو يقول أدنوه حتى أمر بطرح الستر وأقعده معه قريبا منه لإعجابه به
هذه رواية أبي عمرو
وذكر الأصمعي نحوا من ذلك وقال أخذ منهم ثمانين غلاما من كل حي وأصلح بينهم بذي المجاز وذكر أن الغلمان من بني تغلب كانوا معه في حرب فأصيبوا
وقال في خبره إن الحارث بن حلزة لما ارتجل هذه القصيدة بين يدي عمرو قام عمرو بن كلثوم فارتجل قصيدته
قفي قبل التفرق يا ظعينا
وغير الأصمعي ينكر ذلك وينكر أنه السبب في قول عمرو بن كلثوم
وذكر ابن الكلبي عن أبيه ان الصلح كان بين بكر وتغلب عن المنذر بن ماء السماء وكان قد شرط أي رجل وجد قتيلا في دار قوم فهم ضامنون لدمه وإن وجد بين محلتين قيس ما بينهما فينظر أقربهما إليه فتضمن ذلك القتيل
وكان الذي ولي ذلك واحتمى لبني تغلب قيس بن شراحيل بن مرة بن همام
ثم إن المنذر أخذ من الحيين أشرافهم وأعلامهم فبعث بهم إلى مكة فشرط بعضهم على بعض وتواثقوا على ألا يبقي واحد منهم لصاحبه غائلة ولا يطلبه بشيء مما كان من الآخر من الدماء
وبعث المنذر معهم رجلا من بني تميم يقال له الغلاق
وفي ذلك يقول الحارث بن حلزة
(فهلاَّ سَعَيْتَ لِصُلْحِ الصَّدِيقِ ... كصُلح ابن مَاريةَ الأقصم)
(وقَيْسٌ تداركَ بَكْرَ العِراقِ ... وتَغْلِبَ مِن شرِّها الأعظم)
(وبيتُ شَرَاحيلَ في وائلٍ ... مكانَ الثُّرَيَّا من الأنْجُمِ)
(فأصلَح ما أفسدوا بينهم ... كذلك فِعْلُ الفتى الأكرم)
ابن مارية هو قيس بن شراحيل
ومارية أمه بنت الصباح بن شيبان من بني هند
فلبثوا كذلك ما شاء الله وقد أخذ المنذر من الفريقين رهنا بأحداثهم فمتى التوى أحد منهم بحق صاحبه أقاد من الرهن
فسرح النعمان ابن المنذر ركبا من بني تغلب إلى طيىء في أمر من أمره فنزلوا بالطرفة وهي لبني شيبان وتيم اللات فذكروا أنهم أجلوهم عن الماء وحملوهم على المفازة فمات القوم عطشا
فلما بلغ ذلك بني تغلب غضبوا وأتوا عمرو بن
هند فاستعدوه على بكر وقالوا غدرتم ونقضتم العهد وانتهكتم الحرمة وسفكتم الدماء
وقالت بكر أنتم الذين فعلتم ذلك قذفتمونا بالعضيهة وسمعتم الناس بها وهتكتم الحجاب والستر بادعائكم الباطل علينا

قد سقيناهم إذ وردوا وحملناهم على الطريق إذ خرجوا فهل علينا إذ حار القوم وضلوا ويصدق ذلك قول الحارث بن حلزة
(لم يَغُرُّوكُمُ غُروراً ولكن ... يَرفَع الآلُ جِرْمَهم والضَّحاءُ)
ابو عمرو الشيباني يعجب لارتجاله معلقته في موقف واحد
وقال يعقوب بن السكيت كان أبو عمرو الشيباني يعجب لارتجال الحارث هذه القصيدة في موقف واحد ويقول لو قالها في حول لم يلم
قال وقد جمع فيها ذكر عدة من أيام العرب عير ببعضها بني تغلب تصريحا وعرض ببعضها لعمرو بن هند فمن ذلك قوله
(أعلينا جُنَاحُ كِنْدَةَ أن يغنَمَ ... غازيهمُ ومِنّا الجزاءُ)
قال وكانت كندة قد كسرت الخراج على الملك فبعث اليهم رجالا من بني تغلب يطالبونهم بذلك فقتلوا ولم يدرك بثأرهم فعيرهم بذلك
هكذا ذكر الأصمعي
وذكر غيره أن كندة غزتهم فقتلت وسبت واستاقت فلم يكن في ذلك منهم شيء ولا أدركوا ثأرا
قال وهكذا البيت الذي يليه وهو
((أم علينا جَرّى قُضَاعَةَ أم ليس ... علينا فيما جَنَوْا أنداء
فإنه عيره بأن قضاعة كانت غزت بني تغلب ففعلت بهم فعل كندة ولم يكن منهم في ذلك شيء ولا أدركوا منهم ثأرا قال وقوله
(أم علينا جَرّى حَنِيفَةَ أم ما ... جَمَّعتْ من مُحاربٍ غَبْرَاءُ)
قال وكانت حنيفة محالفة لتغلب على بكر فأذكر الحارث عمرو بن هند بهذا البيت قتل شمر بن عمرو الحنفي أحد بني سحيم المنذر بن ماء السماء غيلة لما حارب الحارث بن جبلة الغساني وبعث الحارث إلى المنذر بمائة غلام تحت لواء شمر هذا يسأله الأمان على أن يخرج له عن ملكه ويكون من قبله فركن المنذر إلى ذلك وأقام الغلمان معه فاغتاله شمر بن عمرو الحنفي فقتله غيلة وتفرق من كان مع المنذر وانتهبوا عسكره
فحرضه بذلك على حلفاء بني تغلب بني حنيفة
قال وقوله
(وثمانون من تميمٍ بأيديهمْ ... رِماحٌ صدورُهنّ القَضَاءُ)
يعني عمرا أحد بني سعد بن مناة زيد خرج في ثمانين رجلا من تميم فأغار على قوم من بني قطن من تغلب يقال لهم بنو رزاح كانوا يسكنون أرضا تعرف بنطاع قريبة من البحرين فقتل فيهم وأخذ أموالا كثيرة فلم يدرك منه بثأر
قال وقوله
((ثمّ خَيْلٌ من بعد ذاك مع الغَلاّق ... لا رأفةٌ ولا إبقاءُ
قال الغلاق صاحب هجائن النعمان بن المنذر وكان من بني حنظلة ابن زيد مناة تميميا
وكان عمرو بن هند دعا بني تغلب بعد قتل المنذر إلى الطلب بثأره من غسان فامتنعوا وقالوا لا نطيع أحدا من بني المنذر أبدا أيظن ابن هند أنا له رعاء
فغضب عمرو بن هند وجمع جموعا كثيرة من العرب فلما اجتمعت آلى ألا يغزو قبل تغلب أحدا فغزاهم فقتل منهم قوما ثم استعطفه من معه لهم واستوهبوه جريرتهم فأمسك عن بقيتهم وطلت دماء القتلى
فذلك قول الحارث
(مَنْ أصابوا من تَغْلِبِيٍّ فمطلولٌ ... عليه إذا تولّى العَفَاء)
ثم اعتد على عمرو بحسن بلاء بكر عنده فقال
(مَنْ لنا عنده من الخير آياتٌ ... ثلاثٌ في كلِّهن القضاءُ)
(آيةٌ شارِقُ الشَّقِيقةِ إذا جاءوا ... جميعاً لكل حيٍّ لِواءُ)
(حولَ قَيْسٍ مُسْتَلْئِمين بِكَبْشٍ ... قَرَظِيٍّ كأنه عَبْلاء)
((فَرَدَدْنَاهُمُ بضَربٍ كما يخرج ... من خُرْبَة المَزَادِ الماءُ
(ثم حُجْراً أعني ابنَ أمِّ قَطامٍ ... وله فارسيةٌ خضراءُ)
(أسدٌ في اللِّقاء ذو أشبالٍ ... وربيعٌ إن شَنَّعتْ غَبْرَاء)
(فرددناهمُ بطعن كما تُنْهَزُ ... في جُمّة الطّوي الدِّلاء)
(وفَكَكْنا غُلَّ امرىء القيسِ عنه ... بعدما طال حَبْسُه والعناء)
(وأقَدْناه ربَّ غَسّان بالمُنْذِرِ ... كَرْهاً وما تُكَال الدِّماء)
(وفديناهُمُ بتسعةِ أملاكٍ ... كرامٍ أسلابُهم أغلاء)
(ومع الجَوْنِ آل بني الأوْسِ ... عَنُودٌ كأنها دَفْوَاء)
يعني بهذه الأيام أياما كانت كلها لبكر مع المنذر فمنها يوم الشقيقة وهم قوم من شيبان جاؤوا مع قيس بن معد يكرب ومعه جمع عظيم من أهل اليمن يغيرون على إبل عمرو بن هند فردتهم بنو يشكر وقتلوا فيهم ولم يوصل إلى شيء من إبل عمرو بن هند
ومنها يوم غزا حجر الكندي وهو حجر بن أم قطام امرأ القيس وهو ماء السماء بن المنذر لقيه ومع حجر جمع كثير من كندة وكانت بكر مع امرىء القيس فخرجت إلى حجر فردته وقتلت جنوده
وقوله
(... ففككنا غل امرىء القيس عنه)
وكانت غسان أسرته يوم قتل المنذر أبيه فأغارت بكر بن وائل على بعض بوادي الشام فقتلوا ملكا من ملوك غسان واستنقذوا امرأ القيس بن المنذر وأخذ عمرو بن هند بنتا لذلك الملك يقال لها ميسون
وقوله وفديناهم بتسعة يعني بني حجر آكل المرار
وكان المنذر وجه خيلا من بكر في طلب بني حجر فظفرت بهم بكر بن وائل فأتوا المنذر بهم وهم تسعة فأمر بذبحهم في ظاهر الحيرة فذبحوا بمكان يقال له جفر الأملاك
قال والجون جون آل بني الأوس ملك من ملوك كندة وهو ابن عم قيس بن معد يكرب

وكان الجون جاء ليمنع بني آكل المرار ومعه كتيبة خشناء فحاربته بكر فهزموه وأخذوا بني الجون فجاؤوا بهم إلى المنذر فقتلهم قال فلما فرغ الحارث من هذه القصيدة حكم عمرو بن هند أنه لا يلزم بكر بن وائل ما حدث على رهائن تغلب فتفرقوا على هذه الحال ثم لم يزل في نفسه من ذلك شيء حتى هم باستخدام أم عمرو بن كلثوم تعرضا لهم وإذلالا فقتله عمرو بن كلثوم
وخبره يذكر هناك
قال يعقوب بن السكيت أنشدني النضر بن شميل للحارث بن حلزة وكان يستحسنها ويستجيدها ويقول لله دره ما أشعره
صوت
(مَنْ حاكمٌ بيني وبين ... الدَّهْرِ مالَ عليّ عَمْدَا)
(أودى بسادتنا وقد ... تركوا لنا حَلَقاً وجُرْدا)
((خيلي وفارسُها وربِّ ... أبيك كان أعزَّ فَقْدا)
(فَلَو أنَّ ما يَأْوي إليَّ ... أصاب من ثَهْلاَنَ هَدا)
(فَضَعِي قِنَاعَكِ إنَّ رَيْبَ ... الدَّهْرِ قد أفنَى مَعَدَّا)
(فَلَكَمْ رأيتُ مَعَاشِراً ... قد جَمَّعُوا مالاً ووُلْدا)
(وهُمُ زَبَابٌ حائرٌ ... لا تَسْمَعُ الآذانُ رَعْدا)
(فَعِشْ بِجَدٍّ لا يَضِرْك ... النُّوكُ ما لاقيت جَدَّا)
(والعَيْشُ خَيرٌ في ظِلاَلِ ... النُّوكِ ممن عاش كَدَّا)
في البيت الأول من القصيدة والبيتين الأخيرين خفيف ثقيل أول بالوسطى لعبد الله بن العباس الربيعي ومن الناس من ينسبه إلى بابويه
صوت
(ألاَ هُبِّي بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِينا ... ولا تُبْقي خمورَ الأندَرينا)
(مَشَعْشَعةً كأنَّ الحُصَّ فيها ... إذا ما الماءُ خالطها سَخِينَا)
عروضه من الوافر
الشعر لعمرو بن كلثوم التغلبي
والغناء لإسحاق ثقيل أول بالخنصر في مجرى الوسطى من روايته وفيه لإبراهيم ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو

نسب عمرو بن كلثوم وخبره

هو عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى ابن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان
وأم عمرو بن كلثوم ليلى بنت مهلهل أخي كليب وأمها بنت بعج بن عتبة بن سعد بن زهير
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني العكلي عن العباس بن هشام عن أبيه عن خراش بن إسماعيل عن رجل من بني تغلب ثم من بني عتاب قال سمعت الأخذر وكان نسابة يقول
لما تزوج مهلهل بنت بعج بن عتبة أهديت إليه فولدت له ليلى بنت مهلهل
فقال مهلهل لإمرأته هند أقتليها
فأمرت خادما لها أن تغيبها عنها
فلما نام هتف به هاتف يقول
((كم من فتىً يُؤَمَّلْ ... وسَيِّدٍ شَمَرْدَلْ)
(وعُدَّةٍ لا تُجْهَلْ ... في بطن بنت مهلهلْ)
واستيقظ فقال ياهند أين بنتي قالت قتلتها
قال كلا وإله ربيعة فكان أول من حلف بها فاصدقيني فأخبرته
فقال أحسني غذاءها
فتزوجها كلثوم بن مالك بن عتاب
فلما حملت بعمرو بن كلثوم قالت إنه أتاني آت في المنام فقال
(يا لَكِ ليلى من وَلَدْ ... يُقْدِمُ إقدام الأسَدْ)
(من جُشَمٍ فيه العَدَدْ ... أقولُ قِيلاً لافَنَدْ)
فولدت غلاماً فسمته عمرا
فلما أتت عليه سنة قالت أتاني ذلك الآتي في الليل أعرفه فأشار إلى الصبي وقال
(إنِّي زعيمٌ لكِ أُمَّ عَمْرِو ... بماجِدِ الجَدِّ كريمِ النَّجْرِ)
(أشجعَ من ذي لِبَدٍ هِزَبْرِ ... وَقَّاصِ أقرانٍ شديدِ الأسْرِ)
(... يسودُهم في خمسةٍ وعشر)
قال الأخذر فكان كما قال ساد وهو ابن خمسة عشر ومات وله مائة وخمسون سنة

قصة قتله لعمرو بن هند

قال أبو عمرو حدثني أسد بن عمر الحنفي وكرد بن السمعي وغيرهما وقال ابن الكلبي حدثني أبي وشرقي بن القطامي وأخبرنا إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة
أن عمرو بن هند قال ذات يوم لندمائه هل تعلمون أحدا من العرب تأنف أمه من خدمة أمي فقالوا نعم أم عمرو بن كلثوم قال ولم قالوا لأن أباها مهلهل بن ربيعة وعمها كليب وائل أعز العرب وبعلها كلثوم بن مالك أفرس العرب وابنها عمرو وهو سيد قومه
فأرسل عمرو بن هند إلى عمرو بن كلثوم يستزيره ويسأله أن يزير أمه أمه
فأقبل عمرو من الجزيرة إلى الحيرة في جماعة بني تغلب وأقبلت ليلى بنت مهلهل في ظعن من بني تغلب
وأمر عمرو بن هند برواقة فضرب فيما بين الحيرة والفرات وأرسل إلى وجوه أهل مملكته فحضروا في وجوه بني تغلب فدخل عمرو بن كلثوم على عمرو بن هند في رواقه ودخلت ليلى وهند في قبة من جانب الرواق

وكانت هند عمة امرىء القيس بن حجر الشاعر وكانت أم ليلى بنت مهلهل بنت أخي فاطمة بنت ربيعة التي هي أم امرىء القيس وبينهما هذا النسب
وقد كان عمرو بن هند أمر أمه أن تنحي الخدم إذا دعا بالطرف وتستخدم ليلى
فدعا عمرو بمائدة ثم دعا بالطرف
فقالت هند ناوليني يا ليلى ذلك الطبق
فقالت ليلى لتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها
فأعادت عليها وألحت
فصاحت ليلى واذلاه يا لتغلب فسمعها عمرو بن كلثوم فثار الدم في وجهه ونظر إليه عمرو بن هند فعرف الشر في وجهه فوثب عمرو بن كلثوم إلى سيف لعمرو بن هند معلق بالرواق ليس هناك سيف غيره فضرب به رأس عمرو بن هند ونادى في بني تغلب فانتهبوا ما في الرواق وساقوا نجائبه وساروا نحو الجزيرة
ففي ذلك يقول عمرو بن كلثوم
(... (ألاَ هُبِّيّ بِصَحْنِك فَاصْبَحينا
وكان قام بها خطيبا بسوق عكاظ وقام بها في موسم مكة
وبنو تغلب تعظمها جدا ويرويها صغارهم وكبارهم حتى هجوا بذلك قال بعض شعراء بكر بن وائل
(ألْهَى بني تَغْلِبٍ عن كلِ مَكْرُمةٍ ... قصيدةٌ قالها عمرو بن كلثومِ)
(يَرْوُونها أبداً مذ كان أوّلُهم ... يا للرجالِ لِشعِرٍ غير مسؤومِ)
شعراء تغلب يفخرون بقتله عمرو بن هند
وقال الفرزدق يرد على جرير في هجائه الأخطل
(ما ضَرَّ تَغْلِبَ وائلٍ أهجوتَها ... أم بُلْتَ حيث تَنَاطَحَ البحرانِ)
(قومٌ هُمُ قتلوا ابنَ هندٍ عَنْوةً ... عمراً وهم قَسَطوا على النُّعْمان)
وقال أفنون صريم التغلبي يفخر بفعل عمرو بن كلثوم في قصيدة له
(لَعَمْرُكَ ما عمرُو بن هندٍ وقد دعا ... لتخدِمَ ليلى أُمَّه بموفَّق)
(فقام ابنُ كُلْثُومٍ إلى السيف مُصْلِتاً ... فأمسك من نَدْمانه بالمُخَنِّق)
(وجلله عمروٌ على الرأس ضربةً ... بذي شُطَبٍ صافي الحديدة رَوْنَق)
وقال وكان لعمرو أخ يقال له مرة بن كلثوم فقتل المنذر بن النعمان وأخاه
وإياه عنى الأخطل بقوله لجرير
(أبني كُلَيْبٍ إنَّ عَمَّيَّ اللّذا ... قتلا الملوكَ وفكّكا الأغلالا)
وكان لعمرو بن كلثوم ابن يقال له عباد وهو قاتل بشر بن عمرو بن عدس
ولعمرو بن كلثوم عقب باق ومنهم كلثوم بن عمرو العتابي الشاعر صاحب الرسائل
أسره يزيد بن عمرو ثم أطلقه فمدحه
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن الحسن الأحول عن ابن الأعرابي قال
أغار عمرو بن كلثوم التغلبي على بني تميم ثم مر من غزوه ذلك على حي من بني قيس بن ثعلبة فملأ يديه منهم وأصاب أسارى وسبايا وكان فيمن أصاب أحمد بن جندل السعدي ثم انتهى إلى بني حنيفة باليمامة وفيهم أناس من عجل فسمع به أهل حجر فكان أول من أتاه من بني حنيفة بنو سحيم عليهم يزيد بن عمرو بن شمر
فلما رآهم عمرو بن كلثوم ارتجز فقال
(مَنْ عاذَ مِنِّي بعدَها فلا اجْتَبَرْ ... ولا سقي الماءِ ولا أرعى الشَّجَرْ)
((بنو لُجَيْمٍ وجعاسيسُ مُضَرْ ... بجانب الدَّوِّ يُدَهْدُون العَكَرْ
فانتهى إليه يزيد بن عمرو فطعنه فصرعه عن فرسه وأسره
وكان يزيد شديدا جسيما فشده في القد وقال له أنت الذي تقول
(متى تُعْقَدْ قَرينتُنَا بحَبْلٍ ... تَجذّ الحبلَ أو تَقِص القَرينا)
أما إني سأقرنك إلى ناقتي هذه فأطردكما جميعا
فنادى عمرو بن كلثوم يالربيعة أمثلة
قال فاجتمعت بنو لجيم فنهوه ولم يكن يزيد ذلك به
فسار به حتى أتى قصرا بحجر من قصورهم وضرب عليه قبة ونحر له وكساه وحمله على نجيبه وسقاه الخمر فلما أخذت برأسه تغنى
(أأجْمَعَ صُحْبَتي السَّحرَ ارتحالاَ ... ولم اشعُرْ بِبَيْنٍ مِنِكِ هَالاَ)
(ولم أرَ مثل هالةَ في مَعَدٍّ ... أُشَبِّه حسنَها إلاّ الهِلالا)
(ألاَ أبلِغْ بني جُشَمَ بنِ بكرٍ ... وتَغْلِبَ كلّما أتَيَا حِلاَلا)
(بأنّ الماجدَ القَرْمَ ابنَ عمروٍ ... غداةَ نَطَاعِ قد صَدَقَ القِتَالا)
(كَتِيبَتُهُ مُلَمْلَمَةٌ رَدَاحٌ ... إذا يرمونها تُفْنِي النِّبالا)
جزى اللّه الأغرَّ يزيدَ خيراً ... ولَقَّاه المَسَرَّةَ والجَمَالا)
((بمأخذِه ابنَ كُلْثومِ بنِ عمروٍ ... يزيدَ الخير نازلَه نِزَالا
(بجمعٍ من بني قُرَّانَ صيدٍ ... يُجِيلون الطِّعان إذا أجالا)
(يزيد يقدم السفراء حتى ... يُرَوِّي صَدْرَها الأسَلَ النِّهالا)
أخبرني علي بن سليمان قال أخبرنا الأحول عن ابن الأعرابي قال
زعموا أن بني تغلب حاربوا المنذر بن ماء السماء فلحقوا بالشأم خوفا منه
فمر بهم عمرو بن أبي حجر الغساني فتلقاه عمرو بن كلثوم
فقال له يا عمرو ما منع قومك أن يتلقوني فقال له يا عمرو يا خير الفتيان فإن قومي لم يستيقظوا لحرب قط إلا علا فيها أمرهم واشتد شأنهم ومنعوا ما وراء ظهورهم

فقال له أيقاظ نومة ليس فيها حلم أجتث فيها أصولهم وأنفى فلهم إلى اليابس الجرد والنازح الثمد
فانصرف عمرو بن كلثوم وهو يقول
(ألاَ فاعلَمْ أَبَيْتَ اللَّعْنَ أنّا ... على عَمْدٍ سنأتي ما نُريدُ)
(تَعَلَّمْ أنّ مَحْمَلَنا ثقيلٌ ... وأنّ زنادَ كبتِنا شديد)
(وأنّا ليس حَيٌّ من مَعَدٍّ ... يُوَازِينا إذا لُبِس الحديدُ)
هجا النعمان بن المنذر
قال وقال ابن الأعرابي بلغ عمرو بن كلثوم أن النعمان بن المنذر يتوعده فدعا كاتبا من العرب فكتب إليه
(ألاَ أبلِغ النُّعْمَانَ عنّي رسالةً ... فمَدْحُكَ حَوليٌّ وذَمُّك قارحُ)
(متى تَلْقَني في تَغْلِبَ ابنةِوائلٍ ... وأشياعها ترقَى إليك المسالح)
وهجا النعمان بن المنذر هجاء كثيرا منه قوله يعيره بأمه سليمى
(حَلَّتْ سُلَيْمَى بَخْبتٍ بعد فِرْتَاجِ ... وقد تكون قديماً في بني ناجِ)
(إذ لا تُرَجِّي سُلَيْمَى أن يكونَ لَها ... مَنْ بالخَوَرْنَقِ من قَيْنٍ ونَسَّاجِ)
(ولا يكون على أبوابها حَرَسٌ ... كما تلفَّف قِبْطيٌّ بِدِيباجِ)
(تمشِي بِعِدْلَيْن من لُؤْمٍ ومَنْقَصةٍ ... مَشْيَ المقيَّدِ في اليَنْبُوت والحاجِ)
قال وقال في النعمان
(لحا اللّه أدنانا إلى اللُّؤْمِ زُلْفَةً ... وألأمَنا خالاً وأعجزَنَا أبَا)
(وأجْدَرَنا أن ينفُخَ الكِيرَ خالُه ... يصوغُ القُروطَ والشُّنوفَ بِيَثْرِبَا)
أخبرني الحسين بن علي قال حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني علي بن المغيرة عن ابن الكلبي عن رجل من النمر بن قاسط قال
لما حضرت عمرو بن كلثوم الوفاة وقد أتت عليه خمسون ومائة سنة جمع بنيه فقال يا بني قد بلغت من العمر مالم يبلغه أحد من آبائي ولا بد أن ينزل بي ما نزل بهم من الموت
وإني والله ما عيرت أحدا بشيء إلا عيرت بمثله إن كان حقا فحقا وإن كان باطلا فباطلا
ومن سب سب فكفوا عن الشتم فإنه أسلم لكم وأحسنوا جواركم يحسن ثناؤكم وامنعوا من ضيم الغريب فرب رجل خير من ألف ورد خير من خلف
وإذا حدثتم فعوا وإذا حدثتم فأوجزوا فإن مع الإكثار تكون الأهذار
وأشجع القوم العطوف بعد الكر كما أن أكرم المنايا القتل
ولا خير فيمن لا روية له عند الغضب ولا من إذا عوتب لم يعتب
ومن الناس من لا يرجى خيره ولا يخاف شره فبكؤه خير من دره وعقوقه خير من بره
ولا تتزوجوا في حيكم فإنه يؤدي إلى قبيح البغض
صوت
(لِمَنِ الديارُ بُبْرْقَةِ الرَّوْحان ... إذ لا نَبِيعِ زمانَنَا بزمانِ)
(صدَعَ الغواني إذ رَمَيْنَ فؤادَه ... صَدْعَ الزُّجاجة ما لذاك تَدَاني)
(إن زرتُ أهلَكِ لم أُنَوَّلْ حاجةً ... وإذا هجرتُكِ شفَّني هِجْراني)
الشعر لجرير يهجو الأخطل ويرد عليه حكومته التي حكم بها للفرزدق عليه
والغناء فيما ذكره علي بن يحيى المنجم في كتابه الذي لقبه بالمحدث لمعبد ثقيل أول بالوسطى وذكر الهشامي أنه لحنين قال
ويقال إنه لمعبد
وفيه ليزيد حوراء لحن ذكره عبد الملك بن موسى عنه وقال لا أدري أهو الثقيل الأول أم خفيف الرمل
وذكر حبش أن الثقيل الأول للغريض وأن خفيف الرمل بالبنصر للدلال
ذكر الخبر عن السبب في اتصال الهجاء بين جرير والأخطل
سبب النقائض بين جرير والأخطل
أخبرني علي بن سليمان الأخفش ومحمد بن العباس اليزيدي قالا حدثنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن أبي عبيدة وعن أبي غسان دماذ عن أبي عبيدة وأخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا أبو ذكوان القاسم بن إسماعيل قال حدثنا أبو غسان عن أبي عبيدة وأخبرنا الصولي عن إبراهيم بن المعلى الباهلي عن الطوسي عن ابن الأعرابي وأبي عمرو الشيباني وقد جمعت رواياتهم
قال أبو عبيدة حدثني عامر بن مالك المسمعي قال
كان الذي هاج التهاجي بين جرير والأخطل أنه لما بلغ الأخطل تهاجي جرير والفرزدق قال لابنه مالك وهو أكبر ولده وبه كان يكنى انحدر إلى العراق حتى تسمع منهما وتأتيني بخبرهما
فانحدر مالك حتى لقيهما وسمع منهما ثم أتى أباه
فقال له كيف وجدتهما قال وجدت جريرا يغرف من بحر ووجدت الفرزدق ينحت من صخر
فقال الأخطل الذي يغرف من بحر أشعرهما وقال يفضل جريرا على الفرزدق
(إنِّي قضيتُ قضاءً غيرَ ذي جَنَفٍ ... لَمّا سمعتُ ولمّا جاءني الخَبَرُ)
(أنّ الفرزدقَ قد شالت نَعَامتُه ... وعضّه حيّةٌ من قومه ذَكَرُ)
وفي رواية ابن الأعرابي قد سال الفرات به
قال أبو عبيدة ثم إن بشر بن مروان دخل الكوفة فقدم عليه الأخطل فبعث إليه محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة بألف درهم وكسوة وبغلة وخمر وقال له لا تعن علي شاعرنا واهج هذا الكلب الذي يهجو بني دارم فإنك قد قضيت على صاحبنا فقل أبياتا واقض لصاحبنا عليه
فقال الأخطل
(أجريرُ إنّكَ والذي تسمو له ... كأسيفةٍ فَخَرَتْ بِحِدْجِ حَصَانِ)

(عَمِلتْ لربَّتها فلما عُولِيتْ ... نَسَلَتْ تعارضها مع الرُّكْبَان)
(أتَعُدُّ مأثرةً لغيرك فخرُها ... وثناؤها في سالف الأزمان)
(تاجُ الملوك وفخرُهم في دارمٍ ... أيَّام يَرْبوعٌ من الرُّعيان)
وهي طويلة يقول فيها
(فاخسأْ إليك كُلَيْبُ أنّ مُجَاشِعاً ... وأبا الفوارس نَهْشَلاً أخَوَانِ)
(سبقوا أباك بكلّ أعْلَى تَلْعةٍ ... في المجد عند مَوَاقف الرُّكبان)
(قومٌ إذا خَطَرتْ عليك قُرومُهم ... ألقتْكَ بين كَلاَكِلٍ وجِرَانِ)
(وإذا وضعتَ أباك في ميزانهم ... رجَحوا وشال أبوك في الميزان)
وقال جرير يرد حكومة الأخطل
((لِمَنِ الدِّيارُ ببُرْقةِ الرَّوْحَان ... إذ لا نَبِيعُ زمانَنَا بزمانِ
وهي طويلة يقول فيها
(يا ذَا الغباوة إنّ بِشْراً قد قَضَى ... ألاّ تجوزَ حكومةُ النَّشْوَانِ)
(فدَعُوا الحكومة لَستُمُ من أهلها ... إنَّ الحكومةَ في بني شيبان)
(قتلوا كُلَيْبَكُمُ بِلِقْحَةِ جارهم ... يا خُزْرَتَغْلِبَ لستُمُ بِهِجَان)
ومما غني فيه من نقائض جرير والأخطل
صوت
(أناخُوا فجَرُّوا شَاصِياتٍ كأنّها ... رجالٌ من السُّودان لم يَتَسَرْبَلُوا)
(فقلتُ اصْبَحُوني لا أبَا لأبيكُمُ ... وما وضعوا الأثقالَ إلا ليفعلوا)
(تمرُّ بها الأيدي سَنِيحاً وبارحاً ... وتُرْفَعُ باللّهُمَّ حَيِّ وتُنْزَلُ)
الشاصيات الشائلات القوائم من امتلائها
وعنى بالشاصيات ها هنا الزقاق لأنها إذا امتلأت شالت أكارعها يقال شصا برجله إذا رفعها وشصا ببصره إذا شخص قال الراجز يصف الشاخص
((وبَقَرٍ خِمَاص ... يَنْظُرْنَ من خَصَاص
(بأعيُنٍ شَوَاصِي ... كفِلَق الرَّصاص)
والسانح والسنيح ما جاء عن يمينك يريد شمالك
والبارح ما جاء عن شمالك يريد يمينك
والجابه ما جاء من أمامك مواجها لك
والقعيد والخفيف ما جاء من ورائك
شبه دور الكأس واختلافها بينهم بالسوانح والبوارح
الشعر للأخطل والغناء لمالك فيه لحنان كلاهما له أحدهما رمل بالبنصر في مجراها في الأبيات الثلاثة على الولاء من رواية إسحاق والآخر خفيف رمل بالوسطى في الثالث ثم الأول والثاني عن عمرو وذكر عمرو أن الرمل أيضا لابن سريج وأنه بالوسطى
وفيه لإبراهيم رمل بالبنصر في الأول والثاني عن الهشامي وعمرو وفيه لابن محرز خفيف ثقيل أول بالبنصر عن عمرو والهشامي ومنها
صوت
(خَفَّ القَطِينُ فراحُوا منكَ أو بَكَرُوا ... وأزعجتْهم نَوىً في صَرْفها غِيَرُ)
(كأنّني شاربٌ يوم استُبِدَّ بهم ... من قَرْقَفٍ ضُمِّنتْها حِمْصُ أو جَدَرُ)
(جادت بها من ذوات القار مُتْرَعةٌ ... كَلْفاءُ يَنْحَتُّ من خُرْطومِها المَدَرُ)
(يا قاتَلَ اللّهُ وَصْلَ الغانياتِ إذا ... أيقنَّ أنّك ممن قد زَهَا الكِبَرُ)
(أعْرَضْنَ لمّا حَنَى قَوْسِي مُوَتِّرُها ... وابيضَّ بعد سواد اللِّمَّةِ الشَّعَرُ)
استبد بهم أي علي عليهم
والقرقف التي تأخذ شاربها رعدة لشدتها
والكلفاء الخابية في لونها كلف
وقوله زها الكبر يعني استخفه وأضعفه يقال زهاه وازدهاه
وقال أبو عبيدة الأصل في زهاه رفعه فكأنه أراد أنه رفعه في علو سنه عما يردن منه
واللمة الشعر المجتمع
الشعر للأخطل يمدح عبد الملك بن مروان ويهجو قيسا وبني كليب ويقول فيها
(أمّا كُلَيْبُ بنُ يَرْبُوعٍ فليس لها ... عند التفاخُرِ إيرادٌ ولا صَدَرُ)
(مُخَلَّفُون ويقضِي الناس أمرَهُمُ ... وهُمْ بغَيْبٍ وفي عَمْيَاءَ ما شَعَرَوا)
(مُلَطَّمُون بأعقار الحِيَاض فما ... ينفكُّ من دَارميٍّ فيهمُ أثَرُ)
(بئس الصُّحاةُ وبئس الشَّرْبُ شَرْبُهُمُ ... إذا جرى فيهمُ المُزَّاءِ والسَّكَرُ)
(قومٌ تناهتْ إليهم كلُّ مُخْزِيَةٍ ... وكلُّ فاحشةٍ سُبَّتْ بها مُضَرُ)
(الآكلون خبيثَ الزَّادِ وحْدَهُمُ ... والسائلونَ بظَهْرِ الغَيْبِ ما الخبرُ)
وهذه القصيدة من فاخر شعر الأخطل ومقدمه ومما غلب فيه علىجرير وقد احتاج جرير إلى سلخ بيته هذا الأخير فرده عليه بعينه في نقيضة هذه القصيدة وضمنه بيتين من شعره فقال
(الآكلون خبيثَ الزَّاد وحدَهُم ... والنازلون إذا وَاراهُمُ الخَمَرُ)
((والظاعنون على العَمْيَاء إن رَحَلوا ... والسائلون بظهر الغيب ما الخبر
وفي هذه القصيدة يقول الأخطل يمدح عبد الملك
(إلى امرىء لا تُعَرِّينا نوافلُهُ ... أظْفَرَه الله فَلْيَهْنِىءْ له الظَّفَر)

(الخائضُ الغَمْرَ والميمون طائرُه ... خليفةُ اللّه يُسْتَسْقَى به المطرُ)
(والهَمُّ بعد نَجِيِّ النفس يَبْعثه ... بالحَزْمِ والأصْمَعَانِ القلبُ والحَذَرُ)
(وما الفُراتُ إذا جاشتْ غواربُهُ ... في حافَتَيْه وفي أوساطِهِ العُشَرُ)
(وزعزعتْه رياحُ الصَّيْفِ واضطربتْ ... فوقَ الْجَآجِىءِ من آذِيِّه غُدُرُ)
(مُسْحَنْفِرٌ من جبالِ الرومِ يستُرُه ... منها أكافِيفُ فيها دونه زَوَرُ)
(يوماً بأجْودَ منه حين تسألُهُ ... ولا بأجهرَ منه حين يَجْتَهِرُ)
(في نَبْعةٍ من قُرَيْشٍ يَعْصِبون بها ... ما إن يُوازَى بأعلَى نَبْتِها الشجرُ)
(حُشْدٌ على الخيرِ عَيّافو الخَنَا أُنُفٌ ... إذا ألَمَّتْ بهم مكروهةٌ صَبَروا)
(لا يَسْتَقِلّ ذوو الأضغانِ حربَهُم ... ولا يُبيِّنُ في عِيدانهم خَوَرُ)
(شُمْسُ العداوةِ حتى يُسْتَقادَ لهم ... وأعظمُ الناسِ أحلاماً إذا قَدَروا)

الرشيد وآدم بن عمر يمدحان شعر الأخطل

أخبرنا الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح عن أبيه
أن الرشيد قال لجماعة من أهله وجلسائه أي بيت مدح به الخلفاء منا ومن بني أمية أفخر فقالوا وأكثروا
فقال الرشيد أمدح بيت وأفخره قول ابن النصرانية في عبد الملك
(شُمْسُ العداوةِ حتى يُستقادَ لهم ... وأعظمُ الناسِ أحلاماً إذا قدروا)
أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني أحمد بن الحارث عن المدائني قال
قال المهدي يوما وبين يديه مروان بن أبي حفصة أين ما تقوله فينا من قولك في أمير المؤمنين المنصور
(له لَحَظَاتٌ عن حِفَافَيْ سَرِيرِه ... إذا كَرّها فيها عِقابٌ ونائلُ)
فاعترضه آدم بن عمر بن عبد العزيز فقال هيهات والله يا أمير المؤمنين أن يقول هذا ولا ابن هرمة كما قال الأخطل
((شُمْسُ العَداوةِ حتى يُسْتقاد لهم ... وأعظمُ الناسِ أحلاماً إذا قَدَروا
قال فغضب المهدي حتى استشاط وقال كذب والله ابن النصرانية العاض بظر أمه وكذبت يا عاض بظر أمك والله لولا أن
يقال إني خفرت بك لعرفتك من أكثر شعرا خذوا برجل ابن الفاعلة فأخرجوه عني فأخرجوه على تلك الحال وجعل يشتمه
وهو يجر ويقول يا بن الفاعلة أراها في رؤوسكم وأنفسكم

صوت
(إنِّي أرِقتُ ولم يَأْرَقْ معي صاحِ ... لِمُسْتَكِفٍّ بُعَيْدَ النَّومِ لَوّاحِ)
(دانٍ مُسِفٍّ فُوَيْقَ الأرضِ هَيْدَبُه ... يكاد يدفعه مَنْ قام بالرَّاحِ)
عروضه من البسيط
الشعر لأوس بن حجر وهكذا رواه الأصمعي أخبرنا بذلك اليزيدي عن الرياشي عنه ووافقه بعض الكوفيين وغير هؤلاء يرويه
لعبيد بن الأبرص والغناء لإبراهيم الموصلي ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى
ولحسين بن محرز لحن في البيت الثاني وبعده
(إنْ أشْرَبِ الخمرَ أو أُغْلى بها ثمناً ... فلا مَحَالَةَ يوماً أنني صاحِ)
وطريقته خفيف رمل بالوسطى
قوله مستكف يعني مستديرا وكل طرة كفة
أخبرنا محمد بن
العباس اليزيدي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال سمعت أبا مهدي يقول وهو يصف شجاعا عرض له في
طريقه تبعني شجاع من هذه الشجعان فمر خلفي كأنه سهم زالج فحدت عنه واستكف كأنه كفة حابل فرميته فنظرت
ثلاثة أثنائه
وكذلك يقال كفة الحابل وكفة الميزان بالكسر والأولى مضمومة
ولواح من قولهم لاح يلوح إذا ظهر
ومسف قد أسف على وجه الأرض إذا صار عليها أو قرب منها أو دنا إليها ومن هذا يقال أسف الطائر إذا طار على وجه
الأرض ويقال ذلك للسهم أيضا
وهيدبه الذي تراه كالمتعلق بالسحاب
يقول هذا السحاب يكاد من قام أن يمسه ويدفعه براحته لقربه من الأرض وهو أحسن ما وصف به السحاب

ذكر أوس بن حجر وشيء من أخباره

وقد اختلف في نسبه فقال الأصمعي فيما أخبرنا به محمد بن العباس اليزيدي عن الرياشي عنه هو أوس بن حجر بن
مالك بن حزن بن عقيل بن خلف بن نمير
وقال ابن حبيب فيما ذكره السكري عنه هو أوس بن حجر من شعراء الجاهلية وفحولها
وذكر أبو عبيدة أنه من الطبقة الثالثة وقرنه بالحطيئة ونابغة بني جعدة
فأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال قال أبو عبيدة حدثنا يونس عن أبي عمرو قال
كان أوس شاعر مضر حتى أسقطه النابغة وزهير فهو شاعر تميم في الجاهلية غير مدافع
أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا الأصمعي قال سمعت أبا عمرو يقول كان أوس بن حجر فحل الشعراء فلما نشأ
النابغة طأطأ منه
وأما الكلبي فإنه زعم أن من هذه الطبقة لبيد بن ربيعة والشماخ بن ضرار
قال وتميم إلى الآن مقيمة على تقديم أوس
قال ومنهم من يقول بتقديم عدي وأنشد لحارثة بن بدر الغداني
(والشِّعْرُ كان مَيِّتَهُ ومَظَلُّهُ ... عند العِبَادِيّ الذي لا يُجْهَلُ)
وقال يعقوب بن سليمان قال حماد أدركت رجالا من بني تميم لا يفضلون على عدي في الشعر أحدا
أخبرني اليزيدي عن الرياشي عن الأصمعي قال تميم تروي هذه القصيدة الحائية لعبيد وذلك غلط ومن الناس من
يخلطها بقصيدته التي على وزنها ورويها لتشابههما

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال أخبرنا أبو سعيد السكري قال حدثنا علي بن الصباح قال حدثني عبيد الله بن الحسين بن المسود بن وردان مولى رسول الله قال
خرج أعرابي مكفوف ومعه ابنة عم له لرعي غنم لهما
فقال الشيخ أجد ريح النسيم قد دنا فارفعي رأسك فأنظري
فقالت أراها كأنها ربرب معزى هزلى
قال ارعي واحذري
ثم قال لها بعد ساعة إني أجد ريح النسيم قد دنا فارفعي رأسك فانظري
قالت أراها كأنها بغال دهم تجر جلالها
قال ارعي واحذري
ثم مكث ساعة ثم قال إني لأجد ريح النسيم قد دنا فانظري
قالت أراها كأنها بطن حمار أصحر
فقال ارعي واحذري
ثم مكث ساعة فقال إني لأجد ريح النسيم فما ترين قالت أراها كما قال الشاعر
((دَانٍ مُسِفٌّ فويقَ الأرض هيدبُه ... يكاد يدفعه مَنْ قام بالراح
(كأنما بين أعلاهُ وأسفَلِهِ ... رَيْطٌ مُنَشَّرةٌ أو ضوءُ مصباح)
(فمَنْ بمَحْفِله كمن بنَجْوَتِهِ ... والمُسْتَكِنّ كمَنْ يمشي بِقرواح)
فقال انجي لا أبالك فما انقضىكلامه حتى هطلت السماء عليهما
البيت الثاني من هذه الأبيات ليس من رواية ابن حبيب ولا الأصمعي
معنى قول الجارية كأنها بطن حمار أصحر تعني أنه أبيض فيه حمرة
والصحرة لون كذلك
وقوله
فمَنْ بِمَحْفِله كمن بنجوته ...) يعني من هو بحيث احتفل السيل واحتفال كل شيء معظمه كمن في نجوته)
وقد روي بمحفشه وهما واحد ومعناهما مجرى معظم السيل
يقول فمن هو في هذا الموضع منه كمن بنجوته أي ناحية عنه سواء لكثرة المطر
والقرواح الفضاء يقال قرواح وقرياح
ويقال في معنى المحفش حفشت الأودية إذا سالت وتحفشت المرأة على ولدها إذا قامت عليه
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني علي بن أبي عامر السهمي المصري قال حدثني أبو يوسف الأصبهاني قال حدثني أبو محمد الباهلي عن الأصمعي وذكر هذا الخبر أيضا التوزي عن أبي عبيدة فجمعت روايتيهما قالا
مدح فضالة بن كلدة لأنه أكرمه بعد أن صرعته ناقته
كان أوس بن حجر غزلا مغرما بالنساء فخرج في سفر حتى إذا كان
بأرض بني أسد بين شرج وناظرة فبينا هو يسير ظلاما إذا جالت به ناقته فصرعته فاندقت فخذاه فبات مكانه حتى إذا أصبح غدا جواري الحي يجتنين الكمأة وغيرها من نبات الأرض والناس في ربيع
فبينا هن كذلك إذ بصرن بناقته تجول وقد علق زمامها في شجرة وأبصرنه ملقى ففزعن فهربن
فدعا بجارية منهن فقال لها من أنت قالت أنا حليمة بنت فضالة بن كلدة وكانت أصغرهن فأعطاها حجرا وقال لها اذهبي إلى أبيك فقولي له ابن هذا يقرئك السلام
فأخبرته فقال يا بنية لقد أتيت أباك بمدح طويل أو هجاء طويل
ثم احتمل هو وأهله حتى بنى عليه بيته حيث صرع وقال والله لا أتحول أبدا حتى تبرأ وكانت حليمة تقوم عليه حتى استقل
فقال أوس بن حجر في ذلك
(جُدِلتُ على ليلةٍ ساهره ... بصحراء شَرْجٍ إلى ناظره)
(تُزادِ لَيَاليّ في طُولها ... فليست بطَلْقٍ ولا ساكره)
(أنوءُ برحل بها ذِهْنُها ... وأعيتْ بها أخْتُها الغابره)
وقال في حليمة
(لَعَمْرُكَ مَا مَلّتْ ثَوَاءَ ثَوِيِّها ... حليمةُ إذ أُلْقَى مَرَاسِيَ مُقْعَدِ)
(ولكن تَلَقَّتْ باليدين ضَمَانَتي ... وحَلَّ بِشَرْجٍ مِ القبائلِ عُوَّدِي)
(ولم تُلْهِها تلك التكاليفُ إنّها ... كما شئتَ من أكرومةٍ وتَخَرُّدِ)
(سأجزيك أو يَجْزِيكِ عَنّي مُثَوِّبٌ ... وقَصْرُكِ أنْ يُثْنَى عليكِ وتُحْمَدِي)
رثاؤه فضالة حين مات
قالا ثم مات فضالة بن كلدة وكان يكنى أبا دليجة فقال فيه أوس بن حجر يرثيه
(يا عينُ لا بدّ من سَكْبٍ وتَهْمَالِ ... على فَضَالَةَ جَلّ الرُّزْءُ والعالِي)
ويروى عيني
العالي الأمر العظيم الغالب
وهي طويلة جدا
وفيها مما يغنى فيه
صوت
(أبا دُلَيْجةَ مَنْ تُوصِي بأرملةٍ ... أم مَنْ لأشعَثَ ذي طِمْرَيْنِ مِمْحَالِ)
(أبا دُلَيْجَةَ مَنْ يكفي العشيرةَ إذ ... أمْسَوْا من الأمر في لَبْسٍ وبَلْبال)
(لا زال مِسْكٌ ورَيْحَانٌ له أرَجٌ ... على صَدَاكَ بصافي اللّون سَلْسَال)
غنى فيه دحمان خفيف رمل بالوسطى عن عمرو

وذكر حبش أن فيه لابن عائشة رملا بالوسطى عن عمرو
وذكر حبش أن فيه لابن عائشة رملا
بالبنصر ولداود بن العباس ثاني ثقيل ولابن جامع خفيف ثقيل
ومن فاضل مراثيه إياه ونادرها قوله
(أَيَّتُها النفسُ أجمِلِي جَزَعَا ... إنّ الذي تَكْرَهِين قد وقعا)
(إنّ الذي جَمع السماحة والنَّجْدَةَ ... والحزمَ والقُوَى جُمَعَا)
(المُخْلِفَ المُتْلِفَ المُرَزَّأ لم ... يُمْتَعْ بضَعْفٍ ولم يَمُتْ طَبَعَا)
(أوْدَى وهل تنفع الإشاحةُ مِنْ ... شيء لمن قد يُحاول البِدَعَا)
وهي قصيدة أيضا يمدحه بها في حياته ويرثيه بعد وفاته
وله فيه قصائد غير هذه
صوت
(رأيتُ زُهَيْراً تحت كَلْكَل خالدٍ ... فأقبلتُ أسعى كالعَجُولِ أُبادِرُ)
(فَشَلَّتْ يميني يوم أضربُ خالداً ... ويمنعه مني الحديدُ المُظَاهَرُ)
عروضه من الطويل
الشعر لورقاء بن زهير
والغناء لكردم خفيف ثقيل أول بالوسطى في مجراها عن إسحاق وذكر عمرو بن بانة أنه لمعبد وذكر إسحاق أنه ينسبه إلى معبد من لا يعلم وروى عن أبيه عن يونس أنه أخذه من كردم وأعلمه أن الصنعة فيه له

خبر ورقاء بن زهير ونسبه وقصة شعره هذا

هو ورقاء بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان يقوله لما قتل خالد بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة أباه زهير بن جذيمة
وكان السبب في ذلك فيما أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر قالا حدثنا عمر بن شبة ونسخت بعض هذا الخبر عن الأثرم ورواية ابن الكلبي وأضفت بعض الروايات إلى بعض إلا ما أفردته وجلبته عن راويه
قال أبو عبيدة حدثني عبد الحميد بن عبد الواحد بن عاصم بن عبد الله بن رافع بن مالك بن عبد بن جلهمة بن حداق بن يربوع بن سعد بن تغلب بن عوف بن جلان بن غنم بن أعصر قال حدثني أبي عبد الواحد وعمي صفوان ابنا عاصم عن أبيهما عاصم بن عبد الله عمن أدرك شأس بن زهير
قال كان مولد عاصم قبل مبعث النبي وكان عاصم جاهليا
قال قال وعبد الحميد حدثني سيار بن عمرو أحد بني عبيد بن سعد بن عوف بن جلان بن غنم قال أبو عبيدة وكان أعلم غني عن شيوخهم

مقتل أخيه شأس ومحاولة الثأر من قاتله

أن شأس بن زهير بن جذيمة أقبل من عند ملك قال أبو عبيدة
أراه النعمان وكان بينه وبين زهير صهر قال أبو عبيدة ثم حدثني مرة أخرى قال كانت ابنة زهير عنده فأقبل شأس بن زهير من عنده وقد حباه أفضل الحبوة مسكا وكسا وقطفا وطنافس فأناخ ناقته في يوم شمال وقر على ردهة في جبل ورياح بن الأسك أحد بني رباع بن عبيد بن سعد بن عوف بن جلان على الردهة ليس غير بيته بالجبل فأنشأ شأس يغتسل بين الناقة والبيت فاستدبره رياح فأهوى له بسهم فبتر به صلبه
قال أبو عبيدة وحدثني رجل يخيل إلي أنه أبو يحيى الغنوي قال ورد شأس وقد حباه الملك بحبوة فيها قطيفة حمراء ذات هدب وطيب فورد منعجا وعليه خباء ملقى لرياح بن الأسك فيه أهله في الظهيرة فألقى ثيابه بفنائه ثم قعد يهريق عليه الماء والمرأة قريبة منه يعني امرأة رياح فإذا هو مثل الثور الأبيض
فقال رياح لامرأته أنطيني قوسي فمدت إليه قوسه وسهما وانتزعت المرأة نصله لئلا يقتله فأهوى عجلان إليه فوضع السهم في مستدق الصلب بين فقارتين ففصلهما وخر ساقطا وحفر له حفرا فهدمه عليه ونحر جمله وأكله
قال وقال عبد الحميد أكل ركوبته وأولج متاعه بيته
وقال عبد الحميد وفقد شأس وقص أثره ونشد وركبوا إلى الملك فسألوه عن حاله
فقال لهم الملك حبوته وسرحته
فقالوا وما متعته به قال مسك وكسا
ونطوع وقطف
فأقبلوا يقصون أثره فلم تتضح لهم سبيله
فمكثوا كذلك ما شاء الله لا أدري كم حتى رأوا أمرأة رياح باعت بعكاظ قطيفة حمراء أو بعض ما كان من حباء الملك فعرفت وتيقنوا أن رياحا ثأرهم
قال أبو عبيدة وزعم الاخر قال نشد زهير بن جذيمة الناس فانقطع ذكره على منعج وسط غني ثم أصابت الناس جائحة وجوع فنحر زهير ناقة فأعطى أمرأة شطيها فقال اشتري لي الهدب والطيب
فخرجت بذلك الشحم والسنام تبيعه حتى دفعت إلى امرأة رياح فقالت إن معي شحما أبيعه في الهدب والطيب فاشترت المرأة منها
فأتت المرأة زهيرا بذلك فعرف الهدب
فأتى زهير غنيا فقالوا نعم قتله رياح بن الأسك ونحن برءاء منه
وقد لحق بخاله من بني الطماح وبني أسد بن خزيمة فكان يكون الليل عنده ويظهر في أبان إذا أحس الصبح يرمي الأروى إلى أن أصبح ذات يوم وهو عنده وعبس تريغه
فركب خاله جملا وجعله على كفل وراءه
فبينا هو كذلك إذ دنت فقالوا هذه خيل عبس تطلبك
فطمر في قاع شجر فحفر في أصل

سوقه
ولقيت الخيل خاله فقالوا هل كان معك أحد قال لا
فقالوا ما هذا المركب وراءك لتخبرنا أو لنقتلنك قال لا كذب هو رياح في ذلك القاع
فلما دنوا منه قال الحصينان يا بني عبس دعونا وثأرنا فخنسوا عنهما
فأخذ رياح نعلين من سبت فصيرهما على صدره حيال كبده ونادى هذا غزالكما الذي تبغيان
فحمل عليه أحدهما فطعنه فأزالت النعل الرمح إلى حيث شاكلته ورماه رياح موليا فجذم صلبه
قال ثم جاء الآخر فطعنه فلم يغن شيئا ورماه موليا فصرعه
فقالت عبس أين تذهبون إلى هذا والله ليقتلن منكم عدد مراميه وقد جرحاه فسيموت
قال وأخذ رياح رمحيهما وسلبيهما وخرج حتى سند إلى أبان
فأتته عجوز وهو يستدمي على الحوض ليشرب منه وقالت استأسر تحي فقال جنبيني حتى أشرب
قال فأبت ولم تنته
فلما غلبته أخذ مشقصا وكنع به كرسوعي يديها
قال فقال عبد الحميد فلما استبان لزهير بن جذيمة أن رياحا ثأره قال يرثي شأسا
قصيدة زهير بن جذيمة في رثاء ابنه شأس
(بكيتُ لشَأْسٍ حين خُبِّرتُ أنّه ... بماء غَنِيٍّ آخِرَ اللَّيل يُسلَبُ)
(لقد كان مأتاهُ الرِّداهَ لِحَتْفِهِ ... وما كان لولا غِرَّةُ اللّيل يُغْلَبُ)
(قتيلُ غنِيٍّ ليس شَكْلٌ كشكله ... كذاك لَعَمْرِي الحَيْنُ للمرءِ يُجْلَبُ)
(سأبكي عليه إن بكيتُ بعَبْرةٍ ... وحُقَّ لِشأْسٍ عَبْرةٌ حين تُسْكَبُ)
(وحزنٌ عليه ما حَيِيتُ وعولةٌ ... على مثل ضوءِ البدر أو هو أعجبُ)
(إذا سِيمَ ضَيْماً كان للضيم منكراً ... وكان لدى الهيجاء يُخْشَى ويُرْهَبُ)
(وإنْ صوتَ الداعي إلى الخير مرةً ... أجاب لِمَا يدعو له حين يُكْرَبُ)
(ففرّج عنه ثم كان وَلِيَّه ... فقلبي عليه لو بدا القلبُ مُلْهَبُ)
وقال زهير بن جذيمة حين قتل شأس شأس وما شأس والبأس وما البأس لولا مقتل شأس لم يكن بيننا بأس
قال ثم انصرف إلى قومه فكان لا يقدر على غنوي إلا قتله
قال عبد الحميد فغزت بنو عبس غنيا قبل أن يطلبوا قودا أو دية مع أخي شأس الحصين بن زهير بن جذيمة والحصين بن أسيد بن جذيمة ابن أخي زهير
فقيل ذلك لغني فقالت لرياح انج لعلنا نصالح على شيء أو نرضيهم بدية وفداء
فخرج رياح رديفا لرجل من بني كلاب وزعم أبو حية النميري أنه من بني جعد وكان معهما صحيفة فيها آراب لحم لا يريان إلا أنهما قد خالفا وجهة القوم فأوجفا أيديهما في الصحيفة فأخذ كل واحد منهما وذرة ليأكلها مترادفين لا يقدران على النزول
قال فمر فوق رؤوسهما صرد فصرصر فألقيا اللحم وأمسكا بأيديهما وقالا ما هذا ثم
عادا إلى مثل ذلك فأخذ كل واحد منهما عظما ومر الصرد فوق رؤوسهما فصرصر فألقيا العظمين وأمسكا بأيديهما وقالا ما هذا ثم عادا الثالثة فأخذ كل واحد منهما قطعة فمر الصرد فوق رؤوسهما فصرصر فألقيا القطعتين حتى فعلا ذلك ثلاث مرات فاذا هما بالقوم أدنى ظلم وأدنى ظلم أي أدنى شيء وقد كانا يظنان أنهما قد خالفا وجهة القوم
فقال صاحبه لرياح اذهب فإني آتي القوم أشاغلهم عنك وأحدثهم حتى تعجزهم ثم ماض إن تركوني
فانحدر رياح عن عجز الجمل فأخذ أدراجه وعدا أثر الراحلة حتى أتى ضفة فاحتفر تحتها مثل مكان الأرنب فولج فيه ثم أخذ نعليه فجعل إحداهما على سرته والأخرى على صفنه ثم شد عليهما العمامة ومضى صاحبه حتى لقي القوم فسألوه فحدثهم وقال هذه غني كاملة وقد دنوت منهم فصدقوه وخلوا سربه
فلما ولى رأوا مركب الرجل خلفه فقالوا من الذي كان خلفك فقال لا مكذبة ذلك رياح في الأول من السمرات
فقال الحصينان لمن معهما قفوا علينا حتى نعلم علمه فقد أمكننا الله من ثأرنا ولم يريدا أن يشركهما فيه أحد فمضيا ووقف القوم عنهما
قالوا قال رياح فاذا هما ينقلان فرسيهما فما زالا يريغاني فابتدراني فرميت الأول فبترت صلبه وطعنني الآخر قبل أن أرميه وأراد السرة فأصاب الربلة ومر الفرس يهوي به فاستدبرته بسهم فرشقت به صلبه فانفقر منحنى الأوصال وقد بترت صلبيهما
قال أبو عبيدة قال أبو حية بل قال رياح استدبرته بسهم وقد خرجت قدمه فقطعتها فكأنما نشرت بمنشار
قال عبد الحميد وند فرساهما
فلحقا بالقوم
قال رياح فأخذت رمحيهما فخرجت بهما حتى أتيت رملة فسندت فغرزت الرمحين فيها ثم انحدرت
قال وطلبه القوم حتى إذا رفع لهم الرمحان لم يقربوهما علم الله حتى وجدوا أثر رياح خارجا قد فات
وانطلق رياح خارجا حتى ورد ردهة عليها بيت أنمار بن بغيض وفيه امرأة ولها ابنان قريبان منها وجمل لها راتع في الجبل وقد مات رياح عطشا
فلما رأته يستدمي طمعت فيه ورجت أن يأتيها ابناها فقالت له استأسر
فقال لها دعيني ويحك أشرب فأبت فأخذ حديدة إما سكينا وإما مشقصا فجذم به رواهشها فماتت وعب في الماء حتى نهل ثم توجه إلى قومه
فقال رياح فيها وفي الحصينين
(قالت لِيَ اسْتأْسِرْ لِتَكْتِفَني ... حيناً ويعلو قولُها قولي)
(ولأنتَ أجرأُ من أُسَامَةَ أو ... منّي غداةَ وقفتُ للخيلِ)
(إذِ الحُصَيْنُ لدى الحُصَيْنِ كما ... عَدَلَ الرِّجازةُ جانبَ المَيْلِ)
قال الأثرم الرجازة شيء يكون مع المرأة في هودجها فإذا مال أحد الجانبين وضعته في الناحية الأخرى ليعتدل

قال أبو عبيدة يعني حصين بن زهير بن جذيمة وحصين بن أسيد بن جذيمة وهو ابن عمه
قال أبو عبيدة قال عبد الحميد والله لقد سمعت هذا الحديث على ما حدثتك به منذ ستين سنة
قال عبد الحميد وما سمعت أن بني عبس أدركوا بواحد منهم ولا اقتادوا ولا أنذروا ولا سمعت فيه من الشعر لنا ولا لغيرنا في الجاهلية بأكثر مما أنشدتك
وإلى هذا انتهى حديثنا وحديثه
ولا والله ما قتل خالد بن جعفر
زهير بن جذيمة في حربنا غير أن الكميت بن زيد الأسدي وكانت له أمان من غني ذكر من مقتل أخواله من غني في بني عبس ومن قتلوا من بني نمير بن عامر في كلمة له واحدة فلعله لهذا الحديث قالها وذكر إدراكاتهم وذكر قتل شبيب بن سالم النميري فقال في ذلك
(أنا ابنُ غَنِيٍّ والداي كلاهما ... لأُمَّيْن فيهم في الفُروع وفي الأصلِ)
(هم استودعوا هوى شبيبَ بن سالمٍ ... وهم عَدلوا بين الحُصَيْنَين بالنَّبْلِ)
(وهم قتلوا شأسَ المُلوكِ ورَغَّموا ... أباه زُهَيْراً بالمَذَلَّةِ والثُّكْلِ)
(فما أدركت فيهم جَذيمةُ وَتْرَها ... بما قَوَدٍ يوماً لديها ولا عَقْلِ)
قال أبو عبيدة فذكر عبد الحميد أنه أتى عليهم هنيئة من الدهر لا أدري كم وقت ذلك بعد انصرام أمر شأس
قال فما زادوا على هذا فهو باطل
قال الأثرم هنيئة من الدهر وهنيهة وبرهة وحقبة بمعنى الدهر

مقتل زهير بن جذيمة العبسي

قتله خالد بن جعفر بن كلاب
قال أبو عبيدة قال أبو حية النميري كان بين انصراف حديث شأس وحديث قتل خالد بن جعفر زهير بن جذيمة ما بين العشرين سنة إلى الثلاثين سنة
قال أبو عبيدة وهوازن بن منصور لا ترى زهير بن جذيمة إلا ربا
قال وهوازن يومئذ لا خير فيها ولم تكثر عامر بن صعصعة بعد فهم أذل من يد في رحم وإنما هم رعاء الشاء في الجبال
قال وكان زهير يعشرهم وكان إذا كان أيام عكاظ أتاها زهير ويأتيها الناس من كل وجه فتأتيه هوازن بالإتاوة التي كانت له في أعناقهم فيأتونه بالسمن والأقط والغنم وذلك بعد ما خلع ذلك من أبي الجناد أخي بني أسيد بن عمرو بن تميم ثم إذا تفرق الناس عن عكاظ نزل زهير بالنفرات
قال أبو عبيدة عن عبد الحميد وأبي حية النميري قالا فأتته عجوز رهيش من بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن وقال أبو حية بل أتته
عجوز من هوازن بسمن في نحي واعتذرت إليه وشكت السنين التي تتابعن على الناس
فذاقه فلم يرض طعمه فدعها بقوس في يده عطل في صدرها فاستلقت لحلاوة القفا فبدت عورتها فغضبت من ذلك هوازن وحقدت عليه إلى ما كان في صدرها من الغيظ والدمن وأوحرها من الحسك
قال وقد أمرت عامر بن صعصعة يومئذ فآلى خالد بن جعفر فقال والله لأجعلن ذراعي وراء عنقه حتى أقتل أو يقتل
قال وفي ذلك يقول خالد بن جعفر بن كلاب
(أدِيروني إدارتَكم فإنِّي ... وحَذْفَةَ كالشَّجَا تحت الوَريدِ)
(مُقرَّبةٌ أُسَوِّيها بجزْءٍ ... وأُلحِفُها ردائي في الجَليدِ)
(وأُوصِي الرّاعِيَيْن ليُؤْثِراها ... لها لَبَنُ الخَلِيّةِ والصَّعُودِ)
(تراها في الغزاةِ وهنَّ شُعْثٌ ... كقُلْبِ العاجِ في الرُّسْغِ الجديدِ)
(يَبيتُ رِباطُها بالليل كَفِّي ... على عُودِ الحشيش وغير عود)
(لعل اللَّه يُمْكِنني عليها ... جِهاراً من زُهَيْرٍ أو أسِيدِ)
((فإمّا تَثْقَفُوني فاقتُلوني ... فَمنْ أَثْقَفْ فليس إلى خُلودِ
(وقيس في المَعارِكِ غادرتْه ... قَنَاتِي في فوارس كالأسود)
(ويربوع بن غَيْظٍ يومَ ساقٍ ... تركناهم كجارية وبيد)
(تركتُ بها نساءَ بني عُصَيمٍ ... أراملَ ما تَحِنّ إلى وليد)
(يَلُذْنَ بحارثٍ جَزَعاً عليه ... يَقُلْنَ لحارثٍ لولا تسود)
(ومنّي بالطَّوِيلمِ قارعاتٌ ... تَبِيدُ المُخْزِياتُ ولا تَبِيد)
(وحكّتْ بَرْكَها ببني جِحَاشٍ ... وقد أجْرَوْا إليها من بعيدِ)
(تركت ابَنيْ جَذِيمةَ في مَكَرٍّ ... ونَصْراً قد تركتُ لها شُهودي)
قتله خالد بن جعفر وما كان قبل قتله
قال أبو عبيدة وحدثني أبو سرار الغنوي قال كان زهير رجلا عدوسا فانتقل من قومه ببنيه وبني أخويه زنباع وأسيد بركبة بريغ الغيث في عشراوات له وشول
قال وبنو عامر قريب منهم ولا يشعر بهم
قال عبد الحميد وأبو حية بل بنو عامر بدمخ وزهير بالنفرات وبينهم ليلتان أو ثلاث
قال فقال أبو سرار فأتى الحارث بني عامر والله ما تغير
طعم اللبن الذي زوده الحارث بن عمرو بن الشريد السلمي حتى أتى بني عامر فأخبرهم
قال أبو عبيدة أخبرني سليمان بن المزاحم المازني عن أبيه قال بل كانت بنو عامر بالجريثة وزهير بالنفرات وكانت تماضر بنت عمرو ابن الشريد بن رياح بن يقظة بن عصية بن خفاف السلمي امرأة زهير بن جذيمة وهي أم ولده
فمر بها أخوها الحارث بن عمرو
فقال زهير لبنيه إن هذا الحمار لطليعة عليكم فأوثقوه
فقالت أخته لبنيها أيزوركم خالكم فتوثقوه وتحرموه فخلوه
فقالت تماضر لأخيها الحارث إنه ليريبني اكبئنانك وقروبك فلا يأخذن فيك ما قال زهير فإنه رجل ببذارة غيذارة شنؤة

قال ثم حلبوا له وطبا وأخذوا منه يمينا ألا يخبر عنهم ولا ينذر بهم أحدا
قال أبو عبيدة وزعم أبو حية النميري أنه لما أتوه بقراهم أراهم أنه يشربه في الظلمة وجعل يهوي به إلى جيبه فيصبه بين سرباله وصدره أسفا وغظيا
قال وكان الذي حلب له الوطب وقراه الحارث بن زهير وبه سمي
قال فخرج يطير حتى أتى عامرا عند ناديهم فأتى حاذة أو شجرة غيرها فألقى الوطب تحتها والقوم ينظرون ثم قال أيتها الشجرة الذليلة اشربي من هذا اللبن فانظري ما طعمه
فقال أهل المجلس هذا رجل مأخوذ عليه عهد وهو يخبركم خبرا
فأتوه فإذا هو الحارث بن عمرو وذاقوا اللبن فإذا هو حلو لم يقرص بعد فقالوا إنه ليخبرنا أن طلبنا قريب
فركب معه ستة
فوارس لينظروا ما الخبر وهم خالد بن جعفر بن كلاب على حذفة وحندج بن البكاء ومعاوية بن عبادة بن عقيل فارس الهرار وهو الأخيل جد ليلى الأخيلية قال والأخيل هو معاوية قال وهو يومئذ غلام له ذؤابتان وكان أصغر من ركب وثلاثة فوارس من سائر بني عامر فاقتصوا أثر السير حتى إذا رأوا إبل بني جذيمة نزلوا عن الخيل
فقالت النساء إنا لنرى حرجة من عضاه أو غابة رماح بمكان لم نكن نرى به شيئا ثم راحت الرعاء فأخبروا بمثل ما للنساء
قال وأخبرت راعية أسيد بن جذيمة أسيدا بمثل ذلك فأتى أسيد أخاه زهيرا فأخبره بما أخبرته به الراعية وقال إنما رأت خيل بني عامر ورماحها
فقال زهير كل أزب نفور فذهبت مثلا وكان أسيد كثير الشعر خناسيا وأين بنو عامر أما بنو كلاب فكالحية إن تركتها تركتك وإن وطئتها عضتك
وأما بنو كعب يصيدون اللأي يريد الثور الوحشي
وأما بنو نمير فإنهم يرعون إبلهم في رؤوس الجبال
وأما بنو هلال فيبيعون العطر
قال فتحمل عامة بني رواحة وآلي زهير لا يبرح مكانه حتى يصبح
وتحمل من كان معه غير ابنيه ورقاء والحارث
قال وكان لزهير ربيئة من الجن فحدثه ببعض أمرهم حتى أصبح وكانت له مظلة دوح يربط فيها أفراسه لا تريمه حذرا من الحوادث
قال فلما أصبح صهلت فرس منها حين أحست بالخيل وهي القعساء
فقال زهير ما لها فقال ربيئته
(أحسَّت الخيل فصهَلت إليهن ... فلم تُؤْذِنْهم بهم إلا والخيلُ دَوَائسُ)
محاضير بالقوم غدية
فقال زهير وظن أنهم أهل اليمن يا أسيد ما هؤلاء فقال هؤلاء الذين تعمي حديثهم منذ الليلة
قال وركب أسيد فمضى ناجيا
قال ووثب زهير وكان شيخا نبيلا فتدثر القعساء فرسه وهو يومئذ شيخ قد بدن وهو يومئذ عقوق متهم واعرورى ورقاء والحارث ابناه فرسيهما ثم خالفوا جهة مالهم ليعموا على بني عامر مكان مالهم فلا يأخذوه
فهتف هاتف من بني عامر ياليحامر يريد يحامر وهو شعار لأهل اليمن لأن يعمي على الجذميين من القوم
فقال زهير هذه اليمن قد علمت أنها أهل اليمن وقال لابنه ورقاء انظر يا ورقاء ما ترى قال ورقاء أرى فارسا على شقراء يجهدها ويكدها بالسوط قد ألح عليها يعني خالدا
فقال زهير شيئا ما يريد السوط الى الشقراء فذهبت مثلا وقال في المرة الثانية شيئا ما يطلب السوط الى الشقراء وهي حذفة فرس خالد بن جعفر والفارس خالد بن جعفر
قال وكانت الشقراء من خيل غني
قال وتمردت القعساء بزهير وجعل خالد يقول لا نجوت إن نجا مجدع يعني زهيرا
فلما تمعطت القعساء بزهير ولم تتعلق بها حذفة قال خالد لمعاوية الأخيل بن عبادة وكان على الهرار حصان أعوج أدرك معاوي فأدرك معاوية زهيرا وجعل ابناه ورقاء والحارث يوطشان عنه أي عن أبيهما
قال فقال خالد اطعن يا معاوية
في نساها فطعن في أحدى رجليها فانخذلت القعساء بعض الانخذال وهي في ذلك تمعط
فقال زهير اطعن الأخرى يكيده بذلك لكي تستوي رجلاها فتحامل فناداه خالد يا معاوية أفذ طعنتك أي اطعن مكانا واحدا فشعشع الرمح في رجلها فانخذلت
قال ولحقه خالد على حذفة فجعل يده وراء عنق زهير فاستخف به عن الفرس حتى قلبه وخر خالد فوقع فوقه ورفع المغفر عن رأس زهير وقال يا لعامر اقتلونا معا فعرفوا أنهم بنو عامر
فقال ورقاء وا أنقطاع ظهراه إنها لبنو عامر سائر اليوم
وقال غيره فقال بعض بني جذيمة وا انقطاع ظهري
قال ولحق حندج بن البكاء وقد حسر خالد المغفر عن رأس زهير فقال نح رأسك يا أبا جزء لم يحن يومك
قال فنحى خالد رأسه وضرب حندج رأس زهير وضرب ورقاء بن زهير رأس خالد بالسيف وعليه درعان وكان أسجر العينين أزب أقمر مثل الفالج فلم يغن شيئا
قال وأجهض ابنا زهير القوم عن زهير فانتزعاه مرتثا
فقال خالد حين استنقذ زهيرا ابناه والهفتاه قد كنت أظن أن هذا المخرج سيسعكم ولام حندجا
فقال حندج وكان لجلالته غصة إذا تكلم
السيف حديد والساعد شديد وقد ضربته ورجلاي متمكنتان في الركابين وسمعت السيف قال قب حين وقع برأسه ورأيت على ظبته مثل ثمر المرار وذقته فكان حلوا
فقال خالد قتلته بأبي أنت
ونظر بنو زهير فإذا الضربة قد بلغت الدماغ

ونهي بنو زهير أن يسقوا أباهم الماء فاستسقاهم فمنعوه حتى
نهك عطشا
قال وذلك أن المأموم يخاف عليه الماء حتى بلغ منه العطش فجعل يهتف أميت أنا عطشا وينادي يا ورقاء قال أبو حية
فجعل ينادي يا شأس فلما رأوا ذلك سقوه فمات لثالثة
فقال ورقاء بن زهير
شعر ورقاء بن زهير حين قتل والده
(رأيتُ زُهَيْراً تحت كَلْكَلِ خالدٍ ... فأقبلْتُ أسعَى كالعَجُولِ أُبادِرُ)
(إلى بَطَلَيْن يَنْهَضانِ كلاهما ... يُرِيغانِ نَصْلَ السَّيفِ والسيفُ نادرُ)
(فشَلَّتْ يميني إذ ضربتُ ابنَ جَعْفرٍ ... وأحرزه منّي الحديدُ المُظاهَرُ)
قال أبو عبيدة وسمعت أبا عمرو بن العلاء ينشد هذا البيت فيها
(وشَلَّتْ يميني يوم أضربُ خالداً ... وشَلَّ بَنَاناها وشلَّ الخَنَاصِرُ)
قال أبو عبيدة وأنشدني أبو سرار أيضا فيها
(فياليتني من قبل أيّامِ خالدٍ ... ويومِ زُهَيْرٍ لم تَلِدني تُمَاضِرُ)
تماضر بنت عمرو بن الشريد بن رياح بن يقظة بن عصية بن خفاف السلمي امرأة زهير بن جذيمة
قال أبو عبيدة أنشدني أبو سرار فيها
(لَعَمْري لقد بُشِّرت بي إذ وَلَدْتِني ... فماذا الذي رَدّتْ عليكِ البشائرُ)
وقال خالد بن جعفر يمن على هوازن بقتله زهيرا ويصدق الحديث قال أبو عبيدة أنشدنيه مالك بن عامر بن عبد الله بن
بشر بن عامر ملاعب الأسنة
(بل كيف تكفُرني هوازنُ بعدما ... أعتقتُهم فتَوَالَدُوا أحرارا)
((وقتلتُ ربَّهُم زهيراً بعد ما ... جدع الأُنوف وأكثر الأوتارا)
(وجعلتُ حَزْنَ بِلاَدِهم وجبالهم ... أرضاً فضاءً سهلةً وعشارا)
(وجعلتُ مَهْرَ بناتهم ودمائهم ... عَقْلَ الملوكِ هجائناً أبكَارا)
قال أبو عبيدة ألا ترى أنه ذكر في شعره أن زهيرا كان ربهم وقد كان جدعهم وأنه قتله من أجلهم لا من أجل غني وأن
غنيا ليسوا من ذلك في ذكر ولا لهم فيه معنى
قال وقال ورقاء بن زهير
(أمّا كِلاَبٌ فإنّا لا نُسالِمُها ... حتى يُسالم ذِئبَ الثَّلةِ الرَّاعِي)
(بنو جَذِيمةَ حاموا حول سيِّدهم ... إلاّ أسيداً نجا إذ ثُوِّب الداعي)
قال ثم نعى الفرزدق علي بني عبس ضربة ورقاء خالدا واعتذر بها الى سليمان بن عبد الملك فقال
(إنْ يَكُ سيفٌ خانَ أو قَدَرٌ أبى ... لتأخِيرِ نَفْسٍ حَتْفُها غيرُ شاهدِ)
(فسيفُ بني عَبْسٍ وقد ضربوا به ... نَبَا بِيَدَيْ وَرْقاءَ عن رأس خالد)
(كذاك سيوفُ الهنْدِ تنبو ظُبَاتُها ... وتقطَع أحياناً مناطَ القلائدِ)
(ولو شِئتُ قدَّ السيفُ ما بين عُنْقِه ... إلى عَلَقٍ تحت الشَّراسِيفِ جامدِ)
قال وكان ضلع بني عبس مع جرير فقال الفرزدق فيهم هذه الأبيات
هذه رواية أبي عبيدة
ماذا قال الاصمعي عن مقتل زهير وابنه
وأما الأصمعي فإنه ذكر فيما رواه الأثرم عنه قال حدثني غير واحد من الأعراب أن سبب مقتل زهير العبسي أن ابنه
شأس بن زهير وفد إلى بعض الملوك فرجع ومعه حباء قد حبي به فمر بأبيات من بني عامر بن صعصعة وأبيات من بني
غني على ماء لبني عامر أو غيرهم الشك من الأصمعي
قال فاغتسل فناداه الغنوي استتر فلم يحفل بما قال
فقال استتر ويحك البيوت بين يديك فلم يحفل
فرماه الغنوي رياح بن الأسك بسهم أو ضربه فقتله والحي خلوف فاتبعه أصحاب شأس وهم في عدة فركب الفلاة واتبعوه
فرهقوه فقتل حصينا وأخاه حصينا ثم نجا على وجهه حتى أدركه العطش فلجأ إلى منزل عجوز من بني إنسان وبنو
إنسان حي من بني جشم
فقالت له العجوز لا تبرح حتى يأتي بني فيأسروك
قال الأصمعي فأخبرني مخبران اختلفا فقال أحدهما إنه أخذ سكينا فقطع عصبتي يديها وقال الآخر أخذ حجرا فشدخ به
رأسها ثم أنشأ يقول
(ولأنتَ أشْجَعُ من أسامةَ أو ... مِنّي غداةَ وقفتُ للخَيْلِ)
(إذِ الحُصَيْنُ لدى الحُصَيْن كما ... عَدَلَ الرِّجازةُ جانبَ المَيْلِ)
(وإذا أنْهَنِهها لأفتِلَها ... جاشتْ ليَغْلِبَ قولُها قولي)
قال فضرب الزمان ضربانه فالتقى خالد بن جعفر بن كلاب وزهير بن جذيمة العبسي
فقال خالد لزهير أما آن لك أن تشتفي وتكف قال الأصمعي يعني مما قتل بشأس قال فأغلظ له زهير وحقره
قال الأصمعي وأخبرني طلحة بن محمد بن سعيد بن المسيب أن ذلك الكلام بينهما كان بعكاظ عند قريش
فلما حقره زهير وسبه قال خالد عسى إن كان يتهدده ثم قال اللهم أمكن يدي هذه الشقراء القصيرة من عنق زهير بن
جذيمة ثم أعني عليه
فقال زهير اللهم أمكن يدي هذه البيضاء الطويلة من عنق خالد ثم خل بيننا
فقالت قريش هلكت والله يا زهير فقال إنكم والله الذين لا علم لكم
قال الأصمعي ثم نرجع إلى حديث العبسيين والعامريين وبعضه من حديث أبي عمرو بن العلاء
قال فجاء أخو امرأة زهير وكانت امرأته فاطمة بنت الشريد السلمية وهي أم قيس بن زهير وكان زهير قد أساء إليهم في
شيء فجاء أخوها إلى بني عامر فقال هل لكم في زهير بن جذيمة ينتج إبله ليس معه أحد غير أخيه أسيد بن جذيمة

وعبد راع لإبله وجئتكم من عنده وهذا لبن حلبوه لي
فذاقوه فإذا هو ليس بحازر فعلموا أنه قريب
فخرج حندج بن البكاء وخالد بن جعفر ومعاوية بن عبادة بن عقيل ليس على أحدهم درع غير خالد كانت عليه درع أعاره إياها عمرو بن يربوع الغنوي وكانت درع ابن الأجلح المرادي كان قتله فأخذها منه وكان يقال لها ذات الأزمة
وإنما سميت بذلك لأنها كانت لها عرى تعلق فضولها بها إذا أراد أن يشمرها
قال فطلعوا
فقال أسيد بن جذيمة قال الأصمعي وكان أسيد شيخا كبيرا وكان كثير شعر الوجه والجسد أتيت ورب الكعبة
فقال زهير
كل أزب نفور فذهبت مثلا
فلم يشعر بهم زهير إلا في سواد الليل فركب فرسه ثم وجهها فلحقه قوم أحدهم حندج أو العقيلي واختلفوا فيهما فطعن فخذ الفرس طعنة خفيفة ثم أراد أن يطعن الرجل الصحيحة فناداه خالد يا فلان لا تفعل فيستويا أقبل على السقيمة قال فطعنها فانخذلت الفرس فأدركوه
فلما أدركوه رمى بنفسه وعانقه خالد فقال اقتلوني ومجدعا
فجاء حندج وكان أعجم اللسان فقال لخالد وهو فوق زهير نح رأسك يا أبا جزء فنحى رأسه فضرب حندج زهيرا ضربة على دهش ثم ركبوا وتركوه
قال فقال خالد ويحك يا حندج ما صنعت فقال ساعدي شديد وسيفي حديد وضربته ضربة فقال السيف قب وخرج عليه مثل ثمرة المرار فطعمته فوجدته حلوا يعني دماغه
قال إن كنت صدقت فقد قتلته
قال فجاء قوم زهير فاحتملوه ومنعوه الماء كراهة أن يبتل دماغه فيموت
فقال يا آل غطفان أأموت عطشا فسقي فمات وذلك بعد أيام
ففي ذلك يقول ورقاء بن زهير وكان قد ضرب خالدا ضربة فلم يصنع شيئا فقال
(رأيتُ زهيراً تحت كَلْكَلِ خالدٍ ... فأقبلتُ أسعَى كالعَجُولِ أُبادِرُ)
(إلى بَطَلَيْن ينهَضان كِلاَهما ... يُريدان نَصْلَ السَّيْفِ والسيفُ نادرُ)
قال الأصمعي فضرب الدهر من ضربانه إلى أن التقى خالد بن جعفر والحارث بن ظالم
ذكر مقتل خالد بن جعفر بن كلاب
قتله الحارث بن ظالم المري
قال أبو عبيدة كان الذي هاج من الأمر بين الحارث بن ظالم وخالد بن جعفر أن خالد بن جعفر أغار على رهط الحارث بن ظالم من بني يربوع بن غيظ بن مرة وهم في واد يقال له حراض فقتل الرجال حتى أسرع والحارث يومئذ غلام وبقيت النساء
وزعموا أن ظالما هلك في تلك الوقعة من جراحة أصابته يومئذ
وكانت نساء بني ذبيان لا يحلبن النعم فلما بقين بغير رجال طفقن يدعون الحارث فيشد عصاب الناقة ثم يحلبنها ويبكين رجالهن ويبكي الحارث معهن فنشأ على بغض خالد
وأردف ذلك قتل خالد زهير بن جذيمة فاستحق العدواة في غطفان
فقال خالد بن جعفر في تلك الوقعة
(تركتُ نساءَ يَرْبُوعِ بن غَيْظٍ ... أراملَ يشتكين إلى وَلِيدِ)
(يَقُلْنَ لحارثٍ جَزَعاً عليه ... لك الخيراتُ مالكَ لا تسودُ)
(تركتُ بَنِي جَذِيمةَ في مَكَرٍّ ... ونصراً قد تركتُ لدى الشهودِ)
((ومنّي سوف تَأتِي قارعاتٌ ... تَبِيدُ المخزياتُ ولا تَبِيدُ)
(وقيس ابنِ المعاركِ غادرتْه ... قَنَاتِي في فوارسَ كالأسود)
(وحَلّتْ بَرْكَهَا ببني جِحَاشٍ ... وقد مَدُّوا إليها من بَعِيد)
(وحي بني سبيعٍ يومَ ساقٍ ... تركناهم كجارية وبيد)
قال أبو عبيدة فمكث خالد بن جعفر برهة من دهره حتى كان من أمره وأمر زهير بن جذيمة ما كان وخالد يومئذ رأس هوازن
فلما استحق عداوة عبس وذبيان أتى النعمان بن المنذر ملك الحيرة لينظر ما قدره عنده وأتاه بفرس فألفى عنده الحارث بن ظالم قد أهدى له فرسا فقال أبيت اللعن نعم صباحك وأهلي فداؤك هذا فرس من خيل بني مرة فلن تؤتى بفرس يشق غباره إن لم تنسبه انتسب كنت ارتبطته لغزو بني عامر بن صعصعة فلما أكرمت خالدا أهديته إليك
وقام الربيع بن زياد العبسي فقال أبيت اللعن نعم صباحك وأهلي فداؤك هذا فرس من خيل بني عامر ارتبطت أباه عشرين سنة لم يخفق في غزوة ولم يعتلك في سفره وفضله على هذين الفرسين كفضل بني عامر على غيرهم
قال فغضب النعمان عند ذلك وقال يا معشر قيس أرى خيلكم أشباها أين اللواتي كأن أذنابها شقاق أعلام وكأن مناخرها وجار الضباع وكأن عيونها بغايا النساء رقاق
المستطعم تعالك اللجم في أشداقها تدور على مذاودها كأنما يقضمن حصى
قال خالد زعم الحارث أبيت اللعن أن تلك الخيل خيله وخيل آبائه
فغضب النعمان عند ذلك على الحارث بن ظالم
فلما أمسوا اجتمعوا عند قينة من أهل الجيرة يقال لها بنت عفزر يشربون
فقال خالد تغني
(دارٌ لهندٍ والرَّبَابِ وفَرْتَنَى ... ولَمِيسَ قَبْلَ حوادثِ الأيّامِ)
وهن خالات الحارث بن ظالم فغضب الحارث بن ظالم حتى امتلأ غيظا وغضبا وقال ما تزال تتبع أولى بآخرة
قال أبو عبيدة ثم إن النعمان بن المنذر دعاهم بعد ذلك وقدم لهم تمرا فطفق خالد بن جعفر يأكل ويلقي نوى ما يأكل من التمر بين يدي الحارث

فلما فرغ القوم قال خالد بن جعفر أبيت اللعن انظر إلى ما بين يدي الحارث بن ظالم من النوى ما ترك لنا تمرا إلا أكله
فقال الحارث أما أنا فأكلت التمر وألقيت النوى وأما أنت فأكلته بنواه فغضب خالد وكان لا ينازع فقال أتنازعني يا حارث وقد قتلت حاضرتك وتركتك يتيما في حجور النساء
فقال الحارث ذلك يوم لم أشهده وأنا مغن اليوم بمكاني
قال خالد فهلا تشكر لي إذ قتلت زهير بن جذيمة وجعلتك سيد غطفان
قال بلى أشكرك على ذلك
فخرج الحارث بن ظالم إلى بنت عفزر فشرب عندها وقال لها تغني
(تَعَلَّمْ أَبَيْتَ اللَّعْنَ أنِّيَ فاتكٌ ... من اليومِ أو مِنْ بعدِهِ بابن جَعْفَرِ)
((أخالدُ قد نَبَّهْتَني غيرَ نائمٍ ... فلا تَأْمَنَنْ فَتْكِي يَدَ الدهرِ واحْذَرِ
(أعَيَّرْتَني أنْ نِلْتَ مِنّا فوارِساً ... غداةَ حُراضٍ مثلَ جِنَّانِ عَبْقَرِ)
(أصابهمُ الدَّهرُ الخَتُورُ بِخَتْرِه ... ومَنْ لا يَقِ اللَّهُ الحوادثَ يَعْثُرِ)
(فعلَّكَ يوماً أن تنوءَ بضَرْبةٍ ... بكفِّ فتىً من قومِه غيرِ جَيْدَرِ)
(يُغِصُّ بها عُلْيَا هَوازنَ والمُنَى ... لقاءُ أبي جَزْءٍ بأبيضَ مِبْتَرِ)
قال فبلغ خالد بن جعفر قوله فلم يحفل به
فقال عبد الله بن جعدة وهو ابن أخت خالد وكان رجل قيس رأيا لابنه يا بني ائت أبا جزء فأخبره أن الحارث بن ظالم سفيه موتور فأخف مبيتك الليلة فإنه قد غلبه الشراب
فإن أبيت فاجعل بينك وبينه رجلا ليحرسك
فوضعوا رجلا بإزائه ونام ابن جعدة دون الرجل وخالد من خلف الرجل
وعرف أن ابن عتبة وابن جعدة يحرسان خالدا
فأقبل الحارث فانتهى إلى ابن جعدة فتعداه ومضى إلى الرجل وهو يحسبه خالدا فعجنه بكلكله حتى كسره وجعل يكدمه لا يعقل فخلى عنه والرجل تحته ومضى إلى خالد وهو نائم فضربه بالسيف حتى قتله
فقال لعروة أخبر الناس أني قتلت خالدا
وقال في ذلك
((ألاَ سائِلِ النُّعْمانَ إن كنتَ سائلاً ... وَحيَّ كِلاَبٍ هل فتكتُ بخالدِ
(غَشَوْتُ عليه وابنُ جَعْدةَ دونَه ... وعُرْوةُ يَكْلاَ عمَّه غيرَ راقدِ)
(وقد نَصَبَا رَجْلاً فباشرتُ جَوْزَه ... بكَلْكَلِ مَخْشِيِّ العداوةِ حاردِ)
(فأضربُه بالسَّيفِ يأفُوخَ رأسِه ... فصمّم حتى نال نُوطَ القلائدِ)
(وأفلتَ عبدُ الله منِّي بذُعْرِه ... وعُرْوةُ من بعد ابنِ جَعْدةِ شاهدي)
شعر قيس بن زهير للحارث
حين قتل خالدا
فلما أبت غطفان أن تجيره غضبت لذلك بنو عبس
وبعث إليه قيس بن زهير بن جذيمة بهذه الأبيات
(جزاكَ اللهُ خيراً مِنْ خَلِيلٍ ... شفَى مِن ذي تَبُولته الخليلا)
(أزحتَ بها جوىً ودَخِيلَ حُزْنٍ ... تَمَخَّخَ أعظُمِي زمناً طويلا)
(كسوتَ الجعفريَّ أبا جُزَيْءٍ ... ولم تَحفِلْ به سيفاً صَقِيلا)
(أبأْتَ به زُهَيْرَ بَنِي بَغِيضٍ ... وكنتَ لِمِثْلَها ولها حَمُولا)
(كشفتَ له القِناعَ وكنتَ ممن ... يُجَلِّي العارَ والأمرَ الجليلا)
فأجابه الحارث بن ظالم
(أتانيَ عن قُيَيْسِ بني زُهَيْرٍ ... مقالةُ كاذبٍ ذكرِ التُّبُولاَ)
(فلو كنتم كما قلتم لكنتم ... لقاتلِ ثأركم حِرْزاً أَصِيلا)
(ولكن قلتُم جَاوِرْ سِوَانَا ... فقد جَلَّلْتَنا حَدَثاً جليلا)
(ولو كانوا هُمُ قتلوا أخاكم ... لَمَا طردوا الذي قتَل القَتيلا)
قال ابوعبيدة فلما منعته غطفان لحق بحاجب بن زرارة فأجاره ووعده أن يمنعه من بني عامر
وبلغ بني عامر مكانه في بني تميم فساروا في عليا هوازن
فلما كانوا قريبا من القوم في أول واد من أوديتهم خرج رجل من بني غني ببعض البوادي فإذا هو بامرأة من بني تميم ثم من بني حنظلة تجتني الكمأة فأخذها فسألها عن الخبر فأخبرته بمكان الحارث بن ظالم عند حاجب بن زرارة وما وعده من نصرته ومنعه
فانطلق بها الغنوي الى رحله فانسلت في وسط من الليل فأتى الغنوي الأحوص بن جعفر فأخبره أن المرأة قد ذهبت وقال هي منذرة عليك
فقال له الأحوص ومتى عهدك بها قال عهدي بها والمني يقطر من فرجها
قال وأبيك إن عهدك بها لقريب
وتبع المرأة عامر بن مالك يقص أثرها حتى انتهى إلى بني زرارة والمرأة عند حاجب وهو يقول لها أخبريني أي قوم أخذوك قالت أخذني قوم يقبلون بوجوه الظباء ويدبرون بأعجاز النساء
قال أولئك بنو عامر
قال فحدثيني من في القوم قالت رأيتهم يغدون على شيخ كبير لا ينظر بمأقيه حتى يرفعوا له من حاجبيه
قال ذلك الأحوص بن جعفر
قالت ورأيت شابا شديد الخلق
كأن شعر ساعديه حلق الدرع يعذم القوم بلسانه عذم الفرس العضوض
قال ذلك عتبة بن بشير بن خالد

قالت ورأيت كهلا إذا أقبل معه فتيان يشرف القوم إليه فإذا نطق أنصتوا
قال ذلك عمرو بن خويلد والفتيان ابناه زرعة ويزيد
قالت ورأيت شابا طويلا حسنا إذا تكلم بكلمة أنصتوا لها ثم يؤلون إليه كما تؤل الشول إلى فحلها
قال ذلك عامر بن مالك
قال أبو عبيدة فدعا حاجب الحارث بن ظالم فأخبره برأيه وخبر القوم وقال يا بن ظالم هؤلاء بنو عامر قد أتوك فما أنت صانع
قال الحارث ذلك إليك إن شئت أقمت فقاتلت القوم وإن شئت تنحيت
قال حاجب تنح عني غير ملوم
فغضب الحارث من ذلك وقال
(لَعَمْري لقد جاورتُ في حَيِّ وائلٍ ... ومنْ وائلٍ جاورتُ في حَيِّ تَغْلِبِ)
(فأصبحتُ في حيِّ الأراقم لم يَقُلْ ... لِيَ القومُ يا حارِ بنَ ظالمٍ أذْهَبِ)
(وقد كان ظَنِّي إذ عقلتُ إليكُم ... بني عُدُسٍ ظَنِّي بأصحابِ يَثْرِبِ)
(غداةَ أتاهم تُبَّعٌ في جُنودِهِ ... فلم يُسْلِمُوا المرءَ من حَيٍّ يَحْصُبِ)
(فإنْ تَكُ في عُلْيَا هوازنَ شَوْكَةٌ ... تَخَافُ ففيكم حدُّ نابٍ ومِخْلَبِ)
(وإن يَمْنَعِ المَرْءُ الزُّراريُّ جارَه ... فأعْجِبْ بها من حاجبٍ ثم أعْجِبِ)
فغضب حاجب فقال
(لَعَمْرُ أبيكَ الخَيْرِ يا حارِ إنني ... لأمْنَعُ جاراً من كُلَيْبِ بن وائلِ)
(وقد عِلم الحيُّ المَعَدِّيُّ أنّنا ... على ذاك كنّا في الخطوبِ الأوائلِ)
((وأنّا إذا ما خافَ جارٌ ظُلامَةً ... ليسنا له ثَوْبَيْ وَفاءٍ ونائل
(وأنَّ تميماً لم تُحارِبْ قبيلةً ... من النّاسِ إلا أولعتْ بالكواهل)
(ولو حاربتْنا عامرٌ يا بنَ ظالمٍ ... لَعَضتْ علينا عامرٌ بالأنامل)
(ولاستيقنتْ عُلْيَا هوازنَ أنّنا ... ستُوطِئها في دارِها بالقنابلِ)
(ولكنّني لا أبعث الحربَ ظالماً ... ولو هِجْتُها لم ألْفَ شَحْمَةَ آكل)
قال فتنحى الحارث بن ظالم عن بني زرارة فلحق بعروض اليمامة
ودعا معبدا ولقيطا ابني زرارة فقال سيرا في الظعن فموعدكما رحرحان فإنا مقيمون في حامية الخيل حتى تأتينا بنو عامر
وخرج عامر بن مالك الى قومه بالخبر
فقالوا ما ترى قال أن ندعهم بمكانهم ونسبقهم إلى الظعن
قال فلقوها برحرحان فاقتتلوا قتالا شديدا فأصابوها وأسر معبد وجرح لقيط
فبعثوا بمعبد الى رجل بالطائف كان يعذب الأسرى فقطعه إربا إربا حتى قتله
وقال عامر بن مالك يرد على حاجب قوله
(ألِكْني الى المرءِ الزُّراريَّ حاجبٍ ... رئيس تَميمٍ في الخطوبِ الأوائلِ)
(وفارِسِها في كلِّ يومِ كريهةٍ ... وخيرِ تميمٍ بين جافٍ وناعلِ)
(لَعَمْري لقد دافعتُ عن حي مالكٍ ... شآبيبَ من حَربٍ تَلَقّحُ حائل)
((على كل جَرْداءِ السَّراةِ طِمِرّةٍ ... وأجْرَدَ خوّارِ العِنانِ مُناقِلِ
(نصحتُ له إذ قلتُ إنْ كنتَ لاحقاً ... بقَوْمٍ فلا تَعْدِلْ بأبناء وائل)
(ولو ألجأتْه عُصْبةٌ تَغْلِبيّةٌ ... لَسِرْنا إليهم بالقنا والقَنَابل)
(ولو رُمْتُمُ أن تمنعوه رأيتُمُ ... هناك أموراً غَيُّهَا غيرُ طائل)
(لشابَ وليدُ الحيِّ قبلَ مَشيبِه ... وعَضّتْ تميمٌ كلُّها بالأنامل)
(وقامتْ رجالٌ منكمُ خِنْدِقِّيةٌ ... يُنادون جهراً ليتَنا لم نُقَاتِل)
الحارث يقتل ابن النعمان حين رآه في حجر سلمى بنت ظالم
قال فخرج الحارث بن ظالم من فوره ذلك حتى أتى سلمى بنت ظالم وفي حجرها ابن النعمان فقال لها إنه لن يجيرني من النعمان إلا تحرمي بابنه فادفعيه إلي
وقد كان النعمان بعث إلى جارات للحارث بن ظالم فسباهن فدعاه ذلك الى قتل الغلام فقتله
فوثب النعمان على عم الحارث بن ظالم فقال له لأقتلنك أو لتأتيني بابن أخيك
فاعتذر اليه فخلى عنه
فأقبل ينطلق فقال
(يا حارُ إنّيَ أحْيَا من مُخَبّأةٍ ... وأنت أجْرَأُ من ذي لَبْدةٍ ضاري)
(قد كان بيتيَ فيكم بالعَلاَءِ فقد ... أحْلَلْتَ بيتيَ بين السَّيْلِ والنار)
((مهما أخَفْكَ علي شيءٍ تجيء به ... فلم اخفْكَ على أمثالها حارِ
(ولم أخَفْكَ على لَيْثٍ تُخاتِله ... عَبْلِ الذِّراعَيْن للأقرانِ هَصّار)
(وقد علمتُ بأنّي لن يُنَجِّيَني ... ممّا فعلتَ سوى الإقرارِ بالعارِ)
(فقد عَدَوْتَ على النُّعْمانِ ظالِمَه ... في قتل طِفْلٍ كمثل البَدْرِ مِعْطار)
(فاعلَمْ بأنّك منه غيرُ مُنْفَلِتٍ ... وقد عدوتَ على ضِرْغامةٍ شاري)
وقال الحارث بن ظالم في ذلك
(قِفَا فاسمَعَا أخْبِرْكُما إذْ سألتما ... مُحاربُ مَوْلاهُ وثَكْلانُ نادمُ)
(حَسِبْتَ أبا قابُوسَ أنّكَ سابِقي ... ولَمّا تَذُقْ ثُكْلِي وأنفُكَ راغمُ)
(أخُصْيَيْ حِمارٍ بات يَكْدُمُ نَجْمةً ... أتُؤكَلُ جاراتي وجارُكَ سالم)
(تَمَنَّيْتَهُ جهراً على غير ريبةٍ ... أحاديثُ طَسْمٍ إنما أنت حالم)
(فإنْ تك أذواداً أصبتَ ونسوةً ... فهذا ابنُ سَلْمى أمْرُه متفاقم)

(علوتُ بذي الحَيّاتِ مَفْرِقَ رَأسِه ... وكان سِلاَحِي تجتويه الجماجم
(فتكتُ به فتكاً كفتكي بخالدٍ ... وهل يركب المكروهَ إلا الأكارمُ)
(بدأتُ بهذي ثم أثني بمثلها ... وثالثةٍ تبيضّ منها المَقَادِمُ)
(شَفَيْتُ غَلِيلَ الصدر منه بضربةٍ ... كذلك يأبى المُغْضَبون القَماقِمِ)
فقال النعمان بن المنذر ما يعني بالثالثة غيري
قال سنان بن أبي حارثة المري وهو يومئذ رأس غطفان أبيت اللعن والله ما ذمة الحارث لنا بذمة ولا جاره لنا بجار ولو أمنته ما أمناه
فبلغ ابن ظالم قول سنان بن أبي حارثة فقال في ذلك
(ألاَ أبْلِغ النُّعْمانَ عنِّي رسالةً ... فكيف بخَطّابِ الخُطُوبِ الأعاظِمِ)
(وأنت طَوِيلُ البَغْيِ أبْلَخُ مُعْوِرٌ ... فَزُوعٌ إذا ما خِيفَ إحْدَى العَظَائِمِ)
(فما غَرَّة والمرءُ يُدْرِكُ وَتْرَه ... بأرْوَعَ ماضي الهَمِّ من آل ظالمِ)
(أخِي ثِقةٍ ماضِي الجَنَانِ مُشَيَّعٍ ... كَمِيش التَّوَالِي عند صِدْقِ العَزَائِمِ)
(فأُقْسِمِ لولا من تعرَّضَ دونه ... لَعُولِي بهِنْديّ الحديدةِ صارم)
(فأقْتُلُ أقواماً لِئاماً أذِلَّةً ... يَعَضُّون من غَيْظٍ أصولَ الأباهمِ)
(تمنَّى سِنانٌ ضَلَّةً أن يُخِيفَني ... ويأمَنَ ما هذا بفعل المُسالمِ)
(تمنَّيتَ جهداً أن تَضِيعَ ظُلامتي ... كذبتَ وربِّ الراقصاتِ الرَّواسِمِ)
(يمين امرىء لم يَرْضَع اللُّؤْمَ ثَدْيَه ... ولم تَتَكَنَّفْه عروقُ الألائِمِ
ديهث تستجير بالحارث بن ظالم بعد أن سلبت إبلها
قال فأمنه النعمان وأقام حينا
ثم إن مصدقا للنعمان أخذ إبلا لامرأة من بني مرة يقال لها ديهث فأتت الحارث فعلقت دلوها بدلوه ومعها بني لها فقالت أبا ليلى إني أتيتك مضافة
فقال الحارث إذا أورد القوم النعم فنادي بأعلى صوتك
(دَعَوْتِ باللّه ولم تُراعِي ... ذلك راعيكِ فنعْمَ الرّاعِي)
(وتلك ذودُ الحارث الكِساع ... يمشي لها بصارمٍ قَطّاع)
يَشْفِي به مَجَامِعِ الصُّداع ...) وخرج الحارث في أثرها يقول)
(أنا أبو لَيلَى وسَيْفِي المَعْلُوبْ ... كم قد أجَرْنا من حَرِيبٍ محروب)
(وكم رددْنا من سَلِيبٍ مسلوبْ ... وطَعنةٍ طعنتُها بالمنصوب)
(... ذاك جيهزُ الموت عند المكروبْ)
ثم قال لها لا تَردَنّ عليكِ ناقةٌ ولا بعيرٌ تَعْرفينه إلا أخَذْتِيه ففعلتْ فأتت على لَقُوحٍ لها يحلِبُها حَبَشِيٌّ فقالت يا أبا ليلى هذه لي
فقال الحبشي كذبت
فقال الحارث أرسلها لا أم لك فضرط الحبشي
فقال
الحارث است الحالب أعلم فسارت مثلا
قال أبو عبيدة ففي ذلك يقول في الإسلام الفرزدق
(كما كان أوْفَى إذ يُنادي ابنُ دَيْهَثٍ ... وصِرْمَتُهُ كالمَغْنَمِ المُتَنَهَّبِ)
(فقام أبو ليلَى اليه ابنُ ظالمٍ ... وكان مَتى ما يَسْلُلِ السَّيْفَ يَضْرِبِ)
(وما كان جاراً غيرَ دَلْوٍ تَعلّقتْ ... بحَبْلَيْنِ في مُسْتَحْصِدِ القِدّ مُكْرَبِ)
قال أبو عبيدة حدثني أبو محمد عصام العجلي قال فلما قتل الحارث بن ظالم خالد بن جعفر في جوار الملك خرج هاربا حتى أتى صديقا له من كندة يحل شعبي قال شعبي غير ممدود فلما ألح الأسود في طلب الحارث قال له الكندي ما أرى لك نجاة إلا أن ألحقك بحضرموت ببلاد اليمن فلا يوصل إليك
فسار معه يوما وليلة فلما غربه قال إنني أنقطع ببلاد اليمن فأغترب بها وقد برئت منك خفارتي
فرجع حتى أتى أرض بكر بن وائل فلجأ الى بني عجل بن لجيم فنزل على زبان فأجاره وضرب عليه قبة
وفي ذلك يقول العجلي
(ونحن مَنَعْنا بالرِّماح ابنَ ظالمٍ ... فظلّ يغنِّي آمِناً في خِبائنا)
قال أبو عبيدة فجاءته بنو ذهل بن ثعلبة وبنو عمرو بن شيبان فقالوا أخرج هذا المشؤوم من بين أظهرنا لا يعرنا بشر فإنا لا طاقة لنا بالملحاء
والملحاء كتيبة الأسود فأبت عجل أن تخفره فقاتلوه فامتنعت بنو عجل
فقال الحارث بن ظالم في الكندي وفيهم
(يُكَلِّفُني الكِنْدِيُّ سَيْرَ تَنُوفةٍ ... أكابِدُ فيها كلَّ ذِي صُبَّةٍ مُثْرِي)
الصبة قطعة من الغنم أو بقية منها
(وأقبلَ دُوني جَمْعُ ذُهْلٍ كأنّني ... خَلاَةٌ لِذُهْلٍ والزَّعانِفِ من عَمْرو)
(ودُونِي رَكْبٌ من لُجَيْمٍ مُصَمِّمٌ ... وزَبّانُ جاري والخَفِيرُ على بَكْر)
(لَعَمْرِيَ لا أخشَى ظُلاَمَةَ ظالمٍ ... وسَعْدُ بن عِجْلٍ مُجْمِعون على نَصْرِي)
قال أبو عبيدة ثم قال لهم الحارث إني قد اشتهر أمري فيكم ومكاني وأنا راحل عنكم
فارتحل فلحق بطيىء
فقال الحارث في ذلك
(لَعَمْري لقد حلّتْ بِيَ اليومَ ناقتي ... إلى ناصرٍ من طيّىءٍ غير خاذلِ)
(فأصبحتُ جاراً للمَجَرَّةِ منهمُ ... على باذخٍ يعلو على المُتَطاولِ)

قال أبو عبيدة وحدثني أبو حية ان الأسود حين قتل الحارث خالدا سأل عن أمر يبلغ منه
فقال له عروة بن عتبة إن له جارات من بلي بن عمرو ولا أراك تنال منه شيئا أغيظ له من أخذهن وأخذ أموالهن فبعث الأسود فأخذهن واستاق أموالهن
فبلغ ذلك الحارث فخرج من الحين فانساب في غمار الناس حتى عرف موضع جاراته ومرعى إبلهن فأتى الإبل فوجد حالبين يحلبان ناقة لهن يقال لها اللفاع وكانت لبونا كأغزر الإبل إذا حلبت اجترت ودمعت عيناها وأصغت برأسها وتفاجت تفاج البائل وهجمت في
المحلب هجما حتى تسنمه وتجاوبت أحاليلها بالشخب هثا وهثيما حتى تصف بين ثلاثة محالب
فصاح الحارث بهما ورجز فقال
(إذا سَمِعْتِ حَنَّةَ اللَّفَاعِ ... فَادْعِي أبا لَيْلَى ولا تُرَاعِي)
(ذلكِ راعِيكِ فنِعْمَ الرّاعِي ... يُجِيبُكِ رَحْبَ البَاعِ والذِّرَاعِ)
(... مُنطَّقاً بصارمٍ قَطَّاعِ)
خليا عنها فعرفاه فضرط البائن
فقال الحارث است الضارط أعلم فذهبت مثلا قال الأثرم البائن الحالب الأيمن والمستعلي الحالب الأيسر ثم عمد إلى أموال جاراته والى جاراته فجمعهن ورد أموالهن وسار معهن حتى اشتلاهن أي أنقذهن
رواية في قتله ابن الملك
قال أبو عبيدة ولحق الحارث ببلاد قومه مختفيا
وكانت أخته سلمى بنت ظالم عند سنان بن أبي حارثة المري
قال أبو عبيدة وكان الأسود بن المنذر قد تبنى سنان بن أبي حارثة المري ابنه شرحبيل فكانت سلمى بنت كثير بن ربيعة من بني غنم بن دودان امرأة سنان بن أبي حارثة المري ترضعه وهي أم هرم وكان هرم غنيا يقدر على ما يعطي سائليه
فجاء الحارث وقد كان اندس في بلاد غطفان فاستعار سرج سنان ولا يعلم سنان وهم نزول
بالشربة فأتى به سلمى ابنة ظالم فقال يقول لك بعلك ابعثي بابن الملك مع الحارث حتى أستأمن له ويتخفر به وهذا سرجه آية إليك
فزينته ثم دفعته الى الحارث فأتى بالغلام ناحية من الشربة فقتله ثم أنشأ يقول
(قِفَا فاسمَعَا أخْبِرْكما إذ سألتُما ... مُحاربُ مولاه وثُكْلانُ نادمُ)
ثكلان نادم يعني الأسود لأنه قتل ابنه شرحبيل
محارب مولاه يعني الحارث نفسه ومولاه سنان
(أخُصْيَيْ حِمَارٍ باتَ يَكْدِمُ نجمةً ... أتُؤْكَلُ جاراتي وجارُك سالمُ)
(حَسِبت أبيتَ اللَّعْنَ أنك فائتٌ ... ولمَّا تَذُقْ ثُكْلاً وأنْفُك راغمُ)
(فإن تك أذواداً أصبتَ ونسوةً ... فهذا ابنُ سَلْمَى رأسُهُ مُتفاقِم)
(علوتُ بذي الحيّاتِ مَفْرِقَ رأسِه ... وكان سِلاَحِي تجتويه الجماجم)
(فتكتُ به كما فتكتُ بخالدٍ ... ولا يركَب المكروهَ إلاّ الأكارم)
(بدأتُ بتِلك وانثنيتُ بهذه ... وثالثةٍ تبيضّ منها المَقَادِمُ)
قال ففي ذلك يقول عقيل بن علفة في الإسلام وهو من بني يربوع بن
غيظ بن مرة لما هاجى شبيب بن البرصاء وأبوه يزيد وهو من بني نشبة بن غيظ بن مرة ابن عم سنان بن أبي حارثة فعيره بقتل الحارث بن ظالم شرحبيل لأنه ربيب بني حارثة بن مرة بن نشبة بن غيظ رهط شبيب ففي ذلك يقول عقيل
(قتَلْنا شُرَحْبِيلاً ربيبَ أبيكُم ... بناصيةِ المَغْلُوبِ ضاحِيةً غصْبَا)
(فلم تُنْكِروا أن يَغْمِزَ القومُ جارَكم ... بإحْدَى الدَّوَاهِي ثم لم تَطْلُعُوا نَقْبَا)
قال أبو عبيدة وهرب الحارث فغزا الأسود بني ذبيان إذ نقضوا العهد وبني أسد بشط أريك
قال أبو عبيدة وسألته عنه فقال هما أريكان الأسود والأبيض ولا أدري بأيهما كانت الوقعة
قال أبو عبيدة وقال آخرون إن سلمى امرأة سنان التي أخذ الحارث شرحبيل من عندها من بني أسد
قال فإنما غزا الأسود بني أسد لدفع الأسدية سلمى ابنه إلى الحارث فقتل فيهم قتلا ذريعا وسبى واستاق أموالهم
وفي ذلك يقول الأعشى ميمون
(وشُيوخٍ صَرْعَى بشَطَّيْ أريكٍ ... ونساءٍ كأنَّهن السَّعالِي)
(من نَوَاصِي دُودَانَ إذ نقضوا العهدَ ... وذُبْيانَ والهِجَانِ الغوالِي)
((ربَّ رِفْدٍ هَرَقْتَه ذلكَ اليومَ ... وأسْرَى من مَعْشرٍ أقْتَالِ
(هؤلاَ ثم هؤلاَ كُلاًّ أحْذَيْتَ ... نِعالاً مَحْذُوَّةً بمِثَالِ)
(وأرى مَنْ عصاكَ أصبح مخذولاً ... وكَعْبُ الذي يُطيعك عالي)
قال ووجد نعل شرحبيل عند أضاخ
وهو من الشربة في بني محارب بن خصفة بن قيس عيلان
قال فأحمى لهم الأسود الصفا التي بصحراء أضاخ وقال لهم إني أحذيكم نعالا فأمشاهم على الصفا المحمى فتساقط لحم أقدامهم
فلما كان الإسلام قتل جوشن الكندي رجلا من بني محارب فأقيد به جوشن بالمدينة
وكان الكندي من رهط عباس بن يزيد الكندي فهجا بني محارب فعيرهم بتحريق الأسود أقدامهم فقال
(على عَهْدِ كِسرَى نَعَّلتكم ملوكُنا ... صَفاً من أضَاخٍ حامياً يَتَلَهَّبُ)
قال أبو عبيدة وصار ذلك مثلا يتوعد به الشعراء من هجوه ويحذرونهم مثل ذلك
ومن ذلك أن ابن عتاب الكلبي ورد على بني النوس من جديلة طيىء فسرقوا سهاما له فقال يحذرهم
(بني النوس رُدُّوا أسهُمي إنّ أسهُمِي ... كنَعْلِ شُرَحْبِيلَ التي في مُحَارِبِ)
وقال في الجاهلية ابن أم كهف الطائي في مدحه لمالك بن حمارالشمخي فذكر نعل شرحبيل فقال

(ومولاك الذي قتل ابنَ سَلْمَى ... عَلانِيةً شُرَحْبِيلَ ابن نَعْل)
لأنه لولا النعل لم يعرف وإنما عرف بما صنع أبوه ببني محارب من أجل نعله التي وجدت في بني محارب
قال أبو عبيدة وأخذ الأسود سنان بن أبي حارثة فأتاه الحارث بن سفيان أحد بني الصارد وهو الحارث بن سفيان بن مرة بن عوف بن الحارث بن سفيان أخو سيار بن عمرو بن جابر الفزاري لأمه فاعتذر الى الأسود أن يكون سنان بن أبي حارثة علم أو اطلع ولقد كان أطرد الحارث من بلاد غطفان وقال علي دية ابنك ألف بعير دية الملوك فحملها إياه وخلى عن سنان فأدى الى الأسود منها ثمانمائة بعير ثم مات
فقال سيار بن عمرو أخوه لأمه أنا أقوم فيما بقي مقام الحارث بن سفيان
فلم يرض به الأسود
فرهنه سيار قوسه فأدى البقية
فلما مدح قراد بن حنش الصاردي بني فزارة جعل الحمالة كلها لسيار بن عمرو فقال
(ونحن رَهَنَّا القَوسَ ثُمَّتَ فُودِيت ... بِألْفٍ على ظَهْرِ الفَزَارِيِّ أَقْرَعَا)
(بِعَشْرِ مِئِينٍ للملوكِ سَعَى بها ... لِيُوفيَ سَيَّارُ بنُ عمروٍ فأسْرَعا)
(رَمَيْنَا صَفَاهُ بالمِئين فأصبحتْ ... ثَنَايَاه للساعين في المَجْدِ مَهْيَعَا)
قال ويقال بل قالها ربيع بن قعنب فرد عليه قراد فقال
(ما كان ثَعْلَبُ ذِي عاجٍ لِيَحْمِلَها ... ولا الفَزَارِيُّ جُوفَانُ بنِ جُوفَان)
(لكن تَضَمَّنها ألْفاً فأخرجها ... على تَكَالِيفِها حارُ بنُ سُفْيانِ)
وقال عويف القوافي بن عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر في الإسلام يفخر على أبي منظور الوبري حين هاجاه أحد بني وبر بن كلاب
(فهل وجدتم حاملاً كَحَامِلِي ... إذ رَهَنَ القَوْسَ بألفٍ كامل)
(بدِيَةِ ابنِ الملكِ الحُلاَحِلِ ... فافتكّها من قبل عامٍ قابل)
(... سَيَّارٌ المُوفِي بها ذو السائل)
لحوق الحارث ببني دارم بعد قتله شرحبيل
قال أبو عبيدة فلما قتل الحارث شرحبيل لحق ببني دارم فلجأ الى بني ضمرة
قال وبنو عبد الله بن دارم يقولون بل جاور معبد بن زرارة فأجاره فجر جواره يوم رحرحان وجر يوم رحرحان يوم جبلة وطلبه الأسود بن المنذر بخفرته
فلما بلغه نزوله ببني دارم أرسل فيه إليهم أن يسلموه فأبوا
فقال يمن على بني قطن بن نهشل بن دارم بما كان من النعمان بن المنذر في أمر بني رشية وهي رميلة حين طلبهم من لقيط بن زرارة حتى أستنقذهم
ورشية أمة كانت لزرارة بن عدس بن زيد المجاشعي فوطئها رجل من بني نهشل فأولدها وكان زرارة يأتي بني نهشل يطلب الغلمة التي ولدت وولدت الأشهب بن رميلة والرباب بن رميلة وغيرهما وكانوا يسمعونه ما يكره فيرجع الى ولده فيقول أسمعني بنو عمي خيرا وقالوا سنبعث بهم إليك عاجلا حتى مات زرارة
فقام لقيط ابنه بأمرهم فلما أتاهم أسمعوه ما كره ووقع بينهم شر
فذهب النهشلي إلى الملك فقال أبيت اللعن لا تصلني وتصل قومي بأفضل من طلبتك إلى لقيط الغلمة ليكف عني فدعاه فشرب معه ثم استوهبهم منه فوهبهم له
فقال الأسود بن المنذر في ذلك
(كَأَيِّنْ لنا من نِعْمَةٍ في رِقابكم ... بني قَطَنٍ فضلاً عليكم وأنْعُمَا)
(وكَمْ مِنَّةٍ كانتْ لنا في بُيوتكم ... وقَتْل كَرِيمٍ لم تَعُدُّوه مغرمَا)
(فإنكُم لا تمنَعون ابنَ ظالم ... ولم يمس بالأيدِي الوَشِيجَ المُقَوَّما)
فأجابه ضمرة بن ضمرة فقال
(سَنَمْنَع جاراً عائذاً في بيوتكم ... بأسيافنا حتى يؤوبَ مُسَلَّمَا)
(إذا ما دَعَوْنَا دَارماً حالَ دونه ... عَوَابِسُ يَعْلُكْنَ الشَّكِيمَ المُعَجَّمَا)
(ولو كنتَ حَرْباً ما وردتَ طُوَيْلِعاً ... ولا حَوْفَه إلاّ خَمِيساً عَرَمْرَماً)
(تركتَ بني ماءِ السماءِ وفِعْلَهم ... وأشبهتَ تَيْساً بالحِجاز مُزَنَّما)
(ولن أذْكُرَ النُّعْمانَ إلاّ بصالحٍ ... فإنّ له فضلاً علينا وأنْعُمَا)
قال وبلغ ذلك بني عامر فخرج الأحوص غازيا لبني دارم طالبا بدم أخيه خالد بن جعفر حين انطووا على الحارث وقاموا دونه فغزاهم فالتقوا برحرحان فهزمت بنو دارم وأسر معبد بن زرارة فانطلقوا به حتى مات في أيديهم وحديثه في يوم رحرحان يأتي بعد
ثم أسر بنو هزان الحارث بن ظالم
وقال أبو عبيدة خرج الحارث من عندهم فجعل يطوف في البلاد حتى سقط في ناحية من بلاد ربيعة ووضع سلاحه وهو في فلاة ليس فيها أثر ونام فمر به نفر من بني سعد قيس بن ثعلبة ومعهم قوم من بني هزان من عنزة وهو نائم فأخذوا فرسه وسلاحه ثم أوثقوه فانتبه وقد شدوه فلا يملك من نفسه شيئا
فسألوه من أنت فلم يخبرهم وطوى عنهم الخبر فضربوه ليقتلوه على أن يخبرهم من هو فلم يفعل
فاشتراه القيسيون من الهزانيين بزق خمر وشاة ويقال أشتراه رجل من بني سعد بإغلاق بكرة وعشرين من الشاء ثم انطلقوا به إلى بلادهم
فقالوا له من أنت وما حالك فلم يخبرهم
فضربوه ليموت فأبى
قال وهو قريب من اليمامة
قال فبينما هم على تلك الحال وهم يريغونه ضربا مرة وتهددا أخرى ولينا مرة ليخبرهم بحاله
وهو يأبى حتى ملوه فتركوه في قيده حتى انفلت ليلا فتوجه نحو اليمامة وهي قريب منه فلقي غلمة يلعبون فنظر إلى

غلام منهم أخلقهم للخير عنده فقال من أنت قال أنا بجير بن أبجر العجلي وله ذؤابة يومئذ وأمه امرأة قتادة بن مسلمة الحنفي
فأتاه وأخذ بحقويه والتزمه وقال أنا لك جار
فيقال إن عجلا أجارته في هذا اليوم لا في اليوم الأول
الذي ذكرناه في أول الحديث
فأتى الغلام أباه فأخبره وأجاره وقال ائت عمك قتادة بن مسلمة الحنفي فأخبره فأتى قتادة فأخبره فأجاره
قال أبو عبيدة وأما فراس فزعم أنه أفلت من بني قيس فأقبل شدا حتى أتى اليمامة واتبعوه حتى انتهى إلى نادي بني حنيفة وفيه قتادة بن مسلمة
فلما رأوه يهوي نحوهم قال إن هذا لخائف وبصر بالقوم خلفه فصاح به الحصن الحصن فأقبل حتى ولج الحصن
وجاءت بنو قيس فحال دونه وقال لو أخذتموه قبل دخوله الحصن لأسلمته إليكم فأما إذ تحرم بي فلا سبيل إليه
قال فقالوا أسيرنا أشتريناه بأموالنا وما هو لك بجار ولا تعرفه وإنما أتاك هاربا من أيدينا ونحن قومك وجيرتك
قال أما أن أسلمه أبدا فلا يكون ذلك ولكن اختاروا مني إن شئتم فانظروا ما اشتريتموه به فخذوه مني وإن شئتم أعطتيه سلاحا كاملا وحملته على فرس ودعوه حتى يقطع الوادي بيني وبينه ثم دونكموه
فقالوا رضينا
فقال ذلك للحارث فقال نعم
فألبسه سلاحا كاملا وحمله على فرسه وقال له إن أفلتهم فرد إلي الفرس والسلاح لك
قال فخرج وتركوه حتى جاز الوادي ثم أتبعوه ليأخذوه فلم يزل يقاتلهم ويطاردهم حتى ورد بلاد بني قشير وهو قريب من اليمامة أيضا بينهما أقل من يوم
فلما صار إلى بلاد بني قشير يئسوا منه فرجعوا عنه
وعرفه بنو قشير فانطووا عليه وأكرموه
ورد إلى قتادة بن مسلمة فرسه وأرسل إليه بمائة من الإبل لا أدري أأعطاه إياها بنو قشير من أموالهم ليكافىء بها قتادة أم كانت له لم يفسر أبو عبيدة أمرها ولا سألته عنها
فقال الحارث بن ظالم في ابني حلاكة وهما من الذين باعوه من القيسيين وفيما كان من أمره قال أبو عبيدة ويقال أسره راعيان من بني هزان يقال لهما ابنا حلاكة
((أَبْلِغْ لديكَ بني قَيْسٍ مُغَلْغَلَةً ... أَنِّي أُقَسِّمُ في هِزّانَ أرباعَا
(ابنَا حُلَاكَةَ باعاني بِلا ثَمَنٍ ... وباع ذو آل هِزانٍ بما باعا)
(يا بْنَيْ حُلَاكَةَ لمّا تَأْخُذَا ثمني ... حتّى أُقَسِّمَ أفراساً وأدراعا)
قَتادةُ الخَيْرِ نالتني حَذِيّتُه ... وكان قِدْماً إلى الخيراتِ طَلَّاعا) وقال في ذلك أيضا
(هَمَّتْ عُكَابَةُ أن تَضِيمَ لجيما ... فأبتْ لُجَيْمَ ما تقولُ عُكَابَهْ)
(فأسْقِي بُجَيْراً من رَحِيقٍ مُدَامةٍ ... واسْقِي الخفِيرَ وطَهِّري أثوابَهْ)
(جاءتْ حَنِيفةُ قبل جَيْئةِ يَشْكُرٍ ... كُلّاً وَجدْنا أوْفِيَاءَ ذُؤَابَهْ)
وزعم أبو عبيدة أن الحارث لما هزمت بنو تميم يوم رحرحان مر برجل من بني أسد بن خزيمة فقال ياحار إنك مشؤوم وقد فعلت فانظر إذا كنت بمكان كذا وكذا من برقة رحرحان فإن لي به جملا أحمر فلا تعرض له
وإنما يعرض له ويكره أن يصرح فيبلغ الأسود فيأخذه
فلما كان الحارث بذلك المكان أخذ الجمل فنجا عليه وإذا هو لا يساير من أمامه ولا يسبق من ورائه
فبلغ ذلك الأسود فأخذ الأسود الأسدي وناسا من قومه
وبلغ ذلك الحارث بن ظالم فقال كأنه يهجوهم لئلا يتهمهم الأسود
(أَرَانِي اللهُ بالنَّعمِ المُنَدَّى ... بِبُرْقةِ رَحْرَحانَ وقد أراني)
(لِحيٍّ الأنكدِينَ وحيِّ عَبْسٍ ... وحيِّ نَعَامةٍ وبني غُدَانِ)
قال فلما بلغ قوله الأسود خلى عنهم
ولحق الحارث بمكة وانتمى إلى قريش وذلك قوله
(وما قَوْمِي بثَعْلَبةَ بن سَعْدٍ ... ولا بفَزَارةَ الشُّعْرِ الرِّقَابَا)
(وقَوْمِي إنْ سألتِ بنو لُؤَيٍّ ... بمكّةَ عَلَّمُوا مُضَرَ الضِّرَابا)
قال فزوده وحمله رواحة الجمحي على ناقة فذلك قوله
(وهَشَّ رَوَاحةُ الجُمَحِيُّ رَحْلِي ... بناجيةٍ ولم يَطْلُبْ ثَوَابَا)
(كأنّ الرَّحْلَ والأنساعَ منها ... وميثَرتي كُسِينَ أَقَبَّ جَابَا)
خبر مقتله
يروى حش وهش وهما لغتان
وحش سوى قال فلحق الحارث بالشام بملك من ملوك غسان يقال هو النعمان ويقال بل هو يزيد بن عمرو الغساني فأجاره
وكانت للملك ناقة محماة في عنقها مدية وزناد وصرة ملح وإنما يختبر بذلك رعيته هل يجترىء عليه أحد منهم
ومع الحارث أمرأتان فوحمت إحدى امرأتيه قال أبو عبيدة وأصابت الناس سنة شديدة فطلبت الشحم إليه
قال ويحك وأنى لي بالشحم والودك
فألحت عليه فعمد إلى الناقة فأدخلها بطن واد فلب في سبلتها أي
طعن
فأكلت امرأته ورفعت ما بقي من الشحم في عكتها
قال وفقدت الناقة فوجدت نحيرا لم يؤخذ منها إلا السنام فأعلموا ذلك الملك وخفي عليهم من فعله
فأرسل إلى الخمس التغلبي وكان كاهنا فقال من نحر الناقة فذكر أن الحارث نحرها
فتذمم الملك وكذب عنه

فقال إن أردت أن تعلم علم ذلك فدس امرأة تطلب إلى امرأته شحما ففعل
فدخل الحارث وقد أخرجت امرأته إليها شحما فعرف الداء فقتلها ودفنها في بيته
فلما فقدت المرأة قال الخمس غالها ما غال الناقة فإن كره الملك أن يفتشه عن ذلك فليأمر بالرحيل فإذا ارتحل بحث بيته ففعل
واستثار الخمس مكان بيته فوثب عليه الحارث فقتله فأخذ الحارث فحبس
فاستسقى ماء فأتاه رجل بماء فقال أتشرب فأنشأ الحارث يقول
(لقد قال لي عند المجَاهِدِ صاحبي ... وقد حِيلَ دون العَيْشِ هل أنت شاربُ)
(وَدِدْتُ بأطرافِ البَنَانِ لَوَ انَّنِي ... بذي أُرْوَنَى تَرْمِي ورائي الثَّعَالِبُ)
الثعالب من مرة وهم رماة
أروني مكان
وقال مرة أخرى الثعالب بنو ثعلبة
يقول كانوا يرمون عني ويقومون بأمري قال فأمر الملك بقتله
فقال إنك قد أجرتني فلا تغدرني
فقال لا ضير إن غدرت بك مرة فقد غدرت بي مرارا
فأمر مالك بن الخمس التغلبي أن يقتله بأبيه
فقال يا بن شر الأظماء أنت تقتلني فقتله
وقال ابن الكلبي لما قام ابن الخمس إلى الحارث ليقتله قال من أنت قال ابن الخمس قال أنت ابن شر الأظماء
قال وأنت ابن شر الأسماء فقتله
فقال رجل من ضري وهم حي من جرهم يرثي الحارث بن ظالم
((يا حار حِنِّيًّا ... حُرّاً قُطَامِيّا
(ما كنت ترْعِيّا ... في البيت ضِجْعِيّا)
(أدْعَى لُباخِيًّا ... مُمَلَّأً عِيًّا)
وأخذ ابن الخمس سيف الحارث بن ظالم المعلوب فأتى به سوق عكاظ في الحرم فجعل يعرضه على البيع ويقول هذا سيف الحارث بن ظالم فاستراه إياه قيس بن زهير بن جذيمة فأراه إياه فعلاه به حتى قتله في الحرم
فقال قيس بن زهير يرثي الحارث بن ظالم
(ما قَصرتْ من حاضنٍ سِتْرَ بَيْتِها ... أبرَّ وأوْفَى منك حَارِ بنَ ظالمِ)
(أعَزَّ وأحْمَى عند جارٍ وذِمَّةٍ ... وأضْرَبَ في كابٍ من النَّقْعِ قاتم)
هذه رواية أبي عبيدة والبصريين
وأما الكوفيون فإنهم يذكرون أن النعمان بن المنذر هو الذي قتله
أخبرني بذلك علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أبو سعيد عن محمد بن حبيب عن ابن الاعرابي عن المفضل قال لما هرب الحارث إلى مكة أسف النعمان بن المنذر على فوته إياه فلطف له وراسله وأعطاه الأمان وأشهد على نفسه وجوه العرب من ربيعة ومضر واليمن أنه لا يطلبه بذحل ولا يسوءه في حال وأرسل به مع جماعة ليسكن الحارث اليهم وأمرهم أن يتكفلوا له بالوفاء ويضمنوا له عنه أنه لا يهيجه ففعلوا ذلك
وسكن إليه الحارث فأتى النعمان وهو في قصر بني مقاتل فقال للحاجب استأذن لي والناس يومئذ عند النعمان متوافرون
فآستأذن له فقال النعمان ائذن له وخذ سيفه
فقال له ضع سيفك وادخل
فقال الحارث ولم أضعه قال ضعه فلا بأس عليك
فلما ألح عليه وضعه ودخل ومعه الأمان
فلما دخل قال أنعم صباحا أبيت اللعن
قال لا أنعم الله صباحك
فقال الحارث هذا كتابك
قال النعمان كتابي والله ما أنكره أنا كتبته لك وقد غدرت وفتكت مرارا فلا ضير أن غدرت بك مرة
ثم نادى من يقتل هذا فقام ابن الخمس التغلبي وكان الحارث فتك بأبيه فقال أنا أقتله
وذكر باقي الخبر في قصته مع ابن الخمس مثل ما ذكر أبو عبيدة

خبر الحارث وعمرو بن الإطنابة

وإنما ذكر هاهنا لاتصاله بمقتل خالد بن جعفر ولأن فيما تناقضاه من الأشعار أغاني صالح ذكرها في هذا الموضع
قال أبو عبيدة كان عمرو بن الإطنابة الخزرجي ملك الحجاز ولما بلغه قتل الحارث بن ظالم خالد بن جعفر وكان خالد مصافيا له غضب لذلك غضبا شديدا وقال والله لو لقي الحارث خالدا وهو يقظان لما نظر إليه ولكنه قتله نائما ولو أتاني لعرف قدره ثم دعا بشرابه ووضع التاج على رأسه ودعا بقيانه فتغنين له
(عَلِّلانِي وعَلِّلاَ صاحِبَيَّا ... وأسْقِيَانِي مِنَ المُرَوَّقِ رِيَّا)
(إنّ فينا القِيَانَ يَعْزِفْنَ بالدُّفِّ ... لِفِتْيانِنا وعيشاً رَخِيّاً)
(يَتَبارَيْنَ في النَّعِيمِ ويَصْبُبْنَ خِلالَ القُرونِ مِسكاً ذَكِيّا)
(إنّما هَمُّهنّ أنْ يتَحلَّن ... سُمُوطاً وسُنْبُلاً فَارِسيّا)
(من سُموطِ المَرْجانِ فُصِّلَ بالشَّذْرِ ... فأحْسِنْ بِحَلْيِهِنّ حُلِيّا)
(وفتىً يَضرِبُ الكَتِيبةَ بالسَّيْفِ ... إذا كانتِ السيوفُ عِصِيّا)
((إنّنا لا نُسَرُّ في غيرِ نَجْدٍ ... إنّ فِينا بها فتىً خَزْرَجِيّا
(يدفَعُ الضَّيْمَ والظُّلاَمةَ عنها ... فَتَجافَيْ عنه لنا يامَنِيّا)
(أبْلِغ الحارثَ بنَ ظالمٍ الرِّعدِيدَ ... والناذِرَ النُّذُورِ عَلَيّا)

(أنما يَقْتُل النِّيَامَ ولا يقتلُ ... يَقْظانَ ذا سلاحِ كَمِيّا)
(ومَعِي شِكَّتي مَعَابِلُ كالجَمْرِ ... وأعددتُ صَارماً مَشْرَفِيّا)
(لو هبطتَ البلادّ أنْسيتُك القتلَ ... كما يُنْسِيء النَّسِيء النَّسِيا)
شعر الحارث بعد أن انخذل عمرو عنه
قال فلما بلغ الحارث شعره هذا ازداد حنقا وغيظا فسار حتى أتى ديار بني الخزرج ثم دنا من قبة عمرو بن الإطنابة ثم نادى أيها الملك أغثني فإني جار مكثور وخذ سلاحك فأجابه وخرج معه
حتى إذا برز له عطف عليه الحارث وقال أنا أبو ليلى فاعتركا مليا من الليل
وخشي عمرو أن يقتله الحارث فقال له يا حار إني شيخ كبير وإني تعتريني سنة فهل لك في تأخير هذا الأمر إلى غد فقال هيهات ومن لي به في غد فتجاولا ساعة ثم ألقى عمرو الرمح من يده وقال يا حار ألم أخبرك أن النعاس قد يغلبني قد سقط رمحي فاكفف فكف
قال أنظرني إلى غد
قال لا أفعل
قال فدعني آخذ رمحي
قال خذه
قال أخشى أن تعجلني عنه أو تفتك بي إذا أردت أخذه
قال وذمة ظالم لا أعجلتك ولا قاتلتك ولا
فتكت بك حتى تأخذه
قال وذمة الإطنابة لا آخذه ولا أقاتلك
فانصرف الحارث إلى قومه وقال مجيبا له
(اِعزِفَا لي بلَذّةٍ قَيْنَتَيّا ... قبلَ أن يُبْكِرَ المنونُ عَلَيّا)
(قبلَ أن يُبْكِرَ العواذلُ إنِّي ... كنتُ قِدْماً لأمْرِهِنّ عَصِيّا)
(ما أُبالِي أراشداً فأصْبَحَانِي ... حَسِبتْني عَوَاذِلِي أم غَوِيّا)
(بعدَ ألاَّ أُصِرَّ لله إنَّما ... في حياتي ولا أخونَ صَفِيّا)
(من سُلافٍ كأنها دمُ ظَبْيٍ ... في زُجَاجٍ تخالُه رَازِقِيا)
(بلغتْنا مقالةُ المرءِ عمرو ... فأنِفْنا وكان ذاك بَدِيّا)
(قدِ هَمَمْنا بقتلِه إذ بَرَزْنا ... ولَقِيناهُ ذا سِلاَحٍ كَمِيّا)
(غيرَ ما نائمٍ تعلّلَ بالحُلْمِ ... مُعِدّا بكَفِّه مَشْرَفِيّا)
(فَمَنَنَّا عليه بعد عُلُوٍّ ... بوفاءٍ وكنتُ قِدْماً وَفِيّا)
(ورجعنا بالصَّفْح عنه وكان ... المَنُّ منا عليه بعدُ تَلِيّا)
نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني منها في شعر عمرو بن الإطنابة
صوت
(عَلِّلانِي وعَلِّلاَ صاحِبَيَّا ... وأسْقِيَانِي مِنَ المُرَوَّقِ رِيّا)
(إنّ فينا القِيَانَ يعزفن بالدفِّ ... لفِتْيانِنا وعيشاً رَخِيّا)
غنته عزة الميلاء من رواية حماد عن أبيه خفيف رمل بالوسطى
قال حماد أخبرني أبي قال بلغني أن معبدا قال دخلت على جميلة وعندها عزة الميلاء تغنيها لحنها في شعر عمرو بن الإطنابة الخزرجي
(... عَلِّلاني وعللا صاحبيّا)
على معزفة لها وقد أسنت فما سمعت قط مثلها وذهبت بعقلي وفتنتني فقلت هذا وهي كبيرة مسنة فكيف بها لو أدركتها وهي شابة وجعلت أعجب منها
ومنها في شعر الحارث بن ظالم
صوت
(ما أُبالي إذا اصطبحتُ ثلاثاً ... أرشيداً حَسِبْتَني أمِ غَوِيّا)
(مِن سُلَافٍ كأنها دمُ ظَبْيٍ ... في زُجاجٍ تخالُه رَازقِيّا)
غناه فليح بن أبي العوراء رملا بالبنصر عن عمرو بن بانة
وغناه ابن محرز خفيف ثقيل أول بالخنصر من رواية حبش ومنها
صوت
(بلغتْنا مقالةُ المرءِ عمرو ... فأنِفْنا وكان ذاك بَدِيّا)
(قد هَمَمْنا بقتلِه إذ بَرَزْنا ... ولَقِيناه ذا سَلاحٍ كَمِيّا)
غناه مالك خفيف رمل بالبنصر من رواية حبش وذكر اسحاق في مجرده أن الغناء في هذين البيتين ليونس الكاتب ولم ينسب الطريقة ولا جنسها
ونذكر ها هنا خبر رحرحان ويوم قتله إذ كان مقتل الحارث وخبره خبرهما
يوم رحرحان الثاني
أخبرني علي بن سليمان ومحمد بن العباس اليزيدي في كتاب النقائض قالا قال أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري عن محمد بن حبيب عن أبي عبيدة قال
كان من خبر رحرحان الثاني أن الحارث بن ظالم المري لما قتل خالد بن جعفر بن كلاب غدرا عند النعمان بن المنذر بالحيرة هرب فأتى زرارة بن عدس فكان عنده وكان قوم الحارث قد تشاءموا به فلاموه وكره أن يكون لقومه زعم عليه والزعم المنة فلم يزل في بني تميم عند زرارة حتى لحق بقريش وكان يقال إن مرة بن عوف من لؤي بن غالب وهو قول الحارث بن ظالم ينتمي إلى قريش
(رفعتُ السَّيْفَ إذ قالوا قُرَيْشٌ ... وبَيَّنْتُ الشَّمائلَ والقِبَابَا)

(فما قوْمِي بثَعْلَبَةَ بن سَعْدٍ ... ولا بفَزَارةَ الشُّعْر الرِّقابَا)
وأتاهم لذلك النسب فكان عند عبد الله بن جدعان
فخرجت بنو عامر
إلى الحارث بن ظالم حيث لجأ إلى زرارة وعليهم الأحوص بن جعفر فأصابوا امرأة من بني تميم وجدوها تحتطب وكان في رأس الخيل التي خرجت في طلب الحارث بن ظالم شريح بن الأحوص وأصابوا غلمانا يجتنون الكمأة
وكان الذي أصاب تلك المرأة رجلا من غني فأرادت بنو عامر أخذها منه فقال الأحوص لا تأخذوا أخيذة خالي
وكانت أم جعفر يعني أبا الأحوص خبية بنت رياح الغنوي وهي إحدى المنجبات
ويقال أتى شريح بن الأحوص بتلك المرأة إليه فسألها عن بني تميم فأخبرتهم أنهم لحقوا بقومهم حين بلغهم مجيئكم فدفعها الأحوص إلى الغنوي فقال اعفجها الليلة واحذر أن تنفلت فوطئها الغنوي ثم نام فذهبت على وجهها
فلما أصبح دعوا بها فوجدوها قد ذهبت
فسألوه عنها فقال هذا حري رطبا من زبها
وكانت المرأة يقال لها حنظلة وهي بنت أخي زرارة بن عدس
فأتت قومها فسألها عمها زرارة عما رأت فلم تستطع أن تنطق فقال بعضهم اسقوها ماء حارا فإن قلبها قد برد من الفرق ففعلوا وتركوها حتى اطمأنت فقالت يا عم أخذني القوم أمس وهم فيما أرى يريدونكم فاحذر أنت وقومك
فقال لا بأس عليك يا بنت أخي فلا تذعري قومك ولا تروعيهم وأخبريني ما هيئة القوم وما نعتهم
قالت أخذني قوم يقبلون بوجوه الظباء ويدبرون بأعجاز النساء
قال زرارة أولئك بنو عامر فمن رأيت فيهم قالت رأيت رجلا قد سقط حاجباه على عينيه فهو يرفع حاجبيه صغير العينين عن أمره يصدرون
قال ذاك الأحوص بن جعفر
قالت ورأيت رجلا قليل المنطق إذا تكلم اجتمع القوم لمنطقه كما تجتمع الإبل لفحلها وهو من أحسن الناس وجها ومعه ابنان له لا يدبر أبدا إلا وهما يتبعانه ولا يقبل إلا وهما بين يديه
قال ذلك مالك بن جعفر وابناه
عامر وطفيل
قالت ورأيت رجلا أبيض هلقامة جسيما والهلقامة الأفوه وقال ذلك ربيعة بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب
قالت ورأيت رجلا أسود أخنس قصيرا إذا تكلم عذم القوم عذم المنخوس
قال ذلك ربيعة بن قرط بن عبد بن أبي بكر بن كلاب
قالت ورأيت رجلا صغير العينين أقرن الحاجبين كثير شعر السبلة يسيل لعابه على لحيته إذا تكلم
قال ذلك حندج بن البكاء
قالت ورأيت رجلا صغير العينين ضيق الجبهة طويلا يقود فرسا له معه جفير لا يجاوز يده
قال ذلك ربيعة بن عقيل
قالت ورأيت رجلا آدم معه ابنان له حسنا الوجه أصبهان إذا أقبلا نظر القوم إليهما حتى ينتهيا وإذا أدبرا نظروا إليهما
قال ذلك عمرو بن خويلد بن نفيل بن عمرو بن كلاب وابناه يزيد وزرعة
ويقال قالت ورأيت فيهم رجلين أحمرين جسيمين ذوي غدائر لا يفترقان في ممشى ولا مجلس فإذا أدبرا اتبعهما القوم بأبصارهم وإذا أقبلا لم يزالوا ينظرون إليهما حتى يجلسا
قال ذانك خويلد وخالد ابنا نفيل
قالت ورأيت آدم جسيما كأن رأسه مجز غضورة والغضورة حشيش دقاق خشن قائم يكون بمكة
تريد أن شعره قائم خشن كأنه حشيش قد جز
قال ذلك عوف بن الأحوص
قالت ورأيت رجلا كأن شعر فخذيه حلق الدروع
قال ذلك شريح بن الأحوص
قالت ورأيت رجلا أسمر طويلا يجول في القوم كأنه غريب
قال ذلك عبد الله بن جعدة
ويقال قالت ورأيت رجلا
كثير شعر الرأس صخابا لا يدع طائفة من القوم إلا أصخبها
قال ذلك عبد الله بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة
فسارت بنو عامر نحوهم والتقوا برحرحان وأسر يومئذ معبد بن زرارة أسره عامر بن مالك واشترك في أسره طفيل بن مالك ورجل من غني يقال له أبو عميلة وهو عصمة بن وهب وكان أخا طفيل بن مالك من الرضاعة
وكان معبد بن زرارة رجلا كثير المال
فوفد لقيط بن زرارة على عامر بن مالك في الشهر الحرام وهو رجب وكانت مضر تدعوه الأصم لأنهم كانوا لا يتنادون فيه يا لفلان ويا لفلان ولا يتغازون ولا يتنادون فيه بالشعارات وهو أيضا منصل الأل
والأل الأسنة كانوا إذا دخل رجب أنصلوا الأسنة من الرماح حتى يخرج الشهر
وسأل لقيط عامرا أن يطلق أخاه
فقال أما حصتي فقد وهبتها لك ولكن أرض أخي وحليفي اللذين اشتركا فيه
فجعل لقيط لكل واحد مائة من الإبل فرضيا وأتيا عامرا فأخبراه
فقال عامر للقيط دونك أخاك فأطلق عنه فلما أطلق فكر لقيط في نفسه فقال أعطيهم مائتي بعير ثم تكون لهم النعمة علي بعد ذلك لا والله لا أفعل ذلك ورجع إلى عامر فقال إن أبي زرارة نهاني أن أزيد على مائة دية مضر فإن أنتم رضيتم أعطيتكم مائة من الإبل
فقالوا لا حاجة لنا في ذلك فانصرف لقيط
فقال له معبد مالي يخرجني من أيديهم

فأبى ذلك عليه فقال إذا يقتسم العرب بني زرارة
فقال معبد لعامر بن مالك يا عامر أنشدك الله لما خليت سبيلي فإنما يريد ابن الحمراء أن يأكل كل مالي ولم تكن أمه أم لقيط
فقال له عامر أبعدك الله إن لم يشفق عليك أخوك فأنا أحق ألا أشفق عليك
فعمدوا إلى معبد فشدوا عليه القد وبعثوا به إلى الطائف فلم يزل به حتى مات
فذلك قول شريح بن الأحوص
(لَقِيطٌ وأنت امرؤٌ ماجِدٌ ... ولكنّ حِلْمَكَ لا يَهْتدِي
(ولَمّا أَمِنْتَ وساغ الشَّرابُ ... واحتلّ بيتُك في ثَهْمَدِ)
(رفعتَ برِجْلَيْكَ فوق الفِراشِ ... تُهْدِي القصائدَ في مَعْبَد)
(وأسلمتَه عند جِدِّ القِتَالِ ... وتبخَل بالمالِ أن تَفْتَدِي)
وقال في ذلك عوف بن عطية بن الخرع التيمي يعير لقيط بن زرارة
(هَلاَّ فَوارسَ رَحْرَحانَ هَجَوْتَهم ... عُشَراً تَنَاوَحُ في سَرَارَةِ وَاد)
(لا تأكُلِ الإبلُ الغِراثُ نَباتَه ... ما إن يقومُ عِمادُه بعِمَادِ)
(هَلاَّ كَرَرْتَ على أَخِيكَ مَعْبَدٍ ... والعامريُّ يقودُه بصِفَادِ)
(وذكرتَ من لَبَن المُحَلَّق شَرْبَةً ... والخيلُ تعدو بالصِّفَاحِ بَدَاد)
بداد متفرقة
والصفاح موضع
والمحلق موسومة بحلق على وجوهها
يقول ذكرت لبنها يعني إبله
(لو كنتَ إذ لا تستطيعُ فديتَه ... بهجانِ أُدْمٍ طارف وتلاَدِ)
(لكنْ تَرَكْتَهُ في عَميقٍ قَعْرُها ... جَزَراً لخامعةٍ وطيرٍ عَوَادِ
(لو كنتَ مُستَحِياً لِعرْضِكَ مَرَّةً ... قاتلتَ أو لَفَدَيْتَ بالأذواد)
وفيها يقول نابغة بني جعدة
(هَلاَ سألتَ بيومَيْ رَحْرَحانَ وقد ... ظَنّتْ هَوَازِنُ أنّ العِزّ قد زَالاَ)
بعض ما قاله الشعراء في يوم رحرحان
وفيها يقول مقدام أخو بني عدس بن زيد في الإسلام وقتلت بنو طهية ابنا للقعقاع بن معبد فتوادوا فأخذت بنو طهية منهم الفضل
(وأنتم بنو ماءِ السماءِ زعمتمُ ... ومات أبوكم يا بَنِي مَعْبَدٍ هُزْلاَ)
وقال المخبل السعدي يذكر معبدا
(فإنْ تَكُ نالتْنا كُلَيْبٌ بفَرّةٍ ... فيومُك فيهم بالمصيفةِ أَبْرَدُ)
(هم قَتَلُوا يومَ المصيفةِ مالكاً ... وشاط بأيديهم لَقِيطٌ ومَعْبَدُ)
وفيها يقول عياض بن مرثد بن أسيد بن قريط بن لبيد في الإسلام
(نحن أسَرْنَا مَعْبَداً يوم مَعْبَدٍ ... فما افْتَكَّ حتّى مات مِنْ شِدّةِ الأَسْرْ)
(ونحن قتلنا بالصَّفَا بعد مَعْبَدٍ ... أخاه بأطرافِ الرُّدَيْنيّةِ السُّمْرْ)
وهذا يوم شعب جبلة
السبب في يوم جبلة
قال أبو عبيدة وأما يوم جبلة وكان من عظام أيام العرب وكان عظام أيام العرب ثلاثة يوم كلاب ربيعة ويوم جبلة ويوم ذي قار
وكان الذي هاج يوم جبلة أن بني عبس بن بغيض حين خرجوا هاربين من بني
ذبيان بن بغيض وحاربوا قومهم خرجوا متلددين
فقال الربيع بن زياد العبسي أما والله لأرمين العرب بحجرها اقصدوا لبني عامر فخرج حتى نزل مضيقا من وادي بني عامر ثم قال امكثوا
فخرج ربيع وعامر ابنا زياد والحارث بن خليف حتى نزلوا على ربيعة بن شكل بن كعب بن الحريش وكان العقد من بني عامر الى بني كعب بن ربيعة وكانت الرياسة في بني كلاب بن ربيعة
فقال ربيعة بن شكل يا بني عبس شأنكم جليل وذحلكم الذي يطلب منكم عظيم وأنا أعلم والله ان هذه الحرب أعز حرب حاربتها العرب قط
ولا والله ما بد من بني كلاب فأمهلوني حتى أستطلع طلع قومي
فخرج في قوم من بني كعب حتى جاؤوا بني كلاب فلقيهم عوف بن الأحوص فقال يا قوم أطيعوني في هذا الطرف من غطفان فاقتلوهم واغنموهم لا تفلح غطفان بعده أبدا
ووالله إن تزيدون على أن تسمنوهم وتمنعوهم ثم يصيروا لقومكم أعداء
فأبوا عليه وانقلبوا حتى نزلوا على الأحوص بن جعفر فذكروا له من أمرهم
فقال لربيعة بن شكل أظللتهم ظلك وأطعمتهم طعامك قال نعم
قال قد والله أجرت القوم
فانزلوا القوم وسطهم بحبوحة دارهم
وذكر بشر بن عبد الله بن حيان الكلابي أن عبسا لما حاربت قومها أتوا بني عامر وأرادوا عبد الله بن جعدة وابن الحريش ليصيروا حلفاءهم دون كلاب فأتى قيس بن زهير وأقبل نحو بني جعفر هو والربيع بن زياد حتى انتهيا الى الأحوص جالسا قدام بيته
فقال قيس للربيع إنه لا حلف ولا ثقة دون أن أنتهي إلى هذا الشيخ
فتقدم إليه قيس فأخذ بمجامع ثوبه من وراء فقال هذا مقام العائذ بك قتلتم أبي فما أخذت له عقلا ولا قتلت به أحدا وقد

أتيتك
لتجيرنا
فقال الأحوص نعم أنا لك جار مما أجير منه نفسي
وعوف بن الأحوص عن ذلك غائب
فلما سمع عوف بذلك أتى الأحوص وعنده بنو جعفر فقال يا معشر بني جعفر أطيعوني اليوم وأعصوني أبدا وإن كنت والله فيكم معصيا
إنهم والله لو لقوا بني ذبيان لولوكم أطراف الأسنة إذا نكهوا في أفواههم بكلام
فابدأوا بهم فاقتلوهم واجعلوهم مثل البرغوث دماغه في دمه
فأبوا عليه وحالفوهم
فقال والله لا أدخل في هذا الحلف
قال وسمعت بهم حيث قر قرارهم بنو ذبيان فحشدوا واستعدوا وخرجوا وعليهم حصن بن حذيفة بن بدر ومعه الحليفان أسد وذبيان يطلبون بدم حذيفة وأقبل معهم شرحبيل بن أخضر بن الجون والجون هو معاوية سمي بذلك لشدة سواده ابن آكل المرار الكندي في جمع من كندة وأقبلت بنو حنظلة بن مالك والرباب عليهم لقيط بن زرارة يطلبون بدم معبد بن زرارة ويثربي بن عدس وأقبل معهم حسان بن عمرو بن الجون في جمع عظيم من كندة وغيرهم فأقبلوا إليهم بوضائع كانت تكون بالحيرة مع الملوك وهم الرابطة
وكان في الرباب رجل من اشرافهم يقال له النعمان بن قهوس التيمي وكان معه لواء من سار الى جبلة وكان من فرسان العرب
وله تقول دختنوس بنت لقيط بن زرارة يومئذ
(فَرَّ ابنُ قَهْوَسٍ الشُّجَاعُ ... بكفِّه رمْحٌ مِتَلٌّ)
(يعدُو به خَاظِي البَضِيعِ ... كأنّه سِمْعٌ أَزَلُّ)
(إنّك مِنْ تَيْمٍ فَدَعْ ... غَطَفانَ إن ساروا وحلُّوا)
متل مستقيم يتل به كل شيء
الخاظي الشيء المكتنز
والسمع ولد الضبع من الذئب
والعسبار ولد الذئب من الكلبة
(لا مِنْكَ عدُّهمُ ولا ... آبَاكَ إن هَلَكُوا وذَلُّوا)
(فَخْرَ البَغِيِّ بحِدْجِ ربّتها ... إذا النّاسُ استقلُّوا)
(لا حِدْجَها رَكِبْتَ ولا ... لِرَغَالِ فيه مُسْتَظَلُّ)
(ولقد رأيتُ أباكَ وَسْطَ ... القَوْمِ يَرْبُقُ أو يَجُلّ)
(مُتَقَلِّداً ربْقَ الفُرَار ... كأنه في الجِيدِ غُلُّ)
يجل يلقط البعر
والفرار أولاد الغنم واحدها فرارة
قال وكان معهم رؤساء بني تميم حاجب بن زرارة ولقيط بن زرارة وعمرو بن عمرو وعتيبة بن الحارث بن شهاب وتبعهم غثاء من غثاء الناس يريدون الغنيمة فجمعوا جمعا لم يكن في الجاهلية قط مثله أكثر كثرة فلم تشك العرب في هلاك بني عامر
فجاؤوا حتى مروا ببني سعد بن زيد مناة فقالوا لهم سيروا معنا إلى بني عامر
فقالت لهم بنو سعد ما كنا لنسير معكم ونحن نزعم أن عامر بن صعصعة ابن سعد بن زيد مناة
فقالوا أما إذ أبيتم أن تسيروا معنا فاكتموا علينا
فقالوا أما هذا فنعم
فلما سمعت بنو عامر بمسيرهم اجتمعوا الى الأحوص بن جعفر وهو يومئذ شيخ كبير قد وقع حاجباه على عينيه وقد ترك الغزو غير أنه يدبر أمر الناس وكان مجربا حازما ميمون
النقيبة فأخبروه الخبر
فقال لهم الأحوص قد كبرت فما أستطيع أن أجيء بالحزم وقد ذهب الرأي مني ولكني إذا سمعت عرفت فأجمعوا آراءكم ثم بيتوا ليلتكم هذه ثم اغدوا علي فاعرضوا علي آراءكم ففعلوا
فلما أصبحوا غدوا عليه فوضعت له عباءة بفنائه فجلس عليها ورفع حاجبيه عن عينيه بعصابة ثم قال هاتوا ما عندكم
فقال قيس بن زهير العبسي بات في كنانتي الليلة مائة رأي
فقال له الأحوص يكفينا منها رأي واحد حازم صليب مصيب هات فانثر كنانتك
فجعل يعرض كل رأي رآه حتى أنفد
فقال له الأحوص ما أرى بات في كنانتك الليلة رأي واحد
وعرض الناس آراءهم حتى أنفدوا
فقال ما أسمع شيئا وقد صرتم إلي احملوا أثقالكم وضعفاءكم ففعلوا ثم قال احملوا ظعنكم فحملوها ثم قال اركبوا فركبوا وجعلوه في محفة وقال انطلقوا حتى تعلوا في اليمين فإن أدرككم أحد كررتم عليه وإن أعجزتموهم مضيتم
فسار الناس حتى أتوا وادي بحار ضحوة فإذا الناس يرجع بعضهم على بعض
فقال الأحوص ما هذا قيل هذا عمرو بن عبد الله بن جعدة في فتيان من بني عامر يعقرون بمن أجاز بهم ويقطعون بالنساء حواياهن
فقال الأحوص قدموني فقدموه حتى وقف عليهم فقال ما هذا الذي تصنعون قال عمرو أردت أن تفضحنا وتخرجنا هاربين من بلادنا ونحن أعز العرب وأكثرهم عددا وجلدا وأحدهم شوكة تريد أن تجعلنا موالي في
العرب إذ خرجت بنا هاربا
قال فكيف أفعل وقد جاءنا ما لا طاقة لنا به فما الرأي قال نرجع الى شعب جبلة فنحرز النساء والضعفة والذراري والأموال

في رأسه ونكون في وسطه ففيه ثمل أي خصب وماء
فإن أقام من جاءك أسفل أقاموا على غير ماء ولا مقام لهم وإن صعدوا عليك قاتلتهم من فوق رؤوسهم بالحجارة فكنت في حرز وكانوا في غير حرز وكنت على قتالهم أقوى منهم على قتالك
قال هذا والله الرأي فأين كان هذا عنك حين استشرت الناس قال إنما جاءني الآن
قال الأحوص للناس ارجعوا فرجعوا
ففي ذلك يقول نابغة بني جعدة
(ونحن حَبَسْنا الحَيَّ عَبْساً وعامراً ... لحسَّانَ وابنِ الجَوْنِ إذ قيل أقْبِلاَ)
(وقد صَعِدتْ وادي بِحَارٍ نساؤهم ... كإصْعادِ نَسْرٍ لا يرومون منزلاَ)
(عَطَفْنا لهم عَطْفَ الضَّرُوس فصادفوا ... من الهَضْبةِ الحمراءِ عِزًّا ومَعْقِلا)
الضروس الناقة العضوض فدخلوا شعب جبلة وجبلة هضبة حمراء بين الشريف والشرف
والشريف ماء لبني نمير
والشرف ماء لبني كلاب
وجبلة جبل عظيم له شعب عظيم واسع لا يؤتى الجبل إلا من قبل الشعب والشعب متقارب المدخل وداخله متسع وبه اليوم عرينة من بجيلة
فدخلت بنو عامر شعبا منه يقال له مسلح فحصنوا النساء والذراري والأموال في رأس الجبل وحلؤوا الإبل عن الماء
واقتسموا الشعب بالقداح فأقرع بين القبائل في شظاياه فخرجت بنو تميم ومعهم بارق حي من الأزد حلفاء يومئذ لبني نمير
وبارق هو سعد بن عدي بن حارثة بن عمرو مزيقياء بن
عامر ماء السماء
وسمي مزيقياء لأنه كان يمزق عليه كل يوم حلة فولجوا الخليف والخليف الطريق بين الشعبين شبه الزقاق لأن سهمهم تخلف
وفيه يقول معقر بن أوس بن حمار البارقي
(ونحن الأيمَنُونَ بنو نُمَيْرٍ ... يَسيلُ بنا أمَامَهمُ الخَلِيفُ)
قال وكان معقر يومئذ شيخا كبيرا أعمى ومعه ابنة له تقود به جمله
فجعل يقول لها من أسهل من الناس فتخبره وتقول هؤلاء بنو فلان وهؤلاء بنو فلان حتى إذا تناهى الناس قال اهبطي لا يزال هذا الشعب منيعا سائر هذا اليوم وهبط
وكانت كبشة بنت عروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب يومئذ حاملا بعامر بن الطفيل فقالت ويلكم يا بني عامر ارفعوني فوالله إن في بطني لعز بني عامر
القبائل التي شهدت وقعة جبلة
فصفوا القسي على عواتقهم ثم حملوها حتى أثووها بالقنة يقال قنة وقنان
فزعموا أنها ولدت عامرا يوم فرغ الناس من القتال
فشهدت بنو عامر كلها جبلة إلا هلال بن عامر وعامر بن ربيعة بن عامر وشهدها مع بني عامر من العرب بنو عبس بن رفاعة بن الحارث بن بهثة بن سليم وكان لهم بأس وحزم وعليهم مرداس بن أبي عامر وهو أبو العباس بن مرداس
وكانت بنو عبس بن رفاعة حلفاء بني عمرو بن كلاب
وزعم بعض بني عامر أن مرداسا كان مع أخواله غني وكانت أمه فاطمة بنت جلهمة الغنوية
وشهدتها غني وباهلة وناس من بني سعد بن بكر وقبائل بجيلة كلها إلا قسرا
لحرب كانت بين قسر وقومها فارتحلت بجيلة فتفرقت في بطون بني عامر فكانت عادية بن عامر بن قداد من بجيلة في بني عامر بن ربيعة وكانت سحمة من بجيلة في بني جعفر بن كلاب ويقال عمرو بن كلاب وكانت عرينة من بجيلة في عمرو بن كلاب وكانت بنو قيس كبة لفرس يقال لها كبة من بجيلة في بني عامر بن ربيعة وكانت فتيان في بني عامر بن ربيعة وبنو قطيعة من بجيلة في بني أبي بكر بن كلاب ونصيب بن عبد الله من بجيلة في بني نمير وكانت ثعلبة والخطام من بجيلة في بني عامر بن ربيعة وبنو عمرو بن معاوية بن زيد من بجيلة في بني أبي بكر بن كلاب معهم يومئذ نفير من عكل فبلغ جمعهم ثلاثين ألفا
وعمي على بني عامر الخبر فجعلوا لا يدرون ما قرب القوم من بعدهم
وأقبلت تميم وأسد وذبيان ولفهم نحو جبلة فلقوا كرب بن صفوان بن شجنة بن عطارد بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة فقالوا له أين تذهب أتريد أن تنذر بنا بني عامر قال لا
قالوا فأعطنا عهدا وموثقا ألا تفعل فأعطاهم فخلوا سبيله
فمضى مسرعا على فرس له عري حتى إذا نظر إلى مجلس بني عامر وفيهم الأحوص نزل تحت شجرة حيث يرونه
فأرسلوا إليه يدعونه قال لست فاعلا ولكن إذا رحلت فأتوا منزلي فإن الخبر فيه
فلما جاؤوا منزله إذا فيه تراب في صرة وشوك قد كسر رؤوسه وفرق جهته وإذا حنظلة موضوعة وإذا وطب معلق فيه لبن
فقال الأحوص هذا رجل قد أخذ عليه المواثيق ألا يتكلم وهو يخبركم أن القوم مثل التراب كثرة وأن شوكتهم كليلة وهم متفرقون وجاءتكم بنو حنظلة
انظروا ما في الوطب فاصطبوه فإذا فيه لبن حزر قرص
فقال القوم منك على قدر حلاب اللبن إلى أن يحزر
فقال رجل من بني يربوع ويقال قالته دختنوس بنت لقيط بن زرارة
(كَرِبُ بن صَفْوانَ بن شِجْنةَ لم يَدَعْ ... مِن دَارِمٍ أحداً ولا مِن نَهْشَلِ)
أجعلتَ يَرْبوعاً كقَوْرةِ دائرٍ ... ولَتَحْلِفَنْ باللّه أنْ لم تَفْعل) وذلك قول عامر بن الطفيل بعد جبلة بحين)
(ألاَ أبْلِغْ جُموعَ سَعْدٍ ... فبِيتوا لن نَهيجَكُم نِيَامَا)
(نَصَحْتُمْ بالمَغِيبِ ولم تُعِينوا ... علينا إنكم كنتم كِرَاما)
(ولو كنتم مع ابن الجَوْنِ كنتم ... كَمَنْ أوْدَى وأصبح قد ألاَمَا)

تشاور الأعداء في الصعود الى بني عامر
فلما أستيقنت بنو عامر بإقبالهم صعدوا الشعب وأمر الأحوص بالإبل التي ظمئت قبل ذلك فقال اعقلوها كل بعير بعقالين في يديه جميعا
وأصبح لقيط والناس نزول به وكانت مشورتهم إلى لقيط فاستقبلهم جمل عود أجرب أحذ أعصل كاشر عن أنيابه فقال الحزاة من بني أسد والحازي العائف اعقروه
فقال لقيط والله لا يعقر حتى يكون فحل إبلي
غدا
وكان البعير من عصافير المنذر التي أخذها قرة بن هبيرة بن عامر بن سلمة بن قشير
والعصافير إبل كانت للملوك نجائب ثم أستقبلهم معاوية بن عبادة بن عقيل وكان أعسر فقال
(أنا الغُلامُ الأعْسَرْ ... الخَيْرُ فيّ والشرّ)
(... والشرُّ فيّ أكْثَر)
فتشاءمت بنو أسد وقالوا ارجعوا عنهم وأطيعونا
فرجعت بنو أسد فلم تشهد جبلة مع لقيط إلا نفيرا يسيرا منهم شأس بن أبي بلي أبو عمرو بن شأس الشاعر ومعقل بن عامر بن موءلة المالكي
وقال الناس للقيط ما ترى فقال أرى أن تصعدوا إليهم
فقال شأس لا تدخلوا على بني عامر فإني أعلم الناس بهم قد قاتلتهم وقاتلوني وهزمتهم وهزموني فما رأيت قوما قطد أقلق بمنزل من بني عامر والله ما وجدت لهم مثلا إلا الشجاع فإنه لا يقر في جحره قلقا وسيخرجون إليكم
والله لئن بتم هذه الليلة لا تشعرون بهم إلا وهم منحدرون عليكم
فقال لقيط
والله لندخلن عليهم
فأتوهم وقد أخذوا حذرهم
وجعل الأحوص أبنه شريحا على تعبئة الناس
فأقبل لقيط وأصحابه مدلين فأسندوا الى الجبل حتى ذرت الشمس
فصعد لقيط في الناس وأخذ بحافتي الشجن
فقالت بنو عامر للأحوص قد أتوك
فقال دعوهم
حتى إذا نصفوا الجبل وانتشروا فيه قال الأحوص حلوا عقل الإبل ثم احدروها واتبعوا آثارها وليتبع كل رجل منكم بعيره حجرين أو ثلاثة ففعلوا ثم صاحوا بها فلم يفجا الناس إلا الإبل تريد الماء والمرعى وجعلوا يرمونهم بالحجارة والنبل وأقبلت الإبل تحطم كل شيء مرت به وجعل البعير يدهدي بيديه كذا وكذا حجرا
وقد كان لقيط وأصحابه سخروا منهم حين صنعوا بالإبل ما صنعوا
فقال رجل من بني أسد
((زعمتَ أنّ العِيرَ لا تُقاتِلُ ... بَلَى إذا تَقَعْقَعَ الرِحائلُ
(واختلف الهِنْدِيُّ والذّوابلُ ... وقالتِ الأبطالُ مَنْ يُنَازِلُ)
(... بَلَى وفيها حَسَبٌ ونائلُ)
شعر بني عامر في يوم جبلة
فانحط الناس منهزمين من الجبل حتى السهل
فلما بلغ الناس السهل لم يكن لأحد منهم همة إلا أن يذهب على وجهه فجعلت بنو عامر يقتلونهم ويصرعونهم بالسيوف في آثارهم فانهزموا شر الهزيمة
فجعل رجل من بني عامر يومئذ يرتجز ويقول
(لم أرَ يوماً مثلَ يوم جَبَلَهْ ... يوم أتتنا أسدٌ وحَنْظَلَهْ)
(وغَطفانُ والملوكُ أزفَلَهْ ... نَضْرِبُهم بقُضبٍ مُنْتَخَلَه)
(لم تَعْدُ أن أفرش عنها الصَّقَلَهْ ... حتى حَدَوْناهم حُداءَ الزَّوْمَلهْ)
وجعل معقل بن عامر يرتجز ويقول
((نحن حُماةُ الشِّعْبِ يومَ جبله ... بكلِّ عَضْبٍ صارمٍ ومِعْبَلَهْ
(... وهَيْكَلٍ نَهْدٍ معاً وهَيْكَلَهْ)
المعبلة السهم إذا كان نصله عريضا فهو معبلة والرقيق القطبة
وخرجت بنو تميم من الخليف على الخيل فكركروا الناس يعني ردوهم وانقطع شريح بن الأحوص في فرسان حتى أخذ الجرف فقاتل الناس قتالا شديدا هناك وجعل لقيط يومئذ وهو على برذون له مجفف بديباج أعطاه إياه كسرى وكان أول عربي جفف يقول
(عَرَفْتكُمْ والدمعُ مِ الْعَيْنِ يَكِفْ ... لفارسٍ أتلفتموه ما خُلِفْ)
(إنّ النَّشِيلَ والشِّوَاء والرُّغُفْ ... والقَيْنةَ الحسناءَ والكأسَ الأُنفْ)
(وصَفْوةَ القِدْرِ وتَعْجِيلَ اللَّقَفْ ... للطاعنين الخيلَ والخيلُ قُطُفْ)
وجعل لا يمر به أحد من الجيش إلا قال له أنت والله قتلتنا وشتمتنا
فجعل يقول
(يا قَوْمِ قد أحرقتموني باللَّوْمْ ... ولم أُقَاتِلْ عامراً قبلَ اليَوْمْ)
((فاليومَ إذ قاتلتُهم فلا لَوْمْ ... تَقدَّموا وقَدِّموني للقَوْمْ
(شتّانَ هذا والعناقُ والنَّوْمْ ... والمَضْجَعُ الباردُ في ظِلِّ الدَّوْمْ)
وقال شأس بن أبي بلي يجيبه
(لكن أنا قاتلتها قبلَ اليَوْمْ ... إذ كنتُ لا تُعْصَى أُموري في القَوْمْ)

وجعل لقيط يقول من كر فله خمسون ناقة وجعل يقول
(أكُلُّكُمْ يَزْجركُمْ أرْجِبْ هَلاَ ... ولن تَرَوْهُ الدَّهْرَ إلاَّ مُقْبِلاَ)
يحمل زَغْفاً ورَئيساً جَحْفَلاَ ... وسائلاً في أهله ما فعلا) وجعل يقول أيضا)
أشْقَرُ إنْ لم تَتَقَدَّمْ تُنْحَرِ ... وإنْ تَأَخَّرْ عن هِيَاجٍ تُعْقَرِ) ثم عاد يقول)
(... إنَّ الشواء والنَّشيلَ والرُّغُفْ)
فأجابه شريح بن الأحوص
(إن كنتَ ذا صِدْقٍ فأقْحِمْهُ الجُرُفْ ... وقَرِّب الأشْقَرَ حتى تَعْتَرِفْ)
(...وجوهَنا إنّا بنواليِيضِ العُطُفْ)
وبينه وبينه جرف منكر فضرب لقيط فرسه وأقحمه عليه الجرف فطعنه شريح فسقط
وقد اختلفوا في ذلك فذكروا أن الذي طعنه جزء بن خالد بن جعفر وبنو عقيل تزعم أن عوف بن المنتفق العقيلي قتله يومئذ وأنشأ يقول
(ظَلَّتْ تلومُ لما بها عِرْسِي ... جَهْلاً وأنتِ حَلِيمةٌ أمْسِ)
(إنْ تقتلوا بَكْرِي وصاحبه ... فلقد شَفَيْتُ بسيفه نفسي)
(فقتلتُه في الشِّعْبِ أوَّلَ فارسٍ ... في الشَّرْقِ قبل تَرَحُّلِ الشمس)
فزعموا أن عوفا هذا قتل يومئذ ستة نفر وقتل ابن له وابن أخ له
وأما العلماء فلا يشكون أن شريحا قتله وأرتث وبه طعنات والارتثاث أن يحمل وهو مجروح فإن حمل ميتا فليس بمرتث فبقي يوما ثم مات
فجعل لقيط يقول عند موته
(يا ليتَ شِعْرِي عَنْكِ دَخْتَنُوسُ ... إذا أتاكِ الخبرُ المَرْسُوسُ)
(أتَحْلِقُ القُرُونَ أم تَمِيسُ ... لا بَلْ تَمِيسُ إنّها عَرُوسُ)
دختنوس بنت لقيط بن زرارة وكانت تحت عمرو بن عمرو بن عدس
وجعلت بنو عبس يضربونه وهو ميت فقالت دختنوس
(ألاَ يالَها الوَيْلاتُ وَيْلاتُ مَنْ بَكَى ... لضَرْبِ بني عَبْس لَقِيطاً وقد قَضَى)
((لقد ضربوا وجهاً عليه مَهابَةٌ ... وما تَحفِلُ الصُّمُّ الجنادلُ مَنْ رَدَى
(فلو أنّكم كنتم غداة لَقِيتُم ... لقيطاً صَبرتُم للأسِنّةِ والقَنَا)
(غَدَرْتُم ولكن كنتمُ مِثْلَ خُضَّبٍ ... أصابَ لها القَنَّاصُ مِن جانب الشَّرَى)
(فما ثَأْرُه فيكم ولكنّ ثأره ... شُرَيْحٌ وأردته الأسِنّةُ إذ هَوَى)
(فإن تُعْقِبِ الأيّامُ من عامرٍ يَكُنْ ... عليهم حَرِيقاً لا يُرامُ إذا سما)
(ليجزيهم بالقتلِ قَتْلاً مُضَعَّفاً ... وما في دِمَاء الحُمْسِ يا مالُ مِنْ بَوَا)
(ولو قتلتنا غالبٌ كان قتلُها ... علينا من العار المجدِّع للعُلاَ)
(لقد صَبَرْت للموت كعبٌ وحافظت ... كِلابٌ وما أنتم هناك لمن رأى)
وقالت دختنوس أيضا
(لعمري لئن لاقت من الشرّ دارمٌ ... عناءً لقد آبتْ حميداً ضِرابُها)
(فما جَبُنوا بالشِّعب إذ صَبَرتْ لهم ... ربيعةُ يُدْعَى كَعْبُها وكِلابُها)
(عَصَوا بسيوف الهِندِ وأعتكرت لهم ... براكاءُ موتٍ لا يطير غُرابُها)
براكاء مباركة القتال وهو الجد في القتال
يقال للرجل إذا وقع في خطب لا يطير غرابه
وقالت دختنوس
((بَكَر النَّعِيُّ بخير خِنْدِفَ ... كَهْلِها وشَبابِها
(وبخيرها نَسَباً إذا ... عُدَّتْ إلى أنسابِها)
(فرّت بنو أسدٍ خُرُوجَ ... الطير عن أربابِها)
(لم يَحْفِلوا نَسَباً ولم ... يَلْوُوا لفيء عُقَابها)
اخبار الذين نجوا أو قتلوا في الموقعة
وقتل يومئذ قريظ بن معبد بن زرارة وزيد بن عمرو بن عدس قتله الحارث بن الأبرص بن ربيعة بن عامر بن عقيل وقتل الفلتان بن المنذر بن سلمى بن جندل بن نهشل وقتل أبو إياس بن حرملة بن جعدة بن العجلان بن حشورة بن عجب بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان وهو يقول
(أقْدِمْ قَطِينُ إنهم بنو عَبْسْ ... المَعْشَرُ الحِلّةُ في القَوْمِ الحُمْسْ)
الحلة لم يكونوا يتشددون في دينهم
قال واستلحم عمرو بن حسحاس بن وهب بن أعياء بن طريف الأسدي فاستنقذه معقل بن عامر بن موءلة فداواه وكساه فقال معقل في ذلك
(يَدَيْتُ على ابن حَسْحَاسِ بن وَهْبٍ ... بأسفلِ ذي الجَذَاةِ يدَ الكريمِ)
((قَصَرْتُ له من الدّهماءِ لمّا ... شهِدتُ وغاب مَنْ لَه مِنْ حميمِ
(ولو أنّي أشاء لكنتُ منه ... مكانَ الفَرْقَدَيْنِ من النُّجومِ)
(أُخبِّره بأن الجُرْحَ يُشْوِي ... وأنّك فوق عِجْلِزَةٍ جَمُومِ)
يقول إن الجرح الذي بك شوى لم يصب منك مقتلا
(ذكرتُ تَعِلّةَ الفتيانِ يوماً ... وإلحاقَ المَلامةِ بالمُليمِ)
قال وحمل معاوية بن يزيد الفزاري فأخذ كبشة بنت الحجاج بن معاوية بن قشير وكانت عند مالك بن خفاجة بن عمرو بن عقيل فحمل معاوية بن خفاجة أخو مالك على معاوية بن يزيد فقتله واستنقذ كبشة وقال يا بني عامر إنهم يموتون وقد كان قيل لهم إنهم لا يموتون

ونزل حسان بن عامر بن الجون وصاح يا آل كندة فحمل عليه شريح بن الأحوص فاعترض دون ابن الجون رجل من كندة يقال له حوشب فضربه شريح بن الأحوص في رأسه فانكسر السيف فيه فخرج يعدو بنصف السيف وكان مما رعب الناس مكانه
وشد طفيل بن مالك بن جعفر فأسر حسان بن الجون وشد عوف بن الأحوص على معاوية بن الجون فأسره وجز ناصيته وأعتقه على الثواب
فلقيته بنو عبس فأخذه قيس بن زهير فقتله
فأتاهم عوف فقال قتلتم طليقي فأحيوه أو ائتوني بملك مثله
فتخوفت بنو عبس شره وكان مهيبا فقالوا أمهلنا
فانطلقوا حتى أتوا أبا براء عامر بن مالك بن جعفر يستغيثونه على عوف فقال دونكم سلمى بن مالك فإنه نديمه وصديقه وكانا مشتبهين أحمرين أشقرين ضخمة أنوفهما وكان في سلمى حياء فأتوه فقال سأكلم لكم طفيلا حتى يأخذ أخاه فإنه لا ينجيكم من عوف إلا ذلك وأيم الله
ليأتين شحيحا
فانطلقوا إليه فقال طفيل قد أتوني بك ما أعرفني بما جئتم له أتيتموني تريدون مني ابن الجون تقيدون به من عوف خذوه فأعطاهم إياه فأتوا به عوفا فجز ناصيته وأعتقه فسمي الجزاز
فذلك قول نافع بن الخنجر بن الحكم بن عقيل بن طفيل بن مالك في الإسلام
(قَضَيْنا الْجَوْنَ عن عَبْسٍ وكانت ... مَنِيَّةُ مَعْبَدٍ فينا هُزَالاَ)
قال وشهدها لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر وهو ابن تسع سنين ويقال كان ابن بضع عشرة سنة وعامر بن مالك يقول له اليوم يتمت من أبيك إن قتل أعمامك
وقتل يومئذ زهير بن عمرو بن معاوية وجد مقتولا بين ظهراني صفوف بني عامر حيث لم يبلغ القتال وهو معاوية الضباب بن كلاب
فقال أخوه حصين للذي قتله
(يا ضَبُعاً عثواءَ لا تَستأنِسي ... تلتقم الهَبْرَ من السَّقْبِ الرَّذي)
(أقسم بالله وما حجّتْ بَلي ... وما على العُزَّى تُعزُّه غَنِي)
(وقد حلفتُ عند مَنْحَرِ الهدِي ... أُعْطيكُم غيرَ صُدور المشْرَفي)
(فليس مثلي عن زُهَيْرٍ بغَني ... هو الشُّجاعُ والخطيبُ اللَّوْذَعِي)
(والفارسُ الحازمُ والشهمُ الأبي ... والحاملُ الثِّقْلَ إذا ينزلُ بي)
وذكروا أن طفيل بن مالك لما رأى القتال يوم جبلة قال ويلكم وأين نعم هؤلاء فأغار على نعم عمرو وإخوته وهم من بني عبدالله بن غطفان ثم من بني الثرماء فاستاق ألف بعير
فلقيه عبيدة بن مالك فاستجداه فأعطاه مائة بعير وقال كأني بك قد لقيت ظبيان بن مرة بن خالد فقال لك أعطاك من ألفه مائة فجئت مغضبا
فلقي عبيدة ظبيان فقال له كم أعطاك قال مائة
فقال أمائة من ألف فغضب عبيدة
قال وذكر أن عبيدة تسرع يومئذ إلى القتال فنهاه أخواه عامر وطفيل أن يفعل حتى يرى مقاتلا فعصاهما وتقدم فطعنه رجل في كتفه حتى خرج السنان من فوق ثديه فاستمسك فيه السنان فأتى طفيلا فقال له دونك السنان فانزعه فأبى أن يفعل ذلك غضبا فأتى عامرا فلم ينزعه منه غضبا فأتى سلمى بن مالك فانتزعته منه وألقي جريحا مع النساء حتى فرغ القوم من القتال
وقتلت بنو عامر يومئذ من تميم ثلاثين غلاما أغرل
وخرج حاجب بن زرارة منهزما وتبعه الزهدمان زهدم وقيس ابنا حزن بن وهب بن عويمر بن رواحة العبسيان فجعلا يطردان حاجبا ويقولان له استأسر وقد قدرا عليه فيقول من أنتما فيقولان الزهدمان فيقول لا أستأسر اليوم لموليين
فبينما هم كذلك إذ أدركهم مالك ذو الرقيبة بن سلمة بن قشير فقال لحاجب استأسر
قال ومن أنت قال أنا مالك ذو الرقيبة
فقال أفعل فلعمري ما أدركتني حتى كدت أن أكون عبدا
فألقى إليه رمحه واعتنقه زهدم فألقاه عن فرسه فصاح حاجب يا
غوثاه
وندر السيف وجعل زهدم يريغ قائم السيف
فنزل مالك فاقتلع زهدما عن حاجب
فمضى زهدم وأخوه حتى أتيا قيس بن زهير بن جذيمة فقالا أخذ مالك أسيرنا من أيدينا
قال ومن أسيركما قالا حاجب بن زرارة
فخرج قيس يتمثل قول حنظلة بن الشرقي القيني أبي الطمحان رافعا صوته يقول
(أجَدَّ بني الشَّرْقيّ أُولِعَ أَنَّني ... مَتى أَستَجِرْ جاراً وإنْ عَزَّ يَغْدُرُ)
(إذا قلتُ أوفى أدركتْه دَرُوكَةٌ ... فيا مُوزعَ الجيرانِ بالغَيِّ أَقْصِرِ)
حتى وقف على بني عامر فقال إن صاحبكم أخذ أسيرنا
قالوا من صاحبنا قال مالك ذو الرقيبة أخذ حاجبا من الزهدمين
فجاءهم مالك فقال لم آخذه منهما ولكنه استأسر لي وتركهما
فلم يبرحوا حتى حكموا حاجبا في ذلك وهو في بيت ذي الرقيبة فقالوا من أسرك يا حاجب فقال أما من ردني عن قصدي ومنعني أن أنجو ورأى مني عورة فتركها فالزهدمان
وأما الذي استأسرت له فمالك فحكموني في نفسي
قال له القوم قد جعلنا إليك الحكم في نفسك
يقال أما مالك فله ألف ناقة وللزهدمين مائة

فكان بين قيس بن زهير وبين الزهدمين مغاضبة بعد ذلك فقال قيس
(جَزَاني الزهدمانِ جزاءَ سَوْءٍ ... وكنتُ المرءَ يُجْزَى بالكَرَامهْ)
(وقد دافعتُ قد عَلِمتْ مَعَدٌّ ... بني قُرْطٍ وعَمِّهم قُدَامهْ)
(رَكِبتُ بهم طريقَ الحقِّ حَتَّى ... أَتَيْتُهمُ بها مائةً ظُلاَمهْ)
وقال جرير في ذلك
((ويومَ الشِّعبِ قد تركوا لَقِيطاً ... كأنّ عليه حُلَّةَ أُرْجُوَانِ
(وكُبِّلَ حاجبٌ بَشَمامِ حوْلاً ... فَحكّم ذا الرُّقَيْبةِ وهو عَانِي)
وأما عمرو بن عمرو بن عدس فأفلت يومئذ
فزعمت بنو سليم أن الخيل عرضت على مرداس بن أبي عامر يوم جبلة وكان أبصر الناس بالخيل فعرضت عليه فرس لغلام من بني كلاب فقال والله لا أعجزها ولا أدركها ذكر ولا أنثى فهذا ردائي بها وخمس وعشرون ناقة
فلما انهزم الناس يوم جبلة خرج الكلابي على فرسه تلك يطلب عمرو بن عمرو
قال الكلابي فراكضته نهارا على السواء والله ما علمت أنه سبقني بمقدار أعرفه ثم زاد مكانه ونقصت
فقلت قمر والله مرداس
وهوى عمرو إلى فرسه فضربها بالسوط فانكشفت فإذا هي خنثى لا ذكر ولا أنثى فأخبرتهم أني سبقت
فقالوا قمر السلمي فقلت لا
ثم أخبرتهم الخبر
فقال مرداس
(تَمَطَّتْ كُمَيْتٌ كالهِرَاوةِ ضامرٌ ... لعَمْرِو بن عمرو بعد ما مُسِّيَّ باليَدِ)
(فلولا مَدَى الخُنْثَى وبُعْدُ جِرَائها ... لَقَاظَ ضعيفَ النَّهْضِ حقٍّ مُقَيّد)
(تذكّر رُبْطاً بالعراقِ وراحةً ... وقد خفَقَ الأسيافُ فوق المُقَلَّدِ)
وزعم علماء بني عامر أنه لما انهزم الناس خرجت بنو عامر وحلفاؤهم في آثارهم يقتلون ويأسرون ويسلبون فلحق قيس بن المنتفق بن عامر بن طفيل بن عقيل عمرو بن عمرو فأسره
فأقبل الحارث بن الأبرص بن ربيعة بن عقيل في سرعان الخيل فرآه عمرو مقبلا فقال لقيس إن أدركني الحارث قتلني وفاتك ما تلتمس عندي فهل أنت محسن إلي وإلى نفسك تجز ناصيتي فتجعلها في كنانتك ولك العهد لأفين لك ففعل وأدركهما الحارث وهو ينادي قيسا ويقول أقتل أقتل
فلحق عمرو بقومه
فلما كان الشهر الحرام خرج قيس إلى عمرو يستثيبه وتبعه الحارث بن الأبرص حتى قدما على عمرو بن عمرو فأمر عمرو بن عمرو ابنة أخية آمنة بنت زيد بن عمرو فقال اضربي على قيس الذي أنعم على عمك هذه القبة
وقد كان الحارث قتل أباها زيدا يوم جبلة
فجاءت بالقبة فرأت الحارث أهيأهما وأجملهما فظنته قيسا فضربت القبة على رأسه وهي تقول هذا والله رجل لم يطلع الدهر عليه بما اطلع به علي
فلما رجعت إلى عمها عمرو قال يابنة أخي على من ضربت القبة فنعتت له نعت الحارث
فقال ضربتها والله على رجل قتل أباك وأمر بقتل عمك
فجزعت مما قال لها عمها
فقال الحارث بن الأبرص
(أمَا تَدْرين يابنةَ آلِ زَيْدٍ ... أُمَيْنُ بما أجَنّ اليومَ صدري)
(فكم من فارسٍ لم تَرْزَئيه ... فَتَى الفتيانِ في عِيصٍ وقصر)
(رأيتُ مكانَه فصددتُ عنه ... فأعيا أمره وشددتُ أزري)
(لقد آمرتُه فعَصَى إمَارِي ... بأمرٍ عزيمةٍ في جَنْبِ عمرو)
(أمرت به لتَخْمُشَ حَنَّتَاه ... فضيّع أمرَه قيسٌ وأمري)
الحنة الزوجة
يقال حنته وطلته
ثم إن عمرا قال يا حار مالذي جاء بك فوالله مالك عندي نعمة ولقد كنت سيء الرأي في قتلت أخي وأمرت بقتلي
فقال بل كففت عنك ولو شئت إذ أدركتك لقتلتك
قال ما لك عندي من يد ثم تذمم منه فأعطاه مائة من الإبل ثم انطلق فذهب الحارث
فلما جاء عمرا قيس أعطاه إبلا كثيرة فخرج قيس بها حتى إذا دنا من أهله سمع به الحارث بن الأبرص فخرج في فوارس من بني أبيه حتى عرض لقيس فأخذ ما كان معه
فلما أتى قيس بني أبيه بني المنتفق اجتمعوا إليه وأرادوا الخروج
فقال مهلا لا تقاتلوا إخوتكم فإنه يوشك أن يرجع وأن يؤول إلى الحق فإنه رجل حسود
فلما رأى الحارث أن قيسا قد كف عنه رد إليه ما أخذ منه
وأما عتيبة بن الحارث بن شهاب فإنه أسر يومئذ فقيد في القد وكان يبول على قده حتى عفن
فلما دخل الشهر الحرام هرب فأفلت منهم بغير فداء
وغنم مرداس بن أبي عامر غنائم وأخذ رجلا فأخذ منه مائة ناقة فانتزعها منه بنو أبي بكر بن كلاب فخرج مرداس إلى يزيد بن الصعق وكان له خليلا فانتهى إليه مرداس وهو يقول
(لعمرُك ما ترجو مَعَدٌّ ربيعَها ... رجائي يزيداً بل رجائي أكثرُ)
(يزيد بن عمرو خير مَنْ شَدّ ناقةً ... بأقتادها إذا الرياحُ تُصرِّصِرُ)
(تداعت بنو بكرٍ عليّ كأنما ... تداعت عليّ بالأحِزَةِ بَرْبَرُ)
((تداعَوْا عليّ أن رأوني بخَلْوةٍ ... وأنتم بأحْدان الفَوارس أبصر
ويروى بوحدان

فركب يزيد حتى أخذ الإبل من بني أبي بكر فردها إليه
فطرقه البكريون فسقوه الخمر حتى سكر ثم سألوه الإبل فأعطاهم إياها
فلما أصبح ندم فخرج إلى يزيد فوجد الخبر قد جاءه
فقال له يزيد أصاح أنت أم سكران فانصرف فاطرد إبلا من إبل بني جعفر فذهب بها وأنشأ يقول
(أجُنَّ بلَيْلَى قلبُه أم تَذَكَّرَا ... منازلَ منها حول قُرَّى ومَحْضَرَا)
(تَخِرُّ الهدَالُ فوق خَيْماتِ أهْلها ... ويَرْسُون حِسًّا بالعِقال مُؤَطَّرَا)
الحس الفرس الخفيفة
والمؤطر المعطوف
(سأبى وأستغني كما قد أمرتَني ... وأصرفُ عنك العُسْرَ لستُ بأفقرا)
(وإنّ سُلَيْماً والحجازُ مكانُها ... متى آتِهم أجِدْ لبيتيَ مَهْجَرا)
المهجر الموضع الصالح يقال هذا أهجر من هذا إذا كان أجود منه وأصلح
(يُفَرِّج عنِّي حدُّهم وعَدِيدُهم ... وأُسْرِج لِبْدِي خارجيًّا مُصدَّرا)
(قَصرتُ عليه الحالبَيْن فَجَوْدُه ... إذا ما عدا بلّ الحِزامَ وأمطرا)
الحالبين الراعيين
يقول احتبستهما
(فخُذْ إبلاً إنّ العِتابَ كما ترى ... على خَذَمٍ ثم ارْمِ للنصر جعفرا)
(فإنّ بأكناف البِحار إلى المَلاَ ... وذي النَّخْل مَصْحًى إن صَحَوْتَ ومَسْكُرا)
(وأرْعَى من الأظلاف أثْلاً وحَمْضةً ... وترعَى من الأطْواء أثْلاً وعَرعَرَا)
وانصرف يومئذ سنان بن أبي حارثة المري في بني ذبيان على حاميته فلحق بهم معاوية بن الصموت بن الكامل الكلابي وكان يسمى الأسد المجدع ومعه حرملة العكلي ونفر من الناس فلحق بسنان بن أبي حارثة ومالك بن حمار الفزاري في سبعين فارسا من بني ذبيان
فقال سنان يا مالك كر واحمنا ولك خولة بنت سنان ابنتي أزوجكها
فكر مالك فقتل معاوية ثم اتبعه حرملة العكلي وهو يقول
(لأيِّ يوم يَخْبَأُ المرءُ السَّعَهْ ... مُوَدَّعٌ ولا تَرَى فيه الدَّعَهْ)
فكر عليه مالك فقتله ثم اتبعه رجل من بني كلاب فكر عليه مالك فقتله ثم اتبعه رجلان من قيس كبة من بجيلة فكر عليهما فقتلهما ومضى مالك وأصحابه
فقال مالك في ذلك
((ولقد صَدَدْتُ عن الغَنيمة حَرْمَلاً ... ولَقِيتُه لَدَداً وخيلي تَطْرُدُ
(أقبلته صَدْرَ الأغَرِّ وصارماً ... ذَكَراً فخرّ على اليَدَين الأبعدُ)
(وابنَ الصموت تركتُ حين لَقِيتُه ... في صدر مارنةٍ يقوم ويقعد)
(وابنا ربيعةَ في الغُبار كلاهما ... وابنَا غنِيٍّ عامرٌ والأسْوَدُ)
(حتى تنفّس بعد نَكْظٍ مُجْحَراً ... أذهبتُ عنه والفرائصُ تُرْعَدُ)
النكظ الجهد
قال
(يعدو ببَزِّي سابحٌ ذو مَيْعةٍ ... نَهْدُ المَرَاكلِ ذُو تَليلٍ أقود)
فخطب إليه مالك خولة فأبى أن يزوجه
وأما بنو جعفر فيزعمون أن عروة الرحال بن عتبة بن جعفر وجد سنان بن أبي حارثة وابنيه هرما ويزيد على غدير قد كاد العطش أن يهلكهم فجز نواصيهم وأعتقهم
ثم إن عروة أتى سنانا بعد ذلك يستثيبه ثوابا يرضاه فلم يثبه شيئا
فقال عروة في ذلك
(ألاَ مَنْ مبلغٌ عنّي سِنَاناً ... ألوكاً لا أريد بها عِتَابَا)
(أفي الخَضْراءِ تَقْسِمُ هَجْمَتَيْكم ... وعُرْوةُ لم يُثَبْ الا التُّرَابَا)
((فلو كان الجعافرُ طاوعوني ... غداةَ الشِّعْبِ لم تَذُق الشَّرَابا
(أتجْزِي القَيْنَ نِعْمتَها عليكم ... ولا تَجْزي بنعمتها كِلاَبَا)
وأما بنو عامر فيزعمون أن سنانا انصرف ذات يوم هو وناس من طيىء وغيرهم قبل الوقعة فبلغه أن بني عامر يقولون مننا عليه فأنشأ يقول
(واللّه ما مَنُّوا ولكن شِكَّتِي ... مَنَّتْ وحادرةُ المَنَاكِبِ صِلْدِمُ)
(بخرير شول يومَ يُدْعَى عامرٌ ... لا عاجزٌ ورَعٌ ولا مستسلمُ)
وأما مارق فتدعي أسر سنان يومئذ على الثواب ثم أتوه فلم يصنع بهم خيرا
فقال معقر بن أوس بن حمار البارقي
(مَتَى تَكُ في ذُبْيانَ منك صنيعةٌ ... فلا تَحْمَدَنْها الدَّهْرَ بعد سِنَانِ)
(يَظَلّ يُمَنِّينا بحسن ثوابهِ ... لكم مائةٌ يحدو بها فَرَسان)
(مخاضٌ أُوَدِّيها وحلّ لقائحٍ ... وأُكْرِمُ مثوى منكُم مَنَ اتاني)
(فجئناه للنُّعْمَى فكان ثوابَه ... رَغوثٌ ووطْبًا حازِرٍ مَذِقان)
((وظلّ ثلاثاً يسأل الحيّ ما يرى ... يُؤامرهم فينا له أَمَلان
(فإن كنتَ هذا الدهرَ لا بدّ شاكراً ... فلا تثقنْ بالشكر في غَطَفان)
تأريخ يوم جبلة وما قيل فيه من الشعر
قال وكان جبلة قبل الإسلام بتسع وخمسين سنة قبل مولد النبي بتسع عشرة سنة
وولد النبي عام الفيل ثم أوحى الله إليه بعد أربعين سنة وقبض وهو ابن ثلاث وستين سنة وقدم عامر بن الطفيل في

السنة التي قبض فيها قال وهو ابن ثمانين سنة
وقال المعقر بن أوس بن حمار البارقي حليف بني نمير بن عامر
(أمنْ آل شعْثاءَ الحُمولُ البواكرُ ... مع اللّيل أم زالتْ قُبَيْلُ الأباعرُ)
(وحلّت سُلَيْمَى في هضَابٍ وأيكةٍ ... فليس عليها يومَ ذلك قادر)
(وألْقت عصاها واستقرّت بها النَّوَى ... كما قَرَّ عيناً بالإياب المسافر)
(وصبّحها أملاكُها بكتيبةٍ ... عليها إذا أمستْ من الله ناظرُ)
(معاويةُ بنُ الجون ذُبْيانُ حولَه ... وحَسّانُ في جَمْع الرِّباب مُكَاثِرُ)
(فمرّوا بأطناب البيوت فردّهم ... رجالٌ بأطراف الرماح مساعرُ)
(وقد جمعوا جمعاً كأن زُهاءَه ... جَرادٌ هوَى في هَبْوَةٍ متطايرُ)
((فباتوا لنا ضَيْفاً وبِتْنَا بنَعْمةٍ ... لنا مُسْمِعاتٌ بالدُّفوف وسامِرُ
(ولم نَقْرِهم شيئاً ولكنّ قَصْدَهم ... صَبُوحٌ لدينا مَطْلَعَ الشَّمس حازرُ)
(صبَحْناهُم عند الشُّروق كتائباً ... كأركان سَلْمَى شَبْرُها متواتر)
(كأنّ نَعامَ الدَّو باضَ عليهمُ ... وأعْيُنُهم تحت الحبيكِ جواحرُ)
الحبيك في البيض إحكام عملها وطرائقها
(من الضاربين الكَبْشَ يمشون مَقْدَماً ... إذا غَصّ بالرِيق القليلِ الحناجرُ)
(وظنّ سَراةُ القومِ ألاّ يُقَتَّلوا ... إذا دُعِيَتْ بالسَّفْح عَبْسٌ وعامرُ)
(ضربنا حَبِيكَ البَيْض في غَمْرِ لُجّةٍ ... فلم يَبْقَ في الناجين منهم مفاخرُ)
(ولم ينجُ إلاَّ مَنْ يكون طِمِرُّه ... يُوائلُ أو نَهْدٌ مُلِحٌّ مُثَابِرُ)
(هوَى زَهْدَمٌ تحت الغُبار لحاجبٍ ... كما انقضّ أقنَى ذو جناحين ماهرُ)
(هما بطلان يَعْثُران كلاهما ... أراد رئاس السيف والسيف نادر)
(ولا فضلَ إلا أن يكون جَراءةٌ ... وذُبيانَ تسمو والرؤوسُ حواسرُ)
(ينوءُ وكفّا زَهْدَمٍ من ورائه ... وقد عَلِقتْ ما بينهن الأظافرُ)
((يفرّج عنّا كلَّ ثَغْرٍ نخافُه ... مِسَحٌّ كسِرْحان القَصيمةِ ضامرُ
القصيمة من الرمل ما أنبتت الغضى والرمث
(وكلُّ طَمُوحٍ في العِنَانِ كأنّها ... إذا اغتمست في الماء فَتْخاءُ كاسرُ)
(لها ناهضٌ في المهد قد مَهَدْت لها ... كما مَهَدْت للبَعْل حسناءُ عاقرُ)
وبهذا البيت سمي معقرا واسمه سفيان بن أوس
وإنما خص العاقر لأنها أقل دلا على الزوج من الولود فهي تصنع له وتداريه
(تخاف نِساءً يبتدرنَ حليلَها ... مُحَرَّدةً قد حَرَّدَتْها الضراءُ)
وقال عامر بن الطفيل بعد ذلك بدهر
(ويومَ الْجَمع لاَقَيْنَا لَقِيطاً ... كَسَوْنَا رأسَه عَضْباً حُسَامَا)
(أسرْنَا حاجباً فَثوَى بقدٍّ ... ولم نترك لنسوته سَوَامَا)
(وجمْعُ الجَوْن إذ دَلَفُوا إلينا ... صَبَحْنَا جَمْعَهم جَيْشاً لُهَامَا)
وقال لبيد بن ربيعة في ذلك
(وهُمُ حُمَاةُ الشِّعْب يومَ تواكلتْ ... أسَدٌ وذُبْيَانُ الصَّفَا وتميمُ)
(فارتَثّ كَلْماهم عَشيّةَ هَزْمِهم ... حَيٌّ بمُنْعَرَجِ المَسِيل مُقِيمُ)
تم اليوم والحمد لله

صوت

(أيجمُل ما يُؤْتَى إلى فتياتكم ... وأنتم رجالٌ فيكم عَدَدُ النّمْل)
(فلو أننا كنا رجالاً وكنتُم ... نساءَ حِجَالِ لم نُقِرَّ بذا الفعل)
الشعر لعفيرة بنت عفار وقيل بنت عباد الجديسية التي يقال لها الشموس
والغناء لعريب خفيف ثقيل أول مطلق في مجرى البنصر
وفيه لحن من الثقيل الأول قديم

سبب مقتل عمليق ملك طسم

أخبرني بهذا الشعر والسبب الذي من أجله قيل علي بن سليمان الأخفش عن السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل أن عمليقا ملك طسم بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام وجديس بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام وكانت منازلهم في موضع اليمامة كان في أول مملكته قد تمادى في الظلم والغشم والسيرة بغير الحق وأن امرأة من جديس كان يقال لها هزيلة وكان لها زوج يقال له قرقس فطلقها وأراد أخذ ولدها منها فخاصمته الى عمليق فقالت يا أيها الملك إني حملته تسعا ووضعته دفعا وأرضعته شفعا حتى إذا تمت أوصاله ودنا فصاله أراد أن يأخذه مني كرها ويتركني من بعده ورها
فقال لزوجها ما حجتك قال حجتي أيها الملك أني قد أعطيتها المهر كاملا ولم أصب منها طائلا إلا وليدا خاملا فافعل ما كنت فاعلا
فأمر بالغلام أن ينزع منهما جميعا ويجعل في غلمانه وقال لهزيلة ابغيه ولدا ولا تنكحي أحدا واجزيه صفدا
فقالت هزيلة أما النكاح فإنما يكون بالمهر وأما السفاح فإنما يكون بالقهر وما لي فيهما من أمر
فلما سمع ذلك عمليق أمر بأن تباع هي وزوجها فيعطى زوجها خمس ثمنها وتعطى هزيلة عشر ثمن زوجها فأنشأت تقول
(أتينا أخا طسم ليحكم بيننا ... فأنفذ حكما في هزيلة ظالما)
(لَعَمْري لقد حُكِّمْتَ لا مُتَوَرِّعاً ... ولا كنتَ فيما تُبرم الحكم عالما)
(نَدِمتُ ولم أنْدَمْ وأنّي بَعَثْرتي ... وأصبح بعلي في الحكومة نادِما)

فلما سمع عمليق قولها أمر ألا تزوج بكر من جديس وتهدى الى زوجها حتى يفترعها هو قبل زوجها فلقوا من ذلك بلاء وجهدا وذلا
فلم يزل يفعل هذا حتى زوجت الشموس وهي عفيرة بنت عباد أخت الأسود الذي وقع الى
جبل طيىء فقتلته طيىء وسكنوا الجبل من بعده
فلما أرادوا حملها الى زوجها أنطلقوا بها الى عمليق لينالها قبله ومعها القيان يتغنين
(اِبدَي بِعِمْلِيقٍ وقُومِي فاركَبِي ... وبَادِري الصُّبْحَ لأمرٍ مُعْجِبِ)
(فسوف تَلقَيْنَ الذي لم تطلُبي ... وما لِبِكْرٍ عنده من مَهْرَبِ)
افترع عفيرة بنت عباد فحرضت قومها عليه
فلما أن دخلت عليه أفترعها وخلى سبيلها
فخرجت إلى قومها في دمائها شاقة درعها من قبل ومن دبر والدم يسيل وهي في أقبح منظر وهي تقول
(لا أحدٌ أذَلّ من جَدِيسِ ... أهكذا يُفْعَلُ بالعَرُوسِ)
(يرضَى بهذا يا لَقَوْمِي حُرٌّ ... أهْدَى وقد أعطَى وسِيقَ المَهْرُ)
(لأخذةُ الموتِ كذا لنفسِه ... خيرٌ مِن انْ يُفْعَلَ ذا بعِرْسِه)
وقالت تحرض قومها فيما أتي إليها
(أيَجْمُلُ ما يُؤتَى الى فَتَيَاتكم ... وأنتم رجالٌ فيكم عَدَدُ النَّمْلِ)
(وتُصبِحُ تمشِي في الدِّماء عَفِيرةٌ ... جِهاراً وزُفَّتْ في النساء الى بعل)
(ولو أننا كنا رجالاً وكنتم ... نساءً لَكُنّا لا نُقِرّ بذا الفعل)
(فموتُوا كِراماً أو أميتوا عَدُوّكم ... ودِبّوا لنار الحرب بالحَطَبِ الجَزْلِ)
(وإلا فَخَلُّوا بطنَها وتحمّلوا ... الى بَلَدٍ قَفْرٍ ومُوتوا من الهُزْلِ)
((فللبينُ خيرٌ مِن مُقَامٍ على أذًى ... ولَلْمَوْتُ خيرٌ من مُقَامٍ على الذُّلّ
(وإن أنتمُ لم تغضَبوا بعدَ هذه ... فكونوا نساءً لا تُعاب من الكُحْلِ)
(ودونَكُم طِيبَ العروس فإنما ... خُلِقتم لأثواب العروس وللغِسْلِ)
(فبُعْداً وسُحْقاً للذي ليس دافعاً ... ويختال يمشي بيننا مِشْيَةَ الفَحْلِ)
فلما سمع الأسود أخوها ذلك وكان سيدا مطاعا قال لقومه يا معشر جديس إن هؤلاء القوم ليسوا بأعز منكم في داركم
إلا بما كان من ملك صاحبهم علينا وعليهم ولولا عجزنا وإدهاننا ما كان له فضل علينا
ولو امتنعنا لكان لنا منه النصف
فأطيعوني فيما آمركم به فإنه عز الدهر وذهاب ذل العمر وأقبلوا رأيي
قال وقد أحمى جديسا ما سمعوا من قولها فقالوا نطيعك ولكن القوم أكثر وأحمى وأقوى
قال فإني أصنع للملك طعاما ثم أدعوهم له جميعا
فإذا جاؤوا يرفلون في الحلل ثرنا الى سيوفنا وهم غارون فأهمدناهم بها
قالوا نفعل
فصنع طعاما كثيرا وخرج به الى ظهر بلدهم ودعا عمليقا وسأله أن يتغدى عنده هو وأهل بيته فأجابه الى ذلك وخرج إليه
مع أهله يرفلون في الحلى والحلل حتى إذا أخذوا مجالسهم ومدوا أيديهم إلى الطعام أخذوا سيوفهم من تحت أقدامهم
فشد الأسود على عمليق فقتله وكل رجل منهم على جليسه حتى أماتوهم
فلما فرغوا من الأشراف شدوا على السفلة فلم يدعوا منهم أحدا
فقال الأسود في ذلك
((ذُوقي ببغيك يا طَسْمُ مجلّلةً ... فقد أتيتِ لَعَمْرِي أعجبَ العجبِ
(إنّا أبينا فلم ننفكَ نقتُلهم ... والبَغْيُ هيّج منّا سَورةَ الغضب)
(ولن يعودَ علينا بغيُهم أبداً ... ولن يكونوا كذي أنْفٍ ولا ذنب)
(وإن رَعَيْتم لنا قُرْبى مُؤَكَّدةً ... كنّا الأقاربَ في الأرحام والنسب)
ثم إن بقية طسم لجأوا إلى حسان بن تبع فغزا جديسا فقتلها وأخرب بلادها
فهرب الأسود قاتل عمليق فأقام بجبلي طيىء قبل نزول طيىء إياهما
وكانت طيىء تسكن الجرف من أرض اليمن
وهو اليوم محلة مراد وهمدان وكان سيدهم يومئذ أمامة بن لؤي بن الغوث بن طيىء وكان الوادي مسبعة وهم قليل
عددهم وقد كان ينتابهم بعير في أزمان الخريف ولم يدر أين يذهب ولم يروه إلى قابل وكانت الأزد قد خرجت من اليمن
أيام العرم فاستوحشت طيىء لذلك وقالت قد ظعن إخواننا فصاروا الى الأرياف
فلما هموا بالظعن قالوا لأسامة إن هذا البعير يأتينا من بلد ريف وخصب
وإنا لنرى في بعره النوى
فلو أننا نتعهده عند انصرافه فشخصنا معه لكنا نصيب مكانا خيرا من مكاننا هذا
فأجمعوا أمرهم على ذلك
فلما كان الخريف جاء البعير فضرب في إبلهم فلما انصرف احتملوا واتبعوه يسيرون بسيره ويبيتون حيث يبيت حتى هبط على الجبلين
فقال أسامة بن لؤي
(اِجْعَلْ طَرِيباً كحبيبٍ يُنْسَى ... لكل قَوْمٍ مُصْبَحٌ ومُمْسَى)
قال وطريب اسم الموضع الذي كانوا ينزلون به
فهجمت طيىء على النخل في الشعاب وعلى مواش كثيرة وإذا هم برجل في شعب من تلك الشعاب وهو الأسود بن عباد فهالهم ما رأوا من عظم خلقه وتخوفوه وقد
نزلوا ناحية من الأرض واستبروها هل يرون بها أحدا غيره فلم يروا
فقال أسامة بن لؤي لابن له يقال له الغوث أي بني إن قومك قد عرفوا فضلك عليهم في الجلد والبأس والرمي فإن كفيتنا

هذا الرجل سدت قومك آخر الدهر وكنت الذي أنزلتنا هذا البلد
فانطلق الغوث حتى أتى الرجل فكلمه وساءله
فعجب الأسود من صغر خلق الغوث فقال له من أين أقبلتم قال من اليمن وأخبره خبر البعير ومجيئهم معه وأنهم رهبوا ما رأوا من عظم خلقه وصغرهم عنه وشغلوه بالكلام فرماه الغوث بسهم فقتله وأقامت طيىء بالجبلين بعده فهم هنالك الى اليوم
صوت
(إذا قبّل الإنسانُ آخرَ يشتهي ... ثناياه لم يَحْرَجْ وكان له أجراً)
(فإن زاد زاد اللهُ في حسَناته ... مثاقيلَ يمحو اللهُ عنه بها وزرْا)
الشعر لرجل من عذرة
والغناء لعريب ثقيل أول بالوسطى
عمر بن أبي ربيعة وصاحبه العذري
نسخت هذا الخبر من كتاب محمد بن موسى بن حماد قال ذكر الرياشي قال قال حماد الراوية أتيت مكة فجلست في حلقة فيها عمر بن أبي ربيعة فتذاكروا من العذريين فقال عمر بن أبي ربيعة كان لي صديق من عذرة يقال له الجعد بن مهجع وكان أحد بني سلامان وكان يلقى مثل الذي ألقى من الصبابة بالنساء والوجد بهن على أنه كان لا عاهر الخلوة ولا سريع السلوة
وكان يوافي الموسم في كل سنة فإذا راث عن وقته ترجمت عنه الأخبار وتوكفت له الأسفار حتى يقدم
فغمني ذات سنة إبطاؤه حتى قدم حجاج عذرة فأتيت القوم أنشد صاحبي وإذا غلام قد تنفس الصعداء ثم قال أعن أبي المسهر تسأل قلت عنه أسأل وإياه أردت
قال هيهات هيهات أصبح والله أبو المسهر لا مؤيسا فيهمل ولا مرجوا فيعلل أصبح والله كما قال القائل
(لَعَمْرُكَ ما حُبِّي لأسماء تاركي ... أعيشُ ولا أقضي به فأموت)
قال قلت وما الذي به قال مثل الذي بك من تهوركما في الضلال وجركما أذيال الخسار فكأنكما لم تسمعا بجنة ولا نار
قلت من أنت منه يا بن أخي قال أخوه
قلت أما والله يا بن أخي ما يمنعك أن تسلك مسلك أخيك من الأدب وأن تركب منه مركبه إلا أنك وأخاك كالبرد والبجاد لا ترقعه ولا يرقعك ثم صرفت وجه ناقتي وأنا أقول
(أرائحةٌ حُجَّاجُ عُذْرَةَ وجْهةً ... ولَمَّا يَرُحْ في القوم جَعْدُ بنُ مِهْجَعِ)
(خليلانِ نشكو ما نُلاَقِي من الهوى ... متى ما يَقُلْ أسمَعْ وإن قلتُ يَسمع)
(ألاَ ليت شعري أيُّ شيءٍ أصابه ... فلي زَفَراتٌ هِجْنَ ما بين أضلُعي)
(... فلا يُبْعِدَنْكَ الله خِلاًّ فإنني ... سألقَى كما لاقيتَ في كلِّ مَصْرَعِ)
ثم انطلقت حتى وقفت موقفي من عرفات
فبينا أنا كذلك إذ أنا بإنسان
قد تغير لونه وساءت هيئته فأدنى ناقته من ناقتي حتى خالف بين أعناقهما ثم عانقني وبكى حتى اشتد بكاؤه
فقلت ما وراءك قال برح العذل وطول المطل ثم أنشأ يقول
(لئن كانت عُدَيَّةُ ذاتَ لُبٍّ ... لقد علِمتْ بأنّ الحبّ داء)
(ألم تنظُرْ إلى تغيير جسمي ... وأنّي لا يفارقُني البكاء)
(ولو أنّي تكلّفتُ الذي بي ... لقَفَّ الكَلْمُ وانكشف الغطاء)
(فإنّ معاشري ورجالَ قومي ... حُتُوفُهم الصّبابةُ واللِّقاء)
(إذا العُذْرِيُّ مات خَلِيَّ ذَرْعٍ ... فذاك العبدُ يبكيه الرِّشاء)
فقلت يا أبا المسهر إنها ساعة تضرب إليها أكباد الإبل من شرق الأرض وغربها
فلو دعوت الله كنت قمنا أن تظفر بحاجتك وأن تنصر على عدوك
قال فتركني وأقبل على الدعاء
فلما نزلت الشمس للغروب وهم الناس أن يفيضوا سمعته يتكلم بشيء فأصغيت إليه فإذا هو يقول
(يا رَبَّ كلِّ غَدْوةٍ ورَوْحهْ ... من مُحْرِمٍ يشكو الضُّحَى ولَوْحَهْ)
(... أنت حسيبُ الخَلْق يومَ الدَّوْحهْ)
عمر بن أبي ربيعة يسعى لزواج الجعد بن مهجع من عشيقته
فقلت له وما يوم الدوحة قال والله لأخبرنك ولو لم تسألني
فيممنا
نحو مزدلفة فأقبل علي وقال إني رجل ذو مال كثير من نعم وشاء وذو المال لا يصدره ولا يرويه الثماد
وقطر الغيث أرض كلب فانتجعت أخوالي منهم فأوسعوا لي عن صدر المجلس وسقوني جمة الماء وكنت فيهم في خير أخوال
ثم إني عزمت على موافقة إبلي بماء لهم يقال له الحوذان فركبت فرسي وسمطت خلفي شرابا كان أهداه إلي بعضهم ثم مضيت حتى إذا كنت بين الحي ومرعى النعم رفعت لي دوحة عظيمة فنزلت عن فرسي وشددته بغصن من أغصانها وجلست في ظلها
فبينا أناكذلك إذ سطع غبار من ناحية الحي ورفعت لي شخوص ثلاثة ثم تبينت فإذا فارس يطرد مسحلا وأتانا فتأملته فإذا عليه درع أصفر وعمامة خز سوداء وإذا فروع شعره تضرب خصريه فقلت غلام حديث عهد بعرس أعجلته لذة الصيد فترك ثوبه ولبس ثوب أمرأته
فما جاز علي إلا يسيرا حتى طعن المسحل وثنى طعنة للأتان فصرعهما وأقبل راجعا نحوي وهو يقول
(نَطْعُنُهم سُلْكَى ومخلوجةً ... كَرَّكَ لامَيْن على نابِل)
فقلت إنك قد تعبت وأتعبت فلو نزلت فثنى رجله فنزل فشد فرسه
حذف 176

بغصن من أغصان الشجرة وألقى رمحه وأقبل حتى جلس فجعل يحدثني حديثا ذكرت به قول أبي ذؤيب
(وإنّ حديثاً منكِ لو تَبْذُلِينَه ... جَنَى النَّحْل في ألبان عُوذٍ مَطَافِلِ)
فقمت إلى فرسي فأصلحت من أمره ثم رجعت وقد حسر العمامة عن رأسه فإذا غلام كأن وجهه الدينار المنقوش
فقلت سبحانك اللهم ما أعظم قدرتك وأحسن صنعتك
فقال مم ذاك قلت مما راعني من جمالك وبهرني من نورك
قال وما الذي يروعك من حبيس التراب وأكيل الدواب ثم لا يدري أينعم بعد ذلك أم ييأس
قلت لا يصنع الله بك إلا خيرا
ثم تحدثنا ساعة فأقبل علي وقال ما هذا الذي أرى قد سمطت في سرجك قلت شراب أهداه إلي بعض أهلك فهل لك فيه من أرب قال أنت وذاك
فأتيته به فشرب منه وجعل ينكت أحيانا بالسوط على ثناياه فجعل والله يتبين لي ظل السوط فيهن
فقلت مهلا فإني خائف أن تكسرهن
فقال ولم قلت لأنهن رقاق وهن عذاب
قال ثم رفع عقيرته يتغنى
(إذا قبّل الإنسانُ آخر يشتهي ... ثناياه لَمْ يأثَمْ وكان له أجْراً)
(فإن زاد زاد الله في حَسَناته ... مثاقيلَ يمحو الله عنه بها الوزْرَا)
ثم قام إلى فرسه فأصلح من أمره ثم رجع
قال فبرقت لي بارقة تحت الدرع فإذا ثدي كأنه حق عاج
فقلت نشدتك الله امرأة قالت إي والله إلا أني أكره العشير وأحب الغزل
ثم جلست فجعلت تشرب معي ما أفقد
من أنسها شيئا حتى نظرت إلى عينيها كأنهما عينا مهاة مذعورة
فوالله ماراعني إلا ميلها على الدوحة سكرى
فزين لي والله الغدر وحسن في عيني ثم إن الله عصمني منه فجلست حجرة منها
فما لبث إلا يسيرا حتى انتبهت فزعة فلاثت عمامتها برأسها وجالت في متن فرسها وقالت جزاك الله عن الصحبة خيرا
قلت أو ما تزودينني منك زادا فناولتني يدها فقبلتها فشممت والله منها ريح المسك المفتوت فذكرت قول الشاعر
(كأنها إذ تقضّى النوم وانتبهت ... سحَابةٌ ما لها عينٌ ولا أثرُ)
قلت وأين الموعد قالت إن لي إخوة شرسا وأبا غيورا
ووالله لأن أسرك أحب إلي من أن أضرك ثم انصرفت
فجعلت أتبعها بصري حتى غابت
فهي والله يا بن أبي ربيعة أحلتني هذا المحل وأبلغتني
فقلت له يا أبا المسهر إن الغدر بك مع ما تذكر لمليح
فبكى واشتد بكاؤه
فقلت لاتبك فما قلت لك ما قلت إلا مازحا ولو لم أبلغ في حاجتك بمالي لسعيت في ذلك حتى أقدر عليه فقال لي خيرا
فلما انقضى الموسم شددت على ناقتي وشد على ناقته ودعوت غلامي فشد على بعير له وحملت عليه قبة حمراء من أدم كانت لأبي ربيعة المخزومي وحملت معي ألف دينار ومطرف خز وانطلقنا حتى أتينا بلاد كلب فنشدنا عن أبي الجارية فوجدناه في نادي قومه وإذا هو سيد الحي وإذا الناس حوله فوقفت على القوم فسلمت فرد الشيخ السلام ثم قال من الرجل قلت عمر بن أبي ربيعة بن المغيرة فقال المعروف غير المنكر فما الذي جاء بك قلت خاطبا
قال الكفء والرغبة
قلت إني لم آت ذلك لنفسي عن غير زهاده فيك ولا جهالة بشرفك ولكني أتيت في حاجة ابن أختكم العذري وها هو ذاك
فقال
والله إنه لكفيء الحسب رفيع البيت غير أن بناتي لم يقعن إلا في هذا الحي من قريش فوجمت لذلك وعرف التغير في وجهي فقال أما إني صانع بك ما لم أصنعه بغيرك
قلت وما ذاك فمثلي من شكر قال أخيرها فهي وما اختارت
قلت ما أنصفتني إذ تختار لغيري وتولي الخيار غيرك
فأشار إلي العذري أن دعه يخيرها
فأرسل إليها إن من الأمر كذا وكذا
فأرسلت إليه ما كنت لأستبد برأي دون القرشي فالخيار في قوله حكمه
فقال لي إنها قد ولتك أمرها فاقض ما أنت قاض
فحمدت الله عز وجل وأثنيت عليه وقلت اشهدوا أني قد زوجتها من الجعد بن مهجع وأصدقتها هذا الألف الدينار وجعلت تكرمتها العبد والبعير والقبة وكسوت الشيخ المطرف وسألته أن يبني بها عليه في ليلته
فأرسل إلى أمها فقالت أتخرج ابنتي كما تخرج الأمة فقال الشيخ هجري في جهازها فما برحت حتى ضربت القبة في وسط الحريم ثم أهديت إليه ليلا وبت أنا عند الشيخ
فلما أصبحت أتيت القبة فصحت بصاحبي فخرج إلي وقد أثر السرور فيه فقلت كيف كنت بعدي وكيف هي بعدك فقال لي أبدت لي والله كثيرا مما كانت أخفته عني يوم لقيتها
فسألتها عن ذلك فأنشأت تقول
(كتمتُ الهوى لما رأيتك جازعاً ... وقلتُ فتىً بعضَ الصديق يريد)
(وأنْ تَطْرَحَنّي أو تقولَ فُتَيَّةٌ ... يَضُرّ بها بَرْحُ الهوى فتعود)
(فورّيتُ عمّا بي وفي داخل الحَشَى ... من الوجد بَرْحٌ فاعْلَمَنّ شديدُ)
فقلت أقم على أهلك بارك الله لك فيهم وانطلقت وأنا أقول

(كفيتُ أخي العذريَّ ما كان نابَه ... وإني لأعباء النوائب حَمّال)
(أمَا استُحْسِنتْ منّي المَكَارِمُ والعُلاَ ... إذا طُرِحتْ إنّي لمالي بَذّال)
وقال العذري
(إذا ما أبو الخَطّاب خلّى مكانَه ... فَأُفٍّ لِدُنْيَا ليس من أهلها عُمَرْ)
(فلا حَيَّ فِتْيانُ الحجازين بعدَه ... ولا سُقِيتْ أرضُ الحجازين بالمطرْ)
صوت
(إنّ الخليطَ قَد ازْمَعوا تَرْكي ... فوقفتُ في عَرَصاتهم أبكي)
(جِنِّيَّةٌ بَرَزتْ لتقتُلَني ... مَطْلِيَّةُ الأصداغ بالمِسك)
(عجباً لمثلكِ لا يكونُ له ... خَرْجُ العِراقِ ومِنْبَرُ الملكِ)
الشعر لابن قيس الرقيات يقوله في عائشة بنت طلحة والغناء لمعبد
ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر
والسبب في قول ابن قيس هذا الشعر فيها يذكر في أخبارها إن شاء الله تعالى
أخبار عائشة بنت طلحة ونسبها
عائشة بنت طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم
وأمها أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق
أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد قال أبي قال مصعب
كانت فريدة بين نساء عصرها
كانت عائشة بنت طلحة لا تستر وجهها من أحد
فعاتبها مصعب في ذلك فقالت إن الله تبارك وتعالى وسمني بميسم جمال أحببت أن يراه الناس ويعرفوا فضلي عليهم
فما كنت لأستره ووالله ما في وصمة يقدر أن يذكرني بها أحد
وطالت مرادة مصعب إياها في ذلك وكانت شرسة الخلق
قال وكذلك نساء بني تيم هن أشرس خلق الله وأحظاه عند أزواجهن
وكانت عند الحسين بن علي صلوات الله عليهما أم إسحاق بنت طلحة فكان يقول والله لربما حملت ووضعت وهي
مصارمة لي لا تكلمني
قال نالت عائشة من مصعب وقالت علي كظهر أمي وقعدت في
غرفة وهيأت فيها ما يصلحها
فجهد مصعب أن تكلمه فأبت
فبعث إليها ابن قيس الرقيات فسألها كلامه فقالت كيف بيميني فقال ها هنا الشعبي فقيه أهل العراق فاستفتيه
فدخل عليها فأخبرته فقال ليس هذا بشيء
فقالت أتحلني وتخرج خائبا فأمرت له بأربعة آلاف درهم
وقال ابن قيس الرقيات لما رآها
(جِنِّيَّةٌ بَرَزتْ لتقتلنا ... مَطْلِيَّةُ الأقراب بالمِسْك)
وذكر باقي الأبيات
هي وأشعب يتآمران على مصعب
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا محمد بن إسحاق اليعقوبي قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ عن محمد بن
الحكم قال
كان أشعب يألف مصعبا فغضبت عليه عائشة بنت طلحة يوما وكانت من أحب الناس إليه فشكا ذلك إلى أشعب
فقال ما لي إن رضيت قال حكمك
قال عشرة آلاف درهم
قال هي لك فانطلق حتى أتى عائشة فقال جعلت فداءك قد علمت حبي لك وميلي قديما وحديثا
إليك من غير منالة ولا فائدة
وهذه حاجة قد عرضت تقضين بها حقي وترتهنين بها شكري
قالت وما عناك قال قد جعل لي الأمير عشرة آلاف درهم إن رضيت عنه
قالت ويحك لا يمكنني ذلك
قال بأبي أنت فارضي عنه حتى يعطيني ثم عودي الى ما عودك الله من سوء الخلق
فضحكت منه ورضيت عن مصعب
وقد ذكر المدائني أن هذه القصة كانت لها مع عمر بن عبيد الله بن معمر وأن الرسول إليها والمخاطب لها بهذه المخاطبة
ابن أبي عتيق
وأخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد قال أبي حدثت عن صالح بن حسان قال
كان بالمدينة امرأة حسناء تسمى عزة الميلاء يألفها الأشراف وغيرهم من أهل المروءات وكانت من أظرف الناس
وأعلمهم بأمور النساء
فأتاها مصعب بن الزبير وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر وسعيد بن العاص فقالوا إنا خطبنا فانظري لنا فقالت لمصعب
يا بن أبي عبد الله ومن خطبت فقال عائشة بنت طلحة
فقالت فأنت يا بن أبي أحيحة قال عائشة بنت عثمان
قالت فأنت يابن الصديق قال أم القاسم بنت زكريا بن طلحة
قالت يا جارية هاتي منقلي تعني خفيها فلبستهما وخرجت ومعها خادم لها فإذا هي بجماعة يزحم بعضهم بعضا فقالت
يا جارية انظري ما هذا
فنظرت ثم رجعت فقالت امرأة أخذت مع رجل
فقالت داء قديم امض ويلك

فبدأت بعائشة بنت طلحة فقالت فديتك كنا في مأدبة أو مأتم لقريش فتذاكروا جمال النساء وخلقهن فذكروك فلم أدر كيف أصفك فديتك
فألقي ثيابك ففعلت فأقبلت وأدبرت فارتج كل شيء منها
فقالت لها عزة خذي ثوبك فديتك
فقالت عائشة قد قضيت
حاجتك وبقيت حاجتي
قالت عزة وما هي بنفسي أنت قالت تغنيني صوتا
فاندفعت تغني لحنها
صوت
(خَليليَ عُوجَا بالمَحَلّة من جُمْلِ ... وأترابِها بين الأُصَيْفِرِ والخبلِ)
(نَقِفْ بمغانٍ قد محا رسمَها البِلَى ... تَعَاقَبُها الأيّام بالريحِ والوبْلِ)
(فلو دَرج النملُ الصِّغارُ بجلدها ... لأندَبَ أعلَى جِلْدِها مَدْرَجُ النمل)
(وأحسنُ خلق الله جيداً ومقلةً ... تُشَبَّه في النسوان بالشادن الطِّفْل)
الشعر لجميل بن عبد الله بن معمر العذري
والغناء لعزة الميلاء ثقيل أول بالوسطى فقامت عائشة فقبلت ما بين عينيها ودعت لها بعشرة أثواب وبطرائف من أنواع الفضة وغير ذلك فدفعته الى مولاتها فحملته
وأتت النسوة على مثل ذلك تقول ذلك لهن حتى أتت القوم في السقيفة
فقالوا ما صنعت فقالت يابن أبي عبد الله أما عائشة فلا والله إن رأيت مثلها مقبلة ومدبرة محطوطة المتنين عظيمة العجيزة ممتلئة الترائب نقية الثغر وصفحة الوجه فرعاء الشعر لفاء الفخذين ممتلئة الصدر
خميصة البطن ذات عكن ضخمة السرة مسرولة الساق يرتج مابين أعلاها الى قدميها وفيها عيبان أما أحدهما فيواريه الخمار وأما الآخر فيواريه الخف عظم القدم والأذن
وكانت عائشة كذلك
ثم قالت عزة وأما أنت يا بن أبي أحيحة فإني والله ما رأيت مثل خلق عائشة بنت عثمان لامرأة قط ليس فيها عيب والله لكأنما أفرغت إفراغا ولكن في الوجه ردة وإن استشرتني أشرت عليك بوجه تستأنس به
وأما أنت يابن الصديق فوالله ما رأيت مثل أم القاسم كأنها خوط بانة تنثني وكأنها جدل عنان أو كأنها جان يتثنى على رمل لو شئت أن تعقد أطرافها لفعلت
ولكنها شختة الصدر وأنت عريض الصدر فإذا كان ذلك كان قبيحا لا والله حتى يملأ كل شيء مثله
قال فوصلها الرجال والنساء وتزوجوهن
أخبرني الطوسي وحرمي عن الزبير عن عمه وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الزبيري والمدائني ونسخت بعض هذه الأخبار من كتاب أحمد بن الحارث عن المدائني وجمعت ذلك قالوا جميعا
إن أم عائشة بنت طلحة أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق وأمها حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير من بني الخزرج بن الحارث
قالوا وكانت عائشة بنت طلحة تشبه بعائشة أم المؤمنين خالتها
فزوجتها عائشة عبد الله بن عبد
الرحمن بن أبي بكر وهو ابن أخيها وابن خال عائشة بنت طلحة وهو أبو عذرها فلم تلد من أحد من أزواجها سواه ولدت له عمران وبه كانت تكنى وعبد الرحمن وأبا بكر وطلحة ونفيسة وتزوجها الوليد بن عبد الملك ولكل هؤلاء عقب
وكان ابنها طلحة من أجواد قريش وله يقول الحزين الديلي
(فإنْ تك يا طَلْحَ أعطيتَني ... عُذافِرةً تَستْخِفّ الضِّفارا)
(فما كان نَفْعُك لي مَرّةً ... ولا مَرّتين ولكن مِرارا)
(أبوك الذي صدّق المصطفى ... وسار مع المصطفى حيث سارا)
(وأُمُّك بيضاء تَيْمِيّةٌ ... إذا نُسِب الناسُ كانوا نُضَارا)
قال فصارمت عائشة بنت طلحة زوجها وخرجت من دارها غضبى فمرت في المسجد وعليها ملحفة تريد عائشة أم المؤمنين فرآها أبو هريرة فقال سبحان الله كأنها من الحور العين
فمكثت عند عائشة أربعة أشهر
وكان زوجها قد آلى منها فأرسلت عائشة إني أخاف عليك الإيلاء فضمها إليه
وكان موليا منها فقيل له طلقها فقال
(يقولون طَلِّقْها لأُصبحَ ثاوياً ... مُقيماً عليّ الهمُّ أحلامُ نائِم)
(وإنّ فِرَاقي أهلَ بَيْتٍ أُحِبُّهم ... لهم زُلفةٌ عندي لإَحدى العظائم)
زواجها من مصعب بن الزبير
فتوفي عبد الله بعد ذلك وهي عنده فما فتحت فاها عليه وكانت عائشة أم المؤمنين تعدد عليها هذا في ذنوبها التي تعددها
ثم تزوجها بعده مصعب بن الزبير فأمهرها خمسمائة ألف درهم وأهدى لها مثل ذلك
وبلغ ذلك أخاه فقال إن مصعبا قدم أيره وأخر خيره
فبلغ ذلك من قوله عبد الملك بن مروان فقال لكنه أخر أيره وخيره
وكتب ابن الزبير إلى مصعب يؤنبه على ذلك ويقسم عليه أن يلحق به بمكة ولا ينزل المدينة ولا ينزل إلا بالبيداء وقال له إني لأرجو أن تكون الذي يخسف به بالبيداء فما أمرتك بنزولها إلا لهذا
وصار إليه وأرضاه من نفسه فأمسك عنه
قال وحدثني المدائني عن سحيم بن حفص قال
كان مصعب بن الزبير لا يقدر عليها إلا بتلاح ينالها منه ويضربها

فشكا ذلك إلى ابن أبي فروة كاتبه
فقال له أنا أكفيك هذا إن أذنت لي
قال نعم افعل ما شئت فإنها أفضل شيء نلته من الدنيا
فأتاها ليلا ومعه أسودان فاستأذن عليها
فقالت له أفي مثل هذه الساعة قال نعم
فأدخلته
فقال للأسودان احفرا هاهنا بئرا
فقالت له جاريتها وما تصنع بالبئر قال شؤم مولاتك أمرني هذا الفاجر أن أدفنها حية وهو أسفك خلق الله لدم حرام
فقالت عائشة فأنظرني أذهب إليه
قال هيهات لاسبيل إلى ذلك وقال للأسودين احفرا
فلما رأت الجد منه بكت ثم قالت يابن أبي فروة إنك لقاتلي ما منه بد قال نعم وإني لأعلم أن الله سيجزيه بعدك ولكنه قد غضب وهو كافر الغضب
قالت وفي أي شيء غضبه
قال في امتناعك عنه وقد ظن أنك تبغضينه وتتطلعين إلى غيره فقد جن
فقالت أنشدك الله إلا عاودته
قال إني أخاف أن يقتلني
فبكت وبكى جواريها
فقال قد
رققت لك وحلف أنه يغرر بنفسه ثم قال لها فما أقول قالت تضمن عني ألا أعود أبدا
قال فما لي عندك قالت قيام بحقك ما عشت
قال فأعطيني المواثيق فأعطته
فقال للأسودين مكانكما وأتى مصعبا فأخبره
فقال له استوثق منها بالأيمان ففعلت وصلحت بعد ذلك لمصعب
بعض اخبارها مع مصعب
قال ودخل عليها مصعب يوما وهي نائمة متصبحة ومعه ثماني لؤلؤات قيمتها عشرون ألف دينار فأنبهها ونثر اللؤلؤ في حجرها
فقالت له نومتي كانت الي من هذا اللؤلؤ
قال وصارمت مصعبا مرة فطالت مصارمتها له وشق ذلك عليها وعليه وكانت لمصعب حرب فخرج إليها ثم عاد وقد ظفر
فشكت عائشة مصارمته إلى مولاة لها
فقالت الآن يصلح أن تخرجي إليه
فخرجت فهنأته بالفتح وجعلت تمسح التراب عن وجهه
فقال لها مصعب إني أشفق عليك من رائحة الحديد
فقالت لهو والله عندي أطيب من ريح المسك الأذفر
أخبرني ابن يحيى عن حماد عن أبيه عن المسعر قال
كان مصعب من أشد الناس إعجابا بعائشة بنت طلحة ولم يكن لها شبه في زمانها حسنا ودماثة وجمالا وهيئة ومتانة وعفة وإنها دعت يوما نسوة من قريش فلما جئنها أجلستهن في مجلس قد نضد فيه الريحان والفواكه والطيب و المجمر وخلعت على كل امرأة منهن خلعة تامة من الوشي والخز ونحوهما ودعت عزة الميلاء ففعلت بها مثل ذلك وأضعفت ثم قالت لعزة
هاتي يا عزة فغنينا فغنتهن في شعر امرىء القيس
(وثَغْرٍ أغَرَّ شَتِيتِ النباتِ ... لذيذِ المُقَبَّل والمُبْتَسَمْ)
(وما ذقتُه غيرَ ظَنٍّ به ... وبالظن يقضِي عليك الحَكَمْ)
وكان مصعب قريبا منهن ومعه إخوان له فقام فانتقل حتى دنا منهن والستور مسبلة فصاح يا هذه إنا قد ذقناه فوجدناه على ما وصفت فبارك الله فيك يا عزة ثم أرسل إلى عائشة أما أنت فلا سبيل لنا إليك مع من عندك وأما عزة فتأذنين لها أن تغنينا هذا الصوت ثم تعود إليك ففعلت
وخرجت عزة إليه فغنته هذا الصوت مرارا وكاد مصعب أن يذهب عقله فرحا
ثم قال لها يا عزة إنك لتحسنين القول والوصف وأمرها بالعود إلى مجلسها وتحدث ساعة مع القوم ثم تفرقوا
وقال المدائني وذكره القحذمي أيضا في خبره فلما قتل مصعب عن عائشة خطبها بشر بن مروان وقدم عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي من الشام فنزل الكوفة فبلغه أن بشر بن مروان خطبها فأرسل إليها جارية لها وقال قولي لابنة عمي يقرئك السلام ابن عمك ويقول لك أنا خير من هذا المبسور المطحول وأنا ابن عمك وأحق بك وإن تزوجت بك ملأت بيتك خيرا وحرك أيرا
فتزوجته فبنى بها بالحيرة ومهدت له سبعة أفرشة عرضها أربع أذرع فأصبح ليلة بنى بها عن تسع
قال فلقيته مولاة لها فقالت أبا حفص فديتك قد كملت في كل شيء حتى في هذا
وقال مصعب في خبره إن بشرا بعث إليها عمر بن عبيد الله بن معمر يخطبها عليه فقالت له يا مصارع قلة أما وجد بشر رسولا الى ابنة عمك
غيرك فأين بك عن نفسك قال أو تفعلين قالت نعم فتزوجها
وقال مصعب الزبيري في خبره لما بنى بها عمر قال لها لأقتلنك الليلة فلم يصنع إلا واحدة
فقالت له لما أصبح قم يا قتال
قال وقالت له حينئذ
(قد رأيناك فلم تَحْلُ لنا ... وبلوناك فلم نرض الخبر)

وهذه الحكاية تحامل من مصعب الزبيري وعصبية
والخبر في رضاها عنه والحكاية في هذا غير ما حكاه وهو ما سبق
زواجها من عمر بن عبيد الله
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه عن ابن أبي سعد عن القحذمي أن عمر بن عبيد الله لما قدم الكوفة تزوج عائشة بنت طلحة فحمل اليها ألف ألف درهم خمسمائة ألف درهم مهرا وخمسمائة ألف هدية وقال لمولاتها لك علي ألف دينار إن دخلت بها الليلة
وأمر بالمال فحمل فألقي في الدار وغطي بالثياب
وخرجت عائشة فقالت لمولاتها أهذا فرش أم ثياب قالت انظري إليه فنظرت فإذا مال فتبسمت فقالت أجزاء من حمل هذا أن يبيت عزبا قالت لا والله ولكن لايجوز دخوله إلا بعد أن أتزين له وأستعد
قالت فيم ذا فوجهك والله أحسن من كل زينة وما تمدين يدك الى طيب أو ثوب أو مال أو فرش إلا وهو عندك
وقد عزمت عليك أن تأذني له
قالت افعلي
فذهبت إليه فقالت له بت بنا الليلة
فجاءهم عند العشاء الآخرة فأدني إليه طعام فأكل الطعام كله حتى أعرى الخوان وغسل يده وسأل عن المتوضأ فأخبرته فتوضأ وقام يصلي حتى ضاق صدري ونمت ثم قال أعليكم إذن قلت نعم
فادخل فأدخلته وأسبلت الستر
عليهما
فعددت له في بقية الليل على قلتها سبع عشرة مرة دخل المتوضأ فيها
فلما أصبحنا وقفت على رأسه فقال أتقولين شيئا قلت نعم والله ما رأيت مثلك أكلت أكل سبعة وصليت صلاة سبعة ونكت نيك سبعة
فضحك وضرب يده بيده على منكب عائشة فضحكت وغطت وجهها وقالت
(قد رأيناك فلم تحلُ لنا ... وبلوناك فلم نرضَ الخبر)
ويدل أيضا على بطلان خبره أنه لما مات ندبته قائمة ولم تندب أحدا من أزواجها إلا جالسة
فقيل لها في ذلك فقالت إنه كان أكرمهم علي وأمسهم رحما بي وأردت ألا أتزوج بعده
وكانت ندبة المرأة زوجها قائمة مما تفعله من لا تريد أن تتزوج بعد زوجها
أخبرني بذلك الحسن بن علي عن أحمد بن زهير بن حرب عن محمد بن سلام
وهذا دليل على خلاف ما ذكره مصعب
ثم رجع الخبر إلى سياقة خبرها
قال المدائني في خبره قالت امرأة كنت عند عائشة بنت طلحة فقيل لها قد جاء الأمير فتنحيت ودخل عمر بن عبيد الله وكنت بحيث أسمع كلامهما فوقع عليها فجاءت بالعجائب ثم خرج فقلت لها أنت في نفسك وموضعك وشرفك تفعلين هذا
فقالت إنا نتشهى لهذه الفحول بكل ما حركها وكل ما قدرنا عليه
قال المدائني وحدثني مسلمة بن محارب قال
قالت رملة بنت عبد الله بن خلف وكانت تحت عمر بن عبيد الله بن معمر وقد ولدت منه ابنه طلحة الجود لمولاة لعائشة بنت طلحة أريني عائشة متجردة ولك ألفا درهم
فأخبرت عائشة بذلك
قالت فإني أتجرد فأعلميها ولا تعرفيها أني أعلم
فقامت عائشة كأنها تغتسل وأعلمتها فأشرفت عليها مقبلة ومدبرة فأعطت رملة مولاتها ألفي درهم وقالت لوددت أني أعطيتك أربعة آلاف درهم ولم أرها
قال وكانت رملة قد أسنت وكانت حسنة الجسم قبيحة الوجه عظيمة الأنف
وفيها وفي عائشة يقول الشاعر
(انْعَمْ بعائشَ عَيْشاً غير ذي رَنَقٍ ... وانبذْ برملةَ نَبْذَ الجَوْرَبِ الخَلَقِ)
ويقال إن رملة قد أسنت عند عمر بن عبيد الله فكانت تجتنبه في أيام أقرائها ثم تغتسل تريه أنها تحيض وذلك بعد انقطاع حيضها
فقال في ذلك بعض الشعراء
(جعل الله كلَّ قَطْرةِ حَيْضٍ ... قَطَرتْ منكِ في حَمَاليقِ عيني)
أخبرنا بذلك الجوهري عن عمر بن شبة
وذكر هارون بن الزيات عن أبي محلم عن أبي بكر بن عياش قال
قال عمر بن عبيد الله لعائشة بنت طلحة وقد أصاب منها طيب نفس ما مر بي مثل يوم أبي فديك
فقالت له اعدد أيامك واذكر أفضلها فعد يوم سجستان ويوم قطري بفارس ونحو ذلك
فقالت عائشة
قد تركت يوما
لم تكن في أيامك أشجع منك فيه
قال وأي يوم قالت يوم أرخت عليها وعليك رملة الستر
تريد قبح وجهها
قال فمكثت عائشة عند عمر بن عبيد الله بن معمر ثماني سنين ثم مات عنها في سنة اثنتين وثمانين فتأيمت بعده فخطبها جماعة فردتهم ولم تتزوج بعده أحدا
قال المدائني كان عمر بن عبيد الله من أشد الناس غيرة فدخل يوما على عائشة وقد ناله حر شديد وغبار فقال لها انفضي التراب عني
فأخذت منديلا تنفض به عنه التراب ثم قالت له ما رأيت الغبار على وجه أحد قط كان أحسن منه على وجه مصعب قال

فكاد عمر يموت غيظا
وقال أحمد بن حماد بن جميل حدثني القحذمي قال
كانت عائشة بنت طلحة من أشد الناس مغايظة لأزواجها وكانت تكون لمن يجيء يحدثها في رقيق الثياب فإذا قالوا قد جاء الأمير ضمت عليها مطرنها وقطبت
وكانت كثيرا ما تصف لعمر بن عبيد الله مصعبا وجماله تغيظه بذلك فيكاد يموت
وقال المدائني حدثني مسلمة بن محارب وعبيد الله بن فائد وأخبرنا به حرمي عن الزبير عن عمه ومحمد بن الضحاك قالوا
دخلت عائشة بنت طلحة على الوليد بن عبد الملك وهو بمكة فقالت يا أمير المؤمنين مر لي بأعوان
فضم إليها قوما يكونون معها فحجت ومعها
ستون بغلا عليها الهوادج والرحائل
فعرض لها عروة بن الزبير فقال
(عائشُ يا ذاتَ البغالِ الستّينْ ... أكُلَّ عامٍ هكذا تَحُجّينْ)
فأرسلت إليه نعم يا عرية فتقدم إن شئت فكف عنها ولم تتزوج حتى ماتت
حجت مع سكينة بنت الحسين
وقال غير المدائني إن عائشة بنت طلحة حجت وسكينة بنت الحسين عليهما السلام معا وكانت عائشة أحسن آلة وثقلا
فقال حاديها
(عائش يا ذات البغال الستّين ... لا زلْتِ ما عِشْتِ كذا تَحُجّين)
فشق ذلك على سكينة ونزل حاديها فقال
(عائش هذي ضَرَّةٌ تشكوك ... لولا أبوها ما اهتدى أبوك)
فأمرت عائشة حاديها أن يكف فكف
وقال إسحاق بن إبراهيم في خبره حدثني محمد بن سلام عن يزيد بن عياض قال
استأذنت عاتكة بنت يزيد بن معاوية عبد الملك في الحج فأذن لها وقال ارفعي حوائجك واستظهري فإن عائشة بنت طلحة تحج ففعلت فجاءت بهيئة جهدت فيها
فلما كانت بين مكة والمدينة إذا موكب قد جاء فضغطها وفرق جماعتها
فقالت أرى هذه عائشة بنت طلحة فسألت عنها فقالوا هذه خازنتها
ثم جاء موكب آخر أعظم من ذلك فقالوا عائشة عائشة فضغطهم فسألت عنه فقالوا هذه ماشطتها
ثم جاءت مواكب على هذا الى سننها ثم أقبلت كوكبة فيها ثلثمائة راحلة عليها القباب والهوادج
فقالت عاتكة ماعند الله خير وأبقى
وقال هارون بن الزيات حدثني قبيصة عن ابن عائشة عن أمه عن سلامة مولاة جدته أثيلة بنت المغيرة بن عبد الله بن معمر قالت
زرت مع مولاتي خالتها عائشة بنت طلحة وأنا يومئذ وصيفة فرأيت عجيزتها من خلفها وهي جالسة كأنها غيرها فوضعت أصبعي عليها لأعلم ما هي فلما وجدت مس أصبعي قالت ما هذا قلت جعلت فداءك لم أدر ماهو فجئت لأنظر
فضحكت وقالت ما أكثر من يعجب مما عجبت منه
وزعم بكر بن عبد الله بن عاصم مولى عرينة عن أبيه عن جده أن عائشة نازعت زوجها إلى أبي هريرة فوقع خمارها عن وجهها فقال أبو هريرة سبحان الله ما أحسن ما غذاك أهلك لكأنما خرجت من الجنة
قال ابن عائشة وحدثني أبي أن عائشة بنت طلحة وفدت على هشام فقال لها ما أوفدك قالت حبست السماء المطر ومنع السلطان الحق
قال فإني أبل رحمك وأعرف حقك ثم بعث إلى مشايخ بني أمية فقال إن عائشة عندي فاسمروا عندي الليلة فحضروا
فما تذاكروا شيئا من أخبار العرب وأشعارها وأيامها إلا أفاضت معهم فيه وما طلع نجم ولا غار إلا سمته
فقال لها هشام أما الأول فلا أنكره وأما النجوم فمن أين لك قالت أخذتها عن خالتي عائشة
فأمر لها بمائة ألف درهم وردها إلى المدينة

خبرها مع النميري الشاعر

أخبرني عمي عن الكراني عن المغيرة بن محمد المهلبي عن محمد بن عبد الوهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله قال حدثني ابن عمران البزازي قال
لما تأيمت عائشة بنت طلحة كانت تقيم بمكة سنة وبالمدينة سنة تخرج إلى مال لها بالطائف عظيم وقصر لها فتتنزه وتجلس فيه بالعشيات فتناضل بين الرماة
فمر بها النميري الشاعر فسألت عنه فنسب لها فقالت ائتوني به
فقالت له لما أتوها به أنشدني مما قلت في زينب فامتنع وقال ابنة عمي وقد صارت عظاما بالية
قالت أقسمت لما فعلت
فأنشدها قوله
(نزلنَ بفَخٍّ ثم رُحْنَ عشيّةً ... يُلَبّين للرحمن مُعْتَمِرات)
((يخبِّئن أطرافَ الأكُفِّ من التّقى ... ويخرجن شَطْرَ الليلِ مُعتجرات
(ولمّا رأت رَكْبَ النميريّ أعرضتْ ... وكُنَّ مِن انْ يَلْقَيْنَه حَذِراتِ)
(تضوّع مِسكاً بطنُ نَعْمانَ أن مَشَتْ ... به زينبٌ في نِسوةٍ خَفِرات)
فقالت والله ما قلت إلا جميلا ولا وصفت إلا كرما وطيبا وتقى ودينا أعطوه ألف درهم
فلما كانت الجمعة الأخرى تعرض لها فقالت علي به فجاء
فقالت أنشدني من شعرك في زينب
فقال أو أنشدك من قول الحارث فيك فوثب مواليها فقالت دعوه فإنه أراد أن يستقيد لابنة عمه هات فأنشدها

(ظعَنِ الأميرُ بأحسنِ الخَلْقِ ... وغَدَوْا بُلُبِّكَ مَطْلَعَ الشَّرْقِ)
(وتَنُوءُ تُثْقِلُها عَجِيزتُها ... نَهْضَ الضعيفِ ينوء بالوَسْقِ)
(ما صَبَّحتْ زوجاً بطلعتها ... إلاّ غدَا بكواكب الطَّلْقِ)
(قُرَشيَّةٌ عَبِقَ العبيرُ بها ... عَبَقَ الدِّهانِ بجانب الحُقِّ)
(بيضاءُ من تيم كَلِفْتُ بها ... هذا الجنون وليس بالعشق)
قالت والله ما ذكر إلا جميلا ذكر أني إذا صبحت زوجا بوجهي غدا بكواكب الطلق وأني غدوت مع أمير تزوجني إلى الشرق أعطوه ألف درهم واكسوه حلتين ولا تعد لإتياننا يا نميري
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة عن محمد بن سلام
أن عبد الملك ولى الحارث بن خالد على مكة
فأذن المؤذن وخرج للصلاة فأرسلت اليه عائشة بنت طلحة قد بقي من طوافي شيء لم آته وكان يتعشقها فأمر المؤذن فكف عن الإقامة ففرغت من طوافها
وبلغ ذلك عبد الملك فعزله فقال ما أهون والله غضبه وعزله إياي علي عند رضاها عني
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني عمر بن شبة قال
قال سلم بن قتيبة رأيت عائشة بنت طلحة بمنى أو مسجد الخيف فسألتني من أنت قلت سلم بن قتيبة
فقالت رحم الله مصعبا ثم ذهبت تقوم ومعها امرأتان تنهضانها فأعجزتها أليتاها من عظمهما فقالت إني بكما لمعناة فذكرت قول الحارث
(وتنوء تُثْقِلُها عَجِيزَتُها ... نَهْضَ الضعيفِ ينوء بالوَسْقِ)
وروى هذا الخبر هارون بن الزيات عن جعفر بن محمد عن أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو عمرو بن خلاد عن المدائني قال
قال أبو هريرة لعائشة بنت طلحة ما رأيت شيئا أحسن منك إلا معاوية أول يوم خطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله لأنا أحسن من النار في الليلة القرة في عين المقرور
رفضت الزواج من أبان بن سعيد
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ عن محمد بن الحكم عن عوانة قال
كتب أبان بن سعيد إلى أخيه يحيى يخطب عليه عائشة بنت طلحة ففعل
فقالت ليحيى ما أنزل أخاك أيلة قال أراد العزلة
قالت اكتب إلى أخيك
(حَلَلْتَ مَحَلَّ الضَّبِّ لاأنتَ ضائرٌ ... عدوّاً ولا مستنفَعٌ بك نافعُ)
صوت
(إذا المالُ لم يُوجِبْ عليك عطاءَه ... صنيعةَ تَقْوَى أو صديقٌ تُوَامِقُهْ)
(مَنَعْتَ وبعضُ المَنْعِ حَزْمٌ وقُوةٌ ... فلم يَفْتَلِتْك المالَ إلاّ حقائقُهْ)
عروضه من الطويل
توامقه تفاعله من الموامقة أي توده ويودك يقال ومقته أمقه أي أحببته
ويفتلتك أي يخرجه من يدك وقبضتك
الشعر لكثير
والغناء لمالك بن أبي السمح ويقال إنه للهذلي خفيف ثقيل أول بالبنصر
أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدثنا طلحة بن عبد الله قال حدثني أبو معمر عافية بن شيبة قال حدثني العتبي قال أفلس صيرفي بالمدينة فخرج قوم يسألون له فمروا بابن عمران الطلحي وفتح بابه واجتمع له أصحابه فسألوه فقرع بمخصرته ثم رفع رأسه اليهم فقال
(إذا المالُ لم يُوجِبْ عليكَ عطاءَه ... صنيعةُ تَقْوَى أو صَدِيقٌ تُوَامِقُه)
(بَخِلتَ وبعضُ البُخْلِ حَزْمٌ وقوةٌ ... فلَمْ يفتَلْتكَ المالَ إلاّ حقائقه)
إنا والله ما نحيد عن الحق ولانتدفق في الباطل وإن لنا لحقوقا تشغل فضول أموالنا وما كل من أفلس من صيارفة المدينة قدرنا أن نجبره قوموا قال فقمنا نستبق الباب
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو مسلمة المديني قال أخبرني أبي قال
كان رجل من الأنصار من بني حارثة مملقا ليس في ديوان ولاعطاء وكان صديقا لإبراهيم بن هشام بن إسماعيل
فقال له يوما إن أمير المؤمنين مسابق عدا بين الخيل وقد أمرت الحرس ألا يعرضوا لك حتى تكلمه
قال فسبق هشاما يومئذ ابن له وكان السبق يشتد عليه
فعرض له الأنصاري فقال يا أمير المؤمنين أنا امرؤ من الأنصار وقد بلغت هذه السن ولسن في ديوان
فإن رأى أمير المؤمنين أن يفرض لي فعل
قال فأقبل عليه هشام فقال والله لا أفرض لك حتى مثل هذه الليلة من السنة المقبلة ثم أقبل على الأبرش فقال يا أبرش أخطأ أخو الأنصار المسألة
فقال يا أمير المؤمنين ابن أبي جمعة يقول
((إذا المالُ لم يُوجِبْ عليك عطاءَه ... صنيعةُ تَقْوَى أو خليلٌ توامقه
شعر لعمرو بن شائس
(منعتَ وبعض المنع حزمٌ وقوّة ... فلم يفتلتك المالَ إلاّ حقائقُه)
صوت
(فوانَدَمي على الشبابِ ووانَدَمْ... نَدِمتُ وبان اليومَ منِّي بغير ذَمّ)
(وإذ إخوتي حولي وإذ أنا شامخٌ ... وإذ لا أجيب العاذلاتِ من الصَّمَمْ)
(أرادتْ عِراراً بالهَوان ومن يُرِدْ ... عراراً لعمري بالهوان فقد ظَلَم)
(فإن كنتِ منِّي أو تريدين صُحْبَتي ... فكوني له كالسَّمْنِ رُبَّتْ له الأدَمْ)

(وإلاّ فيِبِيني مثلَ ما بان راكبٌ ... تيمّممَ خِمْساً ليس في وِرْدِه يَتَمْ)
(فإنّ عِراراً إن يكن واشكيمه ... تَعافِينها منه فما أمْلِكُ الشِّيَمْ)
(وإنّ عِراراً إن يكن غيرَ واضح ... فإنّي أُحِبّ الجَوْنَ ذَا المَنْكِبِ العَمَمْ)
(وإني لأُعطي غَثّها وسمينها ... وأسري إذا ما الليلُ ذو الظُّلَم ادْلَهَمّ)
(حِذاراً على ما كان قَدّم والدي ... إذا روّحتهم حَرْجَفٌ تطرُد الصِّرَم)
عروضه من الطويل
الشعر لعمرو بن شأس الأسدي
والغناء في الأول والثاني من الأبيات لمعبد ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق
وذكر عمرو أن فيهما لمالك خفيف رمل بالبنصر
وفي الثامن والتاسع لابن جامع هزج بالوسطى عن الهشامي وعلي بن يحيى وفيهما لإبراهيم ماخوري بالبنصر من نسخة عمرو الثانية ولابن سريج ثاني ثقيل
بالبنصر عن حبش وفيهما رمل مجهول وقيل إنه لسليم
الشامخ الذي يشمخ بأنفه زهوا وكبرا
وأصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه
والشيمة الطبيعة
ربت له يعني للسمن فلا تفسده
والأدم جمع واحدها أديم وجمعها أدم كما يقال أفيق وأفق
واليتم الغفلة والضيعة واليتيم مأخوذ من هذا
واليتيم من البهائم ما اختلج عن أمه
والعرب تقول لا تخلج الفصيل عن أمه فإن الذئب عالم بمكان الفصيل اليتيم
ويقال فلان شديد الشكيمة أي شديد اللسان كثير البيان ومنه شكيمة اللجام وجمعها شكائم
قال عويف القوافي
(أقولُ لِفِتْيانٍ كرامٍ تَرَوّحُوا ... على الجُرْدِ في أفواههن الشكائمُ)
والواضح الأبيض
والجون الأسود والأبيض أيضا وهو من الأضداد
والعمم الطويل يقال رجل عمم وامرأة عمم ورجل عميم وامرأة عميمة ونخل عميم ونبت عميم
والسرى السير ليلا
وادلهم اشتد سواده
والحرجف الريح الشديدة الباردة
والصرم جمع صرمة وهي القطعة من الإبل
يعني أن هذه الريح إذا هبت طرد الرعاء الإبل الى مراحها وأعطانها فتسكن فيها
نسب عمرو بن شأس وأخباره في هذا الشعر وغيره
هو عمرو بن شأس بن عبيد بن ثعلبة بن ذؤيبة بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة
وهذا الشعر يقوله في امرأته أم حسان وابنه عرار بن عمرو وكانت تؤذيه وتعيره بسواده
وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن الحسن الأحول قال قال ابن الأعرابي
كانت امرأة عمرو بن شأس من رهطه ويقال لها أم حسان واسمها حية بنت الحارث بن سعد وكان له ابن يقال له عرار من أمة له سوداء وكانت تعيره وتؤذي عرارا وتشتمه ويشتمها
فلما أعيت عمرا قال فيها
(دِيارَ ابنةِ السَّعْدِيِّ هِيهِ تَكَلّمي ... بدَافِقةِ الحَوْمانِ فالّسفْحِ من رَمَمْ)
(لَعَمْرُ ابنةِ السَّعْدِيِّ إنّي لأَتَّقِي ... خلائقَ تُؤْبَى في الثَّراء وفي العَدَمْ)
(وقفتُ بها ولم أكن قبلُ أرتجي ... إذا الحبْلُ من إحدى حَبَائِبي انصرم)
(وإنّي لمُزْرٍ بالمَطِيّ تَنَقّلي ... عليه وإيقاعي المُهَنّدَ بالعِصَمْ)
(وإنّي لأُعْطِي غَثّها وسَمِينَها ... وأَسْرِي إذا ما الليلُ ذو الظُّلَم ادلهمّ)
(إذا الثلجُ أضحى في الديار كأنه ... مَنَاثِرُ مِلْحٍ في السُّهول وفي الأكَمْ)
(حِذَاراً على ما كان قدّم والدي ... إذا روّحتهم حَرْجَفٌ تطرُد الصِّرَمْ)
(وأتركُ نَدْمانِي يَجُرّ ثِيابَه ... وأوصالَه من غير جُرْحٍ ولا سَقَمْ)
(ولكنّها من رَيّةٍ بعد رَيّةٍ ... مُعتّقةٍ صهباء راووقُها رَذِمْ)
(من العانيات من مُدَامٍ كأنها ... مَذَابحُ غِزْلانٍ يَطِيبُ بها الشَّمَمْ)
(وإذ إخوتي حولي وإذ أنا شامخٌ ... وإذ لا أجيب العاذلات من الصمم)
(ألم يأتها أنّي صَحَوْتُ وأنّني ... تحالمتُ حتى ما أُعارِم من عَرَمْ)
(وأطرقتُ إطراق الشُّجاع ولو يرى ... مَسَاغاً لِنَابَيْهِ الشجاعُ لقد أَزِمْ)
(وقد علمتْ سعدٌ بأنّي عميدُها ... قديماً وأنّي لستُ أهْضِمُ من هضَمْ)
يقول لا أظلم أحدا من قومي وأتهضمه فيطلبني بمثل ذلك أي أرفع نفسي عن هذا
(خُزَيْمةُ رِدّاني الفَعَالَ ومعْشَرٌ ... قديماً بَنَوْا لي سُورةَ المَجْدِ والكَرَمْ)
(إذا ما وَرَدْنا الماءَ كانت حُماتَه ... بنو أسدٍ يوماً على رَغْمِ من رَغِمْ)
(أرادتْ عِراراً بالهوانِ ومن يُرِدْ ... عِرَاراً لَعَمْري بالهوان فقد ظَلَمْ)
طلق زوجته بعد أن يئس من الصلح بينها وبين ابنه عرار
وذكر باقي الأبيات
قال ابن الأعرابي وأبو بكر الشيباني فجهد عمرو بن شأس أن يصلح بين ابنه وامرأته أم حسان فلم يمكنه ذلك وجعل

الشر يزيد بينهما
فلما رأى ذلك طلقها ثم ندم ولام نفسه فقال في ذلك
(تَذَكَّر ذِكْرَى أُمِّ حَسّانَ فاقْشَعَرْ ... على دُبُرٍ لَمّا تَبَيَّنَ ما ائتمر)
(فكِدتُ أذوقُ الموتَ لو أنّ عاشقاً ... أمَرَّ بمُوساه الشوارِبَ فانتحرْ)
(تذكّرتُها وَهْناً وقد حالَ دونها ... رِعانٌ وقِيعانٌ بها الزَّهْرُ والشجر)
(فكنتُ كذاتِ البَوِّ لما تَذَكَّرتْ ... لها رُبعاً حَنَّتْ لِمَعْهَدِهِ سَحَرْ)
(حِفَاظاً ولم تَنْزِعْ هوايَ أَثِيمةٌ ... كذلك شأْوُ المرء يَخْلِجُه القَدَرْ)
قال ابن الأعرابي الأثيمة الفعيلة من الإثم وهي مرفوعة بفعلها كأنه قال لم تنزع الأثيمة هواي
تخلجه تصرفه
شأوه همه ونيته
قال وقال فيها أيضا
(ألم تَعْلَمِي يا أمَّ حَسّانَ أنني ... إذا عَبْرةٌ نَهْنَهْتُهَا فَتَخلتِ)
(رجعتُ الى صَدْرٍ كَجرَّة حَنْتَمٍ ... إذا قُرِعتْ صِفْراً من الماء صَلّتِ)
خبر ابنه عرار مع عبد الملك
أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة عن إسحاق بن محمد بن سلام وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة قال قال ابن سلام
لما قتل الحجاج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بعث برأسه مع عرار بن عمرو بن شأس الأسدي فلما ورد به وأوصل كتاب الحجاج جعل عبد الملك يعجب من بيانه وفصاحته مع سواده فقال متمثلا
(وإنّ عِراراً إن يَكُن غيرَ واضح ... فإنّي أُحِبُّ الجَوْنَ ذا المَنْكِبِ العَمَمْ)
فضحك عرار من قوله ضحكا غاظ عبد الملك فقال له مم ضحكت ويحك قال أتعرف عرارا يا أمير المؤمنين الذي قيل فيه هذا الشعر قال لا قال أنا والله هو
فضحك عبد الملك ثم قال حظ وافق كلمة وأحسن جائزته وسرحه
وقال الطوسي أغار ملك من ملوك غسان يقال له عدي وهو ابن أخت الحارث بن أبي شمر الغساني على بني أسد فلقيته بنو سعد بن ثعلبة بن دودان بالفرات ورئيسهم ربيعة بن حذار فاقتتلوا قتالا شديدا فقتلت بنو سعد عديا اشترك في قتله عمرو وعمير ابنا حذار أخوا ربيعة وأمهما امرأة من كنانة يقال لها تماضر إحدى بني فراس بن غنم وهي التي يقال لها مقيدة الحمار
فقالت فاختة بنت عدي
(لَعَمْرُكَ ما خَشِيتُ على عَدِيٍّ ... رماحَ بني مُقَيِّدةِ الحمار)
((ولكنِّي خشيتُ على عديٍّ ... رماحَ الجِنِّ أو إيَّاكَ حار
تعني الحارث بن أبي شمر خاله
(قَتِيلٌ مّا قتيلُ ابنَيْ حُذَارٍ ... بعيدُ الهَمِّ طَلاَّعُ النّجارِ)
ويروى جواب الصحاري
فقال عمرو بن شأس في ذلك
صوت
(متى تَعْرِفِ العينانِ أطلالَ دِمْنةٍ ... لليلَى بأعلى ذي مَعَارِكَ تَدْمَعَا)
(على النحرِ والسِّرْبالِ حتى تَبُلَّهُ ... سَجُومٌ ولم تَجْزَعْ على الدار مَجْزَعَا)
(خليليَّ عُوجَا اليومَ نَقْضِ لُبانةً ... وإلاّ تَعُوجَا اليومَ لا نَنْطَلِقْ مَعَا)
(وإن تنظُراني اليومَ أتْبَعْكما غداً ... قِيادَ الجَنيبِ أو أذلَّ وأطوعا)
وهي قصيدة
غنى في هذه الأبيات إبراهيم ثقيلا أول بالوسطى عن الهشامي
والدمنة في هذا الموضع آثار الناس وما سودوا وهي في غير هذا الموضع الحقد يقال في صدره علي إحنة وترة وضب وحسيكة ودمنة
وعوجا احبسا وتلبثا عاج يعوج عياجا
وما أعيج بكلامك أي ما ألتفت إليه
واللبانة الحاجة يقال لي في كذا لبانة ولبونة ولماسة ووطر وحوجاء ممدودة
وقوله لا ننطلق معا يقول إن لم تقفا تأخرت عنكما فتفرقنا
(وتنظراني تنظراني يقال نظرته أنظره وأنظرته أنظره إنظارا ونظرة أيضا إذا أخرته قال الله عز وجل (فنظرة إلى ميسرة
والجنيب المجنوب من فرس وغيره والجنيب أيضا الذي يشتكي رئته من شدة العطش
وقال الطوسي قال الأصمعي جاور رجل من بني عامر بن صعصعة عمرو ابن شأس ومعه بنت له من أجمل الناس وأظرفهم فخطبها عمرو إلى أبيها
فقال أبوها أما ما دمت جارا لكم فلا لأني أكره أن يقول الناس غصبه أمره ولكن إذا أتيت قومي فاخطبها إلي أزوجكها
فوجد عمرو من ذلك في نفسه وأعتقد ألا يتزوجها أبدا إلا أن يصيبها مسبية
فلما ارتحل أبوها هم عمرو بغزو قومها فسار في أثر أبيها
فلما وقعت عينه عليه وظفر به استحيا من جواره وما كان بينهما من العهد والميثاق فنظر إلى الجارية أمامهم وقد أخرجت رأسها من الهودج تنظر إليه
فلما رآها رجع مستحييا متذمما منها
وكان عمرو مع شجاعته ونجدته من أهل الخير فقال في ذلك
صوت
(إذا نحن أدلَجْنا وأنتِ أمامنا ... كَفَى لمطَايَانَا بوجهكِ هاديا)

(أليس يزيدُ العِيسَ خِفَّةَ أذْرُعٍ ... وإن كُنَّ حَسْرَى أن تكوني أمَامِيا)
(ولولا اتِّقاءُ اللهِ والعَهدُ قد رأى ... مَنِيّتَه منِّي أبوك اللَّيالِيَا)
(ونحن بنو خيرِ السِّباعِ أكِيلةً ... وأحْرِبه إذا تنفَّس عادِيا)
(بنو أسدٍ وَرْدٍ يَشُقّ بِنَابِه ... عظامَ الرجالِ لا يُجِيب الرَّواقِيا)
(متى تَدْعُ قيساً أدْعُ خِنْدِفَ إنّهم ... إذا ما دُعُوا أسمعتَ ثَمَّ الدَّوَاعيا)
(لنا حاضرٌ لم يَحْضُر الناسُ مثلَه ... وبادٍ إذا عدُّوا علينا البَوَادِيا)
الغناء لإسحاق الموصلي ثاني ثقيل في الأول والثاني من الأبيات وفيه لحن قديم
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا الحزامي قال حدثنا معن بن عيسى عن رجل عن سويد بن أبي رهم قال قلت لابن سيرين ما تقول في الشعر قال هو كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح
قلت فما تقول في النسيب قال لعلك تريد مثل قول الشاعر
(إذا نحن أدلجنا وأنت أمامنا ... كفى لمطايانا بوجهك هاديا)
(أليس يزيد العيسَ خِفّةَ أذرُعٍ ... وإن كُنَّ حَسْرَى أن تكوني أماميا)
قال وأراد بإنشاده إياهما أنك قد رأيتني أحفظ هذا الجنس وأرويه وأنشدتك إياه فلو كان به بأس ما أنشدته
صوت
(فإنْ تَكُن القَتْلَى بَوَاءً فإنّكم ... فتًى مّا قتلتم آلَ عَوْفِ بن عامر)
(فتًى كان أحْيَا من فتاةٍ حَيِيّةٍ ... وأشْجَعَ من لَيْثٍ بخَفَّانَ خادر)
عروضه من الطويل
البواء بالباء التكافؤ يقال ما فلان لفلان ببواء أي ما هو له بكفء أن يقتل به
وما في قولها فتى ما قتلتم صلة
وآل عوف نداء
وخفان موضع مشهور
وخادر مقيم في مكمنه وغيله وهو مأخوذ من الخدر
الشعر لليلى الأخيلية ترثي توبة بن الحمير
والغناء لإسحاق بن
إبراهيم الموصلي رمل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر
وفيه لإبراهيم خفيف ثقيل بالوسطى عن حبش
وفي هذه القصيدة عدة أغان تذكر مع سائر ما قاله توبة في ليلى وقالت فيه من الشعر عند أنقضاء الخبر في مقتله إن شاء الله تعالى

ذكر ليلى ونسبها وخبر توبة بن الحمير معها وخبر مقتله

هي ليلى بنت عبد الله بن الرحال وقيل ابن الرحالة بن شداد بن كعب بن معاوية وهو الأخيل وهو فارس الهرار ابن عبادة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة
وهي من النساء المتقدمات في الشعر من شعراء الإسلام
وكان توبة بن الحمير يهواها
وهو توبة بن الحمير بن حزم بن كعب بن خفاجة بن عمرو بن عقيل
أخبرني ببعض أخبارهما أحمد بن عبد العزيز الجوهري ومحمد بن حبيب ابن نصر المهلبي قالا حدثنا عبد الله بن أبي سعد الوراق قال حدثنا محمد بن علي أبو المغيرة قال حدثنا أبي عن أبي عبيدة قال حدثني أنيس بن عمرو العامري قال كان توبة بن الحمير أحد بني الأسدية وهي عامرة بنت والبة بن الحارث وكان يتعشق ليلى بنت عبد الله بن الرحالة ويقول فيها الشعر فخطبها إلى أبيها فأبى أن يزوجه إياها وزوجها في بني الأدلع
فجاء يوما كما كان يجيء لزيارتها فإذا هي سافرة ولم ير منها إليه بشاشة فعلم أن ذلك لأمر ما كان فرجع إلى راحلته فركبها ومضى وبلغ بني الأدلع أنه أتاها فتبعوه ففاتهم
فقال توبة في ذلك
((نَأتْكَ بليلَى دارُها لا تزورُها ... وشَطَّتْ نَوَاها واستَمَرّ مَريرُها
وهي طويلة يقول فيها
(وكنتُ إذا ما جئتُ ليلَى تبرقعتْ ... فقد رَابَني منها الغَداةَ سُفُورَها)
كانت تخرج إلى توبة بن الحمير في برقع
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال
كان توبة بن الحمير إذا أتى ليلى الأخيلية خرجت إليه في برقع
فلما شهر أمره شكوه الى السلطان فأباحهم دمه إن أتاهم
فمكثوا له في الموضع الذي كان يلقاها فيه
فلما علمت به خرجت سافرة حتى جلست في طريقة
فلما رآها سافرة فطن لما أرادت وعلم أنه قد رصد وأنها سفرت لذلك تحذره فركض فرسه فنجا
وذلك قوله
(وكنتُ إذا ما جئتُ ليلى تبرقعتْ ... فقد رابني منها الغداةَ سفورُها)
قال أبو عبيدة وحدثني غير أنيس أنه كان يكثر زيارتها فعاتبه أخوها وقومها فلم يعتب وشكوه الى قومه فلم يقلع فتظلموا منه إلى السلطان فأهدر دمه إن أتاهم
وعلمت ليلى بذلك وجاءها زوجها وكان غيورا فحلف لئن لم تعلمه بمجيئه ليقتلنها ولئن أنذرته بذلك ليقتلنها
قالت ليلى وكنت أعرف الوجه الذي يجيئني منه فرصدوه بموضع ورصدته بآخر فلما اقبل لم أقدر على كلامه لليمين فسفرت وألقيت البرقع عن رأسي

فلما رأى ذلك أنكره فركب راحلته ومضى ففاتهم
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أحمد ابن معاوية بن بكر قال حدثني أبو زياد الكلابي قال
خرج رجل من بني كلاب ثم من بني الصحمة يبتغي إبلا له حتى أوحش وأرمل ثم أمسى بأرض فنظر إلى بيت بواد فأقبل حتى نزل حيث ينزل الضيف فأبصر امرأة وصبيانا يدورون بالخباء فلم يكلمه أحد
فلما كان بعد هدأة من الليل سمع جرجرة إبل رائحة وسمع فيها صوت رجل حتى جاء بها فأناخها على البيت ثم تقدم فسمع الرجل يناجي المرأة ويقول ما هذا السواد حذاءك قالت راكب أناخ بنا حين غابت الشمس ولم أكلمه
فقال لهاكذبت ما هو إلا بعض خلانك ونهض يضربها وهي تناشده
قال الرجل فسمعته يقول والله لا أترك ضربك حتى يأتي ضيفك هذا فيغيثك
فلما عيل صبرها قالت يا صاحب البعير يا رجل وأخذ الصحمي هراوته ثم أقبل يحضر حتى أتاها وهو يضربها فضربه ثلاث ضربات أو أربعا ثم أدركته المرأة فقالت يا عبد الله مالك ولنا نح عنا نفسك فانصرف فجلس على راحلته وأدلج ليلته كلها وقد ظن أنه قتل الرجل وهو لا يدري من الحي بعد حتى أصبح في أخبية من الناس ورأى غنما فيها أمة مولدة فسألها عن أشياء حتى بلغ به الذكر فقال أخبريني عن أناس وجدتهم بشعب كذا
فضحكت وقالت إنك لتسألني عن شيء وأنت به عالم
فقال وما ذاك لله بلادك فوالله ما أنا به عالم
قالت ذاك خباء ليلى الأخيلية وهي أحسن الناس وجها وزوجها رجل غيور فهو يعزب بها عن
الناس فلا يحل بها معهم والله ما يقربها أحد ولا يضيفها فكيف نزلت أنت بها قال إنما مررت فنظرت إلى الخباء ولم أقربه وكتمها الأمر
وتحدث الناس عن رجل نزل بها فضربها زوجها فضربه الرجل ولم يدر من هو
فلما أخبر باسم المرأة وأقر على نفسه تغنى بشعر دل فيه على نفسه وقال
(ألاَ يا ليلَ أخْتَ بني عُقَيْلٍ ... أنا الصّحْمِيُّ إنْ لم تَعْرِفيني)
(دعَتْني دعوةً فحجزتُ عنها ... بصَكَّاتٍ رفعتُ بها يميني)
(فإنْ تَكُ غَيْرةٌ أُبْرِئكَ منها ... وإن تَكُ قد جُنِنْتَ فذا جُنُوني)
جوابها للحجاج عندما ارتاب بأمرها مع توبة
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا رشد بن حنتم الهلالي قال حدثني أيوب بن عمرو عن رجل يقال له ورقاء قال سمعت الحجاج يقول لليلى الأخيلية إن شبابك قد ذهب واضمحل أمرك وأمر توبة فأقسم عليك إلا صدقتني هل كانت بينكما ريبة قط أو خاطبك في ذلك قط فقال لا والله أيها الأمير إلا أنه قال لي ليلة وقد خلونا كلمة ظننت أنه قد خضع فيها لبعض الأمر فقلت له
(وذي حاجةٍ قلنا له لا تَبُحْ بها ... فليس إليها ما حَيِيتَ سبيلُ)
(لنا صاحبٌ لا ينبغي أن نخونَه ... وأنت لأخْرَى فارغٌ وحَليلُ)
فلا والله ما سمعت منه ريبة بعدها حتى فرق بيننا الموت
قال لها الحجاج فما كان منه بعد ذلك قالت وجه صاحبا له إلى حاضرنا فقال إذا أتيت الحاضر من بني عبادة بن عقيل فاعل شرفا ثم أهتف بهذا البيت
(عفا الله عنها هل أبِيتَّن ليلةً ... من الدهر لا يَسْري إليّ خيَالُها)
فلما فعل الرجل ذلك عرفت المعنى فقلت له
(وعنه عفا ربِّي وأحسنَ حالَهُ ... عزيزٌ علينا حاجةٌ لا ينالُها)
نسبة ما في هذا الخبر من الغناء وهو أجمع في قصيدة توبة
(... نأتك بليلى دارها لا تزورها)
صوت
(حمامةَ بطن الوادِيَيْن تَرَنَّمي ... سقاكِ من الغُرِّ الغَوادِي مَطيرَها)
(أبِيني لنا لا زالَ ريشُكِ ناعماً ... ولا زلتِ في خَضْراءَ دانٍ بَرِيرُها)
(وأُشْرِفُ بالقَوْزِ اليَفَاع لعلّني ... أرى نارَ ليلى أو يراني بصيرُها)
(وكنتُ إذا ما جِئتُ ليلى تبرقعتْ ... فقد رابني منها الغداةَ سُفورُها)
(عليّ دِماءُ البُدْنِ إن كان بَعْلُها ... يرى ليَ ذنباً غيرَ أنّي أزورُها)
(وأنّي إذا ما زرتُها قلتُ يا اسْلَمِي ... وما كان في قولي اسْلَمِي ما يَضِيرُها)
(وغيَّرني إن كنتِ لَمّا تَغَيّري ... هَوَاجِرُ تَكْتَنِينَها وأسيرُها)
(وأدماءَ من سِرِّ المَهَارى كأنّها ... مَهاةُ صُوَارٍ غيرَ ما مَسَّ كُورُها)
(قطعتُ بها أجوازَ كلِّ تَنوفةٍ ... مَخُوفٍ رَدَاهَا كلّما استَنَّ مُورُها)
(ترى ضُعَفَاء القومِ فيها كأنّهم ... دَعَاميصُ ماءٍ نَشَّ عنها غديرُها)
غنى في الأربعة الأبيات الأول فليح بن أبي العوراء ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو
وغنى في الثالث والرابع ابن سريج رملا بالوسطى عن الهشامي وعلي بن يحيى المنجم وذكر غيرهما أنه لمحمد بن إسحاق بن عمرو بن بزيع
وغنى فيها الهذلي ثقيلا أول بالبنصر عن حبش
وغنى ابن محرز في علي دماء البدن والذي بعده خفيف رمل بالبنصر عن عمرو
وعن ابن مسجح في
(... وغيّرني إن كنتِ لَمّا تَغَيّري)
وما بعده لحن ذكر أن عبد الله بن جعفر رواه الأبيات وأمره أن يغني بها أخبرني بذلك إسماعيل بن يونس الشيعي عن عمر بن شبة عن إسحاق الموصلي عن ابن الكلبي في خبر قد ذكرته في أخبار ابن مسجح وذكر الهشامي أن اللحن ثقيل أول بالوسطى

حدثنا أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني محمد بن يعقوب بالأنبار قال حدثني من أنشد الأصمعي
(عليّ دماءُ البُدْنِ إن كان زوجُها ... يرى ليَ ذنباً غيرَ أنّي أزورُها
(وأنّي إذا ما زرتُها قلت يَا اسْلَمِي ... فهل كان في قولي اسلَمي ما يَضِيرُها)
فقال الأصمعي شكوى مظلوم وفعل ظالم
سبب وكيفية مقتل توبة بن الحمير
أخبرني بالسبب في مقتل توبة محمد بن الحسن بن دريد إجازة عن أبي حاتم السجستاني عن أبي عبيدة والحسن بن علي الخفاف قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا محمد بن علي بن المغيرة عن أبيه عن أبي عبيدة وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال أخبرنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي ورواية أبي عبيدة أتم واللفظ له
قال أبو عبيدة
كان الذي هاج مقتل توبة بن الحمير بن حزم بن كعب بن خفاجة بن عمرو ابن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة أنه كان بينه وبين بني عامر بن عوف بن عقيل لحاء ثم إن توبة شهد بني خفاجة وبني عوف وهم يختصمون عند همام بن مطرف العقيلي في بعض أمورهم
قال وكان مروان بن الحكم يومئذ أميرا على المدينة في خلافة معاوية بن أبي سفيان فاستعمله على صدقات بني عامر
قال فوثب ثور بن أبي سمعان بن كعب بن عامر بن عوف بن عقيل على توبة بن الحمير فضربه بجرز وعلى توبة الدرع والبيضة فجرح أنف البيضة وجه توبة
فأمر همام بثور بن أبي سمعان
فأقعد بين يدي توبة فقال خذ بحقك يا توبة
فقال له توبة ما كان هذا إلا عن أمرك وما كان ليجترىء علي عند غيرك
وأم همام صوبانة بنت جون بن عامر بن عوف بن عقيل فاتهمه توبة لذلك فانصرف ولم يقتص منه
فمكثوا غير كثير وإن توبة بلغه أن ثور بن أبي سمعان خرج في نفر من رهطه إلى ماء من مياه قومه يقال له قوباء يريدون مالهم بموضع يقال له جرير بتثليث قال وبينهما فلاة فاتبعه توبة في ناس من أصحابه فسأل عنه وبحث حتى ذكر له أنه عند رجل من بني عامر بن عقيل يقال له سارية بن عمير بن أبي عدي وكان صديقا لتوبة
فقال توبة والله لا نطرقهم عند سارية الليلة حتى يخرجوا عنه
فأرادوا أن يخرجوا حين يصبحون
فقال لهم سارية ادرعوا الليل فإني لا آمن توبة عليكم الليلة فإنه لا ينام عن طلبكم
قال فلما تعشوا ادرعوا الليل في الفلاة
وأقعد له توبة رجلين فغفل صاحبا توبة
فلما ذهب الليل فزع توبة وقال لقد اغتررت الى رجلين ما صنعا شيئا وإني لأعلم أنهم لم يصبحوا بهذه البلاد فاقتص آثارهم فإذا هو بأثر القوم قد خرجوا فبعث الى صاحبيه فأتياه فقال دونكما هذا الجمل فأوقراه من الماء في مزادتيه ثم اتبعا أثري فإن خفي عليكم أن تدركاني فإني سأنور لكما إن أمسيتما دوني
وخرج توبة في أثر القوم مسرعا حتى إذا انتصف النهار جاوز علما يقال له أفيح في الغائط
فقال لأصحابه هل ترون سمرات إلى جنب قرون بقر وقرون
بقر مكان هنالك فإن ذلك مقيل القوم لم يتجاوزوه فليس وراءه ظل
فنظروا فقال قائل أرى رجلا يقود بعيرا كأنه يقوده لصيد
قال توبة ذلك ابن الحبترية وذلك من أرمى من رمى
فمن له يختلجه دون القوم فلا ينذرون بنا قال فقال عبد الله أخو توبة أنا له
قال فاحذر لا يضربنك وإن استطعت أن تحول بينه وبين أصحابه فافعل
فخلى طريق فرسه في غمض من الأرض ثم دنا منه فحمل عليه فرماه ابن الحبترية قال وبنو الحبتر ناس من مذحج في بني عقيل فعقر فرس عبد الله أخي توبة واختل السهم ساق عبد الله فانحاز الرجل حتى أتى أصحابه فانذرهم فجمعوا ركابهم وكانت متفرقة
قال وغشيهم توبة ومن معه فلما رأوا ذلك صفوا رحالهم وجعلوا السمرات في نحو وأخذوا سلاحهم ودرقهم وزحف إليهم توبة فارتمى القوم لا يغني أحد منهم شيئا في أحد
ثم إن توبة وكان يترس له أخوه عبد الله قال يا أخي لا تترس لي فإني رأيت ثورا كثيرا ما يرفع الترس عسى أن أوافق منه عند رفعه مرمى فأرميه
قال ففعل فرماه توبة على حلمة ثديه فصرعه
وجال القوم فغشيهم توبة وأصحابه فوضعوا فيهم السلاح حتى تركوهم صرعى وهم سبعة نفر
ثم إن ثورا قال انتزعوا هذا السهم عني
قال توبة ما وضعناه لننتزعه
فقال أصحاب توبة أنج بنا نأخذ آثارنا ونلحق راويتنا فقد أخذنا ثأرنا من هؤلاء وقد متنا عطشا
قال توبة كيف بهؤلاء القوم الذين لا يمنعون ولا يمتنعون
فقالوا
ابعدهم الله
توبة ما أنا بفاعل وما هم إلا عشيرتكم ولكن تجيء الراوية فأضع لهم ماء وأغسل عنهم دماءهم وأخيل عليهم من السباع والطير لا تأكلهم حتى أوذن قومهم بهم بعمق
فأقام توبة حتى أتته الراوية قبل الليل فسقاهم من الماء وغسل عنهم الدماء وجعل في أساقيهم ماء ثم خيل لهم بالثياب على الشجر ثم مضى حتى طرق من الليل سارية بن عويمر بن أبي عدي العقيلي فقال إنا قد تركنا رهطا من قومكم بسمرات من قرون بقر فأدركوهم فمن كان حيا فداووه ومن كان ميتا فادفنوه ثم انصرف فلحق بقومه
وصبح سارية القوم فاحتملهم وقد مات ثور بن أبي سمعان ولم يمت غيره

فلم يزل توبة خائفا
وكان السليل بن ثور المقتول راميا كثير البغي والشر فأخبر بغرة من توبة وهو بقنة من قنان الشرف يقال لها قنة بني الحمير فركب في نحو ثلاثين فارسا حتى طرقه فترقى توبة ورجل من إخوته في الجبل فأحاطوا بالبيوت فناداهم وهو في الجبل هأنذا من تبغون فاجتنبوا البيوت
فقالوا إنكم لن تستطيعوه وهو في الجبل ولكن خذوا ما استدف لكم من ماله فأخذوا أفراسا له ولإخوته وانصرفوا
ثم إن توبة غزاهم فمر على أفلت بن حزن بن معاوية بن خفاجة ببطن بيشة
فقال يا توبة أين تريد قال أريد الصبيان من بني عوف بن عقيل
قال لا تفعل فإن القوم قاتلوك فمهلا
قال لا أقلع عنهم ما عشت ثم ضرب بطن فرسه فاستمر به يحضر وهو يرتجز ويقول
(تنجُو إذا قِيل لها يعَاطِ ... تنجو بهم من خَلَل الأمشاطِ)
حتى انتهى الى مكان يقال له حجر الراشدة ظليل أسفله كالعمود وأعلاه منتشر فاستظل فيه هو وأصحابه
حتى إذا كان بالهاجرة مرت عليه إبل هبيرة بن السمين أخي بني عوف بن عقيل واردة ماء لهم يقال له طلوب فأخذها وخلى طريق راعيها وقال له إذا أتيت صدغ البقرة مولاك فأخبره أن توبة أخذ الإبل ثم انصرف توبة يطرد الإبل
قال فلما ورد العبد على مولاه فأخبره نادى في بني عوف وقال حتام هذا
فتعاقدوا بينهم نحوا من ثلاثين فارسا ثم اتبعوه
ونهضت امرأة من بني خثعم من بني الهرة كانت في بني عوف وكانت تؤخذ لهم فقالت أروني أثره فخرجوا فأروها أثره فأخذت من ترابه فسافته فقالت اطلبوه فإنه سيحبس عليكم
فطلبوه فسبقهم فتلاوموا بينهم وقالوا ما نرى له أثرا وما نراه إلا وقد سبقكم
قال وخرج توبة حتى إذا كان بالمضجع من أرض بني كلاب جعل نذارته وحبس أصحابه
حتى إذا كان بشعب من هضبة يقال لها هند من كبد المضجع جعل ابن عم له يقال له قابض بن عبد الله ربيئة له على رأس الهضبة فقال انظر فإن شخص لك شيء فأعلمنا
فقال عبد الله بن
الحمير يا توبة إنك حائن أذكرك الله فوالله ما رأيت يوما أشبه بسمرات بني عوف يوم أدركناهم في ساعتهم التي أتيناهم فيها منه فانج إن كان بك نجاة
قال دعني فقد جعلت ربيئة ينظر لنا
قال يرجع بنو عوف بن عقيل حين لم يجدوا أثر توبة فيلقون رجلا من غني فقالوا له هل أحسست في مجيئك أثر خيل أو أثر إبل قال لا والله
قالوا كذبت وضربوه
فقال يا قوم لا تضربوني فإني لم أجد أثرا ولقد رأيت زهاء كذا وكذا إبلا شخوصا في هاتيك الهضبة وما أدري ما هو
فبعثوا رجلا منهم يقال له يزيد بن رويبة لينظر ما في الهضبة
فأشرف على القوم فلما رآهم ألوى بثوبه لأصحابه حتى جاؤوا فحمل أولهم على القوم حتى غشي توبة وفزع توبة وأخوه الى خيلهما فقام توبة إلى فرسه فغلبته لا يقدر على أن يلجمها ولا وقفت له فخلى طريقها وغشيه الرجل فاعتنقه فصرعه توبة وهو مدهوش وقد لبس الدرع على السيف فانتزعه ثم أهوى به ليزيد بن رويبة فاتقاه بيده فقطع منها وجعل يزيد يناشده رحم صفية وصفية أم له من بني خفاجة
وغشي القوم توبة من ورائه فضربوه فقتلوه وعلقهم عبد الله بن الحمير يطعنهم بالرمح حتى انكسر
قال فلما فرغوا من توبة لووا على عبد الله بن الحمير فضربوا رجله فقطعوها
فلما وقع بالأرض أشرع سيفه وحده ثم جثا على ركبتيه وجعل يقول هلموا ولم يشعر القوم بما أصابه
وانصرف بنو عوف بن عقيل وولى قابض منهزما حتى لحق بعبد العزيز بن زرارة الكلابي فأخبره الخبر
قال فركب عبد العزيز حتى أتى توبة فدفنه وضم أخاه
ثم ترافع القوم إلى مروان بن الحكم فكافأ بين الدمين وحملت الجراحات
ونزل بنو عوف بن عقيل البادية ولحقوا بالجزيرة والشام

أبو عبيدة يروي مقتل توبة وسببه

قال أبو عبيدة وقد كان توبة أيضا يغير زمن معاوية بن أبي سفيان على قضاعة وخثعم ومهرة وبني الحارث بن كعب وكانت بينهم وبين بني عقيل مغاورات فكان توبة إذا أراد الغارة عليهم حمل الماء معه في الروايا ثم دفنه في بعض المفازة على مسيرة يوم منها فيصيب ما قدر عليه من إبلهم فيدخلها المفازة فيطلبه القوم فإذا دخل المفازة أعجزهم فلم يقدروا عليه فانصرفوا عنه
قال فمكث كذلك حينا
ثم إنه أغار في المرة الأولى التي قتل فيها هو وأخوه عبد الله بن الحمير ورجل يقال له قابض بن أبي عقيل فوجد القوم قد حذروا فانصرف توبة مخفقا لم يصب شيئا
فمر برجل من بني عوف بن عامر بن عقيل متنحيا عن قومه فقتله توبة وقتل رجلا كان معه من رهطه واطرد إبلهما ثم خرج عامدا يريد عبد العزيز بن زرارة بن جزء بن سفيان بن عوف بن كلاب وخرج ابن عم لثور بن أبي سمعان المقتول فقال له خزيمة صر إلى بني عوف بن عامر بن عقيل فأخبرهم الخبر
فركبوا في طلب توبة فأدركوه في أرض بني خفاجة وقد أمن في نفسه فنزل وقد كان أسرى يومه وليلته فاستظل ببرديه وألقى عنه درعه وخلى عن فرسه الخوصاء تتردد قريبا منه وجعل قابضا ربيئة له ونام فأقبلت بنو عوف بن عامر متقاطرين لئلا يفطن لهم أحد فنظر قابض فأبصر رجلا منهم فأقبل الى توبة فأنبهه
فقال توبة ما رأيت قال رأيت شخص رجل واحد فنام ولم يكترث له وعاد قابض الى مكانه فغلبته عيناه فنام
قال فأقبل القوم على
تلك الحال فلم يشعر بهم قابض حتى غشوه فلما رآهم طار على فرس
وأقبل القوم إلى توبة وكان أول من تقدم غلام أمرد على فرسه عري يقال له يزيد بن رويبة بن سالم بن كعب بن عوف

بن عامر بن عقيل ثم تلاه ابن عمه عبد الله بن سالم ثم تتابعوا
فلما سمع توبة وقع الخيل نهض وهو وسنان فلبس درعه على سيفه ثم صوت بفرسه الخوصاء فأتته فلما أراد أن يركبها
أهوت ترمحه ثلاث مرات فلما رأى ذلك لطم وجهها فأدبرت وحال القوم بينه وبينها
فأخذ رمحه وشد على يزيد بن رويبة فطعنه فأنفذ فخذيه جميعا
وشد على توبة ابن عم الغلام عبد الله بن سالم فطعنه فقتله وقطعوا رجل عبد الله
فلما رجع عبد الله بعد ذلك الى قومه لاموه وقالوا له فررت عن أخيك فقال عبد الله بن الحمير في ذلك
قال أبو عبيدة وحدثني أيضا مزرع بن عبد الله بن همام بن مطرف بن الأعلم قال
كان أهل دار من بني جشم بن بكر بن هوازن يقال لهم بنو الشريد حلفاء لبني عداد بن خفاجة في الإسلام فكان بينهم
وبين خميس بن ربيعة رهط قومه قتال على ماءة تدعى الحليفة وعامتها لجد بن همام
قال وشهد عبد الله بن الحمير ذلك وهو أعرج عرج يوم قتل توبة فلم يغن كثير غناء
فقالت بنو عقيل لو توبة تلقاهم لبلوا منه بغير أفوق ناصل
فقال عبد الله بن الحمير يعتذر إليهم

شعر عبد الله اخي توبة في اعتذاره لقومه

(تَأَوَّبَنِي بِعارِمَةَ الهُمومُ ... كما يعتادُ ذَا الدَّيْنِ الغريمُ)
(كأنّ الهَمّ ليس يُريدُ غيري ... ولو أمسَى له نَبَطٌ ورُومُ)
(عَلاَمَ تقومُ عاذلتي تلومُ ... تُؤَرِّقني وما انجابَ الصَّرِيمُ)
(فقلتُ لها رُوَيداً كي تَجَلَّى ... غَوَاشِي النَّوْمِ والليلُ البهيمُ)
(ألمّا تَعْلَمِي أنّي قديماً ... إذا ما شِئتُ أعصِي مَنْ يلومُ)
(وأنّ المرءَ لا يَدْرِي إذا ما ... يَهُمُّ عَلاَمَ تحمِله الهُمومُ)
(وقد تُعْدِي على الحاجات حَرْفٌ ... كَرُكْنِ الرَّعْنِ ذِعْلِبَةٌ عقيمُ)
(مُداخَلَةُ الفَقار وذاتُ لَوْثٍ ... على الحُزَّانِ مُقْحِمَةٌ غَشُومُ)
(كأنّ الرَّحْلَ منها فوق جَأْبٍ ... بذاتِ الحاذِ مَعْقِلُه الصَّرِيمُ)
(طَبَاه بِرِجْلَةِ البَقّارِ برقٌ ... فباتَ الليلَ مُنْتَصِباً يَشِيمُ)
((فبينَا ذاك إذ هَبَطتْ عليه ... دَلُوحُ المُزْنِ واهيةٌ هَزِيمُ)
(تَهُبُّ لها الشَّمالُ فتمتريها ... ويعْقُبُها بنافحةٍ نسيمُ)
(يُكِبُّ إذا الرَّذَاذُ جرى عليه ... كما يُصغِي الى الآسي الأَمِيم)
(إذا ما قال أَقْشَعَ جانباهُ ... نَشَتْ من كلّ ناحيةٍ غيومُ)
(فأشْعِرَ ليله أرَقاً وقُرًّا ... يُسَهِّره كما أرِقَ السليمُ)
(ألاَ مَنْ يشتري رجلاً برِجْلٍ ... تَخَوَّنَهَا السِّلاحُ فما تَسُومُ)
(تَلومُكَ في القتال بنو عُقَيْلٍ ... وكيف قِتالُ أعرَجَ لا يقومُ)
(ولو كنتُ القتيلَ وكان حيًّا ... لَقَاتَلَ لا أَلَفٌّ ولا سؤومُ)
(ولا جَثَّامةٌ وَرَعٌ هَيوبٌ ... ولا ضَرَعٌ إذا يُمْسِي جَثُومُ)
قال ثم إن خفاجة رهط توبة جمعوا لبني عوف بن عامر بن عقيل الذين قتلوا توبة فلما بلغهم الخبر لحقوا ببني الحارث بن كعب ثم افترقت بنو خفاجة
فلما بلغ ذلك بني عوف رجعوا فجمعت لهم بنو خفاجة أيضا قبائل عقيل
فلما رأت ذلك بنو عوف بن عامر بن عقيل لحقوا بالجزيرة فنزلوها
وهم رهط إسحاق بن مسافر بن ربيعة بن عاصم بن عمرو بن عامر بن عقيل
ثم إن بني عامر بن صعصعة صاروا في أمرهم إلى مروان بن الحكم وهو والي المدينة لمعاوية بن أبي سفيان فقالوا ننشدك الله أن تفرق جماعتنا فعقل توبة وعقل الآخرين معاقل العرب مائة من الإبل فأدتها بنوعامر
قال فخرجت بنو عوف بن عامر قتلة توبة فلحقوا بالجزيرة فلم يبق بالعالية منهم أحد وأقامت بنو ربيعة بن عقيل وعروة بن عقيل وعبادة بن عقيل بمكانهم بالبادية

رواية اخرى لأبي عبيدة عن مقتل توبة

قال أبو عبيدة وحدثنا مزرع بن عمرو بن همام قال أبو عبيدة وكان معي أبو الخطاب وغيره قال توبة بن حمير بن ربيعة بن كعب بن خفاجة بن عمرو بن عقيل وأمه زبيدة
فهاج بينه وبين السليل بن ثور بن أبي سمعان بن عامر بن عوف بن عقيل كلام وكان شريرا ونظير توبة في القوة والبأس فبلغ الحور وهو الكلام إلى أن أوعد كل واحد منهما صاحبه فالتقى بعد ذلك توبة والسليل على غدير من ماء السماء فرمى توبة السليل فقتله
ثم إن توبة أغار ثانية على إبل بني السمين بن كعب بن عوف بن عقيل واردة ماءهم فاطردها
واتبعوه وهم سبعة نفر يزيد بن رويبة وعبد الله بن سالم ومعاوية بن عبد الله قال أبو عبيدة ولم يذكر غير هؤلاء فانصرفوا يجنبون الخيل يحملون المزاد فقصوا أثر توبة وأصحابه فوجدوهم وقد
أخذوا في المضجع من أرض بني كلاب في أرض دمثة تربة فضلت فرس توبة الخوصاء من الليل فأقام واضطجع حتى أصبح وساق أصحابه الإبل وهم ثلاثة نفر سوى توبة المحرز أحد بني عمرو بن كلاب وقابض بن أبي عقيل أحد بني خفاجة وعبد الله بن حمير أخو توبة لأمه وأبيه
فلما أصبح توبة إذا فرسه الخوصاء راتعة أدنى ظلم قريبة منه ليس دونها وجاح فأشلاها حتى أتته ثم خرج يعدو حتى لحق بأصحابه فانتهوا الى هضبة بكبد المضجع فارتقى توبة فوقها ينظر الطلب فرآه القوم ولم يرهم عند طلوع الشمس وبالت الخوصاء حين انتهت الى الهضبة فقال القوم إنه لطائر أو إنسان
فركب يزيد بن رويبة وكان أحدث القوم سنا وأمه بنت عم توبة فأغار ركضا حتى انتهى الى الهضبة فإذا بول الفرس وعليه بقية من رغوته وإذا أثر توبة يعرفونه فرجع فخبر أصحابه
واندفع توبة وأصحابه حتى نزلوا إلى طرف هضبة يقال لها الشجرة من أرض بني كلاب فقالوا بالظهيرة فلم يشعر شعر إلا

والإبل قد نفرت وكانت بركا بالهاجرة من وئيد الخيل
فوثب توبة وكان لا يضع السيف فصب الدرع على السيف متقلده وهلا وداجت القوم فطلب قائم السيف فلم يقدر عليه تحت الدرع فلم يستطع سله فطار إلى الرمح فأخذه فأهوى به طعنا الى يزيد بن رويبة وقد كان يزيد عاهد الله ليقتلنه أو ليأخذنه فأنفذ فخذ يزيد واعتنقه يزيد فعض
بوجنتيه واستدبره عبد الله بالسيف ففلق رأس توبة
وهيت توبة حين اعتوره الرجلان يقابض يا قابض فلم يلو عليه وفر قابض والكلابي وذب عبد الله بن حمير عن أخيه فأهوى له معاوية بن عبد الله بالسيف فأصاب ركبته فاختلعت أي سقطت
فأتى قابض من فوره ذلك عبد العزيز بن زرارة أحد بني أبي بكر بن كلاب فقال قتل توبة
فنادى في قومه فجاءه أبوه زرارة فقال أين تريد فقال قتل توبة
فقال أبوه طوط سحقا لك أتطلب بدم توبة أن قتلته بنو عقيل ظالما لها باغيا عاديا عليها قال لكني أجنه إذا
قال أبوه أما هذه فنعم
فألقى السلاح وانطلق حتى أجنه وحمل أخاه عبد الله بن حمير
قال فأهل البادية يزعمون أن محرزا سحر فأخذ عن سيفه
شعر ليلى في رثاء توبة
فقالت ليلى الأخيلية بنت عبد الله بن الرحالة بن شداد بن كعب بن معاوية فارس الهرار ابن عبادة بن عقيل
(نظرتُ ورُكْنٌ من ذِقَانَيْن دونَه ... مَفَاوِزُ حَوْضَى أَيَّ نَظْرَةِ ناظِرِ)
((لأونسَ إنْ لم يَقْصُرِ الطَّرْفُ عنهُم ... فلم تُقْصُرِ الأخبارُ والطَّرْفُ قاصري
(فوارسَ أجلى شأوُها عن عَقِيرةٍ ... لِعَاقِرِها فيها عَقِيرةُ عاقرِ)
شأوها سرعتها وهو الطلق وجريها وقال غيره غايتها
عقيرة تعني توبة
لعاقرها تعني لعاقر توبة تريد يزيد بن رويبة
ووجه آخر في عقيرة عاقر معنى مدح أي عقيرة كريمة لعاقرها
ووجه آخر عقيرة لعاقرها فيها الهلاك بعقرها
(فآنستُ خيلاً بالرُّقَيِّ مُغيرةً ... سَوَابِقُها مثلُ القَطَا المُتَواتِرِ)
(قَتِيلُ بني عَوْفٍ وأيصُرُ دونه ... قتيلُ بني عَوْفٍ قتيلُ يُحَابِرِ)
(تَوَارَدَه أسيافُهم فكأنّما ... تَصَادَرْنَ عن أقطاعِ أبيضَ باترِ)
(من الهندُوانِيات في كلِّ قِطْعةٍ ... دَمٌ زلّ عن أثْرٍ من السّيفِ ظاهرِ)
(أتْته المنايَا دون زَغْفٍ حصينةٍ ... وأسمرَ خَطِّيٍّ وخَوْصاءَ ضامرِ)
(على كلِّ جَرْداءِ السَّرَاةِ وسابحٍ ... دَرَأْنَ بشُبَّاكِ الحديدِ زوافرِ)
((عَوَابسَ تعدُو الثَّعْلَبِيَّةَ ضُمَّراً ... وهُنّ شَوَاحٍ بالشَّكيمِ الشواجرِ
(فلا يُبْعِدَنْكَ اللهُ يا تَوْبُ إنّما ... لِقاءُ المنايا دارعاً مثلُ حاسِرِ)
(فإلاّ تَكُ القَتْلَى بَوَاءً فإنّكم ... ستَلْقَوْن يوماً وِرْدُه غيرُ صادرِ)
(وإنّ السليلَ إذ يباوي قَتِيلَكم ... كمرحومةٍ من عَرْكِها غيرِ طاهرِ)
(فإن تَكُنِ القَتْلَى بَواءً فإنكم ... فَتًى ما قتلتم آلَ عَوْفِ بن عامرِ)
(فتًى لا تَخَطَّاه الرِّفَاقُ ولا يرى ... لِقَدْرٍ عِيالاً دون جارٍ مُجَاوِرِ)
(ولا تأخذُ الكُومُ الجِلادُ رماحَها ... لتوبةَ في نَحْسِ الشِّتاءِ الصَّنَابِرِ)
(إذا ما رأتْه قائماً بسلاحه ... تَقَتْه الخِفَافُ بالثِّقال البَهَازِرِ)
(إذا لم يَجُدْ منها برِسْلٍ فقَصْرُه ... ذُرَى المُرْهَفاتِ والقِلاصِ التَّواجِرِ)
((قِرَى سيفِه منها مُشَاشاً وضَيْفَه ... سَنَامَ المَهَارِيسِ السِّباطِ المَشَافِرِ
(وتَوْبةُ أحْيَا من فتاةٍ حيِيَّةٍ ... وأجرأُ من لَيْثٍ بخَفّانَ خادرِ)
(ونِعْمَ الفتى إنْ كان توبةُ فاجراً ... وفوقَ الفتى إنْ كان ليس بفاجرِ)
(فتى يُنْهِلُ الحاجاتِ ثم يَعُلُّها ... فيُطلِعُها عنه ثَنَايا المَصَادِرِ)
صوت
(كأنّ فتى الفِتْيان تَوْبةَ لم يُنِخْ ... قَلائصَ يَفْحَصْنَ الحَصَا بالكَرَاكرِ)
(ولم يَبْنِ أبراداً عِتاقاً لِفتْيةٍ ... كِرَامٍ ويَرْحَلْ قبل فَيْءِ الهواجرِ)
في هذين البيتين لحن من الثقيل الأول لمحمد بن إبراهيم قريض وهو من خاص صنعته وغنائه
(ولم يَتَجلَّ الصُّبْحُ عنه وبَطْنُه ... لَطِيفٌ كطَيِّ السِّبِّ ليس بحادرِ)
(فتًى كان للمولَى سَناءً ورِفعةً ... وللطارقِ الساري قِرًى غيرَ باسرِ)
(ولم يُدْعَ يوماً للحِفَاظِ وللنَّدَا ... وللحَرْبِ يرمى نارَها بالشرائرِ)
((وللبازلِ الكَوْماءِ يرغو حُوَارُها ... وللخيلِ تعدو بالكُمَاةِ المَسَاعِرِ
(كأنَّكَ لم تَقْطَعْ فلاةً ولم تُنِخْ ... قِلاصاً لدى فأوٍ من الأرضِ غائرِ)
(وتُصبِحْ بمَوْماةٍ كأنّ صرِيفَها ... صَرِيفُ خَطَاطِيفِ الصَّرَى في المَحَاوِرِ)
(طوتْ نَفْعَها عنّا كِلاَبٌ وآسَدتْ ... بنَا أجْهَلِيها بين غاوٍ وشاعرِ)
(وقد كان حقًّا أن تقولَ سَرَاتُهم ... لَعًا لأخينا عالياً غيرَ عاثرِ)
(ودَوِّيّةٍ قَفْرٍ يحارُ بها القَطَا ... تَخَطَّيْتَها بالنّاعِجاتِ الضَّوامرِ)
(فتَاللهِ تَبْني بيتَها أُمُّ عاصمٍ ... على مثله أُخْرَى الليالي الغوابرِ)
(فليس شِهابُ الحربِ تَوْبةُ بعدَها ... بغازٍ ولا غادٍ بركْبٍ مُسَافرِ)
(وقد كان طَلاّعَ النّجادِ وبَيِّن الل ... سانِ ومِدْلاجَ السُّرَى غيرَ فاترِ)
(وقد كان قبل الحادثاتِ إذا انتحَى ... وسائق أو معبوطةً لم يُغَادِرِ)

(وكنتَ إذا مولاك خاف ظُلَامةً ... دعاك ولم يهْتِفْ سواك بناصر)
(فإنْ يَكُ عبدُ اللهِ آسَى أبنَ أمِّه ... وآبَ بأسلابِ الكَمِيِّ المُغاوِرِ
(وكان كذات البَوِّ تَضْرب عنده ... سِباعاً وقد ألقَيْنَه في الجَرَاجِرِ)
(فإنك قد فارقتَه لك عاذراً ... وأنَّى لِحَيٍّ عُذْرُ مَنْ في المَقَابِرِ)
(فأقسمتُ أبكي بعد تَوْبةَ هالكاً ... وأحفِلُ مَنْ نالتْ صروفُ المَقَادر)
(على مثلِ همَّامٍ ولابنِ مُطَرِّفٍ ... لِتَبْكِ البَوَاكِي أو لبِشْرِ بن عامر)
(غُلاَمان كانا استَوْرَدا كلَّ سَوْرَةٍ ... من المَجْدِ ثم استوثقا في المَصَادر)
(رَبِيعَيْ حَياً كانَا يَفِيضُ نَدَاهُما ... على كُلِّ مغمورٍ نَدَاهُ وغامر)
(كأنَّ سَنَا نارَيْهما كلَّ شَتْوةٍ ... سَنَا البَرْقِ يبدو للعيون النواظر)
وقالت أيضا ترثي توبة عن أم حمير وأمها أبنة أخي توبة عن أمها
قال أبو عبيدة أم حمير أخت أبي الجراح العقيلي
قال
وأمها بنت أخي توبة بن حمير
قال وكان الأصمعي يعجب بها
(أيا عَيْنُ بَكِّي توبةَ بن حُمَيِّرٍ ... بسحٍّ كفيض الجَدْوَلِ المُتَفَجِّرِ)
(لِتَبْكِ عليه من خَفَاجةَ نسوةٌ ... بماء شؤونِ العَبْرَةِ المتحدِّرِ)
(سَمِعْنَ بهيْجا أرهقتْ فذكرنَه ... ولا يبعثُ الأحزانَ مثلُ التَّذَكُّرِ)
((كأنّ فَتَى الفِتْيانِ توبةَ لم يَسِرْ ... بنجْدٍ ولم يَطْلُعْ مع المُتَغَوِّرِ
(ولم يَرِدِ الماءَ السِّدامَ إذا بَدَا ... سَنَا الصُّبْحِ في بادي الحواشِي مُنَوِّرِ)
(ولم يَغْلِبِ الخَصْمَ الضِّجاجَ ويَمْلأ الجِفانَ ... سَدِيفاً يوم نَكْباء صرْصَرِ)
(ولم يَعْلُ بالجُرْدِ الجِيادِ يَقُودُها ... بسُرَّةَ بين الأشْمَساتِ فَأيْصُرِ)
(وصحراءَ مَوْماةٍ يحارُ بها القَطَا ... قَطَعْتَ على هَوْلِ الجَنَان بمِنْسَرِ)
(يقودون قُبَّا كالسَّراحين لاَحَها ... سُرَاهُمْ وسَيْرُ الراكب المُتَهَجِّرِ)
(فلمّا بدتْ أرضُ العدو سَقَيْتَها ... مُجاجَ بَقِيّاتِ المَزَادِ المُقَيَّرِ)
(ولمّا أهابُوا بالنِّهابِ حَوَيْتَها ... بخاظِي البضيع كَرُّه غيرُ أعْسَرِ)
((مُمَرٍّ كَكَرِّ الأنْدَرِيِّ مُثَابِرٍ ... إذا ما وَنَيْنَ مُهْلِبِ الشَّدِّ مُحْضِرِ
(فألوتْ بأعناقٍ طِوَالٍ وراعَها ... صَلاَصِلُ بيضٍ سابغٍ وسَنَوَّرِ)
(ألم تَرَ أنّ العبدَ يقتل ربَّه ... فيظهرَ جَدُّ العبد من غير مَظْهَرِ)
(قتلتم فتىً لا يُسْقِطُ الرَّوْعُ رُمْحَه ... إذا الخيلُ جالت في قَنًا متكسِّرِ)
(فيا تَوْبُ لِلهَيْجَا ويا تَوْبُ للنَّدَى ... ويا تَوْبُ للمُسْتَنْبِحِ المتنوِّرِ)
ألاَ ربّ مكروبٍ أجَبْتَ ونائلٍ ... بذلتَ ومعروفٍ لديكَ ومُنْكَرِ) وقالت ترثيه)
(أقسمتُ أرثي بعد توبةَ هالكاً ... وأحْفِلُ مَنْ دارت عليه الدوائرُ)
(لَعَمْرُكَ ما بالموتِ عارٌ على الفتى ... اذا لم تُصِبْه في الحياةِ المَعَايِرُ)
(وما أحدٌ حَيٌّ وإنْ عاش سالماً ... بأخْلَدَ ممن غيّبته المقابر)
(ومَنْ كان مما يُحْدِثُ الدهرُ جازعاً ... فلا بُدَّ يوماً أن يُرَى وهو صابر)
(وليس لِذِي عيشٍ عن الموتِ مَقْصَرٌ ... وليس على الأيّامِ والدهر غابرُ)
((ولا الحيُّ مما يُحْدِثُ الدهرُ مُعْتَبٌ ... ولا المَيْتُ إن لم يَصْبِرِ الحيُّ ناشرُ
(وكلُّ شبابٍ أو جديدٍ إلى بِلًى ... وكلُّ امرىء يوماً إلى اللهِ صائر)
(وكُلُّ قَرِينَيْ أُلْفَةٍ لِتَفرُّقٍ ... شَتَاتاً وإنْ ضَنّا وطال التعاشرُ)
(فلا يُبْعِدَنْكَ اللهُ حيًّا ومَيْتاً ... أخَا الحرب إن دارتْ عليك الدوائرُ)
ويروى
(فلا يُبْعِدَنْكَ اللهُ يا توبُ هالكاً ... أخا الحرب إن دارت عليك الدوائر)
(فآليتُ لا أنفَكّ أبكيك ما دعتْ ... على فَنَنٍ ورقاءُ أو طار طائرُ)
(قتيلُ بني عَوْفٍ فيا لَهْفَتَا له ... وما كنتُ إيّاهم عليه أحاذِر)
(ولكنما أخشَى عليه قبيلةً ... لها بدروب الروم بادٍ وحاضرُ)
وقالت ترثيه
(كم هاتفٍ بِكَ من باكٍ وباكيةٍ ... يا تَوْبُ للضيف إذ تُدْعَى وللجار)
(وتَوْبُ للخَصمِ إن جاروا وان عدلوا ... وبدّلوا الأمرَ نَقْضاً بعد إمرارِ)
(إن يُصْدِرُوا الأمرَ تُطْلِعْهُ موارِدَه ... أو يُوردوا الأمرَ تُحْلِلْهُ بإصدار)
وقالت ترثيه
(هَرَاقتْ بنو عَوْفٍ دماً غيرَ واحدٍ ... له نَبَأٌ نَجْدِيُّه سَيَغُورُ)
(تداعتْ له أفناءُ عوفٍ ولم يكن ... له يوم هضْبِ الرَّدْهتيْنِ نصيرُ)
وقالت ترثيه
(يا عينُ بَكِّي بدَمْعٍ دائمِ السَّجَمِ ... وابْكِي لتوبةَ عند الرَّوْعِ والبُهَمِ)
((على فَتًى من بني سعدٍ فُجِعْتُ به ... ماذا أُجِنّ به في الحُفْرةِ الرَّجَمِ
(من كلِّ صافيةٍ صِرْفٍ وقافيةٍ ... مثل السِّنانِ وأمْرٍ غيرِ مُقْتَسَمِ)
(ومَصْدَرٍ حين يَعْيِي القومَ مَصْدَرُهم ... وجَفْنةٍ عند نَحْسِ الكوكب الشَّبِمِ)
وقالت تعير قابضا
(جزى ا للّه شَرًّا قابضاً بصَنِيعِهِ ... وكلُّ امرىء يُجْزَى بما كان ساعيَا)

(دعا قابضاً والمُرْهَفاتُ يَردنَه ... فقُبِّحْتَ مدعوًّا ولَبَّيْكَ داعيا)
وقالت لقابض وتعذر عبد الله أخا توبة
(دعا قابضاً والموتُ يَخْفِقُ ظِلُّه ... وما قابضٌ إذ لم يُجِبْ بنَجِيبِ)
(وآسَى عُبَيْدُ اللّه ثَمَّ أبنَ أمِّه ... ولو شاء نَجَّى يوم ذاك حَبِيبِي)
خبر توبة مع زنجي لقيه في الشام
أخبرني الحسن بن علي عن عبد الله بن أبي سعد عن أحمد بن معاوية بن بكر قال حدثني أبو الجراح العقيلي عن أمه دينار بنت خيبري بن الحمير عن توبة بن الحمير قال
خرجت إلى الشام فبينا أنا أسير ليلة في بلاد لا أنيس بها ذات شجر نزلت لأريح وأخذت ترسي فألقيته فوقي وألقيت نفسي بين المضطجع والبارك
فلما وجدت طعم النوم إذا شيء قد تجللني عظيم ثقيل قد برك علي ونشزت عنه ثم قمصت منه قماصا فرميت به على وجهه وجلست إلى راحلتي فانتضيت السيف ونهض نحوي فضربته ضربة انخزل منها
وعدت إلى موضعي وأنا لا أدري ما هو أإنسان أم سبع فلما أصبحت إذا هو أسود زنجي يضرب برجليه وقد قطعت وسطه حتي كدت أبريه وانتهيت إلى ناقة مناخة موقرة ثيابا من سلبه وإذا جارية شابة ناهد وقد أوثقها وقرنها بناقته
فسألتها عن خبرها فأخبرتني أنه قتل مولاها وأخذها منه
فأخذت الجميع وعدت إلى أهلي
قال أبو الجراح قالت أمي وأنا أدركتها في الحي تخدم أهلنا
جواب ليلى عندما سألها معاوية عن توبة
أخبرنا اليزيدي عن ثعلب عن ابن الأعرابي قال أخبرنا عطاء بن مصعب القرشي عن عاصم الليثي عن يونس بن حبيب الضبي عن أبي عمرو بن العلاء قال
سأل معاوية بن أبي سفيان ليلى الأخيلية عن توبة بن الحمير فقال ويحك يا ليلى أكما يقول الناس كان توبة قالت يا أمير المؤمنين ليس كل ما يقول الناس حقا والناس شجرة بغي يحسدون أهل النعم حيث كانوا وعلى من كانت
ولقد كان يا أمير المؤمنين سبط البنان حديد اللسان شجا للأقران كريم المخبر عفيف المئزر جميل المنظر
وهو يا أمير المؤمنين كما قلت له
قال وما قلت له قالت قلت ولم أتعد الحق وعلمي فيه
(بَعيدُ الثَّرَى لا يبلُغ القومُ قَعْرَه ... أَلَدُّ مُلِدٌّ يَغْلِبُ الحقَّ بَاطِلُه)
((اذا حلَّ رَكْبٌ في ذَرَاه وظِلّه ... لِيَمْنَعَهم مما تُخافُ نَوازِلُه)
(حماهم بنَصْلِ السَّيْف من كلّ فادحٍ ... يخافونه حتى تموتَ خَصَائلُه)
فقال لها معاوية ويحك يزعم الناس أنه كان عاهرا خاربا
فقالت من ساعتها
(مَعَاذَ إلهي كان واللّهِ سَيِّداً ... جَوَاداً على العِلاَّتِ جَمّاً نَوَافِلُه)
(أغَرَّ خَفَاجِيّاً يرى البُخْلَ سُبَّةً ... تَحَلَّبُ كَفَّاه النَّدَى وأنامِلُه)
(عفيفاً بعيدَ الهَمِّ صُلْباً قناتُه ... جميلاً مُحَيَّاهُ قليلاً غوائلُه)
(وقد علِم الجوعُ الذي بات سارياً ... على الضَّيْف والجيرانِ أنَّك قاتلُه)
(وأنك رَحْبُ الباع يا تَوْبُ بالقِرَى ... إذا مالئيمُ القومِ ضاقت مَنَازِلُه)
(يَبِيتُ قريرَ العينِ مَنْ بات جارَه ... ويُضْحِي بخيرٍ ضيفُه ومُنَازِلُه)
فقال لها معاوية ويحك يا ليلى لقد جزت بتوبة قدره
فقالت والله يا أمير المؤمنين لو رأيته وخبرته لعرفت أني مقصرة في نعته وأني لا أبلغ كنه ما هو أهله
فقال لها معاوية من أي الرجال كان قالت
(أتتْه المَنَايَا حين تَمّ تَمَامُه ... وأقصر عنه كلُّ قِرْنٍ يُطَاوِلُهْ)
(وكان كليث الغابِ يحمِي عَرِينَه ... وترضَى به أشبالُه وحلائلُه)
(غَضُوبٌ حليمٌ حين يُطْلَبُ حِلْمُه ... وسمٌّ زُعافٌ لا تُصَابُ مَقَاتِلُه)
قال فأمر لها بجائزة عظيمة وقال لها خبريني بأجود ما قلت فيه من الشعر
قالت يا أمير المؤمنين ما قلت فيه شيئا إلا والذي فيه من خصال الخير أكثر منه
ولقد أجدت حين قلت
(جزى اللهُ خيراً والجزاءُ بكَفِه ... فتًى من عُقَيْلٍ ساد غيرَ مُكَلَّفِ)
(فتىً كانتِ الدُّنيا تهونُ بأسْرِها ... عليه ولا ينفكّ جَمَّ التَّصَرُّفِ)
(ينالُ عَلِيّاتِ الأُمورِ بهوْنَةٍ ... إذا هي أعيتْ كلَّ خِرْقٍ مُشَرَّفِ)
(هو الذَّوْبُ بل أرْيُ الخَلاَيا شَبِيهُه ... بدِرْياقةٍ من خمر بَيسانَ قَرقفِ)
(فياتَوْبُ مافي العيشِ خيرٌ ولا نَدًى ... يعدّ وقد أمسيتَ في تُرْب نَفْنفِ)
(وما نِلْتُ منك النَّصْفَ حتى ارتمت بك ال ... بسهمِ صائبِ الوقع أعْجَفِ)
(فيا أَلْفَ ألفٍ كنتَ حَيّاً مُسَلَّماً ... لألقاكَ مثلَ القَسْوَرِ المُتَطَرِّفِ)
(كما كنتَ إذ كنتَ المُنَحَّى من الرَّدَى ... إذا الخيلُ جالت بالقَنَا المُتَقَصِّفِ)
(وكمْ من لَهِيفٍ مُحْجَرٍ قد أجبتَه ... بأبيضَ قَطَّاعِ الضَّرِيبَةِ مُرْهَفِ)
((فانقذته والموتُ يَحْرُقُ نابَه ... عليه ولم يُطْعَنْ ولم يَتَنَسَّفِ
جميل يظهر غيرة على بثينة من توبة
أخبرني الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن ابن أبي سعد قال حدثت عن القحذمي عن محارب بن غصين العقيلي قال كان توبة قد خرج إلى الشام فمر ببني عذرة فرأته بثينة فجعلت تنظر إليه فشق ذلك على جميل وذلك قبل أن يظهر حبه لها
فقال له جميل من أنت قال أنا توبة بن الحمير

قال هل لك في الصراع قال ذلك إليك فشدت عليه بثينة ملحفة مورسة فأتزر بها ثم صارعه فصرعه جميل
ثم قال هل لك في النضال قال نعم فناضله فنضله جميل
ثم قال له هل لك في السباق فقال نعم فسابقه فسبقه جميل
فقال له توبة يا هذا إنما تفعل هذا بريح هذه الجالسة ولكن أهبط بنا الوادي فصرعه توبة ونضله وسبقه
ليلى تسخر من عبد الملك عندما حاول ان يسخر منها
أخبرنا إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة قال
بلغني أن ليلى الأخيلية دخلت على عبد الملك بن مروان وقد أسنت وعجزت فقال لها ما رأى توبة فيك حين هويك قالت ما رآه الناس فيك
حين ولوك
فضحك عبد الملك حتى بدت له سن سوداء كان يخفيها
وأخبرني الحسن بن علي عن ابن أبي سعد عن أحمد بن رشيد بن حكيم الهلالي عن أيوب بن عمرو عن رجل من بني عامر يقال له ورقاء قال
كنت عند الحجاج بن يوسف فدخل عليه الآذن فقال أصلح الله الأمير بالباب أمرأة تهدر كما يهدر البعير الناد
قال أدخلها فلما دخلت نسبها فانتسبت له
فقال ما أتى بك يا ليلى قالت إخلاف النجوم وقلة الغيوم وكلب البرد وشدة الجهد وكنت لنا بعد الله الرد
قال فأخبريني عن الأرض
قالت الأرض مقشعرة والفجاج مغبرة وذو الغنى مختل وذو الحد منفل
قال وما سبب ذلك قالت أصابتنا سنون مجحفة مظلمة لم تدع لنا فصيلا ولا ربعا ولم تبق عافطة ولا نافطة فقد أهلكت الرجال ومزقت العيال وأفسدت الأموال ثم أنشدته الأبيات التي ذكرناها متقدما
وقال في الخبر قال الحجاج هذه التي تقول
(نحنُ الأخايلُ لا يزالُ غُلاَمُنا ... حتّى يَدِبَّ على العصا مشهورَا
(تَبْكِي الرِّماحُ إذا فَقَدْنَ أكُفَّنا ... جَزَعاً وتَعْرِفُنا الرِّفاقُ بُحورا)
ثم قال لها يا ليلى أنشدينا بعض شعرك في توبة فأنشدته قولها
(لَعَمْرُكَ ما بالموتِ عارٌ على الفتَى ... إذا لم تُصِبْه في الحياةِ المَعَايرُ)
(وما أحدٌ حَيٌّ وإنْ عاش سالماً ... بأخْلَدَ ممن غيّبته المقابر)
(فلا الحيُّ مما أحدث الدهرُ مُعْتَبٌ ... ولا الميْتُ إن لم يَصْبِر الحيُّ ناشرُ)
(وكلُّ جديدٍ أو شَبَابٍ إلى بِلًى ... وكلُّ امرىء يوماً إلى الموت صائر)
(قتيلُ بني عَوْفٍ فيا لَهْفَتَا له ... وما كنتُ إيّاهم عليه أحاذر)
(ولكنّني أخشَى عليه قبيلةً ... لها بدروب الشأم بادٍ وحاضرُ)
فقال الحجاج لحاجبه أذهب فاقطع لسانها
فدعا لها بالحجام ليقطع لسانها فقالت ويلك إنما قال لك الأمير أقطع لسانها بالصلة والعطاء فارجع إليه واستأذنه
فرجع إليه فاستأمره فاستشاط عليه وهم بقطع لسانه ثم أمر بها فأدخلت عليه فقالت كاد وعهد الله يقطع مقولي
وأنشدته
(حَجّاجُ أنت الذي لا فوقَه أحدٌ ... إلاّ الخليفةُ والمُستَغْفَرُ الصَّمَدُ)
(حَجّاجُ أنت سِنانُ الحَرْبِ إن نُهجتْ ... وأنتَ للنّاسِ في الداجي لنا تَقِدُ)
أخبرنا الحسن قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أبو الحسن
ميمون الموصلي عن سلمة بن أيوب بن مسلمة الهمداني قال كان جدي عند الحجاج فدخلت عليه أمرأة برزة فانتسبت له فإذا هي ليلى الأخيلية
وأخبرني بهذا الخبر محمد بن العباس اليزيدي وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال كنت عند الحجاج
وأخبرني وكيع عن إسماعيل بن محمد عن المدائني عن جويرية عن بشر بن عبد الله بن أبي بكر أن ليلى دخلت على الحجاج ثم ذكر مثل الخبر الأول وزاد فيه فلما قالت
(... غلامٌ إذا هزّ القناةَ سقاها)
قال لها لا تقولي غلام قولي همام
وقال فيه فأمر لها بمائتين
فقالت زدني فقال أجعلوها ثلاثمائة
فقال بعض جلسائه إنها غنم
فقالت الأمير أكرم من ذلك وأعظم قدرا من أن يأمر لي إلا بالإبل
قال فاستحيا وأمر لها بثلاثمائة بعير وإنما كان أمر لها بغنم لا إبل
وأخبرنا به وكيع عن إبراهيم بن إسحاق الصالحي عن عمر بن شبة عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه وقال فيه ألا قلت مكان غلام همام وذكر باقي الخبر الذي ذكره من تقدم وقال فيه فقال لها أنشدينا ما قلت في توبة فأنشدته قولها
(فإنْ تَكُن القَتْلَى بَوَاءً فإنّكم ... فتًى ما قلتم آلَ عَوْفِ بن عامِر)
(فتًى كان أحْيَا من فَتاةٍ حَيِيّةٍ ... وأشْجَعَ من لَيْثٍ بِخَفَّانَ خادر)
(أتْته المنايَا دون دِرْعٍ حَصِينةٍ ... وأسْمَرَ خَطّيٍّ وجَرْداءَ ضامر)
(فنِعْمَ الفتى إنْ كان توبةُ فاجراً ... وفوق الفتى إن كان ليس بفاجر)
(كأنَّ فتَى الفِتْيانِ تَوْبةَ لم يُنِخْ ... قلائصَ يَفْحَصْنَ الحَصَا بالكَرَاكِرِ
فقال لها أسماء بن خارجة أيتها المرأة إنك لتصفين هذا الرجل بشيء ما تعرفه العرب فيه
فقالت أيها الرجل هل رأيت توبة قط قال لا
فقالت أما والله لو رأيته لوددت أن كل عاتق في بيتك حامل منه فكأنما فقىء في وجه أسماء حب الرمان

فقال له الحجاج وما كان لك ولها
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن أبي سعد عن محمد بن علي بن المغيرة قال سمعت أبي يقول سمعت الأصمعي يذكر أن الحجاج أمر لها بعشرة آلاف درهم وقال لها هل لك من حاجة قالت نعم أصلح الله الأمير تحملني الى ابن عمي قتيبة بن مسلم وهو على خراسان يومئذ فحملها إليه فأجازها وأقبلت راجعة تريد البادية فلما كانت بالري ماتت فقبرها هناك هكذا ذكر الأصمعي في وفاتها وهو غلط
وقد أخبرني عمي عن الحزنبل الأصبهاني عمن أخبره عن المدائني وأخبرني الحسن بن علي عن ابن مهدي عن ابن أبي سعد عن محمد بن الحسن النخعي عن ابن الخصيب الكاتب واللفظ في الخبر للحزنبل وروايته أتم
وفاة ليلى الأخيلية
أن ليلى الأخيلية أقبلت من سفر فمرت بقبر توبة ومعها زوجها وهي في هودج لها
فقالت والله لا أبرح حتى أسلم على توبة فجعل زوجها يمنعها من ذلك وتأبى إلا أن تلم به
فلما كثر ذلك منها تركها فصعدت أكمة عليها قبر توبة فقالت السلام عليك يا توبة ثم حولت وجهها إلى القوم فقالت ما عرفت له كذبة قط قبل هذا قالوا وكيف قالت أليس القائل
صوت
(ولو أنّ ليلَى الأَخْيَلِيّةَ سلَّمتْ ... عليّ ودوني تُرْبةٌ وصفائحُ)
(لَسَلَّمْتُ تسليمَ البشَاشةِ أو زَقَا ... إليها صَدًى من جانب القبر صائح)
(وأُغْبَطُ من ليلَى بما لا أنالُه ... ألاَ كُلُّ ما قَرَّتْ به العينُ صالح)
فما باله لم يسلم علي كما قال
وكانت الى جانب القبر بومة كامنة فلما رأت الهودج واضطرابه فزعت وطارت في وجه الجمل فنفر فرمى بليلى على رأسها فماتت من وقتها فدفنت الى جنبه
وهذا هو الصحيح من خبر وفاتها
غنى في الأبيات المذكورة آنفا حكم الوادي لحنين أحدهما رمل بالوسطى عن عمرو والآخر خفيف ثقيل أول بالوسطى عن حبش وقال حبش وفيها لحنان لجميلة والميلاء رملان بالبنصر وذكر أبو العبيس بن حمدون أن الرمل لعمر الوادي
قال أبو عبيدة كان توبة شريرا كثير الغارة على بني الحارث بن كعب وخثعم وهمدان فكان يزور نساء منهن يتحدث اليهن وقال
(أَيَذْهَبُ رَيْعانُ الشَّبابِ ولم أزُرْ ... غرائرَ من هَمْدانَ بِيضاً نُحورُها)
قال أبو عبيدة وكان توبة ربما ارتفع الى بلاد مهرة فيغير عليهم وبين بلاد مهرة وبلاد عقيل مفازة منكرة لا يقطعها الطير وكان يحمل مزاد الماء
فيدفن منه على مسيرة كل يوم مزادة ثم يغير عليهم فيطلبونه فيركب بهم المفازة وإنما كان يتعمد حمارة القيظ وشدة الحر فإذا ركب المفازة رجعوا عنه
أخبرني حرمي عن الزبير عن يحيى بن المقدام الربعي عن عمه موسى بن يعقوب قال
دخل عبد الله بن مروان على زوجته عاتكة بنت يزيد بن معاوية فرأى عندها امرأة بدوية أنكرها فقال لها من أنت قالت أنا الوالهة الحرى ليلى الأخيلية
قال أنت التي تقولين
(أرِيقَتْ جِفانُ ابنِ الخَليعِ فأصبحتْ ... حِياضُ النَّدَى زَالَتْ بهِنّ المراتِبُ)
(فعُفَاته لهفى يطوفون حوله ... كما انقضّ عرشُ البئر والوِرْدُ عاصبُ)
قالت أنا التي أقول ذلك
قال فما أبقيت لنا قالت الذي أبقاه الله لك
قال وما ذاك قالت نسبا قرشيا وعيشا رخيا وامرة مطاعة
قال أفردته بالكرم قالت أفردته بما أفرده الله به
فقالت عاتكة إنها قد جاءت تستعين بنا عليك في عين تسقيها وتحميها لها
ولست ليزيد إن شفعتها في شيء من حاجاتها لتقديمها أعرابيا جلفا على أمير المؤمنين
قال فوثبت ليلى فقامت على رجلها واندفعت تقول
(ستَحْمِلُني ورَحْلي ذاتُ وَخْدٍ ... عليها بِنتُ آباءٍ كِرامِ)
((إذا جعلتْ سوادَ الشَّأم جَنْباً ... وغُلِّقَ دونَها بابُ اللِّئامِ
(فليس بعائدٍ أبداً إليهِم ... ذوو الحاجات في غَلَسِ الظَّلامِ)
(أعاتِكَ لو رأيتِ غَداةَ بِنَّا ... عَزاءَ النَّفْسِ عنكُم واعتزامي)
(إذاً لَعَلِمتِ واستَيْقَنْتِ أنّي ... مُشيَّعةٌ ولم تُرْعَيْ ذِمَامِي)
(أأُجعلُ مثلَ توبةَ في نَداهُ ... أبا الذِّبّانِ فُوهُ الدَّهْرَ دامِي)
(معَاذَ الله ما عسَفتْ برَحْلِي ... تُغِذُّ السَّيْرَ للبلدِ التَّهامِي)
(أقُلْتِ خليفةٌ فَسِواه أَحْجَى ... بإمْرَته وأَوْلَى باللِّئامِ)
(لِئَامِ الملكِ حين تُعَدُّ كَعْبٌ ... ذوو الأخطارِ والخُطَطِ الجِسَامِ)
فقيل لها أي الكعبين عنيت قالت ما أخال كعبا ككعبي
خبر آخر في وفودها على الحجاج
أخبرنا اليزيدي عن الخليل بن أسد عن العمري عن الهيثم بن عدي عن أبي يعقوب الثقفي عن عبد الملك بن عمير عن محمد بن الحجاج بن يوسف قال
بينا الأمير جالس إذ استؤذن لليلى
فقال الحجاج ومن ليلى قيل الأخيلية صاحبة توبة
قال أدخلوها
فدخلت امرأة طويلة دعجاء العينين حسنة المشية إلى الفوه ما هي حسنة الثغر فسلمت فرد الحجاج عليها ورحب بها

فدنت فقال الحجاج دراك ضع لها وسادة يا غلام
فجلست
فقال ما أعملك إلينا قالت السلام على الأمير والقضاء لحقه والتعرض لمعروفه
قال وكيف خلفت قومك قالت تركتهم في حال خصب وأمن ودعة
أما الخصب ففي الأموال والكلأ
وأما الأمن فقد أمنهم الله عز وجل بك
وأما الدعة فقد خامرهم من خوفك ما أصلح بينهم
ثم قالت ألا أنشدك فقال إذا شئت
فقالت
(أحَجَّاجُ إنّ اللهَ أعطاك غايةً ... يُقَصِّرُ عنها مَنْ أرادَ مَدَاهَا)
(أحَجَّاجُ لا يُفْلَلْ سِلاَحُكَ إنّما المَنَايَا ... بكَفِّ الله حيث تراها)
(إذا هبط الحجّاجُ أرضاً مريضةً ... تَتَبَّعَ أقصى دائها فشَفَاها)
(شَفَاهَا من الدَّاء العُضَالِ الّذي بها ... غُلاّمٌ إذا هَزّ القناةَ سَقَاها)
(سَقَاهَا دِماءَ المارقين وعَلّها ... إذا جَمَحتْ يوماً وخِيفَ أذاها)
(إذا سَمِع الحجّاجُ رِزَّ كَتِيبةٍ ... أعَدّ لها قبل النُّزول قِرَاها)
(أعدّ لها مصقولةً فارسيَّةً ... بأيدي رجالٍ يَحْلِبون صَرَاها)
(أحَجَّاجُ لا تُعْطِ العُصاةَ مُنَاهُمُ ... ولا اللهُ يُعْطِي لِلعُصاةِ مُنَاها)
(ولا كلَّ حَلاَّفٍ تَقَلَّدَ بيعةً ... فأعْظَمَ عهدَ الله ثم شَرَاها)
فقال الحجاج ليحيى بن منقذ لله بلادها ما أشعرها
فقال ما لي بشعرها علم
فقال علي بعبيدة بن موهب وكان حاجبه فقال أنشديه فأنشدته فقال عبيدة هذه الشاعرة الكريمة قد وجب حقها
قال ما أغناها عن شفاعتك يا غلام مر لها بخمسمائة درهم واكسها خمسة أثواب أحدها كساء خز وأدخلها على ابنة عمها هند بنت أسماء فقل لها حليها
فقالت أصلح الله الأمير
أضر بنا العريف في الصدقة وقد خربت بلادنا وانكسرت قلوبنا فأخذ خيار المال
قال اكتبوا لها الى الحكم بن أيوب فليبتع لها خمسة أجمال وليجعل أحدها نجيبا وأكتبوا الى صاحب اليمامة بعزل العريف الذي شكته
فقال ابن موهب أصلح الله الأمير أأصلها قال نعم فوصلها بأربعمائة درهم ووصلتها هند بثلاثمائة درهم ووصلها محمد بن الحجاج بوصيفتين
قال الهيثم فذكرت هذا الحديث لإسحاق بن الجصاص فكتبه عني ثم حدثني عن حماد الراوية قال لما فرغت ليلى من شعرها أقبل الحجاج على جلسائه فقال لهم أتدرون من هذه قالوا لا والله ما رأينا امرأة أفصح ولا أبلغ منها ولا أحسن إنشادا
قال هذه ليلى صاحبة توبة
ثم أقبل عليها فقال لها بالله يا ليلى أرأيت من توبة أمرا تكرهينه أو سألك شيئا يعاب قالت لا والله الذي أسأله المغفرة ما كان ذلك منه قط
فقال إذا لم يكن فيرحمنا الله وإياه
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن ابن شبة عن عبد الله بن محمد بن حكيم الطائي عن خالد بن سعيد عن أبيه قال كنت عند الحجاج فدخلت عليه ليلى الأخيلية ثم ذكر مثل الخبر الأول وزاد فيه فلما قالت
(... غلامٌ إذا هزّ القناةَ سقاها)
فقال لا تقولي غلام قولي همام
صوت
(سَألَنِي الناسُ أينَ يَعْمِدُ هذا ... قلتُ آتِي في الدَّار قَرْماً سَرِيّا)
((ما قطعتُ البلادَ أسْري ولا يَمَّمْتُ ... إلاَّ إيّاكَ يا زكريّا
(كَمْ عطاءٍ ونائلٍ وجزيلٍ ... كان لي منكُم هَنِيّاً مَرِيّا)
عروضه من الخفيف الشعر للأقيشر الأسدي
والغناء لدحمان وله فيه لحنان أحدهما خفيف ثقيل من أصوات قليلة الأشباه عن إسحاق والآخر ثقيل أول بالبنصر في الثالث والثاني عن عمرو وذكر يونس أنه للأبجر ولم يجنسه وذكر الهشامي أن لحن الأبجر خفيف ثقيل وأن لحن ابن بلوع في الثالث ثاني ثقيل
وليحيى بن واصل ثقيل أول بالوسطى بالوسطى

ذكر الأقيشر وأخباره

سبب تلقيبه الأقيشر

الأقيشر لقب غلب عليه لأنه كان أحمر الوجه أقشر واسمه المغيرة بن عبد الله بن معرض بن عمرو بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار
وكان يكنى أبا معرض وقد ذكر ذلك في شعره في مواضع عدة منها قوله
(فإنّ أبا مُعْرِضٍ إذ حسَا ... من الرَّاحِ كأساً على المِنْبَرِ)
(خَطِيبٌ لَبِيبٌ أبو مُعْرِضٍ ... فإنْ لِيمَ في الخَمْر لم يَصْبِر)
وعمر عمرا طويلا فكان أقعد بني أسد نسبا وما أخلقه بأن يكون ولد في الجاهلية ونشأ في أول الإسلام لأن سماك بن مخرمة الأسدي صاحب سماك بالكوفة بناه في أيام عمر وكان عثمانيا وأهل تلك المحلة إلى اليوم كذلك
فيروي أهل الكوفة أن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه لم يصل فيه وأهل الكوفة إلى اليوم يجتنبونه

وسماك الذي بناه هو سماك بن مخرمة بن حمين بن بلث بن عمرو بن معرض بن أسد والأقيشر أقعد نسبا منه
وقال الأقيشر في ذكر مسجد سماك شعرا
أخبرني محمد بن الحسن الكندي الكوفي قال أخبرني الحسن بن عليل
العنزي عن محمد بن معاوية وكنيته أبو عبد الله محمد بن معاوية قال الأقيشر من رهط خريم بن فاتك الأسدي
وخريم إنما نسب إلى جد أبيه فاتك وهو خريم بن الأخرم بن شداد بن عمرو بن فاتك الأسدي وفاتك ابن قليب بن عمرو بن أسد
والأقيشر هو المغيرة بن عبد الله بن معرض بن عمرو بن أسد
قال وهو القائل لما بنى سماك بن مخرمة مسجده الذي بالكوفة وهو أكبر مسجد لبني أسد وهو في خطة بني نصر بن قعين
(غَضِبَتْ دُودانُ من مَسْجِدِنا ... وبه يَعْرِفُهم كلُّ أَحَدْ)
(لو هَدَمْنَا غُدْوَةً بنْيانَه ... لاَنْمحتْ أسماؤهم طُولَ الأبَدْ)
(اسمُهم فيه وهم جيرانُه ... واسمُه الدَّهْرَ لعمرو بن أسَدْ)
(كُلّمَا صَلَّوْا قَسَمْنَا أجْره ... فلَنَا النِّصْفُ على كلِّ جسَدْ)
فحلف بنو دودان ليضربنه
فأتاهم فقال قد قلت بيتا محوت به كل ما قلت
قالوا وما هو يا فاسق قال قلت
(وبنو دُودانَ حَيٌّ سادةٌ ... حَلّ بيتُ المَجْدِ فيهم والعَدَدْ)
فتركوه
أخبرني وكيع عن إسماعيل بن مُجَمِّع عن المدائني قال وأخبرني أبو أيوب المديني عن محمد بن سلام قال
كان الأقيشر كوفيا خليعا ماجنا مدمنا لشرب الخمر وهو الذي يقول لنفسه
(فإنّ أبا مُعرضٍ إذ حَسَا ... من الرّاح كأساً على المِنْبَر)
((خطيبٌ لبيبٌ أبو مُعْرِضٍ ... فصار خليعاً على المَكْبِر
(أحَلّ الحرامَ أبو مُعْرضٍ ... فإنْ لِيمَ في الخمر لم يَصْبِر)
(يُحِلُّ اللّئامَ يلحي الكرامَ ... وإن أقصروا عنه لم يُقْصِر)
كان يهجو من يناديه بلقبه
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن المدائني وأخبرني عبد الوهاب بن عبيد الصحاف الكوفي عن قعنب بن محزر الباهلي عن المدائني
أن الأقيشر مر يريد الحيرة فاجتاز على مجلس لبني عبس فناداه أحدهم يا أقيشر وكان يغضب منها فزجره الأشياخ
ومضى الأقيشر ثم عاد إليه ومعه رجل وقال له قف معي فإذا أنشدت بيتا فقل لي ولم ذلك ثم انصرف وخذ هذين الدرهمين
فقال له أنا أصير معك إلى حيث شئت يا أبا معرض ولا أرزؤك شيئا قال فأفعل فأقبل حتى أتى مجلس القوم فوقف عليهم ثم تأملهم وقد عرف الشاب فأقبل عليه وقال
(أتدعوني الأُقَيْشِرَ ذلك اسمي ... وأدعوك ابنَ مُطْفئةِ السِّراج)
فقال له الرجل ولم ذاك فقال
(تُناجِي خِدْنَها بالليلِ سِرًّا ... ورَبُّ الناس يعلَمُ ما تُنَاجِي)
قال قعنب في خبره فلقب ذلك الرجل ابن مطفئة السراج
وقال قعنب في خبره عن المدائني أخبرنا به اليزيدي عن الخراز عن المدائني في كتاب الجوابات ولم يروه الباقون
كان الأقيشر يكتري بغلة أبي المضاء المكاري فيركبها إلى الخمارين بالحيرة
فركبها يوما ومضى لحاجته وعند أبي المضاء رجل من تميم يكنى أبا الضحاك فقال له من هذا قال الأقيشر
فأخذ طبق الميزان وكتب فيه
(عَجِبْتُ لشاعرٍ من حَيِّ سَوْءٍ ... ضَئِيلِ الجسمِ مِبْطانٍ هَجِينِ)
وقال لأبي المضاء إذا جاء فأقرئه هذا
فلما جاء أقرأه
فقال له الأقيشر ممن هو قال من بني تميم
فكتب الأقيشر تحت كتابه
(فلا أسَداً أسب ولا تَمِيماً ... وكيف يجوزُ سَبُّ الأكرمينَ)
(ولكنّ التَّمِيمِي حال بيني ... وبينَك يا ابنَ مُضْرِطةِ العَجِينِ)
فهرب إلى الكوفة فلم يزد على هذا
وقال قعنب في خبره عن المدائني فجاء التميمي فقرأ ما كتب فكتب تحته
(يأيها المُبْتَغِي حُشّاً لحاجته ... وجهُ الأُقَيْشِرِ حشٌّ غيرُ ممنوع)
فلما قرأه قال اللهم إني أستعديك عليه وكتب تحته
((إنِّي أتاني مقالٌ كنت آمَنُه ... فجاء من فاحشٍ في الناس مخلوع
(عبدِ العزيزِ أبو الضحّاك كُنْيَتُه ... فيه من اللُّؤْمِ وَهْيٌ غير ممنوع)
(ولم تَبِتْ أُمُّهُ إلاّ مُطَاحَنَةً ... وأن تُؤَاجَر في سوق المراضيع)
(ينساب ماء البرايا في استِها سَرِباً ... كأنما انساب في بعض البلاليع)
(مِنْ ثَمّ جاءت به والبَظْرُ حَنّكَه ... كأنه في استها تِمْثالُ يُسروع)
فلما جاءه جزع ومشى إليه بقوم من بني تميم فطلبوا أن يكف ففعل
وأما عبد الله بن خلف فذكر عن أبي عمرو الشيباني أن الأقيشر قال هذا في مسكين
والشعر الذي فيه الغناء يقوله الأقيشر في زكريا بن طلحة الذي يقال له الفياض وكان مداحا له

عبد الملك اعجب بشعره فمدحه
أخبرني الحسن بن علي عن العنزي عن محمد بن معاوية قال غنت جارية عند عبد الملك بن مروان بشعر الأقيشر
(قَرَّبَ اللهُ بالسلامِ وحيّا ... زَكَريّا بنَ طَلْحةَ الفَيَّاضِ)
((مَعْدِنُ الضَّيْفِ إنْ أناخوا إليه ... بعد أَيْنِ الطلائحِ الأنقاض
(ساهماتُ العيونِ خوصٌ رَذَايا ... قد براها الكَلاَلُ بعد أياض)
(زادَه خالدُ ابنُ عمِّ أبيه ... مَنْصِباً كان في العُلاَ ذا انتقاض)
(فَرْعُ تَيْمٍ من مُرّةَ حَقّاً ... قد قضَى ذاك لابن طلحةَ قاض)
فقال عبد الملك للجارية ويحك لمن هذا قالت للأقيشر
قال هذا المدح لا على طمع ولا فرق وأشعر الناس الأقيشر
وذكر عبد الله بن خلف أن أبا عمرو الشيباني أخبره أن الكميت بن زيد لقي الأقيشر في سفرة فقال له أين تقصد يا أبا معرض فقال
(سالني الناس أين يَقْصِدُ هذا ... قلتُ آتي في الدار قَرْماً سَرِيّا)
وذكر باقي الأبيات التي فيها الغناء فلم يزل الكميت يستعيده إياها مرارا ثم قال ما كذب من قال إنك أشعر الناس اتهم بالعنة فنفى ذلك
أخبرني عمي عن الكراني عن ابن سلام قال
كان الاقيشر عنينا وكان لا يأتي النساء وكان كثيرا ما كان يصف
ضد ذلك من نفسه
فجلس إليه يوما رجل من قيس فأنشده الأقيشر
(ولقد أروح بِمُشْرِفٍ ذي شِعْرةٍ ... عَسِرِ المَكَرَّةِ ماؤه يَتَفَصَّدُ)
(مرحٍ يطيرُ من المِراحِ لُعابُه ... وتكاد جِلْدَتُه به تتقدد)
ثم قال للرجل أتبصر الشعر قال نعم
قال فما وصفت قال فرسا
قال أفكنت لو رأيته ركبته قال إي والله وأثني عطفه
فكشف عن أيره وقال هذا وصفت فقم فاركبه
فوثب الرجل من مجلسه وجعل يقول له قبحك الله من جليس سائر اليوم
ونسخت من كتاب عبد الله بن خلف حدثني أبو عمرو الشيباني قال
ماتت بنت زياد العصفري فخرج الأقيشر في جنازتها فلما دفنوها انصرف
فلقيه عابس مولى عائذ الله فقال له هل لك في غداء وطلاء أتيت به من طيزناباذ قال نعم
فذهب به إلى منزله فغداه وسقاه فلما شرب قال
(فليتَ زياداً لا يَزَلْنَ بَنَاتُه ... يَمُتْنَ وألقَى كُلَّما عِشتُ عابساَ)
(فذلك يومٌ غاب عنّيَ شَرُّه ... وأنجحتُ فيه بعد ما كنتُ آيسا)
ونسخت من كتابه حدثني أبو عمرو قال
شرب الأقيشر في بيت خمار بالحيرة فجاءه الشرط ليأخذوه فتحرز
منهم وأغلق بابه وقال لست أشرب فما سبيلكم علي قالوا قد رأينا العس في كفك وأنت تشرب
قال إنما شربت من لبن لقحة لصاحب الدار فلم يبرحوا حتى أخذوا منه درهمين
فقال
(إنَّما لِقْحَتُنا بَاطِيَةٌ ... فإذَا ما مُزِجتْ كانت عَجَبْ)
(لَبَنٌ أصفرُ صافٍ لونُه ... يَنْزِع الباسورَ من عَجْبِ الذَّنَبْ)
(إنما نشرب من أموالنا ... فسَلوا الشُّرْطِيَّ ما هذا الغَضَبْ)
أخبرني الحسن بن علي عن العنزي عن محمد بن معاوية قال
دخل وفد بني أسد على عبد الملك بن مروان فقال من شاعركم يا بني أسد قالوا إن فينا لشعراء ما يرضى قومهم أن يفضلوا عليهم أحدا
قال لهم فما فعل الأقيشر قالوا مات
قال لم يمت ولكنه مشتغل بعشقه وما أبعد أن يكون شاعركم إلا أنه يضيع نفسه
أليس هو القائل
(يأيُّها السائل عَمّا مَضَى ... مِنْ عِلْمِ هذا الزَّمنِ الذاهبِ)
(إن كنتَ تَبْغِي العلمَ أوْ أهلَه ... أو شاهداً يُخْبِرُ عن غائبِ)
(فاعتبرِ الأرضَ بأسمائها ... واعتبرِ الصاحبَ بالصاحبِ)
وذكر عبد الله بن خلف عن أبي عمرو الشيباني أن جارا للأقيشر طحانا كان ينسىء الناس يكنى أبا عائشة
فأتاه الأقيشر يسأله فلم يعطه فقال له
(يُرِيدُ النساءَ ويأبى الرجالَ ... فما لي وما لأبي عائشه)
((أدامَ له الله كَدَّ الرِّجالِ ... وأثكله ابنتَه عائشه
فأعطاه ما أراد واستعفاه من أن يزيد شيئا
نسخت من كتاب عبيد الله بن محمد اليزيدي بخطه قال الهيثم بن عدي حدثني عطاف بن عاصم بن الحدثان قال
مر أعرابي من بني تميم كان يهزأ بالأقيشر فقال له
(أبا مُعْرِضٍ كن أنتَ إن مُتُّ دَافِنِي ... إلى جَنْبِ قبرٍ فيه شِلْوُ المُضَلَّل)
(فعلِّي أنْ أنجو من النار إنّها ... تَضَرَّمُ للعبد اللئيمِ المُبَخَّل)
(بذلك أوصاها الإلهُ ولم تَزَلْ ... تُحَشُّ بأوصالٍ وتُرْبٍ وجَنْدَل)
(وأنت بحمدِ الله إن شئتَ مُفْلِتِي ... بحَزْمِك فاحْزُمْ يا أقيشرُ واعْجَل)

فقال له ممن أنت قال من بني تميم ثم أحد بني الهجيم بن عمرو بن تميم
فقال الأقيشر
(تميمَ بنَ مُرٍّ كَفْكِفُوا عن تَعَمُّدِي ... بذُلٍّ فإنّي لستُ بالمتذلّلِ)
(أيهزأ بي العبدُ الهُجَيْمِيُّ ضَلَّةً ... ومثلي رمى ذا التُّدْرَإ المتضلّلِ)
(بداهيةٍ دَهْيَاءَ لا يَسْتَطِيعُها ... شماريخُ من أركان سَلْمَى ويَذْبُلِ)
(وباللهِ لولا أنّ حِلْمِيَ زَاجِرِي ... تركتُ تميماً ضُحْكةً كلَّ مَحفِلِ)
(فكُفُّوا رماكمِ ذو الجلالِ بخِزْيَة ... تُصبِّحُكم في كلِّ جَمْعٍ ومنزلِ)
((فأنتم لئامُ الناسِ لا تُنْكِرونه ... وألأمُكم طُرًّا حُرَيْثُ بن جَنْدَلِ
فصار إليه شيوخ من بني الهجيم واعتذروا إليه واستكفوه فكف
كان يرتجل الشعر وهو في حلقات الشرب والغناء
أخبرني الأخفش قال حدثني أبو الفياض بن أبي شراعة عن أبيه قال
شرب الأقيشر بالحيرة في بيت فيه خياط مقعد ورجل أعمى وعندهم مغن مطرب فطرب الأقيشر فسقاهم من شربه
فلما انتشوا وثب الأعمى يسعى في حوائجهم وقفز الخياط المقصد يرقص على ظلعه
فجهد في ذلك كل جهد
فقال الأقيشر
(ومُقْعَدِ قومٍ قد مشى من شَرَابِنا ... وأعْمَى سَقَيناه ثلاثا فأبصرا)
(شراباً كريح العَنْبَرِ الوَرْدِ ريحُه ... ومَسْحوقِ هِنْدِيٍّ من المسكِ أذفرا)
(من الفَتَياتِ الغُرِّ من أرضِ بابلٍ ... إذا شَفَّها الحانِي من الدَّنّ كبّرا)
(لها من زُجاجِ الشامِ عُنْقٌ غريبة ... تأنّق فيها صانعٌ وتخيَّرا)
(ذخائرُ فرعونَ التي جُبِيَتْ له ... وكلٌّ يُسمَّى بالعَتِيق مشهّرا)
(إذا ما رآها بعد إنقاء غَسْلِها ... تدور علينا صائمُ القومِ أفطرا)
أخبرنا علي بن سليمان قال حدثني سوار قال حدثني أبي قال
كان الأقيشر صاحب شراب وندامى فأشخص الحجاج بعض ندمائه إلى
بعض النواحي ومات بعضهم ونسك بعضهم وهرب بعضهم فقال في ذلك
(غُلِبَ الصَّبْرُ فاعترتْني هُمُومٌ ... لفِرَاقِ الثِّقاتِ من إخواني)
(مات هذا وغاب هذا وهذا ... دائبٌ في تِلاَوةِ القُرآنِ)
(ولقد كان قبل إظهاره النُّسْكَ ... قديماً من أظرف الفتيانِ)
وأخبرني أبو الحسن الأسدي عن العنزي قال قال ابن الكلبي حدثني سلمة ابن عبد سواع عن أبيه قال
كان الأقيشر لا يسأل أحدا أكثر من خمسة دراهم يجعل درهمين في كراء بغل إلى الحيرة ودرهمين للشراب ودرهما للطعام
وكان له جار يكنى أبا المضاء له بغل يكريه وكان يعطيه درهمين ويأخذ بغله فيركبه الى الحيرة حتى يأتي بيت الخمار
فينزل عنده ويربطه بلجامه وسرجه فيقال إنه أعطى ثمنه في الكراء ثم يجلس فيشرب حتى يمسي ثم يركبه وينصرف
فقال في ذلك
(يا بَغْلَ بَغْلَ أبِي المَضاءِ تَعَلَّمَنْ ... أنّي حلفتُ ولليمين نُذُورُ)
(لتُعَسفَنَّ وإن كَرِهْتَ مَهَامِهاً ... فيما أُحِبّ وكلُّ ذاك يسيرُ)
(بالرغْمِ يا ولدَ الحِمار قطعتَها ... عمداً وأنت مُذَلَّلٌ مصبورُ)
(حتى تزور مُسَمِّعاً في دارِه ... وترى المُدَامةَ بالأكُفِّ تدورُ)
(لا يَرفعون بما يسوءُك نَعْرةً ... وإذا سَخِطْتَ فخَطْبُ ذاك صغيرُ)
خبره مع أم حنين في بيت الخمار
قال فأتى يوما من الأيام بيت الخمار الذي كان يأتيه فلم يصادفه فجعل
ينتظره ودخلت الدار امرأة عبادية فقال لها ما فعل فلان قالت مضى في حاجة وأنا امرأته فما تريد قال نبيذا
قالت بكم قال بدرهمين
قالت هلم درهميك وانتظرني
قال لا
قالت فذلك إليك ومضت وتبعها فدخلت دارا لها بابان وخرجت من أحدهما وتركته
فلما طال جلوسه خرج إليه بعض أهل الدار قالوا وما يجلسك فأخبرهم
فقالوا له تلك امرأة محتالة يقال لها أم حنين من العباديين
فعلم أنه قد خدع فانصرف الى خماره فأخبره بالقصة وقال له أنسئني اليوم فاسقني ففعل
وأنشأ الأقيشر يقول
(لم يُغَرَّرْ بذاتِ خُفٍّ سِوَانَا ... بعد أُختِ العِبَادِ أُمِّ حُنَيْنِ)
(وَعَدَتْنَا بدرهمين نبيذاً ... أو طِلاءً مُعَجَّلاً غيرَ دَيْنِ)
(ثم ألوتْ بالدرهمين جميعاً ... يا لَقَوْمِي لِضَيْعَةِ الدرهمين)
وذكر هذا الخبر عبد الله بن خلف عن أبي عمرو الشيباني وزاد فيه أن الخمار كان يسمى بحنين وأن المرأة المحتالة قالت
له إنها أم حنين الخمار الذي كان يعامله حتى أخذت الدرهمين ثم هربت منه وذكر الأبيات الثلاثة التي تقدمت وبعدها
(عاهدتْ زوجَها وقد قال إنِّي ... سوف أغدُو لحاجتي ولِدَيْنِي)
(فدَعَتْ كالحِصَانِ أبيضَ جَلْداً ... وافرَ الأَيْرِ مُرْسَلَ الخُصْيَتَيْنِ)
(قال ما أَجْرُذا هُدِيت فقالت ... سوف أُعطيك أجْرَه مَرَّتين)
(فأبدأ الآنَ بالسِّفَاح فلمّا ... سافحته أرْضَتْه بالأُخْرَيَيْن)
((تَلَّها للجَبِينِ ثُمَّ امتطاها ... عَالِمُ الأَيْرِ أفْحَجُ الحالبين

(بينما ذاك منهما وهي تحوي ... ظهرَه بالبَنَانِ والمِعْصَمَيْن)
(جاءها زَوْجُها وقد شام فيها ... ذا انتصابٍ مُوَثَّقِ الأَخْدَعَيْنِ)
(فتأسَّى وقال وَيْلٌ طويلٌ ... لِحُنَيْنٍ من عار أُمِّ حُنَيْنِ)
قال فجاء حنين الخمار فقال له يا هذا ما أردت بهجائي وهجاء أمي
قال أخذت مني درهمين ولم تعطني شرابا
قال والله ما تعرفك أمي ولا أخذت منك شيئا قط فانظر إلى أمي فإن كانت هي صاحبتك غرمت لك الدرهمين
قال لاوالله ما أعرف غير أم حنين ما قالت لي إلا ذلك ولا أهجو إلا أم حنين وابنها فإن كانت أمك فإياها أعني
وإن كانت أم حنين أخرى فإياها أعني
فقال أذا لا يفرق الناس بينهما
قال فما علي أذا أترى درهمي يضيعان فقال له هلم إذا أغرمهما لك وأقم ما تحتاج إليه لا بارك الله لك ففعل
كان يرفض القليل من العطاء
قال عبد الله وحدثني أبو عمرو قال
كان العريان بن الهيثم النخعي صديقا للأقيشر فقال له يا أقيشر إني أريد أن أمتد الى الشأم فأكتبني من ملحك فأكتبه
فخرج إلى الشأم فأصاب مالا فبعث الى الأقيشر بخمسين درهما ففعل وقال هات
قال المولى على أن تهجوه إذ وضع منك قال نعم فأعطاه خمسين درهما
وقال الأقيشر
((وسألتَني يومَ الرَّحيل قصائداً ... فَملأْتُهُنَّ قصائداً وكتَابَا
(إنِّي صَدَقتُك إذ وجدتُك صادقاً ... وكَذَبْتَني فوجدتَني كَذَّابا)
(وفتحتُ باباً للخِيانةِ عامداً ... لَمّا فتحتَ من الخِيانةِ بابا)
وكان أبو العريان على الشرطة فخافه الأقيشر من هجاء ابنه
وبلغ الهيثم هذه الأبيات فبعث إليه بخمسمائة درهم وسأله الكف عن ابنه وألا يشهره فأخذها وفعل
قال أبو عمرو وخطب رجل من حضرموت امرأة من بني أسد فأقبل يسأل عنها وعن حسبها وأمهاتها حتى جاء الأقيشر فسأله عنها
فقال له من أين أنت قال من حضرموت
فأنشأ يقول
(حَضْرَمَوْتٌ فَتَّشَتْ أحسابنَا ... وإلينا حَضْرَمَوْتٌ تَنْتَسِبْ)
(إخوةُ القِرْدِ وهم أعمامُه ... بَرِئتْ منكم إلى الله العَرَبْ)
أخبرني الحسن بن علي عن أبي أيوب المديني قال قال أبو طالب الشاعر حدثني رجل من بني أسد قال
سمعت عمة الأقيشر تقول له يوما اتق الله وقم فصل فقال لا أصلي
فأكثرت عليه فقال قد أبرمتني فاختاري خصلة من خصلتين إما أن أصلي ولا أتطهر وإما أن أتطهر ولا أصلي
قالت قبحك الله فإن لم يكن غير هذا فصل بلا وضوء
كان يحتال على رجال الشرطة فيتخلص منهم
قال أبو أيوب وحدث أنه شرب يوما في بيت خمار بالحيرة فجاء شرطي من شرط الأمير ليدخل عليه فغلق الباب دونه
فناداه الشرطي اسقني نبيذا وأنت آمن
فقال والله ما آمنك ولكن هذا ثقب في البال فاجلس عنده
وأنا أسقيك منه ثم وضع له أنبوبا من قصب في الثقب وصب فيه نبيذا من داخل والشرطي يشرب من خارج الباب حتى سكر
فقال الأقيشر
(سأل الشُّرْطِيُّ أن نَسْقِيَه ... فَسَقيناه بأنبوب القَصَبْ)
(إنما نشرَب من أموالنا ... فسَلُوا الشُّرْطِيَّ ما هذا الغضب)
أخبرني عمي عن الكراني عن قعنب بن المحرز وحدثنا محمد بن خلف عن أبي أيوب المديني عن قعنب بن الهيثم بن عدي قال
كان قيس بن محمد بن الأشعث ضرير البصر فأتاه الأقيشر فسأله فأمر قهرمانه فأعطاه ثلاثمائة درهم فقال لاأريدها جملة ولكن مر القهرمان أن يعطيني في كل يوم ثلاثة دراهم حتى تنفذ
فكان يأخذها منه فيجعل درهما لطعامه ودرهما لشرابه ودرهما لدابة تحمله إلى بيوت الخمارين
فلما نفذت الدراهم أتاه الثانية فسأله فأعطاه وفعل مثل ذلك وأتاه الثالثة فأعطاه وفعل مثل ذلك وأتاه الرابعة فسأله
فقال له قيس لا أبا لك كأنك قد جعلت هذا خراجا علينا
فانصرف وهو يقول
(ألم تَرَ قيساالأكْمَهَ ابنَ محمد ... يقول ولا تلقَاه للخير يَفْعَلُ)
(رأيتُكَ أعمَى العَيْنِ والقلبِ مُمْسِكاً ... وما خيرُ أعمى العين والقلب يبخَلُ)
(فلو صَمَّ تَمّتْ لَعْنَةُ الله كلُّها ... عليه وما فيه من الشرِّ أفضلُ)
فقال قيس لو نجا أحد من الأقيشر لنجوت منه
اخبرني أبو الحسن الأسدي عن العنزي عن محمد بن معاوية قال
اختصم قوم بالكوفة في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي فقالوا نجعل بيننا أول من يطلع علينا
فطلع الأقيشر عليهم وهو سكران
فقال بعضهم
لبعض انظروا من حكمنا
فقالوا يا أبا معرض قد حكمناك
قال فيماذا فأخبروه

فمكث ساعة ثم أنشأ يقول
(إذا صَلَّيتُ خمساً كلَّ يومٍ ... فإنّ الله يغفِرِ لي فُسوقِي)
(ولم أُشْرِكْ بربِّ الناس شيئاً ... فقد أمسكتُ بالحَبْلِ الوثيقِ)
(وهذا الحقُّ ليس به خَفَاءٌ ... ودَعْني من بُنَيّات الطَّرِيقِ)
قال محمد بن معاوية وتزوج الأقيشر ابنة عم له يقال لها الرباب على أربعة آلاف درهم ويقال على عشرة آلاف درهم فأتى قومه فسألهم فلم يعطوه شيئا فأتى ابن رأس البغل وهو دهقان الصين وكان مجوسيا فسأله فأعطاه الصداق فقال الأقيشر
(كفاني المَجُوسيُّ مَهْرَ الرَّبابِ ... فِدًى للمجوسيِّ خالي وعمّ)
(شَهِدتُ بأنّك رَطْبُ المُشَاش ... وأنّ أباك الجوادُ الخِضَمّ)
(وأنّك سيِّدُ أهلِ الجحيم ... اذا ما تَرَدَّيْتَ فيمن ظَلَم)
(تُجاوِرُ قارونَ في قَعْرِها ... وفِرْعَوْنَ والمُكْتَنَى بالحَكَم)
فقال له المجوسي ويحك سألت قومك فلم يعطوك وجئتني فأعطيتك فجزيتني هذا القول ولم أفلت من شعرك وشرك
قال أوما ترضى أن جعلتك مع الملوك وفوق أبي جهل
ثم جاء إلى عكرمة بن ربعي التميمي فلم يعطه فقال فيه
((سألتُ رَبيعةَ مَنْ شَرُّها ... أباً ثم أُمّاً فقالوا لِمَهْ
(فقلتُ لأعْلَمَ مَنْ شَرُّكُمْ ... وأجعلَ بالسبِّ فيه سِمَه)
(فقالوا لِعِكْرِمَةَ المُخْزِياتُ ... وماذا يرى الناسُ في عِكْرِمَهْ)
(فإنْ يَكُ عبداً زَكَا مالُه ... فما غيرُ ذا فيه من مَكْرُمَهْ)
شرب بثيابه حتى غلقت
قال ابن الكلبي وشرب الأقيشر في حانة خمار حتى أنفد مامعه ثم شرب بثيابه حتى غلقت فلم يبق عليه شيء
وجلس في تبن إلى جانب البيت إلى حلقه مستدفئا به
فمر رجل به ينشد ضالة فقال اللهم اردد عليه واحفظ علينا
فقال له الخمار سخنت عينك أي شيء يحفظ عليك ربك قال هذا التبن لا تأخذه فأموت من البرد
فضحك الخمار ورد عليه ثيابه وقال اذهب فاطلب ما تشرب به ولا تجئني بثيابك فإني لا أشتريها بعد ذلك
قال ابن الكلبي واجتاز الأقيشر برجل يقال له هشام وكان على شرطة عمرو بن حريث وهو سكران
فدعا به فقال له أنت سكران قال لا
قال فما هذه الرائحة قال أكلت سفرجلا ثم قال
(يقولون لي انْكَهْ شَرِبتَ مُدامةً ... فقلت كذبتمْ بل أكلتُ سفرجلا)
فضحك منه ثم قال فإن لم تكن سكران فأخبرني كم تصلي في كل يوم
فقال
((يسائلني هشامٌ عن صلاتي ... صلاةِ المسلمين فقلتُ خمسُ
(صلاةُ العصر والأولى ثَمانٍ ... مُوَاتَرةٌ فما فيهنّ لَبْسُ)
(وعند مَغِيبِ قَرْنِ الشمس وترٌ ... وشَفْعٌ بعدها فيهنّ حَبسُ)
(وغُدْوةً اثنتانِ معاً جميعاً ... ولمّا تبدُ للرائين شَمْسُ)
(وبعدهما لوقتهما صَلاةٌ ... لِنُسْكٍ بالضَّحاء إذا تَبسُّ)
(أأحصيتُ الصلاةَ أيا هشاماً ... فذاك مُكَدَّرُ الأخلاقِ جِبْسُ)
(تَعَوَّدَ أن يُلامَ فليس يوماً ... بحامده من الأقوامِ إنْسُ)
قال فضحك هشام وقال بلى قد أخبرتنا يا أبا معرض فانصرف راشدا
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد عن أبي عبيدة قال
قدم رجل من بني سلول على قتيبة بن مسلم بكتاب عامله على الري وهو المعلى بن عمرو المحاربي فرآه على الباب قدامه بن جعدة بن هبيرة المخزومي وكان صديقا لقتيبة فدخل عليه فقال له ببابك ألأم العرب سلولي رسول محاربي إلى باهلي
فتبسم قتيبة تبسما فيه غيظ
وكان قدامة بن جعدة يتهم بشرب الخمر وكان الأقيشر ينادمه
فقال قتيبة ادعوا لي مرداس بن جذام الأسدي فدعي
فقال له أنشدني ما قال الأقيشر في قدامة بن جعدة وهو بالحيرة
فأنشده قوله
(رُبَّ نَدْمانٍ كريمٍ ماجدٍ ... سَيِّدِ الجَدَّيْنِ من فَرْعَيْ مُضَرْ)
(قد سَقَيْتُ الكأسَ حتى هَرَّها ... لم يُخَالِطْ صَفوَها منه كَدَرْ)
((قلتُ قُمْ صَلِّ فصلّى قاعداً ... تتغشّاه سماديرُ السَّكَرْ
(قَرَنَ الظُّهْرَ مع العصر كما ... تُقْرَنُ الحِقَّةُ بالحِقِّ الذَّكَرْ)
(تَرَكَ الفجرَ فما يَقْرَؤها ... وقرا الكَوْثَرَ من بين السُّوَرْ)
قال فتغير لون وجه القرشي وخجل
فقال له قتيبة هذه بتلك والبادىء أظلم
أخبرني الأخفش عن محمد بن الحسن بن الحرون قال حدثنا الكسروي عن الأصمعي قال
قال عبد الملك للأقيشر أنشدني أبياتك في الخمر فأنشده قوله
(تُرِيكَ القَذَى من دونها وهي دونه ... لِوَجْهِ أخيها في الإناء قُطوبُ)
(كُمَيْتٌ إذا فُضَّتْ وفي الكأس وَرْدةٌ ... لها في عِظام الشاربين دبيبُ)
فقال له أحسنت يا أبا معرض ولقد أجدت وصفها وأظنك قد شربتها

فقال والله يا أمير المؤمنين إنه ليريبني منك معرفتك بهذا
كان ندماؤه يختبئون منه عندما تنفد دراهمه
أخبرني الحسن بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن ابن الكلبي عن رجل من الأزد قال
كان الأقيشر يأتي إخوانا له يسألهم فيعطونه فأتى رجلا منهم فأمر له بخمسمائة درهم فأخذها وتوجه إلى الحانة
ودفعها إلى صاحبها وقال له أقم لي ما أحتاج إليه ففعل ذلك وانضم إليه رفقاء له فلم يزل معهم حتى نفدت
الدراهم فأتاهم بعد إنفاقها بيوم ثم أتاهم من غد فاحتملوه فلما أتاهم في اليوم الثالث نظر إليه أصحابه من بعيد فقالوا
لصاحب الحانة أصعدنا إلى غرفتك هذه وأعلم الأقيشر أنا لم نأت اليوم
فلما جاء الأقيشر أعلمه ما قالوه له
فعلم الأقيشر أنه لا فرج له عند صاحب الحانة إلا برهن فطرح إليه ثيابه وقال له
أقم لي ما أحتاج إليه ففعل
فلما أخذ فيه الشراب أنشأ يقول
(يا خَلِيلَيّ اسْقِيانِي كاسَا ... ثم كأساً حتّى أخِرّ نُعَاسَا)
(إنّ في الغُرْفةِ التي فوق رأسي ... لأُناساً يُخادِعون أناسا)
(يشربون المعتَّقَ الراحَ صِرْفاً ... ثم لا يرفَعون بالزَّوْرِ راسا)
فلما سمع أصحابه هذا الشعر فدوه بآبائهم وأمهاتهم ثم قالوا له إما أن تصعد إلينا أو ننزل إليك فصعد إليهم
أخبرني الحسن بن علي عن ابن مهرويه قال حدثني أبو مسلم المستملي عن المدائني قال
مدح الأقيشر بشر بن مروان ودخل إليه فأنشده القصيدة وعنده أيمن بن خريم بن فاتك الأسدي فقال أيمن هذا والله كلام
حسن من جوف خرب
فأجابه بالبيت المذكور
وقال أبو عمرو أيضا في خبره فلما صار الأقيشر إلى منزله بعث عمه فأخذ منه الألف الدرهم وقال والله لا أخليك تفسدها
وتشرب بها الخمر
قال فتصنع بها ماذا قال أكسوك واكسو عيالك وأعد لك قوت عامك
فتركه ودخل على بشر فقال له
(أبلِغْ أبا مَرْوانَ أنّ عطاءه ... أزاغ به مَنْ ليس لي بعِيالِ)
قال ومن ذلك فأخبره الخبر
فأمر صاحب شرطته أن يحضر عمه
وينتزع منه الألف الدرهم ويسلمها إليه وقال خذها ونحن نقوم لعيالك بما يصلحهم
أخبرني هاشم بن محمد عن أبي غسان دماذ عن أبي عبيدة قال
مر الأقيشر بخمارة بالحيرة يقال لها دومة فنزل عندها فاشترى منها نبيذا ثم قال لها جودي لي الشراب حتى أجيد لك
المدح ففعلت
فأنشأ يقول
(ألاَ يا دَوْمَ دامَ لك النَّعِيمُ ... وأسْمَرُ مِلءُ كَفِّكِ مستقيمُ)
(شديدُ الاسْرِ يَنْبِضُ حالباه ... يُحِمّ كأنّه رجلٌ سقيمُ)
(يُرَوِّيه الشرابُ فيَزْدَهِيهِ ... ويَنْفُخُ فيه شيطانٌ رجيمُ)
قال فسرت به الخمارة وقالت ما قيل في أحسن من هذا ولا أسر لي منه
أخبرني أبو الحسن الأسدي عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب بن عباية قال كان فاتك بن فضالة بن شريك الأسدي
كريما على بني أمية وهو الوافد على عبد الملك بن مروان قبل أن ينهض الى حرب ابن الزبير فضمن له على أهل العراق
طاعتهم وتسليم بلادهم إليه وأن يسلموا مصعبا إذا لقيه ويتفرقوا عنه
وله يقول الأقيشر في هذه الوفادة
(وَفَدَ الوفودُ فكنتَ أفضلَ وافدٍ ... يا فاتِكُ بنَ فَضَالةَ بنِ شَرِيكِ)
هجوه بني تميم
أخبرني علي بن سليمان الأخفش عن السكري قال حدثني ابن حبيب قال
ولي الكوفة رجل من بني تميم يقال له مطر فلما علا المنبر انكسرت الدرجة من تحته فسقط عنها فقال الأقيشر
(أبَنِي تَمِيمٍ ما لِمِنْبَرِ مُلْكِكُمْ ... ما يَستقِرّ قرارُه يَتَمَرْمَرُ)
(إنَّ المنابرَ أنكرتْ أستاهَكم ... فادعُوا خُزَيْمةَ يَستَقِرَّ المنبرُ)
أخبرني محمد بن مزيد عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحدثان قال
مر رجل من محارب يقال له قريظة بن يقظة بالأقيشر الأسدي وهو في مجلس من مجالس بني أسد فسلم على
الأقيشر وكان به عارفا
فقال له القوم من هذا يا أبا معرض وكان مخمورا فقال
(ومَنْ لي بأنْ أسطيعَ أن أذكُرَ اسْمَه ... وأَعْيا عِقالاً أن يُطِيقَ له ذِكرا)
قال فضحك القوم وقالوا سبحان الله أي شيء تقول فقال اسمه ونسبه أعظم من أن أقدر على ذكرهما في يوم فإن
شئتم سميته اليوم ونسبته غدا وإن شئتم نسبته اليوم وسميته غدا
قالوا هات اسمه اليوم
فقال قريظة
فقال رجل منهم ينبغي أن يكون ابن يقظة
فقال الأقيشر صدقت والله وأصبت ولقد أثقلني اسمه حين ذكرته أن أقول نعم
فبلغ قريظة قوله وكان شاعرا فقال
((لِسانُك من سُكْرٍ ثقيلٌ عن التُّقَى ... ولكنّه بالمُخْزِيات طليقُ)
(وأنتَ حَقيقٌ يا أُقَيْشِرُ أن تُرَى ... كذاك إذا ما كنتَ غيرَ مُفِيقِ)

(تَسَفُّ من الصهباء صِرفاً تَخالُها ... جَنَى النَّحل يُهْدِيه إليكَ صديقُ)
فبلغ الأقيشر قول المحاربي وكان يكنى أبا الذيال فأجابه فقال
(عَدِمْتَ أَبَا الذَيَّالِ من ذي نَوَالةٍ ... له في بيوتِ العاهراتِ طريقُ)
(أبالخَمرِ عَيَّرْتَ امرأً ليس مُقْلِعاً ... وذلك رأيٌ لو عَلِمْتَ وثيقُ)
(سأشربُها ما دُمْتُ حيّاً وإن أَمُتْ ... ففي النَّفْس منها زَفرةٌ وشهيقُ)
شعر له في توبته من الخمر
أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال
بلغني أن الرشيد سمع ليلة رجلا يغني
(إنْ كانتِ الخمرُ قد عَزّتْ وقد مُنِعتْ ... وحال من دونها الإسلامُ والحَرَجُ)
(فقد أباكِرُها صِرْفاً وأشْرَبُها ... أَشْفِي بها غُلَّتِي صِرْفاً وأمْتَزِجُ)
(وقد تقومُ على رأسي مُغَنِّيةٌ ... لها إذا رَجَّعَتْ في صوتها غُنُجُ)
(وترفَع الصوتَ أحياناً وتَخْفِضُه ... كما يَطِنُّ ذُبابُ الرَّوْضةِ الهَزِجُ)
قال فوجه في أثر الصوت من جاءه بالرجل وهو يرعد فقال لا ترع فإنما أعجبني حسن صوتك
فقال والله يا أمير المؤمنين ما تغنيت بهذا الشعر إلا وأنا قد تبت من شرب النبيذ وهذا شعر يقوله الأقيشر في توبته من النبيذ
فقال له الرشيد وما حملك على تركه قال خشية الله
وإني فيه يا أمير المؤمنين كما قال زيد بن ظبيان
((جاءوا بقاقُزَّةٍ صَفْراءَ مُتْرَعةٍ ... هل بين ذي كَبْرَةٍ والخمرِ من نَسَبِ
(بئس الشَّرابُ شراباً حين تَشْرَبُه ... يوهِي العِظامَ وطوراً مُفْتِرُ العَصَبِ)
(إنّي أخافُ مَلِيكِي أنْ يُعَذِّبَني ... وفي العشيرةِ أن يُزْري على حَسَبِي)
فقال له الرشيد أنت وما اخترت أعلم فأعد الصوت فأعاده
وأمر بإحضار المغنين واستعاده وأمرهم بأخذه عنه فأخذوه ووصله وانصرف وكان صوت الرشيد أياما
هكذا ذكر إسماعيل بن يونس عن عمر بن شبة في هذا الخبر أن الأبيات للأقيشر ووجدتها في شعر أبي محجن الثقفي له لما تاب من الشراب
باع حماره وشرب بثمنه
أخبرني علي بن سليمان قال حدثنا أبو سعيد عن محمد بن حبيب قال
كان القباع وهو الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة قد أخرج الأقيشر مع قومه لقتال أهل الشأم ولم يكن عند الأقيشر فرس فخرج على حمار فلما عبر جسر سورا فوصل لقرية يقال لها قنين توارى عند خمار نبطي يبرز زوجته للفجور فباع حماره وجعل ينفقه هناك ويشرب بثمنه ويفجر إلى أن قفل الجيش وقال في ذلك
(خرجتُ من المِصْرِ الحَوَارِيِّ أهلُه ... بلا نَدْبَةٍ فيها احتسابٌ ولا جُعْلِ)
(إلى جَيْشِ أهلِ الشَّأمِ أُغْزِيتُ كارهاً ... سَفَاهاً بلا سَيفٍ حديدٍ ولا نَبْلِ)
(ولكنْ بِتُرْسٍ ليس فيه حِمالةٌ ... ورُمْحٍ ضَعيفِ الزُّجِّ مُنْصَدِعِ النَّصْلِ)
(حَبَاني به ظُلْمُ القُبَاع ولم أجِدْ ... سوى أمرِه والسَّيْرِ شيئاً من الفِعْلِ)
(فأزمعتُ أمْري ثم أصبحتُ غازياً ... وسَلَّمتُ تسليمَ الغُزَاةِ على أهلي)
(وقلتُ لَعَلّي أنْ أَرَى ثَمَّ راكباً ... على فرسٍ أو ذَا مَتاعٍ على بَغْلِ)
(جَوادِي حمارٌ كان حيناً لِظَهْرِه ... إكافٌ وإشناق المَزَادةِ والحبلِ)
(وقد خان عينيه بياضٌ وخانَه ... قوائمُ سوْءٍ حين يُزْجَرُ في الوَحْلِ)
(إذا ما انتَحَى في الماء والوَحْلِ لم تَرِمْ ... قوائمُه حتّى يُؤَخَّرَ بالحِمْلِ)
(أنادِي الرِّفاقَ باركَ الله فيكمُ ... رُوَيْدَكُمُ حتّى أجوزَ إلى السَّهْلِ)
(فسِرْنَا الى قنّين يوماً وليلةً ... كأنّا بَغَايَا ما يَسِرْنَ الى بَعْلِ)
(إذا ما نزلنا لم نَجِدْ ظِلَّ ساحةٍ ... سوى يابسِ الأنهار أو سَعَفِ النخلِ)
(مَرَرْنَا على سوراءَ نَسْمَع جِسرَها ... يَئِطُّ نَقيضاً عن سفائنه الفضلِ)
(فلمّا بدا جسرُ السَّراةِ وأعرضت ... لنا سُوق فُرَّاغِ الحديثِ إلى شُغْلِ)
((نزلنا إلى ظِلٍّ ظليلٍ وباءةٍ ... حَلالٍ برغم القلطمان وما نفلِ
(يُشَارِطُه مَنْ شاء كان بدرهمٍ ... عَروساً بما بين السَّبيئة والنَّسْلِ)
(فأتبعتُ رُمْحَ السَّوْء سمية نصله ... وبِعْتُ حماري واسترحتُ من الثِّقْلِ)
(تقول ظبايا قل قليلا ألاليا ... فقلتُ لها إصوي فإنّي على رِسْلِ)
(مهرت لها جرديقة فتركتُها ... بمرها كطَرْفِ العين شائلةَ الرِّجْلِ)
ومما يغنى فيه من شعر الأقيشر
صوت
(لاَ أَشْرَبَنْ أبداً راحاً مُسَارَقةً ... إلاّ مع الغُرِّ أبناءِ البَطَارِيقِ)
(أفنَى تِلاَدِي وما جَمَّعتُ من نَشَبٍ ... قَرْعُ القَوَاقيز أفواهُ الأباريقِ)
الغناء لحنين هزج بالبنصر عن عمرو
وفيه لعمر الوادي رمل بالبنصر عن الهشامي
وفيه ثقيل أول ينسب إلى حنين وعمر وحكم جميعا
وهذا الغناء المذكور من قصيدة للأقيشر طويلة أولها
(إنِّي يذكِّرني هنداً وجارتَها ... بالطَّفِّ صوتُ حَمامات عل نيق)
صوت
(دَعاني دَعْوةً والخيلُ تَرْدِي ... فلا أدري أباسْمِي أمْ كَنَانِي)

(وكانَ إجَابتي إيَّاهُ إنِّي ... عَطَفْتُ عليه خَوَّارَ العِنَانِ)
الشعر لابن الغريزة النهشلي
والغناء ليحيى المكي رمل بالوسطى عن الهشامي
وقد جعل المغنون معه هذا البيت ولم أجده في قصيدته ولا أدري أهو له أم لغيره
(ألاَ يا مَن لِذَا البَرْقِ اليَمَانِي ... يلوحُ كأنّه مِصْباحُ بانِ)
أخبار ابن الغريزة ونسبه
كثير بن الغريزة التميمي أحد بني نهشل
والغريزة أمه
وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام وقال الشعر فيهما
وهذا الشعر يقوله ابن الغريزة في غزاة غزاها الأقرع بن حابس وأخوه بالطالقان وجوزجان وتلك البلاد فأصيب من أصحابه قوم بالطالقان فرثاهم ابن الغريزة
قصيدته في يوم الطالقان
أخبرني الصولي عن الحزنبل عن ابن أبي عمرو الشيباني عن أبيه قال بعث عمر بن الخطاب الأقرع بن حابس وأخاه على جيش إلى الطالقان وجوزجان وتلك البلاد فأصيب من أصحابه قوم بالطالقان فقال ابن الغريزة النهشلي وقد شهد تلك الوقعة يرثيهم ويذكر ذلك اليوم
(سَقَى مُزْنُ السَّحَابِ إذا استَهلّتْ ... مَصَارِعَ فِتْيَةٍ بالجُوزَجانِ)
(إلى القَصْرَيْنِ من رُستاقِ خُوطٍ ... أبادَهُمُ هناكَ الأَقْرَعانِ
(وما بِي أنْ أكونَ جَزِعْتُ إلاّ ... حنينَ القلبِ للبَرْقِ اليَمَانِي)
(ومَحْبُورٍ برُؤْيَتِنا يُرَجِّي اللقاءَ ... ولن أراه ولن يَرَاني)
(ورُبَّ أخٍ أصابَ الموتُ قَبْلي ... بَكَيْتُ ولو نُعِيتُ له بَكَانِي)
(دعاني دعوةً والخيلُ تَرْدِي ... فمَا أدْرِي أبِاسْمِي أمْ كَنَانِي)
(فكان إجابَتي إيّاهُ أنِّي ... عَطَفْتُ عليه خَوَّارَ العِنَانِ)
(وأيُّ فَتًى دَعَوْتَ وقد تَوَلَّتْ ... بهِنّ الخيلُ ذاتُ العنظوانِ)
(وأيُّ فَتًى إذا ما مُتُّ تدعُو ... يُطَرِّفُ عنكَ غاشيةَ السِّنَانِ)
(فإنْ أَهْلِكْ فلم أكُ ذا صُدُوفٍ ... عن الأَقْرانِ في الحَرْبِ العَوَانِ)
(ولم أُدلِجْ لأَطْرُقَ عِرْسَ جاري ... ولم أَجْعَلْ على قَوْمِي لِسَاني)
(ولكنِّي إذا ما هَايَجُونِي ... مَنِيعُ الجارِ مُرْتَفِعُ البَنَانِ)
(ويَكْرَهُني إذا اسْتَبْسَلْتُ قِرْني ... وأَقْضِي واحداً ما قد قضاني)
(فلا تَستَبْعِدَا يَوْمِي فإنِّي ... سأُوشِكُ مَرَّةً أنْ تَفْقِدانِي)
(ويُدْرِكُني الّذي لا بُدَّ منه ... وإنْ أشفَقْتُ من خوفِ الجَنَانِ)
((وتَبْكِيني نوائحُ مُعْوِلاتٌ ... تُرِكْنَ بدار مُعْتَرَكِ الزَّمانِ
(حَبَائسُ بالعراقِ مُنَهْنَهاتٌ ... سَوَاجِي الطَّرْفِ كالبَقَرِ الهِجَانِ)
(أعاذِلَتَيَّ مِنْ لَوْمٍ دَعَانِي ... ولِلرُّشْدِ المُبَيَّنِ فَاهْدِيانِي)
(وعَاذِلَتَيَّ صَوْتُكما قريبٌ ... ونَفْعُكُما بعيدُ الخَيْرِ وانِي)
(فَرُدّا الموت عنِّي إن أتاني ... ولاَ وأبيكُما لا تَفْعَلانِ)
صوت
(دارٌ لقاتلةِ الغَرَانِقِ ما بها ... غيرُ الوُحوشِ خلتْ له وخلاَ لهَا)
(ظَلّتْ تُسائل بالمُتَيَّمِ ما به ... وهِيَ الّتي فعلتْ به أفعالَها)
الشعر لأعشى بني تغلب من قصيدة يمدح بها مسلمة بن عبد الملك ويهجو جريرا ويعين الأخطل عليه
ويروى ربع لقانصة الغرانق وهو الصحيح هكذا ويغنى دار لقاتلة لأنه يقول في آخر البيت خلت له وخلا لها
والغناء لعبد الله بن العباس ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو بن بانة وابن المكي
وفيه لمخارق رمل من جميع أغانيه
أخبار أعشى بني تغلب ونسبه
قال أبو عمرو الشيباني اسمه ربيعة
وقال ابن حبيب اسمه النعمان بن يحيى بن معاوية أحد بني معاوية بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار شاعر من شعراء الدولة الأموية وساكني الشأم إذا حضر وإذا بدا نزل في بلاد قومه بنواحي الموصل وديار ربيعة
وكان نصرانيا وعلى ذلك مات
خبره مع الحر بن يوسف
أخبرني علي بن سليمان الأخفش عن أبي سعيد السكري قال حدثنا محمد بن حبيب عن أبي عمرو الشيباني قال
كان أعشى بني تغلب ينادم الحر بن يوسف بن يحيى بن الحكم
فشربا يوما في بستان له بالموصل فسكر الأعشى فنام في البستان
ودعا الحر بجواريه فدخلن عليه قبته
واستيقظ الأعشى فأقبل ليدخل القبة فمانعه الخدم ودافعهم حتى كاد أن يهجم على الحر مع جواريه فلطمه خصي منهم فخرج إلى قومه فقال لهم لطمني الحر
فوثب معه رجل من بني تغلب يقال له ابن أدعج وهو شهاب بن همام بن ثعلبة بن أبي سعد فاقتحما الحائط وهجما على الحر حتى لطمه الأعشى ثم رجعا
فقال الأعشى
(كأنِّي وابنَ أدْعَجَ إذ دَخَلْنا ... على قُرَشِيِّكَ الوَرَعِ الجَبَانِ)

(هِزَبْرَا غَابةٍ وَقَصَا حِماراً ... فَظلاَّ حَوْلَه يَتَناهشانِ)
(أنا الجُشَمِيُّ من جُشَمَ بن بَكْرٍ ... عَشِيَّةَ رُعْتُ طَرْفَكَ بالبَنَانِ)
أي لطمتك
وقوله أنا الجشمي أي مثلي يفعل ذلك بمثلك
(فما يسطيع ذو مُلْكٍ عِقَابِي ... إذا احترمتْ يَدِي وجَنَى لِسَانِي)
(عَشِيَّةَ غابَ عنكَ بنو هِشَامٍ ... وعثمانُ استُها وبنو أبَانِ)
(تَرُوحُ إلى مَنَازِلها قُرَيْشٌ ... وأنت مُخَيِّمٌ بالزَّرَّقانِ)
والزرقان قرية كانت للحر بسنجار
مدح وأسيء ثوابه
قال ابن حبيب مدح أعشى بني تغلب مدرك بن عبد الله الكناني أحد بني أقيشر بن جذيمة بن كعب فأساء ثوابه فقال الأعشى
(لَعَمْرُكَ إنّي يَوْمَ أمْدَحُ مُدْرِكاً ... لَكَالْمُبْتَني حَوْضاً على غيرِ مَنْهَلِ)
(أمَرَّ الهَوَى دُوني وقَبَّلَ مِدْحَتِي ... ولَوْ لكريمٍ قُلْتُها لم تُقَبَّلِ)
قال ابن حبيب كان شمعلة بن عامر بن عمرو بن بكر أخو بني فائد وهم رهط الفرس نصرانيا وكان ظريفا فدخل على بعض خلفاء بني أمية فقال أسلم يا شمعلة
قال لا والله أسلم كارها أبدا ولا أسلم إلا طائعا إذا شئت
فغضب فأمر به فقطعت بضعة من فخذه وشويت بالنار وأطعمها
فقال أعشى بني تغلب في ذلك
(أمِنْ حُذَّةٍ بالفَخْذ منكَ تَباشرتْ ... عُدَاكَ فلا عارٌ عليك ولا وِزْرُ)
(وإنّ أميرَ المؤمنين وجَرْحَه ... لَكَا لدَّهْرِ لا عارٌ بما فعل الدهرُ)
وقال ابن حبيب قال أبو عمرو
كان الوليد بن عبد الملك محسنا إلى أعشى بني تغلب فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة وفد إليه ومدحه فلم يعطه شيئا وقال ما أرى للشعراء في بيت المال حقا ولو كان لهم فيه حق لماكان لك لأنك امرؤ نصراني
فانصرف الأعشى وهو يقول
(لَعَمْري لقد عاش الوليدُ حياتَه ... إمامَ هُدًى لا مُسْتزادٌ ولا نَزْرُ)
(كأنّ بني مَرْوانَ بعدَ وفاته ... جلاميدُ لا تَنْدَى وإنْ بَلَّها القَطْرُ)
وقال ابن حبيب عن أبي عمرو كانت بين بني شيبان وبين تغلب حروب فعاون مالك بن مسمع بني شيبان في بعضها ثم قعد عنهم
فقال أعشى بني تغلب في ذلك
(بني أُمِّنا مَهْلاً فإنّ نفوسَنا ... تُمِيتُ عليكم عَتْبَها ومَصَالَها)
(وترعَى بلا جهلٍ قَرَابةَ بَيْنِنا ... وبَيْنِكُمُ لَمّا قَطَعْتُمْ وِصَالَها)
((جزى اللّهُ شيباناً وتَيْماً مَلاَمةً ... جزاءَ المُسِيءِ سَعْيَها وفِعَالَها
(أبا مِسْمَعٍ مَنْ تُنْكِرِ الحقَّ نَفْسُه ... وتَعجِزْ عن المعروفِ يَعْرِفْ ضَلاَلَها)
(أأوقدتَ نارَ الحربِ حتّى إذا بَدَا ... لنفسِكَ ما تجني الحروبُ فهالَها)
(نَزَعْتَ وقد جَرَّدْتَها ذاتَ مَنْظَرٍ ... قَبِيحٍ مَهِينٍ حيثُ ألقتْ جِلاَلَها)
(ألَسْنا إذا ما الحربُ شَبَّ سعيرُها ... وكان صَفِيحُ المَشْرَفيِّ صِلاَلَها)
(أجارتنا حِلٌّ لكم أنْ تَنَاولوا ... مَحَارِمَها وأن تَمِيزُوا حَلاَلَها)
(كذبتم يَمِينُ اللّهِ حتى تعاوَرُوا ... صُدورَ العوالي بيننا ونِصَالَها)
(وحتى ترى عينُ الذي كان شامتاً ... مَزَاحِفَ عَقْرَى بيننا ومَجالها)
صوت
(وتفْرَحُ بالمولودِ من آل بَرْمَكٍ ... بُغَاةُ النَّدَى والرُّمْحِ والسَّيْفِ والنَّصْلِ)
(وتَنْبَسِطُ الآمالُ فيه لِفَضْلِه ... ولا سِيَّمَا إنْ كان من وَلَدِ الفَضْلِ)
الشعر لأبي النضير
والغناء لإسحاق ثقيل أول بالبنصر عن عمرو بن بانة من مجموع اسحاق
وقال حبش فيه لإبراهيم الموصلي ثقيل أول بالبنصر عن عمرو بن بانة من مجموع إسحاق
وقال حبش فيه لابراهيم الموصلي ثقيل آخر بالوسطى
ولقضيب وبراقش جاريتي يحيى بن خالد فيه لحنان
أخبار أبي النضير ونسبه
أبو النضير اسمه عمر بن عبد الملك بصري مولى لبني جمح
أخبرنا بذلك عمي عن ابن مهرويه عن إسحاق بن محمد النخعي عن إسحاق بن خلف الشاعر قال قلت لأبي النضير بن أبي الياس لمن أنت فقال لبني جمح
وذكر أبو يحيى اللاحقي أن اسمه الفضل بن عبد الملك
شاعر من شعراء البصريين صالح المذهب ليس من المعدودين المتقدمين ولا من المولدين الساقطين
وكان يغني بالبصرة على جوار له مولدات ويظهر الخلاعة والمجون والفسق ويعاشر جماعة ممن يعرف بذلك الشأن
وكان أبان اللاحقي يعاشره ثم تصارما وهجاه وهجا جواريه وافترقا على قلى ثم انقطع أبو النضير إلى البرامكة فأغنوه إلى أن مات
اسحاق الموصلي يشهد على ظرفه
أخبرنا ابن أبي الأزهر عن حماد بن إسحاق قال سمعت أبي يقول لو قيل لي من أظرف من رأيته قط أو عاشرته لقلت أبو النضير

أخبرني عيسى الوراق عن الفضل اليزيدي عن إسحاق وأخبرني محمد بن مزيد عن حماد عن أبيه قال
ولد للفضل بن يحيى مولود فوفد عليه أبو النضير ولم يكن عرف الخبر فيعد له تهنئة فلما مثل بين يديه ورأى الناس يهنئونه نثرا ونظما قال ارتجالا
(وَيَفْرحُ بالمولودِ من آلِ بَرْمَكٍ ... بُغَاةُ النَّدَى والسَّيْف والرُّمْح والنَّصْلِ)
(... وتَنْبَسِطُ الآمالُ فيه لِفَضْلِه)
ثم أرتج عليه فلم يدر ما يقول
فقال الفضل يلقنه
(... ولا سِيَّمَا إنْ كان من وَلَدِ الفَضْلِ)
فاستحسن الناس بديهة الفضل في هذا وأمر لأبي النضير بصلة
وأخبرني حبيب بن نصر عن هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني بعض الموالي قال
حضرت الفضل بن يحيى وقد قال لأبي النضير يا أبا النضير أنت القائل فينا
(إذا كنتُ من بَغْدادَ في رأسِ فَرْسَخٍ ... وجدتُ نسيمَ الجُودِ من آل بَرْمَكِ)
لقد ضيقت علينا جدا
قال أفلأجل ذلك أيها الأمير ضاقت علي صلتك وضاقت عني مكافأتك وأنا الذي أقول
(تشاغلَ النّاسُ بِبُنْيانِهِمْ ... والفضلُ في بُنْيانه جَاهِدُ)
(كلُّ ذوي الفَضْلِ وأهلِ النُّهَى ... للفَضْلِ في تدبيره حامدُ)
وعلى ذلك فما قلت البيت الأول كما بلغ الأمير وإنما قلت
(إذا كنتُ من بَغْدادَ مُنْقَطِعَ الثَّرَى ... وجدتُ نسيمَ الجُودِ من آل برمك)
فقال الفضل إنما أخرت عنك لأمازحك وأمر له بثلاثين ألف درهم
خبره مع عنان الجارية
أخبرني ابن عمار عن أبي إسحاق الطلحي عن أبي سهيل قال
كان أبو النضير يهوى عنان جارية الناطفي وكتب إليها
(إنَّ لي حاجةً فرأيُكِ فيها ... لكِ نفسي الفِدَا مِنَ الأوصاب)
(وهْيَ ليستْ ممّا يُبَلِّغُه غيري ... ولا أستطيعُه بكتابِ)
(غيرَ أنّي أقولُها حين ألقاكِ ... رُوَيْداً أُسِرُّها من ثِيابي)
فأجابته وقالت
(أنا مشغولةٌ بمَنْ لستُ أهْوَاهُ ... وقلبي مِنْ دونِه في حِجَابِ)
(فإذا ما أردتَ أمْراً فأسْرِرْهُ ... ولا تجعلنَّه في كتاب)
قال وقال أبو النضير فيها
صوت
(أنا واللهِ أهْوَاكِ ... وأهواكِ وأهواكِ)
(وأهوى قُبْلَةً مِنْكِ ... على بَرْدِ ثَنَايَاك)
(وأهوى لكِ ما أهْوَى ... لِنَفْسِي وكَفَى ذاكِ)
(فهَلْ يَنْفَعُني ذلِكِ ... يوماً حين ألقاكِ)
(أنا واللهِ أهواكِ ... وما يَشْعُرُ مولاك)
(فإيّاك بأنْ يَعْلَمَ ... إيّاكِ وإيّاكِ)
فيه لعلي بن المارقي رمل بالبنصر عن الهشامي
حدثنا ابن عمار عن الطلحي عن أبي سهيل قال
كان أبو النضير يغني غناء صالحا فغنى ذات يوم صوتا كان استفاده ببغداد
فقالت له قينة كانت ببغداد يقال لها مكتومة اطرح علي هذا الصوت يا أبا النضير
فقال لا تطيب نفسي به محابيا ولكني أبيعك إياه
قالت بكم قال برأس ماله
قالت وما رأس ماله قال ناكني فيه الذي أخذته منه
فغطت وجهها وقالت عليك وعلى هذا الصوت الدمار
أخبرني ابن عمار عن الطلحي عن أبي سهيل قال
قال أبو النضير وفيه غناء لإبراهيم
صوت
(أيصحو فُؤادُكَ أمْ يَطْرَبُ ... وكيف وقد شَحَطتْ زينبُ)
(جرى الناسُ قبل أبي جعفرٍ ... زماناً فلم يُدْرَ مَنْ غَلّبوا)
(فلمَّا جرى بأبي جعفرٍ ... بنو تَغْلِبٍ سَبَقتْ تَغْلِبُ)
قال أبو سهيل وأبو جعفر الذي عناه أبو النضير هو عبد الله بن هشام بن عمرو التغلبي الذي يذكره العتابي في شعره ورسائله وكان جوادا سخيا
وكان ابن هشام ولي السند وفيه يقول أبو النضير
(ألاَ أيُّها الغيثُ الّذي سحَّ وَبْلُه ... كأنّك تَحْكِي راحةَ ابنِ هشامِ)
(كأنّك تَحْكِيها ولكنّ جُودَه ... يدومُ وقد تأتي بغير دوامِ)
(وفيك جَهَامٌ ربَّما كان مُخْلِفاً ... وراحتُه تَغدُو بغير جَهَامِ)
خالفه ابراهيم الموصلي في قوله ان الغناء على تقطيع العروض
أخبرني ابن عمار عن الطلحي عن أبي سهيل قال
كان أبو النضير يزعم أن الغناء على تقطيع العروض ويقول هكذا كان الذين مضوا يقولون وكان مستهزئا بالغناء حتى تعاطى

أن يغني وكان ابراهيم الموصلي يخالفه في ذلك ويقول العروض محدث والغناء قبله بزمان
فقال إسحاق بن إبراهيم ينصر أباه
(سَكَتٌّ عن الغِناء فلا أُماري ... بَصِيراً لاَ ولا غيرَ البصير)
(مخافةَ أنْ أُجَنّنَ فيه نَفْسِي ... كما قد جُنَّ فيه أبو النَّضِير)
أخبرني الحسن بن علي عن ابن مهرويه قال حدثني أبو طلحة الخزاعي عن اللاحقي قال
كان جدي أبان يشرب مع إخوان له على شاطىء دجلة بعد مصارمته أبا
النضير وكان القوم أصدقاء له ولأبي النضير فذكروه
فقال جدي إن حضر انصرفت فأمسكوا
فقال جدي فيه
(رُبَّ يوم بشَطِّ دِجْلةَ لَذٍّ ... ولَيَالٍ نَعِمتُ فِيها لِذَاذِ)
(غَيْبةٌ لم تَطُلْ عليّ وماذا ... خيرُ قُرْبِ المُطَرْمِذِ المَلاَّذِ)
(تركَ الأشْرِباتِ ليس بعَاطٍ ... لِرَساطُونها ولا الرّاقياذ)
(وحكَى الأحْمَقَ الذي ليس يَدْرِي ... أنّ خيرَ الشرابِ هذا اللذاذ)
(ضَلَّ رَأْيٌ أراه ذاك كما ضَلَّ ... غُواةٌ لاذُوا بشرِّ مَلاَذِ)
(أنت أعْمَى فيما ادَّعَيْتَ كما لَسْتَ ... لِصَوْغِ الألحانِ بالأُسْتاذ)
(كان ذنباً أتوبُ منه إلى الله ... اختيارِيكَ صاحباً واتّخاذي)
(إنّ للهِ صومَ شَهْرَيْن شُكْراً ... أنْ قَضَى منك عاجلاً إنْقَاذي)
(لا لِدينٍ ولا لِدُنْيا ولا يَصْلُحُ ... في علم ما ادَّعَى بنَفَاذِ)
حدثني ابن عمار عن الطلحي عن أبي سهيل قال
كتب أبو النضير الى حماد عجرد يسأل عن حاله في الشراب وشربه إياه ومن يعاشر عليه
فكتب إليه حماد
(أبَا النَّضِير اسْمَعْ كَلامِي ولا ... تَجْعَلْ سِوَى الإنصافِ من بالكا)
(سألتَ عن حالي وما حالُ مَنْ ... لم يَلْقَ إلاّ عابداً ناسكا)
((يُظْهِرُ لي ذا فمتى يَفْتَرِضْ ... شيئاً تِجِدْه عادياً فاتكا)
يعني حريث بن عمرو
وكان حماد نزل عليه وكان حريث هذا مشهورا بالزندقة وكذلك حماد هذا كان مشهورا بها فنزل عليه لذلك
أخبرني الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن أبي طلحة الخزاعي عن أبي يحيى اللاحقي قال
كتب أبو النضير إلى عمي حمدان بن أبان وكان له صديقا يشكو إليه عمر بن يحيى الزيادي وكان عربد عليه وشتمه
(أقْرِ حمْدانَ سلامَ اللّهِ ... مِن فَضْلٍ وقُلْ لَهْ)
(يا فَتَى لستُ بحمدِ اللّهِ ... أخْشَى أنْ أمَلَّهْ)
(ذاكَ أنّ اللّهَ قد أنْهَله ... الظَّرْفَ وعَلَّهْ)
(وذُرا بيتِ رَقَاشٍ ... وعُلاَها قد أحَلَّهْ)
(إنّ شتْمَ السِّفْلَةِ الكَشخانِ ... ذي القَرْنَيْن ضَلَّهْ)
(ولَو أنّ القلبَ هاجَى ... عُمَراً يوماً لَغَلَّهْ)
(ذاكَ أنّ اللّه قد أخزى ... ابنَ يحيى وأذَلّهْ)
(مَنْ يُهاجِي رَجُلاً يَستوعِبُ ... الجُرْدانَ كُلَّهْ)
(ما يسيلُ الأَيْرُ إلاّ ... أدخلَ الأيْرَ وبَلَّهْ)
(وإذا عايَنَ أيْراً ... وَافِيَ الفَيْشَةِ غَلَّهْ)
(هذه قِصَّةُ مَنْ قد ... جعَلَ المُرْدانَ شُغْلَهْ)
شعره في طليقته
حدثني عمى عن أبي العيناء عن أبي النضير قال
دخلت على الفضل بن الربيع فقال هل أحدثت بعدي شيئا قلت نعم قلت أبياتا في امرأة تزوجتها وطلقتها لغير علة إلا
بغضي لها وإنها لبيضاء بضة كأنها سبيكة فضة
فقال لي وما قلت فيها فقلت قلت
(رَحَلتْ سُكَيْنةُ بالطَّلاَقِ ... فأَرَحْتُ مِن غُلٍّ الوَثاقِ)
(رحلتْ فَلَمْ تَأْلَمْ لها ... نَفْسِي ولم تَدْمَعْ مَآقِي)
(لو لَمْ تَبِنْ بطَلاَقِها ... لأبنتُ نفسي بالإباقِ)
(وشِفاءُ ما لا تَشْتَهِيهِ ... النَّفْسُ تعجيلُ الفِراقِ)
فقال يا غلام الدواة والقرطاس فأتي بهما فأمرني فكتبت له الأبيات ثم قلت له أنت والله تبغض بنت أبي العباس الطوسي
فقال اسكت أخزاك الله ثم ما لبث أن طلقها
صوت
(ما بالُ عَيْنِكَ جائلاً أقذاؤها ... شَرِقتْ بعَبْرَتِها وطال بُكاؤها)
(ذكرتْ عَشِيرتَها وفُرْقةَ بَيْنِها ... فطوتْ لذلكَ غُلَّةً أحشاؤها)
الشعر لعبد الله بن عمر العبلي
والغناء لأبي سعيد مولى فائد رمل مطلق في مجرى الوسطى عن ابن المكي وذكره إسحاق في هذه الطريقة ولم
ينسبه إلى أحد وقيل إنه من منحول يحيى الى أبي سعيد
أخبار العبلي ونسبه
اسمه عبد الله بن عمر بن عبد الله بن علي بن عدي بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف ويكنى أبا
عدي شاعر مجيد من شعراء قريش ومن مخضرمي الدولتين وله أخبار مع بني أمية وبني هاشم تذكر في غير هذا

الموضع
ويقال له عبد الله بن عمر العبلي وليس منهم لأن العبلات من ولد أمية الأصغر بن عبد شمس
سموا بذلك لأن أمهم عبلة بنت عبيد بن حارك بن قيس بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم وهؤلاء يقال لهم براجم بني تميم ولدت لعبد شمس بن عبد مناف أمية الأصغر وعبد أمية ونوفلا وأمه من بني عبد شمس فهؤلاء يقال لهم العبلات ولهم جميعا عقب
أما أمية الأصغر فإنهم بالحجاز وهم بنو الحارث بن أمية منهم علي بن عبد الله بن الحارث ومنهم الثريا صاحبة ابن أبي ربيعة
وأما بنو نوفل وعبد أمية فإنهم بالشام كثير
وعبد العزى بن عبد شمس كان يقال له أسد البطحاء
وإنما أدخلهم الناس في العبلات لما صار الأمر لبني أمية الأكبر وسادوا وعظم شأنهم في الجاهلية والإسلام وكثر أشرافهم فجعل سائر بني عبد شمس من لا يعلم قبيلة واحدة فسموهم أمية الصغرى ثم قيل لهم العبلات لشهرة الاسم
وعلي بن عدي جد هذا الشاعر شهد مع عائشة يوم الجمل
وله يقول شاعر بني ضبة لعنة الله عليه
(يا رَبِّ اكْبُبْ بِعَلِيٍّ جَمَلَهْ ... ولا تُبَارِكْ في بعيرٍ حَمَلَهْ
(... إلاَّ عليَّ بن عَدِيٍّ ليس له)
ميله إلى بني هاشم حرمه من عطاء الخلفاء
فأما عبد الله بن عمر هذا الشاعر فكان في أيام بني أمية يميل إلى بني هاشم ويذم بني أمية ولم يكن منهم إليه صنع جميل فسلم بذلك في أيام بني العباس ثم خرج على المنصور في أيامه مع محمد بن عبد الله بن الحسن
أخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن زهير عن مصعب الزبيري قال
العبلي عبد الله بن عمر بن عبد الله بن علي بن عدي بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس ويكنى أبا عدي وله أخبار كثيرة مع بني هاشم وبني أمية
وقسم هشام بن عبد الملك أموالا وأجاز بجوائز فلم يعطه شيئا
فقال
(خَسَّ حَظِّي أنْ كنتُ من عبد شمسٍ ... ليتني كنتُ من بني مَخْزُومِ)
(فأفوزَ الغداةَ منهم بسَهْمٍ ... وأبيعَ الأَبَ الشريفَ بلُومِ)
فلما استخلف المنصور كتب إلى السري بن عبد الله أن يوجه به إليه ففعل
فلما قدم عليه قال له أنشدني ما قلت في قومك فاستعفاه
فقال لا أعفيك
فقال أعطني الأمان فأعطاه فأنشده
(ما بال عَيْنك جائلاً أقذاؤها ... شَرِقتْ بعَبْرَتِها فطال بُكاؤها)
حتى انتهى إلى قوله
(فبنو أميّةَ خيرُ مَنْ وَطِىء الحَصَى ... شَرَفاً وأفضلُ ساسةٍ أمراؤها)
فقال له اخرج عني لا قرب الله دارك فخرج حتى قدم المدينة فألفى محمد بن عبد الله بن حسن قد خرج فبايعه
مدح السفاح فأكرمه
أخبرني عمي الكراني عن العمري عن العتبي عن أبيه قال
كان أبو عدي الذي يقال له العبلي مجفوا في أيام بني مروان وكان منقطعا إلى بني هاشم فلما أفضت الدولة اليهم لم يبقوا على أحد من بني أمية وكان الأمر في قتلهم جدا إلا من هرب وطار على وجهه
فخاف أبو عدي أن يقع به مكروه في تلك الفورة فتوارى وأخذ داود بن علي حرمه وماله فهرب حتى أتى أبا العباس السفاح فدخل عليه في غمار الناس متنكرا وجلس حجرة حتى تقوض القوم وتفرقوا وبقي أبو العباس مع خاصته فوثب إليه أبو عدي فوقف بين يديه وقال
(ألاَ قُلْ للمَنَازِل بالسِّتَارِ ... سُقِيتِ الغَيْثَ من دِمَنٍ قِفَار)
(فهل لكِ بَعْدَنا عِلْمٌ بسَلْمَى ... وأتْرَابٍ لها شِبهِ الصِّوارِ)
(أوانِسُ لا عَوَابِسُ جافياتٌ ... عن الخُلُقِ الجميلِ ولا عَوَارِي)
(وفيهنَّ ابنةُ القُصَوِيِّ سَلْمَى ... كَهَمِّ النَّفْس مُفْعَمةُ الإزَار)
(تلوثُ خِمَارَها بِأَحَمَّ جَعْدٍ ... تُضِلُّ الفَالِيَاتُ به المَدَارِي
(بَرَهْرَهَةٌ مُنَعَّمةٌ نَمَتْهَا ... أُبُوَّتُها إلى الحَسَبِ النُّضَار)
(فدَعْ ذِكرَ الشبابِ وعهدِ سَلْمَى ... فما لَكَ منهما غيرُ ادِّكار)
(وأَهْدِ لهاشمٍ غُرَرَ القَوَافِي ... تَنَخَّلُها بعلمٍ واْختِيَار)
(لَعَمْرُكَ إنَّني ولُزومَ نَجْدٍ ... ولا أَلْقَى حِبَاءَ بني الخِيَار)
(لَكَالْبَادِي لأَبْرَدَ مُسْتَهِلٍّ ... بِحَوْباء كبطنِ العَيْرِ عارِ)
(سأرْحَلُ رِحْلَةً فيها اعتزامٌ ... وجِدٌّ في رَوَاحٍ وابْتِكَار)
(إلى أهلِ الرسولِ غَدَتْ بَرَحْلِي ... عُذَافِرَةٌ تَرَامَى بالصَّحَارِي)
(تَؤُمُّ المَعْشَرَ الأبرارَ تبغِي ... فَكَاكاً للنّساء من الإسار)
(أبا أهلَ الرسولِ وصِيدَ فِهْرٍ ... وخيرَ الواقفين على الجِمَار)
(أتُؤْخَذ نِسوْتي ويُحَازُ مالِي ... وقد جاهرتُ لو أغْنَى جِهَارِي)
(وأذْعَرُ أن دُعيتُ لعبدِ شمسٍ ... وقد أمسكتُ بالحَرمِ الصَّوَارِي)
(بنُصْرَةِ هاشمٍ شَهَّرتُ نفسي ... بداري للعِدَا وبغيرِ داري)
(بقُرْبَى هاشمٍ وبحقِّ صِهْرٍ ... لأحمدَ لفَّه طِيبُ النِّجار

(ومنزلُ هاشم من عبد شمسٍ ... مكانَ الجيدِ من عُلْيَا القَفَارِ)
فقال له السفاح من أنت فانتسب له
فقال له حق لعمري أعرفه قديما ومودة لا أجحدها وكتب له إلى داود بن علي بإطلاق من حبسه من أهله ورد أمواله عليه وإكرامه وأمر له بنفقة تبلغه المدينة
عبد الله بن حسن يحسن وفادته وإكرامه
أخبرني أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني قال حدثنا يحيى بن الحسن العلوي عن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن قال حدثني أبي قال
قال سعيد بن عقبة الجهني إني لعند عبد الله بن الحسن إذ أتاه آت فقال له هذا رجل يدعوك فخرجت فإذا أنا بأبي عدي الأموي الشاعر فقال أعلم أبا محمد
فخرج إليه عبد الله بن حسن وابناه وقد ظهرت المسودة وهم خائفون فأمر له عبد الله بن حسن بأربعمائة دينار وابناه بينهما بأربعمائة دينار وهند بنت أبي عبيدة أمهما بمائتي دينار فخرج من عندهم بألف دينار
وأخبرني حرمي عن الزبير وأخبرني الأخفش عن المبرد عن المغيرة ابن محمد المهلبي عن الزبير عن سليمان بن عياش السعدي قال
جاء عبد الله بن عمر بن عبد الله العبلي إلى سويقة وهو طريد بني
العباس وذلك بعقب أيام بني أمية وابتداء خروج ملكهم إلى بني العباس فقصده عبد الله والحسن أبنا الحسن بسويقة فاستنشده عبد الله شيئا من شعره فأنشده
فقال له أريد أن تنشدني شيئا مما رثيت به قومك فأنشده
(تقول أُمَامَةُ لمَّا رأتْ ... نُشُوزي عن المَضْجَعِ الأنْفَسِ)
(وقِلَّةَ نومي على مَضْجَعِي ... لدى هَجْعَةِ الأعْيُنِ النُّعَّسِ)
(أبِي ما عَرَاكَ فقلتُ الهمومُ ... عَرَوْنَ أباكِ فلا تُبْلِسِي)
(عَرَوْنَ أباكِ فَحَبَّسْنَهُ ... من الذُّلِّ في شَرِّ ما مَحْبِسِ)
(لِفَقْدِ العشيرةِ إذ نالَها ... سِهامٌ من الحَدَثِ المُبْئِسِ)
(رَمَتْهَا المنونُ بلا نُصَّلٍ ... ولا طائشاتٍ ولا نُكَّسِ)
(بأسْهُمِها الخالساتِ النُّفوسَ ... متى ما اقتضتْ مُهْجةً تَخْلِسِ)
(فصَرْعاهُمُ في نواحي البِلادِ ... تُلْقَى بأرضٍ ولم تُرْمَسِ)
(كريمٌ أُصيب وأثوابُه ... من العار والذَّامِ لم تَدْنَسِ)
(وآخَرُ قد طار خوفَ الرَّدَى ... وكان الهُمَامَ فلم يُحْسَسِ)
((فكم غادروا من بَوَاكِي العيونِ ... مَرْضَى ومن صِبْية بُؤَّسِ)
(إذا ما ذكرنَهُمُ لم تَنَمْ ... لحَرِّ الهمومِ ولم تَجْلِسِ)
(يُرَجِّعْنَ مثلَ بُكَاء الحَمَامِ ... في مأتمٍ قَلِقِ المَجْلِسِ)
(فذاكِ الذي غالني فاعْلَمِي ... ولا تسألِيني فَتَسْتَنْحِسِي)
(وأشياءُ قد ضِفْنَني بالبِلادِ ... ولستُ لهنّ بِمُسْتَحْلِسِ)
(أفاض المَدَامِعَ قَتْلَى كُدىً ... وقتلَى بكُثْوةَ لم تُرْمَسِ)
(وقتلَى بوَجٍّ وباللاَّبَتَينِ ... من يَثْرِبٍ خيرِ ما أنْفُسِ)
(وبالزَّابِيَيْنِ نفوسٌ ثوتْ ... وقَتْلَى بنهر أبي فُطْرُسِ)
((أولئك قومٌ تداعتْ بهم ... نوائب من زمنٍ مُتْعِسِ)
(أذلّتْ قِيَادِي لمن رَامني ... وألْزقتِ الرَّغْمَ بالمَعْطِسِ)
(فما أنْسَ لا أنسَ قتلاهُم ... ولا عاش بعدَهُم مَنْ نَسِي)
قال فلما أتى عليها بكى محمد بن عبد الله بن حسن
فقال له عمه الحسن بن حسن بن علي عليهم السلام أتبكي على بني أمية وأنت تريد ببني العباس ما تريد
فقال والله يا عم لقد كنا نقمنا على بني أمية ما نقمنا فما بنو العباس إلا أقل خوفا لله منهم وإن الحجة على بني العباس لأوجب منها عليهم
ولقد كانت للقوم أخلاق ومكارم وفواضل ليست لأبي جعفر
فوثب حسن وقال أعوذ بالله من شرك وبعث إلى أبي عدي بخمسين دينارا وأمر له عبد الله بن حسن بمثلها وأمر له كل واحد من محمد وإبراهيم ابنيه بخمسين خمسين وبعثت إليه أمهما هند بخمسين دينارا وكانت منفعته بها كثيرة
فقال أبو عدي في ذلك
(أقام ثَوِيُّ بيتِ أبي عديٍّ ... بخيرِ مَنَازِلِ الجِيران جارَا)
(تَقَوّض بيتُه وَجَلاَ طَريداً ... فصادَفَ خيرَ دُورِ النّاسِ دارَا)
(وإنّي إن نزلتُ بدارِ قومٍ ... ذكرتُهُمُ ولم أذمُمْ جِوَارَا)
فقالت هند لعبد الله وابنيها منه أقسمت عليكم إلا أعطيتموه خمسين دينارا أخرى فقد أشركني معكم في المدح فأعطوه خمسين دينارا أخرى عن هند
أخبرني عيسى بن الحسين الوراق عن أبي أيوب المديني قال ذكر محمد ابن موسى مولى أبي عقيل قال
قدم أبو عدي العبلي الطائف واليا من قبل محمد بن عبد الله بن حسن أيام خروجه على أبي جعفر ومعه أعراب من مزينة وجهينة وأسلم فأخذ الطائف وأتى محمد بن أبي بكر العمري حتى بايع وكان مع أبي عدي أحد عشر رجلا من ولد أبي بكر الصديق فقدمها بين أذان الصبح والإقامة فأقام بها ثلاثا ثم بلغه خروج الحسن بن معاوية من مكة فاستخلف على الطائف عبد الملك بن أبي زهير وخرج ليتلقى الحسن بالعرج فركب الحسن البحر ومضى أبو عدي هاربا على وجهه إلى اليمن
فذلك حين يقول
(هُيِّجْتَ للأجْزاع حول عرابِ ... واعتاد قلبكَ عائد الأطرابِ)

(وذكرتَ عهدَ مَعَالمٍ بِلوى الثَّرَى ... هيهاتَ تلك معالمُ الأحبابِ)
(هيهاتَ تلك معالمٌ من ذاهبٍ ... أمسى بِحَوْضَى أو بحَقْلِ قِبَابِ)
(قد حلَّ بين أبارقٍ ما إنْ له ... فيه مِن إخْوانٍ ولا أصحابِ)
(شَطَّتْ نَوَاهُ عن الأليف وساقه ... لِقُرىً يَمانيةٍ حَمَامُ كِتَابِ)
(يا أُختَ آل أبي عَدِيٍّ أَقْصِري ... وذَرِي الخِضَابَ فما أوانُ خضاب
(أتَخَضَّبِينَ وقد تَخَرَّم غالباً ... دهرٌ أضَرَّ بها حديدُ الناب)
(والحربُ تَعْرُك غالباً بجِرَانها ... وتَعَضُّ وهي حديدةُ الأنيابِ)
(أم كيف نَفْسُكِ تَستَلِذُّ معيشةً ... أو تَنْقَعين لها ألَذَّ شراب)
وذكر العباس بن عيسى العقيلي عن هارون بن موسى الفروي عن سعيد ابن عقبة الجهني قال حضرت عبد الله بن عمر المكني أبا عدي الأموي ينشد عبد الله بن حسن قوله
(أفاض المدامعَ قَتْلَى كُدىً ... وقَتْلى بكُثْوَةَ لم تُرْمَسِ)
قال فرأيت عبد الله بن حسن وإن دموعه لتجري على خده
وقد أخبرني محمد بن مزيد عن حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن أبي سعيد مولى فائد قال
لما أتانا قتل عبد الله بن علي من قتل من بني أمية كنت أنا وفتى من ولد عثمان وأبو عدي العبلي متوارين في موضع واحد فلحقني من الجزع ما يلحق الرجل على عشيرته ولحق صاحبي كما لحقني فبكينا طويلا ثم تناولنا هذه القصيدة بيننا فقال كل واحد منا بعضها غير محصل ما لكل واحد منا فيها قال ثم أنشدنيها فأخذتها من فيه
(تقول أُمامةُ لمّا رأتْ ... نُشوزي عن المضجع الأنْفَسِ)
قصيدته في مدح بني هاشم
أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي عن ابن عائشة قال
كان أبو عدي الأموي الشاعر يكره ما يجري عليه بنو أمية من ذكر علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وسبه على المنابر ويظهر الإنكار لذلك فشهد عليه قوم من بني أمية بمكة بذلك ونهوه عنه فانتقل إلى المدينة وقال في ذلك
(شَرَّدوا بي عند امتداحي عَلِيًّا ... ورأوا ذاك فيَّ داءً دَوِيَّا)
(فَوَربِّي لا أبْرَحُ الدَّهْرَ حتى ... تُخْتَلَي مهجتي بحبِّي عَلِيّا)
(وبَنِيهِ لحُبِّ أحمدَ إنّي ... كنت أحببتُهم بحبِّي النبيَّا)
(حُبُّ دِينٍ لا حُبُّ دُنْيا وشرُّ الحبِّ ... حُبٌّ يكون دُنْيَاوِيَّا)
(صاغَني اللّه في الذُّؤابةِ منهم ... لا زَنِيماً ولا سَنِيداً دَعِيَّا)
(عَدَوِيًّا خالِي صَرِيحاً وجَدِّي ... عبدُ شمسٍ وهاشمٌ أبَوَيَّا)
(فسواءٌ عليَّ لستُ أُبالي ... عَبْشَمِيًّا دُعِيْتُ أمْ هَاشِمِيّا)
هشام بن عبد الملك يفضل شعر بني مخزوم على شعره
أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن العتبي عن أبيه قال وفد أبو عدي الأموي إلى هشام بن عبد الملك وقد امتدحه بقصيدته التي يقول فيها
(عبدُ شمسٍ أبوك وهو أبونَا ... لا نُنَادِيكَ من مكانٍ بعيدِ)
(والقرابات بيننا واشجاتٌ ... مُحْكَمَاتُ القُوَى بحَبْلٍ شديد)
فأنشده إياها وأقام بباه مدة حتى حضر ببابه وفود قريش فدخل فيهم
وأمر لهم بمال فضل فيه بني مخزوم أخواله وأعطى أبا عدي عطية لم يرضها فانصرف وقال
(خَسَّ حَظِّي أنْ كنتُ من عبد شمسٍ ... ليتني كنتُ من بني مخزومِ)
(فأفوزَ الغداةَ فيهم بسَهْمٍ ... وأبيعَ الأبَ الكريم بلومِ)
غنى في البيتين المذكورين في هذا الخبر اللذين أولهما
(... عبدُ شمس أبوك وهو أبونا)
ابن جامع ولحنه ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق
وأول هذه القصيدة التي قالها في هشام
(ليلتي من كنودَ بالغَوْرِ عُودِي ... بصَفاءِ الهوى مِنُ امّ أسِيدِ)
(ما سمعنا ذاكِ الهوى ونَسِينَا ... عهدَه فارجِعِي بِه ثم زِيدِي)
(قد تولّى عصرُ الشباب فقيدا ... رُبَّ جارٍ يَبِينُ غيرُ فقيد)
(خُلَقٍ الثّوبُ من شَبابٍ ولِبْسٍ ... وجديدُ الشّبابِ غيرُ جَدِيدِ)
(فاسرعنكَ الهمومَ حين تداعتْ ... بعَلاَةٍ مثلِ الفنِيق وخُودِ)
(عَنْتَريسٍ تُوفِي الزِّمامَ بفَعْمٍ ... مثلِ جِذْعِ الأشاءة المجرود)
(وارمِ جَوْزَ الفلاَ بها ثم سِمْها ... عَجْرفيَّ النَّجاءِ بالتوخيدِ)
(وهِشاماً خليفةَ اللّه فاعْمِدْ ... واصرِ مِنْ مِرَّةِ القَوِيّ الجليدِ
(تَلْقَهُ مُحْكَمِ القُوَى أرْيَحِيًّا ... ذَا قِرَىً عاجلٍ وسَيْبٍ عتيدِ)
(مَلِكاً يَشْمَلُ الرعيّةَ منه ... بأيادٍ ليستْ بذاتِ خُمود)
(أخضرُ الرّبع والجنابُ خَصيبٌ ... أفْيَحُ المُسْتَرَادِ للمُسْتَرِيدِ)
(ذكرتْ ناقتي البِطاحَ فحنَّتْ ... حين أنْ وَرَّكتْ قبورَ ثمودِ)
(قلتُ بعضَ الحنين يا ناقُ سِيري ... نحوَ برْقٍ دعا لغيثٍ عميدِ)
(فأغذَّتْ في السَّيْر حتى أتتكم ... وهي قَوداءُ في سَوَاهِمَ قُودِ)
(قد براها السُّرَى إليك وسَيْري ... تحت حرِّ الظَّهيرة الصَّيْخُودِ)
(وَطَوَى طائدَ العرائكِ منها ... غَوْلُ بِيدٍ تجتابُها بعد بِيدِ)
(وأتتكم حُدْبَ الظُّهورِ وكانت ... مُسْنَمَاتٍ مَمَرُّها بالكَدِيدِ)
((واطمأنّتْ أرضَ الرُّصَافةِ بالخِصْبِ ... ولم تُلْقِ رَحْلَها بالصَّعِيدِ

(نزلتْ بامرىءٍ يرى الحمدَ غُنْماً ... باذلٍ مُتْلفٍ مُفِيدٍ مُعِيدِ)
(بذل العدلَ في القِصَاصِ فأضحى ... لا يخاف الضعيفُ ظُلْمَ الشديدِ)
(من بني النَّضْر من ذُرَا مَنْبِتِ النَّضْر ... بأوْرَى زَنْدٍ وأكرمِ عودِ)
(فهو كالقَلْب في الجوانح منها ... واسطٌ سِرَّ جِذْمِها والعديد)
(بين مَرْوَانَ والوليدِ فَبَخْ بَخْ ... للكريم المَجِيدِ غيرِ الزَّهِيدِ)
(لو جرى الناس نحوَ غاية مجدٍ ... لِرِهانٍ في المَحْفِل المشهودِ)
(لَعَلاَهُمْ بسابِقَيْنِ من المجدِ ... على الناس طارفٍ وتليدِ)
(إنّكُمْ مَعْشَرٌ أبى اللَّهُ إلاَّ ... أنْ تفوزوا بدَرِّها المحشود)
(لم يرِ اللَّهُ مَعْشَراً من بني مَرْوانَ ... أولَى بالمُلْكِ والتسويدِ)
(قادةٌ سادةٌ ملوكٌ بِحارٌ ... وبَهَالِيلُ للقُروم الصِّيد)
(أرْيَحِيُّون ماجدون خِضَمُّونَ ... حُمَاةٌ عند ارْبِداد الجُلُودِ)
(يقطعون النهارَ بالرأي والحَزْمِ ... ويُحْيُون ليلَهم بالسُّجودِ)
(أهلُ رِفْدٍ وسُؤْدُدٍ وحَياءٍ ... ووَفَاءٍ بالوعد والموعود)
(ويرَوْنَ الجِوار من حُرَمِ اللَّهِ فما الجارُ فيهمُ بوحيدِ)
(لو بمجدٍ نال الخُلُودَ قَبِيلٌ ... آلَ مَرْوانَ فُزْتُمُ بالخُلُودِ)
(يا بنَ خير الأخيار من عبد شمسٍ ... يا إمامَ الورَى وربَّ الجنودِ)
(عبدُ شمسٍ أبوك وهو أبونا ... لا نُناديك من مكانٍ بعيدِ)
(ثم جَدِّي الأدنَى وعَمُّكَ شَيْخِيْ ... وأبو شَيْخِكَ الكريم الجُدودِ
(فالقَرَابَاتُ بيننا واشِجاتٌ ... مُحكَمَاتُ القُوى بحبلٍ شديد)
(فأَثِبْني ثَوَابَ مِثْلِكَ مِثْلِي ... تَلْقَني للثَّوابِ غيرَ جَحُودِ)
(إنَّ ذا الجَدِّ مَنْ حَبَوْتَ بودٍّ ... ليس مَنْ لا تَوَدّ بالمجدودِ)
(وبِحَسْبِ امرىءٍ من الخير يُرْجَى ... كونُهُ عند ظِلِّك الممدود)
وأما قصيدته التي أولها
(... ما بالُ عَيْنِكَ جائلاً أقذاؤها)
وهي التي فيها الغناء المذكور فإنه قالها في دولة بني أمية عند اختلاف كلمتهم ووقوع الفتنة بينهم يندب بينهم وفيها يقول
(واعتادها ذِكْرُ العَشِيرة بالأسَى ... فصَبَاحُها ثابٍ بها وَمَساؤها)
(شَرِكُوا العِدَا في أمرِهم فتفاقمت ... منها الفُتُون وفَرَّقَتْ أهواؤها)
(ظَلَّتْ هناكَ وما يُعاتِبُ بعضُها ... بعضاً فينْفَعَ ذا الرَّجاء رجاؤها)
(إلاَّ بمُرْهَفَةِ الظُّبَاتِ كأنّها ... شُهُبٌ تَقِلُّ إذا هَوَتْ أخطاؤها)
(وبعُسَّلٍ زُرْقٍ يكون خِضَابُها ... عَلَقَ النُّحور إذا تَفِيضُ دماؤها)
(فبذاكُمُ أمستْ تَعَاتَبُ بينها ... فلقد خَشِيتُ بأن يُحَمَّ فَنَاؤها)
(ماذا أُؤمِّلُ إنْ أُمَيَّةُ وَدّعتْ ... وبقاءُ سُكَّان البلادِ بقاؤها)
((أهلُ الرِّياسةِ والسِّياسةِ والنَّدى ... وأُسُودُ حَرْبٍ لا يَخِيمُ لِقاؤها
(غيثُ البلادِ هُمُ وهُمْ أمرَاؤها ... سُرُجٌ يضيء دُجى الظَّلاَمِ ضِياؤها)
(فلئنْ أمَيَّةُ وَدّعتْ وَتَتَابَعتْ ... لِغَوَايةٍ حَمِيتْ لها خُلَفاؤها)
(لَيُوَدِّعَنّ من البَرِيَّة عِزُّها ... ومن البلادِ جَمَالُها ورجاؤها)
(ومن البَلِيّةِ أنْ بَقِيتَ خِلاَفَهمْ ... فَرْداً تهيجُك دُورُهم وخلاؤها)
(لَهفِي على حرب العَشِيرةِ بينها ... هَلاَّ نَهَى جُهَّالَها حُلَمَاؤها)
(هَلاَّ نُهىً تَنْهَى الغَوِيَّ عن التي ... يُخْشَى على سُلْطانها غَوْغَاؤها)
(وتُقىً وأحلامٌ لها مُضَرِيَّةٌ ... فيها إذا تَدْمَى الكلوم دواؤها)
(لمّا رأيتُ الحربَ تُوقَدُ بينها ... ويَشُبُّ نارَ وَقودها إذكاؤها)
(نوَّهتُ بالمَلِكِ المُهيمِنِ دعوةً ... ورَواحُ نفسي في البَلاَءِ دُعَاؤها)
(لِيرُدَّ أُلْفَتَهَا ويجمعَ أمرَها ... بِخِيارِها فخيارُها رُحَمَاؤها)
(فأجابَ رَبِّي في أُمَيّةَ دَعْوَتِي ... وحَمى أُمَيّة أنْ يُهَدّ بناؤها)
(وحَبَا أُمَيّةَ بالخلافةِ إنّهم ... نورُ البلادِ وزينُها وبَهَاؤها)
(فبنو أُمَيّةَ خيرُ مَنْ وَطِىء الثَّرَى ... شرَفاً وأفضلُ ساسةٍ أمَراؤها)
وهي قصيدة طويلة أقتصرت منها على ما ذكرته
صوت
(مَهْلاً ذَرِينِي فإنِّي غَالَني خُلُقِي ... وقد أرَى في بلاد اللَّه مُتَّسَعَا)
(ما عَضَّنِي الدَّهرُ إلاَّ زادني كَرَماً ... ولا أستكنتُ له إن خانَ أو خَدَعَا)
الشعر لأبي جلدة اليشكري من قصيدة يمدح بها مسمع بن مالك بن مسمع والغناء لعلويه رمل بالوسطى عن عمرو

أخبار أبي جلدة ونسبه

أبو جلدة بن عبيد بن منقذ بن حجر بن عبيد الله بن مسلمة بن حبيب بن عدي بن جشم بن غنم بن حبيب بن كعب بن يشكر بن بكر بن وائل شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ومن ساكني الكوفة
وكان ممن خرج مع ابن الأشعث فقتله الحجاج

انقلب على الحجاج بعد أن كان حليفا له

أخبرني بخبره في جملة ديوان شعره محمد بن العباس اليزيدي وقرأته عليه قال حدثني عمي عبد الله قال حدثني محمد بن حبيب وأخبرني به علي ابن سليمان الأخفش أيضا عن الحسن بن الحسن اليشكري عن ابن الأعرابي قال

كان أبو جلدة اليشكري من أخص الناس بالحجاج حتى إنه بعثه وبعث معه عبد الله بن شداد بن الهادي الليثي إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام فخطب الحجاج منه ابنته أم كلثوم
ثم خرج بعد ذلك مع ابن الأشعث وكان من أشد الناس تحريضا على الحجاج
فلما أتي الحجاج
برأسه ووضع بين يديه مكث ينظر إليه طويلا ثم قال كم من سر أودعته في هذا الرأس فلم يخرج حتى أتيت به مقطوعا
فلما كان يوم الزاوية خرج أبو جلدة بين الصفين ثم أقبل على أهل الكوفة فأنشدهم قصيدته التي يقول فيها
(فقُلْ للحَوَاريّات يبكين غيرَنا ... ولا تَبْكِنا إلاّ الكِلاَبُ النوابِحُ)
(بَكَيْنَ إلينا خَشْيةً أن تُبيحَها ... رماحُ النَّصارَى والسيوفُ الجوارح)
(بكين لكيما يمنَعوهنّ منهمُ ... وتأبى قلوبٌ أضمرتْها الجوانح)
(ونادَيْنَنَا أينَ الفِرارُ وكنتم ... تَغَارُونَ أن تبدُو البُرَى والوشائحُ)
(أأسلمتمونا للعدوِّ على القَنَا ... إذا أنْتُزِعتْ منها القُرونُ النواطحُ)
(فما غارَ منكم غائرٌ لحليلةٍ ... ولا عَزَبٌ عَزّتْ عليه المَنَاكِحُ)
قال فلما أنشدهم هذه الأبيات أنفوا وثاروا فشدوا شدة تضعضع لهم عسكر الحجاج وثبت لهم الحجاج وصاح بأهل الشأم فتراجعوا وثبتوا فكانت الدائرة له فجعل يقتل الناس بقية يومه حتى صاح به رجل والله يا حجاج لئن كنا قد أسأنا في الذنب لما أحسنت في العفو ولقد خالفت الله فينا وما أطعته
فقال له وكيف ويلك قال لأن الله تعالى يقول (فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما
فداء حتى تضع الحرب أوزارها) وقد قتلت فأثخنت حتى تجاوزت الحد فأسر ولا تقتل ثم قال أو أمنن
فقال أولى لك ألا كان هذا الكلام منك قبل هذا الوقت ثم نادى برفع السيف وأمن الناس جميعا
قال ابن حبيب قال ابن الأعرابي فبلغني أن الحجاج قال يوما لجلسائه ما حرض علي أحد كما حرض أبو جلدة فإنه نزل على سرحة في وسط عسكر لابن الأشعث ثم نزع سراويله فوضعه وسلح فوقه والناس ينظرون إليه
فقالوا له ما لك ويلك أجننت ما هذا الفعل قال كلكم قد فعلتم مثل هذا إلا أنكم سترتموه وأظهرته
فشتموه وحملوا علي فما أنساهم وهو يقدمهم ويرتجز
(نحن جَلَبْنَا الخَيْلَ من زَرَنْجَا ... ما لَكَ يا حَجَّاجُ مِنّا مَنْجَى)
(لَتُبْعجَنَّ بالسيوفِ بَعْجَا ... أوْ لَتَفِرَّنَّ فذاك أحْجَى)
فوالله لقد كاد أهل الشأم يومئذ يتضعضعون لولا أن ا لله تعالى أيد بنصره
قال وقال أبو جلدة يومئذ
(أيَا لَهْفِي ويا حُزْنِي جميعاً ... ويا غَمَّ الفُؤادِ لِمَا لَقِينَا)
(تَرَكْنَا الدِّينَ والدُّنْيا جميعاً ... وَخَلَّيْنَا الحلائلَ والبَنِينا)
(فما كُنَّا أنَاساً أهلَ دِينٍ ... فنصبِرَ للبلاء إذا بُلِينَا)
(ولا كنّا أُناساً أهلَ دُنْيَا ... فنمنَعَها وإن لم نَرْجُ دِينا)
(تركنا دُورَنا لطَغَامِ عَكٍّ ... وأنْبَاطِ القُرَى والأشْعَرِينا
قال ابن حبيب وكان أبو جلدة مع القعقاع بن سويد المنقري بسجستان فذم منه بعض ما عامله به فقال فيه
(ستَعْلَمُ أنّ رأيَكَ رأيُ سَوْءٍ ... إذا ظِلُّ الإمارةِ عنكَ زَالاَ)
(وراح بنو أبِيكَ ولستَ فيهم ... بذي ذِكْرٍ يَزيدُهُمُ جَمالا)
(هناك تَذَكَّرُ الأسلافَ منهمْ ... إذا اللّيلُ القصيرُ عليك طالا)
فقال له القعقاع ومتى يطول علي الليل القصير قال إذا نظرت إلى السماء مربعة
فلما عزل وحبس أخرج رأسه ليلة فنظر فإذا هو لا يرى السماء إلا بقدر تربيع السجن فقال هذا والله الذي حذرنيه أبو جلدة
مدح مسمع بن مالك حين ولي سجستان ورثاه حين وفاته
قال وولي مسمع بن مالك سجستان وكان مكث أبي جلدة بها فخرج إليه فتلقاه ومدحه بقصيدته التي أولها
(بانتْ سُعَادُ وأمْسَى حَبْلُها أنْقَطَعَا ... وَلَيْتَ وَصْلاً لها من حَبْلِها رَجَعَا)
(شَطَّتْ بها غُرْبةٌ زَوْراءِ نازحةٌ ... فطارتِ النَّفْسُ من وَجْدٍ بِهَا قِطَعَا)
(ما قَرّتِ العينُ إذ زالتْ فينفعَها ... طعمُ الرقَاد إذا ما هاجعٌ هَجَعَا)
(منعتُ نفسيَ من رَوْحٍ تعيش به ... وقد أكونُ صحيحَ الصَّدْرِ فأنصدعا
(غدتْ تَلُوم عليّ ما فاتَ عاذلتي ... وقبلَ لَوْمِكِ ما أغنيتِ مَنْ مَنَعَا)
(مَهْلاً ذَريني فإنّي غالَني خُلُقي ... وقد أرى في بلاد اللّه مُتَّسَعَا)
(فَخْرِي تليدٌ وما أنفقتُ أخْلَفه ... سيبُ الإله وخيرُ المال ما نَفَعَا)
(ما عضّني الدهرُ إلاّ زادني كَرَماً ... ولا أستكنتُ له إنْ خانَ أو خَدَعا)
(ولا تَلِينُ على العِلاّتِ مَعْجَمتِي ... في النائبات إذا ما مسّني طَبَعَا)
(ولا تُلَيِّن من عُودِي غمائزُهُ ... إذا المُغَمِّزُ منها لاَنَ أو خَضَعا)
(ولا أخاتِلُ ربَّ البيتِ غَفْلَتَه ... ولا أقول لشيءٍ فاتَ ما صَنَعَا)
(إنّي لأمدَح أقواماً ذوي حَسَبٍ ... لم يجعلِ اللّهُ في أقوالِهم قَذعا)
(الطيّبين على العِلاّت مَعْجَمةً ... لو يُعْصَرُ المِسْكُ من أطرافِهم نَبَعا)
(بني شِهابٍ بها أَعْني وإنّهمُ ... لأكرمُ النّاس أخلاقاً ومُصْطَنَعَا)
قال فوصله مسمع بن مالك وحمله وكساه وولاه ناشيتكين وكان مكتبه
قال ثم توفي مسمع بن مالك بسجستان فقال أبو جلدة يرثيه
((أقولُ للنَّفْسِ تَأساءً وتَعْزِيةً ... قد كان من مِسْمَعٍ في مالكٍ خَلَفُ
(يا مِسْمَعَ الخير مَنْ ندعو إذا نزلتْ ... إحْدَى النَّوائب بالأقوامِ واختلفوا)

(يا مِسْمَعاً لِعِرَاقٍ لا زعيمَ لها ... بمن تُرَى يُؤْمَنُ المُسْتَشرِفُ النَّطِفُ)
(تلك العيونُ بحيث المصر سادمة ... تبكيك إذ غالك الأكفانُ والجُرُفُ)
(قد وسّدوك يميناً غيرِ موسدة ... وبذل جود لما أودى بك التلف)
(كنتَ الشّهابَ الذي يُرْمَى العَدُوّ به ... والبَحْرَ منه سِجَالُ الجُودُ تغترفُ)
قال ابن حبيب عن ابن الأعرابي قال
كان أبو جلدة ينادم شقيق بن سليط بن بديل السدوسي أخا بسطام بن سليط وكان لهما أخ يقال له ثعلبة بن سليط وكان ثقيلا بخيلا مبغضا وكان يطفل عليهم ويؤذيهم
فقال فيه أبو جلدة
(أُحِبُّ على لَذَاذتنا شَقِيقاً ... وأُبْغِضُ مثلَ ثعلبةَ الثَّقِيل)
(له غَمٌّ على الجُلَسَاءِ مُؤْذٍ ... نَوَافِلُهُ إذا شربوا قليلُ)
مسمع بن مالك يكرمه على شعره
قال ابن حبيب عن ابن الأعرابي
وفرق مسمع بن مالك في عشيرته بني قيس بن ثعلبة عطايا كثيرة وقربهم وجفا سائر بطون بكر بن وائل
فقال أبو جلدة
((إذا نِلْتَ مالاً قلتَ قيسٌ عَشيرَتِي ... تجورُ علينا عامداً في قَضَائكا
(وإنْ كانتِ الأُخْرَى فبكرُ بن وائلٍ ... بزَعْمِكَ يُخْشَى داؤها بدوائكا)
(هُنَالِكَ لا نَمْشِي الضَّرَاءَ إليكُمُ ... بَنِي مِسْمَعٍ إنّا هناك أولئكا)
(عسى دولةُ الذُّهْلَيْن يوماً وَيَشْكُرٍ ... تِكُسرَّ علينا سَبْغَةً من عطائكا)
قال فبعث إليه مسمع فترضاه ووصله وفرق في سائر بطون بكر بن وائل على جذمين جذم يقال له الذهلان وجذم يقال له اللهازم
فالذهلان بنو شيبان بن ثعلبة بن يشكر بن وائل وبنو ضبيعة بن ربيعة
واللهازم قيس ابن ثعلبة وتيم اللات بن ثعلبة وعجل بن لجيم وعنزة بن أسد بن ربيعة
قال الفرزدق
(وأرضَى بحُكْم الحَيِّ بكر بن وائلٍ ... إذّا كان في الذُّهْلَيْن أو في اللَّهازمِ)
قال وقد دخل بنو قيس بن عكابة مع إخوتهم بني قيس بن ثعلبة بن عكابة
وأما حنيفة فلم تدخل في شيء من هذا لانقطاعهم عن قومهم باليمامة في وسط دار مضر وكانوا لا ينصرون بكرا ولا يستنصرونهم
فلما جاء الإسلام ونزل الناس مع بني حنيفة ومع بني عجل بن لجيم فتلهزموا ودخل معهم حلفاؤهم بنو مازن بن جدي بن مالك بن صعب بن علي فصاروا جميعا في اللهازم
وقال موسى بن جابر الحنفي السحيمي بعد ذلك في الإسلام
((وجدنا أبانا كان حَلّ بِبَلْدةٍ ... سُوىً بين قَيْسٍ قَيْسِ عَيْلاَنَ والفِزْرِ
(فلمّا نأتْ عنَّا العشيرةُ كلُّها ... أقَمْنَا وحالَفْنا السيوفَ على الدهر)
(فما أسلمتْنا بَعْدُ في يومِ وَقْعةٍ ... ولا نحن أغْمَدْنَا السيوف على وِتْر)
هجا جاره سيفا لأنه كان يعربد
وقال ابن حبيب عن ابن الأعرابي قال
كان لأبي جلدة بسجستان جار يقال له سيف من بني سعد وكان يشرب الخمر ويعربد على أبي جلدة فقال يهجوه
(قُلْ لِذَوِي سَيْفٍ وَسَيْفِ أَلَسْتُمُ ... أَقَلَّ بني سعدٍ حَصَاداً ومَزْرَعَا)
(كأنّكُمُ جِعْلاَنُ دار مُقَامةٍ ... عَلَى عَذِرَاتِ الحيِّ أصبحنَ وُقَّعَا)
(لقد نال سيفٌ في سِجِسْتَانَ نُهْزَةً ... تَطَاوَلَ منها فوق ما كان إصْبَعَا)
(أصابَ الزِّنَا والخمرَ حتّى لقد نَمَتْ ... له سُرَّةٌ تُسْقَى الشَّرَابَ المُشَعْشَعَا)
(فلولا هَوَانُ الخمرِ ما ذُقْتَ طَعْمَهَا ... ولا سُقْتَ إبريقاً بكَفِّكَ مُتْرَعا)
(كما لم يَذُقْها أنْ تكونَ عزيزةً ... أبوك ولم يُعْرَضْ عليها فَيَطْمَعَا)
(وكان مَكَانَ الكلبِ أو مِنْ ورائه ... إذا ما المُغَنِّي لِلَّذَاذِةِ أسْمَعا)
قال ابن حبيب وكان أبو جلدة قد استعمله القعقاع بن سويد حين تولى سجستان على بست والرخج فأرجف الناس بالقعقاع وأرجف به أبو جلدة
معهم وكتب القعقاع إليه يتهدده فكتب إليه أبو جلدة
(يُهَدِّدني القعقاعُ في غير كُنْهِهِ ... فقلتُ له بَكِّرْ إذا رُمْتَني تُرْسِي)
(كأنّا وإيّاكُمْ إذا الحربُ بيننا ... أُسودٌ عليها الزَّعْفرانُ مع الوَرْسِ)
(تُرَى كمصابيحِ الدَّيَاجِي وُجوهُنا ... إذا ما لُقِينَا والهِرَقْلِيَّةِ المُلْسِ)
(هناك السُّعودُ السانحاتُ جَرَتْ لنا ... وتجري لكم طيرُ البَوَارِحِ بالنَّحْسِ)
(وما أنتَ يا قَعْقَاعُ إلاَّ كَمَنْ مَضَى ... كأنكَ يوماً قد نُقِلتَ إلى الرَّمْسِ)
(أظُنُّ بِغالِ البُرْدِ تَسْرِي إليكُمُ ... به غَطَفَانِيًّا وإلاَّ فَمِنْ عَبْسِ)
(وإلاَّ فبالبسّال يا لَكَ إنْ سَرَتْ ... به غيرَ مغمورِ القَنَاةِ ولا نِكْسِ)
(فعُمّالُنا أُوفَى وخيرٌ بَقِيّةً ... وعُمَّالُكم أهلُ الخِيَانةِ واللَّبْسِ)
(وما لبني عَمرو علي هَوَادةٌ ... ولا لِلرِّبَابِ غيرَ تَعْسٍ من التَّعْسِ)
قال فلما انتهت هذه القصيدة إلى القعقاع وجه برسول إلى أبي جلدة وقال انظر فإن كان كتب هذا الكتاب بالغداة فاعزله وإن كان كتبه بالليل فأقره على عمله ولا تعزله ولا تضربه
وكان أبو جلدة صاحب شراب فقال للرسول والله ما كتبته إلا بالعشي
فسأله البينة على ذلك فأتاه بأقوام شهدوا له بما قال فأقره على عمله وانصرف عنه

تشبيبه ببنت رجل من الدهاقين
قال ابن حبيب ومر أبو جلدة بقصر من قصور بست ينزله رجل من الدهاقين فرأى ابنته تشرف من أعلى القصر فأنشأ يقول
(إنَّ في القَصْرِ ذي الخِيَا بَدْرَ تِمٍّ ... حَسَنَ الدَّلِّ للفُؤاد مُصِيبَا)
(وَلِعاً بالخَلُوق يَأْرَجُ منه ... رِيحُ رَنْدٍ إذا اسْتَقَلَّ مُنِيبَا)
(يَلْبَس الخزَّ والمَطَارِفَ والقزَّ ... وعَصْباً من اليَمَانِي قَشِيبَا)
(ورأيتُ الحبيبَ يُبْرِزُ كَفًّا ... ما رآه المُحِبُّ إلاَّ خَضِيبَا)
فبلغ ذلك من قوله الدهقان فأهدى له وبره وسأله ألا يذكر ابنته في شعر بعد ذلك
قال ابن حبيب ولحق أبا جلدة ضيم من بعض الولاة فهتف بقومه فلم يقدروا على منعه منه ولا معونته رهبة للسلطان فهتف بأعلى صوته يا مسمع ابن مالك يا أمير بن أحمر ثم أنشأ يقول
(ولمّا أنْ رأيتُ سَرَاةَ قومِي ... سُكُوتاً لا يثوبُ لهم زعيمُ)
(هتفتُ بمِسْمَعٍ وصَدَى أمِيرٍ ... وقَبْرِ مُعَمَّرٍ تلك القرومُ)
قال فأبكى جميع من حضر وقاموا جميعا إلى الوالي فسألوه في أمره حتى كف عنه
قال وأمير بن أحمر رجل من بني يشكر وكان سيدا جوادا
وفيه يقول زياد الأعجم
(لولاَ أميرٌ هَلَكتْ يَشْكُرٌ ... ويَشْكُرٌ هَلْكَى على كلِّ حالْ)
قال ابن الأعرابي كان أمير بن أحمر واليا على خراسان في أيام معاوية
ومعمر الذي عناه أبو جلدة معمر بن شمير بن عامر بن جبلة بن ناعب بن صريم وكان أمير سجستان وكان سيدا شريفا شعره بعد ان ابت خليعة بنت صعب الزواج منه
وقال خطب أبو جلدة امرأة من بني عجل يقال لها خليعة بنت صعب فأبت أن تتزوجه وقالت أنت صعلوك فقير لا تحفظ مالك ولا تلفي شيئا إلا أنفقته في الخمر وتزوجت غيره
فقال أبو جلدة في ذلك
صوت
(لمّا خَطَبتُ إلى خَلِيعةَ نفسَها ... قالت خليعةُ ما أرَى لك مالا)
(أوْدَى بمالِي يا خَلِيعُ تَكَرُّمِي ... وتَخَرُّقِي وتَحَمُّلِي الأثقالاَ)
(إنّي وجَدِّكِ لو شَهِدتِ مَوَاقِفِي ... بالسَّفْحِ يومَ أُجَلِّلُ الأبطالاَ)
(سَيْفِي لَسَرَّكِ أنْ تكوني خادماً ... عندي إذا كَرِه الكُماةُ نِزَالاَ)
الغناء لإبراهيم الموصلي ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشامي من كتاب علي بن يحيى
قال أبو سعيد السكري وعمر بن سعيد صاحب الواقدي
إن أبا جلدة كان في قرية من قرى بست يقال لها الخيزران ومعهم عمرو ابن صوحان أخو صعصعة في جماعة يتحدثون ويشربون إذ قام أبو جلدة ليبول فضرط وكان عظيم البطن فتضاحك القوم منه فسل سيفه وقال لأضربن من لا يضرط في مجلسه هذا ضربة بسيفي أمني تضحكون لا أم لكم فما زال حتى ضرطوا جميعا غير عمرو بن صوحان
فقال له قد علمت أن عبد القيس لا تضرط ولك بدلها عشر فسوات
قال لا والله أو تفصح بها فجعل عمرو يجثي وينحني فلا يقدر عليها فتركه
وقال أبو جلدة في ذلك
(أمِنْ ضَرْطةٍ بالخَيْزُرَانِ ضَرَطْتُها ... تَشَدّد منّي دارةٌ وتَلِينُ)
(فما هُوَ إلاَّ السيفُ أو ضَرْطةٌ لها ... يثور دُخَانٌ ساطعٌ وطنينُ)
قال ولعمرو بن صوحان يقول أبو جلدة اليشكري وطالت صحبته إياه فلم يظفر منه بشيء
(صاحبت عمراً زماناً ثم قلتُ له ... الْحَقْ بقومك يا عمرُو بنَ صُوحانا)
(فإنْ صَبَرْت فإنّ الصبرَ مَكْرُمةٌ ... وإنْ جزعت فقد كان الّذي كانا)
تهاجى هو وزياد الأعجم
قال ابن سعيد وحدثني أبو صالح قال
بلغ أبا جلدة أن زيادا الأعجم هجا بني يشكر فقال فيه
((لا تَهْجُ يَشْكُرَ يا زيادُ ولا تكنْ ... غَرَضاً وأنت عن الأذى في مَعْزِلِ
(واعْلَمْ بأنّهم إذا ما حُصِّلُوا ... خيرٌ وأكرمُ من أبيك الأعْزَلِ)
(لولا زعيمُ بني المُعَلَّى لم تَبِتْ ... حتّى نُصَبِّحكم بجيشٍ جحْفَلِ)
(تمشِي الضَّرَاءَ رجالُهم وكأنّهم ... أُسْدُ العَرِينِ بكلّ عَضْبٍ مُنْصُلِ)
(فاحْذَرْ زيادُ ولا تكنْ ذا تُدْرَإٍ ... عند الرِّجالِ ونُهْزَةً للخُتَّلِ)
وقال ابن حبيب كان سليمان بن عمرو بن مرثد البكري صديقا لأبي جلدة وكان فارسا شجاعا وقتله ابن خازم لشيء بلغه فأنكره وفيه يقول أبو جلدة
(إذا كنتَ مُرْتاداً نديماً مُكَرَّماً ... نَمَاه سَرَاةٌ من سَرَاةِ بني بكر)
(فلا تَعْدُ ذا العَلْيَا سُلَيمانَ عامداً ... تَجِدْ ماجداً بالجُودِ مُنشَرِحَ الصدر)
(كريماً على عِلاَّتِه يبذُلُ النَّدَى ... ويَشْرَبها صهباءَ طَيِّبةَ النَّشْرِ)
(مُعَتَّقةً كالمِسْكِ يُذْهِبُ ريحُها الزُّكَامَ ... وتدعو المرءَ للجُودِ بالوَفْرِ)
(وتترك حاسِي الكأسِ منها مُرَنَّحاً ... يَمِيدُ كما مادَ الأثيمُ من السكرِ)
((تلوحُ كعَيْنِ الدِّيكِ ينزو حَبَابُها ... إذا مُزِجتْ بالماء مثلَ لَظَى الجَمْرْ
(فتِلكَ إذا نادمتَ من آلِ مَرْثَدٍ ... عليها نديماً ظَلَّ يَهْرِف بالشِّعْرْ)
(يُغَنِّيكَ تاراتٍ وطوراً يَكُرُّها ... عليكَ بحَبَّاكَ الإلهُ ولا يدري)
(تَعَوَّدَ ألاَّ يَجْهَلَ الدَّهْرَ عندها ... وأن يبذُلَ المعروفَ في العُسْرِ واليسر)

(وإنّ سليمانَ بن عَمْرو بن مَرْثَدٍ ... تَألَّى يميناً أن يَريشَ ولا يَبْري)
(فهِمَّتُهُ بَذْلُ النَّدى وأبْتنا العُلاَ ... وضربُ طُلَى الأبطالِ في الحرب بالبُتْر)
(وفي الأمْنِ لا ينفكُّ يَحْسُو مُدَامةً ... إذا ما دجا ليلٌ إلى وَضَحِ الفجْر)
قال فلما بلغت سليمان هذه الأبيات قال هجاني أخي وما تعمد لكنه يرى أن الناس جميعا يؤثرون الصهباء كما يؤثرها هو ويشربونها كما يشربها
وبلغ قوله أبا جلدة فأتاه فاعتذر إليه وحلف أنه لم يتعمد بذلك ما يكرهه وينكره
قال قد علمت بذلك وشهدت لك به قبل أن تعتذر وقبل عذره
وقال ابن حبيب سأل أبو جلدة الحضين بن المنذر الرقاشي شيئا فلم يعطه إياه وقال لا أعطيه ما يشرب به الخمر
فقال أبو جلدة يهجوه
(يا يومَ بُؤْسٍ طلعتْ شَمْسُه ... بالنَّحْسِ لا فارقتَ رأسَ الحُضَيْن)
(إنّ حُضَيْناً لم يَزَلْ باخلاً ... مُذْ كان بالمعروفِ كَزَّ اليَدَيْن)
فبلغ الحضين قول أبي جلدة فقال يجيبه
((عَضَّ أبو جِلْدَةَ من أُمِّهِ ... مُعْترِضاً ما جاوزَ الأسْكَتَيْنِ
(بَظْراً طويلاً غاشياً رأسُه ... أعْقَفَ كالمِنْجَلِ ذَا شُعْبَتينْ)
وقال أبو جلدة في حضين أيضا
(لَعَمْرُكَ إنّي يومَ أُسْنِدُ حاجتي ... إليكَ أبا سَاسَانَ غيرُ مُسَدَّدِ)
(فلا عالمٌ بالغَيْبِ مِنْ أين ضَرُّه ... ولا خائفٌ بَثَّ الأحاديثِ في غَدِ)
(فليتَ المَنَايَا حَلَّقتْ بِي صروفُها ... فلم أطْلُبِ المعروفَ عند المُصرِّدِ)
(فلو كنتَ حُرًّا يا حُضَيْنَ بنَ مُنْذِرٍ ... لَقُمْتَ بحاجاتي ولم تَتَبَلَّدِ)
تَجَهَّمْتني خوف القِرَى واطَّرَحْتني ... وكنتَ قصيرَ الباعِ غيرَ المُقَلَّدِ)
(ولم تَعْدُ ما قد كنتَ أهلاً لِمِثْلهِ ... من اللُّؤْمِ يابن المُسْتَذَلِّ المُعَبَّدِ)
هجا الحضين بن المنذر فتهدده بنو رقاش
قال فبلغ أبا جلدة أن بني رقاش تهددوه بالقتل لهجائه الحضين بن منذر فقال
(تُهَدِّدُني جهلاً رَقَاشِ وليتَني ... وكلَّ رقاشيٍّ على الأرض في الحَبْلِ)
(فياستِ حُضَيْنٍ واستِ أُمٍّ رمتْ به ... فبئس مَحَلُّ الضَّيْفِ في الزَّمنِ المَحْلِ)
(وإنْ أنا لم أتْرُكْ رَقَاشِ وجَمْعَهمْ ... أذَلَّ على وطْءِ الهَوَانِ من النَّعْلِ)
(فَشَلَّتْ يداي واتبعتُ سوى الهُدَى ... سبيلاً ولا وُفِّقتُ للخير والفضلِ)
((عِظَامُ الخُصَى ثُطُّ اللِّحَى مَعْدِنُ الخَنَا ... مَبَاخيلُ بالأزوادِ في الخِصْبِ والأزْلِ
(إذا أمِنوا ضَرَّاء دهرٍ تَعَاظَلُوا ... عِظَالَ الكلابِ في الدُّجُنَّة والوَبْلِ)
(وإنْ عَضَّهُمْ دهرٌ بنَكْبَةِ حادثٍ ... فأخْوَرُ عِيداناً من المَرْخِ والأَثْلِ)
(أُسُودُ شَرىً وَسْطَ النَّدِيِّ ثَعَالِبٌ ... إذا خَطَرَتْ حربٌ مَرَاجِلُها تَغْلِي)
وصفه لدهقانة كان يختلف إليها
أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه قال
عشق أبو جلدة اليشكري دهقانة ببست وكان يختلف إليها ويكون عندها دائما وقال فيها
(وكأسٍ كأنّ المِسْكَ فيها حسوتُها ... ونَازَعَنِيها صاحبٌ لي مُلَوَّمُ)
(أغَرُّ كأنّ البَدْرَ سُنَّةُ وَجْهِهِ ... له كَفَلٌ وافٍ وفَرْعٌ ومَبْسِمُ)
(يُضِيء دُجَى الظَّلْماءِ رَوْنَقُ خَدِّه ... وينجابُ عنه الليلُ والليلُ مظلمُ)
(وثَدْيانِ كالحُقَّيْنِ والمَتْنُ مُدْمَجٌ ... وجِيدٌ عليه نسقُ دُرٍّ مُنَظَّمُ)
(وبطنٌ طواه اللّهُ طَيًّا ومَنْطِقٌ ... رَخِيمٌ وردْفٌ نِيطَ بالحَقْوِ مُفْأَمُ)
((به تَبَلَتْني واسْتَبَتْني وغادرتْ ... لَظًى في فؤادي نارُها تتضرمُ
(أبِيتُ بها أهذِي إذا الليلُ جَنَّني ... وأُصْبِحُ مبهوتاً فما أتكلّمُ)
(فمَنْ مُبْلِغٌ قومي الدُّنَا أنّ مُهْجَتِي ... تَبِينُ لئن بانت ألاَ تَتَلَوَّمِ)
(وعَهْدِي بها واللّهُ يُصْلِحُ بالَهَا ... تجودُ على مَنْ يَشْتَهيها وتَنْعِمُ)
(فما بالُها ضَنَّتْ عليَّ بوُدّها ... وقلبي لها يا قومِ عانٍ مُتَيَّمُ)
قال فلما بلغها الشعر سألت عن تفسيره ففسر لها
فلما انتهى المفسر إلى هذين البيتين الأخيرين غضبت فقالت أنا زانية كما زعم إن كلمته كلمة أبدا
أو كلما اشتهاني إنسان بذلت له نفسي وأنعمت من روحي إذا أي أنا إذا زانية
فصرمته فلم يقدر عليها وعذب بها زمانا ثم قال فيها لما يئس منها
(صحا قلبي وأقْصَرَ بعد غيٍّ ... طويلٍ كان فيه من الغَوَاني)
(بأنْ قَصَدَ السبيلَ فباع جهلاً ... بُرشْدٍ وارتَجَى عُقْبَى الزَّمانِ)
(وخاف الموتَ واعتصم ابنُ حُجْرٍ ... من الحُبِّ المبرِّح بالجَنَانِ)
(وقِدْماً كان مُعْتَرِماً جَمُوحاً ... إلى لَذَّاتِهِ سَلِسَ العِنَانِ)
(وأقلعَ بعد صَبْوَتِهِ وأضحى ... طويلَ اللَّيلِ يَهْرِفُ بالقُرَانِ)
(ويدعو اللّهَ مجتهداً لكيما ... ينالَ الفوزَ من غُرَفِ الجِنَانِ)
قال ابن حبيب قال أبو عبيدة
كان يزيد بن المهلب يتهم بالنساء
فقال فيه أبو جلدة
((إذا اعتكرتْ ظلماءُ ليلٍ ونَوَّمتْ ... عيونُ رجالٍ واستلذُّوا المَضَاجِعَا

(سما نحوَ جار البيتِ يَسْتامُ عِرْسَه ... يزيدُ دبيباً للمعاناة قابعا)
(وإنْ أمكنتْه جارةُ البيتِ أوْ رَنتْ ... إليه أتاها بعد ذلك طائعا)
فشاعت الأبيات ورواها الناس لقتادة بن معرب
فقال أبو جلدة
(أبا خالدٍ رُكْنِي ومَنْ أنا عبدُه ... لقد غالني الأعداءُ عمداً لِتَغْضَبا)
(فإنْ كنتُ قلتُ اللّذْ أتاكَ به العِدا ... فشلّتْ يدي اليُمْنى وأصبحتُ أعْضَبَا)
(ولا زلتُ محمولاً عليّ بَلِيّةٌ ... وأمسيتُ شِلواً للسِّباع مُتَرّبا)
(فلا تسمَعَنْ قولَ العِدا وتَبَيَّنَنْ ... أبا خالدٍ عُذْراً وإنْ كنتَ مُغْضَبا)
البعيث يحيل رأيه فيه إلى قتادة بن معرب
وقال ابن حبيب قال رجل للبعيث أي رجل هو أبو جلدة فقال قتادة بن معرب أعرف به حيث يقول
(إنّ أبا جِلْدَةَ من سُكْرِهِ ... لا يعرف الحقَّ من الباطلِ)
(يزدادُ غيَّا وانْهِماكاً ولا ... يسمَعُ قولَ الناصحِ العاذلِ)
(أعيا أبوه وبنو عَمِّه ... وكان في الذُّرْوَة مِنْ وائلِ)
((فليتَه لم يَكُ مِن يَشْكُرٍ ... فبئسَ خِدْنُ الرجلِ العاقلِ
(أعْمَى عَنِ الحقّ بصيرٌ بما ... يعرفه كلُّ فتىً جاهلِ)
(يُصْبِحُ سكْرانَ ويُمْسي كما ... أصْبَحَ لا أُسْقِيَ مِنَ الوابلِ)
(شدَّ رِكابَ الغَيِّ ثم اغتدَى ... إلى التي تُجْلَبُ من بابِلِ)
(فالسِّجْنُ إنْ عاش له مَنْزِلٌ ... والسِّجْنُ دارُ العاجِزِ الخامِلِ)
مناقضته لقتادة بن معرب
وقال أبو جلدة يجيبه
(قَبُحْتَ لو كنتَ امرأً صالحاً ... تَعْرِفُ ما الحقُّ من الباطِلِ)
(كَفَفْتَ عن شَتْمِي بلا إحنةٍ ... ولم تَوَرَّط كِفّةَ الحابِلِ)
(لكنْ أبتْ نَفْسُكَ فعلَ النُّهَى ... والحَزْمِ والنَّجْدَةِ والنائِلِ)
(فتحتَ لي بالشَّتْمِ حتى بَدا ... مكنونُ غِشٍّ في الحَشا داخِلِ)
(فاجْهَدْ وَقُلْ لا تَتَّرِكْ جاهداً ... شَتْمَ امرىءٍ ذي نَجْدةٍ عاقِلِ)
(تَعْذِلُني في قَهْوةٍ مُزّةٍ ... دِرْياقةٍ تُجْلَبُ من بابِلِ)
(ولَوْ رآها خَرّ من حُبِّها ... يَسجُدُ للشيطانِ بالباطلِ)
(يا شَرَّ بَكْرٍ كلِّها مَحْتِداً ... ونُهْزَةَ المختلِسِ الآكِلِ)
(عِرضُكَ وَفِّرْه وَدَعْني وما ... أهواهُ يا أحْمَقَ من باقِلِ)
قال ابن حبيب كان أبو جلدة يشرب مع ابن عم له من بكر بن وائل فسكر نديمه فعربد عليه وشتمه فاحتمله أبو جلدة وسقاه حتى نام وقال في ذلك
(أبَى لِيَ أنْ ألْحَى نَديمي إذا انْتَشَى ... وقال كلاماً سيِّئاً لي على السُّكْرْ)
(وَقَارِي وعِلْمِي بالشَّرابِ وأهلِهِ ... وما نادمَ القومَ الكرامَ كَذِي الحِجْرْ)
(فلستُ بِلاَحٍ لِي نديماً بزَلَّةٍ ... ولا هَفْوَةٍ كانتْ ونحن على الخَمرِ)
(عَرَكْتُ بجَنْبِي قولَ خِدْنِي وصاحبي ... ونحنُ على صَهْباءَ طَيِّبةِ النَّشْرِ)
(فلمّا تمادَى قلتُ خُذْهَا عَرِيقةً ... فإنّكَ مِن قومٍ جَحَاجِحَةٍ زُهْرِ)
(فما زِلْتُ أسْقِيهِ وأشرَبُ مثلَ ما ... سَقَيْتُ أخِي حتّى بَدَا وَضَحُ الفَجرِ)
وأيقنتُ أنّ السُّكْرَ طارَ بلُبِّهِ ... فأغرقَ في شَتْمِي وقال وما يدْري) ولاكَ لِساناً كان إذْ كان صاحياً يقلّبه في كلِّ فَنٍّ من) الشِّعْر
أبى رجل من قومه أن ينادمه فقال شعرا
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحدثان قال
كان أبو جلدة اليشكري قد خرج إلى تستر في بعث فشرب بها في حانة مع رجل من قومه كان ساكنا بها
ثم خرج عنها بعد ذلك وعاد إلى بست
والرخج وكان مكتبه هناك فأقام بها مدة ثم لقي بها ذلك الرجل الذي نادمه بتستر ذات يوم فسلم عليه ودعاه إلى منزله فأكلا ثم دعا بالشراب ليشربا فامتنع الرجل وقال إني قد تركتها لله
فقال أبو جلدة وهو يشرب
(ألاَ رُبَّ يومٍ لي ببُسْتَ وليلةٍ ... ولا مِثْلَ أيّامي المَوَاضِي بتُسْتَرِ)
(غَنِيتُ بها أسقِي سُلاَفَ مُدامةٍ ... كريمَ المُحَيَّا مِنْ عَرانِينِ يَشْكُرِ)
(نُبَادِرُ شُرْبَ الراحِ حتّى نَهُرَّها ... وتَتْرُكَنا مثلَ الصَّرِيعِ المُعَفَّرِ)
(فذلكَ دهرٌ قد تولّى نعيمُهُ ... فأصبحتُ قد بُدّلْتُ طولَ التَّوَقُّرِ)
(فَرَاجَعَني حِلْمِي وأصبحتُ منهج الشّراب ... وقِدْماً كنتُ كالمتحيِّرِ)
(وكلِ أوانِ الحقِ أبصرتُ قَصْدَه ... فلستُ وإن نُبِّهتُ عنه بِمُقْصِرِ)
(سأرْكُضُ في التَّقوى وفي العِلْمِ بعدَما ... ركضتُ إلى أمرِ الغَوِيِّ المُشَهَّرِ)
(وباللّه حَوْلِي واحْتِيالي وقوّتي ... ومَنْ عندَه عُرْفِي الكثيرِ ومُنْكَرِي)
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا محمد بن الحارث المدائني قال مر مسمع بن مالك بأبي جلدة فوثب إليه وأنشأ يقول
(يا مِسْمَعُ بنَ مالكٍ يا مِسْمَعُ ... أنت الجوادُ والخطيبُ المِصْقَعُ)
(... فاصْنَعْ كما كان أبوكَ يَصْنَعُ)
فقال له رجل كان جالسا هناك إن قبل منك والله يا أبا جلدة ناك أمه

فقال له وكيف ذلك ويحك قال لأنك أمرته أن يصنع كما كان أبوه يصنع
هجا مقاتل بن مسمع لأنه لم يعطِه
وقال أبو عمرو الشيباني كان مسمع بن مالك يعطي أبا جلدة فقال فيه
(يسعَى أُناسٌ لكَيْما يُدْرِكوكَ ولو ... خاضُوا بِحارَك أو ضَحْضَاحَها غرِقوا)
(وأنت في الحربِ لا رَثٌّ القُوَى بَرِمٌ ... عندَ اللّقاءِ ولا رِعْدِيدةٌ فَرِقُ)
(كلُّ الخِلالِ الّتي يسعَى الكرامُ لها ... إنْ يمدَحوكَ بها يوماً فقد صدَقُوا)
(سادَ العِرَاقَ فجالُ الناسِ صالحةٌ ... وسادَهم وزمانُ الناسِ مُنْخَرِقُ)
(لا خارجيٌّ ولا مُستَحْدِثٌ شرَفاً ... بل مجدُ آلِ شِهابٍ كان مذ خُلِقوا)
قال ثم مدح مقاتل بن مسمع طمعا في مثل ما كان مسمع يعطيه فلم يلتفت إليه وأمر أن يحجب عنه
فقيل له تعرضت للسان أبي جلدة وخبثه
فقال ومن هو الكلب وما عسى أن يقول قبحه الله وقبح من كان منه فليجهد جهده
فبلغ ذلك من قوله أبا جلدة فقال يهجوه
(قَرَى ضَيْفَه الماءَ القَراحَ ابنُ مِسْمَعٍ ... وكان لئيماً جارُه يَتَذَلَّلِ)
(فلمّا رأى الضيفُ القِرَى غيرَ راهنٍ ... لديه تولّى هارباً يَتَعَلَّلُ)
(يُنَادِي بأعلَى الصوتِ بَكْرَ بْنَ وائلٍ ... ألاَ كُلُّ مَن يرجو قِراكم مُضَلَّلُ)
(عَمِيدُكُمُ هَرَّ الضيوفَ وكنتمُ ... ربيعةُ أمسى ضيفُكم يتحوَّلُ)
(وخَتْتُم بأنْ تَقْرُوا الضيوفَ وكنتمُ ... زماناً بِكُمْ يَحْيَا الضَّرِيكُ المُعَيِّلُ)
حذف
((فما بالُكُمْ باللّه أنتم بَخِلْتُمُ ... وقَصَّرتُمُ والضيفُ يُقْرَى ويُنْزَلِ
(ويُكْرَمُ حتّى يُقْتَرَى حين يُقْتَرَى ... يقول إذا ولَّى جميلاً فيُجْمِلُ)
(فمَهْلاً بني بَكْرٍ دَعُوا آلَ مِسْمَعٍ ... ورأيُهُمُ لا يَسْبِقُ الخيلَ مُخْتَلُ)
(ودُونَكُمُ أضيافَكُمْ فتحدَّثوا ... عليهمْ وواسُوهُمْ فذلكَ أجملُ)
(ولا تُصْبِحُوا أُحْدوثةً مثلَ قائلٍ ... به يَضرِبُ الأمثالَ مَنْ يَتَمَثَّلُ)
(إذا ما التقَى الرُّكْبَانُ يوماً تذاكروا ... بَنِي مِسْمَعٍ حتَّى يُحَمُّوا ويَثْقُلُوا)
(فلا تَقْرَبُوا أبياتَهم إنّ جارَهُمْ ... وضَيْفَهُمُ سِيَّانِ أنّي توسَّلوا)
(هُمُ القومُ غَرَّ الضيفَ منهم رُواؤُهم ... وما فيهمُ إلاّ لئيمٌ مُبَخَّلُ)
(فلَوْ ببني شَيْبَانَ حلّتْ رَكائبي ... لكان قِرَاهُم راهناً حين أنْزِلُ)
(أُولئك أوْلَى بالمَكَارِمِ كلِّها ... وأجْدَرُ يوماً أن يُوَاسُوا ويُفْضِلُوا)
(بني مِسْمَعٍ لا قرَّبَ اللّهُ دارَكم ... ولا زال واديكم من الماء يُمْحِلُ)
(فلم تَرْدَعُوا الأبطالَ بالبِيضِ والقَنَا ... إذا جعلتْ نارُ الحُرُوبِ تَأَكَّلُ)
أخبار علويه ونسبه
هو علي بن عبد الله بن سيف
وكان جده من السغد الذين سباهم الوليد بن عثمان بن عفان واسترق منهم جماعة اختصهم بخدمته وأعتق بعضهم ولم يعتق الباقين فقتلوه
وذكر ابن خرداذبه وهو ممن لا يحصل قوله ولا يعتمد عليه أنه من أهل يثرب مولى بني أمية والقول الأول أصح
ويكنى علويه أبا الحسن وكان مغنيا حاذقا ومؤدبا محسنا وصانعا متفننا وضاربا متقدما مع خفة روح وطيب مجالسة وملاحة نوادر
وكان إبراهيم الموصلي علمه وخرجه وعني به جدا فبرع وغنى لمحمد الأمين وعاش إلى أيام المتوكل ومات بعد إسحاق الموصلي بمديدة يسيرة
وكان سبب وفاته أنه خرج به جرب فشكاه إلى يحيى بن ماسويه فبعث إليه بدواء مسهل وطلاء فشرب الطلاء واطلى بالدواء المسهل فقتله ذلك
وكان إسحاق يتعصب له في أكثر أوقاته على مخارق
فأما التقديم والوصف فلم يكن إسحاق يرى أحدا من جماعته لهما أهلا فكانوا يتعصبون عليه لإبراهيم بن المهدي فلا يضره ذلك مع تقدمه وفضله
رأي إسحاق الموصلي فيه وفي مخارق
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق قال قلت لأبي إيما أفضل عندك مخارق أو علويه فقال يا بني علويه أعرفهما فهما بما يخرج من رأسه وأعلمهما بما يغنيه ويؤديه ولو خيرت بينهما من يطارح جواري أو شاورني من يستنصحني لما أشرت إلا بعلويه لأنه كان يؤدي الغناء وصنع صنعة محكمة
ومخارق بتمكنه من حلقه وكثرة نغمه لا يقنع بالأخذ منه لأنه لا يؤدي صوتا واحدا كما أخذه ولا يغنيه مرتين غناء واحدا لكثرة زوائده فيه
ولكنهما إذا اجتمعا عند خليفة أو سوقة غلب مخارق على المجلس والجائزة لطيب صوته وكثرة نغمه
حدثني جحظة قال حدثني أبو عبد الله بن حمدون قال حدثني أبي قال اجتمعت مع إسحاق يوما في بعض دور بني هاشم وحضر علويه فغنى أصواتا ثم غنى من صنعته
صوت
(ونُبِّئْتُ ليلَى أرسلتْ بشفاعةٍ ... إليَّ فهَلاَّ نَفْسُ ليلى شَفيعُها)
ولحنه ثاني ثقيل فقال له إسحاق أحسنت والله يا أبا الحسن أحسنت ما شئت
فقام علويه من مجلسه فقبل رأس إسحاق وعينيه وجلس بين يديه وسر بقوله سرورا شديدا ثم قال أنت سيدي وابن سيدي وأستاذي وابن أستاذي ولي إليك حاجة
قال قل فوالله إني أبلُغُ فيها ما تُحِبّ

قال أيما أفضل عندك أنا أو مخارق فإني أحب أن أسمع منك في هذا المعنى قولا يؤثر ويحكيه عنك من حضر فتشرفني به
فقال إسحاق ما منكم إلا محسن مجمل فلا ترد أن ترى في هذا شيئا
قال سألتك بحقي عليك وبتربية أبيك وبكل حق تعظمه إلا حكمت
فقال ويحك والله لو كنت أستجيز أن أقول غير الحق لقلته فيما تحب فأما إذ أبيت إلا ما ذكرت فهاك ما عندي فلو خيرت أنا من يطارح جواري أو يغنيني لما اخترت غيرك ولكنما إذا غنيتما بين يدي خليفة أو أمير غلبك على إطرابه واستبد عليك بجائزته
فغضب علويه وقام وقال أف من رضاك ومن غضبك
حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيى المنجم قال
قدمت من سر من رأى قدمة إلى بغداد فلقيت أبا محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلي فجعل يسألني عن أخبار الخليفة وأخبار الناس حتى انتهى إلى ذكر الغناء فقال أي شيء رأيت الناس يستحسونه في هذه الأيام من الأغاني فإن الناس ربما لهجوا بالصوت بعد الصوت فقلت صوتا من صنعتك
فقال أي شيء هو فقلت
صوت
(ألاَ يا حَمَامَيْ قَصْرِ دُورَانَ هِجْتُما ... بِقَلْبِي الهَوَى لَمّا تَغَنَّيْتُمَا لِيَا)
(وأبْكَيْتُمانِي وَسْطَ صَحْبِي ولم أكُنْ ... أُبالِي دموعَ العين لو كنتُ خاليا)
فضحك وقال ليس هذا لي هذا لعلويه ولقد لعمري أحسن فيه وجود ما شاء
لحن علويه في هذين البيتين ثاني ثقيل بالوسطى
كان أصحابه يتحلقون حوله فيغنيهم
حدثني عمي قال حدثنا عبد الله بن عمرو قال حدثني أحمد بن محمد بن عبد الله الأبزاري قال
أتيت علويه يوما بالعشي فوجدت عنده خاقان بن حامد وعبد الله بن صالح صاحب المصلى وكنت حملت معي قفص فراريج كسكرية مسمنة وجرابي دقيق سميذ فسلمته إلى غلامه وبعث إلى بشر بن حارثة أطعمنا ما عندك فلم يزل يطعمنا فضلات حتى أدرك طعامه ثم بعث إلى عبد الوهاب بن الخصيب بن عمرو فحضر وقدم الطعام فأكل وأكلنا أكل معذرين ثم قال إني صنعت البارحة لحنا أعجبني فاسمعوه وقولوا فيه ما عندكم وغنانا فقال
صوت
(هَزِئتْ عُمَيْرَةُ أنْ رأتْ ظَهري انْحَنَى ... وذُؤابتي عُلّتْ بماءِ خِضَابِ)
(لا تَهْزَئِي منّي عُمَيْرُ فإنّني ... مَحِضٌ كريمُ شيبتي وشَبابي)
لحن علويه في هذين البيتين من الثقيل الثاني بالوسطى فقلنا له حسن والله جميل يا أبا الحسن وشربنا عليه أقداحا ثم استؤذن لعثعث غلام أحمد بن يحيى بن معاذ فأذن له ومع عثعث كتاب من مولاه أحمد بن يحيى سمعت يا سيدي منك صوتا عند أمير المؤمنين يعني المعتصم فأحب أن تتفضل وتطرحه على عبدك عثعث
وهو
صوت
(فواحَسْرَتَا لم أقْضِ منكِ لُبانةً ... ولم أَتَمَتَّعْ بالجِوارِ وبالقُرْبِ)
(يقولون هذا آخرُ العهدِ منهمُ ... فقلتُ وهذا آخِرُ العهدِ من قلبي)
لحن علويه في هذا الشعر ثقيل أول وهو من مقدم أغانيه وصدورها
وأوّل هذا الصوت
(ألا يا حَمَامَ الشِّعْبِ شِعْب مُوَرّقٍ ... سقتْكَ الغَوادِي من حمامٍ ومن شِعْبِ)
قال وإذا مع حسين رقعة من مولاه سمعتك يا سيدي تغني عند الأمير أبي إسحاق إبراهيم بن المهدي
(ألاَ يا حَمَامَيْ قَصْرِ دُورَانَ هِجْتُمَا ... بقلبي الهَوَى لَمَّا تَغَنَّيْتُمَا لِيَا)
أحب أن تطرحه على عبدك حسين
قال فدعا بغلام له يسمى عبد آل فطرحه عليهما حتى أحكماه ثم عرضاه عليه حتى صح لهما
فما أعلم أنه مر لنا يوم يقارب طيب ذلك اليوم وحسنه
حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال
سمعت أبي يقول سمعت الواثق يقول علويه أصح الناس صنعة بعد إسحاق وأطيب الناس صوتا بعد مخارق وأضرب الناس بعد ربرب وملاحظ فهو مصلي كل سابق قادر وثاني كل أول واصل متقدم
قال
وكان الواثق يقول غناء علويه مثل نقر الطست يبقى ساعة في السمع بعد سكوته
نسخت من كتاب أبي العباس بن ثوابة بخطه حدثني أحمد بن إسماعيل أبو حاتم قال حدثني عبد الله بن العباس الربيعي قال
اجتمعت يوما بين يدي المعتصم وحضر إسحاق الموصلي فغنىعلويه
(لِعَبْدَةَ دارٌ ما تكلّمنا الدارُ ... تلوح مَغَانِيها كما لاح أسْطَارُ)
فقال إسحاق أخطأت فيه ليس هو هكذا
فغضب علويه وقال أم من أخذنا عنه هكذا زانية
فقال إسحاق وشتمنا قبحه الله وسكت وبان ذلك فيه
قال وكان علويه أخذه من أبيه
كان أعسر وعوده مقلوب الأوتار
حدثني عمي قال حدثنا هارون بن مخارق قال
كان علويه أعسر وكان عوده مقلوب الأوتار البم أسفل الأوتار كلها ثم المثلث فوقه ثم المثنى ثم الزير وكان عوده إذا كان في يد غيره مقلوبا على هذه الصفة وإذا كان معه أخذه باليمنى وضرب باليسرى فيكون مستويا في يده ومقلوبا في يد

غيره
أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال كان الخلنجي القاضي واسمه عبد الله ابن محمد
ابن اخت علويه المغني وكان تياها صلفا فتقلد في خلافة
الأمين قضاء الشرقية فكان يجلس إلى أسطوانة من أساطين المسجد فيستند إليها بجميع جسده ولا يتحرك فإذا تقدم إليه الخصمان أقبل عليهما بجميع جسده وترك الاستناد حتى يفصل بينهما ثم يعود لحاله
فعمد بعض المجان إلى رقعة من الرقاع التي يكتب فيها الدعاوى فألصقها في موضع ذنبته بالدبق ومكن منها الدبق
فلما تقدم إليه الخصوم وأقبل عليهم بجميع جسده كما كان يفعل انكشف رأسه وبقيت الذنبة موضعها مصلوبة ملتصقة
فقام الخلنجي مغضبا وعلم أنها حيلة وقعت عليه فغطى رأسه بطيلسانه وقام فانصرف وتركها مكانها حتى جاء بعض أعوانه فأخذها
وقال بعض شعراء ذلك العصر فيه هذه الأبيات
(إنّ الخَلَنْجيَّ من تَتَايُهِهِ ... أثقلُ بادٍ لنا بِطَلْعَتِهِ)
(ما إنْ لِذِي نَخْوَةٍ مُنَاسَبَةٌ ... بين أخاوينه وقَصْعته)
(يُصالح الخَصْمَ مِنْ يُخاصِمُه ... خوفاً من الجَوْرِ في قَضِيَّتِهِ)
(لو لَمْ تُدَبِّقْهُ كَفُّ قَانِصِهِ ... لطارَ تِيهاً على رَعِيَّتِهِ)
قال وشهرت الأبيات والقصة ببغداد وعمل له علويه حكاية أعطاها للزفانين والمخنثين فأحرجوه فيها وكان علويه يعاديه لمنازعة كانت بينهما ففضحه واستعفى الخلنجي من القضاء ببغداد وسأل أن يولى بعض الكور البعيدة فولي جند دمشق أو حمص
فلما ولي المأمون الخلافة غناه علويه
بشعر الخلنجي فقال
(بَرِئتُ مِنَ الإسْلاَمِ إنْ كان ذا الّذي ... أتاكِ به الواشون عنِّي كما قالوا)
(ولكنَّهم لمَّا رأوكِ غَرِيَّةً ... بهجْرِي تَوَاصَوا بالنميمةِ واحتالوا)
(فقد صِرْتِ أُذْناً للوُشَاةِ سَميعةً ... ينالُون من عِرْضِي وإن شئتِ ما نالوا)
فقال له المأمون من يقول هذا الشعر فقال قاضي دمشق
فأمر المأمون بإحضاره فكتب إلى صاحب دمشق بإشخاصه فأشخص وجلس المأمون للشرب وأحضر علويه ودعا بالقاضي فقال له أنشدني قولك
(بَرِئْتُ من الإسلامِ إن كان ذا الذي ... أتاكِ به الواشون عني كما قالوا)
فقال له يا أمير المؤمنين هذه أبيات قلتها منذ أربعين سنة وأنا صبي والذي أكرمك بالخلافة وورثك ميراث النبوة ما قلت شعرا منذ أكثر من عشرين سنة إلا في زهد أو عتاب صديق
فقال له أجلس فجلس فناوله قدح نبيذ التمر أو الزبيب
فقال لا والله يا أمير المؤمنين ما أعرف شيئا منها
فأخذ القدح من يده وقال أما والله لو شربت شيئا من هذا لضربت عنقك وقد ظننت أنك صادق في قولك كله ولكن لا يتولى لي القضاء رجل بدأ في قوله بالبراءة من الإسلام انصرف إلى منزلك
وأمر علويه فغير الكلمة وجعل مكانها حرمت مناي منك
تقربه من المأمون بعد خلافه مع الأمين
حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال
كان علويه يغني بين يدي الأمين فغنى في بعض غنائه
(ليتَ هنداً أنجزتنا ما تَعِدْ ... وشَفَتْ أنْفُسَنَا مما تَجِد
وكان الفضل بن الربيع يطعن عليه فقال للأمين إنما يعرض بك ويستبطىء المأمون في محاربته فأمر به فضرب خمسين سوطا وجر برجله وجفاه مدة حتى ألقى نفسه على كوثر فترضاه له ورد إلى خدمته وأمر له بخمسة آلاف دينار
فلما قدم المأمون تقرب إليه بذلك فلم يقع له بحيث يحب وقال له إن الملك بمنزلة الأسد أو النار فلا تتعرض لما يغضبه فإنه ربما جرى منه ما يتلفك ثم لا تقدر بعد ذلك على تلافي ما فرط منه ولم يعطه شيئا
ومثل هذا من فعل الأمين ما حدثني به محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني أبي قال دخلت على الأمين فرأيته مغضبا كالحا فقلت له ما لأمير المؤمنين تمم الله سروره ولا نغصه أراه كالحائر قال غاظني أبوك الساعة لا رحمه الله والله لو كان حيا لضربته خمسمائة سوط ولولاك لنبشت الساعة قبره وأحرقت عظامه
فقمت على رجلي وقلت أعوذ بالله من سخطك يا أمير المؤمنين ومن أبي وما مقداره حتى تغتاظ منه وما الذي غاظك فلعل له فيه عذرا فقال شدة محبته للمأمون وتقديمه إياه علي حتى قال في الرشيد شعرا يقدمه فيه علي وغناه فيه وغنيته الساعة فأورثني هذا الغيظ
فقلت والله ما سمعت بهذا قط ولا لأبي غناء إلا وأنا أرويه ما هو فقال قوله
(أبو المأمونِ فينا والأمين ... له كَنَفانِ من كَرَمٍ ولِين)
فقلت له يا أمير المؤمنين لم يقدم المأمون في الشعر لتقديمه إياه في
الموالاة ولكن الشعر لم يصح وزنه إلا هكذا
فقال كان ينبغي له إذ لم يصح الشعر إلا هكذا أن يدعه إلى لعنة الله
فلم أزل أداريه وأرفق به حتى سكن
فلما قدم المأمون سألني عن هذا الحديث فحدثته به فجعل يضحك ويعجب منه
حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال
سمعت أبي يقول لو خيرت لونا من الطعام لا أزيد عليه غيره لاخترت الدراجة لأني إن زدت في خلها صارت سكباجة وإن زدت في مائها صارت إسفيدباجة وإن زدت في تصبيرها بل في تشييطها صارت مطجنة
ولو اقتصرت على رجل واحد لما اخترت سوى علوية لأنه إن حدثني ألهاني وإن غناني أشجاني وإن رجعت إلى رأيه كفاني

وفد على سعيد بن عجيف فأكرمه
حدثني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن محمد الأبزاري قال
كنت عند سعيد بن عجيف أنا وعبد الوهاب بن الخصيب وعبد الله بن صالح صاحب المصلى إذ دخل عليه حاجبه فقال له
علويه بالباب فأذن له فدخل
فقال له لا تحمدني فإني لم يجئني رسول رجل اليوم فعرضت إخواني جميعا على قلبي فلم يقع عليه غيرك
فدعا له ببرذون ادهم بسرجه
ولجامه فأهداه إليه وجلسنا نشرب وعلويه يغني
فلما توسطنا أمرنا جاء رسول عجيف يطلبه في منزله فقالوا له هو عند ابنه سعيد
فأتاه الرسول فقال له أجب الأمير
فقلنا هذا شيء ليس فيه حيلة
وقد جاء الرسول وهو يغني
صوت
(ألم تَرَ أنّي يومَ جَوِّ سُوَيْقةٍ ... بكيتُ فنادتْني هُنَيْدةُ ما لِيَا)
(فقلتُ لها إنّ البكاء لَراحةٌ ... به يَشتفِي مَنْ ظَنَّ أنْ لاَ تَلاَقِيَا)
لحن علوية في هذا رمل
والشعر للفرزدق قال فقام علوية ثم قال هوذا أمضي إلى الأمير فأحدثه بحديثنا وأستأذنه في الانصراف بوقت يكون فيه
فضل لكم
فانصرف بعد المغرب ومعه جام فيه مسك وعشرة آلاف درهم ومنيان فيهما رماطون فقال جئت أشرب عندكم وآخذه
وأنصرف إلى إنسان له عندي أياد يعني علي بن معاذ أخا يحيى بن معاذ فلم يزل عندنا حتى هم بالانصراف فلما رأيت
ذلك فيه قمت قبله فأتيت منزل علي ابن معاذ فقيل له ابن الأبزاري بالباب
فبعث إلي إن أردت مضاء فخذه يعني غلاما كان يغني فقلت له لست أريده إنما أريدك أنت فأذن لي فدخلت
فقال ألك حاجة في هذا الوقت فقلت الساعة يجيئك
علوية
فقال وما يدريك فحدثته بالحديث
ودخل علويه فقال لي ما جاء بك إلى ها هنا فقلت ما كنت لأدع بقية ليلتي هذه تضيع فما زال يغنينا ونشرب حتى نام
الناس ثم انصرفنا
حدثني جعفر بن قدامة قال حدثنا هارون بن مخارق قال حدثني أبي قال
قلت لعمرو بن بانة أيما أجود صنعتك أم صنعة علويه فقال صنعة علويه لأنه ضارب وأنا مرتجل
ثم أطرق ساعة وقال لاأكذبك يا أبا المهنأ والله ما أحسن أن أصنع مثل صنعة علويه
(فواحسرتَا لم أقضِ منكِ لُبانةً ... ولم أتمتَّعْ بالجِوارِ وبالقُرْبِ)
ولا مثل صنعته
(هزئتْ أُمَيْمَةُ أنْ رأتْ ظهري انحنَى ... وذُؤابتي عُلّتْ بماءِ خضابِ)
ولا مثل صنعته
(ألاَ يا حَمَامَيْ قصر دُورانَ هِجْتُما ... لقلبي الهوَى لَمّا تَغَنَّيْتُما لِيَا)
وقد مضت نسبة هذه الأصوات
حدثني جحظة قال حدثني أحمد بن الحسين بن هشام أبو عبد الله قال حدثني أحمد بن الخليل بن هشام قال
كان بين علويه وبين علي بن الهيثم جونقا شر في عربدة وقعت بينهما بحضرة الفضل بن الربيع وتمادى الشر بينهما
فغنى علويه في شعر هجاه به
أبو يعقوب في حاجة فهجاه وذكر أنه دعي
وكان جونقا يدعي أنه من بني تغلب فقال فيه أبو يعقوب
(يا عليُّ بنَ هَيْثمٍ يا جَوَنْقَا ... أنت عندي من الأراقمِ حَقّا)
(عربيٌّ وجَدُّه نَبَطِيٌّ ... فَدَبَنْقَا لِذَا الحَديث دَبَنْقَا)
(قد أصابتْك في التقرُّب عينٌ ... فاستنارتْ لشهبها الفلك برقا)
(وإذا قال إني عربيٌّ ... فانتهِزْه وقل له أنت شفقا)
وللخريمي فيه أهاج نبطية فغنى علويه لحنا صنعه في هذه الأبيات بحضرة الأمين وكان الفضل بن الربيع حاضرا فقال يا
أمير المؤمنين علي بن الهيثم كابني وإذا استخف به فإنما استخف بي
فقال الأمين خذوه فأخذوه وضرب ثلاثين درة وأمر بإخراجه
فطرح علويه نفسه على كوثر فاستصلح له الفضل بن الربيع وترضى له الأمين حتى رضي عنه عنه ووهب له خمسة
آلاف دينار
غنى بحضرة الواثق فأطربه
حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال
حدثني مخارق قال غنى علويه يوما بحضرة الواثق هذا الصوت
(مَنْ صاحبَ الدَّهْرَ لم يَحْمَدْ تَصرُّفَه ... عَناً وللّدهر إحلاءٌ وإمرارُ)
ولحنه ثقيل أول فأستحسنه الواثق وطرب عليه
فقال علويه والله لو شئت لجعلت الغناء في أيدي الناس أكثر من الجوز وإسحاق حاضر بين يدي الواثق فتضاحك ثم قال يا
أبا الحسن إذا تكون قيمته مثل قيمة الجوز ليتك إذ قللته صنعت شيئا فكيف إذا كثرته
فخجل علويه حتى كأنما ألقمه إسحاق حجرا وما انتفع بنفسه يومئذ
حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني عبد الله بن المعتز قال حدثني عبد الله الهشامي قال
قال لي علويه أمرنا المأمون أن نباكره لنصطبح فلقيني عبد الله بن إسماعيل المراكبي مولى عريب فقال أيها الظالم

المعتدي أما ترحم ولا ترق عريب هائمة من الشوق إليك تدعو الله وتستحكمه عليك وتحلم بك في نومها في كل ليلة ثلاث مرات
قال علوية فقلت أم الخلافة زانية ومضيت معه
فحين دخلت قلت استوثق من الباب فأنا أعرف الناس بفضول الحجاب فإذا عريب جالسة على كرسي تطبخ ثلاث قدور من دجاج
فلما رأتني قامت فعانقتني وقبلتني وقالت أي شيء تشتهي فقلت قدرا من هذه القدور فأفرغت قدرا بيني وبينها فأكلنا ودعت بالنبيذ فصبت رطلا فشربت نصفه وسقتني نصفه فما زلت أشرب حتى كدت أن أسكر
ثم قالت يا أبا الحسن غنيت البارحة في شعر لأبي العتاهية أعجبني أفتسمعه مني وتصلحه فغنت
صوت
(عَذِيري مِنَ الإنسانِ لا إنْ جَفَوْتُه ... صَفَا لي ولا إنْ صِرْتُ طَوْعَ يَدَيْهِ)
(وإنّي لَمشتاقٌ إلى ظِلِّ صاحبٍ ... يَرُوقُ ويصفُو إن كَدَرْتُ عليه)
فصيرناه مجلسا
وقالت قد بقي فيه شيء فلم أزل أنا وهي حتى اصلحناه
ثم قالت وأحب أن تغني أنت فيه أيضا لحنا ففعلت
وجعلنا نشرب على اللحنين مليا
ثم جاء الحجاب فكسروا الباب واستخرجوني فدخلت إلى المأمون فأقبلت أرقص من أقصى الإيوان وأصفق وأغني بالصوت فسمع المأمون والمغنون ما لم يعرفوه فاستظرفوه وقال المأمون ادن يا علويه ورده فرددته عليه سبع مرات
فقال لي في آخرها عند قولي
(... يروق ويصفو إن كدرت عليه)
يا علويه خذ الخلافة وأعطني هذا الصاحب
لحن عريب في هذا الشعر رمل
وفيه لعلويه لحنان ثاني ثقيل وماخوري
ابراهيم بن المهدي يحسده على صوتين غناهما
وقال العتابي حدثني أحمد بن حمدون قال
غاب عنا علويه مدة ثم صار إلينا فقال له إبراهيم بن المهدي مالذي أحدثت بعدي من الصنعة يا أبا الحسن قال صنعت صوتين
قال فهاتهما إذا فغناه
صوت
(ألاَ إنّ لي نَفْسَيْنِ نفساً تقولُ لي ... تَمَتَّعْ بليلى ما بدا لكَ لِينُها)
(ونفساً تقول استَبْقِ وُدَّكَ واتَّئِدْ ... ونَفْسَكَ لا تَطْرَحْ على مَنْ يُهِينها)
لحن علويه في هذين البيتين خفيف ثقيل قال فرأيت إبراهيم بن المهدي قد كاد يموت من حسده وتغير لونه ولم يدر ما يقول له لأنه لم يجد في الصوت مطعنا فعدل عن الكلام في هذا المعنى وقال هذا يدل على أن ليلى هذه كانت من لينها مثل الموم بالبنفسج فسكت علويه
ثم سأله عن الصوت الآخر فغناه
صوت
(إذا كان لي شيئان يا أُمَّ مالكٍ ... فإنّ لِجاري منهما ما تَخَيَّرَا)
(وفي واحدٍ إنْ لم يَكُنْ غيرُ واحدٍ ... أراه له أهلاً إذا كان مُقْتِرا)
والشعر لحاتم الطائي
لحن علويه في هذين البيتين أيضا خفيف ثقيل
وقد روي أن إبراهيم الموصلي صنعه ونحله إياه وأنا أذكر خبره بعقب هذا الخبر قال أحمد بن حمدون فأتى والله بما برز على الأول وأوفى عليه وكاد إبراهيم يموت غيظا وحسدا لمنافسته في الصنعة وعجزه عنها
فقال له وإن كانت لك امرأتان يا أبا الحسن حبوت جارك منهما واحدة فخجل علويه وما نطق بصوت بقية يومه
وحدثني عمي عن علي بن محمد عن جده حمدون هذا لخبر
ولفظه أقل من هذا
نحله إبراهيم الموصلي صوتا فشاع
فأما الخبر الذي ذكرته عن علويه أن إبراهيم الموصلي نحله هذا الصوت
فحدثني جحظة قال حدثني أبن المكي المرتجل وهو محمد بن أحمد ابن يحيى قال حدثني علويه قال
قال إبراهيم الموصلي يوما إني قد صنعت صوتا وما سمعه مني أحد بعد وقد أحببت أن أنفعك وأرفع منك بأن القيه عليك وأهبه لك ووالله ما فعلت هذا بإسحاق قط وقد خصصتك به فانتحله وادعه فلست أنسبه إلى نفسي وستكسب به مالا فألقى علي قوله
(إذا كان لي شيئانِ يا أُمَّ مالكٍ ... فإنّ لجاري منهما ما تخيَّرا)
فأخذته وادعيته وسترته طوال أيام الرشيد خوفا من أن أتهم فيه وطول أيام الأمين حتى حدث عليه ما حدث
وقدم المأمون من خراسان وكان يخرج إلى الشماسية دائما يتنزه فركبت في زلال وجئت أتبعه فرأيت حراقة علي بن هشام فقلت للملاح اطرح زلالي على الحراقة ففعل وأستؤذن لي فدخلت وهو يشرب مع الجواري وما كانوا يحجبون جواريهم في ذلك الوقت ما لم يلدن فإذا بين يديه متيم وبذل من جواريه فغنيته الصوت
فاستحسنه جدا وطرب عليه وقال لمن هذا فقلت هذا صوت صنعته وأهديته لك ولم يسمعه أحد قبلك
فازداد به عجبا وطربا وقال لها خذيه عنه فألقيته عليها حتى أخذته فسر بذلك وطرب وقال لي ما أجد لك مكافأة على هذه الهدية إلا أن أتحول عن هذه الحراقة بما فيها وأسلمه إليك أجمع
فتحول إلى أخرى وسلمت الحراقة بخزانتها وجميع آلاتها إلي وكل شيء فيها فبعت ذلك بمائة وخمسين ألف درهم

وأشتريت بها ضيعتي الصالحية
غنى المأمون بيتا مجهولا
حدثني جحظة قال حدثني ابن المكي المرتجل عن أبيه قال قال إسحاق ابن حميد كاتب أبي الرازي وحدثني به عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني حسان بن محمد الحارثي عن إسحاق بن حميد كاتب أبي الرازي قال غني علويه الأعسر يوما بين يدي المأمون
(تَخَيَّرتُ من نَعْمَانَ عودَ أراكةٍ ... لهندٍ فمَنْ هذَا يُبَلِّغه هِنْدَا)
فقال المأمون اطلبوا لهذا البيت ثانيا فلم يعرف وسأل كل من بحضرته من أهل الأدب والرواة والجلساء عن قائل هذا الشعر فلم يعرفه أحد
فقال إسحاق بن حميد لما رأيت ذلك عنيت بهذا الشعر وجهدت في المسألة وطلبته ببغداد عند كل متأدب وذي معرفة فلم يعرفه
وقلد المأمون أبا الرازي كور دجلة وأنا أكتب له ثم نقله إلى اليمامة والبحرين
قال إسحاق بن
حميد فلما خرجنا ركبت مع أبي الرازي في بعض الليالي على حمارة فأبتدأ الحادي يحدو بقصيدة طويلة وإذا البيت الذي كنت أطلبه فسألته عنها فذكر أنها للمرقش الأكبر فحفظت منها هذه الأبيات
(خَلِيلَيَّ عُوجَا بارَكَ اللَّهُ فيكما ... وإنْ لم تَكُنْ هِندٌ لأرضِكما قَصْدَا)
(وقُولاَ لها ليس الضَّلاَلُ أجازَنا ... ولكنّنا جُزْنَا لِنَلْقَاكُمُ عَمْداً)
(تَخَيَّرتُ من نَعْمَانَ عودَ أراكةٍ ... لهندٍ فمَنْ هذا يبلِّغه هِنْدَا)
(وأنْطَيتُه سيفي لكيمَا أُقيمَه ... فلا أَوَداً فيه أستبنتُ ولا خَضْدَا)
(ستَبْلُغُ هنداً إنْ سَلِمْنا قَلائصٌ ... مَهَارَى يُقَطِّعنَ الفَلاَةَ بنا وَخْدَا)
(فلمّا أنَخْنَا العيسَ قد طار سيرُها ... إليهم وجدْنَاهم لنا بالقِرَى حَشْدَا)
(فناولتُها المِسْوَاكَ والقلبُ خائفٌ ... وقلتُ لها يا هندُ أهْلَكْتِنا وَجْدَا)
(فمدّت يداً في حُسْنِ دَلٍّ تَنَاوُلاً ... إليه وقالتْ ما أرى مثلَ ذا يُهْدَى)
(وأقبلتُ كالمُجتاز أدَّى رسالةً ... وقامتْ تَجُرّ المَيْسَانيَّ والبُرْدَا)
(تَعَرَّضُ للحيِّ الذين أريدهم ... وما التمستْ إلاَّ لِتقتُلَني عَمْدَا)
((فما شِبْهُ هندٍ غيرُ أدماءَ خاذِلٍ ... من الوَحْشِ مُرْتاعٍ مُرَاعٍ طَلاً فردا
قال فكتب بها إلى المأمون فاستحسنت ورويت وأمر علويه فصنع في البيتين الأولين منها غناء يشبه أغاني علويه في هذه الأبيات اللحن الأول في قوله
(... تخيّرت من نَعمانَ عودَ أراكةٍ)
غناه علويه وليس اللحن له اللحن لإبراهيم خفيف ثقيل بالبنصر
ولحنه الثاني الذي أمره أن يصنعه في
(... خَلِيليّ عُوجَا بارَكَ اللَّه فيكما)
رمل
غنى المعتصم بشعر ابن هرمة
حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال
عرض علويه على المعتصم رقعة في أمر رزقه وإقطاعه وهو يشرب دفعها إليه من يده فلما أخذها اندفع علويه يغني صوت
(إنِّي اسْتحيتُكَ أنْ أفُوهَ بحاجتِي ... فإذا قرأتَ صحيفتي فَتَفهَّمِ)
(وعليكَ عهدُ اللَّه إنْ خَبَّرتَه ... أحداً ولا أظهرتَه بِتَكَلُّمِ)
فقرأ المعتصم الرقعة وهو يضحك ثم وقع له فيها بما أراد
الشعر لابن هرمة كتب به إلى بعض آل أبي طالب وهو إبراهيم بن الحسن يطلب منه نبيذا وقد خرج هو وأصحابه إلى السيالة فكتب إليه البيت الأول على ما رويناه والثاني غيره المغنون وهو
(وعليكَ عهدُ اللَّه إنْ أعلمتَه ... أهلَ السَّيَالةِ إنْ فَعلتَ وإنْ لَمِ)
فلما قرأ الرقعة قال علي عهد الله إن لم أعلم به عامل السيالة
وكتب الى عامل السيالة إن ابن هرمة وأصحابا له سفهاء يشربون بالسيالة فاركب إليهم حتى تأخذهم فركب إليهم ونذروا به فهرب وقال يهجو إبراهيم
(كتبتُ إليكَ أستهدِي نَبيذاً ... وأُدْلِي بالمَوَدّةِ والحقوقِ)
(فخَبَّرْتَ الأميرَ بذاك جهلاً ... وكنتَ أخا مُفَاضَحةٍ ومُوقِ)
حدثني بذلك الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير
وقد ذكرته في أخبار ابن هرمة
والغناء لعبادل
حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني موسى بن هارون الهاشمي قال حدثني أبي قال
كنت واقفا بين يدي المعتصم وهو جالس على حير الوحش والخيل تعرض عليه وهو يشرب وبين يديه علويه ومخارق يغنيان فعرض عليه فرس كميت أحمر ما رأيت مثله قط فتغامز علويه ومخارق وغناه علويه
(وإذا ما شربوها وانتشَوْا ... وَهَبُوا كلَّ جَوَادٍ وطِمِرّ)
فتغافل عنه
وغناه مخارق
(يَهَبُ البِيضَ كالظِّباءِ وجُرْداً ... تحت أجْلاَلِها وعِيسَ الرِّكابِ)
فضحك ثم قال اسكتا يا ابني الزانيتين فليس يملكه والله واحد منكما
قال ثم دار الدور فغنى علويه

(وإذا ما شربوها وانتَشَوْا ... وَهَبُوا كلَّ بِغالٍ وحُمُرْ)
فضحك وقال أما هذا فنعم وأمر لأحدهما ببغل وللآخر بحمار
حدثني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن محمد الأبزاري قال
كنا عند زلبهزة النخاس وكانت عنده جارية يقال لها خشف ابتاعها من علويه وذلك في شهر رمضان ومعنا رجل هاشمي من ولد عبد الصمد بن علي يقال له عبد الصمد وإبراهيم بن عمرو بن نهبون وكان يحبها فأعطى بها زلبهزة أربعة آلاف دينار فلم يبعها منه وبقيت معه حتى توفيت فغنتنا أصواتا كان فيها
(أشارتْ بطَرْفِ العين خِيفَةَ أهلِها ... إشارةَ محزونٍ ولم تَتَكَلَّمِ
(فأيقنتُ أنّ الطَّرْفَ قد قال مَرْحَباً ... وأهلاً وسَهْلاً بالحبيبِ المُسَلِّمِ)
(وأبرزتُ طَرْفي نحوَها لأُجِيبَها ... وقلتُ لها قولَ امرىء غير مُعْجِمِ)
(هنيئاً لكم قتلي وَصَفْوُ مودّتي ... وقد سِيطَ في لحمي هواكِ وفي دمي)
الغناء لابن عائشة ثقيل أول عن الهشامي قال فلما وثبنا للانصراف قال لنا وقد اشتد الحر أقيموا عندي فوجهت غلاما معي وأعطيته دينارا وقلت له ابتع فراريج بعشرة دراهم وثلجا بخمسة دراهم وعجل فجاء بذلك فدفعه إلى زلبهزة وأمره بإصلاح الفراريج ألوانا وكتبت إلى علويه فعرفته خبرنا فجاءنا وأقام وأفطرنا عند زلبهزة وشرب منا من كان يستجيز الشراب وغنى علويه لحنا ذكر أنه لابن سريج ثقيل أول فاستغربه الجماعة وهو
صوت
(يا هندُ إنّ الناسَ قد أفسدوا ... وُدّكِ حتى عَزّني المَطْلَبُ)
(يا ليتَ مَنْ يسعى بنا كاذباً ... عاشَ مُهَاناً في أذىً يَتْعَبُ)
(هَبِيهِ ذنباً كنتُ أذنبتُه ... قد يغفِر اللّهُ لِمَنْ يُذْنِبُ)
(وقد شَجَاني وجرتْ دَمْعَتي ... أنْ أرسلتْ هندٌ وهي تَعْتِبُ)
(ما هَكَذَا عاهدتَنا في مِنىً ... ما أنتَ إلاّ ساحرٌ تَخْلُبُ)
(حلفتَ لِي باللّه لا نَبْتَغِي ... غيرَكِ ما عشتِ ولا تَطْلُبُ)
قال وقام عبد الصمد الهاشمي ليبول
فقال علويه كل شيء قد عرفت معناه أما أنت فصديق الجماعة وهذا يتعشق هذه وهذا مولاها وأنا ربيتها وعلمتها وهذا الهاشمي أيش معناه
فقلت لهم دعوني
أحكه وآخذ لزلبهزة منه شيئا
فقال لا والله ما أريد
فقلت له أنت أحمق أنا آخذ منه شيئا لا يستحي القاضي من أخذه
فقال إن كان هكذا فنعم
فقلت له إذا جاء عبد الصمد فقل لي ما فعل الآجر الذي وعدتني به فإن حائطي قد مال وأخاف أن يقع ودعني والقصة
فلما جاء الهاشمي قال لي زلبهزة ما أمرته به فقلت ليس عندي آجر ولكن اصبر حتى أطلب لك من بعض أصدقائي
وجعلت أنظر إلى الهاشمي نظر متعرض به
قال الهاشمي يا غلام دواة ورقعة فأحضر ذلك
فكتب له بعشرة آلاف آجرة إلى عامل له وشربنا حتى السحر وانصرفنا
فجئت برقعته إلى الآجري ثم قلت بكم تبيعه الآجر فقال بسبعة وعشرين درهما الألف
قلت فبكم تشتريه مني قال بنقصان ثلاثة دراهم في الألف
فقلت فهات فأخذت منه مائتين وأربعين درهما واشتريت منها نبيذا وفاكهة وثلجا ودجاجا بأربعين درهما وأعطيت زلبهزة مائتي درهم وعرفته الخبر ودعونا علويه والهاشمي وأقمنا عند زلبهزة ليلتنا الثانية
فقال علويه نعم الآن صار للهاشمي عندكم موضع ومعنى
رتبته بين المغنين
أخبرني جحظة قال حدثني أحمد بن حمدون قال حدثني أبي قال
قال لنا الواثق يوما من أحذق الناس بالصنعة قلنا إسحاق
قال ثم من قلنا علويه
قال فمن أضرب الناس قلنا ثقيف
قال ثم من قلنا علويه
قال فمن أطيب الناس صوتا قلنا مخارق
قال ثم من قلنا علويه
قال أعترفتم له بأنه مصلي كل سابق وقد جمع الفضائل كلها وهي متفرقة فيهم فما ثم ثان لهذا الثالث
وحدثني جحظة قال حدثني محمد بن أحمد المكي المرتجل قال حدثني أبي قال
دخلت إلى علويه أعوده من علة أعتلها ثم عوفي منها فجرى حديث المأمون فقال لي كدت علم الله أذهب دفعة ذات يوم وأنا معه لولا أن الله تعالى سلمني ووهب لي حلمه
فقلت كيف كان السبب في ذلك فقال كنت معه لما خرج الى الشأم فدخلنا دمشق فطفنا فيها وجعل يطوف على قصور بني أمية ويتبع آثارهم فدخل صحنا من صحونهم فإذا هو مفروش بالرخام الأخضر كله وفيه بركة ماء يدخلها ويخرج منها من عين تصب اليها وفي البركة سمك وبين يديها بستان على أربع زواياه أربع سروات كأنها قصت بمقراض من التفافها أحسن ما رأيت من السرو قط قدا وقدرا
فاستحسن ذلك وعزم على الصبوح وقال هاتوا لي الساعة طعاما خفيفا فأتي ببزماورد فأكل ودعا بشراب وأقبل علي وقال غنني ونشطني فكأن الله عز وجل أنساني الغناء كله إلا هذا الصوت
(لو كان حَوْلي بنو أُميّةَ لَمْ ... تَنْطِقْ رجالٌ أراهُمُ نَطَقُوا)
فنظر إلي مغضبا وقال عليك وعلى بني أمية لعنة الله ويلك أقلت لك سؤني أو سرني ألم يكن لك وقت تذكر فيه بني

أمية إلا هذا الوقت تعرض بي
فتحيلت عليه وعلمت أني قد أخطأت فقلت أتلومني على أن أذكر
بني أمية هذا مولاكم زرياب عندهم يركب في مائتي غلام مملوك له ويملك ثلاثمائة ألف دينار وهبوها له سوى الخيل والضياع والرقيق وأنا عندكم أموت جوعا
فقال أولم يكن لك شيء تذكرني به نفسك غير هذا فقلت هكذا حضرني حين ذكرتهم فقال اعدل عن هذا وتنبه على إرادتي
فأنساني الله كل شيء أحسنه إلا هذا الصوت
(الحَيْنُ ساق إلى دِمَشْقَ ولم أكُنْ ... أرضَى دمَشْقَ لأهلِنا بَلَدَا)
فرماني بالقدح فأخطأني فانكسر القدح وقال قم عني إلى لعنة الله وحر سقر وقام فركب
فكانت والله تلك الحال آخر عهدي به حتى مرض ومات
قال ثم قال لي يا أبا جعفر كم تراني أحسن أغني ثلاثة آلاف صوت أربعة آلاف صوت خمسة آلاف صوت أنا والله أغني أكثر من ذلك ذهب علم الله كله حتى كأني لم أعرف غير ما غنيت
ولقد ظننت أنه لو كانت لي ألف روح ما نجت منه واحدة منها ولكنه كان رجلا حليما وكان في العمر بقية
نسبة هذين الصوتين المذكورين في الخبر
صوت
(لو كان حولي بنو أُمَيَّةَ لم ... تَنْطِقْ رِجالٌ أراهُمُ نَطَقُوا)
(مِنْ كلّ قَرْمٍ مَحْضٍ ضرائبُه ... عن مَنْكِبَيْه القميصُ يَنخَرِق)
الشعر لعبد الله بن قيس الرقيات
والغناء لمعبد ثقيل أول بالوسطى عن عمرو وذكر الهشامي أنه لابن سريج
وذكر ابن خرداذبه أن فيه لدكين بن عبد الله بن عنبسة بن سعيد بن العاصي لحنا من الثقيل الأول وأن دكينا مدني كان منقطعا إلى جعفر بن سليمان
صوت
(الحَيْنُ ساقَ إلى دِمَشْقَ وما ... كانت دمشقُ لأهلِنا بَلَدَاَ)
(قادتْك نَفْسُك فاستقدت لها ... وأريتَ أمرَ غَوَايةٍ رَشَدَا)
لعمر الوادي في هذا الشعر ثقيل أول بالوسطى عن ابن المكي
قال وفيه ليعقوب الوادي رمل بالبنصر
حدثني عمي قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال سمعت الحسن بن وهب الكاتب يحدث
أن علويه كان يصطبح في يوم خضابه مع جواريه وحرمه ويقال أجعل صبوحي في أحسن ما يكون عند جواري
فقيل له إن ابن سيرين كان يقول لا بأس بالخضاب ما لم تغرر به امرأة مسلمة
فقال إنما كره لئلا يتصنع به لمن لا يعرفه من الحرائر فيتزوجها على أنه شاب وهو شيخ فأما الإماء فهن ملكي وما أريد أن أغرهن
قال الحسن فتعالل علويه على المعتصم ثلاثة أيام متوالية واصطبح فيها فدعاني وكان صوته على جواريه في شعر الأخطل
((كأنّ عَطّارةً باتتْ تُطِيفُ به ... حتى تَسَرْبَلَ مثلَ الوَرْسِ وانْتَعَلاَ
فقال لي كيف رويته فقلت له قرأت شعر الأخطل وكان أعلم الناس به كان يختار تسرول ويقول إنما وصف ثورا دخل روضة فيها نوار أصفر فأثر في قوائمه وبطنه فكان كالسراويل لا أنه صار له سربال
ولو قال تسربل أيضا لم يكن فاسدا ولكن الوجه تسرول
أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيى المنجم قال
قدمت من سر من رأى قدمة بعد طول غيبة فدخلت إلى إسحاق الموصلي فسلم علي وسألني خبري وخبر الناس حتى أنتهينا إلى ذكر الغناء فسألني عما يتشاغل الناس من الأصوات المستجادة
فقلت له تركت الناس كلهم مغرمين بصوت لك
قال وما هو فقلت
(... ألاَ يا حَمَامَيْ قَصْرِ دُورَانَ هِجْتُما)
فقال ليس ذلك لي ذاك لعلويه
وقد لعمري أحسن فيه وجود ما شاء
غنى المأمون بأبيات معه
أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي قال حدثني علويه قال
خرج المأمون يوما ومعه أبيات قد قالها وكتبها في رقعة بخطه وهي
صوت
(خرجْنا إلى صَيْدِ الظِّباءِ فصادَني ... هناك غَزالٌ أدعجُ العَيْنِ أحْوَرُ)
(غزالٌ كأنّ البدرَ حلّ جبينَه ... وفي خدّه الشِّعْرَى المنيرةُ تَزْهَرُ)
(فصاد فُؤادِي إذْ رمانِي بسَهْمِه ... وسهمُ غزالِ الإنْسِ طَرْفٌ ومِحْجَرُ)
(فيا مَنْ رأى ظبياً يَصِيدُ ومَنْ رأى ... أخَا قَنَصٍ يُصْطَادُ قَهْراً ويُقْسَرُ)
قال فغنيته فيها فأمر لي بعشرة آلاف درهم
قال أبو القاسم جعفر بن قدامة لحن علويه في هذا الشعر ثقيل أول ابتداؤه نشيد
غنى الرشيد في مجلسه فأغضبه
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثني حماد عن أبيه قال غنيت الرشيد يوما
(هما فَتَاتَانِ لَمّا يَعْرِفَا خُلُقي ... وبالشَّبابِ على شَيْبِي يُدِلاّنِ)
فطرب وأمر لي بألف دينار

فقال له ابن جامع وكان أحسد الناس اسمع غناء العقلاء ودع غناء المجانين وكنت أخذت هذا الصوت من مجنون بالمدينة كان يجيده ثم غنى قوله
(ولقد قالتْ لأترابٍ لها ... كالمَهَا يَلْعَبْنَ في حُجْرتها)
(خُذْنَ عني الظِّلَّ لا يَتْبَعُني ... وغدتْ تسعى إلى قُبَّتها)
فطرب وأمر له بألف وخمسمائة دينار
ثم تغنى وجه القرعة
(يَمشُون فيها بكلِّ سابغةٍ ... أُحْكِمَ فيها القَتِيرُ والحِلَقُ)
فاستحسنه وشرب عليه وأمر له بخمسمائة دينار
ثم تغنى علويه
(وأرَى الغَوانِي لا يُواصِلْنَ أمرأً ... فَقَدَ الشّبابَ وقد يَصِلْنَ الأمْرَدَا)
فدعاه الرشيد وقال له يا عاض بظر أمه تغني في مدح المرد وذم الشيب وستارتي منصوبة وقد شبت كأنك إنما عرضت بي ثم دعا بمسرور فأمره أن يأخذ بيده فيخرجه فيضربه ثلاثين درة ولا يرده إلي مجلسه ففعل ذلك ولم ينتفع الرشيد يومئذ بنفسه ولا أنتفعنا به بقية يومنا وجفا علويه شهرا فلم يأذن له حتى سألناه فأذن له
نسبة هذه الأصوات التي تقدمت
صوت
(هما فتاتانِ لمّا يَعْرِفا خُلُقِي ... وبالشّبابِ على شَيْبي يُدِلاّنِ)
(كلُّ الفَعَالِ الّذِي يفعلنَه حَسَنٌ ... يُضْنِي فؤادي ويُبْدِي سِرَّ أشجاني)
(بَلِ أحْذَرَا صَوْلَةً من صَوْلِ شَيْخِكما ... مَهْلاً عن الشَّيْخِ مهلاً يا فتاتانِ)
لم يقع إلي شاعره
فيه لابن سريج ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق
وفيه لابن سريج رمل بالبنصر عن عمرو
وفيه لسليمان المصاب رمل كان يغنيه فدس الرشيد إليه إسحاق حتى أخذه منه وقيل بل دس عليه ابن جامع

إسحاق يأخذ صوتا من سليمان المصاب

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال
دعاني الرشيد لما حج فقال صر إلى موضع كذا وكذا من المدينة فإن هناك غلاما مجنونا يغني صوتا حسنا وهو
(هُمَا فتاتانِ لمّا يعرفا خُلُقي ... وبالشبابِ على شيبي يُدِلاّنِ)
وله أم فصر إليها وأقم عندها واحتل حتى تأخذه
فجئت أستدل حتى وقفت على بيتها فخرجت إلي فوهبت لها مائتي درهم وقلت لها أريد أن تحتالي على ابنك حتى آخذ منه الصوت الفلاني
فقالت نعم وأدخلتني دارها وأمرتني فصعدت إلى علية لها فما لبثت أن جاء ابنها فدخل
فقالت له يا سليمان فدتك نفسي أمك قد أصبحت اليوم خاثرة مغرمة فاحب أن تغني ذلك الصوت
(... هما فتاتان لمّا يعرفا خُلُقِي)
فقال لها ومتى حدث لك هذا الطرب قالت ما طربت ولكنني أحببت أن أتفرج من هم قد لحقني
فاندفع فغناه فما سمعت أحسن من غنائه
فقالت له أمه أحسنت فديتك فقد والله كشفت عني قطعة من همي فأسألك أن تعيده
قال والله ما لي نشاط ولا أشتري غمي بفرجك
فقالت أعده مرتين ولك درهم صحيح تشتري به ناطفا
قال
ومن أين لك درهم ومتى حدث لك هذا السخاء فقالت هذا فضول لا تحتاج إليه وأخرجت إليه درهما فأعطته إياه فأخذه وغناه مرتين فدار لي وكاد يستوي
فأومأت إليها من فوق أن تستزيده
فقالت يا بني بحقي عليك إلا أعدته
فقال أظن أنك تريدين أن تأخذيه فتصيري مغنية
فقالت نعم كذا هو
قال لا وحق القبر لا أعدته إلا بدرهم آخر
فأخرجت له درهما آخر فأخذه وقال أظنك والله قد تزندقت وعبدت الكبش فهو ينقد لك هذه الدراهم أو قد وجدت كنزا فغناه مرتين وأخذته واستوى لي
ثم قام فخرج يعدو على وجهه
فجئت إلى الرشيد فغنيته به وأخبرته بالقصة فطرب وضحك وأمر لي بألف دينار وقال لي هذه بدل مائتي الدرهم
صوت
(ولقد قالتْ لأترابٍ لها ... كالمَهَا يَلْعَبْنَ في حُجْرَتِها)
(خُذْنَ عنّي الظِّلَّ لا يتبعني ... وعَدَتْ سَعْياً إلى قُبَّتها)
(لم يُصِبْها نَكَدٌ فيما مَضَى ... ظَبْيَةٌ تختالُ في مَشْيَتِها)
في هذه الأبيات رمل بالبنصر ذكر الهشامي أنه لابن جامع المكي وذكر ابن المكي أنه لابن سريج
وهو في أخبار ابن سريج وأغانيه غير مجنس
صوت
(يمشون فيها بكلّ سابغةٍ ... أُحْكِمَ فيها القَتِيرُ والحِلَقُ)
(تعرف إنْصافَهُمْ إذا شَهِدوا ... وصَبْرَهم حين تَشْخَصُ الحَدَقُ)
الغناء لابن محرز خفيف ثقيل بالوسطى عن الهشامي وحبش